

العدد ١٤٧
ذو الحجة ١٣٩٠
فبراير
شباط ١٩٧١

كثير من رجال اليمن يختزن القات في شدقه ..
إن القات هو الظاهرة الكبرى في هذا البلد الشقيق .
اليمن



الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قرش
الخليج العربي	٢ ريالات	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرش
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ مليم
البحرين	٢٠٠ فلس	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ مليم



من روائع الفن العالمي : الرجل العجوز الجالس في مقعده

● لوحة شهيرة للرسام الهولندي المعروف رمبرندا (١٦٠٦ - ١٦٦٩) ، وتعتبر هذه اللوحة دليلا على براعة رمبرندا في الكشف عن الحقائق النفسية الدفينة وقد أبرز فيها الفنان ظاهرة التأمل المسؤول ، والتبصر العميق ، وهي ظاهرة ترافق عادة الشيخوخة وتأتي بنتيجة الخبرة الطويلة .

عزيزي القارئ

يخرج هذا العدد من « العربي » في اول فبراير ، اى قبل ٤ ايام من فترة وقف اطلاق النار . ونحن نقدر الموقف الحاضر ، ساعة نكتب هذه الكلمة ، ونلخص ذلك فيما يلي :

● المفروض ان الجمهورية العربية المتحدة لا تجدد هذه الفترة الا اذا كان هناك امل حقيقي في مفاوضات جادة تهدف الى سلام صادق .

● اسرائيل ، على ما يبدو ، تمارس كسب الوقت . فهي تقبل اليوم ما تنوي رفضه غدا . ومن ذلك الرضا بالمفاوضة عن طريق الدكتور جونار يارنج ، وسوف تقيم دونها العقبات .

● تصريحات اسرائيل تناقض الحل السلمي الذى اقترحه مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بالقدر الذى ينفيه نفيا تاما .

● من الجائز جدا امام كل هذا استئناف الحرب عبر القنال وغير القنال .

● **ولقد حرصت اسرائيل على الحصول على وعد من الولايات المتحدة باستخدام النقض لوقف اى قرار يرى مجلس الامن في المستقبل ان يصدره ضد اسرائيل . وظنّنا اكبر الظن ان اسرائيل لابد انها تنوى ان تأتي امرا جللا ، هو استخدام الاسلحة الكيماوية والبيولوجية ضد القوات العربية ، وهذه ، كما ذكرنا في مقالنا عن هذه الاسلحة بهذا العدد ـ ص ٤٢ ـ فرصة العمر لمن يملك هذه الاسلحة ضد من لا يملكها .**

من اجل هذا اردنا ان ننبه الى ما كان من مثل هذا الامر ، عندما استخدمت ايطاليا الاسلحة الكيماوية ضد الحبشة في عام ١٩٣٦ ، وعندما استخدمتها اليابان ضد الصين في عام ١٩٣٧ ـ ١٩٤٢ . وعندما استخدمت الولايات المتحدة غازات الاعصاب ضد الفيتناميين في الحرب القائمة اليوم .

٦ يناير ١٩٧١

المحرر

● بعد خمسين الف نسخة ارسلناها الى القاهرة ، من ربع مليون نسخة طبعناها من عدد يناير (الممتاز) ... عادت القاهرة تلح طالبة المزيد ، فدبرنا لها بصعوبة عشرة الاف نسخة اخرى ... بيعت بمجرد ظهورها في الاسواق .

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

■ حديث الشهر : التربية كيف تمارس على التخلف والفقر : السلعة البشرية كالسلعة الصناعية ، الحكم فيها للأسواق ـ المادية والروحية عند الفلاسفة .. ٨

عروبة :

■ السلطة ومفهومها في فكر الشباب الجامعي ٦٢
■ اليهود في ظل الحكم العربي القديم ١٦٣

اسلاميات :

■ المستشرقون خدموا الاحاديث النبوية خدمة كبرى ، كما خدموا القرآن الكريم ٢٦
■ الوهابية وزعيمها الامام محمد بن عبد الوهاب ٣٦
■ مسلمات خالدات : لؤلؤة الطائية ٦٧
■ الحسن البصري : فقيه البصرة في العهد الاول من الاسلام ١٢٢

لغة وآداب :

■ لغويات طبيب ٧٢

تربية وعلم نفس :

■ التعليم في البلاد العربية : تقويه في شتى مستوياته .. كما وكيفا ٣٠
■ ايهما اهل في حياة الانسان : ماضيه ام حاضره ام مستقبله ؟ ١٩
■ جامعة البصرة : منارة للعلم وليدة ١٤٨

استطلاعات مصورة :

■ الاسفنج الاصطناعي : صناعة حديثة في الكويت ٥٢
■ اللات : عصبية اليمن الشقيق الكبرى ١٠٠
■ جامعة البصرة : منارة للعلم وليدة ١٤٨

طب .. وعلوم :

■ في سبيل موسوعة علمية : الاسلحة الكيماوية والاسلحة الميكروبية .. لا بد ان يقرأ منها كل عربي وان يتحير بعلمها .. لمن يدري ؟! ٤٢
■ الاسفنج الاصطناعي : فكرة عابرة عن تركيبه وصنعه ٥٢
■ امراض شائعة : النزلات الشعبية ، والالتهابات الرئوية ٧٤

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 148 February 1971 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٨٤٧ ـ تلفون ٢٧١٤١ ـ تلغرافيا «العربي»

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● هذا الرجل الجالس متكئا ، منتفخ الشدق ، ما قصته .. ؟ وما قصة الاوراق الخضراء التي بيده ؟ .. انه احد ابناء اليمن الشقيق في « مجلس للقات » .. وهو مجلس ينعقد بعد ظهر كل يوم في منازل اليمن ، يمضغ فيه الجالسون اوراق شجرة القات الرطبة ويخزنونها الساعات في اشداقهم .. انها مأساة اجتماعية ، تطالع تفاصيلها ابتداء من صفحة ١٠ من هذا العدد .

■ طبيب الاسرة : طنين الاذن .. الصداع النصفي .. شعر الجسد ... ٩٢
■ ركن الفضاء والذرة : المركبة الروسية بلا رجال : صنعت ما صنعته المركبة الامريكية برجال ـ المانيا تشيد مفاعلا ذريا للارجنتين ، هو الاول في امريكا الجنوبية ... ١٢٠
■ انباء الطب والعلم والاختراع : محصول القمح للفدان يتضاعف اضعافا ، وكذا الذرة ، وكذا الارز ـ التدخين نكبة ، هكذا يقول علماء بريطانيا ـ اضخم ميكروسكوب الكتروني تصنعه اليابان ـ أمل جديد للمقعدات ... ١٣٦

تاريخ .. وتاريخ اشخاص :

■ تعدد الزوجات عبر التاريخ والى يومنا هذا ... ٧٨
■ القطن : تاريخ زراعته في شتى البلاد على مر العصور ... ٩٥

شعر وشعراء :

■ مستقبل الشعر الحديث بعد تحرره من الوزن والقافية ... ١١٥
■ نجوى (شعر) ... ■ هو الحب (شعر) ... ١٣١ ـ ١٤٧

قصص وجرائم :

■ من غرائب القضايا : جان اوريت ... ١٤٢

ركن الاسرة والمرأة :

■ الحب بين الرجل والمرأة : متى وكيف تسأل الزوجة زوجها « هل تحبني » ؟ ... ٨٦

كتب :

■ اليهود في البلدان العربية (كتاب الشهر) ... ■ مكتبة العربي ... ١٦٣ ـ ١٦٨

منوعات :

■ من روائع الفن العالمي : رمبرنت فنان هولندا الشهير ... ٢ ـ ١٤٠
■ عزيزي القارىء ... ٣
■ بريد القراء ... ٦
■ مسابقة العربي ... ■ نتيجة مسابقة العدد ١٤٥ ... ٨٤ ـ ١٣٩
■ طرائف عربية ... ■ طرائف غربية ... ٩٠ ـ ١٣٢
■ انت تسأل .. ونحن نجيب : مؤامرة الانقلاب في غينيا ـ حقوق النشر ـ اكثر السيارات العالمية رواجا ـ الصين وعضويتها للأمم المتحدة ... ١٢٤

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ـ العراق ١٢٠ فلسا ـ سوريا ١٠٠ قرش لبنان ١٠٠ قرش الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ج ٢ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع ببيروت ، وعنوانها : بيروت ـ ص.ب ٢٢٨) ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربي .





نجران : في السعودية لا في اليمن

● اطلعت على استطلاع العربي لمدينة تعز (العدد رقم ١٤٥) ووجدت أن نجران وهي المنطقة السعودية المعروفة قد أدخلت ضمن أراضي جمهورية اليمن في الخريطة المنشورة على الصفحة ٩٥ ، وهذا خطأ كما لا يخفى وأرجو التصويب .

مناحي الثاني – الطائف

الفكاهة في الشعر العربي

● أننا نتقدم بالشكر الى السيد طاهر أبوفاشا كاتب مقال – الفكاهة في الشعر العربي – (بالعدد ١٢٤) إذ أنه نقلنا فعلا الى جو الفكاهة والضحك . ولقد كان لهذا الموضوع أهمية لم تخطر على بال أحد من قبل . نرجو أن نلتقي بهذا الكاتب مرة أخرى في مقالات جديدة على صفحات العربي .

صالح خالد العمايلة — المفرق / الأردن

دواء .. فاشل

● نشرت المجلة في عددها ١٤٣ الصادر في شهر تشرين الأول عام ١٩٧٠ ، ضمن الدراسة التي عرضتها عن مدينة المنصورة ، أن طبيبا اسمه محمد محمود الزيادي ، قد اخترع دواء لعلاج مرض الصدفية ، وأن شركة النيل للأدوية تقوم بانتاجه .. ولتصحيحا للوضع نفيد سيادتكم أن المذكور ، وهو طالب بكلية طب المنصورة ، تقدم منذ اكثر من سنة للشركة باكتشافه . واتفقت معه الشركة على عمل التجارب اللازمة للتأكد من فعالية المستحضر المقترح . ولقد قامت الشركة باجراء العديد من التجارب تحت اشراف كبار الاخصائيين وثبت بصورة قاطعة فشل هذا المستحضر في علاج مرض الصدفية .

ولقد تلقيت العديد من الرسائل من شتى الدول العربية على اثر نشر مجلتكم لهذا الموضوع يطلبون فيها الدواء ، وحرصا منا على محاربة الأوهام ، أو أي أمل كاذب يتعلق به المرضى – لذلك نرسل لسيادتكم طي هذا الخطاب التقرير النهائي عن التجارب موقعا من الاستاذ محمد الظواهري استاذ الأمراض الجلدية . ونأمل أن تتكرموا بنشر ما ترونه كافيا لتوضيح الرؤية للسادة قراء مجلتكم الغراء .

رئيس مجلس الادارة
(دكتور أحمد علي أبو العينين)
شركة النيل للأدوية والصناعات الكيماوية القاهرة

النسر

● بعد التحية : لقد حدث خطأ مطبعي في آخر بيت من المقطع الثاني من قصيدتي « النسر » في العدد الماضي ، فاسم الاشارة هذه ورد مذكرا ووضعت كسرة تحت الضاد من لفظة الأرض والصواب .

هذه الأرض أرضنا وبنوها
هم بنو قومنا الأباة الأسود

كما أن التشديد في لفظة « ميرٌ » يجب أن يكون على الراء بينما ورد على الياء الأقرب ولا شك أن كل هذا لا يغيب عن فهم قراء هذه المجلة ، ولكن التنويه أحسن .

أحمد السقاف

ترجمة حياة

الدكتور مصطفى جواد كانت بقلمه هو

● نشرتم في العدد رقم ١٤٤ مقالا عنوانه الدكتور مصطفى جواد بقلم عبد الكريم جواد المحامي ، والى انبهكم بان كل ما جاء في هذا المقال انما هو ماخوذ نصا من مقال كتبه المرحوم مصطفى جواد قبل وفاته ونشر في كتاب « شعراء العراق » الدكتور يوسف عز الدين امين المجمع العلمي العراقي ، ولم يزد جهد كاتب المقال المذكور عبد الكريم جواد المحامي في هذا المجال ، ان كان هناك جهد ، على تحويل ضمير المتكلم الى ضمير الغائب !

حسين العلاق

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

العربي : جاءنا غير هذا الخطاب ينبهنا الى ان الكاتب الذي ارسل هذا المقال انما نقله عن تاريخ مختصر ارخ به المرحوم الدكتور مصطفى جواد حياته . ونحن نأسف لما وقع .

اللغة العربية
شغلت الوطن العربي شغلين
تعليق من المغرب

● في الوقت الذي يعيش فيه المغرب محنة التعريب ، طلعت جريدة « العلم » المغربية بمقال قيم ، اخذ من مجلة « العربي » في عدد لها وصلتابعد ذلك . والمقال لرئيس التحرير ، وعنوانه : « من وحي رحلة في المغرب العربي بصيف عام ١٩٧٠ » : « اللغة العربية » .

ولا داعي للتنويه بصاحب المقال ، فالدكتور احمد زكي غني عن كل تعريف .

وعلى كل فالجدير بالذكر ان المقال استقى من صميم الأزمة الخانقة التي يعاني منها العرب المغاربة هنا ، وهم بازاء جيل متفرنس لا يمت الى حضارته المغربية العربية بصلة .

والقارىء العربي لدى تتبعه للكلمات النابعة من قلب مؤمن ، لا يلبث من خلال هذا المقال الرائع ـ ان يدرك ان احمد زكي رجل يحتضن في حناياه مشاعر كلها اخلاص وصدق نحو امته العربية وبالتالي نحو اخوته في العروبة . بل انه لا يلبث ان يدرك ان احمد زكي وان كان حاضرا في الكويت البلد الشقيق ، فانه في المغرب أيضا . وفي كل بقعة من بقاع هذا الوطن العربي حاضر بفكره وقلبه .

اقول : انني كمغربي اعرف ان لهجتي المحلية تحتوي في صلبها على كلمات عربية صحيحة .. بل انني ، ومن خلال مخالطتي لأهل الريف الفت على الكثير من الكلمات التي انحدرت من أصل عربي . وفضلا عن هذا كله هناك الموسيقى الاندلسية التي لا زالت تنشد بعربية فصحى .. وانه لمن الغريب حقا ان المنشدين وهم من عامة الشعب لا يزالون ينشدون موشحات هذه الموسيقى كما كان ينشدها الاجداد خلال عصرهم الذهبي في الاندلس بعربية فصحى .

وهكذا يتضح ان المغرب عريق في عروبته ، وان ما نعانيه ليس الا مرضا نابعا من التهافت على مخلفات الحضارة الغربية المعاصرة دون مراجعة او نقد ذاتي .

تلكم كانت انطباعاتي حول ما ورد في مقال الدكتور احمد زكي ، وكل ما يمكن ان اقوله بصدد هذه الفقرة التي وردت في المقال المذكور : « فان رضي المغرب العربي باللغة العربية له لغة ، فاهلا وسهلا ، وان رضي غيرها فهذا قضاء الله » .. لبيك ايها المفكر الفذ ، ستظل اوفياء للعربية ما دام فينا عرق ينبض ، وما دام لنا في هذه الارض الطيبة تاريخ عريق عراقة هذه اللغة الجيدة .

عمر الخطيب

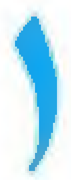
طنجة / المملكة المغربية

(البقية على صفحة ١٦٢)



حديث الشهر

والحديث ذو شجون



بقلم رئيس التحرير

● جاءني والد يسألني في امر ولد له ، هو طالب في جامعة عربية .

قال : اين تقع هـذه الجامعة بين الجامعات ؟

ابحث عن مقياس

فلما تمهلت في الجواب ، عاد يوضح ما خاله انه انبهم .

قال : في الحق اريد ان اسأل اين تقع جامعاتنا العربية عامة بين ما عرفنا او سمعنا عنه من الجامعات الاوروبية .

قلت : فهمت ما اليه قصدت ، ولكني كنت ابحث عن مقياس . مقياس اقيس به جامعاتنا العربية . ثم اقيس به الجامعات الاوروبية الغربية ، ومن ارقام القياسات الناتجة استطيع ان اجيبك الى سؤالك .

الناتج والانتاج

وفي بحثي عن مقياس اقيس به ، او عن ميزان ازن به ، لأقول هذا اطول وهذا اقصر ، او هذا اخف وهذا اثقل ، ذكرت ان الجامعات انما تنتج الرجال صنوفا اشتاتا ، تماما كما تنتج المصانع البضائع اجناسا والوانا .

ورحت افارن انتاجنا من الحديد والاسمنت، ومن اقمشة الحرير والقطن، ومن اللبن والجبن ، بانتاجنا من شتى هذه المصانع البشرية التي تخرج لنا المدرسين والاطباء والمهندسين والعلماء ، ورجال الشرطة ، واهل القضاء ، فوجدت ان لدينا لانتاج اللبن مثلا مواصفات نمتحن وفقا لها اللبن ، فنقول انه صالح او غير صالح ، ونمتحن وفقها الحديد فنجيزه للغرض المطلوب او لا نجيز . اما انتاج المهندس ، واما انتاج الطبيب والمدرس ، فنخرجه الى الاسواق بدون مواصفات ، ونملكه من شئوننا ما نملك من غير قياسات .

وستقول ان الامتحانات الجامعية ،

السلعة البشرية
كالسلعة الصناعية
الحكم فيها للأسواق

على التخلف والفقر

وإن الامتحانات المدرسية عامة ، هي المواصفات . والرد على ذلك حاضر : ذلك أن المدرس الصانع هو الذي يمتحن . وهذا كأن تأتي مؤسسة للبناء في الدولة إلى مصنع الحديد أو مصنع الاسمنت وتقول له أرجوك أن تمتحن لي انتاجك هذا : من اسمنت أو حديد ، وأن تخبرنا أيجوز في الوفاء بأغراضنا في البناء أو لا يجوز .

وهو إذا جاز وفقاً للمواصفات ، فبها . ولكنه إذا لم يجز بالأغراض فالمصنع لا بد نازل بمواصفاته بحيث تجوز ، وعذره في ذلك أن هذا غاية امكانه وامكان ما عنده من آلة ، وما عند رجاله من خبرة ، وما عنده من مال .

كذلك يفعل المدرس أو الاستاذ عند امتحان الطلبة ، فهم إن جازوا الامتحان وفقاً للمستويات المعترف بها ، فبها . وإلا فهو نازل بالمواصفات إلى الحد الذي خبره عند طلابه من قدرة . وإن أنت سألته في ذلك اعتذر بأن التلاميذ والطلاب تسلقوا إليه في السلم التعليمي من أسفل إلى أعلى ، وهو لم يكن مسئولاً عن مستوياتهم في أسفل الدرج ، والدرج الأسفل هو الذي يحدد الأعلى .

والخلاصة : أن البضاعة البشرية تخرج من المدارس ، ومن الجامعات والمعاهد ، بلا مواصفات يمكن للجمهور أن يأخذ بها . والبضاعة قد تجود ، أو لا تجود ، وليس عند الجمهور دليل على هذا أو على ذاك .

إن المقياس الذي طلبته ، بأسائلي ، لأقيس به وأقارن لم اعثر عليه . وعثرت على مقياس ، مسطرة من خشب ، استطعت أن أقيس بها الشهادة الدراسية التي تعطى في ختام دراسة ، فأعرف طولها ، وأعرف عرضها ، أما ما تضمنته هذه الشهادة من قيمة دراسية فقد عجزت مسطرة الخشب عن تقديرها .

البضاعة البشرية
في أسواق العمل

وإذن يبقى السوق هو الحكم .

وكما يحكم السوق على البيض والخبز واللحم الذي سوّقه منتجوه ، كذلك يحكم على خريج الجامعة عندما ينزل الى السوق يبيع فيه مهنة ، ويتقبل عنها أجرا .

انه البيع والشراء . وانه الاقبال والادبار . وانه الرواج والكساد .

وليس هذا القول مقصورا على الجامعات ، ولكنه يمتد يشمل سائر المدارس ، وسائر المعاهد ، وكل مصنع من مصانع الرجال .

وتشيع في الناس المقالة بالخير ، وتشيع بالشر . وتأخذ الجامعات والمدارس والمعاهد والمؤسسات التربوية جميعا مراتبها في أذهان الناس .

انه الوفاء بما أمله الناس منها أو انه العجز .

الجامعات في بيئاتها
تهبط معها وتعلو

والجامعات والمدارس والمعاهد ليست الا مؤسسات حية ، لها رؤوس تفكر ، وقلوب تدق ، وأعصاب ترخو وتتوتر . وما رؤوسها الا مجموعة ما تضم من رؤوس العاملين فيها ، وما قلوبها الا ما تضم من قلوبهم ، وما الأعصاب الا ما تضم من أعصابهم . وهي انما تحيا بمقدار ما في البيئة من موارد حياة . وهي تموت بمقدار ما في البيئة من أسباب موت .

فالذي يسأل أين تقع جامعاتنا بين جامعات الغرب ، وأين تقع مدارسنا والمعاهد ، فانما يسأل عن بيئتنا أين تقع من سائر هذه البيئات .

وبيئات الغرب بيئات سامقة الشجر ، كثيرة العشب ، في رؤوس جبالها العمائم البيضاء ، وفي وديانها الأبسطة وهي من سندس خضراء ، ولكنها بيئات خير ما فيها الانسان ، وخير ما في هذا الانسان حضارة الانسان .

فجامعاتنا الشرقية ، وكذلك مدارسنا ومعاهدنا ، اذا نسبناها الى مثيلاتها الغربية ، فانما ننسب بيئة شرقية الى بيئة غربية . ننسب حضارة هنا قائمة الى حضارة هناك قائمة .

رأي أهل الغرب
في جامعات الغرب

ومع هذا فانت لا تكاد تذكر جامعات الغرب ، وانت في الغرب ، لأهل الغرب ، الا وجدت في الناس الشكوى . أو الأصح في العارفين من بينهم .

كل يقول انها لا تفي بحاجة هاتيك المجتمعات .

وانت تعلم صدق هذه الشكوى اذا علمت ان هذه المجتمعات تتطور . وان المجتمعات في عصور العلم الحديث دائمة التطور . وزادتها التكنية القائمة سرعة تطور .

ان شكوى العارفين من أهل الغرب ، من جامعات الغرب ، ومن غير الجامعات ، هي أنها لا تتطور بالسرعة التي بها يتطور المجتمع هناك .

ومن الطبيعي أن يسبق المجتمع ، وأن يسبق العلم ومع العلم التكنية ، وان تسبق الصناعة الى ما تنتج من جديد ، ثم تلحق بها المدارس وتلحق الجامعات .

ذلك لأن الجامعة أبنية ومختبرات ، ومكاتب ، ورجال ، لها حظ من الثبات

السلعة البشرية ،
الحكم عليها في الأسواق



الذاتي كبير . وكدت اقول من التصور الذاتـــي . والمدرس ، والاستـــاذ ، لا نستطيع ان نصنعه في عام . والمدرس والاستاذ الذي نصنع لا بد ان نستهلك الى ان يتقاعد . فالجديد في الجامعات لا بد ان يصحبه جديد يدخلها ، من شباب جدد ، ورجال جدد ومتحات جدد ، ومختبرات واجهزة وادوات . وكل هذا يحتاج الى دراسة ، والى تجهيز ، والى زمان .

التخطيط للمستقبل

ومن اجل هذا عمدت الجامعات ، والمسئولون عن التربية كافة ، في بلاد اوروبا ، الى التخطيط ، كما تحتاج سائر مرافق الدولة والخدمات الى تخطيط . وهم لسنوات خمس وعشر يخططون .

نجد هذا اليوم في فرنسا ، وفي السويد ، وفي هولندة ، وعند الامريكان . وقامت انجلترا بالتخطيط لما ترجو من علماء وما ترجو من مهندسين خاصة . وقد قام مجلس التنمية الاقتصادية القوميه في بريطانيا باصدار نشرة بما سوف تحتاجه البلاد ، دلت على ان البلاد تعتمد مهارات صناعيه كثيرة . وهذا الاعتماد قائم عملا . فكيف بالاعتماد يتكشف لها في السنوات القادمة بسبب حاجات تتكشف في الصناعة وغير الصناعة جديدة .

ان التخطيط عليه بالظنون ، فيما يختص بالغد . ولكن التخطيط لسد نقص قائم عملا ، عمل تحتمه الضرورات القائمــة .

ويقول هذا التقرير ان صنوف الخبرة التي سوف نحتاج اليها اكثرها المعقد . وفوق هذا فهي صنوف لا تلبث مع التغير السريع في الفن والتكنية ان تتغير .

ولهذا هم يطلبون اليوم من المرابي التربوية ان تنشىء للمستقبل شابا في التربيــة عامة ذا اصالة ، وذا مكنــة وقدرة وذا ثقافة واسعة . فاقتصادهم اليوم ليس في حاجة الى تدريب خاص لمهنة خاصة بقدر ما هو في حاجة الى رجال ذوي ذكاء وذوي فطنه ، وذوي مرتبه في العلم والمعرفة عالية تمكنهم من تفهم طرق في الفنون التكنية جديدة قد تصادفهم في عملهم بعد سنوات .

حتى الذكاء البالغ هم لا يطلبونه ان يكون في كل من يريدون ، فعندهم ان صنوف الخبرة المطلوبة متعددة ومتغيرة، وكثير منها لا يستدعي ذلك القدر من الذكاء الذي يسميه علماء التربيه بالمقياس المعروف عندهم بمقياس الذكــاء . فعندهم ، كذكاء الراس ، ذكاء اليد ، وذكاء العين وذكاء الاذن ، وذكاء العصب في ساعد وفي قدم . حتى ذوو العاهات لهم في التخطيط اماكن .

هذا ما عندهـم فماذا عندنا ؟

هذا ما عند اهل الغرب ، فماذا عندنا نحن اهل الشرق .

عندنا مثل ما عندهم . عندنا المدارس والمعاهد والجامعات . وعندنا الثورة نثور بها على التربية على فترات من السنين . وعندنا فوق ذلك المؤتمرات ، يجتمع فيها رؤساء المدارس والمعاهد ، ويجتمع حتى وزراء التربية ، وناتمر ونتدرس ، ونخرج بقرار متين . وآخر اكثر متانة . ونأتي دور الثورة التالية او المؤتمر التالي ونحصي كم عبرنا ، ونحمد انا عبرنا القبل .

ولكن لهذا التعثر القليل اسباب ، بعضها هو بعض طبيعة الاشياء ، وبعض لا ينتسب الى طبيعة الاشياء في قليل او كثير . واليك البيان .

لا بد من استهلاك ابنية ، واستهلاك مدرسين

لقد سبق ان قلنا ان اداة التعليم لا

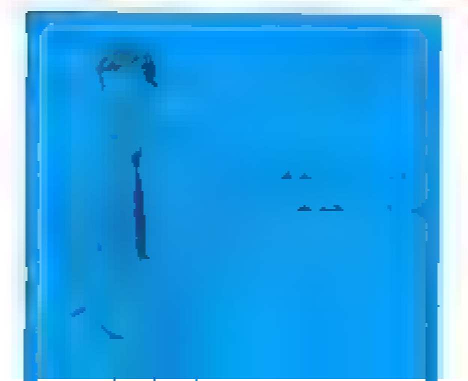
وكتب الدراسة ... واجهزة المختبرات كلها مستورده

... في اوروبا لا تكاد الكتب ... على حال ، ولا تكاد الادوات واجهزة المختبرات . ونحن في ... ابداعا ، ولست ادوات المختبرات ...



المخطط التربوي ...

... الاسس المدرسية لا بد ان ... والمدرسون ... لا ...





مدرسون ... لا بد من استهلاكهم على ...

ادوات التعليم
نستوردها شراء

معنى هذا أن أدوات التعليم جميعاً بأوسع معانيه، ويدخل في ذلك التعليم العلمي، والتعليم الطبي، والتعليم التكنيكي، كلها نشتريها ونشتري كتبها، وكتبا نشتريها مجلات، وهي تعرض في الأسواق مرفوعة الرأس. فاذا ما نشتريها بعملة اصعبها بالصعوبة صعوبة الحصول عليها، هي عملة غيرنا من البلاد.

التربية لا بد أن نشتريها.

ونحاول أن نسير في البرامج، ونتعثر في التشويش، ومع هذا نظل على أكثر جانبنا عاما بعد عام. وسبب هذا الى عجز في الفهم، وخطأ في التقدير.

وقد نسمع هذا أو بعض هذا.

ولكن أصح من هذا الصحيح أننا نحن، معشر العرب، فقراء.

الفقر! الفقر!

الفقر هو علة تخلفنا الكبرى في كل جهة. وليس هو العلة الواحدة، لكنها العلة الأخص من العلل جميعا.

إن الفقر سنراه في كل نشاط علمي، وفي كل إصلاح نتقدم به لتقدم الفكر، ولكنه نراه جهارا في أخص الأمور التربوية وأظهرها.

واضرب مثلا بالفصل بمدرسة الابتدائية الذي يحشر فيه نحو أربعين طفلا وصبيا. إننا لا نحتاج الى عبقري في التربية ليقول لنا إن التربية الصحيحة تقضي بأن لا يزيد عدد الفصل على الثلاثين. ولكنا نحتاج الى [illegible] ... الى النفقة. أعني نجد [illegible] ...

نعلم أنها أخس المرتبات، وأقل المعاشات، والرجل الذي يصنع الرجال لا يمكن إلا أن يصنعهم على مثاله. فالمصنوع الجديد من النشء، شبه صنعه الفقر، وصنعه الحرمان، وصنعه الفقر، تلك الصفات الممثلة في المدرس الصانع. والخير بالجميل لا يتحقق على البدنية المرتوبة. والصحة بالصبر لا تخرج من فم رجل قد فتن صبره وصبر عياله. وكل هذا يحتاج الى مال.

فالفقر! الفقر! سيذكره الذاكرون عندما يجتمعون في مؤتمرات التربية، اجتمع فيها وزراء أم خبراء أو مدرسون.

والثقافة
جعلوا لها المكان الأدنى

ويوجد في البلاد العربية من لا يعطي الثقافة وزنا كافيا. ومنهم من يمدح العلم لعلو هو يمدحه. ومنهم من يمدح العلم لأن ضرورة العادة تحتم ذكره. فاذا قسموا الشعب مراتب وضعوا أهل الثقافة في الموضع الأخير. ونتج عن هذا أن لا يكون

للتعليم من نفقات الدولة إلا النصيب الصغير .

هذا بعد أن صار للثقافة في هذه العصور الحديثة الخطر الأكبر . الشعب يثقف أولا ، ثم تكون من بعد ذلك صانع وزارع ومدرس وطبيب وغير ذلك . حتى في الصناعة الحديثة ، كما في الجيوش الحديثة ، لا بد أن نبدأ بالشباب المثقف ، ثم نعلمه بعد ذلك ما المراد ، وما المشار ، أو ما المدفع وما الدفع . وقد صار لا يكفي في تقدير سكان الأمم أن نذكر أن هذا البلد به ثلاثون مليونا أو أن بهذا البلد أربعين . هذا لا يعني شيئا في هذه الأيام . فخمسة ملايين في أوروبا قد تكون ، من حيث الحضارة والتحضر ، والوفاء بحاجات الحياة ، خيرا من ثلاثين مليونا .

وقد عرف الغرب ، في مرارة كبيرة ،





■ وسائل سألني عن المادة والروح ، وعن الجسم والعقل : هل هما حقيقتان مختلفتان ، أم لا شيء إلا المادة ، وأن الفكر ليس إلا مظهرا من مظاهرها ؟

وأجيب سائلي بأن هذا التساؤل الفكري بدأ مع الإنسان في قديم الزمان . نظر الإنسان في الكون ، ورأى السماء ورأى الأرض ، ورأى ما على الأرض من أحياء وأشياء ، فضل بينها . غمره زحامها ، والفكر يأبى الزحام يضل فيه ، فراح يقسم ما يرى إلى أقسام ، ويجمع بين الأشياء ما تشابه ويباعد بين ما اختلف .

وانتهى من الحيوان فصعد إلى النبات ، فوجد أن النبات قد خفت فيه الحركة ، وخفت غيرها من سمات الحياة . ووجد أن النبات مع هذا ظل يحيا حتى الحركة ظل يحركها ، وهو حركة بطيئة لا تحس ، دليلها النمو الحاصل .

وينتقل الإنسان من النبات إلى الجوامد ، فيجد أن كل مظاهر الحياة قد تعطلت . إنه السكون أصابها ، إلا أن يحركها محرك . وإنه الموت الأبدي السرمدي .

الأشياء ، أشياء هذه الدنيا ، إذن شتان : أحياء وجوامد

ويجمع بين الأحياء والجوامد ما بها من مواد أشياء ، فهي كلها مادة .

وتجمع الأحياء الروح إلى ما بها من مادة . والروح حركة . والروح نمو ، وسوائل تجري ، ودم يدور ، وغذاء يهضم ويتمثل ، وأرحام تلد ، أو هي براعم تزهر ثم تثمر .

كيف يتصدى الميونان أو الثلاثة الملايين للثمانين ، ومع هذا يصمدون .

ويقول الغيب فينا ، ونحن كلنا وكلنا. والغيب الأول فقدان الثقافة ، فقدان العلم ، فقدان النور . إن الرجل منا ، مع الجهل ، يمشي في دنياه وهاديه ضوء ضئيل يخرج من شمعة . أما مع العلم فهو يمشي في دنياه وهاديه ضوء الشمس وهي في ضحاها تسطع عليه من علاها .



قالوا الفلاح والعامل ، أمل الشعب
وهل ينفع اليوم الفلاح
وهل ينفع العامل
إلا مثقفا ؟

قال الفلاسفة : إنها المادة وإنها الروح.
وقال آخرون : بل هما سيان.
وقليلا ما اهتدوا

وتتمخض الروح عن الفكر

والفكر في بني الناس قوي واسع . والفكر في الحيوان قصير قاصر .

من هذا تبين للناس والفلاسفة أن هناك المادة وهناك الروح

ومن هذا تبين للناس والفلاسفة أن هناك الأجسام ومع الأجسام العقول .

وإذا قلنا الأجسام عنينا المادة ، وإذا قلنا العقول عنينا ما هو غير مادي . وما يكون من مادة أو غير مادة فهو عند الفلاسفة حقيقة من صميم الوجود .

مذهب الثنائية

تلك هي صورة من الثنائية التي عرفها الفلاسفة قديما Dualism .

وهي ثنائية جرت في الأقدمين من الناس ، والقدامى من أرباب الأديان .

جمعوا بين اثنين : النور والظلام .

وجمعوا بين اثنين : الحر والبرد

وجمعوا بين اثنين : الجفاف والرطوبة .

وجمعوا بين اثنين : الخير والشر .

الثنائية عند أهل الصين

وجمع الصينيون القدماء الأطراف النافعة في هذه الثنائيات ، وأسموها يانج Yang ، وجمعوا مقابلاتها ، أطراف السوء ، وأسموها ين Yin . والأولى للخير ، والثانية للشر . ودخل هذا دينهم . فقد زعموا أن الحياة معركة قائمة بين أصول متعارضة ، هي تلك التي سبق ذكرها .

الثنائية عند أهل الفرس

وتثنى قدماء الفرس ، فقال زرادشت : إن الكون صراع بين أصلين كبيرين ، بين

اهريمان ، رب الشر والظلام ، واهورا مزدا ، رب الخير والنور ، وعبد الفرس الأخير ، وجعلوا رمزه النار ، فهم كانوا عباد نار .

والذين هم معلوا ، كما فعل الصينيون ، بنوا ثنائيتهم على اصول تتصل بالخير والشر .

الثنائية عند الاغريق

حتى اذا جاء الاغريق كانوا اول من يعتد بالثنائية من علة معنى الخير والشر فيها ، وبنوها اساسا على الفكر النظري الفلسفي ، فقالوا مادة وغير مادة .

قال فيلسوفهم هيرقليطس (٥٤٠ — ٤٧٥ ق . م) Heraclitus انه يوجد اصل هو حكمة عامة ، سماها لوجس Logos ، هي اشبه شيء بشعلة خفية لا نهائية تشيع في كل ما يجري من حركة دائمة دائبة من هذا الكون الخالد .

وارتأى فيلسوفهم الآخر انكساجورس (٥٠٠ — ٤٢٨ ق.م) Anaxagoras ان هناك عقلا كونيا قائما باقيا دائما ، يخرج اشياء هذه الدنيا من الفوضى الى النظام ، ويفارق بين الاصناف والانواع ، ويرتبها على ما نعرف من مراتب .

حتى اذا أتينا الى افلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧ ق.م) وجدناه يرد الاحياء والاشياء الى اصول لا مادية ، هي الاصل ، وهي الحقيقة ، وهي الخالدة ، والى اشكال لها تقمصها مادية ، هي التي نراها ، وهي التي يعتريها النقص ، ويصيبها العجز ، وهي لا تبقى الا الى حين .

فافلاطون في ثنائيته هذه ، يضع الاصل اللامادي فوق المادي .

واذا نحن انتقلنا الى العصور الأحدث ، نزلنا الى الفيلسوف الفرنسي الكبير ديكارت Decartes (١٥٩٦ — ١٦٥٠) ، فوجدناه بدأ فلسفته بالتحقق من نفسه اولا باعتبار ان تلك هي الحقيقة الاولى لكل باحث « انى افكر ، فانا اذن موجود » ، وبذلك فصل ما بين الجسم وما بين النفس من اول خطوة في تفكيره .

وجاء الفيلسوف الالماني كنط Kant (١٧٢٤ — ١٨٠٤) يرتد احساسا بالعقل وبحثه في هذا الوجود

مذهب الواحدية
ليس هناك غير المادة

والى جانب النظرية الثنائية التي ذكرنا ، تلك الاخرى المعارضة لها ، وهي تمضي بأنه لا يوجد في الكون غير حقيقة واحدة لا اثنتين ، وتلك هي المادة . ويخصصون هذا التعميم فيقولون ان المخلوقات الحية لا تتألف من شيئين جسم مادي وروح خالدة ، وانما هي تتألف اساسا من شيء واحد هو الجسم المادي .

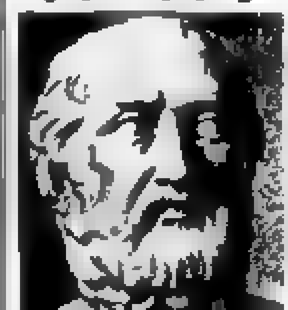
ويسمى هذا المذهب بالمذهب الواحدي Monism ، اي ان الاحياء شيء واحد لا شيئان .

ويعتمد اهل هذا الراى على راى مذهب النشوء والارتقاء ، فعند هؤلاء ان الحياة الاولى انما نشأت من مواد عضوية ،



الفيلسوف كنط

الفيلسوف ديكارت



الفيلسوف افلاطون

لا حياة فيها ، ثم تدرجت بالحياة في سني مراتبها .

ويعتمدون كذلك على ما يعرفه علماء الحيوان وعلماء النفس من أن الحياة العقلية تزداد في الاحياء كلما زاد حجم المخ ، اي ان العقل مرتبط بازدياد مادة المخ .

واذا لم يكن في الانسان غير المادة ، فاين موضع الفكر وموضع العقل من هذه المادة ؟

قال الفيلسوف فوجت (١٨١٧ — ١٨٩٥) Vogt ، ان صلة العقل بالمادة كصلة المرارة بالكبد ، او صلة البول بالكليتين ، اي ان الفكر شيء تفرزه المادة .

وجاء بخنر (١٨٢٤—١٨٩٩) Büchner فقال ان الفكر لا تفرزه المادة ، ولكنه ينتج منها بواسطة عمليات خاصة طبيعية .

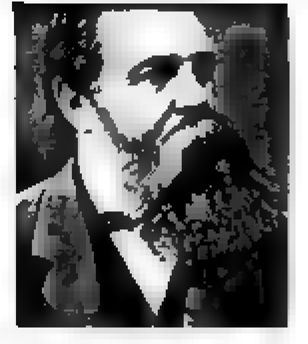
وباقي الماديون الجدليون ، ومن اشهرهم انجلز (١٨٢٠ — ١٨٩٥) Engels وصاحبه كارل ماركس فيقولون ان العقل يعتمد على المادة ، فاذا تحدثوا عن العقل ابهموا ، فعندهم ان العقل غير المادة ، وانه لا يمكن تحويله الى مادة وقال آخرون : ان العقل وجود ثان يتميز بذاته خرج من المادة .

الذي هي المادة اصلا واولا .

المادية بين المذهبين الثنائي والواحدي

نرى مما تقدم ان البحوث في المادة وغير المادة ، او في الابدان والعقول ، لم تكن موفقة ، بمعنى ان الانسان لا يكاد يخرج منها برأي حاسم .

اما الذين يقولون بالمادة وحدها ، فهم لا ينكرون وجود ما ليس بمادي . والذين يقولون بالاجسام المادية ، لا ينكرون وجود العقول ، وانما هم ينكرون وجودا لها مستقلا عن المادة ، او جوار وجود .



● انجلز

ومنهم من ينظر الى العقل والى الفكر على انه شيء حتمي ، هو بعض خواص المادة ، لا اكثر .

والواحديون ، فيما فرغوا من الدنيا ، يرون الاجسام والعقول ، او المادة والروح ، اذا وجدا معا ، فهما متلازمان ، لا يفصل شيء بينهما قط . ولا هما يستجيبان لهذا الفصل ، وعبثا قامت البحوث بفصلهما . قالت حينما ذهبت ، فانما تذهب ومعك جسمك والعقل ، كلاهما معك ، ومعا ، غضبا عنك .

وعرف الباحثون منهم ان المخ هو وعاء العقل ، واتجهوا الى علماء وظائف الاعضاء ، الى الفسيولجيين ، لعلهم يجدون في بحوثهم ان المخ يظهر منه يفعل العقل آثار ، فما وجدوا . فاختفت بذلك الصلة التي كان يرجوها الماديون ، بين الفكر والمخ ، تلك التي لو صحت ، لقالوا انظروا : هذا الفكر من هذا المخ ، من مادة ، فهو اشبه شيء بعصارتها .

خفاء الفكر هذا ، خفاء هذا العقل ، هو الذي سد على الماديين ابحاثهم كما سد على العلماء الاحدثين .

كأني ارى الفرق بين الاثنين ، ان الاولين ، اعني الماديين يبحثون فلا يجدون ، فيحكمون بالنفي القاطع . عجزوا عن اثبات ان العقل شيء قائم وحده ، فقالوا : اذن لا وجود للعقل شيئا قائما وحده . عجزوا فنفوا . وكان جديرا بهم اذ عجزوا ان لا يقولوا بنفي او اثبات .

اما العلماء فهم في مثل هذا الوضع لا ينفون ، ولكنهم كذلك لا يقطعون . هم يقولون ان العلم الحديث لا دخل له في

امثال هذه الأبحاث . انه لا يبحث الا فيما يوزن ويقاس . وهذه الامور لا وزن فيها ولا قياس . اذن لسنا في صدد هذه القضايا من ذوي الاختصاص .

الثنائيون كانوا في بحوثهم اهدى

على انه لا يفوتني ان اذكر ان الذين يقولون بالمادة والروح ، شيئين متفاصلين ، او بالجسم والعقل ، هؤلاء كانوا اهدى سبيلا ، واكثر اقناعا من الماديين الذين رفضوا الروح او ارتابوا فيها .

ومن امثلة ذلك ان الماديين ذكروا الجسم ، وشبهوه في عمله ، وفي حياته ، وفي غدوته وروحه ، بالمكنة تجري بعمل طاقتها .

وذكر الثنائيون المكنة الانسانية ، وبينوا الفروق التي تقوم بينها وبين المكنة المعدنية .

تساءلوا : ما الذي تستطيع ان تصنعه المكنة الانسانية بالذي فيها من مادة وروح ، او من جسم وعقل ، لا تستطيعه المكنة التي يجريها البخار او الكهرباء ؟ وقالوا

ان المكنة الآلية لا تبدأ نفسها . لا بد من احد يبدأ عملها . في حين ان المكنة الانسانية تبدأ نفسها ، وتقف نفسها كذلك ، عندما تريد .

وان المكنة الآلية تتحرك في خطوط مرسومة ، اما المكنة الانسانية فحرة ، تغير من حركتها ما تشاء متى ما تشاء .

فالمكنة الآلية تستهدف غرضا ، هي لا تعيه ، ولكن يعيه صاحبها . والمكنة الانسانية تستهدف غرضا تعيه . والاولى اذا عاقها عن الهدف عائق توقفت دونه ، اما الثانية ، فان عاقها عائق ، تحولت تطلب طريقا اليه غير الذي فات . انه الابتداع والاختراع .

والمكنة الانسانية قد لا تتم عملا ، وتتوقف عنه ، ثم تبدأ ، من حيث وقفت . حتى اجسام بعض الحيوانات قد يقطع منها جزء ، فيعمل الحيوان على خلق مثله تماما في هيئة النموذج الذي يحتذيه .

والفهم ؟ المكنة الانسانية تفهم المعاني ، فتفرح او تحزن ، وتتحرك بالفرح او الحزن . والنظرة العابثة قد تحرك الصبي الى البكاء . وما مرتنا ان مكنة آلية عرفت معنى العتب ولا حادت عيون لها بدموع .

والحجة الاقوى

والحجة الاقوى عندي هي ما يجده كل انسان في دخيلة نفسه . لكاني والله بنفسي نفسان لا نفس واحدة . وتتحدث احداهما الاخرى وتجادلها . فكيف لا تكون لهذه النفس وجود واقع هو بعض وجودي .

لم يبق بعد ذلك

لم يبق بعد ذلك الا الرجوع الى الاديان .

واختلفت الاديان في الامر كما اختلف اهل الفلسفة .

واتفق اهل الكتاب جميعا ، لا على وجود الروح ، وان الفكر مظهر من مظاهر الروح ، بل اتفقوا ايضا على بقائها ، واتفقوا على خلودها .

اما عن كنهها فقد جاء في القرآن الكريم : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي » .

واذ عجز اهل الفكر ، واهل الفلسفة من اثبات وجود ، واذ رفض العلم الحديث ان يبحث في هذا الامر بعد ان دفع بعدم الاختصاص ، لم يبق لنا الا الرجوع الى المصادر التي نفزع اليها دائما عندما تتعطل مصادر العقول . ●●

والله الموفق ،

احمد زكي



بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

● اعتاد الناس أن يقسموا « الزمان » الى ثلاثة أقسام : « ماض » قد مضى فلم يعد له وجود ، و « حاضر » يتحقق فهو في طريقه الى الانقضاء ، و « مستقبل » لم يتحقق بعد فهو ما يزال يفتقر الى الوجود ؛ وبين « الماضي » الذي لم يعد له وجود ، و « المستقبل » الذي لم يوجد بعد ، يبدو « الحاضر » كما لو كان نقطة هندسية لا وجود لها ، لأنها مجرد ملتقى خطين : خط الماضي وخط المستقبل .

لا حقيقة للزمان واقعية

ولهذا فقد أنكر البعض على « الزمان » كل حقيقة واقعية ، ما دام « الحاضر » نفسه لا يملك أية كثافة وجودية ، بينما يفتقر كل من « الماضي » و « المستقبل » الى الطابع العيني Concrete المميز لكل « موجود » واقعي .

رد كل من الماضي والمستقبل الى الحاضر

وحاول آخرون — على العكس من ذلك — أن يردوا أقسام الزمان جميعا الى « الحاضر » ،

فالطن القديس اوغسطين (مثلا) ان هنـاك « حاضر الماضي » الذي يستند الى ملكة « الذكر » ، و « حاضر الحاضر » الذي يرتكز على ملكة « الانتباه » ، و « حاضر المستقبل » الذي يقوم على ملكة « الامل » او « التوقع » او « الاستباق » . وكانت حجة اصحاب هذا الرأى ان الاحساس بالزمان وظيفة نفسانية بحتة ، فنحن نستبقي من « الماضي » ما نحبه ونتعلق به ، وننتزع من « الحاضر » ما يروقنا ويساير ماتبيانها ، ونستشف في « المستقبل » ما نريده وما نتطلع اليه . وبهذا المعنى تكون الصدارة للحاضر على باقى اقسام الزمان : لان وجود « الماضي » رهن بمدى قدرته على البقاء في « الحاضر » ، ووجود « المستقبل » رهن بمدى قدرته على استباق الزمان ، وفرض نفسه على « الحاضر » ! وسواء اتجهنا بابصارنا نحو المستقبل ، ام عدنا بذاكرتنا نحو الماضي ، فاننا في كلتا الحالتين لا نستمد من «المستقبل» او من « الماضي » ، الا ما من شأنه ان يشكل سلوكنا في « الحاضر » ، او ان يجيء قوتنا في صميم حياتنا الراهنة .

واختلف الفلاسفة في ايها اول : الماضي ، او الحاضر او المستقبل

بيد ان الفلاسفة يختلفون فيما بينهم حول اولوية هذا القسم او ذاك من اقسام الزمان : فهناك من يرون ان الصدارة للحاضر على كل من الماضي والمستقبل ، بينما يذهب آخرون الى ان « المستقبل » يتمتع بصدارة مطلقة بالنسبة الى كل من الماضي والحاضر . والذين يخصصون « الحاضر » على كل من « الماضي » و «المستقبل» هم اولئك الذين يرون في«الزمان» صورة من صور « الازلية » ، فهم ينظرون الى « الزمان » على انه « حاضر مستمر » يتمتع بالاتصال والدوام والصيرورة المتتالية . واما الذين يخلعون على « الماضي » ضربا من الاولوية او الصدارة ، فهم اولئك الذين يرون ان « اليوم » مجرد ثمرة لـ « الامس » ، وان تراث « الماضي » هو وحده الذي يحدد طبيعة كل من « الحاضر » و « المستقبل » . ثم يجيء آخرون فينسبون الى « المستقبل » اولوية مطلقة ، لانهم يرون ان الانسان لا يحيا الا من اجل ما لم يوجد بعد ، وكان كل وجوده انما ينحصر في العمل على تحقيق مستقبله ! .

الانسان هو الوجود الزماني

صحيح ان الانسان يحاول دائما — عن طريق فعله — ان يصحح الماضي ويغير الحاضر ، ولكن هذا كله — في راى هؤلاء — تمهيد لذلك المستقبل القريب الذي يرجوه ويتطلع اليه . ومهما يكن من شيء ، فان الانسان هو الوجود الزماني (بمعنى الكلمة) : لان « الحيوان » لا يحيا الا في الحاضر المباشر ، دون ان يكون للماضي بالنسبة اليه اى تراث ، ودون ان يكون للمستقبل بالقياس اليه اي معنى من معاني الامل او الرجاء ، في حين ان الانسان — والانسان وحده — هو الوجود الذي يستخرج من الحاضر خير ما فيه ، وينتزع من « الماضي » اجمل ما انطوى عليه ، لكي يعمل من اجل ذلك « المستقبل » الذي يريده دائما خيرا من الماضي والحاضر على السواء . والحق ان الانسان لا يحيا الا من اجل « المستقبل » : أعني من اجل ما لم يوجد بعد ، او ما لا بد له من ان يوجد ، او ما يريده هو على ان يوجد ! وحين يقول بعض الفلاسفة ان الانسان في جوهره « مستقبل » ، فانهم يعنون بذلك انه يتحرك دائما صوب الامام ، محققا ما لديه من امكانات آخذا على عاتقه باستمرار ان يوسع من دائرة وجوده في المستقبل . واذا كان « الموت » هو العدو الاكبر للوجود البشري ، فذلك لان من شأن « الموت » ان يحيل الوجود الانساني باسره الى « ماض بحت » .

هل يكون الانسان أسير ماضيه ؟

وهنا قد يقول قائل : «ان ما نسميه بالمستقبل هو مجرد امتداد للحاضر والماضي » . فالذات تركة او حصيلة او تراث ، والوجود الشخصي الراهن هو ثمرة لخبرات الماضي ، وتجاربه ، واخطائه ، وشروره ، وشتى احداثه .

ولعل هذا ما عبر عنه الفيلسوف الالماني الكبير هيجل Hegel حين كتب يقول : « ان الكون هو ما قد كان » : يعني بذلك أن ما هو متحقق الآن في الحاضر ، ليس الا نتيجة لمجموعة العوامل والمؤثرات التي وجدت في الماضي ، ولا شك ان الزمان الحي ديمومة متصلة ، واستمرار دائب ، وحركة غير منقطعة ، فلا يمكن تصور الكائن الحي الا على انه ثمرة لما اختلف عليه من احداث ، وما

مر به من تجارب ، وما اجتازه من مراحـــل في تطوره المستمر .

وبالمثل ، يمكننا أن نقول عن الكائن البشرى انه حصيلة مطبوعة لسائر الخبرات والتجارب والذكريات والميـــول والنوازع والبواعث التي يجرها وراء ظهره ، أو يحملها خلفه ، سواء أكان ذلك بعلمه أو على غير علم منه .

وفي هذا يقول برجسون : « ماذا عسانا أن نكون في الواقع ، أو ماذا عسى أن يكون طبعنا ، إن لم يكن تلك الحصيلة المركزة التي تجمعت من تاريخ حياتنا السابقة ، منذ ولادتنا حتى الآن ، إن لم نقل قبل ولادتنا ، ما دمنا نحمل معنا ميولا وراثية أو استعدادات سابقة على الولادة ؟ » ثم يستطرد صاحب كتاب « التطور الخالق » ، فيقـــول : « صحيح اننا لا نفكر الا بجزء ضئيل من ماضينا ولكننا نرغب ، ونريد ، ونعمل ، بماضينا كله ، مع ما ينطوي عليه من اتجاه أصلي في الفطرة ملموسا منذ البداية . والآن فان من شأن ماضينا أن ينكشف لنا باكمله من خلال قوته الدافعة على شكل ميل أو اتجاه ، ولو أن جانبا ضئيلا منه فقط هو الذى يستحيل الى تصور عقلي » .

ولكن برجسون لا يقتصر على القــول بأن من شأن «الماضي» أن يظل « حيا » باقيا في الحاضر ، بل هو يقرر أيضا أن من المحال على الشعور أن يمر بنفس الحالة مرتين ، وذلك لأنه مهما تكن الظروف متشابهة ، أو مهما تكن الملابسـات واحدة ، فانها لا تؤثر مطلقا على شخصية واحدة بعينها ، ما دامت تعرض لها في لحظة جديدة من لحظات تاريخها . ولما كانت شخصيتها في تكون مستمر ، لأنها تبنى ذاتها في كل لحظة ، مستعينة بما تجمع لديها من تجارب ، فان شخصيتنا في نمو دائم دون أدنى توقف أو انقطاع . وهذا هو السبب في أنه لا يمكن أن تتكرر في أعماق شعورنا حالة نفسية واحدة ، حتى ولو بدا لنا — لأول وهلة — أننا بازاء ظاهرة واحدة بعينها .

وحين يقول برجسون ان حياتنا الروحيـــة متجددة لا تقبل الاعادة فهو يعني بذلك أنه ليس في استطاعتنا أن نعيش من جديد أدنى جزء من أجزاء حياتنا ! ولكن « استحالة الاعادة » — في رأى برجسون — ليست الا نتيجة لبقاء الذكريات حية في باطن الشعور : اذ تتوالى الحالات النفسية في مجرى الشعور ، مكتسبة في كل مرة صفة جديدة ، نتيجة لذكرى الحالات



برجسون

لا يقتصر على القول بأن من شأن « الماضي » أن يظل حيا .

هيجل

الكون هو ما قد كان

لــــه يقــول : ن

السابقة المخترنة من ذي قبل في صميم الوعي ، وبذلك نجد أنفســنا دائما بازاء لحظة جديدة أصيلة من لحظات تاريخ حي متجدد الشخصية متطورة نامية ! .

وبقى أن نتســاءل : هل يكون معنى هذا أن « الماضي » — في رأى برجسون — هو العامل الفيصل في تكوين الشخصية ؟ هذا ما يرد عليه برجسون نفسه بقوله : « ان ماضينا باكمله يظل يتعقبنا في كل لحظة من لحظات حياتنا : لأن ما شعرنا به ، وما فكرنا فيـــه ، وما أردناه منذ طفولتنا المبكرة ، ما يزال ماثلا بنفوسنا ، متجها نحو الحاضر كما لو كان يوشك أن يتصل به ، ضاغطا بشدة على باب الشعور الذى يريد أن يدعه خارجا » . ولكن برجسون يعترف بأن جانبا غير قليل من هذا الماضي يظل مكبوتا في اللاشعور ، حتى اذا ما ظهر موقف يستدعي أحياء بعض ذكريات الماضي ، لم يلبث باب الشعور أن ينفتح أمام تلك الذكريات حتى تلقي بعض الأضواء على الموقف الراهن ، أو حتى تقدم شيئا من العون للعمل الذي هو بصـــدد التكوين . والآن فان برجسون يسلم بأن ماضينا يظل حاضرا بالنسبة الينا ، وان كان جزء ضئيل منه فقط هو الذي يسهم بالفعل في تكوين سلوكنا الحاضر . وليما ذلك فان الانسان — في رأى الفليسوف الفرنسي الكبير — لا يمكن أن يكون مجرد أسير مستعبد سجين لماضية .

ولكن ، هل يستطيع الانسان أن يتحرر تماما من ماضيه ؟

... ان الماضي – فيما يقول بعض الفلاسفة – لا يمكن ان يموت تماما : فان شيئا لا يمحى على الاطلاق في حياتنا النفسية ، خصوصا وان لدى الانسان ذاكرة تسجل الاحداث وتختزن التجارب ! وحتى لو سلمنا بأن بعض الذكريات قد تنمحي في زوايا اللاشعور ، فلا بد لنا من التسليم بأن مثل هذه الذكريات قد تجد الفرصة للظهور على مسرح الشعور ، أو هي قد تظل تعمل عملها حتى من خلف الستار ! وقد يستحيل « الماضي » الى جزء متصلب أو قطعة متحجرة من كياننا ، حينما تثور عليه الذات أو تتنكر له . ولكن الذات حين تعمد الى الانفصال عن ماضيها – فيما يقول بعض علماء النفس – قلما تنجح تماما في اقتلاع ذلك الماضي من حياتنا ، بل كل ما قد تستطيع عمله هو استئصال شوكته أو تنحيته جانبا ، دون التمكن من القضاء عليه بصفة نهائية . وآية ذلك ان هذا « الماضي » الذي قد تبعد الذات أبعد ما تكون عنه ، قد تدب فيه الحياة من جديد ، فلا يلبث أن يزحف الى أعماق تلك الذات ، لكي يعود فيؤثر عليها ، ويخضعها لسطوته .

بيد أن الماضي – مع ذلك – ليس قوة غريبة عنا ، وكأننا مجرد نتيجة طبيعية له ، بل ينبغي أن نقرر – على العكس من ذلك – أن قوة الماضي رهن بما نخلع عليه – نحن – من قيمة ، وما نضفي عليه من معنى . هذا الى أن السبيل الحقيقي للتحرر من الماضي لا يكون بمحاهلتنا له ، بل يكون بمعرفتنا له . ومن هنا كانت أهمية « التاريخ » : فانه يسلط الأضواء على الماضي ، لكي يضع بين أيدينا الكثير من الدروس التي قد تعيننا على مواجهة كل من الحاضر والمستقبل . وربما كان الانسان هو المخلوق الأوحد الذي لا ينفك عن تشكيل ماضيه بنفسه ، على ضوء ما يتصوره عن المستقبل ! فالمستقبل هو وحده الكفيل بخلع المعنى الذي يريده على ذلك الماضي الذي لا سبيل الى اعادته . صحيح أن كل حدث وقع لنا في الماضي هو واقعة قد انقضت الى غير ما رجعة ، فلا سبيل لالغائه أو محوه وكأن لم يكن ، ولكن في وسعنا مع ذلك أن نتقبله أو أن نرفضه ، وبالتالي فان في استطاعتنا أن نغير من معناه ، أو أن نفصل في قيمته . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول ان موقفنا من ذلك « الماضي » رهن بالمستقبل الذي نتزع اليه ونتجه نحوه . وحين يزعم بعض الفلاسفة أن الماضي هو صنيعة المستقبل ، فانهم يعنون بذلك أن هذا المستقبل نفسه هو الذي سيحدد معنى ذلك الماضي الذي قد يبدو لنا حملا ثقيلا نئوء به ! وهذا هو معنى قول بعضهم : « ان الماضي هو مستقبل المستقبل » !!

هل يكون « التاريخ » نفسه شاهدا على « أولوية » المستقبل على الماضي ؟

... والواقع أن « المستقبل » لا يصدر عن « الماضي » ، بل ان « الماضي » هو الذي يصدر عن « المستقبل » واذا كان من شأن « العلم » أن يقف عند « الظواهر » ، وأن يطبق عليها بالضرورة مبدأه في « الحتمية » ، فما ذلك الا لأن « العلم » يمضي دائما من « الماضي » الى « المستقبل » ، وبالتالي فانه ينظر الى كل ما سوف يحدث على أنه نتيجة ضرورية لما قد حدث . وأما الانسان الحر الذي يفصل في مصيره بما لديه من قدرة على الاختيار ، فانه يمضي من « المستقبل » الى « الماضي » . وما أصدق أوسكار وايلد Oscar Wilde حين يقول : « ان ذلك الذي يتجه نحو ماضيه ، لا يستحق أن يكون له مستقبل » ! ولا غرو ، فان الانسان لا يمكن أن يتحرر أي تحرر ، اللهم الا اذا انفصل – بوجه ما من الوجوه – عن ماضيه . صحيح أن الانسان موجود تاريخي ، ومن ثم فانه لا يمكن أن يضرب صفحا عن ماضيه ، ولكن من المؤكد أن التاريخ ليس مرتبطا بالماضي كما قد يبدو لنا لأول وهلة ، بل هو أوثق اتصالا بالحاضر والمستقبل منه بالماضي . وآية ذلك أن ذلك الماضي الروحي الحقيقي – كما يقول لافل Lavelle – هو ذلك الذي تعيد الذات خلقه في صميم الحاضر ، فهو ليس بمثابة مجموعة من الذكريات التي يختزنها الوعي بقدر ما هو مقدرة على الاحتفاظ بتلك الذكريات والعمل على استثارتها عند اللزوم ، بمقتضى فاعلية حاضرة تملك باستمرار بعث تلك الذكريات أو استحضارها . حقا ان التاريخ يمثل منظورا نطل منه على « الماضي » ، ولكن النقطة المركزية التي يستند اليها هذا المنظور هي باستمرار « الحاضر » نفسه . ولما كان من شأن مركز هذا المنظور أن يتغير باستمرار ، فان من واجبنا دائما

ان نعمل على اعادة النظر الى التاريخ ، ان لم نقل ان نصنعه من جديد ! وبهذا المعنى ، قد يصح لنا ان نقول ان التاريخ نفسه شاهد على ان للمستقبل مركز الصدارة أو الأولوية بالنسبة الى الماضي . ولعل هذا ما عبر عنه هيجل حين كتب يقول : « ان المقـولة الأولى من مقولات الوعي التاريخي لا يمكن أن تكون هي الذاكرة أو التذكر ، بل هي الترقب أو الانتظـار ، والرجاء أو الاستباق » .

وهنا يظهـر الفارق الكبير بين « الندم » و « التوبة » : فان « الندم » متجه بتمامه نحو « الماضي » في حين ان « التوبة » متجهة بتمامها نحو « المستقبل » . والانسان النادم هو انسان يائس ، لأنه أسير لماضيه ، لا يملك منه فرارا ، ولا يكاد يقوى على النظر الى شيء آخر سواه . فالندم وثيق الصلة باليأس : لأن الانسان النادم يتجه بكل بصره نحو ماضيه الأليم ، دون أن يكون في وسعه تجاوزه أو العمل على تخطيه . وأما التوبة فهي شعور ميتافيزيقي بامكان تعديل معنى الماضي ، وتغيير دلالة الزمن ، لأن الانسان التائب يعلم منذ البداية أن الماضي ليس شيئا مصمتا مكتملا ، بل هو شيء يقبل الاعادة أو الصياغة من جديد ! ومن هنا فان الانسان التائب يعلو على ماضيه ، واثقا من أن مشاركته في « الأبدية » Eternite ستكون هي الكفيلة بتعديل معنى « أفعاله » المتحققة في « الزمان » ! .

ليس في العالم البشري « وقائع » بل « أفعال » !

بيد أن البعض قد يعترض ــ مرة أخــرى ــ بقوله : « ان من الماضي ما مضى ، ولكنه ما انقضى » ! وآية ذلك أن هناك ذكريات أليمة تظل تلاحقنا باستمرار ، دون أن يكون في امكاننا التخلص منها أو العمل على استبعادها نهائيا . وليس في وسعنا أن نشهد آلامنا الماضية ، وكأنما هي وقائع غريبة عنا ، لا تكاد تمت الينا بأدنى صلة ! بل نحن مضطرون الى الاعتراف بأن ذلك الوجه الكالح البغيض هو وجهنا نحن ، وأن تلك الأفعال الشائنة القبيحة هي أفعالنا نحن ! وربما كانت شناعة « الخطيئة » في أنها لا يمكن أن تنفصل عنا تماما ، بل هي تبقى حاضرة فينا ، دون أن تكون منا تماما ! .. انها شيء يعترف به المرء ولكنه لا يتعرف فيه على ذاته الماضية ، أو هي ــ على الأصح ــ شيء يحاول أن ينأى بنفسه عنه ، ولكنه مع ذلك يظل يلاحقه ، وكأنه يريد أن يلازمه ملازمة الظل لصاحبه ! .

ولكن ، هل يكون معنى هذا أن ماهية الانسان تنحصر بتمامها في ذلك « الماضي » الذي يلاحقه ويثقل عليه ؟ ألسنا نلاحظ أن الله قد زود الانسان بنعمة كبرى هي نعمة « النسيان » ، التي كثيرا ما تجيء فتطمس معالم ماضيه بخيره وشره ، أو تحيله الى مجرد « ذكريات » باهتة قد غيبت حدة آلامها وأفراحها ؟ بل ألا تعلمنا التجربة البشرية على أن آلام « الماضي » نفسها قد تتحول الى ذكريات سعيدة ، لمجرد أنها قد أصبحت أصداء خافتة بعيدة تذكرنا بعالم الشباب الذي انقضى ، أو بفترة الصبـا التي أصبحت في خبر كان ؟ والآن ، فلماذا يأبى بعض الباحثين الا أن ينظروا الى « الماضي » ، وكأنه سجل خالد لا يغفل شيئا ولا يغيب عنه شيء ؟ ألا تكذب « الخبرة » مثل هذه النظرة الصارمة الى « الماضي » بحده وبحسبه ؟ .

... انهم ليقولون ان « الارادة قد تستطيع الكثير ، وانها لن تمحو من الوجود ما أوجدته ، فهذا ما لا قبل لها به على الاطلاق » ! ونحن نقول ان أصحاب هذا الرأي على حق حين يقولون انه ليس في وسع الحرية البشرية أن تجعل ما كان وكأنه لم يكن (في يوم ما من الأيام) : فان ما كان قد كان ، ولا سبيل لأية قوة في الوجود أن تلغيه تماما ، أو أن تزيله أصلا من الوجود ! ولكن من المؤكد أن الماضي البشري ليس سلسلة من « الوقائع » بل هو مجموعة من « الأفعال » . وعلى حين أن « الوقائع » ظواهر متحققة قد تمت أو اكتملت في العالم الطبيعي ، نجد أن « الأفعال » أحداث روحية تكتسب دلالتها في صميم الواقع البشري . وحين أقام الفلاسفة المدرسيون ــ في العصور الوسطى ــ تفرقة واضحة بين « الأفعال البشرية » ــ Actus Hominis ــ و « الأفعال الانسانية » Actus Humani ، فانهم كانوا يعنون بذلك أن من بين أنشطة الوجود البشري أنشطة فسيولوجية تنتمي الى عالم الطبيعة ،

وأخرى روحية تعبر عن فاعلية الروح والحرية وليس من شك في أن ما يميز النشاط الانساني (بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة) انه نشاط تاريخي يتوقف على الدلالة الروحية التي ينسبها الانسان نفسه — في كل لحظة — الى الواقع . وقد لا تستطيع الروح أن تغير من واقع الاحداث ، ولكنها تستطيع — على الأقل — أن تغير من دلالة الاحداث . ومن هنا فقد يحق لنا أن نقول انه ليس في حياة الانسان شيء نهائي حاسم ، لأنه ليس في وسع الوجود البشري (طالما كان حيا) أن يضع كلمة الختام ، أو أن يعتبر حياته ماضيا بحتا ! ومعنى هذا أن كل ما قد تحقق ، قابل في أية لحظة لاكتساب دلالة جديدة ، بشرط أن تأخذ الذات على عاتقها « اعادة تقييمه » ! ولو أننا تصورنا « الحاضر » على أنه صورة من صور « حاضرة الأزلية في الزمان » ، لكان في وسعنا أن نقول أن « الحاضر » هو الذي يخلع معناه على كل من « الماضي » و « المستقبل » على حد سواء ! والآن فنحن الذين نصنع « ماضينا » في كل لحظة ، وليس « ماضينا » هو الذي يصنعنا مرة واحدة والى الأبد ! .

هل يكون من مصلحتنا أن ننفخ في الرماد المنطفىء ؟!

هذا ، وقد لاحظ بعض الفلاسفة أن ثمة صورتين مختلفتين من صور التعبد للماضي : فهناك أولا صورة مادية بحتة تتجلى في النظر الى الماضي على أنه « شيء متحقق » قد اكتسب ضربا من الوجود الضروري ، وكأن الماضي نفسه قد أصبح هو « العلة الكافية » التي تفسر كلا من الحاضر والمستقبل ، ثم هناك ثانيا صورة أخرى أكثر روحانية ، وتلك هي التي تبحث في الماضي عن أحلام جميلة ، وتهاويل براقة ، وكأن من شأن ذكريات الماضي أن تعزي الذات عن نقص الحاضر وغموض المستقبل ! والصورة الأولى من صور « عبادة الماضي » تمثل اتجاها حتميا أو جبريا لا يرى في « الماضي » سوى مجموعة العلل التي تتسبب في حدوث الظواهر الحالية أو المواقف الراهنة . ولا ريب ، فان المستقبل هو عالم « الامكان » ، في حين أن « الماضي » هو عالم « الضرورة » . ولما كان تفسير أي شيء من الأشياء يستلزم الكشف عما فيه من ضرورة ، فان من طبيعة التفسير أن يتجه نحو « الماضي » ، ما دام الأصل فيه أن نربط الشيء بعلته (أي بما قد تم حدوثه بالفعل) . ومن هنا فان « الماضي » — في نظر أصحاب هذا الاتجاه — هو عالم « الوجود » و « المعرفة » على السواء . وأما « الحاضر » فهو عالم « الفعل » و « النشاط » ، في حين أن « المستقبل » هو عالم « الامكان » و« الأمل » . ولكن دعاة هذه النزعة يتناسون أن « الحاضر » و « المستقبل » ليسا ماثلين منذ البداية في صميم « الماضي » ، والا لما كان في العالم أية جدة أو أي ابداع . والحق أن « الماضي » لا يرين علينا بالقسر الذي يتصوره هؤلاء ، بل هو حقيقة مرنة تقبل التشكل باستمرار ، دون أن يكون في وسعنا اعتبار الانسان مجرد أسير مستعبد تماما لماضيه . وما دامت حياتنا في تطور مستمر وتغير متصل، فان كل ما حققناه في الماضي، وكل ما أنجزناه في حياتنا السابقة ، لا بد من أن يكتسب طابعا جديدا ، وفقا لما يطرأ على أهدافنا من تغير ، وما يستجد على مشروعاتنا من تعديل . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول أن الماضي لا يملك أن يعني شيئا الا بالنسبة الى ذلك الانسان الذي يأخذ على عاتقه أن يستخدمه ، وأن يخلع عليه باستمرار حياة جديدة .

وأما الصورة الثانية من صور « عبادة الماضي » فهي تلك التي تنصرف فيها الذات عن الفعل أو النشاط أو بذل الجهد في صميم الحاضر ، من أجل الاقتصار على تمثل أشباح الماضي ، واجترار ذكرياته ، والتذوق حلاوة أحلامه السعيدة ! وليس من شك في أننا حينما نستعيض عن الحياة بالحلم، فاننا قد نجد في صور الذاكرة المختزنة ما قد يعوضنا عن آلام الحاضر ومصاعبه . ولكننا كثيرا ما نتناسى أن هذه التهاويل البراقة التي قد تعمد الذات الى بعثها من مرقدها ، لتعوض نفسها عن أوجاع حاضرها والقلق حياتها الراهنة ، انما هي أحلام كاذبة تسيء الى « الماضي » نفسه، أو بالأحرى تحول بيننا وبين تقدير الماضي على حقيقته . صحيح أن « الماضي » ذخيرة حية نرتد اليها في كل حين ، حتى نستند اليها في مواجهة حاضرنا ومستقبلنا ، ولكنه ليس قيدا يأسرنا ويحد من حركتنا في كل من الحاضر والمستقبل ، كما أنه في الوقت نفسه ليس مرآة نرتد اليها في كل لحظة

لكي تستظل جمال صباها الراحل او شمسها الذابل !
وكثير من الاحداث التي وقعت لنا في الماضي هي مجرد عوارض عابرة قد قدر لها الزوال ، فليس من حقنا — ولا من واجبنا — ان ننفخ من جديد في مثل هذا الرماد ! اجل ، فان من الماضي ما مضى وانقضى ، ولا بد لنا من ان ندعه يذهب مع الريح! وقد يكون من الحكمة — في بعض الاحيان — ان يدير المرء ظهره لماضيه ، او ان يتنكر له تماما ، لكي يتجه ببصره — في ثقة وامل — نحو الحياة المليئة الوفيرة التي تتجدد دائما يوما بعد يوم .

وجودنا البشري : اهو تحرر من الماضي وانطلاق نحو المستقبل ؟

وهنا قد يقال :« كيف للانسان ان يتنكر لماضيه وما وجوده نفسه الا ماضيه ؟ السنا نلاحظ ان الطفل الصغير يولد مزودا بماض طويل ؟ اليس بعض الوليد الجديد تراثا يحمل آثار الماضي البعيد؟ والا ، فماذا عسى ان تكون تلك الوراثة الثقيلة العمياء التي تجيء فترين على كاهل الطفل الصغير ، ولتجعل منه مجرد نهاية مؤقتة لسلسلة طويلة من الاسلاف ، والاستعدادات الوراثية ، والصفات الخلقية ، والسمات العرقية ؟ »

وردنا على هذا الاعتراض ان الطفل يولد — بالفعل — شيخا طاعنا في السن لانه يحمل تراث اجداده وآبائه ، ولكنه لا يظهر الى الوجود حقيقة مكتملة قد تحددت معالمها من ذي قبل ، بل هو يظهر على صورة شخصية مرنة تقبل التشكل ! وليست الحياة الروحية للموجود البشري سوى هذا الجهد المستمر الذي يقوم به الطفل من اجل تجديد حياته واستعادة شبابه ! فنحن لا نكف عن طرد عبوديات الماضي ، واستبعاد احماله الثقيلة ، وكأن كل حياتنا هي مجرد سعي مستمر نحو الارتداد الى الينبوع الاصلي لكل نشاط ابداعي ! ومن هنا فان وجودنا هو في صميمه تحرر من الماضي، من اجل الانطلاق نحو المستقبل.وكثيرا ما يستحيل الماضي نفسه — في نظرنا — الى مجرد « فكرة » نخلقها لانفسنا ، ونخلع عليها ما نشاء من المعاني والدلالات ! وحين تعمد الذاكرة الى تخليص الصور المقترنة من شوائب الظروف العرضية التي احاطت بنشأتها ، فانها قد لا تنظر الى الذكريات على انها موضوعات ، بل على انها « قيم » او « دلالات » . وهنا تتحول ذكريات الماضي من موضوعات تقتصر على تأملها ، الى ولائح حية تمد الارادة وتشحذ مقدرتنا على الحكم او التفضيل . وليس يكفي ان تتحول ان معرفتنا لماضينا تتغير يوما بعد يوم ، بل يجب ان نضيف الى ذلك ايضا ان هذه المعرفة لا تلبث ان تنفصل عما اقترن بها من اعراض ، لكي تستحيل الى نشاط روحي اعلى واعمق ، فلا يكون على الذات من بعد سوى ان تستخدم تلك المعرفة في توجيه حاضرها ومستقبلها على نحو افضل واكمل .

.. فاذا ما تساءلنا — بعد هذا كله — « هل يملك ماضينا ان يسحقنا او يشلنا»؟ كان الجواب الصحيح على هذا التساؤل . « لا » و« نعم » ! .. لا ، لان الماضي نفسه قد اصبح اثرا بعد عين ؛ فهو لم يعد يملك — بمقتضى قوته الذاتية — ان يسحقنا او يشلنا ! ونعم ، لان فكرتنا عن الماضي تظل تؤثر على سلوكنا ، ما دمنا نجد انفسنا مضطرين — بين الحين والآخر — الى معاودةتأويل ماضينا من اجل المضي في طريقنا نحو المستقبل . ولما كان الماضي يمثل المتحقق ، والاساس المستقل فان الارادة البشرية في حاجة ماسة الى « الماضي » ما دام « الماضي » يمثل — بالنسبة لها — عالم الوجود والمعرفة . والحق انه لولا الماضي ، لما توافر لدينا اي وعي بما حققنا ، او اي اساس لما انجزنا . فنحن كائنات تعمل وراء ظهرها « ماضيا » : لاننا موجودات تحقق ذواتها عبر التاريخ،وتتراكم اعمالها على شكل « مكاسب » . ولكننا في الوقت نفسه ذوات واعية تدرك ان ما قد « تحقق » ، لا يرسم مرة واحدة والى الابد صورتها بمقتضى.ان يتحقق! فالماضي يدفع كلا من الحاضر والمستقبل ، ولكنه لا يحددهما تحديدا دقيقا صارما ، او هو لا يشكلهما مرة واحدة والى الابد ! ولو كان الانسان اسير ماضيه الى الحد الذي يتصوره البعض،لكانت الحياة البشرية هي اليأس بعينه : اذ ما « اليأس » الا « عبودية الماضي » ! واخيرا ، الا ترى معي — يا قارئي — اننا نحيا في المستقبل ، والمستقبل، اكثر مما نحيا في الماضي والحاضر ، او الماضي والحاضر ؟ الا تشعر معي باننا نوجد من اجل « ما لا يمكن التنبؤ به » اكثر مما نوجد من اجل « ما لا يمكن استرجاعه » .

زكريا ابراهيم



بقلم: حسن عبد الله آل الشيخ
وزير المعارف السعودية

تمهيد

[illegible] عنهم ، وابتدعت [illegible] مختلف المذاهب الاسلامية الاربعة الكبرى ، واللقب الذي [illegible]

[illegible] اعداؤهم ، بل هم يزعمون [illegible] وبالاسلام [illegible] ومحمد صلى الله عليه [illegible]

محمد بن عبد الوهاب

نسبه

هو الامام الداعية الكبير محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان بن علي بن محمد وينتهي نسبه الى نزار بن معد بن عدنان .

ولد في بلدة العيينة من بلدان العارض بنجد سنة ١١١٥ هجرية (١٧٠٣م) ونشأ بها ، وقرأ القرآن الكريم وحفظه وأتقنه قبل بلوغه العاشرة من عمره . ثم اشتغل بطلب العلم ، فقرأ مبادئ العلوم والفقه الحنبلي على والده الشيخ عبد الوهاب ابن سليمان . وكان حاد الذكاء ، سريع الحفظ والفهم ، قال عنه اخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب : (كان ابوه يتعجب من فهمه ، ويعترف بالاستفادة منه رغم صغر سنه) . ووالده هو الشيخ عبد الوهاب مفتي العيينة وقاضيها ، وجده الشيخ سليمان بن علي هو مفتي جميع الديار النجدية .

في مكة والمدينة

لما بلغ الشيخ محمد سن الرشد قدمه والده في امامة الصلاة ، فاخذ يصلي بالناس اماما . ثم طلب من والده ان يسمح له بأداء فريضة الحج فوافقه ، وأدى الفريضة ، واعتمر عمرة الاسلام ، ثم بعد فراغه من ذلك سافر الى المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، واقام بها قريبا من شهر ، ثم عاد الى العيينة ، وتزوج بها ، وشرع في القراءة على والده الفقه على مذهب الامام



احمد بن حنبل .

ثم سافر الى الحجاز ليزداد من طلب العلم وبها يتردد ويقرأ على بعض علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة ، واقام بالمدينة مدة يقرأ خلالها على الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدي ثم المدني ، وعلى العالم الكبير محمد حياة السندي المدني صاحب الحاشية المشهورة على صحيح البخاري .

في البصرة

ثم رجع مرة اخرى الى وطنه ، ومكث به سنة ، ثم سافر الى البصرة (بالعراق) وقرأ بها كثيرا من كتب الحديث والفقه والنحو وكان يلازم عالما احد علماء البصرة الكبار . وهو الشيخ محمد المجموعي البصري وكان خلال اقامته بالبصرة يدعو الناس الى توحيد الله جل وعلا ، ونبذ الاشراك به ، وهجر البدع ، واخذ يصرح بذلك لكثير من جلسائه بالبصرة قائلا لهم : (ان العبادة كلها لله ، ولا يجوز صرف شيء منها لسواه) . وقد استحسن شيخه المجموعي ذلك منه ، فاخذ الشيخ محمد يقرر لاستاذه توحيد العبادة ، ويوضح له معنى (لا اله الا الله) ، فقبل منه شيخه واقتنع به .

ثم - كما يحدث دائما للدعاة الصادقين - من اعدائهم الذين يخالفونهم ويعملون ما ينهون عنه - عمل اعداؤه من مخالفيه على اخراجه من البصرة ، فخرج منها في يوم شديد الحر ، ماشيا على قدميه فلما وصل منتصف الطريق بين البصرة والزبير اشتد به العطش حتى كاد يموت ، فلقيه رجل يدعى (ابا حميدان) من اهل الزبير ، وكان يركب حماره ، فوجد على الشيخ امارات الهيبة والوقار فسقاه ماء وحمله معه على حماره حتى وصلا بلدة (الزبير) من اعمال العراق ، فمكث الشيخ بها اياما ، ثم رغب السفر الى الشام ، لكنه لم يكن يملك النفقة التي تكفيه لتلك الرحلة .

رجوعه الى نجد

فرجع الى وطنه (نجد) ، مارا في طريقه ببلدة الاحساء ، وحل بها ضيفا على الشيخ عبد الله ابن محمد الشافعي الاحسائي ، ثم رجع الى وطنه، حاملا زادا كثيرا من العلم وسلاحا قويا من المعرفة وقصد (حريملاء) من قرى نجد ، حيث قد انتقل والده اليها ، فجلس اليه يقرأ ويتعلم منه . ثم بدا يظهر نشاطه وعكف على دراسة القرآن الكريم، وكتب السنة ، وتفاسير علماء السلف وشروحهم ، بامعان وتدبر ، فاستفاد من ذلك فائدة كبرى . ثم عكف على مطالعة كتب شيخ الاسلام احمد بن تيمية وكتب تلميذه الشيخ محمد بن قيم الجوزية فازداد بها علما وتحقيقا وفهما ، وقد كتب الشيخ محمد بيده كثيرا من مؤلفات شيخ الاسلام ابن تيميه لا يزال بعضها حتى الآن موجودا بالمتحف البريطاني بلندن وغيره . وكان خلال اقامته بحريملاء ينهى الناس عن الاشراك بالله ، وينكر البدع التي كانت منتشرة في ذلك العهد وكان قويا في انكاره فطلب اليه ابوه ان يتمهل في الدعوة ، خوفا عليه .

يصدع بالدعوة بعد وفاة والده

وبعد وفاة والده عام ١١٥٣ هـ الموافق ١٧٤٠م بدا يصدع بالدعوة ويعلنها ، واخذ يبعث برسائله الى بلدان نجد ، يدعو الناس من خلالها لعبادة الله وحده ، ويمنعهم من التعلق دونه بشيء من الانبياء والصالحين والاشجار والاصنام ، واجتهد في الامر ، وانضم اليه اناس من اهل حريملاء استجابوا لدعوته ، وانطلقوا يدعون الناس معه ، فاشتهر امره في قرى نجد ، ووفد اليه اناس من تلك القرى ، قاصدة على يديه وطلب العلم من طريقه . والف كتابه (التوحيد) الذي هو حق الله على العبيد . وانتشر هذا الكتاب في نجد كلها .

انتقاله الى العيينة

ثم اضطر الشيخ الى الرحيل من (حريملاء) ،

بعدما حاول بعض الجهلة والولاة أن يتسلقوا عليه داره ليقتلوه ، لما هو عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانتقل الى (العيينة) ، واستقبله أميرها (عثمان بن حمد بن معمر) بالترحيب ، وأمر الناس أن يمتثلوا أمره ويقبلوا قوله . وكان بالعيينة كغيرها من قرى نجد الكثير من القباب والأوثان التي يعظمها الجهال ، وينسبون اليها الكثير من الأكاذيب . فقام الشيخ ببيان حقيقة التوحيد لأمير العيينة (عثمان بن معمر) وطلب منه أن يزيل تلك الأوثان والقباب لمخالفتها لعقيدة التوحيد الصافية . فاستجاب الأمير لذلك وخرج الشيخ ومعه الأمير عثمان ورجال كثيرون ، وهدموا ما هنالك من القباب والأوثان ، وتولى الشيخ بنفسه هدم قبة زيد بن الخطاب بيده . ثم جاءت امرأة الى الشيخ واعترفت لديه بالزنى وكررت اعترافها واقرارها ، وسأل عنها فوجدها سليمة العقل جائزة التصرف ، فأقام عليها حد الزنا وهو الرجم ، فانتشر بذلك خبره ، وخشي (علماء) الضلال على وظائفهم من هذه الدعوة الجديدة التي بدأت تنطلق وتجمع الأنصار حولها فشكوا الشيخ الى (سليمان بن محمد بن عريعر) حاكم الاحساء والقطيف آنذاك ، فاستجاب لهم ، وكتب الى الأمير عثمان بن معمر كتابا يطلب فيه اخراج الشيخ من بلدته وقطع مرتبه فانصاع ابن معمر لذلك ، وطلب من الشيخ مغادرة العيينة .

مغادرته العيينة والتقاؤه بابن سعود

فغادرها متوجها الى الدرعية قرب الرياض ، وحل بها ضيفا على أحد تلامذته ، وهو الشيخ (أحمد بن سويلم العريني) وذلك في عام ١١٥٨ هـ ١٧٤٥ م . فلما علم بمقدمه أمير الدرعية (الامام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن) أسرع بالسعي اليه في دار الشيخ أحمد ، وقابله بالحفاوة والبشر ، وقال للشيخ : أبشر أيها الشيخ بالنصر والمنعة . فقال الشيخ : وأنا أبشرك إن شاء الله بالأجر والعز ، والتمكين والغلبة ، وهذه كلمة لا إله إلا الله ، من تمسك بها ونصرها ملك في الدنيا ، وربح في الآخرة ، وهي كلمة التوحيد التي دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب ، والامام الشيخ يدعو الى دين الله ، ويبطل بطلان ما فيه أكثر أهل زمانه من الشرك بالله ، وتعلق بشيء من الأوثان والأحجار والأولياء والصالحين ، والامام محمد بن سعود يؤيده وينصره .

وكان (العهد التاريخي) بينهما عندما قال الامام محمد بن سعود للشيخ : لا شك عندي أن ما تدعو اليه أنه دين الله الذي أرسل به رسله ، وأنزل به كتبه ، وأن ما عليه اليوم أهل نجد من هذه العادات الباطلة هو كما ذكرت ، نفس ما كان عليه المشركون الأولون من الكفر بالله ، فأبشر بنصرك وحمايتك ، والقيام بدعوتك ولكن أريد أن أشترط عليك شرطين :

الأول : نحن اذا قمنا بنصرتك ، وجاهدنا معك ، ودان أهل نجد للاسلام ، وقبلوا دعوة التوحيد ، أخاف أن ترتحل عنا ، وتستبدل بنا غيرنا .

والثاني : أن لي على أهل الدرعية قانونا آخذه منهم وقت حصاد الثمار ، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا .

فقال الشيخ : (أما الشرط الأول فابسط يدك أعاهدك ، الدم بالدم ، والهدم بالهدم) .

وأما الثاني : فلعل الله أن يفتح عليك الفتوحات فيعوضك من الغنائم والزكوات ما هو خير منهما .

وتم العهد بينهما في ذلك المجلس ، على اظهار دين الله ، والجهاد في سبيله ، ومحاربة الشرك في كل صوره ، واخلاص العبادة لله .

ثم لما تكالب أعداء الدعوة عليها ، وبدأوا يشعلون القتال ويهاجمونها ، انتقلت الدعوة الى مرحلة الدفاع عن النفس ، ودامت الاشتباكات طوال واحد وعشرين عاما ، انتشرت بعدها الدعوة الى الله ، واطمأن الناس الى والمفهوم الجديد ، وتوحدت قرى نجد جميعها — بعد عهد طويل من الفرقة والاختلاف — تحت لواء واحد ، هو لواء العقيدة الصحيحة ، وفي عام ١٢٠٦ هـ الموافق ١٧٩١م، انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى رحمة الله عن عمر يناهز التسعين عاما قضاها داعيا الى الله ومجاهدا في سبيله .

ما هي حقيقة دعوتهم : —

هم في أصول الدين يتبعون مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتهم في اثبات صفات الله هي طريقة السلف الصالح ، التي هي الأسلم والأعلم والأحكم ، خلافا لمن قال : طريقة الخلف أعلم ، وذلك بأن يقروا بآيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ويكلوا علمها الى الله مع اعتقاد حقائقها ، فالامام مالك ، وهو من أجل علماء السلف ، لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى : (الرحمن على

العرش استوى) قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة.

ويعتقدون ان الخير والشر كله بمشيئة الله ، ولا يكون في ملكه الا ما اراد ، فان العبد لا يقدر على خلق افعاله ، بل له كسب رتب الله عليه الثواب فضلاً ، والعقاب عدلاً ، وان المؤمنين يرون الله في الآخرة بلا كيف ولا احاطة .

وهم في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ، ولا ينكرون على من قلد احدا من الائمة الاربعة دون غيرهم ، لعدم ضبط مذاهب غيرهم ، ولا يستحقون مرتبة الاجتهاد المطلق ، ولا يدعيها منهم احد .

الا انهم في بعض المسائل اذا صح لهم نص جلي من كتاب او سنة اخذوا به وتركوا المذهب ، ولايفتشون على احد في مذهبه ، ولا يعترضون عليه .

وعلى العموم فدعوتهم هي الدعوة التي ما كان عليه السلف الصالح ، من اخلاص العبادة لله وحده ، ومعنى (لا اله الا الله) هو اخلاص العبادة لله وحده ونفيها عن سواه باي نوع من انواع العبادة . ومعنى شهادة ان (محمدا رسول الله) طاعته فيما امر ، وتصديقه فيما اخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر . ويعتقدون ان رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي اعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق ، وانه حي في قبره حياة برزخية ابلغ من حياة الشهداء ، الا هو افضل منهم بلا ريب ، وانه يسمع سلام المسلم عليه .

وتسن زيارته . الا انه لا يجوز شد الرحال الا لزيارة المسجد والصلاة فيه ولا بأس ان يقصد مع ذلك زيارته ، ومن انفق نفيس وقته بالاشتغال بالصلاة عليه فقد فاز بسعادة الدارين .

من افترى عليهم كذبا

وفي احد مؤلفاتهم يقولون : (اما من يكذب علينا سترا للحق ، وتلبيسا على الخلق ، باننا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق افهامنا من دون مراجعة شرح ، ولا نعول على شيخ ، واننا نضع من رتبة نبينا صلى الله عليه وسلم بقولنا : النبي رمة في قبره وعصا احدنا انفع له منه وليس له شفاعة ، وزيارته غير مندوبة . وانه كان لايعرف معنى لا اله الا الله حتى نزل عليه " (فاعلم انه لا اله الا الله) ، مع كون الآية مدنية ، واننا لا نعتمد على اقوال العلماء ، فنتلف مؤلفات اهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ، وانها مجسمة ، واننا نكفر الناس على الاطلاق ، اهل زماننا ومن بعد الستمائة الا من هو على ما نحن عليه ، واننا لا نقبل بيعة احد . الا بعد اخذ اقراره انه كان مشركا ، وان ابويه ماتا على الشرك بالله ، واننا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا، وان من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون ، واننا لا نرى حق اهل البيت رضوان الله عليهم واننا نجبرهم على تزويج غير الكفء لهم ، واننا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شابا اذا ترافعوا الينا .. نقول عن كل ذلك : سبحانك هذا بهتان عظيم . فمن روى عنا شيئا من ذلك او نسبه الينا فقد كذب وافترى ، وظلم نفسه . ومن شاهد حالتنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ما عندنا ، علم قطعيا ان جميع ذلك وضعه علينا وافتراه اعداء الدين ، تنفيرا للناس عن قبول التوحيد لله وحده بالعبادة وترك انواع الشرك الذي نص عليه بان الله لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، لاننا نعتقد ان من عمل انواعا من الكبائر ، كقتل المسلم بغير حق ، والزنا وشرب الخمر ، وتكرر ذلك منه انه لا يخرج بفعله ذلك عن دائرة الاسلام ولا يخلد به في النار اذا مات موحدا بجميع انواع العبادة) . انتهى .

والخلاصة : ان اتباع محمد بن عبد الوهاب هم سلفيون يعملون لنشر الاسلام الصحيح ، كما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ، وان ما يقال عنهم خلاف ذلك هو كذب وافتراء وجدا بسبب الصراع الديني والسياسي الذي كان مسيطرا على الجزيرة العربية خلال فترة انطلاق الدعوة الجديدة . ولقد تحدث الكثير من مفكري الشرق والغرب عن هذه الدعوة ، ووصفوها بما هي عليه ، مما لا يتسع له هذا المقال . ولكن واجب المنصف المحقق ان يتعرف على الحقيقة من مصادرها ، وقبل ان يتأثر بالاهواء والاغراض ، ثم يحكم فيها عقله ، بدلا من ان يأخذ باقوال فريق في فريق آخر . ولولا خشية الاطالة لنقلت كثيرا من مؤلفات علماء الدعوة ، وردودهم على ما وجهوا به من الاكاذيب ، لكنني اكتفي فيما سبق ما يلقي بعض الاضواء على هذه الدعوة التي قيل عنها الكثير ، وافترق الناس حولها بين مؤيد ومعارض . ■

حسن عبد الله آل الشيخ



التعليم

في البلاد العربية تقويمه في شتى مستوياته كماً وكيفاً

بقلم : جميل صليبا

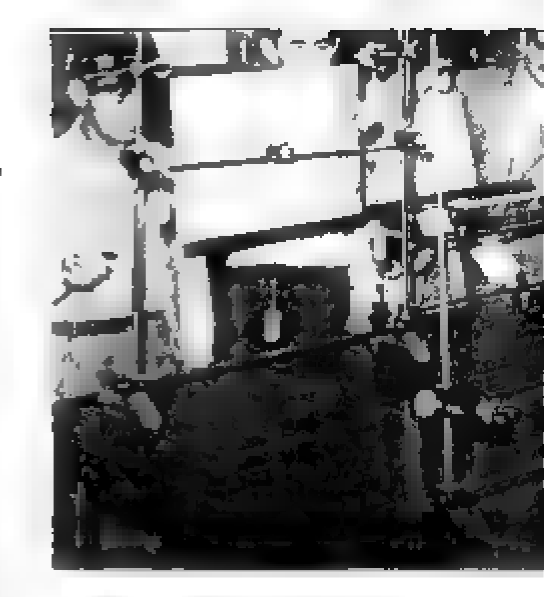
١ ـ مقدمة عامة

إذا أردنا أن نحدد مستويات التعليم في البلاد العربية وجب علينا قبل هذا التحديد على استقراء أحوال التعليم في كل بلد عربي على حدته ، حتى إذا اجتمعت لدينا نتائج هذا الاستقراء أمكننا بعد مقارنتها بعضها ببعض أن نستخرج منها بعض الأحكام التي تصدق على العالم العربي كله .

ولما كان هذا الاستقراء لم يتم بعد كان لا بد لنا في تحديد مستويات التعليم من الاعتماد على تجاربنا ومشاهداتنا الخاصة . هذا ما نريد أن ننبه عليه في بداية هذا المقال ، فإن الحقائق العامة التي جمعناها فيه مستخرجة من مشاهداتنا ، وهي قد تصدق على العالم العربي كله أو لا تصدق عليه . إلا أنها على كل حال تعبر عن بعض ظواهره الثقافية أحسن تعبير .

ولعل أحسن وسيلة للكشف عن حقيقة هذه الظواهر قسمة البحث فيها قسمين : أحدهما يتناول جانب الكم ، والآخر جانب الكيف .
والمقصود بجانب الكم كل ما يمكن التعبير عنه بالأعداد أو النسب الرياضية ، كنسبة عدد التلاميذ إلى مجموع السكان ، الخ .. أما المقصود بجانب الكيف فهو صفة التعليم وجوهره، ماهي مباحثه وطرقه ووسائله ، وما هي طبيعة الأثر الذي يتركه في نفس المتعلم ؟

وهنا حقيقة أولى لابد من التصريح بها ، وهي أن بين جانب الكم وجانب الكيف تلازماً



وثيقة ، لأن كل زيادة في الكم مصحوبة بنقص في الكيف ، كما أن كل تحسين في نوع التعليم يؤثر في جانبه الكمي ، مع أن كل جانب من هذين الجانبين يتأثر بما يختلج في صدور الناس من الميول والنزعات ، وبما يتصوره المجتمع من الأهداف القومية والانسانية .

ولنتكلم الآن عن كل جانب من هذين الجانبين على حدته :

٢ ـ جانب الكم :

تدل الاحصاءات التي بين أيدينا على أن مجموع السكان في العالم العربي ارتفع بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٦ من (٩٢) مليونا الى (١٠٥) ملايين، وان عدد التلاميذ المسجلين في مختلف مراحل التعليم ارتفع خلال الفترة نفسها من (٨) ملايين الى (١٢) مليونا .

وتدل هذه الاحصاءات أيضا على أن نسبة الزيادة في عدد التلاميذ مختلفة باختلاف مراحل التعليم ، والدليل على ذلك :

١ ـ ان عدد تلاميذ التعليم الابتدائي ارتفع من (٠٠٠ر٣٢٠ر٦) الى (٠٠٠ر٧٢٠ر٩) اي بنسبة مئوية سنوية قدرها ٩٪ (٥ر٨٪ للبنين و ١٠٪ للبنات) .

٢ ـ وان عدد تلاميذ التعليم الثانوي في عشر دول (وهي العراق، والاردن ، والكويت ولبنان ، وليبيا ، والمغرب ، والجمهورية العربية المتحدة ، والسودان وسورية وتونس) ارتفع من (٠٠٠ر١٢٤ر١) الى (٠٠٠ر٩٤٦ر١) اي بنسبة مئوية سنوية قدرها ٦ر١١٪ (١ر١١٪ للبنين و ٩ر١٢٪ للبنات) .

٣ ـ وان عدد طلاب التعليم العالي ارتفع من (٠٠٠ر١٤٥) الى (٠٠٠ر٢٤١) اي بنسبة مئوية سنوية قدرها ٥ر١٢٪ (١٢٪ للطلاب و ٥ر١٥٪ للطالبات) .

ويكفي أن يطلع المرء على هذه الاحصاءات حتى يعلم أن كل مرحلة من مراحل التعليم حظيت بزيادة في عدد تلاميذها ، الا ان نسبة الزيادة في عدد طلاب التعليم العالي أعلى مما هي عليه في عدد تلاميذ التعليم الابتدائي او الثانوي ، كما ان نسبة الزيادة في عدد البنات أعلى مما هي عليه في عدد البنين .

واذا علمنا ان توزيع السكان في العالم العربي بين فئات السن المختلفة يدل على ان ٥٠٪ منهم لايتجاوزون العشرين من سنهم ، وان ١٧٪ تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشرة ، علما ان عدد الاطفال الذين لم يكتب لهم دخول المدارس الابتدائية يبلغ (٠٠٠ر٠٠٠ر٨) . فما بالك اذا كان عدد السكان يزداد كل عام بنسبة مئوية لاتقل عن ٥ر٢٪ وكانت الجهود التي تبذلها الدول العربية لنشر التعليم الابتدائي لاتتناسب مع زيادة عدد الاطفال .

مقارنات عامة

لاشك ان عدد التلاميذ في كل مرحلة من مراحل التعليم يختلف باختلاف مدتها ، ولايمكننا ان نقايس بين عدد تلاميذ التعليم الابتدائي في بلد وعددهم في آخر الا اذا كانت مدته فيهما واحدة . ولكننا اذا ادخلنا في حسابنا هذه الاختلافات امكننا ان نستخرج منها بعض المقارنات العامة وهي :

١ ـ ان عدد تلاميذ التعليم الابتدائي في العالم العربي لايزيد على ٣٠ر٥٣٪ من مجموع الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والحادية عشرة ، على حين ان نسبتهم في بعض البلدان الراقية (كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية) تبلغ ١٠٠٪ تقريبا .

٢ ـ ان عدد تلاميذ التعليم الثانوي في البلاد العربية يعادل ٥ر٢٠٪ من مجموع التلاميذ على حين ان متوسط هذا العدد يبلغ في مختلف بلدان

العالم هو ٢٢٪ وفي الولايات المتحدة الامريكية ٣٥٫٧٪ .

٢ — أن نسبة طلاب التعليم العالي الى مجموع التلاميذ يبلغ في البلاد العربية ٦٫٢٪ على حين ان متوسط هذه النسبة في مختلف بلدان العالم ٧٫٢٪ وفي الولايات المتحدة الامريكية ١٤٫٨٪ .

وحتى اذا قايسنا بين عدد المعلمين وعدد التلاميذ نستطيع ان نستخرج من ذلك بعض الحقائق فمتوسط عدد التلاميذ في صفوف التعليم الابتدائي يبلغ في العالم العربي ٤٠ تلميذا ، وهو في الغنى على حد في الارياف ، حتى ان بعض مدارس المدن المزدحمة بالسكان تشتمل على صفوف يزيد عدد تلاميذها على الستين . اما عدد المعلمين المؤهلين تربويا فهو لايربو في مجموع البلاد العربية على ٢٢٪ من مجموع المعلمين . اضف الى ذلك ان التعليم الفني اقل نموا من التعليم الثانوي العام لان تلاميذه وتلاميذ دور المعلمين لايزيدون على ١٦٪ من مجموع تلاميذ المرحلة الثانية في حين ان تلاميذ التعليم الثانوي العام يبلغون ٨٤٪ .

ومع ان التعليم العالي قد تطور في البلاد العربية تطورا كبيرا فان ٢٠٪ من طلابه (كما في الاردن) يتابعون دراستهم في البلاد الاجنبية ، كما ان ٨٥٪ منهم (كما في سورية والمملكة العربية السعودية) لايزالون ينتسبون الى الكليات النظرية والادبية .

ونتيجة ذلك كله واضحة جدا ، وهي ان التعليم في البلاد العربية خال من التوازن ، ويظهر هذا الخلل في التوازن : (١) بين نمو التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والتعليم العالي (٢) وبين نمو التعليم الفني ونمو التعليم العام . (٣) وبين نمو تعليم البنين ونمو تعليم البنات (٤) وبين التعليم في المدن والتعليم في الارياف الخ .. ولعل اعظم خلل في التوازن هو الخلل الذي نشاهده بين جانب الكم وجانب الكيف ، لان الزيادة في عدد المدارس والتلاميذ والمعلمين لم تكن مصحوبة بتحسن حقيقي في مستويات التعليم .

٣ — جانب الكيف :

قلنا سابقا ان المقصود بجانب الكيف نوع التعليم وجوهره والاثر الذي يتركه في نفوس المتعلمين ، فما هي صفة التعليم العربي الحديث وماهو جوهره ، هل يعد الشخصية الانسانية الكاملة ، ويزود المجتمع بالطاقات البشرية التي يحتاج اليها في بلوغ غايته ؟

لابد في الحكم على قيمة التعليم الذي تزود به اطفالنا من نسبة مناهجنا وطرقنا ووسائلنا الحاضرة الى ما يجب ان تكون عليه بحسب الصورة المثالية المرتسمة على صفحات اذهاننا . فاذا وجدنا في هذا التعليم صفة منافرة لهذه الصورة المثالية سميناها عيبا ، واذا وجدنا فيه صفة متفقة مع هذه الصورة المثالية سميناها كمالا .

لاشك ان هذه الصورة المثالية تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فما كان كمالا بالنسبة الى زمان ، قد يكون عيبا بالنسبة الى آخر ، وما كان حقا عند مجتمع قد يكون باطلا عند غيره . ونحن وان كنا نعتقد ان هناك قيما انسانية مشتركة بين جميع الناس ، الاسود منهم والابيض ، الا اننا نرى مع ذلك ان لكل شعب احوالا تخصه ، وان التربية ، وهي وسيلة لتحقيق الكمال الانساني ، لاتستطيع ان تكون منافرة لاحوال المجتمع ، ولا لشروط الزمان المقارن له . فماهي الصورة المثالية للتربية في المجتمع العربي الحديث ؟

ميثاق الوحدة الثقافية العربية

قد كفانا ميثاق الوحدة الثقافية العربية الذي اقره مؤتمر وزراء التربية والتعليم المنعقد في بغداد سنة ١٩٦٤ مؤونة تحديد هذه الصورة المثالية فقد جاء فيه « ان هدف التربية والتعليم تنشئة جيل عربي ، واع مستنير ، مؤمن بالله ، مخلص للوطن العربي ، يثق بنفسه وبامته ، ويدرك رسالته القومية والانسانية في السيرة الفردي والاجتماعي ، جيل يحميه لافراده ان يثقفوا شخصياتهم بجوانبها كافة ، ويملكوا ارادة النضال المشترك ، واسباب القوة والعمل الايجابي متسلحين بالعلم والخلق كي يسهموا في تطوير المجتمع العربي ، والسير به قدما في معارج التطور والرقي ، وفي تثبيت مكانة الامة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والامن والحياة الكريمة »، وجميع الاتفاقات الثقافية والمؤتمرات ، والحلقات التربوية ، التي انعقدت قبل مؤتمر بغداد وبعده حاولت ان تحدد للعالم العربي اهدافا تربوية موافقة لاحواله النفسية والاجتماعية والانثروبولوجية والاقتصادية والانسانية .

آمال لم تتحقق

ولكن هذه الأهداف الشيقة هي أكثر من آمال لم تترجم حتى الآن الى مناهج وطرق عملية صالحة ، وحيثما ترجمت في بعض البلدان العربية، فان ترجمتها الحية هي الارتجال لم تعن بارتفاع مستوى التعليم لأسباب كثيرة : منها اضطراب المناهج ، وضعف المدرسين ، وفساد طرقهم ووسائلهم ، واضطراب النظم المدرسي والتساهل في الامتحانات ، وانصراف التلاميذ عن العمل المدرسي الى العمل السياسي ، واعراضهم عن الجهد والدأب والسعي وميلهم الى الاستمتاع بمعاني الحضارة الحديثة دون وقاية أنفسهم من مخاطرها .

المعايير تختلف مع الزمان

ولايخفى أن المعايير التي نطبقها اليوم على مستوى التعليم تختلف عن تلك التي كنا نطبقها في الماضي ، لأن لكل زمان مستويات تتناسب مع حاجاته ، ولذلك وجب علينا عند الحكم على مستوى التعليم أن نقدر قيمته بالنسبة الى حاجات زماننا لا بالنسبة الى حاجات الزمان السابق . فاذا طبقنا هذا المعيار قلنا ان الطالب الذي يتقن العلوم النقلية ، ولا يتقن شيئاً من العلوم العقلية والتجريبية لايستحق الحياة في زماننا ، وكذلك الطالب الذي يتقن العلوم الحديثة ولايحسن التعبير عن افكاره بلغة عربية صحيحة فهو عربي بنسبه أجنبي بثقافته .

مستوى التعليم منخفض

وسواء انسبنا مستوى التعليم في مدارسنا الى شروط الزمان الحاضر أم نسبناه الى شروط الزمان الماضي ، فهو في كلا الحالين منخفض : منخفض بالنسبة الى حاجاتنا الحاضرة ، لأنه لم يستوف حتى الآن شروط التقدم العصري في العلم والتكنولوجيا ، ومنخفض بالنسبة الى الماضي لأنه فقد خصائصه القديمة دون الاستعاضة عنها بخصائص جديدة موافقة لروح العصر ، فما بالك اذا كان المتخرجون في مدارسنا لا يتقنون الرياضيات الحديثة ولا يعرفون ما طرأ على علم الفيزياء من تطور عجيب .

مظاهر انخفاض التعليم واسبابه

ومهما يكن من أمر فان لانخفاض مستوى التعليم في مدارسنا عدة مظاهر منها جهل الطلاب بكثير من الحقائق العلمية لأن ثقافتهم العامة أشبه شيء بأرخبيل من الجزر المتفرقة التي لا سبيل الى وصل أطرافها بعضها ببعض ، فالبارع منهم في التاريخ والأدب يجهل الحقائق العلمية البسيطة ، والبارع في النظريات العلمية يجهل قواعد اللغة العربية . مع أن اتقان الطالب لاحدى المواد العلمية مشتمل على الكثير من الفجوات لأنه يرتقي من صف الى صف من دون أن يحيط بجميع مقرراته ، ونتيجة ذلك أن أكثر الطلاب الذين نوفدهم الى الجامعات الأوربية يضيعون سنة أو سنتين في استكمال ما ينقصهم ، لا لجهلهم باللغات الأجنبية فحسب ، بل لضعف مستواهم العلمي ، وليس الطلاب الذين يتابعون دراستهم في الجامعات العربية احسن حالاً من الطلاب الذين نوفدهم الى الغرب ، انهم لا يتقنون اللغة العربية ولا اللغات الاجنبية ، ولا يطالعون الا الكتب والأمالي المقررة . وجميع الأساتذة الذين مارسوا التعليم في جامعاتنا يعلمون أن طلابهم يضيقون من مراجعة المصادر العلمية ، فكم طالب مال الى الانصراف عن الاجتهاد ، فاقتصر على مطالعة المحاضرات المطبوعة التي لا تحيط بجميع جوانب المنهج ، يحفظ ما فيها عن ظهر قلب استعداداً للنجاح في الامتحان ، وكم طالب تخرج في كليات الهندسة وهو لا يلم بشيء من العلوم الانسانية ، وكم طالب برع في النظريات العلمية وعجز عن اصلاح جهاز كهربائي بسيط موجود في داره ، فلذا أسف من حال طلابنا الذين لا يحبون أن يرتووا من العلم الا بمقدار . هل اذكر ضيق أفقهم العلمي ، وضعف تفكيرهم المنطقي وجهلهم بطرق البحث ، أم اذكر ما تعودوه من الاخلاد الى الراحة والميل الى اللهو والسهر ، حتى اذا نجحوا في الامتحان اغلقوا كتبهم ، وانقطعوا عن مطالعة المجلات والكتب الجديدة ، فاذا هم بعد مدة من الزمان ينسون ما تعلموه على مقاعد الدرس ويعودون الى حالة من الجهل المقنع ، مع أن المثل الأعلى للتربية تعليم الطفل كيف يتعلم بنفسه .

لقد جاء في المثل الصيني :

« اذا اعطيت المرء سمكة تغذى بها مرة واحدة ، ولكنك اذا علمته صيد السمك بنفسه تغذى كل ايام حياته » .

فنحن اذا ذكرنا هذه الحقيقة نستطيع أن نقول ان انصراف طلابنا عن متابعة التعليم بأنفسهم واقتصارهم على الحفظ ، وتلقن المعلومات ، دون

تنمية قواهم العقلية واكتسابهم من المعلومات ما يضمن لهم النجاح في الامتحان كل ذلك يحول دون تحسين مستواهم الثقافي ، وتنمية قدرتهم على الاختراع والابداع .

المستوى الاخلاقي ينخفض مع المستوى العلمي ، ومعه يرتفع

ونحن نعتقد ان للمستوى العلمي علاقة بالمستوى الاخلاقي ، فاذا رأيت طالبا يفضل الحياة السهلة الرخيصة على الحياة المثالية الشريفة ، يشك في نفسه وفي جدوى علمه ، ويفتقد لمواطفه واهوائه وغرائزه ويضيق عن بذل الجهد في نظام ، ويستحقر القيم العقلية والاخلاقية ويتعصب لآرائه فلا يلجأ للحقيقة ، ولا يعترف لغيره بالفضل ، ولا يتحلى بالصبر والثبات والاخلاص والتواضع والتسامح والشجاعة الادبية ، فاحكم عليه بالاخفاق في علمه وعمله . ان الشجاعة الادبية توجب البحث عن الحقيقة ، والاعتراف بالحقيقة ، والعمل بالحقيقة فاذا فقد الطالب هذه الشجاعة مال الى تصديق كل ما يقال له دون تمحيصه ونقده ، وغلب عليه التعصب ، وتشتت الفكر ، والاقتناع بالقليل من علم ، وكان له في سلوكه حالتان احداهما الرغبة في النجاح باقل جهد ممكن والثانية الاخلاد الى الراحة والسكينة ، والاعراض عن مواصلة التعليم .

ثورة الجيل الجديد واسبابها

لا شك ان الجيل الجديد يمتاز عن الجيل المتقدم بشدة وعيه القومي والسياسي ، وميله الى الحرية والاستقلال الذاتي . ولكن هذا الوعي المصحوب بتشتت الفكر ، وضعف الارادة ، وفقدان الاتزان النفسي ، ونقص التنظيم العملي لا يزيد صاحبه الا بعدا . فما بالك اذا كان الميل الى الحرية والاستقلال يسوق الجيل الجديد الى الثورة على كل شيء ، يثور على التقاليد القديمة ، ويتهم الجيل السابق بالتقصير ، ويلقي باللائمة على اوضاع اجتماعية وسياسية لم توفر له سبيل السعادة . وهذه ظاهرة عالمية امتد شرارها من الغرب الى الشرق ومن الشمال الى الجنوب ، حتى شملت معظم بلدان العالم ، ففي كل بلد روح ثورية تاججت في نفوس الطلاب ، وفي نفس كل طالب قلق على مصيره ، وخوف على مستقبله ، وشك في قيمة الاصلاحات التي تقوم بها الدول لتوفير العمل لجميع اصحاب الشهادات .

وهذه الروح الثورية لا ترجع الى سرعة تغير العالم الحديث بتأثير التقدم العلمي والتكنولوجي ، ولا الى فقدان التوازن بين الكفايات البشرية التي تعدها الجامعات وامكانات العمل التي يهيئها المجتمع لابنائه ، ولا الى تقصير الدول في استغلال مواردها الطبيعية ، وتنظيم حياتها الاقتصادية فحسب ، بل ترجع في نظرنا الى اسباب فكرية وسياسية وتربوية : منها التوتر الذي عم العالم الحديث بتأثير الاختلافات الايديولوجية ، ومنها عجز الدول عن تطبيق المبادىء الديمقراطية تطبيقا صحيحا ، ومنها تفنن التربية الحديثة في الاسرة اهتمام الاطفال ومراعاة ميولهم وتيسير كل شيء لهم حتى يحصلوا عليه دون جهد ومشقة ، فكأن العالم الحديث يركن للقر ، او مريض النعت عليه العمل حتى امتنته ، وكأن الطفل اله معبود في الاسرة والمدرسة ، لا هم لابويه او معلميه الا ملاحظته وتبين رغباتهم ، وكأن الآباء والمعلمون لا يجيبون عن مطالب الطفل الا لاشتغالهم على انفسهم منه ! .

ثورة الشباب العربي لاى اسباب اخرى

وربما كان لهذه الثورة في البلدان العربية اسباب اخرى غير هذه ، فان هذه البلدان الحديثة العهد باستقلالها لم تستطع حتى الآن ان تقضي على الفقر والمرض والجهل ، ولا على العصبيات الاقليمية والطائفية والقبلية ، ولا على الفوضى الادارية والتبذير المالي . نعم انها حققت كثيرا من الاصلاحات في ميدان الصناعة والزراعة ، والصحة والتربية ، والادارة ، ولكن هذه الاصلاحات لم تؤت بعد اكلها ، فظل المجتمع العربي من جراء ذلك مجتمعا قلقا تحيط به الاخطار من كل جانب ، وتتوزعه الشكوك الاستعمارية والاختلافات السياسية . وهو بالاضافة الى ذلك مجتمع حائر بين القديم والحديث ، يعتز بماضيه ويفاخر الامم بحضارته القديمة ، ثم يجد نفسه امام حضارة اوربية تسحره بمفاتنها وتفتنه بمظاهرها . فلا غرو اذا شعر الجيل الجديد بالقلق والاضطراب ومال الى الثورة على القديم تارة وعلى الحديث اخرى . وسيجد ذلك كله ان الشعور بالقلق والخوف من المستقبل المظلم ، واضطراب القيم الاجتماعية والسياسية ، واشتداد الميل الى الايديولوجيات المستوردة من الخارج كل ذلك من شأنه ان يمنع الجيل الجديد من التمتع بنعمة الاستقرار .

سوء في التخطيط ورسم المناهج

لقد حاولت بعض البلدان العربية أن تتغلب على هذه العلل باتباع سياسة التخطيط ، فوضعت كثيرا من المشروعات لتنمية اقتصادها القومي ، وعدلت مناهجها التربوية عدة مرات للوفاء بحاجات التنمية . ولكن هذه التعديلات لم تبن على دراسة الواقع دراسة نفسية واجتماعية ، بل بنيت على الارتجال أو التقليد . فلا غرو إذا أدى تطبيق هذه المناهج إلى الإخلال بالتوازن بين حاجات المجتمع الحديث ووسائله ، مثال ذلك أن الساعات الخاصة بالمواد الأدبية في مناهج التعليم الابتدائي تزيد على ٥٤٪ على حين أن الساعات الخاصة بالمواد العلمية كلها لا تزيد على ٢١٪ ، وهذا وحده كاف للدلالة على أن مناهج التعليم الابتدائي لا تزال حتى الآن مناهج نظرية لا تنفع في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية إلا في حدود ضيقة . فما بالك إذا كانت نسبة الأمية في البلدان العربية تتراوح بين حد أدنى قدره ٦٥٪ وحد أعلى قدره ٩٠٪ ، ولا نغالي إذا قلنا أن البلاد العربية لم تستطع حتى الآن أن تفصل التعليم على أبعاد التركيب المهني ، ولا أن تعمل على تحقيق التوازن بين عدد الاختصاصيين وحاجات العمالة في القطاعات الاقتصادية المختلفة ، ولا أن تجعل المتخرجين في المدارس في مأمن من التعطل عن العمل . وليس يجدي البلاد العربية أن يزعم الزاعمون أن لها في بلدان البحر الأبيض المتوسط أشباها ونظائر وإنما ينبغي لها أن تضاعف جهودها وتستغل ثرواتها الهائلة حتى تبلغ أعلى المستويات .

٤ ـ النتيجة :

وجملة القول أن لانخفاض مستويات التعليم في البلدان العربية أسبابا كثيرة ، ذكرنا منها على سبيل المثال اضطراب مناهج التعليم ، ونقص المعلمين الأكفياء وفساد طرق التعليم واضطراب النظام الإداري ، وانتشار القلق السياسي ، وفقدان التخطيط التربوي ، واشتداد القلق والاضطراب والشك في نفوس الشبان ، والخلل في التوازن بين جانبي الكم والكيف .

لقد عنينا حتى الآن بنشر التعليم في جميع طبقات الشعب عملا بالمبادئ الديمقراطية ، فأكثرنا من عدد المدارس وعدد المعلمين والمتعلمين ، ولكننا لم نعن حتى الآن بصفة التعليم وجوهره عناية كافية . وإذا كانت جملة المعرفة التي لدينا محدودة فإن توزيعها بين هذه الكثرة من التلاميذ يشبه صب كمية محدودة من الماء في عدد كبير من القدور ، كلما زاد عدد القدور خف عمق الماء المصبوب في كل واحد منها . وقد نشأ عن هذا التباين بين الكم والكيف أزمة ثقافية شبيهة بالأزمات التي يمر بها الطفل في بعض مراحل نموه ، إذ يزداد نموه الجسمي ويتأخر نموه العقلي فيقع في الاضطراب. وهذا يصدق على كل مجتمع نمت قواه المادية وتضخم حجم سكانه وانتشرت فيه آلات الحضارة الحديثة ، وتزايدت فيه أسباب الرخاء المادي بسرعة هائلة وبقيت قواه الروحية على ما هي عليه من الركود الزمن . فإذا أراد هذا المجتمع أن يتغلب على تخلفه التربوي وجب عليه أن يوفق بين الكم والكيف تأليفا يحسن جوهر التعليم ويرفع مستواه حتى يغني المدارك العقلية ويجعل أبعادها متناسقة مع الأبعاد المادية الظاهرة .

ولست أريد أن أصف دواء تستشفي به كل دولة عربية ، فإن أدوية الشفاء مختلفة باختلاف الداء ، ولكنني أريد أن أقول أن إصلاح المناهج دون تزويد المدارس بالمعلمين الأكفياء لا ينقع غلة ولا يشفي علة . فإن المجتمع العربي الحديث لا يبلغ غايته إلا إذا توافرت لديه العقول المبدعة القادرة على استثمار موارد الطبيعة ، وتنظيم الحياة الاجتماعية . ولا يكفينا في ذلك أن نشجع الطلاب على اتقان المواد العلمية بل ينبغي أن نعودهم حب النظام والاضطلاع بالمسؤولية والاعتماد على النفس والميل إلى بذل الجهد ، والشعور بضرورة استغلال كل ساعة من ساعات حياتهم في تجديد أنفسهم وتحسين عملهم .

أقول هذا ولا يزال في نفسي أشياء أخرى كثيرة أريد أن أقولها إلا أن مجال هذا البحث لا يتسع لذلك فلأقتصر الآن على القول أن انحطاط مستوى التعليم عند طلابنا لا يرجع إلى اضطراب مناهجنا وضعف معلمينا وفساد طرقنا ووسائلنا فحسب ، بل يرجع إلى اضطراب قيمنا العقلية والأخلاقية وإلى انحرافنا عن المبادئ المثالية . إن الإنسان كما قيل هو الحيوان الذي ينظر إلى فوق فإذا رضي بالواقع المحدود ، ولم يعود نفسه التعب وبذل الجهد ، ولم يعمل على تفجير طاقاته المبدعة لم يكن سيد نفسه ولا سيد الطبيعة . ■■

جميل صليبا



بقلم : عبد الستار فراج

■ عنى السابقون من علمائنا بالحديث النبوى ورواياته وأسانيده ، والاشارة الى مواضعه فى كتب الحديث المشهورة ، كصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، ومسند أحمد ، وموطأ مالك ، وغيرها .

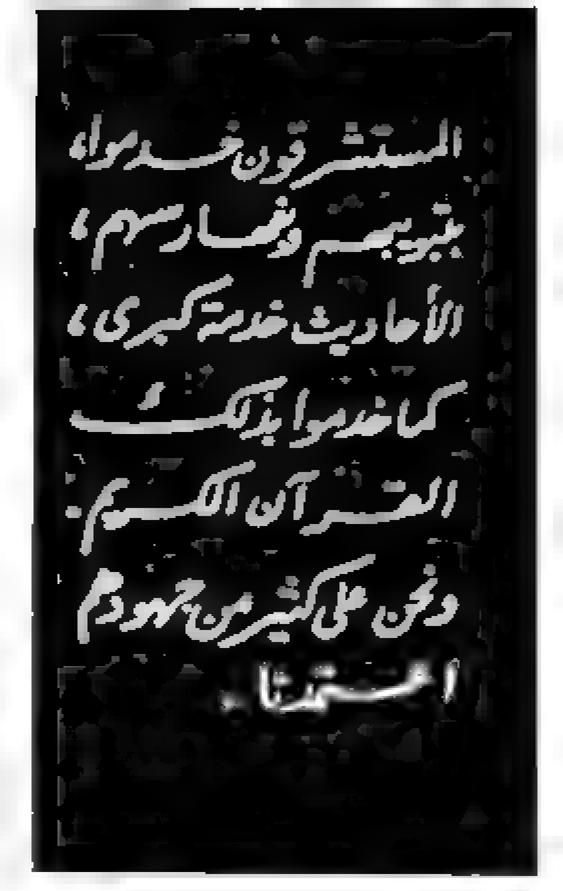
وكانت مراجعهم فى كل ذلك كتبا مخطوطة صعبة التناول ، وحفظا قويا وتلقيا من شيوخهم فى أمانة واخلاص .

والحديث الواحد يتكرر كله أو بعضه فى المؤلف الواحد . فى باب أو أبواب مختلفة ، مع اتفاق فى أسانيده أو اختلاف . هذا الى جانب اتفاقه أو اختلافه فى المؤلفات الأخرى .

وبين أيدينا اليوم كثير من مطبوعات الكتب الصحيحة فى الأحاديث ، قد نقرأ نصا فى بعضها ، فنجد أحد الشراح مثلا يقول : رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى .. الى آخر ما يذكره من المؤلفات . فنقف حائرين ، متسائلين : فى أى جزء من أجزاء هذه الكتب ورد ذلك النص ، وفى أى صفحة من صفحاتها ؟ وهل تتفق روايته أو تختلف ؟ وهل هو جزء من نص طويل،أونص قائم بذاته وهل ثمة أسباب لوروده ؟ وما هى تلك الأسباب ؟

لو أننا استطعنا أن نصل الى الأجوبة عن تلك الأسئلة وغيرها لأصبنا من فهم النص والاهتمام بحديثه خيرا كثيرا .

ولكن ، من أين لنا ذلك ، والفهرسة الدقيقة معدومة ، والاحالة الكثيرة الوافية على مواطن النص غير موجودة .



وانا التمسنا العذر للسابقين ، لقلة امكاناتهم ، مع حرصهم الشديد على ان يفيدونا ما استطاعوا ، فلا مبرر لالتماس العذر لنا ، وفي امكاننا ان نعمل الكثير لافادة جيلنا والاجيال الماضية . فالاحاديث لرسولنا صلى الله عليه وسلم ، وهي بلغتنا العربية ، وليست بلغة اجنبية عنا . ونحن الذين ندرس شريعة الرسول في معاهدنا وجامعاتنا ، ونستقيه من الفاظ احاديثه في معاجمنا واساليبنا ولغتنا الآن ، ونفع امتنا ، واهتمامنا بتراثنا ، تحتم كلها علينا ان ننهض بحمل هذه الامانة غير مقصرين ولا مبطئين .

تقدير المستشرقين

وانما اذ نتطلع الى عمل مجيد تقوم به لجنة عربية مسلمة ، ذات قدرة على الفهم ، وخبرة في البحث ، ومعرفة بالتنظيم الدقيق . نتذكر بكل تقدير واعجاب — مع شعور بالخجل والتقصير — ما قام به المستشرقون من خدمة لمصادر شرعنا بقطع النظر عما يكون وراء هذه الخدمة من اغراض حقيقية او محتملة او موهومة .

خدمة لالفاظ القرآن ومباحثه

ولئن كنا في معرض الكلام عن الاحاديث وطريقة تيسير الوصول الى نصوصها المختلفة ومظانه في مؤلفاتها المتعددة فلا يفوتنا التنويه بان المستشرق الالماني « فلوجل » Gustav Flügel (١٨٠٢ — ١٨٧٠م) كان له الفضل في فهرسة الفاظ القرآن منذ اكثر من قرن في كتابه المسمى « نجوم الفرقان » .

على ان المسلمين كان لهم فضل السبق في هذا ، فهناك كتاب اسمه « ترتيب زيبا » اي الترتيب الجميل ، وضعه حافظ محمود الوردارى ، من علماء القرن الحادى عشر الهجرى ، فرغ من تأليفه سنة ١٠٥١ هجرية وطبع في الآستانة سنة ١٢٨٤هـ وهو رتب فيه كلمات القرآن من حيث اوائلها . وليس من المستبعد ان يكون سبقته محاولات اخرى . لكن كتاب « نجوم الفرقان » للمستشرق الالماني « فلوجل » كان ادق منه واوفى بكثير وقد شجع بعض المؤلفين المسلمين ان يفهرسوا الفاظ القرآن فهرسة وافية ، ومع ما الفوه تركوا كثيرا من الحروف واسماء الاشارة واسماء الاستفهام ..

ومن كتاب « فلوجل » استمد الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي كتابه « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » وهو في الحق كان له بذلك اعظم الايادى على الناس .

كما لا يفوتنا التنويه بفضل المستشرق الفرنسي « جول لابوم » في فهرسته لبعض مباحث القرآن الكريم في كتابه « تفصيل آيات القرآن الكريم » والذى طبعه معربا ارقامه وذاكرا آياته الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ايضا .

اعظم الخدمات للحديث

واذا كان كتاب « مفتاح كنوز السنة » الذى الفه المستشرق الانجليزى « ى . ونسنك » J. A. Wensinck المولود سنة ١٨٨١ والمتوفى سنة ١٩٣٩ ، والذى قام بنقله الى العربية الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، يعد من اعظم الاعمال الميسرة للبحث عن النصوص النبوية في حوالى اربعة عشر مؤلفا فان « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » يعد في قمة الاعمال التي

قام بها المستشرقون وعلى رأسهم « أ . ي . ونسنك » فخدموا كل باحث أو طالب للحديث في الكتب التسعة الآتية : (١) صحيح البخاري (٢) صحيح مسلم (٣) سنن الترمذي (٤) سنن النسائي (٥) سنن أبي داود (٦) سنن ابن ماجة (٧) موطأ مالك (٨) مسند أحمد ابن حنبل (٩) مسند الدارمي .

نظام المعجم المفهرس لألفاظ الحديث

ومن عنوان الكتاب نعرف أنه يستخلص الألفاظ اللغوية من كل حديث ، في كل مؤلف من هذه المؤلفات ، ثم يرتبها ترتيبا معجميا ، ثم ترتيبا لغويا ، كأنه معجم في اللغة مراعيا البدء بالهمزة ، تماما كما ترتب المعاجم اللغوية الحديثة في المادة من المجرد والمزيد والأفعال والأسماء إلا أنه لا يشرح لك المعاني ، بل كل همه أن يوصلك الى نص الحديث بجميع رواياته في الآلاف من صفحات هذه المؤلفات التسعة .

لم يذكروا الصفحات لكثرة الطبعات

ولما كانت مؤلفات الحديث لها عدة طبعات ، كالبخاري ومسلم . وأغلب المؤلفات في الحديث تسمى كل موضوع باسم « كتاب » مثل « كتاب الصلاة » « كتاب الصوم » « كتاب الحج » « كتاب الزكاة » وهذه الكتب : ككتاب الصلاة وكتاب الصوم .. تشتمل على أبواب قد تتجاوز المائة بل المائتين ، وقد تقل عن ذلك كثيرا ، فإن فهرس الكلمات في « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » لا تذكر جزءا ولا صفحة مما هو مطبوع ، وإنما تذكر اسم الكتاب ، ورقم الباب الذي جاء فيه ، بعد أن تذكر رمز المؤلف من هذه التسعة ، ما عدا مسند الإمام أحمد بن حنبل فإنها تذكر رقم الجزء ورقم الصفحة منه .

فعليك الآن أن تعرف أسماء الكتب وترتيبها في كل مؤلف من هذه التسعة ، ثم المطلوب منك أن تعد الأبواب الى أن تصل الى ما تريد ، وفي هذا عناء كبير ، ولكنه كان بالنسبة لعملهم وما قدموه يسيرا كبيرا أن يمسه البحث والاستقصاء ، وحقيقة أنهم ذكروا كتب كل مؤلف وترتيبها فيه ، وعدد ما فيها من أبواب ، لكن الطبعات المتعددة ، وكثرة الأبواب ، وكثرة الأجزاء ، لا تجعل الأمر سهلا ، ولا في متناول كل من يبغيه .

وهذا نموذج من هذا المعجم في مادة (دنو) « دنيا يصيبها .. » خ — أي البخاري — بدء الوحي (ايمان ١) مناقب الأنصار ٥) عتق ٦ نكاح • أيمان ٢٣ حيل ١ .

م — أي مسلم — امارة ١٥٥ .

د — أي أبو داود — طلاق ١١ .

ن — أي النسائي ...

المعجم والعاملون فيه والمنفقون عليه

وقد ظهر الجزء الأول من هذا العمل الضخم في سنة ١٩٣٦ وكتب عليه ما يأتي :

« الاتحاد الأممي للمجامع العلمية

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل

رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين

ونشره

الدكتور أ . ي . ونسنك

أستاذ العربية بجامعة ليدن

الجزء الأول (ا — ح)

مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٣٦ م

ولما كان العمل في غاية الدقة والمشقة فإن الجزء الثاني ظهر في سنة ١٩٤٣م وكان الدكتور « أ . ي . ونسنك » قد توفي سنة ١٩٣٩ ، فأضيف من الأسماء التي نشرته

الدكتور ي . ب . منسنج

محاضر العربية بجامعة ليدن

وكان هذا الجزء من مادة (حب) الى مادة (سر)

وظهر الجزء الثالث وهو من مادة (سلم) الى مادة (طعم) في سنة ١٩٥٥ وكتب عليه :

« أسس ترتيبه وتنظيمه ونشره

أ . ي . ونسنك

تابع نشره

ي . ب . منسنج و . ب . دي هاس

و ي . ب . فن لون

مع مشاركة

محمد فؤاد عبد الباقي

والمنظمات الآتية هي من

المجامع العلمية البريطانية والدنيمركية والسويدية والهولندية والأونيسكو ، والمنظمة الهولندية للبحث العلمي البحت ، والاتحاد الأممي للمجامع العلمية »

ونلاحظ هنا ان احد علماء المسلمين وهو محمد فؤاد عبد الباقي كتب اسمه مشتركا لهم ، والذى اعلمه انه كانت تأتيه اللازم من ليدن فراجعها ويستدرك عليها ، او يصحح ما قد يكون فيها من خطأ ، وذلك بعد ان أرسل لهم مبديا ملاحظاته على ما سبق طبعه . وكان ، كما في المقدمة ، من الهيئة الاستشارية .

كما نلاحظ ان المجامع العربية والهيئات الاسلامية لا « ترّز » لها في هذا العمل ، لا من الناحيه العلميه ولا من ناحية المساعدات المالية . اللهم الا اذا كانت جملة : « الاتحاد الاممى للمجامع العلمية » تشمل بعض المجامع العربية ، وانه لرجاء لا يرتفع الى درجة الذكر والتقدير .

وتوالت بعد ذلك قطع من الاجزاء ، كل قطعة في ثمانين صفحة ، الا انه اضيف الى مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي مشاركة .

ى . ت . ب دى بروين

وحين وصل العمل الى الجزء الخامس الذى طبع سنة ١٩٦٥ والمنتهى الى مادة (كرم) كتب عليه ما يلي :

« ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره
أ . ى . ونسنك ، و ى . ب منسنج
اتم نشره
ى . بروخمان »

ونلاحظ ان اسم الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي قد حذف من الكتاب . واذكر ان ذلك يرجع الى كبر سنه ، وانه اصيب بضعف شديد في بصره ، وذلك قبل وفاته رحمه الله .

وقد وصل المستشرقون الى قرب نهاية العمل في سنة ١٩٦٦ اذ انهم وصلوا الى مادة (نفر) في الجزء السابع .

على ان القيمة المادية لهذا المعجم على الرغم من ارتفاعها لا تتجاوز مائتي دينار هي قليلة بجانب الخدمة العلمية لكتب الحديث المذكورة ، ولعلهم اوشكوا على الانتهاء منه .

وكل عمل قابل للنقد

واذا كنت قد بينت ما في هذا العمل من مجهود ومثابرة ، وتقدير لكل مشاركة بالعلم او المال ، فانني اذكر ان الكمال لله وحده ، وان الخطأ قد يغلب الانسان على امره .

فلقد يخيل الى من يرجع الى هذا « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » انه استوفى كل ما جاء في الكتب التي فهرسوها ، لكن المتتبع لها قد يغيب عنه بعض الشيء ، حين يلمس فيها نقصا ونسيانا .

فالحديث الاول في صحيح البخاري « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او الى امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » فيه عدة روايات وزيادات في الفاظ منها : « العمل ، الاعمال » بالنية،النيات، هجرته، الدنيا يصيبها، لامرأة « ينكحها » « يتزوجها » ... نجدهم في مادة (دنو) تحت عنوان « فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها » نسوا مسند احمد بن حنبل في موضعين ونسوا الترمذى .

وفي مادة (نوى) نسوا ابن ماجه ، وموضعا في النسائي ، وموضعا في مسند ابن حنبل .

وفي مادة (عمل) « العمل بالنية » نسوا موضعا في مسند احمد . وفي مادة (عمل) ايضا « الاعمال بالنيات » نسوا الترمذى ، وموضعا في مسند احمد ، وفي مادة (صوب) نسوا الترمذى وابن ماجه ، وموضعين في مسند احمد .

هذا من ناحية النسيان ، اما من ناحية الوهم فقد اضافوا موضعين في النسائي في مادة (نثر) تحت عنوان « فمن كانت هجرته الى دنيا .. » وليس فيهما هذا الحديث وانما فيهما لفظ « دنيا » واحدهما « ان كنتن تردن الحياة الدنيا » والاخر « ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة » كما اضيف الى النسائي في مادة (صوب) « الدنيا يصيبها » موضع ليس فيه الحديث وانما فيه لفظ فاصابها وهو « الظاهر رجل من امراته « فاصابها قبل ان يكفر .. »

قد تكون هذه الملاحظات في حديث واحد مثيرة للشك في الاستقصاء والاستيعاب ولكن العمل الضخم الجديد والمجهود الشاق يوقع في مثل هذا النقص والوهم وبخاصة من لم تكن ثقافته العربية والاسلامية وافية ، ولم تكن مراجعته دقيقة ، ويكفي اننا ننتظر منهم ما يطمنا ، دون ان ننسى جهودا صادقة او مساهمة فعالة .

ماعــذرنا

واننا لنعذر اذا قلنا ان الاجانب لديهم اسرار المخترعات الحديثة ، ولديهم التقدم الآلى الذى

سبقونا فيه بمراحل طويلة ، ولكن اي عار يلتصق بنا ان يتناولوا كتبنا ومصادر تشريعنا ، ونظل عالة عليهم ، وليس هناك ما يقدم في هذا الا الصبر والجلد وحسن التنظيم في خدمة ما يريدون وليس الا السخاء والبذل لتحقيق ما يرمون اليه وما يطلبون .

نحن اليوم لاتنقصنا الثقافة والخبرة ولا ينقصنا المال ، ولكن ينقصنا الشعور بالواجب ، والاسهام في العمل النافع ، والبذل في سبيل خلود الذكر وحسن الثناء ، فيما يستحق ان يبذل او يقدم له دون منّ ولا استكثار .

ولئن كان في العرب والمسلمين علماء وخبراء فان حسب العمل وسنده وهو المال يابى قوم لا يذكرون من هذه الخدمات شيئا ، في حين اننا نعرف ان في « كندا » مثلا معهدا للشئون الاسلامية هو معهد « موسريال » وان في انجلترا « لجنة جب التذكارية » لنشر مخطوطات عربية . وفي امريكا « مؤسسة روكفلر » ومؤسسة فورد اسهمتا كثيرا في نشر كثير من المنشورات العربية والاسلامية وفي فرنسا ، وفي روسيا ، وفي المانيا .. وغيرها ، من ينشر ومن يسهم ، وكل ما نصيح به حول هذه المؤسسات والخدمات انها تهدف الى الاساءة الى ديننا والى لغتنا لكن الصياح لا يجدي فتيلا والاتهام لا يغني شيئا ، فليس الا العمل الجاد ، ولعلها صيحة في واد .

قلة تبذل

ولئن تفضل بعض العرب والمسلمين بالبذل والنشر ، ممن سبق ان ذكرتهم في مقالات سابقة ونوهت بجليل مآثرهم ، فان الذين يلوون لمصالحهم ويحيطون بهم ، ممن لهم مصلحة خاصة وتنفع مرتقب قد يحولون دون وصول الكلمة الداعية الى الخير ، والعالة على الكتاب الحاضرة ، وليست دنياهم من الفراغ بحيث يتتبعون كل مايكتب او يقال ، فلعلهم الطهر وعلى كثير يغسيـ القوم والتقريع .

خدمة الحديث بجامع الاحاديث

ان خدمة الحديث النبوي تكون بجمعه وترتيبه ترتيبا دقيقا في مؤلف واحد ، مهما تبلغ اجزاؤه ، يسمى مثلا « الجامع للاحاديث النبوية » ينقل فيه كل نص الحديث الواحد من كل مؤلف من المؤلفات التسعة ويضاف اليها ما يرد في الكتب الاخرى .

ولست هنا بصدد تفصيل الطريقة وذكر انموذج مفصل من الكتاب المقترح ويكفي ان اذكر بعض الثمرات التي نجنيها من مشروع « جامع الاحاديث » :

١) التيسير على الباحثين بالوصول الى المراد في وقت وجيز .

٢) معرفة طرق الحديث وقوته وضعفه .

٣) تكملة نص الحديث وتدارك ما فات في بعض رواياته او كتبه .

٤) تصحيح اسماء رجال الحديث ، وتوضيح المراد باصحاب الكنى والذين اختصرت اسماؤهم .

٥) معرفة الفاظ الاحاديث وذلك بحصرها وفهرستها والاستفادة منها في معاجمنا واساليبنا .

٦) الاستدلال على الشريعة وما استنبط من احكام .

٧) تروى في كتب التاريخ والادب وغيرها احاديث متصلة السند او منقطعة ، وهذا الكتاب الجامع يكون محكا وكاشفا لقوتها وضعفها .

هذا الى كثير من الدراسات التي يتيحها التنظيم الدقيق .

مثل من بعض ما نستفيد

فالحديث الاول في البخاري « مثلا » اذا رتبناه مأخوذا من المؤلفات التسعة التي سبق ذكرها نجده قد ورد في سبعة منها هي : ١) البخاري وقد جاء فيه في تسعة مواضع سبعة منها بسندها وهي في الجزء الاول صفحة ٢ وصفحة ١٦ والجزء الثالث صفحة ١٤٥ والجزء الخامس صفحة ٥٦ والجزء السابع صفحة ٣ والجزء الثامن صفحة ١٤٠ والجزء التاسع صفحة ٢٢ وجاء بعضه ترجمة للباب بدون سنده في الجزء السابع صفحة ٤٧ والجزء التاسع صفحة ١٩ . وجاء في صحيح مسلم بشرح النووي في الجزء ١٣ صفحة ٥٣ — ٥٤ وصفحة ٥٥ وجاء في النسائي في الجزء الاول صفحة ٥٨ — ٦٠ والجزء السادس صفحة ١٥٨ والجزء السابع صفحة ١٣ وجاء في ابي داود في الجزء الاول صفحة ٢١٨ وفي ابن ماجة ٤٢١٣ وفي الترمذي الجز السابع ص ١٥١ . وفي مسند احمد في موضعين ٢٥/١ و ٤٣ .

ولفتت ايضا حين نجز الكتاب نجده في اكثر مما ذكر ونتتبع سند الحديث نجده متفقا في سنده عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم عن علقمة

بن وقاص عن عمر بن الخطاب انه سمع رسول الله يقول .

ونجد ان الذين رووه عن يحيى بن سعيد من رجال الكتب الصحيحة الستة هم : حفص بن غياث ، وحماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وسليمان بن حيان ، وعبد الله بن المبارك ، وعبد الوهاب الثقفى ، والليث بن سعد ، ومالك بن انس ، ويزيد بن هارون .

يقول الحافظ بن حجر معلقا عليه فى كتابه « فتح البارى بشرح صحيح البخارى فى الجزء الاول صفحة ٩ ما يأتى .

« ثم ان هذا الحديث متفق على صحته ، اخرجه الائمة المشهورون الا الموطأ ، ووهم من زعم انه فى الموطأ مغترا بتخريج الشيخين له والبخارى ومسلم » والنسائى ، من طريق مالك .. » .

واذكر ان الاستاذ الجليل عبد الله كنون من كبار علماء المغرب ، وعضو مجمع اللغة العربية ، اخبرنى ان احدى نسخ الموطأ بالمغرب — ولعلها مخطوطة — فيها الحديث المذكور . فلعل هذه النسخة التى ذكرها الاستاذ كنون لم تقع للحافظ ابن حجر يوم ان كتب تعليقه فى كتابه « فتح البارى » . وللموطأ عدة روايات .

وفى الحديث الثانى الوارد فى البخارى « ان الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ .. » الحديث .

نجده ورد فى البخارى فى موضعين باسنادين وفى مسلم باربعة اسانيد وفى الترمذى باسناد واحد وفى النسائى بثلاثة اسانيد وفى الموطأ باسناد واحد وفى مسند احمد فى ستة مواضع بستة اسانيد ، كما نجده فى طبقات ابن سعد باسنادين احدهما منقطع ، وفى مجمع الزوائد باسناد منقطع وذكر ان الطبرانى رواه باسنادين ورجال احدهما ثقات .

ونرى ان السند يلتقى من هشام بن عروة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا الاسناد المنقطع فى طبقات ابن سعد ومجمع الزوائد

كما نرى انه رواه عن هشام فى هذه الاسانيد (١) مالك بن انس ، (٢) محمد بن بشر (٣) عامر بن صالح (٤) سفيان بن عيينة (٥) حماد بن اسامة ابو اسامة (٦) معمر بن راشد (٧) على بن مسهر

ويضاف الى هذا نص مثله متقارب رواه « عبد الله بن عمرو » فى مسند احمد .

علماء اخيار يدعون اليه

الحق ان مثل هذا الكتاب يفتح ابوابا للدراسات كبيرة تاهل ما فيها المقارنة والوصول الى كل ما هو حق الحديث ، مما يريح النفس ويبث الطمأنينة .

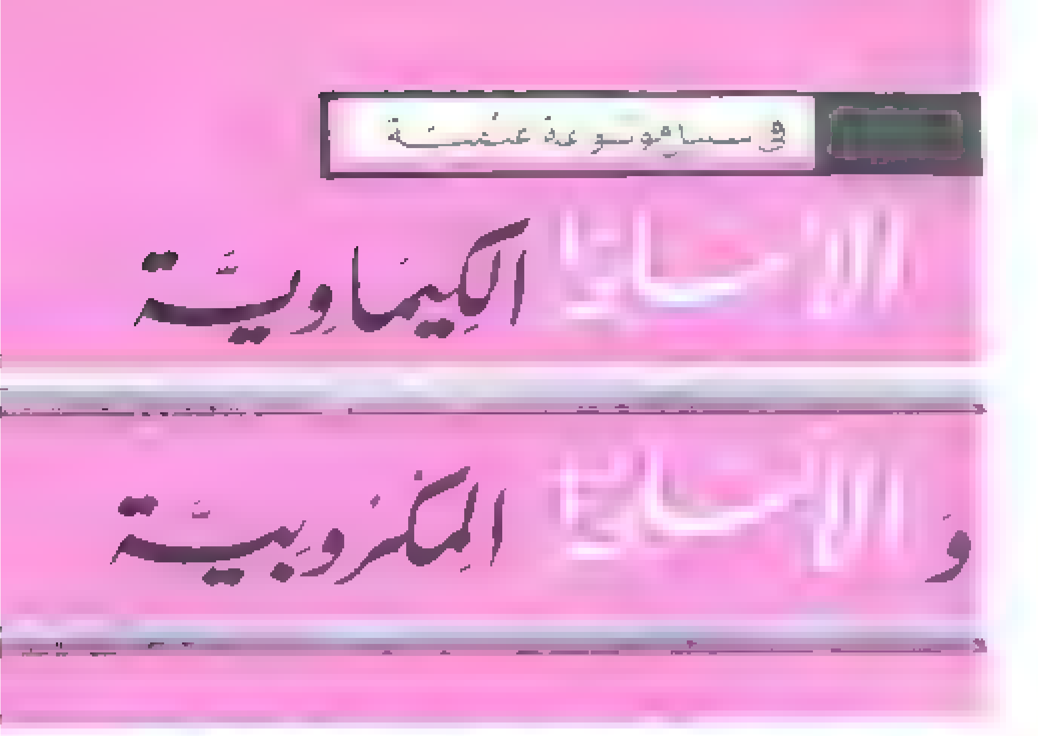
واذكر ان الدكتور « تشو هيكو ايزتسو » المستشرق اليابانى والاستاذ بجامعات اليابان ، وهو من اجل العلماء المتخصصين فى اللغة العربية والدراسات الاسلامية . وله فى ذلك مؤلفات ، كان حضر الى القاهرة على حساب مؤسسة « روكفلر » الامريكية فى طريقه الى اوربا والولايات المتحدة وكندا واقام فى القاهرة سنة ، دارسته فيها بعض الكتب العربية ، منها شرح الحماسة ، وعلم العروض . وكان ذلك بطلب منه ، واختيار لى من استاذنا الدكتور ابراهيم مدكور الامين العام لمجمع اللغة العربية . فلما عرف الدكتور « تشو هيكو » فكرة هذا الكتاب اكبرها وابدى استعداده ان يشرح على مؤسسة « روكفلر » ان تسهم فى هذا العمل او تتولاه . ولكنى افهمته ان هذا عمل ضخم ، ولا يستطيع القيام به فرد واحد الا من ناحية الاشراف ، وان يختار عشرات العلماء الواعين المخلصين القادرين الصبورين ليكفل له الدقة والاستيفاء وسرعة الانجاز .

كما اذكر ان الاستاذ ابراهيم اللبان عميد دار العلوم الاسبق وعضو مجمع اللغة العربية وعضو مجمع البحوث الاسلامية قال ان هذا خير ما يخدم به التراث الاسلامى .

ولقد زرت الاستاذ احمد حسن الباقورى ، عضو مجمع اللغة العربية ، حين كان مديرا لجامعة الازهر ، وذكرت له مشروع « جامع الاحاديث » فابدى نحو هذا العمل حماسة شديدة ، وايد ان يكون ذلك الكتاب الجامع اول ما يحتاج اليه المحدثون والمشرعون واللغويون ، كما شاركه فى هذه الحماسة الاستاذ الشيخ عبد الله المشد ، الذى كان معه فى ذلك الوقت .

وانى لا اذكر اراء بعض الاخيار من الرجالات فى مختلف الثقافات ، لاهيب على صفحات « العربى » بالافراد والجماعات قبل الحكومات ان يفكروا فى هذا المشروع الجليل ، والله الموفق الى ما فيه الخير والسداد . ■■

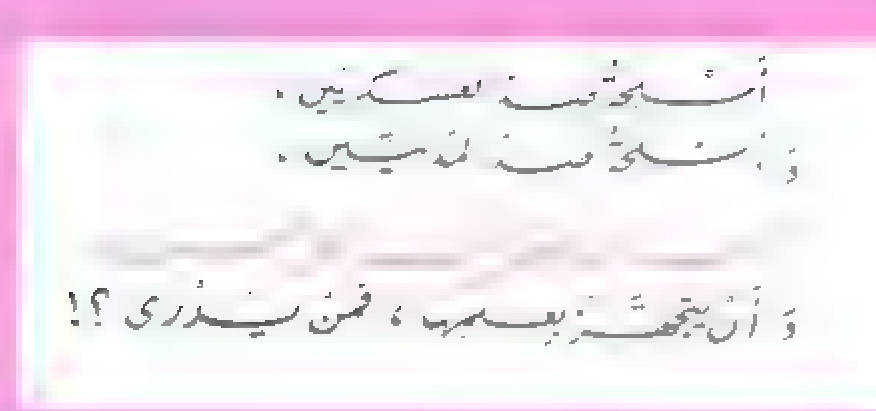
عبد الستار احمد فراج



في الحرب العالمية الثالثة

بقلم الدكتور أحمد زكي

الأسلحة الكيماوية في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨



فما ثبت الحال على ذلك رأى الألمان أن يخرجوا جند الحلفاء من خنادقهم بالغازات الخانقة والسامة يطلقونها عليهم .

وبهذا بدأ الصراع بالسلاح الكيماوي .

وبدأوا بغاز الكلور Chlorine ، يطلقونه من أنابيبه ، معتمدين في حمله إلى الأعداء ، على ريح مواتية تهب باتجاههم . وكان أثر هذا أول الأمر بالغا ، فلم يكن عند جند الحلفاء توقع لمثل هذا السلاح ، ولا كان عندهم منه وقاية .

ولكن سرعان ما جاءتهم الوقاية بعد أيام قليلة ، خرقة يبلّلها الجندي في محلول كيماوية ويربطها على فمه وأنفه فتعطي هي الكلور فتمنعه أن يدخل مع أنفاسه إلى رئته .

و... الألمان الغاز ، فصير الحلفاء [illegible]

العالمية الأولى وكاد الطرفان أن يتعادلا في أمر هذه الكيماويات وأمر الوقاية منها .

وكانت وسيلة الوقاية الأولى الكمامات المعروفة المشهورة عرفها كل من حضر سنوات هذه الحرب وما بعدها .

الغازات الخانقة

أما الغازات المستخدمة فكان أهمها تلك التي تعمل فعلها في مسارب الهواء إلى الرئة ، وقد ينتهي أمرها بصاحبها إلى الموت اختناقا .

ومن هذه ، غير غاز الكلور ، الفسجين Phosgene ، واسمه الكيماوي كلوريد الكربونيل (ك أ . كل ٢) ، أي Carbonyl Chloride ($CO.Cl_2$) ، والكلور والفسجين كانا يرسلان إلى جهة العدو محمولين على الريح التي تهب نحوه ، فيصلان ، وكأنهما قطع من السحاب تسير .





صورة لجندي وعلى وجهه كمامة ضد الغاز حديثة، فيها شيئان جديدان ، اولهما انه يستطيع ان يشرب ماء في علوث من غاروره دون ان يرفع عن وجهه الكمامة .. والثيهما انه يستطيع ان يتحدث من داخل الكمامة ويسمعه رفيقه الجندي.

الغازات المنفطة

ومن هذه الغازات « الغازات المنفطة » Blister Gases ، وهي في الحقيقة سوائل تمس الجسم فتنفطه ، اى تفرحه ، وتحول بين الجلد واللحم سائلا . وهي تضر بالانسجة ، وتصيب الاوعية الدموية . وتتصل بالعين ، وبأعضاء التنفس وغير ذلك . وهي سنوف . واليها تنسب اكثر اصابات الحرب العالمية الاولى .

واشهر هذه المواد ما عرف باسم غاز الخردل Mustard Gas . وسماه الجند بغاز لانهم ما عرفوه الا آتيا اليهم مع الهواء . وما هو بغاز ، فهو سائل له شكل الزيت ، يغلي عند درجة ٢١٧ مئويه . وسمي بهذا الاسم لانه ، وهو منتشر في الهواء ، يعطي الانف رائحة كرائحة الخردل ، ولكنها تزول بالتعود .

وتركيب هذه المادة هو عند الكيماويين Bis-(2-Chloroethyl) Sulphide وهذه المواد المنفطة كانت ترسل الى الاعداء في قنابل تنفجر فيهم فتنتشر هذه السوائل في الجو نثرا ، واجزاء صغيرة دقيقه .

الغازات المعطسة

وسوف نقول انها لم تكن غازات ، ولكن هكذا تراءت للجند ، وهكذا جرى هذا الاسم عليها ، اسم الغازات المعطسة .

والحق ان هذه المواد مواد صلبة متبلورة .

وهما اثنان اشتهرتا في الحرب العالمية الاولى ، صنعهما الالمان اولا . وتذهب القنبلة مليئة بهما الى الاعداء فتنفجر فيهم ، فتاتا دقيقا ، يدخل الى منافس الجند فيصيبهم على العطس غصبا ،



ان الغاز السام ، احد فظائع الحروب الحديثة ، اعمى هؤلاء الرجال ورجالا كثيرين غيرهم . وتراهم في الصورة يقود بعضهم بعضا، بالاذرع تمسك بالاكتاف .

واذن يطلبون الكمامات، واذن يتعرضون اثناء ذلك لغاز الخردل او نحوه .

الاسلحة الكيماوية ما بين الحربين العالميتين حرب ١٩١٤ وحرب ١٩٣٩

بين الحربين جرت مناقشات بين الدول رجاء الحد من استخدام الاسلحة الكيماويه وذلك تحت راية عصبة الامم في مدينة جنيف ، ولكنها لم تسفر عن اتفاق حاسم .

ولهذا حافظت الدول الكبرى على ما كانت تجرى من ابحاث في هذا السبيل خشية أن تؤخذ على غرة .

ومع هذا ، فالاغراء باستخدام السلاح الكيماوي ظل كبيرا لدى دولة متقدمة في الصناعة ، اذا هي خاصمت دولة متخلفة ، فوجب ان تقوم الحرب بينهما .

حدث هذا بين الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ، في ايطاليا ، وفي اليابان .

اما ايطاليا فحاربت اثيوبيا (او الحبشة عندما كنا نسميها عندئذ) ، وما لبثت ان رات الفرصة لها سانحة ان تنثر على الجيش الأثيوبي من الهواء غازا منفطا ، وكان هذا الغاز غاز الخردل Mustard Gas . ولم يكن عند الجيش الاثيوبي وقاية منه ولا رادع عنه . وما هي الا ايام قليلة حتى فقد الجيش الأثيوبي قدرته على القتال . كان هذا في يناير عام ١٩٣٦ .

وهنا هل استطيع ان اقف لاحذر العرب من مثل هذه النكبة . ان غاز الخردل يُخضع اي جيش كان ما كان مادام ليس لديه كمائم تحميه .

وكما فعل الطليان ، فعلت اليابان في حربها مع الصين (١٩٣٧ ــ ١٩٤٢) القت اليابان على جند الصين قنابل من الغاز ، غاز الخردل ، لتفك نطاقا ضربه الصينيون حول طائفة من جند اليابان .

سبب الاغراء واحد : ان العدو المتخلف ليس عنده اقنعة واقية . انها فرصة العمر .

الاسلحة الكيماوية في الحرب العالمية الثانية

كل الدول التي شاركت في هذه الحرب استعدت بكيماوياتها ، ولكنها لم تنزل بها الى الميدان . ان الحرب العالمية الثانية حرب بداها الالمان متحركة خاطفة Blitz ، فهي غير الحرب العالمية الاولى التي بدات حرب خنادق ، مكان لابد من تحريكها باخراج الجند من خنادقهم ، بالغاز .

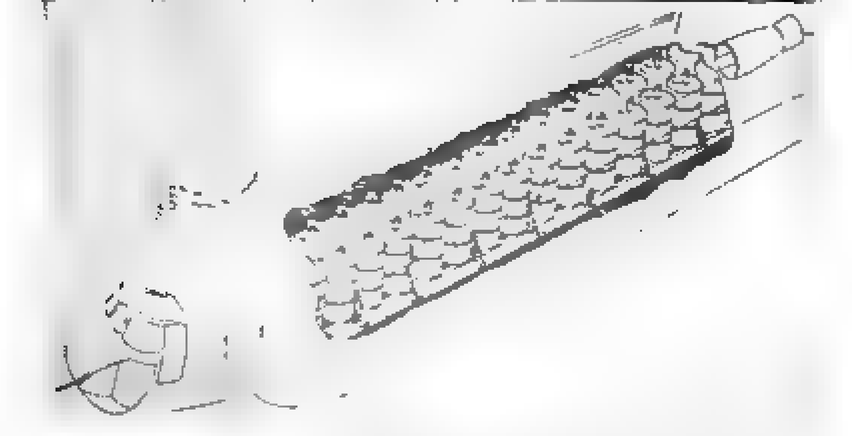
ولا شك انه كان من العوامل في الكف من استخدام الكيماويات في تلك الحرب استعداد الخصمين ، كيماويا ووقائيا ، لمثل هذه الحرب . فهذا تمنعه لم يكن عن عفة .

غازات الاعصاب : اسلحة كيماوية ابتدعها الالمان اثناء الحرب العالميه الثانية

وان تكن الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ــ١٩٤٥) قد خلت من استخدام الاسلحة الكيماوية ، فقد كان من أخطر ما حدث في اثنائها ما ابتدعه الالمان من مركبات كيماويه جديده أسموها بغازات الأعصاب ، كانت اشد سما من أي غاز سبق به علم ، واشد سما من غازات عرفتها الحرب العالمية الأولى .

ولم تستخدمها المانيا في هذه الحرب . ولعلها لم تفعل لانتهيبها لاستخدامها رامن ضياع سطوتها في الهواء .

ومع هذا ، فلا يزال اهل الراى يرون في المفعول القوى لهذه الغازات ما سوف يغرى باستخدامها في الحرب القادمة . حتى لقد قيل انه لو قامت حرب ذرية ، وقبع الجند في مخابئهم ، فلن يخرجهم منها الا هذه الغازات .



هكذا كانت تنسف القنابل الملوثة بالكيماوى ، العامل فى الاعصاب ، فى الطائرات العمودية ، طائرات الهلكبتر الامريكية ، لتلقى على الاعداء . وفى كل قنبلة ٨٠ رطلا من هذا الكيماوى السائل . وفى وسط كل قنبلة مفرقع يتفرقع عند وصوله الى الارض وينشر الكيماوى الذى فيها فى الاعداء .

وهي سوائل سريعة التحول ، من الكيماويات العضوية ، معقدة التركيب.

من اشهرها مادة اسموها تابون Tabun ، وتركيبها الكيماوى Cyano- Dimethyl- Amino-etho Xyphosphine Oxide .

وشبيه بها مادة اخرى اسمها سارين Sarin . واخرى اسمها سومان Soman.

غازات الأعصاب عند الولايات المتحدة مخزونة حاضرة

والولايات المتحدة عندها اليوم مخزون حاضر من مادتين من هذه العاملات في الأعصاب .

اولاهما ، وتعرف عندهم ، بالرمز G B وما هي الا المادة الالمانية التي ذكرنا باسم سارين ، وتركيبها الكيماوى Isopropyl - Methyl - Phosphoro - Fluoridate وهي سائل يتحول في درجة الحرارة العادية فيصبح غازا لا لون له ولا رائحة. وهذا يزيد في خبثه .

ويشربونه في العدو عندما يريدون رشاشا ، يتحول الي غاز ، خطره عظيم عندما يستنشق،حال لا تحميهم كمامات تمنع منه .

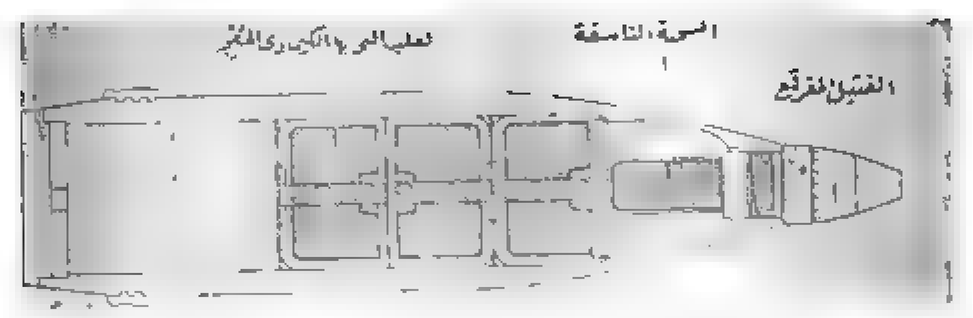
والتركيز الهوائي المطلوب من هذا الغاز ليكون قاتلا للانسان يكفي أن يبلغ ١٠٠ مليجرام منه في كل متر مكعب في الهواء ، تدخله كل دقيقة . ومعنى هذا أن بقاء انسان عشر دقائق في هواء بكل متر مكعب منه ١٠٠ مليجرام من الغاز تكفي لهلاكه .

اما المادة الثانية ، العاملة في الأعصاب، التي عند الولايات المتحدة مخزون حاضر منها اليوم ، فهي مادة يرمز اليها بالرمز VX . ولا يزال تركيبها الكيماوى سرا محجوبا . وهم كشفوها في السنوات الخمس الماضية من هذا القرن عندما كانوا يبحثون عن مبيدات حشرية جديدة.

وهذه المادة سائل، مثل مادة سارين، الا انها ابطأ تحولا منها . وهي اقتل منها بضع مرات .

وهي تقتل عند استنشاقها ، او عند سقوطها على الجلد . وتقتل في بضع دقائق . ويكفي لذلك أن يصيب الجلد منها ١٠ مليجرامات فقط . وهي لا تكفي فيها الوقاية بلبس الكمامة الخاصة ، فلا بد من لباس واق كامل يستر الجسم . وهذا فيه من تعطيل لحركة الجسد ما فيه .

وكما عند الامريكان من غازات



قذيفة امريكية ترسلها المدفعية الى الاعداء . والصورة واضحة . فالفتيل يشتعل فسبب اشتعال الشحنة الناسفة ، وذلك عندما ترتطم القذيفة بالارض . وعندا النسف ينتشر الكيماوي القاتل في الاعصاب بين جند العدو . اما القذيفة فتزن ١١ كيلوجراما، واما مداها الذي اليه ترسل فنحو ١٥ كيلومترا .

اعصاب ، يوجد لا شك عند الروس وغيرهم .

من اجل هذا ليس من صالح الامم الصناعية المتقدمة ان تبدأ بالحرب الكيماوية ، لاعصاب كانت او غير اعصاب . فالانتقام حاضر ، والتجهيز واحد ، والقدرة متقاربة . وانما تصلح الحرب الكيماوية وغير الكيماوية بين بلد متقدم وآخر متخلف .

وهنا لا بد ان اعود الى الحرب فأحذر من الغد المجهول .

فعل غازات الاعصاب في الانسان

بقي ان نذكر كيف تعمل هذه المواد في الانسان .

انها تتدخل في انتقال النبضات العصبية من خلية من خلايا الاعصاب الى اخرى . وهي تتدخل بأن تبطل عمل الانزيم المعروف باسم Choline - Esterase فهو الذي يحدد حاملة نبضة من خلية عصبية الى اخرى، فهو يضبطها . وغازات الاعصاب تدع هذه النبضات تجري بدون ضابط ، وينتج عن هذا ارتطام التنفس ووظائف اخرى . والموت الذي يحدث من جراء ذلك يسببه عادة تعثر في

البصر ، وسيلان ريق شديد ، وتشنجات جثمانية .

اسلحة كيماوية معجزة ، غير قاتلة

الحق ان التفرقة بين الكيماويات القاتلة وغير القاتلة عمل صعب ، فاثر هذه الكيماويات يختلف اختلافا كثيرا للظروف القائمة .

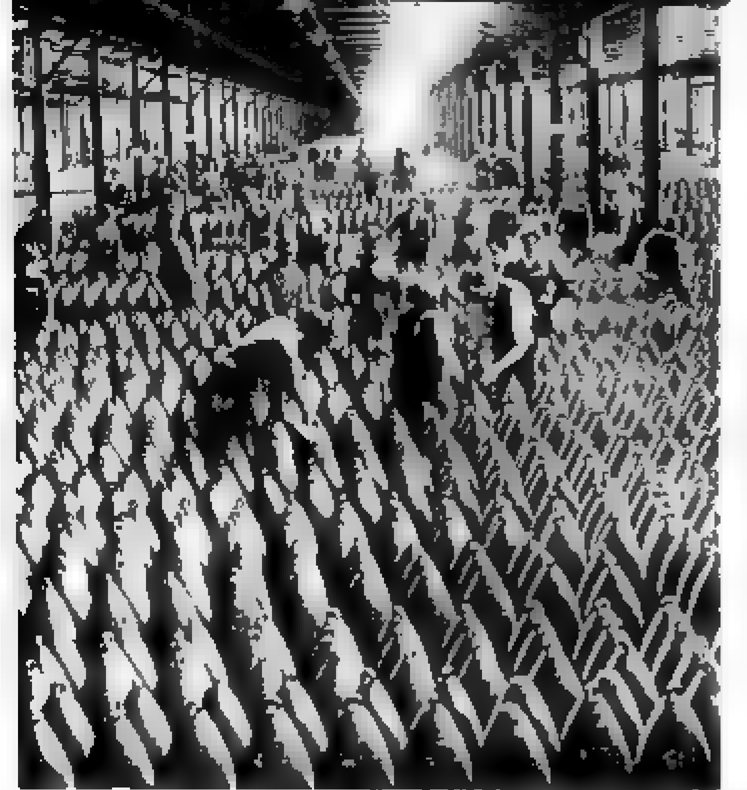
وكثير من الكيماويات التي عدت خطيرة ، من كيماويات الحرب العالمية الاولى ، دلت الاحصاءات التي صحتها على ان نسبة الوفيات فيها الى الاصابات بها ، كانت ٢ ، ٣ ، ٥ ، ١٠ في المائة .

اما انها معجزة ، فحق . تعجز المعتدى من القيام بعمل المعتدى .

اما انها قاتلة ، فهي قاتلة بمقدار هذه النسبة ، وكذلك بمقدار ما عند المعتدى من وقاية او لا وقاية .

على ان من الكيماويات ما تقل بسهولة ان نسميها معجزة غير قاتلة ، كتلك التي تثير الدموع ، (مثل Chloroacetophenone) ، او تلك التي سبق ذكرها وهي تثير العطس .

وهذه الكيماويات قيل انها اصلح في البيئة المدنية لتفريق المظاهرات ونحوها،



لا تزال الاخطار الناشئة من اسلحة الحرب ، وهذا مصنع بريطاني للذخيرة في الحرب العالمية الماضية . واحتاج الى المجهود البشري الهائل ، ففتحوا له الباب واسعا ، فدخل منه عدد من النساء لم يسبق له مثيل . ولهذا المصنع اشكال كثيرة .

وانها لاتسمع في حرب . وقال آخرون بل تسمع ، لأنها تسحر وتسل عن عمل الحرب . وقد سبق أن عرضنا مثلا للغاز الخانق بتخريج المختبئين من العدو من مخابئهم ليتعرضوا على الفور لرصاص البنادق او قنابل المدافع .

والأسلحة المعجزة، تعجز لمدة قصيرة، او لمدة طويلة .

واشهر المواد المعجزة ، القصيرة الاعجاز ، التي تستخدم اليوم في حرب ، هي المادة التي يرمز اليها بالحرفين CS وهما مأخوذان من اسمي رجلين صنعاها او حسنا صنعها ، وهما انجليزيان .

اما تركيبها الكيماوي فهو Orthochloro - Robenzal - Malononitrile .

اما اثرها في الجسم فالم شديد في العين ، وفي مسالك الأنفاس الى اقصى اعماقها،محدثة احساسا انه باختناق، وقلقا في النفس شديدا . وفي الجو الرطب تحدث في جلد الانسان نقطا يحتاج ليبرأ الانسان منه الى ايام عديدة .

والتعرض العادى لهذه المادة لم يثبت انه احدث موتا .

وقد استخدمتها الولايات المتحدة بكثرة في حرب فيتنام ، فقد استهلكت فيها من هذه المادة ١٤ مليون رطل .

الأسلحة الكيماوية قاتلات الأعشاب والمحاصيل والنباتات عامة

هذا نوع جديد من الحروب ، ان يحرم العدو من غذائه، او تحرم ماشيته من عشبها فتموت ، وتبدل بذلك في صور الارض تبديلا .

انها مواد اكتشفت اثناء الحرب العالمية الثانية لاغراض حربية ، ولم تستخدم فيها ، ولكنها استخدمت بعد ذلك لازالة العشب الضار بالارض .



هكذا قامت الولايات المتحدة بتعرية الغابة الفيتناميين الشماليين بواسطة مبيدات النباتات نشرها عليهم بواسطة الطائرات . ومن عام ١٩٦٢ الى شهر مايو عام ١٩٧٠ بلغت الطلعات التي خرجوا بها لهذه الغابات ١٩٠٠٠ طلعة . وكانت الطائرة الواحدة ترش في الطلعة الواحدة مساحة عرضها ٣٠٠ قدم وطولها ١٠ اميال . ومع اتلاف الغذاء في الحقول عروا الاشجار من اوراقها في الغابات .

حتى اذا جاءت الحرب القائمة وجدت الفرصة متاحة لاستخدامها في اغراض شتى .

اولها : اعدام المحاصيل حتى يجوع العدو .

وثانيها : ازالة الاوراق من فوق الاشجار في الغابات حتى لا تقف عقبة دون الرؤية .

ولم ينتصف عام ١٩٦٩ حتى كانت الولايات المتحدة رشت في فيتنام ، بقصد هذه الاغراض ، نحو ٥ مليون فدان .

واحد هذه المواد تركيبه الكيماوي هو 2,4 - Dichloro - Phenoxy - Acetic Acid والمواد الاخرى شبيهة بهذه .

ورش هذه المواد مثير لعجيب على مساحات الغابات ، فلا تلبث أن تتعرى الاشجار من اوراقها ، وذلك بعد اسبوع او يزيد قليلا .

ومادة أخرى ، تركيبها الكيماوي Sodium Dimethyarsonate ، تستخدم لاتلاف الارز في مزارعه .

الاسلحة الكروبية

ولعل اخبث الاسلحة هي الاسلحة البيولوجية ، الاسلحة الكروبية .

ولنضرب مثلا بمرض الجمرة الخبيثة Anthrax ، وهو مرض يصيب الماشية عادة ، وقد ينتقل الى الانسان . وله بكتير له شكل العصيه .

بهذا البكتير لو رشته طائرة في السماء فوق بلد ، فانتشر فيها ، كانت له نتائج بالغة الخطر . ان جزءا من مليون جزء من الجرام من هذه الجراثيم ، يستنشقه انسان ، يصيبه بالجمرة الصدرية . واعراضها تشتبه اولا باعراض البرد .

غابة بالقرب من مدينة ابر Ypres ببلجيكا ، صنعت بها المعارك الثقيلة ، في الحرب العالمية الاولى ، ما ترى . جردت اشجارها تجريدا . واليوم اخترعوا من المواد الكيماوية ما يجعل الشجر يسقط اوراقه ويصبح هكذا عاريا .



وهي قاتلة اذا لم تجد العلاج السريع العاجل . وهيهات أن تكون سريعة ، والمرض غير معروف ، والمرضى الوف الوف . ان هدف السلاح البيولوجي قتل الرجال . وفي المدن قتل الأحياء من الناس ، رجالا ونساء واطفالا ، وهو يبقي على المنازل والعقارات . فهو أكثر اغراء للعدو الغازي، لا سيما الاسرائيلي، الذي يطلب ارضا وعقارا واناسا غير ناس .

وكمرض الحمرة مرض الحمى الصفراء ، والطاعون ، والكليرة ، وغيرها .

ونعلم أن لكثير من هذه الامراض لقاحات مضادة ومبيدات حيوية تشفي منها ، ولكن مبادأة العدو قد تعجز اهل الوقاء عن الوقاء .

ومن الاسلحة البيولوجية اسلحة ، لا للقتل ، ولكن للتعجيز ، ثم يسترد العاجز قدرته بعد حين . ومن امثلة هذه حمى دماغ الخيل الفنزويلية .

فهذه لها فيروس يجري في الناس وباء ، ويبلغ موتاه نحو ٥ في المائة من المصابين .

وهذا يقودنا الى القول ان التفرقة بين السلاح البيولوجي القاتل والمعجز تفرقة غير حاسمة . ففي السلاح المعجز ما يميت .

السموم

هي نوع من المواد ، لا هو حي بيولوجي كالمكروب يتكاثر بالتناسل ، ولا هو كيماوي مخلق تخليقا كالغازات الخانقة في الصدر والأخرى المتلفة للجلد .

وانما هي مواد كسم العقرب أو سم الثعبان .

انه من اصل حيوي بيولوجي ، هو العقرب . ولكنه لا يتكاثر كالمكروب .

وهو مع هذا ليس بمادة كيماوية تخلق في المختبرات .

ومن هذه السموم سموم تخرجها صنوف من البكتير تختلط بالطعام ، فتحدث منها حوادث التسمم التي تقع في المدارس والحفلات .

ومن امثال هذا السم المعروف بالبتيولين Botulin ويصنعه البكتير Clostridium Botulinum وهو سام جدا .

وهو اذا استخدم يكون على هيئة قنابل تحشى به ، ثم تسقط في الحشد من طائرة او نحوها ، وتتفرقع فينتشر منها السم . وهو لا ينفذ في الجلد ، والذي تكفي للوقاية منه الكمامة . وقد يحصن الحشد باللقاحات المضادة حيثما أمكن ذلك .

على ان هذه السموم قد يستخدمها الرجال المدسوسون اذ يتسللون بلاد العدو فيلوثون بها مصادر الماء والطعام في المدن ، فتكون اداة للتخريب واشاعة الفوضى بين السكان اكثر منها للحرب السافرة .

احتمال قيام حرب كيماوية او حرب بيولوجية

انه احتمال بعيد ان تقوم هذه الحروب بين دولة ذات حضارة متقدمة واخرى مثلها . فكل اعد العدة لها ، هجوما ودفاعا .

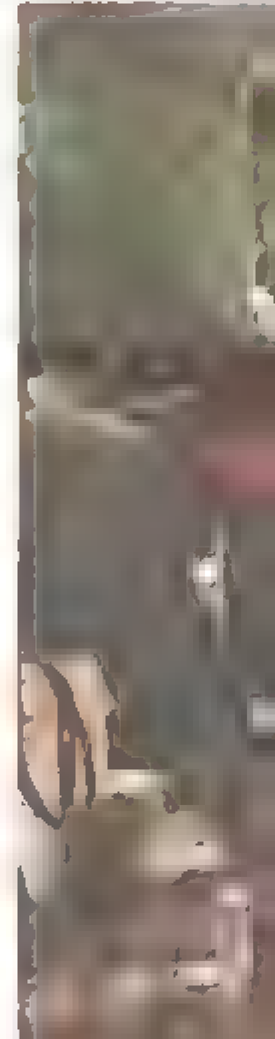
ولكن احتمال قيامها كبير اذا كان احد الطرفين من التخلف بحيث لا يستطيع دفاعا . أو اذا كان الطرف الآخر المتحضر لا يعرف من قيم الحياة الا القلة يركب اليها كل مطية ، ويرتكب في سبيلها كل الآثام . ●●

احمد زكي

الإسفنج الاصطناعي

حل محل الإسفنج الطبيعي في أكثر استعمالاته
وحل محل القطن في بعض الأفرشة والحشايا







■ هذا الاسفنج الاصطناعي الذي حل كثيرا محل الاسفنج الطبيعي ، وهذا سائل معد لتحل مكانة القطن في العديد من الحشايا في المنزل .. هذا الاسفنج بدأت الكويت تنتجه في مصنعين كبيرين ، كل مستقل عن الآخر ، وباستطاعة انتاجهما معا الوفاء باحتياجات الكويت وشبه الجزيرة العربية كلها !

سائل يصبح اسفنجا !

وامام الآلة الكبيرة التي تصنع هذا الاسفنج ، وقفنا نتطلع الى سائل ملون يتدفق من انبوبة متحركة ذات اليمين وذات اليسار .. وينصب على شريط عريض من الورق يحمله حزام متحرك سريعا .. وما يكاد السائل يبتعد عن الانبوبة بمقدار متر واحد حتى يبدأ ينتفخ ، ويأخذ في الارتفاع تدريجيا وهو لايزال يتحرك ، وبعد فترة يهبط عليه منشار كهربائي دوار يقطعه كتلا طول كل منها متران وعرضها (وهو عرض الشريط) ١٥٠ سنتيمترا وارتفاعها ٧٠ سنتيمترا .. وكل هذا واضح في الصور .

محاولة فاشلة !

اما هذا السائل الذي يتحول الى اسفنج ، فقد ظننت انني قد فهمت الطريقة الكيماوية التي يعالجونه بها .. وعرضت ما تصورت انه تبسيط للعلم — على الدكتور رئيس التحرير .. فكانت النتيجة قهقهة مدوية ، افلتت بعدها من هذا الظن .. لانه اتضح ان التركيبة الكيماوية التي تصورتها ، هي في الحقيقة اقرب الى صنع قالب كيك حقيقي ، منها الى صنع قالب الاسفنج !!

لهذا كانت النبذة المنشورة مع هذا المقال وفيها يشرح الدكتور رئيس التحرير التركيب الكيماوي للاسفنج الاصطناعي .

تجارب صعبة !

لقد بدأ العمل في اول مصنع للاسفنج الاصطناعي بالكويت في اكتوبر عام ١٩٦٨ وكانت مطاردة متعبة يروي مدير المصنع تفاصيلها بقوله :

— لقد قمنا بعمل دراسة كاملة لحاجة السوق فوجدنا ان انشاء مصنع محلي للاسفنج الاصطناعي امر ضروري في الكويت . وفعلا استوردنا الآلات .. وجلبنا معها اثنين من الخبراء الاجانب في هذه الصناعة ، لانها صناعة جديدة ليس لنا فيها اية دراية ، وكان واحد من الخبيرين لادارة الآلات والثاني لتحضير المواد الكيماوية .

وبدأنا التجارب .. وبدأت الصعوبات تظهر في الطريق .. حرارة الكويت الزائدة في الصيف تزيد من تفاعل المواد الكيماوية بسرعة غير مطلوبة ، مما يفقدها مزاياها .. لهذا اضطررنا الى عمل الأقسام بأكملها مكيفة الهواء ، وخاصة المخزن الذي تحفظ فيه المواد الكيماوية الخام ..

« اضف الى ذلك تأمين اليد العاملة الخبيرة .. فقد استغرق تدريب العمال وقتا طويلا حتى اصبحوا ذوي خبرة في هذه الصناعة المعقدة ، فهي تعتمد على درجة الحرارة والرطوبة وصفاء الجو .. وفي حالة تبدل درجات الحرارة ، لا بد من ادخال تعديل في تركيب المواد الكيماوية ، حتى نحصل على النوع المطلوب تماما من الاسفنج » ..

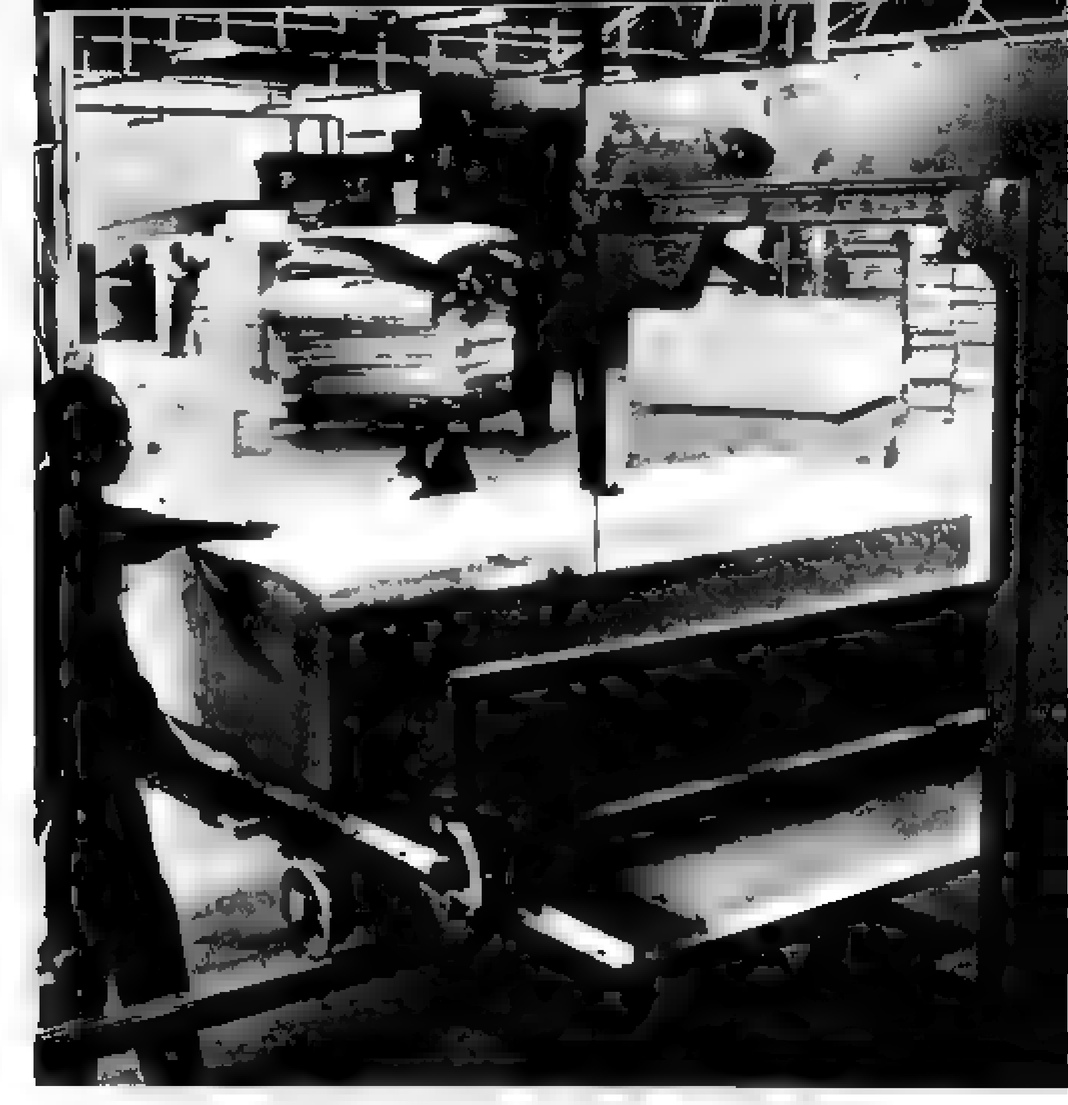
التاجر والصانع ، والمعركة التقليدية

وعندما بدأ انتاج مصنع الاسفنج الاصطناعي في النزول الى اسواق الكويت ، وجد منافسة شديدة من تجار الاسفنج المستورد من الخارج ، فالبضاعة موجودة عندهم استوردوها من فترة طويلة وكدسوها في مخازنهم ..

والتجار في الكويت لهم وزنهم ونفوذهم وكان الاقتصاد الكويتي دائما اقتصادا حرا ، والتجارة تجارة حرة .. لكن هذا عندما لم تكن في الكويت صناعة من اي نوع .. اما اليوم وقد بدأت المصانع تكثر في الكويت ، فان المعركة التقليدية بين التاجر والصانع ، في هذه الفترة الانتقالية ، بلغت مرحلة حاسمة ، ستأخذ طابعا وشكلا نهائيا في فترة قريبة ..

الانتاج المحلي يفوق الانتاج المستورد !

ونزل الاسفنج الاصطناعي الاسواق المحلية . وسرعان ما بدأ يحتل مكانا مرموقا ، اذ اتضح ان الاصناف المستوردة تستعمل خامات اولية رخيصة . وكان هذا حافزا لاصحاب المصنع ان يحسنوا انتاجهم فاصبحوا لا يستعملون الا احسن المواد



بعد أن يجف قالب الاسفنج يوضع على هذا المنشار الكهربائي لقصه الى المقاسات المطلوبة

الخام في العالم ، يطلبونها بأسعار مرتفعة ، ومنها أحدث الأثاثات . فجاء الانتاج الكويتي أفضل من أي انتاج عالمي آخر موجود في الأسواق .. وكانت النتيجة أنه بعد مضي سنتين فقط من العمل ، أصبح ٨٠٪ من استهلاك الكويت يغطيه انتاج مصنع الاسفنج الاصطناعي المحلي .

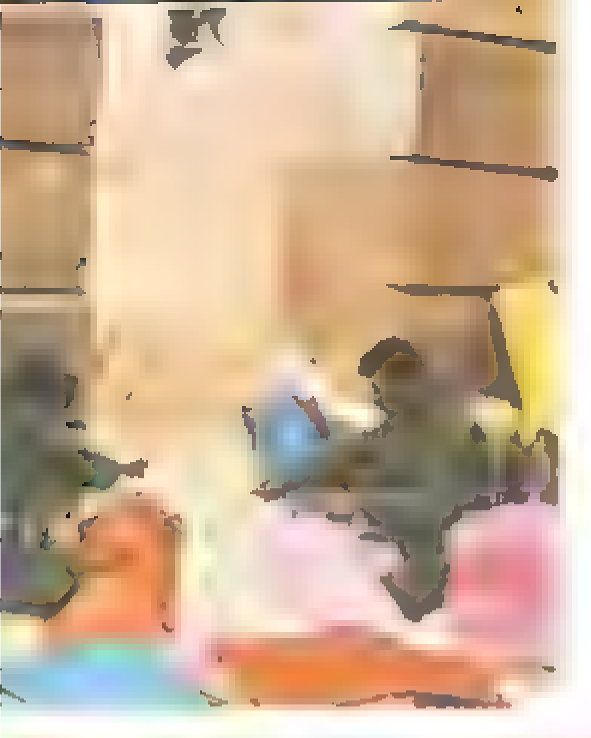
التصدير للخارج

ان المائة والعشرين طنا التي يبيعها المصنع الأول في أسواق الكويت سنويا لا تمثل الا عشرة في المائة من قوة انتاج المصنع ، الذي يمكن أن يصل انتاجه الى ألف طن سنويا .. لهذا اتجه أصحاب المصنع الى الأسواق الخارجية يصدرون اليها انتاجهم الذي أصبح معروفا في أسواق البحرين وعدن وابو ظبي..وهناك طلبات للتصدير الى السودان ومصر وتنزانيا ، حتى يوضع توزيع تحت استيراد الاسفنج الاصطناعي الذي تنتجه الكويت ..

الاسفنج في حياتنا اليومية

ان الاسفنج الاصطناعي لم يعد من الكماليات ، بل من الضروريات .. وخاصة في صناعة الأثاث كالمقاعد فبدلا من تنجيدات وضع الزنبرك الحديدي والقش والقطن ، أصبحت قطعة من الاسفنج







الاصطناعي كآلية ثانية تمتص الضغط الذي تؤديه المواد الثلاث .. وبهذه الوسيلة تخف الضغط على العامل في المصنع فتتضاعف انتاجيته .

وكذلك في الحشايا والفرشة اليوم .. كنا نملؤها سابقا بالقطن ، اما اليوم فقد حل الاسفنج محل القطن .. واصبح بمقدورنا استعمال القطن الذي كنا نضعه في المرتبة ، في النسيج لتنتج ٥٠ مترا على الاقل من القماش .. يضاف الى هذا ان مرتبة الاسفنج صحية ومريحة وتعمر طويلا ولا تحتاج الى ندف وصيانة ، واخف وزنا من القطن بمقدار النصف تقريبا ..

ولقد تشعبت مجالات استخدام الاسفنج الاصطناعي فدخل في ملابسنا بطانة لبعض الملابس الخارجية بدلا من الشعر والقطن .. ودخل الى المطبخ والحمام لتنظيف الاجسام والاواني .. وتسرب تحت السجاد والابسطة يوضع تحتها ليمنع عنها الرطوبة والحرارة ، ويشعرك شعورا بالطراوة الزائدة عند السير على السجادة .. حتى في تجليد الكتب ، وديكور المنازل اصبح الاسفنج الاصطناعي يؤدي فيه دورا هاما رائعا ..

المصانع المحلية تخفف متاعب التاجر والعامل

ان وجود مصنعين للاسفنج الاصطناعي في الكويت قد خفف الكثير من الاعباء على التجار والصناع ، فالتاجر لم يعد في حاجة الى فتح اعتمادات مالية ، ولا الى استئجار مخازن لحفظ الاسفنج المستورد لان بامكانه طلب الكمية التي يريدها ، وفي الوقت الذي يريده ، فتصله مباشرة من المصنع الى باب متجره مباشرة خلال فترة يومين ، دون ارهاق او تعب له !

وكذلك الصانع ، ما يكاد يطلب اللون الذي يريده ، وحجم قطعة الاسفنج التي يريدها ، حتى تصله الى باب مصنعه حسب طلبه تماما ، دون حاجة الى قص او تقطيع .

تقوم هذه الآلة بقص كتل الاسفنج الى شرائح كبيرة تتراوح سمكها بين ٢ و ٣ سنتيمترا حسب الطلب



نطالب بالحماية الجمركية

وبالرغم من هذا النجاح النسبي الذي حققته صناعة الاسفنج الاصطناعي بالكويت ، فلا يزال اصحاب المصنعين يطمحون في اشياء كثيرة ، قالوا :

« انا نطالب الحكومة بحماية هذه الصناعة الناشئة ، اننا نبذل جهدا كبيرا من اجل تطوير صناعة هذا الاسفنج .. ونعمل جميعا من اجل ازالة الفكرة العالقة باذهان الناس والتي تقول : « ان كل فرنجي برنجي » انها فكرة لا يمكن ازالتها الا اذا ساعدتنا السلطات المسئولة مساعدة جدية .

« ان الحكومات المجاورة للكويت تعطي اعانة تصدير لمصانعها تبلغ ٤٠٪ من قيمة البضاعة ، حتى تشجع المصانع وتساعدها على تخفيض اسعارها الخارجية .. كما انها تفرض ضرائب مرتفعة جدا على الاسفنج الاصطناعي المستورد من الخارج .. وتعطي القروض الصناعية بدون فائدة لاصحاب المصانع .. هذا ما تقوم به الدول المجاورة لنا لتشجيع مصانعها .. وهذا ما نطالب به حكومتنا .. »



بعد انتهاء عملية قطع كتل الاسمنت الكبيرة تتجمع بعض الرواسب ، وهذه تدفع الى ماكنة خاصة تقوم بطحنها وتحويلها الى قطع صغيرة لاستعمالها في [illegible]

لجنة تنمية الصناعة ترد على الصناع

واتجهنا الى وزارة التجارة والصناعة وقابلنا المسئولين في لجنة تنمية الصناعة ، وعرضنا عليهم حديث الصناع فقالوا : « ما من شك ان تغيرات كبيرة حدثت على الشكل التكنولوجي للصناعة في الكويت .. فقبل عام ١٩٥٦ كانت الصناعة تعتمد على عملية او عمليتين بسيطتين .. كلحام قضيب حديد بالآخر ، او احضار رمل واسمنت وخلطهما .

اما اليوم فقد تبدلت هذه الصورة واصبح عدد العاملين في الصناعة بالكويت ١٥ الفا و ٦٠٧ اشخاص ، ورأس مال المصانع العاملة يبلغ ٦٢ مليون دينار .. لقد انتقل الصانع الى مرحلة جديدة .. مرحلة الدخول في عمليات صناعية معقدة نسبيا .

تشجيع الصناعة وحماية المستهلك في آن واحد

ويستطرد المسئولون في لجنة تنمية الصناعة قائلين :

ورغبة من الوزارة في تشجيع هذه الصناعات الناشئة قامت بتقديم اعفاءات جمركية على المواد الاولية التي تستعملها المصانع وعلى الآلات وقطع الغيار .. كما اننا عملنا على ترسية المناقصات الحكومية على المصنوعات المحلية حتى لو كان سعرها يزيد ١٠٪ على سعر مثيلتها من البضائع المستوردة .. وهذا في حد ذاته يعتبر تشجيعا للصناعات المحلية ، ولتحبيذ الاجهزة الحكومية لاستخدام المنتجات المحليه .. ان هدف الدولة هو الا يكون تشجيع الصناعات المحلية على حساب المستهلك .. وان نجعل من الكويت سوقا حرة لكل منافسة مشروعة ، والنهوض بنوعية المنتجات المحلية بما يضاهي المنتجات المستوردة من حيث النوعية وليس من ناحية السعر فقط .

لا نوافق على منع الاستيراد

ولجنة تنمية الصناعة لا تحبذ اعتماد الصناعة المحلية على منع الاستيراد ، الا في الحالات التي ترى فيها المنافسة الاجنبية منافسة غير مشروعة تهدف الى اغراق الاسواق للقضاء على الصناعات المحلية .. كما حدث بالنسبة لصناعة الانابيب المعدنية والاسبستت والطحين .

الا ان الحكومة من جانبها تدرس حاليا الانظمة التي تعمل بها الدول الصناعية الاخرى بالنسبة لاعانات التصدير والرسوم الجمركية حتى يمكن تطبيقها على المنتجات المحلية ، مع ضمان تطور الصناعة المحلية الى الافضل من حيث الجودة .

قروض صناعية .. وبنك صناعي

اما بالنسبة للقروض الصناعية ، فقد حددت الدولة الفائدة على القروض التي تقدمها البنوك التجارية بحد أقصى مقداره ٧٪ فقط ، وتعتبر هذه النسبة اقل نسبة تتقاضاها البنوك التجارية.

والى جانب هذا يقوم بنك التسليف والادخار بمنح القروض الصناعية للمصانع المحلية بفائدة ٢٪ فقط .. وقد استهلك الصناع مجموع المبالغ المخصصة لاقراضهم ، والتي بلغت ثلاثة ملايين من الدنانير الكويتية. وتجري حاليا الدراسات من اجل انشاء بنك صناعي مع الاجهزة الدولية ، وما من شك ان هذا البنك سوف يوفر الخدمات الصناعية للمصانع المحلية الى جانب منح القروض الصناعية بفوائد بسيطة ومدة استهلاكية طويلة ..

٣½٪ من الدخل القومي

ويتابع رجال لجنة تنمية الصناعة كلامهم بقولهم

« ان الصناعة في الكويت لا تساهم حاليا باكثر من نسبة ٣٫٥ من الدخل القومي للبلاد وهدفنا العمل على تنشيط القطاع الصناعي حتى يمكن له مضاعفة مساهمته في هذا الدخل ، وذلك عن طريق ادخال بعض الصناعات التي تعتمد جزئيا على تغطية احتياجات السوق المحلية ، وصناعات تعتمد كليا على التصدير » .

تجاوزت مرحلة الحضانة

وهنا انتهى حديث المسئولين في لجنة تنمية الصناعة ويبقى كلمة لا بد منها ، وهي ان بعض الصناعات في الكويت ومنها صناعة الاسفنج قد اجتازت مرحلة الحضانة ، ولكن لا بد لها ان تسير ، وحتى يمكن ان تنطلق فلا بد للصناع ان يعملوا جاهدين على تسويق منتجاتهم ويبذل كل مساعيهم للحصول على اكبر نسبة من احتياجات السوق المحلية بالتعاون مع التجار المحليين على الاسس التي تتم بها مستورداتهم ..

ان نهضة الامم وحضاراتها في هذا القرن تقوم اساسا على الفكر العلمي والنتائج الصناعية التي تحققها .. فما من دولة ملأ اسمها الآفاق الا وكانت الصناعة اساسا لها .. وتقف الكويت اليوم في بداية الطريق ، وعلى الصناع ان يتابعوا السير على هذا الدرب .

س . ز



فكرة عابرة عن تركيبه وصنعه

■ ويسميه صانعوه من الافرنج بالمطاط الرغوي اي ذي الرغوة Foam Rubber ، وذلك لما يتخلل مادته من خلايا ومسام مملوءة بالهواء ، وهو لذلك كالاسفنج ، وهو طري يلين كالاسفنج ، وينضغط مثله ، ومن اجل هذا سميناه بالاسفنج الاصطناعي ، ويجوز ان نسميه ايضا المطاط الرغوي كما سماه صانعوه .

التكاثف السلسلي في صناعة المطاط الاصطناعي

وتسميته بالمطاط تسمية ناقصة ، لأنها تربط في الذهن بينه وبين المطاط الاصطناعي Synthetic Rubber من حيث تركيبه .

وقد ذكرناه ، نعني المطاط الاصطناعي ، في مقال الكيماويات البترولية في « العربي » بعدد ديسمبر ١٩٧٠ صفحة ٤٢ ، وذكرنا انه يصنع بعملية التكاثف السلسلي ، او التبلمرة Polymerisation معا فيها بمركب عضوي ، مثل ايسوبرين isoprene ، ورمزه الكيماوي

$$CH_2 = C(CH_3) - CH = CH_2$$

فيتهيا للتشابك والتفاعل الكيماوي بان يبدل في روابطه الكيماوية ليصبح

$$CH\text{-}C(CH_3) = CH - CH_2 -$$

وهاتان الرابطتان الحرتان الطرفيتان مستعدتان

لربط هذا الجزيء بآخر له من على اليمين ، وبآخر من على اليسار . ومن هذا الربط تخرج سلسلة من ثلاث جزيئات من الايسوبرين ، يخرج من طرفيها رابطتان حرتان أخريان تطلبان اتحادا بجزيئات اخرى من الايسوبرين . وهكذا حتى يتألف من ذلك سلاسل طويلة من جزيئات المطاط الاصطناعي الجديد .

ويجوز ان نكثف بين مركبين بسيطين مختلفين ، مثل الايسوبرين Isoprene والنيوبرين Neoprene لينتج من ذلك نوع من المطاط آخر .

التكاثف السلسلي في صناعة الاسفنج الاصطناعي

اما الاسفنج الاصطناعي او المطاط الرغوي الذي نحن بصدده فيدخل في صنعه مركبين البسيطين ، الأول Tolylene diisocyanate ، والآخر مركب ادركسيلي في تركيبه كثير من المجموعة الادركسيلية O H (Polyol) او عدد من الاسم المسمى O me (Polyether) ، ويتكاثف المركبان بالتسلسل فيجعل مادة الاسفنج المطلوب . والدخول لتفاصيل ذلك يبعد بنا عن القصد الذي نريده .

ثم غاز ينفش مادة الاسفنج

وهذا المركب البسيط الأول الذي ذكرناه في التكثف السابق ، أي Tolylene Di - Isocyanate يتفاعل فائض منه مع الماء ، فيخرج من هذا التفاعل غاز ثاني اكسيد الكربون ، وهو الذي ينفش مادة الاسفنج ، ويملأ مسامها وخلاياها ، الى ان تتجمد وتثبت على حال ، فيحل الهواء محل ثاني اكسيد الكربون .

ويخرج مع ثاني اكسيد الكربون مع هذا التفاعل المذكور « امين » عضوي عطري Aromatic amine لا يلبث ان يتفاعل مع فائض من ذلك المركب البسيط الأول Tolylene Di - Isocyanate ليسبح مادة لا تلبث ان تتفاعل مع فائض جديد من هذا المركب لتزيد تفاعلا مؤداه زيادة الروابط المتصالبة التي تزيد الاسفنج متانة .

تفاعلات كيماوية عدة ، نذكر منها ما نذكر ، ونقف على الأبواب لا ندخل ، لأن تفصيلها طويل ، وليس هذا موضعه . فالقصد اعطاء الفكرة عامة للقارىء غير العارف بالكيمياء او العارف بالقليل منها . وفي العلوم ، بعض فهم خير من لا فهم اصلا .

عوامل مساعدة

وغير ذلك يوجد لهذه التفاعلات مواد تعرف بالمواد المساعدة Catalytic agents تنشطها . ونضرب مثلا بالأمينات العضوية هذا الأمين المسمى Trimethy - amine ، وبمركبات القصدير العضوية مثل Stannous Oleate .

وعوامل تبقي الاسفنج جامدا على اشكاله من بعد انتفاخ

ويستخدم لهذا الغرض زيوت من السلكون Silicone ، وهي تساعد على اعطاء الفقاعات التي يكونها غاز ثاني اكسيد الكربون في مادة الاسفنج ، شيئا من الرونة ، تساعد المادة اجمالا على الاحتفاظ بشكلها الاسفنجي من بعد انتفاخ ، فيحول دون انهياره .

والسلكونات مواد تشبه المواد الكيماوية العضوية ، وانما حلت ذرات السلسيوم فيها محل ذرات الكربون .

وغاز آخر يساعد على نفخ الاسفنج

وهو غاز الميثان CH_4 حلت ذرة فلورين محل ذرة الايدروجين منه ، وحلت ثلاث ذرات من الكلورين محل ٣ ذرات ايدروجين . ورمزه الكيماوي ($CFCl_3$) وهو يساعد غاز ثاني اكسيد الكربون في نفخ الاسفنج الناتج . وهو يضبط كذلك كثافة الاسفنج الناتج ، وهو يزيد الاسفنج الناتج ليونة . وهو اشبه بغاز الفريون Freon الذي يستخدم في الثلاجات الكهربائية للتبليد .

من هنا يرى القارىء ان الصناعة علم كثير وتقنية كثيرة . وكذلك اسرار كثيرة . والشركة التي تقوم بصناعة المطاط الاصطناعي هنا في الكويت ، بل الشركات التي تقوم بصناعته في شتى الامم ، مثله الطريقة التي هي طريقة الشركة الكيماوية الامريكية الكبرى Union Carbide ، انما تعتمد للحصول على كيماويات هذه الصناعة ، اى خاماتها الاولى ، على هذه الشركة الام ، يحصلون عليها منها شراء ، او وفق ترتيب ما . ●●



بقلم : الدكتور محمد جواد رضا

استاذ التربية المقارنة في جامعة الكويت

■ هذه وجهة ثالثة من محاور التي نشرتها « العربي » الزاهر الى نشر وجهتي سابقين منها (النظام الاجتماعي العدد ١٢٩) و (حرية الفرد — العدد ١٣٩) وهي كما البحث في أولى الحلقتين محاولة للغوص في ضمير الشباب الجامعي العربي وتلمس تفهمه للمفاهيم العامة التي أدى مراسها تعود حياته العملية اجتماعيا وسياسيا وأخلاقيا .

ويتناول فصل اليوم بالتحليل موقف الشباب الجامعي من « السلطة Authority » وهو يتميز بأهمية خاصة . فلقد عرف الانسان عبر مسيرته الطويلة ألوانا من « السلطة » في مجال التنظيم السياسي أو الديني أو الاجتماعي كما ألفها في الأخلاق والمعرفة حتى ليمكن القول بأن « مبدأ اخضاع الفرد للسلطة Authoritarianism » ظل مهيمنا على فكر الانسان وسلوكه الى الماضي القريب . حتى اليوم نجد الكثير من الناس الذين ما يزالون يرون أن السلوك الصحيح يعني الطاعة لبعض التفسيرات أو الاجتهادات والتسليم بصوابها سواء كانت تلك التفسيرات والاجتهادات تقاليد وأعرافا أو قوانين أخلاقية ، أو نصوصا Dogmas عقائدية أو بشرية ، أو قوانين طبيعية أو أوامر الأجهزة السياسية ونواهيها .

ان أخطر ما في السلوك أنه يمنح أصحابه احساسا من الضمان بصواب أفعالهم ، خصوصا عندما يسبغون على الجهات التي يقلدونها أو يأتمرون بها أو يروون عنها أو يقيسون أفعالهم عليها ، صفة العصمة من الخطأ Infallibility والنهائية في الأحكام « Finality » . ليس هذا فحسب ، بل ان هناك خطورة حقيقية أخرى في السلوك تتجسد في الآثار الجانبية المتمثلة في احتمال انقلاب الاحترام للسلطة — أخلاقية كانت أم معرفية ، أم سياسية — الى نزعة ثابتة غير قابلة للانفتاح على حقائق لم تكن داخلة في حسابات الماضي . ان هذا المبدأ ، مبدأ الخضوع للسلطة « Authoritarianism » هو بطبيعة الحال شيء أكثر من مجرد القبول بالسلطة . انه الاعتقاد بأن التفسيرات المتنزلة من السلطة ، والاجتهادات المنسوبة اليها ، والمعارف المروية عنها ، مضمونة الصواب بمعنى انحدارها من الجهة التي انحدرت عنها . وعندها يسلم الانسان تسليما غير ناقد



بمصدر من مصادر الاخلاق او المعرفة او الاحكام الاجتماعية فانه بذلك يبطل عمل جهوده الخاصة لمعرفة الحقيقة ، ويتنازل عن استعمال ذكائه في التمييز بين ما هو حق وما هو باطل ، او في التفريق بين الخطا والصواب . ومن هنا كانت اهمية حديث اليوم .

(٢)

استقطب المشاركون في التجربة حول موقفين اساسيين من السلطة : —

الموقف الاول : يفسر السلطة بالتسلط ، وانه لا يفهم منها غير اجراء قسري يرمي الى اخضاع الاكثرية من الناس باجتهادات فئة قليلة منهم ، يملك من القوة والتمرس ما تستطيع معه ان تنفذ تصميماتها .

الموقف الثاني : يذهب في الاتجاه المعاكس فيرى في السلطة — وخاصة السلطة الاجتماعية — جهدا مشتركا يقوم به اعضاء الهيئة الاجتماعية ، كلها او اكثرها ، لتحقيق النفع العام ، فهي الى تكليف يتحمل جمع من افراد الجماعة — لميزة خاصة فيهم — مسؤولية تحقيقه بتفويض من الجماعة نفسها وليس خارجا عنها .

واذا كان السكوت عن القول براي موقفا ، فان نسبة كبيرة ، نوعا ما ، من المشاركين كانت غير جازمة في تفسيرها لمفهوم السلطة . ويصور الجدول التالي درجة انحياز المشاركين في التجربة الى كل من المواقف الثلاثة .

المواقف الاساسية من السلطة *

الموقف	عدد القائلين ونسبهم المئوية في					
	المحاولة الاولى		المحاولة الثانية		المحاولة الثالثة	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الموقف الاول — السلطة تسلط ..	٢٩	٤٨,٣	٢٤	٪٤٠	١١	٪١٨,٣
الموقف الثاني — السلطة تكليف مصدره التفويض الاجتماعي	١٨	٣٠	٢٣	٪٣٨,٣	٣٩	٪٦٥
الموقف الثالث — غير جازم	١٣	٢١,٧	١٣	٪٢١,٧	١٠	٪١٦,٧
المجموع	٦٠	١٠٠	٦٠	١٠٠	٦٠	١٠٠

* الفقرات التالية تتناول المواقف الاساسية من السلطة بالتحليل —

الموقف الاول :
السلطة تسلط

المحاولة الاولى : كانت نسبة الآخذين بهذا الموقف فيها ٨٦٪ ، وكان ربطهم السلطة الى القوة القاهرة صارخا . فالسلطة هي « القوة التي بواسطتها يقاد الناس » ، او هي « القوة الحاكمة » التي « يتمتع بها افراد معينون من ذوي المكانة في المجتمع » ولهذا فهي « تفرض على الفرد » و « يجب ان تطاع والا عوقب العاصي » لانها بعد كل شيء مشتقة من « الجماعة الحاكمة في كل دولة والتي بيدها زمام الامور والتي تأمر وتنهى وتفعل كل ما تريد رغما على الافراد الا ان يطيعوها » . وهي بهذا المعنى « امتلاك القدرة المعنوية او المادية التي تمكن شخصا ما او اشخاصا من السيطرة على الآخرين او حكمهم » وذلك عن طريق « مجموعة القوانين التي تقيد حرية الانسان » . وهؤلاء الاشخاص هم الذين « لهم حق الاخذ والرفض والعطاء » ، ويتمتعون بميزات خاصة انفردوا بها بحيث جعلوا من انفسهم « الهيئة الحاكمة للمجتمع » ، وهم الذين « يجعلون تحت سيطرتهم معظم الناس ويخضعونهم لهم بالقوة » . و « كثيرا ما تكون السلطة غير انسانية وفي بعض الاحيان قاسية وحشية » . وعلى العموم فان السلطة هي « مظهر من مظاهر القوة لدى الانسان » .

في المحاولة الثانية : انخفضت نسبة الآخذين بهذا الموقف الى ٤٠٪ واصبح معنى السلطة عندهم قرينا لـ « القدرة » او « الملك » ، وتبين لهم ان السلطة قد تكون « الاهية او بشرية » ولا يمكن مخالفتها مهما كان مصدرها لانها تمثل فيها « الشدة » التي تجعل الفرد « يطيع ما يفرض عليه » . وهنا « تظهر الفروق الاجتماعية بين متسلط وخاضع » . والانسان غالبا ما يسيء استعمال السلطة « لانها اعظم مما يتصور » . والافراد يصلون الى السلطة « اما عن طريق القوة او طريق الانتخاب » ، وفي كلتا الحالتين هم يكتسبون حق « سن القوانين ومعاقبة الناس على مخالفتها » لانهم هم « الجماعة المتسلطة التي تملك مقاليد الحكم » والتي « تهيمن وتسيطر على فعاليات الناس ولها مطلق الحرية في ان تعمل ما تشاء » .

اما في المحاولة الثالثة : فقد هبطت نسبة الآخذين بهذا الموقف الى ٣٠٫٨٪ ولم يطرأ تبدل جوهري على مجرى تفكيرهم . فالسلطة ما تزال عندهم « القوة التي يمارسها الفرد او تمارسها جماعة من الجماعات لفرض السيطرة وابراز الذات » ، وهي تتجسد في تلك النظم او الترتيبات التي « يحكمون بها غيرهم من الناس وخاصة الذين هم اقل منهم منزلة » . وعلى هذا يمكن القول بأن السلطة « هي كل ما له القابلية على التحكم واصدار الاحكام » ويظهر فيها « عامل الخوف » لانها « تفرض قوانينها وانظمتها على الآخرين بالقوة ودون نقاش اذا كانت مطلقة ، وبارادتهم اذا كانت سلطة ديمقراطية » . ان السلطة على العموم « تكون مسيطرة وفعالة » ويكون الافراد « تحتها سلبيين كالآلة تحركها السلطة الحاكمة كما تشاء » وهي « غريزة في الانسان والحيوان » .

الموقف الثاني :
السلطة تكليف مصدره التفويض الاجتماعي

يتميز هذا الموقف بأمرين : ـ الاول هو ثبات ظاهرة التصاعد النسبي في حجم الآخذين به (٣٠٪ ، ٣٨٫٣٪ ، ٦٥٪) عبر المحاولات الثلاث . والثاني انه يتخطى السلطة تفسيرا بعيدا عن مفاهيم القسر والقهر والقوة . وقد كان الاتجاه العام في المحاولة الاولى يؤكد ان « السلطة هي مجموعة افراد يرسمون القوانين ويعملون على تطبيقها » وهي ـ اي السلطة ـ قد تكون « ديمقراطية تخدم الشعب وقد تكون بالعكس » ، وهي بهذا المعنى يمكن ان تنصرف الى « النظام السياسي القائم في مكان معين وربما كان هذا النظام دينيا ـ الكنيسة او المؤسسات الدينية الاخرى ـ او دنيويا ـ الدولة » . واذن فالسلطة هي مجموعة افراد « تنظم » حياة مجموعة اخرى ، اي انها « القوة المدبرة التي يمكن بواسطتها ادارة الامور » . بل هي قد تكون اضيق من

ذلك فتعني « القوانين والانظمة التي تمنع فردا من الناس حق محاسبة غيره الا شذ عما هو مدون او ماخوذ به عرفا في المجتمع » . والسلطة قد تكون ذات طبيعة علمية « كالسيطرة على جهاز التلفزيون مثلا » اي نوع من السلطة . وهي قد تنقلب بهذا المعنى الى مسؤولية قانونية بدل ان تكون امتيازا او تسلطا فلا تعدو كونها « هيئة عليا تتجمع صلاحيات اقوى من صلاحيات الافراد ، مسؤولة عن حماية الافراد والنظام الاجتماعي والديني » .

في المحاولة الثانية : اتضحت معالم هذا الموقف وضوحا وصارت السلطة تعني « مجموعة الافراد الذين يتولون ادارة شؤون دولة معينة او جماعة معينة مستندين الى القوانين والعرف السائد اخذين بنظر الاعتبار التقاليد والعادات الاجتماعية » وهم لهذا يتمتعون بمجموعة من « الحقوق والامتيازات التي تخولهم حق تنظيم شؤون مجموعة من الافراد الآخرين واعمالهم وسلوكهم وادارتهم » . وعلى هذا يمكن النظر الى السلطة على انها « صفة » تمنح « الى فئة معينة تحاول هي الاخرى عن طريقها قيادة الهيئات الاجتماعية وتوجيهها » و « كلما كانت السلطة منبثقة من بين الافراد انفسهم زادت ثقتهم بها » .

اما المحاولة الثالثة : فقد كشفت عن اتجاه قوي في « فلسفة » النظر الى السلطة . وكان الرأي المهيمن هنا هو القول بان السلطة هي « ما تمنحه الهيئة الاجتماعية للفرد من صلاحيات حتى ان نشاط الفرد الاداري ليحدد هدف المجتمع واهدافه » . على ان هناك من يرى ان الفرد لا يستمد سلطته من تفويض الجماعة له بل من « قانون اخلاقي اساسي مستقل يحكم في كل من الفرد والمجتمع وهو خارج عن العلاقة بينهما وهو ما يمكن الاداري من ان يحكم وفق ما يعتقد انه الحق والعدل ، اتفق ذلك مع رغبات المجتمع ام لم يتفق » .

هذا هو التفسير الفلسفي للسلطة كما تكشفه المحاولة الثالثة وهناك تفسير نفساني لها في هذه المحاولة ، تفسير يفهم السلطة على انها « سلطة الفرد عن كوامن نفسه وحاجاتها » خضوعها للقيم والاعراف التي يحترمها ولكنه « يميل الى الخروج عليها احيانا » . والسلطة كذلك تعني الضمان الاخلاقي الذي نفزع اليه ونقيس اعمالنا عليه للتأكد من اخلاقيتها . وقد تتعدى السلطة وتتعدى معنى الحكم فتكون الهية مصدرها الله ، او دينية مصدرها الاديان ، او حكومية مصدرها الدولة ، او سلطة في حدود ضيقة تمثل مجتمعا صغيرا هو البيت الذي تبرز فيه سلطة الاب . وهي بهذا المعنى ليس من الضروري ان تكون مقرونة الى التسلط بل يمكننا ان ننظر اليها على انها « القوة التي يؤمن الفرد بانها مسيطرة على حياته او لها سلطان عليه . فالناس الحكماء هم سلطة لانهم يؤثرون في حياة الفرد ، والابوان سلطة لانهما يمارسان نفوذا كبيرا على حياة الفرد منذ صغره ، والقوانين سلطة لانها تحد من حرية الفرد » وهذا هو ما يجعل من السلطة ضرورة حياتية « للمحافظة على تقاليد معينة او تراث ثقافي او قانوني » .

في هذا ــ بالمقارنة ــ يوجه افكارنا الى ضيق المفهوم الذي يحصر معنى السلطة بالحكم « فهناك سلطات ثقافيه وعلمية ــ العلماء والمفكرون الذين يعملون في الحقل الثقافي والفكري ــ وهناك ادارة المدرسة وهي سلطة ، كذلك يمثل الدين جانبا من السلطة لانه يقوم بتنظيم اوجه الحياة « للانسان . ومن اركان السلطة « الاتفاق الاجتماعي » الذي « يخول الاداري حق الاشراف على شؤون المجتمع العامة وتسييرها وفق مصلحة الافراد الداخلين فيه » ومن هذه الحال لن يكون « المقصود بالسلطة القوة » بل « ضرورة اجتماعية اساسية » بدونها « ينعدم النظام وتعم الفوضى خصوصا اذا كانت تستمد قوتها من المجتمع » . وذلك « يجعل النظام الاجتماعي يسير حسب منهج مقرر » ويديره اناس منتقون لتمثيل مجتمعهم وتحقيق حاجاته فيقومون « بفرض القوانين ومعاقبة المخالفين » .

نتائج

(١) ان امتناع ٧٧٫١٦٪ ــ ٢١٫٧٧٪ من مجموع المشاركين في التجربة عن الافصاح عن مفهوم معين عن السلطة انما ظاهرة غير يسيرة الخطر . هل كان ذلك عجزا ناجما عن فقدان الرؤية الواضحة ؟ ام

كان افتقارا الى اي تفكير مسبق في الموضوع ؟ أم كان قصورا من التعبير ؟ اذا كان السبب هو امر يثير الاهتمام بالقياس الى طلبة جامعيين لايفصل بينهم وبين حمل مسؤولياتهم الاجتماعية الا اشهر قصيرة ، معدودة .

(٢) ان تفسير السلطة بالسلف يمثل حقيقة مهمة في تفكير شبابنا الجامعي تستحق ان تدرس بتعمق من حيث مصادر تكوينها ، ومن حيث نتائجها في سلوكهم الاجتماعي وملاءمة هذا السلوك لروح العصر الذي يحيون فيه . ولقد كانت هناك درجة عالية من الثبات ـ خصوصا في الموقف الاول ـ في وصف السلطة بأنها « هيئة عليا » او « هيئة منتخبة » او « جماعة حاكمة » او « قيادة » او « مجموعة قيود » او « يد كبرى » توجه الناس حيث تريد او « برج عال يطل على ميدان الناس يرقبون ميولهم يتطلعون اليه كي يحصلوا على ما يريدون » .

(٣) ان الربط بين السلطة والحكم بهذا الشكل يخلي من افكار الشباب امكانية وجود سلطة دينية او اخلاقية او علمية تستطيع ان تؤثر في سلوك الجماعة تأثير الحكم او اقوى منه .

(٤) ورد ذكر الدين كنوع من انواع السلطة المؤثرة في السلوك الانساني ثلاث مرات في المحاولة الاولى من الموقف الثاني ، ومرة واحدة في المحاولة الثانية ، وثماني مرات في المحاولة الثالثة منه ، وفي كل مرة من هذه المرات كان ينظر الى الدين على انه نوع اساسي من انواع السلطة .

(٥) تكشف المحاولة الثالثة في الموقف الثاني عن تحولات جذرية في افكار المشاركين نحو السلطة فقد ظهر هنا ميل الى التعميم بتعدد السلطة وتنوعها كما ظهرت فكرة التفويض الاجتماعي قوية واضحة .

(٦) كذلك ظهرت في هذا المجال فكرة الربط بين السلطة وحقوق الافراد ومنافعهم واضحة هي الاخرى ، فالسلطة « هي مجموعة القوانين التي تسيطر على الفرد لما لها من اهمية في تنظيم حياته » .

(٧) ان التحولات الآنية في افكار المشاركين في التجربة والتي برزت في المحاولة الثالثة ، من الموقف الثاني تترجم عن امكانات التربية في احداث تحول اصيل في افكار الشباب اذا ما توفر لها التخطيط الجيد والمتابعة الدقيقة . ■

محمد جواد رضا

تواضع عند الكرم

● أتى رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله فقال الحسن : إن المسألة لا تصلح إلا في غرم فادح ، أو فقر مدقع ، أو حمالة مفظعة . فقال الرجل : ما جئت إلا في إحداهن . فأمر له بمائة دينار . ثم أتى الرجل الحسين بن علي فسأله فقال : كم أعطاك ؟ قال : مائة دينار . فنقص دينارا ، كره أن يساوي أخاه .

ثم أتى الرجل عبد الله بن عمر رضي الله عنه فسأله فأعطاه سبعة دنانير . فقال له الرجل : أتيت الحسن والحسين ، واقتص عليه كلامهما وفعلهما به . فقال عبد الله بن عمر : وأنى تجعلني مثلهما انهما غرّا العلم غرّا المال .

لؤلؤة الطائية

بقلم : سنية قراعة

■ ظلام مدلهم .. كان يعمر الصحراء بالرهبة والخوف .. ويأبى أن ينجاب لحظة من اللحظات رغم كر الليل والنهار .

ولقد كان عجبا أن تظل سود هذه الظلمة الداكنة غالبة ترفرف فوق الرءوس وكأنها عاصفة تأبى الا أن تفرض وجوده العصر على من كرهوا طول بقائه ، وظلوا يتململون في ضيق وسأم .. ولكن العجز والضعف ، يقعدهم عن المسير نحو طريق الخلاص .. فغرقوا في رهبوت الظلمة الحالكة ، تهفو قلوبهم الى نور الخلاص !

انها ظلمات الجهالة العمياء .. والضلالة التي ما بعدها ضلالة !



وكانت هناك طوائف من الحكماء والمبشرين أصحاب الرأي ، يتحدثون عن الشيء القادم ، ويؤكدون أن القوة الخفية التي تحكم الدنيا والتي أوجدت هؤلاء الناس في عالمهم لن تتركهم هكذا يعيشون سدى .

وأخذ النور يتقدم مع الهداية التي تنزل عليه من لدن حكيم خبير ، ليكون هدى للناس وتبيانا لكل شيء .

وبالرغم من أن نور الله قد شمل الصحراء وبدد ظلم الجهالات التي كانت تغشاها ، فإنه ظلت هناك في أغوار سحيقة من عالم التيه هذا ، أقوام قليلة وقبائل محدودة كانت تعيش في ظلمة الجهل ، وكأنما أبى سادتها أن يسمحوا للنور بأن تتقدم مواكبه ، فأغمضوا عيونهم عن رؤيته ، وأغلقوا دونه آذانهم وقلوبهم !

هناك حيث كانت تعيش قبائل « طيء » قام معبد صغير يتصدره صنم أصم ، كان يرعاه « عدي بن حاتم الطائي » وكان دائم الاتجاه إليه بتضرعاته وتوسلاته .. وكانت له في قدرة هذا الصنم ثقة كبيرة ، حتى لقد كان يعتقد أنه سر عز القبيلة وسبب سعادة أهليها لأنه يرعاهم ويحرسهم بقوته من عاديات الزمان ! !

وكانت الأيام كلما مرت ازداد إيمان عدي بن حاتم الطائي بصنمه ، ذلك الذي كانوا يسمونه « فلسا » .. وكان يتحدث كثيرا إلى شقيقته « سفانة » الملقبة باسم « لؤلؤة الطائية » عن قوة هذا الصنم وجلاله ، ويدعوها إلى أن تتجه إليه بمشاعرها وعواطفها ، ليهبها العافية ويحميها من الشرور .

واعتادت « سفانة » أن تستمع إلى أخيها في إعجاب وقد أخذت منها حماسة الإيمان بمعبودها « فلس » كل مأخذ ، فهي ترى فيه الحصن والجدار والحمى ، لا لقومها ومن حولهم من القبائل فحسب ، بل لها هي بصفة خاصة ، إذ طالما هرعت إلى ساحته ، وطالما أسرت إليه بالنجوى ، تسأله مزيدا من العطاء والرعاية لها ولأموالها ، التي كانت تهبها عن سخاء ، وتعطي منها عن كرم ، ولا ترد لطالب طلبه ولا لمحتاج حاجة مهما كانت قيمة هذه الحاجة وقيمة ما تتطلبه من التضحية بالمال ..

وسفانة الكريمة .. الضيافة السخية اليد ، لم تكن دخيلة على هذه الصفات ، فلقد ورثتها عن أبيها « حاتم الطائي » أشهر من عرف بالسخاء في تاريخ العرب !

ومضى حاتم .. وبقيت بعده ذكراه الطيبة ، وأحاديث كرمه ..

وبقيت سفانة تنفق وهي أشد الناس حفاظا على التقاليد التي اشتهر بها أبوها الكريم الجواد ، فكانت تعطي وتعطي .. وكانت تؤمن في قرارة نفسها أن العطاء يزكي المال ويربيه ، وأن الكريم الجواد لن يلحق به الفقر في يوم من الأيام !

بقيت سفانة في قومها في مكان الصدارة منهم .. وظل بيت حاتم الطائي وله نفس المكانة السامية في نفوس الناس أجمعين ملجأ لذوي الحاجات وموئلا للمعوزين ..

وأخذت الأيام بعد ذلك تمضي في مواكبها الرتيبة دون أن تعتورها سنة التبديل ، أو تخضع لشرعة التعديل .

وفي العام السابع الهجري كانت جيوش المسلمين تجوب الصحراء لتؤيد الحق وتدعو عن طريق الدعوة الكبرى إلى اتباع طريق الهداية والبعد عن الضلالات .

وذات يوم من أيام العام السابع الهجري أسرع أحد الرجال إلى عدي بن حاتم ليقرع أذنيه بنبأ ذهل له وقد قال : إن جيوش المسلمين تتقدم ، وإن هناك سرية يقودها علي بن أبي طالب ، تتقدم من قبائل طيء لتدخلها في دين الله في جملة من آمنوا بالله ورسوله !

وتلفت عدي حواليه في دهشة ، فما كان بوسعه أن يفعل وقد أخذ على غرة ، أحس معها أنه غير قادر على جمع رجاله ، ليقف أمام السرية القادمة ولوائها لعلي بن أبي طالب ! وكبر في نفسه أن يعلن الخضوع للقادمين ولو كان الحق في جانبهم ، فهو يأبى أن يسلم للقوة ويذعن للإجبار ، ووجد نفسه يفر هاربا وهو لا يرجو إلا أن يبتعد عن مثار النقع ومجال الموقعة القادمة لينتظر فيرى بعدها ماذا يحدث وماذا سيحل بقومه وأهليه من بني طيء ؟ ! .

وظلت السرية التي يقودها علي بن ابي طالب تتقدم وتتقدم حتى وصلت الى قبائل طيء فاقتحم « علي » معبد « فلس » وحطم الصنم ! وكسر ما حوله من حجارة وتماثيل ، وقد علا صوته مجلجلا يدوي « الله اكبر ! ! الله اكبر ! لا اله الا الله وحده لا شريك له .. وان محمدا عبده ورسوله .. » وعاد علي من هذه الغزوة يسوق امامه الاسارى والسبايا والغنائم وغيرها مما افاءه الله على المسلمين .

وسيق الاسرى كما هي العادة امام رسول الله ليرى فيهم رأيه .. فلما فرغ منهم اتوا بالسبايا فتقدمن من حضرته ، وكانت « سفانة بنت حاتم الطائي » بينهم بائنة رافعة الرأس شامخة الانف ، ترفل في ثياب العز ، وعليها مظاهر النعمة ومخايل الجاه والسؤدد ، وفيها كل ما ينطق بمعالي مكانتها وسامي مقامها وسط اهلها ..

تقدمت سفانة بين السبايا وراحت تدفعهن امامها لتتقدمهن ، وقد احبت ان ترى رسول الله من قرب لتحاول معرفته معرفة الكريمة الكريم ، وصاحبة الجاه للرجل الذي لم يغره الجاه ولم يعبث بتواضعه النصر والسلطان !

اتجهت انظار المسلمين الى هذه الجارية المشدوهة القد الشامخة الرأس البادية مظاهر النعمة عليها وهي تتقدم في جرأة من مجلس رسول الله ، وقد راحوا يتساءلون عن السر الذي دفعها الى ان تتقدم الجميع .

وقبل ان يفيق المسلمون من دهشتهم وصل الى اسماعهم صوت سفانة وقد ارتفع عاليا يقول :
« يا محمد » !

واتجه صلى الله عليه وسلم بسمعه الى الجارية التي وقفت امامه .. وكذلك اتجهت اليها مسامع الحاضرين من المسلمين .. واذا بها تقول : « هلك الوالد وغاب الرافد » !

فسألها الرسول عمن يكون والدها ؟ واذا بها تقول : انه « عدي بن حاتم الطائي » .. فاربد وجه النبي وظهرت عليه مخايل الغضب وقد سمع اسم عدي وقال :

« عدي ! الفار من الله ورسوله » !

وعجزت سفانة عن الجواب ، فقد كان ما نطق به الرسول هو الحق الذي تعجز عن مجادلته او مجابهته ، فاخوها قد اعتصم بكفره ، وظن انه نجا يوم فر بنفسه من الله ورسوله ! ولم تستطع الا ان تلوذ بالصمت وان تنكس رأسها ، ولكنها كانت في حيرتها تبحث عن كلمات قادرة معبرة تخرج بها من هذا الصمت لتعود الى عرض شكايتها على رسول الله ، وهي تقصد من وراء ذلك ان تتعرف عليه ، وتقف على الكثير من مطلق ما سمعت من حلمه وكرمه واذا بها اخيرا تقول .

« يا محمد !! ان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب ، فافعل ذلك كرما منك وسماحة ! فقد كان ابي يفك العاني ، ويحمي الذمار ، ويفرج عن المكروب .. ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط » !

وسكت رسول الله لحظة اسرع يقول بعدها لسفانة .

« يا جارية ! ! هذه والله صفات المؤمن ! ولو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه !! »

ثم التفت الى اصحابه وقال لهم : « خلوا عنها ، فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق . والله يحب مكارم الاخلاق » .

ووجف قلب سفانة وقد هزتها الاريحية النبوية ، واحست بوجدانها انها امام الداعية الاعظم والدليل الهادي الى سبيل الله .. واذا بها تؤمن من عمق امام رسول يجب ان يطاع .. وتشعر انها تنطق مؤمنة بكل جوارحها .

وماذا كانت تريد سفانة ان تكون اكثر من انها كانت ضالة فاهتدت .. ورائدة في معرفة الحقيقة فلمستها بوجدانها واحست بحلاوتها تغمر مشاعرها ؟

لقد كانت سفانة كريمة النفس عظيمة الطاليه لم تكتف بالاقرار بالتوحيد .. بل احبت ان تكون مجاهدة من المجاهدات في سبيل الله ، تدعو اليه وتهدي العاصين من قومها بهدي الاسلام ، واذا صوتها ينطلق قائلة .

« يا رسول الله .. ائذن لي ان ادعو لك بين اهلي وقومي .. »

وتبسم رسول الله واذن لها ..

ونزلت كلماته بردا وسلاما على قلب سفانة .. حتى كادت الدنيا تضيق بها من فرط سعادتها ، وتمنت لو ربحا او ستلحق الى مجال الجهاد وميدان الدعوة فتهدى الضالة وتجعل الكافرين يؤمنون بدين الله ويدخلون فيه عن رضى وحب .. واذا بها تقول :

« يا رسول الله .. أصاب الله ببرك مواضعه .. ولا جعل لك الى لئيم حاجة .. ولا سلب نعمة من كريم قوم الا وجعلك سبب ردها عليه » .

وران الصمت على الجميع .. ورجعت سفانه وقد احبت ان تستأذن رسول الله في العودة الى قومها ، فطلب منها ان تنتظر حتى تجد الثقة الذى يصحبها في رحلتها لتصل امنة معززة مكرمة الى حيث تريد ، ثم امر بان يصحبها ركب ليصل بها الى مأمنها ، وابى جوده الا ان يغمرها ببره وكرمه ، فامر لها برحل وكسوة ونفقة تستعين بها على بلوغ مأمنها .. ودعا لها بالتوفيق والهداية..

وخرجت سفانة الملقبة بـ « لؤلؤة الطائية » وقد ازداد اعجابها بالرسول الكريم ، كما ازداد ايمانها بدعوته وتفتح قلبها لنور الاسلام .

خرجت ومعها الركب الذى امر رسول الله ان يصحبها لتبلغ مأمنها سالمة ، فاذا بها تطلب منهم ان يلحقوا الى « دومة الجندل » حيث كان يعتصم اخوها « عدى » هناك في حصن يشرف على الصحراء ، راح من اعلاه يرقب الفضاء امامه وكأنه ينتظر عودة عزيز غاب عنه ليرد عليه لهفته ويطمئنه من حيرته ، ويحدثه بما كان من امر اسارى بنى طيىء وسباياهم .

والتقى الشقيقان اخيرا ، وراحت سفانة في حرارة وحماسة تحدثه بما كان ، وتصف له ما اثار اعجابها وحبها من صفات محمد الكريم المؤمن ، الذى اقال عثرتها ، واحاطها ببره وكرمه ، وشملها برعايته ، ولم يبخل على ابيها بان كرّم ذكراه وقال فيه احسن ما يمكن ان يقال عن رجل كريم لم يلحقه الاسلام ولم يدخل فيه ..

وظل عدى يستمع الى سفانة اخته وهو في ذهول ودهشة ، وقد بدا يحس ان وجدانه يضج لنور غامض بدأ يشع عليه من نواح متعددة ، طاردا امامه ظلمة الشك والحيرة ، حتى لقد راح يسائل نفسه : ترى هل وصل الى الحقيقة ؟ وهل استطاعت الحادثات التى مرت به وبقومه ان تكشف وجه هذه الحقيقة له فيراها ناصعة جلية تشع بالطهر والعزة والاباء ؟

وأحس بكل مشاعره ان يستجيب للدعوة شقيقته العاقلة .. ولكنه وجد ان الحكمة توحى اليه بالتريث ليعاود سؤال سفانة لتزيده معرفة بذلك الداعية الكريم ولتصارحه برأيها فيه .. وفي دعوته ؟

وراحت سفانة تتحدث عن محمد رسول الله ..

وظل عدى يسمع ويسمع وكأنما كان يروى ظمأ روحه بكلمات اخته ، وكأنما وجد الشفاء الشافى لوجدانه في اوصاف سفانه ونعوتها للرسول الكريم .

واذا به يسرع الى راحلته لتحمله الى محمد في مدينته حتى يعلن اسلامه جهارا ، ويعترف من حقيقة كما عرفته اخته سفانة ، وينطق امامه بالايمان ، ويعلن براءته من ماضيه ويتوب عنه ، فهو العائد.. العائد بدين الله ، وهو المستظل برحمته ورضوانه ولن يكون بعد اليوم الهارب من الله ورسوله ابدا ! !

ودخل عدى المسجد والقى بالسلام على رسول الله ، فسأله عمن يكون ؟ ! واذا به يقول انه « عدى بن حاتم الطائى » ، فتهلل وجه النبى بالبشر ، وعرف ان سفانة قد صدقته وعدها وانها كانت داعية مؤمنة صادقة ، وان دعوتها افلحت في رد اخيها الى جادة الحق ..

تهلل وجه الرسول بالبشر وقد اسعده ان تصدق داعيته سفانة ، وان تبر بوعدها ، ووجد نفسه يقوم من مكانه ماداً يده مرحبا بعدى بن حاتم الطائى ، ثم اخذه من يده وخرج به من المسجد سائرا الى حجراته ، فدخلها ومعه ضيفه الكريم ، فاجلسه على حشية ، وجلس الرسول على ارض الحجرة ، وراح يحدثه عن الدين وعن نصر الله الذى اجده ، ثم راح يبشره بالخير العميم الذى سيعم المسلمين جميعا « سيفتح الله عليهم الدنيا ..ولعلك يا عدى انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن

ان يلبث فيهم حتى لا يوجد من يأخذه . ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف .. ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى ان الملك والسلطان في غيرهم .. وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم .. »

وامتلأ قلب « عدي » بالنور ، واحس ان شقيقته سفانة وان كانت قد فتحت له الطريق بحديثها عن كرم محمد رسول الله ، فانها لم تقل مثل هذا الذي سمعه منه ، ووجد نفسه وبوحي من وجدانه ينطق بالتوحيد علانية ويسأل رسول الله الدعاء ..

وأسرع عدي بن حاتم الطائي عائدا الى دومة الجندل ، وكله شوق الى اخته ليرد اليها جميلها ويحدثها عن النبي باكثر مما حدثته هي عنه ، واذا به يجدها وقد استحالت الى داعية هادية ، تجمع القوم حولها ، وراحوا يصغون اليها وهي تأخذ بيدهم من طريق .. وتسير بهم من درب الى درب ، وتحدثهم عن رعاية الله التي سيؤيد بها المسلمين .

وتلاقت العيون .. وابتسمت سفانة وابتسم لها عدي ، واذا بها تقول له : كيف رأيت الرجل ؟ فقال : انه لا يستطيع ان يفيه حقه من الوصف ، فالتفتت الى قومها تطالبهم بأن يزدادوا ايمانا بالاسلام ، وان يشهدوا بأن محمدا هو داعية الحق ، وهو البشير النذير ، وهو الذي ارسله الله رحمة للعالمين ..

وانضم عدي الى شقيقته في الدعوة الصادقة للايمان بدين الحق ، فالتف حولهما الناس ، وعظم شأنهما فاعز واعظم مما كانا في الجاهلية ، وعرفا انهما اليوم في رعاية من لا تغفل له عين .. ومن يغفر ويعطي وهو الوهاب العظيم .. فسجدا لله شكرا ، وازدادا ايمانا فوق ايمان .

وكما خلد حاتم الطائي اسمه في عداد اهل الكرم والجود والسخاء ، كذلك سبقته سفانة ابنته في طريق الخير ، فلم تكن الكريمة العطية فحسب ، بل كانت المؤمنة الصالحة ، التي زادها الله قبولا ورضى ، واعز مكانتها ، فنالت شرف الكرامة والقبول والرضى ، واصبحت من المسلمات الخالدات ! .

●●

سنية قراعة

وقف الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه على المقابر ثم قال : اعتبروا يا اهل الديار التي نطق بالخراب فناؤها ، وشيد في التراب بناؤها فمحلها مقترب ، وساكنها مغترب ، لا يتزاورون تزاور الاخوان ، ولا يتواصلون تواصل الجيران ، قد طحنهم بكلكله البلى ، وأكلتهم الجنادل والثرى ، ثم قال يا اهل الثروة والعز ، ان الازواج بعدكم قد نكحت ، والاموال قد قسمت ، والدور قد سكنت ، فهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ؟ ثم التفت الى اصحابه فقال : اما والله لو أذن لهم لقالوا : ان خير الزاد التقوى .



بقلم : الدكتور احمد عمار

النزف والنزيف

■ من اخطاء التسمية الشائعة ، ولا سيما في الحقل الطبي ، استخدام كلمة « نزيف » بمعنى انسكاب الدم خارج اوعيته . والصحيح في التعبير عن هذه الحالة المرضية هو كلمة « نزف » ، اما النزيف فانما تشير الى المريض المصاب بالنزف ، قياسا على فعيل بمعنى مفعول ، مثل جريح وقتيل وصريع وما جرى مجراها .

وجاء في المعجمات : نَزَفَ دَمَه نزفا فهو منزوف ونزيف : استخرجه . ونزف فلان دمه ينزفه نزفا اذا استخرجه بحجامة او فصد . والنزوف والنزيف ايضا السكران اذا ذهب عقله . وانزف الرجل اذا فنيت خمره او ذهب عقله . ويقول امرؤ القيس :

واذ هي تمشي كمشي النزيـ
ـف يصرعه بالكثيب البهر

يريد ان يشبه مشيتها الوئيدة المتهالكة بمشية من اضعفه السكر وتساقطت قدماه في الرمل ، وبه بهر اي دوار .

فالنزف للمرض ، والنزيف من أصيب به . ولست اعلم في الانجليزية لفظا مفردا يقابل النزيف ، اي المصاب بالنزف ، وهذا امتياز للعربية عليها .

اللسع واللدغ وما اليهما

من اراد التعبير عما يصيب الانسان من اذى الحيوان والهوام والحشرات فليلتزم :

اللسع : لكل ذي ابرة كالعقرب والزنبور .

واللدغ : للهوام والحشرات التي تستعمل اجزاء فمها للعض ، كالقمل والنمل .

والعض : للحيوان والسمك .

والنقر : للطير .

والنهش : للزواحف .

والنكز : للحية .

الغصص والشرق وما اليهما

ومن اراد الدقة في التعبير عما يصيب الانسان في حلقه عند البلع فليقل :

غصّ الرجل يغَصّ غصصا بالطعام . والغصة ما اعترض في الحلق من الطعام ، ويقول الشاعر :

من غصّ داوى بشرب الماء غصته
فكيف حال الذي قد غصّ بالماء

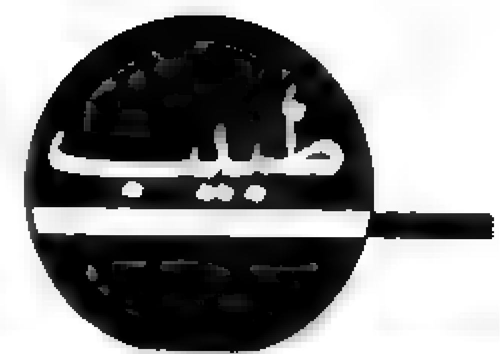
وشرق الرجل يشرق شرقا بالماء . والشرق بالماء كالغصص بالطعام . ويقول ابو الحسن الحصري في قصيدته المشهورة « ياليل الصب متى غده »

يا اهل الشوق لنا شرق
بالدمع يفيض مورده

وشجي الرجل يشجى شجا بالعظم اذا نشب العظم في حلقه ، والشاعر يقول :

ويراني كالشجا في حلقه
عسرا مخرجه ما ينتزع

وجَرِضَ الرجل يجرض جرضا بريقه اذا ابتلع ريقه على الجهد عند الحزن والهم . وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، ويضرب للامر اذا عاق دونه عائق .



فليكن قولك : تخمت بالطعام ، وشرقت بالماء وشجيت بالعظم وجرضت بالريق .

الية واحدة ام اليتان ؟

والالية بالفتح العجيزة ، للناس وغيرهم . الية الانسان والية الشاة ، ولا تقل لية ولا الية بالكسر فكلاهما خطأ .

والالية الابهام اللحمة التي في اصلها . والية الساق اللحمة المنتبرة في باطنها وهي عضلة الساق .

وهنا يقوم السؤال : الرجل الية واحدة ام اليتان فيما يقابل Buttocks في الانجليزية ؟ الاشهر في اللغة انها الية واحدة ذات جانبين ايمن وايسر . وجاء على قلة : هما اليان واليتان . قال الشاعر :

ترتج الياه ارتجاج الوطب
كانما عطية بن كعب ظعينة واقفة في ركب

قال عنترة :

متى ما تلقني فردين ترجف
روانف اليتيك وتستطارا

اما الالية بالفتح وتشديد الياء فهي اليمين والقسم والحلف .

والالية بالكسر (واصلها ولية) فهي التثبيل والتلقاء ، وجاء في الحديث الشريف :

« لا يقام الرجل من مجلسه حتى يقوم من الية نفسه » . اي من قبل نفسه من غير ان يزعج او يقام . وفعلت ذلك من الية نفسي اي من تلقاء نفسي .

الومد والرطوبة

من اخذ لسانه بالكلمة الاجنبية Humid – في نطقها الفرنسي على الاخص – ثم عاد فاختاره بكلمة الومد ، ولمس بحدسه معنى الكلمة العربية ، لم يسعه الا ان يعتقد ان الكلمة الاجنبية منتحلة من هذا الاصل العربي ، او ان الكلمتين منتحلتان من اصل واحد .

فالومد في المعجمات : ندى يجيء في صميم الحر من قبل البحر ، ويقال : يوم ومد وليلة ومدة وومد .

وقال البحتري : خرجت من منزل ابي الصقر (احمد وزير المعتمد) نصف النهار في تموز فقلت : ليس بقربي منزل اقرب من منزل المبرد ، وكان منزلي بعيدا بباب الشام . فجئته فادخلني الى حوشه له ، وجاء بمائدة فاكلت معه لونين طيبين ، وسقاني ماء باردا ، وقال لي : احدثك الى ان تنام ، فجعل يحدثني احسن حديث ، فحضرني شعر وقلة شكري بيتان فسالته ان انشدهما ، فقال : ذاك اليك ، وهو يظن انى مدحته بهما ، فقلت :

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق
على انه منه احر واومد
ظللت به عند المبرد قائلا
فما زلت في الفاظه اتبرد

فقال : قد كان يسعك الا تم تحمد الا تلم ، ومالك عندي جزاء الا ان اخرجك !

فلنشر هذه الكلمات شعرا ونثرا – رد الى لحنها المسلوب .

اما كلمة « رطوبة » فلندعها في مكانها الصحيح ، وصفا للشيء الندي المبتل مقابلا لليابس ، تقول : نبات رطب اي غض طري ، وعود رطب : غير يابس ، ولكنك تقول : هذا يوم ومد وهذه ليلة ومدة .

القاهرة احمد عمار



■ قبل ان نذكر شيئا عن هذه الامراض التي تشيع في فصل الشتاء .. يجب علينا ان نشير بسرعة الى تركيب الجهاز التنفسي .

فالجهاز التنفسي مركب من قسمين

اولا : الجهاز التنفسي العلوي ويتكون من

ـ ٢ ـ

٢ ـ الحنجرة .

٣ ـ الحنجرة .

٤ ـ القصبة الهوائية .

٥ ـ الشعب الهوائية : تنقسم القصبة الهوائية شعبتين يمنى ويسرى وكل منهما تنقسم الى شعب صغرى

ثانيا : الجهاز التنفسي السفلي .

تنقسم الشعب الصغرى الى شعب تتكون من شعيبات تستمر تفرعها الى ان تنتهي تفرعاتها عند اطرافها في انسجة الرئة .

وتتكون انسجة الرئتين من حويصلات هوائية يحيطها نسيج من الشعيرات الدموية .

والشعيرات الدموية هذه قسمين .

القسم الاول يحمل امداد الشريان الرئوي وتحمل الى الرئة الدم القادم من الجهة اليمنى من القلب حيث يفقد ثاني اكسيد الكربون ويمتص الاكسجين من الهواء الذي يملأ الحويصلات الهوائية وبذلك يصبح نقياً ، وهنا يبدأ القسم الثاني الذي يحمل الدم النقي بطريق الوريد الرئوي الى الناحية اليسرى من القلب ومن حيث يوزع هذا الدم النقي الى جميع اجزاء الجسم .

وكل رئة يغطيها غشاء يحيط بها يسمى الغشاء البلوري ، والرئتان موجودتان داخل القفص الصدري ويفصلهما عن تجويف البطن الغشاء الحاجز .

وكلا قسمي الجهاز التنفسي العلوي والسفلي عرضة للالتهاب نتيجة عوامل عدة ـ ويكون الجهاز التنفسي اكثر عرضة للالتهابات في فصل الشتاء .

ومن هذه الامراض والالتهابات التي تصيب الجهاز التنفسي سنركز ونلقي الضوء على النزلات الشعبية والالتهابات الرئوية .

النزلات الشعبية Bronchitis

وتنقسم الى قسمين رئيسين

الرئة اليمنى
القصبة الهوائية
الشعبة اليسرى
شريان الرئوي الايسر
الشعبة يمنى
الشريان الرئوي الايمن
الوريد الرئوي الايمن
الشعيبات الهوائية
الشعيرات الدموية الشريانية
الشعيرات الدموية الوريدية
الوريد الرئوي الايسر
القلب
الرئة اليسرى

١ ـ الالتهاب الشعبي الحاد .
١ ـ الالتهاب الشعبي الزمن .

الالتهاب الشعبي الحاد

العوامل المساعدة لحدوثه :

١ ـ الطقس : فهو يكثر في الجو البارد الرطب ـ والتعرض للبرد يساعد على حدوث المرض .

٢ ـ السن : كل الاعمار معرضة للاصابة به ولو انه يكثر في سن الطفولة والشيخوخة .

٣ ـ الارهاق والتعب والضعف العام .

٤ ـ بعض الامراض المزمنة كامراض القلب والكلى وكذلك امراض الانف والحنجرة التي تسبب انسدادا في هذه الاعضاء فيضطر الشخص الى التنفس عن طريق الفم .

السبب : يرجع ان يكون السبب نوعا من الفيروسات وبعض المجموعات المختلفة من البكتريات الموجودة في الجهاز التنفسي العلوى فيمتد منها الالتهاب الى الشعب الهوائية .

الاعراض . تبدأ فجائية . يشعر المريض بارهاق والام بالاطراف مع احساس بالضيق في الصدر وارتفاع في درجة الحرارة التي تصل عادة الى ٩٩ ـ ١٠٠ درجة فهرنهيت (حوالي ٣٨° مئوية) وفي بعض الحالات الشديدة قد تصل الى ١٠٢ درجة ، (حوالي ٣٩° م) وتزداد سرعة التنفس .

السعال : يكون اولا غير مصحوب ببلغم ثم بعد عدة ساعات تزداد كمية البلغم . والبلغم يكون اولا قليلا وسميكا ويخرج بصعوبة ثم يزداد ويصبح اكثر سيولة ـ وعند ازدياد البلغم وسيولته تقل الاعراض الاخرى . في بعض الاحيان يكون البلغم به عروق من الدم .

وتستمر الحرارة من ٢ ـ ٤ ايام ولكن السعال قد يستمر ١٠ ايام او اكثر وفي بعض الاحيان قد تطول مدة السعال الى اسابيع ، وهنا يجب ان ننبه انه في هذه الحالة يجب ان يفحص المريض بدقة اذ قد تكون النزلة الشعبية نتيجة لدرن او امراض اخرى .

والمرض في حد ذاته قابل للشفاء في اغلب الاحيان ونادرا ما يؤدي الى الوفاة الا في صغار السن او كبار السن او في حالات امراض القلب والكلى .

المضاعفات

١ ـ الالتهابات الرئوية الشعبية .



٢ ـ الالتهاب الرئوي .
٣ ـ الالتهاب الشعبي المزمن .
٤ ـ بعض انواع الانفلونزا .

الوقاية :

١ ـ عدم التعرض للبرد .

٢ ـ تهوية الغرف .

٣ ـ الامتناع عن ارتياد الاماكن المغلقة غير الجيدة التهوية والمزدحمة في المواسم التي تكثر بها النزلات البردية .

٤ ـ معالجة الحالات التي بها عيوب في الانف وتؤدي الى التنفس من الفم .

٥ ـ الاحتياط الكافي للاطفال او منع العمال في بعض الصناعات ذات الغبار .

٦ ـ الاحتياط الكافي للتهوية في بعض الصناعات التي ينشأ منها غازات ضارة او لبس الاقنعة الواقية للوقاية منها .

العلاج :

يجب ان يكون بواسطة الطبيب .

١ ـ الراحة التامة في الفراش خاصة في الفترة الاولى من المرض وعدم العودة للعمل الا بعد فترة نقاهة كافية .

٢ ـ الغذاء الخفيف مع الاكثار من السوائل الدافئة .

٣ ـ تهوية الغرفة التي بها المريض مع عدم تعريضه للتيارات الهوائية او البرد .

٤ ـ اعطاء الادوية التي تساعد على الاكثار من البلغم .

٥ ـ المضادات الحيوية اذا لزم الامر حسب الحالة ونوع الميكروب .

الالتهاب الشعبي المزمن

الاسباب : اذا تكررت النزلات الشعبية الحادة قد ينتج عنها التهاب شعبي مزمن . والعوامل المساعدة لحدوثها شبيهة بالعوامل المسببة للنزلات الشعبية الاخرى وكذلك اعراضها .

المضاعفات

١ ـ ليفات بالرئة Peribronchial Fibrosis

٢ ـ تمدد شعبي Bronchiectasis

٣ ـ انتفاخ حويصلات الرئة Emphysema

٤ ـ هبوط بالناحية اليمنى من القلب .

العلاج

١ ـ الانتقال الى جو دافىء مناسب اذا كان ذلك ممكنا .

٢ ـ عدم التعرض للبرد الشديد .

٣ ـ تغيير العمل اذا كان مما يعرض المريض للبرد .

٤ ـ البقاء فترات مناسبة في الهواء الطلق .

٥ ـ الامتناع عن التدخين .

٦ ـ الغذاء المناسب الجيد .

٧ ـ الادوية : حسب الحالة .

(ا) ادوية السعال التي تساعد على سهولة واخراج البلغم او التي تساعد على ايقاف السعال الجاف .

(ب) المضادات الحيوية حسب نوع الميكروب الموجود .

(جـ) علاج المضاعفات .

الالتهابات الرئوية

توجد انواع كثيرة من الالتهابات الرئوية سنكتفي باهمها وهي نوعان .

١ ـ التهاب فصوص الرئة Lobar Pneumonia

٢ ـ الالتهاب الشعبي الرئوي Broncho Pneumonia

الالتهاب الرئوي الفصي

الاسباب ميكروب خاص يسبب هذا النوع Pneumococcus ، وهي تحدث في اى سن ولكن يكثر حدوثها في الاطفال وفي السن ما بين ١٥ ـ ٤٠ سنة ويزداد حدوثها في فصل الشتاء ومدة الحضانة من ٢ ـ ٧ أيام .

العوامل المساعدة لحدوثها

التعرض للبرد ـ التعب والارهاق ـ بعض الامراض المزمنة التي تضعف المقاومة العامة للجسم مثل امراض الكلى والسكر وادمان الخمر .

الاعراض .

تحدث فجائية وتبدأ بقشعريرة وارتفاع مفاجىء

في درجة الحرارة ١٠٢ ـ ١٠٤ درجة فهرنهيت (٤٠ ـ ٥ر٤٠)° مع سعال جاف والم بالصدر في الجانب الذي به المرض ويكون التنفس سريعا مع عدم عمقه .

وخلال يومين تقريبا يقل الألم ويزداد خروج البلغم ، مع الكحة ، الذي يكون مخاطيا وقد يكون به دم في بعض الاحيان .

تزول الاعراض فجأة بعد حوالي سبعة ايام فتنخفض درجة الحرارة وقد تصل الى اقل من الطبيعي وتتحسن حالة المريض مع عودة سرعة التنفس والنبض الى الوضع الطبيعي ويبدأ المريض ينام نوما طبيعيا .

في الحالات الخطرة تحدث الوفاة في الفترة من ٤ ـ ١٠ ايام .

المضاعفات

١ ـ تأخر زوال الالتهاب Delayed Resolution
٢ ـ خراج الرئة
٣ ـ التهاب الغشاء البلوري .
٤ ـ التهاب غشاء القلب Pericarditis
٥ ـ التهاب الغشاء البريتوني Peritonitis
٦ ـ التهاب الكلى
٧ ـ التهاب الكبد
٨ ـ التهاب اغشية المخ
Pneumococcal Meningitis
٩ ـ التهاب الاذن الوسطى
١٠ ـ التهاب اللثة التكفية
١١ ـ تجلط الوريد الفخذي اثناء فترة النقاهة .

وقد قلت هذه المضاعفات كثيرا بعد اكتشاف المضادات الحيوية .

العلاج :

يجب ان يكون بواسطة الطبيب .

١ ـ الراحة التامة في الفراش .

٢ ـ تهوية الغرفة مع عدم تعرض المريض للتيارات الهوائية او البرد .

٣ ـ الغذاء في اول المرض يكون سوائل فقط ثم يعاد تدريجيا الى الطبيعي .

٤ ـ الادوية التي تساعد على تخفيف السعال .

٥ ـ المضادات الحيوية المناسبة واهمهـا البنسلين .

٦ ـ استنشاق الاكسجين في حالة الازرقاق Cyanosis

٧ ـ علاج المضاعفات اذا حدثت .

الالتهاب الشعبي الرئوي

يكون الالتهاب في الشعيبات والحويصلات الهوائية التي تكون نسيج الرئة .

الاسباب

تكثر الاصابة بهذا المرض في كبار السن والسن الصغيرة جدا .

١ ـ مضاعفات لبعض الامراض كالحصبة والسعال الديكي والانفلونزا والنزلات الشعبية .

٢ ـ التهاب نهائي Terminal Infection ، لبعض الامراض المزمنة كامراض القلب وفي كبار السن نتيجة للضعف العام .

وهناك عدة اسباب اخرى قد تكون ثانوية لها . سببها انواع مختلفة من الميكروبات او مجموعة منها خاصة تلك التي تسبب التهابات الجهاز التنفسي العلوي .

الاعراض :

تكون خفيفة وتبدأ بارتفاع بسيط في درجة الحرارة مع شعور بالضعف العام وكحة وبلغم . وعندما يمتد الالتهاب الى انسجة الرئة ترتفع الحرارة اكثر مع ازدياد السعال الجاف وهبوط عام في حالة المريض مع ازرقاق Cyanosis ، وسرعة التنفس وقد تنتهي هذه الاعراض بهبوط في مركز التنفس Failure of Respiratory Centre

وهذا النوع من الالتهاب خطر خاصة في كبار السن والاطفال الضعاف .

المضاعفات .

١ ـ التهاب الغشاء البلوري
٢ ـ خراج الرئة .
٣ ـ التهاب غشاء القلب او المخ .
٤ ـ التهاب الكلى . Bronchiectasis
٥ ـ تمدد الشعب

العلاج :

مثل الالتهاب الرئوي ويتوقف نوع المضاد الحيوي المناسب على نوع الميكروب ودرجة حساسيته لهذه الادوية . ■■

مصطفى الهجان

تعدد الزوجات

● عرف الانسان الزواج اكثر من نمط . فضلا من الزواج الذى يقتصر فيه الرجل على المراة الواحدة والمقتصر فيه المراة على الرجل الواحد ، عرف الانسان تعدد الزوجات كما عــرف تعدد الازواج. ففى اقل المجتمعات تطورا وهى المجتمعات التى تعيش على الجمع والقنص يشيع الزواج المبنى على وحدة الزوج والزوجة ، ولا تكاد نجد للزواج منهم نمطا غيره . اما فى المجتمعات القبليه وهى المجتمعات الرعوية والزراعية فنجد الى جانب الزواج الوحدوى وتبعا للحال زواجا يتوحد فيه الزوج وتتعدد الزوجات ، وآخر تتوحد فيـــه الزوجة ويتعدد الازواج .

وفى المجتمعات المدنية القديمة يأخذ تعـــدد الازواج طريقه نحو الاختفاء ، اما تعدد الزوجات فيبقى قائما فى كثير منها وان وضعت له بعض القيود . وفى المجتمعات المدنية الحديثة يسير تعدد الزوجات بدوره الى الاختفاء . ولا يبقى للزواج من نمط سوى ذلك القائم على وحدة الزوج والزوجة .

وفيما يلى نفصل القول فيما جعلنا قاصرين الحديث على تعدد الزوجات .

تعدد الزوجات فى المجتمعات القبلية

يشيع ، فى المجتمعات القبلية ، اتخاذ الرجل اكثر من زوجة : وليس هناك حد اقصى لعـدد الزوجات اللاتى يمكن للرجل الجمع بينهن . لكن هناك بعض اعتبارات عملية تحول دون ان يكون تعدد الزوجات فى متناول الجميع . منها ضرورة دفع مهر من اجل كل زوجة جديدة . ومنها القدرة على اعالة زوجات متعددات . واذا كان المحال عليـنا من الممكن فى مجتمع معين ان يكون كل الرجال المتزوجين او حتى معظمهم متعددى الزوجات . فلا بد ، لتحقق ذلك ، من ان يكون عدد الاناث اضعاف عدد الذكور وهو امر بعيد الحدوث . ولهذا يقتصر تعدد الزوجات على دائرة ، تضيق او تتسع ، من الرجال ذوى الثروة والنفوذ .

ويقبل الرجال ، فى المجتمعات القبلية ، على اتخاذ اكثر من زوجة رغبة فى تحقيق اغـــراض متنوعة . فالرجل يطمع الى الحصول على ذرية كثيرة لما لها ، فى المجتمع القبلى ، من اهميـــة اقتصادية وسياسية واجتماعية. ولكى يكثر الرجل من اولاده لا بد من ان يعدد من مصادرهـــم . ويستتبع الزواج نشأة علاقات متبادلة بين الرجل واقارب زوجته من شأنها توطيد مركزه . ومن الطبيعى ان يسعى الرجل الى الاستزادة من هذه العلاقات . والمراة فى المجتمع القبلى اهميـــة اقتصادية[1] . ولكى يزيد الرجـــل من موارده وامكاناته الاقتصادية يعمل على الاكثار من زوجاته.

المساواة بين الزوجات فى المجتمعات القبليه

ويتطلب العرف القبلى المساواة بين الزوجات. فعلى الزوج ان يوزع وقته وخدماته وهداياه على زوجاته المتعددات بالعدل والقسطاس . ومع

---

[1] [illegible] على [illegible] الاقتصادى [illegible] على تعدد الزوجات فى المجتمعات القبلية [illegible] العائل الاقتصادى [illegible] الهنود الحمر [illegible] Blackfoot [illegible] فى تجارة [illegible] الزوجات [illegible]

عبر التاريخ ...

والى يومنا هذا

بقلم : الدكتور
محمود سلام زناتي

ذلك فان من الملامح البارزة في نظام تعدد الزوجات الفعلي وجود زوجة ينظر اليها بوصفها الزوجة العظيمة او الكبيرة وتتمتع في علاقتها بزوجها واحيانا في علاقتها بالزوجات الاخريات ببعض الامتيازات . ومن اهم امتيازات الزوجة الرئيسية ان ابنها البكر يعتبر وارث رب الاسرة وخلفه في رئاستها . والغالب في الزوجة الرئيسية ان تكون الزوجة الاقدم من حيث تاريخ زواجها .

المجتمعات المدنية القديمة تقيد تعدد الزوجات

ويبقى تعدد الزوجات قائما في كثير من المجتمعات المدنية القديمة . لكنه يفقد في هذه المجتمعات الكثير من اهميته لان ظروف الحياة المدنية لا تبقى ملائمة . ولهذا فان الاتجاه العام عندئذ هو تقييد حرية الرجل في الالتجاء اليه . ويتخذ الاتجاه نحو التقييد مظاهر متعددة . فقد وضع حد الاقصى لعدد الزوجات اللاتي يجوز للرجل الجمع بينهن ولا يسمح له بتجاوزه . وقد يحرم الرجل من اتخاذ زوجة ثانية الا اذا توافر احد اسباب معينة ينص عليها القانون . وقد تعطى الزوجة الاولى الحق في الانفصال عن زوجها اذا اتخذ زوجة ثانية ضد رغبتها . وقد يعطي القانون نفسه الزوجة هذا الحق . وقد تكتسبه من شرط بهذا المعنى يتضمنه عقد الزواج . وقد ينتهي الامر في بعض المجتمعات ، الى تحريم الجمع بين زوجتين تحريما مطلقا .

نماذج من الشرائع

وفيما يلي نستعرض نماذج من الشرائع القديمة لنتعرف على موقفها من تعدد الزوجات وما صار اليه من تقييد .

عند الهندوس

فمن الشرائع ما لجأ الى وضع حد اقصى لعدد الزوجات اللاتي يجوز للرجل الجمع بينهن . ومن الشرائع التي لجأت الى هذا الاسلوب في الحد من حرية الرجل شريعة الهندوس . فقد كان من رأي الفقيه فاشستا ان من المسموح به للبرهمي ان يتخذ ثلاث زوجات وللكسريا زوجتين وللفيشيا واحدة . ويصف البيروني ما تجري به عادة الهندوس في هذا الخصوص بقوله : « وللرجل ان يتزوج بأكثر من واحدة الى اربع وما فوق الاربع محرم عليه الا ان تموت احدى من تحت يده منهن فيتم العدد منها لا يتجاوزه . ومنهم من يرى عدة النساء بحسب الطبقات حتى يكون للبرهمي اربعا وللكشتر ثلاثا وللبيش اثنين وللشودر واحدة »(٣) .

---

٣ ، مقولات الهند ص ٢٧٨ .

عند اليهود

ولدى اليهود تبيح التوراة تعدد الزوجات دونما قيد . وقد كانت لسليمان سبعمائة امرأة وثلاثمائة حظية ، كما كانت لرحبعام ثماني عشرة زوجة وستون حظية . ويقر التلمود الرجل ان يتخذ من الزوجات ما يقدر على اعالته . لكنه يذكر ان الحكماء نصحوا بأنه لا ينبغي للرجل ان يتزوج باكثر من اربع زوجات . وكان انبياء بني اسرائيل يستعملون وحدة الزوجة بوصفها رمزا على الاتحاد بين الرب واسرائيل بينما كانوا يرون تعدد الزوجات كرمز للشرك وعبادة الاوثان . (٣)

في الجاهلية

وكان العرب ، زمن الجاهلية ، يتخذون من الزوجات ما يشتهون . فقد روي ان غيلان الثقفي اسلم وتحته عشر من النسوة . ووضع القرآن الكريم حدا اقصى لتعدد الزوجات وهو اربع . ورغب في الاكتفاء بواحدة اذا خشي الرجل عدم القدرة على تحقيق العدل بين زوجاته ، بل بالاستعاضة ـ عند خوف الجور ـ بملك اليمين . قال تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا » .

ومن مظاهر الحد من حرية الرجل في اتخاذ الزوجات ، الاعتراف للمرأة بالحق في الانفصال عن زوجها اذا اتخذ زوجة ثانية . وفي بعض الشرائع يعتبر هذا حقا للزوجة بحكم القانون . وفي بعضها الآخر للزوجة ، اذا شاءت ، ان تشترط عند زواجها شرطا على هذا النحو . فاذا اغفلت ذلك لم يكن من حقها . كذلك قد يجري العرف ، في بعض المجتمعات ، بتضمين عقد الزواج شرطا جزائيا لصالح الزوجة يخولها الحق في مطالبة زوجها بتعويض اذا هو اقدم على اتخاذ زوجة ثانية .

في قانون حمورابي

ففي قانون حمورابي للزوج ان يتخذ ثانية اذا مرضت زوجته الاولى مرضا مزمنا ، وليس للزوج في هذه الحالة ان يطلق زوجته المريضة بل يلتزم باعالتها طيلة حياتها . لكن للزوجة المريضة ، اذا شاءت ، ان تنفصل عن زوجها . فقانون حمورابي يخير الزوجة المريضة ، عند اتخاذ زوجها امرأة ثانية ، بين الاستمرار في الحياة معه وبين الانفصال عنه . (٤)

وفي الارامية

وينص احد عقود الزواج الارامية ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد على ما يلي « .... وتعهد (الزوج) كذلك بأن لا يتزوج من امرأة ثانية طيلة حياتها وبالا يحتفظ في بيته بامرأة خادمة كرهها . واذا اتخذ زوجة ثانية او احتفظ بمثل هذه الخادمة في بيته فانه يتعهد بأن يدفع لها نصيب الزواج Marriage Portion كاملا .(٥)

واشتراط الزوجة عند بعض فقهاء المسلمين

واجاز بعض فقهاء المسلمين للمرأة ان تشترط على زوجها الا يتزوج عليها . فقد جاء في المغني لابن قدامة ان الشروط في الزواج تنقسم اقساما ثلاثة ، احدها ما يلزم الوفاء به وهو ما يعود اليها (الزوجة) نفعه وفائدته مثل ان يشترط لها الا يخرجها من دارها او بلدها او لا يسافر بها او لا يتزوج عليها ولا يتسرى عليها . فهذا يلزمه الوفاء لها به فان لم يفعل فلها فسخ النكاح . (٦) . ولم يجز البعض الآخر من الفقهاء مثل هذه الشروط . وفي ذلك يقول ابن حزم مثلا «واشتراط المرأة ان لا يتزوج او ان لا يتسرى او ان لا يغيب عنها او ان لا يرحلها من دارها كل ذلك تحريم حلال » . (٧)

---

(٣) Wester marck. Histoire du mariage. T. 5. Paris 1943. P. 47

(٤) انظر المادتين ١٤٨ ، ١٤٩ من قانون حمورابي .

(٥) Folk, Jewish matrimonial law in the Middle Ages. O.U.P. 1966. P. 10

(٦) انظر المغني جـ ٧ ، ص ١٤ .

(٧) المحلى جـ ٩ ، ص ١٢١

واشتراط الزوجة عند بعض اليهود

كذلك كانت عادة اليهود المقيمين في البلاد الإسلامية تجري بتضمين عقود زواجهم شروطا من هذا القبيل . ففي احدى الوثائق التي عثر عليها في المعبد اليهودي بالقاهرة ، والتي تتضمن عقد زواج يرجع الى سنة ١١٠٧ م يعد رجل من طائفة الربانيين زوجته التي من طائفة القرائين بانه لن يتخذ لنفسه زوجة ثانية اثناء حياتها ، ولن يأتي بسرية الى بيته » . (٨)

حمورابي يأذن بالتعدد اذا توافر له سبب يبرره

ومن مظاهر التضييق عدم الاعتراف للرجل بالحق في اتخاذ زوجة ثانية الا اذا توافر سبب يبرره .

فقانون حمورابي مثلا لم يكن يسمح للزوج باتخاذ ثانية الا في حالات استثنائية . اولها دأب الزوجة على الخروج للعمل مهملة بذلك شئون بيتها . فللزوج اذا لم يرد تطليقها الاحتفاظ بها كزوجة تابعة واتخاذ زوجة ثانية . ثانيها عقم الزوجة . فللزوج اذا كانت زوجته عاقرا ان يتخذ زوجة ثانية ، لكن الزوجة الجديدة لا ترتقي الى مرتبة الزوجة القديمة . واذا اعطت الزوجة العاقر احدى جواريها لزوجها وانجب منها اولادا فليس له الزواج من امرأة اخرى . ثالثها مرض الزوجة مرضا مزمنا وهي التي سبق ان تحدثنا عنها . (٩)

والهندوس يسمحون بالتعدد في ظروف خاصة

وينص فقهاء الهندوس على اسباب معينة يسمحون من اجلها للرجل باتخاذ زوجة اخرى . فيقرر الفقيه ابستمبا مثلا انه ليس للزوج ان يتخذ زوجة اخرى اذا كانت زوجته راغبة وقادرة على القيام بنصيبها في الواجبات الدينية وكانت لها ابناء . اما اذا كانت تنقصها احدى هاتين الصفتين فله ان يتخذ اخرى . ويعدد كوتيليا الاسباب التي من اجلها يسمح للرجل باتخاذ زوجة او زوجات اخريات على النحو التالي « اذا كانت الزوجة عاقرا فعلى الزوج ان ينتظر ثماني سنين . واذا كانت تلد ميتا فقط فعليه ان ينتظر عشر سنين . واذا كانت تلد اناثا فحسب فعليه ان ينتظر اثنتي عشرة سنة . وبعدئذ اذا كان راغبا في الحصول على ابناء فله ان يتزوج من اخرى » واذا خالف الرجل هذه الاحكام فلم يكن يلزم بأن يدفع اليها مهرها وأموالها وتعويضا نقديا فحسب ، وانما كان يلزم ايضا بدفع غرامة من اربع وعشرين بنا (panas) للملك . (١٠)

وبلغ تقييد حرية الرجل مداه في بعض المجتمعات حيث يحرم القانون الجمع بين زوجتين .

في الصين القديمة

ففي الصين القديمة لم يكن من الجائز للرجل ان يتخذ اكثر من زوجة واحدة وان جاز له ان يتخذ من السراري ما يشاء . واذا اتخذ الرجل زوجة ثانية ، في الوقت الذي لا يزال يعيش فيه مع زوجة سابقة ، عد مرتكبا لجريمة الزواج من اثنتين . فلم يكن يعترف بزواجه الثاني . وكان يعاقب هو وزوجته الجديدة . كما كان يعاقب كل اولئك الذين عاونوا في اتمام الزواج . وكانت عقوبة الزوج ، في عهدي تانج وسونج ، الحبس مدة سنة . وكانت عقوبة من زوج الفتاة (وليها) اقل من ذلك درجة. وكانت الفتاة ترد الى اهلها . واذا كان الرجل قد اخفى واقعة كونه متزوجا من قبل ولم تكن اسرة الفتاة على علم بذلك زيدت مدة حبس الزوج ستة شهور واعفي اهل الفتاة من العقاب . وفي عهدي منج وتشنج كان الرجل يجلد تسعين جلدة ، وكانت المرأة تعاد الى والديها ، ويلغى الزواج . (١١)

عند الاثينيين والروم

كذلك كانت شريعة الاثينيين والروم تحظر الجمع بين زوجتين . فلم يكن يسمح للرجل باتخاذ

---

(٨) فرتك ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٩) انظر المواد ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ من قانون حمورابي .

(١٠) Shastri, Woman in the sacred laws. Bombay 1959 P 33 62

(١١) T'ung - Tsu, Law and society in traditional china, Paris 1961, P 124

زوجة ثانية طالما ظل مرتبطاً بامرأة برابطة زوجية . واذا تم مثل هذا الزواج كان باطلاً . ومع ذلك فقد اعتبر فقهاء الروم عقد الزواج الثاني متضمناً فسخاً للزواج الاول . فقد ساد لدى الروم ، في عصرهم الذهبي ، مبدأ حرية الطلاق . ولهذا كانوا يعدون انعقاد الرجل زوجة ثانية بمثابة تطليق منه لزوجته السابقة . ففي ذات الوقت الذي ينعقد فيه الزواج الثاني ينحل الاول . وعندما منحت صفة المواطن الروماني لكل سكان الدولة الرومية صار قانون الاسرة الخاص بالروم واجب التطبيق على الجميع . واصبحت الشعوب التي تمارس تعدد الزوجات مطالبة بالتخلي عنه . وقد اضطر اباطرة الروم الى اصدار تشريعات تنص على تحريمه صراحة . فقد حرم الامبراطور دقلديانوس في ٢٨٥ م على كل شعوب الاقاليم ممارسة تعدد الزوجات . ويبدو ان اليهود ظلوا ، رغم هذا الحظر ، يمارسونه . الامر الذي اضطر الامبراطور تيودوزيوس في ٣٩٣ م الى ان يعلن صراحة اقترافه على ممارستهم اياه .

ورغم ان تعاليم السيد المسيح تخلو من كل اشارة صريحة الى تحريم تعدد الزوجات فان المبادئ المسيحية كانت تتضمن بذور هذا التحريم . وفي تعاليم بولس الرسول نجد الاتجاه واضحاً نحو تحبيذ اقتصار الرجل على المرأة الواحدة واقتصار المرأة على الرجل الواحد . فقد جاء في رسالة بولس الرسول الى اهل افسس « من اجل هذا يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً » . وجاء في رسالته الى اهل كورنثوس « واما من جهة الامور التي كتبتم عنها فحسن للرجل ان لا يمس امرأة . ولكن بسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ولكل واحدة رجلها » . وفيما بعد اصدر مجمع ترنت (Trente) قراره بتحريم تعدد الزوجات وتكفير كل من يقول بغير ذلك . ولا شك ان تحريم المسيحية لتعدد الزوجات قد جاء نتيجة لعاملين ، اولهما تأثر الحضارة الاغريقية والرومية وكلتاهما اعتنقت مبدأ وحدة الزوج والزوجة . ثانيهما ان المسيحية تنظر الى الزواج ، وبصفة خاصة الى العلاقات الجنسية ، باعتبارها شراً لا بد منه . ولما كان الباعث على اتخاذ الرجل اكثر من زوجة هو ارضاء الشهوة الجنسية فان من الطبيعي ان يقف رجال الكنيسة من تعدد الزوجات موقف المعارض .

واختلف موقف اليهود باختلاف اوطانهم

كذلك حرمت المجتمعات اليهودية التي كانت تعيش في المانيا وفرنسا تعدد الزوجات خلال القرن الثاني عشر . وحرمه يهود اسبانيا في القرن السابع عشر . بينما لا يزال اليهود المقيمون في البلاد الاسلامية يسمحون به ويمارسونه . ومن الطبيعي ان يتأثر موقف اليهود من تعدد الزوجات بالبيئة المحيطة بهم . ومن الطبيعي ان يكون تحريم تعدد الزوجات لدى اليهود المقيمين في بيئة مسيحية اسرع منه لدى اولئك المقيمين في بيئة اسلامية . ومن الطبيعي ايضاً ان يختلف موقف المجتمعات اليهودية من تعدد الزوجات تبعاً لمدى تقدمها الاقتصادي والاجتماعي . (١٢)

المجتمعات المدنية الحديثة

يسود في المجتمعات الحديثة الاتجاه نحو تحريم تعدد الزوجات .

ففي الدول المسيحية ما زال تعدد الزوجات محرماً تحت تأثير المسيحية من ناحية ، والتقاليد الموروثة عبر مئات السنين من ناحية اخرى . ويظهر ذلك بوضوح في البلاد التي يصطبغ فيها قانون الاسرة بصبغة مسيحية ظاهرة . كما هو الحال مثلاً في ايطاليا واسبانيا . لكن هذا التحريم قائم ايضاً حتى في تلك البلاد التي خرجت في تنظيمها للاسرة على التعاليم المسيحية في هذا الوجه او ذاك . كما هو الحال مثلاً في الدول الاسكندنافية وانجلترا وفرنسا . ذلك ان تحريم تعدد الزوجات في هذه البلاد لم يعد يستند الى مجرد كونه منافياً للتعاليم المسيحية ، وانما لانه في ذات الوقت يتعارض مع مفهوم الزواج الحديث ويناقض الاتجاه نحو المساواة بين الرجال والنساء عندهم .

والدول الاشتراكية تحرم ايضاً تعدد الزوجات سواء منها تلك التي كانت قوانينها محرمة من قبل ام تلك التي كانت قوانينها تسمح به . ذلك ان تحريم تعدد الزوجات في البلاد الاشتراكية يستند اولاً وقبل كل شيء الى مبدأ المساواة بين الجنسين . فاذا لم يكن للمرأة ان تتخذ اكثر من

(١٢) فولك ، المصدر السابق ، ص ١٢ وما بعدها

روج فكذلك لا ينبغي للرجل ان يتخذ اكثر من زوجة . وترى الدول الاشتراكية في تعدد الزوجات نظاما استغلاليا حيث ان احد الاعتبارات التي تدفع الرجل الى اتخاذ زوجات متعددات ، على الاقل في بعض الجهات ، هو الاستفادة من نشاطهن الاقتصادي .

ففي روسيا ، قبل ثورة اكتوبر ، لم يكن القانون يسمح بتعدد الزوجات . فقد كان الزواج وما يتصل به خاضعا لسلطة الكنيسة . وما كانت الكنيسة لتسمح للرجل باتخاذ زوجة ثانية . لكن تعدد الزوجات كان شائعا في الجهات الاسلامية والمناطق القبلية لا سيما في وسط وشرق اسيا . وعندما قامت الثورة الاشتراكية اتجهت سياسة الاتحاد السوفيتي الى تحرير المرأة في هذه الجهات . وكان من مظاهر هذه الحركة التحريرية محاربة تعدد الزوجات . فصدرت قوانين تحظر على الرجل اتخاذ زوجة ثانية . لكن هذه القوانين لم تطبق على الرجال الذين كانت لهم اكثر من زوجة وقت صدورها . فلم يفرض عليهم التخلي عما جاوز الواحدة وذلك لاعتبارات اجتماعية وانسانية ظاهرة .

ولا يقتصر تحريم تعدد الزوجات على البلاد المسيحية والاشتراكية بل امتد الى بلاد اسيوية كانت شرائعها تسمح به من قبل . كما هو الحال مثلا بالنسبة لجمهورية الهند . فالديانة الهندوسية ، كما راينا ، تسمح للرجل باتخاذ اكثر من زوجة . كذلك تسمح تقاليد كثير من القبائل التي تقطن شبه القارة الهندية للرجل بان تكون له زوجات متعددات . لكن المشروع الهندي اضطر ، تحت وطأة التغيرات الاجتماعية الحديثة ونمو الحركة التحريرية النسائية ، الى الغاء تعدد الزوجات وقد تم ذلك في سنة ١٩٤٨ . وعندما صدر قانون الزواج الجديد في سنة ١٩٥٥ اعيد النص فيه على تحريم اتخاذ اكثر من زوج او اكثر من زوجة . وقد نص على جزاء لمن يخالف هذا التحريم يتمثل في الحبس مدة اقصاها سبع سنين والغرامة . وجعل من اخفاء احد الطرفين واقعة كونه متزوجا من قبل ظرفا مشددا للعقوبة . ويطبق هذا القانون على الهنود بجميع فئاتهم واديانهم فيما عدا المسلمين منهم ، فقد سمح لهؤلاء بالاستمرار في تطبيق احكامهم الخاصة . (١٣)

وفي الدول الاسلامية يتسم موقف المشرع من تعدد الزوجات ، كقاعدة عامة ، بالتردد والحذر . والملاحظ ان هناك اتجاهين في المجتمعات الاسلامية المعاصرة . احدهما يطالب بالحد من حرية الرجل في اتخاذ اكثر من زوجة ، ان لم يكن بتحريم تعدد الزوجات على الاطلاق . بينما يعارض الثاني كل تدخل في هذا المجال على اساس ان مثل هذا التدخل يعتبر اعتداء على حق قد كفله الشرع الاسلامي للرجل . وحتى وقتنا الحاضر مازال الاتجاه الاخير هو الاتجاه الغالب . ومع ذلك فان بعض البلاد الاسلامية ، استجابة لضرورات الحياة الحديثة ، قد اصدرت تشريعات تحرم تعدد الزوجات او على الاقل تحد من حرية الرجل في الالتجاء اليه .

ففي تونس حرم قانون الاحوال الشخصية الجديد ، الذي صدر في سنة ١٩٥٥ واصبح نافذا ابتداء من اول يناير ١٩٥٦ ، تعدد الزوجات تحريما تاما . وهي ، الى حد علمنا ، البلد العربي الذي خطا هذه الخطوة الجريئة . وفي باكستان لم يبلغ الجراة بالمشرع هذا الحد . ومع ذلك فقد صدر في سنة ١٩٦١ القانون المسمى بالتشريع الخاص بقوانين الاسرة مقررا بعض القيود على حرية الرجل في اتخاذ زوجة ثانية . وقد صدر هذا القانون ليضع موضع التنفيذ بعض توصيات اصدرتها اللجنة قوانين الزواج والاسرة . وقد نصت المادة السادسة من هذا القانون على انه لا يجوز للرجل ان يتخذ زوجة ثانية بالاضافة الى زوجته القائمة قبل الحصول على اذن من مجلس التحكيم (Arbitration Council) الذي يتكون من رئيس مجلس الاتحاد (Union Council) وممثل لكل من الطرفين المعنيين . واذا عقد رجل زواجا بدون هذا الاذن وجب عليه ان يدفع في الحال كل مبلغ المهر المستحق لزوجته القائمة او زوجاته . وفضلا عن ذلك فان من الممكن معاقبته بالحبس مدة اقصاها سنة او دفع غرامة بحد اقصى خمسة الاف روبية (اي حوالي ٣٧٥ جنيه استرليني) او بالعقوبتين معا . (١٤) ■

محمود سلام زناتي

---

(١٣) Women of India P. 41, 80

(١٤) Rosenthal. Islam in the modern national state. Cabridge 1965. P. 333.



١٠ أسئلة و .. جوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تشتمل على ١٦ سؤالا مختلفا عن وطننا العربي الكبير .. والمطلوب منك أن تجيب على ١٠ أسئلة ـ على الأقل ـ لتفوز بإحدى الجوائز التي مجموع قيمتها ١٠٠ دينار .

١ ـ دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية .. يطلقون عليها واحدا من هذه الألقاب :

الشهباء ـ الفيحاء ـ دار السلام .

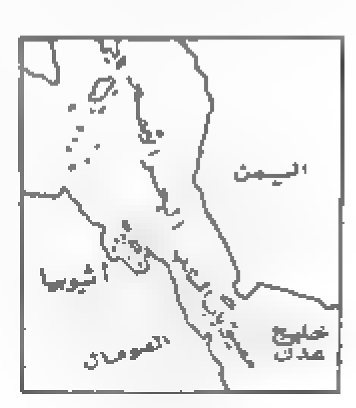
فأي هذه الألقاب الصحيح ؟

٢ ـ في بغداد أنشأ المستنصر بالله الخليفة العباسي السابع والثلاثون جامعة ذاع صيتها وانتشر ، إذ كانوا يدرسون في رحابها : العلوم القرآنية ، والدين ، واللغة ، والطب والرياضيات ، وذلك منذ أكثر من ٧٥٠ عاما . فما اسم هذه الجامعة ؟

الأسدية ـ المستنصرية ـ الناصرية

٣ ـ ما اسم المنطقة التي تغرقها مياه فيضانات دجلة والفرات في جنوب العراق ؟

بابل ـ الأحساء ـ الأهوار .



جزيرة .... ؟؟ تتوسط باب المندب

٤ ـ في وسط مدينة اشبيلية Seville ترتفع مئذنة تعتبر من أروع ما تركه العرب من آثار في الأندلس . بناها يوسف بن عبد المؤمن عام ١١٨٠ م. لتكون صومعة لمسجده الذي اندثر ، أما اليوم فهي من الآثار الهامة التي يزورها السياح يصعدون إلى قمتها المرتفعة إلى ٧٠ مترا .. وقد تغير اسم هذه المئذنة ، فما اسمها اليوم ؟

صومعة حسان ـ الجيرالدا ـ مئذنة ابن طولون ؟

٥ ـ ما اسم سلسلة الجبال التي تمتد بين تونس والجزائر والمغرب .

أرارات ـ البرانس ـ أطلس ؟

٦ ـ ما اسم الجزيرة التي تتوسط مدخل البحر الأحمر عند باب المندب وتغلق البحر الأحمر منها لو شاءت ؟

قمران ـ كوريا موريا ـ بريم ؟

٧ ـ ما اسم عاصمة جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية ؟

المكلا ـ تعز ـ عدن ؟

٨ ـ ما هو الاسم الشعبي الذي يطلقه أهل الكويت على الرياح المحملة بالأتربة التي تهب عليهم ؟

الهبوب ـ الخماسين ـ الغوز ؟

٩ ـ بغداد عاصمة الرشيد تقع على نهر :

الفرات ـ دجلة ـ شط العرب ؟



مئذنة .... ؟؟ في اشبيلية

١٠ــ هل توجد حدود مشتركة بين السودان وليبيا ؟
نعم ــ لا ؟

١١ــ هل يوجد بلد عربي ليس له ميناء يطل منه على البحر ؟
نعم ــ لا ؟

١٢ــ في بلادنا العربية واحات عديدة ، فهل يمكنك ان تبين لنا في اي بلد تقع هذه الواحات الاربع :
الفرافرة ــ البحرية ــ الداخلة ــ الخارجة ؟

١٣ــ الجبل الاخضر .. اسم مشترك يطلق على جبلين يقعان في بلدين عربيين متباعدين .
عمان ــ وليبيا ــ سوريا والمغرب ــ مصر والسودان !
فأي البلدين هذان ؟

١٤ــ سهل البقاع في لبنان .. يجري في وسطه :
نهر الكلب ــ نهر الليطاني ــ نهر الاردن ــ
فأيها الصحيح ؟

١٥ــ سبتة ومليلة مدينتان عربيتان ما زالتا تحت وطأة الاحتلال :
الفرنسي ــ البرتغالي ــ الاسبـــاني .
فأيها الصحيح ؟

١٦ــ جدة والسويس ، ميناءان عربيان يطلان على مياه البحر الاحمر ، والمطلوب ان تذكر ايا من الموانىء الثلاثة التالية يطل على نفس البحر :
الحديدة ــ بورسودان ــ سواكن .

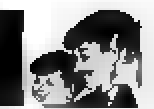
شروط المســـابقة

١ ــ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٢٨ الكويت ــ مسابقة العدد ١٤٧ .
٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر مارس (آذار) ١٩٧١ .
٥ ــ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط مرفوض لا يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي : الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع . ■■





ركن الأسرة والمرأة

الحب بين الرجل والمرأة

متى ولماذا تسأل الزوجة رجلها «هل تحبني» ؟

بقلم : منير نصيف

■ كثيرا ما تسأل الزوجة : « هل تحبني »، أو لعلها تسأل « كم تحبني »، ولكن قلما سأل الرجل زوجته عن حبها له .

فلماذا توجه المرأة وحدها لرجلها مثل هذا السؤال ؟

هل هي في حاجة حقا لأن تسمع منه أنه يحبها ؟ يقول العلماء أنه ليس في العالم كله امرأة واحدة تجهل مشاعر زوجها نحوها ، دون ما حاجة لأن يفصح لها عنها ..

فالمرأة التي تسأل زوجها هل هو يحبها أو لا يحبها ، هي تلك التي بدأت الشكوك تساورها نتيجة لتصرفات معينة من جانب زوجها لا يستطيع أحد غيرها أن يراها أو يحس بها ..

وقد يصدق إحساس الزوجة في بعض الأحيان بأن زوجها حقا لم يعد يحبها ، وقد لا يصدق ، فاذا تغير الرجل حقا ، فكثيرا ما يكون سبب ذلك تعرضه لعوامل نفسية مختلفة تتصل بعمله أو حالته المالية ، أو المشاكل التي تصادفه في حياته اليومية ، أما شعوره نحو زوجته وحبه لها فلم يتغير أو يتبدل ، كما صور لها إحساسها !

ماذا يفعل الرجل ؟

فماذا يفعل مثل هذا الرجل ؟ ماذا يقول لامرأته وهي لا تفتأ توجه إليه هذا السؤال ، وتصر على أن تسمع رده عليه ؟!

هل يقسم لها في كل مرة ، بأغلظ الإيمان أنه يحبها وأنه يعبدها ، وأنه لا يطيق الحياة يوما واحدا بعيدا عنها !

إنها قد تصدقه مرة ، ولكنها سوف تتشكك حتما في قسمه هذا في بقية المرات ..

فماذا يفعل الرجل لكي يؤكد لزوجته حبه لها ، وإخلاصه لحياتهما إذا كان حقيقة يحبها ؟!

من أعماق قلبي

تقول عالمة النفس أجنس سلاى ترنبول Agnes Sligh Turnbull في كتابها « من أعماق قلبي » Out of my Heart : « أن تصرفات الرجل مع زوجته وسلوكه في حياته وطريقة معاملته لامرأته هي التي تثير في نفسها الشعور بالشك دائما في حقيقة مشاعره نحوها .. وهي التي تدفعها الى توجيه هذا السؤال من حين الى حين ، ولكنها تريد بهذه العبارة المعروفة التي تتوقع سماعها من زوجها أن تمحو صورا ارتسمت في

المرأة تبحث عن الرجل العطوف الرقيق ، الذي يستطيع ان يقول لها انه يحبها بالف طريقة وطريقة .



مخيلتها فبرزت كيانها هزا وحسبت انها تهدد حياتها بالخطر .

الرجل الصامت الشارد !

« وقد تكون الزوجة صادقة في تصورها ، وقد لا تكون ، ولكن الشيء الثابت ، كما قدمنا ، هو تصرفات الرجل نفسه حيال زوجته .. فالرجل الصامت دائما الذي لا يتكلم الا بالقدر الذي يتطلبه الكلام .. والرجل الشارد دائما ، الذي يسرح بفكره وعقله في امور لا نهم احدا غيره هو ، والرجل الاناني الذي يهتم بنفسه اولا قبل بيته وزوجته واطفاله ، والرجل المسيطر الذي لا يريد ان يسمع كلمة اعتراض واحدة لاي رأي يبديه او رغبة يظهرها ..

واخيرا الرجل الذي يجد صعوبة في التخلص من اسلوب حياته الخاصة قبل الزواج ، ويرفض ان يعترف بان صفحة قد طويت وصفحة جديدة قد بدأت في حياته منذ ذلك اليوم الذي اختار فيه شريكة له في هذه الحياة .. مثل هذا الرجل يثير الشكوك والمخاوف في رأس امرأته ، فلا تجد امامها سوى هذا السؤال التقليدي توجهه الى زوجها من آن لآخر : « هل تحبني ؟ هل فتر حبك لي بعد الزواج ؟ لماذا تغيرت .. انني اراك رجلا آخر غير الذي عرفته قبل الزواج ؟ ماذا حدث .. هل اتيت امرا يغضبك ؟ » الى آخر ما هنالك من اسئلة تدور كلها حول كلمة الحب .. تلك التي قالت عنها ماري كوريللي Marie Corelli ، كاتبة الانجليز المعروفة (١٨٥٥ – ١٩٢٤) : « ليس هناك لذة في الدنيا تعادل الحب ، انه الحياة نفسها ! » .

عبارة جوفاء

ونعود الى السؤال الذي طرحناه ، ماذا يفعل الرجل ليؤكد لزوجته انه يحبها !

هل تكفي تلك العبارة الجوفاء : « نعم أحبك ! » لازالة ما يمكن ان يكون قد علق برأسها من شكوك !

الرجل الذى تريده المرأة

تقول الكاتبة الانجليزية كوريلي : « ان غباء الرجل هو المسئول الاول عن ترسيب هذه الشكوى في رأس امرأته .. فهى لا تريد ان تسمع هذه العبارة ، بقدر ما تريد ان تلمس حبه لها في طريقة حديثه اليها ، وفي معاملته لها ، وفي مسلكه ازاءها .. فالمرأة تبحث عن الرجل العطوف ، الرجل الرقيق ، الرجل الذى يستطيع ان يقول لها انه يحبها بألف طريقة وطريقة دون ان يضطر مرة واحدة لان يلمس لها بحقيقة مشاعره نحوها .. هذا هو ما تبحث عنه المرأة ، وهو شيء لن يستطيع مال الرجل كله ولا ما يمكن ان يشتريه لها بهذا المال من مجوهرات وملابس فاخرة ، ان يعوضها عنه !

الرجل الحنون

« الرجل الذى يصحو من نومه في الصباح فيكتشف ان امرأته متعبة ، ولكنها مع ذلك تتحامل على نفسها لتعد له طعام الافطار ، فيعيدها الى فراشها ، ويرجوها ان تستريح ، ثم يعد لها هو بيديه طعام الافطار ثم لا ينسى بعد هذا ان يودعها بقبلة رقيقة ويعدها بالعودة من عمله في ساعة مبكرة ليساعدها في شئون البيت ، وفي العناية بها .. مثل هذا الرجل تستطاع ان يؤكد لزوجته حبه لها دون حاجة الى ترديد هذه العبارة التي لا تعني شيئا » ..

ديمقراطية الزوج

« والرجل الذى يشرك زوجته في الحديث عن مشاكل العمل ومشاكل الحياة نفسها ، ويأخذ رأيها في كل كبيرة وصغيرة ، ولا يسفه آراءها ولا يحاول ان يشعرها بضعف تفكيرها ، بل يأخذ برأيها في بعض الاحيان ، ما دام يجد ان ذلك لن يضيرهما في شيء ، لمجرد ان يعطيها على استعادة الثقة بنفسها ، مثل هذا الرجل اكد مرة اخرى حبه واحترامه لزوجته .

ملكة لا خادمة

« والرجل الذى يعتبر امراته ملكة تجلس فوق عرش هذه المملكة الصغيرة التي ساهم الاثنان في بنائها ، فلا يتدخل في شئون البيت الا بقدر ما يتطلبه دوره كسيد لهذا البيت ، فلا ينظر الى زوجته كما لو كانت مجرد « ربة بيت » وظيفتها الاولى والاخيرة اعداد الطعام وانجاب الاطفال وتربيتهم .. حقيقة هذا هو دور المرأة الرئيسي ، وهي تؤدي هذه الوظيفة على ايه حال .. ولكن هناك فرق كبير بين ان تؤديها وهي راضية سعيدة وبين ان تؤديها لانها مجرد واجب يفرضه عليها هذا الرباط الذى جمع بينها وبين رجلها .. مثل هذا الرجل استطاع ان يؤكد لزوجته انه يحبها ، دون ان يقولها لها بأية لغة !

اعياد الميلاد والزواج

« والرجل الذى لا ينسى تاريخ ميلاد زوجته ، او تاريخ احتفاله بزواجه منها .. فيفاجئها بهدية صغيرة كانت تتوق لاقتنائها ، او يدعوها لسهرة بنفسيتها وحدهما في تلك الاماكن التي يحتفظان لها باطيب الذكريات ، او لا ينسى بعد ذلك ان يعيد الى اسماعها اغنية سمعاها معا في فترة الخطوبة ، او يقوما بنزهة الى مكان قضيا فيه جانبا من شهر العسل ، مثل هذا الرجل استطاع ان يحمل وحده ذلك المفتاح الصغير الذى يفتح به قلب امراته ، متى شاء ، وكلما شاء ! » .

خيبة الامل واثرها في المرأة

« والرجل الذى لا يقطع على نفسه الوعود التي يعرف انه غير قادر على تنفيذها ، فلا يبني لها القصور في الهواء ، ولا يعدها بنزهة على ظهر جواد طائر .. وانما يعد بالقدر الذى يثق انه قادر على ان ينفذه ، حتى اذا جاء الوقت الذى حدده الوفاء بوعده ، وجدت ما كان يمنيها به .

فليس هناك شيء يقتل حب المرأة لرجلها واحترامها له ، مثل خيبة الامل ..

والرجل الذى يضحي براحته وسعادته من اجل بيته وزوجته واطفاله ، فيتجرد من انانيته ، ويحرم نفسه ليسعد ابناءه ، وبيته ، مثل هذا الرجل يسعد امراته ، كما لم يسعدها انسان من قبل حتى والداها » .

الزواج فن وعلم

يقول جون ديوى John Dewey ، الفيلسوف واستاذ علم النفس الكبير (١٨٥٩ – ١٩٥٢) :

« ان الزواج ليس مجرد رباط يجمع بين رجل وامرأة ، وانما هو فن وهو علم ثم هو بعد ذلك

أعظم تجربة يمر بها الإنسان منذ أن عرف المجتمع الأسرة » .

ثم يقول البروفسور ديوي في تحليله لنفسية المرأة والرجل : « المرأة مخلوق رقيق من السهل طعنه ، ولكن ليس من السهل تضميد جراحه .. بعكس الرجل الذي لا يحس بالطعنة إلا إذا كانت قاطعة ، ويستطيع أبسط دواء أن يزيل ما تركه الجرح في نفسه من أثر .. تكفي كلمة أو إيماءة أو ابتسامة لتنسيه كل ما حدث » ..

« إلا أن المرأة تنعم بميزة يفتقر إليها الرجل ، فهي تستطيع أن تبكي في حزنها وألمها ، بينما الرجل لا تطاوعه دموعه .. ولكن هذه الدموع التي تنساب من عيني المرأة ، فتساهم في التخفيف من كربها وحزنها ، تمس رجولة الزوج وتشعره بضعفه أمام أخطر سلاح تملكه المرأة ، فتراه يفقد أعصابه أو ينطوي على نفسه تاركا الحبل لتأملات وأفكار شتى .. وربما انتهى به الأمر إلى الابتعاد عن امرأته وعن الناس مكتفيا بالصمت الذي أصبح يحتوي حياته كلها .. » .

السبب الأساسي للخلافات الزوجية

ويقول ديوي بعد هذا في سرد الأسباب الأساسية للخلافات التي تنشأ بين الزوجين : « ليس هناك شيء يجرح المرأة ويطعن كبرياءها ، مثل نظرات الاشتهاء التي تراها في عيني زوجها عندما يرى امرأة جميلة أو يبدي إعجابه بقوام فتاة عابرة » .

« إن كل رجل حر في أن يعجب بكل وجه جميل ، ولكن بينه وبين نفسه ، فليست هناك امرأة واحدة مهما أوتيت من عقل وحكمة ، تحتمل أن ترى أنثى غيرها قد استطاعت أن تنتزع اهتمام زوجها منها » !

قصة زوجة

« روت لي زوجة أحد أصدقائي ، قصة حدثت لها ، ثم طلبت إليّ بعد ذلك أن أكون حكما بينهما .. قالت : « كان اليوم هو يوم عيد زواجنا ، ولم ينسه زوجي ، فقد اتصل بي تلفونيا من مكتبه ليدعوني لتناول العشاء في الخارج . وأسرعت إلى صالون التجميل أزين شعري وأجمل وجهي ، ثم ارتديت أجمل ملابسي ، وذهبت إلى حيث تواعدنا على اللقاء ، فوجدته يقف هناك في انتظاري .

« واختار لنا صاحب المطعم ركنا هادئا فقد كان صديقا لنا وكان يعلم بالمناسبة التي جئنا نحتفل بها .. وجلسنا ورحنا نتبادل النكات والهمسات .. وفجأة وبلا مقدمات نظرت إلى وجه زوجي ، فوجدته يحدق بعينيه في المائدة المجاورة لنا مباشرة ..

« وإذا به يقول : هل ترين ما أرى .. سأضاعف بقشيش الرجل الذي اختار لنا هذه المائدة !! »

« ونظرت إلى حيث كان ينظر زوجي ، فوجدت فتاة شقراء جميلة فعلا ، تجلس مع زوجها ولا تكف عن الضحك وتوزيع الابتسامات من حولها ..

كآبة بيضاء

« ولم أشعر إلا والدم يغلي في رأسي ، وما لبثت أن أحسست بريح باردة تهب على نشوة السعادة التي كنت أنعم بها حتى لحظات قصيرة مضت .. لقد انهار كل ما كنت أحلم به لقضاء ليلة سعيدة مع زوجي في ذكرى زواجنا » .

« ويقول البروفسور ديوي : ولم أنتظر لتسألني زوجة صديقي رأيي ، فقد نظرت إلى زوجها وقلت على الفور : « لقد أخطأت ، فقد جرحت زوجتك في أعز شيء تعتز به .. في أنوثتها !! » .

قال الزوج يسألني : « وماذا كنت تفعل أنت لو كنت في مكاني ؟ » .

قلت : « كنت أنظر إلى هذه الفتاة الشقراء خلسة ، ولا بأس من القول لنفسي حقا إنها فتاة جميلة ! ثم أترك بعد ذلك مهمة إبداء الإعجاب بصاحبة الوجه الجميل لامرأتي ، فالمرأة ناقدة كما تعلم ، وهي ستراها حتما وربما قالت لي هي : « إنها حقا فتاة جميلة تلك التي تجلس على المائدة المجاورة لنا ! » .

« أما أنا فكنت أقول : « لا شك أنها جميلة فعلا يا حبيبتي ولكنني أميل إلى أن أصدق الفرنسيين عندما يقولون أن المرأة تبلغ قمة الأنوثة والجمال في منتصف العمر .. ثم أمسك بيدها في رفق وأطبع عليها قبلة هادئة مطمئنة . كنت أفعل هذا ، حتى لو كنت أعلم أنني كاذب ومنافق ! » .

وكم من زيجات تحطمت بسبب تلك الصنوف من النظرات التي لا تمتد لها في الأرض جذور .

منير نصيف



الهوى

فال فالعقل في الدنيا كذلك
فهي الهوى .

عرف عددهم

جحاء طريفة

الأهي تضحك فاضحكا

إلا تسلي حمور الا بدونها

الله لقد كفاني أنها ق : أنا اضحك لك فضحا عجيبا .



علمه السبل

ساحرا مس . وعس ل لايكدمي على

لايعساك عبدى احسدا . عال الاعسات لايرسو سه لنعسسه الا ذو المعس والامهان . معسال الرحسل لسلسك اسمعرف ؟ مال : اذا مسس .

الايام

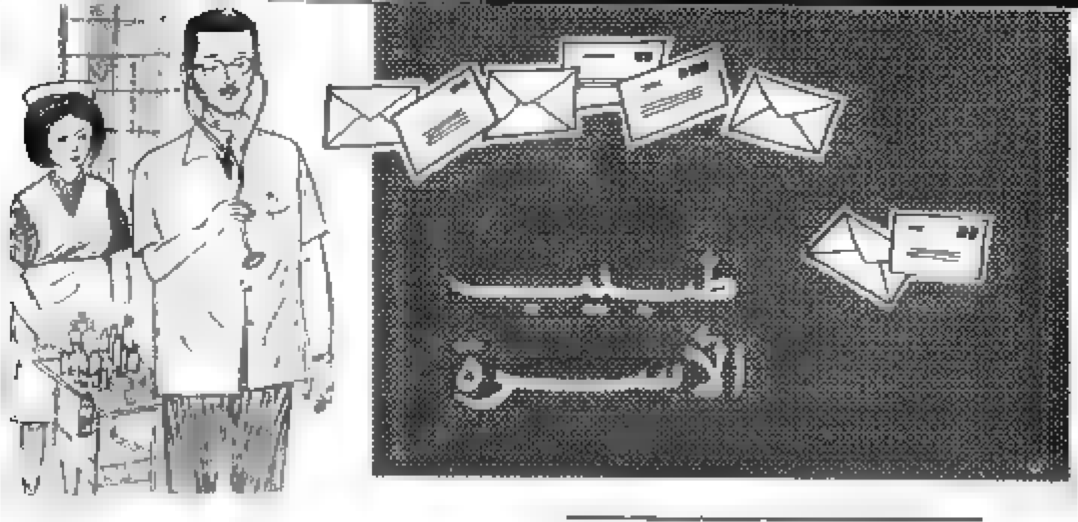
● الايام خمسه ،يوم معقود وهو امس ، ويوم مشهود وهو يومك الذى انت فيه ، ويوم مورود وهو غدك ، ويوم موعود وهو اخر ايامك من الدنيا، ويوم ممدود وهو يوم القيامه

احد باخلاق اربعه

●

اخلاط سـه

●



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

طنين الاذن .. يسبب دوارا شديدا

● في الخمسين من عمره يشعر بطنين في اذنيه ، وتعتريه نوبات دوار شديد ، مع عدم القدرة على التوازن وربما يسقط على الارض ، ما المرض وما علاجه ؟ .

ـ من وصفك للحالة ـ ولو ان الوصف غير كامل ـ احس بانك تعاني من مرض يسمى مانيير Meniere's Disease باسم اول من وصفه ، وهو عبارة عن نوبات تعتري المصاب من آن لآخر على شكل دوخة شديدة، وربما تسبب قيئاً، واجهادا شديدا ، مصحوبا بطنين في اذن واحدة او الأذنين ، مع ازدياد ثقل او ضعف السمع ، وكلما ازداد هذا الضعف في السمع الى ان يصل الى عدم السمع ، قلت نوبات الدوخة او الدوار . ويلاحظ المريض اثناء النوبة ، ان الاشياء تدور من حوله ، والقيء يستمر طالما استمر الدوار ، وفي بعض الحالات يرى المريض الشيء شيئين ، واذا حاول الوقوف رغم الاعياء الشديد الذي يعانيه منه ، فانه يترنح ، وربما سقط على الارض .

وتستمر النوبة لمدة نصف ساعة ، وربما امتدت الى ساعات ثم تتلاشى تدريجيا .

وبين النوبات من الممكن ان تحدث « الدوخة » عندما يحرك المصاب رأسه فجاة . ويصحب هذا اختلال في توازن الجسم .

والسبب في هذا المرض يرجع الى اضطراب في الاذن الداخلية مع اضطراب في عصب السمع ، والجهاز المختص في داخل الاذن الذي يحفظ توازن الجسم .

والعلاج في هذه الحالة :

في حالة النوبة، يلازم المريض الفراش، ويعطى مهدئا ، وكذلك لوحظ ان الحالة تتحسن باعطاء المريض اقراص درامامين Dramamine أو افومين Avomine وفي حالة القيء يعطى اللوميتال او اللارجاكتيل بواسطة الحقن .

وفي الحالات التي لا تستجيب للعلاج بالدواء يحول المريض الى أخصائي للانف والاذن والحنجرة ، للتدخل الجراحي وازالة الجزء المريض من الاذن الداخلية وهذا ينتهي بالصمم لهذه الاذن .



الصداع النصفي .. اسبابه مجهولة ..

● اعاني من صداع نصفي ينتابني على فترات – والاحظ في هذه الايام ان الفترة ما بين النوبة والاخرى قد قصرت والحالة تشتد – فما سبب هذا الصداع ؟ وما علاجه ؟ .

– هذا الصداع النصفي الذي تعاني منه يعرف بمرض الشقيقة « Migraine » وهو مرض معروف من زمن بعيد يعتري الانسان في كثير من الاحيان في سن مبكرة ، بعد البلوغ مباشرة ، أو في بعض الحالات بعد سن الاربعين ، ويعتري النساء مثل الرجال ، وفي بعض الحالات تعتريهن بعد سن اليأس .

وسبب المرض المباشر ما زال مجهولاً ، وما زالت الابحاث تجري للتوصل الى ذلك ، لأنه اذا توصلنا اليه امكننا التغلب على هذا المرض .

ولكن لعامل الوراثة دخل كبير – فالمرض يتوارثه الابن من الاب او الام – وهو يسري في العائلات .

ويساعد على حدوث النوبة عوامل مختلفة ، ربما لو دقق المريض في حالته لوجد أن بعض هذه العوامل لها دخل في ذلك . فعليه أن يحذرها ، هذه العوامل هي : الاضطرابات النفسية ، تناول بعض الأطعمة ، مثل الاكلات الدسمة الغنية بالدهنيات ، أو بعض الاكلات الغنية كالسمك او البيض .

وعلى المريض ملاحظة نوع الاطعمة التي تسبب له ذلك ، ثم المشروبات الكحولية ، والجلوس امام التلفزيون او في السينما لمدة طويلة ، القراءة واجهاد العين ، قبل حدوث الطمث (العادة الشهرية) ، او في ايامها عند الاناث . وربما يلاحظ المريض انه قبل بدء النوبة يحس باضطراب في عينيه ، فيلاحظ انه لا يرى جيداً في جهة او اخرى ، ويظهر امام العينين اطياف مختلفة ، ذات الوان مختلفة ، وتكون هذه مصحوبة بتنميل في الشفتين واللسان وفي بعض الحالات في اليد ، وفي الحالات النادرة يحدث صعوبة في الكلام ، وحتى ضعف في الحركة ويستمر كل هذا لفترة تتراوح بين ١٥ – ٣٠ دقيقة ثم يعقب ذلك الصداع في نصف الرأس ، وربما ينتقل من نصف الرأس الى النصف الآخر ، ويمكث هذا الصداع ساعات وربما أياماً ، ولا يرحم المصاب الا غفوة نوم ، يصحو بعدها ويكون الالم قد ذهب الى أن تعتريه نوبة اخرى . وفي بعض الحالات يصحب هذا الألم غثيان ثم قيء يتحسن الصداع بعده .

وتستمر هذه النوبات على فترات تطول ، وتطول ، وتقل حدة الصداع الى أن ينقطع تماماً بعد سنوات حتى لو لم يعالج . والواقع ان العلاج يتلخص في الابتعاد قدر الامكان من الاسباب التي تساعد على حدوث النوبة ، ثم العلاج يجب ان يكون عند بدء النوبة أي عندما يحس الانسان بالعلامات التي تسبقها وهنا يعطى الدواء على شكل حقنة Dihydroergotamine او اقراص Gynergen او Migril او Cafergot اذا اعطيت في الوقت المحدد فانه من الممكن التغلب على النوبة وعدم حدوثها .

ويساعد على عدم حدوث النوبات اعطاء مهدئات مثل اقراص اللومينال ، واقراص [illegible] ، واقراص الاسبرين ، او الكافيين وغيرها .

والملاحظ أن كل مريض يستجيب لعلاج مختلف عن المريض الآخر ، ويجب عليه ان يجرب الادوية المختلفة ، الى ان يوفق الى النوع الذي يلائمه .



شعر الجسد

● أنا فتاة في الثامنة عشرة من عمري متزوجة بشاب احبه ويحبني ، نحيا حياة هادئة مطمئنة ولكن لاحظت ظهور بعض الشعر في وجهي وفي بعض اجزاء من جسمي مؤخرا مما سبب لزوجي بعض النفور مني وقد حاولت ازالته والتخلص منه بكافة الطرق التي لم تزد الامر الا سوءا. فما هي اسباب هذه الحالة وما هو علاجها ؟

ـ ان ما تشكين منه له اسباب عديدة ومتنوعة منها :

١ ـ اسباب وراثية : فقد لاحظ الاطباء ان هذه الحالة تتكرر في العائلة الواحدة وتنتقل من جيل الى جيل . كما انها تختلف من بيئة الى اخرى فما يعتبر شاذا لدى بنات الشمال قد يعتبر طبيعيا عند نساء حوض البحر الابيض مثلا .

٢ ـ نقص هرمون الانوثة الاستروجين Oestrogen .

٣ ـ ازدياد افراز هرمون الذكورة Androgens وذلك للاسباب الآتية :



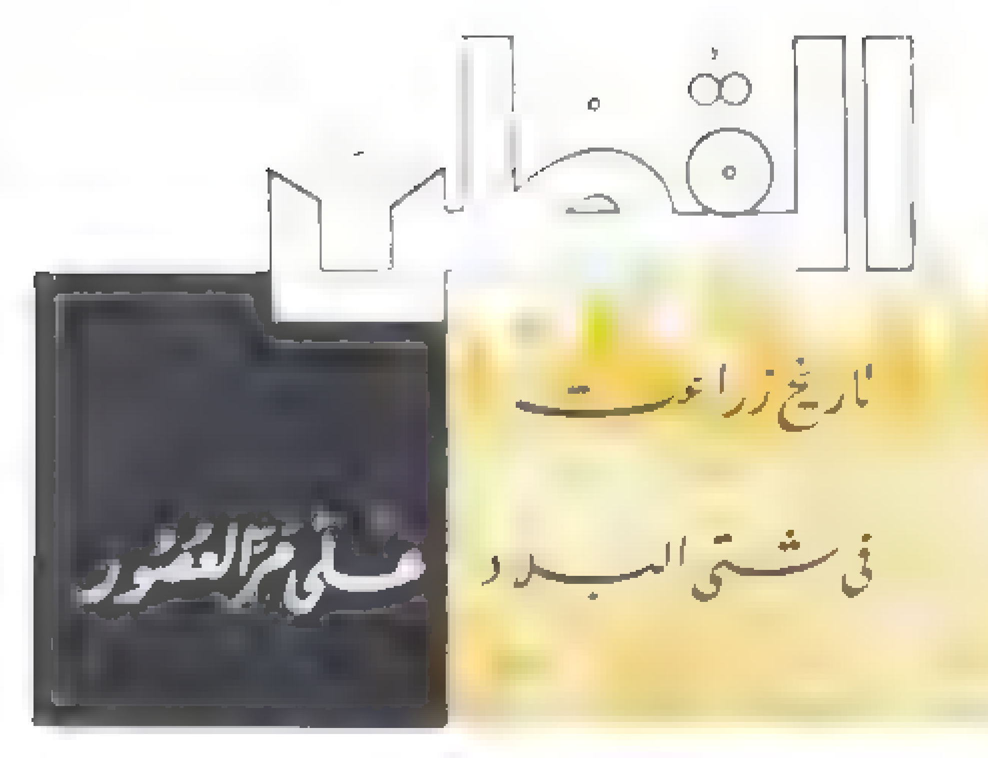
● تعاطي هذا الهرمون كعلاج من بعض الحالات .

● اورام المبيض المفرزة للهرمون الذكري .

● بعض الامراض التي تصيب الغدة الكظرية او المخ الاوسط Mid Brain او قاع الجمجمة .

التشخيص : بالفحص الاكلينيكي الدقيق وقياس كمية الهرمونات المفرزة في الدم وفي البول ، صورة شعاعية للجمجمة ، ابحاث وظائف الكلية ، صور شعاعية خاصة للغدة الدرقية . وغيرها من الابحاث والتحليلات .

العلاج : ازالة الاورام جراحيا، العلاج الهرموني بواسطة الاستروجين ، العلاج بواسطة الكورتيزون . وخلاصة الغدة الدرقية . وفي حالة عدم وجود سبب جوهري يزال الشعر بالطرق المعروفة او يدهن بمحلول مزيل للون .



بقلم : ابراهيم بولس ابراهيم

■ يعتبر القطن « الذهب الأبيض » العمود الفقري لاقتصاديات الدول العربية بعد « الذهب الأسود » الذي يحتل مكان الصدارة في اقتصاديات الدول العربية . ويحتل محصول القطن المركز الثاني في الانتاج العالمي بعد محاصيل الحبوب ، وهو المحصول الرئيسي من محاصيل الألياف في العالم .

فمتى بدأت زراعة هذا المحصول وأين ؟

استعمل الانسان الأول ما حوله من أنواع النباتات ولا سيما الألياف منها التي في صنع أدوات الحصاد وفخاخ الصيد والسلال وغيرها كما صنع لنفسه ما يلزم لكسائه ليقي نفسه شر البرد القارس والحر اللافح من جلود الحيوانات وفرائها — خاصة التي كان يصطادها بنفسه — ثم حاول ضم أجزاء من هذه الجلود بعضها الى بعض ، مستعملاً الأمعاء المجففة و بعض عظام الأسماك ، ثم تدرج بعد ذلك بالاهتداء الى استخدام بعض أنواع من الألياف النباتية

أقدم الألياف استعمالاً

من الصعب معرفة أقدم الألياف النباتية استعمالاً . ولكن المرجح أن الانسان الأول اشتغل خلال أزمنة العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث برعي الأغنام والماعز . ومن المرجح أنه بدأ باستخدام صوف هذه الحيوانات في صنع ملابسه . فقد كانت صناعة المنسوجات الصوفية حوالي عام ١٠٠٠ ق.م . خاصة في مناطق الشرق الأوسط حيث كثرت المراعي .

ومن المرجح أن ... في الصناعة في

الازمنة القديمة كانت تشمل الصوف من العراق والشام ، والكتان من مصر ، والحرير الطبيعي من الصين ، والقطن من الهند .

في الهنـد

ويرجع تاريخ القطن في الهند الى الازمنة ما قبل التاريخ . وذكر تيربروجولات Turner & Gulati انه عثر في بعض الحفريات الحديثة في منطقة ماهنجو دارو Mohenjo-Daro في وادي السند Indus في شمال غرب الهند ، على آثار لا تزال سليمة من نسيج وخيوط القطن ويدل البحث التاريخي للمكان الذي عثر عليها فيه ، على ان هذه الآثار ترجع الى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد .

واول مرجع مسجل حتى الآن جاء فيه ذكر القطن بالهند هو الانشودة الهندية اسمها « هندو ـ ريج ـ فيدا » Hindu - Rig - Veda وهذه الانشودة مكتوبة منذ خمسة عشر قرنا قبل الميلاد . وجاء فيها « كخيوط القطن في انوالها » مما يدل على ان القطن كان يستعمل في تلك العهود .

وكذلك ورد في كتب القواعد الدينية الهندية ذكر استعمال القطن عام ٨٠٠ ق.م فقد جاء ضمن هذه القواعد الدينية ان ملابس العبيد براهمان Brahman يجب أن تكون مصنوعة من القطن .

وذكر هيرودوتس Herodotus (٤٨٤ ـ ٤٢٥ قبل الميلاد) ما يأتي :

« يوجد في الهند اشجار تنمو برية ثمارها عبارة عن صوف يفوق جمالا وجودة صوف الغنم ويصنع منه الهنود ملابسهم » .

اما ما ذكره تيوفراستوس Theophrastus (٣٧٢ ـ ٢٨٧ قبل الميلاد) فيعطي ضوءا على تاريخ زراعة القطن في الهند في ذلك العهد حين يقول :

« ان الاشجار التي يصنع منها الهنود ثيابهم ذات اوراق تشبه اوراق التوت الاسود ، ولكن النبات نفسه يشبه ورد الكلاب Dog-Rose ويزرعونه في السهول على هيئة صفوف تشبه كرمة العنب » .

وقد ذكر نيركوس Nearchus احد قواد الاسكندر الاكبر الذي قاد جيشا على سواحل جنوب شرقي آسيا عام ٣٢٧ قبل الميلاد ما يأتي :

« لقد وجدت اشجارا في الهند تحمل جزءا من الصوف ينسج منها المواطنون انسجة يصنعون منها قمصانا لهم تصل الى اسفل الركبة، ووشاحا يلف حول الكتفين ، وعمامة تلف حول الرأس ، والاقمشة التي ينسجونها من هذه المادة ناصعة واكثر بياضا من الانسجة المصنوعة من المواد الاخرى ... » .

من كل ذلك يتضح ان الهند لم تكن تعرف زراعة القطن من قديم الزمان فحسب بل كانت مركزا لصناعة القطن منذ ٣٠٠٠ سنة ، وبعض انواع الانسجة المصنوعة بمغازلهم وانوالهم البدائية تفوق نعومة ومتانة مثيلاتها المصنوعة في البلاد الاخرى .

فقد ذكر الرحالة (ماركوبولو) من مدينة (البندقية) الذي طاف في آسيا في القرن الثالث عشر ، عن الاقمشة التي تصنع في منطقة مدراس في الهند « انها انعم واجمل نسيج في العالم » . كما وصف آخرون هذه الانسجة فقالوا : انها من النعومة بحيث لا تشعر بلمسها على يديك وخيوطها من الدقة بحيث يصعب رؤيتها . وعندما يوضع هذا النسيج على العشب ويتساقط عليه الندى تتعذر رؤيته لشفافيته ورقته » ووصفه شعراء الهند القدماء انه « نسيج من الهواء » .

اقاصيص العصور الوسطى

وفي القرون الوسطى كانت معظم المعلومات عن المدن النائية تصل عن طريق الرواد الذين يقومون بجولات في هذه الاقطار ، وكان هدف هؤلاء الرواد كسب تشويق سامعيهم دون مراعاة للحقائق العلمية ، فكانت تتردد في تلك الحقبة كثير من الخرافات العجيبة . ولعل مرجعه الى حالة اهالي القرون الوسطى . اذ لم تكن حالة العلم في اوروبا وقتئذ متقدمة الدرجة التي تسمح بمناقشة اقوال هؤلاء الرواد وتفنيد مزاعمهم كما لم تكن الاتصالات بين الاقطار المختلفة من السهولة واليسر بحيث تسمح بالتأكد من حقيقة المزاعم ، وكان للشرق الغامض المليء بالاسرار والذي اشتهر بسحره وفتنته ، النصيب الاوفر من قصص هؤلاء الرواد .

القطن ينتجه حيوان !

ان شعر القطن يشبه الصوف الناعم واولئك الذين لم يسبق لهم رؤية نبات ينتج مثل هذه المادة كانوا يظنون انها انتاج حيواني ، لذلك وجد هؤلاء الرواد من يصدق قصصهم الخيالية بسهولة لذلك شاعت في اوروبا خرافة « الحمل النباتي » وهو كائن حي قيل ان نصفه حيواني وينتج القطن.

وقد وصف احد هؤلاء الرحالة [illegible]

Schefer ثياب القطن عقب احدى جولاته في الشرق الاوسط فقال .

« كان على هيئة حمل ، ومن سرته ينمو ساق أو جذر يتصل بواسطته بالارض . ويتغذى هذا الحيوان بالعشب المحيط به على قدر ما يسمح به طول الساق التي تربطه بالارض . ويصعب على الصيادين اقتناص هذا المخلوق النباتي حيا ولا يمكن صيده ما لم يتمكنوا من قطع ساق اتصاله بالارض بالاسهم بمعرفة رماة مهرة ، فيسقط هذا المخلوق فورا على الارض ويفقد الحياة . ان عظام هذا الحمل اذا وضعت جانبا لمراسيم سحرية خاصة في فم احد الراغبين في التنبؤ تقمصته روح العرافة في الحال واصبح قادرا على التنبؤ بالغيب » .

ولم تكن تلك الخرافة هي الوحيدة عن القطن ، فقد شاعت خرافات اخرى قيل فيها ان في كل جوزة من جوزات القطن حملا صغيرا مغطى بالصوف . وقد ذكر الرحالة الانجليزى سير « جون ماندفيل » Mandeville الذى كان يعيش في عهد الملك ادوارد الثالث حيث غادر انكلترا ١٣٢٢ وقام بسياحة استغرقت ٣٣ عاما زار خلالها اهم بلاد آسيا وعاد يقول « وهناك شيء آخر اسرده عليكم واني وان لم اكن رأيته بنفسي ولكن سمعته من مصادر موثوق بها . فعندما تنضج جوزات القطن تنفجر ويبدو في كل جوزة حيوان صغير يشبه الحمل وهكذا يتمكن الزارعون من الحصول من هذا النبات على القطن الناعم واللحم فلذاتهم

(شكل ١) الحمل القطني كما وصفه شيفر وكما تخيله احد الرسامين الالمان في ذلك الوقت



وان كان ذلك يبدو صعب التصديق انما يحتمل ان يكون الحقيقة الواقعة » .

ولعل موضع الغرابة في هذه الاسطورة لا يقتصر على موضوعها فقط . بل شمل كذلك السهولة التي امن سمعوها بصدقها فقد عرف الاوربيون القطن ونباته في اثناء الحروب الصليبية حيث شاهدوه بسورية وغيرها من بلاد الشرق التي دارت بها رحى المعارك .

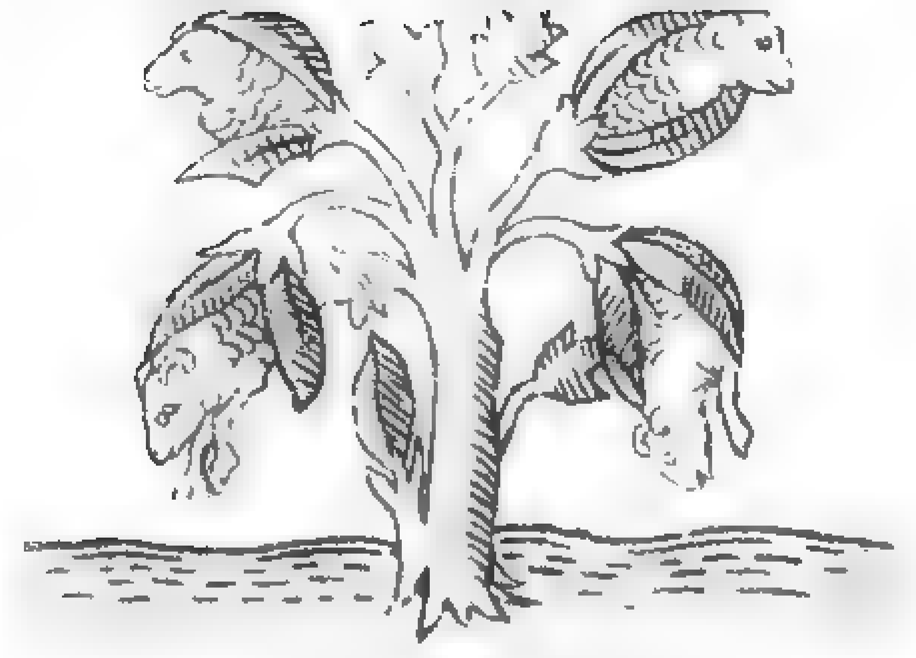
وفي سنة ١٦٤١ اذاع كيرشر ما قيل وصفا لنبات القطن بيننا انه نبات عادى كغيره من النباتات ولكنه لم يجد من يصدقه حتى اثبت برين سنة ١٧٢٥ ان قصة الحمل القطني هي خرافة لا نصيب لها من الصحة ، وان القطن لا يعدو ان يكون نباتا عاديا كما ذكر كيرشر من قبل وهكذا تم القضاء نهائيا على هذه الاسطورة .

بدء انتشار زراعة القطن في العالم

بدأت زراعة القطن في الهند ومنها اخذت تنتشر في باقي انحاء العالم . فقد كان التبادل التجارى بين الهند والصين وثيقا ، سواء بواسطة القوافل البرية او بالسفن البحرية التي تتنقل على طول الساحل بين الموطنين . وبواسطة هذه القوافل وجدت بذور القطن طريقها الى الصين . لكن الشعب الصيني شعب متحفظ ضد كل جديد ، لذلك ظلت زراعة القطن اجيالا مقتصرة على استعماله كنبات للزينة ، فلم يستعملوه في نسج ملابسهم رغم جودته ورخصه بل فضلوا عليه لباس آبائهم واجدادهم . وظلوا كذلك حتى سنة ١٣٠٠ بعد الميلاد . حتى بدأت زراعته وتزايد في الانتشار في هذه البقاع .

وكذلك انتقلت زراعة القطن من الهند الى غرب آسيا ، فقد شاهده بليني Pliny (سنة ٢٣ ــ ٧٩ بعد الميلاد) القطن مزروعا في جزيرة تيلوس Tylus في الخليج العربي كما شاهده ثيوفراستوس في الجزيرة العربية ، ولكن تفضيل سكان هذه البلاد لزراعة المحاصيل الغذائية لحاجتهم الماسة اليها عاق توسيع زراعة القطن في هذه المناطق .

ولو ان العرب لم يتوسعوا في زراعة القطن في بلادهم الا انهم عملوا على انتشار زراعته في مختلف بقاع العالم ، فلم تدخل زراعة القطن الى اوروبا الا بفضل العرب ، فادخلوه في جزيرة صقلية في القرن التاسع الميلادى ، وفي اسبانيا في اوائل القرن العاشر . ثم لم يلبث ان امتدت زراعته الى جنوب



(شكل) ٢ نبات القطن الحيواني كما وصفه ماندفيل
وكما تخيله احد الرسامين الالمان فى القرن الرابع عشر .

ايطاليا وما جاورها ، لم انتقل الى البولدن فى القرن الثانى عشر . ويذكر وات Watt وهو عالم لغوى انكليزى عند بحثه عن مصدر كلمة Cotton ومشتقاتها باللغات الافرنجية انها مأخوذة من كلمة القطن العربية .

تاريخ القطن فى الدنيا الجديدة

من العجيب ان القطن كان معروفا فى بعض مناطق امريكا الجنوبية . فقبل اكتشافها كان القطن ينمو بريا فى البرازيل وبيرو من عهد ماقبل التاريخ رغم انفصالها انفصالا تاما عن الدنيا القديمة . مما قد يؤيد نظرية الدكتور تور هايردال The Hyrdall الذى حاول هذا العام العبور من افريقيا الى امريكا الجنوبية بقارب البردى « رع » ليثبت وجود اتصال قديم بين الدنيا القديمة والدنيا الجديدة سابق لاكتشاف الامريكتين .

وقد لاحظ ماجلان Magellan وبحارته عند اكتشافهم البرازيل عام ١٥١٩ ان المواطنين يستعملون انسجة قطنية ويبدو ان هؤلاء الوطنيين كانوا يقطفون القطن هذه النباتات البرية لغزلها واستعمالها .

ومع ان بيزاروا الاسبانى Pyzaro الذى غزا « بيرو » عام ١٥٢٢ وجد ان سكانها الوطنيين يلبسون قمصانا طويلة من الانسجة القطنية كما عثر فى مقابرهم على ما يثبت ان الانسجة القطنية استعملت لديهم من اقدم العهود قبل اكتشاف امريكا ، لم يبدأ زراعة القطن فى الانتشار فى هذه المناطق الا بعد مضى نحو قرن على اكتشاف هذه البلاد .

تاريخ القطن فى الجمهورية العربية المتحدة

مما يلفت النظر ان مصر ذات الحضارة العريقة التى ترجع الى نحو خمسة الاف عام والتى عرفت فى عصور التاريخ القديم بنشاطها التجارى وفتوحاتها وغزواتها العديدة لم تستعمل القطن فى النسيج حتى عام ٤٠٠ ق . م. وان جميع منسوجات النسيج التى عثر عليها فى مقابر قدماء المصريين حتى ذلك التاريخ كانت مصنوعة من الكتان .

والمأثور عن الملكة كليوباترا — وهى آخر ملوك البطالسة فى مصر — انها لم تجد هدية تقدمها الى يوليوس قيصر فى روما اثمن من قميص حاكته بأناملها وانامل وصيفاتها من خيوط القطن فى ثلاثة ايام .

واشتهرت مصر ايضا فى عصر الرومان (من سنة ٣٠ قبل الميلاد حتى سنة ٦٤١ بعد الميلاد) بزراعة

القطن وتجارته وصناعته غير ان انتشار الظلم في أواخر عهدهم واختلال الأمن أدى الى انحطاط زراعة القطن وصناعته .

وفي سنة ١٩٤٧ م كشف الاستاذ يشتلي بمعظر جمعية الآثار القبطية بدير « انبا فويبامون » في الصحراء بجوار مدينة أرمنت على مخلفات من الانسجة وحبال وسلال والسلال يرجع تاريخها الى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد كما تدل عليه النصوص والآثار التي وجدت في المعثر ، وقد تبين من الفحص الميكروسكوبي أن بعض الأنسجة مصنوعة من القطن ويعتبر هذا أول اكتشاف للقطن في مصر في العهود القديمة .

كما عثر على منسوجات أخرى من نفس العصر في بلدة قبطية جنوبي مصر واعتقد مكتشفوها أنها من الكتان ولكن بإعادة فحصها اتضح أنها من القطن .

وكان القطن معروفا لدى العرب قبل فتحهم مصر ، واتسعت زراعته في مصر بعد الفتح العربي حتى انه في القرن الثامن للميلاد كان بمدينة الفسطاط مخازن كبيرة للقطن .

وقد تكلم بعض الكتاب العرب والمصريين عن زراعة وصناعة القطن في مصر منهم الشريف محمد ابن محمد الادريسي الصقلي وهو من علماء الجغرافيا المشهورين في القرن الثاني عشر ، وابن البيطار ، في القرن الثالث عشر ، وداود الانطاكي الذي عاش في القاهرة في أواخر القرن السادس عشر . وقد قال :

« ان القطن نبات حولي يزرع في شهر برمودة (ابريل — نيسان) ويخرج على ساق لم يتفرع ويزهر ويحمل جوزا بشكل التفاح ويتفتح عن شعر القطن وانه في مصر يقلع كل عام بخلاف العراق فانه يترك حتى يصير شجرا » .

وفي عهد العثمانيين اضمحلت زراعة القطن بسبب استبداد الولاة ولم تنل زراعة القطن وصناعته في عهدهم اي عناية .

تاريخ القطن في سوريا

من المرجح ان تكون بذور القطن قد انتقلت الى سوريا قبل الميلاد بواسطة القوافل البرية التجارية بين الهند وبلاد غرب آسيا ، ولكن قد عاق انتشار زراعة القطن في الاقليم السوري وما جاوره في بلاد غرب آسيا ما كانت تعانيه بلاد غرب آسيا من نير الاستعمار الروماني وحاجة المستعمر الى زراعة المحاصيل الزراعية ووفرة الصوف في هذه البلاد .

ولم تنتشر زراعة القطن في سوريا الا عن طريق العرب ، لأن العرب — ولو انهم لم يزرعوا القطن في بلادهم — عملوا على انتشار زراعته في مختلف بقاع العالم فنشروا زراعته في سوريا عقب الفتح الاسلامي لهذه البلاد .

ويذكر مؤرخو العرب انتشار صناعة غزل القطن في مناطق سوريا ولا سيما مناطق حلب وعلى ضفاف الخابور ، كما ذكروا انتشار صناعة غزل القطن ونسجه في كثير من المدن العربية في تلك العهود . فقد ذكر الاصطخري الذي ألف كتاب المسالك والممالك سنة ٣٠٢هـ (٩١٥م) و « رأس العين على مستوى أرضها الغالب فيها القطن ويخرج زيادة على الكفاية من كلها صالحة » .

ومنها قول ابن حوقل البغدادي الذي يجوب بالبلاد سنة ٣٣١هـ (٩٤٣م) و « نهر الخابور عليه مدائن كثيرة قد سكنها ووصلها ، كمدينة عربان وهي مدينة لطيفة كثيرة الأقطان ونبات القطن يحمل منها الى الشام وغيرها » .

وذكر ياقوت الحموي الذي كانت رحلاته بين اعوام ١١٧٩ و ١٢٢٩م في معجمه المعروف « ان الله خص حلب بالبركة وفضلها على جميع البلاد ، وانه يزرع في اراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش والتين والتفاح عذيا لا يسقى الا بماء المطر ويجيء مع ذلك رخصا » .

وهكذا فان زراعة القطن لم تكن مزدهرة بسوريا فحسب بل ان صناعة غزله ونسجه ازدهرت في البلاد ايضا . ولكن لما غزا المغول هذه المناطق صحب غزوهم اضطرابات وقلاقل كانت عاملا لاضمحلال زراعة القطن فيها . وبقيت زراعته مركزة على نطاق ضيق في بعض مناطق غرب حلب .

وقد ذكر الرحالة الدكتور رسل الذي قام برحلة في الشرق الاوسط عام ١٧٥٤ في كتابه ان القطن يزرع في بعض مناطق حلب القريبة كما يزرع كمحصول في مناطق غرب حلب .

هذه نبذة عن تاريخ زراعة القطن . ومنه يتضح انه من اقدم المحاصيل التي زرعها الانسان في الدنيا القديمة والدنيا الحديثة .

ابراهيم بولس ابراهيم
مدير عام محطات البحوث الزراعية
وزارة الزراعة — القاهرة


القات



استطلاع
سليم زبال
تصوير
اوسكار متري

انها مأساة اجتماعية .. بل هي مشكلة اقتصادية من اعقد المشاكل التي تواجه هذا الجزء من وطننا العربي .. اليمن ..

حاولوا علاجها .. ولكن استعصى العلاج ..

وصفوا للمرضى الدواء، فلما ذاقوا مرارته اعرضوا عنه وولوا هاربين !

وقال القائلون « مالكم بنا ، هذه حياتنا، عشناها ونعيشها منذ مئات السنين ؟ !! » .

فما اسم هذه المشكلة .. وما هو شكل هذه المأساة ؟

الجواب على هذا السؤال يتلخص في كلمة واحدة .. انها القات ..

■ مشاكل ومآسي تشدنا الى الوراء وتعوق مسيرنا نحو حياة افضل كريمة ..
وفي كل مرة يسعى الساعون لعلاج احدى المآسي يصطدمون بجدار من الاستنكار ، بحجة انها مشاكل تحولت مع الزمان الى مقدسات من المحرم على الناس ان يتناولوها بالنقد .. لانها تمس سمعتنا .. فكيف ننشره على العالم ؟! .

انها مشاكل موجودة في كل مكان ، وفي كل جزء من وطننا الكبير .. ولكنها في اليمن — موضوع استطلاعنا اليوم — تاخذ طابعا فريدا غريبا .. القات .. ويلعنون اليوم الذي عرفوا فيه هذا السم الخبيث القات ! .

يمضغ ويلعن !

والقات هو شجرة دائمة الخضرة ، اصبح المواطن اليمني اسير اوراقها اللامعة ، يملأ بها فمه ، ويسير بها يمضغها في كل مكان .. في المنزل والمتجر .. في السينما والمقهى .. وفي الحقل والمكتب .. في السيارة وعلى الدراجة .. لا فرق بين رجل وامرأة .. ولا عامل وفلاح .. حتى الوزير في مكتبه .. والمحافظ في مركزه .. والعالم حيثما كان .. كلهم يمضغون القات .. ويلعنون القات .. ويلعنون اليوم الذي عرفوا فيه هذا السم الخبيث القات ! .

خسارة ٣ آلاف مليون ساعة !

وكان لا بد ان نحضر جلسة قات .. وانتهت الجلسة وثارت ثائرتنا على ما شهدنا .. وتوجهنا مباشرة الى مكتب رئيس وزراء اليمن دولة محسن العيني نسأله — مثل بساطة — : « لماذا لا تمنعون القات بجرة قلم ، وتريحوا البلاد من مآسيه ومشاكله ؟! » .

ونظر الينا رئيس الوزراء وقال بالم ومرارة : « ما من شك ان في سؤالكم الكثير من البراءة ، ولكن مشكلة القات لا يمكن حلها بجرة قلم ..

وكم بودي ان اوقع في هذه اللحظة قرارا يمنع زراعة القات ، اذا كان هذا يقضي على هذه المشكلة ولكني اعلم انها سوف تخلق لليمن مائة مشكلة اكثر تعقيدا من مشكلة القات نفسه .

ويتابع رئيس وزراء اليمن كلامه بقوله « يكفي ان اذكر لكم ان اليمن تخسر سنويا ما يزيد على ثلاثة آلاف مليون و ... مليون ساعة عمل ! ان هذا الوقت الهائل هو الذي يقضيه ابناء اليمن في مضغ القات وتخزينه كل سنة ... انه وقت ثمين للغاية ، بلادنا في اشد الحاجة اليه ، يضيع هكذا دون اي فائدة او مكسب للبلاد ، فيصيب اقتصادنا القومي بخسائر فادحة ..

« تصوروا اننا حاولنا دعوة موظفي الحكومة للعمل في الدواوين بعد الظهر لنسرع في حل بعض مشاكل اليمن المستعجلة ، ولكن مواعيد التخزين للقات اي خزنه في اشداقهم ، وقفت حائلا بيننا وبين تحقيق امنيتنا .. انها مأساتنا ومشكلتنا الكبرى ؟! » .

القات قبل رغيف الخبز

وانطلقنا من مكتب رئيس وزراء اليمن نبحث عن القات .. زرنا مزارعه على قمم الجبال ، واشتركنا في مجالس مضغه وتخزينه في القرى والمدن .. وتحدثنا مع المدمنين ، والمزارعين ، والمشترين .. لتخرج بهذا الاستطلاع الجديد الذي تقدمه لك في هذا العدد .

بدأنا الرحلة مع اشراقة كل صباح .. ما يكاد الناس يتناولون طعام الفطور وتتجمع لديهم بضعة ريالات حتى يسرع — كل منهم — الخطى الى السوق .. سوق القات ليشتري ربطة قات ، قبل شرائه رغيف الخبز اللازم له ولاطفاله .

ويتضاعف الرثاء لحالة هذا اليمني الطيب ، عندما نعلم ان زوجته واولاده — فوق سن السابعة — كلهم يمضغون القات ويخزنونه في اشداقهم !

متى عرفت اليمن القات ؟

ان هذه العادة السيئة بدأت منذ عام ٥٢٥م . اي قبل الاسلام بتسعين عاما ، عندما دخلت شجرة القات الى اليمن مع الفتح الحبشي لها ..

ولكن ابناء الشعب يروون عن دخول القات الى اليمن قصة طريفة تقول : ان الذي ادخل القات الى اليمن متصوف حضرمي اسمه ابراهيم ابو زربين ..

سافر الى بلاد الاحباش ، وفي اثناء تجواله هناك شاهد قطيعا من الماعز مستسلما لنوم عميق ، وفي فم كل شاة بقايا ورق اخضر انتزعته من اشجار مجاورة ..

وجرب الشيخ ابراهيم هذا النبات — وكان

هو القات ـ فاستعذبه وقرر نقله الى بلاده ، وفي هذا يقول الشاعر :

امسى يجمع شمله   حتى تعلى الجرابي
شيء يحدث عنه   وفي الحديث الصواب
فصدقوه وذاقوا   من مثله واستطابوا

حديث مع مزارع قات

واتجهنا الى تعز ، ومنها امتطينا ظهور البغال للصعود الى جبل صبر ، اذ لا يوجد طريق معبد يوصل الى قرى هذا الجبل ، والسبب هو مزارع القات .. ان ٩٩٪ من مزروعات هذا الجبل الخصب هي القات . والفلاح لا يريد التنازل عن شبر واحد من ارضه لشق طريق معبد !؟

واستقبلنا صاحب احدى المزارع ، وقد انفرج فمه فظهرت اسنانه سوداء ملونة باللون الاخضر .. انه يمضغ القات منذ الصباح الباكر .. وقدم لنا رزمة من القات ، فقلنا

ـ ولكننا ما زلنا في الصباح ولم يحن موعد تخزين القات ؟

فاجابنا قائلا : « اننا هنا نمضغ القات في جبل صبر مدة ٢٤ ساعة متواصلة .. لا فرق عندنا بين صباح او مساء .. »

قلنا : ولكنكم ستعانون دون شك من الامراض العديدة التي تنتج من مضغ القات ؟

فقال بسرعة وبحضور بديهة : يقول المثل عندنا داوِ الاجساد بما تعتاد .. والقات هو علاجنا ، لاننا تعودنا عليه !

قلنا . ما رأيك لو منعت الحكومة زراعة القات ؟

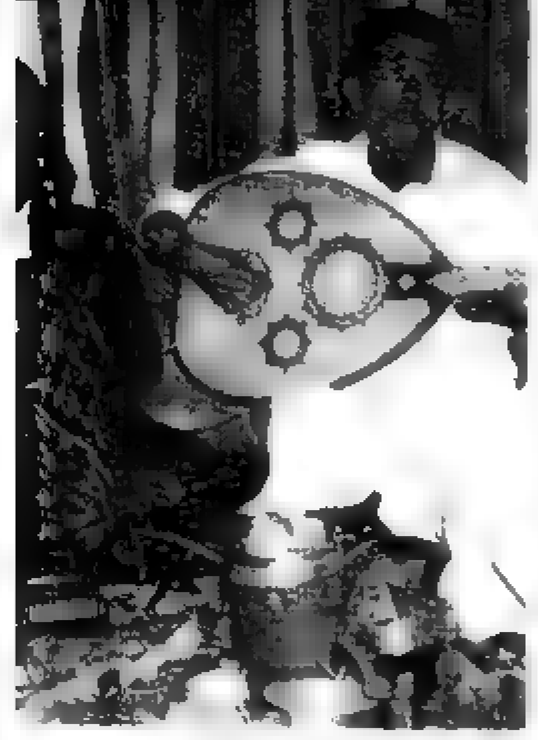
فتنهد طويلا وقال : « مستحيل ان يحدث هذا .. لان اليمن هو القات ، والقات هو اليمن ، والحكومة تعيش على القات ! .. فاذا ما فكرت في منع القات ، فانها تقتل نفسها واليمن معها .. »

ويعتقد أهل صبر ان زرع القات يحمي المنطقه من الاوبئة ، وان من يحمل غصن قات على صدره يكون بمنأى عن عدوى الاوبئة !!

شجرة القات

ودخلنا احدى مزارع القات .. فوجدنا الارض مقسمة الى مدرجات يعلو بعضها بعضا ..

ويزرع القات بغرسه شجيرات متباعدة ، بين كل منها خمس اقدام على الاقل ، وتؤخذ الشجيرة من الشجيرة الاصلية التي تعطي في المعتاد الشجيرات كل موسم ..



يلعب العود دورا هاما في جلسات القات بصنعاء فهو ينتقل من يد الى يد .. وهذا هو الاستاذ عبد الكريم [illegible] طربه ، بعضها [illegible] ، ومعاناته [illegible] الدكتور محمد [illegible] هذه الاغاني ويحتفظ على اشرطه

وشجرة القات خشبية دائمة الخضرة ، لا ثمر لها ولا زهر .. يزرع النوع الجيد منها ابتداء من ارتفاع ١٠٠٠ متر اما النوع الرديء فهو المزروع في السهول والمناطق الواطئة ..

ويصل طول شجرة القات الى ارتفاع ٢٠ قدما في بعض الاحيان ، ولكنها تقطع رؤوسها عندما تصل الى هذا الارتفاع حتى تنمو من جديد على ارتفاع منخفض فيسهل قطف اوراقها .. وتعمر هذه الاشجار ٢٠ عاما ، وتورق اوراقا جديدة على مدار ايام السنة ، لهذا يكون القات متوافرا دائما لا ينقطع سواء في الصيف او الشتاء ..

وفي ضواحي صنعاء يقوم الرجال بقطف اوراق شجرة القات ، اما في جبل صبر ، فتقوم النساء بقطف الاوراق الصغيرة الخضراء الرطبة من اعلى الشجرة وربطها بقشر الشجر والحشيش على هيئة ربطة او رطلة بها نحو ٢٥ غصنا ، ويضعن هذه الرزم في سلة كبيرة يضعنها فوق رؤوسهن





ويقفزون بها فوق صخور الجبل ، متوجهات الى سوق تعز بأقصى سرعة ، لأن القات الطازج هو المرغوب .

لماذا أخذ القات مكانة البن ؟

ويملك الفلاح الواحد في جبل صبر نحو ٥٠ شجرة قات في المتوسط ، ولكن هناك من يملك أعدادا لا حصر لها تزيد عن ألفي شجرة ، وهذا معناه ثروة كبيرة كما اتضح لنا عندما قلنا لصاحب مزرعة جديدة :

— لماذا لا تقلع شجرة القات وتزرع بدلا منها شجرة البن ؟!

فأجابنا متعجبا مبتسما : « هذا ما فعلته فيما مضى ، ولكن عكست .. فقد قلعت شجرة البن لأزرع مكانها شجرة القات !! »

قلنا متسائلين « ولكن هذه جريمة .. »

فأجابنا محتدا : « تقولون جريمة ، دون محاولة فهم وضعنا كمزارعين .. لقد تدهورت أسعار البن في الأسواق العالمية تدهورا كبيرا ابتداء من عام ١٩٦١ أضف الى ذلك أن الشركات المحلية الاحتكارية التي كانت تشتريه منا وتبيعه للعالم ، كانت تفرض علينا السعر الذي يناسبها دون أن يكون لنا حق معارضتها .

ان شجرة البن كانت تعطيني ايرادا سنويا لا يزيد عن ٦٠ ريالا ، في حين أن شجرة القات أقطف منها على مدار السنة ، فتدر على كل شجرة ربحا لا يقل عن ألف ريال سنويا .. ان ربحي من زراعة القات يفوق ربحي من أي زراعة أخرى .. فلماذا تلوموني على قلع شجرة البن وزراعة شجرة القات محلها ؟ .. ثم اننا أصبحنا نصدر القات الى عدن بكميات تصل الى ٨٠ ألف جنيه استرليني شهريا .. »

من مخا MOCHA !

وهكذا تدهورت ثروة اليمن ، تدهور بنها العالمي المسمى « مخا » نسبة لميناء المخا الذي كانت تصدر منه .. ومن الطريف أن العالم اشتق اسم البن من كلمة مخا اذ قلبها الى Mocha . أما الغريب فهو أن أهل اليمن يستهلكون قشرة البن فقط ، أما الحبة نفسها فلا يستعملونها .. ولذلك يطلقون اسم سوق القشر على سوق البن !

لقد كانت اليمن تصدر ١٦ ألف طن من البن سنويا ، أما اليوم فقد انخفض الرقم الى ٣ آلاف طن فقط ..

وينافس البن شجرة القات حتى ارتفاع ٢٢٥٠ مترا وبعدها يسيطر القات تماما على مدرجات الجبال الخصبة ، لأن القات يتحمل البرد والرياح بعكس البن الذي يحتاج الى مصدات الهواء ، حتى لا تسقط زهرته التي تزهر في الصيف ، ثم تتحول الى حبة صغيرة خضراء لا تلبث أن تحمر قبل أن تقلى فتأخذ لونها البني الأسود الظريف ..

وشجرة القات لا تحتاج لأي مجهود من أجل زراعتها .. التربة السيئة تصلح لها ، بعكس البن الذي يتطلب تربة خصبة .. والجراد لا يأكل ورق شجرة القات ، ولكنه يعري تماما شجرة البن من كل أوراقها .. وشجرة البن تحتاج الى سقي وتطعيم ومكافحة حشرات ، بعكس شجرة القات التي لا تحتاج الى ماء كثير ، ولا الى أي مكافحة للحشرات ، واذا أضفنا الى كل هذا ، الاجراءات التعسفية التي كانت مفروضة على الفلاح من أخذ عشر المحصول ضريبة حكومية ، ثم الثلثين لصاحب الأرض وما تبقى يأخذه منه ليبيعه بسعر مفروض عليه لا يرضاه .. لأنه كل هذا نجد أن قلع الفلاح لشجرة البن هو تصرف معقول من ناحيته ..

ضرر على اقتصاد البلاد

وترتفع أصوات الاحتجاج ترد على هذا الرأي بقولها : « بالرغم من أن القات يعتبر أحسن مورد مالي للمزارعين الا أنه لا يعتبر سلعة صالحة للتصدير بكميات كبيرة للخارج .. وفي هذا ضرر بالغ على الاقتصاد القومي ، وعلى الميزان التجاري ، ودخل البلاد من العملة الصعبة التي هي في أشد الحاجة اليها ..

ويجري حاليا محاولة جادة من قبل مكتب الأمم المتحدة لزرع ٢٥٠ هكتارا بشجيرات البن ، مع دفع اعانة للفلاحين خلال فترة الخمس سنوات اللازمة حتى تعطى شجرة البن ثمارها الأولى ..

أين تقرير الأمم المتحدة ؟

ان مشكلة القات تفتقر الى دراسة جدية .. والشعب اليمني يجهل كل شيء عن هذا العدو الخفي الذي يصيبه بأفدح الأضرار .. وقالوا لنا : « لقد قامت الأمم المتحدة بعمل دراسة شاملة عن القات ، ولكن هذه الدراسة ما زالت طي الكتمان ، لم يعلن عنها رغم مضي ٦ سنوات على اتمامها ..

واتجهنا الى مكتب الامم المتحدة في صنعاء ، انه ما زال يختفي منه منذ اكثر من عشر سنوات ، فشل خلالها في عمل اى شيء صالح لليمن ، حتى اضطرت الإدارة العامة في نيويورك الى تغيير كل الاداريين والفنيين العاملين بمكتبها باليمن .

وسألنا المدير الجديد النشيط عن التقرير الذى اعدته المنظمة الدولية ، وفوجىء الرجل ، وضغط على الازرار التى امامه وسأل معاونيه عن هذا التقرير ، فوعدوا بالبحث عنه .

ولم تكن هناك الا صورة فوتوغرافية عن النسخة الاصلية ، اضطررنا الى دفع اجر اضافى للسكرتيرة التى قامت بنسخ صورة خاصة من هذا التقرير المكون من ١٩ صفحة فولسكاب ..

عصبة الأمم تهتم بالقات

ويرى هذا التقرير في احد فصوله مدى اهتمام الامم المتحدة بالقات فيقول .

يرجع الاهتمام الدولى بالقات الى ما قبل انشاء الامم المتحدة .. ففى عام ١٩٣٥ بدأت اللجنة الاستشارية لعصبة الامم بأول دراسة عن القات .. ولكنها لم تسفر عن اى نتيجة .. وظلت مشكلة القات تعانى من الناحيات حتى اوصت اللجنة الخاصة بمكافحة المخدرات ، هيئة الصحة العالمية بالقيام بدراسة طبية عن التأثير الطبى لعادة ادمان مضغ اوراق القات ..

وقامت هيئة الصحة العالمية بعد ذلك مباشرة بالعمل ، وقد اتاح لها ان عزل العنصر الفعال يجب القيام به قبل اجراء اى بحوث مخبرية او بحوث عملية على الخواص الطبية الاكلينيكية لهذا العنصر ، وقد تبين ان عملية التحليل والفصل الكيميائى عملية صعبة للغاية استهلكت وقتا اكثر بكثير مما كان مقدرا لها .

دول تحارب القات .. ودول تسمح به

وظلت الاتصالات الطويلة المملة تدور في الامم المتحدة ، وجاءت التقارير تفيد ان عدن والصومال البريطانى رفضا الحظر على استيراد القات ، وان المملكة العربية السعودية اصدرت قرارا سنة ١٩٥٨ بالحظر بمنع زراعة او استعمال القات . كما قامت حكومة الحبشة بتقديم تقرير تعود فيه ان تأثير القات لا يدخل تحت المواصفات التى يمكن ان يطلق عليها لفظ ادمان المخدرات .. وانه نتيجة لهذا لا يوجد سبب لمنع او تحديد زراعة القات في الحبشة .

وقدمت حكومة اليمن تقريرا في ذلك الوقت (١٩٥٨) قالت فيه ان القات ليس مخدرا !! .

حتى من اسرائيل قدمت الاخيرة تقريرا يفيد ان القات يزرع في كل القرى الفلسطينية المحتلة ، التى توجد بها الغالبية من المهاجرين اليمنيين اليهود !! .

اما السودان فعندما بدأ القات يرد اليه عام ١٩٥٧ قامت الحكومة باصدار القوانين لمنع زراعته او استعماله . وفي المغرب اضيفت اوراق القات ومستحضراته على جدول العقاقير المخدرة ..

وفي عام ١٩٥٨ اضافت مصر القات على قائمة النباتات الممنوع زراعتها بالبلاد .

مشكلة في عدن والسبب : القات !

من هذه النظرة السريعة على تقرير الامم المتحدة يتضح لنا ان مشكلة القات ليست مشكلة اليمن بمفردها ، وانما هناك دول اخرى مرتبطة معها .. وخاصة مشكلة عدن وامارات الجنوب العربى في ذلك الوقت .. ففى عدن يقبل الناس على مضغ وتخزين القات بشراهة زائدة ، وعندما الغت السلطات البريطانية مجرد فقط ، استيراد القات الى عدن ، انطلق الناس من عدن هاربين الى لحج ودار سعد لشراء القات ومضغه هناك .. وحدثت ازمة في اليد العاملة في عدن ، مما اضطر سلطات الاحتلال الى الغاء قانون منع استيراد القات بعد سنة واحدة من صدوره !! .

في سوق القات

وبيع القات الطازج في اليمن لا يبدأ قبل الساعة ١٢ ظهرا .. وعند حلول هذه الساعة يهرب الموظف من مقر عمله الحكومى ، ويتجه الى سوق القات تاركا شاله الطويل الاحمر على المكتب كتأكيد بأنه عائد ! وفي سوق القات المكتظ بالناس ، تبدأ عملية الاختيار ، لان القات انواع عديدة تختلف من بلدة الى اخرى، فهي تعز يجد الموارض والشرعبى والحمدة والبرج والكتى والصبرى .. وفي صنعاء يجد القربة والعلانى والهمدانى والحرازى والسوطى وهو النوع الرديء . وبينما يتمثل القات في اختيار النوع المناسب ، يمسك بالربطة وينظر الى اوراقها .. هذه طيبة ، وتلك رديئة .. هذه من قرية حابل وتلك من وادى ظهر .. وبعد ان تتم عملية الاختيار تبدأ المساومة مع البائع ،



إلى اليسار ، إحدى [illegible] تقوم بقطف الأوراق الطرية من شجرة القات الكبيرة . [illegible] إنها شجرة تعمّر [illegible] حوالي [illegible] عام ، لهذا لا [illegible] شجر القات أبدا

إلى الأسفل يختلف سعر حزمة القات من منطقة إلى أخرى في المدن [illegible] على الأبواب و [illegible] المفروشة على الأرض ، بينما في [illegible] يقبلون على القات [illegible] الغالية [illegible] وترى في الصورة [illegible] على [illegible] القات ، [illegible] للضيوف حزم أوراق القات ، وقد [illegible] [illegible] بها ، [illegible] آخرون في [illegible] الداخلية والخارجية



ويشتريه جميع الموجودين في الحديث ، فهذه الربطة بستة ريالات (أي دولار شريكي تقريبا) وتلك بأربعة ، ويصل ثمن بعض الأنواع الممتازة الى ١٠ ريالات في الصيف ، ترتفع الى ١٥ ريالا في الشتاء .. ويكتفي أحدهم بربطة واحدة بينما يشتري آخر خمس ربطات .. كل على حساب مقدرته ..

لتحريك الدورة الدموية !

وبعد أن يشتري اليمني ربطة القات يحملها الى منزله ويتركها هناك ، ثم يمر على مكتبه ليأخذ شاله الأحمر الذي تركه على مكتبه ويتوكل على الله ويبدأ بالسير على قدميه مسافة بضعة كيلومترات طويلة حتى يتصبب العرق منه .. أما في الشتاء فيذهب الى الحمام التركي ليأخذ حماما بخاريا ساخنا ويلف جسمه بالملابس الصوفية .. وعندما سألناهم عن سبب هذا ، أجابنا أحدهم بأسلوب علمي . « هذه الحركة لا بد منها لتحريك الدورة الدموية حتى تصل الى غايتها ، وهدفنا من هذا هو الاقلال من المياه المخزونة داخل جسمنا ، حتى نلتذ بشرب المياه الباردة مع القات .. » .

« المنظر » و « المفرج »

واثناء قيام الرجل بهذا المجهود الشاق تقوم المرأة باعداد الغرفة الخاصة بتخزين القات ..

لقد استطاع القات أن يؤثر على هندسة البناء في اليمن ، اذ يضم كل منزل في اعلاه غرفة خاصة مستطيلة الشكل ذات نوافذ كبيرة .. وفي العادة نوافذ صغيرة مقفلة زجاجها ملون ، وتطل هذه النوافذ على منظر الوديان والجبال المحيطة بالمنزل . ويطلقون عليها : « المنظر » ..

وفي بعض الأحيان تكون هذه الغرفة في الطابق السفلي وتسمى «المفرج» ، وتطل نافذتها الزجاجية على مزروعات خضراء في وسطها نافورة مياه (شاذروان) .. كل هذا متعة لأنظار الجالسين ..

المداعة والكمدة !

وتفرش أرض هاتين الغرفتين بسجاد ملون ثمين ، وعلى جوانبها الأربعة توضع المراتب والفرش المتقابلة ، والمساند والمتكآت الوثيرة وعلى الجدران تعلق المرايا الجميلة والأدوات النحاسية .

وفوق السجاد توضع صوان نحاسية كبيرة في وسطها « المداعة » التي تختلف عن الشيشة والنارجيلة العادية ، بارتفاعها وطول قصبتها الحمراء التي يصل الى اربعة أمتار ..

وامام كل جالس توضع « الكمدة » وهي آنية من الفخار تبخر بالبخور ثم توضع فيها المياه الباردة فيكون طعم الماء شهيا مقبولا .. وقد بدأت هذه « الكمدة » تندثر من الجلسات ، ويستعاض عنها بالثلاجات الصغيرة (الترموس) لحفظ الماء .

جلسة القات

وما تكاد الساعة تدق الثانية بعد الظهر ، حتى يبدأ الرجال في التوافد على الغرفة .. وفي كل حارة يجتمع أهل المنطقة عند الشخص الذي تتوافر لديه امكانيات جلسة التخزين .. وكذلك النساء يجتمعن عند احدى الصديقات لمضغ القات .. ويدخل كل رجل متأبطا ربطة القات والتبغ اللازم لنارجيلته .. وعندما يكتمل العدد تغلق الأبواب والنوافذ .. « لأن القات لا يأتلف مع الهواء أو البرد » .. والويل لمن يفتح الباب ، فان اللعنات تنصب عليه ..

ويجلس الرجال متلاصقين دون فراغ بين الواحد والآخر خشية البرد .. وتبدأ جلسة التخزين بفك ربطة القات ورمي أربطتها الجافة على الأرض ، ثم يمسك الواحد غصن القات ، ينتقي وريقاته الصغيرة ، واحدة بعد الأخرى ، انها هي التي تستعمل فقط ، يضعها في فمه ويلوكها ويمضغها تدريجيا بحركة رهوبة ، ولكنه لا يبلعها ، وانما يخزنها في احد شدقيه ..

وتظل الأوراق تدخل في الفم حتى تصبح كرة بحجم الجوزة ، تستقر داخل الشدق لا تتحرك ، وانما يرشف اليمني الماء من الكمدة المبخرة امامه بلذة زائدة ، تظهر من الأصوات التي ترافق ابتلاعه لها .. والماء ضروري لأنه يمر على الأوراق المخزونة في الفم ، فيأخذ عصارتها المرة المطلوبة معه الى المعدة .. وعندما تذوب الكرة المخزونة وتصبح بالية يلفظها اليمني في « المتفل » النحاسي الموجود امام كل منهم .. ثم يعاودون مضغ أوراق جديدة رطبة طرية ، حتى تنتهي جلسة القات ..

ربع كيلو سكر وعناع

وبدلا من الماء أصبح بعضهم يشرب الكولا .. انها طراز جديد جاء من جنوب اليمن .. والكولا المالحة السوداء هي المطلوبة فقط ، اما الشراب

> في العدد القادم سننشر كلمة فيما يوجد في القات من عناصر فعالة وكذلك آثارها الطبية في الجسم .

البرتقالي غير مرغوب فيه بكثرة ..

ويتندر أهل قرى اليمن على أهل المدن بقولهم : « هؤلاء ما عندهم ذوق في تخزين القات » والسبب ان القروي يتناول ربع كيلو سكر ، ويشرب الشاي الساخن اثناء تخزينه القات من الصباح الى المساء ..

حالة المدمن

وطلبنا من احد كبار المواطنين أن يصف لنا شعوره اثناء تخزينه للقات ، فقال :

« عندما اتناول القات اشعر بانسجام نفسي واسترخاء عصبي وبلورة فكرية ، ونشاط في جسمي ، فبعد ان كنت الخامل والخمول يسيطر على جسمي وفكري ، اتحول الى شخص كله انشراح وصفاء ذهن فاتذكر ما كنت قد نسيته سابقا فانشد الشعر واتبادل النكات وتستمر هذه النشوة طيلة الوقت الذي اخزن فيه القات في فمي .. وقبل انتهاء جلسة القات اي قرب السابعة مساء ، اشعر بقلق نفسي ينتابني وينتاب جميع الجالسين معي في المجلس فيخيم علينا صمت وشرود ذهني ووجوم ، فنشرب القشر (اي القهوة المصنوعة من قشر البن) لتزيل هذا القلق الذي انتابنا ، واحاول تحليل هذا الظرف هل هو رد فعل النشوة التي عشتها ؟ أم الحزن على انفضاض هذا المجمع اللطيف الذي احبه ؟ واخرج من الجلسة والنشاط يدب في جسمي ، ولكني لا استطيع تناول العشاء اذ اشعر دائما بالشبع وبانقباض في معدتي .. ويطير النوم من عيني واسرح بفكري وهواجسي ، وتنتابني الافكار السوداء ، فانتظر تماثل الفجر حتى « اقلع » نابي القات ، واستطيع النوم .. وفي صباح اليوم الثاني استيقظ بكل تعب ولا اجد في نفسي قابلية للعمل ، احيانا اصاب بامساك واحيانا باسهال شديد .. لهذا اعاود شراء القات لاتخلص من هذه المتاعب » .

وزارات بعمر الدخان !

وتتحول جلسة القات الى ندوة أدبية أو سياسية او دينية ، تختلط فيها اصوات المخزنين مكركرة مياه المداعة (النارجيلة) التي ينطلق منها دخان كثيف يملأ جو الغرفة ..

ويتحدث الجالسون في مختلف الموضوعات ولا يبدو ان تخزين القات ينشط افكارهم بشكل يجعل الواحد منهم يعتقد انه هو الذي صعد الى القمر بالصاروخ . وكم من مرة الف المخزنون الوزارات تلو الوزارات .. وما يكاد ينقشع دخان المداعة حتى ينتهي عمر الوزارة !! ؟

نقد ذاتي قاس

ويحلو الحديث عن القات ، باهتمام المخزنين ، وفي احدى الجلسات رأينا أحدهم وقد امتلأ فمه بتروال القات يقول : « ما من شك انه يجب علينا ايجاد وسيلة للقضاء على هذا القات اللعين ! » ويهمهم الحاضرون .. ويقول ثان : « هل سمعتم بهذه الابيات التي تذم القات وتسب متعاطيه :

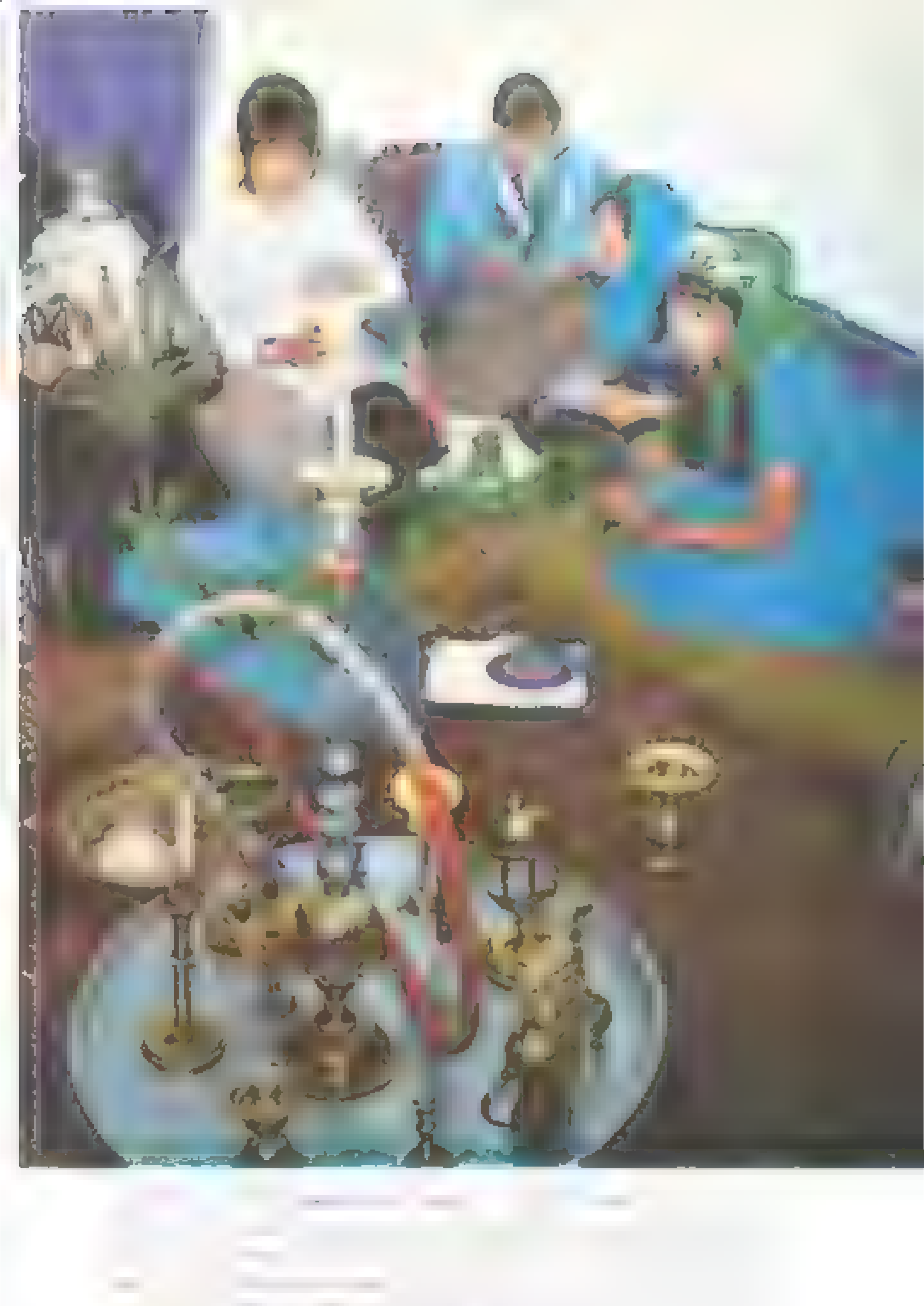
انما القات حشيش أخضر
ليس يحتاج اليه البشر
فلذا مالت اليه فئة
فاطردوهم انما هم بقر

ويضحك المجتمعون طويلا .. ثم يتابع أحدهم الكلام بقوله : « هل طالعتم ما ذكرته جريدتنا الاخبار عن القات » .. ويفتح الجريدة على صفحة تحمل عنوانا كبيرا يقول : « القات مشكلة اليمن الكبرى » ، ويبدأ بقراءة هذه الفقرة :

« القات هو العامل الاول في تأخر الشعب اليمني وتخلفه المخجل الشين ، كيف لا وقد خدر القات اعصابنا فتصلبت .. وافكارنا فتبلدت ، حتى اصبحنا دون العالمين ، احياء امواتا نسمع ونبصر ونتكلم ، ولكن لا نحس ولا نتألم .. ولا نثور ولا ننتقم .. ولا نفكر ولا نشعر .. تزلزل الدنيا ونحن نيام .. ويتغير وجه الكرة الارضية ونحن نعيش على هامش الحياة ، لا نتحرك ولا نشارك ولا نتجاوب مع احد ، كأننا من فصيلة اخرى غير فصيلة الانسان .. » .

لا تقارنوه بالحشيش والافيون

هذا النقد الذاتي القاسي ، رددته اماما عدد كبير من مدمني القات ..



وفي آخر جلسة قات سألونا عن رأينا في حل مشكلة القات ، بعد ان عشنا معهم ١٥ يوما قلنا :

ـ القينا القات عندما قلنا انه في مرتبة الحشيش والافيون ، لأنه كما وصفته هيئة الصحة العالمية : « شيء ـ على ما يظهر ـ شعورا بالصداقة ، فلا هو بالذي يعزل المدمن عليه عن الناس ، كما يفعل الافيون ، ولا هو بالذي يدفعه الى عالم زاخر بمهاويل الخيال كما يفعل الحشيش » .

والواقع ان مشكلة القات ما هي الا واحدة من مجموعة مشاكل مجتمع ظل يعيش منغلقا منعزلا عن العالم مئات السنين .. ولهذا لا يمكننا ان نفصل او نحل مشكلة القات بمفردها ، ما لم نحل ـ ولو جزئيا ـ بعض المشاكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والصحية التي يعانيها اليمن ..

« ان الحياة الاجتماعية التي يحياها اليمني حية نسبيا ، والادب الجم الذي تفرضه عليه التقاليد كثيرا ما يخفي وراءه اخطر العواصف والشكوك ، لهذا نرى ان القات يساعده على الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع الناس ، وهذه العلاقات جمة النفع له ، في بلاد ما اكثر ما تنعقد فيها الصفقات على اساس من شخصيات المتعاقدين ، وتحطم فيها العلاقات الشخصية قيود الرسميات .. » .

انقذوا الجيل الجديد

والذي لاحظناه ان تعود الرجل اليمني على تعاطي القات ، بلغ درجة من الادمان لم يعد يجدي معها اي نصح في سبيل الاصلاح ، لهذا لا بد من توجيه الجهد ـ كل الجهد ـ لتوعية الجيل الجديد وترك الجيل القديم على حالته .. لا بد من ايجاد وسيلة لابعاد النشء الجديد عن مجالس القات بانشاء الاندية وفتح المعاهد والفسحة للمباريات والمسابقات ، لتشغل وقت فراغه الطويل الممل .

والى جانب توعية الشباب يجب تنمية وتشجيع زراعات جديدة مربحة مثل البن والفواكه، لتزاحم زراعة القات على المدى البعيد ..

رجل بخيل

والمشكل في القات ان كل الطبقات تتعاطاه وتلتزمه ـ كما قلنا ـ وهذا يجعل علاجه صعبا ، لأنه حتى المهاجرون العائدون الى بلادهم بعد هجرة طويلة ، يرتعبون من تدهور مجتمع بلادهم ، فيحاولون الاصلاح ، ولكن سرعان ما تجدهم قد اشتركوا في جلسات القات ! .

والسبب هو ان اهل اليمن يعتقدون ان الذي لا يخزن القات هو رجل بخيل وغير مكتمل الرجولة » .

وعندما يحاول احدهم اصلاح هذا الوضع الشاذ يتعرض لهجوم صاخب ، ويردد القوم قول شاعرهم :

يا عاذلي عن حصول القات مت كمدا
لا تشرك القات احياء وامواتا

تحايل على قانون السماء

حتى الناحية الدينية استطاع القات ان يؤثر عليها ، وفي هذا يقول القاضي والمفكر اليمني الكبير المرحوم محمد محمود الزبيري :

« لقد وجد اليمنيون طريقهم في المذهب الزيدي الذي يسود المناطق الجبلية العليا ، وهذا المذهب يجيز بعض انواع الجمع بين صلاتي الظهر والعصر ، فيقدمونهما قبل جلسة القات، اما المغرب والعشاء فيؤخرونهما الى اي ساعة يشاءون ! .

وهكذا يتحايل اليمنيون على قانون السماء ، كما تحايلوا على قانون الارض ، ارضاء لسلطان الشجرة الشيطانية العاتية ! .. »

مطلوب اسلوب جديد في معالجة المشكلة

ان القضاء على القات يحتاج الى جهود كبيرة مشتركة لمعالجته باسلوب حديث ، ولعقل اسوياء سليمة وعقليات متفهمة متفتحة ، تنقص كثيرا في اليمن .. لان مجتمعهم البشري لا تجتمع فيه مسئولية الفرد .. فالجميع يجلسون يتكلمون ويخرجون دون ان يتحركوا .. انه مجتمع مرتكز على العصبيات العائلية والتكتلات القبلية الى جانب النعرات الطائفية والعنصرية ..

انها تركة مثقلة بالمتاعب ورثها العهد الحاضر من العهود السابقة ، ولهذا اطلق القاضي الفاضل عبد الرحمن الارياني رئيس المجلس الجمهوري اليمني شعارا جديدا في اليمن .. « الاعتماد على النفس ، والصدق مع النفس » .. انه الخطوة الاولى في الطريق الطويل للقضاء على مشاكل اليمن .. وفي مقدمتها مشكلة القات .. ■■

سليم زبال



رفض فساد اللغة
والاسفاف في الالفاظ



نظم الشعر على
الطريقة الحديثة ،
فيما استساغه .

بعد تحرره من الوزن والقافية

نزار قباني

بقلم الدكتور محمد محمود الدش

■ « اذا كان الكاتب الناقد الانجليزي هازلت William Hazlitt الذي عاش بين سنتي ١٧٧٨ و ١٨٣٠ قد ترك بصمات واضحة على حركة التجديد التي طرأت على الشعر العربي في أوائل هذا القرن العشرين ، وتنادى بها العقاد والزهاوي والمازني وعبد الرحمن شكري وغيرهم ، فان الشاعر الانجليزي المعاصر اليوت Thomas Stearns Eliot (١٨٨٨ — ١٩٦٥) لا يقل عن زميله الناقد المذكور أثرا في صبغة التجديد التي نراها من حولنا هذه الايام ، ويرى معاصروها المؤرخون لبدايتها انها برزت الى الوجود تدق بالحاح في الاربعينات من هذا القرن .

الكاتب الناقد الانجليزي هازلت والشعراء العرب

ونحن لا نزعم في ذلك زعما ، او نظن فيه ظنا ، وانما نجد الاستاذ عباس العقاد — رحمه الله — يقرر ذلك عن الحركة الاولى فيقول :

« ولا اخطىء اذا قلت ان هازلت هو امام هذه المدرسة (الادبية بعد شوقي) كلها في النقد ، لانه هو الذي هداها الى معاني الشعر والفنون واغراض الكتابة ، ومواضع المقارنة والاستشهاد . وقد كان الادباء المصريون الذين ظهروا اوائل القرن العشرين يعجبون بهازلت ويشيدون بذكره ، ويقرأونه ويعيدون قراءته ، يوم كان هازلت مهملا في وطنه مكروها من عامة قومه » .

الشاعر اليوت والشعراء العرب

كما نجد احد الرواد الذين يعلو صوتهم في

الصيغة الاخيرة ، وهو الشاعر صلاح عبد الصبور يفرد ان الذي اخرجه ـ هو وبالمثة الشعراء ـ من اسار التقليد الشعري الذي يؤبر ان تكون للشعر لغته الخاصة ، المجاوزة للغة الحياة ، البعيدة عنها في بعض الاحيان ، واخرجهم من صلة الفرسان والزوملكة العربية بموسيقاها الرفيقة وقاموسها اللغوي المنتقى ، الذي تستأثر فيه الالفاظ ذوات الدلالات المبهجة والايقاع الناعم ـ انما هو تولقه عند الشاعر ت . س . اليوت ، ولا سيما جارمه اللغوية . .

يقول : « كنت السليقة العربية التي انبـالتتكر ابياتا كهذه الابيات من قصيدة الارض الخراب The Waste Land :

في الساعة البنفسجية ، ساعة المساء التي تعود
الى البيوت ، وتعيد البحار الى بيته من البحر ،
والتايبست (الكاتبة على الآلة) الى بيتها في موعد الشاي لتنظف المائدة من بقايا
الافطار ، ولتشعل الموقد ، وتخرج الطعام من علبه الصفيح ،
بعد بدلت من النافذة ، منشورة خارج السقوط
قمصانها الداخلية ، وهي تجف ، اذ تلمسها اشعة الشمس الغاربة
ولكومت على الاريكة ـ التي تتخذها سريرا في الليل ـ
جواربها ، و...ها ، وقمصانها ، ومشداتها . » [١]

لقد اختار شاعرنا الشاب ـ الذي يحب قصائد اليوت حبا يجعلها معلقات عصرنا ـ هذه السطور ليدل على ان قاموس العصر الحديث ارحب واوسع كثيرا من القاموس الشعري الضيق الخاص ، ولهذا ينبغي ان تتكسر الحواجز وان ينفسح المجال للتعبير عن الوجدان الحديث وعن هموم الانسان المصري ، في حرية واناقة وصدق .

ونحن لا نقف بطبيعة الحال موقف التخصيص من اثر هذين الاديبين الغربيين في حركات التجديد الشعري ، مهما كانت منزلتهما العالمية ، فقد قرأ ادباؤنا وشعراؤنا غيرهما من ذوي المكانة والذكر في الادب الانجليزي والفرنسي والالماني والايطالي ، بل الروسي واللاتيني ، وانما يعني اثر هذين العلمين في الادب الانجليزي ان يتقدم غيره بما يقرره اصحاب القضية ، قضية التجديد ، انفسهم .

تمرد على الوزن والقافية

وبينما نجد ان الحركة المجددة الاولى لا يتجاوز المضمون والوجهة الفنية الى الاصرار على تحطيم الاطر والاصول الموسيقية المرسومة ، فان الصيغة الاخيرة فتحت باب الاصرار بمصراعيه على ذلك التحطيم ، فكل من سولت له نفسه ان يقتحم حلبة الشعر او يتصورها او يتسلل اليها .

ونقول الاصرار على التحطيم ، لأن حركة (الديوان) ومن دار في مسارها ارادت في بعض ما نزعت اليه ان تحدث لونا جديدا من الشعر ، متمردا على الحاجز الايقاعي او القافية ، محتفظة في نفس الوقت بالصورة الموسيقية الداخلية في القصيدة ، ولكنها لم تصر على هذا اللون من التمرد او الرفض .

شعراء منا حاولوا التحرر من القافية ، ثم تركوا

ونحن نعرف ان توفيق البكري نظم قصيدة اسماها « بنات الشوال » تحرر فيها من القافية وكذلك فعل جميل صدقي الزهاوي في عدد من القصائد ، وقال انه اطلقها من « قيد القوافي ، ذلك القيد الثقيل الذي تبرم به الشاعر ، وحببه الالفة الى السمع » ، ونظم عبد الرحمن شكري قصيدته التي اسماها « كلمات العواطف » وغيرها. ويذكر العقاد نفسه انه نظم كثيرا من الشعر المتحرر من القافية ، ولكنه لم يستسغه ولم يطق تلاوته بصوت مسموع بعد نظمه واهمله ، فلما عاد بعد ثلاثين سنة الى هذا اللون من الشعر احس بنبات النفور والانقباض عند قراءته او سماعه .

وفي نفس الوقت الذي ظهرت فيه هذه الحركة في الوطن الام ـ او بعده بقليل ـ كانت هناك دعوة

---

(١) هكذا رأى الشاعر ان يترجم الى العربية

الرابطة القلمية التي أنشئت من الأدباء العرب في نيويورك سنة ١٩١٤ – ومن أهمهم ميخائيل نعيمة وجبران وأبو ماضي ، دعوة الى عدم التقيد بالقوافي ، وكان أقوى الأصوات وأعلاها صوت نعيمة الذي حمل على العروض وسمّى القوافي « لا غرب عبارة منثورة جميلة التنسيق موسيقية الرنة كان فيها من الشعر أكثر مما في قصيدة من مائة بيت بمائة قافية » .



أحمد شوقي ..
كان ينتقل في مسرحياته من بحر الى بحر ، ومن قافية الى قافية .

جماعة (ابولو) حافظت على طابع الشعر القومي

واحسب ان هذه المحاولات جميعا لم تكلل بالنجاح الذي يمكنها من الاستمرار ومواصلة التجارب الشعرية التي قاموا بها في درجات متفاوتة ، او بداوها ثم صرفوا النظر عنها – لان الظروف الاجتماعية والفكرية والفنية لم تكن مهيأة لاستقبال مثل هذا النوع من الثورة على الحاجز الايقاعي ، ولاسباب اخرى مهمة ، نشير منها الى ان النجوم الشعرية المشهورة في تلك الفترة من امثال شوقي وحافظ ومطران والشابي وغيرهم كانوا يمسكون بناصية الشعر ، ويحصنون على اصوله الموسيقية بالنواجذ ، فارضين من هيبتهم الفنية سلطانا على دولة الشعر ، ملتزمين وملزمين بقواعده وقوانينه .

واحسب ايضا ان تجمع الشعر العربي تحت لواء (ابولو) ، الذي ضم من المحافظين والمجددين في مصر والعراق والسودان وتونس والمهجر ، وصدور مجلتهم المتخصصة في الشعر وبعده عددها الاول في سبتمبر ١٩٣٢ ، واستمرارها نحو ثلاث سنوات – قد قوى الاتجاه الرومانسي الذي يعتمد على التجربة الذاتية والاندماج مع الطبيعة والانتقال في الغنائية وبين الصياغة . وساعد على ذلك صوت قادم من بعيد ، من المهجر الجنوبي ، حيث تكونت جماعة العصبة الاندلسية سنة ١٩٣٢ ، واستمرت قوية نحو عشرين عاما ، ومن ابرز ادبائها الشاعر القروي ، والياس فرحات ، وفوزي المعلوف ، وهي الجماعة التي عنيت بالصياغة الرصينة واختيار الالفاظ ، والمحافظة على الطابع القومي العربي .

نقول . ان هذه العوامل كانت ذات اثر كبير في ايقاف التمرد على الاصول الموسيقية ورفض الالتزام بالحاجز الايقاعي ، بحيث استمر التيار المحافظ متمثلا في نفر من الذين شاعت اقانيمهم الشعرية ورددت على الالسنة وطربت الآذان وهزت النفوس طربا ، من امثال ابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه ، ومحمود حسن اسماعيل والتيجاني والرصافي .

موقف شوقي من التجديد

وقد زعموا ان احمد شوقي تأثر بحركة التجديد التي جاءت في صرخة (الديوان) فبدأ ينظم مسرحياته الشعرية الشهيرة استجابة لنداء هذه الصرخة ودويها . والذي نعرفه في هذا الشأن هو ان شاعرنا الكبير بدأ عمله الشعري المسرحي ايام كان طالبا في فرنسا ، حين الف مسرحية (علي بك الكبير) سنة ١٨٩٣ ، وان كان عاد فعدلها في اخريات حياته .. ثم ظهر (الديوان) بقلم العقاد والمازني بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة ، أي في سنة ١٩٢٢ . واحسب ان شوقيا لم يكن في حاجة الى من يحثه على ايجاد الشعر المسرحي بعد ان عاش بين مسارح باريس وقرأ المسرح الشعري الفرنسي واليوناني وغيرهما . ومن عجب ان يتأثر شاعر بدعوة لا تملك ادواتها في المسرح الشعري فيكون الصدر تابعا للتالي في هذا المجال .

بل اننا نستطيع ان نقول في غير حرج ان شوقيا هو الذي فتح ابواب التجديد في الشعر العربي الحديث ، لا باعتباره شاعرا فذا ناضج الشاعرية مستكملا ادواتها التي امكنته من ايجاد هذا اللون الجديد لاول مرة في تاريخ الشعر العربي كله فحسب وانما بسلوكه ومواقفه في طرائق الصياغة الشعرية حين اعتبر السطر لا البيت ، في المواقف والانتقالات النفسية والحوارية ، وسيلة من وسائل النظم وأداة من أدوات الصياغة معتمدا على الوحدة الموسيقية المعروفة في الشعر بالتفعيلة . فنسج بذلك التصرف الذكي نسقا واسعا الى الصياغة

الشعرية امام شعراء التجديد المعاصرين الذين ثاروا – في وضوح – شوقيا من حيث لا يشعرون ، ودعوا الى اعتبار التفعيلة ، لا البحر ، هي الوحدة الايقاعية كما دعوا الى اعتبار السطر ، لا البيت ولا المقطوعة ، وسيلة للصياغة .

كان شوقي ينتقل في مسرحياته من بحر الى بحر ، ومن قافية الى قافية ، واستغل هذه البحور في صورها المختلفة ، مشطورها ومجزوئها ، تامها وناقصها ، قصيرها وطويلها ، شائعها ومهملها بل صاغ اوزانا جديدة لم يسبقه اليها غيره ، متمكنا من ادواته الموسيقية وقدراته الفنية والصوتية ، التي جعلت في خدمته جميع الرخص الايقاعية المعروفة في موسيقى الشعر العربي . واقتضت الضرورات الفنية والنفسية والحوارية في صياغة المسرحية كل ذلك التنويع والتنقل ، كما اقتضت ان يكون السطر الحواري او المقطع على تفعيلة واحدة . وهذا يصلنا بالدعوة الجديدة التي تنحي بحور الشعر الخمسة عشر ومتداركها الاخفش، لتقيم الاساس الموسيقي على التفعيلات الثماني فعولن – مفاعيلن – مفاعلتن – فاعلن – فاعلاتن – متفاعلن – مستفعلن – مفعولات . ويمكن اختصارها والاقتصار منها على خمس تفعيلات منها او ست . فعولن – فاعلن – مفاعيلن – مستفعلن – فاعلاتن (مفعولات) ، لاسباب فنية معروفة .

ازمة يعيشها الشعر العربي منذ ٢٠ عاما

ومهما تكن مصادر التجديد واهدافه ، بواعثه وغاياته ، فان امرا يشبه الازمة ، يعيش الشعر العربي تحت وطأته منذ عشرين سنة او نحو ذلك ، وهي مدة من الزمن قد تعين على تلمس الطريق ، وقد يساعد ما جرى ابانها على النظر الى الامام خطوة او خطوات . ولسنا نريد ان نعرض للمعارك التي دارت بين (المحافظين) و (المجددين) فالصراع بين القديم والجديد سنة الحياة ودينها ، والبقاء فيها للاصلح « اما الزبد فيذهب جفاء » بقدر ما نريد ان نضع هذه الحركة في مكانها الصحيح او نحاول ذلك .

محاور الدعوة الجديدة

وهذه الدعوة تدور اساسا حول محاور تركز عليها وتضغط بشدة ، اهمها : المضمون العصري ، والتراث الانساني ، والوحدة العضوية ، واللغة الواسعة او العامة ، ويربطون ربطا قويا بين هذه المحاور والاطار الموسيقي التقليدي الذي لم يعد متحملا حرية الحركة والانفعال والتعبير ، ويرون أن البذرة الجديدة لا بد أن تكسر الاطار او القشرة لتتنسم الهواء وتتاح لها حرية الحياة بين انماط الشعر المختلفة . وهم من اجل ذلك يوجهون طرقاتهم الشديدة الى هذه القشرة حتى تنمو البذرة وتشرق ازهارها ، فيتسع المصطلح الشعري لثمار جديدة الى جانب التراث القديم ، ويحيا الصنفان تحت سماء واحدة في سلام .

الدعوة انتجت غثاء لا شعرا

بيد ان ما حدث في ظل هذه الدعوة الى الحرية وكسر الاطر والاطواق ، كان شيئا رهيبا . اذ وجدنا سيلا عارما من الكلام تدور به المطابع كل يوم ليخرج صورا صحائف ، وكتبا ودواوين ومجلات ، وهو اقرب الى الغثاء منه الى الكلام المعقول ، بله الشعر الموزون . وهذا صوت واحد من رواد الحركة ورائداتها هي الشاعرة نازك الملائكة، تقول « ستتقدم في السنين القادمة – حركة الشعر الحر – حتى تبلغ نهايتها المبتذلة ، فهي اليوم في اتساع سريع صاخب ، ولا احد مسؤول عن ان شعراء مزوري المواهب ، ضحلي الثقافة سيكتبون شعرا غثا بهذه الاوزان الحرة » . كما انها تتنبأ بان هذه الحركة ستصل الى نقطة الجزر في السنين القادمة،فيرتد عنها اكثر الذين استجابوا لها « على ان ذلك لا يعني انها ستموت » .

ويشير هذا الوعي الاسباب التي دعت الى الوقوف في وجه الحركة ومحاربتها ، في خشية وخوف من ان يضيع المعيار الفني ويذوب المصطلح الشعري في هذا الغثاء ، الذي خلط خلطا فاضحا بين النثر والشعر ، بل بين الهذيان والحكمة . وتحضرني هنا عبارة فاليري P. Valery : ان علاقة النثر بالشعر تشبه تماما صلة المشي بالرقص ، فالمشي له غاية محددة تتحكم في ايقاع الخطو ، وتنظم شكل الخطو المتتابع الذي ينتهي بتمام الغاية منه ، اما الرقص فعكس ذلك ، اذ على الرغم من استخدامه نفس اجزاء الجسم واعضائه التي تستخدم في المشي فان له نظام حركات هي غاية في ذاتها .

محاولة ايجاد سبيل وسط

وليت الذين تسلقت رغبتهم الى العلية مشوا

فيها ، وانما اضطرب صحيهم واختلط جريهم ، فاذا حركتهم مجلبة للضحك والرثاء على سواء . ودافعا لهذا وذاك فعت حركة . تحول لن تجد سبيلا وسطا يقف هذه الازمة او الورطة ، بالملاءمة بين المضمون والصورة قام فيها الدكتور يوسف خليف عمليا باخراج ديوانه « نداء القمم » معتمدا على مقومات يعادل بها التجديد في الرمز والقصة . وهى محاولة مخلصة لا شك في هذا لانها جادة في سبيل التوفيق بين المتطرفين من الطرفين ، ولعله بمثابة (الشاهد) المصلح بين الفريقين ، ولكن تظل مشكلة اللغة التى يصر الدكتور الشاعر على ان تكون خاصة بينما يصر الآخرون على أن تكون عامة ، تظل قائمة الى جانب مشكلة الحاجز الإيقاعى او القافية .

راى الدكتور طه حسين

وكان استاذنا الدكتور طه حسين اكثر سماحة من اقرانه في نظرته الى حركة التجديد والحكم عليها حين قال : « فليتوكل شبابنا من الشعراء على الله ، وليتشئوا لنا شعرا حرا او مقيدا جديدا او حديثا ولكن ليكن هذا الشعر شائقا رائقا ، ويومئذ لن يروا منا الا تشجيعا اى تشجيع وترحيبا اى ترحيب ، ودفاعا عنهم ان احتاجوا الى الدفاع » . ولكن الاستاذ الكبير رفض فساد اللغة والاسفاف في اللفظ والتفريط في التصوير .

راى نازك ونزار

ولقد احس شعراء التجديد انفسهم بالورطة ، والثقل وطاتها ، فحذرت الشاعرة نازك الملائكة من طغيان الحركة الجديدة لانها لا تصلح لجميع الموضوعات ، كما حذرت من الاستسلام المطلق للتحرر من اللغة الخاصة لان هناك خطرا جديدا يكمن في الانزلاق الى الابتذال والعامية ، وكذلك اكد الشاعر نزار قبانى ان التحرر من القافية العربية مغامرة قد تودى بطابع القصيدة العربية « وما سر استعصاء القافية علينا وخلالها الا لانها مرتبطة بسر النغم . ولما كان النغم هو سر القصيدة فانه لن اتصور اى مغامرة مجنونة يقدم عليها من يحاول فك وتر العود عن العود ، لن يبق من القصيدة العربية حينئذ سوى وعاء من الخشب كل ناقر عليه يستطيع ان يحدث صوتا » .

مسرحيات نزعت قشرة الاطار ، وتميزت بالنضج

وبعد ، فهل ان لنا ان نتبين الطريق امام هذه الحركة ، وهى اشبه بالجنين في حالة ولادة عسرة لان الطرق لا تزال يشتد على الاطار الموسيقى التقليدى ، وقد فتحت الطرقة شرارا يوشك ان يكون نورا لضيء ، فقد برزت الى الوجود الشعرى مسرحيات نزعت قشرة الاطار ، وتميزت بالنضج وتكللت بالنجاح ، نشير منها بخاصة الى مسرحيتين واللتين نظرنا هما : مأساة الحلاج للشاعر صلاح عبد الصبور ، والفتى مهران للشاعر عبد الرحمن الشرقاوى ، ومن خلال هذه التجارب الناجحة في الدراما الشعرية نستطيع ان نقول ان الحركة عرفت طريقها .. وليكن الشعر الغنائى غنائيا باللفظ والمعنى جميعا ، فما عرفت العربية غناء بغير موسيقا ، وما كانت الموسيقا بغير ايقاع ونغم وضابط واطار .

ولئن كان الطرق قد اصاب بشراره شاعرا غنائيا ، واقصد ما تسعى اليه حركة التجديد ، هو محمود حسن اسماعيل ، حين طلع علينا بقصيدته الرائعة (وجئت اصلى) التى جاءت اشبه بملحمة غنائية حزينة يقف فيها الشاعر على باب المسجد الاقصى بعد حريقه الاثم في ذكرى الاسراء والمعراج ، فان ما وفره الشاعر من مقومات فنية في القصيدة واحاطها به ووفقه لتناولها من مقومات موسيقية، لا يتوافر عند كثير من الشعراء بنفس القدر الذى يملكه شاعرية طبيعية موهوبة متينة في محمود حسن اسماعيل ، الذى اراد ان يدلل - فيما ارى - على انه قادر على توفير القيم الشعرية ، والايقاعية منها بخاصة ، برغم الخروج على عمودية الشعر او تقليديته .

فما نستطيع ان نحصى القصائد الممتازة في حركة التجديد هذه ، وذلك لان الشعراء الموهوبين الذين صاغوها ملكوا ناصية القدرة الشعرية ، لغة وفكرا وايقاعا وتصويرا ، ولانهم قبل ذلك تعاطوا الشعر بكفاءة قبل ان يكونوا ثورة على الاطار ويكثروا الطرق على السوار ، فكانت بذلك لهم خلفية ايقاعية شعرية تهديهم فوق طريق بدا لهم مفتوحا وان كان في حقيقة الامر امام الكثرة الكاثرة مسدودا . ■

محمد محمود الدش



المركبة الروسية بلا رجال، صنعت ما صنعته المركبة الأمريكية برجال، وهبطت بالكلفة عشرين مرة !!

■ من المعروف ان الروس ارسلوا في اواخر شهر سبتمبر ١٩٧٠ مركبة الى الفضاء اسموها لونا ١٦ . وارسلوها من غير رجال ، وقامت من ذات نفسها ، وباوامر ارسلت اليها باللاسلكي من الارض ، بحفر ارض القمر واخذ عينات من صخوره وتربته . كما وضعت هذه الصخور في كبسولة صممت خصيصا لكي تتحمل الضغط الهائل الذي تتعرض له خلال رحلة عودة الكبسولة ، بما فيها من صخور القمر ، الى الارض .

وقال الروس عن هذه الرحلة انها تكلفت ما بين ١ : ٢٠ الى ١ : ٥٠ من تكاليف اي رحلة من رحلات « ابوللو » الامريكية .

وقد ادى هذا الى ظهور ضخامة تكاليف برنامج « ابوللو » الامريكي علاوة على ما فيه من مخاطر قد تعرض حياة رواد الفضاء الى الهلاك .

وبالرغم من ان العالم لم يسمع بعد عن الكميات التي احضرتها لونا ١٦ الى الارض من صخور القمر ، او عن حالة هذه الصخور عند وصولها الى ايدي العلماء السوفييت ، الا ان هذا لا يؤثر باي حال من الاحوال في اهمية رحلة لونا ١٦ . ويقول المعلقون ان اهمية رحلات الفضاء السوفييتية بغير رجال للقمر كانت من الممكن ان تظهر اكثر لو نجحت رحلة لونا ١٥ في العام الماضي ، والتي يبدو الآن واضحا انها كانت تهدف الى القيام بنفس ما قامت به لونا ١٦ . وقد كانت لونا ١٥ تدور حول القمر في نفس الوقت الذي كان رائدا الفضاء ارمسترونج والدرين يخطوان خطواتهما الاولى على سطح القمر . ولو نجحت لونا ١٥ في اداء مهمتها في ذلك الوقت لكانت هذه اول منافسة مباشرة بين الآلة والانسان ، ولكان لها اثر كبير على المنافسة القائمة بين الاتحاد السوفييتي وامريكا في سباق الفضاء .

ان هناك اعمالا قد يستطيع الرجل ان يؤديها على الكواكب افضل مما قد تقوم به الآلات . ولكن ما هي هذه الاعمال !؟

ان وكالة الفضاء الامريكية NASA قد فشلت في ذكر اي عمل من هذا النوع قد يبرر الجهد الكبير والنفقات الهائلة التي تنفق على رحلات « ابوللو » وذلك علاوة على النقد الذي يوجه اليها في اعتمادها على رواد فضاء ذوي تخصصات محددة بعد كثيرا من نوعية الاعمال التي يرغبون بها او يستطيعون القيام بها على سطح القمر . ان الاختيار الدقيق للاعمال التي يستطيع ان يقوم بها الانسان وحده على سطح القمر اختيار صعب ولم يتم حتى الآن ، واتجاه رواد الفضاء الامريكيين هو اختيار عالم جيولوجي.اذا كان المطلوب هو اداء عمل جيولوجي. وقد انتقد رواد الفضاء واجباتهم المنوطة بهم ، كما انتقد العلماء على الارض طريقة قيامهم بها .

والآن .. هل ستقوم وكالة الفضاء الامريكية بمحاولة لرفع قيمة تجاربها وتطويرها لتجابه تحدي لونا ١٦ وما قامت به ، ام تظل كما هي الآن تستخدم روادها كرجال آليين على سطح القمر .. !؟

مسألة لا تزال موضوع الدراسة .

المانيا

تشيد مفاعلاً ذرياً للأرجنتين

هو الأول في أمريكا الجنوبية

■ الآن يقام المفاعل الذرى الأول الذى يدخل امريكا الجنوبية ، وهو يبنى على بعد ١٠٠ كيلو متر من العاصمة ، عاصمة الارجنتين ، في الشمال الغربي منها .

والمفاعل تقيمه شركة سيمنز Siemens الالمانية الغربية ، وانتاجه ٣١٩ مليون وط . وهو يستخدم اليورنيوم الطبيعي ، ويستخدم الماء الثقيل معدلا ومبردا Heavy Water Moderator Cooler .

وقد اختارت حكومة الارجنتين مفاعل اليورنيوم الطبيعي ، لا مفاعل الماء الخفيف الذى هو اقل كلفة ، لان هذا يعفيها من شراء اجهزة غالية الثمن كانت تحتاج اليها اذا هي استخدمت اليورنيوم بعد اغنائه بالتنقية . ومعلوم ان في الارجنتين رواسب كثيرة من اليورنيوم ، وهي بهذا سوف تكون في مفاعلها هذا مستقلة تمام الاستقلال عن الولايات المتحدة ، وعن كل دولة اخرى تصدر اليورنيوم الى المحتاجين اليه . على ان استخراج هذا اليورنيوم الطبيعي من محاجره في الارجنتين سوف لا يبدأ في المستقبل القريب . ولكن في اي زمن بالضبط ؟ لا يدري احد .

ولقد ظفرت المانيا الغربية بصفقة اقامة هذا المفاعل ، وعدت هذا كسبا عظيما ومفخرة كبيرة . ولكن يجب ان لا ننسى ان مفاعلا يطرح في السوق ، ويكون من شروطه استخدام اليورنيوم الطبيعي ، لا يجد من يتقدم من الدول الصانعة ، الى جانب المانيا الغربية ، غير كندا ، فالتنافس لها واحد . ومع هذا فالالمان يعدون كسب هذه الصفقة ايذانا بدخولهم السوق العالمية للفنون النووية .

قال رئيس شركة سيمنز الالمانية في ذلك : « اننا ننتظر الآن ان نتلقى طلبا لاقامة مفاعل نووي في امريكا الجنوبية كل سنتين » .

وقد اقرضت المانيا حكومة الارجنتين ، فيما يتصل بهذه الصفقة ، مقدارا من المال كبيرا ، وعقدت معها اتفاقا على ان تتعاون معها في البحوث الخاصة بالذرة وكل ما يتصل بها .

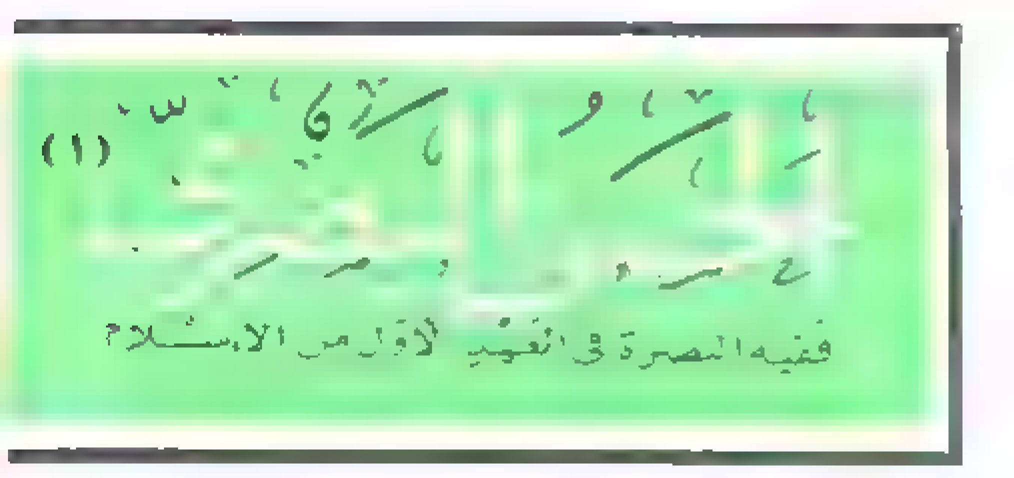
ان ثلث سكان الارجنتين يعيشون في منطقة العاصمة بيونس ايرس Buenos Aires ، وفي هذه المنطقة يستهلك المستهلكون نحو ٧٠ في المائة من كهرباء البلاد . فاذا نجح مشروع هذا المفاعل الحاضر ، فسوف ترفع قدرته من ٣١٩ مليون وط الى ٦٠٠ مليون في غضون العشرين القادمة من السنين .

كذلك سوف تستغل الارجنتين الطاقة الموجودة لديها في مياهها . وهي تنظر اليوم الى اقامة محطة كهربائية مائية عند الشوكون El Chocon قدرتها ١٦٥٠ مليون وط ، في موضع في الجنوب الغربي من العاصمة على بعد ١٠٠٠ كيلومتر منها .

انها الطاقة يطلبها اليوم كل بلد صناعي .

ومصادر الطاقة هي التي تتنافس اليوم الدول في استغلالها .

ومن ليس عنده فحم ، ومن ليس عنده زيت ، ومن ليس عنده ماء ساقط ، فقد يكون من حظه ان وهب الله ارضه اليورنيوم ، او غيره من العناصر المشعة التي تستمد منها القوة ، كهرباء تدور بها عجلات هذه الحضارة الحاضرة . ●●



بقلم : عبد القادر باشي اعيان العباسي

■ شخصية إسلامية [illegible] وهو من التابعين [illegible] في [illegible] لم [illegible] عليها طابع [illegible] في العلوم العربية عامة والاسلامية [illegible] [illegible] الدنيا أجمعين .

ولد الحسن البصري في المدينة المنورة سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) – وهو ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري وابوه يسار من سبي (ميسان) البلد الواقع شمال البصرة في العراق . سباه المغيرة بن شعبة ثم صار مولى لزيد بن ثابت الانصاري . وام الحسن (خيرة) وهي مولاة لام سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي بيت ام سلمة ولد الحسن البصري لسنتين بقيتا من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحنكه عمر بيده وكان ربما غابت امه لشغل وهو يبكي فترضعه ام سلمة . ولما ظهرت عليه مخايل النجابة والذكاء عين كاتبا للربيع بن زياد الحارثي والي خراسان واحد فاتحيها وقد ادرك الحسن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهو يخطب .. وحين كان بالمدينة المنورة حدثت وقعة صفين ولم يبلغ الحلم بعد .

نشأته وتربيته

عاشت عائلة الحسن البصري في وادي القرى ، فكان الاب يعمل في الزراعة ، وتتردد الام على المدينة تخدم ام سلمة . واخذ الطفل يصحب امه ويدخل معها البيوت التي تسكنها زوجات الرسول امهات المؤمنين وجعلها الحسن انه كان يساوي سقف تلك البيوت بيده . وكان لاتصال امه في النشأة العربية في سن مبكرة اثر ساعدها على فصاحته فصحا العربية ، وان تكون قادرة على ضبط الحديث اخذا ورواية . وبذلك كانت اشد اثرا في تنشئة الحسن من ابيه فهي صاحبة الاثر الاول في ذلك الاتجاه الديني الذي سار فيه الحسن . وكان لديها ميول قصصية فاخذ عنها الحسن ذلك الميل الى الوعظ والقصص . وكان للحسن نصيب وافر في معرفة السنة ومن سماع اقوال الصحابة ورؤيته اشخاصهم وتم له في بدايته (في الرابعة عشرة من عمره) ان يحفظ القرآن ويتعلم الكتابة وضبط الحساب . ويسجل في نفسه صورة رائعة لعهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ذلك العهد الذي كان سمر الناس دائما ، وروى الاحاديث عن الخليفتين عثمان وعلي (رضي الله عنهما) .

صفاته

كان الحسن البصري طويل القامة ، عريض ما بين المنكبين ، وان زنده كان بعرض شبر ، وكان وجهه جميلا ووسيما مستحب التقاطيع . قال

سأله الحجاج يوما :
ما تقول في عثمان وعلي ؟
فقـــال البصـري :
« قولي هـــو ما قال من هو خير مني عند من هو شر منـك ، موســى وفرعون » .

الشعبي لرجل كوفي مسافر الى البصرة .

اذا رأيته الحسن السلام ، فلما قال له اني لا اعرفه . قال له انظر الى اجمل وجه رجل تراه عينك فذاك الحسن .

الا ان الحسن اصيب بعدئذ في انفه عندما سقط من دابته .

وكانت عيناه زرقاوين وصوته جهوريا . كان يرسل لحيته ولا يحف شاربه كما يحفه بعض الناس في عصره . واذا ابيضت لحيته اخذ يصبغها بالصفرة . وكان يحلق رأسه في كل سنة مرة واحدة (وهو في يوم النحر) . ويلبس العمامة العراقية السوداء المرخاة من ورائه فكان يسميه الحجاج ذا العمامة السوداء . كان الحسن لا يتقيد بلباس واحد فهو يلبس الطيلسانات والجباب والخمائص الكثيرة . وكان برده من الابراد السعدية نسبة الى سعد بن ابي وقاص الشبيه كساء الرسول جبة . وكان يفضل اللون الاسود فيما يشتري من ثياب . وكان لا يطيل ثيابه لان الاطالة لم تكن سنة الزهاد . ويمسك ان يضيف الى مظهره العام حمله العصا فقد خرج حاملها (اعني الحسن) يوم فارقت البصرة وانه قال فيها (العصا) ستة خصال : سنة للانبياء ، وزينة للصالحين ، وسلاح على الاعداء ، وعون للضعفاء ، وغم للمنافقين ، وزيادة في الطاعة .

وكان لا يحرم نفسه من الطيبات ولم تخل داره يوما من اللحم وكان يحب الفالوذج حتى قال لمن عابه مرة : « لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ، ما عاب هذا مسلم » . وفي بيته يأكل الخبيص والسويق واعلن عن كرهه للصحناة وهي نوع من السمك الصغير . وكان من دعائه في اخر الوليمة : « الحمد لله نفع في العافية واوسع عليكم في الرزق واستعملكم الشكر » .

انتقاله الى البصرة
سنة ٣٦هـ ٦٥٦م

وحين ضعف نشاط المدينة بعد ان انتقل مركز الخلافة منها دخل الحسن في جيش الامام سيدنا علي كرم الله وجهه ، ولم يشترك في الحرب التي دارت بين الامام سيدنا علي ومعاوية بن ابي سفيان وادرك الحسن الحرب دون ان يخوض غمارها .

وفي مسجد البصرة تعرف الى حطان الرقاشي فتعلم منه القراءات ، وكان اذا غادر حلقته ذهب الى مؤخرة المسجد حيث الاسود بن سريع التميمي يقص الناس ويقرأ لهم الشعر في الثناء على الله تعالى واستمع الى التفسير من ابن عباس ، رضي الله عنه .

ووقفت عين الحسن في المسجد وفي الحي الذي عاش فيه على الزهاد والنساك يحتفون بهم ويتبركون فانعكس ذلك كله في عقلية الحسن نظريا وعمليا ، سيرة وحديثا ، الامر الذي كون جانبا مهما من شخصية الحسن البصري .. وقد عاصر كلا من ابن سيرين وسعيد بن المسيب ، وقد غزا مع عبد الرحمن بن سمرة (كابل ، والاندرقان ، والاشقان ، وزابلستان) ، وذلك لمدة ثلاث سنين . وكان في هذه الاثناء مابرحك يستمع الى الفقهاء والمحدثين الذين يرافقون الحملات الاسلامية . وكان ذكيا نابها ، وله قوة ذاكرة ووعي فحفظ الفقه وظهر فضله وتناقل الناس ورعه ونسكه وزهده فتقلب في الاعمال والولايات ، ثم اتخذ حلقة في مسجد البصرة الكبير يحدث الناس ويعظهم ويعلمهم امور الدين ، فاختاره الخليفة عمر بن عبد العزيز لقضاء البصرة سنة ٩٩ هـ - ٧١٧ م ، وقال عنه وليت قضاء البصرة سيد التابعين ، وكانوا اذا ذكروا البصرة قالوا شيخها الحسن استغنى عما في ايدي الناس من دنياهم فاحتاجوا الى ما في يده من امر دينهم .

مكانته العلمية

كان الحسن البصري عالما جامعا فقيها ثقة مأمونا فصيحا وسيما واياه عنى الحريري بقوله في مقامته البصرية : « وزاهدكم اورع الخليقة واحسنهم طريقة على الحقيقة » .

قدم مكة فأجلس على سريرها واجتمع اليه

الناس فحدثهم فقال بعضهم لم نر مثل هذا قط . وقد حج مرتين ، الاولى في اول عمره والثانية في آخره .

وحكي ان رجلا قال للحسن : فلان اغتابك ، فبعث الحسن الى ذلك الرجل طبقا من الحلوى وقال بلغني انك نقلت حسناتك الى ديواني فكافأتك بهذا .

جاء في كتاب (آثار البلاد واخبار العباد) ان الحجاج سأله ما تقول في عثمان وعلي ؟ فقال : « ما قال من هو خير مني عند من هو شر منك » . فقال الحجاج ومن هو ؟ قال الحسن : « موسى عليه السلام حين سأله فرعون : « فما بال القرون الاولى. قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) ... علم عثمان وعلي عند الله » . فقال الحجاج أنت سيد العلماء يا أبا سعيد .

الحسن البصري والحجاج

كانت هناك روايات كثيرة تناقلها المؤرخون عن العلاقة التي ربطت بين عهد الحجاج المعروف بالظلم والقسوة وبين شخصية الحسن وما عرف به من العلم والورع وقوة الحجة ، فالبون بينهما شاسع من هذه الناحية . ولو ان الحسن اراد التنويه صراحة ضد الحجاج لشبت ثورة عارمة في البصرة ، ولكن الحسن بحكمته كان يسلك طريقا حكيما بين ذلك ، فكان يرمز الى المخرج من هذه المحنة التي خلقها الحجاج ، او خلقها الظرف السياسي يوم ذاك على الاصح ، فكان يتدبر منوازع النفوس ويكشف عن الاعمال التي تحط اليها الناس وكأنه يريد ان يوضح لهم ان العلة انما هي في انفسهم وان الله تعالى ابتلاهم بسوء اعمالهم . وكان صريحا في حديثه ووعظه حين يجلس اليه الحجاج ويستمع اليه فلا يجامل في حق الله . وكان الحجاج يهابه . ومثل هذا الموقف الذي اتخذه الحسن في سياسته الوعظية ، الموقف الذي جرى له مع ابن الاشعث حيث قد بلغت المحنة اشدها في العراق عامة وفي البصرة خاصة . فهذا الاشعث بجيوشه يتمرد على حكم الامويين ويخرج على الحجاج ، فاجتمع اليه كثير من الناس وابتعد عنه آخرون ، فهم ينظرون الى القضية من جانبيها — الحجاج وابن الاشعث فايهما يتبعون ، والناس في كل زمان اتباع القوي ، ويقطع الحسن البصري في الامر فيستفتيه الناس فيصمت ، ويتلطون وما كان يجب ان يخوض في الموضوع .

وكان الحسن جالسا في المسجد ينهى الناس عن الخروج على الدولة فقال له بعض هؤلاء : يا ابا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية (يعني الحجاج) الذي سفك الدم واخذ المال الحرام وترك الصلاة وفعل وفعل ... فقال الحسن ارى ان لا تقاتلوه ، فانها اما ان تكون عقوبة من الله فما انتم برادي عقوبته . ثم قال كلمته المشهورة « يا ايها الناس والله ما سلط الله عليكم الحجاج الا عقوبة ، فلا تعارضوا عقوبة الله بالسيف ، ولكن عليكم بالسكينة والتضرع » .

الحسن وثورة يزيد بن المهلب سنة ١٠١ هـ ٧١٦ م

بعد رجوع الحسن من الحج توفي صديقه التقي الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد اظلت البصرة ظلال وغيوم بمستقبلها ثورة جديدة تشبه ثورة ابن الاشعث في عنفها . وكان قد هرب يزيد بن المهلب من السجن الذي كان قد وضعه فيه الخليفة الراحل . وكان هروب يزيد تخلصا من السطوة الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك .. ووصل المهلب الى البصرة والتجأ عند قومه الأزد واعلن الثورة على الدولة الاموية . وعندها ارسل الحسن في وفد برئاسة عدي ابن ارطاة الى الهالبة الناهم بالعدول عن الثورة ، وتكلم الحسن معهم كلاما معجبا حتى قال احد رجال الوفد : ما تمنيت كلاما قط لحفظه الا كلام الحسن يومئذ .

قال عبد الملك بن المهلب اتكم وتطالم عديا على هلاكنا ؛ وليست طاعته بواجبة علينا . فقال له الحسن كلمت وعندئذ غضب ابن المهلب وقال له اتكلمني يا ابن اللخناء ، واخذ بقائم سيفه وقال والله لولا ان أميز بقتلك في منزلي لضربت عنقك فلك عين ثرت اهل المصر يتخاشعك ؛ وقد حفظت بنسله ، وصوت طورك وقدرك . ومضى في ايرانه لولا ان هداه الفضل بن المهلب والحسن ساكت .

الحلقات العلمية في جامع البصرة

كان كبار العلماء من الصحابة والتابعين يعقدون في الجامع (مسجد البصرة الكبير) حلقات الدرس والافتاء والحدث فيجمع اليهم الناس يستمعون ويناقشون ويتلقون اسرار دينهم ، ولعل اول حلقة انعقدت في هذا المسجد والقرئ فيها القرآن هي حلقة جعفر بن ابي الحسن ، ثم تبعه فيها الاعلام

من العلماء فكانت كل اسطوانة في الجامع يجلس اليها عالم من فحول العرب فيلتف حوله الطلاب . ومن هذه الحلقات التي يشار اليها بالبنان حلقة الحسن البصري . وكان واصل بن عطاء احد الطلاب التابعين في حلقة الحسن وكان يقربه لفرط ذكائه ، ولكنه عكره بعدئذ لخروجه على (المبادىء الكلامية) وقال له الحسن: « اعتزل عنا » ، فاعتزل وكون له حلقة جنب احدى السواري . وقال الحسن : « اعتزل عنا واصل بن عطاء » فسميت من يومئذ فرقه « المعتزلة » .

مجالسه العلمية ــ ورعه وتقواه

للحسن مجلسان مجلس عام في جامع الامير ومجلس خاص في بيته . اما في الاول فكان يعقده في اصل منبر ابن الاشعث واحيانا اخرى على الشدة المبنية في آخر المسجد ، والارجح انه في المكان الثاني اتخذه لمجلس القضاء لا حلقة التدريس . وبدات جلساته في المسجد بعد عودته النهائية من الغزو .

حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة اثواب من رقيق البز وقال له : يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة ، فقال له الحسن : عافاك الله تعالى : ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك ــ انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له » .

لزم بيته المتواضع والمسجد الجامع طيلة الحسن اكثر عمره ، وقلما كان يخرج الى المربد او يرتاد السوق . وكان من عادته ان يخرج لاستقبال الحجاج بعد عودتهم وربما زار بعض جيرانه واصحابه او حضر عند الوالي في امر من الامور او كلفه احدهم بحاجة فخرج لقضائها .

حياته العائلية وآخر ايام العمر

تزوج الحسن في البصرة ولعل زوجته من اصل غير عربي ، وقد كان العرب لايزوجون بناتهم من الموالي في ذلك العصر ، ورزق الحسن بولدين اكبرهما سعيد ، وبه كان يكنى والثاني عبد الله ، واما من الاناث فالمصادر التاريخية تتحدث عن زوجته انتقاه ممن لايشق عليه في المهر ، وكان يكفيه من الزوج حسن الخلق وكفاء الزوجة وستر العورة .

كانت السنوات العشر الاخيرة من حياة الحسن سنوات ضعف وشيخوخة اخذت تسير به الى الفناء . وفيها كان مناوئا لابن المهلب . وكانت علته قد ارهقته . ومما زاد في الطين بلة وفاة اخيه سعيد الذي كان يحبه فحزن عليه حزنا مبرحا ، كما فقد اصحابه الواحد بعد الآخر وزاد ثقل السنين على كتفيه .

خرج الحسن مرة لتشييع جنازة ابي رجاء العطاردي التميمي ، خرج على حمار ، فصلى عليها وابنه يسنده لما كان يحس من ضعف ، وقبل ان يسلم الحسن روحه اغمي عليه ثم افاق . وتقول الرواية انه التفت الى من كان حوله وقال لهم نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم . واشتد به النزع حتى عجز لسانه عن الكلام بعد ان كانت الفصاحة اظهر صفاته ولم يتمكن اصدقاؤه ان يفهموا عنه ما يقول حتى اسلم الروح راضيا مطمئنا . وصلي عليه عقب صلاة الجمعة وازدحم الناس من حوله حتى ان صلاة العصر لم تقم في جامع البصرة .

وكانت وفاته عام ١١٠ هـ ٧٢٨ م عن ثمان وثمانين سنة في يوم الجمعة من شهر رجب . واليه ترجع طرائق الزهاد وما تفرع منها . ويظهر انه كان يرى راى القدرية واصحاب العدل كاكثر اصحاب المعتزلة . وكان حينما يقرأ القرآن يبكي حتى يتحدر الدمع على لحيته فهي هيباب من الامراء . وكان قد توفي قبل ابن سيرين بمائة يوم وهو يكبر ابن سيرين بعشر سنين ، ودفن في الموقع المعروف اليوم والذي يحتفل فيه البصريون موتاهم . ولم يبدأ الدفن في جوار ضريح الحسن الا قبل (مائتين وخمسين سنة من اليوم) ، وكان الناس من قبل يدفنون بجوار سيدنا الزبير بن العوام . ولما اتسعت المقبرة انحدروا جانب سيدنا طلحة ثم انتقلوا بعد الساحة المجاورة للحسن البصري كما هو معلوم اليوم وكانت هذه الساحة من قبل من مربد البصرة . ■

البصرة ــ عبد القادر باش اعيان العباسي

ملاحظة * هذه الترجمة مقتبسة من موسوعة تاريخ البصرة الكبير (مخطوط) ، مؤلفه الشيخ عبد القادر باش اعيان العباسي .

أنباء الطب والعلم والاختراع

الثورة الخضراء
محصول القمح للفدان
يتضاعف اضعافا
وكذا الذرة
وكذا الارز

● انها قصة رجل ، وقصة أمم . اما الرجل فهو الدكتور نورمان بورلوج Norman Borlaug ، وهو مدير البرنامج الدولي لتحسين انتاج القمح ، ذلك البرنامج الذي تنفق عليه مؤسسة روكفلر Rockefeller ، ومكانه المكسيك. هذا الرجل هو الذي قاد الثورة التي اسميناها ونال في شهر اكتوبر الماضي من اجل ذلك جائزة نوبل للسلام ، ومعنى السلام هنا ان احلال الشبع محل المجاعات في العالم يؤدي الى الرخاء فالى ارضاء فالى السلام .

وأما الامم فهي كل امة متخلفة لا يكفيها الغذاء ، فتهددها المجاعة من عام لعام . ونضرب مثلا لذلك بالهند وباكستان في عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩ . ففي هذا العام جاء موسم الرياح والامطار المعروف بالمنسون Monsoons فكان اقصر طولا من عادته ، وامطار الشتاء قلت حتى انعدمت او كادت ، ودرجة حرارة الاجواء في شهر مارس ، وهو الشهر الذي يمتلىء فيه حب القمح ، هذه الدرجة زادت ما بين ٥ الى ٨ درجة عن معدلها . وكل هذا جعل الحاسبين يقدرون ان العام لا شك عام مجاعة .

ولكن لم تقع مجاعة . وعلى العكس من ذلك كان محصول القمح بباكستان ١٤ في المائة اعلى من محصول العام السابق ، وكان في الهند اعلى كذلك وبنحو ٨ في المائة .

وفي المكسيك ، وفي تركيا ، وفي افغانستان ، كانت محاصيل القمح تتزايد من عام لعام ، جاء مطر او لم يجيء ، وارتفعت حرارة او لم ترتفع .

وتبدأ القصة من يوم تراءى للدكتور بورلوج ، منذ سنوات مضت ، عدم رضائه من الزراعة التي كانت قائمة في البلاد المتخلفة ، ولا من الجهود التي كانت تبذل لتحسين الانتاج تحسينا لم يكن الا بطيئا لا يساير الحاجة الشديدة الملحة بتزايد السكان . تراءى له ان المطلوب ثورة عارمة في الانتاج . وبدأ يخطط لها ، وكان من نتيجة ذلك اليوم ان كلا من الباكستان والمكسيك ، صارتا دولتين مستكفيتين من حيث ما تنتجان من قمح بعد ان كانتا دولتين لا تستكفيان . وكذلك الهند فهي سائرة في هذا الطريق .



وباطراد هذا الحال سينتهي العالم بأن يكون ، لا عالماً يكفيه قمحه فحسب ، ولكن عالماً فائضاً قمحه عن حاجته فتصبح مشكلته مشكلة زيادة بعد أن كانت مشكلة نقص وجوع .

أما القصة العلمية فتبدأ من عام ١٩٤٣ ، حيث بدأ الدكتور بورلنج ، وهو من مواليد ولاية ايووا بالولايات المتحدة ، حين بدأ يجرب في صنوف عدة من القمح . لقد علم أن كل هذه الصنوف التقليدية بها مشاكل عدة ، تختلف من صنف الى صنف . علم أن منها ما يتعرض للاصابة بالفطر Fungus ، مثل صدأ الجذع الاسود . وعلم أن مقدار البروتين الذي يحملها ليس بالقدر الذي يرجى ، وعلم أن منها ما يتأجل الزرع في فصل قصير من الزمن معين لو خرجوا به عنه فسد ، وعلم أن صنفاً قد تزرعه في مكان فينجح ، ثم تزرعه في مكان آخر اختلف عنه أوانُ زراعة ، فلا يصح . وعلم أن من هذه الاصناف ما لم يستجب للتسميد ، وتزيد سماده فتتناقص زيادة نموه حتى تتوقف ، ثم يميل النبات بعنقه ويتدلى .

جمع الدكتور بورلنج صنوفاً للقمح من كل الدنيا ، وبدأ يزاوج بينها ، وأخذ ينتج منها في المختبرات طفرات Mutation اصطناعاً . وكان أهم هذه الصنوف الصنوف اليابانية القزمة Japanese Norin Dwarfs تلك التي اكتشفها الدكتور سلمون Salmon بوزارة الزراعة بالولايات المتحدة .

ومن بحوث الدكتور بورلنج خرجت الاصناف الجديدة المسماة اليوم بالاقماح الاقزام أو القصيرة Dwarf Wheat ، وهي عماد هذه الثورة الزراعية الكبرى .

والاقماح الاقزام ثنائية الجينات أو ثلاثيها Two & Three Gene Dwarfs تحتوي جينين أو ثلاثة جينات Genes للقصر ولصلابة الجذع ـ لا تتدلى أعناقها بزيادة السماد ، وهي تحتمل زيادة السماد حتى ١٢٠ رطلاً من السماد الآزوتي لكل فدان ، بدل المائة رطل التي كانت .

وهذه الصنوف تقاوم الامراض ، وتقبل الزرع في فصول مديدة ، ونسبة البروتين في حبها كبيرة .

أما المحصول في الهند وباكستان ، فقد ارتفع ارتفاعاً فائقاً ، من المتوسط المعتاد الذي هو نحو ١١ بوشيل للفدان الواحد الى ٥٠ بوشيل . ودلت التقارير على أنه في بعض البقاع ارتفع المحصول الى ١٥٠ بوشيل .

والاردب يساوي ٥٫٤١٦ بوشيل .

واقبل الفلاحون على الزراعة الجديدة .

ففي الهند زاد المزروع قمحاً جديداً من ١٥ فداناً فقط في عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ الى ١١ مليوناً في عام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩ ، وفي باكستان زاد في نفس تلك الفترة من ١٠ فدادين الى ٦٫٥ مليون فدان .

وكثورة في القمح ، ثورة أخرى عاملة في الذرة والأرز ، ولكن لهذه قصة أخرى .



العربي : العدد ١٤٧ فبراير ١٩٧١

التدخين نكبة هكذا يقول علماء بريطانيا

● من بين كل تسعة مدخنين يزيد استهلاك ما يدخنونه على ٢٤ سيجارة في اليوم ، يتعرض واحد منهم على الأقل للاصابة بسرطان الرئة .. ؟

هذه هي احدى النتائج التي توصلت اليها كلية الأطباء الملكية ، وهي أكبر هيئة طبية في انجلترا ، بعد سلسلة من الأبحاث والدراسات الجديدة التي قاموا بها حول علاقة التدخين بسرطان الرئة .

وقد وضع الأطباء الذين قاموا بهذه الأبحاث تقريرا اكدوا فيه ان التدخين لا يسبب سرطان الرئة فحسب ، بل يؤدي أيضا الى الاصابة بعدة أمراض خطيرة مثل سدة الشريان التاجي للقلب Coronary Thrombosis وارتفاع ضغط الدم ، وسرطان المثانة ، وكذلك قرحة المعدة Gastric Ulcer .

وقال التقرير أيضا ان الأبحاث قد اثبتت ان المدخنين أكثر عرضة للاصابة بالالتهابات الرئوية وغيرها من أمراض الجهاز التنفسي .

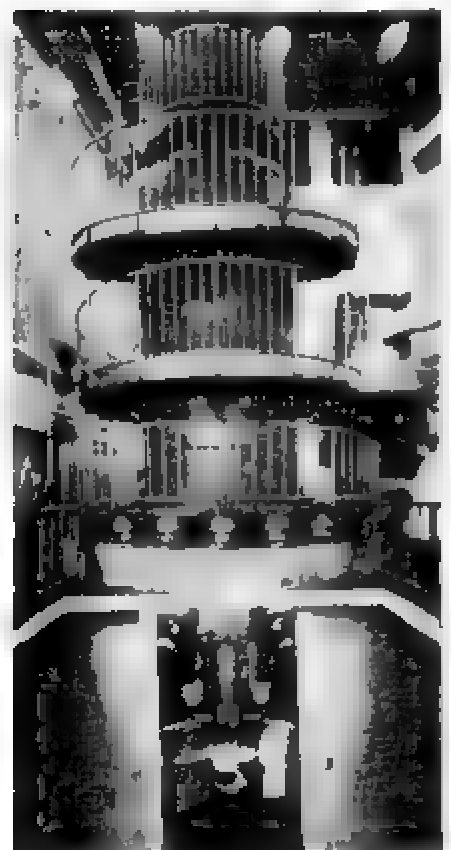
وبعد التقرير لأول مرة المزاعم القائلة بأن مدخني السيجار والغليون أقل عرضة للاصابة بهذه الأمراض من مدخني السجائر .. فقد اكد الباحثون أن المدخنين سواء كانوا من مدخني السجائر أو السيجار أو الغليون يستوون جميعا في التعرض للاصابة بهذه الامراض الخطرة .

ودعا التقرير بعد هذا الى فرض حظر شامل على الاعلانات التي تنشرها شركات السجائر والتبغ في مختلف الصحف والمجلات ، كما طالب الباحثون في الوقت نفسه كخطوة للحد من استهلاك هذه السموم ، بتحريم التدخين في الشوارع والطرقات والاماكن العامة ودور اللهو والسينما ، حتى تقل فرص التدخين عند الناس .

ويقول التقرير ان الباحثين اولوا اهتماما خاصا بمنع الدعاية للسجائر والتبغ التي تمتلىء بها الصحف والمجلات وبقية أجهزة الاعلام ، لما لهذه الاعلانات من اثر في زيادة الاقبال على التدخين .. فقد ثبت ان اكثر من ١٤ مليون جنيه استرليني ، قد انفقت في بريطانيا وحدها في العام الماضي ، على الدعاية لمختلف انواع السجائر والتبغ ، وكان من نتيجة ذلك ان ارتفع استهلاك السيجار مثلا من ٣٩٦ مليون سيجار في عام ١٩٦٢ الى ١١٣٢ مليونا في العام الماضي .

اضخم ميكروسكوب الكترونى فى العالم تصنعه اليابان

● انتهى فريق من المهندسين اليابانيين فى جامعة اوساكا من صنع اضخم ميكروسكوب الكترونى فى العالم . ويبلغ ارتفاع هذا الميكروسكوب ١٢ مترا ووزنه ٦٧ طنا ويستطيع ان يكبر الشىء ١٠ الف مرة . وهذا الميكروسكوب الالكترونى يعمل بمولد كهربى يبلغ قوته ٣ مليون فولت وهو اعلى فولت فى العالم يستخدم فى ميكروسكوب الكترونى . وقد انتهى العمل فى هذا الميكروسكوب فى الوقت الذى تستعد فيه اليابان للاشتراك فى المؤتمر الدولى السابع للميكروسكوبات الالكترونية والذى عقد فى جرينوبل Grenoble .



وقد بدأ الاتجاه الى انتاج ميكروسكوبات الكترونية ذات فولت كهربى عال نتيجة الرغبة فى الحصول على ميكروسكوبات تستطيع تكبير عينات سميكة .. وبواسطة استعمال مولدات شحنها مليون فولت تستطيع بها الالكترونات اختراق العينات السميكة التى لم تكن الميكروسكوبات الالكترونية العادية تستطيع اختراقها ، وبذلك تبقى الشريحة على ما هى .

الميكروسكوب الالكترونى الضخم الذى صنعه المهندسون اليابانيون فى جامعة اوساكا ويعتبر اضخم ميكروسكوب من نوعه فى العالم .

ماتصنعه اليابان للعقيمات من النساء

● عندما اعلن العالمان ستبتو P C Steptoe وادواردز R G Edwards عن نجاح تجربتهما فى تلقيح بويضة بشرية داخل المعمل .. استقبل بعض العلماء هذا الاعلان بكثير من التحفظ والشك وذلك لعلمهم بأن كثيرا من التجارب التى اجريت فى المختبرات على بويضات حيوانات ثديية قد اثبتت ان هذه البويضات يمكنها ان تنقسم نتيجة ابتعثره تحدث فى انبوبة الاختبار ودون ان

بعمل به الحيوان المنوي الذكر . واخيرا خرج ستبتو وادواردز على هؤلاء [illegible]

ونقلها من امرأة الى اخرى . على ما يرجو العلماء . وهي مسألة لا تحتاج الا لصبر وعناية . لتحسين الوسائل التي تتبع الآن في التجارب الجارية على الحيوانات. وعندما يتم هذا . فان عددا من النساء اللواتي اصبن بالعقم بسبب انسداد انابيب فالوب Falkopian Tubes التي تمر بين المبايض والارحام . سيستطعن ان يحققن آمالهن وان يحملن ويلدن اولادا من صلب ازواجهن . وذلك عن طريق اتمام عملية التلقيح داخل انبوبة الاختبار .

وقد تستطيع هذه الطريقة ايضا مساعدة الرجال الذين يعانون من نقص انتاجهم للحيوانات المنوية التي تكفي حدوث الحمل .

ولكن هناك ايضا عدة احتمالات في ان تؤدي هذا النوع من التلقيح الصناعي الى التأثير على خواص الوراثة الطبيعية والنمو . ويحرص العلماء الذين يقومون بهذه التجارب على التزام الصمت في [illegible] النتائج التي قد تنتج عن تجاربهم هذه . ومن المعروف علميا ان اي تأثير او تلف في البويضة الانثوية قد ينتج عنه تشوهات للطفل الذي يولد لا يمكن اكتشافها الا بعد الوضع . وهذه امور متروك امرها للمستقبل القريب او البعيد .

●●





نَجْوَى..

● إن كُنْتُ أذكر هندًا
أو حَنَّ قلبي لسلمى
فإنما أنتِ أعني
إن كان وَعْدُكِ مَطْلاً
أشكو لنفسي وتشكو
وأكتم الشوقَ حبّاً
رَنَتْ عيني لصدّي
مَنَّيْتُ نفسي بوردٍ
برشفةٍ من مُدام
يا مُنْيَةَ النفسِ جودي
رسالةٌ منك تكفي
رأيتُ ظُلْمَكِ عدلا

أو كنتُ أشكو ببُعْدِ
وبَرَّحَ القلبَ وَجْدي
يا أجملَ الناسِ عندي
إلى وقتِ موعدي
تنسى الهُمومَ وتُبْدي
ويغمُرُ الليلَ سُهْدي
فإن وَصَلْتِ رَعَنْدي
من الشفاهِ وشهدِ
من كأسِ جيدٍ وخدِّ
بالوَصْلِ يوماً وجودي
قلبي وتُطفئي حِقْدي
فاستعبدي واستبدّي ■■

الحسكة / سوريا ـ بدر عبد الحميد



سيكولوجية الشيخوخة

● فيكتور كوزان Victor Cousin (١٧٩٢ – ١٨٦٧) الفيلسوف الفرنسي الشهير، كتب في سيكولوجية الشيخوخة يقول: «ان المواقف التي تساعد على الاحتفاظ بشباب الفكر والعقل، يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هذه الكلمة هي الالتزام Commitment.

فالحياة لا تكون الا مع التزام، والالتزام لا يكون الا اذا سبقه احساس باستعداد لتحمل المسئولية التي يرتبط بها المرء بهذا الشيء او ذاك، وكلما تمسك الرجل بالتزاماته وحرص على تنفيذها، تضاءلت فرص تعرضه للغرق في خضم هذا البحر الواسع من الحياة الذي تتلاطم امواجه!

واضرب لذلك مثلا، المرأة التي بقيت بلا زواج، فهي بقيت بلا التزام فصارت اكثر تعرضا للشعور باقتراب الشيخوخة، من اختها المتزوجة... فالاولى غير ملتزمة الا بالقدر الذي تفرضه عليها طبيعة الحياة التي تعيشها.. اما الثانية فهي تلتزم بأمر نفسها من اجل نفسها وزوجها واطفالها فهي اذن ملتزمة، وهي اذن مسئولة عن رعاية هذه الأسرة والمحافظة عليها».

روسو ... ورسائل الحب!

● جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau، الفيلسوف والكاتب السياسي الفرنسي الكبير (١٧١٢–١٧٧٨) كتب اروع رسائل الحب لامرأتين. الأولى امه، وكان يسميها «الأم»، وهو يعيش في المنفى في لندن، هربا من الطغيان، أما الثانية فكانت عشيقته مدام دي وارن Mme De Warens وكان قد تركها وراءه في جنيف، حيث ولد وعاش سني شبابه، قبل عودته الى باريس.

قالوا: سألوه يوما: كيف تكتب خطاباتك، وما سر جمالها وروعة المعاني التي تحملها رسائل حبك؟.

واجاب الكاتب الفيلسوف في تواضع شديد: «عندما كنت احس لأكتب خطاب حب، كنت ابدأه دون ان اعرف ماذا اريد ان اقول، فاذا وصلت الى نهايته، نسيت ما كتبت... اني لا اذكر اني اعددت يوما خطابا واحدا قبل ان اشرع في كتابته»!





جومو كينياتا — دوجلاس هيوم

مرض .. ومرض!

● أصيب اليك دوجلاس هيوم Alec Douglas Hume ، وزير خارجية بريطانيا بسل في عموده الفقري ، منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما مضت ، واضطره المرض الى ملازمة الفراش شهورا طويلة ، وفي أحد الأيام ، تلقى هيوم رسالة قصيرة حملها اليه رسول خاص في غرفته بالمستشفى في لندن .

وفض السياسي البريطاني الرسالة ، فاذا بها تحمل توقيع الزعيم الأفريقي الكبير جومو كينياتا Jomo Kenyatta ، الذي صار من بعد ذلك رئيسا لجمهورية كينيا ، وكان يقوم بجولة في أوروبا في ذلك الوقت ، يدعو فيها الى تحرير بلاده من الاستعمار البريطاني ، وعلم بمرض هيوم فكتب اليه يقول :

« صدمني نبأ مرضك .. انني أرجو لك الشفاء ، وآمل أن تبرأ من علتك ، وأن تكون قد وعيت الدرس .. لقد كنتم تقولون دائما ان صيحة الحرية التي تطلقها الشعوب المستعمرة ما هي الا عرض من مرض وجب القضاء عليه ... ولكنني أراك اليوم تنحني امام مرض اشد خطورة فهو يتهدد حياة واحد من هؤلاء « الأطباء » الذين زعموا انهم شخصوا الداء ووصفوا العسف والقمع له دواء ! رحمة بالمرضى امثالنا ، فنحن لا نبغي سوى الحياة .. نفس الحياة التي تنشدها انت في مرضك هذا » .

الشجرة ... وقلم الكاتب

● المؤلفة الانجليزية الكبيرة جين اوستن Jane Austen (١٨٦٦ – ١٩٤١) : صاحبة قصة ايما Emma التي اكسبتها شهرة واسعة ، قالوا لها يوما : « ان المرء ليحس من خلال قراءاته لمؤلفاتك انك تتقمصين شخصية جديدة في كل مرة تقدمين لنا فيه قصة جديدة » .

فقالت جين : « ان قلم الكاتب كالشجرة ، انها تبدأ صغيرة هشة رقيقة العود ، ثم تكبر مع الزمن فيشتد عودها وتتشعب جذورها وتنمو فروعها ثم لا تلبث أن تثمر ويجني الناس ثمارها .. ولكننا هل نجد الثمار دائما ناضجة ؟ وهل تبقى الشجرة دائما مثمرة ؟

« والجواب : لا ، فهي تتغير بتغير فصول السنة ، وهكذا قلم الكاتب ، غير أن عوامل التغيير هنا تختلف ، فالقلم يتغير بتغير المناخ السياسي ، والمزاج الشخصي ، والحياة نفسها .. ولكن البيت عنده هي حقل كل الناس .. ان هناك شيئا جديدا تراه فيهم في كل مرة تلتقي بهم ! » .



مع جوتيه

● الشاعر الألماني الكبير جوتيه Goethe (١٧٤٩ – ١٨٣٢) سألوه يوما : من هو الرجل الذي اثر في حياتك اكثر من غيره ؟ »

قال : « ابي .. ولم يكن ابي شاعرا .. ولكنه كان رجلا عظيما .. كان اقسى ناقد لكل ما اكتب .. كان يصحح لي اخطائي ، وكان يلومني ، فانا احس ان الخطأ اكبر من ان يسكت عليه ، ولكنه لم يكن ابدا ينسى ان يشجعني بعد كل لوم يوجهه الي .. وكنت اشعر بالدفء يسري في اوصالي بعد كل مرة يلومني فيها ، ثم يشجعني بعد لومه . تماما كما لو كنت اجلس تحت اشعة الشمس بعد حمام بارد !! » .



علي طه — دمشق

— غينيا دولة افريقية مستقلة كانت مستعمرة فرنسية حتى عام ١٩٥٨ ، وهي اول مستعمرة حصلت على استقلالها في ذلك العام في صدارة المستعمرات الفرنسية السابقة بافريقيا الاستوائية .

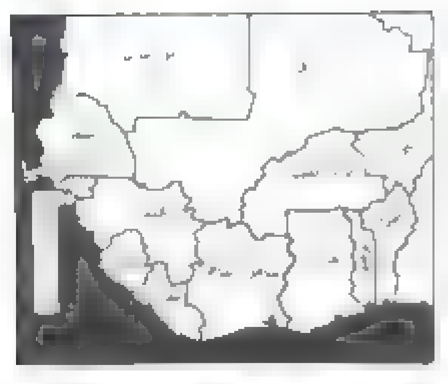
وتقع هذه الدولة التي عرفت في الآونة الأخيرة تلك المؤامرة الاستعمارية ، التي نذكر فيما بعد اسبابها ودوافعها ، على ساحل المحيط الاطلسي في افريقيا الغربية ، وتبلغ مساحتها نحو ٢٤٦ الف كيلو متر مربع ولا يزيد عدد سكانها على اربعة ملايين نسمة ، وعاصمتها كوناكري وهي تقع ايضا على ساحل المحيط ، وهي بلاد غنية بمناجم الذهب والماس والحديد كما تشتهر بكثرة الانهار فيها ، ففي ارضها تقع منابع نهر النيجر ونهر السنغال ونهر غامبيا ، عدا الانهار الاخرى الصغيرة التي تجري فيها وتصب في مياه المحيط .

هذه لمحة سريعة عن غينيا الدولة الاسلامية الصغيرة التي يرأسها احمد سيكوتوري ، الزعيم الوطني ، الذي تولى رئاسة الجمهورية عند حصولها على الاستقلال ، والذي كان اول زعيم افريقي بين زعماء دول افريقيا السوداء المرتبطة بفرنسا ، يقول لديجول « لا » ، عندما اقترح الرئيس الفرنسي الراحل انضمام هذه الدولة المستقلة الى المجموعة الفرنسية في افريقيا . ولم يكن سيكوتوري وحده هو الذي قالها ، وانما شاركه فيها غالبية افراد الشعب الغيني الذي رفض الارتباط بفرنسا ، في الاستفتاء العام الذي اجراه الزعيم الافريقي في نفس العام الذي حصلت فيه بلاده على استقلالها . وهكذا كانت غينيا هي الدولة الوحيدة بين المستعمرات الفرنسية السابقة التي اختارت ان تسير وحدها في طريق الاستقلال .

وكان طريقا شاقا مليئا بالصعاب ، فقد ترك المستعمر البلاد ، وهي احوج ما تكون الى الخبرات في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والعلمية والفنية .. كما ساهم النظام الاشتراكي الذي اختاره الرئيس سيكوتوري لبلاده ، في خلق جو من السخط بين بعض الفئات الغينية المنتفعة في ظل الاستعمار الفرنسي بالتالي فقدت الامتيازات التي كانت تتمتع بها قبل الاستقلال ، وقبل اعلان السياسة الاشتراكية في البلاد .

وقد كان هؤلاء هم انفسهم الذين وقفوا وراء محاولة الانقلاب الاخيرة في غينيا ، بعد ان شكلوا من انفسهم جماعة اطلقت على نفسها اسم « المنفيين الغينيين » وتقيم افرادها خارج غينيا ، ولم يكن الهدف من وراء محاولتهم هذه سوى قلب نظام الحكم الذي اقامه الرئيس الغيني ، واقامة نظام سياسي بديل يرضى عنه جماعة المنفيين هذه ، وكذلك القوى الاجنبية التي ساندت المحاولة الفاشلة وفي مقدمتها البرتغال ..

وقد استغلت هذه القوى الناقمة لحكم



سكوتوري ، وهي تضم عناصر سياسية وعسكرية باعداد من المرتزقة البيض الذين هاجموا كوناكري العاصمة بمجموعة من السفن الحربية على طريقة قراصنة البحار . وتقول التقارير التي اصدرتها لجنة التحقيق التي ارسلها مجلس الامن الى مسرح الاحداث في غينيا على ان المتآمرين استخدموا اراضي بعض البلاد الافريقية المجاورة للاعداد بمجموعهم المسلح ، وفي مقدمتها غينيا البرتغالية .

ولكن المؤامرة ما لبثت ان فشلت نتيجة للمقاومة العنيفة من جانب الجيش والشعب الغيني ، مما يؤكد الشعبية التي يتمتع بها نظام الحكم الحالي في غينيا .

وليست هذه هي المرة الاولى التي ينجح فيها حكم سيكوتوري في المؤامرات التي حيكت ضده، فقد تعرض نظام حكمه منذ عام ١٩٥٨ ، عقب الاستقلال ، لخمس مؤامرات اخرى ، وكان بعضها يدبر في الخارج ، والبعض الآخر في الداخل ، وقد تسبب جهود الدولة والحزب الديمقراطي الغيني وهو الحزب الحاكم الذي يرأسه سيكوتوري .

وهذا جرى ويجري في غينيا خبرة للمعاصرين.

● والدي مؤلف ولديه نصيب في كتب ... وفي رحمة الله عليه منذ ...

[illegible]

ـ تختلف حقوق النشر من بلد الى بلد وتخضع لذلك الأعمال الخاصة بتوابع حقوق النشر داخل البلد الناشر لا خارجه

في الولايات المتحدة الامريكية يحدد قانون حقوق النشر الامريكي مدة تمتع المؤلف بحقوق النشر بـ ٢٨ عاما تبدأ من تاريخ تسجيل مؤلفه في مكتب حقوق النشر ويمكن تجديد هذه المدة ٢٨ عاما اخرى فقط . واذا مات المؤلف خلال هذه المدة فان لورثته حق الاستفادة من حقوق النشر .

وفي هندوراس بامريكا الوسطى فان حقوق النشر تتراوح مدتها بين ١٠ سنوات الى مدة اقصاها ٢٠ سنة .

وفي بريطانيا يحدد القانون الخاص بها حقوق النشر بحياة المؤلف يضاف اليها ٥٠ عاما يصبح

فيها ورثته بهذه الحقوق . وقد أخذت الدول العربية ومن بينها مصر ولبنان وسوريا بهذا النظام أيضا .

وفي بنما بأمريكا الوسطى تمتد حقوق النشر ٨٠ عاما بعد وفاة المؤلف وهي أطول مدة يسمح بها قانون لحقوق النشر في العالم .

وفي بلغاريا ينص القانون على أن حقوق النشر تبقى للمؤلف طوال حياته ثم تنتقل هذه الحقوق الى والديه اذا كانا على قيد الحياة وذلك طوال حياتهما ، والى الزوجة طوال حياتها أو الى أن تتزوج مرة أخرى ، ويرث الأبناء أيضا في حقوق النشر حتى سن البلوغ .

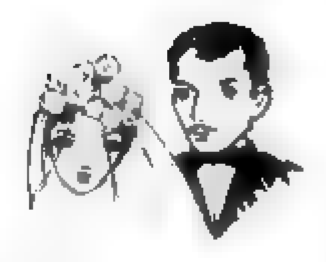
وبما أنك من رعايا الجمهورية العربية المتحدة فانك تستطيع أن تتمتع أنت وبقية الورثة الشرعيين بحقوق النشر الخاصة بمؤلفات والدك لمدة خمسين عاما منذ وفاته .

(م. ط)



● نسمع ونردد عبارة « كل شيء قسمة ونصيب » ونكثر ترديد هذه العبارة عندما يحصل زواج ، فهل صحيح أن كل واحد يولد يكتب له أن يأخذ واحدة معينة أي عينها له الله سبحانه وتعالى

ليلى عمار – البصرة



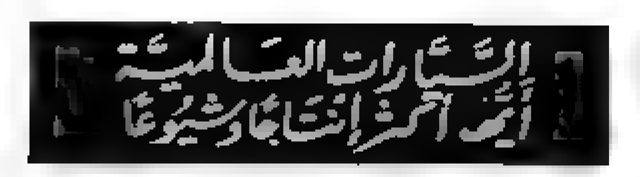
– ان ما قدره الله على خلقه لا يعلمه الا هو سبحانه وتعالى . ولا ينبغي لأحد أن يتكل ويتوقف عن السعي في الخير والعمل على ادراك المطالب السليمة والرغبات الحميدة . وكل شيء خلقه الله يسير على نظام صحيح وبأسباب ظاهرة . وان القعود عن السعي والسكوت عن الأخذ بالأسباب من علامات عدم التوفيق ، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال له بعض الصحابة .

« أفلا نتكل يا رسول الله ؟ قال : اعملوا فكل ميسر » وفي رواية في صحيح مسلم : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وفي رواية مطولة للحديث . « من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير الى عمل أهل الشقاوة ، اعملوا فكل ميسر .. » .

وفي حديث آخر « لا يحل لامرأة أن تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها ، فانما لها ما قدر لها » . وفي هذا نهي عن سعي بعض النساء الى أن تطلق بعض النساء لتحل محلها ، أو أن يخلو لها الجو ، ويختم الرسول ذلك بقوله . « فانما لها ما قدر لها » .

ولكن فمن الذي يقرر للانسان أن هذه كتب عليها في الأزل أنها من نصيب فلان أو أن تلك قسمت لفلان ؟ على المرء أن يختار من اتجهت اليها رغبته ، ويأخذ في الأسباب ، فان ذلك من علامات الوصول المراد ، ثم اذا كان ما قدر غير ذلك الأمر ارادة الله – ونحن نجهل ما في الغيب – فان الأسباب كثيرة التي تحول دون ما يريد المرء ، اما الانتقال عن المكان أو الحياة ، واما عروض ما هو في الرأي أحسن ، واما ظهور ما لم يكن متوقعا ، ولله عاقبة الأمور .

ع. ف.



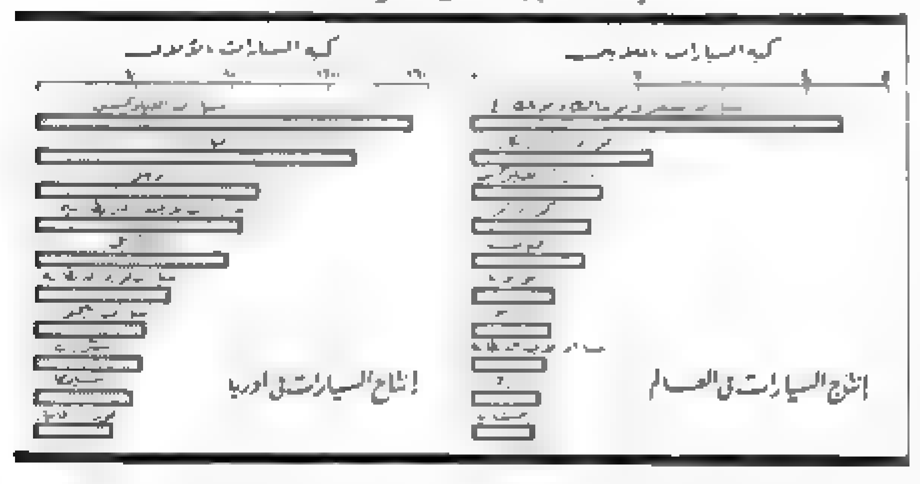
● أي الشركتين تنتج من السيارات أكثر من الأخرى شركة فيات الإيطالية أم شركة فولكس فاجن الألمانية؟

نبيل حازم – لبنان

– كانت شركة فولكس فاجن الألمانية هي المتفوقة على شركة فيات الإيطالية من حيث كمية السيارات التي صنعتها في سنة ١٩٦٩ . فقد بلغ ما انتجته الشركة الألمانية في السنة المذكورة ١٬٦٠٢٬٠٠٠ سيارة وبلغ ما انتجته الشركة الإيطالية في السنة نفسها ١٬٤٢٢٬٠٠٠ سيارة . أي أن الزيادة لم تكن كبيرة ، وقد بلغت نحو ٢٠٠٬٠٠٠ سيارة .

على أن شركة فولكس فاجن لم تتفوق في السوق المذكور . فقد سجلت في السنة التي ذكرناها (١٩٦٩) تفوقاً لافتاً للنظر على سائر مصانع السيارات في أوربا كلها ، بما فيها المصانع الألمانية والإيطالية وكذلك المصانع الفرنسية والبريطانية بلا استثناء . أضف الى ذلك أنها احتلت المرتبة الثالثة بين مصانع السيارات في العالم أجمع ، بما فيها المصانع الأمريكية واليابانية ، من حيث كمية السيارات التي انتجتها مصانعها عام ١٩٦٩ .

واليك فيما يلي رسماً بيانياً يبين لك ذلك كله .. نشرته مجلة الايكونوميست في الأيام الأخيرة .



كما بدلا من الأسماء الإفرنجية للسيارات ما يقابلها من الأسماء العربية ، بعد أن تعرفت على السنة الأخوة الكويتيين ، لنشير بذلك الى حاجة اللغة الى التعريب لنمط الأسماء العربي الذي تسوغ للأذن العربية



● تواصل في العام الماضي وقبل موعد انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة أسبوعاً مهزلة رفض قبول الصين عضواً في هذه المنظمة الدولية، ولكن نتيجة الاقتراع على هذه المشكلة التي طال عليها الأمد، جاءت هذه المرة أقرب مخيبة للآمال. فهل ما زلتم تعتقدون في حتمية دخول هذه الدولة الكبرى رغم أنف أمريكا ؟!

محمد شاكر — عمان

— إذا نظرنا إلى نتيجة الاقتراع على مشروع القرار الذي قدمته ألبانيا والجزائر، والذي نادى بانضمام الصين الشعبية وطرد الصين الوطنية أو حكومة «فرموزا»، تلك التي ما تزال تمثل في رأي الأمريكان على الأقل، دولة الصين الكبرى التي تضم ٧٨٠ مليون نسمة، لوجدنا أنه كان هناك تحول ملموس عن موقف الإصرار على رفض انضمام الصين إلى هذه المنظمة العالمية التي احتفلت في العام الماضي بمرور ربع قرن على إنشائها.

فقد جاءت نتيجة الاقتراع كالآتي:

٥١ دولة قالت نعم

٤٩ دولة قالت لا

٢٥ دولة امتنعت عن التصويت.

والمعروف أنه لا بد من موافقة ثلثي أعضاء الجمعية العامة لدخول الصين الأمم المتحدة.

حقيقة لم يكن الفارق كبيراً بين نتيجة الاقتراع في العام الماضي، عام ١٩٧٠، وفي العام الذي سبقه ١٩٦٩ إذ إن عدد الدول التي غيرت موقفها من لا إلى نعم لم يزد على سبع دول فقط، ولكن المراقبين السياسيين يرون أن هذا العدد على صغره كان بمثابة لطمة قوية لأمريكا التي ضاعفت ضغوطها بصورة لم يسبق لها مثيل قبل الاقتراع مباشرة لضمان استمرار إبعاد الصين عن الأمم المتحدة.

فقد نشط الدبلوماسيون الأمريكيون قبل التصويت وقبل انعقاد الجمعية العامة باستخدام كل ما يملكونه من وسائل الضغط والتأثير في عواصم عديدة من العالم، حتى رفض الدول الأعضاء في الأمم المتحدة مشروع القرار الألباني — الجزائري.

ويبدو أن الولايات المتحدة نفسها قد أحست بموقفها، إذ يقول المراقبون إنها سوف تفكر كثيراً خلال المستقبل القريب، في تغيير موقفها المتعنت من معارضة انضمام حكومة بكين للأمم المتحدة، ومسايرة الاتجاه الواقعي، خاصة وهي ترى أن أصدقاءها وحلفاءها وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا وكندا وإيطاليا، قد تخلوا عن المضي في الطريق المسدود الذي سلكته حليفتهم الكبرى، وأن هذه الدول قد بدأت تعترف بأن الصين حقيقة واقعة لا يمكن الاستمرار في تجاهلها، وخاصة بعد أن أصبحت هذه الدولة تملك قنابل الدمار الذرية والهيدروجينية وبعد أن أصبحت كما ذكرت مجلة نيوزويك الأمريكية، في سبيل إطلاق نوعين من الصواريخ عابرة القارات التي يبلغ مدى كل منها ٥ آلاف ميل، كما أنها ستنتهي قريباً من بناء محطة مراقبة في دربار، لتتبع تجارب إطلاق الصواريخ فوق المحيط الهادي.. ويؤكد مراسل المجلة الأمريكية بعد هذا أن الولايات المتحدة، قد ترغب بعد السقوط بهزيمتها الأخيرة في الجمعية العامة، في تدارك موقفها قبل أن تسبقها الحوادث وتصبح الصين عضواً في المنظمة رغماً عنها.

(م ٥)

نتيجة مسابقة العدد ١٤٥

● كانت « الامم المتحدة » المادة التي استقصاها أسئلة مسابقة العدد ١٤٥ من العربي حيث تعرفنا على هذه المنظمة الكبرى وهيئاتها المختلفة سياسية وثقافية واقتصادية والدول التي ساهمت في تأسيس هذه المنظمة ، وقد جاءت [illegible] معظم المشتركين بهذه المسابقة مما يدل على وعي [illegible] بالعصر [illegible] ونقدم للقارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم أسماء الفائزين بالمسابقة .

١ ـ **٢٤ اكتوبر** : هو يوم الامم المتحدة

الابيض والازرق : [illegible] هيئة الامم [illegible]

٢ ـ **السيدة فاندنت بهرو** : هي [illegible] رئيسة للجمعية العامة للامم المتحدة

٤ ـ **جزر فيجي** : هي آخر دولة انضمت للامم [illegible]

٥ ـ **نيويورك** : هي مقر منظمة الامم المتحدة

٦ ـ **كل سنة** : تعقد اجتماع الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة

٧ ـ **خمسة** : عدد الاعضاء الدائمين الذين لهم حق [illegible]

٨ ـ **فيينا** : هي مقر [illegible] الطاقة الذرية [illegible]

٩ ـ **روسيا ـ الولايات المتحدة الامريكية ـ بريطانيا ـ الصين** : هي الدول الاربع التي وضعت أول مسودة لـ[illegible] الامم المتحدة في [illegible]

١٠ ـ **همرشلد** : هو سكرتير الامم المتحدة الذي نال جائزة نوبل للسلام بعد وفاته

١١ ـ **رالف بانش** : هو الشخص الذي عين وسيطا دوليا في فلسطين عام ١٩٤٨ بعد مقتل الكونت برنادوت

١٢ ـ **واشنطن** : هي مقر البنك الدولي التابع للامم المتحدة .

١٣ ـ **يوثانت** : هو الشخص الذي اصبح سكرتيرا عاما للامم المتحدة عام ١٩٦١ .

١٤ ـ **وكالة غوث اللاجئين** : هي الوكالة التي نالت جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٤

١٥ ـ **لاهاي** : هي المقر الدائم لمحكمة العدل الدولية التابعة للامم المتحدة

١٦ ـ **جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية** : هي [illegible]

١٧ ـ **كوريا** : هي المكان الذي استخدمت الامم المتحدة فيه القوة العسكرية لاول مرة [illegible] وقف الاشتباكات المسلحة بناء على قرار [illegible] الامن

[illegible]

الجائزة الاولى [illegible] حسن [illegible] مرسلي [illegible]

الجائزة الثانية وقيمتها [illegible] نزار حسن الخوري [illegible]

الجائزة الثالثة وقيمتها [illegible] مصطفى سلال [illegible]

٨ جوائز قيمتها ١٥ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من

١ ـ كمال الدين احمد مصطفى ـ القاهرة [illegible]

٢ ـ احمد محمد الفطري

٣ ـ احمد توفيق الدحلي ـ جدة / السعودية

٤ ـ خلدون فؤاد مرادي ـ عمان / الاردن

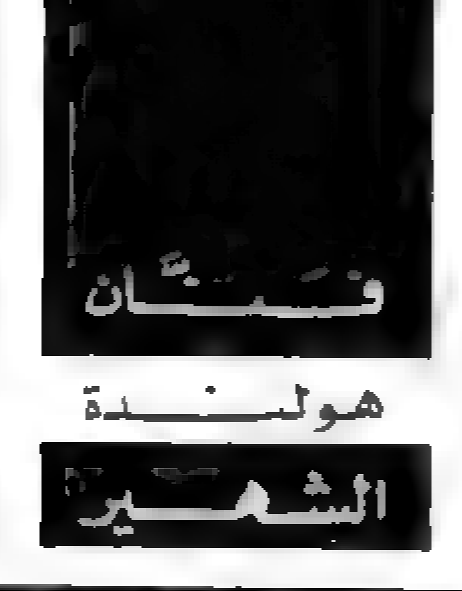
[illegible] ـ فردوس تميم ـ [illegible] /

[illegible] ـ مصطفى احمد عمر ـ ام درمان ـ السودان

٧ ـ عبد المجيد عبده مرعي ـ اليمن الجنوبي

٨ ـ خالد حسن ـ [illegible] .

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد المسجل .





بقلم : يوسف زعبلاوى

■ قد لا تكون اللوحة التي تراها على الصفحة الثانية من هذا العدد اللوحة العظمى بين لوحات رمبرنت ، رسام هولندة الشهير في القرن السابع عشر ، الا انها من اعظم تلك اللوحات بلا نزاع . وهي ، وان كانت تحدثنا بالكثير عن فن رمبرنت ، فانها لا تحدثنا بالكثير ولا القليل عن حياة رمبرنت الرجل الانسان

ولد رمبرنت واسمه الكامل Rembrandt Harmeen Van Runi في بلدة ليدن سنة ١٦٠٦ تلك البلدة الهولندية الشهيرة بمنشوراتها العربية للمستشرقين والتي منها دائرة المعارف الاسلامية، قديمها والحديثة . وكان ابو رمبرنت طحانا ، وقد رغب في تعليم ابنه الرابع مهنة من المهن الشاقة . لا عجب اذن ان يكون رمبرنت الفتى قد درس اللاتينية ، عماد الثقافة في تلك الايام ، وان يكون قد انتسب الى جامعة ليدن سنة ١٦٢٠ .

غير ان موهبة رمبرنت الفنية ما لبثت ان ظهرت واجتاحت كل ما سواها في حياته ، بحيث انصرف الفتى عن طلب العلم الى طلب الفن ، والتحق باحد اساتذة الفن المعروفين في ليدن في ذلك الزمن ، واسمه سوانبورج Swanenburch ويذكر عن هذا الاستاذ انه كان من المتخصصين في فن الرسم المعماري Architectural Painting وانه قضى فترة من الزمن في ايطاليا . وجدير بالذكر ان ايطاليا كانت رائدة الفن في اوروبا في تلك الايام ، ايام كان كرافجيو Caravaggio مبرزا على غيره في فن الرسم عامة وعلى النمط المعروف بالباروك Baroque بصفة خاصة .

ودام تدرب رمبرنت على يد استاذه الاول ثلاث سنوات ، توجه بعدها الى امستردام حيث تتلمذ للاستاذ بيتر لاسمان Pieter Lastman احد مشاهير اساتذة الفن في هولندة حينذاك . الا ان رمبرنت لم يبق مع استاذه الثاني سوى ستة اشهر انهى بانتهائها عهد التلمذة وبدأ حياته العملية الفنية.

وقضى فناننا المرحلة الاولى من حياته تلك ، اي من سنة ١٦٢٦—١٦٢٢ ، في ليدن مسقط رأسه . ولما اشتهر وذاع صيته انتقل الى امستردام نزولا عند الحاح هواة الفن والمعجبين بلوحاته ، وقد شاهدوا بعضها ولمسوا ما تجلى فيها من ابداع . وهكذا بدأت المرحلة الثانية من حياة رمبرنت سنة ١٦٣١ بمباشرته العيش والعمل في العاصمة الهولندية .

وشهدت هذه المرحلة الثانية النجاح والشهرة البالغين اللذين تحققا لرمبرنت ولما يمض على وجوده في امستردام سوى سنة او اقل . الا ما لبث ان اصبح رمبرنت في طليعة فناني الرسم



الهولنديين وزعيمهم الذي لا يبارى فيما يتصل برسم وجه الانسان . وتوافد عليه الرسامون الناشئون وغير الناشئين من شتى الجهات وراحوا يتلمسون السر الذي رفع رمبرنت الى تلك المرتبة الرفيعة .

وتوجت تلك المرحلة الثانية من حياة رمبرنت ايضا زواجه السعيد من ساسكيا فان اويلنبورخ Saskia Uylenburgh سنة ١٦٣٤ . اما السعادة فمردها اولا الى المال الوفير الذي جاءت به العروس الى بيت الزوجية . وهي تعزى ثانيا وبقدر اكبر الى حب الزوجة العميق لزوجها وتقديرها الكبير لفنه ، ناهيك باستعدادها للتضحية في سبيل راحته . ولقد تركت هذه الزوجة الصالحة ، التي اصيبت مع السنين اما لاربعة اطفال ، اثرا كبيرا في حياة رمبرنت ، بدليل ما تعرضت له حياته من هزات عنيفة عقب وفاتها سنة ١٦٤٢ .

ولقد جرى له بعض المشاكل مع الكنيسة بسبب علاقته بالآنسة ستوفل ، كما حل به الافلاس فبيعت املاكه في المزاد سنة ١٦٥٧ و ١٦٥٨ .

والغريب ان فقدان تلك الزوجة المحبة الوفية لم يحد من امتاع رمبرنت الفني ولا نزل بمستواه . ولعل اللوحات التي رسمها فناننا بعد وفاة زوجته بعدة سنوات هي في طليعة ما جاد به الفنان من لوحات . ويصدق ذلك على لوحة درس علم التشريح ولوحة الصقار Falconer ، وعلى لوحات اخرى عديدة . ولكنه يصدق ايضا على لوحة الصفحة الثانية من هذا العدد من العربي : « لوحة الشيخ الجالس على مقعده » . فهذه اللوحة التي رسمها رمبرانت سنة ١٦٥٢ ، تعتبر بحق باكورة عهد النضوج الفني في حياته ، وهي تبرز فوق ذلك اهم خصائص رمبرنت وميزاته الفنية .

ونكتفي بالاشارة هنا الى اثنين من تلك الميزات . الاولى ميل رمبرنت الى الالوان القاتمة ، وقد غلبت هذه الالوان على اعمال لوحاته ، حتى بدت وكأن القتمة تلفها وتحيط بها . ولم يحل ذلك طبعا دون ظهور بعض الضوء هنا وهناك في اللوحة .

اما الميزة الثانية ، وهي الاهم ، فقد تجلت في حرص رمبرنت وقدرته الفائقة على الكشف عن خفايا النفس البشرية وخوابئها الدفينة ، وكأنه احد كبار كتاب القصة العالمية . ولو انت انعمت النظر في لوحة الصفحة الثانية لاتضح لك ان ما يمثله هذا الرجل المسن ليس حالة الجلوس والاسترخاء او الرداء الاحمر الفضفاض الذي يشد ناظره الى السطحية ، وانما حالة التأمل العميق في احوال هذه الدنيا وقد بدا الشيخ غارقا في التفكير فيها بعد ان بلغ من العمر عتيا .

وتجدر الاشارة بعد هذا الى ان رمبرنت هو اول من وضع رسوما ايضاحية للكتاب المقدس في العصور الحديثة ، ومن بعد اكتشاف الطباعة .

وتوفي فناننا سنة ١٦٦٩ ودفن في امستردام .



■ هذه قضية يمكن ان نسميها قضية الابيض والاصفر كما سميت سابقتها الابيض والاسود . وموضوعها يذكرني ببيتين من الشعر العربي القديم لا ادري من هو قائلهما .

ارخت ثلاث ذوائب من شعرها ... في ليلة فأرت ليالي اربعا
واستقبلت قمر الزمان بوجهها ... فأرتني القمرين في وقت معا

بفارق بسيط هو ان شعر بطلة هذه القضية كان اشقر وانه لعب دورا كبيرا في قضيتها وفي افساد سير العدالة وطبيعة ميزانها .

في مارس عام ١٨٨٢ وصل الى بروكسل دبلوماسي ياباني اسمه ناكاى ليكاشكي ساكورادا بوصفه وزيرا مفوضا معتمدا لدى حكومتي بلجيكا وهولندا .

ولان المامه باللغة الفرنسية ـ وهي اللغة الدبلوماسية المعتمدة في تلك الايام ـ كان محدودا فقد رغب في تلقي دروس فيها على يد مدرسة اختارها له بعض الاصدقاء وامتدحوا اخلاقها وكانت فتاة في الثامنة عشرة تدرس البيانو واللغة اسمها جان لوريت .

كانت فتاة جميلة ذات انوثة طاغية لها شعر



طويل مرسل ينساب على كتفيها في تموج ساحر هي تستعجب به ، والناس بها وبسحرها معجبون . ويقال انها لم تكن تطمع في حل سحرها او كما يقول التعبير العامي كانت عناتية على حل سحرها فقد كانت لها علاقة بأحد تلاميذها — رجل في الخمسين — حملت منه طفلا ولد ميتا . ولقد اثبت تحقيق القضية — فيما بعد — ان هذا الرجل لم يكن اول عشاقها ولا آخرهم ... ذلك انها سرعان ما التفت حبائلها على طمعتها الجديد الوزير الياباني فصادته .

وبينما الطالب والمدرسة يتابعان دروس اللغة ودروس الحب ، اذا بوزارة الخارجية اليابانية تعكر صفو الحياة بتعيين وزير ساعد حظ مرة بروكسل وحددت اقامة ساكورادا في هولندا ، ولم يرق هذا الاجراء في نظر صاحبنا وامره مقيا له لأنه يبعده عن مدرسته التي لم تعد مدرسته فحسب

وحار في امره وعرض على جان شروطا سخية اذا هي قبلت ان تنتقل معه الى لاهاي . وترددت بادىء الامر ولكن والدها وهو حداد في قرية صغيرة دفعها الى القبول فقبلت واستأجر لها ساكورادا شقة صغيرة في لاهاي حيث كانا يتقابلان فلا يحس بهما سكان المدينة الكبيرة ، ولكنهما بعد بضعة أشهر فضلت الانتقال الى قرية صغيرة بجوار العاصمة لتنعم فيها بالهدوء .

ولكن « تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن »

فقد كان سكان تلك القرية ـ شأن الريفيين في جميع بلاد العالم ـ متزمتين فسرعان ما ادركوا ما بين جارتهم الجديدة والوزير المتوفى من علاقة لم يقرها مأذون ـ حتى اضطروها وضطروه برسائل الاستياء والكتابة على الجدران ....

★ ★ ★

طلبت الى الوزير ان يتزوجها فراوغ ولكنها الحب فلم يسعه الا ان يعترف لها بانه متزوج وله اولاد . ثم اخذ يقلل من زياراتها بينما كرهت هي من جانبها هذه العلاقة في التستر فاظهرت استعدادها لوضع حد لها مقابل تعويض معقول . وتوسط بعض الاصدقاء ولم يحدد مبلغ التعويض بثلاثة آلاف فرنك .. دفعها الوزير واعتقد ان متاعبه قد انتهت واسدل عليها الستار .

★ ★ ★

ولكن جان كما قالت فيما بعد ـ اعتقدت ـ صادقة او كاذبة ـ انها شعرت باعراض الحمل وان عليها ان تدافع عن مصلحة جنينها المنتظر . فبعد ستة اشهر من قبضها التعويض وانقطاع كل علاقة بينها وبين عشيقها السابق عادت ثانية الى منزله في لاهاي فوجدها في غرفة نومه تأبى ان تبارحها مع انه كان قد اصدر تعليمات مشددة لرجاله بعدم السماح لها بدخول الدار . ولكنها سخرت من اوامره وسيطرت جمالها وسحر حديثها لتنتصر على رجال الوزير ثم لم تلبث ان انتصرت عليه نفسه فلم يقاوم دموعها وشعرها المرسل وانوثتها الطاغية ففتح لها ذراعيه وافسح لها مكانا في مضجعه .

فلما طلع النهار راحت السكرة وجاءت الفكرة وتغلب العقل وقال لها الوزير انه لا يصدق ما ادعته من حمل وان القانون ـ حتى لو كان ما ادعته صحيحا في جانبه ولا يعتبره مسئولا عن ذلك الحمل بعد مضي ستة اشهر على انقطاع صلته بها .

وذهبت محاولات جان عبثا . ثم تنفع سبل الاغراء . فتركته . واتجه تفكيرها الى قتل الرجل الذي خانها كما تقول . وحين بيت في رأسها تلك الفكرة اتخذت جميع الاحتياطات لتحقيق عزمها . كان عشيقها قد اعطاها مسدسا فاخرجته

من مخبئه ونظفته وحشته بالرصاص . ثم اشترت خنجرا . واخذت تذيع عن عزمها على الانتقام وبلغت اخبار ذلك الى الرجل ولكنه سخر من ذلك التهديد الذي اعتقد انه اجوف وقال لمبلغيه « لقد دفعت لها التعويض الذي طلبته وانتهى الامر ولم يعد لها اي حق قبلي » .

★ ★ ★

وكان عليه مع ذلك ان يبتعد عنها . ولكنهما ـ هي وهو ـ كانا اسيري جسديهما . فظلا يتقابلان تجمع بينهما الشهوة الجنسية ـ وفي ضمير احدهما انه يستمتع بدون مطالبات وفي ضميرها هي انها تدبر الانتقام منه . ثم حددا يوم ١٤ مارس ليقضيا بروتردام القصة ليلة لينهيا علاقتهما ويودع احدهما الآخر . فاستأجرا في احد فنادقها غرفة بسريرين .

وفي ذلك اليوم ارسلت جان الى ابيها في قريته ببلجيكا حوالة بريدية بمبلغ الفين من الفرنكات وارفقتها بخطاب قالت فيه « انني ابعث اليك بكل ثروتي لان ابنتك قد انتهت . احضر الى منزلي هنا وخذ ملابسي . وداعا » .

فان كانت الجريمة التي ارتكبت في نفس الليلة في حاجة الى دليل على سبق القتل والاصرار عليها فهذا هو الدليل .

★ ★ ★

وتناولا طعام العشاء في المطعم معا . وقبل ان يصعدا الى غرفتهما كتبت هي خطابا اخيرا بينما جلس هو يقتل الوقت بلعبة الورق ـ بالسوليتير ـ ليعرف حظه وقالت هي ـ اثناء التحقيق ـ ان جميع العابه نجحت . بينما كتبت هي في خطابها الذي اعتزمت ان تتركه على طاولة غرفتها « سأقتل نفسي بعد ان اقتل هذا الرجل الاناني الحقير الذي يريد الاستمتاع بنا ـ نحن الاوروبيات ـ بوصفنا عشيقات . اننا متعلمات مثقفات متحمسات لن يحقرنا انسان من غير ان يلقى عقابه . فليحذر البلجيكيون الجبناء المنافقون » .

ثم صعدت معه الى غرفة النوم واباحت له من نفسها ما اباحت وكان شيئا لم يكن واعترفت فيما بعد انها استمتعت به واستمتع بها ـ ولا غرابة فتلك ليلة الوداع .

وفي الساعة الثانية صباحا انتقلت من سريرها الى السرير الآخر . وفي الفجر اخرجت المسدس الذي كانت قد اخفته تحت وسادتها وتسحبت الى قرب الرجل المستغرق في النوم مطمئنا ووضعت فوهة المسدس بجوار صدغه وترددت مرتين في الضغط على الزناد ولكنها — كما تدعي — رأته يبتسم وهو نائم واعتقدت انه يحلم بامرأة غيرها فغلى الدم في رأسها وضغطت على زناد المسدس وانفجر الدم من رأسه ومات دون ان يتألم او يتكلم .

ثم — حسب دعواها — وجهت المسدس الى ثديها وضغطت على زناده خمس مرات ولكنه لم ينطلق مع وجود خمس رصاصات في مخزنه فتناولت الخنجر واخذت تطعن نفسها في ثورة جامحة .... ربما جامحة .. ولكن بحظر فاتها لم تصب نفسها الا بجروح سطحية .

وقالت وهي تقص قصتها على المحققين وعلى القضاة بعد ذلك ان الله لم يرد لها ان تموت وانه يأخذ عنها .

★ ★ ★

ولم تفقدها اشهر الحبس الاحتياطي فتنتها . فقد بدت امام محكمة الجنايات بجمالها الرائع وشعرها الفاتن . وترافع عنها الاستاذ هامس اكبر محامي الجنايات في هولندا .واخذت تروى قصتها والدموع تنهمر على وجنتيها مثل ثوب الحبس وختمتها بقولة مسرحية .

« لقد كان حبي له اكبر من ان يحتمل ان اتركه ليحب غيري » .

ولما عرض عليها المسدس — سلاح الجريمة — صرخت واغمى عليها فسقطت قبعتها من فوق راسها وانحدر شعرها امواجا حريرية على كتفيها ..

★ ★ ★

ودفع محاميها بحالتها العقلية وعهد القاضي باستدعاء طبيب نفساني شهد بان امها ماتت بمرض الصرع وقال ردا على سؤال من المحامي ان مرض الصرع وراثي وانه يثير في المرضى فكرة الانتحار وهو نوع من جنون الشهوة او الجنون الشهواني .

ثم بين المحامي ان المتهمة حين كانت طفلة في السابعة اعتدى احد عمال ابيها عليها وسأله المحامي عن تأثير مثل ذلك الاعتداء الوحشي في مستقبل حياة الطفلة فقال الطبيب ان ذلك يخلق عندها عقدة طوال حياتها .

ثم اخذ رئيس المحكمة في استجواب المتهمة .

س — اين تعرفت بالقتيل ؟

ج — في اسرة لا اريد ان اقول اسمها حتى لا احرجها .

س — الم يكن ذلك في احد بيوت الدعارة ؟

ج — لا

س — ولكنك مع ذلك بقيت تترددين على ذلك البيت بعد الصداقة ؟

ج — ....

س — وسافرت مع القتيل الى لاهاي مع انك لم تكوني تحبينه لانك كتبت له انك في اول الامر كنت تشعرين نحوه بالاشمئزاز ؟

ج — ...

س — الم يانك انه ابرق متلمسا الزواجه بعد قد امك ان يسهر عليك ويحل محلها ؟

ج — ...

واستدعي الشاهد الاول وهو ملحق بالمفوضية اليابانية ابي ان يحلف اليمين لان دينه لا يبيح القسم ولكنه وعد بان يقول الحق وقال .

« لقد جئت الى اوروبا عام ١٨٨٢ مع السيد ساكورادا وبقيت معه حتى قتل . وكان متزوجا وابا لستة ابناء . وقد احضر معه احد اولاده وادخله مدرسة داخلية في هولندا ولكنه اعاده الى اليابان حين بدأت علاقته بجان . لقد كان يعامل المتهمة — التي اراد ان يدرس على يديها اللغة الفرنسية — معاملة كلها عطف وحنان . وكان رجلا هادئا وقريبا .

وفي فبراير الماضي ابلغني انه قطع علاقته بجان وانها تطلب تعويضا كبيرا وتهدده بفضائح فضيحة في السفارة وانها اخيرا قبلت مبلغ ثلاثة الاف فرنك ووعدت بمغادرة لاهاي ولكنها لم تفعل .

واؤكد بقسم علمي ان القتيل لم يعدها بالزواج وان كان قد طلب منا ان لا نقول لها انه متزوج .

س ـ هل من حق الياباني المتزوج ان يتزوج بزوجة ثانية ؟

ج ـ لا

س ـ هل له ان يتخذ عشيقة ؟

ج ـ نعم ولكن العشيقة تفقد مركزها الاجتماعي ولا ينظر لها باحترام .

س ـ وهل يفقد الرجل مركزه الاجتماعي ؟

ج ـ لا . ولكن ذلك تعرف منافي للاخلاق .

وشهد موظف بلجيكي من اصدقاء المتهمة بانها قدمت القتيل اليه على انه خطيبها وانه هز رأسه مؤيدا قولها ولكنها بعد فترة من الزمن ظهرت عليها الكآبة واخذت تتحدث عن عزمها على الانتحار .

ثم استدعى المسيو دومان الذي توسط في تسوية الخلاف على التعويض بناء على طلب القتيل فقال انه تحدث الى المتهمة في امر التعويض فاعترفت له بانها لم تعد تطيق العمل في الملاهي وكرهت الجنس مع اليابانيين وبدات تطالب بعشرة آلاف فرنك ولكنها قبلت مبلغ ثلاثة آلاف .

وقالت المتهمة : لقد طلبت عشرة آلاف لعلمي ان ساكورادا لا يملكها وبذلك يضطر الى الابقاء على علاقتنا ...

واستشهد الدفاع بطبيب امراض عقلية شهد بان الصرع نوع من الجنون قد يدفع المصاب به الى القتل .. قتل نفسه او قتل غيره .. وانه ينتقل بالوراثة .

وساله احد القضاة « لو انك الذي ستحكم في هذه القضية تقرر انها مسئولة او غير مسئولة ؟ فكان جوابه بعد طول تردد : لا استطيع الجزم ولكن الشك يفسر لمصلحة المتهمة » (كذا) .

★ ★ ★

وترافع النائب العام مرافعة هادئة معتدلة لم يحمل فيها على المتهمة الا بقدر وتلا خطابا ارسلته له المتهمة قبل المحاكمة تتوسل اليه ان لا ينبش ماضيها خلال مرافعته تقول فيه :

« اني ارتعد من ماضي . لقد بالغوا في وصف اعمال صبيانية . ان والدة تردني على منزل العاهرة مارثر سجلتهم بعتيروش مطلوقا فاستبدا مثلها . فاتوسل اليك ان تمر بمراجعتي بدون ذكر ماضي حياتي من اجل خاطر اخوتي الصغار المحتاجين لبناء مستقبلهم . ان اضافة فضيحة ماضي الى فضيحة جريمتي ستجعل الناس ينظرون اليهم بعين الاحتقار ويحتقرونني . ارجو ان تقبل رجائي لاستجمع اطراف شجاعتي اثناء المحاكمة . لقد حاولت ان اقضي على نفسي عندما قبلت رجائي قبل القتل كل ما يحصل بي « السجن والفضيحة وحتى الموت ان لزم الامر . »

ولفت النائب العام نظر المحكمة الى ان الاعتداء على المتهمة اثناء طفولتها كان بالغ العنف .. يؤيده ان يشفي ما قاله الطبيب عن وجود علة لازمتها طوال حياتها . .

وترافع محاميها طويلا مستغلا الفارق في السن بين المتهمة والقتيل ناسبا اليه انه خدعها واقنعها انه ينوي ان يتزوجها ..

ثم سألها رئيس المحكمة ان كان لديها ما تضيفه للدفاع عن نفسها فقالت « انني اترك نفسي بين ايديكم وارجو ان تذكروا ان وراء القضبان امرأة تعسة هي القاتلة امامكم . »

ولم تغلظ المحكمة عليها ولم تحكم عليها الا بالحبس ثلاث سنوات ..

ليس هذا فحسب . فان القاتلة كتبت من سجنها الى ملكة هولندا التماسا قالت فيه :

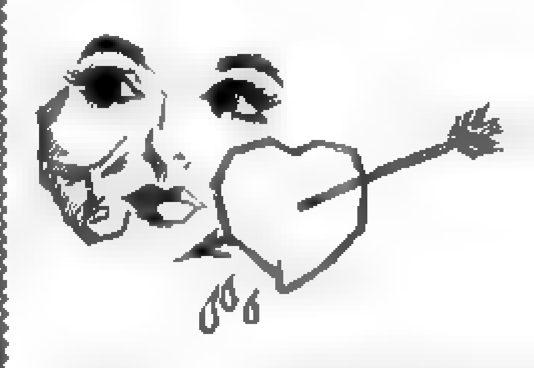
« انني مجرمة يا صاحبة الجلالة ولكنني امرأة. انني التمس منك عطف مثلك لكي لا يجتزون شعري . فليس عندي في السجن مرآة ولا ادوات زينة تذكرني بشبابي سوى شعري الاشقر الذي يذكرني في ظلام السجن انني لا ازال جميلة فيحفظ لي بعض الامل في الحياة .. »

واستجابت الملكة لهذا الطلب وطلبت ان يبقى لها شعرها الطويل .

وخرجت من السجن بشعرها الطويل المرسل على كتفيها فاحبها احد رجال الصحافة الهولنديين وانجبت له ولدين ■■

حسن الجداوي

هُوَ الحُبُّ..



■ «شُغِلْنا بكمْ عن كلِّ شيءٍ وأنتمُ — وكأنْ لمْ يكنْ بيني وبينكمُ وصلُ

فِدًى لكمُ بعضي وكُلّي وإنني — بكمْ ليس لي بعدٌ وما كان لي قبلُ

أراني بكم نلتُ سُؤْلي فعشنا — حياتي إذ أنتم لها ذلك السُّؤْلُ

وعيناك قال اللهُ كُونا فكانتا — فلم يبقَ لا لُبٌّ لدينا ولا عقلُ

وعيناك سحرٌ في فؤادي ولا رُقى — وعيناك سهمٌ في حشايَ ولا نبلُ

وصوتُكَ في روحي صداه وخاطري — ولفظُكَ عندي دون لفظ الورى يحلو

ووجهكَ أنّى لاحَ يبعثُ ناظري — فما بيننا حدٌّ ولا دوننا سُبُلُ

أحبُّكَ كي أنسى بحبكَ ما هوى — بدايتُه سُقْمٌ وغايتُه قتلُ

وموتي بكمْ فيه الحياةُ وإنني — جسمي لكم بعضٌ ومنكمُ الكلُّ

جرى حبُّكمْ مجرى دمي في مفاصلي — فأصبحَ لي عن كلِّ شغلٍ بكمْ شغلُ»

■■

عائشة الخزرجي

جامعة البصرة

سيرة تعليمية

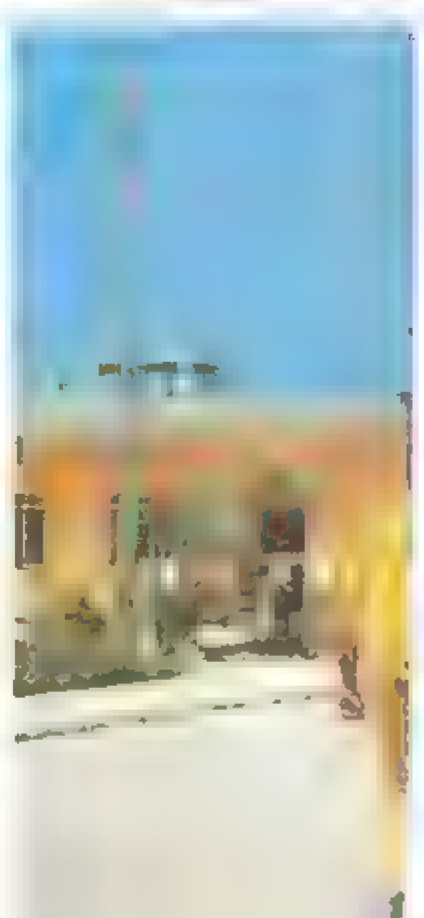


استطلاع

[illegible]

تصوير

[illegible]



■ لم يكن غريبا ان تقوم جامعة في مدينة البصرة ، ولكن الغريب ان يتأخر قيام الجامعة في هذه المدينة حتى اليوم ..

فالبصرة ، وان تميزت بموقعها الجغرافي على ضفاف شط العرب ، وبما حباها الله من خير تحمله اليها مياه نهري دجلة والفرات بعد اتصالهما بالقرب منها ، وبما منحه لارضها من خصوبة ورزق ، الا ان ابرز ما يميزها هو مجدها العلمي وما خلفته من تراث خالد للعروبة والاسلام .

ولسنا بصدد تعديد تراث الاقدمين ، ولكننا نريد فقط ان ندلل على ما كانت تتمتع به البصرة من مكانة علمية وثقافية في صدر الاسلام .. ولا بأس الآن من ان نورد بعض الامثلة على ذلك .

فقد وضع ابو الاسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٧ هجرية اسس النحو العربي وقواعده في البصرة .

ووضع الخليل بن احمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠ هجرية كتاب « العين » الذي يعتبر اول معجم في اللغة العربية ، في البصرة ..

ووضع الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هجرية كتابي الحيوان والبخلاء وغيرها من مؤلفاته وكتبه في البصرة ..

ونبغ الحسن بن الهيثم المتوفى سنة ٤٣٠ هجرية في علم الرياضيات والبصريات في البصرة ..

والف اخوان الصفا رسائلهم المعروفة في الفلسفة وانواع العلوم في البصرة ..

لا نريد ان نطيل الحديث عن فضل هذه البلدة على العلم ، وفضل ابنائها عليها ، ولكنها مقدمة عن تاريخ البصرة القديم ، كان لا بد لنا ان نعود اليها ونحن بصدد الحديث عن هذه المنارة الجديدة للعلم التي قامت فوق ارض العلم .

قصة قيام الجامعة

ترى كيف قامت الجامعة ومتى قامت ، وما هي قصة مولدها ؟

لقد ظلت فكرة تأسيس جامعة البصرة املا يراود العاملين المسؤولين في العراق ، وفي جامعة بغداد بصفة خاصة ، منذ سنوات بعيدة مضت ،

المعدية التي تعبر عليها الجامعة من الضفة الغربية لشط العرب الى الضفة الشرقية وبالعكس وقد تمت ادارة الجامعة ... الطريق الذي يربط البصرة بعربستان في ايران





في احدى غرف جامعة سكن الطالبات ، انهمكت طالبتان بمراجعة دروسهما ، بينما جلست ثلاث من زميلاتهن يتبادلن حديثا حول المباراة القادمة في كرة السلة بين الفرق الجامعية

اذ لم يكن طبيعيا أن يستمر التعليم العالي مقتصرا على العاصمة ، وواقفا على عاتق جامعة بغداد وحدها ، وان يبقى جنوب العراق ، وخاصة مدينة البصرة ، بما لها من تاريخ ادبي وعلمي زاهر خلوا تماما من الدراسات العليا ..

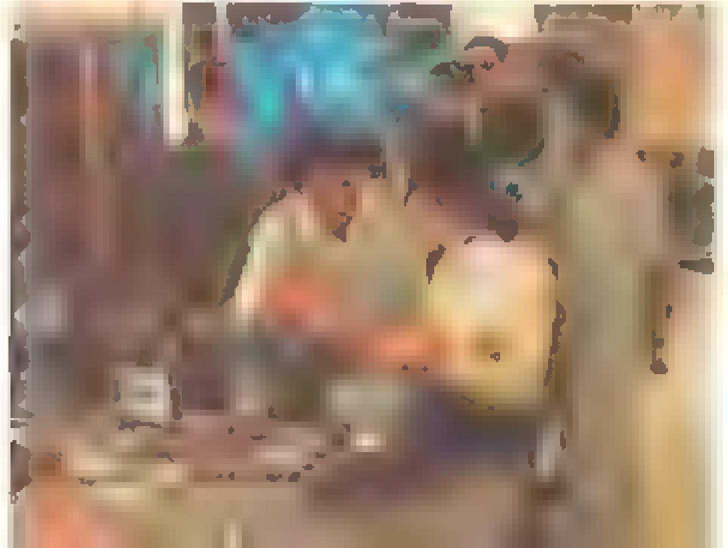
ونتيجة لذلك ، فقد بدأ المسئولون يقومون بسلسلة من الدراسات ، ما لبثت ان اسفرت عن انشاء جامعة ثانية في الموصل .. ولكن ما كانت الدراسة تستقر وتتسع في هذه الجامعة الجديدة حتى بدأ التفكير في انشاء الجامعة الثالثة في مدينة البصرة ، وراح المسئولون يتحينون الفرص لتنفيذ هذا المشروع الجديد ..

النواة الأولى

وقد لاحت الفرصة اخيرا عندما اعلنت جمعية الاقتصاديين فرع البصرة رغبتها في انشاء كلية مسائية للتجارة .. وما ان تقدمت الجمعية بطلبها هذا الى رئاسة جامعة بغداد ، حتى وجدت منهم كل تأييد وتشجيع ومساعدة ..

وفي خلال اسابيع قليلة كانت الكلية الجديدة قد خرجت الى حيز الوجود ، وكان ذلك في عام ١٩٦٣ ..

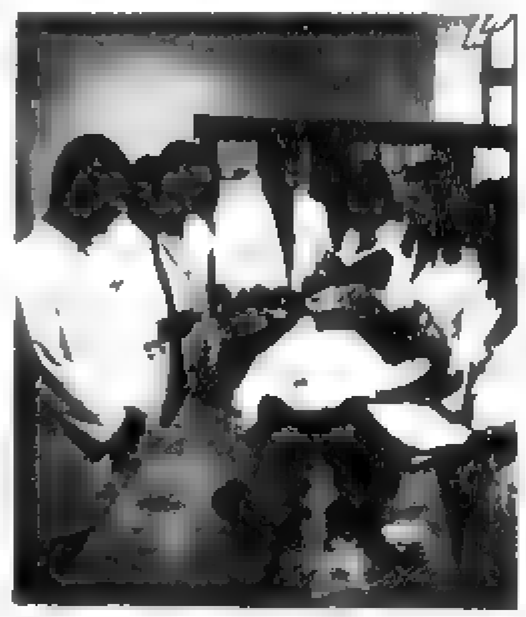
وهكذا كانت هذه الكلية هي النواة الأولى لجامعة البصرة .. فقد اعقب قيامهما



مباشرة انشاء كلية اخرى مسائية أيضا للحقوق ، على أثر طلب تقدمت به جمعية الخريجين للدراسات العليا في البصرة ، بعد ما رأوا من أمر انشاء كلية التجارة واقبال العديد من الموظفين والطلبة الحاصلين على الشهادة الثانوية ، على الانضمام اليها والانتظام في دراساتها .

مشروع جامعة البصرة

الى ان كان صيف عام ١٩٦٤ ، عندما اشار المغفور له عبد السلام محمد عارف ، رئيس الجمهورية العراقية الراحل بوضع مشروع جامعة البصرة موضع التنفيذ . وعلى الاثر بدأت مرحلة التنفيذ ، حيث قام رئيس جامعة بغداد الدكتور عبد العزيز الدوري ، وبعض اساتذة الجامعة بعدة زيارات للبصرة ليتفقدوا فيها الامكانيات المتوفرة لاقامة الجامعة ، ثم ما لبثوا بعد ذلك أن عادوا الى بغداد ليحولوا الامل الى حقيقة واقعة ..



طلبة وطالبات كلية الطب بجامعة البصرة أثناء محاضرة عملية في علم التشريح [illegible] جثة رجل [illegible] عمل فيها مشرطه

وقبل أن ينتهي صيف عام ١٩٦٤ ، جاء الى البصرة بعض موظفي جامعة بغداد ، لاتمام اعداد المباني والمنشآت التي وقع عليها الاختيار وتوفير الاحتياجات للعام الدراسي الجديد ..

وهكذا قامت جامعة البصرة في ثلاثة مبان خصص احدها للدراسات النظرية والثاني للدراسات العلمية بينما خصص المبنى الاخير لسكنى الطلبة ، واقيمت ثماني دور صغيرة في الحرم الجامعي لسكن اعضاء هيئة التدريس .

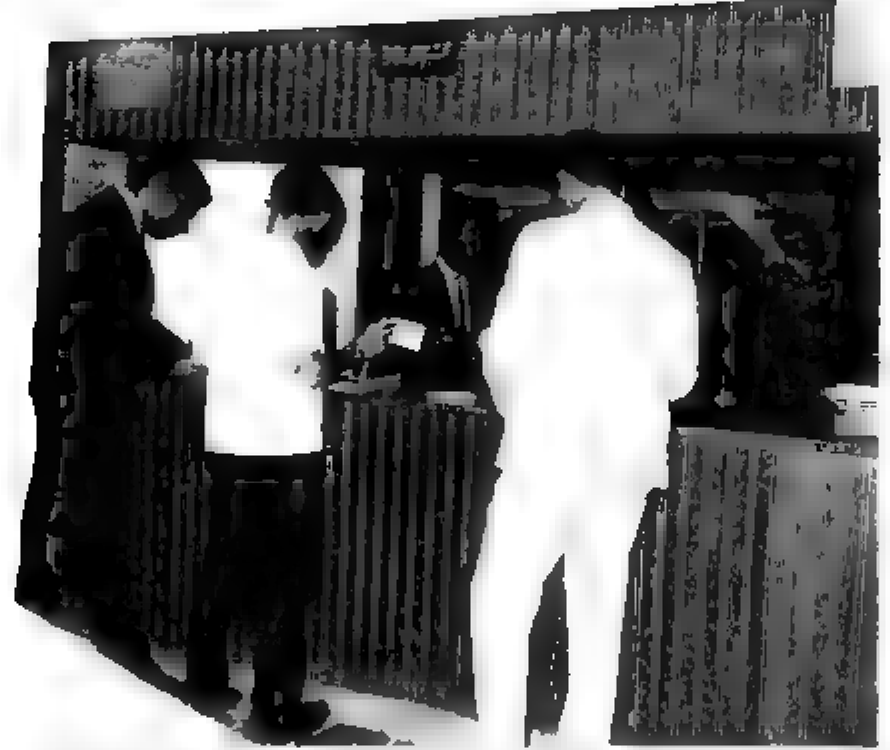
٣ آلاف طالب

وتضخمت الامنية اخيرا ، وظل الاقبال على كليات الجامعة في تزايد مستمر ، حتى اصبحت تضم اليوم ما يزيد على الثلاثة آلاف طالب وطالبة موزعين على كلياتها او هيئاتها الست كما يسمونها هناك ، وهي هيئة الانسانيات وهيئة العلوم وهيئة القانون والاقتصاد وهيئة الطب وهيئة الهندسة وكلية التربية .

قصدنا اليها لنرى ما حققته هذه الجامعة الوليدة خلال سنوات عمرها التي لا تزيد على الست سنوات ..

المباني الجامعية

وعلى الضفة الغربية لشط العرب ، وقفنا ننتظر وصول المعدية او العبر التي ستنقلنا الى الضفة الشرقية للنهر حيث تقع الجامعة .. فقد شيدت المنشآت الجامعية على الجانب الايسر من الطريق الذي يربط مدينة البصرة بعربستان في ايران على الضفة الشرقية المواجهة لمنطقة العشار (انظر استطلاع البصرة العدد رقم ١٤٠) وتبعد المباني الجامعية بحوالي ثلاثة كيلومترات عن النهر ، الذي اقامت الجامعة عليه رصيفا يرسو عنده عبران كبيران اطلقت عليهما اسم البحارين العربيين الشهيرين ابن فاضل



بعض طلبة الجامعة امام مكتب الاعارة باحدى المكتبات العامة ، يقومون باستعارة بعض الكتب والمراجع وما على الطالب الآن سوى ملء بطاقة شخصية ليحصل على ما يريد من كتب . اما المكتبة المركزية للجامعة ، فهي تشغل حاليا الطابق الارضي باحدى البنايات الكبيرة بالجامعة ، وهو مقر مؤقت الى ان يتم بناؤها بالمستقبل القريب . كما توجد بالجامعة ايضا مكتبة اخرى خاصة بكلية القانون والاقتصاد تحوي اكثر من ثلاثة الاف كتاب في العلوم القانونية والاقتصادية . وتتبع هذه المكتبات كلها النظام العشري في تصنيف الكتب وتحديد موضوعاتها

النجدي وابن ماجد ويستخدمها الطلبة والطالبات في عبور النهر جيئة وذهابا بالمجان .

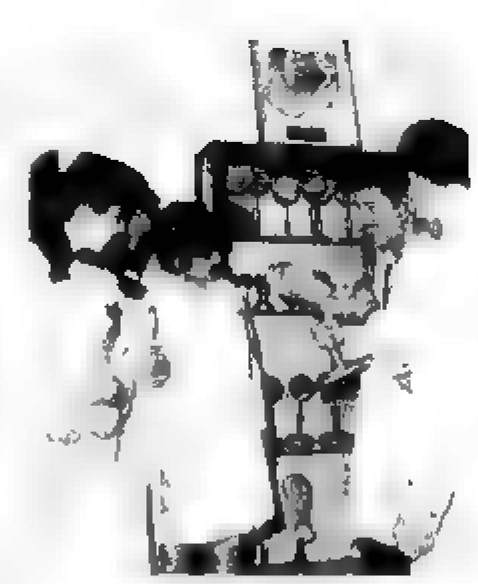
وقد خصصت ادارة الجامعة بعد ذلك سيارات خاصة بها لنقل الطلبة من رصيف العبر الى الجامعة .. وتعمل هذه السيارات على الطريق الممتد من الشاطىء الى المباني الجامعية وبالعكس، طوال ساعات الدوام .

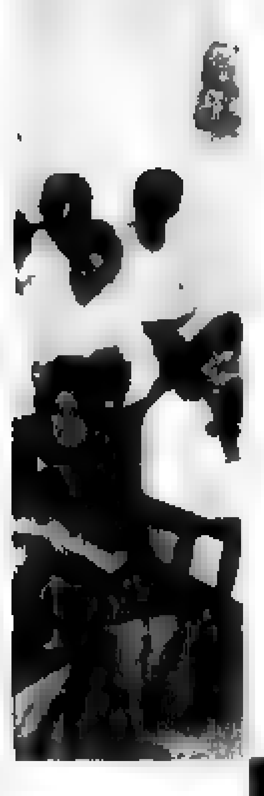
وتقدر مساحة الحرم الجامعي حاليا بما في ذلك دور الاساتذة واعضاء الهيئات العلمية بحوالي ٢٠٠ الف متر مربع من اصل مليون وعشرة الاف متر مربع خصصت للمشاريع الانشائية طبقا للحاجة اليها في المستقبل .

مباني الادارة العامة

وقد وقع الاختيار بالفعل على منطقة اخرى في « الكرمة » ، لاقامة مباني الادارة العامة ومعظم الهيئات والمرافق الاخرى التابعة لها . وبدأ المسئولون في القيام بالاعمال التمهيدية ورسم التصميمات المدينة الجامعيـــة الجديدة التي ستتكلف بناؤها حوالي ١٥ مليون دينار عراقي ؛ تصرف على مراحل ، ويبلغ عدد الطلبة الذين ستستوعبهم الجامعة الجديدة عشرة الاف طالب وطالبة .

اما المباني الحالية للجامعة ، فســـوف تؤلف





عميد بكلية الطب ، بجامعة البصرة ، يشرح لمجموعة من الطلبة والطالبات مراحل نمو الجنين على نموذج من البلاستيك (الى اليمين) ، وقد تأسست كلية الطب في عام ١٩٦٧ / ١٩٦٨ في مستشفى الجمهوري بالبصرة ، وهو أكبر مستشفى تعليمي والوحيد في اللواء . ويقع المستشفى على ضفة شط العرب ، ويجري العمل الآن لانشاء مستشفى جديد ستنتقل اليه كلية الطب بعد سنوات ثلاث

وفي الصورة (الى اليسار) طلبة كلية الطب وطالباتها يناقشون أستاذهم في محاضرة نظرية علميا فيما بين إحدى الفترات الفاصلة بين المحاضرات

تحت : سامي مطر ، أستاذ الكيمياء الحيوية بكلية العلوم مع زوجته وطفلته في البيت . وزوجته تعمل مدرسة في مدارس الطالبات بعد تخرجها من الجامعة وهي تمثل المرأة البصرية المتعلمة التي تخرج للعمل وتعاون زوجها في تحمل أعباء الحياة





احدى المجموعات الثلاث لمشروع مباني جامعة البصرة الجديدة .

اما المجموعة الثانية فستكون لهيئة الطب بجوار المستشفى التعليمي في الشرازية او ضالخورة بمدينة البصرة نفسها وقد خصصت لها مساحة من الارض تزيد على ٢٨ الف متر مربع ، وسوف تتسع لالف طالب وطالبة . وقد تم التعاقد بالفعل مع شركة النصر للمقاولات في الجمهورية العربية المتحدة على بناء المستشفى التعليمي الجديد على مقربة من المستشفى الجمهوري القديم الذي تشغله هيئة الطب في الوقت الحاضر .. ويبلغ تكاليف هذا المشروع ثلاثة ملايين دينار عراقي .

وتضم هيئة الطب في الوقت الحاضر ٢٢٠ طالبا وطالبة ، بينهم ٧٠ طالبة ، و٢٥٪ من مجموع



معيدة كلية العلوم [illegible] الكيماويات العضوية امام موقد كهربي لوضع العينات الكيماوية التي [illegible] في هيموجلوبين [illegible] Haemoglob
[illegible] لاحد الطلبة هذه اساليب الكيماوية في المعمل العام بكلية العلوم



منظر خارجي لاحدى المكتبات المحيطة في البصرة ، تلك التي كانت تعاون طلبة الجامعة على البحث والدرس والتحصيل ، حتى تم بناء مكتبة الجامعة .

عدد الطلبة والطالبات ينتمون الى الدول العربية الشقيقة ..

الطلبة غير العراقيين

اما بالنسبة لقبول الطلبة غير العراقيين ، فلا يشترط للمتقدم الى جامعة البصرة ، الا ان يكون حاصلا على شهادة الدراسة (الثانوية) (وهم يسمونها الاعدادية) او ما يعادلها بتصديق من وزارة التربية العراقية ، على ان يكون مستوى الطالب العلمي يؤهله للدراسة الجامعية ..

وينطبق على الطلبة العراقيين ما ينطبق على الطلبة غير العراقيين من شروط القبول واسس المفاضلة ، مع مراعاة عدد المقاعد المحددة لكل قطر من الاقطار في هيئات الجامعة وكلياتها . ولو ان الافضلية دائما للطلبة القادمين من اقطار الجنوب والخليج العربي باعتبار انه ليس عندهم جامعة خاصة بهم .

مساكن الطلبة المغتربين

ولهؤلاء الطلبة والطالبات المغتربين مساكن خاصة يقيمون فيها مجانا ، ويمنح كل واحد منهم مبلغ سبعة دنانير عراقية ونصف دينار ، مقابل طعامه طوال الشهر ، او بمعدل ربع دينار للوجبات الثلاث يوميا ، وهو ما يدفعه الطالب بالفعل ثمنا للافطار والغداء والعشاء الذي يقدمه المطبخ الخاص بهم في مساكنهم الجامعية .

هذه لمحة سريعة عن جامعة البصرة الوليدة تلك التي حاولت منذ قيامها ان تلتقي بشقيقاتها الجامعات العربية الاخرى في معظم المناهج التعليمية ولو انها لم تنس في الوقت نفسه ان تجعل للدراسة فيها طابعا خاصا يتمشى مع البيئة والمجتمع الذي وجدت فيه .

عصر العلم والتكنية

قال لنا الاستاذ الدكتور سامي المظفر استاذ الاحياء الحيوية بكلية العلوم : « لقد نشأت جامعة البصرة في منطقة احوج ما تكون الى المزيد من الدراسات الجيولوجية للتنقيب عن المعادن الكامنة في طبقات ارضها ، والى المزيد من البحوث





بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الحديث حديث رسول الله

● في العدد ١٤٢ وفي باب طرائف عربية (ص ١٧٠) أوردتم حديثا نبويا ونسبتم ذلك الحديث الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . والحديث المذكور من الاحاديث النبوية الثابتة وقد ورد في صحيح مسلم (وغيره) وهذا نصه :

« حدثنا قتيبة بن سعيد وابو كامل الجحدري كلاهما عن أبي عوانة ، قال قتيبة حدثنا ابو عوانه عن قتادة عن انس عن أبي موسى الاشعري قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة ، لا ريح لها ، وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » .

يراجع في ذلك الجزء السادس صفحة ٨٣ من كتاب صحيح مسلم بشرح النووي طبعة المطبعة المصرية سنة ١٩٢٩ .

لذا نرجو التصحيح ..

ابراهيم علي سالم ـ القاهرة

تنويه

● اشكركم على نشر مقالي « الكلمة القرآنية وسر الاعجاز فيها » والعناية في اخراجه ، ويبدو انني اغفلت او نسيت ان استكمل في آخر المقال بيان لقبي العلمي الى جانب اسمي ، وعملي مدرسا في كلية الشريعة والآداب من جامعة دمشق .. اكون شاكرا لو تفضلتم بالتنويه الى ذلك .

د. محمد سعيد رمضان البوطي

« الكاهنة » .. لها تاريخ معروف

● جاء في مقال « الكاهنة » لسنية قراعه ان اسم هذه الكاهنة لم يعرف ابدا وان التاريخ لم يتعرض لهذه الشخصية الغامضة الا في سطور قلائل .. الخ .

والحقيقة خلاف ذلك . واكتفي هنا بالاشارة الى ما طالعته في كتاب وضعته الحكومة في تونس لمعلمي الكهول، وبالضبط في الجزء الثاني من ذلك الكتاب ، وفي الصفحة (١٥) ، ان الكاهنة المشار اليها امرأة بربرية من جبال اوراس تزعمت البربر في عهد الفتح الاسلامي وان اسمها الحقيقي هو دهية بنت ماتي ، وقد اطلق العرب عليها اسم الكاهنة لانها كانت على جانب من الدهاء والفطنة .

ولما جاء العرب لفتح البلاد لم تعترض الكاهنة طريقهم ، ولربما ان العرب مطرودين بحجير ، وتخلص البلاد من الرومان والعرب في آن واحد.

رأت الكاهنة العرب يتقدمون بقيادة حسان ابن النعمان حتى لقوا الرومان قرب مدينة قرطاجنة ، ودارت بينهما حرب كان النصر فيها للمسلمين .

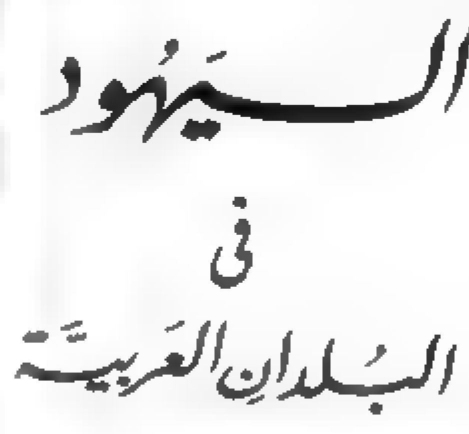
عند ذلك هجمت الكاهنة على حسان ، وشددت على جنده ، وقتلت منهم العدد الكبير فاضطروا الى الرجوع الى طرابلس .

ظنت الكاهنة ان العرب قدموا طمعا في خيرات البلاد ويتقبل استغلالها ، فخربت البلاد واحرقت الاشجار ودمرت الابار والصهاريج والسدود في كل شيء حتى لا يعود العرب ولكي تبقى البلاد حرة . ولكن عاد حسان مرة اخرى بجيش قوي لفتح البلاد، وانضم الى جنده عدد كبير من البربر بعد ان اسلموا .

لم تستسلم الكاهنة للعرب ، واصدقت لهم بحق على معها من البربر فقاومتهم ، ولكنها لم تستطع الصمود طويلا ، فامرت ولديها بالدخول في الدين الاسلامي ، واخذت تراجع الى ان قتلت سنة ٨٤ هجرية .

محمد الطرابلسي ـ قرطاج الياسمينة
تونس





اليهود في البلدان العربية

• اليهود في ظل الحكم العربي القديم

• اليهود اليوم عيون اسرائيل بين العرب

تأليف : الدكتور يعقوب خوري

وعرض له بقلم : الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب صدر عن « دار النهار » ببيروت خلال العام الفائت ١٩٧٠ ، ومؤلفه الدكتور يعقوب خوري ، فلسطيني مقيم في القاهرة ، وهو أحد كبار موظفي جامعة الدول العربية . والفكرة الرئيسية التي يسعى المؤلف الى بلورتها في كتابه، هي الكشف عن الدوافع العميقة الكامنة وراء هجرة اليهود من البلاد العربية الى اسرائيل ، وفضح الدعاية الصهيونية التي تسيء الى العرب باتهامهم بأنهم يضطهدون اليهود في بلادهم. والمؤلف لا يلقي الكلام القاء دون تحديد ، ولكنه يدعمه بالوثائق والارقام .

والكتاب في : تمهيد ، واربعة فصول هي : اسرائيل والمجتمع اليهودي في البلدان العربية ، دوافع هجرة اليهود من البلدان العربية ، ربط قضية اللاجئين بيهود البلدان العربية ، اضواء على الموقف . وفي الكتاب ايضا تسعة عشر ملحقا ، كلها هام ومفيد ، منها : قرار مجلس الامن بتاريخ ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ بشأن التحقيق في المعاملة السيئة التي يلقاها العرب في الارض المحتلة ورسالة الرئيس جون كيندي الى الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ ١١ مايو (ايار) ١٩٦١ ، ورد الرئيس جمال عبد الناصر عليها ، ووثيقة اعلان استقلال دولة اسرائيل في ١٤ مايو (ايار)

١٩٤٨ ، وقانون العودة الاسرائيلي لسنة ١٩٥٠ ، وقانون الجنسية الاسرائيلية لسنة ١٩٥٢ .

اسرائيل والمجتمع اليهودي في البلدان العربية

عندما صدر قرار مجلس الامن في ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٨ الذي يطلب فيه من السكرتير العام للامم المتحدة ايفاد مندوب عنه للتحقيق في المعاملة السيئه التي يلقاها سكان المناطق العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ، رفضت اسرائيل السماح لمندوب السكرتير العام بالدخول الى الاراضي العربية التي تحتلها الا اذا ارسل السكرتير العام مندوبا آخر للتحقيق في اوضاع اليهود في البلاد العربية . ثم أخذت اسرائيل ، والاجهزة الصهيونية ، في تضليل العالم بشنها حملة مسعورة تدعي فيها ان البلاد العربية تضطهد اليهود فيها . وموقف اسرائيل هذا مرفوض ، في رأيي دوليا وقانونيا ، لان اليهود في البلاد العربية مواطنون في هذه البلاد كغيرهم من المواطنين الذين يعتنقون ديانات أخرى ، اما العرب في المناطق المحتلة فهم ليسوا مواطنين اسرائيليين ، وانما هم عرب يعيشون في وطنهم ، في ظل ظروف شاذة . وقد أصبح من المعروف ان اسرائيل تلجأ دوما للادعاء بان اليهود مضطهدون في البلاد العربية والدول الاشتراكية ، وهدفها من هذا تشويه سمعة هذه البلاد في نظر العالم ، والضغط على اليهود من اجل ان يهاجروا الى اسرائيل .

ونحن نستطيع ان نرد هذا الادعاء الصهيوني من ناحيتين : تاريخيا ، وحاليا . وبهذا نثبت ان العرب لم يضطهدوا اليهود ، لا في الماضي ولا في الحاضر ، بل عكس هذا هو الصحيح ، اذ نعم اليهود في البلاد العربية بالامان ، والاستقرار ، وتسنم المناصب الرفيعة .

اليهود في ظل الحكم العربي في الماضي

وهذا موضوع يمكن ان تؤلف فيه الاسفار ، لبيان المكانة الممتازة التي حظي بها اليهود في ظل العرب ، ولكن يكفي هنا ان نشير اشارة سريعة ، ولكنها كافية ، للتدليل على هذه الحقيقة . ومثال ذلك ان اليهود تقلدوا المناصب العالية في الاندلس ، ومارسوا التجارة بحرية ، وشاركوا في الحياة الثقافية : فالمستوزر عبد الرحمن الناصر والحكم الثاني الطبيب حسداي بن شبروط (٩١٥ - ٩٧٠م) ، واستوزر الامير حبوس في غرناطة الاديب صموئيل بن نجد له (١٠٢٤ م) . وكان اليهود مضطهدين تحت حكم القوط . ومعاملة العرب الممتازة لليهود جعلتهم يقبلون على دراسة اللغة العربية والتراث العربي ، وهذه المعاملة الممتازة هي التي جعلتهم ينبغون في ميادين العلم والمعرفة من امثال : ابن جبيرول (١٠٢١ - ١٠٥٨ م) ، وموسى بن ميمون (١٢٠٤ م) ، ويوسف بن حسداي واضع الشرح على كتاب ابقراط بعنوان « شرح الفصول » ، ويوسف قمحي مترجم « الرشد الى واجبات القلب » وابراهيم بن حسداي مترجم « كتاب التفاحة » ، ويهوذا الحريزي مترجم « كتاب السياسة » لارسطو ..

وعندما خرج العرب من الاندلس ، تعرض اليهود لاضطهاد شديد ، ثم طردوا منها ، فانتقلوا الى العرب في شمال افريقية وشرق البحر المتوسط ..

وهكذا نرى ان العرب لم يكونوا في يوم من الايام يفرقون بين المواطنين بسبب جنس او دين ، كما انهم كانوا يفتحون صدورهم للوافدين عليهم ، والمحتمين بهم .

اليهود في البلاد العربية

ولا يختلف الامر في الحاضر عنه في الماضي : فقد عمل اليهود في البلاد العربية في جميع ميادين الحياة ، وفتحت امامهم الابواب على مصاريعها ، وجمعوا الثروات الضخمة ، وكان منهم الوزراء ايضا مثل يوسف قطاوي في مصر ، والدكتور بنزاكين في المغرب ، والمدعو بسيس والمدعو باروخ في تونس . وكان منهم اثنان في المجلس التأسيسي بعد الحكم الذاتي في الجمهورية التونسية . ولا يختلف الحال في البلاد العربية الاخرى ، بالنسبة لليهود ، عنه في مصر والمغرب وتونس .

ولكن اليهود ، رغم هذه المعاملة الممتازة ، سخروا انفسهم لخدمة اطماع الصهيونية التي تعمل ضد مصلحة البلاد التي فتحت لهم صدرها . ويذكر الصحفي اليهودي الامريكي حاييم شوتكي في محاضرة نقلتها جريدة عل همشمار الاسرائيلية

بتاريخ ١٢/٥/١٩٦٣) أنه زار البلاد العربية وقابل في بيروت مدرسا يهوديا، فسأله : هل يتعلم الطلبة اليهود في مدرستكم في بيروت نشيد الهاتكفا، نشيد اسرائيل الرسمي ؟ فأجابه المدرس : انهم لا يتعلمونه كشعر أو نشيد فحسب، بل نحن نلقنه لهم كصلاة يرددونها كل صباح » !!

ويأخذ مؤلف الكتاب الذي نحن بصدده مصر كمثال لبيان كيف ان اليهود فيها قابلوا احسانها بالتآمر ضدها، وما يصدق عليها يصدق على غيرها من البلاد العربية. لقد عاش اليهود في مصر الحديثة عصرا ذهبيا نعموا فيه بالحرية، والرعاية، والثراء. ولكنهم أساؤوا الى الشعب الذي احتضنهم حين شاركوا في نشاط الصهيونية، وسلكوا السبل الملتوية لتماشي مشروعاتهم، والسيطرة على اقتصاد البلاد. وقد أشار الى هذا الاقتصادي المصري الكبير طلعت حرب، مؤسس بنك مصر في كتابه «علاج مصر الاقتصادي (١٩١١)»، فهو يقول : « ان الأهالي (المصريين) كانوا على حالة من البساطة في المعاملة لا يدخل بينهم أجنبي، يقرضون بعضهم بلا كمبيالات أو صكوك، وكانت حياتهم قائمة لا يسلخ فيها ولا اسراف. وقد فكر بعض الماليين الأجانب، في عام ١٨٨٠، في تأسيس بنوك رهون عقارية منظمة، وقام بالفعل بنكان من هذا النوع، الأول برأسمال فرنسي وخاضع للقوانين المصرية وهو «البنك العقاري المصري»، أسسه ثلاثة من كبار المرابين اليهود المقيمين في مصر، وهم : سوارس، ورولو، وقطاوي، بالاتفاق مع ثلاثة من أكبر بنوك فرنسا هي : سوك الكريدي ليونيه، وسوسيتيه جنرال، والكونتوار ناسيونال دي سكونت. وقد امتد نشاط هذا البنك الى الأهالي بشكل مخيف، فبلغت قيمة السلفيات التي أجراها منذ انشائه حتى شهر اكتوبر (تشرين الأول) ١٩١٠ نحوا من عشرة مليون جنيه تحت رهن ٢٣٤،١٠١،٠١٠ فدانا، أي يرهن حوالي ثلث المساحة المزروعة في مصر كلها. وبلغت أرباح هذا البنك عام ١٩١٠ فقط، مبلغ ٣٣١،٥٠٦،١١ جنيها، منها ٩٢،٥٥٠،١٠١ من حصيلة فوائد السلفيات وحدها ».

ويذكر طلعت حرب أن عدد الملاك الوطنيين في عام ١٩١٠ كان ١،٣٨٤،٣٨٦ مالكا يمتلكون ٥،٧٤٣،٥٥٩ فدانا، منهم ٨٧٩،٧٨٠ مالكا لأقل من فدان، و ٣٦٨،٦٢٤ يمتلكون أقل من خمسة الفدنة. وكان عدد الملاك الأجانب ٧٠٧٨ يمتلكون ٢٣٠،٠٧٢،١٢ فدانا، منهم ١٦٥١ يمتلكون ٦٧٥،٩١٧ فدانا بمتوسط قدره ٣٣٢ فدانا. وبلغت قيمة الدين العام بفوائده المختلفة في آخر ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٠ ـ ٢٠٠،٣٧٢،٩٤.

وقد أنشأ اليهود العديد من المدارس، والمؤسسات، والجمعيات، والهيئات. وأصدروا الصحف والمجلات التي كانت تدعو لآراء الحركة الصهيونية، ومنها : صحيفة « الرسول الصهيونية » ومجلة « مصر الاسرائيلية » ومجلة « الشمس والمنير اليهودي ». وقد أثبت مصرع اللورد والتر موين وزير الدولة البريطاني في القاهرة بتاريخ ٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤، مدى تعاون يهود مصر مع غلاة الصهيونية وعصابة شتيرن الارهابية.

وعلى الرغم من كل هذا فان عدوان عام ١٩٤٨، واعلان قيام دولة اسرائيل، واحتلال الأراضي العربية، لم تؤثر على أوضاع اليهود في مصر. كما كفلت ثورة عام ١٩٥٢ المساواة لجميع المواطنين دون تمييز بينهم على أساس الجنس، أو الدين. ولكن يهود مصر ردوا على المعاملة الممتازة بالاساءة البالغة : فاكتشفت خلايا التجسس الخطرة، حيث كان يهود من مصر يسافرون الى أوروبا ومنها الى الأرض المحتلة، وهناك يتدربون على التجسس على الدولة التي رعتهم. ويكفي أن نشير هنا الى تلك القضية التي عرفت في تاريخ التجسس باسم قضية لافون.

قضية لافون

ولافون هو اسم وزير الدفاع الاسرائيلي في وزارة شاريت، وهذه القضية تكشف عن الأساليب الاجرامية التي تلجأ اليها المخابرات الاسرائيلية من أجل تحقيق أهدافها، وتفضح أيضا ادعاء اسرائيل بأن الدول العربية تضطهد اليهود فيها، لأن الواقع أن اليهود في البلاد العربية عيون لاسرائيل، ويمكنون فيها على القيام بأعمال ضارة بمصالح البلاد التي أتاحت لهم الحياة الرغدة، والاثراء الفاحش.

ان قضية لافون، كما أوردها المؤلف، لاتكشف عن الدور الذي قام به يهود مصر. ولذلك فنحن نحيل القارىء على كتاب جديد بعنوان « عين في

ابيب » ، صدر عن دار العودة ببيروت ، ومؤلفه هو سيف اليان . وقد ترجمه مطاع صفدي ، والترجمة سيئة سوءا ليس من بعده سوء .

وتمتد جذور هذه القضية الى عام ١٩٥٤ ، وهو عام وجدت اسرائيل نفسها فيه في وضع سيء : فقد تزايدت هجمات الفدائيين على قوات الاحتلال ، حتى انهم وصلوا الى مشارف تل ابيب ، وكان مركزهم قطاع غزة . وكانت الجيوش البريطانية على وشك ان تخلي قواعدها في منطقة القناة ، وهي جيوش كانت ترى اسرائيل في بقائها حماية لها .

هنا نشطت المخابرات الاسرائيلية ، وخططت من اجل القيام بعمليات نسف وتدمير في المنشآت والمؤسسات البريطانية والامريكية في مصر ، بقصد اساءة العلاقات بين مصر ، وبريطانيا وامريكا . وكان اربعة من يهود مصر هم اداة المخابرات الاسرائيلية في تنفيذ هذه الجرائم : وهم فيكتورين نينو وهي فتاة جميلة في الواحدة والعشرين وكانت تعمل موظفة في شركة انجليزية في مصر الجديدة واسمها في الشفرة مارسيل . والدكتور موسى ليتو مرزوق وهو طبيب في المستشفى الاسرائيلي في القاهرة . وفيليب ناتا نسون ، مستخدم في التجارة . وماير زعفران وهو مهندس . وقد عرفت هذه المجموعة في المخابرات الاسرائيلية باسم « الوحدة ١٣١ » . وكانت هذه الشبكة تعمل مجموعتين في كل من القاهرة والاسكندرية . وكانت فيكتورين نينو هي ضابط الاتصال بين المجموعتين . وقد سافر كل افراد الشبكة الى اسرائيل ، عن طريق اوروبا ، حيث تلقوا تدريبا في حيفا اولا ، ثم في منزل مهجور في الحي القديم بيافا . وانضم الى الشبكة رجل مخابرات اسرائيلي ، كان يزور مصر تحت ستار انه ممثل لشركة تجارية انجليزية ، اسمه جون دارلنج ، ورجل مخابرات اسرائيلي آخر اسمه ماكس بنيت انتحل لنفسه صفة انه ممثل شركة تجارية بريطانية تصنع ادوات لمساعدة المقعدين . وقد عمل هذا الرجل الثاني قبل ذلك في العراق ، بالاسم نفسه ، والصفة نفسها .

وكانت الشبكة في مصر تتلقى التعليمات بالشفرة عن طريق برنامج « ربات البيوت » المذاع من الاذاعة الاسرائيلية ، حيث كان لاسماء الخضار والتوابل معان خاصة في الشفرة . وقد تلقى البرنامج استجابات كثيرة وشدّ بعضهن عدد من ربات البيوت الاسرائيليات اللواتي حاولن تطبيق وصفات الطعام المذاعة . فاذا بهن يحصلن على خليط عجيب من مواد لا يمكن اكلها . وكان افراد الشبكة يضعون المتفجرات في علب نظارات ، كما كان زعيمهم سيت يتصل بتل ابيب بواسطة اذاعة لاسلكية صغيرة ، مخبأة في كتاب .

ولكن المخابرات المصرية كشفت هذه الشبكة ، وكانت فضيحة المخابرات الاسرائيلية فضيحة مدوية تردد صداها في اسرائيل نفسها ، وفي العالم ، لانها كشفت عن طبيعة اسرائيل الاجرامية .

شهادة الكاتب اليهودي الفريد ليلينتال

وعلى الرغم من كل هذا ظلت اجهزة الاعلام السائرة في فلك الصهيونية لم تكف عن ترديد ان اليهود مضطهدون في البلاد العربية ، وخاصة في مصر . وهنا نسمع الرد على هذه الحملة المسعورة الكاتب اليهودي المعروف الفريد ليلينتال . فقد زار مصر ، وقابل المسؤولين فيها ، واستجوب كثيرين من اليهود . وبعد هذا عقد مؤتمرا صحفيا في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٥٧ ، ومما قاله في هذا المؤتمر : ان المعلومات التي نشرتها مجلة « تايم » الامريكية بتاريخ ٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٦ من ان مصر قد اجبرت ٢٠٠٠٠ يهودي فيها على مغادرتها ، غير صحيحة وما قامت به مصر من اجراءات انما قامت به لاسباب تتعلق بالامن ، وهي اجراءات تشبه ما تم امثاله في الولايات المتحدة الامريكية عندما هوجم ميناء بيرل هاربر ، حينما لم تكتف الحكومة باعتقال اليابانيين ، بل اعتقلت ايضا كل من كان من اصل ياباني .

وختم تصريحه بقوله : « اني مقتنع بانه لا يوجد اضطهاد عنصري ضد السامية في مصر » .

شهادة حاخام مصر الاكبر

وادلى حاخام مصر الاكبر ، حاييم ناحوم افندي ، بتصريح قال فيه : انه لا صحة لادعاءات اسرائيل بان مصر تضطهد اليهود واكد انه لا يحق لقادة الصهيونية ان يتحدثوا باسم يهود مصر .

وما زال من التقاليد المتبعة في الجمهورية العربية المتحدة ان يحضر ممثل عن رئيس الجمهورية الاحتفال بعيد الفصح الذي يقام في الكنيست اليهودي .

تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر

وقال الرئيس جمال عبد الناصر في حديث ادلى به الى سولز برجر ، مراسل صحيفة نيويورك تايمز ، في شهر مارس (آذار) ١٩٦٩ : ان في مصر حوالى خمسة آلاف يهودي ، منهم نحو مائة محتجزين لانهم صهيونيون ، ولهم صلة باسرائيل ، وهؤلاء اعتقلوا بعد حرب الخامس من يونيه (حزيران) ١٩٦٧ . اما اليهود الآخرون فانهم يستطيعون مغادرة البلاد اذا ارادوا ، وهم يعيشون في مصر كمصريين ، لهم كل الحقوق التي يتمتع بها المصريون . واشار الرئيس الى ان اسرائيل تعتقل الآلاف من العرب في الاراضي المحتلة ، ولكن العالم هذا ، لم يتحدث عن الفئة القليلة التي اعتقلت من يهود مصر ، مع انها اعتقلت لاسباب تمس امن البلاد .

وفي شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٩ ادلى الرئيس الراحل بحديث للتلفزيون الفرنسي قال فيه : « نحن لم نعرف في يوم من الايام بين العربي المسلم والعربي المسيحي ، والعربي اليهودي ، بل ان المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا جنبا الى جنب في هذه المنطقة من العالم قرونا طويلة دون اي خلافات ، حتى اتت الخلافات الاخيرة بين اليهود من جانب ، والمسلمين والمسيحيين من جانب آخر ، في فلسطين ، بسبب انشاء وطن قومي لاسرائيل . لقد ظهرت حركات اضطهاد في كثير من انحاء العالم ، وفي عصور مختلفة ، لكن احدا من اليهود لا يستطيع ان يقدم الدليل على قيام مثل هذه الحركات في البلاد العربية » .

وهكذا نجد ان من الواضح ان العرب لم يضطهدوا اليهود لا في الماضي ولا في الحاضر ، واذا كانت قد اتخذت اجراءات ضد بعضهم ، فذلك لانهم كانوا يعملون ضد مصلحة البلاد التي يعيشون فيها ، ويخدمون مخططات اسرائيل وقادة الحركة الصهيونية .

دوافع هجرة اليهود من البلاد العربية

كان اليهود ، في ظل الاحتلال الاجنبي للبلاد العربية ، مشمولين برعاية دول الاحتلال ، ولهذا فانهم كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة مكنتهم من جمع الثروات بطرق غير مشروعة . وعندما زال الاحتلال البغيض عن بلادنا ، لم يرض اليهود ان يعيشوا فيها متساوين مع غيرهم من المواطنين ، فكان هذا سببا من الاسباب التي دفعتهم الى الهجرة منها . ويروي المستشرق الفرنسي المعروف جاك بيرك وقائع عاشها شخصيا في المغرب العربي عام ١٩٤٠ : فقد حاولت حكومة فيشي الفرنسية الخاضعة لالمانيا الهتلرية ان تضطهد يهود المغرب ، والمغرب تابع لها ، ولكن الملك محمد الخامس حماهم لانهم مواطنون مغربيون . ومع هذا فانهم تمادوا لتحريضات قادة الصهيونية ، وهاجروا الى اسرائيل ، بعد قيامها .

وهذا القول يصدق على البلاد العربية الاخرى : فالجزائر بعد استقلالها ، حاولت الابقاء على اليهود فيها ، رغم انهم كانوا في جانب قوات الاحتلال الفرنسية ضدها . ولكنهم آثروا الهجرة لمصلحة مخططات الصهيونية ، على البقاء في الجزائر مواطنين لهم ما للجزائريين . وكانت هجرة اليهود من العراق نتيجة لنشاط صهيوني منظم داخل العراق ...

وقد استخدم قادة الصهيونية كل وسائل الترغيب والترهيب من اجل حمل يهود العالم على الهجرة الى ارض فلسطين المحتلة ، ونتيجة لهذا هاجرت اعداد من اليهود من كل بقاع العالم ، دون ان تكون واقعة تحت اضطهاد ، او معرضة للتنكيل .

ربط قضية اللاجئين بيهود البلدان العربية

ان اللاجئين الفلسطينيين المنتشرين في انحاء العالم العربي ، هم الشاهد على جريمة الصهيونية وحليفها الاستعمار الغربي . ولهذا فان اسرائيل تحاول دوما ان تقلل من شأن هذه المشكلة ، ولهذا يذهب زعماؤها الى ان نوعا من تبادل السكان قد حدث : فاللاجئون الفلسطينيون الذين اخرجوا من ديارهم ، يقابلهم يهود هاجروا من البلاد العربية الى اسرائيل . وقد حدث مثل هذا ، في رأيهم ، بين تركيا واليونان ، وبين الهند والباكستان . وهم يقولون ان اية تسوية لهذه المشكلة ، يجب ان تأخذ بعين الاعتبار املاك اليهود في البلاد العربية . ويزعمون فيقولون ان عدد اللاجئين الفلسطينيين ، وعدد اليهود الذين تركوا البلاد العربية الى اسرائيل ، متساو ، وان عدد اللاجئين الفلسطينيين لا يزيد عن نصف مليون .

ان هذه ادعاءات لا يصدقها الا السذج والمغفلون .

فالعرب الذين تركوا وطنهم فلسطين ، انما تركوه بسبب الاعتداءات المسلحة التي كانت تشنها القوات الاسرائيلية عليهم ، بينما من ترك البلاد العربية من اليهود ، انما تركها راغبا في تركها من أجل خدمة مخططات الصهيونية العدوانية والتحكم في وطن ليس له ، وفي دار لم يعمرها .

واللاجئون الفلسطينيون اخرجوا من ديارهم بالقوة والاكراه ، ولهذا يستحيل مقابلة ما جرى بما تم من عملية تبادل السكان بين تركيا واليونان والهند وباكستان ، لان عملية التبادل تمت برضى الفريقين ، حيث احتفظت كل دولة بمواطنيها .

واما تساوي عدد اللاجئين الفلسطينيين ، وعدد اليهود المهاجرين من البلاد العربية ، فيرد على هذا الادعاء ما ورد في خطاب جون فوستر دالاس الذي القاه امام مجلس الشؤون الخارجية بتاريخ ٢٩/٨/١٩٥٥ ، حيث قال : ان عدد اللاجئين الذين شردوا من بلادهم لا يقل عن ٩٠٠,٠٠٠ لاجيء ، ويرد على هذا الادعاء ايضا ما ورد في تقرير المدير العام لوكالة غوث اللاجئين وتشغيلهم من ان عدد اللاجئين الفلسطينيين بلغ في عام ١٩٦٠ ١,١٢١,٠٠٠ ، وبلغ في عام ١٩٦١ نحو ١,١٥١,٠٠٠ .

* * *

ان هذا العرض لهذا الكتاب ، رغم ايجازه ، كاف للرد على ادعاء اسرائيل وزعماء الصهيونية بان اليهود في البلاد العربية مضطهدون ، وهو يكشف عن الغاية الحقيقية الكامنة وراء هذا الادعاء . والحقيقة هي ان عرب فلسطين ، والوطن العربي بكامله ، قد اصابهما ضرر بالغ من جراء الغزوة الصهيونية الاستعمارية التي اغتصبت جزءا من وطنهم ، وهي ما زالت تهددهم في وجودهم . ■■

محمود السمرة

من الكتب التي وصلتنا

الاسلام والتقاليد القبلية في افريقيا

تأليف : دكتور محمد سلام زناتي

الناشر : دار النهضة العربية — بيروت/لبنان

● كيف تقبل الافريقيون الذين اعتنقوا الاسلام العقائد والنظم الاسلامية وكيف كان الصراع بين القيم والتقاليد القبلية الافريقية ، والقيم والنظم الاسلامية ، ثم كيف قام هذا التفاعل بين الثقافة الافريقية الموروثة والثقافة الاسلامية الجديدة .

ثم ان هذه الدراسة دراسة انثروبولوجية فيما ينطوي عليه من بحث آثار الاحتكاك بين الثقافة الافريقية الموروثة والثقافة الاسلامية التي هي ثقافة جديدة طارئة بالنسبة للمجتمعات الافريقية التي اعتنقت الاسلام ثم كيف تأثرت التقاليد القبلية بمبادئ الشريعة الاسلامية .

تدريس الرياضيات الحديثة في المدارس الابتدائية

تأليف : جاسم المحسون

الناشر : مطبعة سلمان الاعظمي بغداد العراق

● كتاب يدرس الطرق العلمية الحديثة لتدريس الرياضيات وتطورها ، وذلك بدراسة مناهجها بما يكفل للاجيال فهم الروح العلمية للعصر الجديد ، كما ان الرياضيات الحديثة تهتم بضرورة وضع مناهج جديدة تكفل للفرد عند انتهاء المرحلة الثانوية ممارسة شؤون حياة العصر وفهم بعض نواحي تطورها كي تؤهله بشكل افضل للدراسة العالية او الاختصاص .

كما ان الرياضيات الحديثة تهتم بالنسبة والعلاقة والاكتشاف والفهم لان ادراك الطفل والعلاقات بين الاعداد ومعرفة خواصها وبنيتها يجعل الطفل قادرا على استعمالها استعمالا صحيحا . كما زين الكتاب بمجموعة لا بأس بها من صور ورسوم توضيحية .

ديوان صقر الشبيب

جمعه وقدم له : احمد البشر الرومي
راجعه ورتبه : عبد الستار احمد فراج
الناشر : مكتبة الامل ـ الكويت

■ ديوان شعر لاحد شعراء الكويت البارزين المجددين .. عاش في بداية هذا القرن . وقد قسم مؤلف الكتاب شعر صقر الشبيب الى مرحلتين : المرحلة الاولى ذكر فيها ما نظمه الشاعر في صباه وفي بدء تمرسه بالنظم ، ومن الطبيعي ان يشوب شعره في هذه الفترة شيء من الضعف ككل شاعر في بدء محاولته الاولى للنظم ، فقصائد هذه الفترة ليست قوية البناء جزلة السبك .

اما شعره الذي يعتد به فهو ما نظمه في المرحلة الثانية من حياته وما نشرته له المجلات العراقية واللبنانية كمجلة السجل ، ومجلة اليمن ومجلة المرآة الجديدة التي كانت تصدر في بيروت ، ثم مجلة الكويت للشيخ عبد العزيز الرشيد . ويمثل شعر صقر الشبيب بحق ثورة على المتزمتين الذين وقفوا في سبيل الاصلاح ووقفوا ضد تعليم المرأة وحاربوه حربا شعواء واثاروا الفتن بين طبقات الشعب باسم الدين .

والشاعر لم يدخل مدرسة ولم يحمل شهادة ولم يتلق معلومات منظمة كما يتلقاها الناشئون في المدارس والجامعات اليوم ، وذلك لفقدانه نعمة البصر منذ صغره . لذلك عكف على المطالعة وحفظ الشيء الكثير من شعر فحول الشعراء البارزين حتى قيل انه كان يحفظ ما يربو على ثلاثين الف بيت من الشعر الجيد ..

والصفحات الاولى من الديوان دراسة وافية سجلها المؤلف لحياة الشاعر صقر الشبيب ، فهو كان من اصدق اصدقاء الشاعر اما الديوان فقد رتب حسب المواضيع وذلك لسهولة الرجوع اليه .

مشاهير الفكر الاحيائي

تأليف : عادل محمد علي الشيخ حسين .
الناشر : مطبعة الناصرية ـ الناصرية ـ العراق

● تراجم ودراسات مفصلة عن مشاهير علماء الاحياء العرب والغربيين الذين اثروا في الحضارة الانسانية ومخترعاتهم العديدة .

تاريخ القرآن

تأليف : ابو عبد الله الزنجاني .
الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ـ بيروت

● كتاب في تاريخ القرآن وعن ادواره التي مرت عليه زمن النبي الى القرون الاولى الاسلامية والكتاب ينقسم الى ثلاثة ابواب يدرس الباب الاول حدوث الخط في الحجاز وانتشاره فيه والخط الذي كتب به القرآن ، اما الباب الثاني فيدرس القرآن في عصور الخلافة الراشدة وترتيب سوره في المصاحف المختلفة اما الباب الثالث والاخير فيدرس الاحرف والقراءات ثم ترجمة القرآن الى اللغات الغربية .

العمل الفدائي بين الستراتيجية والتكتيك

تأليف : جواد الزبيدي
الناشر : مطبعة الآداب ـ النجف الاشرف ـ العراق

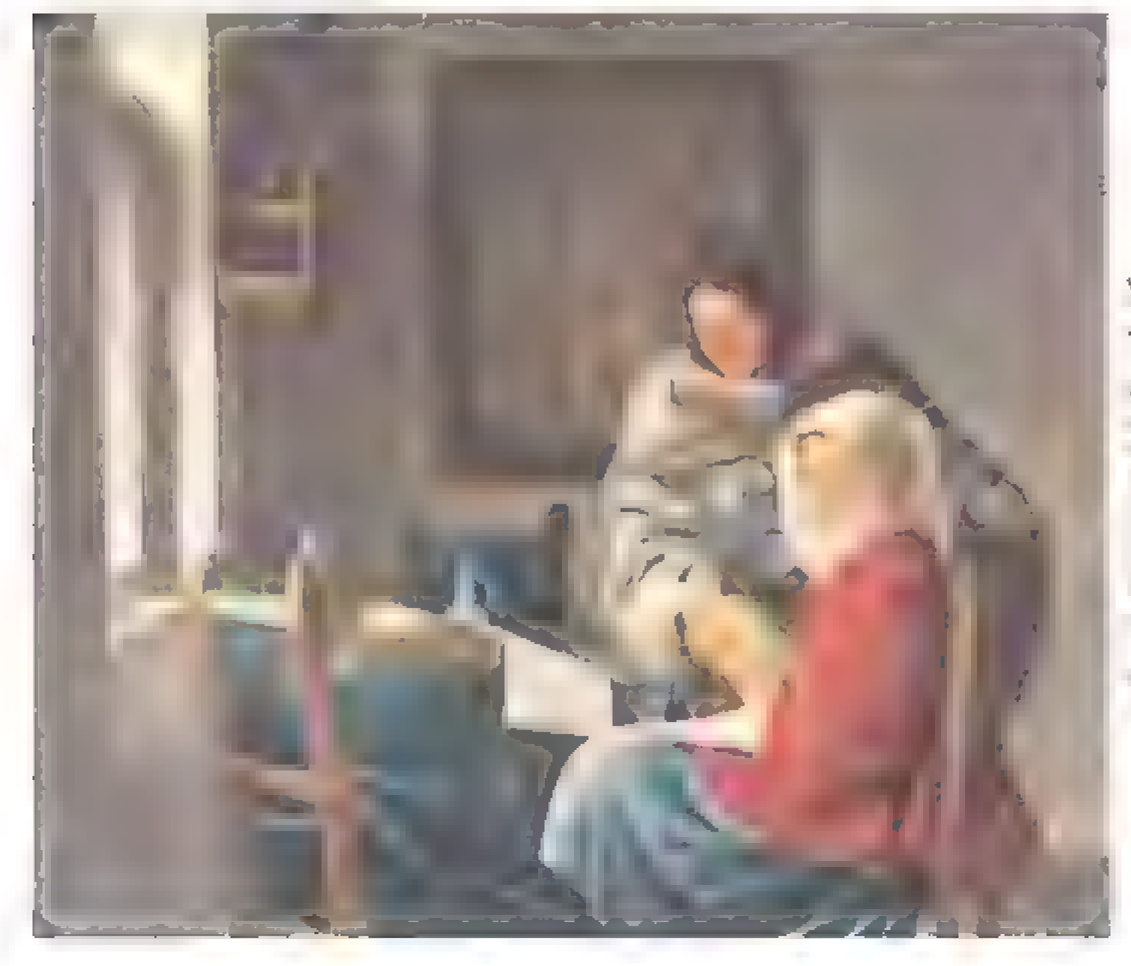
● دراسة مفصلة عن العمل الفدائي الفلسطيني والطريق الصحيح لاستعادة ما اغتصبه الاعداء من اجزاء من الارض العربية . والمؤلف يؤكد ان العمل الفدائي هو الطريق الوحيد لاسترداد الاجزاء السليبة ، لذلك يجب ان تكون العقيدة الاسلامية سر القوة والعظمة وهي العقيدة الفعالة الوحيدة لو استغلت قيادة الجماهير . كما يجب ان يكون استرجاع الاراضي هو اهم قضية تدفعهم الى تجميع قواهم وتعبئتها حتى يأتي النصر وكذلك محاولة ربط القضية الفلسطينية بالقضية الانسانية ككل .

ظهور وتطور الادب العربي في المهجر الامريكي

تأليف : وديع رشيد الخوري
الناشر : دار الريحاني للطباعة والنشر ـ بيروت

● يبحث هذا الكتاب في مقامات النهضة العربية في المهجر الامريكي ويشتمل على مباحث في ادب جمهرة الادباء الذين عاشوا في المهجر امثال جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وامين الريحاني ويصور مؤلف هذا الكتاب حركة الرابطة القلمية واخبار اعضائها في نيويورك فيعلل اوصاف هؤلاء النخبة بلسان احد اعضائها يصور فيها طرائف كلامهم وافكارهم .


العربي
العدد
محرم
مارس
حوار



من روائع الفن العالمي

عزيزي القارئ

● ليس في الدنيا جديد

والجديد بالضبط دنيا الناس

اما الدنيا ، فلا بأس ، وهي الدنيا الاعظم ، والدنيا الاوسع ، والدنيا الاخطر ، والدنيا الاخلد على الزمان ، فشأنها الكائن اليوم ، هو شأنها في كل يوم كان ، وفي كل شهر كان ، وفي كل عام وقرن كان ، شمس تطلع وشمس تغيب ، ونجوم كالشمس تظهر ونجوم تختفي ، ووجه السماء كأنه ما تبدل منذ عهد نوح ، وهو وجه يوحي بالرتابة ، ومع الرتابة السلام والراحة .

وغير ذلك دنيا الناس

ان وجد اختلاط في دنيا الناس فهو من الناس

وان وجد تخريب وتدمير في دنيا الناس فهو بأيدي الناس

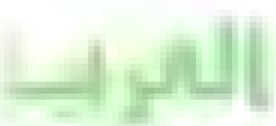
وان يكن هم في دنيا الناس ، فهو بسبب ذلك ، وهو في قلوب الناس .

لقد خلت والله ان لو كان هناك معاهد التدريب على العيش ، قبل ان يحط الناس بأرجلهم على هذه الارض ، لكان من ذلك خير كثير ، ولكنما تعلم الناس الحكمة ، بالطريقة الاقسى ، طريقة الحديد والنار ، ثم تنزع الحياة قبل ان يتعلم الناس درسا من دروس الحكمة واحدا . وهم لو اتسع لهم العمر ليتعلموا ، ما اتسع لهم ليطبقوا . والحكمة اعصى الاشياء تعلما . انها لا تخضع للقوانين ، ولا تخضع لمنطق . انها فهم الجبلة ، فهم الطبع .

* * *

وسوف تمضي الاسابيع الثلاثون التي ارجأنا اليها موعد المفاصلة . تمضي . وعندئذ ننظر في الساعة فنجدها قد توقفت . وقفت لانها رفضت ان تجري لغير جديد من الامر يأتي .

المحرر



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

[illegible]

- [illegible] من [illegible] و[illegible] والمطر قبل أن يمكنوه من الأساطيل ، ووجه الغراب والأسطول ٨

[illegible]

- انتشار الإسلام في جزر الشرق الأقصى ١٢٦
- الإمام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال ٤٤
- [illegible] ١٠٤

[illegible]

- الكتاب العربي في هذا العصر الحديث ٩٠
- صفحة في اللغة : شكله أو شكل ٦٧
- القهوة : المشروب الذي تأرجح بين المنع والإباحة ١١٨

استطلاعات مصورة

- عمان تنفتح على العالم بعد انغلاق دام ٣٨ عاما ٦٨
- المخطط الهيكلي لدولة الكويت ٥٦

[illegible]

- خواطر في بعض مشاكل العروبة ١٠
- السياحة في العالم العربي ١١٠

[illegible]

- انتشار الإسلام في جزر الشرق الأقصى ١٢٦
- الإمام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال ٤٤

[illegible]

- أرسطو [illegible] ١٠٨ ● [illegible] ٦

[illegible]

- عقل الإنسان [illegible] .. وعقله الآخر ٣٦
- دور المدرسة في تغيير المجتمع العربي ٩٩

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت

ALARABY - No. 148 March 1971 P. O. B. 748 - KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ تليفون ٤٢٠٤١ [illegible] العربي

الاشتراكات : يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاشتراكات

الإعلانات : [illegible]



صورة الغلاف

● تقدم لك «العربي» في هذا العدد استطلاعا عن مدينة مسقط عاصمة سلطنة عمان [illegible] استطلاع في هذا البلد العربي العريق الذي ظل معزولا عن العالم حقبة طويلة [illegible] وصورة الغلاف [illegible] مسقط ..

■ الأصل القاتل في ورق القات ١٨

■ وحدة الله [illegible] وحدة خلقه [illegible] ٢٨

■ [illegible] ٥١

■ [illegible] ١٠٦

■ طبيب الأسرة [illegible] ١١٥

■ الخوف شيمة المرأة ، أكثر منه شيمة الرجل ١٤١

■ [illegible] ■ [illegible] ٨

■ حذار من العدوى ١٥٩

■ [illegible] ١٠٢

■ عزيزي القارئ ٢ ■ بريد القراء ٦

■ نتيجة مسابقة العدد ١٤٦ ١٧ ■ مسابقة العربي ٢٣

■ طرائف عربية ١٠٤ ■ طرائف عربية ١٢٩

■ [illegible] — جوبلز — [illegible] الأرواح — شجرة [illegible] ١٣٦

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلس [illegible]

[illegible]

الاشتراكات : [illegible]



« لونا خود ١ »

● في الاعداد الاخيرة لفت نظري واثار سؤالاتي مع الكثير من الاصدقاء ذلك الذي جئت اكتب من اجله فبعد نجاح رحلة ابولو ١٢ الامريكية بالوصول الى القمر اجريتم تحقيقا علميا زاد عن العشرين صفحة وكان ذلك خطوة عظيمة منكم لاطلاع جماهير الامة العربية على احدث منجزات التقدم التكنيكي العلمي في غزو الفضاء ، الى جانب الابحاث والمواضيع التي تنشر تحت اشرافكم ، ولكن الشيء الذي اثار استغرابي هو اننا لم نجد شيئا في العربي بعد نجاح رحلة لونا ١٦ ورحلة لونا ١٧ ولونا خود ١ ، هل لكم ان تكتبوا عن هذين الحدثين الهامين في عالم الفضاء والتقدم العلمي . وبما انكم عودتم قراء مجلتنا على تقديم كل شيء علمي جديد ، فنرجو ان تسمعوا لنا مبتغا عن هذا الحدث الروسي الهام .

زهير بربر – ج . ع . س

العربي : لا نستطيع [illegible]

[illegible]

حول حياة ابن طفيل

● قرأت في عدد « العربي » الصادر في ديسمبر سنة ١٩٧٠ ، مقالا عن « ابن طفيل وفلسفته كما يراها في كتابه الوحيد حي بن يقظان » للدكتور محمد احمد المليجي الاستاذ بجامعة محمد الخامس بمدينة فاس .

ولقد لفت نظري في الشق الاول من المقال ، وهو الذي يتضمن بعض معلومات عن حياة ابن طفيل ، بعض اخطاء جغرافية وتاريخية مؤسفة ، اود ان اضعها تحت نظر القارىء فيما يلي :

ان ابن طفيل ، اسمه الكامل الصحيح هو « محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي ، ابو بكر » (لا ابو عبد الله) .

انه ولد بمدينة (وادي آش) الاندلسية وليس (كواديش) Guadix ، كما ذكر الكاتب محرفا عن اسمها الاسباني . ومن المعروف في الجغرافية الاندلسية ، ان كلمة Guadi هي تحريف لكلمة « وادي » العربية كما هو الشأن في اعلام جغرافية اندلسية كثيرة مثل الوادي الكبير Guadalquivir ، ووادي يانه Guadiana ووادي الحجارة Guadalajara وغيرها .

ان الذي سار في جنازة ابن طفيل عند وفاته بمراكش في اواخر سنة ٥٨١ هـ (١١٨٤ م) ، هو الخليفة يعقوب المنصور الموحدي وقد صحبه وصاحبه الخليفة ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن . ومن الخطأ ان يعبر عنه بالملك المغربي ، حسبما ذكر الكاتب ، لان الدولة الموحدية كانت تقوم على رسم الخلافة لا رسم الملوكية .

ان ما ذكره الكاتب عن حياة ابن طفيل ، وهو اننا لا نعرف عنها سوى القليل ، لا يطابق الواقع ، وهو ان لدينا عن حياة ابن طفيل مادة غزيرة . وقد كتب عنه كثير من المؤرخين روايات وافية ، مثل ابن الخطيب فقد ترجم له في كتابه « الاحاطة » (مخطوط الاسكوريال ١٦٧٣ ديرنبور لوحة ٥٢) . وكتب عنه ابن صاحب الصلاة مؤرخ الموحدين في

مزيد من المقالات العلمية

● مجلة العربي ، ليست مجرد مجلة ، وانما هي مدرسة كبرى ، يستطيع كل مواطن عربي ان يتعلم فيها مقابل مبلغ زهيد من « الفلوس » .. فقد تعلمنا في « مدرسة العربي » العلوم والتاريخ والفلسفة والاجتماع .. هل لنا في مزيد من هذا الزاد الذي لا يشبع المرء منه ابدا .. وبصفة خاصة المقالات العلمية ، تلك التي تقدمونها لنا بهذا الاسلوب الادبي الجميل المبسط . فقد اخذنا العلوم مادة لتخصصنا في مدرستكم .

حمد عاطس ـ عمان

الذره وفوائدها

● عرفنا الذرة ، وقرأنا عن فوائدها ، ومن بينها استخدامها في تسيير الآلات والغواصات والسفن الحربية ، كما تستخدم في علاج الامراض التي عجز الطب عن علاجها ، وفي كثير من نواحي الحياة الاخرى ، فلماذا لا تقدمون لنا موضوعا شاملا جامعا عن استخدام الذرة في الاغراض السلمية .

علاء ـ الكويت

كتابه « الذي بالإمامة » بيتا كثيرة . وأورد لنا عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب ، منه بيتا سائية ، كما اورد لنا شيئا من شعره ، واورد له كاتب هذه السطور ترجمة وافية في كتابه « تراجم اسلامية شرقية واندلسية » (القاهرة ١٩٧٠) ص ٢١٥ ـ ٢٢٧ .

ان ما ذكره الكاتب من ان رسالة « حي بن يقظان » هي الكتاب الوحيد الذي وصلنا من مؤلفات ابن طفيل ، غير صحيح . فقد انتهى الينا على الاقل مؤلف آخر من كتب ابن طفيل هو « الارجوزة الطبية المجهولة » . وتوجد من هذا المؤلف الشعري نسخة خطية بخزانة القرويين الكبرى بفاس عنوانها « رجز ابن طفيل » ، وتقع في نحو سبعة آلاف بيت ، وهي عبارة عن دراسة لعلل الانسان وطرق معالجتها .

محمد عبد الله عنان

الباعة المستغلون

من المؤسف حقا ان توضع مجلة العربي في ايدي البعض من الباعة الجشعين الذين لا يتورعون عن اللجوء الى مختلف الحيل في سبيل تحقيق كسب اكبر من وراء بيع هذه المجلة العلمية الثقافية لهؤلاء الذين يتلهفون على اقتنائها .. فقد اخذوا يتحكمون في بيعها على طلاب العلم والمعرفة الذين يترقبون صدورها بلهف سوى لهذا اللقاء الجديد في اول كل شهر ..

هل تعرفون ماذا عمل هؤلاء المستغلون ؟ .

لقد باعوا لنا العدد الممتاز بدون الهدية . فلما سألنا عنها ، قالوا لنا : « انها ليست هدية واذا كنا نريد ان نقتنيها فلا بد لنا من ان ندفع ثمنا اضافيا لها ! » .

احمونا من هؤلاء ، واحموا العربي من استغلال هذه الفئة من الجشعين وجامعي المال الحرام .

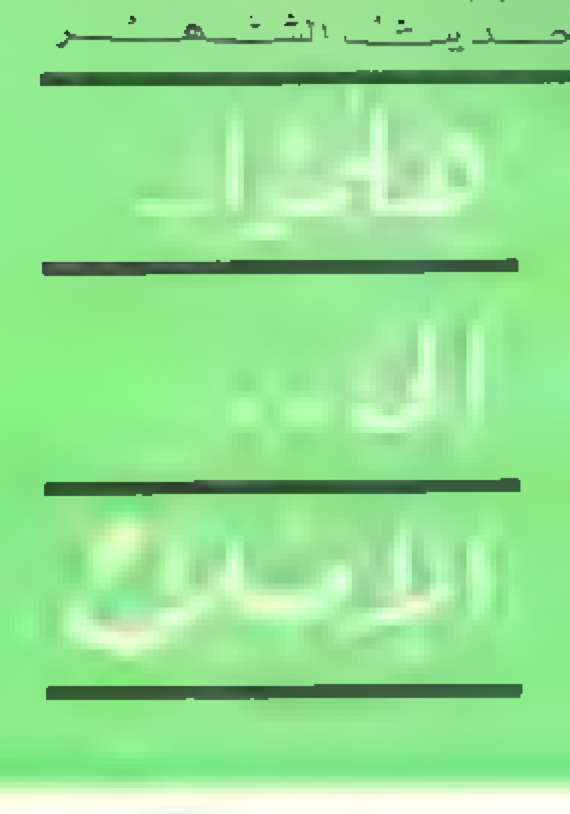
عبد العزيز سليمان العارضي
المدينة المنورة

أين يلتقي الرافدان اليوم

● جاء في العدد ١٢٩ من العربي وفي جملة من شط العرب تضمنها باب انت تسأل ونحن نجيب ، بان النهر يتكون من التقاء الرافدين . دجلة والفرات في مدينة القرنة . واود ان ابين ان النهرين يلتقيان اليوم عند (كرمة علي) التي تتفرع من شط العرب وتبعد عن البصرة مسافة ١٠ كيلو مترات الى الشمال وعن مدينة القرنة ٦٨ كيلو مترا الى الجنوب .

جبار صاحب العمار : كربلاء ـ العراق

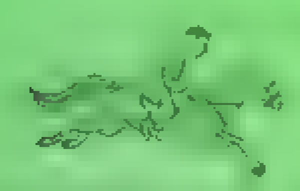
(البقية على صفحة ١٧٠)



بقلم رئيس التحرير

لكأني برجل الغرب هو الرجل الفارس وكأني

رجله وهو [illegible] في الوحل



ابدأوه سريعاً من الأعالي..

ومعه البناء والعمار

قبل أن يبدأوه من الأسافل..

ومعه الخراب والدمار

العاطفة وهو مخوف ، ومنها المزاج الوَحِل وهو مخوف . وشر الأوحال وحلُ الجهل لا سيما عند من يستعذب ملابسته وملازمته فيحلو له التريث والبقاء فيه، وقد لا يجد فراشا أنعمَ من وحل.

أولادنا وأولادهم

وأخلو لنفسي وأتساءل : ماذا يا ترى فرق بيننا ، نحن أهل الشرق ، وأولئك الناس أهل الغرب ، فيجعل منهم رجال حضارة ، كائنة هذه ما كانت ، ويجعل منا رجالا ونساء ، أتباع حضارة ، واقتباس حضارة ، وأصفارا من حضارة. الولد منا يولد سليما كما يولد ولدهم ، سليما بنيةً ، سليما عقلا، متهللا كأخيه الغربي ، مخلوق الله الآخر ، ليكون في الحياة ما يكون ذلك ، وليسبق كما يسبق ذلك ، وليرتقي كما يرتقي . ثم



الوليد منا يولد سليما كما يولد مولودهم، ثم تجري السنون ، فاذا ولدنا يتقاصر خطوه ، ثم يتقاصر.

تجري السنون ، فاذا ولدنا يتقاصر خطوه ، ثم يتقاصر . واذا أخوه الغربي يتسارع خطوه ، ثم يتسارع ، وينتهي الأمر بأن أولاد الغرب يكونون آخر الأمر رجالا ذوي سيادة، وأولاد الشرق يكونون رجالا تؤمر فتطيع .

أهي البيئة فرقت بيننا وبينهم ؟

ولكن البيئة بيئة أرض وسماء ، وهذا نصفها ، ونصفها الآخر أنها بيئة حياة وأحياء .

بيئة الأرض والسماء

وننظر في بيئة الأرض والسماء فلا نجد خيرا من بيئتنا ، خصوبة تربة ، وتفجر ماء ، وليس ما فيها من مناطق شاسعة من صحراء خلقت لغير الحياة النابضة (الأحياء) وصفاء سماء. وننظر في بيئتهم فلا نجد الا خصوبة أقل ، ومعها ماء مغرق أغزر ، ومع كثرة الماء قلة ضياء السماء .

بيئة وجب معها أن نكون أولى مدنية.

فما الذي خلفنا ، فتخلفنا عن ركب مدنية ؟

لا بد أنه النصف الثاني من البيئة ، بيئة الرجال والأحياء .

بيئة الرجال والأحياء

الخطأ اذن في رجالنا والأحياء .

ومع هذا ، فنحن نرسل شبابنا الى بلاد الغرب ، فيتعلم ، ويتدرب ، وهو هناك يسبق . ولقد بقي كثير منهم هناك ، أساتذة في الجامعات لهم ذكر ، ورجالا في دوائر الأعمال ، في أوروبا ، ولا سيما أمريكا ، لهم وزن وخطر . وشاعت لهم في الطب هناك أسماء عربية صميمة . وشاعت في غير الطب .



لا نجد خيرا من بيئتنا ، خصوبة تربة ، ونعتز على زحمتها بسماء .

فالجوهر العربي لا يزال هو الجوهر

والمرأة العربية لا تزال جديرة بأن تحمل الشعر . ولكن في البيئة التي تحفظ لها شروط البقاء

انها بيئة الرجال والأحياء

واذا نحن قلنا ان الحظ في رجالنا والأحياء ، عنينا بالطبع ما نحس وراء هذه الرجال من أمزجة عصابية ، وما تحمل رؤوسهم من آراء

لا بد انها أمزجة لا تتفق مع المنطق

ولا بد انها آراء تتعارض والتقدم

أليس هذا هو المنطق الصريح ؟

التخلف
تقع تبعته
على الشعب كله

وعلى النسبة من الرجال . ولكن من هم الرجال !



سابقا لفجر العلم والصناعة في الغرب ، كان هناك رجال ، وكان عندهم أبطال .

انهم القادة ، وانهم غير القادة ، وانهم الشعب بجماهيره، الا من اسعدته التعاسة القدرة على الفكر والقدرة على الكلام .

اقول هذا فى غير خصومة لقادة ، او غير قادة،او لشعب . حتى المحرومون لا اخاصمهم لانهم نشأوا فى البيئة السمحه نشأ شاذا طبعا . اما الذى اخاصم هو الذى جعل من بيئته ، من مجتمعه ، ارضا سبخة ، يعلوها الماء والملح والطحالب .

ثمة التخلف موزعة هكذا على الشاع، شملت قادة ومقودين ، لا ندرى الانسان منها اى طرف من الاطراف يدين . فان ترك الثمة ، وطلب الاصلاح ، لم يدر اى الاطراف بالاصلاح قمين .

وابدأ بالطرف الاول احتسابا تخلفه، وهو هذا السواد الذى تتألف منه اكثر جماهير الشعوب المتخلفة . ذلك السواد الذى نال من العيش ما عرف منه ، فهو لا يستطيع غالبا الى اكثر مما هو فيه ، وان طلب فعندما بمقدار ما كان تقدم جده من قبل او تقدم ابوه . وان عضه شيء شكا ، وهو يشكو قلة طعام وسوء سكن ، والحاجة الى المال بالقدر الذى يرتفع به الى ما تعود .

وهو السواد الذى ليس عنده راى فى الامور لانه ، فى اغلب الظن ، لا يقرا ولا يكتب . حتى اذا كان عرف من ذلك شيئا فقد انسته الايام قراءة . وهو ما اتصلت به القراءة عادة ، فهو من

السواد الذى ليس عنده راى فى الامور ، لانه باغلب الظن ، لا يقرا ولا يكتب .



معاني الرغبة والطموح التي يثيرها القراءة بعد

فئة تروج للصبر على المكاره

وفي هذا السواد تقوم دائما فئة ، هي قديمة في التاريخ العربي، وربما عنه سماها للصبر حبيلة . تقول له ان الصبر على المكاره أجرا ، وان الرزق مقسوم ، دون السكر والحب .

ولهذه الفئة التي تروج للصبر وظيفة اجتماعية لا يستهان بها . انها كالأغاني توضع في السفينة اذا هبت وسدت نسمعها الرياح . فهي ترضي السفينة ، ومن بالسفينة ، من غرق .

وهي فئة تعرف الصبر نصيحة ، ولكن لا تعرفه محنة . لانها وظيفة لها أجر معلوم ، ورغم مرقوم

الاصلاح
من أحبه تبعه ؟

وانظر في فئة التعسف ، ومن يقوم بتجبر عشرتنا فيه ، بالاصلاح ، فأبعد بها كل البعد عن هذا السواد من الامة . ذلك لانه الجانب الجريح لا الجارح .

وأعود أنظر في اطراف الامة ، ابها بدأ النهوض من قعود ، والتقدم من تخلف ، فأعود أبعد كل البعد عن ذلك السواد من الامة ، لانه في تحركه على استهل نفسه .

واذا نحن ذكرنا ان الاصلاح الذي تطلبه الامة، لا بد هو ذاهب الى الاعماق ، كان مع هذا الاصلاح حتميه ، ان يختلط فيه الصلاح بالفساد ، وتشتت الامور وتحتشر ، فتكون مع الاحرار اشتمال لا يبقي ولا يذر . انها الثورة الطائشة ، تتقدم بها العاطفة وتتأخر عنها العقل



انت ، ايها الانسان ، ارتق قمما ، وابنت موضعا ، وانت من ناطحات السحاب في دورها السفلي .

ولتنطفىء النار معها آخر الأمر عن رماد بارد لا حياة فيه لأحد .

الإصلاح من الأعالي يبدأ

الإصلاح عندي لا يبدأ من أسفل ، انه لا يبدأ من أسفل أساس أي أعالبهم ، ولكن يبدأ من الأعالي الى الأسافل او هكذا هو يجب ان يكون .

يجب ان يبدأ هكذا ، وتوفيق الله حاضر

أقول هذا ، وأعلم ان توفيق الله غير كثير الحضور في الأعالي . وهذا من بعض طبع الانسان ، لا سنة من سنن يحبها الله .

انت ، أيها الانسان ، اوثق نفسا ، وأثبت موضعا ، وأنت من ناطحات السحاب في دورها السفلي . فاذا انت علوت ، ثم علوت ، ثم علوت ، حتى بلغت الدور الأربعين أو الخمسين من البناء ، ونظرت الى أسفل ، هالك المنظر ، وخفت عند ذلك ونافة القدم ، وذهب ثبات الوضع . وأنت ان بقيت هناك طويلا نسيت ما العيش ، مع سواد الناس ، على الأرض الجامدة .

ومع هذا أقول لا بد أن يبدأ الإصلاح ، الإصلاح الذي نحن العرب في حاجة ماسة اليه مساس المصير ، الإصلاح الضارب الى الأعماق ، أقول لا بد أن يبدأ من الأعالي .

ومع الأعالي رجاء بتوفيق الله .

ما الأعالي ؟

والسؤال — وما الأعالي ؟

وأول جواب يحضر الانسان هو الحكومات .

ولكن الحكومات في شغل دائب .

وهي تحمل الحاضر ، وهي مليئة بالماضي ، وهي تلونت بلون هذا الماضي القريب ولون هذا الحاضر الواقع . وما عرفت حكومات أبدا لاصلاح او للتفكير في اصلاح . ولسنا ننكر على حكومات عربية ما قامت به من بعض اصلاح لشعوبها ، ولكن الذي نطلبه انما هو الاصلاح الأكثر والأشمل ، والأسرع ، والذي يكون احتمال الخطأ فيه أقل لبنائه على قاعدة من أهل الفكر في الشعوب أوسع ، وأدنى بالتبعة فيه ، عند نجاح أو اخفاق نكون واضحة . انها تبعة الشعب

لجان اقترحها دراسة تخطط للاصلاح

عادة الحكومات في البلاد الديمقراطية اذا حزبها أمر أن تقيم له لجنة تتعرف الى الفرص ، تدرس هذا الأمر ، وذلك ، وذلك من كل وجه ، وعلى كل صعيد . وهو درس لا يلون بذي لون ، او هو يعم كل الألوان

لجان أقترحها للاصلاح ، تقوم في كل دولة عربية ، لا ترسم تخطيطا معصوما من خطوط السياسة ولا غير السياسة ، تنظر في نهضة الأمة أساسية كيف تكون . نهضة تبدأ في السنوات السبعينيات هذه القائمة تدور دورتها ربع قرن ، وتنتهي في عام الفين . ثم تبدأ فترة ثانية تلحقه للدراسة ثانية ، في القرن الحادي والعشرين لربع قرن آخر ، فربع قرن .

لجنة دراسية تمتد دراستها سنتين أو ثلاثا او أربعا .

لجنة اصطفوها من رجال العلم ، ورجال العمل ، ورجال الفقه السياسي ، والفقه الاجتماعي ، والفقه الاقتصادي ، وكل فقه في المعرفة له في الحضارة ركن ركين .

لجنة لا تدين لأحد بولاء .

لجنة تتمثل فيها كل المذاهب وكل الآراء .

لجنة تنظر في الخطوط العريضة للحياة ، الأصيلة،التي لا تأتي بالاصلاح فقط ، ولكن بالاصلاح السريع ومع الاصلاح الهدوء الضاربة التي بدونها لا عمر في الدب لاحد ولا كرامه

ثم تنشر كتبها آخر الامر،دراسات، لا قرارات . فالقرارات هي اشبه شيء بالشعارات،ونحن نريد التثقف والفهم، ونريد الآراء مجتمعة،ونريدها مختلفة، ونأبى الرأي يعرض على الناس ، من اقصى اليمين أو اقصى اليسار .

ثم تعرض هذه الدراسة على الامة.*

وفي ظلها تنتخب الامة ممثليها في العهد الجديد .

العهد الجديد

والعهد الجديد نعني عهد ما بعد الحرب الاسرائيلية ، بقيت اسرائيل او لم تبق .

ولا بد من حسم لهذه الحرب ، لنتفرغ للسلم ، لنحصل ما عجزنا عن تحصيله في سلم مضى .

ان اسرائيل لن تختفي من حياة العرب هكذا اختفاء سهلا ولكن يجب علينا ان لا نواصل موقفنا هذا معها ، فهو موقف عقيم ، ونحن انما نريد احصانا . ان الدنيا كلها تحصب ، فلن تأذن لعنة كائنة ما كانت ، ومن كانت ، ان تقف بنا من ان نجاري الأمم في احصابها .

ولادة العهد الجديد لها مخاض شديد

ونقول العهد الجديد ، ونعلم انه اذا حضر ، صحبه مخاض شديد .

ان الصهاينة نشوا في الهواء ضبابا كثيفا حجب الرؤية عن ابصار العرب . ان العرب ابصر اليوم بمشاكل تأتيهم من جانب الصهاينة ، منهم بمشاكل هي في جانبهم ، قائمة في عقر دارهم ، وفي الصميم من حياتهم .

عشرات من السنين مضت والمسألة الصهيونية تملأ اكثر خيال الرجل العربي ، وقد آن بصحة الخيال هذه ان تصحو وتصحو الرؤية .

ولست اريد بكلمتي هذه ان اجنح الى جانب الانزاع بغير حق ، ولكن اسباب الفزع لا شك قائمة . وهي قائمة في اكثر البلاد العربية لا كلها . ومع هذا فالفزع الذي يقوم في دولة عربية لا بد ان تتردد صرخاته في سائر بلاد العرب . ومهما قلنا ان الوحدة العربية اليوم مزقت ، فهي على الرغم منا قائمة اشكالا والوانا .

واذا انا ذكرت اصلاحا ، وذكرت

---

* سلكت بريطانيا مثل هذا الطريق لما رأت ان تقلب نظام التعليم بها رأسا على عقب ، وبعد دراسة امتدت اكثر من ٣ سنوات ، واشترك فيها مائة من الهيئات والاشخاص من رجالات القوم ، بحثا ودرسا ، وافق البرلمان الانجليزى ، وكان من كل الاحزاب مجتمعة ، على الوصايا التى تقدم بها الدارسون ، واصدرتها الحكومة في مرسوم عرف بمرسوم عام ١٩٤٤ ، وهى في محنة من حربها العالمية الثانية وقد ظل هذا المرسوم الى اليوم هو الوثيقة الوطنية التى ترد اليها كل الامور ، طوال ربع القرن من الزمان هذا الذى مضى .

وكما صنعوا في التعليم كذلك صنعوا في الاقتصاد ، في انجلترا وغير انجلترا ، والامثلة كثيرة .

الاصلاح الذي يذهب الى الأعماق، قائما أعني ما أقول . والأعماق أعني ، وما وراء الأعماق .

وأنا أذكر ما أذكر ، وكأنما أنا أنذر .

وفي الطب يؤخذ مقدار للتوقي ، ويؤخذ مقدار اذا حل المرض . والتوقي خير من التربص بالمرض حتى يكون .

والأمراض تبدأ غالبا في معترك الجماهير .

والوقاية انما تأتي من جهابذة في الطب مستنيرين .

ومن أجل هذا رأيت ان الاصلاح يبدأ من عل ، ثم هو يغور ويذهب الى الأعماق .

وان تكن لجنة ، أو لجان لكل بلد عربي ، أنا مقترحها ، فمن ؟ فيها . وان حالت دونها عقبات ، فما عرفنا أعمال الا قائمة في كل سبيل . وعرفنا كذلك ان العقبات لا تقف دون أهل الدراية المهرة من الساعين، الهواة والمحترفين . بل هي توضع في سبيلهم لتوكيد سبقهم .

وان شاءت اللجنة الواحدة في البلد الواحد ، بأعمالها ، فهي تتبع فروعا أخرى ولجانا .

واللجان على كل حال لجان دراسة مشتركة ، بينا ان كل ما يقرأه القارىء المواطن في الصحف والكتب ليس الا دراسات عادلة لأغراض مرسومة سابقة وهي على كل حال آراء متشتتة ، ونحن نبغي الآراء المجتمعة الكيان التي تأتلف والتئام بكيان أمة

وان لم تكن لجان ، فماذا عند الناس من وسائل غيرها ؟

أم تظل الحكومات العربية تضرب في مجاهل من الحكم ، في رعايا متأرجحة بين الرفض والرضا ، وهي ترقص بغير علم ، الا ما تجري به الشائعات .

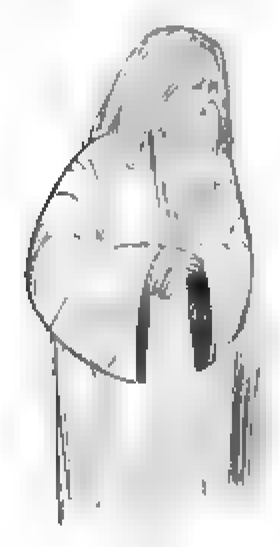
والشباب .. الشباب !

ذلك الذي وقف في النصف الثاني من هذا القرن ، أين يقع من كل هذا ؟ وهو هو المقصود بالاصلاح يوم تكون أكثر القائمين بأمورنا اليوم تحت أتراب عظمى نخرة

سأل شابا يدرس الأدب : من أحسن الشعراء ؟ قال المتنبي . قلت وماذا قال ؟ قال

أتى الزمان بنوه في شبيبته

فسرّهم ، وأتيناه على الهرم



الزمان

قلت له : لا يا بني . ان الزمان لا يشيب أبدا . انما الناس هي التي تشيب ، والأمم هي التي تشيب ، وأنتم الشبان في استطاعتكم ان تعددوا شباب زمانكم حتى لو تراءى لكم أنه قد شاب ، وترهلت الأمة .

أحمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٤٦

■ استهدفنا مادة مسابقة العدد ١٤٦ مما نشر في اعداد مجلة «العربي» خلال عام ١٩٧٠ ولاحظ ان القراء سهلت عليهم الاجابة على الاسئلة ذات الطابع النظري ، اما الاسئلة التي تتناول الجانب العلمي ، فقد صعبت عليهم بعض الشيء ، وهذا ما يؤسف له حقا ، في وقت اصبح العلم مقياس تقدم الشعوب .

واليك أيها القارىء الاجابات الصحيحة مرفقة باسماء الفائزين بالمسابقة

١ ـ اعلنت الامم المتحدة ميثاق حقوق الانسان في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ .

٢ ـ اللؤلؤ : عضوي ـ الياقوت : غير عضوي ـ الزمرد : غير عضوي ـ الفيروز : غير عضوي ـ المرجان : غير عضوي ـ الكهرمان عضوي .

٣ ـ اسم الرسالة التي الفها ابو حيان التوحيدي : الصداقة والصديق .

٤ ـ الاسم العلمي العربي الذي يعرف به داء الكزاز هو : [illegible] .

٥ ـ العشبي هو القاتم ، والسليولوز هو المسموم .

٦ ـ اللفظ العربي لمادة النبات الخضراء المسماة « الكلوروفيل » هو اليخضور .

٧ ـ يصنع الصابون من القلويات مثل الصودا الكاوية ، ومن الدهون مثل زيت القطن والزيتون .

٨ ـ قائل هذه الجملة : « لئن حكمت الاقدار بخراب القدس فان بناءها موكول الى ارادتنا وايماننا » هو المغفور له الملك محمد الخامس .

٩ ـ اسم الشجرة التي استنبتتها اليمن بشجرة البن هي : شجرة القات .

١٠ ـ اقرب نجم جرم سماوي متلألئ في قربه من الارض هو : « المنطورس » (الفا)

١١ ـ مؤلف كتاب « العقد الفريد » هو : ابن عبد ربه

١٢ ـ السلطان اللذان احييا في الهند الثقافة الروحية ، هما : غاندي وابو الكلام آزاد .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : احمد ابراهيم علي حمد/عمان/الاردن .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عبد المنعم السيد ابو السعد/الاسكندرية/ج.ع.م.

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : حسين مهدي الحكيم/بغداد/العراق .

٨ ـ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير .

١ ـ محمد قاسم ابو نعن/حاصبيا/لبنان

٢ ـ هالة محمد رفيق الهابي/دمشق/سوريا

٣ ـ يوسف العبد الرحمن الشبط/عنيزة/السعودية

٤ ـ احمد طارق العجيري/الكويت

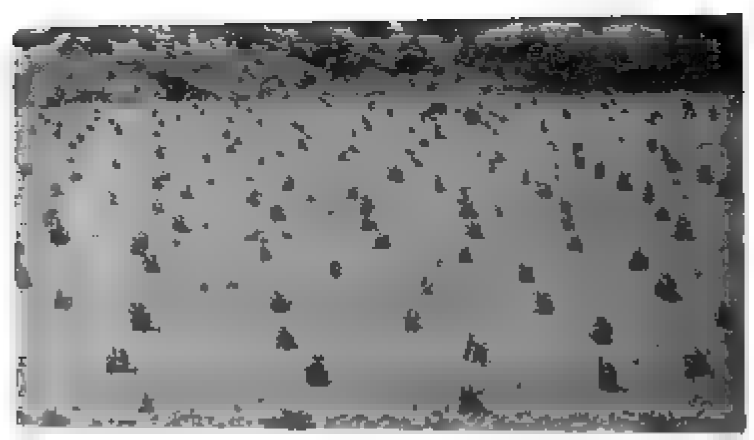
٥ ـ عياد محمد زميط/طرابلس/ليبيا

٦ ـ محمد زين الهادي/السودان

٧ ـ عبد الكريم العلش/تونس

٨ ـ محفوظ بن حمود الشرقي/مسقط/سلطنة عمان

وسوف نرسل الجوائز للفائزين بالبريد.



اشبال من اشجار القات في احدى مزارع القات في اليمن .. ان عمرها سنة واحدة فقط

الأصل الفعّال في ورق القات

● في كل عقار ، او اصل فعال ، او اصول فعالة ، يحرص الكيماويون دائما على استخلاص مادة فعالة او مواد ثم يجربونها ، وهي على هذا انفرادا ، في اجسام الحيوان ، وجسم الانسان . فيتعرفون على حقيقة عملها في الجسم وان كان لها فعل نافع ، او منافع مرض ، وراحوا يبحثون عن تركيبها ، اي عن ما بها من ذرات ، وكيف تترابط ، ثم يبحثون عن صناعتها ، فلعلهم يستطيعون ان يخلقوها من مواد في الطبيعة ارخص وايسر

الكاثين Cathine

وقد خرج الكيماويون بعد بحوثهم على ان الاصل الفعال في القات مادة تنتسب الى طائفة المركبات العضوية المسماة باشباه القلويات او الشبقلويات Alkaloids ، وهي مواد توجد في بعض النباتات ، ولها صفات المواد القلوية ، فهي تحول لون ورق عباد الشمس الاحمر الى الازرق .

وهي تتحد مع الاحماض فتكون الاملاح ، وعناصرها الكربون والايدروجين والازوت ، وعادة الاكسجين كذلك .

ويمكن اعتبارها جزئا من النشادر ، وهو يتألف من ذرة ازوت وثلاث ذرات ايدروجين ، حل محل الايدروجين فيه مجموعات عضوية اخرى .

والشبقلويات قليلة الذوبان في الماء ، ولكن املاحها تذوب . ويستعملون الكثير منها [illegible] [illegible] .

وكثير من الشبقليات يستخدم عقاراً ، ومن أمثلها المرفين Morphine والاتروبين Atropine والكوينين Quinine . وأيضا تقتل في الجسم الانساني بيلي .

أما المادة الشبقلية التي كشف عنها العلماء في القات فاسموها الكاثين ، وهو اسم اشتقوه من اسم شجرة القات العلمي Catha . وقد فحصها العلماء فوجدوا انها قريبة الشبه بالعقار الشبقلي المعروف في الطب باسم الافدرين Ephedrine ، ووجدوا ان اثره في الجسم اشبه بالاثر علما ، ومن اهمها ازدياد خفقان القلب Tachycardia ، وقد يصحب ذلك سبق في انقباض القلب Extrasystoles ، وكذلك ازدياد في ضغط الدم .

ويوجد عند الشبان الذين يتعاطون القات ارتفاع في ضغط الدم ، يرى العلماء ان سببه القات ، لانه يزول بزوال تعاطيه .

والقات مضاعفات قد تحدث عند الكبار من متعاطي القات كنزيف فمي او سيلان ظنية او استسقاء دموي . وهذه الآثار الظنية مثلها ما يحدث بسبب تعاطي الافدرين .

ومن الآثار التي تظهر على متعاطي القات زيادة في التنفس .

وارتفاع في حرارة الجسم Hyperthermia ، ومع ارتفاعها العرق عقب التعاطي مباشرة ، يزيده تدفقا ما في الحجرة من جو مصطنع .

واتساع في حدقة العين .

وكذلك التهاب في الفم وفي غشاء المعدة ، عند المدمنين .

والامساك ، ويحدث بسبب ما في القات من قدر غير صغير من التنين Tannins وهي مادة قابضة . وكذلك من فعل المادة الفعالة في القات . ومن ادلة ان القات هو سبب الامساك ، انه عندما حرم استيراد القات في عدن ، في عام ١٩٥٧، هبطت المبيعات من العقاقير الملينة والمسهلة نحو ٩٠ في المائة .

التأثير النفسي للقات

القات ـ كما رأينا ـ اصول فعالة منها الكاثين وهو يدخل تحت ما يسمى المواد الامفيتامينية .. ولهذه الاصول تاثيرات نفسية تتم بالتاثير في الجهاز العصبي لكل من يتعاطى القات .. ومن اهم هذه التاثيرات « التنشيط العام » .. فالقات له مفعول يشابه المفعول المنبه للكافيين (المادة الفعالة في البن والشاي) .

ويظهر مفعول القات النفسي على عدة اشكال منها

١ ـ زيادة التوتر العصبي .

٢ ـ زيادة استعداد الشخص لتقبل الاشخاص الجدد وتعرفه عليهم بسهولة .

٣ ـ زيادة في الحركة والنشاط .

٤ ـ زيادة في الاثارة .

٥ ـ الاتجاه الى العنف .

٦ ـ الاضطراب .

٧ ـ تصرفات لا ارادية .

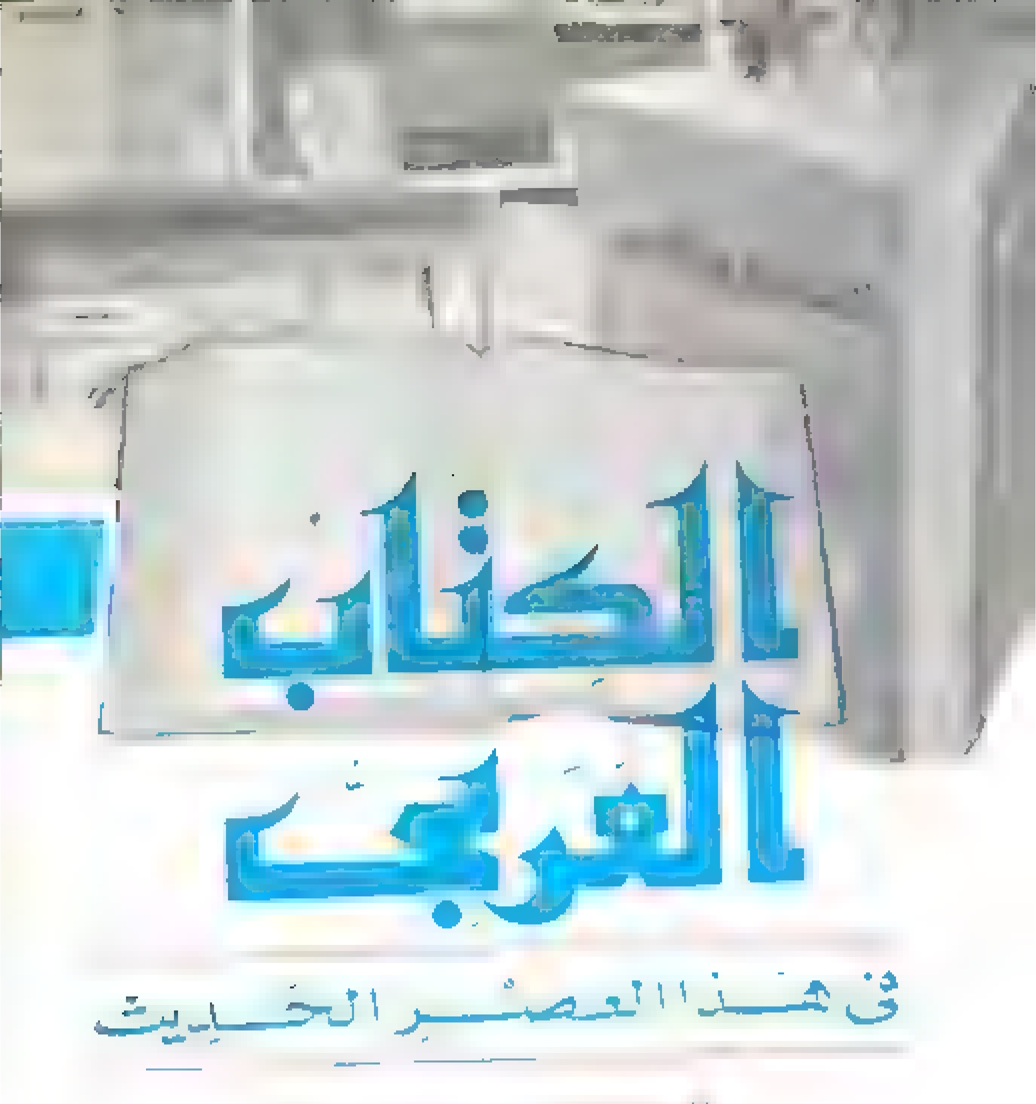
يلي ذلك كله السهر والارق .

وقد يؤدي استعمال القات بكميات كبيرة ، في بعض الحالات النادرة ، الى ظهور اعراض التسمم التي تؤدي الى الهلوسة ، وجنون العظمة ، والهيجان العصبي . ولكن يبدو ان طريقة استعمال القات وشرب كميات كثيرة من السوائل اثناء مضغه (او تخزينه كما يقولون) تخفف نسبة المواد الامفيتامينية التي تدخل دم المتعاطي وبذلك تقلل من فرصة الاصابة بالتسمم الامفيتاميني .

وقد لوحظ ان الامتناع عن تناول القات لا يؤثر من الناحية النفسية او العضوية على الشخص المدمن بنفس الدرجة التي يتأثر بها مدمنو المخدرات الاخرى عند تركهم لهذه المخدرات .

هذا من الوجهة الطبية والنفسية عامة .

اما من الوجهة الاجتماعية ، والمساوئ الصحية على سائر جنباتها فقد تولع في استطلاع القات في العدد القادم ●●



الكتاب العربي

في هذا العصر الحديث

بقلم: الدكتور السيد ابو النجا

[illegible]

[illegible]



الكتاب يعلم بالجملة، والمدرس يعلم بالمفرق!

- صناعة الطباعة في الوطن العربي تهددها أزمة تجدد آلاتها، وتدخل التكنية الحديثة إلى كل مجال طباعي فيها.

- في صناعة الكتب [illegible] ..

موضوعات كثيرة في عدد واحد ، على حين يعمق الكتاب موضوعا واحدا فيوفيه بحثا . وفي الكتاب قال العقاد قوله المشهور :

[illegible]

اقتناء الكتاب استثمار

القراءة تنمي الفرد ، والفرد ينمي المجتمع . ولن تكون قراءة متعمقة بغير كتاب . فالكتاب هو جهاز الاستقبال الذي يمنحه القدرة على الدنيا فيعرف نصيبه ما فيها من جديد . والفرد الذي لا يقرأ يوقف التيار الفكري الذي يربطه بالعالم ، ويحكم على نفسه بالعزلة ، وعلى عقله بالجمود ، وعلى ملكاته بالتحجر .

إن القراءة هي التي علمت الناس كيف يحصنون دولهم بالشركات ، ويطلقون أساطيلهم [illegible] والفرسان ، وينظرون الفضاء في النجوم إذا أصابت [illegible] بآداب التدخين وشرب الخمر وسباق الخيل ولعب [illegible] . لقد صنعت القراءة [illegible] الأول ، حتى [illegible] سور الصحافة بغوثها . إن الحكومات لا تستطيع أن تحصل من شعوبها على النتيجة المطلوبة إلا إذا لم تكن هذه الشعوب قارئة ، حتى ليصبح القول بأن تكوين الدول يصنعه الصور عبر قراءة .

والذي يقرأ الكتاب موضوعيا لا يزيد كفاءته الشخصية على حل مسائل الحياة ، وهو يضيف من كفاءته على تحسين عمله في التقدير ما يضيع له جوانب الحياة .

الكتاب يساعد في هذا على تحرير العقل

فالكتاب يعلم بالجملة ، والمدرس يعلم بالفرق . والكتاب لا يفرض نفسه على قارئه وانما يضع نفسه في خدمته كلما اشتاقت نفسه اليه ، في حين يحدد المدرس موضوع الدرس ووقته ومكانه ، ثم يصبه على طريقته الخاصة في آذان التلاميذ ، ويفرض عليهم الانصات ساعة من الزمان او اكثر ، وهم جلوس على مقاعد خشبية .

وكما يكون البيع بالجملة ارخص منه بالفرق ، تكون المعرفة بالكتاب ارخص منها بالتدريس . واذا كانت المدرسة لاتستغني عن الكتاب فان الكتاب قد يستغني عنها . وكبار المفكرين من امثال العقاد وكامل الشناوي لم يستمدوا من المدرسة الا اقل القليل ، ثم بقي الكتاب في ايديهم يؤاخيهم ويشاركهم في افراحهم ومآسيهم ، بل يدخل معهم الى بيوتهم ومخادعهم ، وبالصداقة التي نشأت بينه وبينهم وترعرعت على طول الزمان نقل الكتاب رسالته في اعماق نفوسهم فسار في خياراتهم ليترك مكتوبها .

اصبح الكتاب الى جانب قيمته الثقافية ، له قيم عملية : منه نتعلم كيف نسعف المريض ، ونصلح السيارة ، ونربي الطفل ، وننظم المصنع . ان الكتاب هو الذي يأخذ بأيدينا اليوم الى انتاج اكبر وحياة افضل .

المراحل الاربع لقراءة الكتاب

اظهرت الابحاث ان تحصيلات التلاميذ من القراءة تختلف اختلافا كبيرا ، فبعضهم يصل في المرحلة الاولى الى ما لا يصل اليه سواه الا في المرحلة الثانية او التي بعدها .

والمرحلة الاولى هي التي يبدأ فيها الطفل في تكوين ملكاته العقلية والاجتماعية والعاطفية واللغوية ، حتى اذا وصل في عمره الى ست سنوات بدأ يهتم بالكتاب والكلمة المطبوعة فيدخل المرحلة الثانية

وفي هذه المرحلة يتعرف بنظره على نحو ثلاثمائة كلمة ، ويزداد اهتمامه بالقراءة لانه يبدأ يفكر فيما يقرأ ، ومع تزايد سنه يتعلم كيف يستقل بنفسه في القراءة فيدخل المرحلة الثالثة .

وفي هذه المرحلة تزداد سرعته في القراءة الصامتة ، وفي فهم ما يقرأ . ويزداد عدد الكلمات التي سيعرف عليها بنظره الى الف وخمسمائة او الفي كلمة ، ثم يتعلم القراءة بصوت مسموع ويكتسب المهارات اللازمة للتحدث بما يجمعه من قراءاته ، كما يستخدم القراءة لاشباع حب الاستطلاع في نفسه ، ولجمع المعلومات من العلوم المختلفة. بقيت المرحلة الرابعة ومن خصائصها ان تكون القراءة باهتمام اكبر وتذوق احسن . وخلال هذه المرحلة تتكامل القدرات السابقة وترتقي ، ويتسع مدى التعرف على الكلمات والمعاني وتتسع القدرة على التفسير . وبزيادة الحصيلة من المعرفة تتأكد القدرة على التقييم الصحيح وعلى الاستفادة من القراءة في تكييف الاتجاهات والسلوك . لان القراءة في هذه المرحلة تزداد اتساعا وعمقا فيصبح القارىء ناضجا Mature كما يقول William Gray .

الكتاب واهتمام الاطفال والبالغين به

اثبتت الدراسة ان الاطفال يظهرون في مدارجهم الاولى اهتماما بالحيوانات وميلا الى الحكايات عن الاطفال الآخرين الذين هم في سنهم . وقبيل المراهقة يظهر الاولاد ميلا الى قراءة المغامرات وطرق القيام بها والهوايات ومبادئ الابطال . اما البنات فيظهرن اهتماما بالبيت والحياة المنزلية ، وبعضهن يملن الى قراءة المغامرات . وقد لوحظ ان البنات يحببن كتب الاولاد على حين ان الاولاد لا يحبون كتب البنات .

وفي سن المراهقة يبدي الاولاد اهتماما بالجمهور وبالالعاب ونواحي الترفيه ، في حين يقبل البنات على الروايات الغرامية والقصص التي تعالج مشاكلهن في سن المراهقة .

اما ميول البالغين فهي متنوعة ومعقدة . وقد ذكر Douglas Waples and Ralf Tyler انهما بحثا الميول للقراءة عند البالغين — على مستوى دولي — فوجدا انها تختلف باختلاف السن والبيئة والوظيفة وعدد سنوات الدراسة . ولم تتفق الميول الا في اتجاهين اثنين هما الاتجاهات الدولية والثقافة الشخصية . كما لاحظا ان الوصول الى المواد المقروءة في سهولة ويسر من اهم دوافع الاقبال عليها ، ولهذا تقرأ الجرائد والمجلات اكثر مما تقرأ الكتب .

التأليف والترجمة

يميل المؤلفون العرب الى الكتابة في الدين والتاريخ وتراث الاقدمين وسير الخالدين والمسرحيات والسياسة والشعر والقصص ، ومنهم من يكتب في علم النفس والعلوم الاجتماعية والفلسفة . اما العلوم الطبيعية والفنون الجميلة

والموسيقى والموسوعات والمراجع والروايات والعرف فلم يصدر فيها الا قليل .

وبعد القرآن الكريم وكتب التفسير ، من حيث المبيع ، تجيء مؤلفات الطبري ، والشريف الرضي ، وابن المقفع ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن خلدون ، والغزالي ، وابن قتيبة وألف ليلة وليلة ، وقصص عنترة ، والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذي يزن ، والزير سالم ، وأبي زيد الهلالي . . . الخ .

ثم يجيء من آثار المحدثين كتب الجبرتي والمويلحي ورفاعة الطهطاوي وجمال الافغاني ومحمد عبده وفرح انطون والمنفلوطي وقاسم امين ومحمد حسين هيكل والعقاد وايليا أبو ماضي والزهاوي والشابي . . . الخ . ويجيء آثار الادباء الاحياء وهم اشهر من التعريف .

ولعل منشأ اقبال الناشرين على كتب التراث انهم لا يدفعون عنها حقوق تأليف بعد ان مضى على تأليفها اكثر من خمسين عاما ، كما ان القراء يحبون القراءة في هذه الكتب واقتناءها بمكتباتهم فضلا عن الكتب المؤلفة ، اما الكتب المترجمة فهي للأسف قليلة جدا فضلا عن ان الكثير ترجم منها لا يخضع لتخطيط منهجي . واذا عرفنا ان الولايات المتحدة وحدها تصدر في كل عام اكثر من عشرين الف كتاب جديد . واكثر من خمسمائة مليون نسخة من الطبعات الشعبية ، تصورنا كم يصدر في العالم المتحضر من مئات الالوف من الابحاث الجديدة وكان علينا ان نستفيد منها بالترجمة لنلاحق ركب الحضارة والتقدم .

ان كبار الكتاب العرب لا يزالون يعتقدون ان الترجمة دون التأليف مكانة . فالفضل يرجع للمؤلف مرتين : مرة عند التأليف ومرة عند الترجمة . اما المترجم فهو ظل المؤلف ، والجزاء الذي يلقاه قليل بالقياس اليه .

انني ادعو الى تشجيع القادرين على ترجمة الانتاج العالمي المعاصر والتراث الكلاسيكي منذ عصر النهضة . ادعو الى ترجمة بعض المعاجم الشاملة والموسوعات والاطالس ، والى ترجمة الكتب التي تساعد على الفكر المتحرك وتحسين الانتاج ، وتلك صرخة اوجهها الى دور النشر الكبرى والى الحكومات العربية .

حقوق التأليف

لم تكن حقوق المؤلفين والمترجمين في العالم العربي منظمة بقوانين الى عهد قريب ، ولذلك كانت الاحكام في الملكية الادبية تصدر استنادا الى قواعد العدل ، مع ان الامم المتحدة اصدرت الاعلان العالمي لحقوق الانسان في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ ونصت في مادته السابعة والعشرين على ان لكل فرد الحق في حماية المصالح الادبية والمادية المترتبة على انتاجه العلمي او الادبي او الفني . ومعاهدة برن الدولية لحماية حقوق المؤلف ابرمت عام ١٨٨٦ ثم عدلت عدة مرات كان آخرها في استكهولم عام ١٩٦٧ . وهيئة اليونسكو عقدت اتفاق دولي في جنيف في ٦ سبتمبر ١٩٥٢ عن حقوق التأليف .

وقد ظهر في يوليو ١٩٦٧ اتجاه معارض لهذه الاتفاقات جميعا حين وضع المؤتمر الدبلوماسي الذي عقد في استكهولم بروتوكولا يحد من حقوق النشر لصالح الدول النامية فيجيز انقاص مدة حماية حق المؤلف ، ويتوسع في الحالات التي يجوز فيها لهذه الدول ان تترجم وتنشر المصنفات الاجنبية مراعاة لاحتياجات التعليم والثقافة دون اذن المؤلف والناشر .

ومهما يكن من شيء فان القوانين الحالية تكفل للمؤلف مبادىء ثلاثة :

اولها — ان يكون حرا في التعبير عن رأيه في حدود القانون ، فلا يملي الناشر عليه فكرة معينة او يطلب منه نتيجة محددة . ولو عهد الناشر الى مؤلف بوضع كتاب معين ثم وجده دون المستوى الذي كان يترقبه ، فلا يجوز له ان يرجع في اتفاقه معه .

ثانيها — ان للمؤلف وحده الحق في تقرير نشر مصنفه وفي تعيين طريقة هذا النشر .

ثالثها — ان انقضاء حق المؤلف في الاستغلال المادي بعد مرور خمسين عاما لا يعني انقضاء حقه الادبي وهو نسبة مؤلفه اليه .

مهنة الناشر

درجت دور النشر على ان تتعامل مع المؤلفين على احد الاسس الآتية .

١ — تعطيه مبلغا محددا عن الطبعة الاولى ومبلغا آخر عن كل طبعة تالية .

٢ — تعطيه نسبة من الثمن المنشور على غلاف الكتاب مضروبة في عدد النسخ المطبوعة .

٣ — تعطيه نسبة اكبر من ثمن الغلاف مضروبة في عدد النسخ المبيعة في كل سنة .

٤ ـ اسم منه ناشر الكتاب بعد عقد النسخ مع تحديد البنود التي تتألف منها المصاريف

ويقع الخلاف عادة بين المؤلف والناشر بسبب أن الأول يقدر كتابه بمقدار ما فيه من مادة علمية على حين يقدره الثاني بمقدار ما ينتظر له من رواج . وقد يكون للمؤلف قيمة ذاتية كبيرة ، ولكن قيمته السوقية موضع نظر !

والناشرون في أوربا وأمريكا يتجهون الى التخصص ، فمنهم من يقتصر على كتب الأطفال ، ومنهم من ينتج الكتب المدرسية ، ومنهم من لا يعمل الا في الكتب الفنية والجامعية . أما الناشرون العرب فلم يصلوا بعد الى هذا السوق . وقد تنشر دار في القاهرة كتابا من كتب التراث ، أو تترجم مؤلفا أجنبيا ، ثم يتبين أن نفس الكتاب قد صدر في نفس السنة عن دار في بيروت . وذلك لانعدام مرجع ينشر الكتب الصادرة في العالم العربي بعد تصنيفها بحسب موضوعاتها .

وكذلك تتخصص دور النشر العالمية في تحديد القراءات العلمية والثقافية وفي فحص الموضوعات المعروضة واختيار الأصلح من بينها والتعاقد مع مؤلفيها ، ثم ترسل المخطوطات والصور والرسوم الى مطابع متخصصة ، فاذا صدر الكتاب تسلمته شركات مستقلة للتوزيع . أما دور النشر العربية فلا يزال معظمها يتولى كل شيء بل ان من صغارها ما قد يتولى التأليف !

ومن أسف أن دور النشر لا تقبل على كتب العلوم الطبيعية وهي معذورة في ذلك فقد ثبت أن القراء العرب يفضلون الاطلاع على هذه العلوم بلغاتها الأصلية .

انتاج الكتاب

الكتاب شكل وموضوع . والشكل فيه لا يقل اليوم أهمية عن الموضوع . واذا كان الكتاب رسالة فقد أصبح صناعة تحمل هذه الرسالة ، انه لا يؤدي رسالته الا حين تمر عين القارئ على سطوره . فعلى الناشر أن يتجه في شكل مشوق يجلب اليه أكبر عدد من القراء والا فانه يخرج من ساحة المطابع الى ظلمات المخازن !

الكتاب ورق ينتقى ليتناسب عملية الطباعة بالسيو أي بالحرف المجموع Letter - Press أو «بالأفست» وحبر يختار ليجف بسرعة أو على مهل .. وألوان تصمم ليتم فصلها في التصوير واعادة تركيبها عند الطبع .. وبنط يتناسب مع السطح والهوامش وعمر القارئ وثقافته .. وغلاف يتمشى مع لون الكتاب وعدد صفحاته .

لقد كانت كتب الأطفال تجري على وتيرة واحدة Static فأصبح كثير منها دائب الحركة Dynamic ومنها ما يخرج نغما موسيقيا أو أصوات الطيور . وقد أصبحت الكتب الطبية التي تدخل المسرحة على القماش أو الكتان أو على الورق بعد معالجته معالجة خاصة لا تتأثر بالرطوبة أو الأحماض . والكتب التعليمية اليوم ذات جيوب فيها أسطوانات يديرها القارئ وهو يطالع فيتلقى الثقافة بعينيه وأذنيه ليعمق الأثر في نفسه . وقد انتشرت هذه الطريقة في تعليم اللغات بصفة خاصة .

وصف الحروف للطبع كان باليد فأصبح آليا حرفيا بالمونوتيب وسطريا باللينوتيب والانترتيب ودخل العقل الالكتروني في الصف ، فارتفعت سرعة الآلة في الساعة من مائة الى تسعمائة سطر .

وألواح الزنك أو الألومنيوم تأتي اليوم من المصنع معدة جاهزة لطباعة الأفست ، فيتم نقل الصور عليها في بضع دقائق بعد أن كان يستغرق ساعات . وفصل الألوان يتم اليوم تلقائيا في آلة التصوير بعد أن كان يتم بالعين المجردة .

ومن الآلات الالكترونية ما يتسلم الصورة الملونة من ناحية فيفصل ألوانها ويخرج لها أربعة كليشيهات من الناحية الأخرى . وهناك من آلات الطي والثقب والورنشة والتشكيل ما يجعل الطباعة صناعة من صناعات التجميل .

وفي التغليف بالورق والتجليد بالقماش أو البلاستيك المقوى وحفر وابراز واحاطة الكعب بالقوالب ، كل ذلك في تسلسل آلي يحيل الكتلة من الورق المطبوع الى نسخ مصفوفة ومرصوصة في الصناديق .

وهكذا أصبح ما يكتبه المؤلف مجرد مادة أولية يصنعها الرسامون والخطاطون والمهندسون والكيماويون والطباعون ، فيجعلون منها سلعة غالية يتوافر فيها ما يتوافر في سائر السلع من جودة وجمال .

وقد دعا تقدم الطباعة في اليابان وايطاليا ويوغوسلافيا الى أن يفضل بعض الناشرين العرب

طبع كتب الأطفال وهي كثيرة الألوان في هذه البلاد . والغريب أن هذه الكتب تصل على ورق صقيل بألوان أنيقة وبثمن بخس . أن هذا العمل يهدد صناعة الطباعة في العالم العربي ولا عاصم منه الا أن تجدد بلادنا آلاتها وتدخل التكنية الحديثة في كل مجال الطباعة .

دراسة السوق

الكتاب - كما قدمت - لا يؤدي مهمته الثقافية الا اذا تمت اللقيا بينه وبين القاريء ، فالذين ينشرون الكتب لقيمتها العلمية فقط دون استيثاق من أن لها عددا أدنى من القراء الراغبين ، يضعون أموالهم وجهودهم في غير طائل . انهم يسطون على الجمهور فيجلدانهم ، وتكون النتيجة وبالا على الناشرين والمؤلفين جميعا . ومن الناحية الأخرى فان بعض الناشرين ينزلون بمنشئاتهم الى مستوى غير لائق فيستغلون غرائز الجنس وينشرون باسم الدين خرافات قد تكون طريفة ولكنها ليست منه .

وأول خطوة في التسويق هي دراسة السوق للاجابة عن مثل هذه الأسئلة :

كم من الناس في كل سوق عربي أميون وكم منهم القارئون ؟

كم منهم يحملون شهادات متوسطة وكم منهم يحملون مؤهلات عالية ؟

كم منهم يقع في كل شريحة من شرائح الدخل ؟

كم منهم رجال وكم منهم نساء ؟

كم منهم في سن الطفولة وكم في سن الشباب وكم في سن الشيوخ ؟

كم منهم في كل مهنة من المهن والحرف ؟

الى غير ذلك من الخصائص التي تساعد على تقدير القراء الراغبين لكل كتاب بالذات .

بحث ميداني عن الكتب والصحف

وقد أجرى المركز العربي للبحوث والادارة بالتعاون مع الجامعة الأمريكية بالقاهرة في سنة ١٩٦٦ بحثا ميدانيا عن الكتب والصحف كما يراها الناشرون ظهرت منه النتائج الآتية .

١ - أن أكثر الموضوعات انتشارا هي الموضوعات الدينية وتليها الجنسية ، وأقل الموضوعات انتشارا هي العلمية .

٢ - أن أكثر الطبقات اقبالا على القراءة هي المتوسطة التي يروح دخلها بين ٢٥ و ٦٠ جنيها في الشهر .

٣ - أن أكثر الناس قراءة هم مدرسو التعليم الثانوي ويليهم طلاب الجامعات . أما المتخصصون من الأطباء والمهندسين والكيماويين وغيرهم فهم يقرءون على ما تخصصوا فيه ولذلك تقل قراءتهم لكتب الثقافة العامة .

٤ - أن العزاب يقرءون أكثر من المتزوجين على خلاف ما كان متوقعا .

٥ - أن سن القراءة الغالبة هي ما بين العشرين والخمسين

تسويق الكتاب

اذا أردنا ترويج الكتاب في كل بلد عربي فلا بد أن نعمل على زيادة منافذ التوزيع فيباع الكتاب في الأكشاك والأكشاك والمطارات والأسواق المركزية Super Markets والمحلات الكبرى Department Stores ، مع باعة الصحف ولا بد أن يصل الى القاريء فيعرض نفسه عليه في القرى والمصانع وعربات الملاهي والمطاعم والمحطات ، ولا بد أن تقوم له معارض سنوية في كل عاصمة ، ومعارض متنقلة بين المدن لتنقل الى الناس أحدث ما صدر في كل ميدان من ميادين المعرفة .

أما بائع الكتاب فلا بد من اعطائه اياه على سبيل الأمانة فلا يدفع للناشر ثمن ما يأخذ من كتب ، وانما يدفع له ثمن ما يبيع منها . ولابد من اعطائه البائع خصما مجزيا وتوصيل الكتب التي يطلبها الى بابه ويعيدها له كلما وجد منها ما لا يروج .

على على البلاد العربية أن تتبادل ثقافاتها . ولن يكون ذلك الا بتيسير تصدير الكتاب واستيراده وتخفيف قيود العملة والرقابة على المطبوعات ، وتخفيض ثمن الاعلان عن الكتب في الصحف وفي وسائل الاعلام الأخرى .

قراصنة الكتب يهددون صناعة النشر كلها

وقد اجتاحت العالم العربي في الفترة الأخيرة موجة من التقليد تهدد صناعة النشر كلها . فبعد انتشار هذه الآلات أصبح من السهل على أي مطبعة أن تصور الكتاب ، التي لا تملكه بالكمرة

ثم تنقله على الزنك الحساس تمهيدا فى طبعه على الفور بسرعة عشرة آلاف نسخة فى الساعة للفن حسبه الطابعة . والمقلد يمتاز حقا على الناشر الاصلي بما يلي .

١ — يختار احسن الكتب الرائجة فهو يقامر دائما على جواد رابح .

٢ — لا يدفع للمؤلف حق التاليف وهو يكون عادة حول ١٠٪ من ثمن الغلاف .

٣ — يوفر تكاليف الصف والرسم والتصوير والتنفيذ والتصحيح والاخراج .

٤ — يستفيد من السمعة الحسنة للكتاب المقلد وما أنفق عليه من اعلانات .

٥ — يبيع الكتاب بسعر اقل — للاسباب المتقدمة — ويمنح اصحاب المكتبات خصما اعلى من الربح فيضمن ترويجا اكبر .

وقد بلغ من جرأة المقلدين انهم قلدوا بالكتب المدرسية فى المناقصات الحكومية دون أن يكون لهم حق نشرها ، فقد بحثت عليهم طبعوها فى اى مكان ووردوها . ولذلك لجأت الحكومة السعودية الى اشتراط أن يقدم الملتزم بما يثبت ملكيته للكتاب اما اغلب الحكومات الاخرى فترى أن هذا ليس من عملها ، فترسى العطاء على من يقدم ارخص الاسعار وتترك لصاحب الحق ان يقاضيه .

هل يكون الحل ان تنضم الدول العربية جميعا الى معاهدة برن ؟

ان اثنين فقط من الدول العربية قد انضمتا الى هذه المعاهدة وهما لبنان وتونس . ولا شك ان انضمام باقى الدول يعزز مكانة المؤلفين العرب ويساعدهم على حفظ حقوقهم فى الخارج . ولكن القوانين المحلية فى كل بلد عربي تكفى فى الاغلب لمحاربة التقليد لولا ان الاثبات صعب . فليست العلة فى عدم الانضمام لمعاهدة برن ، وانما العلة فى تغاضى الحكومات العربية عن مكافحة هذه القرصنة . ولعل الجامعة العربية تستطيع ان تعمل شيئا جديا فى هذا الصدد بعد ان عقدت حلقة دراسية فى سنة ١٩٦١ وحلقة اخرى فى سنة ١٩٦٩ ولم يترتب عليهما اى تحسن فى الموقف .

الكتاب الميسر والخاص

هل الكتاب سلعة ميسرة Convenience Goods او هو سلعة خاصة Special Good ؟

الواقع أن موضوعه هو الذى يحدد نوعه . فان كان عاما كالمصاحف والكتب الدينية والمدرسية والقصصية ، وكتب الاطفال فهو من السلع الميسرة . وان كان علميا او فنيا ، او ثقافيا ، او من كتب التراث ، او الموسوعات والاطالس والقواميس ، فهو من السلع الخاصة .

والكتب الميسرة يلعب السعر والاخراج فيهما دورا كبيرا فى تكييف الطلب عليها . ثم انها تباع فى المكتبات ويعلن عنها عادة فى الجرائد والمجلات . اما الكتب الخاصة فالمهم فيها موضوعاتها واسماء مؤلفيها وناشريها . والاتجاه فى بيعها يكون الى دور الكتب Libraries والمعاهد العلمية والى الصفوة من القراء . ولذلك يحسن الاعلان عنها برسائل بالبريد Direct Mail وفى الصحف المهنية Trade Papers .

ومهما يكن نوع الكتاب فهو يحمل فى طياته منجم لذهب او بئر افلاس . ان معظم نفقات انتاج الكتاب لا تتأثر كثيرا بعدد النسخ المطبوعة كالصف والتنفيذ والتصوير والتصحيح والمصاريف الادارية كل ذلك يكاد يكون ثابتا بقطع النظر عن التوزيع . وحقوق التاليف لا تقل على كل حال عن حد معين ولا تزيد حتما بنسبة زيادة التوزيع . ومن هنا كانت اهمية التوزيع والتسويق فى تحقيق الارباح . ان الكتاب كلما زاد توزيعه ارتفعت ارباحه بنسب متزايدة ، واذا قلت مبيعاته عن مستوى معين اصبحت خسارته محققة .

واغلب دور النشر تحقق ارباحها حتى الآن من الكتب المدرسية وكتب الاطفال . اما الكتب الثقافية فقلما توزع فى العام اكثر من ثلاثة آلاف نسخة .

وماذا بعد ؟

اما بعد فانى لا اجد ارثيها من القراء بعد هذا البحث خيرا من هذين البيتين لشوقى .

تجد الكتب على النقد كما
تجد الاخوان صدقا وكذابا
فتخيرها كما تختارهم
وادخر فى الصحب والكتب اللبابا

السيد ابو النجا



عشـرة أسـئلة .. وجوائز ١٠٠ دينـار

■ مسابقة هذا العدد تنحصر في عشرة أسئلة عن وطننا العربي .. ذكرنا في نهاية بعضها ثلاث اجابات لتختار الاجابة الصحيحة منها .. وقد تبدو لك بعض الاسئلة صعبة ، ولكننا نرجوك الى الطريقة التي وزعناها مع العدد الماضي الممتاز ستجد الاجابة الصحيحة على بعض الاسئلة .. الاسئلة :

١ ــ ولد أبو العلاء المعري عام ٩٧٩ ميلادية في قرية بشمال سوريا .. وبعد أن سافر الى حلب وبغداد وطرابلس وانطاكية عاد الى بلدته ليعيش فيها معتزلا متزهدا ، فاي هذه الاسماء هو اسم قريته :

دير الزور ــ تدمر ــ معرة النعمان

٢ ــ القائد القرطاجني هنيبعل Hannibal انطلق من مدينة قرطاجنة الى روما ، فحقق عدة انتصارات حربية ، قبل أن يعود (مضطرا) الى قرطاجنة ، حيث انتحر هناك .. حدث هذا منذ ٢١٧٠ سنة تقريبا .. واليوم لم يبق من قرطاجنة سوى اطلال .. ففي أي الدول العربية تقع هذه الاطلال التاريخية .

الجزائر ــ ليبيا ــ تونس

٣ ــ اصبح الدينار والجنيه هما العملة المستعملة في اغلب بلادنا العربية .. ولكن ما زال هناك بلدان يستعملان الليرة . فما اسم هذين البلدين :

المغرب والجزائر ــ اليمن وعمان ــ سوريا ولبنان .

٤ ــ احمد شوقي امير الشعراء الذي توفي عام ١٩٣٢ تعلم الى جانب ثقافته العربية ، في جامعة فرنسية ، فاي جامعة هي :

مونبلييه ــ السوربون ــ ليون

٥ ــ مدينتان .. حفرت مساكنهما ومعابدها في صخور الجبال .. واحدة منهما في الاردن والاخرى في المملكة العربية السعودية ، فما اسماهما :

جرش ــ حائل ــ تبوك ــ البتراء .

٦ ــ ما اسم الدولة العربية التي يخترقها خط الاستواء :

موريتانيا ــ السودان ــ اليمن

٧ ــ مدينة الفيوم تقع قرب بحيرة :

البرلس ــ [illegible] ــ [illegible]

٨ ــ اذكر اسماء ٥ دول عربية تقع سواحلها على مياه البحر الاحمر وخليجه ؟

٩ ــ بلد عربي واحد خلد في علمه شجرة تنمو على اراضيه .. فما اسم البلد وما اسم الشجرة ؟

١٠ ــ ثلاث بلاد عربية تستعمل الهلال والنجمة في اعلامها ، ما اسم هذه الدول الثلاث ؟

شروط المسابقة

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ــ ضع اجاباتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي .

مجلة العربي ــ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٤٨ » .

٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابات الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر أبريل (نيسان) ١٩٧١

٥ ــ كل خطاب يصلنا مرفقا بغير هذه الشروط عرضة لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز

الجوائز

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .

وبعد فرز الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

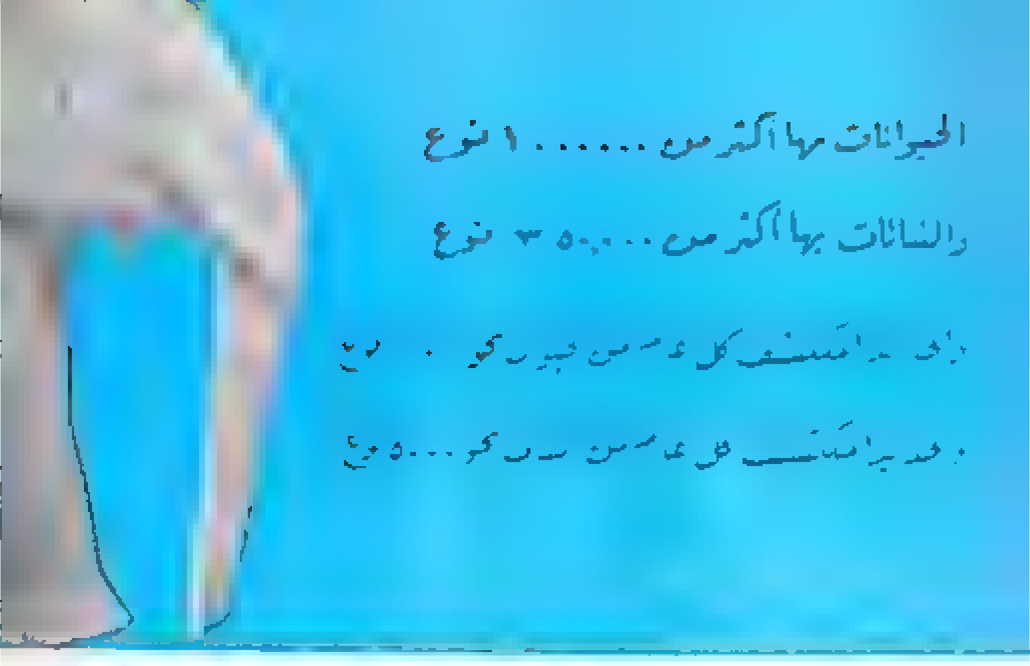


■ الأحياء منتشرة في الأرض اليابسة، وفي الماء وفي الهواء

وهي انواع .

وقد اسألك ان تذكر لي بعض انواع حيوان . في الأرض اليابسة . مما عرفت والقط ؛ فقد تذكر [illegible] الحشرة والحشرة والحشرة ثم تكمل .

وقد اسألك [illegible]



بقلم الدكتور أحمد زكي

عدد الأحياء

ومع ذلك اذا أنت سألت عالما في الحيوان ، أو عالما في النبات

ان علماء الأحياء هؤلاء ، ظلوا في القرون هذه الماضية يحصون من أنواع الأحياء ما يحصون ، وهم بعد جميع يحصون ويحللون ، حتى احتوت سجلاتهم اليوم أكثر من مليون نوع مختلف من الحيوان ، ونحو ٣٥٠٠٠٠ نوع مختلف من النبات . هذا غير حصيلة دائمة يحصلون عليها كل عام ، من نحو [illegible] نوع من الحيوان جديد ، ونحو [illegible] ٥ نوع من النبات ما عرفوه من قبل

وجوه الاختلاف بين الأحياء كثيرة

وهذه الأعداد الهائلة ، من الحيوان أو من النبات ، بينها وجوه من الاختلاف [illegible] في شكل ، وفي بناء [illegible] جسم ، وفي طول عمر [illegible] كثير .

ففي كبر الحجم وضخامته نذكر الحوت الأزرق ، وهو أكبر [illegible] بطوله يبلغ نحو مائة قدم [illegible] [illegible]

ثم شجرة الخشب Redwoods وهي صنف من الأشجار يعلو في الهواء إلى نحو ٣٠٠ قدم ، [illegible] من السنين ، ما بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ سنة . [illegible] حياته قبل أن يبدأ التاريخ الانساني هذا المكتوب .

وكما ان هناك الحيوان الكبير ، فهناك المتوسط والصغير .

وكما ان هنـاك النبات الكبيـر ، هناك كذلك المتوسط والصغير .

وننزل في الحيـوان الى الحشـرات بعدد الاعداد الصغيرة ، ذات الاشكـال والالوان والتراكيب العجيبة . ويقابلها في النباتات الاعشاب كثرة واختلافا .

حتى اذا بلغـا ما دون حدود البصـر الانسـاني ، فاستخدمنا المجهر الضوئي العادي ، او المجهر الالكتروني ، نزلنا في الصغر الى الاعماق ، ووجدنا الحيـاة هناك فيها كثرة وتنوع وتشعب ، مـن حيوان ونبات . حتى اذا نزلنا الى اصغر حيوان ، وهو طفيلي صغير يعرف باسم مكروسبوريـديان Microsporidian ، وجدناه يصغر اكبر الحيوانات ، اعني الحوت الازرق ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مرة .

وجوه الشبه بين الاحياء كثيرة

ومع ما بين الاحياء من اختـلاف ، يوجد بينها الكثيـر من التشـابه ، في حيوانات او نباتات . وهذا امر واضح .

الخلائـق على الارض كالنجوم كثرة

ذكرنا أحيـاء هذه الدنيا ، عـدد اصناف ، وسكتنا عما يوجد في الدنيا من اعداد الصنف الواحد . نقول في الدنيا نوعان Species من الفيلة ، ولكن كم في الدنيا من هذه الفيلة ؟ ونقول في الدنيا من العقارب ٥٠٠ نوع ، ولا نذكر كـم عقارب الدنيـا . ونقـول الثعابيـن ، والثعابين كثيرة الانواع ، وسكت عـن الاعداد الموجودة من كل نوع في الدنيا . ونقول الانسـان ، وهو نوع واحد ، ونكاد ننسى ان عدد هذا النوع في سبيله الى الثلاثة الالاف من الملايين . والحشرات ، كم نوع هي ؟ وكم يوجد في الدنيا مـن كل نوع ؟ ان البعض يقول ان الحشرات من الكثرة ، ومن القـدرة على صـراع الحياة بحيث انها قد تكون وارثة الارض من بعد الانسـان .

انواع الحيوانات الاكثر من مليـون نوع ، تلك التـى سبق ان ذكرنـاها ،



الفيـل

هذه صورة للفيل الافريقي ، وهو احد النوعين الباقيين من الحيـوانات القديمـة ذات الخرطوم. والنوع الاخر هو الفيل الهندي . والذي كان من الفيلة قديما قد انقرض . والفيـل اكبر الحيوانـات ، لا يفوقه في الحجم الا بعض الحيتان في البحر . وقد ادى ثقل جسمه الى ان تكون اطرافه مـن السمك والقـوة بحيث اشبهت الاعمدة وهي من بناء . والفيل لا ياكل الا النبات .



اللبؤة

وهى انثى الاسد . وهما من فصيلة القطط Felidae وتحتوى على النمر والفهد والجوار او النمر الامريكى الاسوانى الرقط ، والقط الوحشى ، والقط المستأنس . وهذه الحيوانات ، وتعرف بالقطط ، Cats تختلف فى الظاهر ، ولكن تتشابه فى الباطن شبها قريبا ، ومن امثلة ذلك انه ليس من السهل التفرقة بين جمجمة اسد وجمجمة نمر .

وانواع النباتات الاكثر من ٣٥٠٠٠٠ نوع ، اذا استبدلنا بها اعداد النسخ الموجودة من كل نوع منها على ظهر هذه الارض ، فى يابسة وماء ، لبلغنا بها اعدادا كاعداد النجوم كثرة .

الانسان
فى زحام هذه الطبيعة

والانسان ، يقف فى اوسط هذه الانواع جميعا ، فى اوسط هذا الزحام ، وينظر ، وتشوقه المعرفة فيبحث ، فيزداد علما .

ولكنه يظل فى هذه المتاهات الواسعة بعيدا عن استيعاب .

حتى يتوسل بوسيلة العقل الاولى فى التحليل والتنظيم والتوضيح ، واولها التقسيم .. للفهم ، ثم الحكم ان كان حكم .

ان الكثير من الناس يحكم قبل ان يفهم ، والعالم يفهم اولا ، وهو ليفهم يجب عليه ان يحلل ويقسم ، ثم هو يحكم .

تقسيم
المملكة الحيوانية
والمملكة النباتية

واسموها مملكة لضخامتها . ان المملكة الواحدة من ممالك بنى الناس يعدون فيها العشرة الملايين والعشرات ، وكل افرادها من نوع من الحيوان واحد ، هو الانسان . فكيف لا نسمى مملكة الحيوان مملكة وبها اكثر من المليون نوع ، عدا ما يوجد بها لكل نوع من نسخ كثيرة !

وكيف لا نسمى مملكة النبات مملكة !

والا فبدا التقسيم نحس على العود ان الذى نريد ان نقسمه لا بد ان يكون فيه صفات تجمع ، وصفات تفرق .

الشعب الحيوانية

وبدأنا بالحيوانات جملة .

ولاحظنا ان بها صنوفا يجرى فى طول اجسامها قضيب صلب اسميناه بالحبل Notochord يتحول احيانا الى سلسلة مكعبة من فقار هى التى نسميها سلسلة الظهر Vertebrate Column ، فجمعنا كل هذه الحيوانات معا ، لهذا الشبه الذى بينها ، واسميناها كلها بالحبليات Chordates ، واسمينا ما تحول منها ظهورها الى سلاسل ظهرية بالفقاريات Vertebrates للذى بها من فقار . ومنها كان القط والارنب والماشية والخيل والضفدع والثعبان والانسان .

واسمينا هذا القسم الكبير الاول من المملكة الحيوانية بالشعبة Phylum .

ونظرنا فيما تبقى من الحيوانات ، وبحثنا عما فيها من اشباه ، فوجدنا مثلا جماعة ، جمع بينها رخاوة الجسم ، وهو جسم تحميه عادة بها غدد تفرز عادة صدفة حجرية للجسم حامية .

وجمعنا هذه الحيوانات معا ، فى





الحمار المخطط
لا يقدر الانسان بجد فرقا بينه وبين الحصان والحمار ، ويجمعها فصيلة واحدة هي « فريدة الحافر » .

سعبة واحدة ، وسميناها الرخويات ومنهـا كانت الحيـوانات الصدفيـة والقواقع .

ونظرنا فيما بقى بعد ذلك ، وكررنا به هذا الاجراء حتى خرجنا على ما يقرب ثلاثين شعبة ، منها العصليات ، والديدان الحلقية ، والديدان المرطحة ، والاسفنجيات وعلم جرا ، نذكرها في غير ترتيب .

الطائفة الحيوانية

ثم رحنا ننظر في كل من احياء هذه الشعب نقسمها بناء على اشياء نراها في بعضها جديدة

ونضرب لذلك مثلا من الشعبة الاولى، شعبة الحبليات ومنها الفقاريات .

وقسمنا هذه الفقاريات الى اسماك ، وبرماليات (تعيش في البر والماء) وزواحف ، وطيور ، وثدييات لها ثدي ترضع بها اولادها . واسمينا كل قسم من هذه بالطائفة Class

ورحنا نقسم كل طائفة الى رتب Orders بناء على ما نتبين بين افراد كل رتبة من اشياء

ولنضرب مثلا بالطائفة الثديية اي الحيوانات ذات الاثداء Mammals ، فهذه قسمناها ، بناء على اشباه فيها ، الى عدة مراتب Orders ، منها القردة ، ومنها القوارض من الحيوانات مثال الفار ، ومنها آكلات اللحوم وعلم جرا

الفصائل الحيوانية

بعد ذلك رحنا نقسم كلا من هذه الرتب الى اقسام .

مثال ذلك اننا قسمنا رتبة آكلات اللحوم الى فصائل Families فكانت منها فصيلة القطط ، وفصيلة الكلبيات، وفصيلة عجول البحر Seals ، وفصيلة الحيتان وعلم جرا

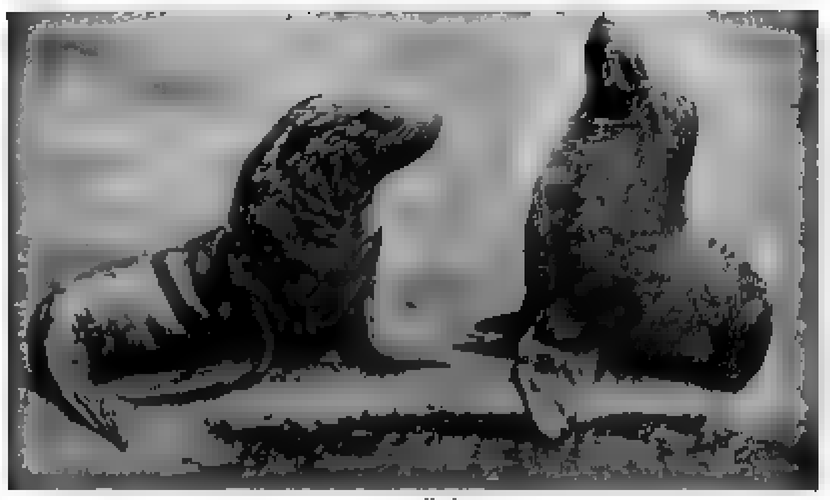
هدفنا كلب لبيبا

والحق اننا هدفنا بهذا التقسيم الى الوصول الى كلب لدينا . لنعرف اين نضع هذا الكلب من المملكة الحيوانية ، وقد اقتربنا .

ففصيلة الكلبيات Family Canidae ، هذه التي ذكرناها تشمل فيما تشمل عليه ، الكلاب والذئاب وبنات آوى ، وقد جمعها العلماء في فصيلة واحدة لما بينها من اشباه . وتقسم هذه الفصيلة الى اجناس Genus ثم تقسم كل جنس الى انواع (Family Species) يكون منها نوع الكلب المستأنس Canis Familiaris الذي هو كلبنا .

لقد رحلنا هذه الرحلة الطويلة في عالم الحيوان ، واقسامه ، حتى وجدنا المحل الذي يجب ان نحتله هذا الكلب من المملكة الحيوانية

ونعلم ان الكلاب المستأنسة تختلف اشكالها ، ولكن كما تختلف البشر ، كلها



عجل البحر

وهو من رتبة زعنفيات Pinnipedia ، أي ذوات الأقدام كالزعانف ، وهي لبونات مائية ، أنواعها تنقسم الى عجل البحر Seal ، أسد البحر Sea Lion ، والفظ Walrus وله نابان طويلان ظاهران في فكه الأعلى .

تلك التغذية الشاملة لكل حيّ . علينا أن نوضح أنها تغذية واحدة ، هدفها واحد . وعلينا أن نوضح أن الجهاز إنما اختلف لاختلاف الطعام واختلاف البيئة ، واختلاف جسم الحي . والغاية واحدة . وعلينا أن نبين أن الجهاز إنما اختلف للمناسبة والملاءمة ، وأن الهدف ظل واحدا .

وعلينا أن نبين أن هذه الأجهزة التي اختلفت ، إنما قامت وأساسها تصميم واحد ، ثم العلائق فيه تبسط حينا ، وتتعقد حينا ، ولكن أصول الرسم الهندسي فيه واحدة ، تدل على أن الرسام واحد .

اختلاف يكشف عن حكمة

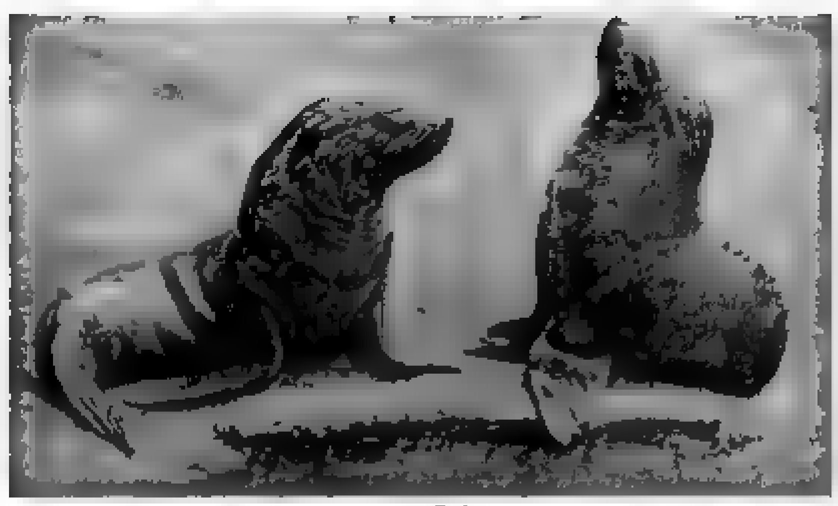
علينا أن نبين ، وسوف نفعل ، أن هذا الخلاف الذي ظهر في أشكال المخلوقات الحية ، فحجب عن النظرة السريعة العابرة ، حجابا مؤقتا عما يختفي تحته من وظائف حياة هي كلها واحدة ، إنما يكشف عن حكمة وحنكة في الصانع الرسام عظيمة : تلك ملاءمة الأعضاء التي يستدعيها لكل بيئة .

في صدر الإنسان رئة تمتلىء بالهواء . والإنسان يعيش في الهواء . فماذا يكون من أمر السمك وهو يعيش في الماء ؟ وليس بالماء إلا الذائب فيه من هواء ؟ والسمك في حاجة الى هذا الهواء ؟ الى أكسجينه لذن قد استبدلت بالرئة الخياشيم يجري فيها الماء بهوائه فيمتص الدم الذي بالخياشيم ما بالماء من أكسجين . أي السمك بذلك يتنفس كالإنسان . أصل من أصول الحياة كان لا بد أن يبقى . ولكن اختلف جهازه لاختلاف بيئته .

وحدة الكون هي في الحي سارية جارية ، واختلاف كذلك جرى فيه ، دليل حكمة وحنكة كذلك سارية جارية .

وهو اختلاف ، إن كان كسف الوحدة كما يكسف القمر الشمس ، فما غيرها وما عطلها . إن الوحدة هناك قائمة في أصول الحياة ، قيام الشمس عند الكسوف مختفيا قرصها وراء قرص القمر .

أحمد زكي



عجل البحر

وهو من رتبة زعنفية Pinnipedia ، أي أن أقدامه كالزعانف . وهي لواحم ، وتنقسم إلى عجل البحر Seal ، وأسد البحر Sea Lion ، والفظ Walrus وله نابان طويلان ظاهران في فكه الأعلى .

تلك التغذية الشاملة لكل حي؟ . علينا أن نوضح أنها تغذية واحدة ، هدفها واحد ، وعلينا أن نوضح أن الجهاز إنما اختلف لاختلاف الطعام واختلاف البيئة ، واختلاف جسم الحي . والغاية واحدة . وعلينا أن نبين أن الجهاز إنما اختلف للمناسبة والملاءمة ، وأن الهدف ظل واحدا .

وعلينا أن نبين أن هذه الأجهزة التي اختلفت ، إنما قامت وأساسها تصميم واحد ، ثم العلائق تبسط حينا ، وتتعقد حينا ، ولكن أصول الرسم الهندسي فيه واحدة ، تدل على أن الرسام واحد .

اختلاف يكشف عن حكمة

علينا أن نبين ، وسوف نفعل ، أن هذا الخلاف الذي ظهر في أشكال المخلوقات الحية ، لحجب عن النظرة السريعة العابرة ، حينا مؤقتا ، ما يختفي تحته من وظائف حياة هي كلها واحدة ، إنما يكشف عن حكمة وحنكة في الصانع الراسم عظيمة : تلك ملاءمة الأعضاء التي يتطلبها لكل بيئة

في صدر الإنسان رئة تمتلىء بالهواء . والإنسان يعيش في الهواء . فماذا نكون من أمر السمك وهو يعيش في الماء ؟ وليس بالماء إلا الذائب فيه من هواء ؟ والسمك في حاجة إلى هذا الهواء ؟ إلى الشعبه التي قد استبدلت بالرئة الخياشيم يجري فيها الماء بهوائه فيختص الدم الذي بالخياشيم ما بالماء من الأكسجين . إن السمك بذلك يتنفس كالإنسان . أصل من أصول الحياة كان لا بد أن يبقى . ولكن اختلف جهازه لاختلاف بيئته .

وحدة الكون هي في الحي سارية جارية
واختلاف كذلك جرى فيه ، دليل حكمة وحنكة كذلك سارية جارية .

وهو اختلاف ، إن كان كسف الوحدة كما يكسف القمر الشمس ، فما سترها ، وما عطلها . إن الوحدة هناك ثابتة في أصول الحياة ، قيام الشمس عند الكسوف مختفيا قرصها وراء قرص القمر .

أحمد زكي



تقبل الانسان من لنفسه وتقبله للآخرين

● اهتم العاملون في ميدان علم النفس خلال السنوات الثلاثين الماضية ، اهتماما خاصا بالعلاقة بين موقف الانسان من نفسه وموقفه من الآخرين . وبعبارة اخرى ، اخذ علماء النفس يتساءلون : هل هنالك علاقة بين قبول الذات وقبول الآخرين ؟ واذا كانت هنالك علاقة فهل هي موجبة ام سالبة ؟ واذا كانت هذه العلاقة موجبة فكيف يمكن استغلالها وخاصة في تغيير مواقف الانسان من نفسه ومن الآخرين ، وجعلها مواقف سوية ؟ »

ابحاث اجريت في المجتمعات الغربية

لقد اجريت ابحاث عديدة في المجتمعات الغربية ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية ، دلت نتائجها على وجود علاقة ايجابية بين مواقف الانسان تجاه نفسه ومواقفه تجاه الآخرين ، بمعنى ان الفرد الذي لديه ... الآخرين [illegible]

بحيث نجد ان كثيرا من [illegible] من الناس ، ومن ظهر حبا لذاته [illegible] رفضه للناس الآخرين

وعلى المستوى النظري قال علماء النفس

وعلى المستوى النظري يعتقد عدد من علماء النفس بوجود علاقة متجانسة بين قبول الذات وقبول الغير من الناس ، فالعالم النفسي « وليم مكدوجال » ([illegible]) ، مثلا ، يعتقد بان الفرد اذا اعتبر الآخرون انه ذكي او نشيط او ماهر او لبيب ... كان ذلك مدعاة لان يعتبر نفسه كذلك . وفي رأيه ان الموقف الفعال من الآخرين على الفرد يجبر الفرد على جعل عواطفه منسجمة مع عواطفهم . ثم جاء عالم النفس « جاردنر ميرفي » ([illegible]) فاكد هذه العلاقة المتجانسة بين موقف الانسان من نفسه وموقفه من الآخرين . وكان عالم النفس [illegible]



بقلم

فرج موسى الريفي

وما بينهما من علاقة

شعوره هذا تجاه نفسه الى اعتبار ان الآخرين هم
مثل كذلك ... كارن هورني ...
مؤكدة ان من كان غير قادر على حب ذاته يصعب
عليه أن يحب غيره من الناس . ثم جاء
« هاري ستاك سوليفان » Harry Sullivan
مؤكدا بنظريته ان الفرد لا يجد في الآخرين ما لا
يجده في ذاته ، وانه ، بشكل عام ، يحكم على غيره
من الناس بنفس الطريقة التي يحكم بها على
نفسه .

غير ان هذه الآراء ما هي الا مجرد آراء نظرية .
ومن هنا نجد انفسنا مضطرين للاستماع الفعلي
في الحقول التجريبية وفي الميادين النفسية والى
نتائج الابحاث النفسية .

لقد ادت الطريقة الحديثة المستعملة في العلاج
النفسي الى نتائج تؤكد ان هناك علاقة جوهرية
بين الطريقة التي ينظر بها الانسان لنفسه وطريقته
في النظر الى غيره من الناس . فالملاحظات
« كارل روجرز » [illegible] Rogers مثلا ، تؤكد
ان الانسان الذي يتقبل ذاته يجد نفسه بالضرورة
متقبلا للآخرين

وفي عام ١٩٤٢ اكتشفت « [illegible] » [illegible]
[illegible] بدراسة حول العلاقة
ووجدت ان معامل الارتباط بين موقف الانسان
من ذاته وموقفه من الآخرين كان (+ ٠٫٥١) بين
صفوف المرضى النفسيين . ومن ناحية احصائية
فان معامل الارتباط (+ ٠٫٥١) يدل على علاقة
ايجابية جوهرية بين رأي الفرد في نفسه ورأيه في
غيره من الناس

... [illegible] ...
عندما فحصت سكنر عشرة من المرضى النفسيين
ووجدت ان ادراك الآخرين والشعور تجاههم
وتقبلهم مرتبط ارتباطا وثيقا بادراك الذات
والشعور تجاه الذات وتقبلها

غير ان ملاحظات العاملين في الميادين النفسية
هذه ، اي بين المرضى قد لا تدل على حقيقة العلاقة
بين موقف الانسان من نفسه وموقفه من الآخرين
بين صفوف الافراد الاسوياء

ابحاث نفسية اجريت على اسوياء

ومن هنا وجب ان نلتفت الآن الى نتائج الابحاث
النفسية التي اجريت على اشخاص اسوياء لمعرفة
مدى العلاقة بين موقف الشخص من نفسه
وموقفه من الآخرين

هنالك دراسات عديدة على افراد اسوياء ليسوا
في عداد المرضى النفسيين . ولقد اجريت هذه
الدراسات لتحديد مدى العلاقة القائمة بين الموقف
من الذات والموقف من الآخرين . ومن هذه
الابحاث النفسية تلك الدراسة التي قام بها عالم
النفس « فيليبس » Phillips ([illegible]) انه وضع
استفتاء يقيس تلك العلاقة ، ثم قدم
استفتائه على (٨١) طالبا جامعيا يدرسون في
جامعة « جورج واشنطن » في الولايات المتحدة
الامريكية ، وبعد ذلك وزعه على (١٣٧) طالبا في
المدارس الثانوية . ووجد ان معامل الارتباط بين
تقبل الذات وتقبل الآخرين كان (+ ٠٫٧٤) بين
صفوف الطلبة الجامعيين ، بينما كان (+ ٠٫٥٤)
بين صفوف طلبة المدارس الثانوية . ومن هنا
قرر « فيليبس » ان احدنا يحترم الآخرين بالمعدل
الذي يحترم فيه نفسه فقط . كما دلت نتائج
دراسته على ان العلاقة الايجابية بين تقبل الذات

وتقبل الآخرين تزداد وتعظم كلما كبر عمر الأفراد .

ثم جاء « بيرجر » E.M. Berger فحسن ذلك الاستبيان الذي استخدمه « فيليبس » ووزعه على طلبة نهاريين وطلبة داخليين يدرسون في جامعة (مينيسوتا) في الولايات المتحدة الامريكية . ووجد « بيرجر » أن معامل الارتباط بين تقبل الذات وتقبل الآخرين كان (+ ٠ر٥١٧) في صفوف الطلبة الداخليين ، بينما كان (+ ٠ر٣٦) في صفوف الطلبة النهاريين .

ثم قامت « روث ولي » Ruth Wylie بدراسة هذه العلاقة فجاءت نتائج دراستها مؤكدة ان الناس يميلون الحكم على الآخرين وتقديرهم تماما كما يحكمون على أنفسهم ويقدرونها .

كذلك قامت « كاترين اوسواكي » Katherine Ostrovsky بدراسة (١١٢) طالبا يدرسون بكلية « اجنس سكوت » في الولايات المتحدة الامريكية ووجدت أن هنالك علاقة وثيقة بين الطريقة التي يصور الانسان فيها ذاته والطريقة التي يصور فيها غيره من الناس .

غير ان « زيلين » S. L. Zelen الذي قام بدراسة (١٤٥) طفلا في الصفوف الابتدائية وجد انه ليست هنالك اية علاقة ايجابية بين تقبل الذات وتقبل الآخرين . اي ان نتائج دراسته جاءت مغايرة ومعاكسة لنتائج الابحاث التي سبقت دراسته . ويمكن تفسير هذه النتائج المغايرة على اساسين ، الاول : هو ان الادوات التي استعملها « زيلين » في دراسته كانت تختلف عن تلك التي استعملها غيره من الباحثين ، والثاني : هو ان الافراد الذين اجريت دراسته عليهم كانوا اطفالا صغار السن .

خلاصة ما تقدم من آراء

نستخلص من كل ما تقدم من الآراء النظرية والمعلومات الميدانية ونتائج الابحاث النواحي التالية :

١ ـ هنالك علاقة ايجابية وثيقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين .

٢ ـ يصحب تغير موقف الانسان من ذاته تغير في موقفه من الآخرين وفي نفس الاتجاه الذي تم فيه ذلك التغير .

٣ ـ كلما كبرت السن كبرت العلاقة الايجابية بين تقبل الذات وتقبل الآخرين الذين يتم الاتصال بهم .

٤ ـ كلما تزداد التفاعل الاجتماعي بين الافراد تزدادت العلاقة الايجابية بين تقبل الذات وتقبل الآخرين بين صفوف هؤلاء الافراد .

٥ ـ يظهر ان العوامل والمتغيرات التي تؤثر في العلاقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين لم يفحصها الداخلون في هذا الميدان فحصا جيدا وكافيا .

دراسة في العالم العربي

ان الدراسات والابحاث السالفة الذكر قد اجريت في مجتمعات غربية وعلى الاخص في الولايات المتحدة الامريكية . ثم ان تلك الدراسات قد ادت الى نتائج فيها بعض التعارض والتناقض مما يدعو للقول بان العلاقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين قد لا تكون ايجابية وقد لا تكون عامة بين الناس في المجتمعات المختلفة . ومن هنا دعت الضرورة للقيام بدراسة هذه العلاقة في مجتمعات العالم المختلفة لايجاد امكان تعميم تلك العلاقة . ومن هنا بالذات وجدت نفسي راغبة ملحة للقيام بدراسة تلك العلاقة في المجتمع الاردني باعتباره بلدا عربيا ، وباعتبار ان ما ينطبق على الاردن قد ينطبق على بقية الاقطار العربية . وهكذا اعددت رسالة الماجستير وجعلت عنوانها : « العلاقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين » .

دراسة ١٦٠ طالبا وطالبة

ولقد اجريت دراستي على (١٦٠) طالبا وطالبة ممن تراوحت اعمارهم بين (١٦) و (١٩) سنة . وكان هؤلاء الطلاب والطالبات ممن يتلقون دراستهم في المدارس الاردنية الحكومية . وكان عدد الطلاب (٨٢) واما عدد الطالبات فكان (٧٨) . ولقد راعيت في هؤلاء ان يكونوا ممثلين النواحي الذين

والجنس واصل السكن ، كما راعيت في هذه العينة ان تكون ممثلة لمختلف المحافظات الاردنية .

واما طريقة البحث والدراسة فتمت باعداد استبيان مؤلف من (٥٢) عبارة ، منها (٢٦) عبارة تعالج موقف الطالب من ذاته ، و (٢٦) عبارة أخرى تعالج موقفه من الآخرين . وقد مزجت العبارات الاثنتين والخمسين بعضها مع بعضها بطريقة عشوائية . وكان على كل من الطلبة المدروسين ان يستجيبوا لكل عبارة من تلك العبارات بان يضعوا اشارة ضمن حقل من حقول خمسة تمثل سلما تدريجيا ليدلوا على حقيقة شعورهم تجاه ما تمثله كل عبارة من هذه العبارات.

واما الاساس الذي بنيت عليه تلك العبارات فهو ما يقدمه علماء النفس من تعاريف لتقبل الذات وتقبل الآخرين . كما رُوعي فيها ان تكون ممثلة لجميع مجالات تقبل الذات وتقبل الآخرين . كذلك وُضعت العبارات بلغة يسهل على المستجيبين فهمها . ولكي تكون استجاباتهم اقرب الى الحقيقة طلب اليهم عدم ذكر اسمائهم او اية اشارة تدل على هوياتهم . كما اعطي لهم الوقت الكافي للاجابة على الاستبيان .

وبعد ان تم تجميع الاستبيان بدأ تفريغ علامات كل طالب وطالبة ، حيث حصل كل طالب وطالبة على تقديرين مختلفين ، الاول . تقدير لتقبل الذات ، والثاني : تقدير لتقبل الآخرين . ثم استخرج معامل الارتباط بين تقبل الذات وتقبل الآخرين لجميع الطالبات والطلاب فوجد انه (+ ٣٨٧٫٠) . ويدل هذا المعامل من ناحية احصائية على علاقة ايجابية جوهرية بين تقبل الذات وتقبل الآخرين لدى هؤلاء الطلاب والطالبات .

وهكذا ، فالنتيجة الرئيسية لدراستنا هذه هي : ان هنالك علاقة ايجابية وثيقة بين تقبل الذات وتقبل الآخرين . فمن احترم ذاته كان بالضرورة محترما للآخرين . ومن احب نفسه وجد محبا الآخرين . ومن وجد رافضا اليه من الناس كان رافضا لنفسه في نفس الوقت . ومن كان يعتقد انه ذكي راقي فانه اعتقاده بان الآخرين اذكياء أيضا .

نتيجة تنطوي على فائدة

تلك نتيجة تنطوي على فائدة عظيمة للآباء والمربين في مجتمعنا العربي . فالآباء والمعلمون يلعبون دورا كبيرا في تغيير مواقف ابنائهم وتلاميذهم تجاه انفسهم وتجاه الآخرين . ولكي يصل الآباء والمعلمون الى هذه الغاية يمكنهم ان يسلكوا احدى الطريقتين التاليتين او كليهما معا :

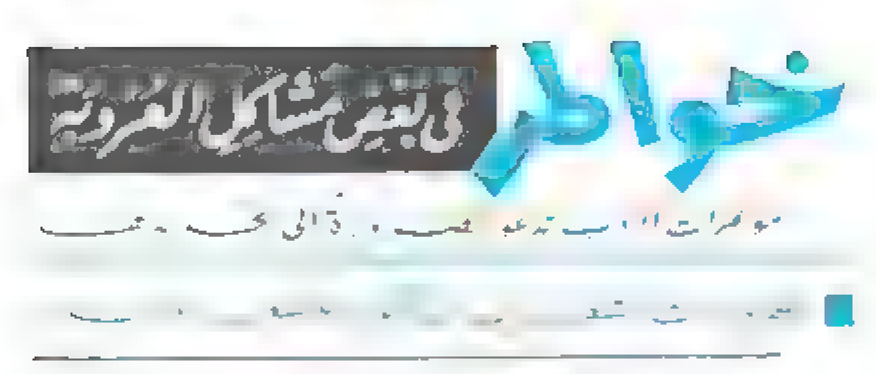
١ – على الآباء والمعلمين ان يجعلوا مواقفهم من ابنائهم وتلاميذهم محبة دائما لهم ، وهذا يساعد الابناء والتلاميذ على تقبل آبائهم ومعلميهم ، وتكون النتيجة بالتالي ان يتقبل الابناء والتلاميذ انفسهم .

٢ – على الآباء والمعلمين ان يشجعوا دوما ابنائهم وتلاميذهم على تقبل انفسهم . واذا ما حصل ذلك تكون النتيجة ان يتقبل الابناء والتلاميذ غيرهم من الناس نتيجة تقبلهم لانفسهم .

يجب على الآباء والمعلمين ان يظهروا تقبلهم لابنائهم وتلاميذهم حتى بنبرات اصواتهم وملامح وجوههم . كما يجب عليهم ان يظهروا دوما ان ابناءهم وتلاميذهم اشخاص مهمون في المجتمع . فالتلميذ الذي يشعر بان الآخرين يتقبلونه يميل عادة للتعاون والتفاعل معهم . وعلى العكس من ذلك فان التلميذ الذي يشعر برفض الآخرين له يميل في الغالب لمناكفة الآخرين وعدم مشاركتهم والتعاون معهم . ذلك ان الافراد يكونون مفاهيم معينة عن انفسهم من خلال تقييم الناس لهم . وهذه المفاهيم عن الذات تؤثر في السلوك حتما .

ومن هنا دعت الضرورة لان يتحكم الآباء والمعلمون بالبيئة المنزلية والمدرسية ويقرروا نوع الخبرة التي يجب على الابناء والتلاميذ ان يحصلوا عليها . واذا كان المعلم ، مثلا ، يعتقد بان الحقائق التي يدرسها للتلميذ مهمة بحد ذاتها فان طريقته التي يقدم فيها تلك الحقائق والمعلومات ليست اقل اهمية منها . ■

فرج الريفي
وزارة التربية والتعليم
عمان – الاردن



بقلم : أحمد السقاف

■ في ربيع عام ١٩٦٨ عقد مؤتمر [illegible]

[illegible]

لشعر هناك نقص في مؤتمر الأدب وفي نكسة كثرة الشعراء المناسبين على حساب الإنشاد القوة والحماس

وعندما نفكر في طريقة تؤدي الى النهوض بهذه المؤتمرات والمهرجانات .

وفي أواخر السنة نفسها ١٩٦٩ أقيمت ببيروت حفلة تأبين لشاعر العروبة الكبير بشارة الخوري واقتصرت الحفلة على بعض شعراء العروبة ، وكانت بحق مثلا رائعا للشعر وبالتالي من النجاح سيظل مذكورا ، ووددنا من صميم قلوبنا ان تحظى جميع المهرجانات الشعرية بمثل ما حظيت به تلك الحفلة من الرونق .

اني شخصيا من المؤمنين بحق بضرورة استمرار تلاقي أبناء العروبة سواء أكانوا شعراء أم كانوا كتابا ، ولكني في الوقت نفسه أومن بنفس الحماس والعمق بضرورة البحث الجاد عن طريقة تؤدي الى نجاح هذه المؤتمرات وهذه المهرجانات ، فمن الظلم لأية دولة عربية ان تتحمل ما تتحمل من إعداد وضيافة وإعلام ، ثم تكون النتيجة تكرارا مملا لما قيل ، مع زيادة في الارتجال وزيادة في الغرض والأسوأ من كل هذا أن يسارع أحد المقرضين بالتأليف والنشر الى طبع ما قدمه الشعراء أو الكتاب من قصائد أو بحوث دون استئذان أو

استثنائي ، ويزداد السوء سوءا حين يطلع الشاعر على قصيدته مطبوعة في كراس مع قصائد الاخرى وهي مشوهة بترجمة غريبة عجيبة مختلفة من الفها الى يائها كقصة من قصص الف ليلة وليله . ولقد حدث هذا بكل يسر وبساطة عقب مؤتمر بغداد . وحين كنت مستغربا جاء الرد غريبا عجيبا . ولقد ازداد شكي بعد الترجمة التي ظهرت لقصيدتي فيما نقرأ من تراجم وسير واخبار . واذا كان هذا قد حدث للأحياء القادرين على التكذيب ، فكيف تكون تراجم الاموات وكيف تكتب سيرهم واخبارهم ! ؟ .

احاديث ملؤها التحريف والتخريف

وعلى اية حال فاننا في هذا الوطن الكبير ما زلنا نعاني من عدم حرمتنا لحقوق الادباء والشعراء وارباب الفن بصورة عامة ، وما زالت الجرأة المتوحشة ترافق تصرفنا تجاه ما يقدمه هؤلاء من عصارة القلب والفكر والاعصاب . ولقد اعتدنا ان نقرأ في صحف يومية او اسبوعية احاديث ملؤها التحريف والتخريف ولكن الناس لا يجعلون من احاديث هذه الصحف مصادر علمية او تاريخية او سياسية يحتجون بها حين يحاضرون او يكتبون، والا فان اي قارئ من قراء صحيفة الصور القاهرية يستطيع ان يقول ان هيفاء السقاف فتاة فلسطينية قتل والدها زوجة اليهود لاغتصابهم فلسطين فاردوه اليهود قتيلا ، وقد نشر هذا الكلام في الصحيفة المذكورة في العدد ٢٤١٢ بتاريخ ١ يناير ١٩٧١ في حديث طويل للمطرب عبد الحليم حافظ عن قصيدة لنزار قباني عنوانها « رسالة » . وحقيقة الامر ان عبد الحليم سمع من ابنتي هيفاء السقاف في احدى زياراته لمنزلي في الكويت قصيدة نزار قباني ، فاعجب بالقصيدة ، وحين دافع عن نزار تذكر — وهو على فراش المرض — القصيدة ، ولا بد انه اتى على ذكر هيفاء السقاف التي قرأت له القصيدة وطلبت منه ان يغني بعض مقاطعها ، ولكن الصحفي الهمام الذي اخذ الحديث اختلط عليه الامر فزعم ان هيفاء هذه فتاة فلسطينية قتل ابوها في فلسطين .

وعلى اية حال بعد ذلك كله فان مؤتمرات الادب ومهرجانات الشعر ستبقى ويجب ان تبقى حافزا تشترك الوزارة في الجماهير على تبادل الزاد في مثل هذه الظروف ، فالامة العربية محتاجة الى الشعراء والادباء الذين يغذون صدور ابنائها عقولا بالمستقبل ، ويشعلون في الوقت نفسه عزائمهم للنضال من اجل غد افضل ، ولن يأتي هذا الغد الافضل الا بعد انقاذ الارض العربية من اطماع الصهيونية العالمية . ولست ادري كيف يبيح الاديب لنفسه ان يغمد خنجره في مشاعر هذه الامة وهو — شاعر او ابي — واحد من ابنائها . يجب عليه ان يضمد جراحها ويخفف من آلامها واحزانها ، والامة لا تكون اكثر حاجة الى الاقلمين من ابنائها الا في الشدائد .

اديب ضل سواء السبيل

وانه لن المؤلم حقا ان نقرأ لاديب مغرور مسرحي امام محنة الاردن في ايلول الماضي ، مقتطفا من مقال يقول فيه .

« كان العرب يتقاتلون وهم يمتطون الدواب وهاهم اليوم يتقاتلون وهم يمتطون الدبابات والسيارات المصفحة فمتى نلغي ادب الصحراء من ممارستنا !! » .

فاذا كان هذا الاديب قد ساءه ما حدث في الاردن فان ما حدث قد هز كيان الامة العربية بأسرها . ولكن ما حدث على بشاعته وهوله لا يجيز لاديب محسوب على هذه الامة او غير محسوب عليها ان يقول ما قال . ويبدو لي ان هذا الاديب لم يسمع عن الحرب الطائفية في ايرلندا الشمالية ، ولم يعرف شيئا عن المعارك الدامية بين البيض والسود في الولايات المتحدة الامريكية . وكلنا يعلم ان فتنة دينية قد هبت في بلد هذا الاديب منذ اكثر من عشر سنوات ولم يعلق احد على تلك الفتنة بمثل هذا التعليق ، وحسبي ان مثل هذه التعليقات الحاقدة انما تصدر عن عقد طائفية مغلفة بالنعرة الاقليمية ومهما انس فلن انسى ذلك الحوار الذي دار بيني وبين هذا الاديب في اواخر عام ١٩٦٩ حول اللغة والقومية ، والحرف العربي والتشكيل . ويعتقد هذا الاديب الذي يلبس

بالعربية ، وينظم الشعر بالعربية ، ويحاضر بالعربية ان رسالته في الحياة تقوم على ثلاث شعب الاولى هدم القومية العربية ، والثانية هدم اللغة العربية ، والثالثة القضاء على الحرف العربي ليحل محله الحرف اللاتيني ، وكفانا بهذا من دعوة كهذه خير هدية تقدم الى اعداء الامة العربية في مثل هذه الظروف .

ان الامة العربية في صراعها الجبار تعتمد على قوميتها في هذه المعركة المصيرية ، ولولا الشعور القومي الذي يشد اواصر الامة العربية من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي لاكتسحت الصهيونية العالمية بمؤازرة الاستعمار سوريه ولبنان وضربت ضربتها في العراق وامتدت غربا الى دلتا النيل وهبطت جنوبا الى مكة .

ولولا اللغة العربية

ولولا اللغة العربية التي توحد شعور ومشاعر ابناء الشعب العربي لما شعر المصري بما يعانيه الفلسطيني ولما فهم المغربي ما يجري في مشرقه العربي من احداث .

اما الحرف العربي فانه برشاقته وبساطته افضل مائة مرة ومرة من الحرف اللاتيني ، والدعوة الى هجره واحلال الحرف اللاتيني محله كانت محاولة من نفر يعد على اصابع اليد او هم اقل في زمن كانت فيه البلاد العربية تنوء باغلال الاستعمار . اما اليوم فقد شب عمرو عن الطوق كما يقول المثل ، وهيهات ثم هيهات ان تعود عقارب الساعة الى الوراء ، فقد تخلصت الامة العربية من ذلك الهراء الرخيص وكشفت هذه الامة باصالتها المعهودة المقاصد الخبيثة لاولئك الدعاة . ولا انكر بعد هذا ان اللغة العربية تواجه تحديا عنيفا في هذا العصر بسبب كثرة الاختراعات العلمية وما يصاحب هذه الاختراعات من اسماء جديدة يصعب على اللغة العربية بوضعها الراهن اللحاق بها ، ولكني على ثقة من ان اللغة العربية تستطيع ان تقرب المسافة بينها وبين هذه الوثبة العلمية الجبارة اذا تنبه اولو الشأن الى ما يجب ان يكون .

مشروعان جليلان

ولقد سررت ذات يوم لخبر قرأته في احدى صحف الكويت عن تصريح لرئيس الوزراء يقول فيه انه يفكر في طريقة لعودة الادمغة العلمية العربية من مهاجرها الغربية ليكون علمها وجهدها لخير الامة العربية، ولا شك ان الكويت تستطيع كما تستطيع ليبيا وبعض بلدان الخليج العربي ان تتبنى مثل هذا المشروع ، وتضيف عليه مشروعا آخر هو انشاء مركز ذي شأن لتعريب كافة الاسماء العلمية وما يجود به عصر التكنولوجيا من مصطلحات ، ولا انكر ان هذين المشروعين الجليلين ـ مشروع اعادة الادمغة العلمية العربية الى الوطن العربي ومشروع مركز التعريب ما يجود به العلم الحديث من اسماء جديدة لمخترعات علمية جديدة كل يوم ، يحتاجان الى تضافر الجهود العربية مجتمعة . والوحدة العربية ان كنا من دعاتها حقا لن تتحقق بالسحر والشعوذة والتنويم المغناطيسي وانما يجب ان يبذل في سبيل تحقيقها جهد ضخم متواصل يشمل كافة المجالات الهامة وفي مقدمة هذه المجالات ، المجالات العلمية كتوحيد مناهج التعليم ، وتبادل الخبرات العلمية بين الاقطار العربية والمشاركة في المشاريع الكبيرة ذات النفع المشترك .

الصهيونية العالمية في حركة دائبة لا تفتر ابدا

ان الصهيونية العالمية قد حزمت امرها منذ امد بعيد ، واستطاعت ان تشد الى مخططات جنسها اكثر من ثلاثة عشر مليونا من اليهود ، ونحن نراهم راي العين يتحركون كالدمى المشدودة في كل اتجاه ترسمه الصهيونية ان يتحركوا اليه ، ففي الولايات المتحدة الامريكية نسف وتدمير لسفارات بعض الدول المناصرة للقضية العربية ، وآخر هجوم سافر احمق لهذه العصابات وقع في ١٧ يناير على مقر وفد الجمهورية العربية المتحدة بهيئة الامم المتحدة في نيويورك ، وفي استراليا هجوم بالقنابل على بعض السفارات التي ترفض حكوماتها الاذعان لمطالب الصهيونية ، وفي باريس والمانيا الغربية وفي ايطاليا وفي لندن نشاط صهيوني

تتجلى مظاهره في وسائل الاعلام وفي المظاهرات واعمال الشغب والعنف ، ولم تسلم الدول الافريقية من هذا النشاط الهستيري المحموم . وعلى سبيل المثال سمع من يهودي اسمه « لويس زكي » بمدينة « بورت اليزابث » بجنوب افريقيا يوجه نداء ليهود المدينة يقول لهم فيه « تبرعوا الى ان يؤلمكم التبرع الى ان تشعروا بألم حقيقي » وفي باريس يوجه الثري اليهودي البارون « روتشلد » نداء الى اليهود الفرنسيين البالغ عددهم نصف مليون يطالبهم بأن يتبرع كل واحد منهم بعشر دخله للمساهمة في بناء الدولة اليهودية .

ويعتقد اليهود ان الدولة اليهودية التي خلقتها الصهيونية والاستعمار في فلسطين ليست للمقيمين فيها اليوم وانما هي ليهود العالم كافة وهم لذلك لا يتأخرون في مدها بالاموال والرجال ، ومن هنا يتضح الخطر الرهيب الذي يهدد الوطن العربي بأسره ، وللمنظمات الصهيونية العالمية مراكز في شتى انحاء العالم لنشر الدعوة لدولة الظلم والاغتصاب ولجباية الاموال وتشجيع المتطوعين من اليهود على السفر الى فلسطين ، ولاسيما ان اكبر جالية يهودية في العالم هي الجالية المقيمة في الولايات المتحدة الامريكية وعددها لا يقل عن ستة ملايين نسمة ، ولديها اكثر من الالف مركز في المدن الامريكية ترتبط بالمركز الرئيسي المعروف باسم « النداء اليهودي المتحد » بنيويورك . وهذه المراكز تقوم بعمل جبار في ميادين الصحافة والاذاعة والتلفزيون . وحينما يقومون بجمع التبرعات فان لديهم من الاساليب ما يمكنهم من جمع المبالغ الطائلة ، ولقد قدر المحصون لنشاط هذه المراكز عدد الحفلات السنوية التي تقيمها لجمع التبرعات لدولة الاغتصاب فوجدوا ان هذه الحفلات لا تقل عن عشرين الف حفلة في السنة الواحدة ، عدا الحفلات الخاصة التي يقيمها الاثرياء في منازلهم لخزانة الحركة الصهيونية .

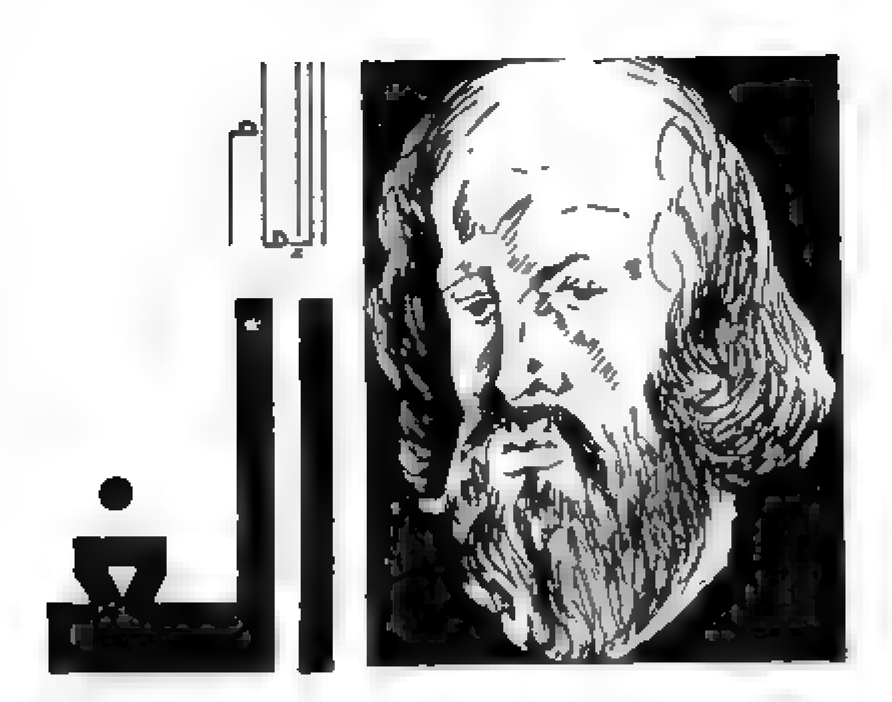
نهيب بأبناء الأمة العربية

هذا وانا لا نريد ان نحصي ما تقوم به المنظمات الصهيونية في شتى انحاء العالم فهذا امر يطول شرحه كثيرا كثيرا ، ولكننا نود ان نهيب بابناء الامة العربية ان يكونوا اكثر وعيا لهذه المرحلة الخطيرة من حياتهم وان يصمدوا ويناضلوا بنفس طويل فالصراع مع الصهيونية طويل والله ان الاوان لنبذ الاحقاد وتناسي الخلافات وليعلم العرب كافة ان الخطر الصهيوني لا يتهدد فريقا منهم دون فريق وعلى الحكومات العربية الوطنية مهما اختلفت نظم الحكم فيها ، ان تدرك انها في امتحان عسير ، فاما ان تبرهن عن صدق ايمانها بقومية هذا الصراع ، واما ان تستسلم « لنكبة » لها الاخطار .

الكويت ـ احمد السقاف

هكذا تسوس العامة

● جلس المهدي يوما للناس ، فدخل عليه رجل وفي يده نعل ملفوفة بمنديل ، فقال يا امير المؤمنين هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اهديتها لك . فقال المهدي هاتها فدفعها اليه فقبلها ، وامر للرجل بعشرة الاف درهم ، فلما اخذها وانصرف قال المهدي لجلسائه : اترون اني لم اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلا عن ان يكون لبسها ، ولو كذبناه قال للناس اتيت امير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها علي ، وكان من يصدقه اكثر ممن يدفع خبره ، اذ كان من شأن العامة ميلها الى اشكالها والنصر للضعيف على القوي وان كان ظالما ، فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله ورأينا الذي فعلناه انجح وارجح .



بقلم : نقولا زيادة

■ ولد الإمام الغزالي في طوس سنة ٤٥٠ للهجرة (١٠٥٨ للميلاد) وتوفي فيها سنة ٥٠٥ (١١١١م). وبين هذين التاريخين عاش الإمام الغزالي حياة مليئة بطلب العلم والتأمل فيه، والمشاركة العلمية، ودرس الفلسفة والعناية بالفقه واتباع التصوف. وهذه التجارب الروحية والعقلية والفكرية التي مر بها من أغنى ما عرف الفكر الإسلامي قاطبة. وقد كانت نتيجتها عددا كبيرا من المؤلفات تتفاوت في الحجم بين المنقذ من الضلال وأمثاله في الجهة الواحدة، وإحياء علوم الدين في الجهة الأخرى.

عصر الغزالي

والسنون التي عاشها الغزالي تتوسط تماما فترة تمتد من أول القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) الى أواسط القرن السابع (الثالث عشر). وهي فترة عرفت فيها الخلافة العباسية وسلطات بغداد تقلبا في السياسة وتنوعا في الحكم وارتفاعا وانخفاضا في السلطة المركزية. بدأت الفترة بتغلب الجنود الأتراك على عاصمة الخلافة وتلا ذلك (أواسط القرن الرابع) قيام البويهيين وتسلطهم على الخلفاء. وجاء السلاجقة قبيل مولد الغزالي الى بغداد حيث تولوا الحكم الا أن الخليفة القائم رحب بهم ولقب طغرل بك بـ « السلطان » ومنحه سلطات معينة. ومع أن السلاجقة اتبعوا أسلوب الحل والربط في أجزاء مختلفة من الامبراطورية، فإن العلاقات بقيت بينهم حتى أواسط القرن السادس (الثاني عشر).

وتتفق حياة الغزالي مع ثلاثة من مشاهير السلاجقة وهم السلاطين طغرل بك ٤٢٩ ــ ٤٥٥ (١٠٣٨ ــ ١٠٦٣) والب ارسلان ٤٥٥ ــ ٤٦٥ (١٠٦٣ ــ ١٠٧٢) وملكشاه ٤٦٥ ــ ٤٨٥ (١٠٧٢ ــ ١٠٩٢). الا ان السنوات الأخيرة من عمره اتفقت مع عهد بركيارق ٤٨٧ ــ ٤٩٨ (١٠٩٤ ــ ١١٠٤) ومحمد ٤٩٨ ــ ٥١١ (١١٠٥



ـ ١١١٨) ، اللذين لم يكونا في مستوى الأولين وعنى كل ذلك أن القسم الأكبر من حياة الغزالي مر في عهد منظم نسبيا . ولا شك أن الوزير السلجوقي نظام الملك ، الذي وزر لكل من الب ارسلان وملكشاه ، فضلا كبيرا على سير أمور الدين والدنيا في ذلك الوقت .

عصر ازدهار التصوف

على أنه جدير بنا أن نذكر أمورا أخرى كان لها أثر في حياة الغزالي بالإضافة إلى الوضع السياسي . ففي أيامه كانت آثار الاتصال بين الفكر الإسلامي والفكر الفلسفي اليوناني قد بدت واضحة ، والتأثر والتأثير كانا قد عرفا تماما . والعصر الذي عاش فيه الغزالي كان عصر ازدهار التصوف ، بعد أن اتخذت طرق وفلسفات واتجاهات معروفة بينة . إلى هذا يجب أن نضيف نضج علم الكلام والتقليد في أمور الفقه والشريعة . كل هذه الأمور عاشها الغزالي بعقله وقلبه وكان لها في تجاربه الروحية والفكرية أثر كبير ، ولذلك كانت محاولة الغزالي في توضيح معالم التفكير الإسلامي كبيرا ، وليس بالغريب أن يسمى حجة الإسلام .

حياة الغزالي

ولد الغزالي بطوس سنة ٤٥٠ (١٠٥٨) كما سبق أن ذكرنا وتلقى علومه الأولى هناك ، ثم انتقل إلى نيسابور حيث لازم الإمام الجويني إمام الحرمين ، حتى وفاة هذا الأخير سنة ٤٧٨ (١٠٨٥) . وعندها انتقل إلى صحبة الوزير نظام الملك حيث انضم إلى نصحائه ومستشاريه . وعهد إليه الوزير أن يقوم بالتدريس في المدرسة النظامية التي كان قد أنشأها نظام الملك ببغداد ، فقام بذلك بدءا من سنة ٤٨٤ (١٠٩١) واستمر في عمله إلى سنة ٤٨٨ (١٠٩٥) ، مع أن نظام الملك قتله الإسماعيلية سنة ٤٨٥ (١٠٩٢) . وقد تحققت له في التدريس شهرة ، فأقبل الطلاب عليه من كل حدب وصوب ، حتى بلغ عددهم نحو ثلاثمئة طالب .

أزمات نفسية

الا ان الغزالي كانت تنتوره ازمات نفسية اشتدت عليه في ذلك الوقت حتى انه اعتزل التدريس في النظامية وخرج من بغداد فاقسم سنتين بين دمشق وبيت المقدس وادى فريضة الحج ٤٨٩ – ٤٩٠ (١٠٩٦ – ١٠٩٧) ، وعاد الى بلاده ، لكنه لم يشتغل بالحياة العامة حتى سنة ٤٩٩ (١١٠٦) حيث التحق بنظامية نيسابور بناء على الحاح فخر الملك بن نظام الملك ، ولكنه لم يلبث في عمله سوى سنة وبعض السنة . ذلك بانه بعد ان اغتال الاسماعيلية فخر الملك سنة ٥٠٠ (١١٠٦) ، ترك الامام الغزالي نيسابور وعاد الى مسقط راسه طوس حيث عاش حياة تامل وتعليم الى الاشراف على خانقاه (زاوية) الصوفية ، حتى تغمده الله برحمته سنة ٥٠٥ (١١١١)

كتابه المنقذ من الضلال

لسنا نقصد في هذا المقال الى التحدث عن الامام الغزالي ومنزلته في عالم الفكر الاسلامي ، فذلك امر يحتاج الى اكثر من مقال واحد . ولسنا ننوي حتى التحدث عن مؤلفاته الكثيرة ولو عرضا . ولكننا نود ان نقف عند هذا الكتاب الصغير من كتبه الذي سماه « المنقذ من الضلال » ، وتتمة الاسم هي « والموصل الى ذي العزة والجلال » .

فما هو هذا الكتاب ؟

يذكر الامام الغزالي في فاتحة كتابه ان اخا في الدين ساله ان يبث اليه « غاية العلوم واسرارها وغائلة المذاهب واغوارها » وان يحكي له ما قاساه « في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق » . والسائل المجهول ، على ما يبدو من فاتحة المنقذ ، كان يعرف ان الامام الغزالي قد مرت به ازمات نفسية حادة ، فقد طلب اليه ان يوضحها . او لعل الغزالي نفسه وجد انه لا يستطيع ان يوضح غاية العلوم واسرارها ومقاساته في استخلاص الحق دون ان يبين ، ولو بشكل مختصر ، ما مر به من ازمات تحدث عنها . ومع ان الغزالي لم يفصل الدقائق ، فالواقع ان في الذي كتبه الكثير الكثير من النظرة العميقة الثاقبة بحيث ان قراءة هذا الكتاب الصغير بعناية تضع بين ايدينا سيرة ذاتية عقلية روحية لهذا العقل الفذ . ولتقرر قبل كل شيء بضعة امور توضح لنا مراحل تفكير الغزالي على ما تبدو في المنقذ .

امور توضح مراحل تفكير الغزالي

١ – ارتفع الغزالي عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار ، وكان هذا في وقت مبكر في حياته .

٢ – انصرف عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة ثم عاوده بنيسابور بعد عشر سنوات ونيف .

٣ – لم يزل منذ عنفوان شبابه وريعان عمره قبل بلوغ العشرين وهو يقتحم لجة هذا البحر (اي اختلاف الخلق في الاديان والملل ثم اختلاف الائمة والمذاهب ، على كثرة الفرق وتباين الطرق) ويخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور .

٤ – ان هذا استمر الى ان نيف على الخمسين من عمره اي انه وضع كتاب المنقذ من الضلال وهو يدرس في نيسابور . ولعله في ذلك الوقت كان قد توصل الى حقائق الايمان ، واطمان نفسيا الى ذلك .

٥ – ان التعطش الى درك حقائق الامور كان دابه وديدنه غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلته لا باختياره وحيلته .

٦ – انه نظر في نيته في التدريس (في بغداد) فوجدها انها غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت .

٧ – هنا تردد ستة شهور في ترك التدريس والانقطاع عن الدنيا . وفي ذلك يقول :

« فلم ازل اتفكر فيه مدة ، وانا بعد على مقام الاختيار ، اصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الاحوال يوما ، واحل العزم يوما ، واقدم فيه رجلا واؤخر عنه اخرى . لا تصدق لي رغبة في طلب الاخرة بكرة ، الا ويحمل عليها جند الشهوة حملة فيفترها عشية . فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها الى المقام ، ومنادي الايمان ينادي : الرحيل ! الرحيل ! فلم يبق من العمر الا قليل ، وبين يديك السفر الطويل ، وجميع ما انت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل ! فان لم تستعد الآن للاخرة فمتى تستعد ؟ وان لم تقطع الآن (هذه العلائق) فمتى

تقطع ؟ فعند ذلك تنبعث الداعية ، وينجزم العزم على الهرب والفرار .

ثم يعود الشيطان ويقول : « هذه حال عارضة ، اياك ان تطاوعها ، فانها سريعة الزوال ، فان اذعنت لها وتركت هذا الجاه العريض ، والشأن المنظوم الخالي عن التكدير والتنغيص ، والامر المسلم الصافي عن منازعة الخصوم ، ربما التفتت اليه نفسك ، ولا يتيسر لك المعاودة . »

فلم ازل اتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ، ودواعي الآخرة ، قريبا من ستة اشهر ، اولها رجب سنة ثمان وثمانين واربع مائة . وفي هذا الشهر جاوز الامر حد الاختيار الى الاضطرار ، اذ اقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس ، فكنت اجاهد نفسي ان ادرس يوما واحدا تطييبا للقلوب المختلفة (الي) ، فكان لا ينطق لساني بكلمة (واحدة) ولا استطيعها البتة ، حتى اورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب ، بطلت معه قوة الهضم ومراءة الطعام والشراب : فكان لا ينساغ لي ثريد ، ولا تنهضم (لي) لقمة ، وتعدى الى ضعف القوى ، حتى قطع الاطباء طمعهم من العلاج وقالوا : « هذا امر نزل بالقلب ، ومنه سرى الى المزاج ، فلا سبيل اليه بالعلاج ، الا بان يتروح السر عن الهم الملم » .

٨ – فلما استقر رأيه وصدق عزمه فارق بغداد وفرق ما معه من المال ، ولم يدخر الا قدر الكفاف وقوت الاطفال .

٩ – عندما دخل الشام واقام قريبا من سنتين لا شغل له الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة . فكان يعتكف مدة في مسجد دمشق ، يصعد منارة المسجد طول النهار ويغلق بابها على نفسه .

١٠ – وتحركت فيه داعية فريضة الحج ، والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله بعد الفراغ من زيارة الخليل فسار الى الحجاز .

١١ – ثم جذبته الهمم ودعوات الاطفال الى الوطن فعاوده بعد ان كان ابعد الخلق عن الرجوع اليه ، فآثر العزلة به ايضا حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر .

١٢ – دام على ذلك عشر سنين وتزيد .

١٣ – ثم رأى اصناف الخلق قد ضعف ايمانهم وجاء طلب ناحية سلطان الوقت ، اي فخر الملك ، بالذهاب الى نيسابور ، فتشاور في ذلك جماعة فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة فخرج من بغداد سنة ٤٨٨ (١٠٩٥ م) بعد عزلة استمرت احدى عشرة سنة ، الى نيسابور . وهناك اخذ يدعو « الى العلم الذي به يترك الجاه ، ويعرف به سقوط رتبة الجاه » . ويقول الغزالي عن فترة التعليم بنيسابور « هذا هو الآن نيتي وقصدي وامنيتي . وانا ابغي ان اصلح نفسي وغيري . ولست ادري اصل الى مرادي ام اخترم دون غرضي ؟ ولكني اومن ايمان يقين ومشاهدة انه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، واني لم اتحرك لكنه حركني ، واني لم اعمل لكنه استعملني فاسأله ان يصلحني اولا ثم يصلح بي ، ويهديني ثم يهدي بي ، وان يريني الحق حقا ويرزقني اتباعه ، ويريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه »

ما الذي انتهى اليه الغزالي بعد رحلته الروحية الطويلة

والسؤال الذي يدور في ذهن كل منا الآن – ما الذي انتهى اليه الغزالي بعد هذه الرحلة الروحية الطويلة التي دامت نيفا وثلاثين سنة ؟

وقبل الاجابة عن هذا السؤال يتحتم علينا ان نسير مع الغزالي في المنقذ متتبعين تفاصيل رحلته في مجالات العلم والمعرفة كما جربها واختبرها حتى خلص منها الى النتيجة الحاسمة – الايمان .

اصناف الطالبين للمعرفة عند الغزالي

يلخص الغزالي اصناف الطالبين للمعرفة عنده في اربع فرق وهم .

(١) المتكلمون الذين يدعون انهم اهل الرأي والنظر .

(٢) الباطنية الذين يزعمون بانهم اصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم .

(٣) الفلاسفة الذين يزعمون انهم اهل المنطق والبرهان .

(٤) الصوفية الذين يدعون انهم خواص الحضرة واهل المشاهدة والمكاشفة .

واخذ الغزالي نفسه بسلوك هذه الطرق ليتعرف الى اصولها واسسها ونظرتها ووجهتها . فما الذي وجده عند كل منها ؟

ما كان من علم الكلام عند الغزالي

وهذا الترتيب هو الترتيب الذي سار عليه الغزالي في محاولاته الفكرية. فقد كان من الطبيعي أن يبدأ بعلم الكلام، وهو أول ما تثقف بشئونه على أيدي امام الحرمين ومن اليه. وعلم الكلام بما فيه من نقد وتقليد كان أول ما استحضره الغزالي في السنوات التي اتصل فيها بنظام الملك قبل ذهابه للتدريس في نظامية بغداد. وقد وصف الغزالي علم الكلام بقوله.

ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي .... لما نشأت صنعة الكلام، وكثر الخوض فيه وطالت المدة، تشوق المتكلمون الى محاولة الذب عن السنة بالبحث عن حقائق الامور (لا بقبول التقليد أو الاجماع فحسب)، وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها. ولكن لما لم يكن ذلك (أي البحث عن الحقائق والجواهر) مقصود علمهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلاف الخلق

ما كان من أمر الفلسفة عند الغزالي

في الوقت الذي كان فيه الغزالي يدرس العلوم الشرعية ويصنف فيها كان يختلس الأوقات في تحصيل الفلسفة من الكتب بدون استاذ، وصرف في ذلك ثلاث سنوات وقف خلالها على ما في الفلسفة من ضعف. ولسنا نزعم، ولا نحسب أن هناك من يزعم، أن الغزالي طوى صفحة الفلسفة بعد ذلك الى غير رجعة. فما كان لرجل له مثل الغزالي الديناميكي اليقظ العقل أن يغفل عن ناحية من نواحي الحياة الفكرية اغفالا نهائيا.

والغزالي يعدد في المنقذ أصناف الفلاسفة وأقسام علومهم. ويرى أن الفلاسفة «على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والالحاد، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين، وبين الأواخر منهم والأوائل، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه».

الغزالي يحقق الطمأنينة بما يبعد الشك عن نفسه

فما هي الزاوية التي نظر منها الغزالي الى الفلاسفة والفلسفة حتى قال عنهم ما قال؟ الغزالي كان يجتاز أزمة فكرية روحية. لذلك كان يبحث عما يبعد الشك والتشكيك عن نفسه، ويزيل غشاوته عن عينيه وعن قلبه. وقد نظر الى الفلاسفة من زاوية مطابقتها للعقيدة والايمان، فقد وجد:

(١) أن الفلاسفة (أو بعضهم على الأقل) قد آمنوا بالله وصفاته ولكنهم جحدوا اليوم الآخر

(٢) وأنهم لم يقبلوا (في الأمور الالهية) حشر الأجساد وقالوا بأن الثواب والعقاب هي للأرواح المجردة، والمثوبات والعقوبات روحانية لا جسمانية.

(٣) وأنهم قالوا ان الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات.

(٤) وقالوا بقدم العالم وأزليته وفي هذا تسوية بين الخالق والمخلوق.

وهذه الأمور المجملة هنا فصلها الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة».

والذي وصل اليه الغزالي من درس الفلسفة والفلاسفة هو «أن العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات».

ما كان من الجماعة الباطنية والإسماعيلية عند الغزالي

بعد الفراغ من علم الفلسفة عنّ له أن يبحث عن مقالات التعليمية أي الجماعة الباطنية وخاصة الاسماعيلية. وقد اتفقت هذه الرغبة مع ورود «أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم ... فصار ذلك مستحثا من خارج وضميمة للباعث الأصلي من الباطن». ويبدو أن الغزالي شغل بالباطنية زمنا. فهم لم يكونوا كالفلاسفة أصحاب رأي فحسب، بل كانوا كثرة من الناس لهم تعاليم وعقائد ومطامع، وكان لهم أيام البويهيين والسامانيين شأن، كما أنه في الوقت الذي كان فيه الغزالي يقارعهم الحجة كانت لهم في القاهرة خلافة قائمة. وقد صنف الغزالي في الرد على الباطنية ومقارعتهم

العجيبة خمسة كتب على الاقل هي : « المستظهري » و « حجة الحق » و « مفصل الخلاف » و « الدرج المرقوم بالجداول » و « القسطاس المستقيم » . واذا نحن اخذنا بما جاء في المنقذ ، وهو الآن موضع اهتمامنا ، فالنقطة الرئيسية التي حاج فيها الغزالي اهل التعليم هي موقفهم من نظرية الامام المعصوم . وهو لا يقبل الا بمعلم معصوم واحد هو محمد رسول الله . وانتهى الامر بالغزالي ، على حد تعبيره ، الى ان نفض اليد منهم .

في كتبه المتعددة ، سواء اكان يبني نظرية او يهدم هيكلا او يحاج فئة من الناس ، كان الغزالي يجمع بين اجمل قراءة الحجج والبينات ويعرض التفاصيل ويبني ويشير القارىء بذلك كله فيتعلم منه القارىء . لكن في المنقذ لم يكن الغزالي معنيا بالتفاصيل ، لذلك فانه كان يتناول القضايا الاساسية لآرائه والقواعد التي تبنى عليها مذاهب الآخرين التي نقضها . ونلاحظ ان موقفه من علم الكلام والفلسفة والباطنية كان موقفا سلبيا .

موقف الغزالي من الصوفيه

فماذا كان موقفه من الصوفية ، كما عرضه في المنقذ ؟

يختلف الامر مع الصوفية بالنسبة للغزالي . فهو لم يتعرف اليهم ليبين اخطاءهم او يرفض امورهم . ذلك بان الغزالي ، على ما يرد في المنقذ ، لما همّ بالتعرف الى طرق الصوفية ، وقرأ ما كتبوا ، رأى ان الامر الاهم بالنسبة اليهم هو العمل الذي يكتسب بالذوق والسلوك . واتجه الى هذا يتعرف اليه واقعا . ثانيا انه كان قد حصل معه من العلوم التي مارسها والمسالك التي سلكها في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية « ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر » . ويؤكد الغزالي ان هذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت قد رسخت في نفسه لا بدليل معين محرر ، بل باسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها . ثالثا انه كان يجتاز ازمته النفسية العنيفة التي مر بنا ذكرها .

ولقد دخل التجربة الصوفية وهو في هذه الحالة . وافاد من التجربة كثيرا . فقد صفت بحارسه واختباراته ، وصفت معها حياته ، واتضحت اهدافه وغاياته . ويذكر ، توضيحا لموقفه بعد الخلوة التي دامت بها وعشر سنين ، امورا عن الصوفية يمكن تلخيصها فيما يلي :

(١) ان الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى ، « فان جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتبسة من نور مشكاة النبوة ، وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به . »

(٢) « ان طريقهم هي استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله . »

(٣) الخطأ في بعض الصوفية انهم قد ينتهي بهم الامر بحيث يكادون يتخيلون الحلول والاتحاد والوصول . وهذه الطوائف على خطأ ، وقد اشار الغزالي اخطاءها في كتاب « المقصد الاسنى » .

(٤) بان للغزالي بالضرورة من ممارسة طرق الصوفية حقيقة النبوة وخاصيتها .

وحري بالذكر ان الغزالي ، بعد ان عرف هذه الصوفية الصحيحة اكبر على التمسك بها حتى آخر حياته . وكان اثره في رد التصوف الى حظيرة النبوة كبيرا .

ونعود الى السؤال : ما الذي انتهى اليه الغزالي ؟

ونعود الآن الى السؤال الذي سألناه قبلا وهو « ما الذي انتهى اليه الغزالي بعد هذه الرحلة الروحية الطويلة التي دامت نيفا وثلاثين سنة » ؟

والغزالي يجيب على هذا في المنقذ .

(١) « ان جوهر الانسان في اصل الفطرة ، خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله (تعالى) ، والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله تعالى ، كما قال : « وما يعلم جنود ربك الا هو » وانما خبره من العوالم بواسطة الادراك ، وكل ادراك من الادراكات خلق ليطلع الانسان به على عالم من الموجودات ، ونعني بالعوالم ، اجناس الموجودات » .

(٢) « وراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين اخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل ، وامورا آخر ، العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن ادراك المعقولات وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز » .

(٣) ان الناس ضلوا السبيل واختلطت عليهم الامور ، وحتى جماعة من المتصوفة جرفهم التيار .

(٤) بانتهاء الازمة النفسية وعودة الغزالي

الى الهدوء النفسي بسبب الايمان الذي ملأ قلبه ونفسه ، اخذ يفكر بالخروج من العزلة للتعليم والاصلاح . وفي ذلك يقول :

« فلما رأيت أصناف الخلق قد ضعف ايمانهم الى هذا الحد بهذه الاسباب ، ورأيت نفسي جديرة بكشف هذه الشبهة ، حتى كان افتضاح هؤلاء ايسر عندي من شربة ماء ، لكثرة خوضي في علومهم وطرقهم – اعني طرق الصوفية والفلاسفة والتعليمية والمتوسمين من العلماء – ، فانقدح في نفسي أن ذلك متعين في هذا الوقت ، محتوم . فماذا تغنيك الخلوة والعزلة ، وقد عم الداء ، ومرض الاطباء ، واشرف الخلق على الهلاك ، ثم قلت في نفسي : « متى تشتغل انت بكشف هذه الغمة ومصادمة هذه الظلمة ، والزمان زمان الفترة ، والدور دور الباطل ، ولو اشتغلت بدعوة الخلق ، عن طرقهم الى الحق ، لعاداك اهل الزمان باجمعهم ، وانى تقاومهم فكيف تعايشهم ، ولا يتم ذلك الا بزمان مساعد ، وسلطان متدين قاهر ! »

« فترخصت بيني وبين الله تعالى بالاستمرار على العزلة تعللا بالعجز عن اظهار الحق بالحجة . فقدر الله تعالى أن حرك داعية سلطان الوقت من نفسه ، لا بتحريك من خارج . فأمر أمرَ الزام بالنهوض الى نيسابور ، لتدارك هذه الفترة . وبلغ الالزام حدا كان ينتهي ، لو أصررت على الخلاف ، الى حد الوحشة . فخطر لي أن سبب الرخصة قد ضعف ، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة ، وطلب عز النفس وصونها عن أذى الخلق ، ولم ترخص لنفسك عسر معاناة الخلق ، والله سبحانه وتعالى يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم : الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم » الآية . ويقول عز وجل لرسوله وهو أعز خلقه : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا ، حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين » . ويقول عز وجل « بسم الله الرحمن الرحيم : يس . والقرآن الحكيم » الى قوله : « انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب » . فشاورت في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات ، فاتفقوا على الاشارة بترك العزلة ، والخروج من الزاوية » .

(٥) يصف الغزالي العالم الحقيقي ، وكأنه يصف نفسه ، بالعبارات التالية :

« ان العالم الحقيقي ، لا يقترف معصية الا على سبيل الهفوة ، ولا يكون مصرا على المعاصي أصلا . اذ العلم الحقيقي ما يعرف أن المعصية سم مهلك ، وان الآخرة خير من الدنيا . ومن عرف ذلك ، لا يبيع الخير بما هو أدنى منه » .

وهذا العلم لا يحصل بانواع العلوم التي يشتغل بها اكثر الناس . فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم الا جرأة على معصية الله تعالى . واما العلم الحقيقي ، فيزيد صاحبه خشية وخوفا ورجاء ، وذلك يحول بينه وبين المعاصي الا الهفوات التي لا ينفك عنها البشر في الفترات ، وذلك لا يدل على ضعف الايمان . فالمؤمن مفتن تواب ، وهو بعيد عن الاصرار والاكباب .

نسأل الله العظيم ان يجعلنا ممن آثره واجتباه ، وارشده الى الحق وهداه ، وألهمه ذكره حتى لا ينساه ، وعصمه من شر نفسه حتى لم يؤثر عليه سواه ، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد الا اياه .»

* * *

للامام الغزالي عدد كبير من الكتب ، بعضها لا يزال مخطوطا لا يعرفه الناس ، والمنشور منها كثير . وهذا وحده تراث ضخم . وكتب الغزالي ترمي في اكثرها اما الى بسط نظرية او توضيح خط . لكن كتاب « احياء علوم الدين » هو كتاب الغزالي الذي يمكن اعتباره نتاجا فكريا تاما . والباحثون على ان مواد هذا الكتاب وضعت في اثناء اعتكاف الامام الغزالي في دمشق وبيت المقدس . الا ان الكتاب يمثل عملا ضخما متواصلا استمر سنوات طويلة .

اما « المنقذ من الضلال » فهو فريد في نوعه بين كتب الغزالي . انه سيرة ذاتية عقلية روحية وسياحة داخلية في اعماق نفس الرجل اراد منها ان يبين كيف انتهى الى ما انتهى اليه بعد معاناة شاقة في آفاق التفكير والايمان . وصفة الكتاب الاصلية في نظرنا هي الاخلاص . فالرجل لبى دعوة وجهت اليه واجاب عن سؤال طرح عليه . ولما كتب المنقذ كان يضع فكره وقلبه وعقله على المشرحة ويصف خلجات نفسه وخطوات فكره وصفا صادقا امينا . على هذا يجب أن يقرأ المنقذ ، ومثل هذا يجب ان يفهم ، والا فقد الكتاب قيمته الاصيلة الاصلية . ■■

نقولا زيادة



٣ بويضات لقحت في كندا
نقلوها الى انجلترا ..
اضيافا في ارحام جديدة
فانتجت ٣ حيوانات حية كاملة

● العلماء في معركة ضارية مع الآفات الزراعية والامراض الحيوانية التي تفتك بالزرع والضرع وتترك الانسان جائعا حائرا . وقد اشتدت هذه المعركة اخيرا نتيجة الزيادة الكبيرة في الافواه المفتوحة التي تولد كل يوم تطلب الغذاء .. ومن المعارك التي يخوضها العلماء معركة تحسين الانتاج الحيواني وخاصة تلك الحيوانات التي يعيش الانسان على لحومها .

وقد سجل علماء انجلترا نصرا كبيرا في هذا الميدان .. فبعد ان كان اصحاب المزارع الحيوانية يتكلفون الكثير من الاموال والجهد لنقل الحيوانات ذات السلالات الممتازة ، والتي تتمتع بمناعة ضد الامراض الحيوانية ، من بلد بعيد الى بلادهم وذلك لتهجينها مع الحيوانات المحلية لتحسين السلالة ، خرج البحث العلمي بامكانية نقل البويضات الملقحة لهذه الحيوانات ثم زرعها في ارحام الحيوانات المحليه ، التي تتم عملية تنمية هذه البويضات

وقد تم اخيرا في مقاطعة سساري Surrey في انجلترا اول تجربة ناجحة من هذا النوع اذ تمت ولادة ٣ خنازير ، كانت بويضاتهم قد زرعت في رحم خنزيرة في مزرعة للمعمل البيطري التابع لوزارة الزراعة البريطانية . وقد كانت هذه البويضات قد احضرت بعد تلقيحها من مقاطعة كويبك في كندا وتم نقلها بنجاح عبر الاطلنطي

وبالرغم من أن هذه التجارب كانت قد

اول خنازير ولدت من بويضات عبرت المحيط الاطلسي



بدأت منذ ٢ عاما في الاتحاد السوفييتي الا انها لم تتكلل بالنجاح مثل هذه التجربة الاخيرة التي تمت في بريطانيا.

وسوف يؤدي هذا النجاح الى انخفاض تكاليف التهجين الحيواني الى العشر تقريبا. فعملية نقل البويضات اقل تكلفة من عملية نقل الحيوانات الحية بالطبع ولعدم الحاجة الى تحضير الحيوانات لهذه العملية، وذلك لأن البويضات تستطيع أن تبقى حية دون تحضين لمدة ١٨ ساعة تحت ظروف مواتية معينة، اما البويضات الأخرى فهي تحتاج الى تحضين خلال وقت قصير.

وتجرى الآن التجارب لتحسين الطريقة الجديدة وتعميمها على بقية الحيوانات، وذلك كمحاولة لتحسين سلالات هذه الحيوانات التي يعتمد عليها الانسان كمصدر من مصادر الغذاء



● نفقات التسلح التي انفقتها الامم عام ١٩٦٩ في سبيل الحصول على سلاحها، وكذلك على اعاشة وتموين جيوشها، تبلغ ٢ [illegible] بليون دولار، بزيادة نحو [illegible] في المائة على مثل هذه النفقات لعام ١٩٦٤.

ومعنى هذا انه في السنوات الماضية بلغت هذه النفقات مجتمعة اكثر من ترليون دولار، أي مليون مليون دولار، وهذا المبلغ يساوي بالتقريب ما انفقته الحكومات جميعا على التعليم والعناية بصحة الناس.

وبالطبع اكثر هذه النفقات تنفقها البلاد المتقدمة صناعيا.

ولكن اكثر الدول [illegible] انفاقا، اذا [illegible] هذه النفقة الى مجمل الانتاج القومي، هي الدول الفقيرة.

ومعنى هذا ظاهر. ذلك ان زيادة هذه البلاد من القوة الحربية [illegible] هذه البلاد في القوة الاقتصادية.

والوكالة التي انبأتنا بهذه الاحصاءات، وهي وكالة فرنسية، لها مكانتها [illegible] عند هذا، فلا ندري من الذي يدفع الامم الفقيرة الى هذه النفقات التي لا [illegible] طعام او كساء او مساكن [illegible] الا الامن القومي يدفعها الى كل هذا

والسؤال [illegible] من اي [illegible] الخوف [illegible] في [illegible]؟ انها مطامع الامم الكبرى التي تجمع السلاح، وتحتضن قوة السلاح حكما في كل قضية من قضايا الدنيا.



مرض السكر وتليف الكبد

بينهما علاقة وثيقة

● قبل الحرب العالمية الثانية كانت الاصابات بمرض السكر بين الذين يشكون من تليف الكبد قليلة جدا في أوربا . ولكن اثبتت الدراسات الطبية الحديثة في المانيا وسويسرا واسبانيا وجود مرض السكر في ٣٠ ٪ من مرضى تليف الكبد وقد زادت نسبة المرضى الذين يعانون من تليف الكبد في هذه البلدان الثلاثة بالذات نتيجة زيادة تناول المشروبات الكحولية .

وفي احصاء طبي نشر في هامبورج اخيرا ثبت ان عدد مرضى تليف الكبد قد زاد في الفترة ما بين ١٩٥٨ الى ١٩٦٧ الى الضعف . وزاد عدد مرضى السكري ايضا الى الضعف في نفس الفترة ، بينما ازداد عدد المرضى الذين يعانون من السكري وتليف الكبد في وقت واحد ثمانية اضعاف " وقد لاحظ الاطباء ان الاصابة بمرض السكر تأتي بعد اصابة المريض بتليف الكبد ، واستنتجوا من ذلك ان هناك ثلاثة عوامل تؤدي الى زيادة الاصابة بهذين المرضين في وقت واحد . وهذه العوامل الثلاثة هي :

١ ــ احتلال عصبات تنظيم نسبة سكر الدم في الكبد المتليف

٢ ــ ظهور تصلب شرايين الكرياس او تليف فيه يلي مرض تليف الكبد .

٣ ــ ابطال مفعول الانسولين insulin داخل الكبد المصاب نتيجة وجود مواد مضادة للانسولين . ونتيجة لهذه الابحاث فان الاطباء الآن يحذرون مرضاهم من ان تناول المشروبات الكحولية لا تؤدي فقط الى التأثير على الكبد والدورة الدموية والعصب ولكنه قد يسبب ايضا في اصابتهم بمرض السكر .

ليس صحيحا دائما

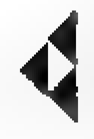
كل ما يقوله صانع عقار طبي عن مزايا عقاره

● اصدرت الادارة الفدرالية للاغذية والعقاقير الطبية بالولايات المتحدة قائمة تحوي اكثر من ٣٦٠ اسما لمستحضرات طبية ومستحضرات للتجميل مؤكدة ان هذه المستحضرات ليس لها اية قيمة علاجية ، بل ان بعضها قد يعرض حياة الناس للخطر . .

ومن بين هذه المستحضرات ، اصناف مشهورة لمعاجين الاسنان مثل معجون كولجيت الذي تدخل مادة الكلوروفيل في تركيبه ومضمضة جونسون وجونسون للفم والاسنان وغيرهما كثير .

وقد اهتمت الادارة الفيدرالية الطبية بالقيام ببحوثها الاخيرة بسبب التأكيدات التي امتلأت بها اعلانات الشركات المنتجة لهذه المستحضرات والعقاقير للفوائد والمزايا التي تعود على المشترين من جراء استخدامها ، كأن تقول عن معجون اسنان انه يمنع التسوس ، فقد حفزت هذه التأكيدات الادارة المذكورة على التأكد من صحة هذه الدعاوى بالبحث والتحليل ، حماية منها لجماهير المستهلكين .

وقد ادت البحوث التي قامت بها هذه الادارة الطبية ايضا الى عدم جدوى كثير من العقاقير المركبة من السلفا والبنسلين ، فقد ثبت ان العقاقير التي تضم اثنين او اكثر من هذه المركبات لا



بعد أمريكي، كما تؤكد الشركات المنتجة لها.
ومن الغريب أن هذه القائمة التي أصدرتها الإدارة الفيدرالية أصيبت باستياء هذه المصانع والمستحضرات، كانت قد أعدتها منذ شهور طويلة. ولكنها لم تكن معلنة إلا أخيراً، وجاء هذا التأجيل نتيجة للجهود التي كانت تبذلها الشركات الطبية المنتجة لها، لمنع سحبها من الأسواق. وقد باءت هذه المجهودات أخيراً بالفشل.

سكان الولايات المتحدة لعام ١٩٧٠

● دلت النتائج الأولية لتعداد السكان لعام ١٩٧٠ على أن عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية يبلغ ٢٠٢٦٤٣٧٢١ نسمة، والمنتظر أن يرتفع هذا الرقم إلى ٢٠٤,٦ مليون عندما يضاف إليه عدد الجنود الذين هم في الخارج، وعدد المسافرين والراجعين إلى أوطانهم حتى بعد سفر. وينتظر أن يزيد هذا الرقم بعد ذلك إلى ٢٠٨,١ مليوناً، وهذا هو العدد الذي سبق أن قدره الخبراء.

ولقد كان عدد السكان في عام ١٩٦٠ قد بلغ ١٧٩٣٢٣١٧٥ نسمة، وبذلك تكون الزيادة في عدد سكان الولايات في العشر سنوات الماضية قد بلغت ١٣,٢ في المائة. ولقد كانت زيادة سكان عام ١٩٦٠ على سكان عام ١٩٥٠ قد بلغت ١٨,٥ في المائة.

والظاهرة الأخرى الجديرة بالذكر أن السكان بدأوا بالنزوح إلى خارج ضواحي المدن، ونضرب مثلاً لذلك بواشنطن. سكان واشنطن المدينة لم يكن يزيد شيئاً بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٠، ولكن واشنطن الكبرى، أي المنطقة كلها وبعض المدن وضواحيها فقد زاد عدد سكانها ... ٨٠٠ نسمة، أي بنسبة ٣٨ في المائة عما كانت عليه عام ١٩٦٠.

وتبدلت مراتب الولايات في عدد السكان، وقد زاد عدد السكان في غرب الولايات وجنوبها الغربي، ومن ذلك أن ولاية كاليفورنيا حلت محل ولاية نيويورك بحسبانها أكثر الولايات سكاناً. ولكن ظلت نيويورك المدينة هي أكبر مدن الولايات المتحدة بعدد سكانها الحالي البالغ ٧,٧٧١,٧٢٠ نسمة، وهذا العدد هو ضعف سكان مدينة شيكاغو.

وظلت مراتب المدن الكبرى في عام ١٩٦٠ هي هي في عام ١٩٧٠: نيويورك، شيكاغو، لوس انجليس، فيلادلفيا، ديترويت.

وسيؤثر اختلاف عدد السكان في بعض الولايات في الكونجرس التي تحتل بهذه الأعداد، وسيفقد عدد من بعض الولايات في مجلس نوابها. مثال ذلك أن كاليفورنيا ستحصل على ٥ مقاعد جديدة.





على التدخين
كم يأمل الرجل أن يعيش

● نضرب مثلا للعمر الذي يرجو الفرد ما أن يصل اليه قبل أن يموت ، نذكر بعض التقديرات التي انتهى اليها الحاسبون في بعض أمم الغرب .

فمثلا الطفل عند الميلاد ، خرج الحساب بأنه يرجو أن يعيش في متوسط الأحوال الى أن يبلغ ٦٧٫٥ عاما .

وان الشاب في العشرين يرجو أن يعيش ، في المتوسط ، ٥٠٫١ عاما فوق العشرين . أي أنه يبلغ عامه الـ ٧٠٫١ . وذلك لأن احتمال قصر العمر قد قل ببلوغه العشرين عاما .

وأما الرجل الذي بلغ عامه الـ ٤٨ يرجو أن يعيش ٢٤٫٧ عاما فوق ذلك لتبلغ به عامه الـ ٧٢٫٧ .

والرجل الذي بلغ عامه الـ ٦٥ يرجو أن يعيش فوق ذلك ١٢٫٨ عاما ليبلغ عامه الـ ٧٧٫٨ .

فهذا هو معنى الحياة المنظورة في الأعمار هذه المذكورة .

وقد وجد الباحثون الأحداثون أن الحياة المنظورة للطفل المولود في الولايات المتحدة زادت ١١٫٢ من الأعوام ، وذلك منذ عام ١٩٢٠ . ومع هذا فالعمر المنظور للرجل الأمريكي لم يزد في هذه الفترة من غيرها دون السنتين .

ووجدوا كذلك أن رجالا في سن الثلاثين يعيشون في بلاد فقيرة مثل ألبانيا ، وبورت ريكا ، والبرتغال ، لهم من الحياة المنظورة سنوات أكثر مما لدى أمثالهم ممن هم في مثل أعمارهم من الأمريكيين .

وقد حاول الأطباء ، تفسير ذلك ، فقالوا : أن التوقف عند الرجال الأمريكان وفي انجلترا دون كسب مزيد من الحياة المنظورة سببه السمنة ، وزيادة المألوف من الدسم وقلة الحركة والرياضة ، يضاف الى ذلك التوتر الذي يحس به ساكن المدن .

وقام الأستاذ صمويل برستن Preston بجامعة كاليفورنيا ببركلي بدرس سجل الموتى في ١٧ دولة ، وانتهى من دراسته الى أن السبب الكبير الأكبر في نقص زيادة الأعمار انما هو تدخين السجائر . ونشر ما وجد في كتاب Monograph سماه : سبق الرجال الأسن الى الموت والتدخين . تحليل ديمغرافي .

وذكر برستن في مؤلفه هذا أن الرجل الأمريكي كان يدخن عام ١٩١٠ في المتوسط ٢٢٠ سيجارة في العام ، زادها الى ١٣٧٠ عام ١٩٣٠ ، زادها الى ٣٨١٠ عام ١٩٦٠ .

ولاحظ أن الحياة المنظورة للنساء لم تتأثر كما تأثرت حياة الرجال ، وعزا ذلك الى أن النساء يدخن أقل مما يدخن الرجال . مثال ذلك أنه في عام ١٩٢٥ لم يدخن بانتظام من نساء أمريكا الا نحو ١٫٧ في المائة منهن ، في حين أن الذين كانوا يدخنون من الرجال بلغوا بانتظام ٢٨٫١ في المائة .

وقد وجد برستون أن النساء المدخنات بين سن ٥٠ وسن ٦٩ تزيد نسبة الوفيات فيمن ٢٨ في المائة عنها فيمن لا يدخن .

وقارن مثل هذا في الرجال فوجد النسبة بلغت ، لا ٢٨ في المائة ، وانما ٨٨ في المائة .

وقارن برستون أمة بأمة فوجد أن عدد الموتى يترابط بازدياد التدخين . وسبب الموت في هذه الأحوال يرجع الى السرطان ، والى أمراض القلب والدورة ، والى أمراض الشعب الرئوية .

المخطط الهيكلي لدولة الكويت

مليون وربع مليون نسمة تعداد الكويت بعد ١٠ سنوات
من الكويتيين وغير الكويتيين





بقلم : المهندس حامد عبد السلام شعيب

المدير المساعد ـ بلدية الكويت

■ لا بد لنا من كلمة موجزة لتعريف التخطيط قبل الدخول في هذا الموضوع .

فالتخطيط القومي الشامل بالنسبة لأية دولة ، يشمل التخطيط الاقتصادي والاجتماعي والعمراني والتربوي الى آخر مجالات التخطيط .

ومجال حديثنا اليوم ، هو مجال التخطيط العمراني لدولة الكويت ، وعلى الأخص للكويت العاصمة . وهذا التخطيط هو محاولة للتنبؤ باحتياجات المجتمع ، خلال فترة زمنية معينة ، من مساكن ، ومناطق تجارية ، ومناطق صناعية ، ومناطق سياحية وترفيهية ، ومراكز لدور الحكومة الى غير ذلك ، ثم التخطيط لتوزيعها على الأرض المتاحة ، منطقة منطقة ، مع مراعاة المكان الأنسب لكل من هذه المرافق وما بينها من علاقات .

الكويت قبل ظهور النفط

ولنبدأ بوصف الكويت ، كيف كانت بالأمس ، لنعرف بمقارنتها بالماضي والحاضر ، كيف تصير في الغد .

لقد كانت الكويت في أوائل الخمسينات ، أي

قبل ظهور النفط تتركز في مكان واحد تقريبا ، هو مدينة الكويت والى جانبها قامت بعض القرى الصغيرة التي انتشرت في بطن الصحراء او على شاطىء الخليج ، اهمها قريتا الجهراء والصليبخات .. وكانت مدينة الكويت تقوم عند ميناء صغير ليحر منه وترسو فيه السفن التجارية ، وسفن صيد اللؤلؤ تلك السفن التي كان سكان الكويت يعتمدون في رزقهم عليها .

والى جانب الميناء الرئيسي انتشرت المرافىء الصغيرة التي كانت تستخدم لصناعة السفن وصيانتها وانتشرت بالقرب من هذه ، اماكن بيع وتخزين المواد اللازمة لذلك . وحول هذه المرافىء انتشرت الاحياء السكنية والبيوت المتلاصقة والمبنية من الطين .

اما ساحة الصفاة فكانت ما يشبه الميناء البري لمدينة الكويت يصل بينها وبين الميناء البحري الاسواق حيث كان تجار البادية يلتقون بتجار البحر ويتبادلون السلع المختلفة .

هكذا كانت الحياة في الكويت قديما .. حياة بدائية بسيطة ، لم تلمسها بعد اساليب الحضارة بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان .. كالمرافق الصحية ، والطرق والمستشفيات والمدارس ، الى آخر ما هنالك من متطلبات الحياة العصرية ..

هذه صورة سريعة لما كانت عليه الكويت منذ سنوات قليلة خلت .

الكويت بعد ظهور النفط

وبعد اكتشاف النفط والبدء في تصديره بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وجدت حكومة الكويت انه قد اصبح لديها من الدخل مايكفي للبدء في توفير المساكن الصحية والمرافق والخدمات التعليمية والصحية الضرورية للمجتمع .

ولكي يتحقق ذلك ، كان لا بد من اجراء دراسات لوضع خطة شاملة لتنفيذ المشروعات المقترحة .

وبدأت الدراسات بالفعل في عام ١٩٤٩ ، وكان تعداد سكان الكويت في ذلك الوقت يقدر بحوالي ١٥٠ الف نسمة يقيم معظمهم في مدينة الكويت .

وقام خبراء التخطيط الذين دعتهم الحكومة من الخارج ، بوضع خطة ، قدمت للجهات المسئولة في الحكومة في عام ١٩٥١ . وعلى اثر ذلك قامت حكومة الكويت بدورها باجراء دراسات لهذه المقترحات التي تضمنتها الخطة ، وادخلت عليها بعض التعديلات ، ثم تم اعتمادها في شكلها النهائي في عام ١٩٥٢ .

اول تخطيط للكويت

وتلخصت هذه الخطة باختصار فيما يلي :

١ - التوسع السكني حول مدينة الكويت باتخاذ المدينة مركزا لذلك التوسع .

٢ - مد الطرق مستقيمة من مدينة الكويت الى الصحراء ، ثم انشاء طرق دائرية حولها . وتتقاطع هذه الطرق المستقيمة والدائرة فتشكل مستطيلات من الارض للتوسع السكني في مراحل الخطة .

٣ - تخصيص المناطق الصناعية اللازمة للتوسع الصناعي ، وتحديد مناطق التخزين قريبا من الميناء الجديد في الشويخ وتهيئة الميناء لاستقبال البواخر التجارية الحديثة . عملا بسياسة تنويع مصادر الدخل القومي . وهي السياسة التي خطت الحكومة في سبيل تحقيقها بعد ذلك خطوات واسعة .

٤ - تخصيص مناطق المرافق الصحية والمرافق التعليمية .

٥ - تخصيص مناطق مفتوحة للسياحة والترفيه ، اهمها الاطار الاخضر الذي يفصل مدينة الكويت القديمة عن التوسع المقترح .

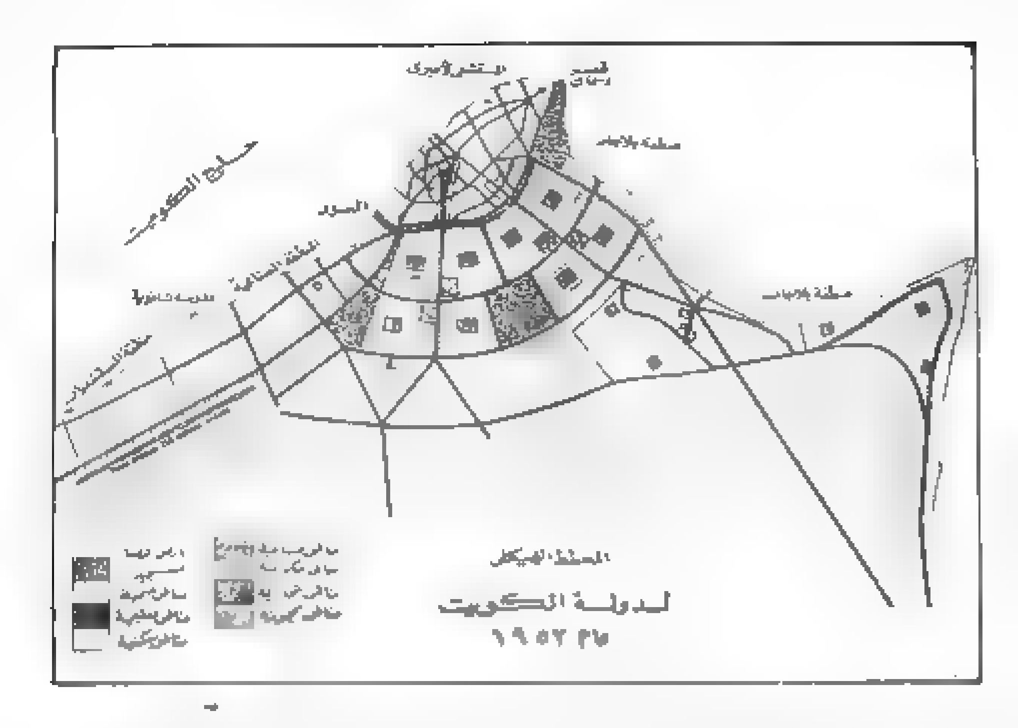
٦ - انشاء الطرق الرئيسية المؤدية من الكويت الى الاحمدي جنوبا وهي (المدينة الثانية في الكويت ومركز تصدير النفط الآن) . وكذلك الطرق المؤدية شمالا الى قرية الجهراء ومنها الى العراق .

وقام هذا التخطيط على اساس تقسيم العاصمة الى مناطق ، يقوم كل منها على حدة وتوفير المرافق الضرورية لكل منطقة ، من مدارس ، ومراكز صحية وتجارية ، ومركز للامن ، والحدائق والساحات المفتوحة التي يستطيع الشعب ان يمارسوا فيها هواياتهم .

وطبقا للتقديرات التي كانت قائمة في ذلك الوقت ، قدرت الزيادة في عدد السكان من (١٥٠ الف نسمة الى ٢٥٠ الفا) خلال العشرين سنة من بدء هذه الخطة (١٩٥٠ - ١٩٧٠) ، وعلى هذا الاساس كان الامتداد ينتهي عندما يصبح حافا بالطريق الدائري الثالث .

الزيادة في تعداد السكان

كان هذا هو التوقع .. ولكن الذي حدث بعد ذلك ، قلب كل هذه التقديرات رأسا على عقب .



لقد مضت الزيادة في عدد سكان الكويت بنسبة أكبر بكثير مما كان متوقعا ، وخاصة في الستينات والتدليل على ذلك نورد فيما يلي جدولا قصيرا بالزيادة التي طرأت على تعداد سكان الكويت في هذه السنوات الماضية .

في عام ١٩٥٠	١٥٠ ألف نسمة
في عام ١٩٥٧	٢٠٦ ألف نسمة
في عام ١٩٦١	٣٢١ ألف نسمة
في عام ١٩٦٥	٤٦٧ ألف نسمة
في عام ١٩٧٠	٧٣٣ ألف نسمة

أي أن سكان الكويت قد تضاعفوا خمس مرات تقريبا خلال الفترة العشرين عاما الماضية ، وهذه الأرقام تتضمن من جاء الى الكويت بعد ظهور النفط من غير الكويتيين ، ولكن لا بد والحالة هذه من وضع مخطط هيكلي جديد لدولة الكويت ، لاستيعاب هذه الزيادة الكبيرة ، ولمواجهة الزيادة المتوقعة في المستقبل القريب والبعيد .

وبناء على ذلك ، بدأت الدراسات لوضع مخطط جديد ، وتنفيذه بعد اعتماده من كافة الهيئات المعنية في الكويت .

ولي العهد يتبنى المخطط الجديد

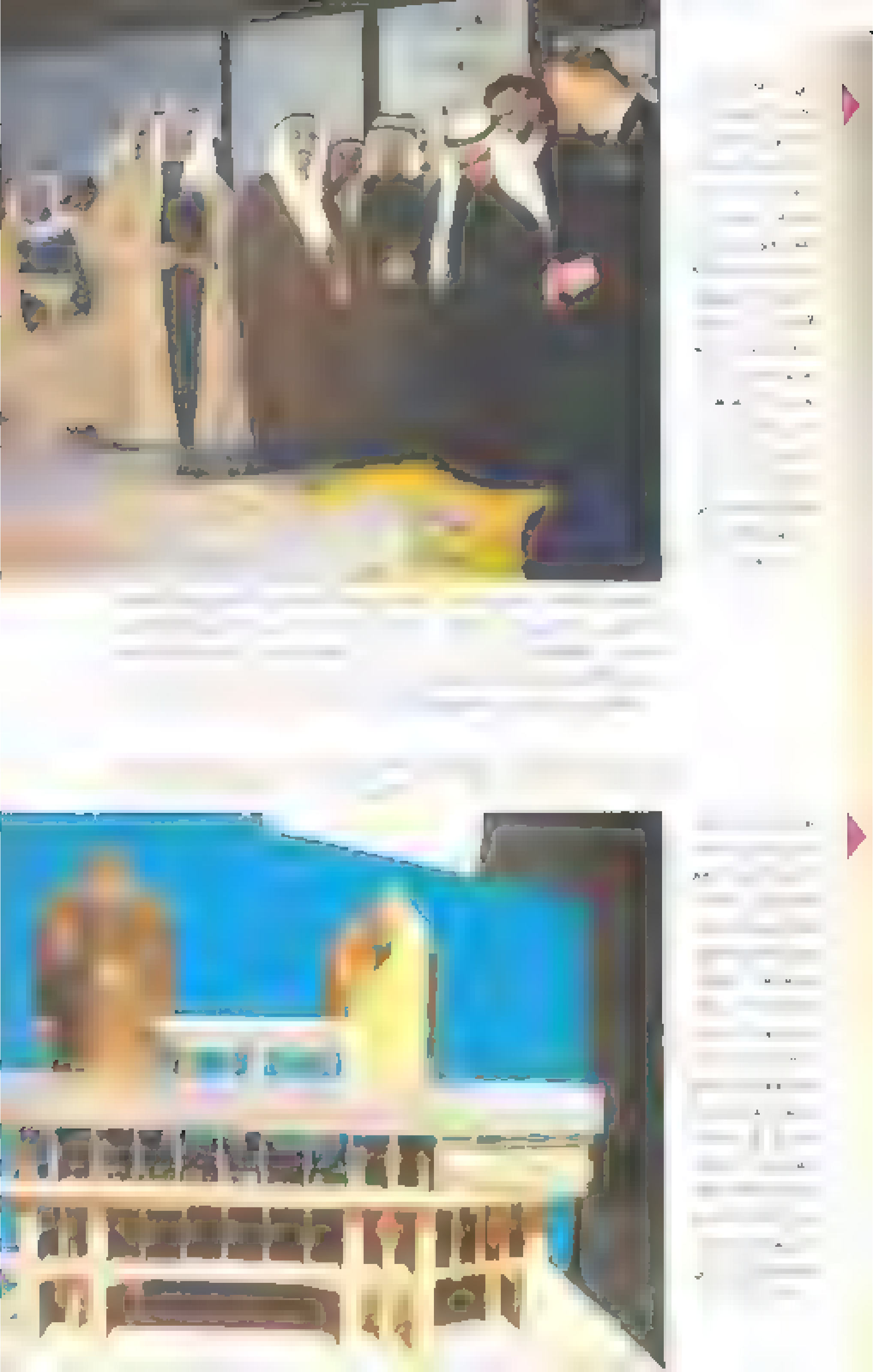
ولما كان لهذا الموضوع من أهمية قصوى بالنسبة لمستقبل التنمية في الكويت ، فقد تبنى رئيس مجلس الوزراء وولي العهد الشيخ جابر الأحمد الصباح شخصيا مهمة توجيه الدعوة الى فريق من المستشارين والخبراء في مجال التخطيط من خارج البلاد ، وكان ذلك في منتصف عام ١٩٦٨ .

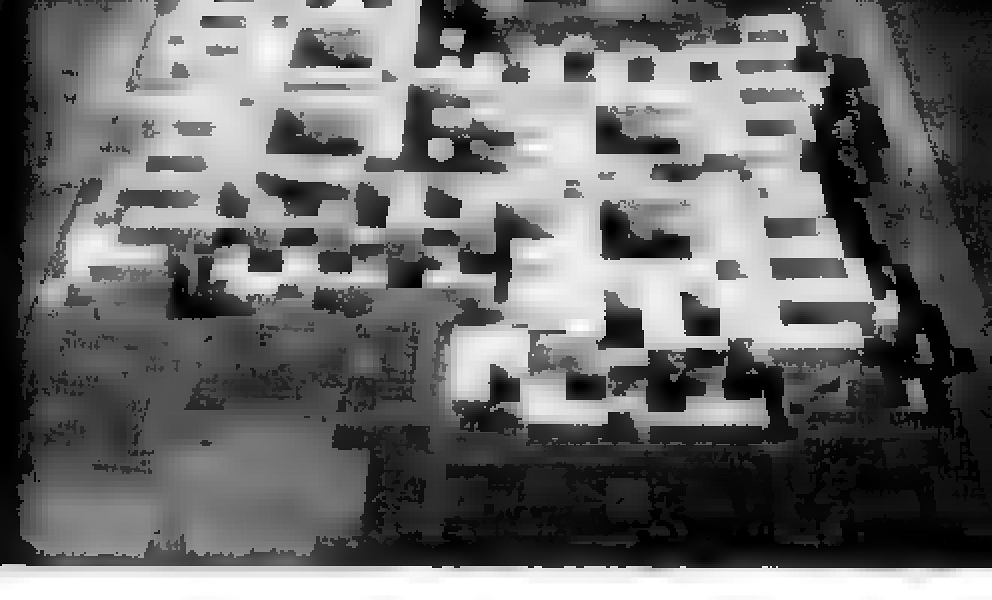
كما حرص رئيس الوزراء على أن يرأس بنفسه اجتماعات اللجنة التي تألفت لدراسة ومتابعة المخطط الهيكلي الجديد ، وهي تضم وزير الأشغال السيد خالد العيسى الصالح ، ووزير الدولة ورئيس بلدية الكويت السيد يوسف السيد هاشم الرفاعي ، ومدير مجلس التخطيط السيد أحمد الدعيج ، وجهاز فني يضم خمسة من المهندسين الكويتيين العاملين في مجال التخطيط .

لجنة التخطيط تعمل متصلة لمدة عامين

وبدأت اللجنة أعمالها على الفور ، وظلت تعمل زهاء عامين كاملين تقريبا بالاشتراك مع المستشارين ومع الأجهزة الفنية في الوزارات والهيئات الرسمية المختصة .

وتم وضع المخطط الهيكلي العام للعشرين عاما القادمة ، وتم اعتماده . وهو يوفر احتياجات الدولة من التوسع في مختلف المرافق ، كالإسكان ، والصحة ، والتعليم ، والصناعة ، والتجارة ، والسياحة وغير ذلك من مرافق حيوية أخرى ، على أن يتم تنفيذ ذلك كله خلال مرحلتين ،





المرحلة الاولى للسنوات العشر القادمة ، والتي تجري دراستها تفصيليا في الوقت الحاضر ، على اساس الزيادة المتوقعة في تعداد سكان الكويت ، وقد قدر تعداد الكويت من السكان بعد عشر سنوات بحوالي مليون وربع مليون نسمة من كويتيين وغير كويتيين . بينما قدر تعداد السكان بعد عشرين سنة اي خلال فترة تنفيذ المخطط بحوالي مليوني نسمة . هذا اذا استمرت الزيادة بمعدلها الحالي .

خطة توسيع قطاع الاسكان

ونعود الى المشروعات الهامة التي سيجري تنفيذها خلال النصف الاول من الخطة ، اي في السنوات العشر القادمة .

ونبدأ بقطاع الاسكان والسكان .

لقد اخذت الخطة بعين الاعتبار في المقام الاول اعداد المناطق اللازمة لبناء اكثر من المساكن للكويتيين وغير الكويتيين ، والخطة تقضي بأن تملأ المناطق السكنية الجديدة الفراغ الموجود الآن بين مدينة الكويت ومدينة الاحمدي جنوبا ، وذلك حتى يتم الاتصال بينهما .

كذلك شملت الخطة التوسع السكني غربا في منطقتي الصليبيخات وقرية الجهراء .

كما عنيت الخطة بدراسة وسائل الانتقال اللازمة لكل هذه المناطق فلا بد من مد طرق جديدة تصل هذه المناطق بعضها ببعض ولا بد من حجز المساحات اللازمة لتسيير خط نقل سريع لربط بين اطراف المدينة التي ستتباعد كثيرا .

خطة توطين اهل البادية

واخذت الخطة بعين الاعتبار انشاء مشاريع اسكان لتوطين سكان البادية الرحل ، ورفع مستواهم الاجتماعي والثقافي ، وكذلك بناء المساكن الصحية وكل ما يحتاجون اليه لتوفير البيئة الملائمة لحياتهم الجديدة .

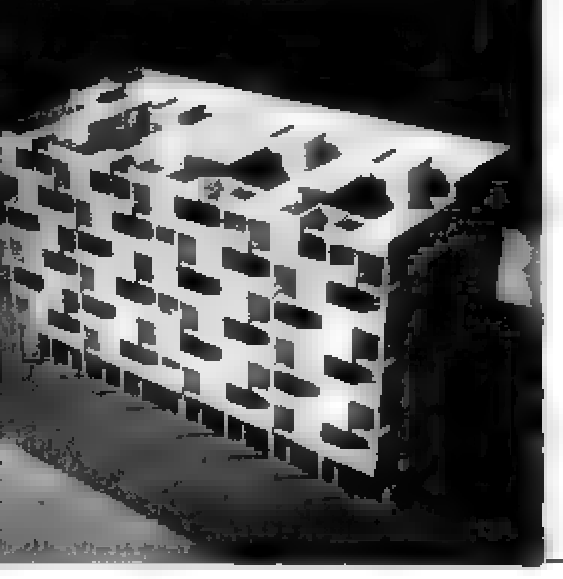
وقطاع التجارة

وننتقل بعد هذا الى قطاع التجارة ، وقد اهتمت الخطة بانشاء مراكز تجارية جديدة على عدة مستويات اهمها ، المركز التجاري الرئيسي بالعاصمة الكويت ، وذلك عن طريق اضافة مبان جديدة الى المركز الحالي ، ورفع مستواها ، وتسهيل الوصول اليها من خارج الكويت ، وسوف يتطلب هذا مد طرق جديدة فوق الارض وتحتها ، وتحسين الطرق الموجودة حاليا ، وربطها بشبكة الطرق الرئيسية حول المدينة ، وتوفير الاماكن اللازمة لمواقف السيارات .

والى جانب الاهتمام بالمركز التجاري الرئيسي ، فقد اقترحت الخطة انشاء مركز ثان غربي قرية الفنطاس لخدمة المنطقة الساحلية جنوبي الكويت الممتدة من المسيلة الى الفحاحيل .

الحركة التجارية ومشاكل المرور

وكذلك رأت الخطة انشاء عدة مراكز تجارية صغيرة تنتشر في عدد من مناطق التوسع التي شملتها الخطة ، كالجهراء ، والفحاحيل ، والصليبيخات ، والفروانية ، والسالمية ، وحولي



الصورة اليمنى : مجمع سكني للفلات او البيوت العربية التي تتألف من دورين وهو يضم عددا من الوحدات السكنية وملحقاتها من حدائق وساحات وطرق فرعية ومواقف للسيارات
أما الصورة التي الى اليسار فهي عبارة عن عمارة سكنية تتألف من عدة ادوار ، وعدد كبير من الشقق تتراوح بين ٢ و ٤ غرف لذوي الدخل المحدود ، والمتوسط وسط المدينة في نفس المنطقة التي ستقام فيها الفلات ، و البيوت العربية

والمسيلة .. وهي اكثر المناطق ازدحاما بالسكان في الكويت ، حتى يسهل على سكان هذه المناطق الحصول على احتياجاتهم من اقرب مركز تجاري . وسيكون من نتيجة ذلك تخفيف الضغط على وسائل المواصلات وتخفيف حركة مرور السيارات في الطرق الرئيسية الهامة .. وهي احدى المشاكل الرئيسية التي يعاني منها المسئولون عن المرور في الوقت الحاضر ، هذا بالطبع بالاضافة الى المراكز التجارية المحلية على مستوى الضاحية السكنية وفروعها .

قطاع الصناعة

وننتقل بعد ذلك الى القطاع الصناعي ، والمعروف ان هناك الآن منطقتين صناعيتين رئيسيتين في الكويت ، وهما منطقة الشويخ للتخزين والصناعات الخفيفة ومنطقة الشعيبة جنوبي الاحمدي للصناعات الثقيلة .

وقد اقترحت الخطة عدم التوسع في منطقة الشويخ حاليا ، وتوزيع المناطق الصناعية الجديدة اللازمة لتحقيق التكامل في الاقتصاد الكويتي ، على عدة مناطق فرعية قريبة من المناطق السكنية ، لنفس الاسباب التي سبق ذكرها عند الحديث عن المناطق التجارية .

اما بالنسبة للصناعات الثقيلة ، فقد وجد الخبراء ، ان المناطق المخصصة حاليا للتوسع ، تفي بالحاجة الى بناء مراكز صناعية جديدة خلال السنوات العشر القادمة ، مثل صناعة الكيماويات البترولية والالمنيوم وغيرهما .

المطارات والموانيء

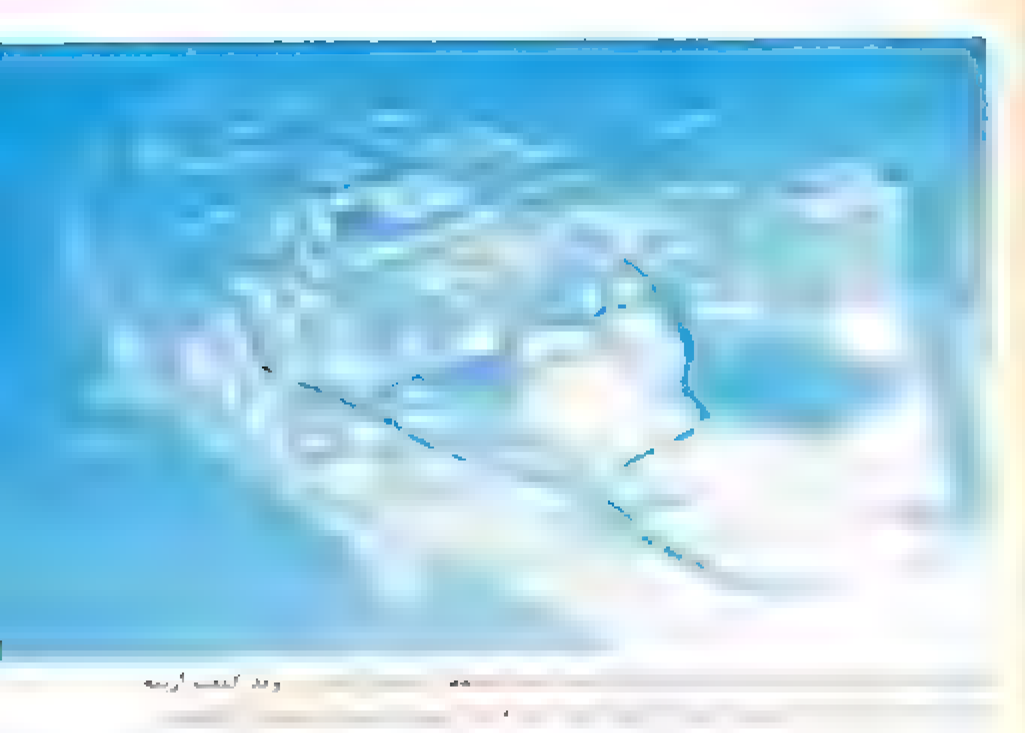
ولا بد لنا هنا من الحديث عن وسائل المواصلات التي تربط الكويت بالخارج والطرق الدولية ونعني بها المطارات والموانيء .. وقد اثبتت الدراسات ان المطار الدولي يكفي للتوسع في المستقبل ، بعد اتمام انشاء المباني الحديثة الخاصة بالركاب القادمين والمسافرين ، ومراكز المراقبة الصحية والجمركية وتسهيل اجراءات السفر .. ولقد كان هذا المطار من المشروعات الهامة التي كان من المقرر تنفيذها منذ مدة ..

اما الموانيء ، فقد اتضح من الدراسات ، ان التوسعة التي تجرى حاليا في ميناء الشويخ (انظر استطلاع العربي العدد رقم ١٢٣) تكفي لتحقيق التوسع في التصدير والاستيراد للسنوات العشر المقبلة ، الا انه وجد ايضا ان هناك حاجة الى توسعة ميناء الشعيبة ليساهم في تخفيف الضغط عن ميناء الشويخ التجاري .

... وتقترح الخطة عدة مراسي وموانيء صغيرة لسفن الصيد والمواصلات بين جزيرة فيلكا ورأس السالمية .

اما بالنسبة للطرق الدولية فسيتم العمل قريبا لمد الطريق البري بين الكويت والمملكة العربية السعودية ليتصل بطريق التابلاين والذي يؤدي بدوره الى الاردن وساحل الشام ـ هذا الى جانب تحسين الطرق الحالية التي تصل





وقد كشف أربعة [illegible]

والسحب والمحارية . وسيتم تنفيذ هذه المشروعات على عدة مراحل تنتهي بانتهاء الخطة خلال سنوات العشر القادمة

الكويت بالعراق شمالا والمملكة العربية السعودية (الطريق الساحلي) جنوبا .

السياحة والاصطياف

وقد أعطت الخطة ، اهتماما خاصا بتوفير المناطق السياحية والترفيهية ، وأهم هذه المناطق التي شملتها الخطة ، هي المناطق الساحلية ووسائل توفير الخدمات السياحية فيها ، حتى يجد الزائرون لهذه المناطق كل ما يتطلع إليه السائح من وسائل الترفيه والتسلية التي تتناسب مع الكويت باعتبار أن السياحة من أهم الصناعات التي تعنى بها الدول الحديثة الناهضة .

ومما يساعد على تنفيذ هذا المشروع وجود مناطق ساحلية رملية جميلة على طول الشاطئ ، مثل منطقة الفنطاس ، أو المنقف ، وكذلك في جزيرة فيلكا ، وبعض الجزر الصغيرة القريبة من شاطئ الكويت .

ولا شك أن تنفيذ مثل هذه المشاريع الحيوية سيشجع سكان الكويت من كويتيين وغير كويتيين ، وكذلك سكان الخليج ، على قضاء الصيف أو بعض منه على شواطئ الكويت ، وبذلك يمكن الحد من تلك « الهجرة الجماعية » التي تتم في صيف كل عام هربا من حر الكويت ، وتوفير المبالغ الطائلة التي تنفق حاليا في الخارج .

وقد اهتمت الخطة أيضا باختيار المناطق التي تمتاز مناظرها الطبيعية الجميلة ، ومد وسائل الانتقال إليها ، وتوفير الخدمات الضرورية لروادها ..

وأهم هذه المناطق تلال الشعيبة والمنطقة الجنوبية والساحل الجنوبي والمناطق الصحراوية التي تكثر فيها الأعشاب والزهور الموسمية في فصل الربيع .

الزراعــة

أما بالنسبة للزراعة فقد أعدت دراسات مفصلة لأنواع التربة ومصادر المياه بالتعاون مع الوزارات الأخرى . ويتضح من ذلك أن هناك امكانيات للتوسع بهذا النشاط الحيوي بالنسبة



كان لابد من عقد ندوات تحضرها أكبر عدد ممكن من المواطنين الكويتيين و الخبراء و المختصين ، للاطلاع على تفاصيل المخطط الهيكلي للكويت ومناقشته و ابداء الرأي فيه [illegible] المخطط ، وكذلك للاجابة على [illegible] البحر في تلك الندوات التي استغرقت عدة شهور

الكويت ، وتتركز امكانيات التوسع في ثلاث مناطق هي منطقة الصبية شمال الكويت ومنطقة الصليبية قرب مدينة الكويت وفي جزيرة بوبيان .

تخطيط جديد لمدينة العاصمة

ومن بين المرافق الحيوية التي تجري دراستها حاليا داخل نطاق الخطة ، تخطيط جديد لمدينة الكويت بصفتها العاصمة ومركز الادارة والحكم. ومن ذلك بناء مجمعات حكومية لمختلف الوزارات والهيئات ، تقام في منطقة المرقاب ، وتتم خلال ١٠ سنوات . واربعة مشروعات اخرى هي قيد الدرس ، اولها توسيع قصر السيف ، وهو المقر الرسمي لامير الكويت ، وفي جواره الذي سيتم بناؤه . وكذلك اقامة مبنى جديد لمجلس الوزراء . ومبنى لوزارة الخارجية هنا بالاضافة الى انشاء مسجد يبدأ العمل في بنائه قريبا ، وسيسمى مسجد الدولة .

تعمير شاطئ المدينة

اما في المنطقة الثالثة فقد رأت الخطة انشاء مساكن حديثة ملائمة لمدينة الكويت ، داخل المدينة ، لتشجيع ابناء الكويت على الاقامة فيها بعد ان لاحظت ان الاغلبية قد انتقلت للحياة في مساكن شيدوها بضواحي الكويت .

المنطقة التجارية والسوق القديمة

وقد عنيت الخطة بدراسة هذه المنطقة على اساس انها جزء من تاريخ الكويت القديم والعمل على صيانتها وتحسينها ، وتوفير الخدمات الضرورية للتجار فيها .. وتسهيل مهمة الوصول اليها ، ووقوف السيارات بالقرب من متاجرها حتى تصبح للكثيرين من الزوار والسائحين الذين يبحثون عن التاريخ بين أسوار المدن القديمة أينما حلوا .

لمحة سريعة

هذه لمحة سريعة للمخطط الهيكلي لدولة الكويت للسنوات العشر المقبلة ولاشك ان لدى حكومة الكويت الرغبة والتصميم والقدرة على القيام بمهمة تنفيذه كما قامت بكل جدية بتنفيذ الخطة الاولى التي تمثل الكويت كما نراها الآن

حامد عبد السلام شعيب ■

شِبْلَةٌ أو شِبْل

ان انثى الاسد هي لبؤة وولده الذكر يسمى « شبلاً » فهل هناك من تسمية لشبيه الشبل؟ وان كان الجواب بالايجاب فما هو اسمها ؟

علي حسين – بيروت لبنان

في اللغة اسماء يفرق بين مذكرها ومؤنثها بتاء التأنيث مثل « المرء والمرأة » والطفل والطفلة » وهذا هو الأعم الأغلب في الفرق بين المذكر والمؤنث ، فيما اتفق لفظه .

وبعض الأسماء تطلق شاملة للمذكر والمؤنث معا . مثل « فرس » فانها تدل على الأنثى من الخيل ، وعلى الحصان . ونصوا على انه لا يقال للانثى « فرسة » .

من ان بعض الاسماء بدون تاء التأنيث وتطلق على الأنثى ، مثل « الضبع » على الأنثى من الضباع وقالوا لا تقل « ضبعة » ، أما الذكر فاسمه « ضبعان » والأنثى أيضا « ضبعانة » .

« والثعلب » قالوا انها الانثى ، وقيل الانثى «ثعلبة والذكر ثعلب، وثعلبان» .

وبعض الألفاظ يطلق دالاً على المذكر والمؤنث ، مفردا أو جمعا ، مثل « وَلَد » فانه يقال للأنثى كما يقال للذكر ، ويقال أيضا للجماعة « ولد » وفي القرآن « ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد » يشمل ان تكون لها ابن أو بنت أو أكثر من ذلك .

هذا كله من حيث ما ورد في الكتب ولنرجع الى لفظ شبل . فنجد انهم لم يقولوا بالنص انه مقصور على المذكر . ولم يرد فيما وجدناه بين كتب اللغة ، كاللسان والصحاح وتاج العروس والمخصص لابن سيده انه قيل شبلة . وكل ما نظفر به في هذه الكتب قولهم : الشبل ولد الأسد وذلك حين يصير قادرا على الصيد .

ويبدو ان تفسيرهم الشبل بانه « ولد الأسد » يدل على أن لفظ الشبل يشمل المذكر والمؤنث كما ان الولد يشمل المذكر والمؤنث، هذا اذا سلمنا ان ما وجد في كتب اللغة كان استقراء تاما ، انه لم يرد في نثرهم ولا شعرهم لفظ « شبلة » ، على اننا اذا رجعنا الى اكثر أسماء الحيوانات نجد الفرق بين المذكر والمؤنث بتاء التأنيث ، يقال أسد وأسدة ، وسبع وسبعة ، ولَبُؤ ولبؤة ، ونمر ونمرة وفهد وفهدة ، وكلب وكلبة وذئب وذئبة ، وهر وهرة ، وحمار وحمارة ، وفلو وفلوة وجحش وجحشة وثور وثورة ..

حتى في الانسان يقال فيه : رجل ورجلة ، وغلام وغلامة ، وفتى وفتاة ، ومرء ومرأة ، ورووا أيضا : انسان وانسانة .

ومعنى هذا ان التأنيث بالتاء شبه مطرد ، فاما ان الاستقراء في القليل غير واف ، وهذا ما نرجحه بالنسبة الى «الشبلة» فليست باغرب من الاسدة ولا من السبعة، ولا من الثورة ولا من الرجلة والغلامة ولا تخرج عن تذكير اللبؤة بلفظ اللبؤ ، واضف الى ذلك الشك في نصهم انه لا يقال « فرسة » وانه لا يقال «ضبعة» وان الضبع مقصورة على الانثى . ومما يؤيد ذلك اختلافهم في الثعلب والثعلبة .

وان كنت بالطبع التزمت فقل ان « الشبل » يشمل الذكر والانثى ، كما ان « الولد » يشمل الذكر والانثى ، غاية ما في الامر ان الولد يمتاز بدلالته على اكثر من الواحد ، فوق دلالته على الواحد والواحدة . (ع . ف)





■ ٣٨ عاماً أمضاها شعب بأكمله سجيناً بعيداً عن العالم .

٣٨ عاماً جثم الظلام خلالها على عمان ، فتوقفت عقارب الساعة ، وعم فيها الدجل والترهات ، والجهل والخزعبلات ..

.. كان هناك فيما مضى من غريب الزمان ، سلطان حكم عمان اسمه سعيد بن تيمور ، حكمها كل هذه المدة الطويلة .. كان غريب الأفكار ، متقلب الأطوار ، يخاف أن يخلعه قومه عن عرشه ، لهذا حول بلاده الواسعة الى سجن كبير حبس فيه الشعب والأهل والأولاد ، حتى هو نفسه كان حبيس سجنه !

وفرض على عمان حكماً ارهابياً غريباً ..

منع الشعب من سماع الموسيقى ، ومنع دور للسينما !

ومنعه من ارتداء الملابس الأوربية والأحذية ، ومن التدخين ! ومنعه من التنقل بين أجزاء بلاده المترامية ومن استيراد السيارات ! وفي مساء كل يوم ، وبعد غروب الشمس بثلاث ساعات ، كان يحبس أهل العاصمة مسقط داخل مدينتهم ، تغلق عليهم بوابات السور القديم الثلاث، ويمنعهم من الدخول أو الخروج .. ولا يسمح لهم بالمشي أو التجول في الشوارع إلا وهم يحملون مصابيح الجاز ، لا سواها .. ليتعرف عليهم في ضوئها الحراس والجنود .. !

وفرض الجهل على أبناء الشعب .. فلم يفتح الا مدرستين ابتدائيتين لتعليم مليون نسمة !

وعندما قرر معالجة أسنان الشعب جلب لهم أحد أدعياء الطب من الهند ، الذي تعلم مهنته بعد تجاربه على أسنان مليون مسكين من أبناء عمان .. !

ولعلاج أمراض الملاريا والتراخوما والسل والبلهارسيا التي تفتك بالشعب ، أحضر بضعة أطباء من الهند والباكستان ، وبمعنى آخر جعل لكل مائة ألف نسمة طبيباً واحداً .. !

يحكم البلاد بالتلفون !

وبسبب هذا الكبت ، وعلى الرغم من الفقر والجهل ، قامت ثورتان في عهده : احداهما في عمان الداخل ، والأخرى في ظفار بالجنوب . واعتصم الثوار برؤوس الجبال يطلقون النار ، ويزرعون الألغام في طريق قوات السلطان ، وكان قد جند جيشه من الأجانب من المرتزقة ، لأنه لم يكن يثق حتى بجنده !

كان الشعب يكره سلطانه ويخافه .. فقد كان متفنناً في ارهابه .. ظل يحكم عمان حكماً فردياً مطلقاً لفترة ٣٨ عاماً كما ذكرنا ، منها ١٥ عاماً حكم خلالها البلاد عن طريق التليفون .. نعم عن طريق التليفون فقط ويجري عبر الأسلاك ، دون معاينة انسان ، وانما كان يجلس في قلعته بمدينة « صلالة » على مسافة ٩٦٠ كيلو متراً من العاصمة مسقط ، يعين الحكام ويرفع الولاة .. والويل لهم من جواسيس السلطان اذا حاولوا تبديل أي نظام ، أو عمل أي شيء مخالف لرأي السلطان ..

كان ماضيه لا يشق له غبار في الدهاء .. وهو متعلق يجيد الانجليزية والهندية ، الى جانب العربية ، يطلق لحيته وشعر رأسه بيده . ويمضي نهاره منحنياً يكتب والقلم بين أصابع قدمه ؟! ..

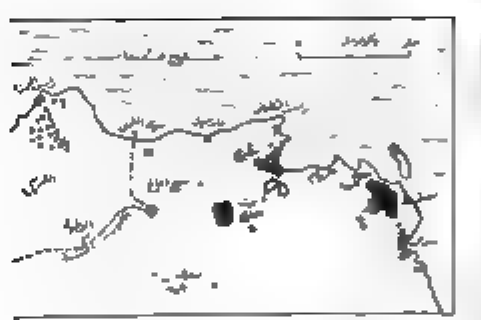
يدخل عليه الانسان فيتخيل أنه نال مأربه وحقق مطلبه ، وعندما يخرج يدرك أن يديه خاويتان تماماً ، وأنه لم يأخذ شيئاً من السلطان !!

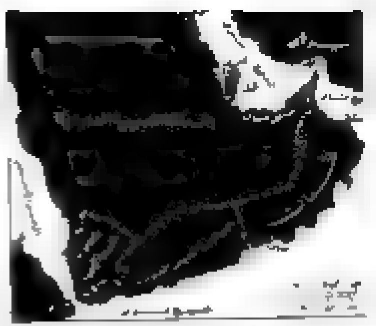
ثورة الابن ..

وتمادى سعيد بن تيمور في غيه وطغيانه حتى

←

الى اليسار : [illegible] عمان [illegible] مسقط [illegible] جمهورية اليمن الجنوبية ، حضرموت [illegible] ٨٢ ألف ميل مربع [illegible] ١١٢ ألف ميل مربع







الى اليمين [illegible]

الى اسفل [illegible]

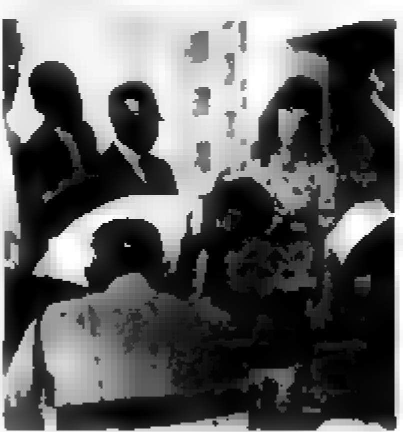




كرهه امثاله . وفي صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ارسل ابنه الاكبر قابوس ، عشرة من رجاله الى قصر صلالة ، فتبادلوا اطلاق النيران مع الحراس، ودخلوا الى القاعة التي يجلس فيها السلطان ، فاخرج مسدسه من جرابه فانطلقت منه رصاصة طائشة اصابته في رجله .. وقدموا له وثيقة التنازل عن عرش السلطنة فوقعها وانتهى كل شيء .. طار سعيد بن تيمور الى لندن دون رجعة .. وبدأ عهد قابوس .. عهد مختلف تماما عن عهد ابيه ، لقد فتح ابواب عمان على مصاريعها .

وزراء من ابناء الشعب

كان اول عمل قام به السلطان قابوس هو طرده المستشارين الانجليز الثلاثة الذين كانوا حول والده .. كانوا اصدقاء لسعيد ولم يكونوا خبراء ، لم يعد لهم مجال في حكومة الجديدة كان من واجبهم ان يصبح لا تحرك الامور لمصلحتهم الشخصية ، او كانوا معروفين بالاسماء التي ... بينما كانوا اناسا متخصصين في ... اعمارهم تجاوز العشرة والستين وحتى لو كانوا خبراء



« كان عدد القادمين الى مسقط لا يزيد على ٢٥ شخصا في الشهر ، اما اليوم فارتفع العدد الى نحو ٢٠٠ شخص وللدخول الى البلاد يجب الحصول على تأشيرة ، او أن يرسل ... احد المواطنين في عمان هذه التأشيرة وسبب ذلك يعود الى استحالة العثور على اماكن للنوم ، لانعدام الفنادق ، هكذا قال لنا السيد اسماعيل خليل الرصاصي مدير وزارة الداخلية

نحن لسنا في حاجة اليهم ! انما نريد حكومة وزراؤها من ابناء هذا الشعب وليسوا من الاجانب .

معلوماتنا تاريخية !

وجئنا اليهم بعد ستة شهور من الانقلاب ، فوجدناهم ما زالوا في مهرجانات وافراح متصلة . فهم لا يكادون يصدقون ما حدث في بلادهم .. فالمحكوم عليه بالحبس مدى الحياة يمكث ١٥ عاما في السجن .. اما هم فقد استطاعوا الحياة رغم ٣٨ عاما قضوها داخل السجن الرهيب ..

مكثنا في عمان ١٥ يوما قضيناها ، بعد ان منعونا سنوات وسنوات من دخولها . كنا نتحرق شوقا لرؤيتها ، اذ كانت معلوماتنا عنها تاريخية فقط .. كنا نعرف ان البرتغاليين احرقوا العاصمة مسقط ودمروها منذ ٤٠٠ سنة لتجاسرها على الوقوف امام غزواتهم الغازية وعاقبوا اهلها بقطع آذانهم وجدع انوفهم .. ورغم وحشية القائد البرتغالي البوكرك عاد العمانيون ، وجمعوا قواهم وهجموا على البرتغاليين بشجاعة نادرة ، فاجلوهم عن مدينتهم بعد ١٥٠ عاما من الاحتلال..

كنا نعرف ان نزوى هي العاصمة الدينية التاريخية .. كنا نقرأ عن صحار الميناء العماني الكبير الذي امتد صيته حتى الصين .. قرأنا كل هذه المدن وغيرها من القرى والبقاع .. ورأينا من الماضي والتخلف ما يشيب له الولدان !

وسمعنا من القصص والروايات ما يكاد يصل الى مرتبة الكذب ، لاستحالة تصديقه ، بينما هي في الواقع حقيقة واقعة مؤلمة !

ناخذ العبرة من الماضي ونتطلع للمستقبل

والحديث عن مآسي حكم سعيد بن تيمور وغيره من الحكام الذين عاصروه ، حديث طويل .. الا اننا استرسلنا فيه قد لا تكفيه صفحات هذا العدد كله .. وما اخترنا الى ناخذ العبرة من هذا الماضي الاليم ، مختصرين الكلام فيه ، عاملين على عدم تكراره من جديد ، مع تضميد الجراح التي خلفها ، متطلعين الى واقع البلاد الحالي وآمالها في مستقبل زاهر سعيد .

مساحة لبنان وسوريا معا !

كان اول ما فعله السلطان قابوس هو تغيير



الحلاوة المسقطية هي الصناعة الوحيدة الموجودة في مدينتي مسقط ومطرح وتصنع هذه الحلاوة المشهورة من سكر ونشاء وسمن وهيل (حبهان) وماء الورد وماء اللوز ، كلها تخلط مع بعضها على النار وتصب في اوان صغيرة يباع الواحد منها بنصف ريال سعيدى

اسم البلاد : من سلطنة مسقط وعمان ، الى سلطنة عمان فقط ، مسميا البلاد باسمها الاول الذى اشتهرت به قبل ان تنقسم الى سلطنة وامامة عام ١٩١٣ .

انها بلاد واسعة مترامية تزيد مساحتها على ٨٢ الف ميل مربع ، اى ما يوازى مساحة سوريا ولبنان معا ، والبعض يقول ان مساحتها اكبر من ذلك بكثير .. !

وفوق هذه الارض الطيبة الشاسعة يعيش مليون نسمة فقط .. انه رقم تقديرى فلا توجد احصاءات رسمية في البلاد .. و ٩٥ في المائة من هؤلاء السكان اميون ، ينتسبون الى قبائل مختلفة تعيش في المنطقة ، وعملهم الاساسي هو الزراعة .. وخاصة زراعة النخيل والليمون العماني والموز ، باسلوب بدائي لم يتطور منذ اجيال عديدة ..

اما الصناعة فلم تعرف طريقها بعد الى عمان .. فانهم يستوردون كل شيء من الخارج .. من كل بلاد العالم .. ما عدا العالم العربي !! لان العرب كانوا ممنوعين من دخول مسقط وعمان ، الا نسبة من ابناء فلسطين يعملون مدرسين في المدرستين الوحيدتين في البلاد ..

الجلالى والميرانى !

وعمان هو اسم السلطنة باكملها ! ولا توجد مدينة بهذا الاسم .. وعاصمة عمان هي مدينة مسقط منذ عام ١٧٨٤ ميلادى فقط .. اما قبل











هذا التاريخ فكانت النواحي العمانية تنتقل بين مدن صحار وبروي ، والرستاق .

ومدينة مسقط ـ التي يدور حولها هذا الاستطلاع ، على ان ننشر مستقبلا استطلاعنا الثاني عن داخل عمان ـ مسقط هذه ـ هي الواجهة الجميلة التي تطل بشاطئها الجميل على داخل عمان .. ومسقط مدينة ساحلية تحيط بها سلسلة الجبال عمان الجرداء من الشمال والجنوب والغرب . وهي لا تكتفي بإحاطتها من ثلاث جهات وانما تصنع الجبال وسط البحر على شكل اثنين صخرين هائلين ، اقام البرتغاليون عليهما الحصين حصينين ، ما زالتا تستعملان الى الآن رغم مضي نحو ٤٠٠ سنة على بنائهما .. القلعة الاولى واسمها « الجيلالي » حولوها الى سجن رهيب .. والقلعة الثانية « الميراني » اصبحت ثكنة لقوات الجيش السلطاني .. وعلى صخور هذين التلين حفر قباطنة السفن المارة بمسقط اسماء سفنهم للذكرى منذ مئات السنين .. انها سجل التشريفات لمسقط !

وبين هذين التلين الكبيرين تمتد مباني مدينة مسقط .. مبان بيضاء ، تنظر اليها من بعيد فيبهرك جمالها .. ولكن ما تكاد تقترب منها حتى تشهدها ما تلقاه منها تبدو بلا احسن الالوان .

القلاع فقط على الجبال !

وما من شك ان منظر مسقط وخليجها من أروع المناظر واكثرها سحرا .. ولكنها مدينة بدون مستقبل عمراني .. فطرقها متلاصقة ، والجبال تحدها فتمنع اتساعها الا رأسيا ، اي ببناء العمارات العالية وناطحات السحاب ..

اما البناء على الجبال فلم يفكر احد فيه الا العسكريون ، فبنوا على القمم والجوانب قلاعا مستديرة عتيقة ..

قصص بطولة مجهولة !

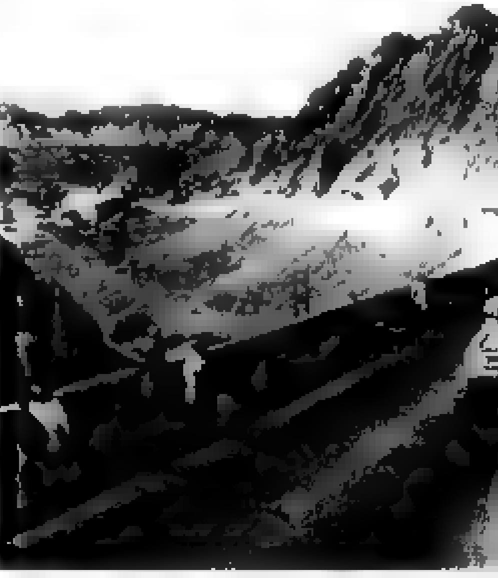
ولا يوجد في مسقط شارع رئيسي ، وانما هناك طرق ملتوية تؤدي جميعها الى باحة واسعة تحت ظلال قلعة الميراني التاريخية التي حوصرت في داخلها منذ ..١ عام آخر قوة برتغالية عسكرية . راحت تطلق نيرانها على المحاربين العمانيين فكانوا يتساقطون شهداء ابرارا ، ومع ذلك استمر الهجوم على القلعة .. واتخذ اخوانهم من جثثهم المتراكمة سلما صعدوا به الى القلعة ، واستولوا عليها بعد ان استشهد منهم نحو خمسة آلاف شهيد ..

انها احدى المعارك المشهورة في تاريخ البلاد ، وما اكثر قصص البطولة المجهولة في هذا الجزء الحبيب من وطننا العربي الكبير ..

مهرجان الحياة

وعندما تسير في شوارع مسقط تشهد الوانا مختلفة من الناس .. هؤلاء طائفة من الرجال جاءوا من داخل عمان لتهنئة السلطان ، يضعون على رؤوسهم العمامة العمانية الصوفية دون عقال ، ويحملون البندقية ذات الماسورة الحديدية ، ويتمنطقون بأحزمة جلدية فيها الرصاص وفي وسط الحزام وضعوا خنجرهم الفضي المعقوف المعروف .. انه ثروة لمنها نحو ستين جنيها استرلينيا الخنجر عندهم ضرورة يسوعونها قبل اشتغالهم حاجة الطعام والكساء ..

والى جانب هؤلاء القادمين من داخل عمان ترى بعض الهنود بسراويلهم الواسعة وسترتهم البيضاء .. انهم من البانيان ، اي القادمين من بومباي في الهند ، وهم يعملون تجارا في المدن العمانية ،



الطريق بين مسقط ومطرح .. شقوه وسط صخور الجبال منذ عشر سنوات فقط . والمسافة بين المدينتين ميلان ونصف ميل



صورة من الجو ... لجزء الأرض حول مدينة مسقط ... وتبدو الجبال الظاهرة في الصورة [illegible]

بجانب الجوامع الصغيرة بين اتباع الآغا خان ، الذين يختلفون عن البانيان انهم انصهروا مع اهل البلاد ، فاصبحوا عربا يتحدثون العربية بطلاقة ، ويرتدون الجلباب الابيض النظيف والسترة الانيقة والكمة اي الطاقية ، المطرزة باجمل النقوش في المنزل .

البوي بوي !

اما النساء في مسقط فيسرن مرتديات خليطا عجيبا من الملابس .. هؤلاء النسوة من بنات البلد يسرن سافرات ، ولكنهن يلبسن العباءة السوداء فوق الكتفين ، ومعظمهن يرتدين السروال الطويل .. والى جانبهن نرى المرأة البلوشية القادمة من بلوخستان ، ترتدي الملابس الزاهية الالوان ، ومن انفها يتدلى حلق ذهبي .

وبعكس هذا المنظر تتحرك كتل سميكة يغطيها السواد تغطية تامة .. انهن النساء القادمات مع اسرهن من جزيرة زنجبار بعد المذابح الرهيبة التي حدثت هناك .. وقد جلبن معهن زيهن الخاص المسمى « بوي بوي » منديل اسود سميك يضعونه بالكتلة السوداء فيغطي الجسم كله !!

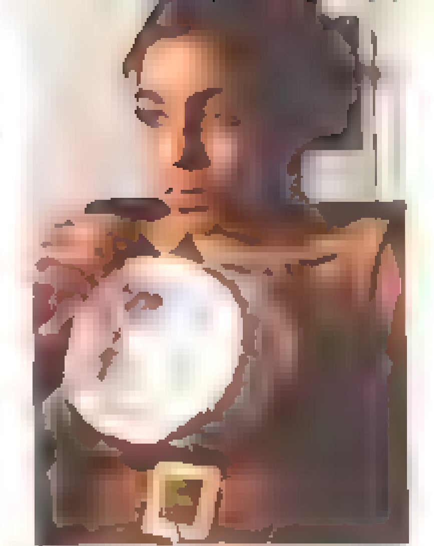
وبجانب هذه الكتلة السوداء تمشي الفتاة الانجليزية وقد ارتدت الرداء القصير الاخضر ، والقبعة البيضاء والبنطلون الاحمر .. وهكذا نمر خليط من الاجناس يعيش في مسقط ، حتى وصفوها بانها ذات ملامح عربي وملامح هندي !

اللهجة المسقطية !

ولغة سكان مسقط عربية في مجموعها .. ويحاول معظم الحديث بالعربية الفصحى ، وبعضهم يتحدثون معه بالبلوشي ، ثم الهندي ثم الانجليزي ، ونتيجة لهذا اختلطت كلمات كثيرة اجنبية مع لغة اهل البلاد ، فاصبحت لهجة خاصة غريبة هي اللهجة المسقطية .

ســدق الأعمال

وبجوار الباب الكبير لسور مسقط يجلس الرجل العاري العجوز متكئا على عصاه سيد هذه الامواج المندفعة من البحر ويسأل في داخلية نفسه [illegible]







رجال القبائل ... قادمون من داخل عمان الى مسقط لتحية السلطان الجديد ، حاملين سلاحهم وطبولهم ... وحيث تذكر ان ٩٠٪ من السكان مسلحون من [illegible] مختلفة ... العبيد [illegible] ، ما زالت سائدة في عمان ، ولكن [illegible]



[illegible] من الطالبات [illegible] طالبة عمانية في مدرسة المدرسة الوحيدة في البلاد [illegible]

.. لقد عاش سجينا في داخل عمان ، محروما من كل شيء .. محروما من العلاج والتعليم والكهرباء وحتى الماء النظيف .. ولكن الله اراد تعويضه عن هذا الانغلاق فساق له هذا الملك الشاب ، الذي لم يتعد الثامنة والعشرين من عمره ، والذي ان صدقت فيه الآمال ، سيكون مخلصا ، كما سيكون مخلصا ، ارتبط به آمال هذا الشعب ، الذي عاش في سنواته هذه القاسية المريرة ما عاش ..

ان ماضي السلطان قابوس يؤذن بذلك ، فهو قد قضى ٦ سنوات يتعلم بعد انتهاء دراسته الابتدائية ، وانخرط في كلية ساندهيرست العسكرية البريطانية ، وقام بجولة طويلة حول العالم .. وما كاد يعود الى بلاده حتى حبسه ابوه ، وعزله عن احوال البلاد المتدهورة ثم عزله ..

وهو شاب هادئ الطبع ، ولكنه في حقيقته كتلة نشاط وذكاء .. ينبذ حكم الاملاق والمظاهر ، وفي حفلة عيد ميلاده ، لم يسمح بالغرائب وبتقديمها على الجبال من الفضة والذهب ، بل اكتفى بتقديم فناجين الشاي وقطع الحلوى لضيوفه .. وقال : ان من الحرام ان [illegible] الشعب ، فوالله لا شك سوف نسمعها منه غدا وبعد غد ..

التعليم هو المشكلة الاولى في عمان !

وسألنا السلطان الشاب قابوس بن سعيد عن اهم المشاكل التي تعانيها عمان حاليا .. فاجابنا :

— ما من شك ان التعليم هو مشكلتنا الاولى في عمان .. لان الادارة والتخطيط يحتاجان الى مخططين ومديرين .. نحتاج الى موظفين مثقفين ونحن نريدهم من ابناء الشعب نفسه .. ولا يمكن ان يتم ذلك الا اذا انتشر التعليم .. ان الخبراء الاجانب يكلفوننا مصاريف باهظة من سكن ورواتب كبيرة ، مع مصاريف اضافية من مواصلات وتذاكر طائرات له ولعائلته ..

وانا لا اقلل من خطورة المشاكل الاخرى .. فالناحية الصحية لها اهميتها القصوى ..



السلطان بين مدرسي الزهراء [illegible] بعد [illegible] مفتوحة في [illegible] وبعد تطور التعليم الاولي



مجلس الوزراء العماني وهم من اليسار السادة : طارق بن تيمور رئيس الوزراء ، وهلال بن سعود وزير الداخلية ، ومحمد بن احمد وزير المالية ، وعبد الله الطائي وزير الاعلام والشئون الاجتماعية والعمل ، والدكتور عاصم علي محمد الجمالي وزير الصحة

.. والمواصلات والطرق .. كلها مشاكل نواجهها .. ولكن الاولوية طبعا دائما التعليم ..

٤٠ الف عماني خارج البلاد

قلنا : هل في نيتكم الاستعانة بالمدرسات العربية .. ؟

فاجابنا السلطان : قبل الاجابة على هذا السؤال ، اود ان اشير الى ان هناك نحو ٤٠ الف عماني متعلم يعيشون خارج بلادهم .. وهؤلاء يجب ان نعطيهم الاولوية .. [illegible] هناك اية عقبات امام اي منهم .. ومن البديهي انه لا يمكننا ايجاد وظائف لاربعين الف شخص مرة واحدة .. ولكن مجال العمل في عمان يتسع ويكبر كل شهر .. مما سيتيح لنا امكانية استيعاب هذا العدد في فترة قصيرة نسبيا .. ولنا على الثقة ان ابناءنا في الخارج يدركون ذلك جيدا ..

اما المواطن العربي فدوره يأتي مباشرة بعد المواطن العماني ، بمعنى انه عندما نفشل في ايجاد الكفاءات اللازمة بين ابنائنا ، سنتوجه الى المواطن العربي الذي يستطيع ان يقدم لنا خدمات احسن من خدمات الاجنبي الذي لا يربط بيننا رابطة تقاليد او عادات ..

ولقد طلبنا فعلا من السفراء العرب الذين اعربوا عن استعداد بلادهم لتقديم المدرسين والاطباء .. ونحن ندرس حاليا هذه العروض دراسة جدية .

تعليم المرأة

قلنا : ما رأي جلالتكم في [illegible] ، وهل توافقون على تعليمها ؟

فاجابنا السلطان الشاب ببيت من الشعر هو :

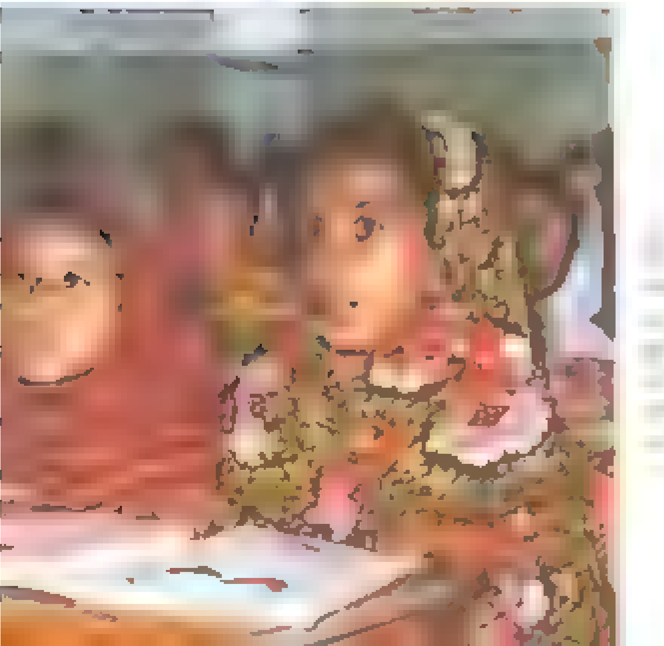
الام مدرسة اذا اعددتها
اعددت شعبا طيب الاعراق .

اصلاحات في ظفار

قلنا : هل ستمتد الاصلاح الى منطقة ظفار ؟



« [illegible] » [illegible] ([illegible]) [illegible] (الصورة السفلى)



عمل . » في خلال هذا الشهر (مارس) نأمل ان نفتتح ابواب المستشفى الذي انشأناه في صلالة اهم مدينة في ظفار ، اما محطة الكهرباء فستفتحها هناك قبل ان تنتهوا من طبع عددكم هذا .. كما بدأنا في عمل ميناء في ريسوت على مسافة عشرة اميال غرب صلالة .. وكذلك انتهت عملية مسح الطرق وسيبدأ التنفيذ في الحال ..

« ان منطقة ظفار ستشهد مشاريع كثيرة في القريب العاجل . »

مجلس الشورى

قلنا : هل في نيتكم انشاء برلمان او مجلس للشورى من ابناء الشعب ليساعدكم في حكم البلاد ؟

فاجابنا السلطان قابوس قائلا : « ما من شك ان رأي الجماعة والشورى احسن من رأي الفرد .. لهذا فنحن نعمل مجلس الوزراء واعطيناه كل الصلاحيات .. اما بالنسبة لسؤالكم فاجيبكم ان التعليم هو اساس كل شيء .. لقد طلبنا من كل قبيلة كبيرة ان ترشح شخصا من طرفها ليشترك معنا في الاجتماعات التي نجريها لتخطيط البلاد من جديد .. ونحن ما زلنا ننتظر نتيجة اختيارهم لهؤلاء الاشخاص ..

ان مسألة عمل مجلس برلماني بين ليلة وضحاها في بلادنا فيه استحالة ، ولكننا نأمل تكوين مجلس للشورى في خلال السنوات القليلة القادمة .

ليس عندنا شيئا نخفيه

وكنا قد اخذنا اكثر من ساعتين من وقت السلطان فاحسسنا بالحرج ، خاصة وان سكرتيره كان يدخل علينا بين الفينة والاخرى ، فاعتذرنا ولكنه قال : « اسألوا كما يحلو لكم فهذا قدر رسالة العربي ، فضلا عن انه لم يعد عندنا شيء نخفيه عن اخوتنا في البلاد العربية .. اننا نبني بلادنا من جديد ، وهدفنا ان نصبح في مركز يمكننا من مساعدة الآخرين في المنطقة .. اننا شعب ذو حضارة واصالة .. ودخل بلادنا حاليا يأتينا من البترول ومقداره ٤٢ مليون جنيه استرليني .. ونأمل ان يتضاعف الدخل في السنوات القادمة .

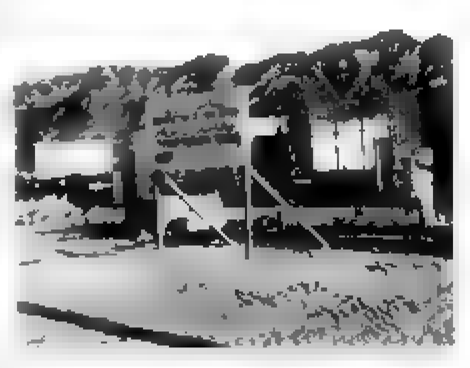
شركات وطنية

قلنا - يقولون ان ايراد البلاد يذهب للشركات الاجنبية ..

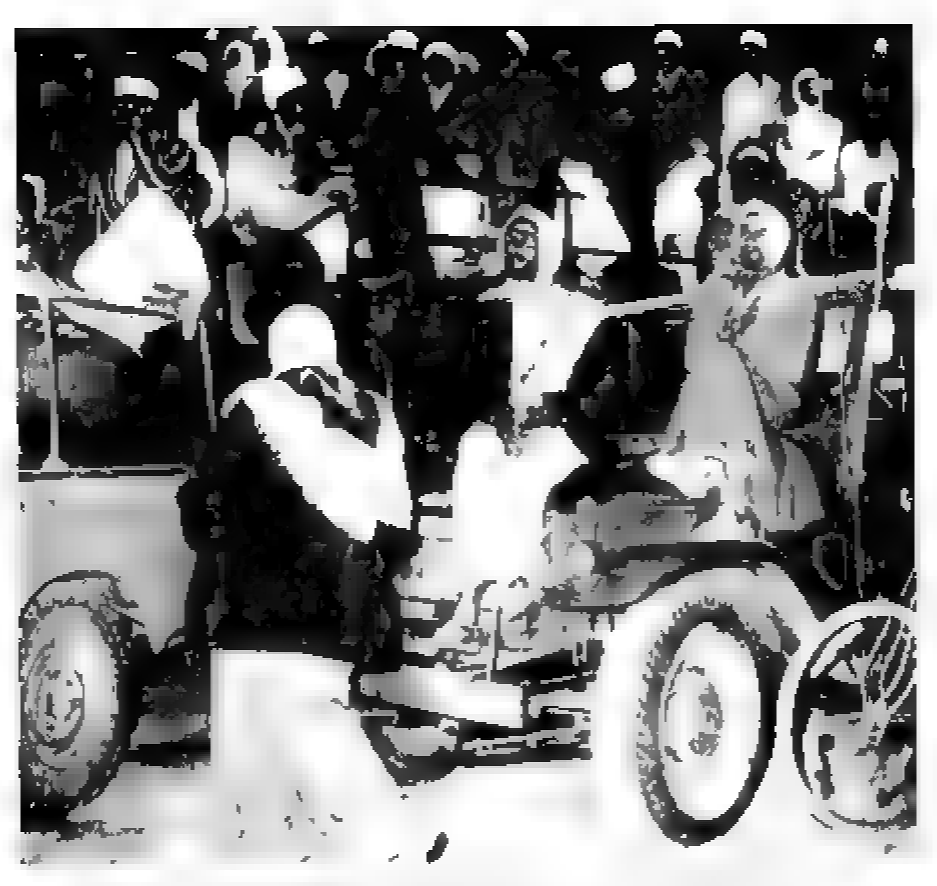
فاجابنا السلطان الشاب قائلا : « يجب ان يفهم العرب ان تغيرا اساسيا يجري حاليا في القطر العماني .. ولكن يحلو للبعض الصيد في الماء العكر .. فهذا يريدونا ان نعمل بشركات النفط ؟ هل يطالبونا بتأميم الزيت ؟ اين الخبرة واين الادارة اللازمة لهذا العمل .. لكني اقول ان الذي نأمل في تحقيقه هو قيام شركات وطنية بجانب الشركات الاجنبية .. وبنوك وطنية .. وشركة طيران وطنية .. وشركة ملاحة وطنية .. ومصانع وطنية .. اننا نعمل على تشجيع المواطن .. فالثروات في بلادنا عديدة وفيرة والحمد لله .. واليد العاملة موجودة تعيش على ارض مساحتها ١١٢٠٠٠ ميل مربع ، وساحل طوله الف ميل .. كما عندنا ٢٠ مدينة يتراوح سكان كل منها بين ٩ آلاف و ٢٠ الف نسمة .. ان كل الذي نريده هو بعض الوقت .. لنعيد الى ارض عمان امجادها وتصبح عضوا فعالا في الاسرة العربية الكبيرة » ..

المدينة النوام

وخرجنا من عند السلطان نتجول في شوارع مسقط .. انها مدينة صغيرة يمكنك ان تتجول



المشكلة الرئيسية في العاصمة مسقط هي عدم وجود فندق واحد فيها .. ويجري العمل حاليا بسرعة ملحوظة لانشاء [illegible] اول فندق ، استوردت جدرانه وابوابه وكل شيء فيه من استراليا .. انه فندق جاهز البناء سيضم ٢٥ غرفة مكيفة الهواء



جاء العمانيون من كل مكان ، على ظهور السيارات ، والدراجات والحيوانات ، للاستماع الى اول فرقة موسيقية تعزف في مسقط .. بعد ان الغناء والطرب ممنوعين في تلك البلاد حتى يوم ٢٣ يوليو ١٩٧

فيها على تصميمه . وهنا يتيح لك فرصة الإحساس بشعور غريب .. الشعور بأنك تسير في شوارع القدس العتيقة ..

ولكن مسقط تختلف بأنها مدينة لا مستقبل لها ، وقد بدأ أهلها أنفسهم يتساءلون عن قرب انتقال العاصمة الى نزوى أو الرستاق .. ولكنه حديث سابق لأوانه ، فهناك العديد من المشاكل الهامة التي يجب معالجتها ، قبل معالجة مشكلة نقل العاصمة من مكانها ..

حقيقة أن عدد سكان مدينة مسقط لا يزيد على ٦ آلاف نسمة، ولكن لمسقط شقيقة توأم هي مطرح .. فعندما ازدحمت مسقط بالسكان ، اتجه الكثيرون الى خليج قريب من العاصمة ، وأقاموا على مساحته مدينة مطرح ..

إنها مدينة التجارة والنقل ، ظلت تتسع وتكبر دون أي تخطيط حتى ارتفع عدد سكانها الى أكثر من ثلاثة أضعاف عدد سكان مسقط ، أي حوالي ٢١ ألف نسمة .. لكن هذا جعل مطرح تنمو نموا سريعا خاليا من كل مظاهر النظافة والجمال العمراني .. وأهلها لا يكترثون كثيرا بالجمال أو النظافة ، فقد انشغلوا بمطالبهم الزائدة ، وساهم بعضهم في اقامة أي مشروع صناعي أو اقتصادي في البلاد ، رغم ثرائهم الفاحش ..

استيراد من الخارج للبيع الى الداخل !

ويعمل معظم أهالي مطرح في التجارة .. فقد

موكب السلطان قابوس ، يشق طريقه وسط طلبة المدارس ، الذين اصطفوا على الجانبين لتحيته ، دون وجود حراس او جنود





استوردوا في العام الماضي ما بلغ وزنه ٦٣ الف طن من البضائع قيمتها ٦ ملايين جنيه استرليني .. استوردوا الرز من بورما ، والدقيق من استراليا ، والسكر من تشيكوسلوفاكيا ، والسجاير من امريكا والثلاجات والمكيفات من انجلترا والمنسوجات من اليابان .. والبصل من الهند وايران ، حتى البطاطا استوردوها من الباكستان وهولندا ، والمناديل من الهند .. كل هذا استوردوه من الخارج ليبيعوه لاهل عمان الداخل ..

اما صادرات البلاد فهزيلة لا تستحق الذكر ، اذ لا تتعدى السمك المجفف والتمر المجفف .. والليمون المجفف والرمان المجفف .. وكلها تجفف بطريقة بدائية تحت اشعة الشمس !

مشروع خطير

ويجري حاليا في مدينة مطرح عملية نسف جبلين كبيرين ، لاستعمال ٨٠٠ الف طن من صخورهما ، في تنفيذ المرحلة الاولى من الميناء الكبير الذي سيتكلف مليوني جنيه استرليني ، وسينتهي العمل فيه خلال شهر سبتمبر من هذا العام ١٩٧١ .

ان انشاء هذا الميناء الكبير امر بالغ الاهمية والخطورة ، وخاصة اذا تم شق الطرق الموصلة بين مسقط ودبي وابو ظبي حتى الكويت شمالا .. وهناك مشروع قدمته شركة بريطانية لاقامة خط سكة حديد ، وانابيب للنفط ، تمتد من الكويت حتى مسقط تنقل بضائع ونفط الخليج مباشرة الى السفن الراسية في خليج عمان ، دون حاجة الى دخول السفن في مياه الخليج العربي ، مما يوفر اموالا طائلة لانه يختصر المسافة بنحو ٨٠٠ ميل ، ويشمل وضع المنطقة تبديلا جذريا شاملا ..

عقدة الخوف

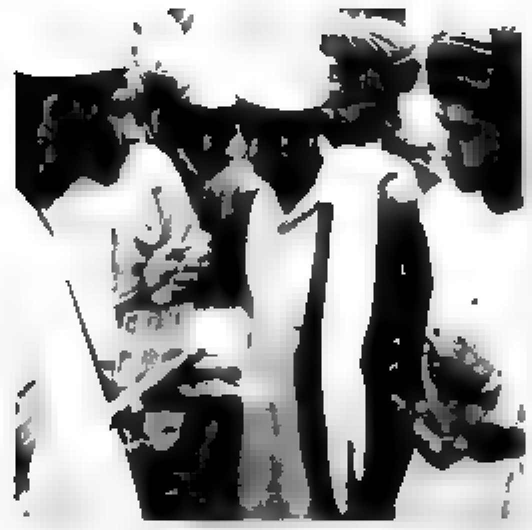
وتعتمد عمان في نهضتها على شبابها ، وكم من مرة استقبل السلطان الشاب شباب الاندية الرياضية وليرع لهم بالمساعدات المادية ، ولكن المشكل هو ان هذا الشباب اصيب بعقدة الخوف .. فهو ما زال يتخيل نفسه يعيش تحت ظل الارهاب الفكري ، فضعفت قوة الابداع عنده ، ولم يعد يتحرك الا بلطف ، ولا يعمل الا بأمر !

اضف الى هذا ضعف المؤهل العلمي لهؤلاء الشباب والذي لا يتعدى الابتدائية .. لان السلطان السابق لم يكن يسمح بالتعليم ، لاكثر من المرحلة الابتدائية !

■ لقد بدأنا العمل في حقل التعليم من خلال



الشباب يتناقش في الدور الجديد الذي يجب ان يلعبه ؟ بعد انفتاح بلاده على العالم .. والناديان الكبيران في مسقط ومطرح هما : عمان والاهلي . والمشاكل التي امامهما تحتاج الى مزيد من العمل والحركة من الشباب .. كما تحتاج الى توجيه كبير من المسؤولين لتوعية هؤلاء الشباب حتى يؤدوا دورهم على اكمل وجه



بدات الاذاعة مسقط تبث برامجها بعد طلوع السعيد ابن تيمور مباشرة ، وارسلها الاذاعية كانو ردات واحد ، وتذيع ؛ ساعات في اليوم .. ونرى هنا المذيع دياب العامري ، يسجل برنامجه « على الناصية » مع الجمهور

بعده الصغر .. فالسلطان السابق لم يبن الا مدرستين ابتدائيتين ، واحدة في مسقط والاخرى في مطرح لتعليم ٦٠٠ طالب فقط .. اما اليوم وبعد مرور سبعة شهور فقط ، ارتفع عدد التلاميذ الى اكثر من ٨٠٠٠ تلميذ وتلميذة .. اننا نفتح المدارس في كل مكان ، ناخذ المساجد القديمة ونحولها الى مدارس » ..

هذا ما قاله لنا وزير التربية والتعليم الشيخ سعود بن علي الخليلي ، الذي تابع كلامه بقوله « والمدرسون وجميعهم يسمونه من بين العمانيين الذين عادوا الى بلادهم من الخارج ..

« اما تعليم الفتاة ، فقد حدث عندما بدأنا التسجيل للفتيان ان جاءت الفتيات في شبه مظاهرة الى اماكن التسجيل وقلن : (من حقنا ان نتعلم مثل الفتيان تماما .. وليس من حقكم حرماننا من التعليم ..) لهذا قررنا افتتاح مدرسة لهن في مسقط ، تضم الآن الفا ومائة تلميذة ، ونامل في افتتاح مدارس للبنات قريبا . في داخل عمان »

٢٢ الف طالب في السنة القادمة

ومن مشاريع المستقبل حدثنا الاستاذ فيصل ابن علي مدير التعليم بالوكالة فقال : « اننا نعمل منذ الآن على افتتاح اعدادية وثانوية في العام القادم ، لنستطيع استقبال ابناء العائدين من خارج البلاد ، وتعليم ابناء البلاد الذين انهوا المرحلة الابتدائية .

« ونحن نامل ان نتمكن من افتتاح ٤٢ مدرسة جديدة في العام القادم لتعليم ٢٢ الف تلميذ وتلميذة ، واذا وجدنا نقصا في عدد المدرسين العمانيين فسوف نستعين بابناء البحرين ، لقربها من بلادنا ، وتشابه عاداتهم مع عاداتنا » .

ما هي الاباضيـة ؟

ويقول البعض ان المذهب الاباضي الذي يتبعه اهل عمان — حرم تعليم الفتاة .. ولكن الشيخ محمد حسن احمد وزير العدل لا يوافق على هذا الرأي ، اذ قال لنا خلال حديث طويل « المذهب الاباضي هو مذهب قديم نشأ بعد الفرقة بين الامام علي ومعاوية .. والاباضية قوم متمسكون بنصوص الشريعة الاسلامية في جميع معاملاتهم .. وهذا المذهب منتشر في داخل عمان ، ولا يوجد غيره هناك

« والاباضية هو المذهب الرسمي للدولة ، وجميع الاحكام تجري وفق هذا المذهب .

« ولكن عندنا كذلك المذاهب الاخرى من سنة وشيعة ، وفي مجلس وزرائنا وزير شيعي ، والغالب كلنا من السنيين .. ولا توجد تفرقة بين اي من هذه المذاهب ، فالاباضية تنظر الى جميع الفرق الاسلامية ، نظرتها الى احد ابنائها الاباضيين من المسلمين » .

نظرة الاباضية للمرأة والحجاب

قلنا : وما هي نظرة المذهب الاباضي للزواج [illegible]

قال : « المذهب الاباضي يبيح الزواج في سن مبكرة ، جدا للصبي والصبية ، ولكن لهما الحق ، بعد ان يبلغا ، ان يفسخا الزواج او يقراه . كما ان زواج الرجل الكبير بفتاة صغيرة مسموح به شرعا » .

وتحدث الوزير الشيخ عن المرأة وحجابها فيقول : « الشرع يبيح سفور الوجه والبدين والرجلين للمرأة ، وما عدا هذا ممنوع .. والمحاكم عندنا لا تقبل توكيل المرأة او اقرارها الشرعي الا







وهي سافرة عن وجهها .. على أساس أن الوجه ليس بعورة ..

« هذا البرقع موجود في المناطق المحيطة بعمان الداخلية ، ورحم الله الشاعر الذي قال

ألا بارك الله في علي
فلا بارك الله في البرقع
يريك عيون المها غرة
ويكشف عن منظر أشنع »

لم يرسل نقودا !

وسألنا وزير العدل عن حالات الطلاق في عمان فقال : « لم يحدث سوى حالة طلاق واحدة فقط في جميع أرجاء عمان طوال الشهور الستة الماضية وسبب هذا الطلاق هو غياب الزوج ٣ سنوات عن زوجته دون أن يرسل لها أية نقود أو خطابات » !

اللحية هي الأصل !!

وعندما سألنا الوزير : « هل الشعب العماني يحتم إطلاق اللحية ؟ » .

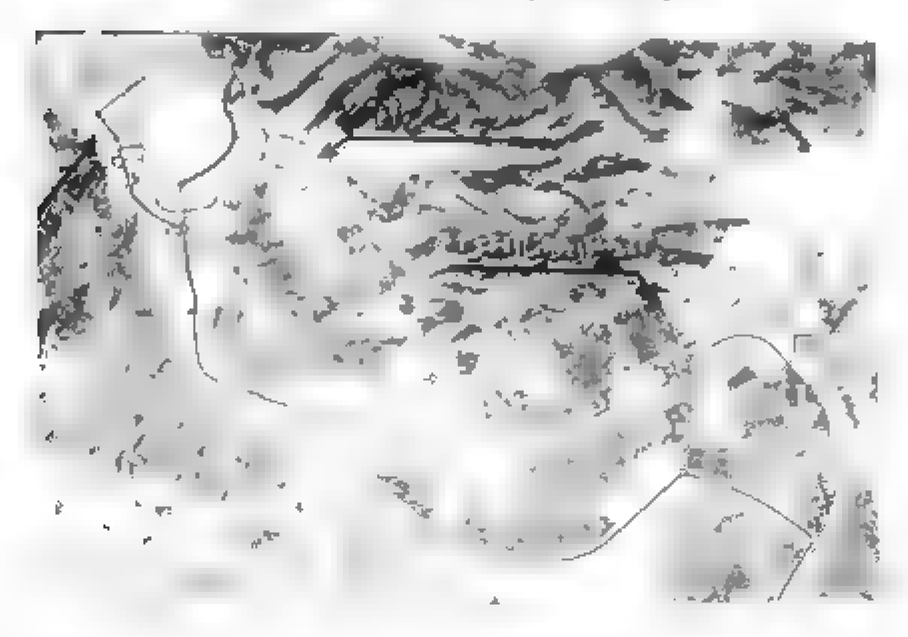
ابتسم وزير العدل بلحيته وأجابنا ضاحكا « يجب أن أقول لكم أولا إن الأصل في وجه الإنسان هي اللحية ، أما حلاقتها فتقليد حديث نسبيا .. وإرسال اللحية عادة عربية قديمة أيدها الدين الإسلامي ، والأصل هو عدم قصها أو تهذيبها ، ولكن المتمدنين بدأوا يحلقونها ويقصصونها بالمقص !! » .

نداء عن المرأة العمانية

والمرأة العمانية المتعلمة انتهزت فرصة انقلاب ٢٣ يوليو وحققت لنفسها انتصارا كبيرا عندما وافق المسؤولون على افتتاح جمعية المرأة العمانية في ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ إثر ٩٠ خطابا أرسلتها الآنسة ... على الـ ٩٠ امرأة ... جاء في خطابها قولها : « ... من الضروري أن تبدأ المرأة العمانية مسيرة إلى مستقبل أكثر إشراقا ، ولإحداث هذا التغيير يجب أن يشترك المجتمع في ذلك ، امرأة ورجلا ، لهذا وجدت بأننا يجب أن نجتمع لسبب ... » .

وفعلا بدأت المرأة العمانية مسيرتها ، وأصبح عدد العضوات حاليا ٩٩ عضوة .. إنها الجمعية النسائية الوحيدة النشيطة في مسقط وسواحل عمان .. قدم لها شباب النادي الأهلي كل معونة ممكنة على حساب نادي شباب الذين قاطعوا الجمعية ورفضوا مساعدتها .. ولمقر الجمعية حاليا

هذا الرسم [illegible]



بمرحلة دقيقة حرجة ، فهي في حاجة الى ٣ الاف جنيه استرليني لتبني مقرا تستطيع منه ان تنطلق لتحقيق المشاريع الكبيرة التي تحتاجها المرأة العمانيـة ..

ياليت هذا كان صحيحا !

وعندما سألتنا اعضاء مجلس ادارة جمعية المرأة العمانية : « هل حقيقة ان الفتاة تتزوج وعمرها ٧ سنوات !! » ، اجابت بعضهن بسرعة : « ياليت هذا كان صحيحا .. لقد جاوزنا سن العشرين دون ان نتزوج !! » .

ومشكلة الزواج تنحصر في نقص المال في يد الشباب .. وهذا يجعله عاجزا عن دفع المهر المفروض للفتاة .. وقد حددوا المهور على اساس ٥٠٠ ريال مائة تيرزا للفتاة الحرة القبلية .. و ٢٠٠ ريال للفتاة المقيمة في المدينة !

الريال السعيدي والملكة تيريزا

ومما يذكر ان ريال الملكة تيريزا الفضي ، وكان في مسقط يعادل نصف جنيه استرليني ، ما زال مستعملا في المهور فقط .. اما النقود المستعملة في الاسواق فكانت الروبية الهندية حتى تاريخ تحويرها عام ١٩٦٦ وبعدها بدأ التفكير في اصدار عملة جديدة .. وفي السنة الماضية صدر الريال السعيدي ، الذي يعادل في قيمته قيمة الجنيه الاسترليني ، ولكن الريال السعيدي ينقسم الى الف بيسه ، مثل الدينار والفلس وهو يرتكز على الذهب وليس على الاسترليني ، واوراق العملة العمانية اوراق انيقة ، ومجموع القيمة المتداولة في الاسواق كانت اربعة ملايين ريال سعيدي حتى بداية هذا العام ١٩٧١ .

متى يعود السلام الى عمان ؟

ان دخل البلاد حاليا نحو ٤٢ مليون جنيه استرليني وهذا المبلغ يمكن ان يساعد كثيرا في نهضة عمان ، ولكن التركة الثقيلة التي ورثها هذا العهد تتمثل في بقاياها ثورة يقوم بها بعض سكان الجنوب في منطقة ظفار .. لقد ثاروا ضد ظلم السلطان السابق الذي تحمل منظمتهم اعمالا شتيمة .. وسألنا رئيس الوزراء طارق بن تيمور ، عن هذا الموضوع الحساس فاجابنا : « عمان



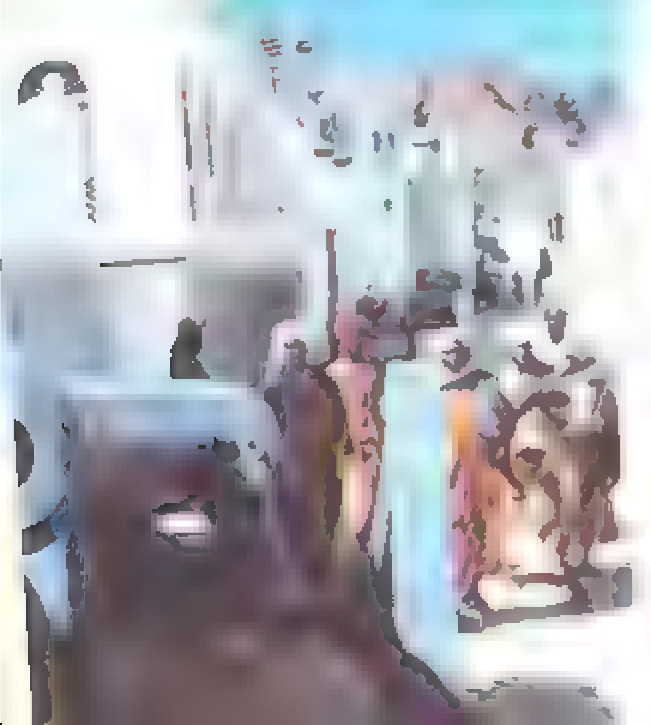
هذا المبنى الرابض فوق الصخور على ارتفاع ١٥ مترا فوق سطح البحر ، هو قلعة شيدها البرتغاليون عام ١٥٨٩ ميلادية واطلقوا عليها اسم سان جوا Sanjoao وعندما احتل الايرانيون مسقط اطلقوا اسم احد قوادهم « جلال » على القلعة ، فاصبحت تعرف باسم قلعة جلالي

ثم تحولت هذه القلعة الى سجن رهيب ، ويجري التفكير لتحويله الى متحف بعد بناء سجن جديد

منفتحة الى كل شيء .. والصرف في هذا الوقت على الجيش والقوات المسلحة يعتبر عبئا على الحكومة .. وقد حاولنا الاتصال بالثائرين ، ووزعنا المنشور على كل منطقة ظفار ، معلنين فيها عن رغبتنا في حقن الدماء ، مع وعود بالاصلاح انتهينا من بعضها فعلا ، ولكن زعماء الثائرين رفضوا اي تفاهم ..

« وهنا يجب ان نفرق بين اهل ظفار ، ورجال العصابات ، فالاهالي يريدون السلام ، ولكن رجال العصابات المسلحين بالاسلحة والافكار الهدامة الخارجية يمنعونهم من نزول الجبال لمقابلتنا ، وقد وصل بهم الامر الى حد اعدام المشايخ .. وهذا شيء فريد لم يسبق له مثيل في تاريخ عمان .. ومن المؤسف ان اقل من نصف دخلنا ننفقه على الجيش والقوات المسلحة » ..





● كنا نعيش سجناء في منازل
كان الرجال يعاملوننا كأننا متاع
في المنزل، يبيعوننا ويشتروننا.
[illegible] الأعراس
وفي ٢٣ سبتمبر ١٩٧[illegible] ظهرت لأول
مرة في تاريخ عمان [illegible] المرأة
العمانية [illegible] هدفها [illegible]
رفع مستوى المرأة العمانية وخدمة
المجتمع العماني [illegible]

تغيير كبير في عمان

ويمضي رئيس الوزراء حديثه بقوله : « ان شيئا جديدا يحدث في بلادنا ، لقد كانت كل كبيرة وصغيرة في يد السلطان السابق .. اما اليوم فقد توزعت المسئوليات .. واصبح كل وزير مسئولا عن اعمال وزارته مسئولية تامة .. ان هذا التغيير هو الذي نريد ان يعلم به العالم ، حتى لاتبقى عمان دولة عربية مجهولة » ..

نكره كلمة الانفصال

وخرجنا من عند رئيس الوزراء لنقابل الشعب الوطني عبد الله الطائي الذي عاد الى بلاده ليشترك في بناء نهضته بعد حياة في المنفى استمرت ٢٥ عاما ، عاد الى عمان ليصبح وزيرا للاعلام والشئون الاجتماعية والعمل قال لنا : « كنتم تلومونا تكتب عليكم صحفنا كنا نروي الحالة المزرية المؤسفة التي كانت عليها بلادنا ، والحمد لله انكم شاهدتم باعينكم اننا ما كنا مغالين في اقوالنا وان الحالة اسوأ مما ذكرناها الاف المرات .. ان النية متوفرة عندنا للعمل من اجل رفع شأن هذا البلد ، والحمد لله اننا ما عرضنا اقتراحا او مشروعا اصلاحيا على السلطان او رئيس الوزراء الا ووافقا على التنفيذ .

« اننا نؤمن بوطن عماني واحد ، ونكره كلمة الانفصال .. لقد كنا جميعا ضد سعيد بن تيمور حتى تنحيه .. واليوم نحن جميعا نعمل من اجل تحقيق حياة افضل لشعبنا العربي في عمان ، عاملنا الفرقة والانفصال !! » .

النقلة من القديم الى الحديث ليست سهلة

واجمل ما تشهده في مسقط وعمان هو شبابها ورجالها الذين عادوا الى بلادهم بعد حياة طويلة قضوها بعيدا عن بلادهم .. عادوا ليتولوا المراكز الرئيسية في بلادهم ويحققوا العدل والانصاف والازدهار الذي كانوا يطالبون به السلطان السابق .. ، وخبراتهم الخارجية تعطيهم قوة هائلة للنهوض ببلادهم التي تعيش في القرن العشرين ولكن تتمسك بحضارة القرن السادس عشر !

انه شعب ظل دهرا طويلا حبيسا .. وقد نتج عن ما ذكرنا ، واستبدل سلطانا بسلطان .. وقد عرفنا ما السلطان القديم ، ورأينا بشائر من السلطان الجديد يجب ان يفتح لها كل عربي صدره ، ولن لا ينسى احد ، ان النقلة من القديم الى الحديث ليست من الامور السهلة ، وانها عادات ، وانها تقاليد ، وانها امور انطبعت في نفس الناس ، كما تنطبع الصور في الضمير .. لابد من مثابرة الزمان لتغييرها ..

وليس من احد لا يود ان يبدل من هذه الامور بين عشية وضحاها ، ولو قد امكن ذلك لكان هذا خيرا كثيرا ، ولكن طبائع هي ما هي ، لابد من الصبر والتصابر ، لعل الله يجعل من كل امور العرب المتأزمة فرجا سريعا حاسما ان شاء الله .

سليم زبال

بدأت عملية تعريب الجيش العماني ، بعد ان كانت اللغة المستخدمة فيه هي اللغة الاردية ، ومعظم ضباط الجيش جميعهم من الضباط الانجليز اذ كان السلطان السابق لا يسمح بترقية جندي عماني الى اعلى من درجة « لفتنانت » !

دَوْرُ المَدرَسَةِ العَرَبيَّةِ في تغيير المجتمع العربي

● المجتمع الذي لا يتغير محكوم عليه بالفناء

● المجتمع العربي متخلف فلا بد من المسارعة في تغييره

● دور المدرسة أكبر الأدوار في تغيير المجتمع العربي

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ كثيراً ما يطرح المعنيون بأمور التربية السؤال التالي : هل من واجب المدرسة أن تهيىء الطلاب ليناسب المجتمع القائم أم يغيره ؟

والسؤال كما ترى هام وخطير ، وعلى جوابه تتوقف العملية التربوية التي نسبها وتتوقف بالتالي مواقفك من العملية التربوية ووظيفتها ووسائلها وغير ذلك مما يتصل بها .

ولنبدأ منذ البداية لنلاحظ أن الإنسان حيوان اجتماعي . وسواء أكان الميل الى التجمع غريزة في الإنسان وفطرة – كما يقول بعض العلماء – أو كان أمراً اكتسبه من حياته الاجتماعية وولادته في مجتمعه وقصوره عن العناية بذاته وايكال ذلك الى المجتمع – كما ترى جمهرة علماء النفس اليوم – فنقول: سواء أكان هذا أو ذاك فإن الميل الى التجمع عام وقوي وأساسي لدرجة أن الحياة البشرية مستحيلة إلا في المجتمع ومن طريقه .

وسواء أسمينا هذا الميل الى التجمع بغريزة القطيع كما يسميه بعض العلماء ، أم سميناه ميلاً الى الاجتماع بالأشباه كما يسميه علماء آخرون ، أم سميناه أسماء أخرى أطلقت عليه ، فإن لهذا الميل من الأصالة والأهمية ما يجعل منه قطب الرحى في الحياة البشرية خاصة وفي الحياة الحيوانية عامة .

والحق أن الطفل البشري الذي يولد عاجزاً

عن العناية بذاته من جهة ، ومزودا بقدرة هائلة على التعلم من جهة اخرى ، لا يستطيع ان يعيش ويبقى الا في المجتمع . ويبدو ان المجتمع الاول هو المجتمع العائلي المكون من الام والاب والاخوة والاخوات .

ولا تحرص العائلة ، والمجتمع بكافة هيئاته ومنظماته من ورائها ، على المحافظ على بقاء الطفل فحسب ، فتوفر له الغذاء والكساء والعناية الصحية بل تضيف الى ذلك الافادة من قدراته الكبيرة على التعلم فتنقل اليه معارفها وخبراتها وطرائقها في الحياة ووسائلها في مواجهة الطبيعة ومفاهيمها وقيمها ومثلها محاولة ان تهيئه لحياته المقبلة من جهة وان تخلد المجتمع عن طريقه وبواسطته .

المدرسة من بعد العائلة

ولقد وجد المجتمع ان العائلة لا تكفي في النهوض باعباء هذه المهمة فاصطنع وسائل اخرى للتربية واهمها المدرسة بانواعها المختلفة ودرجاتها المتباينة وطرائقها المتنوعة ووسائلها المبتكرة .

واذا كان صحيحا ان المدرسة الحديثة لا تقصر مهمتها على تهيئة الطفل للحياة ، بل تتجاوزها الى العمل على ان يحيا فيها الطفل حياته الخاصة ، ويحقق ذاته وينمي مواهبه وقابلياته ، فانه يبقى صحيحا ان التهيئة للحياة هي المهمة الكبرى للمدرسة - اي مدرسة - وان الوظيفة الاجتماعية للمدرسة وظيفة اساسية كبرى .

وها هنا لا بد من ملاحظة هامة وهي ان المجتمعات - كالافراد - ميالة الى حفظ بقائها والمحافظة على مفاهيمها وقيمها ومثلها .

وهكذا فالمجتمع الذي يحميه الفرد المحافظ على بقائه الخاص يتخذ من خلاله للحفاظ على بقاء المجتمع وبقاء قيمه ومثله ومفاهيمه .

حياة المجتمع

واذا كانت حياة الفرد كلا متصلا يمتد فيه الحاضر بين الماضي والمستقبل ، فان حياة المجتمع هي ايضا كل متصل يتصل فيه الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل وكل مجتمع لا يحرص على هذا الاتصال محكوم عليه بالفناء والاضمحلال .



وهكذا فاذا كان الفرد يتغير محافظا على هويته فان المجتمع يتغير ايضا محافظا على هويته ، واصلا ماضيه ، وما في هذا الماضي من تراث بحاضره وما في هذا الحاضر من مفاهيم وقيم ومثل ، وواصلا حاضره بمستقبله وما يحمله المستقبل من امال وامال وتطلعات واهداف .

المجتمع الذي لا يتغير محكوم عليه بالفناء

والان فالمجتمع يتغير شأنه في ذلك شأن كل كائن حي ، والمجتمع الذي لا يتغير محكوم عليه بالفناء ذلك بان التغير صفة اساسية من صفات الاحياء . والسؤال ، كل السؤال ، من الذي يغير المجتمع ؟ وكيف يتغير المجتمع ؟ وفي اي اتجاه يتغير المجتمع ؟

وقبل ان نحاول الاجابة عن هذين السؤالين يجب ان نلاحظ الفرق بين تغير المجتمعات التقليدية (والتي يسميها البعض خطأ بالنامية) وتغير المجتمعات المتقدمة .

على اننا نحب قبل ذلك ان نلاحظ ان المجتمع ،

في مجتمع ، يجب أن يتجه نحو الأفضل والأحسن وإذا صح أن (الأفضل) و (الأحسن) يختلفان، من حيث المفهوم ، من مجتمع الى آخر ، فإن حضارة اليوم قربت بين المفاهيم ووحدتها .

في الماضي كانت المجتمعات متباعدة ، بل أن بعضها كان معزولا . وفي السابق كان من الممكن لبعض المجتمعات أن تستمر في عزلتها وأن تعيش لذاتها وبذاتها . أما اليوم فإن وسائل الاتصال قد ضيقت العالم وجعلت من المستحيل على أي مجتمع أن يعيش معزولا عن باقي المجتمعات .

غزوة المجتمعات المتقدمة

وفي القرن الماضي غزت المجتمعات المتقدمة المجتمعات المتخلفة واستعمرتها وحملت اليها حضارتها ـ بخيرها وشرها ـ وما في هذه الحضارة من مفاهيم وقيم ومثل . صحيح أنها استغلتها واستثمرت خيراتها لأغراضها ، ولكنها في الوقت نفسه أشبعتها بمشاعر الثورة وحملت اليها بذور التصادم والتحرر مما أدى الى أنه في قرننا الحاضر هبت رياح الحرية على كل المجتمعات المتخلفة ودفعتها الى النضال من أجل تحررها من ربقة الاستعمار ونبهتها الى أهمية الاستقلال والمحافظة على طابعها القومي ضمن المجتمع الانساني الواسع .

ومعلوم أن معظم البلاد المستعمرة قد حصلت اليوم على استقلالها السياسي وأنها تناضل جاهدة من أجل التحرر الاقتصادي والاجتماعي والحضاري .

ومن هنا كان الفرق بين الجهاد لدى المجتمع المتخلف والجهاد لدى المجتمع المتقدم .

أما المجتمع المتقدم فله من امكاناته وخبراته وتقدمه ما يسمح به بأن يعتمد على تطوره الطبيعي وتقدمه السوي في السير الى أهدافه سيرا وئيدا متزنا للوصول الى أهدافه العاجلة والتخطيط لأهدافه الآجلة .

وأما المجتمع المتخلف وما يستشعره من قصور وتخلف ، وما يحس به من اتساع مسافة التخلف بينه وبين المجتمع المتقدم ، فإنه لا يستطيع الاكتفاء بالتطور البطيء والتقدم الوئيد الذي يصل الى ما يصبو اليه من اللحاق بركب المتقدمين .

ثورة التغير لدى المتقدمين والمتخلفين

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ أن عصرنا الحديث عصر ثورات : ثورة علمية وثورة اجتماعية وثورة صحية وثورة اقتصادية وثورة تعليمية وغير ذلك من الثورات .

والحق أن الناظر في المجتمعات المتقدمة نفسها يلاحظ أن هذه الثورات على أشدها فيها . فالعلم يسير بخطوات متسارعة متلاحقة . والتعليم يقفز قفزات كبيرة هائلة ، والاقتصاد يشهد ثورات عارمة تتناول أسسه وأساليبه . والصحة تسير الى أمام بخطى جبارة . والمجتمع تتغير فيه العلاقات والمفاهيم والمثل تغيرا جذريا .

كل هذا في المجتمعات المتقدمة ، أما المجتمعات المتخلفة ، فتنظر الى هذا التقدم الهائل فتروعها المسافة التي تفصلها عن المجتمعات المتقدمة ، ويروعها أكثر أن هذه المسافات تتزايد باستمرار وأنها ما لم تحث الخطى لتلحق بالمجتمعات المتقدمة فإنها لن تبقى متخلفة فحسب بل أن تخلفها سوف يزداد .

المجتمعات المتخلفة بين صراع المذاهب

وفي أتون الصراع الدائر بين المذاهب الاجتماعية والسياسية ، بين الغرب والشرق ، (بين الديمقراطية والاشتراكية) ، تقف المجتمعات المتخلفة لتسأل نفسها عن الطريق الأقصر ، عن الطريق الأمثل ، عن الطريق الأنسب لإيصالها الى مصاف الأمم المتقدمة .

والمجتمع العربي ، وهو مجتمع نام (لئلا نقول متخلفا) لا يشذ عن المجتمعات النامية في هذا كله، انه يريد اللحاق بالمجتمعات المتقدمة ويجهد في سبيل ذلك ، ولكنه لا يجد بدا من السؤال عن الطريق الأنسب والأقصر والأمثل .

وإذا كان قد أصبح حتى الآن أن المجتمع العربي مجتمع نام فإن من واجب كل عربي أن يتساءل عن الهدف العاجل لأمته العربية في نهضتها المعاصرة وتطلعها الى الخروج من حاضرها المتخلف الى مستقبل متقدم ؟

والجواب بسيط بساطة الحقيقة واضح وضوح النور وهو : التقدم : التقدم العلمي ، والتقدم الاقتصادي ، والتقدم الاجتماعي ، والتقدم التعليمي ، والتقدم الصحي والتقدم بكافة معانيه.

والوسيلة هي التخطيط الذكي الواعي لهذا التقدم بنواحيه المختلفة والعمل الدائب الصابر المتسارع من أجل هذا التقدم .

الاستعمار والصهيونية يعرقلان تقدم الدول العربية

وإذا كان الاستعمار يقف بالمرصاد لتقدم الأمم المتخلفة محاولا تأخيره وعرقلته فإن الاستعمار والصهيونية يعرقلان سبيل الأمة العربية في محاولتها التقدم والانتصار على التخلف .

وإذا كانت بعض الدول العربية قد اعتمدت الاشتراكية طريقها لهذا التقدم وبعضها الآخر قد اعتمدت (الديمقراطية) والبرلمانية طريقا آخر لمثل هذا التقدم فإن الاستعمار والصهيونية لا يفرقان بين الاثنين بل يحاربانهما جميعا ويقفان لهما بالمرصاد محاولين وقف هذا التقدم أو عرقلته (وهما لن يستطيعا ذلك في المدى البعيد ولكنهما قادران على الكثير من التأخير والازعاج .) وهذا هو معنى هذه المعارك التي فرضها الاستعمار والصهيونية على أمتنا العربية ، تلك المعارك التي تستنزف الكثير من القوى والمال والجهد والوقت .

من يغير المجتمع ؟

وبعد هذا الاستطراد البسيط نعود الى موضوعنا الأصلي لنتساءل : من الذي يغير المجتمع ؟

هل يغيره افراد ؟ قادة ؟ زعماء ؟

هل تغيره جماعات ؟ احزاب ؟ منظمات ؟ مؤسسات ؟

دور الزعماء في تغيير المجتمع

وفي الجواب عن هذه الأسئلة يرى البعض ان الأفراد المتميزين ، القادة الزعماء هم الذين يغيرون المجتمع .

ولسنا ننكر ان القادة والزعماء والأفراد يلعبون دورهم الكبير في تغيير المجتمع فالمجتمع مكون من افراد وما لم يتغير الأفراد فإن المجتمع لا يتغير .

ولكن السؤال الهام في هذا الصدد هو : من يوجه من ؟ هل يوجه الأفراد المجتمع ؟ أم يصنع المجتمع الأفراد ؟

وبتعبير آخر هل من الممكن ان يظهر القائد أو الزعيم اذا لم يوجد الشعب الذي ينتج هذا القائد ويفهمه ويستجيب له ويسير وراءه ؟

ثم ، وهذا هو الأهم ، ألم ينقض الزمان الذي كانت فيه الأمة تدور في فلك الزعيم أو القائد وتسير وراءه معصوبة العينين .

ألا ترى زعيما كهتلر كان يجعل من نفسه سيدا للعالم ومصيرا لها فساقها الى الخراب والدمار.

وترى زعيما كتشرشل كان يستمد قوته من الجماهير التي قادها الى النصر ، فما لبثت ان عزلته بعد ربحه الحرب لتستبدل بزعامته زعامة أخرى .

انظر الى زعيم كستالين أله نفسه وأله الجماهير فطغى وبغى وارتكب من الأخطاء ما ارتكب مما حمل حزبه وشعبه بعد موته على الغائه واقامة قيادة جماعية ديموقراطية .

انظر الى عشرات الزعماء ، الديموقراطيين منهم والدكتاتوريين ، واحكم لنفسك وبنفسك ما اذا كان من الممكن ان يعتمد الزعماء وسيلة وحيدة للتغيير الاجتماعي .

مرة اخرى للزعماء دورهم الكبير في تقدم الأمم ولكنهم لن يستطيعوا ان يلعبوا دورهم الا اذا كانت أممهم مهيأة للتقدم متحفزة له حريصة عليه .

دور الاحزاب والمنظمات في تغيير المجتمع

والجماعات ؟ والأحزاب والمنظمات ؟ والمؤسسات ما دورها في التقدم الاجتماعي ؟

مرة اخرى ان دورها عظيم ورئيسي ، ومرة اخرى فإنها لا تستطيع ان تلعب دورها الا في شعوب ذكية واعية عارفة بحقوقها وواجباتها ، متحفزة للتقدم راغبة في التغيير .

لقد لاحظ علماء التربية مثلا ان اذكى المتحدرين الامريكان يأتون من الولايات التي تتمتع بخير نظام تربوي (والنظام التربوي يختلف بعض الشيء من ولاية امريكية الى ولاية اخرى) وحينئذ تساءلوا .

هل يخلق النظام التربوي الجيد مواطنين أذكياء ؟ ام يخلق المواطنون الأذكياء نظاما تربويا جيدا ؟

والسؤال نفسه يطرح على مستوى الأمم : هل تخلق الأمم الذكية الواعية المتفتحة احزابا ومنظمات ومؤسسات جيدة ؟ ام تخلق الاحزاب والمنظمات والمؤسسات الجيدة مواطنين أذكياء وأمة واعية ؟

والجواب ان التفاعل بين الاثنين حقيقة واقعة ولكن الجماهير الذكية الواعية المتفتحة هي التي تخلق الأحزاب والمنظمات والمؤسسات الجيدة .

الايمان بالجماهير ، الايمان بالانسان الصادق ، الايمان بالمواطن هو اساس عمل المؤسسات والاحزاب والمنظمات الخيرة وهو سر نجاحها وقدرتها على تحقيق اهداف الأمة في التقدم والرفعة .

المجتمع لا يتغير الا بوعي المواطن العادي

وهكذا الآن يتقرر ان المجتمع انما يتغير بافراده

ومعامله وقادته واحزابه ومنظماته ومؤسساته ولكنه لا يتغير نحو الافضل والاحسن الا اذا كان المواطن الصادق ذكيا وواعيا مدركا بحقوقه التي يحافظ عليها ويستميت في سبيلها مدركا لواجباته التي يؤديها عن اقتناع وطيبة خاطر .

الانسان ، الانسان الصادق ، المواطن ، المواطن البسيط ، الجماهير ، الجماهير الواعية هي التي تلد المجتمع خالقة قياداتها وزعماءها ، مكونة مؤسساتها ومنظماتها واحزابها .

دور المدرسة

وهنا نعود الى السؤال الذي افتتحنا به مقالنا هذا هل من واجب المدرسة ان تهيء الطالب ليناسب المجتمع القائم ام ليغيره ؟

ولكننا قبل أن نفصل الجواب يجب أن نلاحظ ان الاختيار الذي يطرحه هذا السؤال غير قائم . ان المجتمعات – كل المجتمعات – تتغير ، وسواء اردنا ام لم نرد ، ولذلك فلا خيار للمدرسة في ان تهيء الطالب ليناسب المجتمع القائم . ولان يغيره .

ان من عملها ان تهيئه لان يناسب المجتمع القائم وان يغيره في نفس الوقت .

المجتمع القائم حقيقة واقعة وكل تنكر له خطأ وخطل ، وكل تغيير له مستحيل الا اذا بني بفهمه وتفهمه ومعرفة نقاط الضعف ومكامن القوة فيه . ولكن المجتمع القائم لا يستطيع – اذا اراد الحياة – ان يبقى على ما هو عليه ولا بد من تغيره .

في اي اتجاه يتغير المجتمع

والمسألة الهامة هي : في اي اتجاه يجب ان يتغير المجتمع ؟

والمسألة الاهم – في حديثنا هذا – هل من عمل المعلم ان يجد الجواب عن هذا السؤال ؟

ان بعض علماء التربية يرون ان عمل المعلم ان يساعد الطلاب على تفتيح نفوسهم وعلى ان يبتكروا الخبرة التي ينطلقون منها في الوقت المناسب ليجدوا اجوبتهم الخاصة . ونعتقد ان هذه النظرة اقرب الى حاجة البلاد المتقدمة منها الى حاجة البلاد النامية .

وليس معنى هذا الذي نقول اننا ننكر الحرية الشخصية ونقول بصب الافراد في قوالب موحدة بحيث نحرمهم من الاختيار وتقرير المصير الذاتي . ولكن معناه ان الامم النامية العاملة على اختصار الزمن والتحاق بركب الامم المتقدمة تعلق على المدرسة اهمية خاصة وذلك بسبب من تخلف البيت ، ولذلك فان واجب المدرسة مضاعف وعمل المعلم ان يعوض نقص البيت وتخلف العائلة .

المعلم مواطن ذكي واع يشارك في صياغة اهداف امته ويساهم في رسم طريقها الى التقدم ، والمدرسة مؤسسة اجتماعية عامة واجبها العمل على تقدم المجتمع وتطويره . والطالب امانة في عنق المعلم وبيد المدرسة التي لا بد لها من تهيئته ، لتغيير مجتمعه ودفع هذا المجتمع نحو التقدم .

ومعنى كل ذلك ان المعلم الامثل المطلوب ليس المعلم الذي يفرض مفاهيمه ومثله وقيمه على الطالب ، وانما هو المعلم الذي ينمي قابليات طلابه وقدراتهم ومواهبهم ، ويحثهم على تكوين قيمهم الخاصة ومثلهم الذاتية ثم يترك لهم ان يعملوا على التقدم ، يدفعهم من خلال ذكائهم واخلاصهم واندفاعهم .

ولكن دور المدرسة في هذه العملية حاسم ومهمة المعلم اساسية ومن واجب المعلم ان يؤمن باهداف امته في التقدم ايمانا عميقا وان ينقل هذا الايمان الى طلابه الواعين الاذكياء ، كما ان من واجبه ان يبين الطرق والوسائل التي توصل امته الى اهدافها وان يبينها لطلابه ، كما ان من واجبه ان يتعرف على قدرات طلابه وامكاناتهم وان يفتح هذه القدرات وينمي هذه الامكانات ثم يطلقهم الانطلاقة لينطلقوا بامتهم نحو اهدافها في التقدم والرفعة .

دور الحكومات

وهنا لا بد من ملاحظة اخيرة وهي عن دور الحكومات في هذه العملية . ان الحكومة الصحيحة تنبثق عن الشعب وتعمل لخدمة الشعب ولتحقيق اهداف الشعب في التقدم والنمو ، ومن واجب مثل هذه الحكومة ان تهيء للمدرسة الصالحة والمعلم الصالح وان ترعاهما وان تيسر عملهما وان تعتمد عليهما في تحقيق اهداف الامة .

ولسنا نشك في أن الحكومات العربية قد اخذت تدرك اهمية المدرسة والمعلم وبدأت تهيء لهما اسباب النجاح في اداء المهمة . ولكننا نقرر – آسفين – انه ما زال امام هذه الحكومات الكثير الذي تصنعه في سبيل تقدم المدرسة العربية واصلاح شأن المعلم العربي ، فالى مزيد من الجهد والعناية من الحكومات العربية .

فاخر عاقل



سقراط
كان يهرب من شر زوجته !

● الفيلسوف اليوناني الشهير سقراط يروون عنه انه كان رجلا تعسا في حياته الخاصة ، فقد كانت له زوجة ثرثارة دائمة الشكوى ، تستخدم لسانها بنفس الطريقة التي يستخدم بها سائق العربة كرباجه الطويل في الهاب ظهور جياده !

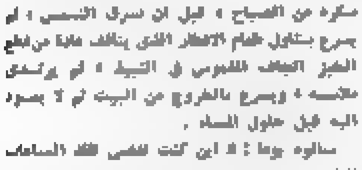
وكان الفيلسوف الكبير ، يحاول دائما ان يتفاداها ويهرب من شرها ، فيصحو في ساعة مبكرة من الصباح ، قبل ان تشرق الشمس ، ثم يسرع بتناول طعام الافطار الذي يتألف عادة من قطع الخبز الجاف المغموس في النبيذ ، ثم يرتدي ملابسه ، ويسرع بالخروج من البيت ثم لا يعود اليه قبل حلول المساء .

سألوه يوما : « اين كنت تقضي تلك الساعات الطويلة بعيدا عن بيتك وزوجتك وابنائك الثلاثة ؟ »

قال : « كنت اذهب الى معبد من المعابد الصغيرة في اثينا ، واجلس في ركن منه لافكر واتأمل ، فاذا مللت الجلوس [illegible] خرجت ابحث عن حمام عام اغتسل فيه ، ثم ابحث بعد ذلك عن الشباب لاجلس اليهم واحادثهم ، واستمع الى ما يقولون ! »

قالوا له : « لماذا اختاروك احكم الحكماء في اليونان ؟ »

فقال في هدوء وهو يمسح لحيته الطويلة بكلتا يديه : « ربما لانني الرجل الوحيد الذي يعرف انه لا يعرف شيئا على الاطلاق ؟ ! »





قالوا :



● الحياة اقصر من ان نقضيها في تسجيل الاخطاء التي ارتكبها غيرنا في حقنا ، وفي تغذية روح العداء بين الناس .

برتراند راسل

● مخطئ تماما من يحاول ان يكشف كل مساوئ هؤلاء الذين سنلتقي معهم كل ايام حياتنا .. افضل لنا كثيرا ان نعرف اقل ما يمكن معرفته من هذه المساوئ حتى لا تتحول حياتنا الى جحيم !

ه . ج . ولز



● انني في صراع مستمر مع الوقت .. ان الوقت اقصر من ان يتسع لانجاز ما اريد من عمل ، وهو اطول من ان اقضيه لا اعمل شيئا .

« شكسبير »

تولستوي والسلحفاء !

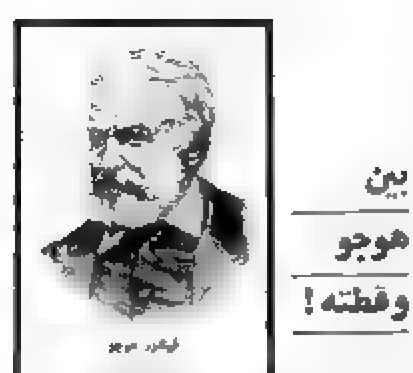
● كان ليو تولستوي Leo Tolstoy (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) كاتب روسيا الشهير، قليل الانتاج، بطيء القراءة والكتابة. قال يوما يشرح طريقته في اجتماع عقده ادباء روسيا: «انني لا اقرأ، وانما انا ادرس وابحث واتأمل في كل سطر اقرأه.. لقد استغرقت اكثر من ثلاثة اشهر كاملة في قراءة كتاب لاحد فلاسفة الهند!

«اما عندما اجلس لاكتب، فانني احرص دائما على ان اكتب الفقرة الواحدة اربع مرات، في المرة الاولى اصبح نفسي ابدى اعجابه، وفي المرة الثانية اضيف اليه ما كنت قد استبعدته من فكري، وفي المرة الثالثة استبعد ما قد اراه غير ملائم وغير ضروري، وفي المرة الرابعة والاخيرة، اضع العبارة في صيغتها النهائية وكانني قد كتبتها سوى...»

وصفوه يوما بالسلحفاء!

فقال وهو يبتسم: «ربما كنت مثلها حقا، ولكن اياكم ان تنسوا سباقها مع الارنب، لقد سخر منها في غرور، فاذا بها تصل قبله الى نهاية الشوط!

بين هوجو وقطته !


فيكتور هوجو

● فيكتور هوجو Victor Hugo (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥) كاتب فرنسا الكبير، ومؤلف قصة البؤساء الخالدة Les Miserables، فوجيء يوما بخادمته العجوز تقتحم غرفة نومه، وقد استبد بها ذعر هائل، وهي تقول له في هلع:
«هل انت بخير يا سيدي؟»

ـ كل الخير، ولكن ما الذي دفعك الى الظن بانني لست بخير هل جننت ايتها المرأة؟

ـ ارجوك ان تصفح عني يا سيدي.

ـ ولكن ماذا حدث؟

ـ لقد اخطأت ووضعت لك طبق اللحم المسلوق والحساء الذي اعددته للقطة، بينما وضعت طبقك انت لهذه القطة اللعينة، سامحني يا سيدي؟

ـ وماذا كان الفرق بين الطبقين؟

ـ لا شيء اكثر من انني وضعت قطع اللحم في طبقك الذي اكلته القطة، بينما ملأت طبقها الذي اكلته انت بالشحم والجلد!

وهنا قال الكاتب الكبير وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة: «تستطيعين ان ترتاحي بالا يا سيدتي.. فقد كان طبق الحساء الذي تناولته بالامس، الذ طبق اكلته في حياتي!».

اي النساء اقدر على الفوز بقلب الرجل

● شكسبير عملاق الادب الانجليزي (١٥٦٤ ـ ١٦١٦) قال يوما عن المرأة:

«ان المرأة المطيعة تلهم الرجل، اما المرأة الذكية فتثير اعجابه، بينما نجد ان المرأة الجميلة لا تحرك في الرجل اكثر من مجرد الشعور بالاعجاب، ولكن المرأة المطلوبة.. المرأة المحبوبة وحدها، هي التي تفوز به في النهاية!».

امراض شائعة

بين الانسان



يجب ان يحذر

● هناك علاقة دائمة بين الانسان والحيوان منذ بدء الخليقة والى يومنا هذا .

فالانسان يتخذ من بعضها طعاما كالابقار والخراف والماعز والجمال ويستفيد من مستخرجاتها كاللبن ومشتقاته ، ويتخذ من بعضها راحلة له في حله وترحاله .

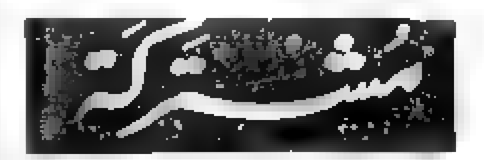
فالحصان مثلا تاريخه يحكي تاريخ وامجاد بعض الامم فقد استخدموه في تنقلهم وسخروه في قتال خصومهم وحروبهم واتخذوه رمزا للقوة والبأس ، وركبه القواد في مواكبهم الرسمية محلى بالذهب والفضة وهو يجاريهم خيلاء وأبهة واعتدادا بالنفس ولكنه مع ذلك لم يسلم من المصير المحتوم الا ان بعض الامم استطابت لحمه ! وامم اخرى مجدته [illegible] من تصاويرهم التي انشروا فيها ايها الفنان واستعاروا لها من مخيلاتهم صورا ذات بهجة والوان ، كم من مرة تراه يتخذ الصورة المألوفة ، كالحصان البحري .

والحيوانات المنزلية تحظى بمكانة محببة في نفوس من يقتنيها ، فلا تكاد تجد منزلا يخلو من قط او كلب او عصفور في قفص ، وهناك حيوانات اخرى يحتفظون بها ليتمتعوا بالبانها واصوافها كالماعز الذي ما زال محتفظا بصداقته مع كثير من الاسر في بعض البلدان حتى يومنا هذا .

ولكن هناك اضرار من هذه العلاقة ان لم تتخ



والحيـــوان:



الانســان منهــا

بقلم : الدكتور
سليمان محمد السنوسي

ارشادات معينة في طريقة معايشة الانسان الحيوان الا ان هناك عدة امراض تنتقل من الحيوان الى الانسان وهي ما تسميها بالامراض المشتركة بين الحيوان والانســان Zoonotic Disease وقد عرف منها حتى الآن حوالي المائتين من الامراض.

والناس ينقسمون الى ثلاثة انواع حسب احتكاكهم بالحيوان او مستخرجاته .

النوع الاول من الناس هم الرعاة الذين تتطلب طريقة حياتهم ملازمتهم للقطعان ليلا ونهارا — فهم يعيشون معها • يطعمونها ويسقونها ويحرسونها — ويحتكون بالمريض منها وغالبا ونتيجة لهذا الاحتكاك صاروا عرضة لعدة امراض تنقل اليهم من حيواناتهم .

والاطباء عامة والبيطريون خاصة بحكم ملامستهم للحيوانــات المريضــة وحيوانــات المختبرات Laboratory Animals التي تحقن بميكروبات خطرة صاروا من اكثر الناس تعرضا للاصابة بالامراض المشتركة .

والنوع الثاني من الناس هم العاملون بالمذابح ومصانع اللحوم والالبان ومشتقاتها ؛ وكذلك العاملون بالدباغة — والاحتمال هنا كبير لانتقال الميكروب اليهم بملامسة جزء مصاب من الحيوان فتدخل في جسمهم او باستنشاقهم للميكروب كما يحدث للعاملين في مصانع فرز الصوف عندما يكون الصوف حاملا جرثومات بالتي الفحمية المعدية Spores of Bacillus anthracis فيصابون بمرض (فارزي الصوف) Wool Sorter Disease وهو نوع من الالتهابات الرئوية .

والنوع الثالث من الناس هم سكان المدن والعواصم الكبيرة وطريقة العدوى الى هؤلاء تاتي من طريق اكل المنتجات ومستخرجات الحيوان ؛ كاللحوم والالبان والجبن والزبد — واكل الخضراوات التي تاتي من الريف والتي تكون قد لوثت بافرازات بعض الحيوانات المريضة .

واحتمال العدوى كذلك باليهم عما يحتفظون في منازلهم من قطط وكلاب وطيور فالكلب والقطة الحيوانان شديدا الخطورة على جميع افراد المنزل ، والاطفال اكثر تعرضا لهذه الامراض من غيرهم لكثرة حملهم لتلك الحيوانات وملاعبتهم لها .

فكثيرا ما تنتقل بعض الطفيليات اليهم كالديدان الاسطوانية واخص منها دودة الاسكارس Ascaris وربما يبتلع البعض منهم بعض البراغيث امثال البرغوث الذي يسمى Pulex Irritans وهو يحمل في كثير من الاحيان بويضات دودة اسطوانية تسمى بـ Toxocara canis في حالة الكلب و بـ Toxocara Cati في حالة القطة ومن الامراض الخطرة التي تنتقل من طيور الزينة الى الانسان مرض « الاورنيثوسس » — Ornithosis وهو مرض يسببه فيروس قاتل لو اصاب الانسان ؛ وعلامة هذا المرض عند الطيور فقدان الحيوية وفقدان الشهية مع اسهال وسيلان بالانف والفم .

انواع الامراض المشتركة بين الانسان والحيوان :

تنقسم الامراض المشتركة بين الانسان والحيوان الى ثلاثة اقسام حسب تضرر الانسان على حدة والحيوان على حدة او كليهما معا .

والقسم الاول من هذه الامراض هو ما يضر الانسان والحيوان على السواء . وخير مثال لذلك هو مرض السعر او داء الكلب Rabies او الخوف من الماء Hydrophobia وميكروب هذا الداء المعضل فيروس حلزوني الشكل Helical ينتقل

من الحيوان المسعور الى الانسان عن طريق العض او الخدش بالاظافر وحقن بعض اللعاب الذي يكون به كثير من الميكروب بجسم الانسان ويسافر الفيروس عن طريق الاعصاب الى المخ حيث الموت المحتوم .

وخطورة داء الكلب تكمن في عدم وجود اي علاج له حالة ظهور اعراض المرض ، واعراض داء الكلب تظهر بوضوح اكثر عند الكلب اذ انه يصاب بنوعين من السعار ـ النوع الهادىء ـ Dumb والنوع الشرس ـ Furious .

والنوع الهادىء تبتدىء الاعراض فيه برفضه للطعام والشراب والانزواء في الاماكن المظلمة ويصيبه هزال شديد مع سيلان اللعاب باستمرار من الفم والانف والفك بالعين يستحيل الى الشلل صلبة Crusts في نهاية تطورات المرض يطلب ذلك تشنج بالفكين والعمامة يطبها الموت .

والنوع الشرس نجد الكلب المعتل قد صار شرس الطباع ينبح كل شيء يعترض امامه حتى سيده الذي يطعمه . ويلتهم بأسنانه كل شيء يجد له حتى ولو كان ذلك الشيء عصاة محترقة ويعوي بعواء غريبا مزيجا بين النباح والعواء ـ Howl في اشياء لا وجود لها وكأنه يرى ان لديه شيئا غريبا لا طاقة له باحتماله يسيطر على اعصابه وكيانه وكأنه في حلم غريبه ويضرب بالعلة ويزهد في معاشرة الانسان ـ ويسيل اللعاب بكثرة والفكين يبتدىء بالظهور في العين ثم تشنج بالفكين يسمه بقية الجسم ثم الاغماء والموت .

وكثيرا ما يوجد الكلب المسعور ميتا وبين فكيه حجارة وقطع من اسلاك بال منها اثناء جنونه وقبل موته .

والعوارض عند الانسان المسعور تبتدىء بحالة نفسية طابعها الخوف من شيء مجهول ثم صداع حاد وفقدان الشهية والرغبة في التقيؤ مصحوبة بالحلق ويصحب ذلك عادة ارتفاع بسيط في درجة الحرارة وذلك بين درجة الى ثلاث درجات فهرنهايت .

ومن العوارض التي تساعد على التشخيص وجود حساسية مفرطة لمكان العضة Site of Bite واعراض اخرى تتماشى مع اثارة العصب السمبثاوي Sympathetic ومنها سيلان اللعاب وسرعة التنفس ، ثم يجد المريض بعد ذلك صعوبة بالغة في البلع ولعل ظاهرة الخوف من الماء Hydrophobia مكتسبة من الصوت الذي يحدثه

الماء عند مروره بالحلق لينزل الى البلعوم ، يعقب ذلك حركات عصبية يعقبها ارتخاء في عضلات المريض ، ونظرة القلق الملازمة للمريض تتحول الى نظرة بلا معنى تميل الى الغباء ـ ثم الاغماء الذي ينتهي بالموت .

ومرض آخر مشترك بين الانسان والحيوان ويحدث اضرارا بليغة بكليهما مرض الحمى الفحمية Anthrax عند الحيوان وهو ما يسمى بالجمرة الخبيثة عند الانسان Malignant Pustules وميكروب هذا المرض بالتي يأخذ الشكل ذو حويصلات مقاومة للمناخات غير الصالحة .

وباستطاعة هذه الحويصلات ان تعيش عشرين سنة في التربة ومن هنا كان خطرها عليها في المراعي على الحيوانات منتجة الكلأ .

والحمى الفحمية تتميز بارتفاع شديد في حرارة الحيوان يعقبها موت مفاجىء مع نزيف دم اسود كالفحم من كل الفتحات الطبيعية في الجسم ونتيجة للون الدم اكتسب المرض اسمه « الحمى الفحمية » وكلمة Anthrax معناها فحم بالاغريقي .

ويصاب الانسان بالجمرة الخبيثة عنه عند احتكاك بعض اجزاء جسمه المخدوشة Abraded بحيوان مريض او استعماله لشيء من حيوان مريض كفرشاة الحلاقة او سرج من جلد حيوان مات بهذا المرض .

والسل Tuberculosis مثال ثالث للامراض التي تفتك بالانسان والحيوان على السواء ، وينتقل الى الانسان عادة عن طريق استنشاق الميكروب او شرب لبن بقرة مصابة بسل في ضرعها او لأكل جزء مصاب بالسل من حيوان دون اجادة طهوه .

والقسم الثاني من هذه الامراض هو ما يتفرد منه الانسان دون الحيوان مثال الحمى الراجعة Undulant Fever والتي يسببها بكتيريا يتساوى الشكل بين العصيات والمكورات Coccobacilli يسمى بالبروسيلا Brucella Abortus .

وينتقل هذا الميكروب الى الانسان بملامسته افرازات حيوان مصاب او شرب لبنه ، والعجيب في هذا الميكروب قدرته على اختراق الجسم الصحيح غير المخدوش Non Abraded Skin كما انه يستطيع النفاذ للجسم عن طريق الاغشية

الغشائية للعين Conjunctiva وعوارض هـذا المرض عند الانسان نوبات من الحمى تعـاوده بين الفينة والاخرى .

وطريقة العدوى بهذا المرض اخرى هي الأكل الخضراوات التي تأتي من الريف والتي سالت عليها بعض افرازات الابقار المصابة .

ولنا فصيلة بكتير اخر من نفس المجمـوعة Species from some Genus يحدث الاجهاض عند الماعز ويسبب هذا الميكروب الحمى المالطية للانسان Malta Fever والنوع الثالث والاخير من سلسلة الامراض المشتركة بين الانسان والحيوان والذي ينفرد منه الحيوان دون الانسان مرض النيوكاسل Newcastle مرض وبائي قاتل بالنسبة للدواجن يسببه فيروس ــ والمزارع العاملة في هذا المضمار تخشى اكثر ما تخشى هـذا المرض اذ انه ريح لا يبقي ولا يذر في الوام من الطيور بين محتضرة وميتة ــ ويسبق هذا المرض انخفاض شديد في انتاج البيض هو نذير الخطر والانذار بالكارثة .

ومع ضراوة هذا المرض بالنسبة للدواجن فهو غير ذي بال بالنسبة للانسان ما عدا في بعض الحالات النادرة فانه يحدث التهابات دموية خفيفة في المشيمة العينودالك بالنسبة للعاملين مثلاً بالمزارع لكثرة تعرضهم للفيروس المسبب لهذا المرض عند حدوث الوباء .

طرق الوقاية

بعد هذا السرد الموجز للعلاقة بين الانسـان والحيوان وانواع الناس المعرضين لهذه الامراض وكيفية انتقال العدوى اليهم وتقسيم انـواع الامراض المشتركة نفسها ، بعد ذلك نأتي الى الطرق المثلى والتي يجب اتباعها للتقليل من حدة الاصابة بهذه الامراض ــ فبالنسبة للنوع الاول من الناس وهم ــ كما ذكرنا سالفا ــ ما تحتم عليهم ظروف عملهم معايشة الحيوان ــ عليهم اتباع الارشادات الصحية في عملهم والتبليغ الفوري عند حدوث اي من هذه الامراض او حتى مجرد الشك فيها للسلطات الطبية .

والتخلص من الجثث المصابة بهذه الامراض ، اما بحرقها او بدفنها ورش اماكن موتها بالمطهرات القوية Disinfectants كالصودا الكاويـة Causticsoda والفورمالين Formalin .

ثم التطعيم المنتظم لبعض الامـراض كالحمى الفحمية ، وانشاء المحاجر الصحية Quarantine وحجز المصاب من الحيوان فيها واعدام الميئوس من شفائه .

واجراءات الفحوص الاختبارية للحيوان لمعرفة اذا كان الحيوان يحمل المرض دون ابداء اي اعراض ومثل هذا الحيوان يسمى بالحيوان الحامل للميكروب Carrier ومثال هذه الاختبارات ، اختبار التيوبركلين لحالة مرض السل Tuberculin والبروسيلا .

وطريقة اخرى لمنع مثل هذه الامراض هـي القضاء على الميكروب المسبب للمرض بمـلاح المصاب من الحيوان واعدام في المسالخ وحرقه وبسترة الالبان Pasteurization او غليها وطبخ الطعام طبخا جيدا لضمان قتل الميكروب ، والخضراوات والفواكه يجب ان تغسل غسلا جيدا قبل تناولها لا سيما تلك التي تؤكل طازجة بلا طبخ .

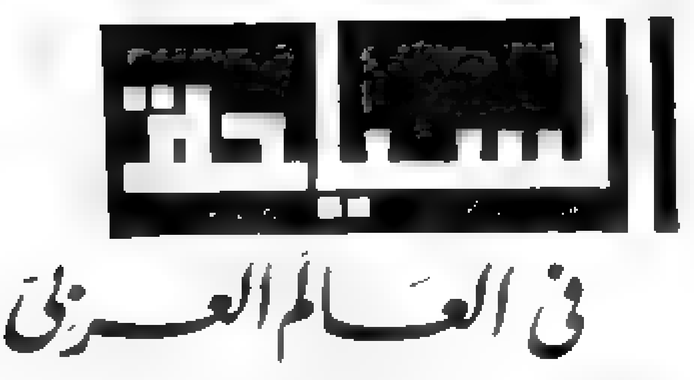
وبالنسبـة للحيوانات المنزلية الاليفة كالكلاب والقطط والعصافير ، بالنسبة لتلك يجب ان تكون من النظافة بمكان ، وذلك يتأتى بالاستحمام المنتظم مع رشها بالمبيدات الحشرية غير الضارة بالحيوان كالجامسوكس Gamatox وهو من مشتقات الجامكسين Gamexene وذلك لقتل ما يعلق بها من قراد Tick وبراغيث Fleas .

والتطعيم المنتظم بالنسبة للكلاب والقطط ضد السعر ، وعرضها على الطبيب البيطري في حالة حدوث اي مرض او حتى مجرد الشك في هـذه الامراض .

والصغار عادة ابعض هذه الامراض ، ويجب علينا تعليمهم غسل ايديهم جيدا بالماء والصابون بعد مداعبتهم او حملهم لكلابهم وقططهم ولا سيما مباشرة بعد الاكل .

وعلى الوالدين تعليم حفظ هذه الحيوانات بطريقة صحيحة وذلك بتطعيمها ضد الامراض الخطرة وعرضها على الطبيب البيطري المختص بين الفينة والاخرى . ■

سليمان محمد السنوسي
معمل الابحاث البيطرية
الخرطوم ــ السودان



بقلم : محمد طنطاوى

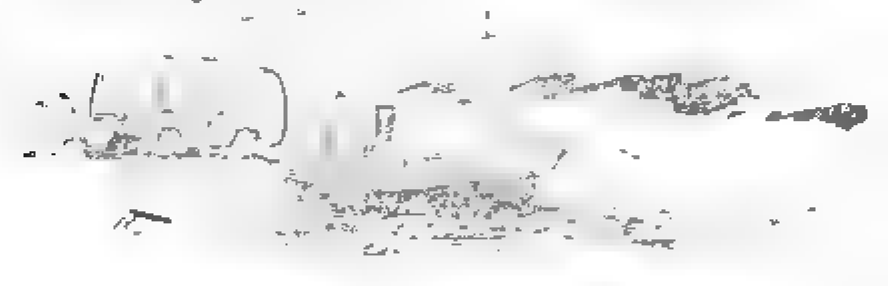
■ اصبحت السياحة من اهم الصناعات التى تهتم بها دول العالم كله . ونظرة بسيطة على الاحصائيات الخاصة توضح اهمية السياحة بالنسبة للاقتصاد العالمى . ففى عام ١٩٦٩ بلغ مجموع ما انفقه ١٥٣ مليون سائح – طبقا لاحصائيات فى مختلف بلاد العالم – ١٥٫٣ مليون دولار وذلك خلاف ما انفقوه فى وسائل النقل الدولية .

وقد بلغ نصيب دولة اوربية واحدة ، هى اسبانيا ، من هذا المبلغ ما يزيد على ٢٠٠٠ مليون دولار اذ بلغ عدد السياح الذين زاروها فى عام ١٩٦٩ اكثر من ٢٠ مليون سائح . اما فى الشرق الاوسط (وهو يضم اغلب البلدان العربية) فقد بلغ الدخل السياحى للمنطقة كلها ٢٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٦٨ اى اقل من عشر دخل اسبانيا وحدها فى عام ١٩٦٩ وبلغ الدخل السياحى لدول اوربا كلها ٩١٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٦٩ .

وقبل ان نحاول ان نتعرف الى الاسباب المباشرة التى تعوق التطور السياحى فى البلدان العربية .. يجب ان نذكر شيئا من اهمية السياحة بالنسبة لدول العالم كلها وبالنسبة للدول العربية على وجه التحديد ..

الاهمية الاقتصادية للسياحة الدولية

فى مايو ١٩٦٩ انعقد مؤتمر الاتحاد الدولى للهيئات السياحية الرسمية [illegible] فى صوفيا عاصمة بلغاريا .. وقد اعترف المؤتمر بالاهمية المتزايدة للدور الذى تلعبه السياحة فى التقدم الاقتصادى والثقافى والاجتماعى والسياسى والتربوى بالنسبة للجنس البشرى .. واهميتها بالنسبة لدعم تدابير السلام الدولى . ودعا المؤتمر المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع لهيئة الامم المتحدة الى العمل على تاسيس هيئة دولية للسياحة العالمية تتبع هيئة الامم المتحدة وبذلك يمكن مساعدة الدول وخاصة النامية على



● ٢٠٠٠ مليون دولار دخل اسبانيا السياحي في عام واحد، و ٢٠٠ مليون دولار دخل دول الشرق الاوسط كلها في العام !؟

● لماذا لم تستطع الدول العربية استغلال مقدراتها السياحية ؟!

لتطوير صناعة السياحة فيها وهذا ينهض بها اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

والسياحة بالرغم من كونها صناعة بلا دخان .. كما يحلو للكثيرين وصفها .. الا انها صناعة ضخمة ، ولها اثر على البيئة قد يشمل نواحي اكثر من اثر الصناعات الاخرى التي ترتفع مداخنها في سماوات الدول الصناعية الكبرى ..

والسياحة لها اثر اقتصادي مباشر ويتلخص هذا التأثير في :

١ ـ خلق فرص العمل لم تكن موجودة ، وبذلك تقضي على البطالة المكشوفة او المقنعة وخاصة في البلدان النامية (المتخلفة) . والمغرب مثلا :

عندما يتدفق السياح على بلد من البلاد .. فان هذا البلد يقوم بانشاء فنادق تتسع لهؤلاء القادمين .. وبذلك تنشط حركة البناء .. ولا يقتصر العمل على البناء بل يتعداه الى انشاء الطرق وتعبيدها .. ثم انتعاش الاماكن الترفيهية وانشاء الجديد منها .. وكذلك المطاعم .. ثم يتطلب ايضا افتتاح محلات لبيع المنتجات التقليدية اليدوية التي يشتهر بها هذا البلد .. وهذه الاعمال تستطيع استيعاب الكثير من الايدي العاطلة .. وترفع من مستوى الاجور الذي يرفع الاقتصاد العام للبلد كله نتيجة لزيادة الانفاق المحلي .

٢ ـ تؤدي السياحة الى انتعاش الفنون الشعبية والفنون المسرحية والمهرجانات .. والمحافظة على الآثار التاريخية التي تعتبر من عوامل جلب السياح . وبذلك تصبح عملية الانفاق على هذه الوجوه التاريخية والثقافية عملية استثمار .

٣ ـ تقوم صناعة السياحة بجلب العملات الصعبة والعملات الاجنبية الى اسواق البلد وبذلك يحافظ على ميزان المدفوعات ويكون له تأثير



الاقتصادي على عملة البلاد خصوصا في الدول النامية التي يكون ميزان المدفوعات فيها على الاغلب مائلا الى غير صالحها .

اهمية السياحة الثقافية والاجتماعيه

فقد اصبح العالم الذي نعيش فيه عالما صغيرا .. فالطائرات النفاثة والاسرع من الصوت تستطيع ان تقرب المسافات البعيدة .. وان تحمل الانسان من اقصى الشمال في العالم الى اقصى الجنوب في فترة زمنية لاتزيد عن ساعات .

وعندما يتدفق السياح على بلد ما فانهم يحملون معهم الى هذا البلد عاداتهم وتقاليدهم ولغاتهم .. ويحتك بالسياح فئة غير قليلة من اهل البلد احتكاكا مباشرا .. فخادم الفندق .. وسائق التاكسي .. وعمال المطار .. وبائع التحف ونادل المطعم كل هؤلاء لهم صلة مباشرة بالسائح .. ويكتسب هؤلاء جميعا خبرة باحتكاكهم بالسياح القادمين من مختلف انحاء العالم .

وفي نفس الوقت فان السائح نفسه يكتسب خبرة وثقافة عندما ينتقل من بلد الى بلد .. فهو يرى بنفسه على الطبيعة بلدا جديدا لم يكن يعلم عنه سوى ما قراه في كتاب او مجلة او نشرة سياحية .. يرى تقاليد جديدة .. يراها بعينيه ويلمسها من قرب ، يرى شيئا لم يكن يعلم عنه شيئا .. سوى القليل او المشوه .. كل هذا يحمل في طياته التاثير الثقافي والاجتماعي والسياسي والنفسي للسياحة . فالسياحة لم تعد وسيلة من وسائل المتعة فقط ... بل اصبحت وسيلة من وسائل اتصال الشعوب بعضها ببعض ووسيلة من وسائل التثقيف والتاثير الاجتماعي والسياسي . وعندما يأتي السائح الى بلد اجنبي فانه يستطيع ان يتفهم احوال هذا البلد ومشاكله على الطبيعة .. ويرى ما لم يكن يراه من قبل .

والسائح عادة يرى ويلاحظ اشياء صغيرة قد لا يلاحظها ابناء البلد انفسهم .. وقد تؤثر هذه الاشياء الصغيرة ، والتي قد تبدو تافهة بالنسبة لابناء البلد ، تاثيرا حسنا او سيئا في نفسية السائح . وتترك هذه الانطباعات تنعكس عندما يعود الى بلده ويتحدث عن رحلته وعن البلاد التي زارها الى اصدقائه ومواطنيه .

السياحة والوطن العربي

يحتل الوطن العربي ؛ مغربه ومشرقه ، موقعا سياحيا ممتازا فهو قريب من الدول الاوروبية المصدرة للسياح ، وهو ايضا يقع على مفترق الطرق بين الشرق والغرب .. ويمتاز ايضا بمناخه المعتدل في الشتاء وسمائه المشرقة دائما ، كما ان لمعظم الدول العربية شواطيء تمتد الى مسافات طويلة على البحر المتوسط وعلى البحر الاحمر والخليج العربي .. وهي مميزات قلما تتوفر في بلد من البلدان .. ولا يقتصر الامر على هذا فقط .. بل توجد في الوطن العربي بمختلف بلدانه اثار معظم الحضارات العريقة يتردد ذكرها في كل كتب التاريخ في مختلف انحاء العالم ، اثار الفراعنة والاهرامات الكبيرة في الجمهورية العربية المتحدة ، اثار بابل واشور في العراق ، اثار الفينيقيين في لبنان ، اثار الكنعانيين والنبطيين في سوريا والاردن ، اثار الرومان في ليبيا ، اثار عصور ما قبل التاريخ في السودان .. ذلك علاوة على الاثار العربية والاسلامية الموجودة في كل انحاء الوطن العربي .

وعدا الاثار والجو والموقع الجغرافي وهي عوامل من اهم عوامل جلب السياح ، تتميز البلدان العربية بالمناظر الطبيعية الرائعة .. جبال لبنان تنافس في جمالها جبال سويسرا والالب ، نهر النيل في اعاليه في السودان وفي قرب منبعه بالجمهورية العربية المتحدة وما يحيط به من وديان وغابات ومناظر طبيعية ساحرة خلابة ، جبال شمال العراق والتي تنافس بجمالها المصايف المختلفة في اي بلد من بلاد العالم ، مصايف سوريا ، جزيرة جربة في تونس وبلدان المغرب العربي بجمالها وجوها الشرقي الذي تخيال السياح .

كل هذا موجود في الوطن العربي .. فهو مشتى ومصيف في وقت واحد لما حباه الله به من موقع جغرافي فريد ..

ولكن هل استطاع العرب ان يستغلوا هذه الميزات ، التي حباهم بها الله والتاريخ ، الاستغلال السياحي والاقتصادي الصحيح ؟!

ان الاجابة على هذا السؤال هي ببساطة مؤلمة .. لا .

والدليل على هذا هو الاحصائيات السياحية

التي تقول ان دخل البلاد العربية كلها (بما فيها دول شمال افريقيا) من السياحة لا يكاد يصل الى ٤٠٠ مليون دولار في حين ان دخل دول اوربا من السياحة في عام ١٩٦٨ وصل الى ٨٦٢٠ مليون دولار .

لماذا لم تستطع الدول العربية استغلال مقدراتها السياحيه ؟؟

ويدعونا هذا الى التساؤل مرة اخرى عن الاسباب التي جعلت دول الوطن العربي لا تستطيع استغلال مقدراتها السياحية .. والاجابة على هذا السؤال ، اذا نحينا المشاكل السياسية التي تواجه المنطقة جانبا ، تتلخص في المشاكل التي تواجه الدول العربية في برامج التطوير السياحي وهي :

١ — الفنادق الرخيصة النظيفة

تعاني الدول العربية من نقص الاعداد المناسبة للانشاءات السياحية من فنادق الى طرق مواصلات الى مرافق سياحية اخرى كمعسكرات الخيام مثلا ، وبذلك تخلفت هذه الدول عن ملاحقة التطور العالمي في ميدان الانشاءات السياحية الذي لم يقف عند حد انشاء الفنادق الجميلة الرخيصة والنظيفة في نفس الوقت ، بل شمل الخدمات السياحية الاخرى المكملة لعملية انشاء الفنادق والموتيلات . وفي اكثر البلاد العربية لا يستطيع السائح من الطبقة المتوسطة (وهم اكثرية السياح في عصرنا هذا طبقا للاحصائيات) ان يجد فندقا رخيصا ونظيفا في نفس الوقت ، في حين ان بلاد اوربا كلها تتميز بوجود الفنادق الصغيرة النظيفة والتي يتمتع فيها السائح برخص الاسعار ونظافة الحجرات وهذا الامر على بساطته لم تحل البلاد العربية على حله .

٢ — مستوى الخدمات الصحية

وصل مستوى الخدمات الصحية لكثير من الدول المصدرة للسياح الى مستويات اعلى من المستويات الموجودة في كثير من بلدان الوطن العربي . ودائما ما يتطلب السائح وجود خدمات صحية تماثل الخدمات التي يحصل عليها في بلاده ان لم تكن احسن منها . وهو يتردد كثيرا في السفر الى بلد يعلم ان الخدمات الصحية فيه غير متوفرة او اقل من المستوى الذي يرجوه . ويستغل اعداء العالم العربي هذا العامل بالذات لاخافة السائح من زيارة بعض البلاد العربية . وقد لمست هذا بنفسي عندما كنت في الولايات المتحدة الامريكية وسئلت اكثر من مرة عن صلاحية مياه النيل للشرب..او هل توجد في الجمهورية العربية مياه غير ملوثة ولا تؤدي للاصابة بالبلهارسيا ؟

٢ — نقص وسائل الاعلام السياحي

تتنافس دول العالم الآن على جذب السياح اليها باعتبارهم مصدرا من اهم مصادر تدعيم الاقتصاد القومي . ومن اهم وسائل جذب السياح الاعلام السياحي . وتقوم الدول المختلفة بفتح مكاتب اعلامية سياحية في اهم عواصم البلدان المصدرة للسياح . وهي تهتم بتزويد هذه المكاتب الاعلامية بالكتيبات السياحية الملونة المكتوبة بلغة البلد المصدر للسياح ، وتبين المميزات السياحية للبلد المعلن عنه ، واسعار الفنادق ومختلف المعلومات التي يهتم السائح بالحصول عليها قبل ان يقرر بدء رحلته .

وتعاني اغلب الدول العربية من نقص الدعاية السياحية ، وفي كثير من الاحيان من نقص الكفاءة من يقومون بالاعلام السياحي اما في الخارج فكثير من الدول العربية لا ترسل للخارج من يمثلها من الفنيين ولكن من الاقارب او الاحباء الذين يعتبرون الاقامة في الخارج فرصا اولى . وتعاني ايضا من الدعاية المضادة التي ينشرها اعداء الوطن العربي في الاسواق السياحية .

ومن اهم وسائل الاعلام السياحي الاعلام الذي يقوم السائح نفسه بعمله بعد انتهاء زيارته لبلد ما ، فهو يتحدث عن انطباعاته خلال رحلته الى اصدقائه واقاربه وزملائه في العمل .. فهو عامل من اهم عوامل الدعاية ولذلك يجب الاهتمام بكل سائح والعمل على ان يكون مقتنعا باقامته في ارضنا وان نجنبه كل انواع المضايقات حتى يصبح هو نفسه معلنا عن بلادنا .

٤ — نقص الفنيين بين العاملين في ميدان السياحه

السياحة هي صناعة القرن العشرين ، وكل صناعة تتطلب فنيين مدربين احسن تدريب . والسياحة كصناعة تشمل كل ميادين الحياة ..

فهي تشمل سائق التاكسي ومدير الفندق ، وموظف الدولة في اي مرفق من المرافق التي لها اختصاص بالسياحة كموظفي الجوازات والجمارك والشرطة السياحية ، وشرطة المرور ، وغيرهم .

وتعاني الدول العربية عموما من عدم توفر المرشدين السياحيين المتخصصين سواء في اجهزة الدولة الرسمية او في القطاع الاهلي . وقد بدأت بعض الدول العربية في انشاء معاهد عليا للسياحة تقوم بتخريج جيل جديد مدرب على اساليب هذه الصناعة الحديثة ..

كما قامت ايضا بعض الدول العربية بحملات توعية سياحية لسائقي التاكسي والحمالين وموظفي الفنادق تبين فيها وسائل معاملة السائحين ..

٥ ــ نقص الطرق السياحية والمرافق

لم تعد عملية انشاء الفنادق الفخمة هي الوسيلة الوحيدة لجذب السياح . بل دخلت السياحة طورا جديدا في بداية الستينات من هذا القرن اذ بدأ كثير من السياح يقومون برحلاتهم بالسيارات المجهزة للنوم Campers او يبيتون في مخيمات تنشأ في اماكن جميلة او على شواطيء البحر يتمتعون بالشمس والهدوء والاستجمام بارخص التكاليف . وينقص البلاد العربية هذا النوع من المخيمات التي تستقبل هذا الجيل الجديد من السياح . كما ينقص البلاد العربية شبكة من الطرق السياحية التي تتوافر فيها المواصلات الحديثة ، ومناطق التخييم .. وتربط ايضا بين البلاد العربية بعضها وبعض مما يجعلها وحدة سياحية واحدة ، وتسهل على السائح ان يزور اكثر من بلد عربي واحد في رحلة واحدة .

٦ ــ نقص وسائل الترفيه السياحي

السائح يبحث دائما عن الترفيه .. والدول السياحية تهتم بالترفيه عن السائح كل الاهتمام .. فهناك مهرجانات تقام في مواسم معينة من السنة في العديد من بلدان العالم .. ويهرع السياح الى هذه البلدان ليقضوا اياما ممتعة مع هذه المهرجانات .. ولا يوجد في العالم العربي مهرجانات سياحية شعبية اللهم الا مهرجان بعلبك في لبنان وهو الوحيد من نوعه في الوطن العربي ، وله تأثير كبير على نشاط السياحة في لبنان . وكما يبحث السائح عن الترفيه فهو يريد الابتعاد عن كل المضايقات .. والسائح قد يتعرض لبعض المضايقات في بعض البلاد العربية .. مضايقات تفرضها بعض التقاليد القديمة والتي لم تتطور بعد . ومضايقات اخرى تفرضها بعض اللوائح والقوانين والروتين البالي ولا سيما عند مداخل البلاد . كلها مضايقات صغيرة ولكنها تؤثر تأثيرا كبيرا على نفسية السائح وتنفره من البلد الذي قد يتعرض فيه لكل هذه المضايقات .

ومن الوسائل الترفيهية التي يمكن للبلاد العربية تقديمها للسياح هي تلك الوسائل التي تقوم على استغلال تاريخ العرب الحافل وتذكير السائح باجواء ليالي الف ليلة وليلة .. وكذلك الفلكلورات الشرقية والاجواء الصحراوية وحتى الخيام تجذب السائح وتبهره .

ما هو المطلوب من الدول العربية لتنشيط السياحة ؟!

ان الاف الملايين من الدولارات .. واقتصادنا الناشئ في اشد الحاجة اليها .. ودعاية لا تقدر بملايين ؛ سمعتنا الدولية وكياننا الدولي في حاجة ماسة اليها .. ملقاة تحت اقدامنا .. ولن يكلفنا الحصول عليها سوى ان نبذل قليلا من الجهد في ميدان السياحة الدولي . علينا ان ننفق بعض الملايين القليلة في انشاءات سياحية تساير متطلبات العصر الذي نعيش فيه ، وهذه ليست مشكلة امام امكانيات الدول العربية ورأس المال العربي . وعلينا ان نخلق وعيا سياحيا بين الشعوب العربية وبين كل العاملين في قطاعات السياحة المختلفة .. وذلك حتى نستطيع ان نجعل من كل سائح يأتي الى بلادنا خير داعية لنا . علينا ان نسهل للسائح دخوله وخروجه من اراضينا وان ننهي التعقيدات الروتينية التي قد تنفره من زيارة بلادنا ، علينا ان نوفر له خدمة نظيفة لائقة بارخص الاسعار ، وطرقا مريحة لزيارة الآثار ، ومدنا سياحية على شواطئنا ، وعلى قمم جبالنا الشماء ، وان نجعل بلادنا ملتقى انظار السياح صيفا وشتاء .

وعندها سيفيض خير السياحة العميم على كل عربي في هذا الوطن الكبير .

محمد طنطاوي



يجيب على هذه الأسئلة نخبة من الأطباء

نزيف من الأنف !

● ينزف ابني من آن الى آخر ونزيف من انفه (رعاف) ، فما سبب ذلك ؟ وما العلاج ؟ .

— ان مرض اسبابا عديدة اهمها ضعف انسجة الغشاء المبطن للأنف ، والذي يغطي الشعيرات الدموية ، وفي الأطفال كثيرا ما يحدث ذلك نتيجة لكثرة العبث في الأنف ، وكثيرا ما يحدث ذلك أثناء النوم ، ويرى الدم وقد لوث الوسادة . وفي الكبار كثيرا ما يكون السبب عادة انسجة في الانف بالاصبع داخل الانف ، مما يسبب جرحا بالأنف والنزيف من الشعيرات الدموية من آن لآخر . والعلاج في مثل هذه الحالات هو الابتعاد عن العبث في الأنف — واذا كانت هناك منطقة ضعيفة بالأنف ينزف كثيرا ، فمن الممكن مشاهدتها ، ويمكن

حدوث النزيف في الأنف يعالج المريض

وضعه الى الخلف ، ويضغط على الأنف بالضغط الى ان يقف النزيف ، واذا لم

ضعف الأنف ، ويترك بعض الوقت ، وفي بعض الحالات الشديدة والتي لا يتوقف بعدها بطرق السهلة ، يجب

بقطن له حشو شاش مع وضع محلول ادرينالين ١/١٠٠٠ ليوقف النزيف .

وهناك اسباب اخرى للنزيف تحتاج الى فحص شامل والوصول للعلاج بعد كل حالة ، وهذه الاسباب هي : —

أ — ارتفاع ضغط الدم .

ب — فقر الدم الشديد .

جـ — بعض الحميات تكون مصحوبة بنزيف من الأنف مثل الحمى الروماتيزمية وحمى التيفود .

د — بعض امراض الكبد — خصوصا تليف الكبد مع الهبوط في عمل الكبد .

هـ — سرطان الدم الابيض . وبعض امراض الدم الاخرى .

و — هبوط عمل الكلى .

من هذا يتضح انه من اللازم فحص

للوصول الى المرض الذي سبب ذلك .



مضاعفات البول السكري

● ما هي المضاعفات التي من الممكن ان تحدث من مرض البول السكري ؟

ــ ان مريض البول السكري معرض لمضاعفات كثيرة ــ وهذه تحدث اذا اهمل في علاجه ، ولم يسمع لنصائح طبيبه ــ مما يجعل نسبة السكر في الدم في ارتفاع وهبوط وهذا يساعد على حدوث المضاعفات .

وكذلك تحدث المضاعفات اذا استمر المريض لفترة طويلة دون علاج ــ لهذا كان من الواجب على مريض البول السكري مراجعة طبيبه والتقيد بنصائحه ، لما فيها من فوائد جمة تعود عليه بالخير واهم هذه المضاعفات هي : ــ

اولا : تأثر الجهاز الدوري ــ بما في ذلك القلب والشرايين . اذ ان نسبة دهنيات الدم بما في ذلك الكوليسترول تزداد في مرضى البول السكري مما يجعلها تترسب في الاوعية الدموية فيسبب تصلب الشرايين . واذا حدث هذا كان

شلل عصب الوجه

● اصبت بتوقف الحركة في الجهة اليمنى من الوجه ــ وقالوا لي ان هذا هو شلل عصب الوجه ــ فما هو هذا المرض وما العلاج ؟.

ــ هذا المرض هو المعروف بشلل عصب الوجه « شلل بل » يحدث هذا المرض في اي سن في الصغار والكبار ، ولكن في معظم الحالات يحدث عند البلوغ . والسبب المباشر غير معروف لكن هناك احتمال التهاب العصب بواسطة فيروس ، ويحدث المرض فجائيا ــ فيستيقظ المريض من نومه ويحس بالم شديد خلف الاذن ــ وبعد ذلك يحس بان هناك تيبسا بعضلات الجهة المصابة من الوجه ، ولا يمكنه ان يغلق عينه ، ولا يحرك شفته وتتجمع الاكل في الناحية المصابة من الوجه ، وتدمع العين المصابة ، وفي بعض الحالات لا يحدث الالم ولكن يلاحظ المريض او يلفت انتباهه احد بان وجهه به التواء ، واذا حاول الصفير لا يمكنه ذلك .

وفي معظم الحالات تبدأ الحركة في الجهة المصابة بعد ثلاثة او اربعة اسابيع ، ويكون الشفاء تاما ، ويعود الوجه الى حالته الطبيعية في ظرف ٤ ــ ٦ شهور .

في الحالات الشديدة التي يتأثر فيها العصب تأثرا بالغا يأخذ العصب مدة اطول وربما تمتد الى سنتين ــ وفي هذه الحالة لا يكون الشفاء تاما بل يترك وراءه اثرا بسيطا في الوجه ، وفي حالات نادرة لا يمر العصب مرة ثانية ، ويبقى الوجه على حالة الالتواء باتجاه الجهة السليمة تظهر واضحة عند القيام بحركة في الوجه ، وعند الابتسامة ، واحب ان الفت نظر السائل انه ليس معنى انه اصيب بشلل عصب الوجه ان ذلك بداية الشلل النصفي (الفالج) كما يعتقد البعض لان هذا ليس له علاقة بالشلل النصفي .

العلاج : يجب ان لا يتعرض المصاب للبرد ، ويلف غطاء حول الوجه ، ويلبس نظارة لحمي عينيه من الاتربة خصوصا

انسداد الشرايين في اجزاء عديدة من الجسم خطرا بصدد مرضى البول السكري — فاذا انسد الشريان التاجي اثر على القلب واذا انسد شريان في المخ كان الفالج — واذا انسد شريان في الاطراف كانت الغرغرينات .

ثانيا : تأثر الجهاز التنفسي : يكون مريض البول السكري عرضة لالتهابات في الرئتين — وهذه تزيد من حدة المرض بالتالي ، وقد لوحظ ان نسبة حدوث الدرن الرئوي (السل الرئوي) تزيد في مرضى البول السكري اذا لم يتقيدوا بالعلاج .

ثالثا : تأثر الكلى : كثيرا ما يحدث التهاب في المجاري البولية ، وهذا يساعد على زيادة حدة المرض — وفي بعض الحالات المزمنة تتأثر الكلى كثيرا مما يجعلها تفقد زلال الدم ويحدث ورم في الجسم مع ارتفاع في ضغط الدم وظهور زلال في البول بكميات كبيرة .

رابعا : تأثر الجلد : فيحدث به التهابات عدة خصوصا حول الاعضاء التناسلية — وفي بعض الحالات الشديدة تحدث الجمرة وهي التهاب شديد في الجلد يؤول التهابه الى خراج كبير ذو فتحات عده يخرج منها صديد .

خامسا : التهاب الاعصاب الطرفية مما يجعل المريض يحس بضعف شديد في اطرافه — مع تنميل وتخدير بها وفقدانه الاحساس في الطرف المصاب .

سادسا : تأثر العينين وهذه تظهر في تأثر عدستي العينين — وفي الحالات الشديدة غامات في العدستين — ثم تحدث داخل العينين مما يؤثر على حاسة الابصار .

سابعا : تأثر الحوامل بالمرض . نسبة الاجهاض فيهن عالية — ونسبة وفيات المواليد عاليه .

ثامنا : نوبات غيبوبة السكر — يحدث ان ترتفع نسبة السكر في الدم الى درجة عالية مع وجود مواد كيتونيه Ketones تساعد على حدوث الغيبوبة — فيحدث القيء الشديد وفقدان سوائل الجسم ثم يذهب المريض في غيبوبة لا يفيق منها الا اذا انخفضت نسبة السكر في الدم وقلت المواد الكيتونية .

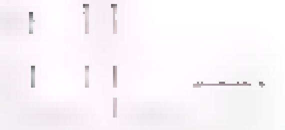
■



وانه لا يمكنه ان يغلقها في باديء الامر ، ويعطى المسكنات كالاسبرين ، ووجد أن فيتامين ب يساعد على نمو العصب فيعطى على شكل حبوب او حقن ، وفي بعض الحالات تعطى مركبات الكورتيزون — وخصوصا بزوال الالم ينصح المريض بتدليك الجهة المصابة من الوجه . وعندما تبدأ الحركة في العضلات ، يجب على المريض أن يقوم بتحريكها عدة مرات امام المرآة ، حتى ينشط جميع حركات العضلات فتعود الى حالتها الطبيعية — وفي الحالات الشديدة التي لا تستجيب للعلاج بهذه الطريقة — تنبه العضلات بالتيار الكهربائي بجهاز خاص ، وفي الحالات التي لا تتحسن بعد مرور فترة طويلة ، ربما يستعان بعملية جراحية للتجميل ، ليرجع الى الوجه شكله الطبيعي قدر الامكان .



بقلم : على ادهم



■ من الكتب التي كان لها اثر بعيد المدى في النقد الادبي عند نقاد الغرب كتاب ارسطو عن الشعر . فما هو اصل الفن عند ارسطو . وما غايته ؟ وهل يرمي الفن الى خلق الاحساس بالجمال الحسن الوقع في النفس فحسب ؟ واذا لم يكن هذا هو هدفه فما هدف الفن ؟ وما هو جوهر الفن ، وماذا يفعل الشاعر حينما يجيد في شعر فناني آلام الحب ومسراته ولواعج الشوق وبرحائه ؟ وماذا صنع المصور الذي يقدم لنا صور المناظر الطبيعية الرائعة ؟

الفن عند الاغريق كان قائما على المحاكاة

الغالب على تفكير العصر الحديث ان جوهر الفن هو خلق الشيء الجديد من الانسان في حدود [illegible] في مطالعه ما يسمو على الواقع [illegible] الذي [illegible] ولكن الاغريق القدامى كان لهم رأي آخر . فالفن كان عندهم قائما على محاكاة ما يراه في واقع الحياة . فالمصور والشعر والمسرحيات والقصص والروايات ليست سوى صور مطابقة للاصل الذي يستمد منها الواقع ، والفنان يستمد وحيه من هذا الواقع ، ويرجع اليه في تصويره ، ويعمل على ان يكون امينا في محاكاته .

واساس الفن في رأي ارسطو هو المحاكاة ، ولكن مذهب المحاكاة كان معروفا عند الاغريق قبل ان يقول به ارسطو ، وقد عرفه قبله سقراط ، واتبعه وبنى عليه احكامه افلاطون ، وقد استخلص منه

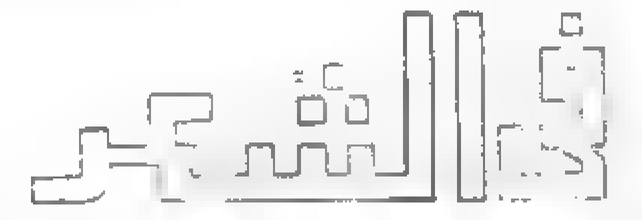
افلاطون سالتهجمك على ان يهاجم الشعر ، ويحتقر الفن ، ويوصي باخراج الشعراء من جمهوريته .

الفن عند افلاطون ملهاة كبيرة الثمن

ولم يكن افلاطون رجلا حالما ، وانما كان يرى ان الفرد يجب ان يكون قبل كل شيء نافعا للدولة وان يعمل على ان يعيش عيشة سبيلة مجيدة ، ويسهم فيما يعود على الناس بالخير ، وكان ينظر الى العلم والفن لا من الوجهة العلمية الخاصة ، او من الوجهة الفنية المحضة ، وانما من الوجهة الاجتماعية الاخلاقية ، وعنده ان الانسان لم يوجد للعلم والفن ، وانما العلم والفن وجدا من اجل الانسان ، وان على العلم والفن ان يكونا في خدمة الانسان ، وكان له من اتجاهه العقلي هذا ما صرفه الى الاسراف في التعلق بالفن شجيع وظهر فيما قد يبدو في كتاباته من تحامل على الفن بوجه عام ، وعلى الشعر بوجه خاص . والفن عند افلاطون ملهاة ثمينة باهظة التكاليف ، تستلزم وقتا طويلا ممن لا عمل لهم في ممارسته ، والتحلي بالاستجابة لرغباته .

عند افلاطون الفن فنان فن عمل نافع وفن جميل قليل النفع

وكان افلاطون يرى ان هناك نوعين من الفنون ، فن صنيع وفن محاكاة ، او حسب المصطلح الحديث فن عملي نافع وفن جميل ، فالاول ينتج الاشياء اللازمة للحياة والنافعة للناس ، مثل الآلات اللازمة للزراعة والصناعة ، والآلات اللازمة للرياضة التي تنمي مباشرتها القوة ، ومثل تحضير الادوية والعقاقير الطبية التي تساعدنا في الاحتفاظ بالصحة الحسنة والعود منها عوائق الامراض والعلل ، وكل هذه الصناعات جديرة بالتقدير ، وخليقة بالعناية والاهتمام ، اما فنون المحاكاة ، ولنسمها الفنون الجميلة ، فاي غرض تخدم ؟ انها تسر النفس ، وتشرح الصدر ، ولكنها قليلة النفع ، فهي من قبيل الالعاب ووجوه التسلية والترفيه عن النفس ، وليس لها كبير قيمة في رأي الناس الجادين ، وقد يرد على ذلك بان الاستمتاع بطرائف الفن له فائدة عظيمة للانسان ، لانه يسمو بنفسه ، ويصقل ذوقه ، والابتهاج الذي يبثه الفن في نفس الانسان يجعله اكثر قابلية للعطف على اخوانه البشر ،





والانسان بعد خروجه من احد متاحف الفن ، او بعد مشاهدته تمثيل احدى المسرحيات يشعر بان افق نفسه قد اتسع ، وبانه اكثر ميلا الى معاونة اخوانه البشر من الرجل المنصرف الزراع . والفنان لا يعنى بالمحتوى الداخلي وانما يشغل نفسه بالظواهر الخارجية وهو يكتفي بالمعرفة السطحية للاشياء ، لانه لا يحاكي سوى المظهر الخارجي . والطبيب يعرف بناء جسم الانسان ولكن الفنان يجهل ذلك ، والشاعر مثله لا يعرف الحياة الانسانية معرفة صحيحة ، ولا تيسر هذه المعرفة الا بعد دراسة عميقة مستوعبة ، الا لا تكفي الملاحظات

السريعة والخواطر العارضة . والمصور والشاعر لايعرفان شيئا من طبيعة ما يحاولان محاكاته عندما يتخبطان في الظلام ويسيران بدافع الغريزة ويزعمان انهما يسجلان ما يلهمهما به الوحي الخفي او الهاتف الداخلي .

ويتشدد افلاطون في حملته على الفن لانه يراه قليل النفع للانسان .

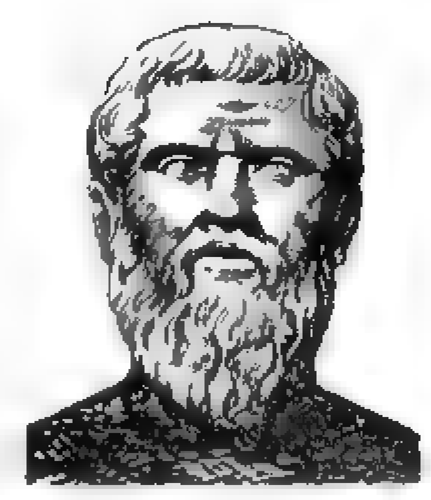
والعلم هو مستودع تجارب الانسان ، ولكن الكشوف العلمية لا يفيد منها الناس الا اذا انتشرت وعم نفعها ، والحقائق العلمية تستلزم معرفة سابقة وتفكيرا جديا قد لايستطيعهما الكثيرون ولتمكينهم من استساغتها يقتضي الامر ان نعرض عليهم تلك الحقائق في صور مبسطة ، والقصص والروايات تتكفل بهذه المهمة ، لا لان كتابها تصدوا القيام بهذه المهمة بل لانهم اسمى ثقافة ، واقرب الى ادراك قيمة الحقائق العلمية من جمهرة القراء ، ويستطيع عدد كبير من الناس ان يزيدوا معلوماتهم ، ويوسعوا نطاق ثقافتهم عن طريق الاستمتاع بقراءة القصص والروايات ، والاشعار والمسرحيات وهذا يبين ان لفنون الادب قيمة تعليمية برغم انتقاص افلاطون للشعر والفنون قاطبة .

ارسطو ربط بين محاكاة الفن وانقطاعنا الى المعرفة

والمحاكاة التي عدها افلاطون اول ما يعيب الفن ويزري بطبيعته في رأي ارسطو هي اول ميزاته ، واجل خصائصه ، فالميل الى المحاكاة له علاقة مباشرة بانقطاعنا الى المعرفة ، والرغبة القوية في المعرفة تحثنا على الموازنة بين الاصل والصورة . وتستدعي هذه الموازنة دراسة الموضوع والاحاطة به ، وهذا هو سر المتعة التي نجدها في الفن في رأي ارسطو ، فالفن اذن قوي الصلة باسمى تطلعات النفس الانسانية ، والمعرفة عند ارسطو اسمى من الحياة ذاتها ، والتفكير النظري اسمى من الممارسة العملية . ومثل هذا اللون من التفكير يتجه اليه الذين يرون ان المعرفة اهم اغراض الحياة ، وهذا التفسير لاصل الفن يمنحه مكانا ساميا بين مجاهدات الروح الانسانية . ويخالف بعض النقاد المحدثين ارسطو في ربطه الميل الى المحاكاة بطلب المعرفة ويرى هؤلاء النقاد اننا نحاول المحاكاة لا لاننا نريد ان نتعلم شيئا ، وانما نحاولها لاننا نريد ان نصنع شيئا ، فالمحاكاة نشاط عملي ، وليست محاولة فكرية ، وحقيقة اننا في بعض الاحايين نقرأ الاشعار لنتعلم منها اشياء عن الطبيعة البشرية ، وخفايا النفس الانسانية ، ولكن ليس هذا هو الدافع لقراءة الاشعار في معظم الاوقات ، والشاعر لم يقرض الشعر لانه يريد ان يوضح لنفسه مشكلة ، او ان يعالج قضية من قضايا الفكر ، وانما نظم القصيدة بدافع الرغبة في المحاكاة كما كان يقول القدماء او الرغبة في الخلق كما يقول النقاد المحدثون ، والاعجاب بهذه الموهبة الخلاقة هو سبب الارتياح الذي نحسه في ملموسنا الطرف الفنية .

ارسطو يفاصل بين الشعر بحسبانه فنا ، والتاريخ

والشعر في رأي ارسطو يصور الحياة البشرية من وجهة نظر عامة ولايحفل بتفاصيلها القليلة الاهمية ، وانما يقتصر على توضيح ماهو جوهري. وعناية الشعر بتصوير خصائص الحياة الجوهرية واغفال ماليس له قيمة ولا دلالة تجعل له قيمة فلسفية ذات شأن ، وهو من هذه الناحية اسمى من التاريخ في رأي ارسطو ، والتاريخ يصف الخصائص الجوهرية والاشياء غير الجوهرية والتي ليست لها اهمية داخلية ، والشعر اسمى من التاريخ كذلك من ناحية انه يمثل الاحداث في ترابطها الداخلي ، في حين ان التاريخ يعرض الاحداث دونما يكون بينها اتصال وثيق ، ويحوي التاريخ على تفاصيل كثيرة خالية من الدلالة والاهمية ويقول ارسطو في ذلك « ليست وظيفة الشاعر ان يروي لنا ما حدث ، وانما وظيفته ان يروي لنا ما يمكن حدوثه تبعا لقانون الاحتمال او الضرورة . وليس الفرق بين المؤرخ والشاعر ان الشاعر يستعمل الوزن والمؤرخ لايستعمله ، فكتاب هيرودوت يمكن ان ينظم ولكنه يظل مع ذلك تاريخا ، والفرق بين التاريخ والشعر ، ان التاريخ يروي ماحدث ، في حين ان الشعر يروي ما كان يمكن ان يحدث ، ولذلك كان الشعر اعمق واكثر دلالة



ارسطو
فضل الشعر على التاريخ

من التاريخ ، والشعر يروي العام والكلي في حين ان التاريخ يهتم بالخاص والجزئي ، والعام هو ما يمكن ان يقوله انسان معين او ما يمكن ان يفعله تبعا لقانون الاحتمال او قانون الضرورة » .

ارسطو فضل الشعر على التاريخ الذي كان قائما في عصره

ويبدو لي ان رأي ارسطو في المفاضلة بين الشعر والتاريخ وترجيح الشعر على التاريخ كان قائما على صورة الكتابة التاريخية التي كانت موجودة في عصره ، وكانت اقرب الى الحوليات منها الى الكتابة التاريخية الحقة وكتاب هيرودوت في التاريخ ينقصه الترابط والتماسك ، وهو حافل بطرائف الاخبار ، وقد حاول هيرودوت ان يكتب تاريخ حرب الفرس والاغريق ، ولكنه لم يبدأ قصة تلك الحرب الا في الجزء السادس من الكتاب ، وقد حدثنا عما عرفه من تاريخ الاقوام الذين غزاهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وقد اعلن الفرس الحرب على المصريين ، ويغتنم هيرودوت هذه الفرصة ليفيض في الحديث عن المصريين ، كما اعلن الفرس الحرب على السكوثيين Scythians ويتيح له ذلك الفرصة للتحدث عن السكوثيين وتاريخهم ، ويتخلل ذلك روايات شتى سمعها من الكهنة والرهبان ، فهو راوي قصص مسلية ، وطرائف شائقة ، ولكن كتابه ينقصه البناء المحكم ، والتماسك المنطقي . والمؤرخ اليوناني ثوسيديدس Thucydides كاتب حوليات تدل على سعة المعرفة وعمق التفكير ، ولكن ما يرويه كذلك ينقصه الترابط المنطقي واتباع هذه الطريقة في كتابة التاريخ يجعل المؤرخ عرضة لان يوجه اهتمامه الى تفصيلات قد لاتكون لها اهمية تستحق الذكر . ولم يكتسب التاريخ الصبغة العلمية الا في العصر الحديث ، وكتابة المؤرخين المحدثين تمتاز بالتسلسل المنظم والترابط المنطقي ، وهي خالية من التفصيلات التي لا اهمية لها ، وتحوي الحقائق الهامة التي لها دلالة عامة ، كالحقائق التي كان يريدها ارسطو . وهي الحقائق التي توضح خصائص العصر ومميزاته . ولا احسب ان رأي ارسطو في التاريخ يصدق على مثل طريقة جيبون Gibbon في كتابه عن سقوط الامبراطورية الرومانية ، او غيره من المؤلفات التاريخية الممتازة التي ظهرت في العصور الحديثة مثل مؤلفات مومسن وكارلايل وميشليه ورينان وغيرهم من كبار المؤرخين المحدثين .

ارسطو عنده الشعر اربعة انواع

وقد قسم ارسطو الشعر الى اربعة انواع ، وهذه الانواع الاربعة تتألف منها مجموعتان بينهما روابط تاريخية وفنية ، وقد ابتدأ الشعر في نوعين ، كما ان البواعث عليه تسير في اتجاهين ، فهو يبدأ اما شعرا حماسيا وهو الذي يتمثل في الملاحم ، ومن شعر الملاحم نشأت المأساة . واما شعرا هجائيا ، ومن الشعر الهجائي نشأت الملهاة . والملاحم من الناحية التاريخية اقدم من المآسي ، كما ان شعر الهجاء كان اسبق من الملهاة ، ولذلك رأى ارسطو ان ظهور المأساة والملهاة يمثل تطورا هاما في الشعر جديرا بان يسلط عليه الضوء ويركز عليه البحث

وقد اغفل ارسطو الحديث عن الشعر الغنائي ، ويعلل الناقد ابركرومبي Abercrombie ذلك بان شعر الغناء كان مرتبطا بالموسيقى ، وارسطو ينص على ان اداة الشعر الكلام .

مفهوم المحاكاة عند افلاطون

ويختلف مفهوم المحاكاة عند ارسطو عن مفهومها عند افلاطون ، ومفهوم المحاكاة عند افلاطون متصل برأيه المشهور في نظرية المثل ، وهو يضرب مثلا لذلك بالسرير الذي يصنعه النجار ، فهذا السرير محاكاة لفكرة السرير الموجودة في المثل ، فاذا جاء المصور ورسم صورة لهذا السرير فان هذه الصورة تعد منقولة عن الصورة التي صنعها النجار ، وعلى هذا النمط سار افلاطون في تفكيره عن الشعر ، فالشعر في رأيه قائم على محاكاة المحاكاة ، فهو من ثم شيء لا لزوم ، ولا فائدة ترجى منه ، والعمل الجدير بالرجل العاقل هو ان يعنى بالحقائق التي تكتسب مزيتها من الافكار التي تمثلها .

مفهوم المحاكاة عند ارسطو

والمحاكاة عند ارسطو ليست محاكاة خالصة او تقليدا اعمى ، والهدف الذي يرمي اليه التقليد الشعري هو العمل النفسي ، والمقصود بذلك الحوادث التي لها صلة بالانسان وحياته ، اي القصة في اوسع معانيها ، وابرز العناصر في كل قصة هو طبيعة العامل العنصر البشري ، وبذلك اصبح من المعهود تقسيم المحاكاة الادبية بحسب طبيعة العنصر البشري فالناس في العادة يوصفون بانهم اشرار او اخيار ، والشعر يتناول تصوير الناس بصورة خير مما هم عليه ، او يصور شر مما هم عليه ، او مطابقة لما هم عليه . وارسطو لايحفل بهذا الاحتمال ويتجاهله ، ويقصر بحثه على المحاكاة الاولى والمحاكاة الثانية ، فالشعر الذي عني به هو الذي يحاول تصوير الناس في صورة خير مما في الحياة ، او بصورة شر مما في الحياة ، والصورة الاولى هي الشعر الجدي ، والصورة الثانية هي الشعر الهزلي ، وهذا هو اساس تقسيمه الشعر الى شعر المأساة وشعر الملهاة ، وتبعا لهذه الاعتبارات قد يكون الشخص في المأساة خيرا منه في الحياة العادية ، وقد يكون الشخص في الملهاة شرا مما نراه في مألوف الحياة .

وليس معنى هذا ان اشخاص المأساة يكونون خيرا من الناحية الاخلاقية اسمى من سائر البشر، وانما المقصود انهم اقوى تأثيرا في النفس ، ويمكن ان نستخلص من ذلك ان المحاكاة الشعرية ليست محاكاة خالصة ، لانها اذا كانت كذلك لما استطاع الشعر ان يقدم لنا صورة خيرا من الاصل او شرا منه ، وواضح من ذلك ان الشعر لايحاكي الطبيعة، وانما يصور ما يتمثل في خيال الشاعر ، ولاحاجة بالشاعر الى اعطاء صورة محاكاة للطبيعة كل المحاكاة لان الطبيعة ماثلة امامنا في كل حين ، فالشعر الذي في رأي ارسطو ليس من قبيل المحاكاة التي تصورها افلاطون ، وانما هو يقدم لنا عالما خياليا يمثل احتمالات لا يمكن ان توجد في الطبيعة ، والشعر يصور الحياة كما يمكن ان تكون ، وهذا مما يفسح المجال للخيال ، ويمكنه من ان يمارس وظيفته . ولو اقتصر عمل الخيال على استبعاد النواحي التافهة التي لا دلالة لها في الواقع لكان هذا كافيا في توضيح ان الشعر لايقدم صورة منقولة نقلا حرفيا عن واقع الحياة ، وهو الامر الذي جعل افلاطون يحمل حملته المعروفة على الشعر والشعراء، والحقيقة ان ما يسميه ارسطو المحاكاة في الشعر هو لون من الوان البراعة الفنية والقدرة على الصياغة والتأليف او الخلق كما يعبر عنه المصطلح الحديث .

افلاطون يعيب المأساة
وارسطو يراها جد نافعة

وقد اتهم افلاطون شعر المأساة بانه يثير المشاعر ، ويستثير الدموع ، وعد ذلك من عيوبه ، وقد استطاع ارسطو ان يفند هذا الرأي بنظرية التطهير التي اوضحها في كتابه عن الشعر . وعند افلاطون ان بطل المأساة حينما ينتحب سوء حظه ، ويشكو ما حل به من الكوارث ، يضرب للناس مثلا سيئا في احتمال محنة الصبر ، واظهار الضعف تجاه الحوادث ، والانسان في الحياة العادية لايعجب بالرجل الذي يسرف في الشكوى ، ولا يكف عن عرض احزانه على جيرانه واخوانه ، ويكبر

الرجل الجلد الصبور الذي يثبت للأحداث وينأى بنفسه عن أن يكون موضعاً للرثاء واستدرار العطف . وإذا سمحنا لأنفسنا بالاسترسال في مشاركة أبطال المأساة أحزانهم فقدنا السيطرة على مشاعرنا ، وضعفت عزيمتنا ، وعجزنا عن احتمال ما يصيبنا من الآلام ، وبذلك تصبح المأساة سيئة الأثر في النفس ، ومضعفة لسيطرة العقل . ويسلم أرسطو بما تثيره المأساة من الانفعالات في النفس ، ولكنه يرى أن هذه الإثارة جد نافعة ، لأنها بمثابة التطهير للنفس . والمأساة في رأي أرسطو تثير انفعالين ، وهما شعور الرأفة والخوف ، وهما انفعالان موجودان في جميع أفئدة البشر ، وبينهما رابطة قوية ، فقد يستتر الخوف وراء الرأفة .

وترى بعض شراح نظرية أرسطو أنه ربما كان يشير بذلك إلى نظرية من نظريات الطب كانت معروفة في عصره ، كما رأى بعض هؤلاء الشراح أن أرسطو ربما يكون قد اتجه إلى هذه الفكرة لما لاحظه من تأثير الموسيقى في شفاء بعض الاضطرابات العصبية ، وكانت هناك أنواع خاصة من الموسيقى تجدي في تهدئة الاضطرابات العصبية ، وقد كشف علماء النفس المحدثون أن بعض العقد النفسية المستعصية تخف حدتها وتعالج عن طريق الاستهداف للانفعالات العنيفة التي تثيرها القصة المدوية أو الموسيقى الصاخبة ، وقديماً قال أبو نواس

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

وقد استغل الشريف الرضي معنى المعالجة الرائعة بقوله .

أسلْ بمثله وأدنى العزاء أن يأسوا
إن التأسي على الأحزان سلوان

وكان في الطب اليوناني رأي يقول إن كل جسم يجوز استخراج ما به من مادة غريبة بأن يعطى مادة تشابهها بمقادير خاصة كما يقول الناقد أبركرومبي Abercrombie ، ومنه أن هذا يشبه التطعيم ضد الأمراض في الطب الحديث ، والمأساة - مجاراة لهذا الرأي - تبرئ النفس من شعور الخوف والرأفة ، لأنها تثير في النفس هاتين العاطفتين ، وهذا يعد من أهم مزاياها ، وهو مصدر الارتياح الذي نشعر به بعد حضور تمثيل المآسي ، أو بعد قراءة الشعر الذي تغلب عليه النغمة الحزينة بوجه عام ، مثل رباعيات عمر الخيام ، ولزوميات أبي العلاء ، وشعر الغزل الذي يصف ما يعانيه المحبون من لوعات الفراق ولواعج الاشتياق ، وقصائد الرثاء التي تصف ما يصيب النفس من الآلام المبرحة حينما تفجع فيمن يعز عليها فقدهم من الأقارب الأعزاء والأصدقاء الأوفياء ، ويقول أبركرومبي (1) لعل ملتن [illegible] أول كاتب انجليزي قام بشرح هذه النظرية وإيضاحها ، فقد ذكر في مقدمته لمنظومته المعروفة عن شمشون الجبار « إن المأساة هي أكثر أنواع الشعر نفعاً » ويستدل على هذا الرأي بكلام لأرسطو فيقول « ولهذا قال أرسطو عنها بأنها حين تثير شعور الرأفة أو الخوف والرعب فإنها تطهر الروح من هذه العواطف أي تعدل منها وتخفضها إلى القدر اللازم مع ارتياح النفس عند مطالعة أو مشاهدة هذه العواطف مقلدة تقليداً متقناً . والطبيعة تثبت صحة ما ذهب إليه ، ففي الطب تستخدم الأشياء ذات الصفة المضادة لمعالجة الأمراض المضادة ، ويستخدم الحامض ضد الحموضة ، والملح لاستبعاد الملوحة وهنا نرى الآراء التي كانت سائدة في القرون الوسطى عند الطب اليوناني ، ولكن لاشك في أن ما ذهب إليه ملتن صحيح في أن أرسطو كان يرى أن وظيفة المأساة شيء يشبه الطب ، والذي تتضمنه المأساة من الرأفة والخوف هو العلاج الذي يستطيع به شاعر المآسي أن يخفف نفوس سامعيه ، ويصعدهم إلى العاطفة الصحيحة بطريق التطعيم »

ويرغم ما وجه إلى آراء أرسطو في كتابه فن الشعر من نقد ، فإنه لايزال من المراجع المأثورة في النقد الأدبي والفلسفة الجمالية .

علي أدهم

(1) راجع صفحة ١٢٣ وصفحة ١٢٤ من كتاب « قواعد النقد الأدبي » تأليف لاسل أبركرومبي Lascelles Abercrombie وترجمة الدكتور محمد عوض محمد .



امن العقوبة

● روى ان امير المؤمنين على بن ابى طالب دعا غلامه فلم يجبه فدعاه ثانية وثالثة فلم يجبه . فقام اليه فرآه مضطجعا فقال : اما تسمع صوتى يا غلام ؟ فقال : نعم . قال : فما حملك على ترك جوابى ؟ فقال : امنت عقوبتك فتكاسلت فقال : امض فانت حر لوجه الله .

أتتك مستنجد

● اعترض رجل عمر بن هبيرة يوما فى الطريق فقال : يا امير العرب انى طالب الحج . فقال : دونك الطريق سهل الله لك . قال : انى عاجز عن المشى . قال : اعتقب يوما وامش يوما .

فى الحرب والسلام

● قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معدى كرب : اخبرنى عن السلاح قال سل عما شئت . قال : الرمح . قال اخوك وربما خانك . قال النبل قال : منايا تخطىء وتصيب . قال الترس . قال ذلك المجن وعليه تدور الدوائر قال : الدرع . قال : مشغلة للراجل متعبة للفارس . وانها لحصن حصين . قال السيف قال : هناك قارعتك أمك على الثكل . قال عمر بل امك قال : اخبرنى عن الحرب . قال مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ، ومن ضعف عنها تلف . وهى كما قال الشاعر

الحرب اول ما تكون فتية	تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها	ولت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت راسها وتنكرت	مكروهة للشم والتقبيل

دعه فى النار

● مات أحد المجوس وكان عليه دين كثير فقال بعض غرمائه لولده : لو بعت دارك ووفيت بها دين والدك ؟ فقال الولد : اذا انا بعت دارى وقضيت بها عن ابى دينه فهل يدخل الجنة ؟ فقالوا له لا . قال : فدعه فى النار وانا فى الدار .

عربية

مستفتيا

قال: لست أملك ما أشتري به ولا ما أكتري. قال: فقد سقط عنك فرض الحج فاتركه. قال: يا أمير العرب إني أتيتك مستنجدا لا مستفتيا، فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم.

كف لسانك إلا من خير

● جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة فقال: أطعم الجائع، واسق الظمآن، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر. فقال الأعرابي لا أستطيع ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كف لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب على الأهواء.

مواعيد عرقوب

● كان عرقوب رجلا من العمالقة، فأتاه أخ له يسأله شيئا فطلبه من ثمار نخلته. فقال له عرقوب: إذا طلع نخلي. فلما طلع أتاه فقال له: إذا أبلح. فلما بلح أتاه. فقال: إذا زهى. فلما زهى أتاه فقال: إذا أرطب. فلما أرطب أتاه فقال: إذا أتمر. فلما أتمر جزه ليلا ولم يعطه شيئا. فضربت به العرب المثل في خلف الوعد.

دهاء

● خلا المنصور يوما مع يزيد بن أسيد فقال: يا يزيد، ما ترى في قتل أبي مسلم. فقال: أرى أن تقتله، فوالله لا يصفو ملكك ولا يهنأ عيشك ما بقي.

فنفر منه المنصور ثم قال: قطع الله لسانك أتشير علي بقتل أنصر الناس وأنفعهم على عدوي، أما والله لولا حفظي لما سلف منك لضربت عنقك

فقام من مجلس المنصور وقد ضاقت الدنيا به وتمنى أن تسيخ الأرض به

فلما قتل المنصور أبا مسلم الخرساني قال لي: يا يزيد أتذكر يوم شاورتك؟ قال: نعم. قال: والله هو الرأي الذي لا شك فيه. ولكني خشيت أن يظهر منك فتفسد مكيدتي.

انتشار الإسلام في جزر الشرق الأقصى

الملايو — جزر الهند الشرقية — الفلبين

بقلم الدكتور : جمال زكريا قاسم

[illegible]



وكان البحارة من جنوب الجزيرة العربية ، وبخاصة الحضارمة ، اقدم من وطىء هذه المنطقة ، وكان قدومهم للتجارة حينا وللاستيطان حينا آخر اذ كانت طبيعة اراضيهم القاحلة تدفعهم الى خوض عباب المحيط الهندي والبحث عن ابواب جديدة للرزق . وعلى الرغم من انهم كانوا قلة من الناس يأتون في فترات محدودة الا انه ببعض الزمن بدأ اختلاطهم يشتد بالسكان .

العوامل الجغرافية ساعدت على نشاط الحركة الملاحية

وظل الاتصال التجاري ينمو ويتسع قبل ظهور الاسلام بين الجزيرة العربية ومنطقة الشرق الاقصى اذ ساعدت العوامل الجغرافية على نشاط حركة الملاحة ، لان الرياح الموسمية التي تهب على المحيط الهندي كانت تمكن السفن الشراعية من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود ، ففي الربيع تدفعها في اتجاه شمالي شرقي فتخرج من خليج عمان وساحل حضرموت الى المحيط الهندي ، وفي فصل الخريف تدفعها في اتجاه معاكس فتمكن السفن من العودة الى قواعدها في شبه الجزيرة العربية . وفي خلال دورتي الرياح هذه كان يتم التبادل التجاري . وقد عرف العرب الايام التي تهب فيها تلك الرياح ، وحددوا بها الاوقات الملائمة لسير السفن في المحيط الهندي . ونظرا لطبيعة الاتصال الموسمي بين العرب ومنطقة الشرق الاقصى فقد حرص الكثيرون من التجار على الاستقرار مؤقتا في مراكز تجارية وبناء مستودعات لحفظ متاجرهم انتظارا لعودة الرياح ، كما عمد الكثيرون منهم في مرحلة تالية من بعد ظهور الاسلام الى الاقامة الدائمة والتعايش والتزاوج مع السكان المحليين .



وقد ظل الرياح الموسمية مدة سرا من الاسرار التي احتفظ بها العرب والهنود لأنفسهم الى ان تمكن ملاح اغريقي في القرن الاول الميلادي (٤٥م) من كشف اتجاه هذه الرياح وكان من نتيجة ذلك ظهور بعض الارشادات الملاحية باللغتين اليونانية واللاتينية عن المحيط الهندي وحركة التجارة فيه ودور العرب في هذه التجارة . وعلى الرغم من المنافسة التي تعرض لها العرب من الرومان ، ومن بعدهم الفرس منذ نهاية القرن الخامس الى القرن السابع الا ان العرب تمكنوا من ان يصبحوا سادة التجارة دون منازع بين مصر وايران والهند من جهة ، وبين الهند وشرق وجنوب شرقي آسيا من جهة اخرى ، وذلك منذ القرن التاسع حتى قدوم البرتغاليين في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي، وكانت موانيء سيراف على الخليج العربي وعمان من اكبر الموانيء الاسلامية ، كما كانت عمان على وجه خاص نقطة ارتكاز التجارة بين الهند والصين ومصر حتى لقد اطلق عليها بعض جغرافيي العرب « دهليز الصين » .

التجار المسلمون حملوا الاسلام الى الصين

وعلى الرغم من اننا لا نستطيع ان نحدد تاريخ دخول الاسلام الى تلك المناطق تحديدا قاطعا الا ان الأمر الذي لاشك فيه ان الاسلام وصل الى هذه المناطق على ايدي التجار العرب منذ القرن الثامن الميلادي على الأرجح . وتدل المصادر التاريخية على ازدياد ملحوظ في التجارة العربية مع الصين عن طريق سيلان في القرنين التاليين لظهور الاسلام حتى انه وجد تجار مسلمون في جاليات عربية كبيرة العدد في كانتون ، والى تلك الجاليات الاسلامية الاولى يرجع الفضل في تحويل الكثير من الوثنيين الى الاسلام . وتتحدث الكثير من الروايات المحلية الشفوية او المكتوبة وكتب التواريخ الصينية عن ظهور تلك الجاليات العربية في زمن اقدم من الاشارات التي وردت عنها في المصنفات العربية العامة . وكان للتجار المسلمين من الشأن في بلاد الصين ما اتاح لهم ان يظفروا من امبراطورها بحق احالة منازعاتهم على قاض منهم . ففي « سلسلة التواريخ » نجد انه في اوائل القرن التاسع الميلادي كان على رأس الجالية الاسلامية في كانتون رئيس مسلم يعينه امبراطور الصين ، وكان هذا الرئيس « يقضي بين افراد الجالية باحكام الشريعة . واذا كانت الجمعة او العيد خطب في المسلمين ودعا في خطبته لسلطان المسلمين » .

كتاب لأحد تجار العرب ، ويدعى سليمان

وفي خلال ذلك القرن ايضا نقرأ في المصنفات العربية العامة من كتب الرحالة والجغرافيين عن معرفة العرب بشعوب ماليزيا وغيرها من شعوب الشرق الأقصى اذ احتوت تلك المصنفات على معلومات قيمة عن موانىء المحيط الهندي وسواحله الى جانب وصف بلاد المسلمين وما وراءها . ولعل من اهم المصادر العربية التي سجلت الملاحة في المحيط الهندي كتاب وضعه احد التجار العرب ويدعى سليمان (٨٥١م) وينطوي في مجموعة عن طائفة من الاخبار الكثيرة التي رواها التجار المسلمون عن الطريق البحري من سيراف الى كانتون ، وعن عادات اهل الصين والهند وغيرهما من شعوب تلك الجهات كما نراه وصفا شيقا للسواحل والجزر والموانيء وسكانها وسلعها ومنتجاتها .

وكتاب ابي زيد السيرافي

لم تبدأ معلوماتنا تتضح بصورة اكبر حينما طالعنا ما كتبه ابو زيد السيرافي (٨٧٧ - ٩١٥م) الذي يعتبر اول من قدم معلومات متصلة عن المنطقة ، وان كان قد اقتصر على جمع وتدوين قصص التاجر سليمان ولكنه اضاف اليها ما عرفه من روايات نقلها عن التجار الذين جابوا البحار الشرقية بعد ان قرر وسجل من كتابها ولذلك تبدو كتاباته كأنها نوع من ادب المغامرات او القصص البحري . والواقع أن جانبا كبيرا من هذه المعلومات كان مادة طيبة لمغامرات السندباد البحري ولقصص الف ليلة وليلة التي كانت تتجمع في ذلك الحين ، اذ من المؤكد ان تكون بعض هذه القصص قد استوحيت من رحلات العرب البعيدة الى تلك المناطق . وقد لاقت روايات السيرافي عناية متزايدة من كثير من المستشرقين وبخاصة العلامة رينود Reinaud في منتصف القرن التاسع عشر ، كما اخرج سوفاجيه دراسة قيمة لها في السنوات الاخيرة .

والمسعودي في كتابه « مروج الذهب »

وفي القرن العاشر يطالعنا ابو الحسن المسعودي في سفره الخالد « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ونجد في هذا المصنف معلومات طيبة عن المحيط الهندي ، وقد ذكر المسعودي ان مدينة كيها في ملقا ، وهي موضع سنغافورة اليوم ، هي النصف من طريق الهند او نحو ذلك ، واليها تنتهي مراكب اهل الاسلام من السيرافيين والعمانيين ، كما اشار الى بلاد الجاوى والى السلطنة المهراجية ، التي كانت تحكم بعض اجزائها قائلا بصدد ذلك « انه لا يمكن معرفة حدود مهراج الجاوى وجيوشه لا تحصى ويتبقى الانسان سنتين حتى يأتي على جميع ممالكه » .

الجغرافي العربي الادريسي ، واسم الماليز

وفي القرن الثاني عشر ازدادت معرفة العرب بتلك البلاد . وكان الجغرافي العربي الادريسي اول من سمى باسم الماليز احد الشعوب الساكنة في جاوى ، كما نلمح في كتابات ابي الفدا وابن خرداذبة تزايدا ملحوظا في معرفة العرب بتلك البلاد ، بممالكها ومسالكها ومراكبها وجبالها النارية .

سقوط الدولة العباسية على ايدي المغول زاد انتشار الاسلام في الشرق الاقصى

ولم يؤثر التمزق السياسي الذي تعرض له العالم الاسلامي بعد سقوط الدولة العباسية على ايدي المغول في عام ١٢٥٨م على نشاط المسلمين اذ استمر التجار المسلمون يتحكمون في الوساطة التجارية بين اوربا والشرق الاقصى ، كما ظهرت ردود فعل قوية تمثلت في الحماس الزائد لنشر الدعوة الاسلامية نتيجة للتصدع السياسي الذي اصاب العالم الاسلامي ، ظهر ذلك في اعتناق بعض مقاطعات الهند للاسلام ، وانعكس في المراكز التجارية الاسلامية التي قامت في اجزاء من سواحل الملبار والكروماندل ، وشمال سومطرة التي كانت محطا هاما للتجار المسلمين .

ما قال « ماركو بولو » عن الاسلام في رحلته

وقد كتب ماركو بولو Marco - Polo في رحلته الى الشرق الاقصى (١٢٩٢م) عن سومطرة التي قضى في شاطئها الشمالي قرابة خمسة اشهر ان غالبية سكانها من الوثنيين والمجوس عدا سكان المناطق الموجودة في الشمال الشرقي لانهم اعتنقوا الاسلام بواسطة التجار العرب الذين كانوا يخالطونهم . ويبدو ان الاسلام كان قد رسخ في سومطرة اذ لم تكد تمضي سنوات قليلة على رحلة ماركو بولو حتى اصبح حاكم مقاطعة باساي مسلما

ولقب بالملك الصالح ، ولم يطل الأمر بالمقاطعات المجاورة حتى دخلت بدورها في الاسلام .

وقد حفظت الروايات التقليدية في الملايو وسومطرة بقصص دخول الاسلام الى تلك المناطق ومن اهم هذه الروايات المدونة حكايات راجا راجا باساى وسيجاراه ملايو ، وتعلم « الحوليات التاريخية للملايو » ، وبهذه الروايات الكثير من الاحداث التى تروى جوانب من الشجاعة الخارقة على نحو يذكرنا باساطير الالياذة والاوديسة .

وما قال ابن بطوطة عن الاسلام في رحلته في تلك الديار

وفي خلال النصف الاول من القرن الرابع عشر زار الرحالة العربي « ابن بطوطة » سلطنة جاوة ويفهم من كتاباته ان الاسلام قد وطد فيها اذ كتب يقول ان سلطانها « الملك الظاهر من فضلاء الملوك شافعي المذهب محب في الفقهاء يحضرون مجلسه للقراءة والمذاكرة ، وهو كثير الجهاد والغزو ، ومتواضع يأتي الى صلاة الجمعة ، ماشيا على قدميه وأهل بلاده شافعية محبون في الجهاد يخرجون معه طوعا وهم غالبون على من يليهم من الكفار والكفار يعطونهم الجزية على الصلح » .

وعلى الرغم مما يوحي به حديث ابن بطوطة ان الحكام المحليين اتبعوا الشدة في نشر الاسلام الا انه من الثابت ان تلك كانت حالات قليلة لا تجعلنا نتراجع عن التأكيد ان الاسلام دخل هذه المناطق دخولا سلميا بصفة عامة وانه لاقى استجابة سريعة من شعوبها . وقد اشار ابن بطوطة انه تلاقى مع بعض علماء الشيعة من شيراز واصفهان وان هؤلاء العلماء كانوا مقربين الى السلطان ، وهذه الملاحظة تفسر لنا دخول الشيعة التي لا تزال بقاياها في سومطرة وجاوة حتى الوقت الحاضر .

وفي القرن الثالث عشر

الواقع ان المجتمعات الاسلامية بمساجدها ومؤسساتها الحضارية والثقافية بدأت تظهر منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، وظهور تلك المجتمعات يوضح تزايدا في اعداد المسلمين كما يوضح ايضا اسهام عناصر اخرى في ابراز هذه المجتمعات . وعلى الرغم من ان التجار العرب استمروا يكونون عنصرا فعالا في نشر العقيدة الاسلامية بالاضافة الى سبقهم في نشر تلك الدعوة

الا ان اسلام بعض مقاطعات الهند خاصة في سواحل مليبار وكروماندل ثم منطقة الكجرات في الشمال الغربي ، التى كانت بمثابة باب التجارة الغربية للهند ومنفذها الى آسيا وافريقيا ، والتى قامت بها امارة اسلامية كانت تعد ثاني امارة اسلامية بعد دهلي ، كان لها اثرها الواضح في دفع الدعوة الاسلامية الى تلك الشعوب ، ويتضح تأثير مسلمي الهند من اتخاذ شعوب جاوة وسومطرة الشافعية مذهبا لهم ، وهو المذهب السائد في جنوب الهند ، غير ان ذلك لا يعد تأثير مسلمي الكجرات من الاحتفاظ بدورهم في نشر الدعوة الاسلامية وتثبيت اركانها بفضل من توافد منهم من دعاة ، كما لا يمنع ايضا ان يكون الاسلام قد انتشر من الهند عن طريق التجار العرب الذين كانوا موجودين هناك باعداد كبيرة ولعبوا دورا هاما في اسلام الشعوب الماليزية ، كما لاينبغي ان نغفل عنصرا آخر وهو من اسلم من تلك الشعوب ذاتها وتأثيرهم على اسلام غيرهم من بني جلدتهم ، كما يحتمل ان الكثيرين من اولئك قد اعتنقوا الاسلام في اماكن بعيدة عن اراضيهم وعادوا بالاسلام الى بلادهم ، ونفهم من روايات ابن بطوطة انه شاهد بنفسه بعض سكان الملايو في شواطيء مليبار وكذلك في سواحل زنجبار .

كيف نشر التجار الاسلام

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو الى اي حد نجح التجار في نشر الاسلام في تلك المناطق ؟

هناك من يقول ان العمل التجاري ومصلحة التجار كانت الهدف الأساسي ، اما عملية نشر الاسلام ذاتها فقد كانت عملا ثانويا . ولكن هناك نفر من الباحثين لا يجد ثمة تعارضا بين العمل التجاري ونشر الاسلام اذ ان بساطة التعاليم الاسلامية وحث القرآن على نشر الاسلام ـ « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » ـ كانت تشجع المسلمين على الدعوة الى الدين خاصة وان الدعوة الى الاسلام لا تشترط وجود كهانة خاصة مثلما تشترط المسيحية ، وفي هذا الصدد يذكر السير « توماس ارنولد » في كتابه الدعوة الى الاسلام Preaching of Islam ان المسلمين على جميع مستوياتهم عملوا على نشر الدعوة اينما وجدوا ، وان المسلم المتفقه في شئون دينه كان لا يجد ثمة تعارضا بين عمله في سبيل العيش الكاد وحثه على الدعوة . ولما كان هناك كثير من المتفقهين

في شئون الدين يحملون في التجارة فان ذلك جعل الاسلام ينتشر عن طريق اقتياء التجار مع التسليم في نفس الوقت أن هناك بعضا من التجار لم يهمهم أمر العقيدة الا بدرجة ثانوية . ويشير توماس أرنولد بصدد ذلك الى تجار الرقيق في شرق افريقيا الذين كان من مصلحتهم في كثير من الأحيان عدم التوسع في نشر الاسلام بين الشعوب الوثنية الزنجية حتى يمكنهم من الاحتفاظ بها كمورد من موارد الرقيق .

ونجح التجار العرب بالاحتفاظ بمزاعم التميز عن غيرهم من العناصر الأخرى الوافدة وقد وجدوا احتراما شديدا من السكان والحكام بفضل ما كان يدعيه أولئك التجار من الانتساب الى البيت النبوي ولذا لم يأنف الأهالي بالتقرب اليهم بمصاهرتهم وتزويج بناتهم منهم ، وكانوا يتفاخرون لذا ما ولدن منهم سادة وأشرافا ، وتحفل الروايات المحلية بأخبار المصاهرات الكثيرة التي حدثت بين التجار العرب والحكام الوطنيين خاصة بعد أن تضاعفت الاتصالات التجارية بين العرب وشعوب تلك المنطقة وأدت هذه الاتصالات بدورها الى الارتباط في التقارب ووحدة المصالح . وتشير تلك الروايات على أن معظم السلطنات الاسلامية أسستها جماعات من الاشراف . ففي سولو في جنوب الفلبين تشير المدونات التاريخية الى السيد أبي بكر ، ويقال انه وفد من شبه الجزيرة العربية واليه يرجع الفضل في تثبيت دعائم السلطنة وذلك بادخال الشريعة الاسلامية فيها ونشر اللغة العربية بها . ويقدر بعض الباحثين وصوله الى الحكم في عام ١٤٥٠ م بعد أن تزوج ابنة الراجا « علي » أو من أرملته على الترجيح . وفي جزيرة مينداناو تأسست سلطنة اسلامية أخرى على يد أحد أشراف الحضارمة واسمه الشريف زين العابدين تزوج من ابنة السلطان المحلي وتمكن ابنه الشريف محمد كابونج سوان » أن يوطد دعائم تلك السلطنة التي تحولت كلها الى الاسلام في منتصف القرن السادس عشر الميلادي .

بعض المستشرقين قال بزيف بعض الأنساب

والجدير بالذكر أن بعض المستشرقين يلمحون لاثباتات قوية على أن التجار العرب ومن لواقد بعضهم من دعاة كانوا يدعون النسب بمراجع دينية مزيفة حتى يكتسبوا من وراء ذلك احترام السكان البسطاء . ولكن يبقى علينا الا نأخذ تماما بهذه الأقوال التي تنم في حقيقتها عن محاولة أولئك اتهام العرب باستغلالهم سذاجة الشعوب التي دخلوا أراضيها . حقيقة أننا لا نستطيع أن ننكر أن هناك الكثيرين من المغامرين ادعوا نسبا غير حقيقي ولكننا في نفس الوقت نؤكد على وجود حالات من الأشراف وصلت بالفعل الى تلك المناطق . ثم شاعت فكرة الانتساب بعد ذلك . وقد لاحظ المستشرق الفرنسي جبريل فران Ferrand صاحب الدراسات الشهيرة عن تلك المناطق أن كثيرا من أهالي البلاد يحتفظون بكتب خطية عربية متناهية في القدم يحاولون بها اثبات انتسابهم ليس الى مكة المكرمة فحسب وانما الى بيت النبوة أيضا .

انتشر الاسلام في هذه الشعوب بغير عنف

والظاهرة التي استرعت انتباه الدارسين هي انتشار الاسلام في تلك الشعوب بغير عنف وبغير اجتهاد في الغزو في أكثر الأحيان . والواقع أن الاسلام لاقى انتشارا سلميا وهذا أمر طبيعي لأنه لم يكن لدى التجار المسلمين ولا الدعاة الذين يدعمهم قوة مسلحة ازاء الممالك الهندوكية التي نشطوا فيها ولكنهم كانوا بلا شك أعلى درجة في المدنية من الأهالي ، هذا بالاضافة الى المزايا الأخرى التي اكتسبوها من الاثراء وطول الأسفار وكانت هذه الخبرات أساس نجاح العرب — وغيرهم من المسلمين — في نشر عقائدهم وطقوسهم حيثما نشروا تجارتهم . فقد أتى العرب بمعلومات ومعارف كانت مجهولة لدى هذه الشعوب ، مثل التقويم ، وعلم الهيئة ، والجغرافية ومقاييس العروض والأطوال وتحديد الأقاليم ، كما تعلم الاندونيسيون من العرب أصول المعاملات التجارية وطرق البيع والمساومة وبناء المستودعات . ويتفق بعض الباحثين على أن الانتشار السلمي للاسلام بين الشعوب الملايوية يدحض حجة من يدعون أن الدين الاسلامي ينشر بالسيف ولا ينشر بغيره ، ويؤكد أن القدوة الحسنة كانت كفيلة وحدها بنشر الاسلام ، وحيثما وجد التجار والدعاة العرب على شواطئ هذه الجزر فهناك مسلمون على المذهب الذي يدينون به ، وعلى الرغم من أن عدد العرب في القرن التاسع عشر لم يزد على ثلاثين ألفا في جميع الجزر الا أن المسلمين بلغوا في ذلك الوقت أكثر من سبعين مليونا من أبناء البلاد وهذا يوضح

سرعة تقبل الحكام المحليين وشعوبهم للعقيدة الاسلامية .

الاسلام انتشر هناك بين الامراء والقادة اولا

وتكاد الروايات المروية عن انتشار الاسلام في الشعوب الماليزية أن تجمع على اعتناق الاسلام بين الامراء والقادة ثم شيوعه بفرضهم وعشائرهم بين رعاياهم الوثنيين ، ومثل هذه الروايات التقليدية تضع تأكيدات قوية على قوة جاذبية العقيدة الاسلامية وهو امر لا يستطيع اي باحث منصف تجاهله . ومع ذلك فقد وضع الكثير من الباحثين تفسيرات عديدة لتعليل اسباب انتشار الاسلام بين تلك الشعوب . وهذه التفسيرات تتعلق بمصلحة الحكام ومصلحة شعوبهم في التحول الى العقيدة الاسلامية هذا بالاضافة الى المؤثرات الخاصة التي ساعدت على الاندفاع بالدعوة الاسلامية .

النشاط الصوفي في الدعوة الاسلامية

ويرتبط ذلك بالنشاط الصوفي وبوصول الدعاة المسلمين من مختلف انحاء العالم الاسلامي ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي مما ادى الى انتشار الطرق الصوفية والفكر الصوفي . وقد صادفت هذه الافكار نجاحا كبيرا الا انها في قليل او كثير لم تكن بعيدة عن معتقدات السكان القديمة الامر الذي اتاح سهولة تقبل الدعوة الاسلامية خاصة حينما نجح الدعاة بفضل استخدامهم لبعض العناصر الثقافية المحلية القديمة — بعد وضعها في اطار اسلامي — ان يحتلوا الفكر الماليزي . ولعل من اهم الطرق الصوفية التي انتشرت هي الشطارية والقادرية والنقشبندية والشاذلية والسمانية وغيرها . والملاحظ ان الدعاة الصوفيين احتلوا مركزا هاما في الحياة الاجتماعية وكثير منهم وصل الى السلطة السياسية ويكفي ان نستدل على مدى المركز الذي وصل اليه بعض اولئك الدعاة بان نشير الى ان رفض السلطان محمود شاه — وهو آخر حاكم مسلم لملقا — التسليم للبرتغاليين كان راجعا في الدرجة الاولى لتوجيهات الدعاة الذين حثوا المسلمين على جهاد البرتغاليين وانه يجب على ملقا الا تواجه المصير الذي واجهته الهند . ولا تزال مرحلة الدعاة الاول تعد الى الآن من المزارات الدينية المقدسة ، كما لا يزال الاحترام العميق لذكراهم قائما لدى تلك الشعوب .

في سومطرة كانت اولى السلطنات

واذا تتبعنا وصول الاسلام ثم انتشاره وظهوره كقوة سياسية في تلك المناطق لطالعتنا في بداية الامر سومطرة التي تأسست بها اولى السلطنات الاسلامية وهي سلطنة باساي (في القرن الثالث عشر الميلادي) وكما اشرنا فان قيام هذه السلطنة لا يشكل بداية وصول الاسلام وانما يسجل على الاحرى القوة التي وصل اليها المسلمون بالدرجة التي اتاحت لهم تأسيس سلطنة حاكمة ، ومن باساي انتقل الاسلام الى ملقا حيث ظهرت بها هي الاخرى سلطنة اسلامية بعد زواج حاكمها من ابنة حاكم باساي المسلمة وتحوله الى الاسلام في حوالي السنوات الاولى من القرن الخامس عشر (١٤١٤م) وقد اصبحت ملقا بعد اسلامها موئلا للعلماء والفقهاء كما زادت الصلات الاقتصادية والودية بينها وبين باساي ، حينما تعهد حكام باساي رعاية مدينة ملقا واصبحت كل من السلطنتين — ملقا وباساي — مركزين هامين من مراكز الدعوة الاسلامية الى مختلف جزر الهند الشرقية .

انتقال الاسلام الى جاوه

ومن ملقا وباساي ، انتقل الاسلام الى جاوة التي كان وضعها شاذا بالنظر لوجود مؤسسات ملكية قوية اصطدم بها الاسلام برزت من بينها سلطنة الماجاباهيت Madjapahit . ولما كانت هذه السلطنة تشمل فترات عديدة فقد اخذ الامراء والمهراجات الطامحون الى الاستقلال عن السلطة المركزية للماجاباهيت يولون وجوههم شطر الاسلام فكان كلما كسب بلدا انتقل الى البلد بجانبه حتى شمل معظم سلطنة الماجاباهيت كما دخل في شعوب السوند والاتجاه الى الشرق ، واخذ الاسلام يزداد قوة وتزداد عدد المسلمين تبعا لذلك ، اولئك الذين كانت اسرتهم تثرى وهم دائما في علاقات مع التجار العرب الذين كثر عددهم بدرجة مكنتهم من تأسيس سلطنة اسلامية عرفت بسلطنة الدماك Demak التي اعتبرت اول فتح عربي في جاوة ، وكان قيام هذه السلطنة دفعة قوية للاسلام .

ومنذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر

دارت رحى الحرب بين الامراء المحليين وبين سلطنة الماجاباهيت المركزية وقد وجد هؤلاء تأييدا من سلطنة دماك وبالفعل نجح السلطان حسين خليفة سلطنة دماك من اسقاط سلطنة الماجاباهيت (حوالي عام ١٤٧٥ م) وبسقوط هذه السلطنة تدهورت البوذية في جاوة واحرز الاسلام انتشارا كبيرا بين الامراء والسكان .

انتقال الاسلام الى بورنيو

وبعد اسلام جاوة والقضاء على الماجاباهيت انتقل الاسلام الى بورنيو وتشير الروايات التقليدية الى استقرار الدين الاسلامي فيها على عهد السلطان بركات احد اشراف الطائف الذي تزوج من ابنة السلطان احمد ثاني حاكم مسلم للجزيرة وهو الذي فرض الشريعة الاسلامية وشيد جامع بروني الشهير . كذلك انتشر الاسلام في مينداناو وسليبيس ومولوكاس ومنها انتقل الى الساحل الغربي لغينيا الجديدة حيث اعتنقه بعض القبائل ولا سيما قبيلة البيوان وقد حدث ذلك على ايدي التجار المسلمين واصحاب الدعوة في فترة متأخرة في حوالي السنوات الاولى من القرن السابع عشر الميلادي .

التحول الى الاسلام لم يقوض سلطة الحكام المحليين

وثمة ملاحظة جديرة بالذكر وهي أن عملية التحول الى الاسلام لم تقوض سلطة الحكام المحليين ، بل كان الاسلام غالبا ما يدخل بلادهم برضائهم وحمايتهم ومن هنا تساءل بعض الباحثين عما اذا كان للحكام والشعوب الذين اسلموا معهم مصلحة في ذلك ؟ ونحن اذا ما استثنينا قوة اجتذاب العقيدة الاسلامية وتأثيرها في النفوس فان هناك دوافع اقتصادية وسياسية ادت الى الى اسلام الكثيرين من الحكام . وقد سبق ان عرضنا للدوافع السياسية التي دفعت الحكام للتحول الى الدين الجديد اذ وجدوا فيه وسيلة لتدعيم حكمهم المستقل والتخلص من السلطة الهندوكية ، اما الدوافع الاقتصادية فتتمثل في رغبة اولئك الحكام في الحصول على تأييد التجار المسلمين الذين كان في امكانهم — قبل الغزو البرتغالي — تحاشي او حتى اي ميناء بحري ، هذا ما كان من امر الحكام اما ما كان من امر عامة الناس فنلاحظ ان الدعوة الاسلامية لاقت رواجا كبيرا بينهم واخذت غالبيتهم تتحول عن الديانتين البوذية والهندوكية مما يوحي ان الاسلام اتى لتلك الشعوب بآمال جديدة ، ويوحي ايضا ان البوذية والهندوكية فشلتا في ان تستمرا في تلبية المتطلبات المتزايدة للسكان ، اذ ان الاسلام اعطى الفرد العادي احساسا بقيمة ذاته كعضو في المجتمع بينما كان هذا الفرد في مفهوم العقائد الهندوكية اقل قيمة من ابناء الطبقات العليا . كما ارتفع المسلمون بفضل الدين الجديد فوق مستوى الولاءات المحلية والقبلية .

وصول البرتغاليين الى تلك الاصقاع، وما كان من امرهم

ما كاد المسلمون يتخلصون من سلطة الماجاباهيت حتى جوبهوا بخطر آخر حينما وصل البرتغاليون الى تلك المناطق في اعقاب مغامراتهم الملاحية الكبرى التي استهلها الامير هنري الملاح ، وما تبع ذلك من اكتشاف بارتلميودياز رأس الرجاء الصالح (١٤٩٢ م) . والمعروف ان البرتغاليين استفادوا فائدة كبيرة من الرسوم والخرائط والمرشدات الملاحية التي وضعها الملاحون المسلمون من المحيط الهندي وينبغي ان نشير بصدد ذلك الى الملاح العربي احمد بن ماجد الذي قاد سفينة فاسكو دي جاما Vasco da Gama في طريقها الى الهند ، وكان من دواعي الغرابة حقا ان ملاحا عربيا كبيرا ساهم — دون ان يدري — في القضاء على الملاحة العربية والاسلامية في المحيط الهندي وتحويل تجارة الشرق الى اوروبا ، عبر الطريق البحري المباشر . ذلك ان البرتغاليين ما كادوا يسيطرون على طريق الهند حتى وضحت سياستهم الاحتكارية العنيفة بما تضمنته من حرق السفن والتنكيل ببحارتها ومنازلة المسلمين في ميادينهم التجارية ، وقد وضعت هزيمة القوى الاسلامية في معركة ديو البحرية الشهيرة (١٥٠٩ م) نهاية السيطرة الملاحية الاسلامية في المحيط الهندي والتي استمرت عدة قرون .

وحينما وصل البرتغاليون الى الشعوب الملايوية وجدوا بها مجتمعات اسلامية قوية ومتماسكة

كما وزعوا التجار المسلمين من عرب وهنود وغيرهم في كل زاوية من بلاط الحكام وكان لهم نفوذ كبير استخدموه للضغط على الحكام اذا ما تهاون احد منهم من تأييد موقفهم المعادي للبرتغاليين . ومع ذلك فقد نجح البرتغاليون في استغلال الخلافات القائمة بين الامراء المسلمين والهندوكيين للتغلغل الى تلك المناطق ، وفي عام ١٥١١ اي بعد سنتين من معركة ديو نجح القائد البرتغالي الفونسو دي البوكرك De Albuquerqu في اسقاط سلطنة ملقا الاسلامية . ولكن سقوط هذه السلطنة لم يؤثر على السلطنات الاسلامية المجاورة ، وانما ظهر تحد وردود فعل عنيفة ضد القوى الصليبية الوافدة ، اذ نقل التجار المسلمون مركزهم من ملقا الى اتشيه في القسم الشمالي من سومطره واصبحت تلك السلطنة مركزا للدعوة الاسلامية وللتجار المسلمين وازدهرت بالدرجة التي اتيح لها فيها ان تتحدى ملقا المواجهة لها والتي جعلها البرتغاليون مركزا هاما من مراكزهم وبنوا فيها واحدة من اقوى قلاعهم . وهذا يفسر لنا التحدي الكبير الذي قام به المسلمون ضد المسيحيين ، ويتضح ذلك في ظهور التحالفات الكثيرة بين السلطنات الاسلامية المختلفة ، ووضع تجار المسلمين اموالهم في خدمة الحكام المسلمين ، وذلك بعد ان جعل البرتغاليون المنطقة ميدانا لصراعهم ضد التجارة الاسلامية . وقد حفلت كتابات المؤرخين المسلمين المعاصرين للغزو البرتغالي بتفاصيل القسوة والعنف التي ارتكبها البرتغاليون في بحار الشرق ، وفي كتاب « تحفة المجاهدين في بعض احوال البرتغاليين » للشيخ زين الدين احمد معبري المليباري توضيح للعصبية الدينية البالغة والحقد الذي استحكم بين المسلمين والمسيحيين الامر الذي يؤكد لنا ان الحروب البرتغالية في الشرق اثارت الروح الدينية الكامنة التي عرفناها في العصور الوسطى . والحقيقة ان الغزو البرتغالي للشرق الاسلامي كان يحمل معه تلك الروح الصليبية ، التي كانت امتدادا للحروب الدينية بين المسلمين والمسيحيين في الاندلس وبين المسيحيين والعثمانيين في شرقي ووسط اوربا ويكفي لتوضيح ذلك ان نقول ان انتصار البرتغاليين على المسلمين في ملقا تبعه اقامة قداس شكر في روما وتفاؤل من جانب الكنيسة الكاثوليكية بهذه الغزوة التي قدر للمسيحية فيها ان تصل الى مناطق نائية .

الاسلام في الفيلبين

وفي بورنيو اخذ الاسلام ينتشر في الفيلبين حينما تزوج سلطان بورنيو المسلم بابنة السلطان سيفاو ونجح في امتداد سلطنته الى جنوب الفيلبين ، وقد اخذ الاسلام يتغلغل في تلك الجزر لولا ان ووجه هذه المرة بتحد جديد كان سببه الاسبان الذين استولوا على تلك الجزر ، بعد ان نجح الملاح البرتغالي « ماجلان » في اكتشافها وسميت باسم الفيلبين نسبة الى فيليب الثاني حاكم اسبانيا التي اكتشفت في عهده (١٥٦٨ م) وبذلك انحصر النفوذ الاسلامي في ارخبيل سولو وجزء من جزيرة ميندناو ، وانقسمت جزر الفيلبين بدورها الى ثلاثة اقسام قسم مسيحي في الشمال يعيش فيه الفلبينيون الكاثوليك من قبائل التاجال ، والفيليبيون الوثنيون الذين وقفوا حاجزا بين الاسلام والنصرانية ثم المسلمون في الجنوب الذين اطلق عليهم الاسبان لفظ المورو Los Moros ولا شك ان هذه التسمية تعود باصلها الى الشعوب الاسلامية التي اصطدم بها الاسبان في الاندلس وشمال غرب افريقيا وقد عمم البرتغاليون والاسبانيون هذا الاسم على جميع من صادفوه من شعوب اسلامية في كل من سواحل اسيا وافريقيا .

ومنذ استيلاء الاسبان على جزر الفيلبين وعملياتهم التبشيرية تتوالى ونجحوا بالفعل في تنصير القسم الشمالي بينما عجزوا عن تنصير السلطنات الجنوبية ، في سولو وميندناو التي استمرت محتفظة بطابعها الاسلامي نتيجة استمرار الهجرة الاسلامية اليها ولنشاط الدعاة الذين تدفقوا من اتشيه حتى لقد اقترح الحاكم الاسباني للفيلبين دي سندي De Sande في عام ١٥٧٦ على حكومته ان تعمل على اخضاع اتشيه لان اخضاعها قد يساعد على ايقاف وصول الدعاة المسلمين . ولا شك ان نجاح الاسبان في تنصير القسم الشمالي وعجزهم بالنسبة للقسم الجنوبي يوضح ان الوعي الاسلامي كان هاما في ايقاظ الشعور القومي ومقاومة المسلمين للغزو الاستعماري الصليبي . ومن ناحية اخرى كان اسلوب الحكم الاسلامي والمساواة التي تميزه عاملا ساعد الاسلام في توسعه في القسم الشمالي من تلك

الجزر حتى وصل الى مانيلا التي اتخذها الاسبانيون مركزا لحكمهم ، ولولا عمليات القمع الشديدة لتحقق للاسلام في الفيليبين اكثر مما اصبح له .

وقد اتصفت الحروب بين المسلمين والاسبانيين في الفيليبين مثلما اتصفت به مع البرتغاليين بالروح الصليبية وبالعداء والكراهية الشديدة التي تملكت الطرفين . وفي عام ١٥٧٧م تزعم السلطان عبد القادر سلطان سولو حلفا من الامراء المسلمين معلنا بداية حرب دينية استمرت اكثر من ثلاثة قرون عدها الاسبان من ناحيتهم حربا صليبية وعدها المسلمون من ناحيتهم جهادا في سبيل الله . وكان سلاطين سولو اشد امراء المسلمين مقاومة حتى اضطر الاسبان الى الاعتراف باستقلالهم المالي . والجدير بالذكر انه منذ اواخر القرن التاسع عشر (١٨٩٦) تدخلت الولايات المتحدة الامريكية وذلك بتشجيعها الثوار المسلمين ضد الحكم الاسباني وكان من اثر ذلك خضوع الفيليبين للولايات المتحدة الامريكية التي لم تنسحب منها الا في عام ١٩٤٢ .

دخول هولنده في المعركة الاستعمارية

ولم يقتصر اصطدام السلطنات والقوى الاسلامية باسبانيا والبرتغال وانما دخلت هولندا ناره الصراع منذ اواخر القرن السادس عشر الميلادي ، حينما نجح تجار امستردام في انشاء شركة الهند الشرقية الهولندية (١٥٩٤ م) ووجه الهولنديون نشاطهم لطرد القوى البرتغالية من جزر الهند الشرقية ، والحلول محلها ، وفي عام ١٦١٩م تأسست مدينة بتافيا التي اعتبرت عاصمة للحكم الهولندي في تلك الجزر . وكان من الطبيعي ان تصطدم هولندا بالقوى الاسلامية في جاوة وبورنيو واتشيه وقد نجحت في التغلب عليهم جميعا وكان آخرهم سلطان اتشيه الذي ادخلته تحت حمايتها في عام ١٩٠٣ .

وعلى الرغم من الاجراءات التي فرضتها السلطات الهولندية على المسلمين تحت ضغط الجمعيات التبشيرية الهولندية ، الا ان الاسلام كانت قد قويت جذوره ، وكان من اهم القيود التي فرضتها السلطات الهولندية الاستعانة بحكام مسيحيين بدلا من الحكام المسلمين في حكومة الجزر والمقاطعات بالاضافة الى منع هجرة الحضارمة الى جزر الهند الشرقية . ولكن نشاط الحضارمة ظل قائما ـ رغم تلك القيود ـ حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر حينما بدأ حجمهم الملاحي يقل بعد استخدام الملاحة البخارية منذ النصف الاول من ذلك القرن .

جذور الاسلام لم تقتلع رغم تعاقب المستعمرين

ومع تعاقب الاستعمار الغربي منذ نهاية القرن الخامس عشر ـ البرتغاليون ، والاسبانيون ، والهولنديون والانجليز ، والامريكيون ـ على هذه المنطقة فان جذور الاسلام لم تقتلع وانما ازدادت قوة بظهور اجيال جديدة من العلماء والدعاة المحليين ، وبزيادة الاتصال بالمراكز الاسلامية الكبرى التي ساعدت تلك الشعوب على ان تستمر على عقيدتها وكان من نتيجة ذلك وجود اكثر من مائة مليون مسلم في الوقت الحاضر . ولم تنفصل تلك الجموع الاسلامية الكبيرة عن المراكز الاسلامية ، وانما كانت دوما تتفاعل معها وتتأثر بما يقع في قلب العالم الاسلامي من احداث فكرية او سياسية . ففي اوائل القرن التاسع عشر تأثر الحجاج الوافدون من تلك المناطق الى مكة بالدعوة الوهابية .

كذلك تأثر المسلمون في اندونيسيا والفيليبين وغيرها بحركة الجامعة الاسلامية التي ظهرت في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الاولى من القرن العشرين مما جعل المستعمرين يتوجسون خيفة من هذه الحركة على مستقبل نفوذهم خاصة حينما ظهر اهتمام الدولة العثمانية ـ باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية ـ بمسلمي تلك الجهات . وليس من شك في ان الحركات الاستقلالية التي ظهرت في اندونيسيا والملايو والفيليبين منذ الثلاثينات من هذا القرن كانت في حقيقتها متأثرة الى حد كبير بالعقيدة الاسلامية ، التي كانت في تقديرنا ـ عاملا رئيسيا في تعميق مفاهيم تلك الشعوب لوعيها القومي وزيادة احساسها بوحدتها .

جمال زكريا قاسم

الإسراء برسول الله

متى وقع ؟

تعقيبا على مقال الاصول العربية للكوميديا الالهية لدانتي الليجيري للدكتور حسين مؤنس الذي نشره العربي في العدد ١٤٢ (سبتمبر ١٩٧٠) كتب الينا بعض القراء يقولون ان التاريخ الشائع للاسراء هو ٢٧ رجب في حين ان المقال جعله ١٧ رمضان، وطلبوا منا ان نعرض ذلك التناقض فعرضنا الموضوع على كاتب المقال ، فتلقينا منه الرد التالي

■ لا نجد اتفاقا بين المؤرخين على التاريخ الدقيق الذي وقع فيه الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المسجد الاقصى .

فابن اسحاق يقول : « وكان الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا ، وقد اتى عليه احدى وخمسون سنة وتسعة اشهر » .

وهذه هي رواية النويري في نهاية الارب (١٦/ ١٨٢) لان ابن هشام في صياغته لسيرة ابن اسحاق اسقط التاريخ ، فقال : « ثم اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وهو بيت المقدس من ايلياء ، وقد فشا الاسلام بمكة في قريش ، وفي القبائل كلها » .. (٢/٢٦٦ من طبعة محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٦٣) . ثم انه جعل الاسراء والمعراج قبل وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها .

وقال ابن سعد في الطبقات (القسم ١ ج ١ ص ١٤٣) عن عائشة وام هانيء وابن عباس قالوا : « اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الاول قبل الهجرة بسنة من شعب ابي طالب الى بيت المقدس ، والله اعلم » .

وجاء في كتاب امتاع الاسماع لتقي الدين المقريزي : « وكان الاسراء في قول محمد بن شهاب الزهري قبل الهجرة بثلاث سنين ، وقيل لسنة واحدة . وقيل وله من العمر احدى وخمسون سنة وتسعة اشهر . وقيل كان الاسراء بعد بيعة الانصار في العقبة ، وقيل كان بعد البعث بخمسة اشهر ، وقال الحربي : كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة » .

وقد اورد المقريزي في نفس الموضوع من « امتاع الاسماع » نص كلام ابن اسحاق الذي اختصره بل شوهه ابن هشام ، وهو : « اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل » ويقال كان لليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية وعشرين شهرا . وهو صلى الله عليه وسلم نائم في بيته ظهرا .

وقيل كان ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل الهجرة من شعب ابي طالب، وكانت سنه صلى الله عليه وسلم حين الاسراء اثنين وخمسين سنة »

وهذا قليل من كثير من اختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ الاسراء والمعراج ، فلا هم متفقون على اليوم او الشهر او السنة ، بل هم مختلفون في الوضع الذي كان فيه الرسول عند الاسراء به ، وبعضهم يغلون في الخطأ بتعجب الانسان من عدم تنبههم اليها ، وقد رأينا ان من الاقوال ما يذهب الى ان ذلك كان بعد البعثة بخمسة اشهر ، مع انه لا ذكر في الخبر الى السيدة خديجة ، والمفروض ان الرسول صلى الله عليه وسلم وقع له ذلك وهو في بيته وخديجة ، وكان المفروض ان تكون هي راوية الخبر لا ام هانيء او عائشة .

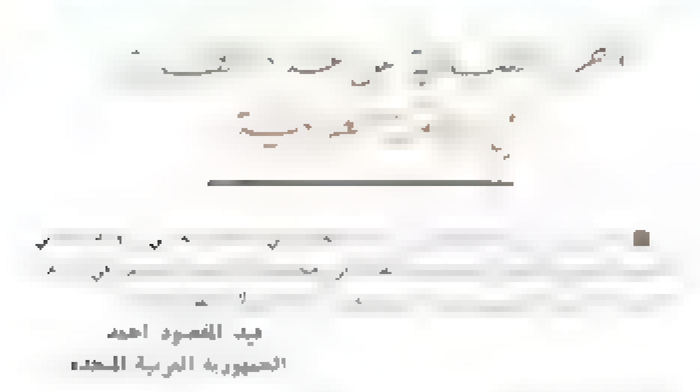
بل اننا عندما نقرأ تفسيرا كتفسير الطبري نجده يتكلم في كل شيء حتى حينما يريد ان نتأكد من ان المسجد الاقصى هو الذي في بيت المقدس .

وفي كل هذه الاخبار لا ذكر للتاريخ الذي تعتمده التقاليد الشعبية لهذا الحادث وهو ٢٧ رجب ، فنحن في مصر ايضا يحتفلون بالاسراء في ذلك التاريخ ، ولا بد ان هناك تفسيرا لذلك .

وقد استعملت كلامي تاريخ ١٧ رمضان لانه مذكور في معظم المراجع ، ومن المؤكد على اي حال ان الاسراء والمعراج كانا بعد موت السيدة خديجة وابي طالب وبعد خروج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطائف وعودته منها . ■

حسين مؤنس





عبد المقصود احمد
الجمهورية العربية المتحدة

- بعد البحث عن اعداد الطلبة في العالم العربي استطعت الحصول على احصائية منشورة في الكتاب السنوي للموسوعة البريطانية لعام ١٩٧ [illegible] وفيه نشر احصائية عن الطلاب في العالم كله وهذه هي الاحصائية كما وردت في الكتاب السنوي

اسم الدولة	عدد طلبة المرحلة الابتدائية	المرحلة الثانوية العامة	المرحلة الثانوية الفنية	المرحلة العالية
الجزائر	١،٨٥٨،٦٨٣	١٢٠،٩٦٠	٤٦،٤٥٣	١٠،٦٨١
العراق	١،٠١٧،٠٥٠	٢٨٥،٧٢١	١٢،٤٦١	٤١،١٨٩
الكويت	[illegible]	[illegible]	٤،٨٣٨	١،٤٦٨
المملكة العربية السعودية	[illegible]	[illegible]	٧،٨٤٢	٥،٣٥٢
الجمهورية العربية المتحدة	[illegible]	[illegible]	[illegible]	١٧٧،٨٩١
المملكة الأردنية الهاشمية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
السودان	٤٩٦،٦٣٣	١٣٠،٥٠١	٥،٨١٣	١٠،٣٨٧
لبنان	٥٤٤،١٧٥	١١٥،٥٤١	١٥،٥٣٠	٣٦،١١٠
تونس	٨٤٤،٩٩٤	٩٥،٥٦٤	٣٧،٢٥٣	٧،٧٢٣
المغرب	١،١٢٥،٨٦٥	٢٧١،١٠٢	١٣،٣٣٦	١٠،٦٩٨
سورية		—		[illegible]
ليبيا	—	—		٢،٤٨٩
اليمن	—	—		
جمهورية اليمن الديمقراطية	—	—		

هذه هي آخر احصائية نشرت في العالم عن عدد الطلاب العرب الذين يدرسون في مختلف مراحل التعليم في دول الأمة العربية . نلاحظ اختفاء الأرقام الخاصة بكل من سورية وليبيا واليمن وجمهورية اليمن الديمقراطية .

(م . ط)

القاهرة

كم عدد سكانها اليوم ؟

● ما هو عدد سكان القاهرة ، وما هي المرتبة التي تحتلها من حيث عدد السكان بين مدن الشرق الأوسط ؟

عبد الرحمن عويضة ـ السعودية

ـ يبلغ عدد سكان القاهرة ٠٠٠ر٦٦١ر٤ نسمة ، (سنة ١٩٧٠) وهي بلا ريب تحتل المكانة الأولى في هذا الصدد لا بين المدن العربية فحسب ولكن بين مدن الشرق الأوسط أيضا .

ولعل طهران هي المدينة التي تأتي في المرتبة الثانية في المنطقة التي ذكرنا وقد بلغ عدد سكانها ٠٠٠ر٠٠٠ر٣ نسمة .

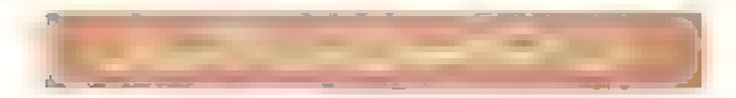
وتأتي الاسكندرية وبغداد واستنبول في المرتبة الثالثة . وقد بلغ عدد سكانها كالآتي

الاسكندرية	[illegible] نسمة
بغداد	[illegible] نسمة
استنبول	[illegible] نسمة

ونعطيك فيما يلي قائمة بست عشرة مدينة من مدن العالم ، هي الكبرى من حيث عدد السكان . وقد رتبنا لك هذه المدن حسب عدد سكانها نزولا من الأكثر الى الأقل سكانا . وانت تلاحظ ان القاهرة تأتي في المرتبة الثانية عشرة بين هذه المدن .

المدينة	عدد السكان
١ ـ طوكيو	١٤ ٧٧٠ ٧٢٧
٢ ـ نيويورك (وضواحيها)	١٤ ١١٤ ٩٢٧
٣ ـ لندن	٧ ٩١٨ ٢٧٠
٤ ـ [illegible]	٧ ٧٨١ ٠٠٠
٥ ـ [illegible]	٧ ٣٦٩ ٢٨٧
٦ ـ [illegible]	٦ ٩٧٧ [illegible]
٧ ـ بوينس ايرس	٦ ٧٦٢ ٦٢٩
٨ ـ موسكو	٦ ٥٦٧ [illegible]
٩ ـ لوس انجلس	٦ ٤٨٨ ٧٩١
١٠ ـ [illegible]	٥ ٩٥٩ ٢٦٢
١١ ـ [illegible]	٥ ٣٨٣ ٠٠٠
١٢ ـ القاهرة	[illegible]
١٣ ـ بومباي	٤ ٧٨٤ ١٣٦
١٤ ـ [illegible]	٤ ٧٠٣ ٢٩٨
١٥ ـ المكسيك [illegible]	٤ ٦٣٩ ٦٩١
١٦ ـ [illegible] ([illegible])	٤ ٢٥٩ ٢٣٠

ومن يدري ، فقد تقفز القاهرة الى مرتبة أعلى في مستقبل غير بعيد نظرا لأن نسبة التكاثر فيها ، بل في الجمهورية العربية المتحدة جميعا تساوي ٢ر٣٪ سنويا . فقد لا يحل عام ٢٠٠٠ حتى يصبح عدد سكان الجمهورية العربية المتحدة ٥٠ ـ ٦٠ مليون نسمة . فلتذكر ذلك اسرائيل .. !



■ كم [illegible] [illegible] الجمال [illegible] هذا حديث أو هو من المأثورات [illegible] !

[illegible] / الكويت

ـ قبل كل شيء نطمئنك الى أن هذا النص جزء من حديث قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم روي في صحيح مسلم في [illegible] الايمان ١٤٧ في باب تحريم الكبر ، كما روي في سنن ابن ماجه

ومسند الإمام احمد . ونص الحديث في مسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . قال رجل . ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة . قال ان الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

تحدث الرسول عن الكبر ، فهم احد الجالسين ـ وهو مالك بن مرارة الرهاوي او غيره ـ ان التجمل وحسن الملبس من الكبر ! فافهمه الرسول ان ذلك لا شيء فيه بل هو حسن محبوب « ان الله جميل يحب الجمال » . وبين له ان الكبر المنهي عنه هو (١) « بطر الحق » اي دفعه والتكبر ترفعا وتجبرا . (٢) وانه « غمط الناس » اي احتقارهم .. والجمال فسروه بقولهم ، ان كل امر الله سبحانه وتعالى حسن جميل وله صفات الجمال والكمال ، وقيل الله جميل بمعنى متجمل ، ككريم بمعنى مكرم وسميع بمعنى مسمع او هو جميل الافعال بكم ، باللطف والنظر اليكم بتكليفكم اليسير من العمل ويعين عليه ، ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه .. وقالوا ايضا . الجمال : الحسن الكثير ، وهو نوعان : جمال يختص الانسان به في نفسه ، تقول : خلقته جميل ، او في صفته فتقول . وجهه جميل ومظهره جميل . او في فعله . تقول : فعله جميل . والنوع الثاني ما يصل من الانسان الى غيره اي ما يصدر منه من جميل الى سواه قالوا : وعلى هذا الوجه يتحمل ما يروى « ان الله جميل يحب الجمال » تنبيها ان الله منه تفيض الخيرات الكثيرة ، فيحب من يختص بذلك ، اي من تبدو منه الافعال الحسنة ، وتظهر عليه نعم الله الجميلة . ويؤيد ذلك قول الله تعالى « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » وقوله « خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

ولقد سرّ العشاق والمحبون ببعض نص الحديث ، واقتبسوه في شعرهم ، ونقلوه الى ما يرضي نزعاتهم . فقد قال من لا اذكره الآن ، وكنت اظن الشعر لشوقي او لحافظ ، فلم اجده في ديوانيهما .

خلقتَ الجمالَ لنا آيــــةً   وقلتَ ألا يا عبادي اتّقون
وأنتَ جميلٌ تحبُّ الجمــالَ   فكيف عبادُك لا يعشقون

ويقرب من بعض هذا ما ورد في العقد الفريد ليزيد بن عثمان قال :

أيارب تخلق ما تخلـــــقُ   وتنهى عبادَك أن يعشقوا
إذا خلقتَ حِسانَ الوُجـــوه   فأيُّ عبادِك لا يعشـــقُ

وفي كتاب الاشباه والنظائر للخالديين البيت الاول منهما ، ثم اوردا اربعة ابيات لشاعر آخر

أيارب تخلق أقمار ليـــل   وأغصان بان وكثبان رمـل
وحسناء إنسٍ تصيدُ القلوب   بألحاظ سحرٍ وألفاظ قتـلِ
وتُنبت في كلِّ خدٍّ تورُّدٍ   وفي كلِّ قدٍّ بشكلٍ ودلّ

ورابعها بيت اساء الشاعر فيه الادب فرأيت حذفه تأدبا وتعففا . ولقب لذلك بالشؤم وهذا الشاعر اسمه الحسن الموصلي .

(ع . ف)

أعماق آبار النفط !

■ للكشف عن مستوى تفجر (عيون) الابار ؟ فهل هي آبار كالتي الشائعة ، من حيث اعماقها واتساعها .. وان لم تكن ، فالى اي عمق وصلوا بالحفر بحثا عن البترول ؟

احمد السيد ـ الكويت

ـ في عام ١٨٥٩م ، تم حفر اول بئر للبحث عن النفط ، كان عمقها ٦٩ قدما فقط ، وقد حالف

الحفار المنقبون فعثروا على النفط عند هذا العمق البسيط .. وكانت طريقة الحفر تعتمد على الدق ، مثل دق مسمار في قطعة خشب. اما اليوم فقد تبدل الحال ، واصبح حفر البئر لا يتم الا بعد عمليات طويلة متعددة ، ليس هنا مجال شرحها .. وتختلف اعماق الابار من منطقة الى اخرى ، فمثلا في الكويت حفروا اول بئر في شمال البلاد الى عمق ٧٩٥٠ قدما ولكنهم لم يعثروا فيها على نفط .. واتجهوا جنوبا وبدأوا الحفر ، فعثروا على النفط على عمق اقل لا يزيد على ٣٦٧٢ قدما .. ثم اتجهوا مرة اخرى الى الشمال وحفروا الى عمق ١٠ آلاف قدم فعثروا على النفط ..

واعمق بئر في الكويت عمقها ١٥٦١٠ اقدام .. واقلها عمقا ١٢٢٥ قدما .

اما قطر البئر ، فيختلف من عمق الى آخر ومن منطقة الى اخرى ، ولو انه من المتفق عليه ان يكون كالآتي :

١ ـ من الفوهة الى عمق ٢٥٠ قدما تغلف جدران البئر بأنابيب فولاذية قطرها ١٣ بوصة .

٢ ـ ومن عمق ٢٥٠ قدما حتى ٢٨٠٠ قدم توضع انابيب قطرها ٩ بوصات ونصف .

٣ ـ اما انابيب المرحلة الثالثة الاخيرة فيكون قطرها ٧ بوصات فقط وهي التي يبدأ النفط الخام بالتدفق منها . (س . ل)

قانون الطلاق في إيطاليا أصبح نافذا فتقدم للطلاق مليون شخص

■ نعلم ان المذهب الكاثوليكي عند المسيحيين لا يجيز الطلاق بين الزوجين مهما كانت الاسباب ، ثم طالعتنا الصحف مؤخرا بخبر صدور قانون اباحة الطلاق في ايطاليا معقل الكاثوليكية ، فما الذي حدث ؟ وهل يعتبر صدور مثل هذا القانون تحديا للكنيسة ؟

ميشيل اسحاق ـ القاهرة

ـ لقد اثار الاتجاه الى اصدار قانون يبيح الطلاق في ايطاليا معارك مريرة طويلة استمرت لاكثر من خمس سنوات كاملة ، وادت الى حدوث انقسامات داخل الحكومات الايطالية المتعاقبة من ناحية ، والى خلاف خطير بين الفاتيكان ممثلا في بابا الكاثوليك وبين الحكومات في روما العاصمة . وكانت وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية دائما هي ان الزواج رباط مقدس ، وان ما جمعه الله لا يفرقه انسان ..

وقد بقيت الكنيسة الكاثوليكية الغربية هي السلطة العليا التي تملك الكلمة الاولى والاخيرة في شتى الخلافات والمنازعات التي تنشأ بين الازواج الكاثوليك ، مستمدة قوتها من عصر النهضة في ايطاليا ، عندما احكمت الكنيسة قبضتها على الشعوب الغربية التي تدين بالمذهب الكاثوليكي ، واخضعت لسلطتها الملوك والاباطرة .

ولكن سلطة الكنيسة ما لبثت ان ضعفت مع توالي الاجيال ، وتطور ظروف الحياة ، وكان لا بد ان يصطدم قرار الكنيسة بتحريم الطلاق ، بواقع الحياة العملي عندما تستحيل الحياة الزوجية بين الزوجين .. لأي سبب من الاسباب ، كالخيانة الزوجية او عدم الانجاب ، او الحكم على احد الزوجين بالسجن ، او غير ذلك من اسباب اخرى ، ومنذ رأت الكنيسة الكاثوليكية أن تستعيض عن الطلاق ببطلان الزواج ، بمعنى ، انه اذا كان الزواج قد تم بالفعل ، ووجدت الكنيسة ان هناك اسبابا رأتها المحكمة الكنسية كافية ومقنعة بحيث يستحيل معها استمرار الحياة الزوجية ، حكمت ببطلان الزواج ، ومن ثم تحيله الى البابا للتصديق عليه ، اي لا طلاق .

ولكن الذي حدث في اوائل شهر ديسمبر من العام الماضي ، كان في واقع الامر تحديا لسلطة الكنيسة ، فقد نقل القانون الجديد الذي اقره مجلس النواب الايطالي بالاغلبية ٣١٩ صوتا ضد ٢٨٦ صوتا ، بعد موافقة مجلس الشيوخ عليه ، نقل سلطة الكنيسة الى المحاكم المدنية .

ولقد جاءت موافقة مجلس النواب على مشروع القانون الجديد بعد مناقشات حامية بين المؤيدين له والمعارضين من النواب ، واستمرت اجتماعات المجلس أسبوعا كاملا ، حتى أدى هذا الى اصابة الكثير منهم بانهيار عصبي ، نقلوا بسببه الى المستشفيات للعلاج .

ويبيح القانون الجديد النافذ الطلاق في حالة انفصال الزوجين فترة من الزمن ، أو عند الحكم بالسجن على الزوج أو الزوجة ، وفي حالات الجرائم والخيانات الزوجية .

وتجدر الاشارة هنا الى أن الطلاب الفاتيكان وزعماء المعارضة من الكاثوليك ، كانوا قد نجحوا خلال قرن كامل من الزمان ، في أن يحولوا دون الموافقة على أكثر من اثنى عشر مشروعا بقانون لاباحة الطلاق أمام المحاكم المدنية . ثم قدم مشروع القانون الثالث عشر واقره البرلمان .

وتتوقع الدوائر السياسية والدينية في روما والفاتيكان أن يؤدي هذا القانون الجديد الى نشوب نزاع حاد بين البابا بولس السادس بابا الفاتيكان، وبين الحكومة الايطالية الحاضرة ، وخاصة بعد أن بلغ عدد الطلبات التي قدمت للطلاق أكثر من مليون طلب فور تصديق البرلمان على القانون الجديد .

ولن تنتهي هذه الأزمة ، الا اذا جاءت حكومة جديدة في ايطاليا ، ونجحت في الغاء القانون أمام برلمان منتخب جديد ؟! (م . ن)

• جونار يارنج •

● الوسيط الدولي جونار يارنج الذي يقوم بدور حمامة السلام في النزاع القائم بين العرب واسرائيل اكثر ما اعرفه عنه انه دبلوماسي سويدي لعل تتكرمون بان تعطوني فكرة عن تاريخ حياته . ! هشام عبد العظيم – ج.ع.م

– جونار يارنج Gunnar Jarring ولد في مقاطعة سكين Skane بجنوب السويد في عام ١٩٠٨ والغريب أن اسمه الحقيقي ليس يارنج ولكن جونسون .

ويارنج أو جونسون درس اللغات الشرقية وخاصة التركمانية في جامعة لوند Lund .. وحصل على بكالوريوس اللغات ثم سافر الى مقاطعة تركستان الصينية حيث امضى هناك عاما يجول فيها فوق ظهور الجمال يجمع المعلومات الخاصة برسالة دكتوراه عن اللهجات التركمانية .

وحصل يارنج (جونسون في ذلك الوقت) على درجة الدكتوراه وعين مدرسا في معهد اللغات التابع لجامعة لوند .. وتزوج المدرس الجامعي من زميلة في المعهد كانت تدرس اللغات السلافية .

وبعد الزواج قام جونسون بتغيير اسمه الى يارنج ويقال ان السبب في هذا أن اسم جونسون من الاسماء الشائعة جدا في السويد ، مما سبب له الكثير من المشاكل بسبب تشابه الاسماء .

وكان نشوب الحرب العالمية الثانية سببا رئيسيا في تغيير مستقبل يارنج .. فقد اختارته حكومة السويد للعمل كضابط مخابرات في سفارتها بأنقرة نظرا لاجادته اللغة التركية علاوة على انه يجيد ١٢ لغة اخرى .

ونجح يارنج في عمله الجديد وكان نجاحه سببا في أن يشق طريقه بسرعة في السلك الدبلوماسي .. ولم يعد يارنج الى التدريس الجامعي منذ ذلك التاريخ . وفي عام ١٩٥٦ عين يارنج سفيرا للسويد في الامم المتحدة وبعدها بعامين أصبح سفيرا لبلاده في واشنطن ، وبقي هناك حتى نقل الى موسكو في عام ١٩٦٤ وهو لايزال يحتل هذا المنصب حتى الآن .

ويمتاز يارنج بأنه حريص على البعد عن الاضواء كما انه يمتاز بالصمت التام والخجل .

(م . ط)



Dr Ahmad

Dear Sir

تحضير الأرواح

● انا لا أومن بمسألة تحضير الارواح وقد عايشت الاستاذ احمد لمى أبو الخير ، المتحمس الاول لفكرة تحضير الارواح والمدارس لها ، وكان دائما في حديثه يذكر ان الجامعات العربية تعالج هذا الامر ، ويسأله في ذلك فيذكر دائما جامعة كمبردج .. فهل تقوم جامعة كمبردج حقيقة بدراسة الارواح وتحضيرها ... افيدونا افادكم الله ..

على محسن ـ البصرة

ـ ارسلنا الى جامعة كمبردج تسألها في هذا الموضوع فجاء منها الخطاب التالي ننشر صورة منه بالانجليزية ونتبعها ترجمة عربية له .

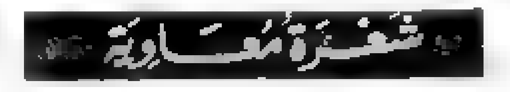
جامعة كمبردج

مكتب مسجل الجامعة

عزيزي الفاضل

نشكركم على خطابكم .. ان موضوع الارواح واستحضارها لا يدرس في هذه الجامعة ولا في اية جامعة اخرى في المملكة المتحدة .

والشكر ..



● ما هي شعرة معاوية التي تذكر في اقوال بعض المتحدثين في السياسة وشئونها .

محمود عبد الله ـ دمشق

ـ معاوية هو ابن ابي سفيان الذي تولى امارة المؤمنين من بعد سنة اربعين للهجرة وكان قبل ذلك واليا على الشام من ايام امير المؤمنين عمر ابن الخطاب .

ويروون عن معاوية انه كان سياسيا داهية يعرف كيف يجمع حوله الناس وانه كان حليما ، ويذكرون من اقواله « لقد كنت القى الرجل في الجاهلية فيوسعني شتما واوسعه حلما ، فارجع وهو لي صديق ان استنجدته انجدني ، واثور به فيثور معي ، وما وضع الحلم عن شريف شرفه ، ولا زاده الا كرما » .

وشعرة معاوية هي الحكمة التي ذكرها ليبين سياسته في معاملة الناس اذ قال : « لو ان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . فسأله بعضهم : وكيف ذلك ؟ فقال : كنت اذا شدوها ارخيتها ، واذا ارخوها شددتها » .

وتوضيح هذه السياسة تبدو في قول آخر له وهو « انه لا ينبغي ان يسوس الناس سياسة واحدة : باللين فيمرحوا ، ولا بالشدة فيحمل الناس على المهالك » .

ويذكر ابن كثير في البداية والنهاية انه جرى بين رجل يقال له أبو الجهم وبين معاوية كلام . فتكلم ابو الجهم بكلام فيه غمز لمعاوية ـ اي تنقيص ـ فاطرق معاوية ثم رفع راسه فقال : يا ابا الجهم اياك والسلطان ، فانه يغضب غضب الصبيان ، ويأخذ اخذ الاسد . وان قليله يغلب كثير الناس . ثم امر معاوية لابي الجهم بمال . فقال ابو الجهم في ذلك يمدح معاوية :

نميل على جوانبه كأنا
نميل اذا نميل على أبينا

(ج . ف)



فرمير

الرسام الذي تركز على الألوان والضياء

بقي قرنين مجهولاً ثم اكتشفه محام للفن هاو

بقلم : يوسف زعبلاوى

● من طريف ما يروى عن فرمير ولوحاته ، وهي تتميز بألوانها الاخاذة وانوارها الوضاءة الفياضة ، ان احد رواد المتاحف وقف مرة يتأمل احدى تلك اللوحات . وصار ينقب حولها وكأنه يبحث عن شيء فقده . اما ذلك الشيء فلم يكن سوى الضوء الذي تألقت به اللوحة . فقد بدا وكأنه منصب عليها من خارجها ، فراح الزائر يبحث عن مصدر هذا الضوء خارج تلك اللوحة .

ان مقدرة فرمير على ابتكار الالوان النضرة المنعشة وتصوير الانوار الناصعة وكفاءته في استغلال هذه وتلك اروع استغلال ، هي الميزة الكبرى التي اشتهرت بها لوحاته ، ومن بينها لوحة « درس الموسيقى » ، لوحة الصفحة الثانية من هذا العدد . وقد تذكر له ميزة اخرى تمثلت في انتقائه المبدع للمشاهد المنزلية والمناظر العائلية المألوفة التي يراها المرء عادة داخل البيوت ، في حجراتها او مطابخها او ما الى ذلك . فهذا النوع من الرسم ويعرف باسم Genre Painting ، انما بلغ ذروته في فن فرمير ولوحاته ، وقد شاع في بلد رسامنا ، هولندة ، وفي ايامه من القرن السابع عشر .

ويستغرب المرء بعد ذلك ان يكون فرمير هو الفنان المنسي الذي طوى ذكره التاريخ طوال مائتين من السنين . فقد نسيه مؤرخو الفن والنقاد واغفلوا ذكره فيما كتبوا . ويصدق هذا على الذين عاصروا فرمير والذين جاءوا من بعده . ولا يعرف لهذا النسيان سبب ، وهو يبعث على مزيد من الاستغراب اذا ذكرنا أن لوحاته كانت موجودة ومعروفة طول الوقت . الا انها لم تنسب اليه ، وانما نسبت الى رسامين آخرين من معاصريه . ثم ان لوحات فرمير هذه لم تحظ بالتقدير الذي تستحق طوال تلك الفترة الطويلة التي اغفله التاريخ فيها .

وقد يأسف المرء لشيء واحد على الاقل مما ترتب على ذلك النسيان . ذلك هو انطماس سيرة فرمير ، بحيث لا نكاد نجد عن حياته في اي من المراجع المعروفة ، بما فيها الموسوعة البريطانية ، اكثر من سطور معدودة . ولعلنا لا نعلم عن حياة هذا الفنان المبدع اكثر مما نوجزه في هذه الكلمة .

عاش جان فان در مير Jan Van Der Meer

احدى لوحات فرمير الشهيرة ، الموجودة في لاهاي اسمها « منظر من مناظر مدينة دلفت » ، وهي اللوحة التي استحوذت على اهتمام المحامي الفرنسي توري ، واستأثرت بجانب كبير من مقالاته الثلاث التي كشف بها النقاب عن الفنان المنسي .. ويظهر في اللوحة الوان فرمير وهي الاصفر والاحمر ويظهر فيها كذلك الضياء منعكسة في الماء وهي منعكسة . ولو لاحظنا « الاثر البصري » الذي تتركه الصورة فنيا ، وخاصة لدى النظر الى الغيوم التي بعث مخطرة فيها ، لادركنا المقصود بقول بعضهم بان هذه اللوحة هي اللوحة الرائدة الاولى بين اللوحات الانطباعية في التاريخ .

او فرمير احتضارا ، ثلاثة واربعين عاما، اي من سنة ١٦٣٢ ـــ ١٦٧٥ . وقد قضاها كلها او اكثرها في مدينة دلفت ، في هولندة ، حيث ولد وتتلمذ على كارل فابرتيوس Fabritius ، أحد كبار اساتذة الفن الرسامين في هولندة آنذاك. وتزوج فرمير سنة ١٦٥٣ ثم انتخب بعضوية نقابة الرسامين مرتين ، الاولى سنة ١٦٦٢ والثانية سنة ١٦٧٠ .

ولعل أكثر ما يلفت النظر في حياة فرمير ، او ان شئت في شخصيته ، هو احجامه ، بل ترفعه عن بيع لوحاته . وقد يستثنى من ذلك حالات الضيق المادي والازمات الخانقة التي اضطرته احيانا الى عرض لوحاته في الاسواق بقصد بيعها وسداد ذمة اودين بثمنها .

هذا بالرغم من ان فرمير زاول تجارة بيع اللوحات الفنية وشراءها واعتمد على دخلها اعتمادا كاد ان يكون كاملا .

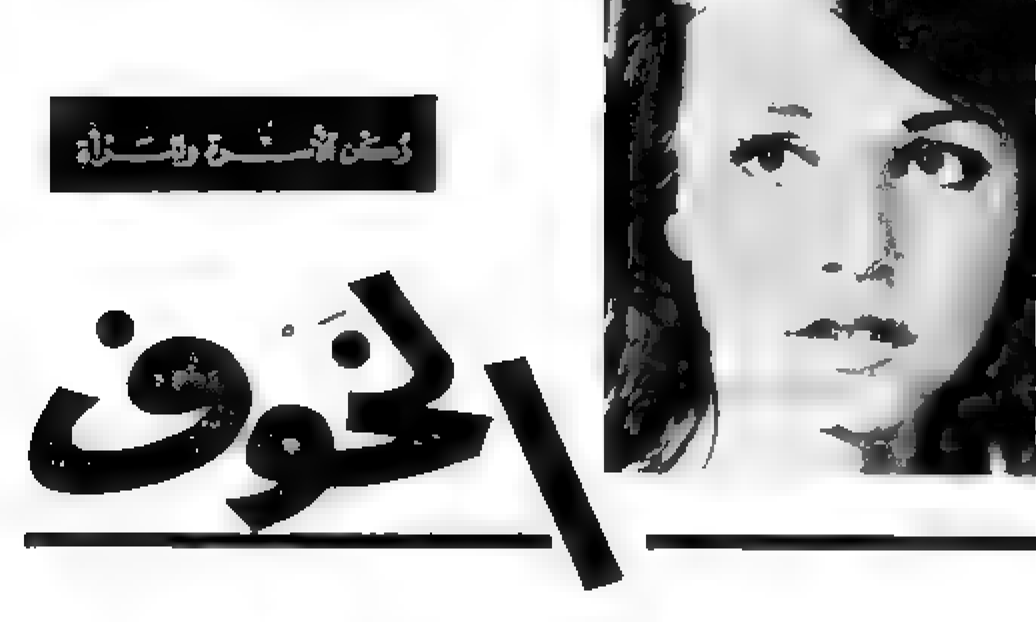
ومما يذكر في هذا الصدد ان التركة التي خلفها فرمير لورثته لم تكن مالا ولا عقارا وانما كانت طائفة من اللوحات الفنية بلغ عددها ٢٦ لوحة . وبالرغم من قيمة تلك اللوحات فانها لم تعد على ارملة فرمير باي مال قليل او كثير . ذلك ان السلطات لم تلبث ان وضعت يدها على تلك اللوحات . فقد تبين لدى وفاة رسامنا انه كان معدما . على ان فرمير ترك لارملته شيئا آخر غير اللوحات والافلاس .. فقد خلف لها ١١ طفلا ..

ولعل اهم ما يروى عن فرمير لم يحدث في حياته وانما بعد وفاته بنحو ٢٠٠ سنة.

ذلك هو اكتشافه في سنة ١٨٦٦ . وقد جاء ذلك على يد محام فرنسي كان يعيش في هولندة في تلك الاثناء . وكان هذا المحامي سياسيا ، بل ثوريا ، ساهم في الثورة الفرنسية سنة ١٨٤٨ ، فحكم عليه بالنفي وغادر فرنسا سنة ١٨٤٩ . وراح المسيو توري Thore يتنقل بين بريطانيا وبلجيكا وغيرهما حتى طاب له المقام في هولندة فاستقر فيها .

الا ان هذا المحامي كان ، فوق ذلك ، ناقدا فنيا وكاتبا صحفيا .. وقد نشرت لمجلة الفنون الجميلة الهولندية ، بتوقيعه المستعار ، برجر Burger ، ثلاث مقالات طويلة عن رسامنا فرمير . وظهرت تلك المقالات ، التي بلغ عدد صفحاتها ٥٨ صفحة ، تباعا في سنة ١٨٦٦ . ولم يمض على ظهورها وقت طويل حتى خرجت حقيقة فرمير من الظلمات الى النور وراح الناس يقرؤون عن عبقرية الفنان المغمور رسام اللون والضوء .

وجدير بالذكر ان اكتشاف فرمير هذا قد تم في الوقت الذي بدأت تظهر فيه مدرسة الانطباعيين من الرسامين من امثال مونيه Monet ورنوار Renoir وسيزان Cezanne وديغاس Degas وغيرهم . ويرى النقاد ان فرمير كان الرسام الانطباعي الاول بلا نزاع ، وقد حرص على احداث الانطباع او الاثر البصري Optical Effect في الناظرين الى لوحاته ، ولو على حساب الاثر الفكري ، وابدع في استغلال الضوء والالوان ، كما ذكرنا ، الى ابعد الحدود .



ركن الأسرة والمرأة

الخوف

بقلم : منير نصيف

■ هل صحيح أن المرأة تعيش حياتها فى خوف دائم ؟ وإن يكن ذلك حقا فمن أى شىء تخاف ؟ ثم هل يعد هذا الشعور عادة تكوينها سيكولوجى ؟ وهل الخوف مقصور عليها وحدها دون الرجل ؟
وأخيرا كيف تتخلص المرأة من مخاوفها وكيف تستعيد ثقتها بنفسها ؟

تقول نانسى استور Nancy Astor (١٨٧٩ – ١٩٦٤) وهى كانت أول امرأة تنتخب عضوا فى البرلمان البريطانى ، وتجلس وسط الرجال فى مجلس العموم ، أو مجلس النواب تقول : « لقد عشت حياتى كلها فى خوف .. كنت أخاف الناس ، وأخاف من الفشل ، أخاف من المستقبل ، ولكن أعظم مخاوفى كانت تلك التى كنت أحس بها كلما مضت السنون ، ووجدت نفسى أقترب من الشيخوخة ! فقد كنت أكره دائما أن أرى اليوم الذى أشعر فيه بأن أحدا لم يعد يحتاج إلى ، أو يرغب فى وجودى ! » .

مخاوف الرجل

ويقول العلماء أن الخوف ليس مقصورا على المرأة وحدها ، فكثيرا ما ينتاب الخوف الرجل أيضا ، فهو يخاف على مركزه ، وعلى مستقبل أسرته ، إلا أن هذا الشعور أقوى عند المرأة وأكبر أثرا عليها فى حياتها ، منه عند الرجل ، ثم هو يلازمها فى شتى أطوار حياتها منذ طفولتها ، حتى آخر يوم فى حياتها ..

ومما لا شك فيه أن طبيعة المرأة وتكوينها البيولوجى يلعبان دورا رئيسيا فى المخاوف التى تصيبها ، فهى تعرف مثلا أنها مخلوق ضعيف .. أضعف من الرجل الذى تحتاج إلى حمايته، وتخافه فى الوقت نفسه ..

مسئولية بناء الأسرة

وهى تعرف أيضا أنها هى التى تحمل جنينها بين أحشائها ، وهى التى تلد وترضع وتربى ، لتقدم جيلا جديدا من النشء الذى يقع على عاتقها مسئولية رعايته وتوجيهه توجيها صحيحا سليما .. ثم هى تعرف أخيرا أنها مسئولة عن بناء هذا البيت الصغير الذى يجمعها هى وزوجها وأولادها ، وعن سعادة هذه الأسرة .. حقيقة أن للرجل نصيبا من هذه المسئولية ، ولكن العبء الواقع عليها هى ، أكبر بكثير من نصيب رجلها

شيمة المرأة أكثر منه شيمة الرجل

منه ، فهي الأرض الطيبة التي تحتضن بذور الحياة لتنمو فيها وتثمر وتكبر وتزهر وتترعرع .

على أن أعباء المرأة تتضاعف ، إذا كانت هي الأخرى تعمل وتعاون زوجها في تحمل أعباء الحياة، فمهمتها في هذه الحالة مهمتان .. الأولى إزاء بيتها وأسرتها ، والثانية إزاء عملها أو مهنتها ، إذا كانت صاحبة مهنة ..

الخوف في الطفولة

والخوف يبدأ عند المرأة مع طفولتها ، كما ذكرنا ، وهو يكبر ويتزايد كلما كبرت الطفلة ونمت .. فهي تخاف منذ تلك اللحظة التي تخطو فيها خطواتها الأولى نحو الحياة .. تخاف الظلام وتخاف الوحدة وتتعلق بأمها ، فهي لا تحتمل الافتراق عنها أبدا .. ثم هي تخاف بعد ذلك من اللعب مع الأطفال الذكور .. لأنها تعرف أنها لا تستطيع مثلا أن تقفز الحواجز التي يقفزونها ويتبارون في اجتيازها ، وتعرف أنها لا تستطيع أن تدخل في سباق في الجري معهم ، أو مشاركتهم في لعب كرة القدم ، أو الذهاب في رحلات تستغرق ساعات طويلة بعيدا عن بيتها وعن أمها ..

شعور غريزي

وهذا الشعور الذي تحس به الطفلة في تلك السنوات المبكرة من عمرها ، كثيرا ما يكون غريزيا، وقلما احتاجت الأم الى تنبيهها اليه .. فالطفلة تعرف أن لها ألعابها الخاصة ، وهي تختلف عن أسلوب الأولاد في لعبهم وتسليتهم ، لكن لعبها عرائسها الصغيرة التي تلهو بها وتداعبها وتخاطبها، وتحملها بين ذراعيها وتلبسها في فراشها لتنام ، تماما ، كما تفعل معها أمها ..

في سن النضوج

وتمر سنوات الطفولة بمتاعبها وتعقيداتها .. أعوام قصيرة تعيشها الفتاة بين الطفولة والمراهقة، وهي ترى وتسأل وتتعلم ، حتى اذا ما بلغت سن النضوج ، أحواها ذلك الشعور بالخوف والقلق معا .. فهذا التحول الغريب الذي طرأ على جسمها الغض يثير قلقها ، وهذه الأنوثة التي تراها في نفسها وجسمها ، تملأ قلبها بإحساس غريب هو مزيج من الخوف والخجل .. وما أكثر العقد التي تصيب الفتيات في هذه السن الخطرة، إذا لم يجدن اليد الحكيمة ، التي تمتد اليهن تساعدهن على اجتياز هذا الجسر الذي ينقلهن من دنيا الطفولة الى عالم النساء ..

بين الأمس واليوم

تمضي سنوات المراهقة .. وبالأمس لم تكن مشكلة الفتاة في هذه السن تطول كثيرا ، إذ سرعان ما كانت تزف لعريسها عند بلوغها سن السادسة عشرة أو ما يقاربها أو ما قبل ذلك بمجرد بلوغها ..

أما اليوم ، فقد تغير الحال ، وخرجت الفتاة لتتعلم وتكمل تعليمها الجامعي ، وتنافس الرجل في مختلف المهن ، وهي مازالت فتاة ، لم تتزوج بعد .

ومن هنا تبدأ مخاوف المرأة .. فقد أصبحت تشعر بشيء من الاستقلال بعد أن عرفت طريقها الى العلم والعمل والكسب ولكنها في قرارة نفسها مازالت تحس بحاجتها الى الرجل .. الرجل الذي تستطيع أن تستند الى ذراعه القوية ، وهي تجتاز أمواج الحياة .. الرجل الذي يصبح [illegible] حمايتها ورعايتها والذي تعيش معه عمرها الصغير.

وانطلقت الفتاة في هذه الرحلة من عمرها تشعر بالخوف يطاردها ، كلما تقدم بها السن واحست أن قطار الزواج قد فاتها أو كاد

الخوف من الزواج

لم تتزوج هذه الفتاة ، ولكن هل انتهت [illegible] بالزواج ؟

لا ! فهي قد بدأت لتوها .. وهي مخاوف [illegible] تهز كيانها هزا ..

ان الشعور بالأمومة يتحرك في داخلها ، وهي تحن الى هذا اليوم الذي ستصبح فيه اما ولكن ما تكاد امنيتها تقترب وتتحقق ، حتى يسيطر عليها خوف هائل من هذه التجربة الجديدة .. وتظل الزوجة ترقب الحادث السعيد ، يتنازعها عاملان .. عامل الفرح الذي يغمر قلبها باقتراب موعد وصول مولودها ، وعامل الخوف الذي يسيطر عليها من آلام الوضع التي سمعت وقرأت عنها الكثير ، وربما كانت تجربة امها مع اخوتها الصغار مازالت عالقة بذهنها !

متاعب الأمومة

ويصل الطفل اخيرا .. وليدا متاعبها ويتضاعف خوفها وهي تشعر بمسئوليتها ازاء هذا المولود الجديد .. فهي ترضعه وتعنى به وترعاه ، وتخاف عليه من النسيم .. فاذا مرض سارعت بحمله الى الطبيب ، وتسهر الليل بجوار فراشه الصغير ، حتى يبرأ ، واذا تألم ، احست بالدنيا كلها تدور بها من حولها ، وهي لاتدري ماذا تفعل لتخفف عنه آلامه ، وتعيد الابتسامة الى هذا الوجه البريء .. انه بالنسبة لها حياتها ودنياها وكل شيء في هذا الوجود ..

وتتكرر المتاعب والمخاوف مع وصول كل مولود جديد ، حقيقة يخف اثر التجربة على نفس الام ولكن مسئولياتها تتضاعف . فالعناية بطفلين تتطلب جهدا اكبر من العناية بطفل واحد .. وهكذا ..

المشاكل تكبر

ويكبر الاطفال ويذهبون الى المدرسة ، ولكن مخاوف المرأة الام لاتنتهي .. انها تحمل في صدرها هما كبيرا .. فهي دائمة القلق عليهم .. انها تصحبهم للذهاب الى المدرسة في الصباح ، ثم تقضي نهارها كله في انتظار عودتهم الى البيت ، واذا تأخر احدهم عن موعده ، استبدت بها الهواجس والافكار المظلمة ، وتصورت ان سوءا قد حل به ..

وكلما كبر الابناء ، كبرت مشاكلهم .. واكبر هم تحمله الام عندما يجتاز ابناؤها طفولتهم ويخطون الى سني المراهقة والشباب ، هو خوفها من الفشل .. الفشل في الدراسة وما يترتب عليه من فشل اكبر في الحياة .. حقيقة انها مسئولية يشترك فيها الرجل مع امرأته ، ولكنه قلما اعترف بنصيبه منها ، فاللوم كله واقع على الام وبخاصة اذا كان عمل الاب لا يسمح له بقضاء وقت كاف مع ابنائه يستمع فيه الى مشاكلهم ، ويبحث معهم متاعبهم ، ويوجه اليهم نصائحه وارشاداته ..

الخوف من الشيخوخة

وتنظر المرأة حولها ، بعد ان يكبر الابناء ، فاذا بها قد وصلت الى منتصف العمر او تجاوزته !

وفي هذه المرحلة من حياة المرأة تلك التي تخطو فيها خطوات حثيثة الى سن اليأس ، نجد ان خوفها قد تضاعف ، لقد افاقت فجأة بعد ان ادت رسالتها ، او كادت ، فوجدت انها قد اضاعت اجمل سني عمرها في تربية ابنائها وتنشئتهم ..

ان خوفها اليوم هو خوف من الشيخوخة .. انها لا تريد ان تهرم ، انها تخاف هذا الذبول الذي بدأ يصيبها ، انها تعيش لزوجها الذي بدأت تشعر به وتحس بوجوده الى جوارها بعد ان تقدم به العمر هو الآخر ..

تقول جين اوستن (١٧٧٥ ــ ١٨١٧) كاتبة بريطانيا الشهيرة : « ان اقسى المخاوف التي تصيب المرأة هي تلك التي تشعر بها عندما تحس باقترابها من الشيخوخة ! » .

وقد ماتت جين قبل ان تكمل عامها الثاني والاربعين ! فهي لم تبلغ الشيخوخة التي كانت تخافها وتخشاها !

مخاوف ومخاوف

كتبت جين اوستن يوما رسالة ترد فيها على احدى صديقاتها ، وكانت تشكو لها من مخاوفها في وحدتها بعد ان تزوج ابناؤها ، ومات زوجها ، تقول : « ان خوفك هو اهون المخاوف يا عزيزتي .. اعرف امرأة طيبة تعيش سعيدة بين زوجها واولادها ، فهل تصدقين ان الطمأنينة لم تعرف طريقها لحظة واحدة الى قلبها القلق ؟ .

« لقد جلست صديقتي هذه تحدثني يوما عن عن مخاوفها ، قالت انني اعيش حياتي كلها في خوف دائم ، انني اخاف السمنة ، اخاف الشيخوخة ، اخاف ان يفتر حب زوجي لي ، اخاف ان اجرح مشاعر الناس ، اخاف كل شيء غريب يدخل بيتي وحياتي » ..

ماذا تفعل المرأة لكي تخلص نفسها من هذه المخاوف ؟

كيف تخلص المرأة نفسها من الخوف

يقول العلماء : « ان اول شيء يجب ان تلجأ اليه المرأة لتخلص حياتها من مخاوفها ، هو ان تعترف بينها وبين نفسها بهذه المخاوف . فالجهد الذي تبذله المرأة لاخفاء مخاوفها عن زوجها وعن الناس يضاعف من حدة هذه المخاوف ويعرض صاحبته لمتاعب واضطرابات نفسية شديدة .

فالخوف ، كما يؤكد العلماء ، يتبدد ويختفي عندما نتقبل حقيقة احساسنا به ، فتقول المرأة لنفسها : « انا خائفة ، هذه حقيقة ثابتة ، ولكن أليس هناك غيري كثيرون يشعرون بالخوف مثلي .. ولكن لماذا اخاف .. هل استطاع زوجي ان يساعدني على التخلص منه هل افادني القلق في علاج الازمات التي مرت ولم يبق في حياتي .. لماذا لا اترك الامور لتجري على اعنتها ، وليفعل الله بي ما يشاء ، فهذه ارادته ! » .

وليس الخوف مقصورا على المرأة وحدها كما ذكرنا ، فهذا الشعور يصيب الرجل ايضا في وقت او في آخر ، ولكن اسبابه تختلف كثيرا عنها عند المرأة ، فمخاوف الرجل كما قلنا تتركز غالبا في محيط عمله ، وانما هو متعلق برزقه !

الخوف من الغد والمستقبل

اما عند المرأة فالخوف يساورها دائما من الغد .. وما الذي يمكن ان يأتي به اليها من مفاجئات .. هي تخاف الغد من المستقبل ماذا ستصنع الايام بجمالها ، هل ستنجح في الاحتفاظ بزوجها ؟ كيف ستكون حياتها في العام القليل ، او في العام الذي يليه ، وبعد خمس سنوات ؟

ولكن اذا توقفت المرأة قليلا ، وسألت نفسها ، ماذا صنع بها الخوف ، هل ساعدها القلق في حل مشاكلها ، ولماذا تقضي حياتها كلها في التفكير وانتظار ما سيأتي به الغد ؟!

لو فعلت هذا لادركت على الفور انها قد هدمت اعصابها ، واضاعت حياتها بتفكيرها المستمر في مشاكلها ومشاكل اسرتها .. تلك التي حدثت والتي تتوقع لها الحدوث ..

حياة بلا خوف

ان كثيرا من الكوارث التي نتوقع حدوثها قد لا تأتي ابدا .. واذا عدنا قليلا الى الوراء ، لوجدنا اننا كنا اقوياء في كثير من المواقف الحرجة الصعبة التي واجهتنا ، وانه لا الخوف ولا القلق قد ساعدنا على تجنب الوقوع في هذه المشاكل .. لقد جاءت رغم كل شيء .. ثم مضت في حال سبيلها ، ويحتمل ان تكون قد تركت اثرا هنا او هناك ، ولكن التجربة مرت بنا على اية حال ، ونحن اليوم نعيش وحدنا ، ولا بد لنا ان ننعم بهذه الحياة ..

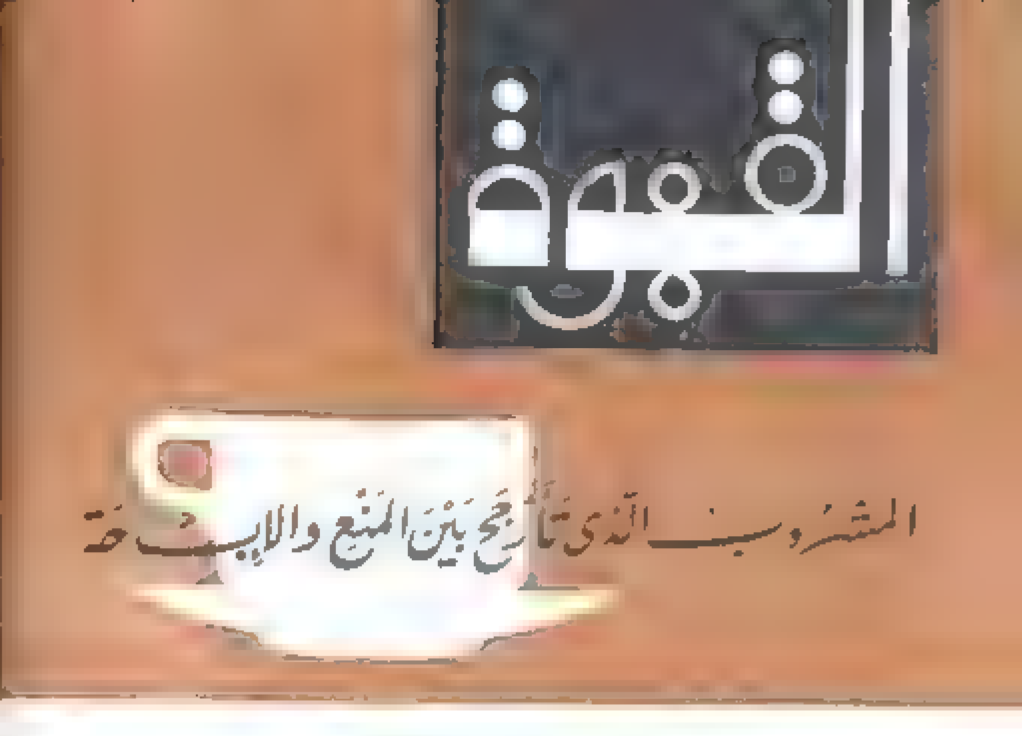
الانوثة هبة

قالت الزا ماكسويل (١٨٨٢ — ١٩٦٣) ، الصحفية والكاتبة الشهيرة التي وصفها برنارد شو يوما بقوله : « انها اعجوبة العالم الثامنة ! » فلم تكن هذه المرأة تخاف احدا او تخشى شيئا .. ولم يسلم من لسانها وقلمها انسان ، قالت : « لقد اردت ان اثبت للرجل خرافة القول بأن المرأة مخلوق ضعيف .. ولا سبيل للمرأة للتخلص من مخاوفها الا اذا آمنت بنفسها كامرأة .. فالانوثة هبة ، وهي هبة جميلة ، اذا عرفت المرأة كيف تستغلها .. اننا لسنا في حاجة الى اية موهبة من تلك المواهب التي تحسب عادة للرجل دون المرأة ! ان المرأة هي المرأة ، بشرط ان تعرف كيف تنمو وتتصرف وتعيش كامرأة ! » .

منى نصيف

> « المرأة تصبح مخلوقا كاملا عندما تعرف انها امرأة ، وعندما تدرك انها لم تخلق الا لتكون امرأة اولا وقبل اي شيء آخر » .
>
> « كوليت » كاتبة فرنسا الشهيرة





القهوة: المشروب الذي تأرجح بين المنع والإباحة

بقلم: عبد الرزاق الهلالي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

استعمال حب البن

[illegible]



يعرفون في منقوع (القشر) أي منقوع (ورق القات) .

ولكن تطور الامر عند الاحباش فباتوا يشربون منقوع (حب البن) وقشره دون أن يصل ذلك الى اهل عدن واليمن وظل الامر كذلك حتى اواسط القرن التاسع للهجرة ، اذ ظهر شرب المنقوع وشاع في اليمن على يد الشيخ الامام جمال الدين ابي عبد الله بن سعيد الذبحاني المتوفى سنة ٨٧٥هـ اما كيف كان ذلك فيرويه الشيخ محمد بن عبد القادر الجزيري الحنبلي في مقالته المعروفة بـ (عمدة الصفوة في حل القهوة) حيث قال « انه لما تولى وظيفة تصحيح الفتاوى في عدن ، عرض له امر اقتضى خروجه من عدن الى برعجم (بر الزيلعية) فاقام به مدة فوجد اهله يستعملون القهوة ولم يعلم بخاصيتها . ثم عرض له لما رجع الى عدن ، مرض ، فذكرها فشربها فنفعته ، فوجد فيها من الخواص انها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفة ونشاطا » فلما سلك الشيخ الذبحاني طريق التصوف صار هو وغيره من الصوفية يستعينون بشربها على السهر ، الى ان شاع الناس والفقهاء والعلماء هناك على شربها !

اما (الغزي) مؤلف كتاب (الكواكب السائرة باعيان المائة العاشرة) فانه يجعل الكشف عن هذا الحب واستعماله متأخرا أي في أوائل القرن العاشر ، ففي ترجمة (ابي بكر الشاذلي العيدروس المتوفى في اوائل القرن العاشر) قال انه هو « مبتكر القهوة المتخذة من البن في اليمن . وكان أصل اتخاذه لها انه مر في سياحته بشجر البن على عادة الصالحين فاقتات من ثمره حين رآه متروكا مع كثرته فوجد فيه تنشيطا للدماغ واجتلابا للسهر وتنشيطا للعبادة ، فاتخذه قوتا وطعاما وشرابا ، وارشد اتباعه الى ذلك ، ثم انتشر في اليمن ثم انتقل الى بلاد الحجاز ثم الشام ومصر وسائر البلاد » .

القهوة واعتياد شربها

ولقد سمي (منقوع البن) هذا باسم (القهوة) الذي هو اسم من اسماء الخمرة ، لا سيما بعدما وجدوا فيها بعض خواص الخمرة ، قال (العلامة الفخر أبو بكر بن أبي يزيد) في كتابه (النخوة في حل القهوة) في اشتقاق اسم القهوة ما نصه « ان القهوة من الاقهاء وهو الاجتواء ، أي الكراهة ، أو من (الاقهاء) بمعنى الاقعاد ، من اقهى الرجل عن الشيء اذا قعد عنه ... وسميت القهوة قهوة لانها تقهي أي تكره الطعام وتقعد عنه ، حسبما نقل عمن يعرف أحوالها » .

ومن طريف ما روي في هذا الخصوص ان بعض الفقهاء الذين حللوا شرب القهوة ، قالوا : « ان مشروع (البن) هو (القهوة) (بكسر القاف) وليس (القهوة) (بالموحدة المفتوحة) التي هي الخمرة ».

وبعد هذا لابد لنا من الوقوف على الصورة التي كانوا يعدون بها مشروب القهوة في اوائل معرفتهم لها فأن صاحب (عمدة الصفوة في حل القهوة) « اعلم ان القهوة هي النوع المتخذ من قشر البن او منه مع حبه المحمص (بضم الميم وفتح الحيم وتشديد الحاء المهملة المفتوحة ايضا) اي المقلي .

وصفتها هو ان يوضع القشر اما وحده ، وهي (القشرية) او مع البن المحمص المدقوق ، وهي البنية في ماء ثم يغلى عليه ، حتى يخرج خاصيته . وتسمى عندهم باصطلاح ذوي المعرفة المكتسبة (القسراء بتشديد القاف ثم تركه) . ثم تشرب » .

وقد وجد المتصوفة في هذا المشروب ، كما رأينا ، ضالتهم لأنه يساعدهم على السهر ، ولذلك شاع استعماله عندهم ، كما ان اصحاب الاذكار والمديح كانوا يتعاطون شربه على طريقتهم الخاصة .

وذكر ان اصحاب الاذكار في مصر (في اوائل القرن العاشر) كانوا يشربون القهوة كل ليلة اثنين وجمعة ، اذ كانوا يضعونها في ماعون كبير من الفخار الأحمر ، ويغترف منها (نقيبهم) بسكرجة صغيرة ويسقيهم ، الأيمن فالأيمن ، مع ذكرهم المعتاد وهو (لا اله الا الله الملك الحق المبين) .

وقد قال العلامة الشيخ عبد الغفار « وكنا ممن يحضر معهم وشربناها فوجدناها في اذهاب النعاس والكسل كما قالوا ، بحيث انها اسهرتنا معهم ليالي لا نحصيها الى ان نصلي الصبح مع الجماعة من غير تكلف . وشربت بحارة الجامع الأزهر وبيعت بها جهرا في عدة مواضع لم يتعرض احد طول المدة لشاربيها ، ولا انكر شربها فاعلها ، ولا توصف خارج عنها من المارة وغيرها مع اشتهارها بمكة وشربها في نفس المسجد الحرام وغيره بحيث لا يحصل ذكر او مولد الا بحضورها » .

القهوة والطب

ونظرا لما في مشروب القهوة من خواص فقد دخلت في الطب العربي كدواء شاف لبعض الامراض ، وقد ذكر (لوكلار) Leclerc في كتابه (تاريخ الطب العربي) ان اول من ذكر قهوة البن هو داود الانطاكي من اطباء القرن السادس عشر الميلادي فوصفها وصفا دقيقا حيث قال

« البن ثمر شجر باليمن يغرس حبه في آذار وينمو ويقطف في آب ، ويطول نحو ثلاثة اذرع على ساق في غلظ الابهام ويزهر ابيض يخلف حبا كالبندق وربما تفرطح كالباقلاء ، واذا قشر انقسم نصفين ، واجوده الرزين الاصفر ، واردؤه الاسود ، وهو حار في الاولى يابس في الثانية ، وقد شاع ببرده ويبسه ، وليس كذلك لانه مر ، وكل مر حار ، ويمكن ان القشر حار ، ونفس البن اما معتدل او بارد ، والذي يشهد ببرده عفوصته ، وبالجملة فقد جرب لتجفيف الرطوبات والسعال البلغمي والنزلات وفتح السدد ، وادرار البول ، وقد شاع الآن اسمه (بالقهوة) اذا حمص وطبخ بالغا . وهو يسكن غليان الدم ويقطع الجدري والحصبة والشري الدموي ، لكنه يجلب الصداع الدموي ، ويهزل جدا ، ويورث السهر ، ويولد البواسير ، ويقطع شهوة الباه ، وربما افضى الى (الماليخوليا) فمن اراد شربه للنشاط ودفع الكسل وما ذكرناه فليكثر معه من اكل الحلو ودهن الفستق والسمن ، وقوم يشربونه باللبن وهو خطأ يخشى منه البرص » .

وقد وصف بروسبير البين Prosper Alpin في كتاب نشره عام ١٥٩١ عن (طب المصريين) وصف البن وصفا ذكر فيه انه « عندما كان في مصر رأى في حديقة احد الاتراك الذي اسمه (علي بك) شجرة لا اعرف صورها تنبت حبوبها يدعونها في مصر (بنا) Bun ou Ban ويستحضر المصريون منها شرابا معروفا يسمى (قهوة) ويشربونه بدلا من الخمر ، واصل هذه الحبوب من اليمن ، ثم قال وان اهل مصر يطبخون القهوة ويشربونها صباحا قبل الطعام كما ان نساءهم يتخذنها لاستدرار الحيض » .

هذا ما كان يراه الطب القديم فيها فماذا يقول الطب الحديث ؟

يرى الطب اليوم ان ابرز صفات القهوة ، الزيوت العطرة التي تكسب القهوة نكهتها الخاصة ، فيها الاملاح المعدنية والاحماض العضوية والفيتامينات وبخاصة العناصر القلوانية الدوائية ومن ابرزها (الكافئين) وهذه المادة ذات خصائص منشطة منبهة للبعض التي تختلف عن الآخرين .

ونظرا لما في بعض انواع القهوة من مادة الكافئين فان الطب يوصي بتحاشي شرب القهوة من قبل مرضى القلب والتقرحي والقصور الكلوي ، بينما يرى انها مفيدة للذين يعانون من انخفاض

الضغط والوهن . ويأمل علماء الصحة أن تكون القهوة الخالية من الكافيين مادة منعشة جيدة بعد تخليصها من العناصر الضارة فيها .

بيوت القهوة بين المنع والاباحة

ولما شاع شرب (مطبوخ البن) أى (القهوة) وولع الناس بها ولعا كبيرا زاد الطلب عليها واصبحت الحاجة ملحة لوجود مكان يخصص لها ، كي يستطيع عامة الناس شربها فيه ، ولذلك رأى بعض الافراد انتهاز هذه الحاجة عن طريق فتح محل خاص بإعدادها وبيعها للناس شرابا منعشا ، فكانت هذه المحلات التي أطلقوا عليها اسم (بيوت القهوة) وقد شاء بعض المترددين على هذه البيوت أن يطلقوا عليها اسم (دور المعرفة) أو (دور الحكمة) وهكذا بتوالي الأيام أخذ عدد هذه البيوت يتزايد واتجه الناس اليها لاسيما في مكة والمدينة اتجاها عاما ، ومن باب المنافسة لكسب (السمار) من الزبائن عمد بعض أصحاب هذه البيوت بادىء الأمر الى ادخال بعض وسائل اللهو والطرب لجلب الزبائن ولقضاء فترة أطول في (بيته) حتى اذا شاع هذا الاجراء في معظم (بيوت القهوة) وطغت المخالفات عما كان يجرى فيها من مفاسد اصبحت هذه البيوت أشبه (بالخمارات) يجتمع فيها بعض الناس من (رجال ونساء) بدف ورباب وغير ذلك من الات الملاهي كما يجتمع فيها من يلعب الشطرنج والمنقلة وغير ذلك مما هو ممنوع في الشريعة المطهرة .

وهكذا اصبحت هذه البيوت أشبه بالخمارات ، وباتت سمعتها متهمة لدى الفقهاء والعلماء ، فلم يرق وجودها لرجلين أعجميين كانا يلقبان بالحكيمين في (مكة المشرفة) ولذلك أخذا يتشددان في مهاجمة هذه البيوت وما يجرى فيها من مفاسد وقد أيدهما في هذا التشديد والرغبة في اغلاقها ومنع شرب القهوة فيها الشيخ شمس الدين الخطيب نائب قاضي القضاة في مكة ، الذي استطاع اخيرا اقناع (الامير خاير بك) محتسب مكة المكرمة على منعها .

وبعد أن وقف هذا الأمير بنفسه ذات ليلة على ما كان يفعله شراب القهوة في زاوية من زوايا المسجد الحرام ، لم يشأ أن يصدر أمره بمنع تعاطي شرب القهوة مباشرة ، فما الذي فعله اذن ؟

لقد جمع عددا من كبار العلماء ورجال القضاء واحضر (القهوة) في مركن كبير والناس معه ، وبحث معهم في أمر القهوة وما ظهر من اجتماع الناس في بيوتها على تلك الهيئة . فأجاب العلماء مجمعين على « ان اجتماع الناس على هذه الهيئة حرام اتفاقا ، واما الحب المسمى بـ (البن) فحكمه حكم النباتات ، والأصل فيه الاباحة ... فان كان يحصل من مطبوخ قشره ضرر في البدن أو في العقل أو يحصل به نشوة ولذة وطرب فانه حرام ولو استعمله الانسان بمفرده في داخل بيته .. والمرجع في ذلك الى الاطباء » .

واستنادا الى هذا الحكم استدعى الامير بعد ذلك طبيبين كبيرين من أطباء مكة وناقشهما في أمر القهوة وشربها فقررا ان شراب القهوة « يفسد بأس صاحبه البدن المعتدل » .

وبعد أن ثبت للأمير هذا الأمر كتب الى السلطان في القاهرة كي يصدر أمره السلطاني بمنع شرب القهوة ، ثم لما جاء الأمر منع شرب القهوة واغلقت بيوتها واشتد المحتسب بمعاقبة من يخالف أمره هذا ، ولكن هل استجاب الناس لذلك ؟ !

كلا ، لقد أخذوا يشربونها في بيوتهم ، لاسيما بعد ما علموا أن شرب القهوة وبيوتها لم تمنع في القاهرة نفسها !!

هذا ولما كان الشيخ شمس الدين الخطيب هو السبب في هذا المنع فقد أصبح هدفا لهجوم أنصار القهوة وعشاقها وفي ذلك يقول الشيخ أبو الفتح المالكي :

قهوة البنّ حُرِّمتْ
فاشربوا قهوة الزَّبيبْ
ثم طيبوا وعرِّبدوا
وارفسوا في قفا الخطيبْ

وقال آخر :

قهوة البنّ حُرِّمتْ
فاحتسوا قهوة العنبْ
واشربوها وعربدوا
والعنوا مَنْ هو السببْ !

ومهما يكن من شيء فان هذا المنع لم يدم طويلا اذ حدث تراخ في تنفيذ الأمر حتى ازداد الجدال قويا والقهوة ظهورا وعاد الناس يشربونها في بيوتها وعادت عليمة (في هذه البيوت) الى عاداتها القديمة !!

وزاد اصحاب هذه البيوت في تشويقهم للرواد من شراب القهوة حتى اصبح حالها معضلة تسائل من جديد ، فلما قدم مكة المشرفة الشيخ العارف بالله (سيدي بن عراق سنة ٩٣٢هـ) وبلغه ماكان يحدث في بيوت القهوة من بعض المنكرات والمفاسد اشار على الحكام بابطال (بيوت القهوة) مع تصريحه بحل القهوة في حد ذاتها .

ويحفظ لنا ديوان الشعر العربي الاسلامي بصدد هذه (الفتوى) السؤال الآتي الذي رفعه احد الفقهاء الى العلامة (ابن عراق) حيث قال :

أيها السامي لكيلا الذروتين
حوار المصطفى والمروتين
أفتني في قهوة قد ظلمت
حيث شئت تعطيها بشين
من تلك مالنا منهجه
واقتراف للأقاويل ومين
ومراعاة أمور شهدت
في (زوايا) احال كلتا المقلتين
وحكى شربها أهل العلا
فاستوى بين تبين (الفرقتين)
أو دعوا ذا الطرس مايرجو الفتى
أو دعوا لبأس إحدى الراحتين

فاجاب رحمه الله قائلا :

أيها السامي سمو الفرقدين
وإمام العلم ، مفتي الفرقتين
جاءني منكم نظام قد حكى
في نصوع عقد سلوك اللجين
قلت فيه إن ذا القهوة قد
خلطوها بتلك وبمين
وكلهم حرام وعيا
ويرتضي ويصفق الراحتين

وطلبت الحكم فيه بعدما
قد رأيتم ماذكرتم رأي عين
حل ذا الأمر إنكار الذي
شأنها حتى يصفي دون رين
فاذا لم يستطعه دون أن
يمنع الأصل فمثل منه زين
والتداني من حماها وهي لي
وصفيه المذكور شين أي شين
والصف في شربها مع فتنة
أحضروا التقوى وشدوا المئزرين
ثم ماحتوا زنتهم جنح الدجى
بخشوع ودموع المقلتين
فابتداء الأمر فيه هكذا
قد حكوه عن ولي دون مين
ذا جوابي واعتقادي به
في اعتدال كاعتدال الكفتين

ولم تقف الحال بها في الحرمين الشريفين ، فاذا بها تثار في رحاب الازهر الشريف عام ٩٣٩هـ ، فقد رفع احدهم للشيخ العلامة شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي الشافعي ، سؤالا هذا نصه :

« ما قولكم رضي الله عنكم في شراب يسمونه القهوة ، يجتمع عليه الجماعة يشربونه ويزعمون انه مباح مع انه يترتب عليه مفاسد كثيرة ، فهل ذلك جائز ام حرام ؟؟ افتونا !! » . الجواب : انها حرام لانها مسكرة !! والذي يبدو ان هذا الشيخ الكبير كان على رأي المحرمين لها لانه لما سئل مرة ثانية في مجلس وعظه عام ٩٤١هـ ، افتى بحرمتها وصمم على ذلك ، فتعصب جماعة من العوام لما سمعوا رأيه وخرجوا الى بيوتها من تلقاء انفسهم وكسروا اوانيها وضربوا جماعة ممن كانوا هناك فقام بسبب ذلك فتنة كبيرة وتعصبات بين من يقول بالحل ومن يقول بالحرمة ..

وفي هذا التتبع وعدم القناعة بفتوى هذا الشيخ الكبير قال احد الشعراء هازئا ..

إنّ أقواماً تعدّوا
والبلا منهم تأتّى
حرّموا القهوة عمداً
قد رووا إفكاً وبهتا
إن سألت النص قالوا
ابن عبد الحق أفتى
يا أولي الفضل اشربوها
واتركوا ما قال بهتا
ودعوا العذّال فيها
يشربون الماء حتّى

ودفعا لهذه الفوضى رأى حكام القاهرة آنئذ ضرورة وضع حد لهذه الفتنة فأوكلوا الأمر الى قاضي مصر الشيخ محمد بن الياس الحنفي ليتخذ ما يراه فيها الذي فعله هذا الشيخ قبل اصدار فتواه انه قام بالخطوات الآتية

١ – سأل عددا من العلماء الذين افتوا بحلها.
٢ – اعتمد على آراء غيرهم من العلماء في مكة وغيرها .
٣ – أخذ طبخها في منزله وسقى منها جماعة بحضرته وجلس يتحدث معهم طول النهار ليختبر حالهم . فلما لم يجد فيهم تغيرا ولا تنكرا أقرها على حالها .

ومهما يكن من شيء فان تاريخ هذا المشروب قد أخذ من وقت العلماء والفقهاء الشيء الكثير حتى كانت بينهم معارك كلامية هذا يحلها لانها (الشراب الطهور ، المباركة على أربابها، الموجبة للنشاط على الإعانة على ذكر الله وفعل الطاعة) . وذاك يحرمها ويفرط في ذمها والتشنيع على شرابها ؛ لأنها من الخمر ، وحدث بسبب ذلك من الفتاوى والتعصبات المؤدية (الى القتال والفتن وحصول ما ادى الى قتل نفوس ومحن) بمكة ومصر القاهرة.

وقد نقل الشيخ نعمة الله الجزائري في كتابه (زهر الربيع) أن بعض علماء العراق قد افتوا بتحريم القهوة « لا لأنها خمرة أو شبيهة بذلك بل » أن بعض العلماء حرمها لأن القهوة حين تحميصها تحرق في الغالب حتى يصير أكثرها فحما والفحم من الخبائث) .

وختاما لهذا الصراع نعرج فيها على رأي الشيخ الجزيري الحنبلي صاحب مقالة (عمدة الصفوة في حل القهوة) اذ يقول « والذي أقوله ان الحق الذي لا مرية فيه ولا شبهة تعارضه أو تنافيه ، انها في حد ذاتها حلال وبها من نشاط على العبادة ما لا يشوبه نقص ولا اختلال،واما الامور المحدثة من هيئة بيوت باعتها ، واجتماع اهل المحظور فيها مع لهوها وجماعتها والمحافلة فلا يرجع الى ذاتها لو معها بالاوصاف التي اشتهرت بين البرية فلا يبيحها من له ادنى المام بمعرفة الاحكام الشرعية.. والخمر انها حرم بعد حل لطالما لاشتماله بعد ذلك على قبيح اوصافه التي يحدث منها ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة والتساهل فيهما والاغضاء ، فقبح الاوصاف يحرم ما كان مباحا بلا خلاف » .

واخيرا اسدل الستار على قضية شرب القهوة بحد ذاتها ولم تعد الحكومات او رجال الدين الى التعرض لها او ليبيحوها وما ان تم ذلك حتى قال بعض الشعراء في القهوة هذه الابيات

يا قهوة تذهب همّ الفتى
أنت لحاوي العلم نعم المراد
شراب أهل الله فيها الشفا
لطالب الحكمة بين العباد
نطبخها قشراً فتأتي لنا
في نكهة المسك ولون المداد
ما عرف الحقّ سوى عاقل
يشربها من وسط الزبادي الزباد
حرّمها الله على جاهل
يقول في حرمتها بالعناد
فيها لنا برّ وفي حبها
صحبة أبناء الكرام الجياد
كالشهد الخالص في حله
ما خرّجته عنه سوى بالسواد

(بيوت القهوة) والمقاهي والعلماء

ومنذ أن سكت المفتون بالحل والمنع عادت

(بيوت القهوة) الى المقاهي بكثرة في شتى العواصم العربية ، ولكن الذي حدث فيها خلال مجرى الايام ان (بيوت القهوة) قد غدت تسمى باسم (القهوة) او (المقهى) وبات لفظ (القهوة) يدل على المحل الذي تشرب فيه القهوة ، فهل كانت هذه التسمية صحيحة ؟

يرى المرحوم العلامة الكرملي ان هذه التسمية صحيحة لا غبار عليها وهي من (باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه) ومثلها في ذلك مثل (واسأل القرية) — اي اهل القرية — ومع هذا فان هناك من يقول بأن (القهوة) للمكان (عامية) والصواب ان يقال (المقهى) والجمع مقاهٍ .

والذي يبدو بعد هذا التطور ان اصحاب هذه المقاهي ارادوا ان تكون محلاتهم هذه محلات متعة وراحة وانشراح ، ولهذا عمدوا الى ان يستخدموا الغلمان الجميلي الوجوه والاجسام واحضار بعض المغنين والموسيقيين ليطربوا رواد المقهى ، وفي ذلك يقول شيخ العروبة المرحوم احمد زكي باشا بأنه « كان يطوف بالقهوة الغلمان في حللهم المزركشة وهم يحملون الصواني المنقوشة وقد علتها السكارج والاباريق ، وحولها الطاسات والمناجين ، بين عبق الندّ والازاهير الى غير ذلك من مجالي الانس في مجالس الطرب » .

ولهذا قال الشعراء :

عَرِّجْ على القهوةِ في حانها
فاللُّطفُ قد حفَّ بندمانها
وقهوةٍ لا غمَّ يبقى إذا
قابلكَ الساقي بفنجانها
قريبةُ العهدِ بعدنٍ فإن
شككتَ فانظرْ حُسنَ ولدانها
شرابُ أهلِ الله فيه الشفا
بجوابُ مَن يسألُ عن شأنها
بمائها تغسلُ أكبادَنا
وتُحرقُ الهمَّ بنيرانها
يقولُ مَن أبصرَ كانونَها
أفٍّ على الخمرِ وأدنانها
فهي رحيقٌ لونُها حسنُها
قد شهدَ العقلُ ببرهانها
فاشربْ ولا تسمعْ كلامَ الذي
بجهلِه يمشي بحرمانها

في استانبول

وتشير دائرة المعارف الاسلامية الى ان انتشار القهوة في استانبول والروم ايلي ، كان في عهد السلطان سليمان ، وان اول مقهى اسس في استانبول كان لرجلين ، احدهما حلبي والثاني دمشقي وذلك في سنة ٩٦٢ هـ ، وقد كان يجتمع في هذا المقهى الاعيان والادباء لشرب القهوة حتى دعي هذا المكان باسم (مدرسة العلماء) .

ولما راج شرب القهوة في استانبول واخذت المقاهي تنتشر هنا وهناك في المدن الكبرى اصبحت هذه المقاهي محلات يتحدث الناس فيها بالسياسة فينتقدون الحكومة ويعارضون اعمالها ، ولذلك اتفقت كلمة السلاطين مع رجال الدين على ان في (القهوة) ضررا ، وان هذا الضرر ابلغ من ضرر الخمرة ، وان القهوة المحمصة تعتبر كالفحم فهي حرام ، ولذلك وفي عهد السلطان مراد الثالث (١٦٠٣ — ١٦١٧) صدرت المراسيم القاضية بمنعها ، ولكن الظاهر من متابعة تاريخ هذا المنع انه لم يكن قويا وفعالا ، ولذلك لم يمض واخذت القهوة تشرب (والقهاوي) تنتشر ، ثم نسي الامر وسكت المفتون او المعارضون ، ولم يبق من امتنع عن شربها من العلماء والوزراء والاعيان ، بل على العكس من ذلك اخذ الوزراء والولاة يعدون مباني خاصة بها .

القهوة في اوربا

وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وصول القهوة الى اوربا ، ولكن الراجح انها وصلت في اوائل القرن السابع عشر الى هولاندا ، ومنها انتشرت الى اوربا ، وفي عام ١٧١٢ انتقلت الى امريكا .

وقد نالت القهوة على مر الايام رواجا كبيرا ، فاصبحت من السلع التجارية المهمة التي تستوردها اوربا آنذاك ، وبات اسمها يعرف بـ Coffee او Cafee وهو اسمها العربي طبعا .

ومن الجدير بالاشارة هنا ان (فردريك الكبير) ملك المانيا كان قد منع استيراد القهوة الى بلاده منعا باتا ، وحث الناس على احتساء البيرة بدلا منها ، الا انه بعد حين قرر ان تحتكر الحكومة استيراد البن والاشراف على تحضيره .

ومن طريف ما روى لنا المرحوم الاستاذ يوسف شيئا عن تاريخ شرب القهوة لاول مرة في باريس قوله : « ان السلطان محمد الرابع انفذ سفيرا من قبله سنة ١٦٦٩ الى لويس الرابع عشر ملك فرنسا وعهد بهذه المهمة الى مصطفى اغا — ليمان باجي باشا ، فبعد ان ألقى عصا ترحاله في عاصمة الفرنسيين احب ان يقيم في الدمنة الاوربية حفلة على النمط الشرقي ، فارتأى محلا في احد نواديها في الشارع الذي يطلقه الشعليون ، وما كنت تجد في تلك الغرفة الا الاثاث الشرقي من طنافس فارسية ووسائد وطراحات فكان ان طرقت المسامع الاوربيين حتى دهشتهم الرائعة واطلقهم الفخمة ، وشرعوا يتقاطرون الى هناك افواجا من جميع الصنوف والطبقات ويسرحون نظر بصرهم في تلك الرسوم وزاد اعجابهم وعظم اندهاشهم عندما شاهدوا عبيد السفير داخلين ، وعلى عاتق كل واحد منهم منشفة تلتف اثوابا من حواشيها المطرزة بالخيوط الذهبية وبايديهم صواني صغيرة ، وشرعوا يقدمون للحاضرين مشروبا اسود اللون مع الفناجين ... منه (الصحاحين) فاخذ المدعوون يتهامسون ويتساءلون عما يكون هذا المشروب . فعرفوا اخيرا انها القهوة . وبعد مدة من الزمن انشأ احد المهاجرين الشرقيين في باريس في ربض (القديس جرمان) (قهوة) لم يمض فترة حتى شاع منذذاك شرب « القهوة في سائر الاقطار الاوربية » .

القهوة العربية والتركية والافرنجية

عرفنا ان العرب كانوا يشربون منقوع قشر البن او البن نفسه لم تطور امر اصطناعها ، الا انها ظلت عربية مرة المذاق لم يضيفوا اليها الا شيئا من الزنجبيل والقرفة وحب (الهال) او الهيل كما يسميه العراقيون ، ولقد اوجد الاتراك في شرب القهوة طريقة خاصة بهم ، بعد ان يضيفوا اليها شيئا من السكر ، وباتت تسمى (بالقهوة التركية) وعنها اخذ المصريون قهوة (سكر زيادة) او (مضبوط) او (مظبوطة) في حين اخذ الاوربيون والامريكان يشربون القهوة مغلية بالماء ويشربونها كما يشرب الشاي عندنا ، وهي ما تسمى (بالقهوة الافرنجية) .

الشعر والقهوة

وللقهوة في دواوين الشعر العربي ، فصيحه وعاميه ، كثير من الصور الشعرية الجميلة يحفظها عشاقها ويتغنون بها ومن طريف ما روى (ابن معصوم) في كتابه (سلافة العصر في محاسن الشعراء في كل مصر) قول بعض المتأخرين وهو :

هاتِ اسقني قهوةً قشريةً نفحت
بكَرِّ المُدامِ وشعَّتْ في الفناجيا
تدعو إلى خيرِ ما فيه انبقاءُ ولو
دعتْ إلى خيرِ ما فيه الفناجيب
لو أن الفا أحاطوا حول ساحتها
قصدَ النجاةِ رأيتَ الألفَ ناجينا

فلما قرأ هذه الابيات الشيخ الامام عبد القادر محيي الدين الشافعي الذي ذيلها بقوله .

يا ربةَ الأُنسِ حقاً جمالك فإن
تطلب محمودي وإبدال فتاجينا

وقال المولى احمد بن شاهين الشامي :

وقهوةٍ كالعبيرِ السحيقِ
سوداءُ مثلِ مقلةِ المعشوقِ
أتتْ كسكِ مانعٍ مُتيقِ
شبهتُها في الطعمِ كالرحيقِ
تُدني الصديقَ من هوى الصديقِ
وتربطُ الودَّ مع الرفيقِ
فلا عدمتُ مزجَها بريقي

وبعد : فاكتفي بهذا القدر مما توافر لدي من المعلومات عسى ان يجد فيها (السيد محمد مرزوق العطري) وغيره من قراء العربي الجواب الشافي على سؤاله ، والذي يسر ومرارة القهوة الحلوة !!

■

بغداد   **عبد الرزاق الهلالي**

هذا من العدوى

قصة بقلم : فاضل السباعي

● ما كانت « خالدة » سمعت في البيت عما لاحظته في زميلة المدرسة « زينب » .. حتى رأت أمها تسير نحوها مسرعة ، ثم تقوم إلى جهاز الهاتف ، تطلب مديرة المدرسة ! واستغربت خالدة بينها وبين نفسها ، ما تنوي أمي أن تفعل ؟ أتشكو صديقتي إلى المديرة ؟! ولكن .. أي ذنب ارتكبت حتى تستحق الشكوى ؟ إنها تحك جسمها .. ما علينا نحن تحك جسمها ، وحسب !

ولكن أمها .. ها هي تتحدث إلى المديرة حديثًا سمعته ، غير متمثلة منه شيئًا . بل لقد سمعتها تزيد فيه مضيفة إليه وصفًا لم يكن ليخطر في بالها حين أخبرت بما لاحظته في زميلة المدرسة التي تشاركها المقعد في قاعة الدرس ! ربَّاه ، ماذا تفعل أمي ؟!

– حتى لا تدخل بيتنا هذه .. « بلية » نحن في غنى عنها !!

★ ★ ★

في تلك الليلة ، عجبت خالدة في سريرها ، وهي تحس أنها لا تريد عليه . لماذا غاضبت أمها بما رأت في صديقتها زينب ؟ إنهما معًا ، في مقعد واحد ، منذ مطلع العام الدراسي . وإنها لتكنّ لها الود والمحبة . لطيفة وناعمة . أبوها سمير الشيخ العلبي ، في الساحة يبيع الحب والتين ، في الصيف ، وفي الشتاء يبيع البرتقال واليوسفي والترمس ... ! لطالما اشترى أبي من « دكانه » ، تلك الوقفة من العمدة خشبية أربعة قائمة ، تصل ما بينها عوارض قد غطاها قماش كي يحمي ومرقع . أن أبي ليداعبه ، أحيانًا ، وهو يخاطبه « راجيًا » يا أبا علي ، لا تحمل همًّا . حتى أسعدك ! » فيجيب الرجل : « ولو يا أستاذ ..

بنت زبون قديم ! » ، ورد أبي ... بيننا « صداقة عائلية » . ضحكت ! بنت زينب صديقتي في المدرسة لبسى خالدة ، تجلسان في مقعد واحد ! » . وعلق الرجل بضحكة بدو من خلالها مواجهة المصير ، وهو يمد إلى أبي يدا تحتوي على الباقي من المبلغ غير مزيد عليه قرش واحد . ويهمس أبي ، مازحًا ـ كعادته ـ الهزل



بالعيد . « لا أراني صحيحا من علاقات الشخصية شيئا ، يا خالدة ! أبو زميلتك زينب لا يراعي شعراطه ! » ..

نعم ! شتركان معا في مقعد واحد . عادت خالدة لتمثل في خاطرها موقف أمها على الهاتف . لسد ما يؤلمها أن تعلم زينب ، غدا ، بأنها قد نقلت حديثا عنها الى أمها ، وأن أمها نقلته الى المديرة ، والمديرة .. ترى ما تفعله المديرة غدا ؟ أمها أوصتها بأن تكتم ، فلا تشيع أن الحديث في « الحلقة » صدر عنها ! ولكن للحيلة من ملبدات الصف لم تلحظ ما في صديقتي زينب عباي . لقد أسرى أنباعي أنها تكثر من حك صدرها ، وابطيها ، وساعديها ..

ـ وحككت كتفيها ، أيضا ؟

ـ أجل ، يا أمي .

ـ هل دققت النظر في ما بين أصابعهـــا ، فوجدت حبوبا ، بثورا ؟

ـ وقتها لتفككت القلم من يدها ، أحيانا ، وتلوى على ظاهر كفها اليسرى .. تحكها ، حرش ، وهي تحرك بأسنانها أناملهـا « ما بالك تحكين ، يا زينب ؟ » ، تحسر « لا شيء ، لا شيء ! » .. وتكف !

فكرت . أنا التي نقلت الوصف الدقيق الى [illegible] ! ما ذنبها ؟ وأمي قد نقلت الى المديرة [illegible] زينب غدا !

ـ حذار أن تلمسي زينب ، يا خالدة ! معي في غنى عن علبة تدخل بيتنا ! أنهدت عافيتي ، وأنا أركض هنا وهناك ، وأتعب ، وأسعى .. ابتعدت ! لا تقربي زينب !

★ ★ ★

في الصباح .. لحقت خالدة ، في باحة المدرسة صديقتها زينب . فأسرعت تدير ناظريها عنها الى حيث بنات يتراكضن . وما هي الا لحظة ، حتى كانت يد رشت كتفها :

ـ صباح الخير ، خالدة !

إنها زينب .

اضطرت خالدة الى أن تلتفت .

ـ صباح الخير .

ـ كتبت واجباتي ، ليلة أمس . ولكن مسألة من مسائل الحساب عسرت عليّ . ألا تطلعيني على دفترك ؟ هل شرحتها لي ؟

أحدث خالدة نظرة شكوك ، وجه زميلتها ! لقد التفت اليها ، حنت عليها ديمة ، في بيتي ، مساء أمس .. وهي لا تدري !

ـ أية مسألة ؟

ـ تلك التي أولها ..

أخرجت خالدة دفتر الحساب من محفظتهـا ، وناولته زينب . فتلقته بكلتا يديها ، وقد وضعت محفظتها ما بين قدميها . أنعمت خالدة النظر في الكفين ، وهما تقلبان الدفتر ، لتتوقفا عند آخر المسائل المحلولة : الأصابع ! ما بين



الاصابع ! وتلك هي البثور ! آه ، انه ذلك المرض الذي يتحدى ! ما ترانا ، الصبرة ، تقطه لها ! أعالجها ؟ يا حرام ! ما ذنبها ؟ ابوها ، يكبر على بائع البطيخ والبرتقال ، لا يعتني بها ! وامها تهملها ..

ـ هكذا « العزة » ، الان ! كيف غاب عني ؟

طوت الدفتر ومدته اليها .

ـ شكرا ، خالدة .

اليد ممدودة نحو خالدة ، فنها لتقل نظرها من وجه زميلتها ، الى يدها ، وتتفرس في الكف ، في الاصابع ، في تلك التشققات الصغيرة !

ـ لم لا تاخذين دفترك ، يا خالدة ؟ لماذا تتمهلين في يدي هكذا ؟!

اسرعت خالدة لتسترد دفترها وتقول كالمعتذرة :

ـ عفوا ، انه شرود ذهني !

★ ★ ★

قرع باب قاعة الدرس ، فجأة .

توقفت المعلمة ، لتتحقق من صوتها :

ـ تفضلي .

فأطلت « الحاجبة » براسها من وراء الباب

ـ زينب .. تطلبها المديرة حالا !

مس خالدة ماس من خوف . حين التفتت المعلمة الى البنات :

زينب .. الى المديرة !

بعد زينب وقد خرجت هي الاخرى ، بمهلة الاستعطاف . وتجسمت لخالدة ، هنا ، مسؤوليتها عما يمكن ان يلحق بصديقتها من اذى : انا التي وشيت بها الى المديرة ، وليست امي ! آه ، يا ربي : اي خاطر شيطاني دفع بي الى ان ابوح لامي بالذي رأيت ! اي عيد يحمله جهاز الهاتف للآخرين ؟ زينب صديقة طيبة ، لم ازل اعرفها احمد ، لطيفة وطيبة . اي احتقار ستضمره لي اذا هي علمت انى انا الواشية الدساسة ؟ واي ازدراء ستالقى من زميلات الصف ؟ بطاقة دساسة ولكن .. من اين لزينب ان تعلم ؟ احطات ، مرة ، اذ بحت لامي بما رأيت في زميلتي . ولكني لن اخطىء ثانية ، فاضبح ابن ما فعلت الى امي فمن اين لمن ان يعلمن ؟

قرعت الحاجبة الباب ، ثانية .

ـ المديرة تأمر بطلبك الى الادارة !

ازدادت خالدة احساسا بمسئوليتها عن كل هذه الحوادث التي تتعاقب اليوم . ان الامور تتعقد سريعا .

علا ضجيج البنات :

ـ اي ذنب ارتكبت زينب ، يا ترى ؟

بعضهن لغط .

ـ ولكن زينب بنت طيبة !

وخالدة تهتف في ذات نفسها : انها لاطيب منك ، يا خالدة ! لانها ، على الاقل ، لم تشِ باحداها الى .. امها ، او الى المديرة !

واحست انها باتت « محاصرة » بقوة ما .

★ ★ ★

فتح الباب على مصراعيه .

تطلعت خالدة مذعورا : بعث لها الحاجبة

ـ الان اشبه بيومة ـ وهي تحمل طستا صغيرا ابيض اللون ، عبرت به الباب في جلبة ، ووضعته هناك ، هناك .. في تلك الزاوية ، على مقربة من مقعد الباب !

ـ يا حرام ! .. سيعزلونها عنا .. ما بها ؟ .. بها ! .. بها ؟ ..

والهمس ، حول خالدة ، يشتد : انا المسئولة ، التي كان يجب ان تعزل !

عادت المعلمة الى القاعة ، مقطبة الجبين ، فصمتت البنات ، والتفتن اليها مستطلعات . وفي اثرها دخلت زينب ، تجر خطواتها جرا ، منكسة الراس . انها لطراقة الطرق : حزنت خالدة ! ولكن . حتى ان زميلاتها لا يعرفن هذه الحقيقة !

ـ اجلسي هنا ، يا زينب .

اشارت المعلمة باصبعها الى الطست الابيض .

دمعت زينب ، بصعوبة ، عينيها عن الارض ، فيما وجهها وقد فرت منه الدماء ، فهو شاحب اشبه بليمونة .

ـ انسة .. والله ما في شيء !

امرتها المعلمة :

ـ اجلسي هنا .

وعينا زينب متمسكتان بالتوسل

ـ آنسة .. انها « حساسية » !

- هاتي كتابك من درجك ، وضعيه في هذا المقعد .

- آنسة ، والله حساسية ، يا آنسة .. أنا .. لست « جرباء » !

زجرتها المعلمة :

- اسكتي . لا تفصحي !

وتعالت أصوات البنات ، فرحات يتهمن .

صرخت المعلمة :

- سكوت .

وزينب تتوسل :

- ما بي شيء . انها حساسية .. هذا أقسم !

- الى المقعد الأخير ، زينب ، لا تجادلي . وائتينا ، غدا ، بأمك أو بأبيك .

أمسكت زينب عن الكلام . كانت الدموع قد انهلت من عينيها ، وها هي تغسل وجهها . وانها لتقول بصوت يرتعش :

- الله .. يجا .. زيها !

فيما هي تدير عينيها الباكيتين نحو .. خالدة!

وخالدة .. أحست ، الآن ، وهي تتلقى هذه النظرة ، انها قد رشقت بخمسين سهما ، مائة ، ألف !

انتزعت زينب من مقعدها « القديم » ، فتزايدت السهام تطايرا نحو خالدة . وخالدة قد شيعت صديقتها الطيبة بنظرة حنون مستغفرة .

زينب ترعف حزنا وألما . قالت وهي تلتفت نحوها

الله منك ، يا .. خالدة !

بدر من خالدة استنكار

- أنا ؟!!

حين تعالت صرخات البنات من كل جانب :

- يا له ! .. خالدة ، اذن ! انها خالدة التي اشتكت ! صديقتها خالدة هي التي نقلتها الى المديرة ! زينب ليست جرباء ! كذب ! حساسية .. انها حساسية !

نقرت المعلمة بطرف المسطرة على المنبر منادية

- أقول لكن : سكوت !

انتفضت خالدة تبكي :

- أنا .. لم أقل .. للمديرة شيئا ! والله .. لم أقل لها أي شيء !

رنّ ، هنا ، الجرس ، ايذانا بانتهاء الدرس الأول .

والتفت البنات حول خالدة :

- انكِ قلت لدى المديرة ، يا خالدة ؟! زينب، صديقتك ! ليست جرباء ! انها حساسية !

وخالدة تغالب دموعها :

- زينب صديقتي . وأنا أحبها .. أحبها أكثر منكن . آنساتها .

توجهن الى زينب .

- من أبلغك ان خالدة هي التي وشت بك الى المديرة ؟

أجابت زينب :

- حزرت !

استجمعت خالدة شجاعتها :

- أنا .. لا يمكن ان أفتن ، أو أدس عليك ، عند المديرة يا زينب !

- فمن قالت لها انني جرباء ، اذن ؟

زاغت خالدة من الجواب .

أنا أعلم انها حساسية . ألم تقولي لي ذلك ؟ ليس الذي فيك جربا . وهذا أشهد . والآن .. هيا نلعب معا في باحة المدرسة ، يا زينب !

وخرجت وإياها من القاعة ، وهي تعانقها بيد ، وتمسح بالاخرى بقية دموعها .

* * *

بعد أن فرغت خالدة من الاستحمام ، تناولت أمها « قنينة » مملوءة بذلك المحلول الاصفر الذي يكوي ! .. وأخذت تمر بها على جسدها ، وتقول في حنق عظيم

- من أين لنا بهذا الوباء القذر ! أريد أن أفهم . البنت زينب وشركت عليك ! كيف انتقلت اليك العدوى ؟! كم حذرتك !

وأبوها الذي ينتظر خروجها من الحمام دامعة العين يقول لها ، متجهما ، كعادته ، الهزل بالجد :

- صديقتك زينب العجيبة .. لا أبوها يراعيني في بيع البطيخ ! ولا هي تراعيك في عدوى الجرب ! قطع الله دابر هذه العيلة !

دمشق فاضل السباعي



عرض : عبد الستار فراج

■ الشعر الهادف ، والنقد الهادف ، والصارخ المتمرد المضطرب ، مع الشعور الرقيق والإحساس اللماح ، كل ذلك تلمسه في أدب شعر فهد العسكر الذي جمع في الكتاب الذي ألفه الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري ونشره بعنوان « فهد العسكر ، حياته وشعره » ، حتى الأسلوب الذي صيغ به هذا الكتاب فيه روعة الأديب وقدرة المتمكن ، مع حرارة الوفاء للصداقة ، وعاطفة الإشفاق على سوء المصير الذي عانيه فهد العسكر حتى انحرف عن سواء السبيل .

وفهد العسكر ، الذي لم تكن في عهد طفولته وصباه في الكويت مدارس ، تفتحت ورود شعره مبكرة ، وتفتحت مواهبه مبكرة وهو في عمر الزهور .

ظهرت مواهبه الناضجة ولم يكد يبلغ العشرين من عمره فكان من الموهوبين ، وما ذلك إلا للعاطفة الأصيلة التي ساعدها حفظه الكثير من شعر الفحول ، واطلاعه على ما أحدثته القرائح ، فكان له أسلوب فصيح بليغ .

مع حياته وأهله

بين العام ١٩١٣ و العام ١٩١٧ ولد « فهد بن صالح بن محمد » في مدينة الكويت ذلك أن تاريخ مولده مختلف فيه مع أنه من أهل القرن العشرين ، وجده « محمد » أصله من الرياض ، كانت تجارته في الإبل والغنم ، ثم استوطن الكويت .

و « صالح » والد « فهد » نشأ في الكويت وصار إماماً لمسجد بها ، كما افتتح مدرسة يحفظ فيها التلاميذ القرآن الكريم ، ثم عمل لدى المستشار الصباح موظفاً في الجمارك . وقد خلف من الأولاد تسعة ، أربعة من زوجته الأولى ، وخمسة من الثانية ، أحد الخمسة هو الشاعر فهد ، وقد عاش هذا الوالد التقي حوالي تسعين عاماً وتوفي سنة ١٩٤٧ .

ومن خلال الفصول الكثيرة في الكتاب عن « فهد العسكر » يبسط لنا الأستاذ عبد الله زكريا

مـا للأحبـة فـي الوصـال وللترمـت والوقـار
مـا جنـح الأرواح مانطلقـت سـوى خلـع العـذار

ان اهله في اول الامر كانوا اشد المعجبين به ووضحت في اخر امره ، بعد ان اشتد المرض والمحنة النفسي ، وجد العاطفين عليه ، على الرغم من سخطهم عليه ، وعلى الرغم مما رموه به وطردوا منه بسببه . يقول الاستاذ عبد الله زكريا في صفحة ٨٧ : « وقد حدثني شقيقه خالد بأنه عندما ساءت صحة فهد ، رآه في حالة اليمة جدا ، واصبح من المنظر بحاجة في هذه الغرفة المعتمة المظلمة اعده عنده في بيته ، حيث اقام معه ثلاثة اشهر تقريبا ، وعندما اشتد به الالم اتصل اخوه خالد بالمرحوم يوسف الصف وكان مديرا لادارة الصحة العامة في ذلك الوقت ، واخبره عن سوء صحة اخيه « فهد » ، وخطورة حالته وان الطبيب ينصح بضرورة نقله الى المستشفى فامر المرحوم حالا بحجز غرفة خاصة له بالمستشفى الاميري ، وتم ادخاله في هذا المستشفى ، وقد ظل في المستشفى مدة تتراوح بين الشهرين والشهرين والنصف ، وبعدها فاضت روحه ، وكان ذلك يوم الاربعاء الموافق ١٢ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٠ هجرية الموافق ١٥ من اغسطس سنة ١٩٥١ » .

ومما يذكر ان موته كان اثر اصابته بالتدرن الرئوي . ولم يكد يبلغ من العمر ٣٢ عاما في اكثر تقدير .

بين الجاهلين

لقد ظفر فهد العسكر في عهد استقامته باعظم التقدير من العالمين ، فالملك عبد العزيز آل سعود يدعوه لزيارته في الرياض ، وسافر فهد عن طريق البحرين اولا ، ثم الاحساء ومن الاحساء الى الرياض ، وكان السفر في ذلك الوقت بواسطة الجمال . وفي البحرين حل ضيفا على آل خليفة حكام البحرين ، وفي الاحساء حل ضيفا على عاملها الامير عبد الله بن جلوي ، ومن الاحساء سافر الى الرياض وحل ضيفا على الملك عبد العزيز آل سعود » ص ١٧ — ٥١ . كل هذا كان وهو فتى الاعاب في اول درجات الشباب . ولن ننسى حفل التكريم الذي اقيم له بمناسبة فوزه بجائزة في الشعر .

لقد وجد في الكويت انه ، وفي ابانه ، ومن بعده ، شعراء ، فعلا ما يحلو عليه الغضب ممن حولهم بعد أن كان موضع التقدير والتكريم ، لولا انه شذ شذوذا واضحا . وهل يلغي حرمانه مثلا ممن يحب ، او صدمته من بعض افراد المجتمع ، ان يضل السبيل ويستحسن ما لا يرضاه الدين ولا الغيرة العربية لولا ما فيه من اندفاع موروث لا يبالي بالنتائج والعواقب .

ان المجتمعات لا تنبذ شعراءها المجيدين الا الذين منهم الترف والكياسة ، وعدموا اللباقة ، وجانبوا التلطف والتودد .

لقد كان الشاعر فهد العسكر جانبان : جانب الشعر العذب السلس القوي ، وهذا لقي تقديرا واعجابا على البعد والقرب ، حيثما لم يشذ عن المجتمع ، لم اعجابا بالشعر متمثلا في اسلوبه دون نظر الى قائله ، وجانب آخر هو التمرد المتطرف موصلا الى جرائه عيبا واهمالا ، وشماتة وحقد . انه لم يجن عليه احد ، ولكنه على نفسه كان الجاني .

وعلى الرغم من دعوة الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري الى الحرية في كتابه عن فهد العسكر فلا اعتقد انه يرضى ان تكون كحرية فهد العسكر في تحلله من قيود الاخلاق والدين . ولئن قبل الاستاذ عبد الله الدعوة الى الثورة على التقاليد البالية والعرف الضار ، فلا احسب انه يشجع الثورة على التمسك بمحاسن الشيم الموروثة من الآباء والاجداد ، والغيرة المحمودة التي اتصف بها العرب من قديم ، ذلك ان الذين خبروا الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري ، وعرفوا فضله ، ولمسوا جوانب اخلاقه ، يظفرون منه برجل ذي خلق كريم ، يحرص على ان يكون حرا في حدود ما لا يسيء الى اهله وذويه ، ويجدون فيه شيخا بطريقا لا يصدم نفوس مخالطيه ومواطنيه .

لو أن دعوة ، أي دعوة ، كانت الى عمل جاد، والتزام مثمر ، والتفكير بما ترفع شأن الناس، لجاز أن يكون التمادي في سبيلها أو التحدي لمعارضيها مجدا وشرفا ، ويستطيبون من أجلها الجهاد والاستشهاد، والكفاح والنضال . أو الاعتزال والانطواء ، ولكن دعوة عبد العسكر لم تكن من هذا القبيل .

مهما يكن لون الأدب
فوحده لا يكون منكرا

ان الادب ، حتى الماجن منه ، يجد سبيله الى الناس ، يسمرون برواياته ، ويتندرون بنكاته والشاذ، مع مخالفته لما يعتقدون وما به يمسكون، فقد اعتبروا انه ادب لأجل الأدب، وانه لم يقصد به النيل من الاعراض والاغراء بالشهوات . ولنذكر مثلا ما يروى من شعر ابي نواس، ذلك الذي اشتهر وخف على الألسنة والأسماع ، ولنذكر من الشعر الكثير ما زال يروى في اعجاب . لكن القائلين لم يكونوا مطعونين بالظلم في خاطرهم ، وانما كان عصرهم يطربهم بما يرون فيه من حسن الاداء ولطيف التشبيه والتصوير .

يقول ديك الجن عبد السلام بن رغبان :

بها غيرَ معذولٍ فداوِ خُمارَها ... وصِلْ بعشيّاتِ الغبوقِ ابتكارَها
ونَلْ من عظيمِ الوزرِ كلَّ عظيمةٍ ... إذا ذُكرتْ خافَ الحفيظانِ نارَها
وقمْ أنتَ فاحثثْ كأسَها غيرَ صاغرٍ ... ولا تسقِ إلا خمرَها وعقارَها
فقامَ تكادُ الكأسُ تحرقُ كفَّهُ ... من الشمسِ أو من وجنتيهِ استعارَها
ظللنا بأيدينا نُتعتعُ روحَها ... فتأخذُ من أقدامِنا الراحُ ثارَها
موردةٌ من كفِّ ظبيٍ كأنما ... تناولَها من خدِّهِ فأدارَها

ويقول عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك :

وأغيدَ معسولِ الشمائلِ زارني ... على فَرَقٍ والنجمُ حيرانُ طالعُ
فلما جلا صبغَ الدجى قلتُ حاجبٌ ... من الصبحِ أو قرنٌ من الشمسِ لامعُ
إلى أن دنا والسحرُ رائدُ طرفِهِ ... كما ريعَ ظبيٌ بالصريمةِ راتعُ
فدارتْ الصهباءَ والليلُ دامسٌ ... رقيقُ حواشي البردِ والنسرُ واقعُ
عُقارٌ عليها من دمِ الصبِّ نفضةٌ ... ومن عبراتِ المستهامِ فواقعُ
تديرُ إذا شُجّتْ عيوناً كأنها ... عيونُ العذارى شُقَّ عنها البراقعُ
معوّدةٌ غصبَ العقولِ كأنما ... لها عند ألبابِ الرجالِ ودائعُ
فبتنا وظلُّ الوصلِ دانٍ وسرُّنا ... مصونٌ ومكتومُ الصبابةِ ذائعُ
إلى أن سلا عن وردِهِ مرطُ القطا ... ولاذتْ بأطرافِ الغصونِ السواجعُ
وولّى أسيرُ السكرِ يكبو لسانُهُ ... فتنطقُ عنه بالوداعِ الأصابعُ

هذا الشعر لا يخرج عما كان يقوله عبد العسكر عن مضمونه ولا معانيه ، ولكن الفرق بين شعره وشعر القائلين مختلف فيهما واشتهرا في سلوكهما بالترف ، وعبد خيل اليه انه يسلك مسلكهما

الدعاة المغرضين . ان الشاعر المبدع يعيش بين قومه معززا مكرما ، يتغنى بما يعتمل في نفسه من أحاسيس ، ويقدم للسامعين والقارئين صورا خلابة . وانتقالات علية ، تشوق وتطرب ، وتخلب وتجلب ما دام الروح مشرقا . والنحس حينما يحس المتلقي ان الشاعر يضع نفسه موضع النعاة ، ويحارب محاربة الخصوم ، لم يترو في معاداة وكراهية . فحينئذ تكون كرته خاسرة ، ونهايته المحزنة لا تثير الرثاء . فلا نلوم معاصريه فيما فعلوه معه ، ونشكر من حفظوا وأبقوا أشعاره حيث نقرأ أنغاما ، ونتناول صورا ، دون ان نرتبط بما تسببه اليه وتثير حوله الغبار .

وأخيرا أخشى أن يكون الشاعر « فهد » قد كان ضحية سلاح السخرية من الناس ، وانه كان لا يحس في نفسه قوة الشخصية ، او هكذا وجد انه ـ على الرغم من ادبه ـ لا يستطيع أن يساوي من تتطلع اليهم أنظاره ، فراح أولا يجرأ بضعاف القول ، ثم ألقى بنفسه أخيرا في حيرة مظلمة ، ينتظر أن يمر عليه فيها الحاقدون والشامتون . وهذا الاستنتاج استخلصه مما ذكره الأستاذ عبد الله زكريا الانصاري في صفحة ٥٦ اذ يقول مستدلا على انه كان يحب النكتة الجميلة والدعابة الحلوة « ولهذا فقد كان يحب مداعبة ضعاف العقول ، يتحدث معهم ويسخر عليهم ، ويتبادل معهم بعض النكات ويأتي لأحاديثهم المضحكة ، ويضحك على ما يبدر منهم من كلمات او عبارات تثير الضحك »

ليس كله شكوى

وشعر فهد العسكر لم يكن كله شكوى ونواحا وغزلا وخمريات ، بل فيه الرائع الآخر منه ما أورده الأستاذ عبد الله زكريا في الكتاب ، من قصيدته « الجندي في ميدان القتال » :

وَدَّعَ الأَهلَ والحِمَى والمَغاني مُذْ تَمَشَّتْ ... الأوطانِ

سَمِعَ الحَقَّ حين نادى ، ألم يَأْنِ ، فلبّاه غيرَ ما مُتواني

وهفتْ روحُه إلى مَذْبَحِ الحقِّ ورفَّ الفُرسانُ الميدانِ

حيثُ إخوانُه وكم جَمَّعَ الميدانُ شملَ الإخوانِ بالإخوانِ

وفيها بيته الرائع مع ما في القصيدة كلها من روعة وهو :

كلّما صَفَّقَ العُلا لشهيدٍ هتفَ المجدُ الشهيدُ الثاني

واختم ببعض الاسلوب الجميل الذي أورده الأستاذ عبد الله زكريا الانصاري في صفحة ٥٠ : « شاعر غنى فأطرب ، وناح فأبكى ، واشتد فأعجب .. في فترة من الزمن لم تكن طويلة وانما كانت قصيرة خاطفة ، مرت كالطيف وانقضت كأضغاث الحلم .. » ■■

عبد الستار فراج

(العربي) أنصف الكاتب بالاجابة الشديدة على فهد العسكر لثورته على معارف الناس من أدب ومن تحفظ ومن ستر ، ولكنه بالحاح الى ... اليقين تلطف وكان قد ذكر في شعره والقصة ليس لها الا الرجم في الاسلام جوابا . يرحمك الله! لم لم تقل أن العسكر كان كالبخور ، نالته النار ، فاحترق فتضوع ، فشمل أنوف الناس بالطيب المعطور فاشتمها



الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي

تأليف : الدكتور محمد البهي
الناشر : دار الفكر – بيروت

■ الطبعة الخامسة للكتاب منقحة ، وقد ذيلت بملاحق خاصة تلقي مزيدا من الضوء على حركة الاستشراق لما لها من خطر على كياننا الروحي والفكري في هذه المرحلة من تاريخنا التي نحاول فيها النهوض والتقدم .

ويرصد الكتاب الفكر الإسلامي الحديث تاريخيا وموضوعيا . فيميز التجديد الذي هو تقليد للفكر الغربي في القرن التاسع عشر عن الإصلاح الديني الرشيد . ويتناول آراء بعض المجددين من كتاب المسلمين ومفكريهم ويحللها بأنهم في تجديدهم لم يخرجوا عن دائرة التبعية للفكر المستورد .

وهو كتاب كان لابد منه لموازنة الكتب الأخرى المزيفة التي تدعو الى غير ما يدعو اليه هذا الكتاب .

البراهين الحسية

على تقارض اللغتين السريانية والعربية

بقلم : البطريرك يعقوب الثالث
مطابع الكريم الحديثة / جونية / لبنان

● اتحف المؤلف المكتبة العربية بهذا الكتاب القيم ، ضمنه بحثا وافيا وقاموسا للصلات الجوهرية ما بين اللغتين الشقيقتين العربية والسريانية .

وهو كتاب فريد في محتوياته ، مبتكر في أسلوبه وطريقة بحثه ، سد حاجة ملحة عند الباحثين في اللغات السامية ، إذ وفر عليهم عناء البحث والتنقيب . ذلك أن المؤلف بذل جهدا كبيرا ، وعملا شاقا في مختلف المصادر والمراجع حتى تمكن من ابراز كتابه هذا

تاريخ الفلسفة العربية

تأليف : الدكتور جميل صليبا .
الناشر : دار الكتاب اللبناني / بيروت

● يشتمل هذا الكتاب على البحث في تاريخ الفلسفة العربية من أصولها اليونانية الى أعلامها المشهورين في الشرق والغرب ، وقد انقسم الكتاب الى قسمين كبيرين ، الأول : في الأصول اليونانية للفلسفة العربية وفيه اشارة الى افلاطون وأرسطو ، ونقل آثارهما الى العربية ، وأهم كتبهما المنحولة .

ويضم القسم الثاني أعلام الفلسفة العربية في المشرق والمغرب وهم في المشرق : الفارابي – ابن سينا – المعري – الغزالي . وفي المغرب : ابن رشد – ابن خلدون

ويمتاز الكتاب بشرح مطول لأهم أعمال هؤلاء الفلاسفة

الإسلام في الواقع الأيديولوجي المعاصر

تأليف : الدكتور محمد البهي
الناشر : دار الفكر – بيروت

● يقدم هذا الكتاب موقف الإسلام في مواجهته لتحديات الأيديولوجيات التي يتعرض لهجومها الإسلام ، وهي أيديولوجيات مستقدمة يزيد هجومها عنفا تبعا لاستكانة المسلمين . ويذكر الكتاب أن هذا الجيل المعاصر من أبناء المسلمين إن لم يجد أمامه الطريق لفهم الإسلام في مواجهة التحديات التي تقتحم عليه حياته سيسلم أمر نفسه الى تبعية أجنبية خبيثة لا يدري مداها ، أو ينحدر الى وضع في سلوكه ينسى فيه كرامته الإنسانية ولا يذكر من ذاته إلا جانبه الحيواني .

المدخل لدراسة القانون

تأليف / الدكتور علي محمد بدير
الناشر : دار الطباعة الحديثة / البصرة

● كتاب مقسم الى أربعة أبواب : الباب الأول للتعريف بالقانون ، والباب الثاني في مصادر

القانون ، والباب الثالث في تطبيق القانون ، والباب الرابع في تفسير القانون . وقد اتبع المؤلف بتوسع فكرة القانون الطبيعي والأدوار التي مرت بها والمعاني المتنوعة التي اتخذتها هذه الفكرة . وفي معرض بحثه عن تطور هذه الفكرة نجد ان المؤلف يوضح لنا كيف ان فكرة القانون الطبيعي امتزجت بالفلسفة عند اليونان وبالقانون عند الرومان ، وكانت مظهرا من مظاهر الوحي الالهي عند رجال الكنيسة في العصور الوسطى حتى ظهرت في العصور الحديثة فكرة تنادي بأن القانون الطبيعي ، هو القانون الذي يوحيه العقل المستقيم ويستنبطه من طبيعة الاشياء ليميز بين العدل والظلم .

الاستراتيجية الطبقية للثورة

تأليف : جورج طرابيشي

الناشر : دار الطليعة - بيروت

● استعراض للنظريات الماركسية ، من ماركس وانجلز ، الى لينين وتروتسكي ، ثم ماوتسي تونغ وفرانز فانون وماركوز . ثم يقوم بشرح المداخل النظرية الاساسية لتحديدهما لمسيه فالاستراتيجية الطبقية للثورة » . ويتناول الكتاب الموضوعات الآتية : رسالة البروليتاريا التاريخية ، تحالف العمال والفلاحين، الثورة الدائمة ، اوربا الفلاحين، هجاء البورجوازية الوطنية .

وهذا كتاب من الكتب الكثيرة التي خرجت على متابعة ما استجد في العالم الحديث من آراء جديدة وقفت التجارب منها موقف التردد الكثير.

اعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم

تأليف : الدكتور عبد الرحمن حميدة

الناشر / دار الفكر

● دراسة عن تطور الانماط الجغرافية عند العرب ثم ترجمة لحياة كل من هؤلاء الجغرافيين واهم اعمالهم مدعمة بنصوص مختارة من آثارهم لبرز اهم نواحي اعمالهم الجغرافية . وتشمل هذه الدراسة (ثلاثين) مؤلفا من اعلام الجغرافيين العرب . ويعتبر هذا الكتاب اول كتاب من نوعه لمؤلف عربي . ولقد كان المستشرق الهولندي دي خويه De Goeje اول من اصدر كتابا يشتمل على صفحات مختارة من الجغرافيين العرب واسماه « المختارات من الأدب الجغرافي العربي » ، وذلك في عام ١٩٠٣ . وجاء بعده المستشرقان الفرنسيان غودفروا ديمومبين وبلاشير فأخرجا « منتخبات من آثار الجغرافيين العرب في القرون الوسطى » ، وذلك في عام ١٩٣٢ ، وترجما في هذا الكتاب حياة ثلاثة عشرين جغرافيا عربيا شهيرا

ولعل اهم ما قام به المستشرقون في هذا المجال هو العمل الذي قام به المستشرق الروسي كراتشكوفسكي في كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب » .

الاعلام
قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

المستدرك الثاني

تأليف : خير الدين الزركلي

مجموعة استدراكات واصلاحات كشفتها للمؤلف مصادر من المخطوطات لم يكن قد تهيأت له الظروف الرجوع اليها من قبل . كما وقعت له خطوط عربية وشرقية لاعلام سبقت لهم تراجم في الكتاب فصورها والحقها متصلة التسلسل بما قبلها في نهاية الجزء العاشر ، والملحق عشر الصفحات بتسميته للخطوط والصور . وتألف من مجموع هذه الاشياء ، هذا الجزء المسمى بالمستدرك الثاني وقد اقتصر المؤلف فيه على ما يتصل بالتراجم المتقدمة من الاجزاء السابقة ، او منجاوزهم الى الآخرين .

ويلاحظ ان المؤلف كثيرا ما يدل ، عند ذكر احد المخطوطات ، عن مكان وجوده .

اعلام الفكر السياسي

تأليف : موريس كرانستون Maurice Cranston

ومجموعة من الكتاب .

نشر وترجمة : دار النهار للنشر /بيروت

● مجموعة دراسات موجزة عن احد عشر فيلسوفا من ابرز فلاسفة الغرب السياسيين ، وهم افلاطون ، ارسطو ، الاكويني ، ماكيافيللي ، هوبز ، لوك ، روسو ، بورك ، هيجل ، ماركس ، وميل .

وقد قام باختيار هذه الاسماء محرر الكتاب موريس كرانستون ، واختار ايضا الكتاب الذين شاركوه في كتابة هذه الدراسات عن كل شخصية من الشخصيات

بريد القراء

الآلة والعربي الصغير

[illegible]

مساحة عن الشباب

[illegible]

العربية بين العامية والفصحى

[illegible]

استطلاع خارج الوطن العربي

[illegible]

العربي

العدد ١٥٠
١٣٩١
١٩٧١





عزيزي القارئ

● لا شك ان الموقف العربي هو اول ما تسأل عنه . والموقف العربي له ظاهر ، وله باطن .

والظاهر يستطيع اي متحدث عربي ان يتحدث عنه ، ولا يجد في ذلك عسرا . ولكن يتعسر معه القول حين ينظر في التبعة الناشئة عن ذلك .

اما الباطن فيتحدث فيه الاعمى والبصير على السواء ، وقد يخطيء فيه البصير ، ويصيب الاعمى ، لان الحديث في هذا الباطن كالرجم بالغيب .

لهذا نكتفي بالحديث في ظواهر الامور ، لا لنكشف خطيرا ، ولكن لنجمع متفرقا يعرفه كل من تابع الاحداث :

● واول حديث الظاهر حديث الفرقة القائمة بين بعض الدول العربية وبعض ، وهي سمة قد اصبحت من سمات العصر . فان تكن فرقه ارادها الله فلن نكون للعرب منها غير الخير . والحياة جمع وطرح . وزواج وطلاق . والله يقول . وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته .

● وثاني حديث الظاهر ، موقف الولايات المتحده . معكم وعليكم معا . ترضى العرب بالموافقة على تحرير الارض المغتصبة . ولكن اسرائيل لها ان تخالف رأينا ، ولا نكون لها منا غير الزياده من السلاح والعون من المال ، وترجيح كفتها دائما ابدا في الحروب .

اساليب جديده في السياسة ، ومنطق يحتج ارسطو له فاهه مبهوتا حائرا .

● وثالث حديث الظاهر ، حديث الروس ، حديث الدولة التي تخطب ود الدول ، ودفعت في ارساء الحال عند القنال مهرا كبيرا . حقائق لا يماري فيها الا ذو خشية .

● ورابع حديث الظاهر ، موقف الخصمين من ضفتي القناه . بل هو الى حديث الباطن في الاعماق اقرب . ولعله يخفى حتى على العارفين في الاعماق . ورحم الله امرءا نقل له تقدم وهو من الليل في ظلام حالك .

● بقي حديث الصالتيين . ونذكره حتى لا نقال نسوه . ونلتزم الصمت فيه ، الى ان تنطلق الالسنه فيه . فاكثر الالسنة اليوم مقيدة حبيسه ، قيدها اصحابها طوعا .

المحرر



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

- المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ١٤٤
- مسلمات خالدات ١٥٢

- الغزالي ، الرازي ، الجاحظ

استطلاعات مصورة

- (بالألوان) ٦٨

- التكامل الاقتصادي والسوق العربية المشتركة ٢٨
- شيخ العروبة ، أحمد زكي باشا ٤٤

- علم النفس وشرطة المرور في المدن والطرقات ٩٢

- أخطاء الأبناء من أخطاء الآباء ! ٥٩

- شاعر العروبة والإنسانية ، جورج صيدح ٨٤
- (قصيدة) ١٢١
- (قصيدة) ١٦٦

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

AL ARABY ... KUWAIT

العنوان بالكويت



صورة الغلاف

● ... مدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية ... كلية الطب في عام ١٩٦٢ ... للأستاذ الدكتور محمد لطفي بيومي ... كلية طب طنطا ... وهو ... الأمراض ...

طب وعلوم

■ أبناء الطب والعلم والاختراع ... ٣

■ ... لعدالة ... والأخيرة ... ٤٢

■ مراعي سابحة : ... البرية ٨٩

■ طبيب الأسرة

اقتصاد

■ التكامل الاقتصادي والسوق العربية المشتركة ٢٨

تاريخ وتراجم وشخصيات

● أحمد زكي باشا شيخ العروبة

● أحمد بن أبي دؤاد ...

● كتاب الشهر : المسلمون في أوربا في العصور الوسطى ٤٠

■ مكتبة العربي ٥

● وتعمرون ... الأقدار : قصة ٦١

فن

● من روائع الفن العالمي : ادوار مانيه

● الفنان والمجتمع الذي يعيش فيه ١٣٨

متنوعات

● ... مسابقة العدد (...) طرائف عربية (...) طرائف غربية (...)

● ... العجز في قناة السويس ما مصيرها ؟

من العدد ، بالكويت ...



تصويبات

● أشير الى مقال الأستاذ عبد القادر ماتى أعيان العباسي عن فقيه البصرة « الحسن البصري » المنشور في العدد (١٤٧) من مجلة العربي القراء الصادر في شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٧١ .

١ ـ لقد جاء في المقال ان الحسن البصري ولد سنة ٢١ هـ ، ٦٤١ م وانه عاش ثمانيا وثمانين سنة، وعليه فان وفاته تصادف عام ١٠٩ هـ وليس ١٩ هـ كما ذكر خطأ في الصفحة ١٢٥ من العدد المذكور ، وان عام ١٠٩ هـ يصادف ٧٢٧ م وليس ٧٢٨ م كما جاء في الصفحة المذكورة .

٢ ـ جاء في الصفحة ١٢٤ من العدد المذكور ان ثورة يزيد بن المهلب هي سنة ١٠١ هـ ، ٧١٦ م وارى ان سنة ١٠١ هـ تصادف ٧١٩ م وليس ٧١٦ م كما ذكره الأستاذ الفاضل .

ولعل هذه الاخطاء هي اخطاء مطبعية .

محمد عمر عبد المحسن

العربي : [illegible]

اصدروا العربي بكل اللغات !

● « كنت امسك بعدد من مجلة العربي ، واسير في احد شوارع مليلة الواقعة تحت الاحتلال الاسباني بالمغرب عندما سمعت صوت سيدة اسبانية تشير الي من النافذة ، فلما اقتربت منها ، عبرت بعدها عن رغبة رؤية المجلة التي احملها ، وما كانت المجلة تستقر في يدها حتى اعترتها الدهشة عندما علمت انها مجلة عربية وان اسمها العربي ، كما ترجمته لها .

« وراحت السيدة الاسبانية تقلب المجلة وتتصفحها في اعجاب شديد ، وهي لا تدري شيئا من محتوياتها بطبيعة الحال ، فهي لا تعرف العربية ثم ما لبثت ان اعادتها الي وهي تقول « العرب مجلة كهذه ، والعالم الغربي من حولكم لا يدري من امرها شيئا ؟ لماذا لاتصدرونها بالاسبانية وبكل لغة اخرى يفهمها اهل الغرب ؟

قلت وانا امد يدي واستعيد العربي منها « ليتهم يفعلون ! »

الطالبي احمد ـ المغرب

عدد فبراير ..

● أمس، العربي بعد صدور العدد ١٤٨ ، الذي موضوعات طريفة وهادفة ، فمن حديث الشهر الصادق ، الى كشف حقيقة « النقاد » الى طرح مشكلة الكتاب العربي ، وهكذا . وجدنا موضوعات جديدة ـ كعادة « العربي » ، وهي بعدد جمعها ليست بالقليلة ولا السطحية

هل هذا التغير السريع في نهج « العربي » جاء مواكبة لعام ١٩٧١ ؟ ام انه وفق مخطط مدروس لتنمية عقول القراء ؟

مهما يكن من امر فان هذا العدد يمتاز عن غيره ، مما يجعل قارئ « العربي » اكثر حرصا على صحبته .

سليم سليمان الانصاري

جامعة بغداد

حول مقال الكاهنة

● جاء في بريد القراء العدد ١٤٧ الصادر في شهر فبراير ١٩٧١ صفحة ١٦٢ ان القارىء التونسي السيد محمد الطرابلسي عقب على مقال السيدة سمية فرائه عن الكاهنة قال ان اسمها « داهية بنت ماتي » وانها امرأة بربرية من جبال لوراس تزعمت البربر في عهد الفتح الاسلامي .

وقد جاءنا من السيدة سمية فرائه كاتبة المقال رد مطول نقتبس منه ما يأتي :

« المصدر الذى اعتمد عليه السيد محمد الطرابلسي هو كتاب وضعته الحكومة في تونس لتعليم الكهول وهو الجزء الثاني من ذلك الكتاب في الصفحة ١٥ .

وتعقيبي على ذلك المصدر واني كنت لم اتشرف بعد بالاطلاع عليه ، ويبدو لي انه مصدر رسمي تعليمي من العاشرة لا يعتمد به تاريخيا .

وفي اسم « داهية » ما يعني وصف المرأة بالدهاء وسعة الحيلة ، وانه لا يمكن ان يكون هو اسمها الحقيقي الذى لم يذكره كتاب السير والمؤرخون الاوائل .

لقد اصدرت حكومات كثير من الدول ذات الثقافات كراريس لتعليم الاطفال والشيوخ ممن فاتهم فرصة تلقي العلم . وجاء في هذه النشرات اساطير واسماء لا تمت الى الحقيقة بأية صلة ، فهل يكون في الايراد المقصود به تبسيط الفهم ، وتثبيت المعلومات ما يجبرني على ان اعتبره حقيقة ، فاقرر مثلا ان السندباد البحرى ، كان عاش في بغداد ، وان حقيقة اسمه « العطاء بن واثل » .

اسم الكاهنة ملكة البربر ، ايها القارىء الكريم محمد الطرابلسي ، لا يهمنا في شيء ، وسواء كان اسمها « داهية بنت ماتي » او ماكرة بنت فلان مثلا ، او اى اسم من الاسماء المخيلة ، فان هذا لن يغير من واقع تاريخها ومغامراتها ونضالها شيئا ، ويكفي ان نتفق جميعا على انه كان لهذه المرأة وجود في تاريخ الفتح الاسلامي للشمال الافريقي العربي .

هيجل وبرجسون

● تحت باب تربية وعلم نفس ، في العدد ١٤٧ من العربي ، وفي مقال بعنوان ايهما اهل في حياة الانسان ، ماضيه ام حاضره ام مستقبله ، وقع خطأ في الاسمين اللذين وضعا تحت الصورتين اللتين ظهرتا مع المقال ، فقد وضع اسم الفيلسوف برجسون تحت صورة الفيلسوف هيجل ، واسم هيجل تحت صورة برجسون ، والعكس هو الصحيح ، كما بينت ، وذلك استنادا الى ما جاء في مقال الدكتور زكريا ابراهيم عن الفيلسوف الالماني هيجل في عدد سابق هو رقم ٧٨ من مجلتنا العربي الغراء . لذا وجب التنويه

عارف رؤوف خليل
الموصل / العراق .


هيجل


برجسون

هدية الوعي الاسلامي من مصورها ؟

● وصلت الي بالبريد هدية مجلة الوعي الاسلامي ، وهي عبارة عن مفكرة حائط تحوى ١٢ صورة لاثني عشر مسجدا وجامعا ، الكثير التي سبق ان رأيت معظمها منشورا في مجلة العربي ، فلم ادر اهي صور صورتها الوعي الاسلامي ام صورتها مجلة العربي ، ام اشتريت من مكان للتصوير ؟

اسأل هذا لانني بحثت ، فلم اجد مع الصور اية اشارة لمصدرها . فان كانت اشتريت فالرجو اخباري بمصدر شرائها ، فاني في حاجة اليها .

محمد سعيد / القاهرة .

العربي : رجعنا الى الهدية التي تذكر ، فوجدنا ان تسعا من الصور المنشورة هي من تصوير مجلة العربي ، وقد كنا اهديناها الى الوعي الاسلامي ، بعد ان وعد مندوبها بذكر مصدرها عند النشر ، ولكنه لم يفعل ، فلعل « الوعي الاسلامي » قد فاته !

(البقية على صفحة ١٧٠)



الشرط

إذا ضيّقت عليك، فلا جرم أن توسّع على صاحبك، ليكون لكما من حُرّية أنصبة سواء.



الإنسان
حرٌّ ، مقيَّدٌ
محرٌّ في حرية محدودة

أبيه ، من النظرة الحانية ومن عين أمه الساهرة ، ويبدأ دور المراهقة ، ويخطو في سبل الحياة ، بعيدا عن حماية أب أو عم أو جد ، حتى يجد أنه يسير في مسالك من الحياة واسعة الأرجاء ، كثيرة الأسماء ، في السماء زرقة ، وفي الأرض اخضرار . والناس رائحون غادون في أنس ظاهر ، كأنما هم في شئون الحياة في أفراح .

ولكن ما أسرع ما يقف عند مسالك كتب عليها « ممنوع الدخول » ، وأبواب كتب على جدرانها « دُقَّ الجرس حتى يأتيك الحارس » .

انه المجتمع

انه المجتمع .

ترك صاحبنا عيشة أكثرها عيشة الفرد الواحد ، ليعيش بين الافراد عيشة الافراد مجتمعين .

عيشة الفرد كان فيها الهواء له وحده ، والأرض له وحده وماء النهر له كله وحده ، وله الدنيا تكاد تكون ملكا خالصا . فإذا به يكتشف رويدا رويدا أن له شريكا ، وفي أملاكه ، ألف ألف شريك .

وتزيد سنه ، ويزداد خبرة بالحياة ويزداد حملا لواجباتها ، فيجد أن الطرقات ، التي كانت سهلة في أول الأمر واسعة ممدودة ، أخذت تتراءى له فيها عقبات من صنوف شتى . ويجد أن أكثر هذه الطرقات المسدود .

ويعلم أن هناك رجالا تعرف برجال الشرطة ، وأن هناك في الطرق مصادمات ، وهناك منازعات ، وأن هناك محاكم تقضي في هذه المنازعات ، وأن هناك حكومة ، وهناك تشريعا ومشاريع «دنيا» لو رسمنا مسالكها على خريطة ما وسعها السطح الواحد ، وكان لا بد لها من خرائط ، سطوحها بعضها فوق بعض ، لكلٍّ لون ، يمثل صنفا من حاجات الناس . وتضيق ألوان الطيف من أن تستوعب كل هذه الحاجات .

قوانين ، ولوائح ، وأوامر ونواه .

يتعلمها المراهق رويدا رويدا ويتعلمها الواحدة بعد الأخرى ، على عثرات ، خشية أن يسوء هضمه ، وينتهي الأمر بأن يحسبه أنه فقد الحريات جميعا . وأنه ولد ليتنزه الدنيا لا ليبتزها .

وأقول ينتهي بأن « يحسب » أنه فقد الحريات جميعا

أما أنه فقد الحريات ، بعضها فلا شك في هذا .

في المستشفى

انت مريض ، وتحتاج أن تبقى في

المستشفى . واول ما تطلب، او ما تتمنى وفق بالأحوال ، ان تطلب ان تكون في حجرة مستقلة وحدك . ذلك لأن هناك الحرية كاملة . ولكنك قد لا تجد . فيدخل معك الى الحجرة رجل . فيصبح فيها رجلان . الحرية تنتصف . انت لا تستطيع ان تصنع الآن مع وجود هذا الرجل الغريب ما كنت تصنعه وحدك . ولو كنتم ثلاثة في الحجرة ، لثلثت الحرية . فكيف وانتم خمسون في جناح من المستشفى واحد . تريد ان تنام ، وكيف وجارك يئن من وجع . ويجمر الدنيا ، وتريد أن تتعرى ، والاجسام في عرف الناس عورات . وتضطرك الضرورات الى أن تقوم فتخشى الازعاج. تصبر على الحال النكد

حرية المريض في حجرة خاصة ، انتقاص حريته في عنبر بمستشفى وكذا هي في المجتمع



في المجتمع فقد الانسان حتى حريته فيما يلبس

وكذا المجتمع ، وبه الف والف والف من الناس .

فقد فيه الانسان كثيرا من حرياته ، حتى حريته فيما يلبس ؛ فهو اذا خرج اليه ، الى المجتمع من بيته ، وجب ان يرتدي زيا خاصا ، هو زي فرضه المجتمع . وجعل لكل طبقة زيا . فالرجل العادي زي . ولتختلف الطبقات تختلف الازياء . ولرجال الدين زي . ولرجال الجيش زي . ولسعاة البريد زي وللساقي بالشراب في المقهى البلدي زي. وللساقي بالطعام في المطعم الامريكي زي . والبدلة الافرنجية فرض على لابسيها ، وكذا الجلباب الأبيض أو الأزرق فرض على لابسه . ويا ويل من خرج الى الطريق بنصف زي من هذا ، ونصف زي من ذاك .

تقليد في الملابس، كتقليد في العادات ، كتقليد في الفكر الجاري بين بني الناس .

كلها مكابس تكبس فيها صبغ الحياة كبسا ، وتضغط بأشكالها ، لتصبح عملة التعامل واحدة ، كما تكون عملة النقود واحدة .

وهي كلها لتسهيل عملية الحياة

وفروض اخرى يفرضها المجتمع تنتهي بالشرطة والحكومة

وفي المجتمع الرائط ، وكل مجتمع رائط ، لا بد من قواعد ترتب حركات الناس في طرق الحياة ، ملموسة محسوسة ، أو معنوية مجردة .

ومن ابسط القواعد قواعد السير . السير في الطرقات الى اليمين ، والسير الى جانب الطريق على الرصيف لا في اوسطه ، ولاوسط الطريق ، السيارات والعربات، ولها في السير قواعد ، وعندما

مخرج من شارع الى شارع . ولهب سرعة محدودة ، قليلة في هذا الطريق ، كثيرة في ذلك الطريق .

فهذه قواعد تنظم السير ما أكثرها .

ولكن لا بد لها من رجال تقوم على رعايتها . ألا تذكر يوما أن الطريق ازدحم بك وبالناس ، وطال التوقف ، ثم ذهبت تبحث ما العلة ، فاذا العلة غيبة رجل الشرطة المختص بالسير في الطرقات . في غيبة الشرطة استبد كل صاحب سيارة بأن يسير أولا ، واختصما ، واصطدما ، ثم بعد هذا لا مكان لمرور .

قواعد السير واحدة .

وكذلك رجال قوامون عليها لا بد منهم .

وهذا في أبسط أمور المجتمع : السير بالأقدام ، أو بالسيارات والعجلات في الطريق . إنه نوع من السير في الحياة ، في المجتمعات الانسانية ، واحد . الى جانبه ألف نوع من السير . سير بغير أقدام وبغير سيارات . سير لا تختصم فيه الناس في طريق ، ولكن تختصم وتصطدم اراداتهم في مسالك للعيش شتى .

اذا وجب أن يكون قانون .

وأن يكون لكل مسلك من مسالك العيش قانون .

والذي وجب ان يكون على القوانين قوامون . فتلك هي الحكومات ، من شرطة وادارات .

ونجمع كل هذه المسالك ، وكل هذه القوانين والقوامين عليها ، واشياء أخرى من مرافق الحياة في المجتمع ، ورجالا ذوي مناصب صغيرة وكبيرة عديدة ، فذلك هو الكيان الضخم الذي نسميه بالدولة .

والشرطة والحكومة والدولة لا تكون الا لتوزيع الحريات في المجتمع أنصبة متساوية

ظاهر مما قلنا أن الذي دعا الى وجود شرطة وحكومة ، انما هو حاجة المجتمع الى تنظيم . وهو تنظيم تفرض على الناس فروض ، فهو بذلك يزيد في عدد القيود . ولكنها قيود تقيد سلوك الفرد حتى لا يعتدي على حرية الغير . أي لو أطلقت لنفسي حريتي ، وكنت أنا القوي ، وأنت الضعيف ، لمددت سلطاني في هذه الأرض حتى لا يكون لك رقعة تعيش فيها . فالقانون يدخل ليحد من حريتي ، لا شك في هذا ، أو بعبارة أخرى هو يعتدي . ولكن في حدود نصيبي من الحرية ، حتى يحفظ لك ، أنت الضعيف ، نصيبك منها

الحكومة ترجى وتخشى في آن

القوانين التي ، والرجال القائمون عليها ، كل هؤلاء انما قاموا ليحفظوا

رجل الشرطة
هو في الأصل
يد الحكومة لتنظيم الحرية لا لكبتها





حرية الافراد بتعيين ما يجب ان يعمل ، وعلى الاخص ما يجب ان لا يعمل .

ويقال بعد ذلك ان الناس احرار فيما لم يتعرض له بالذكر قانون .

ولكن الحكومة ، حامية القانون ، لا تقوم بغير قوة ، ولهذا كان لا بد لها من جنود شرطة ، وكان لا بد لها من جنود جيش . والجيش أصلا ليحمي الحدود ، ولكنه كذلك ليدعم الشرطة اذا عجزت عن حماية القانون والقائمين على حماية القانون .

ونسأل : وممن يحمون القانون ؟

ونجيب : من تلك الطوائف من الشعب التي لا ترضى من الحريات الا بالقسمة الجائرة ، الكثير لهم ، والقليل لغيرهم . انه طبع في الناس قديم . قال المتنبي

والظلم من شيم النفوس فان تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

نعني الدفاع عن الحريات ترضى الحكومات

ولكن الحكومة ، هؤلاء الرجال القوامون على القانون ، اليسوا هم بعض الناس ، فيهم العفة تكثر وتقل ؟ وفيهم الذي يطمح ويطمع ، والذي يقنع ، والقوة التي لهم انما تزيد الطامعين منهم طمعا ؟ .

واذن ، فمن يحمي الشعوب من حكوماتها ، من احتمال كهذا ؟ .

من يحمي الشعوب من ان يكون حاميها حراميها .

لغز الالغاز

ان هذا هو لغز الالغاز في السياسة ، وبين الساسة ، من قديم الزمان

الحكومات قديمة ، والشعوب قديمة . وقامت حكومات من قديم رضيت عنها الشعوب . وحكومات لم ترض عنها الشعوب . وحكومات قامت على رغم الشعوب . وانحل ما بين الشعوب وحكوماتها من رابطة فانفرط النظام كما تنفرط حبات العقد تدوسه في الزحمة الصاخبة الاقدام .

وفي سبيل حل هذا اللغز ، وفي سبيل دعم الحكم حينا ، او دعم الشعب حينا ، قامت الخصومات واندلعت نيران الثورات ، وقد نعد منها ان شئنا في التاريخ العام .

ولكن اذا قصرنا النظر على القرون الحديثة ، تلك التي اتسمت بالكثير من الاستقرار السياسي ، والتقدم العلمي ، والاطراد التكني ، لا سيما في المواطن التي نشأت فيها للديمقراطية معانيها الحديثة ، لوجدناها ثورات ثلاث كبرى ، تقع في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ، هي التي اخرجت معنى الحكم سويا ما ، على ان الحكومة انما تقوم به وكيلة من الشعب . الحكومة تحمي الشعب وتحمي حرياته في الحياة ، والشعب يحمي الحكومة ، يحيطها به ، حتى لا تأخذ بغفلتها فتنزل بها عن منصة الحكم يد عمل من فحول بني الناس ، طامع جبار .

الثورة الانجليزية عام ١٦٨٨

اما الثورة الاولى التي نذكرها فهي الحرب الاهلية التي قامت في انجلترا ، في القرن السابع عشر ، حرب عام ١٦٨٨ . ولم تكن حربا واحدة بل حروب بدأت في عام ١٦٤٢ ، سفكت فيها دماء من دماء الشعب كثيرة ، وطاح فيها رأس ملك ، ليخلفه على الرغم من ذلك آخر الامر ملك آخر بل ملوك توالت . ثورة عارمة ، تملص فيها الفكر الانساني من ضوابطه العادية ، حتى لكان في الثائرين اشتراكيون طلعوا في الاشتراكية ، في ذلك العهد الباكر ، بمثل ما طلع اهل الشيوع في عصرنا هذا ، وراموا بمثل ذلك في



الجيش ، لحماية الحرية ، حتى لا يسطو عليها من خارج البلاد ساطٍ

طائفة الحفارين Diggers ، وطائفة المسوين Leveller أولئك الذين أرادوا أن يزيلوا مستويات الناس جميعا حتى يصيروا بهم مستوى واحدا . وأطلت ثورة اصطرعت فيها المذاهب الدينية . ورفت الأحاسيس المذهبية ، حتى استحل المسيحي سفك دم أخيه المسيحي تقربا الى الله . وفيهم من كان آمن بالله ثم كفر .

الفيلسوفان : هبز ولك

وكان لا بد لهذا الجدال الانساني من نصوب الفكري ، فكان مما رصده التاريخ لهذا الزمان ، رجلان كبيران . أحدهما حضر الزلازل الأولى التي تعرف بالثورة ، هو الفيلسوف الانجليزي « توماس هبز » Thomas Hobbes (١٥٨٨ — ١٦٧٩) ، والثاني عاصر الثورة ، هو الفيلسوف الشهير « جون لك » John Locke (١٦٣٢ — ١٧٠٤) . وكلاهما كان له في السياسة فلسفة حفظتها له العصور

أما « هبز » فكان يرى الأمن والاستقرار في قيام الدولة على ملك ذي قوة ، وذي بأس شديد ، يكون هو الواقي من الثورات غير المسئولة والحافظ للحريات

أما « لك » فكان يرى الخشية كل الخشية من الحكومة القائمة كانت ما كانت . أما البرلمان ، صانع القوانين ، فلم يكن ليخشاه . وعنده أنه اذا ساء حال البرلمان كان في استطاعة الشعب أن يسرحه ليأتي برلمان غيره . وعنده أنه ما أمكن فصل الحكومة القائمة عن البرلمان ، بحيث تعمل الحكومة في حدود صنعه ، طبقا لما يصنعه البرلمان من قوانين ، وبحيث لا يكون من الخاطر للحكومة أن تصنع القوانين ، ان أمكن هذا ، فقد أمكن استقرار الحكم واطراد الأمن في الناس والسلام

الفيلسوف الكاتب الفرنسي : منتسكيو

والمعروف بالطبع أن الفيلسوف الفرنسي منتسكيو Montesquieu (١٦٦٩ — ١٧٥٥) هو صاحب القول بفصل السلطات في الدولة . وقد لحق « بلك » وعاصره . والمعروف أنه زاد على ما ارتآى « لك » من فصل جهاز الحكم من البرلمان ، فصل القضاء من كليهما . وكان فصل القضاء من الخطورة بمكان ، وهو مهم لضمان الحريات في الدولة . فالى القضاء يرجع الناس لرد الحقوق ولوقف كل جائر ، حتى السياسي ، عند حده .

ومن أجل هذا اكتسب القضاء الانجليز في عام ١٧٠١ ، بحكم الوثيقة الشهيرة الصادرة في ذلك العام (Act of Settlement of 1701) حق البقاء في وظائفهم ، لا يمكن صرفهم منها أحد ، ونالوا بذلك من الأمان والضمان ما لم يكونوا قد عرفوه من قبل . وكان من أثر هذه الوثيقة في دستور القوم أنها جعلت كلمة القانون هي العليا .

البرلمان الانجليزى
كان فصل الحكومات عن البرلمانات اول الخطوات لاستقرار الحكم فى البلاد

الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩

ووقعت الثورة الفرنسية ، فى [illegible] القرنية ، بعد الثورة الانجليزية ، بقرن من الزمان ، فكانت مع القوم على ميعاد .

والثورة الفرنسية أشهر من أن نذكر . رؤوس كثيرة أطيح بها . اختلط فيها الخطأ بالصواب ، وكثير فيها اتهم بغير تحقيق ، إلا الظن ، وإلا الكيد ، وإلا الغضب من الظلم الفادح الذى كان والظلم بلغ حداً ينسى معه الإنسان الصبر ، وينسيه عنده الفهم ، وتختلط معه ثورة الحقد بالثورة للعدل . وكان من أشنع الخطأ قتل العالم الذى كشف سر الهواء للإنسان لأول مرة . قتلوا لافوازيه بالمقصلة لغير ذنب جناه .

ومع هذا ، فالثورة الفرنسية كانت شيئاً لا بد منه . والدليل على ذلك أنها كانت ، وسيرها ما خرجت به من دعوة صارخة عمت أصداؤها الأرض

إخوة . حرية . مساواة

ثورة أخرى برجوازية لحماية الحريات

وهى كسائر الثورات مهد لها الفكر الإنسانى ، سبقت أمثلة من الزمن . ففى القرن الثامن عشر ، أناس أسموهم بالانسكلوبيديين Encyclopedists . سك التى قامت بتأليف الانسكلوبيدية دائرة المعارف الفرنسية الضخمة ١٧٥١ ـ ١٧٧٢ وقد خرجت فى ٢٨ مجلداً

وعرف هؤلاء « المعارفيين » [illegible]



فلتير
فحل من فحول الفكر الذين مهدوا
لقيام الثورة الفرنسية

والفلاسفة والخبراء وذوي الاختصاص في المعرفة عامة . وكان منهم فلتير Voltaire ، وكان منهم منتسكيو Montesquieu ، وديدرو Diderot وجان جاك روسو Rousseau .

وروسو صاحب العقد الاجتماعي Le Contrat Social ، وله أثر في الفكر السياسي الذي كان ، وهو كائن ، كبير .

الثورة الأمريكية
أو ثورة الاستقلال

وتلي الثورة الفرنسية الثورة الأمريكية ، ثورة الاستقلال (١٧٧٥ — ١٧٨١) وهي الثورة التي استقلت بها الولايات المتحدة من انجلترا ، وصيروا من بلادهم ،بعد استعمار ، أمة وحدها .

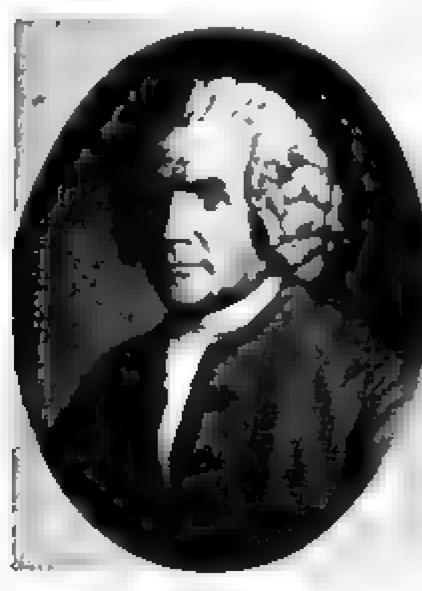
والذي يهمنا ذكره هنا ، أنهم عندما صنعوا دستور الحكم ، حشروا أيضا من الحكومات التي تقوم فيها ، ومنهم عمدوا الى حماية الحريات بفصل السلطات . ولكن على أسلوب آخر

وذلك بأن فصلوا بين رئيس الجمهورية ورجال الكنجرس Congress (البرلمان) في الانتخابات ، كل ينتخبه الشعب وحده ، وكل يبقى على استقلال من صاحبه طول مدة قيامه بواجباته وفقا للدستور .

فاذا جئنا للقضاء وجدنا أن رئيس الجمهورية يعين قضاة المحكمة العليا بشرط موافقة الكنجرس . فاذا احتل هؤلاء القضاة أماكنهم من القضاء ، فلا يمسهم أحد . ويجب أن نذكر أن مجلس القضاء الأعلى هو الذي يفتي في الاتهامات الدستورية اذا وقعت

ثلاث ثورات
جلبت معضلة الحكم بعض الشيء

ثلاث ثورات عالمية ، كان لها في أرجاء



جان جاك روسو
صاحب « العقد الاجتماعي » ومن أصحاب الفكر الذين مهدوا لقيام الثورة الفرنسية



جفرسن
رجل من رجال الولايات المتحدة
الذين صاغوا لها الحرية في دستورها

العالم أصداء شديدة ، حلت معضلة الحكم بعض الشيء ، بأن جعلت الدولة سلطات ثلاثا ، سلطة التنفيذ وعلى رأسها الوزراء ، وسلطة التشريع وتشمل نواب الأمة ، وسلطة القضاء . وفصلت هذه السلطات بعضها عن بعض .

وفضلا عن هذا ، فقد جاءت هذه ثورات ، وكان لها بين أهلها ، وبين شعوب الأرض ، دوي كبير . جاءت كما يجيء الانسان مرض خطير ، يكاد أن يودي بحياته ، ثم يجد الدواء الشافي ، ويشفى من مرضه ليتمتع بالصحة الى حين .

ويمضي يذكر ما كان من مرض ، وما كان من ألم ، وما كان في الثورة من نكبة من بعد نكبة . وكلها ذكريات تحمل صاحبها يتمسك بما اهتدى اليه من دواء حتى لا يأتيه المرض من جديد .

وان يكن فصل السلطات كان له في استقرار الحكم شأن كبير ، فان فيما استخلصته هذه الثورات الثلاث من حقوق للانسان صاغتها ، وأعلنتها ، كذلك كان شأن كبير .

وميزة أخرى لهذه الثورات الثلاث ، انها وفّقت بين الفرد والمجتمع . ولكنها لم تكن لتضحي بالفرد في سبيل المجتمع . وساد مبدأ التركز على الحرية الفردية Individualism دهرا طويلا ، لا سيما في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، وفي ما طلق عليهم أهل الغرب من أوروبا .

ومهدت هذه الحرية الفردية لما وقع في القرن الذي تلا ، القرن التاسع عشر ، من تقدم في الغرب صناعي ، خطا بالحضارة الأوروبية المادية خطوات رائعة .

وبالصناعات الجديدة ، والتجارات الواسعة ، والاستعمار الذي عم الأرض ، وأثر كل ذلك في المجتمعات الحديثة ، وتحت راية الحرية الفردية المطلقة ، تعود مسألة الحكم الى تأزمها القديم .

وكان لذلك أسباب عدة ، من أظهرها

١ — ان الحرية الفردية أدت بعد اطلاقها ، وفي العصر الصناعي المكني الحديث ، الى استعباد الفرد للفرد .

٢ — ان المجتمع الانساني ، في العصر الصناعي المكني الحديث ، تبدّل وتغيّر ، أو صار لا بد من تغييره وتبديله ليستقيم مع العصر الحديث .

٣ — ان حقوق الانسان ، تلك التي صنعتها الثورة الفرنسية ، ومن قبله صنعتها ثورة الاستقلال الأمريكية ، وحتى تلك التي صاغها الأفراد ومن أشهرهم Thomas Paine ، كانت تغلب عليها السلبية دون الايجابية . ووجدت للمجتمعات الحديثة مطالب ايجابية ، وحقوق ما كانت لتعنى بها تلك الحقوق الانسانية العتيقة .

وبهذا يعود أمر الحكم ، في القرن الذي تلاه ، القرن التاسع عشر ، فيصير أمرا صعب الحل ، بين الثائر الذي ... جديدا .

●●

احمد زكي



١٢ سؤالا و ١٠٠ دينار جوائز

مسابقة هذا العدد تتكون من ١٢ سؤالا من مختلف ميادين المعرفة .. والمطلوب منك الاجابة على ١٠ أسئلة اجابة صحيحة . وهذه هي الاسئلة :

■ قناة السويس اشترك في حفرها آلاف الألوف من المصريين مسخرين .. وفقد الألوف حياتهم في سبيل هذا الشريان الحيوي الذي ربط بين البحر المتوسط والمحيط الهندي عبر البحر الأحمر . فكم استغرق شق القناة

١٠ سنوات – ٤ سنوات – ١٥ سنة .

■ في أي عام من الأعوام حصلت سوريا ولبنان على استقلالهما ؟

■ **كيركجارد – هيجل – ايراسموس ...** رجال في تاريخ العلم والفكر خالدون . هل تستطيع أن تذكر جنسية كل واحد منهم ؟

■ كارل ماركس شخصية أثرت في التاريخ المعاصر ولد ومات بعيداً عن بلده .. فهل تعرف في أي بلد هو الآن مدفون ؟

■ الديانة الرسمية في اليابان هي

الشنتو – البوذية – المسيحية – الاسلام .

■ حجر رشيد الذي اكتشف أثناء الحملة الفرنسية على مصر في القرن التاسع عشر وتمكن علماء الآثار بواسطته من فك رموز اللغة الهيروغليفية القديمة أين يوجد هذا الحجر الآن ؟

المتحف البريطاني في لندن – اللوفر في باريس – متحف القاهرة .

■ شلالات فيكتوريا وشلالات ستانلي في أفريقيا على أي نهرين يقعان ؟

تنجانيقا – فكتوريا – النيل الأزرق – النيل الأبيض ؟

■ الوطواط هو صنف من أصناف الطيور .. يطير في الظلام الدامس فلا يصدم شيئاً ولا يصدمه شيء ، وهو يطير ويهتدي ولو قلعت عيناه الاثنتان . في هذه العبارة خطأ علمي اذكر ما هو الخطأ .

■ المسك كلمة عربية هي اسم لطيب من الأطياب القليلة التي مصادرها حيوانية .. والمسك الجيد مادة صلبة قاتمة اللون ، أرجوانية مثل ثمرة الدراق . والمسك المركز له رائحة لا تحتمل ولكنه اذا خفف طاب وانتشر وهو يستخدم في الروائح العطرية . ويستخرج المسك من حيوان صغير هو

ذكور أيائل المسك أو اناث أيائل المسك فمن أيهما يخرج ؟

■ يعيش ثلث سكان العالم أساساً على أحد هذه الحبوب :

القمح – الذرة – الأرز ... فما هو هذا الحب ؟

■ في عام ١٩٦٠ فقد ١٢ ألف شخص حياتهم في زلزال شديد في شمال أفريقيا .. في أي بلد وقع هذا الزلزال **اغادير – نواكشوط – الرباط –**

■ العشاء الأخير الذي تناوله المسيح عيسى بن مريم مع حوارييه قبل القبض عليه ، حضره كم شخص بما فيهم السيد المسيح . **١٢ – ١٤ – ١٦ – ١٣**

شروط المسابقة

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك في مظروف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

« مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت » مسابقة العدد ١٥٠ » .

٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يونيو (حزيران) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الأولى ٣٠ ديناراً . الجائزة الثانية ٢٠ ديناراً . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية « قيمتها ٤٠ ديناراً ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .





بقلم : بدر متولي عبد الباسط

مصادر الاحكام الشرعية ـ اجمالا

ان كل حكم شرعي لا بد أن يكون مصدره ودليله من الشارع . والشارع ـ عند اصحاب الاديان السماوية كلها ـ هو الله تعالى، وهذا الدليل قد يكون من الله سبحانه مباشرة ، وهو عندنا القرآن الكريم . وقد يكون منه جل شأنه بطريق غير مباشر ، وهي السنة والاجماع . ثم القياس .

فهذه هي الاصول الاساسية الاربعة . وهناك مصادر اخرى ترجع الى ما ذكرنا ، كالعرف ،





والمصلحة المرسلة ، وحكم العقل الخاضع لقواعد الشريعة العامة .

وهذه الادلة من حيث القوة متفاوتة ، فمنها ما هو قطعي ومنها ما هو ظني . والقطعي منه ما هو قطعي في ثبوته عن الشارع بحيث لا يطرق الشك في نفس المسلم ان هذا الدليل ثابت نصا

انه منه جل شأنه وهو مع هذا قطعي في دلالته على المعنى المراد للشارع ، بمعنى أن الدليل لا يحتمل اي معنى سوى المعنى الواضح منه .

وذلك كآيات القرآن الكريم الواضحة الدلالة على معناها وضوحا لا يحتمل اللبس كقوله تعالى

وقوله

وقوله

الى غير ذلك من الآيات القرآنية التي لا مجال فيها لتأويل ، اللهم الا ان يكون تعسفا وحملا لكلام الله على غير محمله افتراء وبهتانا .

وفي السنة العملية من ذلك الشيء الكثير ، كتحديد اعداد الركعات ، ومواقيت الصلوات ـ في الجملة ـ وكتحديد انصبة الزكوات ومواقيت الحج الزمانية والمكانية وكمية الحج .

فكل ذلك نقل عن الرسول الاكرم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نقلا متواترا يفيد اليقين القاطع من صدوره منه ولما كان صادقا عن ربه كان ذلك ثابتا من الله تعالى يقينا .

واما السنة القولية فهذا النوع ـ منها ـ نادر كقوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي

فان هذا الحديث نقل عن صاحب الشرع ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقلا متواترا وهو ـ نصا ـ يفيد حرمة الكذب على رسول الله لما احتواه من تهديد ووعيد شديدين .

وهناك ادلة شرعية ظنية في ثبوتها عن صاحب الشرع ، بمعنى ان العقل يرجح ثبوتها ، ولكنه لا يقطع بهذا الثبوت ، كآلاف الاحاديث التي صحت عن الرسول الاكرم ، ويرجح عند النقاد انها صدرت منه ـ كقوله ، ... ،

... ، اي في الغرب ،

وكقوله : ...

فان هذه الاخبار نقلها العدول الضابطون الثقاة

عن ناقليهم الى صاحب الشرع ، مما يرجح جانب الصدق على جانب الكذب ، ولكن هؤلاء المخبرين آحاد لم يصلوا الى حد التواتر المفيد لليقين ، فيبقى احتمال الكذب اما نسيانا او خطأ او اشتباها ، ولكن هذا الاحتمال احتمال ضعيف لا يرقى الى درجة الشك ، لأن العدل الضابط يتحرى الصدق قدر الطاقة فيكون احتمال الكذب مرجوحا .

وقد يكون الدليل الشرعي قطعيا في ثبوته عن صاحب الشرع الا ان دلالته على المعنى المراد للشارع ظنية كقوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » (١) فان لفظ « قروء » جمع لقرء ، وهو في اللغة لفظ مشترك اي وضع لمعنيين متضادين — وهذا امر مألوف في اللغة العربية — وهما الطهر والحيض ، فعلى المعنى الاول يكون معنى الآية والمطلقات ذوات الحيض يتربصن او ينتظرن ثلاثة اطهار ، وعلى المعنى الثاني يتربصن ثلاث حيض ، وعلى المجتهد ان يعمل فكره — مستعينا بالقرائن والادلة الاخرى — ليرجح احد المعنيين على الآخر ، وكقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق » (٢) ، فان الواو في قوله : « وانه لفسق » يحتمل ان تكون واو حال ، فيكون المعنى — حينئذ — النهي عن اكل متروك التسمية اذا كان الترك عمدا ، وهو لا يكون عمدا الا اذا ترك اسم الله وذكر اسم غيره .

ويحتمل أن تكون الواو للاستئناف او للعطف ، فيكون المعنى النهي عن اكل متروك التسمية ، والاخبار أن الترك — في حد ذاته — اثم .

واكثر آيات الاحكام ظنية الدلالة .

وقد تكون الآية الواحدة قطعية الدلالة في ناحية ظنية في ناحية اخرى . فمثلا الآية الاولى قطعية في وجوب العدة على المطلقات ، في الجملة ، ظنية في تحديد العدة مم تكون ؟

والامثلة لذلك كثيرة ، سواء ما يتصل بالعبادات او المعاملات او احكام الاسرة .

على أن بعض الآيات قطعية — يقينا — في ثبوتها ودلالتها ؛ ومن الأدلة الظنية في ثبوتها ودلالتها القياس ، فان كونه دليلا شرعيا فيه خلاف بين الفقهاء ، وعلى فرض كونه دليلا — وهو الراجح — فان معرفة العلة — وهي مدار القياس — أمر ظني تختلف فيه الانظار .

هذه كلمة مجملة عن الادلة الشرعية ، وهي مصادر الاحكام الشرعية .

كلمة مجملة عن الاحكام الشرعية

الاحكام الشرعية منها ما يرجع الى العقيدة ، وهذه الاحكام لابد لها من دليل قطعي في ثبوته قطعي في دلالته : كوجوب الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكوجود عالم يعرف بعالم الجن وكوجوب الايمان بأن الرسول — صلى الله عليه وسلم — صادق كل الصدق فيما يبلغه عن ربه .

نعم — هناك — مسائل تعرض لها علماء التوحيد (علم الكلام) تعتمد على ادلة ظنية ، ونظرا لأنها تتصل بالعقيدة ، الحقت بالعقائد ، كالكلام على رؤية الله — تعالى — في الآخرة ، وكالكلام على اختيار العبد او عدم اختياره في اعماله غير الاضطرارية ، وكالكلام على الحسن والقبح في الافعال الى غير ذلك ، فهذه المسائل لها اتصال بالعقيدة ، وان كانت الادلة فيها ظنية — تارة في ثبوتها ، وتارة في دلالتها ، ولهذا قد يخطىء فيها المخالف ، ولكن لا يكفر ، لانه لم ينكر دليلا قطعيا ، وانما تأول هذا الدليل او لم يصح عنده .

ومن الاحكام الشرعية ما تتعلق بافعال العباد ، وتسمى احكاما فرعية ، ومردها الى وصف اعمال العباد بالحل او الحرمة او الكراهة او الوجوب ، وكذا وصفها بالصحة او الفساد الى غير ذلك مما يعرض له العلماء من بيان صفات الافعال الصادرة من العباد ، فان من المقرر — شرعا — انه ما من فعل يصدر من العباد الا ولله فيه حكم شرعي .

والاحكام الشرعية التي من هذا القبيل تعتمد على ادلة شرعية قد تكون قطعية في ثبوتها ودلالتها ، كوجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج على المستطيع ، وكحرمة الزنى والربا وشرب الخمر والميسر ، ومثل هذه الاحكام تلحق بالعقائد ، لانها معلومة من الدين بالضرورة ، فان اي مسلم نشأ في بلاد الاسلام يعلم هذه الاحكام ، لا فرق في ذلك بين عامة المسلمين وخاصتهم .

وقد يكون مصدر هذه الاحكام ظنيا في دلالته او

١ — سورة البقرة الآية ٢٢٨

٢ — سورة الأنعام : الآية ١٢١

ثبوته أو فيهما معا ، وهذا هو الغالب في الأحكام الفرعية .

وإذ قد تبين لنا ـ بصورة إجمالية ـ أنواع الأدلة والأحكام الشرعية فإن الاجتهاد لا يكون إلا في الأحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من الأدلة الظنية .

ومن هنا ـ تختلف الأنظار ، وتتفاوت الآراء قوة وضعفا ، ويتسع مجال الترجيح ، وتتطلق العقول من عقالها .

دفع شبهة تتصل بهذا الموضوع

يثير بعض الناس شبهة حول هذا الموضوع ، فيقولون : أما كان الأجدر أن تأتي نصوص الشريعة كلها قطعية حتى لا تفتح على الأمة باب الخلاف والجدل المفضي إلى القطيعة والتمزق ، كما نشاهد الآن ، فهذا سني وهذا شيعي ، وهذا شافعي وهذا حنفي ، وهذا مالكي وهذا حنبلي ، وقد كان لهذه الفرقة أثرها في المجتمع الإسلامي قديما وحديثا ؟ .

قلت : إن الاجتهاد في الدليل الشرعي ـ إثباتا ونفيا ـ إذا كان على الوجه الصحيح كان رحمة ونعمة ، وكان توسعة على الأمة ، فإن المصيب في رأيه له أجران ، والمخطئ له أجر ، كما نطقت بذلك السنة الصحيحة ، واختلاف الآراء ـ على هذا الوجه ـ لا يوجب فرقة ولا فتنة ، ولا قتالا ، ولا أدل على ذلك من الصحابة ، رضوان الله عليهم ـ فإنهم اختلفوا بينهم في فهم كثير من النصوص ، وفي استنباط كثير من الأحكام للحوادث الجديدة عليهم ولم يبح بعضهم دم الآخر .

ولكن لما نجمت الفتنة ، وأصبح الهوى مسلطا على النفوس كان ما كان مما وعاه التاريخ من المآسي ، وليس هذا من طبيعة النصوص ولكن من تحكم الأهواء والشهوات ، ومن المعروف أن كل خير تشوبه بعض من الشر ، على أن الذي يقارن مقارنة صحيحة بين ما وقع وبين ما لو كانت أدلة الشريعة كلها قطعية في ثبوتها وفي دلالتها لعلم أن الخير كل الخير فيما وقع ، فإن الحجر على العقول وجمودها ملاء ليس بعده من بلاء ، وشر دونه كل شر .

والتاريخ يشهد بصدق هذا القول ، فإن الآراء المنحرفة النابعة من الأهواء اندثرت ، ولم يبق لها وجود إلا في بطون الكتب ، نقلها الناقلون لتشهد لهذه الأمة بسعة الصدر وحرية الرأي ، ولكن هذه الآراء ، ذهبت كغثاء السيل وانطفأت كوميض البرق .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » على أن هؤلاء الشاكين أو المشككين لو جاءت أدلة الشريعة كلها قطعية في ثبوتها ودلالتها لقالوا : هلا فتح الشرع لنا باب الاجتهاد بدلا من هذا الجمود الذي لا مجال معه لرأي .

ولقد عبر القرآن الكريم عن طبيعة الإنسان في التمرد وحب الاعتراض على الله مع وضوح كمال حكمته في خلقه وتشريعه .

يقول جل شأنه ـ مصورا لهذا العناد ،

« ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين .. فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا : لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل » الآيتان ٤٧ ، ٤٨ من سورة القصص .

الاجتهاد المقبول والاجتهاد المردود

إذا حددنا معنى الاجتهاد الصحيح بين لنا أن سواه مردود ، وأن القائل بغير الاجتهاد عليه مقالته .

ويحسن ـ قبل أن نبين معنى الاجتهاد عند الفقهاء ـ أن نبين معناه في لغة العرب ، لأن بين المعاني اللغوية الأصيلة وبين المعاني الاصطلاحية العلمية ارتباطا وثيقا .

والاجتهاد ـ لغة ـ مأخوذ من المشقة أو الوسع أو الطاقة ، قال في القاموس المحيط : الطاقة ، ويضم والمشقة ، إلى أن قال : والتجاهد بذل الجهد كالاجتهاد .

وسواء كان ذلك في معرفة حكم شرعي اعتقادي أو عملي أو معرفة حكم لغوي أو مسألة عقلية ، أو كان في أمر محسوس كحمل شيء ولا يقال : اجتهد في حمل وردة .

وأما الاجتهاد ـ عند علماء الفقه أو الأصول فقد عرفوه بتعاريف متقاربة في ألفاظها ومعانيها ، وإذا كان قد أورد على بعض هذه التعاريف اعتراضات ترجع إلى الصياغة اللفظية .

وكلها تدور حول بذل الجهد والطاقة لمعرفة

الحكم الشرعي من دليله . وادق ما قيل – في تعريفه هو – ما ذهب اليه صاحب مسلم الثبوت(٦) فقد عرفه بأنه بذل الطاقة من الفقيه لتحصيل حكم ظني شرعي . وبذل الطاقة من الفقيه يراد به ان يحس الفقيه ويطمئن قلبه ان ما وصل اليه من استنباط هو حكم الله تعالى ، وذلك يكون – اولا – في البحث عن الادلة، ثم – ثانيا – في النظر في هذه الادلة على مقتضى النظر الصحيح .

والفقيه ليس هو الذي يعرف الاحكام الشرعية وادلتها ، كما قرره الاولون – كما هو شائع اليوم في اطلاق هذا اللقب على هؤلاء – وانما الفقيه هو من عنده ملكة يقتدر بها على معرفة مظان الادلة الشرعية فيما يعرض له من حوادث ، كما يقتدر على استنباط الحكم من الدليل بعد معرفته ، ويقدر كذلك على دفع التعارض بين الادلة ان وجد ، او ترجيح بعضها على بعض .

ولا يصل الانسان الى هذه الرتبة الا باستعداد فطري ، ثم ممارسة طويلة لمسائل الفقه ومداركه الفقهية .

ولعلنا نستطيع ان نبين الشروط المؤهلة للاجتهاد ، حتى لا يدعيه من ليس اهلا له ، وليكون المسلمون على بينة ممن يفتونهم في امور دينهم .

ونظرة الى التعريف المذكور يتبين لنا ان الاجتهاد لا يكون في معرفة حكم قطعي ، اذ ، معرفة هذا الحكم عادة لا تحتاج الى بذل جهد او طاقة لمعرفته ، وذلك لمن نشأ في بيئة اسلامية ، اذ المفروض ان مثل هذه الاحكام تكون معلومة لجميع المسلمين ، ويتلقاها الخلف عن السلف .

وهذه الاحكام القطعية لا تكون مستنبطة الا من ادلة قطعية في ثبوتها وفي دلالتها فلا تختلف فيها الانظار والاراء ، وفتح باب الاجتهاد في مثل هذه الاحكام لا يكون خاضعا لمنطق الاجتهاد الصحيح وانما هو اتباع للهوى .

ومهما بذل الشخص من جهد وتكلف من مشقة في صرف دليل شرعي قطعي في ثبوته ودلالته عن معناه الموضوع له لغة وشرعا لا يكون اجتهادا لانه اجتهاد في مقابلة النص القاطع ، بل هو تشكيك وتضليل ، ومثل هذا الشخص يكون – عادة – حكمه سابقا على نظره في الدليل ، ثم بعد ذلك يتلمس الاسباب والحيثيات ، ويتتبع الشبهات من هنا ومن هنا ليؤيد ما ذهب اليه وانصافا للحق مثل هذه الاحكام لا يجوز ان يقال : انها حكم شرعي ، لان الحكم الشرعي لا بد له من دليل شرعي وان صح ان ينسب هذا الحكم فلينسب الى قائله .

فهؤلاء الذين يرون اباحة الربا اجهدوا انفسهم – حقا – في محاولة يائسة لتبرير رايهم – من ناحية الشرع – فقالوا : ان كان الاقتراض ان كان يراد به الاستغلال فالربا حرام وان كان يراد به الاستهلاك فهو حلال .

فهذا التقسيم لم يقم عليه دليل من كتاب او سنة ، بل هو مصادم لنص قطعي في ثبوته قطعي في دلالته،وهو قوله – تعالى – « يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (٧) .

لست ادري ولا الفهم يدري من اين جاءهم هذا التقسيم فقالوا هذا حلال وهذا حرام .

الا وان في الادلة الظنية والاحكام الظنية مجالا لاعمال الراي واتساع الفضول في النظر والاستدلال في اطار ما تمليه الادلة وتوجبه قواعد الشريعة الغراء .

★ ★ ★

الا وان للاجتهاد شروطه وضوابطه ، فمن تتوفر له فهو المجتهد الذي يجوز لعامة المسلمين ان يتبعوه او لا يتبعوه ، فليس – هناك – من يجب علينا من البشر طاعته الا الرسول الاكرم .

واما ولي الامر فيجب علينا طاعته اذا كان حكمه موافقا للشريعة وله شاهد يشهد له من ادلتها وقواعدها . والا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

بدر المتولي عبد الباسط

(٦) وهو محب الله بن عبد الشكور البهاري من علماء الهند المتوفى سنة ١١١٩ هـ سنة ١٧٠٧ م ويعتبر هذا الكتاب خاتمة ما كتب – قديما – في علم اصول الفقه وقد جمع بين الطريقتين المشهورتين في تدوين هذا العلم وهما طريقة المتكلمين وطريقة الحنفية

(٧) سورة البقرة الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

نتيجة مسابقة العدد ١٤٨

شوقي تعلم بجامعة مونبلييه

● على الرغم من سهولة مسابقة العدد ١٤٨ من «العربي» فإن الغالبية العظمى من القراء على كثرتهم لم يوفقوا للإجابة الصحيحة، وذلك لأنهم اعتمدوا على الذاكرة وحدها والذاكرة قد تخون وقد تخطىء، ومثال ذلك أن معظم القراء ذكروا أن أمير الشعراء شوقي تعلم في السوربون. أما المصادر الموثوقة ودوائر المعارف المعتمدة فتقول أن شوقي تعلم في جامعة مونبلييه.
وإليك أيها القارىء نموذجا للإجابة الصحيحة وأسماء الفائزين بالمسابقة:

١ ـ اسم القرية التي ولد فيها أبو العلاء المعري هي قرية **معرة النعمان**

٢ ـ أطلال مدينة قرطاجنة تقع في **الجمهورية التونسية**

٣ ـ البلدان العربيان اللذان يستعملان الليرة هما **سوريا ولبنان**

٤ ـ أحمد شوقي أمير الشعراء، تعلم بجانب ثقافته العربية في **جامعة مونبلييه الفرنسية**

٥ ـ المدينتان اللتان حفرت مساكنهما ومعابدهما في صخور الجبال هما **البتراء في الأردن ولبوة في السعودية**

٦ ـ **لا توجد دولة عربية يخترقها خط الاستواء**

٧ ـ **مدينة الفيوم تقع قرب بحيرة قارون**

٨ ـ الدول العربية التي تقع سواحلها على البحر الأحمر وخلجانه هي
أ ـ **الجمهورية العربية المتحدة**
ب ـ **الجمهورية السودانية**
جـ ـ **المملكة العربية السعودية**
د ـ **الجمهورية العربية اليمنية**
هـ ـ **المملكة الأردنية الهاشمية**

٩ ـ لبنان هو البلد العربي الذي خلد في علمه **شجرة الأرز** التي تنمو على أراضيه

١٠ ـ البلاد العربية التي تجمع الهلال والنجمة في أعلامها هي
أ ـ **الجمهورية التونسية**
ب ـ **الجمهورية الجزائرية**
جـ ـ **جمهورية موريتانيا**

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها
ليث ملا الله عبد العزيز / الموصل / العراق

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها
عبد العزيز بن عبد الله الجماز/الوشم/السعودية

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها
خديجة عوالمة / بيروت / لبنان

٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير

١ ـ **محمد عبد الله العودي** / الشحر / اليمن الجنوبية .
٢ ـ **ميشيل شحادة بلاجي** / دمشق / سوريا
٣ ـ **محمد محمد عامر أبو النعاس** / محافظة الغربية / ٢٠٤٠٣
٤ ـ **عوض صالح العربي** / الكويت
٥ ـ **عمر وعبد الرزاق أحمد** / درنة / ليبيا
٦ ـ **علي مبارك عبد الله الهزيمي** / أبو ظبي
٧ ـ **ميسون يوسف فهمي** / عمان / الأردن
٨ ـ **الزهري عبد الرحمن محمد علي** / السوكي / السودان

وسوف ترسل الجوائز لأصحابها بالبريد المسجل .



صفحة في اللغة





■ جاء في اللغة

ان الحضر خلاف البدو ، والحاضر خلاف البادي .

ومعنى الحاضر هو المقيم في المدن والقرى . والقرية تطلق على المساكن والابنية والضياع وقد تطلق على المدن .

ومعنى البادي المقيم في البادية

ويقال فلان من اهل الحاضرة وفلان من اهل البادية . وفلان حضري وفلان بدوي .

والحاضرة ايضا هي المدن والقرى والريف . والريف في معناه اللغوي ما قارب الماء من ارض العرب وغيرها ، وحيث يكون الخضر والمياه ، وحيث الزرع والخصب . وفي الاثر « كنا اهل ضرع ولم نكن اهل ريف » اي انا من اهل البادية ، لا من اهل المدن .

والحضارة هي الاقامة في الحضر ، قال القطامي

فمن تكن الحضارة أعجبته ... فأي رجال بادية ترانا

وقال المتنبي :

حُسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حُسن غير مجلوب

وواضح ان الحضر فيه استقرار ، وفيه عمران ويصحب الاستقرار وكثرة العمران وضع النظم ، والاحتكاك والتجربة الطويلة التي تولد التفاخر ، ورقيا في المأكل والمشرب ، وفي الملبس والمسكن ، وفي التعلم والتعليم ، وفي الرقة وعدم الخشونة ، لهذا كان لفظ الحضارة دالا على ما تقدم ، وهذا هو المعروف في اللغة العربية .

اما المدنية فانها اصطلاح يؤدي ما كان يؤديه لفظ الحضارة الا ان لفظ الحضارة يؤدي اكثر ما يؤديه مصطلح المدنية الآن . فالعهود الحديثة فرقت بين المدينة والقرية والريف ، فالمدينة هي البلد الكبير في حجمه وعدد سكانه ، وهي التي فيها الرقي والتثقف ، والتي تكون مقرا للحكام والولاة . اما القرية والريف فلا يصلان الى المستوى الراقي الذي نجده في المدينة . وما زال وصف « قروي » او « ريفي » يدل على معنى الخشونة وبعض التأخر بالنسبة الى الوصف « مدني » المنسوب الى المدينة .

وفي اللغات الاوروبية ، كالانجليزية ، نرى ان اسم المدينة فيها هو City ومنها اشتقوا لفظ Civi ومعناها مدني ، ومنها جاءوا باللفظ Civilisation وهو اللفظ الاوروبي للفظ الحضارة .

وترجمناه فكانت المدنية احتفاظا بعنصر اشتقاقه الاول الذي هو المدينة .

واطرف ما وصف به الحضر والبدو هو ما اجراه المرحوم احمد شوقي على لسان هند وابنة خالها ليلى محبوبة قيس ، وذلك في مسرحيته المعروفة باسم « مجنون ليلى » . ان ليلى تباهي بالبادية، اما هند فقد تباهت بما فيها .

والمدنيةُ

قالت ليلى تخاطب قيس بن ذريح عاشق « لبنى » وهو غير قيسها المجنون بها :

أتيتَ لنا اليوم من يثرب   فكيف ترى عالمَ الباديه
أكنتَ من النور أو في القصور   ترى هذه القبة الصافيه
كأنّ النجوم على صدرها   قلائدُ ماس على غانيه

فتقول هند :

كفى يا ابنة الخال ، هذا الحرير   كثير على لزمة الباليه
تأمّلْ تر البيد يا ابن ذريح   كئيبة وحشية خاويه
سئمنا من البيد يا ابن ذريح   ومن هذه العيشة الجافيه
ومن موقد النار في موضع   ومن حالب الشاة في ناحيه
وراعية من وراء الخيام   تجيء من الكلأ النائيه
وأنتم بيثرب أو بالعراق   أو الشام في الغرف العاليه
مُصبكمُ « معبد » و « الغريض »   وقينتنا الضبعُ العاويه
وقد تأكلون فنون الطهاة   ونأكل ما طهت الماشيه

فترد ليلى متيقنة المجنون قائلة :

لقد اعتسفتَ هندُ يا ابن ذريح   وكانت على عهدها قاسيه
فما البيد إلا ديارُ الكرام   ومنزلة الذمم الوافيه
لها قبلة الشمس عند الشروق   والحضر القُبلة الثانيه
ونحن الرياحينُ ملء الفضاء   وهن الرياحين في الآنيه
ويقتلنا العشق والحاضرات   يقمن من العشق في عافيه
ولم نصطدم بهموم الحياة   ولم ندر لولا الهوى ماهيه
وإنّا نخف لصيد الظباء   وإنّا إلى الأُسد الضاريه

فتقول هند ساخرة :

وفي كلّ ناحية شاعر   يغني بليلاه أو راويه



بقلم : الدكتور السيد ابو النجا

رئيس مجلس ادارة المركز العربي للبحوث والادارة في القاهرة

■ مازلت اذكر يوما حضرت فيه حفلا اقتصاديا كبيرا في نادي بنك مصر بالقاهرة منذ اكثر من عشرين عاما قام فيه المرحوم الدكتور « منصور فهمي » داعيا الى الوحدة العربية فقال : « انها تتمثل في وحدة السماء ، في وحدة الصحراء ، في وحدة اللغة والدين والتاريخ ... » .

ولم يكن مفروضا ان اكون من بين المتحدثين في الحفل ، ولكني شعرت بدافع مفاجيء يلح علي في ان استاذن السيد / عبد المقصود احمد ، رئيس مجلس ادارة بنك مصر وقتذاك — وكان رئيس الحفل — في التعقيب على كلام الخطيب .

وقلت ان التوافق بين البلاد العربية لاشك اساس متين لقيام وحدة عربية ، ولكن بناء الوحدة فوق هذا الاساس لا يقاوم الرياح الهوج الا اذا كان من القش ، وصلابته تأتي من توافق المصالح قبل توافق العواطف . فكثيرا ما رأينا ولدا يتنكر لابيه لانه حرمه ميراثه ، وزوجا يطلق زوجته المحبوبة لانها لم امينة على ماله . وفي سورة التغابن « يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم » . لقد كنا نقول « تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها » ثم عرفنا ان هذا القول من قبيل التمني ، وان الطريق الصحيح لتحقيقه هو ان نجنبها الزلل بتوفير

والسوق العربية المشتركة

"إن في الوطن العربي كثيراً من الرزق وقليلاً من التوفيق"

العيش العاقل لها . وكنا نقول « النظافة من الإيمان » فوجدنا ان هذا الشعار لا يمكن تطبيقه الا بتوفير الصابون والماء الجارى . ولقد كانت التجارة تتبع العلم (Trade Follows The Flag) فاصبحت السياسة في خدمة الاقتصاد ، بل تغير شكل الاستعمار فاصبح استعمارا اقتصاديا بالسلع والاموال ، بعد ان كان احتلالا بالحروب والجيوش .

واذكر انني سمعت « سعد زغلول » في سنة ١٩٢٥ يقول في بيت الامة وهو يشكك في امكان قيام وحدة عربية : « ان كل بلد مشدود الى مستعمر ، فكيف يستطيع ان يضع يده في يد زميله ! » .

حشد الموارد العربية

وقد رأينا ان اختلاف المصالح كثيرا ما يفصل بين الدول العربية ، وهذا تنازعها مع تركيا وايران والباكستان مع انها دول اسلامية ، على حين تجلى الود مع الهند واليونان وفرنسا واسبانيا — وهي ليست كذلك — لانها وقفت موقف التأييد من مصالح العرب .

يخلص من هذا ان على البلاد العربية ان تستمد ما يكون بينها من علاقات من وعي واقعها ، وان تنظر امامها بدل ان تتلفت خلفها ، وان ترفع شعارات المستقبل قبل ان تردد امجاد الماضي ، وان تفصل في تعاملها بين المذهب الديني والمذهب السياسي والمصلحة الاقتصادية . ان حضارة العرب تنبعث اولا من مستوى معيشتهم . وهذا المستوى لا يرتفع الا بحشد الموارد العربية ، والحشد لابد فيه من تحقيق التناسق والتكامل .

ان العالم العربي مؤلف من دويلات صغيرة . وهذا مظهر من مظاهر الضعف لا القوة . بل هو نقص في الحيوية السياسية والاقتصادية جميعا . فلا بد من تقليل الشعارات التقليدية السيادة ، لانها وحدها لا تستطيع ان تحافظ على مضمون الثروة والنفوذ . لم يعد يليق ان يفاخر المصرى او الكويتي او اللبناني بانه مصرى او كويتي او لبناني ، بل يجب ان يكون عربيا قبل كل شيء . وليست هذه دعوة الى نبذ الوطنية المحلية ولكنها



دعوة الى تغليب العروبة عند التعامل .

ان في العالم اليوم كتلة امريكية ، واخرى سوفيتية . وقد قامت كتلة ثالثة في غرب اوروبا هي السوق الاوربية المشتركة . وقامت سوق مشتركة في امريكا الوسطى ، ومنظمة لتجارة حرة في امريكا اللاتينية . وها هي دول افريقيا تبحث في انشاء سوق مشتركة او منطقة لتجارة حرة ، كما تبحث الدول في جنوب شرق آسيا في عمل تكتلات مماثلة ، فلتكن لنا عبرة من سلوك سوانا .

ولكن كيف تتكامل الدول العربية ؟

ان العالم العربي ينقسم اليوم اساسا الى منطقتين كبيرتين : احداهما زراعية تتألف من : مصر وسوريا والسودان وتونس والمغرب والاردن واليمن ، والاخرى بترولية تتألف من : العراق والسعودية والكويت وبلاد الخليج وليبيا والجزائر . وهذا لا يمنع من وجود البترول في المنطقة الزراعية ، ووجود الزراعة في المنطقة البترولية ، ولكن الصفة الغالبة تظل كما ذكرت.

وكثافة السكان في البلاد الزراعية اكبر منها في البلاد البترولية ، على عكس مستوى الدخل فانه في الاولى اقل منه في الثانية . ويلاحظ ان الاراضي الخصبة القريبة من الانهار او التي تروى بماء الامطار في العراق وسوريا والسودان متسعة وغير مستغلة ، على حين يوجد ضيق في الارض وغالبي في الايدي العاملة في الجمهورية العربية المتحدة .

ولذلك فلو ابيحت الهجرة بين البلاد العربية لامكن ان ينتج العالم العربي من القمح والقطن والزهور والخضراوات والفواكه والماشية والطيور ما يكفي اهله ويفيض منهم الى الاسواق الاوربية. ومع انتعاش الزراعة ووفرة المحصول تنتعش صناعات المعلبات والالبان والعطور .

ولو تعاونت البلاد العربية في البترول لزاد دخلها منه زيادة كبرى . ويكفي لابراز هذه الحقيقة ان منظمة الدول المصدرة للنفط « اوبيك » المكونة من : فنزويلا والجزائر وليبيا والعراق والكويت والسعودية وقطر وابو ظبي وايران واندونيسيا بعد مؤتمرها الثاني والعشرين الذي عقد في طهران في الخامس من فبراير (شباط) الماضي ١٩٧١ قد حصلت من الشركات المحتكرة على نحو ٧ آلاف مليون دولار في السنوات الخمس القادمة للدول المنتجة في منطقة الخليج العربي . ولو تعاونت بلاد البترول لانشأت اسطولا من ناقلات البترول ، واقامت كثيرا من مصانع الكيماويات البترولية بما تنتجه من صناعات كثيرة فرعية ، وما تعود به من دخل كبير . ان العرب حين يحصلون على عوائد عادلة لنفطهم ، ويصنعونه ، يستطيعون بشكل فعال تقوية جهودهم لحل مشكلة فلسطين ، وحين يسيطرون على مصير نفطهم يملكون سلاحا يرهب اعداءهم ويفلح اصدقاءهم .

ولو تعاونت البلاد العربية في التسويق والتسوق الزراعي لامكنها ان تفرج ازمة تسويق التفاح في لبنان وسوريا ، وازمة تسويق العنب في الجزائر ، وازمة تسويق البلح في العراق ، ولامكنها ان تحصل على الماشية من سوريا وليبيا والسودان ، وعلى القمح من تونس والجزائر والمغرب ، وعلى الفواكه والدواجن من لبنان .

منا .. ومنهم

ان الفلاح يظل في الدنيمارك وعوائدنا من المحاصيل الزراعية ما يساوي الف جنيه استرليني في العام ، وذلك لان في هذه البلاد من الجمعيات التعاونية المركزية ما يقوم بجمع المنتجات وتنظيفها وتصنيعها وتسويقها علبا وزجاجات ، بينما يبيع العالم العربي مواده الاولية على حالها بالغش او بالاحتكار الاجنبية فلا يحصل منها الا على القليل القليل .

وقد اتجهت الجمهورية العربية المتحدة الى صناعات الحديد والمنسوجات والسيارات والاسلحة والاسمنت والسماد والورق والسكر والادوية بينما اتجهت بلاد شقيقة الى الصناعات الخفيفة كالثلاجات ، والسخانات والخزف والصيني وتشكيل الالومنيوم . وبين الاتجاهين تكامل يمكن تنظيمه في الماضي وتنسيقه للمستقبل كي ينفسح المجال امام كل بلد عربي ليبلغ مرحلة الرشد في مصنوعاته فيطول مستواها في البلاد المتقدمة .

هذا عن الانتاج . اما عن الخدمات فان من البلاد العربية ما تقدمت فيه السياحة والملاحة والطيران كلبنان وتونس . وما تقدمت فيه صناعة النشر كالجمهورية العربية المتحدة ولبنان والكويت . وما تقدم فيه التعليم والصحة كمصر ولبنان ، وما تطورت فيه قوانين الاحوال الشخصية كتونس ، وما استقرت فيه الاعمال المالية كالكويت . والتكامل يقضي بأن يعترف لكل ناحية من هذه النواحي بدولة « ام » تشرف على تنميتها في الدول الاخرى .

وفي العالم العربي مناطق حرة يمكن الانتفاع بها في التكامل التجاري هي بيروت وبورسعيد وعدن والكويت وطنجة ، ولو نظمت وترابطت لكان للعرب منها منافذ على تجارة العالم واسطول بحري موحد ، واخر جوي يكونان مصدرين للدخل ، واداتين لا بد منهما لانعاش التجارة والسياحة ونقل البترول .

بقي التمويل . فهو ليس بعزيز على بلاد تودع مئات الملايين بل الآلاف في بنوك انجلترا وسويسرا وغيرهما بينما امكانيات الاستثمار في العالم العربي كثيرة . ان على الدول المحتاجة ان تقدم الضمانات اللازمة وعلى الدول الممولة ان تقدر مصلحتها في التعامل مع اخوانها . وليس يكفي ان ننشيء بنكا زراعيا واخر صناعيا ، وشركة لاعادة التأمين واخرى للطيران ، وانما المهم ان تمد هذه المنشآت بالاموال لتتمكن من مزاولة نشاطها على نطاق كبير .

قدوة حسنة

ان السوق الاوربية كانت قدوة حسنة للعرب وان كانت قد اضرت بصادراتهم الزراعية حتى لقد انخفضت ما تستورده منها بنحو ٤٥٪ . ان هذه السوق بسكانها الذين يربون على ١٧٠ مليون نسمة وبمستواهم الحضاري المتقارب ، وتجاورهم في المكان ، وتماثلهم في النظم السياسية - وثرواتهم الصناعية والتجارية الهائلة - هذه السوق قد اصبح لها وزن كبير في الاقتصاد العالمي وزاد من قيمته انها ربطت بعض الدول الافريقية النامية معها ، فقد نصت المواد من ١٣١ الى ١٣٦ من ميثاقها على الاجراءات التي تؤدي الى ان تنتسب للسوق الدول التي كانت في الاصل تابعة لبلجيكا وفرنسا وهولندة .

وقد تكونت هذه السوق من ست دول هي : فرنسا والمانيا الغربية وبلجيكا وايطاليا وهولنده ولكسمبورج لتحقيق « التقدم المتناسق للنشاط الاقتصادي مع التوسع المتوازن في هذا النشاط ، فضلا عن زيادة الاستقرار الاقتصادي وتحسين مستوى المعيشة ، وتوثيق الروابط بين الدول الاعضاء » .

وعلى الاعضاء ان يتقيدوا بالمبادىء الآتية : -

١ - ازالة التعريفات الجمركية وحصص الصادرات والواردات بين الدول الاعضاء .

٢ - اقامة تعريفة جمركية وسياسة جمركية موحدة مع الدول الاخرى غير المنضمة الى منظمة السوق .

٣ - الغاء القيود والحواجز التي تحد من حرية انتقال الافراد والخدمات ورؤوس الاموال داخل حدود المنظمة .

٤ - رسم سياسة مشتركة للزراعة والمواصلات .

٥ - اقامة تنظيم اقتصادي لقيام المنافسة .

٦ - اتباع الاجراءات التي تعمل على تنسيق السياسات الداخلية ومعالجة الاختلالات في موازين المدفوعات .

٧ - ازالة الاختلافات والتباين بين القوانين الداخلية في الدول الاعضاء تيسيرا لعمل السوق .

٨ - انشاء صندوق اوربي للخدمة الاجتماعية يهدف الى تعليم وتدريب العمال العاطلين ورفع مستوى معيشتهم .

٩ - انشاء بنك للاستثمارات الاوربية لتسهيل التوسع الاقتصادي .

١٠ - ربط المناطق النامية فيما وراء البحار مع منظمة السوق (١) .

السوق الاوروبية المشتركة تأليف واري بسروم وميمر ماكوف ترجمة الدكتور صلاح نامق

ولقد كانت السوق الاوربية منوالا لتوقيع اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية في سنة ١٩٦٤ من خمسة اعضائها : المملكة الاردنية الهاشمية والجمهورية العراقية والجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة ودولة الكويت . وسرعان ما انضم الى الاتفاقية الجمهورية اليمنية وجمهورية السودان الديمقراطية فاصبح عدد الاعضاء سبعة ، والعضوية مفتوحة دائما لباقي الدول الاعضاء في جامعة الدول العربية .

اهداف السوق العربية المشتركة

وتهدف هذه الاتفاقية الى ايجاد سوق عربية مشتركة تكفل ما يلي :ـ

١ ـ تحرير التجارة بين البلاد الاعضاء توطئة لانشاء اتحاد جمركي بينها .

٢ ـ حرية انتقال الاشخاص ورؤوس الاموال .
٣ ـ حرية التملك والايصاء والارث .

٤ ـ توحيد او تنسيق مختلف التشريعات الاقتصادية والاجتماعية اللازمة للتكامل الاقتصادي .

٥ ـ تنسيق الخطط الاقتصادية بما يكفل استثمار الموارد استثمارا اوفى ، وبما ينهض بالصناعة والزراعة وشئون المواصلات .

وقد راعت الاتفاقية التدرج الواجب فجعلت تنفيذ الاهداف السابقة على مراحل عملية حتى يمكن امتصاص الآثار الاقتصادية لكل مرحلة قبل الانتقال الى المرحلة التالية .

كما راعت الاتفاقية الظروف المحلية للدول الاعضاء ، فاباحت الاستثناء في فترة انتقال يحددها مجلس الوحدة حماية لصناعة ناشئة ، او ضمانا لحصيلة جمركية هامة ، او حفاظا على صالح اقتصادي اهم .

ان هدف هذه الاتفاقية هو التنمية الاقتصادية للبلاد العربية على اساس من التكامل الاقتصادي ، ولذلك يبيح لعضوين او اكثر ان يعقدوا اتفاقية تجارية بما يمثل مرحلة اقوى من المرحلة الجارية طبقا لبرنامج مجلس الوحدة .

انجازات الاتفاقية :

١ ـ قرر مجلس الوحدة تخفيض الرسوم الجمركية على السلع المحلية المنتجة في البلاد الاعضاء ابتداء من سنة ١٩٦٥ بنسبة ٢٠٪ على السلع الزراعية والثروات الطبيعية والمعدنية والحيوانية ، وبنسبة ١٠٪ على السلع المصنوعة وذلك علاوة على التخفيضات التي وردت في اتفاقية تسهيل التبادل التجاري المعقودة بين دول الجامعة العربية ، ثم زاد التخفيض على السلع الصناعية الى ٢٠٪ ابتداء من سنة ١٩٦٩ وابتداء من هذه السنة ايضا اعفيت السلع الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية والمعدنية اعفاء تاما من الرسوم الجمركية . وابتداء من اول يناير سنة ١٩٧٠ تمتعت بعض السلع المصنوعة بالاعفاء الكامل وتمتعت السلع الصناعية الباقية بتخفيض جمركي قدره ٨٠٪ . وكان المفروض ان تلغى جميع الرسوم والقيود ابتداء من اول يناير سنة ١٩٧١ .

٢ ـ زاد حجم التجارة بين اعضاء المجلس فيما بين ١٩٦٥ وسنة ١٩٦٨ ـ وهي آخر سنة قدمت احصاءاتها ـ بنسبة ٦٠٪ والاحصاءات الاولية لسنة ١٩٦٩ تشير الى ازدياد هذه النسبة .

٣ ـ اقر مجلس الوحدة مبدأ المعاملة التفضيلية استيرادا وتصديرا بين الاعضاء ، وعقد اجتماع دوري بين ممثلي المؤسسات التجارية والغرف التجارية لعقد الصفقات على ضوء الاحتياجات المتبادلة وفوائض التصدير .

٤ ـ وضع المجلس مشروعا لاتحاد مدفوعات للمقاصة المتعددة الاطراف وللاقراض العربي القصير الاجل . وقام محافظو البنوك المركزية بوضع القواعد والترتيبات اللازمة لقيام الاتحاد على ان يوكل الى البنك المركزي الاردني القيام بالاعمال الادارية في فترة الانتقال .

٥ ـ وافق المجلس على تطبيق مبدأ الدولة الاكثر رعاية على الاستثمارات العربية ، وقيام كل عضو بتسهيل انتقال رؤوس الاموال العربية من بلد الى آخر وفقا لبرامج التنمية المقررة ، والعمل على تشجيع استثمار رأس المال العربي في المشروعات الاقتصادية المشتركة ، ومعاملة

الاستثمارات الوطنية مع كفالة البلد المستثمر ضد التأميم والمصادرة ونزع الملكية .

٦ — وافق المجلس على مشروع المؤسسة العربية لضمان الاستثمار التي قدمه صندوق التنمية الكويتي والهدف منه هو التأمين ضد المخاطر غير التجارية تشجيعا لانتقال رؤوس الاموال بين الدول الاعضاء وحدد رأسمال المؤسسة بعشر ملايين دينار كويتي .

٧ — أعطى المجلس اولوية للصناعات الرئيسية كالبتروكيماويات والغزل والنسيج والسكر والورق والجرارات والأدوية والنقل الجوي .

٨ — اقر المجلس بطاقة شخصية ومالية موحده لانتقال الاشخاص بين الدول الاعضاء الا ان ظروف عدوان يونيه ١٩٦٧ اجلت التنفيذ الى ان تزول اثاره .

٩ — قرر المجلس اقامة علاقات تجارية واقتصادية مع التكتلات الاخرى كالسوق الاوربية المشتركة ومنظمة السوق الاقتصادي المتبادل (الكوميكون) ومع التكتلات النامية .

١٠ — اشترطت الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (الجات) بمجلس الوحدة ، فرتب على هذا الاعتراف اتاحة الفرصة للدول الاعضاء بالمجلس ان تنضم الى عضوية الجات وتتمتع بالمزايا التي تمنحها (٢) .

ثم ماذا ؟

ثم ان الجامعة العربية تضم الآن من الهيئات الاستشارية مجلس التنمية الصناعية ومنظمة العلوم الادارية ، ومنظمة العمل العربية ، ومنظمة الاغذية والزراعة ، ومنظمة الطيران المدني ، وصندوق الانماء العربي ، والاتحاد العربي للنقل الجوي ، ومعنى هذا انها قطعت شوطا كبيرا في جعل التكامل الاقتصادي على اساس من البحث العلمي والتكنولوجي . فماذا ينقصها ؟ ينقصها ان نصف العالم العربي لم يشترك بعد في اتفاقية الوحدة الاقتصادية . ان لبنان وولايات الخليج والسعودية وليبيا وتونس والجزائر والمغرب لا تزال كلها خارج الاتفاقية ، ومعنى ذلك ان الاتفاقية نصف ينتظر نصفه الاخر !

ان النصف الذي تتألف منه الاتفاقية بعضه ينتمي الى النظام الملكي ، وبعضه الى النظام الجمهوري ، ومنه دول يمينية واخرى اشتراكية. وما ينطبق على هذا النصف ينطبق على النصف الاخر ، فليست السياسة اذن هي العائق دون الاتحاد . ولا يبقى الا ان تبذل محاولة جادة للتوفيق بين المصالح .

الم اقل لك في مستهل هذا البحث ان المصالح — اردنا او لم نرد — هي التي تسير الافراد والجماعات والدول ، وهي التي تعلن الحروب وتوقع الاتفاقيات ؟

التكامل مبدأ حسابي

لبنان ومصر والاردن والسعودية تستورد القمح من اوروبا وامريكا على حين يفيض في المغرب فيصدره الى اوروبا . ان المتوسط السنوي لانتاج الوطن العربي من القمح يبلغ سبعة ملايين طن ، وهذا يعادل ٣٥٪ من الانتاج العالمي بينما لا يزيد سكان الوطن العربي على ٣٪ من مجموع سكان العالم !

ومصر تستطيع ان تمد الوطن العربي بحاجته من الارز وهي لا تزيد على مليون طن في السنة ، ولكن هذا الارز يذهب الى اوروبا !

ومصر تستورد التبغ من اوروبا وامريكا مع انه موجود في الجزائر وسوريا والعراق ويمكن التوسع في انتاجه وتجويده هناك .

ثروات الوطن العربي

والوطن العربي ينتج اكثر من خمسة ملايين طن من الكروم والحمضيات ، وما لا يقل عن ٨٥٪

---

٢ التقرير عن مكتب الوحدة الاقتصادية العربية وانجازاته مقدم من الامانة العامة

من انتاج العالم المتحرر ، ومع ذلك فان التفاح الامريكي لا يزال في الاسواق العربية ، والملح المستخرج يأتي من انجلترا ومن فرنسا !

والجمهورية العربية المتحدة في مقدمة دول العالم المنتجة للقطن الطويل التيلة ، والصناعات المصرية لا تستوعب منه اكثر من ٢٠٪ ثم يذهب الباقي الى اوروبا . وتفكر الجمهورية العربية في استيراد الاقطان القصيرة التيلة من الهند لانتاج المنسوجات الشعبية مع ان هذه الاقطان موجودة في سوريا .

وتستورد معظم المصانعات العربية اصوافها من الخارج مع ان الوطن العربي غني بثروته الحيوانية .

وبلاد البترول يقدر احتياطها منه بنحو ٦٠٪ من احتياطي العالم ، ولكن انتاجها منه لا يزيد على ربع الانتاج العالمي ، ولا يستهلك العرب الا ١٠٪ من هذا الربع ثم يذهب الباقي خاما ليصنع في غرب اوروبا .

والوطن العربي غني بالحديد والمنجنيز والفوسفات ومع ذلك فانه لا يصنع من هذه المعادن الا القليل ثم يصدر الباقي الى اوروبا .

وتنتج تونس والجزائر سنويا نحو ١٢٠ الف طن من الرصاص ولا تزال الصناعة العربية عاجزة عن تصنيعه .

مشاكل .. وحلول

هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فان العراق محرومة من واجهة عريضة بحرية ، فليس لها الا ان تسلك بتجارتها عبر سوريا ولبنان . وبترولها لا بد ان يتجه من انابيب الى بانياس سورية وطرابلس بلبنان .

وسوريا تحاول توجيه تجارتها نحو ميناء اللاذقية وطرطوس ولكنها لا تستغني مع ذلك عن ميناء بيروت .

والاردن لا يملك منفذا بحريا الا ميناء العقبة فمنافذها الطبيعية هي موانئ شرق البحر المتوسط .

والسعودية تعاني مشكلة نقل بترولها الى الاسواق الخارجية ، فلا مفر من ان يمر ببلاد عربية اخرى سواء سلك الطريق البحري او دفع بالانابيب .

ودولة الكويت في حاجة الى مورد مياه عذب وهو بجوارها في العراق .

والسودان تضم ٤٠ مليونا من الهكتارات القابلة للزراعة ، ولكنها تفتقر الى الايدي العاملة وهي موجودة على مقربة منها في الشمال (٢).

ان في الوطن العربي كثيرا من الرزق وقليلا من التوفيق ، كثيرا من التعاطف وقليلا من التعاون ، كثيرا من الشعارات وقليلا من الافعال . ولو تدبرت كل دولة عربية امرها لوجدت التكامل مبدأ حسابيا قبل ان يكون مطلبا قوميا .

خبراؤنا من العرب المغتربين

بقي ان في الوطن العربي خبرات كثيرة ، وله في اوروبا وامريكا مئات الالوف من العرب الخبراء بعضهم ان يمدوا ايديهم الى اهلهم . فلماذا لا نجري لهم حصرا وننظم لهم رحلات سياحية يسترجعون فيها صلاتهم بذوي قرباهم ؟ ولماذا لا نعين منهم مستشارين فنيين للحكومات العربية كل في تخصصه ؟

ان العرب متكاملون في الموارد والرجال ، ولكن الاستعمار وجههم سنوات طوالا نحو التنافس لا نحو التكامل ، فسار الانتاج في خطوط متوازية غير مترابطة . وكان هذا الوطن جسد قطعت اوصاله ثم الصقت باجساد اخرى ! ■

السيد ابو النجا

---

٢ ـ الموارد الاقتصادية والوطن العربي لدكتور محمد صبحي عبد الحكيم وآخرين

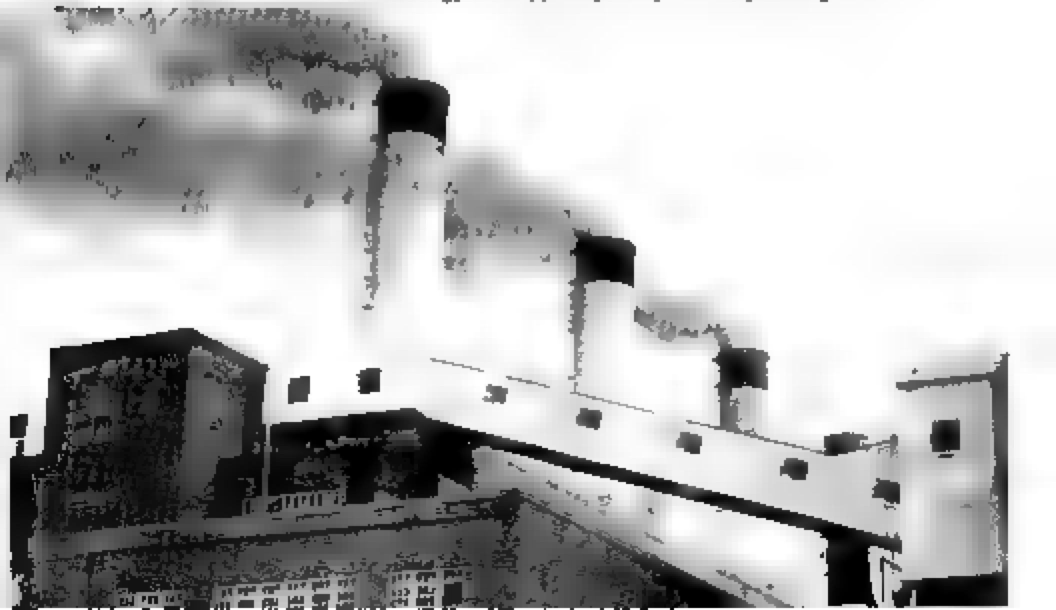
هواء الاجواء
لا يبلغ النقاء المطلوب الا بقانون!

● مما يشغل بال الناس اليوم ، فى بلاد الحضارة ، مسألة نقاء البيئة مما يضر بها . والبيئة تتضمن الارض وما فيها من زرع ، وتتضمن الانهار والبحار وما فيها من احياء ، وتتضمن كذلك الهواء ، فمنه يأخذ الانسان ويأخذ الحيوان انفاسه ، ولذن وجب ان يأخذها انفاسا نظيفة .

ولقد سمعنا عن اهل الصناعة كيف يرمون ما فرغوا منه من احماض وكيماويات فى ماء النهر ، وماء البحر ، فيقضون على حياة ما فيهما من اسماك . وقامت الصحف تصرخ وتنذر فى تلك الامم .

ولقد سمعنا كذلك عن المطهرات الزراعية ، مطهرات الخضر والفواكه وغيرها ، التى تطهرها مما يعتريها من حشرات وطحالب تعدو عليها ، وعلمنا بأن هذه المطهرات تصل الى الناس ، فتدخل فى طعامهم ، فتؤذى وتمرض ، وقامت الصحف وقام الناس مرة اخرى يصرخون وينذرون ويدعون اولى الامر

المداخن ، لا سيما الصناعية ، تلوث الجو بما تخرج اليه من مقادير هائلة من الدخان



بوقف استخدامات هذه المواد المطهرة التي تتسرب الى البيوت على غير علم من اهلها ، وكان من نتيجة ذلك ان استمع اولو الامر الى الشكوى ، وامروا بوقف استخدام هذه المواد ، فتوقفت . ومن اشهرها المادة المطهرة الشهيرة المعروفة بالحروف الثلاثة د . د . ت أو D.D.T.

واليوم جاء دور الهواء .

دور انفاسنا . او على الاخص دور هؤلاء الناس الذين يعيشون في بلاد من الابنية العالية ، والشوارع الضيقة ، والسيارات العديدة التي تكاد من كثرتها ان يقطر بعضها بعضا في الطرقات ، طرقات المدينة الكبيرة .

ان هذه السيارات تجرى . ويحرق بها البنزين لتجرى . والبنزين الذى يحترق يتم اصلا ، مع اكسجين الهواء، ثاني اكسيد الكربون ، تماما كما يحترق الطعام في جسم الانسان بهواء التنفس تدخله اليه الرئتان . غير ان السيارة ، اذ هكذا تتنفس ، يخرج من احتراقها غازات اخرى تنتشر في الجو ، فيستنشقها الناس ، فتضر بهم ، على المدى الطويل ، ابلغ الاضرار .

ومن اضر هذه الغازات اول اكسيد الكربون .

ثاني اكسيد الكربون لا ضرر منه في هذا الصدد الذى نحن فيه . وهو غاز يتألف جزيئه من ذرة كربون متحدة بذرتين من الاكسجين .

اما اول اكسيد الكربون فيتألف جزيئه من ذرة كربون متحدة بذرة واحدة فقط من الاكسجين . وهنا الطامة الكبرى . انه بسبب ذلك سام ، وبه ينتحر المنتحرون في بلاد اوروبا حيث تجرى اليهم في مطابخهم غاز يأتي من تقطير الفحم الحجرى وبه هذا الاكسيد . وهو لا يوجد بالغاز الآتي من ريت البترول او مع ريت البترول ، ومن الماسورة التي تخرج منها الغازات بعد احتراق البنزين في السيارة ، يخرج اول اكسيد الكربون هذا وينتشر في جو الطريق . ويخرج معه غازات اخرى ضارة لا حاجة الآن الى الاطالة بذكرها .

اهتمت الامم حيث هذه الاحوال قائمة بالنظر في نقاء اجوائها .

وبالطبع لم تكن السيارة وحدها هي التي تنفث السم في الهواء .

انها المصانع ، لاسيما حيث المصانع كثيرة . مداخن ترتفع في السماء شامخة هائلة ، تخرج منها سحب سوداء او بيضاء ، او ما بين ذلك ، تنتشر في جو المدينة العكر الذى يجعل الهواء للتنفس غير صالح . ومن المدن ما تحجب هذه السحب الشمس عنها . والشمس صحة وحياة .

وتحركت الدول منذ تنبهت لهذا الحال ، واشتد اهتمامها لان الايام لم تكن تزيدها الا سوءا .

وحدث منذ اسابيع ان رابطة التقدم العلمي الامريكية اجتمعت بمدينة شيكاغو ، وكان اسبوعا طغى فيه تلوث الهواء ، هواء المدينة الكبيرة ، اصابه . اغماما بريبية ، وشبهات مدجنة سوداء صناعية .

وقام اولو الامر في المدينة ينادون في الناس عن طريق الاذاعة وغير الاذاعة ان يقللوا من استخدام السيارات وهذا الحال قائم حتى ينجلى ، ويهيبون بالمصانع ان تتوقف بالانتاج بعض الوقت حتى يزول الكرب . وتمضي الساعات ، ويمضي اليوم بعد اليوم ، وما زالت السيارات تنفس وسعها ، وما زالت المصانع تتجشأ الى السماء بدخانها فيمتد كالسائل الاسود ويلتقي اسوده بابيضه بالاعالي ، ومن الاعالي يأخذ



السيارات ، من كل نوع ، تلوث الجو ، بما تخرج اليه من الغازات العادمة التي هي نتيجة احتراق الوقود ، بنزينا كان ، او وقود ديزل او غير ذلك .

يهبط ، الى الناس في منازلهم ومشاغلهم ومدارسهم ، وحيث يمارسون العيش ايقاظا او نياما .

وفي نفس ذلك الاسبوع امضى رئيس الولايات المتحدة قانون نقاء الهواء عام ١٩٧٠ ، واسمه 1970 Clean air act اى مرسوم نقاء الهواء لعام ١٩٧٠ .

واذ امضى رئيس الولايات القانون ، استقامت ظهور أصحاب السيارات ، واستقامت ظهور أصحاب المصانع . ان الامر صار جدا لا هزل فيه .

ويطول الحديث في هذا القانون . ولكنه يقضى على الذين يصنعون السيارات ان يجدوا في سياراتهم الجديدة كل وسيلة فنية للنزول بمقدار ما بأنفاس السيارات من مواد ضارة ، الى مقادير لا تضر بالناس . ويقضى بمثل ذلك على اهل المصانع ، العسر والنكبة عندهم واسعة .

واحق ان هذا القانون لم يكن لصانعي السيارات ولا اهل المصانع بالامر المفاجىء . فقد كانوا نظروا في هذا الامر منذ سنين ، واتخذوا البدع الكثير . ومنها الكثير الذى نفع ولكنه لم يكف .

وصانعو السيارات يستطيعون ان يقللوا الاضرار بمعالجة البنزين المحترق . ان البنزين المحترق ، الجيد الاحتراق ، يصحب فيه مركبات الرصاص . وهى تخرج في انفاس السيارات وتضر . فهذا طريق للاصلاح واحد وقد وصلوا او كادوا ان يصلوا الى نوع من البنزين ، طيب الاحتراق ، ولكن لا رصاص فيه .

وضرب اولو الامر لصانعي السيارات موعدا اقصاه عام ١٩٧٥ ينظمون فيه امرهم ، ويحلون مشاكلهم . وخمسة اعوام طويلة في حياة الفرد ، ولكنها قد تتراءى قصيرة لا تتسع لحل هذه المعضلات .

ولكن القوم الذين حلوا مشاكل القنبلة الذرية قمينون بحل اعقد منها ، وما مشكلة اليوم باعقد .

مهنة الحياة

لم اختارها أصحابها وماذا صنعت بهم ؟

● حرى الباحثون، عندما يجرون تجارب علمية، على أن يجدوا من الحيوانات وسيلة تجاربهم، فيجدوا منها الكلب والفأر والأرنب والخنزير الهندي، وغير ذلك من الحيوانات، صغيرها وكبيرها، وحسب الصغير. وحتى في البحوث النفسانية يجدون من القردان ما يشبهها.

وهم في كل هذه البحوث يعرفون عن أن يجدوا من الإنسان وسيلة حتى فيما يختص بالإنسان. وبالإنسان وحده، لاستحالة ذلك أحيانا، ولخطره أحيانا، وأحيانا يسهل وييسر.

ومما يسهل دراسة الناس وسلوكهم أمر اختيار الناس عمل حياتهم للحصول على أرزاقهم. هذا طبيب، وهذا مهندس، وهذا عالم أرض، وهذا عالم سماء، وهذا عالم نفس، وهذا وهذا.. ترى ما الذي هداهم إلى اختيار ما اختاروا لأنفسهم من مهنة

وسهل هذا الأمر، لا شك في هذا، عوامل كثيرة، ولكن من تلك العوامل ما يختص بأنفس هؤلاء الناس هي التي حفزتهم إلى اختيار هذه المهنة، وترك هذه.

وقد قربت أنفس الباحثين إلى هذه البحوث، بدأوا فيها ولم ينتهوا، وخرجوا منها على نتائج أولية، ولكنها مع هذا نتائج طريفة يشتاق إلى معرفتها كل ذي حرفة وذي مهنة حياة، ومن لم يختر مهنته بعد.

واتخذ هؤلاء الباحثون من العلماء ومن الفنانين مواضيع بحث.

نظروا في تاريخهم أطفالا، وفي نشأتهم صبية، وفي أسرهم، وما كان لهم فيها من كراهية وحب. وسألوهم في حاضرهم ووصلوا حاضرهم بماضيهم، وخرجوا من كل ذلك بأشياء كثيرة طريفة.

ومن اتخذوا موضوعا لبحوثهم العلماء، رجال علم الفيزياء، ورجال علم الحياة. ووجدوا أن الكثير منهم لم تكن له طفولة سعيدة يذكرها فيحمدها. فبعضهم فقد أمه صغيرا، وبعض فقد أباه، وبعض عمد إلى إطلاق أبواه. وعلى العموم حدث لهم في صغرهم ما مال بهم عن حب الناس، فانصرفوا إلى الاهتمام بالأشياء، فكانت الطبيعة لهم آخر الأمر غاية، وكان النبات، وكان الحيوان.

ووجد الباحثون أن هذا النفر، نفس علماء الفيزياء وعلماء علم الحياة،

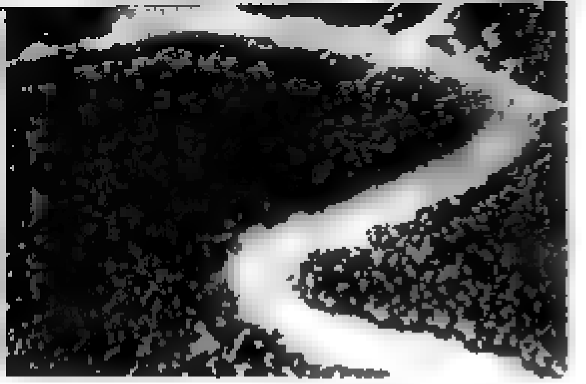
[illegible]

[illegible] في صغرهم.

وكان من ذلك أن تأخر زواجهم. وقد أخذ البحاث الأعمار التي فيها تزوجت زمرة منهم فكان متوسطها سن [illegible]

ووجد البحاث أن أكثر الفيزيائيين والحيويين متزوجون، ولكن غلب على أكثرهم سطوة العمل، وتخلفت سطوة البيت







خراب في غابات فتنام

● استخدم الامريكان في حرب فتنام صنوفا جديدة من مبيدات الاعشاب كان من نتيجتها ان تعرت اشجار الغابات من اوراقها . ومعنى هذا موتها . وبفتنام الجنوبية [illegible] فدان من شجرة المنجروف Mangrove تعرى نحو خمسها من اوراقها ، بناء على تقرير من الولايات المتحدة .

وشجرة المنجروف شجرة استوائية يتخذ من قشرها العقاقير الطبية والمواد الدابغة للجلود .

وقد اصبحت هذه المناطق وامل عودة الاخضرار اليها بعيد .

ونرى في الصورة العليا الغابة قبل معالجتها بما افقدها اوراقها والصورة السفلى هي صورتها بعد تعريها

وغير ذلك كان علماء النفس ورجال علم الانسان المعروفون بالانثروبولوجيين .

هؤلاء لم يتحرجوا فيما يختص بامور الجنس . وكانوا في الحياة اكثر اقداما واشد لها اقتحاما .

واهل الفن درسوهم :

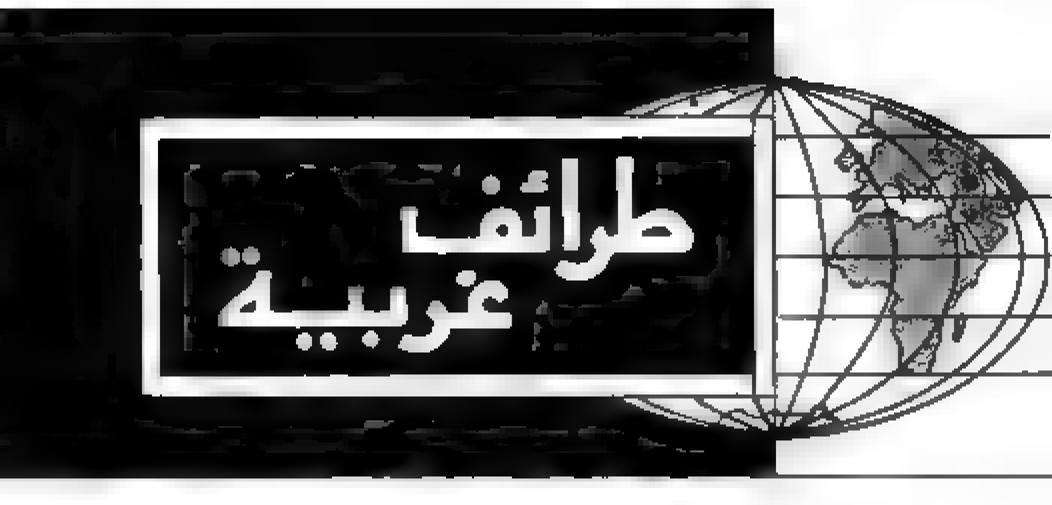
فقد قامت باحثة بامتحان ١٦٢ فنانا كانوا في ظل رعاية طبية بسبب اضطراب اعصابهم ، والى جانبهم مثلهم عددا ، لم يكونوا كذلك ، ثم ١٤٢ رجلا في ظل رعاية طبية ، ولكنهم لم يكونوا فنانين .

وخرجت هذه الباحثة من فحصهم باشياء كثيرة ، من اهمها انه كان لهم نظام في نمط حياتهم لم يكن في الحسبان . وان الفكرة السائدة عن الفنان ، من حيث انه بوهيمي لا نظام له ولا ترتيب ولا ميعاد ولا ضابط ولا رابط ، فكرة لم تصح في هؤلاء الفنانين ، وقد كان من بينهم الرسام والنحات والموسيقي .

ووجد البحث ان الفنانين لم يعرهم من الناس اهتمام كبير . ولا ريب في هذا ، فهم انما يصنعون ما يصنعون للناس . والممثل ، وهو فنان ، انما يمثل صورا اخرى من حياة غيره من الناس . وهو اسعد ما يكون عندما يمثل الدور الذي يصب فيه كل ما ودّ ان يكون له هو في الحياة .

وهكذا تنتقل البحوث ، وهي جديدة ، من قوم ذوي مهنة لقوم .

ان الحاجة الى هذه البحوث قائمة ، وهي من البحوث الاشد اتصالا بحياة الناس ، ولكن يؤخر منها انها بحوث لا يستطيع ان يقوم بها غير علماء النفس ، وهم يؤجلونها . ويتساءل الناس عن سر هذا التأجيل . ويجيب المجيب ، بان هذه البحوث ، لو بدأ بها علماء النفس بانفسهم ، فربما خرجوا منها بصور لا تروق ، واذن تهتز ثقة الناس بالذي يقولونه عندما يقومون بعد ذلك بفحص احوال الناس . ●●



السيف .. والقلم

● تولستوي Tolstoy ، كاتب روسيا الشهير (١٨٢٨ – ١٩١٠) ، ترك السيف ، وهجر الجندية ليعيش بعيدا عن الناس ، يكتب عنهم ، ويصف آلامهم وآمالهم ! قالوا يوما : « وماذا وجدت في القلم ؟ »

وقال تولستوي : « وجدت فيه قلبا ينبض ، وجرحا يلتئم ، وروحا تهيم وسط السحب .. وجدت في القلم نفسي تلك التي قضيت سنوات طفولتي ابحث عنها ! »

لقد كان اول كتاب وضعه تولستوي عن طفولته. وكتب في احد فصوله يقول : « ما اسعد الحياة بين القلوب التي عرفت الحب .. ولكن اين الحب .. انه في كل شيء حي من حولي ! انها الرومانسية وأراه كل شيء لا يسمى بالحياة ! »



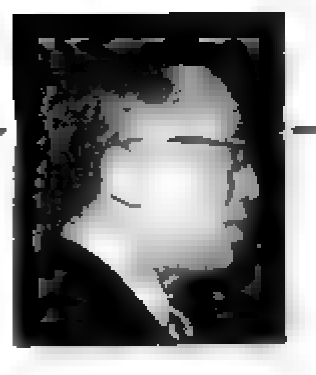
رسالة من جومولكا

● قال فلاديسلاف جومولكا السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الشيوعي البولندي بعد استقالته من منصبه ، عقب احداث بولندا الدامية الاخيرة :

« انني اترك منصبي ، واترك مكاني في الجهاز الحاكم في بولندا لانني فشلت في تحقيق اماني الشعب !

« لقد جئت الى الحكم على اكتاف العمال والطلبة الذين خرجوا يعبرون عن احتجاجهم على الاوضاع الاقتصادية والسياسية السيئة في بولندا في عام ١٩٥٦ ، عندما سارت المظاهرات في بوزنان Poznan ، تهتف من اجل الخبز ومن اجل المزيد من الحرية . وجئت الى حيث ارادوا مني ان اكون ، وحاولت ان اوفر الخبز واقضي على الجوع ، فقد كنت فقيرا مثلهم .. لقد تركت المدرسة في الرابعة عشرة من عمري ، لاعمل حدادا ، بعد ان عجز والدي عن دفع نفقات تعليمي

« ثم حاولت ان اعيد للشعب حريته .. ومرت اربعة عشر عاما ، واذا بالشعب يثور مرة اخرى .. لقد عاد جائعا فقيرا كما كان ، وعاد يفتقر الى الحرية التي كان ينشدها .. نفس الاسباب التي قامت من اجلها ثورة بوزنان ، تلك التي جاءت بي الى الحكم ، ولم يكن امامي الا ان اتنحى ! »



يوثانت وحبه رؤية المصارعة

● سألوا يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة : « يقولون انك مولع بمراقبة المصارعة الحرة على شاشة التلفاز ، في اوقات فراغك . فما الذي تجده في هذه الرياضة التي تتسم بالوحشية ؟ » .

وقال السكرتير العام على الفور : « انسى الشر بارتياح كبير عندما ارى مباراة في المصارعة .. فهذا هو الفن الوحيد من الصراع الذي لا اتخذ فيه حكما ! » .

الخلود في بطون الكتب

● كتب وليام جيمس William James (١٨٤٢ ــ ١٩١٠) الفيلسوف واحد مشاهير علماء النفس الامريكيين ، في معرض حديثه عن الخلود ، يقول : ان عالم الكتب ، هو اعظم خلق حققه الانسان ، هذا المخلوق العظيم الفاني ، فلم يبق شيء خلد الانسان مثلما خلدته كتبه .. فالآثار تتهاوى ، والامم تنمو وتزدهر ولكنها لا تلبثان تشيخ وتموت ، وعصور النور ، تختفي وراء عصور الظلام ، والاجناس تنقرض ، وتقوم فوق قبورها اجناس اخرى جديدة ، كل هذا يحدث بينما نجد في عالم الكتب ، تلك المجلدات الضخمة التي تحوي في بطونها كل هذه الاحداث التي مرت وتمر بالبشرية ، باقية بعد ذلك حية شابة لا تهرم ، ولا يتقدم بها العمر ، وكأنها ولدت اليوم لتنقل لقلوب الاجيال الحاضرة ما كان يدور في قلوب ورؤوس الملايين الذين سبقوهم منذ قرون بعيدة مضت ! !

ربيع العلم .. وربيع الحياة

● جورج سانتايانا George Santayana ، استاذ الفلسفة في جامعة هارفارد الامريكية (١٨٦٣ ــ ١٩٥٢) قرر ان يعتزل التدريس في الجامعة عندما تقدم به العمر ، ولكنه كان في كل مرة ينوي ان ينفذ رغبته ، يعدل عن قراره ، لأنه لم يكن يتصور انه يستطيع ان يفترق عن تلاميذه ابدا .

الى ان جاء يوم من أيام شهر أبريل عام ١٩٢٣ وكان الاستاذ يلقي فيه احدى محاضراته على طلبته بكلية الآداب ، وفجأة جاء زائر غريب ، وقف وراء نافذة الغرفة وراح يدق بمنقاره الزجاج في حركة رتيبة مستمرة !

ونظر الاستاذ الى النافذة ، فاذا بالزائر طائر « الهدهد » الجميل ، وقد وقف يرفرف بجناحيه ويطلق صفيرا هادئا متصلا !

وتوقف الاستاذ عن الشرح ، وراح يتأمل الطائر في هدوء ، وطال تأمله ثم لم يلبث ان اتجه الى طلبته ، وقال : لقد اقبل الربيع ، وقد جاء هذا الطائر الصغير ليذكرني بقدومه ، اليوم سأفترق عنكم ، سأحاول ان انعم برائحة الزهور ، ولو انني اعلم انني لن اجد رائحة اجمل واعطر من رائحة العلم تلك التي لم تفارق انفي لحظة واحدة منذ اكثر من خمسين عاما !

ثم اخرج سانتايانا منديله ليمسح دمعة كبيرة ترقرقت في عينيه ، وقال وهو يودع طلبته الذين التفوا حوله بسكون « سيكون ربيعا طويلا مملا .. فهو اول ربيع اقضيه بعيدا عن الحديقة التي ازرعها بيدي علما من بعد عام ! »



ظاهرة

من ظواهر الحياة الكبرى ، يجمعها العلماء أحيانا تحت عنوان الاغذية والتغذية ، ويجمعونها أحيانا تحت الهضم والاجهزة الهضمية . والحق أنها ظاهرة متعددة الأطراف ، متسلسلة الخطوات .

تبدأ بالطعام ، ما مصادره ، وما تركيبه .

يأتي بعده دخول الطعام الى الجسم ، كيف يكون ، وكيف يتجهز بعد دخوله .

يأتي بعده الهضم ما معناه ، ويتضح للقارئ أن الهضم تغيرات متتابعة تحدث في الطعام كلما مر بجزء من أجزاء الجهاز الهضمي ، الى أن يحين خروجه من الجسم .

وفي أثناء ذلك تمتص جدران هذا الجهاز الهضمي ما انهضم من الطعام ، ثم يذهب الطعام الممصوص الى الدم ، فالى أعضاء الجسم وخلاياه لتنتفع به ، أحيانا طاقة دفء وحركة وفكر ، وأحيانا بناء لما كان تهدم من خلايا الجسم .

وهكذا دواليك . طعام ، وهضم طعام ، وامتصاص طعام . ثم استهلاك طعام .

من دراسة الانسان الى دراسة الحيوان

ودرس العلماء كل هذا في الانسان ، لأنه ، وهو على رأس الخلائق ، قد اكتملت فيه كل ظاهرة من هذه الظواهر .



بقلم الدكتور أحمد زكي

وبالنزول من الإنسان، متتبعين هذه الظواهر، في سائر الحيوانات، تتراءى لنا الوحدة الجارية في الأحياء جميعا، مع تناقص مطرد كلما نزلنا في سلم الحيوانات درجة. أو بلفظ آخر كلما ازدادت أجسام الحيوانات بساطة، تقتضي بمطالبها أجهزة أبسط. وقد يكون مع التناقص شيء من التغيير في الخلق، أو تحوير في بعض الأعضاء، أعضاء الجسم، استجابة للبيئة الجديدة وطوعا للعيش في جوها الجديد.

ونضم الى الحيوان النبات، فنجد أن اختلافا وقع بالضرورة، ومع هذا ظلت الحياة الأولى باقية قائمة في النبات تحت ظاهرة من هذه الاختلافات، تدل على أن الأسس العميقة الأولى بنيت بناء واحدا لتحقيق أهداف واحدة.

بين الابداع والوحدة

واستعرضنا لدرس الجسم وتوابعه في الانسان، تقف على وجه من وجوه الابداع في الخلق، قل أن تجد مثله في غير جسم الانسان. وتنتقل من جسم الانسان الى أجسام الحيوانات، فتجد الابداع هو هو، ولكنه أخذ يقل اكتمالا.

ولقد نظر قوم الى الكون، وبدائع الكون، يحسبانها أنتجة من، هو من

الخلق ، فلم يجدوا مثلا للفن أعلى مما تمثل في جسم الانسان .

ولقد صنع الانسان في دنياه من الآلات ما صنع ، وضبط من أجهزة الساعات ما ضبط ، حتى وصل الى الساعات التي تدور بدءا وانتهاء من ذات نفسها ، تلقائية ، لا يتدخل فيها متدخل الا ان تتعثر . وسموها بالتلقائية الصناعية . وسموها Automation ، وان شئت فقل الأتمتة .

ومع هذا هم لا يبلغون في تلقائيتهم الآلية هذه عشر معشار ما بلغ اليه جسم الانسان من تلقائيته .

انت تلقى اليه بالطعام في الفم ، فتمضغه ، ثم تبلعه . ثم أنت تتركه وشأنه في الجسم ، غير مختار ، ولا تدرى عنه من بعد ذلك شيئا . كل ما يحدث للطعام من هضم ، فامتصاص ، فتمثل من بعد ذلك ، أنت لا تعلمه . ان جسمك يعمل بطعامك ما يعمل ، في مقر جسمك ، ومع هذا أنت لا تدرى ما صنع ، والى أي حد بلغ . وقد يتأتب عليك طعام ، او يسوء شراب ، وكل ما تعمله ان تحس الم ذلك فتشكو . وقد تكون أنت أسأت الى الجسم بطعام ، فرأى جسمك ان يتخلص منه فيقيء . وتقول أنت انك تعبت . وما تعبت ، ولكن تعب الجسم . انه هو الذي نظر في الامر ، وقدر ما فيه من خطر ، وحكم بالضرر ، وعرف ما الخلاص ، وصح عزمه على التقيؤ متقيئا .

والهضم لم يفهم منه الانسان شيئا الى عهد قريب ، لم عرف الانسان منه شيئا ، وخفيت عنه الى اليوم أشياء . أما الجسم ففهم من قديم كل شيء ، والا ما جرى بالهضم هكذا من أوله الى آخره منذ كان انسان .

وجرى هكذا الهضم ، بالذي احتواه من قوانين علم ، وقواعد تتصل بالنظام والضبط ، على ما سوف نصف .

فهذا هو الابداع الذي فيه تتمثل لنا قدرة الله ، وعلمه . ولكنية أين منها تكنية الانسان .

أما الوحدة التي فيها تتراءى لنا وحدة الله ، فتأتي بدراسة الهضم وتوابع الهضم في الانسان ، ثم اتباع ذلك بدراسة الهضم في سائر الحيوان ، وحتى في النبات .

انها وحدة جارية من أول الشوط الى آخره .

الأغذية

الاغذية والاطعمة شيء واحد .

والاغذية أصناف كثيرة شتى . وأنت في الوجبة الواحدة قد تأكل الخبز والزبد ، واللحم والقرع ، والأرز والتفاح ، ثم تعود في وجبة أخرى فيكون لك على المائدة العشاء والدجاج ، ومع الدجاج البطاطس ، والطماطم والسبانخ ، ثم الفالوذج او الموز . وهلم جرا .

وانت تلوك كل هذا في فمك ، من بعد مضغ ، وتبلعه ليهبط من طريق المريء الى المعدة ، وفي المعدة يبدأ الهضم .

والمعدة وسائر أجهزة الهضم ، من أنبوب مضري ، ومعا دقيق ، ومعا غليظ ، كل هذه لا تعرف الاطعمة أسماء كما نحن عرفناها . فهي لا تعرف ما الخبز ، وما الأرز ، وما الفالوذج واللحم . وهذه الاطعمة ، بعد مضغها وهرسها في الفم ، لا تتقدم للهضم بصفاتها هذه ، فقد زالت عنها ، انما هي تتقدم بصفة ما احتوته من أصول غذاء .

والاغذية التي نعرف ، وما أكثرها ، ليست الا أخلاط من أصول ثلاثة كبرى ، هي

(أ) البروتين (أو مادة اللحم) .

(ب) والكربوهيدرات المائية ، وهي النشا والسكر وما اليهما ، وهي من حيث كيميائيتها من أصل واحد .

(جـ) ثم الشحوم ، كدهن اللبن ودهن البقر ، وهي من حيث كيميائيتها أصل واحد ، وسنفصل كلا منها .

فأنت اذا بلعت قطعة من خبز ،

فوصلت الى المعدة ، لم تدر المعدة الا ان هذا الذي وصل اليها كثير من النشا ومعه الاقل كثيرا من البروتين . والهضم يجري فيهما بهذا الوصف . هضم بروتين وهضم نشا،ولا غير ذلك . وعند الجهاز الهضمي انه ، سواء جاءه بروتين من خبز او مكرونة ام من فطير او لحم او دجاج او سمك ، انه لا يعرفه الا بروتينا . وعنده كيف يعالج بالهضم البروتين . وليس في المذكرات المكتوبة المحفوظة في اجهزة الهضم نمط الخبز او المكرونة او اللحم او الدجاج . هناك نمط البروتين .

وكذا في الكربونات المائية ، اي النشويات والسكاكر .

وكذا في الشحوم او الدهون .

يضاف الى هذه الاصول الثلاثة الكبرى للمواد الغذائية الفيتامينات ، وبعض الاملاح اللاعضوية ، وبالطبع الماء . والفيتامينات تدخل مع الاطعمة قليلة المقدار ، وكذا الاملاح . وليس في هذه الثلاثة ما يحتاج الى هضم ، ذلك لانها تدخل الى الجهاز الهضمي، فتذوب في الماء ، فتمتص كما هي بدون هضم .

الكربونات المائية
او النشويات والسكريات
وما اليها

اسماء مختلفة ، ولكنها تدل على مواد لها اصول في الطعام ، من حيث التركيب والبناء ، واحدة .

وننظر في ابسط هذه المواد فيما ياكل الناس عادة فنجد السكر ابسطها . سكر القصب . ولكن سكر القصب معه ما هو ابسط ، ذلك سكر العنب . ويجمعون لفظ السكر فيقولون سكاكر، كما يجمعون دمّل فيقولون دمامل .

سكر العنب
او الجلوكوز

وهو السكر المعروف بين الناس بسكر العنب ، واسمه الكماوي ، والشائع في العلوم والطب ، جلوكوز Glucose .

ويسمى بسكر العنب لانه يوجد في العنب والتين وشتيت من فواكه اخرى، وكذلك في عسل النحل .

والجلوكوز يعتبر المادة الاولى التي تخطو اليها الطبيعة خطوتها الاولى (في اوراق الشجر الخضراء) ، لتصنع غذاء النبات والحيوان ، ومنه تشتق سائر الاغذية وتتفرع . وسوف نصف من ذلك طرفا .

والجلوكوز حاضر دائما في دم الانسان، وهو من مصادر الطاقة الاولى في جسمه، بل هو عادة ابسط المصادر .

وتركيبه الكيماوي في السكاكر التي نحن بصددها ، سكاكر الاغذية ، ابسط تركيب . فجزيئه به ٦ ذرات كربون ، ١٢ ذرة ايدروجين ، ٦ ذرات اكسجين . واذا استعملنا رموز الذرات الكيماوية، كان رمز جزيء الجلوكوز هو ك٦ يد١٢ أ٦ .

واذا نظرت الى هذا الرمز وجدت ان ذرات الايدروجين به ضعف ذرات الاكسجين ، وهي هكذا في الماء (رمز الماء يد٢ أ) ، فهي في رمز الجلوكوز تعطي ، لو انفصلت ، ٦ جزيئات من الماء . ويبقى بعد ذلك ٦ ذرات من الكربون .

من اجل هذا جاء الاسم : كربون مائي . فالجلوكوز كربون مائي والجمع كربونات مائية . ويسمى بالافرنجية Carbohydrate والجمع Carbohydrates وقد جرى الكثيرون على ترجمتها حرفيا، فقالوا كربوايدراتات .

سكر القصب

وهو احلى من سكر العنب ، من الجلوكوز .

وجزيئه رمزه الكيماوي ك١٢ يد٢٢ أ١١ .

اي به ١٢ ذرة كربون، و ٢٢ ايدروجين، و ١١ اكسجين .

والايدروجين ضعف الاكسجين . الذي



صورة ايضاحية
للجهاز الهضمي للانسان

(أ) غدد لعابية (ب) الكبد (جـ) حوصلة الصفراء (د) البنكرياس (١) الفم (٢) اللسان (٣) الحلق (٤) البلعوم (٥) المعدة (٦) المعا الدقيق (٧) الاثنا عشرى (٨) الزائدة الدودية (٩) المعا الغليظ (١٠) المستقيم (١١) الاست .

فسكر القصب هذا لا يزال كربوهيدراتيا او كربوايدراتا .

ثم ماذا يحدث لو انك اضفت الى هذه الذرات جزىء ماء (يد٢ أ) . ان الحساب يجعلها ك١٢ يد٢٤ أ١٢ .

ثم ماذا يحدث اذا انت قسمتها نصفين ؟ .

انها تصبح ك٦ يد١٢ أ٦ و ك٦ يد١٢ أ٦ .

وهذا رمز الجلوكوز .

وانت تستطيع ان تصنع هذا في المختبر الكيماوى (تضيف الى محلول سكر القصب قليلا من حامض وتسخنه) فينحل الى هاتين الوحدتين ذات الستة الذرات من الكربون .

فهل هما جلوكوز ؟

الحق ان احدهما جلوكوز او سكر العنب . والآخر شبيه به ، وسريع التحول اليه ، ويعرف بالفركتوز او سكر الفاكهة .

ولان الجلوكوز والفركتوز واضرابهما هي اصغر السكاكر التي تستخدم عادة في الغذاء ، اعتبرت وحدات السكاكر الاولى . وتعرف بالسكاكر الواحدية Monosaccharides

وتجمع بين جزيئين منها ، بطرح جزىء ماء واحد (يد٢ أ) ، فتتضاعف ذرات جزىء السكر الجديد الناتج (لولا طرح ذرات الماء) .

فالجلوكوز ك٦ يد١٢ أ٦ ، بينما سكر القصب (او السكروز Sucrose ، هذا اسمه العلمي) ك١٢ يد٢٢ أ١١ .

ويعرف سكر القصب واضراب له (كسكر اللبن Lactose و سكر الشعير Maltose) بالسكاكر الاثنانية Disaccharides

ونلاحظ هنا اننا حولنا جزىء السكر الاثنانى (سكر القصب) الى جزيئين من السكر الواحدى (الجلوكوز والفركتوز) باضافة الماء . ويعرف هذا بالتحليل او الحل او الانحلال المائي Hydrolysis

• وكذلك نركب السكر الاثنانى من

جزيئين من سكر واحدي بطرح جزيء ماء منهما (يد ٢ ا) وهذا هو التكثيف بطرح الماء Condensation

عمليتان متضادتان ، الاولى لتبسيط المركب ، والثانيه لتركيب البسيط .

النشا

النشا ، من حيث تركيبه ، كاد ان نسميه سكر الاثنانية ايضا في لغتنا الدارجة . وذلك لانه يتحلل في المختبر الى سكر العنب باضافة الماء والحامض، تماما كما تتحلل السكاكر الاثنانية الى سكاكر واحدية . اي بالانحلال المائي Hydrolysis

وانت تاكل الارز ، وهو من نشا ، ولوكه ، فلا تلبث ان تحس له في فمك بالحلاوة . والنشا لا طعم له . ولكنه يتحول في الفم ، باول خطوة في الهضم ، الى سكر .

وجزيء النشا يتألف من عدد كبير من جزيئات الجلوكوز ، التحم طرف منها بطرف ، بعد طرح ذرات الماء منهما (يد ا من طرف، ام يد من طرف الجزيء الآخر المجاور)، ولهذا كان النشا الكيماوي (ك يد١٠ ا٥) م . اما م فهو عدد جزيئات الجلوكوز التي كونت جزيء النشا . وهو عدد كبير ، ولكن لم يعرف بعد على التحقيق .

والنشا ، من حيث انه غذاء ، مخزن هائل للجلوكوز ، ذلك السكر الواحدي الذي تبدأ صنعه في أوراق النبات الخضراء صناعه كل صنوف الاغذيه .

الجليكوجين
او
نشا الحيوان

هو في الحيوان ، كالنشا في النبات . كلاهما مخزن للجلوكوز ، عملة الغذاء الاولى الجاريه في حيوان او نبات .

والجليكوجين Glycogen يتحلل بفعل (حوامض او الخمائر الى جلوكوز . ويختزن في الكبد . ويوجد كذلك في العضلات . ومعنى هذا ان له في عمليات التغذية مكانا .

ورمزه الكيماوي كرمز النشا ، الا ان عدد جزيئات الجلوكوز الذي استطاع ان يحتويها جزيئه الواحد اقل منها في النشا العادي .

ولفظ جليكوجين يتألف من مقطعين : Glyco ومعناها الحلو ، و Gen التوليد . او المولد ، واذن فجليكوجين معناها مولد الحلو . ونسي الناس هذا الاصل الاغريقي ، فهذا الاسم عندهم اسم شيء ، ولا شيء غير هذا .

السليولوز
Cellulose

يجمع السليولوز والنشا ، ان كليهما يتحلل بالماء (مع وجود حامض) الى الجلوكوز . فكلاهما اذن لا يطلق عليه اسم السكر الواحدي ، ولا اسم السكر الاثناني ، ولكن السكر المتعدد ، اي المتعدده وحداته Polysaccharides

وجزيئات الجلوكوز فيه ملتحم بعضها ببعض ، بحذف جزيء ما ، من كليهما ، كما سبق ان وصفنا .

وجزيء السليولوز يحتوي من جزيئات الجلوكوز ، الف جزيء ، والفين وثلاثه آلاف .

والسليولوز تصنع منه جدران الخلايا في النباتات ، وهو ليس بغذاء للانسان لانه اعجز من أن تهضمه عصارات هضمه . ومن الحيوانات حيوانات تهضمه على نحو قد نتعرض له . ومنها المواشي .

البروتينات
Proteins

ونقربها للذهن بوصفها مادة اللحم ، ولكنها كذلك ماده الجبن ، وتوجد في كثير من الاغذيه . ودقيق القمح الابيض به نحو ١٠ الى ١٢ في المائه من البروتين، والارز الجاف المقبل به نحو ٦ في المائه من البروتين .

والبروتوبلازمة ، التي هي حشو خلايا الاجسام ، اكثر مادتها من البروتينات. وان نكن نشاط الاجسام ، وكل عملياته ؛ مؤسسا على الكيمياء ، والكيمياء تحتاج الى مختبرات ، فهذه الخلايا هي المختبرات ، والبروتينات التي بها هي التي تقوم بما يقوم به الكيماوي الحاذق في مختبره .

ونعرف تركيب البروتينات بحلها الى وحداتها التي تتألف منها ، كما عرفنا تركيب النشا مثلا بمثل ذلك .

والحل هنا هو الحل بالماء Hydrolysis ، كما كان هناك (باستخدام الحوامض وغيرها) ، ونتائج التحليل هو العديد من الحوامض الدهنية الامينية .

ان من ابسط الحوامض المسماة بالدهنية حامض الخل Acetic Acid ، ورمزه الكيماوي ك يد٣ . ك ا ا يد . والمقطع الاخير الذي هو ك ا ا يد ، هو مقطع الحامض من الجزيء، وهو رمزه. اما المقطع الاول ك يد٣ ، فقد يطول كان يكون ك يد٢ . يد٣ ، ويكون ك يد٢ . ك يد٢ . ك يد٣ ... الى ١٦ و ١٨ ذرة كربون واكثر من ذلك . فهذه هي الاحماض الدهنية .

اما الامينية منها ، فمثل الحامض الذي رمزه ك يد٢ ، ن يد٢ . ك ا ا يد ، وهو مشتق من حامض الخل باحلال المجموعة الامينية ن يد٢ (نشادر ناقص ذرة ادروجين) محل ادروجين بالمقطع الاول .

وهذا ابسط الحوامض التي تنتج من حل البروتينات ، ويسمى جليسين Glycine .

ومن بعده قد ياتي ك يد٣ . ك يد (ن يد٢) . ك ا ا يد . وهو حامض آخر من الحوامض الامينية التي ينحل اليها البروتين ، ويعرف بالالانين Alanine .

وهلم جرا .

والذي يخرج من هذه الحوامض ، من حل البروتينات ، نحو من ٢٤ حامضا .

وبما ان الاوزان الجزيئية للبروتينات كبيرة جدا (الببسين الذي بالمعدة وزنه الجزيئي نحو ٣٥٥٠٠ ، والهيموجلوبين نحو ٦٨٠٠٠) ، فهذه الحوامض المختلفة التي تدخل في تركيب الجزيء الواحد من البروتين لا بد انها تدخل باعداد كبيرة .

اما طريقة التحامها ، فالتحام يقع بين المجموعة الامينية ن يد٢ ، والمجموعة الحامضة ك ا ا يد ، وذلك باتحاد ذرة ادروجين من المجموعة ن يد٢ ، بذرة ادروجين وذرة اكسجين معا من المجموعة ك ا ا يد ، ليتكون من ذلك ماء ، ويلتحم ما بقي من الحامض الاميني الاول بما يبقى من الحامض الاميني الثاني التحاما يتمثل في ـ ك ا ـ ن يد ـ . وعند حل البروتين بالماء Hydrolysis ينفك هذا الالتحام باعادة جزيء الماء اليه .

وليست كل الاحماض الامينية ، التي هي نحو ٢٤ حامضا ، تدخل في تكوين كل البروتينات ، ان لكل بروتين شخصيته ، وهي تعتمد على احماضه التي تتألف منها ، وهي تعتمد ايضا على ترتيب ورود هذه الاحماض في التسلسل الخاص العائم في جزيء كل بروتين .

اشياء نذكرها ، فلا نكاد ندرك منها الا صعوبتها وتعقدها . ولكن الخلايا تؤلف من هذه البروتينات ما تؤلف ، على اختلافها ، ولا تخطيء ابدا .

الدهون
كدهن اللحم ، وزبد اللبن

فهذه ثالثة الثلاثة من الاصول الكبرى للاغذية .

ونحن نقول انها ايضا تنحل الى وحداتها باضافة الماء Hydrolysis مع وجود (الحوامض او القلويات والحرارة) ويخرج منها احماض عضوية كالتي سبق ان مثلنا لها في الكلام عن البروتينات ، ومع هذه الاحماض الجلسرين .

والاحماض التي تخرج عادة ، طويلة

الجزيئات . فحامض البلميتيك Palmitic Acid مثلا جزيئه : ك يد ٣ . ك يد ٢ . ك يد ٢ .... ك يد ٢ . ك ا ٢ يد اى سلسلة ذهبية بها ١٥ كربونا غير كربون المجموعة الحامضية الاخير .

اما الجلسرين فكالكحولات ، بجزيئه ٣ مجاميع من ا يد ، تتحد كل منها بذرة ادروجين من المجموعة الحامضية للحامض ، لتكوين ماء . فهي اذن تحتاج الى ٣ جزيئات من الحامض ، لتخرج ٣ جزيئات من الماء . والناتج غير الماء ، الدهن .

والزيوت والشحوم ، اخلاط ، يبقى فيها الجلسرين واحدا ، ولكن تختلف عليه الاحماض : من حامض البلميتيك Palmitic Acid ، الى حامض الاستياريك Stearic Acid ، الى حامض الزيتيك Oleic Acid الى غير ذلك من الاحماض الاخف جزيئا ، لا سيما في الزبد .

والشحوم والزيوت هي على العموم صور من صور التخزين الذي تتخذه الاغذية حتى تحتاج الاجسام اليها .

ولا يستفيد منها الرجل بسرعة . ومن اجل هذا قد تجد الرجل السمين يجوع ، وهو يحمل ارطالا من الدهن ، لا تنفعه ، لانها لا تتحلل سريعا لتشبعه من جوع .

الوحدة
تسايرنا حيثما سرنا

ذكرنا النشا والسكاكر ، وكيف ان الكثير التركيب منها كالنشا يتحلل الى الجلوكوز بالحل المائي ، باضافة الماء ، وكذا سكر القصب يتحلل الى الجلوكوز والفركتوز بالحل المائي ، اي باضافة الماء Hydrolysis .

وعكس ذلك يجري عند تركيب المركب من البسيط . يجري هنا بضم وحدتين بسيطتين او اكثر ، بعضها الى بعض ، ووصلهما من اطرافهما بحلق الماء . ويسمى هذا بالتكثيف (بنزع الماء) Ccndensation .

وكالذي وقع في النشا والسكاكر ، وقع في البروتينات .

وكالذي وقع في النشا والبروتينات ، وقع في الدهون .

لفك المعقد ، حل بالماء .

ولربط البسيط ، نزع الماء .

ظاهرة شاملة في الانسان والحيوان ، وفي النبات .

صورة من صور الوحدة ، نلقاها على غير عمد في الطريق ، نضمها الى سائر الوحدات .

تخطيط في التركيب والتبسيط ، سبيله الكيماوي واحد ، في كل حيوان في الكون ، وكل نبات .

هضم الغذاء
لماذا كان ضروريا ؟

وصفنا لك من الاغذية ما وصفنا . ووصفناها لك اصولا اصيلة من الاغذية اولى ، هي الكربوهيدرات المائية (النشا والسكاكر وما اليها) ، والبروتينات ، والدهون .

وشملنا بحلتها الى وحدات اصغر منها ، فالنشا الى جلوكوز ، والبروتين الى حوامض عضوية امينية ، والدهون الى حوامض عضوية وجلسرين .

وكل ما انحل اليه الشيء فهو اصغر منه .

والجهاز الهضمي ، هذه الانبوبة المارة بباطن الجسم ، وتبدأ بالفم ، وتنتهي بالاست ، وتقوم فيما بينهما المعدة والامعاء ، هذا الجهاز الهضمي تقوم جدرانه كالحاجز يحمي الجسم من ان يدخله ما يضر به . ان هذه الجدران تأذن بدخول الطعام الى ما وراءها من الدم الجاري في باطن الجسم بشرط ان يكون الطعام من الصغر بحيث يجتاز هذه الحدود .

والاطعمة كما هي ، نشا وبروتينا ودهنا ، وحتى وهي ممضوغة ، [illegible]

لا تستطيع اجتياز هذه الجدران ، بسبب ضخامتها النسبية ولظروف أخرى . وهي لتجتاز لا بد من حلتها بالهضم الى وحداتها الصغرى مما ذكرنا وعددنا .

وهذه الوحدات ، من جلوكوز ، الى احماض امينية وغير امينية ، التي

صورة جسم الانسان

ويخترق هذا الجسم القناة الهضمية ، من الفم الى الاست ، وسطوحها تبطن الجسم من الداخل . وتعتبر هذه السطوح خارج الجسم ؛ كسطح الفم الداخلي،وكجلد الانسان من الخارج.

جلسرين ، تدخل الى الاوعيه الدموية او الاوعية اللمفاوية القائمة وراء جدران الجهاز الهضمي ، وذلك بأن تمتصها هذه الجدران . وهي توزّع بعد ذلك في داخل الجسم على الاعضاء المنوطة بها .

وقد تحسب ان الامر قد انتهى عند ذلك ، وتيسر .

ولكن لا ، فالغريب ان خلايا الجسم ، بداخله ، عندما تصلها هذه الوحدات ، ترى نفسها مضطرة الى اعادة تركيبها لتكون دهونا من جديد ،ولتكون بروتينا، ولتكون نشا ، نشا حيوان (جليكوجين Glycogen) .

اما الجلوكوز، فبعض تحرقه الخلايا، بالاكسجين الواصل اليها بالتنفس ، وتخرج من ذلك طاقة يستخدمها الجسم وخلاياه في كل ما يقوم به وتقوم من اعمال . وقد يكون عملا حركيا ، وقد يكون عملا كيماويا او عملا فزيائيا . وقد يكون عملا فكريا او عاطفيا . كل هذه تحتاج الى الطاقة . والجلوكوز كفيل بها . والفائض منه يختزن في الكبد او في عضلات الاطراف وللرجوع اليه عند الحاجة .

والدهون للحريق كذلك مع التنفس، ولخزن الزائد من الطاقة .

والبروتين لبناء ما استهلك من بروتينات الجسم في عمل الحياة .

وقلنا ان الخلايا مختبرات كيماوية تحتاج الى كيماويات والى كيماويين . وقلنا ان الكيماوي في الخلايا هو اساسا البروتين .

والخلية ، واكثرها البروتين ، تصنع الكثير من حاجات الجسم ، وكثير منها من بروتين ، كرات الدم الحمراء من بروتين . وكرات الدم البيضاء من بروتين . والانزيمات وهي من بروتين (وقلنا حديث عنها) ، والانزيمات او الخمائر ، وهي كالكيماويين الجوالين في شتى مختبرات الجسم اي خلاياه ، هذه الانزيمات نفسها تصنعها الخلايا ، وهي بروتين . ولكن من اي شيء

تصنعها ؟ من الاحماض الامينية التي وصلتها ، تلك التي كانت حصيلة هضم البروتينات في المعدة والامعاء .

ظاهرتان
جديرتان بلفت النظر

الظاهرة الاولى ان الاغذية التي جاءت الانسان (وتجيء الحيوانات) اغذية ليست بالبسيطة . جزيئاتها جميعا كبيرة ، وبها الطاقات كبيرة كذلك ، مخزونة .

فالجلوكوز الذي يأتي الانسان في الحب غذاء مكتمل ، به طاقته . وهو يحترق في خلايا الجسم باكسجين التنفس ، ويعطي الجسم من طاقته . ولكن سكر القصب اكبر منه طاقة . والنشا اكبر طاقة من السكر .

والبروتين جاء الحيوان ، طعاما ، وهو مكتمل الطاقة ، اي به من الطاقة اكثر مما لوحداته التي ينحل اليها . وكذا الدهون .

هذه الاغذية تاتي الجسم بطاقاتها الكبيرة ، فتصد جدران الجهاز الهضمي مانعا لها من دخول الجسم ، واذن لا بد من حلها ، فانضاف طاقتها . ثم يعود الجسم ، بعد دخولها اليه ، الى بذل طاقة من عنده لردها الى مثل اصولها . انه لا يردها الى اصولها بعينها . فالجسم يصنع بروتينه على هواه هو ، وخاصا به هو . المهم انه يبذل في تخليق كل مادة جديدة طاقة جديدة من عنده .

ان رجل الاقتصاد يقف يتأمل هذه الظاهرة طويلا ، ولا يفعل اكثر من ان يرفع ظفره الى جلدة راسه يحكها به . ان ظاهر هذه الظاهرة لا تتفق وقواعد الاقتصاد . ويطلب الاقتصادي حلا اقتصاديا اوفق . وعندئذ تراه يعود الى حك راسه .

اما الظاهرة الثانية ، فهي ان هذه الاغذية جميعا اغذية جاءت الانسان والحيوان مكتملة الطاقة .

فمن صنعها هكذا مكتملة ؟

صنعتها تلك العملية الكونية الكبرى التي اسميناها بالتخليق الضوئي Photosynthesis

وصنعها من مواد قليلة الطاقة : من ثاني اكسيد الكربون والماء ، بمساعدة المادة الخضراء المعروفة بالكلوروفل Chlorophyll او اليخضور ، وآنسها ، عن طريق هذه المادة ، ما شاء من طاقة استمدها من اشعة الشمس .

انه صنع منها ، من ثاني اكسيد الكربون والماء ، وطاقة الشمس ، الجلوكوز اولا . وبهذا رفع هذه المواد الاولية في الطاقة درجة . ومن هنا ، من هذا الجلوكوز ، بدأ يصنع المواد الاكثر طاقة ، من نشا ودهون . وامدته املاح الارض باملاح الازوت (او النتروجين) ، فراح النبات (نعم النبات ، هذا الجامد الذي نقول انه لا عقل له) راح يخلق البروتينات على شتى اشكالها . ولا يخلط بين هذه الاصول . ثم هو يختزن في بذوره ، وفي ثمره ، للانسان (وللحيوان) اطعمة جمعت من اصول الطعام الثلاثة الكبرى مثنى وثلاث .

فالطاقات الانسانية (والحيوانية) ، هي من غذاء ، صنعه نبات الارض . وكان هذا الغذاء في حاجة الى طاقة ، فاستمدها النبات من طاقة الشمس . فطاقة الانسان ، بل طاقاته ، من تلك الطاقة الاولى ، طاقة الشمس . حتى الفكر من طاقة الشمس . حتى الحب والبغض من طاقة الشمس .

والنبات لم ينس نفسه بعد كل هذا .

انه ليس لديه جهاز للهضم ، وما به حاجة اليه . انه هو هو صانع المواد الابسط ، فهو منها يتغذى كتغذية الانسان ، وهو منها يتنفس كما يتنفس الانسان ، وهو منها ينمو ، تماما كما وصفنا ونصف من امر الانسان .

وحدة مع ابداع .

وابداع مع وحدة

●●

احمد زكي

إدوار مانيه

من روائع الفن العالمي

سيد الانطباعيين لم يكن انطباعياً

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ لا عجب أن كانت مشاعر البهجة والاستبشار هي المشاعر التي تغلب على من ينظر الى صورة الصفحة الثانية . ففي لوحة « الربيع » للفنان الفرنسي ادوارد مانيه edouard Manet (١٨٣٢ – ١٨٨٣) ، وقد تجلى فيها الربيع بنضارته وشبابه وجماله . ولعله تجلى في الاغصان والأوراق الخضراء بقدر ما تمثل في وجه الفتاة الجميلة .

ونذكر هنا ان لوحة الربيع هذه كانت احدى لوحات اربع ، لفصول السنة الاربعة ، رغب مانيه في رسمها . وقد اخذ فناننا فكرة هذا المشروع عن الرسام البلجيكي ، الفرد ستيفنس Alfred Stevens الذي كان يرسم مثل تلك اللوحات سنة ١٨٧٦ بتكليف من ملك بلجيكا آنذاك . واعجب مانيه بالفكرة واقبل على تنفيذ المشروع ، مشروع لوحات الفصول الاربعة ، بدافع من نفسه لا بتكليف من ملك او غيره . الا انه لم يمض في تنفيذه حتى النهاية ، ولم يرسم الا لوحتين ، لوحة الخريف ولوحة الربيع التي ذكرناها ، وذلك سنة ١٨٨٢ . ولو علمنا المكان المرموق الذي تحتله هاتان اللوحتان ، ليس فقط بين لوحات مانيه ولكن ايضا بين لوحات الثمانينات من القرن الماضي كافة ، لشعرنا ببعض ما يشعر به النقاد من اسف لعدم تنفيذ مانيه لمشروعه بكامله .

ولعل أهمّ ما يذكر عن هاتين اللوحتين هو انهما كانتا من لوحات مانيه القليلة التي حظيت بتقدير « الصالون » ، او ان شئت ، محكمة الفن في باريس ، آنذاك . فقد قام في العاصمة الفرنسية في القرن التاسع عشر هيئة فنية - رسمية او شبه رسمية . وكان من اعمال تلك الهيئة اقامة معارض سنوية تعرض فيها اللوحات التي كان يتقدم بها راسموها اليها . وقد درجوا على تسمية هذه المعارض ، وكذلك الهيئة المشرفة عليها ، بالصالون . الا ان اهم اعمال تلك الهيئة كان التحكيم . فقد كانت هيئة محكمة ، تصدر آراءها في اللوحات المعروضة ، وتقرر ما اذا كانت ذات قيمة فنية ، فتمنحها الجوائز التقديرية ، او كانت بلا قيمة ، فتعلنها « مرفوضة » .

وقد كان لقرارات الصالون تلك اكبر الاثر في سمعة اصحاب اللوحات ، فضلا عن نفسيتهم . ولطالما رفعت تلك القرارات رسامين مبتدئين الى مصاف اشهر الفنانين ، ولطالما اعاقت بعض كبار الفنانين عن بلوغ الشهرة التي استحقوها ، ولو الى حين . وقد نجد خير مثل لهذه الفئة الاخيرة في رسامنا ادوارد مانيه .

ذلك ان الصالون رفض لمانيه اكثر اللوحات التي عرضها له في معارضه السنوية . وقد شمل الرفض بعض لوحات فناننا الهامة ، كلوحة « الساكير [illegible] » ولوحة « اولمبيا » ، وهما تعتبران من اروع لوحات الفنان .

كان ذلك سنة ١٨٦٣ ، وقد بلغ مجموع عدد اللوحات المرفوضة لمختلف الفنانين في تلك السنة وحدها نحو ٤٠٠٠) لوحة . لا عجب اذن ان تكون قد عمت باريس اثر ذلك موجة من التذمر والاحتجاج ، ما لبثت ان بلغت مسامع الامبراطور نابليون الثالث . وقد تصرف هذا الامبراطور بحكمة وذكاء ، فامر باقامة معرض خاص باللوحات المرفوضة . والطف ان تكرر عقد هذا المعرض ، حتى اصبح يعرف بصالون المرفوضات Salon des Refusés للتمييز بينه وبين الصالون الاول .

● اقرأ عن حياة مانيه في العدد ١٠٩ في العربي صفحة ١٥١

على ان الصالون الاول هذا قبل لمانيه عددا من اللوحات ، هي لوحة الربيع ولوحة الخريف التي ذكرنا . ونذكر من تلك اللوحات المقبولة اللوحة التي رسم فيها الفنان والديه ، ولوحة « عازف الجيتار » . ويرى النقاد في هذه اللوحة الاخيرة نقطة تحول ، بل ثورة شبه احدثها ادوارد مانيه واثر بها على سائر الفنانين الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده .

ولا تتصل ثورة مانيه هذه بموضوع لوحاته ، وقد كان الفنان فيه واقعيا Realist الى ابعد الحدود ، ولكنها تتصل بالاسلوب الذى انتهجه في رسم تلك اللوحات . فبينما اقتضت القواعد الاكاديمية المسلم بها الانتقال من لون الى لون آخر على اللوحة بالتدرج ، وذلك باستعمال مايسمونه انصاف الالوان ، Half Tones ، دعا مانيه الى التخلص من انصاف الالوان هذه ، وهي ، كما قال ، قليلة بل نادرة في الطبيعة ،

ولا حاجة اليها على كل حال . اى ان فناننا دعا الى تحرر الرسام من قيود تقليدية لا قيمة لها ، وحض على انطلاقه في اختيار الالوان التي يشاء ، ووضعها على اللوحة ، مركزة او مخففة ، كما يشاء . ولم يكن مانيه بحاجة الى اقناع النقاد والمعلقين بسلامة فكرته وقد جاءت لوحته « عازف الجيتار » الدليل العملي القاطع على ذلك .

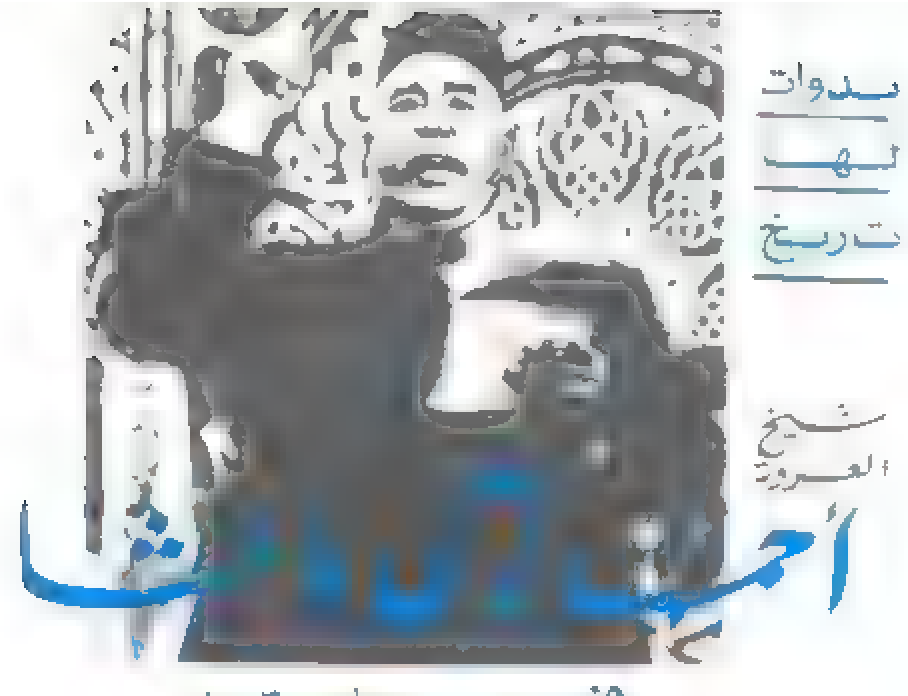
وما اسرع ما التف حول مانيه بعد ذلك المريدون من الفنانين الناشئين والناضجين . وكان في طليعة هؤلاء الرسامون الانطباعيون Impressionists وبخاصة ديجا Degas ورنوار Renoir وموريسو Morisot وسيزان Sezanne وبيسارو Pissaro وكلود مونيه Claude Monet .

وقد بلغ من تعلق هؤلاء الانطباعيين بمانيه ومن تمسكهم بثورته التي ذكرنا ان اعتبره الكثيرون في عداد الرسامين الانطباعيين بل زعيمهم ومؤسس مدرستهم . وما ابعد هذه النظرة عن الحقيقة .

فالمدرسة الانطباعية ابتعدت كثيرا عن الواقعية Realism وراحت تقلص مفهوم الطبيعة والواقع حتى انعدم وجودهما خارج العين البشرية بالنسبة الى هذه المدرسة . اى ان الانعكاسات التي ترتسم على شبكية العين هي كل ما هنالك من الواقع في نظر الانطباعيين . ولما كان الضوء هو قوام الصور البصرية التي ترتسم على العين لكل ما في الطبيعة من اشياء ، كان من الطبيعي ان يقبل الانطباعيون على دراسة الضوء واثره دراسة علمية وافية . ويحضرنا في هذه المناسبة ملاحظة معبرة لكلود مونيه ، مؤسس المدرسة الانطباعية الحقيقي ، اذ قال : « ليتني ولدت ضريرا ، ثم رزقت البصر فجأة .. ولتمكنت من الرسم اثر ذلك مباشرة .. فلو امكن ذلك لكان في وسعي ان ارسم الاشياء كما تبدو لعيني ، مجردة عن كل معرفة سابقة .. »

اما رسامنا ادوارد مانيه ، صديق الكاتب اميل زولا والشاعر بودلير فكان بريئا من هذا الغلو ، وقد اتسم فنه بالواقعية كما ذكرنا ، واستلهم في صميم نزعاته واتجاهاته ، الفنانين الاسبان ، وخاصة جويا وفيلاسكيز ، والفنانين الطليان ولا سيما جورجيوني وتيتيان ، وكذلك المحفورات الخشبية التي اشتهر بها فنانو اليابان .

لوحة « عازف الجيتار » التي تعبر بقوة عن اسلوب مانيه الفني



في ندواته

بقلم : انور الجندى

[illegible] مجالس فكرية [illegible] الأسر [illegible] الأدبي [illegible] احمد [illegible] احمد زكي [illegible] التاريخ والادب [illegible] المسائل وتطرح [illegible]

ندوة يومية مسائية

اما « ندوة شيخ العروبة » فقد كانت ندوة يومية مسائية لا تختلف ما دام احمد زكي باشا في القاهرة ، يرد اليها الرواد من كل انحاء العالم الاسلامي وبلاد الامة العربية ، ويقصدها العلماء والباحثون كل مساء ، فيجدون عند احمد زكي باشا كل جديد وكل غريب ، ولقد حفلت الصحف باحاديث هذه الندوة وتحدث الينا كثيرون من روادها ، في مقدمتهم المرحوم كامل كيلاني والاستاذ سيد ابراهيم الخطاط العربي اطال الله بقاءه وكان من روادها غيرهم ، الدكتور احمد عيسى ، وفريد ابو حديد ، وزكي المهندس ، وبشر فارس ، ومحمد عبد الغني حسن .

دار العروبة

وكان احمد زكي باشا يسمي داره : دار العروبة ، ويسمي ندوته (مصطبة دار العروبة) ، فمنذ العروبة [illegible] التخصصات المختلفة لنشر

وتتحدث وتسأل ، حتى اذا تطاول الليل وانسع الحديث انتقل رجال الندوة الى سماط عربي يلحشر بالثريد والفاكهة فيتناولون ما يشاءون منه دون ان يقطعوا حديثهم .

ولقد ظلت دار شيخ العروبة مفتوحة لكل من يرد القاهرة من رجالات العرب والاسلام ، سنوات طويلة منذ ان ترك احمد زكي باشا منصب سكرتير مجلس النظار (الوزراء) عام ١٩٢٢ الى وفاته عام ١٩٣٤ . وكان قد اتجه منذ ترك خدمة الحكومة الى العمل في قضايا العروبة بالاضافة الى تحقيقاته الواسعة في التراث والمخطوطات .

وكان ثمرة هذه الندوات تلك المقالات الضافية ، والمساجلات الضخمة التي كان يثير فيها شيخ العروبة موضوعات خطيرة مما يصل اليه البحث ، ومما يلقى الى الندوة من اسئلة كانت ترد اليه بالبريد او يتقدم بها بعض رواد الندوة او زوارها .

خزانات حافلة بالجذاذات

وكانت لاحمد زكي باشا في صالونه عدة خزانات حافلة بالجذاذات مرتبة على حروف المعجم ، كل طائفة منها حسب الفن او الباب الذي ترجع اليه ، فاذا ما جد الجد ، وتشعبت وجوه النظر والقول ، سارع في خفة عجيبة الى خزاناته فاستخرج منها ما يؤكد رايه في مثل رجع الطرف ولكنه كان حقا بالحق يرجع اليه اذا ما تبين .

اخطأ وتشبث ، ثم عاد يصحح خطأه

ولقد طال النقاش ذات ليلة وكان من رواده زكي المهندس وبشر فارس واحمد عيسى وكامل كيلاني حول استعمال حرف (لا) مع كلمة (كاد)

وقال احمد زكي : العرب تقول (يكاد لا يفعل)

وقال زكي المهندس : بل تقول (لا يكاد يفعل)

وتشبث شيخ العروبة برايه وانفضت الندوة .

وفي الساعة الخامسة صباحا دق جرس التلفون في منزل بشر فارس :: واذا زكي باشا على الطرف الآخر يقول : ان الاستاذ زكي المهندس على صواب ، (١)ولكني اجهل عنوانه ، واخبره انت سامحتك انني قضيت الليل كله في التنقيب والتصفح حتى اصبت الدليل في قوله تعالى في القرآن (في سورة الزخرف) :

« ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين » .

مكتبة حافلة

وكان بشر فارس قد ذهب الى باريس لاعداد (اطروحة) لنيل اجازة الدكتوراه عن (العروض عند العرب في الجاهلية) ثم عاد الى القاهرة بحثا عن نصوص ووثائق ، ولم يجد الا دعوة احمد زكي باشا ، وامضى الصيف كله يراجع كتبا مطبوعة ومخطوطات كان يجليها له شيخ العروبة مما لايجده في غير مكتبته الحافلة التي بلغت سبعة عشر الف مجلد منها خمسة الاف مخطوط .

وكانت تشغله الكلمة الواحدة اياما وليالي يبحث ويراجع ويرود دور الكتب ويسأل زواره حتى يهتدي اليها .

يقول الدكتور طه حسين : « اذكر ان جملة عرضت له وهو يحقق كتاب (التاج) المنسوب الى الجاحظ لصادفته جملة تقرا هكذا (السر والتمائل) وكان احمد زكي باشا يريد ان يعرف معنى كلمة السر هذه فلا يجد سبيلا ، ويريد ان

---

(١) العربي : المرحوم احمد زكي باشا لم يكن مخطئا حين قال ان العرب تقول « يكاد لا يفعل » الا اذا كان يريد انها تقصر تعبيرها على تأخير حرف النفي ، والاستاذ زكي المهندس اذا كان يريد القطع بانها لا تجوز الا بتقديم حرف النفي تكون غير مصيب ، فلقد جاء عن العرب تأخير النفي عن « كاد » في شعر جاهلي قاله المجرح الظفري :

يكاد لا يثلم البطحاء وخدانها كأنها الليل يمشي على رود

انظر اللسان والتاج مادة (رود) وكذلك اساس البلاغة واظر ايضا شروح سقط الزند الصفحات ٢٨٦ و ٦١٧ و ٦٧٥ .

ومن هذا ما جاء في شعر آخر متأخر عنه ، اذكر منه « يكاد لا يتحرك » والحق انك تستطيع ان تقول لا اظنك تعمل كذا ، ولا احسبك تعمل كذا ولا تكاد تعمل كذا ، كما تستطيع أن تقول : اظنك لا تعمل كذا ، واحسبك لا تعمل كذا ، وتكاد لا تعمل كذا . ولو تتبعنا دواوين الشعر ومجاميعه لوجدنا الفاظا ، وصيغا ، ومصادر ، واستعمالات لغوية ، لم تحصرها المعاجم الموجودة بين ايدينا .

يقلب الكلمة على وجوهها الممكنة لعله يردها الى اصل معروف فلا يجد الى ذلك سبيلا ، وكان يلقانا في اول المساء (طه ورفاقي) فيسأل : هل وفقتما الى فهم لهذه الجملة (السر والتماعل) وكان يودعنا آخر المساء ويقول : اياكما الا تبحثا عن السر والتماعل .

وانفق في ذلك اسبوعا او اكثر من اسبوع » .

تحقيقه عن شجرة الموز

ولم يكن يمر شيء على سمع (احمد زكي باشا) او بصره دون ان يتقل من تحقيقه . ومن ذلك ما اقترح بعض زوار ندوته على مائدة العشاء وهو يقدم لهم فاكهة الموز . وسرعان ما انطلق زكي باشا يتحدث عن الموز وتاريخه وكيف رآه في الاندلس ويقول : « والموز لفظ عربي صحيح ولا اوافق المفسرين الذين قالوا بأن الطلح المنضود المذكور في القرآن هو الموز . وقد ورد ذكر الموز في مفردات ابن البيطار وتذكرة داود ورحلة عبد اللطيف البغدادي .

وفي لسان الهند (موچا) بجيم تحتها ثلاث نقط . والعرب هم الذين اوصلوا هذا النبات المبارك الى اوربا في اواخر القرن الاول وذلك عند فتحهم الاندلس ، ولا يزال باقيه ولفظه معروفين في جزيرة صقلية باسم (موزا) . وكذلك الحال في الاندلس والبرتغال (لا البرتغال) لم عدلوا عنها الى كلمة (بنان) .

ولا جدال ان الافرنج اخذوا اسمه من اللفظ العربي . ولقد اضطر العلامة لرمسكال الذي رتب النبات الى اجناس وفصائل الى ذلك فوضع لفظة : Musaceas (موزاسي) للدلالة على فصيلة الاعشاب المشابهة لشجرة الموز » .

تصحيحات أرباب الندوة

وكان ابرز ما يشغل زكي باشا في ندواته هو اظهار فضل العرب وتفوقهم في الحضارة ، وكانت اغلب مناقشاته مع سيد ابراهيم وكامل كيلاني والدكتور احمد عيسى وفريد ابو حديد وغيرهم من رواد ندوته تجرى حول الرد على كل ما يرد في الصحف والمجلات من انتقاص للعرب والاسلام او تجنٍ عليهما ، او تحريف في اسماء البلاد الاسلامية وخاصة بلاد الاندلس التي زارها قبيل مطلع القرن العشرين واولاها اهتماما كبيرا في دراساته . وكانت مساجلاته لا تتوقف مع محمد مسعود وجرجس فيلتاؤس عوض وزكي مبارك وطه حسين ، وكذلك مناقشة ما يرد في الخطابات اليه والى الصحف (الاهرام والمقطم) من اسئلة حول بعض الآثار الاسلامية والمواقع والاضرحة .

ولم يكن احمد زكي يأخذ الامور في هوادة ، ولكنه كان مليئا بالحماسة حتى انه كان يردد دائما قوله :

— ان الذي يحنقني ويعصبني ويكيدني هو ان يعمل احدنا من الافرنج ما يقلدونه هم عنا وان يجاريهم او يزيد عليهم في تحريف اعلامنا العربية او المعربة من اسماء الرجال والمواضع بعد ان اخذوها عنا وشوهوها (محرفين او مصحفين) متابعة لطرائقهم التي تنبو عن نطق الحاء والضاد والطاء والظاء والعين والقاف ، واضيف الى ذلك الثاء والذال لغير الانجليز والهاء لغير الاسبانيين والالمان على نوع ما .

ان علينا ان نكتب (الاعلام) بالحروف الافرنكية التي اصطلح الاسبان والانكليز والفرنسيون عليها ، ثم نضع امامها الاسم العربي الصحيح الوارد في الكتب الاندلسية خاصة والعربية عامة فيما يتعلق بالتاريخ والجغرافيا .

ويقول : « انني فيما يختص بالاندلس قد جمعت كل الاسماء التي تناولها الافرنج بالتصحيف المعيب او بالتحريف الشديد ، وكذلك الاسماء التي عربها العرب ، وادخلوها في كنوز لغتهم ثم تناولها الافرنج منهم فاعادوا بعضها الى اصله او ابقوا على اكثرها بالصيغة التي اخذوها عن العرب ، جمعتها في مجلدات عدة بدار العروبة تحت طلب من يريد الفائدة المنشودة » .

ويقول الاستاذ سيد ابراهيم وهو من اركان ندوة شيخ العروبة ، ان احمد زكي باشا صحح كثيرا من الاسماء العربية المحرفة ونشرها في الصحف منها :

Rasi (الرازي) ، و Avicenne (ابن سينا) ، Abulcasis وهو ابو القسيس وصحته (ابو القاسم) . وقد قال في ذلك ان الفرنجة ابدلوا الميم فجعلوها سينا لتكون اقرب الى اللغة اللاتينية .

وصحح قول الكتاب (المحيط الاطلسي) عن المحيط الغربي الكبير ، وقال انه خطأ لا يغتفر ، وان الجغرافيين من الفرنجة قد تطابقوا على تسمية

هذا المحيط الى قارة (اتلنت) أو اتلنتيد (Atlante) التي انخسفت في قعره من زمان بعيد ، وهي الفاجعة التي وصل بيانها عن ارسطو ، وما تزال لهذه القارة بقايا بارزة وهي جزائر (ازوره ، وماديره وكناريا) وهي ما يسميه العرب (الجزائر الخالدات) اما الذين ينسبون هذا المحيط الى (اطلس) فليس في قولهم اي صواب ، انما هم قد تابعوا الافرنج متابعة عمياء بلا تمحيص ولا مراجعة ، ولفظ (اطلس) قد اخذه اليونان من كلمة (ادرار) التي يستعملها المغاربة الى يومنا هذا للدلالة على اي جبل كان .

وجاء المترجمون في عهد (محمد علي) فاخذوا من الترك عن الافرنج هذا الجبل في ثوبه الاعجمي المحرف فقالوا (اطلس) ثم جاروا في تسمية المحيط الغربي الكبير انه (اطلنطيقي) نقلا للفظة الافرنجية (Atlantique) ثم جاء من ترخصوا من هذا التعريب فقالوا : المحيط الاطلسي متوهمين ان اطلنطا هي نفس اطلس .

كان كبير الاعتداد بكشوفه اللغوية والادبية

وكان احمد زكي باشا كبير الاعتداد بما يصل اليه من كشوف لغوية او ادبية او تاريخية ، حتى لقد كان يقول لزواره نشوته ليلة :

مني ، ومني وحدي ، خذوا النبأ الصادق ، لصدي ، وعندي وحدي الحجة الصادقة والبرهان الناطق .

ودع كل صوت غير صوتي فانني
انا الطائر المحكي وغيري هو الصدى

ويروى انه كان في احدى ليالي النشوة متهللا ، ولما سأله (كامل كيلاني) عن ذلك قال :

روى امين الريحاني اليوم في الصحف انه كان على مائدة بعض الاجانب تذاكروا عن اللفظ العربي الذي يطلق على الحيوان المعروف في اللغة الانجليزية باسم (Badger) وذلك في اثناء تناول الطعام على مائدة الملك فيصل الاول وفيها امين الريحاني ، فساح السؤال حول الاثنا شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وعاد الى سائله خائب الامل . وانا اقول : لو انني كنت حاضرا معهم لكنت هديتهم الى الصواب ، فهذا الحيوان قد اكثر كتاب العرب من ذكره ومن التعريف به هو (عناق الارض) واسمه عند الفرنسيين (Blaireau) .

وأخطاء شائعة صححها

وقد صحح احمد زكي كلمات كثيرة كانت تتردد على الالسنة والاقلام خطأ ووضع لها الاصول الصحيحة :

ففي المدن : مدينة (اثيره) بدلا من مطيرة
» جمهورية (البرتغال) بدلا عن البرتقال .
» الجزيرة القريبة من اسوان التي يطلق عليها (جزيرة فيلة) اسمها بلاق وبيلاق .
» القناة بدلا من القنال .

وفي اسماء الافراد : (ابن الشبيل) وصحتها الرحالة الفلكي الاندلسي المشهور : افروس وهو ابن رشد ـ فنباسا وهو ابن باجة ـ افزرون وهو ابن زهر الاشبيلي ـ البوكرك وهو ابو كركي الاخ البرتغالي .

والشفرة استعملها العرب

ويروى (الاستاذان) سيد ابراهيم وبشير فارس : « ان احمد زكي باشا لم يكن يدع جلسة من جلساته الخاصة بنشوته الذهنية المستمرة دون ان يفاجيء زواره بشيء جديد وغريب ، وانه كانت له اشياء يستخرجها من مخطوطاته او من مطالعاته ومفكراته ويتحف بها اصدقاءه »

ومما حدث عنه ذات ليلة : مجموعته الكاملة للمؤلفات العربية الخاصة بالكتابات السرية المعروفة الآن باسم (الشفرة) وكيفيتها عند العرب وكيف كان هذا الفن مستعملا عند الدول الاسلامية في ايام القرون الى الحروب الصليبية ، فاخذه الافرنج عن المسلمين ، ثم رده الافرنج الينا ، ولجهلنا بمعارف اهلنا اخذناه باسمه الجديد عن الافرنج وهو (الشفرة) ، وهي الكلمة التي نقلها الغربيون من كلمة (صفر) العربية واستعملوها بمعنى الارقام لانهم استخدموا الارقام بدلا من الحروف في الكتابة السرية ، ثم انا جعلنا بدل (الشين) لفظ (الجيم) لتقارب

المفرجين خصوصا وان كان الجفر يستعمل في الالغاز بالحوادث المستقبلة » . (١)

ومجالس الشذابات جمع مراليون

ومن ابرع ما تحدث عنه احمد زكي باشا في ندوته والذي نقلناه طويلا .

« وصف مجالس الشذابات » وقد جمع اكثر من الفي بحث عن مراليون . وقد سئل لماذا الاهتمام بمثل هذا الموضوع فقال :

الذي دعاني الى ذلك ما رأيته من عناية اهل البحث والتدقيق من الافرنج بتسجيل حالة عملية باحوال الشرق ، فحرصت على الا يقع بعض الناس في الخطأ ويجعل الامور عللا واسبابا لينسبها الى الاسلام عن قصور فيهم ، فاحببت ان استوفي كل ما وصل اليه علمي من بعض عادات قومي . وكذلك للمحافظة على الاشعار التي تترجم بها العادات والشذابات في اللغة الراقية ، فان في كثير منها معاني دقيقة وانظارا حكمية قد لا يجدها الباحث في المراثي الشعرية التي يصل الشعراء فيها لكرامهم .

حروف الطباعة وحروف الترقيم

ومن الاعمال التي كانت تزهى ندوة شيخ العروبة بالحديث عنها هي اختصار احمد زكي لحروف الطباعة الى ١٣٢ شكلا بدلا من ٩٠٠ اشكال شاملة لمواضعها في الرقعة والثلث وقد اجهده هذا بالتردد على المطبعة الاميرية طويلا حتى استطاع ان يحقق هذا العمل . وكذلك عمله الجليل في وضع حروف الترقيم والفواصل وقد سئل في ذلك فقال :

ـ كانت خطتي التي درجت عليها منذ دخلت الدواوين (عام ١٨٨٨) أن اعمل بكل ما في مقدوري على محو ما استطيع محوه من الكلمات الدخيلة العربية ، وان احل محلها في العبارات الديوانية والاصطلاحات الرسمية ما ارتضيه من الالفاظ العربية بعد التحري والتنقيب ، ولم يكن في نفسي طمعا ، ولا في فكرة سواي ، ان يصير الالفاظ العربية دلالة واحدة بعد ان طال استعمالها حتى رسخت في المعان العامة والخاصة وجرت بها اقلام الكتاب والمنشئين وكتبة الدواوين .

ومن ذلك كلمة (البراءة) بدلا من كلمة (البيورلدي) واننا المبتدع لكلمة (مرسوم) والواضع كلمة (رسمية) حتى انتقلت الى نفس الازهر الشريف فاطلقها أهله على ما كان اسلافهم يسمونه (الاجازة) وكان قد مضى على الدواوين ثلاثة قرون وهي تستعمل لفظ (بيورلدي) في التعبير عن الامر الموذن بالانعام بالرتب .

لفظ السيارة من ابتداعه

واهتم احمد زكي باشا باستبدال كلمة (اوتوموبيل) بكلمة (سيارة) واعلن ذلك عام ١٩٠١ وقال : « ان اللفظ الذي اقترحه لتعريب كلمة (اوتوموبيل) ومعناها (المتحركة بنفسها) او الجارية من نفسها هو (السيارة) وقد اجتمعت فيها كل المعاني التي يحتملها اللفظ الافرنكي وكافة الدلالات المعروفة » .

واولى احمد زكي باشا اهتمامه وشغله في التعريف بفضل العرب على الحضارة ، وكان يردد في ندواته ان العرب هم الذين عرفوا مرض النوم قبل ان يعرفه « الافرنج » بخمسة قرون ، وان العرب سبقوا الافرنج الى اختراع كتابة العميان (٢) والى التفكير في حل مسألة الطيران وان العرب سبقوا الافرنج الى التفكير في كشف امريكا ، وانهم حاولوا الوصول اليها مرتين بالفعل ، اولاهما في لشبونة عاصمة البرتغال ، وثانيهما من مدينة ثالة بالسودان الغربي على ساحل المحيط الاطلنطي ، وان العرب سبقوا الافرنج الى اكتشاف منابع النيل ووصفوها وصف شاهد العيان وان العرب سبقوا الى التفكير في جاذبية الارض ، وان الكندي رصد نجما من ذوات الاذناب . (٣)

وبعد فهكذا كان يدور الحديث في ندوة شيخ العروبة احمد زكي في الثلاثينات من هذا القرن (رحمه الله) . ■■

القاهرة ـ انور الجندي

(١) هذه هي عبارة احمد زكي باشا بالنص من مذكرات الاستاذ ابرهيم

(٢) ما نطلق عليها (طريقة بريل) حديثا .

(٣) العربي كما نود ايراد المراجع والنصوص التي تثبت كل هذه الامور ولا نكتفي القول بدون بيان



أخطاءُ الأبناء أخطاءُ الآباءِ !

ماذا يعمل الآباء وهم يرون ابناءهم يسيرون في طريق الالم والندم والدموع ؟

■ ماذا يفعل الآباء وهم يرون ابناءهم يسيرون في طريق الالم والندم والدموع ؟

نحن نلوم ابناءنا لأنهم يخطئون

ولكن هل اسألوا انفسهم ! ومن ذا الذي لا يخطىء حتى من الكبار !

ومن حقيقة خطأ هذا الذي وقعت فيه الابنة التي فشلت في دراستها ، او الابن الذي ضل الطريق ؟

ما هي اسباب هذه الاخطاء ، وما دوافعها ، وكيف نجنب ابناءنا خطر الوقوع فيها ؟

كانت هذه الاسئلة هي موضوع دراسة قام بها مجموعة من علماء النفس وضعوها في كتاب وقد خرجوا من دراستهم هذه بآراء جديدة او لعلها ليست بجديدة ، بقدر ما فيها من نظرة واقعية لحقائق الامور وفلسفة الحياة .

اخطاء الشباب

قالوا ان ما يقع فيه الشاب او الفتاة من اخطاء ، هو في واقع الامر ليس باخطاء ، كما نصورها او يصورها لنا تفكيرنا ، وانما هو نتائج لاعمال وتصرفات معينة جاءت بها لتفكير سريع مهور بعيد عن النضج والعمق والتروى .

وقد يتساءل البعض : « واين كان الآباء ، وهم يرون ابناءهم يقدمون على هذه التصرفات التي لا يمكن ان توصف الا بالحماقة والتهور ؟ ألم يكن في مقدورهم ان يتدخلوا في الوقت المناسب ليحولوا دون الخطأ قبل وقوعه ؟ » .

امام الخطب وجها لوجه

ولكى نجيب على هذا السؤال ، لا بد لنا ان نعرف حقيقة هامة ، وهى اننا يجب الا نتوقع ان يأتى الينا ابناؤنا بمتاعبهم ؛ فقليلون هم هؤلاء الابناء الذين يلجأون الى الآباء سائلين النصح ساعين وراء التوجيه والارشاد ! ولكون النتيجة



لن يجد الآباء انفسهم امام الغضب وجها لوجه ، وعند التعليم الفاشلة ، وهم يرون أبناءهم يسيرون امامهم في طريق الالم والدموع والندم !

ولكن حتى في هذه المحنة ، يجب الا نفقد الامل في الشفاء .. فالتسليم بالامر الواقع والخضوع للهزيمة ، والاستسلام لليأس ، يقتل فينا الامل ، ويقضي على كل رغبة لنا في الاستمرار في الحياة .. وكم من ابناء ضلوا الطريق في صباهم ، ثم رأيناهم بعد ذلك مصلحين وعظماء سجل التاريخ اسماءهم .

ماذا يفعل الآباء

ماذا يفعل الآباء لكي يجنبوا ابناءهم مخاطر السير في طريق المشاكل ، حتى يمنعوا عنهم شر الانحراف والفشل والهزيمة !

يقول العلماء ، ان الوقاية لا تأتي الا عن طريق العلم ! وعلى عاتق الآباء وحدهم تقع مسئولية تبصير ابنائهم بحقائق الحياة وامورها ، وتحذيرهم من عواقب الانحراف والسقوط . ولكن كيف !

ان اخطر مرحلة يمر بها الشاب او الفتاة هي مرحلة المراهقة . وفي هذه السن ، وحتى قبل بلوغها يبدأ دور الابوين . ولكن حذار من تقمص هذه الشخصية الفنية التي يشعر الابناء تجاهها بكراهية ومقت شديدين .. شخصية الواعظ المرشد الناصح الموجه !

ليس هذا هو دور الآباء في هذه المرحلة من حياة ابنائهم .. فهذا آخر شيء ينصح الباحثون بالباعه .

شعور الشباب في المراهقة

ان دور الآباء اكبر من هذا واعقد بكثير .. فالشاب في هذه السن يريد ان يشعر انه اصبح رجلا .. وكذلك الفتاة ، فهي الاخرى تحتاج الى من يؤكد لها انها قد اصبحت امرأة مكتملة النضج والانوثة ..

ومن هنا يبدأ دور الابوين ، يجب الا يقدما على اي عمل من شأنه ان يشعر الابناء بانهم يعيشون في عالم آخر صغير غير العالم الذي يعيش فيه آباؤهم . يجب ان نساعد الابناء على الاحساس بان مشاكل الحياة واحدة ، وكما ان لهم مشاكلهم ، فللآباء ايضا مشاكل لا تقل اهمية ، ولا تقل خطورة عن مشاكل الشباب . المهم هو ان يتمس الآباء في نفوس ابنائهم الثقة بنفسهم ، ان يعاملوهم كما يعامل الكبار .. ان يشجعوهم على ان يفكروا تفكيرا سليما ناضجا . يجب ان نشرح للشباب ان الفشل المهزوم لا يستطيع ان يجلب النجاح لصاحبه .

مشاكل الحياة واحدة

وهل استطاع الكبار ان يخلصوا انفسهم من مشاكل الحياة . واذا كان الشباب يخطيء ، فهو خطأ ناتج عن قصور في التفكير ، والتقلب السريع في معالجة مشاكلهم كما ذكرنا . وهو امر يختلف اختلافا تاما عن خطأ الكبار ، واسباب الاخطاء التي يقع فيها الآباء ودوافعها !

يقول ايمرسون Emerson الكاتب الامريكي الشهير : « الحياة مجموعة من المحن والمشاكل والازمات . ولكن يجب ان نذكر دائما ان بعض المتاعب التي تواجه ابناءنا ، وكل المتاعب التي واجهناها نحن الكبار ، هي من صنعنا نحن ! »

مظاهر الوجود

ويحدثنا عالم النفس بيتر كرانفورد Peter Cranford ، عن مشاكل الحياة فيقول :

« لا يمكن ان تكون هناك حياة بدون مشاكل .. فمتاعب الانسان ، هي اول مظهر من مظاهر وجوده ، وانفعالاته هي اكبر دليل على انه حي ، فالالم والفرح ، الدموع والضحك ، الشعور بالسعادة والشقاء ، هي علامات الحياة ..

« وكل فرد بين اسرته ، ووسط المجتمع الذي ينتمي اليه ويعيش فيه ، ينفعل بما يحدث من حوله .. الام في بيتها مع اطفالها ، والاب في عمله بين زملائه ، والشاب او الفتاة في المدرسة او الجامعة كل فرد من هؤلاء يشعر ويحس ، ينفعل ويبتهج ثم هو يبكي ويفرح ، لما يمر به من احداث وما يراه من صور تتعاقب بكل ما فيها من الوان »

قوة النفس

يقول نورمان فنسنت بيل Norman Vincent Peale ، « اننا لكي نعيش في هذا العالم المضطرب المتصارع الامواج ، لا بد لنا من ان نكون اقوياء ، فالمرء وحدها هي التي تستطيع ان تصمد في وجه العواصف والانواء .. ولا نعني بهذا قوة الجسد ، وانما قوة النفس ..

« فالحياة ليست دائما سهلة ، وليست دائما ميسورة ، وليست دائما تسير كما نأمل ونشتهي ، ان كل فرد منا على هذه الارض ، معرض لان يصابه شيء .. اي شيء ... »

الاحداث الطارئة !

ولندع الاخطاء جانبا .. فهي نتائج لاعمال وتصرفات نقدم عليها بلا ترو ، كما ذكرنا . ولنتحدث عن الظروف الطارئة التي تلم بنا .. ماذا لو تعرضنا لمرض او حادث او فشل ..

ان السبيل الوحيد لمواجهة مثل هذه الظروف الطارئة ، هو القوة التي يجب ان تملأ نفوسنا ، فاذا لم تكن القوة ، اصبنا بالانهيار ، واذا انهار الانسان ، اختل تفكيره ، وفقد القدرة على معالجة مشاكله ، وبالتالي كل رغبة في الاستمرار في الحياة .

الواقعية في الحياة

يقول كرانفورد : « لقد وجد العالم مكبلا ، علينا بالمشاكل والمصاعب ، ان كل ما فيه يقف حائلا في بعد لطبيعة النفس البشرية ، وليس هناك من وسيلة لتخليص انفسنا من مشاكل الحياة ، الا عن طريق نظرتنا الواقعية للامور ..

« فاذا استطعنا ان نكون واقعيين في تفكيرنا ، واقعيين في تصرفاتنا ، واقعيين في تقبل ما يحدث لنا وما يحل بنا ويأسنا من مكاره ، استطعنا ان نصمد ، وان نعيش وان نتقبل صور الحياة بمختلف الوانها ، حلوة او مرة ، بيضاء او سوداء ..

قدراتنا داخل نفوسنا

« المهم في الامر ان نبدأ من جديد ، وان نسعى الى تصحيح الاخطاء التي وقعنا فيها ..

« فالقدرة على مواجهة اي موقف عصيب ، موجودة في داخلنا ، كامنة في نفوسنا ، لقد وضعها الخالق فينا ، وما علينا الا ان نعمل على اخراجها في الوقت المناسب ، وفي اللحظة التي نشعر فيها باننا في حاجة الى كل قدراتنا .. فاذا بدت الحياة يوما اكثر صعوبة واشد قسوة ، فما علينا الا ان نتوقف قليلا ونسائل انفسنا في هدوء عن مصدر متاعبنا . فاذا عرفناه واكتشفناه ، سهل علينا معالجة اي حادث طارئ يلم بنا او يأسالنا .. »

اللوم .. والقدر

والشباب يميل بطبيعته الى القاء اللوم على الاخرين ، ولا بأس من ان نسمع كلمة لوم من ابنائنا على ما حل بهم من متاعب وما صادفهم من مشاكل .. ويجب ان نتقبل هذا اللوم ، فاخطاء الاباء من اخطاء الابناء .. وفي تقبلنا لاخطاء ابنائنا تخفيف عن وقع الخطأ الذي ارتكبوه ، على انفسهم ..

ولكننا في بعض الاحيان ، نلوم الظروف ونلوم القدر الذي لم يكن لنا يد فيما فعله بنا او اصاب ابناءنا .

وقد نكون على حق في تصورنا ، وقد لا نكون ، فمشاكلنا من صنعنا نحن ، قد يكون لسوء الحظ سبب فيما حدث لنا ، ولكن الاسباب الحقيقية التي تكمن وراء ما تعرضنا له من متاعب ومشاكل ترجع اولا وقبل كل شيء الى هذا التصور الذي اصاب تفكيرنا او الى تسرعنا وتهورنا وقصر نظرنا ..

عقل الانسان

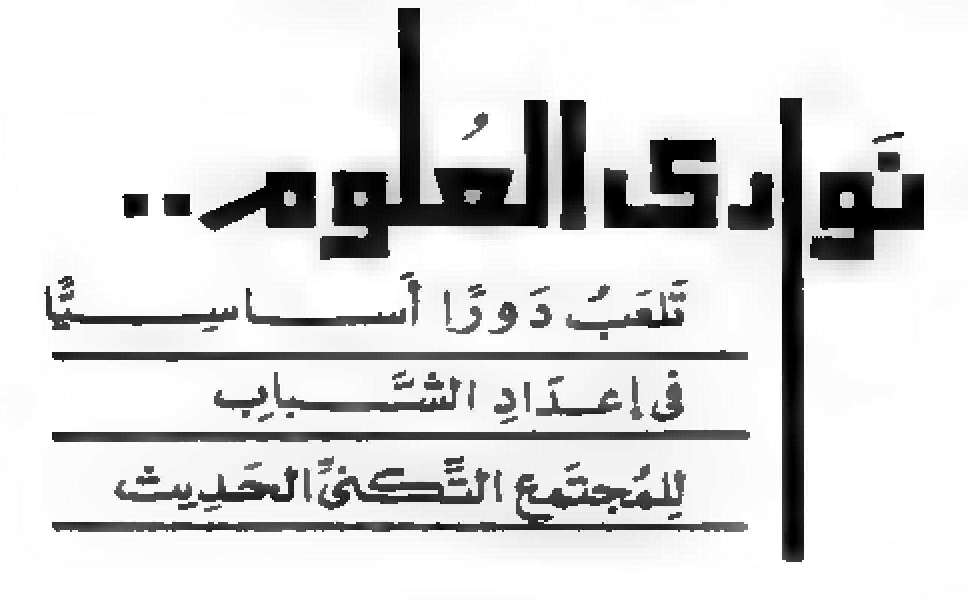
تقول الشاعرة الشهيرة « ايلا ويلر ويلكوكس Ella Wheeler Wilcox (١٨٥٠ — ١٩١٩)

« ان العقل هو كل شيء ... انه الطاقة الكبرى التي اذا استخدمت كما يجب ، تولد منها التفكير السليم الذي يعاوننا على الخروج من اي مشكل او مأزق ، يصادفنا في حياتنا وحياة ابنائنا .. ان هذا العقل في رؤوسنا نحن ، لا في رؤوس [illegible]

« فالانسان هو ما يفكر ، وليس ما يقول ، او ما يقرأ او يسمع . وبالتفكير الدائب السليم يستطيع اي فرد منا ، ان يواجه اية مشكلة تعترض حياته او حياة ابنائه ، يستطيع ان يحرر نفسه من اغلال الفقر او المرض او الخطيئة او الخوف .. »

الضوء وسط الظلام

« لوموا ابناءكم حينما يخطئون .. ولا تتخلوا عنهم في فشلهم .. بل قفوا بجوارهم وساعدوهم على ان يحولوا فشلهم الى نجاح .. علموهم على ان يروا دائما هذا الشريط من الضوء ، في اية ظلمة تحيط بهم مهما اشتد الظلام ومهما ازدادت حلكته . ■



بقلم : صلاح جلال
رئيس القسم العلمي بجريدة الأهرام

■ تختلف الثورة العلمية المعاصرة عن الثورة العلمية والصناعية الأولى التي بدأت في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، لأن الثورة العلمية الأولى اعتمدت أساسا على الجهود العلمية الفردية ، ولم يكن لمعاهد العلم سواء كانت مدارس أو جامعات دور كبير فيها ، وحتى التطور الصناعي المصاحب لهذه الثورة تم داخل المصانع معتمدا على جهود فردية دون ربط واضح بين البحث العلمي وهذا التطور . بل إن هذه الثورة هي التي فرضت تدريس العلوم على معاهد التعليم . أما الثورة العلمية والتكنية الحديثة ، فهي تعتمد أساسا على البحث العلمي الذي تقوم به المؤسسات العلمية وفي مقدمتها الجامعات ومراكز البحث ، ويقوم التعليم بأجهزته المختلفة بالدور الأساسي في النهضة العلمية والتكنية المعاصرة ، ولم يعد هناك فاصل بين العلم والتكنولوجيا والتفرقة بين العلم النظري والعلم التطبيقي لم يعد لها وجود .

وسائل الإعلام لها أثر خطير

وهكذا أصبح لوسائل الإعلام أثر خطير في مجال التثقيف وتوجيه الطلاب في شتى الميادين ، ويمكنها أن تقوم بدور هام في الإعداد العلمي للطلاب إذا أحسن استخدامها ، وتم التنسيق بين جهودها وجهود الهيئات التعليمية . ومن واجب المدرسة توجيه طلابها نحو الاستفادة من هذه الوسائل بالتعرف على أخبار الاكتشافات العلمية ونواحي التقدم العلمي ، كما يمكنها أن تستخدم هذه الوسائل كمصادر للثقافة وتشويق الطلاب للتعمق في الدراسات العلمية .

حركة جديدة : نوادي العلوم

وقد انتشرت في العالم حركة جديدة اسمها نوادي العلوم لتشجيع الشباب على دخول عصر العلم والتكنية . ويوجد الآن أكثر من ١٥٠٠٠ نادي العلوم في الولايات المتحدة بمختلف ولاياتها . ويبلغ عدد أعضاء النادي ٢٢ عضوا في المتوسط ، وبعضها عدد أعضائه ٣ فقط ، وبعضها يضم ٧٥٠ عضوا . والنوادي الكبيرة تضم تقسيمات أصغر تتناول موضوعات متخصصة .

ومعظم النوادي لها علاقة بالمدرسة ، وتجتمع بعد مواعيد الدراسة ، ولكن كثير منها يجتمع أثناء ساعات الدراسة العادية أو في الحصص الخالية . وفي معظم النوادي تخصص ساعات محددة لنشاط النادي الذي ينتخب المسئولين عنه : الرئيس ونائب الرئيس والسكرتير وأمين الصندوق وأمين المكتبة والمسجل . وقد تجتمع بعض هذه الوظائف في شخص واحد في النوادي الصغيرة ، وهناك



اقامت نوادي العلوم في الجمهورية العربية المتحدة معرضا كبيرا لها استعرضت فيه مختلف نواحي النشاط العلمي الذي قام به أعضاؤها خلال العام الماضي وقد عكست مدى اقبال شباب اليوم على العلم

نوادي العلوم في الجمهوريه العربيه

وايمانا بشباب هذا الجيل ، وما سيتحمله من مسئولية لتطبيق العلم والتكنولوجيا في الدولة العصرية التي تعتمد عليها بعد الديمقراطية ، واقتناعا بالدور الكبير الذي يؤديه النشاط العلمي الحر للشباب ، بدأ تنفيذ مشروع « نوادي العلوم بالاهرام » في الجمهورية العربية المتحدة وهو يهدف الى

١ - تنمية المعرفة والمهارات العلميه ، عن طريق نشاط علمي تكنى حر بجانب المناهج الدراسية المقررة ، وتكوين ورش ومعامل منزلية

٢ - تعميق ادراك الشباب بالعالم المصرى العالم المتطور ، والحصول على نظرة شاملة لما يتطلبه المستقبل والاعداد لممارسة العمل العلمي والتكنى كمهنة او كهواية .

٣ - كشف المهارات والمواهب العلميه القادره على الابتكار ، وتشجيعها والعمل لتنميتها .

٤ - اتاحة فرص لقاء وتبادل الرأى بين الشباب في مستقبل العلم والتكنولوجيا واعداد الموهوبين علميا لتمثيل الوطن في الندوات والمسابقات الدوليـة .

نوادي العلوم في الخارج

وتهتم دول كثيرة باقامة نوادي العلوم لشبابها وتتبنى دور الصحف الكبيرة اكثرها .

ومن هذه الدول : اسبانيا، الاتحاد السوفيتي الصين ، المانيا الاتحادية (مجلة شترن) ، المانيا الديمقراطية ، انجلترا (جريدة التايمز) ، الولايات المتحدة الامريكية (جريدة نيو يورك تايمز ومجلة ساينس نيوز وجريدة شيكاجو تريبيون) ، اليابان (مجلة يومسوري) ، ويوجوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، كندا ، البرازيل وهولندا - فرنسا ، وتونس .

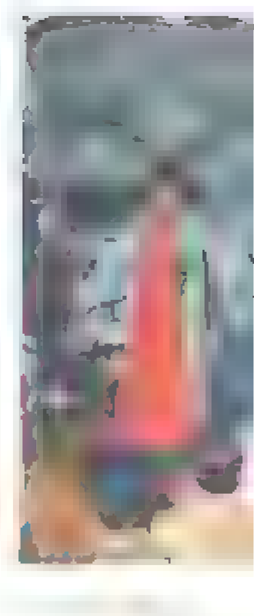
الندوات والمعارض والمسابقات الدولية

وللوصول بالشباب العربي الى المستوى العالمي المتقدم ، يقوم مشروع « نوادي العلوم بالاهرام » بالاتصال المستمر بالهيئات المشرفة على المشروعات المماثلة في العالم اجمع ، واغلبها دور صحفية كبرى مما يسهل لغة التفاهم وتبادل الخبرات .

وتنظم « نوادي العلوم بالاهرام » من خلال هذه الاتصالات ، اشتراك الشباب العربي في الندوات والمعارض والمسابقات العلمية الدولية في الخارج واقامة مثيل لها في داخل الجمهورية العربيـة المتحدة .

وبعد هذا عرض سريع لاهمية العلم والتقنية في حياتنا والطرق التي نستطيع ان نزرع بها حب العلم في قلوب ابنائنا الصغار حتى يصبحوا علماء يسيرون على خطاهم من اقبال عليهم هذا ويحققون لنا التقدم المرجو ■■

صلاح جلال





صناعة الفندقة في الكويت

- في سنة ١٩٤٤ لم يكن في الكويت سوى فندق واحد وفي عام ١٩٧٧ [illegible] أصبح هناك [illegible] فندق
- [illegible]

بقلم : محمد طنطاوي



■ الفنادق هي بعض وجوه العمران والحركة التجارية لأي بلد كان ، كذلك تقوم الفنادق بوظيفة أخرى وهي اعطاء النازلين فيها من الغرباء فكرة حسنة او غير طيبة عن البلد الذي ينزلون فيه .

وتعتبر صناعة الفندقة من أهم الصناعات الحديثة في العالم كله لما لها من تأثيرات اقتصادية واجتماعية واسعة .

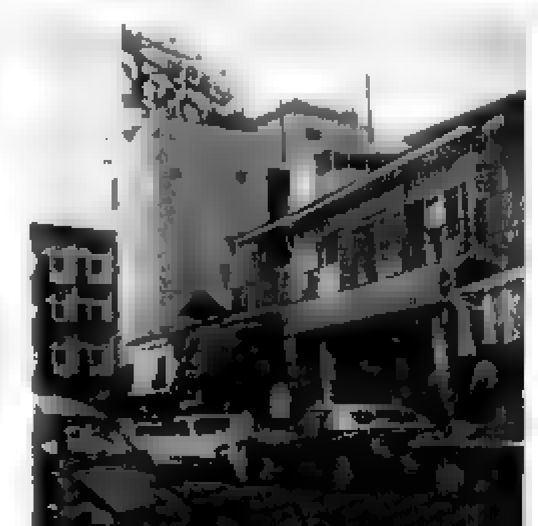
وصناعة الفندقة في الكويت صناعة حديثة جدا .. ولكنها في نفس الوقت صناعة استطاعت ان تطور نفسها بسرعة كبيرة لتتفق مع النهضة الشاملة التي عمت جميع ميادين الحياة في هذا البلد الناهض . وكأي صناعة حديثة نجد ان الفندقة لها مشاكلها .. ولها متاعبها .. كما ان لها فوائدها التي تعود على البلاد بالدعاية الحسنة والنشاط الاقتصادي

اول فندق في الكويت

وعندما نتحدث عن الفندقة وحالة الفنادق في الكويت .. لابد لنا من العودة قليلا الى الماضي .. ثم نلقي نظرة الى الحاضر .. وعندما نعود الى الماضي القريب لا البعيد نجد انه لم يكن في الكويت الا فندق واحد انشيء في عام ١٩٤٧ .. وان هذا الفندق كان متواضعا جدا .. ولعل احسن وصف لهذا الفندق الاول في الكويت هو ما ورد في كتاب « من هنا بدأت الكويت » على لسان مؤلفه وهو احد المواطنين المعاصرين لهذه الحقبة : « ان اول فندق أسس في الكويت هو فندق « شيرين » وذلك في عام ١٩٤٧ ويقع في ساحة الصفاة قرب وزارة الدفاع . (موقع سوق الحريم القديم . وبالرغم من كونه الفندق الوحيد في البلد وانه يقع في اهم بقعة من البلدة فانه لم يكن له حظ من الرعاية والعناية .. الا انه كان خاليا من كل اسباب الراحة التي يتمتع بشيء منها اقل الفنادق شأنا واحقرها .. وقد دخلت هذا الفندق ذات ليلة بصحبة احد الاصدقاء لأجد له مكانا فيه فوجدت الاسرة الخشبية خالية من الفرش ..

وذهبت الى مدير الفندق واذا هو رجل متقدم في السن وجدته جالسا على ارض الفندق عند مدخله وهو متكيء على فراشه وبجانبه ابريق ماء وقد ارتفعت اجفانه من النعاس فسألته عن السبب في وجود اسرة بلا فرش فاجابني قائلا : « بعد ايش (اريد منا) نحط لهم فرش » ! ..

والظاهر ان سبب ذلك انه لم تكن بالكويت في هذا الزمان حاجة للفنادق ، فلعلها جرت على عادة العرب في استضافة الضيوف في بيوت الاهلين ، سخاء وكرما



احد الفنادق القديمة في حي المباركية .. وهو يعتبر من فنادق الدرجة الثالثة

فنادق الكويت في عام ١٩٧١

بعد ان بدأت النهضة العمرانية في الكويت .. وبدأ عدد كبير من رجال الاعمال والفنيين من مختلف بلاد العالم يتدفقون على هذا البلد الناهض اشتدت الحاجة الى انشاء فنادق جديدة على احدث النظم الفندقية لتسد الحاجة المتزايدة الى هذا المرفق الهام .. وبدأت الفنادق تنشأ وتفتح واحدا من

وراء واحد .. وتقوم شركة الفنادق الكويتية. ولم يأت عام ١٩٧١ الا وفي الكويت عدد كبير من الفنادق من بينها فندقان تزيد عدد الحجرات في كل واحد منهما عن ٣٠٠ حجرة .. وكلها مكيفة الهواء ، وبهما احدث تطورات الصناعة الفندقية في العالم ويشرف على تشغيلهما شركتان عالميتان .. واذا هي قورنت بذلك الفندق القديم الاول الذي ذكرناه كانت المقارنة غير ذات موضوع .

والفنادق الموجودة الآن في الكويت هي حسب ترتيب درجتها من الناحية الفندقية

فنادق درجة اولى ممتازة وهي

شيراتون الكويت وهيلتون الكويت .

وتتراوح اجرة مبيت الفرد الواحد في هذين الفندقين ما بين ٥ و ٨ دينار كويتي في الليلة الواحدة مع وجبة الافطار . اما فنادق الدرجة الاولى وعددها ٥ هي

فينيسيا ، كارلتون ، برسبول ، بوبيتر سـتال ، وصحارى

وتتراوح اجرة مبيت الفرد الواحد في هذه الفنادق ما بين ١ر٥ الى ٥ دنانير في الليلة الواحدة مع وجبة الافطار .

وفنادق الدرجة الثانية يبلغ عددها ٦ فنادق ، ويتراوح اجر المبيت فيها للفرد الواحد ما بين دينارين الى ٢ر٥ دينار ومن بينها امباسادور ، وسميراميس ، وانترناشيونال .

وهناك أربعة فنادق من الدرجة الثالثة يختلف ايجار المبيت فيها والذي يتراوح ما بين ١ر٥ دينار الى ٢ دينار تبعا لوجود تكييف هواء في الحجرة او عدم وجوده .. فمثلا اذا كانت الحجرة غير مكيفة الهواء فقد يصل اجر المبيت بها الى ٧٥٠ فلسا فقط ، بينما يرتفع الى الضعف اذا كان هناك جهاز تكييف فيها .

ويلاحظ من هذه الارقام تقارب اسعار الفنادق الاولى الممتازة وفنادق الدرجة الاولى . وان اسعار فنادق الدرجة الثانية لا تتناسب مع الخدمات التي تقدمها لزبائنها الا انها ايضا مرتفعة . اما اسعار فنادق الدرجة الثالثة فهي وان كانت رخيصة نسبيا الا انها تعتبر مرتفعة



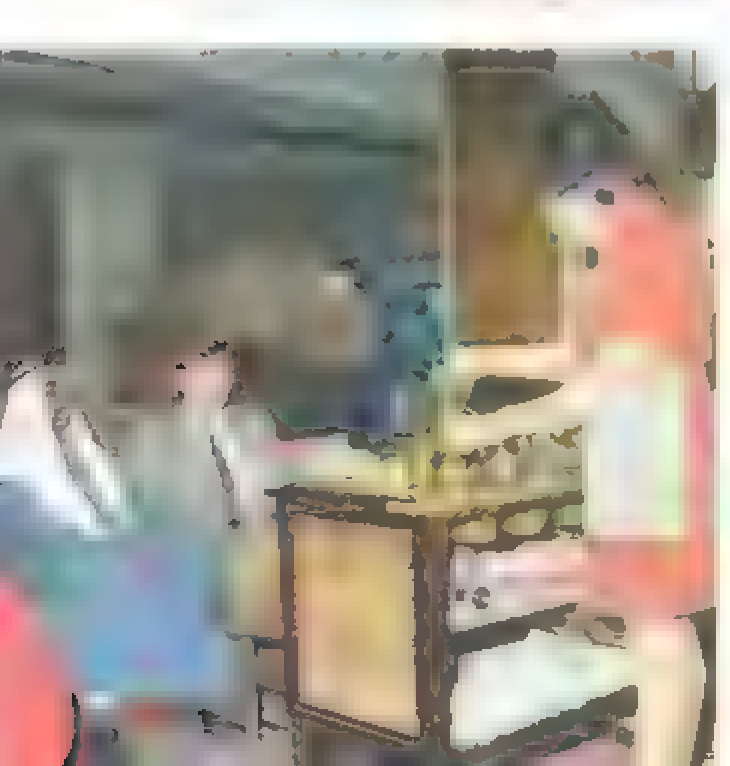
احد فنادق الدرجة الاولى في شارع فهد السالم وهو من اهم الشوارع التجارية في مدينة الكويت .

بالنسبة ايضا للخدمات التي تقدمها وبالنسبة لدخول الطبقة التي تنزل بها . ولا يوجد في الكويت فندق سياحي رخيص للطبقات الشعبية التي ظهرت في العصر الحديث بين من يطوفون في العالم سائحين مستطلعين .

الفنادق والمجتمع

لم تعد الفنادق في العالم مجرد اماكن يبيت فيها زوار البلاد والغرباء عنها .. ولكنها اصبحت مركزا لنشاط اجتماعي كبير يشمل ابناء البلد انفسهم ، فهناك حفلات عشاء .. وعروض ازياء وحمامات سباحة وقاعات السونا للمحافظة على رشاقة الجسم وصحته وصالونات للتجميل ومحلات للتحف وبقية المنتجات . وقاعات للاحتفالات تؤجر لاقامة الافراح .. او تعقد فيها المؤتمرات الدولية او المحلية .. وملاعب للتنس وقاعة للعبة البولنج ومطاعم تقدم للجميع الوجبات الخفيفة السريعة او الوجبات العادية . وينعكس هذا النشاط الاجتماعي للفنادق على المجتمع نفسه .. فبعد ان كانت التسلية الوحيدة هي الذهاب الى السينما او الزيارات العائلية اصبح هناك اماكن يستطيع سكان الكويت الذهاب اليها لتمضية امسيات جميلة بعيدا عن الجو الروتيني الذي تعودوا عليه من قبل .







غرف النوم في الفنادق الكبرى في الكويت مصممة على احدث طراز عالمي ، وتضارع مثيلاتها في فنادق العالم الكبرى وهي بذلك تكفل الراحة لزوار الكويت . وترى الحجرة وقد قسمها حاجز جعل من بعضها مكانا للنوم ومن بعضها الآخر مكانا للجلوس

المنافع الاقتصادية

اصبحت الفندقة صناعة كبرى في العالم .. ويكفي ان نعلم ان دخل الفنادق في امريكا وحدها وصل الى حوالي ٥ ملايين دولار في منتصف الستينات من هذا القرن .. وككل صناعة فان لها تأثيرها الاقتصادي .. وينحصر هذا التأثير في :

اولا : الاعمال الجديدة التي يخلقها افتتاح الفنادق في بلد ما وما تستوعبه هذه الفنادق من عمال وموظفين ..

والفنادق الكبيرة بالذات تحتاج الى اعداد كبيرة من العمال والموظفين فهي في حد ذاتها اشبه بالمدينة المتكاملة من هذه الناحية بالذات .

فالفندق يستوعب عمالا للنظافة ، وعمالا للخدمة ، وفنيين يشرفون على اعمال الكهرباء والسباكة والتكييف وغيرها من الآلات الحاجة للصيانة والاصلاح . ويحتاج ايضا الى طباخين مهرة



في الصالة الرئيسية لاحد فنادق الكويت نموذج مصغر لسفينة « البوم » التي تمثل فترة من فترات تاريخ الكويت ، تلك الفترة التي اعتمد فيها اهل الكويت على البحر في كسب رزقهم .. وحققوا الكثير من وراء تجارتهم البحرية وصيد اللؤلؤ



توجد في مباني الفندق الأرضي [illegible] مجهزة [illegible] يقبل عليها كبار النزلاء ورجال الاعمال الذين يريدون [illegible] لاستعمال [illegible] وتعتبر هذه الاجنحة [illegible] نحو [illegible]

والى موظفي استقبال يجيدون عدة لغات وعلى درجة معينة من الثقافة ، ثم يحتاج الى ادارة ملمة باسرار صناعة الفندقة والى ادارة حجز وتسويق ودعاية .. واخيرا وليس اخرا الى ادارة امن خاصة تحافظ على اموال النزلاء ، وتمنع السرقات او اي احداث قد تخل بالامن او الاخلاق داخل الفندق .. وهو في حاجة ايضا الى فرقة موسيقية ، ومدربين رياضيين يشرفون على الملاعب الملحقة به ، وغير ذلك من الاعمال المترتبة على انشطة الفندق المختلفة . من هنا نرى كيف ان انشاء الفنادق الكبرى يخلق اعمالا كثيرة ويخلق فرصا للعمل لم تكن موجودة من قبل .

ثانيا : يتطلب انشاء الفنادق الكبرى مواصفات عالية معينة وهذا يؤدي الى تنشيط الحركة العمرانية في المنطقة التي يقام فيها مثل هذا الفندق ويؤدي ايضا الى تشغيل اعداد كبيرة من عمال البناء والمهندسين والمقاولين مما ينشط الحركة الاقتصادية في البلاد .. ويؤدي في نفس الوقت الى تجميل البلاد .

ثالثا : يساعد وجود الفنادق ذات المواصفات العالية على جلب السياح ، والكويت بلد يجلب

ملعب للتنس ملحق باحد الفنادق الكبرى في الكويت .. وسيل عليه نزلاء الفندق واهالي الكويت .

الكثيرين من رجال الاعمال الذين يكون من جميع انحاء العالم بوصفها سوقا مفتوحا .. وقد بلغ عدد الذين زاروا الكويت في رحلات تجارية ٢٢,٨٩١ زائرا في عام ١٩٦٧ بينما بلغ عدد من زاروها في نفس العام من اجل حضور مؤتمرات دولية ١٥,٦١٧ شخصا وبلغ مجموع عدد زوار الكويت لمختلف الاغراض في نفس العام ٢٠٤,٧٧٤ زائرا .

وهذه الارقام ان دلت على شيء فانما تدل على اهمية الفنادق في مثل هذا البلد الذي يتردد عليه عدد كبير من الزائرين كل عام .

المشاكل التي تعاني منها صناعة الفندقة في الكويت

وكأي صناعة حديثة في اي بلد من البلدان ، فان صناعة الفندقة في الكويت تعاني من عدة مشاكل من اهمها عدم توفر اليد العاملة المدربة على التدريب والتي تتوفر فيها الشروط التي يجب ان يتميز بها كل من يعمل في هذه الصناعة . وقد ادى هذا النقص الى الاستعانة ببعض ممن لم يعملوا في الفندقة من قبل وهذا يؤثر بالتالي على مستوى الخدمات التي تقدمها الفنادق لزبائنها .

وهناك مشكلة اقتصادية ، فان نسبة الزوار في هذه الفنادق تنخفض انخفاضا كبيرا في فصل الصيف نتيجة للحر الشديد الذي تتعرض له البلاد .

وتشكو بعض الفنادق من ان القوانين التي تحد من حريتها في تقديم المشروبات الروحية وخاصة لزبائنهم من الاجانب ، تجعل تحقيق ارباح من فنادقهم امرا صعبا للغاية ان لم يكن مستحيلا ، فربح الفندق من المشروبات الروحية اكثر بكثير من ربحه من تقديم المأكولات او مبيت النزلاء .

★ ★ ★

وبعد فهذه صورة سريعة لصناعة الفندقة في الكويت .. والنهضة الكبيرة التي حققتها في وقت قصير جدا .. تلك النهضة التي تسير بخطوات واسعة نحو الامام . ■■

محمد طنطاوي



تتعهد الفنادق في الكويت مع طهاة من بلاد مختلفة وذلك لكي توفر لنزلائها اشهر انواع الطعام الذي يتكون من اطباق مختلفة من جميع مطابخ العالم .

صفة الإنسان الكامل في تراث العرب

كما تحدث عنه من أسلافنا : ابن مسكويه ، والغزالي ، والرازي ، وابي حيا

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

■ الكاتب الصادق مع نفسه ، المدرك للأمانة التي يحملها ، أصالة عن نفسه ونيابة عن سواه ، لا يكتب للتسلية ، ولا لملء الفراغ الورقي في صحائف الكتب والمجلات ، وإنما يكتب لأمر كلي يكشف عن الحق في الموضوع الذي يتصدى للكتابة عنه ، وعندئذ تجيء كتابته — في الأغلب الأعم — كالمرآة الكاشفة لما يختلج في نفوس الناس ، وما تضج به حياتهم في عصره ، فكأنما هو يكتب لمعاصريه وللأجيال القادمة ومنه يرجعون إليها لينظروا كيف كانت الحياة في ذلك العصر وفيه صالت بما رأته الأعين وبما سمعته الآذان ، غير أن هذا كله ، لا [illegible] بكلمة واحدة ، ويأخذ في بناء حياة مثلى ليقوم فيها مجتمع أمثل ، فهو — بما يكتبه — يضع أمام الناس القدوة والنموذج ، تاركا لهم أن يقاربوا ما هم فيه بما كان ينبغي أن يكونوا عليه ، لعل الهوة العميقة بين الواقع والمثال ، تهولهم فتحفزهم إلى أن يبدلوا من حياتهم حالا بحال .

بل إن الأمر كثيرا ما يختلط علينا إذا نحن قرأنا لأسلافنا ما كتبوا ، فنسأل : ترى هل كانوا يرسمون بأقلامهم صورة معاصريهم ، أو أنها صورة رسمت لتصلح في المعاصرين فسادا ؟ ترى هل حاكوا الواقع أو تصوروا المثال ؟ وأيا ما كان شأن الأسلاف الكاتبين ، حينما كتبوا عن الإنسان كيف كان أو كيف ينبغي له أن يكون ، فها هنا أمام تحليلات كتبت منهم البارعون تنشر أمام أبصارنا نحن أبناء هذا العصر ، لوجدنا فيها — بغير شك — صورة الكمال الإنساني ، التي تصلح معيارا نقيس إليه واقع الإنسان المعاصر ، لنرى كم ينحرف في سلوكه زاوية الانحراف ، نعم أن هذه التحليلات التي أعنيها ، تفوح برائحة اليونان الأقدمين ، كأنما تلك — في مواضع كثيرة — تلخيص لهذه ، لكن الصور بصنف الأفكار ، فيكفينا في هذا الصدد أننا قد قبلنا الصورة الكاملة معيارا لنا ، فنلناها عن اجتهاد ورضى ، وأجريناها على أقلامنا جزءا من تراثنا ، وليس يعنينا بعد ذلك كمال الناس أين يكون مصدره .

حكم العقل واحد ، وحكم الهوى متعدد

المدار في نموذج الإنسان الكامل عندهم هو أن يكون « عاقلا » بالتعريف الفلسفي الدقيق لكلمة « عقل » ، فهي كلمة ما أيسر أن نتداولها في سياق الحديث ، ولكن ما أعسر أن نجد لها التحديد المحكم ، ولئن كانت الفكرة كثيرا ما يوضحها نقيضها ، فنقيض العقل هو « الهوى » ، فماذا

يميز احكام « العقل » من احكام « الهوى » ؟ يميزها أن الحكم من النوع الأول هو في كل حالة معينة واحد لا يتعدد بتعدد الأشخاص، أو بتعدد المرات عند الشخص الواحد، على حين أن الحكم من النوع الثاني يقبل التعدد بكلتا الصورتين ، فاذا قال قائل ان العشرة نصفها خمسة ، لم يكن ثمة مجال امام غيره ، ولا امام نفسه أن يتنكر لهذا القول ، مهما تكن ظروفه ومزاجه ، وأما اذا قال قائل ان شروق الشمس أجمل من غروبها ، كان هنالك احتمال ان يختلف معه سواه ، بل ان يختلف هو نفسه مع نفسه اذا تغيرت « العوامل » في وجدانيه الحكم العقلي ، وإن تعدد أحكام الهوى ، هي ان حكم العقل نقيضه مستحيل على الذهن لا يتصور حدوثه ، وأما حكم الهوى فيمكن ان نتصور حدوث نقيضه .

الكمال التزام بالعمل عند المفكرين من أسلافنا

ذلك استطراد أردت به أن أوضح للقارىء ماذا يراد حين يقال ان أساس الحكم لانسان بالكمال عند المفكرين من أسلافنا هو ان يكون ملتزما بعقله إزاء الأشخاص والأشياء والمواقف ؛ وقد كان من الأفكار المألوفة عند هؤلاء المفكرين جميعا ، فكرة جاءتهم من اليونان الأقدمين مع الترجمة التي نقلوا بها تراث أولئك اليونان، وهي أن يقاس كمال الشيء بأدائه للفعل الذي خلق من أجله، فشجرة البرتقال كمالها ليس هو نفسه الكمال بالنسبة الى شجرة الورد، وكمال السمر أن يكون سمرا وكمال القط أن يكون قطا ، ولا يجوز أن يحاسب نوع بكمال نوع آخر ، وعلى هذا الأساس نفسه يكون كمال الانسان مرهونا بجوهره ، وجوهره هو العقل ، « فالفاضل التام هو الحريص على التزام احكام العقل فيما يفعل وما يجتنب » من غير الوني فيه ولا الاخلال به في وقت دون وقت » كما يقول ابن مسكويه في كتابه « تهذيب الأخلاق » .

النفس الانسانية ثلاث قوى منها العقل وهو أفضلها

ويجري ابن مسكويه ـ وغيره من مفكري العرب أجمعين ـ على سنن اليونان ، فيحلل النفس الانسانية تحليلا يردها الى قوى ثلاث : ففيها الشهوة الى اشباع حاجات البدن ، وفيها الغضب الذي يستثار دفاعا عن النفس ، وفيها العقل ؛ ولكل من هذه القوى فضيلته ورذيلته ، فالفضيلة في الاشتهاء هي العفة وضدها هو الشره، والفضيلة في الغضب هي الشجاعة وضدها هو الجبن ، والفضيلة في العقل هي الحكمة وضدها هو الجهل، واذا اجتمعت هذه الفضائل الثلاث كان من اجتماعها فضيلة رابعة هي العدل ، على أن القوى الثلاث التي ذكرناها ، ليست كلها على درجة واحدة ، بل فيها ما هو أعلى وما هو أدنى ، والعقل أعلاها ، وهو الذي من شأنه أن يلجم الغضب وأن يحد من الشهوة ، فيقف كلا منهما عند الدرجة التي ترتضيها الحكمة ، كأنه هو القائد في مركبة يجرها جوادان ـ اذا استخدمنا التشبيه المعروف الذي صور به أفلاطون حقيقة الانسان في حالة كماله ـ فهو يسوس الجوادين بالزمام في يده ليضمن للعربة اعتدال السير .

الانسان وحده ، يعد فيه ألف بواحد

وان الناس ليتفاوتون في الطرق التي يسوسون بها حياتهم وفق حكمة العقل ، تفاوتا ليس له نظير في أفراد نوع آخر لأن سائر ضروب الكائنات الحية تسير على قوانين طبائعها ، ليس لها في ذلك اختيار، فلا فرق يذكر بين نمر ونمر ولا بين قط وقط الا فرق وطبيعته ، أما الانسان فإن فطرته أن يختار ولذا فمن واجبه أن يكون مسئولا عن اختياره ؛ ومن هنا جاء التفاوت الفسيح بين انسان وانسان في مقدار احتكامه للعقل حين يختار ، ويذكر لنا ابن مسكويه في هذا السياق حديثا شريفا : « ليس شيء خيرا من ألف مثله الا الانسان » ، كما يذكر كذلك هذا البيت من الشعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا
الى المجد ، حتى عد ألف بواحد

عند أسلافنا : حكمة العقل تكتمل بالعمل

على أنني أحب الا أمضي بالحديث عند هذه النقطة ، دون أن أنبه القارىء الى فكرة هامة ، لو أفلتت من أيدينا فقد أفلت ركن ركين في بنية الفكر العربي ، الا وهي أنهم ـ أعني أسلافنا من مفكري العرب ـ لم يتصوروا قط أن يقتصر الانسان على حكمة العقل دون أن يمدها الى فعل يؤديه بناء عليها ، فلا يكون العلم علما صحيحا الا اذا أعقبه العمل على أساسه .

وفي ظني أن هذه الاضافة جاءت لتميز الفكر العربي عن سلفه اليوناني ، برغم اشتراكهما في

الطريقة التى حللوا بها النفس الانسانية » « فالقوة العاقلة » – على تعبيرهم – التى تتمثل فيما تحصله من معارف وعلوم ، تكملها « القوة العاملة » التى تتمثل فى تنظيم أمور الحياة وترتيبها .

وعلى هذا الضوء نستطيع ان نفهم ابن مسكويه حين يقول : « ان ما يختص به الانسان من حيث هو انسان ، وبه تتم انسانيته وفضائله هو الامور الارادية » كما نفهمه كذلك حين يحدد الخير بأنه « فعل » ما قصد به من وجود الانسان ، ويحدد الشر بأنه هو ما يعوق ذلك الفعل ، وتطبيقا لهذه القاعدة لا يكون الخير أبدا فيمن « يتأمل » وهو ساكن ، بل لا يكون الخير أبدا فيمن يملأ رأسه بثقافات الاولين والآخرين ، ثم لا فعل بعد ذلك يؤديه على ضوء ما قد عرف .

الغزالى ، كابن مسكويه يقول بالعقل والعمل

ونستقل الى علم آخر من أعلام الفكر العربى – هو الامام الغزالى – لنجده يشاركه فى الأسس نفسها وفى الروح نفسها ، فأول ما يلفت أنظارنا فى هذا الصدد عنده ، أن له كتابين ، أراد بكل منهما أن يكون نصف الآخر كأنما أراد أن يقول بألا حياة على أى درجة من الكمال الا اذا اجتمع فيها نصف من ذينك النصفين : وأما الكتابان اللذان أعنيهما فهما « معيار العلم » و « ميزان العمل » ، ففى الكتاب الأول يضع للعلم حدوده ويقيم له الأسس التى تضمن له الصواب ، وفى الكتاب الثانى يبين كيف يجيء العمل وفق ذلك العلم .

ويرى الغزالى – كغيره من المفكرين العرب – ان صورة الانسان الكامل لا تتحقق لنا الا اذا حللنا النفس الانسانية أولا ، فتراه يهيب بالباحث أن يعرف نفسه كما فعل فى ذلك سقراط ، فيقول : اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك ، كما يروى فى هذا السياق حديثا شريفا : « اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه » ، ثم يقرر لنا فى السياق نفسه ان معرفة النفس ومعرفة الله امران متلازمان : « ومن رحمة الله على عباده أن جمع فى شخص الانسان على صغر حجمه من العجائب ما يكاد بوصفه يوازى عجائب كل العالم ، حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم ، ليتوصل الانسان بالتفكر فيها الى العلم بالله » .

لكنه اذ يحلل النفس الى قواها يأخذ بالتحليل نفسه الذى نقل اليهم من اليونان ، وهو ان يجعل فيها شهوة تطلب اللذة ، وغضبا يطلب الغلبة ، ثم عقلا يسوس الجميع ويضبط الفعل ، فاذا اراد ذكر الفضائل ، جعلها اربعة : فالحكمة فضيلة القوة العقلية ، والشجاعة فضيلة القوة الغضبية ، والعفة فضيلة القوة الشهوانية ، ومن توافر هذه الفضائل الثلاث ، تنشأ الفضيلة الرابعة وهى العدالة .. هذا ، ولم يدع الغزالى موضعا فى كتابه الا واكد فيه القول بضرورة أن يجيء « العمل » لاحقا ضروريا « للعلم » الذى تدركه القوة المفكرة ، ولئن يكن يجعل لهذين اللفظين معنى خاصا ، فالعلم – عنده – هو علم بالالهيات ، والعمل – عنده – هو العبادة وفق ذلك العلم ، لكن تحديده لهذه المعانى لا ينفى بنية الاطار الفكرى الذى نتحدث عنه ، وهو تصور الموقف مرتكزا على شطرين ، هما العلم من ناحية وتطبيقه من ناحية اخرى ، كائنا ما كان المعنى الذى يعطيه المفكر للعلم ، والمعنى الذى يحدد به نوع العمل .

الرازى فى كتابه « الطب الروحى » يفصل كيف يكون العمل

تلك – اذن – هى الأسس النظرية لنموذج الانسان الكامل عند المفكر العربى القديم : تحليل للنفس على نحو ما حللها به اليونان الأقدمون ، وهو تحليل مؤداه ان تكون القيادة للعقل ، هو الذى ينظم الرغبة والانفعال ، دون ان تطمس رغبة او ان يخنق انفعال ؛ لكن المفكر العربى لم يترك الامر عند هذا الحد النظرى المجرد ، بل تناوله بصورة تفصيلية تصلح لهداية الناس فى سلوكهم العملى ، ونسوق مثلا لهذا التناول المفصل ، ما كتبه ابو بكر محمد بن زكريا الرازى فيما أطلق عليه اسم « الطب الروحى » او « طب النفوس » والذى اوحى له بهذا العنوان ، هو كتابه الذى كان قد الفه فى الطب الجسمانى ، فما لبث ان رأى ان الصورة لا تكمل الا بكتاب آخر يؤلفه فى طب النفوس ليصح الانسان بالكتابين جسدا وروحا .

والذى قصد اليه الرازى بطبه الروحى هذا ، هو ان يتعقب مصادر النقص الخلقى عند الانسان ، ليبين لقارئه كيف يكون أسعد حالا وأهنأ حياة اذا هو ملك زمام فطرته ووجهها على النحو الذى يجعل له حياة متزنة معتدلة متوازنة الجوانب ، وهو يصف كتابه هذا فى فاتحته بقوله : « هذه مقالة صنفتها فى اصلاح الاخلاق » – قاصدا

« بالأخلاق » ذلك السلوك السوي السليم ، وهو ما نجابهه هنا إنما يذكرنا بجانب هام من جوانب الطب النفسي الذي شاع في عصرنا هذا وذاع وأصبحت له « عيادات » وتصدر عنه عشرات المؤلفات ، مع اختلاف في طريقة التناول تتناسب مع اختلاف العصرين .

فصل الرازي في فضل العقل

ولقد فصّل الرازي كتابه عشرين فصلا ، كان أولها فصل في فضل « العقل » ومدحه ، وها هنا نضع أصابعنا على مفتاح رئيسي من مفاتيح الشخصية العربية كما صورها تراثنا ، إلا تكن هي الشخصية العربية كما وقعت بالفعل في مجرى التاريخ ، فهي الشخصية التي تعلق بها النموذج والمثال ، فنموذج الإنسان كما رسموه هو الإنسان الذي كان محكوما بعقله ، لا بشهواته وغرائزه بل ولا بوجدانه وعاطفته ، ولماذا تركوا الزمام للعقل لا للهوى ؟ الإجابة عند الرازي – وغيره – أن ذلك أجلب « للمنافع » آخر الأمر ، فقد تعود علينا الأهواء بإشباع لرغباتنا سريع ، لا يلبث أن ينقلب علينا غما وألما ، وإنما العقل تنبيه على وزن نتائجه القريبة والبعيدة – وهذا هو لب العقل ومعناه – فالأرجح أن يكون مأمون العاقبة ، فالعقل – كما يقول الرازي – هو : « الشيء الذي لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين » ، « وبالعقل نتصور أفعالنا العقلية قبل ظهورها للحس ، فنراها كأن قد أحسسناها » . وما دام أمره كذلك فقد « حق علينا ألا نحطه وهو الحاكم محكوما عليه ، ولا وهو الزمام مزموما ، ولا وهو المتبوع تابعا ، بل نرجع في الأمور إليه .. ولا نسلط عليه الهوى الذي هو آفته » – وإنا لنترك للقارىء العربي المعاصر أن ينظر لنفسه ويحكم : إلى أي حد يكون زمامنا في أيدي عقولنا ، وإلى أي حد سرق هذا الزمام لأصحاب النزوة والهوى ؟

والفصل الثاني للرازي في الهوى

وإذا كان الاحتكام إلى العقل هو أحد وجهي العملة – كما يقال – فلابد أن يكون الوجه الآخر هو في قمع الهوى وردعه ، لأن هذا مكمل ضروري لذلك ، ومن ثم جعله الرازي موضوعا للفصل الثاني من كتابه ، فلئن كان الإنسان بعقله مدركا للأمور إدراكا صحيحا ، فهو بقمعه لهواه صاحب « إرادة » ، والعقل من جهة ، والإرادة من جهة أخرى هما – كما نعلم – جانبان متلازمان: أحدهما له النظر والآخر عليه التنفيذ ، وليس الأمر بالهين اليسير إلا على من تناول إرادته بالتدريب المتصل الدءوب ، وذلك لأن ما سوف يقاومه الإنسان بإرادته تلك ، إنما هو طبع مفطور في جبلته ، فانظر كم هو عسير على الكائن الحي أن يعصي طبيعته ، فلعل هذه أن تكون هي « الأمانة » التي عرضت على الجبال فأبين أن يحملنها ، وحملها الإنسان (والكلام هنا من عندي لا من عند الرازي) فقد أبت الجبال ، ومعها سائر الطبيعة من جماد ونبات وحيوان أن تترك نفسها لقوانين ليست من صنعها هي لتسير ولكنها لا تعرف : لماذا ؟ ولا إلى أين ؟ إلا الإنسان ! يقول الرازي : « البهائم واقفة عند ما يدعوها إليه الطباع ، على خلاف الإنسان الذي يسلك السلوك بعد روية عقلية فيخالف به ما يدعو إليه الطباع » ، « فإنك لا تجد بهيمة تمسك عن أن تروث أو تتناول ما تغتذي به ، مع حضوره وحاجتها إليه ، كما تجد الإنسان يترك ذلك ويقهر طباعه عليه ، لمعان عقلية تدعوه إلى ذلك » .

العشق عند الرازي بلية

بعد أن يفرغ الرازي من كلام طويل يوازن فيه بين لذة عاجلة يرضاها الهوى ولذة آجلة يفضلها العقل ، تقرؤه فتحسب أنك إنما تطالع فصلا عند « بنتام » Bentham أو عند « جون ستيوارت مل » Stewart Mill (من مفكري القرن الماضي في انجلترا) ينتقل بك إلى أولى الصفات الردية الخاصة التي لا تكون أيضا من صفات الرجال ذوي الهمم الشماء ، ألا وهي العشق ، أو الحب – بلغة يومنا – لأنه بلية يكفي فيها أنها تدعو العاشق إلى الذل والخشوع ، « فأما المخنثون من الرجال والغزلون ، والفراغ ، والمترفون ، والمؤثرون للشهوات ... فلا يكادون يتخلصون من هذه البلية » وكأنهم بها يرتدون إلى حالة الطبيعة العمياء ، فاقرأ هذا وأمام عينيك صورة الشباب « الهيبز » في عصرنا !

العجب عند الرازي

ولا نطيل الوقوف هنا لننتقل إلى نقيصة نفسية لا خير منها إلا بتسليط العقل على الهوى ، وتلك هي « العُجْب » ، فكل إنسان هو بطبيعته محب لنفسه ، وذلك يدعوه إلى « استحسان المحسَّن

منها فوق حقه ، واستقباح القبيح منها دون حقه ... فاذا كانت للانسان احدى فضيلة ، عظمت عند نفسه ، واحب ان يتمدح عليها فوق استحقاقه ، واذا ثابتت فيه هذه الحالة صار متجبا ، ولا سيما ان وجد قوما يساعدونه على ذلك » ...

ومن بلايا « العجب » - كما يقول الرازى - انه يؤدى الى النقص فى الامر الذى يقع به العجب ، لان المعجب لا يروم التزيد فى الباب الذى منه يعجب بنفسه ... فالمعجب بعمله لا يتزيد منه ، لانه لا يرى ان فيه مزيدا ، ومن لم يستزد من شىء ما ، نقص لا محالة وتخلف عن رتبة نظرائه .

والفصل السابع من كتاب الرازى فى الحسد

ومن التعجب ينتقل المؤلف الى الفصل السابع من كتابه فى الحسد ، ويحلل الحسد الى عنصرين يجتمعان ، هما : البخل والشره ، فالحسد اعم واوسع من البخل على حدة ، ومن الشره على حدة ، اذ البخيل لا يحب ان ينال احد مما يملكه شيئا ، لكن الحسود يضيف الى ذلك جانبا آخر هو ألا ينال احد خيرا ، حتى ولو لم يكن ذلك مما يملكه هو .

ومحال على « عاقل » ان يكون « حسودا » لأن الحسد والعقل ضدان ، ذلك لأن الحسود لا يحسد البعيدين عنه ، فهو لا يحسد من بالهند والصين - على حد تعبير الرازى - وانما ينصب حسده على الاقربين منه ، فاذا احتكمنا هنا الى العقل ، قلنا : انه اذا كان حمقا او جنونا ان يحزن الحاسد لخير ناله البعيدون عنه ، فان حمقا مثله ان يتألم الخير من هو بحضرته وقريب منه ، اذ الاقربون هنا - كالابعدين - فى انهم لم يسلبوه شيئا مما فى يديه ، ولا منعوه بلوغ شىء كان يقدر عليه .

واقرأ هذه العبارة النافذة من كلام الرازى فى الحسد : « انا نرى الرجل الغريب يملك اهل بلد ما ، ولا يكادون يجدون فى انفسهم كراهة لذلك ، ثم يملكهم رجل من بلدهم ، فلا يكاد ان يتخلص ولا واحد منهم من كراهة لذلك ، هذا على انه ربما كان هذا الرجل الثانى - اعنى البلدى - ارأف بهم ، واكثر اليهم من الثالث الغريب ، وانما يؤتى النفس فى هذا الباب من فرط محبتهم لانفسهم ، وذلك ان كل واحد منهم - من اجل حبه لنفسه - يحب ان يكون سابقا الى المراتب المرغوب فيها ، غير مسبوق اليها ، فاذا هم رأوا من كان بالامس معهم ، اليوم سابقا لهم متقدما عليهم ، التمسوا للملك ، وصعب ، واشتد عليهم سبقه اياهم اليها ، ولم يرضهم منه لطفه عليهم ، ولا احسانه اليهم ، لان انفسهم متعلقة بالغاية مما صار اليه هذا السابق ، لا غير ، لا يرضيهم سواه ، ولا يستريحون دونه ، واما الثالث الغريب ، فمن اجل انهم لم يشاهدوا حالته الاولى ، لا يتصورون كمال سبقه لهم ، وفضله عليهم ، فيكون ذلك اقل للغمهم واسفهم ، وقد ينبغى ان يرجع فى مثل هذا الى العقل » .

ومما يمحو الحسد من النفس - هكذا يمضى الرازى فى قوله - ان يتأمل العاقل احوال الناس ، فانه سيجد ان حالة المحسود عند نفسه خلافها عند الحاسد ، فلا يزال الانسان يستعظم الحالة ، ويتمنى بلوغها ، حتى اذا بلغها لم يُسَرّ بها الا مدة يسيرة ، بقدر ما يستقر فيها ويتمكن منها ويتعرف جهة لم تسمو نفسه الى ما هو فوقها ... انه عندئذ يصبح بين هم وخوف : خوف من التردى من الدرجة التى بلغها ، وهم لما يتمنى بلوغه .

الرازى والغضب والكذب

وينتقل المؤلف الى حالة الغضب ووجوب دفعه لأن الغضب اذا اشتد وافقد الغاضب عقله ، « فربما كانت نكايته فى الغاضب وابلاغه اليه المضرة ، اشد واكثر منها فى المغضوب عليه » والحق انه « ليس بين من فقد الفكر والروية فى حال غضبه وبين المجنون كبير فرق » .

ثم يتناول الكاتب حالة الكذب وكيف يقضى العقل عند العاقل بوجوب اطراحه ، لأن الكذب يدعو اليه الهوى ، اذ كثيرا ما يكون الدافع الى الكذب هو رغبة الانسان فى « التكبر والترؤس » - هذه عبارة الرازى - فيقول القول الكاذب اذا رآه مما يجيء له الرفعة على سامعه ، « وقد قلنا انه ينبغى للعاقل ان لا يطلق هواه فيما يخاف ان يجلب عليه من بعد غما واذا وندامة - ووجد الكذب يجلب على صاحبه ذلك » .

انتى الآلف نظر القارئ الى طريقة الرازى فى التفرقة بين ما يجوز فعله وما لا يجوز ، اذ هو يحمل النظر كله على « المنفعة » فى المدى البعيد ، لا على تطبيق المبادئ أيا كانت نتائجها فى حياة

الانسان ، ولما كان الفعل الواحد كثيرا ما يختلف نفعه بضرره ، كان دور العقل هنا هو أن يوازن بين النفع والضرر ، وأيهما يكون له الرجحان يحدد للانسان طريق سلوكه اقبالا على الفعل المعين أو ادبارا عنه ، وبعد هذه الملاحظة هذا ، اقرأ هذه الموازنة الطريفة في حالة الكذب : « ليس يصيب الكذاب من الالتذاذ والاستمتاع بكذبه – ولو كذب عمره كله – ما يقارب ، فضلا عما يوازى ، ما يجتمع اليه – ولو مرة واحدة في عمره كله – من همّ الخجل والاستحياء عند افتضاحه ، واحتقار الناس » ...

الرازي والبخل

ويجيء بعد ذلك حديث المؤلف عن البخل ، وهنا نجد تفرقة غاية في اللطافة والدقة ، وذلك لأن البخل ليس دائما من فعل الهوى ، بل منه ما قد يكون نتيجة روية عقلية وبعد نظر الى المستقبل البعيد ، ولما كان « العقل » هو معيار احكامنا ، كان البخل الذي نحاربه هو ذلك الجانب منه المبني عند البخيل على مجرد خوف من الفقر خوفا لا يقوم على أساس معقول ، لأن ذلك من قبيل الهوى ، وأما ما ينبني على تدبير العقل فهو مقبول .

الرازي يتحدث عن الغم والشره والسكر وشهوة الجنس

ويمضي الرازي في تطبيق معيار العقل على ضروب النقص التي تفقد الانسان صحته النفسية ، فيتحدث عن حالة « الغم » ووجوب دفعها ، وما الوسيلة لهذا الدفع الا أن يحد الانسان من رغباته وشهواته ومواضع حبه ، لأن الغم هو في صميمه خوف عند المغموم من أن يفقد ما يملك ، فلو درب نفسه على الاستقلال عن الأشياء ، بحيث اذا ضاع منها ما ضاع لم يحس مرارة ضياعه ، كان بذلك قد أبرأ نفسه من علة الغموم .

وعلى هذا الأساس نفسه يحدثنا المؤلف عن حالات « الشره » و « السكر » و « شهوة الجنس » وما اليها من رغبات الجسد ، التي لا تبلغ أبدا حد الاشباع ، واذن فالعلاج هو الوقوف منها جميعا موقف القصد والتوسط ، فلا نقمعها ولا نندفع وراءها الى آخر المدى .

الموت لاخشية منه

ويختم الرازي مقالته هذه عن طب النفوس ، بحديث عن الخوف من الموت وكيف يجب التخلص منه بتحكيم العقل ، « فالانسان ليس يناله من بعد الموت شيء من الأذى بتة ، اذ الأذى حس ، والحس ليس الا للحي وهو في حالة حياته ... فاذا قيل : ليس في الموت افتقاد الحياة : قلنا ليس بالميت حاجة اليها ، ولا له اليها نزوع » .

ويلخص الرازي السيرة الفاضلة – أي صحة النفس – في سطرين ، فيقول : « ان الانسان اذا لزم العدل والعفة ، وأقل من مماحكة الناس ومجاذبتهم ، سلم منهم ، واذا ضم الى ذلك الافضال عليهم ، أولى منهم المحبة ، وهاتان الخلتان هما ثمرتا السيرة الفاضلة » .

نموذج للانسان الأمير أو الوزير ، عند الجاحظ

هأنحن أولاء قد رسمنا خطوطا تصور نموذج الانسان كما تمناه ثلاثة من أعلام الفكر العربي القديم ، من الناحيتين النظرية والعملية ، هم : ابن مسكويه ، والغزالي ، والرازي ، ونريد أن نضيف الى نموذج الانسان في صورته ، نموذجا رسمه مفكر رابع ، هو الجاحظ ، للانسان وهو أمير أو وزير ، على رسالة « المعاش والمعاد » التي وجهها الى الوزير محمد عبد الملك الزيات (وقيل الى محمد بن أبي دواد ، الذي تولى على قضاء بغداد في عهد المتوكل) ، ومن ذا يسعه أن يقرأ رسالة كهذه فيها نصح للوزير ، دون أن يذكر رسالة مكيافللي التي ينصح بها الأمير The Prince فبينما المثل الأعلى للأمير في تصور مكيافللي هو أن يبلغ غايته بغض النظر عن الوسائل المؤدية اليها ، من ظلم وغدر وكذب وخداع وما شئت من رذيلة ، نرى الجاحظ يوصي وزيره بأن الحكم لا يستقيم الا مع طائفة من فضائل ، فاذا جاوزها فقد ضل السبيل ، لا بالنسبة الى الأخلاق النظرية وحدها ، بل كذلك بالنسبة الى المنفعة المرجوة ، سواء كانت منفعة في دنياه أو في آخرته ، لا فرق بين العالمين .

والمبدأ الأساسي عند الجاحظ في رسالته هذه – كما هو عند ابن مسكويه والغزالي والرازي جميعا – هو احتكام المرء الى عقله دون الميل والهوى ، على أن يفهم « العقل » بمعنى الطريق المؤدية

آخر الأمر الى نفع يرجع اليه الفرد ؟ « اعلم ان الله جل ثناؤه خلق خلقه ، ثم طبعهم على حب اجترار المنافع ودفع المضار ، وبغض ما كان بخلاف ذلك، هذا فيهم طبع مركب ، وجبلة مفطورة ، لا خلاف بين الخلق فيه ، موجود في الانس والحيوان » .

ويعقب الجاحظ على ذلك بعبارة كأنما اراد بها ان يشرح للوزير ما يقصد اليه حين يؤسس السلوك على « العقل » ، وحين يترجم مثل هذا السلوك العاقل بأنه هو الذي ينشد اكبر النفع في نهاية الأمر ، فيقول ما معناه ان العبرة هي في قدرة الانسان على رؤية النتائج الأخيرة عند اوائل الأمور ، « واستشفافه بعقله ما تجيء به العواقب » وبقدر تفاوت الناس في هذه القدرة يكون تفاوتهم في الفضائل ، واما اذا انتظر المرء حتى يقع ما يقع فيراه حين يقع « فذاك امر يستوي فيه الفاضل والمفضول ، والعاقلون والجاهلون » ، ثم ينصح الجاحظ وزيره بأن يحكم وكيل الله عنده — ويعني بذلك عقله — على هواه ، ويلقي الى عقله بزمام امره .

وكذلك يوصي الوزير بالعدل ، قائلا له : « اعلم ان الحكم في الآخرة هو الحكم في الدنيا : ميزان" قسط" ، وحكم عدل » ، ولعل من اركان العدل ان يحفظ للناس اقدارهم اذا قام بينه وبينهم معاملة ، على ان تقاس هذه الأقدار على قدر العلم والاستحقاق ، محذرا اياه ان يركن في تقديره للناس الى الهوى .

وينصح الوزير ان « اجلس في المحافل دون الموضع الذي تستحقه حتى يرفعك اهلها ، فاذا نافس القوم في حديث ومنعك منه مثل ما عندهم فاسكت حتى يحتكموا اليك ، لانك ان ماثلتهم كنت واحدا منهم » .

وهو اذ يذكر له الفضائل الأساسية ، يتفق فيها مع غيره ممن ذكرنا او لم نذكر ، وكذلك الأمر حين يحذره من الرذائل المذمومة التي من شأنها ان تزيل عنه السلطان ، ومن اهمها الكذب والغضب والجزع والحسد ، وله في هذه الرذائل كلام بلغ غاية الجودة وصفاء النثر ، ثم هو يفرق له بين طريقة يعامل بها عدوه واخرى يعامل بها صديقه ، فعليه مع العدو ان يحصن عنه اسراره ، وان ينتهز له الفرصة فيظهر حجته عليه ، وان يظهر له الاستهانة به ، لكن يستبطن الحذر منه والاستعداد له ، اما مع الصديق فيوصيه قائلا : « .. لا تكونن لشيء مما في يدك اشد ضنا ، ولا عليه اشد حفظا ، منك بالاخ الذي قد بلوته في السراء والضراء ... فانما هو شقيق روحك .. ومستمسك رأيك ، وتوأم عقلك ، ولست منتفعا بعيش مع الوحشة ، ولا بد من المؤانسة ... ثم لا تزهدك في الصديق ان ترى منه خلقا او خلقين تكرههما ، فان نفسك التي هي اخص النفوس بك لا تعطيك القيادة في كل ما تريد ، فكيف بنفس غيرك ؟ »

واقرأ هذه الارشادات التوالية التي يوجهها الجاحظ لوزيره ، واجعل صورة مكيافلي ماثلة امامك في كل ما تقرؤه للجاحظ هنا ، لتعلم مدى البون بين ناصح وناصح ، فبينما يقول مكيافلي لأميره : ان الأمير الذي يريد حفظ كيان دولته ، لا بد له في كثير من الاحيان ان يخالف الذمة والمروءة والانسانية والدين ، يقول الجاحظ لوزيره ان يحذر الاشفاق على حتف الانسان الضعيف ، بل ان سمو الحكم هو في ان يغلب العالم نفسه ليكون في نصرة الضعيف ، فالعلم — مثلا — كما يقول الجاحظ ، علمان ، اشرفهما علمك عمن هو دونك ، والصدق صدقان ، اعظمهما صدقك فيما يضرك ، والوفاء وفاءان ، اسناهما وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه ، تلك هي — كما يقول — اركان الدين ، وهي كذلك اركان الدنيا ، ويستطرد الجاحظ مرشدا الوزير : احذر المفاخرة بالانساب .. اقتصد في مزاحك، فان الافراط فيه يذهب بالبهاء ، ويجرئ عليك اهل الدناءة ، وان التقصير فيه يجفي عنك المؤانسين ، « وانا اوصيك بخلق قل" من رأيته يتخلق به ... الا يحدث لك انحطاطك من حظ الدنيا من اخوانك استهانة به ... ولا يحدث لك ارتفاع" من رفعت الدنيا منهم تذللا وايثارا على نظرائه في التحفي والاكرام » ...

* * *

تلك صور للانسان الأكمل صورها السالفون فلن يكن عسيرا على الطبع ان يجريها في معاملات الحياة الواقعة ، فلا اقل من ان يرفعها امام الابصار نموذجا ، وان القوم ليشرفون بمثلهم العليا كما يعرفون بتاريخهم الواقع ، انهم يعلون بها ويمدحون بذكرها ، لكن الجانبين معا يكونان الصورة الحق ، اذا اردنا الانصاف .

زكي نجيب محمود



جورج صيدح
شاعر القومية والانسانية

وصاحب كتاب "أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية"

■ فعندما اردت ان اقف على تاريخ الحركة الفكرية في المهجر ، لم يكن امامي سوى كتاب « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » الذي وضعه الشاعر الناثر المؤرخ « جورج صيدح » .

ولم يكن هذا شأني وحدي .. بل كان شأن العديد ممن ... تعرفوا على الادب المهجري من خلال تطوراته ومذاهبه ومدارسه ، شعره ونثره .

وكتاب « ادبنا وادباؤنا » يعتبر بحق « دائرة المعارف » الادبية للحركة الفكرية في المهجر ، وقد عكف عليه « جورج صيدح » وسجله بمنتهى الامانة التاريخية مبرزا تلك الشعلة الوهاجة التي ارتفعت في المهجر الامريكي وراحت تبث نورها واشعاعها عبر القارات واصلا الى الشرق العربي ، ناقلا ... النشاطات الفكرية في تاريخنا الحديث .

ومنذ امد بعيد راودتني فكرة الكتابة الى الشاعر « جورج صيدح » فقد كان له الفضل الاول في اهدائي مؤلفه القيم هذا دون سابق معرفة بيننا .. ولم تسنح الفرص للكتابة اليه الا في عام ١٩٦٧ ، عام الحزن والاسى العربي .

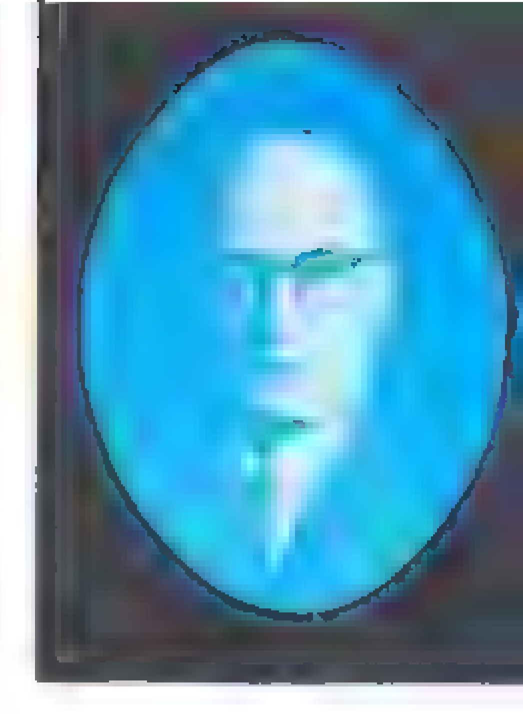
فقد كنا نقيم في حمص حفل تأبين للاديب الراحل « نظير زيتون » ووجدت ان اكتب لصيدح ليشارك في هذا المهرجان لا سيما وانه كان على علاقة بالاديب زيتون "

وسارع الشاعر « جورج صيدح » في الكتابة الي ، وكأنما كان ينتظر هذه الفرصة ليقول ما في نفسه .. فكتب الي هذه الرسالة

« فيشي – فرنسا في ١٩٦٧/٨/١١

بعد السلام والاكرام

لقد تخطت رسالتك الكريمة الى مصيفي الصيفي ، فطال طريقها وتأخر وصولها ، اما مضمونها فقد



بقلم : عدنان الداعوق

طيب نفس بعطر وفائكم لذكرى اخ احبه واجله ، واديب نابه لم تفسده ، اجركم المولى على صالح العمل

اما اشتراكي معكم ، فواجب علي ومحبب لدي .. ولولا نكبة الامة التي قصمت ظهري وسلبت فكري منذ الخامس من حزيران لسمعتم صوتي باكيا عليه قبل حفلة التأبين .. اني اليوم لا اصلح للفكر والتحرير او لقول الشعر ، ولن اصمد سرا سويا واعيا الا حين عادت فلسطين الى اهلها والكرامة الى العرب .

ورغم ذلك ، جلست الى مكتبي ساعة استوحي عواطفي الحزينة واجمع الذكريات الخاطفة من خاطري الكسير في وريقة ارسلها اليك في كتابي ، طامعا فيك عن العصوري بشفاعة طروق .. ان افضل [illegible] من الكلام خير من [illegible] او الصاب عن هذا المقام

« جورج صيدح ـ »

واحتوت هذه الرسالة قصيدة « صيدح » : « نحن طلل نوامل » انشها ـ بعد ان القيها بالنيابة في حفل التأبين ـ في كتاب « نظير زيتون .. الانسان » الذي جمعت فيه كل الكلمات التي القيت في الحفل الذي كان صارة من مظاهره الكريه جمعت الاقلام من كافة الشرق العربي والمهجر لتدوي الكلمة الصادقة في « نظير زيتون » .

وهذه الرسالة ، كانت اول لقاء يتم بيني وبين الشاعر « جورج صيدح » ، وبعدها لم انتحرا في القطع الصلة بيني وبينه ربما لاعوض على نفسي ما فاتني من كسب علم عن الصلة والعاطفة المباشرة مع الادب الكبير .

بكاء الغربة

ورجعت الى ذكرياتي واوراقي القديمة ، لابحث في ثناياها عن تلك الصلات القديمة الحميمة التي جمعت ادباء المهجر بعضهم الى جانب بعض . فوق ارض غريبة بعيدين كل البعد عن الوطن .. لكنهم ما لبثوا هناك ان انشأوا وطنا ورفعوا علما ، وبنوا صرحا عظيما من الفكر والحضارة ، واغنوا اللغة العربية بالروائع والآثار التي ما زالت خالدة .

لكنهم ، على الرغم من طيب الوارد ـ وجفوها في اكثر الاحيان ـ ، كانوا يبكون العودة ويرجعون الرجوع من الهجرة والاغتراب .. ولعل هذا هو الدافع الاساسي والمباشر لتكتل ادباء المهجر جميعا .. فمنهم من عاد من الغربة محققا آخر الاحلام ومنهي القانات ، ومنهم من ظل يبكي الغربة ويعصر القلب نوحا وحسرة على العودة .. لكن الموت كان اقرب من كل الآمال والاحلام ..

فبكى « صيدح » بكاء كل المهاجرين المغتربين العرب ، وعبر عن كل حزن عقيم ، والم ممض ، وتوجع لا يستكين فقال :

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن
هل عودة ترجى وقد فات الظعن

واحمل مرتحي من حطام مسود

الوردة التي نثرتها الاقدار

والشاعر « جورج صيدح » كما يقول الاستاذ

« محمد عبد الغني حسن » في كتابه « الشعر العربي في المهجر » ، يمثل المغترب الحنون أصدق تمثيل ، فهو على طول اقامته بمصر الغربة واحتمال الاندماج بها والتأقلم فيها لا يزال يحن الى مغانيه الأولى ومدارج طفولته ..

فهو « وتر ذلك العود الرقيق الحنون الذي تثيره الذكريات الى أرض الوطن ، فيهمو اليها في شعره الرقيق الجميل . »

ويشبه « صيدح » المغترب بالوردة التي نثرتها الرياح وبعثرتها الأقدار ، والقت بها في مستنقع الغربة الكئيب ، انه واحد من اولئك النازحين المغتربين الذين عادوا ــ لفترة وجيزة جدا من الزمن ــ على كبرة من السن وفي أيديهم ندوب الجراح ، وعلى وجوههم آثار الكفاح .

رجعوا كالحشد من معركة
باد فيها جيشهم الا بقايا
تركوا الجرحى الأسارى خلفهم
والضحايا .. رحم الله الضحايا
ما سمات العمر في جبهتهم
غير آثار حروب وشظايا
كل ما نالوه من غاراتهم
لا يوازي ما أضاعوا من مزايا
رب كهل عاد منهوك القوى
كان قبل البين طلاع الثنايا

العروبة والقومية

أما فكرة العروبة والقومية ــ ولعلها أروع الأفكار والأحاسيس التي نمت عند المغتربين العرب في مهاجرهم ــ فقد تجلت عند شعراء وكتاب المهجر ، وبرزت بروزا واضحا في آثارهم الأدبية والفكرية التي سطروها .. وجعلت هذه الفكرة ظاهرة ــ هي وحدها ــ من أهم ما يمكن الدارس من تتبع فكرة القومية والعروبة عند هؤلاء .

والسؤال الذي لا بد أن يطرح هو :

كيف تمكن هؤلاء الأدباء والشعراء من الاحساس ــ على الرغم من البعد عن الوطن ــ بمصائب الأمة والنكبات التي حلت بكافة الأوطان .. ؟

لا شك أن الاغتراب والبعد عن الوطن قد أشعل نار الشوق في قلوب المغتربين ، وأجج في نفوسهم حب الوطن على طول الأيام ومرورها ، كما أن الاغتراب زادهم تحسسا لكل ما يصيب الوطن من جرح هو جرح لا يلتئم في قلوبهم .. فحب الوطن لا فكاك منه على من اغترب .. تزيده الأيام عمقا ويشتد مع الأعوام صفاء وتوثبا يكاد يصل الى حدود التصوف .

ففي أشد أيام الأسى عام ١٩٤٨ يوم النكبة الأولى التي حلت بفلسطين والعروبة يرتفع صوت « جورج صيدح » في (بوينس ايرس) قائلا :

وطني ، مطلع أنوار الهدى
سيدي ، مت أسى للذل بلد
أو تصحو وتبدأ للمعتدى
أين شأن العرب من شأن الوتد . ؟
لا تخل عمري الى يوم به
تحكم الجرذان في غاب الأسد

★ ★ ★

لكن العمر يطول .. وتحل بالأمة العربية نكبة هي أشد وأمر من الأولى فاذا هو ــ وقد عاد الى الاغتراب من جديد وسكن باريس هذه المرة ــ لا يستطيع أن يتصور ما حل بالأمة العربية ولا ما أصابها فأصابه في قلبه .. طعنة هي أشد من طعنة الرمح ، والمرية هي الأسى ، فغيمت وجهه وأطفأت بشره ، فراح يضرب كفا بكف ، يطوي الحزن في أعماق أعماقه .. لكن الجرح ينز ألما لا يطاق ..

فبعث الي برسالة من (فيشي) بتاريخ ١٩٦٧/٩/١٦ يقول فيها :

« ...

اني عائد اليوم من جنيف الموبوءة بأنفاس اليهود .. المفتونة بحب اسرائيل ، ولولا اضطراري لتسلم حفيدي من مطارها ما وطئت أرضها .. »

أما في رسالته المؤرخة في ١٩٦٧/١٠/٥ ، فكتب يقول :

عزتني رسالتك الأخيرة ، كأنما هي مكتوبة بالهام من الباري تعالى لمواساة الحزاني والأشقياء .. أو أن احساسك الأدبي المرهف أدرك وحشة الغربة التي أقاسيها ، فجاءتني رسالتك بكلمات هي البلاسم للجراح والأزاهر للأرواح .. آجرك الله على احسانك الى كأجره على وفائك لتقسيم ديتوت .

.. أنا منذ أسبوع في غمرة من المشكلات

والواجبات ، تجعلني اهمل المراسلات ، فعذرا ان جاءت رسالتي متأخرة .. ضيوف عابرون ... ومناقشات جانبية حول الوضع العربي الحاضر ــ بعد الخامس من حزيران ــ وتقارير للصحافة ، فاعلمي أن جلد ردي في كلمات لا في صفحات .. »

في المستشفى

وتمضي الايام ثقيلة كئيبة وترخي بكلكلة حزنها فوق قلب الامة العربية ، وتطوي اسرائيل الصهيونية في تسطير صفحات اخرى من النكبات والاغتصابات فيشتكي القلب المخلص ويتوجع ، ويبكي « جورج صيدح » من هول هذه الفجيعة في كل يوم وهو في الغربة بعيدا عن الوطن والارض .. وتتفجر المأساة في قلبه فلا يعود يقوى على الاحتمال فيمرض ويدخل المستشفى للعلاج .. ولكن اي علاج هذا الذي يشفي النفس ويبرئه جرح القلوب ؟!

واعلم بالنبأ ، واستطلع في سري الاصابة ، فابعث اليه ببعض كتبي لتكون تسلية له وهو في اسر المرض .. فيكتب الي من المستشفى يوم ١٩٦٧/١١/١٢ يقول :

« ...

الى المستشفى ليمسي ابنائك الثلاثة . لم آت متزودا بكتب للمطالعة . فجاءت بزمتك في احسن وقت ، قرأت الكتب الثلاثة في ٢٤ ساعة وخرجت منها بفكرة واحدة هي انك اديب قصاص بالطبع لا بالتطبع .. »

ويورد « جورج صيدح » في رسالتي هذه آراءه الادبية النقدية في مناحي القصص بصورة عامة ، الى ان يقول في ختام الرسالة :

« ...

لا املك هنا مؤلفا واحدا اهديه اليك .. ولكنني وجدت في محفظتي نسخة من آخر قصيدة باكية كتبتها ــ وربما كانت سبب مرضي وبلوتي ــ ارسلها اليك للذكرى ، لا للنشر .. »

وان كانت الامانة الادبية قد امسكتني عن نشر القصيدة طوال هذه الايام ــ حسبما جاء في رجائه ــ الا انني اجد نفسي في حل من هذه الامانة بعدما نشرت القصيدة ذاتها في ديوانه الاخير (شظايا حزيران) في مطلع القصائد كلها ..

متى نلتقي !

والقصيدة بعنوان (متى نلتقي) كان قد كتبها الشاعر في باريس يوم السادس عشر من حزيران عام ١٩٦٧ وجرح النكسة ما يزال ينزّ دما وحزنا وكمدا .. وان كان قد احجم « صيدح » طوال هذه الايام عن نشر القصيدة فله الحق كل الحق .. لان القصيدة بحد ذاتها جرح آخر في قلب وجدان الشعر العربي لما استطاعت ان تحمله من جراح وآلام وقسوة ومرارة وعنف .. وما قصيدة (متى نلتقي) سوى نقد ذاتي لواقع الامة العربية هذا الواقع الاليم الذي كان السبب المباشر لنكسة الخامس من حزيران يوم الشؤم العربي الحزين .

متى نلتقي لا بدّ للطير من وكر
ولا بد للاحرار من منزل حر
بعيد عن الاوطان ، مقبرة المنى
بعيدا عن السكان ، مهزلة العصر
ديار العبيد البيض ليست ديارنا
ولا قومنا من قامة الخمر والقمر
تسائل مني ، فالعرب يستر عارنا
اما عجز الشر المبيض عن الستر ؟
تسائل ، فجلاد العروبة سامح
بان نلعق الانفاس في جوه الشعري .

الى ان يقول في نهاية هذه القصيدة الطويلة الرائعة :

اقول لنفسي ، والدياجير اطبقت
على امتي ، قد يسفر الليل عن فجر
فاحلم بالثارات تؤخذ عنوة
واحلم بالغارات والفتكة البكر
وازعم ان الحق ينبو سلاحه
ويمري سلاح البطل في آخر الامر
وتوم على اسرائيل شؤم يهودها
وتوم مزنيها المدجج (بالسلو)
تعود ــ كما قال الكتاب ــ فلولها
مشردة ، ملعونة ، ابد الدهر

كتبت الى «جورج صيدح» جواب الرسالة التي حملت قصيدة « متى نلتقي » وقد جاهدت ان انقل اليه بعض الامنيات والسلوى ــ وكم يصف الطبيب من دواء هو في امس الحاجة اليه ؟! ــ فرد برسالة مؤرخة ١٩٦٧/١٢/٢٧ يقول :

« ...

حمدت الله الذي لا يحمد على مكروه سواه انك عرفت بمرضي وعلمت سكوتي ، فارسلت الي رسالة وبطاقة تهنئة بالعيد ..

اني ابادلك العواطف الاخوية والتمنيات القلبية رغم اني لا اعيد ولا اعايد هذا العام حدادا على ما فقدنا من حقوق وكرامة واحساس وآمال ..

ان ازمتي الصحية على وشك الزوال .. اما الأزمة النفسية فلم تزل حادة تؤرقني وتعذبني .. واتكل ما فيها حلوها الآن من باب فرج المستقبل افضل .. »

شكوى وأنين

كانت قصيدة « جورج صيدح » الموجعة هذه مثار حديث طويل بيني وبينه عبر الرسائل التي كانت تطول الى عدد كبير من الصفحات ، وكنت قد اخذت عليه مسحة التشاؤم وجانب اليأس .

فكتبت اليه رسالة طويلة عرضت فيها كيف أن تاريخ الامة العربية مليء بالنكسات .. والهزات .. لكن كل هذا لم يزعزع في النفس العربية الأبية، فقامت الامة بعد كل نكسة اقوى مما كانت، وعادت تجابه العدو وتحاربه وتحطم آماله ومزاعمه .

لكن الشاعر المغترب كان يرى في الغرب ما لا اراه في الشرق .. كان يرى عطف الغرب على الصهيونية .. المال السخي .. والتبرع المتهافت .. والدعم العظيم .. والسلاح الهائل .. والتخطيط المشترك ..

ولهذا كله ، كان « جورج صيدح » كثير التوجع والأنين ، يغالب الشكوى ويمضي في الغربة حرقة الصبر ، فكتب الي يقول :

■ ...

اصطحبت رسالتك الثمينة عند مغادرتي باريس منذ اسبوعين الى المشتى الجبلي حيث اطارد شمس الألب عروس الشتاء ، بغية الاستجمام والاستشفاء .

لنقف عند تعازلك في مجرى الاحداث وفي مصير الأوطان .. انا لا ارى مبررا لهذا التفاؤل ولا مخرجا من المأزق الحالي ..

وكاننا لم نتعلم شيئا من مصائب تتوالى على امتنا تهدد بانهيار الاوطان وزوال الكيان ..

على ان اسعد يوم في حياتي هو يوم يتضح فيه ضلالي وغباوتي ويرجح فيه رأي المتفائلين الراسخين في العلم .

سيكون ذلك اليوم عيدي الاخير قبل عبور الجسر المعلق الى الضفة الثانية التي ادنو منها واتبين ملامحها بخيالي ..

وانا لروض شيخوختي على الغوص في الثلوج وعلى النهوض الى المرتفعات ، لعلي اشرف على الغمام الذي يستعرض من كثب .. او لعلي اقترب من عرش الله العظيم حتى بلغت القمة ونزعت عنه حجاب الغيوم .. فقد تسمع الآن الرحمن الرحيم دعوتي ، بان ينقذ امتي وينيل عزتي .. انه السميع المجيب ، عليه اعتمد واليه انيب ..

وكل ما اخشاه ان تضيع الجهود في ندوات تعقد هنا وهناك في عواصم الوطن الحبيب حول دور المثقفين في قضية فلسطين ، والعدو في الباب يربض بسكان البيت ونحن نحتفي بالتحيات والتشكيلات ومبادىء الدراسات .. مما ذكرني بالمناقشات البيزنطية في التاريخ ، حين دخل الفاتحون العرب القسطنطينية ، فوجدوا اولياء امرها في جدل عنيف اخذ بالبابهم ، موضوعه : « جنس الملائكة في السماء : هم ذكور ام اناث .. ! »

امل ان نسمع منك اطيب الاخبار وان تكون على خير حال من الرضى فيما تكتب وفي العافية .

ودمت لجورج صيدح .. »

★ ★ ★

ويبقى لجورج صيدح علما من اعلام القومية والوطنية ، وعاشقا متيما للارض ولتراب الوطن ، ومنارة في الغرب يهدي النفوس الظامئة لحب الوطن ويمسح على الرغم من الشيخوخة التي يسخر منها ، شبابا في القلب .. وبسمة تشع املا وتشرق حبا وقلما لا يتوقف عن الدفاع عن حق الامة العربية في الحياة والمجد والخلود ..

واذا كنا اليوم نفخر ونعتز بان امتنا العربية استطاعت ان تنهض جبارة صامدة بعد النكسة الأليمة ، فانما نفخر كذلك بان يكون الشاعر المبدع الانسان « جورج صيدح » سفير هذه الامة في الغرب ، يدافع عن الحق ويحيا للعروبة والقومية دونما توقف او تقاعس او ملل . ■

حمص — سورية عدنان الداعوق



بقلم : الدكتور علي راضي

■ عرفت الحصوات البولية من قديم الزمن ، وعرف في المغص الكلوي الذي كان يعالجه الفراعنة والكهنة بإقامة الطقوس الدينية والصلوات ، ولشد ما يدهش المرء أن يرى حصاة أو صخرة صلبة من صنع ذلك الجسم الآدمي الدقيق مختلف له أن تكونها !

إن عنصر الكالسيوم يدخل ضمن المواد التي تكون الحصوات البولية ، ويندر من الحصوات ما يخلو من ذلك العنصر ، ويبدو أن الكالسيوم يلعب دورا كبيرا في تكوين تلك الحصوات ويتم ترسبه من البول بشكل واضح إذ أخرجه الجسم بكمية وفيرة ، وهذا ما لاحظه الباحثون من أن بعضا من مكونين لهم الحصوات ارتفعت عندهم نسبة الكالسيوم البولي [illegible] ، بينما البعض الآخر رغم بقاء هذه النسبة طبيعية أو أدنى من ذلك ، تكونت عندهم الحصوات التي تعزى تكونها الى عدم ثبات الكالسيوم ذائبا في البول إما لزيادة مرسبات الكالسيوم أو لنقص مذيباته .

وقد كشف العلم الحديث عن مذيبات الكالسيوم العضوية مثل حامض الاستاريك Stearic Acid والأحماض العضوية والأمينية ، وأن أي نقص في تلك الأحماض أو بعضها يساعد على ترسيب الكالسيوم وتكون الحصوات ، وقد لوحظ أن عاطي الأسبرين يرفع نسبة الأحماض العضوية بالبول Glucuronic Acid ومن ذلك دخل الأسبرين التجربة في منع رجوع الحصوات التي عولجت طبيا أو جراحيا ، وأتت التجربة بنتائج ساست في درجات نجاحها .

كذلك كشف البحث عن مرسبات الكالسيوم ومنها ميوكوبروتين Mucoproteins التي ترتفع نسبتها بالبول الذي وجدت به الحصوات ، وإليها يرجع سبب الإخلال .

وقد لوحظ أن ارتفاع نسبة الكالسيوم البولي يحدث في الحالات التالية

١) عند نشاط الغدد الدرقية Hyperparathyroidism

تزايد هورمونها الذي يصل إلى العظام ويطيح بصلابتها إذ يذيب ما بها من أملاح الكالسيوم التي يحملها الدم وتفرزها الكليتان مع البول .

وبذلك يرتفع الكالسيوم البولي ، ويجب التحقق من نشاط الغدد ان تعددت الحصوات او رجعت بعد العلاج .

٢ ـ في الحالات التي يلازم فيها المريض فراشه لمدة طويلة كأن يكون مصابا لا يقدر على الحركة او ان يكون مصابا بالشلل النصفي Paraplegia او بمانع من سل العظام .

وتحت ما سبق من ظروف تركد الحركة العضوية ، ويتدافع جزء من الدم غير قليل نحو العظام بحفزها ويحمل ما بها من املاح الكالسيوم لتفرزه الكليتان ، فان عجزت عنه عن التخلص من تلك الاملاح ترسبت داخل المسالك البولية وبدات المضاعفات .

على ان هناك عوامل تساعد على تكوين الحصوات ذات دور غير مباشر نذكر منها :

١ ـ تركز البول : بالمناطق الحارة تزداد كمية العرق الذي يخرج من الجلد لتخفيف درجة حرارة الجسم ، وكلما ازدادت كمية الماء والاملاح التي يفقدها الجسم من الجلد ، قل البول حجما وزاد تركيزا ، وفي المناطق ذات المناخ المعتدل ، دلت الاحصاءات ان نسبة وجود الحصوات منخفضة ، وعند الضرورة ـ ينصح بعض المرضى بهجرة البيئات الحارة التي لا تلائم اجهزتهم البولية .

٢ ـ تفاعل البول : البول الطبيعي حامضي التفاعل ، وعند الذين يتعاطون القلويات لعلاج قرحة المعدة مثلا ، يتغير تفاعل البول لديهم فيميل الى القلوية ، والتفاعل القلوي يسهل ترسيب املاح الفوسفات .

وفي بعض حالات الالتهاب البولي U. Infection تتحول البولينا الموجودة بالبول وهي مادة متعادلة الى مركب الامونيا المعروف برائحته النفاذة وقلويته العالية ، ويتم ذلك التحول بواسطة الميكروبات التي تغزو الجهاز البولي Urea Splitting Organisms

والرأي السائد مؤخرا ان الالتهاب البولي يلعب دورا هاما في ارتجاع الحصوات ، بينما تختفي الميكروبات جزئيا عند نشأة الحصوات اول مرة ، ولقد لوحظ انه اذا استمر المحافظة على خلو البول من التلوث الميكروبي ، امتنع رجوع الحصوات .

٣ ـ الركود البولي Urinary Stasis وهو سبب مباشر في تكوين حصوات المثانة ، في حين انه عديم الاثر في حصوات الكلية .

٤ ـ التلوث الميكروبي للبول : يسبب التلوث عادة تكوين الحصوات بالمثانة ولكنه يؤثر على وظيفة الكليتين وما يتبع ذلك من ارتفاع بضغط الدم ، ويمكن اعتبار التلوث البولي نتيجة للحصوات الكلوية وسببا للحصوات المثانية .

٥ ـ دور الطعام : وجد الباحثون ان نقص فيتامين أ في الغذاء سبب عند الفيران تغيرات بالكلية او ظهرت الحصوات ، ولم يشاهد مثل ذلك بالانسان . لكن بعض الاطعمة مثل الكبد والكلاوي واللحوم بكثرة والطماطم والسبانخ والباذنجان والمشمش والفراولة . كل ذلك محل موضع اتهام في تولد الحصوات وننصح بعض المرضى بعدم تناولها .

وفي رأيي ان دور الطعام على العموم اخذ اهميته في الاخذ لا يستهلك الاصحاء ما تقدم من طعام دون ادنى المضاعفات ، ونقل الحكمة دائما ماثلة في عدم الافراط ولكن يجب الاعتدال وليس بالامساك عن نوع معين من الطعام .

انواع الحصوات وامراضها :

والحصوات البولية تتكون في اشكال واحجام مختلفة ، وتتباين من حيث التركيب الكيماوي فمنها ما هو فوسفات هش جيري ابيض ومنها ما هو لين او متفتت كاملاح حامض البوليك ، ومنها ما هو صلب صخري متعرج السطح كاملاح حامض الاوكساليك الا ان جميعها يحدث نفس الاعراض التي نفصلها فيما يلي : ـ

١ ـ الالم : تتميز حصوة الكلية بانها تسبب الما بالبطن يزداد مع انسداد البول واحتزانه داخل الكلية وذلك الالم اقل حدة من المغص الكلوي الذي





حصوة مثانة مستخرجة
من المثانة مع عملية استئصال البروستاتا



حصوة [illegible] المستخرجة من الكليه

يحدث عندما تتحرك الحصاة داخل الحالب . والمغص الكلوي شديد الألم يتلوى منه من يبتلى به ويصاحبه شحوب الوجه والاسهال ، والحصاة المثانية يزيد ألمها نهاية التبول عندما تنقبض المثانة على الحصاة ويصحب ذلك احساس يثقل بالحوض ورغبة للتبول دون مرور البول .

٢ ـ النزف : ان لحركة الحصاة خصوصا ما كان سطحها خشنا أثر على الغشاء المبطن للمسالك البولية ، اذ تحدث به جروحا نظر جدا ، يختلط بالبول ويظهر للعين المجردة ، وقد لا يظهر الا بالفحص المجهري . وان ازدياد كريات الدم الحمراء في البول لهو دليل كاف على علة ذلك الجهاز البولي .

٣ ـ الاحتباس البولي : ان حصوة الكليه تختزن وراءها البول وتسبب تضخم الكلية وتدهور كفاءتها . وحصوة الحالب المتحجرة لها نفس المضاعفات ، والحصوة التي تسد عنق المثانة تسبب الاحتباس البولي الذي يستوجب العلاج العاجل .

٤ ـ الالتهاب البولي وهو سبب أو نتيجة ان وجدت الحصوات كما اسلفنا .

التشخيص :

تظهر حصوات الجهاز البولي بعد الفحص بالأشعة على أن قليلا منها لا يظهر الا بعد اجراء اشعة خاصة وتلك كذلك تكشف عن وظيفة الكليتين والدمار الذي حدث وانه ليجب فحص الجهاز البولي بالاشعة والمختبر لمجرد حدوث نوبة مغص كلوي او تدمم البول أو اذا احتبس أو تلوث ، وهناك فحوص خاصة تجرى عند الضرورة مثل استطلاع داخل المثانة او مد أنابيب خاصة داخل الحالب او تخطيط الاوعية الدموية الكلية ، والمهارة في اجراء تلك الفحوص وغيرها متروك للطبيب المعالج وحده .

العلاج :

وهل من سبيل لعلاج الحصوات ؟

نعم هناك اكثر من سبيل للعلاج

فالعلاج الطبي يتلخص في تعاطي مدرات البول ومطهراته مع ما يوسع المجاري البولية ، وهناك مجموعة غير محدودة من تلك العقاقير بالاضافة الى الاعشاب النباتية المعروفة من قديم الزمان ، وقد جربت وأتت بنتائج تباينت مع اختلاف الظروف . على انه في حالات معينة يدركها المعالج لا يجدي العلاج بالتداوي ، ولا سبيل الا اللجوء الى الجراحة .

والعمليات الجراحية تستهدف استخراج الحصوات او في بعض الاحيان استئصال الكلية بما حوته ، ولا تستأصل الكلية الا في ظروف حرجة وبعد التأكد من وجود الكلية الاخرى في حالة سليمة يمكنها ان تتحمل الحياة .

وهناك بعض حصوات بالحالب تستخرج بواسطة انابيب تمد داخل الحالب لتقبض عليها وبعض حصوات مثانية تفتت بأجهزة خاصة لم يشتد فتاتها .

والنصيحة التي نقدمها بعد هذا كله ، هو عدم اهمال شرب الماء والسوائل بكثرة خصوصا في الجو الحار بعد اجراء العمليات ، فذلك يغسل المسالك البولية ويمنع ترسب الاملاح وارتجاع الحصوات .. واعظم ما يقدم للمريض الذي خاض العملية الجراحية ، هو ما كان بجوفه من حصوات ، وهو عندما يراها او يلمسها يشعر بفرح الانتصار على عدو كان يضمر له الموت والهلاك وكاد يحرمه لذة الدنيا والحياة . ■

علي راضي



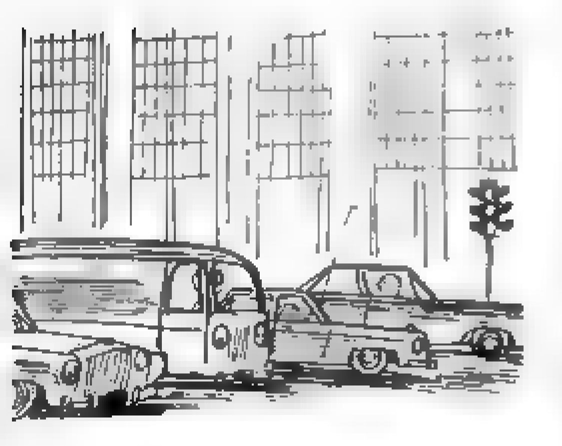
وشرطة المرور

لا مراء في ان معرفة النفس البشرية وسبر اغوارها وادراك شتى نوازعها ودوافعها ، من اهم المقومات التي ينبغي ان تتوافر في القائمين على تنظيم المرور والسيطرة على حركته في المدن الكبيرة ولا سيما تلك التي تتميز بالكثافة السكانية العالية وكثرة مركبات النقل وتعدد انواعها . فالاحاطة بمبادىء علم النفس وتطبيقاته في مقدمة العوامل المؤدية الى نجاح الخبراء والمتخصصين في المرور . وهي لاتقل اهمية — في هذا الصدد — عن الالمام بالعلوم والفنون الاخرى التي تستخدم نتائجها في خدمة المرور مثل الصناعة والتعليم والتوعية والعلاقات العامة .

وقد اتفق الباحثون على ان استخدام علم النفس في مجال تنظيم المرور كفيل بحل كثير من المشكلات التي تواجه رجل الشرطة او المهندس المسئول عن تخطيط المرور ومراقبة حركته . ويتبين صحة ذلك اذا لاحظنا ان تنفيذ خطة من خطط المرور ومشروعاته انما يتم — بالضرورة — في مواجهة مجموعة من سكان المدينة او الحي تقطن في البقعة التي وقع عليها الاختيار لوضع تلك الخطة موضع التطبيق العملي بها . ومن ثم كان التعامل مع هؤلاء الناس امرا لا معدى عنه ، لان تجاهلهم يعد بمثابة حكم مسبق على المشروع بالاخفاق .

فمن الحقائق البينة في هذا المجال — كما في سائر مجالات الشرطة والامن وغيرها من اجهزة الدولة — ان تعاون الناس مع السلطات هو الضمان الاكيد لتحقيق اهدافها في اقصر وقت ممكن ، وباقل قدر من النفقات ، وعلى افضل مستوى .

وعلى هدى من هذه الحقيقة تبدو الاهمية المتزايدة لدراسة الطبيعة البشرية ، واستكناه اتجاهات الافراد في سلوكهم . ذلك ان العاملين في مجال المرور — اذ يباشرون المهام الملقاة على عاتقهم — انما يواجهون نفوسا بشرية زاخرة بالعواطف والانفعالات والافكار والاتجاهات وردود الفعل ، قبل ان يواجهوا احتياجات مادية وفنية . بل ان العناصر المادية لا يمكن التعامل معها بمعزل عن الناس الذين سخر الله لهم تلك العناصر .



فى المدن والطرقات

بقلم : العقيد حسن فتح الباب

ماجستير فى العلوم السياسية

دبلوم فى ادارة الشرطة من واشنطن

أثر الانفعالات فى السلوك

ان انفعالات الفرد ذات تأثير ملحوظ — فى أغلب الأحوال — فيما يصدره من أحكام أو يتخذه من مواقف . وقد يخفى هذا التأثير وجه الحقيقة فى بعض الأحيان . وما يبدو معقولا فى نظر شخص ما ربما لا يبدو كذلك فى عين الآخر . ولذلك ، فان سكان الحى الذى تزمع السلطة الحاكمة اقامة مشروع للمرور به يختلفون بعضهم عن بعض فى قبولهم أو رفضهم هذا المشروع . كما أن سائقى السيارات يتفاوتون كذلك فى مدى استجابتهم لقواعد المرور وتوجيهات الشرطى عليه . فاذا كانت هذه القواعد تستوجب وقوف السيارة عند خروجها من طريق فرعى الى طريق رئيسى ، فاننا نلمس تباينا فى سلوك السائقين ومواقفهم ازاء تلك التعليمات . فمنهم من يرضخ طواعية للأمر الصادر اليه ، فيوقف سيارته . ومنهم من يبطىء من سيرها الى أقل قدر ثم يستأنف السير بمعدل السرعة التى تعودها . على حين ان بعضهم يكتفى بالسير بسرعة محدودة ، وبعضهم الآخر يتجاهل الامر كأنما لا يعنيه فى شىء .

عوامل اختلاف سلوك السائقين

وهذا الاختلاف البين فى مواقف السائقين تجاه



نظم المرور وقواعده مرده الى اختلافهم في الميول والاتجاهات النفسية والتجارب الشخصية . فلم يخلق الله اثنين من البشر متماثلين في جميع السمات النفسية ولو كانا توأمين . واذا كان سبحانه قد ميز كل فرد عن الآخر في بصمته التي لا يعدو سطحها سنتيمترا (١) ، والتي هي جزء ضئيل في جسم الانسان ، فلا غرو ان يختلف الناس بعضهم عن بعض في سائر الملامح الجسدية والنفسية . بل ان السائق الواحد تختلف انفعالاته ، وبالتالي احكامه وسلوكه ، باختلاف مراحل عمره ، وهو يتغير في هذه الانفعالات من يوم الى آخر . والثابت في ذلك انه كلما تقدم العمر بسائق السيارة ، اصبح اقل يقظة وابطأ استجابة للظروف الطارئة واكثر اعتمادا على الضوء الساطع ، مما قد يعرضه هو وركاب سيارته للخطر . ولكنه من ناحية اخرى يصبح اكثر حذرا وسيطرة على انفعالاته مع تراجع ميله الى شد العجلة « الاسراع » ، ودقته في التقدير ، مما يمثل عنصر امان له وللركاب .

حاجة شرطة المرور الى دراسة علم النفس

وان هذا الاختلاف في الانفعالات بين الناس هو الذي يفسر اختلاف انماط السلوك التي تصدر من الافراد والجماعات ازاء رجال المرور وما يزاولونه من اعمال . ومن هنا تبدو حاجة هؤلاء الرجال ماسة الى استيعاب النظريات العامة للسلوك كما وضعها علماء النفس والاجتماع ، والى معرفة ما ينطبق منها على الناس بصفة عامة ، ثم الوصول الى معرفة العوامل والدوافع الكامنة وراء ما يبدو منهم من تصرفات حيال القواعد المنظمة للمرور ، ثم تطبيق النظريات المنوه عنها في حل المشاكل التي تنشأ في هذا الميدان نتيجة اعراض بعض الناس عن تلك القواعد او انتهاكهم لها .

فوائد الدراسة

فالهدف من دراسة المشتغلين بالمرور علم النفس هو تفهم الناس ، وما يصدر عنهم من سلوك ، ومزاولة نوع من السيطرة على هذا السلوك بما يكفل توجيهه لصالح الفرد والمجتمع والدولة . بيد ان فهم شرطة المرور طبائع المشاة والراكبين عن طريق هذه الدراسة لا يمثل الفائدة الوحيدة لها ، بل ان هناك فائدتين اخريين على جانب كبير من الاهمية ، اولاهما : فهم الشرطي ذاته بمعنى معرفته نفسه وادراكه طبيعتها ونوازعها . فذلك امر ضروري تحققه الدراسات النفسية لمن يرغب من حفظة النظام والقائمين على المرور في الالمام باسباب اختلاف جمهور المشاة وسائقي السيارات او اتفاقهم معه . وقل من الناس من يستطيع بلوغ هذا الهدف الصعب المنال ، وهو تحقيق المبدأ القائل « اعرف نفسك » ، ذلك ان معرفة الذات هي اولى درجات الحكمة ، وبالتالي مفتاح النجاح . فهذه المعرفة تضع يد المرء على حقيقته ، فلا يغالي في تقدير ذاته لانه يعرف مساوئها كما يعرف محاسنها وينعكس هذا الادراك السليم على سلوكه ، فينهج طريقا مستقيما ، ومن ثم يصبح مرضيا عنه من الخلق وقد يرضى عنه الخالق ، ويبلغ عليا مراتب النجاح .

اما الفائدة الثانية التي يجنيها رجل المرور من الدراسات النفسية ، فهي القدرة على انشاء علاقات افضل بين الشرطة والجمهور ، الامر الذي يتم عن طريق معرفة الشخص نفسه ومعرفته غيره . فليس ثمة شك في ان هذه المعرفة من شأنها ان تجعل كلا من الجانبين اكثر قدرة على التعايش في توافق وانسجام مع الآخر . كما ان مقدرة الشرطة على اقامة روابط حسنة مع الآخرين تساعدها على الحيلولة بينهم وبين ارتكاب مخالفات ضد المجتمع كالخروج على قوانين المرور ، وتمكنها من الاخذ بيد من زلت قدمه في طريق الجريمة او الخطأ والعودة به الى سواء السبيل . (٢)

اهمية التفريق بين الناس في اسلوب المعاملة

فاذا استوعب رجل المرور الحقائق التي تتمثل

(١) [illegible]

(٢) ما هو علم النفس ... [illegible] ... ترجمة فؤاد حسن عبد الوهاب ومراجعة د. محمد ... الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦

في اختلاف كل فرد عن الآخر في طباعه واحواله النفسية وبالتالي في اتجاهاته وتصرفاته ، ادرك اهمية التفريق بين الناس في اسلوب المعاملة . ولا يعني هذا التفريق الخروج على مبدأ الحياد بين افراد الجمهور ، ومساواة الناس امام القانون ، وجعله الفيصل في الحكم بينهم . ولكن المقصود هو التفريق بين الناس في الخطاب ، بمعنى مخاطبة كل منهم بما يتفق مع تركيبه العقلي والنفسي ، التزاما بالقول المأثور : خاطب الناس على قدر عقولهم . فالاسلوب الذي يخاطب به من اقترف جريمة من جرائم المرور ، فالقى عليه القبض ، فتماسك وتجلد ولم يفقد رباطة جأشه ، ينبغي ان يختلف عن الاسلوب الذي يعامل به المخالف المتسم بحدة الطبع والنزوع الى مقاومة السلطة .

ويجب ان يتوافق اسلوب المحقق في استجواب المتهمين او المشتبه فيهم او الشهود مع طبيعة شخصياتهم وتفاوتها في التكوين الجسماني وفي القدرة والمهارة والذكاء ، فيعامل كلا من اولئك وهؤلاء بحسب شخصيته كيما يحقق هدفه من استجوابه وهو الوصول الى الحقيقة . ولا يعني هذا استعمال الشدة والقسوة مع متهم واخذ الآخر باللين والهوادة . ذلك ان استعمال القسوة في التحقيق امر معاقب عليه قانونا في التشريعات السماوية والوضعية مهما كان الجرم المنسوب الى المتهم او المشتبه فيه .

نتائج الاختلافات الفردية والاجتماعية

ولكي يستطيع رجل المرور ان يعامل كل فرد بما يلائم طبيعته ، فان عليه ان يلم بعوامل الاختلافات الفردية وهي الوراثة والبيئة ، وسائر الحالات الفسيولوجية المؤثرة في سلوك الناس . فالآلام الجسمانية تجعلنا - في الاغلب الاعم - عاجزين عن ادخال السرور في قلوب اصدقائنا بله في قلوب الآخرين . كما تجعلنا نبدو متنكرين في اعين الناس ، او تجعل قيادتنا للسيارات غير مأمونة العواقب . ومن ثم يجب على رجل المرور ان يضع في حسابه حين يعامل الناس تلك الحالات وتأثيرها على سلوكهم .

وشرطي المرور الناجح هو الذي يعرف ايضا ان الجوانب الاجتماعية والحضارية المهيئة لها تأثيرها - مثل العوامل الشخصية - على سلوكنا . فمن يختلف مع رئيسه او اسرته قبل ان يغادر داره صباحا ، يغدو في حالة نفسية قد تعرضه لتجاوز السرعة القانونية في اثناء قيادته سيارته وما قد ينجم عن ذلك من حوادث او كوارث . ومن نشأ وتعود على الاستجابة - بطريقة اجتماعية سوية - للاشارات او الرموز ، يقف بسيارته في الساعات الاولى من الصباح احتراما لاشارة المرور ولو كان الطريق خاليا امامه من اية عقبة صغيرة .

دراسة انحراف الاحداث والشباب

كذلك ، فان شرطي المرور الحق هو الذي يلم بدراسات جناح الاحداث وانحراف الشباب . ذلك ان عدم توافق الحدث او الشاب مع المجتمع في السلوك من شأنه ان يؤدي الى الخروج على القانون وعدم احترام حقوق الآخرين او صيانة مصالحهم . فالفتى الجانح يضرب بقوانين المرور ولوائحه عرض الحائط ، وتتسم قيادته بالرعونة والطيش والسخط ، وتتسم استجابته للنظم التي يضعها رجال المرور في تقدير النتائج الوخيمة التي تترتب على اندفاعه وتهوره او ما يعبر عنه بجنون السرعة . ومثل هذه الفئة من الجانحين تتطلب فهما خاصا ومعاملة خاصة من جانب القوامين على امر المرور . ومن شأن المام رجل المرور بدراسات انحراف الاحداث والشباب ان يكون قادرا على التمييز بين تصرف خاطيء مرجعه الانحراف ، وآخر مرجعه عرض غير مرضي كما هو الشأن في قيادة السيارات بسرعة جنونية ، فقد يكون مرده الى رغبة الفتى في البحث عن الاثارة في كل جديد ، كاندفاع بعض الشباب الى الرقص اللاتيني وتعطشهم لفاكهة السمع الاولى ولعب ورق الميسر . فقد تكون الحاجة للتجديد ملحة جارفة ، كما قد يتعارض اشباعها مع القانون والقيم الاجتماعية . ولكن هذا لا يعني ان اشباع هذه الحاجة هو دائما مخالف للسلوك الاجتماعي السليم ، الا ان الرحلات والدراسات الجديدة هي ايضا من وسائل اشباعها . (١)

(١) عوامل انحراف الاحداث للدكتور سيد عويس مجلة الامن العام العدد الاول ١٩٥٨

استخدام مبادئ علم النفس

واذا كنا ننادي بضرورة فهم رجل المرور لسلوك الافراد وما يكمن وراء هذا السلوك من طريق الالمام بميول الناس ورغباتهم وحاجاتهم وظروف نشأتهم الاجتماعية ، فان هذا الفهم لا يكفي وحده للنجاح ، بل يجب ان يعرف شرطي المرور كيف يستخدم ما استوعبه من دراسة الدوافع الانسانية للسيطرة على تصرفات الناس بما يحقق النتائج المرجوة وان لم يكن هذا بالامر الهين الميسور في جميع الاحوال .

السيطرة بالايحاء

ومن اهم السبل المؤدية الى السيطرة على تصرفات المارة او السائقين ، طريق الايحاء . والايحاء هو استخدام العوامل النفسية التي تدفع الفرد نحو تحقيق هدف معين بوسيلة مباشرة دون الالتجاء الى القسر والارغام . ومثل ذلك ان يتقدم الشرطي لقائد السيارة الذي يقف بسيارته في مكان لا يسمح فيه بالوقوف ، وبدلا من ان يطالبه بقوله « لا تقف هنا » ، يقول له : « معذرة يا سيدي ، فانك لا تستطيع البقاء هنا الا لفترة قصيرة ولكن في الشارع المجاور او التالي له مكانا معدا للانتظار الطويل » . فهنا لجأ الشرطي الى الايحاء باقتراح الحل المناسب دون ان يحس قائد السيارة ان امرا قد صدر اليه .

والنجاح في السيطرة عن طريق الايحاء يستلزم دراية بالناس وميولهم والاهداف التي ينشدونها . كما يستلزم فهم مشاعر الاحباط والصراع . والشعور بالاحباط او الصراع بين الاستجابات ينشأ نتيجة المواقف الطارئة والمشاكل التي تتطلب البحث لها عن حل ، ويصعب على الفرد الوصول الى ذلك الحل فيصاب بهذا الشعور المصاحب لعدم استقرار المزاج النفسي ، وضعف الاحتمال والقدرة . وبعبارة اخرى ، فان الاحباط هو الشعور الذي يتملكنا عندما يواجهنا ما يحول دون تحقيق احدى رغباتنا الملحة . اما الصراع النفسي وهو الصراع بين الاستجابات او صعوبة التوافق فيحدث عندما تتعدد مطالب الشخص المتشابهة ، وتتعادل الرغبة فيه في تحقيق كل مطلب على حدة من حيث القوة ، ويصبح ملزما بان يختار من بينها الطريق الذي يجب اتباعه .

الاحباط والصراع

ومن حسن الحظ ان هناك من يستطيعون التوافق مع مواقف الاحباط والصراع النفسي بان يجدوا لمشاكلهم حلولا عن طريق مواهبهم الشخصية او بالتماس المعونة لدى الاخرين . ولكن يبقى عدد كبير من الناس ممن يحققون قدرا اقل من النجاح في مواجهة مشاكل الحياة . والوسائل التي يلجأ اليها هذا الفريق للتوافق تأتي دراستها بالنسبة لرجال الامن — وفي طليعتهم شرطة المرور — في المقام الاول من الاهمية ، واهم هذه الوسائل :

١ — التبرير : Rationalization

وهو اكثر انواع التوافق شيوعا ، ويقوم على اساس انتحال الشخص اعذارا تتعارض مع المنطق السليم ليبدو سلوكه مقبولا في نظر الاخرين . ومثل ذلك ان يبرر قائد السيارة خطأه الذي ادى الى التصادم بان « فرامل » السيارة لم تسعفه في الوقت المناسب .

٢ — الارتداد :

وهو ان يلجأ الشخص الى تصرفات طفولية كانت تؤتي نتائجها عندما كان طفلا ، ولكنها لا تناسب الراشدين ، كأن يصيح المقبوض عليه ويصرخ ويضرب الارض بقدميه .

٣ — الكبت : Repression

وهو مواجهة المصاعب بتجاهلها ونسيانها او انكار وجودها ، وهو ما يشبه اخفاء النعامة رأسها في الرمال فرارا من مطاردة صائدها . ويقابل رجل الشرطة صورة لهذا النوع من التوافق في فاقدي الذاكرة ، فانهم لم ينسوا فقط متاعبهم ومشاكلهم المحزنة ، ولكنهم نسوا اسماءهم والظروف التي احاطت بتجاربهم حديثة العهد .

٤ — الاسقاط : Projection

وهو ان يقرأ الشخص سلوكه ودوافعه الشخصية في سلوك الاخرين . فالمتهم بارتكاب مخالفة من مخالفات المرور الذي يوجه الاتهام — عامدا — الى آخر ، قد يصل به الحال الى الاعتقاد بان من يتهمه هو المذنب الحقيقي . كما ان

الشخص الذى يشكو بلا مبرر من تعسف رجل الشرطة معه ، قد يكون مسقطا لرغبة شخصية فى التعسف . وليس من اليسير كشف دوافع هذا النوع من التوافق ، اذ انها ماكرة وذات مظهر بريء خداع .

● ب ـ التعويض : Compensation

وهذا النوع من التوافق هو اقلها اهمية من وجهة نظر الشرطة . ومثله الانتساب الى ذوى النفوذ ، والتقليل من منجزات الآخرين واحلام اليقظة . فالمخالف الذى يحاول التنصل من مسئولية خطئه بأن يذكر للشرطى انه صديق شخصى لقائد المرور ، والشخص الذى يقلل من اقدار الآخرين او يستهين بأعمالهم ، انما يحاولان التضخيم من شأنهما على حساب غيرهما . (٢)

تلك هى مبادىء علم النفس التى ينبغى أن يستوعبها رجل المرور لكى ينجح فى عمله . ويتوقف فى هذا النجاح على قدرة الشرطى على الاستفادة من المبادىء المشار اليها فى تطوير شخصيته حتى يصبح رجل علاقات عامة بمعنى الكلمة ، وذلك بحكم الصلة الوثيقة بين العلاقات العامة وعلم النفس . الا انه لا يعنى كسب مودة الاشخاص والحصول على رضاهم والتسامح بالقوانين الا اذا كان رجل المرور على علم بطبيعة النفس البشرية كيما يكون قادرا على التأثير والاقناع وتغيير اتجاهات من يعاملهم الى الاتجاهات المنشودة .

صلة العلاقات العامة فى المرور بعلم النفس

وتبدو اهمية العلاقات العامة فى مجال التخطيط للمرور وتنظيمه اذا لاحظنا ان هذا التخطيط قد يقتضى انشاء طرق عامة ، وهذا الانشاء من شأنه أن تخترق هذه الطرق أراضى بعض الناس . فواجب المخطط والمنظم أن يحاول اقناع هؤلاء بضرورة التضحية فى سبيل الصالح العام بل مصلحتهم ذاتها ، وأن يرضيهم خلال مراحل العمل المختلفة ، الأمر الذى يتطلب درجة عالية من القدرة على اقامة علاقات عامة حميدة ، وهو ما يمكن تحقيقه بالتطبيق الحكيم لمبادىء علم النفس . (١)

واستخدام العاطفة هى السبيل المؤدى الى تجاوب الجمهور الذى يتعامل معه المسئولون عن المرور ورضاهم عن المشروعات التى يجرى تنفيذها . اما استخدام المنطق فهو لا يفيد فى تحقيق هذا الهدف بل قد يؤدى الى تصاعد لسورة المشاكل الناجمة عن الاختلاف فى الآراء والرغبات بين رجال المرور والجمهور . ومن ذلك أن يقترح متحدث باسم سكان المدينة وضع علامة مرور على تقاطع احد الشوارع ، فيرفض مهندس المرور ذلك بلهجة تتسم بالجفوة ، لأنه لا يرى ثمة ضرورة لذلك . فيؤدى هذا الرفض الجاف الى خلق جو من العداء واصرار الجانب الآخر على التوسع فى اثارة المشكلة . ولو أن المهندس اوضح أن وضع العلامة فى هذا المكان يعنى وضعها فى جميع الاماكن المماثلة ، مما يرهق خزانة المدينة ، لانتهى الموضوع بهدوء . ومن جهة اخرى فان اعادة دراسة الموقف بدقة قد تظهر أن الجمهور على حق وهنا يجب الا يتردد المهندس فى العدول عن رأيه ، ولن ينقص ذلك من قدره . فالانصاف والفكر المتفتح هما حجر الزاوية فى التعامل الناجح مع الناس .

كما يجب على مهندسى وشرطة المرور اتقاء اثارة المشاكل ما امكن ، وتوخى تلبية الرغبات الجماعية للسكان . فقد حدث أن واجه المهندسون مشكلة لازالة الاشجار من شارع فى مدينة تقرر أن يخترقها طريق عام ، لاعتراض السكان على ذلك . ورغم هذه المعارضة فقد صدر الأمر باجتثاث الاشجار . وعندما بدأ العمال فى اقتلاعها ، القت سيدة بنفسها أمام العمال ، فتوقف العمل ، وساد شعور مرير . وظل المهندسون اخيرا الا اضطروا الى الرضوخ لرغبة السكان ، وبقيت

(١) جورج دودينشا المرجع السابق ، مطالعات فى علم النفس للدكتور مصطفى سويف مكتبة الانجلو بالقاهرة ١٩٦٢ .

(٢) شرطة المرور مقلم أ . و . ولسون مجلة الامن العام العدد ٦ ابريل ١٩٥٩ .

الاسعار . وترجع هذه المشكلة التي اثرت الى ضعف العلاقات العامة بين السكان والقائمين على المشروع ، وعدم مواجهة المشكلة بالفهم الواعي ، والتقدير الصحيح لنفسية الناس ، والاعلام السليم ، والمناقشة الموضوعية (١) .

وقد كان القول السائد لسنوات خلت ان نجاح رجل الشرطة رهن بخشونته ، وقد يصدق ذلك ـ حتى في الوقت الحاضر ـ في ظروف الشغب والفوضى الجماهيرية . ولكن من المؤكد ان مثل هذه الصفة غير مرغوبة بين رجال شرطة المرور ، ولا تؤدي الى تحقيق النتائج المنشودة .

ضرورة الالتزام بحسن المعاملة

فقائد السيارة ليس بالضرورة مجرما . كما ان غالبية المخالفين ليسوا بمتمردين على قواعد المرور ، ولكنهم يرتكبون المخالفات سهوا بسبب نوع انشغالهم او انشغالهم بشيء آخر . وواجب رجل الشرطة ان يذكر المخالف بالقانون ، ويحاول ان يصلح في ادب افكاره او عاداته الضارة . الا ان لتنفيذ القانون جوانب تعليمية ، كما ان له جوانب ضابطة ومنظمة . والتعليم هو خير السبل للاقلال من الحوادث . فعلى رجل الشرطة ان يعتبر نفسه معلما معظم الوقت ، وان يدرس اساليب المعلمين ، وهي تعتمد بالضرورة على علم النفس .

ويمكن القول ان الكثرة الغالبة من الناس تستجيب للمعاملة الطيبة . فاذا عومل قائد السيارة معاملة طيبة ، واعطاه رجال المرور الاعتبار الكافي ، واشعروه بانهم يعملون على مساعدته لا اصطياده ، تحسن سلوكه ، وعمل من جانبه على الابتعاد عن الظروف التي تنتج عنها الحوادث او خرق قواعد المرور . ان المعاملة الطيبة تأسر حتى اولئك الذين يجنحون بطبعهم الى الخشونة . اما من تخفق هذه الوسائل في تقويمه ، فان من الواجب اخذه بما يكفل عدم اساءته استعمال حقه في قيادة السيارات .

حسن المعاملة مبدأ اسلامي انساني

ولقد ارسى القرآن الكريم مبدأ حسن معاملة الناس . فأمر رسله وانبياءه بالمعاملة بالحسنى . وفي حسن معاملة الناس نزلت الآيات البينات على رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتي هي احسن » .

« ولا تستوي الحسنة ولا السيئة . ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

« فبما رحمة من الله لنت لهم . ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فواجب رجل الشرطة المختص بتنظيم المرور ان يحسن معاملة افراد الجمهور ، وان يكون قدوة صالحة في لين الطبع وسماحة النفس . فيتخذ احسن السبل لتنفيذ القانون ، ولا يهدر آدمية اي من الناس ولو كان مخالفا . ذلك احرى ان يؤدي به الى تحقيق هدفه . اما اذا اتصف عمله بالتعسف والاستبداد والقهر ، فانه يرتكب بسلوكه جريمة لا يخففها كونه يعمل على منع اخرى كبرت او قلت عنها درجة او درجات ، فالجرم لا يعالج بالجرم . والقضاء هو الجهة المسئولة بالفصل في الاتهام الذي توجهه الشرطة . ولا يتم العقاب الا بمقتضى احكام القضاء . وله وسائله المحددة المشروعة .

الحالة النفسية ومخالفات المرور

يعاني بعض سائقي السيارات من آلام او متاعب جسمانية ، على حين يعاني البعض الآخر من متاعب نفسية ترجع الى حالة عقلية معينة او دافع معين . وينجم عن هذه المتاعب التعرض للخطر او الرغبة في درء مسئولية الخطأ . ومن شأن الحالة النفسية السيئة ان تجعل صاحبها جاهلا بالموقف او غير منتبه للخطر الماثل ، فيقود سيارته بسرعة ٩٠ كيلو متر في الساعة دون ان

---

(١) تنظيم المرور بقلم ا.د. لوبر ترجمة لواء حسن عبد الوهاب ـ الدار القومية ١٩٦٦ .

يدرك أنه تجاوز الحد المسموح به ، أو تتغلب دوافعه على رغبته في الانصياع للقانون ، فيستبدل بالسرعة المأمونة سرعة مجنونة لتنفيس عن احساسه بالضيق من رتابة الحياة وبطئها ، وليس لأى سبب آخر . ومن السائقين ذوى المتاعب النفسية من يستشعر الفخر والسعادة في خرق قوانين المرور والخروج على القواعد الاجتماعية .

الحالة العقلية والقدرة على القيادة

يستطيع رجال المرور المعنيون بالدراسات النفسية والقادرون على تفسير الحالات العقلية أن يدركوا أثر حالات السائقين العقلية في حركة المرور . فمن الثابت لدى علماء النفس وخبراء المرور أن حالة السائق العقلية تؤثر في استعداده وقدرته على القيادة السليمة . فالثائر أو المتعجل بتجاوز السرعة الآمنة أو يتخطى علامة الوقوف ، والمهموم قد يخرج على آداب المرور .

وهنالك ظروف عقلية يمكن وصفها بأنها غياب العقل لفترات محددة ، كمن تأخذه سنة من النوم في أثناء قيادته السيارة ، فيقال بأن كفاءته العقلية قد هبطت بسبب الملل . ومن المعروف أن السائق الواقع في غيبوبة الأنسولين الزائد الذي يصاحبه المريض بالبول السكرى أو الذي يصاب بنوبة من نوبات الصرع ، عرضة في كثير من الحالات لارتكاب مخالفات المرور التي قد يؤدي بعضها الى فواجع في النفس والمال . وثمة حالات أخرى تتفاوت في درجات الحدة ولكنها تحدث النتيجة ذاتها ابتداء من الغضب الوقتي الى فقدان الذاكرة أو الى الدرجات المختلفة للجنون . كما يشبه هذه الحالات تعاطي الخمور والمخدرات على اختلاف أنواعها معا بسبب الاضطرابات العقلية . وقد دلت الدراسات المتعلقة بأثر تعاطي الخمور على حسن التقدير — وهو العامل اللازم لسلامة القيادة — أنه يهبط الى ٤٠٪ من دقته الأصلية بعد تناول سبعة كئوس من « الجين » .

كما ثبت أن أثر حسن التقدير بالخمر يسبق الهبوط أي عوارض السكر على الجهاز العضلى (١) .

اختلاف معدل الحوادث باختلاف السن والجنس

ثمة علاقة قوية بين السن والجنس وبين ظاهرة ارتكاب حوادث المرور . بيد أن تأثير السن في تلك الظاهرة أكثر ظهورا في سجلات القيادة الخاصة بالنساء . وقد أثبتت البحوث أنه ليس ثمة فارق كبير بين سلوك الجنسين في القيادة فيما بين سن الخامسة عشرة والثلاثين ، وإن كان قد لوحظ أن حالة القيادة تسوء بالنسبة للرجل وتتحسن بالنسبة للمرأة خلال الست سنوات الأولى لتعلم القيادة .

وبعد سن الثلاثين يتساوى الجنسان في معدل حوادث المرور عدا ما يطرأ عليه من ارتفاع طفيف بالنسبة للسيدات في سن الخامسة والثلاثين . وقد يرجع ذلك للمتاعب العائلية أو لوجود الأطفال بالسيارة . ثم تزداد قابلية النساء لارتكاب الحوادث بعد سن الخامسة والخمسين . ولا يصح اعتبار هذه النتائج ثابتة وحاسمة ، اذ قد تؤدى الدراسات المقبلة الى نتائج مختلفة تبعا للتغيرات البيئية والاقتصادية والاجتماعية .

وأخيرا ، فانه لتحقيق أفضل النتائج عن طريق تطبيق علم النفس في التخطيط للمرور وتنظيمه ، لا مناص من فهم المبادىء الأساسية لهذا العلم جيدا ، والتسليم بها ، والعمل على أن تبقى دائما ماثلة في أذهان المخططين والمنظمين . ومن هذه المبادىء أن الرائي لا يدرك كل ما يقع في مجال الرؤية . ومنها ضرورة وجود منبهات بصرية على مسافات متناسبة على طول الطريق . ومنها أيضا اختلاف الأفراد فيما بينهم في القدرات ، وضرورة أخذ ذلك في الاعتبار عند وضع خطط المرور ، فذلك وحده كفيل بالاقلال من حوادث المرور الى أدنى حد ممكن . ■

حسن فتح الباب

---

(١) ظاهرة تعاطي الحشيش ، التقرير الأول والتقرير الثاني المسح الاستطلاعي في مدينة القاهرة من منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية القاهرة دار المعارف ١٩٦ .



بقلم : عبد الستار فراج

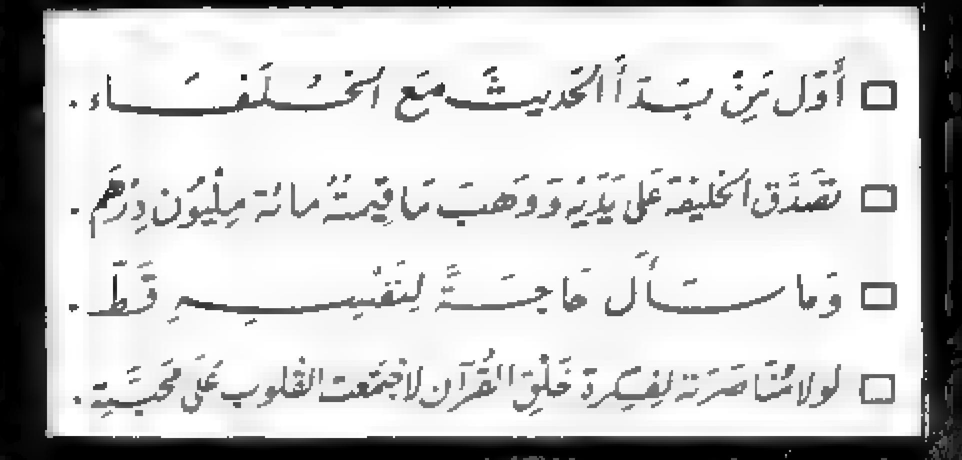
■ كان لما ترجم من كتب في عصر المأمون وتضاعف في عهده ، جانب حسن يتمثل في النهضة الثقافية الواسعة ، التي تفتحت امام العقول ابوابها والنفوس المتطلعة الى الورود بكل نافع مفيد . وكان لما ترجم ايضا جانب كالح ، بدا في اطلاق العنان للعناد الفكري الذي يسلك المجمح الرائغ في قالب جلاب يدحر الخصوم ، في عهود لم يكن يحد السلطان فيها مجالس للشورى ، ولا يسمع في ندواته رأي عام فعال . وفي وقت لم تسع فيه العصبيات المبغضة ، والطائفية التي لا يهمها ان يسود الامن والاستقرار .

ويحدثنا التاريخ عن اشخاص جدوا فتقدموا ، ودأبوا فارتفعوا . نالوا بعلمهم وادبهم العظيم المرموقة ، وبلغوا بفضلهم واعمالهم قمة المجد الرفيع ، فصاروا اعلاما مرموقين ، تلهج السنة الناس بمدائحهم ، وتنظر اليهم الابصار في اكبار .

على ان من بين هؤلاء الاعلام افرادا اثيروا فينا كقطع الليل المظلم ، اذ تعصبوا لافكار ارادوا ان يرغموا على اعتناقها ائمة المسلمين ، فتقولوهم عن الحق فيما يقنع ، ثم تكشفت الفتن عن بلاء شديد ، اصاب بعض من خالفوهم بالمحن والارزاء .

واحمد بن ابي دؤاد من اولئك الذين دأبوا وجدّوا . ونالوا وعلوا . ثم كان في مقدمة من جنوا على مخالفيهم في الرأي جناية كبرى . ولو انه صرف نفسه عن ذلك الفن في عهده وفي كل العهود فانه منقطع النظير ، فاحواله واعماله الاخرى التي لم تتصل بالعناد الفكري ، وعزة نفسه وسمو مداركه ، جعلت السنة الغالبية من معاصريه ، بل حتى منافسيه يذكرون له غرر آثاره ، وروائع امجاده .

ودُؤاد نطقها الصواب دال مضمومة بعدها واو مفتوحة بدون همزة ، وهي في اللغة من مادة (دود) لا من مادة (داد) ، وأحببت التنبيه عليها لكثرة ما يقع في الكتب خطأ رسمها بالهمزة ولكثرة ما يلفظ بها الناطقون ، وكذلك يقال في الشاعر ابي دُؤاد الايادي . فهو بالواو لا بالهمزة



وكلا الشخصين وإن تباعد بينهما الزمان ينتمي الى القبيلة العربية اياد .

بدء ظهوره وارتفاعه

لقد كان بدء ظهور احمد بن ابي دؤاد في ايام المأمون حين قدم بغداد سنة ٢٠٤ هجرية وعمره حوالي اربعة واربعين عاما . ذلك ان يحيى ابن اكثم التميمي قدم قاضيا على البصرة في سنة ٢٠٢ هـ بتولية من الخليفة المأمون الذي كان بخراسان ويحيى بن اكثم شاب على ذكاء وعلما وحسن اختيار ، فاستصحب جماعة من اهل العلم والمروءات ، منهم احمد بن ابي دؤاد . فلما قدم المأمون بغداد سنة ٢٠٤ واجتمع به يحيى بن اكثم قال له : اختر لي من اصحابك جماعة يجالسونني ويكثرون الدخول اليّ . فاختار يحيى منهم عشرين فيهم احمد بن ابي دؤاد ، فكثروا على المأمون ، فقال له : اختر منهم، فاختار منهم عشرة، منهم احمد ابن ابي دؤاد . ثم قال له : اختر منهم . فاختار خمسة ، فيهم احمد بن ابي دؤاد . وهكذا اتصل امره بالخلفاء .

وظلت منزلة احمد ترتفع لدى المأمون حتى صار عنده من المقدمين ، وفي الخبر التالي ما يبين بعض دواعي هذه المنزلة من الايثار والتقريب . « قال احمد : جالست المأمون . كنا عند المأمون ، فذكروا من بايع من الانصار ليلة العقبة فاختلفوا في ذلك . ودخل ابن ابي دؤاد ، فعدّهم واحدا واحدا بأسمائهم وكناهم وانسابهم . فقال المأمون: اذا استجلس الناس فاضلا فمثل احمد . فقال احمد : بل اذا جالس العالم خليفة فمثل امير المؤمنين الذي يفهم عنه ويكون اعلم بما يقوله منه » .

لقد جمع احمد بين علم يحوك به الرأي ويتلطف في القول ، وتحبب يرضى ما في الخليفة من كبرياء .

ومع تحببه وتلطفه لم يكن ضعيف الشخصية ، بل كان على ثقة من نفسه لا تتزعزع . وجراءة في الابتداء بالقول ، مكنتها له حسن ما يبديه من الرأي وما يطلبه من القول ، والمؤرخون يذكرون من فصاحته قولهم عنه « هو اول من افتتح الكلام مع الخلفاء. وكانوا لا يبدؤهم احد حتى يبدءوه» . وحسبنا هذا برهانا على قوة شخصيته في تجاوزه المألوف فيما عهد من مجالسة الخلفاء .

والخليفة المأمون كان عالما ، وكان فصيحا .

وكان ذكيا ، وميله الى العلم والأدب اشد من ميله الى الجوانب الأخرى من ثقافته . ويبدو انه انحرف الى مذهب المعتزلة الذي كان منحرفا اليه احمد بن ابي دواد ، ولانستطيع القطع بأن ذلك من تأثيره عليه.ويمكن القول انه مالاه على التعصب له ، والمبالغة في التشدد على من يخالفونه .

المعتزلة

ونشأة المعتزلة كانت في اواخر عهد بني امية حينما طرد الحسن البصري من مجلسه واصل بن عطاء ، للخلاف حول المؤمن الذي يرتكب الكبيرة من الذنوب ، فقد قال اهل السنة ، انه فاسق بارتكابها ولكنه مؤمن وليس بكافر . وقال الخوارج ان مرتكبها كافر .وقال واصل بن عطاء : ان الفاسق من امة محمد لا هو مؤمن ولا هو كافر ، وانما هو منزلة بين المنزلتين .

وبعد طرد الحسن لواصل ، جلس واصل في ناحية من المسجد ، وجلس اليه عمرو بن عبيد (٨٠ — ١٤٣ هـ) فقيل لهما ولاتباعهما معتزلون ، ومن اسمائهم بعض الخلاف ، كان جماعتيهما مفترونة ومن اهم خلاف المعتزلة مع اهل السنة ان اهل السنة يقولون ان الله تعالى علما حقيقيا لا مجازا وان علمه تعالى غير مخلوق ، لم يزل . والمعتزلة يقولون ان علم الله مجاز لا حقيقة . وبعضهم قال ان علمه متحدث مخلوق . والخلاف الثاني الذي يهمنا هو ان اهل السنة يقولون ان كلام الله تعالى قديم ، لم يزل ، وغير مخلوق . والمعتزلة يقولون ان كلام الله محدث مخلوق . ومن هذا الراي نشأت فتنة خلق القرآن كلام الله ، هل هو مخلوق او غير مخلوق ، نشأت او بدت ظاهرة سافرة في عهد المأمون، اذ كان الامر مناقشات في المساجد ومجالس العلماء ، كل يحاول اثبات صحة رأيه بما اوتي من فصاحة وقوة في الجدال ، فنقله المأمون الى مذهب حكومي يتدخل فيه الخليفة ويكره الناس على التسليم بما يقضيه مما استحدث في شئون الدين .

ولقد ارتكب بسبب هذه الفتنة من الظلم والتنكيل بالعلماء ما يحمل المأمون وزره فوزر من اتى بعده ومن شاركه في بدعته التي شغل بها هو ومن حكم بعده .

في ايام المعتصم

وحينما دنا اجل المأمون كان العهد بالخلافة بعده الى اخيه المعتصم ، فكتب المأمون وصيته اليه وقال فيها .

« وابو عبد الله احمد بن ابي دواد لايفارقك الشركة في المشورة في كل امرك ، فانه موضع ذلك » .

ويلاحظ ان الخليفة ومن بعده من الخلفاء كانوا يخاطبون او يذكرون احمد بن ابي دواد بكنيته ، وهي ابو عبد الله « وهذا في عرف ازمانهم يعد من اعظم المحبة والتقريب والتكريم » .

فلما توفي المأمون اسند المعتصم منصب قاضي القضاة الى احمد بن ابي دواد وعزل يحيى بن اكثم . على ان يحيى بن اكثم كان شأنه قد ضعف في ايام المأمون ، لما تكاثر حوله من شائعات اغلبها كان من اكثر ما اتصف به من دعابة وحب الهزل حتى مع خصومه ، وميله لقول الشعر العابث وروايته ، بخلاف احمد بن ابي دواد ، الذي قيل عنه انه كان مولعا بالجد حتى مع جاريته وابنته .

والخليفة المأمون المعدود من العلماء كان معجبا باحمد بن ابي دواد ، ومقدرا له ، فما بالنا بالمعتصم الذي لا يذكر عنه ان له في العلم نصيبا يذكر ، فلا عجب ان يكون تأثير ابن ابي دواد عليه اكبر . لذلك سار المعتصم في فتنة خلق القرآن ، وزاد احمد بن ابي دواد يتولى مناظرة المخالفين ويهجم عليهم ويتهمهم بالمروق من الدين ، فتنكيل من التنكيل وضرب الامام احمد بن حنبل من اجل ذلك بالسياط ، وحماه الله من ان يكون من المقتولين وكان ذلك في سنة ٢٢٠ هجرية بعد تولي المعتصم الخلافة بسنتين .

وقوي تأثير احمد بن ابي دواد على المعتصم ، حتى كان لا يعمل عملا ظاهرا ولا باطنا الا برايه . بل ان فترة حكم المعتصم تجلت فيها عظمة ابن ابي دواد واستبداده التي خلفته مكتبا لا يطاوله الا القليلون .

ولم يكن تقدير المعتصم له اعتباطا . ولا ايثاره اياه بالحب بدون سبب قوي ، فلقد رأى منه على رغم مذهبه الكلامي حبا للخير ، وسعيا لنفع الناس وبلاغة رائعة .

وتتفق الروايات على استجابة المعتصم لكل ما يطلبه احمد بن ابي دواد ، وهذا احد الرواة

يقول : ما رأيت احدا قط اطوع لاحد من المعتصم لابن ابي دواد . كان المعتصم يُسأل الشيء اليسير فيمتنع منه ، ثم يدخل ابن ابي دواد فيكلمه في اهله وفي اهل الثغور وفي الحرمين وفي اقاصي اهل المشرق والمغرب ، فيجيبه الى كل ما يريد ، ولقد كلمه يوما في مقدار الف الف درهم — مليون درهم — ليحفر بها نهرًا في اقاصي خراسان ، فقال له المعتصم : وما عليّ من هذا النهر ! فقال : يا امير المؤمنين ، ان الله تعالى يسألك عن النظر في امر اقصى رعيتك كما يسألك عن النظر في ادناها . ولم يزل يرفق به حتى اطلقها . (١)

ولا ينسى احمد في سبيل تحقيق رغبات الشعب في كل مكان ان يتحبب للخلفاء بمعسول القول ، ليرضي كبرياءهم ، ويقوم مقام الشاكر على جميل ما يصنعون . قال علي بن الحسين الاسكافي كاتب « بغا » اعتبر فؤاد المعتصم « اعتلّ احمد بن ابي دواد » — اي مرض — فعاده المعتصم ، وكان معه « بغا » وكنت معهما . فقام فتلقاه ، وقال له : قد شفاني الله بالنظر الى امير المؤمنين ، فدعا المعتصم له بالعافية . فقال احمد : قد تمم الله شفائي ومحق دائي بمجيء امير المؤمنين ، فقال له المعتصم : اني نذرت ان عافاك الله ان اتصدق بعشرة آلاف دينار . فقال له : يا امير المؤمنين فاجعلها لاهل الحرمين ، فقد لقوا من غلاء الاسعار عنتا . فقال : نويت ان اتصدق بها ههنا ، وانا اطلق لاهل الحرمين مثلها ، ثم نهض . فقال له : امتع الله الاسلام واهله ببقائك يا امير المؤمنين .

ثم قيل للمعتصم في ذلك ، لانه عاده وليس يعود اخوته واجلاء اهله . فقال المعتصم : وكيف لا اعود رجلا ما وقعت عيني عليه قط الا ساق اليّ اجرا ، او اوجب لي شكرا ، او افادني فائدة تنفعني في ديني ودنياي . وما سألني حاجة لنفسه قط » .

هذا وفي الجملة الاخيرة يكمن اكبر السر في التقدير « وما سألني حاجة لنفسه قط » . فهو اذن كان يتلطف ويتحبب ، ويبذل جاهه للنفع العام .

وفي البذل من الجاه صدقة ، كما في البذل من المال .

علم الكلام والمتكلمون

والحديث عن احمد بن ابي دواد طيب يشوق لذا كان يجمل من الخوض في علم الكلام .

وعلم الكلام هو علم اصول الدين ، او الفقه الاكبر ، ويسمى ايضا علم النظر والاستدلال ، كما يسمى علم التوحيد والصفات .

فالعلم المتعلق بالاحكام الفرعية ، اي العملية ، يسمى علم الشرائع ، والمتعلق بالاحكام الاصلية ، اي الاعتقادية ، يسمى علم التوحيد والصفات . وعلم الكلام يُقتدر به على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج عليها ، ودفع الشبه عنها ، وموضوعه ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته . وعليه تبتني العلوم الشرعية ، لانه اساسها ، واليه يؤول اخذها واقتباسها ، فانه ما لم يثبت وجود صانع عالم قادر مكلف مرسل للرسل منزل للكتب ، لم يتصور علم تفسير ولا علم فقه ؛ ودلالته يقينية يحكم بها صريح العقل ، وقد تأيدت بالنقل ، وشهادة العقل مع تأيدها بالنقل هي الغاية في الوثاقة اذ لا يبقى حينئذ شبهة في صحة الدليل ، وسمّي بعلم الكلام — كما يقول ابن خلكان نقلا عن السمعاني — لان اول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله عزّ وجلّ ، امخلوق هو ام غير مخلوق . فتكلم الناس فيه ، فسمي هذا النوع من العلم كلاما اختص به ، وان كانت العلوم جميعها تنشر بالكلام .. وقال غيره ان وجه تسميته بالكلام انه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات او لان مسألة الكلام اشهر اجزائه . واما تسميته باصول الدين فلكونه اصل العلوم الشرعية ، لانها تبنى عليه .

عود الى احمد

ونعود الى ما يذكر عن احمد بن ابي دواد شيئا من آرائه ، متصلين بباهر افعاله .

غضب الخليفة المعتصم على خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، واستصفاه عن ولايته التي كان ولاه اياها ، فجلس المعتصم لعقوبته ، وكان خالد قد لجأ الى القاضي احمد بن ابي دواد مستشفعا ، فتكلم فيه عند المعتصم فلم يجبه ولم يقبل شفاعته فيه . فلما جلس المعتصم لعقوبة

(١) اي حتى وافق على اعطاء المبلغ المطلوب.

خالـد بن يزيد بن مزيـد حضر القاضي احمـد فجلس دون مجلسـه . فقال له المعتصم : يا ابا عبد الله ، جلستَ في غير مجلسـك . فقال : ما ينبغي لي ان اجلس الا دون مجلسي هذا . فقال له : وكيف ؟ قال . لان الناس يزعمون انه ليس موضعي موضـع من يَشْفَعُ في رجـل فيُشفّع . قال : فارجع الى مجلسـك . قال : مُشفّعًا او غير مُشفّع ؟ قال : بل مشفعًا . فارتفع الى مجلسه ثم قال : ان الناس لا يعلمون رضا امير المؤمنين عنه ان لم يخلع عليه ، فامر المعتصم بالخلع عليه . فقال احمد : يا امير المؤمنين ، قد استحقَّ خالدٌ واصحابه رزقَ ستة اشهر لا بد ان يقبضوها — يعني بذلك ما لم يُصرَف من مرتباتهم المقررة لهم شهريًا — وان امرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصلة . فقال المعتصم : قد امرت بها . فخرج خالد وعليه الخلع والمال بين يديه . والناس في الطرق ينتظرون الايقاع به . فصاح به رجل : الحمد لله على خلاصك ياسيد العرب ، فقال له : اسكت ، سيدُ العرب والعجم احمدُ بن ابي دواد .

هذا وخالد بن يزيد بن مزيد كان من الولاة من ايام المأمون ، وتوفي سنة ٢٣٠ هـ ومدحه ابو تمام كثيرا ، وله فيه قصائد حسنة . وابوه يزيد ابن مزيد من القادة السادة ، مدحه الشعراء ولا سيما مسلم بن الوليد . واخوه محمد بن مزيد كان موصوفا بالكرم ، وانه لا يردُّ طالبا ، ومدحه شعراء عصره أيضا ، وكلهم من بيت كريم ، فان معن بن زائدة الشيباني المشهور هو عم يزيد ابن مزيد ، وقبيلتهم بنو شيبان لها في الوقائع العربية ما يعد ويحمد .

وكثرت حوائج الناس ، واكثر احمد بن ابي دواد من طلبها من المعتصم ببذل جاهه في سبيل قضاء مصالح الناس ، فقال له المعتصم يوما : حدّثنا يا احمد ، قد اختلفت بيوت الاموال بطلباتك للائذين بك ، والمتوسلين اليك . فقال : يا امير المؤمنين : نتائج شكرها متصلة بـك ، وذخائر اجرها مكتوبة لك ومالي من ذلك الا عشق اتصال الالسن بحلو المدح فيـك . فقال : يا ابا عبد الله ، لاَمنعك ما يَزيد في عشقك ، ويَقوّي من همتك ، فتناولتنا بما احببت .

وقال عون بن محمـد الكندي : لعهدي بالكرخ ببغداد وانّ رجلا لو قال : ابنُ ابي دواد مسلم لقُتل في مكانه — كراهية له حتى بلغت درجة تكفيره وانكار اسلامه ، وقتل من يقول به — ثم وقع حريق في الكرخ اتى على اكثر مال الناس فيه ، فكلم ابن ابي دواد المعتصم وقال : يا امير المؤمنين ، رعيتك نزل بهم هذا الامـر فاعطف عليهم بشيء يُفرَّق فيهم ، يمسك ارماقهم ، ويبنون به ما انهدم عليهم ، ويصلحون به احوالهم . فلم يزل به حتى اطلق لهم خمسة الآف الف درهم « خمسة ملايين » فقال : يا امير المؤمنين ان فرقتها عليهم غيري خشيت ان لا يقسم بالسوية ، فأذنْ لي في تولي امرها ، ليكون الاجر اوفر ، والثناء اكثر . قال : ذلك اليك . فقسمها على مقادير الناس وما ذهب منهم ، بمبالغة ما يقدر عليه من الاحتياط . واحتاج الى زيادة فازدادها من المعتصم ، وغرم هو من ماله في ذلك غرما كثيرا . فكانت هذه من فضائله التي لم يكن لاحد مثلها ، قال عون بن محمد الكندي راوي الخبر : فلعهدي بالكرخ بعـد ذلك وان انسانا لو قال : زرُّ ابن ابي دُوَاد وسخٌ لقُتل .

ومما يروى عنه قوله : « تصدّق المعتصم على يدي ووهب ما قيمته مائة الف الف درهم » اي مائة مليون .

وخصمه يشهد له بالفضل

وحدَّث محمد بن عبدالملك الزيات — وهو الذي كان بينه وبين احمد بن ابي دواد تنافس وخصومة — فقال . كان رجل من نسل عمر بن الخطاب لا يلقى ابن ابي دواد في محفل ولا وحدَه الا لعنه ودعا عليه ، وابن ابي دواد لا يرد عليه شيئا .

ثم عرضت لذلك الرجل حاجة الى المعتصم ، فسأل محمد بن عبد الملك ان يرفع شكواه الى الخليفة فيحله واخر رفعها خشية من ابن ابي دواد ، ثم الحّ الرجل على محمد بن عبد الملك الزيات ، فدخل الى المعتصم متحززا فرصة غياب احمد بن ابي دواد ، وقدم شكوى الرجل ، واخذ المعتصم في قراءتها ودخل ابن ابي دواد والشكوى في يد المعتصم يقرؤها ، فلما قرأها دفعها الى ابن ابي دواد . فلما نظر اليها واسم الرجل في اولها قال ، يا امير المؤمنين ، عمر بن

الخطاب ، عمر بن الخطاب ، عمر بن الخطاب ، يتبلى أن تقضي لولده كلَّ حاجة له . فوقّع له أميرُ المؤمنين بقضاء ما طلب . قال محمد بن عبد الملك : فخرجت والرجل جالس . فدفعت إليه شكواه موقَّعاً عليها بقضائها وقلت تشكَّرْ لأبي عبد الله القاضي ، فهو الذي أخذ شكواك وسأل أمير المؤمنين في قضاء حاجتك . فوقف ذلك الرجل حتى خرج ابن أبي دواد ، فجعل يدعو له ويتشكر له . فقال له : اذهب عافاك الله ، فإني إنما فعلت ذلك لعمر بن الخطاب لا لك .

حيـاة قائـد شجاع

وعندما الأفشين حيدر بن كاوس أكبر القواد الأتراك للمعتصم ، كان يحسد أبا دُلَف القاسم بن عيسى العجلي ، وهو من القادة العرب ، مدحه الشعراء لفضله وكرمه فأكثروا . فاحتال الأفشين على أبي دلف ، حتى دُلّل عليه من شهد بجناية ، وكانت للأفشين دالّة على المعتصم وجرأة في أن يفصل في بعض الأمور دون الرجوع إليه ليشاوره له . فأرسل الأفشين إلى أبي دلف بعض أتباعه ، فقبضوا عليه وذهبوا به إلى دار الأفشين . وبلغ الخبرُ أحمد بن أبي دواد ، فركب مسرعاً إلى دار الأفشين ومعه بعض الشهود ولما دخل وجد أبا دلف موقوفاً للقتل ، والأفشين في حاشيته جالس ، والسيّاف مستعد ليقتل أبا دلف . فبدأ أحمد بن أبي دواد في رجاء الأفشين أن يطلق أبا دلف ، فأبى ولم يقبل ، فتضرع إليه أن يطلقه ، فأصر واستكبر ، فتلطف إليه أن يحفظ على العرب أحد قادتهم فلا يقتله ظلماً ويجعلها يداً بيضاء على من أحسن إليهم أبو دلف ، ومكافأة له على ما قام به من فتوح ، وما له من مواقف مشهورة . فلم يزدد الأفشين إلا طغياناً وتجبراً وتكبراً ، وحينئذ انتصب أحمد بن أبي دواد شامخاً في كبرياء وأنفة وقال : أما إذ أبيت أن تستجيب للرجاء ، وامتنعت عن الإحسان فاعلم أني امرؤ يكن لا تمسُّ منه شعرة ، وأني رسول أمير المؤمنين إليك ، وقد أمرك ألا تحدث في القاسم بن عيسى حدثاً حتى تسلمه إليه دون أن يمسه أذى ، ثم التفت إلى من معه من الشهود ، وإلى من حضر دار الأفشين وقال :

ألا فاشهدوا أني أديت الرسالة إليه عن أمير المؤمنين والقاسمُ بن عيسى حيٌّ معافى . فقالوا شهدنا . وخرج أحمد بن أبي دواد مرفوع الرأس وذُهل الأفشين ، وتوقف عن قتل أبي دلف . وأسرع أحمد بن أبي دواد بعد خروجه إلى دار الخليفة المعتصم ودخل إليه في داره وقال : يا أمير المؤمنين ، قد أدّيت عنك رسالة لم تقلها لي ، ما أعتدّه بعمل خير خيراً منها ، وإني لأرجو لك الجنة بها .

ثم أخبره الخبر فصوّب رأيه ، ووصل الأفشينَ ليتأكد من صحة ما قاله له أحمد بن أبي دواد ، فصدقه الخليفة ، ووجّه من أطلق أبا دلف من بيته .

ومما ذكره من فطنته أن كانت تطيح برؤوسهم السيوف هو بعض مما يروى ، وله في ذلك المجال وفي بذل المال مواقف مشهودة .

أقوال ومبادىء

ويروى عنه أقوال كانت من مبادئه التي تمسك بها ، من ذلك قوله « ليس بكامل من لم يَحمل وليّه على منبر ولو أنه حارس ، وعدوّه على جذع ولو أنه وزير » يريد يحمل عدوه على جذع أن يقتل ويصلب .

بين ابن أبي دواد
ومحمد عبد الملك الزيات

ومحمد بن عبد الملك الزيات من الشخصيات البارزة في عهد العباسيين أيام المعتصم وابنيه الواثق والمتوكل . وارتفع إلى مرتبة الوزارة ، وبلغ من تقدير الواثق له أنه أمر بأن لا يرى أحدٌ من الناس محمدَ بن عبد الملك الزيات الوزيرَ إلا قام له .. لم يستثن من رعيته أحداً ، وكانت بين أحمد بن أبي دواد ومحمد بن عبد الملك الزيات عداوة ، أو لم يكن بينهما ودّ ، فكان أحمد إذا رأى ابنَ الزيات مقبلاً قام واستقبل القبلة يصلي ، حتى لا يؤخذ عليه أنه لم يمتثل لأمر الخليفة ، وحتى لا يظهر الاحترام لخصمه ، وكان ابن الزيات من كبار الكتاب والشعراء ، فقال :

سألني الشعر إذ أسفت عداوتي
وأراه يشكو بعضها ويقوم
لا تعدمن عـداوة مسمومـة
تركتك تقصد تارة وتقوم

ومرّة اضطر أحمد بن أبي دواد الى أن يدخل على خصمه ابن الزيات لقضاء حاجة لغيره ، ومع ذلك قال لابن الزيات في ذلك الغلام : « والله ما اجيئك متكثراً بك من قلة ، ولا متعززاً بك من ذلة ، ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجبت لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنك فلك » .

ولم تكن هذه العداوة بينهما لتخفى على الواثق ، ولكنه لم يحاول ازالتها ، كما لم يتمكن لأحدهما من الآخر ، فكل منهما له عمله ، وله منصبه ، ويذكر أن الواثق قال مرة لابن ابي دواد حينما دخل اليه : كان عندي الساعة محمد بن عبد الملك الزيات ، فذكرك بكل قبيح ، فقال : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي أحوجه الى الكذب في قول الصدق عني ، ورفعني عنه .

ومن أقواله : « ثلاثة ينبغي أن يبجلوا وتعرف أقدارهم : العلماء ، وولاة العدل ، والاخوان . فمن استخف بالعلماء أهلك دينه ، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه ، ومن استخف بالاخوان أهلك مروءته » .

أدب ودعابـة

وهناك آداب في حسن المعاملة يحرص عليها بعض من رُزقوا دقة الحس وقوة الملاحظة ، وعرفوا ما يكون لها في النفوس من وقع محمود . يروي لنا أبو العيناء ، وكان كفيفاً ومن كبار الأدباء والشعراء في عهد العباسيين ، فيقول :

« ما رأيت في الدنيا أحداً أحرص على أدب من ابن أبي دواد ، ولا أقوم على أدب منه ، وذلك أني ما خرجت من عنده يوماً قط فقال يا غلام خذ بيده ، بل كان يقول : يا غلام اخرج معه . وكنت انتقد هذه الكلمة عليه فلايخل بها ولا اسمعها من غيره » .

ويقولون عنه انه « كان مألفاً لأهل الأدب من أي بلد كانوا ، وكان قد ضم اليه جماعة يمونهم ويموّنهم » ومع مدائح أبي تمام له في شعره ، يقول له مرة : أحسبك عاتباً يا أبا تمام ، فقال له : انما يُعتب على واحد ، وأنت الناس جميعاً، فكيف يُعتب عليك » .

ويقول عنه صاحب تاريخ بغداد : « كان موصوفاً بالجود والسخاء ، وحسن الخلق ، ووفور الأدب ، غير أنه أعلن مذهب الجهمية وحمل السلطان على الامتحان بخلق القرآن » وقال عنه أيضاً : « كان يقال : أكرم من كان في دولة بني العباس البرامكة ، ثم ابن ابي دواد ، ولولا ما وُضع به نفسه من محبّة المحنة لاجتمعت الألسن عليه ، ولم يضف الى كرمه كرمُ أحد » وينقل الينا أيضاً في كتابه تاريخ بغداد قوله « انه لم يكن لقاضي القضاة احمد بن ابي دواد أخ من الاخوان الا يبتني له داراً على قدر كفايته ، ثم وقف على ولد الاخوان ما يغنيهم ابداً ، ولم يكن لأحد من اخوانه ولد الا من جارية هو وهبها له » .

فليس عجباً أن يقول ابو عبد الرحمن العطوى الشاعر في رثاء احمد بن ابي دواد ، كما يروي الزجاجي في أماليه .

وليس صرير النعش ما تسمعونه
ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس نسيم المسك ما تجدونه
ولكنه ذاك الثناء المخلف

وذكر ابن خلكان أن هذا الشعر قيل فيه ، ولكنه لم ينسبه الى قائل .

أما القالي في أماليه فذكر الشعر ولم يذكر اسم القائل ولا اسم من قيل فيه ، لكن الزجاجي الى احمد بن ابي دواد أقرب عهداً ومكاناً ، وشيخه المبرد من الذين أدركوا من عهد ابن ابي دواد أعواماً كثيرة .

حيـاة ونهايـة

واحمد بن ابي دواد ولد في البصرة سنة ١٦٠ هجرية كما يقول عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان وأصلهم من قرية بقنسرين ، وأتجر أبوه الى الشام ، وأخرجه معه وهو حدث ، فنشأ احمد في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام حتى بلغ ما بلغ ، وصحب هيّاج بن العلاء السلمي ، وكان

من أصحاب واصل بن عطاء ، فصار الى الاعتزال. قال ابو العيناء : ما رأيت رئيسا قط افصح ولا انطق من ابي ابي دواد. وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي : سمعت ابن ابي دواد في مجلس المعتصم وهو يقول : اني لاستحي من تكليم الخلفاء بحضرة محمد بن عبد الملك الزيات الوزير في حاجة كراهة أن اعلمه ذلك ومخافة ان اعلمته التأتي لها . ويروى أيضا انه كان شاعرا مجيدا ، ومن قول ابي تمام فيه :

لقد أنستْ مساوي كلَّ دهرٍ
محاسنُ أحمدَ بنِ أبي دُوَادِ

وما سافرتُ في الآفاقِ إلا
ومن جدواكَ راحلتي وزادي

ومن مدحه فيه قصيدته التي يقول فيها :

واذا اراد الله نشر فضيلة
طويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ
ما كان يُعرفُ طيبُ عَرْفِ العودِ

وابلغ ما قيل فيه ما ذكر ابن خلكان عنه « كان فيه من المكارم والمحامد ما يستغرق الوصف » .

سخط المتوكل عليه وعلى ابنه

ظل احمد بن ابي دواد في منصب قاضي القضاة ، الى ان اصابه الفالج في جمادى الآخرة سنة ٢٣٦ ، بعد موت عدوه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات بحوالي شهرين او ثلاثة ، ولما حدث له الفالج ولي مكانه ولده محمد بن احمد ابن ابي دواد ، ولم تكن طريقته مرضية ، وكثر ذاموه ، وقلّ شاكروه ، وفي سنة ٢٣٧ سخط المتوكل على احمد بن ابي دواد وعلى ولده محمد ، فامر بالتوكيل على ضياعه ، وصرفه عن المظالم ، ثم صرفه عن القضاء ، واخذ من ولده مائة الف وعشرين الف دينار ، وجوهرا بأربعين الف دينار ، وسيره الى بغداد من سر من رأى ، وفوّض القضاء الى القاضي يحيى بن اكثم .

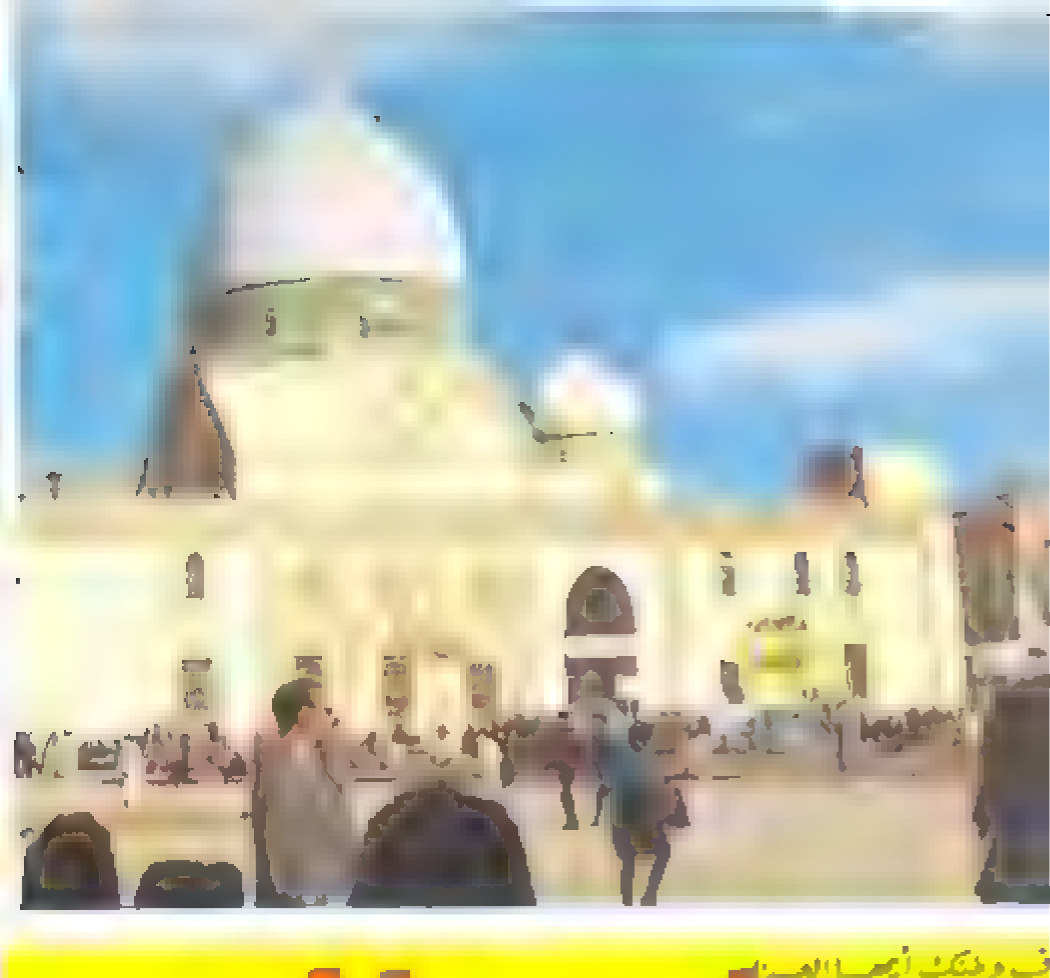
وحتى في محنته لم ينس تعاليه وانفته ، ذلك انه لما شهد عليه حين غضب عليه الخليفة ، حضر المجلس خلق كثير من الشهود وغيرهم ، فقام رجل من الشهود ، وكان ابن ابي دواد منحرفا عنه في أيامه ، فقال الرجل : نشهدنا عليك بما في هذا الكتاب ؟ فقال : لا ، لا ، لست هناك ، وقال للباقين : اشهدوا عليّ ، فجلس الرجل مكسورا . وتعجب الناس من ميونه وقوة قلبه في تلك الحال . ـ ذلك انه في موقف لا يحسد عليه ، ويحاول كل من كان في مثل موضعه أن يتجنب اثارة الشاهدين .

وفاته

وتوفي ابن ابي دواد ـ في أغلب الاقوال في المحرم من سنة ٢٤٠ هجرية ، وتوفي ولده محمد قبله بعشرين يوما ، اما الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه فقد توفي بعدهما بعام وبضعة اشهر .

ويقال ان فتنة الجدال حول خلق القرآن انتهت في أيام الواثق ، حينما جوبه بحجة دامغة دحضت ابن ابي دواد ، واعادت للخليفة صوابه ، وصرفته عن متابعة الاذى بسببها ، ذلك انه جيء بشيخ الى الواثق ، فقال لابن ابي دواد : ناظره ، فقال للشيخ . ما تقول يا شيخ في القرآن ، مخلوق هو ؟ فقال الشيخ : لم تنصفني المسألة لي ، فقال : قل ، فقال : هذا الذي تقوله ، علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلي ، أو ما علموه ؟ فقال ابن ابي دواد : لم يعلموه . قال : فانت علمت ما لم يعلموا ؟ فخجل وسكت ثم قال : اقلني ، بل علموه ، قال : فلم لا دعوا الناس اليه كما دعوتهم انت ؟ اما يسعك ما وسعهم ؟ فخجل وسكت . فدخل الواثق المنزل ، فاستلقى على ظهره ، وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول : اما يسعك ما وسعهم ؟ ثم اطلق الشيخ واعطاه اربعمائة دينار ، ورده الى بلاده ، وقيل انه لم يقبل ما وهبه له ، كما يروى ان هذا الشيخ كان هو الامام احمد بن حنبل ، والظن ألا تكون المسألة امام الواثق الذي تولى الخلافة سنة ٢٢٧ لان الامام احمد امتحن بخلق القرآن في سنة ٢٢٠ هجرية . ■

عبد الستار احمد فراج



اعرف وطنك أيها العربي

طنطا

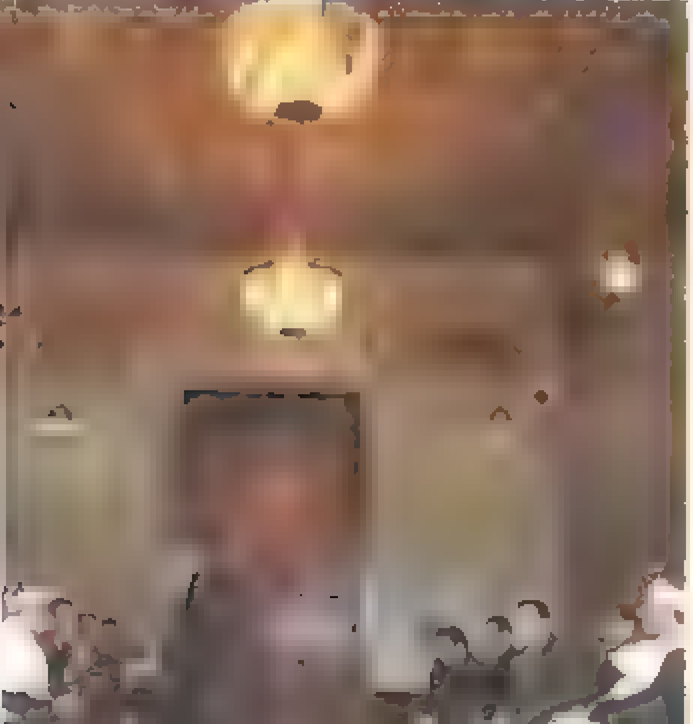
مدينة العلم والصناعة والسيد البدوي

ثالث كبرى مدن الجمهورية العربية المتحدة

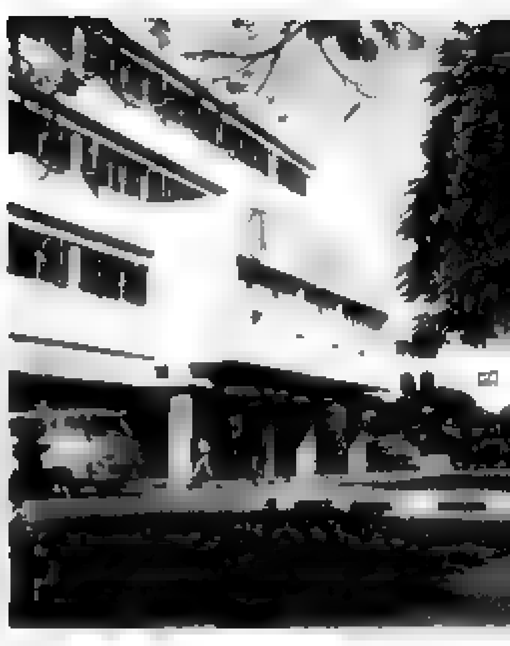
استطلاع: عمر نصيف تصوير: أوسكار متري











مبنى محافظة الغربية في طنطا وهو مبنى حديث يتألف من ربعة طوابق ، ويقع في شارع جمال عبد الناصر ، وفي الصورة الاخرى (الى اليسار) جانب من حديقةنادي طنطا الرياضي الذي تكلف انشاؤه حوالي ٢٥ الف جنيه ، وقد احيطت بالحديقة اشجار النخيل والصفصاف بمكتبة الحديقة وفي النادي حمام للسباحة وملاعب للتنس وكرة السلة

● وسرنا .. وساروا معنا ، وكأنما كنا نسير في موكب .. في المقدمة شيخ وقور ناهز الستين من عمره ، ومن ورائه بعثة مجلة « العربي » ، ثم حشد من الاهالي الذين عرفوا مقصدنا ، فراحوا يسابقون للمجيء معنا .. لقد كنا على موعد في صباح ذلك اليوم من ايام الشتاء ، لزيارة اهم معالم مدينة طنطا ، ضريح الامام المهتدي بالله الداعي الى الخير ، السيد احمد البدوي ، ومسجده الكبير .

وعلى جانبي الشارع الممتد من محطة السكة الحديد التي تتركز فيها شبكة من الخطوط الحديدية التي تمتد الى مختلف انحاء مصر عبر النيل حتى الاسكندرية شمالا واسوان جنوبا ، على جانبي هذا الشارع الذي يعتبر من اقدم شوارع هذه المدينة التاريخية ، انتشرت محال بيع الحلوى التي اشتهرت بها طنطا .. الحمصية والسمسمية والفولية والحلوى المحشوة بجوز الهند وغيرها من اصناف والوان اخرى عديدة .. وقد تفنن اصحابها في رصها في اشكال هندسية جميلة داخل خزانات زجاجية ، بينما ارتفعت اهرامات الحمص امام واجهات المحال التي تبيعه للزائرين والسائحين وتقدمه كرامة في كثير من الاحايين .

الطريق الى المسجد

واردنا ان نتوقف لنسمع قصة حلوى طنطا الشهيرة ، وحمصها الوفير ، ولكن حديث مرافقنا عن السيد البدوي ما لبث ان شدنا شدا الى ذلك المسجد الكبير بقبته ومآذنه الثلاث ، وقد طالعنا صورته منذ اللحظة الاولى التي بدأنا فيها سيرنا من ميدان محطة السكة الحديد .. فهو اول شيء تقع عليه عين القادم الى طنطا بعد ان ينزل من القطار ، ويجتاز مبنى محطة المدينة الحديث .. وحتى اذا ابتعدت عنه ، فلا يختفي المسجد ،



خريطة تبين موقع مدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية احدى محافظات الوجه البحري بالجمهورية العربية المتحدة

ولكن يبقى مآذنه عالية شامخة ، تروي قصة هذا الامام المتصوف المؤمن الزاهد ..

ووصلنا الى المسجد اخيرا ، فوقفنا برهة حتى ننتهي من خلع نعالنا ، ثم دخلنا مع القاصدين الساعين للتبرك والغفران .. واستضافونا في قاعة الزائرين ، وقالوا لنا : « لابد ان تشربوا القرفة وتستمعوا الى قصة السيد احمد البدوي ، قبل ان تزوروا صحن المسجد وضريح الامام رضي الله عنه » .

ودخلنا الدعوة، وجلسنا في قاعة جميلة زخرفوها واثثوها بالزخرف والاثاث العربي الاصيل. وقدموا لنا اقداح القرفة ، وجلسنا نشربها ساخنة ونستمع الى القصة من اولها ، قالوا :

السيد البدوي

« انه الامام السيد احمد بن علي بن ابراهيم ابن محمد بن ابي البكر البدوي ، المتوفى في طنطا في عام ٦٧٥ هجرية » .

عرفه اهل الشرق والغرب علما من اعلام العلم والهداية ، وسارا هاديا الى طريق الزهد في صبع العبادة والتصوف والايمان .

« كان يوم مولده في آخر ايام شهر ذي الحجة من عام ٥٩٦ بمدينة فاس باقليم مراكش بالمغرب . اما نسبه فيرجع الى اسرة متدينة امتدت جذورها الى مدينة مكة المكرمة بالحجاز.. ولكن هذه الاسرة التي يرجع نسبها الى الامام الحسين بن علي كرم الله وجهه ، ما لبثت ان رحلت عن الحجاز الى بلاد المغرب ، لاسباب اجتماعية وسياسية ، حيث استقر بها المقام في نهاية القرن الثالث الهجري.. وبقيت اسرة السيد البدوي في المغرب ، حتى الى ما بعد مولده في اواخر القرن السادس الهجري عندما قررت العودة مرة اخرى الى موطنها الاصلي في مكة ، واقامت بها الى حين ..

اسرة متدينة

« وهناك نشأ السيد احمد البدوي ، نشأة

دينية وعلمية صالحة في كنف اسرته الكريمة ، ثم حفظ القرآن الكريم وتعلم اصول الشريعة والفقه مستلهما آراء الامام مالك رضي الله عنه ، متعمقا في الحديث النبوي الشريف .

* ثم رأى السيد البدوي بعد هذا بثاقب فكره ونور بصيرته أن يدرس مذهب الامام الشافعي ، رضي الله عنه ، فاستوعبه وتعمق فيه والم بآرائه في الفقه والتشريع ..

* ومن اعماقه الحت عليه الرغبة في دراسة التصوف والاخذ بتعاليم الصوفية ، تلك التي تعمقت جذورها في مشاعره ، فاخذ يبحث عن اعلام التصوف ، ويأخذ عنهم ويسالكهم ويسلك سبيلهم ، حتى تمكنت الصوفية منه ، وامتزجت بمشاعره .. وفي تلك الرحلة الصوفية من حياته اتخذ السيد احمد البدوي لنفسه خلوة في جبل ابي قبيس بمكة يتعبد فيها الى الله ذاكرا فضله ، بعيدا عن كل رياء ، ولم يكن ليبرح خلوته هذه الا ليذهب الى «البيت الحرام» لاداء الفرائض ، وكان اذا لقي الناس ، استقبلهم بوجه بشوش سمح ، داعيا الى الحق والى الخير والمعروف ناهيا اياهم بقوة وايمان عن كل ما يغضب الله من منكر او بدعة او ضلال ..

* وتعلم السيد البدوي بين ما تعلم ، ان الثقافة والمعرفة هما امران متلازمان في المذهب الصوفي ، فما كان منه الا ان ترك مكة ساعيا الى العراق ، حيث التقى على ارضها باعلام التصوف من تلاميذ الامامين الجيلاني والرفاعي .. * وفي العراق راح يرتشف من مناهل الثقافة وينابيع المعرفة واصول علوم الشريعة الاسلامية السمحاء ، ثم لم يلبث ان عاد الى مكة مرة اخرى متزودا بابواب جديدة من المعرفة التي حصلها ، وامضى بمكة فترة من حياته الصوفية سابحا بافكاره محلقا بتأملاته ، الى ان جاء اليوم الذي هتف به هاتف من اعماقه يدعوه الى الرحيل الى ارض مصر .. الى مدينة طنطا .. فلبى النداء ..

.. وجاء الى طنطا

وفي طنطا ، نزل ضيفا على احد تجارها الذي استقبله بالبشر والترحاب ، واكرم وفادته ، ولم تكد تمضي فترة وجيزة على وصوله الى هذه المدينة

آلة تغليف قطع الصابون ابعد صبها في القوالب وتجفيفها . وتنتج شركة طنطا للزيوت والصابون ، عدة انواع من صابون الحمام وصابون الغسيل ، وتتم عمليات التغليف آليا . وتضم الشركة الآن مجموعة من الآلات الحديثة التي تم استيرادها بعد توسع مصانع الشركة واقامة العديد من المصانع الحديثة بها

والكليات الجامعية والمركز الثقافي والمكتبة العامة.

الصناعات في طنطا

ومن اهم الصناعات التي قامت في طنطا ، صناعة الزيوت والصابون ، وصناعة غزل القطن ونسجه ، وقد ساعد على قيام هذه الصناعة الاخيرة ، ما تتميز به محافظة الغربية من اتساع رقعة الارض ، وبعدها عن شاطئ البحر ، حيث تنخفض درجة الحرارة شتاء ، وترتفع صيفا مما يضاعف من زيادة نسبة الرطوبة في الجو .. واخيرا محطات تسمين وتجهيز الدواجن للتصدير .

ثم محطة تربية الدواجن التي انشئت في عام ١٩٦٢ فوق مساحة تقدر بحوالي ٢٢ فدانا ، وقد زودت بالات التفريخ الحديثة والحضانات ، وتكلف انشاؤها حوالي ربع مليون جنيه .

في مصنع الزيوت والصابون

قصدنا لزيارة شركة طنطا والصابون ، فوجدنا العمل يجرى على قدم وساق لاتمام التوسعات الجديدة ، وتركيب الالات والمعدات الحديثة التي تم شراؤها اخيرا .

ان العمل كله في هذا المصنع يعتمد على بذرة القطن .. فتصل المحالج ، وتخزن في صومع كبير يسمونه « البقالة » ، ثم تنتقل بعد ذلك الى آلة الغربلة ، لتنظيفها ، وازالة ما علق بها من شوائب، واخيرا الى آلة الدش « Crusher » وبعدها الى اواني الطبخ Cookers .

وعندما تتم هذه العمليات تبدأ عملية استخلاص الزيوت من البذرة بواسطة مذيب عضوي يعرف باسم هكسان « Hexan » وعلى اثر ذلك تتم عملية نقل الزيت الى اقسام التكرير المختلفة لاعداده للاستهلاك المحلي ، بعد ازالة الحموضة منه ، وكذلك اللون والرائحة ، فيصبح صالحا للطعام .

قال لنا المهندس المختص ان مخلفات بذرة القطن تعتبر من اجود انواع العلف للحيوانات ، طبقا للمواصفات الطبية ، وهي تسمى الكسب ، وتنقل هذه الالياف بواسطة جهاز خاص اسمه Cyclone الى مصانع علف الحيوان .

ومن زيت بذرة القطن، يتم انتاج انواع الصابون المختلفة بعد خلط الزيت بالشحم الحيواني والصودا الكاوية ، وتركه يغلي في اوان ضخمة ،



مبنى كلية طب طنطا من الخارج . قال لنا الاستاذ الدكتور محمد لطفي يونس « لقد اضفنا الى مباني الكلية الحالية ، مبنى حديثا يضم الاقسام الاكاديمية ، وقاعة المحاضرات الكبرى والمكتبة ، وتكلف هذا المبنى وحده حوالي ١٢ الف جنيه . اننا نرجو عندما تأتون الى طنطا في زيارة قادمة ، ان تروا مباني الجامعة الجديدة ، كاملة متكاملة »

★ ★ ★

المهندس حسني طنطاوي رئيس مجلس ادارة شركة الزيوت والصابون في جولة تفتيشية مع مهندسي الشركة المسئولين ، يتفقدون سير العمل في المصانع

ان جميع الالات والاجهزة الموجودة في المصانع يتم تشغيلها بالقوة الكهربية





قبل صبه في القوالب . وتتم هذه الخطوات كلها آليا ، وتعمل جميع الأجهزة الموجودة في المصنع بالقوة البخارية .

١٠ مليون جنيه

قال لنا المهندس حسني طنطاوي رئيس مجلس ادارة الشركة : « لقد بلغت قيمة انتاج مصانع الشركة من الزيت والسلي الصناعي والصابون ، خلال عام ١٩٦٩ – ١٩٧٠ حوالي عشرة ملايين من الجنيهات » .

« ويعمل في مصانع شركة طنطا وحدها ، حوالي ثلاثة آلاف عامل ومهندس دائمين .. »

قلنا : « ما هي الخدمات التي تقدمها الشركة لعمالها وموظفيها ؟ » .

قال : « تقوم الشركة حاليا ، ببناء مجمع عمالي لتقديم الخدمات للعمال ، وسوف يحتوي المجمع على مطعم يقدم الوجبات الرئيسية بأسعار رمزية ، وعيادة طبية لعلاج المرضى منهم ، وصيدلية ، ثم جمعية تعاونية استهلاكية ، يجد فيها العامل كل ما تحتاج اليه اسرته ، ونادي اجتماعي ورياضي ، وحمامات ، وأماكن لخلع الملابس ومسجد يستطيع فيه العمال ان يؤدوا فرائض الصلاة . وتحصل الشركة حاليا على مساكن لعمالها في العمارات السكنية التي يقوم مجلس مدينة طنطا ببنائها » .

وعدنا نسأل : « هل تصدر الشركة من انتاجها للخارج ؟ » .

وقال : « ان الشركة تقوم بتصدير ما قيمته ربع مليون جنيه استرليني سنويا من كسب القطن والجلسرين الصناعي الى مختلف دول اوربا » .

ان فرع مصانع طنطا هو واحد من خمسة فروع تتألف منها الشركة ، وهي سها ، والمحلة والتوفيقية ثم مصر الاهلية بطنطا ايضا .

تعبئة الموالح للتصدير

وفي المحطة النموذجية لتعبئة وتجهيز الموالح للتصدير شاهدنا كل مراحل التعبئة منذ وصول الثمار الخام من البساتين حتى تغليفها ووضعها في الصناديق وتتم اوتوماتيكيا ، دون ان تمتد اليها يد .

وتصل الموالح الى مركز التجميع من مديرية التحرير ، ومن مختلف القرى الواقعة في المحافظات الاخرى ، وتمر الثمار بعدة مراحل ، تبدأ بفرزها وتصنيفها ، ثم تنظيفها بواسطة جهاز خاص يقوم بشفط الاتربة وتجميعها في خزان كبير، ثم عملية الغسل الاولى بالماء ، يعقبها مباشرة عملية التطهير ، حيث يمر البرتقال لمدة ٩٠ ثانية على مواد كيماوية مطهرة حافظة لجدارها وهي نوع مادة مطهرة اسمها Sodium Orthofinil في درجة حرارة تتراوح بين ١٠٠ و١٠٦ فهرنهايت . وهي عملية كفيلة بقتل جميع الفطريات العالقة بالثمرة .

وبعد التطهير ، تجري عملية غسيل ثانية بالماء العادي لازالة آثار المادة الكيماوية من الثمار ، ثم تبدأ عملية تجفيف اولى ، ثم تجفيف ثان ، واخيرا عملية فرز ، ثم عملية تغطية الثمرة برذاذ من الشمع يضفي عليها لمعانا خاصا ويساعد على حفظ الثمرة مدة اطول .

فاذا تمت كل هذه الخطوات اصبحت الثمار معدة للتغليف بالورق الحريري المغطى بمادة Difinil ومن خواصها انها تساعد على حفظ الثمرة من التعفن ، ثم يعبأ البرتقال في صناديق من الورق المقوى او الخشب ، طبقا لرغبة المستورد .

تصدير البرتقال لاوربا

قال لنا مدير المحطة ، او مصنع التعبئة ، المهندس الزراعي محمد محيي الدين هيكل : « ان المصنع يعمل طوال الاربع والعشرين ساعة بصفة متصلة ، ويبلغ عدد العاملين فيه حوالي ٦٠٠ عامل وموظف تتراوح اجور الفرد منهم اليومية بين ٢٨ قرشا و ٦٠ قرشا .

« ونحن نصدر الموالح الى المانيا الغربية وسويسرا وانجلترا والدانيمرك والسويد وبلجيكا وهولندا والنمسا والكويت والاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية في اوربا ، وقد بلغت قيمة الصادرات من الموالح خلال عام ٦٩ – ١٩٧٠ اربعة ملايين جنيه استرليني ! »

وقال المهندس هيكل : « وهذه المحطة واحدة من سبع محطات في الوجهين القبلي والبحري ، وهناك ثلاث محطات اخرى يجري بناؤها في الوجه البحري ، وستعمل في الموسم القادم . »

كلية الطب

وقد ازدادت اهمية طنطا بعد افتتاح كلية الطب



ميدان الساعة ، وهو اقدم ميدان في طنطا ، اما الساعة القديمة في وسط الميدان فيرجع عمرها الى اكثر من خمسين عاما ، [illegible] و بعض الآخر قديم ، [illegible] شارع [illegible] الميدان ، [illegible]

في شهر سبتمبر من عام ١٩٦٢ ، قصدنا لمقابلة عميدها الدكتور محمد لطفي بيومي ، انه ايضا استاذ ورئيس قسم الباثولوجي Pathology او علم الامراض ، وقالوا لنا : « ان عميد الكلية مشغول بالقاء احدى محاضراته في مدرج الكلية ! »

ولكننا فوجئنا بالاستاذ بيومي ، يفتح باب غرفة المحاضرات ، ويدعونا للدخول ، ورحب بنا ثم وقفنا برهة ننتظر حتى يأذن لنا بالتصوير .

وعاد الدكتور بيومي الى مقعده وبدا يتحدث ، امام الميكرفون وكانت المفاجأة ، فقد تصورنا انه سيمضي في القاء المحاضرة على طلبته ، وكان موضوعها « بلهارسيا الجهاز البولي ! » . ولكن الدكتور الاستاذ جلس يتحدث عن مجلة العربي ، حديث الخبير بها ، العالم بكل دقائق تلك الرسالة التي حملت المجلة لواءها منذ صدورها ..

محاضرة عن مجلة العربي

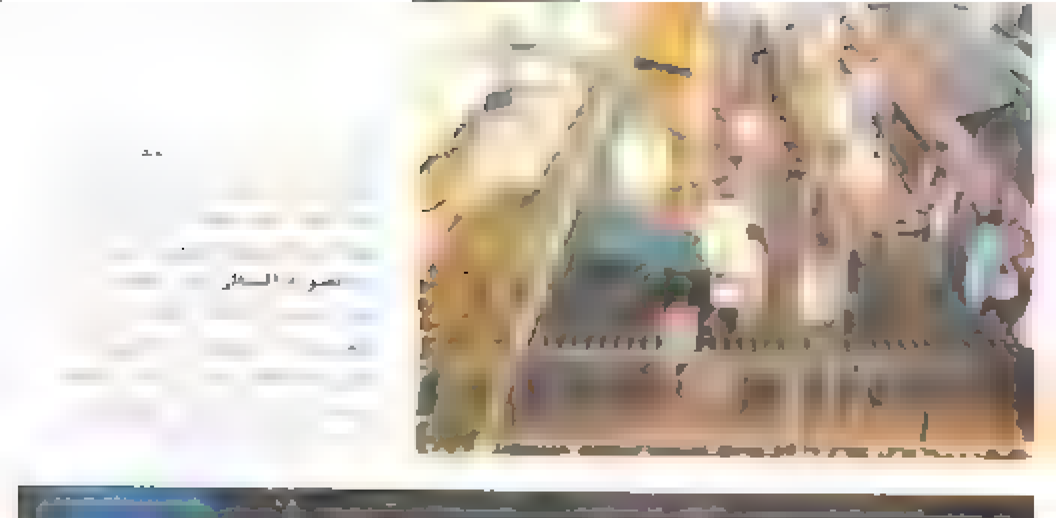
قال الدكتور بيومي لطلبته : « معنا الآن بعثة مجلة العربي ، تلك المجلة العربية العلمية الثقافية التي احرص ويحرص ابنائي معي على قراءة كل عدد جديد يصدر منها .. هل تعلمون من هو رئيس تحرير هذه المجلة ! انه استاذي الدكتور احمد زكي ، العالم الجليل الذي افخر بانني كنت بين تلاميذه في كلية العلوم في عام ١٩٢٩ ، اي قبل ان تصلوا انتم الى هذه الدنيا .. انني انصحكم كوالد واستاذ لكم ، ان تقرأوا هذه المجلة ، فهي خير مجلة نفخر بها امتنا ونعتز » .

ولم يكد الدكتور ينتهي من حديثه حتى صاح الطلبة والطالبات في صوت واحد : « نحن من قراء العربي يا استاذ ! »

رسالة الى رئيس التحرير

وهنا نظر الينا عميد كلية الطب وقال : « قولوا للدكتور الاستاذ احمد زكي ان العربي كانت سلواي في وحدتي ، اثناء مرضي في لندن .. وكنت انزل





الى شارع السفورد لابحث عنها بين الكتب ، ولا اهدأ حتى اجدها ، لاعود بها الى فراشي وفرحي !»

١٨٠٠ طالب وطالبة

وانتهت المحاضرة عن العربي وجلس الدكتور بيومي يحدثنا عن كلية الطب . قال : « لقد بدأت الدراسة فيها بخمسين طالبا عندما افتتحت في شهر سبتمبر من عام ١٩٦٢ ، اما اليوم فهي تضم اكثر من ١٨٠٠ طالب وطالبة . وقريبا سوف نشرع في اقامة المباني الجديدة لكلية الطب ، بعد ان اهدتنا المحافظة مساحة تزيد على الخمسة فدان من الارض ، وقد بدأ العمل بالفعل في وضع حجر الاساس ، وقدرت تكاليف البناء الجديد بمعداته الحديثة ، بما يزيد على الثلاثة ملايين جنيه مصري » .

وتركنا الاستاذ الدكتور بيومي ، فقد كان عليه ان يستعد للاشتراك في مناقشة رسالة دكتوراه ! قلنا نسأله : « هل نستطيع ان نحضر جانبا من المناقشة ؟ »

قال : « مرحبا بكم ، فالمناقشة مفتوحة ، لم ارجو ان اضيف ان هذه ليست اول رسالة دكتوراه تناقش في كلية طب طنطا ، فهي الثامنة من نوعها ! »

والتقينا بصاحبة الرسالة ، انها معيدة قسم الصحة بكلية الطب ، وهي بعد هذا زوجة وام ، وتنتظر حادثا سعيدا ، واسمها هند عبد الفتاح ، واما موضوع رسالتها ، فقد كان « اصابات العمل في مصانع القرية » .

كلية العلوم

في احدث كلية قامت في طنطا ، هي كلية العلوم، فقد انشئت في عام ١٩٦٩/١٩٧٠، وبدأت الدراسة فيها يوم ١١ اكتوبر سنة ١٩٦٩، وبلغ عدد الطلبة فيها اليوم حوالي ٣٦٨ طالبا وطالبة ، وسوف تتخرج الدفعة الاولى من الكلية الجديدة بعد عامين .

قابلنا عميد الكلية الاستاذ الدكتور محمد كمال الطاهر .

معرض الذي تقيمه المدرسة الثانوية الزخرفية بطنطا سنويا ، المعرض وتبيع انتاج الطلبة خلال العام الدراسي وتنتج الطلبة الاثاث المعدنية والخشبية ومصابيح الاضاءة والبسط وغير ذلك ، ويبلغ قيمة المبيعات في المتوسط حوالي اربعة الاف جنيه سنويا





احد عمال مزرعة تفريخ الكتاكيت من بيض الدواجن في محطة تربية الدواجن في طنطا ، وتكون عملية التفريخ على مرحلتين ، المرحلة الاولى وتسمى « حضانات » Incubator ... يبقى فيها البيض لمدة ١٧ يوما في درجة حرارة ٣٧٫٨ ... ثم ينقل بعد ذلك الى المفقس « Hatcher » حيث يوضع لمدة اربعة ايام في درجة حرارة ٣٧٫٦ ، وبعد هذه المدة تخرج الكتاكيت

لقد حرصنا منذ اليوم الاول لانشاء كلية العلوم ان تكون الكلية مكتملة باقسامها الستة ، وهي الكيمياء والفيزياء (الطبيعية) وعلم الحيوان وعلم النبات ، والجيولوجيا والرياضيات البحتة والتطبيقية .

اقدم معاهد طنطا العليا

واما اقدم معاهد طنطا العليا ، فهو المعهد العالي التجاري الذي سيتحول الى كلية التجارة في العام الدراسي المقبل ، وقد انشيء هذا المعهد الذي يضم اليوم ٤٥٠٠ طالب وطالبة في عام ١٩٥٧ .

وتتجه النية الى انشاء كليتين اخريين في العام الدراسي المقبل ، للآداب والحقوق ، وستكون هذه هي الخطوة الاخيرة في سبيل استقلال جامعة طنطا على اساس نظام الاقسام الموحدة ، وهو نفس النظام الذي اتبع عند انشاء جامعة اسيوط في صعيد مصر . وما زالت الكليات الجامعية في طنطا حتى اليوم ، تابعة لجامعة الاسكندرية .

وما دمنا في صدد الحديث عن العلم والتعليم ، فلا بأس من ان نشير اشارة سريعة الى المدارس الثانوية والاعدادية او المتوسطة وكذلك المدارس الابتدائية في طنطا ، وفي عاصمة الغربية وحدها اليوم اربع مدارس ثانوية ومدرستان ثانويتان للزراعة ومدرستان ثانويتان للصناعة ، ومعهد للمعلمين ، ومعهد المعلمات ثم مدرسة طنطا الزخرفية الثانوية واكثر من ١٥ مدرسة اعدادية للبنين والبنات ، و ٤٠ مدرسة ابتدائية غير المدارس الالزامية المنتشرة في مختلف القرى التابعة لمدينة طنطا ، وعددها ٥٠ قرية .

اعداد العامل الفني

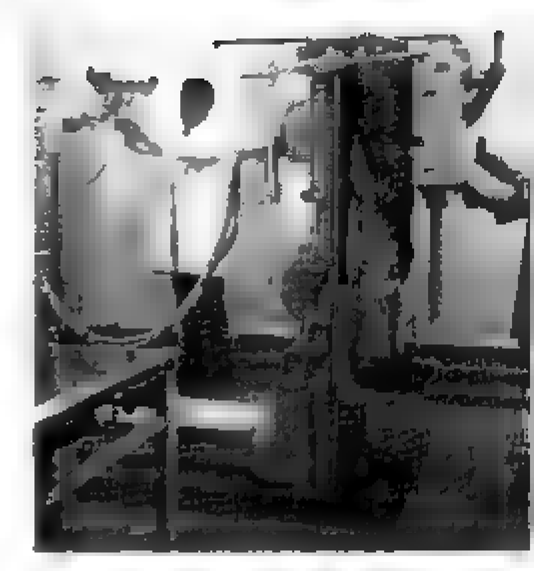
زرنا مدرسة طنطا الزخرفية التي تكلف بناؤها وتجهيزها بالمعدات والآلات مبلغا يزيد على المائة وخمسين الف جنيه . لقد بدأت الدراسة فيها عام ١٩٦٤ ، والمبنى المقام فوق مساحة شاسعة من الارض تزيد على الاثني عشر فدانا ، وكانت الفكرة الاساسية من انشائها اعداد العامل الفني الماهر في مختلف فروع التجارة ، سواء كانت تجارة اثاث ام تجارة عمارة ، والمعادن الدقيقة ، والاثاثات المعدنية ، والحديد واللحام ، والبناء والاعمال الصحية والحفر على الخشب والزخرفة والاعلان ، والغزل والنسيج اليدوي والآلي على السواء .. الى آخر ما هنالك من حرف اخرى .

ومدة الدراسة في هذه المدرسة ثلاث سنوات بعد الاعدادية او المتوسطة ، يتلقى الطالب بعدها علوم المدارس الثانوية الصناعية ، وتؤهله هذه الشهادة للالتحاق بالمعاهد الصناعية العليا ، او معاهد الفنون التطبيقية اذا شاء ان يكمل دراسته وتضم هذه المدرسة حاليا ١٢٥٠ طالبا ، وقد تخرجت فيها دفعتان حتى اليوم .

دور بطولي

هذه جولة سريعة في مدينة طنطا ، ذكرنا فيها اشهر معالمها . انها مدينة يسجل لها التاريخ





دورا بطوليا في مقاومة الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت على مصر في عام ١٧٩٨ ، فقد حدث ان كلف نابليون القائد الفرنسي الجنرال فوجيير ، باخضاع القرية بعد ان تم له احتلال القاهرة ، وامره بتجريد اهلها من السلاح ، ومصادرة الخيول ، واعتقال الاعيان كرهائن ، واشاعة الذعر بين المواطنين .

ولكن ما كادت الحملة تصل الى طنطا ، حتى وجد قائدها ان الاهالي في حالة ثورة ، فبعث الى نابليون برسالة يوم ٦ اكتوبر من عام ١٧٩٨ ، يصف له فيها حالة المدينة ، قال : « لقد امتنع الاهالي عن دفع اية ضريبة او غرامة ، وهم يؤوون بعض زعماء المماليك ويحرضونهم على التمرد والثورة » .

وكان لمدينة طنطا رهبة في نظر الفرنسيين ، لسمعتها الدينية وشهرتها كمزار مقدس لضريح السيد البدوي .

ولكن عندما ازدادت روح المقاومة عنفا وضراوة ، لم يجد الجنرال فوجيير الا ان يجرد كتيبة بقيادة الجنرال لوفيفر الى طنطا يوم ٧ اكتوبر سنة ١٧٩٨ لاخضاع المدينة ، واعتقال زعمائها واتخاذهم كرهائن .

وما كادت الكتيبة تصل الى اطراف طنطا ، حتى بعث الجنرال لوفيفر برسول يطلب الى حاكم المدينة سليم الشوربجي ان يوفد اربعة من كبار مشايخ طنطا ليعطوا القائد الفرنسي عهدا بالمحافظة على الامن .

ولكن قوبل طلب الجنرال بالرفض ، وقام رجال الدين بدور كبير في تحريض الاهالي من الطلبة والدرسين وجماهير الشعب من العمال والفلاحين على القيام بالثورة . وكان الاحتفال بمولد السيد البدوي قائما ، فتجمع الثوار يحملون الحراب والبنادق واطبقوا على الجنرال لوفيفر ، وكان قد تمكن من اخذ رهائنه ، ليودعهم في القوارب ايذانا بالسفر الى القاهرة عن طريق النيل (فرع رشيد) .

معركة طنطا ضد الاستعمار

وهجوم الاهالي على الكتيبة ، ودارت معركة رهيبة ، وقفت فيها القوات الفرنسية عاجزة تماما عن الصمود ، ولم تجد امامها الا ان تنهار وتتراجع ، فما ان اقبل الليل حتى ولت الادبار على ظهر السفينة التي جاءت بهم عائدين الى القاهرة عن طريق النيل (فرع رشيد) .

ولما علم بونابرت بمصير حملته الاولى اراد ان يجرد حملة ثانية لتاديب اهالي طنطا بقيادة الجنرال لانوس ، ولكنها لقيت نفس المصير الذي لقيته الحملة الاولى ، في المدينة الباسلة .

وظلت قوات نابليون تواجه الهزائم ، الواحدة تلو الاخرى ، حتى تم جلاء القوات الفرنسية عن مصر كلية في عام ١٨٠١ ، بعد صراع فاصل دام ثلاث سنوات كاملة ..

هذه هي قصة كفاح اهل طنطا ضد الاستعمار تلك المدينة التي اتخذت من اليوم السابع من شهر اكتوبر من كل عام وهو يوم هزيمة الفرنسيين فيها ، عيدا قوميا لها يذكر ابناء اجيالها الحاضرة والقادمة ببطولات اجدادهم .

منير نصيف

عَلَّمَتْنِي الحَيَـاةُ

■ البسمة تلود :

علمتني الحياة أن من البسـ | ـمة ما يملأ الدياجير نورا
ابتسم تشرق السموات والأر | ض وتغمر بهجة وحبورا
إن النفس دمعة وابتسام | فامنح الطرْ لأسى وحل سرورا
وابتهج فالوجود يوم وينقضي | ليس يرجى بطيئه أن مرورا

* * *

الأزاهير :

علمتني أن الأزاهير سلو | ى إذا عقني الزمان اللاحي
أرتشف الظل إن ضقت من الور | د وأحيا بنشره الفواح
في رياض أنتهي الشلال وأصغي | ما احتوته أنداحها من راح
ألمس بعضها في الصبح لمسا | وأرى الحب في عيون الأقاحي

* * *

الألحان :

علمتني حياتي أن من الألـ | ـحان ما يترع الوجود صفاء
ويعيد الأحلام أعذب ألوا | نا وأحلى وشيا وأنقى رواء
وبريق الوجود بالنغم البكـ | ـر فيمضي في سحره إصغاء
كل شيء في الكائنات يغني | فكأن الورى مشتعل غناء

* * *

الأيام :

علمتني الحياة أن من الأيا | م ما يسعد النفوس ويرضي
ويسب النعيم صبا ، ومنها | ما يثير الأسى ويضني ويمضي
كلما مرت الليالي عجالا | خلت أني أسير وحدي وأمضي
آذنت بينها متع العيـ | ـش وهشت أحلامها للتقضي

* * *

الحنين إلى الدار :

علمتني أن الحنين إلى الدا | ر حنين مرجّع في ضلوعي
إن أطافت بالفكر تلك الذكـ | ـرى فيا دار أنت سر ولوعي
إنها لا أهل ولا أحبة والصحـ | ـب ومسرى تلفتي ونزوعي
هاجت النفس فاستعاضت أنيا | وتراءت في وكتاب الأسبوع ■

دمشق – أنور العطار

أنت تسأل .. ونحن نجيب

اعمل لدنياك .. واعمل لآخرتك ..

● اختصما في الاثر الكريم « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » يا ترى أهو حديث لرسول الله او من كلام غيره ؟

صادق عبد الكريم ـ مصر القديمة

ـ ليس في فهارس كتب الحديث التسعة المشهورة ما يدل على ان هذا النص هو حديث لرسول الله .

وقد اختلفت روايته واختلفت الكتب الاخرى ايضا في نسبته للرسول . والذى ذكر انه حديث رسول الله هو صاحب لسان العرب في مادة (حرث) اذ قال : الحرث : العمل للدنيا والآخرة ، وفي الحديث « احرث لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » اى اعمل للدنيا ، فخالف بين اللفظين .. الى آخر ماشرحه . وهو في شرحه ينسب القول الى الرسول ، اذ يقول في سياقه « .. انه عليه السلام .. وهو الغالب على أوامره ونواهيه صلى الله عليه وسلم .. فقال عليه السلام » ..

وصاحب لسان العرب نقل هذه النصوص تقريبا عن النهاية لابن الاثير ، وابن الاثير نقل نص الحديث عن الهروى احمد بن محمد صاحب الازهرى مؤلف التهذيب . وقد وقع ابن الاثير في نسبته للرسول ، مع ان كلمة حديث قد تقال في حديث غيره .

وممن رواه في مادة (حرث) الازهرى في التهذيب ولكنه قال : وفي حديث ابن عمر انه قال « احرث لدنياك كأنك تعيش ابدا واحرث لآخرتك كأنك تموت غدا » .. ويلاحظ ان الازهرى والهروى متعاصران ومتصاحبان .

اما ابن قتيبة في عيون الاخبار فقد نسبه الى عبد الله بن عمرو « احرث لدنياك ... » وابن قتيبة اقدم من الازهرى لانه من علماء القرن الثالث .

وابن عبد ربه في العقد الفريد نسبه الى عمرو ابن العاص ، ورواه « اعمل لدنياك عمل من يعيش ابدا واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا » ، وروى حديثا نسبه للرسول بمعناه « خيركم من لم يدع آخرته لدنياه ، ولا دنياه لآخرته » وهذا الاخير الذى نسبه للرسول لم اجده ايضا في فهارس كتب الحديث النبوى التسعة . ومما يذكر ان بعض الحافظين للنص « اعمل لدنياك .. » نسب قوله الى سيدنا الامام على كرم الله وجهه . ولم اظفر بالكتاب الذى فيه هذه النسبة حين كتابة هذه الكلمة .

(ع . ف)

المسلمون

● سمعت ان هناك عددا من اهالى تايلاند الذين يعتنقون الدين الاسلامى . وان الحكومة التايلاندية تقوم باضطهادهم ، فما عدد هؤلاء المسلمين . وهل صحيح انهم مضطهدون هناك ؟

محمد عبد الله السودى ـ السعودية

ـ يبلغ تعداد سكان تايلاند ٣٤٫٣٨٠٫٠٠٠ ؟ نسمة (احصائيات ١٩٦٩) ٩٢٫٧٪ منهم يعتنقون الديانة البوذية .. وتقول الاحصائيات الرسمية ان عدد المسلمين لا يزيد عن ٣٫٩٪ من تعداد السكان اى حوالى ١٫٣٨٠٫٠٠٠ نسمة ويقطن اغلب المسلمين جنوب تايلاند على حدود بلادهم مع ماليزيا .. ونسبة التعليم بينهم ضئيلة جدا ويعملون في

الاساطيل الروسية
بعد الاساطيل الامريكيه فى بحار الارض

● [illegible] من قوة الاساطيل السوفياتية ولا سيما المرابطة في البحر الابيض المتوسط وفي المحيط !

صلاح الواسطي – لبنان

– لا جدال في ان قوة الاتحاد السوفياتي البحرية قد كبرت وتعاظم شأنها في السنوات الاخيرة . ويصدق هذا على منطقة المحيط الهندي وقد بلغت قوة روسيا البحرية فيها ، سنة ١٩٧٠ ، ٢١ قطعة بما في ذلك السفن والغواصات ، ولكنه يصدق بخاصة على منطقة البحر الابيض المتوسط وقد كان اقصى ما بلغته القوة الروسية فيها ، في السنة التي ذكرنا نفسها ٢٤ سفينة حربية و ١٢ غواصة .

وتكتسب هذه الارقام مزيدا من خطورة اذا ذكرنا ان الوجود العسكري السوفياتي حديث عهد بكلتا المنطقتين . فالسفن الروسية الحربية لم تظهر في مياه البحر المتوسط بصورة ملحوظة قبل منتصف عام ١٩٦٤ . اما في المحيط الهندي فقد تأخر ظهورها حتى منتصف سنة ١٩٦٨ .

على ان قوة روسيا البحرية في اي من المنطقتين المذكورتين ليست ثابتة ، ولا تعتبر اسطولا بالمعنى الدقيق . فهي عرضة للتغير السريع والزيادة او النقصان بحيث لا تدخل في عداد الاساطيل السوفياتية .

واساطيل الاتحاد السوفيتي ثلاثة ، اسطول البحر الاسود وقوامه ٤٠ غواصة و ٦٢ سفينة حربية ، واسطول المنطقة القطبية الشمالية وقوامه ٥٤ سفينة حربية و ١٥٠ غواصة منها ٤٥ غواصة نووية . وثالث تلك الاساطيل هو اسطول الشرق الاقصى ، وهو البرهنا ، وقد بلغ عدد قطعه ١٩١ قطعة ، منها ٨٦ سفينة حربية و ١٠٥ غواصات . وجدير بالذكر ان ٤٥ من هذه الغواصات تسير بالطاقة النووية ..

تلك هي الاساطيل السوفياتية الثابتة التي تمثل فيها قوة روسيا البحرية اجمالا ، والتي تستمد منها قواتها في البحر المتوسط وقواتها في في المحيط الهندي . فهاتان القوتان هي التابعتين سالفتان من سفن وغواصات تابعة لتلك الاساطيل الثابتة ، وتعود اليها في الغالب ان آجلا او عاجلا .

ونورد فيما يلي تعدادا اجماليا لمجموع قطع الاساطيل السوفياتية عامة وقد اصبحت هذه الاساطيل تنافس الاساطيل الامريكية ، كما هو معروف ، لا من حيث عدد القطع وحسب ولكن من حيث الطراز ايضا :

٢٥٧ سفينة حربية
١٧٠ حاملات صواريخ موجهة
٣٠٠ غواصة عادية
٧٠ غواصة نووية
(٧٩٧) قطعة مجموع قطع الاساطيل السوفياتية اجمالا .

(ل . ق)

في تايلاند

المهن اليدوية والزراعة .. ولقد حدثت عدة اضطرابات سياسية في السنوات الاخيرة في تايلاند .. واتهمت السلطات الحكومية المسلمين هناك بمساعدتهم معارضي الحكومة من اليساريين وحدثت بعض الحوادث الدامية في اواخر عام ١٩٦٧ واوائل عام ١٩٦٨ وقتل بسببها مئات المسلمين وعدد من قوات البوليس والجيش الحكومية .

ونتيجة لسوء الاحوال المعيشية للمسلمين في تايلاند فان هناك دائما شكوى من انهم مضطهدون من الحكومة .. وفي الحقيقة ان هناك اضطهادا تمارسه الحكومة التايلاندية ضد هؤلاء المسلمين الذين يكونون اقلية في البلاد .

(م.ط)

نعم .. تعمل منظمات المانية غربية لاقامة الثورات الدينية في افريقيا الاستوائية وخاصة في السودان

● اتهم الرئيس احمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا المانيا الغربية بالتدخل في بلاده وانغمارها بعمليات غزو المرتزقة التي قتلت بعض ابناء الشعب الغيني .. وقد تم القاء القبض على عدد كبير من المتآمرين ومحاكمتهم .. وقد علمت من بعض الاخوان السودانيين ان للالمان نشاطا كبيرا في جنوب السودان .. ولعل هذا سيعطيك صورة عن مدى ما بلغ من الخطورة حدا مذكورا !

حمد السيد — ع.ج.م

— تقوم المانيا الغربية الآن بدور كبير في امداد المتمردين في جنوب السودان بالاموال والسلاح ، وهي ايضا مركز كبير للنشاط الدعائي لهؤلاء المتمردين ضد حكومة السودان . وقد كشفت حكومة السودان اخيرا النقاب عن عدد كبير من الجمعيات التي تمارس نشاطها في المانيا الغربية وتحظى بتأييد الحكومة الالمانية .. ومن اهم هذه الجمعيات :

١ — اتحاد الطلبة المسيحيين البروتستانت بجامعة بون .. وتقوم هذه الجمعية بجمع تبرعات من المواطنين لارسالها للمتمردين في جنوب السودان مستغلة في ذلك العامل الديني .

٢ — جمعية الخدمات الالمانية German Voluntary Service وهي تقوم بارسال مواد غذائية واسلحة للمتمردين عن طريق كينيا .

٣ — جمعية ميديكو Action Medico وتقوم بنشاط واسع في معسكرات المتمردين في اوغندا وقد قدمت لهم ما يزيد على ٢٥٠ الف مارك في عام واحد .

٤ — جمعية مساعدة افريقيا Society for the support of Africa . وقد تأسست في عام ٦٤ ومركزها الرئيسي في فرانكفورت ولها فروع في كل من بون — وميونخ ، وهامبورج وكولون .

٥ — لجنة العمل لبيافرا السودان وهي احدى المنظمات الكاثوليكية في المانيا ، ويقوم البوليس الالماني بحماية اعضاء لجانها وتلقى تأييدا كبيرا من الحكومة .

٦ — منظمة المساعدات الالمانية والكنيسة الكاثوليكية وقد جندت هذه المنظمة المرتزق رودلف شتينر والذي قبض عليه اخيرا ، وسيحاكم في السودان .

وقد اعترف شتينر بانهم قالوا له ان منظمة المساعدات الالمانية ستبدأ في تقديم مساعداتها لجنوب السودان لذلك فهم يطلبون الحصول على معلومات عن حالة المسيحيين هناك ووعد الكنيسة بهذه المعلومات . وقد اشترك شتينر في العمليات العسكرية التي يقوم بها المتمردون ، وفر الى اوغندا ولكن الحكومة الاوغندية سلمته بعد ذلك الى حكومة السودان .

وهناك ايضا جمعيات اخرى تمتد فروعها في كل اوربا ولكن مركزها الرئيسي في المانيا الغربية .. وهي تقوم بنشاط واسع لجمع الاموال للمتمردين وكذلك لنشر الدعايات المضادة ضد السودان واتهامه بانه يضطهد المسيحيين الجنوبيين ، وكذلك فان الاسلحة تشترى في المانيا ثم ترسل الى المتمردين عن طريق بعض دول افريقيا التي تقع على حدود السودان .

(م. ط)

كتب الاطفال
ماذا صنعنا بها ؟

● طرحتم عددا من المشاكل التي تواجه الكتاب العربي في عدد « العربي » لاول مارس ، ولكنكم لم تذكروا شيئا عن كتب الاطفال ، ترى اى نوع من هذه الكتب اخترتموه لاجيالنا الصاعدة ؟

محمود أحمد / القاهرة

- الواقع أن الاهتمام بكتب الاطفال لم يصل في العالم العربي ، الى الدرجة التي يجب ان يكون عليها . فما زالت موضوعات الكتب التي تصدر في الاسواق ، تدور كلها او معظمها حول القصص التاريخية والاسطورية والبطولية وما زال الكتاب العلمي البسيط ، هو آخر ما يخطر ببال المسؤولين عن اصدار مثل هذه الكتب . وفي العام الاخير مثلا ، صدر ما يزيد على الالفي كتاب للاطفال في اسواق مصر وحدها وقد دلت الدراسات التي اجريت ان نسبة الكتب العلمية بينها ، لم تزد على ٥٪ من مجموع هذه الكتب الصغيرة .

يحدث هذا في الوقت الذي ينادى فيه المسؤولون عن التربية بضرورة ربط الطفل بعصر العلم الذى يعيش فيه ، فالتعريف العلمي للطفل الذي يربط حاضره ومستقبله ، يعتمد في المقام الاول على الكتاب العلمي البسيط الذي يشرح له بالصورة كل شيء يتصل بحياته على هذه الارض ويتصل بكل ما يدور في رأسه كلما شاهد آلة تعمل او مكنة تدور من حوله .

ولو ان المشكلة كانت تتعلق بقلة الكتب العلمية وحدها ، لهان الامر ، ولكن هناك جانب آخر لها ، وهو ان الكثير من هذه الكتب العلمية النادرة لا يقبل عليه الاطفال لاسباب فنية ، في مقدمتها ان الكتاب العلمي لا يصدر في صورة جذابة تثير اهتمام الطفل وتشد انتباهه ، سواء من ناحية الشكل او الموضوع ، فالالوان الجذابة تكاد تكون معدومة ، كما ان الموضوعات التي يحتويها مثل هذا الكتاب ، ان وجدت موضوعات مملة ، اضف الى ذلك افتقار المعلومات والرسومات التوضيحية الى الدقة والبساطة ، وهما امران على جانب كبير من الاهمية . اذا كنا نحرص على تحقيق الفائدة المرجوة من وراء اصدار مثل هذه الكتب .

كل هذه العوامل مجتمعة تدفع الطفل ، الى العزوف عن شراء الكتاب العلمي ، والاقبال على الكتب التي تمتليء بالقصص الخرافية ، وقصص البطولة التي يركب فيها الفارس حصانه ويطير به حول العالم ، وكلها بطبيعة الحال ، قصص من شأنها ان تبعد الطفل عن واقع الحياة العلمية التي يعيشها .

(م . ن)



الخط العربي من أهم الفنون العربيه الاسلاميه

● تعلمنا في المدارس صورا من الخط العربي هي النسخ والرقعة والثلث ولكن قيل ان هناك صورا أخرى لهذا الخط أكثر جمالا وقد اطلعت على الخط الكوفي فوجدته أكثر ابهاما ، فهل هناك صور أخرى من الخط العربي وما اشكالها ان امكن ؟

رعد محمد الكاتب ـ الموصل/العراق

ـ الخط العربي من الفنون العربية الاسلامية التي سخرت في خدمة الدين الاسلامي ومما يذكر ان الخط السماري كان هو اول خط كتبت به العربية ومنه استحدث الخط الكوفي وعشرة انواع مختلفة من الخطوط كان اساسها الزخرفة الهندسية الممتزجة بالخط . وقد دعت الحاجة بكتابة القرآن الى اجادة الخطوط العربية وتطويرها . وكان القرن الثالث الهجرى من اهم القرون بالنسبة لتطور الخط العربي وخاصة عندما قام ابن مقلة برسم حروف الخط الكوفي بنسب محددة لا يحيد عنها الكاتب . ثم جاء بعده ياقوت الذى جمل الخط العربي ووصل به الى حد كبير من الاتقان والروعة . وبعدها جاءت خطوط كثيرة سميت باسماء القلم المستعمل في كتابتها ووضعت قواعدها ومنها خط الثلث والثلثين وخط المصاحف المحقق والنسخ والرقعة . اما الخط الكوفي فتبلغ انواعه ٧٠ نوعا او اكثر . ثم قام الفرس والاتراك بالتأثير في الخطوط العربية تأثيرا كبيرا وليس هنا مجال لتفصيل هذه المؤثرات .

واخيرا في القرن التاسع عشر استحدث الخط الديواني . اما انواع الخطوط الموجودة حاليا فهي

الثلث : من اهم الخطوط واصعبها . وضع قواعده ابن مقلة . ويستعمل في كتابة اسماء الكتب ، وكذلك الآيات القرآنية لزخارف في المساجد الكبيرة .

خط النسخ وهو يلي الثلث وكان يسمى

السفن المحتجزة في قناة السويس ما مصيرها ؟

● قرأنا ان العالم يتهيأ لاعادة فتح قناة السويس ، ولكنا نعلم ان بها عدة سفن محتجزة فيها منذ حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، فهل لا تزال هذه السفن هناك ، وهل هي لا تزال صالحة للعمل بعد فوات هذه المدة ، والخروج من القناة ؟

فواز محمد / عمان

ـ ما زالت السفن المحتجزة باقية حيث هي ، وعدد هذه السفن خمس عشرة ، اربع عشرة منها في مياه البحيرات المرة ، وواحدة في بحيرة التمساح . وقد اوشكت فترة احتجازها تقترب من اربع سنوات ، بعد ان فشلت كل المحاولات وكل العروض التي تقدمت بها حكومة الجمهورية العربية المتحدة لاطلاق سراحها وتأمين عودتها الى بلادها ، بسبب تعنت اسرائيل . وقد كانت آخر محاولة قامت بها مصر في شهر يونيو عام ١٩٦٩ ، ولما فشلت هذه البادرة ايضا ، بدأت الشركات صاحبة السفن في تغيير نظرتها الى الموقف ، واصبحت الاعتبارات الاقتصادية وحدها هي محور نظرها ، فلم يكن من المعقول ان تظل هذه السفن بلا عمل طوال هذه السنوات ، اضف الى هذا النفقات التي تتكبدها الشركات المالكة لها وهي تتلخص فيما يلي :

ـ طن استهلاك ٥٠ طنا من المازوت يوميا لتسيير محركات كل سفينة من هذه السفن وآلاتها حتى لا تصاب بعطب كامل نتيجة توقفها المستمر .

ـ طن ٢٥٠ طنا من المياه العذبة يوميا لحاجة

● اسئ سؤال .. ونحن نجيب



قديما « بالقديم » وسمي بالنسخ لان الكتاب كانوا ينسخون به المصاحف والمخطوطات .

وهو من اسهل الخطوط ويستعمل في جميع الاعمال وبين عامة الناس .

الفارسي : خط جميل المنظر ونشأ في فارس ويستعمله كذلك اهل الافغان والهند في كتاباتهم .

الكوفي : وهو من اقدم الخطوط وقد بلغ مرتبة رفيعة في العصر العباسي ويعتبر اصل الخطوط كلها .

خط الاجازة والتوقيع : خليط بين الثلث والنسخ

الديواني : وهو خاص بدواوين الملوك فالكاتب يكتب به الاوامر الملكية وهو قسمان « ديواني رقعة » و « ديواني جلي » ونشأ في عهد الامبراطورية العثمانية .

الرقعة : هو شبيه بالديواني ولكن حروفه متداخلة بعضها في بعض .

التاج : وهو اخر ما استحدث من الخطوط ونشأ في مصر على عهد الملك فؤاد وهو يكتب بالرقعة والنسخ

ونرى مع هذه الكلمة بعض نماذج من صور الكتابات العربية .

(م . ط)

السفينة وصيانتها .

— حرس الجهاز البحري الذي وجب أن يعمل على كل سفينة لصيانتها ويتراوح ما يتقاضاه اقل العاملين فيه بين عشرة دولارات وخمسة عشر دولارا يوميا ، الى جانب نفقات الاعاشة الكاملة .

هذا الى جانب الحقيقة الماثلة ، وهي أن هذه السفن اصبحت غير عاملة وغير منتجة ، فهي رأس مال مجمد ، بل أن توقفها يضاعف الخسارة بسبب ما قد يصيب آلاتها ومعداتها من الصدأ ، وما قد يحدث لهيكلها الخارجي من تآكل سطحه نتيجة في المياه المالحة الراسية فوقها ، والاعشاب والقواقع البحرية التي تلتصق بها .

ونتيجة لذلك ، بدأ اصحاب السفن يعملون على التقليل من خسائرهم المادية بقدر الامكان ، فبدأوا بتوزيع سفنهم على ثلاث مجموعات ، وخفض القوة العاملة عليها الى الحد الادنى ، فاصبح عدد بحارة السفن كلها خمسين عاملا بدلا من ٢٢٨ عاملا ، واصبحت مهمة هؤلاء العاملين اليوم لا تعدى مجرد حراسة السفن وصيانة آلاتها وسطحها بقدر ما تسمح به خبراتهم .

ان المشكلة الرئيسية التي تواجه اصحاب هذه السفن اليوم ، هي مشكلة البحث عن بحارة يقبلون العمل فوق هذه السفن، ولو لمدة شهر او شهرين بالتناوب ، فالحياة على هذه السفن المعزولة عن العالم ، حياة صعبة شاقة ، اثر الشعور بالقلق ؛ ان البحار او الحارس يقضي يومه كله ينتظر ما سيأتي به الغد من احداث .

ثم مشكلة اخرى ، وهي مشكلة المحافظة على البضائع والسلع التي تحملها هذه السفن التي احتجزتها الحرب ، وهي في منتصف الطريق الى غاياتها ، فاخشى ما يخشاه المسؤولون أن يصيب التلف هذه السلع ايضا، وتكون الخسارة مزدوجة. وقد ثبت ان كل سفينة تحتاج اليوم الى اصلاحات تصل تكاليفها الى اكثر من ربع مليون جنيه لكي تصبح صالحة للاستعمال مرة اخرى . ■■

(م . ن)



■ في بحث عن « جبريات العمل » للأديب الانجليزي المعاصر تشارلز مورجان يتعرض الكاتب لموقف الفنان إزاء المجتمع الذي يعيش فيه ، لأن التصدي للكلام عن حرية الفكر لا بد أن يؤدي بطبيعته الى تحديد وضع الفنان في المجتمع المتحرر ، ما واجبه نحو هذا المجتمع ، وما واجب أية جماعة حرة نحو الفنانين من أبنائها ؟

وفي مستهل الحديث يذكر الكاتب بصراحة أن العالم اليوم تسوده موجات من الاستبداد في الحكم والتسلط في الرأي ، حتى أن الفرد ليكاد يفقد حريته في التصرف وفي التعبير . وما أكثر مذاهب الفكر والسياسة ، وأنصار وسائل الدعوة لها ، كثرة وانتشارا يرغمان المرء الى متاهات يضل فيها ولا يجد لنفسه منها مخرجا ، حتى ليفقد قدرته على التفكير المستقل ، ويؤثر آخر الأمر أن ينضم الى صف من الصفوف أو رأي من آراء بلد أو تعصبي .

والفن — في نظر الكاتب — هو الوسيلة التي تمكن الناس من أن يفكروا لأنفسهم هم ، وأن يتخيلوا أو يتصوروا حلولا ذاتية لمشاكلهم هم . وليس من شك في أن الإنسان الفرد قد سبق في وجوده المجتمع ، وأن الفن كان موجودا قبل أن تكون له مذاهب ومدارس . وكان الفنان القديم يعبر عن نفسه ، لا ينتمي الى فئة أو طائفة ، يشكل التحفة الفنية ، أو يؤلف الأغنية ، أو يرسم الصورة على جدار كهفه لكي يعبر عن احساسه بالسعادة ، أو بالخوف ، أو عن احساسه الخاص بالأشكال الطبيعية ، أو مناظرها التي يصفها أو يصورها . ونستطيع أن نقول أن فنه نبع من باطنه ، ولم يقصد به أن يطبع في غيره أثرا يرمي اليه .

قصة فنان

ويروي مورجان قصة خيالية عن فنان بدائي يوضح بها ما يريد . هذا الفنان أخذ ذات يوم يحلي جدار بيته برسم للماموث ، وإذ هو يلهو بالتعبير عن نفسه ويحس في عمله غبطة وسعادة ، فاجأته زوجته قائلة له : « ما هذا يا عزيزي ، أتصور الماموث ؟ فهذا حيوان له ذيل أطول مما رسمت . » وفي هذا التعليق الساذج البسيط تتبين ملامح العلاقة بين الفنان والمجتمع ، وتظهر بعض المشكلات الجمالية . أحس هذا الفنان البدائي من هذه العبارة بالسعادة والغضب في آن واحد . أما السعادة فلأن زوجته أدركت بالفعل أن ما يصوره هو حيوان الماموث . وأما الغضب فلأنها تصورت الماموث على شكل واحد يختلف عن رسم زوجها ، في حين أن للماموث أشكالا مختلفة وهو يعيش بين الصخور والجبال ، ويمكن رسمه

الفن سبق وجود المجتمع

الفنان لا يعطيك من علمه ، ولكن من أحاسيسه

الفنان وحده يرى جوانب الحق كلها

ليس مع الفن آراء سياسية أو معايير وطنية

في عدد من الاوضاع ، وليس المهم هو نقل الطبيعة كما هي وانما المهم هو « الانطباع » الذي يتركه حيوان كهذا في خيال الفنان . ومن ثم فلا ينبغي أن يهمنا في شيء ان جاء الفيل بطوله الواقعي في الطبيعة او لم يجيء . ومن اجل هذا رد الفنان على زوجته قائلا لها : « ليس هذا يا عزيزتي بالماموث . انما هو احساسي به » . فاجابت : « مهما يكن من الامر ، فليس هذا هو احساسي انا به . ولنسأل ابنتنا عن رأيها فيه » .

ولما عرض الرسم على الفتاة ظنت انه اله ، فسجدت له ، وتمتمت بكلمات العبادة ، فقال لها ابوها معنفا اياها : «الكفي عما ترددينه» . والواقع ان الوالد الرجل هنا يختلف عن الوالد الفنان . فهو كرجل كان شديدا على ابنته ، وكفنان كان معجبا بايمانها . ثم قال : « مهما يكن من شيء فلقد رسمت الاله كما تصوره ابنتي . وربما كان ذلك هو الفن » !

والحق ان الرجل متبلد قد اهتدى الى جانب من جوانب الحقيقة ، وذلك حينما ادرك العلاقة بين الفن وابنته . غير ان للحقيقة جانبا اخر ، وهو العلاقة بين الفن ونفسه . وقد خطر له ذلك وهو يحاول ان يرسم بقطعة من الحجر شكلا اخر على الجدار المقابل لذلك الذي رسم فوقه الماموث . لقد سأل نفسه : هل كان يحاول ان يصور الماموث على حقيقته ؟ ام هل كان يحاول — كما فعل سيزان — ان يصوره كما يريده ان يكون ؟ هل كان يسعى الى ان يعرّف الناس بالماموث ، حجمه وطول ذيله وصفاته الاخرى ؟ ام هل كان في تصويره له كما يريده ان يكون ، انما يعرفنا بنفسه ؟ أم هل لم يقصد البتة الى التعريف بشيء ما ؟ وهل كان يهمه حقا رأي زوجته او رأي ابنته ؟

لقد فكر وتحير في كل ذلك وهو يرسم صورة اخرى . فاهتدى الى انه لم يكن في الواقع يأبه كثيرا بأثر رسمه في غيره ، او بمقدار ما بين رسمه والماموث الحي — او الاله في تصور ابنته — من شبه . انه وهو يرسم لا يفكر بحقائق علم الحيوان ، او بالعقائد والديانات . انه عندما يرسم يكون انسانا فردا لا علاقة له بالمجتمع ، ولا يهمه ان ينقل اليه احساسا شعر به ، بل ولا يهمه ان يعبر عن نفسه لنفسه . وانما هو يستجيب لدافع طبيعي في قرارته ، ونداء باطني يلح عليه لغير ما سبب يعرفه ، بان « يرسم » وحسب ، فيرسم ؛ لا لنفسه ، ولا من اجل المجتمع ، او من اجل عقيدة دينية ، او حتى من اجل الفن ، ولكن لكي يستجيب لحافز خفي في باطنه لا يفتأ يناديه ان « ارسم ، ارسم » . ذلك هو لغز الفن الذي حير النقاد والكتاب ، وفيه تتكشف سر العلاقة بين الفنان والمجتمع ان كان .

الفن للفن ، كالحب للحب

هذا هو اللغز الذي يسميه النقاد احيانا « الفن للفن » واحيانا اخرى « الفن من اجل الجمال المطلق » او غير ذلك من التعابير التي تحولت فيما بعد الى مذاهب وفلسفات غامضة لا تهدي الى شيء . لان دافع التعبير الفني شبيه بدافع الحب ، ليس من السهل تعليله او رده الى اسبابه الاولى ، وان يكن هو الاساس لكثير من العلاقات الاجتماعية .

وفي قصة الفنان البنائي التي رويناها اشارة خفيفة الى طبيعة هذه العلاقة ، وذلك عندما اوحى الوالد الفنان الى ابنته بصورته التي رسم معظمه الكون ومجد الاله . اما حينما ذكرت الزوجة ان ذيل الحيوان قصير فقد كان الرجل فاشلا كفنان، لان الرسم لم يوح الى الزوجة بشيء ، ولم يثر في نفسها سوى رغبة تافهة في ان يصور لها زوجها ما وقعت عليه عيناها بالفعل ، فقد ارادت تكرارا للطبيعة ، لا خلقا جديدا يرفع من الروح ويسمو بالنفس ، لم يستطع الفنان مع زوجته ان يحرك خيالها نحو شيء جديد. اما مع ابنته فقد استطاع ان يحملها على ان تجاوز عمله الفني ، وكان العمل الفني قد حطم في الفتاة جمود عقلها ، والهب فيها نارا خامدة ، فاطلقت على النار المتسلطة في نفسها اسم الاله . ولو كانت الفتاة اصغر سنا فربما اصبحت ما تخيلته عروسا من السماء ، ولو كانت اكبر سنا فربما رأت في خيالها عاشقا هبط اليها من السماء . واذا كان ما تتخيله هو خيالها وليس خيال ابيها ، نبت في ذهنها كما تنبت الزهرة في البذرة .

ما ارادته زوجة الفنان

اما ما ارادته الزوجة فهو ما يريده المجتمع الساذج الذي لم ينضج بعد من الفنان في اغلب الاحيان . فهو يريد ان يرى شيئا يلذ له ، شيئا مالوفا يتفق مع مشاهداته السابقة . يريد ان يشاهد صورة لا تتطلب منه سموا في الروح او سموا في الخيال . يريد ان يرى المالوف بكل ملامحه المعروفة من رأسه الى ذيله ، وذلك لان عقله جامد ، متسلط على خياله . ومن ثم كان فشل الفنان مع زوجته ونجاحه مع ابنته .

وفكر الفنان بينه وبين نفسه وقال : « لقد استطعت ان اجعل ابنتي تتخيل لنفسها » ثم اضاف الى ذلك قوله : « ومن اجل هذا كانت الفنون » اما ما هو الفن في حد ذاته فذلك امر آخر . احسه في نفسي – ولكني اعرف اى الاغراض تهدف الفنون . انها ترمي الى ان تمكن الناس من ان يتخيلوا لانفسهم .

وامعن الرجل فيما فكر فيه فلم يقنع بهذا التفسير ، وتساءل : « ولكن ما هذا الذي اريد ان امكنهم من تخيله ؟ وباى الوسائل استطيع ان اجعل الناس يتخيلون لانفسهم ؟ » .

ويجد الجواب عن هذا السؤال . يجب ان يتخيل الناس ما فيه مصلحة الفرد والمجموع ، او بعبارة اخرى « يجب ان نحمل الناس على ان يتخيلوا الحق » . ولا يمكن ان نترك هذا الامر الى اصحاب السلطان ، لان هؤلاء يرون جانبا واحدا من الحق ، ولا يرون الحق كله ، ثم يريدون ان يفرضوا على الناس الايمان بهذا الوجه الواحد الذي يرونه .

جوانب الحق كلها

والفنان وحده هو الذي يريد ان يمكن الناس من رؤية جوانب الحق كلها ، وذلك بتصوير رؤياه . وهو حين ينظر الى الشمال يعرف ان هناك الجنوب والشرق والغرب ، وليس الشمال وحده هو وجهة الانسان . والفنان يصور تجاربه كما يراها ، ويقول لك : « انظر ! هذا ما رأيت بعيني ، فماذا ترى انت بعينيك ؟ » فتنظر وقد ترى ما يرى ولكنك ترى ما لم تره من قبل ، وربما ما كنت لتراه لولا رؤياه .

ولتوضيح ذلك بمثال محسوس يذكر لنا الكاتب تجربته عندما وقع في صباه لاول مرة تحت تأثير سحر كتاب وقع بين يديه فطالعه . انه يذكر جيدا كيف ان شيئا اشبه بالدائرة التي تحصره قد احاطت به اثناء القراءة وحرمت عليه ان يفكر في غير ما توحي اليه به موضوع الكتاب الذي انغمس فيه بكليته واستسلم له وكأنه ولج عالما آخر غير العالم الذي يضطرب فيه . هكذا كان سحر الكتاب . غير ان العالم الجديد لم يكن البتة عالم مؤلف الكتاب ، وان يكن قد الم به الماما كاملا . ولا يفقد الصبي القارىء شخصيته الا بمقدار ما يفقد العالم شخصيته . غير ان الشخصية قد تطهرت من كل الاوشاب ولم يبق منها الا جوهرها. ان ما كان يتحرك في العالم الذي تخيله لم يكن « انا » – كما قال – بكل ما يحوي هذه « الانا » من احساس المرء بنفسه ، وانما كان جوهر « الانا » خالصا من علمه مثلا بانه يبلغ من العمر ثمانية اعوام ، او ان له اختا او اخوين ، او انه اهمل واجب مذاكرة الدروس ، او انه يستطيع ان يبلغ الحديقة من هذا الطريق او ذاك . اي انه تخلص من علاقته بعمره ، وشخصه وواجبه ، ومكانه ، مما يرتبط به في حياته العادية. تحرر من قيوده الاجتماعية والزمنية . ولكنه تحول بطريقة لم تجعله عدوا للمجتمع ، لانه تحرر كذلك من انانيته . هكذا كان التأثير الاول لسحر

الكتاب ـ تحررا ، وتركيزا ، وصفاء نفس ، وكأنه اخترق الظلم الذى يسود شخصيته ، والسلوى يتعلق به اسمه وظروف حياته او كأنه نفذ خلال المرآة التى تعكس صورته .

ولم تكن صلته بما وراء المرآة فرارا من الحياة كما قد يتبادر الى الذهن ، وانما كانت دافعا جديدا وحيوية جديدة . فالمرء امام المرآة يحس نوعا من العلاقات المرهقة ، والفوارق الواضحة ، ويفكر فى الزمن كأنه تقويم مسطور فى « نتيجة » معلقة على الحائط ، تسقط منها الاوراق يوما بعد يوم ، ولا يتداخل فيها الماضى بالحاضر بالمستقبل . وليس هذا من الحق فى شيء من الناحية الروحانية . فالوقت كله وحدة متصلة ، فى النهاية والبداية . وامام المرآة يحس المرء كأنه فرد قد مغلق على نفسه ، منفصل عن غيره . ليس هناك امتزاج فى النفوس برغم جهاد الانسان المتصل لتحقيق هذا الامتزاج بالحب ، وصلاة الجماعة ، وتكوين الاحزاب ومذاهب الرأى .

اما فيما وراء المرآة ـ وتحت تأثير سحر الفنون ـ فاننا نتجاوز هذا الانفصال ، ونحطم جدران السجون الذاتية ، فتتداخل الشخصيات المتفرقة وتزول حواجز الزمان والمكان .

فى حصار طروادة

يقول الكاتب . « اننى اذكر جيدا كيف كنت احس ايام الطفولة وانا تحت تأثير قصة من القصص . لقد كنت ماثلا بشخصى فى حصار طروادة ، وان كنت ادرك تمام الادراك ان حوادث الرواية وقعت فى الماضى السحيق ، ولم ار فى الامر تناقضا . كنت كأنى اؤدى بشخصى دورا فى الالياذة والاوديسي ، وان القصة تعود فى بطنى ولمس حياتى . وكنت كذلك احس وانا اقرا تاريخ المسيح كأنه يعيش فى عصرى وكأنى اعيش معه ، وكأن البئر التى القى اخوة يوسف فيها الحالم فى الخصب المجاور لبيتى . ولم اكن فى ذلك شاذا او متجنيا على الصدق والحق » .

« وهذا التحطيم لحصار العقل وعزلته الذى يقوم به الفن لايقتصر على الطفولة ، فكل ما قرأت من ادب او شعر فى شبابى كنت احسه فى حياتى الخاصة . هذا هو سحر الفن : انه يحطم حدود الزمن وابعاد المكان ، وفوارق الظروف ، ويطلق الروح لتجوس هنا وهناك خلال الزمان والمكان . ان اعظم تقدير من القارىء للكتاب لا يكون بالانكباب على صفحات الكتاب ، متناسيا كل شيء ما عدا ذلك . وانما يكون التقدير الحق عندما يلقى القارىء بالكتاب جانبا ، ويكف عن القراءة دون ان يدرى ، ويتجاوز ببصر جديد وبصيرة اخرى ما وراء الكتاب ، متمعنا فى اى شيء الا فى سطوره ، وكأن آفاق السماء تتفتح له ، يحلق فيها ، متحررا من سلاسل احكامه الجزئية ومن العمى الذى يصيبه من النظر الى المشاهد القريبة . وما اشبهه عندئذ بالطائر يتخلص من حبس القفص ويطير الى الافق ، ويرى الحقيقة فى اوجه اخرى » .

وقد يزول تأثير سحر الفن ويعود القارىء الى نفسه ، او الطائر الى قفصه ، ولكن بعدما يتطهر من اهوائه وتحيزه ، بروحه طليقة وان يكن جسده حبيسا ، فقد اتحد مع الكائنات الاخرى ، ودخلت الرحمة والتسامح الى قلبه .

الكتاب الجيد

ويتبين لنا صدق هذه النظرة الى وظيفة الفن اذا نحن سألنا انفسنا عن الفرق بين كتاب جيد له فى عصره اهمية ، وكتاب خالد له حياة متصلة تنتقل الى جيل بعد جيل . عندما يقرأ احدنا اليوم اثرا من آثار شكسبير فانه يشعر بمتعة واثارة حسية قد تختلف عن المتعة وعن الاثارة التى كان يحدثها فى نفوس الناس المعاصرين هذا الاثر القيم بعينه ، والانسان اليوم لدى انسان الامس ، يختلف عنه فى خياله وفى تصوره ــ ولكن الكتاب الجيد يجدد حياة كاتبه فى القراء الذين يستعيدون تصوره مهما باعدت ما بينه وبينهم السنون . وان السر عبقرية الكاتب تكمن فى قدرته على تمكين القراء من ذلك ـ اى فى قدرته على الاخصاب . ليس ما يصدر عن الاديب كالزهور الجميلة نقطفها ، وانما هو كالقاء البذور ، قد تموت زهورها فى جيل من الاجيال ، ولكنها تزهر فى جيل آخر . فبالرغم مما بين كيتس وبوكاشيو من فارق زمنى ، بحيث لم ير الاول ما رآه الثانى ، الا ان قصة من قصص بوكاشيو هى التى اوحت الى كيتس ان يكتب « ايزابلا » ، ونحن حين نقرأ « ايزابلا » نتلقى شحنة جديدة من خيال هذا الشاعر ، بالرغم من اننا لا نشهد ما شهد ويكون لنا تصور جديد .

ولما كانت مهمة الفنان هى الاخصاب ، بحيث يستطيع القارىء فى كل عصر وكل جيل ان يستعيد

مزايا الفنان في حيوية دائمة وطزاجة متجددة ، لم تعد لموضوع العمل الفني الاهمية الاولى كما يراها لبعض النقاد المحدثين ، وبخاصة الجامدين منهم من اصحاب النقمة والتحزب .

العمل الفني

ان موضوع القصة او القصيدة — وانا اتكلم في المجال الادبي ، وان كان كل ما اقوله ينطبق على كل مجال فني آخر — له من غير شك اهميته ، لان القصة او القصيدة لا يمكن ان توجد بغير موضوع. غير ان ما ازعمه هو ان الموضوع ليس هو الجوهر او صفة الاخصاب الخالدة في العمل الفني ، وانما هو "قيد" عليها . لا احسب ان احدا — مالم يكن مؤرخا باحثا عن مادته — يقرأ اليوم الكاتب الانجليزي دكنز لانه كتب عن اصلاح السجون . او يقرأ الكاتب الروسي ترجنيف لانه كتب عن القنانة في روسيا ، او فيكتور هوجو لانه هاجم نابليون الثالث . ولا احسب ان احدا في المستقبل سوف يقرأ ه . ج . ولز لانه اختار مرة موضوعا لادبه بعض مبادىء الجمعية الفابية « الاشتراكية » . او ربما قرأ بعض الناس هؤلاء الكتاب لانهم يعجبون بامور تتعلق بهذه الموضوعات. غير انهم لن يخصبوا خيالهم الا اذا قصروا انفسهم على موضوع الكتاب . اذ لو كان الامر كذلك لكانت لهم فيه اية عجالة قصيرة . وانما تخصب خيالهم الاثارة التي يبثها المؤلف في موضوعه . ان قوة الاخصاب لا تكمن في الموضوع ، وانما تكمن في الاحساس الجمالي الذي صبه المؤلف فيه . وهذا الاحساس الجمالي لايعبر عنه في الموضوع فحسب ، او في طريقة المعالجة وحدها ، وانما يعبر عنه بالانسجام الذي يتم بينهما . ومن اجل هذا فانه لايجمل بنا ان نقول هذا الموضوع مقبول او غير مقبول ، او ان نقول هذه المعالجة تدعو الى الاعجاب وهذه مرفوضة ، وهو خطأ وقع فيه كثير من النقاد الجامدين ، قديمهم وحديثهم .

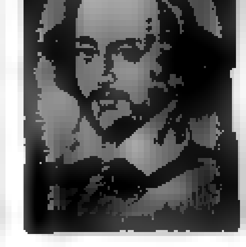
المذاهب والفنون

لاينبغي كذلك ان تتسلط علينا المذاهب في الاحكام ، فنقول هذا رومانتيكي مقبول ، او واقعي ، او غير ذلك مما يقبله ذوق العصر او لايقبله . ولا يصح ان نملي على الفنان الموضوع او طريقة علاجه — فلسنا اساتذة فصول دراسية ، او رقباء على النشر . وكل ما ينبغي لنا ان نضعه في اعتبارنا ان يكون الموضوع مما يحرك الاحساس بالجمال ، وان يكون الانسجام بين الموضوع والمعالجة مما يسحر اللب .

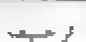
وفي الكون كثير من المتناقضات ، والفن وحده هو الذي يستطيع ان ينفذ خلال هذه المتناقضات ، فيرى فيها وجها من وجوه النظام في فوضى الحياة، ووجها من وجوه الجمال في هذا النظام ، ووجها من وجوه الحق في هذا الجمال . وان يستقطر التجربة بحيث يمكننا من ان ننهل من جوهرها ، وان نستعيد تصورها ، وان نجدد انفسنا . فامتياز العمل الفني يكمن كما يقول الشاعر الانجليزي كيتس في « قرارته » ولا يكون في موضوعه او في معالجته بل ان يكون في حسه الاجتماعي ، او في دفاعه عن نظام خلقي خاص ، او في معاصرته ، ويستطرد كيتس فيقول ان العظمة الفنية الممتازة كفيلة بان تبدد كل ممجوج (ولا يعني بالممجوج ما لا يسرنا ، وانما يعني تلك الاشياء التي تتقادم في خبراتنا المباشرة ، ولكنها تنسجم اذا شوهدت في المجال الكوني الفسيح) بحيث يبقى وجه الحق والجمال خالصا .

الفنان والسياسة والوطنية

وهذه الرغبة في ان يكون الفنان رجلا يلهب ارواحنا لها اهميتها الخاصة في وقت يتحول فيه المجتمع تحولا اساسيا وبسرعة فائقة ؛ ان الوقت الذي نعيش فيه يميل الى تجميد الفكر في قوالب ثابتة ؛ وربما كان ذلك ذعرا من سرعة التغير ومن الانحلال البادي في المجتمع . وكان من اثر ذلك ان ظهرت الدعوة الى التمسك بالاتجاه القديم ، والتخلي عن كل مذهب عالمي جديد ، كما نادى الكثيرون بالقواعد الخلقية المتزمتة ، ووصمنا الجديد بانه « هروب من المجتمع » ، لاننا نزعم ان الوعي الاجتماعي هو معيار صحة الفنون او السلوك . وكان من اثر هذا ايضا اننا طالبنا الفنان بان يكون مواطنا صالحا قبل ان يكون فنانا صالحا — والواقع ان الفنان يجب ان يكون مواطنا صالحا ، يطيع القانون ، ويحارب خصوم الوطن ، ويسعى الى سعادة الناس ، وليس من شك في اننا نؤثر في الفنان هذه الصفات ، الا انها صفات ليست لها علاقة به




شكسبير



كفنان، ولا ينبغي لنا ان نحكم عليه وفقا لآرائه السياسية او الوطنية فللفن معايير اخرى ومقاييس في هذه . هل ندين الكاتب الشهير توماس مان Thomas Mann لانه معيار النازية لم يكن مواطنا صالحا في المانيا ؟ وهل نلفظ شلي Shelley لان سلوكه كمواطن كان غاية في الشذوذ ؟ كلا . وليس من حقنا ان نفرض على الفنان آراءنا ومذاهبنا . وعليه بدوره ان يدرك انه وان يكن حرا في التعبير عن آرائه ، الا انه لا يملك الحق في ان يصدع المجتمع ، كما ان المجتمع ليس له الحق في ان يصدع فيه صفة الفنان . الفنان الحق في ان يعبر عن آرائه اذا كان موضوع هذه الآراء هو ما يثير في لحظة الخلق احساسه بالجمال . ولكن الفنان يفقد كل قيمته اذا كان لا يتجاوز رغبته في بث آرائه ، ولذا كان فنه لا يحمله فوق هذه الآراء وبعيدا عنها . ان الدعاية للرأى لا تكفل لصاحبها الخلود ، والشعوب لا يمكن ان تثبت على مذهب واحد او مدرسة واحدة . علاقة الفنان بالمجتمع كعلاقة الاستاذ بالطالب . ليس الاستاذ الناجح هو الذى يملى الحقائق مجردة على تلاميذه وانما هو ذلك الذى يحفزهم الى التفكير المستقل والى تدبر حقائق الحياة والكون ، كل منا بعينيه لا بعين الاستاذ المعلم ـ هذه هي التربية الصحيحة ، اطلاق الروح ، وهذا هو الفن الصحيح .

نعم نحن مواطنون ، وافراد في مجتمع ، ولكنا رحال وسياح قبل ان نكون مواطنين ، بل نحن ارواح قبل ان نكون اجسادا تسكنها الرحال والسياح ، نعيش بالروح ، وان كنا نتعلم عن طريق العقل ، او كما عبر عن هذا المعنى احد الشعراء الانجليز :

النفس محيط فسيح
كل خاطرة تمر بها
تضم الى اشباهها من الخواطر
ليخلق المرء منها اخيرا
ـ متجاوزا هذه الخواطر ـ
عوالم اخرى ، وآفاقا جديدة .

شلي وكيتس

وعندما كتب شلي قصيدته الشهيرة عن « القبرة » كان على علم بذلك ، انه لم يحاول ان يمدنا بالمعرفة ، وانما اراد أن يشد انظارنا الى شيء في هذا الطائر ـ شيء يتجاوز القبرة .

وعندما كتب الشاعر كيتس قصيدته عن « البلبل » لم يحاول البتة ان يكون معلما ، ولعله نسى البلبل عندما تمثلت له رؤياه . وكان الكاتب هاردى كذلك يدرك هذه الحقيقة عندما انشد قصيدته عن الحب ، واراد ان يقول ان الحب ليس شيئا عظيما في حد ذاته ، وانما هو عظيم للمدرك على الابعاد .

والان فقد ليست بنا حاجة الى ان نظر في العلاقة بين الفنان والمجتمع لنقرأ اجتماعيا اكثر مما يتبلى . ولا يجوز لنا ان نرسم للفنان الاهداف ونسن له القوانين ، فلتتوفر له حريته حتى يكشف كشفه الجديد ، ولتتوفر لانفسنا الحرية كي نتقبل هذا الكشف منه ، او نعيه خلقا جديدا . الفنان الحق لا ينتمي الى حزب ، ولا يدعو الى مذهب .

انه الرجل الذى يصاحب الطير والشجر
ليدرك منها سر الغرائز
يسمع الليث وهو يزأر
فيعبر عن معنى الزئير
وصراخ النسر في انه كلام فصيح
يطرق اذنه كانه حديث الاحباب

هذا هو الفنان عند تشارلز مورجان ، والمستمع او المشاهد هو المجتمع . كل ما في الطبيعة ، كل ما تتغنى به الادباء والفنانون ليثا ، او نسرا ، قبرة او بلبلا ، نسرا او طيرا ، الحب وشجونه ـ كل ذلك موضوعات للفن ، وكلها بين ايدينا ، سنرويها كي نعيد خلقها بخيال جديد . يعبر عنها الفنان حرا لكي نقرأها احرارا . لا يجعل منها واجبا او درسا ، لا يصنفها ولا يبوبها ، فان نحن فعلنا قتلنا ما فيها من حياة وروح . ■■

محمود محمود



عرض : الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب عنه حدث في ماضينا، والحديث عن ماضينا وثيق الصلة بحاضرنا ، فهو في رأيي له فائدتان أولاهما تمثل الصفحات المجيدة فيه لتكون حافزا لنا ، وثانيهما استيعاب مآسيه لتجنب الوقوع فيها . وما الاسباب التي ادت الى افول مجد العرب في الماضي ، الا هي نفسها التي تعاني منها امتنا اليوم .

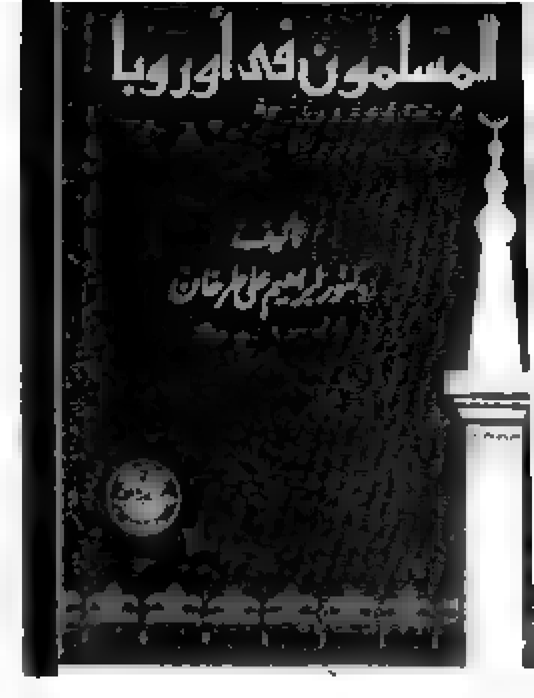
وهذا الكتاب الذي نقدمه : « المسلمون في اوروبا في العصور الوسطى » ، هو بقلم الدكتور ابراهيم علي طرخان ، وقد صدر في سلسلة « الالف كتاب » عن « الادارة العامة للثقافة » بوزارة التعليم العالي في الجمهورية العربية المتحدة . وهو في اكثر من ثلاثمائة صفحة موزعة على تسعة فصول واربعة ملاحق .

وفصوله هي : المسلمون والاجناس ، عالم البحر المتوسط حتى اصطدامه بالفتوح الاسلامية ، الفتوح الاسلامية وسيطرته الاسلامية ، النفوذ الاسلامي في حوض البحر المتوسط ، السيادة الاسلامية في اسبانيا ، كيف بسط المسلمون نفوذهم في فرنسا ، النفوذ الاسلامي في ايطاليا ، امتداد النفوذ الاسلامي الى سويسرة واعالي الراين ، نهاية النفوذ الاسلامي في اوروبا الغربية .

ورغم أن هذا الكتاب لا يكشف عن وثائق جديدة وكل ما فيه متفرق في كتب منشورة ، عربية واجنبية ، الا انه يمتاز في انه يعرض هذه المادة عرضا واضحا متسلسلا . ومن اشهر الكتب المعروفة بالعربية في هذا الموضوع كتاب « تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزر البحر المتوسط » للامير شكيب ارسلان . وهذا الكتاب في حقيقته ، ترجمة لكتاب رينو Reload المشهور ، مع تعليقات للامير شكيب ، وفي آخره ترجمة « كتاب غارة العرب على سويسرة في اواسط القرن العاشر » للدكتور فرديناند كلر Keller . وهذا الخلط جعل كتاب الامير شكيب ارسلان مضطرب المادة والعرض .

اسباب سرعة الفتح الاسلامي

وقف المؤرخون مشدوهين امام سرعة الفتح الاسلامي ، وهي ظاهرة مثيرة حقا . ونحن نستطيع



ان نجد الاسباب في الاسلام وتعاليمه التي اذكت الحماسة الدينية في نفوس المسلمين ، وجعلتهم يستهينون بالمخاطر ويستعذبون الاستشهاد في سبيله : فهذا عقبة بن نافع ، البطل المشهور ، وقف على ساحل المحيط الاطلسي ممتطيا جواده ، ثم شهر سيفه وقال : « اللهم فاشهد ، اني لو كنت اعلم ان وراء هذا البحر ارضا لخضته غازيا في سبيلك . »

وهذا ابو محجن الثقفي يشتد به الحزن لانه مقيد لا يستطيع ان يشارك في الجهاد ، فينشد مرتجلا :

كفى حزنا ان تردي الخيل بالقنا
واترك مشدوداً علي وثاقيا (١)
اذا قمت عناني الحديد واغلقت
مصارع من دوني تصم المناديا

ويجاهد زهير بن ابي قيس البلوي ، والي افريقية زمن عبد الملك بن مروان ، وينتصر في معاركه ، ثم يصمم على مطاردة الافريقية خوف الفتنة ، قائلا : « تعبت للجهاد ، ماجاء بي الا الى ربي ، فأهلك . » !!

هذه هي الروح التي كانت وراء انتصار المسلمين .

ومن اسباب سرعة انتصار المسلمين تعاليم الاسلام القائمة على التسامح ، وهو امر لم يكن مألوفا في تلك الفترة من تاريخ البشرية ، وهذا التسامح الذى اظهره المسلمون هو الذى جعل الشعوب المغلوبة ترحب بهم : فتقرر مصير بلاد الشام في معركة واحدة هي معركة اليرموك ١٥ هـ/٦٣٦ م ، كما تقرر مصير مصر في واقعة حصن بابليون ٢٠هـ/٦٤١ م ، ومصير اسبانية في وقعة وادي لكو ٩٢هـ/٧١١م . ولا ننسى ان الدول التي حاربها المسلمون رغم في عنفوانهم ، كانت دولا مجهدة ، متفسخة داخليا .

العرب يبنون الاساطيل

والمعروف ان الجيش العربي كان جيشا بريا ، لا يعرف ركوب البحر ، ولكن مجابهته لاوروبة اجبرته على ان يفكر في بناء الاساطيل لعبور البحار ، وكان معاوية بن ابي سفيان اول من نظم اسطولا في الاسلام ، واول من ارسل حملة عربية اسلامية للغزو في البحر المتوسط ، فكان الانتصار الساحق على البحرية البيزنطية في المعركة المشهورة باسم « غزوة ذات الصواري » عام ٣١هـ/٦٥١م ، رغم ان الاسطول الاسلامي كان يتكون من مائتي سفينة يحاربها من المصريين والسوريين ، بينما كانت سفن الاسطول البيزنطي تتراوح بين سبعمائة والف سفينة .

وقد اعتمد معاوية على بناة السفن المصريين الذين قاموا ببناء اسطول في عكا ، التي غدت اهم قاعدة بحرية في بلاد الشام ، ونقل عبد الملك ابن مروان الف صانع مصري من بناة السفن ، مع اسرهم ، لانشاء قاعدة بحرية في قرطاجنة . وكانت السفن تبنى ايضا في الاسكندرية والفسطاط .

اما في حوض البحر الابيض المتوسط الغربي ، فقد تم تنظيم البحرية في الاندلس زمن الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وكانت اكثر القواعد البحرية في اسبانية على طول الساحل الشمالي الشرقي بين طرطوشة وبلنسية . وكانت مدينة المرية ، في الجنوب الشرقي من اسبانية ، هي القاعدة الرئيسية للبحرية الاندلسية . وكانت اشبونة هي قاعدة الاسطول الاندلسي على المحيط الاطلسي .

ومكنا للمسلمين السيطرة على نحو الثلث

(١) تردي الفرس تردي ردياً ورديانا : رجم الارض بحوافره في سيره وعدوه

البحر المتوسط وجزره ، اصبحت لهم قواعد بحرية ممتدة من شرقه الى غربه . وهكذا تحولت الدولة الاسلامية ، منذ اواخر القرن السابع الميلادي ، الى دولة بحرية ، وغدا البحر الابيض المتوسط بحيرة اسلامية ، وظل كذلك حتى حوالي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي .

بداية النفوذ العربي في فرنسة

كان موسى بن نصير اول من فكر في غزو فرنسا بعبور جبال البرانس . وكانت خطته ان يسيطر على فرنسة ، ثم يتجه شرقا حتى يصل الى القسطنطينية ، وبذلك يحقق حلما من احلام العرب في الاستيلاء على عاصمة البيزنطيين . ولكن الخليفة الوليد بن عبد الملك استدعاه اليه قبل ان يبدأ بتنفيذ خطته .

وظلت فكرة عبور البرانس الى فرنسة تراود قادة المسلمين في الاندلس ، حتى كانت ولاية السمح بن مالك عام ١٠٠هـ/٧١٩م ، وهو من الافاضل عرب افريقية ، ومن خيرة الولاة الذين تولوا امر الاندلس . وقد قام السمح بتحقيق الحلم الذي راود موسى بن نصير ، فاحتل اقليم سبتمانيا Septemania ، وهو منطقة تمتد من البرانس غربا الى مصب نهر الرون شرقا ، وتتصل بما يعرف اليوم باسم الريفييرا الايطالية ، وعاصمتها اربونة Narbonne . وقد استولى السمح على العاصمة بعد حصار دام شهرا ، ومما ساعد المسلمين على احتلالها ان طريقهم الى البحر كانت مفتوحة ، ولهذا كانت الامدادات تصلهم من الاندلس باستمرار . وقد اتخذ السمح من اربونة قاعدة لعملياته الحربية داخل فرنسة . ويقول الامير شكيب ارسلان انه عندما زارها وجد فيها شارعا يسمى باسم السمح .

وتتبع السمح مجرى نهر الجارون ، واخضع ما صادفه في طريقه من مدن وحصون ، حتى وصل الى طولوشة Toulouse ، عاصمة اكوتانيا ، ولكن هذه المدينة قاومته . ولم يرض ان يرتد عنها رغم ان الفرنجة وجهوا ضده جيشا ضخما ، الى ان سقط شهيدا في اواخر عام ١٠٢هـ/٧٢١م . وكانت وقعة طولوشة اول نكسة للعرب في اوروبا . وبسبب قيادة عبد الرحمن الغافقي ، الذي تولى قيادة الجيش بعد استشهاد السمح عاد الجيش العربي الى اربونة سالما .

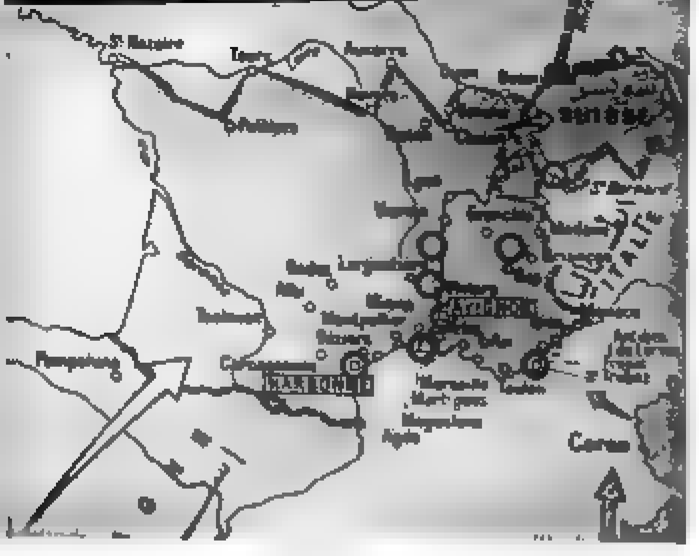
المسلمون يصلون الى بعد ثلاثين كيلو مترا جنوبي باريس

وخلف عنبسة بن سحيم الكلبي السمح بن مالك على امارة الاندلس ، فواصل الغزو في فرنسة الجنوبية حتى وصل الى مدينة ليون التي كان العرب يسمونها « حصن لودون » . ولم يجد في طريقه مقاومة تذكر الا عند مدينة سنس Sens الواقعة على بعد ثلاثين كيلو مترا جنوبي باريس . وقد جعلته هذه المقاومة التي تلقاها يعيد النظر في خطته الحربية : فهو قد توغل داخل فرنسة ، واصبح يخشى الا يستطيع تأمين خطوط عودته ، ولهذا قرر العودة الى قواعده . وقد اجبره على التراجع ايضا وقوع خلاف بين العرب والبربر ، وتجدد العصبية ، في الاندلس . هذه هي الاسباب التي دفعت هذا القائد العظيم الى ان يتوقف عن الاستمرار في فتوحاته حتى يكمل السيطرة على فرنسة .

ولم يكن عنبسة حذرا في طريق عودته ، مما سهل على الفرنجة مفاجأته بجموع غفيرة ، واصابته بجراح بالغة توفي على اثرها في عام ١٠٧هـ/٧٢٥م ، وعاد الجيش العربي من حيث انطلق الى قاعدته اربونة .

عبد الرحمن الغافقي ومعركة بلاط الشهداء

بين عامي ١١٢ – ١١٤هـ / ٧٣٠ – ٧٣٢ م تولى امارة الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ، وهو في رأي كثير من المؤرخين اكبر قائد عسكري عرفته الاندلس في عصر الولاة ، ولكن الظروف التي احاطت به لم تكن لتسمح لعبقريته الحربية ان تظهر على حقيقتها . وكان عبد الرحمن الغافقي ـ كما ذكرت ـ هو الذي انقذ الجيش الاسلامي بعد هزيمته في معركة طولوشة . ولهذا فقد كان فيه توق الى ان ينتقم لهذه الهزيمة . وما ان ولي امارة الاندلس حتى اعلن الدعوة للجهاد في سبيل الله ، في الاندلس وافريقية ، فتدفق عليه المتطوعون من كل ناحية ، واجتمع عنده جيش ضخم قيل انه بلغ بين سبعين الفا ومائة الف . وفي اوائل عام ١١٤هـ/٧٣٢م بدأ عبد الرحمن الغافقي تحركه ، فعبر جبال البرانس من ممرات رونسفال، واتجه شرقا ليشغل الاعداء عن وجهته الحقيقية وسار مكتسحا ما في طريقه من معاقل وحصون



خارطة تبين امتداد الفتح الاسلامي لفرنسا في القرن الثامن الميلادي ؛ وقد شمل ثلث فرنسا ، وسويسرا وجزر البحر الابيض المتوسط (الحوض الغربي) . ووجدنا من المفيد ترجمة أسماء المدن الفرنسية .

وصين ، متبعا مجرى نهر الجارون ، متوجها شمالا في السهل الواسع الذي يحده نهر اللوار وجنوبا نهر الجارون ، حتى وصل الى مدينة تور ، فاستولى عليها على مرأى من جيش شارل مارتل ، ثم تقدم الى بواتييه ، فالتقى بجيش شارل مارتل في المسافة بين المدينتين ، على بعد سبعين كيلو مترا من باريس جنوبا . واستمرت المعركة ثلاثة ايام ، وفي رواية اخرى سبعة ايام .

واذا كان جيش شارل مارتل اكثر عددا من جيش المسلمين ، فان الروح المعنوية في الجيش الاسلامي كانت تفوقها عند الفرنجة . الا ان الجيش الاسلامي كانت فيه نقطة ضعف خطيرة ، لم تكن خافية على قائده ، تلك هي غنائمه وشدة حرصه على الاحتفاظ بالغنائم التي ظفر بها . ولم يكن باستطاعة عبد الرحمن الغافقي ان يجعل جيشه يترك غنائمه ، ليتفرغ للمعركة ، خوفا من تمرد الجيش . وقد ادرك الفرنجة نقطة الضعف هذه ، واستغلوها احسن استغلال ، اذ ارسلوا – في اثناء القتال – جماعة منهم قامت بحركة التفاف سريعة ، وهاجمت مؤخرة الجيش الاسلامي حيث كانت توجد الغنائم . وقد ادت هذه الحركة الى اختلال نظام الجيش الاسلامي ، حيث ترك جانب منه المعركة وسارع لحماية الغنائم ، بينما بقي الجانب الاخر مع عبد الرحمن الغافقي يقاتل الاعداء .. ولكن الفرنجة تكاثروا عليهم ، وسقط البطل شهيدا بعد ان ابلى خير البلاء في القتال ، وكان ذلك في رمضان ١١٤هـ/اكتوبر ٧٣٢م . وعادت فلول الجيش الاسلامي مستترة تحت جنح الظلام .

هذه هي معركة بلاط الشهداء ، التي سميت بهذا الاسم لكثرة من سقط فيها من شهداء المسلمين . ولفظة « بلاط » تعني القصر او الحصن المحاط بحدائق ، في مصطلح الاندلسيين ، وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية Palatium .

وتعتبر هذه المعركة ، في نظر المؤرخين الاوروبيين ، من المعارك الفاصلة ومثال ذلك ان المؤرخ المشهور جيبون Gibbon يقول : « لو انتصر العرب في تور بواتييه لتلي القرآن وفسر في اكسفورد وكيمبردج » . اما نتيجتها بالنسبة للعرب فيرانهم لم يفكروا بعدها في محاولة احتلال فرنسا كلها ، رغم الانتصارات الكثيرة التي احرزوها ، بعد ذلك ، في فرنسا وغيرها من البلاد الاوروبية .

الدعوة العباسية وانقسام العالم الاسلامي

وبينما كانت هذه الاحداث تشغل المسلمين في غربي البحر المتوسط ، كانت الدعوة العباسية تقلق الامويين في الشرق ، بحيث لم يستطيعوا ان يقدموا المساعدة الكافية للمسلمين في الاندلس. وانتهت الاحداث بقيام الخلافة العباسية عام ١٣٢هـ/٧٥٠م ، وانتقال العاصمة الاسلامية من دمشق الى بغداد . وشغلت الاندلس ايضا بدخول عبد الرحمن الداخل الاموي ، وتأسيسه الدولة الاموية فيها ، وحاول الخليفة المنصور ان يهزم صقر قريش ولكنه فشل .

وهكذا انقسم العالم الاسلامي الى قسمين

متنافسين متنازعين : العباسيون في بغداد ، والامويون في قرطبة .

العرب يحالفون اعداءهم في حرب بعضهم بعضا

وقد بلغت العداوة بين العباسيين والامويين درجة محالفة الاجانب في حرب بعضهم بعضا : تحالف العباسيون ملوك الفرنجة ، وحالف الامويون الاباطرة البيزنطيين . ومن ابرز مظاهر هذا التحالف تلك السفارات التي كانوا يتبادلونها .

ومن هذه السفارات التي تمت بين العباسيين وملوك الفرنجة : سفارة ارسلها الملك بيبن القصير الى بغداد عام ١٤٨هـ/٧٦٥م ، وقد مكثت هذه في بغداد مدة ثلاث سنوات ، عادت بعدها محملة بالهدايا ، ومعها رسل الخليفة المنصور . وقد بالغ بيبن في اكرام رسل الخليفة العباسي .

وكانت علاقة شارلمان بن بيبن بالعباسيين استمرارا لعلاقة الود التي عقدها والده معهم . وقد كان شارلمان ملكا طموحا ، يحلم بتكوين امبراطورية مترامية الاطراف كالامبراطورية الرومانية ، ومن اجل تحقيق حلمه حاول ان يستغل صلته بالعباسيين ، ولهذا اتصل بالخليفة العباسي عارضا عليه ان يتدخل في الاندلس ، ويقضي على حكم عبد الرحمن الداخل الاموي ، وان يقوم بهذا باسم العباسيين بحجة انهم هم اصحاب الحق الشرعي في حكم الاندلس ، لانهم ورثة الامبراطورية الاسلامية . وقد وافق الخليفة العباسي على هذه الخطة . وانتهز شارلمان الفرصة حين هرب بعض الولاة من عسكر الرشيد ، واتصلوا بالخليفة المنصور عارضين عليه ان يكونوا صلة الوصل بينه وبين شارلمان . وقد لقي هذا العرض هوى من نفس المنصور .

وهكذا حشد شارلمان جيشا جرارا في ربيع عام ٧٧٨ م ، والتحم بالقائد الجيش الاموي بقيادة عبد الرحمن الداخل — وفي ممرات رونسفال هزم جيش شارلمان هزيمة شنعاء ، بددت حلمه في ازالة السيادة الاموية من الاندلس . وقد قتل في هذه المعركة الكونت رولاند ، اشهر ابطال شارلمان ، والربهم اليه ، بعد ان ابدى شجاعة فائقة . ورولاند هذا هو الذي تدور حول مقتله الملحمة المشهورة المعروفة باسم « اغنية رولاند » .

وقد رفع انتصار المسلمين على شارلمان من معنوياتهم ، وجعلهم يجددون غزواتهم .

وتوفي عبد الرحمن الداخل في عام ١٧٢ هـ / ٧٨٨م ، فخلفه ابنه هشام ، وكان شابا تقيا ، متحمسا للدين ، وهو بين خلفاء الاندلس بمنزلة عمر بن عبد العزيز بين خلفاء بني امية في دمشق ، ويروى عنه انه لما بنى القنطرة العظمى بقرطبة ، علق الناس قائلين : « انما بناها لنزهته » . فلما بلغه ذلك اقسم الا يجوز عليها الا للغزو في سبيل الله او لقضاء مصلحة .

وكما جرى تبادل السفارات بين ملوك العباسيين وملوك الفرنجة جرى تبادلها ايضا بين الاندلسيين والبيزنطيين . ومن هذه السفارات : سفارة تيوفلس الى عبد الرحمن الاوسط . ويذكر المقري في « نفح الطيب » ان رسول الامبراطور حمل الى الخليفة الاموي رسالة « يرغبه ليمتلك ملك سلفه بالمشرق » . وقد اجاب عبد الرحمن الاوسط على هذه السفارة بسفارة اخرى كان على راسها الشاعر يحيى الغزال . وقد حظيت هذه السفارة باهتمام كتابنا القدامى والمعاصرين ، ودارت مناقشات حولها ، وهل كانت الى القسطنطينية او الى ملك النورمان ، او الفيكنج في ايرلنده (١) . ومن اشهر هذه السفارات ايضا السفارة التي اوفدها الامبراطور البيزنطي قسطنطين السابع الى الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ورد عليها الخليفة بسفارة مثلها .

وفي الوقت الذي كان فيه خلفاء الاندلس يتبادلون السفارات مع اباطرة بيزنطة ، كانت جيوشهم لا تكف عن الاغارة على اوروبا ، حتى انها احتلت جنوبي فرنسة حتى جنوة، وكل مقاطعة بروفانس.

النفوذ الاسلامي في ايطالية

ولم تسلم ايطالية من الغزوات الاسلامية القادمة من الاندلس . وقد اشتدت هذه الغزوات خلال

(١) احب ان اشير هنا الى دراستين صدرتا حديثا هما :

W.E.D. Allen, The Poet And The Spear - Wife .

وقد قدمنا هذا الكتاب في «العربي» (العدد ٥٠)

A.A. El-Hajji, Andalusian Diplomatic Relations with Western Europe

غزو صقلية وبعد فتحها ، لان الجزيرة اصبحت قاعدة منها يثبون الى ايطالية . وقد تمكن المسلمون من اجتياح ايطالية الجنوبية بسرعة ، كما غزوا شواطئها المطلة على البحر الادرياتيكي ، والبحر التيراني .

وفي عام ٢٢٢هـ/٨٣٦م احتل عرب كريت ، بمساعدة عرب صقلية ، مدينة برنديزي واستمرت سيادتهم عليها مدة ثلاثين سنة . واستولى المسلمون على (باري) Bari وما حولها عام ٢٢٧هـ/٨٤١م واقاموا فيها امارة اسلامية دامت ثلاثين سنة ايضا . وغزوا روما بضعة مرات : ففي عام ١٩٤هـ/٨٠٩م غزوها واحتلوا محافظة البابا ليو الثالث الكبير نفسه ، وفي عام ٢٢٢هـ/٨٤١م حاصروها ، وحاصرتها قوات من الاندلس وافريقيا في عام ٢٥٧هـ/٨٧٠م مما اضطر البابا حنا الثامن الى ان يفاوضهم في الصلح والجلاء ، مقابل دفع جزية سنوية مقدارها مائة الف مثقال ذهب .

وكانت السيطرة الاسلامية على جنوب ايطاليا ووسطها تهدد تجارة البندقية ، في الدرجة الاولى ولهذا جهزت البندقية اسطولا مؤلفا من ستين سفينة لمحاربة المسلمين ، ولكنه هزم هزيمة ماحقة امام الاسطول الاسلامي .

وقد تعرض شمالي ايطالية لغزوات المسلمين ايضا ، فعلى اثر معركة بلاط الشهداء توجه عقبة ابن الحجاج السلولي على رأس جيش ودخل بيدمونت ، ولكنها كانت غزوة سريعة . وفي عام ٢١٩هـ/٨٣٤م غزوا جنوه ، ومنذ عام ٢٢٦هـ/٨٤٠م تعرضت سواحل البحر الادرياتيكي لغزواتهم ، ولم تسلم البندقية نفسها من غزوهم . وتحكموا في ممرات جبال الالب ولم يكن يستطيع المسافرون قطعها الا بعد دفع رسم لهم نظير مرورهم منها .

امتداد الغزو الاسلامي الى سويسرة واعالي الراين

كانت قلعة المسلمين الحصينة في فراكسينتوم Fraxinatum بجنوبي فرنسا ، هي مركزهم الذي منه يقومون بغزواتهم في البلاد والاقاليم المجاورة حتى اصبحوا سادة منطقة جبال الالب ، والحدود بين فرنسا وايطالية وسويسرة ومن ممرات الالب هاجموا سويسرة ، فوصلوا الى شواطيء بحيرة جنيف حوالي عام ٣١٥هـ/٩٢٦م ، وكذلك الى مناطق اعالي نهر الراين .

وعندما سقطت قلعة فراكسينيوم حوالي عام ٣٦٥هـ/٩٧٥م بيد الفرنجة ، سقط سلطان المسلمين في سويسرة ومناطق الالب ، لان هذه القلعة كانت عاصمة الممتلكات الاسلامية في فرنسة وشمالي ايطالية وسويسرة ، تحت رعاية خليفة قرطبة .

ثم غربت الشمس

ولم تلبث شمس المسلمين ان غربت في اوروبا والاندلس . وابرز اسباب افول شمسهم : تفكك وحدة العالم الاسلامي بانقسامه الى ثلاث خلافات ، هي : الخلافة العباسية في بغداد ، وخلافة بني امية في الاندلس ، وخلافة الفاطميين في المغرب ثم في مصر وما حولها . وبلغ التمزق أقصاه في غرب العالم الاسلامي زمن ملوك الطوائف ، وهو عصر استمر نحو قرنين وسبع سنوات ، حيث كون الزعماء العرب احدى عشرة دويلة ، وكون البربر عشر دويلات ، وكان للصقالبة خمس دويلات .

وبالاضافة الى هذا الانقسام السياسي ، كان هناك انقسام ديني بين السنة والشيعة ادى هو ايضا الى تمزيق وحدة العالم الاسلامي .

وهناك ايضا العصبية التي اسهمت في تمزيق اجزاء العالم الاسلامي : فالعرب المهاجرون نقلوا معهم الى اوروبة عصبياتهم القبلية ، وكان اخطر مظهر من مظاهر هذه العصبية الخلاف بين عرب الحجاز وعرب الشام ، ثم كان الصراع الرهيب بين العرب والبربر .

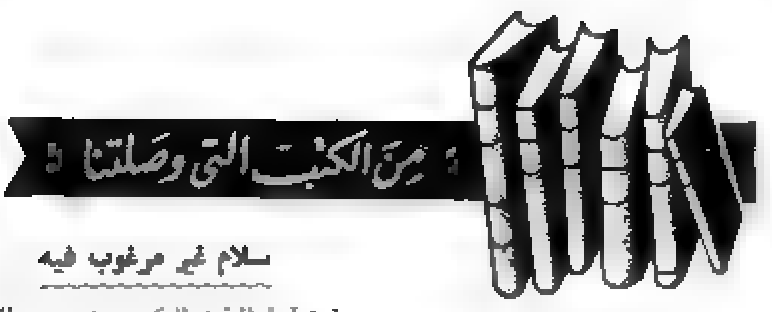
ولم تغب هذه الظاهرة عن عيني شارل مارتل ، ولذلك رد على قومه الذين ادهشتهم سرعة الفتوح الاسلامية وهي في مطلعها ، قائلا : « الرأى عندي الا تعترضوهم في خرجتهم هذه ، ولكن امهلوهم حتى تمتليء ايديهم من الغنائم ، ويتخذوا المساكن ، ويتنافسوا في الرياسة ، ويستعين بعضهم ببعض ، حينئذ تتمكنون منهم بأيسر امر » .

ويعلق المقري على هذا فيقول : « فكان والله كذلك ، بالفتنة التي طرأت بين الشاميين والبلديين والبربر والعرب ، والمضرية واليمنية ، وصار بعض المسلمين يستعين على بعض بمن يجاوره من الاعداء » .

* * *

وما اشبه الليلة بالبارحة !!

عمان ــ محمود السمره



القضاء والقضاة

دراسة علمية ادبية

تأليف محمد سمير ارسلان

الناشر : دار الارشاد / بيروت / لبنان

● كتاب يدرس القضاء والقضاة واهمية القضاء ، حيث ان مهمة القضاء مهمة خطيرة ، ومقدسة وان الخصومة من لوازم الطبيعة البشرية ، فلو لم يكن هناك وازع للقوى على الضعيف لاختل النظام وعمت الفوضى .

والسلطة القضائية هي احدى السلطات الثلاث التي يقوم عليها الحكم في اي مجتمع ، وهذه السلطة اكثر السلطات رسوخا ، واقواها صمودا امام التيارات الجارفة التي قد تزعزع اركان الحكم والحكومات .

والكتاب بالتالي ، وان كانت مواضيعه كلها متعلقة بالقضاء والقضاة ، الا انه كتاب تاريخ بما يحويه من حوادث تاريخية واخبار سياسية كما هو كتاب ادب بما يحويه من شعر ونثر ، كما انه كتاب فلسفة بما يحويه من فلسفة وآراء اجتماعية ونفسية ، واخيرا كتاب قانون مما يحويه من قواعد ونظريات ومبادىء .

العرب وتراثهم

تأليف : الدكتور يوسف سليم شوصهات العزيزات

الناشر : مطبعة الثورات المسلحة الاردنية – عمان – الاردن

● يدرس هذا الكتاب اصل العرب ودورهم في تطور العالم القديم والحديث واصل اليهود وديانتهم . ثم دراسة عن الانطلاقة العربية الراهنة كما تناول الكتاب بالدراسة العادات العربية الاصيلة في الريف الاردني .

سلام غير مرغوب فيه

ترجمة : العقيد الركن محمد سميح السيد

الناشر : ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي وزارة الدفاع الجمهورية العربية السورية

● تقرير يدور حول اعتبار الحروب ضرورة من ضرورات المحافظة على البنيان الاجتماعي ، ودراسة موضوعية دقيقة لتطور الاجتماعي للحرب مستندة على العلوم الاجتماعية والحديثة والوسائل التقنية الجديدة كآلات الحاسبة وغيرها . وقد كانت نتيجة هذه الدراسة ان الحرب تقدم الوسيلة الوحيدة القادرة على تأمين استقرار الاقتصاد الوطني والتحكم به . كذلك هي ضرورة اجتماعية لتأمين السيطرة على الاضطرابات الاجتماعية الخطرة والميول التخريبية الضارة للمجتمع كما تحول دون التضخم الاقتصادي وتدفع عملية التقدم العلمي والتكني الى الامام .

الري والحضارة في وادي الرافدين الجزء الاول

تأليف : الدكتور احمد سوسه

الناشر : مطبعة الاديب البغدادية . بغداد – العراق

● يبحث هذا الكتاب الفترة الحضارية في العراق القديم التي تبدأ بالعصور الحجرية وتنتهي في اواخر العصور السومرية ، كما يتناول البحث العصور الاولى من حضارة وادي الرافدين بقدر ما تتصل هذه العصور بموضوع الري والزراعة كما يشتمل على منشأ الحضارة العراقية وتطورها مع نبذة عن محتوياته ، كما زود الكتاب بمجموعة قيمة من الصور والخرائط للتوضيح .

الشوق والرصاص

تأليف رشاد مجيب ذبيان بيروت لبنان

● مجموعة قصائد متنوعة .

مسلم الغد

تاليف : الدكتور احسان حقي

الناشر : دار العربية ــ بيروت / لبنان .

● مجموعة مقالات متنوعة تتسم بطابعها الديني والمؤلف في هذه المقالات يحاول الخروج بالانسان من ميدان القول الى ميدان العمل وان يحث الخطى حتى يلحق بالقافلة التي سبقته . كما يحاول ان يبرز الامراض التي يعانيها المسلمون ويحاول ان يذكر هذه الامراض وان يصف الدواء ، وهي محاولة للخروج من مجال الكلام والاماني الى مجال العمل البناء ، لان المسلمين عندهم مقومات الحياة لم تتوفر لامة من امم الارض . فهناك نظام الهي لايماثله نظام ، هذا النظام الذي يساعد على النهوض والعمل والتطور . كما انهم امة كثيرة العدد وهي تسيطر على مساحات واسعة شاسعة وبلادهم مليئة بالكنوز التي تحوي جميع المواد الخام . ثم انهم بالتالي امة تدين بكتاب واحد يقرأ بلغة واحدة وهذه الميزات ما اجتمعت لغير الاسلام والمسلمين الخ .

الطالعات
في مختلف المؤلفات / الجزء الثالث

تاليف : محمد علي الموسوي المصاني .

الناشر : مطبعة النعمان / النجف الاشرف / العراق .

● يضم هذا الكتاب بعض المقالات التي جاهر بها اربابها من اجل الدعوة الى خلافة اهل البيت كما يثبت جملة من الآيات النازلة والاحاديث الواردة في كرامة اهل البيت ، واختصاصها بهم مما شهدها الصحابة والتابعون ودونها كبار العلماء الاعلام ، كما يستعرض الكتاب صورة لحياة سبعة من شعراء اهل البيت وبعض الاعلام ممن كان لهم اليد البيضاء في احياء الآثار العلمية او الادبية او الاجتماعية .

شمعتي

تاليف : عبد الودود العيسى .

الناشر : شركة الطبع والنشر الاهلية ــ بغداد ــ العراق .

● قصة طويلة .

كتاب سيبويه
الجزء الاول

الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ــ بيروت / لبنان .

● اشهر كتاب وضع في النحو العربي صنف في نحو الف ورقة ، والكتاب ليس له مقدمة ولا خاتمة وهذا يدل على ان مؤلفه كان على نية العود اليه لانه كان لديه منه بقية ولا يزال في نفسه شيء لذلك لم يسمه ولم يقرأه عليه احد ومن ثم صار (الكتاب) علم كتاب سيبويه .

سنن ابي داود
الجزء الاول

تاليف : الامام الحافظ ابي داود السجستاني .

اعداد وتحقيق : عزت عبيد الدعاس .

الناشر : محمد علي السيد حمص / سوريا .

● كتاب في الحديث فريد يلي صحيحي البخاري ومسلم بجمع احاديث الاحكام التي هي المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم . يستطيع بها المسلم فهم قرآنه وان يتعرف على احكام دينه ويمتاز هذا الكتاب بتخريج احاديثه وترقيمها وفهرس عام لجميع الاحاديث مرتب على الحروف الهجائية .

اللب واللباب
في غريب اللغة والحديث والكتاب

تاليف : الشيخ محمد رضا الغراوي/تحقيق : السيد احمد الحسيني / الناشر : مطبعة الآداب في النجف الاشرف / العراق .

● كتاب في اللغة ، يدرس الاسماء والنعوت ويبدأها باسماء الله جل جلاله وصفاته ثم اسماء الانبياء والائمة ثم اسماء الظواهر الطبيعية ، ولم يكتف المؤلف بالموضوع اللغوي فحسب بل ادرج فيه معلومات متنوعة من كلام وتفسير وحديث ومنطق وفلسفة .

وقد سار المؤلف في منهجه للكتاب على الطريقة الحديثة حيث نسق كتابه ــ حسب الحروف الاول كما هو الحال في كتاب المصباح المنير وذلك لسهولة هذه الطريقة .



بقلم : سنية قراعة

● كانت القافلة الصغيرة القليلة العدد توشك أن تتحرك ، وقد ملأت ضجة من كانوا فيها الصحراء حولهم صاخبة ، اختلطت فيها الأصوات هنا وهناك ، هذا ينادي ، وهذه تتعجل صاحبة لها ، وتلك تصيح أو تذكّر زاملة أو حاضنة بأن لا تهمل قضاء حاجة كانت ترجوها ، وهي تبالغ في توصيتها بعدم التقصير أو الإهمال ليكملّ لديها ما كانت ترجو أن يكون لها من متاع أو حليّ النساء ..

وارتفع صوت الحارث بن عبد العزى وسط الضجيج الشامل ينادي زوجته حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية لتخرج من الخباء ، فالركب يكاد يتحرك في طريقه الى مكة ، ولم تعد هناك فسحة من الوقت تستوجب التباطؤ أو تدعو الى مزيد من الانتظار

ووصل الى أذني الحارث صوت زوجته حليمة تخبره أنها انما كانت تكمل ارضاع وليدها الصغير قبل أن ترحل لتتركه في رعاية احدى جاراتها ، وهو شبع بعض الشيء .. فعاد الحارث في ضيق يتعجلها . ولم تمض سوى لحظات قليلة حتى كانت حليمة تسرع الى الخارج وقد تركت وراءها الرضيع وطفلة أخرى ، هي « الشيماء » ابنتها ، وهي تلاحقها صائحة في لهفة ، وهي توصيها أن لا تبطيء هناك في مكة ، وأن تعود اليها والى شقيقها الرضيع ، ومعها الطفل المنتظر الذي ستولى ارضاعه لأهله ، فتصبح أختا لاثنين بدلا من واحد ، فيخف عليها وحدتها ويخفف عنها ما تحسه من رهبة الصمت وكآبة السكينة ووحشة هذه الصحراء ...



ولم تنس الشيماء أن توصي أمها مرة ومرات بأن تجتهد ما أمكن لن يكون الرضيع من أبناء أشراف مكة الموسرين ، ليغدقوا عليها وعلى أمها ما تطمع أن يكون لها من الهدايا والهبات التي تترع الفائقة وتجعل الصغار من ساكنات البيد امثالها يتخيلن انهن يحورهن حثالات فريسات السبي سبيات ...

ونظرت حليمة السعدية الى ابنتها الشيماء نظرة حنان وعطف ، ورفعت رأسها مبتهلة الى الأرباب أن تحقق رجاء الطفلة ، ثم التفتت اليها تعدها خيرا ، وانصرفت الى زوجها المنتظر مع الركب لتأخذ مكانها فيه ...

وتحركت القافلة الصغيرة القليلة العدد .. ومرة أخرى ساد الضجيج الصحراء .. ثم تعالى رنين الاجراس الصغيرة المدلاة من أعناق الابل واخذ يعلو حنينه مألوف النغمات ، وتجاوب معه ترنيم الحداة ، وارتفعت وسط الصخب همسات النساء بالتوسل والرجاء والابتهال تحت كل منهن الطفل الذي ترجوه من ابناء أشراف العرب وسادات قريش الذين كان من أجل تقاليدهم الموروثة من قديم الاجيال ان يبعثوا بمواليدهم الى مراضع

بني سعد بن بكر ليشبوا هناك في قلب البادية فتمتلئ صدورهم بهوائها النقي ويدرجوا في جو حافل صحي ، ويشبوا على الشجاعة والفروسية والاقدام ، والجسارة ، ويطبعوا بطابع مكارم الصحراء من كرم وايثار وحب للنجدة ، وفوق هذا كله تستقيم السنتهم ، ويخلص نطقهم بالعربية السليمة المنقاة من كل الشوائب ..

ووصل ركب مراضع بني سعد الى مكة في الهاجرة ، وامسى به المطاف عند السادات من اشراف قريش ... واسرعت المراضع يعرضن انفسهن ، ويسألن طفلات الآباء .. وظفرت كل واحدة منهن بما كانت تبغي وتريد الا حليمة السعدية .. لقد وقفت حليمة امام وليد قرشي ، اهله في السنام الاعلى من العرب جميعا .. شريف ابن شريف .. وسيد ابن سادات .. وحسيب لا يتطاول قرشي مهما سما وعالى الى حسبه ، ولكنه يتيم .. وليته كان يتيما موسرا او على شيء من الثراء ، بل هو يتيم بكفله جده ، سيد مكة ، ورأس قريش ، عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ..

ولم يكن من عادة مراضع بني سعد ان يقربن من يتيم معدم او يكفلن لرضاعه ، فلا غناء فيه ولا عوض .. ولهذا انصرفت المراضع جميعا عن اليتيم الهاشمي وقد لحق كل منهن املها ، وفازت بالطفل الذي كانت تتمناه ، الا حليمة فلم يعرض عليها غير الهاشمي اليتيم الذي تولت « ثويبة » جارية عمه ابي طالب لرضاعه منذ مولده حتى مقدم حليمة ...

وردت حليمة الطفل الى امه آمنة بنت وهب .. ردته مرة بعد مرة ، وكلما ردته ورفضت قبول العودة به الى مضارب بني سعد في الصحراء ، لارضاعه هناك كالعادة ، اسرعت امه يديها فتحمله مرة بعد مرة ، ثم تعيده الى امه ...

انها تريد طفلا موسرا غير يتيم يحقق امانيها ، وتجد فيه ابنتها الشيماء الصغيرة الأخ الذي ترجوه ويشرف قدرها به في قادم السنين ، حين تأسه رائرة ، فيغدق عليها الاعطيات ، ويكون لها الأخ العوان الكريم السخي لا يبخل ولا يتردد في البذل ...

ردت حليمة الطفل مرة بعد مرة ، بالرغم من انه لم يعد باقيا غيرها من مراضع بني سعد دون طفل تعود به .. ثم عادت تسترجعه وتعيده بعد المرة مرات وهي تعجب لامرها وامره ، ولشعورها الفاضي بالحنان نحوه . ولم تجد في النهاية غير ان تغالب عاطفتها فترجع مبتعدة ، وليكن ما يكون حتى لو عادت دون ما كانت تبغيه وما خرجت من ديارها من اجله ، ولتنتظر مرة قادمة تجرب فيها حظها عساها ان تجد الطفل الذي تتمناه ...

ابتعدت حليمة السعدية ، وتركت الطفل الوليد الى آمنة امه والى مرضعته « ثويبة » ثم أسرعت الى حيث كان ينتظرها زوجها الحارث بن عبد العزى ، فقصت عليه كل ما حدث ولم تكتمه شيئا على الاطلاق مما يجول في سريرتها ..

ومرت اللحظات بطيئة ثقيلة ، وساد السكوت بين الزوجين ، ولم يكن يصيبها او يعني زوجها شيء بقدر ما يخشيهما الا يعودا صفر اليدين ، بلا رضيع ، وقد يكون في هذا موضع للتندر او الخوض في حديث ، واحاديث قد تطلقها صاحبة الفشل الذي منيت به حليمة ..

ومضى الحارث في اذن زوجته ، يسألها لماذا لا تقبل الهاشمي الوليد بالرغم من انه يتيم ، صادقت في صدق القول انه يعرف السبب وليس في حاجة الى شرح او بيان . فيعود يسألها ، واذا كانت المراضع من بني سعد يرفضن كل يتيم شبه معدم ، فمن يرضع الوليد ، وهو لن يكون عالة على حليمة او على زوجها ما دام هناك اهلوه ، وهؤلاء سوف يتولون الانفاق عليه ، ويعملون على ارضاء مرضعته ؟ .

وتعود حليمة مرة اخرى وتقول ان الشيماء الصغيرة ترجو ان تعود اليها برضيع من الموسرين لعلها تنال من طريقه بر اهله وما يغدقونه لها من منح وعطاء ، وامام ذلك لم يجد الحارث ما يقوله وان ابدى اسفه البالغ من ان تعود زوجته دون رضيع ...

والواقع ان حليمة بنت ذؤيب نفسها كانت في حيرة من امر الرفض الذي اصرت عليه ، بل من امر اصرار القدر على ان يعرض عليها هذا الرضيع اليتيم بالذات حتى لقد جعلت تسأل نفسها مرة بعد اخرى وهي في كل مرة تتهرب من الجواب .

لماذا عادت الى الرضيع بعد ان ردته ورفضت ارضاعه ، ثم لماذا عادت تتركه وتحدق فيه النظر

في حضن وعطف وحنان ، تتأمل ملامحه الدقيقة ، ووجهه الملائكي و ... هدوءه الغريب وصمته العميق وما اتسم به من ابتسامة رضية وضاءة زادته سماحة واشراقا ...

ماذا احست به ؟ ... ماذا احست في وجهه عشرات بل مئات المرات ؟ .

لقد وجدت فيه ما لم تجده في طفل رضيع من قبل ... لقد ارضعت من قبل الكثيرين من اشراف العرب .. ورأت .. وسمعت .. وعرفت .. ولكن .. هذا الطفل الهاشمي .. ان فيه ما لم يكن في غيره ، وانها لتحس ذلك ، ومن اجل هذا ، ورغم انصرافها عنه تلاوم عاطفة الرجوع اليه .

واستطاعت عينا الحارث بن عبد العزى ان تصلا الى اعماق قلب حليمة بنت ذؤيب زوجته .. انها حائرة .. لا تريد اليتيم مرة ، وتريده مرات .. تهرب منه مرة .. وتشعر بالحنين الى العودة اليه وحمله بين يديها مرات ومرات .. انها ولا شك تحس نحوه بعاطفة حنان واشفاق .

ومال الحارث على اذن زوجته يقول لها ان العودة بيتيم من بني هاشم وان لم يكن موسرا خير من العودة بدون احد ..

ولقد انس الحارث في حليمة زوجته الرغبة في الانصات اليه كمن ارتاحت الى ما كان يقول ... ثم الرغبة بعد ذلك في النزول على رأيه ، فصار يصل في سرعة ما انقطع من الحديث وهو لا يفتأ يقول ان العودة بطفل خير من العودة صفر اليدين.

واسرع الرجل يلمس ما تحس به من عاطفة تجاه هذا الوليد ، فاخذ يؤكد لها ان الاحداث نفسها قد تخلف الظنون ، وان ما انقضت الامال على ازالته ومدى اهتمامه ويرضى عنه قد يبدله القدر وظروف الدهر فيتقلب به من حال الى حال في الوقت الذي يقبل فيه الحظ بوجهه الضاحك على الصغير اليتيم .. وانه هو نفسه بعد هذا كله يحس ان حليمة تغالب رغبتها في قبول ارضاع الهاشمي اليتيم ، لانه يستبشر به وينصحها ان تستجيب لدواعي الحنان والعطف وتقبله ...

وهكذا عادت حليمة بنت ذؤيب الى مضارب بني سعد بأسعد الايتام واذكى مواليد الله في ارض الله ، واكرمهم يمنا على العالمين .. عادت حليمة الى مضارب قومها تحمل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وقد ضمته الى صدرها في حضن ورعاية وكأنها تضم اليها كنزا ثمينا بالسعادة والحظ والثراء ...

عانقت الشيماء فرحا محمدا ، واقبلت عليه اقبالا جعلها تنسى رعاية اخيها الشقيق ، فلم تحمل الا محمدا ، ولم تلاعب الا محمدا ، ولم تكف طوال ساعات اليوم عن مناداة محمد باسم الحبيب الذي هفا له قلبها وارتاحت اليه نفسها ...

وعم الاسرة فرح عريض ، ويعود الحارث ليرقب ما حواليه وما كان يحوطه ويملكه .. لقد درت النعاج اللبن باضعاف ما كانت تعطي .. وزكت النوق واخضر الكلأ القليل .

وسأل الحارث نفسه .. اهي ابتسامة الحظ .. ام بركات الصغير اليتيم تعم بني سعد جميعا وتغمرهم بالخيرات .. واقبل على حليمة يهمس لها بما دار ، فاذا بافكارها هي الاخرى تدور في ذات المدار الرحيب ، وتحوم حول نفس الشيء ، وترى في محمد ما كشفت عنه بصيرة الحارث ، وتتبع آيات بركته ويمنه وحظه الوفير ..

ومرت الايام .. وانطلقت حليمة بمحمد الى مكة مرة او مرتين ، كانت تعود به بعدها سريعا الى مضارب بني سعد فتلقفه الشيماء في لهفة وتسارع به الى المراعي ، تلاعبه وترفه عنه ..

كان محمد صبيح وجهه بين الاطفال ... ابدا ما سمعته حليمة باكيا ، او صارخا او ضجرا بشغبه شأن امثاله ومن في سنه من الواليد .. كان هادئا دائما .. باسم الوجه مشرق القسمات .

واعتادت الشيماء ان تصحبه معها دائما في الغدو والرواح ومعها شقيقها الذي يقربه سنا ، فكان ثلاثتهم ينطلقون الى المراعي والمروج .. ومحمد يومها ابن ثلاث او اربع سنوات ، ليرعى مع الشيماء واخيها الشقيق اغنام الحارث وحليمة ، وليتسم بتلك السنة التقليدية التي تميز الرسل الكرام من بدء حياتهم بالرعاية والحراسة ليتدربوا على رعاية العالمين وحراستهم فيما بعد ...

لقد عاش اليتيم في الصحراء في كنف حليمة ورعايتها ، ودرج مع ابنها الذي في مثل سنه وابنتها الشيماء التي كانت تكبره بسنوات قلائل جدا .

وبقي في مضارب بني سعد بن بكر حتى بلغ الخامسة أو السادسة ثم عاد الى أهله في مكة ليعيش في كنف جده ثم في رعاية عمه أبي طالب بعد ذلك ...

جاء محمد الى الدنيا يتيما مات أبوه .. ثم ماتت أمه آمنة بنت وهب .. ثم شب في رعاية جده ومن بعد جده عمه . ثم تتالت الأحداث .. ثم يعرض ليرات ضياع اليتامى بين الأهل .. وذلك لأن الله كان يرعاه .. وكان يريد له هذه النشأة الأولى لحكمة جلت على الأفهام ...

« ألم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلا فأغنى .. » !!

وتزوج محمد خديجة بنت خويلد .. وما نسي الصحراء ولا مضارب بني سعد .. وأن حليمة نفسها على اجماع الروايات لتأتيه ذات مرة تطلب نداه ، وسائله جوده ، وقد أجدبت الصحراء عامها ذلك ، وكانت مجاعة لازمت القوم ، واضطرت الى استمطار ندى أهل النجدة والجود .. وأسرع محمد يصل أمه حليمة ومن مال خديجة زوجته ، حتى عادت الى قومها ، وقد برئا اليتيم الذي خشيت يتمه ذات يوم ، وأغناها الله به عن الناس في ذلك العام .

ثم مرت بعد ذلك أعوام .. وجدت أحداث بعد أحداث .. وبُعث محمد بدين الحق ، وخرج على العالم برسالة الله .. ثم هاجر وترك مكة .. واستقر وعاش في المدينة .. ثم ها هو ذا يعود الى مكة فيحل له الله البلد الحرام دون حرب أو قتال ، ويفتحها فتحا مبينا ، ويدخل الناس في دين الله أفواجا .

ولقد طرق اسم محمد أسماع بني سعد وبقية أهليهم وعشائرهم من هوازن وثقيف .. وتحدثت به من ظلوا على كفرهم ، وسيادة أحلامهم التي حطمها محمد يوم أتم الله عليه نعمة الفتح الأعظم .. تحدثت عنه هوازن وثقيف والطائف كلها .. ولا بد أن أخته الشيماء قد تحدثت هي الأخرى عنه ، وتخيلته في أمجاد فتوحه وانتصاراته الدينية ..

ثم وقف بها الفكر عند هذا الحد ، فبقيت حيث هي على دين قومها ، ومعتقدهم ، وإن حدثت الناس حديثا عن أخيها الذي عظم أمره وانتشر بإذن الله دينه ، ومن يدري .. لعلها لولا ثقل السنين على منكبيها لسارت اليه فى لم تكن لتؤمن أو تعلن دخولها في دينه على الأقل لتراه وتعود ببعض آيات بره وعطاياه ، وقد تبيه ذكره كما تصورت وعظم أمره ، ولا بد أصبح في تصورها من ذوي المال ...

وربما فكرت الشيماء في هذا كله .. وربما طوفت بخيالها هذه الصور والأمنيات جميعا ، ولكنها بقيت حيث هي في هوازن لتسمع ذات يوم أن محمدا .. أخاها القرشي .. قد اتجه الى هوازن بجيش لم تشهد الصحراء ولا الجزيرة كلها له مثيلا أو شبيها قبل ذلك اليوم ، وأنه ورجاله يتقدمون لمقاتلة هوازن وثقيف ، وقد أجمع من فيهما على حربه ثم خرجت جموعهم اللجبة الزاخرة لملاقاته .

وكان مالك بن عوف النصري هو صاحب فكرة الخروج .. واتخذ مالك بن عوف النصري والخارجون معه أماكنهم ، وانحازوا الى حنين ، وتحصنوا بمضيق عند الوادي .. واستعدوا لتوجيه الضربة للمسلمين الذين كانوا يتقدمون ، تملأ الخيلاء نفوسهم ، ويملؤها الاعجاب بالكثرة العظيمة ، حتى أنهم استيقنوا أن النصر عطاء ايمانهم وأن الهزيمة لا بد واقعة بمالك بن عوف ومن تبعوه .

ووصل المسلمون في عتمة الليل الى مشارف حنين وانتظروا حتى الصباح ثم نادوا بالهجوم ودوت صيحة الحرب .. وصاح مالك بن عوف في رجاله وقد رأى المسلمين يهبطون الوادي ليمطروهم من حيث هم بالنبال ..

يالها كانت من لحظات قاسية رهيبة ، وموقف بالغ الحرج والضيق .. نبال وسهام ترى ولا ملاذ ولا حمى ولا مدرع أقى من الهلاك .

واضطرب المسلمون .. واهتزت تحتهم الأرض .. وشعروا بحرج مواقفهم وضعف مراكزهم الدفاعية ، ووجدوا أنفسهم وبرغمهم قد وقعوا في كمين لم يحسبوا حسابه أبدا .. فولى أكثرهم منهزمين .

يالجلال الايمان ..وعظمة القائد .. تفر الجموع اللجبة وهو ثابت كالطود ، لا يتحرك ولا يميل ، بل زاد ايمانه بنصر الله وتأييده في أحلك ساعات المحنة .. !!

رسول الله مكانه في الميدان ، وحوله قلة لا تفنى ، ولكنها قوة مؤمنة ثابتة القلوب عظيمة الثقة في الله وفي قدرتها !! .

وصاح صائح أن عودوا يا أنصار الله والرسول .. عودوا أيها المهاجرون الأوائل .. عودوا يا أصحاب بيعة العقبة والرضوان .. عودوا جميعا يا من بعتم أنفسكم في سبيل مرضاة الله واشتريتم جنات عرضها السموات والأرض .. عودوا فهذا أوان الشد .. ولحظة التضحية والبطولة والاستشهاد ولقد تفتحت أبواب الجنة التي كنتم بها توعدون!!.

وتقدمت جموع هوازن وثقيف المنتصرة وقد انتشت بفرحة الظفر .. فتقدم أعداء الله من حيث كان يقف محمد وحوله جند الله وهم ساعتها قلة استهانت بالكثرة المتقدمة وسخرت من خيلائها ، واصرت على احراز النصر بمضاء العزيمة وقوة الايمان . كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة .

واسترد الفارون الهمم وسارعوا في عودة الى الصف ليأخذوا أماكنهم فيه .. وأخذت القلة تتكاثر وتتجمع .. ودبت في القلوب حرارة الايمان وحلاوة الاستشهاد وانطلقت الحناجر تهتف في عنفوان واعتزاز .. الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا اله الا الله وحده نصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده .. لا اله الا الله محمد رسول الله ..

ودوى التكبير .. ورددت الأصداء وجعلت ترددها في حرارة ولهب قمم الجبال .

وظل القائد مكانه ثابتا كجبل أشم .. واستطاع المسلمون وقد عاودتهم نفوسهم ، وتطهرت من الضلالة وغرور الاعجاب قلوبهم أن يتقدموا ، وأن يلقوا العدو وجها لوجه والله في جانبهم .. وتعثرت هوازن .. وامتلأت بالمخاوف قلوب ثقيف وأحس بالندم والحسرة كل من خرجوا معهم من القبائل الأخرى وقد بدأت الدائرة تدور عليهم واستيقنوا أنهم أمام قوة غلابة ، لا تقيم وزنا للحياة ، بل تسعى الى النصر ولا شيء غير النصر واعلاء كلمة الله الذي يقول « ولينصرن الله من ينصره » .

ووجد أعداء الله أن الاصرار على مواجهة القوة الاسلامية الماضية جنون واستهانة بالحياة الغالية وما أسرع ما بدأت هوازن تولي الدبر ، وفي أثرها ثقيف ومن معهم من الحلفاء ... لقد هزمت هوازن وثقيف .. وفر مالك بن عوف صاحب فكرة تجمعهم والخروج بهم للقضاء على محمد .. فر مالك الى أسوار الطائف وهو يرجو أن يحتمي بها من فتح الله ونصره ..

هزموا .. وخلفوا وراءهم الولد والمال والنساء .. وسيقت النساء سبايا ينتظرن قضاء الله وكلمة محمد عليه الصلاة والسلام ..

وعلا بين سبايا هوازن وثقيف صوت عجوز تصخب وتزمجر وتصيح في غضب وضيق ، طالبة من المسلمين أن يخلوا سبيلها ويطلقوا سراحها ، ويتركوها وشأنها ، فهي أخت صاحبهم ، وما كان لهم أن يسوقوا الى الأسر أخت محمد .. !!

أخت محمد ..

يا له من ادعاء أبى أن يصدقه المسلمون وكلهم يعرفون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست له أخت ولا أخ شقيق أو غير شقيق !! .

وانصرف المسلمون عن العجوز ساخرين وتركوها تصخب ما شاء لها الصياح والغضب وقد سدوا جميعا آذانهم دون الاستماع اليها ، ولكنها ما كفت أبدا عن الصياح ولا عن الادعاء الذي سرى بين المسلمين سرى النار في الهشيم الجاف وانتشر في سرعة حتى أصبح حديث الناس جميعا ..

وعادت العجوز تصيح وتصيح ، حتى ظن المسلمون أن بالعجوز لوثة ، فأقبلوا عليها مواسين يعلون من قدرها ويطلبون منها أن تنتظر حيث هي صامتة راضية حتى يعود محمد فيرى فيها رأيه وينظر في ادعائها الغريب .

وسكتت « الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى » فقد كانت تطمع أن يصل صوتها الى النبي محمد .. أما ومحمد بعيد اليوم عنها في شواغل حربه فليس لها الا أن تنتظر حتى يعود ..

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى « الجعرانة » واستقر بها بين الفاتحين المنتصرين من رجال الله وجنده الغلاب المنتصر .. عاد يجبي والمسلمون ثمار النصر المبين غنائم لا حصر لها ، انها اثنان وعشرون ألفا من الابل ، وأربعون

ألفا من الأغنام ، واربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف سبية واسير !! .

نظر محمد الى كل هذا ، ثم رفع رأسه بالشكر والحمد الى الله .

واخذ رسول الله يقسم الغنائم ويوزع الفيء بين المسلمين .. وفي هذه الأثناء حضرت وفود « هوازن » وقد أعلنوا اسلامهم وشهدوا أنه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، بعد أن تبين لهم جميعا انهم كانوا في ضلال .. عادوا ليذكروا محمدا بصلاته القديمة بهم وانهم هم اهله ، وهم عماته وهم اخواله ، وفيهم نشئ وعلى ارضهم نشأ ...

عادوا ليطالبوا محمدا الابن والاخ وابن الاخت برد اموالهم واولادهم وسلامهم عليهم ، يقولون له انه ليس في الأسر سبايا من هوازن بل في الاسر اهله وعشيرته .. في الاسر عماته وخالاته .

واطرق عليه الصلاة والسلام طويلا ، في حين استمر قائل القوم في مقاله ، وقد عرف انه مس الوتر الحساس من قلب الرسول الوفي الكريم ..

اليوم غير الأمس الذي تولى وذهب وقد تقارب الاخوان ، والتقى الاهل والاحبة ، وليجمع الشمل كل الشمل وقد لفه كله رباط الاخاء الاسلامي ولا شيء بعد ذلك ، فهوازن قد دخلوا في دين الله ، واقروا بوحدانيته ، وبان محمدا عبده ورسوله - لا شيء عليهم اليوم وهم فعلا اخوة محمد .. وسلالتهم عماته وخالاته وحاضناته اللاتي كفلنه - ان يطالبوا برد اموالهم ، فاموالهم ودماؤهم من اليوم حرام على اخوانهم في الله ..

واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رضا ما طلبه منه اهل هوازن .. وباتها من لحظات كانت هي قمة النصر الأكبر الذي احرزه دين الله وحققه محمد رسول الله ..

وجاء رجال محمد يقولون ان بين السبايا عجوزا تدعي انها اخته ..

وتقدمت الشيماء في حلم وهدوء !! يا الله !! لقد غامت عينا محمد تحت قطرات من دموع خفيفة .. وقلبه الحنين .. وجه حليمة بنت ذؤيب السعدية يطل عليه من وراء الحجب مشرقا بالأمل .. يل يعود اليه الآن وراء رأى العين .. حليمة الطيبة .. حليمة البرة العطوف الحانية .. الوجه الذي طالما أطل عليه في مهده ، واشرق عليه بالحب والرعاية يتقدم منه في صورة الشيماء ..

انه صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكرها .. يذكر هذا الوجه ، ويحس امام حرارة الذكرى السنين والقلوب وشتى التجاعيد .. يتلاشى العجوز الهرمة التي كانت تتقدم ويرى الشيماء .. الطفلة التي كانت تكبره ببضع سنين ، والتي طالما حملته وصحبته لما اشتد عوده قليلا ، وخرجت به الى المراعي ، وراحا معا يرعيان الاغنام ..

الشيماء اخته .. اجل اخته وانه اخوها ..

وهتف محمد ينطق باسم الشيماء .. وتهلل الوجه المحسن وطفقت ملامحه بالسعادة ، ووقفت صاحبته تقول في انفعال .. انا الشيماء يا اخي محمد الصغير .. ايها القرشي الطيب الذي لم تستطع الاعوام ان تأتي على ذاكرته ، وابت مكانته النسابية الا ان تزيده قربا من اهليه ولو تبدل بهم وجه الدنيا ، وتغيرت الاحوال ..

وقام رسول الله الكريم صلى الله عليه وسلم من مكانه يرحب باخته الشيماء ، ويضرب اروع المثل في الحب والرعاية عند رؤية الاهل وذوي القربى .. قام محمد يرحب بالشيماء واعد لها مجلسا الى جانبه اجلسها فيه ، واقبل عليها يغمرها بالبر والحب والحنان ، وبالغ في اكرامها والترحيب بها ، ثم خيرها بين ان تبقى معه وفي رعايته ، او تعود فتلحق باهلها مسلمي هوازن الذين دخلوا في دين الله ..

لم تكن الشيماء تعدل بجوار محمد شيئا في الوجود ، وما كان اسعدها حين طلب اليها البقاء في جيرته وحماه ، ولكن .. كان لها في قومها الأهل والولد .. وكان لها في ارض هوازن الحنين والذكريات .. واذا هي بعد تفكير تقول انه يسعدها ان تكون في جوار محمد .. ولكن لا بأس ان تعود الى اهلها فهي في سن لا تسمح لها بالاغتراب والابتعاد ..

واكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفادتها ، ووصلها بصلات عديدة ، ولمس لها العافية وتركها تعود مع وفد هوازن وسائر من كان في الأسر من النساء والاولاد .. ■■

سنية قراعة



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

مرض البول السكرى يؤثر على النظر

● والدتي مصابة بمرض البول السكري ، ويلاحظ ان قوة ابصارها تقل . وقد قيل لي ان ذلك بسبب مرض السكر . فهل هذا صحيح ؟

ــ تأثر قوة الابصار عند المصابين بمرض البول السكري يرجع الى سببين، الاول : هو التغيرات التي تحدث في عدسة العين . والثاني : هو التغيرات التي تحدث بالشبكية . والتغيرات التي تحدث بالعدسة يمكن التغلب عليها في اول المرض بالعلاج . اما اذا كانت قد حدثت منذ زمن طويل فلا يمكن لعلاج السكر ان يقلل من حدتها ، وعادة تنتهي بحدوث السدة السكرية Diabetic Cataract والعلاج الممكن في هذه الحالة هو اجراء عملية لاستخراج السدة ثم وضع نظارات طبية .

وفي الحالة الثانية ،وهي التغيرات التي تحدث بالشبكية فانها تكون ببطء شديد دون ان يلاحظها المريض سواء كان المريض تحت العلاج او بدون علاج ، وسواء كان المرض شديدا او خفيفا ، ويستغرق ظهور هذا عادة حوالي عشرة اعوام الى عشرين عاما ، واغلب المصابين هم المرضى فوق سن الخمسين ، ونظرا لان هؤلاء معرضين ايضا لامراض ضغط الدم وتصلب الشرايين ، فان التغيرات التي تحدث بالشبكية تؤثر تأثيرا مباشرا على الشبكية مما يؤدي الى ضعف قوة الابصار تدريجيا عادة ، ما لم يحدث نزيف شديد بالشبكية والجسم الزجاجي الذي يؤدي الى فقد البصر المفاجئ ، وحتى لو تحسنت الحالة تدريجيا بامتصاص هذا الدم ، فهؤلاء المرضى معرضون بعد ذلك للاصابة بانفصال الشبكية Retinal Detachment وفقد الابصار ، ولا يوجد حتى الآن علاج فعال لمثل هذه الحالات مع الاسف الشديد ،ولا نجد ما ننصح به سوى عرض الوالدة المريضة على طبيب اخصائي في امراض العيون لاستشارته ، ونأمل ان تكون حالتها ناشئة من مرض السدة السكرية الذي يعالج بنجاح بالجراحة .

البكتريا في البول

● ماهي الامراض والالتهابات التي تؤدي الى ظهور البكتريا في البول، وما هي انواعها وما هو علاجها ؟

ـ يوجد الجراثيم أو « البكتريا » في البول في كثير من الامراض والالتهابات التي تصيب الجهاز البولي التناسلي ومن اهمها الآتي

(أ) التهابات خاصة نوعية مثل درن الجهاز البولي والسيلان

(ب) التهابات عامة وهي تصيب :

١ ـ الكلية : الالتهاب الحوضي الكلوي الحاد والمزمن ، الالتهاب الكلوي المنتشر الحاد والالتهاب الكلوي المزمن ـ دمل الكليه Renal Carbuncle

٢ ـ الحالب : التهاب الحالب الحاد والمزمن المصاحب لالتهابات الكلية .

٣ ـ المثانة : التهاب نادرا ما يكون اوليا وعادة يتبع التهاب الكلية او البروستاتا او قناة مجرى البول كذلك وجود جسم غريب أو حصو بالمثانة تسبب التهابها .

٤ ـ التهاب قناة مجرى البول وغالبا ما يكون مصحوبا بالتهاب البروستاتا .

وتختلف الجراثيم باختلاف السبب وتشخص الحالة بواسطة تحليل البول وفحصه ميكروسكوبيا وزراعته ، واحيانا بحقنه في فئران التجارب بحثا من عصيات الدرن . كذلك بواسطة تحليل الدم .

والعلاج يكون بزراعة البول واختبار حساسية الميكروب لطائفة من المضادات الحيوية ومضادات الجراثيم .

هذا بالاضافة الى الراحة العامة ورفع مقاومة الجسم وازالة كل الانسدادات في مجرى البول كالضيق والحصو والاجسام الغريبة ومعالجة البؤر الفاسدة في الجسم .

الاغماء واسبابه

● كثيرا ما نسمع عن ان شخصا اغمي عليه ـ فما هو الاغماء ؟ وما اسبابه ؟ .

ـ الاغماء هو ان يفقد الشخص الوعي لمدة وجيزة ، وذلك لنقص حاد في كمية الدم الذاهبة الى المخ .

واسباب ذلك عديدة منها ـ

امراض بالقلب ـ عندما يحدث ان تعتري القلب نوبات مفاجئة في سرعة دقاته او قلة عدد دقاته ، وهذا يحدث عادة في الاضطرابات العصبيه . وكذلك يحدث الاغماء في بعض الاحيان لسبب مرض ضيق صمام الأبهر او الميترالي ، والذي يحدث عادة من روماتيزم القلب ويحدث الاغماء في مثل هذه الحالات عند القيام بأي مجهود عضلي ـ

كثيرا ما نسمع حدوث الاغماء في الاضطرابات العصبية ، عند الفزع ، كسماع خبر مفاجيء ، او مشاهدة حادثه رهيبه وشدة الجوع ـ أو التواجد في اماكن مزدحمة خانقة تساعد على حدوث الاغماء .

ـ هبوط مفاجيء في ضغط الدم عند الوقوف المفاجئ ويحدث هذا في المرضى الناقهين ، واصحاب الاجسام الهزيلة بعد مرض ، أو في حالة تعاطي الاقراص التي تسبب هبوطا في ضغط الدم كما هو الحال في علاج ارتفاع ضغط الدم .

ـ في المرضى الذين يعانون من التهاب مزمن بالشعب الهوائيه ، وتصيبهم نوبات شديده من السعال تكون مصحوبه باغماء الى أن تنتهي النوبه الشديده .

واذا حدث الاغماء ، احس المريض

الصداع النصفي
او مرض الشقيقة

● من ان لآخر اصاب بصداع يشمل نصف راسي مع زغللة « عدم وضوح الرؤيات » في النظر ، وقد جربت علاجات كثيرة ولم استفد شيئا، فارجو النصيحة والمشورة ؟

ـ رسالتك لم توضح بالضبط الاعراض التي تعاني منها ولهذا فاني انصحك باستشارة احد الاطباء الاخصائيين ، اذان هذه الحالة قد تكون المرض المسمى بالشقيقة او الصداع النصفي Migrane او قد تكون عرضا لمرض الجلوكوما « الماء الازرق » في العين Glaucoma وهذا المرض الاخير فيه خطورة شديدة على قوة الابصار واذا لم يعالج فقد ينتهي بالعمى .

الصداع النصفي Migrane يصيب البالغين والشباب وعادة يبدأ المصاب به في سن الحادية والاربعين او مع نوبات تحدث على فترات منتظمة، وقد تستغرق النوبة الواحدة دقائق « حوالي ثلث او نصف ساعة » او تستمر لعدة ايام « يومين او ثلاثة » ولهذا النوبة صحاة باختلال في النظر مع عمى مؤقت في التجانس لميدان النظر . او قصور في النظر يوصف بانه كالضباب واحيانا تبدو في هذا الجزء الوان كالوان الطيف ذات حدود متعرجة تتحرك بخطء خلال خمس عشرة دقيقة الى ثلاثين دقيقة من منتصف ميدان النظر الى طرفه او حده الخارجي، ومع هذا التحرك تعود الرؤية بوضوح في الجزء الاوسط مع غشاوة للبصر في الجزء الخارجي . يصاحب هذه الاعراض او يليها تنميل في الشفتين واللسان واليد واحيانا ثقل في الكلام او شلل نصفي . يبدأ الصداع بعد انتهاء غشاوة البصر عادة في منطقة الصدغ ثم ينتشر ليشمل الراس والوجه وقد يستمر لدقائق او عدة ساعات او اياما، ويختفي بعد نوم عميق او تعاطي مسكن للصداع كالاسبيرين او مركبات الارجوت او المضادات للحساسية او باصلاح عيب في النظر بوضع نظارات طبية .

لا يتسع المجال هنا لوصف الجلوكوما « الماء الازرق »(1) ، وكما نصحت في اول هذه الاجابة ارجو عرض نفسك على طبيب عيون حالا للاستشارة الطبية . ■

(1) انظر عدد « العربي » رقم ١٠٩ بتاريخ ديسمبر ١٩٦٧ .



يعانيان مع الاحساس بهبوط في منطقة المعدة ـ يلي ذلك فقدان للوعي مدة ثوان او دقائق ، مع شحوب في الوجه ، ويكون الجسم مغطى بعرق والنبض ضعيفا ـ وربما يسقط المريض على الارض ويجب عندما يكون في وضع افقي او ترفع ارجله، لتتمكن كمية اكثر من الدم من الذهاب الى المخ . ويجب ان ينقل المريض الى مكان هادئ بعيدا عن الزحام ، وتفك اربطة العنق ـ ويساعد المريض على الافاقة باستنشاقه كولونيا او نشادر او حتى بصب ماء بارد على وجهه .

ويجب ان يعرض نفسه على طبيب ليعرف سبب هذا الاغماء ، وعلاج السبب .



الاحسان والاساءة

● شكا يزيد بن اسيد الى المنصور ما اصابه من العباس اخ المنصور فقال للمنصور: اجمع احساني اليك مع اساءة اخي فانهما يتعادلان . فقال : اذا كان احسانكم الينا جزاء لاساءتكم كانت الطاعة منا لكم تفضلا .

هـو

● جاء رجل الى ابن عقيل فقال : اني كلما انغمس في النهر غمستين وثلاث لا اتيقن ان الماء قد غمسني ولا اني قد تطهرت فكيف اصنع ؟ قال له : لا تصلّ . فقيل له كيف قلت هذا ؟ قال :

البلاغة أنجتهم

● حكي ان الحجاج امر صاحب حرسه أن يضرب كل من يجده يمشي في الكوفة بعد العشاء . فطاف ليلة فوجد ثلاثة شبان يتمشون وعليهم اثر الشراب ، فقال لهم صاحب الحرس من انتم ؟ خالفتم الامير وخرجتم في هذا الوقت ،

فقال احدهم :

أنا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وخادمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة ... ياخذ من مالها ومن دمها

فسكت عنه ، وقال لعله من اقارب الخليفة .

وقال الثاني :

أنا ابن الذي لا ينزلُ الدهرَ قدرُه ... وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره ... قيامٌ لها من حولها وقعود

فسكت عنه ، وقال لعله من اشراف العرب .

ثم سئل الثالث فانشأ يقول :

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه ... وقوّمها بالسيف حتى استقامتِ
ركاباه لا تنفكُّ رجلاه منهما ... اذا الخيل في يوم الكريهة ولّت

فسكت عنه وقال لعله من اشجع العرب . فلما جاء الصباح جاء بهم الى الحجاج فكشف عن امرهم فاذا الاول ابن حجام ، والثاني ابن طباخ ، والثالث ابن حائك . فاعجب الحجاج بفصاحتهم فاطلقهم وقال لجلسائه علموا اولادكم الادب ، فوالله لولا فصاحتهم لضربت اعناقهم .



في العدل

سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب القرظي ، فقال : صف لي العدل يا ابن كعب ، قال : بخ بخ سألت عن أمر عظيم ، كن لصغير الناس أبا ، ولكبيرهم ابنا ، وللمثل منهم أخا ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم ، ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتكون من العادين .

مجنون

لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم عن ثلاث : عن الصبي حتى يبلغ ، وعن النائم حتى ينتبه ، وعن المجنون حتى يفيق » ، ومن يحبس نفسه في النهر مرة أو مرتين أو ثلاثا ويحس أنه ما اغتسل فهو مجنون .

تنبأ بالمطر

● قال رجل من الأعراب ضرير البصر لابنته وهي تقوده في المرعى : يا بنية انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها قرون المعزى . قال : ارعي ، فرعت ساعة ، فقال انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها خيل دهم نحر جلالها . قال ارعي ، فرعت ساعة ، ثم قال : انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأن السحاب نعام تعلق بالأرجاء من السماء ، قال : ارعي ، ثم قال انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : ابيضت واسودت ودنت ، فكأنها مبن بصبر تطرف . قال : انج ولا أراك ناجية .

● ● ● ● ●

نأخذ ما أعطينا

● كان لأبي حمزة الأعرابي زوجتان ، فولدت إحداهما ابنة فعز عليه ذلك ، واجتنبها مدة وصار في بيت ضرتها الى جنبها ، فاجتاز به يوما في بيت صاحبتها ، فجعلت ترقص ابنها الطفلة وتقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا ... تالله ما ذلك في أيدينا
بل نحن كالأرض لزارعينا ... تنبت ما قد زرعوه فينا
وإنما نأخذ ما أعطينا

فعرف أبو حمزة ما فعل وراجع امرأته .



بقلم : عصام قدوره

■ لم يكن أحد غيره في حياتها ، كما كانت هي كل شيء في حياته . فبالإضافة الى رابطة القرابة بين عائلتيهما ، فقد تجاورا في السكن ، كانت الصلة بينهما دائمة ، ولم تعرف الفرقة طريقها اليهما في اي فترة من الزمن ، سواء خلال أيام الدراسة او في الاجازات التي كانا يقضيانها في اوجه من النشاط بروح مختلفة .

وحتى بعد أن أنهت الدراسة الثانوية تمام أحلامهما .. التحقت غادة بمعهد السكرتارية ـ اما وحيد فقد اخذ يدرس الصيدلة ويعمل في بعض الوقت في احدى الشركات المنتجة للأدوية .. وقد اعتاد أن يأتي الى بيتها بعد انتهائه من عمله في كل مساء ليقص عليها كل شيء يجري له خلال النهار . وكانت غادة تجلس الى النافذة المطلة على منعطف الشارع تنتظره . وما أن تلمحه وهو مقبل حتى يرتجف قلبها سرعة وحنانا .

كان وحيد فارع الطول ، [illegible] نحيفا ، [illegible] لسمرة .. ومع مرور كل يوم كان يزداد [illegible]

وجمالا في نظر غادة . أما هي فلم تمنحها الطبيعة قسطا وافرا من الجمال . فقد كان جمالها من النوع العادي الذي بالكاد يجذب الانتباه .. ولهذا السبب كانت عندما تقف أحيانا امام المرآة تظهر مخاوفها خشية أن يميل وحيد الى فتاة غيرها ، وعندما كانت تفضي بهذه المخاوف اليه يجيبها ضاحكا

منها المرة : انت الأولى والأخيرة في حياتي ، لا بل انت كل شيء في حياتي !! .

لم تكن غادة تتصور مستقبلها بغير وحيد .. ولقد باتت تمنيها لليوم الذي يجتمعان فيه معا كان يملأ حياتهما البهجة والسعادة .. ولم يكن لديها أي شك في أن ذلك اليوم لا بد آت ..

وقبل أن يحين عيد ميلادها [illegible] جاء وحيد الى والدتها تقول « لقد [illegible] فكر [illegible] غادة الغالي يا [illegible] . فهلا [illegible] لو أني احضرت لها هدية هي عبارة عن خاتم خطبة ؟ » [illegible] نظر والدتها الى [illegible]



[illegible]
ولكني اشترط ان [illegible] قبل ان [illegible]
[illegible]

كانت سعيدة عادة عازمة . فالتفتت الى ابويها تسألهما وقالت بفرح بالغ : « [illegible] انا [illegible]
[illegible]

« وسيكون بيننا صغيرا نطوف بالاولاد والبنات » .
حتى عادة سماع ذلك [illegible] وغمرتها سعادة [illegible]

وعاشا مع هذا الحلم طيلة [illegible] اعقبا العجيبة .. فكانتا من اطيب سنوات حياتهما ..
اسعدت عادة في غضون ذلك سكرتيرة في احدى

الشركات الكبرى ، وتابع وحيد دراسته وعمله واخذ كل منهما يعمل وقتا اضافيا في سبيل توفير مبلغ من المال يدخرانه قسطا اول من ثمن بيت المستقبل .. ومع مرور الايام كان حبهما يزداد وتعمق جذوره وامانيهما تطير الى ذلك اليوم الذي يتوجان فيه حبهما بالاقتران معا فيصبحان زوجا وزوجة ..

وانعكست عليهما شمس العشرين تحمل اليهما اشعة مشرقة جعلت عالمهما الحالم دافئا .

اخذت مسؤوليات وحيد في عمله تتضاعف ، وانعدمت اوقات فراغه او كادت . وعندما كان يأتي الى فادية في المساء كانت تراه متجهما كأنما يحمل ثقل الدنيا على كتفيه . فحديثه اصبح مقتضبا كأن كلماته كانت محسوبة عليه وابتسامته اصبحت باهتة .. وحارت فادية في تأويل موقفه هذا الجديد ..

وبلغت المشكلة ذروتها في احدى الامسيات عندما كانا يزمعان الخروج معا لمشاهدة احدى المسرحيات الشهيرة التي كانا يتطلعان لمشاهدتها منذ فترة طويلة . اتصل وحيد هاتفيا بفادية ليقول بصوت اجش : « يؤسفني جدا يا فادية عدم تمكني من الذهاب . فالواقع لا ادري ما اصابني . فأنا اشعر بتعب شديد لا استطيع معه الذهاب الى المسرح » .. احست فادية كأن يدا باردة قد امسكت بقلبها تعصره عصرا . وانتابتها هواجس شتى في تلك اللحظة ، وانتابها شعور مبهم ان هناك خطبا جللا قد حدث .. ولم تدر كيف وصلت الى بيت وحيد . وعندما دخلت وجدت امه في حالة من القلق الشديد . وعلمت منها ان وحيدا ملازم في الفراش . وقالت لفادية : « انني لا اعرف ما الم به . وعلى كل حال اذا لم يتحسن في الغد استدعينا الطبيب » ..

في اليوم التالي اخذت فادية تتخبط في عملها .. وما كانت تفرغ من خطأ الا لتقع في آخر . كان تفكيرها منصبا طيلة الوقت حول وحيد وما الم به في الامس . وشعرت ان عملها في ذلك اليوم ثقيل ممل .. وما ازفت لحظة الانتهاء من العمل حتى اسرعت الى بيت وحيد وهي مشدودة الاعصاب مرهقة .. وعندما نظرت الى وجه امه ادركت ان مخاوفها كانت في محلها ..

ومع ظهور صباح اليوم التالي نقل وحيد الى المستشفى .. وبدأت سلسلة الحوادث الرهيبة . لقد كانت اشبه بكابوس بالنسبة لفادية .. لم تكن تعرف ما يدور حولها او ما يشكو منه وحيد . فلم يخبرها احد . واخفى والده عنها كل شيء .. كانا يتهربان في كل مرة تطرح فادية الاسئلة للاستفسار عن حقيقة ما يشكو منه وحيد ..

واصبحت تعيش في دوامة من الوساوس والشكوك حتى كادت تفقد عقلها .. ولم تعد اعصابها تحتمل ..

وفي يوم ، ذهبت الى بيت وحيد لتسأل والديه عن اخباره وهي تجهش بالبكاء . نظر والد وحيد الى زوجته وانتصب بعد على وجهه ، ثم وضع ذراعه على كتفها قائلا : « اعتقد ان من حقك ان تعرفي يا فادية . لقد كان علينا ان نخبرك قبل الآن ، الا اننا اخفينا الامر عنك على امل ان يكون الاطباء مخطئين . اما الآن فلا بد من القول ان علينا ان نواجه الحقيقة ، ولو انها مرة . اعلمي يا بنيتي ان وحيدا سوف لن يتحسن » .. وما ان انهى كلامه حتى انهار وراح يبكي كالاطفال ..

لم تر فادية رجلا يبكي من قبل . وجلست تحدق به في دهشة ما سمعت اذناها ومتسائلة اي نوع من الجنون اصابه وجعله ينطق بتلك الكلمات وينصرف بمثل هذه الطريقة .. واخذت والدة وحيد تتحدث الى فادية وهي لا تفهم كلمة مما تسمع . كان هناك شيء غريب في الدنيا . وكل ما وعته هو حركات شفتيها . ثم نظرت فادية الى عينيها ورأت الحقيقة فيهما ، وراحت في غيبوبة تامة ..

ولما رجعت الى وعيها ثانية وجدت نفسها راقدة على سرير . كانت تستطيع سماع صوت السيارات في الخارج . فالحياة كانت تسير كعادتها خارج البيت . لم يكن بامكانها ان تصدق ما سمعت قبل قليل .. ان كل شيء كان يسير طبيعيا في حين تحيط بها مأساة مفجعة . كيف يمكن ان يحدث هذا .. ونظرت حولها فوجدت

بجانبها والدة وحيد تبكي قائلة : « ان مرضه في الدم .. وهو من النوع النادر الذي لا شفاء منه .. ويقول الاطباء انه قد يعيش سنتين اخريين مع العناية الفائقة » . ثم اردفت تقول برجاء « فلنجعل هاتين السنتين من عمره سعيدتين » ..

ـ « سافعل اي شيء ، اي شيء في سبيل ذلك » . اجابت فادة وهي تغص بالبكاء ..وراحت افكارها تتصارع بلا هوادة وتدور حول شيء رهيب ـ وحيد سيقضي نحبه ويتركها .. لم تستطع حتى ان تتصور الحياة بدونه ..

وانقضى شهر خرج بعده وحيد من المستشفى.. كان يستطيع الحركة والقيام بالاشياء التي لا تتطلب جهدا كبيرا .. وكان ابعد من ان يخبره بالحقيقة . فقد اصر على معرفة علته وهو في المستشفى .. وتوجه رأسا الى فادة ليكون معها مرة اخرى بعد فترة طويلة .. واجتمعا ثانية دونما كلمة من كليهما ..

وقطع وحيد الصمت يسألها : « هل تقبلين بي الآن زوجا يا فادة ؟ .. انني اريد ان نبقى معا بقدر ما نستطيع ، ونستمتع بالوقت الذي بقي لنا » .. ولم تجب ، بل طوقت رأسه بذراعيها وقبلته والدموع تتراقص في عينيها ..

ساعدتهما عائلتاهما في ايجاد بيت صغير واعداده وترتيبه .وانتقلا اليه بعد حفلة زفاف عائلية . .واصبحا معا سنة بهيجة طرزها الحب والسعادة .. كانت فادة في اواخر كل ليلة تتوجه الى خالق الكون بالشكر على ما اولاها من وقت حلو ـ مر ، معا . وتبتهل اليه بالصلاة لعل معجزة تحدث .. ثم توالت الايام التي كثر فيها تغيب وحيد عن عمله ليقصد فريق الفراش . واصبح لكل دقيقة عندهما ثمنها الذي لا يقاس بشيء في الوجود .

واخذت حالته تسوء اكثر فاكثر . وكان لا بد من اعادته الى المستشفى ... ولكنه عندما رجع الى البيت هذه المرة لم يمش على قدميه بل نقل على حمالة الى غرفة النوم رأسا ... وعرفت فادة عندها انها بداية النهاية ...

احضرت له فادة مذياعا وآلة تسجيل ليستمتع بسماع الموسيقى الكلاسيكية وهو في سريره . وقضت معه الساعات محاولة ما وسعها ان تجعل كل شيء يبدو من حوله بهيجا ...

كانت عائلتاهما تترددان عليهما بين الحين والآخر للاطمئنان على وحيد ولتقديم المساعدة اليهما حيثما لزمت . وفي لحظات انفرادها مع امها كانت فادة تجهش في بكاء مر كانما تجد عند امها ملاذا من اللوعة والاسى اللذين اتخذا من نفسها مرتعا خصبا . فكانت تشكو اليها الهم الفادح الناشيء وما اصابها في شريك عمرها وهو في اول طريقه معها .... ولم تكن الام لتجد تعزية لابنتها خيرا من مشاركتها البكاء والاستزادة فيه . ثم ترفع يديها نحو السماء داعية : « الهي ارحمهما وخذ بيدهما في هذه المحنة وفرج عنهما كربتهما».

ومع ان فادة كانت تشعر بشيء من الراحة لزيارات عائلتها وعائلة وحيد ، الا انها كانت تريد ان تستغل كل دقيقة بل كل ثانية لتظل مع « وحيدها » دون ان يشاركها في وقتهما احد ...

اخذ وحيد الآن يشكو من آلام مضنية معظم الوقت . لكنه كان يجاهد بشكل رائع محاولا ما امكنه ان لا يجعل فادة تقاسي معه ... وكان الليل هو اكثر ما ارهقت فادة وقاست منه ، فكان ممضا طويلا يحمل معه الالم والعذاب لوحيد.

ولم تعد الحبوب المنومة التي يتعاطاها وحيد تفعل فعلها ، وذهب منها ذلك التأثير الذي كان لها في بادىء الامر .. وبعد يأس من وجود طريقة تساعد وحيدها على النوم بضع ساعات يجد فيها الهدوء والسكينة ، اتصلت فادة بالطبيب تسأله ان كان باستطاعتها مضاعفة الحبوب المنومة . فلم ينصح الطبيب بذلك . ووصف له نوعا من الحبوب اقوى تأثيرا ، لكنه حذرها من عدم تجاوز الجرعة من حبة واحدة كل ليلة بأي شكل من الاشكال ، قائلا : « اذا تجاوز مقدار الجرعة فقد يكون الخطر ، كل الخطر في ذلك » ...

وفي يوم عاصف من ايام الشتاء ، اشتدت الآم وحيد واخذت تشتد الى درجة البكاء .... ومع حلول ظلام الليل البهيمي على نفسه زادت

الآمه فيجعل يستغيث كالطفل بغادة ان تعمل له شيئا ، اي شيء لتخفف عنه الآم البرحة .. فاعدت له فنجانا من الشاي واحضرته اليه ليشربه مع حبة من النوم الجديد .. وتنبهت للزجاجة الصغيرة التي تحوي الحبوب المنومة مد لها وحيد يده قائلا وفي عينيه الدموع : « اقتربي مني يا حبيبتي ارجوك » ...

جلست غادة بجانبه لتمسك يده برفق ، وبيدها الاخرى لا تزال ممسكة بالزجاجة . ثم انحنت لتقبل وجهه الشاحب .. وسألها بصوت يكاد يكون همسا : « ما مقدار حبك لي يا غادة » ؟ !
فاجابت وهي تغالب نفسها لتحبس دموعا في عينيها : « حبذا لو كانت هناك كلمات تكفي لاعبر بها عن حبي لك يا وحيد » ...

ــ « اذا ساعديني ارجوك » . قالها بتوسل ..

ــ « ان مساعدتك واجب مقدس علي يا احب احبائي .. انك تعرف انني سافعل المستحيل في سبيل مساعدتك » .

ــ « حسنا ، اعطني الحبوب المنومة يا غادة ، اعطنيها » ..

لم تفهم غادة في البداية مارمى اليه ، ثم صرخت في فزع : « لكن .. لا استطيع يا وحيد . لا يمكنني ذلك . لاتطلب مني ان افعل ذلك اي شيء غير هذا يا وحيد ! ..

ــ « الا تحبينني يا غادة !! » قالها همسا ، مشيحا بوجهه عنها .

ــ « انهي ذلك انا ... اعطني الحبوب . فلا طاقة لي على احتمال الالم اللعين بعد الآن » ..

وشد من قبضته على يدها رغم ما به من وهن ؛ كأنما يريد ان يؤكد لها ان ذلك هو السبيل الوحيد لكي تبرهن له على صدق احساسها نحوه وحبها له . وبحركة لا شعورية ضغطت هي على زجاجة الحبوب التي في يدها الثانية . وابتعدت بها قائلة : « اتوسل اليك يا وحيد ان تطلب اي شيء مني غير هذا » ....

ــ « بل هو الشيء الوحيد الذي اطلبه . ولن اطلب شيئا بعد ابدا ... خلصيني من الجحيم الذي اعانيه . « انقذيني بالله من هذا الالم الذي يعذبني » ..

قال ذلك بانفعال بالغ ينطوي على تصميم واضح جعل غادة تدرك خطر الموقف الذي هي فيه ... وتزاحمت في رأسها افكار مشوشة شتى في احرج لحظات حياتها هذه .. وطغى على هذه الافكار تساؤل رهيب ملح : (هل تعطيه جرعة مميتة من الدواء الذي في يدها لتخلصه من الآمه ؟ ام ترفض اعطاءه وتدعه في عذاب من الالم ليعيش على امل كاذب في حدوث معجزة بالعثور على علاج شاف لمرضه !!) ....

واجتاحتها قشعريرة ، واخذت اطرافها تهتز في رجفة قوية . وحاولت ان تنطق بكلمات جديدة علها تثني وحيدا عما اعتزم . فاستعصت عليها الكلمات وخانها اللسان . وشعرت بجفاف مطبق في حلقها . ولم تجد امامها سبيلا الا ان تبتعد عن وحيد مستجيبة لنداء قلبها الصارخ ان لا تلبي طلب حبيبها فاخذ وحيد يشدها اليه محاولا في يأس ان ينقض على زجاجة الحبوب ليلتهم بها . فراحت تمد يدها الممسكة بالزجاجة بعيدا ... واخذ كلاهما يلهث في صراع [illegible] ... ولاحظت غادة الجهد المستميت الذي كان يبذله وحيد في صراعه معها من يأس مروع . فادركت ان الغلبة ستكون له ... ولمعت في رأسها فكرة ما لبثت ان عملت على تنفيذها .. وبسرعة البرق وجهت يدها القابضة الى فمها وافرغت محتويات الزجاجة في جوفها ...... واستسلمت اليه بهدوء وارخت رأسها على صدره وهي تردد في همس :

« حبك طاغ يا اعز حبيب ... احبك يا وحيد .. احبك .. احبك .. احبك .. »

وبردت يدها في يد وحيد . وكان لايزال فاغرا فاهه من المفاجأة ... ■

عصام القوره



بحثاً عن الذات

■ تعذّبتُ هذا التعرّي طويلاً وتُقتُ صبيّاً إلى رؤيتِهْ

وكنتَ أريجَ الهضابْ

وطيفَ دُجى السحابْ

تخيّلتُ أني أحسُّ لهُ ما يزالُ يُرفرفُ في جنبِهْ

فلو لم تُربّي النقابْ

ولو لم تُريقي الشبابْ

لظلَّ لتأمُّلُ حبّتنا بقلبي وكنتُ أتوهُ إلى دوحتِهْ

أكُلُّ اشتهاءٍ سرابْ؟

وكُلُّ انكشافٍ يبابْ؟

وكُلُّ احتماءٍ وراءَ السجوفِ عقارُ التقيِّ في ظُلمتِهْ؟

دعيني، أقلِّبْ حبّي

لأرضي، لجنسي، لربّي

ولا تفرضي سطوةَ المغرياتِ على مَنْ تمرّقَ في غربتِهْ

وُلدتُ بأرضِ حلبْ

وتُهتُ بليلِ الشبابْ

وعالمُ حبّي بعيدٌ، بعيدٌ وقلبي يحِنُّ إلى رفقتِهْ ■■

خالد محيي الدين البرادعي

(بقية المنشور على صفحة ٧)

تعداد سكان نيجريا

● نشرتم في العدد ١٤٥ من العربي أن تعداد سكان نيجريا يبلغ ٦١ مليون نسمة . بينما صحة هذا الرقم هو ٤١ مليون نسمة ، وهو الرقم الذي ذكرته في اجابتي على المسابقة . ويمكنكم التأكد من صحة هذه الارقام عن طريق الرجوع الى الاطلس العربي (طبعة ١٩٦٧) حيث يذكر ان عدد سكان نيجريا هو ٣٨ر٦٣٢ر٠٠٠ نسمة (تقدير ١٩٦٥) كما ذكر الاطلس Goode's World Atlas ان عدد سكان نيجريا هو ٣٧ر٦٠٠ر٠٠٠ في يناير ١٩٦٤ .

وعلى هذا يكون تعدادهم اليوم نحو ٤١ مليون نسمة كما ذكرت في اجابتي على المسابقة ، وليس ٦١ مليونا كما ذكرتم في الاجابة .

ابراهيم على الجارنى
المحلة الكبرى/ج٠ع٠م

العربي : نأسف لأن الارقام التي ذكرتها غير صحيحة فالاحصاء الرسمي لسكان نيجريا عام ١٩٦٣ كان ٥٥ر٦٧٠ر٠٥٢ نسمة ، كما جاء في كتاب Stateman's Year Book عام ١٩٧٠ و١٩٧١ بينما يقول الكتاب السنوي لدائرة المعارف البريطانية طبعة عام ١٩٧٠ ان عدد السكان طبقا لاحصائية رسمية اجريت في عام ١٩٦٦ هو ... ٦٢ر٦ نسمة .

* * *

ما رايكم في الحظ ؟

● سألني احدهم : « اتؤمن بالحظ ؟ » .

قلت : « اؤمن ، فقد قال الامام على كرم الله وجهه : « الرزق رزقان ، رزق تطلبه ، ورزق يطلبك » ولكن احد الحاضرين هب واقفا ، وقال : « انا شخصيا لا اؤمن بالحظ ! » .

وطالت المناقشة ، فقررنا ان نكتب لك ، لتقرأ رايك في حديثك الممتع .. حديث الشهر ، الذى تطالعنا به في اول كل شهر .

ثم ما رايكم في اصدار كتاب او عدد خاص من العربي يجمع كل احاديثكم ومقالاتكم الافتتاحية في العربي .

محمد لديم الشيخ
طرطوس — سوريا

تحية للعربي مشكورة

● ان مجموعة مجلة العربي تكون دائرة معارف عربية غنية واشتق كل مثقف حريص على تنمية ثقافته بروافد الفكر الاصيل .

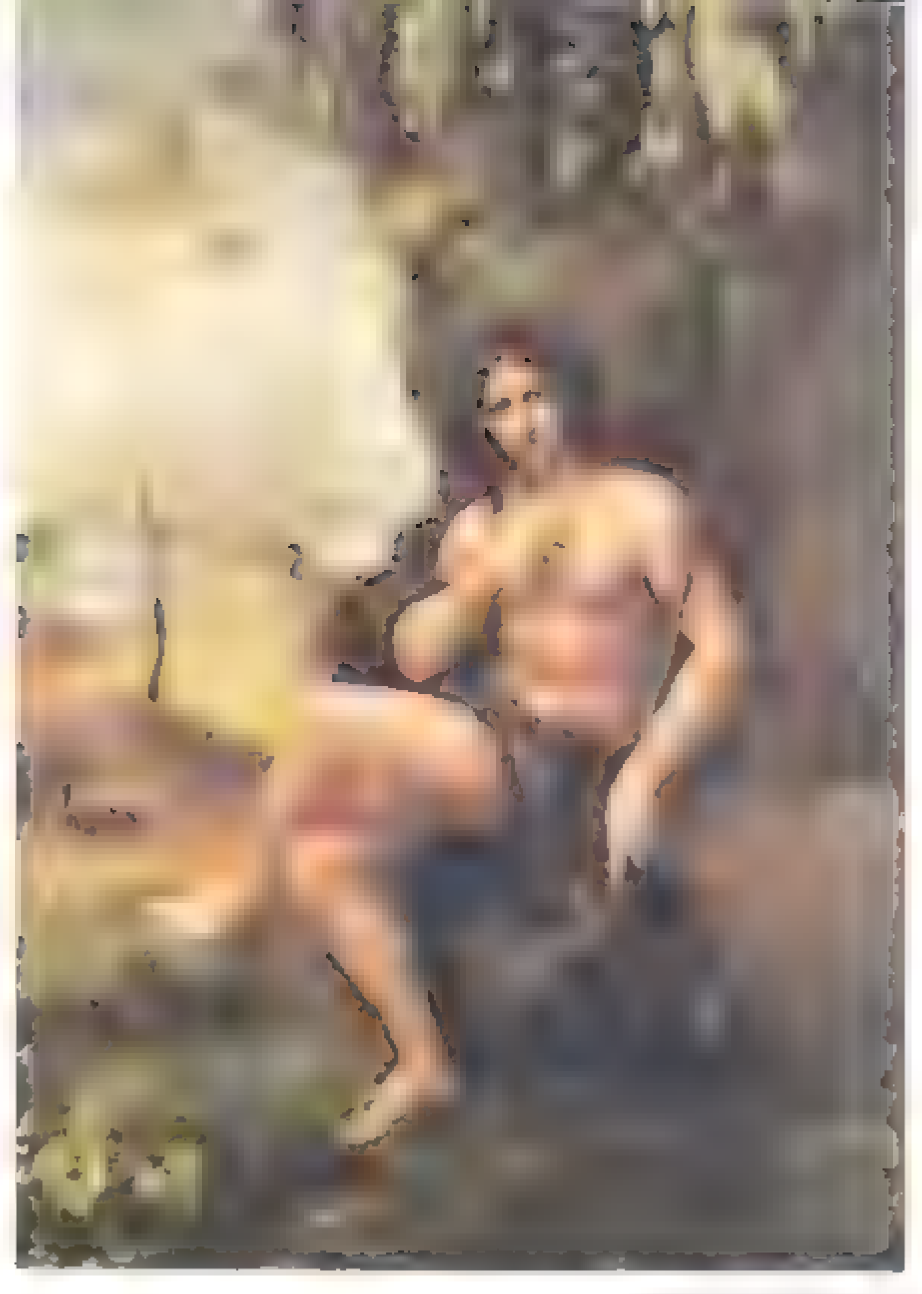
لذلك اسمحوا لي ان اسجل بحق خالص اعجابي ، وعميق تقديري للاثر الكبير الذى تحققه للقارىء العربية في العالم اجمع ، ولذلك لتزويدها اياه الآفاق ، مع دقة فنية ، وامانة علمية ، وبساطة عرض ، ورشاقة اسلوب ، ولوامع فن .... (وسرعة نفاد) .

وكم يطيب لي بين الحين والحين ان ارجع الى اعدادها الشيقة . سيمة وقريبة فارشف منها قدر ما استطيع ، وانتقل بينها كما يتنقل النحل بين الازهار والرياحين ذات الجمال والاريج .

شكرا للعربي ، ورسالته الجليلة ، وايديه البيضاء علينا نحن ابناء العرب .. خير امة اخرجت للناس .

وذير سعيد وذير
بنا — ج ٠ ع ٠ م


العربي
العدد ١٥١
اطلب
مع هذا العدد
جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



من روائع الفن العالمى

عزيزي القارئ :

- ليس في السياسة جديد يستحق الذكر .
فترة الترقب تمتد كل يوم بطئة .

- هيئة الامم تراجعت وتراجع جونار ، وحلت محلهما الولايات المتحدة ووزير خارجيتها .
وقال قوم ان هذا من حيث المبدا خلط وافتئات . واحسب ان الحديث عن المبادىء ، في عهد اهدرت فيه المبادىء ، فكاهة ثقيلة لا يحتملها المزاج الحاضر .

- وطلب روجرز الى اسرائيل ، في جولته ، ان تتزحزح عن القناة ، لتصلح مصر من امر القناة ما تصلح ، وتفتحها من بعد ذلك لسفن الدنيا ، فطلبت اسرائيل لهذا ثمنا : ٥٠٠ مليون دولار ، في نفس الليلة التي دهى فيها الدولار في المصارف العالمية ما دهى . انه الطلق الضيق الشهير . كل ميل من تراجع في سيناء بعشرات الملايين من الدولارات . اخشى ان تفلس الولايات عند بلوغ اليهود العريش . ولكن امريكا لا تبالي ان تدفع . انه الحب . ومن الحب ما قتل .

- وهناك روسيا واقفة تنظر : ليتني استطيع ان اقرا ما يجري في هذا الراس الكبير وراء هذه الجبهه العريضة .

المحرر

١٩٧١/٥/٩

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

[illegible]

■ [illegible] ٨

[illegible]

■ [illegible] ٣

[illegible]

■ [illegible] ٠
■ « في بيتي » اسم كتاب أودع فيه العقاد الكثير من آرائه ٤٨
■ « جمع الجواهر في الملح والنوادر » للحصري ٦٦

استطلاعات مصورة

■ المرأة الكويتية في ميدان العمل (بالألوان) ٨٤
■ عُمان ... [illegible] (بالألوان) ١٠٠

[illegible]

■ [illegible] ٥١
■ [illegible] ٩٤

[illegible]

■ [illegible] ٢٨
■ [illegible] ٤١
■ المدارس النظامية ... [illegible] في القرن الخامس الهجري ١٦٦

[illegible]

■ [illegible] ٦١

[illegible] الأسرة والمرأة

■ في المراهقة : بين الآباء والأبناء ٣٣
■ قلب أم ، صورة من واقع الحياة ١٣٩

شعر ... وشعراء

■ بين الخليفة عمر بن عبد العزيز والشاعر جرير ٨٤
■ [illegible] (قصيدة) ٩٩ ■ [illegible] (قصيدة) ١٩٣

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

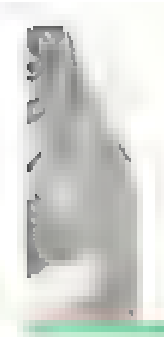
تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت

ALARABY No. 151 June 197[illegible] P.O.B. 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ... [illegible]

الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

المراسلات : توجه باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

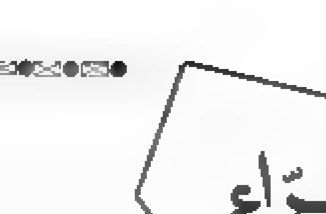
● تعود العربي في هذا العدد الى سلطنة عمان مرة ثانية ، لتقدم استطلاعا عن المنطقة الداخلية في عمان ، حيث مازال الناس يحيون حياة تعود الى قرون سحيقة مضت ..

[illegible]

- في سبيل موسوعة علمية . [illegible] — ٣٤
- [illegible] — ٧٢
- طبيب الأسرة . [illegible] — ٩٦
- امراض شائعة : [illegible] — ١٢١
- البريد في عون الأمم — ٦٠
- الأيوبيون بعد صلاح الدين شر خلف لخير سلف — ٣٠
- المهاتما غاندي .. لمحات من حياته وسيرته — ١٥٤
- [illegible] — ١٠٦
- مكتبة العربي — ١٥١
- من غرائب القضاء . براءة في جناية قتل وسرقة ! — ١٢٤
- الرحل (قصة) — ١٧٢
- من روائع الفن العالمي [illegible]
- [illegible] — ٣
- بريد القراء — ٩
- نتيجة مسابقة العدد ١٢٩ — ١٩
- مسابقة العربي — ٥١
- طرائف عربية — ١٤٤
- طرائف غربية — ١٧٠
- [illegible] — ١٢٨

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلس ، الخليج العربي ١ ريال قطري ، [illegible]

الاشتراك : للاشتراك في المجلة [illegible]



بريد القرّاء

الحيدراباديون اصلهم عرب

● لقد سررت جدا عندما رأيت استطلاع البلاد عمان في العدد (١٤٨) من مجلة العربي فقد كانت هذه اول مرة يشاهد فيها العالم العربي استطلاعا عن عمان ولكني احب ان اصحح ما جاء فيه عن الحيدراباديين . فعبارة تسميتهم بالحيدراباديين ليست صحيحة ، بل يقال لهم (اللواتية) ، والاصح اللواتية نسبة الى (لؤي ابن غالب) الذي عاش في عمان منذ قديم الزمان، ثم هاجر اللواتيه الى بلاد السند واعتنقوا الاسلام ، ثم المذهب الاسماعيلي وبعد ذلك هاجروا الى باكستان والهند كدعاة لنشر الاسماعيلية هناك . اما سبب تسميتهم بالحيدراباديين فلان معظم اللواتية سكنوا حيدراباد ، ولكنهم هاجروا الى بعض اجزاء الهند (كجرات) كچ و (البنجاب) وتأثروا بعادات الهنود ، ثم رجعوا بعد ذلك الى وطنهم الاصلي (عمان) وذلك بعدما احسوا بانهم غرباء في الهند . وهم الآن يسكنون مدينة (مطرح) منذ خمسة قرون ويتبعون مذهب الشيعة (الجعفرية) . وليست لهم اية علاقة بالبانيان الذين يحملون جواز سفر هندي . اما اللواتيه فانهم تابعون لحكومة عمان ويحملون جواز سفر عماني وهم عرب خالص عاداتهم وخطبهم الدينية كلها بالعربية منذ مئات السنين ولهم معارك خاضوها جنبا الى جنب مع اخوانهم العمانيين ضد الاستعمار البرتغالي والانجليز .

عبد الله احمد علي ـ ابو ظبي

مزيدا من العلم

● انا من قراء مجلة « العربي » القراء ، وهم الموضوعات العلمية التي تنشرها .. اعطونا مزيد المزيد .. والاكثر .. والاكثر .. اعطونا المزيد في الكيمياء .. والفيزياء .. والفضاء والذرة والالكترونات وفي الطب .. وسائر العلوم .. نحن ـ العرب ـ في حاجة ماسة للعلم والمعرفة .. وخاصة في الظروف الحاضرة التي تمر بها امتنا العربية ..

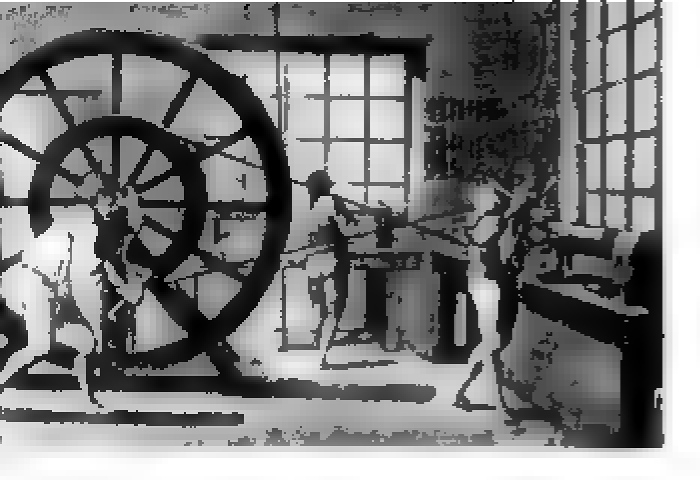
حسن احمد محمد سعدانه
جامعة الازهر ـ القاهرة

المهرجانات السياحية

● بالنسبة للمقال الذي ورد في مجلتكم العربي العدد ١٤٨ آذار ١٩٧١ بعنوان « السياحة في العالم العربي » بقلم السيد محمد خنطاوي فقد كان على جانب كبير من الاهمية وله فائدة سياحية عظيمة وقومية نحن بحاجة اليها .

ولكن الاخ خنطاوي ذكر في مقاله ان في العالم العربي مهرجانا وحيدا يقام في لبنان باسم « مهرجان بعلبك » وفاته ان يذكر المهرجان الذي يقام منذ ثلاث سنوات في مدينة الموصل باسم مهرجان الربيع وفترته من ١٠ ـ ١٨ نيسان من كل عام . وهذا المهرجان يقام ضمن نهضة سياحية للنهوض بالسياحة في العراق وهو في تطور مستمر .

عبد السلام محمد القزاز
جامعة الموصل ـ العراق



بدأت الثورة الصناعية باختراع المكنات تديرها العضلات وحدها كما ترى في الصورة . ثم دخلت قوة البخار ، ومن بعدها قوة الكهرباء تحمل عن الانسان مشقة العمل وتزيد الانتاج كثرة وتزيده سرعة .

اتساع التجارة

واتسعت تجارة اوروبا ، بينها وبين الشرق بعدما كان من اتصال وتواصل عقب الحروب الصليبية ، وبينها وبين امريكا ، القارة الجديدة ، بعد اكتشافها وتأهلها بالناس، وهم من اصل اوروبي .

خروج التجار بالصناعات الى القرى

وباتساع التجارة عظم الطلب ، وبالاخص على انجلترا ، وكانت الدولة الرائدة في التجارة ، والسابقة الى الثورة الصناعية ، والراجعة بعمومها اليها ، ولحقها من دول اوروبا ، لا سيما الغربية ، بعد ذلك ، في تلك الدروب الصناعية من تبع . نقول باتساع التجارة وكثرة مطالبها ، عجزت المدن ، وما فيها من رجال يصنعون البضائع ، عن الوفاء بتلك المطالب التجارية الواسعة ، فرأى التجار الخروج من المدن الانجليزية الى الريف . ومن دكاكين ، صغيرة وكبيرة ، كانت تصنع بها المصنوعات باليد غالبا ، في شوارع المدينة ، الى مساكن القرية . ففي الاصواف مثلا ، وكانت من صناعات انجلترا الشهيرة ، تحول التجار بأن راحوا يشترون الصوف من اصحاب الماشية ، ويعهدون به الى رجال في القرية ، ينظفونه ، وآخرين يغزلونه ، وآخرين ينسجونه ، وآخرين يصبغونه ويصحونه . ولتقوم الاسرة القروية ، الى جانب زراعتها ، بكل هذا في مساكنها ، تملأ به زمنا لها فارغا ، وجيبا كذلك في حاجة الى امتلاء . وتعمل الاسر على حرسها .

زادت بذلك البضائع ، ورخص ثمن التصنيع ، وربح التجار .

واسموا هذا العهد بالعهد الصناعي القروي .

دخول العهد الصناعي بمكناته ومحركات الآلية

ولكن ، ما كان لنشاط انساني مندفع ان يقف عند هذا .

ثلاثة اشياء أدت بدخول الثورة الصناعية .

(أ) اختراع المكنات التي يسهل بها الانتاج ويكثر

(ب) ابتداع القوى التي تقوم مقام عضلات الانسان في تحريك المكنات بعد ان كانت تحركها الايدي .

(ج) الانتقال (في انجلترا خاصة) بالصناعة القروية الى الصناعة في بيوتات الصناعة الحديثة : تلك التي اسميناها في الشرق بالفبركات اولا ، وفي الزمان الاحدث بالمصانع .

وبدأت المكنات الخطيرة تظهر وتعلن بدء الثورة الصناعية في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر ، بعد حرب الاستقلال وكان اكثرها في النسيج . وخاصة في انجلترا ، ثم تحولت . وهي احتاجت الى الفحم ، وهي احتاجت الى الحديد . فكان لا بد من التوجه الى الفحم والحديد ليبلغ القوم بهما غاية .

بدأ العلم التطبيقي يعمل عمله في أكثر من ناحية

والخطوة الكبرى التي كانت بعد ذلك هي الانتقال الى المصانع . قوة النجار لايمكن ان ينتفع بها منتفع وهو قائم وحده في دكان بمدينة ، أو مسكن بقرية . بدأ اذن عصر المصانع والقوى التجارية الهائلة .

وكل هذا شب وترعرع واشتد في القرن التاسع عشر ، بعد عام ١٨٠٠ ، وبعده بأعوام . وكل عام مر من هذا القرن الماضي ، زاد الصناعة امتدادا واشتدادا ، وزاد أهل الصناعة عددا .

ووفت الصناعة الجديدة بحاجة التجارة ، وزادت . ونزلت بسعر التكلفة . ذلك لان مكنة بها ١٠٠ مغزل ، عليها عامل واحد . كانت تستطيع ان تغزل مائة خيط من القطن بسرعة أكبر من سرعة مائة من الرجال تعمل على عجلات الغزل القديمة .

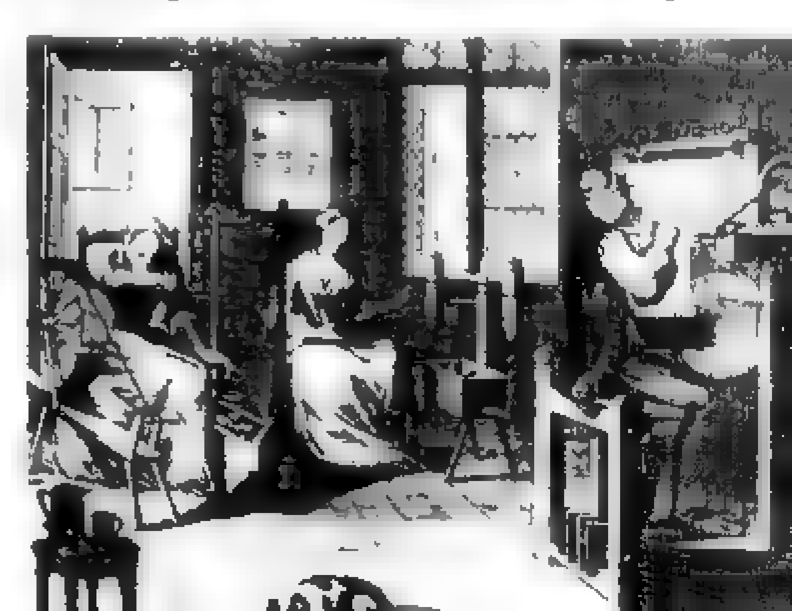
زادت المدن كثرة سكان

وتغير الاسلوب الصناعي غيرت أحوال الناس ، في انجلترا ، وأشدة الثورة ، اجتماعيا وثقافيا وسياسيا على نحو ما سوف نرى . وتحول الكثير من العمال الى الصناعة الجديدة ، فكانوا عمالا صناعيين . وزاد تعداد السكان بالمدن ، وقل سكان الريف .

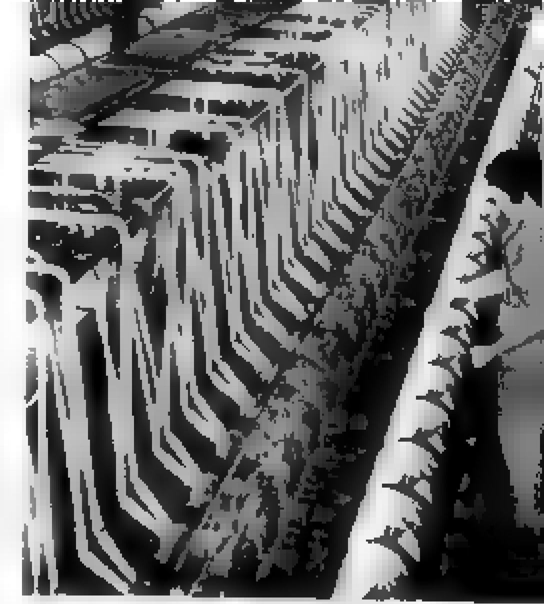
واخذ عدد السكان في انجلترا اجمالا يزيد ، حتى منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر . وقل الاطفال الذين ماتوا في طفولتهم لتحسن العلم الطبي . فالصناعة لم تسر الى الامام الا ومعها سائر حاجات البشر تسير الى الامام ، والعلم صاحبها .

راس مال وراسماليون

وبالرواج ، هذا الصناعي التجاري السريع الهائل ، تكون رأس المال الصناعي ، ونشأ الرأسماليون . المكنات والمحركات كانت غالية الثمن لا يستطيعها الا ذو مال . وكثر المتوفر من المال فاستغله اصحابه في انشاء المصانع ، فزادوا غنى على غنى . واحتاجت التجارة الى طرق في الارض ، واحتاجت التجارة الخارجية الى سفن في الماء ، واستخدمت الاموال الطائلة في ذلك ، فكان الثراء ، وكان الاثرياء . ولم يكونوا في ذلك الزمان عالة . لقد حملوا عبء الصناعة كلها . وبذلوا الجهود ليحققوا المشاريع الجديدة ، وصمموا ما صمموا



اسرة فالمنزل الريفي الانجليزي ، في العهد الصناعي المبكر ، بصناعة الجوارب من الصوف . الام وابنتها تغزلان الصوف ، والاب ينسج الجورب على النسج .



مصنع حديث للصوف بمدار مانفوره الكوبلتيه ، وفيه امراة شابة واحدة تقوم مقام مئات من النساء اللاتي كن يعملن بايديهن . ومالطبع لا نجد كل خطوات العمل لصناعة جورب مثلا تتم كلها تحت سقف واحد ، فالتخصص فرق بين الخطوات، بين الالات ومن يقوم عليها .

لادارة الصناعات واقامتها على اسس وتيمه صحيحه غير معروفه ، في معارك من المنافسات شديدة من داخل البلاد ومن خارجها .

وبحكم موضعهم هذا ، وخطورة اعمالهم هذه ، وخطورة شعبهم ، تميروا في انجلترا في طبقه عرفت بالراسماليين الصناعيين .

حالة العمال عند قيام الثوره الصناعية

ان اليوم ، كل يوم ، له وجهان ، وجه ابيض مشرق اسماه النهار ، ووجه آخر مظلم اسماه الليل .

وكذا الثورة الصناعيه . كانت لانجلترا ، ومن بعد لاوروبا ، ثم لسائر اهل الارض ، وجها من وجوه الانسانيه المؤثية الطامحه مشرقا . ولكن كان الى جنبه وجه اسود مظلم يمثل فيما عاناه العمال ، رجالا ونساء واطفالا ، في هذه الفترة من بؤس وشقاء .

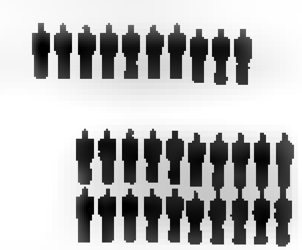
شقاء من حيث ساعات العمل ، فكانت طويله ، شقاء من حيث السكن ، فكان يحشر فيها العمال حشرا ، وهي ضيقه قذره ، كما تحشر البهائم . وكان الرجل يعمل قبل المصانع ، وهو سيد نفسه ، فصار يعمل في المصنع ، باجر العامل الذي لا مهارة له ، ولا حذق ولا ذوق . والعمل نفسه صار لا لذة فيه . رجل قائم ليصل خيطا اذا هو انقطع . وشغل اكثر المصانع النساء والاطفال ، فكانوا لعمالهم اشقى . واطفال يعمل بعضهم ، على طراوة سن ، الاثنتي عشرة ساعة فما فوقها . والاجر اجر صبي .

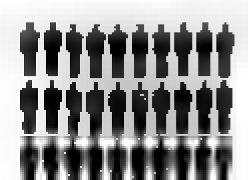
الحريـة التي طغت

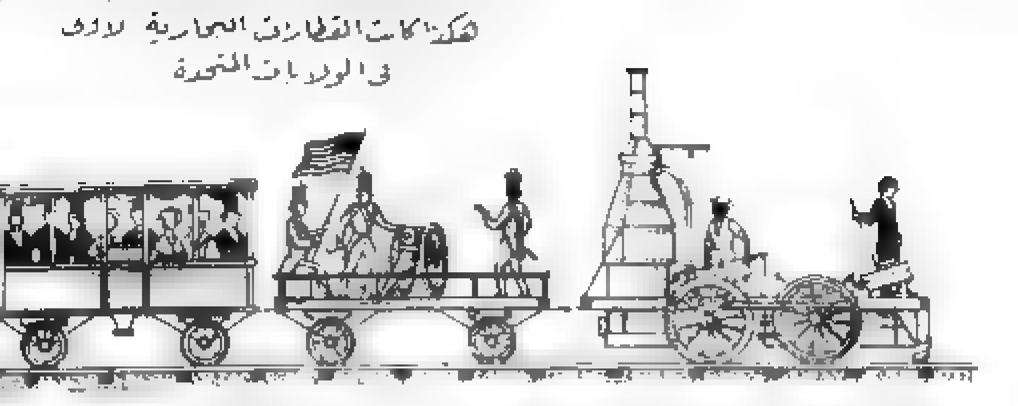
نشانا جميعا ونشا العالم على تمجيد الحريه .

ولكن الحريه كالسيف ، تحمله في يمينك ، فتعلم حين تقطع به اين تقطع ، ولكنك تحمله في سرائك فتضرب به فقد تصيب رقبة امك .

وهكذا فعلت الحرية في صبيحه الثوره الصناعية .






هكذا كانت القطارات البخارية تبدو في الولايات المتحدة

جاءت الثورة الفرنسية فحددت الحرية . من قبل ذلك حددت الحرية ثورة الاستقلال الأمريكية . ومن قبل ذلك رأت انجلترا في الحرية ما رأت . وفي ختام ثورتها ، ثورة عام ١٦٨٨ قال حكيمها (لك Locke) بالحرية ، اطلقها اطلاقا .

وجاءت الثورة الصناعية وقد شاعت في انجلترا الكلمة الفرنسية Laissez Faire ومعناها دعوا الأمور وحدها تجري في أعنتها . أو اتركوا الصناعة وحبلها على غاربها تجري ما شاء لها الجرى ، والى أي ناحية تجرى .

وبذلك صار لأصحاب المصانع أن ينظموا مصانعهم على هواهم . ونشأت بينهم وبين العمال مشاكل تختص بالأجر ، وساعات العمل ، وبحوادث العمل ، وسوء مساكن العمل ، وكان أصحاب الأعمال لهم الكلمة الحاسمة فيها . وعمل الصبية مثل عمل الرجل البالغ ، ونالوا الأجر الأوطأ . وناموا في شر المنامات ، وساء طعامهم ، وساء لباسهم ، وكثيرا ما سيقوا الى العمل على ضرب السياط . وزادت نسبة الموت فيهم ، فلم يستطع البرلمان آخر الأمر ، الا أن يتدخل فيحدد ساعات العمل للصبية .

لا نريد أن نمضي طويلا في هذا الحديث وقد طال .

ولكن حسبنا أن نقول انه كان من الطبيعي أن رجلا مثل كارل ماركس Karl Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) ما كان ليولد فيعلن اعلانه الشيوعي Communist Manifesto (١٨٤٧) ولا ليكتب كتابه « رأس المال » (وكلاهما بمعونة صاحبه انجلز Engels) الا في قرن مثل هذا القرن ، القرن التاسع عشر ، وفي أحوال ما كانت لتتمخض الا عن مثله ، ومثل مذهبه .

والحريات ؟

ووجب أن نسأل عن الحريات ، موضوع كلمتنا الأصلي ، ما جرى لها مع كل هذه الأحداث .

اما القرن الثامن عشر (١٧٠٠—١٨٠٠) ، فقد انتهى بتدشين حقوق الانسان السياسية Political Rights أو ان شئت فحقوق الانسان المدنية Civil Rights .

اما القرن التاسع عشر (١٨٠٠—١٩٠٠) فقد انتهى بتدشين حقوق للانسان جديدة ، أسموها بحقوق الانسان الاجتماعية ، مثل حق العلم ، وحق العمل ، وحق النفقة عند العجز عن العمل بسبب البطالة أو المرض ، وتأمين الشيخوخة ضد العوز ، الى أشياء كثيرة لم يبق في الناس من لا يؤمن بها ، وان اختلفت قدرتهم على الوفاء بها .

واذن فهي حريات صنفان : حريات للانسان سياسية ، تضاف اليها ولا تنقص منها حريات اجتماعية .

والسؤال الآن : ماذا صنع القرن العشرون بهذه الحريات ؟ ●●

أحمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٤٩ :

الأبنوس خشب أسود قاسٍ ..

● قامت مسابقة العدد ١٤٩ من العربي على المعلومات العامة في شتى مجالات المعرفة الانسانية حيث انتقلنا بالقارىء من سؤال في جغرافية العالم الى آخر عن الشعر والشعراء الى ذلك في العلم بحت . الى آخر في علوم أخرى وهدفنا من ذلك هو قدح زناد الفكر ونشر أغواره واحاطة القارىء بأنماط شتى من المعرفة .

واليك بها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة وقائمة بأسماء الفائزين بالمسابقة .

١ - مصر أبيب

٢ - الصياد على رفات العباد . واسم الشاعر هو : أبو العلاء المعري .

٣ - أكبر شبه جزيرة في العالم هي : شبه جزيرة العرب .

٣ - الشعابين السامة تسم الانسان وخزا بالأنياب .

٤ - حفصة ابنة عمر بن الخطاب . عائشة ابنة أبي بكر الصديق .

٥ - اسم الطرف الجنوبي من أمريكا الجنوبية رأس هورن .

٦ - اسم العالم الجغرافي الذي عاش في بالرمو برعاية ملك صقلية هو : الادريسي

٧ - الابنوس خشب أسود قاس .

٨ - الدول الثلاث الأعضاء في هيئة الأمم هي روسيا البيضاء وأوكرانيا واليابان

أما الدول الثلاث التي ليست أعضاء في هيئة الأمم هي ألمانيا الشرقيةوألمانيا الغربية وفيتنام الجنوبية .

٩ - المدينة التي ينسب الانسان الى ارادها وحدها هي مدينة القيروان .

١٠ - الطائر الذي يبيض أكبر بيضة في العالم هو : النعامة .

أسماء الفائزين

● الجائزة الأولى وقيمتها ٣ دينارا فاز بها أحمد فري محمد عبد الصالحين - أسيوط - ج ع م

● الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها خالد زهدي خواجه - دمشق - سوريا

● الجائزة الثالثة وقيمتها ١ دنانير فاز بها عبد الله محمود علاونه - اربد - الأردن .

٨ جوائز قيمتها ٥٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ - عمر سليمان اسماعيل - الخرطوم / السودان

٢ - محمد عوض حسان - عدن / اليمن الجنوبي

٣ - سمير شوفاني - بيروت / لبنان

٤ - سالم فرج القريقني / طرابلس - ليبيا

٥ - محمد رياض عبد الفتاح الكرمي - الرياض - السعودية

٦ - بدر عبد الله العصيمي - الروضة - الكويت

٧ - عبد الرحمن سلطان الشرهان - رأس الخيمة - الخليج العربي .

٨ - لطف حسن الزهار - صنعاء - اليمن الشمالي

المغول والإسلام

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الكويت

■ في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي اقتحم المغول حدود دار الاسلام . كان العالم الاسلامي منهكا مجهدا بعد ١٢٥ سنة من حروب صليبية طاحنة مخربة . في السنة التي انبعثت فيها جحافل جنكيزخان على بلاد ما وراء النهر كان الصليبيون يحاصرون دمياط . خطر محدق من غرب وآخر أشد منه من الشرق . كيف نجا الاسلام وعالمه من الدمار على أيدي المغول ؟ ما الذي أوقف الطوفان المدمر ؟

الأيوبيون بعد صلاح الدين شر خلف لخير سلف

كسب البطل العظيم صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨ — ١١٩٣) انتصاراته الكبرى — وخاصة حطين (يوليو ١١٨٧) واسترداد القدس (٢ أكتوبر ١١٨٧) بفضل حشود المقاتلين المسلمين من كل جنس ، فقد كان جيشه مكونا من عرب وأكراد وتركمان، وألوف المجاهدين المتطوعين ما بين صوفية وغير صوفية ، وبفضل هؤلاء جميعا كسر الخطر الصليبي ، وأنشأ امبراطورية واسعة تشمل الشام ومصر والموصل والجزيرة الفراتية والحجاز واليمن .

ولكنه عندما جلس يكتب وصيته قسم الامبراطورية كماله بين أولاده وإخوته وأبناء أخوته ، كأنها ضيعة يملكها لا وطنا عربيا اسلاميا ضخما يملكه مواطنوه ، وهكذا أثبت صلاح الدين أنه رغم مواهبه النادرة وعبقريته — كزعيم وقائد تصدى لمهمة جليلة ، وقام بها — لم يتخط عصره فيما يتصل بمفهوم الدولة والوطن ، فإن صلته بأبناء أخوته مثلا — ولم يكن يحبه منهم أحد — كانت عنده أعظم من صلته بمواطنيه ، وكلهم كانوا يحبونه ويلقبونه بالعماد ، وقد غلوا .

صلاح الدين الأيوبي





جنكيز خان

وقد كانت هذه العاطفة العائلية ان تقضي على العمل الجليل الذى حققه ، فقد ظن الرجل العظيم ان تقسيم الدولة بين اقربه سيحافظ على الامبراطورية وحدتها بفضل ما بينهم من تعاطف القرابة ، ولكنه نسي ان السلطان والجاه والمال قواطع لأواصر المحبة وعواطف القربى ، وكم من وارث عرش قتل اباه ليعجل الجلوس على الكرسي اللماع ، وبالفعل اوقع الشيطان بين خلفاء صلاح الدين من الكراهة والبغض والحسد ما مزق الامبراطورية اربا ، وهبط بسمعة البيت الأيوبي الى درك سحيق .

ولكن شيئا لم يهبط بسمعة رجال البيت الأيوبي قدر مسالمتهم الخطر الصليبي وقعودهم عن مواصلة العمل الجليل الذى قام به متشبه بينهم الخلاف ، بل عملوا ـ اثناء تنافسهم بعضهم مع بعض ـ على منح بقايا الصليبيين في انطاكية وطرابلس وعكا امتيازات جديدة ، فتنازل لهم السلطان « العادل » عن يافا والناصرة ، وكانت بقية من اهل مملكة بيت المقدس الزائلة قد اقامت في عكا واستمسكت بلقب ملوك بيت المقدس فاعترف لهم به هذا « العادل » في ثلاث معاهدات . وحاول الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب ان يحالف مع الصليبيين على عمه العادل . وعندما نزلت الحملة الصليبية الخامسة شاطىء دمياط يقودها الفارس الفرنسي جان دى برين Jean de Brienne واستولى على دمياط سنة ١٢١٨ استنجد العادل باقاربه ملوك الشام والجزيرة فلم يسعفه منهم احد . ولو لم ينهض المطوعون من نواحي الدلتا ويتصدوا للصليبيين ويكسروا سدود النيل لما امكن الانتصار على الفرنج عند المنصورة .

وعندما اقبل الامبراطور فردريك الثاني بجنود الحملة الصليبية السادسة ، ونزل عكا سنة ١٢٢٧ اسرع الملك الكامل سلطان مصر وتنازل له عن بيت المقدس ويافا وجزء من ارض فلسطين يمتد من الساحل الى البلد المقدس ، فاستباح هذا الوارث السفيه ما انفق مؤسس اسرته العمر في بنائه ، وذلك لكي يظل ـ حرسه الله ـ سلطانا على عرش القاهرة ، ووقع معاهدة بذلك في ١٨ فبراير ١٢٢٩ مدتها عشر سنوات . وفي سنة ١٢٤٤ تقدم ايوبي آخر هو الصالح اسماعيل صاحب دمشق فجعل للصليبيين الملكية الكاملة لبيت المقدس وسلم لهم قبة الصخرة ، فعادوا الى اسوأ مما كانا فيه قبل نور الدين وصلاح الدين ، لأن الصليبيين كانوا يحتلون القدس بالقهر دون اعتراف منا ، اما في سنة ١٢٤٤ فقد اصبحوا اصحابه بعهود كتبها لهم ملوك وامراء نحن منهم أبرياء .

وما نقول هذه العبارة الاخيرة استطرادا مع عاطفة ، وانما هو الواقع لأن امة العروبة والاسلام ما اعترفت قط للصليبيين بحق في القدس او شبر من ارض فلسطين ، ولئن كان صلاح الدين قد وسع لنفسه مكانا في قلب كل عربي ومسلم ، فان احدا لم يوسع لأيوبي مكانا لا في قلبه ولا في طرف وجدانه ، وعربيا ومسلما ظل القدس ، ومشكلة مطهرة ظلت قبة الصخرة رغم الكامل

والعادل والصالح وسلاطين هم أسوأ من عرف الزمان كما سنرى .

ثم انقض على عالم الاسلام طوفان المغول

في ذلك الحين ، وامم العروبة والاسلام من العراق الى تونس تعاني من عقابيل العدوان الصليبي الذي انهك قواها واستنزف دماءها من قرن ونيف ، انهال على بلادها طوفان المغول من المشرق ، وكان طوفانا هائلا مخربا بصورة اربى على العدوان الصليبي في قسوته ودماره . ففي السنة التي استولى فيها الصليبيون على دمياط اول مرة وهي ١٢١٨ طرقت جحافل المغول ابواب العالم الاسلامي ، وسقطت في ايديهم سمرقند اولى الضحايا من بلاد الاسلام ، فقتلوا اهلها عن آخرهم واشعلوا النيران في دورها واحالوها في اقصر وقت حطاما .

ولقد رجت هذه الكارثة العالم الاسلامي رجا عنيفا ، وصرح الكثيرون بأن سد ياجوج وماجوج قد انكسر وانثال الزبانية على الخلق طوفانا ، وما قالوا ذلك تشبيها ولا تصويرا ، وانما صدق الناس انه الحق ، والا فمن يكونون اولئك الرجال الصغار الاجسام العراض الصدور ذوو العيون المائلة والرؤوس المحلوقة .. الا من خصلة تتدلى الى الوراء من وسط الراس ؟ الذين يمتطون خيولا ضئيلة دون سرج وينقضون على الناس يضربونهم بسيوف ماضية ولا يكفون عن الضرب حتى اثناء الاكل حتى لقد اخذ يطوف التصور ـ وقد حضر ملاحمهم ـ ان المغولي او التتري يمسك طعامه بيده اليسرى ويلتهم منه بينما يده اليمنى تضرب بالسيف يمنة ويسرة ؟ نعم ، من يكونون ، ومن اين خرجوا على الناس ؟

من هم المغول ، ومن اين اتوا ؟

الى الشرق من نهر سرداريا Sirdarya الذي يصب في بحيرة ارال والذي نسميه نحن سيحون كانت تعيش منذ الازل شعوب شتى يعمل بعضها في الصيد وبعضها الآخر في رعي الماشية ، وكانت كلها شعوبا بدائية بدوية تسمى الغربية منها بالترك او الأتراك ، وتسمى الشرقية بالمغول ، وكانت مجالات اولئك المغول تصل الى الاقليم السهوب الواسع الذي يعرف اليوم بمنغوليا ويمتد شمالا بشرق فيشمل جزءا كبيرا من شرق سيبيريا . وكانت كتلتهم تعيش جنوبي بحيرة بايكال Baikal (في سيبيريا) على ضفاف نهر صغير يسمى تولا Tula . والى جنوب ذلك النهر كانت تقوم قرية صغيرة تسمى قراقورم Karakoram .

وهذه المنطقة الواسعة مغطاة بحشائش عالية تعرف بالسهوب او الاستبس وعلى هذه الحشائش ترعى قطعان من اصناف شتى من الماعز والغزلان والتيوس ، ولهذا فقد كان غذاء اهلها غنيا ، وكانت اجسامهم على صغرها عفية سليمة وعضلاتهم مفتولة .

في هذه المناطق ظهر الحصان على وجه الارض اول ما ظهر منذ الوف كثيرة من السنين ، وحفريات الخيل الاولى التي عثرنا عليها تدل على ان الحصان كان في اول خلقته صغير الحجم لا يعدو الجحش المتوسط ، ولكن هياكله التي عثر عليها بعد تدل على انه نما في الحجم وصلابة العظام . وفي العصر الذي نتحدث عنه وهو القرون المسيحية الاولى ، كان الحصان قد بلغ حجمه الحالي .

ولكن تاريخ الحصان وتطوره الى حيوان مستأنس يصلح اداة ممتازة للحرب يرجع الى عشرات القرون وراء عصر المغول الذين نؤرخ لهم الآن ، اي يرجع الى عصور حضارات الشرق الاولى قبل خمسة وثلاثين قرنا قبل الميلاد . فقد نقلته شعوب آسيوية كثيرة الى غربي آسيا ثم الى مصر حيث نجده مصورا على جدران الآثار ، ومن غرب آسيا انتقل الى حوض الفولجا ، ومن هناك الى سهول المجر ، ومن هناك كان اليونان والرومان يحصلون على احسن خيولهم . المهم ان اولئك المغول في مواطنهم الاولى كانت لديهم خيل ممتازة عفية تحمل الرجل على ظهرها وتنطلق كالسهوم المارقة .

والى غربي منازل المغول التي ذكرناها كانت تعيش قبائل التتار ، واصلها فرع من المغول ، ولكنهم اختلفوا عنهم بمرور الزمن . وكانت منازلهم تمتد حتى حدود ما وراء النهر ، اي حوض نهر سرداريا . اما بلاد ما وراء النهر (وهي تعرف الآن بالتركستان) وشمالي ايران وشرقها فقد كانت مواطن الاتراك .

اي ان الجماعات البشرية التي كانت تعيش مجاورة بعضها لبعض في القرون الاسلامية الاولى هي على الترتيب من الغرب الى الشمال الشرقي : العرب فالايرانيون فالاتراك فالتتار فالمغول .

وتتشابه ملامح التتار والمغول وخصائصهم البشرية والاجتماعية ، وكان لذلك اثره في امتزاج الشعبين بعضهما ببعض واختلاط مفهوم التتار ومفهوم المغول على كثير من المؤرخين .

ولقد شق الاسلام طريقه في ايران وبلاد الاتراك وكان العرب يسمون بلاد هؤلاء الآخرين ببلاد هيطل ويسمون الاتراك بالهياطلة .

وخلال القرن الهجري الرابع / العاشر الميلادي / اخذ الاسلام يشق طريقه بين شعوب التتار التي سماها العرب بالخطا وهي تسمية خاطئة ، لأن الخيطا او الختاى في الحق هم اهل الصين .

جنكيزخان ، سوط عذاب على ظهور البشر اجمعين

في سنة ١١٥٥ او ١١٦٧ ولد لزعيم من زعماء المغول يسمى ايسوكاى غلام سماه تيموجين ، وكان هذا الاسم لزعيم تترى انتصر عليه ايسوكاى وقتله قبل مولد ابنه بايام ، فسمى به ابنه تخليدا لانتصاره .

ولقد قاسى تيموجين بؤسا شديدا في صبوته ، وعندما شب عن الطوق تجلى عن فارس باسل وزعيم رجال ، فلم يلبث امره ان اشتهر ، وتجمع حوله المقاتلون المغول من كل مكان .

وفي حوالي الرابعة والعشرين من عمره انتخبه نفر من امراء المغول خانا اي ملكا عليهم ، وسموه جنكيز وهو لفظ مغولي يقول رشيد الدين فضل الله مؤرخ المغول ان معناه القوى ، ولكن هذا التفسير غير ثابت .

اصبح جنكيزخان رئيسا لفريق كبير من المغول .

ولاول ولايته دل الشاب على ملكة تنظيمية كبيرة ، فاخترع وظائف رئيسية اقام فيها المقربين اليه ، فواحد لتدريب الرماة ورياستهم ، وآخر للخيل والفرسان ، وثالث للتموين ورابع لنقل اوامره الى اتباعه وهكذا .

واحيا مجلس الرؤساء المغولي القديم المسمى بالقوريلتاى وجعله القوة الكبرى الموجهة لنشاط اتباعه .

وبعد ذلك شرع جنكيزخان في تجربة سياسته الحربية وتتلخص في الهجوم على العدو باعظم قوة من الخيل يمكن جمعها ، فتنقض عليه كالسيل وتزلزل صفوفه ، وبعد ذلك تبدأ مذبحة شاملة ، ويستوى الامر اذا سلم العدو ام ظل يقاوم ، فما دام لم يستسلم من البداية فلا بد من قتل كل رجاله واطفاله واسترقاق نسائه واحراق معسكره او مدينته وترك الارض بعد ذلك خرابا .

الهدف من ذلك هو القاء الرعب في النفوس ، وبالرعب اقام جنكيزخان في سنوات قلائل امبراطورية لم يسمع بما يماثلها اتساعا في التاريخ .

وكلما كسب نصرا انضمت الى جموعه جماعات جديدة من المقاتلين ، لأن الصيحة في كل آسيا خلال العقدين الاخيرين من القرن الثاني عشر كانت : كن قاتلا قبل ان تكون مقتولا . اذا اردت حماية نفسك من الدمار وشعبك من الزوال ، فانضم الى ركب جنكيزخان وكن مع المنتصرين ، والا فلا امل لك في الحياة .

قبل سنة ١٢٠٥ كانت جموع جنكيزخان قد ازالت امبراطوريتي كين وسونج في شرق الصين ووصلت الى المحيط الهادي .

وفي سنة ١٢٠٦ عقد جنكيزخان القوريلتاى وبايعه امراء المغول امبراطورا على العالم ! وهذا هو التفسير المجازي للقب جنكيزخان .

رجل لايستهويه الا متاع واحد : سيادة العالم

ووضع جنكيزخان النظام العام لدولته ، فهو الخان الاعظم على قمة الهرم وتحيط به قوة من الف فارس ، كل واحد منهم بالف فارس يسمى الواحد منهم بهادُر ، اي الشجاع . هؤلاء هم حرسه الخاص ، يحيطون به احاطة السوار بالمعصم في البيت والنوم والميدان .

وعلى راس الدولة يقوم الامراء من آل جنكيزخان ويسمى الواحد منهم نويَن او نويان .

ويلي ذلك رؤساء العسكر اي قواد الجيش ، ويسمى الواحد منهم طرخان .

وكان جيش المغول مكونا من وحدات صغيرة هي العشرات ، وعلى راس كل عشرة منها امير مائة ، وعلى كل عشرة من هذه امير الف .

وامراء الالوف مكلفون بالخروج للحرب بمن معهم في نفس اللحظة التي يصدر اليهم الامر فيها ليقاتلوا العدو .

وكان لجنكيزخان الوف من الجواسيس يأتونه

بالاخبار فيسرع بمهاجمة العدو قبل ان تكتمل عدته .

وكان يحرص على قادته وجنده حرصا ودقة رهيبين . خطأ واحد او تأخر في تنفيذ عملية كان كافيا للحكم بالموت على قائد كبير .

وسر قوة جنكيزخان هو انه كان يعرف ما يريد : سيادة العالم . في سبيل ذلك كان مستعدا لكل شيء . كانت السيادة في ذاتها لذته الكبرى . لم يكن يستمتع بمال او نعيم او نساء . كان يجمع الاموال بكثرة بجيشه ويوزع على امرائه وقادته بلادا شاسعة هي في ذاتها ممالك وامبراطوريات ، وكان يندر ان يأخذ امرأة من الاسيرات .

بل كان قنوعا في الطعام ، يصيب القليل منه لم يلتهم .

ولكن لذته الكبرى كانت تخريب بلاد تعلن رفض الطاعة له او احراق بلد رفض التسليم ، وقتل كل رجاله واطفاله .

وكان يقول انه يريد السلام .

والسلام الذي كان يريده هو سلام القبور وصمت الاموات . هكذا كان العرب القريبون اليه يقولون .

بعد ان ساد آسيا كلها ـ عدا الهند واليابان ـ اتجه الى الغرب وانقض على عالم الاسلام

بهذا التصميم العنيف وتلك القسوة طرق جنكيزخان ومغوله ابواب عالم الاسلام ابتداء من سنة ١٢١٥ .

وكان يحكم بلاد الشرق ذلك الحين رجل يسمى محمد خوارزم شاه يعتبر من اعاجيب الملوك الذين عرفناهم في تاريخ الاسلام .

كان قد ورث من ابيه السلطان تكش حكم اقليم خوارزم ، وهو الجزء الشمالي الشرقي من هضبة ايران مضافا اليه جزء من بلاد التركستان .

وكانت بلاد ما وراء النهر خاضعة لفريق من التتار يسمون بالتتار السود او القرا ـ خيطاى ، كانوا قد فروا غربا امام زحف المغول . وقد استطاع خوارزمشاه التغلب على اولئك القراخيطاى او الخطا وضم بلاد ما وراء النهر الى ملكه .

والى الشرق من بلاد خوارزمشاه ، اي جنوبي بحيرة آرال عاشت في ذلك الحين جماعة من التتار السود اي القراخيطاى يحكمهم امير تركي ممن هربوا امام جنكيزخان يسمى كشلك .

كان كشلك قد اعتنق المسيحية على مذهب النسطورية . وتراس الخبر الى الصليبيين الذين كانت بقاياهم لا تزال في بلاد الشام ، فسعوا للاتصال بهذا الامير النصراني . وسمته الاساطير بالبرسبيتر يوحنا . Presbitor John وقد تحرف الاسم الى برستر جون Prester John وسعى المئات من رهبان النصرانية للبحث عن بلاده في قلب آسيا ، وكان من الباحثين عنه فيما بعد ماركو بولو .

ولم يعثر احد على البرستر جون ، لان كشلك ارتد عن المسيحية ، وصار بوذيا شامانيا ، وتبعه قومه . والشامانية مذهب من مذاهب الديانة البوذية .

وبعد بحث طويل اعتقد المسيحيون الى ان مملكة برستر جون هي الحبشة وان النجاشي هو حامي ذلك الاسقف الاسطوري .

هكذا دمر التتار عواصم الاسلام في التركستان وايران

ونعود الى محمد خوارزمشاه فنقول انه وسع ملكه وازال بقايا سلاجقة ايران وضم بلاد القراخيطاى واصبح يحكم امبراطورية شاسعة .

وكان من الممكن ان يقوم حائلا بين بلاد الاسلام وقوة المغول . ولكنه كان رجلا طائشا . فبدلا من ان يوجه قواه نحو جنكيزخان ومن معه من التتر والمغول اعلن الحرب على الخليفة العباسي الناصر .

ومن السهل جدا ان تعلن الحرب على خليفة اعزل مثل الناصر ، ولكن ليس من السهل ان تواجه جنكيزخان .

ومن الحق ان نقول ان ذلك الخليفة الناصر كان رجلا بعيدا عن الحكمة ، فما طلبه منه محمد خوارزمشاه هو ما كان يتمتع به طغرل الثالث آخر سلاطين سلاجقة ايران ، فقد كان الخليفة قد اعطاه تفويضا بالحكم في بلاده .

ومن سمرقند عاصمته منذ سنة ١٢١٢ اعلن محمد خوارزمشاه عزل الخليفة العباسي ، ويقال ان الخليفة الناصر ارسل الى جنكيزخان يستعين به على محمد خوارزمشاه ، ولكن هذا هو كلام رشيد الدين فضل الله مؤرخ سلاطين المغول الذين حكموا ايران بعد تفكك الامبراطورية المغولية

خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي ويعرفون بإمكانات ايران .

ونصب محمد خوارزمشاه نفسه حصناً للاسلام امام زحف التتار .

ولكن يمكنه ان يوفق ، فقد كانت امبراطوريته تعدل امبراطوريتهم في المساحة ، ولكنه كان رجلا مغرورا سيىء التدبير ، فاضاع هذه القوة العظيمة القيمة عبثا .

هجم جنكيزخان بكل قواته على تركستان ، وكان معه ابناؤه وهم في نفس الوقت قواده الثلاثة الكبار ، وهم جغتاي ، وجوجي ، وتولي .

فاما سمرقند فقد استسلم لهم صاحبها سنة ١٢١٩ ولكنهم مع ذلك دمروها ودمروا كذلك بخارى (١٢٢٠) لأن البلد ــ كمازعموا ــ قاومهم مقاومة عنيفة ، وهب المسلمون في كل مكان في التركستان للدفاع عن بلادهم ، فاذا كان المغول قد انتصروا عليهم فلهم طرحهفقد لقوا واجبهم .

ولكن خوارزمشاه ورجاله لم يقاتلوا الا دفاعا عن انفسهم ، وظل هو وخيرة رجاله يتراجعون حتى قضي على معظمهم وتوفي هو في ديسمبر ١٢٢٠ ، وقام مكانه ابنه جلال الدين ، فزعم انه سيوقف سيل المغول ولكنه لم يفعل وسقطت ارمط وقتل المغول كل اهلها .

ودافع اهل جرجانية عاصمة اقليم خوارزم عن بلدهم دفاعا مجيدا ، وقتل رجالها من المغول الوفا قبل ان يستولوا على المدينة في ابريل ١٢٢١ ويدمروها تدميرا .

ودافع اهل مرو دفاعا مجيدا اضطر تولي بن جنكيزخان الى ان يعد قادة البلد بالامان الكامل اذا سلموا ، وسلموا فقتلوا اجمعين الا قليلا منهم ..

ومن هؤلاء القليلين كان ياقوت صاحب معجم البلدان ومعجم الادباء ، فر بحشاشة نفسه من البلد ، تاركا كتبه واوراقه .

وهكذا دمرت عواصم الاسلام في التركستان وايران واحدة واحدة ، وصاحبنا السلطان المظفر جلال الدين خوارزم شاه يجري شرقا وغربا كانه كلب مضروب .

وبعد ذلك عاد جنكيزخان نحو الشرق ، واراد ان يقيم ابنه جوجي حاكما على التركستان وايران ، ولكنه اختلف معه فقتله بالسم ، وكان اكبر ابنائه .

وفي ١٨ اغسطس ١٢٢٧ توفي جنكيزخان بعد ان تجاوز السبعين عاما من عمره .

وفي تقدير جنكيزخان يقول مؤرخ عربي معاصر : « اتصف جنكيزخان بروح العدالة ، وبالادراك السليم ، وبالاتزان الشديد ، والمحبة الاكيدة وبالسخاء والمودة ... ! » .

فاين والله العدل او المحبة الاكيدة والسخاء والمودة ! .

كلام ينقلونه من كتب اوروبية يستوي عند مؤلفيها ان يقتل جنكيزخان الوفا او مئات الالوف من المسلمين .. بل من يجري لعل ذلك يسرهم ... ويقتل منهم دون تفكير او احساس .

وخلف جنكيزخان اوكيتاي او اقطاي (١٢٢٧ ـ ١٢٤١) ، ثم جاء كيوك خان (١٢٤٦-١٢٤٨) .

هكذا قضى المغول على الدولة العباسية

وفي اخر ايام كيوك خان جاء لويس التاسع الى قبرص (١٢٤٨) ليستعد فيها للابحار الى مصر لغزوها .

وتقدم الى بلاطه راهبان نسطوريان يسميان مرقص وداود ، وقالا انهما رسولان من خان المغول لعقد اتفاق للتعاون بين الصليبيين والمغول للقضاء على الاسلام واهله نهائيا .

ورد لويس التاسع بالايجاب ، وارسل وفدا من بين رجاله الراهب اندريه لونجيمو Longimaux ممثلا للبابوية .

وبعث هيثوم الاول ملك الارمن وفدا الى خان المغول يعرض استعداده للانضمام الى القوات الهاجمة للاسلام .

وتعطل التحالف بعض الوقت بسبب وفاة كيوك خان ، وخلفه باتو الذي سارع بترشيح منكو بن تولي بن جنكيزخان ليكون خانا اعظم للمغول . وتم ذلك سنة ١٢٥١ . ومنكو هذا هو الذي ارسل هولاكو للقضاء على الخلافة العباسية في بغداد .

وتمت السفارات بين لويس التاسع ومنكو خان .

فقد ارسل منكو سفارة الى لويس التاسع ، واستقبلها هذا في اجتماع كبير ضم كل الراغبين في القضاء على الاسلام . وكان ذلك في يناير ١٢٥٤ ، وكان يحكم بلاد فارس قائد مغولي كبير خاضع لسلطان الخان الاعظم منكو ، ومن سنة

١٢٥١ كان حاكم فارس هو هولاكو اخوه الأصغر .

وفي يناير ١٢٥٦ سار هولاكو بجحافله نحو العراق ليفرغ من أمر الخلافة العباسية .

وكان الخليفة اذ ذاك هو المستعصم ، وهو السابع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، وقد تولى سنة ١٢٤٢ . وكان المستعصم رجلا طيب القلب قليل الملكات ، وكان يدير له الأمر وزير شيعي هو مؤيد الدين بن العلقمي ، وكاتب سني هو مجاهد الدين ايبك الدوادار .

وكانت بغداد مدينة حصينة ، ولكن أسوارها كانت من اللبن ، ولم تكن لدى الخليفة قوة عسكرية تذكر ، وكان الأمل أن يسرع امراء بني ايوب المتزاحمون على السلطان بارسال قوات لانقاذ بغداد عاصمة الاسلام .

ولكن احدا لم يرسل الى بغداد جنديا واحدا .

وكان العداء بين الوزير ابن العلقمي والكاتب مجاهد الدين بن الدوادار شديدا ، ولا شك في ان الوزير ابن العلقمي كاتبَ هولاكو سرا وتآمر على الخليفة ظنا منه أن المغول يشكرون له هذا الصنيع .

وقد تقدمت قوات هولاكو نحو بغداد يملأ صدور رجالها طمع شديد في خيرات مدينة الرشيد وكنوزها التي طالما سمعوا بها .

وكان هولاكو رجلا عنيفا يتلذذ بتعذيب الناس ، والاذلال ملوكه . فقد كان يعرف تماما ان الخليفة المستعصم لا يؤيده جيش له قيمة ، ومع ذلك نجد هولاكو يسخر به ويلعب معه لعبا سخيفا .

وفي نوفمبر ١٢٥٧ نزلت قوات المغول حول بغداد . وكان في صفوفهم رجال كثيرون يمثلون كل جماعات المسيحية الشرقية .

ومن الحق أن نقرر ان المستعصم رفض ان يتنازل عن سلطانه على رعاياه كلك غير مسلم هو هولاكو . وهذه حسنة تذكر له ، لانه اذا لم يكن من الموت بد فليمت الانسان بكرامته ، وكرامة المستعصم كانت سلطته الروحية .

وفي ٩ صفر ٦٥٨هـ/ ١٥ فبراير ١٢٥٨ سقطت بغداد .

لم يسر لانقاذها ايوبي واحد .

ودمر المغول عاصمة الاسلام تدميرا ، وقتلوا الخليفة ، واهل بيته اجمعين ، ووقفت بقية بلاد الاسلام مكشوفة امام التتار .

وتولى اجتياحَ بلاد الشام قائد مغولي نصراني : كتبغا

وكان لويس التاسع قد عاد الى فرنسا بعد أن خلص من الأسر عقب هزيمته في المنصورة ، فاخذ بعد المدة للسير الى بلاد الاسلام للتعاون مع التتار على الاجهاز عليها .

وتمهيدا لذلك كان قد عقد هدنة مع الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق ، وفي سبتمبر ١٢٥٩ تحركت قوات المغول نحو الشام يقودها كتبغا الذي سار في الطليعة ، وتولى هولاكو قيادة قلب الجيش ، واصطحب معه زوجته المسيحية طقز خاتون .

وكان كتبغا مسيحيا نسطوريا ، وتجمع المصادر على ان كتبغا وطقزْ خاتون اعتبرا الحملة على الشام حملة صليبية مغولية .

واستولى التتار على نصيبين وحران وسروج والرها وصيبح

وتجمعت قوات المغول كلها على حلب واقتحموها في فبراير ١٢٦٠ ودمروها تدميرا .

واقترب المغول من انطاكية وكانت لا تزال مسيحية .

ورأى أصحابها الصليبيون ما ينزله المغول من خراب فتملكهم الخوف ، ورفضوا التعاون معهم على غزو بلاد الاسلام لان الأذى كان يشمل من فيها من المسيحيين ايضا .

وسار المغول الى دمشق ، وتخلى عنها صاحبها الأيوبي الناصر يوسف ولم يسع المدينة الا الاستسلام .

واقام كتبغا عليها حاكما مغوليا يساعده ثلاثة من الايرانيين .

وتطلع كتبغا بلى قلعة المدينة فقاومت ، فامر بهدمها فتهدمت في مارس ١٢٦٠ .

وكان في صحبة كتبغا ملك ارمينية وامير انطاكية المسيحيان .

ثم استعدوا للسير على مصر والقضاء على ما بقي من مراكز الشرق الاسلامي

وبدأ كتبغا وحلفاؤه في الاستعداد للسير الى مصر .

وهنا هب المسلمون من كل مكان . الوف بعد الوف من العباد والزهاد والصوفية خرجوا الى ميدان الجهاد ، وبدأ القتال مع المغول في كل مكان على أرض الشام وفلسطين .





● السماء ، والبقر ، والظباء ، والوعول ، والماعز ، كلها [illegible] اجناس من الحيوان تجمعها فصيلة من الحيوانات واحدة ، هي فصيلة القرنيات

● الشاء تعطي الانسان اللحم والصوف ، اساسا ، واللبن احيانا ، ثم الفرو والجلد ، الى منافع اخرى . وبالعالم منها نحو الف مليون راس

[illegible]

ومن طريف ما يذكر ان في كثير من انواع الشاء توجد بين الاصابع [illegible] غدة تحت الجلد ، هو عبارة عن غدة تفرز مادة دهنية ذات رائحة ، ويدعي الباحثون الذي يمشي فيه [illegible] يكون دليلا لمن يجيء بعدها من الشاء ، تشم فتتبع .

والشياه المستأنسة لا حامي لها غير الانسان ، وهي ليست من الذكاء بمكان ، [illegible]

[illegible]

الدهر من الشياه ان يجتمع بعضها [illegible]

[illegible]

تطيع زعيمها تتبعه . وهي من الغباء بحيث تتبع زعيمها حتى وهو يقودها الى حتفها . ولا عتب عليها ولا ملامة [illegible]

الشياه
البرية المتوحشة

[illegible]

به . ومن امثالها الشاة المعروفة في العلم باسم Ovis poli ، واسموها باسم الرحالة الطلياني المعروف ماركو بولو الذي ساح في أرجاء آسيا في القرن الثالث عشر .ومن امثالها الشاة المعروفة باسم Ovis ammon ، وتسكن في منغوليا الشرقية .

ولوجد الشاة المتوحشة في أوروبا وافريقية وشمال امريكا . وهي لا توجد في امريكا الجنوبية أو استراليا ، والذي هناك منها كله مستأنس .

الشياه المستأنسة

الشياه المستأنسة أصلها لا شك الشياه البرية المتوحشة ، استنتجها الانسان منها عن طريق الاستئناس ،وعن طريق المزاوجة بينها ، والحصول من ذلك على أنسال مختلطة . وهو عمل يعرف بالتهجين .

والشياه البرية لها قرون . وأكثر المستأنس من الشياه ضعفت قرونها واحيانا فقدتها . وهذا لحكمة ظاهرة . انه بعد الاستئناس لم تصبح في حاجة اليها ، فذهبت رمزا الى ما كان .

والشياه البرية تغطي فروتها من شعر ، تحته طبقة الصوف . وقد فقدت الشياه المستأنسة طبقة الشعر هذه ، وبقيت طبقة الصوف .

واستئناس الشاة لا بد وقع منذ زمن بعيد . واتخاذ الشياه عدية في الاديان حادث قديم . ويرجح أن تكون الانسان بدأ في استئناس الشاة بعد أن استقر ، وبدأ الزرع ، وبذر الأرض .

ولا بد أن الانسان بدأ يستولد الشياه استيلادا موجها منذ قديم الزمان ، لتحسين أنسالها ، ولا بد أن ذلك كان ، فيما كان ، بالمزاوجة بين الأنواع ذات الصفات الممتازة .

على أن تربية الشياه واستيلادها بالتهجين ، على أسس علمية أو نحو ذلك ، لم يبدأ قبل القرن التاسع عشر . وطلبوا الأنسال الجديدة لغاية .

فهم طلبوها لتحتمل البرد الشديد ، أو لتحتمل العيش في الأعالي حيث الجبال ، أو في الأواطىء حيث الوديان . أعني طلبوا من الغرابات ما يتفق مع البيئة التي الناس فيها .

وطلبوا الأنسال الجديدة المهجنة لغايات أخرى .

كأن تكون كثيرة الصوف ، ناعمته ، أو غير ناعمته ، تصلح لنسج الملابس أو عمل السجاجيد أو الفرو ، وطلبوها لتكون كثيرة اللحم .

أو تكون كثيرة الادرار للبن .

وقد يشتغلوها للجمع بين أكثر من غاية .

وقد احصوا الأنسال Breeds المستحدثة نتيجة لذلك في العالم، فعدوا أكثر من ٢٠٠ صنف ، الأكثر منها كان له منافع محلية لم تخرج به الى العالم ليكون صنفا مستنتجا عالميا .

والقليل منها هو الذي بلغ خطرا خرج به الى غير موطنه الأصلي ، ومنها ما صار غاية تطلبها كل الأمم ، من استطاع منها .

والذين اتسلوا، وزاوجوا بين الاخلاط وهجنوا ، هم الأمم المتقدمة ، أما الأمم المتخلفة فكل شيء عندها الى اليوم خروف ، ما دام له قرنان وعليه صوف .

الشاة المرينو

ومن أشهر أصناف الشياه صنف المرينو Merino ، وهو صنف عرف أول ما عرف في اسبانيا ، وعرف باكرا في القرن الثاني عشر . ويرجح أن يكون جلب أول الأمر من المغرب . وهو يطيب في الاماكن التي هي بين القحلة والمعشبة . وهو ينتج الصوف الناعم ، وهو صوف ذو لون أبيض بعد غسله .

والشاة المرينو تحمل ذكورها قرونا

قرونه تدور كاللولب ، أما اناثها فلا قرون لها . وصوفها يغطي رأسها حتى ليخفي عينيها . وجلدها ينطوي على لحمها طيات عند الصدر والاكتاف .

والشاة المرينو تمتاز من سائر الشياه بصوفها ، ولكن نتاجها من اللحم ليس بحسن نتاج .

وهذه الشاة اتخذت في تهجين سائر أصناف الشياه في بقاع كثيرة من الأرض . واحتفظوا للشياه الناتجة باسم المرينو ، كما يحتفظ للولد باسم أبيه النابه . فقيل المرينو الامريكي ، والمرينو الروسي ، والمرينو الالماني والمرينو الاسترالي ، وهلم جرا .

ودخل المرينو الولايات المتحدة في أوائل القرن التاسع عشر . وكانت هذه الشياه في حاجة الى المراعي الواسعة الطليقة . وبزحم الناس في الشرق من أمريكا ، وارتفع أسعار الاراضي ، فتصبح أغلى مما تحتمل تربية الشياه . فرى هذه التربية تراح نحو الغرب رويدا رويدا ، حيث الأرض أرحب وأرخص ، حتى تبلغ أقصى الغرب ، واليوم أصبحت مراعي الشياه لا توجد غالبا الا غرب نهر الميسيسيبي .

الشاة الرامبوييه

هي شاة أخرى نالت من الشهرة شيئا كثيرا ، وهي شاة فرنسية مشهورة بنعومة صوفها ، وهي مهجنة من الشاة المرينو ، ومن أحسن أنواعها . وقصة ذلك أن الحكومة الفرنسية قامت في عام ١٧٨٦ ، وكذلك في عام ١٧٩٩ باختيار مئات قليلة من شياه المرينو ، باسبانيا ، وحملتها الى فرنسا ، وأودعتها في في رامبوييه Rambouillet في الجنوب الغربي من باريس ، لتكون ذخيرة يرجع اليها في التهجين . وخرج الهجين منها أكبر من الأصل ، والصوف أكثر ، واللحم أوفر .

وما أسرع ما اتخذ هذا الصنف طريقه الى الولايات المتحدة ، دخلها عام ١٨٤٠ وانتشر في الغرب من الولايات .

والشاة المرينو تعطي من صوفها في العام ، من حيث القيمة ، أكثر مما تعطي ذراريها من حملان تساق في حينها الى المجازر طلبا للحم .

● ● ●

الشاة المعروفة باسم رامبوييه ، وهي تعطي صوفا من أحسن أصواف العالم . وقد انتجها الفرنسيون بفرنسا من الشاة الاسبانية ، شاة المرينو . وقد صارت اليوم شاة منتشرة في غرب الولايات المتحدة .





شاة مرينو ونلاحظ في هذا الذكر قرونه الملتوية الملتفة ، وطيات جلده عند الصدر والاكتاف ، وان الصوف يغطي رأسه كله

شياه اللحم

وظلوا في تربية الشياه ، مع الوفاء بالصوف ، الوفاء باللحم .

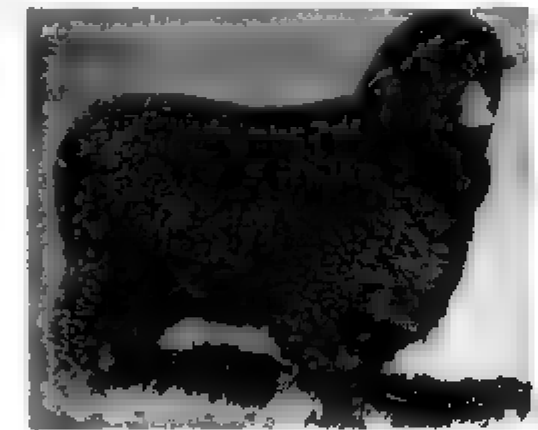
وهنا وجدت الشياه الانجليزية الاصيلة مكانا لها في التهجين . وخرج من هذا التهجين شياه ، مرضية من ناحية اللحم ، ولكن صوفها خشن . ولكنه ينفع في عمل السجاجيد ونحوها .

ومن هذه الاصناف ، الاصناف المسماة شياه « داون » اشارة الى اصلها ، وهي سلالات انجلترا English Downs . ومن خيرها التي تجمع بين اللحم الجيد والصوف المتوسط الطول ، وهي المسماة Suffolks, Hamshires, Shropshires, South Downs, Cheviots, Oxford, Dorsets ولا حاجة لنقل هذه الاسماء الى الحروف العربية ، واكثرها اسماء المهات الاولى التي اخذت منها الاباء الاولى او الامهات الاولى للتهجين . وانما نذكرها لما قد يكون له لقارئه فيها من غاية .

ولا يفوتنا ان نذكر الشياه التونسية . وهي صنف ذيله سمين يتجمع فيه الدهن الكثير ، ومنشاه بقاع كثيرة في اوربا وآسيا ، ويبلغ من ضخامة الذيل انه يزن احيانا ما بين ٥٠ الى ٨٠ رطلا ، ودهنه يستخدم في الطبخ وغيره . والشياه ذوات الذيل السمين مألوفة في الشرق العربي . والعامة تسميها الليّة ولعلها تحريف ألية وهي العجيزة او ما ركب العجز وتدلى من شحم ولحم .

• • •

الشاه المرينو ، الشهيرة بصوفها ، كما وكيفا ، وقد جمعوا بينها وبين الشاه الانجليزية المعروفة بالدون Downs (ومعناها تلال انجلترا) ، وذلك بالتهجين ، فاخرجوا منها انسالا كثيرة اللحم والصوف .



تربية الشياه

تربية الشياه تعتمد اولا على الظروف التي تحيطها . والشياه تربى عادة قطعانا تبلغ الف راس او بضعة آلاف ، وذلك في مناطق من الريف مفتوحة ، هي مروج معشبة خضراء ، ترعى فيها الشياه من العشب ما ترعى ، وتنتقل وراء العشب الرخص من واد الى جبل ، ثم تعود الى واديها والى مرابطها . وتأكل مع العشب كل ما تجد ، او ما يزرع لها في العشب هنا وهناك من الخضر ، كاللفت مثلا .

والشياه لا تربى على الحَبّ طعاما ، لغلاء الحَبّ ، ولكن يستخدم الحب لتسمين الشياه الصغيرة في محابسها قبل ان ترسل للاسواق والمجازر .

والمتتبع لتكثير نتاج الشياه في العالم ، من الناحية التاريخية ، يجد ان اسبق الامم الى ذلك ، كانت تلك الامم ذات المروج الخضراء الواسعة التي تمتع للكلأ ، مثل انجلترا ، استراليا ، امريكا ، روسيا .

كذلك من الظروف الملائمة لتربية الشياه الطقس الجاف المعتدل ، والشياه لا تجود في الاقاليم الحارة ، لا سيما الرطبة .

والى جانب تربية الشياه تلك الاعداد الكبيرة ، توجد تربيتها باعداد صغيرة ، قد تكون عشر شياه او مائة شاة او ما بينهما . وعندئذ تكون التربية هي بعض



وحتى في الولايات المتحدة [illegible] تعرفها [illegible] فيها مسابقات من [illegible] في [illegible] الأمور لا [illegible] العلمية . وهذه الشاة [illegible] هذه المسابقة ، وهي من صنف الكوريدال الذي [illegible] وقالت بها الجائزة الأولى في المسابقة التي عرضت في ولاية [illegible] بالولايات المتحدة

عمل المزرعة يعطي لها المزارع بعض وقته لا كله . والناتج عن أمثال هذه التربية يكون غالبا ذا أثر محلي لا يخرج عن نطاق القرية أو الاقليم أو الدولة .

تربية الشياه فن وخبرة

وتربية الشياه ، سواء في المزرعة ، أو في المروج الواسعة ، فن وخبرة .

مثال ذلك ان الشاة عندما تلد الحمل ، لا بد من وجود من يرعاها . فالحمل قد يحتاج الى التدفئة والبرد قارس وتعرّف الأم على ولدها لا بد أن يتم في حينه حتى تقبله رضيعا .

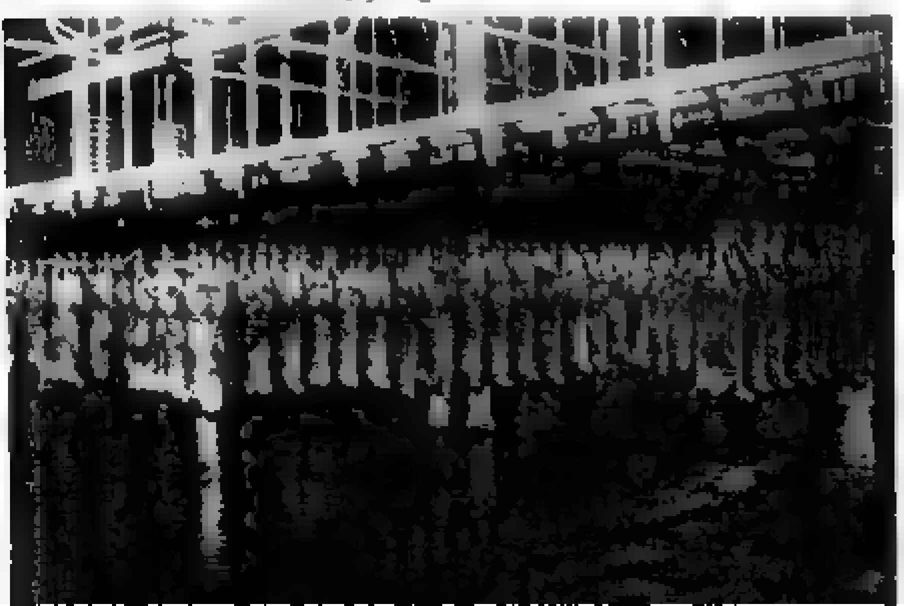
والشاة قد تلد في المرة الواحدة اثنين أو ثلاثا ، وعندئذ يجب أن يستيقظ المربي حتى لا يدعها تترك واحدا منها يموت .

والشاة تذبح من أجل لحمها ، وهي بين ٣ أشهر وخمسة من العمر . والشياه التي لا تذبح تبعد عن أمهاتها بعد نحو الشهر الرابع حتى تستريح الأم قبل أن تعود الى حمل . ومن الأمهات ما يعيش لتلد خمس مرات أو ستا .

والشياه تحتاج الى الملح «ملح الطعام» .

• • •

سلخها . ونرى الأعداد الكثيرة من الرؤوس بعد سلخها وتطهيرها ، وهي الآن في حجرة التبريد تدخل بعدها حجرة التجميد بالبرودة ، ثم تنقل الى الأسواق المحلية



وهي تحتاج الى الكلسيوم اذا لم يكن دخل الى طعامها من طريق الخضر . وكذلك الى الفسفور ، ومن الفيتامينات تحتاج الى فيتامين ا في احوال من الطعام خاصة

ان الشاة كائن حي ، والانسان كائن حي ، وصحة الاثنين مرتبطة في علم الحياة باشياء أشباه .

والشياه في حاجة الى الماء ، تماما كحاجة الانسان ، وقد تشرب الواحدة ٦ لترات من الماء في اليوم .

والقطيع لا يستطيع ان يمشي المسافات الواسعة في اليوم ، فهو ، كالانسان ، يتعب . انه يتعب ، ولكنه لا يعرف كيف يشكو . ومعروف باستمرار ان الشاه يجب الا تسير في النحو اكثر من ميلين بين مرعاها ومصدر مائها

والشياه في حاجة الى حماية الانسان من ذئاب الارض ، وجوارح السماء .

والشياه تربى للحمها ، ولكنها في هذه الدنيا الواسعة تربى على الاكثر لصوفها ، ومع الصوف اللحم . ويجز الصوف والجز حادث متكرر ، ويستخدم لذلك جزازات تعمل بالكهرباء .
والصوف قصير ، ومتوسط الطول ، وطويل ، تبعا لنوع الشاه .

والقطيع من الشياه يضم عادة خروفا واحدا لكل نحو ٣٠ أو ٣٥ نعجة .

منافع الشياه

ونجمل منافع الشياه هنا فنقول : ان من منافعها الصوف ، واللحم ، وكذا البانها تحملها اقوام فتدر عليهم ضروب مقدارة منها اللبن الكثير ، ومنه يصنعون الجبن الجيد ...

ومن الصوف يصنع الناس الملابس اذا كان صوفا رخيا ناعما ، او السجاجيد ان كان خشنا .

والفرو من نتاج الشياه القيم ، ويبقى عليه صوفه فيستخدم ملابس تدفئه لا سيما في البلاد الباردة ، او يجز من الفرو الصوف ، ثم يدبغ الجلد من بعد ذلك ، فيكون منه منافع شتى : في صناعة الاحذية ، والاثاث ، والثياب ، ولتجليد الكتب ، والقفازات .

ظلة يجري تحتها جز الصوف للشياه بالقصاص الكهربائية .



ومن احشاء الشياه تحط منافع .

فالمعا يستصنع لعمل السجق ، ويستخدم ايضا لصناعة الأوتار التي تستخدم في الجراحة لربط الجروح او في الآلات الموسيقية لاعطاء الانغام .

ولا شك ان الصوف به دهن Lanoline له فوائد في عمل المراهم وادوات التجميل .

الدول المنتجة للشياه في العالم

ليس لدينا احصاء أجد من احصاء عام ١٩٥٦ .

ومنه نصل ، فيما يختص بالقارات ، ان انتاج القارات من الشياه في ذلك العام هو .

آسيا :	١٨٤٦٠٠	الف راس
اوروبا :	١١٢٥٠٠	الف راس
امريكا الجنوبية :	١٢٠٠٠٠	الف راس
افريقية :	١٢٨٥٠٠	الف راس
امريكا الشمالية :	٣٩٠٠٠	الف راس
استراليا ونيوزلندة	١٣٧٠٠٠	الف راس
العالم .	٩٠٩٦٠٠	الف راس

أما من حيث الدول فاشهرها

استراليا :	١٣٧٠٠٠	الف راس
نيوزلندة :	٤٠٠٠٠	الف راس
المملكة المتحدة :	٢٣٠٠٠	الف راس
اوراجوى :	٢٦٨٥٠	الف راس
الولايات المتحدة :	٣١١٠٩	الف راس

من ذلك نرى ان استراليا اكبر دولة منتجة للشياه ، وهي من اجل ذلك اكبر دولة منتجه للصوف ، وهي الآن تنتج ٢٩ ٪ من صوف العالم ، والذى تجزه من شياهها يبلغ في العام الواحد ١٤٠٠ مليون رطل من الصوف .

●●

احمد زكي



الدورست : شاة انجليزية ، صوفها متوسط ، والذكر والانثى يحملان القرون .



صورة للحمل القرقولي ، وهو الى جانب امه . ويذبح الحمل وهو دون الاسبوع عمرا ، ليصنع من فروه فرو ناعم لامع ، معقوف الوبر ، اسود ، جميل .

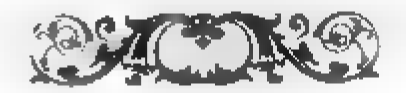
● ● ●

حمل مهجن من خروف قرقولي ، ونعجة امريكية . وهذه الشياه قيمتها فيما تنتج من حملان ، لانها تذبح عندما يبلغ عمرها الاقل من اسبوع ، وعندئذ يتخذ من فروها فرو معقوف الوبر لامع ناعم الملمس اسود .



صفحات في اللغة

الحرفان ج و ق ونطقهما



● تختلف البلاد العربية في نطق القاف والجيم. فالجيم التي نقرأ بها القرآن والتي ينطقها أكثر البلاد العربية الآن هي الأصيلة في النطق العربي، والتي كانت سائدة في القبائل العربية من القديم ما عدا بعض القبائل اليمنية.

أما الجيم التي ينطق بها الآن أهل القاهرة وبعض بلاد الوجه البحري، والتي يقلدهم فيها بعض المثقفين، وهي التي تشبه نطق الحرف G في الانجليزية في مثل Go King فإنها كانت تنطق هكذا في بلاد اليمن، وممن نص على ذلك أحمد بن فارس في كتابه «الصاحبي» وقد وصف هذا الحرف بأنه «بين القاف والكاف والجيم» وذكر أنهم يقولون في مثل «جمل» «كمل».

وهذا الحرف موجود في سائر اللغات العالمية على ما نعلم وفي اللغة الفارسية واختاروا لرسمه حرفا هو الكاف وفوقها خط صغير.

وهذه الجيم اليمنية كان انتشارها في مصر من قديم، لأن أكثر القبائل التي فتحت مصر مع عمرو ابن العاص كانت يمنية، وسكنت في المنطقة التي تشمل القاهرة والجيزة الآن وما قاربهما.

أما صعيد مصر وأكثر البلاد العربية فالجيم لديهم بعيدة عن هذا التأثر بالحرف اللين بين القاف والكاف والجيم.

لكن هؤلاء عموما ما عدا أهل القاهرة وما قاربها، وما عدا بعض القلة من البلاد العربية ينطقون القاف في جميع أوضاعها في الكلمة مثل ما ينطق الحرف G في مثل Go King أي أن قافهم شبيهة بالجيم القاهرية. وهذه القاف هي التي كانت سائدة في قبائل العرب ما عدا قريشا وبعض الحجازيين من أيام الجاهلية، وأحمد بن فارس يذكر أن نطق هذه القاف مثل الكاف من لهجة تميم، كما نجد في اصطلاحهم أن تميما كان يقابل بهم أهل الحجاز عند استعمال اللهجات، لكثرة بني تميم وانتشارهم. أما قريش ومن جاورهم فينطقون القاف الفصيحة التي نقرأ بها القرآن ونستعملها في الأحاديث والمحاضرات والخطب.

ومسألة القاف التي تقلب همزة، وهي التي يستعملها أهل القاهرة وبعض الوجه البحري في مصر ومن يقلدهم فيها، تبعا للترقيق الحضاري، وهذه لا يعرف لها أصل في لهجات القبائل العربية القديمة. ولا يعرف متى بدأت في القاهرة. لكننا نستنتج من نص في أحد الكتب أنها كانت شائعة في القاهرة منذ سبعمائة سنة على الأقل. ففي كتاب الرحلة المغربية للعبدري في صفحة ١٢٧ يقول عن أهل القاهرة «وجمهورهم يجعل القاف والكاف همزة» والعبدري من أهل القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري، وكتابه مؤلف حوالي سنة ٦٨٨ هجرية، أي قبل زمننا بحوالي سبعمائة سنة. على أننا لا نعرف في القاهريين الآن ولا في من يقلدونهم أحدا ينطق الكاف همزة، والسائد بينهم الآن هو نطق القاف همزة. وبالطبع لا تكون ظاهرة قلب القاف همزة سائدة منذ سبعمائة سنة ويلحظها غيرهم ويقول عنها إن جمهورهم يجعلها همزة إلا إذا كانت منتشرة قبل ذلك بقرنين على الأقل حيث تعودت عليها الألسنة وتوارثها الأبناء فصارت ظاهرة لسانية. ■

اعمل

فالعمل نشاط إبداعي وخلق للذات بالذات !

- العمل في أعلى صورة من صور العمل البشري؟
- الالتزام بين الفكر والعمل
- نحن نعمل لذواتنا وللآخرين
- العمل ومسار التاريخ الكلي الشامل

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

استاذ فلسفة الأخلاق بجامعة القاهرة

[illegible]

الرواة أن الله حين طرد آدم من الجنة صرخ في وجهه [illegible]

بكل حركة » ! ومنذ ذلك الحين ، أصبح « العمل » [illegible]

الإنساني ، ونقمة [illegible] آدم ! [illegible]

[illegible]

في أدائه جهداً ، ويطوي أثناء القيام به تعبا .

وكم من أناس يسخطون على الحياة ، لا لشيء الا لأنها مشروطة بالعمل ، متوقفة على الجهد واذا كان من الصحافة البالغة ـ كما قال « آلان Carly » ـ ان نلعن الشمس لأنها لا تشعل لنا لفافة التبغ حين نريد منها ذلك ، فقد يكون من السخافة بمكان أيضا ان نتمرد على الحياة لمجرد انها لا تنزل دائما عند رغباتنا ، ولا تحقق لنا باستمرار كل احلامنا ! ومع ذلك ، فلنتصور حياتنا وقد خلت تماما من كل المشكلات التي تتطلب العمل ، وامحت منها شتى الصعوبات التي تستلزم المواجهة ، وارتفعت منها سائر المعضلات التي تحتاج الى المعالجة ، وانمحت فيها كل المخاطر التي تحفزنا الى المجاهدة ... لنتصور حياتنا على هذا النحو ، ولنتساءل بعد ذلك عن نوع السعادة التي يمكن ان تتوافر للانسان في مثل هذه الظروف : هل تكون مثل هذه الحياة حياة سعيدة ترتاح اليها نفس الانسان ، وينعم بها عقله ، ويطمئن اليها قلبه ؟ الن تكون هذه الحياة ـ على وجه التحديد ـ مجرد حياة رتيبة مملة ، تخلو تماما من كل قيمة ، ولا تحقق لصاحبها ادنى سعادة ؟

الدلالة الميتافيزيقية للعمل البشري ..

لقد اهتم بعض الروائيين بوصف « الآلام » التي تقترن بالكثير من « الحرف » ، فوضع بين أيدينا الروائي الفرنسي المعاصر بيير هامب Pierre Hamp ، صورة صادقة مؤثرة للمشقات الكثيرة التي يعانيها بعض أصحاب الحرف اليدوية ، في روايته المسماة باسم « الام البشر La Peine Des Hommes » ، وليس في وسع احد ان ينكر ما في حياة « اهل الطبقة الكادحة » من أعمال شاقة ، وجهود مضنية ، وارهاق بالغ ، حتى لقد اصبح « العمل » عندهم علما على الأعصاب المكدودة ، والأوصال المنهكة ، والنفوس المتعبة . ولعل هذا ما حدا ببعض المصلحين الاجتماعيين الى المناداة بتحسين حال العمال ، وتقليل ساعات العمل ، ورفع مستوى حياة الطبقة العاملة . وبالغ بعضهم في وصف « مساوىء العمل » ، فقام رسل Russell يدعو الى تمجيد الكسل ، وراح ينادي بتوفير المزيد من أوقات الفراغ للانسان المعاصر ، بينما ذهب آخرون الى ضرورة التخفيف من حدة متاعب الانسان ، باحلال « الآلة » محل « العامل » ، واستخدام « القوى الذرية » او « الالكترونية » بدلا من « الطاقات البشرية » أو « الأيدي العاملة » . وهذه كلها صيحات اجتماعية عادلة ، ودعوات اصلاحية سليمة ، ولكنها تستند في الحقيقة الى نظرات فلسفية قاصرة ، واحكام عقلية ناقصة . وآية ذلك انه ليس ثمة « عمل » يمكن ان يعد « شرا خالصا » : مادام من شأن كل عمل ان يقترن بنشاط ايجابي نعبر فيه عن انفسنا ، ونخلع فيه طابعنا على العالم الخارجي ، فنشعر بشيء من « اللذة » او « المتعة » او « الغبطة الروحية » . وان الأعمال لتختلف من حيث درجة « الخلق » او « الابداع » التي تجيء معها ، ولكن من المؤكد انها جميعا مظاهر حية لسيطرة الانسان على العالم ، وقدرته على صبغه بالصبغة الانسانية . وقد درجت الأسطورة اليونانية على تصوير سيزيف Sisyphe بصورة « الانسان التعس » ، وتصوير بروميثيوس Prometheus بصورة « الانسان المتمرد » ولكن ليس ما يمنعنا من أن نتخيل الواحد منهما والآخر على قدر من السعادة في صميم جهده الدائب ، او تمرده الساخط !

والحق انه في استطاعتنا ان نعرف الانسان بقولنا : « انه الموجود القادر على العمل » . واذا كانت « القدرة على العمل » هي « القدرة على خلق اثر متحقق يكون صنيعة يد الانسان » ، فليس بدعا ان تقترن هذه القدرة بشيء من الغبطة او السعادة . والعمل يفترض ان كلا من الانسان والعالم ، او الذات والموضوع ، ليس حقيقة مكتملة ، او شيئا جاهزا معدا من ذي قبل ، بل هو حقيقة مرنة تلتمس التحقق ، او شيئا ناقصا لابد من العمل على استكماله . وقد كان فلاسفة العصور الوسطى يقولون ان للعمل مهمة مزدوجة ، لأنه لابد للعامل من ان يحقق شيئا من جهة ، كما انه لا بد له من ان يصنع ذاته (حين يعمل) من جهة اخرى . فالعمل ينصب على الطبيعة ويتجه نحو العالم الخارجي من جهة ، ولكنه يرتد الى الانسان وينعكس على الفرد نفسه من جهة اخرى . ولا بد للعامل من ان يجد نفسه مضطرا الى الخضوع لشريعة العمل ، او النزول على حكم

الشيء المصنوع أو الأثر المحقق نفسه . والسبب في ذلك أن « العمل » يرتبط بالموضوعية ، ويضطرنا إلى « سلب الذات » مادام المهم في « الإنتاج » هو « الناتج » نفسه ، لا نية الفاعل أو أحلامه وخيالاته . ومن هنا فإننا نستشير الطبيب الماهر ، ونتعامل مع الصانع الممتاز ، ونرقي الموظف الكفء ، بغض النظر عن ميوله السياسية ، أو اتجاهاته الحزبية ، أو مذهبه الديني ، لمجرد أنه يتقن عمله ، ويجيد حرفته ، ويقوم بأداء واجبه على الوجه الأكمل . ولعل هذا ما حدا بالمثال الفرنسي الكبير رودان Rodin ، إلى تمجيد « العمل الجيد » أو « الصناعة المتقنة » باعتبارها صورة من صور « الفن » .

هل يكون « العمل الفني » أعلى صورة من صور « العمل » البشري ؟

ونحن حين نتحدث عن « الفن » فإننا نتحدث عن ثالوث موحد يضم الفكر ، واليد ، والأداة . وقد كان ليوناردو دافنشي Leonardo de Vinci يقول عن « التصوير » إنه « شيء ذهني » Cosa Mentale ، ولكنه لم يكن يعني بذلك أن الفن صورة من صور الفكر المحض ، أو أنه لا ينطوي على أي نشاط يدوي ، بل كان يشير إلى اختلاف عمل الفنان عن الجهد الحرفي المحض ، وكان يفرق بين « الفنان المبدع » و « الصانع المقلد » . وقد يبدو لنا ـ بادئ ذي بدء ـ أن الفنانين عقول هائلة تكشف عن أسرار الطبيعة ، أو قلوب كبيرة عامرة بأعمق المشاعر الإنسانية ، ولكن الفنانين في الحقيقة هم أولا وقبل كل شيء أناس يملكون « أيديا » ، ويعرفون كيف يفكرون بأيديهم ! ولما كان من شأن الخيال أن يتبدد سريعا ، كما أن من شأن حركات الفكر والوجدان أن تكون عابرة سريعة الزوال ، فليس بدعا أن تكون اليد هي وسيلة الفنان إلى استبقاء تلك الأطياف الشاردة ، وتزويدها بالصورة التي تضمن لها البقاء . وقد يستطيع الإنسان الذي يسترسل في أحلامه أن يشهد الملايين من الرؤى الجميلة والأشكال الرائعة ولكنه لو اقتصر على « الحلم » وحده ، لما استطاع أن يستبقي تلك الصور ، أو أن يخلع عليها أي ثبات . ولا غرو ، فإن الفارق بين « الحلم » و « الحقيقة » ، أن الإنسان الحالم لا يستطيع أن يستحدث أي فن ، نظرا لأن يديه غارقتان في وسن عميق ، في حين أن الإنسان الفنان هو ذلك الذي يعرف كيف يستخدم يديه في تجسيد هذه الأحلام ، وتثبيت تلك الرؤى!

والواقع أن يد الفنان ليست مجرد أداة خلق وإبداع ، بل هي أيضا أداة مخاطرة ومعرفة . وكما كان الإنسان الأول يشق طريقه عبر الأشياء في تعثر وتردد ، فإن الفنان أيضا لا يكاد يكف عن رؤية الأشياء ولمسها في تساؤل وتعجب . ولكن الفنان لا يسائل المادة إلا باستعمال يديه : لأنه يلمس الأشياء ويتحسسها ، ويستطلع أشكالها ، ويستكشف مدى مرونتها ، ويتعرف على طبيعة تكوينها ، ويستمد من لغة اللمس لغته البصرية التي يستخدمها في تصوير تلك الأشياء . ومن هنا فإن موقف اليد من الفكر لا يمكن أن يكون موقف العبودية السلبية ، بل لا بد للاثنين من أن يتعاونا سويا على تصور « العمل الفني » وتنفيذه، دون أن يكون « الفكر » هو الذي « يأمر » ، و « اليد » هي التي « تأتمر » . وهذا ما يعنيه بعض علماء الجمال حينما يقولون إن اليد نفسها ذكاء ، وإحساس ، وإلهام ، أو هي على الأصح أداة عاقلة ، حساسة ، ملهمة ! وكثيرا ما يقال عن بعض الفنانين الممتازين ، أو بعض الصناع المهرة ، إنهم يملكون ذكاء في أطراف أصابعهم ! ومعنى هذا أن الفنان إنسان موهوب يفكر بيديه ، وكأنه يحمل « عقلا » في أطراف أصابعه . ونحن نعرف قيمة اللمسات الأخيرة في أي عمل فني ، ولكننا قد لا نتصور أن يكون لليد بيانها وفصاحتها ، إن لم نقل شعرها وسحرها ! وحسبنا أن نمعن النظر إلى ألاعيب الفكر واليد لدى فنان مثل بيكاسو : Picasso ، (على نحو ما قدمها لنا مخرج الفيلم الذي صوره لنا أثناء قيامه بعمله) لكي نتحقق من أن هناك تآزرا عجيبا يتم بين « اليد » و « الفكر » ، لدى كبار الفنانين ، فيجعل من « العمل الفني » إبداعا حقيقيا يشهد بسيطرة الإنسان على الطبيعة . وكثيرا ما تجيء « الأداة » ، فتزيد من سيطرة « اليد » على المادة ، وتساعد « الفكر » على خلق « العمل الجيد » ، وبذلك يجيء الفن مصداقا لتضافر « الفكر » ، و « اليد » و « الأداة » ، على تحقيق « الإنتاج المتقن » أو « الصناعة الجيدة » .

دور « الالتزام » بين « الفكر » و « العمل » ..

وهنا قد يقول قائل : « اننا لسنا جميعا فنانين فلا يمكن ان يكون العمل مبدعا ـ في جميع الحالات ـ مثل هذا الطابع الابداعي » . ونحن نوافق أصحاب هذا الرأي على ان العمل البشري لا يتسم دائما بهذه الصبغة الجمالية ، ولكننا نميل الى الظن بان من شأن كل عمل بشري ـ كائنا ما كان ـ ان يضيف شيئا من الجدة الى الواقع الماثل من ذي قبل ، او ان يضفي طابعا انسانيا على شيء ناقص او مكتمل . وكثيرا ما يعمل الانسان من اجل الناتج الذي يحققه ، او المشروع الذي يمثله ، لا من اجل ذاته او وجوده الخاص . صحيح ان الذات الانسانية اسمى بكثير من كل ما تبدعه ، او كل ما تصنعه ، ولكنها لا يمكن ان توجد ، اللهم الا اذا تجسمت ، وتحققت ، وانمحت في واقع ملموس ، بحيث تصبح في مقابل وجودها الروحي (او الذهني) حقيقة عينية تكون هي « العمل » الذي تتعرف على نفسها فيه . واذا كان من شأن « الفكر » ان يظل ضمنيا او مضمرا ، الى ان تجيء « اللغة » فتسمح له بالتحقق او التجسد ، وبذلك يجيء « الفكر » ذاته من خلال تلك الواسطة اللغوية ، فان من شأن « النفس » ايضا ان تتخذ من « البدن » واسطة تضمن لنفسها التحقق من خلالها ، ولكن « العمل » الذي ينهض باداءه الانسان هو الواسطة التي تسمح للروح بان تنسى ذاتها . ولا غرو ، فان الذات التي تعمل تنسى نفسها ، وتندمج في عملها ، وتخضع بنفسها لهذا النشاط العملي الذي تقوم به .

ومن هنا فقد يكون في وسعنا ان نفهم السر في ارتباط العمل بالالتزام : Engagement ، وماذا عسى ان يكون « الالتزام » ان لم يكن تعبيرا عن هذه الحقيقة البشرية الهامة ، الا وهي : انه لا بد للنشاط الذهني للانسان من ان يستحيل الى نشاط عملي (هادف) ، والا لاصبح حلما واهيا ، او سرابا خادعا ، او صورة من صور « الهروب » Evasion ، فالمعيار الوحيد الذي نستطيع عن طريقه ان نحكم على « الحقيقة » التي يؤمن بها اي مفكر ، انما هو مدى قدرة هذه على تغيير العالم واصلاح الانسان ، خصوصا وان الفكر الصادق هو بلا شك ذلك الذي يرتد الى نفسه فيغير من طبيعة صاحبه ، ويلزم بالانصياع لمبادئه . والحق ان العمل هو التزام الانسان في الطبيعة والمجتمع : لان كل من وهب نفسه لخدمة فكرة او لنشر مبدأ ، لابد من ان يجد نفسه ملزما بالعمل على تحقيق هذه الفكرة او تنفيذ ذلك المبدأ . ولما كان الانسان موجودا متجسدا (اعني نفسا تملك جسدا) ، فليس في امكان فكره ان يتحقق الا عن طريق الالتزام (اعني عن طريق الانخراط في مواقف عينية) . ومهما يكن من سمو اية فكرة ، فانها لاتصبح حقيقة انسانية اللهم الا اذا وجدت « الذات » التي تتخذ منها هدفا تسعى اليه ، وتعمل بالتالي في سبيل تحقيقها . ونحن حين نعمل ، فاننا نحافظ على علاقتنا ربط الفكر بالواقع العملي ، والوفاء بالتزاماتنا الفكرية امام الكون من جهة ، وامام المجتمع من جهة اخرى . واما حين نركن الى الخمول والجمود ، او حين نعمد الى التكاسل والتواكل ، فهنالك يضعف في نفوسنا معنى الالتزام ، ونشعر باننا قد اصبحنا كائنات خاملة ، او واهنة ، او واهية ، لاننا لم نعد نملك اهدافا نسعى الى بلوغها ، او غايات نعمل في سبيل الوصول اليها . وربما كان من بعض افضال « العمل » على الوجود البشري انه يزيد من احساسه بالحرية ، وشعوره بالمسئولية ، فيجعله يدرك الدلالة الميتافيزيقية للالتزام باعتباره تعبيرا عن ارتباط الذات بالكون من جهة ، وارتباطها بالاخرين من جهة اخرى . وقد يستطيع المرء ـ عن طريق الفكر ـ ان يقبع في ذاته ، او ان ينطوي على نفسه ، ولكن لمن يملك ـ حين يقوم باي نشاط عملي ـ ان يبقى وحيدا لا تربطه بالعالم او بالاخرين اية صلة . فالعمل هو الاداة التي تقذف بنا الى العالم الخارجي ، وهو الجسر الذي تعبره الذات لتصل الى دنيا الناس . وهذا هو السبب في ان اعمالنا لابد بالضرورة من ان تتردد في العالم ، والمجتمع ، والتاريخ ...

نحن لا نعمل « لذواتنا » فقط ، بل نحن نعمل ايضا « للاخرين » !

...ان الانسان ليتأثر بما حوله ـ بتأثير

افعاله ــ ولكن من شأن كل عمل يقوم به ان يخرجه من ذاته ، لكي ينتقل به الى عالم الاخرين . وليس في وسع الفرد ان يتمنى ، او يتحرك ، او يفكر ، او يحيا ، دون ان يسجل طابعه الشخصي في العالم الخارجي . ونحن نشعر بأن جو الفردية ــ بطبيعته ــ جو محدود ، خانق ، ضيق الرقعة ، فليس في استطاعة واحد منا ان يكتفي بنفسه ، وانما لا بد له من ان يعمل للاخرين ، ومع الاخرين ، وبالاخرين . صحيح ان كل فرد منا قد يحاول ان ينظم امور حياته بنفسه ولنفسه فقط ، ولكنه سرعان ما يتحقق من ان حياة الافراد هي من الترابط بحيث قد يستحيل ان نتصور عملا واحدا لا يتسع في دوائر كبيرة لا تحصى ، بحيث يصل الى ابعد من الهدف الذي كان يرمي اليه صاحبه . وهناك افعال قد تبدو لنا تافهة عديمة الشأن ، ولكن تأثيرها قد يكون اعمق وابعد مدى من كل ما نتوهم : الا قد تبعث الاضطراب والفوضى في حياة بأسرة منظمة ، او قد تنتزع مجهولا من أنانيته ونرجسيته ، او هي قد تسبب اخطاء وعثرات لدى البعض ، بينما قد تولد تضحيات عظيمة لدى البعض الاخر . ومن هذه الافعال واصدائها تتألف ملحمة الحياة الانسانية بكل ما فيها من شرور وخيرات ! .

ولئن كنا قد ذكرنا فيما سلف ان في « العمل » موضوعية ونسيانا للذات ، الا اننا نستطيع ان نضيف الى ذلك ان « مجموع اعمالنا » لابد من ان يجيء فيطبع صورتنا في الوسط الذي نعيش فيه . ومعنى هذا ان الذات تتحقق في العالم الخارجي من خلال الاعمال التي تنجزها ، والافعال التي تؤديها ، بحيث انها لتصبح مركز اشعاع ذاتي في العالم الذي تعيش فيه . ولو اننا نظرنا الى افعالنا الخلقية ، لوجدنا انها ليست مجرد حركات تصدر عنا ، او استجابات نقوم بها ، بل هي مظاهر لنيات خاصة نريد ان نحققها ، او هي تعبير عن مثل عليا نحاول ان نجسدها في سلوكنا العملي . واذا كان للفعل الخلقي حقيقته النوعية التي تميزه عن كل ما عداه من افعال ، فذلك لانه مظهر لحياة فردية خاصة ، وتعبير عن طابع شخصي معين . ولكن كلا منا حين يعمل (عملا اخلاقيا) فانه يحقق فعله للاخرين وبالاخرين . وهناك سمة

عامة تميز كل نشاط اخلاقي ، وتلك هي الرغبة الملحة التي تفرض على الناس ان يتواصلوا ، ويتفاهموا ، ويتقاسموا عواطفهم ومشاعرهم وافكارهم ، بحيث يمتد كل منهم بفعاليته الى الاخرين ، املا من وراء ذلك ان يطبع صورته في نفوس الاخرين ، حتى يكونوا له شهودا ومعاونين ، ان لم نقل شركاء ومقلدين !

والواقع ان « الفعل » الذي يقوم به الفرد ليس مجرد « عمل خاص » يهم صاحبه وحده دون سواه ، بل هو « عمل اجتماعي » يتسم بطابع كلي عام : لانه يخرج الى الوسط الجمعي الذي يتحقق فيه ، فيحدث تأثيره في عقول الاخرين وافئدتهم وشتى جوانب حياتهم . ولو اننا ضربنا صفحا عن تلك الاعمال التي يقوم بها البشر بحكم الغريزة او العادة او « الروتين » ، لكان في وسعنا ان نقول ان معظم الاعمال الانسانية هي بمثابة نيات متحققة ، وقيم اخلاقية متجسدة ، ومثل عليا متجسدة : فهي ظواهر اجتماعية عامة لها دلالتها الخاصة في صميم الوسط الخارجي الذي تتحقق فيه . والذن فان العمل الذي يقوم به الفرد ــ وان بدا له احيانا عملا فرديا يهمه هو وحده ــ عمل اجتماعي يقوم بدور المحرك الفعال او الزالزل القوى في وسط خارجي يضم افرادا آخرين هم على استعداد لفهم دلالة ذلك العمل ، ان لم نقل بانهم قد يقعون تحت تأثيره ، ويعملون بمقتضاه مترسمين خطاه (١) .

ان كل فعل هو نقطة تحول في مسار التاريخ الكلي الشامل !

... حقا ان نتائج اعمالنا قد لا تجيء دائما مطابقة لمقاصدنا . فان الفعل المتحقق يختلف بالضرورة عن الفعل المتصور ، ولكن من المؤكد اننا مسئولون دائما عن كل ما قد يترتب على افعالنا من آثار . فليس في استطاعتنا ان نحول دون امتداد نتائج افعالنا الى الاخرين ، او ان نغسل ايدينا تماما من كل الآثار قد تنجم عن اعمالنا في عالم الاخرين ، وانما لا بد لنا من ان نعترف بأنه يستحيل علينا ان نحول دون تسربه الى الاخرين

(١) Maurice Blondel "L'Action", Vol. II., Paris, 1937, P. 235-6

كما أنه ليس في وسعنا أن ننقل الى الوسط المحيط بنا ، أو أن نخرج منه ، كيفما نشاء وفي أي وقت نشاء . والحق أننا لا نملك من الحرية ما نستطيع معه أن نمنع الآخرين من التأثر بأفكارنا ، وأفعالنا ، وعواطفنا لأنه بمجرد ما نتمكن من التعبير عن أفكارنا ، أو الاتيان بأفعالنا ، أو الترجمة عن عواطفنا ، فاننا نكون عندئذ قد طبعنا صورتنا الخاصة في الوسط الاجتماعي المحيط بنا . وحين يصدر « الفعل » ، فانه يصبح عندئذ بمثابة « رسالة » موجهة الى كل من يستطيع الفهم ، والمعرفة ، والارادة . ولا غرو ، فان « الانتشار » و « الاستمرار » سمتان أساسيتان من سمات « الفعل » ، حتى لقد قال بعض الفلاسفة ان الفعل — كالطفل — يحيا ، وينمو ، ويرقى ، فضلا عن أنه يحمل في طياته « شحنة روحية » تقتضي الفهم ، والاستجابة ، ورد الفعل . وليس أدخل في الخطأ مما توهمه بعض أنصار « المثالية الذاتية » حينما زعموا أن « الذات مغلقة ليس لها أبواب ولا نوافذ تطل منها على العالم الخارجي » ، وكأن الذات عالم مغلق بذاته ، أو قوقعة مغلقة على نفسها ، أو كأن في استطاعة الذات أن تتوقف عن الفعل ، أو أن تكف تماما عن تحقيق ذاتها في العالم الخارجي ! .

والحق أننا موجودات منفتحة في الخارج أكثر مما نحيا في الداخل ، وأسرار ذوات الآخرين قبل أن يتوافر لها وعي حقيقي بذاتها الخاصة . وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا : اننا نظل — جميعا — نتبادل البعض الآخر ، وكأن ثمة « تناسلا روحيا » يتم بين أفكارنا ، أو « ولادة روحية » تتم بين أفعالنا . وهذا التلاقح الروحي الذي يشهده عالم الانسان في كل لحظة ، انما هو الدليل القاطع على أن أحدا لا يفكر بذاته ولذاته ، بل هو يفكر للآخرين وبالآخرين ، كما أن أحدا لا يعمل بذاته ولذاته ، بل هو يعمل للآخرين وبالآخرين . وحين يقول الفيلسوف الفرنسي الراحل موريس بلوندل Maurice Blondel « ان كل فعل هو نقطة تحول في مسار التاريخ الشامل » ، فانه يعني بذلك أن أصداء الفعل قد تتسع حتى تشمل مجرى الأحداث الكونية والبشرية في كل مكان . ولا بد للانسان — والحالة هذه — من أن يعمل ، وكأنما هو يحكم العالم بأسره : فان الآخرين قد يتقبلون أدنى منحة تقدم لهم ، وهم قد يكونون على استعداد لأن يستخرجوا منها كل ما ينطوي عليه من معان كامنة أو قيم دفينة . وليس من الضروري أن يتوافر لدى المرء وعي واضح بكل النتائج التي تترتب على فعله : فقد يحدث في بعض الأحيان أن تكون هناك بواعث خفية تحول دون فهمه للمضمون العميق لهذا الفعل ، وان كانت هذه البواعث قد لا تمنع من تحقق تلك النتائج بمقتضى المنطق الضروري الكامن في صميم « الفعل » نفسه . ومهما يكن من شيء ، فان « العمل » الذي نقوم به لا بد من أن يترك أثره في حياتنا الخاصة من جهة ، وحياة الآخرين من جهة أخرى . وحين تحدث مونييه Mounier (زعيم النزعة الشخصانية في فرنسا) عن أبعاد الفعل الأربعة ، فانه كان يعني أن الفعل يعدل من الواقع الخارجي ، ويصنع ذواتنا ، ويقربنا من الناس ، ويثري عالم القيم ... (٣) .

في البدء كان العمل !

ونحن نلاحظ أن هناك عناصر أربعة تدخل في تكوين كل فعل :

(١) الفرد الذي يحققه . (٢) المادة التي يحاول أن يمارس فيها فعله . (٣) المقاومة التي يجب أن يتغلب عليها . (٤) الجهد الذي يتمثل في النشاط المبذول من أجل الفعل . — ولقد بقي « العمل » موضوعا يستأثر باهتمام علماء الاقتصاد ، ورجال السياسة ، وعلماء الاجتماع ، وأهل الأخلاق ، بينما ظل الفلاسفة يوجهون معظم اهتمامهم الى دراسة « الفكر » ، دون العناية بالخوض في بحث « الفعل » ولم يلبث أهل الفكر المعاصر أن فطنوا الى هذا النقص في دراستهم للموقف البشري ، فاتجهوا بأنظارهم نحو معنى النشاط العملي ، وراحوا يتحسسون الدلالة الميتافيزيقية للعمل البشري . وجاء برجسون

(٣) E. Mounier : Le Personnalisme, Paris, P. [illegible]

Bergson فاطن ان ما نصنعه رهن بما نحن اياه ، بمعنى ان فعلنا متوقف على نوع وجودنا ، او اننا عين ما نعمل (ان صح هذا التعبير) (٣) .

وانتشرت فلسفة الفعل في أجواء الفكر المعاصر ، فقام فلاسفة كثيرون بتحليل طبيعة العمل ، ومعنى الالتزام ، ودور الحرية في الفعل البشري... الخ . وارتبط معنى الفعل — في اذهان الكثيرين — بمعنى خلق الذات بالذات فلم يعد « العمل » مجرد مظهر « لاغتراب الذات عن نفسها » Alienation بل اصبح ايضـــا علما على « ترشاد الذات الى نفسها » (ما دام من شأنه ان يحيل الشيء الهجين الغريب الى شيء مادي مألوف ، وان يخلع على الشيء المختلط صورة طابعا بشريا او صورة انسانية) ... وهكذا ادرك الانسان المعاصر انه اولا : لا يوجد الا بقدر ما يعمل : لان العمل وحده هو الذي يجعله يوجد (بمعنى الكلمة) ، وانه ثانيا : يفرض بعمله دائما ضربا من التغيير او التعديل على العالم المادي : لان الفعل الذي يقوم به لا بد من ان يحدث اثره في العالم الخارجي ، وانه ثالثا : يخلق عن طريق فعله نوعا من الاتصال بينه وبين الآخرين : لانه يظهر بالتزامه امام نفسه وامام الآخرين « عقدا روحيا » يقوم على التبادل والتأثر ، وانه رابعا : يعمل على تدعيم عالم القيم البشرية ، لانه يحرر الذوات الاخرى ويوقظها من سباتها حين يجسم مثله العليا في الوسط الاجتماعي ، فيعمل ، على تقريب شقة الخلاف بين الواقع والمثل الاعلى ! (٤) .

تلك هي الخطوط الرئيسية لفلسفة الفعل ، على نحو ما يفهمها الفيلسوف المعاصر . ولقد كان معنى « اللوغوس » Logos في الفكر القديم هو « الحقيقة » ، فاصبح معناه في الفكر المعاصر هو « الحياة » وكان الاقدمون يقولون : « في البدء كان الفعل » . والان أليس من واجب الفكر العربي — اليوم — ان يعلي من قيمة « العمل » ، وان يبرز اهمية « الالتزام » حتى يسهم في خلق مجتمع جديد يقوم على فضائل الجهد ، والايجابية والانتاج ؟ أليس من حقنا عليك — ايها القارئ العربي الكريم — ان ندعوك الى الخروج من عالم الذاتية ، والانانية ، والاستغراق في احلام اليقظة ، من اجـــل الاندماج في عالم الايثار ، والغيرية ، والعمل من اجل الآخرين ؟ ... ان « العمل » هو الألف والياء في دراما الوجود البشري ، فلا بد لنا من ان نعمل حتى نفصـــل في مصيرنا لانفسنا وبانفسنا ، (وقل اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .

زكريا ابراهيم

---

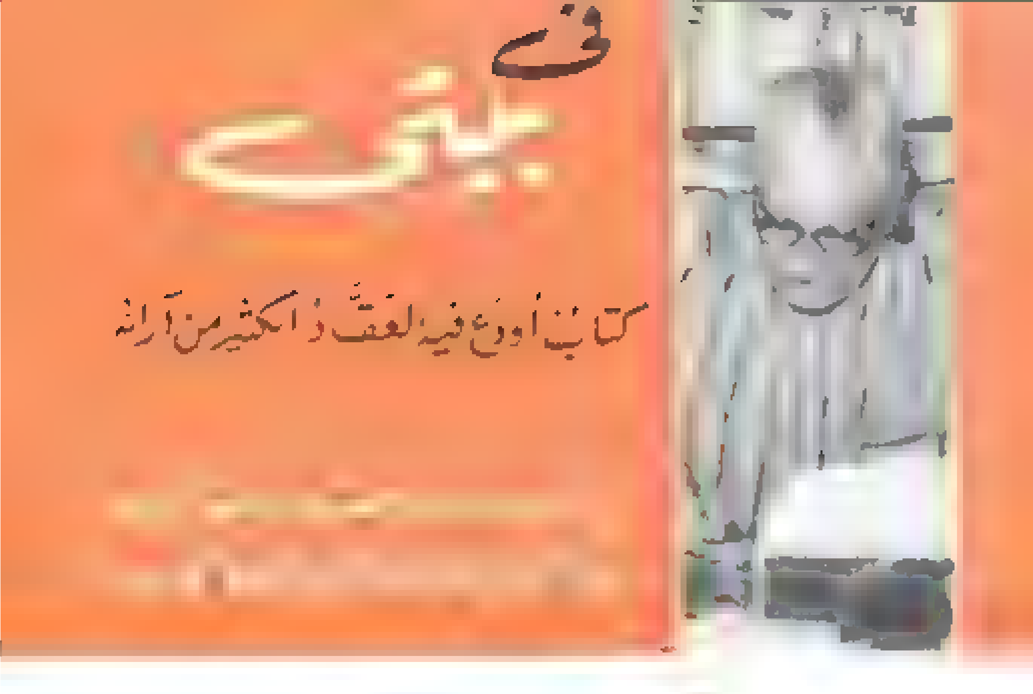
(٣) Bergson : L'Evolution Creatrice .. P 7

(٤) Lavelle : De L'Act P 182

لماذا زال ملكهم

● سأل المنصور احد بني امية عن سبب زوال ملكهم ، فقال : تسأل اول شيء كيف كان بدء زوال ملكنا ؟ فقال : اجل . فقال : سألت فاسمع .

... شغلنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعنا ، وابرموا امورا اسروها عنا ، فظلمت رعيتنا ، ففسدت نياتهم لنا ، وخرب معاشنا ، فخلت بيوت اموالنا ، فقل جندنا ، فزالت هيبتنا ، واستدعاهم اعداؤنا فظاهروهم علينا ، وكان اكثر الاسباب في ذلك استتار الاخبار عنا .



بقلم : عمر ابراهيم الراكني

كانت جوانب العقاد كثيرة متعددة ، وظهرت هذه الجوانب جلية في كتابه المذكور حيث أودعه آراءه في الحياة والفن والفكر والأدب والاقتصاد . وهي آراؤه التي بقي وفيا لها الى يوم مماته .

ومن هنا فرض ذلك الكتاب نفسه .

■ كتب العقاد كتابه هذا عام ١٩٤٥ في شكل حوار مع صاحب له ، ويستهله بالنوبة من حبه لأشعة الشمس ويمتد

[illegible]

بحبه مغروسا في الجواهر وساطعا على الازاهر ، بحبه في الصوت ، ومن الصوت والى الصور .. يحبه لا لأ... اثره وأدائها ، وانما يحبه لذاته ، لأنه جده ولو لم ير شيئا من الأشياء ... لأن هذا الضياء الذي يملأ الفضاء هو النور الأسمى الذي كتب لأبي العلاء أن يراه ، يحب النور لأن الله .. نور السموات والأرض .

وليس بغريب عندما يتحدث العقاد في بيته ومن بيته ، أن يدور الكلام عن مكتبه ، وعن العقول المحفوظة وهي الكتب .. الكتب التي وسعت كل شيء ، لذلك نراه يتحدث الى صاحبه عن القصة ، والشعر ، ورأيه في ابن الرومي ، والتشاؤم والتفاؤل ، والشيوعية ورأس المال والتعاون ، والرسم والموسيقى والأغاني ، والمطبخ والغداء .

فعندما يبدي صاحبه دهشته من صغر نصيب القصة من رفوف مكتبته ، يسمعه يحدثه بأن ذلك يعني لا يحسبه ... حيث ... قراءة كتاب أو أبيات من الشعر ؛ ذلك لأنه يعتمد في

تربية الآداب على مقياسين .
اولهما : الاداة بالقياس الى المحصول .
وثانيهما : الطبيعة التي يشيع بها أي فن من الفنون .
فكلما قلت الاداة وزاد المحصول ، ارتفعت طبقة الفن والادب ، وكلما زادت الاداة وقل المحصول ، مال الى الاسفاف واسرول ، محصين صفحة من القصة لا تعطيك المحصول الذي يعطيك اياه بيت كهذا :

كأن فؤادي في مخالب طائر
اذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

فالقصة في رأيه مثل « الخروب » الذي يقول عنه « المثل » التركي انه « قنطار خشب ودرهم حلاوة » .

ويستطرد المؤلف ليقول انه رغم العبقريات القصصية التي شهدها العالم ، فلا خلاف في مستوى الطبقة التي تروج بينها القصة سواء نظرنا الى مستوى الفكر او الذوق او السن او الاخلاق ، فليس اشيع من ذوق القصة ، ولا اندر من ذوق الشعر ، وليس اسهل من تحصيل ذوق القصة ، وليس اصعب من تحصيل الذوق الشعري حتى بين النخبة من المتعلمين .

ابن الرومي

ويصعد حديث العقاد الى « ابن الرومي » ليرفعه الى ذروة الشاعرية لانه عنده : وحيد شعراء العالم كله منذ حمل الانسان القلم ، في ملكة الوصف والتصوير ، وهي انفس الملكات التي يرزق بها الفنان ، فلا يضارع ابن الرومي شاعر عربي او اجنبي يجري في غباره او ينسج على منواله ، وهو في وصفه وتصويره يفعل ذلك غير متعمد ولا متنبه ، ويضرب العقاد لذلك مثلا ببيتين يصف فيهما ابن الرومي حقلا من الكتان يتضح منهما عمق النظر والبصيرة ، لانه لمح اخضرار لون الكتان ونعومة ملمسه ، وحدد وقت الصورة بوقت الوسن ، وحدد جو المكان بسحاب متحفز يؤذن بالمطر ، واحاط بحركة الكتان تحت هوبه ونسيم الشمال هذا رؤوسه تمارح كانها المدير كل ذلك جمعه ابن الرومي في بيتين عندما قال :

وجنى من الكتان اخضر ناعم
لوسنة تغشى الرباب مطبي
اذا طرقت فيه الشمال تتابعت
ذوائبه حتى يقال غدير

التشاؤم والتفاؤل

ويذكر العقاد بمناسبة كتابه عن ابن الرومي، ان حوله صحبه من شؤم هذا الرجل فلم يلتفت اليهم لانه لا يعترف بتشاؤم او تفاؤل ، ويؤكد ان السنة التي انجز فيها كتابه هذا كانت من اسعد سني حياته وابرزها ، وسلك الكتاب سبيله بين مراجع الادب .

وتحدى العقاد الشؤم والتشاؤم فاختار بيته برقم ١٣ ، ووضع تليفون ورقمه يومئذ مبدوء بـ ١٣ ولايزال يضع على مكتبه تمثالي لبومتين ولم يكتف ببومة واحدة .. ويصفها بانها المظلومة .. فانها ارق الطيور في عشرة الاليف منها للاليف ، تلك التي تحنو على نور القمر ولعزلة الليل . ولا تعجم صوتها على من يأباه ، والتفاؤل والتشاؤم في رأيه مصادفات سيئة ، فلا يجوز ان نركن الى هذه او تلك على انفراد .

راس المال والشيوعية

ثم يتحدث العقاد صاحبه عن راس المال والشيوعية ، وطريق اي مجتمع الى الصلاح فيقول ان راس المال مفسدة للاخلاق ، وسيأتي يوم يزدري فيه الناس المستغلين كما كانوا يزدرون قطاع الطرق ، والشيوعية ان زعمت انها تمنع المترف ، فذلك لان الناس عاجزون عن الانتفاع بالمال اذا سرقوه ، فلا يشترون به ارضا ، ولا يودعونه في بنك ولا يورثونه ، وهي فضيلة المسجون او المضطر الى العفاف .

التعاون

ويؤكد العقاد ان كلمة واحدة هي

سبيل الصلاح وهي كلمة التعاون . فلا خلاص للعالم كلما اعترضته مشكلة في السياسة او في المعيشة الا بالتعاون الذي يجب ان يسود الامم كبارها وصغارها ، وبين الطبقات غنيها وفقيرها، مؤخذ الضرائب من الاغنياء وتريد اجور العاملين ، واذا يعرض الشيوعية لتحقق ولم تمسح الطبيعة الانسانية المبنية على الحافز الفردي وحده .

ويضيف المؤلف قوله بانه لا يزعم ان هذا التعاون سيبطل كل شكاية ويوفر كل مطلب ، فان نظاما من النظم لن يكفل هذا الفردوس لبني الانسان الى آخر الزمان ، وان كفله لكان وبالا ، لان الامان من كل طلب مدعاة للتواكل والخنوع، ولكان السجناء على هذا القياس اسعد حالا من الطلقاء !

السريالزم

ويقود حديث الكتب العقاد وصاحبه الى الكلام عن فن الرسم وبدعة السريالزم وما شابهه من مذاهب ، يقول المؤلف ان هذه البقع والخطوط والاصباغ التي تحمل اسم الرسم وليست من الرسم في شيء : هراء يشبه هذيان المحانين لانها في استطاعة من يتناول الريشة ويمسسها في الالوان ، وليست هذه المذاهب بالفن الذي تعرف له اصول وتدرس لمبادىء، ويمتاز به الفنان بين سائر الناس ، وقد كانت الفنون لغة انسانية عامة يفهمها على البداهة من لا يتعاطون باللغات ، فاصبحت على ايدي هؤلاء المجانين حزازة سرية في ذهن رجل واحد لا يمثلها مرتين على نمط معروف .

الموسيقى والاغنية

ويكد العقاد منذ خمس وعشرين سنة مما سيكون عليه بعض اغانينا العاطفية من اسفاف وانحراف ، فيحدد واجب المؤلف والملحن بان تكون اغنيتهما سليمة من مرض الترهل والغواية . ويحدد واجب المستمعين بالا يطالبوا المغني بالتصفيق والتهليل والزعيق : لان السامع المصغي الى الغناء الذي يصيح تلك الصيحات المزعجة : حيوان تدعه الغريزة فيصيح وليس انسانا يملكه جمال النغم ويستهويه متابعة الموسيقى في نظام وحب لها واحترام .

وليس في وسع الاذن ان تكون اذنا موسيقية ثم تنتقل من الفوضى الى النسق ، ومن النسق الى الفوضى في لحظة معينة . وليس في وسعها ان تصبح اذن ونصفها في آنة واحدة ، فكل منهما مقبول على حدة، اما ان يجتمعا فهو غير المقبول ، وهو ذنب المغنين ومن يستمعون ، او قل هو ذنب من لا يسمعون ومن لا يستمعون .

وقد شاء القدر ان فيري ، بتهوفن اعظم الموسيقيين ، معطل الاذنين لا يسمع ما يؤلفه ، لانه يتلقاه من عالم النسب المحض التي لم تترجمها الاصوات . وصحب هذا كثيرا على اصحاب العود والقانون وربع المقام ، لانهم كالمرأة التي تنظر الى مرآتها ولا تعارتها ، فان فاتهم ان يسمعوا انغامهم فقرة بعد فقرة لم يمحوا اسماع الآخرين .

ثم يمضي الحديث بهما الى المطبخ المثالي . فيصفه العقاد بانه المطبخ الذي يستخدم للغذاء ، وليس الذي يستخدم للذة الطعام او لذة النوم ، وقد يكون الطعام وافر التغذية وهو قليل اللذة او لا لذة فيه . والواقع اننا نرعانا في مطبخ اللذة ، فكتب علينا سوء التغذية ، وربما كان الغني المستمتع بهذا المطبخ اكثر ضررا من الفقير المحروم .

ويختم العقاد كتابه بقوله (وهذا المسكن قد صعدت سلالمه ثلاثا ثلاثا ، ثم صعدتها اثنين اثنين ، ثم اصعدها غير معطلة ولا اكتراث ، هذا المسكن قد ترك به والشمرات النمس نوازين في السواد ومازلت انزل به والشمرات السود يتوارين في السافي) .

رحم الله العقاد ، ورحمنا من بعده .

عمر ابراهيم الراكشي المحامي
الاسكندرية

اختبر معلوماتك وامتحن ذاكرتك

■ مسابقة هذا العدد تتكون من ١٠ أسئلة متنوعة تشمل التاريخ والجغرافيا والعلوم والدين . والمطلوب منك الاجابة على ٨ أسئلة اجابة صحيحة لكي تفوز باحدى الجوائز وهذه الاسئلة هي

١ – من هو أول رجل قتل رجلا آخر على ظهر هذه الأرض .. ومن قتل ؟

٢ – حركة اصلاح ديني قامت في الجزيرة العربية للاصلاح الديني وظهرت في أوائل القرن الثامن عشر . وسمي أتباعها بالموحدين وهم يتبعون مذهب ابن حنبل في الفقه فمن صاحب هذه الحركة ؟

٣ – القاهرة عاصمة الجمهورية العربية المتحدة سميت بهذا الاسم نسبة الى « قاهر الفلك » وهو كوكب صادف ظهوره يوم بناء المدينة بأمر أحد القادة الفاطميين في ٩ يوليو ٩٦٩ م . وهذا القائد هو :

جوهر الصقلي – عمرو بن العاص – موسى بن نصير

٤ – هزم الامبراطور نابليون هزيمة ساحقة جاءت على نهايته في معركة « واترلو » عام ١٨١٥ .. وتقع واترلو في :

فرنسا – بلجيكا – هولندا .

٥ – جزيرة صقلية فتحها العرب في القرن الثاني على يد :

أسد بن الفرات بن سنان – طارق بن زياد – هشام بن الحكم .

٦ – المضيق الذي يربط البحر الأسود ببحر مرمرة يسمى بالبوسفور فما اسم المضيق الذي يربط بحر مرمرة ببحر ايجة ؟!

٧ – « اني أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها » كلمات شهيرة قالها حاكم عربي في مجال التهديد لكل من يعارض حكمه .. وهذا الحاكم هو :

مروان بن محمد – الحجاج الثقفي – سحبان وائل .

٨ – تتناسل الحيوانات التي نعرفها بالتقاء الذكر بالأنثى ، وحين يتم التلقيح بين الجنسين تتم الولادة ، فهل هناك طريقة أخرى للتناسل غير هذه وما اسمها ؟

٩ – هناك معدن واحد يكون في حالة سيولة في درجات الحرارة العادية فما هو هذا المعدن ؟

١٠ – بنو العباس أو الخلفاء العباسيون قامت دولتهم من ٧٥٠ م الى ١٢٥٨ وبلغ عدد الذين تولوا الحكم منهم ٣٧ خليفة .. وانتهت الدولة العباسية بمقتل آخر خليفتهم على يد هولاكو .. وهذا الخليفة العباسي الأخير هو :

المستظهر – المستنجد – المستعصم .

شروط المسابقة

١ – ان ترفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك في مغلف عادي واكتب عليه العنوان الآتي

مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥١ »

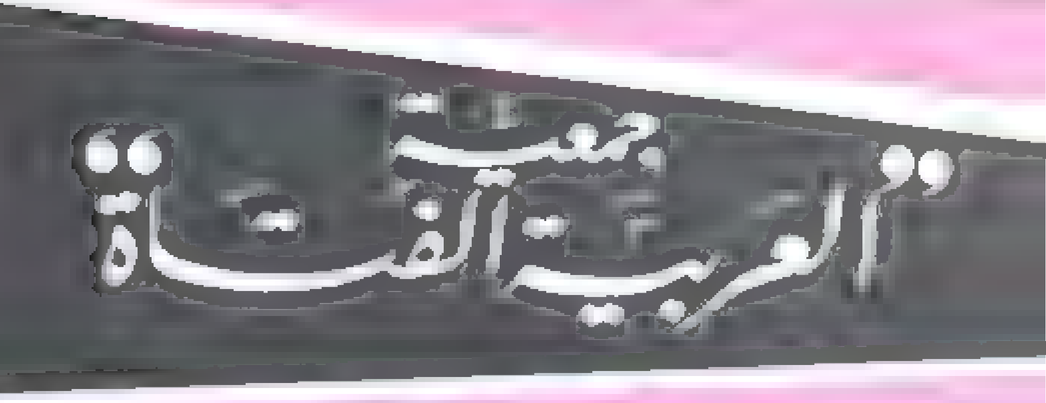
٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يوليو (تموز) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي

الجائزة الأولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

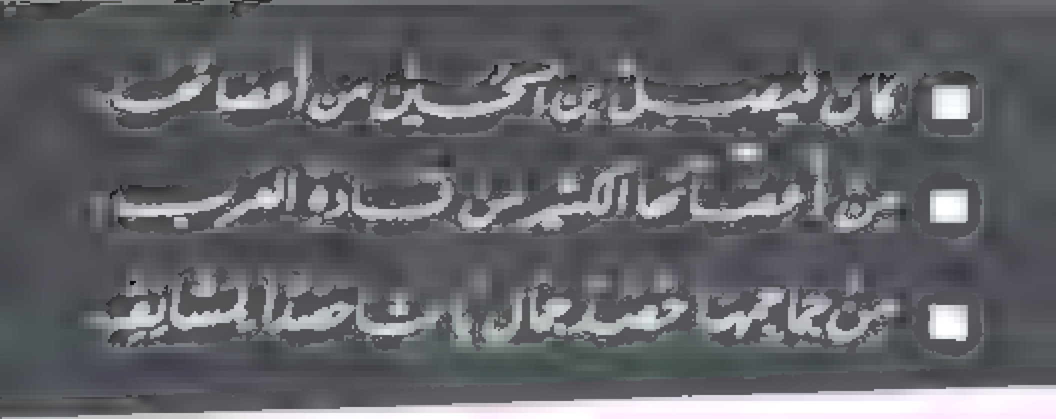
٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .



كان لها في الحركة العربية من أول هذا القرن خطر كبير

بقلم : سليمان موسى

كيف أنشئت الجمعية





الملك فيصل

السلطان عبد الحميد



عزيز المصري

[illegible]

رواية اخرى عن منشأ الجمعية

معهم من [illegible] الدافع [illegible] الجمعية [illegible]

[illegible] احمد [illegible] جمعية [illegible] اسم [illegible] يوم [illegible] السلطان عبد الحميد [illegible] عادة [illegible] الاعلانات [illegible] العرب [illegible] وطنهم [illegible]

[illegible] الجمعية [illegible] اعلان [illegible] التاريخ [illegible] في عام ١٩١٩ اعاد عضوا الجمعية محب الدين الخطيب ومحمد [illegible] تأليفها [illegible]

الاعضاء الذين قاموا بتأسيس الجمعية والاعضاء الذين انضموا اليهم فيما بعد حتى نهاية الحرب العالمية . وكان محب الدين يحرر يومئذ جريدة (العاصمة) وهي الجريدة الرسمية للحكومة السورية ، بينما كان الشريف عضوا في المؤتمر السوري العام . ولا يتجاوز عدد اولئك الاعضاء الذين شملتهم تلك القائمة الستين شخصا . وليس من الواضح اذا كان الخطيب والشريف قد حرصا عند اعداد القائمة على تسجيل الاسماء بحسب تسلسل تواريخ الانضمام الى الجمعية ، ولكن يبدو انهما تقيدا بذلك الى حد ما . (٢)

ولكن على الرغم مما تقدم فان احمد قدري نفسه يقرر ان الهيئة الادارية الاولى للجمعية تألفت عام ١٩١١ في باريس ، وكانت تضم سبعة اشخاص هم : عوني عبد الهادي ، رفيق التميمي ، محمد رستم حيدر ، محمد المحمصاني ، عبدالغني العريسي ، صبري الخوجة ، توفيق الناطور ، احمد قدري ، وجميعهم كانوا يواصلون دراساتهم العالية في العاصمة الفرنسية .

شروط العضوية

اما الهدف من انشاء الجمعية فهو « النهضة بالعرب وايصالهم الى مصاف الامم الحية » . وقد لجأت الجمعية الى العمل في السر والتزمت بالتستر الشديد ، حتى لا يقع اعضاؤها تحت طائلة الملاحقة . وتحاشت الجمعية ذكر كلمة الاستقلال في برامجها ولكنها كانت تعمل ضمنا من اجله . وكان من شروط الانتساب الى الجمعية ان يكون العضو كتوما مخلصا مؤمنا بعقيدة القومية العربية مطيعا لقرارات الاكثرية بدون قيد او شرط . وكان العضو الذي ينتسب الى الجمعية يخضع الى تدقيق شديد قبل قبول انتسابه ، حتى لم يكن يعرف في بادىء الامر سوى اثنين من الاعضاء هما اللذان اوصيا الهيئة الادارية بقبوله. وكان العضو عند قبوله يؤدي قسما يتلخص في الطاعة لقرارات الجمعية والحرص على الكتمان الشديد ، وبذل النفس والنفيس في سبيل اعلاء شأن الامة العربية . وقد رفضت الهيئة الادارية طلب انتماء عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي في استانبول ، الى عضويتها « نظرا لنزعته في حب الظهور » .

مبدأ الجمعية

وبين اوراق محب الدين الخطيب (القاهرة) رسالة مؤرخة في ٢ كانون الثاني ١٩١٣ بعث بها اليه عبد الغني العريسي من باريس وقال فيها ان قانون الجمعية لا يسمح للعضو الحديث بالاطلاع على القانون الاساسي الا بعد فترة اختبار مدتها ثلاثة اشهر ، ولا يكون الاطلاع على القانون الا بعد حلف اليمين الرسمية . وقال العريسي في رسالته ان مبدأ الجمعية هو « تحرير الامة العربية حسب الاحوال والظروف خطوة خطوة بكل الوسائط الشرعية وغير الشرعية .. »

الجمعية في بيروت

وفي صيف ١٩١٣ انهى اكثر اعضاء الهيئة

---

(٢) فيما يلي مجموعة من الاسماء التي اشتملت عليها القائمة :

(١) توفيق الناطور (٢) محمد رستم حيدر (٣) مصطفى الكيلاني (٤) عوني عبد الهادي (٥) حسني صبري الخوجه (٦) محمد المحمصاني (٧) رفيق التميمي (٨) احمد قدري (٩) بشير القصار (١٠) رشيد الحسامي (١١) توفيق فايد (١٢) ابراهيم حيدر (١٣) حسين مردم (١٤) رفيق بيضون (١٥) رشدي سهيب (١٦) عبد الغني العريسي (١٧) يوسف سليمان (١٨) مخيبر حيدر (١٩) توفيق البساط (٢٠) رفيق رزق سلوم (٢١) سيف الدين الخطيب (٢٢) فؤاد حسني (٢٣) عبد الحميد العريسي (٢٤) زكي التميمي (٢٥) محمد حيدر (٢٦) مصطفى الشهابي (٢٧) محب الدين الخطيب (٢٨) عمر حمد (٢٩) توفيق السويدي (٣٠) شكري العسلي (٣١) عادل السمان (٣٢) عارف الشهابي (٣٣) معين الماضي (٣٤) علي رضا الركابي (٣٥) محمد الشريقي (٣٦) شريف السرمد (٣٧) رشدي الشمعة (٣٨) عادل العظمة (٣٩) عمر الاتاسي (٤٠) سعيد العاشق (٤١) فيصل بن الحسين (٤٢) كامل القصاب (٤٣) محمود المحمصاني (٤٤) طاهر الجزائري (٤٥) صبحي الحسيبي .

الادارية للجمعية مراسليهم في باريس فعادوا الى بلدانهم . ولما كان اكثرهم من بيروت فقد أعيد تأليف الهيئة الادارية فيها . وأنشأ عبد الغني العريسي وفؤاد حنتس جريدة (المفيد) في بيروت لتكون أداة علنية لبث أفكار الجمعية ومبادئها . وأخذت الهيئة الادارية تعقد اجتماعات اسبوعية وتسجل وقائع الجلسات في دفاتر خاصة كان محمد المحمصاني وأخوه محمود يحتفظان بها .

شعار الجمعية

وأنشأت الجمعية ، بالصفة الشخصية لأعضائها ، صلات وثيقة مع المنتدى الأدبي في استانبول ومع جمعية اللامركزية في القاهرة ، بقصد توحيد المساعي والاتجاه ، ودفع الحركة القومية في اتجاه واحد بموافقة جميع الأطراف المعنية . وفي ربيع سنة ١٩١٤ عقدت هيئة ادارة الفتاة اجتماعا في مكتب جريدة المفيد قررت فيه ألوان الشعار العربي . وقد جاء تفصيل ذلك في رسالة خاصة بعث بها محمد المحمصاني الى محب الدين الخطيب السكرتير الثاني لجمعية اللامركزية والذي كان قد انتسب بوطنه الى الفتاة . وفي هذه الرسالة المؤرخة في ١٨ آذار ١٩١٤ نرى أنهم كانوا يرمزون الى جمعية الفتاة بكلمة (الله) . وورد في الرسالة نص المادة الثالثة من القانون الأساسي للجمعية كما يلي « على كل عضو أن يأتمر بقرارات اللجنة العليا ولو كانت عليه وخلافا لارادته » . وجاء في الرسالة أن الجمعية قررت « أن يكون شعارها الألوان الثلاثة التي تمثل الدول العربية الثلاث : أخضر فأبيض فأسود » . وهذه هي الألوان التي نقل أعضاء الجمعية خبرها فيما بعد الى الشريف حسين فقرر أن يصنع منها راية الثورة العربية مضيفا اليها اللون الأحمر الشعبي شعار الأسرة الهاشمية . (٣)

بين بيروت والقاهرة

كانت المراسلات بين الهيئة الادارية في بيروت وبين جمعية اللامركزية في مصر ، تتم عن طريق البريد الفرنسي الذي كان من جملة امتيازات الدول الأوروبية في بلاد السلطان . فقد كانت للفرنسيين مكاتب بريد في بعض الثغور العثمانية ومن جملتها بيروت ويافا والاسكندرية ، وكانت هذه المكاتب تتسلم البريد من الأهلين وتسلمهم ما يأتي اليهم من بريد ، دون أن يكون للسلطات العثمانية حق المراقبة . وعندما أعلنت الدولة العثمانية النفير العام (التعبئة العامة) عند نشوب الحرب العالمية في أوروبا ، بعثت الجمعية محمد المحمصاني أحد أعضائها الى مصر كي يجتمع برجال اللامركزية ويتفق معهم على الخطط التي يجدر بالسوريين اتباعها ، قبل أن تنقطع المواصلات بين مصر وسورية . ثم أوفدت بعده عضوا آخر هو كامل كريم القصاب للغاية ذاتها .

الجمعية في دمشق
والحرب العالمية الأولى قائمة

وعندما اشتركت الدولة العثمانية في الحرب (١ تشرين الثاني ١٩١٤) أصبحت دمشق مقر قيادة الجيش الرابع ومركز الثقل في سورية ، فانتقلت الهيئة الادارية لجمعية الفتاة من بيروت الى دمشق ، وأخذت تواصل عملها السري من هناك .

وبعد انتقال مركز الجمعية الى دمشق أخذت توسع نشاطها . فقد كانت عضويتها حتى ذلك الحين مقصورة على نخبة المثقفين ممن نالوا تعليما عاليا في استانبول وباريس وتأثروا بالثقافة الفرنسية . وقد وجد قادتها المجال مفتوحا أمامهم لتوسيع نطاق العضوية ، فاتصلوا ببعض القواد المتقاعد علي رضا الركابي وعدد من شيوخ القبائل ومن جملتهم نوري الشعلان وابنه نواف وعدد

---

٣ ظلت الفكرة سائدة في بعض الأوساط العربية بأن مارك سايكس هو الذي اختار ألوان العلم العربي ، حتى عثر كاتب هذه المقالة بين أوراق محب الدين الخطيب على هذه الرسالة المهمة التي تعطي البرهان القاطع على أن جمعية الفتاة هي التي عرفت تلك الألوان قبل نشوب الحرب العالمية الأولى . راجع مقالة (العلم العربي) المنشورة في العدد ١٣٨ (أيار) من مجلة العربي الغراء .

زعيما قبيلة الرولة الشهيرة ، والشيخ محمد اللحم شيخ قبيلة الحسنة ، وفواز الفايز زعيم قبيلة بني صخر ، كما اتصلوا ببعض من زعماء الدروز ، وقبلوا هؤلاء اعضاء في الجمعية . ولكن يكاد يكون من المؤكد ان هؤلاء الشيوخ والزعماء لم يطلعوا على اسرار الجمعية ودخائلها ولم يصل احد منهم الى هيئتها الادارية .

برجوازيون !

وفي هذه الايام نلاحظ بعض الباحثين ينعون على اعضاء الجمعيات العربية الاولى انهم كانوا من ابناء الطبقة البرجوازية . ويغيب عن هؤلاء ان طبيعة المرحلة الاجتماعية يومئذ كانت تفسح لهؤلاء البرجوازيين في مقام القيادة ، اذ لم تكن فرص التعليم والرياسة متاحة الا لابناء الطبقات الاقطاعية او التي تملك موارد مالية تمكنها من الانفاق على تعليم ابنائها . ولم تمنع اولئك الشبان والزعماء برجوازيتهم من ان يتزعموا الحركة القومية ويتحملوا مسؤولية القيادة ويقدموا اعناقهم على اعواد المشانق فداء لوطنهم.

بين جمعية الفتاة وجمعية العهد

وحدث في اواخر سنة ١٩١٤ اتصال بين « الفتاة » و « العهد » . والجمعية الاخيرة تماثل جمعية الفتاة في شأنها واهدافها ، الا انها كانت خاصة بالضباط العرب في الجيش العثماني مؤسسها عزيز علي المصري وكان من ابرز اعضائها سليم الجزائري وامين لطفي الحافظ وياسين الهاشمي ونوري السعيد وجعفر العسكري ومحمد شريف الفاروقي وعلي جودت . وقد تم ذلك الاتصال عن طريق ياسين الهاشمي رئيس اركان الفيلق الثاني عشر المرابط في سورية .

وكان لاتصال الجمعيتين اهمية بالغة من حيث تولد الشعور عند زعمائهما بانه اصبح في مقدورهم القيام بعمل ملموس اذا اقتضت الحاجة . وكان ذلك الشعور ناشئا من وجود بضع كتائب في سورية جميع افرادها من العرب ، بحيث اعتقد الضباط العرب الكبار انهم يستطيعون الاعتماد على تلك الكتائب في القيام بعمل ما اذا اضطروا ذلك . والحقيقة ان زعماء الجمعيتين لم يكونوا حتى ذلك الحين قد اتخذوا قرارا بمعاداة الاتراك او عرقلة مجهودهم الحربي ، بل انهم قرروا العمل معهم جنبا الى جنب في الدفاع عن الاقطار العربية. ولكنهم في الوقت ذاته كانوا يريدون تجميع قواهم وتوحيد كلمتهم استعدادا للاحتمالات التي قد تتمخض عنها الحرب .

الشريف حسين زعيم لقيادة الحركة

اكتسب اتصال الجمعيتين خطوة اخرى اعظم اهمية وابعد اثرا . ذلك ان زعماءهما شعروا بالحاجة الى زعيم كبير يلتف الرأي العام حول اسمه ، اذا ما استقر الرأي على القيام بحركة معينة . وبعد البحث الدقيق اتفق هؤلاء على ان الشريف حسين امير الحجاز هو الزعيم الامثل لقيادة الحركة ، فاوفدوا اليه فوزي البكري احد اعضاء الفتاة يعرض عليه ان يتولى زعامة الحركة التي جعلت هدفها في نهاية الامر الحصول على الاستقلال .

وسرعان ما تبين ان ايفاد هذا الرسول الى مكة المكرمة ، كان خطوة حاسمة ، اذ ان الشريف كان بشعوره طامحا الى الاستقلال ، وكان اعضاء حزب الاتحاد والترقي اصحاب الامر والنهي في الدولة قد اخذوا يضايقونه ويضيقون عليه . واوفد الشريف ابنه الثالث فيصل الى دمشق (آذار – نيسان ١٩١٥) حيث اجتمع بزعماء الفتاة والعهد ووقف على مطامحهم ومطالبهم ، وشاهد من ثقة العسكريين بانفسهم ما ملأ نفسه بالاعجاب حتى ان ياسين الهاشمي اكد له ان الكتائب العربية قادرة على طرد الاتراك من سورية ، وانهم لا يحتاجون الا الى زعيم كبير يلتف الناس حول رايته .

فيصل بن الحسين عضوا في الفتاة

ودخل فيصل عضوا في الفتاة واقسم يمين الاخلاص لمبادئها ، وبادل زعماءها ثقة بثقة فاطلعهم على عرض اللورد كتشنر الذي قدمه لابيه في خريف ١٩١٤ والذي تضمن القول انه اذا هب

العرب للمطالبة بحقوقهم فان بريطانيا على استعداد لمؤازرتهم . وبناء على هذا اعد زعماء الفتاة والعهد ميثاقا يمكن للشريف ان يتفاوض مع بريطانيا باسم العرب على اساسه . وخلاصة ذلك الميثاق ان تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الاسيوية على ان يمنحها العرب الافضلية في المشروعات الاقتصادية . ومن المهم القول ان الشريف لم يبعث بمذكرته الاولى الى الانجليز (١٤ تموز ١٩١٥) الا بعد عودة فيصل من دمشق ، وانه التزم في مراسلاته الشهيرة مع مكماهون بميثاق جمعيتي الفتاة والعهد .

جمال باشا يخفق في عبور قناة السويس

وفي هذه الاثناء حدث تطور مهم اخر فرض على قادة الجمعيتين تبديل خططهم . ذلك ان احمد جمال باشا وزير البحرية والقائد العام في سورية والحجاز ، اخفق في محاولته عبور قناة السويس في شباط ١٩١٥ وعاد الى سورية يجرر اذيال الهزيمة . وكما يظن كثيرون من الفئة ، عمد الى التنفيس عن غيظه والتغطية على اخفاقه باضطهاد المواطنين العرب ، فبدأ يعتقل عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي وعددا من الشبان العرب بحجة انهم كانوا يتآمرون ضد الحكومة ، واحال هؤلاء الى محكمة عسكرية . بدأ جمال اجراءاته في شهر نيسان . وكان لهذه الخطوة اثر حاسم في اقناع القوميين العرب انه لابد من الصدام بين العرب والاتراك . ومن هنا كان وضع الميثاق المرسل للشريف ، ومن هنا ايضا كان بدء المراسلة بين الشريف ومكماهون .

جمال باشا يبعث بالعرب الى المشانق وينقل الكتائب العربية الى القوقاز والدردنيل

وهكذا نرى ان جمعية العربية الفتاة كانت ذات اثر بعيد في اعلان الثورة العربية . وقد اوفد الشريف ابنه فيصل مرة اخرى الى سورية في كانون الثاني ١٩١٦ لكي يعمل على القيام بالثورة فيها في آن واحد مع الحجاز . ولكن فيصل وجد منذ وصوله الى دمشق ان الوضع قد تغير كثيرا عما كان عليه قبل سبعة اشهر . فقد عمد جمال باشا الى نقل جميع الكتائب العربية من سورية الى ميادين القوقاس والدردنيل . وكان قد بعث في ٢١ آب ١٩١٥ باحد عشر شابا من احرار العرب الى المشانق بينهم رئيس المنتدى الادبي وبعض اعضاء العربية الفتاة .

وفي الوقت ذاته عمد الى اعتقال عدد آخر ممن اشتبه بهم وبعث بهم الى المحكمة العسكرية ، بينما اخذ يرسل الى شمال الاناضول كثيرين من زعماء البلاد واعيانها ممن يخشى ان يقوموا بنشاط ضد الحكومة .

وفي آذار ١٩١٦ عمد الشريف الى نوع من التهديد العلني فطالب بمنح العراق وسورية والحجاز الحكم اللامركزي والعفو عن المعتقلين السياسيين ، فرد عليه انور باشا وزير الحربية ردا عنيفا بأن الدولة ماضية في اجراءاتها وانها لن تتوانى عن معاقبة كل من تسول له نفسه اعاقة المجهود الحربي . وبذل فيصل كل ما في وسعه لانقاذ اصدقائه المعتقلين ، ولكن الطاغية عمد يوم ٦ ايار ١٩١٦ فبعث بواحد وعشرين عربيا الى حبال المشانق في دمشق وبيروت . فكان ذلك فصل الخطاب ، اذ ان الجرح العميق الذي احدثه اعدام هؤلاء في نفوس العرب ، جعل من المحتم على العرب ان يقابلوا الشر بالشر . وعندئذ صاح فيصل وهو يرمي بكوفيته وعقاله الى الارض « طاب الموت يا عرب » . وكانت تلك صيحة كل عربي قومي .

اعضاء الفتاة الذين شنقهم جمال باشا

اما اعضاء الفتاة الذين شنقوا فهم : محمد المحمصاني ، محمود المحمصاني ، صالح حيدر ، عبد الغني العريسي ، عارف الشهابي ، عمر حمد ، رفيق رزق سلوم ، سيف الدين الخطيب ، جلال البخاري ، توفيق البساط ، محمد الشنطي (شيخ قبيلة العنزة) .

اعضاء حوكموا

ومن المهم القول ان الاتراك لم يستطيعوا كشف

سرّ الجمعية ، ولا سر اختها (العهد) على الرغم من التعذيب الذي انزلوه باعضائهما ، ولم يكتشف الترك علنا عن وجود الجمعيتين الا بعد انتهاء الحرب العالمية . وقد حوكم بعض اعضاء الفتاة على اساس الشبهة فقط ، ومنهم احمد قدري الذي برأته المحكمة لعدم وجود اية بينة ضده ، وفائز الغصين الذي حكم عليه بالنفي (ولكنه فرّ من المنفى وسار ماشيا حتى البصرة) ، وسكري القوتلي الذي حاول الانتحار بقطع شريان يده خوفا من ان يضعف امام التعذيب فيبوح باسماء زملائه في الجمعية (ولكن الطبيب اكتشف الامر فسارع الى اسعافه) ، ومحمد الشريقي الذي حكم عليه بالاعدام ولكن لصغر سنه خفض الحكم وبقي في السجن ثلاث سنوات .

وقيل أن عبد الغني العريسي ادلى باعترافات خطيرة ، ولكن هذا القول لا يسنده دليل مقنع ، لان كثيرين من زعماء الجمعية لم يتعرضوا للاتهام اطلاقا . وكان تعذيب العريسي ناشئا عن القاء القبض عليه مع ثلاثة من رفاقه (عارف الشهابي وتوفيق البساط وعمر حمد) وهم في طريقهم الى الجبل .

نجاح الجمعية واخفاقها

لقد نجحت الجمعية في المجال السياسي نجاحا باهرا اذ حرضت الشريف حسين وكان تحريضها من اهم الاسباب وراء اعلان الثورة العربية . ولكن ذلك النجاح قابله اخفاق في المجال العملي اذ انها عجزت تماما عن المساهمة في الثورة بأي جهد عسكري . حتى الزعماء البدو من اعضائها لم يقوموا بأي جهد على الرغم من ان طبيعة وجود قبائلهم في البادية كانت تتيح لهم فرصا طيبة للقيام بعمل ما .

وقد التحق بالشريف عدد من اعضاء الجمعية وهم كامل القصاب ومحب الدين الخطيب وفائز الغصين واسعد البكرى ونسيب وفوزى وسامى . بينما بقي آخرون في خدمة الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب لان فرص الفرار لم تتح لهم على الأرجح .

دخل جيش الثورة العربية دمشق

ودخل جيش الثورة العربية الى دمشق صبح ١ تشرين الاول ١٩١٨ ، فعمل اعضاء الفتاة على عزل الامير سعيد الجزائري الذي كان في اليوم السابق قد وضع نفسه في منصب المسؤولية ، ورشحوا واحدا منهم – علي رضا الركابي – الى ذلك المنصب . وقد بقي الركابي يتولى المسؤولية في سورية اثناء الجزء الاعظم من فترة الدولة الفيصلية .

العربية الفتاة والحكومة السورية المستقلة

كان انشاء الحكومة السورية المستقلة في سورية بمثابة بداية عهد جديد لجمعية (العربية الفتاة) واختها جمعية (العهد) . فقد عادت الفتاة الى نشاطها القديم ولكن بصورة علنية ، وكثر عدد الراغبين في الانتساب اليها .

وكان فيصل حريصا على استشارة زملائه في الجمعية باعتباره واحدا منهم . ولذلك نراه في رحلته الاولى الى لندن وباريس لعرض القضية العربية امام مؤتمر السلم ، يصطحب معه رستم حيدر وفائز الغصين واحمد قدري ونوري السعيد وتحسين قدري ، وفي باريس ضم اليه عوني عبد الهادي ، وجميع هؤلاء من اعضاء الفتاة والعهد . وكان فيصل في مباحثاته السياسية في لندن وباريس لا يعمل عملا الا بالتشاور معهم . ومن الواضح ان رستم حيدر كان اقربهم اليه والزمهم لديه ، لما امتاز به من رجاحة فكر واصالة رأى وسعة اطلاع . وقد اختاره فيصل ليكون الممثل العربي الثاني في مؤتمر السلم ، وبعد عودته الى سورية اصبح رستم الممثل الاول وعوني عبد الهادي الممثل الثاني وقد اطلعت على عدد من الرسائل والتقارير التي كان رستم حيدر يكتبها باسم فيصل ، فتبين لي انه كان حقا من افذاذ الرجال .

تخلي بريطانيا عن سورية ، ودخول فرنسا الميدان

وعندما تخلى البريطانيون عن العرب في ايلول

١٩١٩ وعقدوا اتفاقهم المعروف مع الفرنسيين ، عرض رئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو على فيصل مشروع اتفاق يحفظ لسورية استقلالا ذاتيا ويعطي لفرنسا حقوقا معينة . ولكن فيصل لم يشأ قبول ذلك الاتفاق الا بعد مشاورة اعضاء الوفد المرافق له . ويقول احمد قدري ان جميع اعضاء الوفد وافقوا على قبول المشروع الفرنسي باستثنائه هو – احمد قدري . وكان من احترام فيصل لآراء جميع اعضاء الفتاة انه لم يشأ توقيع الاتفاق دون اخذ الموافقة الجماعية عليه ، فعاد الى سورية في كانون الثاني ١٩٢٠ حتى يسبر رأي الزعماء السوريين .

انقسام الجمعية الى جناحين

وفي تلك الفترة انقسمت جمعية الفتاة الى جناحين : الجناح المعتدل ويتزعمه الركابي وابيله البكري ، والجناح المتطرف وفيه كامل القصاب واحمد قدري واحمد مريود . وقد شكا الركابي لفيصل من تطرف المتطرفين من اعضاء الفتاة وتدخلهم في شؤون الحكومة ، حتى انه قال في مذكرة خطية « اني لا اقدر ان ادع حكومة غير مسؤولة تسيطر على حكومة مسؤولة ... واعتقد ان الحكومة التي تسير على رغائب الاشخاص او الاحزاب غير المسؤولة ، فمصيرها ومصير الوطن معها الى الخراب .. » .

ولكن كان من ثقة فيصل بصدق وطنية اعضاء الفتاة المتطرفين انه ابى ان يهمل اراءهم ويبعدهم عنه كما نصحه كثيرون من رجال البلاد ، بل انه رجح العمل باسلوب الحوار السياسي ، فعقد اجتماعا مع الهيئة الادارية للجمعية وكانت تتألف يومئذ من : احمد قدري وشكري القوتلي ورفيق التميمي واحمد مريود وسعيد حيدر وتوفيق الناطور وعزة دروزة . ولم توافق هيئة الفتاة على مشروع الاتفاق مع فرنسا ، فصرح فيصل رأيهما ورجحه على رأي الزعماء المعتدلين الذين كانوا يرون انه ما دامت بريطانيا قد تخلت عن السوريين وما دام السوريون لا يستطيعون محاربة فرنسا ، فمن الخير لهم الاتفاق معها واتباع سياسة « خذ وطالب » . (١)

ولكن معارضي المتطرفين من اعضاء الفتاة عمدوا الى جمع اعضاء الهيئة العامة للجمعية واجروا انتخابات جديدة تمخضت عنها هيئة ادارية جديدة قوامها : علي رضا الركابي ونسيب البكري وخالد الحكيم واسعد الحكيم وسعيد حيدر وجميل مردم ومحمد الشريقي . وليس بين ايدينا ما يدل على ان هذه الهيئة الجديدة وافقت على قبول مشروع الاتفاق مع فرنسا . (٢)

ظلت العربية الفتاة قائمة حتى فرقتها معركة ميسلون

وهكذا ظلت آراء جمعية العربية الفتاة تؤثر في سياسة الحكومة السورية واتجاهاتها التأثير الفعال حتى كانت معركة ميسلون واستيلاء الفرنسيين على سورية الداخلية . وبعد هذا تفرق اعضاء الفتاة ، ولكن افكارهم ظلت حية نامية لانها كانت نابعة من صميم الشعب العربي ولانها كانت تستهدف « النهضة بالعرب وايصالهم الى مصاف الامم الحية » ، وهو هدف يطمح اليه كل عربي .

■■

عمان – الاردن / سليمان موسى

---

(١) يروي ان فيصل قال لاعضاء الهيئة الادارية في ذلك الاجتماع : ان رفض مشروع معاهدة [illegible] حرب مع فرنسا ، فقالوا : نحن مستعدون لاعلان الحرب على فرنسا و [illegible] .

امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الثاني ، القسم الاول ، صفحة ١٢٥

(٢) كتب لي المرحوم محمد [illegible] ان الهيئة الادارية التي كان عضواً فيها لم توافق على قبول مشروع الاتفاق مع فرنسا ، ولكنها لم تعلن رفضها له .



■ الى الاخوة الذين كتبوا لنا في امر اضراب عمال بريد بريطانيا وخطورة ذلك ، وخطورة البريد في الحياة المدنية عامة ، نقول

لا ريب في ان البريد يلعب دورا خطيرا في حياة الشعوب عامة والشعوب المتقدمة بصفة خاصة . وقد تجلى ذلك في اضراب عمال البريد في بريطانيه وقد قام به ٢٢٠٠٠٠ عامل مطلع السنة الحالية ، وخلال امده سبعة اسابيع ، كانت كافية لالحاق الاضرار البالغة ببعض جوانب حياة الانجليز الاقتصادية . على اننا لسنا بحاجة الى الازمات والاضرابات لاستجلاء خطورة ذلك الدور ، دور البريد في حياة الشعوب في الوقت الحاضر . فنحن نستطيع تلمس تلك الخطورة في الخدمات البريدية في الحياة اليومية ، ونستطيع تحسس دور البريد الحيوي في مدى انتشاره وشموله في مختلف الدول ، وفي علاقته بالتنمية الاقتصادية ، وكذلك في صلته بالتوعية والثقافة العامة .

وحسبنا ان نسوق الاحصائية التالية لتكون فكرة واضحة عن اتساع نطاق الخدمات البريدية في عدد من الدول . فهي تبين نسبة عدد رجال البريد الى مجموع السكان ، وتظهر عدد الناس الذين يقوم بخدمتهم موظف البريد الواحد .

وقد بلغ ذلك العدد ٢٦٧ نسمة في ايطاليا وهبط الى ١٩٠ نسمة في سويسرا و ١٧٠ نسمة في السويد . وتختلف الاوضاع في هذه الدول الثلاث ، وهي دول متقدمة كما لا يخفى ، عما هي عليه في الدول المتخلفة . اذ بلغ عدد الذين يقوم بخدمتهم رجل البريد الواحد في الباكستان ٢٢٠٠ نسمة .

اما فيما يتصل بالتنمية الاقتصادية وعلاقة البريد بها فنكتفي بالاشارة الى نصيب الايرادات البريدية من مجمل الدخل القومي ، وقد بلغ ذلك النصيب ٠٫٣٠٪ في هولنده و ٠٫٧٧٪ في ايطاليا و ١٪ في سويسرا . وهذه النسب الضئيلة ظاهرا تنطوي على مبالغ ضخمة ، نستطيع تقديرها اذا عرفت مقدار الدخل القومي في كل من الدول الثلاث ، وقد بلغ في سنة ١٩٦٨ :

هولنده	٢٠٫٤٠٠ مليون دولار .
سويسره	١٤٫٠٠٠ مليون دولار .
ايطاليا	٦٠٫٦٠٠ مليون دولار .

ونأتي الآن الى صلة الخدمات البريدية بالتوعية والثقافة العامة .

ونذكر ان عدد ما تم توزيعه بواسطة البريد من مواد الاعلام في سنة ١٩٦٨ قد بلغ ١٤٦ مليون صحيفة في بريطانيا و ٩٥٤ مليون صحيفة ومجلة في سويسرا . ويأتي الاتحاد السوفياتي في الطليعة في هذا الصدد وقد بلغ ما وزعه البريد فيه سنة ١٩٦٦ نحو ٢٥ الف مليون صحيفة ومجلة .. اما في الباكستان ، وهو البلد الذي سبقت الاشارة اليه ، فقد بلغ مجموع ما وزعته ادارة البريد فيه سنة ١٩٦٨ نحو اربعة ملايين وربع المليون صحيفة ومجلة .

ولا ننسى الدراسة بالمراسلة وقد راجت كثيرا في الفترة الاخيرة . ونذكر الولايات المتحدة على سبيل المثال . فقد بلغ عدد الذين يعتمدون على البريد في استكمال دراساتهم الجامعية وغير الجامعية في تلك البلاد نحو ٥ ملايين نسمة .

ويجدر بنا بعد هذا ان نلم ولو باختصار بالهيئة الدولية التي تنظم وتشرف على شتى الخدمات البريدية التي كانت موضع حديثنا حتى الآن . انها الاتحاد البريدي العالمي Universal Postal Union والذي تم تأسيسه سنة ١٨٧٥ في مدينة برن السويسرية ، حيث يقوم مقره .

والاتحاد البريدي العالمي يعتبر احد الوكالات التابعة لهيئة الامم المتحدة ، شأنه في ذلك شأن منظمة اليونسكو . وتشمل عضوية الاتحاد البريدي اكثر دول العالم والقارة بما فيها الدول العربية .

اما الاهداف التي يسعى الى تحقيقها الاتحاد البريدي العالمي ، والتي يسهل استشفافها مما سبق ذكره ، فيمكن تلخيصها في بضع كلمات : الاشراف على تنظيم الخدمات البريدية في شتى الدول والعمل على السير بها قدما نحو الكمال ما امكن . ويقيم الاتحاد في سبيل ذلك المؤتمرات البريدية الدولية Congresses مرة كل خمس سنوات ، وقد انعقد آخر تلك المؤتمرات في طوكيو سنة ١٩٦٨ . ويصدر الاتحاد البريدي في سبيل تحقيق اهدافه ايضا المجلات والنشرات والمذكرات.

وتجدر الاشارة الى ان ما تضمنته هذه الكلمة من معلومات واحصاءات انما اقتبس من احدى تلك المذكرات .



الفيلسوف الألماني الداعية



بقلم : الدكتوره
فوقيه حسين محمود

الأستاذة المساعدة بقسم الفلسفة
بكلية البنات بجامعة عين شمس

[illegible]

وقد سبب عالم الفلسفة هذا في كتاباته [illegible]

سواء ما كان منها في أسرار الفلسفة ، و [illegible] [illegible]

[illegible]

في القسم الاول كتاباه « اسس نظرية المعرفة » (١٧٩٤م) وغاية الانسان (١٨٠٠) ومن اهم ما يمثل القسم الثاني « النداءات الى الامة الالمانية » (١٨٠٨م) .

فترة قاسية في اول حياته

ولن نفصل القول في سيرة هذا الفيلسوف واحوال بيئته الخاصة والعامة (٢) وان كانت اراؤه ترتبط ارتباطا وثيقا بالظروف التي احاطت به ، وانما نكتفي بان نقول ان « فيشته » قد مر بفترة قاسية في مستهل حياته ، عقب وفاة كفيله « البارون مليتز Militz » الذي كان قد اعجب بذكاء الطفل الفارق فالحقه بمدرسة « بفورتا Pforta » وبجامعة « ويتنبرج Wittenberg » وكان لهذه الفترة القاسية اثر في توجيه حياة « فيشته » الفكرية ، التي تميزت في مختلف مراحل تعليمه برغبة جامحة في الالمام بكل ما هو جديد في دنيا الانتاج الفكري ، فقد اضطر في هذه الفترة الى ايقاف دراسته والعمل بالتدريس في بيوتات النبلاء من اجل لقمة العيش.

بالتنقل في محنته
عرف حقيقة الشعب الالماني

واتاحت له هذه الضرورة فرصة التنقل بين مختلف بلدان المناطق ، واطلع البلاد طولا وعرضا فوقف على حقيقة الشعب الالماني . وكان وقوفه على هذه الحقيقة سببا في ان حصل على صورة قريبة لواقع مرير ، كان يعيشه هذا الشعب كواقع تميز بالفقر المدقع والهوة الصارخة وافتقاد روح التجمع والتآلف في رحاب الشعور بالوطن الواحد « المانيا » .

وطن مجزأ[3]

لقد كانت المانيا في ذلك العصر ــ كما نعلم ــ مجزأة الى ولايات تختلف قوة وضعفا . كان ابناء هذه الولايات يعانون من روح التجزئة Particularism ، وكانت هذه الروح محل دراسة وبحث من قبل عدد غير قليل من كتاب ذلك العصر من امثال . فيلاند (١٧٣٣م ـ ١٨١٣م) وهردر Herder (١٧٤٤م ـ ١٨٠٣م) وفورستر Forster (١٧٥٤ ـ ١٧٩٤م) ولسنج Lessing (١٧٢٩م ـ ١٧٨١م) وبستالوزي Pestalozzi (١٧٤٦م ـ ١٨٢٧م) . هؤلاء جميعا اشاروا في كتاباتهم الى وقائع اجتماعية اليمة ، نتجت من سيادة نظام التمييز بين الطبقات ، وانعدام الروح الجماعية ، حتى ان بعض البروسيين كانوا يعلنون انهم لا يعرفون وطنا اسمه « المانيا » ــ وكان الشعور بالاستبداد من التقاليد روح التكتل والاحساس بالقومية الالمانية يسود افراد جميع الطبقات وبالذات الطبقات الدنيا منها التي تمثل سواد الشعب ...

غير انه رغم انتشار الشعور بالاستياء من هذا الواقع المرير لم تظهر اية محاولة من اجل القضاء على هذا الواقع البغيض .

عجز الشعب الالماني
عن القيام بتغيير سريع

ويجب ان نقف عند بعض العوامل التي ادت الى تفشي روح التجزئة وبالذات تلك التي تتعلق بطبيعة وجبلة افراد الشعب البروسي في ذلك العصر . تلك الطبيعة التي تجلت في كتابات مثقفيهم ومصلحيهم ... لقد اشتهر عن الالمان في ذلك العصر عزوفهم عن المبادرة الى عمل عنيف يؤدي الى تحقيق تغيير خارجي محسوس في الواقع الاجتماعي ، ذلك انهم كانوا يؤمنون بان التغيير ، سياسيا كان ام اجتماعيا ، لا بد وان يتم ببطء وبصفة تلقائية ، دون ان يكون للافراد حق احداثه او التعجيل به عن طريق عمل يصدر عنهم عن قصد ، ويتقرر من قبلهم ... وهذا التكوين الداخلي لهذا الشعب في ذلك العصر كان نتيجة مباشرة لما صدر عن فلاسفتهم من اراء تقوم في كثير من جوانبها على سلبية في الاتجاه الخارجي « فليبنتز Leibnitz »

٢ ــ نفس المرجع من ص ٧ الى ص ٥٠

الفاضلة ولتنبيهنا الى ضرورة العمل من اجل البناء فنجده مثلا في « خطابات الى الامة الالمانية » يستهل حديثه بتحديد من يخاطبهم ويعنيه امرهم وهم الالمان فقط ، الالمان باجمعهم دون تفرقة بين طبقة واخرى ، فحقق بذلك – بعد ان حدد مجاله – القضاء على مفهوم التفرقة الطبقية الظالمة وهو يتشدد في تقدير هذا التعيين او التحديد ، فيصرح بانه احد شروط ثلاثة ، لا بد من توفرها ، من اجل تحقيق الفاضلة المرجوة .

ثم ينتقل الى شرطه الثاني ، حيث يفترض انه في مواجهة افراد يقدرون قيمة التماسك امام الاحداث لا يتركون للتخاذل فرصة التسرب الى نفوسهم . وبتحليل واقعي لنفسية الافراد الذين يواجههم ، يحدد عيوب نفوسهم ، فيشير الى ما بها من سلبيات .

فهناك من يعيش ليومه ولا يحيا الا بما له وعليه له من الطعام دون تفكير في صيانة شرف قوميته ، وكرامة وكيان وطنه ...

وهناك من يفتقد الشعور بالغير وضرورة تحقيق التعاون ، وتسيطر على نفسه الانانية – وهؤلاء كثيرون جدا .. فقد تبعث الاحداث في مضاعفة اعدادهم يوما بعد يوم ، لانهم يتركون انفسهم للاحداث تسيرهم . والاطماع الشخصية تسيطر عليهم .

حديثه عن الانانية

وحديثه عن الانانية في هذا الصدد يستحق من القارىء نظرة تقييم وتقدير . الا انه يكشف عما لهذه الصفة « الانانية » من بريق اخاذ يبهر اعين الغافلين ، ويجذبهم الى حيث يشعرون . ذلك ان هذه الصفة ، تتميز في بداية تحكمها ، في الذات او النفس ، بسمة اثبات وجود هذه الذات ، لانها نابعة منها واليها ، فتبدو وكأنها تؤكدها ، ولكنها في الحقيقة ، تقضي عليها ، لان الانانية تقوم على عزل الذات عن الغير ، وفي هذا فناؤها . فتوكيدها للذات مثل توكيد يماثل السراب ، انها تهدم نفسها بنفسها . ان الانانية تؤدي الى الزوال والعدم ، زوال كيان الفرد وفناؤها يريد له عدوه . وزوال وفناء الامة اذا ما عجز افرادها عن التخلص من هذه الصفة تفاديها لتفشي المفاسد وكذلك لزوال الدولة ..

الولاة هم اعين الامة الواعية

ويبين « فشته » ان خلاص الامة من مفاسد الانانية يكون دائما على ايدي حكام راشدين يعملون بايجابية واضحة ، على تخليص الشعب من مزالقها ، والولاة هم اعين الامة الواعية ، الذين يسيرون قدما بجموع الافراد ، وان كان الفرد هو اللبنة الاولى التي تحقق كيان المجموع .

النظر للواقع بنظرة نابعة من البيئة

اما شرطه الثالث من اجل اصلاح الامة فهو الايمان بضرورة مواجهة الواقع مواجهة صريحة تكشف عن نقائصه من اجل العمل على تفاديها ، فهو يرى ان من اهم معالم البناء ، النظر الى الواقع بنظرة نابعة من البيئة ، فالنظرات المستوردة لا تصور الواقع تصويرا يسمح باصلاحه ، لغفلتها عن الكثير من نواحيه الدقيقة ، المتمثلة في نفسية افراده – وهذه محجوبة – مهما كانت المهارة – عن الباحث الاجنبي .

فالفرد نفسه هو الامين على نفسه ، لقدرته على سبر اغوارها والتعرف عليها ، من أجل تقويمها في ضوء الصالح العام وصالح امة تود ان تعيش احداثها بنفسها ، دون ان يكون لغيرها يد في تشكيل تاريخها ...

هذا بعض ما استطاع « فشته » ان يقدمه لابناء جلدته من اسس تستند الى بعض المعالم الايجابية لفكره الفلسفي ...

وقد استطاع ان يوقظ من لم تمس نفسه الصحوة بعد ، ويخلق جيلا من النساء والرجال، وفي مقدمته الشبيبة الالمانية ، جيلا يؤمن بالمستقبل ، وبانه هو صانع نفسه وصانع تاريخه .

فوقية حسين محمود



بقلم : عبد الستار فراج

■ في اللغة : ندر الشيء ندورا : قل وجوده او شذ عن غيره . والكلام النادر هو الغريب الخارج عن المألوف ، والفصيح الجيد . والآن فالنادرة اصلها الكلام الغريب القليل الوجود .

النادرة الفكهة

ولما كانت الفكاهات والأخبار المضحكة التي تصدر من اصحابها فيها غرابة ، وفيها مخالفة للمألوف المعتاد ، اطلق عليها من القديم اسم « النوادر » وصار يوضع في المؤلفات الكبيرة عناوين كالآتي « نوادر المعلمين » « نوادر الفقهاء » « نوادر مزبد المدني » « نوادر اشعب » « نوادر جحا » .. نجد ذلك مثلا في « نثر الدرر » للآبي كما نجده في نهاية الأرب وغيرهما .

والمليح : الحسن . والملحة وجمعها مُلَح هي الكلمة المليحة اي الحسنة . ولا شك انها تكون فيها طرافة وندرة .

ثلاثون نادرة بدرهم

وهذا « المرائي » يحيى بن زياد يُروى عنه في كتاب التطفيل انه قال : كنت فاتحت ابن دراج الطفيلي على ان يملي عليّ ثلاثين نادرة بدرهم ، فكان اذا ذكر نادرة باردة لم احسبها له . فقال : لو اردت الثقلاء عشرة بدرهم .

الجاحظ ورواية النادرة

ويبدو ان الجاحظ كان أكثر من يروى النوادر المضحكة ، بل لعله كان يؤلف بعضها بطريقته الخصب وروحه المرح . واننا لنجد كل كتاب يتعرض لذكر المتطفلين والحمقى واصحاب المرح والفكاهة لا يخلو من ان يقال فيه « روى الجاحظ » « وقال الجاحظ » .

فمثلا كتاب « اخبار الحمقى » لابن الجوزي نجد فيه حوالي مائة نادرة اسندت روايتها للجاحظ . وفي كتاب البيان والتبيين للجاحظ نفسه طرائف وطرائف تحمل ما يحويه من ادب . حتى كتابه « الحيوان » نجد فيه نوادر يروح بها عن قارئه . وكتابه البخلاء ما هو الا لون من الأدب المرح البارع .

التطفل والبله اكثر ما يتنادر به الناس

وقد قلت في كتاب « اخبار جحا » ان بعض [illegible] والبله في موضوعهما [illegible] اكثر ما يتنادر به الناس ويضحكون به [illegible] وتوضع له النوادر [illegible] على سبيل السخرية بهم او [illegible] على من [illegible] ومن المفارقات [illegible] ان تكون مصائب الآخرين في مظهرهم او [illegible] مدعاة للضحك في حين انها تستوجب الرثاء ، لكن الناس داموا على أن يضحكوا من

لِلْحُصْرِي

كل شيء ، الا تراهم لا يكادون يحبسون الضحكة اذا شاهدوا انسانا يتزلق في الوحل ، فتتلطخ ملابسه ، وقد تتسلخ يداه ورجلاه ، ويصير وجهه خليطا بين الأسود والأبيض والأحمر ، ويبدو ان بعض السابقين كان له نصيب كبير من الاصابة حينما عرفوا الانسان بأنه حيوان ضاحك » .

النادرة باقية في الناس ، ما بقي الناس

« وكانت النادرة ولا تزال وستبقى اداة للتسلية والتسرية عن الناس ، سواء زحمتهم هموم الحياة وكربة العيش ، أو ضيقت عليهم حدود الاحكام وسدود القوانين . وقد تجري النوادر وتصنع وتطلب حيثا لها ، من غير ضيق يلجيء ، بل رغبة في الجانب المشرق الباسم في مسرح الحياة ، فالحياة — كما يقولون — هي المسرح الأكبر تجري عليه الأحداث ، والناس هم ابطال الفن فيه ، يروحون ويجيء غيرهم ، وانوار المسرح لا تنطفيء والحركة فيه دائبة . وسلطة القدر تبرز كل واحد في دوره ، ومع ذلك فالناس أيضا هم في الوقت نفسه متفرجون » .

كتاب
« جمع الجواهر في الملح والنوادر »

وما قرأ أحد كتاب « ذيل زهر الآداب » المسمى أيضا « جمع الجواهر في الملح والنوادر » الا غالبه الضحك فلم يستطع أن يحبسه . سواء أكان خاليا او في جماعة . وكانت تصادفني بعض طرائفه وانا في معزل عن الناس فيغلبني الضحك لما يسوقه ويعرضه من صور مثيرة ، فكنت أضحك في وحدتي واخشى أن يظن احد القريبين مني اني مسني بعض الخبال .

ولا يقتصر ما فيه من اثارة للضحك على طائفة دون طائفة ، بل فيه ما يناسب كل ذوق ، ويرضي كل نفس ، فهو كما يقول مؤلفه عنه « من نوادر المتقدمين والمتأخرين ، وجواهر العقلاء والمجانين ، وغرائب المتنبئين والمتطفلين ، وعجائب الاجواد والبخلاء ، وطرف الجهال والسفهاء ، وتحف المعلمين والفقهاء ، وتحف الفلاسفة والحكماء ، وملح السؤال والقصاص ، وروائع العوام والخواص ، وفواكه الاشراف والسفلة ، ومحاورة الطفيليين والأكلة ، واخبار المخانيث والخصيان ، وآثار النساء والصبيان . وأتيت به على سبيل الاختصار ، وطريق الاحسان ، وجعلته بتنويع الكلام ، كالمائدة الجامعة لفنون الطعام ، اذ هيئتم الناس مختلفة ، واغراضهم غير متفقة ، ولا أعلم حقيقة ما تستثيره ، ولا منخفض ما تثيره ، اذ لا يحيط بذلك الا علام الغيوب ، المطلع على ما في القلوب » .

مؤلف واسع العلم والاطلاع

والحصري مؤلف الكتاب كما قيل عنه في مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٣٧٣ رجل واسع العلم عظيم الاطلاع بالغ الذوق ، بديع الاختيار ، يتبع الملحة الطريفة بالقصيدة البارعة ، ويلحق النادرة الطريفة بالخطاب القاطع ، فيتحول بقارئه من فن الى فن ، ويستخرجه من حديث الى حديث ، دون أن يتداخله الملل او يحس انطواء الزمن ..

طبعتا الكتاب بهما عيوب

وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة في سنة ١٣٥٣هـ وفيه مقدمة بقلم محمد امين الخانجي ، ومقدمة بقلم عبد العزيز البشري .

وطبع مرة اخرى في دار أولاد عيسى الحلبي (١٣٧٢ — ١٩٥٢) .

وكلتا الطبعتين لا تخلو من أخطاء وان كانت الثانية فيها بعض التحقيق في التعليق ، والطبعة الأولى خالية من الفهارس المفيدة .

وفي الطبعة الثانية التي نشرتها دار أولاد عيسى الحلبي فهارس قيل في المقدمة انها امتازت بها ، ولكن مما يؤسف له ان هذه الفهرسة قاصرة كل القصور ولتعتبر خدعة لمقتني الكتاب على اعتبار انها وافية . ويكفي ان اذكر ان الاعلام التي في الكتاب اضعاف ما هو في الفهرس حتى الاشخاص المهمون او من تريد أن تصل الى معرفتهم لا تجدهم فيما زعم انه فهرس ، وهذا مثال على ذلك :

« كانت سليمة الشاوية عاشقة لأفلح مولى الزهريين ، فأتاها أبو السائب المخزومي فقال : حدثيني ، هل اشتفيت من حبيبك بوصول ؟ فقالت : لا . فقال : أقلت في ذلك شعرا ؟ قالت : نعم ، ثم انشدته :

ألا يـــت ى نحو الحبيب مُولَعًـا
يلثمه الثلم ثم يقـــــول
سُليمةُ يصفو ما ترجّى حياتها
من الشوقِ والشوقُ الشديد قتولُ
تصيح أحيانًا وتبكي صبابةً
وأنت لما تلقاه فيك جهــــولُ

فقال أبو السائب : أنا والله رسولك . فحفظ الشعر وتوجه نحو أفلح في يوم صائف شديد حره ، فلقيه رجل من الأنصار فقال : يا أبا السائب ، من أين أقبلت ؟ قال : من عند سليمة الشاوية . قال : وإلى أين تريد ؟ قال : أريد أفلح مولى الزهريين أبلغه رسالتها ، فقال : أفي مثل هذا الوقت ؟ قال : إليك يا ابن أخي فإن الجنة حفت بالمكاره ، ومن ... الله إلا بالصبر على ما ترى » .

إن اسم سليمة الشاوية واسم أفلح واسم الزهريين لم يذكر منها شيء في الفهرس . وحتى في فهرس القوافي لم يذكر عند هذا الشعر اسم قائله كما فعل مع غيره .

ومثل آخر هو : أن « جحا » صاحب النوادر المشهورة قد ورد في الكتاب ، ولكنه لم يذكر في الفهرس . وجالينوس الطبيب ، وبرلعة الموسوس وبنان وغيرهم كثيرون لم يذكروا . ويبدو أن المفهرس كان ملولا أو كسولا ، ولا أقول أنه كان غير أمين ، ذلك أن تقدير الفهرسة للكتب لا وزن له لدى بعض المحققين ، وذلك مما يسيء إلى الكتب القديمة التي تستطرد وتأتي بنوادر مهمة في أثناء السياق ، ويخفى على الباحثين كثير مما يكمن فيها من معلومات هم أحوج ما يكونون إليها ، وقد يكون بعض نصوصها ذا فائدة في تكملة بحث ، أو إكمال نص ، أو تصديق واقعة مهمة . وتقدير هذا كله إن لا يحسنه هو الذي يدعو إلى الإصابة وما كل إنسان يستطيع أن يسجل للكتاب فهرسا جديدا . هذا إلى جانب ما وقع في هذه الطبعة الأخيرة من خطأ كثير ، فالكتاب بحاجة ماسة إلى تحقيق جديد دقيق ، وفهرسة تستوفي ما فيه .

الحصري القيرواني

والحصري القيرواني ، صاحب زهر الآداب ، وذيل زهر الآداب أو جمع الجواهر ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم .

ولد بين سنة ٣٧٠ و ٣٨٠ وتوفي سنة ٤٥٣ . كان شباب القيروان يجتمعون عنده ، ويأخذون عنه ، وسارت تآليفه ، وتقبلها الناس بقبول حسن فأتته الصلات من جميع الجهات .

وفي كتابه زهر الآداب أغفل المجون ، إلا النزر القليل أما في ذيل زهر الآداب فقد عرض صورا مختلفة من ألوانه . وهو لم يقتصر على إيراد النوادر والطرائف ، بل تكلم عن دواعي الإضحاك وشروط المنادر والمنادر ، وقواعد اختيار الفاكهات ، ومتى تحسن ، وكيف تقال . وإنه ليقول : « وكم طريفة في الخطاب ، وملحة من الجواب ، خلصت من الهلاك ، من تشبثت له الأشراك ، وسلمت من الحتوف ، من أصلتت(١) له السيوف .. وكم صرفت الملح من صروف ، وأنقذت من مكروه ، وكم أفادت من الرغائب ، وبلغت من المطالب ، ورفعت من لا تقدم لقومه ولا أمس ليومه » .

وهو في أثناء ما يعرضه على القراء يأتي بالحكمة البليغة ، والمثل الرائع ، والتشبيه البديع ويقول : « وللاختيار المطايبات والمداعبات وما انخرط في سلكها من الملح والمزح أصول لا يخرج لبها منها ، وفصول لا يتخرج بها منها .. وهذا حين أبتديه منصرفا به من بلاغة خطاب ، إلى براعة جواب ، ومن صريح نادرة إلى مليح مهاترة ، وغريب مراجعة ، إلى عجيب منازعة . وتشبيه واقع إلى مثل صادع ، وغير ذلك مما يحيي موات القلوب ويشفي نجيّ المكروب (٢) ، مما تميل له الخواطر ، وترتاح له السرائر ، وتستمتع به الأسماع ، وتنشرح له الطباع .. وهل يستغني أهل الأدب وأولو الأرب ، عن معرفة ظريفة

---

(١) أصلتت : سلت .

(٢) النجي : من معانيها السر ، أي يشفي ما يخفيه المكروب من أسرار

المضحكات ، وظريف المداعبات ، اذا لاقوا طربا ، او مازجوا غريبا ، فقد قال الاصمعي : بالعلم وصلنا ، وبالملح نلنا .

هذا ولا يخلو كتابه من تعريض بأديب او ظريف ، وبجد فيما يسوقه لنا ما جبلت عليه النفوس من تطلب الاسترواح ، وميل الى البهجة والانشراح ، مهما تكن المنزلة عالية ، والبيئة مختلفة . انه خير انيس ، وامتع جليس .

وللحصري بعض الشعر الرائق كقوله :

يا هل بكيت كما بكت
ورق الحمائم في الغصون
هتفت سحيرا والدجى
للقطر راخية الجفون
فكأنها صاحت على
شجوي شجى تلك اللحون

وكان من عادات اهل الاندلس لبس البياض في حالة الحزن ، فقال الحصري :

إذا كان البياض لباس حزن
بأندلس فذاك من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي
لأني قد حزنت على شبابي

وصاحب " حصري " قيرواني " آخر ، هو ابن خالة هذا المؤلف ، واسمه علي بن عبد الغني ، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها :

يا ليل الصب متى غده
أقيام الساعة موعده
رقد السمار فأرقه
أسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له
مما يرعاه ويرصده

وقد عارضها كثير من الشعراء ، وممن فعل ذلك المرحوم احمد شوقي امير الشعراء ، في قصيدته التي مطلعها :

مضناك جفاه مرقده
وبكاه ورحم عوده
حيران القلب معذبه
مقروح الجفن مسهده .

لون مما عرضه من الطرائف

غاضبت مصعب بن الزبير زوجه عائشة بنت طلحة ، فاشتد ذلك عليه ، وشكا امره الى خاصته . فقال له الشعبي : فمالي اذا انا كلمتك ؟ قال : عشرة آلاف درهم. فاتى اليها فقال : يا ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تفضلي بكلام الامير فقد استشفع بي عندك ، واجزل لي العطية ان انت كلمته . قالت : لا سبيل الى ذلك يا شعبي ، والتبرته ، فقال : جعلت فداك ، كلميه حتى اعطى عشرة آلاف درهم ، ثم ارجعي الى ما عودك الله من سوء الخلق . فضحكت ، فقامت فصالحته .

طريفة اخرى

وقد جرت اليها في الكتاب الطريقة السابقة .

كان عبد الملك بن مروان محبا لزوجه عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فغاضبته يوما وسدت الباب الذي بينها وبينه ، فساءه ذلك وشق عليه ، وشكا الى من يأنس به من خاصته ، فقال له عمر بن بلال الأسدي : ان انا ارضيتها لك حتى ترضى فما الثواب ؟ قال : حكمك . فاتى الى بابها وقد مزق ثوبه وسوده ، فاستأذن عليها وقال : اعلموها ان الامر الذي جئت فيه عظيم . فأذنت له ، فلما دخل رمى بنفسه وبكى ، فقالت : مالك يا عم ؟ قال : لي ولدان هما من الاحسان اليّ في الغاية ، وقد عدا احدهما على اخيه فقتله ، وفجعني فيه فاحتسبته وقلت يبقى لي ولد آنس به . فأخذه امير المؤمنين وقال لا بد من القود ، والا فالناس يجترئون على القتل . وهو قاتله الا ان يغيثني الله بسببك . ففتحت الباب ودخلت على عبد الملك ، واكبت على البساط تقبله وتقول : يا امير المؤمنين ، قد تعلم فضل عمر بن بلال ، وقد عزمت على قتل ابنه فشفعني فيه . فقال عبد الملك : ما كنت بالذي افعل ، فأخذت في التضرع والخضوع حتى وعدها العفو عنه ، وصلح ما بينهما . فوفى لعمر بما وعده به.

وطريفة ثالثة

على ذكر عاتكة بنت يزيد قال المدائني : لما حج أبو جعفر المنصور قال للربيع : ابغني من أهل المدينة أديبا ظريفا عالما بقديم ديارها ، ورسوم آثارها ، بَعُدَ عهدي بديار قومي ، وأريد الوقوف عليها . فالتمس له الربيع فتىً من أعلم الناس بالمدينة وأعرفهم بظريف الأخبار وشريف الأشعار ، فعجب المنصور منه ، وكان يسايره أحسن مسايرة ، ويحاضره أزين محاضرة ، ولا يبتدئه بخطاب إلا على وجه الجواب ، فإذا سأله أتى بأوضح دلالة وأفصح مقالة . فأعجب به المنصور غاية الإعجاب وقال للربيع : ادفع إليه عشرة آلاف درهم . وكان الفتى مُملِقا ـ أي فقيرا ـ مضطرا . فتشاغل الربيع عنه . واضطرته الحاجة إلى الاقتضاء . فاجتاز مع المنصور بدار عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا بيت عاتكة بنت يزيد ابن معاوية الذي يقول فيه الأحوص بن محمد :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ
حذرَ العِدا وبه الفؤادُ موكَّلُ (٣)

فقال المنصور : ما هاج منه ما ليس هو طبعه من أن يخبر بما لم يستخبر عنه ، ويجيب بما لم يسأل عنه ! ثم أقبل يردد أبيات القصيدة في نفسه ، إلى أن بلغ إلى آخرها وهو :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم
مذِقُ اللسان يقول ما لا يفعلُ

فدعا بالربيع وقال له : هل دفعت للمدني ما أمرنا له به ؟ فقال : أخرته علةٌ كذا يا أمير المؤمنين . قال أضعفها له وعجّلها .

وهذا أحسن إفهام من الفتى ، وأدق فهم من المنصور ، ولم أسمع في التعريض بألطف منه .

ولقول الأحوص هذا سبب ذكره عبد الله بن عبيدة بن عمار بن ياسر قال : ... » .

وهذا لون آخر من الاستطراد في ذكر النوادر القصيرة حيث يقول

نادرة

قال المدائني ، جاء رجل إلى جار له من الأشراف فقال له : جارك فلان توفي ولا كفن له ، فتأمر له بكفن . فقال : والله ما عندي شيء ، ولكن تعاودنا بعد أيام . قال : فنحنطه أصلحك الله إلى أن يتيسر الكفن .

نادرة

ووجدت امرأة الشعبي دينارا فأتته به فقال : ادفعيه إليّ حتى يلد لك في كل أسبوع درهمين ، فلما كان في الأسبوع الرابع طلبته منه ، فقال لها : مات في النفاس ، فقالت : ويلي عليك ! كيف يموت الدينار ؟ فقال لها : الويل لك على أهلك ، كيف تصدقين بولادته وتنكرين موته في نفاسه .

ونادرة

سقط أعمى في بئر فلحقت حدبته وصار آدرّ ، فدخل إليه جيرانه يهنئونه ، فقال : لا تعجلوا ، فالذي جاء شر من الأول ..

وقصة من قصص الكتاب بديعة

إن في التراث العربي آثارا لنجذب إلى قراءتها لو أحسنّا عرضها في وضوح ووضعنا لها الفهارس اللائقة ، ونبهنا إليها طالبي الأدب والراغبين فيه . وستجد في كثير من تراثنا قصصا بديعة ، وحكايات طريفة ، فيها عظة ومفارقات تثير العجب . وهذه القصة التالية دليل على ذلك .

بينا ابن أبي ليلى في مجلس القضاء إذ تقدم إليه امرأتان : عجوز وشابة . فقالت الشابة : أنا أصلح الله القاضي امرأة مسلمة [illegible] ، فإن رأى القاضي أن يأذن لي فأحسر عن وجهي فليفعل . فقالت العجوز : أصلح الله القاضي ، إنها من أحسن الناس وجها ، وإنما تريد أن تخدع القاضي ، لا أمتعها الله بما وهبها من الجمال . فقال لها ابن أبي ليلى : إذا أنت شُددت قناعك فشأنك ووجهك . فحسرت الفتاة عن وجه جميل ثم قالت : أصلح الله القاضي ، إن هذه عمتي وأنا أسميها أمي لكبر سنها ، وإن أبي مات وخلف مالا ، وخلفني في حجرها ، فجعلت تمونني وتحسن التدبير في المال وتوفره عليّ إلى أن بلغتُ مبلغ النساء ، فخطبني ابنُ عمٍ لي فزوجتني منه ، فكان بي وبه من الحب ما لا يوقف على صفته . ثم إن ابنة لعمتي أدركت ، فجعلت عمتي ترغّب زوجي فيها ، فقالت تملكه إليها

(٣) أتعزل : أتجنب وأعتزل .

فخطبها . فقالت له : لست أزوجها حتى تجعل أمر بنت أخي في يدي . فقال لها : قد فعلت ، فلم أشعر حتى أتاني رسولها فقال : عمتك تقرئك السلام وتقول لك ان زوجك خطب ابنتي واني أبيت ان أزوجها منه حتى يجعل امرك في يدي ففعل ذلك ، فأنت طالق . فحمدت الله تعالى على ما بُليت به . وان زوج عمتي هذه قدم من سفر ، فسألني عن قصتي ، فاخبرته فقال : أتزوجين نفسك ؟ فقلت : نعم على ان تجعل أمر عمتي في يدي . قال لي : فما تصنعين الآن ؟ قلت : ذلك اليّ اما ان اطلق واما ان اتقحم ، قال : قد فعلت. فارسلت الى عمتي : ان زوجك خطبني واني ابيت عليه حتى يجعل امرك في يدي ، ففعل فأنت طالق.

فضحك ابن ابي ليلى . فقالت العجوز : لا تضحك ايها القاضي ، فالذي بقي اكثر واعظم . فقالت الشابة : ثم ان زوج عمتي مات ، فجاءت تخاصمني في ميراثه ، فقلت لها هو زوجي ، وانا احق بميراثه . فأمرت ابن عمي ووكلته بخصومتي ، ففعل . فقلت : يا ابن العم ، ان الحق لا يُستحيى منه ، وقد ضاجعتُ امرأة لا تكحت زوجاً غيرك ، فهل لك في مراجعتي ؟ فقال : كان ما كان ، ولا ذنب لي فيه ، بل كنا على اشد رغبة واعظم محبة ، ثم قال : أو تفعلين ؟ قلت : على ان تجعل أمر بنت عمتي بيدي . فقال قد فعلت ، فارسلتُ الى بنت عمتي : ان زوجك قد خطبني ، واني ابيتُ عليه حتى يجعل امرك في يدي ، ففعل ، فأنت طالق .

فقالت العجوز : اصلح الله القاضي . أيحلّ هذا ؟ اطلق انا وابنتي . فقال ابن ابي ليلى . نعم ، التمسّ والتكس لها .

ثم ركب الى المنصور فاخبره حتى ضحك وفحص برجليه ، وقال ابعدَ الله العجوز ولا فرّج عنها .

انها في الحق قصة تدل على مكيدة ، بطلتها العمة العجوز ، واكملتها الكناة ، وراحت ضحيتها بنت عمتها بجريرتها التي فرقت اولا بين محبين ورضيت البنت بما كان من امها ، فشاركتها في سوء فعلها ، ولذلك لم تجدا رحمة من القاضي ، ولا من ابي جعفر المنصور . وفي الحديث الصحيح « لا يحل لامرأة أن تسأل طلاق اختها لتستفرغ صحفتها ، فانما لها ما قدر لها » .

لم يخل الكتاب من تحريف

ان كتاب جمع الجواهر (أو ذيل زهر الآداب) من الكتب الجديرة بالقراءة للاستفادة الادبية ، والتسلية البريئة ، والمعلومات الشيقة ، على الرغم مما في طبعيه من خطأ وبُعد عن الصواب .

من ذلك مثلا ، قول بشار :

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَمْ
ونفى عني الكرى طيفٌ ألَمْ

رَفِّهي ياعبدُ عني واعلمي
أنني ياعبد من لحمٍ ودَمْ

إن لي جسما ضعيفا ناحلاً
لو توكأْتِ عليه لانهدَمْ

ختم الحب لها في عُنُقي
موضعَ الخاتَم من أهل الذِّمَمْ

وإذا قلت لها جُودي لنا
خرَجتْ بالصمت من لا ونعم

قال مروان بن ابي حفصة : « انشدني بشار هذه القصيدة ، فلما بلغ هذا البيت ، قلت له : جعلني الله فداك يا ابا معاذ ، هلا قلت : خرست بالصمت .. » قال لي : فضّ الله فاك : « اني اذا لفي عقلك اطنز عليّ من ان اجيب بالخرس » وهذه الجملة الاخيرة كلها تحريف ، ولا تتفق وصحة الكلام والنص؛ اني اذا لفي عقلك . اطنز علي من؟ أجيبُ بالخرس .

« فليس هنا سخرية حتى يقول له « اطنز » وشرح بالهامش وليس هنا معنى لكلمة « ان اجيب بالخرس » .

ومن ذلك أيضا « لما دخل هلال بن احوز البصرة بعد ايقاعه ببني المهلب » وصحة اسمه « هلال بن احوز » ومع ذلك لا يوجد اسمه في الفهرس الفادح الموجود بآخر الكتاب .

ولست بصدد تصحيح ما في الكتاب من عثرات ، ما كان ينبغي ان تكون فيه ، لو بذلت فيه العناية وتعلقت به الهمة . ونرجو ان نراه مطبوعا مرة اخرى خاليا من العيوب .

عبد الستار احمد فراج

أنباء الطب والعلم والاختراع

المطارات

تسبب للمواطنين الساكنين حولها

ازعاجا بدأ يأخذ طريقه الى المحاكم

● المطارات محاط ضروريه للطائرات .
والطائرات اليوم هي جزء لا يتجزأ من المواصلات .

وتحمل الناس كل ما يخرج من المطارات ، ومن فوقها ، وعند اقتراب الطائرات منها ، وعند الاقلاع ، تحملوا كل مزعج من الأصوات بحسبان ان هذا شر لا بد منه .

ولكن بتقدم الزمن عظمت الطائرات ، واشتدت أصوات لها ، واهتزت باصواتها المنازل القريبة ، واصطكت زجاجها ، ومنه ما تحطم . ثم زادت المطارات اتساعا ، ومع اتساعها تزداد عدد الطائرات الداخلة اليها والخارجة منها ، زيادة جعلت حياة الناس في الاصقاع القريبة من المطار لا تكاد تطاق .

عندئذ تنبه الناس الى حق المواطن في الحياة الهادئة ، والى حق الطائرات والمطارات في احداث مثل هذا القلق لفئات من اهل البلاد .

والمطارات غير الطائرات .

المطارات لها اصحابها ، وهي البلاد التي هي فيها .

والطائرات ، وهي من كل بلد من بلاد الدنيا ، لها اصحابها متفرقين في اشتات الأرض .

والطيارات واصحابها غير مسئولين عن مواضع المطارات ، وليس لهم فيها راى ، والحكم الذى يناله المواطن اذا هو اشتكى الى المحاكم ، وهو عادة تعويض مالي ، لا تدفعه الطائرات ، لأنه لا سبيل الى ربط طائرة بذاتها باحداث اصوات معينة بذاتها .

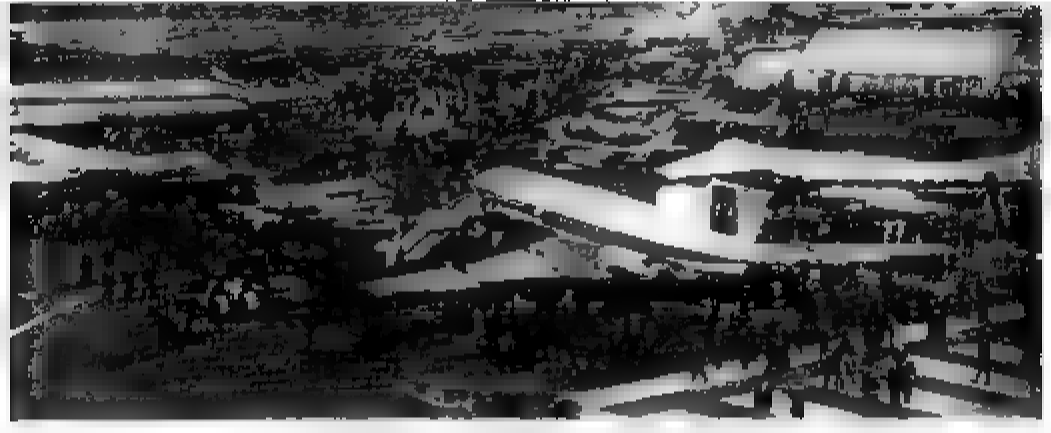
انما الغرم تدفعه المطارات .

والمطارات تسترد هذا الغرم بأن تزيد في أجر نزول الطائرات ومدة ايوائها في المطار . وهذا بدوره يزيد في ثمن التذكرة للمسافرين . وهذا بدوره يؤثر في تواصل الأمم وفي مبادلاتهم من تجارية وغير تجارية في زمان هدف العالم الى أن يكون وحدة واحدة .

ولقد بدأ مطار لندن الشهير ، هيثرو ، يساعد اهل المنطقة التي هو بها ، بانشاء عازلات للصوت في منازلهم ، تمنع عنهم هدير الطائرة لا سيما عندما تقلع .

والظاهر ان الحل الجذرى مكانه الطائرة وتصميمها .

ان انجلترا وفرنسا يشتركان معا طائرة ضخمة اسموها الكنكورد Concord سرعتها فوق سرعة الصوت ، لعلها



مطار وتظهر الصورة شدة ازدحامه بالطائرات والناس

مربح . والولايات المتحدة أخذت تبني نفسها طائرة مثلها ، وسارت في هذا الطريق خطوات . ثم اذا بالكونجرس الامريكي في الاسابيع الماضية يرفض أن يستمر العمل في انتاج هذه الطائرة

وكان لهذا رجة في العالم كبرى .

ولقد قيل ان من أسباب هذا الرفض هو هذا الامر الذي أثرناه هنا ، هو ما تحدثه هذه الطائرات الجبارة من ازعاج لا يعرف الانسان اليوم ما مداه .

ولاعطاء فكرة عما تدفع الطائرات للمطارات من غرامات ، نقول أن طائرة ركاب كبيرة مثل Super-Vc 10 تدفع للهبوط في مطار لندن (حيث رو) ٢٥٠ جنيها ، وفي مونتريال ١٦٠ جنيها ، وذلك وفقا لخطورة المطار وازدحامه .

حبوب منع الحمل يتعاطاها الرجال

● ضبط النسل ، أو بالصراحة الحد من النسل حتى لا تغيض الارض بالناس ، أصبح اليوم هدفا من أهداف أهل هذه الارض ، أعني بني الناس .

وصار في حكم الشيء الشائع اليوم استخدام الحبة المانعة للحمل ، يستخدمها في الامم المتقدمة اكثرية كبرى من النساء ويحاول ان تقتدي بهم في الامم المتخلفة من يفهم من أمر هذه الحبوب القدر الكافي الذي يأتلف (أو لا يأتلف) وصالح هؤلاء الناس سائر بقاع الارض .

ليس في هذا من شيء جديد ، انما الجديد أن تكون هناك حبة لمنع الحمل يتناولها الزوج فتمنع زوجته من ان تحمل . وحتى هذا الخبر ليس بالجديد كل الجدة ، فالمجهودات سبقت في محاولة لابتداع حبة كهذه للذكور ، بمثل ما كانت وسبقت حبة للاناث . والحق ان العلماء وجدوا أكثر من حبة تمنع الحمل ، يتعاطاها الرجال ، ولكن اكثر ما وجدوا من ذلك له عند استخدامه عواقب وخيمة ، وأكثره السام .

ونذكر هنا ان آخر محاولة بذلت في هذا السبيل هي المحاولة التي قام بها الاستاذ دنيس لاسي Denis Lacy بالكلية الطبية بمستشفى القديس بارثولوميو Bartholomew بلندن . وهي تقوم على أصول طبية ليست كالاصول المتبعة المعروفة تماما .

ولتعبير ذلك نقول ان الحيوانات المنوية للرجل تنتج في القنوات الصغيرة التي في الخصيتين . وهي تنتج هناك بسبب تنشيط أنسجة الخصية بواسطة هرمونات تأتيها من الغدة

الحامية الموجودة بقاع المخ . وبالحيلولة دون ورود الهرمونات المذكورة ينقطع انتاج الحيوانات المنوية بالمرة .

ولكن الخصى تنتج كذلك هرمونات جنسية هي التي تعطي للرجل كل صفات الذكورة . فمنع ورود الهرمونات الى الخصى يكون له تأثير سيء في أعضاء التناسل الثانوية ، تلك الاعضاء التي تنتج البلازمة Plasma التي منها يتألف ٩٦ في المائة من مني الرجل .

وحل هذا المعضل ، يكون باعطاء الرجل حبة تحتوي من هذه الهرمونات مقدارا كافيا فقط لازالة هذا الاثر ، لا أكثر منه .

اما الحبة الجديدة فاسمها مسترلون Mesterelone ، وهي تتألف من مسترلون Mesterelone ومركب آخر هو بروجستاجين Progestagen (وهو يوجد ايضا في حبة الأنثى) فعال حين يعطى بالفم .

وهذان المركبان كلاهما هرمون .

هذه هي الفكرة التي راودت الاستاذ Lacy عدة سنين . وهو الآن يجمع لأول مرة بين هذين الهرمونين .

والسؤال الأول : هل تنجح هذه الحبة ؟ .

الظاهر انه ليس هناك ما يمنع من نجاحها . ولكن بالطبع لا ينتظر فيمن بدأ يتعاطى الحبة من الذكور ان يمتنع عن انتاج الاطفال على الفور ، ذلك لأن الحيوانات المنوية القديمة المخزونة ستظل باقية حيث هي بعض الوقت بعد تناول الحبة ، والى أن تخرج من المني بالعدد .

والسؤال الثاني ، هل يتقبل الرجال بسهولة هذه الحبة ، حتى بعد اقتناعهم بأنه لا ضرر منها ، وانها يعتمد عليها من حيث النتيجة ؟ .

قد يقول قوم ان الرجال سوف يرفضونها ، لأن الفكرة الشائعة هي ان منع الحمل مسئولية النساء لا الرجال . ولكن اذا علمنا ان الكثير من الرجال يتقدمون الى الاطباء ليجروا لهم جراحة منع الحمل ، بقطع قناتهم الدافقة Vasectomy تلك التي تتدفق بالحيوانات المنوية من الخصى Vas Deferens عرفنا أن أمر توقف الرجال عن انتاج الاطفال بتعاطي الحبة انما هو توقف موقوت .

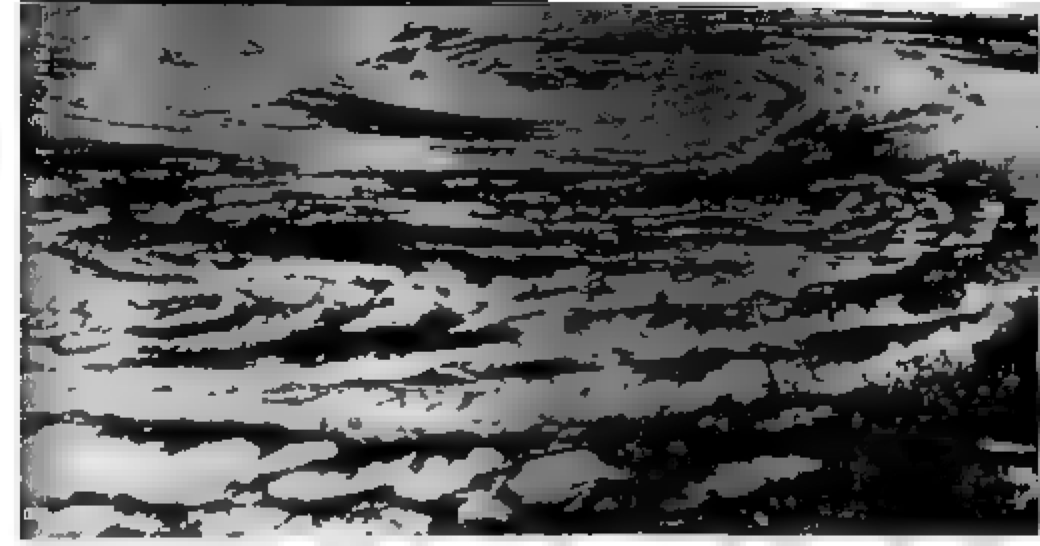
والعلم تقول انهم قدّروا ان في الولايات المتحدة مليونا ونصف مليون يجرون هذه العملية الجراحية ، جراحة قطع القناة الدافقة ، في العام الواحد .

الاعاصير .. مثل رائع

● كان كل ما عرف الانسان العربي المعاصر ، عن الاعصار Hurricane ، حتى زمن غير بعيد ، هو انه ريح من أشد الرياح قوة ، له تخريب وتدمير . حتى اذا كان الاعصار الذي وقع منذ أشهر في باكستان الشرقية ، ذلك الذي هلك فيه من بني الناس من هلك ، وانتثرت به في الوحل من الارض والضحل من ماء البحر جثث الموتى ، آلافا مؤلفة ، وتهدمت به على تلك السواحل المترامية قرى وتخربت أصقاع كانت بالحياة عامرة زاخرة .... حتى اذا كان هذا الاعصار ، عرف اهل الارض كم تقصر الكلمات عن أداء المعاني ، وكم تعجز اسماء النكبات عن تصوير ما يحمل واقعها من صور بشعة ما كان يدور في خلد انسان انها تكون من نصيب بني الانسان على هذه الارض .

ان الاعاصير ، بعض ظواهر الطبيعة ، وهي والزلازل ، تتبارى في التدمير والتخريب .

والعلم والعلماء يقفون دائما متهيئين



صورة الاعصار وهو يدور بسحابته في اعالي الهواء

من غضب الطبيعة على ساكني الارض

لتحصي ظواهر الطبيعة ، ناعمها والضار، وحتى ما ليس له نفع ظاهر ولا ضرر ظاهر .

وهم قاموا ، وقائمون ببحث الزلازل، ليعلموا كيف يتنبأون بها قبل ان تقع ، حتى يتمكن الناس من أن يحذروها قبل وقوعها .

والعلماء كذلك قاموا وقائمون ببحث الاعاصير ، ما هي ، وكيف يتقونها .

وابحاث كابحاث الاعاصير ، لها نطاق واسع يمتد في ارض وفي سماء . لهذا كانت من الابحاث التي تقوم بها الحكومات . واحدر الحكومات بهذه الابحاث حكومات امم كالولايات المتحدة الامريكية، جمعت الى العلم الثروة ، وزادها حفزا الى البحث أن الاعاصير من بعض ما دهاها . وهكذا كانت الولايات المتحدة اول الامم التي قامت تبحث في امر هذه الاعاصير .

خسائر الولايات المتحدة من الاعاصير

ان الاعاصير التي وقعت في الولايات المتحدة ، بين عام ١٩١٥ وعام ١٩٢٤ ، سببت لها من الاضرار ما قدروه بمعدل ١٢ مليون دولار في العام الواحد . وسببت لها من الاضرار ما بين عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٦٩ ما قدروه بمعدل ٣٢٤ مليون دولار في العام الواحد . وسوف تزداد هذه الاضرار على السنين بسبب ازدياد العمران وغلاء الاثمان .

الغرض تخفيف سرعة الريح

والغرض من الابحاث القائمة ليس قتل الاعصار حيث هو ، وليس ازاحته عن مكانه الى مكان آخر ، وانما هو تقليل سرعة الريح فتهدئة الاعصار نتيجة ذلك .

واجرى المختصون من العلماء والفنيين على ما قام في الولايات المتحدة من اعاصير تجارب سريعة متفرقة ، كان من اواخرها محاولات جرت في عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٣ ، افادوا منها فوائد كثيرة . ولكنها مع الاسف انتهت بنتائج غير حاسمة .

نقاط خمس افترضوها

وصاغ هؤلاء البحاث نقاطا خمسة سوا عليها طريقة يحاولون بها التخفيف من عنف هذه الاعاصير .

النقطة الاولى انهم افترضوا انه مكل سحابة اعصار ، في اوسطها ، منطقة فيها الماء ماء غير متجمد على الرغم من ان درجة الحرارة هناك تقع بين) و ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر ، او دون ذلك درجات .

النقطة الثانية ان هذا الماء لا يتجمد لانه ليس فيه بلورات من ثلج تعمل كنواة يتجمد الماء عليها .

النقطة الثالثة انه بالقاء بلورات من ملح يوديد الفضة في هذه المنطقة الوسطى من الماء يجعل هذا الماء يتجمد ويصبح ثلجا ، متخذا من بلورات الفضة نويات يخرج عليها من حالة السيولة الى حالة الثلوجة .

النقطة الرابعة ان هذا التحول يخرج من الحرارة قدرا كالذى يحتاج اليه مثل هذا المقدار من الثلج الناتج ليتحول الى مـاء .

النقطة الخامسة ان هذه الحرارة تزيد في رفع الهواء الى اعلى في اوسط السحاب ، وهذا يجر من السحاب ما هو قائم بالاطراف ليحل محله ويرتفع ، ويخرج حرارة ، وهلم جرا . والنتيجة المعروفة ان هذا ينزل بالسرعة القصوى لريح الاعصار .

تذرير الملح فوق السحاب

وبحث العلماء في كيف يذررون ملح يوديد الفضة . وعمدوا في ذلك لطرائق يستخدمونها في الالعاب النارية . وفي احدى التجارب حملت الطائرات الى اعلى السحب ، على ارتفاع يزيد على ١٠ كيلومترات ، ٤ كيلوجرامات من يوديد الفضة . وذرروها هنالك ، وقدروا انها انتجت من بلورات هذا الملح نحو اثنين ونصف الف مليون مليون بلورة انتشرت هنالك ، ففقد الاعصار بذلك نحو عشر سرعته

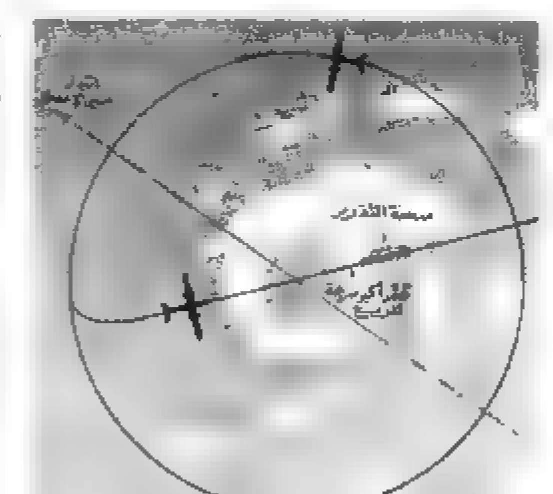
وفي تجربة اخرى بعد تلك ، فقد الاعصار نحو ١٤ في المائة من سرعته .

العلماء يترددون

كل هذا حسن . ولكن لا يزال العلماء حتى في هذه النتيجة يترددون . انهم يتساءلون ، هذا الهبوط في السرعة كان بسبب تذرير ملح اليوديد ، ام هو هبوط حدث طبيعيا في سرعة الاعصار لاسباب طبيعية اخرى .

لا بد من المزيد من البحوث ، لحسم هذا الشك ، وللسير بهذه الابحاث الى غايتها .

ان الذى يذكر مآسي باكستان عام ١٩٧٠ ، ويذكر منظر الجثث العائمة فوق الماء بالعشرات والمئات ، وهي لا تحد لها دائما ، تلك التي رآها على شاشة التلفاز يتمنى لهذا البحث النجاح كل النجاح .





المُراهقة
بَيْنَ الآبَاء والأبْنَاء

بقلم : منير نصيف

■ [illegible]
[illegible]
[illegible] واسعة والى علم ومعرفة بطبيعة النفس البشرية في نموها وفي مختلف اطوارها . [illegible]
[illegible]

[illegible]
ابنائهما .. فكل اب يعمل من اجل اسعاد ابنائه ، من اجل توفير [illegible] الذي
[illegible]
الذي يتمنى أن يرى غيره احسن منه واكثر منه حظا في الحياة .

رسالة الأبوين

وكذلك الأم ، تلك التي تفني شبابها وصحتها وحياتها من اجل خدمة ابنائها والسهر على راحتهم ، وتربيتهم واعدادهم لمستقبل افضل واكثر اشراقا .. فهذه هي رسالة الأبوين في الحياة .

ولكن هل تنبه الأبناء لهذه الرسالة ؟ . هل شعروا يوما بهذا الدور يقوم به الآباء تجاه الأبناء ؟ هل قدروا تلك المجهود التي يبذلها آباؤهم من اجل توفير السعادة والصحة والأمن والطمأنينة التي يحتاج اليها كل شاب وكل فتاة وهما يخطوان في قلق على الطريق الى هذه الدنيا العديدة من حولهما ؟

سن التمرد والثوره

والجواب لا .. ففي هذه السن الخطرة الحرجة التي تبدأ من الحادية عشرة وتستمر حتى التاسعة

عشرة ، وربما تجاوزتها في بعض الحالات .. في هذه السن ، نجد أن الأبناء هم آخر من يقدر ويشعر بدور الآباء وبرسالتهم نحو ابنائهم .. فهي سن التمرد .. سن الثورة على البيت وعلى المجتمع ، وعلى كل ما يتصل بالعرف والتقاليد من قريب أو من بعيد ..

ما الذي يحدث بين الآباء والأبناء في مرحلة المراهقة .. ولكي تتضح الصورة ، لا بد لنا من أن نقدم بعض النماذج لمشاعر الآباء واسلوب تفكيرهم ونظرتهم لأمور ابنائهم ، ثم رد الفعل الذي يتركه هذا كله في نفوس الأبناء . وموقفهم منه وتصرفهم حياله ..

أمهات .. وأبناء

تقول الأم : « ليس لي من أمنية في هذه الحياة ، الا أن أرى ابني سعيدا ناجحا موفقا في حياته ومستقبله ! » .

ويرد الابن الذي لم يبلغ بعد عامه الخامس عشر : « كم تمنيت لو أنها كفت عن الحديث عن سعادتي . انها هي وحدها التي تسبب لي المتاعب والشقاء .. ان قلقها على مستقبلي ، يدفعني الى الجنون ! » .

وتقول الأم التي انهت ابنتها تعليمها الثانوي ، وسافرت للالتحاق بالجامعة في بلد آخر .. « ان فراقها يقلقني ، انها ما زالت صغيرة لم تكمل بعد عامها الثامن عشر . سوف افتقدها ، فهي كل شيء في حياتي ! » .

وترد الابنة : « ان أمي تريد أن تعيش في حياتي ، انها تريد أن تأكل من أجلي ، وتتنفس لي ، ان استطاعت ، انها تظن انني قطعة من السكر ، سوف تذوب تحت مياه المطر ، فاذا لم تكن قريبة مني تحمل لي المظلة فوق رأسي .. كم تمنيت لو انها تركتني أعيش حياتي أنا كما اريد واتمنى !! » .

بين الآباء والأبناء

ويقول الأب الذي ما زال ابنه يتلقى علومه في المدرسة الثانوية : « انني على استعداد لأن أفعل أي شيء لكي أراه رجلا ناجحا في الحياة ! » .

ويرد الابن الذي لم يبلغ بعد عامه السادس عشر : « لقد مللت الاستماع الى نصائح والدي .. لم يعد من موضوع يتحدث فيه الا موضوع مستقبلي ، وهو لا يدري أنه يحطم بحديثه هذا حاضري .. لقد جعلني افتقد الثقة في نفسي .. انني أحس بالهزيمة والفشل ! » .

ويقول الأب لابنته ، بعد أن تعجب الرجل الذي قدمه لها ورشحه ليكون شريكا لحياتها : « انه شاب مثقف يا ابنتي ، وهو يشغل منصبا لا بأس به ، وينتمي الى اسرة طيبة . لقد كان والده صديقا لي ، وهو شاب يستطيع أن يوفر لك السعادة التي تنشدها كل فتاة في حياتها بعد الزواج ! » .

وترد الابنة : « انني لا أحبه يا أبي .. لم أشعر بأي ميل نحوه ، وأنا لا أستطيع أن أربط حياتي ومستقبلي برجل لا أحس نحوه بأية عاطفة .. أرجوك الا تنسى أنني أنا التي سأتزوج ! » .

الاستسلام لرغبات الأبناء

ولكن الأب لا ييأس فيعاود محاولته من جديد ، لعله يستطيع أن يقنع ابنته بوجهة نظره : « انت ما زلت صغيرة يا ابنتي ، انك تفتقرين الى تجارب الحياة .. ان الحب الذي تتحدثين عنه ، لا يأتي قبل الزواج ، وانما بعد الزواج .. انه حصاد طبيعي للصحبة الهادئة ، والرابطة القوية القائمة على أساس من التفاهم والاحترام المتبادل .. لا تنسي ان امك لم تكن تعرفني ، ولم تلتق بي مرة واحدة قبل زواجها مني ، ونحن الآن نعيش سعداء بعد خمسة وعشرين عاما من زواجنا !! » .

وترفض الابنة هذا المنطق ، وتذهب الى غرفتها ، لتحبس نفسها بين جدرانها ، وتغرق نفسها في البكاء حتى يذهب « العريس » الى غير عودة !

لقد أشفق الأب على ابنته ، ولم يجد من وسيلة

بعيد بها الابتسامة الى وجهها الا ان ينزل عند رغبتها !

شكوى أم

يروي الدكتور توماس بيل ، استاذ علم النفس انه جلس يوما يستمع الى شكوى حملتها اليه ام شابة لم تتجاوز بعد عامها الخامس والثلاثين ، جاءت اليه في عيادته مع ابنها الذي لم يكمل بعد عامه الرابع عشر . يقول الدكتور توماس : « لقد كانت الأم قلقة متوترة الاعصاب .. كانت تتحدث في عصبية ظاهرة ، وهي تشكو في مرارة تصرفات ابنها ومعاملته لها .. فهو لا يريد ان يستمع الى نصائحها .. انه يهرب منها ، ويهرب من نصائح الناس ! انها في حيرة من امرها لا تعرف ماذا حل بهذا الصبي الذي يبدو وكأنه يريد ان يتحدى العالم كله ! » .

ويكمل الطبيب النفساني روايته فيقول : « ونظرت الى الابن فوجدته جالسا في هدوء وكأن شيئا مما تقوله امه لا يعنيه في قليل او كثير ، ولكن ما حدث في الدقائق القليلة التالية ، كان كافيا لان يفسر لي سر المشكلة القائمة بين الأم وابنها .. فقد عطس الصبي ، عطسة قوية .. وهبت الأم من مقعدها واقفة ، ومدت يدها تربت على كتفه في رقة وحنان : « هل اصبت ببرد .. دعني ارى وجهك وعينيك .. يجب ان نعود حالا الى البيت ، لا بد لك ان تستريح في الفراش ! » » .

اتركيني وشأني !

وسكت الابن ، ولم ينطق بكلمة واحدة .. كل ما فعله ، هو ان مد يده في هدوء ليبعد امه عنه ، ويقول : « لست مريضا يا امي .. ولست في حاجة الى الراحة كما تتصورين .. ارجوك ان تتركيني وشأني » ..

يقول الدكتور توماس : « ولم اكن في حاجة بعد ذلك لادرك الاسباب الحقيقية التي تكمن وراء تصرفات الابن ومعاملته لامه ، تلك التي جاءت تحملها الي وتشكو منها !

ان لهفتها عليه هي السبب .. انه يكره ان يرى امه تعامله ، كما كانت تفعل وهو طفل صغير .. لقد كبر الآن ، وهو يريد ان يشعر بشيء من الاستقلال ، يريد ان يعطس دون ان يضطر الى ان يقدم لامه تفسيرا لما فعل .. ولكنها ترفض ان تتركه يغيب عن عينيها لحظة واحدة .. انها تريد ان تعرف اين يذهب ، وماذا يفعل ، وكيف يقضي اوقات فراغه .. انها ترقب كل حركاته وسكناته منذ اللحظة التي يصحو فيها من نومه في الصباح ، حتى يذهب الى فراشه بالليل لينام .. فهي امه وهي مربيته ومعلمته وطبيبه الخاص .. » .

تغير جذري

ولا يمكن لاحد ان يلوم الام على مشاعرها نحو ابنائها ولهفتها عليهم ولكن الذي يجب ان تعرفه كل ام هو انها تستطيع ان تفعل كل هذا ، دون ان تجعل ابناءها يشعرون بانها تتدخل في حياتهم .. فالابناء في هذه السن المضطربة الحرجة يتغيرون تغيرا جذريا .. يتغيرون ذهنيا وعاطفيا وسيكولوجيا .. انهم يتحولون الى نماذج اخرى من البشر ، لا تمت الى تلك النماذج الصغيرة التي عرفها اباؤهم في طفولتهم بصلة .. وهم في طريقهم هذه ، الى سن الراهقة ، لا يكفون عن محاولاتهم للتخلص من تلك الصورة المألوفة امامهم .. صورة طفولتهم بين احضان ابائهم وامهاتهم .. لقد اصبحوا الآن يكرهون النصيحة التي توجه اليهم بمناسبة وغير مناسبة .. انهم لا يريدون ان يروا هذا الاهتمام الزائد بشئون حياتهم الخاصة سواء في البيت او المدرسة ..

معركة الشباب

انهم يخوضون معركة مريرة مع انفسهم ومع الاخرين ، لكي يظهروا بمظهر الكبار الذين يعرفون كل شيء . ان اهم ما يشغل تفكيرهم في هذه المرحلة

من حياتهم ، هو ان يشعروا بانهم يحيون حياة مستقلة بعيدا عن سيطرة الآباء ، يريدون ان يشعروا بانهم يستطيعون ان يجدوا طريقهم في الحياة دون ان يضطروا الى الالتجاء الى نصائح آبائهم وارشاداتهم .. انهم في هذه الحالة ، اشبه ما يكونون برجل مفلس في حاجة الى قرض يعاونه على مواجهة متطلبات الحياة ، ولكنه يشعر بالخجل من ان يمد يده للناس ، حتى لو كانوا والديه .

ان الابناء في مراهقتهم يعتبرون المساعدة تدخلا في شئونهم ، وينظرون الى اهتمام آبائهم بهم وبحياتهم على انه عودة الى سن الطفولة ، اما النصيحة ، مهما كان نوعها ، ومهما كانت المناسبة التي تقدم فيها ، فهي ليست في رأيهم ، سوى محاولة من جانب الآباء لفرض سيطرتهم عليهم !

مأزق ولكن

وهكذا يجد الآباء انفسهم يواجهون مأزقا .. كيف يمدون يد المساعدة لابنائهم ، وهم يرونهم يرفضون هذه اليد الممتدة اليهم ؟ كيف يرشدونهم ويرجعونهم الى الطريق السليم وهم يشعرون بان محاولاتهم هذه تثير السخط والاستياء في نفوس ابنائهم ؟ كيف يتحدثون اليهم ويخاطبون عقولهم ، وهم يدركون أن وسائل الاتصال بينهم وبين ابنائهم قد تعطلت ؟

يقول الدكتور توماس : « ان علاقة الآباء بابنائهم في هذه المرحلة هي سلسلة من الاخطاء المتصلة . فالاب مثلا يريد ان يكون صديقا لابنه بينما يرى الابن في ابيه عدوا له .. والام تريد ان تصبح شقيقة كبرى لابنتها ، بينما الابنة تنظر الى امها نظرة ملؤها الريبة والشك ، وربما تصورت في بعض الاحيان ان امها تغار منها !

« واخيرا ان الابوين يسعيان الى كسب حب ابنائهما واحترامهما .. ولكن الذي يحدث انهما لا يلقيان منهم سوى الجفاء وربما الازدراء والتحقير في بعض الاحيان ! » .

التعايش السلمي

هل يمكن بعد هذا ان يقوم نوع من التعايش السلمي بين الآباء والابناء ؟

والجواب على هذا السؤال يتطلب القدر الكثير من الدراسة والبحث والمعرفة كما قلنا في طبيعة الشباب في سنوات اضطرابهم وقلقهم .. فاذا كنا حقيقة نريد ان نكون اصدقاء لابنائنا ، فلا بد لنا من ان نعاملهم كما يعامل الصديق صديقه .. فنستطيع ان نفعل معهم كل ما نريد ان نفعله دون ان نجعلهم يشعرون ولو للحظة واحدة اننا نفرض آراءنا عليهم .. تماما كما يفعل الطبيب الذي يقدم لمريضه حبة الدواء المر في غلاف من السكر !

تقبل الخطأ .. والاستسلام

فلنحترم انفسنا الآن على تحمل نزواتهم وغضباتهم ، حتى اذا عادوا عدنا اليهم ، ولكن لا لنذكرهم باخطائهم ، وانما لندعوهم للخروج في رحلة او نزهة بعيدا عن جو البيت والدرس والعمل .

يجب ان نفرق بين تقبل الخطأ والاستسلام .. فنحن نستطيع ان نبتلع الاساءات وان نتغاضى عنها ولكن الى حين .. فلا بد لنا من ان نظهر استياءنا اذا وجدنا ان هناك ميلا من الشاب او الفتاة الى التمادي في هذا المسلك ولكن في هدوء وبدون ان نظهر لهم اي شعور بالعداء او التهجم او الاعتداء عليهم ..

واخيرا لا بد لنا ان نعاملهم كما نعامل الكبار .. فليس هناك شيء يرضي غرور الشباب في هذه السن اكثر من ان يشعروا انهم كبروا وبلغوا مبلغ الرجال والنساء ..

اذا نجحنا في ان نجعلهم يستعيدون ثقتهم بانفسهم ، فقد نجحنا في ان نجعل منهم اصدقاء لنا ..

منير نصيف



بقلم : ظافر القاسمي
أستاذ اللغة العربية بالجامعة ...

● الخليفة هو عمر بن عبد العزيز ، الأموي القرشي ، المترف الذي كان يرفل بمطارف الخز والحرير ، والذي كانت عقود الجوهر النفيس تملأ بيته ، يتحلى بها أهله ونساؤه ، فلما ولي الخلافة عزف عن الدنيا وما فيها ، ولم يكتف بهذا ، بل حمل زوجته على أن تسلك مسلكه ، بعد أن خيرها بين دنياها التي تنعم فيها ، وبين أن تصبر على التقوى والزهد وشظف العيش ، فاختارت ... الحرمان ، ولم ... أن تبكي على النعيم . إنه خامس الخلفاء الراشدين الذي لم يعرف إلا الحق المطلق ، ولم يتبع في سياسته إلا أحكام الشريعة وحدها ، فما عرفه منها قضى به وأمضاه وما غاب عنه ، أو اشتبه فيه ، عهد به إلى الفقهاء الثقات . هذا الذي كانت التقوى عنده قول السامة ، وخوف الله قبل النصيحة والنصح ، والذي ... إلى مصالح الأمة مرتبطة بأوامر الله ... لا بمصرفات الجسد والفؤاد ، ولا برغبات الأمراء والولاة .

إنه عمر بن عبد العزيز ، الذي أنصف أهل سمرقند ، فأمر عامله « سليمان بن أبي السري » بأن يجلس لهم القاضي ، لينظر في أمرهم ، فأجلس لهم سليمان « جميع بن حاضر » القاضي الناجي ، فقضى بأن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم ، وثبتت دعوى أهل سمرقند بأن جيش المسلمين قد احتلها خلافا لأحكام الشريعة (الطبري ـ ٦ ـ ٥٦٧ ـ ٥٦٨) .

هذا الخليفة العظيم ، نظر إلى ما في بيت المال

على أنه للمسلمين كلهم ، فلا يخرج منه دانق إلا بحقه ، وليس لأمير المؤمنين فيه أكثر مما لغيره من المسلمين ، وإن كان الله قد ولاه على هذا المال ، فما إلا هو أمين عليه .

جاءه شاعر كما كان يجيء الى من سبقه ، فمن هو هذا الشاعر ؟ .

اما الشاعر فهو « جرير بن عطية الخطفي » ، احد الثلاثة المقدمين في العصر الأموي ، صاحباه هما الفرزدق والاخطل ، وهم الذين جرت بينهم المناقضات ، وهم الذين اذا قالوا افحموا ، واذا بصروا بلغوا .

اولئك الذين اختلف فيهم جمهور الأدباء والنقاد ، منذ العصر الذي عاشوا فيه حتى اليوم ، فتعصب اناس لجرير ، وانحاز فريق للفرزدق ، وانتصر آخرون للاخطل .

وتاريخ الأدب العربي يشهد أنه ما تعرض لهم احد من شعراء عصرهم إلا افتضح وسقط ، وظلوا يتساولون حينا ، ويتحاورون دائما . ولقد عرفوا بهذا الفن الخاص ، الذي سمي بالمناقضات ، الذي يكشف المثالب ، ويضخمها ويستر المحاسن او يقلل من شأنها .

جرير هذا ، الذي وفد على امير المؤمنين ، وخامس الخلفاء الراشدين ، عمر بن عبد العزيز ، سئل عنه وعن الفرزدق ، بشار بن برد امام المحدثين ، فقال :

ـ كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار (زوجة الفرزدق) ، فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير . (الأغاني ٨/١٠) .

ولقد شهد الثلاثة المتقدمون ، بعضهم لبعض ، فكانوا اقرب الى الانصاف ، لأنه لا يعرف الفضل الا ذووه . شهد الفرزدق لجرير في قصة طويلة رواها ابو الفرج الاصفهاني في الأغاني (٨/١١) ، عن اليشكري ، فقال

امترى أهل المجلس في جرير والفرزدق أيهما اشعر ، فدخلت على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال . يا نوار ! هل ادركت بريكتك (نوع من الطعام) ؟ .

ـ فقالت نوار : قد فعلت او كادت . فقال الفرزدق : فابعثي بدرهم فاشتري لحما ، ففعلت ، وجعلت تشرحه وتلقيه على النار ، ويأكل . ثم قال هاتي بريكتك . فشرب قدحا ، ثم ناولني ، وشرب آخر ، ثم ناولني ثم قال لي : هات حاجتك يا ابن اخي ! .

قال اليشكري : فاخبرته عن خلاف اهل المجلس في جرير والفرزدق ايهما اشعر ؟ فقال : أمن ابن الخطفي تسألني ؟ ثم تنفس حتى قلت انشقت حيازيمه ، ثم قال : قاتله الله ! فما اخشن ناحيته ، واشرد قافيته . والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها ، والشابة على احبابها ، ولكنهم هروه فوجدوه عند الهراش نابحا ، وعند الجراء (١) قارحا . ولقد قال بيتا ، لأن اكون قلته احب الي مما طلعت عليه الشمس :

اذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

جرير هذا ، يشهد له الفرزدق هذه الشهادة الصادقة ، وهو منافسه ، وهو مناقضه ، هجا الشاعر الراعي في قصيدة طويلة ، يقول فيها :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فما افلح نميري بعدها ابدا .

انه جرير ، من عرفت ، يفد على عمر بن عبد العزيز يطلب منه صلة ، فاستمع الى هذا الحوار الذي دار بين الخليفة العظيم ، وبين الشاعر العظيم ، كما رواه ابو الفرج الاصفهاني (٨/٤٧) قال :

« استخلف عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء ، فجعلوا لا يصلون اليه ، فجاء عون بن عبد الله ، وعليه عمامة قد ارخى طرفيها ، فدخل . فصاح به جرير :

يا أيها القارىء المرخي عمامته
هذا زمانك اني قد مضى زمني
ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه
اني لدى الباب كالمصفود في قرن

فدخل عون على عمر ، فاستأذن لجرير ، فادخله عليه ، وقد كان هيأ له شعرا ، فلما دخل عليه غيره وقال :

(١) الجراء مجاراة وجريه : جرى معه وسابقه .

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا
من الخليفة ما نرجو من المطر

نال الخلافة اذ كانت له قدرا
كما اتى ربّه موسى على قدر

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت
أم تكتفي بالذي بلّغت من خبري!

لا ينفع الحاضر المجهود بادينا
ولا يعود بنا باد على حضر

كم بالمواسم من شعثاء أرملة
ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

يدعوك دعوة ملهوف كأن به
خبلا من الجن أو مسّاً من النشر(٢)

ممن يعدك تكفي فقد والده
كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر

أصغى الخليفة القرشي الى الشاعر ، فلمس الشاعر سويداء قلبه ، وما كاد جرير ينهي انشاده حتى كانت لحية أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قد ابتلت بالدمع .

فقال الخليفة : يا ابن الخطفى ، أمن أبناء المهاجرين أنت ، فنعرف لك حقهم ، أم من أبناء الأنصار ، فيجب لك ما يجب لهم ، أم من فقراء المسلمين ، فنأمر صاحب صدقات قومك فيصلك بمثل ما يصل به قومك ؟ .

قال جرير : يا أمير المؤمنين ما أنا بواحد من هؤلاء ، واني لمن أكثر قومي مالا ، وأحسنهم حالا ، ولكني أسألك ما عودتنيه الخلفاء ، أربعة آلاف درهم ، وما يتبعها من كسوة وحملان .

قال عمر : كل امرىء يلقى فعله . أما أنا فما أرى لك في مال الله حقا ، ولكن انتظر يخرج عطائي ، فأنظر ما يكفي عيالي سنة منه ، فأدّخره لهم ، ثم ان فضل فضل صرفناه اليك .

جرير : لا ، بل يوفّر أمير المؤمنين ، ويحمد ، وأخرج راضيا .

عمر : فذلك أحب اليّ .

فلما خرج جرير ، ذكر الخليفة القرشي العربي ما لجرير من خطر ، اذا هو خرج راضيا في الظاهر ، غاضبا في الباطن ، وعبر في خاطره ما أسلفه من الرد ، وما اشتهر من الشعر ، فرأى أن يرده ، لا ليعطيه من بيت المال ، ولكن ليقدم اليه عرضا آخر ، فقال الخليفة لجلسائه :

– ان شر هذا ليتّقى ، ردوه اليّ ! .

فلما ردوه قال له

– ان عندي أربعين دينارا وخلعتين ، اذا غسلت احداهما لبست الأخرى ، وأنا مقاسمك ذلك . على أن الله عز وجل ، يعلم أن عمر أحوج الى ذلك منك .

– جرير : قد وفرك الله يا أمير المؤمنين ، وأنا والله راض ! .

– عمر : أما وقد حلفت ، فان ما وفرته عليّ ، ولم تضيق به معيشتنا آثر في نفسي من المدح ، فامض مصاحبا .

فلما خرج قال له أصحابه الشعراء المنتظرون بالباب ، وفيهم الفرزدق : ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة ؟ فقال :

– جرير : خرجت من عند رجل يقرب الفقراء ، ويباعد الشعراء ، وأنا مع ذلك عنه راض .

ثم وضع رجله في ركاب راحلته ، وأتى قومه ، فقالوا له : ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة ! فقال

تركت لكم بالشام حبل جماعة
أمين القوى مستحصد(٣) العقد باقيا

وجدت رقى الشيطان لا تستفزه
وقد كان شيطاني من الجن راقيا

* * *

لقد امتلأت بطون كتب التاريخ والأدب بمآثر عمر بن عبد العزيز ، وخوفه من الله ، وعدله في الرعية ، وسيرته الطاهرة النقية ، وما أشاع في الناس من عدل ، وما أدى من حقوق ، وما منع من مظالم ، وما اتبع من أوامر الدين ، وما امتنع من نواهيه ، ولكن أحدا لم يبلغ أكثر مما بلغ أبو الفرج صاحب الأغاني ، وهو علوي ، في هذه اللوحة الناطقة ، من وصف الخليفة الزاهد .

■■

ظافر القاسمي

(٢) النشر : جمع نشرة ، وهي رقية يعالج بها المريض والمجنون .

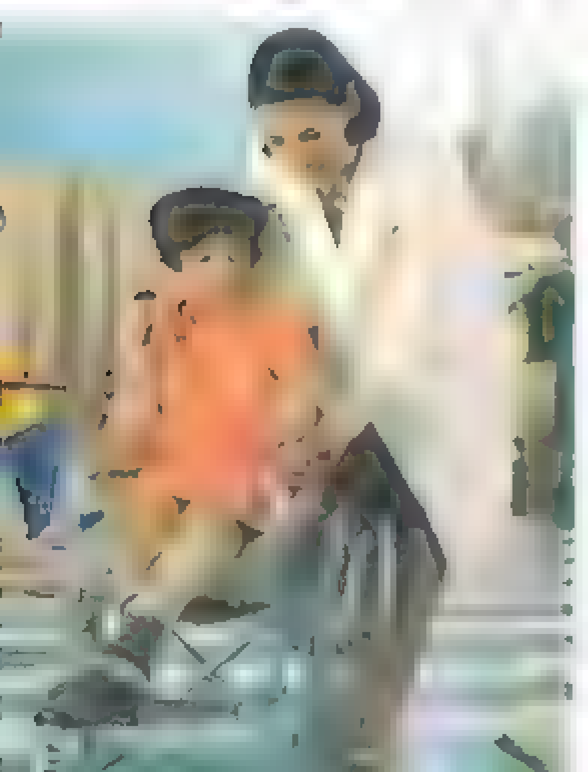
(٣) المستحصد : المستحكم .



بقلم : محمد طنطاوي

[illegible]

[illegible]





■ تلعب المرأة دوراً كبيراً في المجتمع .. فهي عماد الاسرة .. وهي التي يتوقف عليها الكثير في تربية جيل جديد صالح .. ولا يتوقف دور المرأة (منذ القدم) على كونها أماً وزوجة ولكنه يتعداه الى المساهمة في توفير الغذاء والكساء لافراد أسرتها ..

وفي الماضي كان اهل الكويت يعتمدون في حياتهم على صيد اللؤلؤ والاشتغال بالتجارة . وكانت هذه الحياة تتطلب من الرجال ان يغيبوا عن بيوتهم اسابيع او شهورا طويلة ، ويتركون شئون البيت والاسرة لزوجاتهم .. واثناء فترة غياب الرجل كانت معظم الزوجات الكويتيات يقمن بتحمل عبء الانفاق على الاسرة واعالتها بما يحصلن عليه من اجر نظير القيام بطحن القمح او بعض الاعمال اليدوية الاخرى ، وخاصة اذا كن من الطبقة التي تحصل على قوت يومها بشق الانفس .

وفي ذلك الزمان لم تكن هناك مدارس للبنات .. وكانت الامية هي القاسمة بين المرأة الكويتية .

بداية الطريق

ومرت الاعوام .. وبدأت عجلة التطور والنهضة تقوم بدورها في الكويت . وفي عام ١٩٣٦/١٩٣٧ تم انشاء اول مدرسة نظامية للبنين في الكويت .. ولم يمض عام على انشاء هذه المدرسة حتى كانت الاصوات التي تعالت تطالب بانشاء مدرسة للبنات قد حققت اول خطوة عملية للنهوض بالمرأة الكويتية وتم افتتاح اول مدرسة ابتدائية للبنات في عام ١٩٣٧/١٩٣٨ .. ومن يومها بدأت المرأة الكويتية تخطو خطواتها الاولى على طريق مشاركة الرجل الكويتي في بناء اقتصاد بلدهما الناهض .

اول مدرسة كويتية

في عام ١٩٣٨ وبعد افتتاح اول مدرسة نظامية للبنات شهدت الكويت اول فتاة كويتية تعمل في مهنة التدريس .. وكانت هذه الفتاة هي السيدة مريم عبد الملك الصالح وكانت قد تلقت علومها على يد والدها ولما افتتحت المدرسة قام والدها بتسجيلها لتقوم بالدراسة فيها ولكن المسئولين عن المدرسة لم يجدوا الفصل الذي يتناسب مع معلومات هذه الفتاة التي تريد ان تنهل من مناهل العلم ، بل وجدوا ان معلوماتها وثقافتها تؤهلها لكي تكون معلمة لا طالبة .. وقد استمرت اول مدرسة كويتية في مهنة التدريس ٢٤ عاما متصلة . وهي الآن تشغل منصبا اداريا في وزارة التربية .

نهضة التعليم تفتح ابواب العمل امام المرأة الكويتية

بعد ظهور النفط تغير وجه الحياة في الكويت وبعد ان كانت هناك مدرسة واحدة للبنات في عام ١٩٣٨ اصبح عدد هذه المدارس ٨٢ مدرسة بين ابتدائية ومتوسطة وثانوية بالاضافة الى ٤٢ روضة اطفال . وبعد ان كان عدد الطالبات في عام ١٩٣٨ لايزيد عن ١٤٠ طالبة اصبح عددهن الآن اكثر من ٦٤ الف طالبة في مختلف مراحل التعليم باستثناء التعليم الجامعي . ومع نهضة تعليم البنات ازداد عدد الكويتيات المثقفات وابتدأت الفتاة الكويتية تقتحم ميدان العمل وهي مزودة بسلاح من العلم والثقافة لم يكن متاحا لها من قبل ، وفي عام ١٩٥٩ كان عدد العاملات من الكويتيات في مختلف مجالات العمل لا يزيد عن ٥٠ وتضاعف هذا العدد الى اكثر من عشرة اضعاف في عام ١٩٦٦ ليصبح عدد الفتيات الكويتيات الموظفات حوالي ٥٦٩ موظفة .

واليوم تزداد اقبال الفتاة الكويتية على اقتحام ميادين العمل المتعددة فهي الآن مدرسة ، وطبيبة وسكرتيرة ، ومذيعة ومصححة ، وممثلة ، وممرضة وعاملة تليفون ، ومهندسة زراعية ، وكيماوية . وعميدة في الجامعة ، وغير ذلك من المهن التي كانت مقصورة على الرجال في الكويت .

اول مديرة بنك

بالرغم من ان الطريق امام المرأة الكويتية الى ميدان العمل لم يكن خاليا من العقبات الا انها استطاعت ان تتخطى الكثير من هذه الصعوبات التي تعترض آمالها بالمشاركة في بناء نهضة بلادها . وقد قامت مجلة « العربي » بعدة لقاءات مع عدد من الكويتيات العاملات في مختلف الميادين . وكان اول لقاء مع السيدة سبيكة الخالد وهي مديرة البنك الوطني الكويتي فرع السيفات .. وهي اول سيدة في الشرق الاوسط تتولى منصب مديرة



احتفل في أوائل عام ١٩٧١ بيوم المرأة الكويتية وقد قام الشيخ عبد الله الجابر الصباح بتسليم رائدات العمل جوائز تقديرية لهن ، ويرى في الصورة وهو يسلم واحده من أوائل العاملات الكويتيات جائزتها

بنك .. وقد بدأت السيدة سبيجة عملها في البنك منذ عام ١٩٦٤ .. وهي تؤمن بدور المرأة الفعال في مشاركة الرجل في تدعيم نهضة الكويت . وقد استطاعت هذه السيدة أن تحقق نجاحا كبيرا في عملها فهي تستقبل يوميا حوالي ١٠٠ عميلة وتقوم بإسداء نصائحها لعميلاتها عن أحسن طرق التوفير واستغلال أموالهن المدخرة .

وعندما سئلت عن الحكمة في انشاء فرع للبنك خاص بالسيدات ، وهل هو من باب احياء التقاليد التي تنادي بمنع الاختلاط .. سارعت مديرة البنك بالرد قائلة :

« ان الغرض من افتتاح فرع خاص للسيدات ليس عزل المرأة عن الرجل ، وانما هو من أجل خدمة المرأة نفسها ، فمن الناحية النفسية تستطيع المرأة أن تسأل وتستفسر عن كل ما تشاء اذا وجدت امرأة مثلها تقوم بالرد على أسئلتها .. بينما قد تخجل من الاستطراد في أسئلتها اذا كان الموظف رجلا . ومن هنا نشأت فكرة انشاء فرع خاص للسيدات » .

ومن رأي السيدة سبيجة أن المرأة تصلح لكل أنواع العمل ما عدا تلك الأعمال اليدوية الصعبة التي لا يستطيع سوى الرجل أداءها . وأول مديرة بنك هي أرملة المرحوم أحمد الخالد أحد مؤسسي البنك الوطني .. وهي تعتقد أن عمل المرأة في نفس مهنة زوجها قد يجعل التفاهم بينهما على مختلف أمور الحياة سهلا بل ويقارب بين تفكيرهما في مواجهة أي مشكلة .

معيدة في الجامعة

وكان اللقاء الثاني مع شيخة القطامي المعيدة في قسم الكيمياء بجامعة الكويت .. وشيخة خريجة كلية العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٦٨ ، وقد انتهت من اعداد رسالة الماجستير عن غاز الكيروسين وتستعد الآن للسفر الى لندن للحصول على درجة الدكتوراه في الكيماويات البترولية .

وفي مجال الحديث عن المرأة والعمل قالت المعيدة الشابة : « ان من واجب المرأة أن تعمل وأن تشارك في بناء نهضة وطنها ولكن يجب أن يكون دخول المرأة ميدان العمل ليس على حساب واجباتها المنزلية ، وعلى كل امرأة عاملة أن توفق بين واجباتها المنزلية وعملها » .

ومن التقاليد التي تقف في وجه المرأة ودخولها ميدان العمل قالت .

« ان بعض التقاليد التي تعارض عمل المرأة لاتزال موجودة حتى الآن ، ولكن المرأة الكويتية استطاعت أن تثبت وجودها وأن تتخطى كل العقبات والتت كفاءتها في مختلف الأعمال التي قامت بها وهذا وحده أدى الى القضاء على الكثير من العراقيل التي كانت تحول تقدم المرأة [illegible]يتية .. » .

وتقول شيخة القطامي أن المرأة الكويتية بعد أن اثبتت جدارتها في ميدان العمل يحق لها الآن أن تمنح حق الادلاء برأيها في انتخابات مجلس الأمة





في المركز الالكتروني التابع
لمكتب الاحصاء بمجلس
التخطيط يتعرف طلبة
...
هذه الآلات الالكترونية
الحديثة وعلى التطور
الذي أدى إلى عدد من
الطلاب الكويتيين أمام
احدى الحاسبات
الالكترونية ...
الثابتة أو لمسار مجموعة
من البطاقات تحمل
معلومات ...
لخزنها في الحاسبات
الالكترونية على بطاقات
مخرمة

وذلك كخطوة أولى يليها منح المرأة الكويتية حق التمثيل النيابي .

واضافت عميدة الكلية في جامعة الكويت ان في الجامعة الكويتية الآن حوالي ١٠٠٠ طالبة عدا حوالي ٢٥٠ طالبة يدرسن على المستوى الجامعي في الخارج وان هذا الجيل الجديد من الفتيات الكويتيات سيخرج قريبا الى ميدان العمل .

ممثلة .. وخبيرة مونتاج

لعل التمثيل كان من اصعب ميادين العمل على الفتاة الكويتية بالنسبة للتقاليد ، ولكنها اقتحمته ايضا ايمانا منها بان العمل شرف وان التقاليد يمكن الانتصار عليها ما دامت الفتاة لم تخرج على الاخلاق وعلى تعاليم المجتمع القديمة . وكانت مريم الصالح ومريم الغضبان هما اول فتاتين كويتيتين تعملان على خشبة المسرح والاذاعة والتلفزيون كممثلتين ، وتبعهما بعد ذلك عدد قليل من الفتيات الكويتيات ، وان هناك حتى الآن بعض الرجال الذين يقومون باداء ادوار النساء على خشبة المسرح وذلك لسد النقص في هذا الميدان .

ومن بين الممثلات الكويتيات سعاد عبد الله وهي تجمع بين التمثيل والعمل في قسم المونتاج بالتلفزيون . وقد بدأت سعاد التمثيل منذ ٨ سنوات .. وبدأت عملها في قسم المونتاج منذ حوالي ٤ سنوات .. وسعاد زوجة وتجمع بين عملها في التمثيل وفي التلفزيون وواجباتها المنزلية دون اي صعوبة .. وهي ترى ان مهنة التمثيل لا تتنافى مع التقاليد او الاخلاق ، وان الممثلة تؤدي رسالة ثقافية وتروبجية سامية .

في ميدان الالكترونيات

وكما اقتحمت المرأة الكويتية العديد من ميادين العمل اقتحمت ايضا مجال العمل على الحاسبات الالكترونية . وفي قسم الاحصاء التابع لمجلس التخطيط توجد ٨ فتيات كويتيات يعملن على هذه الآلات الدقيقة ويقمن بترقيم البطاقات الخاصة بهذه الاجهزة وذلك تحت اشراف الفنيين المختصين . وقد اثبتت التجربة نجاح المرأة في هذه الاعمال الدقيقة التي قد يكلف الخطأ البسيط فيها الكثير من الجهد الضائع .

وبالرغم مما يحتاجه هذا العمل في ترقيم المعلومات على بطاقات بواسطة آلة شبيهة بالآلة الكاتبة من جهد مستمر ودقة بالغة فان « موضي النمير » وهي كويتية تعمل في هذا الميدان منذ ٧ سنوات تشعر بان عملها هذا لا يؤثر على قيامها بواجباتها المنزلية كزوجة . وكذلك « نجاة الجزعاوي » وهي زوجة ايضا وهي تعتقد ان المرأة الكويتية قد استطاعت ان تثبت وجودها وكيانها عن طريق خروجها الى ميدان العمل ومشاركة الرجل في اعباء الحياة .. واغلب العاملات في هذا القسم من خريجات معاهد السكرتارية وتلقين تدريبا خاصا بعد تعيينهن .

في مجال الطب والعلاج

من اوائل الطبيبات الكويتيات الدكتورة نجيبة الملا وهي حاصلة على شهادة M.R.C.P. في الطب من انجلترا في عام ١٩٦٦ وهي الآن تقوم



امينة الشراح واحدة من اشهر وجوه الشاشة الصغيرة في الكويت ، وهي تعمل كمذيعة ومقدمة برامج

بدراسات عليا اخرى في مستشفيات بريطانيا .

وكذلك منيرة القطامي وهي اخصائية في العلاج الطبيعي بمستشفى شلل الاطفال ومنيرة القوم برعاية الاطفال بمستشفى زائد وذلك حتى يشعر كل طفل اصابه هذا المرض ان باب الامل مفتوح امامه ، وهي في الواقع تخصص وقتها كله لرعاية هؤلاء الاطفال وعلاجهم .

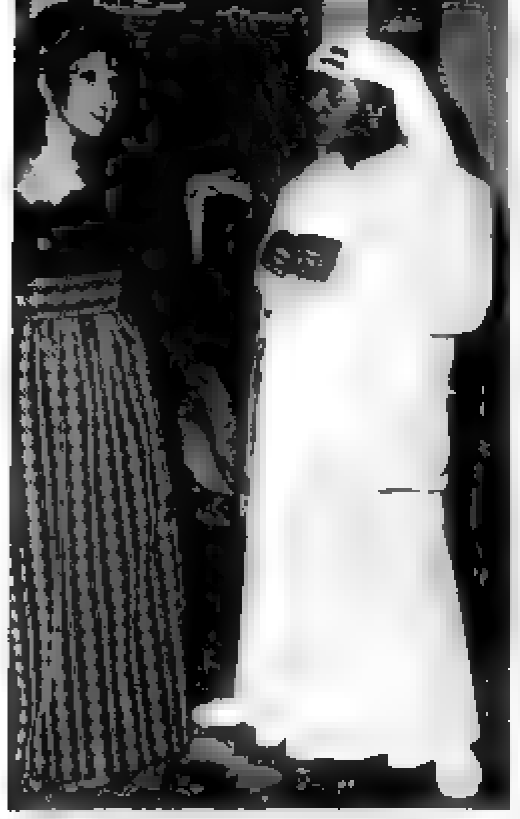
وهناك عدد آخر من الطبيبات الكويتيات واللبون الآن في بعثات للخارج . وعند عودتهن سيقمن بالمساهمة في خدمة بلادهن الى جانب الاطباء والطبيبات العرب وغير العرب الذين يقومون حاليا بالعمل في مستشفيات الكويت .

نجوم الشاشة الصغيرة

وكما حققت المرأة الكويتية نجاحا كبيرا في مختلف ميادين العمل استطاعت ايضا ان تحقق نجاحا على الشاشة الصغيرة التليفزيون .. واصبحت صورة المذيعات الكويتيات تدخل كل بيت لتحمل صورة النهضة التي حققتها المرأة الكويتية في زمن وجيز .. وقد كانت باسمة سليمان السمان هي اول مذيعة كويتية بالتليفزيون بعد افتتاحه بين عامي ٦٢ و ٦٣ . وكانت اول مخرجة تليفزيونية كويتية هي نورية صالح السداني وتلاهما بعد ذلك عدد آخر كبير من المذيعات الكويتيات ومقدمات البرامج والمخرجات الى جانب عدد من المذيعات العرب .

متاعب المرأة العاملة

بعد ان استعرضنا بعض نماذج من السيدات والفتيات الكويتيات العاملات ، لابد لنا من التعرض لذكر المتاعب التي قد تلاقيها المرأة العاملة في الكويت ولا سيما المتزوجات منهن . فعلى المرأة ان تقوم بالتوفيق بين عملها وواجباتها المنزلية .. وعليها ان لا تنسى دورها الهام في تنشئة ابنائها ورعايتهم . وليس هناك عدد كاف من دور الحضانة التي تقوم بالاشراف على اطفال الزوجات العاملات اثناء تواجدهن في اعمالهن . وهناك ايضا بعض رواسب الماضي والتي تقلل من قيمة عمل المرأة وتتجاهل قيمة اشتراك المرأة ، وهي نصف المجتمع تقريبا ، في مجالات الانتاج والعمل . لذلك يجب العمل على توعية بعض الفئات التي لا تزال



مريم الصالح واحدة من اوائل الفتيات الكويتيات اللواتي اقتحمن ميدان التمثيل ، وفي الصورة مريم اثناء مشهد تمثيلي في احدى المسرحيات

تنظر الى المرأة على انها لا تصلح الا للبيت فقط ، وتوعية كاملة بأهمية الدور الذي قد تلعبه المرأة في المجتمع الجديد بحيث يسهل عليها القيام بواجباتها الجديدة دون مشاكل قد تثبط من همتها وتجعلها تنصرف عن العمل والانتاج .

ان دور المرأة في الكويت دور هام .. فالى جانب القيام بواجباتها كزوجة وام فهي تسهم الآن في بناء نهضة بلادها . والمرأة الكويتية قد بدأت تقوم بدورها الفعال في المجتمع وفي ميادين العمل على حد سواء .

محمد طنطاوي

محكمة المياه ببلنسيه

أثر من آثار الأندلس الباقية

بقلم: محمد عبد الله عنان

● كان من حسن حظي اثناء وجودي بمدينة بلنسيه Valencia في شهر مارس سنة ١٩٧٠ ، ان اشهد جلسة « محكمة المياه » « El Tribunal De Las Aguas »

ولهذه المحكمة الشهيرة ، تاريخ حافل ، يتصل أوثق صلة بنظم الري الأندلسية ، والقضاء الأندلسي .

انها هيئة من اغرب الهيئات القضائية واقدمها ، تنحصر مهمتها في معالجة مشاكل الري في منطقة ابدلسية بذاتها ، هي منطقة الحدائق والحقول بلنسية ابانعة ، وهي من احصب بقاع شرقي الاندلس ، واغزرها انتاجا للفاكهة .

خريطة تبين موقع مدينة بلنسية

محكمة المياه ترجع الى العصر الروماني

وبالرغم من ان محكمة المياه ، ترجع من الناحية الزمنية ، الى العصر الروماني ، فانها قد اتخذت على يد مسلمي الاندلس ، منذ نحو الف عام ، نظمها الحالية ، وشكلها الحالي ، وكانت خلال العهد الاسلامي ، مثلا فريدا من امثلة العدالة الاسلامية .

واذا لم تكن لدينا وثائق تاريخية ، او قضائية ، تتعلق بمحكمة المياه ، فانه يوجد لدينا مع ذلك ، ما يدل على وجودها ضمن النظم القضائية



بسائر نظامها وامتيازاتها ، التي كانت لها أيام الحكم الإسلامي . وقد استمرت محكمة المياه من ذلك التاريخ الى يومنا هذا بنفس أوضاعها ونظمها القديمة .

ومما هو جدير بالذكر ، ان كثيرا من البقاع الزراعية الخصبة ، في منطقة بلنسية ، مازالت تقوم على طرق الري والصرف التي كانت بها أيام المسلمين . ومن المعروف الذي لاريب فيه ، ان الامة الاندلسية كانت من أبرع الامم ، في استغلال الارض وفنون الزراعة ، وقد حول العرب الاندلس من جدبها أيام القوط Goths ، الى حديقة يانعة ، بما أحدثوه في وديانها من نظم الري والصرف المبتكرة . ومازالت آثار هذه المنشآت العربية ، توجد في مناطق كثيرة ، من شبه الجزيرة الاندلسية ، مثل بلنسية ومرسية في الشرق ، ولاردة في الشمال ، وقرطبة في الوسط ، وغرناطة في الجنوب .

الاستاذ ريبرا يخالف ان نظام الري عربي

ومن الغريب ان العلامة الاستاذ خوليان ريبرا ، يحاول في فصل من كتابه Disertaciones Yopusculos [1] ، ان ينكر فضل العرب في وضع خطط الري والصرف البلنسية ، ويقول لنا انه لايوجد مايؤيد هذا الرأي ، كما انه لايوجد مايؤيد ان محكمة المياه البلنسية ، ترجع الى أصل عربي ، ومع ذلك فانه يقول لنا انه عند فتح بلنسية ، أمكن أتباع النصارى من السكان العرب في هذه المنطقة هم زراع مهرة ، وانهم وضعوا خطط الري المنعشة ، ونظموا توزيع المياه ، كما انهم وضعوا الاجراءات الكفيلة بحسم اي نزاع ، ومعاقبة كل مخالف . يقول الاستاذ ريبرا « لقد بالغ المؤرخون المسلمون في تقدير مزايا هذا النظام . بيد انه لا يوجد مؤرخ عربي واحد للبلنسية يقول كلمة عن انشاء العرب للسواقي ، ولهذا السكوت ذاته معنى واضح ، كما انه لايوجد بين النظم الشرقية مثيل لنظام محكمة المياه ، ومن ثم فانه لايوجد ما يبرر نسبة هذا النظام الى العرب . وأرجح الظن ان النصارى الفاتحين حينما دخلوا بلنسية ، طبقوا بعض النظم والاجراءات القائمة في شئون الري والسواقي » .

دحض رأي الاستاذ ريبرا

هذا ما يقوله الاستاذ ريبرا . وقد رأينا فيما تقدم ، ان هناك من النصوص العربية ، بل والاسبانية ، ما يدحض هذا الرأي الذي يشوبه التحامل . واليك من جهة أخرى ما يقوله ابن بلنسية قاضي محكمة المياه ، الاستاذ خنير بورا ، عن أصل هذه المحكمة ، في أبحث أبدى كتبه عنها

« ان المحكمة بشكلها الذي وصل الينا ، انما هي ميراث من الشعب العربي ، ووفقا لأوثق الروايات فان ذلك كان أيام خلفاء قرطبة العظام ، عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر حتى سنة ٩٦٠م حين اتخذت نظامها الذي وصل الينا ولم يتغير » .

هذا ومما يؤيد أصل المحكمة العربي أيضا ، بعض أوضاعها ونظمها الحالية ، فهي مثلا تنعقد كل يوم خميس عند الظهر ، وفي بهو صغير مستدير يقع وراء باب الرسل ، وهو الباب الخلفي لكنيسة بلنسية العظمى . وهذا شأنها منذ سقوط بلنسية ، في أيدي النصارى في سنة ١٢٣٨م اي منذ سبعة قرون ونصف . وتفسير ذلك ان محكمة المياه كانت تنعقد أيام الحكم الاسلامي بالمسجد الجامع ، كما في بهيئات القضائية الاخرى . فلما سقطت بلنسية ، وحول المسجد الجامع الى كنيسة ، تعذر على الخصوم المسلمين الوصول الى المحكمة ، لتعذر دخولهم الكنيسة . ومن ثم فقد تقرر عقدها خارج الجامع

---

(١) « محاضرات ومقالات »

المنحوب ليتمكن المسلمون من شهودها الى جانب زملائهم النصارى .

وكون المحكمة لاتعقد الا يوم الخميس، هو دليل آخر ، لان يوم الخميس هو نهاية اسبوع العمل عند المسلمين ، مثل يوم السبت عند النصارى . وهو في نفس الوقت محترم من النصارى .

هيئة المحكمة كما رأيناها

ولنقدم الآن الى القارىء صورة حية، من هيئة المحكمة ، وطريقة عملها ، وذلك حسبما شهدناه بأعيننا .

كان يوم الخميس الثالث من مارس ، ففي الساعة الثانية عشرة بالضبط ، تقدم اعضاء المحكمة الثمانية فاحتلوا كراسيهم التي صفت في البهو الصغير المكشوف الواقع وراء باب الرسل Puerta De Apostoles وهو الباب الجنوبي لكنيسة بلنسية العظمى ، الواقع بميدان العذراء Plaza De La Virgen ويرأس الهيئة أكبر الاعضاء سنا ، ويمثل الاعضاء الثمانية مناطق الترع والسواقي الثمانية التي تتكون منها شبكة الري لحقول وحدائق بلنسية . وقد كتب فوق كل كرسي اسم السقي الذي يمثله العضو على النحو الآتي : ترعة مسلاتة — ترعة كوارت — ترعة بناشير اي مسال — ترعه فاورا — ترعه روسلا — وهذه الخمسة تقع في الجهة الجنوبية من نهر توريا وترع تورمس ، ومستالا ، وراسكانا وتقع في الجهة الشرقية من النهر . ويقف المحضر امام المحكمة Alguacil ، وهو يحمل عصا طويلة أو حربة لها رأس مزدوج ، ويرتدي القضاة الثمانية فوق ثيابهم القاتمة ، فوق النصف الاعلى ، قميصا سودا ، دائرة حول الجسم ، ومغلقة على نحو ما يرتدي القسس ، كما يلبسون ياقات بيضاء مقواة .

وقبل انعقاد المحكمة يخرج القسيس من باب الرسل ، ويلقي كلمة يبارك فيها المحكمة ، ويتمنى لها ان تحكم بالعدل والقسطاس، ثم يرش المكان بالماء المقدس، ثم يبدأ المحضر بالنداء على اصحاب الشكاوى Quejas ، فتبحث بسرعة، ويقضي في كل منها وفق ظروفه .

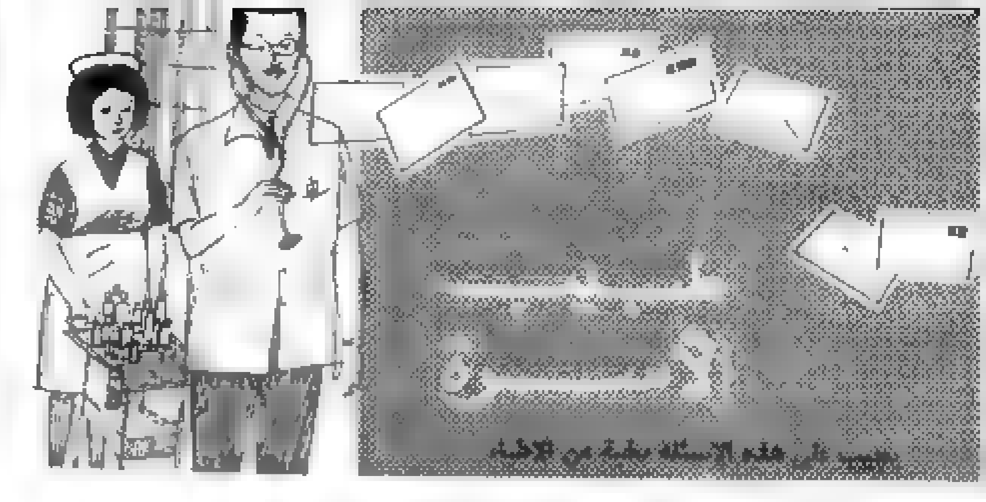
ويعرض على المحكمة مختلف جرائم الري ، التي ترتكب في المنطقة . مثل سرقة المياه وقت انخفاض السواقي ، وهدم الترع والجسور ، وتحويل المياه الى حقل قريب سبق ريه ، او اخذ المياه في غير الدور المقرر ، او رفع بوابة المياه حينما يكون الحق قائما للآخرين في الري، وامثال ذلك . ولكل مالك او منتفع ان يشكو مما يقع من المخالفات ، ولخفير الترعة ان يبلغ السلطات عند وقوع اية مخالفة ، ويدعى المشكو في حقه الى المثول امام المحكمه يوم الخميس التالي ، فاذا لم يحضر دعي بعد ذلك مرتين اخريين . واذا تخلف عن الحضور، يعتبر مرتكبا للذنب المنسوب اليه بسائر تفاصيله، ويقضى عليه وفقا لذلك .

وللمتهم ان يدافع عن نفسه . والمرافعات كلها شفوية ، غير مدونة ؛ وللمحكمة فضلا عن اصدار الاحكام ، وعمل التسويات اللازمة ، ان تقضي بالغرامات على المتنازعين من ذوي النية السيئة . ولهذه المحكمة سلطة واحترام عميق في نفوس المزارعين .

يقول الاستاذ حبر قاضي المحكمه ما ملخصه « لقد كان الري في منطقة الحدائق البلنسية ، يجرى وفقا لقواعد قديمة غير مدونة ، وضعها العرب ، واستمرت سارية مدى عصور . ثم رئي بعد ذلك تدوينها ، لتكسب مزيدا من الاستقرار والضبط ، فدونت في القرن الثاني عشر ايام الملك فيليب الخامس . وهذه القوائم نموذج مؤثر ، للبساطة والواقع العملي » .

والخلاصة ان محكمة المياه البلنسية، انما هي اثر من الآثار المتوية الدالة للامة الاندلسية المجيدة ، يذكرنا بما كان لهذه الامة الذكية البارعة ، من تقدم راسخ في مختلف الميادين الحضارية .

محمد عبد الله عنان



رجفة في اليد وعمره لم يتجاوز الاربعين !

● انا في حوالي الاربعين من عمري الاحظ انني اصاب برجفة باليدين ، كفنجان القهوة مثلا ، ان يدي ترتجف معها . ما سبب ذلك ؟ وهل من علاج ؟ .



— ان لرجفة اليدين اسبابا عدة في مثل هذه السن :—

١ — اضطرابات وزيادة افراز الغدة الدرقية .

٢ — من تأثير تعاطي المشروبات الروحية .

٣ — ربما كان هذا وراثيا ويلاحظ في افراد عدة في الأسرة .

٤ — مرض الرعاش Parkinsonism .

٥ — مرض في المخيخ .

٦ — اضطرابات نفسية وعصبية : ويلاحظ في هذه الحالة ان الرجفة تزداد عندما يضطرب الانسان او يتعرض لموقف لا يستريح اليه ، او تتوتر أعصابه .

٧ — نوع هستيري يصيب صغار السن اثر اصابتهم بنوبة هستيرية نتيجة لعدم توازن في انفعالاتهم عندما يصابون بحزن شديد او خبر مفاجيء او فشل في عمل .

لذا كان من الواجب على كل مريض يشكو من رجفة ظاهرة تزداد سوءا مع مر الايام ان يعرض نفسه على طبيب لفرز السبب ، وكما يتضح للقارىء انها عديدة ، وكل واحدة منها تحتاج الى فحوصات خاصة وعلاج خاص .

لماذا تنساب الدموع بغزارة من العين . . !!

● ابني العمر تسع سنوات، وقد لاحظت منذ شهرين أن الدموع تنساب بغزارة من عينه اليمنى، فذهبت إلى طبيب أخصائي فعالجه بقطرات ومرهم، ولا تزال الحالة كما هي.
فما هو السبب يا ترى، وكيف يكون العلاج؟

ـ الدموع تفرز من غدد دمعية رئيسية وإضافية، والسائل الدمعي يصل بواسطة قنوات إلى الجزء الخارجي للطية العلوية للملتحمة Supero - lateral Fornix والجزء الخارجي للطية السفلى للملتحمة Lower Fornix ويجري السائل الدمعي إلى الداخل بواسطة حركة الجفون، وذلك من

[illegible]

[illegible]

Lacrimal Passages حيث يصب في الأنف، وجزء آخر من السائل الدمعي يفقد بواسطة عملية التبخر من على سطح العين. هذه العملية تتم يوميا وبانتظام ودون أن نشعر بها ولكننا مثلا نلاحظ غزارة الدمع حينما نبكي أو نعطس أو نضحك أو نشم رائحة نفاذة مثل رائحة عصير البصل.

ومما سبق يتضح لنا أن انسكاب الدموع على الوجه إنما يأتي من نشوء إحدى حالتين، الأولى: هي زيادة إفراز الدمع بواسطة الغدد الدمعية Lacrimation

والثانية: هي ناتجة عن انسداد المجاري الدمعية المؤدية للأنف في حين يكون إفراز الغدد الدمعية طبيعيا. وإذ لا يجد السائل الدمعي طريقه للأنف فإنه ينسكب خارجا على الوجه، وتسمى هذه الحالة بالركود الدمعية Epiphora.

وكأمثلة على تدميع العين Lacrimation فإنها تحدث من أسباب متعددة مثل التهابات الملتحمة أو وجود جسم غريب بها كرمش، هدب، ساقط أو حبة رمل الخ. أو عند التعرض لضوء شديد أو أثناء التميز، أو البكاء أو الضحك الشديد أو بواسطة بعض القطرات والأدوية والروائح النفاذة. أما حالة الركود الدمعية فتنشأ من أسباب متعددة مثل إزاحة أو انسداد النقطة الدمعية Lacrimal Punctum أو انسداد القناة الدمعية Lacrimal Canaliculus، أو الكيس الدمعي Lacrimal Sac أو القناة الدمعية الأنفية Naso-Lacrimal Duct وهذا الانسداد يكون لأسباب متعددة مثل تحجر في المجاري الدمعية أو التهابات المجاري الدمعية، أو انسدادها بواسطة الزوائد اللحمية من الخارج أو أورام تضغط عليها الخ.

ولذا يتضح لنا من حيث عرض

[illegible]

أن العلاج يختلف في كل حالة.

عرق النسا (بفتح النون)

● كثيرا ما نسمع عن مرض « عرق النسا » (بفتح النون) فما هو هذا المرض ؟ وما علاجه ؟ .

— عرق النسا Sciatica هو مرض يصيب العصب الرئيسي للساق الخلفي، الذي يخرج من أسفل العمود الفقري من الفقرات القطنية، وأول فقرة عجزية — وأهم سبب هو الانزلاق الغضروفي من بين هذه الفقرات وضغطه على العصب — وهذا يحدث عادة اثر التواء شديد في العمود الفقري — أو رفع حمل ثقيل من على الأرض — أو أثناء الوضع عند الإناث، ويشكو المريض في بادىء الأمر من ألم في أسفل الظهر لمدة طويلة ومتباعدة، ثم يحدث ألم مفاجىء في أسفل الظهر سرعان ما ينزل خلف الفخذ الى أصابع الرجل — ويزداد هذا الألم بالسعال أو العطس، وبعد وقت يحس المريض بتنميل في القدم — وفي بعض الحالات المتقدمة يحدث ضعف في عضلات الساق المصابة وضمور في العضلات .

والعلاج في مثل هذه الحالة، هو الراحة التامة على الظهر على فراش مستو، دون تجويفات بأن يوضع الفراش على الأرض مثلا أو لوح من الخشب، وتعطى المسكنات مثل أقراص الأسبرين — ويستمر العلاج لمدة ثلاثة أو أربعة أسابيع — وفي الحالات التي لا تستجيب لمثل هذا العلاج — تعمل جاكيت جبس لتسند الظهر مدة ثلاثة أشهر — وبعد أن يزال الجبس يعطى المريض حزاما للظهر يلبسه ليسند ظهره مع تمرينات للظهر — حتى لا تساعد على حدوث الانزلاق مرة أخرى بعد أن يعود الى وضعه الأول .

وفي بعض الحالات يعمل شد على الساق السفلى لإبعاد الفقرات عن بعضها، وبذلك يعود الغضروف الى وضعه الطبيعي، أما الحالات التي لا تستجيب لكل هذا العلاج فتعمل عملية جراحية لإزالة الغضروف الضاغط على العصب .

الذبابة الطائرة لا تسبب أي ضرر للعين

● أرى أجساما تتحرك أمام عيني، وسألت أحد الأصدقاء فقال لي إنها ظاهرة يسميها الأطباء بالذبابة الطائرة فما هي ؟ وما علاجها ؟

— الذبابة الطائرة هي اصطلاح يطلق على أجسام صغيرة متحركة تظهر أمام العين بدون أن يصاحبها اختلال واضح في تركيب المادة التي تملأ كرة العين وتسمى بالجسم الزجاجي (Vitreous Humour) أو الرطوبة المائية (Aqueous Humour) (السائل الذي يملأ الغرفة الأمامية) . وسببها غير معروف حتى الآن، وتظهر كثيرا في حالات عيوب النظر خصوصا مع قصر النظر كما يلاحظ حدوثها مع اضطرابات الجهاز الهضمي أو بعد دلك العين .. وهي تبدو كأجسام رمادية اللون مثل الظلال ذات أشكال مختلفة، فهي أحيانا نقطا أو حلقات مستديرة وأحيانا أخرى كخيوط رفيعة مستقيمة ومتعرجة، وهي تتحرك في كل اتجاه، وهي لا تسبب أي مضار للعين . والعلاج يكون بلبس نظارة طبية في حالات عيوب النظر، وتنظيم الجهاز الهضمي وأن ينصح المريض بعدم الاهتمام بهذه الظاهرة، ومع الوقت ينساها ولا تسبب له أية مضايقات .



استطلاع سليم زبال
مصور اوسكار متري

■ **الناس مرضى في عُمان .. لأنه لا يوجد إلا طبيب واحد لكل مائة ألف مواطن ..**

الناس جياع فقراء في عُمان .. لأنهم يجهلون شق الأرض ، واخراج الغذاء والطعام .

الناس جهلاء في عُمان .. لأنه لم تفتح مدرسة يتعلمون فيها

دخل وترهات وخرعبلات . وظلام فوق ظلام .. والناس طيبون يروحون ويغدون . ولكن عقارب الزمان في مكانها لا تتحرك .. وكأنها قد توقفت منذ أربعة أجيال ..

وتوغلنا في عمان الداخل ، فخلناها قطعة من التاريخ القديم تعيش في عصر عمرو القصاء !

نبدأ من لا شيء

ولم نسكت .. لقد نقلنا هذا الشكل لمسئوليه وسجلناه إلى وزير الإعلام العماني عبد الله الطائي فقال لنا : « ألم نقل لكم هذا ؟ لقد حاولنا أن نقدم صورة للمأساة التي كنا نعيشها في هذا الجزء من الأرض العربية ، ولكنكم ربما تشككون فيما نقول ، ألم ترايتم كل شيء بأعينكم .. إن مشكلتنا أكبر وأضخم مما رأيتم ومما تتصورون .. إننا نبدأ الآن من لا شيء . ومن أجل هذا نركز على كل شيء كان قائما في هذا البلد .. إن الطريق طويل ، وهو مليء بالصعاب والأشواك ، ولكننا على ثقة من أننا سوف نصل في النهاية .. تعالوا إلينا مرة أخرى بعد خمس سنوات ، وسوف ترون صورة أخرى لا يمكن أن يصدقه العقل البشري » ..

كانت الشمس ما تزال تلقي بوهجها تحت اللهيب ، عندما تخطت سيارتنا الصحراوية « اللاندروفر » بوابة مدينة مسقط متجهة صوب الغرب .. صوب مدينة « نزوى » التي طالما سمعنا وقرأنا عنها : « عاصمة عمان التاريخية ، وقلبه النابض ، مأوى السالمين الأخيار والفضلاء الأحرار ، ومجتمع العلماء ومحط الأفاضل الأسخياء ، سير ذكران .. وهي أعرف من أن تعرف ، وأشهر من أن تذكر » كما يقول صاحب كتاب « العنوان عن تاريخ عمان » .

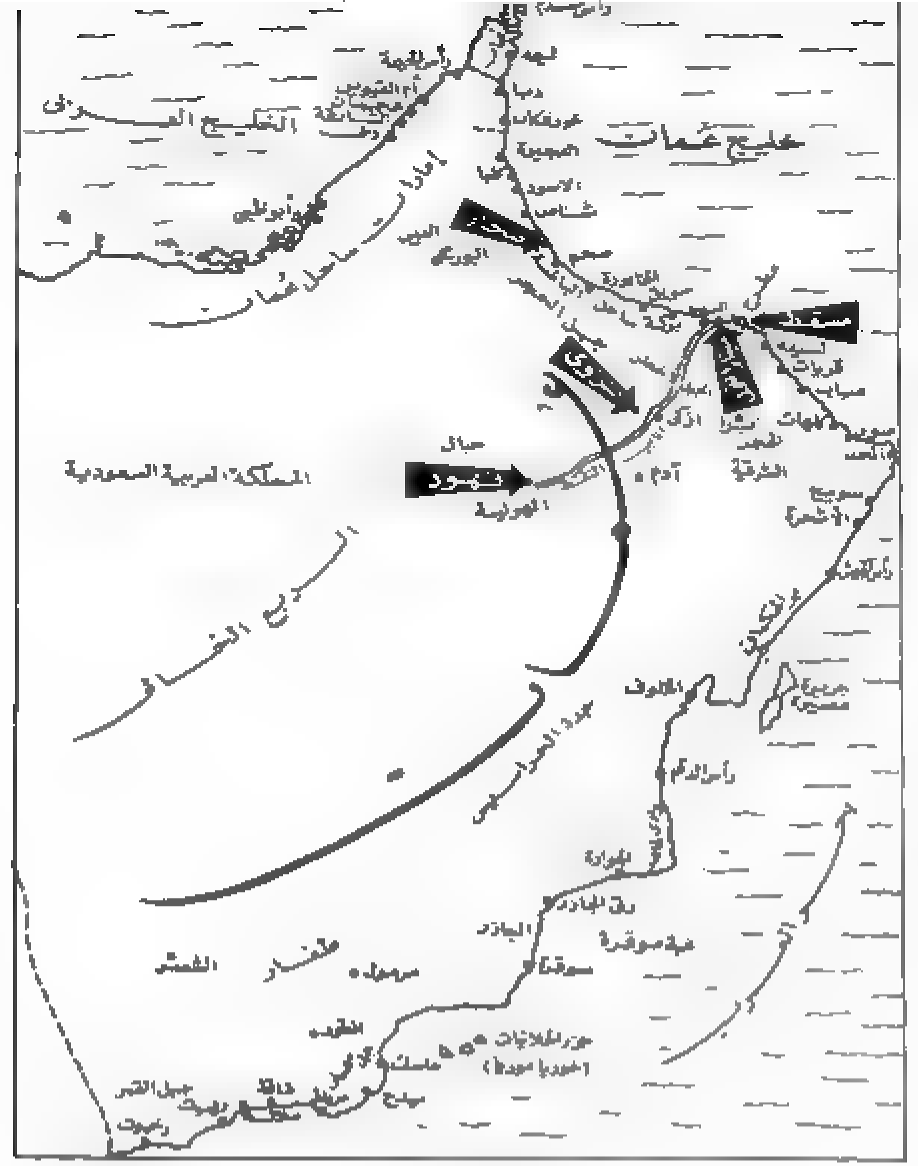
والواقع أن قولهم بأنها « أعرف من أن تعرف » ينطبق تماما على استقبالنا هناك .. وهذا ما سنحاول تأكيده ..

ابن بطوطة يأكل لحم الحمار !

إنها مدينة ترجع إلى عصور الجاهلية الأولى سبقنا إليها ابن بطوطة فوصفها بقوله :

« مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والأنهار ، ومن عادة أهلها أنهم يأكلون في صحون المساجد ، يأتي كل إنسان بما عنده ويجتمعون للأكل في صحن المسجد ، ويأكل معهم الوارد والصادر . ولهم نجدة وشجاعة والحرب قائمة فيما بينهم أبدا ، وهم إباضية المذهب ، وسلطانهم عربي من قبيلة الأزد بن الغوث . وعادته أن يجلس خارج باب داره في مجلس هنالك ولا حاجب له ولا وزير ، ولا يمنع أحدا من الدخول إليه من غريب أو غير غريب . ويكرم الضيف على عادة العرب . ويؤكل على مائدته لحم الحمار الإنسي ويباع بالسوق ، لأنهم قائلون بتحليله » ..

الصورة التي على الصفحتين السابقتين :
في عام ١٩٦٤ تفجر النفط غزيرا من تحت رمال الربع الخالي في سلطنة عُمان .. وفوق الرمال الغارقة أقاموا منشآت ومستودعات النفط واحلوا سبيل الجمال ، فلم يعد لهم حاجة بها ، لأن السيارة الصحراوية « اللاندروفر » حلت مكان « سفينة الصحراء » !!



خريطة توضيحية تظهر عليها أسماء المناطق والمدن التي ورد ذكرها في المقال

•• وياقوت الحموي يشكوى غلاء الأسعار !

هذا بعض ما ذكره ابن بطوطة ، في رحلته الى نزوى عام ١٣٢٥ م . تقريبا .. أما رحالتنا العربي الثاني ياقوت الحموي ، فقد جاء الى نزوى قبل ابن بطوطة بنحو مائة سنة ، وحلل اسم نزوى بمعنى ولد ، ولكنه اشتكى من المبالغة في

الحلل الدمشقية المتعلقة بالحرير التي لا يصنع شيء مثلها في بقية بلاد العرب ..

الطبيعة تروع الأرض

هكذا وصف الرحالة مدينة نزوى منذ أكثر من ٦٠٠ عام مضت .. فكيف حالها اليوم ؟ وكيف يعيش أهلها ؟







تعالوا معا نبدأ الرحلة من اولها ، فنسير على الطريق الطويل الموصل الى نزوى ، انه يمتد ٢٧٥ كيلو مترا غرب مدينة مسقط ولكن السيارة لا يمكنها ان تتجه بك مباشرة نحو الغرب فالجبال تقف حاجزا منيعا يجبرك على التوجه ٥٠ ميلا شمالا على الشريط الساحلي ، قبل ان تنحرف غربا وتسير في وادي سمايل الشهير اودية سلسلة هذه الجبال ..

وتنطلق السيارة في ارض طيبة ، ولكنها ارض مهجورة .. هجرها اهلها هربا من التحكم والدكتاتورية .. فزرعتها الطبيعة باشجار السمر والغاف والسدر .. فنمت الاشجار في هدوء وبطء زاهدين في غفلة من الزمان والانسان .. وسربا اميالا واميالا دون ان نشهد اثرا لانسان ، والقصة قرى متناثرة هنا وهناك .. تتآكل كلها من سعف النخيل او الطين .. ان ارض عمان تتسع لسكنى اكثر من عشرين مليون نسمة ، ولكن الذين يعيشون عليها حاليا لا يتجاوزون المليون نسمة .

الوقت هو ارخص السلع

وفي الطريق تعثر اطار سيارتنا ووقفنا نبدل اطارا باطار ، ومرت بنا سيارة مكتظة بالناس توقفت ونزلوا كلهم .. ووقفوا معنا يشهدون عملية تبديل الاطار ، ويتحدثون معنا في لا شيء .. البعض يسميها شهامة ، بينما هي في الواقع فراغ هائل يعيش فيه هؤلاء الرجال الطيبون .. ان الوقت لا اهمية له ، انه ما زال ارخص السلع واقلها قيمة عندهم !

وعند قرية فنجا ، شاهدنا ثلاثة رجال يزرعون .. انه الفلاح العماني الذي يفخر بخبرته .. خبرة توارثها عن الاجداد عبر القرون الماضية .. ولكنها خبرة لم يعمل احد على تبديلها او تطويرها ، فبقيت جامدة على حالها .. الفلاح ما زال يستعمل نفس الادوات ونفس اسلوب الاجداد .. يضرب الاحجار بالعصي ليفتتها ويستعمل اصابعه ليسوي تربة الارض وينعمها ، ويستخرج منها محصولا هزيلا لا يسد جوعا ..

خلع الاسنان بالدوبارة

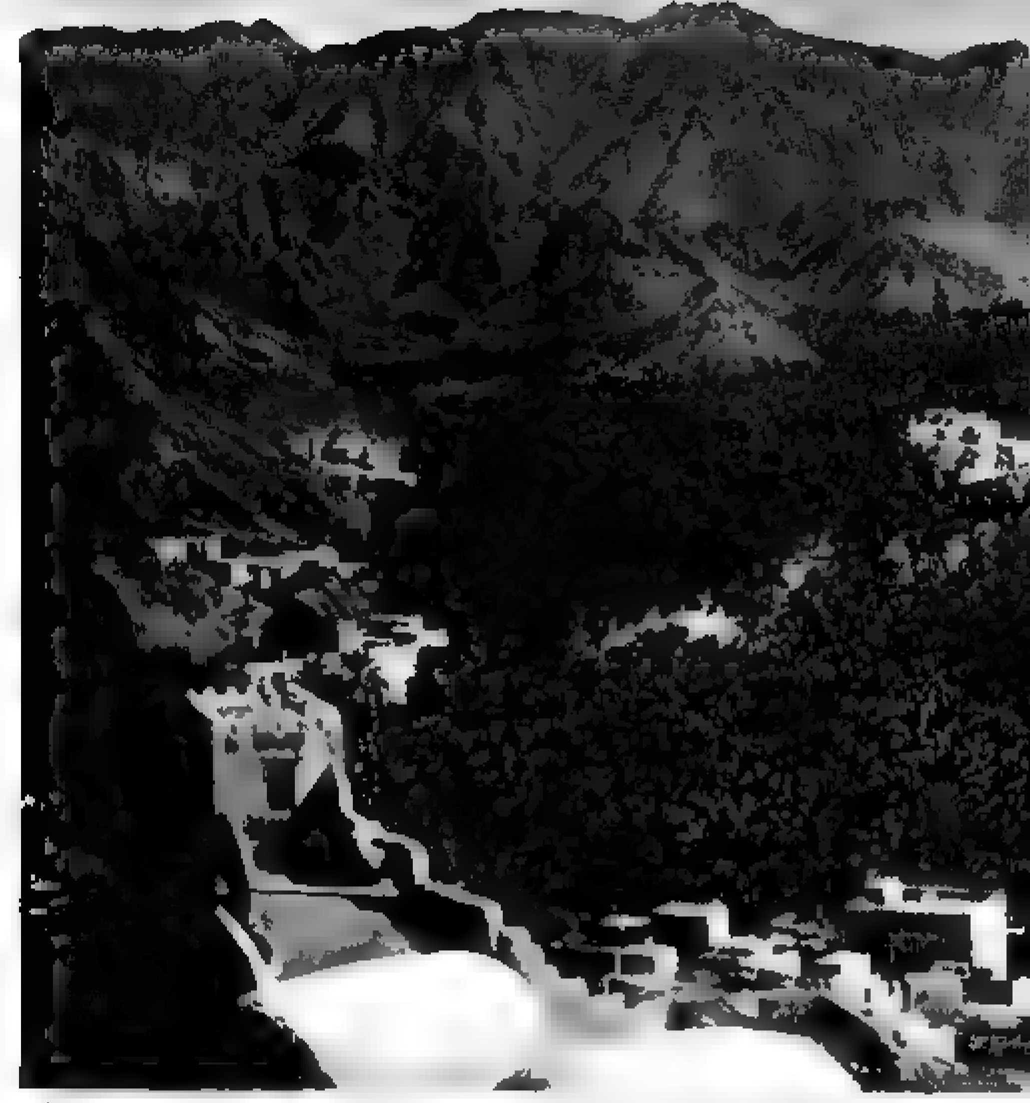
ويعمل الفلاح العماني اجيرا عند صاحب الارض الذي يعطيه ربع ريال سعيدي يوميا (الريال السعيدي يساوي جنيها استرلينيا) .. وربما صرفها على هذا الفلاح لو اصابه مرض .. فالقرية خالية من مستوصف او طبيب ، لهذا يضطر لركوب سيارة اجرة يدفع لصاحبها نصف ريال حتى ينقله الى مستشفى مطرح ، حيث يعالج مرضه او يخلع ضرسه بمجانة فقط ، ثم يعود الى قريته بعد ان يدفع نصف ريال آخر ..

والسؤال هنا : من اين له هذا المال ، وهو لا يتقاضى اكثر من ربع ريال يوميا ؟

انه لا يستطيع توفير هذا المبلغ ، لهذا نراه يكتفي بوضع الاحجبة فوق صدره لتحميه من عدوى الامراض وعين الشيطان .. اما اذا المته اسنانه او اضراسه ، فانه يربط السن التي تؤلمه بحبل او دوبارة ، ويشده بيده حتى يخلعه ! .

الى اسفل : نبعت الاراضي المنحدرة تكمن كميات هائلة من المياه الجوفية التي لم تستغل حتى الان وتندفع المياه العذبة من جوف الارض على هيئة ينابيع كبيرة يسمونها « الافلاج » لسقي النخيل وبقية المزروعات .





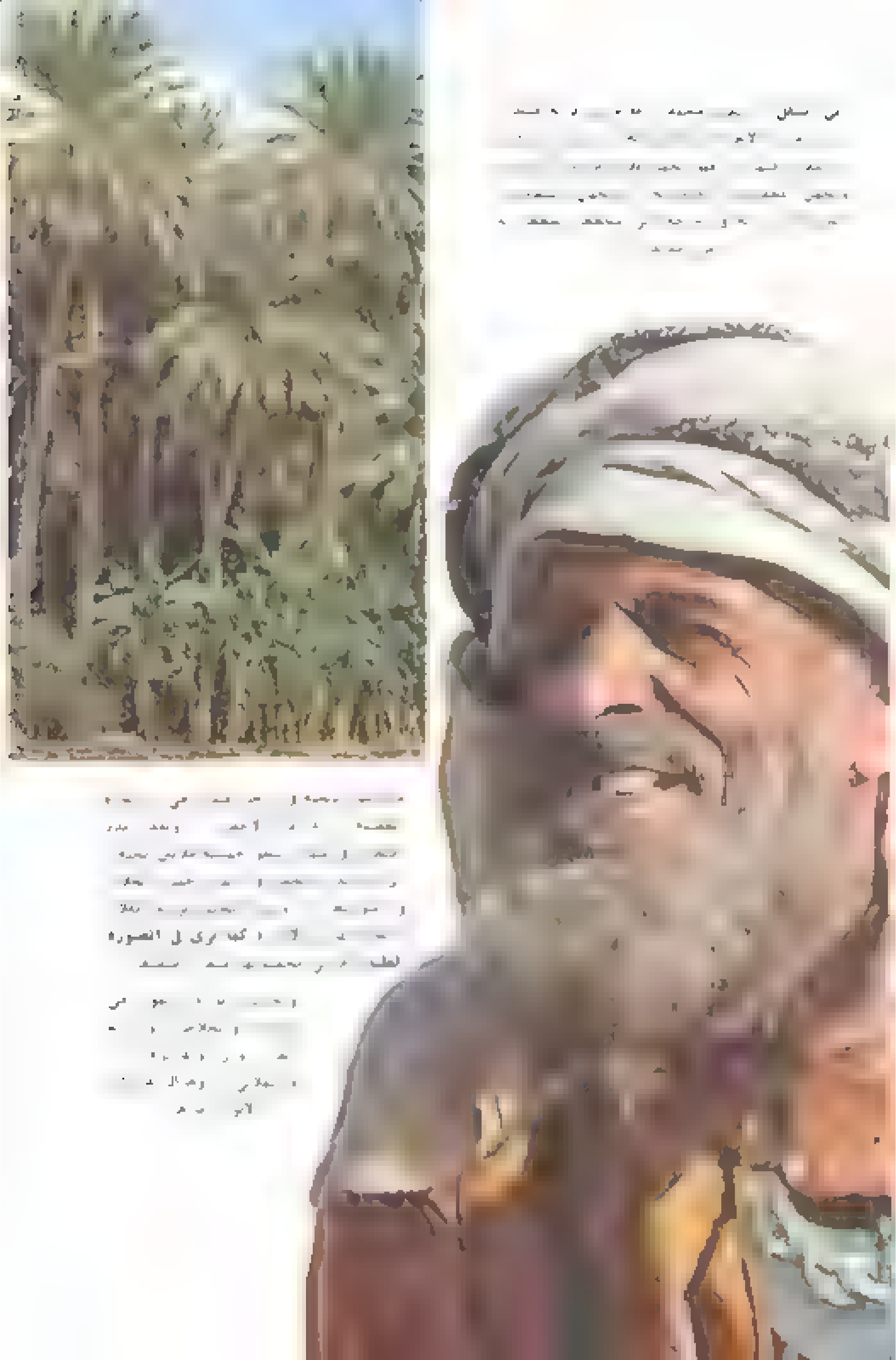
«جنة البلاد العمانية الوحيدة ، ودوحتها الفريدة» .. انها وادي سمائل ، حيث النخيل على امتداد البصر ولعل هذا النخيل ، يرسل الرطب منه الى مسقط ، والتمر يباع في سمائل ، ويحتفظ المزارع بكمية كبيرة لاستهلاكه الخاص

فيربح نصيبه من الثمن التي توجبه ، ويوفر الرطل الذي لا يملكه !

سمائل .. جنة عمان

والسيارتنا سيرها الى مزرعة وادي سمائل .. وسمائل اسم يطرب له ابن عمان وينتشي ، ولنسمع وصف احد كتابهم لها يقول

« في تخوم عمان الداخلية وواسطة عقده ، في البقعة الزاهية الظلال ، البهجة الرياض العذبة الثمر ، الجميلة الهيئة .. هي بالنسبة الى البلاد العمانية جنتها الوحيدة ، ودوحتها الفريدة ، وتاجها الزاهر ، انهارها جارية ، ومدرها دانية ، واشجارها وارفة ، ومياهها متدفقة ، ورياضها نداء مورقة ، انها شأن سجله الدهر سلفه الماضي ، وزعماء عباهل ، وامراء اكابر ،





واعيان لم ينس الدهر فضلهم ، واخبار ما زالت الايام تنير ذكرهم ومجدهم !

ودخلنا جنة سمايل .. وسارت السيارة على طرقات لم تمتد اليها يد الانسان ، وانما حولتها الطبيعة الى وهاد ونجاد ، وعلى الجانبين اشجار خضراء متلاحمة متنوعة ، موز وانبا (المانجو) وسط غابات من النخيل لا حدود لها ..

طول السلام يطيل العمر

وتحت ظلال النخيل العالي شهدنا مجموعة من الاطفال الصغار يدرسون القرآن على يد شيخ جليل ، ما كاد يلمحنا حتى بدأ السلام ، فرددنا عليه التحية ولكن مرافقنا في الرحلة السيد علي ابراهيم شنون — مدير الاعلام بالوكالة — استمر يحييه بهذا الاسلوب اللطيف

— [illegible] ؟ الحمد لله

— و [illegible] الحمد لله

و [illegible] ؟ كلهم بخير

[illegible] عاش أخبار .

[illegible]

— وسلموا (اي نعمتم) اهلا

— في الدار (اي انكم الآن في ديارنا فاهلا بكم).

وهذا الذي ذكرناه مختصر للتحية ، اذ كان يمضي السؤال والجواب بتكرار عدة مرات !!

مكروبة بالسكر !

وبعدها سرنا الى قلعة سمايل كعادة الوالي ، فكل الولاة يسكنون قلاعا تاريخية قديمة .. وجلسنا نستمع الى والي سمايل الشيخ محمد بن نصر الهنائي ، الذي بدأ حديثه بمداعبات شعرية ، وبعدها جاء الشاي ، الذي رحنا نرتشفه جلوسا في ساحة القلعة الواسعة ، وحولنا رهط كبير من الناس ، كل منهم يحمل بندقية وخنجرا .. ومع الشاي احضروا الموالح ، اي صينية عليها فاكهة الانانس ، وصحن كبير عليه المكروبة ، يسمونها « اللاليط » لانها مطبوخة بالسمن والسكر ..

الطبيب عام

وعاد والي سمايل يتحدث عن بلدته قائلا

[illegible] للاسلام

[illegible]

[illegible] وجه الارض

[illegible]

قلنا « هل مطلوب كلهم في الزراعة ؟ »

قال الوالي [illegible]

[illegible]

اسعار فاحشة .. لطعام رديء

وسرنا في طرقات سمايل .. ودخلنا سوقها



وحاولنا شراء بعض الفواكه ، فراعنا الغلاء الرهيب الذي يسيطر على السوق .. ان الغذاء الطيب ، مثل الماء والهواء ، لهذا الشعب المسكين، ولكن اين له دفع عشرة قروش لحبة رمان جافة ؟ .. او ما يساوي ٣٠ فلسا لحبة البرتقال الهرمة .. او ٩٠ فلسا لكيلوجرام من البصل .. او خمسة قروش لحبة الليمونة صغيرة لا تغني ؟ .. وهكذا اسعار فاحشة لانواع رديئة من الطعام .. ينتج منهما سوء التغذية ومرض ، ونسل ضعيف ، يتحمله بمآسيه اكثر من عاصرة، ويشعر باصوله ، في غيابه بكربه لدخل بالاده او بمخصصات تزيد انتاج ارضه وتخفف من حدة غلاء ماكله !

ولكن من هذه البلدة (سمايل) اختير الشيخ سعود الخليلي ليكون المسئول الاول عن التعليم في كل ارجاء عمان .. وليمثل عمان على رأس وفد الصداقة الذي زار مختلف العواصم العربية.

وتركنا سمايل متجهين الى مدينة نزوى .. وعند مشارف المدينة التاريخية اصبح الطريق وعرا للغاية وتكاثرت الرمال والحصى والاحجار .. تنساب فوقها المياه فتحيلها الى منطقة طينية موحلة ، وبركا من المياه الآسنة الخضراء ..

واتجهنا مباشرة ـ كالعادة ـ الى قلعة نزوى ، ويسمونها الشهباء .. قلعة تاريخية من اعظم قلاع المدن العمانية شهرة ، وصعدنا درجات سلمها « المتلاوية » ، قاصدين غرفة الوالي عند قمة البرج المستدير . واستمر الصعود وعشرات العيون ترقبنا .. شباب يحملون البنادق القديمة ذات المواسير الحديدية ، ويرتدون الجلباب اللون والكوفية الحمراء ، ويلهون في القلعة الكبيرة ذات الدهاليز والاقبية .

وال وقاض و ١٤ الف نسمة

وصلنا غرفة الوالي ونحن نلهث من السلم العالي ، وخلعنا النعال وجلسنا على السجاد ، مستندين الى وسائد تعلوها رسوم بابلية ، وكان الوالي هلال بن حمد السمار يجلس امام مكتب صغير ويتحدث بصوت خافت عن مختلف الامور ، فسألناه عن الجهاز الحكومي المسئول عن نزوى



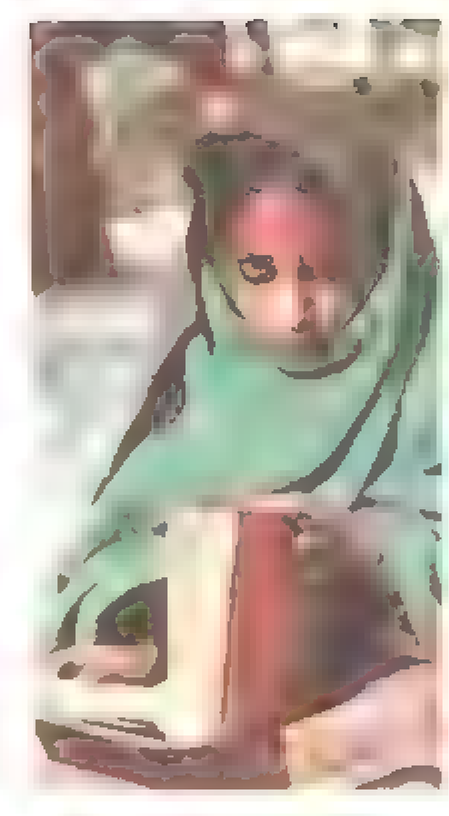
سعود عبد الله سعود بن سليمان السليماني
ان طول اسمه يوازي طول باعه في صناعة الخناجر العربية المعروفة « الجنبية » .. مستعملا العاج للجراب ، وقرن وحيد القرن النادر ، لبد الصبر .. وصعدنا في عمله على الآن صنعها في بلده ، من طلب صحيح لذبيحة !

فقال : « يتألف هذا الجهاز من الوالي والقاضي ، واربعة كتاب لكتابة العسكر والدعاوى »

وسألنا : « وكم يبلغ عدد سكان نزوى ، وهل يهتم بنظافة مدينتهم ، وحل مشاكلهم ؟ »

فاجابنا والي نزوى : « في الحقيقة لا يوجد احصاء رسمي ، لكن ربما كان عدد السكان ١٤ الف نسمة .. اما عن النظافة فعمليات التنظيف تجري لمناطق محددة فقط ، ينفق عليها من اوقاف خاصة

« وبخصوص القضايا فنحن نرجع الى الشرع للحكم فيها .. يسمع القاضي كلام المدعي والمدعى عليه ويحل مشكلتهم .. وفي حالة القضايا الكبيرة





يطلب الناس حينه العمر في المدينة ويتشاورون معهم

واذا رأى احد المتخاصمين حيفا في الحكم استأنف الحكم الى وزارة العدل بمسقط .. وهذا قليل الحدوث .. والقضايا كلها حقوقية .. أي لاحدهم حق أو دين على آخر »

الذباب .. الذباب

وتركنا الوالي في القلعة التاريخية ، وتركنا مع سجله الى اسواق وشوارع نزوى .. كنا نسير على ارض ترابية ، وكأنها ارض متحركة ، ونظرنا الى اسفل .. فوجدنا ارضا عجيبة بقايا عظام ارجل الاغنام وعلب العصير وورق علب السكاير ، وبقايا النعال الجلدية واوراق الاشجار .

وفي احد اركان السوق جلس بائع السمك المشوي من مسقط ، يبيع اسماكه : شرائح صغيرة يربطها المشتري بحبل مصنوع من سعف النخيل ويحملها في يده .. ونظرنا الى قطعة السمك فلم نستطع أن نراها من فرط ما تراكم عليها من ذباب .. ونقلنا الى عيون الاطفال فوجدناها هي الاخرى مغطاة بالذباب .. حتى الحمار المسكين ، كان يحرك ذيله ورأسه في محاولة يائسة للتخلص من الذباب !! ذباب في كل مكان ، كان يحيط بنا ويلاحقنا اينما سرنا .. وعندما تذكرنا هذه القصة التي رواها احد الكتاب عن ذباب نزوى قال :

« مر احد الظرفاء في سوق نزوى ليشتري تمرا ، فوجد عددا من الذباب يحوم فوق التمر ، فسأل البائع ساخرا : « يا هذا لماذا لا تطرد التمر عن الذباب ؟ » .

اسلوب حياة الناس هو السبب

ولم نضحك لهذا الذي سمعناه ورأيناه ، بل اتجهنا نسأل كل شخص في نزوى عن الذباب ومشكلته ، فقال لنا احدهم : « ان مدينتنا هي التي تصدر الذباب الى العالم كله .. ونحن لا يمكن أن نعمل شيئا لانه لا توجد عندنا شركة » مثل الذباب » ؟ !!

وقال آخر : « ان الذباب في بلدة ازكي المجاورة اكثر منه في نزوى .. ونحن كلما قتلنا ذبابة توافدت الوف مكانها ، انها مسألة ميئوس منها » ..

وتوصلنا اخيرا الى معرفة سر الذباب الذي يغزو نزوى .. ان السر يكمن في اسلوب وطريقة حياة الناس في المدينة .. فالابقار والاغنام والماعز تعيش داخل المنازل مع الاهالي .. وحتى هنا تبدو القصة عادية ، فهذه العادة السيئة موجودة في قرى بلادنا العربية .. ولكنها في نزوى تختلف عن بقية البلاد اذ يجمعون روث البقر والحيوانات في منازلهم ، ولا يكتفون بما يجمعونه من حيواناتهم بل يلتقطون ما يجدونه في السوق ، ويضيفونه الى روث حيواناتهم ، ويتركون هذا السماد الطبيعي يتخمر لمدة عامين كاملين ، لان سعره يرتفع في الاسواق كلما اختمر لفترة اطول .. واهل نزوى مشهورون بحبهم لتجميع المال ، حتى انهم ينافسون اهل صفاقس التونسيين في حرصهم على جمع المال ؟! ..

كل انواع الامراض في نزوى

وكانت جولتنا في اسواق نزوى لتصوير الصناع والتجار ، هي جولة عذاب ، اختصرناها واسرعنا الخطى الى مستوصف نزوى ، نسأل طبيبه عن صحة اهل البلاد .. فوجدناه طبيبا هنديا يدعى محمد موفي ، يعيش في منزل للمريض مصنوع من الطين .

لقد مضى على الطبيب عام واحد في نزوى ، وهو يعمل ليلا ونهارا لمعالجة الالاف الحالات في ظروف غير معقولة لا يحتملها بشر : فهو يخلع الاسنان ، ويعالج العيون ويولد النساء ويداوي السل !!

واستمعنا الى هذا الطبيب الهندي الفاتح فقال لنا : « كل انواع الامراض موجودة عندنا في منطقة نزوى ، وخاصة مرض التراخوما المنتشر بصورة وباء يعمي عيون الناس .. والسل والملاريا وفقر الدم (الانيميا) والاسهال الحاد والدود المعوي كلها امراض شائعة عندنا .. وانا اقوم يوميا بخلع عشرة ضروس واسنان على الاقل » .

ويتابع الطبيب الهندي حديثه بمرارة فيقول :

« عندما وصلت الى نزوى ورأيت انه يجب ان اعالج ٩٠ الف نسمة دون أن اتمكن ، أو حتى تكون عندي اية وسيلة للمواصلات اذهب بها اليهم ، قررت العودة الى الهند .. ولكن عندما



مدخل سوق نزوى . مظاهر ازدهار حركة البيع والشراء في سوق نزوى ، تحتل مركزها الممتاز وسط عمان ، ويتزاحم من الشراء الذي يرتفع فيه عمارها ، الا انه لم يتكر وجد مبيع في ... ، او حتى شارع السوق الذي يعبر به .

أزيح السلطان سعيد بن تيمور عن الحكم ، وجاء العهد الجديد ، ووزيرها وزير الصحة وزير الأنباء التي سعت ، ارتفع راتبها من ١٢ روبية الى ٩١ روبية . واستقل الطبيب الذي كـ اركبه سيارة جيب ، واستأجروا منزلا جديدا مسبب بالاسمنت ليصبح مستشفى للمنطقة ، كل هذا التشجيع جعلني أعتني في عيادتي بالمرضى في بلدي تتطلب لغة أهل البلاد ، واصبحت أعرف الناس ، وأحبب اليهم في منازلهم لعلاجهم ونجحت خيرا بإعطاء ستة آلاف حقنة كورتيزون لأول مرة ، وحوالي ١٥ عملية بمشرط بنزوى

• ولكن مكافحة المرض في نزوى تحتاج الى عشرات الأطباء والمساعدين ، فهي مركز تلتقي فيه مختلف الطرق وسط عمان ، فضلا عن طريقة حياة الناس ، والجهل المنتشر ، مما يجعل الوعي الصحي معدوما بين الناس .



لو تكلم الجبل الأخضر ..

ولقد حلت نزوى محل صحار كعاصمة لعمان في قديم الزمان ، حتى تأمن شر الاغارات البرية والبحرية التي كانت تتوالى على صحار ، وذاع صيت نزوى فجعلها العمانيون عرش مملكتهم ، ومقر سلطانهم ومأمن أئمتهم .. ولكن الدهر تقلب بأهلها وأصابها ما أصابها في أواخر أيام اليعاربة ، وظلت المصائب تتوالى عليها ، وتعرضت للقصف الشديد في عام ١٩٥٤ ووقع لنزوى من الخطوب ما تنخلع له القلوب .. وراحت نزوى تعيش منزوية مبعثرة قابعة تحت ظل الجبل الأخضر ، ذلك الجبل الذي لو تكلم لروى قصص المعارك التي خاضها الشعب ضد الانجليز وقواتهم وطائراتهم ..

وتركنا نزوى وفي قلوبنا حسرة وفي عيوننا دمعة!! .. واتجهنا في طريق طويل يؤدي الى رمال الربع الخالي الرهيب ..

لقد ظل هذا الربع الخالي خاليا من كل أثر للحياة ، حتى كان شهر يناير ١٩٥٤ عندما هبطت طائرة تحمل مجموعة من الجيولوجيين راحوا يفحصون ويستطلعون رمال الربع الخالي عند منطقة فهود ، وتكرر طيرانهم فوق المنطقة ، حتى استطاعوا ملاحظة تركيب جيولوجي يبشر بالخير .

وفي شهر أكتوبر من نفس السنة (١٩٥٤) أقام المسحيون مخيمهم الأول في منطقة فهود ، وبدأوا في حفر الآبار ومسح المنطقة زلزاليا وجاذبيا في ظروف صعبة للغاية .. وبعد ست سنوات من



قاضي مدينة صحار مالك بن محمد ابن حمد العبري ، جالسا في غرفة الضيافة بمنزله ، وقد وضع أمامه صحنا به أحلوة نزوى ، وأباريق القهوة العربية



الى اليسار : صورة لمدرسة الامام احمد بن سعيد الابتدائية في مدينة صحار . لقد بدأ التعليم في مبنى الحصن والوالي القديم ، ولكن هذا المبنى القديم لم يستطع تحمل حركة ٥٠٠ طالب ، فكاد أن ينهار عليهم . لهذا أقيمت على الفور عدة مبان من سعف النخيل ، لتصبح مقرا مؤقتا للمدرسة ، حتى تم انشاء مبنى جديد

العمل الرهيب بلغ بهم اليأس مبلغه ، اذ كانوا قد حفروا اربع آبار وانفقوا ١٢ مليون جنيه استرليني دون اكتشاف النفط ، فاجتمع الشركاء الخمسة وقرر ثلاثة منهم الانسحاب من الشركة (شركة نفط عمان) .. وكان المنسحبون ، شركة النفط البريطانية (بي بي) وشركة البترول الفرنسية ، وشركة سوكوني موبيل وستاندرد نيوجرسي .. وبقيت شركة شل تحمل ٨٥٪ من الاسهم ، ومعها شركة بارتيكس تحمل ١٥٪ تزاول اعمال الحفر والتنقيب في عمان .

نجاح بعد فشل

وتم اعداد خطط جديدة .. وبدأ الحفر ثانية .. حفروا بئرا جديدة على مسافة ١٠٠ ياردة فقط من البئر السابقة التي حفروها دون نتيجة .. وكم كانت دهشتهم وسرورهم عندما عثروا على النفط في ٥ فبراير (شباط) ١٩٦٤ بكميات تجارية كبيرة افلتت من ايدي اولئك الذين قاموا بالمحاولة الاولى .

وفي الحال بدأ مد خط انابيب طوله اكثر من ٢٠٠ كيلو متر يمتد من رمال الربع الخالي حتى شاطئ البحر عند منطقة سيح المالح الذي استبدل السلطان سعيد بن تيمور اسمه « الحلو » باسم سيح المالح في الكلمة السلطانية التي قال فيها :

« ما دام تدفق النفط يتدفق غزيرا تحت بعون الله متواليه في جريانه ، بحيث يكون نشاط الحكومة في اقامة المشاريع التي تعود على البلاد بالخير العميم متواصلا ومعادلا لقوة جريان النفط في تدفقه » .

ولكن السلطان سعيد لم يخطر بباله ان النفط الذي تدفق عام ١٩٦٧ بقوة ١١٠ الف برميل يوميا سيرتفع ويتضاعف حتى يصل الى ٣٣٠ الف برميل في اليوم في نهاية عام ١٩٧٠.

وسبقته الاحداث . وهكذا لم يستطع السلطان سعيد ان يحقق وعده ، ببناء المستشفيات والمدارس وشق الطرق والاهتمام بالثروات السمكية والحيوانية والزراعية ، وامام جمود السلطان سعيد ، وتضاعف الدخل ، لم يكن هناك من حل الا خلعه عن عرشه ، وتولى نجله قابوس مقاليد الحكم مكان والده في ٢٣ يوليو ١٩٧٠ .

وميناء النفط في عمان هو ميناء الفحل ـ يبعد ٢٥ كيلو مترا شمالي مسقط .. وكان هناك ميناء « دقم » للنفط في جنوب البلاد ، ولكنهم اغلقوه بحجة وجود التيارات البحرية والانواء والعواصف الجوية التي تهب على المنطقة ..

اما البواخر التي توقف في ميناء الفحل سنويا فيقرب عددها من ٣١ باخرة تنقل اكثر من عشرة ملايين برميل شهريا ..

صحار .. اعمر مدينة بعمان

وميناء الفحل يقع عند بداية ساحل الباطنة ، ساحل كله مزارع وبساتين ، يطل على مياه خليج عمان التي يبحث فيها ـ هي الاخرى ـ عمليات التنقيب بحثا عن النفط تحت قاع البحر ..

ويتميز ساحل الباطنة بوجود مدينة صحار في وسطه .. انها الميناء التاريخي الذي كانت تنطلق منه السفن الى الصين حتى اطلقوا عليها لقب خزانة الشرق .. وقد وصفها عالم الجغرافيا العربي ، ابو اسحاق الاصطخري في كتابه المسالك والممالك ، في منتصف القرن العاشر الميلادي بقوله « صحار قصبة عمان ، وهي على البحر ، وبها متاجر البحر ، وهي اعمر مدينة بعمان واكثرها مالا ، ولا تكاد تعرف على شاطىء بحر فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار » .. وعلى نفس الاسلوب تحدث المؤرخون والجغرافيون .. اما ياقوت الحموي فيقول عن اسم صحار : يجوز ان يكون من الصحر ، وهي حمرة تضرب وسط الحمرة او من الصحرة وهو لون الاحمر ثم يقول في موضع آخر : « اسم مشتق من الصحراء .. وقيل انما سميت بصحار ابن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو اخو ربيب وطسم وجديس » .

اتهام وسوء الظن

وعدنا الى صحار ، واخذونا الى مقر قاضي صحار مالك بن محمد بن حمد العبري ، الذي استقبلنا هاشا باشا ، وقدم لنا الفواكه والقهوة فسألناه عن حالة سكان صحار ، فاجابنا .

ـ وملاذا ايضا !







ـ [illegible] .

ـ وماذا ايضا ؟؟

فاجابنا [illegible] : « الاولاد وسوء الظن [illegible] كثير [illegible] » .

فسألناه : « كم عدد سكان المدينة اليوم ؟ »

فقال : « عدد السكان واحد [illegible] اي كثير ، [illegible] على البحر » .

وقلنا : « وما هي اكثر القضايا التي تحكمون فيها ؟ »

فاجابنا قاضي صحار : « اكثر القضايا عندنا هي هجر الزوج زوجته ، وغربته عنها ، فاذا غاب عنها ولم يرسل لها مالا ، نرسل له خطابا حتى يرسل النفقة ، واذا كان للزوج مال في البلاد حجزنا على ماله .. هذا اذا طلبت الزوجة النفقة فقط اما اذا طالبت بحضوره ووجوده بجانبها فاننا نرسل له خطابا آخر ، فاذا لم يرد في خلال ثلاثة شهور ، حكمنا بالطلاق [illegible] وهذا يحدث مرتين او ثلاث في السنة » .

الذبابة السوداء والمنّ

وشكرنا القاضي على ما زودنا به من معلومات !! وبدأنا جولتنا في المدينة .. فطالعتنا مدينة الاشباح، لا احد يسير فيها ، لقد هجرها اهلها .. هجروها الى بلاد النفط في الخليج العربي ، بعد ان بدا نجمها في الافول ، ولكن ارضها الطيبة ومياهها الطيبة ، تصلح مركزا طيبا لعودة الحياة والاهل اليها ..

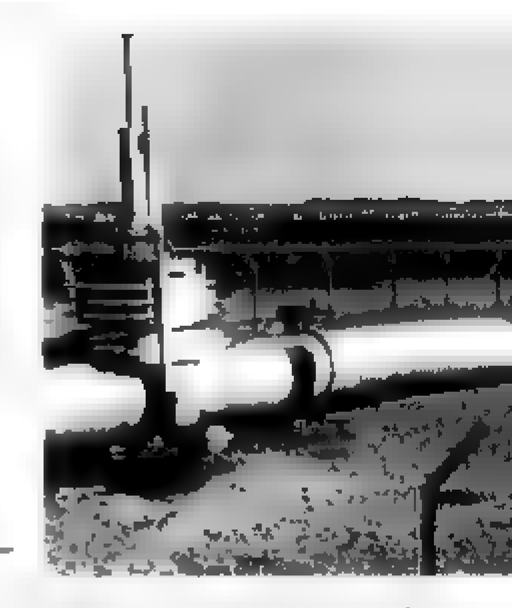
ولكن الزراعة التي تنمو على تلك الارض الطيبة، تشكو امراضا ..

الذبابة السوداء تكاد تقضي على نصف مليون شجرة لومي (الليمون الحامض الصغير) الذي اشتهر به ساحل الباطنة .. حتى النخلة .. عشرات الالوف من النخيل اصابها المرض فاصبحت تنزف المن ..

اما الموز والامبا (المانجو) فقد وجدنا حباتهما صغيرة باحجام لم نشهد لها مثيلا .. ان الجهل بتطوير الزراعة وهجرة اليد العاملة هما اللذان اديا بالزراعة الى هذا المستوى الاسفل ..

عمرنا ٦ شهور

وقالوا لنا : « لقد [illegible] تحكموا [illegible] وفرضوا ضروب الاغلاق والاستبداد التي [illegible] ان اول مدرسة في صحار فتحت ابوابها منذ ٧ شهور فقط [illegible] اي [illegible] النظام [illegible] في ١١ نوفمبر ١٩٧٠ ونحن نذكرها لكم في عام ١٩٧ بدأ التعليم في صحار تلك البلاد التي كانت ترنو اليه العيون وتلمعت اليه الانظار في قديم الزمان [illegible] فاين نحن اليوم من ماضينا ؟؟؟ ان الذي نستطيع قوله هو ان عمرنا اليوم ستة شهور فقط .. ولا عبرة بماض مجيد !



مدينة فهود .. اول مدينة فوق رمال الربع الخالي

بدات معسكرا يعيش تحت خيامه رجال البترول ، وتحولت الخيام الى بيوت متحركة ، ما لبثت ان اصبحت منازل مشيدة بالاسمنت والطوب ومكيفة الهواء يعيش فيها ٦ [illegible] رجل ، اما المراة فلم يسمح لها — حتى الآن — بدخول « فهود » .. ومن « فهود » يمتد خط الانابيب طوله اكثر من ٣٠ كيلو متر ، يندفع فيه النفط بمعدل [illegible] ٣٢ الف برميل يوميا ، [illegible] بطريقة آلية ، من آبار البترول الاربعة حتى [illegible] الفحل ، حيث [illegible] السفن و[illegible] حمولتها [illegible] على مدار الساعة .

[illegible]

والحق يقال ان نتائج الزرع في هذه المنطقه بعث الامل قويا في النفوس .. الامل في ان تعم فائدتها وتجاربها .. وقد بدا رجال المزرعة فعلا بتوزيع البذور المحسنة على الفلاحين ، ولكن العمل المطلوب منهم اكثر بكثير من قدرتهم ، فالمطلوب ان تعمم تجاربها الناجحة ، ويساعد الفلاح مساعدة اكثر فعالية ، حتى تتضاعف كميات الخضراوات والفواكه التي تصدر يوميا الى دبي وبقية امارات ساحل عمان ، رغم متاعب ومشاكل الزراعة في المنطقه ..

لقد ظلت امور الاقتصاد والزراعه في سلطنة عمان مبعثرة دون وجود جهاز يخطط لها او يطورها ، حتى كان يوم اول مارس (آذار) ١٩٧١ وفيه تم مولد اول وزارة اقتصاد في سلطنة عمان ، اسندت الى السيد فيصل بن علي بن فيصل ، الشاب الذي قضى معظم حياته مبعدا عن بلده ، وعندما تربع السلطان قابوس كان من اوائل العائدين ، وراينا يعمل في وزارة المعارف ، كتلة لا تهدا من النشاط والحركة وافكار اللماحة وحسن التدبير .. لهذا تعقد الامال الكبار عليه بعد ان اسندت له مسئولية الاقتصاد والنفط والزراعة والصناعة والثروة السمكية ..

انفتاح بعد انغلاق

ان تعيين الشاب فيصل بن علي بن فيصل ، وزيرا للاقتصاد العماني هو خير دليل على التحول الجذري الذي بدات تشهده البلاد .

فكل يوم يمر يأتينا بجديد من عمان ، حتى اصبح من العسير ملاحقة مختلف اوجه الانفتاح في تلك البلاد : العائدون المنفيون يرجعون الى مسقط راسهم ..

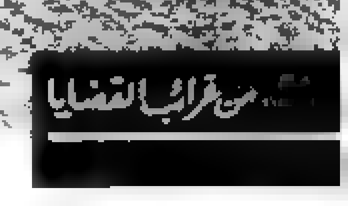
الوطن ومطار دولي جديد يعمل [illegible] في عمان [illegible] وشقان ..

[illegible] دولي يفتح ابوابه لاول مرة في مسقط .. ووزارات عربيه على اعلى المستويات تصل البلاد .

وقد [illegible] يزور البلاد العربية لتعرف بلاده وشرح احوالها وسط جو من التفهم والترحيب ..

ولكن هذا الانفتاح الكبير .. بعد انغلاق مظلم طويل .. لا يعني ان البلاد قد تحولت الى جنة النعيم .. لا .. هناك من التاخر ما يشيب له الوجدان .. واول خطوة للاصلاح لا بد ان تبدا بتعيين مستشارين متفهمين اكفاء الى جانب الولاة والقضاة في مختلف ارجاء البلاد .. لان هذا هو بيت الداء .. فان عز الصلاح ، فقل على الناس السلام .. !

سليم زمال



من مفارقات القضاء الإنجليزي

براءة في جناية قتل مصحوبة بسرقة وإعدام في سرقة حصان !

بقلم : حسن الجداوي

● أحد أبطال هذه القصة — وإن لم يكن بطلها الأول — أحد ضباط جيش ولنجتون واسمه جون توربيل، سرح من الجيش بعد الانتصار في معركة واترلو إذ لم يعد لانجلترا حاجة إليه وإلى أمثاله. وقد وجد نفسه بين ليلة وضحاها عاطلاً لا عمل له ولا مورد رزق. وقد فقد الرغبة في العمل بعد أن فقد احترامه للعسكرية. خاصة وأنه لم يكن له عمل قبل التحاقه بالجيش

كان أبوه تاجر ماشية في قرية صغيرة من قرى يوركشير، وكان يستطيع أن يذهب إليها ويعمل بها مزارعاً أو صانعاً، ولكنه أراد أن يجمع بين البطالة وحياة البذخ. وكلاهما غير متوفر في القرية الصغيرة. والعاصمة (لندن) وحدها هي التي تستطيع أن تحقق له رغباته. فمادام يفضل حياة البذخ لجمع المال والمال لا يأتي إلا عن طريق العمل وصاحبنا لا يحب العمل الشريف. لذلك فكر في وسيلة تأتيه بالمال بغير جهد.

ألقى شباكه على فتاة ريفية جميلة من قريته، ثم أغراها بأن تفر معه إلى لندن — وأي فتاة ريفية لا تتوق لحياة العاصمة — فجمعت كل ما ادخرته من حلي ومتاع — وفرت معه ذات ليلة مظلمة دون أن تودع أهلها. واستأجرا في لندن حانة صغيرة تجلس هي على المكتب تستقبل الأوغاد وتجذب بابتساماتها ونظراتها الزبائن، بينما يتردد زوجها على نوادي سباق الخيل والملاكمة والمصارعة فيتعرف على روادها ويدعوهم إلى حانته بعد السباق يحتسون الخمر: الرابحون احتفالاً بربحهم والخاسرون ليغرقوا أحزانهم. ويبدأ الجميع في مناقشات حامية يتهم بعضهم البعض بالخداع والغش. فلم تكن المباريات في ذلك الوقت — وقد لا تزال — تخلو من الغش ويكثر الرواد من الشراب، والزوجة تجمع الإيراد. وتنقلب المناقشات إلى قتال وضجيجهن أثر الخمر. وكانت هذه حال يمكن أن تدوم لولا أن الجيران اشتكوا من الضجيج والعربدة التي كانت تمتد إلى ما بعد منتصف الليل فتدخل البوليس وأغلق الحانة.

* * *

كان جون قد صادق اثنين من المترددين على حانته ممن على شاكلته. والطيور على أشكالها تقع. جوزف هانت مطرب حانات — من أسرة طيبة كريمة ولكنه انحرف — يغني للسكارى فيزدادون إقبالاً



.. وكان لا مفر لتورنيل من ان يجهز عليه فهجم عليه ودافع عن نفسه دفاع اليائس وبرغم جرحه كاد ان يتغلب عليه

على القمار ، لم يلاحقهم البوليس بعد ان اتقن طريقة توزيعه لمسالحه وهم في سكرهم لا يدركون فيكسب منهم . والثاني بروير أحد عشاق الخيل والسباق جمع ثروته عن طريق تخصصه بالتدليس واستاجر منزلا تحيط به أرض للصيد في ضاحية مهجورة عن العاصمة يدعو اليه محبي القمار .

اتفق الأصدقاء الثلاثة على ان يتخذوا من الملعب سيلا الكونزال ، ومن منزل بروير وكرا . وتفاهموا على طريقة يحولون بها مخاطر المقامرة الى ربح مضمون . ولكن هذا المصدر بدأ ينضب لان المقامر الذي يربح دائما يثير الشك فيأخذ اللاعبون حذرهم ولا يلعبون الا بمبالغ صغيرة او يحجمون عن اللعب معه ..

فكروا في طريقة اخرى يتغلبون بها على حظر العاطلين فيستولون على ما في جيوبهم ويطعمون انفسهم ، وهكذا انزلقوا الى جريمة السرقة والقتل . ووقع اختيارهم بادىء الامر على خطيب شقيقة زوجة بروبير فاغروه بالحضور الى منزل بروبير ليلعب معهم البوكر ، ولكنه ما كاد يدخل عتبة المنزل حتى احس بنية الغدر فاطلق ساقيه للريح ونجا بحياته وبما في جيوبه من نقود .

وكان احد المترددين على البار شخص اسمه وليام وير ، رجل حديث الثراء من هواة الصيد وهواة المقامرة بمبالغ ضخمة ، جيوبه دائما محشوة باوراق النقد يخرجها من جيبه بمناسبة وبغير مناسبة . فاوهموه ان الغابة المحيطة بمنزل بروبير غنية بالارانب البرية والغزلان وان لبروبير جارا مغرما بلعب البوكر بمبالغ كبيرة . واغروه بان يحضر معهم حفلة صيد وبعدها يجلسون حول المائدة الخضراء .

ودخلت الخديعة على وير ، واعتقد انه سيصيب مواهبه الصيد طوال النهار واللعب طول الليل . وحددوا للقاء يوم ٢٤ اكتوبر من عام ١٨٢٣ . وفي ذلك اليوم مر ثورتيل بعربته (موكل بمجلس) فركب وير الى جانبه بينما ركب هانت عربة بروبير وسارت العربتان في الطريق المؤدى للغابة تتسابقان وتتلاحقان كلما من لاحدهم أن يتوقف في الطريق ليتناول كاسا من البيرة ..

وفي الطريق اشترى بروبير خنزيرا صغيرا مذبوحا استعدادا للوليمة التي سيعدها لضيوفه ... لان الصيد يفتح الشهية ... وصادفت الفكرة هوى لدى وير الذي لم يكن يدري انه الفريسة المقصودة . وعندما وصلت العربة التي تحمل ثورتيل ووير الى الطريق الجانبي انحرفت فوجد وير انه في مكان مظلم موحش حتى انه قال مازحا « ياله من مكان موحش يصلح لقطع رقبة اي انسان دون ان يشعر به احد » .

وقد كان هذا ما حدث ولكن لتفاصيل ما حدث سياق ذكرها فيما بعد .

في صباح يوم ٢٥ اكتوبر بكر اثنان من العمال الزراعيين لعملهما وسارا في الطريق الذي اعتادا ان يجتازاه غالبا في مثل تلك الساعة المبكرة فلفت نظرهما اي لمحا — على بعد — اثنين من سكان المدينة يحجبان صوتهما مشغولين في البحث بجانب الطريق عن شيء فقداه فما كانا يحسان بوجود العاملين حتى تركا البحث وسارا في طريقهما كانهما يعبران الطريق . فلما التقوا سألهما العاملان — كعادة رجال الريف عما يبحثان عنه فقداه . ولم يكن الرجلان — وهما كما سيظهر — ثورتيل وهانت — قد توقعا هذا السؤال . ولم يجدا له ردا معقولا — فاخذا على غرة واجابا « شيء .. لا شيء .. لقد سقطت منا سكين في هذا المكان ولكن الامر ليس له اهمية . » وانصرفا .

ولم يكن هذا رأي المزارعين . فقد شككا في الامر . وذهبا يبحثان عن السكين المفقودة للاستفادة بها على الاقل . فلما عثرا عليها ووجدا بجوارها مسدسا ، واكتشفا ان السكين ملوثة بالدماء ، وان على المسدس مادة لزجة تشبه مخ الانسان لعب في صدرهما الفكر ، وبدا يفكران فيما يفعلان ازاء هذا الاكتشاف الخطير . واثناء ذلك اقبل نحوهما شخص ثالث من رجال المدينة ممن لم يعتادوا الخروج مبكرا ولكنه شخص معروف لهما . انه السيد بروبير ساكن المنزل الريفي حيث تقام الاحتفالات الصاخبة ويكثر الضجيج . وحين وقع نظره عليهما لفتت خطواته لم استمر في سيره كأن شيئا لم يكن . فلما حاذاهما تبادل معهما حديثا تافها عن الجو ولم يفاتحاه عما بما عثرا عليه لما ساورهما من شكوك . وبعد انصراف بروبير قصد العاملان نقطة البوليس واطلعا الضابط على نبأ وسلماه ما عثرا عليه واطلعاه له بشكوكهما . وانصرفا .

وجاء احد جيران بروبير يبلغ ضابط نقطة البوليس انه اثناء عودته ليلة امس بعربته التي يجرها حمار ومعه زوجته وطفله في نحو الساعة التاسعة سمع صوت عجلات عربة على مسافة قريبة وانين جريح . وانه — فيما قال — اراد ان يلبي استغاثة الجريح ولكن زوجته خافت وتشبثت به ومنعته فرأى ان يبلغ البوليس .

وبدات معالم الجريمة تتضح . فهناك انسان قتل في الساعة التاسعة من الليلة السابقة في ذلك المكان الموحش . وقاتلوه هم الاشخاص الثلاثة الذين استيقظوا على غير عادتهم في تلك الساعة المبكرة .. ليخفوا اثار الجريمة ، وواحد الثلاثة معروف للبوليس وهو بروبير الذي له ملف بالبوليس لسوء سمعته ولان منزله يؤوي في ايام الاحاد محترفي اللاكمة والبوكيز ولاعبي البليارد والمراهنين والمقامرين من احط الطبقات يلعبون ويسكرون ويغنون باصوات منكرة ويصخبون

ويطفئون الإنارة الخارجية الى ساعة متأخرة من الليـل .

واصبح بين يدي البوليس الدليل على أن جريمة قتل قد ارتكبت ولكن عنصرها الاساسي (جثـة القتيل) غير موجـود . فلم يبق امامـه إلا ان يستعين بالمركز الرئيسي لبوليس العاصمة (اسكوتلانديارد) حيث تتجمع المعلومات عن الجرائم والمفقودين والقاتلين فيبحث بما لديه من معلومات .

وتقدم الى بوليس العاصمة احد اصحاب محلات البلياردو ليبلغ ان احد المترددين على محله ـ واسمه وليام وير ـ لم يظهر منذ يوم ٢٤ اكتوبر ، وكان قد قال له انه مدعو في ضيافة صديق لـه اسمه جون ثورتيل ليمارس هواية الصيد ولعب الـورق .

جون ثورتيل !!! انه شخص معروف للبوليس وله ملف عنده . فقد كانت لـه علاقة بالبوليس . وله علاقة ببروبي وهكذا القى البوليس القبض على الاصدقاء الثلاثة ، مقدرا ان لهم يدا في اختفاء وليام وير . ولكن اختفاء وير ليس دليلا على انه قتل . وما لم يعثر على جثته فان البوليس يظل مكتوف الايدي . لأن القانون الانجليزي لا يسمح باستجواب المتهم الذي يعتبر بريئا حتى تثبت ادانته مهما حامت حوله من شكوك . انهم لا يستجوبون المتهم ولا يستعملون معه ـ فيما يعنون ـ وسائل الإرهاب التي يستعملها بوليس البلاد الأخرى لاستخلاص الحقيقة من فمه ... ولكنهم يستعملون سلاحا اقوى وانفذ ... سلاح « القضاة » اي الوشاية أو سلاح « شاهد الملك »

انهم لا يطالبون من تحيط به الشبهات ان يعترف بالجريمة .. فذلك امر لا يليق ولا يتفق مع الخلق القويم . ولكنهم يطلبون منه ان يشي بزملائه ... ويعدونه في مقابل ذلك بأن يخرجوه من الاتهام ، ويصيرونه « شاهد ملك » . ولكن ليس شاهد ملك كل من يريد . اذ لا يعقل ان يتحول المتهمون الى شهود ملك . فمجال الاتهام حر في اختيار الشخص الذي يضفي عليه تلك الصفة ... وهو بطبيعة الحال من قدم للبوليس اكثر المعلومات التي تدين الآخرين .

وهكذا بدا هانت وبروبي يتباريان في الافضاء بما عندهما من معلومات ليقع على احدهما الاختيار ليكون هو « شاهد الملك » وينجو برقبته وحريته . وظهرت جميع تفاصيل تلك الجريمة الوحشية تطبيقا للقاعدة المعروفة « اذا اختلف اللصان ظهر المسروق » .

وكانت الطريقة التي دبروها ان تسبق عربة بروبي عربة ثورتيل وعندما تصل الى الممر الضيق الذي اختير لارتكاب الجريمة يقفز منها هانت ويختبيء لحين وصول عربة ثورتيل ووير . وبعد ان يقفز هانت يستمر بروبي في سيره حتى منزله ليمنع كل مفاجأة وينتظر شريكيه بمنزله بعد ان تكون زوجته قد اعدت لهما الطعام الشهي .

ولكن العملية لم تتم حسب الخطة الموضوعة . ذلك ان بروبي الذي لا يقاوم الخمر تأخر كثيرا في الطريق ولم يتبين ان عربة ثورتيل ووير قد سبقته فوصل ثورتيل الى مكان الجريمة ولم يجد هانت ينتظره . وكان المفروض ان يجد وير نفسه محاصرا بين ثورتيل وهانت ، يقتلانه ويستوليان على ما معه من نقود والشيء لعينة ، ثم يضعان جثته في كيس من القطع اعداه لذلك ويلقيان بها في المستنقع المجاور .

وتظاهر ثورتيل بأنه فقد الطريق وكان الظلام قد حل . واخذ يتبادل الحديث مع وير الذي لم يخامره اي شك برغم وحشة المكان الذي يبعد اقل من ميل عن كنيسة سانت بول والذي قال هو نفسه ان من اراد ذبح اي شخص فيه يستطيع ذلك ولا من رأى ولا من سمع .

وطال الانتظار وازف الوقت وخشي ثورتيل ان تفشل العملية ورأى انه قادر على ان يتمها بمفرده فتظاهر بأن احدى عجلتي العربة بحاجة الى ان تعدل ، وبينما وير يعاونه في ذلك ، اخرج ثورتيل مسدسه واطلقه على وير فاصابه بجرح غير مميت . فجرى وير واخذ يستعطفه ويستحلفه ان يأخذ كل ما معه من نقود ويعده بأكثر منها اذا هو ابقى على حياته .. ولكن لا مفر لثورتيل من ان يجهز عليه فيجهز عليه ودافع وير عن نفسه دفاع اليائس . وبرغم جرحه كاد ان يتغلب عليه ، فالقاه ارضا وجثم فوقه ، فطعنه ثورتيل بالخنجر في رقبته فانفجر الدم منها بغزارة وظل هو القاتل ... وتراخت قوى القتيل ، فضربه القاتل بمسدسه حتى كسر جمجمته ثم قام من تحته وربط عنقه بمنديله ليوقف نزيف الدم ولم يستطع ان يبقى بجوار الجثة فاتجه الى منزل بروبي الذي لم يكن بعيدا .

وجاءت عربة بروبي بعد ذلك وقفز منها هانت لوجد الجثة ولم يجد ثورتيل واستولى على ما في جيوب القتيل من نقود وساعة . وبينما هو في

طريقه لمنزل بروبي كان هذا الأخير قد استبق وصول شريكيه فعاد غاضبا الى المكان المتفق عليه واجتمع الثلاثة وكل واحد منهما يعتقد ان شريكيه قد سرقاه . هالت يدعي انه لم يجد بجيوب القتيل الا جنيهات معدودة . ولكن هذه الشكوك لم تمنع ان مصلحتهم مشتركة في ضرورة اخفاء معالم الجريمة . فاتجهوا الى منزل بروبي حيث اعدت لهم زوجته الوليمة الموعودة وكانوا قد احسوا بالجوع فجلسوا يأكلون بشهية متفتحة ثم طلبوا من هالت ان يغني ورافقوه في الغناء واكثروا من الشراب والرقص . ووضع هالت حول عنق مدام بروبي سلسلة ساعة زير باعتبارها عقدا من الذهب . وانتصف الليل فانصرف الخدم واوت مدام بروبي الى فراشها وسلسلة ساعة القتيل في عنقها ولو انها علمت انها منتزعة من جثة قتيل قتلاها لم تكن تذوق النوم طعما .

اما الشركاء الثلاثة فقد رجعوا ادراجهم لاخفاء الجثة قبل ان يجيء الصباح وتكتشف . فاحضروا حصانا من الاسطبل ثم وضعوا الجثة في الكيس بعد وضعها بضعة احجار ثم القوا بها في المستنقع القريب وعادوا الى المنزل يسرعون ويتناجون آمنين مطمئنين .

ولكن اطمئنانهم لم يطل . فما كادت تبزغ الشمس حتى اتجه لورنيل وهالت يبحثان عن الخنجر والمسدس ليخفيا اثر الجريمة وكان ما كان من رؤية العاملين لهما ورغم ذلك بقيا على اطمئنانهما وذهبا الى العاصمة حيث ارتدى هالت احدى بدلات زير فبدا فيها انيقا مما جعل لورنيل يلفت نظر مدام بروبي الى تلك الاناقة .

ولكن بروبي جاء في المساء متجهم الوجه في عطش فقد قابله احد الجيران وساله عن الضجة التي كانت عنده بالامس وقال له ان الناس يقولون انهم سمعوا طلقة عيار نارى وتأوهات جريح ... ولم يحر بروبي جوابا ولا عرف كيف يبدد شكوك جاره ولكنه قال لشريكيه « لقد وقعنا » .

وقرروا ان بقاء الجثة في المستنقع القريب المحل يعرضها للظهور فنقلوها الى مستنقع اخر غزير المياه موحلها لا يتصور ان تظهر فيه .

ولكن جميع تلك الاحتياطات لم تفد . فقبض عليهم جميعا بما فيهم مدام بروبي التي لم يكن لها يد في الجريمة ولا عرفت من امرها شيئا .... فلما انطلقت الالسنة الصامتة وتبادل الشركاء في السباب صفة « شاهد الملك » وانحصر الاختيار بين بروبي وهالت ووقع اختيار ممثل الاتهام على بروبي لانه كان اكثر الاثنين افشاء بالمعلومات وليس له سوابق .

وعرضت القضية على محكمة الجنايات وتحول ممثل الاتهام عن محاكمة بروبي فقضى المحلفون ببراءته وانتقل من قفص المتهمين الى كرسي الشهود .

اما هالت فقد اثر بقاءه مذنب بيده على مصيحة مصاحبيه وتفاهمه مع ممثل الاتهام فقضي عليه بالاعدام ثم خففت العقوبة الى النفي الى المستعمرة الانجليزية الجديدة لوستراليا حيث انهى حياته سائسا للبريد .

واما لورنيل فقد قرر انه غير مذنب والقى خطبة مسرحية وحفظها عن ظهر قلب . القاها بلهجة درامية وعدد فيها الاخطاء القضائية المشهورة عن ابرياء حكم عليهم بالاعدام ثم ظهرت براءتهم وختمها بقوله « انني بريء واشهد الله على ذلك » . ثم جاء بشهود يقررون انهم عرفوه رجلا فاضلا شريفا فلما سأل القاضي احدهم كيف عرف ذلك قال لانه يملك عربة . فضجت القاعة بالضحك وشرب الصحف تلك الاجابة الطريفة وتناولها الكاتب الكبير كارليل وجعلها عنوانا للاحترام الواجب للعربة .

وحكم على لورنيل بالاعدام . وامام المشنقة طلبوا منه ان يعترف فقال « لقد نلت ما استحقه » . ولم يكن هذا اول اعتراف له فقد سمع يقول مخاطبا هالت « لو انك لم ترشد عن مكان الجثة لما استطاعوا ادانتنا » .

ولم يطل استمتاع بروبي بالحرية التي نالها . وقيل له ان نجا من جريمة قتل مصحوب بسرقة لا يخشى عليه من الجرائم الصغيرة . وكان لحبه الخيل يتملكها ولو عن طريق السرقة . فسرق حصانا . وكان القانون الانجليزي – في تلك الايام – يعاقب على السرقة التي تتجاوز قيمتها شلنا واحدا بالاعدام . وكان قد مضى اكثر من نصف قرن لا يحكم على السارق بتلك العقوبة التي لا تناسب الجرم لان المحلفين – وهم غير خاضعين في قراراتهم لاية قيود يقدرون ثمن المسروق مهما عظم باقل من شلن – ولكنهم في هذه القضية بالذات اصدروا حكما بالاعدام ليقتصوا من السارق من جريمة القتل التي افلت منها ..

■■

حسن الجداوي

من واقع الحياة :



مرفه المصاب مرة كل ساعة أو ساعتين متتبعا متفحصا لنبضات قلبه وضغط دمه .. ولا ينسى قبل أن يغادر الغرفة أن يربت على كتفي الام المسكينة ويحاول أن يطمئنها على حياة ابنها ، وهو يعلم أن معركته من أجل الحياة قد أوشكت على نهايتها ..

واشرق الصباح بنوره ، فاذا الام تهتز من كرسيها مذعورة ، وهي تصرخ لقد اكتست أصابع ابنها المصاب ببرودة الموت ، واحست برعشة تسري في جسدها .. وجاء الطبيب مهرولا ، وكشف على مصابه للمرة الاخيرة ، ثم قال لها في حزن مواسيا .. لقد استراح ابنك ياسيدتي ..

وسقطت الام على الارض مغشيا عليها .. واسرع الطبيب لاسعافها .. وما كادت تفيق من الصدمة ، حتى حدثت المفاجأة .. سمعت الام طرقا خفيفا على باب الغرفة ، وفتح الباب .. ولم يكن الطارق سوى ابنها الصغير ، وقد وقف بجانبه شقيقه الاكبر .. الابن الذي ظنت الام انها فقدته الى الابد منذ لحظات قصيرة مضت .. والقت بنفسها عليه ، تضمها بين ذراعيه ، وراحت الام المسكينة تقبله وتغسل وجهه بدموعها ، وهي لا تصدق ما ترى ! ماذا حدث ؟ لقد اخطأ الابن الاصغر عندما استدعي للتعرف على المصاب الميت الذي تطابق أوصافه أوصاف شقيقه ، حتى الوشم الذي يظهر على ذراعه اليمنى ..

وبكت الام ، كما لم تبك من قبل في حياتها .. قالت وهي تعود الى جثة الشاب المسكين المسجاة امامها ، والذي قضت الليل كله تبتهل الى الله ان ينقذ حياته : « ان حزني لموت هذا الشاب الذي لا اعرفه لا يقل عن فرحي بعودة ابني الي .. سأظل اذكر هذه الاصابع التي قضيت الليل كلها معها اصلي لها ومن اجلها .. لن اندم ابدا على تلك الساعات الطويلة التي قضيتها بجانبه كأنها دهر .. مسكين هذا الشاب ، ليتني استطعت ان افعل شيئا لاهب له الحياة » ! ■

● وقعت حوادث هذه القصة في لندن .



بقلم : الدكتور محمد ابو شوك

■ لاشك ان كثيرا من الناس يعرف الكثير عن هذا المرض ، وما اكثر ما يتحدثون عنه في مجالسهم ، وخصوصا بعد ان اخذت نسبة هذا المرض تزداد عاما بعد عام ، وكان لهذا المرض من الاهمية ما حدا بمنظمة الصحة العالمية الى ان تجعل شعارها هذا العام « حياة طبيعية لمرضى السكر » ، وهي ترمي من وراء ذلك الى التوعية الصحيحة لهذا المرض وما يكتنفه من اسباب حدوثه ، والوقاية منه ، وطرق العلاج الصحيحة ، وبذلك يمكن لمريض السكر ان يعيش حياة سعيدة كلها نشاط لا يختلف عن نواحي انشطة سائر بني البشر الاصحاء .

وقد ذهبت المنظمة الى توكيد ان بالعالم زيادة متواصلة في مرضى السكر ، والتحدث فيما ينتج عن هذه الزيادة من خلق مشاكل عدة لمرضى السكر . وقد لفتت المنظمة انظار الناس الى ان هذا العام هو عام الذكرى الخمسين لاكتشاف « الانسولين » ذلك العقار الذى كشفه العالمان بانتنج وبست Banting and Best فانقذا به الالوف المؤلفة من مرضى السكر في هذا النصف قرن الماضي من الزمان .

تاريخ المرض

ومرض السكر معروف منذ القدم . فقد وجد وصف للمرض على صفحة من صفحات البردي منذ (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد عند قدماء المصريين وعرفه الاغريق واعطوه اسم Diabetes ومعناه الانسياب في الانابيب ، واكتشفه الصينيون عن طريق تذوقهم للبول . ووصفه الطبيب الهندي سشروتا عام (٥٠٠) قبل الميلاد بانه افراز البول العسل مع اعراض الظمأ ، والنفس الكريهة والشهية النهمة والوهن والاعياء .

ثم تعرض له الرازي ، وابن سينا ووصفاه خير وصف ، وتوالت الابحاث في هذا المرض الى ان اكتشف الانسولين عام ١٩٢١ . ثم في سنة ١٩٥٣ اكتشفت العقاقير التي تؤخذ عن طريق الفم للنزول بنسبة السكر في الدم الى النسبة الطبيعية .

الأسباب

المعروف حتى الآن ، ان المرض ينتج عن نقص في افراز مادة الانسولين التي تساعد على تمثيل السكر الناتج ، فاذا نقص الانسولين فان تحول

هذه المواد يقل ، وبالتالي ترتفع نسبة سكر الجلوكوز في الدم عن حده الطبيعي ، والمستوى الذي يبقى في الدم دون تسربه الى البول ، فلا يجد بدا من ان ينزل في البول ، مسببا البول السكري .

واحب ان انوه هنا عن السكري الكاذب ، الا انه في هذه الحالة تكون قدرة الكليتين على ابقاء سكر الدم اقل من المستوى ، فينزل سكر الجلوكوز في البول — مع ان نسبة جلوكوز الدم طبيعية — وهذا لا يعني ان الشخص مصاب بالسكري — ولو ان مثل هذا الشخص يجب ان يبقى تحت الملاحظة اذ وجد ان عددا من هؤلاء ربما يصاب بمرض السكري الحقيقي .

عامل الوراثة

وهو من العوامل المهمة في حدوث مرض السكر خصوصا عند صغار السن — فاذا تزوج مريض مصاب بالسكري بسيدة مصابة بهذا المرض ، فان نسبة كبيرة من اولادهما تصاب بالسكري .

لذا كان من الواجب ان يتأكد كل من يتزوج من خلو من يتزوجها من مرض السكري ، او من ان هناك تاريخا لهذا المرض في اسرتها — وما حبذا لو قل عدد التزاوج في العائلة المصابة بمرض السكر، لان التقيد بهذا يقلل من عدد المصابين بهذا المرض — ولعل هذا التوارث هو ما سبب زيادة في نسبة المصابين في هذه الايام .

السمنة

والسمنة التي يعتقد البعض انها دليل الصحة — تكون في معظم الحالات سببا لمضاعفات عدة منها مرض السكري — ولذلك وجد ان كمية انسولين الدم طبيعية في بادئ حدوث مرض السكري عند ذوي السمنة المفرطة — الا ان الخلايا التي تفرز الانسولين تكبر ويزداد افرازها — ويزداد تبعا لذلك خزن المواد الدهنية ، فاذا امتلأت مخازن الجسم بالدهن فاض ما يزيد عن السكر في الدم ونزل في البول . فاذا ظل اجل صاحب السمنة المفرطة ولم يحاول ان ينقص من وزنه الى الوزن الطبيعي فان الخلايا التي تفرز الانسولين يصيبها الارهاق ويحدث بها ضمور ، وبالتالي تقل نسبة الانسولين في الدم ويظهر مرض السكري الحقيقي.

حتى ولو حاول عندئذ صاحب السمنة المفرطة ان ينقص من وزنه ، فاننا نراه يحتاج الى الانسولين او ما شابهه ليعوض النقص الذي حدث له — من هنا تتضح اهمية السمنة في حدوث مرض السكري، وكيف انه بتلافيها في اول الامر نقي انفسنا هذا المرض .

الالتهابات الحادة

يلاحظ انه في حالة احتمال حدوث مرض السكري عند شخص — اي في حالات الاستعداد — او حالات ما يسمى بالسكري الخفي ، انه اذا حدث التهاب شديد للشخص او عدوى ميكروبية ، ظهرت عليه علامات المرض — وظهر السكر في البول — وهذا هو ما نسمع عنه من ان فلانا اصيب بالسكري وشفي منه — لعل ذلك يكون راجعا لانه بولغ من الالتهاب الذي جعل يختفي السكر من البول الى حين — ثم يظهر ثانية عند اصابته بأي التهاب آخر ، او يظهر في سن معينة — اي بعد الخمسين او الستين . الا ان ٨٠٪ من حالات المرض تظهر بعد سن الخمسين ، وان اعلى نسبة لحدوث حالات جديدة تلاحظ بين سن الستين والسبعين .

الاضطرابات النفسية — والصدمات النفسية

كما تسبب ظهور مرض السكري في الاشخاص الذين عندهم استعداد للمرض او المصابين بمرض السكري الحقيقي ، ولعل ذلك يرجع الى اضطرابات في الغدد الصم الاخرى — فتفرز هرموناتها — اي افرازاتها المضادة للانسولين ، فتعاكس عمله وترتفع نسبة السكر في الدم — واذا زالت مثل هذه الاضطرابات فان السكر يختفي من الدم والبول ، ليظهر مرة اخرى بعد مضي مدة ، او عندما يتعرض الشخص لنوبة عصبية اخرى ، كما ان مثل هؤلاء لو تعرضوا الى اجراء عملية جراحية ، فان المرض يظهر عليهم وقد يختفي بعد العملية .

الحمل

ويمكن وضع الحمل تحت عنوان الاضطرابات السابق ذكرها .



مرض السكر قد يؤدي الى العمى ، والمداومة على العلاج تنقذ المريض من هذا المصير المؤلم
(صورة خاصة من منظمة هيئة الصحة العالمية)

فقد يحدث مرض البول السكري الخفي (اي الذي لا تبدو مظاهره الا في ظروف خاصة) الا اننا نلاحظ في بعض العوامل ظهور المرض ، الذي يختفي بعد الوضع ، او الاجهاض المتكرر .

امراض الغدد الصماء الاخرى

مثل امراض الغدة النخامية والغدة الكظرية والعلاج بمستحضرات الكورتيزون كلها تسبب ارتفاعا في سكر الدم وظهور سكر الجلوكوز في البول — واذا زالت هذه المسببات زال المرض شريطة ان لا يكون المرض قد استمر لمدة طويلة ، مما يكون اثر على الخلايا التي تفرز الانسيولين وسبب ضمورها . ففي هذه الحالة يتحول الشخص الى مريض بالسكري من النوع الحقيقي .

على انه يجب ان نراقب باهتمام هؤلاء الذين عندهم استعداد للمرض — لعلنا نقيهم شر حدوثه — او على الاقل نكتشفه مبكرا ، ونعالجه مبكرا ، ولا نتركهم الى ان يحضروا الينا بمضاعفات المرض التي تكون خطرة في بعض الاحيان .

ومن هؤلاء : اصحاب السمنة المفرطة ، او من ولد من ابوين مصابين بالمرض او من اب مصاب بالمرض وام لها تاريخ المرض في عائلتها ، او سيدة تلد اطفالا باوزان عالية تفوق ٤/١ كيلوجرامات ، او اشخاص يظهر عليهم المرض بعد تعرضهم لصدمات نفسية او بعد العلاج بمركبات الكورتيزون او مدرات للبول — او السيدات اللاتي يظهر سكر الجلوكوز في بولهن اثناء الحمل . او كل من يظهر سكر في بوله في اي مرحلة من مراحل حياته .

الى كل هؤلاء نسدي النصح ليكونوا على صلة دائمة بطبيبهم ويفحصوا البول او الدم من آن الى آخر ، ليكتشف عن المرض فيهم مبكرا — فيسهل علاجهم ، ولا يتعرضوا لاي مضاعفات ويعيشوا عيشة عادية كبقية افراد المجتمع ، ويمارسوا اعمالهم بكل جد ونشاط لا فرق بينهم وبين الاصحاء .

الاعراض

مما يسترعي انتباه الاطباء انه في معظم الحالات لا تظهر اعراض على المريض التي يشكو منها في مبادئ المرض ، وربما اكتشف المرض — اذا ان له ان يكتشف مبكرا عند فحص المريض بسبب مرض آخر — او عندما يذهب للكشف عندما يعين في وظيفة او عمل — او عند دخوله المستشفى بسبب مرض آخر ، او لاجراء عملية او عندما يؤمن على حياته — وكثيرا ما تحدث الطرائف عندما يحضر شخص لمصاحبة مريض او يطلب ان يفحص بوله هو الآخر فيتضح انه هو الذي يعاني من مرض السكري ، حتى انه في بعض الحالات لو ظهرت اعراض على المريض فانه يؤجل ذهابه الى الطبيب لانه يؤول تلك الاعراض الى اسباب اخرى .

والاعراض التي تحدث هي كثرة التبول — عددا وكمية — والقيام في الليل للتبول . وينتج ذلك زيادة رغبة المريض للشرب بكميات كبيرة — واذا تاخر عن ذلك احس بالعطش الشديد — مع جفاف في الحلق — يحضرني في ذلك مريضة جاءت تشكو من ثقل في لسانها ومن كثرة الجفاف في حلقها ،

وخافت ان تفقد القدرة على الكلام ، فاكتشف مرض السكري فيها .

ثم في بعض الحالات يحدث نقص في الوزن رغم زيادة الكمية التي يتناولها المريض من الاطعمة ، ويحس المريض بارهاق شديد عند قيامه بأي مجهود عضلي كان لا يؤثر عليه قبل ذلك .

على انه في بعض الحالات الاخرى ربما اهمل المريض هذه الاعراض مؤولها الى اسباب اخرى — كما قلت وما اسهل ما يعوز الشخص اي مرض خصوصا اذا كان بجواره من يزيد في اهماله واستهانته — وما اكثر ما يسمع المريض من شخص آخر ، ويحضر الى الطبيب بمضاعفات المرض .

واذا كان الاهمال رائد مريض السكري ولم يعر نفسه اي اهتمام فانه يحضر الى طبيبه او الى المستشفى بمضاعفات المرض ، وهي اما ان تكون هينة ، ويكون ذلك من حظه ويكتشف مرضه ، او تكون خطرة ربما ادت الى عواقب وخيمة . ولعلني اكون منصفا لو وصفت الحقيقة سافرة حتى لا يقال انني اخيف مرضى السكر او اهون من الامر عليهم — وكل ما ارجوه من ذلك هو ان يعلن كل مريض بالسكري ليعرف متى يكون المرض سهلا طوع العلاج ، ومتى يكون صعبا يودي بصاحبه .

المضاعفات

التهابات بالجلد خصوصا تلك الالتهابات التي تؤثر على الاعضاء التناسلية وتحت الابطين والثديين ، اي في الاماكن التي تتعرض للعرق الشديد وتكون صيرها خصبا للميكروبات ..

وكذلك الالتهابات الميكروبية التي تصيب الرئتين مثل التهاب الشعب الهوائية المزمن او السل الرئوي .

ولعل السبب الرئيسي لحدوث مثل هذه الالتهابات بكثرة عند مرضى السكري هو ضعف مقاومة الجسم لهذه الميكروبات .

تأثر الاعصاب

ومريض السكري يحضر الى طبيبه يشكو من تأثر الاعصاب بهذا المرض خصوصا ولن يكون قد مضى وقت عليه دون ان يعرف ذلك ويعالجه — ويكون ذلك عبارة عن تنميل ، والشعور بخدود في الاطراف والاصابع — او حرقة في القدمين — ويحس المريض وكأنه يمشي على قطن وربما ازداد هذا التأثر الى الشعور بألم وتقلص في العضلات ويصحب ذلك ضعف في العضلات وعدم القدرة على الحركة . وربما احتاج المريض الى من يساعده ويتكىء عليه في المشي . وكثيرا ما يصاحب هذه الآلام العضلية ارق في الليل فيزيد من اجهاد المريض .

واذا تأثرت الاعصاب السمبثاوية والباراسمبثاوية فينتج عن ذلك الضعف الجنسي الذي يشاهد في الرجال والبرود الجنسي في النساء — ومع تمدد المثانة وسلس بالبول . ثم تأثر الامعاء وما يصحب ذلك من اسهال خصوصا في الليل . وكثيرا ما يشاهد في هؤلاء المرضى تقرحات ، خصوصا في القدمين تتعمق كثيرا لفقدان الحس بها وعدم التئامها بسرعة .

وفي بعض الحالات تتأثر اعصاب العينين فتتأثر تبعا لذلك عضلاتها ، ويحدث بها شلل مؤقت بسبب الرؤية المزدوجة عند هؤلاء المرضى .

تأثر الشرايين

بمرور الوقت على مرضى السكري الذين لا يتعالجون او الذين يهملون في العلاج ، يكون تأثر الشرايين المختلفة في الجسم — فتتأثر شرايين الاطراف مما يؤدي الى انسدادها مسببة في بادىء الامر الآلام الشديدة التي تحدث عند المشي خصوصا في بطن الرجلين ، والتي تزول بالراحة وتعاود المريض عند المشي . ثم انسداد شرايين المخ — مسببة بذلك الفالج المعروف — او ضيق شريان تاجي القلب ، وما يصحبه من نوبات ذبحة صدرية ، او انسداد تام به مسببا مرض الجلطة القلبية المعروفة التي تودي بحياة المريض في بعض الاحيان .

البصر

وكما يعرف الجميع — كثيرا ما يتأثر مرضى السكري ، ففي بادىء الامر تتأثر العدسة تبعا

لارتفاع وانخفاض السكر في الدم فيضطرب بذلك البصر وتتغير قوة البصر من آن الى آخر – وفي الحالات المتقدمة ربما تحدث عتامات بالعدسة – وعندما تكتمل هذه العتامة فانها تؤثر على البصر ويحتاج المريض لازالتها لكي يرى – وفي بعض الحالات يزداد ارتفاع ضغط العين مسببا الماء الازرق المعروف . او تتأثر الاوعية الدموية وربما يحدث نزف داخل العين او تنفصل الشبكية ويفقد المريض بصره .

تأثر الكلى

كثيرا ما يحدث – نتيجة لالتهاب مجرى البول بالميكروبات والتي غالبا تتكرر ويكون نتيجة لذلك التهاب الكلى المزمن وما يصحبه من زلال في البول وتورم الجسم وارتفاع في ضغط الدم والمضاعفات التي تتبع ذلك .

وكثيرا ما نقابل في المستشفى لاول مرة مريضا لا يعرف ان عنده سكرا ويحضر بغيبوبة سكرية نتيجة لارتفاع سكر الدم وما يتبع ذلك من ارتفاع في المواد الكيتونية الناتجة من نقص في تمثيل المواد الدهنية ، وظهورها على هيئة اسيتون في البول ويسبق هذه الغيبوبة اعراض الامراض التي تزيد من سكر الدم كالالتهابات في جهاز البول او الصدر مع كثرة التبول والاحساس بدوخة وغثيان وصداع وقيء شديد ويتبع فقدان السوائل جفاف في الجلد واللسان والتلهف على التنفس ، وآلام شديدة في البطن ، والهياج وعدم الاستقرار ثم في النهاية تكون الغيبوبة مصحوبة بجفاف في جميع اجزاء الجسم – وعمق في التنفس مع رائحة خاصة تخرج في التنفس من الفم .

وتحليل البول نراه يحتوي على كمية عالية من السكر مع الخلون او الاسيتون مع ارتفاع شديد في نسبة سكر الدم وربما تصل الى ٥٠٠ – ٦٠٠ مليجم او اكثر .

المشاكل التي تواجه مريض السكر

والمشاكل هذه اصبحت تواجه كل مصاب بالسكر سواء كان رجلا ام طفلا ام امرأة .



في المخيم بالقرية بالمانيا الغربية اشتركوا في علاج الاطفال المصابين بالسكرى وتعليمهم كيف يعيشون حياة طبيعية مع مرضهم بالسكر . وبالرغم من صغر سن هؤلاء الاطفال الا انهم اصبحوا الآن يقومون بتحليل بولهم بانفسهم لمعرفة نسبة السكر في البول، وذلك كجزء من تعايشهم مع المرض . (صورة خاصة من منظمة الصحة العالمية)

في حالة الطفل الذي يصاب بمرض السكرى فان اصابته هذه تكون ناتجة عن سبب وراثي – ويلاحظ المرض في هؤلاء الاطفال عندما يكثر تبولهم خصوصا بالليل مع كثرة شرب الماء ، او نقص في الوزن مع هزال وضعف شديدين ثم كثرة الاكل دون زيادة في الوزن. هذه الاعراض تستدعي التحقيق في الحالة وتشخيصها مبكرا خوف حدوث المضاعفات . كثيرا ما تحدث في الاطفال غيبوبة السكر – والتي تأتي على شكل حاد – آلام شديدة في البطن مع قيء وجفاف شديد بالجسم ، ثم

شبوبة ووجود سكر مرتفع بالدم والاسيتون في البول وكذلك تكون مشكلة العلاج ، فهناك صعوبة في تقيد الطفل بالنظام الغذائي الخاص ومحاولة الطبيب واهل الطفل المريض على ان يحيا الطفل حياة طبيعية لينمو جسميا وعقليا - مع الحرص على عدم الافراط في تعاطي المواد السكرية والنشوية - ثم تعليمه كيف يحقن نفسه - وتوعيته التوعية الكاملة عن مرض السكري - من ناحية كنه المرض - مضاعفاته - والعناية الفائقة بصحته والذهاب الى طبيبه عند ظهور اعراض لاي مرض مهما كانت ضئيلة . ليمكن لطبيبه درء اي خطر من الممكن ان يحدق به .

ونصيحتي لآباء هؤلاء الاطفال المرضى ان يجعلوا

مريض السكر في حاجة الى ان يتعلم كيف يحقن نفسه بالانسولين وفي الصورة ممرضة تساعد ... مرضى السكر ... صورة خاصة من منظمة الصحة العالمية .



منهم رجالا غير معقدين بسبب مرضهم مع الحرص الشديد على ان لا يفتوا لهم الحبل على الغارب ، فاكثروا ما يشاءون بل الحذر في تناول الاطعمة النشوية والسكرية مع اخذ العلاج بدقة والسماع لنصح الطبيب - وما حبذا لو حمل كل طفل مصاب بمرض السكر بطاقة في جيبه تشير الى ذلك والمكان الذي يعالج فيه، فلربما لا يسلم من الحوادث، وتكون مثل هذه البطاقة عونا كبيرا للطبيب المعالج في تشخيص المرض وعلاجه .

وعند الرجال فالمحنة

الضعف الجنسي - مشكلة يواجهها مريض السكر - خصوصا اذا اهمل علاجه - وكثيرا ما تكون سببا في فصم عرى الاسرة . ويجب على مريض السكر ان يصارح طبيبه بذلك - لا ان يتمادى في محنته ويضع اللوم على زوجته من انه اصبح لا يميل اليها ولا تميل اليه - ويهجرها او يطلقها فتزداد المشاكل ويطفح الكيل وتنفصم عرى الاسرة ويتبدد شملها .

واما المشاكل التي تواجه الرجل عندما تحدث له المضاعفات فتقعده عن العمل او تفقد العائلة من يعولها فهذه الاسرة التي تحتاج الى معونة - ومن هنا كان الواجب نشر الوعي بين مرضى السكر ليشكلوا لهم جمعية خاصة كما هو متبع في بعض البلاد الاوربية والعربية ، وبشا نذر لهم ، وذلك مقابل اشتراك سنوي وتقدم هذه الجمعية المساعدة الى الاعضاء الذين لا يمكنهم ان يعولوا اسرهم ، ونشر الوعي الصحي والتعاون بينهم بما في ذلك عدم التزاوج بين الاسر التي يعرف انها مصابة بالسكري . بذلك تقل هذه المشاكل الاجتماعية ولا يكون مريض السكري عالة على المجتمع الذي يعيش فيه .

العلاج

لقد سبق ان اخذت هذه النقطة بعين الاعتبار وبتوسع كبير من الاطباء والاخصائيين في اعداد العربي السابقة ، ولكن ارى من الواجب ان اذكر القراء بالقواعد الثابتة في العلاج .

فالعلاج يرتكز على ثلاث دعائم ، الدعامة الاولى

الحمية . والدعامة الثانية العلاج بالانسولين والمركبات التي تستعمل بالفم ، والدعامة الثالثة هي علاج المضاعفات .

الدعامة الأولى الحمية

فمريض السكري له غذاؤه الخاص – وكل مريض سكري يختلف عن اخيه ولا داعي مطلقا لان يقول هذا المريض لماذا انا آكل هذا وذاك يأكل الطعام الآخر علما بأننا نعاني من نفس المرض – فهذا بدين وذاك متوسط الوزن والآخر نحيف كل يريد غذاءه الخاص – فالبدين يحتاج الى غذاء يقلل من وزنه ، والنحيف على الجانب الآخر يحتاج الى غذاء يزيد من وزنه .

ولا داعي مطلقا لان يأخذ مريض السكري جانبا بعيدا عن المائدة ويكلف عائلته ما لا تطيق او يكون طعامه مختلفا كل الاختلاف . او يحس بأنه مختلف عن باقي الاسرة .

بل يختار من الطعام ما يلائمه وما هو موصوف له محددا كمية النشويات والسكريات حسب حالته .

واحسن نظام للأكل يتبعه مريض السكر ان يعرف قيمة السعرات في كل ما هو متناول للأكل ثم كمية النشويات او السكريات فيها ويختار لنفسه طعاما يلائمه – كم سعرا يريد في اليوم – وكمية النشويات ويحدد لنفسه الوجبات بالتقريب ثم يغير فيها حسب ما يشتهي بحيث لا يكلف نفسه ما لا تطيق ، ولا تكون وجباته على وتيرة واحدة يسأمها ويسأم الحمية معها .

واذا ما اعتاد الانسان على تقدير الاطعمة رأى ان الطريقة تصبح سهلة عليه وسرعان ما يتعود عليها .

الدعامة الثانية

هو علاج نقص الانسولين بتعويض الجسم بهذا الهرمون – وهو على اشكال عدة ويظهر في السوق من آن الى آخر انواع مختلفة منه – ويعطى بالحقن – وتعتمد الكمية على تقدير الطبيب .

والحبوب كذلك على انواع عدة وشتى وتظهر اصناف منها من آن الى آخر ، وأمرها ايضا متروك للطبيب المعالج .

الدعامة الثالثة

هي علاج المضاعفات عند حدوثها وهو امر هام للغاية اذ انه اذا تركت لفترة طويلة عسر علاجها بل كانت عواقبها وخيمة وهي كما اوضحت عديدة وتحتاج لتغيير نوع العلاج – ففي معظم الاحوال يحتاج المريض الى ان يعود مرة ثانية الى الانسولين الذي على ثلاث دفعات يوميا . مع اعطائه المضادات الحيوية – وعلاج الاسباب التي ادت الى هذه المضاعفات ولا يتأخر مريض في عرض نفسه على طبيبه لو احس بأي مرض فان ذلك يسهل عليه حدة مرضه ويسهل امر علاجه وبالطبع الوقاية من هذه المضاعفات خير من علاجها وتأتي الوقاية من اتباع العلاج السليم دون السماع الى من يدعون الطب ، وترك نصائح الاطباء – ثم اتباع الحمية الخاصة ، والعرض على الطبيب من آن الى آخر .

ولما كانت الاقدام تتعرض كثيرا لمثل هذه المضاعفات فيجب على مريض السكري العناية بها اشد العناية ، فينظفها بالماء والصابون ويمسحها بالكحول او الكولونيا – ولا يعرضها للمخاطر – مثل لبس الاحذية الضيقة او الواسعة او قص الاظافر وجرح موضعها او لبس الاربطة الضاغطة التي تضغط على اوعية القدمين او تعرضها للحرق دون شعور المريض لقلة الحساسية فيها ، وما يتبع ذلك من مضاعفات شديدة .

ومن هذا يتضح لنا جميعا ان قصة السكر قصة طويلة ، وما زالت الابحاث تجري في انحاء العالم للوصول الى حقيقة هذا المرض الذي تنتشر معالمه ولعل الايام تخفي بين طياتها الكثير عن هذا المرض ، ولعل الاكتشافات توصلنا يوما الى سببه المباشر وعلاجه العلاج القاطع ، حتى يهنأ مريض السكري ويعيش عيشة سعيدة كثيرة من الاسعاد . ■

محمد محمد ابو شوك

رئيس قسم الامراض الباطنية
بالمستشفى الاميري – الكويت

أنت تسأل .. ونحن نجيب

الدراسات العلمية في الجامعات العربية

● قرأت في أن الجامعات البريطانية تعاني نقصاً في الأساتذة والمدرسين للمواد العلمية والتكنولوجية بها وقد عرفت الصحف التي نشرت الخبر هذا النقص بحوالي ١٧ مدرس وأستاذ، وسبب هذا النقص إلى زيادة إقبال الطلبة والجامعات على دراسة المواد النظرية وعدم إقبالهم على دراسة المواد العلمية، فهل هناك إحصائيات من العالم العربي بالنسبة لهذه المشكلة.

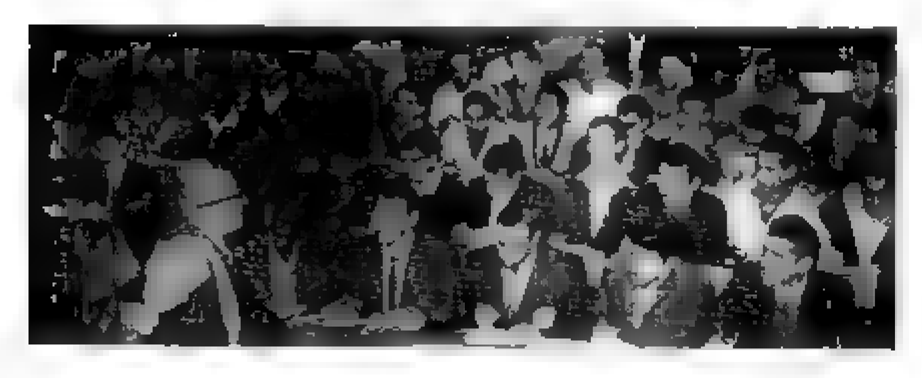
ملك عريشي ـ دمشق

ـ يعاني العالم العربي بمختلف بلاده من نفس هذه المشكلة التي تعاني منها الآن الدول المتقدمة ومنها بريطانيا كما ذكرت في سؤالك. ولعل أبلغ دليل على ما يعانيه العالم العربي من زيادة إقبال الطلبة على دراسة المواد النظرية وعدم إقبالهم على الدراسات العلمية هو الأرقام والإحصائيات التي تبين عدد الطلبة في كل كليـة من كليات الجامعات العربية المختلفة ونذكر لك هنا بعض الأمثلة من الأرقام التي توفرت لدينا وهي أرقام تعود إلى عام ١٩٦٨. ففي العراق مثلاً يوجد في جامعة بغداد ٢٠٫٠٦٦ طالب من بينهم حوالي ٦ آلاف طالب فقط يدرسون الطب والهندسة والطب البيطري وطب الأسنان والعلوم والصيدلة. بينما الباقي يدرسون في كليات نظرية.

وفي ليبيا هناك ٩٤٠ طالباً في كليـة الآداب، و ٣٠٢ في كلية الحقوق و ٢٨٧ في كلية التجارة بينما لا يزيد عدد طلبة كلية العلوم عن ٢٩٧ وعدد طلبة كلية الزراعة عن ٩٨.

وفي تونس يبلغ عدد طلبة الجامعة بها ٧٨٤٨ طالب أغلبهم يدرسون دراسات نظرية ودينية في الزيتونة (كلية الشريعة).

وفي جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية ويبلغ عدد الطلبة بها ١٣٥٢ فإن نسبة من يدرسون المواد العلمية لا تتعدى ١٥٪ من عدد الطلبة، وفي جامعة الكويت بلغ عدد الطلبة بها ١٩٨٨ من بينهم ٣١٢ فقط يدرسون المواد العلمية في كلية العلوم بينما الباقون موزعون على بقية الكليات النظرية،



اي ان نسبة من يدرسون العلوم لا تزيد عن ١٥٪ من مجموع عدد الطلبة .

وفي الجمهورية العربية المتحدة كان عدد طلبة الكليات النظرية في مختلف الجامعات يبلغ عام ٦٠/٦١ ـ ٥٨٢٧٥ طالبا مقارنا بـ ٢٤٠١٧ طالبا في الكليات العلمية من نفس العام . وفي عام ٦٦/٦٧ اصبح مجموع طلبة الكليات النظرية في مصر ٧٢٩٢٨ طالبا ومجموع طلبة الكليات العملية ٦٦٩٢٩ طالبا .

اي ان نسبة عدد الطلبة الذين يدرسون في الكليات العملية قد تضاعفت تقريبا في عام ٦٦/٦٧ عنها في عام ٦٠/٦١ .

ومن هذه الارقام نستخلص ان العالم العربي يعاني من مشكلة عدم توفر الطلبة الذين يطلبون الدراسة العلمية والتكنية في حين يعاني من فائض في طلبة العلوم النظرية وان بعض البلاد العربية قد بدأت في تشجيع دراسة المواد العلمية بها ولكن لم تصل بعد الى درجة كافية للقضاء على المشكلة .

(م . ط)

التضخم المالي في امريكا

يهدد بتخفيض قيمة

الدولار الامريكي

● كتب بحثا اقتصاديا مهما في عدد ابريل من مجلة « العربي » عن ظاهرة التضخم في الدول المتقدمة والنامية على السواء ، كتبه الدكتور [illegible] ، والان يتحدث [illegible] عن احتمال تخفيض قيمة الدولار الامريكي [illegible] الولايات المتحدة ، وهي الدولة الغنية الكبرى من حماية عملتها حتى تضطر اضطرارا الى [illegible] في [illegible] بريطانيا وفرنسا وغيرهما من الدول ، التي اذا تمسكت بها ، [illegible] الامريكيون [illegible]

محمد حسن/العراق

ـ الواقع ان ظاهرة التضخم في امريكا اصبحت اليوم تشكل خطرا كبيرا على اقتصاد الولايات المتحدة فلقد ظلت امريكا تعاني من تضخم مستمر اي ارتفاع دائم في اسعار السلع ، وبالتالي هبوط في القيمة الشرائية للدولار ، طوال الثلاثين عاما الماضية .

ولقد ادى استفحال هذا الخطر الى دراسة الاوضاع الاقتصادية في تلك البلاد دراسة دقيقة لمعرفة الاسباب المباشرة لهذه الظاهرة . وفي تقرير اعده الخبير الاقتصادي الامريكي الكبير هاري براون Harry Brown منذ بضعة اشهر مضت ، جاء ان امريكا سوف تواجه كارثة اقتصادية كبرى تفوق في خطورتها الانهيار الاقتصادي الذي حدث في عام ١٩٢٩ .

ولقد دعا براون المواطنين الامريكيين الى الحد من الانفاق ، والاقتصاد ، واستثمار اموالهم ، وكلها اجراءات تهدف الى وقف الارتفاع المخيف في الاسعار طبقا لنظرية العرض والطلب ، بل انه ذهب الى ابعد من هذا فنصح المواطنين بتحويل ثرواتهم الى سبائك من الفضة واسهم في مناجم الذهب .

وفي الوقت نفسه اعلن مدير مصرف فيرست ناشيونال سيتي بنك First National City Bank في مدينة شيكاغو الامريكية ان خفض قيمة الدولار اصبح امرا لا مفر منه ، وقال ان هناك

٤) الف مليون دولار محجوزة في الخارج ، ومن بينها ١٦ الف مليون دولار لدى البنوك المركزية للدول الاخرى ، التي تستطيع اذا شاءت ان تطالب وزارة الخزانة الامريكية بمبادلتها بالذهب في اية لحظة ، بينما لا تزيد سوق الذهب في السوق النقدية في الولايات المتحدة عن ١١ الف مليون دولار ، بينما كانت ١٨ الف مليون دولار منذ عشر سنوات .

وختم مدير البنك حديثه بقوله ، انه لن ينقذ امريكا من مأزقها تخفيض قيمة الدولار ، الا النوايا الطيبة لشركائها ، ويعني بذلك دول اوربا ، بامتناعهم عن تقديم ارصدتهم من الدولارات الى الخزائن الامريكية لاخذ قيمتها ذهبا .

ولكن بعض الدول الاوروبية قد صارحت الحكومة الامريكية بانها سوف تضطر حتما الى زيادة مطالبها من الذهب ، اذا لم يتوقف التضخم المالي في امريكا ، بل لقد قامت الحكومة السويسرية بالفعل باستبدال ما يعادل ٧٠ مليون دولار بالذهب الامريكي خلال الاربعة اشهر الاخيرة من العام الماضي ، مما ادى الى تدعيم مركز الفرنك السويسري .

ولم تجد الحكومة الامريكية ازاء هذا الموقف العصيب الا ان تتخذ عدة اجراءات تستهدف الحد من الانفاق ، وخروج الدولار بكميات من شأنها ان تقلب ميزان المدفوعات ، ففرضت قيودا على العديد من السلع المستوردة ، وفي الوقت نفسه حددت مقادير المبالغ التي يسمح بتحويلها للسائحين الامريكيين الذين يرغبون في قضاء عطلاتهم خارج البلاد ، وكانت في الماضي لا حدود لها .

(م . ص)

قبر الامام الحسين

● أين استشهد سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب وأين دفن ؟ .

علي صالح عبد الرحمن الفلسطيني ـ جدة

ـ كان استشهاد الامام الحسين يوم الجمعة يوم عاشوراء من المحرم سنة ٦١ من الهجرة ، على اصح الاقوال ، وكان ذلك بمكان من الطف يقال له كربلاء من ارض العراق ، اما جثمانه الطاهر فبمكان من الطف عند نهر كربلاء ، وذكر الطبري ان موضع قتله عفي اثره حتى لم يطلع احد على تعيينه بخبر .

اما رأسه الشريف فحمل الى عبيد الله بن زياد بالكوفة، ثم اختلف العلماء بعد ذلك : هل سيّره الى يزيد بن معاوية بالشام او لم يسيره . والاشهر القولين انه سيره اليه مع النساء والاطفال . ثم قيل ان يزيد بعث به الى عمرو بن سعيد نائب المدينة ، فدفن عند امه فاطمة الزهراء بالبقيع . وهناك رواية اخرى تذكر ان يزيد بن معاوية وضع الرأس في خزانة له ، وما زال فيها حتى توفي يزيد ، فاخذ من خزانته فكفن ودفن داخل باب الفراديس بمدينة دمشق وصار يعرف مكانه بمسجد الرأس .

كما قيل ان يزيد نصبه بدمشق ثلاثة ايام ، ثم وضع في خزائن السلاح ، حتى كان زمن سليمان ابن عبد الملك ، فجيء بالرأس اليه ، فكفنه وطيبه وصلى عليه ودفنه في مقبرة المسلمين ، فلما جاء العباسيون نبشوه واخذوه معهم ، ولم يعين ابن كثير في روايته لهذا الخبر عن ابن عساكر اين دفنوه ..

ثم قال ابن كثير « وادعت الطائفة المسمون بالفاطميين الذين ملكوا الديار المصرية ان رأس الحسين وصل الى الديار المصرية ودفنوه بها وبنوا عليه المشهد المشهور به بمصر .. وقد نص غير واحد من ائمة اهل العلم على انه لا اصل لذلك ، وانما ارادوا ان يروجوا بذلك ادعاءهم النسب الشريف ، قال ابن كثير : قلت : والناس اكثرهم يروج عليهم مثل هذا ، فانهم جاءوا برأس فوضعوه في مكان هذا المسجد المذكور وقالوا هذا رأس الحسين فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك ، والله اعلم » .

فانت ترى ان الخلاف في موضع رأسه الشريف قديم وكل يدعي شرف الظفر ببركة وجوده عنده .

(ع . ف)

بنـامـا

قناتها القديمة والحديثة

● مر ما مضى من عزم الولايات المتحدة على شق قناة جديدة في البرزخ الذي يصل بين امريكا الجنوبية وامريكا الشمالية يسهل على امريكا ان يصل بعضها الشرقي على المحيط الاطلسي ببعضها الغربي على المحيط الهادي . لم نسمع عن القناة بعد ذلك شيئا .. فما الذي حدث ؟

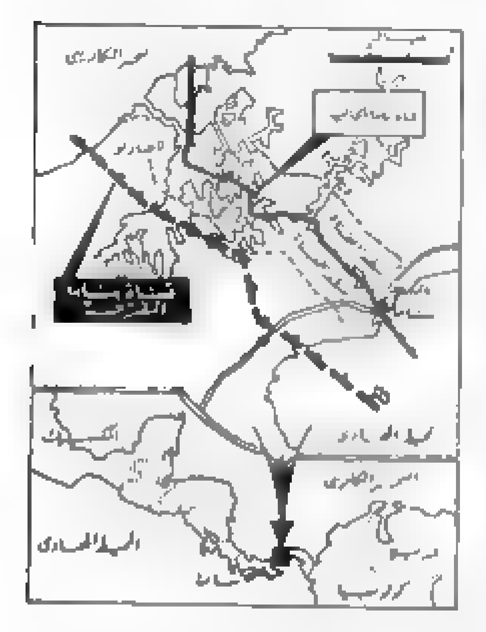
سامي محمود ـ طرابلس

ـ الولايات المتحدة الامريكية لم تتردد بعد انشاء قناة بناما الثانية . وكل ما رددته الاذاعات ووكالات الانباء في اواخر السنة الماضية في هذا الصدد هو ان التقرير الخاص بهذه القناة الثانية قد اكملت اعداده اللجنة المختصة ، وهو الآن موضع دراسة حكومة واشنطن .

وقد كانت اللجنة المختصة قد سبق ان باشرت اعمالها في عهد الرئيس الامريكي السابق جونسون . فقد ثار اهل بناما انذاك على النفوذ الامريكي القائم في بلادهم . ودخل الرئيس جونسون في مفاوضات مع اصحاب البلاد ، في سبيل تعديل المعاهدة الخاصة بقناة بناما . الا انه لم يقف عند ذلك ، بل ذهب الى التفكير في امكانية انشاء هذه القناة الثانية ، في بناما او في بلد آخر مجاور . وهكذا امر الرئيس بتشكيل اللجنة التي سبقت الاشارة اليها والتي اوصت في تقريرها بانشاء قناة ثانية في بناما نفسها .

وجدير بالذكر ان قناة بناما الاولى هذه يبلغ طولها ٥٠ ميلا وبيله ويتراوح عمقها بين ٤١ ـ ٨٥ قدما ، وقد باشروا العمل في انشائها في السنوات الاولى من القرن العشرين ، وكانت جاهزة للاستعمال في صيف عام ١٩١٤ . ومما يسترعي الانتباه المنطقة المحيطة بهذه القناة والراجعة مسافة ٥ اميال على كل من ضفتيها . فهذه المنطقة النامية المعروفة باسم Panama Canal Zone والتي تبلغ مساحتها ٥٥٣ ميلا مربعا دائما تخضع للنفوذ الامريكي على نحو مباشر ، وذلك وفق المعاهدة المعقودة بين الولايات المتحدة وبناما سنة ١٩٠٣ .

على ان ثمة شيئا آخر ينبغي ذكره عن هذه القناة الاولى. فهي اعلى من مستوى سطح البحر، وتعتمد بالتالي على اهوسة القناة Locks التي ترفع السفن او تخفضها من مستوى الى آخر . ولعل هذا هو العامل الاول الذي حمل



الرئيس جونسون على التفكير في شق قناة ثانية تكون في مستوى سطح البحر ، فلا تعيق السفن التي تعبرها .

ونوجز فيما يلي بعضها للتقرير الخاص بهذه القناة الثانية المقترحة ، والذي تعكف على دراسته حاليا حكومة الرئيس نكسون .

١ ـ طول القناة ٣٦ ميلا ، وستستغرق اعمال انشاء هذه القناة ١٤ سنة . هذا على اساس العمل بالطرق العادية . فقد استبعدت اللجنة الاعتماد على التفجيرات النووية في هذا الصدد ، وذلك لاعتبارات اقتصادية واخرى تتصل بالامن .

٢ ـ اما تكاليف انشاء هذه القناة الثانية ، فتبلغ نحو ٢٨٨٠ مليون دولار .

(ك . ل)

الشهور ، شباط وآذار وما اليها ، ما أصلها ؟ ..

● [illegible] الشهور [illegible] ، [illegible] الى [illegible] ونحن [illegible] تلك الشهور [illegible] ، [illegible] شباط ، آذار ، الخ [illegible] الاولى من [illegible] الشهور [illegible]

خليل سلمان ـ لواء الاسكندرون

ـ اسماء الشهور التي تذكر ، شباط ، آذار ، الى آخر ما هنالك ، ليست عربية ، ولا نستطيع ردها الى اصولها الاولى ، ماذا كانت ام كنعانية ام غير ذلك .

على ان اسماء الشهور التي تذكر هي الاسماء التي اطلقها اليهود وما زالوا يطلقونها على شهور مواسمهم ، او بالاحرى ، على نسخة من تلك الشهور كما نستطيع ذلك في جدول تلك الشهور الكامل الذي نقدمه لك فيما يلي :

الشهور العبرية

١ ـ تشري	Tishri
٢ ـ حشفان	Heshvan
٣ ـ كيسلف	Kislev
٤ ـ تيبت	Tebet
٥ ـ شباط	Shebat
٦ ـ آذار	Adar
٧ ـ ادار ثاني	
٨ ـ نيسان	
٩	
١٠ ـ سيفان	
١١ ـ تموز	Tammuz
١٢ ـ آب	Ab
١٣ ـ [illegible]	[illegible]

وتجدر الاشارة الى ان هذا التقويم العبري قديم جدا ، اذ تعود بدايته الى حوالي القرن الثامن قبل الميلاد .

(ي . ز)

الثروات [illegible] أكبر الثروات المعدنية في الدول العربية بعد البترول

● [illegible] الشرق الاوسط [illegible] الدول العربية [illegible] من البترول [illegible] ثروات معدنية اخرى في البلاد العربية ، [illegible] لها نصيب من هذه الثروات

[illegible] ابو [illegible] ـ [illegible]

ـ في الدول العربية ، مشرقها ومغربها ، ثروات معدنية كثيرة غير البترول .. ولكن بالرغم من البحوث الجيولوجية التي اثبتت وجود عدة خامات في كثير من البلدان العربية ، الا ان معظم استغلال هذه الثروات لا تزال في خطواتها الاولى بالنسبة لهذه الدول .

ومن الاحصائيات المتوفرة لا توجد اية ارقام عن الانتاج بالنسبة للثروات المعدنية في الوطن العربي

سوى في الجمهورية العربية المتحدة والجزائر المغرب تونس

ويبين الجدول التالي بيانات المعدنية التعدين البلدان الاربعة لكويت وكمية الانتاج السنوى من كل منها بما الارض غير مستغلة تماما وستغل اساسها ، ٣٦٠ر١ طن سنويا

المادة المعدنية	الجزائر	المغرب	تونس	ج . ع . م
انتيمون	٦٥٧ طن متري	١٣٤٣ طن متري	—	—
الباريت	٢٧٥ر٢ طن متري	١٠٦٧ر٠ طن متري	—	١٥ر٠٠٠ طن
(كبريتات الباريوم وهو مستخرج مختلط)				
نحاس	١٠٠ طن	٢/٧٠ طن	—	—
[illegible]	١٧٥ الف طن	٨٠ر٠ طن	١٥٨ طن	١٨٥٨٦ م
خام الحديد	٣ر١/٧ طن	٩٢ر١ طن	١٦٨٠٠ر١ طن	٥٤٢ر٠٠٠ طن
فوسفات	٨٠ر٠ طن	٩٨٢٩ر٠ طن	٢٣٠ر٠٠٠ طن	٦٦١ر٠٠٠ طن
[illegible] ٣١٠٠ م	٥ر٠ طن	١٢٨ طن	—	—
فضة	٢٢٥ الف اوقية	٧ر٢ الف اوقية	٢٨ر٠ اوقية	
زنك	٩٦ر٢ طن	٣٣ر٠ طن	٥٨ر٠ طن	
فحم	٥ر٠ طن	١٥ر٠ طن	—	—
[illegible]	—	٩	٧٠	
[illegible]				
زئبق	—	—	٩٢١ طن	—
[illegible]	—	٥٦٢ر٠ طن	—	٩٤ر٠ طن
[illegible]	—	—	—	٠ر١٨ طن
كبريت	—	—	—	٤٩٧ر٠٠ طن
طفل	—	—	—	٠ر١ طن
[illegible]	—	٤ر٠ طن	—	—
[illegible]	—	١٩٩٤	—	—
[illegible]	—	١٢٠٠٠ طن	—	—

ويبين هذه الارقام الانتاج لا المخزون في الباطن والذى لم يستغل بعد . وتبين ايضا ان الدول العربية تعتبر من اهم الدول المنتجة للفوسفات في العالم

وفي الحقيقة فان الثروات المعدنية الموجودة تحت تربة الوطن العربي لم يكتشف منها سوى القليل وهناك دراسات جادة في بعض البلدان العربية للكشف عن هذه الثروات واستغلالها الاستغلال الصحيح .

(م . ط)



لها خال

● قال الجاحظ : رأيت جارية بسوق النخاسين ببغداد ينادى عليها ، وعلى خدها خال أسود ، فاقتربت منها واطلت التفحصها ، فقلت لها : ما اسمك ؟ قالت : مكة . فقلت : الله اكبر ، قرب الحج ، أتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود ؟ فقالت له : اليك عني ، الم تسمع قول الله تعالى « لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس »

الخليفة

● يقال للخليفة المعتصم العباسي « الخليفة المثمن » لأنه ولد سنة ثمانين ومائة في ثامن شهر منها . وهو ثامن خليفة وفتح ثمانية فتوح وهي عمورية ، ومدينة بابك ، ومدينة

غرنا فسكبناه

● دخل عمر بن عبد العزيز المسجد فرأى بلال بن أبي بردة مسرورا يصلي ويحسن الركوع والخشوع فقال : أيكن سر هذا كعلانيته ، فهو أفضل أهل العراق ، فقال العلاء بن المغيرة وكان خصيصا بعمر : أنا آتيك بخبره ، فاقترب منه وقال : اشفع صلاتك فإن لي حاجة . فلما سلم قال له العلاء تعرف منزلتي عند أمير المؤمنين فإن اشرت عليه أن يولك العراق ، فما تجعل لي ؟ قال : عمالتي سنة . قال : فاكتب بذلك خطا ، فقام من وقته وكتب فحمل العلاء الخطاب الى عمر بن عبد العزيز ، فلما قرأ كتب الى واليه في العراق : أما بعد فإن بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر به ، ثم سبكناه فوجدناه خبيثا كله .

● ● ● ● ● ● ●

اخوة حقة

● حكي انه جرى بين الحسين بن علي بن ابي طالب وبين اخيه محمد بن الحنفية كلام فانصرفا متغاضبين .

فلما وصل ابن الحنفية الى منزله اخذ رقعة وكتب فيها : من محمد بن علي بن ابي طالب الى اخيه الحسين اما بعد فان لك شرفا لا ابلغه ، وفضلا لا ادركه ، فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ، وسر الي وترضني ، واياك ان اكون سابقك الى الفضل الذي انت اولى به مني . فلما قرأ الحسين الكتاب لبس رداءه ثم جاء الى اخيه فترضاه .



وثيق ومنيع

● وقف أعرابي على قوم فسألهم عن أسمائهم فقال أحدهم : اسمي وثيق ، وقال الآخر اسمي منيع ، وقال الثالث : اسمي ثابت ، وقال الرابع : اسمي شديد ، فقال الأعرابي : ما أظن الأقفال عُملت إلا من أسمائكم .

الثمن

الرطل ، وقلعة الأحزان ، ومصر ، والأربعين ، ودار ربيعة ، وأرمينية . واستخلف ثماني سنين وثمانية أشهر . وخلّف ثمانية بنين وثماني بنات .

تهنئة وتعزية

● كان عبد الملك بن صالح أميرا من بني العباس ، وقد ولي عدة مناصب ، وكان من أفصح الناس وأخطبهم وكان أن دخل دار الرشيد ، فلقيه إسماعيل ابن صبيح الحاجب ، فقال له : اعلم أنه ولد لأمير المؤمنين ابنان عاش أحدهما ومات الآخر ، فيجب أن تخاطبه بحسب ما عرّفتك .

فلما صار بين يديه قال : سرّك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك ، ولا ساءك فيما سرّك ، وجعلها واحدة بواحدة ، مستوجب من الله زيادة الشاكرين وجزاء الصابرين .

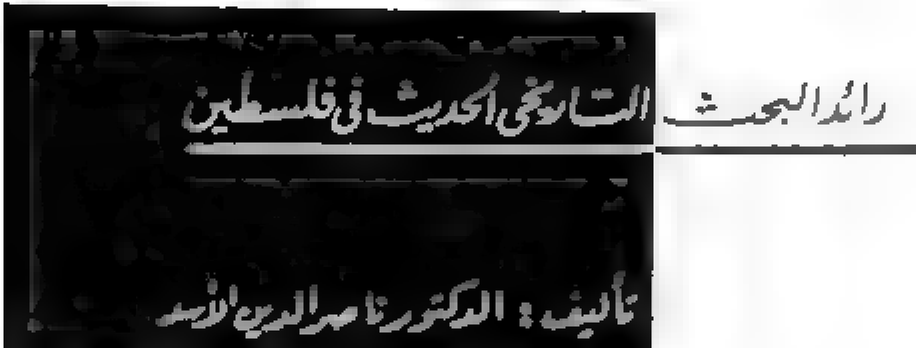
● ● ● ● ● ● ●

حيلة لطفيلي

● حدث أحمد بن الحسن المقرئ قال : مر أحد الطفيليين بعرس فأراد الدخول ، فلم يقدر ، فذهب إلى بقال فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح عسلا ، وجاء إلى باب العرس فقال : يا بواب ! افتح لي . فقال له البواب : من أنت ؟ قال : أراك لست تعرفني . أنا الذي بعثوني اشتري لهم أقداح العسل ، ففتح له الباب ودخل فأكل وشرب مع القوم ، ثم فرغ أحد الأقداح فقال : يا بواب افتح لي ، يريدون عسلا خالصا حتى أرد هذه فخرج فردها على البقال وأخذ خاتمه .

كتاب الشهر





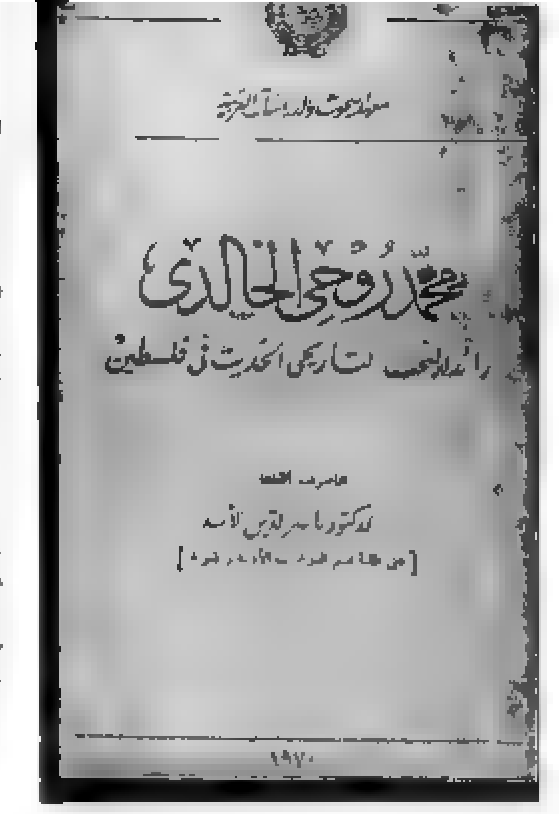
وعرض له بقلم : الدكتور محمود السمره

■ هذا كتاب جديد عن علم من أبرز أعلام فلسطين في القرن الماضي ، هو محمد روحي الخالدي . والكتاب في أصله محاضرات ألقاها الدكتور ناصر الدين الأسد على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في « معهد البحوث والدراسات العربية » بجامعة الدول العربية ويمتاز الكتاب بالأسلوب الرشيق الأنيق والتحقيق العلمي الدقيق ، والتتبع المتقصي

والكتابة عن محمد روحي الخالدي تتطلب من الباحث جهدا كبيرا وجهدا متواصلا ، لأن آثاره موزعة متفرقة وما كتب عنه في صحف تلك الأيام قد مرت عليه يد النسيان ، حتى أن أبناء اليوم لا يكادون يعرفون شيئا عن هذا الرجل الفذ .

والكتاب في مقدمة ، وتمهيد ، وقسمين ، وخمسة ملاحق . وهو يتحدث في المقدمة عن البيئة الثقافية في فلسطين في القرن الماضي . ويتناول في القسم الأول : الأسرة الخالدية ، وسيرة روحي الخالدي وآثاره ، وشخصيته الثقافية . وهو في القسم الثاني يحلل كتب الخالدي ، وهي : كتاب تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب ، وفيكتور هوكو ، وكتاب رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي وفي أسلام العالم الاسلامي ، وكتاب المقدمة في المسألة الشرقية منذ نشأتها الأولى الى الربع الثاني من القرن الثامن عشر ، وكتاب الانقلاب العثماني ، وكتاب الكيمياء عند العرب .

ونحن هنا سنحاول أن نقدم للقارىء صورة عن حياة الخالدي وشخصيته وآثاره ، متجاوزين الوقوف عند التحقيقات الدقيقة .



سيرة محمد روحي الخالدي

ولد روحي الخالدي في مدينة القدس سنة ١٨٦٤ م في بيت عريق من بيوتات العلم ، ومن أهم مصادرنا عنه تلك الترجمة التي كتبها لنفسه ونشرها سنة ١٩٠٨ في مجلة « الأصمعي » التي كانت تصدر في يافا .ومن سوء الحظ ان هذه المجلة ليست بين ايدينا اليوم ، ولكن من حسن الحظ ايضا ان جرجي زيدان لخص تلك الترجمة ونشرها في مجلة « الهلال » (نوفمبر ١٩١٣ ، ص ١٥٢ — ١٥٣) . وهناك سيرة مفصلة للخالدي نشرت في مجلة « المنادى » التي كانت تصدر في القدس سنة ١٩٠٨ ، وقد نقل ناشر كتابه « المقدمة في المسألة الشرقية » هذه السيرة وصدر بها الكتاب .

وقد كان والده ، ياسين الخالدي ، نائب القدس في المجلس العمومي في بيروت ، ثم قاضيا شرعيا في نابلس ، ومنها نقل الى طرابلس الشام. وفي سنة ١٨٨٠ رافق روحي عمه في رحلة الى الاستانة ، وحين عاد الى القدس اخذ يحضر الدروس في الفقه والتوحيد والحديث والنحو والصرف والمنطق والبيان والبديع . وكان في الوقت نفسه يتردد على مدرسة الاليانس ، وهي مدرسة اسرائيلية ، وعلى مدرسة لاهوتية لاعداد كهنة لطائفة الروم الكاثوليك ، وذلك من اجل ان يتقن اللغة الفرنسية . والتحق مدة بالمدرسة السلطانية في بيروت ، ثم عاد الى القدس والى حلقات الدرس في المسجد الاقصى .

وعين روحي الخالدي موظفا في المحلية ، ثم رئيسا لكتاب محكمة بداية غزة . ولكنه لم يرض عن الوظيفة ابدا ،وكان يحلم بالسفر الى الاستانة ليلتحق باحدى مدارسها العالية . وقد تحقق حلمه حين سافر اليها سنة ١٨٨٧ ليلتحق بالمكتب الملكي الشاهاني ، الذي بقي فيه ست سنوات حيث نال في نهايتها شهادته .

وصفه لجانب من حياته في المكتب الملكي الشاهاني

ونحن نجد في كتابه « المقدمة في المسألة الشرقية » وصفا طريفا لجانب من حياته في المكتب الملكي الشاهاني ، وذلك حين يقول : سنة ١٨٨٩ كنت في الاستانة العلية تلميذا في المكتب الملكي الشاهاني . وكان لي رفيق هو عندي بمنزلة الصديق ، بل والشقيق . فناولني يوما من الايام كتابا عنوانه « اس انقلاب » تأليف صاحب المطبوعة احمد مدحت افندي مدير جريدة « ترجمان حقيقت » التركية التي تصدر في مركز الخلافة الاسلامية . واوصاني بالحرص عليه ، وتلاوته سرا ، لانه لم يكن يسمح لنا بقراءة الكتب التي ليست غير رسمية ، ولا سيما ما يتعلق منها بالمسائل الخطيرة السياسية . فحملته على صدري بين القميصين ، وصرت اطالعه كلما جنّ الليل وهجعت العيون ، وانقطعت الحركة ، واستتب السكون . وكان سريري في (القاووش) نمرة ٢ مرقما بعدد ٧٣ ، وقريبا من فانوس الزيت المعلق وسط الغرفة المشتملة على نيف وثلاثين سريرا . فبينما كنت ذات ليلة اتصفح الكتاب ، سمع رئيس المخبرين — وهو

يجسس أحوال الثلاثة ـ صوت تقليب الورق ، ولعل حركته الخفيفة في تلك الليلة الظلماء أخلت بالسكون المستولي على ذلك البناء ، فجاء على أثر الصدى ، وعثر على الكتاب ، واستبقاه حتى ، وفي الصباح جازاني على ما اقترفته يداي ، وتوبني عن العود الى مثلي . »

في مجلس جمال الدين الافغاني

وفي الاستانة أخذ يتردد على مجلس جمال الدين الافغاني . ونجد وصفا للقاء بينهما في مجلة الهلال (١٧ ديسمبر ١٩٠٨ ، ص ١٩٦٣) . يقول الخالدي : « دخلت يوما على السيد جمال الدين الافغاني ، وهو في قصر لطيف على بابه الخدم ، وبيده سيكارة من (التبغ العاصر) ، فقال : وما فائدتي بهذا القصر والخدم والسيكارة ، وانا اذا اشتهيت الآنة (بغتة) ان نشر فكر في جريدة ، او التنزه في ناحية من الضواحي ، لا استطيع !! ايعنا عيش الانسان بغير الحرية !! »

ولكن تردد الخالدي على مجلس الافغاني جلب له المشاكل ، اذ حضر أحد هذه المجالس مراسل جريدة « التايمس » اللندنية ، ونقل على لسانه حديثا ماسا بالسلطان ، ونقل الجواسيس هذا الحديث الى السلطان ، فوضع من كانوا حاضرين في المجلس تحت المراقبة ، مما اضطر الخالدي الى الهرب الى فرنسا ، حيث التحق بمدرسة العلوم السياسية في باريس ، ودرس فيها مدة ثلاث سنوات نال في نهايتها شهادتها . وبعدها التحق بالسوربون ، وفيها درس الفلسفة الاسلامية والآداب الشرقية .

في باريس

وبعد تخرجه عين مدرسا في جمعية نشر اللغات الاجنبية في باريس ، وعرف فضله المستشرقون ودعي الى الاشتراك في المؤتمرات ، والقاء المحاضرات . ومن اشهر المحاضرات التي القاها ، محاضرتان طريفتان القاهما في « دار الجمعيات العلمية » : اولاهما سنة ١٨٩٦ عن « الاسلام في هذه الايام » وقد نشرتها كاملة او ملخصة الصحف العربية في تلك الايام ، ثم طبعت في كتاب مستقل بعنوان « رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي ، وفي انسام العالم الاسلامي » .

والقيت المحاضرة الثانية سنة ١٨٩٧ عن « المسألة الشرقية » ، وهي التي طبعت ، فيما بعد ، بعنوان « المقدمة في المسألة الشرقية منذ نشأتها الاولى الى الربع الثاني من القرن الثامن عشر » .

الخالدي قنصل عام

وانقطعت صلة الخالدي بالاستانة ، واذا به يعين سنة ١٨٩٨ قنصلا عاما للدولة العثمانية في بوردو وتوابعها . وقد منحته الحكومة الفرنسية وسام بلقة المعارف الذهبية ووسام فرقة الشرف (لجيون دونور) تقديرا منها له . وبقي في هذا المنصب الى ان اعلن الدستور سنة ١٩٠٨ . وخلال هذه المدة كان ينشر مقالاته في الصحف العربية دون توقيع ، او يوقعها احيانا باسم « المقدسي » .

في مجلس النواب العثماني (المبعوثان)

بعد اعلان الدستور ، عاد محمد روحي الخالدي الى القدس ، ورشح نفسه لانتخابات مجلس « المبعوثان » ، ففاز في الانتخابات ، وكان ذلك في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٠٨ ، وقد نشرت جريدة « المؤيد » وصفا لهذه الانتخابات بقلم مراسلها في القدس الشيخ علي الريماوي وذلك في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٠٨ ، وقد جاء فيه : « نال اكثرية الاصوات عندنا في انتخابات مجلس المبعوثان ثلاثة متفق على انهم افضل الموجودين ، وهم اصحاب السعادة والعزة : روحي افندي الخالدي قنصل الدولة الجنرال في بوردو ، وسعيد افندي الحسيني رئيس بلدية القدس السابق ، وحافظ بك السعيد من اعيان يافا .. »

وورد في كتاب يوسف الحكيم « سورية والعهد العثماني » ، ما يلي : « كان نائبا القدس في مجلس المبعوثين : سعيد بك الحسيني وروحي بك الخالدي ، يتمتعان بثقة جميع المواطنين على اختلاف طبقاتهم ومن عالي مزاياهما التي يرددها الناس انه لم يبدر منهما في وقت ما اي تدخل في شؤون القضاء » .

وكتب جرجي زيدان مقالة بعنوان « نوابنا في مجلس المبعوثان » نشرها في مجلة « الهلال »

(٦ ديسمبر ١٩٠٨) . وقد عرفتنا ايضا من رواية ارباب القلم في مجلس المبعوثان صديقنا روحي بك الخالدي ، صاحب مقالة « الانقلاب العثماني » في هذا « الهلال » . ويقتضي الاطلاع عليها بمعرفة سعة علمه في احوال الدولة ومختلف سياستها . وقد عرفه القراء من قبل باسم « المقدسي » كاتب سمى نفسه في كتابه « تاريخ علم الادب » الذي نشر على حدة . في مقالاته العديدة في المواضيع المختلفة ، وكلها ابحاث جليلة تدل على علم واسع ، ونظر صحيح مع الاخلاص في البحث . وكان القراء قبل ان عرفوا اسمه ، يعجبون بفضله وعلمه ، ويسالوننا عن حقيقة اسمه ، ولم يكن يأذن لنا باذاعة ذلك لانه كان قنصلا جنرالا للدولة العلية في بوردو بفرنسا .. »

وقد اعاد اهل القدس انتخاب روحي الخالدي مرة ثانية وثالثة ، كما انتخبه مجلس المبعوثان نائبا للرئيس . وتوفي في الاستانة سنة ١٩١٣ وقد بلغ من العمر خمسين عاما .

ابنه يحيى رئيس بلدية بوردو

وقد تزوج روحي الخالدي ، وهو في بوردو ، سيدة فرنسية ومنها رزق ولدا اسماه يحيى . وقد درس هذا الابن الهندسة الكهربائية . وزار فلسطين واقام فيها مدة ثلاث سنوات ، ثم عاد الى بوردو . وفي بوردو عين رئيسا لبلديتها . وفيها توفي في اوائل الحرب العالمية الثانية .

شخصية روحي الخالدي الثقافية

وفي الفصل الثالث من القسم الاول ، نجد الدكتور الاسد يقدم لنا تحليلا جيدا للعوامل التي كونت الخالدي فكريا ، كما يتحدث عن خصائصه الفنية . والواقع ان روحي الخالدي كان محبا للمعرفة ، حريصا على الاستزادة من العلم ، كما بينا عند حديثنا عن حياته . وهو مثقف يجمع بين الثقافة العربية والثقافة الاجنبية ، وكان يتقن من اللغات الاجنبية التركية والفرنسية . وهذا المزج بين الثقافتين عن وعي وفهم ، واضح تمام الوضوح في مؤلفاته ومقالاته ومحاضراته . وهو لا يكتفي في اكتساب المعرفة بالقراءة ، بل يسعى الى لقاء العلماء ، وعقد الصداقات معهم ، ومن ذلك تردده على مجلس السيد جمال الدين الافغاني ، ومجالس كبار الاساتذة في السوربون ، وكان صديقا للمستشرق جولدتسيهر Goldzicher .

والخالدي في كتاباته ، يهيم بالحرية ، ويدعو اليها ، ولا يمل الكتابة عنها ، سواء اكانت حرية فكرية ، ام سياسية ، ام اجتماعية ، ام دينية حتى لقد وصفه جرجي زيدان بانه « احد كبار الاحرار العثمانيين » وانه « من جملة الذين جاهدوا في سبيل الحرية . » وعندما اعلن دستور ١٩٠٨ كان الخالدي من اعظم اركانه .

والصفة الغالبة على كتاباته هي الصفة التاريخية ، ولكنه لا يكتفي من التاريخ بالسرد، بل يتوقف ليستخرج من الاحداث مدلولاتها الاجتماعية ، او النفسية ، او الاقتصادية . واستنتاجاته تدل على انه كان يدرك ادراكا واضحا التفاعل القائم بين الاحداث السياسية والتغيرات الاجتماعية ، وبين اخلاق الناس ولغتهم وادبهم ، ومن اقواله : « اننا اليوم احوج الى تبيين معاني الكلمات ، والى سكب قوالب الالفاظ على قدر المعاني ، لان الانقلاب السياسي من شأنه ان يحدث انقلابا في اللغة والادب ، فضلا عن انقلاب الاخلاق والعادات والافكار » .

وهو ، في رأي المؤلف ، « اول من كتب كتابا في اللغة العربية عن « المسالة الشرقية » ، وهو اول من استقصى احوال العالم الاسلامي ، وجمع مادة احصائية مسوفاة عن انتشاره ، ورتبها وابرزها في كتاب ، وهو من اوائل الادباء العرب الذين كتبوا في « الادب المقارن » ان لم يكن اول من الف منهم كتابا كاملا في الموضوع ، ومن اوائل الذين كتبوا في « النقد الادبي » ، واستعملوا هذا المصطلح ليقابل المصطلح الاجنبي . ومن اوائل كتاب العربية الذين عنوا باظهار فضل العرب على الحضارة الاوروبية وعلى النهضة الادبية والعلمية الحديثة ، بل اول من الف كتابا بالعربية عن فضل العرب في ميدان مهم من ميادين العلم هو الكيمياء » .

كتاب تاريخ الادب عند الافرنج والعرب

ونحب ان نقف هنا ، بعد هذا عند كتابيه : كتاب تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب ، وكتاب الانقلاب العثماني .

ويتناول الخالدي في كتابه الأول ثلاثة موضوعات رئيسية هي : النقد الأدبي ، ومقارنة بين ما عند الافرنج وما عند العرب من فنون القول وانواع الموضوعات والمعاني ، وما اقتبسه الافرنج من آداب العرب وعلومهم . ولعل خير ما نقوله في التعريف بهذا الكتاب ان ننقل للقارىء ما قاله فيه جرجي زيدان (مجلة الهلال مارس ١٩١٢ ، ص ٣٧٥ — ٣٧٧) : « صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في سنة ١٩٠٤ ، والمؤلف يومئذ قنصل جنرال الدولة العثمانية في بوردو ، وقد نال الاستبداد من نفوس العثمانيين ، وقيد أقلام احرارهم ، فلم نعد نسمع غير أصوات المتزلفين والمتملقين ، وإذا تكلم الحر تكلم همساً ، وإذا كتب أخفى اسمه ، ولا سيما اذا كان من موظفي الحكومة ، ولو كان موضوعه في الأدب والعلم ، لأن الجواسيس يحولون كل معنى الى الكيد والدسائس. وأبت نفس صديقنا الخالدي ، مؤلف هذا الكتاب ، الا أن ينشر ثمار درسه وبحثه ، فعهد بذلك الى « الهلال » ، على ان تنشر بلا توقيع ، فنشرناها مقالات متوالية ، والقراء يسألوننا عن اسم كاتبها ، ويتشوقون لمعرفته . فلما جمعناها في كتاب على حدة ، ألححنا اليه ان يأذن بنشر اسمه في صدر الكتاب ، فاكتفى بالاشارة الى موطنه ، فوضعنا بدل اسمه لفظ « المقدسي » نسبة الى القدس الشريف مسقط رأسه . فأحرز هذا الكتاب اعجاب القراء والأدباء في العالم العربي وغيره ، فحملنا ذلك على اعادة طبعه رغبة في نشر علم الأدب بين قراء العربية ، ونحن في أشد الاحتياج اليه ، ولا سيما على الاسلوب الذي توخاه المؤلف من المقابلة بين الآداب العربية والافرنجية ، وبيان ما اقتبسه الافرنج من آدابنا وأساليبنا مما لم يتصد للبحث فيه احد قبله ، ولم نر احدا تصدى له بعده . فضلا عما يتخلل ذلك من الفوائد التاريخية ، والقواعد الاجتماعية ، من الأدب العربي وتاريخه ، وما تقلب عليه من الأطوار تبعا للسياسة والاجتماع وتاريخ الأدب الفرنساوي من اول عهده الى زمن فيكتور هوكو وما أدخله فيه هذا النابغة من التعديل نقلا عن الاسلوب العربي في الشعر والأدب وصل اليه عن طريق اسبانيا . فتعيد بسهولة عبارة الكتاب وتناسقها مما يرتاح اليه القارىء ويجد فيه لذة وشوقا للمطالعة ، غير ما عني بتلخيصه وترجمته من مؤلفات هوكو ، وبسط ما حوته من الفوائد الفلسفية والأدبية ومقابلة ذلك بما عند ادباء العرب .

والخلاصة ان هذا الكتاب من الدفاتر النفيسة التي لا يستغنى عنها اديب . فلما نفدت نسخ الطبعة الأولى ، استأذنا حضرة المؤلف في اعادة الطبع فأذن لنا خدمة للأدب العربي . ولما أعلن الدستور ، وصار المؤلف من اعظم اركانه ، فلم يبق ثمة باعث على التكتم ، فطبعناه وصدرناه باسمه ، وزيناه برسمه ، ليتم التعارف بينه وبين القراء والمعجبين بأدبه وفضله » .

وآخر عبارة جاءت في نهاية الكتاب قول الخالدي : « حررت هذا الكتاب في بوردو سنة ١٩٠٣ ، وقدمته لأمي ابرهن بعض ما لها علي من الحقوق ، ورجائي بأن لا تحسب اقترابي منهما من العقوق » .

كتاب الانقلاب العثماني

وهذا الكتاب في تسعة وعشرين فصلا ، وهي فصول قصيرة . والملحق الثالث في الكتاب هو صورة فهرست الكتاب بخط محمد روحي الخالدي. وقد عالج الفصل الأول موضوع المصطلحات ، واستعمال الفاظ محدودة لتدل على معان واضحة، وبين الفرق بين « الثورة » و « الانقلاب » ، وان كنا لا نقره اليوم على المعنى الذي حدد به هذين المصطلحين .

وتحدث بعد هذا عن الاستبداد ، وانتهى الى ان الانقلاب يتولد من الاستبداد ، وان « الاستبداد اسيوي ، وليس اسلاميا » . وقد ندد بشدة بالاستبداد ، وبرأ الاسلام منه ، وأكد ان الاسلام هو دين الحرية والمساواة والديمقراطية ، وجهد في اثبات هذا .

يقول روحي الخالدي : « فالذي يولد الانقلاب هو الاستبداد ، ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار التغلب والحيوانية ، لا من قواعد الدين الاسلامي ، كما يتوهم البعض منا ، واكثر الاوروبيين الذين يصفون الحكومات الاسلامية بكونها ثيوقراطية ، اي انها جامعة بين الديانة والسياسة .. فالاستبداد هو منبع الشرور ، وسبب التأخر والانحطاط . وقد ورث ملوك الاسلام هذا الاستبداد من الاكاسرة الفرس وقياصرة الرومان ، ومن فراعنة بابل وفراعنة مصر ، ومن جنكيز خان وتيمورلنك . والاسلام هو أول شريعة

اعترضت على الاستبداد ، وقاومته اشد المقاومة وساوت بين افراد الامة ، وحافظت على الحقوق والحرية الشخصية ، وامنت الاجانب المعتدين ـ فضلا عن افراد الامة ـ على اموالهم ودمائهم واعراضهم، ومهدت السبيل للحكومة الديمقراطية ووضعت حق الحاكمية في الامة ، ولم تكتف باعطائها الحرية في القول والعمل والكتابة والاجتماع ، بل فرضت على كل افرادها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعلت الامة مسيطرة على الحقوق العامة ، ولم تفرق في الحقوق الخاصة بين المسلمين وخليفتهم ولا اولي الامر منهم ..

ولذا حكمت القضاة على غير واحد من الخلفاء وسلاطين الاسلام برد المال وضمانه ، وانزلتهم من المنصة ، واجلستهم مع الخصم في مجلس الحكم .. فكان الحال على ما ذكر مدة الخلفاء الراشدين ، ومن اقتفى اثرهم كعمر بن عبد العزيز من بني امية، ثم تغلب الاستبداد الاموي على حكام الدين الاسلامي ، وانقلبت الخلافة الى سلطنة فاصبح خليفة الاسلام مقدسا وغير مسؤول كملوك الافرنج ليومنا هذا » .

وهذا الكلام ، عندي ، يذكر بما ورد في كتاب « طبائع الاستبداد » للسيد عبد الرحمن الكواكبي فالشبه بينهما كبير في المعاني والالفاظ . ■■

محمود السمره



الموسيقى وعلم النفس

تأليف : الدكتور ضياء الدين ابو الحب .

الناشر : مطبعة النعمان ـ بغداد / العراق .

● مادة هذا البحث اداة سيكولوجية جديدة ابتكرها المؤلف وتوقع ان تصبح وسيلة تشخيصية تفيد في التمييز بين الاسوياء وغير الاسوياء من الناس . وقد اتجه المؤلف في بحثه عن اداة تشخيصية مبتكرة الى غزو دنيا جديدة هي دنيا الموسيقى التي طالما يحلق علماء النفس حولها دون ان يحاولوا الاقتراب منها ، كما ان الكتاب ، بالتالي يقوم على التأمل الفلسفي وقراءات المؤلف الشخصية وحسه الاكلينيكي .

زكي مبارك في العراق

تأليف : عبد الرزاق الهلالي

الناشر : منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت/لبنان.

● دراسة وافية عن الدكتور زكي مبارك حينما انتدب لتدريس الادب العربي في دار المعلمين العالية في بغداد ، ثم نتاجه الادبي في هذا القطر ، والحركة الادبية التي اوجدها في العراق ، حيث تحكي اراءه في شتى المواقف الثقافية والادبية وكيفية النهوض بالحركة الادبية في العراق . بالاضافة الى سلسلة احاديثه القيمة منها « ليلى المريضة في العراق » وذكرياته التي ضمنها كتاب « وحي بغداد » « وملامح المجتمع العراقي » .

ثم علق المؤلف الذي كان من اشد محبي أدب زكي مبارك كيف استطاع زكي مبارك ان يشد اليه ابناء العراق لشخصيته المحببة ، وعلمه الغزير ، وادبه المتدفق، وكيف جعل ابناء العراق يشاركونه في الجو الادبي الذي اوجده في العراق وفي خارج العراق ، ثم كيف اصبحت محاضراته ومقالاته واحاديثه الشيء الذي تتسابق منه الصحف والمجلات كي تطلع على قرائها بالغالي من العلم والثقافة .

وقد قسم المؤلف كتابه الى عدة فصول تناول في الفصل الاول حياة زكي مبارك ونشأته الاولى الى ان دخل في رحاب الجامعة ، ثم في فصل آخر تحدث المؤلف عن الدكتور زكي مبارك حينما كان في العراق . ثم فصول اخرى طويلة عن نشاط الدكتور زكي مبارك مع ابناء العراق امثال الاستاذ الكرملي والدكتور مصطفى جواد ومحمد رضا الشبيبي وطه الراوي وساطع الحصري .

تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث

تأليف : عبد العزيز بن عبد الله

الناشر : معهد البحوث والدراسات العربية — القاهرة .

● محاضرة درس فيها المؤلف تاريخ العصرين الحديث والمعاصر في المغرب العربي ، وهما يتراوحان بين منتصف القرن الخامس عشر الى التاسع الميلادي والعصر الحاضر ، وتنطبق هذه الفترة بالمغرب على عصر السعديين والعلويين وقد وصف عصرهم بالعصر العربي استنادا الى معتقد علماء غالبي المؤرخين بينما اطلق المؤلف اسم العصر البربري على عهد امراء المرابطين والموحدين وبني مرين وبني وطاس المنحدرين الى قبائل صنهاجة ومصمودة وزناتة من البربر .

فهذه الدراسة لتطور الفكر واللغة في المغرب تواكب انبثاق العصر العربي وهو العصر الذي بدأ فيه الزحف الصليبي على سواحل المغرب الاقصى الى سقوط الاندلس وانتشار العثمانيين في الشرق والمغربين الادنى والاوسط وهي الفترة التي ركز حولها المؤلف دراسته ، وهي محاولة لكشف الجوانب الغامضة من مقوماتها الحضارية واصول التراث الفكري في هذا الجزء من الوطن العربي .

طريق الايمان

تأليف : صبيح عاطف الزين

الناشر : دار الكتاب اللبناني — بيروت

● يقول المؤلف في كتابه : ان الطريق الذي يسلكه الناس للايمان بالله سبحانه وتعالى ليس سليما في كل الاحيان ، لان الايمان بالله له طريق سليم ليس غير ، وهو ملاحظة الكون والانسان والحياة عن طريق الفكر المستنير .

ولكن مع الاسف ان معظم الناس في الوقت الحاضر يؤمنون بالله عن طريق الوجدان ، او عن طريق التقليد والتبعية ، وهذا ما نهى القرآن الكريم عنه ، ويحذر من سوء عاقبته ، لان هذا الايمان عرضة للهزات والتشكيك والانحرافات ، وقابل للضلالات والاوهام والخرافات .

والعقيدة في الاسلام لا يجوز ان تؤخذ عن طريق التقليد بل يجب على الناس أن يسيروا على الطريقة العقلية للوصول الى العقيدة الاسلامية .

كميل بن زياد النخعي

تأليف : علي بن الحسين الهاشمي الخطيب .

الناشر : مطبعة الارشاد — بغداد .

● دراسة تاريخية عن كميل بن زياد النخعي أحد الصحابة الذين ساهموا في نشر الدعوة الاسلامية . تتناول نشأته وقبيلته وما أسدت الى الاسلام من اعلام وخدمات وما كان منهم من آراء وابتلاء في صحبته لعلي ابن أبي طالب ، والادعية المروية عنه .

تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم

تأليف : محمد عزة دروزة

الناشر : المكتبة العصرية — بيروت ، لبنان

● توضح هذه الدراسة زعمه ويدعيه اليهود من امجادهم التاريخية في فلسطين لانه يستبين من نصوص هذه الاسفار انه ليس لبني اسرائيل في فلسطين امجاد تاريخية تستحق فخرا واعتزازا . الا انها اعتبرتا الغلب والاحتيال والغدر والفجور وسفك الدماء والانحرافات الدينية يمكن ان يعد امجادا .

كما ان الاسفار التي ذكرت انتصاراتهم في شرق الاردن بقيادة موسى ويشوع امتلأت بالمبالغات والتهويلات ومع ذلك فانها تقرر ان هذه الانتصارات لم يحرزها بنو اسرائيل بشجاعتهم ومزاياهم وانما كانت معجزات ربانية . بالاضافة الى ذلك فانهم حينما غزوا على فلسطين كانوا شرذمة قليلة عاشوا عيشة البدو وانهم لم ينشئوا شيئا هاما من المدن والقرى وانما عاشوا على ما كان من عمران عمله كنعاني واموري ، بل ان الغالبية العظمى اندمجوا في النصرانية والاسلام واختلطت دماؤهم بدماء الاقوام التي عاشوا بينها ، بحيث يصح ان يقال بان الدم الاسرائيلي القديم قد باد او كاد ، وان اليهود اليوم ليسوا الا جماعة دينية تضم شتى الاجناس واللغات والدماء .

والكتاب بالتالي يتناول تاريخ اليهود بنسق تاريخي متسلسل منذ بدأ تاريخ بني اسرائيل في فلسطين الى يوم تشريدهم منها التشريد الاخير في عهد الحكم الروماني في القرن الثاني الميلادي وهو بذلك ينقسم الى قسمين الاول في تاريخ اليهود الى البعثة النبوية مستلهما ذلك من الاسفار .

اما القسم الثاني فيدرس احوالهم واخلاقهم ومواقفهم ومصيرهم في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبيئته وابان حياته مستقيا في الدرجة الاولى القرآن الكريم .

مختبر اللغة

تأليف : علي القاسمي

الناشر : دار القلم ـ الكويت .

● دراسة تتناول مختبرات اللغة كوسيلة تعليمية الكترونية غير ان الالكترونيات لا تقوم بالتدريس وانما تقوم به المادة اللغوية الحية ، لا المعدات الجامدة .

والكتاب مقدمة في موضوع مختبرات اللغة وفائدتها في تعليم ابنائنا اللغات الاجنبية بصورة فعالة وفي تعليم اللغة العربية للاجانب ، ثم ان الكتاب مفيد بخاصة للاداريين ومدرسي اللغات الاجنبية والمشرفين على مختبرات اللغة في العالم العربي .

وقد اعتبر المؤلف الصعوبات التي تواجه الكتابة في ميدان مختبرات اللغة من حيث حداثة عهد مختبرات اللغة ، حيث انها ما زالت في دور التطور ولم تصل الى الكمال النسبي الذي بلغته كثير من التصميمات التقنية الاخرى ، ثم قلة المصادر المكتوبة عنه ، اذ لم يظهر في موضوعه باللغة العربية اي كتاب والكتب التي درست هذا الموضوع قليلة محدودة .

اما المصادر التي استقى منها المؤلف كتابه فكانت اولاها خبرته العلمية في دراسة وتدريس اللغات الاجنبية وادارة مختبرات اللغة ، وثانيها ما الف عن مختبرات اللغة من كتب في اللغتين الانجليزية والفرنسية ثم ما نشر من مقالات وبحوث .

الاسلام والمرأة

تأليف : سعيد الافغاني

الناشر : دار الفكر ـ بيروت

● دراسة عن المرأة العربية بين جاهليتها واسلامها ، وهي دراسة تستند الى النصوص المجمع عليها والوقائع المتواترة . وقد اقتصر المؤلف على الحديث عن المرأة العربية في عصور الاسلام الاولى ، وهو عصر المرأة الذهبي ، اذ فيه رفع الاسلام من النساء طبقة رفيعة مختارة ، جعل لها من السمو والاحترام منزلة تلي منزلة الانبياء وفوق الخلفاء . والكتاب من بابين الاول عن المرأة العربية في نشأة الاسلام ، والثاني : عن امهات المؤمنين ، وهن الطبقة المختارة من النساء .

الاسلام .. والغرب والمستقبل

تأليف : ارنولد توينبي .

تعريب : الدكتور نبيل صبحي .

الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .

● ترجمة لمحاضرتين القاهما ارنولد توينبي في عامي ١٩٤٧ ، ١٩٥٢ يبحث توينبي مواجهة الحضارة الاسلامية للحضارة الغربية على مر العصور ، ويسرد وقائع مرة في صالح الغرب ومرة جدا في صالح الشرق ومن الطبيعي ان لا تكون اكثر استنتاجات توينبي وآرائه منسجمة مع ما نستخلصه .. نحن الشرقيين من الاحداث .

فتوينبي غربي ويجب ان يكون كذلك ومن ثم فهو ينظر الى الامور بهذا المنظار ويكشف عن عواطفه المتحيزة حين يحذر الغرب من احتمال يقظة اسلامية بعد سبات عميق ، ويرجو بكل صراحة ان لا يتحقق ذلك .

وفي سياق محاضرتيه حقائق وآراء هامة يجدر بالقارىء العربي الواعي ان يقف عندها مفكرا ليدرك عمق تأثيرها بمجتمعه واسلامها وانعكاساتها على حاضره ومستقبله الحضاري .

الفسيولوجي / علم وظائف الاعضاء

تأليف : الدكتور عبد الرحمن محمود الرحيم .

الناشر : مطبعة الزهراء ـ بغداد ـ العراق .

● دراسة علمية في علم وظائف الاعضاء . والكتاب ينقسم الى اربعة فصول كبيرة يدرس الفصل الاول الدم ومحتوياته التركيبية وبلازما الدم وكريات الدم الحمراء ثم كريات الدم البيضاء ووظائفها ثم تخثر الدم والعوامل الغذائية في تكوين الدم .

اما الفصل الثاني فيدرس التنفس والحركات التنفسية وحجم الهواء التنفسي والسيطرة العصبية المركزية على التنفس ، اما الفصل الثالث فيدرس السوائل الجسمية والاليكتروليات اما الفصل الاخير فيدرس العضلات .

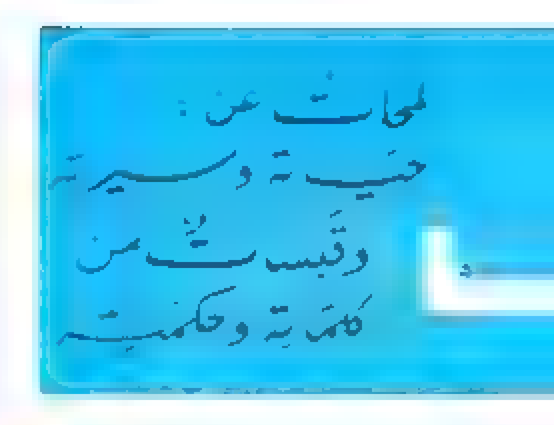


بقلم : على ادهم

عظمة هذا الرجل الفذ النادر الذى اطلق عليه قومه بحق لقب « المهاتما » اى الروح العظيم ، ورأى العالم فى مواقفه المشرفه ، وكلماته الحكيمه ، وتوجيهاته الانسانيه ما جعله جديرا بهذا اللقب ، وبأن يدرج اسمه فى سجل العظماء الذين احسنوا الى الانسانيه ، وافادوا [illegible] للبشر

لم يكن غاندى من البراهمه

كان قومه يعدونه قديسا ، وقد ظفر من [illegible] بإجلالهم لشخصه بما لم يظفر به غيره من الامراء والمهاراجات . ولم يكن غاندى من البراهمة ، وهم أسمى الطبقات فى الهند ، وبرغم ذلك كان البراهمة ينحنون فى حضرته احتراما له ، واجلالا لشأنه ، فقال شاعر الهند الكبير رابندرانات



طاغور « الامة كلها سيعة ، وتخضع له الطاعة ، لسبب واحد ، وهو اعتبارها ملكه قدسي . ولي اني اراه برأسها مختلفة الأجناس ، متباينة الطبائع والمثل العليا تعقد الخناصر على اتباع قدسي معجزة حدثت لا يمكن حدوثها الا في الهند. وتكفي قولتك « المهاتما غاندي بنص عن ذلك ، لتلطف حدة الاحقاد المتيمه المطلقة . واني اخالف غاندي في اشياء كثيرة ، ولكني اقسم له باسمي آباء الاجرام والاعصاب ، وما هو اعظم رجل في الهند فحسب ، وانما هو اعظم رجل في العالم اجمع »

ولم تكن جماهير الشعب وحدها هي التي وقعت تحت تأثير شخصيته الساحرة ، فقد كان الشعوب جميعا في الهند يحنون له ، ويقدرون مكانته ، وذلك برغم ان سكان الهند مكونون من سلالات مختلفة الارومة ، ويتحدثون بلغات مختلفة تجاوز عشر لغات ، ويدين بنحل متباينة ، وبسبب الى نبع معارضة ، وقد عاش المسلمون وعددهم يجاوز السبعين مليونا في نزاع دائم ، وخلاف مستمر ، مع الهندوس .

طبقات لا تتزاوج ولا تتآكل وحد بينها غاندي

ويقول الباحثة الالماني ريسه فيلوب ملر

بعد حسب عديد ابطال العدم نطمح ان ربع وسخي طبعه رئيسيه ، وبحير لاف من تصنيف الشيوخ ، وعدد الطبقات جميعها لا تزوج بينها ، ولا يؤاكل فرد من احدى الطبقات اي فرد من الطبقة الاخرى ، وحتى لسان من طبقة المنبوذين ، وهم ساقطون تأبهم من طرف المجتمع ، ويقسم بن محرد طردهم في حياتهم

وقد استطاعت شخصية غاندي الفذة ان توحد صفوف هذه الطبقات المتعادية ، وبذلك احدث ثورة على التقاليد لم يسبقه في التاريخ ، وقد اجتذب قلوب المجوس ، وهم تجار كانوا الاثرياء ، كما ضم الى صفوفه الاتحادات التجارية المطلقة على الاسس الاشتراكية ، وقرب بذلك ما بين البراهمة والمنبوذين ، وما بين الهندوس والمسلمين وما بين المجوس وعمال المصانع الفقراء .

ويمرض غاندي فتقام لشفائه في البلاد الصلوات

وحينما كانت تسل صحته ، وتسوء حالته ، ويخشى على حياته ، كانت تقام الصلوات في المعابد ليمنحه الله الصحة والعافية ، وحينما اطلق سراحه من السجن عم السرور المدن والقرى وتوجه الهندوس في معابدهم ، والمسلمون في مساجدهم ، بالشكر لله ، وطافت المواكب احتفالا بذلك من مختلف الطبقات والاجناس ، وخطب الكثيرون فقالوا ان غاندي رسول ارسله الله الى الارض للقضاء على الشر ، واغلقت المتاجر ، وعطلت المصانع ، واقام الاغنياء الولائم للفقراء .

وحينما كان غاندي راقدا بالمستشفى بعد عملية كتب صديقه الانجليزي اندروز : « هذا يرقد حاكم الهند الذي نفذ تأثيره سطوة الامبراطورية ، وحده ان يمسي اسماء الحكام بالهند منسوبين الا في قصور ... اسمه بذكر مقترنا بالشرف بين الناس ، وستظل ذكرى المهاتما غاندي من الاسماء الهندية الى الخالدين بوصفها ذكرى عظمة القديسين والمصلحين » .

ملاحظة ...
روحيه الى ... وما هي عاصمة زعيم الهند الكبير السيدة ...

متمرد ومع هذا تقوم له المحكمة احتراما

وحتى خصوم غاندي والذين ناصبوه العداء تأثروا بشخصيته ، والسياسيون الذين قاوموه وحاربوه أبدوا اعجابهم به ، وحينما ظهر غاندي امام القضاة الانجليز متهما بالتحريض على مقاومة السلطات شعروا بقوة تأثيره ، وسحر شخصيته . وتقول البطلة المناضلة الشاعرة ساروجيني نيدو Sarojini Naidu « كان غاندي في نظر القانون متمردا وخارجا على القانون ، ولكنه حينما دخل الى ساحة المحكمة ، وقفت المحكمة اجلالا له ، وقدم له القاضي اسمى آيات الاحترام. وفي النهاية بعد أن أصدر القاضي حكمه قال « لا استطيع ان امسك عن القول بأنه من طراز مختلف عن اي انسان بحثت قضيته او من عسى ان اتناول قضيته » .

كان لغاندي احباب خلصاء ، واعداء الداء

وكان لغاندي خصوم الداء كما لسائر الزعماء السياسيين البارزين ، وكان العنف الذي يقابلونه به من الدلالة على عظمته مثل اجلال اتباعه له . وقد حاول احد الانجليز المقيمين في الهند ان يجمع آراء الطبقات المختلفة عن غاندي ، فقال له احد الحكام الانجليز : « ان هذا الرجل يذكرني ببولس الرسول » . وقال له آخرون « انه ثوري خطير » ، وبعضهم وصفه بأنه : « رجل أوهام وخيالات » . ووصفه فريق بأنه : « سياسي بارع او مصلح غير متردد » . وقال له آخر : « انه مهما يكن من امر هذا الرجل فانه ليس رجلا عاديا ، وانه يجتذب الانظار ، ويجتذب الالباب ، ويحرص عليه ان تستمع اليه » .

وامتنع سكان الجبال عن الصيد لما سمعوا غاندي يقول دعوا الغابة في سلام

وذاعت صفات غاندي المقدسة في القرى النائية في الهند ، ونشأت اساطير حول سيرته ، وقد روى عالم النبات الهندي المشهور بوز Sir J. C. Bose ان بعض سكان الجبال قالوا له انهم اقلعوا عن الصيد ، وحاولوا ان يعيشوا من الزراعة ، وكان تفسيرهم لهذا السلوك انهم استمعوا الى قول غاندي : « دعوا الغابة في أمن وسلام » ، ولم يكن احد منهم قد رأى غاندي ، وانما اثر في نفوسهم ما تناقله الناس عن طيبة نفسه وصلاحه وحكمته واخذه بمذهب « الاهيمسا » Ahimsa القائم على ضبط النفس ، ومقاومة العنف بالحسنى ، وكان هذا كافيا لاطاعة اوامره ، واتباع تعاليمه . ولم يكتفوا بترك الصيد بل اخذوا على انفسهم عهدا بأن لا يذبحوا الحيوانات في المستقبل ، وحاولوا في اول الامر ان يبيعوا ما عندهم من الماشية ، ولكنهم لما لم يوفقوا في ذلك ضحوا بثروتهم جميعها ، وذلك بتسريح الحيوانات التي عندهم ، وتركها حرة .

كان غاندي اذا خطب اعتلى كرسيا

وكان هذا الرجل الذي عده أنصاره من القديسين قصير القامة نحيلا هزيلا ، ذا اذنين كبيرتين منفرجتين ، وعينين سوداوين واسعتين ، ولذلك كان اذا اراد ان يلقي خطبة على جمع من الانصار يرتقي كرسيا ليتمكن الجمع الحاشد من رؤيته ، وكان القاؤه هادئا متزنا خاليا من الانفعال ، ينقصه الاشارات الخطابية المعهودة ، بل كان يندر ان يحرك ذراعا او يرفع اصبعا في اثناء الخطابة ، ويتحاشى في حديثه الزخارف البلاغية والاثارة العاطفية ، ويعمل على ان يخاطب عقول سامعيه ، ولا يترك الموضوع الذي يتناوله الا بعد ان يجلو غوامضه ويوضح خوافيه .

كان غاندي ذا احساس ديني عميق ولكنه لم يدع القداسة يوما

وكان غاندي عميق التدين ، ولكنه في الوقت نفسه لا يقبل اي فكرة دينية الا اذا رضيها عقله ، وكان يرفض اي تفسير للمشكلات الدينية اذا كان يناقض العقل ، ويعارض الحاسة الاخلاقية ، وكان لا يدعي القداسة ، ولا يزعم انه ممن يوحى اليهم ، ويقول عن نفسه انه ليس سوى خادم متواضع للهند والانسانية ، وانه لا يطمع في ان يكون له شيعة واتباع ، وانه يحاول ان يتبع الحق الذي يتراءى له ويمثله ، وكان لا يتردد في الاعتراف بالخطأ ، ويقول انه لا يزعم انه اوتي ملكات فوق قدرة البشر ، وانه عرضة للخطأ مثل اضعف المخلوقات البشرية .

ويعتقدونه فيرجو أن يكون احتفاؤه خيراً للناس

وكتب قبل اغتياله يقول : « انه يقلق أن يكون احتفاؤه وحبهم حيراً للناس وبركة لهم ، لأن ذلك يفيد خرافة الاعتقاد بأنه يملك مواهب فوق المواهب البشرية ، كما يخشى من الاعتقاد بأن برنامج عدم التعاون لم ينجح الا تحت تأثيره ، وعلى فكرة أن الأمة الهندية ليس لها ايمان مستقل عنه» وكان أكبر أسباب نجاحه في زعم الحركة التي قام بها تجرده المطلق من الطموح ، وتجرده من المطامع وابتعاده عن طلب الشهرة » .

قال عنه صديقه البريطاني اندروز : « خلو الجانب التام من الاثرة مكنته من أن يرى الامور بصدق ووضوح أكثر من سائر الناس » .

وقال عنه استاذه جوكهيل Gokhale « انه من المعدن الذي تصنع منه الابطال والشهداء بل الاكثر من ذلك انه يملك القوة الروحية العجيبة التي تجعل من الناس العاديين الذين يلتفون حوله ابطالاً وشهداء » .

وجعل من آلة الغزل رمزاً لوحدة الأمة ، غنيها وفقيرها

ومحتوى خطبه خال من التأكيد والمبالغة ، وهو يتحدث في هدوء ، ويقدم نصائحه العملية في كلمات بسيطة واضحة . من امثلة ذلك النصح التي عرضها في حديثه عن آلة الغزل وطريقة استعمالها الصحيحة والخيوط المناسبة ، وامكان الاستفادة بها من اجتلاب البضائع . وقد كان لهذه النصائح والتوجيهات الحكيمة من النتائج والآثار ما تعجز عن احداثه الخطب الحماسية ، فقد استجاب له مئات الالوف من الرجال والنساء من جميع الطبقات ، وعدوا من الزم واجباتهم اليومية واسماها أن ينفقوا كل يوم بضع ساعات يغزلون أو يقبلون على النول ، واصبح استعمال آلة الغزل في القصور الفاخرة والاكواخ المتواضعة رمزاً لاتحاد الهنود من مختلف الطبقات والعقائد والاجناس .

وحرم غاندي الأقمشة الأجنبية ، فقام الناس باحراقها في الميادين الهندية

وحينما اعلن غاندي أن ارتداء الملابس المصنوعة من الأقمشة الاجنبية الصنع يعد اثماً ، وطلب من افراد الشعب أن يتخلصوا منها ، ويعملوا على ابادتها تحمس القوم لدعوته ، وبادروا الى النزول على كلمته ، واحرقت في المدن الهندية الكبرى اكثر من الأقمشة البريطانية ، واشترك في ذلك الرجال والنساء والأغنياء والفقراء .

لا تعصب ولا تجهم ، وانما هو الرفق يشع من عينيه والحنان

ولم يكن هذا الزعيم الشعبي الجليل الشأن من هؤلاء المتعصبين الذين يغلب عليهم التجهم والعبوس ، ويصعب الاقتراب منهم ، وانما كان رجلاً تشع عيناه الرفق والحنان ، والشعور بالطمأنينة والوداعة والحبور ، ولم يكن في وسع الاحداث الخارجية ان تسلبه هدوء النفس او تعكر صفاءه ، وتفيض من نفسه ينابيع السرور ، قال عنه الشاعر الكبير طاغور « كانت خفة الروح طبيعة ملازمة له ، ولم تتخل عنه حتى في اشد الازمات » وحينما عرف اصدقاؤه ان الامر باعتقاله على وشك الصدور جاءوا اليه جازعين ليودعوه ، وكان يلقاهم ببشاشته المعهودة ، ويحيون عليهم بكلماته المرحة ، واشتاكه زمامه ، ويوجه الى كل واحد من اصحابه كلمة حب وتقدير او عبارة فكهة مبلجة .

وكان من غذائه الأرز والتمر ولبن الماعز

وكان غاندي يلقى كل انسان لقاء وديا ، ولذلك كان يضطر اعداءه وخصومه الى ملاينته والرفق به ، وكان اسلوب حياته غاية في البساطة ، فغذاؤه الرئيسي الموز والليمون والتمر والقليل من الارز ولبن الماعز ، وكان لا يتعاطى المشروبات الروحية ، ولا يشرب القهوة ولا الشاي ، وقد حاول في اثناء سنوات دراسته في انجلترا ان يتبع اسلوب الحياة الاوروبية ما وسعه امكانه ، ولكنه اخفق في ذلك ، وكان يعتريه الخجل حينما يظهر في المجتمعات ، وقدم له في اجتماع لحم فتذكر العهد الديني الذي قطعه على نفسه بأن يكون نباتيا متشددا فقام وترك المائدة وغادر الاجتماع ، ومن تلك اللحظة اعرض عن كل محاولة لجعل نفسه جنتلماناً انجليزياً .

وفي جنوب افريقية جهاد

وقضى بعد ذلك سنوات عدة في جنوب افريقية يجاهد من اجل حرية ابناء وطنه الذين كانــوا يعاملون اســوا معاملة ، ويعانــون ضروبا من الاضطهاد والطغيان ، وقد عاش بها عيشــة زهد وتقشف ، وجعله تأثره بآراء رسكن Ruskin وتولستوى يحاول انشاء مســتعمرة من رجال يؤثرون ان يعيشوا عيشة بسيطة ، وقد اشترى قطعة ارض ، واقام عليها منازل ، وجعلها مقرا للهنود المهاجرين يستطيعون ان يعيشوا بها في امن وسلام ، وقد كلفه انشاء هذه المستعمرة تضحيات شخصية مادية كثيرة .

مستعمرة اسسها في الهند
ارتضى اصحابه فيها الزهد هدف الحياة

ولما عاد الى الهند انشأ مستعمرة شبيهة بها ، ولكنها كانت مقصورة على اقاربه الادنين وتلاميذه الذين ارتضوا حياة الفقر والزهادة ليصلوا الى معرفة الحق ، وكانت حجرات هذه المستعمرة لا تحوي سوى الضروري من الاثاث المنزلي ، ولان الذين يقيمون بها كانوا قد علموا انفسهم على الاستغناء عن كل شيء لا تستوجبه المحافظة الضرورية على الحياة ، وكانوا جميعهم يشعرون بانهم مضطرون الى نبذ كل ما يزيد عن حاجتهم من المقتنيات ، وكان غاندي يقول لاصحابه :
« من رأيي اننا جميعا نكون لصوصا بطريقة من الطرق اذا قبلنا شيئا لسنا في حاجة اليه للاستعمال المباشر ، ومن قوانين الطبيعة الاساسية انها تزودنا بما يكفي لحاجاتنا من يوم ليوم ، ولو اكتفى كل انسان بأخذ ما يكفيه ولم يزد على ذلك لما كان في الدنيا فقر ، ولما كان هناك من يموت جوعا ، وقد تعودت في حياتي ان لا املك شيئا لست في حاجة اليه ، وما دام هناك ثلاثة ملايين من الناس يكتفون بوجبة واحدة في اليوم فليس من حقنا ان نطمع في اكثر من ذلك ويتحتم علينا الواجب ان نأتي باختيارنا المسغبة اذا استلزم الامر لكي نزود الفقراء ونطعمهم ونكسوهم » .

والى جانب غاندي وقفت زوجته وولداه

وكانت حياة غاندي واسرته تتبع هذه التعاليم، فكانت حيطان حجرته عارية غير مزينة بالصور ، ولم يكن في الحجرة التي كان يستقبل فيها زائريه سوى رف كتب ومكتب صغير ، وقد اعطى هو وزوجته كل ما كانا يملكانه للفقراء ، وقد شاركته زوجته « كاستوربای » في جهاده ، وقد كان زوجها وهو في الثالثة عشرة من عمره ، ووقفت في شجاعة واصرار الى جانب زوجها في جهاده حينما كان في جنوب افريقية ، وحينما سجن ولداها لمشاركتهما في الحركة الوطنية ، ولما جاءتها رسائل من جميع انحاء الامبراطورية البريطانية تتضمن العطف انذاك رسالة شكر قالت فيها :
« ليس هناك سوى اثنين من اولادي في السجن ، في حين ان به الوفا من الشبان قد انتزعوا من احضان امهاتهم » .

وكان اولاد غاندي يقتدون به ، ويسيرون منهجه، وحينما وجهت اليه تهمة المشاركة في الحركة ضد الحكم البريطاني صاح قائلا « اني مذنب ، وان التهمة الموجهة الي صحيحة ، وما قلته وما صنعته قد قلته وصنعته عمدا متعمدا ، وكنت ادرك تمام الادراك معنى ما فعلت واطالب باقصى العقوبة القانونية».

رأي غاندي في العفة والشهوة الجنسية

وكانت تعاليم غاندي في مراعاة التقشف والزهد تلزم مريديه واسرته في المستعمرة بمراعاة العفة في العلاقات الجنسية ، فلا يسمح للمتزوجين بالاقامة في جواره الا اذا وعدوا وعدا صادقا بالتنازل عن علاقاتهم السابقة ، وبان يعيشوا مع زوجاتهم معيشة الاخ مع اخته ، وكان من رأي غاندي ان العفة التامة في الفكر والكلام والعمل لازمة لبلوغ الكمال الروحي ، وان الرجل الذي يكبح جماح شهواته الجنسية يفقد الخوف من الموت ، ويدرك الحياة والانسانية تطور شخصيته ، وهذه الآراء تذكرنا برأي الروائي تولستوى في روايته المشهورة « كريتزر سوناتا » فقد ذهب تولستوى في هذه الرواية الى انه ليس هناك خطيئة تجر الى عواقب سيئة وخيمة مثل الحب القائم على الشهوة، وقد حاول ان يثبت في هذه الرواية ان مصدر الشر جميعه يأتي من اتخاذ الرجل والمرأة كل منهما الآخر وسيلة للمتعة واللذة . والزواج القائم على الحب الشهوي في رأي تولستوى اثم ، والعائلة عند تولستوى من علامات انحطاط النوع البشري . وكان غاندي كذلك يدعو الى الامتناع عن ممارسة الشهوات الحسية ، وان تحول القوة

التي منحها لنا الله الى الجهود العقلية والروحية وهو يعترف بذلك في مطالع حياته خلاف ذلك ، ولذلك عرف الخطر المادي والأدبي الذي نجم عن هذه المخالفة .

درس في انجلترا ٣ سنوات

وقد نال غاندي اجازة الحقوق بعد أن امضى في انجلترا ثلاث سنوات ، ولما رجع الى وطنه زاول مهنة المحاماة زهاء سنتين ، وذهب الى جنوب افريقيا للدفاع عن قضية باحدى الشركات الهندية ، وهناك وجد نفسه مضطرا الى ان يخوض غمار السياسة دفاعا عن حرية مواطنيه من الهنود الذين كانوا يعملون بها .

وقرأ في السجن الكثير

وقد وجد غاندي أن الميل الى الترف والانغماس في الشهوات الجنسية سائد في الهند ، فاراد ان يقدم لقومه مثلا من نفسه في تحري الزهد ، والتزام العفة ، ليثبت لهم انه في استطاعة كل انسان ان يسيطر على نفسه ، ويكبح جماح شهواته ، ومن كلماته حينما دخل السجن : « كيف يكون في الحياة بالسجن حرمان في حين ان الحياة به ليست أقل بساطة من الحياة التي احياها في خارجه ، ولا الطعام به أقل من الطعام الذي تعودت تناوله »

والواقع ان الانتقال من داره الى السجن لم يكن فيه اي تغيير يذكر في اسلوب حياته ، وكان يستغل اوقاته في السجن في اكمال ثقافته الادبية ويملأ اوقات فراغه بالمطالعة ، وقد حدثنا انه قرأ في السجن مؤلفات كارليل ، وبن جونسون ، ووولتر سكوت ، وكتب تولستوي ، ولورد رسكن مع الكتب الهندية المقدسة مثل البهاجافاد جيتا . ومن اقواله : « قرأت في السجن الكثير من هذه الكتب لاول مرة ، وكنت في العادة ابدا في الصباح بقراءة الجيتا ، واخص منتصف النهار لقراءة القرآن ، وفي المساء كنت اقرأ الكتاب المقدس مع احد الصينيين المسيحيين »

وبرغم شدة ميله الى المسيحية منذ شبابه ، واعتباره السيد المسيح من اعظم معلمي الانسانية في كل العصور ، فانه ظل يدخر اعظم جانب من اهتمامه للاطلاع على كتب الديانة الهندوسية ، وفي اثناء اعتقاله في بروندا قضى معظم وقته في قراءة المهابهاراتا Maha Bharata في نصها الأصلي ، كما شغل نفسه بالاطلاع على كتب الديانة الاسلامية ، وبخاصة السيرة النبوية واخبار الصحابة ، كما قرأ كتب التصوف الالماني جاكوب بهم ، وقد اعجب بها واشار اليها مرات في محاضراته ، واستشهد بمقتبسات من كتبه ، وهكذا كان له الاعتقال فرصة الاطلاع على الكتب التي كانت حياته السياسية الحافلة بالعواصف تحول بينه وبين التفرغ لقراءتها . قال عن نفسه « كنت اجلس ، وانظر الى كتبي ، وقد خالجني سرور كسرور شاب في الرابعة بعد العشرين من عمره ، وانني الآن في الرابعة بعد الخمسين ، وصحتي معتلة » .

وقد ظل غاندي يتابع البحث في كل ما يقرأ ، ويتناول الاديان جميعها وطقوسها ومبادئها ، وقد كان وضع اساس هذا البحث في ابان شبابه ، وتبعا لتقاليد اسرته .

نشأة غاندي واسرته

وقد ولد مهانداس كارامشاند غاندي Moh في بوربندر سنة ١٨٦٩ بمقاطعة جوجيرات ، وكانت اسرته تدين بالجينية Jaina ، وقد عرفت الاسرة بعمق شعورها الديني ، وميلها الشديد الى تحري الحق . وقد تولى جده لأبيه ـ وكان من كبار الوطنيين ـ منصب الأمير الحاكم ، واضطر الى ترك بلاط بوربندر ، ولما لقاه حاكم بالجاه مرحبا به مد اليه يده اليسرى مصافحا سيده الجديد ، قائلا في شجاعة وثبات : « انه برغم ما وقع عليه من الظلم فان يده اليمنى لا تزال في خدمة أمير بوربندر » .

واحتل والده الكر ابيه ، فكان وزيرا للمالية ، وتولى منصب الأمير مثل ابيه فذهب الى راج كوت ، وحظي فيها بثقة الحاكم .

غاندي يضل ثم يهتدي

ومن الافكار الاساسية في النحلة الجينية وصية « الاهمسا » التي تنهى عن القتل . وقد تعرض غاندي وهو طالب للتأثر بآراء اقرانه من الطلبة في الالحاد ، وبدأ يتنكر لعادات قومه وتقاليدهم ، وهو يروي انه في ذات ليلة اصابه كابوس لانه اكل اللحم لاول مرة ، فاعرض عن ذلك كله ، وطوى ما بينه وبين زملائه المستترين ! ووقع في الدين

لشرائه سرا لفافات من التبغ ، واضطر الى سرقة قطعة من النقود الذهبية من أخيه الاصغر ليسدد ما عليه من الدين ، وندم في أعقاب ذلك ندما شديدا على ما اجترح من اثم . ولم يقو على تحمل وزر الكذب وفقدان الامانة ، وصمم في النهاية على أن يكتب اعترافا بذنبه ، وقدمه لأبيه وهو على فراش المرض ، فالقى عليه نظرة ، ومزق الورقة وقد دمعت عيناه ، وقد جعل هذا المنظر غاندي يكره الكذب والسرقة طوال حياته ، وهو يحدثنا بأن هذا النوع من الصفح الذي أبداه والده هو « الاهمسا » الخالصة النقية .

في انجلترا

واتم غاندي دراسته الثانوية سنة ١٨٨٧ وبعد أن حضر بعض محاضرات في جامعة هندية نصحه أحد البراهمة من أصدقاء أسرته بالذهاب الى لندن لدراسة القانون ، ولم توافق والدته على سفره الا بعد أن قطع على نفسه عهدا بالامتناع عن تناول النبيذ واللحم والمباشرة الجنسية ، وكان غاندي نفسه يؤثر دراسة الطب ، ولكن أخاه الاكبر بلغ اليه تشريع جثث الموتى ، وترك غاندي زوجته وطفله الحديث الولادة ، وأبحر على احدى البواخر الى انجلترا وشعر بوحشة الاغتراب في المدينة الضخمة ، ولكنه صمم على البقاء بها ثلاث سنوات حتى ينهي دراسته ، وفي اثناء وجوده بلندن عرف مدام بلافاتسكي ومسز بيزانت وهما من شهيرات المتصوفات ، وعاد الى بومباي سنة ١٨٩١ بعد اتمامه دراسته ، ونجاحه في الحصول على الاجازة المطلوبة .

اشتغاله بالمحاماة

وفي اثناء اشتغاله بالمحاماة كان يحتفظ بحقه في رد القضايا التي يعهد بها اليه اذا وجد أن بعض الحقائق قد أخفيت عنه .

الحب سلاح قاوم به غاندي الشر

وحينما اعتدى عليه أحد المسلمين المتعصبين في سنة ١٩٠٨ رفض تقديم المعتدي الى المحاكمة ، وفي اليوم نفسه الذي وقع فيه الاعتداء عليه حضر أنصاره من الغلاة الى خطوة ضد المعتدي وهو يرقد دامي الجراح وقال : « ان الرجل لم يكن يدري ما هو صانع ، فقد ظن أني مخطىء فيما أصنع ، وقد حاول اصلاح ذلك بالطريقة الوحيدة التي يعرفها ، ولذلك أطلب أن لا تتخذ أي اجراءات ضده ، واني أصدقه وسامحه واكسبه الى صفي بالحب » .

وكان هذا ما حدث ، ففي السنة التالية أرسل هذا المعتدي الى غاندي رسالة يؤكد له فيها مشاركته الوجدانية واحترامه العميق ، وانه سيبذل قصارى جهده لانتشار أفكار غاندي. وهكذا كان غاندي يعتقد دائما أن الحب هو السلاح الوحيد الذي يقاوم به الشر ، وقد هوجم واعتدى عليه من الغوغاء ثلاث مرات ، وكاد يقضي نحبه في احدى هذه المرات ، ولكنه كان لا يغضب على المعتدين ، وقد سجن أربع مرات ، وكان يهش لساجنيه ، ولا يبدي أي لون من ألوان الامتعاض أو الكراهة ، وكان يوصي زملاءه من المسجونين بأن لا يعتبروا حراس السجن أعداء لهم ، بل ينظروا اليهم كأنهم اخوة ويقول : « ان حسن معاملتنا لحراس السجن ينتزع من نفوسهم سوء الظن والعداوة » .

غاندي والمنبوذين

وبرغم شدة تمسك غاندي بالديانة الهندوسية فانه كان ينفر دائما من فكرة تجنب المنبوذين ، ويعتبرها عيبا في الديانة الهندوسية لايستطيع استساغته ، وقد اداه بحثه الى أن مسألة عدم لمس المنبوذين ليست ناحية هامة في الديانة الهندوسية الصادقة ، وقد صرح بأنه لا يتردد في عدم طاعة الكتب المقدسة اذا كانت تتضمن نظاما ظالما وانه لايخضع لسلطة عقيدة تنافر العقل ، وتخالف ما يمليه القلب ، وقد اقتنع بأن اقصاء المنبوذين لا سند له من الدين ، وانما هو من المسائل الدخيلة ، وأن الكتب الدينية لاتستطيع أن تتجاوز حدود العقل ، وأن المقصود بها تنوير العقل واظهار الحق ، وكان غاندي يصارح قومه بأن معاملة المنبوذين من أقوى أسباب النكبات التي حلت بالهند ، ويقول لهم : « اذا كنا قد عرضنا في جميع انحاء العالم معاملة الصابين بالجذام معاملة الا اننا قد عاملنا خمس أبناء جنسنا هذه المعاملة نفسها ، لقد أصبحنا نحن المنبوذين نحن منبوذي الامبراطورية البريطانية » .

وكان يعلن مرارا أن تحرير الهند من الاستبداد

الاجنبي لا يكون ممكنا الا اذا منح الهنود انفسهم المساواة في الحقوق للطبقات المضطهدة ، وانه لا فائدة من الحديث عن تحرير الهند ما دام الهنود لا يحمون الضعيف ، ولا يساعدون العاجز ، وطلب من جماهير الشعب وهو في السجن ان يسمحوا للمنبوذين بان يشربوا الماء من آبارهم ، وبان يلحقوا ابناءهم بمدارسهم ، وكان جانب كبير من جهود غاندي السياسية وقفا على مساعدة المنبوذين ، واذا لاحظ الهنود ان حركة عدم التعاون مع الانجليز لاتتوج بالنجاح الا اذا اشركوا معهم المنبوذين ، وشدة عطف غاندي على المضطهدين والمظلومين هي التي دفعته الى مقاومة الحكومة البريطانية ، وافكار غاندي السياسية جميعها مصدرها وباعثها فرط انسانيته .

غاندي والفن

وقد اخذ على غاندي انه لم يترك مكانا للفن في حركة الاحياء الهندي ، ولما وجه اليه اللوم من اجل ذلك قال انه لا يجهل قيمة الفن ، ولكنه لا يرى جمالا يعلو على جمال الطبيعة غير المحدود ، وان الفن الانساني لايستطيع ان يصل الى مستوى جمال الطبيعة ، ولا ان يبارى روعة السماء المرصعة بالنجوم ، وكان ينظر الى الفن باعتباره عاملا اجتماعيا واخلاقيا مناسبا . وهو في ذلك يقترب من آراء تولستوى عن الفن ، ومن كلماته « الحياة اعظم من الفن ، ويجب ان تكون اعظم من كل الفنون ، بل اني لاذهب ابعد من ذلك ، واعلن ان الرجل الذي تقترب حياته من الكمال هو اعظم الفنانين ، وما قيمة الفن اذا لم يكن له اساس متين من الحياة النبيلة ؟ » .

وكل ما هو حق جميل في راى غاندي ، والرجل الذي كذلك فنان ، فالسيد المسيح الذي عرف الحق فنان عظيم ، وكذلك النبي محمد والقرآن اعظم الاعمال الفنية في الادب العربي جميعه ، وغاندي ينظر الى الفن من ناحية اسهامه في التمهيد للوصول الى الكمال الاخلاقي ، والفن الذي يكتفي باخراج الطرف الفنية الجميلة فحسب لا حق له في الوجود لان الصورة الخارجية قوام اهميتها في التعبير عن الروح الكامنة ، ويضرب غاندي مثلا لا يعده من الفن الصحيح الفائقة كتابات اوسكار وايلد Oscar Wild ، ويقول انه لا ينصب نفسه ناقدا فنيا ، فهو يعرف حدود معرفته في ذلك ، ولكنه يرى ان من حقه نقد اوسكار وايلد لما شاهده بنفسه من تأثيره السيء التام وجوده في انجلترا ، ويقول غاندي ان اعظم عيب في راى اوسكار وايلد يقوم على كمال الصورة ، ولذلك لم يتردد في اعلان شأن الخروج على الاداب ، ويرد على القائلين بان الكثير من الطرف الفنية الجميلة اخرجها رجال خلت حياتهم من سمات الكمال بقوله « لا يدل هذا الا على ان الحق والباطل والخير والشر يمكن ان تتجاور ، والفنان قد يعرف الحق مرة ، ويتورط في الباطل مرة اخرى ، ولكن الجمال التام لا يوجد الا اذا كان موجده قد استلزت نفسه بتلقى معرفة الحق » .

وغاندي في اخضاعه الفن للمعايير الاخلاقية يتفق مع آراء تولستوى التي وضعها في كتابه « ما هو الفن » والواقع ان غاندي كان ينظر الى الفن والثقافة بوجه عام من ناحية تأثيرهما على الحياة الاجتماعية ، ولم يكن ينقص غاندي رهافة الحس والتذوق الفهم ، ولكن معرفته بما تعانيه الطبقات الفقيرة من البؤس والحرمان كانت توجه تفكيره هذا التوجيه ، فاطعام الجائعين ، ومواساة البائسين لهما المكانة الاولى في اهتمامه .

وقد ادرك غاندي ان سبب فقر الهند هو انتهاب اوروبا القومية ، وذلك بتصدير محصولاتها الزراعية الخام ثم استيرادها بعد ذلك مصنوعة من الخارج ، ولذلك راى ان احياء الصناعات والمهن الهندية القديمة هو الذي يرد على الهند رخاءها السابق ، وينقذها من مخالب الفقر المدقع ، وكان هذا هو سبب دعوته الى مقاطعة البضائع الاجنبية والعودة الى استعمال المغزل .

عند غاندي : ان الحضارة الغربية قائمة على الالحاد ، والهندية على الايمان بالله

وكان غاندي من اعرف الناس بما في الهند من عيوب وآفات ، وقد قاومها اشد مقاومة ، ولكنه كان في الوقت نفسه يرى ان الحضارة الغربية قائمة على الالحاد ، في حين ان الحضارة الهندية قائمة على الايمان بالله ، وعنده ان الذي يحب الهند ويخلص لها يلزم ان يتعلق بثقافتها تعلق الطفل بصدر امه ، ولم يكن ذلك منه عن تعصب او ضيق في الفكر ، فان « الاهمسا » الصادقة التي كان يتبناها توصي بحب المخلوقات جميعها وتتضمن الاهمسا « الانتصار على الهمسا عن طريق الحب والعطف وانتزاع السلاح من الشريان نقابله بفعل الخير . ويشمل عطف غاندي حتى

الثعابين والوحوش الضارية ، ومن اقواله في هذا الصدد : « لنذكر دائما ان الثعابين قد خلقها الله الذي خلقنا ، وخلق جميع المخلوقات الاخرى ، وطرائق الله لانستطيع اكتناه سرها ، ولكن علينا ان نكون واثقين من انه لم يخلق الحيوانات مثل السبع والثعبان والعقرب لكي تبيد الجنس البشري » .

« واهمسا » في رأي غاندي علاج ناجع لكل الشرور والنقائص والمساوىء .

بين غاندي وتولستوي

وقد اشار رومان رولان Romain Rolland الى التشابه بين غاندي وتولستوي في كتابه القيم عن غاندي ، وهو يرى ان غاندي كان مسيحيا بطبيعته ، اما تولستوي فكان مسيحيا بقوة ارادته لا بطبيعته وقد راسل غاندي تولستوي في سنة ١٩٠٩ الناسك الفيلسوف الروسي . ، تولستوي عطفا واعجابا بتلميذه الهندي وقال في رده على رسالته « تلقيت رسالتك الجد شائقة ، وقد سررت بها سرورا عظيما ، وارجو الله ان يعين اخواننا الاعزاء في الترانسفال ، ويقينا الآن تدور المعركة نفسها بين اللين والقسوة ، وبين الوداعة والحب ضد الكبرياء والعنف التي يزداد الشعور بها عاما بعد عام ، وبخاصة في الصراع الحادث بين النواميس الدينية والقوانين الدنيوية لرفض الخدمة العسكرية ، ومثل هذا الرفض يتزايد من يوم ليوم ، واحييك تحية الاخاء ، ويسرني دوام الاتصال بيني وبينك » .

ثورة على الحكم البريطاني فريدة المثال

والثورة التي قام بها غاندي ضد الحكم البريطاني معتمدا على قوة الخير والصلاح والامتناع عن العنف ومقابلة الاساءة بالاحسان فريدة المثال في التاريخ ، وحقيقة انه في العصور السالفة دعا المصلحون والقديسون وموجهو الاديان الى المقاومة السلبية في مواجهة الشر ، ولكن الذي يمتاز به حركة غاندي الثورية عن الحركات السالفة هو ان غاندي كان لا يعد الامتناع عن العنف من التعاليم والوصايا الدينية والاخلاقية للافراد او للمجتمعات الصغيرة وحدها ، وانما كان يراه اساسا للحركة السياسية ، وهو بذلك قد احال التصور الاخلاقي الى نظام سياسي عملي لاول مرة في التاريخ ، ويقول غاندي : « ان الاهمسا في اعتقادي اسمى كثيرا من العنف ، والصفح اكثر رجولة من العقوبة ، والقوي هو الذي يستطيع الصفح عن الضعيف ، والقوة لا تأتي من الكفاءة البدنية ، وانما تأتي من الارادة التي لا تقهر » .

وكان يؤكد دائما ان الامتناع عن العنف ليس حالة سلبية ، وانما هو في الواقع مواجهة اسمى للضغط والاضطهاد .

وكان يرى ان فصل السياسة عن الاخلاق من اسباب انحطاط الامم السياسي ، ويشير الى ان موجهي الاديان العظماء كانوا كذلك من الساسة الكبار ، ويذكر في ذلك السيد المسيح والنبي محمدا . ولا تسمو السياسة وتتشرف الا اذا امتزجت بالعناصر الدينية .

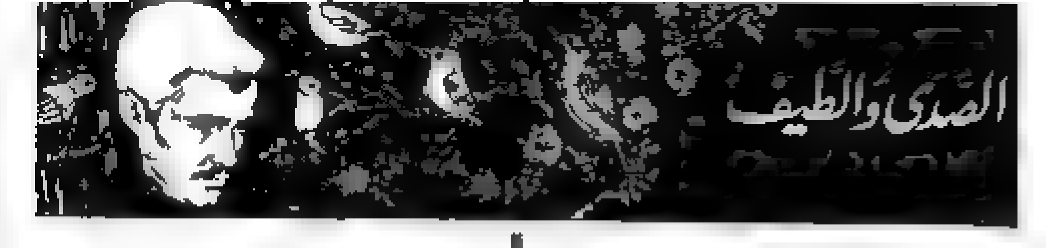
حب الوطن وحب الحق

وقد التقى مرة بالزعيم الوطني الهندي المتطرف « تيلاك » Tilak وكان من كبار زعماء الهند السياسيين واصحاب السابقة والماضي الناصع في الجهاد القومي ، وكان تيلاك رجلا قوي الشكيمة، ماضي العزيمة ، عظيم الاعتداد بنفسه ، وكان اجتماعه بغاندي من قبيل المصادفة في منزل احد اصدقاء غاندي على غير ترتيب سابق ، فلما التقى الزعيمان وجها لوجه ، اخذ كل منهما يتأمل الآخر وهو صامت لا يتكلم ، واستمرا على هذه الحالة بعض الوقت ، وخرج الزعيم تيلاك من صمته ، ووجه هذا السؤال الى غاندي « انت تحب الهند حب الابن ، ولكنك تحب الحق كذلك ، فاذا خيرت بينهما فايهما تختار ؟ » .

فصمت غاندي مدة دقائق ، ثم قال في تؤدة « في رأيي ان الهند والحق مترادفان ، ولكن اذا كان علي ان الزم بالاختيار بينهما فاني اكون في جانب الحق » فانصرف تيلاك ، ولم يتلاق الزعيمان بعد ذلك .

فالوطنية عند غاندي لاتعلو على النزعة الانسانية ، وآفة عصرنا الحاضر ان الامم ، وبخاصة الامم القوية البعيدة النفوذ العظيمة التأثير تمعن في الوطنية الضيقة الحمقاء ، وتعزل الروابط الانسانية ، وتغلب المصلحة الخاصة جميعها ، وقد ذهب هذا الرجل الفذ العظيم ضحية اعتداء اثيم من احد المتعصبين المهووسين يوم الجمعة الموافق ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ . ■

علي أدهم



يا حبيبي كدت أبكي من حبي
طول هذا الليل لم تغمض جفوني
بين أطياف وذكرى وأنين
وشكوك جاثمات كالمنود

لستُ أنسى قصةَ الحب العجيبهْ
وليالينا البواكيرَ الطروبهْ
لم تزل مني على البعد قريبهْ
هي في القلب صفاءٌ وعذوبهْ

لستُ أنساها أحاديثَ المساءْ
ولقانا خلسةً وسط الخلاء
وتناجينا إذا غاب الضياء
واستراح البدرُ في حضن السماء

كلُّ ما في الكون مشوق وعاشقْ
هدير الرعد بالأشواق ناطق
وجمال الحب تحكيه الحدائق
إنما العشق مُذابٌ في الخلائق

ياحبيباً عشتُ في دنياه عمرا
لم أذق منك سوى الآمال خمرا
لم تعِ حبي ولم أكتمك سرا
أنت تُغرّي بي وإني بك أغرى

الصدى والطيفُ هاجا ذكرياتي
والرُّؤى والدمعُ أرّقَ حياتي
آه ماذا خبأت لي أمسياتي
بعد سُهدي وشرودي وشكاتي

يا لمسجون ولكنْ لا قيودْ
غير حبٍ ووفاءٍ ووعود
وأمانٍ كأعماق الوجود
خامصات مثل أحلام الوليد

قلتُ أنساكَ لتنساني الجروحْ
وتعودَ الروحُ للقلب الذبيح
وإذا بي في عناق مستريح
أستحثُّ الردَّ من ملغ القروح

محمد عبد الفاضل



هكذا رسم ليوناردو نفسه بيده البصري بعد فشل بصره ... وان هو بدا اكبر سنا مما كان حين رسم هذا الرسم (سنة ١٥١٢) فما ذلك الا لميله الى الشيخوخة

الفنان الفلورانسي الشهير



رسام ونحات ومعماري شهير ومخترع وعالم في آن.

بقلم : يوسف زعبلاوي

● قد لا يجد المرء في كتب التاريخ جميعها ذكرا لرجل تعددت مواهبه، وكثرت كفاياته كليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci . اعتبره البعض مثال الرجل العالمي الجامع، وقد استوعب اكثر منابع عصره، عصر النهضة الاوروبية الحديثة، من فنون وفلسفة وعلوم .. ورأى فيه آخرون قمة عليا من قمم العبقرية الانسانية، وقد تسنى له من الاكتشافات والابتكارات الشيء الكثير ..

ولعل اغرب ما يذكر في هذا الصدد اهتمام ليوناردو وخبرته بالشؤون العسكرية، وقد ترك بين مذكراته عددا من الرسوم والمخططات لآلات صممها للهجوم والدفاع في الحروب . ثم انه عمل في خدمة سيزار بورجيا بصفته مهندسا عسكريا . كذلك عرض ليوناردو خدماته وخبرته هذه في الرسالة التي وجهها الى دوق ميلانو، لودوفيكو الـ "مورو Lodovico il Moro"، وقد قال في تلك الرسالة . « استطيع ان اصنع من اسلحة الهجوم والدفاع في الحروب ما لا سبيل الى حصره .. » واشار صاحبنا في تلك الرسالة الى التحصين والمدفع وغيرهما الى ان قال : « هذا الى جانب الاسلحة الآلية الاخرى التي استطيع صنعها والتي تمتاز بكفاية عجيبة .. » .

لا عجب اذن ان كان ليوناردو دافنشي شغوفا بالرياضيات التي تفترضها الهندسة العسكرية، كما لا يخفى، وقد انشغل بها في وقت من الاوقات الى حد زهد معه في بيع لوحاته الفنية، بل رفض استقبال الراغبين في شرائها ..

اضف الى ذلك اهتمام ليوناردو في عدد من الصناعات، نذكر منها صناعة المرايا، وقد ذكر مرجعوه الكثير عن التجارب التي اجراها في تلك الصناعة اثناء وجوده ضيف شرف في الفاتيكان وكان ذلك في العقد الثاني من القرن السادس عشر . ومن طريف ما يذكر هنا ان العمال الالمان الذين ساعدوه في تجاربه تلك لم يتقنوا عملهم بالقدر الكافي، ولم ينفذوا تعليماته بالدقة المطلوبة .. وانه كثيرا ما غضب عليهم بسبب ذلك .

ولم يقف ليوناردو دافنشي عند ذلك الحد من اهتماماته . فقد قام بعدد كبير من البحوث ووضع عددا كبيرا من الرسوم والمخططات في شؤون التشريح . اضف الى ذلك انه عكف على دراسة الصوت الانساني والم بالكثير من المعلومات عن طبقات الارض . اما الميكانيكا واعمال الري والتجفيف للمستنقعات فقد استأثرت بالكثير من عنايته وظفرت بالكثير من مكتشفاته . وقد اثارت



ليوناردو كما رسمه رفائيل في لوحة جدارية له شهيرة .



ليوناردو كما رسمه رفائيل في لوحة « مدرسة أثينا » .



ليوناردو دافنشي كما رسمه ميخائيل انجلو سنة ١٥٠٢ .

تلك الاكتشافات العلمية مشاعر الاعجاب والدهشة في جموع الفرنسيين الذين زاروه وهو في بلدة كلو Cloux الفرنسية ، التي قدم اليها بدعوة من الملك فرنسوا الاول ، والتي امضى فيها السنوات الاخيرة من حياته .

ولا يفوتنا ان نشير في هذا الصدد الى الوصية التي كتبها ليوناردو واوصى فيها بممتلكاته لصديقه وتلميذه فرانسسكو ميلزي Francesco Melzi فقد عدد ليوناردو تلك الممتلكات ، فذكر منها اول ما ذكر ، الكتب والمذكرات ، ثم اتبعها بالآلات والادوات .. اما اللوحات وسائر موجودات مرسمه فلم يشر ليوناردو اليها الا بعد ذلك .

ومع ذلك فقد كان ليوناردو رساما وفنانا في الدرجة الاولى وبحاثا مكتشفا في الدرجة الثانية . هكذا كان ليوناردو في نظر معاصريه ، وفي نظر الاجيال التي جاءت بعده . وهكذا كان مدلول ما تنطق به رسومه ولوحاته .

يصدق ذلك على لوحة باخوس التي نراها على الصفحة الثانية ، ويصدق بخاصة على لوحة الموناليزا (١) ، اشهر لوحات ليوناردو دافنشي ، وعلى لوحة العشاء الاخير ، اكثر تلك اللوحات قيمة واتقانا . فالشخصيات التي تراها في هذه اللوحات وامثالها شخصيات مبتكرة بكل ما يعنيه الابتكار . فقد ابدعها الفنان كما لم يفعل احد غيره من الرسامين جميعا . وحسبك ان تتأمل ابتسامة الموناليزا وتلاحظ ما تخفيه او تنم عنه تلك الابتسامة من رقة وغموض ، لتدرك ما اجمع عليه اكثر النقاد من ان ليوناردو هو سيد الابداع بين الرسامين جميعا ، وقد لا يقترب منه في ذلك سوى عملاقي النهضة الحديثة الآخرين ، رفائيل ومايكل انجلو . ويجدر بالذكر هنا ان غالبية الرسامين الفلورنسيين قد قرأوا الكثير مما كتب ليوناردو ، زعيم مدرسة فلورنسا ، واخذوا الكثير عن لوحاته وتأثروا باسلوبه .

ومما يؤسف له حقا ان عدد ما رسمه ليوناردو من لوحات كان قليلا ، ويعللون ذلك بحرص الرسام على تحقيق الكمال فيما ابتكره ذلك . كذلك يشعر الكثيرون بالاسف لان ليوناردو لم يراع الجودة في اختيار اصباغه وسائر المواد التي استعملها في رسم لوحاته . ولو كان احتاط لذلك لما كان التلف قد اصاب الكثير من تلك اللوحات ، بما فيها لوحة العشاء الاخير التي اضطروا لترميمها مرارا .

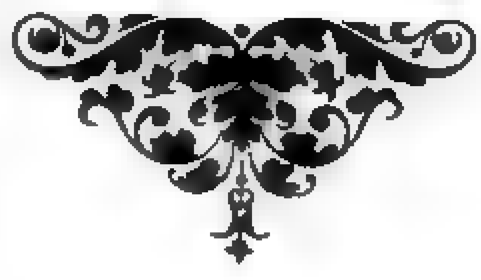
ويجدر بنا الا نختم هذه الكلمة قبل الاشارة الى حقيقتين قلما يذكرهما الناس عن ليوناردو دافنشي . الاولى هي ان رسامنا العبقري هذا كان الابن غير الشرعي للمحامي سير بييرو دي انطونيو Ser Piero di Antonio وقد ولد في بلدة فينتشي ، في منتصف شهر ابريل من سنة ١٤٥٢ . الا ان جده ، لا ابيه الذي ذكرنا ، ما لبث ان ضمه الى الكنيسة ، وادخله في عداد اسرته رسميا . اما الحقيقة الثانية فمتصلة بيد ليوناردو اليمنى ، وهي اليد التي كان يرسم بها ويكتب . اذ اصيبت هذه بالشلل في السنوات الاخيرة من حياته ، شأنه في ذلك شأن بتهوفن الموسيقي الذي فقد سمعه في اواخر ايامه . وتجدر الاشارة الى ان ليوناردو ما لبث ان اتقن الرسم والكتابة بيده اليسرى ، بعد تعطل يمناه ! ولم يعش ليوناردو طويلا بعد ذلك وقد توفي سنة ١٥١٩ عن عمر يناهز ٦٧ عاما .

---

(١) انظر صفحة ٤٠ من عدد مارس ١٩٦١ من العربي .



٩ مدارس



بقلم
زاهيه راغب الدجاني

■ ابتدأ سعي المسلم لنيل المعرفة منذ ظهور الاسلام . فانتشرت حلقات التعليم في عدة اماكن من البلاد الاسلامية تهدف جميعها لتحقيق غاية واحدة ، نشر العلم ، ومن هذه الحلقات الدراسية ما كان يعقد في الكتاب ، او في قصـــور الخلفاء والامراء ودور الاغنياء ، او في دكاكين بيع الورق ، او في المسجد . ولكن مثل هذه الحلقات لم تكن لتتيح نظاما دراسيا منظما مبنيا على اسس ثابتة . ومن هنا فقد مست الحاجة لوجود مدارس خاصة بالتعليم ، تتبع فيها الاصول التربوية الصحيحة ، ويتوفر للطالب فيها دراسة شتى المواضيع العلمية والادبية ، وقد تحققت هذه الغاية في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، عندما شهد العالم الاسلامي افتتاح مجموعة مـن المدارس المخصصة للتعليم العالي في العصر السلجوقي سميت بالمدارس النظامية . وهي اسست في عهده ازدهار حركة فكرية في ميادين الادب والعلم .

وموضوع بحثنا هو هذه المدارس النظامية عامة ونظامية بغداد خاصة .

المدارس النظامية وتأسيسها

المدارس النظامية هي تسع مدارس اسسهـــا الوزير السلجوقي نظام الملك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . وسميت بالنظاميات نسبة الى اسمه . وقد اسست هذه المدارس في المدن الاسلامية الآتية : بغداد ، الموصل ، البصرة ، اصبهان ، مرو ، نيسابور ، هرات ، وبلـخ . وبالنسبة لمفهومنا الحديث يمكننا ان نطلق اسم « كليات » او « جامعات » على هذه المدارس لكونها معاهد للدراسات العليا ، ومراكز هامة لنشر الثقافة الرفيعة ، ولكونها تضم نخبة علماء واساتذة العصر السلجوقي . واشهر هذه المدارس نظامية بغداد التي بدأ العمل بها عام ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م والتي تم بناؤها عام ٤٥٦ هـ ، وتقع على نهر دجلة . اما شهرة هذه المدرسة فيعود الى منزلة بغداد السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية . فبغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وملتقى المفكرين



أسسها نظام الملك في القرن الخامس الهجري

والادباء والعلماء ، ومركز الفلسفة . وعليه فلا غرو ان تنال نظامية بغداد مثل هذه الشهرة .

سبب تأسيس هذه المدارس

لقد اختلف المؤرخون والنقاد على الاسباب التي دعت نظام الملك الى تأسيس مدارسه النظامية . فمن قائل بأن الغاية من انشائها هو توطيد الامن والاستقرار في البلاد السلجوقيه التي كانت تقع تحت تأثير موجة عارمة من الاختلافات المذهبية . ومن قائل بأنها وجدت لتدعيم الشافعية كسلاح قوي ضد المعتزلة ، بل وانها تمثل انتصار الاشعرية (١) على المعتزلة . ومن قائل بأن الغاية منها هو محاربة الشيعة الباطنية . فالى اي مدى نستطيع اثبات صحة هذه الاراء او عدم صحتها ؟

اذا القينا نظرة على المجتمع في بغداد في العصر السلجوقي ، نجد ان هذا المجتمع كان يضم عددا من الجنسيات المختلفة كالعرب ، والاتراك ، والاكراد ، والفرس وغيرهم . اما بالنسبة للاديان فقد كان المسلمون يمثلون الاكثرية كما كان هنالك عدد من النصارى واليهود . اما فيما يتعلق بالمسلمين فقد كانوا ينقسمون الى فئتين شيعة وسنة . فاهل السنة كانت لهم مذاهب اربعة الشافعية الحنبلية الحنفية والمالكية . وكان هنالك صراع متلازم بين اصحاب هذه المذاهب ، يزيده تأججا واشتعالا تعصب بعض الحكام لمذهب دون آخر فهذا الكندري وزير طغرل بك الحاكم السلجوقي كان شيعيا معتزليا شديد الحقد على الاشعرية . وقد دفعه حقده الى الطعن بهم لدى طغرل بك فطعن الاخير غضبه على الاشعرية ، واصدر اوامر ترمي الى لعنهم على المنابر ، واتهامهم بالكفر ، وحرمانهم من القاء الخطب والقيام بالوعظ في المساجد . كما ان الكندري استطاع ان يكسب الحنفية الى جانبه ضد الاشعرية . كل ذلك ادى الى استياء شديد من بعض مفكري وعلماء الاشعرية امثال شيخ الحرمين ابو المعالي الجويني ، وابو قاسم القشيري ، فرحلا عن بغداد . كما شرع عدد آخر من علماء الاشعرية بالدفاع عن انفسهم كابي اسحق الشيرازي وغيره معلنين ان هدفهم الاسمى هو الدفاع عن الاسلام وعليه فمن يلعنهم فكأنما يلعن جميع اهل السنة . ومن هنا تأزمت الاوضاع ، وظلت الامور تزداد تعقيدا حتى تولى نظام الملك الوزارة ، واصبح وزيرا للكشاه السلجوقي . فكان اول ما عزم على تنفيذه هو توطيد الامن في البلاد ، والحد من الصراع الناشب بين اصحاب هذه المذاهب ، وعليه فقد اسس نظامياته ، وصبغها بالصبغة الشافعية ، وتمكن بواسطة ما زودها به من امكانات هائلة ان يجلب لها عددا من المفكرين والعلماء للتدريس بها ، وعددا وفيرا من الطلاب للاستفادة من علومها . ومن هنا يمكننا ان نستنتج ان نظام الملك استطاع توجيه اهتمام الناس الى المدارس النظامية بدل اضاعة الوقت في محاربة بعضهم البعض ، فسيطر بذلك على الوضع المتدهور في البلاد السلجوقية .

نظام الملك صاحب السلطة الاولى في نظامياته

كان نظام الملك هو المسؤول الاول عن هذه المدارس عامة . فهو بما يتميز به من علم وخبرة

---

١ ـ يذكر السبكي احد مؤرخي المسلمين ، والمتبع المذهب الشافعي انه لا يمكننا ان نفصل ما بين الاشعرية والشافعية بدليل ان الامام الشافعي كان عالما بعلم الكلام ، بينما كان الاشعري امام المتكلمين شافعيا .

وذلك يعين المسؤول عن ادارة كل مدرسة من مدرسيه . وكثيرا ما كان يبني المدرسة من اجل مدرس ، بل ويعين هذا المدرس قبل بناء المدرسة احيانا . فقد اسس نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد مثلا للشيخ ابي اسحق الشيرازي كمسئول عن هذه المدرسة ، وذلك لما كان يعرف عنه من علم ، ومعرفة ، وتفوق على جميع علماء عصره . وقد اشار كثرة من المؤرخين الى ان الشيرازي لم يحضر الحفلة الافتتاحية لنظامية بغداد والتي افتتحت لاجله . فقد روى ابن الاثير تفاصيل ذلك في كتابه الكامل في التاريخ حيث يقول : « وفي ذي القعدة من سنة تسع واربعين واربعمائة فرغت عمارة المدرسة النظامية في بغداد ، وقرر التدريس بها الشيخ ابي اسحق الشيرازي فلما اجتمع الناس لحضور الدرس ، وانتظروا مجيئه ، تأخر ، فطلب فلم يوجد ، وكان سبب تأخره ان لقيه شخص فقال له : كيف تدرس في مكان مغصوب ! فتغيرت نيته عن التدريس بها ، فلما ارتفع النهار ويئس الناس من حضوره اشار الشيخ ابو منصور بن يوسف بابي نصر الصباغ صاحب كتاب الشامل . وقال لا يجوز ان ينفصل هذا الجمع الا عن مدرس ، فجلس ابو نصر ، ولما علم نظام الملك الخبر لم يزل يرفق بالشيخ ابي اسحق ويزيل شكوكه حتى درس بالمدرسة وكانت مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما » .

والجدير بالذكر ان السبب الذي يمكن ان يكون قد ادى الى تغيير رأي الشيرازي الخاص بالتدريس بالنظامية ، هو اشتباه بعض طلبته من تصرفه هذا ، بل وتهديدهم له بالانسحاب من المسجد الذي كان يدرس فيه في حالة الالتحاق بالنظامية . وتهديدهم هذا جاء حتما للامور المادية المتوفرة للطلاب في النظامية غير المتوفرة في المسجد . وعليه ، فقد وافق الشيرازي على طلب نظام الملك العودة للقيام بادارة المدرسة النظامية في بغداد .

الاساتذة والمعيدون

تتكون اعضاء الهيئة التدريسية من مدرس الفقه واصول الفقه ، ومن مدرس القرآن وقواعد اللغة العربية ، ومن واعظ ومسئول عن المكتبة من التابعين للمذهب الشافعي في هذه المدارس . وكان نظام الملك هو الذي يختار هؤلاء الاساتذة ويعين كل من يرى فيه كفاءة وقدرة وخبرة التدريس في مدارسه . ثم يرتب له معاشا كافيا يجعله لكي يوجه المدرس كل طاقته لنشر العلم . وعليه ، فان تعيين الاساتذة واقالتهم كان نابعا من ارادة نظام الملك الشخصية ، وهذا يؤكد ان الضمان الكفيل ببقاء الاساتذة في مراكزهم التعليمية لمدة معينة من الزمن لم يكن متوفرا . وعدم توفر مثل هذا الضمان للاساتذة كان يؤدي احيانا الى بعض الاضطراب والاختلال في نظام التدريس .

هذا من ناحية ، اما من الناحية الاخرى، فبالرغم من ان الضمان لم يتوفر للاساتذة ، فان نظام الملك لم يغفل عن تقديره للاكفاء منهم وتقديره هذا كان ممثلا باعادة تعيين هؤلاء الاساتذة مرتين او ثلاث مرات في المدرسة ، وخلال فترات متقطعة من الزمن . وقد درس في هذه المدارس عدد كبير من الاساتذة الذين كانوا يتمتعون بشهرة عظيمة وصيت رفيع بين علماء المسلمين ، فمن هؤلاء ابو اسحق الشيرازي ، ابو المعالي الجويني ، ابو بكر الشاشي ، ابو عبد الله الطبري ، ابو زكريا يحيى الخطيب التبريزي ، ابو حامد الغزالي ، موهوب ابن احمد الجواليقي ، البغدادي ، رضي الدين القزويني ، وابو بكر الانباري وغيرهم .

وبالاضافة الى الاساتذة ، فقد كان يعين مساعدان او ثلاثة لكل مدرس يعرفون بالمعيدين . وعمل المعيد هو اعادة المحاضرة التي يلقيها الاستاذ . ويضم عمله ايضا شرح النقاط الصعبة من الدرس للطلبة ذوي الادراك المحدود منهم ما استعصى عليهم خلال المحاضرة الاولى ومن هؤلاء المعيدين شرف الدين الشهرستاني والفيروز ابادي وغيرهم .

طريقة التدريس المتبعة في هذه المدارس

كان الاستاذ يعين مقررا للطلاب لقراءتها بتمعن، ثم يطلب طرح اسئلة كتابية له لكي يشرحها لهم . ويجيب الاستاذ على جميع هذه الاسئلة الموجهة اليه من قبل الطلاب . ويعطي فرصة لاجراء مناقشة وجدال في الصف ، حيث يتسنى لكل

طالب التعبير عن رأيه في الدرس المقرر . وهكذا يظهر ان الاساتذة كانت تقدر مواهب الطلبة وكان هذا يؤدي الى تفوق كثير من هؤلاء الطلاب في عدة ميادين .

الامكانات التي كانت توفر لطلبة المدارس النظامية

لقد وضع نظام الملك جميع التسهيلات التي من شأنها ان تجلب اكبر عدد من الطلاب لاكمال دراستهم العليا في هذه المدارس . فجعل العلم مشاعا وحقا للجميع ، الغني والفقير . وشرع باعطاء منح للطلاب المعوزين تشمل ملابسهم ونومهم وطعامهم . فبنى امكنة خاصة للسكن الداخلي حيث كان يعيش عدد من الطلاب والمدرسين ، كما جعل امكنة خاصة للدراسة ، الى غير ذلك من الملحقات . كل هذه التسهيلات كانت تحتاج الى ميزانية كبيرة ، وقد ذكروا ان ما كان ينفقه نظام الملك على هذه المدارس يزيد على ٦٠٠,٠٠٠ دينار في السنة . ويذكر ان الريع الذي خصص لنظامية بغداد من الاوقاف بلغ ١٥,٠٠٠ دينار في السنة . ومن الجدير بالذكر ان ريع هذه الميزانية مستمد من الاوقاف والعقارات .

المواضيع التي كانت تدرس بالنظامية

لقد تميزت المدارس النظامية باشتمالها على برنامج دراسي رفيع يضم معظم المواد واهمها الفقه واصول الفقه للمذهب الشافعي ، الحديث ، الادب ، التاريخ ، علم الفلك ، والطب ، بالاضافة الى بعض المواضيع الاخرى التي اضيفت الى البرنامج الدراسي في وقت متأخر من تأسيسها .

هذا ، وكان طلاب النظامية يستعينون بالمكتبات القيمة التي زود نظام الملك مدارسه بها . اذ كانت هذه المكتبات تحتوي على كثير من الكتب والمخطوطات النفيسة . وأوقف عدد من نوابغ وعلماء وحكام ذلك العصر كتبا قيمة للنظاميات . ويذكر ان نظامية بغداد زودت بمكتبة مشتملة على فهرس دقيق يحتوي على اكثر من ستة آلاف مجلد .

الاثر الذي خلفته هذه المدارس

من جميع ما تقدم يستنتج ان المدارس النظامية ساهمت في اعداد عدد ضخم من الادباء والشعراء ، والنحاة ، والمؤرخين وغيرهم . وقد نبغ هؤلاء في عدة مجالات كالتاريخ والادب والشعر وعلم النحو والى غير ذلك . فمن هؤلاء الشاعر سعدي الفارسي صاحب المؤلفات الشهيرة في الادب والشعر . والمؤرخ الاديب عماد الدين المعروف بالكاتب الاصفهاني الذي سطر الحوادث التاريخية التي حدثت في عهد صلاح الدين الايوبي . ثم حميد بن يونس المعروف (بعماد الدين) الذي بذل جهدا في تحويل مذهب حاكم الموصل لنور الدين ارسلان من الحنفية الى الشافعية . وهذا دليل على الدور الفعال الذي قامت به المدارس النظامية لتدعيم ونشر المذهب الشافعي .

الخاتمة :

ان المدارس النظامية بما وضعته للطلاب من منح دراسية ، وبما وفرته لهم من امكانيات هائلة ، وبما جلبته من مفكري وعلماء العصر السلجوقي ، جعلت منها محطة لانظار الجميع ، وعليه فقد اقبل اليها الطلاب من شتى الامصار الاسلامية ليكملوا سبل دراساتهم العالية في مدارس تحمل اسما عظيما وشهرة عالية . وان هذا ليذكرنا بالطلاب في عصرنا الحاضر . فالطالب الذي يذهب الى جامعة السوربون او اكسفورد او هارفرد ليتلقى علومه لدى اساتذة مشهورين كالاستاذ Gibb مثلا ، نرى مثله من كان يذهب لنظامية بغداد ليتلقى علومه لدى العالم والمفكر الاسلامي الكبير الامام الغزالي . كما ان ما نراه اليوم من سعي بعض الطلاب للدراسة بجامعة توفر لهم منحا مالية تعينهم لتحصيل علومهم ومعيشتهم .. كان مثلهم طلاب يلجأون للمدارس النظامية لتحقيق مثل هذا الغرض .

ان ما نعرفه اليوم من دراسات جامعية كان يعرف بالامس ، وما يسمع به اليوم من تقدير للدراسات الجامعية ما هو الا امتداد لدراسات مثلها كانت بالامس . ■■

زاهية راغب الدجاني



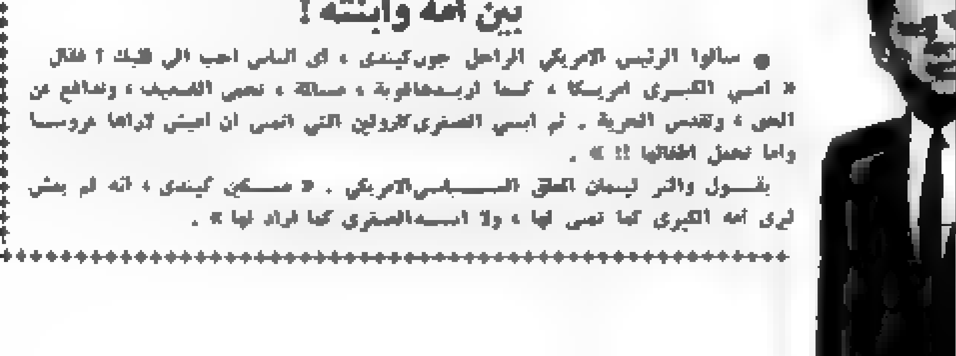
عندما يقع المخترع في شر اعماله !

● سير روبرت واطسون وات Sir Robert Watson-Watt العالم البريطاني المعروف الذي ساهم في تطوير أجهزة الرادار خلال الحرب العالمية الثانية ، كان يقود سيارته بسرعة جنونية في احد الطرق الرئيسية التي تربط لندن بالريف ليلحق بموعد هام مع المهندسين الذين كانوا يعملون تحت اشرافه في اقامة محطة للرادار في احدى البقاع القريبة من العاصمة .

ونجح سير روبرت في الوصول في موعده ، ثم عاد الى بيته في لندن بعد ان انهى عمله في المساء . ثم مرت بضعة ايام فوجىء بعدها باحد ضباط شرطة المرور يطلب اليه المثول امام القضاء بسبب قيادته لسيارته بسرعة .

واستبدت الدهشة بالعالم الكبير ، وقال على الفور محاولا ان ينفي التهمة عن نفسه : « هذا افتراء . انا لم اقد سيارتي بسرعة ، ثم أين هذا الشرطي الذي حرر لي هذه المخالفة ، الم يكن بمقدوره ان يلحق بي ، اني لم ار على الطريق شرطيا واحدا من رجال المرور ! » .

وهنا قال الضابط في هدوء وهو يبتسم : « لم نكن في حاجة هذه المرة الى شرطي يكشف عن سرعتك فقد كشفتها شبكة الرادار التي سبق ان اقمتها لنا ياسيدي ، وهذه اول مخالفة نحررها بعد تجربتنا لجهازك الجديد بنجاح ! » .



كيندي
بين أمه وابنته !

● سألوا الرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي ، اي الناس احب الى قلبك ؟ فقال « امي الكبرى امريكا ، كما اريدها قوية ، عادلة ، تحمي الضعيف ، وتدافع عن الحق ، وتقدس الحرية . ثم ابنتي الصغرى كارولين التي اتمنى ان اعيش لأراها عروسا واما تحمل اطفالها !! » .

يقول والتر ليبمان المعلق السياسي الامريكي . « مسكين كيندي ، انه لم يعش ليرى أمه الكبرى كما تمنى لها ، ولا ابنته الصغرى كما اراد لها » .

عودة الغائب !

● كتب جون مورلي John Morley (١٨٣٨ ـ ١٩٢٣) المؤلف والسياسي البريطاني الذي كان وزيراً لشئون ايرلندا في الحكومة البريطانية عام ١٨٨٦ ، كتب صلاة خاصة عندما اعاد اليه احد اصدقائه كتاباً كان قد استعاره منه لفترة طال امدها ، حتى تصور صاحب الكتاب انه فقده الى الأبد .
قال : « اشكر الله على عودتك ، فقد كنت رفيقاً لي في وحدتي : ونعم الرفيق .
« عندما افترقت عني ، كنت اشعر انني قد فقدتك الى الأبد ..
« لقد اسلمت نفسي لمرارة الفراق مدة طول عشرة لا تنسى ..
« وها قد عدت لي اليوم ، انني اشعر بسعادة تغمرني ، سوف اعود اليك انا بدوري .. شكراً وحمداً لله .
« ولكن هل نسيت انا شيئاً ؟ . نعم نسيت .. ان عودتك لي تذكرني بهؤلاء « الاصدقاء الغرباء » الذين استضفتهم في مكتبتي .. اليوم سأعيد الكتب التي استعرتها انا الى اصحابها .
« لا اريد ان احرمهم من متعة هذا اللقاء من بعد فراق ! » .

بين اللمس والبصر !

اختلفوا ، فقال البعض : « اللمس اصدق من البصر .. وقال الآخرون : لا شيء يعادل رؤية الشيء بالعينين ! » .
وجاءوا بالمثل الهندي الشهير ليحكم بينهم ! .
يقول المثل ان نبيلاً هندياً احضر فيلاً كبيراً ووضعه في حظيرة مظلمة ثم دعا خمسة رجال الى دخول الحظيرة بعد ان غطى عيونهم ، وقال : « في هذه الحظيرة شيء ما ، وعليكم ان تكتشفوا ما هو هذا الشيء باللمس دون ان ترفعوا العصابة السوداء من على عيونكم ! .
ودخلوا ولمسوا ، وقال احدهم : انه انبوب كبير . بعد ان تحسس باصابعه خرطوم الفيل ! .
وقال الثاني : هراء ، بل هو جذع شجرة ضخمة ، وكانت اصابعه قد لامست ساق الفيل .
وقال الثالث : « خطأ في خطأ .. انها ورقة شجرة هائلة ! » وكان قد تحسس اذن الفيل ! .
وقال الرابع محتداً : ما هذا الذي تقولون ؟ انه حائط صلب عال ! وكان قد لامس بيديه جسد الفيل من احد جانبيه ..
وصرخ الخامس : « كفى تخريفاً .. انه ليس الا حبلاً سميكاً .. » وكان قد امسك بذيل الفيل !! .
لقد تصور كل واحد من الرجال الخمسة انه هو الوحيد الذي اكتشف حقيقة هذا الشيء في الظلام ! ونسوا جميعاً ان الحقيقة الكاملة كانت ستكون امامهم ، لو ان بصيصاً خافتاً من الضوء تسلل الى اعينهم ليكشف لهم صورة الفيل كاملة !! .





قصة للكاتب الروسي :

أنطون تشيكوف

■ كان « بريكوفتش » — وهو شاب اصلع تماما — يشغل في وقت ما وظيفة في احدى دور القضاء ؛ ولكنه ترك عمله بعد حين واصبحت عوله زوجته الثرية صاحبة النزل المفروش « المعد للايجار » ، الذي يحمل لافتة عليها كلمة « تونس » .

وذات ليلة وفي وقت متاخر اندفع خارج شقته الى الدهليز واغلق الباب خلفه بكل قواه واخذ يتمتم .

— اوه ... هذه المخلوقة الشريرة ، البلهاء ، الغبية ، لقد جمع الشيطان بيني وبينها ... هذه الشمطاء ذات الفم الواسع ... ليس شيء يستطيع ان يزمجر بصوت اعنف منها الا المدفع .

كان بريكوفتش يختنق حنقا وغضبا ، ولو انه كان التقى عند ذاك مصادفة بشيء هش ؛ او خادم نائم من خدم النزل ، لاسعده ان يكيل له الضربات كي ينفس عن غضبه .

وكان القدر على علم بمافيه ، وراغب في ان يقدم له بعض العزاء فوضع في طريقه «كلابفكين» وهو موسيقي يشغل الغرفة رقم ٢١ ، وقد تعود ان يتاخر في دفع الايجار ، وكان كلابفكين يقف امام باب غرفته وهو يترنح بطريقة ملحوظة يحاول فتح الباب بمفتاحه ، وكان يتاوه ويسب شخصا ما طالبا له الذهاب الى الجحيم ، ولكن المفتاح ابى ان يطيعه ويمضي الى حيث كان مفروضا فيه ان يمضي ، وكان كلابفكين يتارجح وهو يضرب ثقب الباب بيده ويمسك باليد الاخرى صندوق الكمان، وقد انقض عليه بريكوفتش مثل الصقر وصاح في غضب .

— آه ... انه انت . اسمع ... لقد تاخرت اسبوعين . سوف اقطع راسك ، سوف اطردك يا سيدي العزيز ... لياخذك الشيطان .

وقال الموسيقي في بطء هادئ

— انك تعترض طريقي ... وداعا .

وتابع بريكوفتش كلامه قائلا :

— عار عليك يا سيد كلابفكين ، انك تحصل على مائة وعشرين روبلا كل شهر ، وفي امكانك ان تدفع في الموعد ، ولكنك لا تتصرف بطريقة لائقة يا سيدي العزيز ، عار عليك ان تفعل ذلك .

واخيرا سمع صرير القفل وفتح الباب .

واستمر بريكوفتش وهو يتبع الموسيقي الى غرفته

— نعم يا سيدي ، ان ذلك ليس من الامانة في شيء انني احذرك ، اذا لم تدفع غدا فسوف اسوقك الى المحكمة ، سوف ترى .. كما ارجو الا تلقي باعواد الثقاب المشتعلة على الارض ، انك سوف تسبب حريقا هنا . انني لن استبقي هنا نزلاء من مدمني الخمر .

ونظر كلابفكين الى بريكوفتش بعينيه المخروبتين الضاحكتين وابتسم ابتسامة عريضة ساخرة ، وتمتم وهو يشعل سيجارة ويحرق اصابعه باللهب :

— انني لا افهم مطلقا ما الذي يستفزك .. انني لا افهم ، وتقول انني لا اد .. ادفع ولكن كيف يهمك هذا ؟ قل لي من فضلك ، اي دخل لك في هذا ؟ انت ايضا لا تدفع الايجار ولكنني لا اكدر صفوك ؟ هل افعل ذلك ؟ انت لا تدفع ، حسنا



إنني أحذرك ، إذا لم تدفع غدا فسوف أسوقك إلى المحكمة ..

... ليباركك الله ... أنت لست مضطرا أن تدفع ..

ـ لست أنا ... لست إلا ما قلته ، إنك لست السيد هنا .. ولكن أنا .. زوجته الموقرة جدا هي صاحبة الكلمة ... إنك مستأجر ، مثل بقية المستأجرين تماما . إن هذا المنزل ليس ملكا له فلماذا تزعج نفسك إذا ؟ انظر إلي مثلا ، التي لا أزعج نفسي ، اتركني أعمل ! إنك لا تدفع قرشا

واحدا في مقابل مسكنك ، حسنا . لا تدفع ... انك في مضطر للدفع ، انني لا ازعج نفسي ولو قليلا ...

ـ انني لا افهمك يا سيدي العزيز .

تمتم بريكوفتش بهذه الكلمات واتخذ هيئة الرجل الذي اهين واصبح على استعداد لان يدافع عن شرفه حتى آخر قطرة .

وعندئذ قال الوسيطار :

ـ ومع ذلك فانا اعتذر لك . لقد نسيت انك حصلت على المنزل كمهر لزواجك ... اعتذر مرة اخرى .

وتابع كلابكين حديثه وهو يربح في وقفته :

ـ ومع ذلك لو نظرت الى الامر من وجهة نظر اخلاقية فلن تجد ما يدعوك الى التبجح ... لقد حصلت على المنزل بلا مقابل ... في مقابل شيء تافه ، ولو نظرت الى الامر نظرة شاملة لوجدت ان المنزل ملك لي بقدر ما هو ملك لك . فانا امته ... كذا' انت ؟ لانك تشغل وظيفة زوج ، اي فضل في هذا ؟ لا توجد اي صعوبة في ان تكون زوجا ... هناك في دزينة من الزوجات وسوف اكون زوجا لهن جميعا ، مجانا وبلا مقابل . سوف تسدي لي معروفا لو فعلت .

ويبدو ان زيارة الوسيطار المخمور قد جرحت مشاعره جرحا بليغا فقد احمر وجهه وظل وقتا طويلا وهو في حيرة هكذا يقول ، ثم وثب في وجه كلابكين وخبط المنضدة بقبضة يده في عنف وقال في صوت يشبه فحيح الحيات :

ـ كيف تجسر على ان تقول لي هذا الكلام ؟ كيف تجسر ؟ .

وتمتم كلابكين وهو يتراجع !

ـ اسمع لي ... القول هنا بلطف صوتي ... انا لا اعرف سببا لاستيائك ، انا ... انا لم اقصد اهانتك بل قصدت ان امدحك فانا اذا ما صادفني في حياتي سيدة تمتلك مثل هذا المنزل الفاروشي فسوف ارحب بالامر .

وصرخ بريكوفتش مرة اخرى وهو يدق المنضدة ثانية بقبضة يده :

ـ ولكن ... ولكن كيف تجرؤ على اهانتي ؟ .

وهز كلابكين كتفيه وكف عن الابتسام وهو يقول :

ـ لست ادري كيف اشرح الموضوع ... انني سكران طبعا ... وربما اهنتك فعلا ، وفي هذه الحالة ارجو ان تعفو عني ... انا اسف ... ايها الاخ العزيز ، اغفر لمازوف الكمان الاول ... اؤكد لك انني لم اقصد اهانتك .

وقال بريكوفتش ، وقد خفف من حدته ابتهاجة كلابكين المفتعلة .

ـ لقد كنت تتهكم بي ، هذه اشياء لا يتحدث الناس عنها مطلقا .

ـ حسنا حسنا ... لن يحدث ذلك ثانية ابدا ... لن يتكرر ابدا ايها الاخ العزيز .. اعطني يدك .

واستمر بريكوفتش يتحدث ، وان كانت نفسه قد هدأت تماما ولكنه لم يمد يده لمصافحة الوسيطار ، قال .

ـ يزيد من سوء ذلك انه لم يبدر مني ما تتخذه سببا لذلك ، انني لم افعل مطلقا ما يسيء اليك .

ـ كان يجدر بي هنا الا اشير الى ذلك الموضوع الدقيق ، لقد اندفعت في هذا الحديث لانني ثمل واحمق . اغفر لي ايها الاخ العزيز ... انني حيوان حقا . سوف اغمر راسي في الماء البارد حتى افيق .

وقال بريكوفتش وهو يذرع ارض الشرفة في اضطراب :

ـ ان الحياة كما نحياها كريهة وممجوجة والآن قلت انت بحماقاتك . ما من انسان يرى الحقيقة ، وكل انسان لديه افكاره المعقدة التي يعلنها دون اي خشية من ضمير . انني استطيع ان اتصور ما يقال في هذه الدار عن الناس من وراء ظهورهم ... استطيع ان اتصور ذلك ... صحيح ... انا مخطيء .. ولكن يجدر بالانسان ان يكون صبورا ... ضع نفسك في مكاني ، ولكن انت ... انت تتفوه بتلميحات بذيئة في مواجهتي .

ـ ولكنني سكران ... يا حبيبي . انني اشعر بالتخمة ، وذلك ما يؤذي مشاعري ، ولسوف ادفع لك الايجار يا اخي العزيز بمجرد ان احصل على مرتبي ، وسوف يكون ذلك في اليوم الاول من الشهر ... سوف ادفع لك ... اترى يؤدي هذا الى ان يحل بيتنا السلام والنوايا الطيبة ؟ حسنا . آه ... ايها العزيز ، انني احب التعلمين من الناس ... انا درست في الكونسرفا ... فليأخذه الشيطان ... ان لساني لا يستطيع ان ينطق بالكلمة كلها ...

واغرورقت عينا الوسيطار بالدموع وامسك

بيريكوفتش من كمه وهو يذرع ارض الغرفة وطبع على خده قبلة .

آه يا عزيزي ... انني سكران الى ابعد حدود طاقتي ، ولكنني ارى كل شيء بوضوح كاف . ايها الأخ العزيز ، دع خادم الفندق يحضر ابريقا من الشاي من اجل خاطر الكمان الأول ، يوجد قانون هنا مؤداه ان بعد الحادية عشرة لا يحق لأي انسان ان يبقى في الدهليز او يرسل في طلب ابريق من الشاي ، انني بعد انتهاء العمل في المسرح اكاد اموت رغبة في قدح من الشاي .

ودق بيريكوفتش الجرس مستدعيا الخادم وعندما قدم قال له :

ـ تيموثي ... احضر ابريقا للسيد كلابكين .

وهدر تيموثي في صوت خافت

ـ غير مسموح يا سيدي ... ان ربة الدار قد اصدرت امرا بعدم تقديم الشاي بعد الساعة الحادية عشرة .

ـ انا اعطيك امرا .

ـ لا فائدة من اعطاء الاوامر ما دام غير مسموح لنا ... ما دام الشيء غير مسموح فلا يمكن ان يحدث ... ما الفائدة ؟ .

وحنى بيريكوفتش قبضته واتجه ناحية النافذة واتجه كلابكين وقال :

ـ يا له من حال ... القول ... حسنا ، لا فائدة من الكلام ... حسنا ، لا لزوم لأن تشعر بالخجل امامي ، انني ارى كل شيء بوضوح ، انني اكتشفت ما يحجبه الكره عن الآخرين ... اعرف اسبابه النفسي ... حسنا . اذا لم يكن من سبيل للحصول على الشاي فلنشرب بعض الفودكا ! اليس كذلك ! .

وتناول كلابكين زجاجة من الفودكا من فوق قاعدة النافذة ، وبعض قطع السجق ايضا ، وجلس جلسة مريحة فوق الاريكة زاهيا بالطعام والشراب . ونظر بيريكوفتش الى الرجل المخمور واستمع الى ثرثرته التي لا تنتهي ، والتمس وجهه تعبيرا اكثر لينا واحس فجأة برغبة في الشراب ، وربما كان هذا لأن منظر الموسيقار برأسه الاشعث وزجاجة الفودكا والسجق الرخيص قد اعاد الى ذاكرته ماضيه القريب عندما كان رجلا فقيرا ولكنه معبد بحريته . وتقدم الى المنضدة وجرع كأسا من الشراب وتنحنح وقال وهو يهز رأسه :

ـ انها حياة الكلاب ... شيء تافه التفكير ، انت نصحتني منذ قليل ، وخادم النزيل اهانني ، وهكذا تمضي الحياة دون نهاية . ولماذا ؟ انها كذلك في جوهر امرها ودون سبب .

وبعد الكأس الثالثة جلس بيريكوفتش على الاريكة وهو منهمك في التفكير ورأسه بين يديه ، ثم تنهد في حزن وقال :

ـ لقد ارتكبت خطأ ... آه ... يا له من خطأ . لقد بعت شبابي ومستقبلي ومبادئي ، والآن تنتقم الحياة مني ، ويا له من انتقام قاس .

ولعبت الفودكا والأفكار الحزينة شحوب وجهه وبدا كما لو كان جسمه قد تضاءل فعلا ، وقد امسك برأسه عدة مرات في حالة من اليأس ، وقال وهو يئن :

آه يا لها من حياة ... لو كنت تعرف ...

وقال وهو يتفرس يتمعن في وجه كلابكين .

ـ اعترف بصراحة ... قل لي بشرفك ... قل لي بشرفك ، اي راي يراه الناس في امري هنا ؟ ماذا يقول الطلبة الذين يسكنون هذه الدار ؟ لا بد انك سمعتهم يتحدثون ... انا واثق .

ـ نعم لقد سمعتهم .

ـ حسنا ؟ .

ـ انهم لا يقولون شيئا .. انهم فقط ... يحتقرونك .

ولم يتحدث الصديقان الجديدان بعد ذلك ، ولم يفترقا الا في الفجر عندما بدأ الخدم يشعلون المواقد .

وتمتم بيريكوفتش وهو ينصرف :

ـ لا تدفع لها اي شيء ... لا تدفع لها مليما واحدا ... اتركها وشأنها .

وتهاوى كلابكين فوق الاريكة ووضع رأسه فوق صندوق كمانه ، وبدأ يغط في النوم .

وفي منتصف الليلة التالية عاد مرة اخرى .

وبعد ان نال بيريكوفتش حظوة ما يقدم له من الخمر على سبيل التحية الودية ، لم يعد يترك ليلة واحدة تمر بدونها . واذا لم يجد كلابكين في مسكنه كان يهبط على نزيل آخر ، يشكو اليه حظه في الحياة ، ويشرب ويشرب ويعاود الشكوى وهكذا مضت الحياة ليلة بعد ليلة . ■■

ترجمة : يسرى عطا الله



العدد ١٥٢

جمادى الأولى ١٣٩١

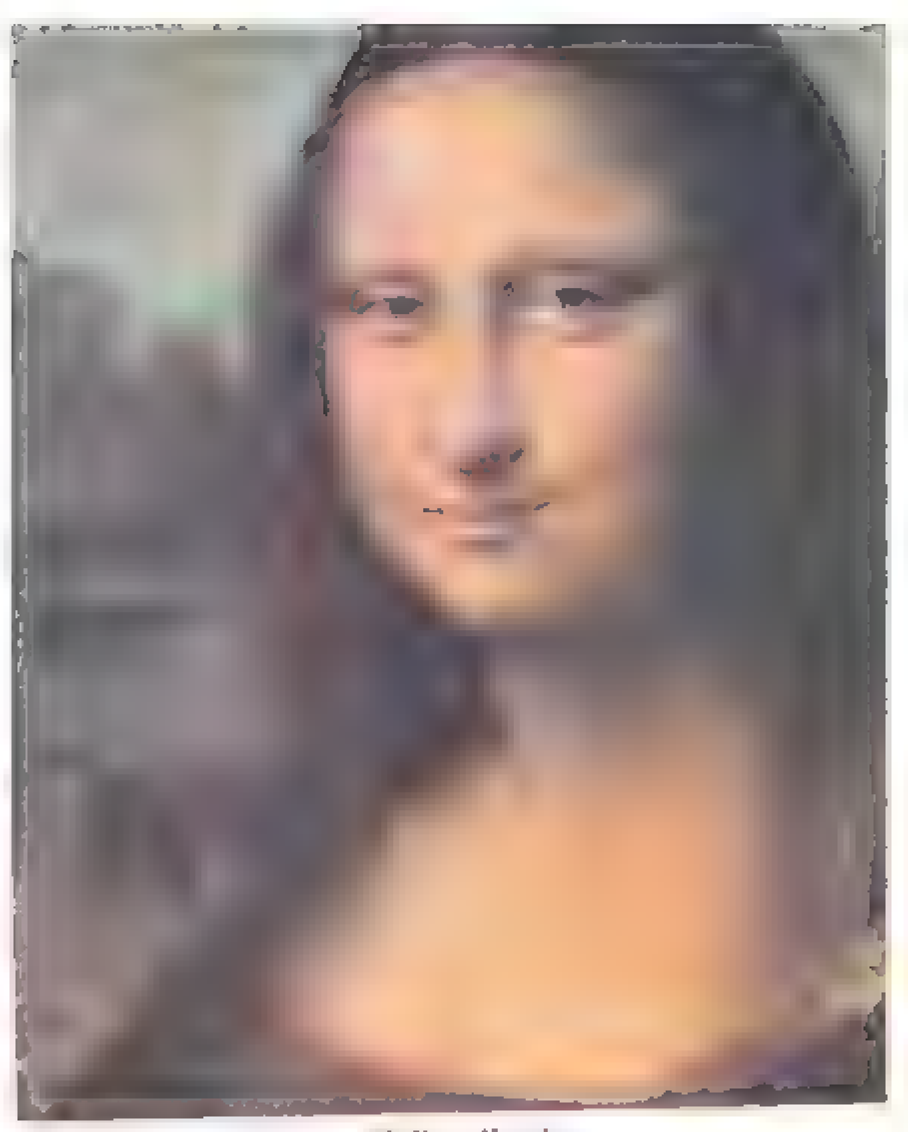
يوليو

تموز ١٩٧١

جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا



من روائع الفن العالمي

[illegible]

[illegible] وجه فرنسيسكو جوكوندو . وقد عد ليوناردو في الاعداد [illegible] رسمها [illegible] سنوات في رسمها وهو في فرنسا . وتوجد اللوحة حاليا [illegible] ٧٧ × ٥٣ [illegible]

راجع العدد ١٥١ يونيو ١٩٧١ من العربي

عزيزى القــارئ

« شرم الشيخ »

يا له من شرم

● قالت الاخبار ان اسرائيل بدات تبني في « شرم الشيخ » فندقا وتبنى هناك مدينة ، ومراحا السائحين . وان اسرائيل سوف تبني او بنت بين « شرم الشيخ » وايلات ، على طول الساحل ، طريقا ممهدا . فان صح هذا يستطيع اى قارئ ان يتخيل ما سوف ياتى بعد ذلك :

■ شرم الشيخ المدينة ستكون مدينة وميناء معا ، وهى عند مدخل خليج العقبه تتحكم فيه .

■ سيصبح شرم الشيخ ميناء حصينا ، يتحكم في الداخل الى الخليج والخارج منه .

■ يصبح الخليج العربى ، خليج العقبة ، اذن خليجا اسرائيليا، يكون هو مقر الاسطول الاسرائيلى الذى سوف يتحكم في البحر الاحمر كله ، وكل ما وقع عليه من موانىء ودول .

■ واذا صح ان اصبح شاطئ الخليج الغربي اسرائيليا ، وجب ان يكون شاطئه الشرقى كذلك . وسوف يكون كذلك ولو بحكم الواقع .

■ وشرم الشيخ المدنة ، سيصبح قاعدة للطيران عظيمة ، اقرب ميلا لقنا واسوان ووادى النيل من غرب ، ولجدة والمدينة ومكة من شرق .

هذه بعض النتائج المستخرجة من قول الاسرائيليين : لا نخرج من شرم الشيخ . وقول اهل مصر : بل تخرجون .

المحرر

YRAN

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

حديث الشهر

■ حديث الشهر : معركة الفقر والغنى خطت لها الأقدار موعدا [illegible] العرب [illegible] [illegible] بن العروق — ٨

إسلاميات

■ قاعدة العقل حجة في مذهب مالك — ١٩

أدب .. ولغة

■ صفحة في اللغة : صيغة فعول وبعض معانيها — ٤٨
■ زيارة لبيت آل برونتي — ٦٠
■ الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى — ١٠٧

استطلاعات مصورة

■ سقطرى : نحسبها جزيرة أهل الكهف (بالألوان) — ٨٤
■ قصة الزراعة في الكويت (بالألوان) — ١٢٤

تربية وعلم نفس

■ رياض الأطفال أهم المراحل التربوية — ٧٢
■ الإنسان مأكله ومشربه — ١١٩

طب .. وعلوم

■ في [illegible] موسوعة علمية — ٣٨
■ أمراض شائعة : [illegible] — ٩٧
■ أنباء الطب والعلم والاختراع
[illegible] — ١١٤
■ خطورة [illegible] — ١٣٠

■ طبيب الأسرة
[illegible] — ١٤٣

ركن الأسرة والمرأة

■ المعركة بين الآباء والأبناء : معركة [illegible] — ٨

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت

[illegible]

ALARABY – No. 152 July 1971 P.O.B. 748 – KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تليفون [illegible] – تلغرافيا العربي

الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة – قسم الإعلانات

المراسلات : باسم رئيس التحرير

● [illegible] .. أحدث [illegible] جزيرة سقطرى ، [illegible] أجمل حللها وأكمل زينتها .. والزائر [illegible] تصبح الأولى الزراعية ، وخاصة الخضراء منها .. [illegible] والعوائم [illegible] .. ومن أنها [illegible] [illegible] في الأدب [illegible] [illegible] الأصفر ، [illegible] الأحمر [illegible] [illegible] الجزيرة العربية لجيولة ، نقرأ [illegible] ابتداء من صفحة ١٨ من هذا العدد .

[illegible]

■ [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] خطوات [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] ٥٢
[illegible] .. وتاريخه [illegible]

■ [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الدولة العثمانية بعد السلطان ٢٤
■ نظام الإقطاع في مصر [illegible] القرون ٣٠

[illegible] .. [illegible]

■ [illegible] .. قصيدة [illegible] ٣٦
■ [illegible] [illegible] لي .. قصيدة [illegible] ١٤٣
■ قصيدة [illegible] لشاعر القطرين خليل مطران ١٥٨

■ كتاب الشهر : الخليج العربي ١٦٦
■ مكتبة العربي ١٧١

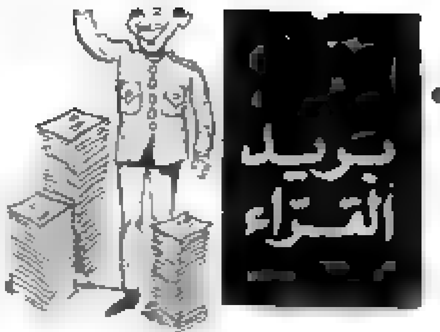
■ [illegible] في [illegible] [illegible] الجديد ١٥٤
■ [illegible] [illegible] [illegible] ١٦٣

[illegible]

■ من روائع الفن العالمي [illegible] [illegible] [illegible] ٢
■ عزيزي القارئ ٣
■ بريد القراء ٦
■ نتيجة مسابقة العدد ١٥٠ ..... ٣٧
■ مسابقة العربي ٥٠
■ طرائف عربية ٧٨
■ طرائف غربية ١٥٢
■ [illegible] [illegible] [illegible] الجمهورية العربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
أحكام الزواج والطلاق في الجمهورية التونسية ١٤٦

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلس ، الخليج العربي ٢ روبية [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ [illegible]
[illegible] السودان ١٠ قروش [illegible]
[illegible] ٢٠ [illegible] المغرب ٢ درهم ، اليمن [illegible] [illegible]

الاشتراكات [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ١٩٦٨ [illegible] [illegible]
[illegible] العربي .



يدعو لمناقشة الامور السياسية

● لا يخفى على القارىء العربي ما يبذلون من جهد في سبيل رفع مستوى العربي شهرا بعد شهر . ان مجلة العربي في هيكلها العام تعتبر مجلة علمية ثقافية اجتماعية ولو انكم افردتم فيها بابا لمناقشة الامور السياسية العالمية وحركات التحرر في العالم لاستطعتم بذلك ان تربطوا العربي بعصره وتتيحوا الفرصة امام آلاف الشبان العربي من قراء « العربي » للاطلاع على ما يهمهم في حياة العصر هذا . آملا ان يكون لاقتراحي هذا حسن القبول عندكم لما فيه فائدة للجميع .

سالم محمود علي الدوحة ـ قطر

ـ **العربي** : هذا كلام طيب ، ولكنه لا يمس الاجواء العربية المعاصرة من الحرية في ما هي ، ومن الضغط في ما هي . والذي يقرأ هذا قد يسهل عليه اقتراحه واقتراح غيره ، وهو اقتراح سهل عندما تقترحه في مصر . اما عندما تترجمه المسائل العالمية فقد يرى هذا الرأي دولة عربية ، وقد لا ترضاه اخرى والنتيجة سد الابواب حتى لا تدخل العربي الى تلك الدول غير الراضية . وهذه خسارة كبرى للشعوب وللعربي . يعالج المشاكل السياسية بأسلوب تتجنب فيه تلك الحساسية الزائدة ، وكثيرا ما يتخذ الاحداث التاريخية ليعرضها ويناقشها من وجهة الحرية والاستبداد ينتفع بها القراء في حاضرهم حتى كل جيل « ابلغ معنى واسمى ... » .

ابن رشد في قاموس المنجد

● استرعى انتباهي في العدد (١٤٩) من مجلتكم الغراء لوحة الصفحة الثانية التي ذكرتم انها تمثل اقليدس منهمكا في تدريس تلامذته اصول الهندسة . ولقد وجدت هذه نفس اللوحة في فهرس الاعلام الملحق بالمنجد صفحة (٢١٧) وقد كتب في اسفلها « ابن رشد بريشة الفنان رفائيل عن الرسم المعروف بمدرسة اثينا » .

فالرجاء تنبيه القراء الى هذا الخطأ الذي وقع فيه فهرس الاعلام ...

ماجد عز الدين / الحسكة ـ سوريا

العربي : وردت عدة رسائل تنبه لما نبهت به رسالتك . ونحن اذ نشكر للقراء اهتمامهم ننبه مع الاسف الشديد لوقوع فهرس الاعلام في مثل هذا الخطأ . فقد تسامح المرء قليلا او كثيرا بعدد الاخطاء التي ارتكبها الفهرس المذكور بحق التاريخ العربي ، قديمه وحديثه ، وقد عاد العربي على ذكر بعضها في اعداد يناير ومايو واغسطس سنة ١٩٦٧ . اما ان يخطىء الاب فردينان توتل ، مؤلف الفهرس ، في تفسير لوحة « مدرسة اثينا » الشهيرة التي ازدان بها احد جدران الفاتيكان ، وان يخلط بين اقليدس وابن رشد ، بالرغم من ان ابن رشد هذا هو الشخص الوحيد المسلم بين شخوص اللوحة المذكورة جميعا ... فهذا ما لم نكن نتوقعه على الاطلاق . ونرجو ان يبادر المسؤولون عن تنقيح فهرس الاعلام الى تصحيح هذا الخطأ ، كما نرجو ان ننشر على الصفحة الثانية من عدد مقبل من العربي الجزء الذي يظهر فيه ابن رشد من لوحة « مدرسة اثينا » .

زيارة القبور في الاسلام

● قرأنا استطلاع مدينة طنطا في عدد شهر مايو من مجلتنا العزيزة العربي ، وقرأنا ما جاء فيه عن السيد البدوي وعن زيارة المسلمين لضريحه . فهل يعتبر مشركا بالله ذلك الذي يزور قبور الاولياء والصالحين ؟

لقد فسر بعض رجال الدين هذه الزيارات بانها حرام ، مستندين في ذلك الى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذي جاء فيه « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسجد الاقصى » ، فهل لكم ان توضحوا لنا هذا الموضوع ؟

احمد غالب الكثيري الدمام ـ السعودية

العربي : [illegible] في الأدب الإسلامي ، فقلنا انك على حق فيما تقول ، ولكن [illegible] في الجمهور [illegible] ان [illegible] وزيارة ، [illegible] وغير [illegible] به [illegible] او [illegible] نتفرحم و [illegible] ولا نرى في ذلك [illegible] يزور ليحصل من صاحب القبر [illegible] الله ، فنحن في هذه الزيارة رأي آخر ، ففي الاسلام ليس هناك ما يقوم بين عبد وربه .

الباء بعد الاستبدال

● في العدد الاخير من العربي رقم ١٥٠ قرأت في بحث عن « احمد زكي باشا » بقلم انور الجندي العبارة التالية : « وقد اهتم احمد زكي باشا باستبدال كلمة « اوتومبيل » بكلمة « سيارة » وهذا تعبير غير دقيق ، ولعله خطأ شائع . فالصحيح ان نقول : « واهتم زكي باشا باستبدال كلمة « سيارة » بكلمة اوتومبيل لان الباء بعد الاستبدال تدخل على المتروك ، بدليل قوله تعالى مخاطبا بني اسرائيل « اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير ؟ » .

وانا اذ انوه الى مثل هذه الهنات ، لا يعوزني ان اذكر ان فعلتي هذه ليست الا من قبيل طلب الكمال لهذه المجلة العزيزة ، مكتفيا بقول الشاعر :

كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

رياض مراد دمشق ـ سورية

ادفع بالتي هي احسن

● [illegible] عن الفلسطيني « لا [illegible] الا [illegible] و [illegible] ..

[illegible] ـ سورية

العربي : نشرنا هذه الجملة [illegible] عن رد طويل ليتعلم الجيل الجديد من شبابنا ادب المناقشة ، فليس من المناقشة السب ، وانما المناقشة يجب دائما ان يكون اساسها الادب مهما اختلف المتجادلون « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي احسن ، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (سورة فصلت الآية ٣٤) . فهذا ادب الاسلام (انظر ص ٧٢

وادي الرافدين

● في وادي الرافدين الكثير الكثير من الاماكن الاثرية التي تحمل في طياتها روائع الحضارة الانسانية التي انطلقت منه لتغزو العالم ولتؤثر في كل قريب من ضروب حضارته . فبابل ، وآشور ، ونينوى وغيرها جديرة بان تفوز باحدى استطلاعاتكم المصورة ..

انه رجاء بلسان عربي من مجلته الكبرى العربي .

[illegible]

[illegible] محمد [illegible] الصالحي

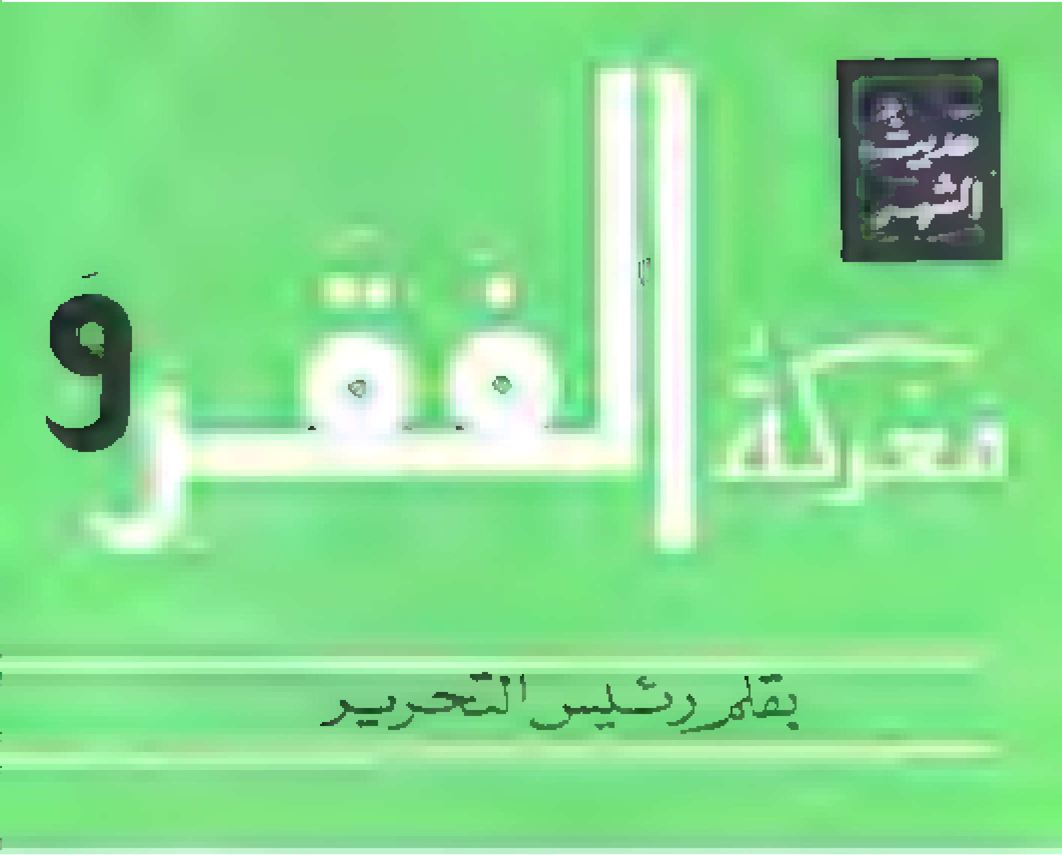
(البقية صفحة ١٧٢)

تصويب في نتيجة المسابقة

● اطلعت على نتيجة مسابقة العربي المنشورة في العدد ١٥٠ وفيها ذكر ان مدينة تبوك محفورة بيوتها في الجبل . ولكن الصحيح هو ان مدائن صالح « الحجر » هي التي بيوتها محفورة في الجبل ، اما تبوك فهي ليست قريبة من جبال او صخور ، وانما هي تقع في سهل وواحة كبيرة .

محمود عبد الله مصطفى

[illegible] ـ المملكة العربية السعودية



- المدنية الاوروبية عالجت الفقر فنجحت فيما فشلت فيه سائر المدنيات

- المدنية الاوروبية عصور ، يتلو بعضها بعضا ، انتهت بمعركة قامت صريحة بين الفقر والغنى

- من عصر النهضة ، الى عصر الاصلاح الديني ، الى عصر التنوير ، الى الثورة السياسية ، فالثورة الصناعية ، فكانت المصانع معاقل الفقراء من العمال .

- احتشدوا في المصانع لاول مرة في التاريخ ، فكان من ذلك القوة من بعد ضعف ، والاصاخة لهم من بعد ازدراء .

- وطلبوا السلاح ، فكان السلب ، يضربون عن العمل حتى تجاب المطالب .

- ارتفعت قيمة العمل والعمال ، وكل من يعمل في الدولة صار عاملا حتى رئيس الدولة ، واختلفت الاقدار والكرامة واحدة .



وحاول الانسان
اصلاح من عصر

[illegible] عصور الحديدة ، وذلك بكل ما تقتضيه من حب بحير عظيم ، ومن ديمقراطية هي في أصول حياتها ونيمه وغير . ولكن فاتهم ما لم يفت أهل أوروبا من ضرورة تحرير الفكر قبل التفكير في التخطيط [illegible]

[illegible] سمحا ، وآفاقا للرأي واسعة . وسعت الدنيا والآخرة . وأعطاهم من الرجال المتحررين ، من مثل خليفة يقول لعامله : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم [illegible] الدين صناعة ، وما جاز الدين الاسلامي أن يكون صناعة لأحد ، عمدوا بحكم [illegible] وجهلا بالفلسفة أحيانا ، ولو علموا أن الفلسفة كالفكر ، قد تؤدي الى الايمان كما قد تؤدي الى [illegible] وثاروا على تحريمها ، الى اليوم . [illegible] الاسلام . والعدل في الاسلام أساس الايمان .

على كل حال سار العرب والمسلمون [illegible] مسيرة على نحو أفقدهم فرصة من فرص الحياة كبرى . تلك ابداع حضارة جديدة [illegible] مرة كالتي نشهدها اليوم ، سداها العلم ، ولحمتها التكنيه ، وهدفت آخر الامر أو تريد أن تهدف ، لا الى افقار الغني ، ولكن الى اغناء الفقير ، والى مقاربة ما بين الحظوظ حتى لا تقف الملاق الى جانب القزم ، ولا تقف ناطحة السحاب الى جانب الكوخ ، ولا يختلط صوت التخمة المرحة الزائدة بصوت الالم الزائد في الناس .

مدنية ذات عصور

ان معركة الفقر والغنى ، [illegible] في أمم العرب معركة الحياة نفسها ، معركة النشأة الأليمة التي تصاحب كل نمو مهما كان نوعه . انها معركة المدنية [illegible]

[illegible] بدأت دون أن نعرف [illegible]

ان قصة هذه المدنية بدأت من نحو القرن الرابع عشر ، ولا تزال مستمرة في عصرنا هذا ، ولكن بخطى أسرع ، [illegible] سميناها عصورا ، ذلك لأن كل عصر تميز بشيء فيه ، وبه سمي .

وهي بدأت بعصر النهضة ، ثم بعصر الاصلاح الديني ، فعصر الثورة ، ثم

بعصر الثورة الفرنسية ، ثم بعصر الثورة الصناعية وقد احمرت احتمارا في القرن التاسع عشر . وفي احضان هذه اكتملت الاستراتيجية التي التقى فيها الطرفان ، الطرف الذي له الكثير وعنده الكثير ، والطرف الذي لا يملك شيئا ، وبدات الواقعة التي استمرت قرنا وبعض قرن ، وانتهت الى خير كثير ، ولكنه خير غير حاسم ، ولا نزال نحن في القرن العشرين نمارسها قضية من قضايا العيش لا يمكن ان تهدأ ابدا .

فان نحن قصصنا قصة هذه العصور ، فانما نقص قصة المدنية الحاضرة ، او ان شئت فقصة معركة العيش الاولى ، كيف وقعت ، وهذه العصور كيف لها مهدت ، وكيف وكم كان ما كان فيها من نصر ومن خذلان .

عصر النهضة

جاءت على اوروبا عصور اسموها بالعصور المتوسطة ، بدأت من يوم سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية عام ٤٧٦ ميلادي ، وانتهت على ما يقدرون في نحو القرن الرابع عشر ، حين بدأ عصر النهضة في الظهور .

والعصور المتوسطة كانت عصور تأخر في اوروبا ، وهي زامنت على التقريب تلك العصور التي ازدهرت فيها الحضارة الاسلامية . نامت اوروبا في تلك العصور العتيقة ما نامت ، ثم استيقظت حين بدأ العرب والمسلمون في النعاس . فكأنما الدهر ما احتمل ان يستوعب حضارتين مزدهرتين في آن .

وعصر النهضة يسمونه ايضا عصر اليقظة ، وهو بلغتهم عصر الميلاد الجديد Renaissance . وفيه بدأ اهل اوروبا يحسون ان في الدنيا علوما وفنونا ذات بال . واتجهوا خاصة الى كشف ادب اليونان وعلمهم ، وكذا ثقافة الرومان . كما اتصلوا بصلات لهم بالعرب كثيرة . وبالأدب الجديد والعلم الجديد والفن الجديد تغير مزاج الناس . فانصرفوا عن حياة القرون الوسطى ، الحياة الكنسية ، والحياة الاقطاعية ، ومالوا عن العيش في الحقول الى العيش في المدن . ومن هذه المدن مدن ازدهرت ، وكانت دولا ذات سيادة : فلورنسا والبندقية وميلان . والفن ظهر من رجاله في هذا العصر ، مثل انجلو ، ورفائيل ، واتجه اهل الفن الى الحجر ينحتونه عاريا كما فعل الاغريق .

ومن ايطاليا امتد هذا العصر الى سائر اوروبا ، وكان ابطأ وصولا .

وامتد هذا العصر الى نحو القرن السادس عشر .

وعام في تاريخ عصر النهضة لا ينسى ، ذلك عام ١٤٥٣ ، العام التي فتح فيه الترك القسطنطينية . فبسبب هذا الفتح هاجر كثير من رجال الدولة البيزنطية الى الغرب ، الى اوروبا ، وحملوا معهم من علم اليونان والرومان ما حملوا .

عصر الانشقاق الديني

وتلا عصر النهضة العصر الذي سموه عصر الاصلاح Reformation وهو يعصر الانشقاق الديني اولى . وفيه انشقت المسيحية ، فكان من انشقاقها البروتستانتية والكاثوليكية . وهو بدأ اعلانا بالقس مارتن لوثر Martin Luther ذلك الذي نشر ٩٥ نقطة عارض بها ما كان يجري في البابوية من اعمال لا يقرها ، في زعمه ، وزعم الكثيرين ، الدين . بل هي في زعمه وزعمهم الفساد كل الفساد . واصدر المجلس الكنسي قرارا يبطل به كل اصلاح زعمه لوثر ، فاحتج على ذلك امراء الكنيسة الرومانية في عام ١٩٢٩ ، وكان اسم الاحتجاج Protestatio ومنه جاءت البروتستانتية .

وقام الى جانب لوثر قسيس آخر فرنسي ، هو كلفن Calvin ، ودعا الى شبيه مما دعا اليه لوثر وتبعه من الفرنسيين من تبع Hugenots ، ومن الهولنديين والاسكتلنديين كثيرون .

في عصر النهضة ، احيت اوروبا ، مع الأدب اليوناني والفلسفة اليونانية ، الفن اليوناني ، والنحت خاصة .

وفي انجلترا اختصم الملك مع كنيسة روما في أمر زوجة أراد أن يطلقها فرفضت الكنيسة ، فانشق عليها ، واستقل بكنيسة لانجلترا وحدها ، جعل نفسه رئيسها ، فكان رئيس الشئون الدينية والشئون الدنيوية في آن .

وبقي مع الكنيسة القديمة من الكاثوليك في أوروبا ، لا سيما جنوبها ، وأنحاء العالم ، من بقي .

وكان من نتيجة هذه الثورة أن قامت كل أمة بترجمة الانجيل للغتها . وكان أمرا سهلا . فالانجيل تواليف أربعة من المسيحيين جاءوا بعد المسيح بزمن . فالنص نصهم ، واللغة لغتهم ، والذين ترجموا انما ترجموا ناسا لناس .

المهم في هذا أن هيمنة الكنيسة المسيحية ، تلك الهيمنة المطلقة، اهتزت، في عصر بلغ فيه رجالها درجة من تقدير الناس لم تكن تأذن بالرجحان . وكانت هيمنتها على الفكر مطلقة جائرة ، في دين وغير دين . فعاقبت من شذ بفكره عما ارتأت الكنيسة بالطرد وبالتعذيب وبالحرق . ومن أقاصيص محاكم التفتيش عن أسس بعيدة . وامتد هذا بعد الاصلاح .

ونعود للكنيسة المسيحية . وقد نذكرها بعصر انحلالها الكبير في عهد من عهودها ، لا في كل العهود . ولكنا نفرق بينها دائما وبين الدين المسيحي ، فالدين شيء ، ورجاله أشياء . وقد عرفنا من رجال الدين رجالا كثيرين أطهارا ، كما عرفنا من رجال الدين ، من أمثال راسبوتين في بلاط قيصر روسيا ، من وسمته الدنيا شر ما توسم به شيطان .

وفي الاسلام الدين غير رجاله

والذي نقوله في النصرانية نقوله في الاسلام . فالاسلام غير فقهائه ، وما أعطى الاسلام لفقهائه من السلطة شيئا الا النصيحة ، والا الرأي ينشرونه .

وقد كان منهم رجال عظام ذوو عقول رواجح ، ومع هذا لم يفرضوا على الناس رأيا ، وحرموا أن يتبع الناس آراءهم مذهبا . وكان منهم الى جانب ذلك رجال ، لا سيما في عهود الاسلام المتخلفة الأخيرة ، لم يرتفعوا الى القمة ، بنفاذ الرأي ، وحدة الفكر ، وبالحرية التي تكسبها المرء من الثقة بنفسه ، ورجاحة عقله ، فأرادوا أن يرتفعوا بغير ذلك ، فضلوا وضل معهم قوم كثيرون . ومنهم من فعل ذلك عن وعي ومنهم من فعل ذلك من غير وعي ، وانما هي التقوى الجاهلة ، تتشبث عادة بالنفوس . والتقوى الجاهلة توجد الى جانبها تقوى الله الواعية ، وبها تتطهر النفوس .

هل يكون في الاسلام اصلاح ديني ؟

لقد كان في المسيحية اصلاح ديني .

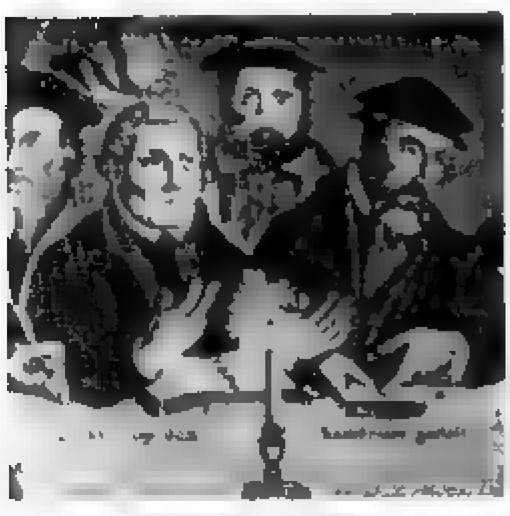
فهل يكون في الاسلام اصلاح ديني كذلك ، ان جاز هذا ، فلن يكون هذا مثل ذلك .

لقد سبق بين المسلمين للاصلاح مصلحون كثيرون ، من احدثهم واشهرهم محمد عبده والافغاني ومحمد عبد الوهاب ، وسبق هؤلاء آخرون غير قليل ، فليس في الاصلاح بدعة في دين او غير دين بعد مضي العديد من القرون .

الاصلاح الديني في الاسلام هو الرجوع الى الدين يوم كان محمد ، صلوات الله عليه ، قائما فيه ، والاكتفاء ، على الاقل في اول الامر ، بما كان فيه من اسلام . فان صح اسلام مسلم في عهد الرسول اكتفاء بما كان من دين في عهده ، والى وفاته ، فلماذا ندعي بأن اسلامنا اليوم لا يصح ، في كل امر ، الا اذا عدنا الى المؤلفات الكثيرة ، والمذاهب العديدة ، التي صنعتها القرون من بعد ذلك . وهي قرون اختلفت والغرب الذي عاشته الى حين ، واختلفت واوروبا نعيش فيها اليوم .

وغير هذا ، فهذه القرون ، باحداثها البشرية ، ومآسيها المحزنة الحربية ، وعصبياتها الضالة ، قد احدثت الى جانب الدين الذي جاء به الرسول ، صلوات الله عليه ، دينا آخر غريبا عنه ، بل اديانا ، اذا تتبعتها لم تستطع ردها الى مصدر الاسلام الاوثق والاعظم ، ذلك كتاب الله ، وردها ردا أسهل وايسر الى ما صنع التاريخ بالناس ، وما صنع الناس بالتاريخ .

وانا اذا تحدثت عن الاسلام ، لا اتحدث عن الاسلام العربي وحده ، من الخليج الى المحيط ، ولكن عن الاسلام كله ، من



صورة القس كلفن الى اليمين والقس لوثر بجواره الى اليسار



القس مارتن لوثر وهو يعلق احتجاجه على باب الكنيسة ليقرأه الناس

المحيط الى المحيط . وصدي انه يبدا من المحيط الهادي حيث جزائر الفلبين، تليها اندونيسيا وما بعدها غربا .

لا حياة لقوم بغير دين

انه لا حياة لقوم بغير دين . والدين الاسلامي سمح . والدين السمح هو الذى يقول نعم ، اكثر مما يقول لا ، و « لا » لا بد منها ، ولكن لا تقول « لا » الا بعد فكر كثير ، وحذر شديد ، واخذا بما نؤمل للعرب والمسلمين فى مستقبل ايامهم ، لا من نعمة رخيصة عازلة ، ولكن من طيب حال وطيد ، ومن عزة وقوة ومتعة لا تطيب بغيرها حياة ابدا. ولنعش الدنيا طلبا للدنيا كأحسن ما تكون ، واطهر ما تكون . ولا نقول للناس دعوا الدنيا ، ففى الآخرة منها عوض ، ان الله اوجدنا فى الدنيا لا لنتشى بها ، وليكون اجر بؤسها فى الآخرة « قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

عصر التنور

ومن بعد عصر النهضة فى اوروبا ، وعصر الاصلاح الدينى الذى تلاه ، يأتى على عصر التنوّر ، ذلك الذى اسماه الانجليز Enlightenment ، واسماه الالمان Aufklärung ، وهذا اللفظ الاخير معناه الايضاح والتبصير والاستنارة .

وآخرون اسموه عصر التعقل Age of Reason

وكان من الطبيعى بعد عصر النهضة ، عصر التثقف ، ان يتبعه عصر الاصلاح الدينى ، وهو لم يترك الناس اقل دينا . وان يأتى بعد ذلك دور العقل ليكتمل النضج .

ويختلفون فى تقدير زمان هذا العصر .

ومنهم من يبدأه بالثورة الانجليزية . تلك الثورة التى بدأت فى الاربعينات من القرن السابع عشر ، وبلغت غايتها عام ١٦٦٨ ، ثم هم يختمون هذا العصر بالثورة الفرنسية ثورة عام ١٧٨٩

وهو عصر العقول الحرة حقا

فهو فى انجلترا هو عصر هبز Hobbes ولك Locke ونيوتن Newton

وهو فى اسكتلنده عصر هيوم Hume وعصر آدم سمث Adam Smith

وهو فى فرنسا عصر مونتسكيو Montesquieu وعصر فلتير Voltaire وعصر ديدرو Diderot وعصر روسو Rousseau (صانعو الثورة الفرنسية) .

وهو فى المانيا عصر كنط Kant ولسنج Lessing وهردر Herder .

وهذا العصر امتاز باعادة النظر فى كل شيء ، والنقد بالشك قبل اليقين ، فى كل سلطة قائمة ، سياسية كانت ، او اجتماعية ، او دينية ، وفى التقاليد ، ما كان منها نافعا وما كان ضارا . والعقل هاديهم فى كل هذا .

عصر التنور عاصر عصر العلم الحديث

وصادف ان عاصر عصر التنور ، عصر نشأة العلوم فى اوروبا كذلك . وممن بدأ من رجال العلم ، جاليليو (١٥٦٤ — ١٦٤٢) Galileo . وليس من لا يذكر موقفه من دوران الارض حول الشمس ، وموقف الكنيسة من ذلك . ومنه بسبب ذلك . هو يقول تدور ، وهم ينكرون . وانذروه بالعذاب وهو شيخ ، اذ حسبوا انه انما قال كفرا . فما كان من الرجل الا ان قرعت شيخوخته من العذاب ، فرضخ . وجاليليو مات عام ١٦٤٢ .

والحق ان عصر العلوم بدأ اوله قبل عصر التنور . ومنه ما بدأ حتى قبل عصر الاصلاح الدينى ، ولقى رجاله من اجل ذلك عنتا كبيرا .

ومن ذلك ان كوبرنك Copernicus

الذي يسمونه أبا علم الفلك الحديث لما ارتآه من دوران الارض والكواكب جميعا حول الشمس ، ولد عام ١٤٧٣ ومات عام ١٥٤٣ ، واتم مؤلفه الكبير في هذا الشأن عام ١٥٣٠ ، وخشي الكنيسة فلم يطبعه عند ذاك . وطبع الكتاب ، وبلغته اول نسخة منه ، وهو على فراش الموت

الثورة السياسية والثورة الصناعية

بعد عصر التثقف .

وبعد عصر التحرر .

وبعد عصر التنور

وجد أهل اوروبا ، لا سيما اهل الغرب والوسط منها ، انهم تأهلوا لخوض صراع مشكلتي الحياة الاثنتين القديمتين العويصتين ، مشكلة الحكم الذي ظل الدهور الطويلة مستبدا ، ومشكلة لقمة العيش التي ظلت طوال الايام والليالي الماضية لا تتيسر ولا تتسهل . فقامت من اجل ذلك الثورات السياسية ، ولحقتها تلك الاخرى الصناعية .

ثورات ثلاث تحل مشاكل الحكم

جاءت الثورة الفرنسية ، ومن قبلها ثورة الاستقلال الامريكية ، ومن قبل هذه كانت ثورة انجلترا الملكية ، وكلها ثورات كبيرة ، صاحبتها وسبقتها ثورات صغيرة ، هدفت جميعا الى حل مشاكل الحكم بما تحقق وما حطت الشعوب من خطوات نحو التقدم ، والتنور ولارادة الحياة للخروج من ماض شديد الظلمة الى حاضر ومستقبل تسطع فيهما الانوار .

معركة الفقر يدخل جنودها في الميدان

ثم جاءت معركة لقمة العيش ، معركة الفقر وما امكن للفقر ان يكون له جنود ، ولا للمعركة ان يكون لها ميدان ، الا في العهد الصناعي . عهد الثورة الصناعية التي حكينا من امرها ما حكينا في الكلمة السابقة .

انها الثورة الصناعية التي جاءت بعد الثورة بل الثورات السياسية ، وملأت البلاد غلا وسمنا ، وزادت الفقراء العاملين فيها تعاسة وفقرا .

انها الثورة الصناعية التي جاءت وتجاوزت اوروبا مع اهل الشرق متواصلة متزايدة ، ومع اهل الغرب ، اهل القارة الجديدة . مزدهرة متصاعدة . لا يزيدها تصاعدا الا المصانع تزيد مما تصنع من اشياء جديدة ، على انماط من الممكنات مريحة عجيبة ، في اجواء تسودها الامال المتصاعدة . الا آمال الرجال القائمين



فلتير
الكاتب الفرنسي الكبير
ممن اشعلوا نار الثورة الفرنسية

كوبرنيك
ابو علم الفلك
الحديث

«قاعدة العمل»

حجة في مذهب مالك

بقلم : عبد الله كنون

● عرف مذهب الامام مالك بالوسطية بين الحرفيين المتمسكين بظاهر النصوص ، واصحاب الراي الذين لم يكن للنقل ولا للنص عندهم اهمية كبيرة . وهذا النحو في التفقه والاجتهاد يدل على حصافة فكر وبعد نظر ، عرفهما المتقدمون للامام مالك واقروا له بهما ، ويعرفهما المتاخرون ايضا ويقرون له بهما ، حتى اننا لنجد اتباع المذاهب الاخرى في عصر النهضة ومطلع هذا القرن ، عند تدوين الفقه ووضع مجلات الاحكام يفزعون الى الاخذ بمذهبه في عدة مسائل يعتبرونها المخرج من الضيق والحل للمشكل ، بحكم ما فرضه التطور من اقضية واوضاع . بل اننا لنجد رجال القانون والمشترعين حتى من غير المسلمين ينوهون باصالة التفكير الاجتهادي في الفقه المالكي ويعتمدونه في كثير من الاحكام .

وهناك كلمة اشتهرت بين فقهائنا وكثيرا ما يرددونها في سياق الحديث عن سماحة هذا المذهب ويسره ، وهي قولهم : « مذهب مالك اوسع من مصر والشام والعراق ، الا في النكاح والعتق والطلاق » . واذا كان لنا ان نفسر هذه الكلمة بحسب ما تدل عليه من مقارنة بين المذاهب ، فاننا نرى انها تومىء — فيما يبدو الى مذهب الامام الشافعي (مصر) الاوزاعي (الشام) ومذهب ابي حنيفة (العراق) . ثم هي فيما استثنته من الابواب الثلاثة ، لا تعني ضيق المذهب المالكي بقدر ما تعني اخذه بالاحتياط في هذه الابواب وتحريه للسداد فيما يتعلق بقضايا الزوجية وحرية الرقيق . فهو على كل حال ، وفي هذه الابواب ايضا ، اوفق المذاهب واكثرها اعتبارا لمصلحة الجماعات والافراد .



ولا شك في انه مذهب يمتاز بمرونة قواعده ، وعدم تقيده الا بما يحقق مقصد الشريعة الغراء ، من درء المفاسد وجلب المصالح ، فهو اذا اشتبه الامر يحكم العقل في النقل ليصل الى مراد الشارع ، وربما خالف النقل اذا كان هناك ما يعارضه من واقع لا يصح تجاهله ، والنقل غير متواتر .

ومن هنا جاءت قاعدة العمل المتحكمة في المذهب على نطاق الاجتهاد الفقهي والاجتهاد القضائي كما سنرى فيما بعد ، وعلى ما نقل عن ابي محمد صالح عالم فاس الشهير ، فان هذه القاعدة تاتي بعد القياس مباشرة في ترتيب الادلة التي بنى عليها الامام مالك مذهبه . ولكن ذلك فيما اذا لم تكن السنة من خبر الآحاد ، والعمل على خلافها ، فانه حينئذ يقدمه على دليل السنة ، وياتي بعد دليل الكتاب في الترتيب ، اي انه يتقدمها ويحل محلها . والمقصود بالعمل هنا عمل اهل المدينة كما لا يخفى .

راى ابن تيمية فى قاعدة العمل

ولالقاء الاضواء على هذه القاعدة ، والتعريف بعمل اهل المدينة ، ننقل ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسالته صحة اصول مذهب اهل المدينة ، قال رحمه الله :

« مذهب اهل المدينة النبوية ، دار السنة ، ودار الهجرة ، ودار النصرة ، اذ فيها سن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم سنن الاسلام وشرائعه ، واليها هاجر المهاجرون الى الله ورسوله ، وبها كان الانصار (الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم) ... مذهبهم زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم اصح مذاهب اهل المدائن الاسلامية شرقا وغربا ، فى الاصول والفروع .

« وهذه الاعصار الثلاثة هى اعصار القرون الثلاثة المفضلة التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح من وجوه : « خير القرون الذى بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

وبعد ان بسط فى الكلام على هذا الحديث من حيث الرواية والدراية قال :

« وفى القرون التى اثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مذهب اهل المدينة اصح مذاهب اهل المدائن ، فانهم كانوا يتأسون باثر رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من سائر الامصار ، وكان غيرهم من اهل الامصار دونهم فى العلم بالسنة النبوية واتباعها ، حتى انهم لا يفتقرون الى نوع من سياسة الملوك ، وان افتقار العلماء ومقاصد العباد اكثر من افتقار اهل المدينة، حيث كانوا اغنى من غيرهم عن ذلك كله بما كان عندهم من الآثار النبوية التى يفتقر الى العلم بها واتباعها كل احد .

« ولهذا لم يذهب احد من علماء المسلمين الى ان اجماع اهل مدينة من المدائن حجة يجب اتباعها ، غير المدينة ، لا فى تلك الاعصار ولا فيما بعدها ، لا اجماع اهل مكة ولا الشام ولا العراق ، ولا غير ذلك من امصار المسلمين . واما المدينة فقد تكلم الناس فى اجماع اهلها ، واشتهر عن مالك واصحابه ان اجماع اهلها حجة ، وان كان بقية الائمة ينازعونهم فى ذلك . والكلام انما هو فى اجماعهم فى تلك الاعصار المفضلة ، واما بعد ذلك ، فقد اتفق الناس على ان اجماع اهلها ليس بحجة اذ كان فى غيرها من العلماء ما لم يكن فيها » .

عودة الى قول ابن تيمية

وبعد كلام طويل عاد الى اصل المسألة فقال :

« والتحقيق فى مسألة اجماع اهل المدينة ان منه ما هو متفق عليه بين المسلمين ، ومنه ما لا يقول به الا بعضهم . وذلك ان اجماع اهل المدينة على اربع مراتب :

الاولى : ما يجرى مجرى النقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، مثل نقلهم لمقدار الصاع والمد وكترك صدقة الخضراوات ، والاحباس ، فهذا مما هو حجة باتفاق العلماء . اما الشافعى واحمد واصحابهما فهذا حجة عندهم بلا نزاع ، كما هو حجة عند مالك . وذلك مذهب ابى حنيفة واصحابه . قال ابو يوسف – وهو اجل اصحاب ابى حنيفة ، واول من لقب قاضى القضاة – لما اجتمع بمالك وسأله عن هذه المسائل ، واجابه مالك بنقل اهل المدينة المتواتر ، فرجع ابو يوسف الى قوله ، وقال : لو رأى صاحبى مثل ما رأيت لرجع مثل ما رجعت .

المرتبة الثانية : العمل القديم بالمدينة قبل مقتل عثمان بن عفان . فهذا حجة فى مذهب مالك وهو المنصوص عن الشافعى . قال فى رواية يونس بن عبد الاعلى : اذا رأيت قدماء اهل المدينة على شيء فلا تتوقف فى قلبك ريبا انه الحق ، وكذا ظاهر مذهب احمد ان ما سنه الخلفاء الراشدون فهو حجة يجب اتباعها ... والمحكى عن ابى حنيفة يقتضى ان قول الخلفاء الراشدين حجة ، وما يعلم باهل المدينة عمل قديم على عهد الخلفاء الراشدين مخالف لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

المرتبة الثالثة : اذا تعارض فى المسألة دليلان كحديثين وقياسين ، جهل ايهما ارجح ، واحدهما يعمل به اهل المدينة ، ففيه نزاع ، فمذهب مالك والشافعى انه يرجح بعمل اهل المدينة ، ومذهب ابى حنيفة لا يرجح بعمل اهل المدينة . ولاصحاب احمد وجهان احدهما – وهو قول القاضى ابى يعلى وابن عقيل – انه لا يرجح . والثانى وهو قول ابى الخطاب وغيره ، انه يرجح به . قيل : هذا هو المنصوص عن احمد . ومن كلامه قال : اذا رأى اهل المدينة حديثا وعملوا به فهو الغاية . وكان يفتى على مذهب اهل المدينة ويقدمه على مذهب اهل العراق ... وكان يكره ان يرد على اهل المدينة كما يرد على اهل الرأى ، ويقول انهم اتبعوا الآثار .

فهذه مذاهب جمهور الائمة ، توافق مذهب مالك في الترجيح لأقوال اهل المدينة .

واما المرتبة الرابعة : فهي العمـــل المتأخر بالمدينة ، فهذا هل هو حجة شرعية يجب اتباعه أم لا ؟ ، فالذى عليه ائمة الناس انه ليس بحجة شرعية . هذا مذهب الشافعي واحمد وابي حنيفة وغيرهم . وهو قول المحققين من اصحاب مالك ، كما ذكر ذلك القاضي عبد الوهاب في كتابه أصول الفقه ، وغيره . ذكر ان هذا ليس اجماعا ولا حجه عند المحققين من اصحاب مالك ، وربما جعله حجة بعض اهل المغرب من اصحابه .

« قلت : ولم ار في كلام مالك ما يوجب جعل هذا حجه ، وهو في الموطأ انما يذكر المجتمع عليه عندهم ، فهو يحكي مذهبهم ، وتارة يقول الذى لم يزل عليه اهل العلم ببلدنا يعني الى الاجماع القديم ، وتارة لا يذكر شيئا ، ولو كان مالك يعتقد ان العمل المتأخر حجة يجب على جميع الامـــة اتباعها وان خالفت النصوص ، لوجب عليـــه ان يلزم الناس بذلك حد الامكان ، كما يجب عليه ان يلزمهم اتباع الحديث والســـنة الثابتـــة التي لا تعارض فيها وبالاجماع . وقد عرض عليه الرشيـد او غيره أن يحمل الناس على موطئه فامتنع من ذلك وقال : ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في الامصار وانما جمعت علم اهل بلدى او كما قال » .

« واذا تبين ان اجماع اهل المدينة تفاوت فيـه مذاهب جمهور الائمة علم بذلك ان قولهم اصـــح اقوال اهل الامصار رواية ورايا ، وانه تارة يكون حجة قوية ، وتارة مرجحا للدليل ، اذ ليســـت هذه الخاصية لشيء من امصار المسلمين (1) » .

ما يستنتج من راى ابن تيمية

انتهى كلام شيخ الاسلام باختصار كنى اكتفيرا بما هو من صميم الموضوع لا غير . ومن اليسير ان نستخرج منه الحقائق التالية :

1 — ان مذهب اهل المدينة على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم هو اصح مذهب لاهل الامصار الاسلامية في الاصول والفروع .

2 — انه لم يقل احد بحجية مذهب اهل مصر من الامصار ، كما قال جمهور الائمة بحجية مذهب اهل المدينة وان اختلفوا في بعضه .

3 — ان مذهب اهل المدينة على اربع مراتب ، حجة باتفاق،وحجة قوية،وحجة مرجحة للدليل ، والرابعة حجة عند بعض اهل المغرب من أصحابه .

وبعد فنسجل ما يتضمنه هذا الكلام من ان الاخذ بعمل اهل المدينة ليس خاصا بالامام مالك ، بل ان غيره من الائمة قد اخذ به ايضا او بما ثبت عنده منه على الاقل . ثم نلفت النظر الى ان ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية في مذهب اهل المدينة على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من انه اصح مذاهب اهل الامصار باطلاق ، يستلزم ان مذهب مالك اصح المذاهب ، وهي ما قال به هـــو لا اصحابه الذين اتوا من بعده . وذلك لأنه رحمه الله كان من هذا الجيل ، جيل تابع التابعين ، باتفـــاق ، وان قيـــل بانـــه من التابعـــين ولكنه لا يصح . وعلى كل حال فما اخذ به من عمل اهل المدينة انما كان من مذهب الجيل الذى حكم شيخ الاسلام بانه اصح مذاهب اهل الامصار . وبعد هذا نلاحظ على شيخ الاسلام انه يعبر كثيرا باجماع اهل المدينه ، والمقصود هو مذهبهم وعملهم ... ولعله تأثر باقوال اهل المذاهب المعارضـــة لمالك في اخذه بعمل اهل المدينة ، فان كثيرا منهم زعموا ان مالكا يعتبره اجماعا ، بل ان بعضهم نسـب اليه انه يرى اتفاق الفقهاء السبعة بالمدينة اجماعا ، وهذا تقول باطل وزعم غير صحيح ، فان الاجماع عنده كالاجماع عند غيره ، وهو دليـل مستقل يأتي بعد دليلي الكتاب والسنة ، فيجب التنبه لذلك وحمل كلام الشيخ ابن تيمية كلما عبر باجماع اهل المدينة على مذهبهم وعملهم لا اقل ولا اكثر .

هذا والذى تقرر عند المالكية ان عمل اهـــل المدينة اما ان يكون امرا لا يخالفهم فيه أحد ، فهذا حجة عند الجميع وهو المرتبة الاولى في كلام ابن تيمية ، ويتعين أن يحمل على ما ثبت من طريق النقل ، وهو الذى رجع اليه ابو يوسف لما ناظره مالك ، وقال لو راى هذا صـــاحبي — يعني أبا حنيفة — لرجع اليه . واما ان يكون مما اجمعوا عليه ولكن يوجد من يخالفهم فيه ، فهذا حجة عندهم يقدم على خبر الواحد لانه اقوى منه بحكم انه كالتواتر ، وقد قال ربيعة : رواية الالف عن الف خير من رواية واحد عن واحد ، وقد نقل مالك في موطئه اجماع

(1) رسالة أصول مذهب اهل السنة لشيخ الاسلام ابن تيميه ، طبعة مصر ، صفحات : 17 — 20 — 22 ، 26 ، 27 — 28

أهل المدينة على نيف وأربعين مسألة (١) . وإما أن يكون اجتهادا منهم واستدلالا ، فهذا اختلفت فيه كلمة فقهائهم ومعظمهم على أنه ليس بحجة ، وينبغي أن يحمل عليه كلام ابن تيمية في المرتبة الرابعة.

مالك قدم قاعدة العمل على الخبر الصحيح من رواية الآحاد

ونلمح هنا إلى رأي لنا في تقديم مالك لعمل أهل المدينة على الخبر الصحيح الذي يروى من طريق الآحاد ، فانا نرى أنه ذهاب منه إلى وجوب النظر في متن الحديث كما ننظر في السند ، وأن متن الحديث إذا وجد ما يعارضه من أصول وحقائق ثابتة مسلمة ، وكان من رواية الآحاد ، أي مما لم يتواتر ويعلم بالضرورة أنه من الدين وعمل السلف فانه يمكن أن يوضع موضع البحث ويتوقف العمل به إلى أن يتثبت فيه من طرف أهل العلم ، لا سيما مع إجماع علماء الحديث على أن الحكم بالصحة أو الضعف على حديث ما إنما هو بحسب غلبة الظن وما تعطيه القواعد ، وإلا فقد يكون الصحيح هو الضعيف والعكس بالعكس ، ومما يستأنس به لهذا الرأي ما روي عن ابن المعذل أنه قال سمعت إنسانا سأل ابن الماجشون : لِمَ رويتم الحديث ثم تركتموه ! ، فقال : ليُعلم أنا على علم تركناه ، ولا يخفى أن كثيرا من الباحثين المعاصرين مستشرقين وغيرهم ، قد لاحظوا على علماء الحديث أنهم لم يتناولوا متون الأحاديث بالنقد والتصحيح كما تناولوا أسانيدها ، فإذا كان ما رأيناه في قاعدة العمل هذه وتقديم مالك لها على الخبر الصحيح من رواية الآحاد بموجبه ، صحيحا ، فانه يكون محاولة أولى وسابقة هامة في هذا الباب يمكن الرجوع إليها والاعتماد عليها .

عمل أهل الأمصار الأخرى

ونكتفي بهذا القدر في الكلام على عمل أهل المدينة الذي كان حجة وقاعدة محكمة عند الإمام مالك ، من جملة الحجج والقواعد التي بنى عليها مذهبه واجتهاده ، وهو اجتهاد مطلق كما لا يحتاج أن نقول ، منتقلين إلى الكلام على عمل غيرهم من أهل الأمصار التي كان أهلها من أتباع مذهب مالك بنظريته هذه ، فجعلوا من العمل عندهم أصلا من أصول الفقه وقاعدة يُرجع إليها عند الاجتهاد ، ولكن على صعيد المذهب وهذه الأمصار هي أفريقيا والمغرب والأندلس ، فهو غير معروف في المشرق أو غير معمول بمقتضاه عند فقهاء المالكيين من أهله.

وأصله أن يحكم أحد القضاة ، أو يفتي أحد المفتين ممن ثبتت عدالته ورزانته مع العلم والمعرفة بقول من أقوال علماء المذهب وإن كان ضعيفا أو مهجورا ، لأن هذا المفتي أو ذاك القاضي ما اختار هذا القول إلا لاعتبار خاص كاعتبار ظروف القضية وأحوال المتداعين والمستفتين وما يرجع إلى عوائدهم وأعرافهم ، فوجد أن ذلك القول أكثر انطباقا وأشد ملاءمة للمسألة مما عداه وإن كان غير قوي ولا مشهور . وحجة الفقهاء في هذا الباب قول عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور ، مع ما انضاف إلى ذلك من فائدة رفع الخلاف في المسألة التي جرى بها العمل والتي يكون فيها قولان أو أقوال متعددة في المذهب إذ أن حكم الحاكم يرفع الخلاف على ما هو معروف .

العمل ، لا بد يتوفر له شروط

ولكن لا بد للعمل من أن تتوفر فيه شروط جمعها العلامة سيدي محمد كنون بقوله :

والشرط في عملنا بالعمل
ثبوته من قدوة مؤهل
معرفة الزمان والمكان
وجود موجب إلى الأوان

فالشرط الأول أن يعرف من حكم أو أفتى به هل هو من أهل العلم والفضل أم لا ! والشرط الثاني أن يعرف الزمان والمكان اللذان عمل به فيهما ، ولذلك ينقل هذا من عمل أهل قرطبة مثلا أو عمل القرطبة أو القيروان ونحوها . والشرط الثالث أن يعرف موجبه ، فإذا انتفى فلا عمل عليه ، لأن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما .

وعلى كل حال فهو قسمة من قسم الشريعة الإسلامية التي تدل على مزيد استعدادها للتطور وصلاحيتها لكل زمان ومكان وقابليتها للتجديد والاجتهاد ، ولكن مع مراعاة الشروط المذكورة ، فإذا شذ منها فاصطبغ بصبغة الغرض والشهوة ، فإن العلماء يردونه ولا يقبلونه ويكونون جميعا إلبا عليه .

(١) الفكر السامي ج٢ طبع تونس ، ص١٦٦ .

ثم إن هذا العمل قسمان : عمل عام وهو الذي لا يتقيد ببلد دون آخر ، وإنما تواطأ عليه فقهاء الأمصار في افريقية والمغرب والأندلس، ويعرف من كتبهم وفتاويهم ، وهذا قد اعتنى بجمعه ونظمه العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الفيلالي ، ثم شرح ذلك النظم بشرح مفيد ، وهو مشهور مطبوع طبع حجر بفاس ، ويعرف بين الطلبة بالعمل المطلق .

وعمل خاص مقيد بإقليم معين أو مدينة معروفة كعمل أهل فاس ، وهو الذي ذكره العلامة أبو الحسن علي بن قاسم الزقاق في لاميته بقوله :

وفي البلدة الغراء فاس وربما
يقي أهلها من كل بأس معملا
جرى عمل بالآتي تالي ، كما جرى
بأندلس بالبعض منها فاعملا
لما قد فشا من قبح حال وحيلة
ليحسنا الذي للشيء يبغي توصلا

فأشار إلى أن العلة في الحكم بالعمل هو تفادي احتيال المتقاضين وما يتخطونه من وسائل للوصول إلى أغراضهم وإن كانت باطلة . وذلك كما في عدة المطلقة التي هي ثلاثة قروء فجرى العمل بجعلها ثلاثة أشهر ، لأن كثيرا من المطلقات يستعجلن الزواج ، فيدعين انقضاء القروء الثلاثة ، فتوطئن مناقض لعدتهن ولم يحكم لهن بانقضاء العدة إلا بعد مرور ثلاثة أشهر على طلاقهن ، إذ كان الغالب على أكثر النساء أن يحضن مرة في الشهر فجمع بين أصل العدة والاحتياط لمراد الشرع في هذا العمل .

والزقاق وإن كان أول من جمع مسائل عمل أهل فاس ، إلا أنه لم يذكر منها إلا نيفا وعشرة مسألة ، وقد تصدى بعده لجمعها العلامة سيدي عبد الرحمن الفاسي ونظمها في رجز يعرف بالعمل الفاسي ، وأنهاها إلى نحو من ثلاثمائة مسألة ،

عندما يكون مستند العمل ضعيفا

وقد شرح نظمه هذا بشرح هام ، كما شرحه العلامة أبو القاسم العميري والعلامة سيدي المهدي الوزاني ، ووالدنا سيدي عبد الصمد رحمهم الله جميعا ، وشرحا الوزاني والوالد مطبوعان ، الأول بفاس والثاني بمصر .

وللعلماء على بعض مسائل العمل اعتراض لضعف مستندها ، فقد كتب في ذلك العلامة أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي في شرحه على المختصر فلتكن جامعة بحسن الاطلاع عليها . ولكن ذلك لم يمنع أن يستمر العمل والحكم بهذه المسائل حتى صار من التقاليد المعروفة أن ظهير السلطان الذي يتولى القاضي بموجبه ويسند إليه الفصل بين الخصوم ، ينص على وجوب الحكم بما هو المشهور في مذهب مالك أو ما جرى به العمل . ومدونة الأحوال الشخصية التي صدرت في العهد الحديث تأخذ بهذه المسائل ولا تخالفها إلا في القليل منها .

علماء المالكية طوّروا قاعدة العمل

وخلاصة القول أن العمل في مذهب الإمام مالك قاعدة أصيلة محكمة في كثير من الأحوال والنوازل، وعلماء المذاهب الأخرى إن كانوا لم يعرفوا منها إلا عمل أهل المدينة ، فإن علماء المالكية قد طوّروا قاعدة العمل ، وخصوصا في بلاد المغرب فطبقوها كما رأينا في الكثير من مسائل القضاء والفتوى ، حتى صارت عندهم تكون جانبا من فقه المعاملات خصصوه بالتأليف . ولقد كنت مرة أتذاكر مع البروفسور (ميلتو) وكان قد رجع من مؤتمر القانون الدولي الذي عقد ببولاندا ، فقال لي : أترى أننا قررنا في المؤتمر اعتبار الفقه الإسلامي مصدرا أوليا من مصادر القانون الدولي ؟ وقال لي أيضا : إن الفقه المالكي ، ولا سيما في المغرب قد بلغ إلى الذروة من الأصالة والشمول ، وإنكم في المغرب بمسائل العمل قد برهنتم على تفتحكم وحللتم مسائل عويصة كما في مسألة بيع الصفقة التي نعاني منها في أوربا ما نعاني ، فكم من قصور شامخة أصبحت عرضة للتلف ، إذ يستبد بها أحد الشركاء ولا يمكن للباقي من ملاكها أن يفعلوا شيئا .. ولا بد أننا سنأخذ بمسألة بيع الصفقة في يوم ما . فهذه نظرة رجل من رجال القانون الأجانب إلى مسألة العمل تدل على قيمتها التشريعية العظيمة ، والحق ما شهدت به ... !

وقبل ختم هذه الكلمة أحب أن أشير إلى ما سبق لي ذكره قبل سطور ، وهو أن علماءنا طوروا قاعدة العمل في مسائل القضاء والفتوى ، وصارت عندهم تكون جانبا من فقه المعاملات ، وأنا أؤكد هذا الكلام وأقصد أنهم لم يتجاوزوا بها هذه الدائرة إلى دائرة فقه العبادات ، كما في قاعدة عمل أهل المدينة عند الإمام مالك ، فهو فرق لا بد أن يلاحظ بين الحكمين ، وبالله التوفيق . ■

طنجة — عبد الله كنون



بقلم : سامي الكيالي

■ . . . اما السلطان الأحمر فهو السلطان عبد الحميد الثاني ـ سلطان السلاطين ، وخاقان البرين ، وخادم الحرمين الشريفين ، والذي ظل في دست السلطنة خليفة للمسلمين مدة ثلاثة وثلاثين عاما (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) وقد اطلق عليه لقب « السلطان الأحمر » لسياسة البطش التي اتخذها اثناء حكمه والتي ادت الى وأد الدستور وتعطيل الحريات ومطاردة الاحرار ، ولا نعرض لسيرته ، وقد كتب عنها المحدثات ، واصبحت سيئاته وحسناته ، ان كانت له حسنات بيد التاريخ المنصف العادل ، وكثيرا لا ينصف ! .

اما شيخه فهو الشيخ ابو الهدى الصيادي (١٨٤٩ ـ ١٩٠٩) .

وحياته قصة من قصص المغامرة .

نشأته

قروي من قرى حلب ـ من « خان شيخون » ، القرية التي تقع بين معرة النعمان وحماه ، عاش في كنف ابيه يحفظ القرآن الكريم ويلم بمبادىء القراءة والكتابة . وكان ابوه الشيخ حسن وادي الذي يتصل نسبه بالامام الرفاعي ـ من مشايخ الطرق ، من الذين يقيمون الاذكار ، ويستعطون اهل الجود والكرم .

ونشأ الفتى نشأة ابيه ، فلم يكد يشب عن الطوق ، وتظهر عليه علائم النجابة والذكاء حتى ترك خان شيخون الى حلب ، جامعا كطالب علم فانتسب الى احدى مدارسها الدينية . وتتلمذ على مشايخها باخذ عنهم الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب وكل ما يمكنه من الفهم والمعرفة .

ولا كان من المنتسبين الى السيد الرفاعي ، فقد اجازه والده بطريقة اسلافه . والبسه « الخرقة الشريفة » بالاذن ابن عمه الشيخ علي الصيادي شيخ مشايخ حلب ، ثم اتم السلوك على يد شيخه الاجل السيد بهاء الدين الصيادي الشهير بالرواس (١) .

وعرف ابو الهدى بعد ان لبس جلباب التصوف بانه « شيخ طريقة » و « دقاق مزهر » ؛ واذ كان للوظائف الدينية مقامها ، فقد طمحت نفسه للتولية على « خان شيخون » ـ مسقط رأسه ـ ، وسعى الى ذلك حتى وجهت اليه توجيها شرعيا وعمره تسعة عشر عاما ، وقد ثبتت حجة التولية على نسبه الشريف الى الامام الصيادي ، والى الصحابي خالد بن الوليد (٢) .

ولكن ماتوليه خان شيخون هذه ؟ ان نفسه طامحة الى اعظم من هذا . . .

---

(١) الدر المنتظم ـ مختصر راحة الحكم ص٢٩٦ . (٢) نفس المصدر .

قروي بسيط من قرى حلب ، يبلغ بذكائه وطموحه وسوء احتياله أول مكان في الدولة العثمانية بعد السلطان . ويلقى الاثنان في آخر الدهر مصيراً واحداً ، هو بئس المصير

كانت بيوتات حلب ورجالاتها ينظرون اليه نظرة الهزء والسخرية ، ولا يعيرونه اكثر من « شيخ طريقة » و « دقاق مزهر » و « شاعر مداح » يستجدي اهل الجود والكرم !

وكان يرى نفسه في القمة نسبا وحسبا ..

وكان له من فرط ذكائه هذه الطمحات الواسعة ، فمدينة حلب لن تضمن له هذه الطمحات ، لذلك فكر بالسفر الى استانبول ، ولم يكن السفر في ذلك العهد من اليسر والسهولة كما هو اليوم ..



السلطان عبد الحميد

ولكن ما مشاق السفر ازاء ما كان يحلم به من السيطرة والطموح والمجد .

في استانبول

شخص الى استانبول ونزل في احدى خاناتها ، ويصفه محمد كرد علي في مذكراته نقلا عن ابيه بقوله .

« .. كنا بضعة تجار من الشاميين في استانبول في خان من خاناتها ، ولم تكن الفنادق يومئذ معروفة وكنا نتآلف ونشترك في النفقة والسمر ، وكان يزورنا درويش شاب ، اسمر اللون ، جهوري الصوت ، تبدو امارات الذكاء عليه ، وله جدائل يرخيها على ظهره ويتم بمئزر ، ويكتسي جبة وقفطانا ، ويضرب بالدف ، وينشد اشعارا على طريقة القوم ، وما كان يشاركنا في النفقة ومهمته ان يسلينا بأناشيده كل ليلة ، وهذا الفتى هو محمد بن حسن وادي المعروف بأبي الهدى الصيادي (٢) .

وصل استانبول وهذه حاله ، واخذ يتصل ببعض من يرغب من المرموقين من كبار الرجال ، فرأوا فيه فتى ألمعي الذكاء ، يلهج لسانه بالشعر والاوراد ، وينطق لسانه بشطحات التصوف ، فما كان منهم الا ان لبوا بعض رغباته ، فوجهوا اليه « نقابة اشراف » حلب ، كما نال رتبة « مولوية ازمير » وسنه يومئذ ثلاث وعشرين

(٢) مذكرات ص ٢٤٢

سنة ، ثم والتي قاضيا على جسر الشغور مع احتفاظه بنقابة اشرافها ، وفي سنة ١٢٩١ هـ عين نقيب اشراف عموم ولاية حلب وكان في الخامسة والعشرين من عمره .

بعد أن حظي بعطف الدولة بدأت وجهات النظر تتبدل نحوه ، واخذ الناس يتقربون اليه ، ويهنئونه ويلتمسون منه العطف والرعاية ، ولا سيما بعد ان خصه الخليفة براتب خاص وفوضه نقيب اشراف السلطنة ـ النظر بامور نقباء ولاية سورية وديار بكر وبغداد والبصرة ، بل فوضه ان يعطي هو منشور النقابة لجميع النقباء في ولاية حلب .

وفي سنة ١٢٩٤ هـ وجهت اليه باية الحرمين الشريفين بالارادة السنية من لدن السلطان عبد الحميد (١) .

لقد بلغ في هذه الفترة السريعة بعض امنياته ، ولكن مطامحه كانت اجل من هذا بكثير ..

ابو الهدى شاعرا

بدا ابو الهدى حياته الادبية بنظم الشعر ، وشعره بالنسبة لاتجاهات الشعر في القرن التاسع عشر ، على جانب من الرقة والجزالة ، فمن قصيدة طويلة قوله :

ما هبت نسمة الصبا
الا فــؤادي صبا
والنسمت همى
لرسم ذاك الخبا
بماكنا مهجتي
صرعتها كالهبا
رفقا بصب لوعة
راى الهوى مذهبا
لاجل خديك قد
يعشق ورد الربى

وقصائده الوجدية ومدائحه النبوية التي حذا فيها حذو ابن الفارض كثيرة .. فمن ذلك قوله :

سمرنا على ذكر الاحبة بامد
لنا انكشف المعنى ولا انتهى الوجد
بدا مجموع الليل من فرط وجدنا
ويبعث فينا الليل والوجد والسهد
ويبكي اذا الصادي صدعنا بنحورهم
فيحجب الا مسكي ومسحي الا يحتسو
وأحدقنا الاشواق من كل جانب
فلا طوقنا طوق ولا جهدنا جهد
من نفحات القرب تنفح باللقا
ونطوي بساط الفرق ، مبدا المجد

واتخذ الصوفية وسيلة لمطامحه الكبرى

وكما اتخذ الشعر وسيلة للظهور ، اتخذ « الصوفية » أو « الدروشة » والتعبير سيرة الاولياء الصالحين وسيلة لمطامحه الكبرى .

ولكن كيف نوائم بين « الصوفية » ولعمها الزهد والتقشف ، وبين هذه الطمحات التي تلتمسها نفسية شاعر يريد ان يبلغ سريعا ارفع المناصب واعلى المراتب ؟

ان الطموح كثيرا ما يوقع الانسان في التناقض .. على ان الشيء الراجح ان نزعة الظهور والسيطرة عنده اقوى من نزعة التقشف . فقد استغل هذه الظاهرة للوصول الى ارفع مرتبة في الامبراطورية العثمانية .

كان السلطان عبد الحميد الثاني خليفة المسلمين فلم لا يكون شيخه ووصيفه ؟ فهو ذو نسب ، وهو من الاشراف . وقد لبس « الخرقة الشريفة » وهو شاعر ذلق اللسان ، وبيده من الاذكياء البشر ..

كيف الوصول الى الاعتاب السلطانية ؟

لقد اعد قصائد المديح ليهديها السلطان بعد ان وجهت اليه « باية الحرمين الشريفين » ولكن السلطان قد اعتاد سماع هذه النغمات من كثيرين ومنحها اعطيات واوسمة ، وقد قبض الثمن ، وكان المفروض ان يرجع الى حلب وان يستقر .. ولكن امياله ومطامحه اوسع من كل هذا .

فما السبيل الى بلوغ هذه الامنيات ؟

لقد تحققت امنياته من طريق المرأة .. والحادثة التالية تكشف هذا السر ..

« فقد اصيبت امرأة ناظر الضبطية بمرض اعجز الاطباء وكان يحبها حبا جما ، فتذرع بكل ما في وسعه لشفائها ، ولما كاد ييأس من عافيتها وصفوا له ابا الهدى الصيادي وما يكتب من حجب وتمائم . وما يقرأ من ادعية وعزائم ، فاستدعاه للطب حيثته بما عنده من بضاعة المشايخ ، بعد ان عجز الطب الحديث عن برئها .

« والغالب ان الشيخ لم يقطع ترتيب الطبيب ، وراح السيدة تتناول ما وصف لها من الادوية

(١) التاريخ الاوحد للعوف [illegible] راغب الطباخ [illegible] ص ١٤١

وعقاقير . فبرئت بعد أيام ، فعظم مقام الشيخ في عين سيدها ، وشاع بذلك ذكره في دار الملك ، وكثر قصاده والمعتقدون به . وجمهور الشرق يحسنون ظنهم بمن يأتيهم عن طريق الدين بما يلائم عقليتهم ، ويسارعون الى تصديق من يعتقدون فيه الخير ، ولم تمض أيام حتى أصيبت إحدى حظايا السلطان عبد الحميد الثاني بعارض يشبه عارض امرأة الناظر ، فعلم الوزير بالأمر . وعرض على مولاه ما كان من الشيخ أبي الهدى مع زوجه ، وقال فيه كل خير حببه الى السلطان ، فاستدعاه لمداواة حظيته بأمنيته ، فجاء يداويها بما داوى به امرأة الناظر ، فشفيت الجارية بعد أيام ، واتصل بذلك الصلة أبي الهدى بالسلطان عبد الحميد (٥) .

وبعد هذه المعالجة ، وبعد قصائد المدح التي رفعها الى أعتاب السلطان ، دعي لشرف المثول الأقدس السلطاني بواسطة حافظ باشا الشهير — السرقرناء يومئذ — وهي أول مرة فاز بها بشرف المثول بين يدي جلالته وسنه يومئذ ثمان وعشرون سنة ، وقضى حوائجه ، وتعطف عليه ، وأمره بملازمة خدمة أعتابه مرة أو مرتين كل أسبوع ، وأغدق عليه نعمه ، وبعد أن أقام مدة يسيرة استأذن جلالته في السفر ، فمنحه ونصبه « رئيس مجلس المشايخ » في دار الخلافة ، وبموجب الإرادة حررت له التذكرة الرسمية من شيخ الإسلام خليل أفندي (٦) .

من الهاوية الى القمة

كانت سياسة السلطان عبد الحميد ترمي الى اجتذاب الشخصيات الدينية الكبيرة الى حظيرته ، لتكون عماده في السيطرة وبسط النفوذ ؛ وبعد أن تحقق له ما يتمتع به أبو الهدى من صفات ومزايا فتح له الباب على مصراعيه وسرعان ما تحققت أمنيته وولج الباب بزهو واختيال .

من قرية من قرى حلب الى عاصمة السلطنة العثمانية .

من الهاوية الى القمة .. ومن التمرغ على الأعتاب الى التربع في دست القصور والتمتع بنعيم الملك والسلطان .. وهنا أنشد قصيدته الشهيرة التي يفتخر بها :

كيف لا نزدهي بنا العليـاء
ولنـا المجـد طيـه ورد ،

وعاد الناس يتساءلون ، ولا سيما في موطنه ، عن السر في بلوغ الرجل هذه المكانة السامية . لقد تخطى كبار الشخصيات من العلماء والوزراء ، وأصبح من أقرب المقربين الى السلطان ، وبعد أن كان في نظرهم من « الحواة المشعوذين » أصبح من « القادة الروحيين » .. وهنا ، أي بعد أن صدرت الإرادة السنية بتقليده منصب « مشيخة المشايخ » خرست الألسنة عن ذكر نشأته وماضيه وأصبحت لاتذكره الا بالتكريم والتبجيل والتعظيم الا أن شاعرا شذ عن هذا التبجيل فهجاه بقوله :

هذا الذي قد كان قبل دخوله
« دار السعادة » مطربا زمارا
واليوم صورته تبين بأنه
أمسى بأكبر حيلة أستاذا

وقضى ثلاثين سنة الى جانب السلطان فكان من أكبر ثقاته . وكان خلال هذه المدة ملجأ القاصدين . وكان قصره في « بشكطاش » بغية الرواد من مختلف الأقطار والأمصار ، وكلمة منه في المملكة العثمانية كانت تجري في نفوس الحكام مجرى السحر .. وما من رجل قصده الا حقق له أمنيته وأناله مبتغاه .

ولما وصل الى هذه المكانة السامية كثر حاسدوه وكثر شانئوه ، وكثر خصومه والمتقربون لقصره ، وبينا كان يسمع أماديح الشعراء بحقه كانت الأهاجي تحاك له من وراء ستار .. فكان يتبسم لهؤلاء وأولئك ولا يظهر الحقد لأحد ، حتى اذا تمكن من الفرصة ضرب ضربته القاصمة .. كان خصومه من كبار الرجال ومن أهل الحظوة عند السلطان فما زال بهم حتى يزيلهم واحدا واحدا ، ويبقى مكانه كالطود الراسخ لا تزعزع قواعده الصروف ، ولا ترقى اليه الهمم (٧) .

وقد قصده شعراء البلاد العربية ، ممن ذوي الحاجات ، بالكثير من المدح واستعانوا بمدحه على تحقيق أمانيهم وبلوغ مآربهم « فأخذ بناصرهم وأكرم وفادتهم وأدنى منه مجلسهم ، فكان منهم من يؤلفون الأسفار ويعزونها اليه ، ومنهم من ينظمون

---

(٥) مذكرات محمد كرد علي ص ١١١
(٦) تاريخ الأوحد ص ١٤٤
(٧) المعلوم والمجهول لولي الدين يكن ، ص ٩١ .

الأشعار ويروونها عنه ، فتناقلت الألسن ما بدا من فضله المزور وسمت الأفكار عن نقصه الكمين فيه (٨) » .

بينه وبين جمال الدين الأفغاني

هذه المكانة التي بلغها عند السلطان والتي كانت تزداد يوما بعد يوم أوغرت عليه صدور الكثيرين من أصحاب المقامات الرفيعة والشخصيات الكبيرة فكثر حاسدوه ، كما كثرنا ، وعظم مناوئوه . وليست الخصومات الشخصية مما يجدر الالتفات اليها فهذه امور طبيعية مع اي انسان يرتفع قدره ويشيع ذكره . ولكن هناك تيارات تمر في حياة المرموقين لا يمكن للمؤرخ ان يغفلها كالخصومة العنيفة التي وقعت بينه وبين حكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني . ففي الفترة التي لمع فيها نجم ابي الهدى كان الحكيم جمال الدين قد ظهر في المجتمع الاسلامي كسياسي كبير ومصلح ديني عظيم . والمتتبعون لسيرة جمال الدين يعلمون انه قام بأكثر من ثورة قومية واجتماعية في العالم الاسلامي ، وكان يرمي من ثوراته الى النهوض بالعالم الاسلامي من جهة ، ولتخليصه من ربقة الاستعمار من جهة اخرى ، وكان لصوته الداوي اثره القوي ورجته العنيفة في الشرق وفي الغرب . وحين دعاه السلطان عبد الحميد لزيارة الاستانة ، وكان في لندن ، استجاب الدعوة ، وجاء عاصمة الخلافة فاستقبل بالحفاوة البالغة واعد له السلطان قصرا منيفا . واجرى له راتبا ضخما بغية كسبه وجعله من خواص رجاله ثم استخدامه كأبي الهدى في توطيد نفوذه وسلطانه .

ولكن هل كانت اهداف الشيخين واحدة ؟ لا .. فأهداف جمال الدين غير اهداف ابي الهدى ، ولم تكن المظاهر المادية وبريق المال وعظمة المنصب لتغري جمال الدين ليستكين لها ..

فعند وصوله الى الاستانة بدأت اتصالاته بالسلطان فرأى فيه رجلا يختلف كل الاختلاف عمن عرفهم من الرجال ، فقد رغب السلطان في ان يستخدم جمال الدين في دعوة المسلمين الى الاعتصام بعروة الخلافة ، اي ان ينضووا جميعهم تحت رايته ، وان يسبحوا بحمده وسلطانه ، وما كان جمال الدين ليقبل ان يكون بوقا واداة يكيل المدح للسلطان في سبيل مآرب خسيسة ، بل كانت مقاصده النهوض بالأوطان الاسلامية كلها وتحريرها من العبوديتين : عبودية السلطان الجائر ، وعبودية الأجنبي المتحكم . وخلال هذه الفترة التي نزل فيها السيد جمال الدين ضيفا على السلطان توالت الصلات بين الداعيتين .. ثم ما لبثت ان توترت ، فقد اعتقد ابو الهدى انه جاء ليزاحمه على مقامه الديني الخطير ، ولا سيما بعد ان عرض السلطان على جمال الدين مشيخة الاسلام ، وهنا انقلب ابو الهدى على جمال الدين واخذ يتهمه بالكفر والزندقة والالحاد ، وانه جاء ليفسد عقائد المسلمين ..

ورسالة كتبها ابو الهدى الى الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » جاء فيها :

« اني ارى جريدتك طافحة بشقاشق المتأفغن جمال الدين الفارغة ، وقد تدرجت به الى « الحسينية » التي كان يزعمها زورا . وقد ثبت في دوائر الدولة رسميا انه « مازندراني » من اجلاف الشيعة ، وهو مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية » .

دسيسة

على ان ابرز هذه الدسائس التي حيكت على جمال الدين ما نقل للسلطان انه كان يجتمع بالخديوي عباس سرا — وكان الخديوي في الاستانة — لتأسيس دولة عباسية ، وان جمال الدين قد عهد للخديوي بضم سورية الى مصر لأنها مفتاح الحرمين ، واشترط عليه ان لا تكون عاقبته كعاقبة ابي مسلم الخرساني مع العباسيين .

وقد كان لهذا الخبر الذي يعزوه المؤرخون الى ابي الهدى فعل السم في نفس السلطان . فانقلب على جمال الدين الذي شعر بالضيق من هذا الجو الموبوء الذي يعج بالدسائس فغادر استانبول وفي نفسه من الثورة على اوضاعها ما جعل الكلام ينطلق من فيه كالبراكين .. واوجز كلماته : « ان هذا السلطان سل في رئة الدولة العثمانية » .

وبذلك انجابت عن ابي الهدى غاشية رانت على صدره فترة غير قليلة فتنفس الصعداء .

عزة باشا العابد خصم جديد

ولم يكد ابو الهدى يتخلص من نفوذ الأفغاني حتى ظهر له خصم له قوته وسيطرته ، أريد به

(٨) نفس المصدر .

عزة باشا العابد ، احد دهاقنة العرب في عصره ـ هذا الرجل الذي تقرب الى السلطان فجعله قرينه وكاتبه الثاني في المابين ، وظل خادمه الامين نحو ثلاث عشرة سنة ، فنكل به ابو الهدى ، كما نكل عزة العابد بنفوذ الشيخ واخذ كل واحد يكيد لصاحبه .. وكان عبد الحميد وهو من الدهاة يستغل نفوذ الاثنين وكلهم في سبيل توطيد سلطانه ، بل كانا في سيطرتهما ونفوذهما كفتي ميزان اذا رجح احدهما خف ثانيهما ..

وقد اشتدت وطأة كل منهما على الاخر ، وضاعت بينهما مصالح الامة والدولة ، وانقسم عامة الناس الى حزبين : احدهما « هدائي » وثانيهما « عزتي » ، فما يبرم هذا امرا الا ينقضه ذاك ، ولا يفتح ذاك بابا الا ويغلقه هذا . ولما رأى الناس من العابد ثبات قدمه في مواصلة ابي الهدى جمعوا اليه باموالهم ولاذوا بركنه عند فزعهم ، وسر بذلك عبد الحميد ، فاتخذ كلا من المتخاصمين رقيبا على مخاصمه ، ورأى سائر اعداء ابي الهدى ان لا يتخلفوا في محاربته ، فالتفوا ورضوا بعزة العابد زعيما فساروا تحت رايته ، وعملوا برأيه حتى كانوا يغلبون الصيادي ويزيحونه عن طريقهم .. وبالرغم من كل ذلك ظل عبد الحميد يعتمد على ابي الهدى في التنجيم وقد اتخذه مستشاره الامين ، وسلاح ابي الهدى في مناوأة خصومه المنافسين الدين ، وكان الشيخ يزود مولاه كل يوم بعجيبة من العجائب ، تارة بتبليغه ـ سلام النبي ـ وحينا يقص عليه رؤيا يزعم انه رآها ويفسرها على ما يلائم هواه ورضاه . ثم يدعي لابيه ولنفسه كرامات لا وجود لها . وكان عبد الحميد محبا لهذه الاشياء ، ويظن انها من اقرب الوسائل لاستدامة حكمه (٩) .

كان ثقة السلطان به لا حد لها

بهذه الوسائل قويت سيطرة ابي الهدى على عبد الحميد ، وتمكنت بينهما الالفة الروحية حتى ان خصوم الصيادي لما صارحوا السلطان بان هذه البضاعة التي يبيعها له ليست الا من الخزعبلات . قال لهم : « عجيب لهؤلاء الطوسية يحسدون شيخي وليس فيهم من يليق به ان يكون من خدامه ، يكتب الي الواحد منهم كتابا يطلب بعرة من الكل او رتبة لا تكاد تذكر ـ وهو مع ذلك يتعسف الحيل ، ولا يهتدي اليها سبيلا . اما ابو الهدى فكان سياسيا ، سياسته من لباقة وظرف ، ولا يتعدى بنظره الى طلب ما يكون مشاعا يمكن ان ينازعه فيه غيره ، بل يطلب حتى ما يفتخر الشريف شبه ابو الامير وهم الصعاليك » .

ويدل هذا القول على الثقة الكبرى التي يتمتع بها ابو الهدى عند السلطان . وظلت الالفة الروحية بالرغم من كل الدسائس التي حيكت له حتى دسيسة طموح ابي الهدى ليكون خليفة ! .

فقد جاء في تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ان ابا الهدى لم يكن يقنع بما بلغه من مقام سام عند السلطان بل كان يطمع الى الخلافة (١٠) .

وسواء اصحت هذه الرواية ام لم تصح ، او هي شائعة اطلقها المرحوم ولي الدين يكن ليوغر صدر السلطان عليه ـ فان من يتتبع تاريخ حياته ويقارن بين نشأته الاولى وبلوغه ما بلغه من المقام الكبير في الدولة ، واخلاصه عبد الحميد لوحي سلطانه ، لا يستبعد ان تطمع نفسه الى الخلافة ، ما دامت الخلافة في قريش ، وقد نسب نفسه الى آل البيت ! .

* * *

ووقع الانقلاب ، فكان مصير ابي الهدى مصير سيده

وبعد فقد ظل ابو الهدى ، بالرغم من جميع الدسائس التي حيكت حوله من المقربين الى السلطان وظل نفوذه يمتد في كل بقعة من بقاع الامبراطورية التركية الاطراف الى ان وقع الانقلاب فكان مصيره كمصير سيده ..

ففي اللحظة التي هجم فيها « الاتحاديون » على السلطان في قصر يلدز ، هجموا على قصر شيخه ابي الهدى ، وكان في سريره يعاني آلام المرض ، فهلع وجزع واضطرب ، وكاد يقضي ، فاشفقوا على شيخوخته ، وحملوه في سريره الى جزيرة الامراء ـ برانكيبو ـ فظل فيها عدة اشهر يعاني الالم ومحنة الايام ، وما زال في هم وكمد ، يشكو وقد استسلم لتصاريف القدر الى ان تلاشى وقضى نحبه ..

■■

حلب ـ سامي الكيالي

---

(٩) المعلوم والمجهول ج ١ ص ٦٣ .

(١٠) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٦١٢ .

نظام الإقطاع * في مصر عبر القرون

بقلم : عباس محمود العقاد

■ عرفت مصر نظام الاقطاع في عهد الأسرة الفرعونية وتجدد هذا النظام مع بعض الاختلاف في عهد البطالسة ، ثم انحدر الى أسوأ حالاته في عهد الدولة الرومانية ، لأنه جمع بين الاستغلال المحلي والخارجي ، وكانت غلات مصر في هذا العهد نهبا لأصحاب الاقطاع المقيمين في مصر ، وموردا مستباحا لتموين بلاد الدولة الرومانية مقدما على مطالب أبناء الديار المصرية .

وفتح العرب مصر

ولما افتتح العرب مصر بقى نظام الاقطاع وتغيرت المعاملة تبعا لما استجد عليها من آداب الاسلام وشرائعه ، وتبعا – في الوقت نفسه – لسياسة الخليفة عمر بن الخطاب وسياسة الوالي عمرو بن العاص .

فالاسلام يسوى بين الغنى والفقير ولا يطالب من الزارع والعامل ضريبة غير الجزية المعروفة ، وكان مقدارها في أيام الفتح دينارين . أما الضريبة التي كانت تختلف باختلاف الفيضان والمحصول وضرورات الاصلاح فقد كانت تصيب أصحاب الضياع أو كبار الملاك ولا يقع عبؤها على الأيدي العاملة في الزراعة .

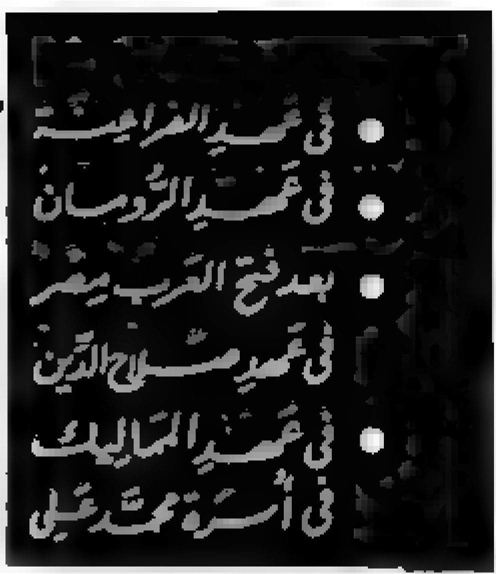
وقد كانت سياسة الخليفة أن يمنع اشتغال الجند العاملين بالزراعة والاستيلاء على الأرض ليحول ذلك دون التسلط على الأيدي العاملة في القرية ، وكانت سياسة الوالي عمرو بن العاص أن « تشبع الفصال من لبن البقرة » قبل احتلابها . فكان الفتح الاسلامي من أجل ذلك كله عهدا جديدا في المعاملة وان بقى نظام الاقطاع على ماكان عليه .

النظم الاقطاعية بمصر ارتبطت بحالة الطبقة الحاكمة

ويمكن أن يقال عن جميع النظم الاقطاعية بمصر وغيرها ، أنها ترتبط على الدوام بحالة الطبقة الحاكمة ووسيلة لتحصيل الضرائب ، وقد اختلفت الطبقة الحاكمة في مصر بعد الفتح الاسلامي باختلاف الدول والحكومات ، وكانت لكل منها وسائلها في تحصيل الضرائب الزراعية وغير الزراعية ، ولكن الذي يعنينا منها في هذا البحث نظام الاقطاع الذي كان له اتصال بأطوار الاقطاع الأخيرة كما بقيت الى القرن العشرين – ومن المحقق أن نظام الاقطاع الذي اتصل هذا الاتصال

---

* مقال للمرحوم العقاد لم ينشر في حياته .



مباشرة ، او مسلسلا من حالة الى حالة ، انما هو النظام الذى قام فى ايام الحروب الصليبية على عهد صلاح الدين .

الاقطاع فى عهد صلاح الدين

كان صلاح الدين يؤسس دولة جديدة على انقاض الدولة الفاطمية ، فعمل على القضاء على انصار تلك الدولة من جنود السودان والبربر وبعض قبائل العربان ، واقام فى اماكنهم جنودا من الاكراد والمماليك الذين حضروا معه الى الديار المصرية ، وكان عليه ان يدبر الموارد التى ينفق منها على الجيوش المجندة لصد غارات الصليبيين ، ولم تكن موارد الخزانة العامة وافية بهذه النفقات من جراء القحط وسوء الادارة وهجمات الفلول على طريق القلق فى اواخر ايام الدولة الفاطمية ، فجعل لامراء الجند ارزاقا من الاقطاعات على حسب اقدارهم وعدد اتباعهم وقيمة دخلهم . وكانت خطته فى توزيع الاقطاعات ان تكون للادارة والحراسة ، ولا تكون للملك والحيازة الدائمة . فاقطع اخاه توران شاه اقليم الصعيد وقوص واسوان ثم مدينة الاسكندرية لينفق من غلاتها على حماية التخوم الجنوبية من غارات النوبة وحماية التخوم الغربية من غارات البحر والصحراء . وهكذا كانت خطته فى توزيع الارض على سائر الامراء لتغيير ارزاقهم وقيامهم على استعداد لتلبية الدعوة الى ميدان القتال .

بعد صلاح الدين : الفلاح القرار

ثم تبدلت الاحوال وخلف صلاح الدين ولاة يستغلون الارض لمنافعهم ويسخرون زراعها فى خدمتهم ، وظهر اسم « الفلاح القرار » فى ايام هؤلاء الولاة كما جاء فى خطط المقريزى اذ يقول « ويسمى المزارع المقيم بالبلد فلاحا قرارا فيصير عبدا قنا لمن اقطع تلك الناحية ، الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق ، بل هو قن ما بقى ومن ولد له » .

وكانت حالة « الفلاح القرار » متصلة بعض الشىء مع انحطاط الصناعة فى المدن ووفرة الارباح من طريق التجارة الهندية والاسيوية التى كانت تمر بالديار المصرية ، فلما اختل الامن فى هذه الطرق وكشف البرتغاليون طريق الرجاء الصالح قلت الموارد وانحصرت مطامع الاقطاعيين فى محاصيل الارض فلم يبق منها للفلاح العامل عليها ما يكفيه لقوته وقوت اولاده ، وهان عليه — مع حبه الشديد لوطنه — ان يهجر الارض ويهرب منها الى حيث استطاع .

لجأ الاقطاعيون الى الاوقاف استبقاء للاقطاع

ولما اضطربت الاحوال وانتفى الامن على الانفس والاموال لجأ الاقطاعيون الى حيلة يستبقون بها الارض فى حوزتهم فوقفوا منها جزءا على الخيرات كبناء السبل والتكايا وكتاتيب التعليم ومعونة الحجاج المنقطعين وخدمة الحرمين الشريفين وضيافة ابناء السبيل وجعلوا لهم ولابنائهم حق ادارتها بحصة معلومة من غلاتها واشركوا معهم فى بعض هذه الاوقاف نظارا من العلماء ورجال الدين يختصون بتدبير المسائل الدينية ، فنشأت الى جانب ملكية الاقطاع ملكية اقطاعية اخرى هى هذه الاوقاف التى كانت تسمى احيانا بالاحباس واحيانا باسم الارزاق . ولم يكن الباعث عليها جميعا حب الخير بل كان من بواعثها الكبرى طلب الامن واستبقاء المنفعة فى جزء من الارض لا يجوز التصرف فيه على غير شروط الواقفين . وقد نبه ابن خلدون الى ذلك حيث قال : « وقع لهذه العصور بمصر منذ

مائتين من السنين في دولة الترك في أيام صلاح الدين بن أيوب .. وهلم جرا ، وذلك أن أمراء الترك في دولتهم كانوا يخشون عادية سلطانهم على من يخلفون من ذريتهم لما له عليهم من الرق والولاء ، ولا يخشى من صاحب الملك ونكباته ، فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة ، يجعلون فيها شركة لولدهم ، بنظر عليها ، أو نصيب فيها مع ما فيهم غالبا من الجنوح الى الخير والتماس الأجور في المقاصد » .

وتغلب سليم الأول على مماليك مصر وبقى الاقطاع فيهم

ثم تغلب سليم الأول العثماني على سلطان المماليك فلم يزل من الحكم غير السلطان الذي كان المماليك يختارونه لقوته وكثرة جنده ، وبقي المماليك على اقطاعاتهم يتقاضون الأجور والضرائب من الفلاح على حسب تقديرهم . ولم يزد على نظام التحصيل غير أنهم كانوا يقسمون المال الذي يجمعونه الى قسمين : قسم يسمونه « الميري » ويجمعون منه الاتاوة السنوية التي فرضها السلطان العثماني على الديار المصرية ، وقسم يستولون عليه ويسمونه « الفائظ » أو الفائض ويستوفون من الفلاح ما فضل من حساب الاتاوة العثمانية .

الاقطاع : قبل مذبحة القلعة وبعدها

وبقي نظام الاقطاع في مصر على ذلك مع بقاء المماليك ، ثم انقرضوا ، أو انقرض معظمهم — بعد مذبحة القلعة المشهورة في عهد محمد علي الكبير رأس الأسرة العلوية ، ودخل نظام الاقطاع بعد هذه المذبحة في دور جديد .

كانت الملكية الزراعية قبل هذه المذبحة موزعة بين المماليك الملتزمين ، وبين نظام الأوقاف الخيرية والأهلية .

فالمماليك يؤجرون أرضهم ولا يؤدون عليها ضريبة للحكومة .

والملتزمون هم الطبقة التي كانت تتعهد للحكومة بسداد الضرائب وتتولى في مقابلة ذلك تجبية الأرض وتعويض مخصصات الحكومة وزيادة عليه يقدرها الملتزم كما يشاء ، ويستطيع من أجل ذلك اكراه الفلاح على البقاء في الأرض وتسخيره في الخدمات العامة اللازمة للزراعة كتطهير الترع واقامة الجسور ودرء أخطار الفيضان ، ولا أجر له على عمله في هذه الأعمال .

وكان الالتزام « لونا » يتفق عليه لمدة أربع سنوات على الأغلب ، ثم أصبح حقا عرفيا لأصحابه مدى الحياة ، ويجوز لهم أن يورثوه أبناءهم بالشروط التي يرتضيها الولاة .

وللولاة الملتزمين الى جانب الأرض العامة أرض خاصة تسمى « الوسية » يزرعونها لأنفسهم ويسخرون الفلاحين في أعمالها فوق أعمالهم ، وليس على هذه الوسايا ضريبة لأنها معدودة من الأوقاف أو الرزاق .

فلما قضى محمد علي على المماليك صادر أملاكهم ومنها الاقطاعات ، أما اقطاعات الملتزمين فقد كان منها قسم في الوجه القبلي وقسم في الوجه البحري ، وكان قسم الوجه البحري محدودا معلوم الحصص لأن الفيضان لا يغمره كل سنة ، وكان قسم الوجه القبلي محتاجا الى تصحيح الحدود بعد كل فيضان ، وقبله الالتزام فيه للقبائل أو ارسالها باختيارهم وكان منها ، فأصدر محمد علي أمره بالغاء الالتزام في الوجه القبلي ، وتعلل لذلك بثورة القبائل عليه ، والتجاء المماليك الى قراها والتربص بها . وأبقى الملتزمين في الوجه البحري وكان منه بمرتبات وجعول تختلف باختلاف المواسم والغلات ، ثم استولى على أرض الأوقاف بدعوى أنه ولي أمر المسلمين المسئول عن معاهد العبادة والخيرات ، وقرر لنظارها الأقدمين معاشات تتفاوت بتفاوت المواقع وأحوال النظار ، ومسحت الأرض كلها من جديد ، وقررت للفدان مساحة واحدة في القطر كله ٣٣٣ ١/٣ قصبة بعد أن كانت مساحته تتراوح بين ٢٠٠ قصبة و ٤٠٠ قصبة ، ولا يتساوى طول القصبة بين الأقاليم .

الفلاحون في عهد محمد علي

أما الفلاحون الذين كانوا يزرعون لحساب الملتزم فقد أوجب عليهم زراعتها لحساب الخزانة العامة ووزعت على كل منهم حصة من ثلاثة أفدنة الى خمسة ، واحتكرت الحكومة جميع المحصولات وفرضت على كل جهة محصولا خاصا تزرعه ولا تزرع غيره ، فاذا كان أوان الحصاد جمعه حكام الأقاليم في المخازن العامة وأخذوا منه قيمة الضرائب واشتروا ما يبقى منه لحساب الحكومة بالثمن الذي ترتضيه .



[illegible] الحرب [illegible] ولي مصر ١٨٧٠ ... فلاح لا يملك الواحد منهم أكثر من فدان واحد

ولما شق هذا النظام على الفلاحين مع ثقل الضرائب هجروا أرضهم ، بل هجروا القطر كله « فارسل محمد علي يطلبهم من والي غزة » وكان الخلاف على ردهم الى بلادهم من أسباب النزاع بين محمد علي وولاة الشام ، ويقال انها كانت من أسباب تعجيل الحملة على تلك الدولة العثمانية لمنع الهجرة من مصر الى تلك البلاد بعد ضمها الى الديار المصرية .

محمد علي يعيد توزيع الاقطاعات في أهله وأعوانه

وقد ألغى محمد علي اقطاعات المماليك وأنشأ في مكانها اقطاعات أخرى من قبله موزعة على أمراء بيته وأصهاره وأعوانه في حكمه ، وأعفاهم جميعا من الضرائب والالتزامات .

وكان محمد علي كبير المطامع يرمي من الصفقة الأولى لا الى تثبيت ملكه بمصر له ولأبنائه من بعده فحسب بل يتطلع الى ميراث الدولة العثمانية أملا في مقام الخلافة ، ويعلم أن هذه المطامع لا تتحقق بغير مال وسلاح ، فضلا عن أنه يستكثر من موارد الزراعة بتحسين وسائل الري واستجلاب أصناف المزروعات من الخارج ، كما مضى يستكثر من موارد التجارة باحتكار الحاصلات وبيعها بالأثمان التي تمكنه من المزاحمة في الأسواق الأجنبية ، وساعده على الكسب اقبال أوربة على الحاصلات المصرية لانقطاع حاصلات القارة الجديدة في ابان الحرب الأهلية واشتغال الدول في أوربة بحروب نابليون ودفن الحروب ، فكان لهذا الاقبال أثره في تخفيف وطأة الاقطاع والاحتكار الى حين .

اطلاق حرية الملك ، والبيع والشراء ، في عهد الخديو سعيد باشا

الا أنها كانت حالة موقوتة لم تلبث أن تبدلت بعد زوال الأسباب التي كانت تدعو الى الاقبال على الحاصلات المصرية وحاقت بالثروة الوطنية جرائر الكساد ومغارم الحروب التي اقتحمها محمد علي وابراهيم ، فأحجم الزراع عن الزراعة وضعفت تجارة الدولة ولم يبق في البلاد من يشتغل بالتجارة في نطاقها الواسع مع اشتغال الدولة بها ، فوجبت اعادة النظر في سياسة الاحتكار بشقيها ، من احتكار الزراعة واحتكار التجارة . وتقرر على عهد محمد سعيد اطلاق حرية الملك وحرية البيع والشراء ، والتصدير والتوريد ، وكان للعوامل الخارجية عملها في انتهاج هذه السياسة لأن الحكومة الانجليزية عقدت مع الدولة العثمانية في سنة ١٨٣٠ معاهدة تنص على تحريم الاحتكار والسخرة في بلاد هذه الدولة ، ولم تكن هذه المعاهدة خالصة لوجه الحرية والمبادئ الحرة ، بل كان الباعث الأهم عليها اتقاء المزاحمة في الأسواق لرخص الأسعار التي تعرض بها الحاصلات في الأسواق الأوربية مع قلة أجور العمل وسيطرة الحكومات المحتكرة على الأسعار .

ولم يكد الفلاح الصغير يشعر بنعمة الحرية في حيازة الأرض وتأجيرها حتى دهمته الضرائب الثقيلة على عهد الخديو اسماعيل ، وجعلت حكومته المرهقة بالديون تلاحق الفلاح الصغير والمتوسط بطلب الضريبة السنوية أكثر من مرة في السنة الواحدة ، وابتدعت في أساليب ابتزاز المال أسلوبا يسمى بالمقابلة : يعطي الفلاح من نصف الضريبة اذا أدى للخزانة العامة ضرائب ست سنوات دفعة واحدة ، فبلغ ما جمعته الحكومة من هذه الضرائب طوعا أو كرها نحو سبعة عشر

مليونا من الجنيهات ، ثم صدر الأمر في سنة ١٨٨٠ بإلغاء هذا الاختيار فكانت هذه الصدمة العنيفة من أسباب الثورة العرابية .

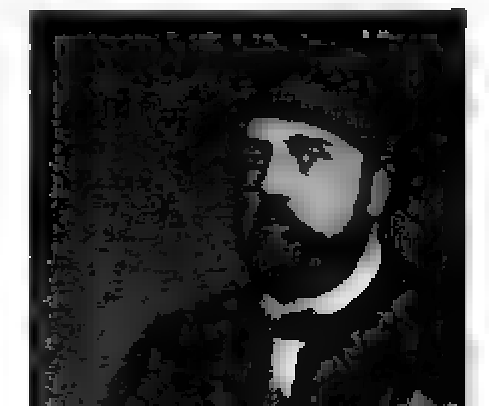
في عهد الاحتلال البريطاني

وجاء الاحتلال البريطاني بعد الثورة العرابية ففتح الأبواب للشركات والمصارف التي تثمر أموالها وتضمن ديونها ، وعملت هذه المصارف من مبدأ الأمر على التشدد في ضمانات الديون فكان البنك العقاري مثلا يجعل الحد الأدنى للقرض الألف جنيه ويشترط له ضمانات تيسر للموسرين ولا تيسر لصغار الملاك ، فأقبل المتوسطون على الاستدانة من المصارف واضطر صغار الفلاحين الى معاملة المرابين الذين يرهقونهم بالفوائد المضاعفة ، ولم ينقض زمن طويل حتى ناءت كواهل الفلاحين جميعا بأعباء الديون ، وحاولت الحكومة أن تحل المشكلة ببعض الحل فسمحت عند البنك العقاري حتى قبل النزول بالحد الأدنى في القروض الى مائة جنيه (١٨٩٩) مع بعض التيسير في قيود الضمانات .

وانطبقت على مصر كما انطبقت على غيرها تلك الأزمة المالية التي قال الاقتصاديون الماليون في حينها أنها كانت بمثابة النوبة الدورية في تقلبات الصعود والهبوط ، فلم يزل أصحاب الأرض يرزحون بأثقالها وتبعاتها الى ما بعد الحرب العالمية ، إذ ارتفعت أسعار القطن والحاصلات الزراعية واستطاع الفلاح أن يسدد كثيرا من ديونه ويتصرف بمشيئته في زرع الأصناف وبيع الحاصلات بضع سنوات .

الخديو اسماعيل باشا

على عهده دهمت الفلاح الضرائب الثقيلة



ومع هذا جاءت الحرب العالمية الثانية وفي مصر (١ر٧٥١ر٨٨٧) فلاحا لا يملكون أكثر من فدان واحد ، وفيها (١ر٢٢١) يملكون أكثر من مائتي فدان ، هذا عدا العاملين في الأرض وليس لهم فيها حصة من الملك كثرت أو قلت ، وانما يعتمدون على الاستئجار أو العمل عند المستأجرين.

وقد أصيبت الزراعة المصرية بالآفة المعهودة التي تلازم ارتفاع أثمان المحصولات سنة أو بضع سنوات متوالية ، فإن أجرة الفدان ترتفع وتبقى على ارتفاعها ولا يضمن المستأجر مثل هذا الارتفاع في أثمان المحصولات .

* * *

في هذه الأثناء كان المجتمع المصري ، يتطور في تاريخه أكبر تطور عرفته مصر في القرون الأخيرة ، فمنذ الحرب العالمية الأولى شعر المصريون في معيشتهم اليومية بالحاجة الى الصناعة الوطنية كما شعروا بقدرتهم على النهوض بها على الأقل في مراحلها الأولى ، وزاد عدد المتعلمين ونشأت في المدن والقرى طبقة من أبناء الفلاحين والمتمصرين ترشح نفسها لولاية الأعمال العامة والمشروعات القومية .

ويكفي للتيقن من هذا التقدم أن نقارن بين موقف المصريين من ولاية وظائف الدولة في أيام الحملة الفرنسية وموقفهم من الولاية الحكومية والاجتماعية في أواخر أيام الاحتلال البريطاني . فقد عرض نابليون بعض الوظائف العامة على فئة من المصريين المتعلمين فتهيبوها وصارحوه بأنهم عاجزون عن أعبائها لأن ابن البلد في مصر لا يخدم الا اذا خاف ، ولا يخاف الا من الحكام الأتراك أما في القرن العشرين فقد كان المصريون يتطلعون للاستقلال بمناصب الحكم في بلادهم والاستقلال بالمشروعات الاقتصادية التي كانت حكرا في الأيدي الأجنبية وتدربوا على التعاون في أعمال الصناعة والزراعة بعد فقدان الثقة بأنفسهم في الأعمال المشتركة ولا يخامرهم الشك في قدرتهم عليها ، وهذا التفاوت العظيم في الحالة النفسية كاف وحده لتلخيص الفوارق الفكرية والخلقية والاجتماعية التي اقترن بها التطور العام من أواخر القرن الثامن عشر الى أوائل القرن العشرين .

وقد كانت ظروف الاحتلال وسيطرة المحتلين على مناصب الرئاسة توجه النهضة الى مكافحة

نتيجة مسابقة العدد ١٥٠

أَخْطاءٌ بالجُمْلَة..!

● كانت مسابقة العدد (١٥٠) من « العربي » على المعلومات العامة في مختلف ميادين المعرفة الانسانية ، والملاحظ ان القراء لا يحتملون الاسئلة التي تحتاج الى بحث وتمحيص ، وعناء الرجوع الى امهات الكتب ، لذلك اخفق الكثير منهم في معرفة الاجابة الصحيحة ، وجاءت الاجابات بعيدة كل البعد عن الصواب ، مخيبة للآمال .

واليك ايها القارىء مجموعة الاجابة الصحيحة ثم اسماء القراء الفائزين بالمسابقة .

١ ـ قناة السويس استغرق شقها عشر سنوات

٢ ـ حصلت سوريا ولبنان على استقلالهما عام ١٩٤٦

٣ ـ كيركجارد دنمركي ، هيجل الماني ، ارازموس هولندي .

٤ ـ كارل ماركس توفي بمدينة لندن ودفن فيها .

٥ ـ الشنتو هي الديانة الرسمية في اليابان .

٦ ـ حجر رشيد يوجد الآن في المتحف البريطاني بلندن .

٧ ـ شلالات فكتوريا تقع على نهر زامبيزي ، وشلالات ستانلي تقع على نهر الكونغو .

٨ ـ الخطأ العلمي هو ان الوطواط صنف من اصناف الطيور ، وفي الحقيقة ان الوطواط حيوان من فصيلة الثدييات .

٩ ـ المسك يستخرج من ذكور ايل المسك .

١٠ ـ يعيش ثلث سكان العالم اساسا على حب الارز .

١١ ـ الزلزال الذي وقع في شمال افريقيا عام ١٩٦٠ حدث في مدينة اغادير بالمغرب .

١٢ ـ العشاء الأخير الذي تناوله السيد المسيح مع حوارييه قبل الغدر به حضره ١٣ شخصا بما فيهم السيد المسيح .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى وقيمتها (٣٠) دينارا فاز بها : طارق عريع ابو محفوظ ـ طرابلس ـ ليبيا .

الجائزة الثانية وقيمتها (٢٠) دينارا فاز بها : عبد الله محمد معمر ـ الحديدة ـ اليمن .

الجائزة الثالثة وقيمتها (١٠) دنانير فاز بها : العروصي محمد ـ مكناس ـ المغرب .

(٨) جوائز مجموع قيمتها (٤٠) دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير فاز بها .

١ ـ نزيه عاكمة ـ عكار ـ القبيات ـ لبنان .

٢ ـ حسن مهدي ـ جدة ـ السعودية .

٣ ـ ماجدة درويش ـ الكويت .

٤ ـ محمد زكي بحر العلوم ـ محافظة القادسية ـ العراق

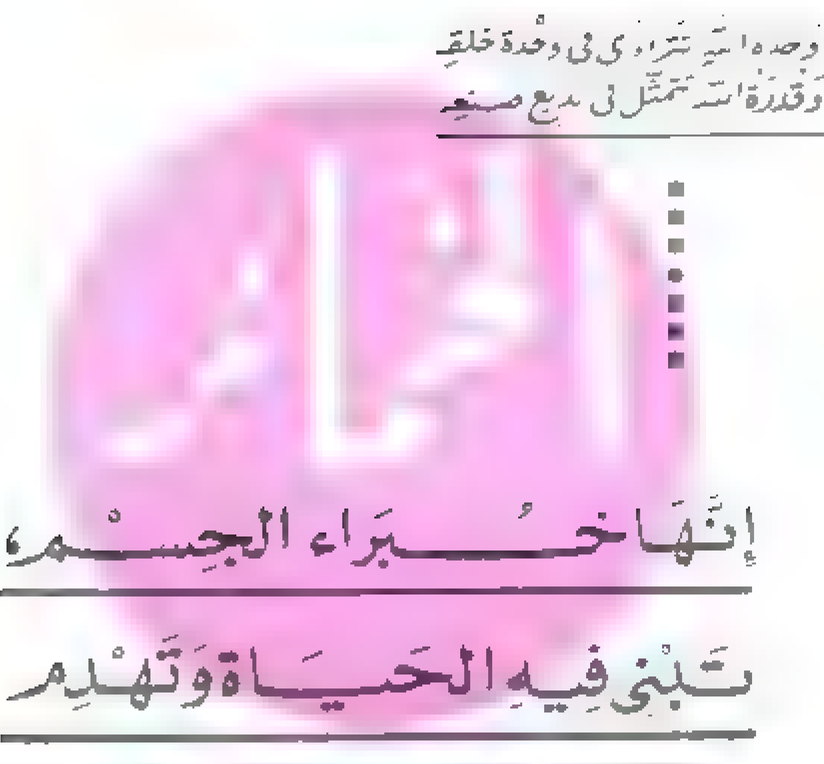
٥ ـ صلاح محمد علي مكاز ـ الخرطوم ـ السودان .

٦ ـ محمود محمد عبد الفتاح ـ سوهاج ـ ج . ع . م .

٧ ـ موسى رشيد ارحيل حتاملة ـ الحصن ـ الاردن .

٨ ـ محمد قوصرة ـ ادلب ـ سوريا .

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد المسجل .



وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه
وقدرة الله تتمثل في بديع صنعه

إنها خبراء الجسم تبني فيه الحياة وتهدم

بقلم الدكتور أحمد زكي

الاجسام كسائر المصانع والصناعات

والاجسام كسائر المصانع والصناعات [illegible] بها تكنة هندسية ، وتكنة كيماوية [illegible]

[illegible]

حركة [illegible] حتى [illegible] يمتص من الهواء طاقته ، وهي تتمثل أيضا في كل حركة تحركها الاعضاء ظاهرا ، وكل حركة تتحركها [illegible] ، والقلب ودورته مثلان لتكنة هندسية رائعة .

ومع هذا تظل علاقة ما بين الوجود والحركة في الجسم ، أي ما بين المحرك الأول والمحرك ، شيئا من خصائص الاجسام ظل الى اليوم غامضا ، وما هو في المكنات الصناعة بغامض .

[illegible] التكنة الكيماوية فما لها من [illegible]

[illegible] بالطعام في قناة الهضم ، تلك التي أولها الفم ونهايتها الاست ، بعد تقطيعه بالمضغ وتخميره باللعاب، وتحول [illegible]

وأنه الفاكهة والحلوى ، فلعل المصارات الهاضمة في هذه القناة لا تأبه خبز أو لحم ، [illegible] ما هنالك، ولكن تأبه أخذ بثلاثة [illegible] الكربونات المائية [illegible]

[illegible]

[illegible] الامعاء ، ثم هي لا تلبث أن [illegible] الجسم حتى تتحول الى عديد [illegible] بالكيماء ، وتتحول الى [illegible]

[illegible]

المختبر الكيماوي به عشرة من الرجال،

قائمون على حل عشرة من المواد وتركيبها،

وبالجسم الحي ألف من المعامل،

قائمة على القاس المواد وتحل ألفا.

[illegible]

الصناعه [illegible]

صناعات الحضارة هذه الحديثة [illegible]

[illegible]

كل ما يحتاجه الجسم من مواد غير التي دخلت الى الجسم . تتحول الى لحم للانسان وشحم ، والى دم وما يتألف منه الدم ، والى الجلد ، وما يتألف منه الجلد ، والى شعر ، والى عين ترى ، وانف يشم ولسان يذوق ، والى قلب يدق ، والى مخ تتجمع فيه كل مفاهيم العقل والحس .

ان الجسم على صغره ، هو مخلوق الله الامثل فيما عرفنا من مخلوقات .

والكيمياء عليها العمل الاكبر في صنعه .

كيمياء المختبرات وكيمياء الاجسام

ونقارن بين ما عرفنا من كيمياء المختبرات وما عرفنا وما لم نعرف من كيمياء الاجسام ، فانما نقارن بين العلم ، وهو في مستواه في حجم النملة ، والعلم ، وهو في مستواه ، في حجم الفيل .

وبالامس استطعنا ان نصنع في المختبرات الانسولين ، من بسيط المواد ، وصنعنا منه القليل ، فرحنا ننشر هذا الخبر في زهو كثير ، فكانما فتحنا به القسطنطينية ، بينما الاجسام الحية ، اي الاجسام ، واضعف الاجسام ، تصنع منه كل يوم ، وكل ساعة ، للجسم كفايته من الانسولين ، في صمت ، بلا زهو ولا صراخ ولا نباح .

وانت تدخل المختبر الكيماوي ، او المختبرات ، وتنظر في وسائل الكيمياء في تحويل المواد من بسيطها الى المركب ، او من مركبها للبسيط ، فتجدها وسائل تتصف بالعنف عموما ، اداتها الضغط الهائل او النار ذات الدرجات العاليه .

وفي الجسم الحيّ تجري التفاعلات الكيماوية كلها بغير نار ، وفي غير ضغط ، وبغير عنف ، وصاحب الجسم لا يحس بالذي يجري فيه من تحوّل شيئا ، فكانما الذي يجري بجسمه انما يجري بجسم جاره . واضرب مثلا من أبسط الامثال . شعر رأسك يطول ، وهو دائم الطول ، وهو شعر جديد يتخلق ، وانت لا تشعر به الا بعد اسبوعين او اكثر ، عندما تنبهك زوجتك ان كنت كبيرا ، او امك ان كنت صغيرا ، الى انه وجب عليك ان تذهب الى الحلاق .

الخمائر

هي تلك المواد المسئولة عن كل هذه التغيرات الكيماوية التي تجري بالجسم ، فهي المواد المسئولة عن مجرى الحياة ، والحياة كيمياء .

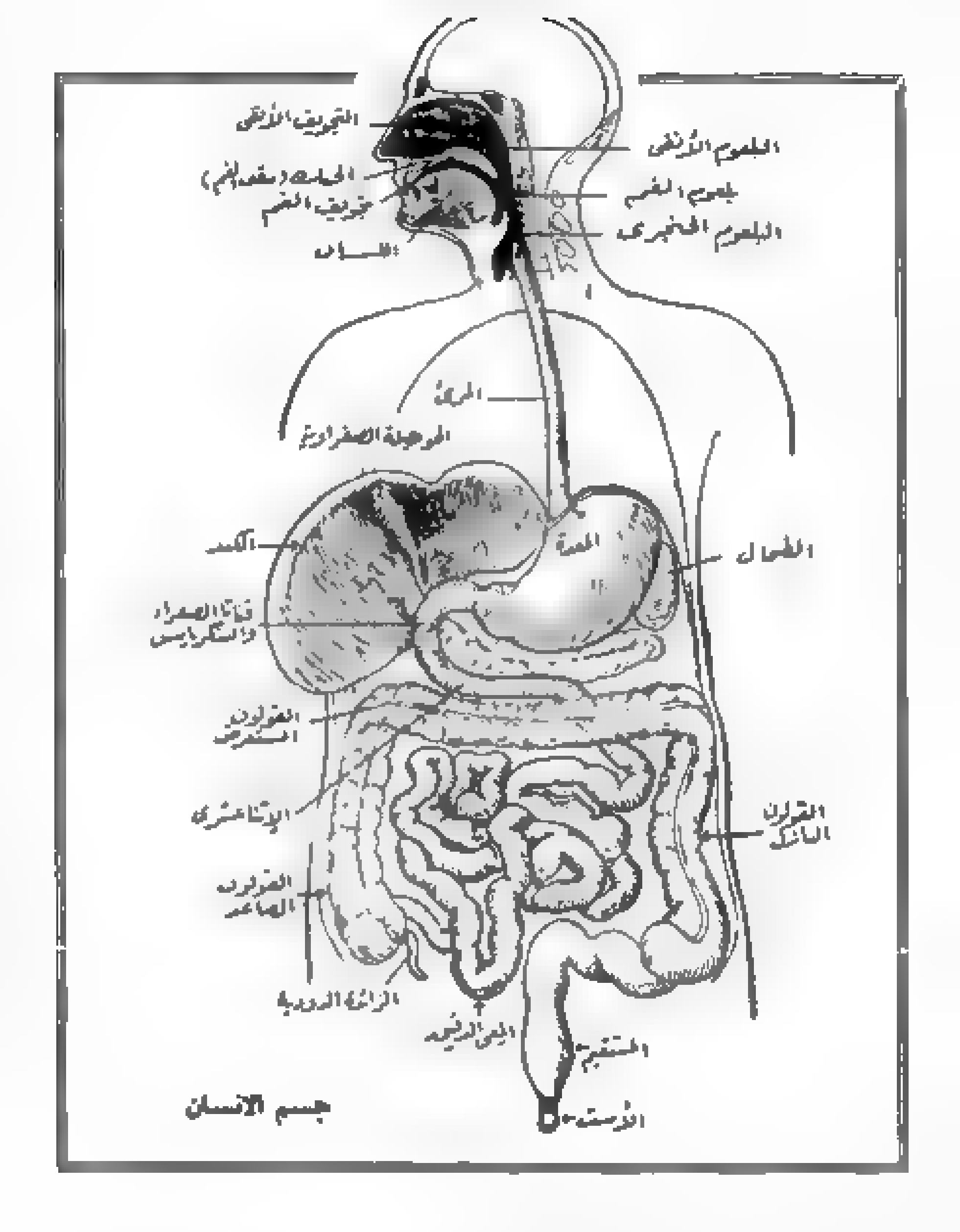
المختبرات الكيماوية تحتاج الى كيماويين ، والخمائر هي كيماويو الاجسام ، في جسم حيوان او جسم نبات .

ان الاعداد الهائلة من التفاعلات الكيماوية التي تجري في هذه الاجسام ، فتنتج الحياة ، انما تقوم عليها هذه الخمائر .

وكما ان الكيماوي في مختبره لا يدخل جزءا من التحوّل الذي هو قائم في صنعه ، فكذلك الخميرة القائمة على انجاز تحول كيماوي في الجسم لا تدخل هي جزءا في التحول القائم . ان التحول القائم يجري بحضورها . ولعلها تمس الاجسام وتشكل اوضاعها ليتم تفاعلها . ويجري التفاعل الكيماوي ويتم ، والخميرة باقية هي كما هي لم تزد ، في العموم ، ولم تنقص . والقليل منها يساعد على تفاعل الكثير من المقادير .

اما بالضبط ، وبالتفصيل ، كيف تقوم بهذه المساعدة ، فللعلماء في هذا الامر آراء غير حاسمة . انه سر الحياة . والاسرار تتكشف ، ولكن يبقى منها اعمقها واعسرها .

وهذه الصفات التي تتصف بها عمل



جسم الانسان

الخمائر ، سبق للعلماء ان وجدوا امثالا لها ، لا سيما فى الكيمياء غير العضوية ، كيمياء المواد التى لا حياة فيها، واسموها بالعوامل المساعدة Catalytic Agents والخمائر اذن عوامل مساعدة . ولنقف عند هذا .

الخمائر
اين تصنع فى الجسم الحى؟

نقول ان الخمائر هى القائمة على التحولات الكيماوية فى الاجسام ، من حيوانات ونباتات ، فهى القيمة على الحياة .

والسؤال الذي يطرأ : فأين تصنع هذه الخمائر ، وما الذي يقوم بصنعها في الجسم الحي ؟

والجواب : خلايا الجسم . وهي ملايين بل ألوفها .

كل خلية تصنع خمائرها .

والخلايا صنفان :

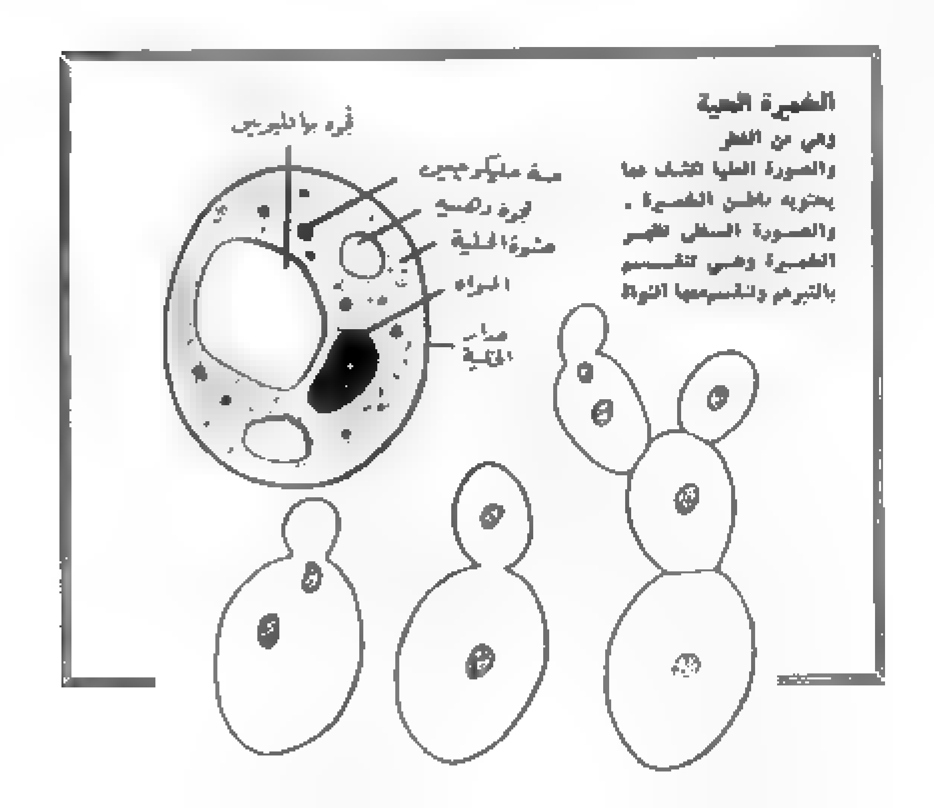
صنف يصنع الخمائر ويطلقها في الجسم لتقوم بوظائفها في شتى أرجائه . ونسميها بالخمائر الطليقة ، ويسميها أهل العلم Extracellular . ومن أمثالها الخمائر التي تطلق في الجهاز الهضمي ، في معدة ومعًا ، فتقوم في القناة الهضمية بهضم الطعام وتحضيره لأن يمتص في الأمعاء ويدخل الجسم . وسنعرف من ذلك طرفا .

وصنف الخمائر الآخر نسميه نحن هنا بالخمائر الحبيسة ، ويسميه العلماء Intracellular ، وهي التي لا تفارق خلاياها ، أي مواطنها ، حيث صنعت . وهي تقوم في هذه الخلايا بالعمل الجبار الذي من أخطره عمل التخليق والتركيب والخلق . وسنعرف من ذلك طرفا .

الخمائر والانزيمات

وقبل أن نمضي فيما وراء ذلك لا بد من التنبيه إلى أننا هنا نستخدم لفظ الخمائر تسهيلا للقارئ ، وقد تتطلب الدقة العلمية أن نسميها بالانزيمات . فهذا هو اللفظ الذي جرى به العلماء .

وذلك لأننا إذا نظرنا إلى الخميرة التي نخمر بها عجين الخبز ، لوجدنا أنها تتراءى تحت المجهر خلايا قائمة بنفسها ، تنتسب إلى الفصيلة المعروفة في تقسيم مملكة الحيوانات بالفطر والواحدة فطرة Fungus . وهذه الخميرة أي الخلية الحية ، المستقلة وحدها ، هي



الخميرة الحية
وهي من الفطر
والصورة العليا تكشف عما يحتويه باطن الخميرة . والصورة السفلى تظهر الخميرة وهي تنقسم بالتبرعم وانقسام النواة

التي تقوم بالتخمير ، ولكن بواسطة مادة في داخلها اسماها عالم ، لاول مرة ، عام ١٨٧٨ ، باسم انزيم Enzyme ، و En معناها «في» و Zyme معناها «الخميرة» واذن فالانزيم معناه « ما في الخميرة » .

كذلك تعمل الخميرة التي تحول السكر الى كحول فتنتج الخمر . الخلية تمتص السكر الى داخلها ، وتمير منه ، واذ يتحول الى كحول وغاز ثاني اكسيد الكربون ، تعرزهما في المحلول . فالخلية اسمها التي بها خميرة Yeast ، والذي بها انزيم Enzyme .

ولكن ايهما الذي يقوم بالتخمير ؟

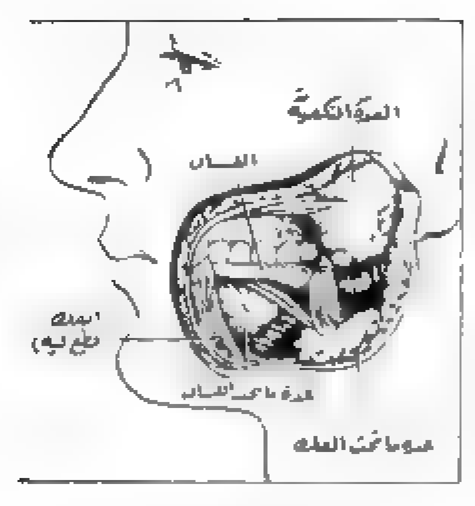
بالطبع الانزيم الذي بداخل الخميرة . اذ ان هذا ما اثبته العالم الالماني بخنر ادوارد Buchner في عام ١٩٠٧ ، ونال عليه جائزة نوبل .

والى الآن ، في هذه الكلمة ، سميا الانزيم بالخميرة ، لانه لفظ اعم في اذن القارىء ، واذ عرفنا الفرق وجب ان نستبدل بالخميرة لفظ الانزيم ، لا سيما ونحن نحكي عن الاشياء الحية ، وجسم الانسان خاصة ، لا نحكي عن خمائر في باطنها انزيمات . بل انزيمات مطلقة او حية ومع هذا فبعض المتحدثين يقولون خمائر Yeasts اذا هو لم يتحدث في صميم العلم .

الجهاز الهضمي وما فيه من انزيمات

الهضم هو تكسير جزيئات الطعام الكبيرة ، وبالعرش نعني الجزيئات الكيماوية) ، لتكون صغيرة ، وتمتصها الامعاء ، بعد ذوبانها في الدم . وعمليات الهضم جميعا لا تحتاج الى طاقة . اي الذهاب من المعقد الى الابسط من المركبات لا يحتاج الى الطاقة وانما هو يعطيها .

ونذكر هنا ذكرا سريعا ما بالجهاز الهضمي للانسان من انزيمات (خمائر



الوجه : وظهرت فيه الغدد اللعابية

ان شئت تبسيط لفظ) او مواد خميرية ، او انزيمات) .

الفم : وبه يبدأ الجهاز الهضمي ، وبه الغدد اللعابية . والانزيم هو اللعابين ، وهو بالانجليزية Ptyalin (تيالين) ، وهو يساعد على حل النشويات مثل الارز المطبوخ . فيحل الى سكر ابسط ثنائي هو سكر الشعير Maltose . ولهذا عندما تمضغ الارز في فمك ، وتمضغ ، لا شك ان تحس بحلاوة هي نتيجة لهذا التحول من النشا الى السكر .

المعدة : وبها الانزيم المسمى ببسين Pepsin ويحل البروتينات الى بروتينات ابسط كثيرا . بروتيوزات Proteoses وببتونات Peptones) .

والانزيم المسمى (رينين) Rennin وهي الانفحة وتخثر اللبن . ولا بد من هضم الخثير المتجبن بعد ذلك بواسطة الببسين ليتحول الى بروتيوزات وببتونات والمعدة لا تمتص من هذه المواد شيئا .

والمعاء الدقيق : وتصب فيه عصارتان ، عصارة البنكرياس Pancreas ، وعصارة من غدد المعاء الدقيق نفسه ، اي التي في جدرانه .

اما عصارة البنكرياس فيها ثلاثة انزيمات تعمل في البروتينات ، احدها

اسمه (تربسين Trypsin) وهو يفعل في البروتين او ما سبق ان انحل اليه مما هو ابسط ، وانزيم اسمه (ليباز Lipase) يعمل في الدهن فيحلله الى جلسرين وحوامض عضوية ، وانزيم يعمل في النشويات او السكريات او ما سبق ان انحلت اليه مما هو ابسط .

اما العصارة التي تخرج من الغدد التي في جدران المعاء الدقيق ، فمنها من الانزيمات ما يحل البروتينات ، او النشويات والسكريات ، او الدهون ، او ما كان انحل منها . وذلك حتى لايكاد يفلت من الطعام مفلت بدون هضم ، اي بدون حل الى ما هو ابسط ذائب ليدخل الى الجسم امتصاصا عن طريق جدران المعاء الدقيق .

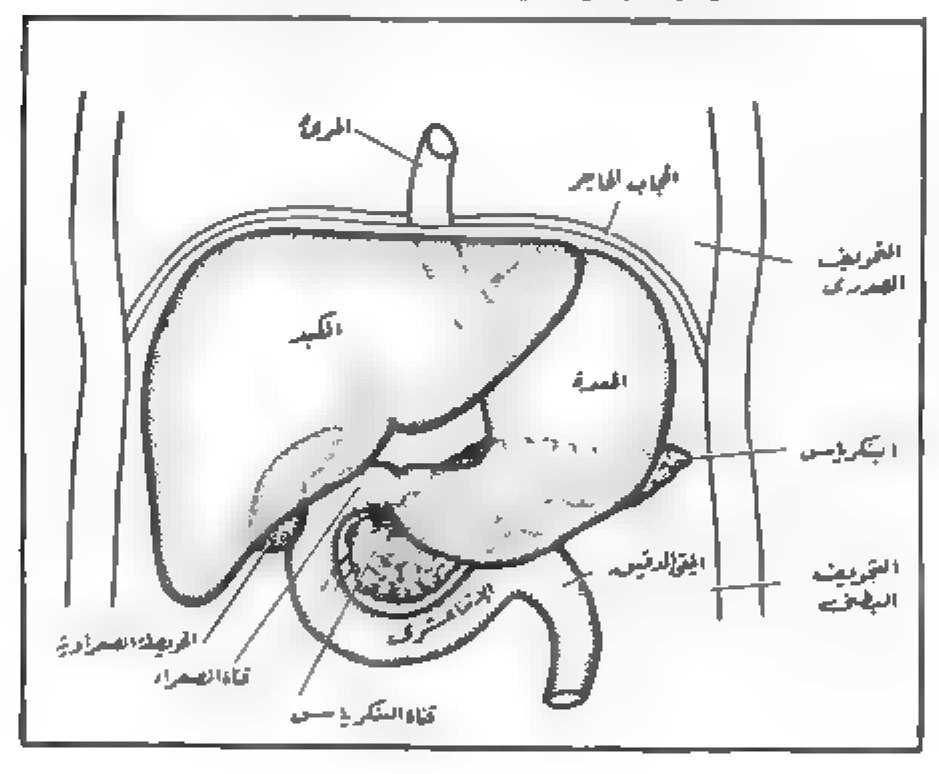
وما عليك ان تحفظ كل هذه الاسماء ، فما هذا بدرس في كيمياء الحياة ، ولو انه كان لتوقفنا عند كل خطوة ، خطوناها سريعة ، وقتا طويلا . انما المراد اعطاء القارىء غير العالم صورة من هذا الذي يجري بجسمه . انه شيء عظيم ، وراءه العلم الكثير ، والفن الدقيق ، والبصر الواعي لم يترك نافذة في القامة تحتاج الى سد الا سدها ، ولا حاجة الى نافذة فيها الا فتحها . ونحكي واكثر الذي

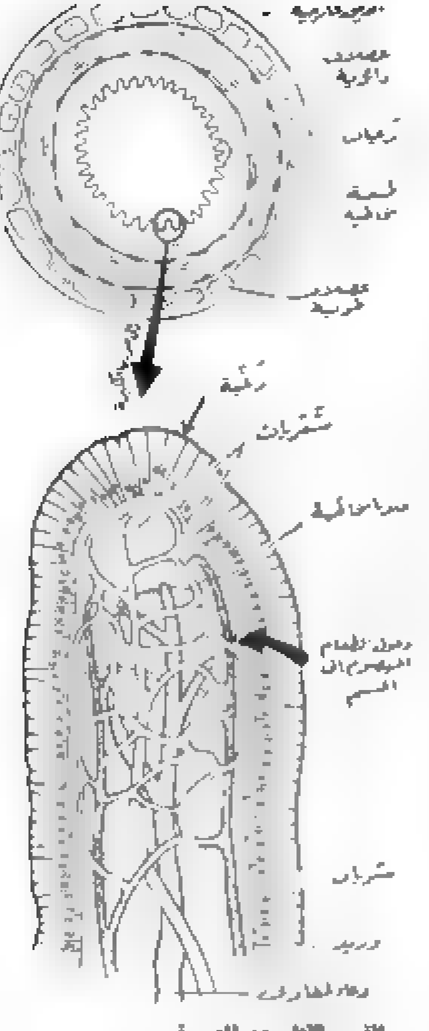
جسم الانسان :

بعض الاحشاء المتصلة بالهضم

وفيه تظهر المعدة والمعا الاثنا عشري ، والبنكرياس.

والبنكرياس يصب انزيماته في الاثني عشري ، والكبد تصب فيه المرارة





القسم الاعلى من الصورة
مقطع بالعرض من المعاء الدقيق
القسم الادنى من الصورة
رسم مكبر للزغبة الواحدة من الزغبات الالف الموجودة في جدار المعاء الدقيق والتي تمتص الطعام المهضوم ، فيصل داخل الزغبة الى الاوعية الدموية او الاوعية اللمفاوية (الدهن المهضوم وحده) .

بحكمه لا يزال غامضا مازيا من افهام العلماء .

الانزيمات ، ما كنهها ؟

حار العلماء في اول الامر في كنهها ، ثم زادوها بحثا ، وفصلوها فصلا من سوائلها في الاجسام ، ونقوها ، وبلغوا بها من النقاء ان استطاعوا ان يبلوروا الكثير منها (والبلورة دليل النقاء والصفاء) ، وحللوها تحليلا كيماويا ليعرفوا ما بها من عناصر ، فوجدوها تتألف من العناصر التي تتألف منها البروتينات ، وبالنسب المعروفة لا سيما ما بها من ازوت اى نتروجين .
وحللوها تحليلا كيماويا ليعرفوا ما بها من عناصر ، فوجدوها تتألف من العناصر التي تتألف منها البروتينات ، وبالنسب المعروفة لا سيما ما بها من ازوت اى نتروجين .

وكان بعضها قديما لا يعطى نتائج الكشوف التي تستجيب لها البروتينات ، ثم ظهر ان الذى لا يستجيب حمل على ظهره جرما آخر ، جسما غير بروتينى كان هو سبب الفشل .

والخلاصة ان الانزيمات هي اليوم بروتينات .

وان التي تصنعها خلايا الاجسام الحية ، وما اشقها صناعة !

اسماء الانزيمات

كانت قديما تسمى اسماء لمناسبات قائمة شتى . فعلنا في الهضم مثلا التيالين للانزيم الذى يوجد في اللعاب . وقلت الببسين لانزيم المعدة الذي يهضم اللحم ، وهو من لفظ معناه الطبخ او الهضم . وهلم جرا .

اما الآن ، فنحن نسمى الانزيم باسم المادة التي يساعد على تحويل تركيبها ، ثم نضيف اليه المقطع (آز) فاللعابي نسميه الاميل آز ، والاميل معناه النشا . والببسين نسميه بروتين آز ، لانه يساعد على تحويل البروتين في اللحم وغيره .

وقلنا (السكر آز) Sucrase للانزيم الـذى يعمل على حـل سـكر القصب Sucrose الى جلوكـوز وفركتـوز .

وقلنا لكتاز Lactase للانزيم الذى يعمل فى اللكتوز Lactose الذى هو سكر اللبن فيحله الى جلوكوز والسكر البسيط الآخر الجلكتوز Galactose .

انزيمات الحل والتبسيط واخرى التركيب والتعقيد

ما اظن ان القارىء غفل عن ان الانزيمات التى ذكرناها فى الجهاز الهضمى ، لاتمام عملية الهضم ، انما كانت كلها انزيمات للتكسير والحل والتبسيط Breaking Up Enzymes .
والنشا يحل الى جلوكوز ، والدهون الى حوامض عضوية وجلسرين ، والبروتينات الى وحداتها الاولى ، الى حوامض عضوية امينية .

ولكن الى جانب التكسير والتبسيط والهدم ، يوجد التركيب والتعليق Synthesis والبناء ، من الابسط نذهب الى الاعقد .

يظهر هذا جليا اذا ذكرنا ان خلايا الجسم لا تبقى فيه الى الابد . انها تبلى بعد حين . الاغشية وما بها من انسجة . البروتوبلازم الذى هو حشو الخلايا وهو بروتين . كرات الدم الحمراء ، الجلد وهو يفقد بشرته على الايام ويحتاج الى بشرة . كل هذه مواد معقدة التركيب ، كبيرة الجزيئات . ولكن ليس للجسم خامات يصنع منها هذه الاشياء غير ما دخل اليه من مهضوم الطعام ، وكله بسيط التركيب . جلوكوز . جلسرين . حوامض عضوية ، حوامض امينية . فمن هذه يصنع الجسم ما يريد . يخلق Synthesize ما يريد . من البسيط الى الاعقد . ويكون لهذه التركيبات انزيمات تقوم على احداثها .

انها انزيمات التركيب والتخليق Synthesis

التخصص فيما تعمل الانزيمات

فى القرية الصغيرة ، لا سيما فى العصور الغابرة ، كنا نجد الرجل يقوم بالحلاقة ، ويقوم فى نفس الوقت بالحجامة ، ويقوم بالختان ، ويقوم بكثير من عمل الاطباء فى غيبة الاطباء . وكذا كان الحال فى سائر شئون الحياة . الرجل يعمل الكثير المختلف من كل شيء ، ولكنه لا يعلم الا القليل من كل شيء . لم يكن هناك تخصص فى علم او مهنة او فن .

وجاءت الحضارة بالتخصص البالغ . وكلما تقدمت الحضارة زاد التخصص اتساعا ، وزاد عمقا ، وانظر للطب كم يوجد اليوم فيه من انواع الاطباء . للقلب طبيب . وللعين طبيب . وللغدد طبيب . وللاسنان طبيب . وللجلد طبيب . وقد يزيد التخصص فيزيد هذه الفروع تفرعا .

والجسم ، وهو آية الله الكبرى ، بلغ فيه التخصص درجة ان الانزيمات ، وهي القيمة على ما يجرى فيه من تغيرات وتبديلات كيماوية هي مظاهر الحياة بل هي الحياة ، هذه الانزيمات بلغت من التخصص فى عملها مبلغا عظيما .

فكل تغير حيوى ، لا يقوم عليه الا انزيم مختص به .

ولنضرب مثلا مما مضى .

النشا يتحل فى اللعاب الى سكر الشعير . والنشا يحتاج لذلك الى الانزيم اميل آز (نشا آز) . وسكر الشعير واسمه بالافرنجية ملتوز Maltose يحله الى جلوكوز انزيم آخر اسمه ملت آز Maltase .

ولكن سكر اللبن Lactose ، وهو قريب من سكر الشعير (Maltose) ، لا يحله الا الانزيم الخاص به ، انه اللكتاز Lactase .

فانظر كم فى الجسم من مئات التغيرات الكيماوية . وكم ادى فيه من الانزيمات .

وصنوف من المواد قد يعينها على التغير انزيم واحد ، وذلك لان الروابط التى تربط الذرات ، التى هى معينة

بالحل أو الربط ، هي فيها جميعا من الناحية الكيماوية سواء .

ونحن نعود الى البروتين . ونريد أن نحله . ولكن حله يقع على خطوات . من بروتين الى برتيوز الى بيتون الى بولي ببتيد الى أحماض أمينية . وليس يقع هذا الحل في الجسم في خطوة واحدة بانزيم واحد . لهذا رأينا البيبسين Pepsin يوجد في المعدة . وكذا الرنين Rennen والتربسين Trypsin في المعاء الدقيق (يفرزه البنكرياس) . وهلم جرا . حتى يتم في النهاية حل البروتين الى الأحماض الامينية ، أي الى وحدات البروتين الاولى .

عدد الانزيمات

ولكثرة أنواع التفاعلات قد بلغ عدد الانزيمات المختلفة في الخلية الواحدة Cell العدد الهائل من الانزيمات .

اذن ، فالجسم الحي ، حتى في سكونه وهدوئه ، مصنع لا يقاربه أي مصنع من المصانع الكيماوية التي يقيمها الانسان ، اذا ما اعتبرنا عدد العمليات الكيماوية التي تجري فيه .

الجسم الحي صغير ضئيل مكروني ، اذا ما نسبناه الى مصنع كيماوي قائم في العراء واحد يصنع مادة واحدة كيماوية أو بضع مواد قليلة .

والمصنع الكيماوي به رجال كيماويون يقومون على اجراء التفاعلات ، وهذا الجسم الحي ، بحسبانه مصنعا ، به هذا العدد الهائل من الانزيمات التي تقوم على اجراء التفاعلات ، كأنما هي الرجال سرعة تلبية ، وحسن تلبية ، وربما كانت التلبية أسرع وأحسن . المقاربة واضحة .

وان اختلفا ، فذلك انما يكون لأننا نعلم ما يجري في المصنع الكيماوي كله من تفاعلات ، فاذا أتينا الى المصنع الانساني ، أو المصنع الحيواني ، نجد أننا لا نعلم مما يجري فيه من تفاعلات كيماوية الا القليل .

بقي التوقيت

وفي المصنع الكيماوي ، مصنع العراء ، يقوم الرجال على التحوير الكيماوي يرقبونه ليعلموا كم بلغ ، لينتقلوا به من خطوة الى أخرى .

فكيف يصنع الكيماويون ، أعني الانزيمات ، في الجسم الحي ، لتوقيت أعمالهم لتتناسق الخطوات وتتلاقى في الوقت المرسوم .

الادارة الادارة ! وضبط العمل وربطه ودق الأجراس ، وأشياء أخرى للتنبيه والايقاظ في المصنع الكيماوي ، مصنع العراء .

أما في المصنع الحيواني ، مصنعي ومصنعك ، فالذي يقوم بالدعوة وبالتوقيت :

(أ) الهرمونات

(ب) والاعصاب

ولكن لهذا حديث آخر .

ابداع وروعة

ونحن نطلب بهذه الأحاديث اظهار ما في الخلق من روعة ، ومن ابداع في صنعه ، أحسب أننا قد وفينا هذا فيما قلنا .

بقي الوحدة التي تتراءى في الخلق . فهذه ، بعد الذي قلناه ، أيسر . اذ كل هذا الذي وصفناه ، كان المفروض فيه انه جسم الانسان تحدثنا عنه . ولكن هذا الذي قلناه صح أن نقوله من الثور ، والشاة ، والضفدعة والثعبان ، وشيء من التبسيط الواجب ونحن ننزل الى البسيط من الخلق ، صح أن نقوله أيضا حتى الخلية الواحدة التي تعيش في الماء، كالاميبة. فحتى الاميبة لها طعامها ، ولها أن تصنع منه نفسها ، وانا لا لها ، فلها الانزيمات تقوم على هذه التغيرات .

والى هذا وأمثاله قد نعود . ●●

احمد زكي



صيغة فعول .. وبعض معانيها

فعول بمعنى فاعل مع المبالغة في معنى الفعل

■ (١) من أسماء الله وصفاته التي وردت في القرآن: الغفور الودود العفوّ الشكور ومن صفات الانسان التي وردت: شكور وفخور ويئوس وكفور. ومن صفات أخرى «طهور» و«عبوس» وفي الأثر «سوآء ولود خير من حسناء عقيم».

وفي الشعر «قتول» و«فعول» و«جهول» إلى غير ذلك من الألفاظ الكثيرة التي جاءت في القرآن وغيره.

وهذه الصيغة «فعول» تدل على المبالغة فيما تقدم وكذلك في مثل ما يأتي:

تقول: رجل صبور وغفور وحصور وجحول وهيوب وغيور وصدوق وكتوم وزحوم بمعنى زحيم، كما تقول امرأة نشوز، وعينه طموح وعين دموع، ونفس عزوف وشاة درور، وامرأة عروب، أي متحببة الى زوجها. وعقبة كؤود، وناقة نبوص، وقافية شرود، وظبية نفور وحرب زبون، ورحى طحون.

ونلاحظ في صيغة «فعول» هذه التي هي بمعنى فاعل، أنها يوصف بها المذكر، كما يوصف بها المؤنث دون الحاق تاء التأنيث في آخرها، مادام الموصوف مذكورا قبلها أو مدلولا عليه من السياق، وفي القرآن «قالت عجوز عقيم» ومنه «أألد وأنا عجوز» أما اذا لم يكن الموصوف موجودا، أو لا يدل عليه الكلام السابق، فلك أن تلحق تاء التأنيث للدلالة على أن المقصود بذلك انثى، تقول: رأيت عجوزة.

فعول بمعنى مفعول

(٢) الرسول من معانيها المرسَل، فهو فَعُول بمعنى مفعول. والرسول أيضا على غير معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذا من قولهم. جاءت الإبل رَسَلاً، أي متتابعة.

والرسول أيضا بمعنى الرسالة نفسها، ومن ذلك قول كُثَيِّر عزَّة

لقد كذبَ الواشون ما فُهْتُ عندهم بِسِرٍّ ولا أرسلتهم برسول

أي ولا أرسلت الواشين برسالة.

ودابَّة ذلول، قد تكون بمعنى المذلَّلة التي رَاضها صاحبُها، وحينئذ تكون «فعول» بمعنى مفعول. وقد تكون بمعنى التي ذلَّت وخضعت والأرض الذلول

الموطوءة المُمَهَّدة . وفي القرآن « هو الذى جعل لكم الأرض ذَلولا » يحتمل أنها المُمَهَّدة ، ويحتمل أنها خاضعة لكم

والرَّكوب الدابة التي تُرْكَب ، فهي « فعول » بمعنى مفعول . وفي القرآن « وذَلَّلناها لهم فمنها رَكُوبهم » وصيغه « رَكوب » قد تأتي بمعنى الرجل الكثير الركوب ، وذلك حسب الجملة التي تريد أن تصف بها فيها .

ولفظ امرأة ذَعُور ، قالوا إنها التي تُذْعَر من كل شيء . والتَّوبة النَّصوح ، قالوا هي المَنصوح لله فيها . وإذن تكون كلمة « ذَعور » وكلمة « نَصوح » من صيغة فَعُول بمعنى مفعول .

فعول بمعنى المصدر

(٣) قَبِلَ الأمرَ قَبُولا وَوَلِعَ به وَلُوعاً . « القَبُول » و « الوَلُوع » كل منهما مصدر . وقالوا . وَقَدَت النارُ وُقُوداً وَوَقُوداً . وفرّق بعضهم بين الوُقُود والوَقُود فقال . الوُقود بضم الواو هو المصدر والوَقود بفتح الواو هو ما ترى من لهبها أو هو الحَطَب . وفي القرآن « النار ذات الوَقُود » ذات التَّوَقُّد ، وعقبوا على ذلك وقالوا : يكون مَصدراً بمعنى التَّوَقُّد أحسنُ من أن يكون الوَقُود الحَطَبَ .

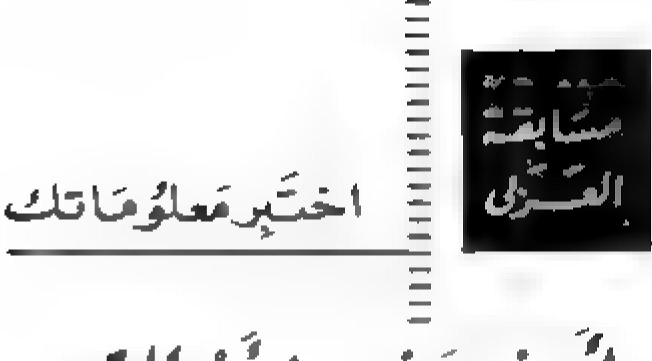
وقال سيبويه في كتابه جـ ٢ ص ٢٢٨ « هذا باب ما جاء من المصادر على « فَعُول » توضّأت وَضُوءاً حَسَناً ، وتطهّرت طَهوراً حَسَنا . وأولعت به وَلُوعاً . وسمعنا من العرب من يقول : وَقَدَت النارُ وَقوداً عالياً . وقَبِلَه قَبُولاً والوُقُود أكثرُ . والوَقودُ الحَطَب وتقول إن على فلان لَقَبُولا ، فهذا مفتوح »

وتقدم في القسم الأول أن لفظة « طَهُور » جاءت صيغة مبالغة أيضاً

« فعول » بمعنى الشيء الذى يقع عليه الفعل

(٤) السَّعوط ، ما يُسْتَنشق في الأنف والذَّرور ما يُذَرُّ على القَرْح . والغَسُول ، الماءُ الذى يُغتَسَل به ، والوَجُور ما يُوجَر في الفم ، أي يوضع في الفم من الدواء . وكذلك النَّشوع والنَّشوغ هما ما يوضع من دواء في الأنف أو الفم والحَنُوط طيبٌ يُخلط للميت خاصة والَّلدُود ، والسَّفوف ، والصَّبوح ، والغَبُوق ، والفَطُور ، والسَّحور ، والسَّعُوط ، والصَّعوط .

هذه كلها ألفاظ على صيغة « فعول » وهي أسماء للشيء الذى يقع عليه الفعل ، أصلها ، فيما يبدو لنا من معانيها ، أنها دالّة على معنى اسم المفعول . فعُول بمعنى مفعول ، ثم صارت بعد ذلك بمنزلة الأسماء للأشياء التي تُفعل



أجب عن ١٠ أسئلة واربح إحدى الجوائز

● الغاية من هذه المسابقة ، كالغاية من المسابقات الماضية ، امتاعك ، وزيادة معلوماتك ، ومكافأتك بجائزة اذا سمحت بذلك اجوبتك . والمطلوب منك هو ان تجيب على عشرة اسئلة فقط من الاسئلة الاثني عشرة التالية .. وكما قلنا للمسابقة الماضية ، لك ان تتحرى الاجوبة كما تشاء ، وحيثما تشاء ... فالذي يهمنا هو ان تكون اجوبتك صحيحة .

١ ــ عقبة بن نافع وقتيبة بن مسلم ، قائدان من ابرز القواد العرب الذين قامت على اكتافهم الفتوحات الاسلامية . ترى اين كانت فتوحات كل منهما ... في مغرب العالم العربي ، او في مشرقه ؟ ..

٢ ــ اللغة العربية مليئة بالتشبيهات .. منها قولهم :

١ ــ احذر من غراب .

٢ ــ اسرع من فرس .

٣ ــ احقد من جمل .

٤ ــ أسخى من ديك .

٥ ــ ... من ثعلب .

والمطلوب ان تملأ الفراغ الذي تجده في اول العبارة الخامسة ...

٣ ــ من هو الرحالة العربي المغربي الذي عاش في القرن الرابع عشر ميلادي ، وطاف في اكثر بلاد العالم المعروف في زمنه ، وتولى منصب القضاء في بلاد الهند ، ووضع اخبار رحلته كتابا ترجم الى عدة لغات ، واسم كتابه هذا « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » .

٤ ــ سومطره وسوقطره .. الاولى جزيرة كبيرة تقع في جنوب شرق آسيا ، الى الجنوب من شبه جزيرة الملايو ، وهي جزء من اندونيسيا . فما هي الثانية ، واين تقع واي بلاد تتبع .. ؟

٥ ــ قائد عظيم ، من اشهر قواد التاريخ القديم ، عاش (٢٤٧ ــ ١٨٣ ق.م) ، وخاض حروبا طويلة مع الرومان ، وزحف على روما عبر جبال الالب ، وقد استخدم الفيلة في حملته الشهيرة هذه .. الا ان النصر لم يكن حليفه في النهاية .. فما اسم هذا القائد ؟

٦ ــ الولايات المتحدة الامريكية تضم بين ولاياتها ولاية هي اكبر تلك الولايات مساحة ، واقلها سكانا ، وقد اشترتها حكومة واشنطون من روسيا القيصرية بمبلغ ٧٫٢٠٠٫٠٠٠ دولار ، فكان



توماس اديسون

تمنا بعضنا بالنظر الى البترول الذي اكتشف مؤخرا في تلك الولاية بكميات ضخمة .. فما هي تلك الولاية .

١ ــ تكساس ٢ ــ الاسكا ٣ ــ هواي

٧ ــ الدانمرك ، السويد ، فنلندة ، النروج ، احدى هذه الدول جمهورية والثلاث الاخرى ملكيات .. فايها هي الجمهورية ..

٨ ــ توماس اديسون عالم امريكي عرف بكثرة مكتشفاته العلمية . عاش ٨٤ سنة اي من ١٨٤٧ ــ ١٩٣١ . واشتهر اديسون هذا باحد الاختراعات التالية .

١ ــ التلغراف

٢ ــ الجراموفون (الحاكي)

٣ ــ المحرك البخاري

٩ ــ ديك يعرف في الشرق العربي باسم الديك الرومي . ويعرف في انجلترا باسم الديك التركي ويعرف في بلاد اخرى بالديك الحبشي ، فاي هذه البلاد موطنه ، او ان موطنه كموطن البطاطا والطماطم هو امريكا القارة الجديدة ، علما بانه لم يكن معروفا في اوروبا وبلاد الشرق العربي قبل القرن السادس عشر .

١٠ ــ كائن حي يطير وهو ليس بصنف من الطيور ، وكائن حي آخر لا يطير وهو صنف من الطيور ، فاضرب مثلا واحدا لكل منهما ..

١١ ــ في سنة ١٩٦٣ ارتادت الفضاء ودارت حول الارض امرأة للمرة الاولى في التاريخ . فما اسم هذه الرائدة الاولى وما جنسيتها ...

١٢ ــ الليرة هي عملة لبنان وعملة سوريا ولكن يوجد في اوروبا دولة اخرى تسمى عملتها الليرة .. فما هي هذه الدولة ..

شروط المسابقة

١ ــ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور بذيل هذه الصفحة .

٢ ــ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ــ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي

مجلة العربي ــ صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٢ »

٤ ــ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر اغسطس (آب) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .



الاندماج الاقتصادي على المستوى الاقليمي

خطا خطوات موفقة كثيرة

بين البلدان المتطورة

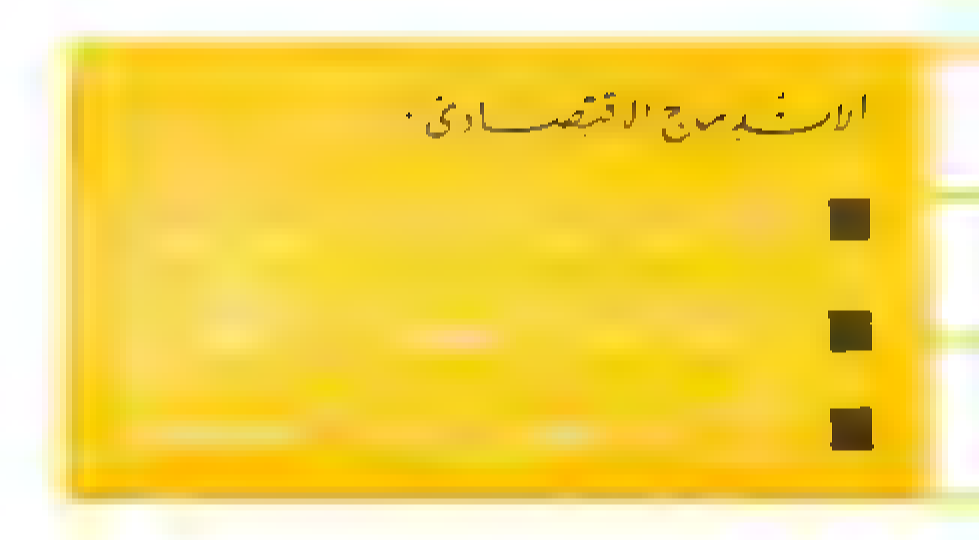
بقلم : اسماعيل العربي

■ كان غزو الدول الاستعمارية لآسيا وافريقية مظهرا من مظاهر ما كان يسمى في القرن التاسع عشر بتوازن القوى، ولذلك كانت الدول التي تبحث عن أسواق المواد الخام والنفوذ السياسي لا تجد أمامها لفرض سيطرتها سوى جشع الدول الأخرى التي تضاهيها قوة وتنافسها في السيطرة. وكذلك كان من سوء طالع كثير من المناطق في القارتين أن تحدد معالمها وقد قسمت على الورق بين عشية وضحاها الى مناطق نفوذ، والى بلاد لا يقوم كيانها الا على اعتبارات التبعية السياسية دون مراعاة للطبيعة الجغرافية والأوضاع الاقتصادية أو العلاقات البشرية.

ومن هذا التقسيم الأناني ورثت بلدان القارتين خريطة غريبة سيظل طلبة المدارس فيها أجيالا طويلة يلاقون صعوبة في فهمها. والا كيف يمكن تفسير وجود بلدين أحيانا على هذه الخريطة يحملان اسما واحدا وينحدران من أصل واحد وتحيط بهما ظروف اجتماعية واقتصادية متشابهة مثل الكونغو وغينيا وكوريا الخ. ؟ بل كيف يمكن تفسير خريطة الشرق الأوسط نفسها، حيث لم يكتف الاستعمار بتفتيت هذه المنطقة التي كانت دهورا طويلة تشكل وحدة سياسية واقتصادية متكاملة، الى دويلات ضعيفة، بل عمد، زيادة على ذلك، الى تمزيق المنطقة بوضع دويلة صهيونية مصطنعة وسطها أورثها الاستعمار كل خصائصه المميزة.

ففي اطار هذا التقسيم الاستعماري، تبلورت معظم البلدان المتحررة في القارتين الى قوميات ضيقة ترتبطت مصالحها الثقافية والاقتصادية مع مرور الزمن بمصالح المستعمر السابق الذي يهمه في المكان الأول ضمان استمرار تبعية هذه البلدان بعد الاستقلال. وكذلك أصبحنا الآن نرى بلدانا متجاورة يجمعها اطار جغرافي واحد وتسود فيها ظروف اجتماعية واقتصادية متشابهة ولكنه تفصل بينها حواجز وحدود لا سبيل الى التغلب عليها. فمنتجات هذه البلدان تتجه الى أسواق المستعمر السابق، لأنها لا تجد طرقا معبدة الى الأسواق المجاورة أن تضمن لها الرواج فيها، ولأن بنوكها ومؤسساتها المالية وشركات التأمين فيها لا تربطها صلة بمثيلاتها في البلدان المجاورة.

وهذه الاعتبارات السياسية هي التي تفسر لنا ما نشاهده الآن من أن التبادل التجاري بين بلدان



القارة الافريقية ، مثلا ، لا يشكل سوى ١٠٪ من مجموع تجارة هذه البلدان (١) .

وهذا الخطأ في الاوضاع انما يمكن تصحيحه بجهود صادقة من البلدان المتطورة للتكتل في نطاق اقليمي يأخذ الى الاعتبار جميع العوامل الطبيعية والتاريخية ، بل والسياسية ايضا الى حدما . وذلك لان خلق الاتحاد الاقتصادي الشامل يفرض حدا ادنى من التفاهم السياسي ليكون اساسا للتعامل مع الخارج ، وليكون خصوصا مصدرا للثقة لدى شعوب البلدان المتكتلة بان ما يتم في المجال الاقتصادي لن تعصف به الاعاصير السياسية في المستقبل .

ما هو التكتل الاقليمي ؟

أصبح التعاون على المستوى الاقليمي للتنمية الاقتصادية من اهم مميزات النشاط الدولي في العصر الحاضر . وقد كانت النتائج الايجابية التي حققها التكتل الاقليمي والشبه الاقليمي في اوروبا الغربية ، ولاسيما في نطاق دول البنلوكس والسوق الاوروبية المشتركة ، حافزا مشجعا للبلدان المتطورة الى التكتل وتجميع امكانياتها للتنمية على المستوى الاقليمي وشبه الاقليمي(٢) .

ومن الحقائق التي برزت بوضوح في غضون العقد الماضي ، انه اذا كان التعاون والتكتل او الاندماج الاقتصادي نشاطا كماليا مفيدا للبلدان المتقدمة ، فهو بالنسبة الى البلدان المتطورة ضرورة حيوية لدعم تقدمها وتنميتها الاقتصادية . فان ٩١ بلدا من البلدان المتطورة لا يزيد عدد سكان كل منها على ١٥ مليون نسمة (اي مستهلك) . واقامة صناعة عصرية في اي من هذه البلدان على اساس الاسواق المحلية امر باهظ التكاليف ، بل وقد يكون مستحيل التحقيق . ولذلك يتحتم ان تعتمد كل صناعة تقوم في بلد من هذه البلدان اما على اسواق البلدان المتقدمة حيث تقوم في وجهها حواجز جمة وحيث المنافسة حادة ، واما على اسواق البلدان المتطورة الاخرى التي قد تكون



(١) واما التبادل التجاري بين البلدان المتطورة عامة ، فهو لا يتجاوز حتى مجموع صادرات [illegible]
فيه البلدان المتطورة . للتفاصيل راجع [illegible]

(٢) للتفريق بين التكتل الاقليمي في البلدان الصناعية والبلدان المتطورة يمكن مراجعة [illegible]

بدورها بصدد انشاء صناعات خاصة بها تضطر الى احاطتها بسياج من الحماية الجمركية .

فالحل الذي تفرضه الضرورة هنا ، هو اقامة صناعات مشتركة بين عدد من البلدان المتجاورة على مستوى اقليمي أو شبه اقليمي لتضمن لها اسواقا واسعة تجعلها قادرة على مواجهة المنافسة الخارجية ، فتوفر بذلك اساسا لتنمية شاملة متكاملة . وحتى لو ذلك تصبح الاقاليم المتكتلة لامجرد وحدات جغرافية ترتبط بمصالح مؤقتة ، بل كيانات اقتصادية تحسب الدول المتقدمة حسابها في المفاوضات التجارية وغيرها .

والتكتل لتحقيق التنمية على مستوى اقليمي عملية تتم تدريجيا وبواسطة اتفاقات تحدد للتعاون اهدافا قريبة واهدافا بعيدة المدى .

واهم الخطوات في طريق التكتل الاقليمي الاقتصادي ، هو تحرير التبادل التجاري تدريجيا ، وتنسيق التشريعات القومية ، خصوصا في مجال النقد وجباية الضرائب ، بين البلدان المتكتلة تنسيقا يأخذ الى الاعتبار حاجات البلدان الاقل تطورا ويكون اساسا لسياسة جمركية وتجارية مع الخارج . وكذلك يتحتم ان تعالج الاتفاقيات التي تعقد بهذا الشأن ، مشاكل جوهرية اخرى في عملية التنمية وذلك مثل حرية تنقل رؤوس الاموال والاستثمارات واليد العاملة وجميع وسائل الانتاج .

والافضل ان يبدأ الاندماج على مستوى شبه اقليمي وفي اطار جغرافي تتوفر فيه العوامل السيكولوجية والاجتماعية الاساسية مثل اللغة وتقارب المشارب الثقافية ووجود تراث تاريخي مشترك بين البلدان المندمجة . وبعد ذلك تندمج الكيانات الشبه الاقليمية في تكتل اقليمي واسع ليصبح هو بدوره ، في الوقت الملائم ، طرفا في حوار او تكتل على مستوى القارات .

ولكن يمكن لاجراءات التصنيع وتحرير التبادل التجاري على المستوى الاقليمي ان تاتي بثمرتها ، يقتضي الامر ان تشتمل الاتفاقيات التي تعقد بشأنها على الخطوط الاساسية لسياسة تستهدف تنمية القطاع الزراعي ، الى جانب القطاع الصناعي (والقطاعان كما هو معلوم ، يكمل احدهما الاخر) . وذلك لان العناية بالقطاع الزراعي امر من شأنه ان يؤدي الى رفع مستوى المعيشة بين سكان الارياف والى زيادة مقدرة الفلاحين الشرائية ــ الامر الذي سيكون له اثر فعال في تشجيع الصناعة والتبادل التجاري في نطاق التكتل الاقليمي .

الفوائد والعقبات

ربما كانت اهم مزايا الاندماج الاقليمي هي ان هذا الاندماج من شأنه ان يزيل الحدود القومية والحواجز الاقتصادية ويوفر للبلدان المنخرطة فيه اسواقا واسعة للصناعات القائمة وفرصا لاقامة صناعات جديدة . ومن المعلوم ان اتساع نطاق الاسواق يؤدي الى اتساع نطاق الصناعات ، بحيث تمكن من استخدام الآلات الكبيرة ومن شراء كميات كبيرة من المواد الخام ، وبعبارة اخرى الى خفض تكاليف الانتاج وزيادة القدرة على المنافسة .

ونحن نعرف ان من العوامل الرئيسية في مسألة حجم الاستثمارات ، وبالتالي ، في نمو الصناعات خصوصا في اوروبا وآسيا ، صغر اسواق بلدان القارتين . وتأثير حجم الاسواق في نمو الصناعات حقيقة اقتصادية سبق ان لاحظها القدماء واعترفوا باهميتها . فمنذ عهد قريب ، كان آدم سميث قد قرر ان حجم الاسواق هو العامل النهائي لتحقيق مستوى عال من الانتاج . وهذه الحقيقة تنعكس في عصرنا في خضوع الصناعات على اسباب التكنولوجية .

وكذلك يمكن القول ، كما لاحظ الاستاذ ليبولد سيوولسكي بان بلدا ما يعتبر صغيرا طالما كان صغيرا من الناحية التكنولوجية وبحيث لايمكنه ايجاد منفذ ملائم لانتاج مصانعه حينما تعمل بكامل طاقتها .

ومن جهة اخرى ، فان الاندماج الاقليمي يساعد على توسيع نطاق الانتاج ، لا بسبب ما ينجم عنه من اتساع الاسواق فحسب ، بل وايضا بسبب التحسن الذي يطرأ على مستوى المعيشة في المناطق التي يشملها الاندماج وزيادة الطلب على المنتجات الصناعية . واهمية العامل الاخير تتضح لدينا خصوصا اذا ادركنا ان القدرة الشرائية في البلدان المتطورة ، حيث لايزال الطلب يدور حول ضروريات الحياة ، ضعيفة جدا . واتساع حاجات الجماهير بحيث تشمل الكماليات والمنتجات المصنوعة امر من شأنه ان يؤدي الى تشجيع الانتاج وازدهار الصناعة .

والصناعات التي تقوم في نطاق قومي تتمتع

بالحماية الجمركية والمساعدة الحكومية . ونتيجة لذلك ، فان انتاجها لا يجد مزاحمة اجنبية في السوق المحلية من حيث النوع والسعر . وبالتالي فان الصناعات القومية كثيرا ما تتحول الى مصلحة ادارية تميل تدريجيا الى الركود وقلة الاكتراث بالتجديد والتحسين ، حيث ان فرص النجاح مضمونة لها . وعلى العكس ، فان الصناعة التي تقوم على مستوى اقليمي ، تجد في المنافسة الخارجية والداخلية حافزا منشطا للعمل لتدعيم نفسها . وبعبارة اخرى ، فكلما كان المجال فسيحا لمنتجات البلدان المتطورة للتنافس فيما بينها ، كان مركز صناعتها لمنافسة منتجات البلدان الصناعية اقوى وامتن .

وخلاصة القول ، ان البلدان المتطورة قد ادركت ان سرعة التقدم في الاندماج الاقتصادي على المستوى الاقليمي ، من شأنها ان تزيد من دخلها وتساعدها على المتاجرة بشكل فعال مع بقية بلدان العالم . وهذه هي النتيجة التي يتوخى منها الاقتصاد الدولي والتكتل الاقتصادي على المستوى الاقليمي .

ولكن الاندماج الاقليمي لا يخلو من عقبات ومضايقات بالنسبة لبعض البلدان التي تشترك فيه . وربما كانت اهم المشاكل التي تنطوي عليها التنمية في نطاق الاندماج الاقليمي ، هي مشكلة توزيع الفوائد بصورة عادلة بين البلدان المتكتلة . وقد دلت التجربة على ان البلدان الاقل تطورا تواجه صعوبات خطيرة اذا لم تحصل على ضمانات خاصة تكفل مصالحها بين جيرانها . وليس اقل هذه الصعوبات شأنا ان تلك البلدان التي لا تزال في المراحل الاولى من تنميتها ، ستصبح عاجزة عن حماية صناعتها الناشئة ضد صناعات جيرانها المتقدمة منها . هذا فضلا عن انها ستضطر الى دفع اسعار اعلى للبضائع التي تستوردها من جيرانها الاكثر تطورا بالقياس الى الاسعار التي تدفعها لشراء نفس البضائع حينما تستوردها من البلدان المتقدمة . وكذلك ثبت ان عملية توزيع الفوائد توزيعا عادلا في نطاق التكتل الاقليمي ، عملية اصعب في البلدان المتطورة منها في البلدان المتقدمة .

والواقع ان سد الثغرة التي تفصل بين البلدان الاقل تطورا والبلدان المتطورة التي سجلت تقدما في التنمية ، هدف لا يقل اهمية عن الهدف العام الذي تسعى التنظيمات الاقليمية للتنمية الى تحقيقه ، الا وهو تقريب الشقة التي تفصل بين البلدان المتطورة والبلدان المتقدمة .

نماذج التنمية الاقليمية

لعبت اللجان الاقليمية التابعة للامم المتحدة دورا هاما في تشجيع التعاون والاندماج الاقتصادي الاقليمي ، وذلك بتقديم الاقتراحات والمشورة الفنية ووضع الدراسات والمخططات والتعاون مع الحكومات في مختلف الميادين . ومن سوء الحظ ان منطقة الشرق الاوسط ليس لديها لجنة اقتصادية خاصة بها لتقوم بهذا الدور (١) . وقد كان من نتائج اعمال هذه اللجنة تنسيق عملية التنمية بين مختلف المناطق والقارات وزيادة التفهم للمشاكل التي تواجهها البلدان المتطورة . وفي السطور التالية سنعرض الخطوط الرئيسية لمختلف التنظيمات الاقليمية في القارات الثلاث .

امريكا اللاتينية

اتيح لبلدان امريكا اللاتينية من التراث الادبي المشترك ومن تقارب الاوضاع الاقتصادية ما لم يتح لغيرها من بلدان القارتين الافريقية والاسيوية . وهذه عوامل ذات اهمية في التنمية الاقليمية . ولذلك بذلت هذه البلدان جهودا كبيرة في غضون العقد الاخير لرفع الحواجز الجمركية ولتعزيز التعاون الاقتصادي على مستوى الحكومات . وقد قام كل واحد من هذه البلدان بمحاولات لاكثر التصنيع ، كل في نطاق حدوده . ولكنها شرعت منذ بداية العقد الماضي ، وخصوصا في نطاق « التحالف من اجل التقدم » الذي يضم الولايات المتحدة ايضا ، تتجه الى العمل لاندماج اقتصادها على مستوى اقليمي . وقد وجدت مشروعات الاستثمار المتعددة القوميات تشجيعا خاصا من بنك التنمية الامريكي المشترك الذي ساهم مساهمة فعالة في التمويل المتوسط الاجل وفي

---

(١) تعرض مطلوب عرضه انكوسه بهذا البحث وندخل له اثناء انعقاد الدورة الخامسة والاربعين للمجلس الاقتصادي والاجتماعي التي عقدت في جنيف ، وكان من نتائج هذا انشاء مكتب بيروت للامم المتحدة وجعلها تابعة ووضع اللجنة الاقتصادية الاسيوية



البقعة السوداء وهذه الخريطة هي دول السوق المشتركة لامريكا الوسطى ، اما الدول التي عليها نجوم ، فهي الدول الاعضاء في جمعية التبادل التجاري الحر ، في جنوب امريكا

التجهير الصناعي في البلدان التي يشملها الاندماج الاقليمي .

وكذلك اصبحت جميع بلدان امريكا اللاتينية الان ، فيما عدا منطقة جزر الانتيل ، اعضاء اما في جمعية التبادل التجاري الحر ، او في السوق المشتركة لامريكا الوسطى . وكلتا المنظمتين كانت ثمرة لجهود اللجنة الاقتصادية لامريكا اللاتينية (التابعة للامم المتحدة) التي كانت سكرتيريتها صاحبة الفكرة في انشائها .

السوق المشتركة لامريكا الوسطى

تضم كوستاريكا والسلفادور وجواتيمالا وهندوراس ونيكاراجوا (عدد سكانها ١٢ مليون نسمة) وهي تعتبر انجح مجهود للتنمية الاقليمية في البلدان المتطورة للاندماج الاقليمي . وقد بدأ التعاون بين هذه البلدان في اوائل العقد الخامس ولكنه لم يتبلور الى المعاهدة التي تقوم عليها هذه السوق الا في سنة ١٩٦٠ . وتقضي نصوص هذه المعاهدة التي انضمت اليها كوستاريكا فيما بعد ، بالغاء الحواجز الجمركية بين البلدان الاعضاء ، فيما عدا ما يتصل ببعض المنتوجات الزراعية ، وباعتماد تعرفة جمركية مشتركة مع الخارج تشمل ٩٨٪ من الواردات . وكذلك قامت بلدان السوق بتنسيق سياساتها المالية وبانشاء عدة مؤسسات مالية مشتركة مثل بنك الاندماج لامريكا الوسطى. وفي غضون السنوات الخمس الاولى من حياة هذه السوق ، زاد التبادل التجاري بين اعضائها من ٣٢،٨ مليون دولار الى ١٣٦ مليون دولار .

جمعية التجارة الحرة

تضم ١١ بلدا وهي الارجنتين وبوليفيا والشيلي وكولومبيا والاكوادور والمكسيك والباراجواي والبيرو والاوروجواي والبرازيل وفنزويلا . وقد شكلت عقب مفاوضات قدمت خلالها الدول الاعضاء ترضيات متبادلة واسعة النطاق وعلى اساس اتفاقية دخلت في حيز التنفيذ في غضون الفترة التي تمتد بين ٦٢ — ١٩٦٦ . والاتفاقية تستهدف اقامة سوق مشتركة لبلدان امريكا اللاتينية برمتها .

افريقية

يوجد في القارة الافريقية اكثر من ٢٠ بلدا لا يتجاوز عدد سكان كل منها مليونين ونصف مليون نسمة ، ولا يزيد دخل كل منها السنوي على ٢٥٠ مليون دولار . وصغر حجم البلد وضآلة موارده الاقتصادية ، من العوامل التي تجعل التكتل

والاندماج الاقليمي ضرورة حيوية لنجاح التنمية في هذا البلد . ومن جهة اخرى ، فنحن نعرف ان افريقية قد قاست من « التفتيت » الاستعماري اكثر مما عانت آسيا . ونظرا لصغر رقعة معظم هذه البلدان ولفقرها ، فقد استمر كثير منها على علاقاته الاقتصادية مع المستعمر السابق بعد زوال التبعية السياسية . وهذه العلاقات التي تشمل التجارة والعملة والمواصلات ، كانت ولاتزال عائقا خطيرا في طريق التكتل والاندماج الاقليمي بين بلدان متجاورة . ومع ذلك ، فان الفعاليات عديدة عقدت على مستوى شبه اقليمي بين عدد من البلدان كانت اساسا لقيام بعض المؤسسات المشتركة ، مثل البنك الافريقي للتنمية .

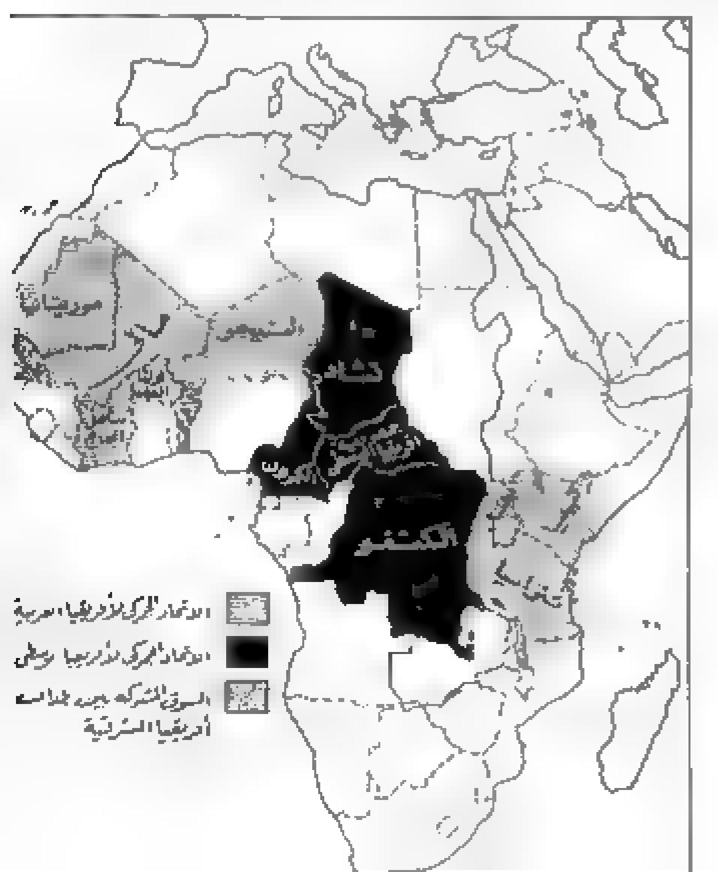
السوق المشتركة بين بلدان افريقية الشرقية

تضم كينيا واوغندا وتنزانيا ويبلغ عدد سكان هذه المجموعة من الدول ٢٥ مليون نسمة وهذه السوق قائمة منذ سنة ١٩٢٥ ، حينما كانت هذه البلدان تشكل وحدة جمركية ونقدية . ولما نالت استقلالها ، اصبح التبادل التجاري فيما بينها حرا تماما ، فيما عدا بعض المنتوجات الزراعية . وكل واحد من هذه البلدان يطبق مع الخارج نفس التعرفة التي تطبقها البلدان الاخرى الاعضاء .

على ان عقبات سياسية اعترضت طريق هذا التعاون فاصبحت الجهود التي تبذل في الآونة الاخيرة تنحصر في محاولة انقاذ السوق .

الاتحاد الجمركي لافريقية الوسطى

شكل هذا الاتحاد الذي يضم التشاد والكاميرون وجمهورية افريقية الوسطى والكونغو (برازافيل) في يناير سنة ١٩٦٦ . ولهذه البلدان التي يبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة ، تعرفة جمركية



توضح هذه الخريطة التكتلات الاقتصادية والاسواق المشتركة في القارة الافريقية

مشتركة وسياسة موحدة للاستثمار وبنك مركزي مشترك . والبلدان الاعضاء في الاتحاد تلتزم بالقيام باجراء مشاورات فيما بينها قبل البدء في انشاء صناعات قومية تتيح التصدير الى منطقة السوق الاقليمية .

الاتحاد الجمركي لافريقية الغربيه

يضم هذا الاتحاد ساحل العاج وداهومي والفولتا العليا ومالي وموريتانيا والنيجر والسنغال . وكان الهدف الاساسي من تشكيله في سنة ١٩٥٩ ، هو المحافظة على الوحدة الجمركية التي كانت قائمة بين هذه البلدان في عهد الاستعمار . والتبادل التجاري بين الدول الاعضاء في الاتحاد معفى تماما من الضرائب الجمركية .

المنظمة الافريقية الملغاشية

تضم هذه المنظمة ١٤ دولة من الدول الناطقة باللغة الفرنسية . ومن اهم الاعمال التي انجزتها المنظمة انشاء سوق مشتركة بين بلدان هذه المنطقة للسكر . وقد وقعت الاتفاقية التي تكونت المنظمة بمقتضاها في سنة ١٩٦٦ .

اللجنة الاستشارية الدائمة المغربية

تضم المملكة المغربية تونس وليبيا . ومهمة هذه اللجنة التي تتلقى مساعدة فعالة من برنامج التنمية التابع للامم المتحدة ، هي تنفيذ خطة اقليمية للتنمية ووضع سياسة مشتركة للتصنيع وتصدير المنتجات المغربية التقليدية ، والبحث عن الطرق والوسائل التي تسمح لهذه البلدان بخفض التعرفة الجمركية فيما بينها .

منطقة الشرق الاوسط

تجمع بين بلدان هذه المنطقة روابط اللغة والدين والتقاليد والثقافة في نطاق حضارة مشتركة . ولكن هذه الصلات التي تنطوي على امكانيات خصبة للتعاون والاندماج الاقتصادي على المستوى الاقليمي لا تزال تحت ضغط التوتر السياسي الذي يسود هذه المنطقة خلال العقدين الماضيين نتيجة خصوصا للعدوان الاسرائيلي المتكرر ـ الامر الذي يضطر هذه البلدان الى تكريس كثير من مواردها لاغراض الدفاع والاكتفاء بالحد الادنى من التكتل والاندماج الاقليمي الاقتصادي . وعلى كل حال ، فان الجهود التي بذلت لهذه الغاية اسفرت عن اتفاق انشئت بمقتضاه السوق العربية المشتركة في سنة ١٩٦٤ . وهذه السوق ستتحقق في غضون الفترة التي تمتد حتى سنة ١٩٧٤ .

والدول الاعضاء في السوق هي الجمهورية العربية المتحدة والاردن والعراق وسورية واليمن . واما السودان الذي صدق على اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية ، فينتظر ان يصبح العضو السادس بعدما تكمل الترتيبات الضرورية لتنفيذ نصوص الاتفاقية .

وقد اصبحت الاجراءات التي وضعت لخفض التعرفة الجمركية بين البلدان الاعضاء نافذة المفعول ابتداء من سنة ١٩٦٥ . وكذلك الغيت الان جميع القيود الجمركية على المنتجات الزراعية والحيوانية المتبادلة بين بلدان السوق .

وكذلك اصبح عدد من المنتجات الصناعية معفى من الضرائب الجمركية ، بينما يتمتع الباقي بالاعفاء بنسبة ٨٠٪ ، والمنتظر ان تتمتع المنتجات الصناعية بالاعفاء التام في اول يناير ١٩٧١ (١) .

والى جانب هذه الاجراءات وضعت الصيغة النهائية لخطة لانشاء اتحاد عربي للمدفوعات ، كما وضع مشروع لمنظمة عربية للجمارك ستكون مهمتها الاشراف على تنفيذ نظام التعرفة الجمركية الموحد (٢) .

آسيا الجنوبية والشرق الاقصى

ان الجهود التي تبذل في مجال التنمية على المستوى الاقليمي في هذه المنطقة بطيئة جدا . ومرجع ذلك الاختلاف الكبير بين سكانها من حيث الجنس واللغة والثقافة والدين والاتجاه السياسي العام ، وخصوصا ظروف الحرب المدمرة التي تجتاح هذه المنطقة منذ نيف وربع قرن من الزمن . ولهذه الاعتبارات كلها نجد ان العلاقات بين البلدان الواقعة في هذه المنطقة ضعيفة ، بل في بعض الاحيان معدومة تماما ، هذا اذا استثنيا

---

(١) تقرير السوق العربية السنوي الى المجلس بالسنة ١٩٧٠ ، رقم 3340 ، L .
(٢) نفس المصدر

الدول التي ترتبط بعلاقات في نطاق الكومنولث البريطاني . وبالتالي ، فان هذه البلدان لم تتمكن حتى الآن من استنباط ملامح فعالة للتعاون الاقتصادي الاقليمي . وما حققته بعض البلدان في هذا المجال ينحصر في التعاون الثقافي والتقني . ولكن محاولتين او ثلاثاً ، جديرة مع ذلك بالاشارة وهي تجرى على مستوى شبه اقليمي .

جمعية آسيا الجنوبية الشرقية

تضم هذه الجمعية الفلبين وتايلاند وماليزيا ، وهي تستهدف اقامة تعاون بين هذه البلدان في المجال الاقتصادي والعلمي والتربوي ، كما تسعى الى تكوين منطقة حرة للتجارة بين البلدان الثلاث.

مشروع دلتا الميكونغ

يسعى هذا المشروع الذي يجري تمويله بمساعدة فعالة من الامم المتحدة والذي يضم كمبوديا وتايلاند وفيتنام الجنوبية ، خصوصا الى تسخير مياه النهر لانتاج الطاقة الكهربائية لفائدة حوالي ٥٥ مليون نسمة ، كما يعمل ايضا لتحسين ظروف الملاحة في نهر الميكونغ وتوفير وسائل الري الخ .

اتفاقية التعاون الاقليمي

وهي تضم باكستان وايران وتركيا ، وقد انشئت في سنة ١٩٦٤ . وهذه الاتفاقية تعتبر اهم خطوة في طريق التعاون بين البلدان الاسيوية . وهي قد سجلت تقدما ملحوظا في التنسيق ولا سيما فيما يتعلق بالخدمات البحرية والمواصلات بصفة عامة. والاتفاقية لا تنص على رفع الحواجز الجمركية ولكن البلدان الثلاثة ترتبط باتفاقيات ثنائية لشئون الجمارك تنطوي على ترخيصات متبادلة معتبرة .

مؤتمر دلهي والتنمية الاقليمية

كان مجلس مؤتمر التجارة والتنمية قد بحث باستفاضة خلال الدورة الخامسة التي عقدها في جنيف مسألة التنمية الاقليمية في نطاق بحثه لجدول اعمال مؤتمر دلهي . وقد جرى هذا البحث على ضوء الدراسات العديدة التي قدمتها السكرتيرية وعلى ضوء تقارير مختلف اللجان والمنظمات الاقليمية الى المجلس .

وكذلك وضع امام مؤتمر دلهي من الدراسات والبيانات ما سمح له ببحث مختلف جوانب مسألة التنمية الاقليمية وباصدار تصريح هام بشأنها (١).

جاء في هذا التصريح ان المؤتمر « يؤكد القول بان زيادة التبادل التجاري والتعاون والاندماج الاقتصادي بين البلدان المتطورة ، امور تعتبر عنصرا هاما في استراتيجية دولية شاملة للتنمية ومن شأنها ان تسهم اسهاما جوهريا في تقدم تلك البلدان اقتصاديا » .

ومن جهة اخرى ، يعترف القرار بان مهمة تنظيم الاندماج الاقتصادي الاقليمي تقع على عاتق البلدان المتطورة نفسها ، ويشيد بالتقدم الذي سجلته اجهزة التنمية الاقليمية الموجودة حاليا .

ولتشجيع التنمية على المستوى الاقليمي ، يوصي القرار البلدان والمؤسسات الدولية المختصة بان تتخذ اجراءات لمنح المساعدة المالية والتقنية اللازمة التي تسمح للبلدان المتطورة بتحقيق تقدم سريع في طريق الاندماج الاقتصادي. ويختتم القرار بتسجيل تصريحات الوفود بشأن ما انجز في مضمار التنمية الاقليمية في القارات الثلاث .

وخلاصة القول ان نهضة العالم الثالث الذي ارسيت قواعده السياسية في باندونغ ، يمكن ان يجد في التكتل الاقتصادي الاقليمي والشبه الاقليمي اساسا جديدا لدعم وجوده بحيث يمكنه ان يقف في وجه التكتل الاقتصادي والسياسي الشرقي والغربي وحينئذ يصبح لمبدأ « الحياد الايجابي » مضمون ايجابي حقيقي . ■

اسماعيل العربي
مستشار اقتصادي بجنيف

(١) القرار رقم ٢٣ (٢) .

العربي : حدث بعد ان جمع هذا المقال واعد للنشر ان جاءت الأخبار تقول ان الحواجز الجمركية قد ازيلت ما بين ليبيا والسودان ومصر وسوريا .



زيارة لبيت آل برونتي !

بقلم : الزائر
الدكتور صفاء خلوصي

[illegible] « اريد ان اسري عن نفسي بزيارة لآل برونتي ، فقد حلمت ليلة امس باسمهم الكبرى شارلوت وهي تقدم لي بطاقة دعوة ، ولا بد ان البيها اليوم » .

[illegible] « ولكن آل برونتي ماتوا قبل اكثر من مائة عام ، وشارلوت التي تتحدث عنها ماتت سنة ١٨٥٥ ، على ما اذكر ، اليست هي مؤلفة قصة جين اير Jane Eyre ؟ » .

قلت : « بلى ، ولكني سأزور آثارهم ! »

[illegible]

[illegible]

ركبنا السيارة العامة ذات الطابقين ، وجلسنا في مقدمة الطابق العلوي ، وهي من زجاج ، لنكون النظر فسيحا امام انظارنا ، [illegible] الزاهية التي تشتهر بها الريف الانكليزي ، [illegible] نقصد هضابا وننحدر الى وديان ، [illegible] سلسلة جبال [illegible] طريقنا

الى مدينة كيتلي [illegible] وفيها تناولنا الاكلة الشعبية المعروفة بالـ [illegible] وهي سمك وبطاطس [illegible] ، واستقلينا [illegible] سيارة عامة ثانية الى مدينة هاورث . كان الطريق الان ضيقا ، وقد ذكرني ببعض مناطق لبنان ، ولكنه كان اوسع [illegible] والسواقي اكثر

خطرا ، وعندما وصلنا الى القمة وقفت بنا السيارة في آخر مطافها ، وشرعنا نسلق سفح الجبل ، حتى اذا ما بلغنا الحديقة العامة ، بأب البيوت الزجاجية المليئة بالأزهار النادرة ... باشجارها واحواضها وملاعبها لتسلية الاطفال ، كان الطريق المبلط بالحجارة قد اخذ يضيق ويرتفع ، مع ذلك كانت ثمة سيارات خاصة صاعدة هابطة ، دون ان تكون هناك ارصفة ... للمشاة ، لقد ابقوا كل شيء على ما كان عليه في اوائل القرن التاسع عشر .

ان البيت الذي في اعلى الجبل حول هذا الطريق الجبلي الى سوق او مهرجان ، كأنه كمعرض من المعارض القديمة ... فعلى جانبيه حوانيت لبيع التحف ، ومكتبات تحمل اسماء آل برونتي ، وتحوي صورهم وقصصهم ودواوينهم وما الف عنهم من كتب .. وما خوت من سوى ذلك الا القليل النادر . وزاد من رونق هذا « المهرجان البرونتي » ان موسم عيد الميلاد كان قد اقترب

وقبل ان ننعطف يسارا في اعلى الجبل لمحنا مخزنا صغيرا لبيع التحف التذكارية ، علق على جانب منه لوحة تقول : « كان هذا المكان في ايام آل برونتي صيدلية ، منها ابتاع باتريك برانويل Patrick Branwell ، الاخ السكير المدمن للاخوات الثلاث ، آخر جرعة مادة من الافيون ، ومات سنة ١٨٤٨ وهو ... والثلاثين

والتفت الى زوجتي احدثها قائلا : « اتعرفين من هو هذا الاخ السكير المدمن ؟ انه ...

الذي نسب اليه بعض النقاد قصة « مرتفعات وذرنج » Wuthering Heights او في هذه القصة ... اتقانه ، فلا ... لامال هذه . ان تكون هي المؤلفة ، انه لابد ان يكون من تأليف ... Emily Jane ، التي ... سنا ... وصدقا .

اخذنا سمتنا الآن الى المنعطف الايسر لنطوي الخطوات الاخيرة الى البيت الحجري المطل الذي عاش ومات فيه « آل برونتي » اعظم اسرة ادبية في تاريخ الادب الانجليزي .

لم تكن ثمة اشجار كثيفة ولا بساتين تحمي البيت من الريح الباردة . انهما شجرتان فقط من اشجار السرو زرعتهما شارلوت بيديها ، فهو بيت بسيط — كما يقول ستانلي H.F. Stanley — مسافة صور الاطفال .

ان البيت بابا بوسطه ، على جانبيه نافذتان ، وخمس نوافذ اخرى رصت بانتظام ... في الطابق العلوي ، وكلها تقابل باحة الكنيسة ومقابرها المتزاحمة صفا بعد صف ، وقد اعتاد الاطفال منذ نعومة اظفارهم على مشهد الموتى الذين يدفنون هناك

دخلنا الدار فاذا حجرة على اليمين تقابلها اخرى في مثل حجمها على اليسار ، كانت الاولى غرفة والد الاخوات الموهوبات ، كان فيها يأكل ويشرب ويدرس ، وكان فيها يعد مواعظه الدينية التي يلقيها من فوق منبر الكنيسة .. وفي هذه الغرفة بالذات قرأ الاب مبهجة لا نعدلها بهجة قصة ابنته شارلوت الموسومة بـ« جين اير » ،

وفيها أيضا حفل سعادتها بمعارضة العسيدة لزواجها من آي . بي . نيكولز A. B. Nicholls عامين كاملين .

وخلف هذه الغرفة وجدنا المطبخ حيث كان أطفال الأسرة في ليالي الشتاء الباردة يجلسون حول الموقد .

وكانت قبالة غرفة الأب غرفة الأخوات ، ويبدو أن أباهن لم يكن ليلتقي بهن في هذه الغرفة ، فقد اختار لنفسه حياة منعزلة عنهن بعض الشيء ، ولا سيما بعد وفاة والدتهن بداء السرطان .

لقد كان وفاة الأم ضربة مفجعة . وكانت خالتهن قد جاءت تمرضها فلما قضت نحبها مكثت العمة معهن تعنى بشؤونهن وتدربهن على أعمال البيت وادارته ، الى أن قوي عود شارلوت ، فكانت هي التي تحافظ على نظام المنزل وترتيبه وتقوم بكي الملابس ، ولو أنها في أول محاولة لها أغضبت خالتها أيما غضب لاحراقها الملابس التي حاولت كيها .

ولا يزال السلم الحجري بدرابزينه الأنيق على حاله كما كان يومذاك ، وفيما كنت أحاول وقتا خارج المنزل ، اذا بصوت إميلي Emily يرن في أذني بصوتها الدافئة :

«البيت عتيق .. الأشجار جرداء ،
وبدون قمر تختفي القبة المضيئة
ولكن أي شيء عزيز على وجه الأرض
بمثل البهجة والشوق لمرآه بيت دافئ ! »

أجل ، لقد كان بيتا دافئا يا إميلي ، لا بالنار الموقدة في مدافئ غرفه فحسب ، بل بعواطفه المتأججة في أشعار ساكنيه وقصصهن .

وارتقيت السلالم بخطى متأنية لأدخل غرفة شارلوت ـ الأخت الكبرى ـ وأرى ثياب عرسها والطرحات التي كانت تحلي جيدها ، فسمعت صوتها الذي لا يقل دفئا عن صوت أختها إميلي يقول :

« ولكن ثمة ساعات من التأمل المفرد الوحيد
على نحو ما يرى في صمت المساء
عندما تتجمع أحسن مشاعر القلب ملتحمة لتقرعها
باعثة موجة الرعش الذي تلمع به الطائر ليلتم »

وكان الأخوات الثلاث كن في منافسة شعرية فما لبثت أن سمعت من غرفة أخرى صوت الأخت الوسطى آن Anne تنشد برقة وعذوبة :

« أظل سحرها العالم الى الأبد
حول قمة الجبل ونواقيس المرج
ولا تبتعد عن الزهر الأبيض المتلألئ
أو الثلج المنثور كالأكاليل ،
واحس عندما أرى الريح المتوحشة
أو تبدأ المياه المتلاطمة بالعبث »

فعلمت لأعلى بالأولوية في السحر وبتفوقها على أختيها .. فتناهى الي صوتها من الصالة الأخرى يقول :

« تساقطي ، أيتها الأوراق ، تساقطي ،
وموتي أيتها الزهور ،
واستطل يا ليل ، وتقاصر يا نهار !
لكل ورقة تباركني في حديثها الي ،
وهي ترفرف متساقطة من شجرة الخريف ،
سوف أبتسم عندما تزدهر أكاليل الثلج
حيث ينبغي للورد أن يزدهر ،
وسوف أغني عندما يؤذن انصرام الليل
بحلول نهار أكثر عبوسا وتجهما ! »

هذه ملحمة جديرة بفتاة ماتت وهي لا تعترف بأنها مريضة ، ورفضت مقابلة أي طبيب حتى النهاية . ولم تمت في فراشها بل على مصطبة الطعام عند مدخل البيت حيث كانت الأسرة اعتادت تناول وجبات طعامها ، باستثناء الأب باتريك برونتي الذي استقل عن سائر أفراد الأسرة في الغرفة المقابلة ، وما كانت الأخوات لتدخلها الا بدعوة منه وأمر هام ، وان الشاهد ليلحظ على الجدران صورا بالألوان المائية بريشة ساكنه .

وأنت حين ترى الكتاب المقدس المفتوح على الطاولة ، والنظارات والغليون وعلبة التبغ ، والقبعة والعصا والصحيفة اليومية التي تحمل تاريخ ١٨٦١ (السنة التي توفي فيها باتريك برونتي) لا تشك لحظة في أن ساكن الغرفة قد تركها لتوه وهو لا محالة عائد اليها بعد لحظات .

والغرفة الأخرى التي تلي الاهتمام بعد غرفة الأب باتريك ، هي غرفة الابنة شارلوت ، في الطابق العلوي ، ومنها تستطيع رؤية شجرتي السرو اللتين زرعتهما صبيحة زواجها من آرثر بيل نكلز سنة ١٨٥٤ .

وفي هذا الطابق غرفة برانويل Branwell الأخ الوحيد للأديبات الثلاث ، وكان فنانا بالفطرة ولم يتلق غير دروس قليلة من صديقه الرسام



بيت آل برونتي من الخارج وقد بدا جزء من المقبرة وشجرة البرقوق التي زرعتها شارلوت صبيحة يوم زواجها

وليم روبنسن احد رسامي مدينة ليدز . وقد اشتهر برانويل بمقدرته على ابراز شخصية من يصوره ، وابرز آثاره صورة اخواته الثلاث ، شارلوت واملي وآن ، والصورة الجانبية لاخته املي بمفردها وهي محفوظة اليوم في « متحف الصور » National Portrait Gallery بلندن .

وتمتاز غرفة نوم املي في هذا القاس بانها كانت تعرف بغرفة نوم الاطفال ، وهي غرفة صغيرة اشبه بصندوق ينفتح بابه باتجاه السلالم ، وفي هذه الغرفة كتبت الاخوات اولى مؤلفاتهن الطفولية ، ولا تزال الى اليوم آثار رسومهن لرؤوس واجسام ادمية ، ماثلة على الجص ، وفيها ايضا بعض اللعب والصور المرسومة بقلم الرصاص ... ومهد خشبي !

لم تات الموهبة الفنية والادبية للاخوات الثلاث عن طريق المران والدراسة فحسب ، بل لعبت الوراثة دورها كذلك ، فقد كان الاب باتريك برونتي نفسه رجلا ذا مواهب ادبية ، فقد نشر في مقتبل عمره ، في سنتي ١٨١١ و ١٨١٣ مجموعتين شعريتين ، قصائد الكوخ Cottage Poems والفتى الريفي وقصتين هما : كوخ الغابة » وفتاة كيلارني او البيون وفلورا The Maid of Killarney or Albion and Flora . فالاخوات الثلاث احتمين بزية اسم « برونتي » مطبوعا على اغلفة بعض الدواوين الشعرية والقصص منذ نعومة اظفارهن فاخذن يطمحن الى ان يكتبن مؤلفات كتبهن . وتفتحت قرائح الطفلات الثلاث للادب يوم ابتاع ابوهن والدهن من مدينة ليدز صندوقا يحوي اثنى عشر فارسا خشبيا ، وكانت الهدية في الاصل لاخيهن برانويل ، وكانت شارلوت يومها في العاشرة من عمرها وسائر الاطفال دون ذلك سنا .

في اليوم التالي عرض برانويل الهدية امام اخواته الثلاث بكل اعتزاز وبهجة ، ثم سمح لكل واحدة منهن ان تختار لنفسها فارسا تشمله برعايتها ، فاختارت شارلوت اجملهم واطلقت عليه اسم بطلها المفضل : الدوق ولنجتون ، وراحت الطفلات الثلاث تحوك القصص والاساطير حول فرسانهن بلغة ادبية ، ويروينها بعضهن لبعض ، ثم بدا لهن ان الفرسان الاثنى عشر وقد ذهبوا الى ساحل افريقية الغربية ليؤلفوا مجموعة من الممالك اطلقن عليها اسم « الاتحاد الاعظم للمدن الزجاجية » تحت حكم الدوق الخشبي ولنجتون . وكان لكل فارس مملكته الخاصة . وفي سنة ١٨٢٩ كانت طفلات برونتي الثلاث يكتبن مغامرات الاثنى عشر في دفاتر جد صغيرة صنعنها لانفسهن لم تكن تتجاوز في الغالب البوصتين ونصف البوصة طولا ، والبوصة ونصف البوصة عرضا ، واخذن يكتبن بحروف ميكروسكوبية ، اذا صح التعبير . وقد رايت ما لا يقل عن مئة نسخة من هذه المؤلفات الطفولية في صناديق زجاجية ، وهي مما لم يطبع بعد ، وتنتظر من يحققها ويقوم بطبعها من هواة الادب الانكليزي في القرن التاسع عشر .

لقد نمت وتطورت احلام اليقظة الحالمة حول هذه الممالك الزجاجية بحيث غدت عالما خاصا يحوي كل ما يمكن ان يحويه العالم الحقيقي من شعراء وساسة وجيوش وبرلمانات وصحافة وحوادث غرام تعالج باسلوب رومانتيكي رائع ، وظهر ابن لولنجتون الخيالي يلقب بلقب



مقعد شارلوت برونتي الحجري في بطن الوادي حيث كانت تجلس وتنظم الشعر

كان المشهد كله هنالك مفعماً بالسلام

و[illegible] حوالي ،

[illegible]

ملأ الوادي الظليل حيث كنت جئت ، بصوته الرخيم

(شارلوت

« دوق زاموريا » ويتغلب على مملكة أخرى فيصبح ملك انجريا Angria ، وفي هذه الأثناء قررت املي وان ترك « العائلة الزجاجية » وتأسيس مملكة خاصة بهما أسمتاها مملكة الجندال Gondal وهي جزيرة خيالية في المحيط الهادي تحكمها ملكة ذات سطوة وسلطان ، ولكن للأسف أن ما كتبتاه نثراً في هذا الموضوع قد فقد ولم يبق منه غير بعض العناوين التي تشير اليها الأختان في ملاحظات لهما عن أعياد ميلادهما ، وقد نظمت املي العديد من قصائدها عن « الجندال » ولدينا اليوم من كتابات شارلوت وبرانويل عن « مملكة انجريا » ما يعادل كل ما نشره آل برونتي من كتب ، وقد استمرت الأخوات في الكتابة في هذا الموضوع حتى بعد اجتيازهن مرحلة الطفولة ، مع اختلاف بسيط : هو ان الصفحات أصبحت أكبر ولو أن الحروف بقيت صغيرة وهو ما اتسم به خط آل برونتي ، واستمرت املي في عالمها الخيالي هذا فلم تترك أحلام اليقظة قط ، أما شارلوت فكانت أول من انتقل من المنطقة ، الفطرة الخيالية الى المنطقة البارزة الواقعية التي كانت تحيا وسطها فكتبت أول رواية طويلة لها من العالم الفعلي بعنوان : « الأستاذ » The Professor ، وكانت مصممة على أن تجعلها بسيطة ، وواقعية ، مع ذلك فان الفصول الستة الأولى بقيت محلقة في أجواء الخيال .

في هذا الكتاب بالذات تبدأ شارلوت الموضوع الرئيسي الذي طالما عالجته في كثير من قصصها وهو علاقة الطالبة بأستاذها ، وهو في الحق والواقع انعكاس لجانب من قصة حياتها عندما رحلت الى بروكسل لتحصل على قسط من العلم يؤهلها لفتح مدرسة تديرها هي وأختاها في هاورث فأحبت أستاذها المسيو هيجر Heger الذي لم يبادلها الحب بحب وانما كان يعطف عليها مرتفع ، ذلك لأن الرجل كان يحترم مقامه كأستاذ من جهة وكان متزوجا ورب أسرة من جهة أخرى .

والعجيب في أسرة برونتي غرام أفرادها بالمتزوجين والمتزوجات ، فقد أحبت شارلوت —

كما ذكرنا توا ـ استلطفها المتزوج واخذت تراسله بعد عودتها الى انكلترة الى ان اخبرها بأن لاتبعث برسائلها الى المدرسة التي يدرس فيها هو وزوجته بل الى عنوان آخر ، فاعتبرت تلك اشارة خفيفة الى ضرورة التوقف عن مكاتبته .

واغرم اخوها باتريك برانويل بزوجة الرجل الذي عينه معلما لاولاده فلما انكشف الامر طرده من خدمته ، وشاءت الاقدار ان يموت الرجل بعد فترة قصيرة فيتقدم خاطبا لارملته فترفضه بعناد واصرار ، فيعكف على الخمرة والمورفين الى ان يلقى فيهما حتفه .

وقد رفضت دور النشر طبع قصة « الاستاذ » تسع مرات الى ان قيض الله لها من يطبعها سنة ١٨٥٧ ، اي بعد وفاة مؤلفتها بعامين .

لقد كانت شارلوت بقصتها هذه اول من عالج شؤون المدارس والمعلمين على الصعيد القصصي باهتمام وعاطفة لايقلان عما نجده في قصصها عن الامراء وقصورهم .

وبلغت شارلوت ذروة مقدرتها القصصية في « جين اير » التي ظهرت سنة ١٨٤٧ ، وفيها تمتزج الواقعية بالخيال بشكل معتدل مقبول .

اما في قصة « شيرلي » Shirley فينحسر ظل الرومانتيكية وتطغى الواقعية بشكل خاص وهو ما تشير اليه المؤلفة في المقدمة .

وفي « فيليت » Villette التي ظهرت سنة ١٨٥٣ تعود شارلوت الى فترة الحب بين الاستاذ والطالبة وبقدر ما كانت الفكرة في قصتها السابقة « الاستاذ » مزاجا من الرومانتيكية والواقعية فهي الآن واقعية صرفة . انها قصة غرام شارلوت باستاذها في بروكسل معادة بوضوح واكثر جراة من ذي قبل ، لقد ابانت هنا وجهة نظرها في الموضوع ، والحق ان الاخوات الثلاث كن عذراوات عييات منكمشات على انفسهن في واقع حياتهن ولم يجدن منفذا من هذا الكبت الا في قصصهن واشعارهن حيث يبرزن على الورق بمكنون صدورهن بما لايتناسب وواقع حياتهن .

واخر قصة دونتها شارلوت هي قصة « ايما » Emma وقد ماتت عنها قبل ان تنجزها ، وان الانسان ليأسف لموتها المبكر قبل انجاز هذه القصة التي تبلغ فيها ذروة جديدة في اتجاه جديد ، فوالد « ايما » يأخذ طفلته الى مدرسة من المدارس الداخلية ويختفي تاركا الطفلة بدون اجور مدرسية ، او نفقات ، وحتى عنوان مسكنه الذي يقدمه للادارة يتضح فيما بعد انه مزيف لا اساس له .. فتأخذ مديرة المدرسة باساءة معاملة الطفلة المسكينة التي تتعذب بصمت دون ان تسأل عن خطيئة ابيها « ... هنا تقف القاصة عن الكلام المباح الى الابد ... » تاركة في حيرة من امرنا فنتسع في خيالنا العديد من النهايات المحتملة لها ، وقد لا تكون جميعا شيئا مما دار في مخيلتها مطلقا .

والقصة الوحيدة التي نشرتها املي هي قصة « مرتفعات وذرنج » وذلك سنة ١٨٤٧ ، ومع انها لم تلق تقديرا كافيا في حياة مؤلفتها فانها اليوم تعد من عيون القصص الانكليزي .

وعقدة القصة بسيطة وواضحة غير ان تركيب الرواية يبدو معقدا وليبدأ بالقرب من النهاية عندما يقوم المستر لوكوود Mr. Lockwood بزيارة مرتفعات وذرنج فيجد هيثكليف Heathcliff وكاثي Cathy وهيرتون Hareton هناك لا يربطهم سوى علاقة كراهية عجيبة ، وتأخذ اصول هذه العلاقة وتطورها بالتفتح والانكشاف امام اعيننا ، الماضي على لسان نيلي Nelly والحاضر على لسان المستر لوكوود .

وتركت لنا الاخت الوسطى : آن برونتي ، روايتين : « اجنس جراي » Agnes Grey ، و « مستأجر قاعة وايلد فيل » The Tenant of Wildfell Hall وقد امتدحت الاولى على لسان الكاتب الانكليزي جورج مور George Moore ، اذ شبهها بثوب ابيض شفاف ابدع خياطه في انسجام اجزائه .

اما الثانية فقد تناولتها اختها شارلوت بنقد لاذع اذ قالت : « ان موضوع القصة مغلوط من اساسه » وهكذا كانت الاخوات تستعرض قصص بعضهن البعض بالتشريح والنقد ، آناً وآناً ، ويحار المرء احيانا فلا يدري الى اي حد تداخلت جهود الواحدة في نتاج الاخرى ، فقد كانت العادة الجارية في القرن التاسع عشر ان لا ينشر الناشر رواية يقل عدد اجزائها عن الثلاثة .. فلما كتبت احدى

الاخوات رواية بجزاين اردفتها الاخرى بجزء ثالث لتنمو صالحة للنشر ، مع ذلك يحسن بنا هنا ان نقول « اننا لانتفق مع شارلوت في نقدها لاختها ؛ فموضوع الرواية جيد اذ يدور في الحقيقة حول شخصية اخيها المتكرد المدمن برانويل السكير الذى تصوره القاصة رمزا لتحذير الآخرين ، وتركيب الرواية طريف اذ يقع في ثلاثة اقسام يروى كل منها الشخص الذي يتطلب اكثر من سواه اثناء الفترة التي يتحدث عنها » .

واجيلا تقول : « ان قصص بنات برونتي وشخوصهن ووجهات نظرهن الواردة على السنة ابطالهن مبتكرة اصيلة ، وتتجلى الاصالة في هذا المزج البديع بين الشاعرية « الكلتية » Celtic والواقعية الانكليزية ، وهو ما لا نجده في اي نمط آخر من انماط الروايات الغربية ، ويمكن التأكد من صحة ما نقول بمجرد استعراض المسرحيات والكتب والافلام وبرامج الاذاعة والتلفزيون التي ظهرت ولا تزال تظهر عن حياة بنات آل برونتي ومدى الحماسة التي تقابل بها من قبل الجمهور .. ولسنا مغالين اذا ما قلنا : ان انجح قصة خلال الستين سنة الاخيرة هي قصة « جين اير » ، ولقد قامت جمعيات ادبية عديدة في انكلترة وغير انكلترة لم يقيض لها من طول العمر ما قيض « لجمعية آل برونتي » اقدم جمعية الجمعيات الادبية في بريطانيا في الوقت الحاضر

فقد تأسست ١٨٩٣ ولاتقاربها في طول العمر والحيوية غير « جمعية دكنز » التي تأسست سنة ١٩٠٢ ومن اهم هذه الجمعيات التي ظهرت واختفت « جمعية شوسر » Chaucer التي عاشت حوالي الثلاثين سنة ، ولم يطل عمر « جمعية وردزورث » اكثر من ست سنوات وعاشت « جمعية براونينغ » Browning في سن الثالثة عشرة ، رغم وجود فروع محلية لها في مختلف انحاء المملكة المتحدة ، فقد ظهرت سنة ١٨٨١ وانتهت اعمالها سنة ١٨٩٣ .

اما جمعية برونتي فتبلغ من العمر ٧٧ سنة ولا تزال قائمة بقوة وحيوية ولها اعضاء في مختلف انحاء العالم ولا سيما في الولايات المتحدة الامريكية وهم من الولايات الثماني والاربعين السابقة جميعا ، ولا تشترط في عضويتها اشهر كتاب العالم . وكان اول من اقترح تأسيس هذه الجمعية هو الصحفي دبليو . يتس W.W. Yates. في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر ١٨٩٣) . وقد حاولت الجمعية منذ تأسيسها الاسهام في حركة التقديس والتأليف الادبي واستطاعت بجهودها المثمرة سنة ١٩٢٨ ان تضيف الى مآربها الشهرة في « ويستمنستر ابي » نصبا لآل برونتي . وكان نتيجة لطبع مؤلفات الاخوات الثلاث ان استطاع بعض المؤرخين الاجتماعيين من امثال الاستاذ اسا بريجز Professor Asa Briggs وباربارة ورد Barbara Ward دراسة الحياة الاجتماعية في عصر آل برونتي في ضوء ما جاء في مؤلفات الاخوات الثلاث .

وعندما انتهينا من استعراض تراث آل برونتي رأينا صورة كبيرة بالالوان المائية للاخوات الثلاث لفتت نظر زوجتي فقالت : « الا ترى فجوة غير طبيعية بين شارلوت واختيها ؟ انني اكاد اصدق قول من يقول ان باتريك برونتي الذى رسم الصورة كان قد صور نفسه الى يسار شارلوت ثم بدا له ليحذف صورته بتغطيتها بالاصباغ ! » .

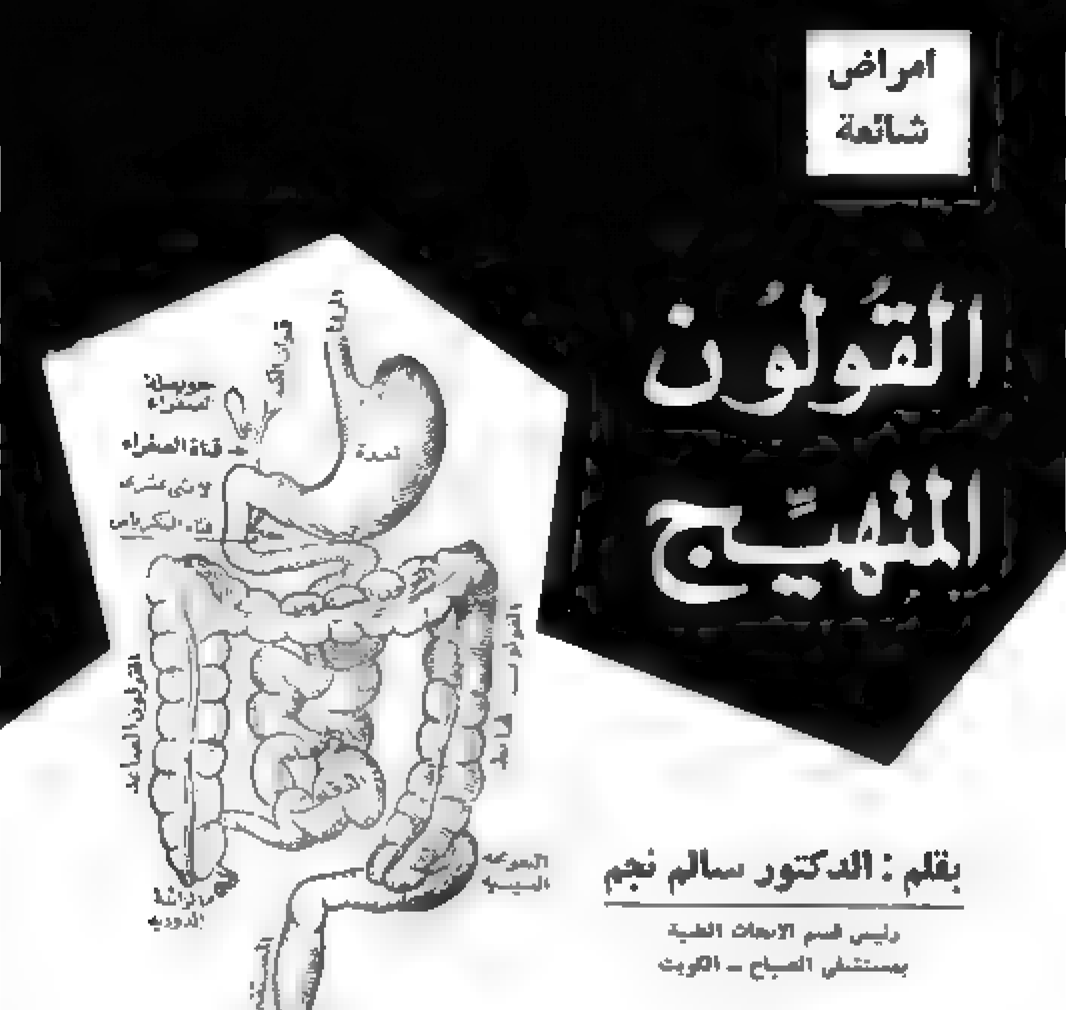
قلت : « هو كذلك .. كل الظواهر تدل على ذلك ! » .

ولما اردنا الخروج من المنزل التحفة فرأيت الاخوات الثلاث في وداعنا ... فقد وقفت امامي ، ذات القامة الفارعة والرقبة الطويلة كرقبة الاوزة ، في الوسط ، والى يمينها شارلوت بقامتها القصيرة ، والى يسارها آن ذات القامة المعتدلة .

انه التمثال البرونزي الذى صنعته الآنسة جوسلين هورنر Jocelyn Horner للاخوات الثلاث سنة ١٩٥١ .

ولما التقت نظراتي بنظرات شارلوت قلت لزوجتي : « هذا غير حلمي .. الذكرى التي سيعيدها المنزل التي دعتني لزيارتها .. لقد خرجت لوداعنا عند عتبة الباب .. كأجمل واروع ما يكون الوداع ! » ...

ليدز ــ انكلترا ــ صفاء خلوصي



امراض شائعة

القولون المتهيج

بقلم : الدكتور سالم نجم

رئيس قسم الابحاث الطبية
بمستشفى الصباح ـ الكويت

القولون المتهيج في سطور

■ في هذه الكلمة نتحدث عن مرض شائع ذي اهمية كبيرة . ذلك المرض هو القولون المتهيج . اما كونه ذو اهمية خاصة فان ذلك يرجع الى الاسباب التالية :

(١) ان تهيج القولون يصيب عددا كبيرا من الرجال والنساء من كل الاعمار وتزداد نسبته في مجتمع ما بقدر ما يتمتع به هذا المجتمع من ارتفاع في المستوى الاقتصادي والحضاري .

(٢) يطلق عليه اسماء كثيرة منها : ـ القولون العصابي / المصران الغليظ / الامعاء القلقة / القولون التقلصي / او الدوسنتاريا الكاذبة ، وسميت كاذبة لان المرض لا يتسبب عن جراثيم او طفيليات او سرطان الامعاء ولكنه ينتج بسبب اختلال في وظيفة الجهاز الهضمي وخاصة في الامعاء الغليظة .

(٣) ٢٠٪ من المرضى بالقولون المتهيج تجرى عليهم عمليات جراحية لاستئصال الزائدة الدودية او المرارة او عمليات فتح بطن استكشافية لم يلقون يعانون من نفس الاعراض شهورا واعواما .

(٤) وان ما يزيد عن الـ ٥٠٪ من المرضى يتعاطون علاجا لداء الدوسنتاريا الزمنة لفترات طويلة وبكميات كبيرة دون جدوى . ويحرمون انفسهم من الكثير من شهي الطعام ولذيذ الشراب دون سبب علمي مقبول .

(٥) كثيرا ما تتشابه بعض اعراض هذا المرض مع امراض اخرى كامراض القلب او جهاز التنفس مما يسبب قلقا نفسيا للمريض بلا داع.

نسبة حدوثه

يصيب هذا الداء الرجال والنساء في الكويت بنسبة متعادلة تقريبا ولكنه في البلاد الاوروبية يصيب النساء بنسبة تقارب ضعفي اصابته للرجال . ويختار مرضاه اكثر ما يختار من هم في العقد الثالث الى الخامس (اى هؤلاء الذين تتراوح اعمارهم بين العشرين والخمسين عاما) ولكنه يوجد في الاطفال بنسبة ضئيلة وكذلك الحال بالنسبة للشيوخ العجائز فالمرض بينهم نادر الحدوث . والقولون التهيج لا يميز بين جنس وجنس ولا بين عنصر وعنصر انه يصيب كل الاجناس وكل الالوان ، ولكن يتوقف انتشاره وازدياد نسبته او تناقص في هذا البلد او ذاك طبقا لما يتمتع به من تقدم علمي وتطور اقتصادي، وبتعبير آخر فانه من امراض المدنية والتشبع المادي . فالمرض ينتعش في المجتمعات المتطورة والحافلة بسياج من الانفعالات والاضطرابات النفسية مع الخواء الروحي والتصارع الفكري .

أعراض المرض

الشخص المصاب بالقولون التهيج تتفاوت شكواه وتختلف اعراضه ، الا ان الغالبية العظمى من المرضى تظهر فيهم الاعراض التالية اما منفصلة او مجتمعة وتتلخص هذه الاعراض فيما يلي : ــ

(١) آلام بطنية

ان اكثر المرضى يشكون من آلام في الجهة اليسرى من البطن وخاصة تحت الضلوع اليسرى وقد يظن المريض ان مصدرها من القلب او الرئتين وتأتي هذه الآلام في صورة مغص شبيه بالمغص الذي يصيب عضلة الساق او القدم عند بعض السباحين بعد اجهاد طويل . وقد يستمر الاحساس بالآلام هذا ساعات او ايام بصورة متقطعة وقد تزول بعد نصف ساعة او اقل . وهناك نوع آخر من الآلام يحس بها المريض ويصفها بانها حارقة نوعا ما او ذات وخز متقطع وكثيرا ما تظهر هذه الآلام في الصباح وقت الاستيقاظ من النوم وتزول الألم او تخف حدته بعد ان يذهب المريض الى بيت الخلاء مرة او مرتين وربما ثلاث مرات بين كل مرة واخرى اقل من نصف ساعة .

اماكن اخرى للآلام

وربما يشعر المريض بالالم حول السرة وبالصورة التي ذكرناها سابقا او قد يشعر بها في الجهة اليمنى من البطن وقد يظن ان هذه الآلام مصدرها التهاب في الزائدة الدودية . والحق يقال ان نسبة من المرضى لا تقل عن ٣٠٪ قد اجريت لهم عمليات جراحية استؤصلت فيها الزائدة الدودية او المرارة او حتى عمليات فتح بطن للاستكشاف ثم بعد ذلك ظلوا يعانون من نفس المرض بعد اجراء هذه العمليات وبنفس الحدة ان لم يكن اكثر من ذي قبل . بمعنى ان السبب الاصلي لهذه الاوجاع كان في الحقيقة القولون المتهيج وليس الزائدة الدودية او التهاب في المرارة او في المبايض لدى النساء .

نوع آخر من الاوجاع

قد لا يستطيع المريض ان يحدد مكانا معينا لموضع الالم لانه يتنقل الى كل جزء من اجزاء بطنه يطوف به الالم والمريض لا يستطيع كذلك ان يصف ماهية الالم وهذا ما نسميه بالآلام المتداخلة او المتموجة . وباختصار فانه من الممكن القول بان الاوجاع التي تنتج من القولون المتهيج قد يشعر بها المريض في اية بقعة من بطنه دون تحديد محكم لمكان او نوعية الالم .

٢ ــ اسهال او امساك

من الملاحظ ان نسبة كبيرة من المرضى يشكون من تغير في عادة التبرز تصاحب اصابتهم بالقولون

المتهيج فهم يصفون اصابتهم بالاسهال ومع السؤال والتدقيق نلاحظ ان المريض انما يقصد بلفظ الاسهال انه يذهب الى بيت الخلاء عقب الاستيقاظ صباحا مرتين او ثلاثا خلال ساعة واحدة وقد تتكرر عملية التردد على الحمام في المساء او عند التعرض للتعب او الاضطرابات العصبية او العاطفية او الخوف او بعد اصابته ببرد او عقب تناوله طعاما لا يوافقه .

خواص البراز

اذا ما لاحظ المريض برازه فانه يجده يرسب تحت الماء في قاع مكان التبرز ولا يطفو على السطح وان رائحته كريهة بعض الشيء اما لونه فانه يميل الى البني الغامق وشكله اما اشرطة مستطيلة او قطع صغيرة مبططة وقد يلاحظ المريض أن بالبراز مواد غير مهضومة من الطعام الذي تناوله منذ يوم او يومين .

نوبات اسهال تعقبها نوبات امساك

احيانا ما يصف المريض بانه يعاني خلال فترة بما اسماه بالاسهال والذي سبق وصفه ـ لعدة ايام ـ يعقبه امساك ويتطلب شكواه من الامساك وما يعنيه هذا اللفظ في مفهوم المريض نلاحظ ان ما يقصده فعلا هو التفاوت الملحوظ بين عدد مرات التبرز كل يوم فحينما يقول المريض انه مصاب بالامساك فانه حينئذ يتبرز مرة واحدة في اليوم بالمقارنة الى عدة مرات يلاحظها في حالة الاسهال والتي قد تصل الى اربع أو خمس مرات يوميا وربما اعقب يوم الاسهال يوم امساك او يومان وقد تستمر هذه النوبات عدة اسابيع او عدة شهور وقد تمتد الشكوى الى عدة سنوات مضت .

٣ ـ خروج مادة بيضاء مخاطية من فتحة الشرج

غالبا ما يشكو المريض من رؤيته لمادة بيضاء مخاطية يجدها على ملابسه الداخلية او تحيط بالبراز من بعض جوانبه . بل احيانا يصفها بانها مثل افرازات الانف او مثل البلغم . ومن خصائص هذه المادة انها لزجة رقيقة القوام غير مختلطة بالبراز ولكنها تسبق خروج البراز أو تأتي في نهايته . واحيانا حينما يذهب المريض الى بيت الخلاء لكي يتبرز تخرج هذه المادة فقط دون براز وخاصة اذا طالت مدة بقائه في بيت الخلاء والتي كثيرا ما تتعدى الساعة .

٤ ـ احساس المريض بألم في فتحة الشرج

ونسبة هذه الشكوى قليلة بين المصابين ؛ الا ان خصائص هذا الالم تكون من الوضوح بحيث يصفها المريض بكل دقة ، فالالم يتحدد بفتحة الشرج واسفل المستقيم ويأتي عقب التبرز وهو يشبه الالم الذي يصاحب النمل المتهيج في اصابع اليد او القدم فهو الم حاد ويظل عدة ساعات ويزول تدريجيا ومن علاماته انه يزول حينما يضغط المريض على فتحة الشرج بقبضة يده او يجلس في ماء حار لفترة كافية بعد الحمام . بهذه الوسائل يخف الالم او يزول في وقت قصير . ولكنه لا يلبث ان يعاود المريض ولكن على فترات غير منتظمة بل ربما اختفت آلام الشرج لفترة قد تصل الى عدة شهور ثم تعود مرة ثانية دون سبب واضح .

٥ ـ اعراض تشير الى سوء الهضم

احيانا يشكو المريض بالاضافة الى شكواه السابقة من انتفاخ في البطن وغازات وتحجر في منطقة المعدة مع حرقة في اسفل القفص الصدري من الامام او من تحت في الصدر وخفقان بالقلب بل ربما احس المريض بالغثيان ورغبة في التقيؤ وخاصة قبل الافطار ، وهناك فئة من المرضى يشعرون بتحركات كبيرة في امعائهم ويسمعون اصواتا قرقرة في بطونهم قد يسمعها من يجالسهم في نفس الغرفة او على بعد عدة امتار . وقد يحس المريض في الجهة اليمنى او اليسرى من اسفل البطن بتورم وانتفاخ على شكل مستطيل يشبه الصيرة ولكن هذا الورم يأتي ويزول ولا يستقر في مكان واحد وغالبا ما يصاحب ظهور الورم احساس المريض بالآلام واحيانا بالغثيان .

بعض هذه الاعراض قد تتشابه مع اعراض قرحة المعدة والاثني عشر او التهابات المرارة ولكنها

ليست كذلك وانما هي من الارتباك الوظيفي للجهاز الهضمي كما سبق ان اوضحنا .

٦ ــ امراض بولية

في حالات النساء المريضات بالقولون تتكرر الشكوى من كثرة التردد على الحمام للتبول اثناء النهار فقط ويصاحب ذلك بعض الحرقان الخفيف وخاصة اذا كان البول مركزا كما يحدث غالبا في فصل الصيف وكثيرا ما تشكو السيدات من آلام مبرحة مع نزول الدورة الشهرية .

٧ ــ الخوف من مرض السرطان

من الملاحظ ان هناك نسبة عالية بين اصحاب القولون المتهيج وخاصة النساء منهم ، يعتقدون انهم مصابون بامراض خبيثة وعلى وجه التحديد يعتقدون بوجود سرطان الامعاء . وربما كان ذلك نتيجة طول معاناتهم من آلام القولون واعراضه وعدم التوصل الى نتيجة ايجابية رغم كثرة الفحوصات التي تجرى عليهم والتأكد لهؤلاء جميعا ان هذه الاعراض انما تشير الى مرض بسيط ولا علاقة له البتة بالامراض الخبيثة او السرطان .

اسباب ظهور القولون المتهيج

هناك عوامل كثيرة قد تساهم في ظهور المرض نذكر منها :

أ ــ حياة العصر والمدنية المعقدة

كثيرا ما نسمع ان التقدم العلمي ومدنية القرن العشرين سلاح ذو حدين ــ وهذا حق ــ على الاقل فيما نحن بصدده الآن . ان تعقيد الحياة المعاصرة تؤثر على الانسان بصورة عامة من زاويتين مختلفتين ، الاولى : القلق والاضطراب الفكري والتطاحن على الاستزادة من الماديات بالاضافة الى ما يقابل ذلك من انحلال بل واندثار القيم الروحية والخلقية ، ينشأ عن ذلك تصادم نفسي داخلي تظهر آثاره على اجهزة الجسم المختلفة مثل ما يحدث من اضطراب في وظائف الجهاز العصبي المركزي . فبعض الناس يصابون بالربو وضيق التنفس وغيرهم يصابون بقرحة الاثني عشر او تقرح في الامعاء الغليظة وآخرون بارتفاع في ضغط الدم او الذبحة الصدرية ومنهم من يصاب بحساسية في القولون وانقباضات عضلية وحركية وافرازية تسبب اعراض القولون المتهيج .

والثانية : ان التقدم العلمي المعاصر قدم للانسان العديد من الكيماويات المختلفة بالطعام والشراب والكثير من الادوية والمركبات التي تجعل الانسان معلولا على المدى البعيد ، ولسنا في حاجة الى سرد المزيد من فصص مبيدات الحشرات والاسمدة الصناعية والمواد الكيماوية الحافظة للمأكولات واثر ذلك كله على صحة الانسان وكفاءة اجهزته الحيوية .

٢ ــ الاستعداد الفطري والخلقي للمريض

ليس كل الناس سواء في استجابتهم لعوامل البيئة فمنهم من يتفاعل بصورة جزئية او كلية ومنهم من لا يتأثر مطلقا ، وذلك يتوقف على الاستعداد الخلقي والفطري للفرد . ولذلك نجد ان مجموعة من الناس ممن يتعرضون الى بيئة واحدة يختلفون اختلافا كبيرا في التأثر بتلك البيئة ، وخير شاهد على ما نقول ما نراه من اختلاف في امراض الحساسية .

٣ ــ الاصابة السابقة بامراض في الجهاز الهضمي

مما لا شك فيه ان نسبة كبيرة من اصحاب القولون كانوا قد اصيبوا في فترة سابقة بالتهاب في الامعاء الغليظة على صورة دوسنتاريا عضوية متكررة او دوسنتاريا اميبية او طفيليات معوية مثل البلهارسيا ، ولعل ذلك هو السبب في ان المريض يعزو مرضه الى سنين مضت ايام اصيب بالزحار الصحوي او الاميبي . وفي ذلك يكمن السر وراء تعاطيه كميات كبيرة من الادوية المضادة للدوسنتاريا وعلى مدى سنين عديدة دون ان تتغير حالته المرضية او يتماثل للشفاء .

٤ ــ حساسية المريض لبعض المأكولات والاشربة

من المعروف ان كثيرا من الناس يطلبون طعاما

على طعام ويرجع السبب الظاهري الى ان الشخص يرتاح ويطمئن الى ذلك الطعام دون غيره ، ولكن الحقيقة ان الجهاز الهضمي بالتعاون مع الاجهزة الاخرى له فعالية الاختيار والتفضيل لاطعمة معينة فيما يتعلق بهضمها وامتصاصها وتمثيلها دون اطعمة اخرى ، ومن ثم ينعكس هذا التخصيص على ذوق الفرد ورغبته في تناول هذا النوع من المأكولات وكراهيته للنوع الآخر . وليس بالضروري ان ما يحبه الانسان من الطعام يظل هكذا طول حياته ، فربما ارتاح الى ذلك النوع اليوم وقد كان بالامس القريب لا يرغبه والعكس صحيح .

طرق العلاج

قبل ان نتحدث عن وسائل العلاج لا بد من التأكيد على ضرورة استكمال الفحوصات السريرية والمختبرية والشعاعية للمريض بواسطة الطبيب المتخصص حتى نطمئن تماما الى سلامة وصحة التشخيص ومن ثم نتحدد نوعية العلاج والتي نلخصها فيما يلي :

اولا : ان يتفهم المصاب حالته المرضية وكيفية عمل الجهاز الهضمي وما يطرأ عليه من خلل وظيفي واساس ذلك ان يثق المريض بطبيبه ولا يتعجل الامور . فمن طبيعة هذا المرض انه مزمن يلازم الانسان فترة طويلة قد تمتد الى سنين . والمهم ما في الامر ان يطمئن المريض الى ان مرضه لا علاقة له بالامراض الخبيثة وخاصة الامراض السرطانية ، كما انه يستوجب على المريض ان يتعلم كيف ينظم حياته ويتقبل الاعراض التي يشكو منها كشيء لا مندوحة منه .

ثانيا : لكي تخف وطأة المرض على الانسان ان يتجنب الآتي :

١ ـ الغضب والانفعالات النفسية والعاطفية والقلق والاضطرابات الفكرية .

٢ ـ ان لا يعرض نفسه الى نوبات البرد او التيارات الهوائية الباردة من اجهزة التكييف والمراوح .

٣ ـ ان يميز بين انواع المأكولات والاشربة التي قد تهيج القولون مثل الخضراوات المحتوية على مادة الكبريت كالقرنبيط والكرنب (الزهرة والملفوف) او الحبوب (العدس ، الحمص ، الفول) وعليه كذلك ان يتجنب المشروبات الكحولية وان تكون الاطعمة دائما طازجة وطريقة الطبخ غير معقدة .

وعموما فالمريض ادرى الناس بالطعام الذي يتجنبه ، علما بان بعض الناس تتحسن احوالهم الصحية بعد تجنبهم الحليب ومركباته لمدة اشهر .

ثالثا : عقاقير طبية . وتشتمل بصفة عامة على تلك التي تنظم حركة المعدة والامعاء وافرازاتهما عن طريق الاطراف العصبية للجهاز الهضمي ، وربما احتاج المريض الى بعض المهدئات المعوية لازالة التقلصات التي تصيب جزءا او اجزاء من القناة الهضمية . كما ان بعض المرضى يحتاجون الى تناول عقار نباتي لا يهضم ولا يمتص ووظيفته ميكانيكية بحتة بحيث تنظم عملية التبرز وبذلك ينجو من نوبات الاسهال والامساك التي تصيب نسبة عالية من مرضى القولون . وهناك حالات نادرة يحتاج فيها الانسان الى عقاقير مزيلة للالام ولكن هذه يجب ان يأخذها المريض باحتراس . وان يعطيها الطبيب بتحفظ .

رابعا . ـ عناية المريض بتنظيم حياته على اسس هادئة رتيبة من الامور المرغوب فيها والتي كثيرا ما تساعد على زوال هذه الاعراض او على اقل تقدير تساعد على تخفيفها بدرجة كبيرة .

كلمة أخيرة

هذه الحالة لا تنشأ من مرض خبيث ومن صفاتها انها تلازم الانسان مدة طويلة فعليه ان يتفهم ذلك ولكن من المستحسن ان يزور طبيبه بين فترة واخرى دون القلق او الاضطراب ، وان يقتنع بما هو فيه من صحة وعافية . ان فعل ذلك ابعد عن مخيلته اشباح القلق والتشاؤم واستمتع بحياة سعيدة هو ومن حوله من اهل وولد .

سالم نجم



الروضة هي مرحلة تهيئة ، لتسهيل نمو الطفل وتفتح شخصيته .

أهم المراحل التربوية

رياض الاطفال لها اهمية تربوية ، نفسية ، صحية ، اجتماعية .

معالم شخصية الطفل تتحدد في السنوات الخمس الاولى

بقلم : الدكتور سبع ابو لبدة

● يرى معظم علماء التحليل النفسي وعلى رأسهم فرويد ان معالم شخصية الطفل تتحدد في السنوات الخمس الاولى . كما ان فروبل وغيره من رواد التربية الحديثة يرون ان حياة الانسان ، صابية او مضطربة ، منتجة او محبطة، تنبع من عهد الطفولة ، وان مستقبله يتجلى كذلك لعين المربي الذكي من خلال العاب هذا العهد . ومن القول المأثور ايضا ان « الطفل ابو الرجل » وان « من شب على شيء شاب عليه » فان دلت هذه الامثال على شيء فانما تدل على اهمية السنوات الاولى من حياة الطفل .

ومن هنا ينبع اهتمام الدول المتقدمة برياض الاطفال ، واعتبارها من اهم المراحل التربوية ان لم تكن اهمها على الاطلاق . وقد جعلتها بعض الدول الحريصة على مستقبلها مرحلة الزامية لتخلق شعب واع يتفوق على غيره من



يظهر الشروع في عالم الأطفال في الابتكار ومنذ اختراع النار تقريباً وهم في هذه الصورة يتعلمون كل شيء عن الشمعة : كيفية اعدادها للاحتراق واشعالها والاحتياطات الواجب اتخاذها لمنع نشوب الحريق . ومما يظهر في الصورة اهتمام الأطفال ، وخوف الطفل البعيد . لقد اكتشفت المربية أن والدته خوفته من النار ، وهي الآن تحاول تخليصه من هذه العقدة وغرس الثقة في نفسه

الشعوب ويضمن لنفسه البقاء ؛ اما بريطانيا وسيلان فقد جعلتا سن الخامسة بداية مرحلة التعليم الالزامي . وتنتشر الرياض انتشارا واسعا في العالم الاشتراكي لانه يرى ان التعليم وسيلة لخلق انسان جديد متحرر من ادران ورذائل الرأسمالية ، ولئن كانت هذه المرحلة اختيارية في معظم البلدان المتقدمة فذلك نظرا لكون البيت على مستوى رفيع من الثقافة ويستطيع ان يقدم للاطفال الخبرات التي تقدمها لهم الروضة .

الغرض من الروضة

ان الغرض من الروضة ليس تلقين العلم او التعليم بمعناه الأكاديمي ، وهي ليست جزءا من المدرسة الابتدائية ولا تمهيدا لها . بل ان الروضة غاية في حد ذاتها ، وهي مرحلة تهيئة ، هدفها تسهيل نمو الطفل وتفتح شخصيته وتهيئته ليكون على استعداد تام لبداية تلقي العلم التعليمي بداية طيبة .

وإذا شئنا التفصيل قلنا ان الغرض من الروضة نفسي تربوي كما هو الحال في امريكا واستراليا ، فتقوم الروضة باكتشاف الموهوبين ، وتشخيص الضعف العقلي وهو في بدايته ، وتعالج الامراض النفسية المختلفة كالخجل والانطواء والعدوانية ، كما تعود الاطفال على آداب السلوك والعادات الحسنة ، وفي الكثير وهي بهذه تقوم ، يكون الاهتمام بالطفل والام معا ، فيزود الطفل بمحيط انسب ، وفرص افضل مما في بيته ، كما تدرب الام على تربية الطفل وافادة خبرته .

وقد يكون الغرض صحيا فتقتصر على الاطفال المعوقين صحيا كما هو الحال في رومانيا ويوغوسلافيا ، او ترعى الاطفال الذين وصلوا سن التعليم الالزامي ، ولكنهم لم ينضجوا بعد النضج اللازم لبداية مرحلة الدراسة الابتدائية كما في المانيا الاتحادية وليبيريا .

وهناك رياض ذات غرض اجتماعي ، تقوم برعاية اطفال الاسر المفككة ، او توفر الجو المناسب لاطفال المدن المحرومين من الملاعب اذ ان تنظيم المدن يعرض الطفل للاخطار ويحد من حريته في اللعب .

وقد يكون الغرض من الروضة اقتصاديا ، فتنشيء الدولة رياضا لاطفال الامهات العاملات ، وقد تكون هذه الرياض ملحقة بالمصانع ، او موسمية تقوم فقط ابان موسم الحصاد .

ومن الممكن ان تؤخذ جميع هذه الاغراض بعين الاعتبار فيكون الغرض من انشاء الروضة تربويا نفسيا ، صحيا ، اجتماعيا واقتصاديا .

ساعات العمل

وطبيعي ان ترتبط ساعات العمل في الروضة بالغرض من انشائها وبمستوى المجتمع الذي تخدمه ، فاذا كان الغرض تربويا وكان المجتمع على درجة عالية من الرقي فيشغل العمل نصف نهار ، ولا ضير في ان يكون قصيرا ، اذا كانت الاسر ترعى الطفل رعاية ممتازة ، اما اذا كانت البيئة متخلفة كان واجب الروضة العمل ساعات اطول ، شريطة ان تقدم له ما ينقصه من رعاية وخبرات ، لا تستطيع الاسرة ان توفرها له .

وقد تعمل الرياض ليلا نهارا اثناء موسم الحصاد او تبقى مفتوحة بصورة مستمرة لتستقبل اطفال عمال الورديات Shifts كما هو الحال في البانيا ، اذا كان العامل يعمل نهارا ، او مساء ، او ليلا .

بناء الروضة

ولكي تؤدي الروضة غرضها يجب ان تتوفر الشروط التالية في البناء والادوات :

١ — يجب ان يؤدي البناء الغرض المقصود منه ، وان يسهل تكييفه او تعديله حسب حاجة الاطفال وطبيعة نشاطهم ، فاذا قلنا ان جو الروضة هو امتداد لجو البيت فذلك يعني ان تكون الروضة بيتا وليس مدرسة مقسمة الى فصول وحجرات تخضع لنظام صارم ، واجراس تعلن بدء المتاعب او نهاية الفترات .

٢ — يجب ان يكون الاثاث والمرافق الصحية ملائمة لسن الاطفال ، اي ان ارتفاع المناضل والمشارب يكون مناسبا لقاماتهم ، وان يسهل عليهم نقل وتحريك وتنظيف الاثاث ، وان يكون كذلك مؤتلفا مع سلامة الطفل فلا تكون به اجزاء حادة تؤذيه .

٣ — يجب ان يتألف البناء من طابق واحد وان يكون موقعه بعيدا عن طرق السيارات المزدحمة ، وفي مكان صحي بعيد عن ضجيج المصانع واماكن اللهو والغبار .

٤ — يجب ان يتوفر في البناء مكان للنشاط والالعاب الحرة سواء كان مسقوفا او غير مسقوف كما يجب ان يكون للروضة حديقة يلعب الاطفال بها ويعتنون بزرعها وريها ، ويشتلون فيها النبات ويستعينون بها على فهم ظواهر الطبيعة المختلفة كتحول وتبدل الفصول الاربعة كذلك يجب ان تكون هناك حظيرة حيوانات ملحقة بالروضة تساعدهم على فهم محيطهم وظواهر الحياة المختلفة .

اعداد المعلمين

ومن حيث اختيار العاملين بالرياض فتشترط فيهم اللياقة الصحية والعقلية ، والطلاقة في التعبير قراءة وكتابة وعن طريق الموسيقى والرسم ، وبالنسبة للمؤهل الاكاديمي تشترط معظم البلدان الحصول على شهادة الدراسة الثانوية ، وفي المانيا الاتحادية يشترط الالمام بالاقتصاد المنزلي ، اما السويد فتشترط ايضا الحصول على دبلوم في رعاية الطفولة والتدرب على التعليم بوجه عام .

وفي ٨٢ ٪ من ثلاث وستين بلدا شملتها دراسة قام بها مكتب التربية الدولي في جنيف ، يعد معلمو الرياض في جامعات ومعاهد خاصة بهم ،

وقد تكون الدراسة مسائية ، او على شكل دورات مستقلة تهدف الى تحسين مستوى العاملين بالرياض. وفي الولايات المتحدة تعد مربيات الرياض اعدادا جامعيا عاليا قد يصل مداه الى الماجستير او الدكتوراه . وقد يكون هناك ايضا تدريب عملي كما يشترط الحصول على ترخيص من ادارة تعليم الولاية لمزاولة العمل في الرياض .

الادارة

الرياض اما ان تكون عامة تديرها الدولة ، او خاصة تديرها مؤسسات او جمعيات خيرية ، وبالرغم من ان هذه الاخيرة حرة مستقلة الا انها تتقيد بالشروط الصحية التي تضعها الدولة.وقد تراعي المستويات التي ترى الدولة انها مناسبة ، سيما اذا كانت تتلقى مساعدة مادية منها . ومرحلة الرياض مجانية في ٧٥٪ من البلدان التي شملتها الدراسة المذكورة ، اما في البقية فهناك رسم مالي ضئيل يتحمل تغطية نفقات الطعام علما بان هذه الرسوم تلغى او تخفض بالنسبة للاطفال المعوزين او اطفال الاسر الكبيرة العدد .

وتعتبر سن القبول الرابعة الا ان هناك بلدانا جعلتها الثالثة . اما عدد الاطفال بالنسبة لكل مربية فيتراوح بين ١٠ ـ ١٥ طفلا في البلدان المتقدمة كالمانيا وسويسرا وامريكا ، وذلك حتى تتمكن من العناية بهم . وبعض البلدان كالصين الشعبية والدانمارك جعلت الحد الاعلى عشرين طفلا لكل مربية ، او مربيتين لكل ستة وثلاثين طفلا كما في البرازيل ، ويقل العدد عن ذلك في روضات الاطفال ذوي العاهات كما في الاتحاد السوفيتي وغيرها.

وتتعاون الروضة مع البيت تعاونا منظما فيصطحب الاباء اطفالهم اليها ، ويجتمعون مع الهيئة التدريسية لدراسة مشاكل اطفالهم ، وتتطوع الامهات احيانا لتادية بعض الخدمات للروضة ، فيعملن كمساعدات للمربيات ، كما ان الروضة تحاول ان ترفع من مستوى الامهات وذلك بتدريبهن على رعاية اطفالهن وشئون المنزل .

المواصلات

تقع مسئولية نقل الطفل الى الروضة ومنها على عاتق الابوين وذلك حرصا على سلامة الطفل، فيقوم احد افراد الاسرة من البالغين بمرافقته اليها وتبنى الروضة عادة في نفس الحي الذي تخدمه حتى تقل الحاجة الى المواصلات التي تعرض الطفل للخطر، كما يدرب الاطفال على قواعد السير وقوانينه عن طريق الالعاب . وفي الولايات المتحدة تقوم سيدات يرتدين لباس الشرطة بمراقبة الاطفال ومساعدتهم على عبور الطرق اثناء حضورهم او انصرافهم .

الرعاية الصحية

يوجد في الرياض في البلدان المتقدمة جيش من الاخصائيين يعمل على تسهيل نمو الاطفال وتوفير البيئة المثالية لتساعدهم على التفتح الى ابعد حدود امكاناتهم ، ومن ضمن هؤلاء الاخصائيين الاطباء ، ويهتم هؤلاء بالصحة الوقائية في الدرجة الاولى فيقومون باجراء الفحوص الجسمية الدورية ، والتأكد من سلامة اسنان الاطفال ، وتطعيمهم ضد مختلف الامراض ، وتوقيت فترات الراحة والنشاط والاستحمام ، ورسم برنامج التغذية ، وتوزيع الحليب والفيتامينات . كما تعد عيادة الروضة السجلات الشاملة والرسومات البيانية الدالة على تطور اوزان واطوال الاطفال وسلامة نموهم .

المنهاج

من الصعب التفريق بين المنهاج والنشاط في هذه المرحلة ، فالمنهاج هو النشاط مكتوبا او مدونا ، والنشاط هو المنهاج منفذا ، وهو ايضا وسيلة لتحقيق مختلف اغراض الروضة ، وهناك بالطبع وسائل مادية كالصلصال واللعب التربوية والدمى وغير ذلك مما يساعد على تحقيق اهداف الرياض . ومشكلة المشاكل هي ما يجب ان يتعلم في الرياض ، فالبعض يرى انه يجب ان يلم الطفل فيها بمبادىء المهارات الثلاث وهي الحساب والقراءة والكتابة ، وهؤلاء هم اتباع المدرسة القديمة الذين يجهلون الاسس الجسدية والنفسية لتطور نمو الطفل .

ونحن مع جمهرة المربين الذين يرون ان الروضة تربي وترعى ولا تعلم بالمعنى الاكاديمي . وانه اذا كان هناك تعليم او تعلم ، فهو تعلم اجتماعي Social Learning وان الروضة تساعد على اتمام عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية Socialization فيمتص الطفل الصالح من العادات والتقاليد ويتدرب على رعاية شئونه ، فيلبس بمفرده ويغسل يديه قبل الاكل ، ويتدرب

على التعامل مع محيطه بنجاح فيعرف متى يجب ان يقطع الطريق وما يجلب لنفسه الأذى والضرر .

ومجمل القول ان منهاج الرياض او برنامجها هو انواع النشاط والخبرات المناسبة للطفل وليس حقائق يحفظها ويلقنها كما ظن السابقون ، اي ان منهاج الروضة يدور حول الطفل وليس حول المواد الدراسية ، ويقوم هذا المنهاج او النشاط على الاسس التالية : ـ

١ ـ احترام الفروق الفردية بين الاطفال .

٢ ـ احترام رغبات وميول وحاجات الاطفال .

٣ ـ مراعاة مقدار نضج Maturation الطفل واستعداده .

٤ ـ ان تكون الوان النشاط في الروضة متناسبة مع مدارك الطفل ، تبتعد عما يهم الكبار ولا يتفق مع ميول الاطفال ، ومنتزعة من بيئة الطفل وحياته اليومية .

٥ ـ ان يرمي هذا المنهاج الى تحقيق اغراض الروضة كتسهيل نمو الطفل ، وتفتح شخصيته ، وشحذ قواه ، اي تهيئته لبداية المرحلة الابتدائية.

٦ ـ ان يكون المنهاج متمما لعملية التنشئة الاجتماعية او التطبيع الاجتماعي التي تقوم بها الاسرة ، فيحرز الطفل العادات الصحية وآداب السلوك ، والسلوك الاجتماعي المقبول والاعتماد على نفسه في تصريف شؤونه .

٧ ـ ان يعرّف المنهاج الطفل ببيئته الطبيعية ويساعده على فهمها وتجنب ما بها من اخطار ، وذلك عن طريق الملاحظة والمشاهدة .

رياض الاطفال ليست جزءا من المدرسة الابتدائية ولا تمهيدا لها ، بل هي مرحلة تهيئ فيها تفتح شخصية الطفل وشحذ قواه العقلية بمختلف الوسائل .



٨ ـ تسمح بعض مناهج الرياض بالتدريب على القراءة والكتابة والحساب ، الا اننا نرى ان مكان ذلك هو الصف الاول الابتدائي سيما وان الطفل يكون قد نضج النضج اللازم ، بيد انه لا مانع من تقديم بعض الخبرات اللغوية والحسابية في نهاية مرحلة الرياض ولمن لديهم الاستعداد لذلك فقط .

المنهاج والمربية

تهتم البلدان المتقدمة عموما باعداد المربية اعدادا جيدا وتحدد لها فلسفة واهداف مرحلة الرياض، ثم تترك لها الحرية في رسم المنهاج الذي يحقق هذه الاهداف ، وتفصيله حسب حاجة كل طفل ، وتزودها بهيئة استشارية مؤهلة تأهيلا عاليا ترجع اليها عند الحاجة وبتعليمات وتوجيهات كما في السويد وفنلندا .

وفي استراليا وبريطانيا ونيوزيلندة توجد مبادئ للعمل في الرياض توصلوا اليها بحكم الخبرة والعادة .

وفي النمسا تعقد دورات توجيهية للمربيات يزودن فيها بما يلزم من توجيهات وباحدث ما في ميادين التربية وعلم النفس لتطبيقه في الرياض .

التعليم وطرقه

تسير الرياض على مبادئ روسو Rousseau وفروبل Froebel ومدام منتسوري Montessori وغيرهم من الرواد الاوائل للتربية الحديثة ، والطريقة المثلى في التعليم ، هي التعليم عن طريق اللعب والنشاط .

التعلم اللغوي

تهتم الروضة بتنمية لغة الطفل فتعلمه كيف يعبر عن نفسه بطريق الممارسة ، فيحكي للمربية وزملائه عن اسرته ، وماذا اكل ، وماذا فعل امس، او في عطلة نهاية الاسبوع ، او يكلمنا عن اي شيء يريده ، ويستمع للقصص واحاديث مماثلة من اترابه . كما يصغي لما ترويه المربية من اقاصيص مصورة من بيئته ، وينمي ايضا محصوله اللغوي عن طريق الاناشيد والالعاب والتمثيليات القصيرة ومبادلة الحديث مع اترابه .

تعلم العد

يجب ان نفرق بين تعليم العد وتعليم الحساب فالطفل في هذه المرحلة بحاجة الى ان يتعلم العد كي يعبر عن نفسه ، ويتعامل بنجاح مع من يحيط به ، ولكنه ليس بحاجة الى تحليل العدد وكتابته . والقاعدة المثلى في هذا المجال هي ان نعلم الطفل الاعداد التي هو بحاجة اليها ، وان نعلمه ايضا من طريق المحسوسات والمشخصات ، وبطريق غير مباشر ، فيعرف مثلا ان له رأسا واحدا وانفا واحدا ، وعينين اثنين ، واذنين واربعة اطراف ، وخمسة اصابع في اليد الواحدة ، وهكذا . ومن الممكن ان نجعله يتعرف على رموز الاعداد في نهاية مرحلة الرياض اذا اظهر استعدادا لذلك .

التفاعل الاجتماعي

الروضة وسيلة لاخراج الطفل تدريجيا من عالمه الضيق المحدود وانفتاحه على العالم الكبير ، فهي مرحلة انتقال من البيت الى المدرسة . وهي ايضا مرحلة فطام نفسي واجتماعي يوسع فيها الطفل دائرته الاجتماعية ، ففيها يلتقي باشخاص جدد من خارج الاسرة ، ويتخذ اصدقاء له على شاكلته ومن نفس جنسه ، ويدرك ان ليس له حقوق فقط بل ان عليه واجبات ايضا ، كما يتعلم الايثار والتضحية والتعاون وعدم الغش والصدق وغير ذلك من الفضائل عن طريق الالعاب ، ففي الالعاب الجماعية مثلا يتعلم التعاون والنظام واحترام حقوق الغير وآداب السلوك وغير ذلك .

معرفة البيئة

يتعلم الطفل عن طريق الملاحظة والمشاهدة ما في بيئته وما هو على اتصال به فاذا كان هناك سيارات ومراكب في محيط الطفل ، فيجب ان نعرفه بها وان نعلمه كيف يتقي اخطارها ، واما اذا كان من الريف فستثير الحيوانات والنباتات باهتمامنا ، وبمساعدة حظيرة الروضة وحديقتها وغرفة العابها تلهب خيال الطفل وتزيد من وعيه في بيئته الطبيعية .

ويتعرف الطفل على بيئته الاجتماعية عن طريق التحدث الى الشرطي والطبيب والخباز وساعي البريد وغيرهم ، والقيام بادوارهم في التمثيليات ، والتحدث عن مهنة آبائهم ايضا .

التربية الجمالية

ينمى ذوق الطفل بالمقارنة بين الحسن والقبيح والنظافة والقذارة ، وبمقارنة اصوات موسيقى ناعمة مع اصوات ضجيج او اخرى ذات نشاز ، ومقارنة صور ملونة بتناسق وحس فني في تلوين ، ومن الممكن ان يربى الاطفال ازهارا بالاصص يجملون بها غرفتهم ، وتبذل المربية ايضا جهدها في تزيين جدران الفصل بالرسومات واللوحات والاشكال البديعة .

الجدول الدرسي

يجب الا يوجد جدول وحصص ، واجراس او فواصل زمنية في الروضة لان ما هنالك جو اسرة ونشاط ، وتعلم عن طريق النشاط ، ونشاط يوجهه ويوقته ميول ورغبات الطفل ، ومربية تتدخل بحذر وحكمة ، فهي كالام الثبتة ، يقوم بارواثها وبتلقي النمو والنضج والتزهير من صنع النبتة وحدها .

واذا جزأنا منهاج الروضة فذلك من قبيل التسهيل ، انما يجب ان يعتبر المنهاج وحدة واحدة ، لا يصح تجزئته الى تربية عقلية وجمالية واخلاقية .. فمن الممكن ان يكون درس العلوم عبارة عن مشاهدة وملاحظة حيوانات الحظيرة ، فيتعرف الطفل على الدجاجة ، ويعد الاطفال كم دجاجة رأوا ، وهذا حساب ، ومن الممكن ان نطلب اليهم ان يفكروا هل الحظيرة نظيفة ام قذرة ، وهذا تربية جمالية وعقلية في آن واحد ، فالحكم يتطلب القدرة على التمييز والفهم والمقارنة ، وقد يتدافع الاطفال لرؤية الحيوانات او يحجب بعضهم الرؤية عن البعض الآخر فتذكرهم المربية بالنظام واحترام حقوق الآخرين وهذه تربية خلقية وديموقراطية .

والخلاصة :

يمكن التأثير تأثيرا ناجحا في شخصية الانسان في السنوات الخمس الاولى من عمره ، فاذا اردنا تنمية الشخصية السليمة علينا الاهتمام بمراحل الطفولة والرياض كي نؤثر في الطفل التأثير المرغوب ، وذلك عن طريق ايجاد بيئة سليمة تسهل نموه وتخلو من العوامل الضارة المسببة للانحراف والمعيقة لهذا النمو .

■■

سميح ابو لبدة



في الولاية

● قال عدي بن أرطاة لإياس بن معاوية: دلّني على قوم من القراء أولّيهم؟ فقال له: القرّاء ضربان: ضربٌ يعملون للآخرة ويطلبون الأمر لله، وقد زهدوا في مباهج هذه الحياة، وأولئك لا حاجة لهم بأعمالك... وضرب يعملون للدنيا، فما ظنك بهم إذا مكنتهم منها؟ قال: وما أصنع؟ فقال: عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم.

طاعة الله

● لما حضرت إسماعيل بن جعفر الصادق الوفاة، نظر الناس إلى الصادق جزعاً يدخل مرة ويخرج مرة، ويقوم مرة، ويقعد أخرى. فلما توفي إسماعيل، دخل الصادق إلى بيته فلبس أنظف ثيابه، وسرّح شعره، وجاء إلى

اوصيك خيرا

● حضر أعرابي مائدة أعدها الحجاج في يوم عيد، فلما أخذ الناس في الأكل أراد الحجاج أن يتلاطف مع ذلك الأعرابي، فوقف، وقال: من أكل من هذا شيئاً ضربت عنقه، فامتنع الناس كلهم وعرتهم الدهشة إلا الأعرابي فإنه أخذ ينظر إلى الحجاج مرة وينظر إلى الحلوى مرة، ثم قال: يا أمير، أوصيك بأولادي خيراً. وشرع يأكل مسرعاً، فضحك الحجاج حتى استلقى، وأمر له بصلة.

حكمة على لسان الحيوان

● قال الشعبي: أُخبرت أن رجلاً صاد قبّرة، فلما صارت في يده، قالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك. قالت: ما أشفي من مرض ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي، أما الأولى: فأعلمك إياها وأنا في يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثالثة وأنا على الجبل. فقال: هات الأولى. قالت: لا تلهفنّ على ما فاتك. قال: فلما صارت على الشجرة قال لها: هات الثانية. قالت له: لا تصدق أن ما لا يكون يكون، فلما صارت على الجبل قالت له: يا شقي لو ذبحتني أخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالاً. قال: فعض على شفتيه وتلهف، ثم قال لها: هات الثالثة. قالت: أنت قد نسيت اثنتين فكيف أحدثك بالثالثة، ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك. ولا تصدق أن ما لا يكون يكون، وأنا وريشي ولحمي لا أزن عشرين مثقالاً.



مبتغانا

مجلس ، فجلس ساكتا من المصيبة ، كأنه لم يصب بمصيبة . فقيل له في ذلك فقال : أنا أهل البيت نطيع الله فيما أحب ، ونسأله ما نحب ، وإذا فقدنا ما نحب شكرنا ، وإذا فعل بنا ما نكره رضينا .

حط على قدره

● دخل أحد الأعراب على الخليفة هارون الرشيد ، فسأله الرشيد عن حاجته . فقال الأعرابي : مائة ألف درهم . فقال له الرشيد : أسرفت يا أخا العرب ، فاحطط منها (أي أنقصنا) . قال الأعرابي : حططتها ألفا . فقال له الرشيد : ما أعجب ما سألت ، وما حططت . قال الأعرابي : لا يعجب أمير المؤمنين ، سألته على قدره ، وحططت على قدري ..

بجيلة البخيلة

● كانت قبيلة بخيلة مشهورة بالبخل بين قبائل العرب ، فاتفق جماعة من كبارهم على أن يرفعوا هذا العار عنهم ، فقالوا : هذه قافلة الحجاج مجتمعة من أطراف البلد فهلموا نصنع إلى الحجاج إحسانا يشيع خبره في جميع البلدان ، فاتفق رأيهم أن يحمل كل واحد منهم قربة من لبن ، وإذا نزل الحجاج إلى الماء أتوا إليهم بذلك اللبن .

فحضر الحجاج ونادوا ألا هلموا إلى شرب اللبن ، فأخذ كل واحد منهم يقول لصاحبه اسبقني أنت أولا ، فدفع الكل من القدم يحل قربته ، ثم إن الحجاج عمدوا إلى قربة ففتحوها فكانت ماء ، وكذلك كانت كل القرب ماء ، فقال واحد منهم أي عيب في فعلي إذا كانت القبيلة كل قربهم لبن فقربتي تضيع بين القرب فلا تعرف أن تكون ماء ، فملأتها ماء . وقال الآخر مثل قوله حتى اتفق الكل على ذلك الفعال الفاسد ، فزاد عليهم العار ، واشتهر خبرهم في جميع البلاد .

كيف نواجه الصعاب

سئل أحد الأبطال عن سر قدرته على مواجهة الصعاب ، فأجاب : هل شاهدت حجارا وهو يكسر الأحجار ؟ إنه يظل يضرب الصخر بمطرقته ، ربما مائة مرة ، دون أن يبدو عليها أدنى أثر لتكسر أو شق . ولكنه في المرة الواحدة بعد المائة يشطر الصخر إلى شطرين . سيقول إن الضربة الأخيرة هي التي حققت شطر الصخر . والحقيقة أنها هي التي شطرتها . ولكن بعد أن مهدت لذلك المائة التي سبقت .

معركة فكرية بين جيل وجيل

بقلم : منير نصيف

■ **كيف نحدد مواقفنا من ابنائنا ؟**

[illegible]

[illegible] الاحيان ؟

ان مرحلة النمو والتغير عند الشباب مشكلة .. ولكنها ليست مشكلة بلا حل فهي وان كانت من اعقد المشاكل التي تواجه الآباء في حياتهم مع اطفالهم [illegible]

[illegible] ويفكر ويصبر طويل [illegible]

موقف الآباء

فكل شيء يتوقف اولا واخيرا على موقف الآباء ، وطريقة تفكيرهم واسلوب معالجتهم لامور ابنائهم ..

يقول علماء التربية ان الصراع ينشأ بين الآباء والابناء في هذه السن التي يخطو فيها الشباب سريعا من الطفولة الى المراهقة .. وهو صراع طبيعي يتركز حول احتياجات الآباء من ناحية ، واحتياجات الابناء من الناحية الاخرى .. الآباء يريدون ان يشعروا من ابنائهم في حاجة اليهم ، والى نصائحهم وارشاداتهم .. انهم يريدون ان يمسكوا بايدي ابنائهم ليضعوهم على بداية الطريق الصحيح في الحياة ..

ولكن الابناء لايريدون هذه المساعدة ، انهم لا يشعرون بحاجتهم لاحد .. انهم يريدون ان يصنعوا حياتهم كما يشتهون ان يسيروا في الطريق الذي اختاروه هم لانفسهم ، وقلما ساروا ، فهم ما يكادون يخطون على الدرب بضع خطوات ، حتى تزل اقدامهم فيسقطوا ، وقد تكون السقطة خطرة وقد لا تكون !.

البحث عن الدفء

وقد [illegible] بعض الابناء الى آبائهم ، بحثا عن العطف والحنان ، فهم يريدون ان يشعروا في محنتهم هذه ان هناك من يحبهم ويعطف عليهم ويحمل آلامهم .. وهم في هذا اشبه بالسفينة التي تتلاطمها الامواج في عرض البحر ، بعد ان ضلت طريقها الى الشاطئ ، ويستبد الذعر بركابها في صراعهم المستمر مع الموت ، الى ان تلوح في الافق ، بر الامان ، فتنتشي نفوسهم ،



لقد وجدوا في رسالة الناعمة الحياة التي تصوروا في لحظة يأس أنهم أوشكوا أن يفقدوها الى الأبد .

ولكن هل يجب أن ننتظر حتى يضل أبناؤنا الطريق ؟ لماذا لا نعمل على تجنيبهم آلام السقوط ومتاعبه ؟

إن نسبة كبيرة من المشاكل التي يتعرض لها الأبناء في حياتهم في هذه السن المبكرة ، ترجع أساسا الى سوء تصرف الآباء ، وجهلهم بطبيعة الشباب أو اهمالهم لشئون أبنائهم ، وانشغالهم عنهم بشئون الحياة ، وكأن وجود الأبناء قد جاء صدفة ، ولم يكن هدفا أساسيا من أهداف الحياة وبناء الأسرة والمجتمع .

تصرفات خاطئة

هذا الطراز من الآباء ، الذين يصدمون بالانتباه فلما وجد الأبناء في كنفهم الاستقرار والطمأنينة التي ينشدونها في حياتهم في هذه السن المضطربة الحرجة .

ونحن إذ نمضي في حديثنا سنورد لذلك مثلا من التصرفات الخاطئة التي تصدر عن الآباء تجاه أبنائهم .. وهي وإن كانت في حد ذاتها تصرفات صغيرة لا قيمة لها ، إلا أن أثرها في نفوس الأبناء ، كثيرا ما يترك أخاديد وفجوات لا تلبث الأيام أن تزيدها عمقا على عمق ، فتملؤه برواسب الحقد والكراهية للبيت والأسرة والمدرسة ، وربما المجتمع كله ، ذلك الذي يتوقع منهم أن يكونوا فيه أفرادا عاملين، يحمل كل واحد منهم نصيبه في بناء صرحه وتطويره والمضي به قدما نحو حياة ومستقبل أفضل .

مع طبق الحساء

تعود الفتاة من مدرستها وتجلس أمام مائدة الطعام لتتناول وجبة الغداء بسرعة حتى تستطيع أن تنجز دراستها بعد الظهر

وتأتي لها أمها بطبق الحساء .. إنه حساء لذيذ جيد ، لا شك في ذلك . فقد أعدته الأم بيديها ، وحرصت على أن تضيف اليه كل العناصر الغذائية التي تحبها ابنتها ، وتبدأ الابنة تأكل .. ولكنها لا تكاد تذوق الحساء بطرف لسانها ، حتى تصيح « ليس هذا بالحساء الذي عودتنا عليه يا أمي . إن رائحته لا تعجبني والملح فيه كثير

وتثور الأم ، وتنهر ابنتها قائلة . « كفي عن شكواك هذه . إن الحساء لذيذ ، ولم أضف اليه من الملح إلا قليلا . كلي في هدوء ، أرجوك ! » وتسقط كلمات الأم الابنة التي صدمت نفسها ، « ما معنى هذا ؟ ألست لم أعد صغيرة ، لقد بلغت السادسة عشرة الآن ، ومن حقي أن أقول رأيي في الطعام الذي آكله »

وتدير الابنة بصرها في وجه أمها قائلة « اسمعي يا أمي ، مادمت تصرين على أن هذا الحساء لذيذ ، فأنا أقترح أن تأكليه أنت بدلا مني ما دام كذلك ؟ ! »

ثورة وغضب

وتثور الأم ، وقد استبد بها الغضب « أنت فتاة متمردة السلوك مدللة والدليل ذلك .



ان ملايين الاطفال في اوربا وآسيا يتمنون طبقا من هذا الحساء الذي ترفضين ان تأكليه ! » .

وتترك الفتاة مقعدها في ثورة عارمة ، وتهرول الى الخارج عائدة الى مدرستها ، دون ان تتناول شيئا من الطعام ، وهي تصيح غاضبة : « لا مانع ان ترسلي الحساء لواحد من هذه الملايين الذين يحبونه !! » .

هذا الحوار ما كان يجب ان يسير على ما سار عليه ، ثم هذه النهاية التي انتهى اليها قد صنعت بالابنة ما صنعت .. لقد توقعت ان تسمع من امها اى شيء الا هذا الذي سمعته .. ان احدا لا يستطيع ان ينكر ان الام كانت صادقة في كل كلمة قالتها عن الحساء اللذيذ الذي اعدته بيديها ، والابنة لا شك مخطئة في تصورها عندما راحت تعدد لامها مساوىء الطعام الذي قدمته اليها ، ولكن الخطأ الذي وقعت فيه الام كان يكمن في طريقة معالجتها للموقف .

الحكم الذاتي

يقول علماء التربية ان افضل وسيلة للتعامل مع الابناء في هذه السن ، هي ان نتركهم يتدبرون امور الحياة بأنفسهم ، وخاصة في مثل هذه المشاكل الصغيرة .. فقد كان في مقدور الام ان تستمع الى ملاحظات ابنتها في هدوء وبلا تعليق ثم تترك لها بعد هذا حرية التصرف في ان تأكل اى شيء آخر يعجبها ، بدلا من ان تحاول ان تفرض عليها طبقا معينا من الطعام ! فالاعتراف بمتاعب الابناء ، مهما كانت صغيرة وتافهة ، يرضي نزعتهم الى الشعور بالاستقلال . وانتظار ما يتقدمون به هم بعد ذلك من اقتراحات لعلاج هذه المتاعب ، يتيح لهم الفرصة لتأكيد آرائهم ، وممارسة الحق الذي يدعونه لانفسهم في « الحكم الذاتي » .

وليس معنى هذا ان نحجب عنهم نصائحنا ولكن معناه ان نقدم لهم هذه النصائح ولكن بصورة اخف وقعا على نفوسهم ، فلا بد لنا ان ننصت الى ما لديهم من اقتراحات وحلول اولا ، ثم نسألهم بعد هذا عن رأيهم فيما لو حاولنا ان نحل المشكلة بطريقة اخرى .. فالشاب في هذه السن يشعر ان الرأي الجديد الصائب الذي حاول عبثا ان يصل اليه هو ، ثم وجده اخيرا يخرج من بين شفتي والده او استاذه او اى صديق آخر كبير يحبه ويحترمه !

وحديث في السياسة

مثل ذلك ما حدث لشاب جاوز السادسة عشرة من عمره ، وكان الابن يهتم بالسياسة ويهوى دراسة العلوم السياسية . وكان يجلس مع والده في كثير من المناسبات ويدور النقاش بينهما حول تطورات الموقف الدولي .. جلس يقول لوالده يوما : « ان الخطر الصيني يهدد العالم بأسره . ان الصين سوف تصبح قريبا اقوى دولة في العالم فهي تملك الآن الاسلحة النووية ، الى جانب القوة البشرية الهائلة التي تنفرد بها دون سائر الدول الكبرى . انني ارى ان الوقت قد حان لتعلن دول العالم مجتمعة الحرب على الصين ، لتقضي على هذا الخطر الذي يتهددها قبل ان يستفحل ! » .

موقف .. وموقف

ويستمع الاب في هدوء الى آراء ابنه ، انه قطعا لا يؤيد هذا الرأي السخيف الذي يجاهر به الابن ، وربما شعر بالغضب وهو يستمع الى هذا الشعور العدائي الذي يملأ نفس هذا الشاب الصغير الذي مازال يقف على عتبة الدنيا . وقد كان في مقدور الاب ان يقول لابنه مثلا : ما هذا الهراء الذي تقول ؟ أو ما الذي تعرفه انت عن مثل هذه المشاكل الدولية المعقدة . ام انك ولد ابله لا تدري من امور الدنيا شيئا . دعني احدثك انا عن هذه الدولة التي تريد ان تقضي عليها في حرب عالمية !

وتستطيع ان تتصور بعد ذلك ، الاثر الذي كان يمكن ان تتركه سخرية الاب من ابنه ، على نفسية الشاب الصغير الذي يتطلع الى دراسة العلوم السياسية ، لو انه تعرض الى هذا التجريح من والده .

عطف وتفهم

ولكن الاب العاقل ، لم يفعل شيئا من هذا ، فقد جلس بهدوء يستمع الى حديث ابنه في اهتمام شديد ، حتى اذا ما انتهى منه ، واتجه الابن الى والده يبحث في وجهه وعينيه عن اثر هذا الكلام ، وجده متفهما تماما لوجهة نظره .

وتكلم الاب اخيرا ، قال : « ربما كنت على صواب يابني في ان هذه الدولة تشكل اليوم خطرا على العالم ، ولكن الا ترى معي ان في نشوب حرب عالمية جديدة خطرا اشد واعظم على البشرية كلها .

النوى ، ملذا كنت افعل انا لو كان الامر بيدي ، كنت ادعو هذه الدولة الذرية الكبرى الى مائدة المفاوضات ، وامد يدى الى زعمائها لتوقيع معا معاهدة سلام دائم ، يحمى العالم من اخطار الحرب واهوالها ! » .

وقد يقتنع الابن بوجهة نظر ابيه ، وقد لايقتنع ، ولكن المهم ان الاب عرف كيف ينقل رايه الى ابنه دون أن يعاديه ودون ان يسفه اراءه او يشعره بتفاهة تفكيره .

الرغبة فى الانتقام !

انه لم يفعل ما فعله الاب الذى اصطحب ابنه الذى جاوز السابعة عشرة من عمره الى معرض للوحات الزيتية ...

وما كادت عينا الابن تقع على اول لوحة تصادفه وكانت من اللون التجريدى ، حتى قال لوالده فى استياء شديد ! « انى امقت هذا اللون من الرسم يا والدى ، فانا لا افهم منه شيئا ! » .

وعندما وصلت كلمات الابن الى اذن الاب ، نهره بعنف ، وصاح فى غضب : « ما الذى تعرفه انت عن هذا اللون من الرسم ؟ هل قرات عنه قبل ان تدلى برايك فيه ؟ » .

ويثور الابن ، وينظر الى ابيه نظرة عتاب شديد ، ويصر على رايه ويتمسك به فى عناد ، ولا يجد من بد يجيب على ابيه الا ان يقول : « ما زلت اعتقد ان منظر هذه اللوحات يثير الاشمئزاز فى النفس ، فهى لا تعنى شيئا للمشاهد ! » .

مثل هذه المناقشة لم تزد من اهتمام الشاب بالفن ، كما انها قطعا لم تساهم فى تنمية شعور الابن نحو ابيه بالاحترام ، او بالحب . فقد احس الشاب بان كبرياءه قد جرحت ، وان والده قد تعمد اهانته وتحقيره امام الناس ! وربما قاده هذا الشعور الى الرغبة فى الانتقام . وقد تحين الفرصة للابن اذا ما تجدد الحديث عن المعرض بعد عودتهما الى البيت ، وربما قبل ذلك ، وهما فى الطريق اليه . وقد يفاجأ الاب بابنه يقول له « ولكن قل لى يا ابى ، متى قرات انت عن الفن ، وماذا تعرف عن هذا النوع من الرسم الحديث وقد امضيت حياتك كلها تعرض الكتب وتبالغ الرضى من الناس !! » .

الحديث الهادىء

هل كانت هذه المعركة ضرورية ؟ .

والجواب ، قطعا لا ! فقد كان فى وسع الاب ان يقول لابنه ، حتى لو كان يخالفه الرأى « ربما فضلت عليه الرسم الكلاسيكي يا بنى . اليس كذلك ؟ اتدرى انني ايضا لا اميل كثيرا الى هذه المدرسة الحديثة . انني احب ان ارى الاشياء فى صورها الحقيقية ، ولكنها مدرسة حديثة يا بنى ، ونحن لا نستطيع دائما ان نقف فى وجه التطور ، اليس كذلك ؟ » .

شىء من هذا الحديث الهادىء يصنع المعجزات .. فليس اقسى على نفس الشاب من ان يشعر ان احدا يتهمه بالغباء . وهو يتوقع من والديه خاصة ان يكونا اكثر الناس تفهما لارائه ومشاعره .

الفتاة اكثر حساسية

والفتاة اكثر حساسية من الشاب فى سن المراهقة .. وكما يريد الشاب ان يثبت رجولته عن طريق تصرفاته ومناقشاته فى شتى امور الحياة كذلك الفتاة ، فهى تريد ان تؤكد انوثتها ، تريد ان تشعر هى ، وان تشعر كل من حولها بانها قد كبرت واصبحت امرأة .

وواجب الام ان تحاول بشتى الطرق ان ترضى هذه النزعة الطبيعية عند الفتاة فلا تنتقد طريقة اختيارها لملابسها ، او تزين وجهها وشعرها ، الا اذا احست انها قد جاوزت حدود الحشمة والوقار ، بشرط الا تشعرها انها تريد ان تفرض عليها ارادتها فرضا ! .

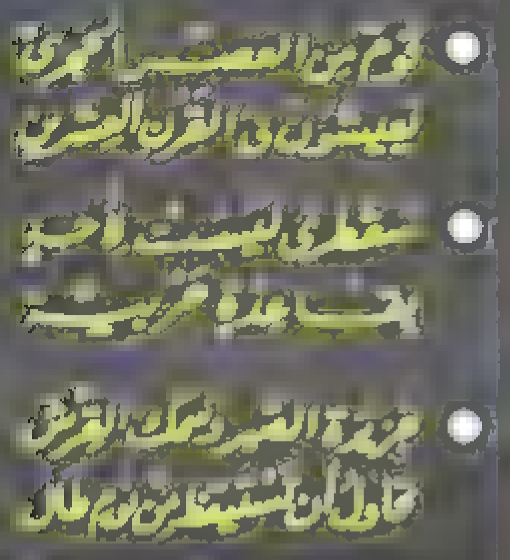
معركة بين جيل وجيل

ان المعركة بين الاباء والابناء ، معركة حقيقية ، وهى معركة فكرية فى المقام الاول .. معركة بين جيل قديم ، وجيل حديث .. جيل ناضج ، وجيل لم ينضج بعد فاذا استطاع الاباء ان يسدوا الفجوة وان يهبطوا بمستواهم الفكرى الى مستوى ابنائهم الذين يبحثون عن العلم والمعرفة فى كل ما يحيط بهم ، وكل ما تصل اليه ايديهم من ينابيع المعرفة ، فهم قد نجحوا فى ان يرفعوا من مستوى ابنائهم الفكرى ، ونجحوا فى تقريبهم اليهم ، ونجحوا اخيرا فى ان يجعلوا منهم اصدقاء لهم ..

واذا توطدت الصداقة بين الاباء والابناء زالت الحواجز المصطنعة بينهم ، وتلاشت احتمالات السقوط والانحراف ..

منى نصيف .

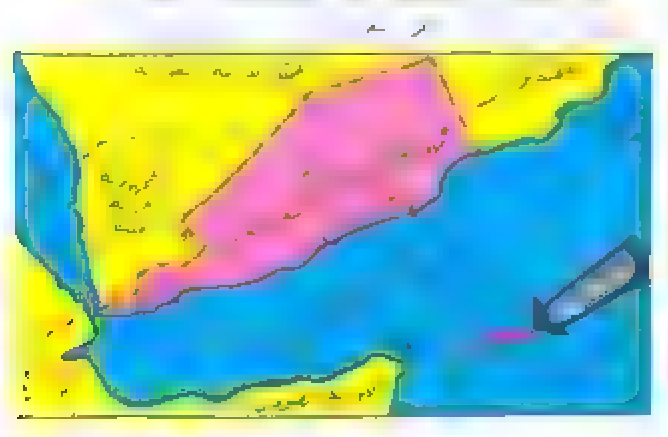






استطلاع
سليم زبال

تصوير
اوسكار متري



■ عندما انطلقت بنا الطائرة عند الفجر ، انطلقت في رحلة غريبة .. رحلة الى الوراء .. الى الماضي السحيق !

كانت [illegible] هذه ، هي [illegible] رحلة الرحلات . [illegible] الى [illegible] جزر [illegible] العربي [illegible] مهملة ، وسط [illegible] المحيط الهندي [illegible] .

لقد بقيت جزيرة سقطرى على ما كانت عليه [illegible] لم [illegible] العرب من حوله [illegible] .

وكانها هي [illegible] احمد شوقي بقوله :

[illegible] لا [illegible] [illegible]

اذا الارض [illegible] لم [illegible]

بعض اهلها مازال يعيش في كهوف [illegible] الصخرية في بطون جبالها .. وعلى سواحلها ترتفع اكواخ صنعوها من الاصداف وقواقع البحر [illegible] .

[illegible]

اذا مرضوا [illegible] بالنار

واذا [illegible] الاسواق [illegible] ،

سارعوا بالسلاح [illegible] من [illegible] اعلى [illegible] القبائل !

واذا [illegible] عطروا من [illegible] من احدى [illegible] التي [illegible] الجزيرة !

ما هذا [illegible] وأي [illegible] من [illegible] هؤلاء الذين يعيشون اليوم في [illegible] على هذا الاسلوب القديم ! من هم ومن هم ؟

انهم عرب [illegible] ومع هذا مازالوا [illegible] اسلوب [illegible] اجدادهم [illegible] لم [illegible] الاف السنين

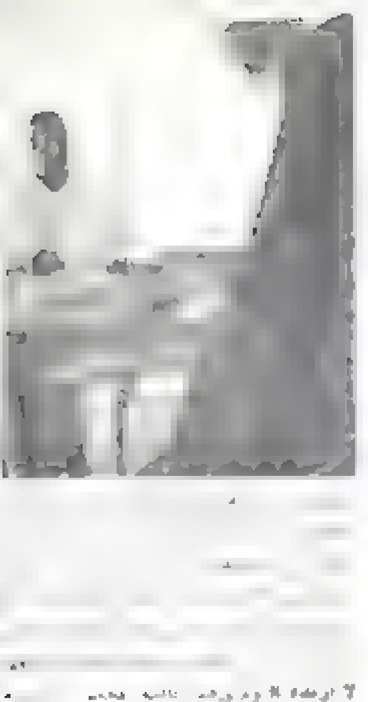
ولكن [illegible] وسط [illegible] من [illegible]

طائرة حربية خاصة

حاولنا مرارا [illegible] جزيرة سقطرى ولكن انعدام المواصلات بها ، كان [illegible] في [illegible]

لا توجد خطوط جوية ، ولا خطوط [illegible]

[illegible]





وعند مصب اودية الجبال على الساحل الصخري ترتفع المدن الصغيرة ، انها قرى ومراكز .. اكبرها : حديبو عاصمة الجزيرة .. تليها قلنسية وقاضب

اختلاف في العدد وفي الاسم !

ويقدرون عدد سكان الجزيرة بنحو ٣٥ الف نسمة ، ولكن الاهالي يعترضون على هذا التقدير ويقولون : « ان عددنا اكثر » [illegible]

ولا يمكننا تحديد الرقم الصحيح ، لانه لا يوجد احصاء رسمي لعدد السكان ..

وكما احتار الكتاب والمؤرخون في تقدير عدد سكان الجزيرة ، كذلك اختلفوا في طريقة كتابة اسمها ، كل منهم يكتبه بصورة مختلفة عن الآخر .. فالزبيدي صاحب تاج العروس ذكر اربعة اشكال لكتابة الاسم مرة « سقطرى » (بضم اوله وثالثه وسكون ثانيه وفتح رائه والالف مقصورة) .. ومرة ثانية لها الالف الممدودة تحملها : « سقطراء » وثالثة كتبها كما يكتبها اهلها : « سقوترة » .. ومرة رابعة كما يكتبها العامة : « سقوطرة » ولكن « الهمداني » صاحب « صفة جزيرة العرب » ، وياقوت الحموي صاحب « معجم البلدان » ، اتفقا على كتابتها [illegible] ..

واختلف ابو الفداء صاحب تقويم البلدان معهما ، فكتبها : سقوطرة .. كما قال الزبيدي في احدى رواياته .

اما دائرة المعارف الاسلامية فقد افردت عدة صفحات تحدث فيها عن الاسماء القديمة للجزيرة ، فذكرت ان اليونانيين عرفوها قديما باسم جزيرة « ديوسقوريدس » [illegible] .. وذكرت « ان اسم سقطرى مشتق من كلمتين باللغة السنسكريتية ، هما : « دفيبا سختارا » اي الجزيرة السعيدة » ..

ولكن هناك تعليلا آخر يقول ان الاسم مشتق من كلمتين عربيتين هما « سوق القطرة » والقطرة هنا هي السوائل التي تنساب من الاشجار الكثيرة المنتشرة في الجبال ..

مطلوب له ساحرة مخلصة

والحديث عن اصول الاسم واختلاف طريقة كتابته ، حديث طويل ليس هنا مجال الافاضة



جميع أهالي سقطري مسلمون شافعيون ومساجدها منتشرة في المدن والداخل ، ولكن مسجدين بنقط ليما مآذن . واحد في حديبو والثاني في السوق (وهو الظاهر في الصورة)

اميال من العذاب

ولم تطل فرحتنا كثيرا فقد تركتنا الطائرة كاليتامى في الصحراء .. يحيط بنا مجموعة من أهل البلاد يرتدون الفوطة الملونة ، وصدورهم عارية لفحتها الشمس .. ومعهم حماران صغيران ..

وكان علينا مواجهة « الرحلة الثانية » بعد وصولنا الى « مطار كوري » .. كان علينا ان نصل الى حديبو العاصمة .. وقالوا لنا : « انها على مسافة ٧ أميال من المطار .. » ولكنها سبعة اميال من العذاب : جبال وعرة ارتفاعها ٢٠٠٠ قدم ليس فيها اى ممر او طريق .. عليك ان تتسلقها لتصل الى العاصمة ، ومن خلفك قافلة الجمال التي تحمل امتعتك .. وكم من مرة تدحرجت الجمال المسكينة بين صخور هذه الجبال : جبال العيال ، فماتت من الالام لاستحالة انقاذها ..

وهذا الطريق الجبلي لا بد لك ان تسلكه اذا قصدت الجزيرة ابتداء من شهر مايو حتى نهاية سبتمبر .. انه موسم الاعاصير والانواء التي تجعل مياه المحيط متلاطمة متعالية .. اما اذا قصدت الجزيرة في غير هذه الشهور فيمكنك الاتجاه من المطار الى البحر لمدة ساعتين سيرا على الاقدام ، حتى تصل الى شاطىء راس كرما ، وتستقل من هناك مركبا يكون في انتظارك بعد اتفاق مسبق .

اهل سقطرى في فيينا !

وشاهدنا المركب الخشبي الكبير الذي سيقلنا الى حديبو العاصمة ، يقف على مسافة ١٠٠ متر من الشاطىء ، فاستعنا بقوارب الاهالي الصغيرة « الهوري » لتحمل امتعتنا الى المركب الكبير ، ثم تعود لتحملنا بدورنا الى المركب .. الذي انطلق يقطع مسافة السبعة اميال التي تفصلنا عن العاصمة ..

وحاولنا التحدث الى البحارة ، فوجدناهم يتحدثون العربية بصعوبة ، ولكنهم يتحدثون فيما بينهم بلهجة غريبة هي اللهجة السقطرية المشتقة من اللغة الحميرية .

وكم من كتاب صدر عن اللغات واللهجات الحميرية والشحرية والسقطرية .. ولكنها كلها كتب لكتاب اجانب ، اصدروها من باريس وفيينا وليبزج وموسكو .. وقد وصل الامر بالاكاديمية العلوم بفيينا ، عاصمة النمسا ، ان ارسلت بعثة علمية الى اليمن لجمع النصوص عن اللهجات اليمنية .. ولم تكتف بهذا بل عمدت الى نقل بعض اهل البلد نفسها الى فيينا لدراسة لهجتهم عن قرب !! .. فاين نحن من كل هذا ؟

لغة في طريقها للفناء

وقد حاولنا ان نجمع بعض النماذج من اللغة السقطرية ، فهالنا الاختلاف الكبير في نطقها ، والتضارب في الفاظها . انها لغة في طريقها الى الموت لانها لا تكتب ولا تقرأ فهي لغة تخاطب فقط .

فمثلا سألنا احدهم ان يذكر لنا الارقام بالسقطرية ، فقال : طاد .. تر ٢ .. ثلاثة .. اربعة والباقي مثل الارقام العربية ..

وسألنا مدرسا محليا ان يذكر لنا الارقام بالسقطرية فقال طاط — تراه — ثلث — اروبع



صفقوا معنا

لهذه المعلمه





عمل وصولنا الى سقطرى [illegible] وصلت الى مدرسة في الجزيرة [illegible] من مهرجانات [illegible] مولده ، و [illegible] المقطرى هو [illegible] الولادة [illegible] بعدم وجود طبيب في الجزيرة !

- حيس - مثة - سبحة لبنانية - لسعة - عار - عار وطاف - عار وراه - الخ ..
وانت تلحظ الفرق الكبير بين كلا الشخصين ..

هذه هي حديبو ..

ووصلت السفينة الى خليج حديبو .. وشاهدنا امامنا خطا رفيعا من المنازل البيضاء وسط مزارع النخيل .. ولم يستطع المركب الاقتراب من الساحل لضحالة مياهه ، فتكررت نفس القصة التي سبقت في راس الكرما ، ونزلنا الى حديبو مع امتعتنا في « الهوري » الصغير ..

.. الشمس عمودية ، والحرارة رطبة .. وعلى الشاطىء وقفت مجموعة كبيرة من الاهالي لتحية القادمين الجدد والسلام عليهم فردا فردا ماليد ..

ومررنا على منازل حديبو ذات الطابق الواحد البسيط ، فقد بناها اصحابها حسب مزاجهم على ما يبدو ، اذ ليس فيها اي جمال هندسي او فني ، لم اضافوا لها حدائق صغيرة احاطوها بسعف النخيل ، فزادت من بشاعة منظر المدينة ..

ومررنا بجامع حديبو الكبير ، الذي شيدوه في القرن الخامس عشر الميلادي ، انه في حالة يرثى لها من الاهمال .. وعلى مسافة قريبة من الجامع ساحة كبيرة واسعة هي المقبرة الوحيدة في المدينة ، وتضيع حولها مبنى قيادة الشرطة والمدرسة والمستوصف ..

واسترحنا في مبنى النيابة ١٩ شخصا جلسنا في غرفة واحدة ، وتناولنا طعاما شهيا على مائدة عبد الكريم محسن مأمور الجزيرة ، مكونا من خروف صغير مع قل من الارز !

رقصة حتى الصباح !

وبدأت الشمس تميل للغروب فرحنا في سبات عميق ، كل منا يريح رأسه على جسد زميله .. وبعد الغفلة قصيرا استيقظنا على صوت الدفوف والطبول .. انها رقصة الرقصة الشعبية للعادة كل ليلة في الجزيرة : فتاة وتصفيق وطبل ومزمار ورقص وغبار .. وعندما يتعب الخيال يأتي شخص جديد مكانه .. وهكذا تركناهم يرقصون الى ما بعد منتصف الليل .. ورحنا في سبات عميق غير عابئين بالطبول او الدفوف ..

الخبز والكيك !

وحديبو ليس فيها شيء يستحق المشاهدة او الزيارة .. لا يوجد فيها كهرباء وبالتالي ليس فيها محطة ماء بارد ، واهلها لا يعرفون الى الآن ما هو الثلج ! .. وليس فيها حلاق للشعر ، ولا خياط ولا صاغ .. حتى المتاجر معدومة الا تاجر واحد يبيع بالمقايضة للاهالي : يأخذ منهم الاصداف ودم الاخوين ، والصبر ، والبخور ، والزبادي ، والسمن البلدي .. ويعطيهم الشاي والسكر والمستخص" (الارز المكسور) والهندي (الذرة الرفيعة) والسمن الصناعي .

وليس في سقطرى مخبز لصنع الخبز ، واهلها لا يعرفون كيفية صناعته ، ولا كيفية طبخ الطعام ، لهذا كان الطعام يأتينا من منازل الاستاذ صلاح وبقية المدرسين يرسلونه لنا مشكورين .. ولكن الخبز كل لشبه بقالب الكيك منه بالرغيف !

من المقايضة الى النقود

وقديما كان اهل الجزيرة ينتظرون السفن المارة بسواحلهم ليزوجوا فتياتهم الى البحارة ، مقابل كيس من الاكل والطعام ..

كان كل شيء يتم بالمقايضة ، حتى وصل الموظفون الحكوميون من عدن بعد الاستقلال ، فانتقلت معهم العملة النقدية والورقية .. ولكن تداولهما ما زال محدودا جدا .. ومن المحال ان تجد في الجزيرة كلها قطعا نقدية كافية لصرف دينار واحد !

وميزانية الجزيرة المعتمدة لهذه السنة هي ٢٥ الف دينار يمني جنوبي (الدينار يساوي جنيها استرلينيا) منها ٢٣ الف دينار مرتبات لـ ١١٦ موظفا وجنديا .. اي ان المبلغ المتبقي للنهوض بالجزيرة وتنفيذ مشاريع الاصلاح فيها لا يتعدى الفي دينار في السنة !!!

مهنة في اليد
خير من شهادة على الشجر !

ومن مدرسة حديبو الابتدائية ، بدأت تتألق بعض الاضواء على الجزيرة .. كانت كتابا صغيرا لتحفيظ القرآن عام ١٩٦٣ فاصبحت اليوم مدرسة ابتدائية تضم ٥ مدرسين و ١٢٠ طالبا .. رقم ضئيل بالنسبة لعدد السكان ، ولكن ما زال الرجل السقطري يرى ان مهنة في اليد خير من شهادة على الشجر ! .. لهذا تراه لا يحبذ كثيرا جلوس ابنه في حجرة الدرس منتظرا ليأخذ شهادة بعد سنوات .. ماذا سيفعل بها في سقطرى ؟ .. لا شيء .. ان الرجولة هنا تكمن في الغوص العميق ، واستخراج الصدف الكبير واللؤلؤ الثمين ، وصيد الاسماك ، وخاصة سمك القرش المفترس !!

صاحبة بالين

واتجهنا الى اول مدرسة لتعليم البنات .. فتحت ابوابها منذ عامين ، فزاد عدد فصولها من واحد الى اثنين .. ولكن المعلمات لم يزدن بنفس النسبة ، بل ظل العدد : معلمة واحدة .. تقوم بتعليم الفصل الثاني فقط ، وعندما يكون عندها فراغ تعلم الفصل الاول !!

لا يعرف القطار ولا اللعبة !

والواقع ان التعليم في سقطرى هو المخرج الوحيد لهذه الجزيرة من الظلام الذي يكتنفها .. ولكن يبدو ان وزارة التربية في عدن قد نسيت هذه المدارس ونسيتها ! نسيت ان ترسل لها الكتب ، فشهدنا الاستاذ يكتب الدرس على السبورة السوداء حتى ينقله الطالب ويحفظه وهو جالس على شط البحر .. اما وسائل الايضاح فهي معدومة .. رغم اهميتها القصوى .. فالطفل لا يعرف ما هو القطار او البطة ، وما هي اللعبة وما هو التلفاز !!

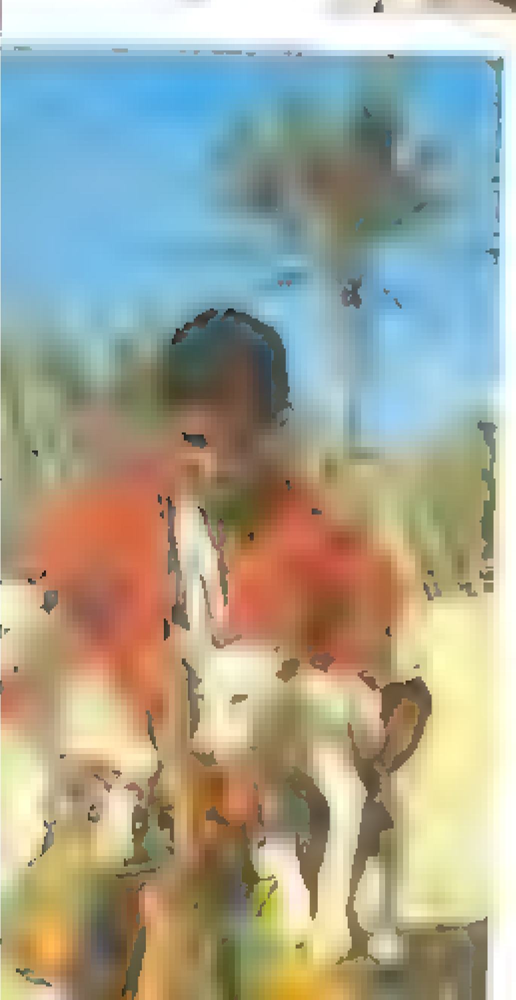
ورغم ان هناك اعتمادا في الميزانية لشق



ظلت هذه السيارة الوحيدة تعمل بنقل الركاب حتى ساقه ومزقت الحرب ، وكأنها كانت تنتظر لتسجل صورتها مع اصحابها في المعهد

ووسيلة المواصلات السائدة في الجزيرة هي السير على الاقدام وعلى الجمال والحمير .. وكان الجنود البريطانيون قد مدوا حتى بعض الطرق اثناء وجودهم في الجزيرة ، ما زالت الارض باقية مثل الطريق من الدار الى قلنسية .. كما وضعت هيئة الامم بالمساهمة في مد طريق من القطر الى حديبو ، ولكن لم يتم شيء بعد .. وفي عهد المحافظ السابق سكيب محمد سماعيل مهد طريقا من حديبو حتى منطقة ... والامن كبير في الكمية حتى منطقة موحد في اصعب الطرق المرتفعة







وظائف ٤١ مدرسا ومدرسة ، الا انه لا يوجد الا ١٢ منهم فقط في كل الجزيرة !

اما مباني المدارس ، فهي اكاد تشبه حظائر الحيوانات ، وخاصة مبنى مدرسة مدينةقشنة، ثانية مدن سقطرى ..

سقطرى هبة من الله المهريين

لقد ظلت الجزيرة تعاني الامرين من الاهمال والفوضى .. اهمال سلطان ضعيف هزيل جاهل حكم البلاد باسلوب بدائي فلم يطورها ولم يتطور .. فظل من طلعده ، واصبح مواطنا عاديا ..

اما جده السلطان عمرو بن سعد سلطان قشن، الذي جاءه الكابتن هيسي البريطاني عام ١٨٣٥ حاملا معه مبلغ عشرة آلاف ريال نمساوي يريد بها شراء جزيرة سقطرى ، لتحولها الى محطة ضخمة لتموين السفن ، فكان موقفه اكثر شمما ، اذ اجاب

اشترى احد تجار قشنة هذا الجرار لزراعة ارضه ونقله السفينة الكبيرة من عدن الى قشنة وبقيت مسافة المائة متر التي تفصل بين مكان وقوف ... واستعين ... للمساعدة في انزال الجرار .. ولكن لكثرة جهله غرق في ... ولكن الماء المالح اعطب ... اصلاحها ... في وسط المدينة ، تتساءل متى يكون لسقطرى ... عليه ...



غاضبا على عرض الكابتن بقوله : « وحق ايماني الراسخ بان هناك الها واحدا موجودا في الجنة ؛ كذلك لن اتخلى عن ذرة من ارض سقطرى » ورفع يده مؤكدا قوله بطرف اصبعه .. وتابع السلطان كلامه قائلا : « ان سقطرى هبة من الله المهريين اورثها الاجداد الى الابناء الذين الى سلطانهم .. وهاها .. » ..

لعنة سقطرى ..

ولكن الوداع كان على موعد .. فقد عاد الانجليز على راس قوات هندية احتلت الجزيرة عام ١٨٣٥ فحلت عليهم لعنة سقطرى ، اذ هبت عواصف هوجاء على الجزيرة ، اغرقت الزوارق بما تحمل من جنود ، وانتشرت الحمى بين القوات الباقية ، فغالت معظمهم حتى انه لم يكن هناك من يملك القوة الكافية ليحفر قبرا لنفسه او لزملائه .

ولم يبق لبريطانيا الا ان تهجر الجزيرة مكتفية بمعاهدة مع السلطان .. اذ كان كل همها الا تخضع الجزيرة لطرف آخر .. فتركتها منطقة مهملة مناخرة ، وكانها قطعة من العصر الحجري تعيش في القرن العشرين !!

ولكنها فتحتها امامهم النباتات والطيور وطبقات الارض ، فجاءوا يجرون دراساتهم على حياة الجماد قبل حياة الانسان !!

نوجد ستصبح قلب سقطرى

وقررنا مغادرة حديبو الى المنطقة الجنوبية .. منطقة نوجد .. المسافة ٢٢ ميلا قطعناها في اربعة ايام مع لياليها متسلقين الجبال وغائصين في الوحل .. انها رحلة عبر بادية سقطرى التي سنعود اليها في استطلاع قادم مستقل ان شاء الله .

ووصلنا نوجد (انظر الخريطة) فاذا ارض صحراوية على مدى البصر ، مساحتها ٢٠ الف فدان .. دخان الحرائق يرتفع من كل مكان فيها .. انها النيران تلتهم الاعشاب البرية ، لتبدأ مكانها الزراعة على نطاق واسع لاول مرة في تاريخ الجزيرة ..

وجلسنا في استراحة الزراعة بنوجد نتبادل الحديث مع السيد محمد عوض باعامر مدير وزارة الزراعة الذي قال : « بعد سنتين سينتقل مركز الثقل من شمال الجزيرة الى جنوبها ... الى نوجد التي ستصبح قلب سقطرى النابض .. هنا سنزرع الطعام ... الذرة والدخن في الاول ، لان السكان يفضلونهما على غيرهما .. ولكننا سنزرع

لهم كل شيء مستقبلا .. سنحاول ان نمنع المجاعة عن سقطري .. لا بد ان يأخذ السكان اكلهم من ارض جزيرتهم .. ان الاسماك متوافر صيدها بكثرة والماء متوافر بغزارة .. والارض صالحة للزراعة - ومحمية من الاعاصير والانواء لهذا لا يوجد اي سبب يمنع زراعتها ..

« اما لتدريب ابناء سقطرى على الزراعة ، فقد بدأنا بنقل مجموعة منهم الى عدن لتدريبهم في مزارع هناك . » .

وتركنا يوجد وعدنا الى حديبو عبر الوديان من الجهة الشرقية ، حيث احتمالات وجود النفط كبيرة ، كما قال الخبراء الصينيون ..

مع احفاد ابن ماجد !

كان الارهاق قد اخذ منا ماخذه ، فلم نحفل بقرع الطبول بل رحنا في سبات عميق حتى صباح اليوم التالي ..

واتجهنا مباشرة الى سفينة اليوم الخشبية لتنقلنا الى قلنسية ، المدينة الثانية .. وكانت الرحلة البحرية من اطرف الرحلات وامرحها ، قضينا ست ساعات فوق ذلك العالم العائم على سطح البحر .. النوخذا (القبطان) حليق الراس يدير دفة المركب بقدمه ، ويعطي اوامره لصاحب المركب حتى يدير الموتور .. انه من احفاد ابن ماجد بارع مثله ، يعرف شواطيء ورياح الخليج العربي وخليج عمان وجنوب الجزيرة العربية وموانيء افريقيامثلما تعرف انت شوارع بلدتك!.

سمك .. وتمر

والقى احد البحارة بالسنارة في الماء ، وما هي الا بضع دقائق حتى كانت سمكة كبيرة مائلة ترفع بالخطاطيف الى داخل المركب بين فرحنا .. وفي الحال نزل عليها البحار بالسكين يلمحها ويبقر بطنها لاخراج احشائها .. والقى بالسنارة مرة ثانية ، وما هي الا دقائق حتى اخرجوا سمكة اكبر من الاولى ، عالجوها بنفس الطريقة ..

وفي ركن خاص في وسط المركب بدأوا في اشعال الحطب ووضعوا فوقه قدرا مملوءا بماء البحر ، وعندما بدأ الماء يغلي القوا بقطع السمك داخله ..

وتذكرت حالنا في المنزل عندما نطبخ السمكة الطازجة ، نضع معها العديد من قطع الليمون وعيدان القرفة وحب الهال والبصل .. وبعدها يعطر المنزل النزيل رائحة السمك !

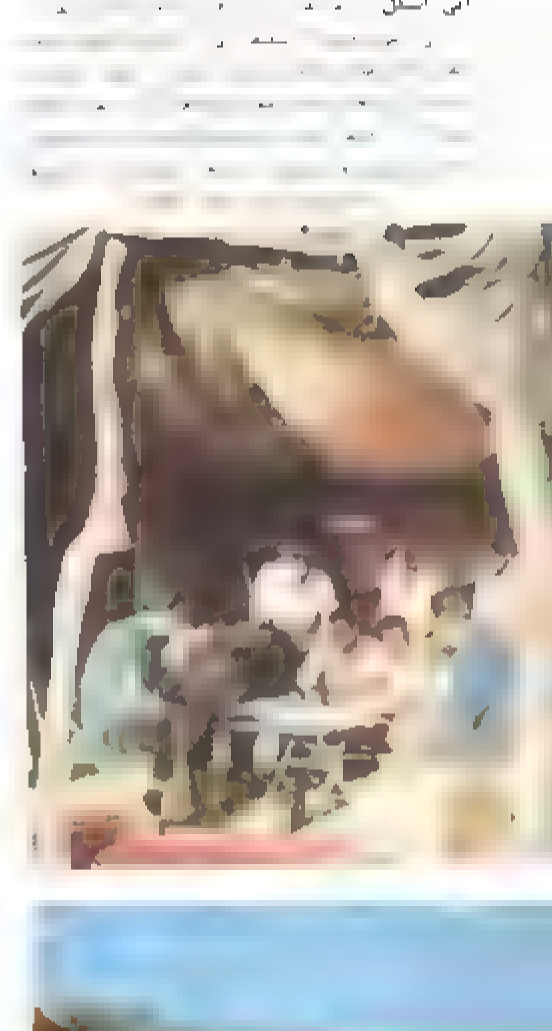


اقدم الاثواب وجلباب في منازل حديبو .. ويصنعونها من جذوع شجرة النخل ، وتقوم المرأة بنسج « الشملة » السجادة الرقيقة . طولها ٦ اقدام وعرضها قدم ، من صوف الغنم والماعز الابيض والاسود ، ولكنها تزركشها باللون الاحمر في الوسط .. ويمتنّ اهل عدن ... على شراء السلة بمتوسط ٢٠٠٠ قطعة سنويا ، مما [illegible]

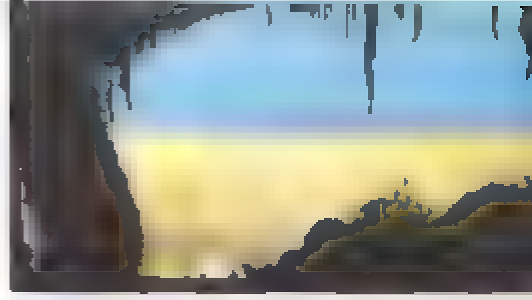
اما هنا فلم يكن احد عنده الوقت الكافي لهذا الكلام الفارغ .. وبعد ان نضج السمك اخرجه البحار من القدر المغلي ، ووضعه في صينية كبيرة .. ومن قاع المركب جلب كمية من التمر ، وضعها بجانب السمك المسلوق وقدمه لنا .. فاكلنا سمكا وتمرا حتى شبعنا ، وكانت وجبة طيبة وسمكا لم نذق اشهى منه .. !

اسمها اكبر من مساحتها !

واخيرا وصلنا قلنسية .. المدينة الثانية .. اسمها اكبر من مساحتها ! .. فعدد « منازلها »







لا يزيد عن ٢٠٠ منزل .. ليس فيها كهرباء ولا طرقات .. ولكنها مع ذلك اكثر تقدما من حديبو ، لانها تقع في طرف الجزيرة الغربي ، وهذا يجعلها محطة للمراكب المتجهة من الخليج الى افريقيا ..

وتشتهر قلنسية بانها مقبرة سمك القرش .. والعجيب انها تقتات الديبة من الصباح الى المساء .. يخرجون في منتصف الليل على ظهر « الهورى » وكل مركب شخصان ، ينطلق المركب الى المياه العميقة ، ويرمي الصياد خيطا طويلا تتدلى منه ٢٠ سنارة كبيرة ويربط الخيط بالمركب وينام .. وعندما يشعر الصياد بالهورى يتحرك يعلم ان السنارة قد امسكت بسمك القرش .. فيطعنه بالحربة حتى يموت ، ويحمله المركب اذا كان صغيرا ، واذا كان كبيرا ربطه بالهورى وعاد به الى الشاطىء قبل يوم ظهرا ..

الزعانف اغلى من اللحم

ويحمل الصيادان صيدهما الى « الشرحة » يفصلان رأسه عن جسمه ، ينزعان الزعنفة من ظهره .. ان ثمن الزعنفة والذيل اغلى من ثمن اللحم نفسه !! وينزع الكبد والاحشاء .. ويغسل اللحم ويضع فيه ملحا ويتركه تحت اشعة الشمس على الشاطىء لفترة ١٠ ايام حتى يجف ..

اما الكبد فيغلونه في اناء مستخرجين منه الدهن يجمعونه ويبيعونه لصناع السفن الخشبية الذين يستعملونه طلاء لسفنهم .. وقديما كان الذي نقطع يده يضعون بقيتها في هذا الزيت لوقف النزيف !

ومما يذكر ان قلنسية تصدر سنويا ما يقرب من خمسين الف قطعة « لخم » مجففة للدول الافريقية والهند .. تصدرها ولا تأخذ ثمنها مالا .. وانما مقايضة بالارز (الفصلي) والهندي (اى الذرة الرفيعة) وغيرهما من ضروريات الحياة..

سقطرى لم تر طبيبا منذ سنة

ودخلنا مستوصف قلنسية ، وشاهدنا فضل العاج ، المساعد الصحي يعالج الملاريا والانفلونزا والاسهال والسل الرئوى والتراخوما وشلل الاطفال ويخلع الاسنان .. كل هذا حسب نظره وتقديره .. يحكم على المرض دون ان يكون عنده مختبر او اى استعداد للعلاج !

لقد مضى على « فضل » سنتان دون ان يأخذ اجازة ، فانتهز فرصة سفرنا وقرر ان يسافر معنا على نفس الباخرة الى عدن .. وهكذا سيبقى سكان قلنسية وضواحيها بدون مساعد صحي حتى يعود فضل من اجازته السنوية ..

وقلنسية تعتبر سعيدة لان عندها مساعدا صحيا ، اما البادية في الداخل فليس فيها اى اثر للطبيب .. ومما يذكر انه قد مضى عام باكمله لم تطأ فيها قدم طبيب ارض سقطرى .. وما من شك ان وزارة الصحة في عدن تقوم بجهود طيبة جدا لزيادة الصداقة مع شعوب العالم اجمع !!!

شر البلية ..

وقبل ان نترك « الدهشة » سألنا المسئول الحكومى عن مشاكل قلنسية فاجابنا متعجبا :

« لا توجد مشاكل .. كل شيء ممتاز .. »

وكنا نعرفه ، فعدنا نسأله : « لماذا لا تعلقون مصباح جاز عند نواصي الشوارع والطرق .. بدلا من الظلام الدامس الذى يلف المدينة .. » ..

فاجابنا بسرعة : « نحن نعتقد ان نور القمر افضل من نور مصباح الجاز !!! » .

قلنا : « ولكن عندما يختفي ضوء القمر يصبح ضوء المصباح ضروريا ، اليس كذلك ؟ »

فاحتار المسئول وضحك .. فقد اعتبرها نكتة !!!!

وضحكنا معه .. فشر البلية ما يضحك !

ان مشكلة جزيرة سقطرى لم تعد تكمن في تأخرها فقط ، وانما اصبحت في الدرجة الاولى في تأخر المسئولين عنها وتطويرها واهمالها وتدهورها ..

★ ★ ★

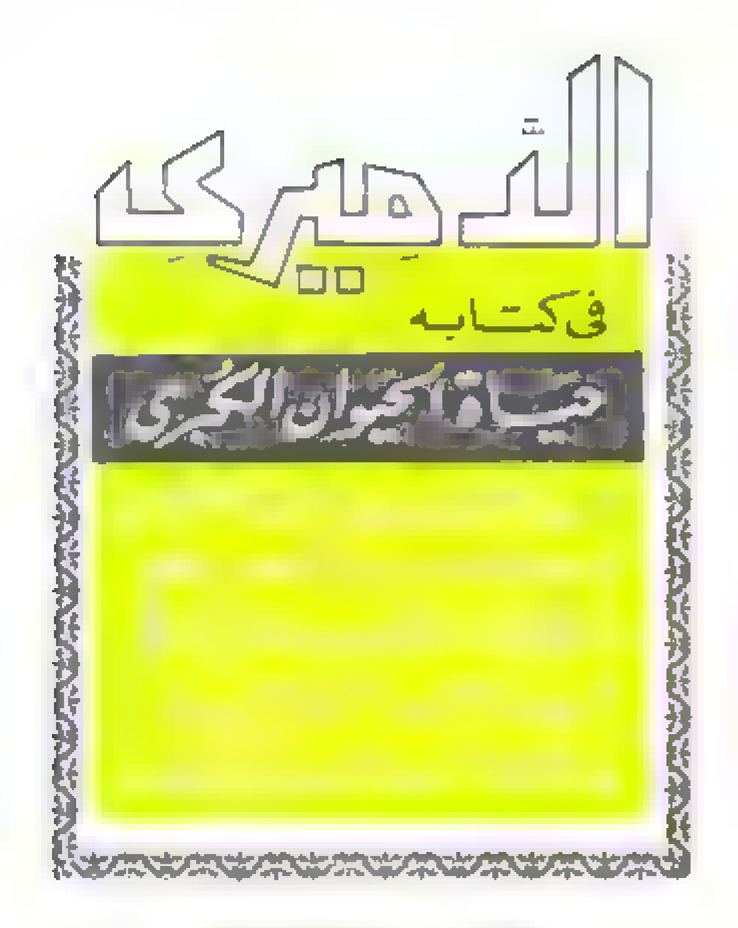
ومع الغروب انطلقت السفينة من قلنسية .. وبدات عملية صيد الاسماك من جديد .. وكان غذاؤنا سمكا وتمرا مرة ثانية .. وبدانا نبحث عن مكان للنوم ، كانت السفينة خالية من كل حيز يصلح لهذا الغرض ، اما البحارة فرايناهم ينامون في ركن صغير .. يضعون رؤسهم على صخرة وينامون ، وكانهم مستريحون على وسائد من الريش!!!

وكان التعب قد اخذ منا ماخذه ، فنام بعضنا حول بعض ، دون ان ندرى كيف واين نمنا ؟

فالى الغد .. الى صباح يوم جديد في عهد جديد ، تنقل لكم فيه صفحة اخرى ، وما اكثر الصفحات التي سجلناها لهذه الحياة الغريبة في جزيرة سقطرى .. جزيرة اللبان والصبر والسعادة وسمك القرش !!

■

سليم زبال



بقلم : عبد الستار فراج

■ دميرة – بفتح الدال وكسر الميم – على وزن سفينة ، كما يقول صاحب القاموس في مادة (دمر) بلدة من أعمال السمنودية والسمنودية الآن هي بعض بلاد محافظة الدقهلية بمصر نسبة الى سمنود .

ودميرة أشهر منها علماء ذكر بعض منهم في تاج العروس .

ذكر السخاوي ... في ... الضوء اللامع .

أشهر رجال دميرة

لكن أشهر من نبغ منهم وكانت له آثار وذكر حميد هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي وكنيته أبو البقاء ، ولقبه الكمال . أصله من دميرة ، أما ولادته فكانت بالقاهرة . وهو صاحب كتابنا هذا ، كتاب حياة الحيوان الكبرى

يقول السخاوي في الضوء اللامع عنه « الدميري الأصل ، القاهري » ويقول أيضا « كان اسمه كمالا ، بغير اضافة – أي لا يقال له كمال الدين » – وكان يكتبه كذلك بخطه في كتبه ، ثم تسمى محمدا ، وصار يكشط الأول »

ولد في أوائل سنة ٧٤٢ هجرية تقريبا بالقاهرة ونشأ بها

كان خياطا ورحل في طلب العلم

وتكسب في اول امره بصناعة هي الخياطة ، ثم اقبل على العلم فتفقه بمذهب الإمام الشافعي ، وجعل يأخذ ذلك من كبار العلماء في عهده ، مثل احمد بن التقي السبكي ، والجمال الأسنوي .. كما أخذ الادب وعلوم العربية من كبار رجالها .

ولم يقتصر في ذلك على من كان بالقاهرة ، بل رحل الى مكة والمدينة ، وتلقى من علمائهما ، وروى الحديث من كتب الحديث المشهورة ، مسندا على الائمة ، وكان بارعا في تفسير القرآن .

وتصدر التدريس والتأليف

ثم تصدر للتدريس والافتاء ، فانتفع به الناس وشرع في التأليف والشرح في الفقه والحديث ، وكانت له في ذلك مؤلفات . ولكن اهم ما اشتهر به هو كتابه « حياة الحيوان » فاذا قلت : قال الدميري ، انصرف الذهن الى كتابه حياة الحيوان ، واذا قلت قرأت في كتاب « حياة الحيوان » كذا ، جرى ذهنك الى صاحبه الدميري .

أشهر العلماء تلقوا عنه

وفي القاهرة مدارس بأماكن ، منها الأزهر ، كانت له فيه حلقة يوم السبت . ومنها القبة البيبرسية ، كان يدرس فيها الحديث ، يقول السخاوي في « الضوء اللامع » : وكنت احضر عنده فيها . وكان يوم الجمعة غالبا يذكّر الناس (أي يعظهم) بمدرسة البقري داخل باب النصر ، وبعد عصر الجمعة يدرس بجامع الظاهر في الحسينية .

وفي مكة اقام سنين متفرقة وكان أول قدومه لها في موسم سنة ٧٦٢ هـ وفي مكة تزوج فاطمة بنت يحيى بن عياد الصنهاجي ، وولدت له أم حبيبة وأم سلمة وعبد الرحمن .

ولقد صحبه المقريزي المؤرخ المشهور ، ويقول عنه : « صحبته سنين ، وحضرت مجلس وعظه مرارا لاعجابي به ، وانسي والفتي ، وكنت احبه ويحبني في الله ، لسمته وحسن هديه وجميل طريقته ومداومته على العبادة » .

ويقول عنه الحافظ ابن حجر : مهر في الفقه والأدب والحديث ، وشارك في الفنون ، ودرس للمحدثين بقبة بيبرس ، وفي عدة أماكن ، ووعظ وافاد وخطب فأجاد ، وكان له حظ من العبادة تلاوة وصياما ومجاورة بالحرمين .. سمعت من فوائده ومن نظمه ، واجتمعت به مرارا ، وكنت احبه لسمته ..

واورد له السخاوي بيتين من النظم تبدو فيهما طريقة الوعاظ الفقهاء

بمكارم الأخلاق كُن متخلقاً
ليفوح مسك ثنائك العطر الشذي
واصدق حديثك إن صدقت صداقة
وادفع عدوك بالتي فإذا الذي

يريد قوله تعالى :

« ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

واستقر بوطنه وفيه توفي

وكان يتردد بين القاهرة ومكة في اعوام مختلفة ، واخر قدوم له الى مكة كان سنة ٧٩٩ هـ ثم تركها في آخر سنة ثمانمائة او في اول سنة ٨٠١ وعاد الى القاهرة ، واستقر بقية عمره ، حتى توفي رحمه الله في الثالث من جمادى الأولى سنة ثماني وثمانمائة (٨٠٨) ودفن بمقابر الصوفية . ذلك أنه كان في التقوى بالغ الشأو من عبادة وتلاوة وصيام وقيام ومجاورة بمكة والمدينة ، وله الأذكار يواظب عليها ، وعنده خشوع وخشية وبكاء عند ذكر الله .

ويذكر السخاوي ان ابنتيه تزوجتا بأخوين عالمين ، وانهما انجبتا منهما ، أما ابنه عبد الرحمن فلم يذكر لنا عنه في ترجمة ابيه شيئا .

القارئون كثيرون ولكن ..

وكثيرون اولئك الذين يقرءون كتبا لا تحصى ، فتزكو لديهم المعلومات ، وتتشعب امامهم المعارف ، ثم يكتفي اكثرهم بما قرءوا والقليلون منهم يتخذون لهم طريقا يسلكونه ومنهجا ينتهجونه ليصلوا الى معين فياض ، حيث تتفجر منهم ينابيع من الروافد

التي أمدتهم ، وتزهو منهم زهرات وازكو ثمرات مما تشربته افكارهم ، وتلقحت به عقولهم .

وكتب السابقين فيها اشتات من معلومات ، وخليط من ثقافات ، يوردونها لأدنى ملابسة . ويستطيع من يلزم نفسه بسعي ان يضم كل نظير الى نظيره ، وكل موضوع الى شبيهه ، فيخرج من جولته خلال رحابها ومتاهاتها بما يكون مصدر العالم ، ومرشدا لمن يبغون موضوعا معينا واضح القسمات .

والدميري كما قلنا فقيه من كبار الفقهاء ، ومن رجال الحديث الواسعي الرواية ، ومن علماء تفسير القرآن . ومن الزهاد الاتقياء ، ومن المكثرين الاطلاع في كتب الادب والتاريخ .

حياة الحيوان ومنهجه

ومع هذا قد الف كتابه « حياة الحيوان » حسب منهج سليم ، فحشد نفسه لا اختطه من طريقة هي غاية في التنظيم وغاية في رعاية التاليف الجيد .

والحيوان يشمل كل ذى روح من انسان ودواب وطير واسماك ، فرتب كل ذلك ترتيبا هجائيه بدءا بما اوله همزة ، فاذا اورد كل ما كان كذلك ، بدا بما اوله باء ، ثم ما اوله تاء ، وهكذا الى ان ينتهي بما اوله ياء .

وهو يعتبر اسم الحيوان جميعه وحدة الوية كاملة ، دون ان يرجعه الى اصله التصريفي ، وذلك ما فعله اصحاب تراجم الاعلام ، واصحاب تراجم الاسماء .

فمثلا « ارنب » يضعه في حرف الهمزة ، اما اصحاب كتب اللغة فيرجعونه الى اصله دون زيادة ، فيضعونه في مادة (رنب) . « والانقد » يضعه في حرف الهمزة ، اما كتب اللغة فتضعه في مادة (نقد) .

التعريف بالحيوانات ووصفها

وهو في عرضه لكل حيوان يبدا بتعريف الحيوان ووصفه حسب ما وصل اليه من معلومات في عهده ، وحسب ما قراه في كتب السابقين . ولسنا لنطالب الدميري اذا طلبنا منه ان يكون بلغ من الدقة ما بلغناه اليوم ، لكنه لم يقصر في وصفه ، ولم يترك الاستقصاء فيما يورده . ولا ينسى التعريف اللغوى للفظ الحيوان ، جامعا معه كل ما يتصل بلفظه من معان ، يعتمد في كل ذلك على ما جاء في كتب اللغة .

حكم اكله والأمثال التي ورد فيها اسمه وخواصه

ثم يأتي بحكم اكل هذا الحيوان ، هل هو محرم او حلال او مكروه ، ويفصل في ذلك اقوال الفقهاء ، وقد ينتقل في بعض الاحيان آراء المدرسين والمحدثين .

ويتلو ذلك ان يذكر ما قيل فيه من امثال عربية ان كان قد قيل فيه او عرض اسمه في مثل من الامثال ، ويوضح المثل ومضاربه ومورده ، ثم يذكر بعد ذلك خواصه ، والمنافع التي تجلبها اجزاؤه ، معتمدا على ما كان يحكى في عهده ، وما تناقله غيره من السابقين .

رؤية الحيوان في المنام

وقد تكون رايت في منامك رؤيا فيها شيء من هذه الحيوانات ، فيفسر معنى رؤية هذا الحيوان في اوضاعه المختلفة ، ناقلا بالطبع كل هذا من كتب تفسير الاحلام . ويضع هذه التفسيرات تحت العنوان التابع لكل حيوان ، والعنوان هو « التعبير » اخذا ذلك اللفظ من قوله تعالى « ان كنتم للرؤيا تعبرون » يقال عبر الرؤيا اى فسرها .

قدرة في التجميع واستيعاب

قد يخيل لبعض القراء ان هذه الامور المتصلة فيها بعض اليسر ، لكنها في الحق صعبة المرتقى ، شاقة التحصيل ، لانها لا تكون الا من اطلاع واسع ، وتنظيم دقيق ، ومعرفة بمظان البحث ، ثم عمل بطاقات او اوراق مستقلة لكل ما يقتبس من الكتب ، ثم ترتيب ذلك والحاقه بموضوعه . ولئن اثنينا الآن على اصحاب الفهارس ، واثنينا على الطريقة المنهجية البارعة التي يسير فيها المستشرقون في دراساتهم للكتب العربية ، واستخلاصهم لا تاثر فيها من اشتات ، فان

الدميري في كتابه « حياة الحيوان » سبق لوقائه نحسن ما ركتب ونظم واستخلص وجمع ، في عصور كانت خالية من اكثر وسائل الراحة الميسرة لنا الآن .

ان الأمر الذي بلغ فيه الدميري الغاية في القدرة ، والنهاية في الابداع ، هو ما يورده في ترجمة كل حيوان ، مما يمر به من ذكر في آية قرآنية ، او حديث نبوي ، او حكمة ومثل ، او نثر ادبي ، او في حادثة تاريخية ، وقصة مرويّة ، انك لتعجب كيف استخلص هذه المعلومات من امثات الكتب ، في عصور لم تكن لكتبها الصغيرة او الضخمة فهارس .

كتب لا تحصى ينقل عنها

انما نتقدر الكاتب الذي يستحضر في موضوع واحد كلّ ما يدور حوله ، فكيف بمن يستحضر لاكثر من سبعمائة حيوان كلّ ما جاء في الكتب التي ألفت قبله ، مما استطاع الوصول اليه ، الى جانب ما تلقاه بالرواية من شيوخه .

لو احصينا ما يذكره من كتب نقل عنها ومعظمها في عدة اجزاء ضخمة ، لعرفنا مقدار ما كان عليه الدميري من ذكاء ، ومن تنظيم دقيق ومن حشد لقواه الفكرية في استحضار ما يتصل بموضوعه المتشعب الاطراف .

القرآن الكريم وتفسيره ، كتفسير الزمخشري وتفسير الثعلبي وغيرهما .

وكتب الحديث ، كالبخاري ومسلم ، وسنن الترمذي والنسائي وابي داود وابن ماجه ، ومسند الامام احمد ، ومسند ابي يعلى والطبراني والنهاية لابن الاثير .

وكتب الأدب كالأمالي للقالي والكامل للمبرد .

وكتب التاريخ ، كتاريخ بغداد ، والكامل لابن الاثير ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وحلية الأولياء لأبي نعيم .

وكتب الطرائف ، كالفرج بعد الشدة للتنوخي والأذكياء لابن الجوزي .

وكتب التصوف والزهد ، كاحياء علوم الدين للغزالي ، ومراج البحرين لابن عربي ، والترغيب والترهيب للحافظ المنذري ، وسراج الملوك للطرطوشي .

هذا الى جانب كتب اللغة وما يتصل بها

تراجم ونصوص

ولا يقصر في ترجمته الكثير من رجال التاريخ ، حاكمين وعلماء وادباء وشعراء ، متحليا كتابه بمستطرف ما قالوه ، وقد يأتي ببعض القصائد الطوال النادرة ، مثل قصيدة ابي الفتح البستي التي بلغت ٥٦ بيتا ، والتي مطلعها

زيادةُ المرءِ في دنياه نقصانُ
وربحُه غيرَ محضِ الخيرِ خسرانُ

هكذا ذكر اولها والذي انا احفظ مطلعها كما يأتي .

زيادة المرء في دنياه نقصان
فلا يغرر بطيب العيش إنسان

وعلى اي الروايتين فانها كلها حكم رائعة ، تجري على السنة المتمثلين .

أحسِنْ إلى الناس تستعبدْ قلوبَهمُ
فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وكُنْ على الدهر معواناً لذي أملٍ
يرجو نداك فإن الحرَّ معوانُ

مَن جاد بالمال مالَ الناسُ قاطبةً
إليه والمالُ للإنسان فتّانُ

ومنها :

أقبِلْ على النفس واستكمِلْ فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

ومنها :

مَن يزرع الشرَّ يحصدْ في عواقبه
ندامةً ولحصدِ الزرعِ إبّانُ

مَن استنام إلى الأشرار نام وفي
قميصه منهمُ صِلٌّ وثعبانُ

مَن سالَمَ الناسَ يَسلمْ من غَوائلهمْ
وعاشَ وهو قريرُ العينِ جذلانُ

ومنها :

لا تحسَبنَّ سروراً دائماً أبداً
مَن سرَّهُ زمنٌ ساءتهُ أزمانُ
يا ظالماً فرِحاً بالعزِّ ساعدَهُ
إنْ كنتَ في سِنةٍ فالدهرُ يقظانُ

ومثل قصيدة ابن الانبارى في رثاء ابى طاهر بن بقية حين صلب

عُلوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ
لحقٌّ أنتَ إحدى المعجزاتِ

ومثل قصيدة الفرزدق في الامام زين العابدين التي مطلعها .

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتَهُ
والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحرمُ

لكنه قد ينقل ما كان خطأ

على ان ما يورده من المسائل التاريخية ، قد يكون بعضه من كتب غير موثوقة في اخبارها ، وربما كانت من كتب ادبية مختلفة غير دقيقة ، فينقل ذلك دون تمحيص .

فمثلاً يروى قصة يجمع فيها بين الاصمعي والرقاشي وابي نواس في خلافة المستعين ، والثلاثة لا شك كانوا متعاصرين ، لكنهم لم يعيشوا الى خلافة المستعين .

مثل مما يعرضه

وهذا مثل مما يعرضه رأيت فيه بعض الاختصار ، مبرزا اسماء الكتب التي مرت في هذا المثال : « الجمل : الذكر من الابل ، قال الفراء . هو زوجُ الناقة ، وكذا قال ابن مسعود لما سئل عن الجمل ، كأنه استجهلُ مَن سأله عما يعرفه الناس جميعا ، وجمع الجمل جمال وأجمال وجمالاتٌ وجمائل .. » .

قال اكثر المفسرين ... قال ابن الاثير ... وذكر ابن خلكان ... وروى الحاكم ...

واما قول الشاعر .

شكا إليّ جملي طولَ السُّرى
جملي ليس إلى المشتكى
صبراً جميلاً فكلانا مبتلى

فمعلوم ان الجمل لا ينطق ، وانما اراد التجوز ومماثلة الكلام بمثله ، كقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

وكقول عمرو بن كلثوم

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا
فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

وكقول الاخر

ولي فرسٌ للحلمِ بالحلمِ ملجمٌ
ولي فرسٌ للجهلِ بالجهلِ مسرجُ
فمن رامَ تقويمي فإني مقوَّمٌ
ومن رامَ تعويجي فإني معوَّجُ

يريد : الاول الجاهل والمعوج ، الا انه امتدح بالجهل والاعوجاج .

واما قوله تعالى « حتى يلج الجمل في سم الخياط » فالمراد به الحيوان المعروف ....

وقرأ ابن عباس ومجاهد « الجمّل » بضم الجيم وتشديد الميم « وفسر بحبل السفينة الغليظ » .....

وكنية الجمل ابو ايوب وابو صفوان .

وفي حديث ام زرع « زوجي لحم جمل غث ، على رأس جبل وعر » .

وفي سنن ابي داود ...

وروى ابو داود والترمذي وابن ماجه ..

وروى الامام احمد وابو داود والنسائي ..

وروى البخاري ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي ...

وفي كتاب ابن حبان من حديث حماد بن سلمة ...

قال السهيلي ...

وفي مسند الامام احمد والحاكم ...

وروى الطبراني عن جابر ...

وحكى القشيري في رسالته وابن الجوزي في شرح الكرام السالك . .

الامثال : قالوا « الجعل من جوانبه يتحترّ » يضرب لمن يأكل من كسبه او ينتفع بشيء يجود عليه منه غيره . وقالوا « اختلف من بول الجعل » وهو من الخلف لا من الخلاف ، لانه يبول الى خلفه . وقالوا « وضع القوم في سلا جمل » .

وقالوا « التمر في البئر وعلى ظهر الجمل » واصله ان منادياً كان في الجاهلية يصعد على أطم من آطام المدينة حين يدرك التمر وينادي بذلك . اي من سقى هذه البئر على ظهر الجمل بالسانية وجد عاقبة سقيه في تمره . وهذا قريب من قولهم « عند الصباح يحمد القوم السرى » وقريب من قول الشاعر :

> إذا أنتَ لم تزرع وأبصرتَ حاصداً
> ندمتَ على التفريط في زمن الزرعِ

وقول الآخر :

> تسألني أمّ الوليد جملا
> يمشي رويداً ويكون أولا

يضرب في طلب ملا يكون . هذا لفظ ذكر البيت كله ، واما قولهم « يمشي رويدا ويكون اولا » فيضرب للرجل يدرك حاجته في تؤدة وتدعثر . واما قولهم « لا ناقتي فيها ولا جملي » فسيأتي ان شاء الله تعالى في باب النون في الكلام على الناقة .

(التعبير) . الجمل في المنام حجّ ... ه .

انما مجد ثروة كبيرة في الجمع ، واسعة الكثير من المؤلفات ، استخلص منها ما يناسب موضوعه الذي يتحدث عنه .

طرفة

ومن طريف ما يرويه عند الكلام على (ماجن) يذكر دُجين بن ثابت اليربوعي ، وانه هو الذي لقب « جحا » وانه كان احمق ، ثم اورد من حمقه هذه الطرفة .

ان جحا خرج يوما بكنكرم ، فعثر في دهليز منزله بقتيل ، فالقاه في بئر هناك ، فعلم به ابوه ، فاخرجه ودفنه . ثم خنق كبشا والقاه في البئر . ثم ان اهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه ، فتلقاهم جحا وقال : في دارنا رجل قتيل ، فانظروا لعله صاحبكم ، فعدوا الى منزله ، فانزلوه في البئر ، فلما راى الكبش ناداهم : هل كان لصاحبكم قرون ؟ فضحكوا منه وانصرفوا .

مخطوطات الكتاب وطبعات كثيرة

لقد لقي كتاب حياة الحيوان للدميري رواجا بين عامة الشعب ، وطبع عدة طبعات اغلبها على ورق اصفر وفيه كثير من الخطأ الطبعي وللكتاب عدة نسخ خطية مما يدل على انه كان ايضا مرغوبا فيه من قديم ، ويبدو ان اول طبعة له كانت في مطبعة بولاق بالقاهرة سنة ١٢٧٤ هـ اي منذ اكثر من مائة عام ، وتوالى طبعه . فمن طبعه : مطبعة محمد شاهين ، والطبعة الشرفية ، والطبعة الكستلية والطبعة الميمنية ، والطبعة الخيرية .

ومن هذه الطبعات ما كان سنة ١٢٧٨ و ١٢٨٥ و ١٢٩٢ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ ، ١٣٠٩ ، ١٣١١ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٩ هجرية وما زال يطبع في الاعوام المتوالية تارة بهامشه كتاب عجائب المخلوقات للقزويني وتارة يلحق بنهايته كتاب « عجائب المخلوقات » وقد اختصر ايضا اختصارا مخلا .

وفي مكتبة الازهر كتاب مخطوط اسمه حياة الحيوان الصغرى للدميري ايضا ، ويبدو انه اختصره من كتابه السائر بين الناس وهو « حياة الحيوان الكبرى » الذي نتحدث عنه في مقالنا هذا

فيه زيادة ليست منه

وقد اقحم على الكتاب بعض ما لم يقله هو ، ففي ترجمة (الاوز) تناول التاريخ من اول ابي بكر رضي الله عنه ومن تلاه ، في اكثر من خمسين صفحة من القطع الكبير الذي فيه حوالي ٣٥ سطرا ويبدو ان بعض الناشرين للكتاب قديما اضاف اليه زيادات ليست له ، ذلك ان الدميري مات في

سنة ٨٠٨ هـ في خلافة المتوكل على الله العباسي لكن القارىء القديم اضاف هوامش فيها ترجمة وتاريخ لمن جاء بعد المتوكل على الله ، حتى وصل الى الدولة العثمانية فبلغ الى عهد السلطان مراد ابن السلطان سليم ، ثم جاء الناسخون واقحموا كل هذا فصيروه من كتاب حياة الحيوان .

والسلطان مراد الثالث بن سليم بن سليمان حكم من سنة ٩٨٢ هجرية الى سنة ١٠٠٣ .

وبالكتاب خرافات وخيالات

وامر آخر يهمنا التنبيه اليه ، ذلك ان المؤلف كان ينقل من الكتب المختلفة حتى ما جاء فيها من خيالات وخرافات ، ويحكي كل ما ينقل ، ويضيف الى ذلك ما ينقل من الاعجبة والتعاويذ والفوائد والخواص ، مما كان يذكر في كثير تروج بين العامة معتقدين صحة ما فيها من ادوية وعقاقير واحجبة وتعاويذ .

ونحن اذ نقرأ كتابه نأخذ ما به من علم وادب وتاريخ ، ونجتنب ما لا يضر ولا يفيد ..

من ذلك مثلا قوله من خواص (المرزون) « قال ارسطو من اطلى بشحم المرزون والقى نفسه على التمساح لم يضره التمساح ، واذا شم رائحته نفر وانقلب على ظهره » وبالطبع لن نجد انسانا يحاول ان يقوم بهذه التجربة ويعرض نفسه للتمساح ليتحقق من صحة هذه الفائدة .

ومن ذلك ايضا قوله من خواص (الحلزون) « قال ابن سينا : طلي الجبهة بالحلزون يمنع انصباب المواد في العين » .

وقوله من خواص (الخطاف) « قال ارسطو ان اخذت عين الخطاف وجعلت في خرقة وشددت على سرير فمن صعد على ذلك السرير له ينم ... » .

الى آخر ما ينقله من امثال هذه الامور التي شعت في عهده من عظيم الاطلاع وواسع الثقافات ، وسجلها قبله فلاسفة كبار ، ولا يخلو كتاب « الحيوان » للجاحظ من بعض هذه الامور المتداولة بين المتطببين والزاعمين العلم بخواص كل جزء من اجزاء الحيوانات .

لكنه يتحفنا بالطرائف والزهد

ومهما يكن من ايراده لمثل هذا ، فهو يتحفنا بالطريف الممتع ، والجيد في اسلوبه ، فهو حسن الاختيار ، وكان يميل في كثير مما يورده حسن النثر الى ما يروى في الزهد والتصوف ، الا ان ذلك اقرب الى نفسه التي اتجهت في توسعها الى كتب الفقه والتفسير والحديث والمواعظ والحكم والامثال ، لكنه لم يقصر في استيعاب ما في كتب الادب والتاريخ .

والحق ان قراءة مثل هذه الكتب ، ومعالجة الكثير مما فيها ، جعل اسلوبه سهلا في عرضه لموضوعاته فهو خال من التكلف ، وقد تجنب السجع الذي كان من سيئات عصره ، الا في مقدمته التي تقل عن صفحة ، والا في ختامه حيث ذكر عدة اسطر .

نهاية الكتاب وتاريخه لفراغه من تاليفه

قال في آخر كتابه « وهذا ما انتهى اليه الغرض مما يحصل به في هذا الشأن الاتحاد وختم بخلية النحل الذي اخرج الله من لعابه الشمع والعسل وجعل احدهما ضياء والآخر شفاء ، وابتدئ بملك الوحش الذي عنده الشجاعة للمتقي ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المصطفى ، ورضي الله عن آله وعترته وصحبه اهل الفضل والوفا ، وحسبنا الله وكفى .

قال مؤلفه الفقير الى رحمة الله تعالى : وكان الفراغ من مسودته في شهر رجب الفرد ، سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (٧٧٣ هـ) جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم ، وموجبا للفوز في دار النعيم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » .

لقد ذكرت في اول المقال انه رتب الكتاب ترتيبا الفبائيا ، لكنه خالف في اول اسم وفي آخر اسم ، لنوع من التفاؤل او التخييل الطريف فقد بدأه باسم « الاسد » وختمه باسم « اليعسوب » وقد اشار الى تلك المخالفة ومناسبتها .

انه في الحق وبالنسبة الى عهده والى عهدنا يعتبر من انبل الناس في ترتيبه وتنظيمه . وموسوعته هذه جامعة لعلم وادب وتاريخ ، كثيرة الطرافة ولا تخلو احيانا من بعض الخرافة .

■

عبد الستار احمد فراج

انباء الطب والعلم والاختراع

[illegible]

● الدكاكين اليوم صنوف ، منها الصغير ومنها الكبير . والى عهد قريب كانت كل الدكاكين التي تعرض البضاعة ، تقف عند كل صنف من البضاعة عامل يعرضها على المشتري ، ويرغبه في امر شرائها . ثم استحدثت المحلات الكبرى التي تعرض فيها البضائع بلا رقيب عليه . يمر بها الزبون ، يتفحصها كما يشاء ، ويضع منها ما يعجبه في عربة بيد

[illegible]

عربته في الشراء حرة ، وكل شيء حر محبب . ولكن الخطر من الحرية نابع هنا ايضا ، في تلك الايدي التي تسيء الى الحرية ، وتدخل الى هذه

[illegible]

ولهذه الاسواق في بريطانيا رابطة تعرف برابطة الاسواق المركزية .

وقد قدرت هذه الرابطة مقدار ما خسر اعضاؤها بسبب النشل ، في العام بأكثر من ٣٢ مليون جنيه ، وذلك فيما يخص سرقة الاطعمة وحدها ، اما مجموع الخسارة في شتى البضائع فتربو على ١٠٠ مليون جنيه في العام

ومن هؤلاء اللصوص نشال يحمل

[illegible]

قبل من كثير .

ومن هذا النشل ايضا عندما [illegible] تيار الكهرباء . قال احد اصحاب هذه الاسواق المركزية ، انه ، عندما انقطع تيار الكهرباء ، ظهر [illegible] المركزي ، وكان [illegible] في حالة [illegible] .

وطلب اصحاب هذه الاماكن التجارية من علماء النفس ان ينظروا في اسباب ذلك ، وكيف انه – في زمان زاد فيه الرخاء زيادة ما عرفت بالامس قط ، يكون في الناس كل هؤلاء النشالين حتى ، انهم نسبة [illegible] بين سكان البلاد البالغين ٥٠ مليون نسمة ، ولكن كيف ، ومعظم هؤلاء النشالين ، ليسوا من

[illegible]

الظاهرة لا شك في حاجة الى دراسة ، من الوجهة النفسية البحتة ، ومن وجهة

[illegible]

لسبب ما ، فماذا يكون من امر الامن في البلاد .

[illegible]

النشوق عادة قديمة بدأت تعود

واحد .

ذلك .

ويتم عن طريق الانف ، ويحمل عادة

تعود الى الحياة بعد ذهابها . وقد كانت سائدة والحمق القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر ، وهي ما ماتت تماما .



هذه العادة ، واحياء هذه الصناعة .

الرئة ، وبدأ يحسب الناس أحيانا الاصابة بالسرطان .

عالم السحائر الى عالم ال...

منها يحرص وعناية ودقة ، ثم الاستنشاق على هواده ، كل هذا له

الدخان .

وهو يراجع ، ما تكاد يصح صندوق النشوق حتى يضعه ، وقد صفا ذهنه .

اكبر نيزك
رآه الناس يسقط من السماء

● منذ اكثر من سنتين سقط الى الارض اكبر نيزك رآه الناس يسقط من السماء وينفجر وينقسم الى آلاف من القطع تتناثر كالمطر في وادي ألندي Allende في الشمال الاوسط من المكسيك. وجمع الرجال هناك من هذه القطع التي تناثرت على مساحة من الارض طولها ٣ ميلا، طنين من الحجر، يمثلان اقل من نصف النيزك عندما انفجر.

ووصلت اكبر قطعة وجدوها من القطع التي جمعوها ٢٢٥ رطلا.

وذهب علماء من المؤسسة المشهورة بالعلم، هي مؤسسة سميث سونيان Smithsonian الى تلك الناحية، وجمعوا من هذا الموقع ٣٠ رطلا من تلك القطع، وعادوا الى المؤسسة لدراستها.

ودرسوها هم واربعة آخرون من زملائهم، ونشروا تقريرا يذكرون فيه ان النيزك عندما دخل الى الهواء الجوي دخل بزاوية قليلة، ودخل قطعة متماسكة واحدة، وكانت سرعته عند الدخول ما بين ١١ – ١٨ كيلو مترا في الثانية.

ووجدوا ان النيزك يتألف اكثره من اكسيد الحديد واكسيد المغنزيوم واكسيد السلكون اي السليكا، وبه عدا ذلك آثار بسيطة من عناصر كثيرة اخرى.

التخصص الزائد عاقبته البطالة

● حدث في الولايات المتحدة ان الحكومة خفضت ميزانية الفضاء لهذا العام، وكان من نتيجة ذلك ان كثيرين من العلماء والمهندسين الذين يشتغلون في مشاريع الفضاء اصابتهم البطالة واصبحوا عاطلين.

ولكن حدث ان وزارة العمل والاسكان بالولايات المتحدة اقترحت خطة مؤداها ان تجد عملا لهؤلاء العاطلين من ذوي الاختصاص. فوضعت لمشروع يهدف الى الابقاء على بعض هؤلاء عاملين.

وسيتكلف المشروع مليون ونصف مليون من الدولارات. وسيستخدم ما بين ٤٠٠ الى ٦٠٠ من هؤلاء. فاذا نجح المشروع مد وزيد حتى يستوعب من هؤلاء الرجال ١ ٣٠. وقد بدأوا عملا في المشروع وبدأوا يختارون الرجال.

وطالبو هذا العمل الجديد يجب عليهم ان يحضروا برنامج تحضير يتراوح مدته ما بين ٣ الى ٤٠ يوما في معاهد تربوية. وليس الغرض من هذا هو اعادة تعليمهم، وتغيير تخصصهم، ولكن الغرض تعريفهم باعمال المدن ومشاكلها، ونظام الادارة والحكم فيها. وذلك لانهم بعد ذلك سيتركون عند ادارات المدن لتجد لكل منهم عملا مناسبا.

ممن تعد عمل للقضاء ، يأتون لعمل في المدن .

تعبر في الاختصاص ، قد يكبر وقد يصغر .

ولكن ، هكذا حال المدينة الكبيرة التي نعيش فيها . الكثير تهدده البطالة والبطالة اقسى على ذي التخصص الضيق لان مجال عمله ضيق،ولن يجد له منطلقا في كل ارض .

ولكن ، مع انفتاحه امامه ، والتربية ذات الابواب الكثيرة المفتوحة ، قد ينتقل الرجل بحكم الظروف من اختصاص لاختصاص ، ولكنه دائما يجد خبز يومه .

وفي الدول المتقدمة لا يخجل الرجل ، لا سيما المختص،من ان تخلو به الاعمال، فاذا به في الطريق بلا عمل .

الخجل عندئذ هو خجل البيئة وخجل الامة .

والذي يعطيه بعد ذلك العمل لا يمن عليه ، الا ان يكون من الجهل بشئون الحياة وفروضها بمكان . ان الذي يعمل انما يشتري اجره بالعمل ، وقد يكون مغبونا .

لولا اللعاب
لمات الطفل جوعا

● لقد علم الطب والاطباء منذ سنوات عدة ان الفئران الوليدة ، اذا استؤصلت منها غددها اللعابية ، الموجودة تحت الفك واللسان ، ماتت جوعا في العشرة الايام الاولى من حياتهم .

وقد قام الدكتور الن ابشتين Alan Epstein ، هو ورفقاؤه بجامعة سلفانيا ، ببحث هذا الموضوع .

وبدأ الدكتور ورفقاؤه باستئصال الغدد اللعابية التي تحت اللسان والفك في الكلاب الوليدة ، واثبتوا ان هذا الاستئصال يؤدي حتما الى موت الكلاب جوعا . ولكنهم وجدوا في تجاربهم هذه ان الكلاب يزيد الامل في بقائها احياء اذا هي عاشت بطريقة ما الى اليوم الثاني عشر من ولادتها ، فاذا عاشت حتى وصلت الى اليوم الخامس عشر تحقق بقاؤها احياء بعد ذلك . ووجدوا انه بين اليوم الثاني عشر واليوم الخامس عشر تأخذ غدتا اللعاب اللتان هما قرب الاذنين في النمو وفي العمل والافراز وكانتا قبل ذلك غير ناميتين وغير عاملتين .

وفي تجارب اخرى مثيلة قام البحاث بدهن شفاه الجراء ، اي الكلاب الوليدة ، بمادة الفزلين Vaseline ، مرة كل ساعتين اثناء النهار في تلك العشرة من الايام الاولى من حياتهم . وكانت النتيجة ان سد الفزلين ما بين شفاه الجراء والثداء الام فاستطاع الجراء ان تمص منها اللبن وترضع وظهر اللبن ملأ في امعدتها ولم تمت جوعا .

اتضح من هذا ان وظيفة اللعاب انما هي وظيفة ميكانيكية . ومنها نصح الاطباء باستخدام الدهن، يدهن به شفاه الاطفال ، اذا حدث انهم وجدوا صعوبة في الرضاع من ثدي الام لقلة ما معهم من لعاب .

[illegible]



● بعد ان علم الناس ان الاشعاع الذرى يقتل سائر الكروبات ، وكذا الحشرات ، لا سيما تلك التي تخالط طعام الناس ، من قمح او لحم او اشباههما ، في حقل او مصنع ، ولا سيما من بعد حرب ، اعتمدوا بالقطع ان هذا الاشعاع سوف يكون وسيلة لتطهير المأكولات جميعا في اسهل ...

[illegible]

بدرجة أقل ، حيث استعيض ، عن الطرق الكيماوية العديدة التي فيها يختلط المادة الغذائية بالكيماويات عن بلايين الكروب والحشر ، وبالاستغناء عن هذه الكيماويات ومن مساوئها حدث وفرق في النفقات كبير .

وكان لتشعيع الاغذية الطازجة بالاشعة المنبعثة من العنصر المشع ، كوبلت ٦٠ ، ومن كوبلت ١٣٧ ، ان انطا هذا العلاج فساد هذه الاطعمة ، وفوق هذا احتفظ لها بجدتها وحسن مذاقها . هذا اذا اعطيت هذه الاغذية جرعات من الاشعاع ...

[illegible]

فهذا العلاج يوقف الفساد بالمرة .

وهذا الاشعاع يمكن استخدامه لتطهير الحبوب المختزنة مما بها من حشر .

وهذا الاشعاع قد يدخل في عملية انضاج الفاكهة في بعض الفواكه ، وبذلك يؤجل نضجها ، وهذا يعطي فرصة من الزمن لوصولها الى الاسواق ارحب .

ان كان هذا هو الحال ، فما الذي عوق هذه الطريقة الجديدة ان تغزو المصانع والمزارع وحيثما يختزن طعام ويخزن ، ويحمل الى الاسواق ؟

اما في الولايات المتحدة فالذي عوق ان الذي قام بهذا التعويق ادارة الاغذية والعقاقير . وهذه الادارة لها اعداء في البلاد كثيرون وحروب اعتراضات ، وحروب مناقشات ، صاحبتها الحدة احيانا ، واحيانا نبه اللوم ، واخيرا اخذت الامور تعتدل . فوزارة

[illegible]

الحربية تقوم في ابحاث بحوث عديدة دراسة الاشعاع الذي يحفظ الاغذية لمدة قصيرة ، يومين او ثلاثة ايام . وهذه المدة كافية لكثير من الاغذية الغريبة التلف مثل الفراولة ، فيومان او ثلاثة ايام تكفي لتسهل نقل هذه الفاكهة نقلا كبيرا ، وتطيل المدة التي يمكن نقل الفراولة عبرها دون تلف .

ومن الولايات المتحدة ينتقل

[illegible]

وهي قد نشرت جدولا احتوى جانبا من الاغذية المطهرة ، ففي تطهير القمح والحبوب والفواكه المجمعة بالاشعاع . وهي تمنع البطاطس ان يبرعم ... الاشعاع ، وكذا البصل ، وكذا ...

اما انجلترا فهي على قصدها بها حظرة . فالقانون يمنع تشعيع الاغذية ، ولكنهم بداوا اليوم يستثنون منه غذاء بعداء ، فيقصد البحث ... بالسمك استثناء .

الإنسان



بقلم : الدكتور علي احمد علي



« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » . « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

وقد ذكر الأكل والشر ... الكريم في صورة دعاء شكر لله ... « الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين » .

وذكر الشراب ايضا في صورة وصف حال وشراب المؤمنين في الجنة : « ان الابرار يشربون ...

وقد وجه الله سبحانه وتعالى نظر الانسان الى الطعام الذي يأكله لكي يستدل منه على عظمة الله سبحانه وتعالى : « فلينظر الان...

... كم ولأنعامكم

وجاء ذكر الطعام في القرآن الكريم في مجال تأكيد ان الانبياء ما هم الا بشر يوحى اليهم واختصوا بالرسالة . وكان الكافرون يستنكرون على الانبياء ان يأكلوا او ان يشربوا كما يفعل

الانسان العادي . « ... ما ... في سورة ... جاء ذكر الطعام لتأكيد بشرية نبي الله عيسى عليه السلام : « ما المسيح ابن مريم الا ...

وقد ذكر الأكل والشرب والطعام كثيرا في مجال التكفير عن الذنب والخطأ : « لا يؤاخذ ...

وقد امتدح في القرآن الكريم الافراد الذين يتصدقون بالطعام ويقدمونه للمساكين والفقراء والمرضى ...

الطعام والشراب كحاجة عضوية فسيولوجية

تستوي حاجة الانسان والحيوان الى الطعام والشراب . وهذه الحاجة اذا لم تشبع فان

الانسان والحيوان يصبح في حالة توتر شديد ونشاط مستمر حتى يشبع حاجته الى الطعام والشراب . وعندما تشبع هذه الحاجة ينخفض التوتر ويتوقف النشاط . وبالرغم من ان الانسان والحيوان يشتركان في الحاجة الى الطعام والشراب كاساس لاستمرار حياته ووجوده ، الا ان الانسان قد ادخل بعض التنظيم والتطوير على اسلوب اشباع هذه الحاجة . فمثلا وزع الانسان الطعام الذي يتناوله كل يوم على عدد من الوجبات قد تكون ثلاثا او اربع وجبات غذائية . وتفنن الانسان في تحويل المواد الغذائية التي يتناولها من لحم وخضر وبقول وحبوب الى آلاف مختلف الوانها واشكالها وطريقة اخراجها .

ونظرا لان حاجة الانسان الى الطعام والشراب حاجة اساسية يتوقف عليها بقاؤه واستمرار حياته ، لذلك فان عدم اشباع هذه الحاجة على المستوى المناسب ، يؤدي الى ان يوجه الانسان كل نشاطه وطاقته وتفكيره نحو اشباع هذه الحاجة . وهذا له تطبيقات هامة في الحياة العملية : فالطالب والعامل والموظف لا يمكن ان يتوقع ان يقوموا باعمالهم على اكمل وجه ويبذلوا كل جهدهم ويركزوا كل انتباههم في هذا العمل ، الا اذا كانت حاجاتهم الاساسية من المأكل والمشرب مشبعة على المستوى المناسب وبما يتفق مع ادميتهم وانسانيتهم .

دوافع العمل والمأكل والمشرب

كثيرا ما ترتبط دوافع العمل بالمأكل والمشرب فبالرغم من وجود دوافع كثيرة للعمل فان الدافع الاساسي للعمل بالنسبة لغالبية الناس هو كسب العيش . فالناس يعملون للحصول على دخل مادي يمكنهم من اشباع حاجاتهم الى الطعام والشراب والمسكن . ولكن توجد هناك بجانب كسب العيش كدافع للعمل دوافع اخرى مثل الدافع الى تحقيق الذات Self Fulfillment ودافع الامن Security ودافع الانتماء ودافع التدين .

وعادة ما يرتبط العامل بعمله فيقبل عليه اذا استطاع هذا العامل عن طريق هذا العمل وعن طريق الدخل الذي يحصل عليه من اشباع حاجاته الاساسية وعلى راسها : المأكل والمشرب والمسكن .

الطعام والطبقة الاجتماعية :

الطبقات الاجتماعية موجودة تقريبا في كل بلاد العالم وان اختلفت درجة مرونة الحركة بين هذه الطبقات والحواجز بينها . وفي عادة ما تنقسم الى ثلاث طبقات : الطبقة [illegible] ، والطبقة الوسطى ، والطبقة [illegible] .

وعادة ما يتحدد الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها الفرد على اساس ثلاثة معايير [illegible]

والعناصر الغذائية التي يتضمنها الطعام تختلف باختلاف الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها الاسرة . فعادة ما يتضمن غذاء افراد الطبقات الدنيا نسبة كبيرة من المواد الكربوهيدراتية كالنشويات من مختلف الاشكال والمصادر مثل الارز والخبز والبطاطس وغيرها . ويقل البروتين في غذاء هذه الطبقة وخاصة البروتين الحيواني الموجود في اللحوم والالبان والاسماك وغيرها . ومن المعروف ان النشويات تمد الفرد بالطاقة الحرارية في حين تزود البروتينات الفرد بالقدرة على تجديد وبناء خلايا جسمه . وعادة ما يملأ افراد الطبقة الاجتماعية الدنيا بطونهم بالمواد النشوية نظرا لرخص ثمنها . اما بالنسبة للطبقة الاجتماعية الوسطى والعليا فترتفع في طعامها نسبة المواد البروتينية وتقل نسبة النشويات .

وعادة ما ينفق افراد الطبقة الاجتماعية الدنيا معظم دخولهم على المأكل والمشرب ، ولا يبقى الا القليل لمواجهة مطالب الحياة الاخرى . والمجتمع الذي يعيش فيه غالبية من افراد الطبقة الاجتماعية الدنيا عادة ما يسوده اقتصاد يطلق عليه اقتصاد من اليد الى الفم Hand To Mouth Economy فافراد الطبقة الدنيا يحصلون على الاجور بايديهم وينفقونها فورا على الطعام الذي يتناولونه الى افواههم ولا يتبقى معهم شيء يدخرونه بعد ذلك ، لذلك فان الدولة التي تكون غالبية سكانها من افراد الطبقة الدنيا محدودي الدخل ، عادة ما تجد صعوبة كبيرة في اقامة المشروعات الكبيرة والمشروعات الاستثمارية الضخمة نظرا لقلة مدخرات الافراد التي يمكن توجيهها الى الاستثمار في مثل هذه المشروعات .

اثر بعض العناصر الغذائيه على شخصيه الفرد :

ثبت بالدراســة والبحث اثر الطعــام وبعض العناصر والمواد الغذائيه على شخصيـة الفرد وسلوكه . وقد اثبتت بعض التجارب ان نقص التغذيه قد يؤدي الى وجود فشــل فرديــه من المصيبات النفسي (١)

فالاشخاص الذين كانوا يعانون المجاعه في مناطق المجاعات وفي معسكرات الاعتقال في الحرب العالميه الثانيه ، ظهرت تغيرات واضحه على شخصياتهم وهذه التغيرات التي ظهرت ترجع اساسا لنقص التغذيه وليس للظروف الصعبه القاسيه التي كانوا يعيشونها . ومن التجارب التي تؤيد هذا الراى تجربة اجريت على متطوعين (٢) شبان يتمتعون بصحة جيدة ، كانوا يعطون نصف الطعام . واستمر هذا الحال لمده ستة اشهر ، وفقدوا نتيجة لذلك ٢٤٪ من اوزانهم . ونتيجه حالة سوء التغذيه التي يعانون منها اصبح هؤلاء الشبان غير اكفاء ولا يمكن الاعتماد عليهم في اداء الاعمال العاديه التي كانوا يقومون بها من قبل . وظهرت اعراض البلاده Apathy والاكتئاب وعدم الاستقرار والعصبيه عليهم ، وبالتالي ظهرت تغيرات واضحه على شخصيه هؤلاء الشبان وسلوكهم .

وقد اظهرت تجربة اخرى ان النقص الشديد في احد العناصر الغذائيه قد يكون له اثار سلبيه كبيرة . فمثلا النقص الشديد للملح في الطعام يؤدى الى زيادة شعور عدم الاستقرار والاكتئاب وتوهم المرض . وقد اختفت هذه الاعراض عندما اعيد الى الطعام كمية الملح الناقصة .

وقد اثبتت الابحاث ايضا الاثار السيئة التي قد يسببها النقص في انواع معينة من الفيتامينات على النواحي العضوية ، كذلك الاضطرابات العقلية النفسية التي تنتج من هذا النقص وتؤثر ذلك على شخصية الفرد .

علاقه الاطعمه التي يحبها او يكرهها الفرد بشخصيته

اثبتت الدراسات والابحاث العلاقه بين الاطعمة التي يكرهها الفرد وبين شخصيته . وقد قام والن Wallen بتصميم اختبار للاطعمه المكروهه Food Aversion Test ، وهذا الاختبار عباره عن قائمة من عشرين طعاما معروفا في الولايات المتحده الامريكية . وقد قام والن بتطبيق الاختبار وتجربته على عدد من الافراد العاديين الاسوياء وكذلك على عدد من الافراد المضطربين نفسيا . وقد ابدى ٦٢٪ من الافراد المضطربين نفسيا كراهيتهم لنوعين او اكثر من الاطعمه التي تضمنها الاختبار ، في حين انخفضت هذه النسبه الى ٤١٪ بالنسبه لمجموعة الافراد العاديين . ولقد اعطى هذا الاختبار نتائج معينة عن الافراد المضطربين نفسيا والعصابيين ، حيث انه اوضح انهم لا يكرهون فقط عددا من الاطعمه اكبر من غيرهم ، ولكنهم يكرهون اشياء كثيرة في الحياة ولديهم اتجاهات سالبه نحوها . وللاسف ان اختبار والن لا يمكن تطبيقه على البيئه العربيه بصورته الحاليه اذ انه يتضمن قائمه من الاطعمه الاجنبيه ، ويلزم الامر في حالة الرغبه في تطبيقه على البيئه العربيه ان يعدل ويقنن بحيث يتضمن اطعمه ومعايير عربية .

وهناك من الاطعمه التي ترجع كراهيتها بواسطه الافراد الى ظروف وموروثات بيئيه واجتماعيه وثقافيه ، وليس لهذا علاقه بشخصيه الافراد الذين يكرهون مثل هذه الاطعمة . فمثلا قد يأكل بعض الافراد في جنوب الجزيرة العربية الجراد مشويا ومسلوقا ، في حين يشمئز افراد اخرون في مناطق عربية اخرى من مجرد التفكير في اكل الجراد . وهؤلاء الاخرون قد يقبلون بشغف على اكل الجمبري ويدفعون فيه ثمنا مرتفعا . والسلوك الناتج من جانب الافراد لا يتعلق بطبيعة الحيوان الذى يؤكل او بنظافته . اذ من المعروف ان الجراد يعيش على غذاء اكثر نظافه من غذاء حيوان مائي كالجمبري . وفي جهات من فرنسا يقبل الناس على اكل نوع معين من الضفادع البحرية ، ويؤكل الثعابين في بعض جهات من الصين واسيا . وقد ينتشر اكل لحوم الجمال في بلد معين ، في حين لا يقبل عليها على الاطلاق السكان في بلد اخر . وهذا الاقبال او عدمه على

(١) [illegible]

انواع معينة من الأطعمة بحسن بالظروف المناسبة والاجتماعية والاقتصادية السائدة .

كثرة الأكل قد تكون دليلا على الهم

ويلاحظ ان هناك علاقة موجبة بين المشكلات التي يعاني منها الفرد والصعوبات التي يواجهها وبين كمية الطعام التي يتناولها . فالشخص المهموم كثير المشكلات عادة ما يكثر من كمية الأطعمة التي يتناولها . هذا وان كانت هناك فئة من الناس لا تأكل كثيرا عندما تكون مكتئبة مهمومة . اما الوضع الشائع فهو ان الانسان يكثر من كمية الطعام التي يتناولها عندما يكون غير سعيد او مكتئبا او يواجه مشكلات حادة ، ويمكن تفسير سبب تعاطي الفرد المهموم او المكتئب او كثير المشكلات للطعام بان تعاطي الطعام والنشاط الذي يقوم به الفرد عند تناوله يعمل على تخفيف التوتر والتوتر النفسي الذي يعاني منه الفرد . كما ان هناك احتمالا في ان يكون الدافع الى زيادة كمية الأطعمة المتناولة بواسطة الفرد ، هو محاولته ان يجد اللذة التي يفتقدها في حياته عن طريق الطعام . لذلك فلا عجب اذا زاد وزن الأفراد الذين يسود حياتهم الهم وتطغى عليها الاكتئاب والمشكلات .

فلسفة بعض الناس فيما يأكلون

النباتيون

قد يكون للشعوب او مجموعات معينة من الناس فلسفة معينة فيما يأكلون وما لا يأكلون وعلى راس هؤلاء النباتيون الذين يقصرون مأكلهم على النباتات والبقول ويرفضون تناول اللحوم الحيوانية بكافة صورها واشكالها . وبعض النباتيين قد يسرفون لحم الحيوان ظنا انه ضار ، وظنا انه لم يتاح بواسطته ايه صفات انسانية . ولقد انتشرت هذه الفلسفة النباتية بين جمهور كبير في بعض البلاد الأجنبية . ويرتكز النباتيون في فلسفتهم ودعوتهم على ان التركيب العضوي للانسان وتركيب جهازه الهضمي ابعد ما يكون عن تلك الخاصة بالحيوانات المتوحشة آكلة اللحوم ، وكذلك فهي مختلفة عن تلك الخاصة بالحيوانات المجترة آكلة العشب . ولكن الجهاز الهضمي للانسان اقرب ما يكون الى الجهاز الهضمي للقردة ورتبة القردة العليا كالشمبانزي ، وهذه الأخيرة تأكل عادة الفواكه والخضراوات كالجوز والبندق واحيانا بعض الحشرات . وفي راي النباتيين انها تمثل بعض الأطعمة التي تصلح للانسان .

ولا يرى فريق من العلماء ضرورة لان يكون الفرد نباتيا في غذائه حتى يتمتع بصحة جيدة ، ذلك لانه قد ثبت بالبحث ان تناول اللحوم الجيدة الحمراء بالكمية المناسبة لا يضر الجسم ولكنها على العكس تفيد الجسم وتساعده على بناء خلاياه المستهلكة عن طريق ما تتضمنه من مواد بروتينية واملاح ومعادن .

الامتناع عن المأكل والمشرب كشكل من اشكال العبادات :

في الكثير من الديانات السماوية وغيرها من الديانات يستخدم شكل من اشكال الامتناع عن المأكل والمشرب كليا او جزئيا كنوع من العبادة فالمسيحيون الشرقيون مثلا يظلون في صيامهم قبل عيد الميلاد ممتنعين عن تناول اي شيء من اصل حيواني ، وممتنعين عن اي طعام يدخل فيه اي عنصر من اصل حيواني كاللبن والزبد الحيواني وغيرها .

والصيام عند المسلمين يعتبر فريضة من فرائض الاسلام ، حيث يظل المسلمون خلال هذا الشهر ممتنعين عن تناول اي طعام وشراب من شروق الشمس حتى غروبها ، وفي خلال شهر الصيام يمتنع المسلم ايضا عن اي سلوك يفسد عليه صومه ، وعلى المسلم ان يقضي هذا الشهر في شكل من اشكال التجرد والعبادة وتطهير الروح والسمو بها عن كل ما يشوبها من نقائص . وتقوم فلسفة الامتناع عن المأكل والمشرب في صوم رمضان على اخضاع شهوات الجسد لسلطان الروح والارتفاع بالجوانب الروحانية للانسان . ولقد اتضح بالدراسة ان الامتناع عن الطعام والشراب فترة من الوقت يساعد على الصفاء الذهني والنفسي وشعور الفرد بالروحانية والسمو كما ان الصيام يمكن الفرد من السيطرة على شهواته ونزواته . هذا بالاضافة الى ان الصيام يشعر الغني والقادر بما يعانيه الفقير والمحتاج من مرارة الجوع والحرمان .

والغريب ان الصيام في شكله المحدود الذي يتمثل في الامتناع عن المأكل والمشرب موجود بين طائفة من الحيوانات . فالسبات الشتوي لبعض الحيوانات والزواحف ما هو الا شكل من اشكال الصيام . وقد وجد ان طائفة كبيرة من الحيوانات

والسائف يمارس شكلا ما من اشكال الصيام .

التنوع في الطعام يدخل السرور والبهجة الى النفس

الطعام في الاحوال العادية يصير لذة من لذات الحياة ، ولكن الافراط في تناول الطعام قد يحرم الانسان من هذه اللذة . وهذا ما نشاهده في الحياة العملية . فقد يشتهي فرد ما نوعا معينا من الاطعمة ، فيفرط في تناوله ، ويكون من نتيجة ذلك ان يصبح كارها له عازفا عنه . لذلك يجب للفرد ان يتناول القدر المعقول المناسب من الطعام حتى يترك هذا الطعام وهو ما زال راغبا فيه محبا له .

وقد اوضحت الدراسات ان هناك علاقة بين تنوع شكل الطعام الذي يأكله الانسان وادخال البهجة والسرور الى النفس . لذلك على الافراد الذين يأكلون نفس نوع الطعام ويكررونه فترات كثيرة في ايام متتالية قد يتسرب الملل الى نفوسهم . ولا نقصد بالتنوع هنا ان يتناول الفرد في الوجبة الواحدة عددا كبيرا من انواع الاطعمة ، لان ذلك قد يشجعه على ان يأكل اكثر مما يطيق فيرهق معدته ويتعب اجهزة هضمه ولكن نقصد بالتنوع في الطعام الا يستمر الفرد على نوع طعام واحد او اثنين لفترة طويلة دون تنويع . ويساعد الفرد على تحقيق هذا التنوع في طعامه عمل قائمة اسبوعية لوجبات طعامه ، ويقوم بمراجعتها ويدخل عليها التعديل حتى يكون طعامه متنوعا على مدى الاسبوع . وفي الوقت نفسه يجب ان يكون هذا الطعام متضمنا كافة العناصر الغذائية الاساسية التي يحتاجها الجسم .

الطعام لذة ونعمة .

واذا كان الطعام لذة من لذات الحياة ، فقد يتحول الى نقمة اذا افرط الفرد في تناوله واذا اساء الفرد تقدير احتياجاته من هذا الطعام . لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » . فالطب الحديث اثبت فعلا ان شر وعاء يمكن ان يملأه الانسان هو بطنه ، وان المعدة بيت الداء واصل الدواء ، فالافراط في الطعام يرهق المعدة ويرهقها ويتعبها ويتعبه ويرهق ايضا الجهاز الهضمي بأكمله . والافراط في الطعام قد يشكل لاكل الانسان كميات هائلة من الشحم والدهن . وهنا يتطلب من الجسم انتاج الاف الكيلوسعرات من السعرات الحرارية الضخمة لنقل الدم الى هذه الكميات الزائدة من الشحم والدهن ، وهذه الكميات من الشحم والدهن ترهق الدورة الدموية وتؤثر تأثيرا سيئا على القلب والكبد والكلى وجميع اعضاء واجهزة الجسم . وعادة ما يقصر عمر الشخص البدين ، لذلك فنادرا ما نرى بدينا قد تخطى العام الثمانين من عمره .

واخيرا ، فهل تعرف شيئا عن استعمار الاطعمه ؟

الاستعمار ظاهرة عالمية . والاستعمار اينما حل غير مشروع .

ولكن هناك بعض آثار للاستعمار تتسلل الى البلاد المستعمرة ، ولكنها تلقى قبولا ولا تلقى اية مقاومة لانها لا تمثل مجال مقاومة . ويتمثل هذا في استعمار الاطعمة . فالزائر للعالم في صوفيا عاصمة بلغاريا او بودابست عاصمة المجر يجد ان الكثير من الاطعمة هناك تشبه الى حد كبير بعض الاطعمة التي يتناولها في بعض البلاد العربية كسوريا ولبنان والجمهورية العربية المتحدة ، ويتساءل الزائر عن سر هذا التشابه في الاطعمة وفي طريقة طهيها ، ويجد الاجابة على سؤاله ، وهو ان التشابه بين هذه الاطعمة بعض من آثار الاستعمار الباقية والتي لا تقاومها الشعوب لانها لا تحتاج ولا تستدعي مقاومة . فالاستعمار التركي والتوسع التركي في الشرق الاوسط وفي اوربا في القرن السابع عشر وما بعده ، قد اثر على طعام سكان هذه البلاد فتعلموا طريقة عمل الكثير من الاطعمة التركية وظلت هذه الاطعمة يتناولها الناس ، وبقيت حتى بعد رحيل المستعمر . وكذلك الحال بالنسبة للاستعمار الفرنسي ، فقد اثر المطبخ الفرنسي على طريقة عمل المأكولات في بعض البلاد العربية كسوريا ولبنان . ولهذا نجد ان المأكولات في بعض البلاد العربية قد تأثرت بالمطبخ التركي والمطبخ الفرنسي تأثيرا كبيرا .

كلمة اخيرة

هذه بعض الجوانب الطريفة المتصلة بطعام الانسان ، هذا الطعام الذي يحفظ وجود الانسان ويحقق سعادته اذا احسن الانسان التعامل معه وتناول منه النوع والقدر المناسب في الوقت المناسب .

■■

علي احمد علي

قصة الزراعة

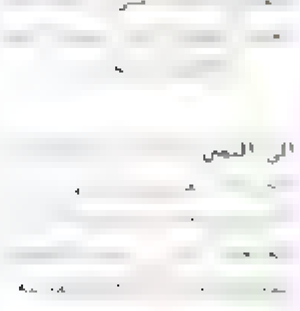
في الكويت



- مسح الأرض والإحصاء قالا: والزراعة ثانيا..
- ٨ ملايين شجرة سيتم زراعتها في ست ربع تقريبا.
- ٥٠٪ من استهلاك لحوم الدواجن تنتجها المزارع المحلية.

بقلم
خالد عبيد

تصوير
صلاح آدم



■ للزراعة في الكويت قصة لحمتها العلم وسداتها العمل، قصة الكفاح في إعمار الصحراء وترويضها ... ولكن العجب حقا أن الكثيرين يجهلون القصة، وأحيانا ينكرونها لأن الفكرة السائدة أن لا مكان للزراعة على أرض الكويت، متأثرين بطبيعة أرضها الصحراوية وقسوة مناخها وندرة مياهها.

ومن هنا كانت أهمية الحديث في هذا الموضوع.

ما هي الزراعة؟ وماذا حققت الكويت في مضمارها؟

الزراعة هي استغلال المصادر الطبيعية بأحسن طريقة اقتصادية لإنتاج حاجة الإنسان من الغذاء والكساء والدواء والأخشاب والترويح وغيرها ... وذلك عن طريق الغلة والإكثار وتحسين والعناية بالنباتات والحيوانات.

أخذ عينة تربة من الحقل هو من خطوات الأولى في مسح وتصنيف التربة الذي يعتبر من أساسيات إعمار الصحراء.



ومنذ سنوات قليلة كانت الزراعة في الكويت عدة واحات متناثرة في الصحراء، وأعداد محدودة من الحيوانات والطيور المحلية تربى في حظائر منزلية، وساحل يحفل بصيادين مهرة رغم عدتهم البدائية ومعلوماتهم الموروثة الأولية.

ولهذا كانت تنمية الزراعة وتطويرها أمرا ملحا تفرضه طبيعة الحياة، وبدأ العمل بالخطوة الطبيعية الأولى بإقامة محطة التجارب الزراعية لتأخذ على عاتقها وضع الأسس العلمية في بناء صرح زراعي سليم، بما تجريه من تجارب وأبحاث في مختلف الميادين الزراعية، من نباتية وحيوانية، كالتجارب والدراسات على إدخال وانتخاب الخضر والأزهار والأشجار المثمرة والحرجية، والنباتات البرية والرعوية وكذلك العمل بالنسبة لتجارب الإدخال والتحسين والانتخاب والتربية على الحيوانات الزراعية والطيور.

وأما بالنسبة للتربة.

ــ قد تكون الكويت هي البلد الوحيد في العالم الذي بدأ العمل الزراعي من بدايته المفروضة.

لأن جميع الأقطار الزراعية زرعت وأنتجت ثم التفتت إلى أرضها تمسحها وتصنفها، أما في الكويت فبدأ العمل بمسح التربة وتصنيفها أولا وذلك بإجراء الدراسات والاختبارات للتعرف على خصائص التربة الطبيعية والكيماوية والحيوية والزراعية، ووضع الخرائط التي تبين أصناف التربة الموجودة وقدرتها على الإنتاج وكيفية استغلالها للأغراض الزراعية وحتى الأغراض المدنية والعسكرية. وبناء على نتائج هذا المسح ستقام المشاريع الزراعية في البلاد لتغرس كل نبتة في مكانها المناسب وتخصص كل أرض لما تصلح له.



جانب من حقول محطة التجارب الزراعية تعتبر زراعة الخضراوات من مظاهر التوسع الزراعي في الكويت .

وماذا عن الماء ؟

المعروف ان بين الحضارة والماء صلة كصلة الروح بالجسد ولهذا قامت الحضارات القديمة على الأنهار والسدود ، واما الحضارات الحديثة فان افتقدت الماء جلبته اليها او صنعته .

والماء بالنسبة للمزارع ضالته وركيزة حياته ، وهو اليه في الصحراء أحوج ، ولذلك كان البحث عن مصادر الماء اكثر ما يشغل بال المسؤولين عن الزراعة في البلاد ، وبعد جهود حثيثة من البحث والتنقيب اكتشفت حقول المياه الجوفية المالحة في الصليبية وام الشقايا وخزانات طبيعية محصورة للمياه العذبة في الروضتين ، هذا بالاضافة الى مياه الرشح الجوفية والمياه المقطرة ومياه المجاري .

وهناك تطلعات نحو مصادر جديدة للمياه كالتحلية بالطاقة الذرية ، وحفظ مياه سيول الأمطار في سدود او حقنها في باطن الأرض ، وجلب الماء بناقلات النفط التي تأتي الكويت لتحميل

ويتم بتوفير المزيد من مياه الري تتخطى الزراعة العقبة الرئيسية التي تعترض سبيل توسعها وازدهارها .

ومشكلة الماء في المناطق الصحراوية لا تتوقف على توفيره فقط بل تتعداه الى ايجاد افضل طرق استعماله والافادة من كل قطرة من قطراته والحفاظ عليه من التسرب في الأرض او التبخر صعدا في الجو ، وانتخاب صنوف من النباتات التي تنمو وتنتج بأقل كمية من الماء .

ولرسم خطة سليمة للتنمية الزراعية فقد قامت الكويت عام ١٩٧٠ باجراء اول تعداد زراعي في البلاد ضمن التعداد الزراعي العالمي لسنة ١٩٧٠ بعد استصدار القوانين الخاصة بالاحصاء الزراعي . ويعتبر التعداد جردا كاملا لموجودات الحيازات الزراعية وانعكاسا صادقا لبناء القطاع الزراعي ، الأمر الذي يجعله الاساس السليم لخطط التوسع والتنمية واقامة المشاريع الزراعية المختلفة .



توسيع الرقعة الزراعية ... ومشاريع التحراج

الشجرة هي السلاح الحاسم في احصار الصحراء والتصدي للعواصف والزوابع والسيول، ومع نمو الأشجار تعود للقفار الحياة بشتى صورها وأشكالها، فتصلح الأرض وتمسك عليها وتعمر بالنبت والرعي، وتكثر الطيور ويلطف الجو ويكسو الجمال الأخضر وجه الطبيعة، ليجد الناس في ظلالها الراحة والصحة.

ولهذا كله خصصت الدولة ما يزيد على ١٠٢ الاف دونم لزراعة المشاريع الحرجية في الجهراء ومخيمات الربيع والصباحية والصليبية وجوانب طريقي الجهراء والدائري السادس. وقد تم غرس ما يزيد من مليون شجرة في هذه المشاريع ولا تزال تتسع لسبعة ملايين شجرة اخرى.

وتبدأ الزراعة عادة بالنبات الطبيعي في الكويت وهو الأثل، ثم تزرع انواع اخرى تتحمل عوامل البيئة كالسمر والاكاسيا والبوكاليبتوس، والعناب، والزيتون، والكازورينا.

وتجابه زراعة الاحراج في الكويت العديد من المصاعب اهمها قلة مياه الري وارتفاع ملوحتها. وتعالج هذه المشاكل باختيار النباتات المقاومة للجفاف والملوحة واتباع وسائل حفظ المياه من التبخر او التسرب في التربة.

وعلى سبيل المثال فقد ادخل نوع ملائم من اليوكاليبتوس ابتيوزا من صحراء استراليا، يعيش على ١٠٠ ملم من الماء سنويا، وتجرى التجربة على صنف يوكاليبتوس كامالديولنس المجلوب من صحراء الجزائر، وهذا يكتفي بـ ٢٠٠ ملم فقط، وهي نسب جيدة للزراعة الصحراوية، اذ المعروف أن معدل احتياجات اشجار اليوكاليبتوس هي ٦٠٠ – ٧٠٠ ملم من الماء سنويا.

اما الأثل فهو الشجرة الوحيدة في العالم التي تنمو على ١٠٠ ملم سنويا وتحت ظروف ملحية عالية، ولهذا استغلت رطوبة التربة العالية في الاراضي المحاذية للبحر في زراعة مئات الآلاف من اشجار الأثل بدون ري.

ولمنع مياه الري من التبخر والتسرب في التربة تغطى قنوات الري بالبوليثيلين.

كما تستعمل لري الأشجار الحرجية في بعض المشاريع مياه المجاري غير المعالجة التي لا تصلح لأي غرض آخر، بل كانت تلقى في البحر من قبل، ماعليه من آثارها السيئة على الثروة السمكية بمياه الخليج.

توسيع الرقعة الزراعية ... وزراعة الخضر

تعتمد الكويت اساسا على ما يرد اليها من الخضر الطازجة من البلدان القريبة وحتى البعيدة، لأن الانتاج المحلي لا يزيد عن ١٢٪ من استهلاك البلاد.

واستيراد الخضر الطازجة تساوره عديدة كعدم انتظام عرضها في الأسواق، وتعرضها للتلف اثناء النقل، الأمر الذي يقلل من جودتها ويرفع من اسعارها. لذلك اعد المسؤولون عن الزراعة خطة لتشجيع زراعة الخضر، واقامة مزيد من مزارعها حتى وصل عدد هذه المزارع ٢٢٨ مزرعة، تشغل مساحة قدرها ٩٢٥) دونما.

وتعتمد هذه الخطة على اجراء التجارب لانتخاب افضل الاصناف الملائمة للمناخ والتربة والمياه، وخير وسائل الصيانة والخدمة من حيث مواعيد الزراعة والري والتسميد وغيرها.

كما تجرى التجارب على الزراعة بدون تربة والزراعة الهوائية، للافادة من مزايا هذه الطرق الحديثة في الزراعة، وقد تعدت الكويت مرحلة التجربة في هذا المضمار الى اقامة مشروع للزراعة بدون تربة تضمن بيوت زجاجية على مساحة قدرها عشرون الف متر مربع، وبذلك يمكن اعتباره اكبر مشروع من نوعه في عالمنا العربي.

كما يعتبر مشروع مسح وتصنيف التربة، ومسح المياه الجوفية من الأعمال المساندة لزراعة الخضر.

ونظرا لقصر المدة التي يتطلبها انتاج الخضر من وقت الزراعة وحتى النضج فقد امكن زراعة معظم انواع الخضر الشتوية بنجاح. وتأتي الطماطم على رأس المحاصيل الشتوية التي تنتجها الكويت، كما امكن زراعة بعض الخضر الصيفية كالملوخية والرجلة والقثائيات.

وسيشهد المستقبل القريب ولا شك توسعا كبيرا في مجال زراعة الخضر.

توسيع الرقعة الزراعية ... وزراعة الحدائق

يصف العلماء الحدائق بأنها رئات المدن، تأتي



الانتاج الوفير من الخضر هو نتيجة طبيعية لاستعمال البذور المحسنة والمبيدات الطبيعية والكيماوية واتباع الوسائل الزراعية الحديثة

حرارتها وتلطف جوها ، وتوفر للمواطن فرصة الراحة بعد عناء العمل ، ولذلك اصبحت في تنظيم المدن الزاما وليست اختيارا .

وفي الكويت مع تقدم العمران وتطور فن البناء وشق الطرق المعبدة الفسيحة ، اصبح تشجير الشوارع وانشاء الحدائق ضرورة حتمية لاكمال روعة البناء ، واضفاء البعد الجمالي عليه ، علاوة على ما للحدائق من فوائد ومميزات لا سيما في منطقة صحراوية ، فهي خير هواية تنعش النفس والبدن وتوفر انتاجا صحيا من الازهار والخضر الطازجة .

ولهذا كله لقيت الحدائق ونباتات الزينة عناية واهتماما في الحدائق الخاصة والعامة . واهتمت الدولة بانشاء الحدائق لمختلف الاغراض ، كالحدائق العامة وحدائق الاطفال والمدارس والمستشفيات ومرافق الدولة المختلفة حتى بلغ عددها ٦٠ حديقة تشغل ما يزيد على الفي دونم ، وتضم ٢٥ الف شجرة .

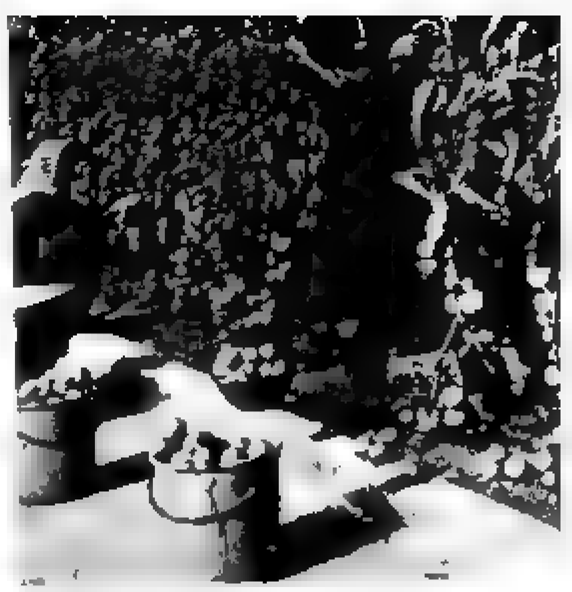
ولا يزال العمل جاريا لاقامة المزيد من هذه الحدائق ، كما ان هناك الاف الحدائق المنزلية [illegible] .

ومع التنسيق الانيق لهذه الحدائق فقد ادخلت اليها عشرات من انواع الازهار والابصال ونباتات الظل والسياجات والمتسلقات والشجيرات المزهرة .

وتجرى مزيد من الدراسات لادخال واقلمة اصناف جديدة .

اهمية الثروة الحيوانية

يعزى سوء التغذية الذي يعانيه اكثر من نصف سكان العالم بالدرجة الاولى الى نقص البروتين الحيواني الذي مصدره اللحم والحليب والبيض ولذلك تعتبر تربية الحيوان الزراعي ضرورة



دخلت الكويت مرحلة التجربة في مضمار الزراعة بدون تربة .. ولهذا اليوم مشروع الزراعة بدون تربة ضمن بيوت زجاجية على مساحة قدرها عشرون الف متر مربع ، وبذلك يمكن اعتباره اكبر مشروع من نوعه في عالمنا العربي

الثانية الى جانب كونها عملا اقتصاديا مربحا ولها العديد من المزايا في توفير اللحم والحليب والصناع مجال العمل لمجموعة من المواطنين ، وزيادة الدخل القومي ودعم الزراعة المطلوبة بالاسمدة العضوية .

ولهذا تعمل منظمة الاغذية والزراعة الدولية على معاونة الدول الاعضاء وخاصة النامية منها ماديا وفنيا في اقامة مشاريع تربية الحيوان الزراعي .

وتسعى الدول كذلك الى تشجيع مواطنيها على اقامة مثل هذه المشاريع .

تربية الابقار في الكويت

في الماضي القريب كانت تربية الابقار في الكويت تقتصر على التربية المنزلية لابقار بلدية منخفضة الانتاج ، ولكن بعد انشاء مزرعة الابقار الرائدة بمحطة التجارب الزراعية ، حذا الاهلون حذوها وانشأوا عددا من المزارع التي ترتكز التربية فيها اصلا على ابقار الحليب . ويبلغ عدد مزارع الابقار التجارية في الكويت ١٥ ، يربى فيها الفا رأس من الابقار الهولندية من نوع فريزيان ، تنتج في العام ٧٧/٧٨ مليون لتر من الحليب الطازج ، ويشكل هذا الرقم حوالي ٤٠٪ من الاستهلاك المحلي السنوي .

ويحرص المسؤولون عن الزراعة وسائل تنمية الثروة الحيوانية ودعمها وتشجيع المواطنين على ارتياد سبيلها .

تربية الدواجن في الكويت

الاهتمام بتربية الدواجن على المستوى التجاري حديث العهد في الكويت فقد بدأت محطة التجارب في تشجيع الاهلين على ممارسة هذه الصناعة الى انشاء شعبة الدواجن عام ١٩٥٧ .

وقبل ذلك التاريخ كان السكان يعتمدون بصورة كلية على ما يستورد من منتجات الدواجن من بلدان مجاورة ، وكان الطلب على لحومها ضئيلا بسبب ارتفاع اسعارها،وتفضيل لحم الضأن عليها الا ان تربية الدواجن والطلب على لحومها سجلا ارتفاعا كبيرا لاسباب عدة منها :

- التقدم (العالمي والمحلي) الكبير الذي حققته هذه الصناعة لمجالات التربية والتغذية والتحسين وايجاد سلالات مؤصلة عالية الانتاج ، وامتلاك مركزة عالية الكفاءة ، والطرق الحديثة في التربية والوقاية من الاوبئة والامراض .
- ارتفاع اسعار لحوم الضأن .
- سرعة دوران رأس المال المستثمر في تربية الدواجن وخصوصا دجاج اللحم ، والملاحظ ان معظم انتاج وتربية الدواجن في الكويت متجه لانتاج اللحم .

صناعة الدواجن بالارقام

- عدد المزارع ٨٤ مزرعة تشغل مساحة قدرها ٤٠٠ دونم ، ويعمل فيها ٢٥٤ شخصا .
- توجد ثلاث مزارع تفريخ تنتج حوالي ٦ ملايين صوص سنويا .

– يبلغ الانتاج المحلي خمسة ملايين من فراخ اللحم ، وهذا الرقم يشكل ٤٠٪ من جملة الاستهلاك ، الا ان المستورد هو ٧٥٠٠٠٠٠ كغم دجاج مجمد .

– ويربى في المزارع ٧٨ الف دجاجة بياضة تنتج حوالي ١٦ مليون بيضة سنويا بينما المستورد عام ١٩٧٠ ، ١٢٠ مليون بيضة تزيد قيمتها عن مليون ومائتي الف دينار .

– افضل السلالات التي نجحت تربيتها في الكويت هي سلالة الليجهورن ، وكان معدل الانتاج بمحطة التجارب ٢٠٠ بيضة سنويا للتجارب .

– توجد ثلاثة مصانع لانتاج الاعلاف طاقتها الانتاجية حوالي ١٢ الف طن في السنة .

هذه الاحصائيات تبين المجالات الواسعة امام صناعة الدواجن في الكويت لتحقيق مزيد من التقدم والنمو ، رغم بعض الصعوبات التي تواجهها . كصعوبة الاحوال الجوية وارتفاع الحرارة والتي تعالج بانتقاء بعض السلالات وتصميم الحظائر المناسبة ، والصعوبة الناتجة عن تلف الاعلاف نتيجة الحرارة الشديدة وتعرضها للتسوس ومهاجمة الفئران . ويمكن حل هذه المشكلة بانشاء صوامع كبيرة لخزن الاعلاف ، واستيراد كميات كبيرة منها في موسم انتاجها باسعار منخفضة ،

وبالنسبة لمشكلة النظام التسويقي ، يجري التخطيط لاقامة مسلخ مركزي للدواجن ومستودعات مبردة لحفظ لحومها .

الثروة الحيوانية والحماية البيطرية

منذ اتجه الاهتمام للثروة الحيوانية وتطويرها ، واستثمار عدد من المواطنين جهودهم واموالهم في اقامة المزارع المتخصصة بها ، اصبح لزاما على الدولة حماية هذه الثروة القومية من الآفات والامراض وذلك بانشاء مراقبة البيطرة لتقوم باعمال الوقاية والعلاج .

الوقاية بشتى صورها كاعمال الحجر البيطري للحيوانات المستوردة ، والتحصين ضد الامراض ورش وتطهير المزارع وتجمعات الحيوانات .

وحسب احصائية عام ١٩٧٠ بلغ مجموع ما حصن من الطيور ضد مرض النيوكاسل نحو ٧ مليون طير ، وما حصن من الحيوانات ضد الامراض السارية كالطاعون البقري والحمى القلاعية والحمى الفحمية وجدري الغنم وغيرها بلغ ١١٤ الف حيوان . بالاضافة الى التحصين ضد داء الكلب .

واما بالنسبة للعلاجات فتقوم عشرة مستوصفات بيطرية موزعة في جميع انحاء البلاد بفحص ومعالجة الحالات المرضية ، واجريت ٢٥٠ عملية جراحية وقام المختبر بفحص العينات والتشخيص المعملي .

وهكذا امكن اقامة سياج منيع من الحماية والرعاية الصحية لدعم هذا القطاع الزراعي الهام وتهيئة السبيل لنموه وتقدمه .

الارشاد الزراعي ودوره في التنمية الزراعية

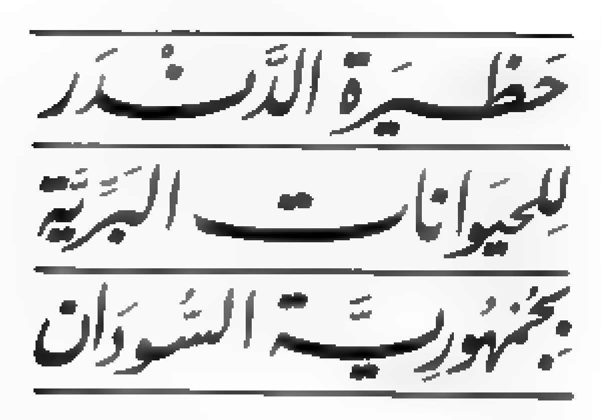
مع اطلالة كل يوم يحرز الانسان مزيدا من التقدم في كافة المجالات العلمية والعملية ومنها الزراعة . وتهدف الدراسات والابحاث التي تجريها محطات التجارب الزراعية عالميا ومحليا ، الى الحصول على اعلى انتاج باقل التكاليف ، وايجاد الحلول المناسبة لكل ما يعترض العمل الزراعي ، من مشاكل ومصاعب تجابه المزارع في اي حقل من ميادينه ، سواء في تربية الطيور والحيوانات او العناية بالنباتات والمزروعات ، وحتى في استعمال الآلات والادوات .

ويعتبر عمل الارشاد الزراعي في نقل المعلومات ونتائج التجارب الى المزارعين لتنفيذها عمليا في الحقل التكملة الطبيعية لعمل البحث الزراعي العلمي .

وكثيرا ما يلجأ الارشاد الزراعي الى تقديم المعونات المادية والعينية للمزارعين لتشجيعهم نحو استعمال الوسائل الحديثة في العمل الزراعي ، كتوزيع البذور المحسنة والاسمدة الكيماوية والحيوانات والطيور الاصيلة والعلاجات المختلفة والادوات المتطورة ، واجراء التلقيح الصناعي وغيره من الخدمات .

ويتبع الارشاد الزراعي في الكويت مختلف وسائل النشر لايصال المعلومات الى المزارعين كالاذاعة والتلفزيون والافلام السينمائية والكتب والنشرات والندوات والاتصالات الشخصية والزيارات . ولا بد من مواصلة الاتصال بجمهور المزارعين واطلاعهم باستمرار على كل جديد ومفيد من منجزات العلم الحديث . ■

الكويت – خالد عبيد



حظيرة الدندر للحيوانات البرية بجمهورية السودان

بقلم الامين الربح محمد

جامعة الخرطوم

■ النيل هو أبرز ما يتطلع اليه السائح أو الزائر لجمهورية السودان الديمقراطية . وهذا شيء بديهي ، فالنيل هو شريان الحياة وعصبها بالنسبة لشعوب الوادي ، وقد قامت على ضفافه حضارات يعتز بجلالها كل من يقف على أرض مصر والسودان ، ولقد أبدع الشعراء في وصف النيل ، يذكرون فضله ، ويمجدون مآثره ، ويتغنون بسحره وجماله . قال أمير الشعراء المرحوم احمد شوقي :

ليست الحيوانات هي كل شيء في حظيرة الدندر ، فالبيئة التي اتخذتها هذه الحيوانات والطيور موطنا آمنا لها تمتاز بمناظر طبيعية خلابة ساحرة تتمثل في الوديان الخضراء التي تكسوها الحشائش والغابات الكثيفة، لكن



الخريطة الأولى توضح بعض الحظائر الشهيرة للحيوانات البرية بالقارة الأفريقية : ●

أ ـ السودان

(١) الدندر

(٢) نمولي

ب ـ يوغندا

(٣) حظيرة شلالات مرشيسون Murchison Falls

(٤) حظيرة الملكة اليزابث Queen Elizabeth

جـ ـ كينيا

(٥) نايروبي Nairobi

(٦) تسافو Tsavo

(٧) امبوسيلي Amboseli

د ـ تنزانيا

(٨) نجورو نجورو Ngorongoro

(٩) سرنجيتي Serengeti

هـ ـ تشاد

(١٠) زاكوما Zakouma

ز ـ الكميرون

(١١) وازا Waza

و ـ السنغال

(١٢) نيوكولو ـ كوبا Niokolo - Koba

ل ـ زامبيا

(١٣) كافيو Kafue

ى ـ ملاوى

(١٤) وانكي Wankie

ش ـ جنوب افريقيا

(١٥) كروجر Kruger

(١٦) امفولوزي Umfolozi

خط الاستواء

● الحظائر الأخرى التي ليست موضحة بالخريطة هي ، حظيرة البرت بالكونغو وحظائر ابردير وماكويد وميرو في كينيا وأخيرا اللوانجوا في زامبيا .

أنت للدهر عجيبة ، مجدك مترع
وحباك الشرق الخصيبة ذلك
سق ونظم لا انواه ساق
بالسرادين والأحراش بصنق
والماء مسكه ينشبك صبحها
والأرض لعرقها فيضها المشرق

وقال شاعر السودان الفذ المرحوم التيجاني يوسف بشير :

أنت يا نيل يا سليل الفراديس
نبيل موفق في مسابك
ملء أوفاضك الجلال فمرحى
بالجلال المفيض من أنسابك
وحروف ريانة في اسمك السـ
ـيل وضيء موفور في جنابك
لكن القلوب مما استطابت
منك سكرى مسحورة من شرابك

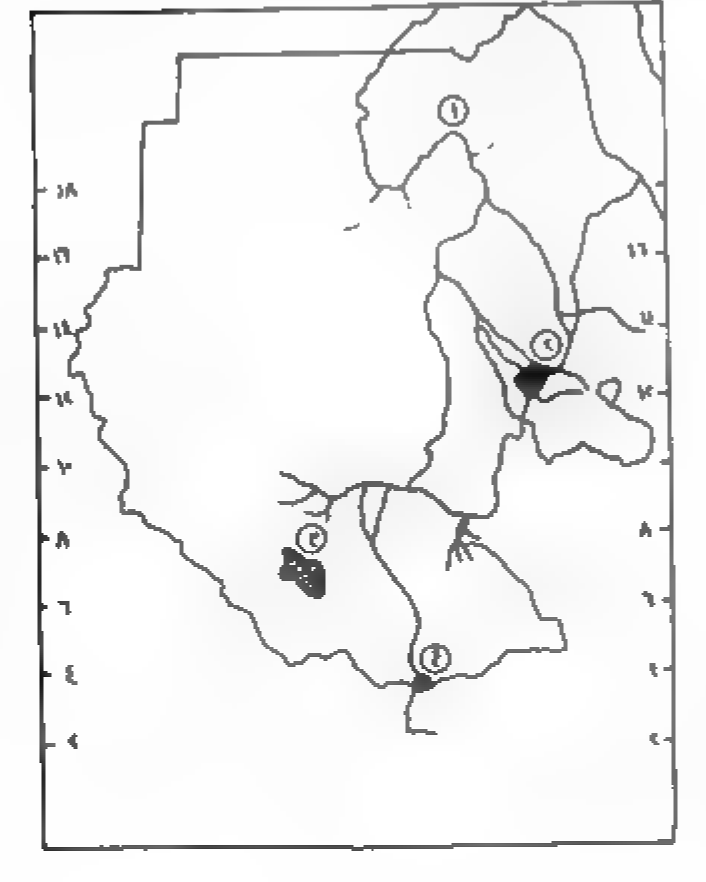
على أن هذا النهر العظيم الذي يشق طريقه عبر الصحراء الكبرى في رحلته الطويلة للشمال ليصب في البحر الأبيض المتوسط له روافد جمة يتركز جلها في جنوب الوادي ـ في الجزء الجنوبي

والوسط من جمهورية السودان ـ ومن اهم هذه الروافد نهرا الدندر والرهد .

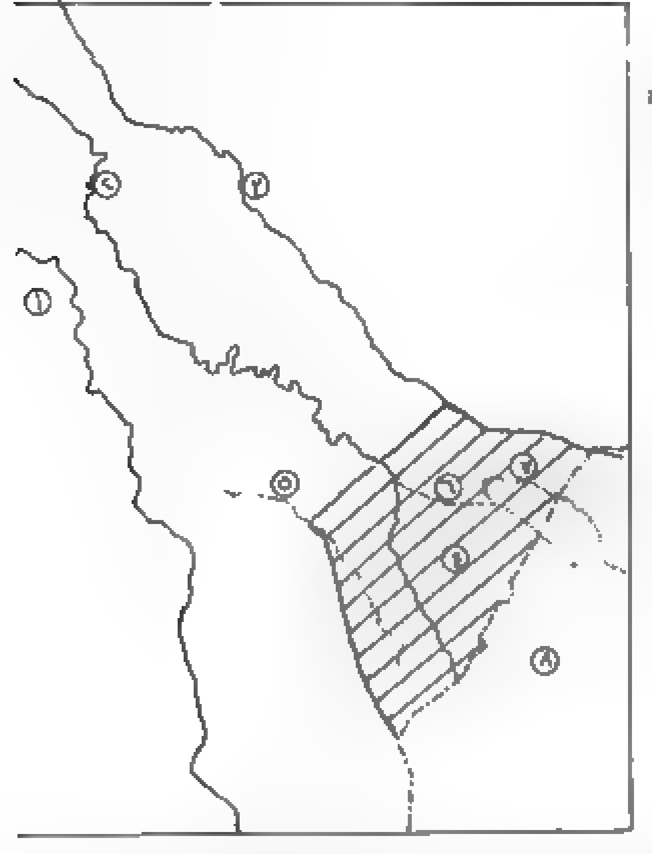
وفي هذا المقال يدور حديثنا حول المنطقة التي يقع فيها هذان النهران والتي عرفت بمنطقة الدندر . وترجع شهرتها لوجود حظيرة كبيرة للحيوانات البرية النادرة بها . وقد اكتسبت سمعة طيبة ومكانة مرموقة بين حظائر العالم الاخرى .

الحظائر وسبب ارتيادها :

تجدر الاشارة هنا ونحن بصدد الحديث عن الحيوانات النادرة وحظائرها ان نذكر ان القارة الافريقية مليئة بالحيوانات البرية وتوجد بها اكثر من ثلاثين حظيرة لتلك الحيوانات موزعه على عدة اقطار . وجميع هذه الحظائر تقع جنوب الصحراء ومعظمها في المناطق الاستوائية ، وذلك مثل حظائر نايروبي ، وامبوسيلي وسافو وابردير وماكورو ومبرد في كينيا ، وسيرينجيتي في تنزانيا ، وكافيو وانجورنجورو في زامبيا ، وواززا بالكميرون ، وزاكوما بتشاد ، وتوجد باثيوبيا ثلاث حظائر كبيرة . والسودان بحكم موقعه من القارة الافريقية غني بثروته الحيوانية . فبجانب حظيرة الدندر هنالك حظائر اخرى مثل حظيرة نمولي في اقصى جنوب البلاد والحظيرة الجنوبية بمديرية بحر الغزال . ■ انظر الخريطة رقم ١ و ٢ ■ . ولتسمى هذه



الخريطة الثانية توضح الحظائر الهامة للحيوانات البرية بجمهورية السودان :
(١) النيل
(٢) حظيرة الدندر
(٣) الحظيرة الجنوبية
(٤) حظيرة نمولي



الخريطة الثالثة توضح حظيرة الدندر بالسودان :
(١) النيل الازرق
(٢) نهر الدندر
(٣) نهر الرهد
(٤) حظيرة الدندر
(٥) خور كنانة
(٦) خور العطش
(٧) خور جلجو
(٨) دولة اثيوبيا
الحدود الاثيوبية السودانية

الحظائر عادة باسم المنطقة التي تقع فيها كالدندر ، أو تسمى باسم القرية التي تقع بالقرب منها مثل سنوالي ، أو باسم أول من فكر في انشاء الحظيرة نفسها كحظيرة كروجر بجنوب افريقيا . وبول كروجر هذا هو احد رؤساء حكومة جنوب افريقيا وقد عاش في القرن الماضي .

وجميع حظائر افريقيا التي اشرنا اليها تشرف عليها حكومات بلادها وتهتم بها ، لانها تشكل مناطق سياحية يرتادها الناس من شتى البلدان لتمضية وقت ممتع بعيدا عن صخب المدينة وضوضائها ولمشاهدة المناظر الطبيعية التي تسمو بالنفس وتفتح امام الخيال آفاقا واسعة وتبعد العقول عن مخلفات واحزان الشوارع والرتابة والفراغ وهي بعد ابدل وسيلة للتامل في صنع الخالق وابداعه . وهنالك ايضا بعض الناس الذين يرتادون تلك الحظائر كي يكونوا عن قرب من هذه الحيوانات للتمعن في طريقة حياتها وتصرفاتها ، ثم وصف تلك الحياة او رسمها او تصويرها كما يفعل الشعراء والفنانون وهواة التصوير . وهنالك ايضا علماء الحيوان وهم يحاولون دراسة حياة تلك الحيوانات عن كثب لربط هذه الحياة بالبيئة التي تعيش فيها ، ثم يأتي دور هواة الصيد الذين يمنحون تراخيص لاصطياد بعض الحيوانات التي لا يتأثر عددها كثيرا بعملية الصيد هذه . وهكذا فان هذه الحظائر تخدم اغراضا متشابهة اهمها الترويح والدراسة والصيد .

حظيرة الدندر :

انشئت هذه الحظيرة سنة ١٩٢٥ بعد مؤتمر لندن العالمي لوقاية الحيوانات والنباتات والذي عقد سنة ١٩٣٣ . وهي تبعد عن الخرطوم بحوالي ٢١٥ ميلا ، كما انها جزء من منطقة الــربع في الجنوب الشرقي من مديرية النيـــل الازرق . وحدودها الشرقية متاخمة للحدود الاثيوبية ،

ولنهر شمالاً بنهر الرهد . أما نهر الدندر فهو يتوسطها ويقسمها الى جزأين . وبجانب هذين النهرين فالمنطقة تتخللها أنهر صغيرة أو « خيران » كخور كنانة وخور جلجو (أنظر الخريطة رقم ٢) وهذه الحظيرة لها موقع غريب فهي تقع بين خطي عرض ٥ر١١° و ٥ر١٢° شمال خط الاستواء ومصدر الغرابة هو أنه لا توجد حيوانات كثيرة ومتنوعة ونادرة في بقية أجزاء العالم على هذين الخطين وبخاصة شمال خط الاستواء ولم يعرف حتى الآن السبب الرئيسي وراء تجمع هذه الحيوانات في هذه المنطقة بعينها .

وتعتبر حظيرة الدندر من أكبر حظائر العالم البرية ، ومساحتها حوالي ٢٤٧٠ ميلا مربعا . وهي غنية بحيواناتها الكبيرة اللاحمة المفترسة ، المفترسة منها وغير المفترسة . فهناك الأسود والضباع والفهد المرقطة كالفهد وهناك الجاموس والزراف والغزلان (٥) والقرود والزواحف كالتماسيح والثعابين . وهي غنية أيضا بطيورها الجميلة ذات الألوان الزاهية البراقة كالطيور الضخمة والمفترسة كالنعام والجوارح منها العقبان والنسور .

وليست الحيوانات هي كل ما يميز هذه المنطقة الطبيعية التي اتخذتها هذه الحيوانات والطيور مهدا وموطنا آمنا لها تمتاز بمناظر طبيعية خلابة ساحرة تجدها في الوديان والغدران الخضراء التي تكسوها الحشائش والغابات الكثيفة البكر . فهناك أشجار الطلح والسيال والهشاب والهجليج وكذلك أشجار الدوم على ضفاف الأنهار تلك شامخة بجذوعها

● غزال بشمات وغزال مرصالا المخطط والكتنبور



النعامة من أكبر الطيور حجما ، وبالرغم من وجود جناحين كبيرين لها فانها لا تستطيع الطيران ، وهي تعتمد في تفادي الأعداء على سرعتها في الجري والتي قد تفوق ٤٥ ميلا في الساعة .

الصلبة وتمكن الزراف حينئذ من السمك الزيالة . وتتكاثف هذه الاشجار وتتشابك كلما توغل الزائر في الحظيرة حتى تصبح جنديا سميكا يحول دون مجرد التجول . ولا غرو فان هذه الحظيرة تقع في منطقة السافنا الغزيرة وهي جزء من المناطق الاستوائية الشهيرة بالغابات والحشائش الكثيفة .

وامل مبعث السحر والجمال والحيوية في حظائر السودان وبخاصة حظيرة الدندر ، انه هو ابتعاد يد الانسان وعدم تدخله في حياة الحيوانات والنباتات . فالحيوانات تعيش في بيئة لم تعكر صفوها يد الانسان او آلاته .

فصل الخريف واثره على حظيرة الدندر :

يتأثر وجود بعض الحيوانات وكثرتها في حظيرة الدندر بموسم الامطار - الخريف - وموسم الامطار يبدأ عادة من اواخر شهر يونيو حتى نهاية شهر اكتوبر مع قليل من الامطار التي تهطل في شهر مايو . وعلى هذا النمط يمكن تقسيم الحيوانات الى ثلاث فئات .

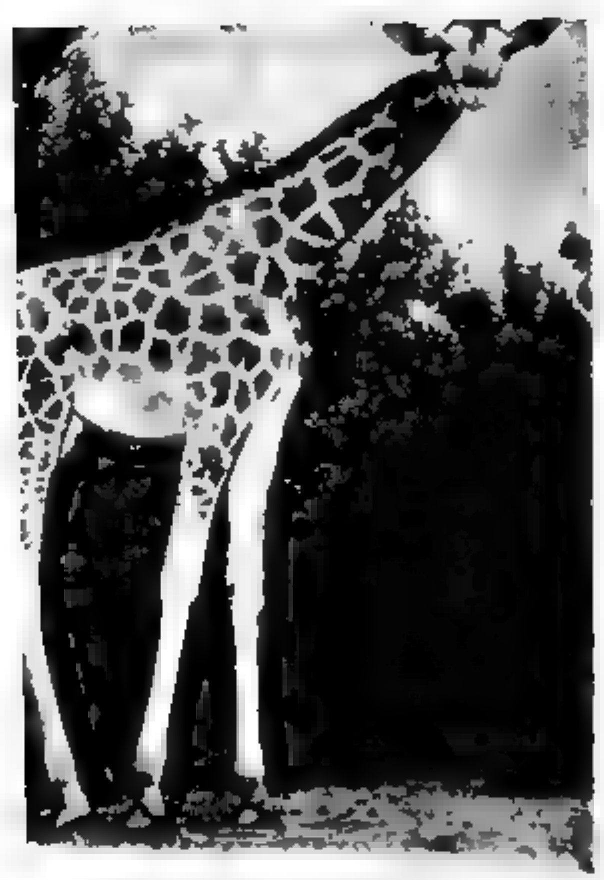
(أ) الفئة الاولى وهي حيوانات دائمة الاقامة بحظيرة الدندر مثل بعض الغزلان .

(ب) الفئة الثانية وتشمل حيوانات كثيرة كالغزلان والنعام والتيتل ليبغي Tiany وهو من اكثر الحيوانات مقدرة على العيش في بيئات متباينة كالغابات الاستوائية والسافنا ومرتفعات اثيوبيا . وهذه الفئة من الحيوانات تهجر حظيرة الدندر وتتوغل الى الداخل في منطقة والسافنا المفتوحة القليلة الاشجار بالقرب من جبل « الملكين » وجبل « كردوس » وهما يبعدان حوالي ٢٥ ميلا الى الغرب من هذه الحظيرة .

(ج) اما الفئة الثالثة والاخيرة فهي تمثل مجموعة الحيوانات التي تترك لحظيرة الدندر في زمن الخريف . واهم هذه الحيوانات هي الافيال التي يقال انها تأتي من هضاب ومرتفعات اثيوبيا . وفي الوقت الحاضر لا يستطيع الانسان حصر الحيوانات التي تأتي الدندر في فترة الخريف بسبب وعورة المسالك وانسدادها احيانا في هذه الفترة . وعليه فانسب واطيب فترات السنة لزيارة الحظيرة تبدأ في اواخر ديسمبر وتستمر حتى بداية مايو .

ملتقطات وحقائق عن بعض الحيوانات :

هذه ملتقطات وحقائق مختارة عن بعض الحيوانات الشهيرة بحظائر السودان المختلفة لا



الزرافة هي اطول الحيوانات فقد يبلغ ارتفاع الواحدة اكثر من ١٨ قدما .

منها ما يعيش بحظيرة الدندر ومنها ما يوجد بحظيرة نمولي بجنوب البلاد كما نجده بمنطقتي بوما المحجوزة للصيد في أعالي النيل بمركز بور ، وكذلك منها ما هو موجود بالحديقة المحجورة الثالثة المسماة بالرجوم في جنوب غرب طرابور . واليك بعض هذه الحيوانات :

النعام :

هذه المجموعة من الطيور المسماة بالنعام هي أكبر الطيور حجما ، فارتفاع النعامة عن الأرض قد يبلغ ثمانية أقدام ، ووزنها قد يصل الى ٣٠٠ رطل . وبالرغم من وجود جناحين كبيرين لها فانها لا تستطيع الطيران ، وهي تعتمد أساسا في دفاعها عن نفسها على العدو أو الجري السريع وقد تفوق سرعة هذه الطيور خمسة وأربعين ميلا في الساعة. وأعناقها الطويلة تساعدها أيضا في معرفة واكتشاف مصدر الخطر المتمثل في الحيوانات المفترسة كالأسود التي تعتمد على السرعة والقوة والبطش لأنها لا تستطيع العدو المتواصل لمسافات طويلة كما يفعل النعام .

وهناك بعض الاختلافات بين ذكر وأنثى النعام إذ أن الذكور تتميز بلون أسود وأجنحة بيضاء وتصدر منها في بعض الأحيان أصوات غريبة تشبه زئير الأسود . أما لون الاناث فهو أقرب الى اللون البني الداكن وحجمها يصغر حجم الذكور .

ويعتمد النعام في حياته على التهام الحشائش وصغار الطيور والحيوانات وطريقة أكله للحشائش جعلت البعض يظنون أنه حين يريد الاختفاء يدس رأسه في الرمال ويظل باقي جسمه ظاهرا ، ومن هنا شاع هذا القول الخاطىء وصارت تضرب به الأمثال .

هذا ويتميز بيض النعام بلونه الأبيض وحجمه الكبير ويشترك الذكر والأنثى في حضانته التي تستمر من خمسة الى ستة أسابيع ، بعدها يفقس البيض ليخرج النعام الصغير مفترسا العدو من أول لحظة في حياته .

ولبيض النعام أعداء كثيرة من الحيوانات والطيور ، فالضباع والصقور مثلا تترصده وتبحث عن أماكنه لتهشيمه وأكله . وهناك أيضا بعض القبائل الافريقية التي ما زالت تستعمل غلاف هذا البيض لأواني الشرب .

الزراف :

هذه المجموعة من الحيوانات النادرة هي من عجائب الدنيا دون شك فهي أطول الحيوانات على وجه الأرض ، وقد يبلغ ارتفاع الواحدة منها أكثر من ١٨ قدما ، وتزن حوالي ٢٨٠٠ رطل ، كما يزن قلبها وحده ٢٥ رطلا . وللزراف أعناق طويلة متناسقة تتناسب مع أحجامها وتساعدها في الوصول الى أوراق الأشجار العالية التي تمثل الغذاء الرئيسي لها فتلتقطها في سهولة ويسر بوساطة ألسنة طويلة قد يصل طول الواحد منها الى قدمين .

ويتميز الزراف بنظر حاد ، وهذا النظر الحاد بمساعدة الأعناق الطويلة يمكنها من رؤية الأشياء النائية والابتعاد بسرعة قبل وصول الحيوانات المفترسة اليها والتي أهمها الأسود التي تجد صعوبة شديدة في الفتك بها لأنها تضرب وترفس بأرجلها في عنف لتهيم قاتل .

وهنالك أنواع متعددة من الزراف وليس جميع الزراف منقطا Reticulated بل يوجد منها نوع بدون تنقيط Albino ويضع أنثى الزراف مولودا واحدا بعد فترة حمل مقدارها ٤٤٢ يوما .

وبجانب الاستمتاع برؤية الزراف في الحظائر وغيرها فان لها فوائد اقتصادية ، فالجلد يمكن استخدامه في صناعة الأوتار والسياط ، واللحم يمكن الاستفادة منها كغذاء .

وحيد القرن :

هذا الحيوان يوجد الآن بأعداد قليلة في جنوب السودان وفي حظيرة نمولي ، وهو يأتي بعد الفيل مباشرة في ضخامة الجسم ، ويزن ما يقرب من ثلاثة أطنان . وهنالك نوعان من وحيد القرن في افريقيا أحدهما أبيض والآخر أسود ، ووحيد القرن الأبيض أكبر حجما وأقل شراسة من الآخر الأسود الذي يتميز بطبع غريب وتصرفات حمقاء . فمثلا إذا اعترضت سبيله سيارة فانه يفر هاربا أولا ، ولكن سرعان ما يغير رأيه ويكر مسرعا تجاه السيارة لاصطدام بها ومهاجمتها بقرنه . وهذا الحيوان هو في طريقه الآن للانقراض ، ويعود سبب ذلك لتعرضه الكثير لرصاص الصيادين الذين يستفيدون من جلده .



وحيد القرن . وهو يأكل العشب مباشرة بالنسبة لضخامة الجسم ووزن وحيد القرن حوالي ٢ طن

ووحيد القرن الهندي يختلف قليلا عن الافريقي فقرنه أصغر منه وأقل حدة . والوحيد القرن نظر ضعيف وقد استعاض عن ذلك النقص بحاسة شم قوية يتجه بحملة مستميتة ويصدر صوتا حينما عندما يكون هنالك خطر محدق .

الأصلة :

الأصلة Python هي أكبر الثعابين غير السامة وقد قلص عددها كثيرا نتيجة لتعقب الانسان لها واقتلها للاستفادة من جلدها في صناعة الأحذية والتحف (الانتيكة) وحقائب السيدات ... الخ . وهي تكثر الآن في منطقة الريوم الثلاثة . والأصلة ثعبان ضخم طويل يصل طوله الى عشرين قدما . على ان هذا النوع منها نادر جدا . اما أغلب انواعها فطولها لا يتعدى ١٢ قدما . وقد سردت احاديث وقصص مبالغ فيها ، عن مقدرة الأصلة على ابتلاع حيوانات بأكملها . وحقيقة الأمر أن الأصلة لا تستطيع ان تبتلع الا بعض الحيوانات الصغيرة كصغار الغزلان وهي تقتلها بطريقة العصر Constriction أي تلتف حول الحيوان المراد قتله وتضغطه بعضلاتها القوية فتحطم أجهزته المختلفة فيموت .

وتستطيع الأصلة المشي والتسلق على سطح الأرض اليابسة وهي تضع كثيرا من البيض – حوالي ٥٠ بيضة – وتلتف فوق هذه الكمية وتحضنها حتى تفقس .

خاتمة :

تهتم السلطات هذه الأيام اهتماما بالغا بمنطقة شرق الدندر والرهد فهي تنوي انشاء مشاريع زراعية ضخمة حول تلك المنطقة كمشروع كنانة ومشروع الدندر والرهد وغيرها . وقد استعانت الحكومة بخبير من هيئة الزراعة والتغذية FAO التابعة لمنظمة الأمم المتحدة لمعرفة مدى تأثير تلك المشاريع على حظيرة الدندر ، وقد رافق الخبير الزراعي المسؤولين الذين يقومون بدراسته الآن .

وبعد ، هذه مقدمة التعريف بمنطقة تعتبر من المناطق السياحية العالمية الهامة التي لم تجد الاهتمام اللائق بها من الرواد والسواح بالرغم من قربها للسائح العربي والسائح الأوروبي الذي يقطع آلاف الأميال للوقوف امام حظيرة كروجر في جنوب افريقيا وحظيرة الدندر لا تقل عنها روعة وجمالا .

محمد الأمين الربيع

وردتْ حوّاءُ لي ..

[illegible]

[illegible]

[illegible] كأسُ شوقٍ ورؤى حلمٍ [illegible]

[illegible] يرفلُ الوردُ بها فتخرّ [illegible]

[illegible]

جورج . ى . شدياق

فنزويلا





يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

مرض كوريا قد يؤثر على القلب

● ابنتي في العاشرة أصيبت بالتهاب في اللوزتين ومرض ما أثر ذلك على المفاصل ، ثم بعد فترة أصبحت حركات غير ارادية في رأسها وذراعيها ، وقيل لي انها مصابة بمرض « كوريا » (Chorea) فهل لي أن أعرف بعض الشيء عن هذا المرض ؟ .

ـ هذا المرض الذي أصيبت به ابنتك ، لا يعرف بالضبط سببه . ولكنه [illegible] يصاحب الحمى الروماتيزمية ـ وفي نسبة منه يصاب القلب اما في عضلاته أو صماماته . وربما ساعد على حدوث هذا المرض وجود اضطرابات نفسية بعض هؤلاء الاطفال . ويلاحظ أن هذا المرض يصيب البنات أكثر من الاولاد سنة ٣ [illegible] يظهر تدريجيا [illegible]

أول ما يلاحظ على المريضة سقوط الاشياء من يدها ثم تظهر [illegible] في ذراعيها ورأسها وفي وجهها [illegible] حتى أنه تحدث تعثرا في الكلام [illegible] عدم القدرة على [illegible] في حركة [illegible] المريض الى راحة [illegible] [illegible] وربما [illegible] [illegible] مع [illegible] أعراض [illegible] وربما مهدئة [illegible] ([illegible]) [illegible] [illegible] في مدة ٦ ـ ١٢ أسبوعا [illegible] [illegible] وهذه [illegible] على القلب

اللوزتان .. هل هناك ضرر من ازالتهما ؟!

● [illegible] بالتهاب اللوزتين مرات عديدة وأشار الاطباء علي بازالتهما ، فهل من ضرر في ذلك ؟

ـ اللوزتان تكونان خط دفاع قوي ضد الميكروبات التي تدخل من الأنف والفم لذا كانت فائدتهما ، اذا كانت سليمتين ، اذ أنه من الممكن حجز هذه

الميكروبات ومنعها من دخول الجسم .

أما اذا أصيبت اللوزتان بالالتهاب وأصبحتا مرتعا خصبا للميكروبات وتأثرتا بهذه الميكروبات مما يسبب تضخمهما فيصبحان في هذه الحالة ضارتين للجسم ـ اذ أن افراز السموم من الميكروبات التي تقطنهما ـ أو المواد التي تخرج منهما تساعد على حدوث التهابات عدة في الجسم ، كالآلام الروماتيزمية في المفاصل والعضلات ـ أو حدوث الحمى الروماتيزمية في الأطفال وربما سببت روماتيزم القلب .

وكذلك يحدث في بعض الأحيان التهاب الكلى ـ بعد الالتهابات الحادة باللوزتين التي تصيب الأطفال

وعلاوة على ذلك فان التهاب اللوزتين المزمن عند الأطفال يقلل من مناعتهم ويضعف من نموهم ويجعلهم عرضة لفقر الدم وغيره من الأمراض ـ كما أنه في بعض الحالات يكونان بؤرة لحمل ميكروبات عدة مثل ميكروب منجوكك (Meningococcus) الذي يسبب التهاب السحايا في صغار السن . وغير ذلك من الميكروبات التي تنشط في بعض الحالات وتسبب امراضا عدة .

لذا أنصحك يا أخي أن تزيلهما اذا كان قد أشار عليك الطبيب بذلك واذا كانتا في حالة لا يرجى شفاؤهما .

قرحة الاثني عشر ومضاعفاتها

● أصبت بقرحة في الاثني عشر منذ سنوات ، وكنت على حمية خاصة والعلاج الموصوف لي ـ ورغم ذلك فالمرض الالم والتعب على ان القرحة ازمنت واحتاج الى عملية ـ فما هي المضاعفات التي من المعتقد ان تحدث اذا لم اوافق على اجراء العملية ؟

ـ يظهر أن القرحة التي تشكو منها أصبحت لا تستجيب الى العلاج بالأدوية والحمية، وهذا يحدث عادة في ٥ ـ ١٠ ٪ من حالات القرحة . والعملية تصبح لازمة خوف حدوث المضاعفات ، وأهم هذه المضاعفات هو تشوه الاثني عشر وضيق الجزء الأول منها مما يجعل مرور الطعام منها صعبا ، ويسبب تضخما وتمددا في المعدة وانسدادا في فتحة البواب ـ وهذا يسبب تعفن الأكل بالمعدة وحدوث القيء من آن الى آخر وعدم الاستفادة من الطعام بضعف المصاب ويقل وزنه . والعملية واجبة في هذه الحالة لتحول الأكل الى الأمعاء بطريق توصيل المعدة بالأمعاء .

ومن المضاعفات ان تنزف القرحة وينزل الدم من الأمعاء على شكل مادة سوداء تشبه القار ، ويحدث تبعا لذلك فقر شديد بالدم أو نزيف وربما أودى بحياة المريض .

ومن المضاعفات أيضا أن تتعمق القرحة شيئا فشيئا الى أن يحدث بها انثقاب ويتسرب الأكل من المعدة الى البريتون وتجويف البطن مما يسبب التهابا شديدا ، وربما أودى بحياة المصاب . وقبل الانثقاب ربما تحدث التصاقات شديدة بين القرحة والأعضاء الأخرى كالبنكرياس ، مما يسبب آلاما شديدة يحس بها المريض في الظهر .

كل هذه المضاعفات تحتاج الى التدخل الجراحي ، خصوصا عندما لا يستجيب المرض للعلاج والالم يكون مستمرا .

اللسان الشديد الاحمرار ليس دليل الصحة !



● اعانى من تشقق فى اللسان ودون ألم ، فهل هذا مرض ؟ .



ـ هناك عدم تشابه فى مظهر اللسان الطبيعى فتجد انه فى بعض الاشخاص يكون اللسان مشققا وتختلف هذه التشققات عمقا واتساعا وشكلا ـ وكذلك تختلف النتوءات الموجودة فوق اللسان من شخص الى آخر ـ ثم حجم اللسان كذلك يختلف ـ والطبقة الرقيقة البيضاء التى تغطى اللسان لا تدل على أى مرض فيه ـ ويغطى اللسان بطبقة صفراء فى المدخنين ، ويكون اللسان جافا فى الذين يتنفسون من أفواههم ، اما اللسان الأملس ـ الخالى من النتوءات ـ النظيف جدا الذى لا يغطى بأى طبقة ـ الاحمر الشديد الاحمرار ـ فلا يفرح صاحبه به فربما دل على أن هناك فقرا فى الدم ـ أو التهابا فى الفم او نقصا فى الفيتامينات ، ويكون هذا اللسان مصحوبا بحرقة فيه وألم اثناء تناول الطعام .

واللسان المغطى بطبقة بيضاء سميكة فى الاطفال يدل على اصابتهم بنوع من الفطريات ـ اما تقرحات اللسان فعديدة منها ما ينتج من اصابة اللسان بالاسنان سواء الطبيعية أو الصناعية ، وما يكون نتيجة لاضطرابات نفسية او اضطرابات فى الجهاز الهضمى او اصابة المريض بالزهرى ـ وغير ذلك من الاسباب .

الدم مع البصاق هل يعنى الاصابة بالدرن ؟!

● يسأل عن سبب حدوث دم مع البصاق ـ وهل سببه مرض الدرن الرئوى ؟ أو من الممكن أن يحدث من أى مرض آخر ؟ .

ـ ان حدوث دم بالبصاق ربما يكون لعدة أسباب منها حدوث التهابات شديدة فى الشعب الهوائية ـ او ضعف بالاوردة أو الشعيرات الدموية التى ربما تسرب الدم منها واختلط بالبصاق عند السعال الشديد .

وفى بعض الحالات يكون البصاق المدمم نتيجة لالتهاب فى جزء من الرئة ـ سرعان ما يختفى بعد تحسن الالتهاب .

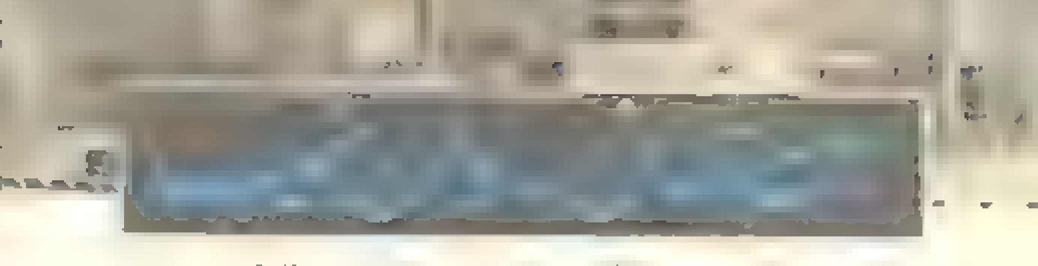
ـ تمدد الشعب الهوائية وتمدد الاوعية بها يسبب بصاقا ملونا بالدم من آن الى آخر ، واذا كان قد حدث تهتك بهذه الشعب مع انسجة الرئة المجاورة ، كان من الواجب ازالة هذا الجزء المصاب .

ـ ومرض السل الرئوى من الاسباب التى تسبب بالطبع بصاقا مدمما .

ـ فى حالة ضيق فى الصمام الميترالى بعد أنه يحدث احتقان فى الرئة ، ثم تمدد الاوعية الدموية فى الشعيبات الهوائية ، وربما تنفجر هذه الاوعية الدموية وتسبب بصاقا ملونا بالدم .

ـ فى حالة هبوط القلب خصوصا من اثر ارتفاع ضغط الدم ربما حدث بصاق ذو رغوة مدممة فى هذه الحالة .

ـ فى حالات الاورام الخبيثة او الحميدة التى تصيب الشعب الهوائية او الرئة ، ربما سببت بصاقا مدمما .



الجمهوريه العربيه المتحده تنتج حاليا
٢٠ مليون طن من البترول الخام سنويا

● هل لكم ان تكرموا لنا بالارقام عن انتاج الجمهوريه العربيه المتحده من البترول حاليا . ولقد سمعنا انه قد اكتشفت آبار بترول جديدة في السنوات الاخيره فهل تؤدي هذه الاكتشافات الى جعل مصر دولة بترولية ؟

يحيى علي – السودان

– تعد مصر من اقدم دول الشرق الاوسط والبلاد العربية كشفا للبترول وقد بدا انتاجها عام ١٩١٠ بعد اكتشاف حقل جمسة على ساحل البحر الاحمر .

وتنتج مصر حاليا ، باستثناء ابار سيناء وما اكتشف اخيرا ولم يستغل بعد من الآبار ما يزيد على ٤٠٠٠٠٠ برميل يوميا من البترول الخام اي ما يقدر بحوالي ٢٠ مليون طن سنويا .

واكبر الحقول البترولية المنتجة حاليا في الجمهورية العربية هو حقل مرجان البحري وهو يقع تحت مياه خليج السويس ويقدر انتاجه بحوالي ٢٥٠٠٠٠ برميل يوميا .

وعلى الشاطىء الغربي لخليج السويس توجد عدة حقول بترول منتجة صغيرة تملكها الشركة العامة للبترول وهي شركة حكومية مصرية . وهذه الحقول هي : بكر ، ووادي فاريب ، وكريم ، ورأس البحر ، وشقير ، والغردقه ، ويبلغ انتاجها حوالي ٢٠ الف برميل يوميا . وترى كل هذه الآبار موضحة على الخريطه المرفقة .

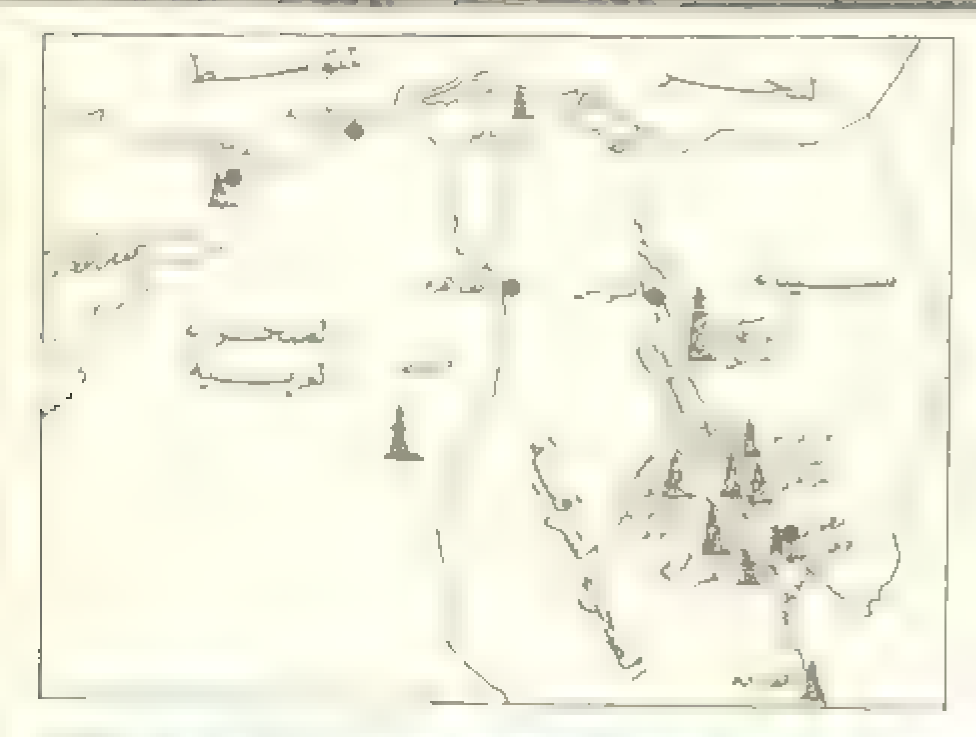
اما على الجانب الشرقي لخليج السويس في سيناء . فان حقول البترول التي تملكها شركة كوبي (شركة مملوكة للحكومة المصرية وشركة ايني الايطاليه للبترول) وهي حقول سدر وعسل وفيران ورأس مطارمه وبلاعيم البري وابو رديس ، تقوم قوات الاحتلال الاسرائيلي في سيناء باستغلالها وتنتج حاليا حوالي ٩٠ الف برميل يوميا (حوالي ٤٥٠٠٠٠٠ طن سنويا) .

وفي الصحراء الغربية يوجد حقل العلمين على بعد ٤٠ كيلو مترا من ساحل البحر المتوسط وقد بلغ انتاجه في عام ١٩٧٠ ، ٤٢٠٠٠٠ برميل يوميا ثم هبط في اوائل عام ١٩٧١ ليصبح ٣٠٠٠٠ برميل يوميا .

اما عن الاكتشافات الجديدة والتي لم تنتج بعد فقد تم اكتشاف حقل بترول جديد جنوب حقل المرجان في خليج السويس واطلق عليه اسم حقل الامل .

واعلن اخيرا في شهر ابريل عام ١٩٧١ عن اكتشاف حقل جديد كبير ، يقول الخبراء عنه انه سيكون من اكبر حقول البترول في مصر ، وذلك في منطقة ابو الغراديق التي تبعد ١ كيلومتر جنوب العلمين ، في صحراء مصر الغربيه

وقد تم اكتشاف الغاز الطبيعي بكميات كبيرة في دلتا مصر . ومن بين الاماكن التي اكتشف فيها



... حوالي ٥٠٠٠٠٠٠ طن سنويا من البترول الخام .

الغاز خليج ابو قير ويقدر ان يكون انتاجه حوالي ٢٧ مليون قدم مكعب يوميا من الغاز ، وبئر بوصلي بالقرب من مدينة رشيد ويقدر له ان ينتج حوالي ٨ر٧ مليون قدم مكعب يوميا . وعثر ايضا على الغاز في بئر ابو ماضي بالقرب من مدينة كفر الشيخ .

وتقوم الآن عدة شركات امريكية وايطالية ويابانية بالحفر والتنقيب عن البترول في صحارى مصر ومياهها الاقليمية ، كما تقوم ايضا شركات البترول المصرية التابعة للحكومة بالتنقيب عن البترول لحسابها الخاص بمعاونة في ذلك الاتحاد السوفيتي بموجب اتفاقية اقتصادية ويتم التنقيب حاليا في واحة سيوة .

ونرى من ذلك ان هناك املا كبيرا في ان تؤدي عمليات التنقيب هذه الى تحويل الجمهورية العربية المتحدة الى بلد بترولي .

احكام الزواج والطلاق في الجمهورية التونسية

● طال الحديث في مختلف بلدان الشرق العربي عن تعدد الزوجات وحكم الشرع الاسلامي فيه. فقال بعض بجواز تعددها الى أربع، دون قيود، وذهب آخرون الى ان الاسلام، مع اباحته بالاربع، انما نصح بواحدة. وعلمنا ان الجمهورية التونسية قد عرفت بموقف وسط حول موضوع تعدد الزوجات، وحول موضوع الطلاق أيضا.. ورجو ان تعطونا فكرة واضحة عن الاحكام الشرعية التي يخضع لها هذان الموضوعان في البلد الشقيق.

خالد الناصر ـ الطائف

طرحنا سؤالك على سفارة الجمهورية التونسية في الكويت، فتكرمت بموافاتنا بالرد التالي:

صدرت بتاريخ ٦ محرم ١٣٧٦ (١٣ اوت ١٩٥٦) مجلة « الأحوال الشخصية » التونسية التي جمعت في تأليف واحد النصوص التشريعية المتنوعة سلفا والمتعلقة باحكام الزواج والطلاق والنفقة والحضانة والنسب والميراث والوصية والتبني، كما ادخلت احكاما جديدة تمشيا مع مقتضيات العصر.

واستمدت المجلة احكامها من التشريع والفقه الاسلامي، آخذة بعين الاعتبار متطلبات التطور الاجتماعي من قوانين ثابتة وواضحة، وحماية حقوق المرأة، واقرار مساواتها مع الرجل، وكذلك حماية الاسرة التونسية من الانحلال والتفكك.

فلا ينعقد الزواج الا برضا الزوجين، ولا يثبت الا بحجة رسمية. ويجب ان يكون كل من الزوجين خلوا من الموانع الشرعية. وزيادة على ذلك، فكل من لم يبلغ عشرين سنة من الرجال وسبع عشرة سنة من النساء لا يمكنه ان يبرم عقد الزواج الا باذن خاص من الحاكم. ولا يعطى الاذن المذكور الا لاسباب خطيرة وللمصلحة الواضحة للزوجين.

وينص الفصل ١٨ من المجلة على منع تعدد الزوجات ويتعرض كل مخالف للقانون الى عقوبة السجن والغرامة.

وجاء هذا الحكم ليحمي الاسرة من الانحلال وليؤكد للمرأة التونسية حقها في الكرامة وليحقق للابناء الاستقرار النفساني والمعنوي.

وحدد الفصل ٢٣ من المجلة ما يجب لكل من الزوجين على صاحبه فقال: على الزوج ان يعامل زوجته بالمعروف ويحسن عشرتها ويتجنب الحاق الضرر بها وان ينفق عليها وعلى اولاده منها على قدر حاله وحالها في عامة الشؤون المشمولة في حقيقة النفقة. والزوجة تساهم في الانفاق على العائلة ان كان لها مال. وعلى الزوجة ان ترعى زوجها باعتباره رئيس العائلة وتطيعه فيما يأمرها به في هذه الحقوق.

والزوج بواجباتها الزوجية حسبما يقتضيه العرف والعادة ـ الفصل ٢٤: لا ولاية للزوج على اموال زوجته الخاصة بها. فالمرأة التونسية المتزوجة لها الحق في التصرف الكامل في اموالها دون مراقبة زوجها.

اما بخصوص احكام الطلاق، فينص الفصل ٣٠ على ما يلي: لا يقع الطلاق الا لدى المحكمة (اي المحكمة المدنية) ويحكم بالطلاق:

١ ـ بناء على طلب من الزوج او الزوجة لاسباب قانونية كالاخلال بالواجبات الزوجية.

٢ ـ بتراضي الزوجين.

٣ ـ او عند رغبة الزوج بانشاء الطلاق او مطالبة الزوجة به. وفي هذه الصورة يقدر الحاكم ما تنتفع به الزوجة من الغرامات المالية لتعويض الضرر الحاصل لها او ما تدفعه هي للزوج من التعويضات.

ولا يحكم بالطلاق الا بعد ان يجري رئيس المحكمة او من ينوبه محاولة صلح بين الزوجين ويعجز عن

الاصلاح بينهما . ويقدر الرئيس النفقة بناء على ما تجمع لديه من عناصر عند محاولة الصلح .

وهكذا يتضح للفاحص للقانون التونسي ان الطلاق حكم قضائي يصدر من محكمة بامكان الزوج والزوجة المطالبة به ويضمن حقوق الطرفين .

ويعتبر الطلاق القضائي بالاضافة الى منع تعدد الزوجات اهم ما جاءت به مجلة الاحوال الشخصية وهي تجسيم للاصلاح الاجتماعي الذي ما فتئت تقوم به الدولة التونسية منذ الاستقلال .

الاوضاع في تركيا
وحقيقة الازمة السياسية القائمة فيها

● قرأنا في الصحف عن الاضطرابات الاخيرة في تركيا ، وتدخل قواد الجيش التركي لقمعها مهددين بانتزاع السلطة من المدنيين الحاكمين ... فهل تزيدوننا علما بحقيقة الاوضاع القائمة في هذه البلاد المجاورة ؟

محمود سليمان – العراق

– رغم كل ما قيل عن الاضطرابات التي حدثت اخيرا في تركيا ، فان المعلقين السياسيين يجمعون على ان شيئا لم يحدث في هذه البلاد ، ليس الآن ، على الاقل ، حقيقة ان الحالة السياسية التي كانت تسود البلاد منذ شهور قليلة مضت ، والاضطرابات التي قام بها طلبة الجامعات اثناء حكم سليمان ديميرل ، رئيس الوزراء المستقيل ، كانت تهدد بوقوع انفجار كان يمكن ان يؤدي الى تغيير الصورة الاجتماعية كلها في تركيا .

وقد كان هذا هو السبب المباشر الذي دفع كبار قواد الجيش التركي الى التدخل ، ولكن لا من اجل « حماية الجمهورية » كما زعموا ، ولكن من اجل اقرار الوضع الراهن في البلاد ، والحيلولة دون تفجر بذور الثورة الوطنية ، التي لا تمت الى اليمين او اليسار بصلة ، على الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة في تركيا .. تلك الثورة التي تشتعل في صدور طلبة الجامعات ، وعدد كبير من صغار ضباط وجنود الجيش التركي .

وقد اقترنت هذه الحركة الثورية التي سبقت تدخل كبار قواد الجيش لانقاذ الجمهورية ، بشعور معاد لحلف الاطلسي ، وخضوع الحكومة التركية للحماية الامريكية ، وقد تجلى هذا الشعور في حادث اختطاف اربعة من الجنود الامريكيين بواسطة المنظمة التي اطلقت على نفسها اسم « جيش التحرير الشعبي التركي » وهو الحادث الذي ادى الى قيام اكبر حملة في تاريخ تركيا لاعادة الجنود المختطفين والقبض على الجناة. فقد اغلقت المدن وسدت الطرقات واقيمت مراكز التفتيش في كل انحاء البلاد ، حتى نجحوا اخيرا في العثور عليهم .

وفي خضم هذه الاضطرابات التي اجتاحت تركيا قبل استيلاء كبار قواد الجيش على السلطة ثم اعادتها الى الحكومة المدنية الجديدة برئاسة الدكتور نهاد اريم ، ارتفعت النداءات التي تطالب بازالة قواعد حلف الاطلسي ، وتصفية النفوذ الاجنبي الامريكي والبريطاني ، وانسحاب تركيا من الاحلاف العسكرية ، والى ذلك من الشعارات المعادية للغرب عموما . وهكذا « انقذ » قواد الجيش التركي بلادهم من الثورة باسم حماية الجمهورية ! .

وتقول مجلة الايكونوميست : ان الازمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تركيا باقية .. ولم تكن الاضطرابات الاخيرة سوى محاولة لبلورة معالم هذه الازمة وتحديد ابعادها ، وربما يأتي اليوم الذي يعجز فيه قواد الجيش عن « انقاذ الجمهورية التركية » مرة اخرى ! .

كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

● ما أخطأ صديقي مرة أو أخطأت عليه فصرنا خصيما إلا قال لي :

« كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه » .

فلمن هذا القول ؟ .

حسني زغلول – القاهرة

– على الرغم من شهرة هذا الجزء من البيت فإن قائله مجهول لدى أغلب المتمثلين به . وأول ما يتبادر الى الأذهان أن قائله هو بشار بن برد ، لأنه على وزن قصيدته التي فيها .

إذا كنت في كل الأمور معاتبا
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فاذا رجعنا الى القصيدة لا نجده فيها . ثم يخيل الى المتمثلين أنه للمتنبي ، لكثرة الحكم في شعره ، ومنهم من يتوهم أنه لأبي تمام ، وهكذا تدور بين المشهورين من الشعراء فلا تظفر بصاحبه.

أما قائل البيت فهو شاعر من العصر العباسي ، كان في القرن الثالث الهجري وكان ينزل الشام ثم انتقل الى مدينة السلام (بغداد) واسمه يزيد ابن محمد المهلبي ، وكنيته أبو خالد ، ينتمي نسبه الى المهلب بن أبي صفرة ، وقد ترجم له ابن المعتز في طبقات الشعراء ، كما ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ومع ذلك فابن المعتز والخطيب البغدادي لم يذكرا هذا البيت في ترجمتهما له وبيته بتمامه هو :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرءَ نبلاً أن تعدّ معايبه

أما الذي أورد البيت منسوبا اليه فهو ابن عبد البر في كتابه «المجالس» في الجزء الأول صفحة ٦٥١ والنويري في كتابه نهاية الأرب في الجزء الثالث صفحة ٩٦ كما جاء في محاضرات الراغب الأصفهاني بدون أن ينسبه له ولا لغيره . ولم يذكروا مع هذا البيت ما يشفعه وإن كانوا قد ذكروا له أبياتا من قوافٍ أخر .

(ع . ف)

موشي ديان أين ولد ؟

● هل صحيح أن موشي ديان وزير دفاع اسرائيل كان مختار احدى مناطق القدس قبل اغتصاب فلسطين ، وهل هو من مواليد القدس ؟ .

نبيل قاسم الحبيب – العراق

– ولد موشي ديان في مستعمرة دجانيا « أ » «A» Degania ، وهي أول كيبوتز يتم تأسيسه في فلسطين وذلك في ٢٠ مايو عام ١٩١٥ . وقد أمضى شبابه يعمل في الزراعة في مزرعة تعاونية تدعى ناحالال Nahalal ، أسسها والده . ثم انضم في أواخر الثلاثينات الى قوات الهاجاناه وقبضت عليه سلطات الحماية البريطانية في عام ١٩٣٩ بسبب أعمال العنف التي اشترك فيها ضد السلطات البريطانية .

وفي عام ١٩٤١ تطوع للعمل مع القوات الاسترالية التي اجتاحت سوريا أثناء الحرب بين القوات البريطانية والفرنسية الحرة ضد قوات حكومة فيشي في سوريا عام ١٩٤١ . وبينما كان ديان يستعمل منظاره الحربي الكبير لاستطلاع المنطقة أطلق قناص فرنسي النار عليه وحطمت الرصاصة العدسة اليسرى لمنظاره فاخترقت عينه اليسرى وأتلفتها . واستشار ديان عددا كبيرا من مشاهير أطباء العيون الذين نصحوا له

عينا صناعية ولكن بسبب الجرح العميق في مقلة العين كان هذا مستحيلا . واصبح ديان يضع عصابة سوداء على عينه اليسرى وبالرغم من ان هذه العصابة السوداء قد اصبحت علامة مميزة له الا انها ، كما يقول يوري افنيري Yuri Avneri الكاتب الإسرائيلي في كتابه اسرائيل بلا صهاينة ، قد سببت له عقدة نفسية لا يزال يعاني منها حتى الآن . وديان ليس له علاقات وثيقة بأحد ولم يحتفظ اطلاقا بمستشارين ولا ينتصح بنصيحة أحد ، لانه لا يحترم احدا على الاطلاق ولا يحاول ان يخفي احتقاره للناس . وقد تولى ديان قيادة منطقة القدس خلال حرب عام ١٩٤٨ .

ولعل اصدق وصف لشخصية ديان هو ما وصفه به الجنرال الاسرائيلي اسحاق ساديه Yitzhak Sadeh قبل ان يموت : « ان ديان اخطر رجل في اسرائيل ، وعلى المرء ان يراقبه دائما ، فهو ليس لديه اي ضوابط او اخلاق تمنعه من الاقدام على اي عمل مهما كان دنيئا » .

(م . ط)

فنلنده جمهورية مستقلة

● التقيت منذ أيام بجماعة من السواح وتحدثت الى بعضهم وكان احدهم من فنلنده ، واعلم ان فنلنده بلد يدخل في ركن من اركان روسيا وحدثت انه بعض روسيا ؟ وانها استقلت بطلبها .. فأنكر محدثي كل ذلك ، وقال انها مستقلة وانها تجري على نظام الحكم الذي تريده .. فهل للعربي ما يرده على ما قال السائح الفنلندي .... !

موفق عبد الحق ــ حمص

ــ نعم ، ان فنلندة مستقلة،ونظام الحكم السائد فيها هو النظام الجمهوري النيابي ، وفق ما نص عليه دستور البلاد الصادر سنة ١٩١٩ .

وفي فنلندة مجلس نيابي واحد لا مجلسان ، ويبلغ عدد اعضاء هذا المجلس ٢٠٠ عضو ، ينتخبون بطريقة الاقتراع المباشر Direct . وحق الانتخاب في تلك البلاد شامل ، يتمتع به كل من تجاوز سن العشرين من المواطنين رجالا ونساء على السواء .

وتجرى الانتخابات النيابية العامة في فنلندة مرة كل اربع سنوات . اما انتخاب رئيس الجمهورية فلا يتجدد الا كل ست سنوات .

وتجدر الاشارة الى ان فنلندة حديثة عهد باستقلالها : فقد كانت تابعة للسويد في القرون الوسطى ، وخضعت بعد ذلك لروسيا القيصرية في القرن الثامن عشر . ثم اصبحت فنلندة تتمتع بالحكم الذاتي في ظل العرش الروسي وفق معاهدة هامينا Hamina المعقودة سنة ١٨٠٩ وبقيت الاوضاع على هذه الحال حتى اندلعت الثورة الشيوعية في روسيا ، فانتهزت فنلندة الفرصة ، واعلنت نفسها مستقلة في ٦ ديسمبر ١٩١٧ . وهذا يعني ان فنلندة لم تحصل على استقلالها الا منذ حوالي نصف قرن . على ان فنلندة لم تنعم بالسلام طويلا منذ ان حصلت على استقلالها ، فقد خاضت ثلاث حروب مع روسيا في فترة نصف القرن الماضية . كانت الاولى اثر اعلانها الاستقلال من جانب واحد سنة ١٩١٧ ، وكانت الثانية والثالثة سنة ١٩٤٠ و ١٩٤١ ، ابان الحرب العالمية الثانية . الا ان هذه الحروب لم تقض على استقلال فنلندة ، وان ادت الحرب الاخيرة الى ضم بعض مناطق الحدود (نحو ٤٣ الف كم٢) الى الاتحاد السوفييتي .

وتبلغ مساحة فنلندة اجمالا ٣٣٧،٠٠٩ كم٢ ويبلغ عدد سكانها نحو ٤،٧٠٠،٠٠٠ نسمة ، وقد اشتهرت بتصدير الخشب والورق ، شأنها في ذلك شأن السويد والنرويج جارتيها الاسكندنافيتين .

(ي ز)



المايسترو .. والحرية !

● بابلو كاسال Pablo Casals ، عازف الكمان وقائد الاوركسترا الاسباني الشهير ، الذي غادر اسبانيا وعاش في المنفى مصرا عن استيائه لقيام نظام الحكم الدكتاتوري في بلاده ، كان لا يكف عن الحديث عن الحرية حتى في موسيقاه التي كثيرا ما كانت تعبر عما يؤمن به من معان ، وعما يجيش في صدره من احاسيس .

حدث يوما ان كان كاسال يمارس عزف مقطوعة جديدة مع افراد فرقته قبل تقديمها للجمهور ! وفجأة سمع صوتا نشازا صادرا من احد العازفين !

واوقف كاسال العزف فورا ، ثم طلب الى صاحب اللحن النشاز ان يتقيد بالاصل الموجود امامه !

ولكن العازف رفض . وقال في هدوء :

« يؤسفني ياسيدي ان ارفض الالتزام بالاصل ، فانا اعتقد ان ما عزفته لم يكن نشازا ، وانما هو تعديل لا بد من ادخاله لكي يجيء اللحن اكثر جمالا ! »

وتوقع بقية العازفين ، ان يثور كاسال ، ويأمر بابعاد العازف المتمرد ! ولكن الموسيقار الكبير ، ابتسم ابتسامة عريضة ثم طلب الى صاحب اللحن ان يعيده امامه ، وما كاد يفعل ، حتى طلب الى بقية افراد الفرقة ادخال هذا التعديل الجديد !

وعندما فرغ من اصدار تعليماته نظر اليهم ، وقال : « هذه هي الديمقراطية التي اعتمدتها في بلدي .. لقد ذكرني هذا العازف الصغير بمعنى الحرية التي طالما تمت لممارستها والتعبير عنها ! »



● في حياة كل انسان مأساتان .. المأساة الاولى عندما يفتقد الحب ، اما الثانية فهي عندما يجده .

برنارد شو
١٨٥٦ – ١٩٥



● انك لا تحرز النصر بقوة السلاح وانما بقوة الاعتبارات الخلقية . فنصيب هذه في كسب المعركة اكثر من ٧٥٪ بينما لا يزيد نصيب العوامل الاخرى على ٢٥٪ .

نابليون بونابرت
١٧٦٩ – ١٨٢١



همرشولد

المرأة .. والحاسة السادسة !

● فوجىء داج همرشولد Dag Hammarskjold السكرتير العام السابق للامم المتحدة (١٩٠٥ - ١٩٦١) باحدى السيدات العاملات في المنظمة الدولية ، تدخل عليه يوما في مكتبه وهي تحمل آلة تصوير ، وكان همرشولد منهمكا وقتها في دراسة التقارير التي وصلته من الحرب الاهلية في الكونجو ، قبل سفره الى مسرح الاحداث باسابيع قليلة .

وفي هدوء رفعت السيدة آلة التصوير والتقطت صورة للسكرتير العام .

وهنا نظر همرشولد اليها وقال متسائلا :

« وماذا ستفعلين بهذه الصورة ؟ »

وقالت السيدة : « انني استعد للسفر الى بلدي في السويد بعد ساعات بصحبتي وهي بلدك ايضا ولم تتح لي فرصة للقائك مرة واحدة منذ التحاقي بالعمل في المنظمة الدولية . واخشى ان يسألني عنك اصدقائي في ستوكهلم ! فلم اجد خيرا من ان التقط لهم صورة لك في مكتبك اثناء عملك ! »

ولم تدر السيدة انها كانت تلتقط لهمرشولد آخر صورة له في مكتبه بمقر الامم المتحدة في نيويورك ، وهو مازال على قيد الحياة .

فقد سافر السكرتير العام بعد ذلك الى الكونجو حيث لقي مصرعه في حادث سقوط الطائرة التي كان يستقلها .

وفي اليوم التالي كانت هذه الصورة الفريدة تحتل الصفحات الاولى من صحف السويد كلها ، جنبا الى جنب مع صورة حطام الطائرة التي لقي فيها همرشولد مصرعه !

وسأل الصحفيون صاحبة هذه الصورة الفريدة : « وكم تقاضيت ثمنا لها ؟ »

قالت : « لم اتقاض ثمنا وانما الذي حدث ان الصحفي السويدي الذي كتب عن قصة مصرع همرشولد ، اخذ مني الصورة لم ترجعني ! »

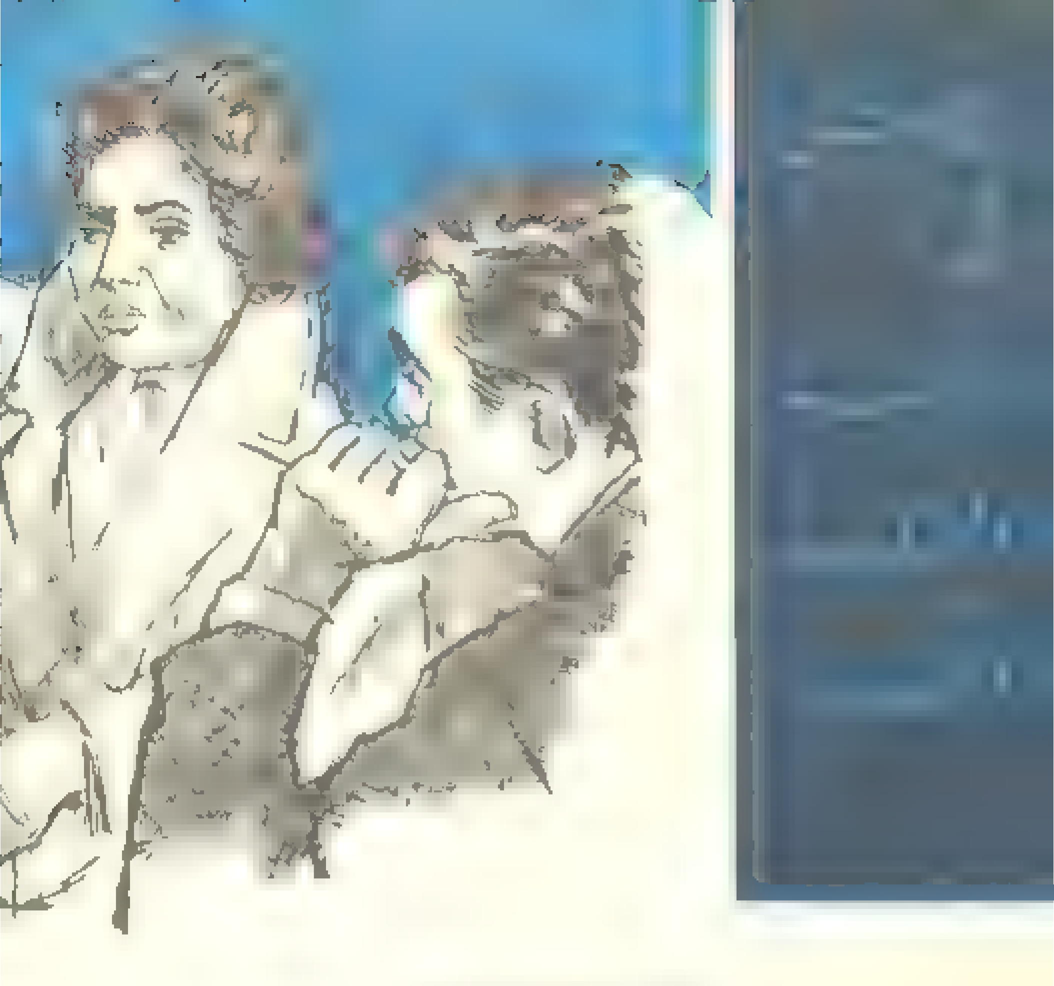
قلب فنان !!

● كان الرسام الفرنسي الشهير جان باتيست كوروت Jean Baptiste Corot (١٧٩٦ - ١٨٧٥) ، صافيا أصيلا طيب القلب ، صافي السريرة ، يحب الفقير ويعطف على الضعيف ، ويجد الراحة في ادخال السعادة الى قلوب أصدقائه ومعارفه ممن قست عليهم الايام . سمع يوما بأن صديقه رسام الكاريكاتير (دومييه Daumier) قد أصيب بالعمى ، ولم يعد قادرا على العمل وكسب قوت يومه ، وان صاحب الكوخ الصغير الذي يعيش فيه صديقه ، قد هدده بالطرد ، بعد ان توقف عن دفع الايجار !

فما كان من كوروت الا ان اشترى الكوخ ، وارسل عقد البيع الى صديقه الضرير المسكين ، حتى يخفف ألم هذه التجربة في عجزه ومرضه .

ولكنه كان يعلم ان صديقه دوميه ، رجل أبي عزيز النفس ، يرفض الاحسان بكل صوره ، فجلس كوروت يكتب له كلمة رقيقة قال فيها : « عزيزي دومييه ، اياك أن تتصور انني فعلت هذا من أجلك ، لقد اشتريت هذا الكوخ الصغير لانه يعجبني ، ولانني قررت ان انتقل اليه لاعيش فيه معك . ما رأيك لو قبلتني ضيفا عليك ؟! » .

ولكن دوميه لم يعش ليقرأ هذه الرسالة ، فقد مات محترقا في تلك الليلة ، وهو يحاول أن يشعل مصباح الغاز في كوخه الصغير !!



بقلم : لوجي براند للو

■ كان على الذين غادروا روما ليلا بالقطار السريع ، الانتظار حتى الفجر في محطة فابريانو الصغيرة كيما يستأنفوا سفرهم الى سلمونا .

وعند الفجر ، وفي احدى غرف عربات الدرجة الثالثة الخانقة ، وهي مليئة بالدخان ، وحيث جلس خمسة مسافرين كانوا قد قضوا تلك الليلة المرهقة ، دخلت امرأة بدينة ، لاهثة ، شديدة الحزن ، يتبعها زوجها ، وقد كان هزيلا ذا وجه مصفر كالأموات ، وعينين صغيرتين براقتين ، تبدو عليه علامات الحياء وعدم الاستقرار .

واخيرا وبعد ان اجلس زوجته التفت الى ركاب العربة وشكرهم لتقديمهم العون لزوجته وافساح المجال لها في الجلوس ، ثم التفت الى ناحية زوجته فاخذ يصلح من شأنها وهو يقول :

– هل انت على ما يرام يا عزيزتي ؟

وبدلا من أن ترد عليه رفعت الزوجة ياقتها الى وجهها تحاول اخفاءه . فرد الزوج قائلا



— يا لها من دنيا ظالمة .

ورأى أن من الواجب ان يبين للركاب ان امرأته بحاجة الى الراحة بسبب الحرب التي ستأخذ منها ابنها الوحيد ، وهو فتى في العشرين من عمره ، وهبا له حياتهما ، حتى انهما تخليا عن منزلهما في سلمونا بسببه وذلك لكي يلحقا به في روما حيث كان يدرس هناك .

وما لبثا ان سمحا له بالانخراط في الجيش على ان يعود اليهما بعد ستة اشهر ، بيد انهما سرعان ما تسلما منه برقية تفيد بأنه على وشك الرحيل الى جبهة القتال خلال ثلاثة ايام ، طالبا حضورهما لتوديعه ...

كانت المرأة تتلوى من الالم تحت معطفها الكبير ، تنتحب بين حين وآخر ، وهي موقنة بأن القصة سوف لا تثير اية شفقة او عطف لدى الركاب .

ولم يلبث ان قال احدهم ممن كان يصغي الى الزوج :

— عليكما ان تشكرا الله لان ابنكما لم يذهب

الى الجبهة الا الآن . اما والدي فقد التحق بالخط الامامي منذ اليوم الاول من نشوب الحرب ، وعاد جريحا مرتين ، واعيد الى الجبهة مرة اخرى .

وقال مسافر آخر :

ـ ومانا عني ! لدي ابنان والثالثة ، الثلاثة يحاربون جميعهم في الجبهة .

فقال الزوج :

ـ هذا صحيح ، ولكن في حالتنا انه ابننا الوحيد .

ـ وما الفرق في ذلك ؟ انك قد تفسد ولدك الوحيد باهتمامك المتزايد ، ولكنك لا تستطيع ان تحبه اكثر من اطفالك الاخرين ان كان لديك اكثر . ان الحب الابوي ليس كالخبز تستطيع ان توزعه على اطفالك بقطع متساوية . فالوالد يمنح كل حبه الى كل طفل من اطفاله دون تمييز ، سواء كان عددهم واحدا ام عشرة . وان كنت الآن اتألم لرحيل كلا ولدي ، فان الي الآن مضاعف .

فتنهد الزوج الزبانة قائلا :

ـ صحيح .. صحيح .. ولكن افرض (ولكنا امل الا يحدث هذا) ان والدا له ابنان يحاربان في الجبهة ، وافرض انه يفقد احدهما .. فيظل له ابن واحد يواسيه بينما ـ فقاطعه الآخر معترضا :

ـ نعم ، يبقى له ولد يواسيه ، ولكن في الوقت نفسه على هذا الوالد ان يعيش من اجل ولده بينما في حالة الوالد الذي يفقد ولده الوحيد يستطيع أن يموت هو ايضا ليضع حدا لشقائه . اي الحالتين اسوأ ؟ الا ترى ان حالتي هي اسوأ من حالتك ؟

فقاطعهما راكب آخر بدين ، احمر الوجه ، قائلا :

ـ هراء .

ورمقه من عينيه الباهتتين ظل عنف داخلي ناجم عن حيوية مستطيعة لا طاقة لبدنه الضعيف بها .

وعاد يقول وهو يضع يده على فمه ليخفي نابين مفقودين من اسنانه :

ـ هراء .. هراء .. هل نهب حياتنا لاولادنا لاطفالنا ؟

فنظر اليه المسافرون الاخرون وهم منه في ضيق . وتنهد الرجل الذي التحق ابنه بالجبهة منذ اليوم الاول وقال :

ـ انت على حق . ان اطفالنا ليسوا ملكا لنا بل هم ملك الوطن .

فرد الرجل البدين قائلا :

ـ كلام فارغ . هل نفكر في الوطن في الوقت الذي نهب فيه حياتنا لاولادنا ؟ ان اولادنا خلقوا لانهم .. لانهم كتب عليهم ذلك .. وعندما يأتون الى هذه الدنيا يأخذون حياتنا معهم . هذه هي الحقيقة . فنحن ملك لهم غير انهم ليسوا ملكا لنا مطلقا . وحين يبلغون سن العشرين يصبحون مثلنا عندما كنا في نفس هذه السن تماما . نحن ايضا كان لنا اب وام ، ولكن كانت هناك اشياء غيرها اخرى ... الفتيات ، سجائر ، خيالات ، الرحلة ... والوطن طبعا ، كنا نستجيب لندائه ـ عندما كنا في العشرين ـ حتى لو رفض آباؤنا ذلك . وحتى الآن وفي عمرنا هذا ما زال حب الوطن فينا كبيرا ، دون شك ، وهو اقوى من حبنا لاولادنا . هل بيننا من لا يود من كل قلبه ان يحل محل ولده في ساحة القتال لو استطاع ذلك .

خيم الصمت على العربة بعد ان هز الكل رؤوسهم مؤيدين .

وما لبث ان استأنف الرجل البدين يقول :

ـ فلماذا اذن لا نفكر في مشاعر اولادنا وهم في سن العشرين ؟ او ليس من الطبيعي ان يفكر اولادنا وهم في العشرين في حب وطنهم ـ الشيء الاعظم من الاولاد الصالحين طبعا ـ اكثر من حبهم لنا ؟ او ليس من الطبيعي ان يكون الامر كذلك والا ينظروا الينا كاولاد كبار عاجزين عن الحركة ، قابعين في عقر الدار ؟ ثم لا بد من وجود من يدافع

عن الوطن الذي هو كالطعام الحق يجب ان تحترمه كل فرد منا لكلا يموت من الجوع – وهكذا يندفع اولادنا ، وهم في سن العشرين ، دون ضجيج او خنوع ، انهم لما ما ماتوا فانهم يموتون بشعور ملتهب وبكل سرور – الذي اعطى الاولاد الصالحين طبعا .. واذا ما ماتوا في ريعان الشباب دون ان تمسسهم جوانب الحياة القذرة ، الوحشة ، الشاكسة ، ودون ان تحبط بهم الاوهام والخيبات الثقيلة ، ... فهكذا تبقى لهم الاثر من ذلك ؛ ينبغي على كل اب وام الكف عن البكاء والتوجه بالضحك ، كما افعل انا .... او على الاقل عليه ان يشكر الباري عز وجل شأنه – كما افعل انا – حيث ان ابني بعث الي خطابا ، قبل مماته ، قال فيه انه سيموت راضيا مسرورا لانه يقضي بحياته على احسن شكل يروده .. هذا هو السبب الذي يجعلني ، كما ترون ، على عدم لبس الحداد ايضا ....

وحرك صمته الجهشي ليجلب انتباه الحاضرين اليه . وكانت شفته الزرقاء تحت اسنانه الفاترة مرتجفة ، وانا عيناه فكانتا مغرورقتين ، جامدتين . وبعد ان انهى كلامه اطلقه بضحكة حادة هي اشبه بالبكاء .

ورده الاخرون موافقين :

– هذا صحيح .. هذا صحيح .

كانت المرأة طوال هذه الفترة قابعة في مقعدها وهي تصغي الى الرجل البدين ، انها خلال الاشهر الثلاثة الماضية ارادت ان تجد في اقوال زوجها واصحابها ما يخفف عنها الحزن وان تلتمس منهم شيئا يعلمها كيف يجب على الامهات الاذعان للقدر وهن لا يرسلن فلذاتهن الى الموت فقط بل الى دنيا محفوفة بالاخطار . الا انها لم تسمع كلمة واحدة تواسيها من بين كل ما سيق من القول امامها ... فاشتد حزنها ولم تر احدا يشاركها احاسيسها .

بيد ان كلمات هذا المسافر ادهشتها بل صعقتها .

ادركت فجأة ان الاخرين لم يكونوا على خطأ في عدم فهمها بل انها هي نفسها المخطئة لانها لم تستطع الوصول الى مستوى اولئك الاباء والامهات الذين رضخوا للامر الواقع دون بكاء او عويل وهم لا يودعون ابناءهم فحسب بل يسوقونهم الى الموت .

ورفعت راسها وانحنت الى الامام وهي تصغي بانتباه شديد الى التفاصيل التي راح يسردها الرجل البدين حول الطريقة التي سقط فيها ولده في ساحة الحرب بكل سرور واصبح بطلا من ابطال الوطن . وبدا للمرأة انها انتقلت الى دنيا لم تكن تحلم بها ، دنيا جديدة ، مجهولة لديها ، وازداد فرحها وهي تسمع جميع الركاب يهنئون ذلك الوالد الشجاع الذي كان يتحدث عن موت ابنه بكل بسالة وفخر ...

وفجأة ، وكأنها لم تكن قد استمعت الى كل ما قيل ، بل استيقظت من حلم ، التفتت الى الرجل المسن متسائلة :

– اذن .. هل ابنك ميت حقا ؟

فحدق الكل في وجهها ... والتفت نحوها الرجل المسن مثبتا عينيه الكبيرتين ، المغرورقتين ، بلونهما الرمادي الفاتح ، واخذ ينظر اليها طويلا ، واراد للفترة القصيرة الرد عليها الا ان الكلمات ماتت على شفتيه .

وظل يحدق ويحدق فيها وكأنه في تلك اللحظة فقط – عقب ذلك السؤال السخيف الملغم – ادرك فجأة واخيرا ان ابنه ميت في الواقع ، ذهب الى الابد .. الى الابد . وتقلصت عضلات وجهه واختنقت عيناه ، فاخرج على عجل منديله من جيبه ، وانتابه دهشة الحاضرين جميعا راح يجهش ببكاء مر يفطر القلب . ■

نقلها الى العربية

صاحب امين

عن كتاب : (Angles of Vision)



بقلم : خليل الهنداوى

■ يتوالى الناشرون ، في هذه الايام ، على جمع آثار الادباء والشعراء – من شعر ونثر – في مجموعات كاملة ، وطبعات موحدة .

ولهذا العمل حسناته ، لانه يضع بين أيدي القراء اشتاتا متفرقة في بطون الكتب والمجلات ، في كتاب واحد . كما ييسر على الباحثين الرجوع الى المصادر بعد تشتتها . ولكن هذا العمل – على شعورنا بسهولته – لا يخلو بآية من مزالق الخطر ، اذا لم يستند البحث والتحقيق والحزم في تأدية الامانة !

ويبدو ان بعض هؤلاء الجامعين وقعوا في هذه المزالق ، سهوا او عمدا ، لان مجموعاتهم قد اهملت بعض القطعات الادبية ، فأساءت بذلك الى المجموعة ، كما اساءت الى الاديب ذاته ، بتضييع شيء من تراثه ! .

ولعل مرد هذا الخطأ يعود اكثره الى التسرع ، وفقد التحقق في البحث والاستقصاء ، ومن ذلك ما وقفت عليه ، مثلا ، في المجموعة الكاملة لآثار الاديب المهجري جبران خليل جبران – من منشورات دار صادر – بيروت ، وهي تقع في مجلدين . الاول يضم ما كتبه جبران باللغة العربية والثاني ما ترجم له من اللغة الانجليزية ... فهنالك مقطوعة رائعة حفظتها صغيرا ، تحت عنوان « احب العامل » ، ورحت ابحث عنها عبثا في اجزاء هذه المجموعة ، ولا ادرى كيف فات على الناشر امرها ، وهي منشورة في عدد : « السائح الممتاز – سنة ١٩٢٥ » ، الصادر في المهجر الشمالي ، وتليها مقطعات اخرى وشذور نثرية فات عليها الاهمال .

ومقالة اخرى تجدها في ديوان شاعر القطرين « خليل مطران » الذى تولت جمعه وطبعه « دار المعارف بمصر » في اربعة اجزاء ضخمة ، اغفلت عليها المجموعة الكاملة لشعر مطران .

وان من الحق ان تلم هذه المجموعة الكاملة بكل ما اعطاه مطران في حياته الشعرية ... ومطران من هو في عالم الشعر الحديث . وقد كان احد اركان الثلاثة في الشعر ، شغلوا الناس ، وملأوا دنيا العروبة بشعرهم ، وقريناه هما : شوقي الذى نال لقب امير الشعراء وحافظ ابراهيم الذى نعت بشاعر النيل .

وكان لكل شاعر مدرسته الخاصة ، ومذهبه المعهود ، وانصاره اللاهجون بذكره ، على ان لكل شاعر منهم خصائص مميزة يكاد ينفرد بها ، فشوقي – في منازع – كان اكثرهم انطلاقا ، وارحبهم آفاقا ، واجلاهم اسلوبا واشراقا ، ويكفيه فخرا انه فتح بابا للمسرحية الشعرية التي لم يكن لها وجود قبله . وحافظ ابراهيم الذى كان يمثل كلمة البؤس والشقاء ، تغلب على شعره النبرة الخطابية ،

والنزعة الخطابية . وخليل مطران الذي كان انتقاله الى التجديد ، والترجمـة توليدا لمعاني بحكم ثقافته الغربية ، وطموحه الى المزاوجة بين الشعر العربي والشعر الغربي ! .

هنالك ، قصيدة من باكورات شعر مطران ، رحت ابحث عنها عبثا في الديوان وتساءلت :

« لماذا اهمل الناشرون هذه القصيدة ؟ وهل يمكن ان تكون ضاعت من ابصار الناشرين ؟ وهي مذكورة في مجموعة مجلة « الزهور » الادبية ، التي كان يصدرها انطون الجميل » .

لهذا ارى نشر هذه القصيدة كاملة ، ليعود من يأتي اليها مرة ثانية ، ويتدارك الناشرون امرها ، فيضيفوها الى اخواتها في الديوان الكبير .

★ ★ ★

والقصيدة ـ كما وردت في مجلة الزهـور ـ بعنوان : « الى ابنائنا ـ رجال الغد » ، تقع في واحد وستين بيتا . ويبدو ان هناك مناسبة اوحت بها ؛ لان المقدمة تشير الى ان الشاعر يخاطب بوليد عنده « سيكون يتيما » .

ويمكننا تقسيم القصيدة الى ستة اجزاء في اغراضها ، على انها تاتي في وحدة متكاملة ، بافراغ من القلب العاطفي فيها ، ومطران من اكثر الشعراء تمسكا بوحدة الغرض في قصائده .

هنا هو مطران ، في القسم الاول « ٨ ابيات » ، يستقبل الوليد ، ويتخيل طالعه المرتقب ويصور جسمه اللين ، ولمعان عينيه .

وفي القســم الثاني ، ينتقل بنا الى عالـم الطفولة ، « ١٧ بيتا » . وفي هذا القسم ابدع ما شاء له الابداع في تصوير هذا العالم ، عالم الطفولة ، وكان حرمانه من الاولاد جعله يحسن التقاط صور الطفولة ، فصور الطفل في حركاته وســكناته ، وفي يقظته وفي نومه ، وفي عثراته ونهوضه ، وما وراء ذلك كله من سماحة وبراءة ، وحركة وعبث .

وفي القسم الثالث « ١٨ بيتا » ـ وهذا بيت القصيد ـ ينتقل بنا قليلا من عالم الطفولة البريء الحالم الى عالم قاتم ، هو عالم واقعنا المرير ، في صورة حالكة ، لهذه الحالة البائسة التي يتخبط فيها الشرق ، بعد ان كان صانع المجد ، ومالك الارض ، وصاحب العقل والحكمة ، وكأنه ، في هذا القسم ، الرســول الاجتماعي الذي يطل على المستقبل من وراء الماضي ! .

وفي القسم الرابع « ١٠ ابيات » يابى الشاعر الا ان يكون مؤمنا بالمستقبل ونوره ، على رغم ما يشيع على الماضي من ضباب اليأس والقنوط ، فيفتح صفحة جديدة للرجاء ، ولا رجاء الا بعد ان تخلق الرجل المثالي ، والعالم الخير ، والوالد البر ، والمرأة الفاضلة التي تحسن تهذيب ابنائها ، والصانع البارع ، والزارع الحاذق ، وكأنه ، بهذا البرنامج الذي وضعه مطران كشاعر ، هو ما انتهى اليه اليوم ، بعد خمسين سنة ، رجالنا الذين فكروا في النكسة واسبابها ، وطرائق علاجها .

وفي القســم الخامس « ١٠ ابيات » يحاول الشاعر ان يوفق بها بين عهدي الطفولة والشباب ، فيريد من الشباب ان يقوم على صراحة الطفل والبعد عن الاثم ، والجهر بالحق « لان الاستقلال في الاخلاق ـ عنده ـ هو قوام الرجولة الحق » .

وفي النهاية « بيتان » الا يجعل الشاعر الذي عناه ان يعبر الجيل القادم لنوبتنا الخجلة ، وسيئاتنا التي ضاقت بها الارض والسماء .

فرحم الله ذلك الشاعر الذي كان الطائر الغريب في سربه وشعبه .



وهذه هي القصيدة :

أهلاً بالوليد

يا سبط يحيى ، وسليل المُثلى	حيّاً الرِّضى طالعك المجتلى
وسلّم الله الوليد الذي	هلّ ، فما أبهى وما أجملا !
كأن قوس التاج صلصاله	ولفّ معنى الحبّ ما مثّلا
ناهيك بالعيبي من قوّتي	دهن ، ومن نوري حيياً أرسلا !

عالم الطفولة

كمنته الحسنُ إذا ما غفا	وديدت الأعينُ أن تنعتلا
مُحرّكاً في نومه ثغرَه	كأن في الرؤيا رضاعاً حلا
لا أعلل قرّاه من همّه	ولا يبالي بأمرات العُلى
جذلانُ من نشوة أحلامه	وأين منها نشواتُ الطّلى !
تراه قُرباً ، وكأن الكرى	يحمله فوق السُّهى متمثلا
كطائر يظهرُ تحليقه	عظهر الترجيع مما علا
فإن صحا فالدهرُ عبدٌ له	يُرضيه مطواعاً ، وإلاّ فلا
وكلُّ حيٍّ فسوطٌ بأن	يفهمَ ما يهوى ، وأن يفعلا
صيادٍ في اللطف وفي العطف ما	أتاه من أمر ، وما أجملا
له ، ولا للناس علمُ الذي	يرى ، ويستحي أن يُمثّلا
وحولُه الحولُ ، فإن يفتتنْ	سحره السحرُ ، ولن يُبطلا
أمله ما شئتَ ، فكيف اشتهى	تحويله من صوره حُولا
فليكن المفتاح ثلبياً جَرى	بالكوثر العذب كما أسْبلا
ولتكن الناعمةُ جنّةً	تَدير في داخلها مقولا
ولتكن الأكتافُ أمراسَه	لكنْ شرطَ الأس أن تصهلا
وليكن الكرسيَّ إن حثّه	قطارَه يساق مستعجلا
وكلُّ ما شكّله ، فليكن	مهما عصى الطبعَ كما شكّلا

لكنه عز مضى

يا ولداهُ استعدّ ، وهشّ ، واختم	من السرور المختم الأجملا
لكنّ دهراً جئت فيه آبي	عليك أن تركب مستسهلا
أدبرّ بالشرق ، ولا يمضي	إلا بأمثالك أن يقبلا
اليوم، لا تحفلْ ، لكنْ غداً؟	تكون ممن سلفوا أعقلا
ما اليومُ ؟ ما القابلُ ؟ هذا مضى	بنا ولم نشعر ، وهذا تلا
اسمعْ شكاتي ، فهي إن لمْ تُعد	حالاً ، ففيها النفع مستقبلا
كان لنا مجدٌ نزلنا به	من السماوات العُلى منزلا
وكان لا يُنكَر منا إذا	قلنا غداةَ الفخر . نحن الأُلى ..
وكان منا كلُّ ذي مِرّةٍ	إن صال فرداً كسر الجحفلا
وكان منا كلُّ ذي فطنة	يُكاشف الوحي ، ويهدي الملا
وكان منا كل حامي حمىً	لا تطرق الضيمُ له معقلا
وكان مُلك الأرضِ ملكاً لنا	وحكمنا في الأمم المتّصلا
لكنه عزٌّ مضى وانقضى	بلقب من غسان ، ومن أمهلا
تراكمت أغلاطنا آخذاً	بعضٌ ببعض ، فانتهينا إلى ..
ولا أسمّي مُبهمها ، فقد	يُؤثَر بعضُ الشيء أن يُجهلا
واحربا ، بِتْنا وما شأننا	إلا اعتذارٌ يُشمت العُذّلا
وما تبقّى غير أبنائنا	تعبرة النفس ، أو متأملا
عساهمُ أن يصلحوا بعدنا	ما أفسد الظُّلّام منا الأُلى..

كيف تشفى الجراح

أيْ نجلَ يحيى ! إن يحِنْ عهدكم	رُدُّوا على الأوطان عزاً خلا
إنّا نُرجّي جيلكم كلَّه	أن ينشر المجد ، ولا يخملا

فمن دعا يومئذ ، واجتهد — فينا عتيدَ الخير ، مستكملا

الراجلُ الجلْدُ الذي لا يني — عزمٌ له ، والفارسُ الأبسلا

والعالمُ المثمرُ تعليمُه — أجملَ ما علّم أو فصّلا

والوالدُ البَرُّ بأبنائه — يُرخِص في تأديبهم ما غلا

والحرّةُ البيضاءُ لا تنثني — عن عوَج الأغراض ، أو تعدلا

والصانعُ البارعُ في صنعه — يُتقنُ متناً ، ومسترسلا

والزارعُ الحاذقُ في شأنه — يخاف أن يجهد أو يكسلا

بمثل هذا الجمع من وُلده — تُشفى جراحُ الوطن المُبتلى

الرجولة طفولة

أيْ نجلَ يحيى ، كنْ إذا حققوا — آمالنا فيهم للمفضّلا

بالعلم والحزم اعتضدْ واجتهد — لتغدوَ الأرشدَ والأمثلا

إنا مُعدّوك ليوم به — تكون ذاك السيد الموئلا

في ذلك العهد ، وقد صرت فتى — أترابك الأمكنَ والأرجلا

تذكّر الطفلَ الذي كنته — وحاشِ ذلك الخُلْق أن يُبدلا

إذ كنت في مهدك لا تنثني — لو أن طوداً راسخاً زُلزلا

ولا تراعي طاغياً غادراً — ولا تحابي بطلاً مُبطلا

ولا تني بالسُؤْل حتى ترى — عفّتنا ما عزّ أن يُسألا

وتجهل الإثم بأنواعه — كما ترى العفّةَ أن تجهلا

عظائمُ الدنيا تُحسب الفتى — في أكثر الأخلاق مُستطفِلا

تلك منانا

تلكْ منانا ، يابنينا ، فإن — تمّتْ فتمّ فتنا المُنجلا

هيا أعيدوا المجد فينا إلى — ما كان من سيرته أولا

خليل الهنداوي



بيني ... وبين زوجتي

قصة بقلم :

محمد طه عبد الباقي

■ كنت جالسا على مقعدي المفضل في انتظار كوب [illegible] متفرجا على الاعلانات التي تجتاح شاشة التليفزيون ، بعد نشرة الاخبار ، محاولا نسيان متاعب [illegible] " فاطمة " زوجتي [illegible] . وضحكت بصوت عال عندما شاهدت اعلان احد مساحيق الصابون والتي يظهر فيها الزوج يشكو لزوجته من قذارة ثيابه ، وحل المشكلة في ثوان بظهور علبة المسحوق .. ولم يكن الامر يستحق الضحك ولكني تعمدته وبصوت عال حتى يصل الى اسماعها همسا بأني سعيد .. وان الشجار لم يترك آثاره في نفسي ... ودخلت زوجتي الغرفة في نفس اللحظة التي ظهر فيها اعلان لفيلم سينمائي

تدور حوله من مغامرات زوج .. فنظرت الى نظرة الصبية تعمل انها تلبي الغمود بهذا الحلم، ثم وضعت كوب الشاي امامي دون ان تنطق بكلمة، ونظرت اليها في هدوء قائلا :
« مافيش سكر » .

فاختفت وعادت بقطعة سكر اسقطتها في الكوب، فتطاير رذاذ من الشاي الساخن على يدي، ولكنها لم تعر الامر التفاتا ... وانزويت على كرسي في ركن الغرفة، وعلى وجهها آثار لمعركة لم تنته، وكنت اعلم ان الليلة لن تنتهي على خير .. فقد وجدت في جيبي فاتورة شراء عطر فرنسي، ولم استطع ان اقدم لها تفسيرا مقبولا، فكانت متاجرة الشفاه التي اتهمتها موافقا بتزكي الثقة .. واحسست بها تود ان تقول شيئا، فضاعفت هذا الاحساس حتى وصل صوتها الى اذني :

— تشتري زجاجة عطر فرنسي بثلاثة جنيهات .. يا بختها .. وعمرك ما اشتريت لي زجاجة بعشرة قروش .

وذكرت المعركة مع ذاكرة الجميل التي اشتريت لها من اسبوع واحد « بالطو » بعشرين جنيها .. ولكنها صاحت

— ثلاثة جنيهات .. يوم نجحت اختي في الكلية اهديت لها ... دبلت بخمسين قرشا .

تناثرني الفيلم الا كانت كلماتها كانها لطمة على وجهي، وقلت لها ببرود قاتل :

— لو كانت اختك في جمالها لاحضرت لها زجاجة بثلاثين جنيها .

وانطلق صوتها .

— انت تعرف ولا تنكر .. اختي احلى من عشرة من معرفتك .

وانصرفت معا عن جمل من جملتي ، حينما دوى في الشقة صوت سقوط شيء زجاجي على الارض .. ولم اتبينه .. وتركتني واندفعت الى الصالة والمطبخ .. وسمعت صوتها :

— الحقني يا سعيد

قبل ثوان كنت بجوارها في المطبخ حيثما وجدت وجهها مصفرا وجسدها يرتعش وهي تقول :

— فار [illegible]

ورفعت اصبعها الى فوق مشيرة الى سطح الدولاب ... وراحت بصري مع اصبعها ليستقر على فار كبير في حجم الارنب الصغير يرقبنا بحذر على طرف الدولاب .

وشعرت بخوف ... فانا مستعد للقتال في الحرب العالمية الثالثة ... وغير مستعد لدخول معركة مع فار ... فان كل جسدي يشمئز ويتقزز منه لرؤية فار ... وكيف الحل وانا ملزم بان ارديه قتيلا مضرجا في دمائه الحمراء القانية .

ولكن يجب ان اتقمص دور البطولة، خاصة ان العدو فار، والمراقب زوجتي ... والحال صورة قبل زيارة هذا الضيف الثقيل .

ولما كان لا يوجد في الشقة غيرنا اتخذت دور القائد، واصدرت تعليماتي السريعة باغلاق ابواب الغرف الثلاثة، لحصر مكان المعركة في المطبخ والصالة والحمام .. وعندما ذهبت لتنفيذ الاوامر امسكت بعدوه بمكنسة من المكانس التي تصنع من قش الارز وهي اول سلاح وقعت عليه عيناي وجعلته مناسبا للعدو .. والتفت خلفي فوجدت زوجتي قد اخذت مكانها في المؤخرة وفي يدها .. قبقاب خشبي . وفكرت برهة .. ثم وجدت انه في مثل هذه الظروف يستحسن ان ينزل العدو على الارض لسهولة قتله .. فضربت الدولاب الخشبي ضربة شديدة بقبضة يدي .. وفي ثوان كان الفار طائرا في الهواء في طريقه الى الارض مذعورا، ويد زوجتي كانت اسرع منه للاطاحة بالقبقاب في الهواء .. فتستقر ضربتها على ... راسي .. نعم راسي انا وليست راس الفار .. واحسست بان المطبخ كله يدور بسرعة مائة دورة في الدقيقة ... واسرعت يدي الخالية الى مكان الضربة وعادت ملوثة ببقع حمراء زاهية ... من دمي انا ! ...

ونظرت اليها معاتبا، فوجدت المسكينة تنظر الي بخوف وخجل ... والحق اقول .. انني سررت لعدة لحظات من موقفها الذليل هذا .. فهذه الزوجة العصبية كانت منذ دقائق قوية تكاد تفترسني بلسانها ..

واسرعت وعادت ومعها قطعة من القطن مبللة بمطهر، ولحسن الحظ لم ينزف الجرح دما كثيرا .. وسامحتها نظراتي وقلت لها مبتسما :

— اين سيادة الاخ ؟

— في الصالة على ما اعتقد .

وخرجنا الى الصالة باحثين عنه .. وصاحت :

— هناك ، هناك ، تحت « البوفيه » يلعب

وتحركت .. وانحنيت أنظر تحت « البوفيه » فوجدته يلبد بجوار الحائط وفي نظراته شيء لا أعرف ما هو ... الود أو الحب ... وأسرعت بإحضار أخرى بالعصا حتى يمكن إجبار الفأر على مغادرة موقعه ... وفي أول جهات العصا ... فاستعددت وبسملت وأغمضت عيني ودفعت العصا في اتجاهه ، وسمعت صراخ زوجتي فقد هرب الفأر من بين رجليها وأصابت العصا رجلها ... ولم أصب الفأر اللعين .. وبكت زوجتي .. ولم أدر الآن بكاؤها من الألم ، أو من الغلبة والقهر .. ووجهتني قد التابتني حتى الفانيله آثرة القدم وأنا أصيح .

— النتيجة الآن واحد لواحد ، إصابة لي وأخرى لك .

وسمعتها تشتم الفأرة والفئران .. والعصا ..

والحمد لله لم تكن إصابتها هي الأخرى ذات بال ... واستأنفنا البحث من منتصف الليلة .. حتى وجدته يرقبنا بحذر فوق أحد الكراسي .. وهجمت عليه هجمة موفقة ، استطعت بها أن أصيبه في ذيله ، ولكنه استطاع الهجوم هاربا إلى الحمام ، فلاحقته زوجتي ... وهنا صيحة وأصوات أخرى لم أتبينها .. واستمرت المعركة دقيقتين رأيته بعدها الفأر يخرج مسرعا من الحمام إلى المطبخ ، ثم صوت تحطيم لبعض الزجاجات الموجودة على رف الحمام .. فأسرعت إليها لأجد آخر زجاجة « كولونيا » قد تهشمت على الأرض مبتلة جو الحمام بعطر جميل كان ملاذه الطبيعي وجهي بعد كل حلاقة .. ووجدت زوجتي وكل خلية كانت معدة للشجار مني منذ دقائق قد أطلقتها في ضيق وغيظ تسب وتلعن جميع فئران العالم وتصيح :

— ألست رجلا ؟ حيا موت الفأر .

ووجدتني مكلفا بالدفاع عن رجولتي .. أمام هذا الفأر .

وفي الصالة .. كان سيادته متوسطا الكنبة بين جميع الأطباق التي تركناها بعد العشاء .. لقد عرف الفأر كيف يختار أرض المعركة ، فأي ضربة أوجهها إليه ستحطم على الأقل أحد الأطباق .

وبسرعة بديهية من زوجتي .. ولأول مرة منذ زواجنا تستعمل عقلها ، تناولت ثوبا مبلولا بالماء .. وقذفت الفأر بما فيه ، فقفز مسرعا إلى الأرض ، وأنا ألاحقه بضربات شديدة من المكنسة .. ولكنه نجا كله بفضله .. وأشرت لزوجتي بالتوقف عندما صاحت :

— أنت كل ضربة لك بتكسر الرز ، كأنك لاعب بيرجل أضربه بعد الكنسة .

وألقيت سلاحي وقد بلغ مني الغيظ مداه وقلت :

— اسكتي .. أنا أضربه بطريقتي الخاصة ... الشيء أنت ولا شأن لك ..

لذهبت زوجتي بالفكرة وجلست تتفرج .

ووجدت نفسي وحيدا في المعركة ... والفأر في مكان ما وأنا بلا سلاح ... وطلبت منها الشاي والتجأت باحثا عنه تحت الكنبة حتى سمعت ضحكة مكتومة لا يمكن أن تصدر عن الفأر ... لا بد أنها زوجتي . ورفعت رأسي إليها .. فوجدتها تضحك وتشير برأسها لناحية المطبخ .. وذهبت إلى المطبخ .. وأغلقت الباب خلفي .. وبعد ربع ساعة فتحت الباب ووقفت أمامها في الصالة ومنظري هكذا .. إصابة خطيرة في جبهتي .. والبيجامة ممزقة عند الكتف ملوثة بالدماء عند الصدر .. أمسك بيدي اليسرى فردة شبشب الزوجة .. وبيدي اليمنى .. جثة الفأر ..

وابتسمت زوجتي ثم ضحكت .. ثم علا ضحكها حتى تصورتها قد جنت .. أما أنا فقد ارتميت على السرير ألهث من التعب .. كأنني حضرت من الإسكندرية إلى القاهرة .. في سباق الجري .. وبعد دقائق أسرعت إلى فراشي لأنام ... ولا أدري كم من الوقت مر علي إلى أن استيقظت فلوجتي تداعبني .. وتتلمس معالم وجهي .... وتقول بحنان لم أعرفه :

— محمد .. هناك فأر آخر لمحته في الحمام .. وتعابيره تأكل خرطوم .. البرتقال

ولم أقل لها شيئا .. لأنني فقدت النطق !

■■

محمد طه عبد الباقي — المحامي
القاهرة



■ منطقة الخليج العربي [illegible] العربي [illegible] العالم [illegible] ، كما [illegible]

ولذلك تعتبر هذه المنطقة من اهم المحاور الاساسية للصراع الدولي في الشرق الاوسط ، عسكريا وسياسيا واقتصاديا . فهذه الاقسام تتصارع عليها القوى الكبرى الطامعة في السيطرة العالمية . وقد تعرضت هذه المنطقة ، في القرن السادس عشر ، لصراع استعماري عنيف تداول فيه السلطان عليها البرتغاليون والفرس ، وتدخل فيه الهولنديون حقبة من الزمن . ومن بعدهم بسطت الدولة العثمانية الى هذه المنطقة سلطانها ، وجاء الاستعمار البريطاني ليقضي على الامبراطورية العثمانية ويبسط نفوذه على الشرق العربي ومن ضمنه الخليج العربي .

الاستعمار البريطاني والعوامل التي استند اليها في حكم الخليج العربي

في القرن العشرين ازدادت اهمية الخليج العربي العسكرية والاقتصادية ، وازداد الاستعمار البريطاني تشبثا به ، يعاونه في ذلك الاستغلال الاوربي والامريكي ، وقد استندت بريطانيا في حكم هذه المنطقة على عدة عوامل اهمها :

اولا : اتفاقيات غير متكافئة ولا مشروعة ، فرضتها السلطة البريطانية على هذه المناطق بعد احتلالها ، ووضعت بها الشئون الخارجية ، وشؤون الدفاع وحق التصرف في ثرواتها والتحكم في اي اتصال يتم بين بلاد هذه المنطقة وبين البلاد الاخرى .

ثانيا : استغلال مسائل الحدود والنزاعات [illegible] في اثارة الخلافات بين اجزاء المنطقة ، تمهيدا للسيطرة الاستعمارية عليها .

ثالثا : تدعيم ما اطلق عليه الطابع [illegible] [illegible] البريطانية [illegible] الامارات لهذه المنطقة .

رابعا : اقامة القواعد العسكرية ، واتخاذها وسيلة لارهاب وتهديد الوطنيين فضلا عن اهميتها في صراع السيطرة العالمي .



خاصاً ، محاربة التقدم واشاعة التخلف في ربوعه .

واخيرا وبعد استقلال الكويت في عام ١٩٦١ والنهضة التي جعلت منها عضوا فعالا في الاسرة العربية ، وبعد التطورات التي شهدها العالم العربي كله .. اضطرت بريطانيا في نهاية نوفمبر ١٩٦٧ الى اعلان الجلاء عن الخليج العربي قبل انتهاء عام ١٩٧١ .

وعلى اثر هذا الاعلان اخذ حكام المنطقة يجتمعون ويتشاورون ، ويرسمون الخطط لحمل المسؤولية المشتركة لمواجهة فترات الاستقلال المرتقب .

وتعهدت الدول العربية ، وخاصة المعنية بالخليج ، بدعم هذه الجهود وتوليها اعظم عنايتها .

امارات ساحل عمان السبع

واذا كانت امارتا البحرين وقطر تسيران بخطى ثابتة ، على مثال الكويت نحو التقدم ، فان منطقة ساحل عمان باماراتها السبع قد بدأت كذلك عهدا جديدا ، فقد خطت « ابو ظبي » خطوا جديدا بعد تدفق البترول فيها . كما نمت الحركة التجارية والعمرانية في « دبي » ، وظهرت طلائع البترول فيها مبشرة بمستقبل افضل ، وكذلك تسعى باقي امارات الساحل وهي : الشارقة ، وعجمان ، وام القيوين ، ورأس الخيمة ، والفجيرة ، لبناء مجتمعها الاجتماعي في حدود امكانياتها والتعاون مع غيرها .

وبالرغم من اهمية هذه المنطقة بالنسبة للعالم كله ، وللعالم العربي على الاخص ، فان الدراسات التي قدمت الى قراء العربية عنها ، لا تتعدى اقل القليل ، في حين ان ما نشر عنها في العالم الغربي وباللغات الانجليزية والفرنسية يتعدى بكثير كل ما كتب بالعربية . ويحاول الدكتور سيد نوفل الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية في كتابه عن الخليج العربي ، ان يسد بعض الفراغ في المكتبة العربية بالنسبة لهذه المنطقة . وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة اقسام تناول في القسم الاول دراسة عامة للمنطقة ومشاكلها واطار المسائل العربية العامة ، وصراع البترول والعوامل الداخلية ، والتدخل الاجنبي في المنطقة ، وايران نفسها .

وخصص المؤلف القسم الثاني من كتابه للكويت منذ ان كانت محمية مع بريطانيا الى ان حصلت على استقلالها وذلك باعتبارها نموذجا لما يمكن ان تحققه امارات الخليج في ميادين النهضة بعد الاستقلال .

اما القسم الثالث من الكتاب فقد تعرض فيه الدكتور نوفل لساحل عمان والخليج العربي مبينا فيه اهمية المنطقة والصراع الاجنبي فيها ، وقصة الاستعمار البريطاني والمحاولات الاجنبية وبترول الساحل واهميته بالنسبة للشرق العربي ، كما قدم في هذا القسم دراسة وافية عن البناء الاجتماعي والاقتصادي لهذه الامارات ، وخلاصة التطورات في هذه المنطقة ودور الدول العربية في التعاون مع امارات الساحل .

وفي القسم الرابع قام المؤلف بنشر عدد من الوثائق الخاصة بمنطقة الخليج العربي واهمها الوثائق الخاصة بساحل عمان ومشروع اتحاد امارات الخليج العربي . ونركز في عرضنا للكتاب على القسم الخاص بساحل عمان وذلك تقديرا للحاجة الملحة الى معرفة ابناء وطننا العربي بهذا الجزء من الوطن العربي الكبير والذي يفتقر العديد منهم الى الكثير من المعلومات عنه .

ساحل عمان الطبيعي .. وكيف تمت تجزئته ؟

ساحل عمان ، او امارات ساحل عمان ، كما يسميه العرب – او ساحل القرصنة او الهدنة او الامارات المتصالحة كما سماه البريطانيون ، هو كان في التاريخ هو الساحل الذي يمتد من حدود قطر الجنوبية (عند خور العديد) على مضيق هرمز عند راس مسندام متجها جنوبا حتى « راس الحد » ويلتف حوله جنوبا بقرب الى حدود اليمن الجنوبية .

اما ساحل عمان فيطلق اليوم سياسيا على الساحل الذي يضم الامارات السبع : ابو ظبي ، ودبي ، والشارقة ، وعجمان وام القيوين ، وراس الخيمة ، والفجيرة .

وتمتد هذه الامارات السبع على طول الخليج العربي وخليج عمان من « خور العديد » قرب شبه جزيرة قطر الى حدود سلطنة مسقط وعدد سكانها نحو ١٣٠ الف نسمة في تقدير البريطانيين ، ونحو ربع مليون في تقدير اهل المنطقة .

وتبلغ مساحة هذه الامارات السبع نحو ٣٢ الف ميل مربع (حوالي ١٥ الف كيلو متر مربع) ويمتد ساحلها نحو ١٠٠ ميل على الخليج العربي .

اهمية المنطقة والصراع الاجنبي فيها

في عام ١٦٠٠ ميلادية قام البريطانيون بتأسيس شركة الهند الشرقية East India Company واخذوا يحصنون السيطرة على ساحل عمان (الطبيعي) في القرن السابع عشر .

وفي عام ١١٥٦ هجرية (١٧٤٣ م) ، حلت محل اسرة اليعاربة الحاكمة اسرة بوسعيد وتولى حكم ساحل عمان احمد بن سعيد .

وفي عهد هذه الاسرة انفصلت مسقط عن عمان ، وابعد الساحل عن الداخل . وساعدت الاحداث الداخلية التدبير البريطاني . فقد برز الوهابيون في القرن الثامن عشر وسيطروا على نجد وكسبوا انصارا لمذهب الموحدين في ساحل عمان والظاهرة في الداخل. وعارض الاباضيون تعاليم الوهابيين ، وثارت الحزازات القديمة بين الغافرية ، وانحازت جمهرة الغافرية الى الوهابيين ، وانحاز سلطان مسقط الى الانجليز ، واشتركوا معهم في حروبهم ضد الوهابيين . وهكذا وجد الاستعمار البريطاني في التناقضات العربية الوسيلة في تحقيق اهدافه العدوانية .

القواسم .. وامارات الساحل

ومن قبل هذه الحقبة ، نزل القواسم ساحل عمان في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، وهم من قبيلة تعود باصولها عدنان وموطنهم الاصلي سامرا بالعراق . وتم الاستقرار في المنطقة في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، واظهروا قوة بحرية متفوقة في النصف الثاني عشر ، وبسطوا سلطانهم على ساحل عمان فيما بين قطر وخور فكان ووقفوا ندا لسلطان مسقط والوهابيين .. بل وامتدت سيطرتهم الى النواحي الايرانية والبارجة الخليج العربي .

وحين زالت دولة اليعاربة ، اعلن رحمة بن مطر (القواسمي) الاستقلال . واتخذ راس الخيمة عاصمة له .

بريطانيا وفرنسا وهولندا تتحالف ضد القواسم

كانت القوى التي تتنافس السيطرة على الخليج العربي حينذاك هي : بريطانيا ممثلة في شركة الهند الشرقية ، وفرنسا ممثلة في شركة الهند الشرقية الفرنسية المؤسسة في عام ١٦٦٤ في (بندر عباس) بفارس ، وهولندا التي بسط ابناؤها سيطرتهم التجارية على الخليج . وتحالفت الدول الثلاث ضد القواسم وقواهم البحرية النامية ، وبالغوا في تشويه اعمالهم التجارية والدفاعية وصوروها على انها عمليات قرصنة ، وتقاسم الحلفاء الثلاثة مسئولية القضاء على القواسم ، فاختص الهولنديون بالبحر الاحمر ، والبريطانيون بشطر الهند الجنوبية ، والفرنسيون بالخليج العربي . وخاض البحارة العرب معارك رهيبة ضد هذا العدوان الثلاثي ، ولكنهم منوا بخسائر فادحة .

ويقول المؤرخ جان جاك بيربي في وصف شجاعة القواسم . « واخذوا يقومون باعمالهم تلك وهم مرتاحو الضمير لانهم كانما يعتبرونها لتحرير بلادهم » .

ولم يدم التحالف كثيرا ، فقد ادت حروب نابليون الى جعل بريطانيا وفرنسا دولتين متصارعتين

واضطر البوكنديون الى الرحيل عن المنطقة العربية . وتمكن امام عمان الشيخ سعيد في عام ١٧٩٢ من السيطرة على معظم ساحل عمان ، والاراضي المواجهة له على شواطيء ايران وبلوخستان .

بداية السيطرة البريطانية

بعد حروب ومؤامرات فاستطاعت بريطانيا بمساعدة بعض مشايخ المنطقة استعمار المنطقة عام ١٨٠٦ وبعد ان تم للسلطات البريطانية الاستيلاء على ثغور القواسم وقلاعهم ، ولم تجد تجريد زعمائهم من جميع اسلحة القوة ، قامت بابرام معاهدة اسمتها « بمعاهدة السلام العام » وذلك في ١٨٢٠ . ووقع هذه المعاهدة من الجانب العربي مشايخ رأس الخيمة ، وابو ظبي ، الشارقة ، وعجمان ، وام القيوين ، والبحرين ، وحسن بن علي من مشايخ المنطقة .

ووقعها عن الجانب البريطاني جراهت كير . واشتملت هذه المعاهدة ٨ بنود من بينها ان يتضامن العرب المتصالحين مع بريطانيا في العمل ضد كل قبيلة او جماعة تنقض هذه المعاهدة .

وفي عام ١٨٤٧ قامت بريطانيا بعقد اتفاق جديد وقع عليه المشايخ ذاتهم وفرضت فيه قيودا جديدة من بينها ان تقوم بريطانيا بفرض التفتيش على كل من يعتدي .

وفي مايو عام ١٨٥٣ ، ابرمت معاهدة السلام بواسطة المقيم البريطاني في الخليج ، والتزم بها شيوخ رأس الخيمة وابو ظبي ، ودبي ، وعجمان وام القيوين . واضافت المعاهدة كسبا استعماريا جديدا هو الولاية البريطانية المطلقة ، معبرا عنها بالبند الآتي .

« اننا نوافق ايضا على ان تقوم الحكومة البريطانية بالاشراف على استمرار السلم الذي توصلنا اليه ، ولن نقوم باتخاذ الخطوات اللازمة لضمان مراعاة مواد هذه الاتفاقية في جميع الاوقات .. والله على ما نقول شاهد ووكيل » .

وفي مارس عام ١٨٩٢ كبلت بريطانيا امارات ساحل عمان بمعاهدة جديدة تنص على التعهدات التالية :

أ — لن ادخل بأي حال من الاحوال في اتفاق او اراسل مع اي حكومة عدا الحكومة البريطانية.

ب — لن اوافق على اقامة اي وكيل لاي حكومة اخرى في اقليمي الا بموافقة الحكومة البريطانية .

جـ — ومتى مهما كانت الاحوال — لن اتنازل ولن ارهن ، وعدا ذلك اقبل احتلال اي جزء من اراضي الا للحكومة البريطانية !!

ووقع هذه المعاهدة شيوخ ابو ظبي ، والشارقة ، ودبي ، وعجمان ، وام القيوين ، ورأس الخيمة .

وهكذا اكدت الحكومة البريطانية استعمارها وتحكمها في ساحل عمان ، وحقها المطلق في احتلاله والتصرف في اراضيه ومرافقه .

وقد قامت بريطانيا بتحكيل هذه المناطق بالوسائل التي تروق لها . ففي البداية مارست استعمارها لها عن طريق شركة الهند الشرقية ، واستمرت هذه الممارسة حتى عام ١٨٥٨ ، اذ انتقلت السلطة الى التاج البريطاني مباشرة ، عن طريق حكومة بومباي البريطانية وفي عام ١٨٧٣ انتقلت مسئوليه الادارة الى حكومة الهند البريطانية وحين استقلت الهند وباكستان في عام ١٩٤٧ ، انتقلت مسئولية ادارة ساحل عمان الى وزارة الخارجية البريطانية .

بترول الساحل في نطاق البترول العربي

بدأت الاهمية البترولية لساحل عمان بتدفق النفط من « ابو ظبي » في عام ١٩٦٠ ، بعد سبع سنوات من اكتشافه في عام ١٩٥٣ . وبدأ تصدير البترول من ابو ظبي في منتصف عام ١٩٦٤ . وكان انتاج البترول في ابو ظبي عام ١٩٦٤ بمعدل ١٨٦٫٠٠٠ برميل يوميا وارتفع هذا الرقم في عام ١٩٦٨ ليصبح ٥٠٠٫٠٠٠ برميل يوميا بمعدل زيادة سنوية قدرها ٣١٫٢٠٪ وهو معدل لم يحققه اي بلد من بلاد الشرق الاوسط . وبلغ احتياطي النفط في ابو ظبي نحو ١٢٫٠٠٠ مليون برميل . وتستغل البترول في ابو ظبي شركتان : الاولى شركة بترول ابو ظبي Abu - Dhabi Petroleum وهي تابعة لشركة بترول العراق بنفس تكوينها اي ان لكل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ٢٣٫٧٥٪ من اسهمها ، والباقي وهو نحو ٥٫٠٪ موزع بين شركة شل وفرنسا . والشركة الثانية هي شركة مناطق ابو ظبي البحرية Abu Dhabi Marine Areas ، وهي مكونة من شركة البترول البريطانية ، والشركة الفرنسية للبترول .

وفي مايو ١٩٦٨ تم توقيع اتفاقية بترولية جديدة من ابو ظبي ومجموعة شركات ميتسوبيشي اليابانية للبحث والتنقيب عن البترول في مساحة ٦٠٠٠ كيلو متر مربع لمدة ٣٥ عاما .

وفي عمان الداخلية بلغ انتاج البترول حوالي ٨٣٠٠ر٠٠١ طن سنويا .

وهناك خط انابيب طوله ١٦٠ ميلا يمتد من حقل فهود الى قرب مطرح على الساحل ، ويتوقع ان يكون لحقول البترول في عمان احتياطي كبير . اما في دبي فقد ظهر البترول تحت مياهها الاقليمية بشكل يبشر بمستقبل عظيم .

وفي الشارقة تعمل شركة ميكوم Mecom Co. Oil of America وفي راس الخيمة تعمل شركتا يونيون اويل كاليفورنيا Union Oil of California وشركة سالزون Sazon للغاز الطبيعي . وقد قامت الشركتان بالمسح السيزموجرافي للمنطقة .

البناء الاجتماعي والاقتصادي لامارات ساحل عمان

بقي الاستعمار البريطاني في هذه المنطقة العربية نحو مائة واربعين عاما لم يفتح مدرسة ولا مستشفى ولم يعبد طريقا . وحاول عزلها عن مسيرة الحياة المعاصرة . وعارض في الفترة الاخيرة ازدياد التعاون العربي مع هذه المنطقة واقامة مشروعات عمرانية وثقافية وصحية فيها . وساعدت سياسته على غمر المنطقة بعناصر اجنبية . كما عمل الاستعمار على تفتيت الوحدة الوطنية . واستغل في هذا رواسب الماضي في المنطقة ، سواء بالنسبة لعلاقات الامارات بعضها ببعض ، او لعلاقات الامارات بجاراتها العربية . وقد وجد له من نزاع الماضي سندا ، كما استغل مشاكل الحدود المتداخلة .

واكثر سكان المنطقة من المسلمين، وهم ينقسمون الى سنة وشيعة ، واكثر الشيعة في دبي حيث يسمون « بحارنة » نسبة الى البحرين التي يؤلف الشيعة نحو نصف سكانها . واكثر اهل السنة شافعية وقليل منهم احناف ومالكية وهم يسكنون بقية امارات الساحل .

استغلال المذاهب والتعصب القبلي

وقد حاول الاستعمار استغلال تعدد المذاهب بين المسلمين وشجع في اثارة الانقسامات بين سكان منطقة الجعلان الجبلية في عمان الداخلية وخاصة قبائل البو علي والبو حسن وبين الاباضيين الذين يرون ان اهل الجعلان هم السنة المتطرفين وانهم اخذوا من مذاهب الوهابية والازارقة والخوارج اسوأ ما فيها .

وهناك انقسام آخر في عمان كانت له آثاره في المنطقة من حضرموت الى قطر ، ذلك هو الانقسام القبلي الى غافرية وهناوية . وقد ادى الخلاف القبلي المذهبي الى ايجاد اربع مجموعات اساسية في عمان باسرها وسهلها الساحلي . وهذه المجموعات هي :

اولا : مجموعات اساسها المذهب الديني ، وهي القبائل الاباضية والقبائل السنية .

ثانيا : مجموعات اساسها القبلية وهي القبائل الهناوية والغافرية .

ثالثا : مجموعات اساسها منهاج العيش ، هي القبائل الحضرية والقبائل البدوية .

رابعا : مجموعات طبقا للولاء للامامة ، وهي القبائل ذات الولاء التام لامام عمان الاباضي ، والقبائل التي تتبعه ولكن لم تكن على ولاء تام له . وجدير بالملاحظة ان هذا التقسيم ليس ثابتا ، وانما هو متغير متحول ، فقد يتحول الاباضيون عن مذهبهم او يحالفون السنيين . وقد يوالي البدويون بعض الحضريين او يتحولون اليوم بحكم التطور .

وكثيرا ما تحولت قبيلة من الغافرية الى الهناوية . وهذه العوامل لها اثرها في البناء الاجتماعي .

التقاليد والعادات الاجتماعية

تعددت التقاليد والعادات الاجتماعية والوان الملبس والمأكل في هذه المنطقة بحكم تاريخها وتكوينها الاجتماعي .. فمن تقاليد الاسلام القديمة السائدة الحجاب للمرأة والفصل بين مجتمع الرجال والنساء . والى جانب هذا بعض العادات المجلوبة من الفرس مثل برقع النساء والقصة او الطرحة والسروال الذي يتدلى الى الكعبين ، وهو فضفاض من اسفل السيقان ذوات الثني ومزموم للعبرات . والالوان البراقة من احمر واصفر واخضر شائعة في الملبس الخارجي لعامة النساء . ويلبس الرجال الازار على ما تحت السرة من اجسادهم ويكتفي به الفقراء ، اما

الاثنية فيلبسون من ثوبه قميصا او ما يسمونه « زنكرة » . ويلبس الموسرون جلبابا فوق الازار ، اما الشايخ او الحكام فيلبسون مع الجلباب العباءة او « المشلح » . ولباس الراس هو الكوفية والعقال ، او العمامة العمانية المزركشة او الطاقية « القحفية » لمن هم من اصل فارسي .

لكن هذه العادات والتقاليد تنصهر بحكم التطور الاجتماعي والترابط العربي بهذه المنطقة . كما ان اساليب الحياة الحديثة تمضي في طريقها اليها بخطى واسعة المدى ، شأن الكثير من اقسام الوطن العربي الاخرى .

احتمالات المعادن والبترول

يتحدث حكام المنطقة واهلوها عن معادن وفيرة في التلال الموجودة بسهول الباطنة والظاهرة وفي امتداد جبال عمان الداخلية . كما يتحدثون عن الحديد في المنطقة الشرقية حيث يمتزج بالرمل الاسود ، وعن تلال الاحجار المشتملة على المعادن وعن الصخور التي يشع ليلا . ومن الرخام الذي في المرتفعات ومن الذهب الذي اكتشف في الفجيرة . لكن هذه في الواقع اقوال تحتاج الى البحث والتحليل العلمي .

وليس مستبعدا ان يكشف التنقيب عن ثروات معدنية في هذه البلاد . اما البترول فظهوره الوفير في ابو ظبي وعمان ودبي سيبدل الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهذه المنطقة باسرها .

التطورات الاخيرة في الخليج العربي

يختتم الدكتور نوفل هذا القسم من كتابه عن التطورات الاخيرة في الخليج العربي وخاصة بعد اعلان بريطانيا الانسحاب من المنطقة . وعن التحرك العربي في المنطقة والى نهضة الثورة الى توحيد جهود الامارات العربية في الخليج ، والعمل على ان اليوم يحمل مسؤولية الاستقلال الراغب . سلطانه وقوة .

وقد ظهر هذا الكتاب في عام ١٩٦٩ اثر يتناول ما جد من الاحداث في المنطقة بالخليج . ■

محمد طنطاوي

« من الكتب التي وصلتنا »

شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز

المؤلف والناشر : خير الدين الزركلي

● سيرة الملك عبد العزيز آل سعود وهي في اربعة اجزاء .. وهذه السيرة كما يقول المؤلف هي سيرة « امة » تحولت من الركود الى النشاط ومن الفتنة الى الالفة ، ومن نزعات العصبية الجاهلية والفوضى ، الى الايمان والنظام ، ومن الفاقة الى اليسر ، ومن الاستغراق في السبات الى الاخذ باسباب الحياة . ويقول المؤلف ان هذا الكتاب الذي يغطي فترة خمسين عاما من تاريخ شبه الجزيرة العربية ليس بكتاب دعاية ، وانما هو تاريخ عماده التتبع والاستقصاء . ومن المعروف ان المؤلف من خيرة مؤرخي العرب في العصر الحديث وهو صاحب كتاب الاعلام الذي يعتبر من المراجع الهامة لاي باحث . وقد اصبح جزءا ثابتا مهما في كل مكتبة علمية .

خلفاء الرسول

المؤلف : خالد محمد خالد

الناشر / دار الشروق / بيروت / القاهرة

● مجلد يتضمن خمسة كتب للمؤلف هي وجاء ابو بكر ، وبين يدي عمر ، ووداعا عثمان ، وفي رحاب علي ، ومعجزة الاسلام عمر بن عبد العزيز

وقد ضمت هذه المؤلفات الخمسة في مجلد واحد ، باعتبارها تمثل موضوعا تاريخيا واحدا يتناول بالسيرة والتحليل خلفاء الرسول الاربعة . ابا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليا ، ثم ذلك الرجل الباهر عمر بن عبد العزيز الذى حصل على وبجدارة لقب خامس الخلفاء ، وخامس الراشدين . والكتب الخمسة تقع في ٦٤٦ صفحة وتتناول بالدراسة والتحليل تاريخ كل واحد من خلفاء الرسول . وقد ذكر المؤلف في نهاية كل كتاب المراجع التي اعتمد عليها .. ومن اهمها الكامل لابن الاثير ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ، والاخبار الطوال لابي حنيفة وغيرها من المراجع القديمة والحديثة .

ديوان ابن النبيه المصري

تأليف : كمال الدين ابو الحسن علي بن محمد

تحقيق : عمر محمد الاسعد

الناشر : دار الفكر – بيروت .

● دراسة لاحد شعراء الدولة الايوبية في القرنين السادس والسابع الهجريين من خلال شعره يبرز ادب ذلك العصر وادب الدولة الايوبية بخاصة ، حيث ان القارىء يقع على ملامح حية لادب رفيع ورسم حوادث هامة في فترة حاسمة من تاريخ ديار الشام ، وحيث ان الشاعر يعطي صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والاحداث التاريخية الجارية آنذاك وقد قام المحقق بدراسة الشاعر وموضوع الديوان واغراضه ودراسة تاريخية لاهم قصائد هذا الديوان والتعريف بابرز ملامح الشاعر ، كما ان المحقق اعتمد على نسخ عديدة لهذا الديوان حتى يكون الديوان اقرب الصور صحة واكتمالا .

الرسالة الخالدة

تأليف : عبد الرحمن عزام

الناشر : دار الشروق ودار الفكر – بيروت/لبنان

● هذه الرسالة الخالدة لئن كانت من الله كما نعتقد نحن المسلمين فيكفي انها من الله لتمتاز على كل دعوة من غير الله ، وان كانت من محمد كما يقول بعض المفكرين فنحن ندعو المفكرين لينظروا فيها لا كدين ، بل كنظرية تاريخية اتت بافكار وشرائع في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، فسيجدونها بصرف النظر عن معنى التدين اساسا صالحا لنظام عالمي وسط بين المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يتطاحن عليها الناس الآن ، ثم انهم سيجدونها حتى على انها من البشر اصلح الدعوات وأرشدها وادناها الى مبادىء العدل والحرية والمساواة والاخاء .

التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي

تأليف : عبد القادر عودة .

الناشر : دار الكتاب العربي / بيروت – لبنان

● كتاب يقع في جزئين كبيرين يتناول بالدراسة والبحث التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقوانين الوضعية وبخاصة القانون المصري ، يقوم على بحث المبادىء والنظريات العامة في الشريعة والقانون وبيان وجود الخلاف والوفاق بينهما وقد حرص المؤلف ان تكون المقارنة شاملة لكل المبادىء والنظر بالتحليل موضوع جلي او خفي ومدى اتفاقها واختلافها مع احكام القوانين الوضعية كما ان المؤلف اعتمد في دراسته هذه على المذاهب الاربعة المشهورة فبين احكام كل مذهب من هذه المذاهب في كل موضوع طرق ثم بيان اساس الخلاف بين المذاهب الاربعة .

فلسطين وكبرياء الجرح

تأليف : حسن عبد الله القرشي .

الناشر : دار العودة / بيروت – لبنان

● مجموعة قصائد وطنية متنوعة .

ابن سينا

تأليف البارون كارادوفو

نقله الى العربية : عادل زعيتر

راجعه وضبط عباراته واعلامه محمد عبد الغني حسن

الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر

● ظهر هذا الكتاب باللغة الفرنسية في مجموعة « الفلاسفة العظام » في باريس عام ١٩٠٠ وهو من الدراسات الاولى عن الفيلسوف الاسلامي الكبير ، ويعتبر هذا الكتاب مفتاحا للكثير من الدراسات

والكتب القريبة التي تناولت تاريخ ابن سينا وامثاله .

وقد تناول الكتاب في فصوله العشرة : اهمية القرآن ، والنظريات الاساسية عند المعتزلة .. وحركة الترجمة في عصر – حنين الفيلسوف وبعض الفلاسفة قبل ابن سينا – ترجمة الفيلسوف ابن سينا لنفسه وكتبه – منطق ابن سينا – الطبيعيات عند ابن سينا – دراسة النفس والعقل عند ابن سينا – الالهيات ومن بينها التوحيد بين العقل والعلة – ويختتم المؤلف كتابه بفصل اخير عن تصوف الفيلسوف الاسلامي الكبير وايمانه بان الشر ليس شرا الا بالعرض .

مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا اسلاميا

تأليف : الدكتور مصطفى الشكعة

الناشر : جامعة بيروت العربية

● منذ اكثر من ثلاثين عاما رحل عن الدنيا الاديب العربي مصطفى صادق الرافعي ، واختارت المقادير مدينة طنطا التي عاش فيها اكثر اعوام عمره لتكون مستقرا لرفاته ، وثوى الكاتب الكبير في هدوء وسكينة ، بعد ان ملأ اسماع العالم العربي لاكثر من خمس وثلاثين سنة بمعاريك القلم الناقدة حينا ، واسباب الجدل والمحاجة والذود عن حمى العربية والدفاع عن حياض الاسلام حينا آخر .

لقد كان الرافعي اديب الفترة الاسلامية دون منازع في فترة زمنية ، كان الشيل من الفضيلة عربيا يستهوي كثيرا من ابناء العصر كي يسيروا فيه ، وكان الرافعي يرى في هذه الاتجاهات معاول هدم وبوادر تعفن في جسم الامة يجب ان يوقف عند حده ، وان يضرب عليها بشدة ، ومن ثم فقد خاض معركة قلمية فكرية ضارية امام الكثيرين من اعلام الكتاب آنذاك .

الصابئة المندائيون – الجزء الاول

تأليف : الليدى دراوور .

ترجمة : نعيم بدوي وغضبان رومي .

الناشر : مطبعة الارشاد – بغداد .

● دراسة قيمة عن الصابئة باعتبار دينهم دينا قائما بذاته كالاديان الكتابية الاخرى ، ومترجم هذا الكتاب احد ابناء هذه الطائفة وهو يوضح الاسباب التي من اجلها يجهل الكثير عن هذا الدين منها ان رجال الدين الصابئي لا يعرفون حقيقة الدين لانه يتعارض مع باطنيته بالاضافة الى ان هذا الدين ليس تبشيريا ، كما ان كتبهم الدينية مدونة باللغة المندائية وهي لغة قديمة يصعب على الباحث التعرف على دقائقها .

وقد اعتمدت المؤلفة في كتابها هذا على المشاهدة والنقل عن شيوخهم وكتبهم المخطوطة التي لا يزالون يسيرون على تعاليمها الى يومنا هذا .

اما هذا الجزء من الكتاب فيعالج تاريخ الصابئة وتسميتهم وعاداتهم وتقاليدهم وشعائرهم الدينية والنهم بالتفصيل .

الاجوبة المسكتة ودورها النضالي في التاريخ العربي

تأليف : علي عبد عيدان الطزامي

تقديم : عزيز السيد جاسم

الناشر : مطبعة الآداب في النجف الاشرف

● مجموعة من آثار الاجداد ، حفظها لنا التاريخ باصالة ، ليضعها بين ايدينا اليوم ، باقة عطرة من زهور البيان ، ومواقف اللسان القويم ومدى صراحته في التعبير عن المكنونات الانسانية .

وهي مجموعة من الاجوبة المسكتة ، التي كانت تدور بين الحين والآخر في مجالس الناس العامة، ومجالسهم الخاصة ، وفي الطرقات او الفلوات السائرة ، وفي جلسات السمر والمنادمة ، وفي حلقات الدرس والمناقشات . فقد كان في العرب ، كثير من المفكرين والشعراء ، الذين كانوا دائما يحسون بضرورة ايجاد العالم الفاضل ، لانهم كانوا رجالا ابناء الصحراء ، ذوي بأس ، لا يرضون حياة الخنوع والاستعباد .. ويتناول هذا الكتاب ادب المقاومة والاعجاز في البليغ الموجز ، ادب الحكمة والموعظة الحسنة ، يصب في نماذج رائعة من نتاج اللسان العربي المؤمن بالتضحية والكرامة والحرية عن تصور بصدق التجارب الحية ، التي عاشها جيلنا المتقدم والتي بدت خلاصة لخبرة طويلة ، كانت حافلة بالنجاح .

المعتزلة

تأليف : زهدي حسن جار الله

الناشر : مطبعة مصر – القاهرة

● دراسة وافية عن المعتزلة ، تلك المدرسة

الفكرية التي عاشت في حظيرة السنة وترعرعت زمنا غير قصير ، ثم نشب الخلاف بين هذه الفرقة وبين أهل السنة فلم يقدروا على الصمود أمام الهجمات العنيفة التي شنها عليهم مخالفوهم فقضى عليهم ولكن بعد أن تركوا ورائهم آثارا محسوسة في الحياة العقلية الإسلامية .

وبسبب ذلك العداء بينهم وبين أهل السنة فقد أخذ الناس فكرة سيئة وصورة مشوهة عنهم وعن تفكيرهم الفلسفي ، وبذلك بقي المعتزلة محرومين من التقدير منتظرين إلى من يظهر حقيقتهم ويعطيهم المكانة اللائقة بهم في التاريخ .

وقد أشار المؤلف إلى الصعوبة التي يلقاها الباحث في محاولة بحث المعتزلة لأن أغلب كتبهم قد ضاع ولم يبق إلا ما كتبه مخالفوهم والقليل متعصب عليهم غير منصف لهم ، وهو ينادي بجمع ما بقي من مخطوطات كتبها المعتزلة وهي ما زالت في مكاتب الشيعة في اليمن وبلاد فارس والهند ، فلو أخرجت هذه المخطوطات لخدموا العلم خير خدمة .

وقد قسم المؤلف كتابه إلى ستة فصول تناول في الفصل الأول أسماء المعتزلة والسبب في تسميتهم بالمعتزلة ، وأسماءهم الأخرى ، وفي الفصل الثاني بحث عن ظهور المعتزلة وعقائدهم العامة في الوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمنزلة بين المنزلتين والصفات الأزلية وخلق القرآن والتشبيه والتجسيم ، أما الفصل الرابع فتناول الفرق الخاصة عند المعتزلة وعند فرقهم مثل الواصلية والعمرية والجعفرية والأسوارية والجاحظية ثم فصلين آخرين عن المعتزلة في دور القوة والمعتزلة في دور الضعف والسقوط . وفي الختام فصل عن دور المعتزلة في تطور التفكير الفلسفي الإسلامي من حيث إقبال المعتزلة على التوفيق بين الدين الإسلامي وبين الفكر اليوناني ثم صلة المعتزلة بالسنة وحسن نواياهم .

نحو وعي لغوي

تأليف : مازن المبارك

الناشر : مكتبة الفارابي – دمشق / سوريا

● صفحات في اللغة العربية توضح بعض خصائص لغتنا العربية وتتحدث عن بعض مزاياها ومنها الرابطة الدينية القومية التي تربطها بين اللغة العربية والقرآن الكريم ، وهو بذلك مظهر

بالغ اقتران الشكل العربي ، بالمضمون الإسلامي.
ومن هنا وقفت بعض النفوس الحاقدة وراء كل دعوة إلى الفصل بين هاتين القوميتين المتلبستين ، وقد انطلقت محاولات الطعن في العربية أو في الإسلام أشكالا ومظاهر شتى فهي تلبس ثوب الطعن في الأدب العربي وصحته ، وتظهر تارة أخرى بمظهر تشجيع اللهجات المحلية لتفتيت اللغة الواحدة وتمزيق الناطقين بها ، وتارة أخرى تلبس ثوب الثورة على القديم ، وهو لا يتمرد في حقيقته على قدم الأسلوب وإنما يتمرد على صحة اللغة وسلامتها ! ثم من قائل من ضيق العربية وقصر باعها عن مواكبة الحضارة والمدنية ، ثم من ناعق بتغيير الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني ، ومن داع إلى تيسير القواعد والدعوة إلى العامية وما فيها من أدب وفن .

مهنة المتاعب

تأليف : أديب مروة

الناشر : منشورات عويدات / بيروت – لبنان

● كتاب يضم خلاصة مختارة من خطوات كاتب قوي مجرب عاش حياة صحفية مليئة حافلة بالسحر والأحداث والمغامرات والهموم والمواقف والصور البشرية . فهو يجمع بين التحقيق والاستجواب والنقد والتحليل والعرض والوصف والقصة والرسالة والاستطلاع والمقالة ، وأدب الرحلات والتعليق ، ثم لمحات لوجوه هنا أحياء وأموات بعضها كتب بروح الحياة وبعضها كتب بروح من الخيال .

والمؤلف لا يرى في كتابه هذه مسرحا جامعا للفنون الصحفية بل إنه نتيجة تطواف دام ربع قرن وأكثر في شتى الأقطار الأوروبية بعد إقامة لسنوات خمس متواصلة في قلب أوروبا مما جعله يعايش بعض الأحداث الهامة ويقوم باتصالات خاصة ، ومن ثم جلوس إلى عدة رؤساء وملوك وانطباعات خاصة لعبت الصدفات فيها دورا كبيرا وهذا شأن كل من تصدى لمهنة المتاعب كاتبا وصحفيا .

حب وثورة

تأليف : عبد الرحمن عمار

الناشر : الشركة التونسية للتوزيع ، تونس .

● قصة طويلة .

بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الى الدكتور حسين مؤنس

● ليت الدكتور حسين مؤنس كان اكثر تثبتا واقل عصبية مما كان في مقاله عن العدوان الصليبي ، فالبحوث التاريخية لا تعالج بمثل هذه الروح ، والاتهامات لا تلقى هكذا اعتباطا .

يقول الدكتور الفاضل : كان الفاطميون يرحبون بهذا الغزو الاجنبي . يقول ذلك وهو يعلم ان هذا الغزو انما كان يستهدف اول ما يستهدف ازالة ملك الفاطميين والقضاء على سلطانهم فيما يحكمونه من بلاد !!

ونحن لا نريد ان نرد على الدكتور ، بل ندع لابن القلانسي صاحب ذيل تاريخ دمشق ان يرد عليه بفقرات ناخذها من كتابه بدون تعليق ولا استنتاج :

يقول ابن القلانسي في الصفحة ١٤٠ من طبعة سنة ١٩٠٨ : في هذه السنة « ٤٩٤ » هـ « خرج من مصر عسكر كثيف مع الامير سعد الدولة المعروف بالقواسي ووصل الى عسقلان لجهاد الافرنج .. الى ان يقول : ونهض اليه من الافرنج الف فارس وعشرة آلاف راجل ... ثم يفصل المؤرخ احداث المعركة التي استشهد فيها القائد الفاطمي ، ثم يختم كلامه بهذه الفقرة : وعاد المسلمون على الافرنج وظهروا عليهم وبذلوا النفس في الكرة اليهم فهزموهم الى يافا ... الى آخر ما قال .

ويقول في الصفحة ١٤١ وفي هذه السنة « ٤٩٥ » هـ « خرجت العساكر المصرية من مصر لانجاد ولاة الساحل في الثغور الباقية في ايديهم صونا على منازلهم من احزاب الفرنج ... (وانتهت هذه الحملة بالنصر الفاطمي ايضا) .

وظل الحرب سجالا وظل الفاطميون على سلاحهم يكافحون الفرنج في البر والبحر حتى سنة ٥١٦ فيقول ابن القلانسي

وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاسطول المصري الى ثغور الساحل في غاية من القوة وكثرة العدة والعدة . وذكر ان عدة مراكبه سبعون مركبا حربية مشحنة بالرجال ، ولم يخرج مثله في السنين الخالية ، وقد انفق عليه ما حكى قرب ثلثمائة الف دينار . وقرب من يافا من الثغور الافرنج فقتلوا واسروا واحرقوا ما ظفروا به واستولوا على عدة وافرة من مراكب الروم والافرنج ثم قصدوا ثغر عكا وفعلوا فيه مثل ذلك وحصل في ايديهم عدة وافرة من المراكب الحربية الافرنجية وقتلوا من حجاج وغيرهم خلقا عظيما واخذوا ما امكن الى ناحية مصر وقصدوا ثغر صيدا وبيروت وطرابلس وفعلوا فيها مثل ذلك .... الى آخر ما قال .

وكذلك نحن هنا لا نرد عليه بانفسنا بل نترك للاستاذ حسن حبشي صاحب كتاب الحروب الصليبية وثائق المؤرخين ان يردوا عليه . قال الاستاذ حبشي مستندا الى ابن الاثير وغير ابن الاثير من مؤرخي العرب والافرنج : (فوجئ افتخار الدولة ـ حاكم مصر على القدس ـ بمقدم هذه الجموع اللجبة وابعد همه عن مقاومتها فعمد الى تسميم الآبار وطم القنوات واخراج النصارى من المدينة وعهد بحراسة الاسوار الى جماعة من العرب والسودان) .

حسن الامين ـ بيروت

الفاطميون والصليبيون

● ينكر السيد حسن الامين ما ذهبت اليه من اتجاه الفاطميين الى التعاون مع الصليبيين اول ما نزلوا ارض الشام حاسبا اننا تسرعنا في ذلك القول او القيناه جزافا ، والحق يلسيني ان ما قلته صحيح ، وهو لا يتعارض مع ذلك مع ما اوردت من اخبار وجدتها عند ابي يعلى حمزة ابن القلانسي في « ذيل تاريخ دمشق » كما سترى.

فعندما دخل الصليبيون ارض الشام وبداوا حصار انطاكية في فبراير ١٠٩٨ اجتهد صاحبها باغيسيان في تحصينها ، وبعث في طلب الامدادات وبالفعل اخذ كربوجا صاحب الموصل يجمع الجيوش لعون انطاكية . وشدد الصليبيون الحصار وطال امده ، وتمكن الصليبيون بعد جهد شاق وخسائر متوالية من تضييق الخناق على البلد ، وبدا بوضوح ان السلاجقة سيفقدون المركة .

هنا تصور رجال الدولة الفاطمية ان اولئك الصليبيين ان هم الا جند مرتزقون ارسلهم امبراطور الدولة البيزنطية لكي يعاونوه على

السلاجقة ، وكان العداء بين هؤلاء والفاطميين شديدا بسبب التنافس على سيادة البلاد الشامية ، فأرسل الأفضل وزير الخليفة الفاطمي المستعلي سفارة الى الصليبيين المحاصرين لانطاكية لعرض عليهم التعاون في القضاء على السلاجقة على أن يكون شمال الشام للصليبيين وجنوبه ـ أي فلسطين ـ للفاطميين . وصلت هذه السفارة الى المعسكر الصليبي في مايو ١٠٩٨ ، وعرضت الأمر على قادة الصليبيين ، فاستقبلوها بحرارة ولكنهم لم يعدوا رجالها بشيء ، لأن كثيرهم كانت له بعثات ترجع في الصراع الدائر حول انطاكية . وأقام السفراء بضعة أسابيع دون نتيجة ثم عادوا يرافقهم بعض رجال الفرنجة وكثير من الهدايا من بينها رؤوس نفر من الأتراك السلاجقة الذين قتلوا في الصراع حول انطاكية .

مراجعنا في ذلك بما سيجل هنى : Gesta Francorum VII, 18, VIII, 19 Raymond De Agnalers Historia Francorum Qui Operunt Jerusalem PP. 249-250 .

وقد نشر هذا النص في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ج ـ ٣ Anselm De Ribemont Epistolae VIII, XV .

وقد نشرت هذه الخطابات N. Hagenmayer Die Kreuzzugsbriefe Jahren 1088 - 1100. Innsbruck 1902 .

ويذكر صاحب كتاب تاريخ الحروب المقدسة Historia Belli Sacri ، ص ١٨١ أن الصليبيين ارسلوا الى الفاطميين قبل أن يحتلوا الشام سفارة لعرض عليهم التعاون معهم على السلاجقة ، وكان الذي نصحهم بذلك امبراطور الدولة البيزنطية . ويذكر هذا المؤرخ أسماء سفراء الصليبيين الى القاهرة .

ويؤيد ذلك ابن الأثير الذي يقول في حوادث سنة ٤٩٠ :

« وقيل أن أصحاب مصر لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام الى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم من دخولها وحصرها خافوا فأرسلوا الى الفرنج يدعونهم الى الخروج » . أما الأخبار التي وردت في رسالة الأستاذ حسن الأمين فكلها صحيحة ، إلا أنها تصور لنا موقف الأفضل والفاطميين في الفترة اللاحقة وبعد أن فشل مشروعهم في التعاون مع الصليبيين .

لا تنسوا ليبيا الثورة

● مع صدور كل عدد ، نترقب ، نحن أبناء ليبيا الاشتراكية صورا عن بلادنا ، ولكن على غير جدوى . فنحن نرجو ألا تنسوا ليبيا الثورة ، ولكم منا كل التقدير والاعجاب بمجلتنا .. مجلة كل عربي .

أحمد محمد حيدر ـ طرابلس ـ ليبيا

العربي : سنفعل بإذن الله .

طريقنا الى الحياة

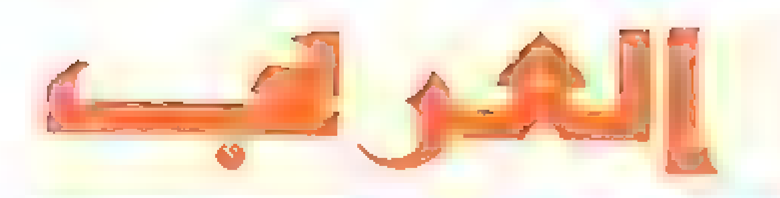
● قرأت لسيادتكم في عدد العربي عن شهر فبراير مقالة قيمة عن الحرب الكيماوية وهي لتحذير الدول الواجهة من غدر العدو الصهيوني خاصة أن اسرائيل قد استخدمت قنابل النابالم ضدنا في عدوان ١٩٦٧ ولا أنسى أيضا الصورة التي نشرتها مجلة « العربي » منذ سنوات وعقب العدوان ، لمواطن سوري أحرقته قنابل النابالم . والواقع انه أصبح هناك سؤال عند الجميع اليوم يلح علينا ليلا ونهارا ما المصير ؟ وما الغد ! وما المستقبل والاستقلال والكرامة والوطنية لترابي الوطن !

أما عن مقالتكم في نفس العدد عن العلم فحقا ما ذكرتم الفقر !! الفقر !! والحقيقة انه ليس الفقر هو السبب وحده بل التقشير ايضا على العلم ورجاله ممن لا يقدرون ، ذلك هو السبب في تأخرنا في وقت ننادي فيه بالتطور العلمي أو بالتكنولوجيا كما يقولون وبلادنا تتمتع بنسبة ٧٠٪ من الجهل بين المواطنين !! ولا تقدير للحريات ولا الكرامة الوطنية !! لشعب متعلم يعرف ما عليه وما له وقد كان يجب القضاء على الامية في بلادنا أو لحشدنا بذلك نفس اهتمامنا بأمور فارغة لم تنتج سوى فراغا .. ولقد صدقتم في تعليقكم تحت احدى صور القتال وهل ينتج الفلاح أو العامل إلا وهو متخلف !! واعتقد أن الوحدة الوطنية توجب ذلك والواجب الوطني يفرض الثقافة للجميع ، ولكن للأسف هذا غير موجود في بلادنا العربية ، وهكذا سنظل مهددين بالعدوان الاسرائيلي وبابتلاع أراضينا ما دمنا نحمل الافراد أكبر من الاعمال !!

توفيق طروحة المصلي ـ الجيزة ـ القاهرة

الكويت - في رأس الخليج العربي







إطلب

ى السعر

هذا العدد

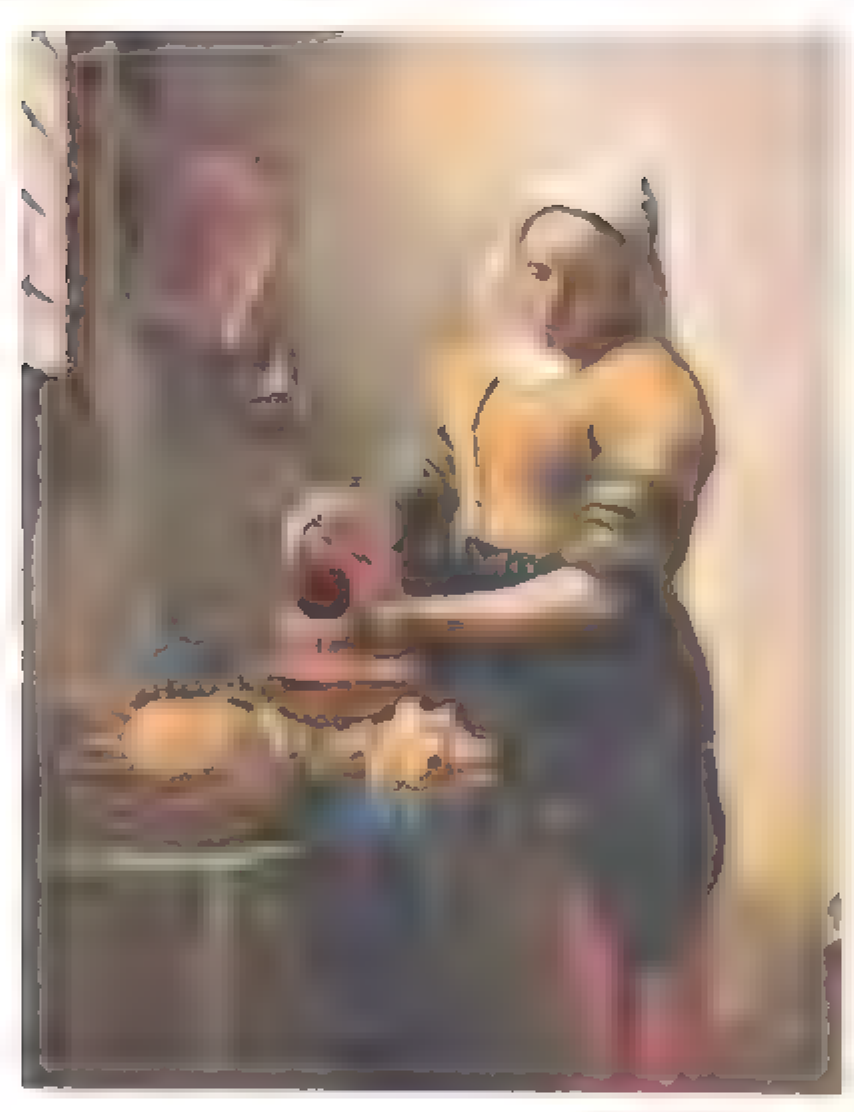
جوائز

١٢٠٠

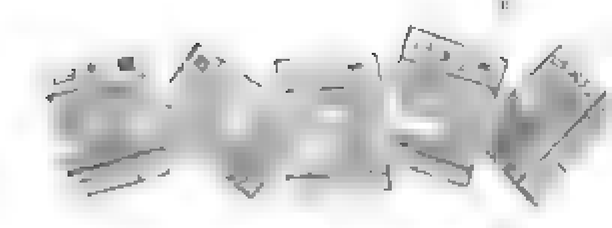
نار سنويا

ن ممن سقطرى
ه الانسان الاول

الشمس



من روائع الفن العالمي



عزيزي القارئ

● لا شك أنك تعلم أن عدد « العربي » يجهز قبل خروجه إلى السوق بنحو شهرين أو ثلاثة أشهر .

والعدد الممتاز يحتاج للتجهيز إلى فترة أطول ، وذلك لأسباب كثيرة ليس من أقلها أننا نطبع ربع مليون نسخة منه أو أكثر .

لهذا نرجوك :

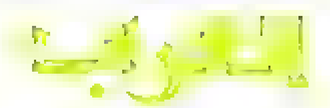
- أن ترسل إلينا كل ما قد تود من أبواب جديدة تريد أن نخرج بها في « العربي » ، على أن توافينا بالباب المنشور في العربي الذي تحتل هذا الجديد مكانه .

- أن تقترح علينا ما تراه أنسب لتكون هديته هدية « العربي » مع العدد الممتاز بأول يناير مما يسهل إرسالها بالبريد .

- أي نقد تجده فيما ننشره في « العربي » ، وأن تذكر مع هذا النقد الأسباب الداعية إلى ذلك .

ونحن نرحب بكل نقد ، لاسيما الذي يأتي من القارئ ، فإن المائدة مائدته ، وألوان الطعام التي عليها إنما نصنعها له .

المحرر



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

- حديث الشهر : رجال الشرطة بين حرية الفرد وسلامة الجماعة — ٨
- من هو الفقيه المجتهد — ٤٦
- مسلمات خالدات : صبيحة ملكة قرطبة — ٧٤
- صفحة في اللغة : [illegible] ودلالتها — ١٣٦
- ابن خلكان وكتابه وفيات الأعيان — ١٥٠
- بلدية الكويت ... مؤسسة التي خطت على عاتقها مهمة بناء الكويت الحديث (بالألوان) — ٥٠
- سقطرى .. [illegible] (بالألوان) — ٩٢
- المخدرات ـ أضرارها ، وعلاجها ، والوقاية منها — ٣٦
- السلام في الفكر الفلسفي المعاصر — ٨٦
- علم الديموجرافيا أو الدراسات السكانية — ٣٠
- [illegible] في التطورات الاقتصادية الدولية — ٢٢
- في سبيل موسوعة علمية : صور نستفيد منها [illegible] — ٤٠
- أمراض شائعة : الأرتكاريا — ٨٢
- أنباء الطب والعلم والاختراع [illegible]
  [illegible]
  [illegible] الأرض [illegible] أسرع [illegible]
- جورج مندل أبو علم الوراثة — ١١٥
- التلوث الحراري من بعد التلوث الإشعاعي — ١٢٢
- طب الأسرة [illegible]
  [illegible] — ١٥٩

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت

AL-ARABI [illegible] KUWAIT

العنوان بالكويت : [illegible]

الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف :

● صورة مصرة تنقلنا الى الوراء .. الى عصر الانسان الاول .. شعر كث .. وصدر عار .. وسكين مشرعة .. وعداء محموم على الظهر وانطلاقة في البادية ، لا نعرف أي سعودة قدماه ، ولا المكان الذي [illegible] فيه .. ولكن الذي نعرفه محمد الدمرد هو انه [illegible] معروف الذي يحمله [illegible] انها صورة من صور الحياة في البادية [illegible]
(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٩٢)

[illegible]

■ أن نفكر في الفواكه الفج والناضج فى الرجال كذلك الناضج والفج ، وكذلك [illegible] ١٢٨

[illegible]

■ عوني عبد الهادي [illegible] احمد موسى [illegible] العربية الفتاة ٦٧

■ صبحة مكة قرطبة ٧٤

كتب

■ كتاب الشهر [illegible] الكبرى [illegible] دراسة في الفكر [illegible] الصهيوني ٢٦

■ مكتبة العربي ١٣٣

شعر [illegible]

■ شعراؤنا الاحدثون [illegible] ما قالوا في الحجاب [illegible] ٤٧

[illegible]

■ من غرائب القضايا [illegible] اعترف [illegible] ١٩١

● سماء بلا نجوم ١٦٨

[illegible]

■ من روائع الفن العالمي [illegible] لوحة « العلامة » للرسام الهولندي [illegible] ٩

● عزيزي القارىء ٣ ■ بريد القراء ٦

■ مسابقة العربي ١٩ ■ نتيجة مسابقة العدد ٤٦

■ طرائف عربية ١٢٠ ● طرائف غربية ١٤٨

■ [illegible] [illegible] [illegible] سوف العالم [illegible] اريتريا وقصة جهادها ضد الاستعمار الاثيوبي ٤٢

ثمن العدد : بالكويت [illegible]
[illegible]
[illegible] فلس ، السعودية ٤ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٣٠٠ مليم ، المغرب ٣ دراهم ، اليمن ٣ ريال ، ليبيا ٥٠ قرشا ، جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ٣٠٠ فلس
الاشتراكات : [illegible] الشركة العربية للتوزيع بيروت ، [illegible] ب ٣٢٨) [illegible] اشتراكات العربي .



اتحاد البريد العالمي

● ذكرتم في العدد ١٥١ من العربي في الصفحة رقم ٦٠ كلمة بعنوان « البريد في عون الأمم » وقد ورد في هذه الكلمة أن اتحاد البريد الدولي أسس في عام ١٨٧٥ ، والصحيح أنه تأسس في عام ١٨٧٤ ، فأرجو التصحيح

محمد رضوان ـ الكويت

العربي [illegible] تصحيحه ، [illegible] عام ١٨٧٥ هو العام الذي تأسس فيه الاتحاد الدولي للبريد [illegible] مؤتمر البريد الدولي الأخير انعقد في طوكيو عام ١٩٦٨ ، وقد وقع في هذا الرقم خطأ مطبعي ، [illegible] صحته هي ١٩٦٩

مسابقات العربي

● أن مسابقاتكم هي من الأساليب الموفقة للتثقيف وإنني أشترك في جميع مسابقات «العربي» وعندما تنشر الأجوبة الصحيحة أراني قد أجبت ضمن الحد الصحيح المطلوب ، إلا أنني لم أفز بأية جائزة الآن رغم أنني أمضي في كل مرة يومين أو ثلاثة في مطالعة المراجع لأحصل على الأجوبة الصحيحة .

لذلك أقترح ألا يكون الاعتماد في توزيع الجوائز على القرعة فقط ، بل فرض عدد من الأجوبة يكون لمن يحصل عليه حق جائزة ولو رمزية تشجيعا له على مواصلة تثقيف نفسه وأكرر أن هذه المسابقات هي من الأساليب الموفقة لهذه الغاية .

منصور شامي ـ حلب

جامعة الأزهر

● أن الدكتور أحمد زكي الوجيه والمتاز على درجة (٪ ٦٦) في العلوم بمحاولتنا الى الأخذ بالتقدم العلمي ، واخلفنا منه قوله « أنه عصر التكنيك والتقدم » كما يدعو مساعدته الى اتباع أسلوب التربية الحديث ، فهل لي أن أتساءل :

« لماذا لا تزور بعثة العربي جامعة الأزهر الشريف الذي يعد أقدم جامعة عالمية ، وتبرز للناس أجمعين مدى التقدم الذي أحرزته في المجالين التربوي والعلمي . فقد ضمت كليات الطب والهندسة والزراعة والعلوم والتربية ومعهد اللغات والترجمة بجانب كليات اللغة العربية والشريعة والقانون وأصول الدين والدراسات الإسلامية والتجارة في جامعة الأزهر . ويدرس الطلاب بجانب الدين العلم .

أنا ـ عندما أقرأ مقالاتكم ـ أرى أن نظام الأزهر الحديث المتمثل في معاهده وكلياته يتفق مع وجهة نظركم بالتطوير والتقدم .

وأخيرا . أرجو أن تنشر الكثير عن أزهرنا الحديث وأنا أمل قريب في زيارتكم وزيارة بعثة العربي وشكرا .

الحسن محمد السباعي محمد عامر
معهد القاهرة الثانوي

العربي نفعل إن شاء الله

معركة اليرموك

● ارجو ان انبه الى خطأ تاريخي ، اعتقد انه خطأ مطبعي ، وذلك في مقالة الاستاذ الدكتور محمود السمرة في عرضه لكتاب « المسلمون في اوروبا في العصور الوسطى » للدكتور ابراهيم طرخان ، في مجلتكم الرائعة « العربي » العدد ١٥٠ ربيع الاول ١٣٩١ هـ الموافق ايار ١٩٧١ م .

وقد ورد الخطأ في السطر السابع من العمود الثاني من الصفحة الخامسة والاربعين بعد المائة حيث جاء « معركة اليرموك ١٥ هـ/٦٢٦ م » ، والصحيح كما هو معروف لدى الدارسين والمؤرخين هو ٦٣٦ م وليس ٦٢٦ م . ولعل ذلك خطأ مطبعي كما اسلفت ، لا يخفى على الدارسين للتاريخ الاسلامي ، لذا ارجو التنبيه اليه .

جميل بني عطا ـ الاردن

خريطة الوطن العربي

● لقد ارسلت للعربي قبل هذا خطابا موضحا فيه الاخطاء في خريطة الوطن العربي المهداة مع العدد الممتاز وانا لا اشك في حرص العربي على نشر كل تصويب ولكن ربما لم يصل خطابي فارجو منكم تصويب الآتي في جمهورية السودان .

١ ـ مدينة الخرطوم تقع بين النيل الازرق والابيض في الملتقى .

٢ ـ مدينة كوستي والدامر ومدني و واو وابو حمد موضحة بعيدا عن ضفاف الانهار في حين انها تقع على ضفاف الانهار .

انتصار حسن محمد علي
الدويم ـ السودان

العربي : سبب هذه الاخطاء ومعي علم بها ان مواقع المدن التي ذكرتها يضعها عادة صانع المرسطة على الورق الشفاف الذي يغطي الخريطة ، وعند التصوير ، ومع اختلاف درجة الحرارة تتراح هذه المواقع عن مواقعها الاصلية . وسنحاول تلافي ذلك بوسيلة فنية اخرى مستقبلا .

يقترح استطلاعا للمدينة المنورة

● انني واحد من القراء الذين يحضرون بمجلتهم « العربي » هي « منهلنا العذب » ، التي نحب منه حبا مع بداية كل شهر جديد . ولكن لي كلمة عتاب صغيرة .. لقد لاحظنا انكم تستطلعون بعض البلدان العربية كثيرا ، بينما لا نجد للبلدان الاخرى نصيبا لتصيب اخوالها ، ومن بين هذه البلدان الاخرى ، بلدي المملكة العربية السعودية . تعالوا الى المدينة المنورة ، سوف تجدون فيها اليوم مدينة جديرة بالاستطلاع على صفحات العربي .

ناصر حمد
المملكة العربية السعودية

العربي : سنفعل بأذن الله .

المرأة الكويتية العاملة

● اعجبني استطلاعكم عن المرأة الكويتية في ميدان العمل ، لقد شعرت بعد قراءته ان هناك مجالات كثيرة خاضتها الفتاة الكويتية بنجاح مشرف . ارجو ان تبلغوا شكري لهؤلاء الفتيات اللواتي يعملن ويخدمن للوطن ما تفخر به الامة وتعتز .

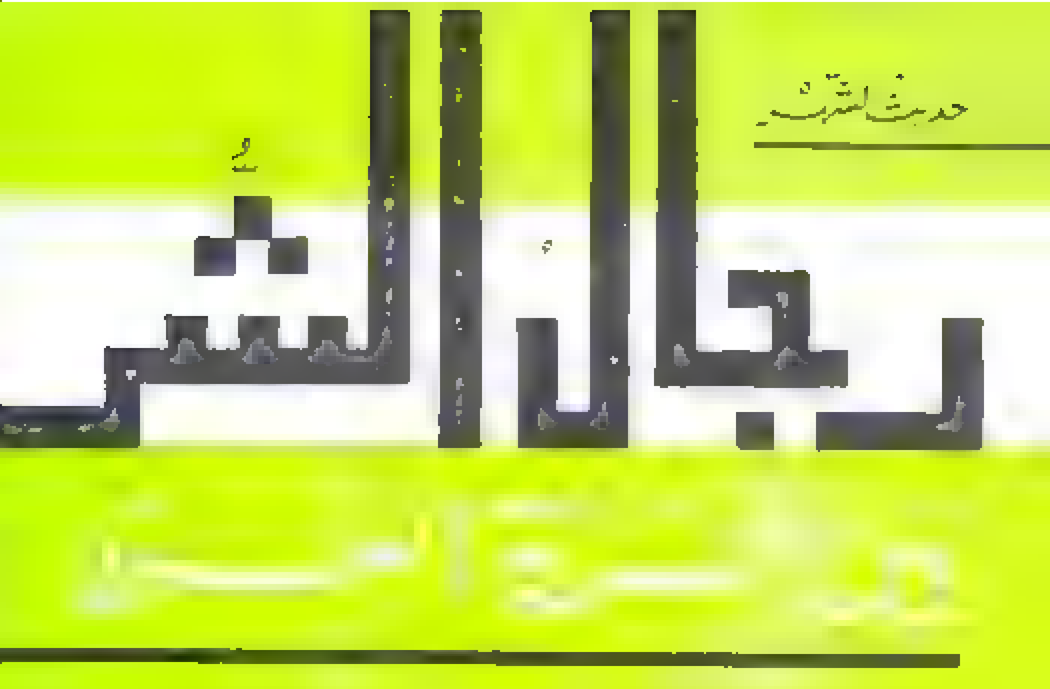
منيرة سليمان ـ الكويت

اين صفحة الطب المصور ؟

● لاحظت في مجلتكم الحبيبة انقطاع باب (صفحة الطب المصور) في الاعداد القليلة الماضية وانا كبير الامل في ان يعود هذا الباب الى مكانه بالمجلة ، كما نرجو زيادة صفحات هذا الباب القيم اذا امكن .

محمد سليمان الفرع ـ الكويت

(البقية على صفحة ١٧٢)



● الحدث في امر [illegible] ... في ... ويلب فيه او بلد [illegible] واعد الآن اتذكر ما كان لي بها وبهم ... [illegible] اي دخلت مخفرا للشرطة ، يوما ، شاكيا او [illegible]

تجربة اولى

[illegible]

[illegible] الى الناس وسألني ضابط : هل حدثك هذه الشرة ، ونظرت فيها وذكرت انها حارسي ذلك [illegible] قال : وماذا [illegible] لعلي العبها في سلة لهملات في مكتبي في الدور الاعلى ، [illegible] ان الضابط يريد ان يسوق عندئذ نادوب استخدام ، وقلت له احمل [illegible]

[illegible] حينئذ ان [illegible]

[illegible] الذي ارسلها ؟ قال : فتشنا [illegible]

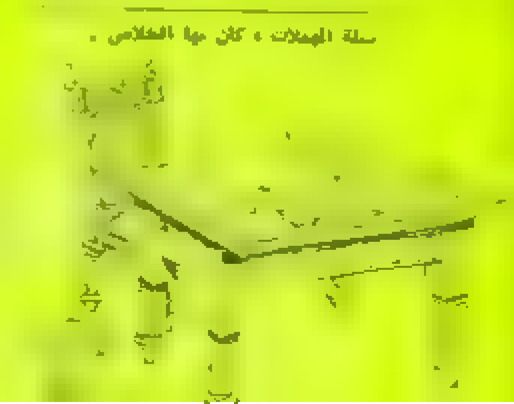
بقلم رئيس التحرير

موجدنا فيها جدولا به اسمكم . علت
واسم من ايضا !
فذكر لي رجالا هم اصدقاء لي قدماء
منهم احمد امين وطه حسين وغيرهم
ـت : ارجو ان تكون عندهم سلة
للمهملات كالتي عندي .
تجربة لي لم تكن لتريد القلوب صحة

وتجربة ثانية

وتمضي نحو عشر سنوات بعد ذلك

سلة المهملات ، كان بها الخلاص .



ـت لي تجربة بالشرطة اخرى .
بين الفجر والشروق اعطا لي صرى
دق جرس الباب الخارجي المواصل
علت لصاحبتي ليت شعري من يكون
الطارق في هذه الساعة . وارتديت الروب
واطلت من شرفة مكتبي (وهي تطل
حجرة نومي دائما) على الحديقة في صدر
الدار . فوجدت سيارة مكشوفة بها
رجال البوليس ؛ وضابط منهم كان قد
سمعهم عبر الحديقة الى باب الدار واحد
يدق . فلما رآني الرجال نبهوا الضابط،
فرفع رأسه ورجاني ان انزل اليه برهة
مذلك ظنت روحتني الظنون . ونزلت
فتى ما به . وفتحت الباب . فبادا
الضابط يقول : جاءتنا اشارة من رئاسة

مجلس الوزراء بالاسكندرية برجوك
الحضور على عجل الى الاسكندرية ،
ن الفصل صيفا . قلت : خيرا ان
ـء الله ؛ وقد ظهرت في صوتي الريبة،
قال الضابط ليس هناك ما يريب . انهم

مطلوب اليك ان تحضر بالسترة الرسمية السوداء ، لان المسألة تتعلق بدخولك الوزارة الجديدة .

كانت مفاجأة لي ، لا ادري كيف اصفها . كانت بين الغبطة والالم .

فما شأن رجل يعمل في حقل يسمونه حقل العلوم بوزارة اهدافها الاولى سياسية .

ومع ذلك بقيت بي ريبة من رجال الشرطة .

واصبح الصباح ، ونزلت الى عملي كالعادة .

كنت اجتمعت مع بعض الزملاء فاشاروا علي بما نشرت في جريدة الاخبار باثره كبرى ، واتصلوا بالملك . ودعاني الملك . وتحدث معي في كل شيء الا ما نشرت . فحدثت في دعوة البوليس هذه الاخيرة لي الى الاسكندرية مكيدة .

واتصلت ببوليس المعادي حيث اسكن اسأله عن صحة هذه الدعوة . فصح عندي صدقها .

وقامت عندي على التو مشكلة السترة الرسمية السوداء .

لم اكن من المستوزرين ولا المستوزَرين .

واتصلت على الفور باصدقائي من قدامى الوزراء ، اقترض منهم سترة . ولم تلبسني من ستراتهم غير سترة الصديق الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهوري (شفاه الله وعافاه) *، لولا قصر في الاكمام . ولكني كان بروز كمّ القميص الابيض زينة فوق زينة .

وكانت تجربتي في الوزارة تجربة مرّة ، عرفت منها ان للحكم ظاهرا يعرفه الناس ، وان للحكم باطنا لا يعرفونه ، وليس هذا كذلك .

رجل مثلي تعود ان يقيس الاطوال بالمتر ، فاذا وجد شيئا طوله عشرة سنتيمترات لم يستطع ان يقول انها عشر بوصات ، ولو قرأها عشرون رجلا من حوله من اهل الحكم وقالوا انها البوصات لا السنتيمترات .

انها عادة لاهل العلم يضيق بها اهل السياسة .

وتجربة ثالثة

وهل امضي في ذكر التجارب وقد طواها الزمان طيا

انها ليست تجارب شخصي انا ، ولكنها تجارب زماني ، فانا انما اصف بها زمانا لا أناسا .

وهذه التجربة الثالثة تجربة ايضا قديمة مضى عليها الزمان فلن يضيق بها اليوم احد .

حضرتُ الى بلدي ، بعد غيبة طويلة ، لقضاء ايام عشرة او لعلها خمسة عشر ، ونزلت في منزلي الذي تركته سنوات . وفي صباح اليوم الثالث لمحت من نافذة مكتبتي شابا حسن الملبس يقف عند بوابة الحديقة يتكلم مع الحدائقي ، ويشير الى المنزل . ولما نزلت سألت الحدائقي : من كان الرجل ؟ . قال لا احد يا سيدي قلت : الرجل الشاب الذي سألك عن المنزل . قال : آه ، هذا الشاب . انه كان يسألني عن الدكتور متى يستيقظ ومتى ينام ، وهل ينام في الظهيرة ، ومتى يخرج من البيت . قلت : اجبته ؟ قال : بقدر ما عرفت .

ومضى يوم ويوم واذا بي الاحظ ان سيارة ، بها هذا الشاب ومعه السائق ، واقفة مختبئة وراء حديقة الجار ، وكلما خرجت من الدار ، بسيارتي ، لاحقتني

---

* العربي . كتب رئيس التحرير هذا المقال ، ودعا لصديقه الكبير الدكتور عبد الرزاق السنهوري بالعافية والشفاء . وسافر من بعد كتابته الى اوروبا ، ثم اتضح بعد ذلك ان هذا الدعاء انما كتب في نفس اليوم الذي صعدت فيه روح الفقيد الى ربها .

وتابعتني ، حتى اعود . وياتي الليل فلا اراها .

« ان الدكتور ينام في نحو العاشرة » .

وهكذا استمر الحال .

وعصر يوم كان لصديقي الاستاذ احمد السقاف اطفال يدرسون في مدرسة خاصة بعيدة عن بطن العاصمة . فرحت ازورهم لاطمئن عليهم . واخطأت الطريق . وتنقلت للوصول الى المدرسة من شارع الى شارع ، وسيارة صاحبنا الضابط الشاب تتبعني ، حتى الصقتها من غير قصد . وكدت ان اقف واستفسر عن ذلك . ولكنني فعلت ذلك مرة فأطلقت السيارة سائقها للريح .

وفي آخر يوم ، خرجت من منزلي ضحى . ونظرت فاذا صاحبي الضابط الشاب ، وهو دائما في ملابس مدنية ، واقف في شارعنا الهادىء ، ذي الشجر ، عند وابور زلط ، وهو تلك القاطرة الثقيلة التي تمر في الطرقات لتسحها . فرأيت الفرصة سانحة لاتحدث اليه . وذهبت ناحيته . فلما رآني قادما اختفى وراء وابور الزلط . ومع هذا وصلت اليه . وقلت :

— السلام عليكم .

— عليكم السلام .

— اسمح لي يا عزيزي الشاب ، فتفصح لي عن السبب في متابعتك اياي كل هذه الايام ؟

— اي متابعة يا سيدي ؟

— اسمع . انت تعرفني ، لا شك في هذا .

— ابدا . انا ما رايتك قط في حياتي .

— اكرر انك تعرفني . اني اعرف انك شاب من شباب بوليسنا الطيب . وانك في قيامك بمناصبي انما تطيع امرا ، وواجب ضابط البوليس الاول الطاعة . ولا الومك عن متابعة . ولا الوم من امرك ، فقد يكون هناك سبب وجيه لهذه المتابعة . والبلاد ، وكل بلاد ، فيها من الاشرار كثرة من الناس ، لا بد من متابعتهم الى اوكار شرورهم . ولكن البوليس ايضا كثيرا ما يخطىء ، فيرى الشر حيث لا شر . فقل لي ماذا افادتك متابعتي هذه ، وماذا وجدت لتنقله الى رؤسائك .

قال : والله يا دكتور ما عرفنا عنك الا خيرا .

اذن هو كان يعرفني . وتابع القول :

— بل ان مكانتك عندي ، وعلى الاخص عند ابي مكانة كبيرة . وهو كثيرا ما قرأ لك ، ويحضني على ان اقرأ .

لما رآني ضابط البوليس قادما ، حاول ان يختبىء وراء وابور زلط

قمت

بعد هذه المعرفة ، أسمع الى ما اقول. انا لا الومك او الوم من ارسلك ، ولكني اعتب عليكم جميعا بانكم لا تعرفون بين رجال ورجال . ان مثلي ، اذا كانت حوله شبهة ، ان تستدعوه وتطلعوه عليها ، وعندئذ سوف تعلمون منه خيرا مما تسمعون اليه من الف مخبر . أما اذا سلمت ثقتكم في كل اهلكم ، فكلهم عندكم اشرار ، فالويل لهم ولكم ولبلدكم، وكلكم الى ضياع .

واستطردت اقول :

فاذا كان ما اشتبه به امركم ، فيما يختص بي ، هو كذا ، فاذكر له عنى ان جواب ذلك هو كذا .

واذا كان كذا ، فجوابي عن هذا كذا .

وعددت له نحو ثمانية اسباب حضرتني . ثم قلت له

ــ والآن قل لرؤسائك اني مغادر البلاد هذا المساء ، بالطائرة ، في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

قال :

ــ مع سلامة الله . ولكن لماذا السفر في هذه الساعة المتأخرة .

ــ لان الطائرات لا تقوم الى حيث اعمل الا في هذه الساعة . والآن سوف انصرف لاشتري جبنة بيضاء لانى اشتهيها هناك ولا اجدها . قال

ــ اؤكد لك مرة اخرى انه ليس عليك من شيء . ومع السلامة في الحل والترحال .

وخيل الي ان الشاب نادم .

وذهبت الى الطائرة في الموعد المعلوم ، وانا مقدر انى قد اعود عنها دون سفر . ولكن الله سلم .

بالشرطة هدفت الى شيء ، من واجبها ان تهدف اليه، ولكنها ضلت اليه سبيلا.

ومن التجربة الثالثة علمت فيما بعد، من بعض رجال البوليس، ان الذي جرى لي جرى لغيري ممن حضروا للبلاد في تلك الايام ، فكان عملا روتينيا ، قام البوليس به بعد ان علم ان رجالا حضروا ومعهم عملة صعبة يهربونها الى داخل البلاد .

علمت ذلك واسفت اني في حديثي الى شاب الشرطة ذلك ، خطر في بالي كل شيء ، الا تهريب العملة . وزاد في شبهة البوليس عني ، اني حضرت الى بلدي ولم اذهب الى مصرف لآخذ منه مالا . ونسوا ان زوجتي ربما كانت سبقتني الى ذلك .

ثم هل تخف الريبة هكذا بسهولة ، برجال الشرطة ، وبهذا الاتساع ، وبسوء تقدير الرجال ، الا ان تكون الثقة ضائعة بين حاكم ومحكوم . ام لعلها المنافسة ، من مراكز القوة الى مراكز الضعف ، من مراكز الشرطة الى مراكز الشعب ، هي التي اوحت وتوحي الى رجال الشرطة بما توحي .

ام ان رجال الشرطة ، عرفوا عن شعبهم من التخلف ما عرفوا ، فكل ذمة فاسدة الا ان يثبت خلافها ، وكل رجل مذنب الا ان تظهر براءته .

وانظر في هذا الرأي فلا اكاد اعارضه كثيرا . فالتخلف لا يكون في امة على جهة واحدة ، وانما هو جهات . وهي جهات متساوية ارتفاعا وانخفاضا . فالفقر يصحبه على مثل مستواه الجهل . والفقر والجهل تصحبهما على مثل مستواهما الاخلاق .

تجارب ليس فيها ما يسيء

هذه تجارب ثلاث ليس فيها ما يسيء . لا ماسيء الي ، ولا حتى الى رجال الشرطة .

الشرطة كاشحة والحرية ترفض الكبح

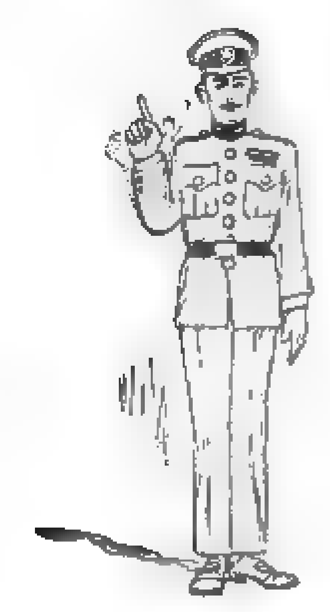
ان الناظر في واجب الشرطة يجد ان

اكثر هذا الواجب المهم لا الاباحة . او ان شئت فالكبح ، فرجل الشرطة كثيرا ما يعمل عمل كابحة السيارة ، اذ يهدىء صاحبها من سرعتها الخطرة . وصاحب السيارة الذاهب وسيارته بسرعة الريح ، لا عمل عن رضا ان تكبح سرعته بسهولة .

ان المواطن له في وطنه حرية واسعة ، الا ان يحد منها رجل الشرطة . السائر في الطريق مثلا له ان يستخدمه للمرور في اي وقت يشاء ، ويدخل ما على جانبي الطريق من محلات التجارة ما يشاء ، وان يعمل ما يشاء الا ما يقول رجل الشرطة ان عليه ان لا يعمله .

من اجل ذلك نجد العاطفة السائدة عامة بين الجمهور والشرطة هي قلة في المحبة والود . وحتى لو رجع الانسان الى حقيقة عمل الشرطي ، وادرك انه يحمي المنزل من السرقة ، ويحمي النساء من الاعتداء ، ويمنع الحي من اضطراب يوم فيه ، لكانت حصيلة هذا التفكير احتراما يكتسبه رجل الشرطة بين مواطنيه ، ولكنه قلما يبلغ في المحبة ، لا سيما عند العامة ، الدرجة الواجبة . وهو قد يبلغ هذه الدرجة عند العلاسفة ، ويبلغها اضطرارا بحكم الفكر لا بحكم العاطفة المرسلة .

والسبب في ذلك ان واجب رجل الشرطة الاول هو المنع ، انه لا يكاد يقول « نعم » ابدا ، ويقول « لا » دائما . انت مثلا تستطيع ان تشتري من الطعام ما تشاء ، وتأكل منه في بيتك ما تشاء . وقد تتخلف عن الطعام نفاية تركتها على جانب الطريق خارج بيتك ، ولكنك لا تكاد تفعل ذلك حتى يأتيك رجل الشرطة ويقول لك « لا » . انت تفكر وتقول ان الحق معه ، فلو ان كل ساكن رمى بنفاية بيته في الطريق لكان كل الطريق نفايات . يقنع بذلك عقلك ، ولكن لا يرضاه قلبك ، ولا يرضاه على الاخص قلوب النساء انه حبس للحرية وكبح لارادة لا تنشى له النفوس على الفطرة .



رجل الشرطة لا يكاد يقول نعم ابدا ، وهو يقول « لا » دائما .

والشرطة
لا بد لها من ثقافة كافية

ان الشرطة اداة للتنفيذ . وهي لتنفيذ اوامر تأتيها غالبا من فوقها . وهي اوامر مجملة ، يظهر اجمالها عند التطبيق في المواقف الحاسمة مهما احتوت تلك الاوامر من تفصيل وتفصيل .

فكثيرا ما تكشف المواقف عن تفاصيل لم يتنبه لها عند اصباغة حتى صانعوها . ويكون المعول بعد ذلك على رجال الشرطة انفسهم ، يترجمون ما غمض هدفا ويقدرون

وحتما لا بد لرجال الشرطة من ثقافة كافية .

لا يكفي ان نأتي بالرجل من الحقل ، او من الصحراء ، لنصنع منه رجل شرطة في يوم وليلة .

ان رجال الحقل ورجال الصحراء فيهم فطنة وفيهم ذكاء ، ولكن علاقة الانسان بالانسان ، وهي اخطر ما يجب ان تكون بين شرطة وشعب ، لا يكفيها

الذكاء الفطري . لا بد في ذلك من الذكاء المنشّأ في مدرسة وفي مدينة .

ولرجال الشرطة في البلاد التي نعني تدريب مع الثقافة طويل . ومن أجل هذا رأيت هناك واجبات الشرطي على محض حفظ الأمن ، فهو رجل في الشعب معوان ، في ليل وفي نهار . وسائل عن كثير ، فيجيب ويحسن الجواب عن كثير .

كنت ذات مرة نازلا في بيت في عاصمة في بلاد الغرب . وكان البيت بيت صديق . وفي الليل دق الباب وإذا على الباب رجل الشرطة ومعه فتاتان معهما حقيبتان . قال رجل الشرطة لربة البيت : هاتان فتاتان بحثتا عن حجرة في فندق فلم توفقا ، ولا نحب تركهما في الشارع يضيعان فيه الليل . فهل عندكم لهاتين الفتاتين مأوى إلى الصباح .

وبالطبع كان الجواب نعم . وعرضت لهما ربة البيت حجرة الصالون ناما عليه ، بعد وجبة طعام .

هذا رجل بوليس لم يترك المدرسة إلا في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة . لهذا كانت له دراية وكانت به فطنة ، وكان به حسن تصرف . وتصرف نحو الفتاتين كما يتصرف الرجال .

وبالطبع لا يمكن أن يصعد بلد بثقافة شرطته إلى هذا الحد إلا إذا هو بلغ برجال الشعب ونسائه هذا الحد من الثقافة أو ما فوقه .

وإذن فالبلد المتخلف لا بد متخلفة كذلك شرطته .

وفي البلاد المتخلفة كثيرا ما تضفي البدلة الرسمية على بعض رجال الشرطة من مظاهر السلطة فوق ما يجب أن يكون لهؤلاء الرجال الجهلاء من سلطان . وتصبح البدلة وحدها قانونا مسلطا على رقاب الأذلاء الضعفاء الفقراء من الشعب ، لا سيما بعيدا عن المدن والعواصم .

وفي بيئة كهذه لا بد أن تظهر الصقور التي تحتل مراكز السلطة بين بغاث الطير والحمائم .

ولهذا قل أن أجد في الريف العربي عامة ، فيما عرفت منه ، مودة بين حماة الأمن والشعب من أهل الريف . هناك السلطة ، نعم . وهناك الخوف ، نعم . أما المحبة الخالصة ، فلا .

رجل بوليس يدق الباب ، ومعه فتاتان يطلبان لهما مأوى



البدلة تعطي رجل البوليس
الجاهل سلطة غير معقولة

الشرطة الراقية
في الأمة الراقية

هذا ما وجدته وقد طوفت ببلاد كثيرة، في شرق وفي غرب .

بركت بلاد وجدت الشرطي فيها يسير مع أخوان له حفاة ، ويجرى بهم المزاح الهازل العابث السخيف ، الذي يهبط بحرمة البدلة الرسمية الى الحضيض .

وبرلت بلاد وجدت الشرطي فيها يحمل فطوره بين يديه وهو يتناوله في الطريق بجشع ظاهر .

وفي اسبانيا ، في قرطبة بالذات ، وجدت الشرطي ، منظم المرور ، أشبه شيء بالبهلوان ، أو مضحك الملك ، يدور على قدميه بخفة وسرعة . كان ذا روح مرحة . والناس من حوله تضحك . وضحكت مع الضاحكين . ولكن لا شك تكت كرامة الشرطة لو ان لها عبثا تنكي .

وفي فرنسا والنمسا والمانيا للشرطة مكانة واحترام ، وادب جم .

وصاحب الشهرة العالمية في ممارسة هذه المهنة الخطيرة انما هو الشرطي الانجليزي .

يمشي في تؤدة، ويحدثك فيما يكاد ان يكون همسا ، وتحرق من حوله المتاعب وترصد وهو ثابت تحسبه غير واع بالذي يجري حوله ، وهو انما يفكر ويدبر . وقد تقترب منه الظاهرة، فيمشي اليها ببطء ، واذا به يتحدث الى رجالها حديثا لا تدري ما فحواه ، ولكنه على كل حال حديث غير غاضب ، يحوطه البرود على الاقل من جانب واحد ، هو جانب رجل البوليس أو رجاله .

وكثير من هذا يرجع الى احترام الناس رجال شرطتهم .

وهم يحترمونهم لأن بينهم ثقافة كثقافتهم ، ولأن بهم وطنية كوطنيتهم ، وان رجل البوليس يخلص الى رجل الشعب ، ويتحدث اليه ، فلا يدرك انه انما يتحدث مع مخلوق لا يعرف له جاه من حرزه سوفطرا ، ذلك ان التعليم واحد، والفكر واحد ، ومراتب العيش ومشاكله بينهم جميعا متقاربة .

وهذه أسباب تجدها في انجلترا وفي سائر بلاد الغرب من اوروبا . ولعل الشرق من اوروبا هو كذلك .

رجل الشرطة
حصيلة بلده

على ان رجل الشرطة الانجليزي ليس حصيلة نفسه وحده ، وحصيلة ثقافته وحدها . انه حصيلة بلده . وهو حصيلة تاريخ بدأ عنيفا صاخبا ، لا ديمقراطية فيه ، ثم هو على القرون تعرض .

عشرات السنين ومئاتها حاربوا فيها من اجل الحرية حتى استمرت فيهم على حال ، لا أقول من الوجهة الانسانية ، هو



رجل الشرطة الواحد يحرس الدار الخاصة لرئيس وزراء انجلترا .

خير الاحوال ، ولكن حظ فيه من الرضا الشيء الكثير .

ومع الديمقراطية دخلت البلاد اشتراكيةواسعة قاربت ما بين الطبقات.

ففي هذا الجو ولدت الحريات في انجلترا ، وبها استقرت .

وما الشرطة الا اداة ، تأذن للحريات ان تكون او لا تكون .

حرية الفرد
وامن الجماعة
موازنة صعبة

ان حرية الفرد اذا اطلق لها العنان ذهبت بأمن الجماعة .

وامن الجماعة ، اذا بولغ فيه ، ذهب بحرية الفرد .

ورجل البوليس عليه حراسة الممتلكات من السرقات ، وعليه ان يسود السلام الطرقات فلا يكون فيها الهرج والمرج ، وعليه تدبير المرور لسلامة المارة ، الراجلين والراكبين على السواء ، وعليه تتبع المجرمين والكشف عن مجاري الاجرام دون اصابة الابرياء ، وعليه وعليه . .

ورجل البوليس ، في كثير من كل هذا يجد انه لا بد له من الحد من حرية الفرد ليؤمن سلامة الجماعة ، ولكن في ممارسته لذلك يجور عليه ان يحد من حرية الفرد اكثر مما يجب ، او لعله لا يحد منها الكفاية التي يتطلبها الامن .

هذا كلام يجوز على كل بلد .

وفي انجلترا بالذات جعلوا لذلك قواعد انتجتها الخبرة وسجلتها احكام القضاة فصارت قواعد يهتدى بها .

الميزة الكبرى التي عندهم هي دقة في الموازنة بين كفتي الميزان .

ولنضرب الامثال .

القبض والتوقيف
لا يكون الا برخصة من قاض

من امثلة ذلك ان رجل البوليس اذا اشتبه في امر شخص انه فاعل فعلا غير قانوني ، لا يستطيع ان يقبض عليه ، لا بد له من ان يعرض الامر على رجل من رجال القضاء ، ولرجل القضاء ان يتصرف فاما أن يعطي واما ان يمنع . يستثنى من ذلك أشياء ، كان يقبض على سارق في حالة تلبس .



موازنة صعبة

تفتيش الاماكن الخاصة

وقضية حدثت عام ١٩٦٤ . مر رجال الشرطة ذات ليلة بمصنع ، فوجدوا في الطريق اجزاء جديدة لسيارة، ادركوا على الفور انها لا بد مسروقة . وساروا في الطريق الى ساحة مجاورة تتسع مقهى ، ودخلوا المقهى عسى ان يجدوا السارق فيه . والمقهى يهم ابن صاحب المقهى ، ولما علم ما قصدوا اليه طلب اليهم الخروج من المقهى على الفور، ولما امتنعوا اعتدى الشاب على رجل منهم

وكانت محاكمة ، لان الاعتداء وقع على رجال البوليس اثناء قيامهم بعملهم . ووجدت المحكمة ان رجال البوليس لم يكن لديهم مبرر كاف لاحتمال وجود السارق بالمقهى ، واذن لم يكن لهم حق البقاء بعد ان طلب اليهم ابن صاحب المقهى الخروج . وبرأوا الشاب .

والحق انه جاز لصاحب المقهى فوق ذلك ان يرفع قضية يطالب رجال البوليس بالتعويض عن انتهاك حرمة المكان .

وفي الاجتماعات العامة

ويشترط البوليس في الاجتماعات العامة ، وقبل ان يأذن بها ، ان لا يقع فيها شغب ولا اضطراب اذا هي انعقدت، وهو يأخذ على مديري الاجتماع تعهدا بذلك . ويحضر البوليس الاجتماع العام خشية ان يحدث فيه تعكير للامن . ولا يقبل البوليس اجتماعا او يمنع اجتماعا ، بسبب ما يلقى فيه من آراء ترضى عنها الحكومة القائمة او لا ترضى.

ومن ذلك ان جماعة من الاشتراكيين القوميين (الفاشست) ارادت ان تقيم اجتماعا كبيرا ضد اليهود في ميدان الطرف الاغر بلندن . ولم يجد رجال السلطة في القانون واللوائح ما يأذن لهم بالتدخل بعد عمل الاجراءات العادية . واذ توقعوا ان شيئا قد يحدث قام

البوليس بعمل نطاق من رجاله حول منصة الخطابة يحمي الخطيب او الخطباء . وجمع اليهود والمناصرون لهم من اعداء الفاشية عددا اربى على الالفين وبدأ الاجتماع ، وقال الخطيب ما قال ، وبدأ النزاع والتراشق حتى امتد الى المضاربة بالايدي عندئذ تقدمت جماعات البوليس على الفور لفض الاجتماع وتشتت المجتمعين . وهي تشتته - لا كراهة فيما قيل من رأى فيه ، ولو كان رأيا كرهه اكثر الناس ورجال الحكم، ولكن للذي ترتب عليه من اختلال في السلم الذي هم حفاظه .

ان البوليس يأذن بالكلام من اي نوع، على ان لا يكون دعوة للفوضى والاخلال بالامن ، ولكنهم يتدخلون عندما يؤدي كلام الخطباء ادى الى الاخلال بالامن ، ولو كان خير كلام واحسن كلام .

استراق السمع
عن طريق الهاتف

هذا موضوع خطير ، لانه يفضح سر الرجال ، وسر النساء ، وهم لا يدرون مما يجري خلفهم من الامر شيئا .

ان ما ينقل على الهاتف ليس سرا دائما ، ولا كل حديث تحمله الاسلاك يؤدي نشره الى فضيحة . ولكن لا شك ان هناك من الاحاديث ما يرى الناس ان بضعه منهم ، وانه ، كبعض اجزاء الجسم ، يعز الناس من معرفته

واستراق السمع عن طريق التلفون كان يتخذ منه البوليس الانجليزي وسيلة للكشف عن بعض الجرائم . ثم حدث ان افتضح امره ، فما كان من الحكومة في عام ١٩٥٧ الا ان كونت لجنة ملكية تبحث هذا الامر .

وبحثت اللجنة ، وبحثت ، وخرجت باجازة الاستراق في مكافحة الجريمة ، واشترطت ان لا يكون الا بتصريح يصدر عن الوزير المختص، وفي اضيق الحدود

واشترطت للجريمة التي لا بد لها من استراق السمع أن تكون من الوضاعة والخطورة بحيث تستأهل هذا العمل الذي هو في صميمه غير مرغوب فيه، وإنما يلجأ إليه عند انسداد الطرق الأخرى التي توصل إلى كشف الغث بقوانين الحكومة أو أعراض الناس.

وهنا يعود الأمر، كما يعود في كل شيء، إلى صفة من تقوم بمثل هذه الأمور. وعلى أي درجة من النزاهة هم، وعلى أي درجة من الائتمان بالسر. فإن جاز في بلد كانجلترا أن يسترق السمع، فما أظن أنه في كل بلاد الدنيا يطمئن الناس إلى أن أسرار أسرهم والبيوتات لا تستباح بعد خروجها إلى رجال الشرطة فيهم.

وأحصت اللجنة الملكية أكبر عدد استراق قامت به الحكومة الانجليزية في العام فكان ٢٤١ استراقا.

ومن هذه المرات مرة أجازوا فيها استراق السمع بين مجرم معروف ومحام، وقد دل هذا على مشاركة المحامي في الجرم، أو محاولة ذلك. ولهذا حذف اسم المحامي من جدول العاملين. حذفته النقابة لا الحكومة.

شرطة تنشر الرعب

الشرطة في الأصل لحفظ الأمن، وأن تسود السلام وتسود الطمأنينة الناس،

ولكن من أجهزة الشرطة أجهزة تنشر الرعب في الجماعة مكان الأمن، وتسبب القلق للناس حين يصحون، فإذا آووا إلى فراشهم، رقدوا وفي صحبتهم الخوف أن يطرق بابهم في الظلام طارق.

هذه الأجهزة في البشر قديمة.

ولكنها تتجدد من حين إلى حين. والناس تتقدم، والعلم يتقدم، والتكنيك تتقدم. وكان من أثر ذلك في هذه الأجهزة. حتى بعثها باعثوها، أنهم يداورون بنشر الديمقراطية في الناس، والتحدث عن الظلم وبث الكراهة له. وتوجيه أبواق الصحف لتبشر بالعصر الذهبي المرتجى. كل هذا ليكون غطاء لهذه الأجهزة لكي تعمل في الظلام أعمالها الشنعة.

هذه الأجهزة قامت في أوروبا في كل العصور، فليس في أمرها اليوم جديد. وهي اليوم قائمة في الكثير من بلاد الأرض، في آسيا، في افريقيا، في امريكا، وحتى في بعض بلاد أوروبا، وحيثما وجد انسان أعطي من السلطان فوق ما جاز أن يعطى الا الله.

هذه الأجهزة لم أتناولها بالحديث.

فقد انكشفت حتى لم تعد هنالك حاجة إلى زيادة من كشف. وانكشفت لحتى، ثم لتعود إلى انكشاف.

والله المستعان على ما يصفون. ●●

أحمد زكي


استراق السمع من الهاتف.

مسابقة العربي

تسعة أسئلة ومائة دينار ..

اختبر معلوماتك واربح إحدى الجوائز

■ هذه مسابقة أخرى من النوع الذي يجمع بين المتعة والفائدة والذي يتطلب منك بعض الجهد للفوز بجائزة . لقد درجت على هذا النوع من المسابقات في الشهور الأخيرة ووجدنا من إقبال القراء ما شجعنا على المضي فيه . والمطلوب منك هو أن تجيب على تسعة من الأسئلة التسعة التالية ..

١ ـ الحلم "سيد" الأخلاق ...
يوجد خطأ في تشكيل إحدى كلمات هذه الحكمة ... اكتب هذه الكلمة مشكلة التشكيل الصحيح ...

٢ ـ مسرحية حديثة كتبها كاتب عربي ، عنوانها « يا طالع الشجرة » فما اسم كاتبها ... ؟

٣ ـ فاطمة ورقية ابنتان من بنات الرسول (صلعم) ، فمن كان زوج كل من هاتين الابنتين ..

٤ ـ بيت مشهور في اللغة العربية ، نصفه الثاني هو : ما الحب إلا للحبيب الأول ..
فما هو نصفه الأول .... ومن هو قائله ؟ .

٥ ـ الإسفنج والقطن ... مادتان معروفتان منذ قرون ، فما أصل كل منهما ، حيواني أم نباتي ؟ .

٦ ـ جبل كليمنجارو هو أعلى جبال القارة الأفريقية ... يبلغ ارتفاعه ١٩٣١٧ قدما ويقع في تنزانيا .. وعلى قرب جبل كليمنجارو من خط الاستواء ، فإن الثلوج تكسو قمته معظم أيام السنة .. فما اسم أعلى جبل في آسيا، وما اسم أعلى جبل في أوروبا.

٧ ـ إحدى الولايات التي تتكون منها الولايات المتحدة الأمريكية كانت تابعة للمكسيك قبل انضمامها إلى حكومة واشنطون ، وهي ولاية كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو عشرة ملايين ، ومع أنها تزرع الحنطة والذرة والأرز ، إلا أنها شهيرة كذلك بزراعة القطن ... فما اسم هذه الولاية ؟ .

٨ ـ الدورة القادمة للألعاب الأولمبية ستقام في مدينة ميونخ الألمانية فيما بين ٢٢ يوليه (تموز) و ٦ أغسطس (آب) سنة ١٩٧٢ . فأين أقيمت دورة ١٩٦٨ ، ودورة ١٩٦٤ من هذه الألعاب ؟ .

٩ ـ ماركوني عالم ومخترع معروف . ولد في إيطاليا سنة ١٨٧٤ ثم انتقل إلى بريطانيا حيث أنجز الاختراع العلمي الذي اشتهر به ، وقد نال ماركوني جائزة نوبل سنة ١٩٠٩ ومات سنة ١٩٣٧ .
فما هو الاختراع الذي اشتهر به ماركوني هذا ؟
١ ـ القطار الكهربائي .
٢ ـ الاتصال اللاسلكي (الراديو) .
٣ ـ [illegible] .

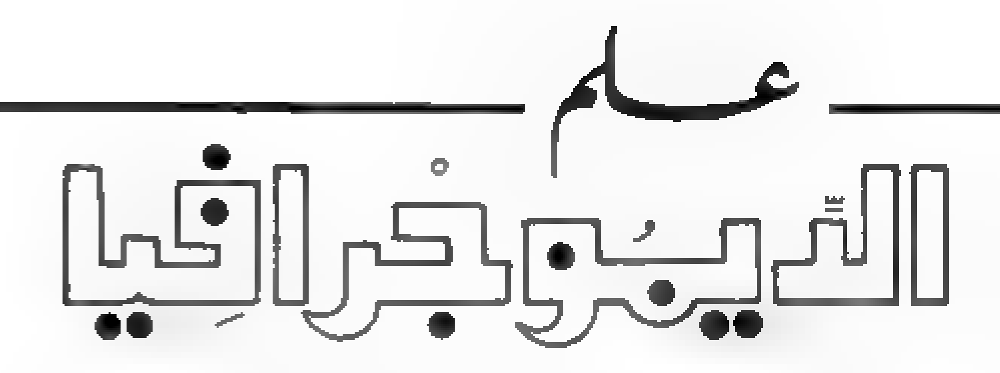
شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالإجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .
٣ ـ ضع إجابتك في غلاف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :
مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٣ »
٤ ـ آخر موعد لوصول الإجابة إلينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٧١

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي :
الجائزة الأولى ٣٠ دينارا ، الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ، الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الإجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة



بقلم : الدكتور محمد علي الفرا

■ الديموجرافيا Demography كلمة اغريقية مركبة من مقطعين هما Demos بمعنى سكان و Graphy بمعنى وصف وبهذا يصير معنى الكلمة المركبة « وصف السكان » سواء أكان هذا الوصف « كماً » أو « نوعاً » فمن حيث « الكم » يمكننا ان نطلق كلمة ديموجرافيا على مجموعة الاحصائيات التي تصف او تبين أحوال المجتمع البشري من حيث المواليد والوفيات والهجرة والزواج والطلاق ، وتقسيم السكان ، بحسب الجنس او النوع وفئات الاعمار والحالة العلمية والعملية الى غير ذلك من امور هامة تخص المجتمع . اما الجانب الوصفي الآخر وهو « النوع » فيختص ببيان حالة المجتمع من حيث درجة تطوره ونموه وقابليته ومرونته .

اهميته ومجال بحثه

لقد حظي علم الديموجرافيا هذه الأيام بالاهتمام الاكبر فخصصت له الكثير من الندوات والمؤتمرات العالمية والتي تهدف الى النهوض بهذا العلم على اساس من القواعد المنظمة وطرق البحث السليمة ولعل من اهم هذه المؤتمرات ذلك المؤتمر الذي عقد في العام المنصرم في لندن تحت اشراف جامعتها حضره ممثلون عن الدول المتقدمة والنامية وبحثوا فيه الطرق الصحيحة لتوحيد الجهود وتنسيق العمل في ميدان الدراسات السكانية التي لم تعد اليوم موضوعاً ينفرد به متخصص واحد . نعم ان علم الديموجرافيا هو احد العلوم التي تتناول الدراسات السكانية بالبحث والتحليل ولكن هناك

ايضا علوما اخرى تدخل ضمن ما يسمى بالعلوم الانسانية Humanities لها ارتباط وثيق بالدراسات السكانية . فالتاريخ مثلا يتتبع تطور الظواهر السكانية التي اشرنا اليها انفا ويرسم خط النمو السكاني في المراحل التاريخية المختلفة . اما علم الاجتماع فيبحث عن اسباب ونتائج الظواهر السكانية عن طريق المشاهدة والملاحظة . اما الجغرافيا فدورها في هذا المجال كبير وهام فهي التي تتناول هذه الظواهر السكانية بالوصف اولا ثم تبحث عن السبب والعلة وصلة الظواهر بعضها ببعض واخيرا تصل الى النتائج والاحكام العامة مع الموازنة بين المجتمعات المختلفة وهذا كله يتفق مع الهدف الجغرافي العام الذي يدرس ويحلل مختلف الظواهر المكانية ، من طبيعية وبشرية Special Analysis ، على اساس من الاختلاف والتكامل :

Areal Differentiation And Integration

الزيادة الرهيبة في سكان العالم

ولعل من اهم الاسباب التي اعطت العلوم الانسانية تلك الاهمية هو ما طرا على العالم من زيادة رهيبة في عدد سكانه ، تلك الزيادة التي قد تنذر بانفجار سكاني . وهذه الزيادة هي على كل حال لا تتمشى مع الموارد والامكانيات الاقتصادية بالرغم من كون الضغط السكاني غير متساو في انحاء العالم المختلفة . فهناك اقطار تشكو من كثرة السكان ، كما في الهند والصين واليابان ، بينما لا تزال توجد بلاد في حاجة الى مزيد من السكان كما في كندا واستراليا وغيرهما .

وحتى نعطي القارىء صورة عن عدم التكافؤ بين السكان والموارد ، نقول ان مساحة الارض اليابسة تبلغ حوالي ٥٦ مليون ميل مربع او ما يعادل ٣٦ الف مليون فدان ، يقابلها ١٤١ مليون ميل مربع او حوالي ٩٠ الف مليون فدان مساحة المسطحات المائية من محيطات وبحار . هذه المساحة بالرغم من كونها كبيرة الا انها محدودة وغير قابلة للزيادة فلم تعد هناك اراض جديدة غير مكتشفة بعد ان انتهى زمان الكشوف الجغرافية منذ نحو مائتين من السنين . اما الاراضي التي تستصلح فهي محدودة المساحة ومعروفة جغرافيا ، وتدخل ضمن مساحة اليابسة المشار اليها . وعلى النقيض من ذلك فالسكان في ازدياد مستمر وهائل وخاصة بعد التحكم في الامراض وما نتج عن تقدم الطب والعلم من تقليل لعدد الوفيات واطالة العمر والامل في الحياة على الرغم من شيوع نظام تحديد النسل في كثير من بلاد العالم .

ان سكان العالم الذين هم الان في حدود ٣٫٥ الف مليون نسمة هم ضعف لما كانوا عليه قبل نصف قرن من الزمان ، وهم اربعة امثال ما كانوا عليه سنة ١٨٠٠ ، يوم كان عدد الناس على ظهر البسيطة لا يتعدى ٩٠٠ مليون نسمة . هذا ويمكننا تصور سكان العالم في المستقبل على ضوء الزيادة السنوية التي هي ٢٪ وهي الزيادة الصافية من طرح نسبة الوفيات من نسبة المواليد التي تتراوح بين ٣ – ٤٪ سنويا . واذا ما حولنا هذه النسبة الى ارقام مطلقة تكون الزيادة السنوية لسكان العالم في حدود ٦٥ مليون نسمة (اي حوالي ثلاثة اضعاف سكان كندا او خمسة اضعاف سكان قارة استراليا) . ولو قسمنا هذه الزيادة على الزمن لكانت الزيادة بمعدل ١٧٠ الف نسمة في كل ٢٤ ساعة او خمسة اطفال يولدون في كل ثانية تمر علينا ، يبقى منهم على قيد الحياة طفلان فقط .

دراسة على مستويات اربعة

هذا ولعل من الممكن دراسة الصلة بين الارض والسكان على اربعة مستويات هي . اولا المستوى

العالمي ويدرس مقدار سعة العالم ومساحته الكلية وقدرته على تحمل التزايد السكاني . ولكن عيب هذا النوع من الدراسة انه نظري التفكير صرف اذ ان الحدود السياسية والقوانين الخاصة بكل دولة تحول دون تحرك السكان بسهولة بحيث تجعل المناطق ذات الضغط السكاني المرتفع تخفف من بؤسها بالهجرة الى المناطق ذات الكثافة السكانية المنخفضة والموارد الغنية . لذا فانه من الانسب دراسة السكان على المستوى الثاني وهو مستوى الدولة ، وهنا يظهر فيه التباين الواضح بين مختلف البلاد وخاصة ذات المساحة الكبيرة مثل استراليا والبرازيل التي تختلف الكثافة السكانية فيهما من اقليم لآخر ومن جهة الى غيرها . مثل هذا التباين والاختلاف في الكثافة السكانية ضمن الوحدة السياسية الواحدة يقودنا الى دراسة السكان على المستوى الثالث وهو ما يسمى بالمستوى الاقليمي وهو موضوع تهتم به العلوم الاجتماعية بصفة عامة واطلق عليه اسم العلم الاقليمي Regional Science ويشهد عالمنا هذه الايام تقدما هائلا في هذا العلم الذي قام وتطور مستخدما احدث النظريات الرياضية والهندسية ، ويرفع لواءه اليوم علماء متخصصون في الاقتصاد والجغرافيا . اما المستوى الرابع في دراسة السكان فينصب على تحليل الصلة بين الارض والسكان في النطاق المحلي الصغير ، كالقرية والمدينة والمحافظة .

نسبة ما يملكه الانسان الفرد من ارض

لو امكننا تقسيم سطح الارض بالتساوي على السكان فان ما يخص كل فرد ـ سواء اكان رجلا او طفلا او امرأة ـ حوالي ١١ فدانا . ولكن ليست كل هذه الافدنة صالحة للاستيطان البشري اذ ما زال في العالم اليوم مناطق تخلو الى حد ما من الانسان مثل القارة المتجمدة الجنوبية والقطب المتجمد الشمالي ، والصحارى الملتهبة الحرارة ، والغابات الاستوائية في قلب حوضي الكنغو والامازون والمناطق الجبلية الوعرة في الروكي والهملايا . وبناء على ذلك نستطيع ان نسقط من ال ١١ فدانا النسب الآتية : ١/٥ هذه المساحة لكونه باردا جدا لانه واقع في المناطق المتجمدة ، يضاف اليه ١/٥ آخر لوقوعه في مناطق الجفاف الشديدة كالصحارى ، يضاف اليه ايضا ١/٥ وهو نسبة المناطق الشديدة الارتفاع ، واخيرا يضاف اليه ١/١٠ من المساحة المذكورة آنفا ، وهذا هو نسبة المناطق ذات الصخور الجرداء الخالية من التربة الصالحة للزراعة . من كل هذا يبقى من ال ١١ فدانا المذكورة حوالي ٣٠٪ فقط ، وهي النسبة التي يمكن للانسان ان يستغلها ويستوطنها من سطح الارض او بمعنى آخر فان نصيب الفرد من الافدنة انخفض من ١١ الى ٣ ١/٢ فقط . ولكن ما هو مستغل من هذه الافدنة اليوم استغلالا حقيقيا هو ١ ١/٤ فدان فقط . هذه الافدنة هي التي تساهم اليوم في انتاج الغلات الغذائية وهي الغذائية اللازمة لعيشة الانسان واستمراره على سطح الارض . وبديهي ان كل زيادة في السكان يقابلها تناقص في مخصصات الفرد وملكيته للارض . الا ان الجهود لا تزال اليوم تبذل في سبيل زيادة المساحة المزروعة افقيا وزيادة الانتاج رأسيا عن طريق اتباع الدورات الزراعية المناسبة وتحسين الانتاج كما ونوعا .

ولكن مهما بذل العلم والعلماء في مجال رفع القيمة الانتاجية للارض فان الزيادة المطردة في سكان كوكبنا تجعل المرء يتساءل عن خط سير هذا المد البشري والى اي مدى يستطيع عالمنا المحدود ان يستوعب مثل هذه الزيادة السكانية . والاهم من ذلك هو كيف يمكن اطعام هؤلاء البشر ؟ هذه فقط بعض اسئلة محيرة قد لا نجد الاجابة الشافية الكافية ، هذا ويبدو ان الوجه السياسي سيتأثر بحجم وتوزيع هذه الزيادة السكانية ولو ان الصورة كما قلنا ستتصل على ضوء ما يظهره الانسان من كفاءة قادرة على تسخير موارد الطبيعة لصالحه واستخدامه لها بشكل امثل .

اعتماد الديموجرافيا على الكم اكثر من اعتمادها على الوصف

ان المتتبع لتطور العلوم النظرية في الوقت الحاضر يلمس مدى التحول الهائل في هذه العلوم صوب الكم (الرقم) والبعد عن الاسراف والغلو في الوصف . لقد اصبح الرقم هو الاهم وبالتالي

فقدت الجملة الوصفية مكانتها الاولى في العلوم النظرية ولكنها مقصورة على تفسير الرقم ووصفه وتوضيحه . ويرجع السبب في هذا التحول من الجملة الوصفية الى الرقم (الكم) هو ان الرقم اكثر دقة وتحديدا من الجملة الكلامية ، فمثلا حينما نقول ان بلدا ما عالي الكثافة السكانية او ان مدينة ما تعتبر كبيرة بينما الاخرى صغيرة ، نقع في حيرة حينما نحدد مفهوم الكثافة العالية والمدينة الكبيرة والصغيرة . ولكن قد يزول الالتباس اذا وضعنا لكل هذه المصطلحات مقاييس رقمية خاصة ، فنعتبر ان البلد الذي يكون معدل كثافته السكانية ٢٠٠ نسمة لكل كيلو متر مربع ، مرتفع الكثافة ، او ان المدينة التي يزيد عدد سكانها على نصف مليون نسمة ، كبيرة . وهذا على الرغم من بعض الماخذ على مثل هذه المقاييس في حالة المقارنات بين منطقة واخرى او بلد واخر . اذ قد تكون هذه الكثافة السكانية العالية منخفضة في بلد موارده الاقتصادية كثيرة . كما ان بعض المدن تعتبر كبيرة ضمن الوحدة السياسية الواحدة ولكنها صغيرة على النطاق الدولي نظرا لان هناك اعتبارات اخرى تتعلق باهمية المدينة ومركزها ونشاطها .

ولكن على الرغم مما للرقم من اهمية في تطوير العلوم المختلفة فان الارقام المطلقة اليوم عاجزة عن التحديد المطلوب الذي ينشده كل علم . ولذلك اخذ الرياضيون على عاتقهم تطوير علم الرياضيات مستخدمين بذلك العقول الالكترونية Computers وغيرها من الاجهزة العلمية الحديثة ، وبالتالي اخذت العلوم الاخرى تستفيد من هذا التطور وتطبق ما يمكن تطبيقه في مجال اختصاصها حتى نشأ نتيجة لذلك فرع جديد سمي بالرياضيات التطبيقية . هذا الفرع الجديد هو الذي يهمنا في موضوع الديموجرافيا لان عليه الاعتماد في تطوير العلوم الانسانية . هذا والاحصاء هو ايضا فرع يمكن ارجاعه الى فصيلة الرياضيات التطبيقية .

أهمية الاحصاء والرياضيات في العلوم الديموجرافية

ويكفي للدلالة على اهمية الاحصاء والرياضيات في العلوم الديموجرافية ان ايجاد العلاقة Correlation بين ظاهرتين بشريتين كالوفيات والحالة الصحية ، او المواليد والحالة التعليمية ، او الطلاق والحالة الاجتماعية .. الخ لم يعد مجرد شيء يعتمد على الوصف . فان كان من الجائز في السابق لنا ان نقول « ان الصلة بين الوفيات والحالة الصحية قوية جدا » فان هذا القول لا يجوز الآن لان كلمة « قوية جدا » غير محددة المعنى ، ولذلك نستعيض عنها بالرقم النسبي . فمثلا نقول ان الصلة بين الظاهرتين السابقتين هي ٠,٨ . وهذا الرقم يمكن التوصل اليه بعد القيام بعمليات حسابية متعددة . او نقول ان معدل الانحراف عن الوسط الحسابي للمواليد في قطر ما هو ١٥ ، ومنه يمكن الاستدلال على مدى سير خط المواليد في هذا البلد . او حينما نقوم بجمع عينة Sample اجتماعية تصلح لاجراء التجارب عليها (في حالة عدم تمكننا من حصر جميع الحقائق لكثرتها او عدم توفرها) لا بد لنا من تحديد مقدار الخطأ في هذه العينة Sampling of Error حتى تكون النتائج اكثر واقعية .

كل هذه طرق مستجدة على علم الديموجرافيا استعارها الباحثون من العلوم الرياضية والاحصائية وباستخدامها اصبح هذا العلم اكثر قدرة على خدمة البشرية واكثر فاعلية في التكهن ومعالجة امور السكان في الحاضر والمستقبل .

اتجاهات جديده في علوم السكان

ان المراقب لاتجاهات علم الديموجرافيا يلحظ اهتماما بثلاثة امور هامة هي : —

١ — ما يتعلق منها بتوزيع السكان على سطح الارض وهو موضوع يقع الى حد كبير ضمن اختصاص علم الجغرافيا .

٢ — ما يتعلق بالتطور الذي يطرأ على المجتمعات البشرية في خط سيرها التقدمي .

٣ — واخيرا ما احرزته هذه المجتمعات من نجاح في التحكم في الظواهر الديموجرافية كتحديد النسل مثلا .

فيما يخص الامر الاول وهو توزيع السكان على سطح الارض فهو هام جدا لانه يتناول مشكلة هذا التوزيع وحجمه واتجاهه وما للبيئة الطبيعية من

اثر فيه . في هذا الحقل من الدراســـة يلتقي الجغرافي والديموجرافي ، فالاول يحلل ويفسر ويحلل هذا التوزيع وحجمه واتجاهاته مستندا على الأسس الجغرافية كالموقع والبيئة والتضاريس والمناخ والحياة الطبيعية والموارد المستغلة والكامنة ،

اما الثاني (الديموجرافي) فيرتكز في بحثه على اسس بشرية صرفة كالمواليد والوفيات والهجرة والزواج وتركيب السكان ونوعهم وفئاتهم وكثافتهم وارتباط هذه العوامل بالظروف الاقتصادية والحالة التكنية والتعليمية في المجتمعات المختلفة . فالزيادة الطبيعية للسكان في بلد ما تعتمد على زيادة المواليد وانخفاض نسبة الوفيات ، كما ان درجة النشاط البشري وقواه الانتاجية في منطقة ما يعتمد على نوعية السكان من حيث الجنس ومستوى تعليمهم وفئات اعمارهم ، فاذا زادت نسبة فئات الاعمار ما بين ١٥ ــ ٦٠ سنة كان من المفروض ان تكون نسبة الانتاج في هذه المنطقة عالية ، وبالعكس يكون الحال اذا ارتفعت نسبة فئات الاعمار دون الخامسة عشرة او فوق الستين لانه في مثــل هذه الحالة تزيد عدد المستهلكين على حساب المنتجين .

مصادر علم الديموجرافيا

تعتمد الديموجرافيا في الاساس على الوثائق الاحصائية بالرغم من المآخذ التي تؤخذ عليها . ان الوثائق الاحصائية كثيرا ما تكون عاجزة عن اظهار الفروق الفردية والحالات المختلفة بين الافراد والجماعات ، ومن هنا تكون الخطورة حينما نحاول من طريق هذه الوثائق الوصول الى الاحكام والنظريات ، او حينما نســتطلع عن طريقها في المستقبل بعد ان ناخذها كحقائق مسلم بها . كذلك تبدو لنا المشكلة من زاوية اخرى وهي صعوبة عمل المقارنات والموازنات لبلدين او عدة بلدان اذا كانت الاحصائيات مصدرنا الوحيد في ذلك وخاصة في حالة وجود فوارق حضارية وعلمية وثقافية بين هذه البلدان . فمثلا كيف نوازن بين العامـــل الافريقي في بلد متخلف لا يزال يعتمد على قواه الجسدية والعضلية في حــرث الاربة وازالة الحشائش وقطع الاشجار حين القيام بشق طريق او بناء قنطرة بينما الانســان في بلد متقدم كالولايات المتحدة يعتمد في مثل هذا العمل على المجهودات الآلية والميكانيكية ؟! ثم ما جدوى المقارنة بين شخص في بعض جهات آسيا الفقيرة حيث يشكو السكان هناك نقصا في التغذية ويعانون من مختلف الامراض للبلاد الحارة التي تتسبب في انخفاض أمد الحياة الى اقل من ٣٥ عاما ، مع شخص سويدي قوي البنية سليم الجسم موفور الصحة يطول عمره الى اكثر من ٧٠ عاما ؟! هذا على الرغم من ان كلا الشــخصين الآســيوي والسويدي يمثلان في السـجلات الاحصائية بمجرد رقمين لا اكثر ولا اقل !! .

لذا فالواجب يقتضي ان نكـــون حذرين حين الاعتماد على السـجلات الاحصائية الرسمية حتى في اكثر البلاد تقدما اذ انها لا تخلو من اخطاء في بعض الاحيان ، اما في البلاد النامية والمتخلفة فعملية الاحصاء هناك لم تنضج بعد وطرق جمعها تتم بصورة بدائية ، كما وان اسـتجابة الناس لها غير مشجعة لان الغالبية هناك يعيشون على الفطرة .

وعلى كل حال سنعرض بصورة سريعة اهم العيوب التي تؤخذ على السـجلات الاحصـــائية ليكون الباحث على حذر حين يضطر الى الاعتماد عليهـا .

العيوب التي تؤخذ على السجلات الاحصائية

١ ــ ما يتعلق بالطريقة التي يبنى عليها الاحصاء :

تختلف الدول في الطــرق التي تبني عليهــا احصـــائياتها فبعضـــها تتبع نظــام التعداد Enumeration والآخر يسير على طريقة التقدير Estimation . والاول ادق من الثاني . بينما في بعض الدول تعتمد على نظام « الاقرار Declaration » وبموجبه يجب على كل رب اسرة الحضور الى مراكز خاصة يدلي فيها عن كل ما يتعلق باسرته . وهذا النظام غير دقيق لان كثيرا من الافراد يبالغون في معلوماتهم اذا كانت هذه المعلومـــات مرتبطة بامـــور اقتصادية . لذا فالمقارنة بين الدول على اساس هذه التعدادات والتقديرات غير سليمة .

٢ ــ عدم انتظام صدور النشرات الاحصائية :

تختلف الفترة التي تصـــدر فيها النشرات الاحصائية من بلد لآخر ، فقد تكون الفترة كل خمس ســنوات كما في الكويت وقد تكون كل عشر

سنوات كما في الجمهورية العربية المتحدة . وكثيرا يتوقف صدور هذه النشرات وخاصة الناطقة بالعربية مما يجعل المقارنات بين هذه الاحصائيات امرا ليس بالهين .

٣ ــ الاحصاء مقصور على فئة معينة من السكان :

في بعض البلاد يقتصر الاحصاء على فئة من السكان ففي جنوب افريقيا كان التعداد يجري للمستوطنين البيض فقط ولكن اخيرا بعثه في عمل احصائيات للزنوج كل عشر سنوات ، اما الاوربيون فكل خمس سنوات .

٤ ــ الاحصاء لا يزال غير معروف في بعض جهات العالم :

لا تزال بعض جهات العالم لا تعرف الاحصاء ، فالصين مثلا التي بها حوالي ¼ سكان العالم لم يجر فيها اي احصاء قبل سنة ١٩٥٣ . وفي اثيوبيا لا توجد احصائيات للسكان بتاتا . هذا الى جانب حدوث اخطاء في تسجيل حالات الولادة والوفاة واهمال بعض سكان المناطق الصحراوية والغابية من التسجيل .

٥ ــ اخطاء عامة متنوعة :

من الاخطاء الشائعة في النشرات التي تصدرها الدول المختلفة ما يتعلق في تسجيل حالات الوفيات فغالبا ما يقع الالتباس بين تحديد مفهوم وفيات الاطفال Infant Mortality والمواليد امواتا Still-Birth والاجهاض Abortion ونتيجة لاختلاف الدول في تحديد هذه المفاهيم تحدث الاخطاء في التسجيل اذ كثيرا ما تسجل حالات المواليد امواتا ضمن وفيات الاطفال . او ان الوفيات بين المسنين كثيرا ما تدون تحت ما يسمى « مرض الشيخوخة » Senility بخلاف الواقع .

اما احصائيات الهجرة فلا تخلو من اخطاء وذلك نتيجة عدم الالتزام بقاعدة واحدة للتسجيل . ففي بعض الاقطار يتم حصر المهاجرين عن طريق سجل القادمين والمغادرين في الموانىء ومراكز الحدود بينما في بلدان اخرى تستند على بطاقات الهجرة وجوازات السفر وتصاريح العمل وبطاقات الضمان الاجتماعي وتذاكر السفر .. الخ . هذا كله يجعل الدراسة المقارنة بين مختلف بلاد العالم امرا ليس بالهين ــ ناهيك بالهجرات غير المشروعة .

اما احصائيات العمل والعمال فلا تخلو من نقد لان كلمة « عامل » Worker اصطلاح غير دقيق . ففي انجلترا يصنف العامل بالنسب الآتية ٢٠٪ فني Skilled ٦٠٪ شبه فني Semi-Skilled ٢٠٪ عامل Labourer اما في الصناعات الهندسية فالنسب كالآتي ٢٨ ، ٤٧ ، ١٥ على التوالي .

هذا عدا تقسيم السكان بحسب نشاطهم الاقتصادي ، فبعض الدول تتبع التقسيم التقليدي المعروف وهو زراعي ورعوي ، صناعي ، وتجاري ولكن هناك اقطار تتبع تقسيما اخر وهو اولي Primary ، ثانوي Secondary وثالثي Ternary وطبعا كل قسم من هذه الاقسام تندرج تحته عناصر متعددة . فالاولي يشمل الزراعة والري وصيد الاسماك بينما الثانوي يشمل الصناعات التحويلية والثالث يشمل صناعة الخدمات وهذه مختلف في البنود والنشاطات التي تندرج تحتها وكل بلد لها مقاييسها الخاصة في هذا الشأن .

واخيرا هناك اختلاف في السجلات الاحصائية في تعريف مفهوم كلمة مدني Urban وريفي Rural فقد كان المعتقد السائد ان كل من يسكن المدينة هو مدني وكل ساكن القرية فهو قروي . ولكن تبين ان بعض سكان القرى لا يعملون في الزراعة فصاروا يعتمدون في الفصل بين ما هو مدني وقروي على طبيعة العمل الذي يقوم به كل فرد . ولكن ليست المسألة بهذه البساطة اذ ان الاعمال الزراعية وغير الزراعية يكون الفصل بينها ليس سهلا اذ توجد بعض مهن واعمال هي مصروبة ومعتمدة على الزراعة ولكنها ليست من صميم العمل الزراعي .

مجمل القول ان هذه المشاكل التي تؤخذ على السجلات والوثائق الاحصائية اعاقت الكثير من الدراسات الديموجرافية . ولكن لحسن الحظ ان الامم المتحدة بدأت منذ سنة ١٩٥٠ تدرك ابعاد المشكلة واهمية الموضوع واخذت على عاتقها توحيد المصطلحات والمقاييس بغية مساعدة الباحثين في مجالات العلوم الانسانية . ■

محمد علي الفرا
وزارة التربية ــ الكويت



بقلم : بدر المتولي عبد الباسط
عميد كلية الشريعة بالازهر سابقا والاستاذ بجامعة الكويت

■ ان لفظ الفقيه كان لا يطلق ــ قديما ــ الا على من كانت لديه ملكة تساعده عليها فطرته وممارسته ليستطيع بها ان يستنبط الاحكام الشرعية في الامور العملية من ادلة الشرع وامارات الاحكام ، ويومئذ كان لقب فقيه يساوى لقب « مجتهد » ولقب « مجتهد » يساوى لقب « فقيه » .

ثم تساهلوا فاطلقوا لفظ فقيه على كل من اشتغل بالفقه ، يحفظ الفروع ويطلع على اراء الاخرين وان لم يستطع ان يستنبط حكما من دليل او يعرف دليلا لحكم ، وبقي لفظ « مجتهد » لا يطلق الا على القادر ــ بفطرته وممارسته ــ ان يستنبط الحكم الشرعي ــ من حل او حرمة او فساد ــ من مظانه التي اقامها الله ــ تعالى ــ ادلة وامارات على أحكامه التي شرعها لعباده .

ورتبة الاجتهاد في الفقه رتبة سامية ، لا ينالها كل مدع ، وانما يصل اليها الشخص بعد ان يركب كل صعب وذلول ، وآفة العلماء ــ قديما وحديثا ــ الغرور والدعاوى الكاذبة ، ولكن الله ــ جلت قدرته ــ جعل في كل عصر من يكشف زيف الزائفين ، ويرد دعاوى المدعين المبطلين .

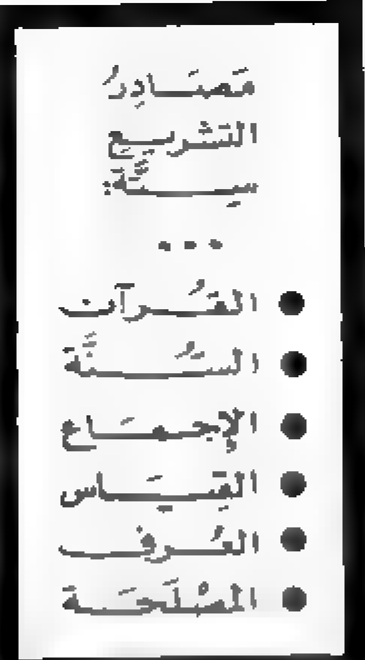
استنباط الاحكام فرض جماعي

والاجتهاد في استنباط الاحكام الشرعية فرض جماعي على الامة الاسلامية ان قصرت فيه اثمت ، واستحقت العقوبة من الله ــ تعالى ــ ولا سيما اولئك الذين تؤهلهم ظروفهم لأن يسهموا في هذا الامر ، ولم يسهموا ، وهذا اللون من الفرائض هو ما يعرف عند الفقهاء بالواجب الكفائي .

فكان لزاما ان نبين الصفات والمؤهلات التي يجب ان تتوفر في الفقيه المجتهد ، فان هذه المؤهلات ليست شهادة علمية رسمية ، وانما هي مرتبة علمية محددة الاوصاف والمعالم ، متى توفرت في شخص استحق لقب « فقيه مجتهد » بكل جدارة ، مهما كان مؤهله الرسمي ، ومن قصر عن هذه الرتبة فلنسمه ما شئنا الا أن يكون فقيها مجتهدا .

راى الامام الغزالي في المجتهد

ولقد بين الامام حجة الاسلام الغزالي ان المجتهد لا بد ان يتوافر فيه شرطان اولهما ان يكون محيطا بمدارك الشرع متمكنا من استثارة



الظن بالنظر فيها وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره .

وثانيهما : أن يكون عدلا مجتنبا للمعاصي القادحة في العدالة .

ولا بد من شرح هذين الشرطين ، وتفصيل ما أجمل فيهما ليكون الطريق واضحا امام من يحدثه نفسه أن يرقى الى هذه الرتبة الرفيعة ، وامام الامة لتعرف الفقيه المجتهد – هذا – من ادعياء الفقه والاجتهاد .

فاما الشرط الاول – باسطورنا – فهو المستحضر المحيط احاطة متناسبة بادلة الشرع وامارات المتصلة بالمسالة التي يجتهد فيها ، وعنده قدرة على ان يغلب رايا على راى ، معتمدا على هذه الادلة والامارات ، لا محكما الهوى ، واذا تعارض – امامه – دليلان او امارتان استطاع ان يقدم ما يستحق التقديم وان يؤخر ما يستحق التاخير .

ولنا عودة الى هذا الشرط فانه مجمل يستحق التفصيل ، وهو – في واقع الامر – الوصف الجامع للفقيه المجتهد .

وأما الشرط الثاني : فمعناه ان الفقيه المجتهد لا بد وان يكون عدلا غير متهم في دينه ، يحافظ على اداء الاوامر واجتناب المحرمات ، فلا يرتكب ما يقدح في عدالته ، ويكفينا – في هذا العصر – ان لا يكون مجاهرا بارتكاب الفواحش ولا مستهترا بفعل ما يخل بمروءته .

وهذا الشرط ليس شرطا في صحة اجتهاده بل هو شرط لقبول اجتهاده وجواز الاعتماد عليه في الفتوى ، وهذا امر طبيعي ، لان حاجة المسلم الى من يرشده الى الحكم الشرعي فيما يعرض له من احداث كحاجة المريض الى طبيب يرشده الى ما يحتاج اليه من دواء ، والطبيب – مهما كانت مكانته العلمية – مع شهرته بعدم الامانة تقل النفوس في والثقة به ولا مطمئنة الى علمه . فكذلك الفقيه المتهم في دينه وخلقه يجعل القلوب منصرفة عنه ، ولان من ياخذ دينه من المتهم في دينه كالاعمى يسترشد بمثله .

وانما قلنا : ان العدالة ليست شرطا لصحة الاجتهاد ، لان الفاسق لو توفر فيه الشرط الاول – الذي سنفصله بإذن الله – وترجح عنده راى في مسالة اجتهادية لا قطعية ، وجب عليه ان ياخذ برايه ، لان ظنه المعتمد على الادلة الشرعية اقوى عنده من راى غيره المعتمد على الادلة والامارات .

فلو ترجح – عنده – ان الواجب مسحه من الراس في الوضوء هو كل الراس ، لا يسعه ان يمسح البعض – وان قال بذلك بعض المجتهدين .

وان ترجح – عنده – ان البيع المقترن بالشرط فاسد ، كان يبيع منزلا بشرط ان يسكنه بائعا في الشهر ، فانه لا يحل له ان يفعل ذلك ، وان اجاز بعض الائمة صحة هذا البيع متى كان الشرط لا يحرم حلالا ولا يحل حراما .

وان اداه اجتهاده الى ان الطلاق الثلاث بكلمة واحدة يكون بينونة كبرى ، ففعل ذلك ، بانت منه امراته بينونة كبرى ، مع ان المسالة خلافية . وقد راى بعض المجتهدين ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع الا واحدة وانما الزمناه برايه لانه اولى ان يطبق اجتهاده على نفسه قبل ان يطلب من الغير ان يعتمدوا عليه . ولولا انه متهم في دينه لتوسع الناس ان يقلدوه اذا كانوا من اهل التقليد .

ولنعد الى الشرط الاول والوحيد الذي يجب ان يتوفر في الشخص ليكون مجتهدا وهذا يتطلب ان يكون عالما – اولا – بادلة الاحكام الشرعية . – وثانيا – ان يكون خبيرا بكيفية استنباط

الاحكام من ادلتها ـ وثالثا ـ ان تكون عنده القدرة على تقديم ما يجب تقديمه من الادلة وتأخير ما يجب تأخيره عند التعارض .

واليك تفصيل هذا الاجمال بقدر ما يتسع له المقام .

مدارك الاحكام وامارتها ، هي الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وهذه هي الاصول الاربعة الرئيسية عند جمهور الامة ، وهناك ادلة اخرى مستقلة ـ هي في الحقيقة ـ عائدة الى هذه الاربعة واهمها ـ في نظري ـ العرف والاستصلاح .

ما يجب على المجتهد ان يحيط به من هذه الادلة

القرآن

اما القرآن الكريم فليس واجبا على المجتهد ان يكون حافظا له كله ، بل آيات الاحكام . وليس واجبا عليه ـ كذلك ـ ان يكون حافظا لها ، بل عالما بمواطنها .

وآيات الاحكام ـ كما يرى ابن القيم ـ لا تتجاوز مائة وخمسين آية ، وغاية ما يبلغ بها العادون ـ كابن العربي ـ انها اربع وستون وخمسمائة آية (١) .

والحق ان حصر آيات الاحكام في عدد محدود يرجع الى منهج كل مجتهد ، فكم من مجتهد استنبط حكما فقهيا من آيات القصص او آيات المواعظ والاخلاق .

فابن القيم صادق ـ من وجهة نظره ـ ان آيات الاحكام مائة وخمسون آية فقط لانه نظر الى ان هذه الآيات ـ هي وحدها ـ التي سيقت لبيان الاحكام ، واما غيرها فقد سيقت لمقاصد أخرى ، وان كان المجتهد يستطيع ان يستنبط منها احكاما لها اهميتها .

وقد عد هذه الآيات خمسمائة آية كل من حجة الاسلام الغزالي في كتابه المستصفى وتابعه كثيرون ممن جاءوا بعده .

والحق ـ هو ـ ما قررنا آنفا من اختلاف انظار العلماء في مدارك الاحكام تبعا لمناهجهم في الاجتهاد ولكل وجهة هو موليها .

والتخفيف ـ مرة اخرى ـ لا يجب على المجتهد ان يكون عالما بكل آيات الاحكام ، فانه يكفي ان يعرف الآيات التي تتصل بموضوع اجتهاده ، فان كان يبحث في حكم يتصل بالطلاق فليرجع الى جميع آيات الطلاق ، ومثل ذلك يقال في الميراث والعدة والنفقة ومسائل السلم والحرب والحدود والقصاص ، ويضع الآيات المتصلة بموضوع اجتهاده امام عينيه ، ويقارن بعضها ببعض بالكيفية التي سنتكلم عنها بحول الله تعالى وقوته .

السنة

واما السنة فانها وان كانت آلافا مؤلفة من الاحاديث ولكن يكفيه ان يعرف منها ما يتصل بالاحكام العملية ، ولا يجب عليه حفظها بل معرفة مظانها ليسهل عليه الرجوع اليها عند الحاجة ، وليس من الضروري ـ الآن ـ ان ينظر في السند ليصححه او يضعفه او يرده لان هذا امر اصبح مستحيلا لبعد العهد بيننا وبين الرسول الاكرم ، بل يكفي ان نرجع الى المختصين الذين افنوا اعمارهم في تصحيح الاحاديث ومعرفة رجال السند ، فقد امرنا بذلك « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون »(٢) .

ومن مبادىء هذا الدين الرجوع الى اهل الاختصاص في كل شيء .

هذا ومما ييسر الامر على الراغبين في الاجتهاد ان قوما اختارهم الله لخدمة دينه جمعوا احاديث الاحكام اكثر منها على سبيل المثال لا الحصر سنن ابي داود ، سنن البيهقي ، الآثار للطحاوي نيل المرام في احاديث الاحكام للصنعاني ونيل الاوطار للشوكاني ، ونصب الراية في تخريج احاديث الهداية للزيلعي ، كما يمكن الرجوع الى الكتب الصحاح الستة في الاحكام العملية صارفا النظر عن احاديث العقائد والمواعظ والرقائق .

ولعل المشكلة التي تصادف المجتهد في هذا المصدر من الاحكام ـ هي ـ كثرة التعارض بين بعض الاحاديث ، وهنا تظهر ملكة الاجتهاد فليحاول ـ جاهدا ـ ان يوفق بينها ما استطاع الى ذلك سبيلا ، فان عجز عن التوفيق فليسلك سبيل الترجيح وهو مركب صعب نوعا ، ولا سيما على من لم يألف هذا اللون من الدراسة ، فطورا يكون

---

(١) كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي للحجوي الثعالبي طبعة المدرسة في الرباط سنة ١٣٤٠ هـ جـ ١ ص ١٩ .

(٢) سورة النحل من الآية ٤٣

الترجيح بأقوى الأحاديث سندا ، وطورا يكون بترجيح أقرب الأحاديث الى قواعد الشريعة العامة الى غير ذلك من الترجيحات التي تكلم فيها العلماء في علم أصول الفقه .

الاجماع

وأما الاجماع — فبالرغم مما قيل فيه وفي حجيته — فانه واقع ، وانكار ذلك مكابرة لا يلتفت اليها وذلك كاجماعهم على توريث الجدة عند فقد الأم ، وانها لا ترث أكثر من السدس مهما تعددت الجدات ، وكاجماعهم على حرمة زواج المسلمة بالكتابي ، وكاجماعهم على أن قضاء القاضي في مسألة مختلف فيها لا ينقض الى غير ذلك من الأحكام .

والذي يعني الفقيه المجتهد — في هذا المقام — أن يعرف — بعد البحث والتقصي — أن المسألة التي يجتهد فيها لم يقع فيها اجماع ، وأن هذا الاجماع قد نقل نقلا يفيد اليقين بحيث تواترته الأمة جيلا عن جيل .

ومما ينبغي أن ألفت النظر اليه أن الاجماع — بالمعنى المعتبر عند العلماء — لا يكاد يعرف الا على عهد الشيخين أبي بكر وعمر — رضي الله عنهما — وأن الاجماع على حكم شرعي متى تم ونقل الينا متواترا يكون حجة قطعية لا يسع المجتهد أن يخالفه . ومستند الاجماع وهو الدليل الذي اعتمد عليه المجتهدون المجمعون قد يكون — في حد ذاته — ظنيا — ولكن اجماعهم عليه يرتفع به الى مرتبة القطعية ، والدليل القطعي لا يجوز مخالفته .

القياس

وأما القياس فبالرغم من انكار قوم له وتشنيعهم على القائلين به فانه باب من أبواب الفقه عظيم ، وتوسعة من الله على عباده ، وأمارة وضعها الله دليلا على حكمه ، وقد عمل به سلفنا الصالح ، وتركوا لنا ثروة عظيمة من الفقه الذي نفخر به مهما حاول قوم أن ينتقصوا من مكانته .

والذي يجب أن يحيط به الفقيه علما أن لا يكون في المسألة التي ينظر فيها الفقيه نص من كتاب أو سنة صحيحة ، وأن يستوفي القياس شروطه ، وأهمها أن تكون العلة — وهي أهم أركان القياس — مناسبة للحكم لاشتمالها على حكمة مشروعية الحكم ، وأن تكون مطردة مع الحكم بحيث يوجد كلما وجدت منعكسة بحيث ينعدم بعدمها .

وهنا يتجلى نفاذ بصيرة المجتهد في رد الأشباه الى الأشباه والنظائر الى النظائر .

ومن الضروري أن يعرف قوادح العلة حتى يتجنبها فلا يعلل بعلة مناسبة — ظاهرا — للحكم بينما الشارع ألغى هذه المصلحة التي تضمنتها العلة . وذلك كالقول بجواز التبني بحجة أنه — بذلك — يحفظ اللقيط من الضياع ، فان هذه المصلحة ألغاها الشارع بنص قطعي وهو قوله — تعالى — « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما (1) .

وأيا ما كان فان المسائل التي مردها الى القياس يجب أن يراعى فيها روح التشريع ، وأن يكون الفقيه — فيها — على حذر شديد ، وأن يبتعد — قدر الامكان — عن القياس — في أمور العبادات اللهم الا اذا كانت المشابهة واضحة وجلية ، بعد التحري والتقصي الشديد ، انه لا نص في المسألة فان المقصود الأول في العبادات هو التعبد واظهار الانسان بمظهر الخاضع لربه .

العرف

وأما العرف فهو اتفاق الأمة أو جماعة منها على أمر قولي أو فعلي ، والفرق بينه وبين الاجماع أن الاجماع اتفاق المجتهدين على حكم شرعي مستندين الى دليل شرعي لا مدخل للعامة فيه ، وأما العرف فهو تواطؤ جماعة قلوا أو كثروا على أمر ، لم يكن الباعث عليه مبعثه التدين ، فقد قد يكون مبعثه التقليد أو رعاية ما يظنونه مصلحة .

وأيا ما كان فان كثيرا من الأحكام الشرعية مبنية على مراعاة الأعراف والعادات .

ولذا كان الكاتبون — في علم أصول الفقه — عدوا العرف دليلا ساطعا وشرعيا من أدلة الأحكام الشرعية وقد وفوا هذا الموضوع حقه من البحث ، فانهم ، عند الحديث عن الاجتهاد والمجتهدين ، لم

(1) سورة الأحزاب الآيتان ٤ ، ٥

يعدوا العرف من الأمور التي يجب أن يعرفها المجتهد ، ولعل ذلك كان انتقاد منهم بمعرفة المدارك الأصلية .

والحق أن رد العرف الى الأدلة الأربعة الأصلية ، انما كان بطريق دلالة عموم بعض النصوص على اعتباره ولكن العرف خليق أن يفرد بالبحث لكثرة ما بني ويبنى عليه من الأحكام ، حتى أن من قواعد الشريعة العامة « العادة محكمة » . فيجهل المجتهد به يوقعه في خطأ كبير .

لست ـ هنا ـ في مقام استيعاب مباحث العرف ، فهو بحث كتبت فيه رسائل ، ولا يزال فيه متسع لأن يكتب فيه آخرون ، ولكني أجمل القول اجمالا أرجو أن لا يكون مخلا .

أولا : العرف ـ باعتبار معناه ـ قسمان قولي وعملي ، فالقولي أن يتواطأ جماعة أو أهل بلد أو أهل صناعة أو أهل علم على اطلاق لفظ ما على معنى من المعاني كاطلاق لفظ « عيش » على الأرز عند الكويتيين ، وعلى الخبز عند المصريين . وكعدم اطلاق لفظ « لحم » على السمك أو الدجاج الا مقيدا فيقولون لحم سمك أو لحم دجاج ، ومن ذلك المصطلحات العلمية والأسماء التجارية على السلع .

وأما العرف العملي فهو اتفاق جماعة كأهل بلد أو صناعة على نوع من المعاملات التجارية أو غير التجارية ، كعرف أهل مصر على أن تأثيث بيت الزوجية على الزوجة وأهلها ، وأن ما به من أثاث هو لها ، بينما نجد شعوبا أخرى من العرب والمسلمين ترى أن هذا على الزوج،وأن ما بالمنزل من الأثاث هو له . وكتعارف بعض البلاد على بيع بعض السلع وزنا بينما غيرهم يبيعها عدا . الى كثير من العادات التي تختلف فيها الشعوب والأمم ، بل يختلف فيها أهل الصناعات عن غيرهم بل تختلف بعض القرى عن بعض .

ثانيا ، وينقسم العرف ـ من حيث اعتبار الشارع له ـ الى ثلاثة أقسام :

(١) أعراف أبطلها الاسلام كعرف التبني واعتبار زوجة الأب ميراثا يحوزها أكبر الأبناء . واعتبار الظهار ، وهو قول الرجل لزوجته : أنت علي كظهر أمي ، سببا لتحريم الزوجة حرمة مؤبدة ، فكل ذلك وغيره عادات وأعراف أبطلها الشارع ، فلا يجوز أن يبنى حكم على هذا العرف ، اللهم الا القول بالحظر والتحريم .

(٢) أعراف جاء الاسلام فوجدها وأقرها وذلك كعرف العرب في تكريم الضيف ، وأن للضيف حقا على المضيف ، وكعرفهم في رعاية الكفاءة في النكاح ، فقد أقره الاسلام ، وان كان تحديد معنى الكفاءة وفيم تكون ؟ أمر يختلف فيه الأعراف والعادات فمثل هذه الأعراف تكون مشروعة . لأن اقرار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لها يعتبر تشريعا .

(٣) أعراف سكت عنها الشارع بخصوصها فلم يتعرض لها بالغاء أو اقرار وهي محل نظر المجتهدين .

اذا عرف هذا فان القدر الذي ينبغي أن يعرفه الفقيه المجتهد من العرف أنه لا بد أن يعرف عرف الشارع في خطابه فيحمل نص الشارع ـ آية أو حديثا ـ على عرفه ، فاعتبار العرف القولي معتبر عند جميع الفقهاء ، وحمل الكلام عليه مقدم على حمل الكلام على المعنى اللغوي الأصلي .

واذا كانت المسألة التي ينظر فيها المجتهد ترجع الى حجة وقف أو عقد بيع أو اجارة فينبغي على الفقيه المجتهد أن يراعي عرف الواقف أو المتعاقدين ، فان جهل هذا العرف وجب عليه أن يسأل أهل الذكر ، والا كان مقصرا ، وكان رأيه خطرا مستحقا الرد .

كما ينبغي أن يعرف رأي الشارع في هذا العرف فان كان قد ألغاه الشارع رفضه ، ولم يقم عليه حكما ، وان كان قد أقره الشارع اعتبر الحكم ثابتا بالنص ، وان كان الشارع قد سكت عنه ـ بخصوصه ـ أجرى العرف على ما هو عليه ، فان تغير العرف تغير الحكم . وقد يخصص العرف بعض النصوص الشرعية الظنية كنهيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن بيع الغرر أي البيوع التي فيها غرر بأحد المتعاقدين ولكن استثنى من ذلك كثير من البيوع والمعاملات فيها نوع غرر ، ولكن الناس تسامحوا فيها وتعاملوا بها ، ومثلوا له ـ قديما ـ بدخول الحمام واستئجار الظئر أي المرضع ، فان كلا من هذين العقدين فيه نوع غرر ، أما الأول فلعدم تحديد المدة وقدر الماء والصابون المستهلك ، وفي العقد الثاني لا يبين فيه قدر الرضعات ، كما لا يبين قدر ما يقدم للمرضع من أكل ، وما هو نوعه ، ولكن العرف يتسامح في هذه الأمور .

والأمثلة في ذلك كثيرة وكثيرة ، وآلاف المسائل

الفقهية بناها الفقهاء على عرف زمانهم فوجب أن يعاد النظر فيها على ضوء تغير العرف ما لم يكن العرف الجديد مصادما لنص صريح .

وبهذا يتبين — ثانيا — أن من شروط المجتهد أن يكون عالما بعرف الشارع — أولا — ثم بعرف زمانه وموطنه ، وعرف زمان وموطن المسألة التي ينظر فيها ، ولا يكفيه أن يكون عالما بمدارك الأحكام من النصوص والاجماع والقياس فحسب .

الاستصلاح

وأما الاستصلاح وهو النظر في المصلحة فانه رأس الاجتهاد وذروته . ولكن ما هي المصلحة ؟ هذه هي المشكلة الكبرى التي تواجه الفقيه .

وليس هنا مجال استيفاء هذا المقام ، ولكنني أجمل الكلام اجمالا يكفي الباحث العادي ، ويبين له الى أي مدى يتطلب الاجتهاد جهدا ومشقة .

ان الله — سبحانه — شرع ما شرع من الأحكام مراعيا مصالح عباده من جلب الخير ودفع الضرر ، وهذه المصالح منها ما هو ضروري ومنها ما هو حاجي لا تستقيم مصالح الناس الا به ، وان كانت لا تصل الى مقام الضرورة ، ومنها ما هو تحسيني وتكميلي . فاذا تعارضت الضرورة مع الحاجة قدمت الضرورة على الحاجة ، كما تقدم الحاجة على التحسين والتكميل .

والضرورات والحاجيات والتحسينات منها ما يرجع الى حفظ الدين ، ومنها ما يرجع الى حفظ النفس ومنها ما يرجع الى حفظ العقل ومنها ما يرجع الى حفظ النسل ومنها ما يرجع الى حفظ المال .

وهي من حيث القوة والضعف على الترتيب الذي ذكرته ، فعند تعارضها يقدم الأقوى على ما يليه وهكذا .

والمصلحة تنقسم — باعتبار الشارع لها — الى ثلاثة أقسام :

١ — مصالح ملغاة كالمصلحة المتوهمة في الربا أو الميسر أو الخمر أو التبني أو اقامة حفلات المجون لتكون وسيلة — كما يزعمون — الى الخير ، فمثل هذه المصلحة لا يقام لها وزن ، ولا يدار عليها حكم ، اللهم الا أن يقال بالتحريم والحظر ، ومهما قيل في فائدتها فان شرها أكثر من خيرها ، والله أعلم بمصالح خلقه من أنفسهم .

٢ — مصالح اعتبرها الشارع وأدار عليها الأحكام بالرغم مما قد يخالطه تلك المنافع من بعض الأضرار كتشريع الجهاد مع ما فيه من التضحية بالأنفس والأموال ، وتشريع الحج مع ما فيه من مشقات وانفاق أموال ، وكتشريع الزواج مع ما يصاحبه من تبعات ومشاكل ، وكتشريع الطلاق — عند وجود دواعيه — مع ما يتبعه من مشاكل في الأسرة ، فان الشارع — وهو الأعلم بمصالح خلقه — اعتبر تلك الأضرار المصاحبة لهذه الأحوال أقل كثيرا من الأضرار التي تلزم لو لم تشرع .

فمثل هذه المصلحة يجب أن تدار عليها الأحكام .

٣ — مصالح سكت عنها الشارع — بخصوصها — ولم يتعرض لها بالاقرار أو الالغاء ، وتعرف هذه المصالح عند العلماء بالمصالح المرسلة .

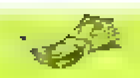
وأمام المصالح المرسلة تتفاوت أنظار المجتهدين ، كما تفاوتت من قبل أمام سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة والعلماء ، وقد أخذ الكل بمبدأ اعتبار المصلحة المرسلة — في الجملة — لكن على تفاوت بينهم .

والمجتهد يجب أن يكون عالما بمصالح الناس اما بخبرته واما بسؤال أهل الخبرة ، ثم ينظر في هذه المصالح هل ألغاها الشارع أو اعتبرها أو سكت عنها ، فان رأى أنه ألغاها رفض اعتبارها مهما حشدوا له نتائجها ، وان كان الشارع قد اعتبرها بنفسها أو بنوعها فلا ضير عليه أن يدير الأحكام وفق هذه المصلحة ، لأن المصلحة هي مقصود الشارع من شريعته .

وان كان مسكوتا عنها فهذه — هي — مجال الاجتهاد ، فليقارن بين ما فيها من خير وما فيها من شر مراعيا ترتيبات الضرورات والحاجيات والتحسينات ، كما يراعي تقديم مصلحة الدين على مصلحة النفس ، والنفس على العقل ، والعقل على النسل والنسل على المال ، ولا يحكم في ذلك هواه فان عين المحب حولاء ، وليبحث — أولا — ويقارن ويوازن ثم ينتهي الى ما يطمئن اليه قلبه ، ولا عليه — بعد ذلك — ان أخطأ أو أصاب — فان المجتهد ان أصاب فله أجران ، وان أخطأ فله أجر ، وليحذر من أسلوب بعض الناس يحكم — أولا — خاضعا لهواه ثم يلتمس الأسباب والمبررات والحيثيات التي تسوغ حكمه — ثانيا .

ولعلنا قد أدركنا الأصول التي ينبغي أن يحيط بها المجتهد ، أما كيف يتفهم هذه الأصول ويستغلها فهذا موضوع آخر له قواعده وشروطه . ■

بدر المتولي عبد الباسط



العوامل المؤثرة

بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملي

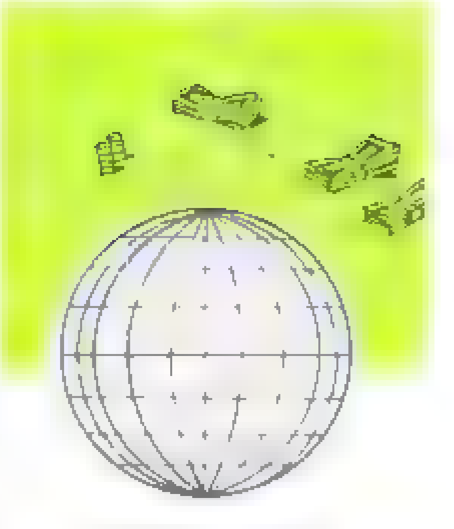
المستشار الاقتصادي في رئاسة مجلس الوزراء - الكويت

[illegible] الاقتصادية على الصعيد الدولي .

[illegible] في النقاط التالية

التطور التاريخي للاقتصاد الدولي بين [illegible]

في ظل نظام الحرية الاقتصادية ، خلال القرن التاسع عشر وإلى حين قيام الحرب العالمية الأولى ، كان مبدأ السائد في العلاقات الاقتصادية الدولية بصفة عامة هو مبدأ الحرية الاقتصادية فكانت هناك [illegible] من ناحية مبدأ حرية تنقل السلع والأفراد ورؤوس الأموال ، وكذا مبدأ حرية تحويل العملات [illegible] على أساس [illegible] تقوم على قاعدة الذهب . وكانت الدول تتبع أحكام هذه القاعدة ، مهما كانت آثارها الاقتصادية والاجتماعية على [illegible] وكل ذلك لا بد [illegible] الحوافز اللازمة لتحقيق التوازن الخارجي لهذا البلد . وعلى هذا الأساس كان نمو [illegible] للاقتصاد الدولي . وكانت السياسة الاقتصادية التي تتبعها الدولة تهدف قبل كل شيء تمكين الدولة [illegible] إلى التوازن الخارجي [illegible] . وكانت العوامل الاقتصادية تؤدي إلى توزيع عوامل الإنتاج وإلى التخصص الدولي على نحو [illegible] الدول التي [illegible] تخصصها للبلاد الأخرى ، [illegible] النظام الاستعماري [illegible] الأعمال والصناعات التي لا تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة [illegible] . وكذلك انسحب على الصعيد الدولي الوضع الذي [illegible] فيه العالم إلى دول صناعية [illegible] وأخرى فقيرة نامية .



ساعد على حرية التجارة سيطرة بريطانيا على الاقتصاد العالمى

وساعد على نجاح فلسفة الحرية وتأثيرها على سير العلاقات الاقتصادية الدولية ، أن لهذه الفلسفة أصولا وركائز ترجع الى الثورة الفرنسية والى كتابات الفزيوقراط وآدم سميث . ولكن لم تصبح الحرية الاقتصادية وحرية التجارة أساسا عريضا للعلاقات الاقتصادية الدولية ، الا عندما تدعم مركز بريطانيا واستقر كدولة مسيطرة على الاقتصاد العالمى ، فآدم سميث نفسه قد سلم بضرورة وضع قيود على حرية التجارة لصالح الاقتصاد البريطانى . ولكن عندما وصلت المملكة المتحدة الى القمة فى أواسط القرن التاسع عشر ، جاءت كتابات « ريكاردو » وتحليله الاقتصادى المنظر لتكون أساسا فنيا للمذهب الحر المطلق.

وجاءت المنافسة الصناعية فضعفت الدعوة الى الحرية التجارية

وعندما بدأت المنافسة تظهر فى ميادين الصناعة، من جانب المستعمرات القديمة فى امريكا ومن جانب ألمانيا ، فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، ضعفت الدعوة الى حرية التجارة ومفهومها المطلق، وبدأت بريطانيا تتجه الى سياسة التفضيل الامبراطورى ، الذى اصبح أساسا لصورة من صور التكتل الاقتصادى فى ظل مذهب الحرية الاقتصادية .

ومن الناحية الاخرى، أخذ الكتاب الاقتصاديون فى الولايات المتحدة وألمانيا ، فى تلك الحقبة المتقدمة ، بالدعوة الى حماية الصناعات الناشئة، وقد ظلت سياسة الولايات المتحدة الامريكية الى الوقت الحاضر قائمة على أساس الحماية الجمركية بالرغم من التطور الذى طرأ على موقفها بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ أصبحت هى الدولة الداعية الى الحرية الاقتصادية وحرية التجارة ، وان كانت قد اعطت لمبدأ حرية التجارة معنى جديدا هو عدم التمييز فى المعاملة بين الدول

واذا رجعنا الى الوراء قليلا ، مستعرضين تطور العلاقات الاقتصادية الدولية منذ الحرب العالمية الاولى ، لوجدنا أن هذه العلاقات قد تأثرت بنمو السياسات الوطنية ، التى أخذت تضع اعتبارات التوازن الداخلى فى المقدمة . فتحقيق العمالة الكاملة حتى لا تكون هناك بطالة ، ونمو الاقتصاد القومى ، أصبحت هى الأهداف الأساسية للسياسة الاقتصادية ، وأصبحت اعتبارات ثبات قيمة النقد وحرية تحويله فى الرتبة الثانية . وبذلك انقسم العالم الى وحدات سياسية كل منها تسعى لتحقيق أكبر قدر من المنفعة من العلاقات الاقتصادية الدولية ، بصرف النظر عن المصالح المشتركة فيما بينها . وكان للأزمة المالية الكبرى فى الثلاثينات الماضية (١٩٢٩ ــ ١٩٣٤) آثارها الحاسمة فى العدول عن قاعدة الذهب ، وفى اهتزاز الأساس الذى كانت تقوم عليه هذه القاعدة

اختلال فى التوازن الاقتصادى العالمى بعد الحرب العالمية الثانية

وترتب على الحرب العالمية الثانية اختلال خطير فى توازن الاقتصاد العالمى ، فمن ناحية خرجت القوى المنتجة فى أوروبا ، منهكة ، وتقدمت قوى الانتاج فى الولايات المتحدة الامريكية ، وظهرت مشاكل جديدة فى الاقتصاد العالمى ، تبلورت فى أزمة ندرة الدولار فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية . وفى نفس الوقت تكاتفت عوامل متعددة لتشكل حركة التحرير السياسى فى آسيا وافريقيا ، وبدأت التجمعات السياسية والاجتماعية فى الظهور بشكل متزايد على الصعيد العالمى كله . وأصبحت وحدة البلاد التى دخلت فى

مجموعة الدول الشيوعية في اوروبا وآسيا ، وتزايدت الاهمية السياسية لبعض البلاد التي كانت تدخل في عداد المستعمرات ومناطق النفوذ مثل الهند ومصر .

ونتج عن ذلك كله تجمعات متعددة على المستوى السياسي والاقتصادي ، هذا فضلا عن التجمعات العسكرية . فمن الناحية السياسية وجدت مجموعة الدول الشيوعية ، ومجموعة الدول الغربية المجابهة للدول الشيوعية ، ومجموعة الدول غير المنحازة على الصعيد السياسي الدولي وهي مجموعات تختلف درجة التضامن فيما بينها. وكذلك على الصعيد الاقتصادي وجدت مجموعة الدول الشيوعية الاوروبية الداخلة في اتفاق COMECON بينما وجدت من الناحية الاخرى منظمة التعاون الاوروبي OECD ، ومجموعة الفحم والصلب ECSC التي هي في نفس الوقت مجموعة الوحدة الاقتصادية الاوروبية EEC والمعروفة بدول السوق الاوروبية المشتركة . ووجدت بجوارها مجموعة دول منطقة التجارة الحرة الاوروبية EFTA كما وجدت اتفاقات الوحدة الاقتصادية العربية وغيرها من الاتفاقات الاقتصادية الاقليمية في المناطق الاخرى الآخذة في النمو في امريكا اللاتينية وافريقيا . وقد ترتب على النمو الاقتصادي الكبير في مجموعة دول اوروبا الغربية، وعجز ميزان المدفوعات الامريكي ، وضعف مقدرة الصناعة البريطانية على المنافسة ، وعيوب نظام النقد الدولي المعمول به ، ان ظهرت مشكلة ضعف الدولار والاسترليني وظهرت الاوضاع الحالية التي تشغل الرأي العام العالمي .

اتجاهات عالمية
في العلاقات الاقتصادية الدولية

ومن ناحية اخرى بقيت الاتجاهات العالمية في العلاقات الاقتصادية الدولية تنبع من ميثاق الامم المتحدة ، وترعاها الهيئات الداخلة في هذه المنظمة الدولية ، سواء اكانت هي الجمعية العمومية لهذه المنظمة ام مجلسها الاقتصادي والاجتماعي ، ام كانت من المنظمات المنبثقة منها مثل مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية UNCTAD ، ام كانت الهيئات المتخصصة المرتبطة بنظام الامم المتحدة مثل هيئة التغذية والزراعة ، وهيئة العمل الدولية وغيرها من الهيئات المتخصصة الاخرى ، ام كانت ايضا من تنظيمات الامم المتحدة ذات النشاط الاقليمي التي تاخذ شكل لجان اقليمية لاوروبا او لامريكا اللاتينية او لآسيا والشرق الاقصى او افريقيا ، فهذه التشكيلات الاقليمية تخدم الاتجاهات العالمية في حدود منطقة معينة .

وبجوار هذه المنظمات ذات النشاط الشامل لكافة الدول الاعضاء في الامم المتحدة ، الشيوعي منها والرأسمالي على السواء، توجد ايضا منظمات لا تشترك فيها الدول الشيوعية فيما عدا يوغوسلافيا ، تعمل لتحقيق حرية التجارة ولمعالجة مشاكل الاقتصاد الدولي ككل ، مثل الاتفاق العام للتعريفات والتجارة GATT وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير والهيئات الاخرى المرتبطة به .

التطور التكنولوجي
وأثره على العلاقات الاقتصادية الدولية

يتناول التطور التكنى كل نواحي النشاط الانساني فيغير من صورتها ، لانه يضاعف من قدرة الانسان على الطاقة فيخضعها لارادته ، ويزيل او يقلص حواجز المسافات والزمن . فعندما اخترع المحرك الآلي وتطور ، تزايدت قدرة الانسان الانتاجية وتخصصه ، واتسعت امكانياته على المبادلة على مستوى العالم كله ، بعد ان كانت محصورة في حدود اقليمية ضيقة . وكذلك ادى استخدام المحرك الآلي في تسيير البواخر والقطارات والطائرات ، وادى تطور وسائل الاتصال البرقي والهاتفي ، الى تضييق رقعة العالم ، فتزايدت حركة السلع والافراد عبر العالم كله . وترتب على نمو طرق المواصلات ، وشيوع استخدام وسائل الانتاج الحديث في قطاع مختلفة من العالم، وزيادة حركة التبادل العالمي ، تقوية المصالح المرتبطة بحركة التعامل الدولي ، وساعد ذلك على نمو التعاون في مختلف الميادين لخدمة هذه الحركة .

ولم يقتصر التطور التكنى على نواحي الانتاج ، بل شمل ايضا النواحي الصحية والثقافية وغيرها من النواحي الانسانية الاخرى . وترتب على التقدم الصحي انخفاض معدل الوفيات بين الاطفال وزيادة عمر الانسان والقضاء على الاوبئة ، الامر الذي اثر تأثيرا كبيرا في تزايد السكان في العالم كله . وتزايدت بالتالي الحاجة الى التجارة الدولية

لا للحصول على المواد المصنوعة او المواد الاولية من الخارج فحسب ، بل ايضا للحصول على المواد الغذائية بكميات كبيرة . ولما كانت معدلات تزايد السكان في البلاد المتخلفة تزيد على قدراتها في زيادة الناتج الزراعي الغذائي نفسه ، فان الانفجار السكاني قد اقترن ايضا بتزايد الصادرات الى البلاد الاخذة في النمو في المواد الغذائية ، وتعقدت بالتالي مشكلة النمو الاقتصادي لهذه البلاد .

وشمل التقدم التكني ايضا النواحي الثقافية والتعليمية . وساعد التقدم في وسائل الاتصال على وضع ثمار الفكر الانساني في هذه النواحي تحت نظر الانسان وسمعه في مختلف بقاع الارض . فاذا بثورة الامال المتصاعدة لا تنحصر في شعب دون آخر ، بل ان كل سكان العالم اصبحوا يتطلعون الى مستوى معيشة افضل . وجاءت حركة الاستقلال الوطني وتحرير المستعمرات القديمة بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة محتومة للتطور المادي والفكري والتقني على المستوى العالمي .

تطور العلاقات السياسية الدولية واثره على العلاقات الاقتصادية

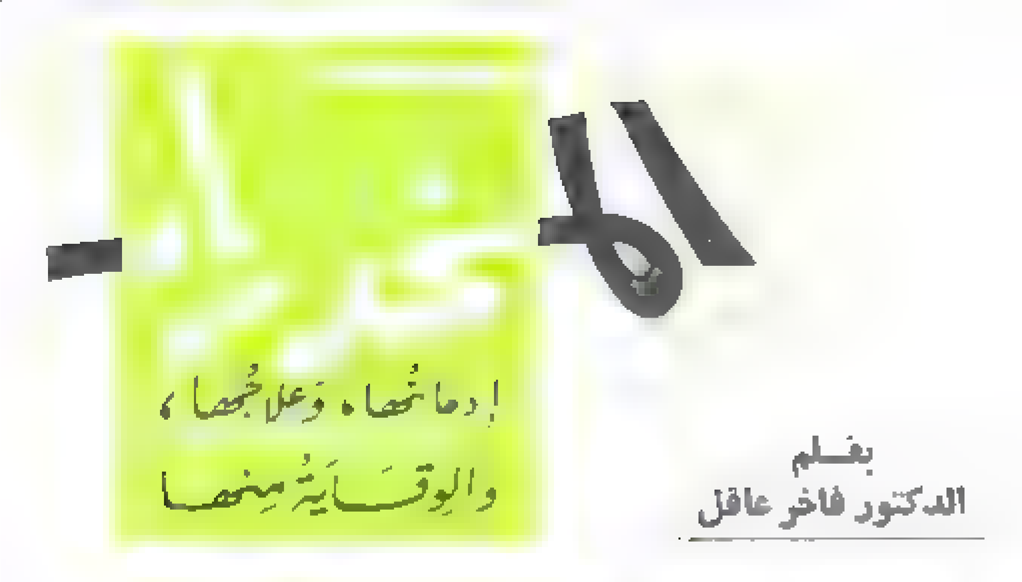
انقسم العالم بعد الحرب العالمية الثانية الى معسكرين كبيرين تسود بينهما الحرب الباردة ، وتتزعمهما الولايات المتحدة من ناحية والاتحاد السوفيتي من ناحية اخرى . وبسبب اتساع رقعة الدول الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية واخذها بسياسة الاكتفاء الذاتي ، اخذت تيارات التجارة الدولية وحركات رؤوس الاموال وتنقل الافراد لا تاخذ شكلها العالمي السابق على الحرب ، بل ضعفت تيارات هذه التجارة بين العالم الخارجي وبلاد الكتلة الشيوعية . وفي داخل الكتلة نفسها ، وبسبب سياسة الاكتفاء الذاتي التي تنتهجها كل دولة على حدة ، تضاءلت اهمية التجارة الخارجية في الاقتصاد القومي في البلاد الشيوعية . ولكن عملت هذه الدول ، بمختلف الوسائل وعن طريق سياسة التخطيط على مستوى الكتلة كلها ، على تحقيق قدر من التخصص الدولي وزيادة حجم التجارة فيما بينها ، وان كانت اثار جهودها في هذا الصدد قد ظلت محدودة .

وفي داخل الكتلة الغربية قامت الولايات المتحدة بدور الدولة المهيمنة وهو دور شبيه بالدور الذي كانت تقوم به بريطانيا في القرن التاسع عشر . وقد القى عليها هذا الوضع مسئوليات كبيرة في العالم منذ ما خربت الحرب في اوروبا الغربية ، فقدمت المعونات المالية التي تبلورت في صورة مشروع مارشال ، كما عملت على تكتيل دول اوروبا الغربية عسكريا واقتصاديا ، لمجابهة اتساع رقعة الكتلة الشيوعية وتزايد قوتها . فالولايات المتحدة كانت وراء اقامة نظام الوحدة الاوروبية للفحم والصلب التي اشتركت فيها المانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج ، كما كانت وراء نظام الوحدة الاقتصادية الاوروبية والسوق الاوروبية المشتركة بين هذه الدول نفسها . وكان هدف الولايات المتحدة هو تدعيم الرابطة السياسية على اساس التضامن بين تلك الدول لاقامة حاجز في وجه التوسع الشيوعي في اوروبا .

ورغم كبر نفوذ كل من الدولتين العملاقتين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، وكبر خطر التكتل المحيط بهما على المستوى العالمي كله ، الا انه لا يمكن غض النظر عن الاهمية السياسية للدول الحديثة الاستقلال ، التي لا زالت ترزح في اصفاد التخلف الاقتصادي . ان الاهمية السياسية لهذه الدول تتزايد على مر السنين ، مما سيجعل تطور العلاقات السياسية الدولية على نحو يؤثر في العلاقات الاقتصادية الدولية لصالح هذه الدول . هذا فضلا عن ان تزايد الوزن الاقتصادي لمجموعة الدول الاوروبية الغربية ، واتجاهها الى الاستقلال في بعض مواقفها السياسية مثل ديجول وغيره من الزعماء الاوروبيين سيكون له اثره الكبير على التطورات الاقتصادية الدولية ، بل لقد بدا هذا الاثر يظهر فعلا بوضوح في الوقت الحاضر .

على ضوء هذه العوامل التاريخية والفكرية ، وعلى ضوء التطور التكني العظيم وما ترتب عليه من تغيرات اساسية في بنيان الاقتصاد العالمي ، وعلى اساس الفهم الواعي للتطورات السياسية الجارية في العالم ، يمكن التمعن في الاحداث الاقتصادية الدولية ، وبلوغ الرأي الواضح بشأن مسببات هذه الاحداث ، واحتمالات تطورها ، بل قد يكون من المستطاع ايضا من هذا السبيل التعرف على اتجاهاتها المستقبلة واستخراج الوسائل الحكيمة للتصدي لها باسباب التوجيه والعلاج . ■■

الكويت — عبد المنعم الفنانلي



بقلم
الدكتور فاخر عاقل

[illegible]
[illegible]
أساس ، استجابة لنداء [illegible] تركوا الحشيش والخمر مدة ثلاثة ايام وذلك استدرارا لرحمة الله وتوبة اليه . [illegible] صلواته وبالعمل عاد مشروب الخمر بدأ بالارتفاع في نهاية اليوم الثالث .

ويتضح من هذه القصة ان الحشيش كان شائعا في ذلك العصر شيوع الخمر وانه كان يعتبر معصية يجب التوبة منها استدرارا لرحمة الله .

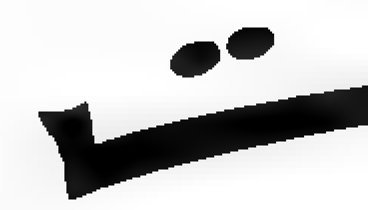
والحق ان الحشيش كان – وما زال – شائع الاستعمال في بلاد الشرق الممتدة من الهند الى بلاد الشرق الاوسط منذ القديم ، وانه كان يستعمل في الهند مثلا لاغراض دينية ، وانه انتشر من بلاد الشرق الى البلاد الغربية والى امريكا بالذات حتى لقد قدر عدد الذين يتعاطونه في انحاء العالم في نهاية الخمسينات بمائتي مليون شخص ، ولقد زاد العدد منذ ذلك الحين زيادة كبيرة .

وهكذا يتضح ان ادمان الحشيش مشكلة عالمية ، وهو مشكلة من مشكلات بلاد الشرق الاوسط ، ولكنه جزء من مشكلة اعم هي مشكلة ادمان المخدرات بصورة عامة . وسنحاول ان نتحدث عن ادمان المخدرات عامة قبل ان نتحدث عن ادمان الحشيش الذي يعتبر مشكلة ذات اهمية خاصة بالنسبة لبعض اقطارنا العربية .

تستعمل كلمة (ادمان) في الطب بمعنى اكثر تحديدا من المعنى الذي يستعمل في اللغة الدارجة . وهو يعني اكثر من الميل الى المخدر وشدة عادة استعماله . ويقول الاطباء بوجود الادمان حين يظهر الانسان اعتمادا على المخدر (اي يظهر رغبة فيه ويعتبره شيئا لا يستغنى عنه) وحين يحتاج مقادير متزايدة منه للحصول على التاثير المطلوب ، وحين يكون ايقاف المخدر او انقاص مقداره انقاصا كبيرا مسببا لمرض يسمى (اعراض الانسحاب المرافقة [illegible])

وهذه الشروط الثلاثة – الاعتماد على المخدر وتزايد مقاديره واعراض الانسحاب – نرى بوضوح مأساوي في حالة تعاطي الهيرويين والمورفين وغيرهما من المخدرات التي تشتق من الافيون الخام ، وهي تظهر ايضا في حالة الكحولية (ادمان الكحول) كما تظهر في حالة ادمان بعض المنومات والجرعات الكبيرة من مواد الباربيتورات Barbiturates والميبروبامات Meprobamates التي تستعمل زمنا طويلا .

بيد ان الادمان اكثر تعقيدا من ذلك . ونحن حين نفحص تاريخ حياة المدمنين للمخدرات العديدة نرى ان الذين يتعاطون الهيرويين او المورفين مدة من الزمن يصبحون جميعهم مدمنين في حين ان جزءا فقط من الذين يتعاطون المسكرات يصبحون مدمنين ، اما الذين يتعاطون المنومات فان نسبة قليلة منهم تصبح مدمنة . وهكذا فبالنسبة للهيرويين والمورفين يكون الادمان حتما ولذلك كان من المهم ان نعين الشخصيات التي تميل الى



تعاطي هذين المخدرين وامثالهما وبين الظروف الاجتماعية التي تؤدي الى تعاطي هذه المخدرات . ومثل هذا صحيح عن الكحول الذي يحتم علينا ان نتساءل عن السبب الذي يجعل واحدا من عشرين يميل الى ادمان المسكرات وعن الظروف التي تؤدي الى ادمان المسكرات .

وهكذا يتضح ان دراسة الادمان يجب ان تستهدف دراسة الشخصية ، شخصية المدمن ، والظروف الاجتماعية التي توصل الى الادمان . كل ذلك في حالة المخدرات . اما في حالة المسكرات فان دراسة الظروف التي تؤدي الى ادمانها هي الهامة .

ان ادمان المورفين والهيروين وامثالهما من اشد الامور ايلاما ، ذلك بان المدمن يحاول ان يحافظ على اتزانه فتتزايد الكميات التي يطلبها من المخدر وتتقارب الفواصل الزمنية وكل ذلك محاولة لتجنب الاعراض الانسحابية . وبسبب من صعوبة الحصول على المقادير التي يتطلبها المدمن وبسبب من ميل المدمن الى استهلاك المقادير التي يحصل عليها استهلاكا سريعا فان المدمن يشعر بنقص دائم في المقادير التي يريدها . ومع ان بعض المدمنين يقفون على المقدار اليومي نفسه سنين طوالا فان القاعدة هي ان تتزايد المقادير اليومية المطلوبة مما يزيد المشكلة تعقيدا ويزيد الاعراض خطورة ويزيد بالتالي في بؤس المدمن . ومتى شعر المدمن بمشكلته فانه قد يقوم بجهود بالغة لايقاف تزايد طلبه للمخدر ولكنه يقع في الاعراض المرافقة للانسحاب ويزداد بؤسه وألمه . وفي هذه المرحلة من الادمان ، وهي مرحلة الادمان الحقيقي ، يكون المخدر قد اصبح ضرورة بيولوجية (حيوية) تدفع المدمن الى بذل جهود كبيرة للحصول على حاجته من المخدر مهما كانت رغبته في التخلص من مخدره . وحينئذ يقال ان المدمن (قد علق) .

وفي حالة المورفين والهيروين وامثالهما فان معظم الذين يتعاطون هذه المخدرات يميلون الى زيادة طلبها ، وبالرغم من ان الاطباء الذين يعطون هذه المخدرات لاسباب طبية يكونون حذرين جدا في اعطائها فان ثمة اشخاصا معينين يتزايد طلبهم برغم علمهم باخطارها وصعوبة الحصول عليها .

الوقاية

ان الوقاية من المخدرات مسألة تربوية في الدرجة الاولى ، وعلى عاتق التربية والمؤسسات التربوية تقع مسؤولية تبصير الشباب باخطار المخدرات واخطار ادمانها . ان مسؤولية البيت والمدرسة ووسائل الاعلام كبيرة في وصف اخطار المخدرات وكيفية ادمانها ونتائج هذا الادمان ، لا سيما وان انتشار المخدرات بين الشباب في العالم اخذ بالازدياد ازديادا مخيفا .

وبالرغم من ان الكثير قد قيل عن اخطار المورفين والهيروين والافيون فان ثمة شائعات خاطئة عن الحشيش او (الماريجوانا Marijuana) لا بد من محاربتها وفضحها . صحيح ان الحشيش يختلف عن المورفين والهيروين وسواهما وصحيح ان ادمان الحشيش يختلف عن ادمان هذه المخدرات ولكن هذا لا يمنع من ان للحشيش اخطاره ومضاره مما سنتحدث عنه في فقرات لاحقة .

واذا ما كان كذلك من المهم ان يعرف الشباب ان المورفين والهيروين والافيون اخطر بكثير من الحشيش وان الانتقال من الحشيش الى هذه المخدرات خطوة معينة .

وقد تكون الوقاية اسهل وايسر ، اذا عرفنا ، سلفا ، الاشخاص الذين يمكن ان يصبحوا مدمنين .

اما بالنسبة للمورفين والهيروين وامثالهما فان اكثر الاشخاص تعرضا للادمان هم المنتسبون الى المهن الطبية وما يتصل بها من اطباء وصيادلة وممرضين وممرضات وسواهم ممن يسهل عليهم الحصول - بحكم مهنهم - على هذه المخدرات .

ومن الذين يمكن ان يصبحوا مدمنين لهذه المخدرات هم المرضى الذين تعطى لهم هذه المخدرات بناء على مرضهم ومن اصحاب الشخصيات المضطربة لا سيما اذا لم يكن الطبيب المداوي حذرا تماما معهم .

وفي كل الاحوال فان شخصية المدمن امر على جانب كبير من الخطورة ولكن ثمة مجتمعات تسهل الادمان اكثر من سواها ففي الولايات المتحدة الامريكية مثلا يسهل الحصول على المخدرات وهناك

عصابات ومنظمات تعمل على توزيع هذه المخدرات وبيعها وايصالها الى الزبائن الامر الذي لا يتوفر في انكلترا بهذه السهولة . ولذلك فان انتشار الادمان في الولايات المتحدة اكثر منه بكثير في انكلترا .

هذا وقد اختلفت الآراء بالنسبة للقوانين التي تعالج ادمان المخدرات وبيعها والحصول عليها وتوزيعها ، فبعض العلماء ينادون بالتشديد في هذه القوانين حتى لقد ذهبت بعض البلاد الى فرض عقوبات تصل حد الاعدام لمن يتاجر بهذه المخدرات ، وبعض العلماء الآخرين يرون ان القوانين لا تكفي لعلاج المشكلة وان نشر الوعي والتربية الصحيحة وتبصير المواطنين ـ ولا سيما الشباب ـ باخطار الادمان هي الطريقة المثلى في مواجهة اخطار الادمان .

العلاج

علاج الادمان ، من اي نوع كان ، يستهدف السحب الكامل للمخدر وتعويد المريض الاستغناء عنه استغناء تاما . ولقد كان هذا الامر يتم بصورة فجائية في المستشفيات والسجون وغيرها من المؤسسات التي يوضع فيها المدمنون . ولقد تبين الآن ان المنع الآني والفجائي للمخدر عن المدمن امر مؤلم جدا ويؤدي الى ظهور اعراض الانسحاب المزعجة . اي ان الاعراض المفاجيء للمخدر يسبب الارتعاش والاسهال وعدم الراحة والقلق والاسهال والتقلصات والتشنجات المؤلمة والتوسل من اجل الحصول على المخدر . ولذلك كله يحول علماء اليوم بوجوب السحب التدريجي للمخدر واستبداله بتركيب كيمياوي غير ضار واعطاء المهدئات العصبية وغير ذلك من المساعدات الكهاربية والطبية .

وبعد اسبوع او نحوه يخف الشوق الى المخدر ولكن لا بد من ستة اشهر على الاقل من البقاء في المستشفى الخاص وتحت الاشراف الطبي المتخصص من اجل تخليص المريض من ادمانه . هذا مع العلم بان الكثيرين من المرضى الذين سلكوا على هذه الطريقة كثيرا ما ينكسون ويعودون الى ادمانهم وحينئذ يتحتم علاجهم من جديد وقد يتكرر الامر مرات .

واثناء وجود المريض في المستشفى لا بد من دراسته ومعالجته نفسيا بقصد اكتشاف اسباب ادمانه ومحاولة مواجهة هذه الاسباب . وفي كل الاحوال فاننا نحب ان نقرر ان علاج المدمن يكون دوما مزيجا من العلاج النفسي والعلاج الطبي بل وكثيرا ما يكون علاجا اجتماعيا .

ومن الامور ذات الاهمية الكبرى في العلاج هي اقناع المريض والحصول على تعاونه الاقصى وتجنيبه الظروف التي تؤدي الى الادمان . وكذلك لا بد من ابعاد المريض عن التخلص من ادمانه فاذا كان من الممرضين الى المهن الطبية مثلا كان من الضروري الاستعانة بزملائه من الاطباء والمشتغلين بالمهن الطبية لعدم تعريضه للنكسة . وبالرغم من اتخاذ هذه الخطوات جميعها فان الاحصاءات تدل على ان واحدا من ثلاثة من المرضى الذين يشفون يكون شفاؤه تاما بعد تركه المستشفى وهي نسبة ضئيلة حتى بالنسبة للاولى .

الحشيش

ترى منظمة الصحة العالمية في بحث نشرته عام ١٩٥٩ وكتبه الدكتور نيجلي للساحي ان مائتي مليون شخص يتعاطون الحشيش في العالم وان الزيادة في تعاطي المخدر في تسارع مطرد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . كما ترى هذه المنظمة ان الحشيش واحد من اكثر المخدرات انتشارا في العالم . وبسبب من انتشاره بين شباب بعض الاقطار ومن اثره في ارتفاع نسبة الجرائم ومن تحوله الى تجارة واسعة الانتشار بين اقطار العالم فانه يعتبر واحدة من اهم مشكلات عصرنا الحاضر .

ومشكلة تعاطي الحشيش تعتبر مشكلة صحية جسمية وصحية نفسية ، وهي مشكلة قائمة فعلا في الشرق الاوسط عامة وفي بعض اقطاره بصورة خاصة .

ويرى الذين يهتمون بمشكلة الحشيش وادمانه انه اقل خطرا بكثير من المخدرات الاخرى مثل الكوكايين والمورفين والهيروين ، بل يذهب بعضهم الى التقليل من اخطار الحشيش ويزعمون ان ادمانه لا يظهر الاعراض الثلاثة التي تحدثنا عنها في مطلع مقالنا . وينسب العوام الى الحشيش خصائص في جملتها القوة الجنسية ويرى بعضهم ان الاعتدال فيه لا يسبب اخطارا البتة . بيد ان مثلا يقول : « ان استعمال الحشيش مؤذ . وهو في احسن الاحوال يحرم الانسان من المحاكمة السليمة وفي اسوئها يدفع به الى الافراط في

الجنس والى القتل وقد يوصله الى الجنون » .

واياً ما كان فاننا لا ننكر ان الحشيش اقل ضرراً من المخدرات الاخرى من مثل الكوكايين والهيروين والمورفين وانه لا يخضع للاعراض الثلاثة التي سبق ذكرها الا وهي تزايد الطلب عليه وشدة التوق اليه واعراض الانسحاب ، ولكن هذا لا يمنع ان للحشيش اخطاره ومضاره وانه اخذ في الانتشار بكثرة مخيفة ولا سيما في امركا على شكل المخدر المسمى (ماريجوانا) .

وفيما يلي وصف لآثار ادمان الحشيش :

بعد تدخين الحشيش بوقت قصير يحدث شعور بالتحسن والصحة الجيدة ، ويتطور هذا الشعور في كثير من الاحيان الى شعور بالنشوة . وبعد ذلك تحدث مبالغة في الكلام والحركات ويتخذ المدخن وضعات غير سوية وقد ينتهي بالقلق الغائد والهمود . وبعد فترة — تطول او تقصر — يعود الانسان الى حالته السوية . الا ان حالة القلق والهمود قد تلازم بعض المتعاطين للحشيش .

وسواء اشعر المحشش بالنشوة او الهمود فانه يظهر الكثير من الهلوسة Hallucinations وتخيل الامور والاوضاع والمواقف ويرى الكثيرون من العلماء ان هذا ما يسعى اليه المحشش بالضبط .

والشخص السالم ، اذا ازمن في تعاطيه الحشيشة ، قد يهتاج ويصبح هجومياً ويفقد تعقله وحسه الاخلاقي . بيد ان هذا الامر لا يلبث ان يزول لا سيما اذا كان المحشش معتدلاً وحينئذ يعود الى حالته السوية . وقد يتعرض المحشش لحالة من الجنون وقتية والى انهيار كامل .

وفي كل الاحوال فان الافراط في الحشيش يضعف حس المدمن وقواه العاقلة . اما فيما يخص الهلوسات فهي شائعة جداً وتكون عميقة وحيوية وكثيراً ما تكون ذات الوان زاهية ومحببة وفيها الكثير من النكات والملاحظات الطريفة ، وفتاوى المحششين مشهورة .

وتكون لهذه الهلوسات صفة الفرض ، وقد تتكرر هذه الهلوسات ذاتها وقد تكون رمزية ويفيد تحليلها في التعرف على شخصية المحشش . وفي بعض المراحل قد تتخذ هذه الهلوسات اشكالاً هندسية او فسيفسائية او سواها .

هذا وقد تحدث للمحشش اوهام غريبة ومنها ان الحس بالوقت يتأثر بالحشيش وهو امر على جانب من الاهمية . وهكذا فقد يبدو مرور الوقت سريعاً جداً بالنسبة للمحشش او بطيئاً جداً او حتى ثابتاً . وفي قمة التأثر بالحشيش يعجز المحشش عن تجريد حادث عن سياقه وادراكه كحقيقة معزولة . وهكذا فان الحاضر قد يختلط بالماضي اختلاطاً عجيباً .

ثم ان فكرة الحيز او الحجم قد تتشوه عند المحشش وكذلك فان الاشياء تبدو له اكبر من حجمها العادي او اصغر ، اقرب او ابعد من السوي وقد يرى الاشياء متحركة مع انها ثابتة او العكس كما انه قد يراها منحنية مع انها مستقيمة .

وقد يتخيل المحشش مواقف غير سوية . فقد يتخيل للانسان قروناً او ذيلاً او أيادي اضافية وقد يرى رأس الانسان المقابل له اكبر من حجمه الحقيقي او اصغر . وقد تتطاول الارجل او الايدي في نظره .

وقد يتزايد الهيج الجنسي عند بعض المحششين في بداية تدخين الحشيش . ومع ذلك فان هذا الامر شخصي اكثر منه موضوعي . ان الاضطراب في ادراك الزمان الذي اشرنا اليه قد يجعل المحشش يتخيل ان هذا النشاط دام ساعات بل اياماً . وسواء اكان الامر حقيقياً ام خيالياً فان ثمة اعتقاداً بين المحششين بان الحشيش له تأثير جنسي ولعل هذا سبب من اسباب انتشاره .

ويرى بعض العلماء ان انتشاره في بعض المجتمعات الاسلامية مردود الى ان تحريمه لم يرد صراحة في القرآن الكريم ؛ وفي رأينا ان الظروف التي مرت بها هذه البلاد والاستعمار الذي تعاقب عليها كان السبب الرئيسي في انتشار هذا المخدر ولا سيما بين الطبقات المحرومة ، وقد كانت هذه الطبقات هي الغالبة ، ثم اصبح الحشيش (كيفاً) وانتقل الى المجتمعات والطبقات الغنية .

ولعل خير ما نختم به هذا الحديث القصة التالية : يقال ان ثلاثة اصدقاء وصلوا ذات مساء الى مدينة فوجدوا بابها مغلقاً فجلسوا يتشاورون في كيفية الدخول اليها ، وكان احدهم حشاشاً والآخر سكيراً ، والثالث مدمن افيون ، فاقترح السكير كسر الباب والدخول عنوة ، اما مدمن الافيون فاقترح النوم وارجاء الامر ، واما المحشش فاقترح الدخول من ثقب المفتاح . ■

فاخر عاقل

١ صُوَرٌ تُسْتَفادُ مِنْها عِبَرٌ !!



مثل

ما أصدقه من مثل

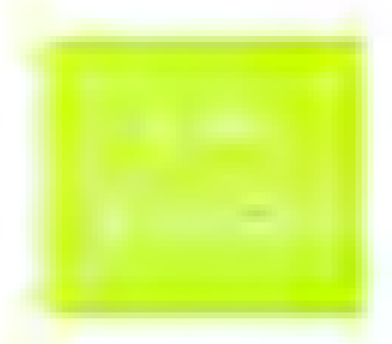
● المثل الانجليزي يقول :

« ان السمك الكبير يأكل السمك الصغير » .

هذه حقيقة نؤكدها هذه الصورة المرفقة .

ولكن المثل قصد ما وراء السمك :

ان الرجل الكبير ، يأكل الرجل الصغير .



ارادة الحياة

● بيانا دخيرا . اسم جبل في الكونغو ، هو واحد من بين سلاسله جبال ، يربط [illegible]

[illegible]

رأس هذا الجبل الذي بالصورة المرفقة ، وقد يرى ، ظهر هذا النبات الأخضر . من أين جاء ؛ وقد أحرقت النار كل أصول الحياة عند هذه القمة ؟ جاء بذورا من نبات الشجر حملتها الرياح خفيفة من بعيد ، ثم حطت على هذا الصخر الأجرد ، وليس له تربة ، وليس به ماء ، ولكنها صنعت لنفسها التربة من رابية



قصة الذكر والأنثى

قصة قديمة حديثة

● قصة الذكر والأنثى .. قصة تتكرر .. في البراري الواسعة ، وفي الجبال الشاهقة ، ومع الطير في رؤوس الأشجار ، ومع الأسماك في بطون البحار .

للذكر القوة .. وأدنى للذكر السيادة .. فالسيادة قوة ، ودع عنك ما يقول الأحبار .



وفي بني الإنسان .. منذ كان الإنسان .. السيادة للرجل .. للرجل الموضع الأول ، ثم للولد ، ومن بعد الولد تأتي النساء .. وفي الريف تتقدم ذو الشارب واللحية .. وتتأخر التي لا شارب لها ولا لحية .. والشوارب واللحى .. كأعراف الديكة .. وكلبد الأساد .. تعطي المهابة وتعطي الصدارة .
وفي اليونان .. ومنهم استمدت أوروبا ثقافتها ، وكانت منهم الفلسفة والحكمة والعلم ، كان شأن المرأة منهم أحط الشئون .. وعرفنا عن أحبار الرجال فيهم الكثير .. ولم نعلم عن خبر امرأة واحدة فيهم ، إلا في الأساطير .

وفي الحروب القديمة كانت المرأة تحمل مع الأسلاب حملا .. وفي الحروب الحديثة تكون أول ما يستباح من الأعراض عرض المرأة .

والصورة المرفقة صورة من علاقة الذكر بالأنثى ، في حجر الطبيعة .



قبل ان يطرأ عليها تهذيب . انهما اثنان من بقر الوحش اختلفا في انثى ،
لايهما تكون . وكما يختلف الناس فلا تكون هناك وسيلة لحسم الخلاف
غير الحرب ، تتناطح الذكران ، اما الانثى فظلت بعيدة ترقب . ثم جاء
الذكر الغالب يسوقها امامه ، فانساقت طيّعة . ثم هو يقترب منها ، ولعله
يتودد ويتحبب . وتخضع . ويكون من خصوبتها الولد . وهو ولد الاقوى .
فهكذا يبرز العلماء سطوة القوة . انها تنتج الولد الاقوى .





الاستبداد فطرة تنشأ عند اختفاء المعارضة

الكوجر (Cougar) حيوان من اللواحم بأمريكا الجنوبية، وهو شبيه بالنمر الملك الموجود بأمريكا الشمالية، كلاهما يعطي فروا ثمينا. فطمعت في فرو هذا الحيوان الفارس الولايات المتحدة، كما طمعت فيه انجلترا، فحملته كل منهما الى بلادها، وحدث ما لم يكن يتوقع.

هرب هذا الفارس من حظائره، وانتشر انتشارا مريعا. والسبب؟ أنه في موطنه هذا الجديد لم يكن له أعداء تحد من أعداده، كما كان الحال في موطنه القديم. فهكذا الطبيعة، ليس من حي إلا وله حي آخر عدو له. يقف كل لصاحبه بالمرصاد.. فتتوازن الأعداد.

وهكذا حياة الإنسان، لا بد لها من موازنة. في الطريق للسائرين. في المصنع للعاملين. في الحقل للزارعين. في النادي للاعبين. في البرلمان للمتنافسين. وفي كل مرفق، وفي كل مجتمع. وإلا ساد وطغى واستبد وظلم من لم يجد له معارضا موازنا.

قضية حار فيها قاضيها

ثور واحد، وثلاثة سباع، وربان انسان، يصارعهما أنياب حادة ومخالب كثيرة. معركة غير متوازنة، أمر الثور فيها غير متوازنة فلم يصنع شيئا. واستسلم أمره الى الله. وللثور منا الرحمة، فماذا للسباع الثلاثة الغضب؟ لا أحسبه نحوب. فهذا الثور، وهذه السباع، لو وقفت أمام محكمة، فبهما اتهام وفيهما دفاع. لما فاز أيهما بحكم. فالسباع يقول جيعناء وليس يسمو وخلقنا طعاما غير لحم هذا الثور وأمثال له. والثور يقول خلقت، وليس لهؤلاء طعام غير لحمي، وليس لي من دفاع غير هذين القرنين. ويصبح القاضي آخر الأمر، وقف الجلسة، لأن المحكمة لم تجد سببا لادانة.

أحمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٥١

وقتل قابيل هابيل !

■ السهولة كانت طابع مسابقة العدد ١٥١ من العربي ، لذلك كثرت رسائل المسابقة بصورة ملحوظة .

والملاحظ أن السؤال الثامن والخاص بالتكاثر عند الحيوان كان العقبة الوحيدة في هذه المسابقة فقد احجم القراء عن الاجابة عليه نظرا لصعوبته بعض الشيء، أما الذين اجابوا فقد ناسب اجاباتهم وبذلك اخفقوا في الوصول الى كبد الحقيقة .

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم أسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ ـ أول رجل قتل رجلا آخر على ظهر هذه الارض هو **قابيل الذي قتل اخاه هابيل على نحو ما جاء في الاثر .**

٢ ـ صاحب هذه الحركة الدينية التي قامت في الجزيرة العربية في اوائل القرن الثامن عشر هو **المصلح الديني محمد عبد الوهاب .**

٣ ـ القائد الفاطمي الذي اقام بناء مدينة القاهرة هو **جوهر الصقلي .**

٤ ـ فتح مدينة واترلو في **بلجيكا .**

٥ ـ جزيرة صقلية فتحها العرب في القرن التاسع على يد **اسد بن الفرات بن سنان .**

٦ ـ المضيق الذي يربط بحر مرمره ببحر ايجه يسمى **بمضيق الدردنيل .**

٧ ـ الحاكم الذي قال هذه الكلمات هو **الحجاج بن يوسف الثقفي .**

٨ ـ هذه الطريقة تعرف بانقسام **الخلية الواحدة الى خليتين او ما يسمى بالتكاثر الخلوي .**

٩ ـ المعدن الذي يكون في حالة سيولة في درجات الحرارة العادية هو **الزئبق .**

١٠ ـ **المستعصم** هو آخر الخلفاء العباسيين وهو الذي قتل على يد **هولاكو التتري .**

الفائزون بالمسابقة

■ **الجائزة الاولى** وقيمتها ـ/٣٠ دينارا فاز بها : **عبد العزيز محمد الخراشي** ـ الرياض ـ السعودية .

■ **الجائزة الثانية** وقيمتها ـ/٢٠ دينار فاز بها **عبد الشكور عوض الكريم محمد** ـ ام درمان ـ السودان

■ **الجائزة الثالثة** وقيمتها ـ/١٠ دنانير فاز بها : **صالح محمد صالح الجابر** ـ الدوحة / قطر .

٨ جوائز قيمتها ـ/٤٠ دينارا لكل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ **عمر محمد احمد رباح** ـ عمان / الاردن .
٢ ـ **فتحية الرفاعي** ـ الكويت .
٣ ـ **خليل ابراهيم الجاسم** ـ البصرة/العراق .
٤ ـ **الياس نقولا السيقلي** ـ صيدا / لبنان .
٥ ـ **امال محمد المهدي عبد الله** ـ الزمالك / ج ع م
٦ ـ **محمد معتز الخطيب** ـ دمشق / سوريا
٧ ـ **محمد عبد الله ابو سرية** ـ بنغازي ـ ليبيا
٨ ـ **ابراهيم احمد القحمي** ـ صنعاء / اليمن .





ما قالوا في الحجاب وفي السفور

بقلم : الدكتور احمد الحوفي

رئيس قسم الدراسات الادبية ، بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

● كان التعليم الى أول القرن التاسع عشر محصورا في الأزهر ، محصورا في الكتاتيب ، ثم أخذ ينمو ويتطور ، فكثرت المدارس والمعاهد العليا ، ودرس الطلبة تاريخ بلادهم ، وعرفوا مفاخر دينهم وأحكامه ، فشعروا أن يستعيدوا ماضيهم المشرق ، وصاروا أرهف حسا ، وأبعد أملا ، وأشد حماسة ممن لم يتعلموا ، ودربت أقلامهم على الكتابة ، وألسنتهم على الخطابة ، ومرنت عقولهم على التفكير السليم .

وكان للاتصال بالحضارة الغربية أثره وحسبنا أن نذكر أن رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣ م) كان بدراسته في فرنسا من الحلقات التي وصلت الشرق بالغرب ، فدعا في كتابه (المرشد الأمين للبنات والبنين) الى تعليم الفتاة وتأديبها ، ولم تكن في مصر آنئذ مدرسة للبنات ، ولكن بعد طبع كتابه بعام أنشئت في مصر سنة ١٨٧٣ م أول مدرسة لتعليم الفتيات هي مدرسة (السيوفية) امتلأ حين افتتاحها مئة تلميذة ، ثم نشأت بعض مدارس على غرارها .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين صارت الأحوال أكثر ملاءمة للاسراع بالمرأة الى التقدم ، لأن النفوس مهيأة ولأن الكتب والصحف والمجلات والأدباء والمفكرين لا يفتأون ينبهون الأذهان ، ويقرعون الأسماع ، وفي الصدارة من هؤلاء جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأحمد فارس الشدياق وعبد الله النديم وعلي مبارك وقاسم أمين وأحمد لطفي السيد .

ثم أسست النساء (الحزب النسائي) في العقد الثالث من القرن العشرين ، وكانت دعوته الأولى هي التسوية بين الفتاة والفتى في التعليم وشهدت سنة ١٩٣٠ أول فوج من الفتيات تعلمن في المدارس الثانوية ودخلن الجامعة .

فماذا كان موقف الشعراء حيال السفور والحجاب ؟ .

نقصر هذه الكلمة على السفور والحجاب ، لنجد الشعراء فريقين ، فريقا ناصر السفور ، وفريقا ناصر الحجاب .

١ – الذين ناصروا السفور :

كان شوقي في طليعتهم ، إذ قال قصيدة (كوك صو) (١) وصف فيها ذلك المكان الجميل بالآستانة سنة ١٩٠٠ وأعجب بالتركيات السافرات ، ولم يتخوف عليهن السفور ، لأن الأخلاق الكريمة أصون للمرأة من الحجاب .

وردتك كورلا وسفرن حسرا
وهل بالحور إن أسفرن بأس !
فقل للجانحين إلى حجاب
أتحجب عن صنيع الله نفس !
إذا لم يستر الأدب الغواني
فلا يغني الحرير ولا الدمقس
كأن الخرد الغيد في سفور
وراءهما حواري وقس
تهيبها الرجال فلا ضمير
يهيم بهمسها ولا حس

ثم رثى شوقي قاسم أمين سنة ١٩٠٩ ، وليس في قصيدة الرثاء (٢) إنكار السفور ، بل إن فيه تأييدا له ، وإنكارا لنوع من الحجاب هو التعسف المتعنت الدخيل على الإسلام ، الذي بالغ فيه بعض الرجال مبالغة لم يردها الإسلام :

ماذا رأيت من الحجاب وعسره
فدعوتنا لترفق وتيسر
رأي بدا لك لم تجده مخالفا
مثل الكتاب وسنة المختار
والسالكان شجاع قلب في الوغى
وشجاع رأي في وغى الأفكار
أوددت لو صارت به النيل ما
كانت به شفافة وسرار ؟
يجمعن في سلم الحياة وحربها
بأس الرجال وخشية الأبكار

إن الحجاب سماحة ويسارة
لولا وحوش في الرجال ضواري
جهلوا حقيقته وحكمة حكمه
فتجاوزوه إلى أذى وضرار

ويؤيد هذا الاستنتاج أن شوقي قال قصيدة سنة ١٩٢٨ (٣) أثنى فيها على صديقه قاسم أمين وشجع السفور ، ورحب به ، وحمل على الحجاب وعلى حرمان المرأة من العلم ، وإن كانت القصور محابسها ، وبشر روح صديقه بأن دعوته ذاعت وأخذ الناس أنفسهم بها ، وأثنى على كتابه (تحرير المرأة) بأنه حق وعلم ولا طفرة فيه ، وبأن دعوته معتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله :

قل للرجال طغى الأسيـ
ـر طير الحجال متى يطير !
أوهى جناحيه الحديـ
ـد وحز ساقيه الحرير
ذهب الحجاب بصبره
وأطال حيرته السفور
وكأن من سعة الرحا
ل له المواثب والصقور !
والسجن في الأكواخ أو
سجن يقال له القصور
إن السماء جديرة
بالطير وهو بها جدير
حرية خلق الإنا
ث لها كما خلق الذكور
يا قاسم انظر كيف سا
ر الفكر وانتقل الشعور
جابت قضيتك البلا
د كأنها شمس تسير
سلك كتابك غمرة
تمضي عليك ولا تمور
لك في مسائله الكلا
م المحض والجدل الوقور
ما بالكتاب ولا الحديـ
ـث إذا ذكرتهما نكير

---

(١) الشوقيات ٦٢/٢ (٢) الشوقيات ٨٥/٣ (٣) الشوقيات ٢٠٨/٢

ثم ذكر انهما كانا قد اختلفا ثم اتفقا ، فهل اختلفا في امور متصلة تتصل بالمراة ؟ او اختلفا في اتجاه سياسي او اشياء اخرى ؟ .

[illegible]

[illegible]

في الرأي [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

في رأي [illegible]

[illegible]

لكن لشوقي قصيدة تحتاج الى تحقيق وتامل وتمهل ، فقد نشرت له (الجريدة) في ١٩ مايو سنة ١٩١٠م قصيدة عنوانها (الرق والحرية والضعف والقوة ، الى الكتوبة الغالية تلك الباحثة بالبادية) بتوقيع الاربعة ملك حفني ناصف ، وكان نشرها في اليوم التالي لصدور الحكم باعدام الورداني الذى قتل بطرس غالي رئيس الوزراء ، وعدد ابياتها سبعة واربعون بيتا ، ثم نشرتها مجلة الهداية في يونيه التالي ، ونشرتها مجلة الهلال في يوليه اللاحق ، وهي بالشوقيات تحت عنوان (بين السفور والحجاب) وابياتها اربعة وخمسون (١).

فهل رمز شوقي بالقصيدة حينما نشرها بالجريدة الى الورداني وهو في سجنه ، ولم يكن يقصد السفور والحجاب ؟

ذلك راى سجله الدكتور محمد صبري جامع الشوقيات المجهولة ، ولم يعلل له (٢) .

واذا صح هذا كان من الشطط ان يستنبط احد من القصيدة راى شوقي في السفور والحجاب ، او ان يقضي بان شوقي كان حائرا في القضية لم يستقر فيها على راى .

فنظر في القصيدة لتستمد منها عدة ملاحظات

الاولى : ان بعض ابياتها يشير الى ان المراد سجين حقيقة لا مجازا ، مثل :

يا ليت شعري يا اسيـ
ـر شجٍ فؤادك ام خلى !
وحليف سهد ام [illegible]
م الليل حتى ينجلي
بالرغم مني ما [illegible]
لج في [illegible]

فان المراة المصرية لم تكن سجينة ، ولم تكن مصفدة حبيسة في سجن مغلق بحديد او بغلس .

الثانية : ان بعض الابيات يشير الى ان الغائب صار في عداد الشهداء ، وصار مثلا للتضحية وحفظ الامة :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ان نعلم ان المقصود



قاسم امين

(١) الشوقيات ١١٩/١
(٢) الشوقيات المجهولة ١٢٢/٢

بحسين وعلي وأمنة الإمام علي وابنته الحسين والسيدة آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا حسين وعلي وأمينة أبناء شوقي الثلاثة.

الثالثة : أن في القصيدة أبياتا تنبيء بأن المخاطب ما زال حيا ، وبأن شوقي لن يستطيع أن يوفيه حقه من التكريم مهما يعمل :

أنا إن جلتيك في شعـ
ـري بالعربي مجلل
ما كفتك يا صداح حـ
ـقك بالكرم [illegible]

وهذا يرجح أنه يعني الوردائي قبل أن ينفذ الحكم بإعدامه ولعله كان يأمل ألا يتجاوز العقوبة السجن سنوات يخرج بعدها طليقا حرا .

الرابعة : أن بالقصيدة أبياتا قد يفهم منها أنه يناصر الحجاب ، ويخشى من السفور أن تنجم عنه شرور ، وقد يفهم منها إشفاقه على الشباب المتحمس المخلص لوطنه المتبرم بالفساد والعبودية ويود لهم أن يتريثوا فيما يقدمون عليه :

حرمتي طيبك شوكي ومن
بعض [illegible] [illegible] يحل
[illegible] لو كان [illegible]
[illegible] [illegible] لم يحل
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
أن طرت من كفي ولـ
ـسـت على السرور [illegible]

الخامسة : أنه ختم القصيدة ينصح الطائر أن يتقوى ، وهو يقصد مصر ، لأن الحق الذي لا تسنده القوة مضيع مهضوم :

[illegible] [illegible] والأعمال [illegible]
[illegible] [illegible] الأصل
[illegible] [illegible] [illegible]
لا [illegible] [illegible]

والآن فإن هذه القصيدة لم تسفر عن شيء يتصل بالسفور والحجاب ، وإن كان عنوانها في الديوان (بين السفور والحجاب) (١) .

أما حافظ ابراهيم :

فقد أيد الاعتدال في السفور والحجاب ، فلم يقر الحجاب المطلق الذي يحرم الفتيات التعليم ، ويحبس المرأة في عقر بين الجدران ، ولم يشجع السفور المطلق الذي يبتذل المرأة ، ويعرضها للهوان

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا
بين الرجال يجلن في الأسواق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا
عن واجبات نواعس الأحداق
كلا ، ولا أدعوكم أن تسرفوا
في الحجب والتضييق والإرهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهرا
خوف الضياع تصان في الأحقاق
فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا
فالشر في التقييد والإطلاق (٢)

وأما علي الجارم :

فقد قال قصيدة في ذكرى قاسم أمين سنة ١٩٣٨ صور فيها معارضة بعض المفكرين لدعوته أول الأمر ، ثم تأييدهم لها :

[illegible] [illegible] صمام ينادي
ولهمنا [illegible] يصرم احتجابه

واعتبر من المعارضة بأن المعارضين كانوا يخشون على النساء من ذئاب المجتمع :

[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] من [illegible]
[illegible] [illegible] على [illegible] في البدو
ح [illegible] [illegible] [illegible]

---

(١) العربي : هذا العنوان خاطيء ، وهو السبب فيما كان من خلط ، وعندنا أن القصيدة لا صلة لها بشيء مما ذكر ، فلا علاقة لها بمختار بطرس باشا غالي ، ولا بمقاتله الوردائي . وحسين وعلي وأمنة هم أبناء شوقي وقد عرفناهم . والقصيدة ببساطة هي حديث بين شوقي وكناريه ، حديث شاعر رقيق لعصفور أسير .

(٢) ديوان حافظ ابراهيم ١/٢٧٠

لم يرحب بما يرى من مشاركة الفتيات للفتيان في طلب العلم .

٢ – وأما المعارضون للسفور فقد رأوا فيها مخالفة للدين ، وخروجا على عادات المجتمع الإسلامي ، وتمهيدا لشرور شتى ، فقال محمد عبد المطلب :

ما هذه الحبرات تمرح في الغلائل والحلل !
[illegible]
أودى [illegible] بكرامة الأم البتول
وانجاب جلباب [illegible] عن وجنة الشيخ الجليل
[illegible] أسفا على الذيل الطويل
لولا [illegible] النقا ب محاسن الوجه الجميل
[illegible] شرع الرسول !

وإذا كان عبد المطلب على حق في إنكاره ما رأى من مظاهر السفور ، فإنه لم يستطع في أبيات أخرى أن يدحض حجة الذين ربطوا الحجاب بمنع الفتاة من التعليم ، واكتفى بمثال عام صور فيه الفتيات بالشموس لا يحجبها ليل ، وبالملك يتخذ عرشه من الأستار :

زعموا الحجاب عن التعـ ـلم [illegible] محتجبات
بنت مصر كالشمس يحجبها الليـ ـل وراء الآفاق والظلمات
وهي في [illegible]
[illegible]
أو هي الملك يتخذ [illegible] منه من وراء الأستار والحجرات

فلما تألقت المرأة في سفورها ، وكشفت عن مفاتنها سخط عليها كثير من الشعراء ، وسألوا ، ربما لا بالسفور ، ولكن بما أجرأتها عليه من عري

وحياة ، تقول على الجندي في فتاة عارية الصدر والظهر والساقين :

قلت يا حسناء هلا الحـ ـسن بالستر لعيني
[illegible] لعيون الناظرين
كان [illegible] في حصـ ـن من الصون حصين
[illegible]
[illegible]
كيف هان الحسن والحسن عزيز لا يهون !
[illegible]
[illegible]
ما على الحسن إلا [illegible] !
[illegible]
[illegible] !
كجمال الروح لا يلمح إلا بالظنون (١)

٣ – على أن الذين دعوا إلى السفور ودافعوا عنه ، والذين تمسكوا بالحجاب وأيدوه ، حاول كل منهم أن يستند إلى الدين في دعوته ودفاعه ، كما رأينا في النصوص السابقة ، وكما نجد في غيرها ، ومثلما نرى في قول الزهاوي :

أسفري فالحجاب يا ابنة فهر هو داء في الاجتماع وخيم
لم يقل بالحجاب في شكله هذا نبي ولا ارتضاه حكيم
هو في الشرع والطبيعة والأذ واق والعقل والضمير ذميم (٢)

وبهذا كان الشعر كعادته منذ القدم سجلا من السجلات التي تصور حال المجتمع ، وما يجري فيه من تيارات ، وما يشتجر به من آراء .

أحمد الحوفي

---

(١) تراتيم الليل ١٧٥
(٢) الزهاوي وديوانه المفقود ١٦٣ هلال ناجي.



- المؤسسة التي حملت على عاتقها مهمة بناء الكويت الحديث
- قصة ٤٠ عاما من العمل الذي غير وجه البلاد

بقلم: [illegible]



■ في وسط مدينة الكويت الحديثة ، وفي قلبها النابض يقوم اليوم مبنى كبير ، أول ما يلفت نظرك اليه ، ضخامته ثم لون طلائه الاخضر ، واخيرا جدرانه العالية التي كسيت واجهتها بالزجاج السميك .

لقد اصبح هذا المبنى الكبير اليوم ، واحدا من ابرز معالم الكويت الحديثة ، ومن اهم مرافقها الحيوية .. انه مبنى بلدية الكويت الذي استغرق بناؤه ثلاث سنوات ، وبلغت تكاليف انشائه وتأثيثه مبلغا يزيد على الثلاثة ملايين دينار كويتي ..

ان موضوع استطلاعنا اليوم ، هو بلدية الكويت : اعمالها ، واوجه نشاطها ، والخدمات التي تؤديها للجمهور ، كيف بدأت والام انتهت اليوم بعد اربعين عاما من تأسيسها ..

مع رئيس البلدية

قصدنا لمقابلة الاستاذ عبد العزيز حسين الذي يتولى اعمال رئيس بلدية الكويت بالاضافة الى مسؤولياته كوزير للدولة لشئون مجلس الوزراء .

وفي مكتبه تحدث الينا الوزير فقال :

انه ليسرني ان ارحب بمندوبي العربي وهم في طريقهم لكتابة استطلاع عن « بلدية الكويت » التي يسعدني ان اتحدث عنها كمواطن كويتي قبل ان اكون مسؤولا عن البلدية ومن اللجنة المركزية التي انيط بها القيام باعمال المجلس البلدي والتي حين انتخاب مجلس بلدي جديد يتولى مسؤولياته وفقا للقانون . حيث ان لبلدية الكويت منزلة خاصة في نفوس ابناء هذا البلد . وهنا لا بد لي من وقفة قصيرة اسجل فيها اعتزازنا وتقديرنا جميعا للآباء والاجداد الذين كان لهم شرف العمل في بلدية الكويت واخص بالذكر اعضاء المجالس البلدية السابقة التي قامت قبل ظهور النفط ، ذلك الجيل الذي استطاع عن طريق التعاون والعمل ، وبالعرق والجهد المتواصل ان يرسم للكويت الطريق نحو المستقبل ، وهو الطريق الذي نسلكه اليوم ، والذي نرجو ان يوصلنا الى ما نتطلع اليه لوطننا من رفعة وتقدم .

ادارة البلدية يشرف عليها مجلس بلدي منتخب يتكون من ١٦ عضوا ، عشرة منهم منتخبون ، يمثل كل منهم دائرة انتخابية ، والستة الباقون تعينهم الدولة بمرسوم ، وينتخب المجلس من بين اعضائه الرئيس ونائب الرئيس ، ولكن نظرا لان المجلس البلدي الجديد لم ينتخب بعد ، فقد تقرر ان تقوم لجنة مركزية من كبار المسؤولين في البلدية باعمال المجلس ، التي يرأسها السيد عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ورئيس البلدية . وفي الصورة الوزير يرأس احد اجتماعات اللجنة المركزية .





حديث جانبي أثناء انعقاد الندوة المركزية بين الوزير السيد عبد العزيز حسين ، والسيد فوزان عبد الله السابق مدير البلدية بالوكالة .. قال الوزير « نحن نخطط لكويت عام ٢٠٠٠ »

« لقد عرفت الكويت الديمقراطية منذ البداية ، ولعل انتخاب أعضاء المجلس البلدي في الثلاثينات خير دليل على ذلك . »

واختتم الوزير حديثه بقوله

« هذه وقفة قصيرة أمام الماضي الذي نعتز به .. أما عن حاضر البلدية فهذا ما نرجو أن تنقلوا صورة صادقة عنه بأنفسكم لقراء « العربي » في كل مكان في الوطن العربي .

« وإن كانت الإمكانيات المادية التي يسرتها الدولة ووضعتها تحت تصرف البلدية قد مكنتها من تحقيق الكثير من مشروعاتها فإن وراء ذلك أيضا جهودا كبيرة وعملا متواصلا قام به المسؤولون من هذا المرفق على مدى السنوات الماضية .. وأما عن المستقبل .. فهذا أهم ما يشغل تفكير أجهزة البلدية في الوقت الحاضر فنحن لا نخطط لكويت اليوم .. وإنما لكويت المستقبل ، الكويت عام ٢٠٠٠ .. وتقوم الدراسات التي تجريها إدارة التخطيط الهيكلي في البلدية على أحدث الأسس العلمية وتعتمد على كفاءات علمية متخصصة على أعلى المستويات .

« إنني لا أريد أن أطيل في الحديث إليكم فكما ذكرتم فإن الحديث عن البلدية وإنجازاتها .. طويل .. » .

أول بلدية من نوعها

ودخلنا المبنى الكبير مع المئات من المواطنين الكويتيين وغير الكويتيين الذين يترددون يوميا على مقر البلدية لمراجعة المسئولين ، فقد كنا على موعد مع المدير العام بالوكالة ، السيد فوزان عبد الله السابق ..

إن بلدية الكويت فريدة في نوعها ، فهي البلدية الوحيدة في العالم التي لا تفرض رسوما أو عوائد مقابل الخدمات التي تؤديها للجمهور . لقد بلغت آخر ميزانية للبلدية مبلغا يزيد على الثمانية ملايين دينار ، هذا إلى جانب الاعتمادات الأخرى التي تخصص للمشروعات التي تقوم البلدية بتنفيذها ، فهذه الاعتمادات جزء من الميزانية الإنشائية الخاصة بالبناء والتعمير للدولة ، كما أن هناك ميزانية خاصة لاستملاك الأراضي التي تدخل في نطاق أعمال التنظيم . وهذه الميزانية الأخيرة تختلف بين سنة وأخرى وتبلغ في المتوسط ٣٠ مليون دينار ، وقد اعتمدت الدولة للبلدية في عام ١٩٥٦ بوجه خاص مبلغ ٢٠٠ مليون دينار لهذا الغرض ، أي أن ميزانية بلدية الكويت ، بعد ظهور النفط ، قد أصبحت كلها تحت بند المصروفات دون أن يكون هناك إيرادات تغطي هذه النفقات ..

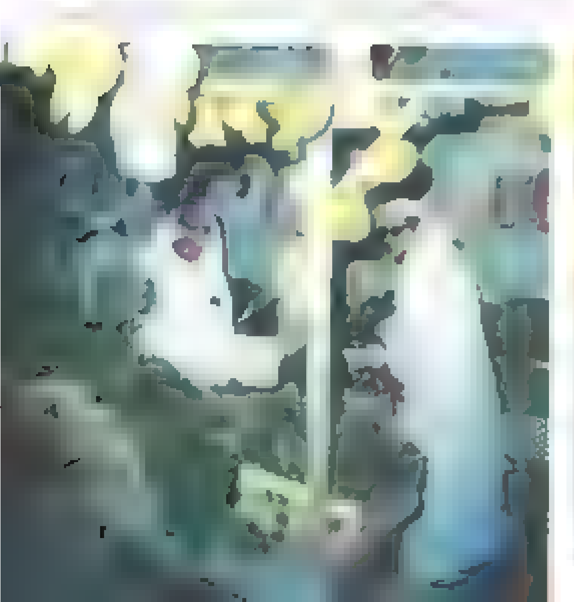
ولقد كان الحال يختلف عن ذلك عند قيام البلدية منذ أربعين عاما ، وقبل ظهور النفط بسنوات ، ولكن ما كاد الخير يعم البلاد ، حتى تغير الحال ، وأصبح دور البلدية أشبه ما يكون بدور الأب الذي ينفق على تربية أبنائه وتعليمهم دون أن ينتظر منهم جزاء ولا شكورا .

قلنا لمدير البلدية : « حدثنا عن هذا العمل الكبير . نريد أن نستمع إلى قصة البلدية والدور الذي قامت وتقوم به من أجل الكويت وشعب الكويت » .

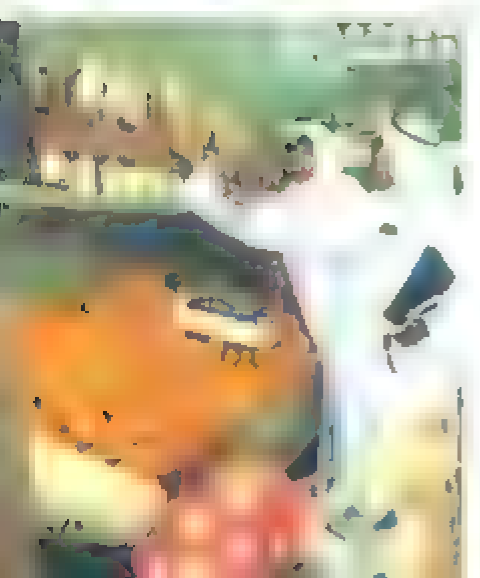
مدير البلدية يتحدث

وتكلم السيد فوزان ، قال : « إنها قصة طويلة ، ولكنني سأحاول أن ألخصها قدر ما أستطيع .. إن قصة بلدية الكويت ، هي قصة الكويت ذاتها .. كويتنا القديمة ، وكويتنا الحديثة .. قصة الماضي والحاضر قصة الطفولة العاثرة ، وقصة الشباب الذي ينبض بالحياة ..

« إن بلدية الكويت هي الروح التي ظلت تنبض













بالحياة وما زالت ، منذ اربعين عاما .. منذ عام ١٩٣٠ حتى يومنا هذا .. انها اول دائرة في الكويت ، وعلى عاتق هذه الدائرة قامت اهم المشاريع الحيوية التي غيرت وجه الكويت القديم .. فقد كان للبلدية في ذلك الوقت كل اختصاصات الحكومة .. كانت البلدية هي الجهة الوحيدة التي تصدر شتى انواع القرارات ذات الصبغة الصحية والاجتماعية والعمرانية وربما غير ذلك » ..

سجل القرارات

وفجأة توقف السيد فوزان عن الحديث ، وكأنه تذكر شيئا ، ثم نظر الينا وقال : « سأطلعكم على نماذج من القرارات التي كان المجلس البلدي يصدرها في الثلاثينيات من هذا القرن ، ودخل مدير مكتبه السيد طالب الطاهر يحمل بين يديه قرارات البلدية منذ اربعين عاما .. كانت مكتوبة بالحبر في دفتر قديم ، اشبه بدفتر اليومية الذي يحتفظ به التاجر الصغير في متجره ..

ووضع مدير البلدية الدفتر امامه وراح يقرأ .

ـ يوم ١٠ اكتوبر من عام ١٩٣٢ ، وكانت قد ظهرت بعض الاصابات بمرض الجدري في الكويت، عقد المجلس البلدي اجتماعا عاجلا واصدر قرارا بجلب المصل الواقي ضد الجدري من مدينة البصرة ، وتعليق الملصقات للحث على التطعيم ، وحصر الوفيات يوميا . فلم تكن في الكويت وقتها صحيفة يومية واحدة .

ـ في نفس هذا العام اتخذ المجلس البلدي قرارا بتكليف مدير البلدية بتعيين ثلاثة انفار يختصون بمراقبة شواطىء الكويت عند قدوم السفن ، وذلك بهدف منع المتسللين من دخول البلاد . ثم قرارا آخر بمنع صيادي السمك الاجانب من صيد السمك من مياه الخليج القريبة من شواطىء الكويت .

في ٣١ اكتوبر من عام ١٩٣٢ ، اصدر المجلس البلدي قرارا بتعيين محل لتجهيز اموات الفقراء المعدمين على حساب البلدية .

ولا يزال هذا القرار معمولا به حتى اليوم ، ولم يعد مقصورا على الفقراء وحدهم ، بل اصبح يشمل جميع المواطنين الكويتيين وغير الكويتيين .

ـ في ابريل من عام ١٩٣٣ ، اجتمع المجلس البلدي ، واصدر قرارا بمنع النساء من التجول في المدينة واسواقها طوال ايام الاعياد ، كما اصدر قرارا آخر بمنع ناجر الحمير للاولاد لكي لا يدخلوا بها في سباق خلال عطلة العيد ! » .

دور البلدية في المجتمع

وقال مدير البلدية : « من هذه النماذج الصغيرة لقرارات المجلس البلدي ترون ان البلدية كانت مسئولة عن كل شيء يتصل بحياة المواطنين في الكويت .. وليس هذا بغريب ، فهذا دور البلدية دائما في المجتمعات الصغيرة ، وقد كنا مجتمعا صغيرا ، كما تعلمون في تلك الحقبة من تاريخ الكويت .. وكذلك كانت دار البلدية نفسها ..



● بلدية الكويت

معاول الهدم تزيل القديم ، فاذا بكل شيء يتغير في دوامة تلك الحركة العمرانية الجارفة التي ما لبثت ان تطورت بسرعة ، فقامت العمارات السكنية الحديثة وشقت الطرقات المعبدة والميادين الفسيحة واذا بهذه الحركة تسجل رقما قياسيا في عملية انشاء المدن الحديثة في الصحراء

لقد كان للبلدية دور قيادي ورائد في تغيير وجه الكويت .



كانت عبارة عن غرفة صغيرة تقع في سوق التجار القديم ، وقد تمت ازالته تماما .. وبعد ان انتقل الى مكان ارحب تقرر انشاء دار خاصة لتكون مقرا للبلدية في عام ١٩٣١ ، وكانت اول دائرة يتم تأسيسها في الكويت للخدمات العامة في عهد المرحوم الشيخ احمد الجابر امير الكويت الراحل . واعتمد المجلس البلدي لهذا المشروع خمسة آلاف روبية اي حوالي (٣٧٥ دينارا كويتيا) .

اول رئيس للبلدية

« وكان اول رئيس لاول مجلس بلدي لمدينة الكويت هو الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، يعاونه ١٢ عضوا تم انتخابهم لعضوية المجلس . وقد بلغت ايرادات البلدية في عامها الاول ٣٠٠٩٨ روبية اي حوالي ٢٢٥٧ دينارا يقابلها مصروفات بلغت ٢٩٩٣٤ روبية اي حوالي ٢٢٤٥ دينارا .

وقال مدير البلدية :

« هذه صورة سريعة لبلدية الكويت منذ اربعين عاما تقريبا ، وهي تعكس صورة الكويت نفسها ، وصورة الحياة في هذه البقعة من الارض العربية .. كانت الكويت مدينة صغيرة تجثم على مقربة من شواطيء الخليج الكويتي ، متماسكة الجوانب لتحمي نفسها من قسوة الطبيعة ، يعمد اهلها

في متاجرهم على التجارة وصيد السمك . والغوص في البحر بحثا عن كنوزه ! كانت مدينة الكويت ، مدينة عربية صحراوية ، باهتة اللون متشابكة الابنية المبنية من الطين لا تزيد مساحتها على ثمانية كيلو مترات مربعة .. كانت اشبه بوحدة سكنية ضخمة .. اما اسواقها فكانتمجتمعة كمخزن كبير ، تحيط به الازقة والطرقات والشوارع الضيقة الصغيرة التي تشكل الطرق الرئيسية فيها ..

« واما ساحاتها فكانت مراكز للاجتماعات العائلية وللصناعات البيئية ، واخيرا للترويح والنزهة .. حياة هادئة ، ولكنها مليئة بالكفاح .. الكفاح من اجل العيش والبحث عن الرزق والماء ، وقد قام فيها تآلف غريب بين الانسان والطبيعة القاسية ، تلك التي تتجلى في الحرارة الشديدة « والطوز »(١) وقلة المياه العذبة !!

« هكذا كانت بلدية الكويت ، وهكذا كانت الكويت قبل ظهور النفط في عام ١٩٤٨ . وكان الله قد اراد ان يعوض هذا الشعب القانع الهادىء الكادح ، ما فاته ، فاذا بالارض الساخنة الطيبة تفجر عما في جوفها من خير .. ويتدفق البترول من ارض الكويت ، وتتدفق معه ملايين الدنانير معلنة نهاية عهد ، وبداية عهد جديد لابناء هذا البلد الصغير الكادح .

صورة الكويت الحديثة

« لقد كان اثر هذا الدخل الكبير على ارض الكويتحالنا ، فقد محا او كاد تلك المعالم الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية للعهد الماضي ، واذا بكل شيء من حوله يدخل في دوامة تلك الحركةالعمرانية الجارفة التي ما لبثت ان تطورت بسرعة ، فاذا بالكويت تصبح بين غمضة عين وانتباهتها بلدا يقع من التحضر مركزا مرموقا ، وقد اصبح له عاصمة هي مدينة الكويت ، واصبح له عدة موانيء حديثة على الخليج ، اهمها ، ذلك الميناء الكبير الذي انشيء في الاحمدي لاستقبال ناقلات النفط العملاقة ، ثم اقاليم ومحافظات ، واحياء نموذجية كاملة متكاملة ، زودت كل منها بشتى انواع المرافق العامة من مدارس ومستشفيات وجمعيات

(١) الطوز : الغبار الذي تحمله الرياح



بيوت ذوي الدخل المحدود ، تلك التي انشأتها البلدية ، وقد بنيت جميعها بنظام واحد ، من صخور الحجر والمسلحة بالتراب ، وقدمتها البلدية لغير الموسرين من الوطنيين والعاملين الكويتيين على أن يسددوا ثمنها أقساطا طويلة الأجل



المهندس حامد شعيب مدير المساعد للشؤون الفنية للبلدية (الى اليسار) يستمع الى شرح يقدمه المهندس محمد الصفاوي مدير ادارة التنظيم بالبلدية ، والمهندس في المخطط يبدي اعجابه ، يقول المهندس حامد : ان هذا المخطط يعتبر من اهم منجزات البلدية حتى الآن .

استهلاكية واسواق وكل ما يحتاج اليه سكان كل حي من هذه الاحياء .

واختتم مدير البلدية حديثه بقوله : « ولقد استطاعت الكويت ان تسجل بذلك رقما قياسيا في عملية انشاء المدن في الصحراء .. وكان دور البلدية في هذا الذي حدث للكويت ، دورا قياديا رائدا منذ اللحظة الاولى ، التي وضع فيها اول مخطط تنظيمي للكويت الحديثة ذلك المخطط الذي امتد بها في قلب الصحراء ، خلف اسوارها القديمة التي ازيلت ولم يبق منها سوى بواباتها التاريخية لتذكر الاجيال الصاعدة بما كانت عليه الحياة ايام ابائهم واجدادهم » ..

هذا العمل الكبير ، كيف استطاعت البلدية في خلال تلك السنوات القصيرة من عمرها ان تحققه .. ماذا فعلت لكي تزيل القديم وتبني مكانه الحديث بمثل هذه السرعة .. كيف تحولت المدينة القديمة القائمة على الخليج الى دولة ذات كيان مستقل لها عاصمتها ومدنها واحياؤها الجميلة .. لقد قدم لنا مدير البلدية الخطوط العريضة، ولكننا نريد ان ندخل في التفاصيل .. وكان لا بد ان نتجه الى المدير المساعد للشئون الفنية المهندس حامد عبد السلام شعيب المسئول عن الادارة الفنية التي تعمل تحت اشرافه ، وهي اربع ادارات : ادارة التنظيم وتشمل الطرق والمشاريع التنظيمية ومعاملات الاهالي ، وادارة البناء ويتبعها قسم تراخيص المباني،وقسم مراقبة المباني،ثم ادارة المساحة ويتبعها اقسام التحديد والمختبر والتحقيق والثلاثي ، واخيرا ادارة التخطيط الهيكلي للكويت ..

قال لنا المهندس حامد عبد السلام شعيب :

« كان على البلدية ان تقدم البلاد مشروعات كثيرة كشق الطرق وانشاء الميادين وبناء الكثير من البيوت استجابة لتكاثر السكان ، ومع البيوت ما تتطلبه من المرافق الى جانب ما يحتاجه العمران من مصانع ومتاجر ومزارع احيانا الى آخر ما هنالك .

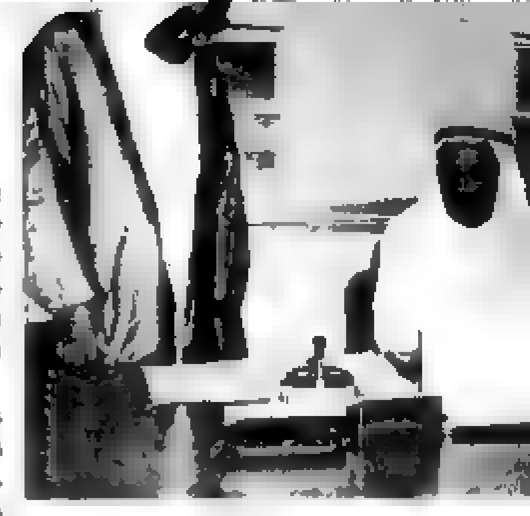
« واحتاجت البلدية من اجل كل هذا الى الارض ، الارض التي تفتح فيها الطرق ويمتد فيها العمران ، وكان هناك نوعان من الارض .. ارض مسكونة مملوكة للاهالي ، وهي القديمة القائمة فعلا ، وارض تخرج من هذه المناطق المسكونة وهي خالية تصنع فيها البلدية ما تشاء . وهي بالطبع المساحات التي تمد اليها البلدية العمران للوفاء بحاجات السنوات المقبلة القادمة .

ثم قال :

« ولكي تقوم البلدية بتوفير الاراضي للمشاريع العمرانية ، الطرق والمدارس والمستشفيات وغيرها من المرافق العامة ، كان لا بد لها ، وعند الدولة المال الوفير ، ان تشتري القديم من المساكن وتزيله وتضع بذلك لنفسها الارض عن طريق شرائها من

موقف للسيارات ، وفي الكويت عشرات من هذه المواقف بعد ان ارتفع عدد السيارات في الكويت الى ما يقرب من ١٥٠ الف سيارة ، لقد كانت عملية تنظيم الكويت،عملية باهظة التكاليف، بعد ان ارتفعت اثمان الاراضي بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، حتى لقد اصبح استملاك مكان لموقف السيارات يتطلب عشرات الالوف من الدنانير وصرفت الدولة مبالغ ضخمة للملاك من المواطنين ، ولكنها كانت وسيلة من وسائل توزيع ثروة البلاد





السيد محمد عمر المورجي مدير المديرية المساعد للشئون الصحية يستمع الى شكوى احد المواطنين .. ان اهمية الملقاة على عاتق السيد عمر والادارات التابعة له مهمة كبرى ، فهو مسئول عن سلامة غذاء المواطنين ومن نظافة الكويت بمدنها وضواحيها .. قال لنا : « يكفي ان تعلموا ان الكويت تستورد ٩٧٪ من المواد الغذائية المستهلكة، لكي تلمسوا ضخامة المسئولية التي تقع على عاتق البلدية لتأمين الغذاء الصحي السليم »

الأهالي ، او كما تقول باستملاكها فتدفع الدولة لهؤلاء الاهالي ثمن هذه المساكن واراضيها . وهكذا بلغت هذا ودفعت لاصحاب هذه المساكن من المواطنين الكويتيين المال الكثير ، الذي لا يتناسب مطلقا مع القيمة القديمة لهذه المساكن والاراضي ، مثال ذلك ان دفعت في المتر المربع من الارض الذي كان لا يزيد ثمنه عن جزء من الدينار ، دفعت في هذا المتر مائة دينار اي اكثر من مائة ضعف .

فئات ثلاث

وقال المهندس حامد : « ان هناك ثلاث فئات من المواطنين تعهدت الدولة بمساعدتهم في بناء السكن الصحي الحديث الملائم لهم ، لكي يتسنى لها تنفيذ مشروعاتها العمرانية في الوقت نفسه » .

« اما الفئة الاولى ، فتشمل هؤلاء الذين يملكون مساكن بالفعل ، بشرط ان يكونوا مقيمين فيها ، وهؤلاء دفعت البلدية لهم ، ومازالت تدفع ، تعويضات عن البناء والارض ، طالما ان مساكنهم تقع في نطاق المناطق المخصصة للمشاريع .

مائة دينار للمتر المربع

وقد دفعت لهم الدولة عن طريق البلدية بسخاء ، ففي بعض الحالات كان ثمن القدم المربع من الارض لا يتجاوز جزءا من الروبية ، بينما دفعت البلدية اضعافا مضاعفة لثمنا له ، حتى لقد بلغ ثمن المتر المربع من تلك الاراضي التي استملكتها الدولة ما يربو على المائة دينار او يزيد ، في بعض الحالات .

« وكان الهدف من وراء هذه السياسة ، ذا شقين ، اولا ، تشجيع المواطن على بيع بيته القديم وارضه ، وتمكينه بالتالي من بناء سكن صحي حديث ، بعد اعطائه القسيمة من قبل البلدية ، وثانيا ، توزيع الدخل القومي على المواطنين في البلاد بهذه الطريقة » .

« اما الفئة الثانية ، فتشمل هؤلاء الذين لا يملكون ارضا او مساكن ، وقد قدمت لهم الحكومة ، ومازالت تقدم ، قروضا من بنك التسليف ، بينما توفر لهم البلدية في الوقت نفسه القسائم التي سيبنون عليها مساكنهم بهذه القروض ، على ان يدفع المنتفع قيمة الارض والقرض على اقساط شهرية بسيطة طويلة الاجل ، وبدون فوائد » .

« واما الفئة الثالثة ، فتشمل ذوي الدخل المحدود ، وقد شيدت لهم الدولة مساكن في المناطق التي عينتها البلدية في مختلف انحاء البلاد ، وهم يقومون بتسديد ثمنها ايضا على اقساط طويلة المدى . على ان هناك حالات خاصة ، يعفى فيها المستفيد من دفع ثمن المسكن الذي اعطى



احدى السيارات الحديثة التي استوردتها البلدية اخيرا ، وهي تقوم بكنس الشوارع وشفط الاتربة ، ورشها بالماء في آن واحد



له ، وتخضع هذه الحالات لظروف الاسرة الاجتماعية » .

اول مخطط هيكلي

وقال المدير المساعد للشئون الفنية ، « لقد تمت هذه التنظيمات ، وما تبعها من شق الطرق واقامة الميادين الفسيحة والحدائق ، وتخصيص المساحات اللازمة من الارض للمرافق العامة وازالة العشيشات وفقا لاول مخطط تنظيمي بدأ تنفيذه في عام ١٩٥٢ على وجه التحديد . وكانت النقاط الرئيسية للمخطط المشار اليه تتألف من طرق متفرعة من الطرق الرئيسية التي تؤدي الى مداخل المدينة وتمتد على محاذاة السور التاريخي الذي يحيط بها ، وكانت نقط تقاطع هذه الطرق ، هي الدوارير ، او « الدوارات » التي نراها اليوم ، وقد صممت المناطق الواقعة بين هذه الطرق بصورة يسمح لها بان تصبح مناطق سكنية في ضواحي المدينة .

« وقد رئي تسهيلا لمهمة البلدية في مواجهة التطور المنتظر ، ان تنقل اختصاصات واعمال التنظيم والمساحة من وزارة الاشغال العامة الى البلدية . وكان ذلك في اواخر عام ١٩٦١ .

« لقد كانت عملية تنظيم الكويت ، عملية باهظة التكاليف استنفدت الكثير من جهود المسئولين ، فقد ارتفعت اثمان الارض بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، كما ذكرنا ، حتى لقد اصبح استملاك مكان لوقوف السيارات مثلا يتطلب عشرات الالوف من الدنانير . ولكن عملية التثمين ظلت تؤدي دورها على الوجه الاكمل ، وصرفت مبالغ ضخمة للملاك من المواطنين الذين استملكت الدولة اراضيهم ، ولكنها كما فهمنا ، كانت وسيلة من وسائل توزيع ثروة البلاد من دخل البترول على المواطنين .

المخطط الجديد للكويت

وختم المهندس حامد حديثه بقوله : « الا ان التطور لم يقف ، والنمو السكاني ما زال في ازدياد وارتفاع . مما ضاعف من مسئوليات ادارة التنظيم لتوسيع المخطط الاساسي واعداد الاراضي لبناء المزيد من المرافق الحيوية . ومن هنا كان لا بد من وضع مخطط هيكلي عمراني جديد لاعادة تنظيم الكويت ، بحيث يضع في اعتباره الزيادة المتوقعة في السكان خلال العشرين عاما المقبلة ..

وقد وضع هذا المخطط بالفعل ، وكان هذا في رأيي هو اهم انجازات البلدية .. (اقرأ العدد ١٤٨ من العربي) » .

ان عملية البناء واعادة البناء في الكويت عملية فريدة من نوعها .. ولكن هل هذه هي كل منجزات البلدية ؟

غذاء المواطنين

قال لنا السيد محمد صقر المويزري ، المدير المساعد للشئون الصحية : « ان خدمات البلدية لا تقف عند حد التنظيم ومراقبة اعمال البناء وتشييد الضواحي السكنية الحديثة وتخطيط المدن وتقرير الشوارع والطرقات والحدائق فحسب ، انما هي تمتد الى ابعد من ذلك بكثير ، فهي تتدخل في غذاء المواطنين ، فغذاء الانسان وسيلة من الوسائل التي تحفظ له الحياة ، والآن فان هذا الغذاء لا يمكن ان يقوم بدوره كاملا الا اذا كان صحيا وسليما من الامراض . ومهمة البلدية هي ان تتحقق عن طريق اجهزتها من سلامة المواد الغذائية ، ومدى صلاحية المعروض والمستورد منها ، ونحن اذا علمنا بعض الاخبار ان الكويت تستورد ٩٧٪ من المواد الغذائية من الدول العربية الشقيقة ومن الخارج ، امكن لنا ان نقدر الجهد الذي تبذله البلدية في سبيل المحافظة على صحة المواطنين ورفاهيتهم .

« اما بالنسبة للخضر والفواكه ، فهي تصل الى الكويت في شاحنات ضخمة مكيفة الهواء ، الى مراكز الجمارك على الحدود ، حيث يرافق احد رجال حرس الحدود قافلتها حتى تصل الى السوق المركزي للخضر والفاكهة بمنطقة الشويخ .

« وفي هذا السوق يتولى رجال مكتب الجمارك ومكتب البلدية مراقبة تفريغ حمولة الشاحنة ، ويقوم هذا الاخير بمهمة التفتيش على الفواكه والخضراوات ، وفحصها بدقة وعناية ، للتأكد من سلامتها وخلوها من الآفات وصلاحيتها للاستهلاك ، واخيرا مدى مطابقتها للمواصفات المقررة من حيث الحجم والعدد والجودة .

« فاذا انتهى رجال البلدية من كل هذه الاجراءات ، سمحوا بنقلها الى مختلف اقسام السوق ، التي خصص البعض منها للخضر ، والآخر للفواكه ، حيث تعرض السلع المستوردة للبيع بالجملة على تجار التجزئة الذين يبيعونها بدورهم للجمهور .

مسئولية كبرى

وقال السيد محمد صقر : « يكفي ان اذكر لكم ان متوسط ما يرد يوميا من الخضر والفاكهة الى الكويت يتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ طن ، لكي تلمسوا المسئولية الكبرى الواقعة على رجال البلدية ، لتأمين صحة المواطنين .

« اما بالنسبة للمعلبات ، والمواد الغذائية الاخرى المحفوظة او المثلجة ، فهذه تصل بطريق البحر ، ولو ان جانبا كبيرا منها يصل عن طريق بيروت والعراق .

« بقيت اللحوم ، فلها الغذاء الاساسي للانسان ، ومورد اللحوم التي تصل الى البلاد متعددة ، وهي تستورد حية او مذبوحة طازجة او مثلجة . والدول المصدرة للحوم الحية هي الدول العربية الشقيقة والصومال وتركيا وايران . اما اللحوم المذبوحة فتصل من تركيا ايضا ومن بلغاريا ورومانيا والهند وباكستان وغيرها ، وهي تخضع كلها لرقابة صحية دقيقة » .

الرقابة مستمرة في الاسواق

وختم المدير المساعد للبلدية حديثه معنا بقوله :

« يجب ان تتذكروا دائما ان مهمة البلدية لا تنتهي عند عرض المواد الغذائية في الاسواق بعد التأكد من سلامتها وصلاحيتها للاستهلاك . وانما هي تبدأ مرة اخرى لضمان بقاء هذه الاغذية صالحة دائما للاستهلاك وذلك عن طريق تلك الحملات المفاجئة والمستمرة التي يقوم بها مفتشو الصحة وملاحظو الاغذية بالبلدية على محال بيع وتخزين المواد الغذائية ومعامل الحلوى والالبان وغيرها لاعدام التالف منها ومعاقبة المخالفين والمتهاونين في نظافة محالهم » .

وقال السيد محمد صقر : « لقد حددت لكم موعدا مع الطبيب البيطري المسئول عن المسلخ المركزي في الكويت ، التابع للبلدية ، ليشرح لكم الدور الذي يقوم به للتأكد من سلامة الحيوانات التي تعد للذبح ، قبل عرضها في الاسواق للاستهلاك » .

.. وحديث آخر عن رسالة العربي

ثم قال : « ستنشرون هذا الموضوع في مجلة العربي ، أليس كذلك ؟ » .

قلنا : « نعم » .



التفتيش على الشهادات الصحية من مهمة البلدية لعمال المشتغلين في بيع المواد الغذائية وتداولها ، من مسؤوليات المراقبين على الشؤون الصحية بالبلدية . ولا تصرف هذه الشهادات الا بعد التأكد من سلامة هؤلاء العمال وخلوهم من الامراض



لحوم فاسدة ، ضبطت اثناء احدى الحملات التفتيشية التي يقوم بها مفتشو الصحة التابعون للبلدية ، وقد تحدث احد المفتشين الى رئيس قسم الاغذية بالبلدية السيد عبد الوهاب الفوزان عن ... محضرا ... التي ستنظر في امرها ... المخالفات ... الحل ...



مقر ادارة الاطفاء ، وتحتل الادارة الآن هذا المقر المؤقت وهو يقع في شارع السور ، وقد وقع الاختيار على موقع آخر لادارة الاطفاء بالقرب من مجلس الامة الحالي الى جوار مبنى البلدية وتقوم وزارة الاشغال الكويتية حاليا باعداد تصميم المبنى الجديد . اما المقر الحالي للاطفاء فسوف يزال ويشيد في مكانه المجمع السكني للاذاعة والتلفزيون

قال : « انني من قراء العربي ، ومن المعجبين بها . في هناك قصة اريد ان ارويها لكم . لعلكم تجدون فيها المعنى الكبير للدور الذي تقوم به العربي في العالم العربي .. » كان احد الخبراء من السودان الشقيق يزور الكويت . وكنا – هو وانا – في طريقنا بالسيارة في صبيحة اول يوم من ايام زيارته الى مكتبي بالبلدية وما كدنا نقترب من المبنى ، حتى التفت الى صاحبي وقال : « وهذا هو مبنى البلدية الكبير . اليس كذلك ؟ »

واجبته على الفور : « هذا صحيح . ولكن قل لي ، متى زرت الكويت قبل ذلك ؟ » .

قال : « هذه اول زيارة لي ! » .

وعدت اسأله : « ولكن كيف عرفت ان هذا هو مبنى البلدية ؟ » .

فضحك وقال : « الا تعرف اننا قد راينا الكويت ومعالم نهضتها من خلال قراءتنا لمجلتنا المحبوبة العربي .. لقد رايت صورة مبنى البلدية في احد استطلاعات العربي عن الكويت ، قبل زيارتي بشهور طويلة ! » .

مع طبيب المسلخ المركزي

والتقينا بالدكتور صدقي الصموري ، طبيب المسلخ المركزي بالكويت ، فقلنا نسأله : « حدثنا عن الامراض التي تصيب الحيوانات التي تعد للذبح ، وعن الاجراءات التي تتخذونها للتأكد من خلوها من هذه الامراض ؟ » .

قال : « ان الكشف يتم على الحيوانات الحية مرتين . في المرة الاولى يتولى قسم البيطرة التابع لوزارة الاشغال ، مهمة الكشف على جميع انواع الحيوانات من ابقار واغنام وماعز وابل ، وذلك فور وصولها ، وقبل السماح ببيعها في اسواق بيع الحيوانات الحية في الكويت .

« اما عملية الكشف الطبي الثانية فتتم عند وصول هذه الحيوانات الى المسلخ المركزي وتجميعها في حظائر خاصة ، توطئة لاعدادها للذبح .

امراض الحيوانات

« واهم الامراض المعروفة التي نعنى دائما بالتأكد من خلو الحيوانات منها ، والتي يمكن ان تنتقل بطريق العدوى الى الانسان ، هي السل والجمرة الخبيثة Anthrax ، وهذا المرض الاخير يصيب الابقار والاغنام على السواء ، وكذلك مرض الحمى القلاعية oot & Mouth Disease في الابقار ، وهو ينتقل الى الانسان عن طريق الحليب ، ومرض جدري البقر ، والطاعون البقري واخيرا حالات التسمم التي تصاب بها الحيوانات في بعض الاحيان والسعر والرعاش .

« واود ان اضيف هنا ، ان لكل هذه الامراض، اعراضا ظاهرة لا تخفى على الطبيب البيطري . فلا يكاد يشتبه باي مرض من هذه الامراض حتى يأمر بعزل الحيوان المصاب به فورا ، ثم تدخل الحيوانات السليمة الى صالة الذبح ، حيث تتم عملية ذبحها . اما الحيوانات المشتبه فيها فتذبح في غرفة عزل خاصة ، ثم تبدأ بعد ذلك عملية

الكشف على الحيوانات المذبوحة كلها ، سواء السليم منها او المشتبه في اصابته باحد الامراض التي ذكرناها . واهم الامراض التي يبحث عنها الطبيب البيطري بعد الذبح هي الدودة الشريطية ودودة اخرى اسمها الدودة الشريطية القنفذية Echinococcus Granulosus او « دودة العطش » كما يسميها العامة . فهم يقولون انها تصيب الاغنام والماعز فلا ترتوي من بعد عطش شديد ! واخيرا الدودة الكبدية ، وهي التي تستقر في الكبد » .

رقابة على اللحوم المستوردة

ومضى الدكتور حموري يقول : « على ان الرقابة الصحية لا تقتصر على اللحوم التي تذبح في الكويت وحدها ، بل تشمل ايضا اللحوم الاخرى المستوردة سواء كانت طازجة ام مجمدة ، فهذه كلها يعاد الكشف الطبي عليها ، وهي تصل بالطائرات او السيارات المثلجة من البلاد التي تصدر الينا اللحوم » .

ويكمل رئيس قسم الاغذية بالبلدية عبدالوهاب المطوع الحديث عن الدور الذي يقوم به مفتشو البلدية للتأكد من دوام صلاحية المعروض من اللحوم والمواد الغذائية للاستهلاك يقول : « ان اهم ما يعنى به المفتشون والمراقبون ، هو ضبط اللحوم المدسوسة ، اي التي لم تذبح في المسلخ ، او اللحوم التي فسدت عند الجزار ، ولم يقم باتلافها ، وكذلك منع خلط انواع مختلفة من اللحوم عند فرمها ، او فرم اللحم قبل بيعه للجمهور !

الشهادات الصحية

« ثم هناك التفتيش بعد ذلك على الشهادات الصحية التي لا بد لكل عامل يرغب في الاشتغال في بيع وتداول المواد الغذائية ، من ان يحصل عليها عن طريق البلدية ، وهذه الشهادة تعرف للعامل بعد الكشف عليه كشفا دقيقا تحت اشراف وزارة الصحة في المستشفيات المختصة لشتى انواع الفحوص الطبية ، وبعد التأكد من سلامته صحيا مائة في المائة .

هذه صورة سريعة للرسالة التي حملت بلدية الكويت لواءها منذ اكثر من اربعين عاما ..

ان دور البلدية ، دور كبير ، وقد فاتنا ونحن نعرض بعض جوانبه الكثير من الحقائق والارقام ، وسنكتفي بذكر البعض منها في سطور ، لعلنا نستطيع بذلك ان نستكمل اطار هذه الصورة الكبيرة .

البلدية في سطور

● شيد مبنى البلدية الحديث فوق مساحة من الارض تزيد على ١٧٫٠٠٠ متر مربع .

● يتألف مبنى البلدية من ثلاثة مبان ، مبنى رئيسي في الوسط ، يتألف من خمسة طوابق ، ثم جناحين يتألف كل منهما من ثلاثة طوابق ، ويقعان على جانبي المبنى الرئيسي ، ولو ان احد هذين الجناحين ، وهو الجناح الايسر ، الذي يضم قاعات الاجتماعات للمجلس البلدي ، قد خصص مؤقتا لمجلس الامة ، حتى ينتهي العمل في بناء مجلس الامة الجديد .

● يبلغ عدد موظفي ومستخدمي وعمال البلدية حاليا ٨ آلاف .

● استوردت البلدية اخيرا ثماني سيارات حديثة تقوم بكنس الشوارع وشفط الاتربة والقاذورات ، ثم رشها بالماء في آن واحد .

هذا الى جانب مئات السيارات الضخمة التي تقوم بجمع القمامة ، وكبسها ونقلها الى مراكز التفريغ ، ثم حرقها خارج المدن ، وذلك حتى يتم افتتاح مصنع تحويل النفايات الى اسمدة ، وهو المصنع الذي يجري العمل في بنائه حاليا .

ادارة الاطفاء

تتبع ادارة الاطفاء العام بلدية الكويت ، ويتولى ادارتها العقيد علي عبد الرزاق المطوع ويعمل في الاطفاء الآن ما يزيد على ٩٠٠ ضابط وجندي اطفاء ، تلقى بعضهم تدريباتهم في انجلترا ، وهم موزعون على وحدات مراكز الاطفاء في الكويت وضواحيها ، وعددها اثنا عشر مركزا . ومعظم جنود الاطفاء من ابناء الكويت ، بما في ذلك المتخصصون الذين يعملون في الاجهزة الفنية وفي صيانة معدات الاطفاء . وتملك ادارة الاطفاء في الكويت ٢٥ سيارة اطفاء حديثة موزعة على كافة تلك المراكز . هذا الى جانب صهاريج الاطفاء التي تنقل المياه الى مواقع الحرائق وعددها ٤٨ صهريجا ، وذلك حتى ينتهي العمل في مد شبكة الماء . بالاضافة الى عدد من السيارات الصغيرة والقوارب السريعة ..

■■

منير نصيف

عوني عبد الهادي

١٨٨٩ – ١٩٧٠

■ أحد مؤسسي جمعية "العربية الفتاة" تلك الجمعية الشهيرة التي حاولت تحرير العرب من الحكم العثماني .

■ من أوائل المناضلين ، عايش كل أحداث الشرق الأوسط منذ أول القرن إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وتقسيم فلسطين .

بقلم : سليمان موسى

● علم من أعلام الحركة القومية الحديثة في بلاد العرب وركن من أركانها، تتمثل في مسيرة حياته صفحة حافلة من [illegible]

الرصاص ، فعاش حتى لقي ربه يصدق فيهم جميعا الآية الكريمة « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

ذلك هو عوني عبد الهادي ، ابن العروبة البار (لم يكن يحب الاكتفاء بالقول انه ابن فلسطين فحسب) ، الذي طوحت به أيدي الغزوة الصهيونية بعيدا عن مسقط رأسه ، فعاش منذ النكبة الأولى ـ نكبة ١٩٤٨ ـ فترة في دمشق وفترة في عمان ، ثم استقرت به عصا الترحال



في مدينة القاهرة ، الى ان توفي ودفن فيها بعيدا عن الربوع الغالية التي نشأ فيها وسعى من اجلها ما وسعه السعي والجهد .

نشأته

ولد عوني في مدينة نابلس سنة ١٨٨٩ ونشأ فيها . واسرة عبد الهادي من الاسر المعروفة في فلسطين ، فقد كانت تملك المقاطعات الواسعة وراء ربوعها وتتمتع بنفوذ وسطوة وجاه في منطقة نابلس . ولذلك اتيح لعوني من سعة العيش ما لم يكن يتاح حينذاك الا للقلة القليلة من الناس في بلاد العرب . وكان ابوه عبد الهادي متضلعا يتذوق الادب ويقرض الشعر ويكثر من مطالعة الكتب ، وكان الى ذلك موظفا في سلك القضاء العثماني . وقد تنقلت الوظيفة بابيه بين نابلس وبيروت فتلقى عوني تعليم المرحلتين الابتدائية والاعدادية في هاتين المدينتين . ومما يرويه في ان المعلم الذي كان يدرسه اللغة العربية في نابلس كان رجلا تركيا لا يعرف العربية . وكان عوني وزملاؤه في الصف يدرسون اللغة العربية في كتاب يسمى (التهذيب) على يد ذلك المعلم الذي كان يعلم العربية ويعرف بها دون ان يعرفها . والعلاقة الوحيدة بين المعلم وطلابه ان اللغة التركية كانت حينذاك تكتب بالحروف العربية (الى ان استبدل مصطفى كمال الحروف العربية بحروف لاتينية) . وكانت تلك المفارقة العجيبة من جملة البواعث التي اثارت سخط العرب على سياسة الاتراك العثمانيين ، اذ تبادر الى اذهانهم ان الاتراك يريدون القضاء على اللغة العربية التي هي من اهم مقومات القومية العربية .

عندما انهى عوني دراسته الاعدادية (كانت تسمى الرشدية يومئذ) ارسله ابوه عام ١٩٠٧ الى استانبول عاصمة الامبراطورية العثمانية ، اذ لم تكن في نابلس مدرسة ثانوية في ذلك العهد . وبعد ان امضى سنتين في مدرسة (مرجان) الثانوية التحق بمدرسة اعلى تسمى (المكتب الملكي) . وهذه المدرسة لم تكن تستوعب سوى اربعين طالبا يدخلونها بعد اداء الامتحان ، وكانت تعد الطلاب لتولي الوظائف الحكومية . وفي هذه المدرسة زوده احد اساتذته بنصيحة ظل يذكرها حتى آخر عمره « اذا اردت ان تكون رجلا ناجحا ، فكن مرحا منطلقا مع اصدقائك وخلطائك ، ولكن كن جادا صارما مع نفسك عندما تكون وحدك ، فلا تضع دقيقة واحدة من وقتك سدى » .

الانقلاب العثماني

في سنة ١٩٠٨ وقع الانقلاب العثماني الذي قام به الشبان الاتراك ، واعيد العمل بالدستور . وابتهج الناس ابتهاجا لا مثيل له بالعهد الجديد ، لا فرق في ذلك بين اتراك وعرب وارمن والناس . وتبادر الى اذهان القوم انهم تخلصوا من استبداد السلاطين وحكمهم المطلق ، وان مبادىء الحرية والعدالة والمساواة ستشمل بخيرها الجميع . وقد اثر هذا الحدث التاريخي في المتنورين العرب من ناحيتين (١) ان الزعماء الانقلابيين اخضعوا بنقمتهم بعض العرب الذين كانوا يحيطون بالسلطان فاطلقوا يوجهون اليهم الاتهامات ليس بصفتهم الشخصية بل بصفتهم عربا (٢) ان نجاح اولئك الشبان من منتسبي جمعية تركيا الفتاة في ارغام السلطان عبد الحميد على اعادة الدستور ، قدم نموذجا بطوليا رائعا للشبان العرب الذين كانوا يتمنون لو تتاح لهم فرصة مماثلة يرفعون بها من شأن وطنهم وابناء قومهم .

العربية الفتاة

هذان العاملان كانا وراء التفكير بانشاء جمعية (العربية الفتاة) . وكانت فكرة انشاء الجمعية قد تمت اول ما نبتت في اذهان ثلاثة من الشبان العرب الذين كانوا يتلقون العلم في استانبول عام ١٩٠٨ وهم رستم حيدر واحمد قدري وعوني عبد الهادي .

ولكن فكرة انشاء الجمعية لم تخرج الى حيز العمل الا بعد ذلك بثلاثة اعوام . فقد انتقل عوني وزميلاه الى باريس لمواصلة تعليمهم . وهناك تم انشاء الجمعية فعلا سنة ١٩١١ بالاشتراك مع عدد آخر من الشبان نذكر منهم : عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني ورفيق التميمي وتوفيق الناطور .

والواقع ان نشاط عوني القومي بدأ بانتسابه الى (المنتدى الادبي) في استانبول ، الذي انشأه العرب بعيد الانقلاب العثماني ليكون ملتقى لهم يجتمعون فيه . وكان لذلك المنتدى شأن كبير في توحيد كلمة العرب في العاصمة العثمانية وفي لم شملهم وبث الروح القومية بينهم .

في باريس

عندما وصل عوني الى باريس عام ١٩١٠ لم يكن يعرف اللغة الفرنسية معرفة تؤهله للالتحاق بالجامعة . لذلك التحق بمدرسة (سانت لوي) وانكب على الدراسة والتحدث الى الفرنسيين حتى استطاع في بضع اشهر قليلة ان يتقن الفرنسية اتقانا يمكنه من استيعاب المحاضرات ، فالتحق بكلية الحقوق في جامعة باريس وظل مواظبا على دراسته حتى صيف ١٩١٤ عندما حصل على شهادة التخرج وكان اسمه بين اسماء المتفوقين الذين حملتهم لوحة الشرف في مدخل الجامعة يومذاك .

مؤتمر الفتاة في باريس

وكان العمل الكبير الذي قام به اعضاء (الفتاة) في باريس ، انهم دعوا الى عقد مؤتمر عربي عام ينشرون افكارهم عن طريقه . وبما ان القضية العربية لم تكن معروفة في اوروبا ، فقد اراد الداعون الى عقد المؤتمر ان يطلعوا الرأي العام في اوروبا ، والحكومات الاوروبية كذلك ، على ان للعرب قضية خاصة بهم . وكان الهدف البعيد الذي يهدفون اليه نقل القضية العربية من النطاق المحلي العثماني الى النطاق الدولي وبث الوعي القومي في بلاد العرب ، والضغط على الحكومة العثمانية كي تستجيب لمطالب الاصلاحيين العرب .

كان عوني عضوا في اللجنة التحضيرية التي دعت الى عقد المؤتمر . ووجدت الدعوة استجابة وتحبيذا ، فعقد المؤتمر جلسته الاولى يوم ١٨ حزيران ١٩١٣ في قاعة الجمعية الجغرافية في باريس ، وحضره ممثلون بارزون من الاصلاحيين العرب في سورية الطبيعية والعراق وبلاد المهجر في الامريكتين واوروبا . ورافقت عقد المؤتمر ضجة واسعة ، اضطرت جمعية الاتحاد والترقي صاحبة الامر والنهي في الدولة العثمانية ان ترسل احد سرها الى باريس ، لمفاوضة زعماء المؤتمر والتفاهم معهم وقد ادى كل ذلك الى عقد اتفاقية بين الحكومة العثمانية والاصلاحيين العرب ، استجاب فيها الاتراك الى جانب مهم من المطالب العربية .

في باريس في الحرب العالمية الاولى

وبينما كان عوني يستعد لمغادرة فرنسا والعودة الى ارض الوطن ، نشبت نيران الحرب العالمية الاولى واشتركت فرنسا فيها ، فالتزم هو وصديقه جميل مردم ان يتأخرا بعض الوقت في باريس ، لكي يشاهدا عن كثب ما سيجري في تلك الحرب . (هذا قول عوني في مذكراته المخطوطة) . وقد امتلأت نفس عوني بالاعجاب لحماسة الشبان الفرنسيين وهم يهرعون للالتحاق بصفوف الجيش، وكان بعض الشبان يذهبون الى الدوائر العسكرية المختصة لكي يستفسروا عن سبب تأخر دعوتهم للالتحاق بالجيش . وسرعان ما اصبح من النادر رؤية شاب بملابس مدنية في شوارع باريس ، حتى اخذ عوني وجميل مردم يسيران في الشوارع على استحياء ، لان العيون — وخاصة عيون النساء — كانت ترشق الشبان المدنيين بنظرات الاستغراب والريبة .

تركيا تدخل الحرب ، وتحمي السوريين

ولكن عوني فوجيء ذات يوم بما لم يكن في الحسبان ، الا ان الدولة العثمانية التي كان يحمل جنسيتها لم تلبث ان دخلت في الحرب الى جانب المانيا ، فاصبح من المتعذر عليه ان يعود الى بلاده ، بل اصبح من المحتمل ان يزج به في معسكرات الاعتقال المخصصة لابناء الدول المعادية. وكم كان عجبه وعجب صديقه جميل مردم عندما علما ان فرنسا زجت بالاتراك في المعتقلات وفرضت لرعاياها السوريين احرارا في حدود مدينة باريس . (كان ذلك ناشئا من طمع فرنسا في الاستيلاء على سورية بعد الحرب) .

وقضى عوني سنوات الحرب الاربع في باريس في حالة ضنك ، اذ انقطعت عنه الموارد المالية من اهله . وفي بادىء الامر احتضنته العائلة الفرنسية التي كان يقيم معها ، ثم وجد عملا في مدرسة (سان لوي) ذاتها . وقد ابدى في مذكراته اعجابه البالغ بتشدد الفرنسيين في قضايا التعليم . فالمعلمون يسكبون اهتماما بعيدا على التحصيل الكامل والرصيد الاخلاقي ، ويتنقل الطلاب في المدارس بشكل متناهية حتى ليطرد اغلبهم لاقل هفوة يرتكبها ولا سيما اذا كان مقصرا « وحجتهم في ذلك ان في فرنسا مئات الآلاف من الطلاب ، فليذهب منهم الف او الفان ليكونوا عبرة لغيرهم .. ولا فرق في هذا بين ابن الوزير او ابن العامل الحقير » . اما التشدد في اختيار اساتذة الجامعات وفي ترقية الاستاذ المساعد الى رتبة استاذ ، فيبلغ عندهم اقصى الحدود .

وانتقل عوني للتعليم في مدرسة اخرى ، ثم عمل في أحد المصارف ، وبعدها عمل نحو ثلاثة اشهر محررا لجريدة (المستقبل) التي كانت تصدر باللغة العربية ثم استقال منها بعد ان تبين له انها ليست سوى اداة دعاية لوزارة الخارجية الفرنسية . وكان ذلك عندما رفض نشر مقالة تمتدح اسلوب الحكم الفرنسي في الجزائر وتونس وتقول ان العرب يرحبون لو ان فرنسا تحكم سورية بالاسلوب ذاته . وترجم كتابا من التركية الى الفرنسية . وممن عرفهم في تلك الفترة الكاتب اللبناني شكري غانم مؤلف مسرحية عنترة (مثلت على مسارح باريس) والشيخ يوسف الخازن اللبناني المثقف .

وانتهت الحرب ، وعلم عوني بأن ابن عمه سليم عبد الهادي كان واحدا من الاحرار العرب الذين اعدمهم جمال باشا (١) كما علم باعدام الكثيرين من احرار العرب وبينهم بعض اعضاء في (العربية الفتاة) .

عوني يلتقي بفيصل بن الحسين في باريس

وبقي عوني في باريس يفكر في وسيلة يتمكن بواسطتها من العودة الى بلاده ، حتى طرق باب غرفته ذات يوم من ايام كانون الاول ١٩١٨ صديقه الدكتور احمد قدري ، فكان ذلك مفاجأة مذهلة . كان احمد قدري قد جاء مع فيصل بن الحسين لتمثيل العرب في مؤتمر السلم في باريس ، وكان اول ما فعله انه بادر للبحث عن عوني . ومضى عوني مع احمد قدري الى الفندق الذي كان فيصل يقيم فيه ، وهناك التقى برفاقه رستم حيدر وفائز الغصين (من اعضاء الفتاة) ونوري السعيد (من اعضاء العهد) . وضمه فيصل الى اعضاء وفده ، وبذلك فتحت امام عوني ابواب العمل من جديد في سبيل قومه ووطنه .

كان الوفد العربي الذي مثل العرب في مؤتمر السلم بباريس اول هيئة عربية رسمية تعترف بها الدول الكبرى في العصور الحديثة ، ذلك ان دول الحلفاء اعترفت للعرب بحقوق المحاربين . وعندما عرض فيصل مطالب العرب امام المؤتمر يوم ٦ شباط ١٩١٩ كان عوني الى جانبه . واشترك عوني مع فيصل في معظم المباحثات السياسية التي اجراها الوفد العربي مع ساسة بريطانيا وفرنسا والولايات الامريكية المتحدة ، وكان لاجادته اللغة الفرنسية واطلاعه على الاتجاهات السياسية في اوروبا ، اثر كبير في كل ذلك . وفي ربيع ١٩١٩ عندما عاد فيصل الى سورية لاستقبال لجنة كنج – كرين ، اصبح عوني الممثل الثاني للعرب في مؤتمر السلم (٢) .

مؤتمر السلم يقسم البلاد العربيه بين انجلترا وفرنسا

علق العرب آمالهم على مؤتمر السلم وعلى شرف دول الحلفاء الكبرى ، وبخاصة بريطانيا التي قطعت لهم العهود والمواثيق ، وامريكا التي اعلن رئيسها وودرو ولسون نقاطه الاربع عشرة واهمها النقطة التي تنص على حق الشعوب في تقرير مصيرها . ولكن فرنسا كانت مصرة على فرض سيطرتها على سورية ، بينما كانت بريطانيا مصرة على حكم العراق وفلسطين . وظل لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا وكليمنصو رئيس وزراء فرنسا يحاوران الرئيس ولسون ويناورانه حتى تخلى عن مبادئه المثالية . ولم تلبث الولايات المتحدة ان عادت الى سياسة العزلة ، فخلا الميدان السياسي لبريطانيا وفرنسا ، وكان ما كان من اتفاقهما على تقسيم البلاد العربية بينهما طبقا لاتفاقية سايكس – بيكو السرية .

يذكر عوني انه ذهب ونوري السعيد ذات يوم لمقابلة المستر بولك (الذي ترأس الوفد الامريكي بعد عودة الرئيس ولسون الى بلاده) . واثناء المقابلة قال لبولك :

– ترى ألا تعملون على نجدة بلادنا ؟ اذا لم

---

١ – هو والد السيدة طرب زوجة المرحوم عوني وكانت طفلة عندما سيق ابوها الى المشنقة في بيروت يوم ٢١ آب ١٩١٥ مع رعيل الدفعة الاولى من الشهداء . وكانت تهمة سليم عبد الهادي انتماءه الى حزب اللامركزية العثماني .

٢ – [illegible] العرب في مؤتمر السلم عبد الامير فيصل ورستم حيدر ، وعند عودته [illegible] اصبح الممثلون : رستم حيدر وعوني عبد الهادي وعندما عرض فيصل مطالب العرب [illegible] كان الى جانبه رستم حيدر وعوني عبد الهادي ونوري السعيد

يكن بد من الانتداب فليكن ذلك بيد دولة واحدة لحفظ وحدة العرب .

وكان جواب بولك انه وقف تجاه خارطة كبيرة لبلاد العرب ، واشار اولاً الى فلسطين وقال : بريطانيا مصممة ان تاتي الى هنا . ثم اشار الى سورية ولبنان قائلا : وفرنسا مصممة على المجيء الى هنا ، ولو ادى الامر الى الحرب .

امريكا تاخذ ٢٥٪ في اسهم نفط الموصل وترضى عن التقسيم

كانت سياسة القوة والاستعمار هي السياسة التي تم تنفيذها وتم وضع التسويات الدولية على اساسها . وتراجعت السياسة الامريكية خطوة بعد خطوة ثم رضيت بما قررته بريطانيا وفرنسا بعد ان منحتاها ٢٥٪ من اسهم نفط الموصل . وهكذا كان القول الفصل للمصالح النفطية وليس لمبدأ تقرير المصير .

عوني في سورية

في اوائل ١٩٢٠ عاد عوني مع فيصل الى سورية واخذ يعمل امين سر خاصا له ، وتولى وزارة الخارجية بالنيابة بعد اعلان سورية استقلالها (٨ آذار ١٩٢٠) . وبقي في دمشق حتى كانت معركة ميسلون في اواخر تموز ، فغادر فيصل سورية بعد انذار الفرنسيين له ، وقضى اسبوعين في حيفا ثم ابحر الى اوروبا لمتابعة العمل السياسي . اما عوني فقد مضى في القاهرة هو وشكري القوتلي وعدد من الزعماء ينتظرون ويترقبون تطورات الاحداث .

عوني بين الامير عبد الله وآرائه شرق الاردن

لم تمض سوى اسابيع قليلة حتى جاءت الانباء الى مصر بوصول الامير عبد الله بن الحسين الى بلدة معان (في الجهة الجنوبية من شرقي الاردن) وبانه ينوي مقاتلة الفرنسيين اذا توافرت اسباب القوة له . وقرر عوني ان يذهب الى معان ليدرس الوضع عن كثب . وغادر القاهرة الى القدس حيث اجتمع بالسير هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني ، وابلغه انه ينوي السفر الى معان . وطلب صموئيل من عوني ان ينصح الامير بالعودة الى الحجاز ، او على الاقل ان لا يعمد الى مهاجمة الفرنسيين من اراض تديرها بريطانيا تحت انتدابها .

ومضى عوني الى معان هو وامين التميمي ، وهناك وجد الامير عبد الله في حيرة من امره ، فهو من جهة لا يملك القوة الكافية لمهاجمة الفرنسيين ، ومن جهة اخرى لم يجد في سورية الاستجابة الضرورية لدعوته الى الثورة في وجه الفرنسيين والتعاون معه على قتالهم .

ولكن عوني وعدداً من الاحرار السوريين اوضحوا للامير ان منطقة شرقي الاردن كانت جزءا من مملكة فيصل السورية ، وان هذه المنطقة ما تزال دون حكومة مركزية تحكمها ، الا ان الفرنسيين لم يتقدموا لاحتلالها (باعتبارها من نصيب بريطانيا) ولم يتقدم الانكليز لاحتلالها (باعتبارها من المناطق التي تعهدوا للعرب باستقلالها) . ووجه عدد من زعماء شرقي الاردن الى معان يدعون الامير عبد الله للقدوم الى عمان وتولي امر ادارتها . واقتنع الامير بان افضل ما يمكن ان يفعله هو التقدم الى عمان ، فجاء اليها في اوائل آذار ١٩٢١ .

اما عوني فقد حمل رسالة من الامير الى هربرت صموئيل في القدس ورسالة اخرى الى ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني الذي كان قد وصل الى القاهرة بوطاقم لبحث الامور المتعلقة ببلاد العرب . وكانت النتيجة ان تشرشل جاء الى القدس وعقد هناك سلسلة اجتماعات مع الامير عبد الله كان عوني الى جانب الامير فيها . وفي هذه الاجتماعات وضعت الاسس لانشاء امارة مستقلة في شرقي الاردن .

بقي عوني في عمان حوالي سنتين رئيسا لديوان الامير عبد الله ، ثم رأى ان يعود الى فلسطين للاشتراك مباشرة في النضال السياسي ضد الانتداب البريطاني وسياسة الوطن القومي اليهودي . وفي مدينة القدس افتتح مكتبا للمحاماة ، وسرعان ما برز في طليعة المحامين . ووجد ان العمل السياسي والعمل في المحاماة يستلزمان منه معرفة اللغة الانجليزية فاخذ يتعلمها وهو في الخامسة والثلاثين من العمر ، ولم يلبث ان اخذ يترافع امام المحاكم بطلاقة الانجليزية ، مضيفا ذلك الى اللغتين التركية والفرنسية اللتين كان يجيدهما منذ مطلع شبابه .

عوني في المؤتمرات واللجان والوفود

واشترك عوني في المؤتمرات واللجان والوفود التي اتخذ عرب فلسطين يؤلفونها لتوضيح وجهة نظرهم والدفاع عن حقوقهم ولعقد مؤتمراتهم وتوحيد صفوفهم . وفي عام ١٩٢٩ مثل العرب امام لجنة التحقيق البريطانية المعروفة باسم (لجنة شو). وفي سنة ١٩٣٢ اشترك مع عدد من الوطنيين الاستقلاليين في تأليف حزب الاستقلال العربي ، واختير عميدا له . واعتقلته سلطات الانتداب عام ١٩٣٣ وفي عام ١٩٣٦ كان احد الزعماء الفلسطينيين الذين تألفت منهم اللجنة العربية العليا ، وقد اختير امين سر لتلك اللجنة التي اصبحت منذ ذلك الحين تنطق باسم عرب فلسطين . وعندما بدأ العرب الفلسطينيون اضرابهم الكبير الشامل الذي امتد ستة اشهر ، عمدت سلطات الاحتلال البريطانية الى اعتقال عدد من القادة والزعماء فكان عوني عبد الهادي واحدا منهم (٣) . وفي عام ١٩٣٧ ألغت حكومة الانتداب القبض على اعضاء اللجنة العربية العليا وبعثت بهم الى المنفى في جزيرة سيشل ، ولكن عوني يومئذ كان في اوروبا يعرض وجهة نظر العرب امام لجنة الانتدابات ، فاضطر ان يبقى بعيدا عن بلاده .

في مؤتمر لندن

وفي عام ١٩٣٩ كان عوني احد ممثلي عرب فلسطين في مؤتمر لندن الذي عقدته الحكومة البريطانية مع جميع الدول العربية المستقلة بوساطة بهدف وضع حل نهائي للقضية الفلسطينية . وقد عرضت الحكومة البريطانية على العرب حلا كان من رأي عوني عبد الهادي قبوله ، ولكن الاعضاء الآخرين رفضوه ، وجاراهم في ذلك ممثلو الدول العربية على اساس ان عرب فلسطين ادرى بقضيتهم من سواهم ولا يجوز قبول حل لا يقبلونه . وقد اسر لي عوني ذات يوم ان النوازع الشخصية لاحد الزعماء كانت ـ كما يعتقد ـ وراء موقف الرفض الذي اضاعت فيه الزعامة الفلسطينية فرصة لم تتح للفلسطينيين افضل منها لا من قبل ولا من بعد .

بعد نكبة ١٩٤٨

انتهت الحرب العالمية الثانية وعاد عوني الى فلسطين فوجد ان موازين القوى فيها قد انقلبت لصالح الصهيونيين الذين عملوا اثناء سني الحرب على تقوية انفسهم وتدريب رجالهم وانشاء جيش سري خاص بهم تحت سمع الانكليز وبصرهم . وقد ظهرت قوة الصهيونيين في الثورة التي قاموا بها ضد الانكليز عام ١٩٤٥ وارغموهم على التراجع عن سياسة الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٩ . ثم كان ما كان من تدخل امريكا ، ومن قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، ومن تدخل الدول العربية لانقاذ عرب فلسطين ، ومن النكبة التي انتهت بانشاء دولة اسرائيل في الجزء الاكبر من ارض فلسطين .

في هذه المرحلة لم يكن للساسة الفلسطينيين دور كبير يلعبونه ، واضطر عوني ان ينزح الى دمشق حيث اقام بضع سنوات ، ثم بعد ان استقرت الوحدة بين الضفة الغربية والمملكة الاردنية ، عين سفيرا للاردن في القاهرة ثم اشترك في الوزارة الاردنية وزيرا للخارجية والعدلية . وخلال السنوات العشر الاخيرة من حياته كان يعمل رئيسا للدائرة القانونية في الامانة العامة لجامعة الدول العربية .

---

٣ ـ قررت اللجنة العربية العليا انهاء الاضراب اعتبارا من يوم ١٢ تشرين الاول ١٩٣٦ تلبية لنداء الملك عبد العزيز والملك غازي والامير عبد الله . وقد وجدت بين اوراق محب الدين الخطيب رسالة خاصة بعث بها اليه من حيفا الزعيم السوري الشيخ كامل القصاب بتاريخ ٧ شعبان ١٣٥٥ الموافق ٢٢ تشرين الاول ١٩٣٦ [illegible] العبارات التالية التي وردت فيها فكرة عن الظروف السائدة يومئذ :

« ... وصلت القدس وباشرت العمل ، فكان الوضع يحمل النفس على العقبة [illegible] ولا بد للطلب من تفاصيل الحل من الصحف ... [illegible] ... وبقي ان توسط الملوك تأخر لاسباب اذكرها لك عند اللقاء ان شاء الله . فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ... » .

مذكراته واوراقه

تعود معرفتي بعوني عبد الهادي الى عام ١٩٦٠ ، اذ اتخذ من عمان دار اقامة له بعد استقالته من السلك الدبلوماسي الاردني ، واخذ يتردد على القاهرة لحضور اجتماعات القاهرة القانونية . وكنت اعجب لهذا الرجل الذكي الواسع الثقافة الحاضر الذهن ، كيف لم يعمد الى تدوين الاحداث السياسية الخطيرة التي شارك فيها : من انشاء العربية الفتاة ، الى المؤتمر العربي الاول ، الى اشتراكه في مباحثات مؤتمر السلم ، الى دوره في انشاء الامارة الاردنية الى الكفاح الفلسطيني والقضايا العربية العامة . وكثيرا ما كنت اقول له : لو ان رجلا اوروبيا عرف ما عرفت من احداث ورجال ، لكتب المؤلفات العديدة ، ولما ترك الباب مفتوحا للاجانب وحدهم يقولون ما يقولون دون ان يتصدى الجانب العربي لتدوين وجهة نظره وتسجيل الوقائع كما عرفها .

واخيرا بدأ عام ١٩٦٦ يسجل مذكراته في مدينة القاهرة بعد انتقاله للاقامة فيها . وكتب لي يومئذ رسالة يمثل فيها بالعبارة الانكليزية Better late than never وبعبارة فرنسية مماثلة . وقد سلمني فصلين من مذكراته فقط : الاول يتعلق باقامته في باريس اثناء الحرب العالمية الاولى والثاني يتعلق بانشاء امارة شرقي الاردن . واستعان في الكتابة بذاكرته القوية وبالاوراق الكثيرة التي احتفظ بها . واعتقد انه كتب فصولا اخرى ربما تكون بين اوراقه التي تحتفظ بها زوجته السيدة طرب عبد الهادي . وكان قد فقد في القاهرة بعض رسائل الملك عبد الله اليه ، فاسف لذلك كثيرا ، وكان قد اطلعني على بعضها . وفي رسالة بتاريخ ١٠ أيار ١٩٢٨ خاطبه عبد الله بقوله « اخي وعزيزي » ، وقال له انه يرسل اليه صورة مذكرة يفكر بارسالها الى اللجنة البريطانية التي كانت تزور فلسطين يومئذ للتحقيق في اسباب الاضطرابات « رجاء الحصول منكم على ما ترونه : اما بزيادة او تعديل او عدم لزوم لها مطلقا » .

وعندما نشرت الصحف العربية نبأ الرسالة التي بعث بها الزعيم الصهيوني دافيد بن غوريون الى الرئيس شارل ديجول يورد فيها ذكر اجتماعه بعدد من الزعماء العرب ويتهم عوني عبد الهادي ، انزعج كثيرا لرد التهمة التي وردت في رسالة بن غوريون وبعث برسالة منه الى جريدة (النهار) البيروتية (٢١ كانون الثاني ١٩٦٨) فند فيها مزاعم بن غوريون بان عوني وافقه على مقترحاته ، وكتب حقيقة الاجابة التي رد بها عليه . وبعث لي صفحات عديدة مترجمة عن مذكرات بن غوريون المنشورة بالعبرية والتي تتضمن فصلا بعنوان (محاولة فاشلة) ضمنه محادثاته مع رياض الصلح وموسى العلمي وفؤاد حمزة وشكيب ارسلان واحسان الجابري وجورج انطونيوس . وبعدت لعوني متحمسا اكثر من اي وقت مضى اهمية الجد في كتابة مذكراته . وقد سر كثيرا عندما بعثت له سنة ١٩٦٩ محاضر المباحثات التي دارت بين تشرشل وعبد الله عام ١٩٢١ وكان هو العربي الوحيد الى جانب عبد الله انذاك ، ونص الرسالة التي بعث بها هربرت صموئيل الى اللورد كرزون حول اجتماعه مع عوني في القدس . (١)

كان عوني انسانا لطيف المعشر ذكيا ، قوي الحافظة ، حلو الحديث ، سريع الخاطر ، واسع الثقافة ، متذوقا للادب والشعر والموسيقى ، وكان من طراز الرجل الذي قال عنه كيبلنغ شاعر الانكليز « ان شخصيته لا تتبدل سواء صاحب الملوك او رافق السوقة » . وقد عاش حياة عريضة حافلة ، خدم فيها بلاده وقومه ما وسعه ان يقدم ، وظل حتى النهاية محتفظا بشباب روحه حتى وافته المنية في مدينة القاهرة صباح يوم الاحد ١٥ مارس (آذار) ١٩٧٠ عن اثنين وثمانين سنة ، وقد دفن فيها بعيدا عن مسقط رأسه ، رحمه الله .

عمان — الاردن **سليمان موسى**

---

(١) اتخذت الحكومة البريطانية منذ بضعة اعوام اجراء فريدا من نوعه ، اذ اعلنت تبيح الاطلاع على أوراقها الرسمية ووثائقها بعد مرور ثلاثين سنة ، وعدد الأوراق والوثائق اصبح اليوم مفتوحة للباحثين في موسسة رسمية حكومية : مكتب السجلات العامة Public Record Office في لندن .



بقلم : سنية قراعة

لقد سلم الناصر في بلاد الاندلس ملكا عربيا قل ان يجود الزمان بمثله ، ورباه « للحكم » ولده من بعده ، وانما احس الخليفة الناصر ان واجبه الاول ان يكون حارسه المنقذ الامين الذي لا يغفل عنه ولا يحيد عنه . ولما حصن الناصر حدود بلاده وقواها بجيوشه ، كذلك سار ابنه « الحكم » في نفس الطريق حتى عم الرخاء بلاد الاندلس كلها وخصبت بقاعها ومقاطعاتها جميعا ، ولم يبق من امراء الاقطاع من الفرنجة سوى مقاطعتي (ليون وكاتالونيا) .

ويعلم هذا لم يغفل عنهما بل كان يترقب الفرصة للانقضاض ليتم طرد الفرنجة نهائيا من الاندلس

وكان امير المؤمنين الحكم بن عبد الرحمن الناصر بعد هذا الاجتهاد في سبيل توطيد اركان الملك ، لينصرف بعض الشيء الى هوايته المحببة ، وهي القراءة والاطلاع ، اذ كان شغوفا بالعلم مقبلا عليه ، وقد كفل له ابوه العظيم كل وسائل العلم واسبابه ، فزود له القصر بمكتبة ضخمة تحوي اكثر من اربعمائة الف مجلد في مختلف العلوم والفنون والآداب

وتعود ان يقتطع من اوقات عمله بضع ساعات ، ينصرف فيها وحده الى مكتبة القصر للقراءة والاطلاع .. وكان يتخير مكانا قصيا في نهاية قاعة المكتبة يجلس فيه وقد سعد بافكاره وتصوراته في الصبا ومن بعد

وذات صباح مبكر ، خلا الى نفسه في هذا المكان المنعزل بقاعة المكتبة .. في تلك اللحظات الوادعة تسللت الى داخل المكتبة جارية رشيقة القد ، حلوة التقاطيع ساحرة الملامح .. ثم وقفت امام صيوان يحوي النادر من كتب الادب خير ما جادت به قرائح الشعراء ، وكأنها تعودت ان تفعل ذلك كل يوم .

وسحبت الجارية كتابا وراحت تقلب صفحاته

وراح يتأملها وهو يسائل نفسه عمن تكون هذه الصبية الحسناء .. انه لم ير هذا الوجه الصبوح قبل الآن .. وان ابعد ما يمر بخاطره ان يجد بين ساكنات قصره العديدات من يهمها الاطلاع .. فمن تراها تكون هذه الفتاة العربية ؟ !

واعجب في نفسه بهذه الغازلة وتمنى لو انها كانت احدى اميرات قصره . وكم احب ان يفاجئها ولكن تواضعه ابى عليه ذلك ، اذ احس بتحرزاتها ، ومن طريقتها في التسلل ، ان الفتاة وصلت الى قاعة المكتبة وهي واثقة ان احدا لم يرها ، ويجب



وتنكس الفتاة رأسها أمام سؤاله الذى أنزلها من سماوات كانت تحلق فيها وهبط بها الى مستوى أصبح من اللازم عليها أن تكشف عنه ، وتعترف له فى صراحة أنها جارية من جوارى قصره المعجبات .

أن ظل عند ظنها هذا حتى سئم من قراءة العلم الذى راحت تتصفحه فى شغف ونهم كبير .

وعاد الى قراءته وحاول جاهدا أن يصرف أفكاره عنها بعد أن عرف غيبته .. ولى عنقه عنه ، وبينما هو منصرف الى تصفحه سطور استرعت انتباهه ، عاد ينظر فى سرعة ، فإذا بالفتاة قد اختفت تماما ونسيت القطعة التى جاءت بها !

ووجد الحكم نفسه يترك الكاسى كتبه ويسرع الى حيث كانت تقف الصبية الحسناء فوقف فى نفس المكان ، وراح يستعرض المصاحف والاسفار ليعرف فى أى كتاب كانت تقرأ ، ولكنه لم يستطع أن يعرف ذلك لأنها قد أعادت اسم ، كل سر الى أصله بطريقة جعلت الحكم يوقن أنها كانت مدربة على مثل هذا العمل وأنها زاولته مرارا قبل اليوم وأنها ولاشك قد تعودت التردد على مكتبة القصر .

وارتاح الى هذه الفكرة التى وصل اليها وقد استقر معتقده أنها ليست غريبة عليه وأنها لابد ستعود الى نفس المكان أن لم يكن غدا فبعد غد ..

وإن لم يكن بعد غد فبعد أسبوع .. أو شهر .. أو عام ماكتشفه ، المهم أنها ستعود ويراها .
ومر صباح وصباح .. ثم صباح ثالث وعروس الحلم الجميل لم تحضر

وفى الصباح الرابع ، وقبل الموعد المبكر الذى

تعود أن يدخل فيه الى قاعة المكتبة دخل كعادته .. واذا به يراها امامه ! !

وتقدم من الفتاة التي اجفلت ساعة رأته ، واسرعت فوضعت الكتاب الذي كانت تحمله بيدها على منضدة امامها ، ونكست راسها وهي تنتظر اللوم والتقريع ، لانها اجترأت ودخلت مكتبة القصر دون استئذان ، واذا بالخليفة العظيم يتقدم منها وقد تهلل بالبشر وجهه ، فعاودتها بعض ثقتها وهدوءها واحست بروح من الاطمئنان داخلت نفسها مع كلماته الوادعة وهو يسالها ماذا كانت تقرأ ؟ ! واذا بها تقول باستحياء : انها كانت تطالع كتابا عن شاعر النبوة « حسان بن ثابت » .

وبهت امام جواب الفتاة ، وراعه ان تقبل شابة مليحة فتنة الاهاب بارعة الحسن على مثل هذه الدراسة ، وحلا له ان يختبر مدى صدقها فيما ادعته .. ولم يكد يناقشها في شعر حسان حتى كانت اسرع منه واحسن جوابا ، فاصغى الى الفتاة واصغى ، واذا به في النهاية يريد ان ينهيه عند هذا الحد ، ليعرف من تكون هذه الفتاة الحسناء التي اثارت دهشته واكباره واعجابه ! ؟

ونكست الفتاة راسها امام سؤاله الذي انزلها من سماوات كانت تحلق فيها وهبط بها الى مستوى اصبح من اللازم عليها ان تكشف عنه ، وتصرف له في صراحة انها جارية من جواري قصره العديدات وانها تعيش في فيض نعمته وكريم عطائه !

وابى الحكم ان يصدق ما سمع ، فصاحبة مثل هذا العقل المتفتح ! ! الذي استنار بضوء العلم لا يمكن ان تكون جارية من جواريه العابثات اللاهيات ، واقبل عليها يشجعها ان تتكلم وان تصارحه بحقيقتها فهو يعطيها الامان ويرحب بها ان لم تكن من اهل القصر تتردد على مكتبته في اى وقت تشاء .. واذا بالصبية تؤكد لامير المؤمنين انها جاريته ومملوكته وانه هو وحده صاحب الامر والتصرف فيها .. واذا كان قد اغضبه ان تجرؤ جارية مثلها على دخول المكتبة فهي تسأله العفو ، فلن تعود الى مثل هذه الفعلة ابدا .

وهتف مستنكرا ما سمع من الصبية ، وراح يؤكد لها انه معجب بسعة اطلاعها وبشغفها بالعلم الذي رفعها في عينيه الى مكانة عالية .. وجعل يحاول ان يعيد اليها هدوءها ويشعرها بانها قد اسعدته فعلا واثارت اكباره واعجابه .

وراح يتفحص الفتاة في دهشة واعجاب واكبار ، وسالها في نبرة الشوق الى تعرف اسمها واذا بها تقول له انها جاريته ومملوكته الامينة « صبيحة » .

صبيحة ، انها صبيحة فعلا ، ومليحة بلا جدال .. وان حديثها الطويل مع امير المؤمنين جعله يكتشف فيها الوانا من السحر لم يعهدها من قبل ، لا في نساء القصر ولا في جواريه .. ووجد نفسه يردد كالمذهول هامسا « صبيحة » انت صبيحة فعلا ، وسوف يسعدني ان تكوني طلعة كل صباح حلو ارجوه ، وان ارى وجهك هذا دائما يشرق علي ، وتكون رؤيته فاتحة خير وسعادة لامير المؤمنين .

واجفلت الفتاة امام الكلمات التي وصلت مسامعها ، وراح قلبها يدق في قلق واضطراب وهي حائرة لا تدري اكان ما تسمعه حقيقة ام انها كانت تعيش في دنيا من الخيالات والاحلام .

مد الحكم يده وامسك بيد الفتاة التي كانت ترتعد ، ثم سار بها في هدوء خارج قاعة المكتبة ..

★ ★ ★

شهور تسعة مرت وصبيحة تعيش في حلم وردى تمنت لو تعيش مغمضة فيه الى الابد ! !

واذا بامير المؤمنين يسمع ذات صباح ان جاريته الاثيرة قد وضعت له ابنه الاول « هشام » !

كاد يطير فرحا بالنبأ السعيد الذي سمعه .. واسرع يعدو نحو جناح صبيحة ، ليتأكد من صحة ما كان يسمع ، ويرى حبيبة القلب وقد حققت له اعز امنية كان يرجوها ، وهي انجاب الوريث ، واذا وجد انه امام حقيقة ماثلة .. كاد يبكي من الفرح ، واقبل على صبيحة يضمها الى صدره مرة ويضم وليدها الى صدره مرات ومرات وهو يردد : ان امه لن تكون جارية بعد اليوم ، بل هي زوج امير المؤمنين وشريكته في ملك الاندلس العريق .

ان صبيحة اليوم لتشعر انها في مكانة لم تكنها بالامس : انها ملكة ! !

وملكة الاندلس بالذات ! !

والاندلس جنة الله في ارضه ، كانت محوطة

بالدسائس ترقبها العيون الحاقدة من فرجية وامراء الطامع .. ولكنها احست بهذا وتسعر به وتعرف انها قد وضعت في مكان يجب ان تكون جديرة به وان تشمله من مقدرة وتفوق .

وراحت ترقب وتدرس في تمعن الفترسة الواعية لتكون صاحبة الرأى السديد .. وعرف لها زوجها امير المؤمنين فضلها وذكاءها فاعتمد عليها كل الاعتماد وراح بدوره يراقبها ليرى كيف ستنجح في ادارة دفة الامور ، حتى اذا وثق منها وارتاح الى حسن ادارتها لم يجد حرجا من تركها بعد ذلك لتكون صاحبة الكلمة المسموعة والامر النافذ في كل شيء ، ثم .. انصرف هو الى هواياته السابقة وهي القراءة والاطلاع ..

وبدأت صبيحة تمارس شئون الحكم عن جدارة ومقدرة وتمكن ، فكانت تجتمع كثيرا بوزير الدولة عثمان بن جعفر المصحفي وتلم منه بدقائق الامور ، حتى وعتها جيدا والمت بكل صغيرة وكبيرة .

لم تتدخل صبيحة في تصريف سياسة الدولة المدنية فحسب ، بل راحت تشرف على مسيرة الامور الحربية ، فحركت الجيوش من هنا وهناك وراحت تضاعف من عدد بعض القوات في جهات خاصة وتقلل من عددها في جهات اخرى ، اذ استطاعت ان تعرف الى اي الجبهات توجه الاهتمام والى اي الميادين تتجه منها العين الراعية ، حتى لا تدع بذلك فرصة اي فرصة « لشارلمان » وامراء الاقطاع المتربصين ان يجدوا ثغرة يتسللون منها الى تحقيق ما كانوا يطمعون فيه وهو القضاء على الملك العربي في بلاد الاندلس .

★ ★ ★

ومع مسيرة الايام وتعاظم شئون المسئوليات التي كان على صبيحة ان تواجهها وتعدد مهام الدولة واتساع رقعتها ، رأت الملكة الواعية المقتدرة ان تستعين بكاتب سر يقوم بتحرير ما تراه ويرصد في سجلات خاصة محاضر اجتماعاتها بالوزير المصحفي ، فكان ان عرضت رغبتها هذه على الوزير فوافقها عليها وشجعها على الاسراع في تنفيذها ، واذا بها تطلب من بعض خاصتها ان يجدوا لها الرجل المناسب الذي تعتمد عليه فيما كانت تعتزم اتمامه من اعمال ..

وهكذا دخل « محمد بن عبد الله بن على » الى قصر امير المؤمنين بضاحية الزهراء ليعمل في خدمة الدولة وليكون تحت تصرف الملكة ينفذ ما تكله اليه من مهام ..

ومحمد بن عبد الله بن على يوم دخل القصر في قرطبة كان يخطو نحو الثالثة والعشرين من عمره ، شابا ممتلئا بالقوة ، يفيض قلبه بالامل الذي احس انه سوف يحققه ويحقق طموحه ايضا ، وقد بدأ يسير هذه الخطوات ليكون في خدمة الملكة ..

كان واسع الافق جيد الانشاء ، فرأى مثالب بصره ان خير عمل يستطيع ان يقوم به ليساعد نفسه على تكاليف الحياة الباهظة ان يقوم بتحرير الظلامات التي كانت ترفع من اصحاب الحاجات الى امير المؤمنين الحكم .. فبرز اقرانه في هذا الميدان وفاقهم جميعا وعرف في قرطبة كلها بجودة انشائه ، وسرعة اصابته للهدف الذي كان يرجوه الشاكي في اسلوب متين يسترعي الانتباه .

ووجدت الملكة صبيحة فيه غايتها التي كانت ترجوها ، واعجبها فيه وفاؤه وشديد اخلاصه ولباقته واكثر من هذا تفهمه الدقيق لكل صغيرة وكبيرة كانت تعرض في اجتماعاتها مع الوزير المصحفي ، حتى انه كان يذكرها هي ووزيرها بما كان من امور اثيرت في جلسات سابقة ويشرح دقائقها ، ثم .. ولى عهده بها يتجاسر على عرض وجهات نظره التي غلبت على الفور وجعلت نظرة الملكة تتحول الى الشاب وترى فيه عونا لا يجب ان يهمل ..

ومرت الايام .. وتلتها شهور بعد شهور ، ونجمه يعلو ويزداد تألقا والتماعا ، حتى بدا يطغى على غيره من النجوم ، فلا عجب ان بدأت الالسن تلوكه وتتحدث عنه ، وبدأ كارهوه ينظرون اليه نظرات الريبة والحسد ، وهو من الجميع لاه غير مهتم بما كانوا يتقولون عليه ، اذ كانت له غاية واحدة هي ان يظل في الطريق الذي احبه ليصل الى تحقيق اماليه التي كانت دائرة افقها تتسع مع الايام ..

لقد خبر القصر ومن فيه ، وعرف ان هناك اكثر من حزب واكثر من فئة تتطاحن على السلطة من وراء ستار ، وتسعى كل من هذه الفئات المتنازعة الى الاطاحة بغريمتها ليخلو لها الجو ..

ولكن الجميع كانوا يخشون صبيحة ويخشون بطشها ، لذا غيرتهم جميعا قبل ان يعرفهم محمد ابن عبد الله بن علي ، ومن اجل هذا لم يتجاسر واحد منهم على ان يحاول التقرب اليها بسعاية او وشاية .

وامام هذا الوعي المتيقظ الذي تميزت به صبيحة ، بدات مكانة محمد بن عبد الله بن علي تتوطد وتزداد رسوخا ، وقد رات الملكة احقا منها في القضاء على مؤامرات الحاسدين واسكاتا لاصواتهم ، ان تعلي من مكانة كاتبها وكاتم اسرارها .. فكان ان عينته وكيلا عنها يشرف على اموالها وضياعها ، ثم ابت بعد هذا الا ان تعزز هذه المنحة الكريمة بمنحة اخرى اذ الحت لزوجها امير المؤمنين ان يكل اليه مباشرة شئون ابنها ولي العهد .. وبعد هذا كله اوحت الى امير المؤمنين ان يجعله على خزائن الاندلس لعلمه الواسع بالشئون المالية .

وبالرغم من ان الملكة صبيحة القت حياتها على احلام الوشاة الطامعين من المماليك وبعض رجال الحاشية ، فان سعاياتهم لم تكف ، وبراثن حقدهم لم تجد لها جلوة على محمد بن عبد الله بن علي الذي كان من الذكاء وسعة الافق وواسع الحيلة بحيث استطاع ان يمتلك القلوب جميعا بركته وحسن صلاته بالناس ، ومحاولاته العديدة في التقرب بهداياه السخية الى كبار رجال الحاشية .

وتعددت وكثرت هدايا محمد لمن كان يرغب في تدعيم صلته به من اصحاب الحل والعقد ، وعن طريق هذه الهدايا الكثيرة الباهظة الثمن بدا حساد الشاب الملحوظ الثقة يهاجمونه ، فاذا بهم يبعثون الشكاوى الى امير المؤمنين يتهمون فيها محمدا في نزاهته ، ويؤكدون له ان رجلا له مثل راتبه المحدد لا يمكن ان تسمح ايراداته لتقديم مثل هذه الهدايا ..

واطلع الخليفة على الشكايات المكتوبة ولم يلبث ان بدا الشك يساوره في امر محمد بن عبد الله بن علي ، وراح في وحدته يستعرض تصرفات الشاب ، واذا به يعجب كيف سكت عنه طوال هذه المدة ولم يلاحظ كثرة نفقاته وبذله وعطاياه ، ثم ما لبث ان انحى على نفسه بالائمة لانه فرط ولم يراقب حيث يفرض الامر المراقبة والحذر الشديدين ، وعليه ان يفاجيء محمدا ويضعه في مقر عمله وسجلات حساباته مفتوحة قبل ان تمتد اليها يد التحوير والتزوير .. وكان ان طلب من وزيره المصحفي ان يعينه على القيام بهذه المهمة الدقيقة ، وان يحاول عند المراجعة ان يستكملها من كل نواحيها حتى لا تفلت منهما اي صغيرة مهما صغرت ، حتى يستطيع ان يلقن الفتى درسا يكون عبرة لغيره ، ويكون فيه بعد هذا ما يجعل الجميع يفهمون ان امير المؤمنين « الحكم » سيقظ لكل شيء ، وانه لا تفوته حركة ولا عمل من اعمال رجاله وخاصة من يشذون منهم عن الطريق المستقيم ..

وفوجيء محمد بن عبد الله بن علي وهو في مقر عمله بدخول امير المؤمنين والوزير المصحفي عليه ، ثم مطالبتهما العاجل ان يقدم ما لديه من حسابات .. فاسرع الشاب في هدوء يقدم ما طلباه معززا بالمستندات والدليل والبرهان .

ووجد امير المؤمنين نفسه امام رجل من اخلص رجاله ، يتميز فوق ذلك بالامانة والدقة ومراعاة الله في كل صغيرة وكبيرة من تصرفاته ، واذا به يقدم عليه شاكرا ، ويابى الا ان يرد على الشامتين الحاقدين السنتهم الثرثارة الى الابد ، فكان ان رفع درجة كاتب الملكة وجعله حاكما عاما لاقليم اشبيلية ..

واسرع محمد بن عبد الله بن علي بالسفر الى مقر عمله الجديد حيث راح يباشر سلطاته بكل حزم ، فكان الحاكم الواعي الامين الساهر على مصالح الدولة والذي لا تفوته صغيرة ولا كبيرة .

ووصلت انباء حاكم اشبيلية الجديد الى امير المؤمنين الذي حملها بدوره الى صبيحة ، وفي حوار دار بينهما وجدت الملكة ان هناك بعض الامور الخاصة الدقيقة في حاجة الى من يباشرها ويرعاها ، ولما كانت تثق في محمد بن عبد الله ابن علي وكذلك كان يثق فيه امير المؤمنين فقد اتفقا سويا على ان يكلا اليه حل هذه الامور الدقيقة ، فبعثا بكتاب سري ابلغاه فيه ان يسافر الى مراكش في رحلة تستغرق بضعة اشهر .. يعود بعدها ليرفع اليهما تقريرا بكل ما عرض له ، على ان يكون له في ذلك راي حاسم ، وربما وجدا فيه المخرج والحل الوحيد ، خاصة وقد درس

المشكلة بنفسه وعرفها من كثب وتتبع اطوارها تتبع الخبير ..

وادى الحاكم الشاب مهمته على خير ما كان يرجى منه .. ثم رجع الى قرطبة ، فاذا به يجد كل شيء قد اصبح معدا ، لا لعودته الى اشبيلية بل لبقائه في قرطبة والى الابد ، اذ راى امير المؤمنين وملكته امام اخلاص محمد ان يكلا اليه امر رعاية ولى العهد « هشام » وتثقيفه وتبصيره بكل الامور التي يجب ان يلم بها عندما يحين الوقت ويصبح امير المؤمنين ..

* * *

وبدات الشئون تمر .. وبدات معها سلسلة من الامراض تهاجم امير المؤمنين فاعتلت صحته وساءت حالته ، واحس لا بالضعف والخور بل بدبيب الفناء يدب في اطرافه ، ووجد ان الحكمة توجب الاسراع في التفكير لا في امر نفسه بل في امر ابنه هشام من بعده .. فهشام حدث صغير ، ولو مات امير المؤمنين فجاة فان عرش بلاد الاندلس سوف يكون من نصيب شقيقه « المغيرة » ، وامير المؤمنين يحب ويتمنى ان يكون العرش لولده ، واذا ليسارع ويصارح الملكة صبيحة بكل هذا ويطلب رايها الحاسم السريع ..

واشارت صبيحة الذكية البعيدة النظر بضرورة اتباع خطة حكيمة ، وهي استدعاء امراء البلاد واشراف الدولة وكبار الحاشية وحكام الاقاليم الى مجلس عام يراسه امير المؤمنين ، فيعرض عليهم ولاية العرش من بعده ويطلب اليهم التصديق على ان تكون لابنه الصغير هشام ، ثم يعزز هذا العرض بان يطلب منهم في حالة الموافقة على رايه ان يحرروا وثيقة بذلك ، وان يمهروها بتوقيعاتهم اقرارا منهم بكل ما ذكر ..

وكانت خطة الملكة صبيحة خطة بارعة ماكرة ، فامير المؤمنين حين يعرض مثل هذا الامر لن يجد من يجسر على معارضته ..

واسرع امير المؤمنين الحكم ينفذ خطة زوجته ، وانعقد المجلس الذى وافق بالاجماع على الراى الذى عرضه امير المؤمنين ، ولم يكد ينتهي هذا الاجتماع التاريخي حتى اسرعت صبيحة الذكية تنفذ بقية خطتها ، امرت بنسخ عدة صور من هذا الاقرار الذى ثبت في سجلات القصر الرسمية ، ثم وزعته على حكام الاقاليم ، ليكونوا على علم بما اتفق عليه الراى بخصوص هشام بن الحكم ابن عبد الرحمن الناصر .

وذاع النبا في الاندلس كلها وعرف العامة قبل الخاصة ان امير المؤمنين الحكم قد اخذ البيعة لولده ، فباركوا هذه الخطوة التي سوف تضمن الاستقرار للبلاد والهدوء للرعية ..

ومات الحكم بن عبد الرحمن الناصر اخيرا ، وكانت صبيحة وحدها الى جانب فراشه رابطة الجاش ثابتة الجنان .

* * *

وهكذا اصبحت صبيحة كل شيء في الاندلس .. اصبحت المسئولة عن القدر هذه الدولة العربية الكبيرة ، فكان من الزم واجباتها ان تبادر الى تصريف الامور ، فمست اول ما مدت الى تطهير جو القصر من الدسائس والدساسين ، واسرعت تبعد الطامعين واتباعهم ومن يشبههم ، حتى يكون الجو نقيا صالحا للعمل بعد ذلك .. ثم اتجهت الى الشعب فاقبلت تدرس اموره وتتعرف مطالبه .. لتهب له ما كان يبغى ولتحقق كل ما كان يريد ، فلا عجب ان اجمع الشعب على حبها والالتفاف حول عرشها ..

وعلمت صبيحة بعد هذا ان امراء الاقطاع من الفرنجة المتربصين بملك العرب في الاندلس ظنوا ان الفرصة اصبحت مواتية لهم ، وان الامور لا بد قد اضطربت بعد موت الحكم ، وان اسناد امارة المؤمنين الى ولده الصغير قد اضعف الدولة وجعلها في موقف لا تستطيع ان تثبت فيه امام هجوم العدوان ان اراد ان يزلزل سلطان ذلك الصبي الصغير الذى كانت تصرف اموره امراة ، ظنوا انها لن تكون في ثبات زوجها .. ولم يخطر ببالهم انها كانت ومنذ اصبحت صاحبة الحظوة في البلاد هي القوة الفعالة والاداة المحركة الى الامور ..

وبدات صبيحة تستعد لمواجهة الخطر الخارجي وقررت ان تكون حاسمة في تصرفها ، سريعة في تنفيذ الراى الذى كانت ترى فيه الصواب ، فكان ان عينت رجلها وكاتبها محمد بن عبد الله ابن ابي عامر قائدا للجيش الذى وجهته الى حرب الفرنجة والقضاء على اطماعهم .

وخرج الجيش العربي تحمله آمال شعب ورجاء أمة .

خرج الجيش بقيادة محمد بن عبد الله بن علي الذي صحبه الحظ في كل أطوار حياته وأبى إلا أن يسير معه وهو يخطو هذه الخطوة الحاسمة ليصنع لنفسه مكانة جديدة ومركزا مرموقا كان يصبو إليه .. وسار إلى ميدان القتال ، واستطاع أن ينتزع النصر من أيدي أعدائه ، وأن يحطم أحلامهم ويقضي على آمالهم .

وعاد القائد المنتصر إلى قرطبة تسبقه أنباء انتصاراته .. عاد يحمل الأسلاب والغنائم وتتوج النصر التي حققها ، فارتفعت مكانته في قلب الملكة وفي قلوب الشعب ونال الحظوة ، ومن هنا بدأت معالمه الحقة تصحو من بعد غفوة ، وتتجه إلى ناحية جديدة ، لعله خشي قبل انتصاره هذا أن يطرقها أو يقترب منها ..

لقد قام بدور الكاتب المتواضع في البلاط .. فاستطاع أن ينال الحظوة والثقة ويثبت جدارته ومقدرته ونبوغه ، ثم قام بعدها بدور مدير الشئون المالية للملكة وابنها .. فكان عند حسن الظن به ، ثم ولي حكم اشبيلية .. فكان الحاكم الجدير بالثقة الشديد الولاء لسيده ، ثم خرج في مغامرة هامة إلى مراكش أنجزها على خير وجه ، وعاد بعد هذا ليجد طريق المجد أمامه مفروشا .. فلماذا لا يسعى نحو تحقيق أحلامه ؟ ولماذا لا يكون وزير الدولة الأول ورجلها الذي تلقى على كاهله أدق الأمور وأخطرها ، ليتصرف فيها بحكمته ؟ !

وخطا الشاب الطموح خطوته الجريئة نحو الغاية التي يرجوها .. واستطاع بقوة مكانته التي حققتها مجهوده وجهاده أن ينال مكانة الحاجب ويصبح وزير الدولة الأول ..

ولكن هل وقفت أطماعه عند هذا الحد واكتفى بما نال .. ؟

ذلكم كان السؤال الذي كان الشاب وحده يعرف الجواب عليه ، وقد عرف كيف يخفيه في أعماق نفسه التي كانت تضطرم بالأماني وتتوهج بالآمال ، ولم يعد يكفيها ما كانت تصل إليه بل كانت تتطلع يوما بعد يوم إلى مزيد من المجد والسؤدد والظفر ..

واتجه الشاب الطموح إلى الشمال الافريقي الذي عاد سلطانه إلى بني الأغلب وقد انتقل الفواطم إلى مصر .. ورأى أن يربط قدره بقدر تلك البلاد ، وأن يتقدم لخطبة أسماء ابنة الأمير الأغلبي زعيم القبائل هناك وسيد العشائر والحاكم المتصرف صاحب المجد والسلطان .. ولما وجد الاسعاد والموافقة من الأمير الأغلبي .. أسرع يطلب الاذن من الملكة لتقره على ما فعله وتبارك هذا الزواج ..

وكانت صبيحة عند حسن الظن رجلها بها ، وقد أسعدها أن تسمع منه هذا النبأ وتعرف منه الخطوة الجريئة التي بدأ يخطوها نحو غاياته التي لم تكن تخرج في شيء عن السياسة المرسومة للدولة بصفة عامة ، وهي توطيد صلاتها بحكامها في الولايات الخارجية التابعة لحكم الأندلس وخاصة الشمال الافريقي .. ومبالغة من الملكة في اكرام الوزير الأول محمد بن عبد الله ـ أمرت بأن تقام ليالي العرس في قصر الخلافة بضاحية الزهراء ، وأن تكون بالغة الفخامة وعلى نفقتها الخاصة ، ليشعر الجميع بأنها لا تكرم رجلها في شخصه بل تكرم فيه معاني الاخلاص والوفاء .

وراحت عجلة الزمان تدور والشاب الطموح يتدرج صاعدا نحو المجد في هدوء وثقة واعتدال .. لقد أصبح كل شيء في الدولة ، ولئن ما وصل إليه ليبدو في عينيه اليوم صغيرا تافها اذ كانت أمانيه أبعد مدى مما وصل إليه ..

ترى هل كان يطمع محمد بن عبد الله بن علي الذي لولا رعاية الملكة صبيحة له ومساعدتها لشخصه ما وصل إلى ما وصل إليه .. هل كان لدله بعد أن فعلت صبيحة معه ما فعلت أن يقدم على الغدر بها وخيانة ابنها والوثوب إلى عرشه .

ان الرجل لم يفكر في هذا أبدا ، ولكنه فكر في السلطة كل السلطة فعلا .. لقد أراد السلطة بأي شكل وبأية طريقة كانت ، ولكنه ولكي يصل إلى تحقيق غرضه يجب أن يحسب ألف حساب

للملكة التي كانت تمسك بكل أزمة الأمور في يديها .

وكان محمد بن عبد الله بن علي يحس بدقة مركزه ، ويعرف مدى ما تتمتع به الملكة صبيحة من منعة وقوة وسلطان ولكن .. هل كان كل هذا يقف في وجهه ويحول دونه وتحقيق طموحه وهو الذي اصر على ان ينال ما يريد ولو كلفه ذلك حياته ؟ !

كان محمد بن عبد الله بن علي يشعر انه خلق للكفاح والنضال ، ومن اجل هذا اصر على ان يمضي قدما في سبيله ولو جعل هذا ما كان يخشاه وهو التصادم بالملكة التي تصر على ان تكون صاحبة الكلمة النافذة في كل شيء .

وراع الملكة ذات يوم ان كشف وجهها الامين وجهه الحقيقي الذي ظهر مروعا مخيفا .. واذا بها تراه في صورة وحش آدمي طامع نال ما نال من المكانة والرفعة ، ثم اذا به يهددها بانها اذا لم تقبل مطالبه وشروطه فسوف يقضي عليها هي .. ! ! ناسيا افضالها المتدفقة عليه .

واستعرضت الملكة صبيحة الموقف ، فوجدت انها في موقف حرج جديد ينذر بقيام حرب اهلية وتتصدع الجبهة الداخلية ولتصادم اصحاب الاغراض بعضها ولانشغال بعرض امن الاندلس للخطر، ويعطي الفرنجة المتربصين الفرصة لان يهاجموا البلاد ويقضوا على الملك العربي الذي شيده العرب والامراء بالجهد والكفاح والنضال ، ورأت ان تتصالح ظاهريا وان تسرع بالاتصال سرا ببعض امراء الشمال الافريقي من الاغالبة ليسرعوا اليها فينقذوها من خادمها السابق الذي اصر على ان يكون سيدا لسيدته الملكة صبيحة ولولدها الصغير امير المؤمنين هشام بن الحكم .

ولما كانت عيون محمد بن عبد الله بن علي ترصد خطوات الملكة صبيحة وتراقبها ادق مراقبة فقد وصل الى علمه كل ما كانت تنتويه وعرف خطتها كاملة ، وحال دون استنجادها بالامراء الاغالبة في الشمال الافريقي .. ثم اسرع بدوره يرد على محاولتها هذه بمحاولة اخرى اكثر جرأة واقداما فعزل امير المؤمنين الصغير في قصره واحاطه بالجند والحراس .. وراح يجبر هشام ان ينصرف الى عبادته وان لا يشغل نفسه بشيء بعدها .. ثم عاد ليكشف وجهه مرة اخرى امام الملكة مؤكدا لها انه اقوى منها وان عليها ان تسلم وان تنسحب من طريقه والا وطئها قدماه !

ورأت الملكة صبيحة ان تتصاغر وانتزعت كبرياءها امام احد خدمها السابقين ، واصرت على الكفاح والنضال من اجل ابنها ومن اجل سلطتها ، وأحبت ان تلجأ الى حكم الشعب في شأن الغاصب الجريء الذي يتطلع الى ما ليس من حقه ان ينال .. واذا بمحمد بن عبد الله بن علي يسارع برد الضربة اليها بأقسى منها .. فاتصل بأمير المؤمنين الذي ابتلى السياسة وكره شئون الحكم واحب الخلود الى العبادة ، فكان ان استكتبه اقرارا بانه لا يصلح ابدا لادارة شئون الملك وانه يتنازل عن كل سلطاته الى وزيره الاكبر محمد ابن عبد الله بن علي يشرف على الامور وحده ودون شريك ، وان يكون هو وصيه من دون سائر الناس اجمعين ! !

فكانت الضربة قوية كانت تلعب بعقل الملكة التي وجدت نفسها اصبحت مجردة من كل شيء ..

ومنذ الملكة التي كانت بيدها تهز صولجان امارة المؤمنين في بلاد الاندلس يوما .. بدأت تعيش حياة الندم والهموم في الوقت الذي اخذ خلاله نجم محمد في التألق والتعاظم ، واذا به يلقب نفسه بالملك المنصور ، ثم اذا به بين عشية وضحاها كل شيء ، ولكنه لم يقدم على تنصيب نفسه اميرا للمؤمنين .

وعاشت الملكة صبيحة ما بقى لها من حياة بعد ذلك تجتر الذكريات وتستشعر الراحة ، لانها سلمت بالواقع وخلصت البلاد من شر الفتن والحروب الداخلية كي تظل الجبهة متماسكة قوية امام العدو المتربص من الفرنجة الغالبين .

وعاشت ما شاء الله ان تعيش ، حتى وافاها اجلها المحتوم في اليوم الذي قدره الله فذهبت مبكيا عليها من شعب احبها واخلص لها ، ولم ينس ايامها الغر الباسمين .

حكمت الاندلس الطليعة وادارت سياستها ودفة الشئون فيها .. وكانت بهذا من السلطات الخالدات .

■■

سنية قراعة





بقلم : الدكتور ابراهيم محمد القشلان

اخصائي الامراض الجلدية والتناسلية

كلنا سمعنا عن الارتكاريا حيث انها مرض منتشر في جميع انحاء العالم وقد وصلت الاصابه به الى حد ان حوالي ١٥٪ من مجموع السكان قد اصيبوا به في وقت من الاوقات . وهو مرض جلدى غير معد يحدث في اى عمر ولكنه منتشر في الاطفال ويتميز بظهور طفح جلدى على شكل بثور او بقع بيضاء او محمرة اللون احادية التركيب متشابهه في تطورها ومصحوبة بحكاك شديد او ما يشبه اللسعه ، وتختلف حجم الطفحات من راس الدبوس الى بضعة بوصات وتكون مستديرة او غير منتظمه وهي تظهر على الجسم فجأة كما انها سريعة الزوال بدون ان تترك مكانها اى اثر ، وهي اما ان تكون محصورة في جزء معين من الجسم او منتشره في جميع اجزاء الجسم ، خاصة الاجزاء المغطاه مثل الصدر والبطن والكتف والظهر والفخذين ، ولكنها قد تظهر في الاجزاء الاخرى من الجسم وقد تكون مصحوبه برشح او ضيق في التنفس ، وعادة تستمر لمدة ساعات او ايام قلائل في الحالات الحادة ، اما في الارتكاريا المزمنة فانها تستمر لمدة اسابيع او بضعة شهور وقد تطول الى سنوات ، وقد تشتد الارتكاريا وتظهر في مناطق متعددة من الجسم وتجمع البثور والرقع سويا مؤدية الى رقعات كبيره منتفخه ، كما يظهر انتفاخ في المناطق السهله المد مثل الجفون والشفاه والاغشيه المخاطيه .

أسبابها وانواعها .

تحدث الارتكاريا نتيجه ان الشعيرات الدمويه في بعض الاماكن تكون جدرانها سهله النفاذ ، وهناك مواد كثيرة في الجسم تستطيع احداث ذلك واهمها مادة الهستامين Histamine ، كما ان هناك عوامل كثيره تؤدى الى زيادة الهستامين في الجسم وبالتالي تؤدى الى الارتكاريا ، ويمكن احداث طفح يشبه الارتكاريا في الشخص الطبيعي بواسطة حقن الشخص ببعض المواد كالهستامين نفسه في الجلد . وتحدث الارتكاريا اما نتيجة حساسية لبعض المواد حيث يحدث تفاعل بين المولدات



أسماء وداد حسن في الحمر

والأجسام المضادة Allergic ، أو نتيجة مواد سامة Toxic أو تغير درجة الحرارة أو اضطراب في الغدد أو أمراض الجهاز العصبي أو نتيجة عدوى بالبكتيريا أو الفطريات أو الطفيليات . ولو تتبعت تاريخ المرض وعائلته فسوف تجد أن هناك إصابات مشابهة تحدث في بعض أفراد العائلة بمعنى أن المرض له صفة عائلية نتيجة زيادة الحساسية أو التوتر العصبي في تلك العائلة .
والمواد التي تؤدي إلى الارتكاريا منها ما يؤخذ عن طريق الفم كالأدوية والعقاقير . ومن أهم الأغذية التي تحدثه البيض والسمك والربيان والطماطم والشكولاته والفستق والموز والمانجو والفراولة وبعض المواد الكيماوية في المعلبات المحفوظة والمواد الملونة في العصير . ومن أمثلة العقاقير البنسلين والأسبرين ، والكينين ، والكوداين والأتروبين .
ومن الارتكاريا ما يحدث نتيجة الاستنشاق مثل استنشاق ما يحمله الهواء من لقاح النباتات وقشور وشعر الحيوانات والغبار والبكتريا . ومنها ما يحدث باللمس مثل الباروكات الحرير والملابس الصوفية والمخدات الريش ومساحيق التجميل والعطورات وملامسة بعض المأكولات مثل الطماطم والبرتقال والبيض وكذلك ملامسة بعض النباتات.

كذلك وجود بؤرة صديدية بالجسم قد يؤدي إلى الارتكاريا خاصة المزمنة مثل التهاب الحلق والجيوب الأنفية ، والتهاب الأذن والأسنان والبروستاتا .

أقسام الارتكاريا :

ولسهولة فهمنا نقسم الارتكاريا إلى قسمين رئيسيين هما الارتكاريا الحادة والارتكاريا المزمنة معتمدين على سرعة أو بطء حدوث وزوال الطفح ، وذلك خلاف بعض الأنواع الخاصة الأخرى .

الارتكاريا الحادة Acute urticaria

وهي أكثر الأنواع انتشاراً إذ تكون نسبة ٨٠٪ تقريباً من مجموع أنواع الارتكاريا وعادة تظهر فجأة وبها حكاك شديد وتظل لبضع ساعات أو أيام ثم تختفي ولكنها قد تعود ثانية وقد تكون محددة في جزء معين أو تمتد إلى مناطق مختلفة من الجسم .

الارتكاريا المزمنة Chronic urticaria

وهذه تستمر إلى عدة أسابيع أو شهور وأحياناً لسنوات عديدة خاصة إذا كانت نتيجة لسبب غير معروف أو من الصعب اكتشافه مثل المواد الكيماوية الحافظة والملونة في المعلبات والعصير أو التي تعطى نكهة للشراب أو ملح الطعام المحتوي على اليود ، أو مواد منتشرة في الجو المحيط بحيث يكون من الصعب التخلص منها و نتيجة الإفرازات صديدية بالجسم ، وعادة يظهر الطفح على شكل موجات كل بضعة أيام أو أسابيع وتأخذ أشكالاً وأحجاماً مختلفة وفي أماكن مختلفة من الجسم . وهي تحدث في أي عمر ولكنها تكثر في النساء بين عمر ٢٠ — ٥٠ والعوامل النفسية لها تأثير كبير في حدوثها .

(أنواع أخرى من الارتكاريا)

الارتكاريا الفيزيائية Physical urticaria

وهذه الارتكاريا منتشرة ونشأ نتيجة للمؤثرات الجوية والعوامل الطبيعية مثل الحرارة والبرودة والضوء والشمس والضغط وقد اكتسبت هذه التسمية بسبب ذلك . وتنقسم الارتكاريا الفيزيائية إلى ثلاثة أنواع هي :

أ — الارتكاريا الشمسية : Solar urticaria

وهي قد تحدث نتيجة التعرض للشمس بضع دقائق ، وبالرغم من أن الوجه واليدين هما أكثر تعرضاً للشمس إلا أنها أقل تأثراً ، وهي ارتكاريا

قصيرة المدى وتختفي خلال ساعة واحدة . وفيها الحكاك يكون شديدا مما قد يؤدي الى مضاعفات مثل الاكزيما ، وهي عادة تحدث في الشبان والاطفال وتزداد في النساء اكثر من الرجال .

ب ـ ارتكاريا البرد : Cold urticaria

وهذه احيانا تكون وراثية وفيها تظهر الاعراض بعد الولادة مباشرة ، وفي الحالات العادية تظهر في الطفولة فجأة عند التعرض للبرد او رياح باردة وقد تسبقها الى عدوى صديدية او اضطراب هضمي وربما تؤدي الى الوفاة واحيانا للوفاة اثناء حمام بارد ، كذلك نادرا ما يحدث تورم في الفم والبلعوم اثناء شرب ماء بارد .

جـ ـ ارتكاريا الحر Heat urticaria

وهذه الارتكاريا تظهر في الاشخاص الذين لهم قابلية وحساسية للحرارة حيث انه بتسخين الجزء الى درجة ٤٢ لمدة خمس دقائق قد يؤدي الى ظهور هذا الطفح .

الكتابة الجلدية Urticarial dermographism

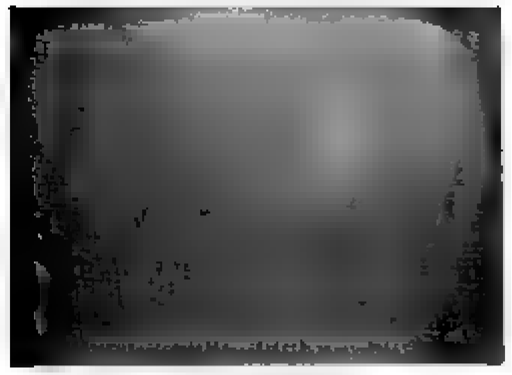
وهذه الارتكاريا تنشأ نتيجة الاحتكاك او خدش الجسم او الضغط بدلا من ظهورها تلقائيا كما في الارتكاريا العادية ، وفيها يشكو المريض من الطفح والحكة محددة بموضع الضغط وغالبا فان الارتكاريا الناتجة تأخذ الشكل الجغرافي للضربة او الخدشة وفيها يكون الجلد حساسا لاي مؤثر خارجي لدرجة انه يمكن الكتابة على سطح الجلد وتظهر الكتابة على شكل خطوط حمراء متورمة وسببها هو زيادة افراز الهستامين نتيجة الاحتكاك وزيادة افراز الجسم للمولدات الضادة في هؤلاء الاشخاص .

الارتكاريا الحبيبية Papular urticaria

وهذه تحدث في الاطفال وعادة تظهر في الاشهر الدافئة من السنة خاصة في الصيف والربيع وتكثر في الاحياء الفقيرة لانها غالبا ما تكون نتيجة لحساسية للحشرات المنزلية مثل البراغيث والبق وتظهر الحبيبات في مجموعات على جميع اجزاء الجسم خاصة في الذراعين والساقين وقد تلتهب هذه الحبيبات مؤدية الى صديد والتهاب ويستمر المرض من اسابيع الى شهور .

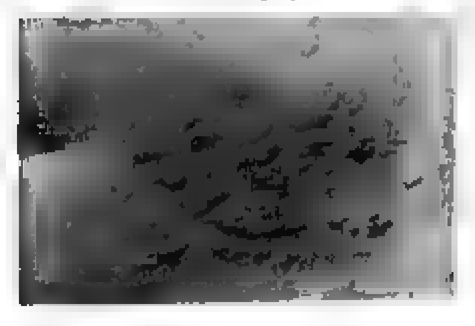
ارتكاريا كولينية Cholinergic urticaria

ويتميز الطفح فيها بحبيبات صغيرة في حجم



الكتابة الجلدية في ارتكاريا الضغط

ارتكاريا حادة عادية



رأس عود الكبريت الى حبه البسلة ولونه مصحوبة بتصبب عرق . وتظهر في الشبان متوسطي الاعمار نتيجة الانفعال او الاجهاد او التمرينات الرياضية او زيادة الحرارة المحيطة بالجسم . وفيها تكون الحكة خفيفة وهي تحدث نتيجة زيادة افراز الجسم لمادة الاستيل كولين او ان الجسم عنده حساسية زائدة لهذه المادة حتى عند افرازها بالكميات الطبيعية .

الارتكاريا العملاقة Giant urticaria

وتسمى كذلك بالاستسقاء الوعائي العصبي ، وهي ارتكاريا حادة تظهر فيها انتفاخات محدودة الشكل في المناطق سهلة التمدد مثل الجفون والشفاه والفم والمفاصل والاغشية المخاطية والاعضاء التناسلية وهي تظهر بسرعة كما انها تختفي بسرعة حيث تستمر لبضع ساعات او يوم او يومين فقط ويبدو الانتفاخ محمرا وربما مصحوبا بالالم بعض الشيء وكثيرا ما تظهر هذه الحالة في المساء اثناء النوم ويصحو بها المريض .

ارتكاريا نتيجة لدغ الحشرات :

وهذه عادة تصيب الاطفال اكثر من الكبار وتقل

مدة اطول لبضعة ايام حتى تختفي .

كما ان هناك انواعا اخرى من الارتكاريا نادرة الحدوث مثل الارتكاريا التلامسية التي تظهر مع بثرات وفقاقيع او الارتكاريا النزيفية حيث تكون مصحوبة بنزيف .

التشخيص والعلاج

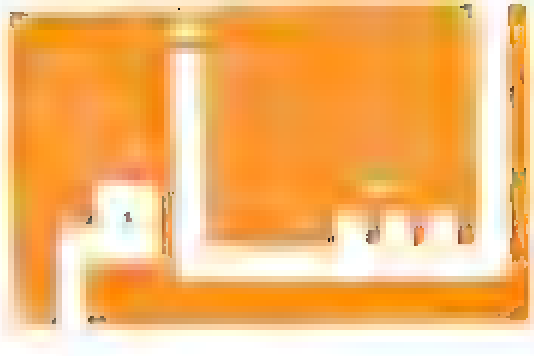
انه من السهل تشخيص الارتكاريا كما ان معرفتها من بين الامراض الجلدية الاخرى بسيطة ، ولكن احيانا قد تكون الارتكاريا هي بداية مرض آخر او جزء من مرض آخر مثل الالتهاب الجلدي الفرسي، داء الفصاع ، الطفح الوردي المتعدد ، ولذلك يجب الانتباه الى ذلك والتفرقة بينها والمهم هو اكتشاف السبب وعلاجه حتى لا يعود المرض ثانية ولذا يجب ملاحظة اذا كانت هناك ميول عائلية للارتكاريا او الحساسية بوجه عام وملاحظة الناحية النفسية او اي اضطرابات عصبية، واخذ التاريخ المرضي للشخص بعناية عن اي امراض سابقة او التهابات يشكو منها المريض وما هي الادوية والعلاجات التي استعملها قبل ظهور هذا الطفح مهما كانت ادوية بسيطة مثل حبة اسبرين او حبة ملينة وحتى الفيتامينات ونقط العين والانف والمضمضة وشامبو الشعر وكريم الاسنان . وكذلك الاستفسار عن انواع المأكولات التي تناولها المريض مع ملاحظة ان الارتكاريا قد تحدث بعد ثوان من تناول الدواء او الاكل او بعد ذلك الى ٢٤ ساعة وربما يكون قد اخذ نفس الدواء سابقا ولم تحدث له الحساسية كذلك يجب الكشف عن وجود اي بؤرة صديدية بالجسم مثل التهاب اللوزتين او الاذن او الاسنان او البروستاتة . وعند الاشتباه في المادة المسببة للارتكاريا فانه يجب ازالتها من الاكل ثم ادخالها ثانية لرؤية مدى تأثيرها على ظهور الطفح واذا كانت هي هذا السبب ، كما انه يجب عمل الفحوصات المعملية اللازمة مثل البول والبراز والدم لاكتشاف وجود اي التهابات او طفيليات . فاذا لم نتمكن بالرغم من كل ذلك من اكتشاف سبب الارتكاريا فنلجأ لعمل تجارب الجلد بواسطة الخدش او الحقن بالمواد التي يحتمل ان تسبب هذا الطفح لاكتشاف المادة المسببة للارتكاريا .

واذا كان المرض في بدايته نتيجة لاخذ غذاء معين او دواء فانه يفضل عمل غسيل للمعدة ببيكربونات الصوديوم وكذلك اخذ شربة زيت خروع او حقنة شرجية والامتناع عن اخذ اي دواء او غذاء قد يسبب الارتكاريا مثل التي سبق ذكرها . والمهم هو الامتناع عن استعمال الدواء في جميع صوره فمثلا اذا كان الشخص عنده حساسية اليود فيمتنع كذلك عن استعمال دهان اليود موضعيا والادوية المحتوية عليه مثل ادوية السعال وخلافه ، ومنع الطعام المحتوي على اليود والاغذية المحتوية على اليود مثل السمك والزيبان وام الخلول .

وقد لوحظ ان استعمال حمامات باردة مضافا اليها كربونات الصوديوم او النشا تؤدي الى تخفيف الحكة والطفح . يأتي بعد ذلك استعمال الادوية مضادات الحساسية ، وذلك مع استعمال الكريمات الموضعية المحتوية على الزنك او الكالاميا والمنثول . وفي الحالات الشديدة او المستعصية يستعمل الكورتيزون بالحقن او الفم ومراهم موضعية ، وكذلك يفضل اعطاء فيتامين (ج) لتقوية جدار الشعيرات الدموية كما انه يجب علاج النواحي النفسية واي بؤرة صديدية بالجسم وتعديل اي اضطراب هرموني او اضطراب في الاملاح بالجسم ، وفي حالة الارتكاريا العصبية يجب تجنب العقاقير التي تعمل بالتنبيهات كما انه في الارتكاريا نتيجة العوامل الطبيعية يجب تجنب الضغط او البرودة والسخونة والامتناع عن اكل الايس كريم والمشروبات الباردة .

ولمنع تكرار حدوث الارتكاريا او تخفيف حدتها ممكن عمل سلب الحساسية اي Desensitization الا ان هذه الطريقة لها بعض المخاطر اذا كانت الحساسية شديدة كما انها غير مؤكدة في الارتكاريا ويمكن عملها باعطاء المريض حقن تحت الجلد من المسببات بكميات بسيطة جدا تزاد تدريجيا او ادخال المادة المسببة نفسها او مستخلص منها بنسب بسيطة تدريجيا ، كذلك فانه قد ثبت ان حقن المريض بمصل التيفويد او حقنه بواسطة دم يؤخذ من وريده هو شخصيا قد يساعد في بعض الحالات . وفي الارتكاريا نتيجة البرودة يمكن سلب الحساسية بواسطة حمامات باردة وزيادة البرودة تدريجيا كما انه لتخفيف حدة ارتكاريا الضغط يعمل الضغط على الجسم يوميا بينما هو تحت حمام ساخن .

ابراهيم محمد القشلان





بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

● ليس من شك في أن « السأم » شعور بشري سوي ... فقد عرف البشر في كل زمان ومكان ، حالات الملل ، والضيق ، والضجر ..

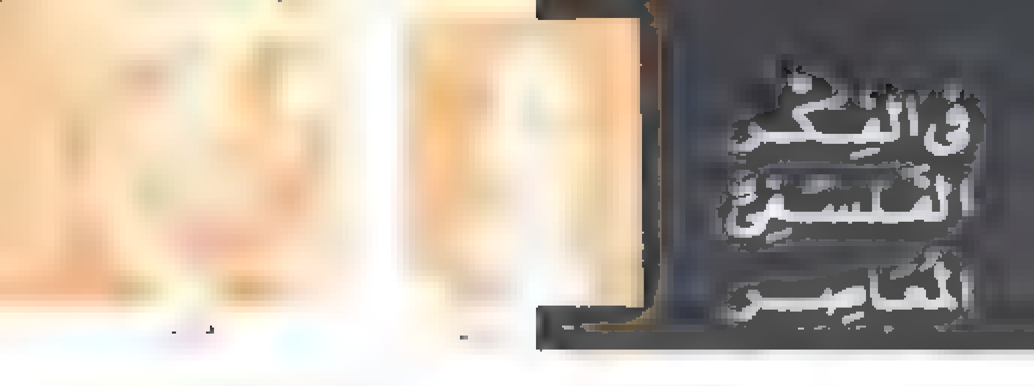
والسأم قد تصحبه ظروف أو ملابسات تطوف بالخاطر فنظن أنها علته وهي لا يمكن أن تكون العلة الحقيقية لشعور السأم ، بل هي مجرد ظروف مساعدة أو ظروف ملائمة لنمو الشعور بالملل ، في هذه [illegible] ولدى هذا [illegible] « السأم » نفسه فهو شعور [illegible] ديمومة الحياة ، ولا [illegible] في احساسنا بالزمان [illegible] ولعل هذا ما عبرنا عنه في موضع آخر حين كتبنا نقول :

« إننا حين نتحدث عن « السأم » ، فإننا لا نتحدث عن شيء دخيل على الحياة البشرية ، بل عن عنصر هام من مقومات وجودنا البشري ، بوصفه وجودا [illegible] يتذبذب بالتناوب بين اللذة والألم ، بين السعادة والشقاء ! ومتى سئم الانسان فانه لا بد من أن يشعر بالحاجة إلى قتل الوقت ، ومن هنا فقد اضطر الانسان إلى أن يبتدع حيلا يخلص بها نفسه من شبح الملل حتى ينفق من وقته دون حساب ! وهكذا تفنن البشر في خلق وسائل التسلية ، ولكنهم سرعان ما تحققوا من أن التسلية نفسها لا بد حتما من أن تولد السأم ، حتى أن المرء لا يسأم من السأم فحسب ، بل هو يسأم من التسلية أيضا ! » . ولو أننا تنبهنا الطابع الحقيقي لشعورنا بالديمومة ، لأدركنا أن « السأم » هو السم الناقع الذي ينخر كالسوسة في لب كل موجود بشري ! أجل ، فان الوجود الزماني الذي يظل طوال حياته يتحسر على الماضي ويتلهف على المستقبل ، دون أن يستطيع يوما الاستمتاع بمتاع الحاضر ، انما هو في الوقت نفسه الحيوان الملول الذي يضيق ذرعا بذكريات الماضي ، ويشعر بالقلق لفرط تطلعه إلى المستقبل ، ويحس بالضجر لانحصاره في الحاضر ! .

الدلالة الروحية للسأم عند بسكال

وقد فطن الفلاسفة — من قديم الزمان — إلى مكانة « السأم » في الحياة الانسانية ، فراح أرسطو يعلن أن الحياة تكمن في الحركة ، وأن العلاج الوحيد لمرض السأم لا يكون إلا [illegible] ، والاستغراق في عمل من الأعمال ، وسواء أكان العمل الذي يقوم به الانسان هو صنع سلة ، أو تأليف كتاب ، فإن المهم أن يحصل على يديه عمل يكون صنيعة يده ، ويكون ثمرة لجهد طويل النفس ... وحين تغزل الأم لابنها قميصا من الصوف ، فانها تصنع العمل بتلك الخيوط التي تنسجها بكل صبر وأناة ! ولكن الفلاسفة القدماء لم يتوقفوا طويلا عند الدلالة الميتافيزيقية للسأم ، لأنهم لم ينجحوا في فهم حقيقة الديمومة أو الزمان النفسي ، فبقي حديثهم عن السأم مجرد حديث أخلاقي عرضي .

وجاء بسكال (١٦٢٣ — ١٦٦٢) Pascal — في العصر الحديث — فراح يحدثنا بإسهاب (في خواطره Pensées) عن علاقة السأم بالزمان النفسي ، وارتباطه بحالة السكون أو الامتناع عن العمل ، وانهماك الناس في شتى مظاهر التسلية من أجل القضاء عليه .. الخ . والواقع



ان الطبيعة البشرية ـ فيما يقول بسكال ـ تنزع بالضرورة نحو الحركة ، لدرجة ان السكون التام لا يمكن ان يعني ـ بالنسبة اليها ـ سوى الموت . وهناك اخطاء ثلاثة تدخل في تكوين الوضع البشري ، الا وهي الضجر (او عدم الثبات) ، والسأم ، والقلق . وليس اشق على الانسان من ان يبقى في حالة سكون تام ، دون ادنى هوى او انفعال ، وبغير ما اهتمام او انشغال ، ومن دون اية ملهاة او تسلية ، وبلا عمل يعمله او جهد يقوم به . وهو لو بقي كذلك ، لاستشعر بكل حدة عدمه او « لا وجوده » ، وعجزه او قصوره ، وتبعيته او عدم استقلاله ، وقصوره او افتقاره ، وفراغه او خوائه ... الخ . وهو لو استرسل في هذه الراحة ، لوجد نفسه مضطرا بعد حين الى اجترار مشاعر السأم ، والسوداوية ، والحزن ، والشقاء ، واليأس .. الخ (خطرة رقم ١٣١) .

وإذا كان البشر قد اخترعوا الحروب ، والمغامرات ، وشتى وسائل التسلية ، فذلك لانهم قد فطنوا الى استحالة الحصول على سعادة مطلقة ، او فراغ تام ، او راحة كاملة ! وحسبنا ان نمعن النظر الى المخاطر التي اصطنعها البشر ، والاضطرابات التي عملوا على خلقها ، والجهود المضنية التي طالما قاموا بها ، والاهواء العنيفة التي طالما ثارت في نفوسهم ، والمشاريع الجسورة التي طالما اقدموا على العمل على تحقيقها ، لكي نتحقق من ان المصدر الاوحد لشقاء البشر هو انهم لا يستطيعون ان يبقوا ساكنين هادئين بين اربعة جدران ! ولو كان في وسع الانسان ان يبقى مستمتعا بهدوء البال في غرفته الخاصة ، لما فكر في مخاطر الحروب ، ومغامرات البحار ، وشتى مشاريع العمل . وليس اللهو ، واللعب ، وشتى وسائل التسلية ، سوى ذرائع اخترعها البشر للفرار من ذواتهم ، والخروج عن عزلتهم (خطرة رقم ١٣٩) .

صحيح ان الانسان قد ينشد الراحة ، فتراه يحاول الانتصار على العقبات ، من اجل الظفر بالسكينة ، ولكنه ما يكاد يتغلب على الصعاب ، حتى يصبح السكون ـ بالنسبة اليه ـ امرا عسيرا لا سبيل له الى احتماله ! وهو ما يكاد يخلد الى الراحة ، حتى يسرع في الامتداد ببصره الى ما ينتظره من آلام ، وما يتوعده من مخاطر ! بل انه حتى اذا احس بانه في مأمن من كل خطر ، فانه سرعان ما يجد نفسه نهبا للسأم ، وكأن جذور السأم متأصلة في اعماق قلبه ، بحيث ان اقل فراغ قد يكفي لبث سموم السأم في كل حياته الروحية . وهذا هو السبب في ان الانسان قد يسأم ، حتى ولو لم يكن هناك اي مبرر ظاهر او اية علة حقيقية للسأم !

قطبا « الألم » و « السأم » في فلسفة شوبنهاور التشاؤمية

واما الفيلسوف الذي افاض في تحليل الشعور بالسأم لدى الوجود البشري ، فهو شوبنهاور (١٧٨٨ ـ ١٨٦٠) Schopenhauer في كتابه « العالم ، ارادة وتصورا » . وقد ربط الفيلسوف الالماني الكبير السأم بالشعور بالزمان « الحي » ، فراح يقول : « ان الزمان ليضغط علينا باستمرار ، دون ان يترك لنا الفرصة حتى لكي نلتقط انفاسنا ، وكأنه السيد الصارم القاسي الذي لاحقنا سوطه القاسي الناري لكي يلهب ظهورنا بضرباته اللاسعة المتلاحقة ! واما حين يرفع الزمان يده عن ظهورنا المكلومة الدامية فما ذلك الا لكي يسلمنا الى شقاء السأم » !

والواقع ان للحياة البشرية ـ فيما يقول شوبنهاور ـ قطبين اساسيين ، الا وهما : الحاجة من جهة ، والسأم من جهة اخرى . والحاجة هي التي تدفع بالانسان الى البحث عن الاشباع ، والعمل على

بلوغ حالة الاستمتاع . ولكن الانسان ما يكاد يحقق رغبته ، ويشبع حاجته ، حتى يجد نفسه نهبا للاحساس الأليم بالخواء والسأم . ومعنى هذا ان « اللذة » حالة سلبية تكمن بين حالتين ايجابيتين من « الألم » ، الا وهما حالة « الحاجة » او «الحرمان» من جهة ، وحالة «الســأم» او «الملل» من جهة أخرى . وليما لذلك فان الحياة البشرية هي أشبه ما تكون بالبندول الذي لا يكف عن الذبذبة والحركة ، منتقلا باستمرار من حالة « الألم » الى حالة « السأم » . « ولقد أحال الانسان كل الآلام والمآسي وشتى ضروب العذاب الى الجحيم ، فلم يبق أمامه من شيء يضعه في الفردوس سوى السأم » ! واذا كان من شأن الرغبات الحادة الأليمة أن تقلق نفوسنا بوخزاتها القارصة المتلاحقة ، فان من شأن الرغبات المتحققة المشبعة أن تولد لدينا احساسا اليما بالسأم الممض والملل القاتل ! فالسأم حمل ثقيل تنوء به أنفسنا ، لأنه يقودنا الى الشعور بالخواء والتفاهة وبطلان كل شيء ! . وكثير من الموسرين الذين نجحوا في الحصول على ثروات طائلة ، يقعون فريسة لهذا الاحساس الأليم بالسأم : الا تجيء ثرواتهم لتحررهم من شقاء الجهد والعمل ، لكي تسلمهم الى حياة الفراغ والبطالة ؟ وعندئذ نراهم يندفعون الى القيام بالكثير من الاسفار والرحلات ، متنقلين من مكان الى آخر سعيا وراء التسلية وقتل الوقت ، دون أن ينجحوا مطلقا في القضاء على احساسهم بالخواء والفراغ ! ومن هنا فان السأم ـ في رأي شوبنهاور ـ مرض يصيب ذوي الطبائع السامية المتفتحة ، لأنه مثله يلحق ـ على وجه الخصوص ـ باولئك الناس العاديين الذين يحسون بقطع الوقت بدلا من أن يشغلوا أنفسهم باستخدامه أو الافادة منه . وهكذا نرى أن « السأم » ظاهرة بشرية أصيلة في هذه الفلسفة التشاؤمية القائمة على « ارادة الحياة » العاشمة العمياء .

ولو أننا ألقينا نظرة فاحصة على تحليل شوبنهاور للسأم ، لوجدنا أنه تحليل « شبه أخلاقي » يقتصر على النظر الى حالة السأم باعتبارها مجرد مظهر من مظاهر ضيق الانسان بالعالم . فليس السأم ـ في نظر شوبنهاور ـ سوى حالة سلبية أليمة (ان لم نقل قاتلة) تحيل الحياة ـ بالنسبة الينا ـ الى عبء ثقيل لايطاق ! واذا كان الفيلسوف الالماني الكبير قد جعل من « السأم » القطب الآخر المقابل للحاجة أو « الرغبة » ، فذلك لأنه قد لاحظ أن اشباع الحاجة أو تحقيق الرغبة يؤدي بالضرورة الى حالة « الامتلاء » أو « الشبع » ، ومثل هذه الحالة ـ اذا دامت ـ لا بد من أن تفضي الى الشعور بالخواء أو « السأم » . ومعنى هذا أن تحليل شوبنهاور للحاجات ، والميول ، والبواعث هو الذي قاده الى الحديث عن الآلام ، والشرور ، والتشاؤم . والحق أننا « نتألم » لأننا « نرغب » في الحصول على الكثير من الأشياء ، فاذا ما توافرت لنا تلك الأشياء (أو بعض منها ـ على الأقل ـ) ، أحسسنا بالسأم والخواء لأن مجرد استمرارنا في امتلاك الأشياء ، قد ينطوي ـ في نظرنا ـ من معاني الرتابة والتكرار ، ما قد يجعلنا نضيق ذرعا بكل ما كنا نحترق شوقا للظفر به ! ومن هنا فان « السأم » خاصية بشرية يتصف بها الجميع ، وان كانت أظهر لدى العوام من الناس ، نظرا لأن هؤلاء لا يحسون بسرور الفكر لذاتها ، بل هم يحتاجون الى العقل بمهمة تزويد الارادة بالبواعث ! وبهذا المعنى يكون « السأم » ـ في نظر شوبنهاور ـ وثيق الصلة « بالارادة » التي تطفو على سطوح الأشياء ، دون أن تعنى نفسها بالغوص في أعماق الأعماق ، بل دون أن تأخذ على عاتقها مهمة العمل على استخدام الزمان ، بدلا من الاقتصار على تبديده ! .

« السأم من الحياة » عند الأديب الفرنسي فاليري

بيد أن مفكري القرن العشرين لم يروا في « السأم » مجرد حالة نفسية أو شعور أخلاقي ، بل هم قد وجدوا فيه موقفا بشريا أصليا أو واقعة ميتافيزيقية جوهرية . ولم يكن فلاسفة الوجودية هم أول من فطن الى هذه الدلالة الميتافيزيقية للسأم ، بل لقد سبقهم الى ذلك بعض الشعراء والأدباء الذين نجحوا في ادراك صلة السأم بالنسيج الأصلي للحياة البشرية . ولعل هذا ما عبر عنه الأديب الفرنسي الكبير بول فاليري Paul Valery (١٨٧١ ـ ١٩٤٥) حينما كتب يقول ـ في كتابه « الروح والرقص » ـ : « هذا المرض الذي هو مرض الأمراض ، وهذا السم الذي هو سم السموم ، هذا السم المضاد للطبيعة كلها ، انما هو ما نسميه بالسأم من الحياة ! انه ليس بالملل العارض ، ملل التعب

والقلق ، أو الملل الذي يمكن رؤية أصل جرثومه أو الوقوف على حدوده ، بل هو السأم الكامل ، السأم الخالص ، السأم الذي لا يرجع منشؤه الى سوء الحظ أو المرض أو الضعف ... الخ . انه السأم الذي ليس له من مادة سوى الحياة نفسها وليس له من سبب سوى وضوح بصيرة الحس . وأخيرا ، هذا السأم المطلق ليس في ذاته الا الحياة عارية تماما ، اذا نظرت الى نفسها بوضوح » . وواضح من هذا النص أن بول فاليري يقيم تفرقة أساسية بين « الملل » العارض من جهة ، و « السأم » الجوهري من جهة أخرى . « فالقلق » حالة نفسية عرضية لها أسبابها المحددة وظروفها المعينة ، في حين أن « السأم » موقف بشري أساسي ليس له علل محددة أو ملابسات عارضة . والانسان الذي يسأم الحياة ، لا يسأمها لرض ألم به ، أو سوء حظ عرض له ، بل هو يسأمها لأنها ـ بحكم ما فيها من ديمومة ـ تجلب عليه الرتابة والملل ! وهذا الطابع الميتافيزيقي للسأم هو الذي حدا بواحد من الفلاسفة المعاصرين ـ الا وهو جانكلفتش ـ الى التوقف طويلا عند « خبرة السأم » بوصفها أعمق الخبرات الميتافيزيقية الأساسية للموجود البشري باعتباره « موجودا زمانيا » .

هل تكون مشكلة السأم عند جانكلفتش مشكلة ميتافيزيقية صرفة ؟

والأستاذ فلاديمير جانكلفتش Jankelevitch ـ أستاذ الأخلاق بجامعة باريس ـ (١٩٠٣ ـ ؟) ميتافيزيقي ، وعالم أخلاق ، وفيلسوف جمالي ، وموسيقار في آن واحد . وهو يعكس في تفكيره أصداء كل من أفلوطين ، وبسكال ، وبرجسون ، ولكنه في الوقت نفسه واحد من رجالات « مدرسة باريس » L'Ecole De Paris التي حملت لواء الوجودية الفرنسية على أعقاب الحرب العالمية الثانية . ولئن يكن من العسير على مؤرخ الفلسفة المعاصرة أن يلحق اسم جانكلفتش بأية نزعة فلسفية محددة ، الا أن من المؤكد أن المفكر الفرنسي الكبير يندرج بميوله الواقعية العينية تحت حركة « فلسفات الوجود » . والسمة الغالبة على فكر جانكلفتش هي التحليل الميتافيزيقي العيني لشتى « الماهيات الأزلية » للروح البشري ، من أجل الامساك بها في صميم ديمومتها المتغيرة العابرة ! فنحن هنا بازاء فيلسوف أخلاقي يحاول الوقوف على الدلالات الميتافيزيقية لحالات بشرية مسوغة كالسأم ، والاختيار ، والتهكم ، والشر ، والغواية ، والخطيئة ، والندم ، وغيرها من القوى الباطنية المتصارعة في أعماق النفس البشرية . وجانكلفتش حريص كل الحرص على فهم ألوان القسمي ، والاعيبه ، وحيله ، وشتى أساليبه الملتوية في التعامل مع نفسه ومع الآخرين ! وهو حين ينظر الى الانسان فانه لا يرى فيه موجودا متسقا متكاملا ، بل موجودا متعارضا منقسما على ذاته ، ومن ثم فانه يجده « موجودا هجينا » أو « خليقة متوسطة » Creature Intermediaire ولا بد لمثل هذا الوجود ـ فيما يقول فيلسوفنا ـ من العمل على اشاعة ضرب من النظام أو الاتساق في صميم عالمه الباطني (بمعنى . حياته الروحية المهوشة المختلطة) عن طريق الاهابة بالفن من جهة والعمل على تحقيق الفضائل من جهة أخرى . ولكن بيت القصيد في كل فلسفة جانكلفتش أنها فلسفة فنان مرهف الحساسية مشبوب الوجدان ، وان كانت في الوقت نفسه فلسفة عالم أخلاق قد أخذ على عاتقه أن ينطق باسم « القيم » وأن يرفع صوت « الانسان » .

وقد تصدى جانكلفتش للحديث عن « مشكلة السأم » في كتابين هامين من كتبه : أحدهما ظهر عام ١٩٢٨ تحت عنوان : « البديل » L'Alternative والآخر ظهر عام ١٩٦٣ تحت عنوان : « المغامرة ، والسأم ، والجدية » : L'Aventure, l'ennui, le Sérieux . ولا يكاد يخلو كتاب واحد من كتب الأستاذ جانكلفتش من الاشارة (أو أكثر) الى المشكلة التي نحن بصددها ، وكأنما هو قد وجد في « السأم » الخاصية الميتافيزيقية الأولى التي تميز احساس الوجود البشري بالديمومة أو الزمان النفسي . والحق أن « السأم » ـ في نظر فيلسوفنا ـ ليس مجرد احساس عابر ، أو شعور عارض ، بل هو عذاب معقد ، ودوار خطير لا سبيل الى تحديده . واذا كان للسأم طابع ميتافيزيقي ، فذلك لأنه يمثل شرا قد تلبس بصميم وجودنا ، وكأنما هو المرض المحتوم الذي لا بد من أن يلحق نفس الديمومة الوجود لدينا . وعلى حين أن للحزن أو الأسى أو الألم أسبابا محددة يمكن الوقوف عليها ، أو عللا مؤثرة يمكن الارتداد اليها ، فاننا نجد أنه ليس للسأم من سبب محدد أو علة معينة ، اللهم الا الوجود نفسه ! فنحن نسأم لأننا موجودون ، أو على الأصح لأننا موجودات زمانية

لعلك احساسا بالديمومة . وقد يحاول السئم ان يجعل سببه معروفا ، فتراه يعمد الى البحث عن علل يبرر بها ذاتـــه ، ولكن كل هذه العلل الخارجية لا تزيد عن كونها مجرد « علل مصادفة » : Causes Occasionnelles ، كما هو الحال مثلا بالنسبة الى ضروب السأم الناشــئة عن الطقس ، او المزاج ، او الهبوط النفسي .. الخ .

ولكن ، هل من علاج للسأم – في نظر جانكلفتش – ؟

اما اذا تساءلنا عما اذا كان ثمة عـلاج لهذا المرض الميتافيزيقي الخطير الذي يسمونه باســم « السأم » ، كان رد جانكلفتش على هذا التساؤل أن هناك دواء ناجعا لهذا المرض ، على شرط أن تصح عزيمة المرء على الشفاء ! وليس هذا الدواء سوى الخروج من الذات بأي ثمن ، عن طريـق التواصل الاجتماعي ، من اجل التعلق بشيء ما من الاشياء ، او البحث عن « الوحدة » الروحيـة الحقة التي ليست من « العزلة » في شيء ، او العمل على اجتناب كل جديد ، او تحقيق التآلف بيننا وبين ايقاع الحياة اليومية ، او القضاء على اللهفة المحمومة التي تستعجل الزمان وتســتبق الاحداث ! فليس من مصــلحتنا ان نعمل على مضاعفة سرعة الزمان : لأننا عندئذ لن نلبث ان نصاب بالقلق ونفقد القدرة على التركيز او الانتباه . وانما يجدر بنا دائما ان نعمل على امتلاك ناصية الزمان ، حتى تصبح « الديمومة » حقيقة نفسية نقوم نحن بتوجيهها ، والسيطرة عليها ، والتحكم فيها . وهيهات لنا ان نعيد الى لحظات الزمان كل امتلائها ، اللهم الا اذا توافرت لدينا صـفات الصبر ، والتواضع ، والقدرة المســتمرة على معاودة الجهد ..

والواقع ان الزمان النفسي لا يسير من تلقاء نفسه بسرعة واحدة مطردة ، بل نحن الذين نستعجله على التحقق والانقضاء ونحن الذين نكوره ونبتنيه لأننا نحن الذين نفرض عليه من الايقاعات ما يتطابق مع تقلبات الزمان البيولوجي والاجتماعي . واذا كان للزمن اقتصاده الخاص ، فذلك لأن هناك استخداما حسنا ، واستخداما سيئا ، لكل من الحاضر والماضي والمستقبل . والسأم شاهد على ان هذا التنافر القائم بين ديمومتين لا توافق بين ايقاعيهما ، انما هو الذي يولد لدينا أخطر ضروب الاضطراب . وعندئذ قد يصيب الوعي مس من الجنون ، فلا يعود يعرف كيف يستبقي اللحظة الراهنة ، او كيف يفيد من الفرصة السانحة . وربما كان من واجبنا – في بعض الاحيان – ان ندع كل شيء في النشاط الحيوي التلقائي ، دون ان نتدخل في مجراه ، او ان نشغل انفسنا به ، وبذلك نتجنب الجمع بين ديمومتين مختلفتين ليس من شأنهما ان تتواجدا معا في مجرى الشعور . ولعله من الملاحظ – في الحالات السوية – اننا لا نفكر عادة في جهازنا الهضمي ، او في ضربات القلب ، او في ايقاع تنفسنا ، الا الويل كل الويل لمن تحدثه نفسه بملاحظة تلك الظواهر ، او الرغبة في مراقبتها او الحرص على التحكم فيها باستمرار ! وكثيرا ما تكون صعوبة التنفس – في صورها العصبية – (خصوصا في حالات الارق) مجرد صورة من صور هذا التدخل الارادي الذي يحاول معه المرء التحكم في تنفسه ، او العمل على تنظيم ايقاعاته ، فلا يلبث ان يشـــل الحركات الطبيعية التلقائية لجهازه التنفسي (وهي الحركات التي تتم على أحسن وجه دون أدنى تدخل من قبلنا نحن) ، وعندئذ قد ينتهي به الامر – في خاتمة المطاف – الى الاختناق ! (1) .

« ونحن نوافق جانكلفتش على ان للسأم دلالة ميتافيزيقية عميقة » : فان السأم تعبير عن فشل الوجود البشري .

نظرية هارتمان في « السأم الأخلاقي » ..

واما الفيلسوف الذي حاول ان يكشف لنا عن الدلالة الاخلاقية للسأم ، فهو المفكر الالماني المعاصر نيقولاي هارتمان Nicolai Hartmann (١٨٨٢ – ١٩٥٠) الذي يعتبر من أكبر فلاسفة القيم في القرن العشرين . والسأم – في نظر فيلسوفنا – هو الذي يدفع بالانسان المعاصر الى البحث باستمرار عن احدث الاشياء واكثرها جدة ، حتى لقد اصبح الوجود البشري المعاصر عاجزا عن تذوق ما يمر به من تجارب ، او التمعن فيما يقع له من احداث ، نظرا لانه قد اصبح محكوما دائما بالجديد المستطرف ! ولا غرو ، فقد صارت حياتنا انتقالا من احساس الى احساس ، ومن خبرة الى خبرة ، دون أن ننفذ الى

---

(1) Jean Pucelle: Le Temps, Paris, P.U.F., 1959, PP 20-21

شيء ، أو تتوقف عنه شيء ، أو ننتقص شيئاً ، حتى لقد تبلدت ـ أو كادت ـ كل حساسيتنا بالقيم ، فأصبحنا نقتصر على اجترار بعض الأحاسيس ! والواقع أن الإنسان الحديث موجود قلق ، متهور ، مسلف ، كثير السأم ، ان لم نقل بأنه كائن سطحي لا شيء يلهمه ، ولا شيء يمسه ، ولا شيء يحرك كوامن وجوده الباطني ! وربما كان « السأم » الذي يستشعره هذا الوجود هو المسئول عن احساسه بالبلد وعجزه عن التعجب ، وعدم قدرته على التناغم مع ايقاعات الحياة . وقد يكون السأم ـ أحياناً ـ ناجماً عن التكرار ، والرتابة ، والالية وانعدام التجديد ، ولكننا قد نلتقي أيضاً بسأم آخر قوامه الشعور بالخواء ، والتفاهة ، والعبث وبطلان كل شيء ! وهارتمان يلاحظ أن ما يكمن وراء أسلوبنا السطحي في الحياة ، انما هو « الخواء الباطني » الذي يولد لدينا الاحساس بالسأم . وقد لا يكون عصرنا هو أول عصر من العصور التاريخية التي ظهرت فيها مثل هذه الأوضاع الحضارية الخطيرة ، ولكن من المؤكد أن هذه الضحالة في الاحساس بالقيم قد اقترنت دائماً ـ حيثما ظهرت ـ بأعراض الضعف ، والانحلال ، والسأم ، والخواء ، والجدب الباطني والاحساس المبهم باليأس والتشاؤم . وليس خواء الحياة الخارجية للانسان ورتابتها سوى مجرد صدى لخواء حياته الباطنية ورتابتها ، ان لم نقل مجرد انعكاس لعماه الأخلاقي .

فاذا ما تساءلنا عن السبيل الى علاج هذا الداء الأخلاقي ، كان جواب هارتمان أنه لا سبيل الى شفاء الانسان من مرض السأم ، اللهم الا اذا استعاد قدرته على الدهشة ، والاعجاب ، والتذوق ، ورؤية القيم .. الخ . والمهمة التي تقع على عاتق فيلسوف الأخلاق ـ في عصرنا الحاضر ـ هي أن يعمل على استثارة ما لدى الانسان من قدرة على الاعجاب ، ومن أجل دعوته الى اكتشاف القيم ، والمشاركة في ثراء الحياة . ولن يتسنى للانسان أن يتخلص من احساسه بالجدب والخواء والسأم ، اللهم الا اذا أصبح على النقيض تماماً من الرجل الجافي المتبلد ، والرجل البارد المتجهم ! وقد كان القدماء يطلقون على الرجل « الحكيم » اسم « الانسان العارف » ولكنهم كانوا يعنون بالمعرفة هنا شيئاً آخر غير العلم المحض لأن « المعرفة » عندهم كانت تساوي « التذوق » فكان الانسان « العارف » عندهم هو « المتذوق » . ويشرح لنا هارتمان معنى « الانسان المتذوق » ، فيقول أنه المخلوق ذو البصيرة الذي يصح أن نطلق عليه اسم « رائي القيم » . انه ذلك الانسان الواعي الذي يتمتع بقوة هائلة تعينه على تذوق قيم الحياة ، بكل ما فيها من وفرة ، وخصوبة ، وامتلاء . وهارتمان يسمي تلك القوة باسم « الملكة الخلقية » Moral Faculty ، فيحدثنا عن هذه الملكة باعتبارها حساً أخلاقياً يتفتح معه الانسان لشتى ضروب الثراء الكامنة في الحياة ، ويظل بمقتضاه الى أعماق « القيم » الباطنية في الوجود . وليست مهمة فيلسوف الأخلاق ـ اليوم ـ (فيما يقول هارتمان) سوى أن يأخذ بيد الانسان المعاصر ، لمساعدته على استرداد تلك « الحاسة الأخلاقية » ، حتى يعاود النظر من جديد الى عالم الأشياء والأشخاص ، بعين يقظة لا تعرف السأم ، بل ترى القيم في شفافية ووضوح . وحينما يتسنى للانسان أن يسترد هذا « الامتلاك الواعي » لملكته الأخلاقية ، فهنالك ينفتح أمامه ـ من جديد ـ ذلك العالم الروحاني الذي كان هو نفسه قد أغلقه في وجه نفسه ! (1) .

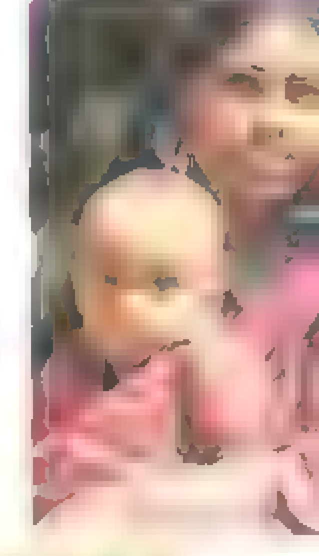
وهكذا نرى أن هارتمان ـ بتحليله الأخلاقي لمشكلة السأم ـ قد انتهى بتحليل جانكلفتش الميتافيزيقي لهذه الظاهرة عينها ، باعتبارها مظهراً لوجود خواء باطني يكمن من خلف الملأ السطحي للوجود ! وماذا عسى أن يكون السأم في الحقيقة ان لم يكن هو الشعور بأن الأشياء تنزلق فوق سطح الشعور ، دون أن تحدث أثراً ، بل دون أن تولد في الوعي أي صدى حقيقي ؟ أليس السأم هو الشعور بأن شيئاً لا يحدث ، أو ـ على الأقل ـ بأن شيئاً من كل ما يحدث لا يمسنا ، ولا يهمنا ، ولا يحركنا !؟ فهل من عجب بعد ذلك في أن يكون « السأم » ـ وهو في الأصل مرض التخمة والافراط والامتلاء والتشبع ، مجرد تعبير عن الخـواء والفراغ والاجداب والاقفار !!؟ .

د. زكريا ابراهيم

(1) N. Hartmann: Ethics., Vol. 1 English Translation, Allen Unwin 1958 PP 63 64

سقطرى

هنا يولد الإنسان ويعيش ويموت ويطوى وكأنه ما كان !



استطلاع
سليم زبال

تصوير
أوسكار متري



- رغم التقويض: الشجرة الجريحة المتعالية على آلامها



■ أليس غريبا ان يتحول الالم والانين الى اغنية تتردد على شفاه سكان جبال سقطرى .. ؟

كانوا اسرى مكبلين بالحديد .. وكانوا يصرخون «واي .. وايايا .. وحاي .. حايب» منذ اكثر من اثني عشر قرنا .. واذا بهذه الصرخة نعيش .. ويتردد صداها الى اليوم بين صخور هذه الجبال التي وقفت بشموخ تتحدى الزمن ..

لقد انتصر استطلاعنا السابق على سواحل جزيرة سقطرى ، اكبر جزر وطننا العربي واكثرها غموضا .. واليوم ننطلق الى قلب هذه الجزيرة .. الى جبالها العالية ووديانها الغامضة حيث الصبر الجيد الذي لا يوجد مثله ، والبخور ، ودم الاخوين ، والنخيل الكثير ، والنمر المهندي ، وعشرات القصص والاساطير يرويها المؤرخون عن عجائب هذه الجزيرة .. جزيرة الجن .. جن شجرة البخور ، حسب قولهم !

ابناء العم يتوارثون السلطنة

استيقظنا مع خيوط الفجر على صوت رغاء الجمال المختلط باصوات الجمالين ، وهم يجذبون الجمال من ازمتها لتبرك في الزقاق الضيق الملاصق لمنزل السلطان السابق ، حيث كنا نقيم في حديبو عاصمة سقطرى . انه قصر : « صاحب العظمة السلطان احمد بن عبد الله بن عيسى بن احمد بن سعد عفرار ، ملك المهرا وسقطرا » هكذا وجدنا الاسم مطبوعا على ورقة منسية في المنزل . انه واحد من سلاطين بني عفرار الذين حكموا سقطرى من عام ١١٨٢ حتى مولد جمهورية اليمن الجنوبية عام ١٩٦٧ .

القافلة تسبق الجمل

وتركنا « القصر » وبدأنا نراقب عملية حزم الامتعة داخل سلال من سعف النخيل لتربط على جانبي سنم الجمل .. كان الجمالون يتسابقون لحمل اخف الامتعة حتى لا يثقلون على كاهل جمالهم .

كان علينا ان نأخذ هذه الجمال لتقطع الجزيرة من شمالها الى جنوبها عبر طرق جبلية ملتوية ، مرتفعة الى ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ..

وبدأت القافلة تتحرك .. سبعة جمال لسبع متابعة .. البغال تسير امام الجمال ، ونحن ركوب فوق البغال الهادئة الوديعة التي لا تثور ولا تنفر ، بعكس الجمال .

ماذا يخفي تل حسون ؟

ومررنا بتل رملي يرتفع وحيدا وسط السهل الفسيح .. انه ليس تلا طبيعيا ، وانما تل كونته الرمال المتحركة فاخفت آثارا قديمة مجهولة .. ترى هل هي آثار القلعة العربية التي لم يحتلها البرتغاليون الا بعد ملاحم بطولية رائعة سجلها اهل سقطرى العرب اثناء قتالهم مع الغزاة ؟

ام هي آثار المعبد الخيالي الذي وصفه الجغرافي ديودورس الصقلي Diodorus The Sicilian في القرن الاول قبل الميلاد بكل دقة قائلا :

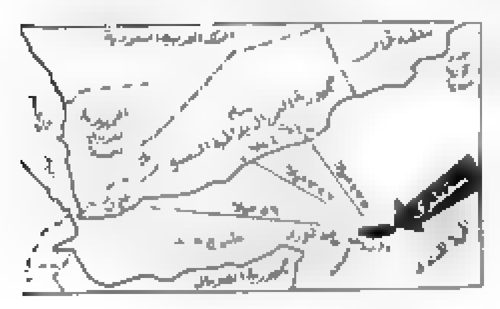
« كان المعبد مبنيا من الاحجار ... الاعمدة منقوشة بالرسوم ... وسقفه ... واسع ، وابوابه مزخرفة بالذهب والفضة والعاج وخشب الليمون » .

هذا ما ذكره ديودورس الصقلي منذ الفي عام .. وبعده لم يتحدث احد عن هذا المعبد .. ولن يستطيع احد ان يتحدث عنه قبل ازالة الرمال



شجر يحمل اغصان الاشجار ... عن غابة بالاشجار ولكنه ينمو بسرعة في وديان شجرة اللبان العربي التي يصدره ثلاثة ايام كاملة ، ومن شجرة ترجمو التي سميته





خريطتان الاولى تبين تفاصيل جزيرة سقطرى واهم الاماكن التي فيها ، والارقام التي على الخريطة توضح ارتفاع الجبال بالاقدام . ولكننا لم نستطع تبين خط السير الذي سلكناه ، لاننا دخلنا الى مناطق لم يسجلها صاحب الخريطة .. الشحص — ليكتن — هنا حالم — ديرجو — دمرهم .. والخريطة اليسرى توضح موقع سقطرى بالنسبة لجمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية

والاحجار من فوق تل حسبون ، والكشف عن الآثار التي قد تلقى ضوءا على حضارة عصر البخور واللبان في هذه الجزيرة ، التي يؤكد بعض المؤرخين ان بعثة الملكة حتشبسوت الى بلاد بنت جاءت اليها لاخذ البخور منها .

الانسان اولا ..

ولكن الكشف عن الآثار وتاريخ الجزيرة لا يمكن ان ياخذ طابع الاستعجال .. لان هناك ما هو اهم .. هناك عملية الكشف عن الانسان السقطري الذي ما زال قابعا في الظلال وتحت زوايا النسيان .. يولد .. ويعيش .. ويصنع الحياة .. ويموت .. ويطوى ، دون ان يدرى او يهتم به احد .. وكأنه ما جاء .. وما عاش .. وما مات !!

« الظلام » القاتل !

وتابعت القافلة رحلتها بهدوء ورتابة حتى وصلت جبال الحجر ، وبدأ الصعود فوق احجار الجبال . الجمل يصعد مرتعشا ويمضي فجأة ليقلع الاعشاب مع جذورها ، ويسير وهو يلوكها في فمه فوق الصخور المسننة العالية ، التي كان يشقها مزمجرا ، ومصدرا اصواتا عالية كصهيل الجياد ، يطلق عليها اهل اللغة كلمة «رغاء» !

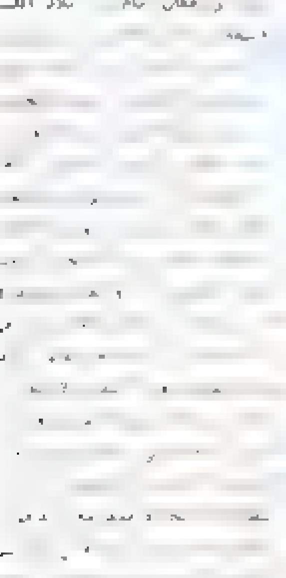
وسألنا جمالنا سعد جمعه عن سر هذه الاصوات فاجابنا ببساطة : « الجمل خائف من الطريق ، لا يريد السير فيه .. انه يخاف من الصخور [illegible] ، والظلام الاسود ، [illegible] السقطري [illegible] الذي [illegible] على ظهره [illegible] [illegible] الجمل [illegible] في [illegible] [illegible] ،

قلنا : « ولماذا عصى الجمال ؟ » .

قال : « على القدوم في هذه الحالة ان يخرج سكينه من غمده ويقطع به في الجمال [illegible] [illegible] في [illegible] واذا لم يفعل ذلك [illegible] [illegible] دقائق !! » .

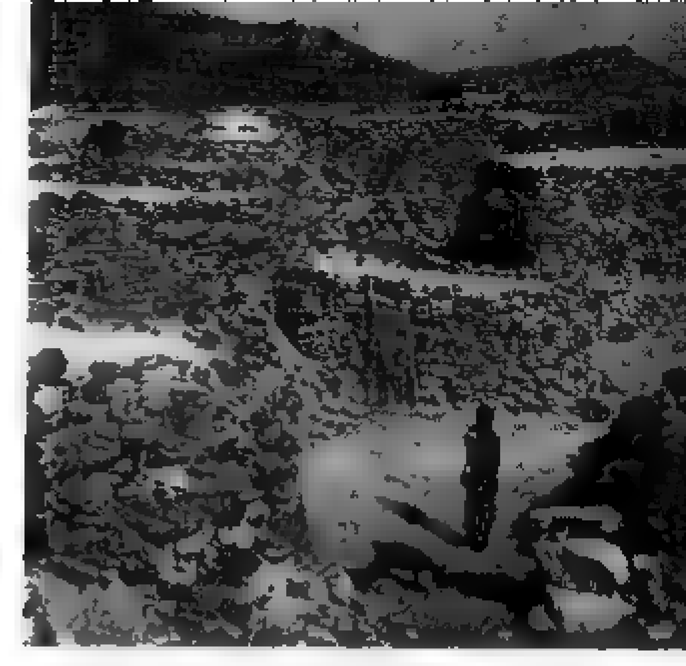
٦٠٠ نوع من النباتات النادرة

ومررنا وسط غابات من الاشجار لم نر لها نظيرا في اي مكان آخر .. انها ثروة سقطرى الحقيقية .. حديقة طبيعية هائلة تضم ٦٠٠ نوع









روكب : اسم القرية الوحيدة التي صادفتنا في رحلتنا ، يهجرها رجالها في الصباح متوجهين لرعي الاغنام ، اما نساؤها فيوصدن الابواب عندما يشعرن بقدوم شخص غريب



اشجار اللبان ترتفع عالية مجردة هذه الاشجار لو تكلمت لروت قصص من اجل الحصول على اللبان

من النباتات النادرة ، منها ٢٠٠ نوع تنفرد بها سقطرى .. هكذا قال علماء النبات الذين اجروا مسحا شاملا لنباتات الجزيرة سنة ١٩٥٦و١٩٦٧ .

وامسكنا بالقلم ونحن جلوس فوق الجمل ، نسجل ما يذكره دليلنا عامر الدعرى ، عن اسماء وفوائد بعض الاشجار الغريبة ، بلهجته السقطرية : « عدد شجرة مي ، تقطر سائلا ... جدا اذا شرب ... المعدة ... من الرمل »

« وهذه شجرة مطرهه ، انها شجرة ... الحمراء الوحشية التي ظلت تمد حتى اصبحت حالا متصلة ، يقطعها ابن البادية ويجمعها ثم يطحنها ليستعملها فوق ... الجمال والابقار فيشبعها »

واستمر عامر يروى قصص واسماء عشرات الاشجار الخضراء والصفراء والحمراء والعصية ، ونحن مأخوذون بسحر هذه النباتات وروعتها ..

٧٠ قرشا ، ثمن الخروف

وعند نبع من « دانجهان » كانت محطتنا الاولى .. المنطقة خالية من المباني والسكان .. ومياه النبع تنساب هادئة بين الصخور والاشجار .. الجمالون فكوا الاحمال عن ظهور الجمال ، وتركوها حرة طليقة ترعى بمفردها الاوراق والاعشاب ..

وما كانت تمر دقائق على وجودنا ، حتى اصبحنا محاطين باعداد من اهل البادية ، جاءوا من حيث لا ندرى وكأن الارض قد انشقت عنهم فجأة .. كل منهم يصر على السلام علينا باليد .. اننا بالنسبة لهم نمثل حدثا جميلا مجهولا يحتكون به لاول مرة تقريبا ..

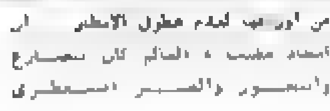
وعرضوا علينا اغنامهم وماعزهم .. فاشترينا خروفا بما يوازى ٧٠ قرشا ومعزة بنحو ٥٠ قرشا ، اى نصف جنيه استرليني .. لان اسعار الماشية رخيصة جدا هنا ..

رحلوا وبقيت الابقار !

والثروة الحيوانية في الجزيرة متوافرة بكثرة ، وقد تمت دراستها عدة مرات من قبل خبراء عالميين ، قالوا في تقاريرهم : « تنحدر ابقار سقطرى من فصيلة ابقار العربولان الشمرة التي







من اوروبا لعدم هطول الامطار ... ان
احدة ... العالم كان ...
والصخور والصبر ...

واحدى ... اول محطة استرحنا فيها ... قريبا من بعض
... واسترحنا فوق احجار الجريت
... فقلنا ...

... المرتفعين ... عام
١٩٥٧ ... رحلوا ... الامطار

ومع مرور السنوات ... الثلاث ...
... واصبحت لا ... اكثر من ...
...!

وليس الاغنام في ... حجم ...
... الشبيه ... وهي انواع
من ... سلالتها في اوروبا ...
تحت اسم ... الطويل .

اما الماعز ، فقد رأينا انواعا قريبة منها ، تضاءل حجمها حتى كاد ان يصبح بحجم القط الكبير ، يغطيها شعر كث وفير ، يصنعون منه الشملة المحلية (السجادة) .

آميـنـال ..

وقبل ان يذبحوا الخروف والعنزة اللتين ابتعناهما ، جاءوا بهما الى ... في الرحلة عامر النمري ، الذى امسك بهما وجثى على الارض ، ومن حوله الصبية والاطفال .. وبدأ يمسح على صوفهما مرددا هذا الدعاء

– ... على الحيوان ... فيرد الصبية
آمين ... اي آمين ..

– ... البلاء
آمين ..

... والارزاق ... آمين ..

وهكذا استمر عامر مكررا الصيغة نفسها للدعاء ، والاطفال يردون عليه : آمينال بصوت منفعل يزداد ارتفاعا وسرعة .. فالبطون الجائعة لا تحتمل الصبر الطويل ..

عذاب الحيوان ..

واخرج احدهم السكين من جرابه المصنوع من جلد الماعز ، وفحصنا السكين فاذا به قطعة من الحديد البارد ، صنعوها من مخلفات معسكرات الحلفاء في الحرب العالمية الثانية .

ولن نتحدث عن عذاب الحيوان المسكين عندما يذبح بقطعة حديد مثلومة ، لاننا لم ننظر الى كيفية الذبح ، ولم ناكل حتى لحم الذبيحة المسكينة .. احتجاجا صامتا فعلناه ضد تعذيب الحيوان ..





سأصعد الى نخلة اخرى

وفي احدى المرات التي توقفنا فيها خلال الرحلة ، كان جلوسنا تحت ظل نخلة مثمرة .. نظرنا اليها ورجونا احد الصبية اللتين حولنا ان يجلب لنا بعض الحبات من ثمورها الناضجة ..

وتسلق الصبي جذع النخلة حتى وصل الى قمتها وعيوننا ترقبه .. فرأيناه ينظر مليا الى التمر ، ومكث فترة مترددا ، نزل بعدها مسرعا دون ان يجلب معه تمرة واحدة ، وجاء قائلا .

« سأصعد الى نخلة أخرى ، لان هذه عليها القرآن ممنوع »

وتعجبنا ، فشرح لنا عامر السعدي القصة قائلا .

« يعمد اصحاب النخيل في البادية الى وضع اوراق فيها آيات من القرآن الكريم وسط الثمور على النخلة المثمرة ، والويل للسارق من عذاب الله ، اذ اصبحت هذه التمرة واحدة فيها القرآن ممنوع »

الساحرة السابحة

وفي ثالث مرة تجمعت السحب بكثافة في السماء



قبل ذبح الخروف والماعز ، تقوم كل الصبية بالمسح على صدورها ، وتلاوة ادعية وشكر الله على غرائه ، ثم يرد الساحرون أميال . اي اسم

مما منعنا من التصوير ، فسألنا احد ابناء البادية :

« هل تعتقد ان المطر سيهطل غدا ؟ »

سؤال خلناه بريئا عفويا ، ولكن صاحبنا احتقن وجهه ، ووقف منفعلا امام الجميع ، وهو يصيح :

« استغفر ربك يا رجل .. هل تعتقد انك ساحر مثلنا بالغيب .. »

انها عقدة السحر والساحرات الشريرات في سقطرى .. اراد الرجل المسكين ان ينفيها عن نفسه على رؤوس الاشهاد .. وكم من مرة عانت النساء العاقلات في السن من هذه التهمة الباطلة ، فالمرأة المتهمة بالسحر تنقل الى ساحل البحر ، ويوضع على ظهرها وصدرها ورجليها اثقال مختلفة ، وتحمل في مركب صغير مع بعض الغواصين ، وعلى مسافة قريبة من الساحل تلقى المرأة بحملها في الماء ، فاذا استطاعت السباحة الى الساحل ، فهذا اثبات انها ساحرة ، لان ابليس هو الذي ساعدها على السباحة حتى لا تموت .. اما اذا غطست في الماء وبدأت تغرق فهذا يثبت انها بريئة ، فينزل الغواصون لانقاذها .. وكان عقاب المرأة الساحرة هو القاؤها من فوق هاوية رأس كوس قرب حديبو ، ثم استبدل هذا الحكم بالنفي من الجزيرة .. اما الآن فقد الغي هذا التقليد تماما .

تجربة قاسية مريرة

وتابعنا تسلق الجبل مترجلين ، رحمة بالجمال التي تسلق امامنا صخورا يعجز عن تسلقها الانسان .

وانحرفنا عن طريق الجمال الى « جيزَ‌ة » ، اي طريق مختصر للسير على الاقدام ، يرافقنا دليلنا عامر .. تتسلق ونقفز من حجر الى حجر .. الغيوم واطئة .. الرطوبة زائدة .. والحركة المتواصلة تزيد من حرارة الجو فتجعله سياطا من اللهب .. خلعنا القمصان وسرنا عراة الصدر مثل اهل البلد .. الماء القليل الذي حملناه معنا نفد عن آخره .. والجمال اصبحت بعيدة .. الحلق كاد ان يجف من فرط الظمأ .. كنا على استعداد لدفع اي ثمن مقابل كوب ماء .. لا نبالي ان يكون مثلجا .. وانما ماء فقط .. حتى لو كان ماء ساخنا !!

وهتف عامر الذي كان يسبقنا : « ها هو نبع الى امامنا هنا » واندفعنا نعدو وفي بملابسنا

واحديثنا شرب وشرب .. فقد شربنا اكثر مما تشرب الجمال ! غير عابئين بالضفادع والاسماك الصغيرة ولا بالسلطعون (ابو جلمبو) الحمراء والسوداء التي تعيش كلها في مياه العيون العذبة على ارتفاع) الاف قدم ..

ام سبعة وسبعين !

واخيرا تقابلنا مع الجمالين والجمال في منطقة « قيشن » بعد ان ادمت الاحذية البالية ارجلنا .. كان الجمالون يفكون الاحمال من على ظهور الجمال فهنا في « القشن » سننام .. انها المحطة الاخيرة قبل الوصول الى قمة جبال الحجير .. لم يكن في القشن اي اثر لقرية او حتى لمنزل ، وانما كهف صغير وبئر ماء ، ومكان لعمل الشاي على الحطب ، وصخرة هائلة سوداء نقشت عليها بعثة جامعة اكسفورد تاريخ وصولها الى المنطقة عام ١٩٦٧ .

وبدانا نستعد للنوم ، اشعلنا الحطب في كل ركن لتبعد الحشرات ، وسمعت الفتاة فسرعان ما شهدنا حشرة تهتدي والترب .. ، امسكها احد الجمالين بيده والقاها في النار .. وسالناه عنها فقال بكل بساطة « انها ام سبعة وسبعين » .

تلكؤ ومماطلة

ورحنا في نوم عميق مفترشين الارض ومتدثرين بالاغطية الصوفية .. فالرياح تهب باردة في الليل .. وقمنا مع الفجر نوقظ الجمالين ، ليجمعوا جمالهم التي انطلقت خلال الليل ترعى في الجبال .. وبعد ساعة عادوا بها .. وبداوا في شرب الشاي وحزم السلال .. ان المشكل الاول مع الجمالين هو اعتقادهم انهم اذكى اهل الارض .. يتلكأون ويماطلون ، ويتحرفون في طرق طويلة ، لكسب الوقت وزيادة عدد ايام الرحلة ، لان الايجار اليومي للجمل الواحد هو دينار .

ذكاء فطري !

ومن قصص ذكائهم الفطري التي عشنا منها هذه القصة : حدث ان سارت الناقة التي اركبها على حجر مسنن جعلها تعرج في مشيتها ، فالتفت الينا سعد جمعة قائلا : « الناقة متعبة .. هل لك ان تنزل وتسير على قدميك لتخفف عنها ! » .

واصاب كلامه وترا حساسا ، فان مشهد الحيوان المصاب يؤلمنا اكثر من الم الجرح المصيب في القدم نتيجة ابتلال الحذاء في الماء . ونزلنا



اشتهرت [illegible] العالم بشجرة [illegible] وضع صمغه خرافة في اصابع الهنود . وفي [illegible] شجرة حديثة ، ولكن [illegible] سقطرى [illegible] العالم بمنتجات [illegible] في نطاق هذه الشجرة

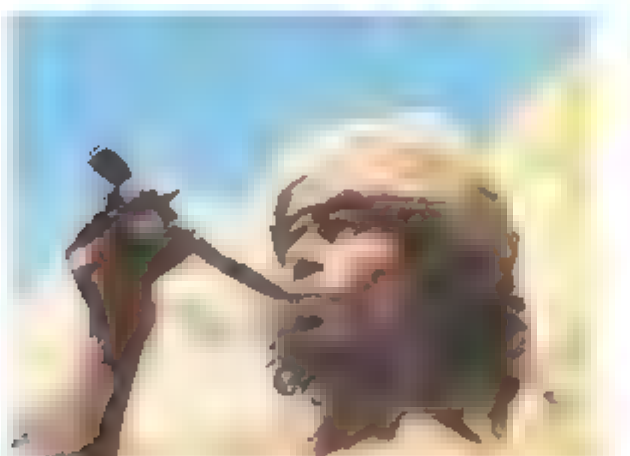
[illegible] من على ظهر ناقته [illegible] ونكسنا [illegible] خطوات حتى [illegible] فوق ظهر الناقة [illegible] ولم نستطع اللحاق به الا بعد [illegible] على ارتفاع [illegible] الاف قدم

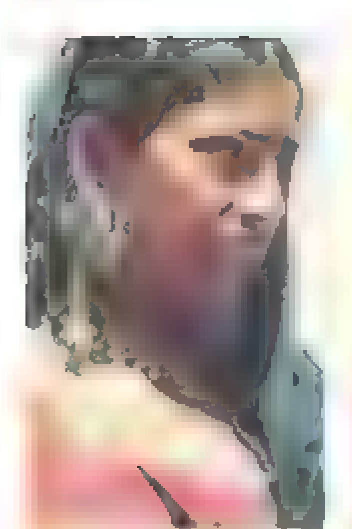
دم الاخوين

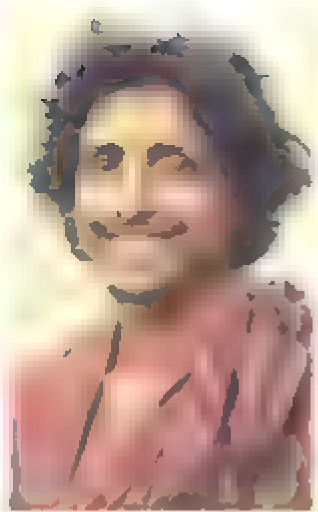
وعند القمة تماما راينا لاول مرة شجرة دم الاخوين .. تلك الاسطورة المزعومة .. فهي من الاشجار النادرة في عالم اليوم .. واقتربنا منها وتاملناها فوجدناها شجرة جريحة مثالة متعالية على الامها ..

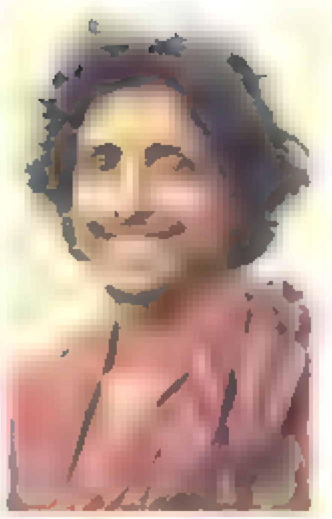
جذعها ينزف دما احمر ، بينما اوراقها تمتد متشرعة متحدية .

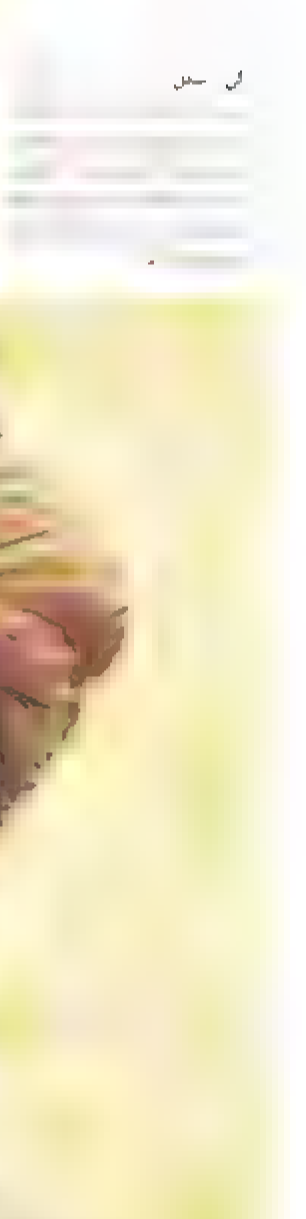
ان الاهالي يجرحون جذعها بالسكين ليرشح مادة راتنجية (مادة شبيهة بالصمغ) تميل الى اللون الاحمر القاني . لا تلبث ان تتجمد فتصبح صلبة هشة على هيئة كتل صغيرة مثل الصمغ العربي ، ليس لها رائحة ولا يكاد يكون لها طعم .. يصدر الاهالي كميات قليلة منها الى عدن ، حيث يعاد تصديرها الى العالم الخارجي الذي يعمل











على تصبيبها واستعمالها مادة مطهرة قاتمة اللون ، ملونة للورنيش ولمساحيق الانسان ..

اما ابن سقطرى فيطحن دم الاخوين ، ويضع مسحوقه على جراحه وجراح ماشيته فتلتئم ، كما يستعمله لتلوين وزخرفة اوانيه الفخارية .

البادية تشتهي ان تتقدم

وبعد قتال « دم الاخوين » جلسنا نتحدث مع اربعة من ابناء البادية : سالم الدعرى ، محمد الدعرى عيسى الدعرى ، يحيى الدعرى .. وكلمة الدعرى نسبة الى منطقة دعرهو التي تتوسط الجزيرة تماما ..

وبدأ الرجل الحديث بسؤال تقليدي لمرشده من ابناء البادية : « ما عندكم دواء ! »

وكشف احدهم عن قدمه المتقيحة بسبب جرح كبير لم يعالجه احد ، ووضعنا له قليلا من صبغة اليود فاستراح قبل ان يبدأ [illegible] الطويلة لاول مشوارها !

الى اسفل : طاحونة او رحى ، من العصر الحجري مازالت تستعمل في [illegible] في بادية سقطرى



قلنا : « ولماذا لاتزرعون ارضكم [illegible] ولماذا لاتتعلمون ! »

واندفعوا بصوت واحد يعبرون عن هذه القضية بلهجتهم العربية الخاصة : « نحن نحب [illegible] التعليم .. نحب المدارس حتى القبائل بنات واولاد نشتهي من الله ومن حكومتنا ، وبكم ان نتعلم البادية تشتهي ان تتقدم .. تشتهي ان يمشي [illegible] ..

« اما الزراعة فما عندنا شيء .. نحن في جزيرة صخرية .. وما في « زرى » ! اي لا توجد حبوب والزراعة ما هي حبوب .. وهل يمكن ان يكون الاكل حبا !! انا اشتهي اسم زراعة [illegible] .. »

لاقيمة للوقت

قلنا للرجال الاربعة : « وهل بلادكم بعيدة ! » فاجابوا على الفور : « ابدا دعرهو قريبة منا ساعات قليلة [illegible] انها وراء هذا الجبل .. »

وبدانا نتحرك ظهرا ، ولم نصل دعرهو الا ثاني يوم ظهرا .. اي امضينا [illegible] ساعة حتى وصلنا دعرهو !!

« ساعات قليلة » حسب قول ابناء بادية سقطرى .. ان الوقت لاقيمة له عندهم لانهم يجهلونه ، فنحن لم نشهد ساعة في يد اي شخص منهم .. لهذا تجده لا يعلم كم هي الساعة وكم هي الدقيقة ، وكم هي الساعة !!

الشرجي .. والتسامح

والواقع اننا لم نأسف على رحلتنا الى دعرهو ، فهي قلب البادية السقطرية .. تتكون من اربعة منازل حجرية فقط ، ولكن سرعان ما بدأ الناس يتوافدون من كل ناحية .. من الاكواخ والكهوف التي يعيشون فيها حول المنطقة .. ان دعرهو هي قرية [illegible] .. وكان استقبالا حارا من امراته واخته واقربائه سارعن الى تحيته باسلوبهن الخاص : « الشرجي » اي حك الانف بالانف .. وكم كان جميلا منظر الاب وهو يحك انفه بانف زوجته واطفاله بحنان رائع ..

ومن الطريف انه اذا حدث الاصطدام وتقابل عدوان او خصمان في بيت او كهف ، فانهما يشرجان (اي يحكان انفيهما) ويتصالحان ويتناسيان عداوتهما ، لان الذي جمعهما هو الخير .. والخير معناه الخير وليس الشر !



الى اليسار [illegible]رب من الندبه من تيم حبال جهينه في حديث العاصمه حينما يسمع ضرب وطبول [illegible] وكثير ما تتاخر الباخرة [illegible] على الشاطئ وسط [illegible] اكثر الى يوم او اكثر في انتظارها وهؤلاء الاربعة هم من [illegible] البحري ، وقد جاء دورهم في [illegible] في طريقهم الى [illegible]

كرم حاتمي

وبعدما بسبب [illegible] النوم في العراء واصر عامر على ان ننام في منزله ، فشكرناه ورجوناه ان يتركنا ننام في العراء .. وجاء من يقول لنا : « لا تتاخروا لان عامر سيقيم ذبح خروف وعشرة احتفاء بوصولكم »

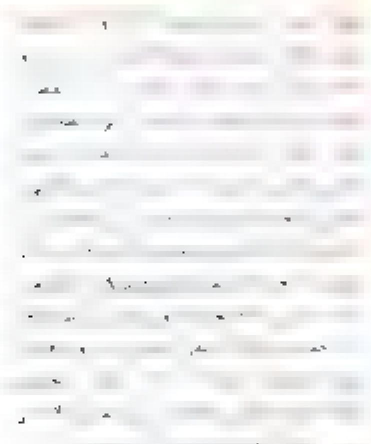
وكان الارهاق قد اخذ منا كل ماخذ ، فرجوناه ان يؤجل الذبح لظهر الغد .. واستمرت المحاورة بيننا زهاء الساعة ، اشترك فيها مرافقونا شكيب محمد اسماعيل من المحافظة الاولى ، وعبد الحميد نكاي من الخارجية ، ومحمد عبد القادر عرجي من وزارة الثقافة ، وتدخل المحالون ، حتى استطعنا في النهاية اقناع عامر بتأجيل ذبح الخروف الى الغد ..

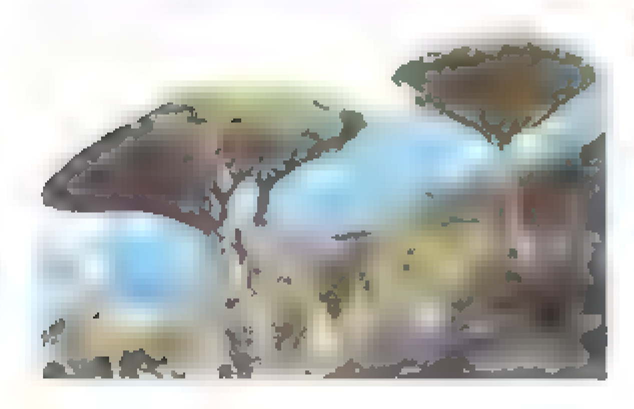
الاغاني تحفظ تاريخ الجزيرة

وبعدنا نغط في سبات عميق ، ولكن اصواتا خافتة بعدئذ تتسلل الى آذاننا : « يا ... يا وا .. اوا .. وا .. وا .. » والتفتنا فاذا بمجموعات من الرجال والنساء اللواتي ارتدين اجمل حللهن ، وكلهم جلوس على الارض في صفين متقابلين .. النساء من ناحية يغنين ، والرجال يجيبون عليهن . انهم يمكثون حتى ساعات متأخرة من الليل يرددون ، اي ينشدون الاغاني المتوارثة التي اخذت اصولها من التاريخ .. انها تاريخهم









في الكهوف ، أشياء يحفظونها من الآباء والأجداد .. يتحدثون عن كسرى أنو شروان وقواته التي جاءت لمساعدة سيف بن ذي يزن في طرد الأحباش من اليمن ، وكيف طلوا الأسرى والعصاة الى جزيرة سقطرى ، وأوثقوا أيديهم وأقدامهم في القلاع ، فظلت أرواحهم وأنينهم وحشرجاتهم يتردد صداها بين وديان وجبال سقطرى .. وا .. يلوا .. وحتى الآن .. يستطيعون قوات كسرى دون خلل .

ايش العايبه

ومن التقاليد التي سجلتها الأفلام ، عادة ذبح الأبقار والأغنام وتوزيعها على الأقارب حينما يموت انسان ، تقول الأغنية باللهجة العربية المحلية

« ايش (ماذا) يبكوا عليه .. وايش يسووا فيه .. الله صار من أمر الله .. كل واحد يحول يدمعوا عليه غير كثير .. ايش الفائدة ، وليش تدمعوا عليه .. ليش ما تطلبوا ربكم في هذا العصر من أجل انزال المطر .. المطر ساعة ما ينزل تنفتح السماء ، وقت الانزال .. »

اشكر ربك ..

وفي الصباح اتجهنا الى بئر الماء لنغتسل ، واخرجوا الماء من البئر في دلو مصنوع من جلد الماعز ، الثقوب فيه لا تحصى كثرة ! ! ونظرنا الى الماء فوجدناه أسمر اللون ، تلاعب فيه حيوانات صغيرة ، فقلنا لعامر : « لماذا لا تنظفون البئر من الأقذار ؟ »

فأجابنا ببساطة مرة : « اشرب الماء الذي تحصل عليه ، وكل الطعام الذي تصل يدك اليه .. واشكر ربك لأن هذا الماء الملوث موجود ، وهذا الأكل الفاسد متوفر في جزيرتنا المتوحشة القاحلة » !!

ذبابة ديماتر

وشاهدنا الصبية والرجال يحشون علبا من الخرق تحت أنوفهم ، فتعجبنا وسألنا عن السبب فقالوا : « انه حرز .. يمنع ذبابة ديماتر الاستوائية من التسلل الى الأنف والفم ووضع بيضها في الحلق .. ولو حدث هذا فان المصاب يشعر باختناق ، لا ينقذه منه الا ضرب حلق الضحية بحبل بمجس ! »

وطبيب بعثة الكسفورد التي مكثت ٤٥ يوما تبحث وتنقب عن كل شيء في الجزيرة ، ذكر هذه الذبابة الاستوائية بقوله : « باعتقادي ان هذه الذبابة حشرة خيالية لا وجود لها .. »

شلوه معكم

وجاء عامر الينا ومعه طفله الذي لم يتجاوز السادسة وقدمه لنا قائلا : « ابني مريض اسنانه تؤلمه .. لماذا لا تشلوه (تأخذونه) معكم الى بلادكم الكريمة .. أنا متأكد انه عندما يطيب [illegible] هنا »

واستقط في يدنا ، ولم نستطع ان نعمل أكثر من اعطائه بعض حبوب الاسبرو وكل ما معنا من بسكويت وحليب في محاولة للتخفيف من الام اسنان الطفل المسكين ..

والعلاج في البادية معدوم تماما ، لا يوجد فيها حتى مستوصف .. والدواء الشائع الى اليوم هو الكي بالنار .. ومن النادر ان تعثر على سقطري ليس فيه أثر هذا الكي .. حتى الأطفال يكوونهم بالنار .. وما أكثر الكي الذي

هذا الصبي ، سالم بن علي ، من أبناء البادية انتفخت معدته فحاولوا علاجها بالكي ، ولكنها ظلت على ما هي عليه ، فنقلوه الى مستوصف حديبو ، وهناك قام المساعد الصحي سعيد علي سليمان بعلاجه من انتفاخ المعدة ، ومن تضميد الجروح التي خلفها الكي



ره آثارا مؤلمة على الجسم فحولها الى جروح عفنة يستحيل على الشخص العادى مشاهدة اصحابها .

انهم يطربون عموا يجهلونه .. والنار هي اكثر الاشياء تطهيرا – في اعتقادهم – فاستعملوها دواء شافيا لكل امراضهم .. يكوون الاطفال باسياخ الحديد لانقاذهم من شلل الاطفال .. يكوون المرأة المتعسرة ولادتها بالنار ، حتى تسهل ولادتها .. يكوون الصدر لمعالجة السل !!
يكوون الخد الخارجي لمعالجة آلام الاسنان الداخلية .

وامراض العيون يختلف علاجها عن امراض الجسم فالطفل يصاب بالرمد يأخذونه تحت شجرة « التربعو » ينزعون وردها ، فيسيل منها سائل سام ترج الى العين الرمدة مباشرة !

غير معقول ..

وتتعاظم المأساة ، عندما تقع داخل احد المنازل ، او الكهوف ، وترى كيف يعيشون .. وتتساءل من بين شفتيك كلمتي : « غير معقول .. غير معقول ان يعيش سبعة اشخاص في حجر ضيق ، مع جلد الماعز المجعد ، والسمر وانسس الندى والذباب والمرضى » ! (انظر الصور)

عيك .. عيك

والمرأة في البادية ليست سافرة ، انها السلطة الاولى في المنزل ، ترتدى اجمل الملابس وتتحلى بالقراط الفضة ، تسم مقدرة زوجها على شراء الذهب .

وتحدثنا الى بعضهن وسألناهن . « لماذا لاتدرسن دون المنزل مثل شقيقتكن في حضر ؟ »

فقلن ببساطة « ماعندنا مثلهم (اى لا نعرف اننا نستمع الى الراديو ... اننا احيانا ما عندنا مثهم للراديو) »

قلنا « هل تشتهين تعلم الزراعة ؟ » .

فقلن بسعادة . عيك عيك (اى نعم .. نعم).

وودعناهن فقلن بصوت واحد « بيشكركم شكركم » اى شكرا .. شكرا .

الاتكال على الله

وفي طريق العودة قابلنا اعدادا كبيرة من ابناء



بور ... يخطف وردها وتدبل بسرعة انه السائل الذي يلتقطه بها ، لم تستطع الانتقال لستوصف طبيب ، ولم تأخذ اى دواء .. العلم في دمرهم ، كتب لها حرز اراد بهدها ، وطعنه في صدرها يلتقط منها الميكروب السائل !!

البادية اجرينا معهم احاديث كثيرة ، من الصعب روايتها كلها لضيق المكان ، ولكنا نكتفي بهذا الحديث لدلالته .

سألنا احدهم : « ما اسمك » ؟

اجاب : « ليش يتسألني » .

وشرحنا له مهمتنا ، ولكنه اصر على عدم ذكر اسمه . انه شاب لم يتعد العشرين من عمره كل ما يملكه هو قوطة ملونة يغطى بها نصف جسمه ، يضع فيها سكينا ..

قلنا . « هل انت سعيد في حياتك ؟ »

فقال : « وكيف .. انا مبسوط جدا والحمد لله » .

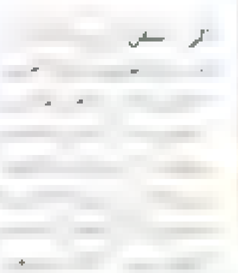
قلنا . « ماذا تعمل ؟ »

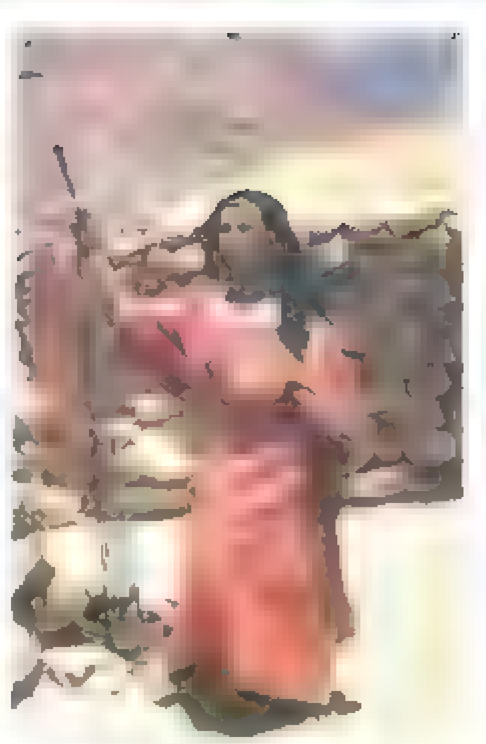
قال : « كل شيء اعمل .. اذا طلبوني الزراعة اعمل مزارع ، واذا كان تشلوني للبحر اعمل في البحر .. كل شيء اعمل .. » .

كان يجلس وامامه لمالية حبات من التمر ، وانضم الينا في الحديث رجل آخر جلس يستمع

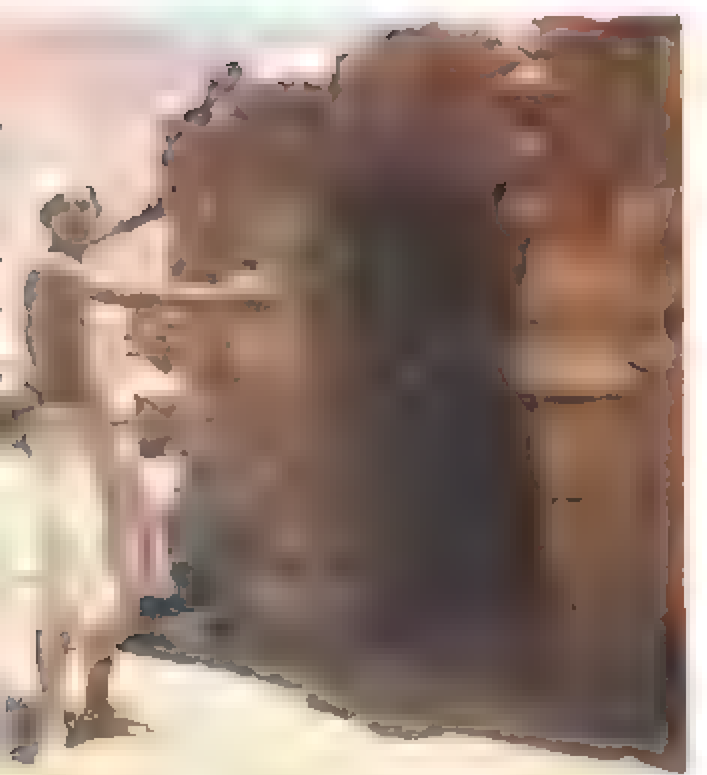














فشاهد الثمرات التمر فجأة يأكل منها دون استئذان صاحبها ، الذي لم يجد أي غضاضة في هذا التصرف ..

واشتعل الشاب ملوحه ، فقلنا له : « من اين لك

قال : « اشتريته بالفلوس »

قلنا : ومن اين لك [illegible]

قال : « الله ينزل الفلوس .. اليمن الله هو الذي غناني وعشاني ! » .

قلنا : « أين تنام ؟ »

قال : « الله أعلم ... أرض الله واسعة »

فقر مشترك

وجلسنا نفكر ونحاول البحث عن حل لمشاكل جزيرة سقطرى .. إنها تركة مثقلة ورثتها جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية من استعمار بريطاني بدأ منذ عام ١٨٣٤ ولم ينته إلا بعد ١٣٣ عاما ، أي في عام ١٩٦٧ وترك البلاد على نفس الحال الذي كانت عليه عام ١٨٣٤ تقريبا ، وظلت عقارب الساعة طوال هذه الفترة في هذه الجزيرة .. وكم من مرة كاد أهلها يموتون جوعا ، مثلما حدث عام ١٩٤٢ عندما مات أكثر من ١٠٪ من أهل البادية جوعا ..

والناس ماتوا جوعا لأنهم لم يجدوا من يعلمهم طريقة شق الأرض ، واخراج الطعام ..

والبدو في الجبال ليس عندهم المال الكافي لخزن مؤونة ستة شهور عجاف ، تطل فيها الجزيرة سنويا ، بسبب الأعاصير والأنواء .

إن الذي يعزي ابن سقطرى هو أن الفقر مشترك بينهم جميعا تقريبا ، لهذا لا يشعرون بالغربة فيما بينهم ، والمؤلم أن هذا الفقر سيستمر مادام الإصلاح في الجزيرة يكاد ينعدم .

لها رب

إن التركة الثقيلة التي ورثها النظام الحالي في اليمن الديمقراطي يجعل من الصعب عليه توجيه عناية كبيرة إلى الجزيرة ، فهناك مشاكل هائلة تعانيها ست محافظات أخرى مستمرة في حاجة إلى إصلاحات سريعة .

أما سقطرى فإن لها ربا سوف يوجه نظر الاتحاد العربي والأمم المتحدة إلى ضرورة مساعدتها للنهوض بها من كبوتها الطويلة .. !

واغيثاه

وعدنا إلى حديبو — أو تمارا كما كانوا يطلقون عليها قبل القرن التاسع عشر — عدنا إليها بعد أن قطعنا نحو ٧٨ ميلا على الأقدام وفوق ظهور الجمال في ستة أيام .

عدنا ومازالت أصداء صرخات محمد الدعري تدوي في آذاننا وهو مكوي بالنار لعلاج أسنانه .

عدنا ومازال صوت سعد علي عيسى يطرق آذاننا .. إنه السل يأكل صدر الطفل بهدوء دون أن يعالجه أحد .

عدنا ومازالت صورة ظاهر الدعري مرتسمة أمامنا وهو يقدم لنا ابنه قائلا : « خذوا ابني

عدنا ومازالت تلوحات أغنية الرثة تدوي في آذاننا

واغيثاه .. إنها أصواتنا العربية تموت دون أن يسمعها أحد

سليم زبال

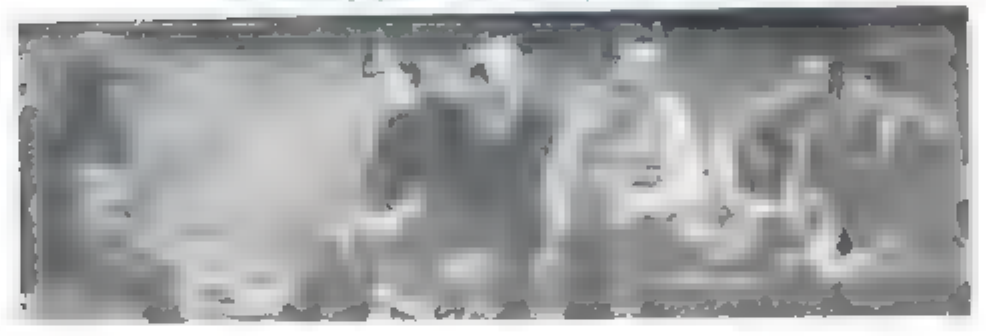
انباء الطب والعلم والاختراع

ثورة زراعية تعتمد على ابحاث في الخلايا النباتية

● يقوم عدد من علماء النباتات في جامعة ... الآن باجراء تجارب علمية لتهجين خلايا النباتات وذلك لانتاج نباتات مهجنة . واذا نجحت هذه التجارب فيمكن ان نرى في المستقبل القريب انواعا جديدة من النباتات لم يشهدها العالم من قبل، فمثلا تؤدي عملية تهجين القمح والذرة الى انتاج حبوب شبيهة بالقمح تنمو على نبع شبيه بكوز الذرة ! ولا يقتصر الامر على هذا بل ان هؤلاء العلماء يجرون تجاربهم الآن على تهجين الخلايا النباتية مع الخلايا الحيوانية .. والنتائج لا احد يعلم او يتصور ماذا سيكون ولكن ربما تؤدي في النهاية الى اشجار خضراء تتغذى عن طريق التمثيل الكلوروفيلي او الى نباتات تمشي على الارض !! خيالات علمية طبعا لم تخرج بعد الى مرحلة [illegible] التجربة على قدم وساق

ان هذه التجارب المعقدة التي يقوم بها الفريق الذي يتزعمه عالم الكيمياء ادوارد كوكنج Edward Cocking باجرائها قد تؤدي الى ثورة زراعية شاملة [illegible] تؤدي في النهاية الى حل مشكلة نقص المواد الغذائية في عالم يزداد عدد الافواه الجائعة فيه يوما بعد يوم

وكوكنج الذي يتزعم هذه المجموعة من علماء النبات شاب لا يتعدى عمره الاربعين عاما، لم يكن الاصل عالم نبات ولكنه متخصص في الكيمياء الحيوية ولكنه كان يقوم بدراسات مسائية في علم النبات مما جعله يهتم بالكيمياء الحيوية للنبات وقد استرعى نظره التشابه الكامل للمادة الحية الاساسية في خلايا النبات مع مثيلاتها في خلايا البكتريا . وخصص كوكنج وقتا طويلا لدراسة خلايا النبات ومادتها الحية الاساسية «البروتوبلازم» واستطاع اكتشاف طريقة لاستخلاص هذه المادة تعتمد على استعمال الانزيمات بدلا عن الطرق الميكانيكية التي تقوم على انتزاع هذه المادة من خلايا النبات



[illegible] حاجته في دمج المادة الحية لجسمه مع [illegible] مع مادة حية لجسم من [illegible] آخر.

وقد اكتشف فريق علماء بريطانيين ان مادة [illegible] تساعد على [illegible] الحية [illegible] من [illegible].

ان هذه التجربة [illegible] وبريطانيين قد تؤدي [illegible] [illegible] الماضي والتي كان من نتيجتها ان استطاع كثير من الدول [illegible] السمع والحروب [illegible].

لا [illegible] تجارب [illegible] أنواع لم توجد للانسان من [illegible] من السلالات.

كيف يتأقلم الانسان [illegible] نقص الاكسجين [illegible]

[illegible] الاكسجين [illegible] سبقا في التنفس وشعورا بالاجهاد للبشر الذين تعودوا العيش في السهول او الاماكن قليلة الارتفاع وخاصة اذا ما حاول هؤلاء القيام بمجهود جسماني في الاجواء [illegible]. ومن المعروف ايضا انه خلال [illegible]

واخيرا استطاع العالم ماكس بيروتز Max Perutz ان يكتشف وجود عملية [illegible] سريعة تتم في جسم الانسان بالنسبة لانخفاض نسبة الاكسجين في الجو. وقد تم هذا الاكتشاف [illegible] تجارب [illegible] على بلورة هيموجلوبين الدم والتي قام بها في جامعة كمبريدج بانجلترا.

[illegible]

[illegible] الالف في كل خلية دم [illegible] منها على ذرة من الحديد [illegible] ذرة حديد ان تحمل ذرة واحدة من الاكسجين، وهذا يعني [illegible]

وحيث ان شكل جزيء الهيموجلوبين كروي تقريبا فان سلاسل البروتين وذرات الحديد تكون مرتبة ترتيبا متماثلا متناسقا، وعندما يتم فقدان ذرة من الاكسجين من ذرة الحديد التي [illegible] من الاكسجين [illegible] ويسبب هذا [illegible] البروتين الاخرى مما يسهل فقدان ذرة اخرى من الاكسجين، وعندما يتم فقدان الذرة الثانية من الاكسجين تزيد [illegible] جزيء الهيموجلوبين مستعدا لقبول غاز ثاني [illegible] الكربون؛ غير ان هذا الهيموجلوبين غير المؤكسد يصبح اقل استقرارا من الهيموجلوبين المؤكسد، وقد [illegible] تقريبا تم اكتشاف ان جزيئا آخر يسمى [illegible]

yocrate • يقوم باعادة استقرار
وتوازن الهيموجلوبين عبر انواعه
ووجد ان هذا الجزء سهل عمليه الانتقال
من حالة الاكسدة الى عدم
الاكسدة للهيموجلوبين .

ومن الغريب انه عندما ينخفض نسبة
الاكسجين في الجو من الهيموجلوبين
تقاوم عملية اخراج الاكسجين الى
الجسم . ولكن هذه المقاومة المدعمة
الفسيولوجية تنجم في الاجواء المرتفعة.
ولكن افراز جزيئات ثاني فوسفات
الجليسرات .. يزيد ويسقط عند نقص
الاكسجين ، وتؤدى زيادة هذه
الى اعادة توازن الهيموجلوبين والى
وصول الاكسجين الى انسجة الجسم
بصورة شبه عادية .

وقد ثبت ابحاث بيروتز
افراز ثاني فوسفات الجليسرات
داخل الجسم في خلال ساعتين فقط من
التعرض لنقص الاكسجين وتؤدى زيادة
نسبة هذه الجزيئات الى عملية اقلمه
سريعة مؤقتة للانسان لمواجهة نقص
الاكسجين الى ان تتم عملية زيادة كرات
الدم الحمراء داخل الجسم خلال ايام
معدودة .

من هذه الظاهرة ..

الاستاذ بيروتز في معمله يستدل على
ما في الحياة من احسن نظام الجسم
من توازنات كثيرة ... الطرف
كان حل الاكسجين ... الانسان
في الاجواء العليا

برنامج الفضاء السوفيتي يستهدف اقامة محطات فضاء تجعل الارض كلها تحت مراقبتهم !!

● ان الرحلة التي قامت بها
مركبة الفضاء السوفييتية المأهولة سويوز
١٠ Soyuz 10 في الاسبوع الاخير من
شهر ابريل الماضي ، وكذلك رحلة
سويوز ١١ والتي تمت في شهر
يونيو الماضي ، والتجارب التي قامت
بها للالتحام بمحطة الفضاء ساليوت ،
وهي غير مأهولة ، انها ليست الا ...

... حجر الزاوية
... بمثابة محطة تموين لمركبات غزو الكواكب
...
السوفيت تحدث عملية لاتمام هذه

[illegible]

اسبوعين من اجل تجهيز ... محطة فضائية حتى يستطيع رواد الفضاء اللجوء اليها اثناء رحلاتهم حيث يقوم العلماء بفحص معداتهم وكذلك القيام بالبحوث [illegible]

[illegible] والمشكلة التي تواجه [illegible] في عدم مقدرة [illegible] من اسماء في الفضاء الخارجي لمدد طويلة وحول المهندس السوفيتي اوليج مزوروف Oleg Novamov ... رحل الفضاء لمدة ٣٠ يوما في الفضاء في العقد الاول يتطرب الى [illegible]

[illegible]

[illegible] التي ستشمل هذه المحطات ستحقق في النقاط التالية

١ ـ النواحي الجغرافية ومن نتيجة من عمل خرائط دقيقة لكل بقعة في كوكب الارض والكواكب الاخرى

٢ ـ النواحي الجيولوجية واكتشاف مصادر البترول والغاز والمعادن الاخرى

٣ ـ [illegible]

٥ ـ التكنية البحرية ودراسة مصادر الثروة في المحيطات

٦ ـ النواحي الزراعية والتحكم في المحاصيل الزراعية وامراض النباتات

٧ ـ الانذار المبكر بالنسبة للاعاصير [illegible] الفيضانات [illegible]



٨ ــ اجراء تجارب [illegible]
تحت حالة انعدام الوزن .
٩ ــ ابحاث كيماوية وطبية .
١٠ ــ انتاج معادن رغوية Foam Metals تحت حالة انعدام الوزن
١١ ــ بحوث فلكية وفلكية طبيعية تشمل الفضاء الخارجي كله .
١٢ ــ عمليات الإمداد في الفضاء الخارجي
١٣ ــ عمليات [illegible]
واعادة [illegible]
من الفضاء [illegible]
١٤ ــ التحكم في عمليات الفضاء من الارض الى الفضاء وبالعكس .
١٥ ــ الاغراض العسكرية وتحسين عمليات الاستكشاف الحربي من الفضاء والتي ستتعدى عمليات تصوير القواعد العسكرية وقواعد الصواريخ من الفضاء والتي تتم الآن عن طريق الاقمار الصناعية ومن اهم الاشياء التي يتطلع اليها الاتحاد السوفييتي وامريكا في هذا المجال هو امكانية اكتشاف الغواصات النووية تحت المحيطات من الفضاء الخارجي .

وهكذا يستمر سباق الفضاء بين كل من الدولتين العملاقتين امريكا وروسيا ، كل واحدة منهما تحاول ان تحوز قصب السبق .

اسرار جديدة عن حياة مندل ابو علم الوراثة

● [illegible] Mendel [illegible]
[illegible]
البازلاء في القرن الماضي قواعد علم الوراثة . لكن قلة من الناس هم الذين يعرفون ان مندل قد قام بوضع قواعده عن الوراثة موضع التجربة في اواخر ايام حياته لانتاج انواع جديدة من الكمثرى ذات خواص لا تزال هي الشائعة حتى اليوم .

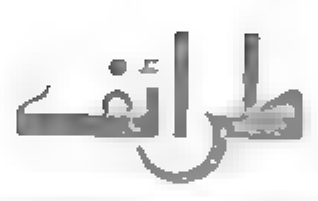
وقد قام اخيرا عالمان تشيكوسلوفاكيان بازاحة الستار عن بعض اسرار مندل والتي كانت لا تزال مجهولة حتى الآن ، وذلك عن طريق التنقيب في مذكرات بعض معاصريه ..

ومن الاسرار التي ازيح الستار عنها ان احد علماء [illegible] كان يقوم خلسة [illegible]
خلال الفترة بين اعوام ١٨٧٩ و ١٨٨٢ للتجسس على تجارب هذا الراهب [illegible]
قد قام باكثر من ٥٠٠ عملية تطعيم بين اشجار الكمثرى والتفاح الموجودة في [illegible] سجلات الدير ان عمليات التطعيم هذه كان يقوم بها مندل في [illegible]
تتميز بحلاوة الطعم وبقدرتها على مقاومة [illegible] .

وقد اثبتت البحوث التي قام بها العالمان التشيكوسلوفاكيان وهما الدكاترة فاورا Vaura وفودل Vond من جامعة برنو ان الراهب مندل كان دائما ينأى بنفسه عن الدعاية لاكتشافاته . وانه [illegible]
بجوائز معرض الفاكهة في برنو عام ١٨٨٠ عن انتاجها من الكمثرى والتفاح ، رفض مندل قبول اية جائزة او حتى ذكر اسمه بين الفائزين .

واثبتت البحوث ايضا ان مندل كان عالم وراثة من الطراز الاول ولكنه كان دائما يبعد نفسه وابحاثه عن دائرة [illegible] .

وهكذا جمع مندل بين اخلاق العلماء واخلاق الدين ، او اخلاق رجال الدين كما يجب ان يكونوا .



(لا) الكريم
و (نعم) اللئيم

● قال يحيى بن خالد [illegible]

في صحابته

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] أمتي [illegible] أبو بكر [illegible] وأقواهم [illegible] الله عمر [illegible] عثمان [illegible] علي بن أبي طالب [illegible] أبي بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت

نصائح

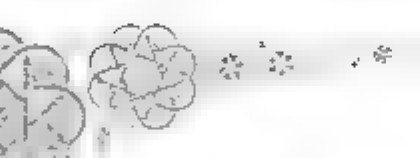
● [illegible]

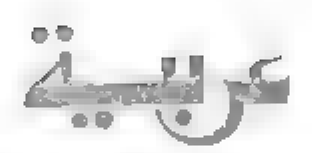
[illegible] فقال : كلمة [illegible]

اولادنا

● [illegible]

اي يريد بالراحة وجدانا حيث يريد الى الاخف منهما .





الرســــول

[illegible] بالعلا [illegible] العرام [illegible] حمل ،
[illegible] الخضراء ولا [illegible]
[illegible] صدق [illegible] العفدي ،
ولكل امة امين ، وامين هذه الامة ابو [illegible]
ابن الجراح .

نفرح لفوز الجامد

● [illegible]
الى [illegible] في الحيل ، [illegible]
مع [illegible]
والناس ، وكان عربي احمد
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
اللعام لعاس .

اشتراه اصم ابكم

● حكى ان احد [illegible] ارسل ابنه يوما [illegible]
[illegible] وقعد في الطرق فاكل [illegible] ولسانه [illegible] ، [illegible] والده [illegible] . فنظر اليه والده وقال : [illegible] الذي [illegible] ؟ قال [illegible]
[illegible] ، فقال ابن عيناه ؟ قال : كان اعمى ، فقال
[illegible] ، فقال : اين لسانه ؟ قال : كان اخرس ، قال
[illegible]
[illegible] .

● ● ● ● ● ●

العاقل والجاهل

● [illegible] ان لله [illegible] خصالا يعرف بها [illegible] ، [illegible] من هو [illegible] ، [illegible] بالبر من هو فوقه ، واذا راى باب فرصة [illegible] ، لا [illegible] الحوف ، لا [illegible] ، [illegible] لم يتكلم ، فان تكلم [illegible] ، وان سكت [illegible] ، وان [illegible]
[illegible]
خالطه ، ويتكلم [illegible] ، فان تكلم [illegible] ، وان سكت [illegible] ، [illegible] له فتنة [illegible] ، وان راى باب فضيلة اعرض عنه .

التلوث الحراري

من بعد التلوث الاشعاعي

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

[illegible] حرارة الوسط الذي تعيش فيه

والواقع أن كل نوع من الأحياء المائية تكيف نفسه للتغيرات الموسمية التي تطرأ على درجة حرارة الوسط الذي تعيش فيه ، ولكنه لا يستطيع أن يتكيف للتغيرات المفاجئة ، ولذا يخشى العلماء أن تتأثر الأحياء المائية خاصة ، نتيجة لنشاط الإنسان في الصناعة ، وما تقذفه المصانع من مياه ساخنة ، أو ما تستعمله هذه المصانع من مياه الأنهار والبحيرات في التبريد ، مما يهدد الأسماك والأحياء المائية عامة . ومما يهدد كذلك التوازن الطبيعي لهذه الأحياء . وهذا ما نسميه التلوث الحراري الذي تسببه المصانع ، وخاصة مصادر القوى الكهربائية ومولدات الطاقة ، ففي سنة ١٩٦٨ ، قدر ما استعملته مكثفات البخار في الولايات المتحدة الأمريكية بنحو ستين ألف مليون

جالون من الماء للتبريد ، وعلى أن هذا التلوث الحراري لم يصل بعد الى حد الخطورة ، إلا أن علماء البيئة ينظرون بقلق الى المستقبل ، حين تزايد معدلات هذا التصرف او التلوث بتزايد المصانع ومولدات الطاقة الكهربائية التي تعمل بالوقود النووي والتي يحتاج تبريدها الى استعمال كميات ضخمة من المياه . وقد قدر انه في خلال الثلاثين سنة القادمة ، ستبلغ مولدات الطاقة الكهربائية مليوني ميجاوات من الكهرباء ، وهذه ستحتاج الى عشرين مليون مليون وحدة حرارية في اليوم الواحد (B.T.U) مما يرفع درجة حرارة المياه التي تصب فيها ، فتفقد نحو ثلث كميتها مطرا . ومن المعروف انه اذا زادت درجة حرارة الماء على ٣٢°م فان نسبة كبيرة من الاسماك لا تطيق هذه الدرجة ؛ وفي مياه امريكا بالذات لا تكاد تعيش فيها الا اسماك من انواع خاصة في الجنوب . وان كثيرا من مياه انهار امريكا تصل درجة حرارتها الى ٢٨°م في حالتها الطبيعية على ان فاقد الحرارة من محطة توليد واحدة قدرتها الف ميجاوات كفيلة برفع درجة حرارة مياه نهر تصرفه ٣,٠٠٠ قدم مكعبة في الثانية بمقدار ١٠ درجات . ولذا كان من المنتظر ان ينشأ عدد من هذه المولدات على شواطئ مثل هذا النهر ، فان مياه هذا النهر ستصبح غير صالحة لتوطن الاسماك

التحول الغذائي

ومن المعروف كذلك ان عمليات التحول الغذائي تكاثر في الحي عموما ، وفي الاحياء المائية كذلك تنشط بزيادة درجة الحرارة وذلك بالطبع في حدود خاصة ، بل ليتضاعف بزيادة درجة الحرارة عشر درجات ويسبب ذلك بطبيعة الحال شدة طلب هذه الاحياء للاكسجين ، وزيادة سرعة التنفس ، وقد اجرى احد العلماء تجربة اثبت بها ان استهلاك سمك السالمون ، من الاكسجين قد تضاعف اربع مرات ، وذلك عند زيادة درجة الحرارة الى اقصى درجة يطيقها السالمون ، وفي اسماك اخرى تتفاوت كمية الاكسجين مع زيادة درجة الحرارة ، والى نسب اخرى ، وكثيرا ما تتخذ دقات القلب دليلا على زيادة عمليات الايض او التحول الغذائي ففي بعض الاسماك زادت دقات القلب من ثلاثين دقة في الدقيقة عند درجة حرارة ٣٠°ف الى ١٢٥ دقة عند درجة حرارة ٧٢°ف ثم انخفضت عند ٦٥ دقة في الدقيقة عندما كانت درجة حرارة الماء ٩٤°ف وهي الدرجة المميتة لهذا السمك . وانما طرأ هذا النقص في عدد الضربات نتيجة وهن السمك بتأثير الحرارة

وتتضاعف متاعب السمك نتيجة ارتفاع درجة الحرارة ، الا ان هيموجلوبين دمها تقل قابليته للاكسجين وبذلك تصبح اقل قدرة على نقل الاكسجين للانسجة . فزيادة الطلب على الاكسجين وضعف القدرة على الحصول عليه في درجات الحرارة العالية ، مما يشكل خطرا حتى على الاسماك التي تتحمل عادة العيش في قلة من الاكسجين تحصل عليه غالبا في الماء فثمة نوع من السمك يتحمل الحياة في درجة ٣٣°ف وان درجة تركيز الاكسجين لا تزيد على نصف مليجرام من كل لتر من الماء ، الا انه يحتاج الى ١,١/١ مليجرام من الاكسجين في اللتر اذا ارتفعت درجة الحرارة الى ٩٥°ف . وهناك اسماك اخرى يمكن ان تعيش في وجود مليجرام واحد او مليجرامين في اللتر في درجة ٣٩°ف ولكنها تحتاج الى ثلاثة او اربعة مليجرامات لتعيش في درجة ٨٥°ف ، والى خمسة مليجرامات ليكون عيشها راغدا

اثر الحرارة على الشهية

كما ان لدرجة حرارة الماء اثرها على الشهية والنمو والهضم لدى الاسماك . وقد اجريت تجارب اثبتت اثر الطعام المكون التي اثبتت ان نوعا من السمك تكون سرعة الهضم عنده في درجة ٧٩°ف اربعة امثالها في درجة ٥٠°ف ، حيث يحتاج الطعام الى ثماني عشرة ساعة ليعبر القناة الهضمية في درجة ٥٠°ف على حين انه يعبرها في اربع ساعات ونصف في درجة ٧٩°ف .

ويمكن الاستفادة من اثر الحرارة في فتح الشهية

وتحويل الطعام الى مادة تزيد في وزن السمك . وفي المزارع السمكية للحصول على اقصى انتاج من السمك ، فبعض الاسماك تبلغ الذروة في سرعتها للأكل في درجة ٥٠ – ٦٦°ف ، حيث يتحول اغلب الغذاء الذي تتناوله السمكة ، مضافا الى مادة جسمها فاذا حافظنا على درجة الحرارة في المزرعة السمكية في هذه الحدود بلغ المحصول السمكي اقصاه .

وكذلك يتوقف نشاط السمك وحركته على درجة حرارة الماء ولكل نوع من الاسماك درجة مثلى لنشاطه وسرعة حركته . وبالتالي تؤثر على قدرته على مطاردة فريسته وتناول غذائه ، كما تؤثر على قدرته على التكاثر ، فبعضها تتجه الدرجة العالية نوعا ، وبعضها تتجه الدرجة المنخفضة . اذ ان درجة الحرارة تؤثر على النشاط الموسمي للغدد التناسلية . وفي ذلك شرط الحد نوعا ما يسمونه الدرجة الحرجة التي قد تكون مهلكة او مميتة . ولدرجة الحرارة اثرها كذلك على الزمن الذي يحتاج اليه البيض للفقس ، فسمك السالمون الاطلنطي يفقس بيضه بعد ١٤٤ يوما في ماء درجة حرارته ٣٦°ف الا ان المدة تنخفض الى ٤٧ يوما في درجة ٤٢°ف ، والى ثمانية ايام في درجة ٥٥°ف . وسمك « تروت » يفقس بيضه بعد ١٦٥ يوما في درجة حرارة ٣٧°ف ، وفي ٣١ يوما في درجة ٥٤°ف . الا ان درجات الحرارة المميتة عن هذا الحد ارتفاعا او انخفاضا تمنع نمو الجنين الطبيعي للبيض . وتقرر لجنة الاحياء المائية في كولومبيا ان سمك « سالمون شينوك » تصيبه كارثة اذا ارتفعت درجة حرارة مياه نهر كولومبيا اكثر من خمس درجات ونصف درجة . على ان لكل نوع من الاسماك ما يسمونه الدرجة الحرجة التي لا تطيب حياته عندها . فبعضها لا ينتج بيضا اذا ارتفعت درجة الحرارة على ٤٢°ف ، وبعضها لا تنقسم خلايا البيضة الملقحة اذا كانت درجة الحرارة بين ٦٨ – ٧٥°ف وبعضها الآخر يكف عن انتاج البيض اذا زادت درجة الحرارة على ٥١°ف . وهناك حالة عجيبة يبديها نوع من القشريات يعرف باسم « جاماروس » اذ انه ينتج اناثا فقط اذا زادت درجة الحرارة على ٦١°ف .

اثر الحرارة على الانتاج

وثمة اثر آخر لدرجة الحرارة على الاحياء المائية اذ انها تؤثر في اطالة عمر السمك او اقلاله، كما تؤثر على انتاجه وقد حسب احد العلماء ان « دافنيا » تعيش ١٠٨ يوم في درجة حرارة ٤٦°ف ، و٢٩ يوما فقط في درجة ٨٢°ف . وثمة مقارنات مماثلة من حيوانات نفس النوع الذي يعيش في المياه الدافئة وذلك الذي يعيش في المياه الباردة.

ومن الطريف ان نذكر ان كثيرا من الاسماك والاحياء المائية تستطيع ان تكيف نفسها لتقبل درجة الحرارة الجديدة بشرط ان يكون التغير تدريجيا لا مفاجئا ، والا يكون متطرفا في سرعة في الارتفاع او الانخفاض . فعندما نقل بيض الاسماك (من نوع معين) فجأة من درجة حرارة ٥٦ – ٧٠ ف الى مياه درجة حرارتها ٥٥°ف هلك ٩٥٪ منه ، ولكن عندما تم النقل تدريجيا في مدى اربعين ساعة هلك ٥٠٪ من البيض . ويعزى الاثر المميت لدرجة الحرارة العالية المفاجئة انها قد تحدث صدمة عصبية او تؤثر على الجهاز التنفسي او تخثر البروتوبلازم او تثبط الانزيمات .

وينبغي الا ننسى ان مجاميع الاحياء المائية التي تعمر مساحة ما ، انما تعيش في توازن وانسجام مع بعضها البعض ، فاذا اصيبت احداها بضرر ما ، لحق الضرر بصورة او اخرى بالمجموعات الاخرى من نباتات او حيوانات تعيش في نفس البيئة ، فقد تكون هذه قاتلة لتلك .

وثمة بيانات محدودة عن حوادث القتل الجماعي للاسماك بتأثير التلوث الحراري ، الا انها تدل على مدى الخطر الذي تتعرض له الاحياء المائية عامة والاسماك خاصة ، ففي صيف سنة ١٩٦٨ ابيدت كميات ضخمة من الاسماك كانت تعيش وادعة في قناة رأس الحوت في درجة ٨٠ ف عندما ارتفعت درجة الحرارة الى ٩٣ – ٩٥°ف في اثناء تجربة احد مولدات الطاقة ، وقذفت في القناة هذه المياه الساخنة . وكذلك في ربيع سنة ١٩٦٢ عند

تجربة مفاعل نووي مقام على شاطىء نهر هدسون، فجلب الدخل الاسماك لم ابادتها الحرارة المرتفعة المفاجئة .

على ان هذه الابادة قد تحدث في الصيف المرتفع الحرارة ، وخاصة اذا التقت مع درجة الحرارة العالية للماء ، ما قد يضاف اليه من مياه وفضلات المجاري فتنشط التفاعلات وتتزايد التلوثات التي تعمل مع الحرارة على قتل الاسماك .

الثروة السمكية في خطر

ويحذر علماء البيئة من الخطر الداهم الذي يحيق بالثروة السمكية ، اذا لم يتدارك الامر وحسبوا ان في الولايات المتحدة الامريكية اربعة عشر مفاعلا نوويا تعمل فعلا ، وستة وثلاثين قارب العمل فيها على الانتهاء ، وسبعة واربعين تصمم حاليا ، اي ان نحو مائة مفاعل نووي ستلقي بمياهها الساخنة في مياه الانهار او البحيرات التي تقوم على شواطئها .وفي عام ٢٠٠٠ ، ستنتج هذه المفاعلات اربعمائة مليون ميجاوات ، من مجموع الانتاج الكهربائي المطلوب في امريكا وهو نحو الف مليون ميجاوات . فاستعمال المياه العادية في تبريد المكثفات ، سيرفع من حرارة تلك المياه العذبة وفي السنين المقبلة ، قد ترتفع هذه النسبة ليكون تاثيرها ١٠٠٪ ولذلك فان من الخطورة بمكان الا يفكر العلماء في وسائل اخرى للتبريد . وقد فكر في استغلال هذا السائل الطبي الذي استعمل في تبريد المكثفات في التدفئة بدلا من القائه في الانهار والبحيرات العذبة ، ولكن وجد ان حرارته لا تفي بالغرض ، كما فكر في استعماله في الري ولكن ذلك كان باهظ التكلفة . واخيرا فكروا في استعمال هذه الحرارة الزائدة في تقطير ماء البحر لاعذابه ، او في استعماله مع مخلفات المجاري في تسميد مزارع سمكية خاصة في مياه البحار .

انواع اخرى من التلوث

وبعد ، فليست هذه دراسة تفصيلية لموضوع التلوث الحراري ، ولكنا اردنا التنبيه الى نوع اخر من انواع التلوث الحديثة ، التي تنشأ من نشاط الانسان في مختلف المجالات العلميـــــة والصناعية . وقد شاع امر التلوث الاشعاعي ، الذي يحدث نتيجة لتأثر الفضلات الذرية او النووية من المفاعلات او نتيجة للتجارب النووية ، سواء تلك التي تجري في الصحاري او البحـار والمحيطات والانهار ، في باطن الارض او علـى سطحها . وما ينشأ عن ذلك من اخطار ليس الى حصرها من سبيل . فهذا التلوث الحراري الذي اشرنا الى بعض اخطاره في هذا الحديث ، وما ينشأ عنه من ابادة للاحياء المائية وخاصة الاسماك مايهدد بطريق مباشر او غير مباشر ثرواتنا البشرية والغذائية . وقد كنا نقول ان الثروة المائية ، هي المعين الجديد ، الذي سيسعى الانسان جاهدا لاستغلاله لانتاج ما يسد بعض حاجات النـاس المتزايدة الى الطعام . فهذه الثروة هي الاخرى مهددة بانواع من التلوث ليس اخطرها التلوث الحراري ، فهناك التلوث الكيماوي ، مما تلقيه المعامل الكيماوية من فضلات ، ومواد ، وهناك التلوث من مياه المجاري والفضلات ، الى غير ذلك مما لا يكاد يقع تحت حصر ، وقد يكون اثر واحد او اكثر من هذه العوامل محتملا في وقت ما ولكنها اذا اجتمعت ، ولمدة طويلة ، فان اثارها المهلكـة تكون مزعجة الى حد كبير ومن رأي بعض العلماء ان درجة الحرارة قد تكون اقوى عامل مخطر اثره على الحياة والاحياء ومن حسن الحظ ان التلوث الحراري لم يشكل بعد خطرا كبيرا على حيوانات الاحياء المائية او على البيئة المائية ، وان العلماء قد تنبهوا له ويعملون على درئه والوقاية منه بمختلف الوسائل .

ولعل المسئولين عن المصانع والصناعات في الوطن العربي ان يتنبهوا الى خطر هذا النوع من التلوث، وقى الله الانسانية شر التلوث جميعا . ■

عبد العليم منتصر

كتاب الشهر



■ [illegible] صفحة من القطع الكبير ، يقدم موضوعا [illegible] [illegible]

[illegible]

التوسع على مراحل .

و [illegible] المؤلف مسطور على الجهد الكبير الذي بذله في اعداد هذا الكتاب لعلم حسب اسمه في بالدقة على مصادر ومراجع كثيرة ، [illegible] « مركز الابحاث الفلسطينية » [illegible] الكتاب ، ولكن كان بالامكان ان يكون الكتاب اكثر فائدة ، واسهل [illegible] ، لو استغنى [illegible] المؤلف كثيرا من التفاصيل التي ليست من صلب الموضوع .

والكتاب في [illegible] ، [illegible] [illegible] عصر هرتسل ، من هرتسل الى [illegible] ، من [illegible] الى بن غوريون [illegible] [illegible]

[illegible] خرائط [illegible] عدد العروض التي قدمت لزعماء الصهيونية للاستيطان في مناطق من العالم غير فلسطين ، ذلك ان هذه العروض رفضها زعماء الصهيونية [illegible] ان تعطي صورة [illegible] من الكتاب لحدود اسرائيل كما تصورها زعماء الصهيونية

عصر هرتسل

ومن الطبيعي ان نبدأ بالاشارة الى هرتسل [illegible] وجهوده [illegible] اقامة اسرائيل ، لانه

تأليف . الدكتور اسعد رزق
وعرض له بقلم
الدكتور محمود السمره



هو المؤسس الاول للصهيونية . ونص حلمه أراده سطورة في كتابه « الدولة اليهودية » الذي صدر سنة ١٨٩٦ ، وفي مذكراته . وفي مقابلة هرتسل للمستشار الامبراطوري الالماني ، نجد أول اعتراف صريح يفضح النوايا التوسعية للحركة الصهيونية، فعند سأله المستشار عن حدود الرقعة التي فكر فيها ، وهل تمتد شمالا حتى بيروت ام تتعداها ، فكان جوابه : « سوف نطالب بما نحتاج اليه — كلما ازداد عدد المهاجرين ، ازدادت حاجتنا للارض . » هذا سنة ١٨٩٨ .

ويسجل هرتسل في يومياته ما يلي : « المساحة من نهر مصر الى نهر الفرات » .

ويكتب في مذكراته ، عقب انتهاء المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) . « لو اردت ان اختصر مؤتمر بازل في عبارة واحدة — وهذا ما لن اجاهر به صراحة — لقلت : في بازل اسست الدولة الصهيونية . ولو قلت ذلك اليوم لقابلني اصحاب السخرية والضحك . ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال ، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد ، سيرى هذه الدولة جميع الناس . » وبعد خمسين سنة ، فعلا ، اقرت الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين .

ولم يكن هرتسل ، في هذه الفترة ، هو وحده الممثل للفكر الصهيوني ، فقد كان هناك آخرون مثل صموئيل مونتاجيو Montague (١٨٣٢ — ١٩١١) رجل المصارف الشهير ، واحد زعماء « حركة احباء صهيون » في بريطانيا تقدم عام ١٨٩٢ ، نيابة عن حركته ، بالتماس الى السلطان عبد الحميد الثاني يطلب فيه السماح لليهود باستعمار شرقي الاردن ، بعد ان منعت السلطات العثمانية « احباء صهيون » من ابتياع الاراضي في فلسطين او الاقامة فيها . وكان « احباء صهيون » يفكرون في فلسطين كبرى اكبر بكثير من فلسطين القديمة . وكان « صندوق استكشاف فلسطين » الذي انشاه البريطانيون عام ١٨٦٥ هو الذي جعل « احباء صهيون » يفكرون في فلسطين الكبرى ، كما ان هذا الصندوق يدل على ان البريطانيين اهتموا اهتماما بفلسطين ، واكتشاف ساحلها ، ووضع الخرائط لها ، في وقت مبكر يسبق احتلالهم لها بوقت طويل . وقد وضع « صندوق استكشاف فلسطين » بين يدي « احباء صهيون » خريطة جديدة لفلسطين عام ١٨٩٠ تحتوي على جميع المعلومات التي حصل عليها من اعمال المساحة والتنقيب التي قام بها ، وتصل حدود فلسطين في هذه الخريطة حتى صيدا شمالا، وتشمل ضفتي الاردن ، اي المنطقة التي اصطلح رجال الصندوق على تسميتها « فلسطين الغربية » و « فلسطين الشرقية » .

وبعد وفاة هرتسل اصبح ماكس نوردو Nordau « اول صوت صهيوني يدعو الى اقامة دولة اليهود في فلسطين والاقاليم المجاورة لها ، بحيث تتسع لاستيعاب ما بين ١٢ — ١٥ مليونا من السكان . وقد تبنى هذا الراي المؤتمر الصهيوني السابع (المنعقد ١٩٠٥) ، فورد في قراراته « يعلن المؤتمر الصهيوني السابع ما يلي : التمسك بالخطة الصهيونية دون تردد بالمبدأ الاساسي لبرنامج بازل .. ورفض النشاطات الاستعمارية خارج فلسطين والاراضي المجاورة . » وبعد شرح لهذه العبارات في فقرة اخرى من قرارات المؤتمر تحدد المنطقة التي يرى المؤتمر اقامة دولة يهودية فيها ، وهذه المنطقة هي « فلسطين وسوريا » ، والى

قسم آخر من تركيا الآسيوية ، وشبه جزيرة سيناء ، وجزيرة قبرص » . ولم يكتف المؤتمر الصهيوني الثامن الذي عقد في لاهاي (١٩٠٧) بهذه الحدود فوسعها بحيث تصل الى الفرات ، كما ورد في خطاب ماكس نوردو الذي القاه في المؤتمر .

وقد اشار ماكس نوردو في خطبه الى ان اليهود سيدعمون سلطة الدولة العثمانية ضد القومية العربية ، اذا كانت الدولة العثمانية مستعدة لمساعدتهم في اقامة دولتهم . وفي الوقت نفسه صدر كتاب نجيب عازوري الموسوم بـ « يقظة الامة العربية » (١٩٠٥) ، وفيه توقع ما حدث ، فيما بعد ، من صراع بين القومية العربية والصهيونية . يقول نجيب عازوري : « هناك حادثان هامان من طبيعة واحدة ولكنهما متعارضان، وهما : يقظة الامة العربية، والجهد اليهودي الخفي لانشاء اليهودية مملكة اسرائيل القديم من جديد وعلى نطاق اوسع . ان مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر الى ان تغلب احداهما الاخرى . ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين . » وعجيب عازوري هذا كان مساعدا في الادارة العثمانية بمتصرفية القدس (١٨٩٨ – ١٩٠٤) ، واسرة وظيفته منه تعيين المتصرف الجديد احمد رشيد بك ، الذي ايد الهجرة اليهودية خفية ولم يعبأ بتنفيذ القوانين التي اصدرها الباب العالي ، والتي تحظر هذه الهجرة ، وكان نجيب عازوري قد اصدر في نهاية عام ١٩٠٤ بيانه التاريخي المعروف « بلاد العرب للعرب » .

تريتش و « فلسطين الكبرى »

ومن الشخصيات المذكورة في الفكر التوسعي الصهيوني ديفيد تريتش Trietsch (١٨٧٠–١٩٢٥) اليهودي الالماني الاصل ، الامريكي الجنسية ، الذي شغل نفسه بوضع حدود لما اسماه « فلسطين الكبرى » ، ودعا افكاره بنشاط في المؤتمر الصهيوني السابع خاصة . والتعريف بفكرته اصدر « دليل فلسطين » الذي صدرت الطبعة الاولى منه باللغة العبرية في القدس عام ١٩٠٦ ، وصدرت منه طبعة بالالمانية (١٩٠٧) ، وثالثة بالانجليزية (١٩٠٧) .

ويعرف تريتش فلسطين معتمدا على ما ورد في سفر العدد (٣٤ : ١ – ١٢) وسفر التكوين (١٥ ، ١٨ – ٢٠) وذلك عنه الكلام عن الميثاق الذي قطعه الرب مع ابراهيم ، وفيه ان حدود فلسطين تمتد « من نهر مصر الى نهر الفرات » . ويزعم تريتش ان اليهود الفلسطينيين لايعتبرون السفر الى خارج البلاد الا من اجتاز حلب في الشمال والاسكندرية في الجنوب .

وبعد هذا يحدد تريتش فلسطين بانها تشمل المناطق العثمانية التالية : ذلك القسم من ولاية بيروت الواقع الى الجنوب من متصرفية جبل لبنان المستقل ، والقسم من ولاية دمشق الواقع الى جنوبي جبل الشيخ ، ومتصرفية القدس الخاضعة لحكم الاستانة مباشرة ، والارض الخاضعة للادارة المصرية والمعروفة بشبه جزيرة سيناء .

تصاعد النفوذ الصهيوني في ظل جماعة تركيا الفتاة

وتميزت الفترة بين سقوط عبد الحميد الثاني ومجيء جماعة تركيا الفتاة الى نشوب الحرب العالمية الاولى بنشاط صهيوني واسع في الولايات العربية التابعة لها ، وبخاصة الصهاينة الالمان وذلك لسببين : فيهود الباطن الذين عرفوا بطائفة الدونمة (١) لعبوا دورا بارزا في انقلاب تركيا الفتاة حتى ان التخطيط له جرى في ظل مابهم بمنطقة سالونيكه ، هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فان ازدياد نفوذ المانيا في الدولة العثمانية بسبب التحالف الذي قام بينهما ، جعل الابواب مفتوحة في الدولة العثمانية امام الالمان الصهاينة . ومن ابرز هؤلاء الصهاينة جاكوبوس كان Jacobus Kann (١٨٧٢ – ١٩٤٤) الذي نشر عام ١٩٠٩ كتابا سياسيا وسياحيا باللغة الالمانية دعاه « ارض اسرائيل » ، وفيه طالب الحكومة التركية بنقل سلطاتها في فلسطين الى ايدي اليهود . اما فلسطين هذه التي يطالب بها فقد جعل حدودها جبل لبنان شمالا ، والخط الحديدي بين دمشق

---

(١) هم اتباع المسيح الدجال ، شبتاي زفي (١٦٢٦ – ١٦٧٦) ، الذي اعتنق الاسلام في الظاهر طمعا بالامتيازات ، وخوفا من عقوبة الموت . ويرى بعض المؤرخين ان بعض زعماء جمعية الاتحاد والترقي كانوا من اليهود الدونمة Donmeh

والعقبة شرقا ، ومصر جنوبا ، والبحر الابيض المتوسط غربا .

سايد بوثام وفلسطين

وكان زعماء الصهاينة في انجلترة يؤمنون ان مصلحة الصهيونية ومصلحة بريطانيا واحدة ، وعلى رأس هؤلاء الصهاينة كان وايزمن Weizmann الذي كان يدرس الكيمياء في جامعة مانشستر وقد عرف هؤلاء الصهاينة الذين التفوا حول وايزمن باسم « مدرسة مانشستر » ، وكانت هذه الحلقة تضم . سكوت رئيس تحرير صحيفة المانشستر غارديان ، وليون سيمون ، وهاري ساخر ، وسيمون ماركس ، واسرائيل سيف . وآخر ثلاثة من هؤلاء كانوا يرتبطون بروابط القربى والزواج ، كما سيطروا على امبراطورية تجارية مازالت قائمة الى اليوم ، وهي المعروفة باسم Marks and Spencer Ltd. وعن طريق سكوت رئيس تحرير المانشستر غارديان ، انضم الى الحلقة هربرت سايدبوثام Sidebotham (١٨٧٢ — ١٩٤٠) المعلق والناقد العسكري والاستراتيجي لصحيفة المانشستر غارديان ، الذي يعد احدى الشخصيات الكبرى في الفكر التوسعي الصهيوني وان كان هو نفسه انجليزيا وليس يهوديا . وقد حاول سايد بوثام ان يضع حدودا لفلسطين اعتمادا على دراسة استراتيجية قام بها ، وذلك في كتابه الاول « انجلترة وفلسطين » (١٩١٨) . وهو هنا يستعرض السياسة الخارجية لاسرائيل في ظل حكم الملوك ، ليستنتج انها اخفقت للاسباب التالية :

١ — لانها اخفقت في مد حدودها الى البحر .

٢ — ولانها اخفقت في مد حدودها الى مناطق حصينة في الشمال .

٣ — ولانها اخفقت في ترسيخ نفسها على طرف الصحراء الى الشرق من نهر الاردن .

ولهذا يجب تجنب هذه الاخطاء عند التفكير في فلسطين الجديدة .

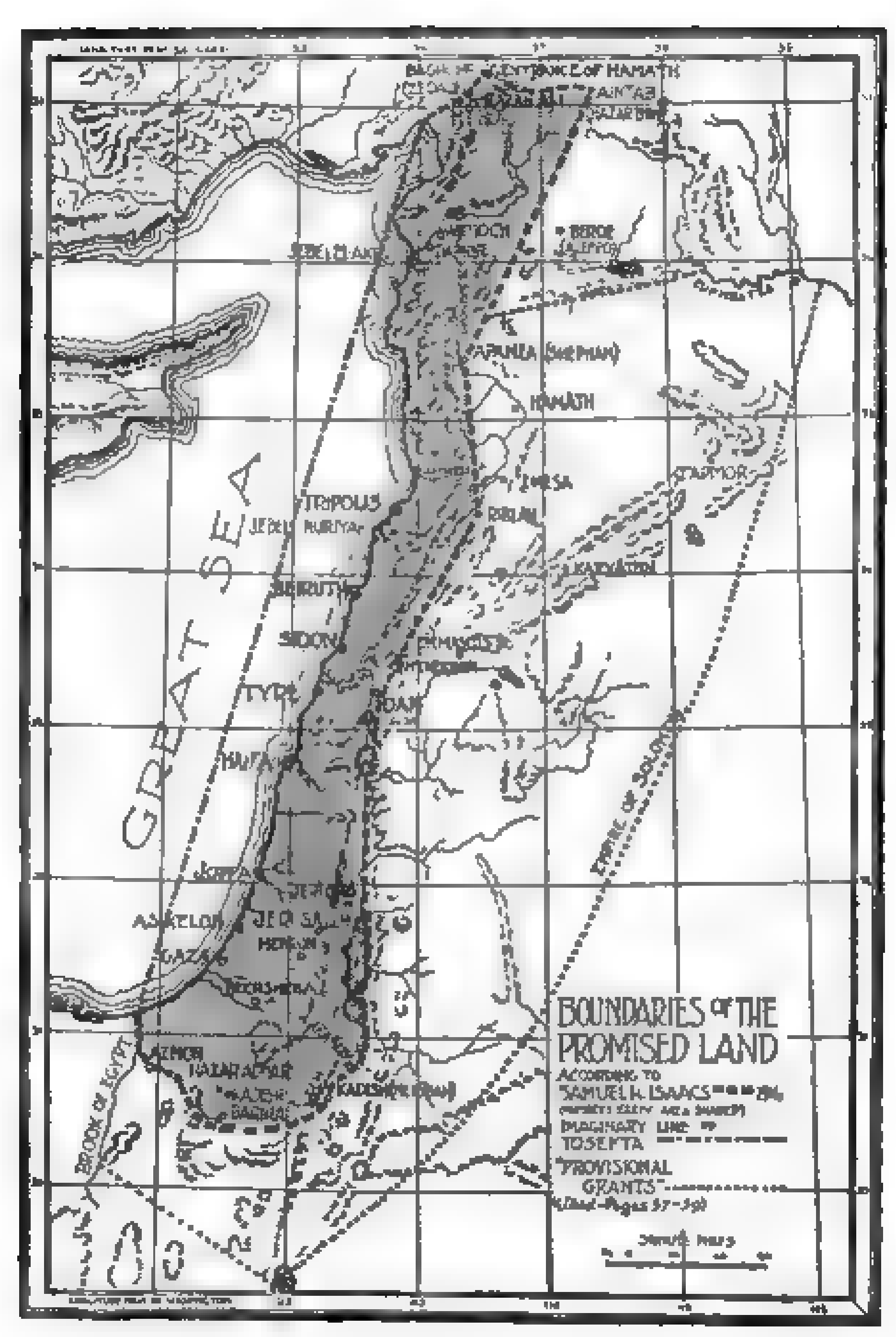
ان المأساة في تاريخ مملكة اسرائيل ، في رأيه ، هي ان حدودها الشمالية اخذت تتلاشى تدريجيا تحت ضغط سوريا المتزايد لان حدودها الشمالية كان من الصعب الدفاع عنها ، ولهذا يرى ان الحدود الطبيعية لفلسطين من الشمال هي سلسلة جبال لبنان والتوسع حتى دمشق — ولا تقل حدودها الشرقية اهمية عن حدودها الشمالية ، وهذه الحدود الشرقية يجب ان تمتد الى اطراف الصحراء شرق نهر الاردن لتكون الصحراء لها حزام امن واقي ضد الاجتياح الخارجي ، وهذا هو ما فعله الرومان . اما في الجنوب فيجب ان تمتد حتى خليج العقبة ، ولا بد لها من السيطرة على خليج العقبة لان من الخطر على الدولة اليهودية ان يكون الخليج قاعدة عدوانية تعج بالتواسات ، لان هذا سيهدد الدولة اليهودية

الموقف الصهيوني

والصهيونية موقف رسمي من قضية حدود فلسطين نجده في كتاب « الصهيونية والمستقبل اليهودي » الذي صدر في صيف ١٩١٦ ، وهو مجموعة بحوث ، ومحرره احد اعضاء « مدرسة مانشستر » المعروفين ، وهو هاري ساخر . وصاحب الفصل الاول في اصطلاحه هو وايزمن . وبحثنا من مقالات الكتاب تلك المقالة الموسوفة بـ « ملاحظة حول حدود فلسطين » والتي المح بها اليهود على تلو الكتاب عرضه لفلسطين تمتد من بيروت الى خليج العقبة ، ويبدأ المقالة باستعراض التعريفات الكثيرة لحدود فلسطين القديمة ، لتنتقل بعد ذلك للحديث عن « حدود فلسطين المستقبل » كما يصفها الصهاينة . وهذه الحدود تمتد من شمالي صيدا في خط مستقيم شرقا الى جنوب شرقي دمشق ، ثم جنوبا بموازاة الخط الحديدي وعلى مسافة ١٠ — ١٠ ميلا شرقي هذا الخط حتى تصل الى الجفر على بعد (٢٠ ميلا الى الشرق من معان . ثم تنعطف صوب الجنوب الغربي حتى تصل الى العقبة . وتعين الحدود الطبيعية في الجنوب عند الحدود المصرية متجهة الى الشمال الغربي من نقطة تقع على خليج العقبة الى رفح .

موقف الجناح الارثوذكسي المتدين داخل الحركة الصهيونية

ونحن نجد موقف اليهود المتدينين من قضية الحدود مثلا في كتاب « الحدود الصحيحة للارض المقدسة » للحاخام صموئيل ايزاكس Isaacs الذي صدر في شيكاغو عام ١٩١٧ . وحدود الارض المقدسة عند ايزاكس هي تلك الحدود التي ورد وصفها في الاصحاح ٣٤ من سفر العدد (١/٣٤ — ٢ من « العهد القديم » وهو يعتمد على النصين التاليين : « يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من



خريطة الحاخام إزاكس

امامكم ، فترثون شعوبا اكبر واعظم منكم . كل مكان تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم : من البرية ولبنان ، من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم . » و « وكلم الرب موسى قائلا : اوصي بني اسرائيل ، وقل لهم انكم داخلون الى ارض كنعان . وهذه هي الارض التي تقع لكم نصيبا . ارض كنعان بتخومها ..... » .

واذا رجعنا الى الخريطة التي الحقها ابزالبي بكتابه ، لوجدنا انها تضم مساحات شاسعة تمتد من نهر الفرات الى نهر مصر (وادي العريش) ، وتشمل خليج العقبة ، وسلسلتي جبال لبنان ، والواقع ان هذه الحدود التي يحلم بها الصهيونيون لا تختلف عن تلك التي يحلم بها العلمانيون ، ولكن العلمانيين لايكشفون عن مخططاتهم مرة واحدة ، ويحققون هذا الحلم على مراحل ، والتوسع الاسرائيلي المستمر اكبر دليل على هذا .

مذكرة المطالب الصهيونية المقدمة لمؤتمر الصلح المنعقد بباريس (مارس ١٩١٩)

والملاحظ ان الصهاينة نشطوا في الحديث عن حدود فلسطين قبيل انعقاد المؤتمر ، واخص بالذكر هنا . (١) كتاب نورمان بنتويش Bentwich « فلسطين اليهود . الماضي والحاضر والمستقبل » وحدودها عنده « من البحر الابيض المتوسط الى نهر الفرات ، ومن جبال لبنان الى نهر مصر ـ هذه هي الارض التي اعطيت للشعب المختار » . (٢) وهناك دراسة آرثر روبين Ruppin « بناء ارض اسرائيل » ، وحدودها في رأيه تشمل : فلسطين الانتداب ، والشام جنوب صور ، وهضاب الكرك والسلط ، وهضبة حوران ، وهضبة القنيطرة .

ويطول بنا الحديث لو حاولنا تتبع الفكر الصهيوني قبيل انعقاد مؤتمر الصلح ، ولهذا سنكتفي هنا بالاشارة الى المطالب الصهيونية الرسمية كما رفعتها المنظمة الصهيونية الى المؤتمر ، وبحثنا من هذه المذكرة ما ورد بشأن الحدود ، ثم بيان الاسباب التي استندت اليها للمطالبة بها .

وترجمة ما ورد بشأن الحدود هو كما يلي : « ان حدود فلسطين يجب ان تسير وفقا للخطوط العامة المذكورة ادناه :

تبدا في الشمال عند نقطة على شاطىء البحر الابيض المتوسط بجوار مدينة صيدا ، وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل الى جسر القرعون ، ثم تتجه منه الى البيرة متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ، ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ حتى جوار بيت جن ، وتتجه منها شرقا متبعة مفارق المياه الشمالية لنهر مغنية حتى تقترب من الخط الحديدي الحجازي الى الغرب منه .

وفي الشرق يحدها خط يسير بمحاذاة الخط الحديدي الحجازي والى الغرب منه حتى ينتهي في خليج العقبة .

وفي الجنوب حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية .

وفي الغرب البحر الابيض المتوسط » .

اما التعليقات التي وردت في المذكرة لتبرير المطالبة بهذه الحدود ، فهي بالنص : « ان الحدود المرسومة اعلاه هي ما نعتبره جوهريا للاساس الاقتصادي الضروري للبلاد . وفلسطين يجب ان يكون لها منافذها الطبيعية للبحار ، والسيطرة على انهارها وعلى منابع تلك الانهار . ولقد جرى رسم معالم الحدود على اساس اعتبار الحاجات الاقتصادية العامة والتقاليد التاريخية للبلاد . وهي اعتبارات يتحتم على اللجنة الخاصة الزراعية حين تقوم بتعيين الحدود ورسم خطوطها المضبوطة، كما يجب على هذه اللجنة ان تتذكر بأن من المرغوب فيه جدا ، لمصلحة الادارة الاقتصادية ، جعل المساحة الجغرافية لفلسطين اكبر ما يمكن ، بحيث تستطيع فيما بعد استيعاب عدد كبير من السكان يتمتعون بالرخاء ، ولكي يصبح بمقدورها ان تتحمل اعباء الحكومة العصرية المتمدنة ، الامر الذي يتحمله بلد صغير محدود السكان بالضرورة .

وتعتمد الحياة الاقتصادية لفلسطين ، كشأن اي بلد نصف جاف ، على كميات المياه المتوفرة . لذلك يصبح من الاهمية الجوهرية بمكان ، ليس فقط تأمين جميع موارد المياه التي تغذي البلاد حتى الآن ، بل القدرة للمحافظة والسيطرة عليها عند منابعها .

ان جبل الشيخ هو « ابو المياه » الحقيقي لفلسطين ، ولا يمكن فصله عنها دون توجيه ضربة قاصمة الى جذور حياتها الاقتصادية بالذات . وجبل الشيخ لا يحتاج فقط الى اعادة تحريج وتشجير ، بل يحتاج الى اعمال اخرى

قبل ان يصبح مؤهلا ليكون خزان مياه البلاد .
لذلك يجب ان يخضع كليا لسيطرة اولئك الذين تحدوهم الرغبة الشديدة ، ويملكون القدرة الكافية لاستغلال امكاناته حتى اقصى الحدود . كما يجب التوصل الى اتفاق دولي تحصل بموجبه حقوق المياه للشعب القاطن جنوبي نهر الليطاني (اي اليهود في فلسطين الكبرى) حماية تامة . الا ان منابع المياه هذه ، فيما لو حظيت بالعناية اللازمة ، تستطيع ان تخدم تنمية لبنان مثلما تخدم تنمية فلسطين .

ان السهول الخصبة الواقعة الى الشرق من نهر الاردن كانت ، منذ اقدم ايام التوراة ، مرتبطة اقتصاديا وسياسيا بالارض الواقعة غربي نهر الاردن . وهذه البلاد القليلة السكان حاليا ، سبق لها ايام الرومان اعالة اعداد ضخمة من السكان . ويمكنها ان تصبح الآن بصورة ممتازة حقلا للاستعمار التوطيني على نطاق واسع . ثم ان الرعاية العادلة للحاجات الاقتصادية لدى كل من فلسطين وشبه جزيرة العرب تتطلب اعطاء حكومات الطرفين الحق في حرية الوصول الى سكة حديد الحجاز على طول امتدادها .

ان التنمية التكثيفية للزراعة وغيرها من الفرص والمرافق الموفورة في شرقي الاردن تحتم ان يكون لفلسطين منفذ على البحر الاحمر ، وفرصة لانشاء موانيء جيدة على خليج العقبة . والعقبة ، كما عهد الى الآن ، كانت نهاية طريق تجاري هام لفلسطين منذ ايام سليمان فصاعدا . فالموانيء التي يجري تطويرها في خليج العقبة يجب ان تكون موانيء حرة ، تمر فيها تجارة البلاد الداخلية على اساس الحيدة نفسه الذي اعتمدناه في اقتراحنا اعطاء حق حرية الوصول الى سكة حديد الحجاز.

ومن السهل علينا ان نلاحظ في هذه التبريرات اثر تفكير سابق [illegible] .

وفي ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠ توصل المفاوضان البريطاني والفرنسي الى اتفاق حول تعيين الحدود بين سوريا ولبنان وفلسطين والعراق . وتم اقرار صك الانتداب على فلسطين في ٢٤ يوليه (تموز) ١٩٢٢ . واقيم الانتداب السياسي البريطاني على فلسطين وشرقي الاردن على اساس الحدود الادارية بين غربي فلسطين وشرقيها – على حد التعبير الصهيوني – في اول سبتمبر (ايلول) من العام نفسه . ولكن هذه الحدود لم تكن لترضي المتطرفين من الصهاينة الذين [illegible] على الزعامة الصهيونية لانها رضيت بالتنازل عن « ارض الاجداد » . وقد ادت هذه المعارضة الى قيام حزب صهيوني متطرف باسم « التصحيحية » Revisionism » واشتق هذا الحزب عن « المنظمة الصهيونية العالمية » ليؤسس « المنظمة الصهيونية الجديدة » بزعامة فلاديمير جابوتنسكي Jabotinsky ، المطالبة بفلسطين بحدودها التاريخية .

جابوتنسكي : « غاريبالدي الصهيوني »

ولد جابوتنسكي يوم الخامس من اكتوبر (تشرين الاول) ١٨٨٠ في مدينة اوديسا ، وتوفي في يوليه (تموز) ١٩٤٠ بامريكا ، وقد تزعم في حياته الدعوة الى تنظيم جيش صهيوني والتحالف مع الشيطان من اجل اقامة الدولة اليهودية على ضفتي الاردن ، وضمن الحدود التاريخية لمملكة اسرائيل ويهودا . وقد اعلنت منظمته عن برنامجها الجديد فقالت : « ان غاية الصهيونية هي تحويل فلسطين تدريجيا ، مع شرقي الاردن ، الى كومنولث يهودي ، اي الى كومنولث يحكم نفسه بنفسه في ظل اكثرية يهودية . وان تفسير آخر للصهيونية لا بد من اعتباره غير صحيح » .

وكان جابوتنسكي صريحا جدا في اعلان عدائه للاماني العربية في اي بلد عربي ، فهو يقول : « انا نفرح من صميم القلب لكل فشل تمنى به الحركة العربية ، لا في شرقي الاردن وسوريا فحسب ، بل وحتى في مراكش » .

وهذا القول لجابوتنسكي يذكرنا بقول مشهور للارهابي مناحيم بيغن ، تلميذ جابوتنسكي ، وقوله تأكيد لآراء استاذه ونهجه التوسعية فهو يقول : « لن يكون سلام لشعب اسرائيل ، ولا لارض اسرائيل ، ولا للعرب ، ما دمنا لم نحرر وطننا باجمعه ، حتى ولو وقعنا معاهدة الصلح » . (٧ ابريل (نيسان) ١٩٥٠) .

ومن صور الروح الفاشستية التي بثها جابوتنسكي في الشباب الصهيوني المنضم الى منظماته العسكرية المعروفة باسم « بيتار » Betar ، النشيد الذي نظمه عام ١٩٣٢ ليردده شباب هذه التنظيمات كل صباح . ومن المفيد لنا ، نحن العرب ، ان نتذكر دوما هذا النشيد ، لعل الذكرى تنفع الغافلين . انه نشيد باللغة الانجليزية وهو يبدأ هكذا

« ان بلادي ، منذ القدم

هي بلاد الاردن المقدسة ، بلادي الى ابد الآبدين .
لنهر الاردن ضفتان :
يمنى ويسرى ، هما لي الى ابد الآبدين ،
كلتاهما لي ...
انها لي ، كلها لي ، بلادي المقدسة ،
مهما بدت فقيرة في نظر الآخرين .
انها لي من البحر الى رمال الصحراء
وفي وسطها ينساب نهر الاردن المقدس ... »

وعلينا ان نذكر ان المنظمات الارهابية الصهيونية هي من نتاج جابوتنسكي .

وقد كان لاتباع جابوتنسكي موقف عنيف حين ادلى المستر بيفن ، وزير خارجية بريطانيا ، بتصريحه حول شرقي الاردن امام الجمعية العامة للامم المتحدة (١٧ يناير ١٩٤٦) وجعلها دولة مستقلة . وقد انضم حزب حيروت والصهيونيون العاملون الى المنظمة الصهيونية الجديدة لاصدار البيان التالي :

« ان الامة اليهودية لن توافق مطلقا على سلخ شرقي الاردن من جسم فلسطين الذي تربطها به صلات تاريخية وجغرافية واقتصادية.ولا يستطيع اي تصريح ان يغير من اعتقاد كل فرد يهودي بان الارض الواقعة شرقي نهر الاردن تؤلف جزءا لا يتجزأ من وطنه الام ودولة المستقبل » .

زعماء اليوم لا يختلفون عن زعماء الامس

ان القول بان هذه الآراء السابقة لا تمثل سوى رأي المتطرفين من الصهاينة ، هو نوع من خداع النفس ، ولولا هذه الحقيقة التصريحات الاخيرة التي وردت على السنة زعماء اسرائيل اليوم ، حتى ليصبح من الواضح لنا ان الفرق بينهما في التكتيك فقط . وما علينا الا ان نعود الى صحف هذه الايام لنقع فيها على الكثير من هذه التصريحات التي تؤكد السياسة التوسعية لاسرائيل الى ان تحقق حلمها في « اسرائيل الكبرى » من النيل الى الفرات .

اما الغرور والاعتداد بالنفس اللذان نجدهما عند كل زعيم من زعماء اسرائيل ، فانهما دليل واضح على مدى استخفافهم بنا . ان هذا الصلف هو الذي دفع ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، الى ان يقول في مقالة له نشرها في صيف عام ١٩٦٨ في « مجلة الشؤون الخارجية » ما يلي :

ليس من السخف ان نتصور قادة العرب يطالبون في المستقبل بالحاح بالعودة الى حدود عام ١٩٦٦ او عام ١٩٦٧ ، تماما كما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود عام ١٩٤٨ » .

وامام هذا كله ، يجبهنا السؤال الملح التالي : ماذا نحن فاعلون ؟

واذا لم نستطع الاجابة عن هذا السؤال بامانة واخلاص ، فان ما اخشاه ان نكون جميعا من الهالكين .

محمود السمرة



الاسلام والتفرقة العنصرية

تأليف : الدكتور عبد العزيز كامل
وزير الاوقاف في الجمهورية العربية المتحدة
الناشر : هيئة اليونسكو / مركز مطبوعات اليونسكو / القاهرة

● بحث يستعرض فيه الدكتور كامل الاصول التي وردت في الاسلام مؤكدة كرامة الانسان والاخاء الانساني الشامل في الاسلام ، الذي يرتفع فوق عصبية الجنس واللون والطبقة . وقد قامت هيئة اليونسكو بنشر هذا البحث باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية ، وذلك ضمن سلسلة بحوث تحت عنوان « المسألة العنصرية والفكر الحديث » وقد صدر من هذه المجموعة حتى الآن ؛ كتب تتناول الكنيسة الكاثوليكية ، والحركة المسكونية والبوذية ، وعلاقة كل منهم بالتفرقة العنصرية .

حكاية بلا بداية ولا نهاية وشهر العسل

تأليف : نجيب محفوظ

الناشر : مكتبة مصر ـ القاهرة

● مجموعتان قصصيتان للقصاص المصري الكبير نجيب محفوظ . أولاهما قصص رمزية هادفة ، يقول فيها كاتبها بالرمز ما لا يستطيع قوله صريحا مكشوفا .. قصص تتحدث عن الغربة .. عن الأخلاق ، عن المجتمع .. كلها كتبت بأسلوب شيق ، وتصوير النفس البشرية عبر عنه نجيب محفوظ بسلاسة وبساطة .. يقول المؤلف في حوار موجه الى بطل قصته الأولى والتي يحمل الكتاب عنوانها : « ان الحياة تموج أمام بصرك ، الأركان تتهاوى ، أوهام تتبخر ، حقائق تتفجر كالقنابل ، عناصر تتحلل مطالبة بتركيب جديد ، أصوات جديدة تحطم جدران القرون والرتابة ، الناس يتلاحمون ، قوى تنطلق من مخابئها ، والنفس تطالب صاحبها باتخاذ موقف ، اليك ... الحرب ... الله ... حب ... عنف ... تجدد ... ولكن لا حل الا أن تخوض أمواج الظلمات وأن تشق طريقك الى بر النور ... » .

النقد الأدبي
حول أبي تمام والبحتري في القرن الرابع الهجري

تأليف : محمد علي أبو حمدة

الناشر : دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت / لبنان .

● ينقسم هذا الكتاب الى أربعة أبواب يدرس في الباب الأول الحياة العامة في القرن الرابع الهجري من نواحيه المختلفة كما يوضح أن هذا القرن كان متناقضا ضعفت فيه الأحوال السياسية ولكن العلوم والآداب واصلت مسيرتها . أما الباب الثاني فدراسة عن الخصومة بين أنصار الشعر القديم والحديث وجذور هذه الخصومة . أما الباب الثالث فيوضح النقد الأدبي الذي دار حول أبي تمام والبحتري ويقال ان هذه الخصومة كانت بين أنصار الشعر القديم وأنصار الشعر المحدث ، واتخذت من المفاضلة بين أبي تمام والبحتري ميدانا لها .

أما الباب الرابع فدراسة لكتاب الموازنة للآمدي وطريقة الآمدي في المفاضلة التي كانت على غرار أحكام القضاة ويناقش منهج الآمدي وكيف أنه وضع حدا لتلك المناقشات الجدلية بين الشعراء كما أن نظراته النقدية ظلت أسيرة الشكل وعمود الشعر وبذلك قصرت عن تذوق الكثير من اللمع الشعرية الكثيرة عند أبي تمام .

وراء السراب

تأليف : وصفي قرنفلي .

الناشر : منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ـ دمشق ـ سوريا

● مجموعة قصائد متنوعة .

عبير ورماد

تأليف : سلمى الحفار الكزبري .

الناشر : دار بيروت ـ بيروت / لبنان

● قصة حياة المؤلفة تصور فيها أهم الأحداث التي أثرت في تكوينها الفكري والنفسي وطبعتها بطابعه . والانسان لا يدرك معنى الحياة وقيمها قبل أن ينضج ويصبح قادرا على تمييز الوجوه من الأقنعة بل انه عندما يكتب سيرته الذاتية انما يفعل ذلك لا بدافع الأثرة والتفرد بل يأمل أن يجد القارئ فيها مشاطرة انسانية لأفكاره ومشاعره كما يتضمن الكتاب وصفا للرحلات التي قامت بها المؤلفة في حياتها في بلاد الشرق والغرب .

صور على حائط المنفى

تأليف : خالد محيي الدين البرادعي .

الناشر : دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت / لبنان .

● مجموعة قصائد متنوعة .

الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الاسلامي

تأليف : الدكتور محمد فاروق النبهان

الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

● يمر العالم اليوم بأزمة كبيرة تعتبر من أقسى الأزمات التي مرت في تاريخ الانسانية ، وهذه المشكلة هي المشكلة الاقتصادية ، وتحاول اليوم النظم الفردية والنظم الجماعية أن تقدم الحلول المناسبة للقضاء على هذه المشكلة . فالنظم الفردية تحاول اعطاء الفرد الحرية الكبيرة أما النظم الجماعية ويقصد بها النظام الشيوعي فهو يحاول أن يتفادى أخطاء ذلك المذهب .

أما النظام الاسلامي وهو ما ينادي به الكاتب فانه يتجنب أخطاء النظامين السابقين ويحاول أن

يقدم النظام حقا يضمن للفرد حقه وللجماعة حقها ، أن هذا النظام ليس فرديا ولا جماعيا ولكنه يجمع حسنات كل النظامين .

وقد قسم المؤلف كتابه الى تمهيد وثلاثة ابواب وخاتمة . تكلم في التمهيد عن الاتجاه الجماعي خلال العصور القديمة والعصور الوسطى وفي الاديان السماوية . ثم تحدث في الباب الاول عن الاتجاهين الفردي والجماعي في الفكر الاقتصادي الحديث .

وفي الباب الثاني تحدث المؤلف عن الاتجاه الجماعي في التشريع الاقتصادي الاسلامي .

اما الباب الثالث فقد تحدث المؤلف فيه عن المبادىء الاساسية للاقتصاد الاسلامي ثم اهم النتائج المستنبطة من هذا البحث .

ابو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة

الناشر : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع

تأليف : محمد علي ابو حمدة

بيروت / لبنان .

● دراسة عن الآمدي وكتابه الموازنة مقسم الى اربعة ابواب درس المؤلف في الباب الاول الآمدي وثقافته ، القرن الرابع الهجري وحياة الآمدي وصلته بالعلماء والرواة . اما الباب الثاني فدرس الحركة النقدية التي اثارها ابو تمام والبحتري مع مناقشة عمود الشعر ومذهب البديع .

ثم خطة الآمدي في الموازنة التفصيلية بين الطائيين . اما الباب الثالث فرسم صورة واضحة للآمدي الناقد من خلال القضايا النقدية مثل القديم والمحدث واللفظ والمعنى والسرقات الشعرية . اما الباب الرابع فيوضح اثر كتاب الموازنة في الادب العربي مبتدئا بالقاضي الجرجاني ومنتهيا بابن الاثير ثم خاتمة عن مبدأ الآمدي في موازنته ونتائج احكامه فيها .

دراسات في النقد والشعر

تأليف : ناصر الحاني

الناشر : منشورات المكتبة العصرية / بيروت / لبنان .

● مجموعة مقالات ودراسات ادبية متنوعة في النقد والشعر العربي وفي مواضيع شتى عن الادب العربي . فقد جاء المؤلف كتابه بموضوع « دفاع عن الادب العربي » حيث تكلم عن تباين الامم بطبائعها كما تتباين بلونها وطرق تعبيرها عما يحزنها من مشكلات نفسية او اجتماعية ، وهذا التباين نجد له اثرا كثيرة تشمل الطعام والالوان والمشارب كما ان هذه الظواهر طابع كل امة وهي عاملة بواسب من عقليتها وفلسفتها في الحياة . ثم تناول المؤلف بالدراسة مشكلة اللفظ والمعنى عند العرب والغربيين ، ثم دراسات قصيرة عن بعض ادباء العربية المحدثين امثال الاستاذ احمد الصافي النجفي ومحمد مهدي البصير والاستاذ امين المعلوف والزهاوي الشاعر والشبيبي .

ثم قام المؤلف بدراسة موجزة للادب المهجري في الولايات المتحدة وانجلترا والتقى نخبة من ابرز رجاله . وفصل آخر درس خلاله اعلام الادب التركي ونتاجهم الفني ومختارات من شعرهم ونثرهم وختام هذه الفصول دراسة موجزة عن المتنبي مالىء الدنيا وشاغل الناس .

ابن حزم الاندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة

تأليف : سعيد الافغاني .

الناشر : دار الفكر بيروت / لبنان .

● ينقسم هذا الكتاب الى قسمين كبيرين يدرس في القسم الاول ترجمة لحياة ابن حزم تتناول عصره ونشأته ومصنفاته ثم مذهبه وادبه واخلاقه ووفاته .

اما القسم الثاني فهو تحقيق لرسالة ابن حزم في المفاضلة بين الصحابة وتمتاز هذه الرسالة بأن مؤلفها التزم في ترتيب افكاره طريقة منطقية محكمة ، حيث مهد لبحثه بكلمة عن معنى الفاضل ووجوه المفاضلة ورسم خطة البحث . ثم ادلى رأيه في فضل ازواج الرسول واستعرض اراء المخالفين له ثم شرع في تمهيد الاحتجاج لرأيه .

اما الباب الثاني من كتابه فيسرد فيه حججه في فضل الازواج مستمدة من الكتاب والسنة .

اما الباب الثالث فيبين لنا افضل الصحابة بعد امهات المؤمنين مهتما بصورة خاصة بجدال الشيعة وآرائهم في ذلك .

البقية على صفحة ١٧٥

صفحة في .. اللغة

افعولة ودلالتها

الدلالة الأولى لوزن أفعولة

الدلالة الأولى لوزن افعولة

في القرآن الكريم « وقالوا أساطير الأولين » سورة الفرقان ، الآية ٥ . وفيه أيضا « فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق » سورة سبأ ، الآية ١٩

الأساطير جمع أسطورة وهي ما سطره الناس ، ولا سيما القدماء ، من حديث يشبه الباطل والأحاديث جمع أحدوثة وهي القطعة من الحديث الذي تردده الألسنة ، يقال صار فلان أحدوثة ، أي حديثا متكررا المرة بعد المرة

وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الأباطيل

ويروى : وما مواعيدها إلا الأباطيل .

والأضاليل جمع أضلولة بمعنى الحدث الواحد من الضلال . كما قيل إن الأباطيل جمع أبطولة ، وهي الحدث الواحد من الباطل .

و « الأضحوجة » هي اسم الشيء يضج به ، وقد قال أبو ذؤيب الهذلي :

ترى رأسه في ومال سوده أخابيج خنودر كان فينا يرورها

وهذه الألفاظ السابقة وزنها « أفعولة » .

الدلالة الثانية لوزن افعولة

الأرجوحة هي التي يلعب بها ، وهي خشبة يوضع وسطها على مرتفع ، ثم يجلس غلام على أحد طرفيها ، وغلام آخر على الطرف الآخر ، فترجح الخشبة بهما، ويتحركان فيميل أحدهما بصاحبه الآخر . وقد سميت الفلوات - وهي الصحارى الواسعة أراجيح ، نظرا إلى أنها ترجح بمن سار فيها ، أي تطوح به يمينا وشمالا .

والأنشوطة ، عقدة يسهل انحلالها وهي تشد من أحد طرفيها فتنحل

والأحبولة المصيدة والأبنوتة لعبة الصياد

وهذه الألفاظ أيضا وزنها « أفعولة» ونلحظ أنها أسماء لآلة أو شيء يتوصل به إلى غاية ومن هذا القبيل :

الأنشودة وهي القطعة من الكلام الذي ينشد ، والأرجوزة القطعة من الرجز ،

والأغلوطة وهي الكلام الذي يُغالَط فيه ويُغالَط به ، والأهروجة . والأملولة بمعنى الإملال

ومن ذلك أيضا أصبوحة وأُمْسِيَّة ، تقول وأتيته أصبوحة كل يوم وأمسية كل يوم . » هذا وأمسية وزنها « أفعولة » كالألفاظ التي قبلها ، ومثلها أعبيَّة وأمنيَّة وأحجيَّة ، وأثفيَّة .

وكلمة « أطروحة » المستعملة الآن بمعنى ما يقدم من رسالة المناقشة لنيل الماجستير أو الدكتوراه ، أصل معناها في اللغة : المسألة التي تطرحها وتلقيها على غيرك

جمع الجمع

وكل هذه الألفاظ في القسم الأول والثاني تجمع على وزن « أفاعيل » وأفاعيل من الصيغ التي تسمى صيغة منتهى الجموع ، إذ لا جمع أكثر منها ولا يقتصر ما يجمع عليها على ما كان وزنه « أفعولة » بل يجمع عليها أيضا ما كان على وزن « أفعول » مثل أسطول وأساطيل ، وأسلوب وأساليب ، وما كان على وزن « إفعيل » مثل إبريق وأباريق وإزميل وأزاميل . وما كان على وزن إفعال مثل إسناد وأسانيد وإرجاف وأراجيف

ومن الحكم المسجوعة التي أوردها الزمخشري في الأساس : « إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف » .

وأفاعيل ، جمع عليها أيضا غيرُ المفرد مما كان جمعًا أقلَّ من جمعها ، مثل « قول » يجمع على « أقوال » وأقوال تجمع على أقاويل . ومثل قِدْح يجمع على أقدُح . وأقدح تجمع على أقاديح .

ويراد على ذلك أنها تكون جمعا غير قياسي في مثل مَدِيح وأماديح ، وتجيبع وأناجيع ، وحَديث الذي منه حديث رسول الله جمعه أحاديث .

هذا و « أفاعيل » نفسها من معانيها أعاجيب ، وقد قال الزمخشري ذلك في قول الشماخ :

إذا استهلا بشؤبوب فقد مُطِلَتْ عنا أصابا من الأرض الأفاعيلُ

و« الأفاعيل » هذه التي بمعنى الأعاجيب هي أقرب إلى أن تكون جمعا لأفعولة لا جمعا لأفعال ، لاتفاقها في المعنى مع أعجوبة وجمعها أعاجيب ووزنهما أفعولة وأفاعيل .







معنى النضج



قد يشبع الرجل من حبيب من هو متسم بالحب
ومع ذلك يبقى مفتقد يا يسعد بالحب!

والعرق في سبيل الوصول الى الهدف الذي اختاره المرء لنفسه في الحياة ، رغم انف كل ما يعترض جهوده من نكسات .

ومن النضوج ، الصبر على (المكاره) والاستعداد للتنازل عن ملذات سريعة مؤقتة ، في سبيل تحقيق كسب طويل الامد ..

ومن النضوج التخلي عن الشعور بالانانية ، والاستجابة لمطالب الآخرين من الناس ، وخاصة هؤلاء الذين نحبهم ..

ومن النضوج القدرة على مواجهة المصائب دون خيبة الامل ، دون أن نضمر الحقد لاحد .

ومن النضوج التواضع ، والقدرة على ان نقول نعم : « لقد اخطأنا » .. فاذا شعرنا بأننا اصبنا ولم نخطىء ، لا نحاول تذكير الجانب الآخر بخطئه كلما حانت الفرصة

ومن النضوج اخيراً ان نعرف كيف نتعامل مع الناس ، [illegible] في سلام مع الاشياء [illegible] نعرف اننا لا نستطيع ان نغيرها ..

ترى من منا يتمتع بكل هذه الصفات ؟

طفل كبير

كتبت زوجة شابة ، زوجها محام ناجح ، « للعربي » تقول : « مضى على زواجنا اكثر من خمس سنوات لم اشعر خلالها يوما بأنني اعيش حياتي مع زوجي ، كما كنت ارجو لها واتمنى ، لقد رزقنا الله بطفلين ، اكبرهما في الثالثة ، ولكنني لا اذكر ان زوجي استطاع ان يتخذ يوما قرارا دون أن يرجع لامه اولا ، حتى لو كان هذا القرار يتعلق بحياتنا الخاصة ، انه لا يستطيع ان يتخلص من سيطرة امه عليه ، حتى ليخيل الي احيانا انه يأخذ رأي امه في كل قضية تعرض عليه ، قبل ان يتخذها ويتراجع فيها .. ان شبح ام زوجي يخيم علينا حياتنا ، انني اريد ان اشعر انني اعيش مع رجل ، لا مع طفل كبير ما زال يتعلق بأمه

قلبه في معدته

وكتبت زوجة اخرى تسأل : هل يمكن ان يكون الطعام وحده ، هو كل ما يشغل بال الرجل ؟ انني أعرف قول الحكيم الذي قال : « ان اقصر

طريق الى قلب الرجل هو معدته » . ولكن الحال مع رجلي تختلف ، فقد انتقل قلبه الى معدته .. انه لم يعد يشعر بشيء او يفكر في شيء او يشغل نفسه بشيء آخر غير الأكل ، انه لم يعد شابا ، فقد جاوز الخمسين من عمره ، وقد نصحه الأطباء بألا يفرط في الأكل حرصا على صحته ، ولكنه ضرب بنصائحهم عرض الحائط ، وكانت النتيجة أن أصيب زوجي بمرض السكر . فهل كف عن الطعام ؟ ابدا .. لقد ازدادت شهيته ، وأصبح « يسرق » من ورائي !! « لقد عشت مع زوجي اكثر من عشرين عاما كان ينفق خلالها اكثر من نصف مرتبه على شراء الاطعمة والمأكولات التي يشتهيها ، حتى عندما كبر ابناؤنا الثلاثة ، وازدادت مطالبهم !! انه لا يفكر الا في نفسه ، وفي معدته !! » .

كبش الفداء

وقالت زوجة ثالثة : « لماذا يكون البيت دائما هو المكان الوحيد الذي يصب فيه الرجل جام غضبه ؟ انتا زوجان سعيدان ، مضى على زواجنا ثماني سنوات ، رزقنا خلالها بطفلة واحدة ، ولكن تصرفات زوجي تحيرني .. انه يخرج من بيته الى عمله في الصباح ، سعيدا راضيا بحياته ، ولكنه عندما يعود الينا ، اراه قد تحول الى رجل آخر .. فهو يثور ويغضب لأي سبب ولأتفه سبب ، وبينا تذهب محاولاتي لتهدئته والترويح عنه ! ولا اجد في النهاية من وسيلة لتجنب شره الا ان اذهب الى غرفتي ، واجلس مع ابنتي الاعبها حتى تنام.

« ولقد مرت ساعات طويلة قبل ان يعاوده هدوءه ، فاذا به يحكي لي عن الظلم نفسه من متاعبه في العمل ، واذا بي اكتشف من خلال حديثه ان بينه وبين رئيسه خلافا ، وان هذا الخلاف كثيرا ما يتطور بصورة لا ترضي زوجي بطبيعة الحال . ويشعر الزوج بعجزه عن الدفاع عن نفسه ، فيكظم غضبه ، حتى اذا ما عاد الى البيت باح بكل ما في صدره من غضب ! » .

في شهر العسل

وكتبت عروس في شهر العسل ، تصف تجربتها في الليلة الاولى بعد زواجها ، قالت : « سافرنا بعد حفل زواجنا مباشرة ، بعد ان اخترنا فندقا معينا في احدى المدن ، لنقضي فيه أيام العسل ، ولكننا ما كدنا نصل الى الغرفة التي حجزناها لنا

الغرفة الفندق ، حتى راح زوجي يبحث بعينيه عن تركتها عن جهاز التلفاز الذي اعلن الفندق عن وجوده في كل حجراته !! .

« ولكن جهاز التلفاز كان قد اختفى ، ولم نعثر « على اثر » ! وفجأة نظر الي زوجي ، وقال : التفريش لحظات ، فسوف اذهب لمقابلة مدير الفندق ، ليأتي لنا بجهاز ، او ينقلنا الى غرفة اخرى مزودة بجهاز !

« كانت الساعة قد جاوزت التاسعة مساء بقليل ، عندما تركني زوجي ليبحث عن التلفزيون وجلست انتظر ، وانا ما زلت في ثوب الزفاف ، فلم اشأ ان ابدل ملابسي خوفا من ان يعود زوجي ليقول لي اننا سننتقل الى غرفة اخرى .. !

ومرت الساعات بطيئة متثاقلة ، وانا ما زلت انتظر .. حتى استبد بي القلق في نهاية الامر ، فرفعت سماعة التليفون اسأل عاملا عن زوجي ؟ « وجاءني الرد : « لقد ذهب مع عامل الفندق الى بيت المهندس المسئول عن اصلاح اجهزة التلفزيون ، ليعود بالجهاز الخاص بغرفتكم . معذرة يا سيدتي ، فقد كنا نود ان ننقلكم الى غرفة اخرى مزودة بجهاز ، ولكن جميع غرف الفندق مشغولة ! » .

« هل تعرفون متى عاد زوجي في ليلة زواجه ؟ في الساعة الواحدة صباحا .. لقد عاد يحتضن جهاز التلفزيون فوق صدره ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة سعيدة ، وهو يقول : « اخيرا حصلنا على جهازنا يا عزيزتي .. لقد بقيت بجوار المهندس حتى انتهى من اصلاحه ! » .

شكوى الأزواج

ولكن هل كانت المرأة وحدها هي التي تشكو ؟ الواقع ان هناك رسائل كثيرة من الأزواج تهم ايضا مشاكلهم مع نسائهم .. ولكنها مشاكل ضئيلة لا يخلو منها بيت .. فهي من هذا النوع الذي يحدث عادة بين الأزواج في شتى مراحل الحياة ، ثم لا تلبث ان تحل هذه الخلافات نفسها بنفسها مع مضي الزمن كلما طالت العشرة بين الزوجين ، وتعود كل منهما على طباع الآخر وخصاله ، وازدادت معرفته به ، وارتبطت علاقته بصاحبه ..

الزوج الناضج

فالنضوج المرأة في رأي ايمرسون ، من نضوج الرجل ، والزوج الناضج وحده ، هو العاقل

يستطيع ان يعاون زوجته على ان تقوم معه ، وعلى ان تصبح امرأة ناضجة ، مهما بلغت درجة تعليمها وثقافتها .

فالرجل ، يريد دائما ان يشعر بوجود امرأة بجانبه ، حتى لو كانت صاحبة مهنة ، وحتى لو كانت تعمل وتكسب رزقها مثله تماما .

كتب زوج يشكو زوجته الطبيبة ، قال : « انني لم اعد اراها ، لم اعد احس بوجودها بجوارى ، لانشغالها باعمالها عني، ولولا وجود اطفالنا الصغار، الذين تركت زوجتي مهمة رعايتهم لاحدى المربيات لتسببت التي قد ازوجت .. انها لا تكاد تعود من عيادتها بعد الظهر ، حتى تبدأ تستعد للاشتغال عملها في المساء .. انا ايضا طبيب ، ولكنني لم انس انني اب وزوج في الوقت نفسه ومن اجل هذا حرصت على ان انظم حياتي ، بحيث اوفر لنفسي وقتا اقضيه في بيتي مع زوجتي واولادي . ولكنني لا اكاد ابحث عنها ، حتى اجدها بانها قد غادرت البيت لان هناك حالة طارئة تتطلب وجودها في العيادة او في بيت احد مرضاها .

« انها تهتم بعملها ، اكثر من اهتمامها ببيتها وزوجها واطفالها .. انني لا اريد ان احرمها من مزاولة مهنتها لانني اعلم انها تحبها ، ولكنني اطلب منها فقط ، ان تعطينا بعض وقتها ، ان تشعرنا بانها منا وانها منا .. ان تحس ان لها بيتا وزوجا واطفالا ينتظرون عودتها .. » .

التفاهم بين الزوجين

ولكن بالرغم مما قد يبدو في خطاب هذا الزوج من مرارة ، الا ان مشكلتهما ليست من النوع الذي يجب ان يبقى بغير حل .. ان قدرا بسيطا من التفاهم بينهما يمكن ان ينظم حياة الزوجة الطبيبة بالصورة التي ترضيها وترضي زوجها ، وتوفر الرعاية الصحية لاطفالها .. هؤلاء الذين تركت شئونهم لتلك المربية التي جلبت لتعمل مقابل اجر تعطيه لها الام العاملة ، حتى تتمكن من التفرغ هي لعملها ووظيفتها الهامة صورة اخرى من صور عدم النضوج العاطفي ، لان مهمة الام الاولى هي رعاية اطفالها ، وخاصة في مراحل حياتهم المبكرة .

مشكلة شاب جامعي

كتب شاب جامعي يدرس الاقتصاد يشكو والديه ويقول : « انني احد ثلاثة ابناء ، ننتمي الى اسرة متوسطة الحال ، والدنا يعمل موظفا في الحكومة ، واماً مدرسة في احدى المدارس الثانوية ..

« اننا لا نرى والدينا الا في المساء ، بعد عودتهما من عمليهما ، وعلينا نحن بعد ذلك ان ندبر شئوننا بانفسنا ، وان نعنى في نفس الوقت بشقيقتنا الصغرى التي لم تتجاوز عامها السادس بعد ! انني اشعر بان العبء الذي يقع على عاتقي ، اكبر مما احتمل ، فانا مسئول عن رعاية شقيقتي الصغيرة ومراجعة دروسها ، في الوقت الذي استعد فيه للامتحان ، فلم يبق على تخرجي في الجامعة الا سنة واحدة ، ان توسلاتي لوالدي لاعفائي من هذه المهمة لم تزدهما الا اصرارا على ان استمر في تأديتها باعتباري الابن الاكبر ، ولا بد لي من ان احمل جانبا من المسئولية .

ان مرتب ابي يكفينا ويزيد ، وقد حاول من جانبه ان يقنع امي بترك عملها لتتفرغ لشئون البيت . ولكن محاولاته كلها ذهبت هباء .. حتى لقد اصبحت هذه المشكلة سبب خلاف دائم بين والدي .. انني اخشى على مستقبلي من الضياع، حتى شقيقي الاصغر الذي لم يكمل بعد مرحلة دراسته الثانوية ، هو الآخر بدأ يتأثر بهذا الجو الذي يسود البيت ، وبدأت نتائج امتحاناته تسوء » .

هذه بعض النماذج للرسائل التي ترد الى « العربي » .. انها صور للحياة من حولنا .. صور نسمع عنها ويعيشها البعض منا ، ولكنها لا تستوقفنا الا عندما نراها ماثلة امامنا ، انها صور تعكس مشكلة النضج في الحياة .. يقول ايمرسون : « ان النجاح في الحياة لم يكن ابدا دليلا على اكتمال النضج .. ! » .

النضج ... النضج

بقي ان نتساءل : « هل كانت هذه الرسائل تحمل حقيقة مشاكل بلا حل ؟

ان جاز لنا ان نسميها مشاكل ، فهي تعكس اول ما تعكس قصورا في التفكير ، وهذا القصور هو اول مظاهر عدم النضج .. فاذا نضج تفكيرنا ، وهو كثيرا ما ينضج من خلال تجاربنا في الحياة .. كما قدمنا ، خف اثر هذه المشاكل على حياتنا واستطعنا ان نتغلب على الكثير منها ! ■■



التقاويم شمسية وقمرية

● لفت نظري في إحدى الصحف العربية وجود ثلاثة تقاويم: التقويم الهجري والتقويم الميلادي وتقويم ثالث، فما هي التقاويم المتبعة وعدد أشهرها وأيامها في سؤالي أي شعب يتبع؟

عادل محمد الأسطه ـ بيروت / لبنان

ـ يعتمد حساب الشهور لدى الشعوب والأمم والطوائف على السنة القمرية أو على السنة الشمسية.

والشهور القمرية هي التي تعتمد على رؤية الهلال وتنتهي بمحاقه، ثم يبدأ شهر جديد بطلوع هلال جديد. ومجموع أيام السنة القمرية هو ٣٥٤ يوما تقريبا.

أما السنة الشمسية فمجموع أيامها ٣٦٥ في ثلاثة أعوام متوالية، تسمى الأعوام البسيطة، وفي العام الرابع تكون مجموعها ٣٦٦ يوما وتسمى السنة الكبيسة، حتى يمكن أن يلاحق التقويم مواقع الشمس في السماء والأبراج. والفرق بين السنة القمرية والسنة الشمسية هو نحو أحد عشر يوما، ومعنى هذا أن الشهور القمرية تقع أحيانا في الشتاء وأحيانا في الصيف وفي الربيع والخريف.

والسنة العربية سنة قمرية وشهورها على التوالي هي: المحرم ـ صفر ـ ربيع الأول ـ ربيع الآخر ـ جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ـ رجب ـ شعبان ـ رمضان ـ شوال ـ ذو القعدة ـ ذو الحجة.

كل شهر من هذه قد يكون تسعة وعشرين يوما وقد يكون ثلاثين يوما.

والشهور الفارسية قمرية وهي على التوالي: فروردين ماه ـ ارديبهشت ماه ـ خرداد ماه ـ تيرماه ـ ارد ماه ـ برماه ـ مهرماه ـ آبان ماه ـ [illegible] ـ بهمن ماه ـ اسفندار مذ.

وكلمة ماه معناها الشهر، ثم أيام خمسة تكمل بها السنة الشمسية تسمى الأندركاه.

والشهور اليهودية قمرية وهي على التوالي:

تشري ـ مرحشوان ـ كسلو أو كسلاو ـ طابات ـ شباط ـ آذار ـ نيسان ـ أيار ـ سيوان ـ تموز ـ آب ـ أيلول.

ويلاحظ أن بعض الشهور تتفق في الاسم مع أسماء بعض الشهور السريانية، لكنها تختلف عنها في البدء وعدد الأيام، ثم إن أيام مجموعها في أعوام مختلفة، ويحتسبون سبعة في أحد الأعوام ثلاثة عشر شهرا، ويكون الشهر المضاف بعد الشهر السادس آذار، فيسمون الزائد بعده آذار الثاني.

والشهور التي تعتمد على الحساب الشمسي وعدد أيامها ٣٦٥ في السنين البسيطة و٣٦٦ يوما في السنين الكبيسة تحتفظ بمواقعها في فصول ثابتة، فشهور الصيف لا تتغير، وكذلك شهور الشتاء والربيع والخريف.

منها الشهور القبطية، كل شهر منها ثلاثون يوما ومجموع ذلك ٣٦٠ وبعد نهاية الشهر الثاني عشر يحسبون أيام النسيء، وهي ٥ أيام أو ٦ أيام حسب السنة البسيطة والكبيسة، وشهورهم على التوالي هي:

توت ـ بابه ـ هاتور ـ كيهك ـ طوبه ـ أمشير ـ برمهات ـ برمودة ـ بشنس ـ بؤونة ـ أبيب ـ مسرى.

وبعد شهر مسرى تأتي أيام الزيادة التي تكتمل بها السنة الشمسية عندها ٣٦٥ أو ٣٦٦ ثم يبدأ من جديد «توت ـ بابه» الخ.

مشروعات القطاع العام . وقد اشاع الخصوم من رئيسة وزراء الهند أثناء الحملة الانتخابية انها سوف تحرم الملكية الفردية ، فانكرت هذا الاتهام سريعا .

٤ — ايجاد فرص العمل ، لكل قادر على العمل، وخاصة بالنسبة المتعلمين ، من مهندسين واطباء ومحامين وغيرهم من فئات اخرى . وقد جاء في احصاء نشر اخيرا ان هناك ما يقرب من ٦٠ الف مهندس لا يجدون عملا في الهند .

على ان هناك نتائج اخرى تهم العالم العربي بصورة مباشرة ، في نزاعه مع اسرائيل ، وفي مقدمتها ان حزب المؤتمر الحاكم ، وبعد تخلصه من الجناح اليميني ، قد اصبح اكثر وضوحا في تاييده للقضية العربية ، فسوف تمضي حكومة الهند في مناصرة العرب في نضالهم من اجل استعادة حقوقهم المشروعة وفي استنكار سياسة اسرائيل العدوانية ، وفي رفض اقامة اي نوع من التمثيل الدبلوماسي بين الهند واسرائيل ، وهو ما كان قائما حتى اليوم ، واخيرا فقد اصبحت الحكومة الهندية اليوم اكثر قدرة على وضع التزاماتها موضع التنفيذ ، وفي مأمن تام من اية محاولة لتغيير هذه السياسة .

(م . ف)

في رثاء مصطفى كامل

● الرجاء افادتي من قائل هذين البيتين ، وفي اي مناسبة قيلا ؟

دقات قلب المرء قائلة له — ان الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها — فالذكر للانسان عمر ثاني

عمر جاد بن محمد / السودان

— هذان البيتان لامير شعراء العربية احمد شوقي في رثاء زعيم مصر الخالد الذكر مصطفى كامل باشا الذي عاش في الفترة ما بين ١٨٧٤ — ١٩٠٨ فمنذ حداثته عني والده بتعليمه لما لاحظ فيه من مخايل الذكاء والنجابة . فقد سافر الى فرنسا ونال شهادة الحقوق من جامعة تولوز . وقد كان خطيبا ساحر البيان ، انصرف للدعوة للحركة الوطنية ومقاومة الاحتلال البريطاني لمصر بخطبه ومقالاته وكتبه وتنظيم الاضرابات . حيث استطاع ان ينشر دعوة السياسة هذه في صحف فرنسا ومجتمعاتها مطالبا بجلاء قوات الاحتلال البريطاني عن مصر . وقد انشأ لهذا الغرض جريدتين احدهما بالانجليزية والاخرى بالفرنسية ، سماهما اللواء ، بالاضافة الى جريدة اللواء اليومية التي انشأها سنة ١٩٠٠ .

وقد دعا الى انشاء الحزب الوطني فانعقد اول اجتماع له سنة ١٩٠٧ بدار اللواء ، وانتخب له رئيسا مدى الحياة . وبذل في سبيل الدفاع عن قضية مصر من الجهد ما اثر في صحته تأثيرا شديدا ، فتوفي وهو في ريعان شبابه فرثاه الكثير من شعراء مصر وكتابها . ومن اشهر مؤلفاته كتاب حياة الامم والرق عند الرومان ، وكتاب دفاع مصري عن بلاده ، وكتاب مصر والاحتلال الانجليزي.

ومطلع هذه الرثاية :

المشرقان عليك ينتحبان
قاصيهما في مأتم والداني

ومنها :

يتساءلون بأي قلب ترتقي
بعد المنابر ام بأي لسان
لو ان أوطانا تصور هيكلا
دفنوك بين جوانح الأوطان
او كان يحمل في الجوارح ميت
حملوك في الاسماع والاجفان

ومنها ايضا :

يا صب مصر ويا شهيد غرامها
هذا ثرى مصر فنم بأمان
اخلع على مصر شبابك عاليا
والبس شباب الحور والولدان
فلعل مصرا من شبابك ترتدي
مجدا تتيه به على الاوطان

(ص . ي)

أقدم برلمان في العالم

● أي البرلمانات أقدمها ، ويمكن اعتباره حقا أبا البرلمانات في العالم ؟

علي شعراوي يوسف/الجيزة ـ ج.ع.م

ـ أبو البرلمانات هو برلمان ايسلندة ، وقد سماه أهل تلك البلاد التينج : Althing
ويعود ظهور هذا البرلمان الى ما قبل ألف عام .. فقد عقد أولى جلساته سنة ٩٣٠ م .

وجدير بالذكر أن جزيرة ايسلندة بقيت غير مأهولة حتى سنة ٨٧٤ م ، حينما قدم اليها واستوطنها جموع من النرويجيين .

وبدأت ايسلندة حياتها السياسية المستقلة بظهور مجلسها النيابي الأول ، أو بالحري بجلسته الأولى على نحو ما ذكرنا . وبقيت ايسلندة على استقلالها متبعة نظام الحكم الجمهوري حتى سنة ١٢٦٤ . وقد دخلت بعد ذلك في اتحاد مع النرويج ، ثم مع الدانمرك ، ثم عادت فنقضت وحدتها الأخيرة هذه سنة ١٩١٨ ، واستبدلت بها ارتباطا بالتاج الدانمركي أقل وثوقا واحكاما من الاتحاد السابق . ولكن ايسلندة لم تلبث أن وضعت حدا لهذا الارتباط سنة ١٩٤٤ . وقد فعلت ذلك وفق استفتاء شعبي صوتت الأكثرية فيه الى جانب الاستقلال التام والنظام الجمهوري الديمقراطي الذي كانت تسير عليه البلاد قبل نحو ألف عام .

وتجدر الإشارة الى أن ايسلندا التي تغطي الثلوج الكثير من أراضيها ، جزيرة تقع في أقصى الشمال في بحر الشمال ، بين جزيرة جرينلند وشبه جزيرة اسكندنافية . ويبلغ عدد سكانها حوالي ٢٠٠٠٠٠ نسمة ، ويبلغ مساحتها نحو ١٠٠٠٠٠ كم٢ . ويعيش أهلها على صيد الأسماك ، وتكثر فيها البراكين .

(ي . أ)

الطابور الخامس

● نسمع في الإذاعات ونقرأ في الصحف ووسائل الاعلام العربية عن الطابور الخامس . ونعني به بعض العملاء في داخل أمة يعملون لمصلحة عدوها . فإن صح هذا فهل هناك طابور رابع وطابور ثالث وهلم جرا ، ولماذا سمي هذا الطابور ؟

منصور الدوسري ـ الكويت

ـ نشأ تعبير « الطابور الخامس » أول ما نشأ أثناء الحرب الأهلية الاسبانية التي نشبت في عام ١٩٣٦ واستمرت ثلاث سنوات .. وأول من أطلق هذا التعبير هو الجنرال الاسباني كويبو ديلانو Queipo Dellano أحد قواد القوات الثائرة .. وكان يتحدث عن قواته الزاحفة على مدريد وكانت تتألف من ٤ طوابير من الثوار ثم قال ان هناك أيضا طابورا خامسا يعمل مع الثوار ولكن داخل مدريد نفسها وكان يقصد بذلك مؤيدي الثورة من أهالي مدريد .

وبعد هذا الوصف الذي أطلقه الجنرال الاسباني الثائر أصبح استعمال كلمة الطابور الخامس شائعا ، وأصبحت تدل على الجاسوسية وعمليات التخريب التي تتم داخل البلد بواسطة أعوان لأعداء هذا البلد . وزاد انتشار هذا التعبير بعد ذلك لما قامت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ واعتماد هتلر على عدد كبير من الجواسيس والمخربين داخل البلاد التي كان يحاربها .

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية اتسع معنى كلمة الطابور الخامس ليشمل أيضا مروجي الاشاعات ومتعاطي الحروب النفسانية التي انتشرت نتيجة الحرب الباردة التي نشأت بين المعسكرين الشيوعي والغربي .

(م . ط)

بنوك العالم ايها اكبر

● لماذا كانت البنوك السويسرية اكبر بنوك العالم

احمد غنيم / الشطايا ـ الكويت

ـ البنوك السويسرية ليست اكبر بنوك العالم .. وشهرة هذه البنوك قد تعود الى التسهيلات التي تقدمها والثقة لا تعزى الى كبرها .. ونعطيك فيما يلي بيانا باكبر عشرة بنوك في العالم ، بمجموع الودائع الموجودة لديها . الا ان رقم الودائع ، وهي تشمل في الغالب رأس المال ، هي المحك الذي يقاس به كبر البنوك .

الودائع بآلاف الملايين من الدولارات

البنك	الودائع	الجنسية
بنك امريكا	٢٩٫٢	امريكي
فيرست ناشونال سيتي	١٩٫١	امريكي
تشيز مانهاتان	١٩٫٠	امريكي
باركليز	١٥٫١	بريطاني
مانوفاكتشررز هانوفر	١٠٫٥	امريكي
ناشونال وستمنستر	٩٫٧	بريطاني
مورجان جارنتي	٩٫٥	امريكي
بنكا ناسيونال دل لافورو	٨٫٨	ايطالي
وسترن بانكوربوريشن	٨٫٧	امريكي
بنك ناسيونال دي باريز	٨٫٤	فرنسي

فانت تلاحظ ان هذه البنوك مرتبة نزولا من الكبير الى الصغير ، ليس بينها بنك سويسري واحد ، وان ستة منها بنوك امريكية ، واثنين بريطانيان ، وواحدا ايطالي ، والآخر فرنسي .

(ق . ل)

اريتريا وقصة جهادها ضد الاستعمار الاثيوبي

● كثيرا ما ينشر هذه الايام في الصحف والمجلات عن ثورة اريتريا ، والثورة هناك ضد الحكم الاثيوبي ارجو ان تكتبوا لنا نبذة عن اريتريا وتاريخها وعدد سكانها وموقعها الجغرافي .

حسن عمر [illegible] ـ جدة

ـ تقع اريتريا على الشاطئ الغربي الجنوبي للبحر الاحمر ، وهي تمتد حوالي ٦٧٠ ميلا على الساحل الغربي للبحر الاحمر ولا يفصلها عن الجزيرة العربية الا مضيق باب المندب والبحر الاحمر وتبلغ مساحة اريتريا ١٢٠ الف كيلو متر مربع وعدد سكانها حوالي الثلاثة ملايين منهم اكثر من ٧٥٪ منهم مسلمون . وعاصمة اريتريا هي اسمرا .

وقد ظهر الاسلام في اريتريا في بداية القرن الاول الهجري ، وفي القرن الثالث قامت عدة ممالك اسلامية هناك وانتشرت اللغة العربية واصبحت اللغة الرسمية للبلاد . واصبحت اريتريا جزءا من الامبراطورية الاسلامية في عهد الامويين ، ثم اصبحت تابعة للامبراطورية العثمانية في منتصف القرن السادس عشر الميلادي وفي عام ١٨٦٦ تنازلت عنها الامبراطورية العثمانية للحكومة المصرية ، وفي عام ١٨٨٥ احتلتها ايطاليا وظل الاحتلال الايطالي قائما حتى هزمت ايطاليا في الحرب العالمية الثانية وتنازلت عن اريتريا لبريطانيا . وفي عام ١٩٥٠ اصدرت الامم المتحدة قرارا يقضي على انضمام اريتريا للحبشة في اتحاد فيدرالي .. واستغلت الحبشة هذا القرار وبدأت في فرض القيود على اللغة العربية في اريتريا ومنعت تدريسها واحلت اللغة الامهرية محل اللغة العربية . وثار شعب اريتريا ضد هذه الاجراءات وفرضت الحبشة سيطرتها الكاملة على هذا البلد واعلنت الغاء الاتحاد وضم اريتريا لتصبح اقليما للحبشة . وتكونت جبهة تحرير اريتريا التي تنادي بالاستقلال عن الحبشة وبدأت سلسلة طويلة من اعمال حرب التحرير التي لا تزال مستمرة حتى الآن .

(م . ط)



(مدرسة العلوم في الأدب)

● سير جيمس باري Sir James Barrie ، المؤلف والكاتب المسرحي الاسكتلندي (١٨٦٠ – ١٩٣٧) ، كان يفتح بابه للشباب الناشئين من الكتاب الذين كانوا يحرصون دائما على أن يقدموا له انتاجهم ليقرأه ويقول لهم رأيه فيما يكتبون !.

وكان سير جيمس يخصص من وقته بضع ساعات يوميا يقضيها في قراءة بعض ما يصله من انتاج هؤلاء الشبان ، وكان يدعوهم الى بيته ويجلس اليهم ويحادثهم ويناقشهم .. الى أن جاءه يوما شاب يحمل اصول كتاب اعده للطبع ، ورغب الشاب في أدب الى الكاتب الكبير أن يقرأ بعض اصول كتابه .

وقال سير جيمس : « ولكن هذا الكتاب ضخم يا بني . انه يقع في أكثر من ألفي صفحة من حجم الفولسكاب ، هل تستطيع أن تعطيني فكرة عن موضوع كتابك هذا ؟ » .

وقال الشاب : « نعم . انه ثورة على كل شيء نراه من حولنا اليوم ! » .

واهتم سير جيمس ، وقال في تساؤل وفضول : « ثورة ؟ ماذا تعني بهذا ؟! » .

قال الشاب . « انني ثورة على الجمود .. انه دعوة الى التقدم عن طريق العلوم ! » .

وقال سير جيمس : « آسف يا بني ولكنني لا افهم كثيرا في العلوم ! » ثم اعاد الى الشاب اصول كتابه !.

وخرج الشاب من بيت الكاتب الكبير الى المطبعة فورا ، وكتب في مذكراته يقول . « الآن فقط ادركت انني اكتب أدبا من لون جديد .. أدبا حلت فيه العلوم محل الرومانسية .. وهذا سيعرف الناس ان العلوم هي الحياة ! » .

ولم يكن هذا الشاب سوى هـ . ج ولز H. G. Wells ، كاتب بريطانيا الشهير الذي قالوا عنه بعد موته في عام ١٩٤٦ . « لقد استطاع هذا الكاتب أن يقدم للعالم مدرسة جديدة يدرس فيها الناس دور العلوم في تطور البشرية ! » .

● ● ●

« الحرية والنحل ! »

● لم يكن لودفيج بيتهوفن (١٧٧٠ – ١٨٢٦) الذي احتفل العالم في العام الماضي بمرور مائتي عام على مولده ، موسيقارا عظيما ، بل لقد كان أيضا عبقريا عرف كيف يطلب الحياة ويقدس الحرية . كتب يوما لصديق يشكو ازمة الحرية في بلاده ، يقول « ان الحرية يا صديقي لا تهبط الى الشعوب القاعدة ، فهي ليست ماء ترسله السماء الى الزرع الظامىء .. ان الشعوب هي التي يجب أن تسعى الى الحرية وتكسبها ، تماما كما يفعل النحل وهو يتنقل بين الزهور ليمتص رحيقها .. انه لو بقي حبيسا في خليته لمات جوعا ولما استطاع أن يقدم لنا الذ وأطيب طعام ! .

« فالحرية مهمة ، يجب أن نسعى ونكافح من أجل كسبها ، والا فلن نستطيع ابدا ان نعيش بها ونتمتع بثمارها » .



مارتين لوثر كنج

زهور الوداع !

● روت أرملة الزعيم الزنجي الامريكي الراحل مارتين لوثر كنج Martin Luther King ، الذي صرعه البيض برصاص الحقد والكراهية منذ بضعة اعوام في امريكا ، روت قصة غريبة حدثت بينه وبينها قبل أن يلقى مصرعه بأيام معدودة ، قالت : « كان الوقت مساء عندما طرق بابي حبيبي وصول يحمل باقة من الزهور بمناسبة عيد زواجنا وقرات البطاقة ، فاذا بها من زوجي الذي كان قد سافر الى مدينة ممفيس ليخطب في اجتماع عقده السود ليعبروا فيه عن احزانهم .

« وكانت زهورا جميلة جدا ، ولكنني ما كدت اقربها من أنفي حتى اكتشفت انها زهور اصطناعية لا رائحة فيها ! وكانت مفاجأة لي ، فلم يحدث ابدا ان اهداني زوجي زهورا اصطناعية طوال سني زواجنا .. وجعلت الزهور لاضعها في آنية ، ثم رحت انتظر عودته الى ان وصل أخيرا وما كدت القاه حتى طبعت قبلة على جبينه ، وشكرته على هديته وقلت انها زهور جميلة ، ولكنها اصطناعية ! » .

وقال مارتين : « نعم يا حبيبتي ، فقد اردت ان اعطيك شيئا تحتفظي به دائما ! » .

ولم تكد تنقضي بضعة أيام ، حتى لقي زوجي مصرعه .. اما الزهور ، فما زالت باقية لم تذبل في المكان الذي أراده لها تحت صورتنا في لباس العرس حتى اليوم !! .

صور الحياة ..
اجمل اللوحات ! .

● يروون عن الرسام الروسي المعاصر مارك شاجال Marc Chagall ، انه لم يكن يعبأ ابدا برأي الناس في فنه ، وكم من مرة حمل لوحاته التي اثارت اعجاب كل من رآها ، وعاد بها الى مرسمه الصغير في بيته ، حيث كان يجلس امامها ساعات طويلة يتأملها ، وقد امتلأت نفسه بالشك في صدق ما قاله المعجبون بفنه !

الى ان جاءه يوما صديق زائر ، يعمل استاذا للعلوم الطبيعية . واحس الصديق بحيرة صديقه الفنان الذي يريد ان يتأكد بنفسه من جمال لوحاته التي وضع فيها كل جهده .

وجلس الصديق يفكر ، ثم ما لبث أن قفز من مقعده ، وقال : « ان لوحة الحياة يا صديقي هي أروع اللوحات وانت تستطيع ان ترى صوراً من الحياة في كل شيء من حولك .. في فرع شجرة خضراء وارفة أو في زهرة تتفتح أوراقها ، أو في وجه جميل لطفلة صغيرة ، حاول ان تأتي بصورة من هذه الصور ، وضعها بجوار لوحتك الجديدة ، ثم تأمل الاثنين وتأملهما ، فاذا وجدت أن لوحتك قد نجحت في أن تثبت وجودها بجانب هذه الصور الحية التي تعجز يد الانسان عن صنعها ، فاعلم انها لوحة ناجحة !! » .



بقلم: عبد الستار فراج

■ الكتب التي هدفها التعريف بالأشخاص موجودة في التراث العربي الاسلامي من عهد بعيد ، مع الاختلاف في مشارب مؤلفيها تبعاً لما يتصور بالكتاب نفسه

كتب التعريف بالأشخاص في التراث العربي

ولعل ما وصلنا مطبوعاً من هذه الكتب هو الطبقات لابن سعد ، فيه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأصحابه من مهاجرين وأنصار ، فمن أخذ عنهم ومن انتقل الى الأمصار .

وطبقات فحول الشعراء ، من عنوانه يعرف ما فيه ، وكذلك الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، والورقة لابن الجراح .

وكل هذه الكتب ألفت في القرن الثالث الهجري . ويلي ان كتبت عن « الأغاني » لأبي الفرج الاصفهاني المشتمل على ما تغنى فيه قبله ، مع ترجمته لأكثر قائلي الشعر والمغنين والمغنيات ، الى جانب ما يعرض له من ذكر الأنساب وأيام العرب وبعض غزوات الرسول ، ويذكر الصوت الذي غنى فيه ولحنه .

ومن كتب التراجم تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، الى غير ذلك من الكتب كاليتيمة ، وتتمة اليتيمة ، ومعجم الشعراء للمرزباني ، والمؤتلف والمختلف للآمدي ، والأوراق للصولي ، والخريدة للأصفهاني والاستيعاب لابن عبد البر ، وأسد الغابة لابن الأثير .

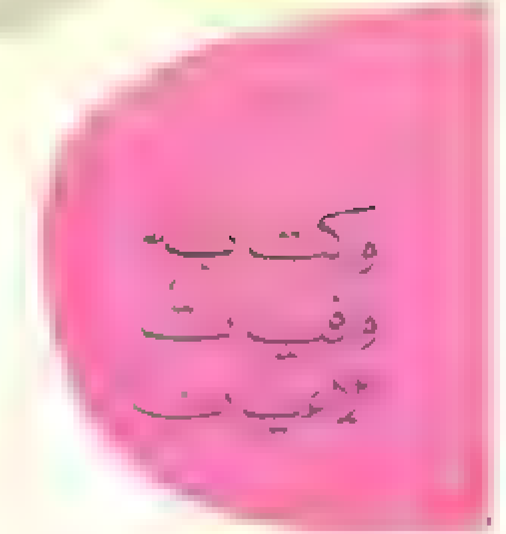
ومن كتب التاريخ ما يعرف ببعض الأعلام ، كمروج الذهب للمسعودي ، والتنبيه والاشراف له أيضاً ونوع آخر كالفهرست لابن النديم الذي سنتكلم عن موضوعات مصادره ، ومن ألفوا فيها ، وترجم في ايجاز لبعض العلماء والشعراء .

وكثرت الأنواع من هذه الانتاج التي تأتي بالتراجم على تباين في أساليبها وفي الدقة وحسن الاختيار . وقد يكون بعضها شاملاً للأشخاص في جيل واحد او قطر واحد او بلد واحد ، وبعضها موسع فيذكر القديم ومن تلاه حتى يصل الى زمنه ، اما على تسلسل الزمن ، واما على الترتيب الهجائي .

ولا نستطيع ان نحصي ما جمع من ذلك ، فضلاً عما سطر في دور الكتب العامة والخاصة من مخطوطات .

كتاب وفيات الأعيان

كتاب وفيات الأعيان كله تراجم للأشخاص ، والوفيات جمع وفاة ومعناها استيفاء الأجل المقدر للانسان والحيوان . والأعيان جمع عين ، والعين تطلق على عدة معان منها الشخص المهم



لو القيمة ، وهذا الكتاب المشهور باسم وفيات الأعيان لابن خلكان ، وكثير من الناس يخطئون اسم الكتاب خطأ شنيعاً فيقولون وفيات فيكسرون الفاء ويشددون الياء وهي ملاحظة ان المؤلف لا يريد ان يذكر من اشتهر بالوفاء من الناس ، وانما يريد تحديد تاريخ الوفاة لمن لهم شهرة في العلم او الرياسة او الادب او في فن من الفنون .

ويقول ابن خلكان في مقدمة كتابه

« ولم اذكر في هذا المختصر احداً من الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا من التابعين رضي الله عنهم الا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس الى معرفة احوالهم ، وكذلك الخلفاء لم اذكر احداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب ، ولكن ذكرت جماعة من الافاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم او كانوا في زمني ولم ارهم ليطلع على حالهم من يأتي بعدي .

ولم احصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء او الملوك او الامراء او الوزراء او الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ذكرته واتيت من احواله بما وقفت عليه ..

الى ان يقول « وسميته كتاب وفيات الاعيان وأنباء ابناء الزمان ، مما ثبت بالنقل او السماع او أثبته العيان » .

ويذكر لنا تاريخ ترتيبه له فيقول :

« وكان ترتيبي له في شهور سنة اربع وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة » اي ٦٥٤ هـ . ثم انجاز الكتاب نهائياً كان بعد ذلك .

ثم يقول في نهاية كتابه :

« نجز الكتاب الذي سميته وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان بحمد الله ومنته ، وذلك في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنين وسبعين وستمائة بالقاهرة المحروسة » اي ٦٧٢ هـ .

« يقول الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان مؤلف هذا الكتاب . اني كنت شرعت في هذا الكتاب في التاريخ المذكور في اوله على الصورة التي شرحتها هناك مع استغراق الاوقات في شغل القضايا الشرعية والاحكام الدينية بالقاهرة المحروسة ... » .

ودخل دمشق مع الظاهر بيبرس يوم الاثنين سابع ذي الحجة من السنة نفسها . « ثم حصل الانفصال من الشام والرجوع الى الديار المصرية . وكان مدة المقام بدمشق المحروسة عشر سنين كوامل ، لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً ، فاني دخلتها في التاريخ المذكور الاثنين سابع ذي الحجة من سنة ٦٥٩ وخرجت منها بكرة يوم الخميس ثامن ذي الحجة من سنة تسع وستين وستمائة » (٦٦٩ هـ) .

والى قبل خمسة اعوام قضاها في القاهرة نائباً بنيابة القضاء ثم شغله عن المناصب بعد ان رتبه في سنة ٦٥١ .

وبعد ذهابه الى الشام في ٦٥٩ وعودته في ٦٦٩ قال « فلما وصلت الى القاهرة صادفت بها كتباً كنت اؤثر الوقوف عليها » . من ذلك نجد ان ما قضاه في الراحة مدة ثلاث سنين ، حيث انجز كتابه في سنة ٦٧٢ . لكنه لم يحاول ان يضيف تراجم لمن ماتوا بين ٦٥٥ و ٦٧١ ، ومن ذلك استاذه الحافظ عبد العظيم المنذري المتوفى سنة ٦٥٦ ، لكنه اضاف بعض الزيادات اليسيرة في من كان ترجم لهم . من ذلك قوله في ترجمة ابي المعالي معلى بن جميع « ومات . فتحت ارسوف على يد الملك الظاهر بيبرس سنة ثلاث وستين وستمائة والحمد لله » . وفي ترجمة الملك الكامل محمد يقول « ولم يزل مالكها الى سنة احدى وسبعين وستمائة

فترة أخرى بعد الجفاء النهائي للكتاب بين سنة ٦٧٢ و ٦٧٦ لم يظهر لنا ما كان من أمره فيها ، ولعله قضاها في ممارسات أدبية ، أو انقطاع دون تولي عمل ، وقد يكون قضى تلك المدة في القاهرة كما يقول ابن كثير في البداية والنهاية .

« وقد درس ابن خلكان في عدة مدارس لم تجتمع لغيره » .

ثم تولى قضاء الشام مرة أخرى من سنة ٦٧٦ الى ان عزل في سنة ٦٨٠ ، ولم يعد الى مصر ، بل اقام في دمشق حتى توفي بعد عام من عزله .

والمتتبع حياة ابن خلكان يأخذها من كلامه في اثناء التراجم التي جمعها في كتابه ، وانه ليسجل الايام والاعوام والاماكن ، بل وفي بعض الاحيان يسجل الساعات .

ولقد نقل عنه الاسنوي في طبقاته وكذلك صاحب شذرات الذهب « وقد اوضح هو حاله في تاريخه مفرقا » ونقلنا من كتابه وفيات الاعيان النقل بالنص اللذي ما يؤرخ لحياته .

حياة ابن خلكان نقلا بالنص لمن يؤرخ لحياتهم

في يوم الخميس بعد صلاة العصر في اليوم الحادي عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ هجرية ولد احمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان ، وكان ذلك بمدينة اربل ، بجوار الموصل ، بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين ، ونصه على تاريخ هذه الولادة موجود في ترجمته لام المؤيد زينب بنت عبد الرحمن . والمشهور بين الناس بكنيته « ابن خلكان » . وخلكان كما اورد نسبه ، هو جده الثاني . وقد ضبط صاحب تاج العروس لفظة خلكان في مستدركاته في مادة خلك انها بكسر الخاء وتشديد اللام المكسورة . ومثل ذلك ذكره صاحب روضات الجنات فقد ضبطه ضبطين آخرين ، احدهما فتح الخاء مع كسر اللام وتشديدها . والآخر ضم الخاء وفتح اللام المشددة ثم عقب على ضبط الاسم بفتح الخاء وكسر اللام المشددة بقوله : « وقد قيل في وجه تسمية جده خلكان بناء على ضبطه (بفتح الخاء وكسر اللام مشددة) انه افتخر يوما في مجلس كان فيه على بعض اقرانه بمفاخر آبائه اللذين هم آل البرامكة الوزراء المشهورون فقيل له في ذلك « خل كان » .

بعض « خل كان ابي كذا ، وجدي كذا ، ونسبي كذا ، وحدثنا عما تكون في نفسك . وهذا تعليل طريف ، لكن ابن خلكان نفسه لم يذكر لنا ضبط اسم جده مع انه يضبط الاعلام بعناية ، ولو كانت الكلمة مركبة من اللفظين وليست اسما أصيلا له لذكر لنا ذلك في نسبه حينما نص عليه في آخر الكتاب .

كان ابوه يتولى التدريس

كان ابوه محمد يتولى التدريس ، والظاهر من نصه على ولادته ، ان المدارس كان يلحق بها مسكن لمدرسيها ، وسيأتي نص آخر يفهم منه ان المدارس ايضا كان يلحق بها مساكن الطلاب .

وسمعة والده مستفيضة لدى علماء وقته ، ومنزلته كريمة لدى سلطان بلده ، ونقل صاحب شذرات الذهب ان والده لقب بالشهاب محمد

ابن خلكان من نسل البرامكة

وذكر المؤرخون بما نقول ابن خلكان نفسه انه من نسل البرامكة . ويقول ابن شاكر الكتبي في كتابه (فوات الوفيات) انه سأل بعض اصحابه عما يقوله اهل دمشق فيه ، فاستعطاه ، فلما الح عليه كان مما قاله له : انك تكذب في نسبك . فأجابه ابن خلكان : اما النسب والكذب فيه فلئن كان لا بد منه كنت انتسب الى العباس او الى علي ابن ابي طالب او الى احد من الصحابة ، واما التنسب الى قوم لم يبق منهم بقية ، واصلهم قوم مجوس فما منه فائدة .

ابن خلكان اجازه علماء عصره وهو طفل

هذا والعلماء كانوا يجيزون التلاميذ (اي يعطونهم اذنا بأن يدرسوا الناس ما قرأوه منهم او سمعوه منهم) بعد العثور عليهم . لكن هذا الامر صار في بعض العصور التبرك بشيخ البركة يطلبها الوالد لولده ولو لم يكن قد خرج من عهد الطفولة بل ولو لم يكن بينهما اجتماع في بلد واحد . ونلاحظ ان هذا انتشر في القرن السابع وما يليه ولا شك ان له سوابق في القرن السادس . فليس عجيبا ان يطلب الشهاب محمد ، لولده احمد ، ان يجيزه علماء عصره وهو ما زال في المهد صبيا ، تيمنا ان يكون من اهل العلم والرواية . فابن

خلكان ولد سنة ٦٠٨ ومع ذلك يقول في ترجمته للمؤيد بن محمد بن علي « ولنا منه اجازة كتبها من خراسان باستدعاء الوالد رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وستمائة .

ويقول في ترجمته لزينب بنت عبد الرحمن بن الحسن :

« ولنا منها اجازة كتبتها في بعض شهور سنة عشر وستمائة » .

وفاة والد ابن خلكان

اما عن وفاة والده فيقول في ترجمته لابي الفضل احمد بن موسى بن يونس .

« وتولى التدريس بمدرسة الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين صاحب اربل — رحمه الله — بمدينة اربل بعد والدي رحمه الله تعالى ، وكان وصوله اليها من الموصل في اوائل شوال سنة عشرة وستمائة ، وكانت وفاة الوالد ليلة الاثنين الثاني والعشرين من شعبان من السنة المذكورة . وكنت احضر دروسه وانا صغير وما سمعت احدا يلقي الدروس مثله ، ولم يزل على ذلك الى ان حج ، ثم عاد واقام قليلا ، ثم انتقل الى الموصل في سنة سبع عشرة وستمائة » .

ابن خلكان في اربل يتلقى علومه

وما زال ابن خلكان في بلده يتلقى علومه ، ومن ذلك سماع الحديث ، فهو يذكر في ترجمته لابي الوقت عبد الاول بن ابي عبد الله عيسى بن شعيب ما يأتي :

« سمعت صحيح البخاري بمدينة اربل في بعض شهور سنة احدى وعشرين وستمائة ، على الشيخ الصالح ابي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله الصوفي ، بحق سماعه في المدرسة النظامية ببغداد من الشيخ ابي الوقت المذكور » . ثم يستمر في ذكر سلسلة السماع حتى يصل الى البخاري صاحب الصحيح .

اخباره في اربل

واربل بلدة يذكر لنا بعض اخباره فيها ، ففي ترجمة اسعد بن يحيى بن موسى يقول :

« وكان قد جاءنا ونحن في بلدنا في سنة ثلاث وعشرين وستمائة الشيخ جمال الدين ابو المظفر عبد الرحمن ونزل عندنا بالمدرسة المظفرية ، وكان قد قصد الملك ومدح الملك واجازوه الجوائز السنية ، وكان قعد يحضر عنده كل من له عناية بالادب ، وتجري بينهم محاضرات ومذاكرات لطيفة » .

وفي ترجمته لابن منيع محمد بن نصر الدين يقول :

« ولقد رأيته بمدينة اربل في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولم اخذ عنه شيئا » .

وفي ترجمته لابي الفتح موسى بن ابي الفضل يونس يقول :

« ولقد جاءنا الشيخ اثير الدين المفضل ابو عمر ابن المفضل الابهري صاحب التعليقة في الخلاف والزيج والتصانيف المشهورة من الموصل الى اربل في سنة خمس وعشرين وستمائة ، ونزل بدار الحديث ، وكنت اشتغل عليه بشيء من الخلاف » .

وفي ترجمته لاحمد بن موسى بن يونس الاربلي يقول « شرح كتاب التنبيه في الفقه واجاد شرحه ... وكان عندنا شروحه في شرح التنبيه باربل ، واستحضر منا نسخة التنبيه ، عليها حواشي مفيدة بخط بعض الافاضل ، ورأيته بعد ذلك وقد نقل الحواشي كلها في شرحه . والفاضل الذي كانت النسخة والحواشي بخطه هو الشيخ رضي الدين ابو داود سليمان بن المظفر بن غانم بن عبد الكريم الجيلي الشافعي المفتي بالمدرسة النظامية ببغداد ، وكان من اكابر فضلاء عصره ، وصنف كتابا في الفقه يدخل في خمس عشرة مجلدة ، وعرضت عليه المناصب فلم يقبل وكان متعينا » .

كما يذكر في ترجمة اسعد بن مهذب المشهور بابن مماتي عند وصوله الى مدينة اربل « وسمعنا منه الكتاب على مظفر الدين بن زين الدين في شعبان سنة ست وعشرين وستمائة القصيدة فيه » .

والموصل بالقرب من اربل ، وفيها علماء وادباء لهذا كان يتردد عليها في طلب العلم ، حتى وهو في العاشرة من عمره ، يقول في ترجمته لابن الاثير محمد بن محمد صاحب « المثل السائر » وغيره .

« في سنة ثماني عشرة وستمائة ، ولقد ترددت الى الموصل من اربل اكثر من عشر مرات وهو مقيم بها وكنت اود الاجتماع به لآخذ عنه شيئا ، ولِمَا كان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى من المودة الاكيدة ، فلم يتفق لي ذلك » .

على ان مجال العلم في اربل لم يكن من السعة بحيث يرضي رغبات نفس متطلعة من بيت علم وفضل . وسلطان البلد نفسه يحب لاهل بلده ان يكونوا ذوي ثقافة واسعة ، وله مجال عظيم في خدمة الشعب والعلماء ، وسعي في رفاهية ملاكه ، تحدث عنه ابن خلكان باطناب في ترجمته فقال هو كوكبوري بن علي بن بكتكين ، الذي تزوج ربيعة خاتون اخت صلاح الدين الايوبي . وابن خلكان يذكر لنا صلتهم بهذا السلطان ، الذي كان اسوة في الحكم الحميد ، لهذا حين توجه ابن خلكان واخوه ليتزودا من العلم ، صحبتهما مكاتبة من سلطانهما لرعايتهما . خرج ابن خلكان من بلده اربل وكان خروجه كما سجله في ترجمته لعيسى ابن سنجر المشهور بالحاجري كما يلي « وكنت خرجت من اربل في اواخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة » .

ويذكر ذلك ايضا في ترجمته للمبارك بن احمد .

في الموصل

وقد سبق ان نقلت بعض حديثه من ترحده الى الموصل وهو في الباخرة ، اقرب البلدين ، فما في طريق رحلته او بعثته ، فكان لا بد له ان يمر بالموصل ، وهو متجه الى حلب ، في طلب العلم ايضا حل ، يقول في ترجمته لابي الفتح موسى بن ابي الفضل يونس

« ولقد رايته بالموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ، وترددت اليه دفعات عديدة ، لما كان بينه وبين الوالد رحمه الله من المؤانسة والمودة الاكيدة ، ولم يتفق لي الاخذ عنه، لعدم الاقامة وسرعة الحركة الى الشام » .

ويقول في ترجمته ليوسف بن رافع ابي المحاسن « واجتمعت ببعض الادباء بمدينة الموصل في شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة » .

في حران

ويسجل مروره بحران ايضا اذ يقول في ترجمة الملك الكامل محمد .

« واجتزت بحران في شوال سنة ست وعشرين وستمائة والملك الكامل يقيم بها بعسكر الديار المصرية » .

ويذكر ذلك ايضا في ترجمته للملك الاشرف موسى :

في حلب

وقد وضح لنا في ترجمته لابي المحاسن يوسف ابن رافع المعروف بابن شداد ما فعله هذا العالم الجليل الذي جعل حلب قبلة الراغبين ، يقول :

« كانت حلب في ذلك الزمان قليلة المدارس ، وليس بها من العلماء الا نزر يسير ، فاعتنى ابو المحاسن المذكور بترتيب امورها ، وجمع الفقهاء بها ، وعمرت في ايامه المدارس الكثيرة ... الى ان يقول ..

« ولما صارت حلب على هذه الصورة قصدها الفقهاء من البلاد ، وحصل بها الاشتغال والاستفادة وكثر الجمع بها ، وكان بين والدي – رحمه الله تعالى – وبين القاضي ابي المحاسن المذكور مؤانسة كثيرة ، وصحبة صحيحة المودة ، من زمن الاشتغال بالموصل ، فبعث اليه – وكان اخي قد سبقني بمدة قليلة – وكتب سلطان بلدنا الملك المعظم مظفر الدين ابو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين رحمه الله تعالى – المقدم ذكره في حرف الكاف – كتابا عليها في حقنا ، يقول فيه . انت تعلم ما يلزم من امر هذين الولدين ، وانهما ولدا اخي وولدا اخيك ، ولا حاجة مع هذا الى تاكيد وصية ، واطال القول في ذلك . فتفضل القاضي ابو المحاسن وتلقانا بالقبول والاكرام ، واحسن حسب الامكان ، وعمل ما يليق بمثله ، وانزلنا في مدرسته ورتب لنا افضل الوظائف والحقنا بالكبار ، مع التنبيه في السن والاستفادة في الاشتغال ... ولم نزل عنده الى ان توفي ... » .

« ولم يكن في مدرسته في ذلك الزمان درس عام ، لانه كان المدرس بنفسه ، وكان قد طعن في السن ، وضعف عن الحركة ، وحفظ الدروس والقائها ، فرتب اربعة من الفقهاء الفضلاء برسم الاعادة ، والجماعة يشتغلون عليهم » .

« وكنت انا واخي نقرا على الشيخ جمال الدين ابن ابي بكر الماهاني – لانه كان من بلدنا ، ورفيق والدنا في الاشتغال عند الشيخ عماد الدين ابي حامد محمد بن يونس ، المقدم ذكره ، فمات في ثالث شوال سنة سبع وعشرين وستمائة ، وقد نيف على ثمانين سنة . فترددت على الشيخ نجم الدين ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن علي المعروف بابن الخباز الموصلي الفقيه الامام وهو اذ ذاك مدرس المدرسة السيفية ، فقرات عليه من

اول كتاب الوجيز للغزالي الى الاخر » .

وفي ترجمته لابي البقاء يعيش بن علي بن يعيش يقول .

« ولما وصلت الى حلب لاجل الاشتغال بالعلم الشريف ، وكان دخولي اليها يوم الثلاثاء مستهل ذي القعدة سنة ست وعشرين وستمائة وهي اذ ذاك ام البلاد ، مشحونة بالعلماء والمشتغلين ، وكان الشيخ موفق الدين (ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش) شيخ الجماعة في الادب لم يكن فيهم مثله ، فشرعت في القراءة عليـــه ، وكان يقرئ بجامعها في المقصورة الشمالية ، بعد العصر ، وبين الصلاتين بالمدرسة الرواحية ، وكان عنده جماعة قد تنبهوا او تميزوا به ، وهم ملازمون مجلســـه لا يفارقونه في وقت الاقراء ، وابتدأت بكتاب « اللمع » لابن جني ، فقرأت عليه معظمها ، مع سماعي لدروس الجماعة الحاضرين ، وذلـــك في اواخر سنة سبع وعشرين ، وما اتممتها الا على غيره لعذر اقتضى ذلك » .

ولا ينسى في ترجمتـــه لابي البقاء ان يتحفنا بطرائف عنه وطرائف .

وفي ترجمته لابن الاثير علي بن محمد صاحب التاريخ المشهور المسمى « الكامل » وصـــاحب كتاب « اسد الغابة في معرفة الصحابة » ، وغيرهما يقول :

« ولما وصلت الى حلب في اواخر سنة ســـت وعشرين وستمائة كان عز الدين المذكور مقيما بها ، فاجتمعت به ، فوجدته رجلا مكملا في الفضائل وكرم الاخلاق وكثرة التواضع ، فلازمت التردد عليه ، وكان بينه وبين الوالد رحمه الله تعالى مؤانسة اكيدة ، فكان بسببها يبالغ في الرعاية والاكرام ، ثم انه سافر الى دمشق في اثناء سنة سبع وعشرين ثم عاد الى حلب في اثناء ســـنة ثمان وعشرين ، فجريت معه على عادة التردد والملازمة واقام قليلا ثم توجه الى الموصل » .

وفي ترجمته لابن نقطةمحمد بن عبدالغني يقول :

« في صفر سنة تسع وعشرين وستمائة ، وكنت يومئذ مقيما بمدينة حلب للاشـــتغال » .

وفي ترجمته للملك الزاهر داود يقول : « وتوفي بالبيرة في ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة وكنت بحلب .

وفي ترجمته لابي المحاسن يوســـف بن رافع المعروف بابن شداد يقول « وتوفي يوم الاربعاء رابع عشر صفر ســـنة اثنتين وثلاثين وستمائة رحمه الله تعالى بحلب ودفن في التربة التي انشأها وحضرت الصلاة عليه ودفنه وما جرى بعد ذلك » .

والتربة التي يعنيها هي بين مدرســـة عمرها للشافعية ومدرسة للحديث النبوي .

وفي ترجمته للملك الظاهر غياث الدين غازي يقول « سنة اربع وثلاثين وستمائة ، وكنت بحلب في ذلك الوقت » .

في دمشق

ولقد مكث في الشام للتعلم حوالي عشرة اعوام ، اكثرها في حلب ، وبعضها في دمشق . ونلاحظ ذلك من اقواله ، ففي ترجمته لابي عمرو عثمان بن عبد الرحمن يقول : « كان احد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه واسماء الرجال ومـــا يتعلق بعلـــم الحديث ونقل اللغة . وكانت له مشاركة في فنون عديدة ، وكانت فتاويه مسددة ، وهو احد مشايخي الذين انتفعت بهم ... واقمت عليه في اوائل شوال سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، واقمت عنده بدمشق ملازم الاشـــتغال مدة سنة » .

وفي ترجمته لابي الفتح موسى بن ابي الفضـــل موسى يقول « وكنت بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة » .

وفي ترجمته للملك الاشرف موسى يقول « ولقد رايته بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وســـتمائة وكنت يومئذ بدمشق » .

وفي ترجمته له ايضا يقول : « يوم الخميس الثاني والعشرين من رجب ســـنة خمس وثلاثين وســـتمائة وكنت يومئذ بدمشق » .

عود الى حلب ثم ارتحال الى مصر

في ترجمتـــه لابن الاثير محمد بن محمد بن عبد الكريم يقول « ثم انتقلت الى الشام واقمت به مقدار عشر ســـنين ، ثم انتقلت الى الديار المصرية » .

وفي ترجمته لابي المحاسن يوسف بن رافع يقول :

« وفارقت حلب متوجها الى الديار المصرية في الثالث والعشرين من جمادى الاخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة » .

في القاهرة

وبالقاهرة اقام ، ونقتبس مما قاله في ذلك :

ففي ترجمته لاحمد بن عبد الســـيد يقول :

« في آخر شعبان ، سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وكنت يومئذ بالقاهرة .

وفي ترجمتـــه لابن الأثير محمد بن محمد بن عبد الكريم المتوفي سنة ٦٣٧ يقول « ثم بلغني بعد ذلك خبر وفاته وأنا بالقاهرة » .

وفي ترجمته للملك الأشرف موسى يقول .

« دخلنا القاهرة في الساعة الثانية من يـــوم الأحد الســابع والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وخمســمائة وكنت يومئذ بالقاهرة » .

وفي ترجمته للبهاء زهير بن محمد يقول :

« في أواخر سنة سبع وثلاثين وستمائة ، وكنت يومئذ في القاهرة » .

وفي ترجمته لزيد بن الحسن بن زيد بن الحسن يقــول :

« وأما مهذب الدين المذكور أبو أبي طالب محمد ابن أبي الحســن علي وكان اجتماعنا بالقاهــرة المحروسة في مجالس عديدة ، وأخبرني أن مولده في الثامن والعشرين من شوال ، وتوفي يوم الأربعاء العشرين من ذي الحجة ســـنة اثنتين وأربعين وســــتمائة ، ودفن من الغد بالقرافة الصغرى ، وحضرت الصلاة عليه . وكان اماما في اللغة وراوية للشعر والأدب رحمه الله » . وفي ترجمته لابن عنين محمد بن نصر الدين يقول :

« بعض شهور سنة تسع وأربعين وستمائة ، وأنا يوم ذاك بالقاهرة المحروسة » وفي ترجمته ليحيى ابن عيسى المعروف بابن مطروح يقول : « وتوفي ليلة الأربعاء مستهل شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة بمصر ، ودفن بســفح الجبل المقطم ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه » وفي ترجمته للبهاء زهير بن محمد يقول : « حصل بمصر القاهرة مرض عظيم لم يكد يسلم منه أحد ، وكان حدوثه يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال ســـنة ست وخمسين وستمائة ، وكان بهاء الدين المذكور ممن مسه ألم ، فأقام أياما ، ثم توفي قبيل المغرب يوم الأحد رابع ذي القعدة من الســنة المذكورة ، ودفن من الغد بعد صلاة الظهر بالقرافة الصغرى بتربته بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه في جهتها القبلية ، ولم يتفق لي الصلاة عليه لاشتغالي بالمرض » .

سلسلة في العلم أبا وأخا وابنا

عرفنا أن أباه كان من العلماء المعروفين لدى العلماء والحكام وفي ترجمته للعاجري عيسى بن سنجر يقول عنه « وكان صاحبي وأنشدني كثيرا من شعره .. » ثم يقول :

« وكان لي أخ يسمى ضياء الدين عيسى ، بينه وبين العاجري المذكور مودة أكيدة فكتب اليه من الموصل في صدر كتاب وكان الأخ باربل ، وذلك في سنة تسع عشرة وستمائة » .

الله يعلم ما أبقى سوى رمق
مني فراقك يا من قربه الأمل
فابعث كتابك واستودعه تعزية
فربما مت شوقا قبل ما يصل

والذي يبين الكلام من طلب أن أخاه له قد سبقه ليتعلم ، وأنهما حضرا على الشيوخ ، واشتغلا في الدراسة ولا ندري أهو ذلك المسمى عيسى أو أخ غيره .

أما نسله فلم أجد عنه شيئا الا ما جاء في البداية والنهاية عند الكلام عن ابن خلكان جـ ١٣ ص ٣٠١ فهو يذكر أن له ابنا اسمه موسى ، ولقبه كمال الدين ، وأنه كان يعيد التدريس في مدرسة النجيبية (بدمشق) .

خلق وخلق

يقول ابن العماد في الشذرات عن ابن خلكان :

« كان قد جمع حسن الصورة ، وفصـــاحة النطق ، وغزارة الفضل ، وثبات الجاش ، ونزاهة النفس ، كثير الاطلاع ، حلـــو المذاكرة ، وافر الحرمة ، من سروات الناس ، كريما ، جوادا ممدحا (كثر مادحوه) .. ومن محاسنه أنه كان لا يجسر أحد أن يذكر أحدا عنده بغيبة » .

ويقول عنه ابن كثير :

« أحد الأئمة الفضلاء ، والســادة العلماء ، والصدور الرؤساء ... وقد كان ينظم نظما حسنا رائعا ، وقد كانت محاضراته في غاية الحسن » .

شعره

أورد ابن شاكر الكتبي له شعرا كثيرا ، وقصيدة طويلة نكتفي ببعض منها ومطلعها .

أي ليل على المحب أطاله
سائق الظعن يوم زم جماله

يقول فيها :

يا ديارَ الأحبابِ لازالتِ الأدْ
مُعُ في تُربِ ساحتيكِ مُسالَهْ
وتمشّى النسيمُ وهو عليلٌ
في مغانيكِ ساحباً أذيالَهْ
أين عيشٌ مضى لنا فيكِ ما أسْ
رعَ عنّا ذهابَهُ وزوالَهْ
حيثُ وجهُ الشبابِ طلقٌ نضيرٌ
والتصابي غصونُهُ ميّالَهْ
ولنا منكِ طيبُ أوقاتِ أنسٍ
ليسَ في الشامِ يلتقي مثالَهْ
وبأرجاءِ جوِّكِ الرحبِ سربٌ
كلُّ ظبيٍ تراهُ تهوى جمالَهْ
من فتاةٍ بديعةِ الحسنِ ترنو
من جفونٍ لحاظُها مغتالَهْ
ورخيمُ الدلالِ حلوِ المعاني
تتثنّى أعطافُهُ مختالَهْ
ذو قوامٍ تودُّ كلُّ غصونِ الـ
بانِ لو أنها تحاكي اعتدالَهْ
وجهُهُ في الظلامِ بدرُ تمامٍ
وعذاراهُ حولَهُ كالهالَهْ
طلبةٌ تبهرُ العيونَ جمالاً
وغزالٌ تغارُ منه الغزالَهْ

مدح كتابه وفيات الاعيان

قال ابن كثير في كتابه البداية والنهاية عند ترجمته له في الجزء ١٣ ص ٣٠١ .

« وله التاريخ المفيد الذي رسم بوفيات الاعيان ، من ابدع المصنفات » .

وقال عنه ابن العماد في شذرات الذهب « وقد جمع كتابا نفيسا » .

وقال عنه صاحب روضات الجنات الميرزا محمد باقر في الجزء الاول صفحة ٣٢٠ « وهو من احلى التواريخ واجمعها واوثقها مؤلفا ، واحسنها واجمعها للفوائد واشملها » .

• وقال عنه ابن شاكر الكتبي في مقدمته لكتابه فوات الوفيات .

« فلما وقفت على كتاب وفيات الاعيان للقاضي القضاة ابن خلكان قدس الله روحه وجدته من احسنها وضعا ، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكثيرة » .

نقد الكتاب

ويقول ابن شاكر الكتبي ايضا ناقلا كلامه بعد مدحه « ورايته قد اخل بتراجم فضلاء زمانه ، وجماعة ممن تقدم على اوانه ، ولم اعلم الاغفال لهؤلاء منهم ام لم يقع له ترجمة احد منهم » وهذا كما ترى ليس نقدا ذا اهمية فليس من المعقول ان يشتمل كتابه على كل الناس ، ويحيط بالمتقدمين .

وابن كثير نقد ترجمته لابن الراوندي في الجزء ١١ صفحة ١١٢ في حوادث سنة ٢٩٨ قال « على عادته في العلماء والشعراء ، فالشعراء يطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم » .

وهذا ايضا ليس نقدا له يستحق العناية ، فالرجل كان يتجنب الاساءة الى الناس ، وكان اديبا ومع ذلك فانه لم يقصر في حقوق الترجمة العلمية .

مناصبه

كان في القاهرة ينوب في الحكم عن قاضي القضاة ولم اعرف متى تولى هذه النيابة ، فلعلها كانت من يوم وصوله الى القاهرة سنة ٦٣٥ ، وقد تكون بعد ذلك ، وظل في هذه النيابة حتى سنة ٦٥٩ ثم تولى منصب قاضي القضاة في الشام مدة عشر سنين ، ثم عزل وظل معزولا سبع سنين ، اقامها في القاهرة ، ثم عاد فتولى منصب قاضي القضاة بالشام مدة اربعة اعوام ، ثم عزل في اول سنة ٦٨٠ ، واقام بدمشق بعد ذلك يتولى التدريس حتى توفي بالمدرسة النجيبية التي كانت بيد ابنه كمال الدين موسى ، وكانت وفاته في ايوان هذه المدرسة يوم السبت آخر النهار في السادس

والعشرين من رجب سنة ٦٨١ هـ ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة .

ولا ينسى ان يذكر بعض الاخبار وفيها ذكر منصبه .

ففي ترجمته ليحيى بن عيسى المعروف بابن مطروح يقول :

« وكنت في ذلك الوقت انوب في الحكم بالقاهرة المحروسة عن قاضي القضاة بدر الدين ابي المحاسن يوسف بن الحسن » .

ويقول في ترجمته لابي المحاسن يوسف بن رافع « ولما كنت متولي الحكم بدمشق المحروسة جاءني في بعض شهور سنة ست وثلاثين وستمائة اسجال قد ليتصلوه عند القاضي ابي المحاسن المذكور » .

سنو يوسف

ومن طريف عودته الى الشام بعد ان ظل معزولا عن القضاء سبع سنين ان يقول ابن شاكر الكتبي صاحب فوات الوفيات « وكان يوما مشهودا ، وجلس في منصة حكمه ، ومدحه الشعراء ، فقال الشيخ رشيد الدين الفارقي :

أنت في الشام مثل يوسف في مصـ
ـر وعندي أن الكرام جناس
ولكل سبع شداد وبعد السـ
ـبع عام فيه يغاث الناس

وقال سعد الفارقي :

أذقت الشام سبع سنين جدبا
غداة هجرته هجرا طويلا
فلما زرته من أرض مصر
مددت عليه من كفيك نيلا

طبعات الكتاب

اورد استاذنا الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمة كتاب وفيات الاعيان الذي حققه ، ما سبقه من طبعات وهي ست ، يضاف اليها ما حققه هو فتصبح سبع طبعات .

وهذه الطبعة لها فهرس لمن عنون لهم ابن خلكان لكن الكتاب فيه تراجم كثيرة منتثرة داخل التراجم المعنون لها ، وقد يكون ضمن ترجمة واحدة ترجمة لثلاثة ، فمثلا ترجمة الحسين بن منصور الحلاج جاء فيها :

١ - حديث عن القرامطة مطول .
٢ - حديث عن ابن المقفع مطول .
٣ - حديث عن ابن الشلمغاني مطول .
٤ - موجز عن ابن ابي عون صاحب التشبيهات والاجوبة المسكتة .

وكل هذا لم يذكر في فهارس استاذنا ، لانه اكتفى بالفهرسة لما عنون له ابن خلكان ، في حين ان من ترجم لهم ابن خلكان في ثنايا كتابه ذاكرا وفياتهم اضعاف المعنون لهم .

اما الشعراء وما قالوه ، وكثير من الموضوعات التي يعرض لها ابن خلكان ، والتي معها يحس الحاجة الى العثور عليها فلم تظفر من عناية استاذنا بنصيب ، والحق ان الكتاب جدير بان يفهرس كل ما فيه ، ولعل الزمن الذي طبع فيه محققا له وهو سنة ١٩٤٨ لم تكن فكرة العناية بالفهارس الا فكرة سما لها الفهم الاول . والناشرون انفسهم لم يكونوا يعنون بذلك .

وانا لنرجو من استاذنا حين يعاد طبع الكتاب ان يفهرس الكتاب فهرسة تامة ، وان يفعل ذلك في كل ما حققه ، كفوات الوفيات ، واليتيمة ، ونفح الطيب ، ومعاهد التنصيص .

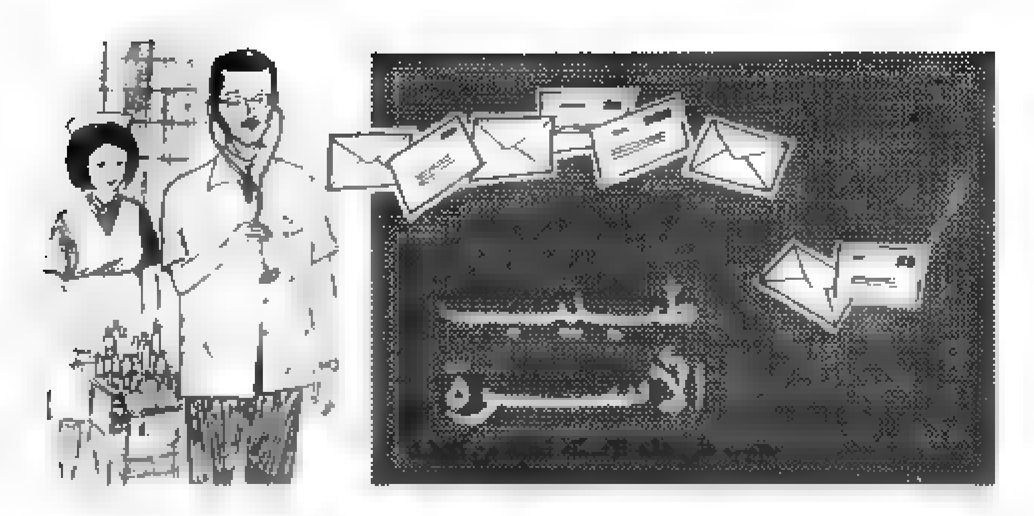
من معالم التحقيق والفهرسة

وامامي كتاب انوار الربيع لمؤلفه السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني ، والذي حققه الاستاذ شاكر هادي شكر ، وطبع في سبعة اجزاء منها جزءه السابع مشتملا على فهارس مفصلة وافية ، الى جانب ما حفل به الكتاب من تعليقات مفيدة واشارات نافعة ، اخذا بيد القارىء الى مصادر النص او اماكن ترجمة الاعلام .

وامامي ايضا كتاب « متخير الالفاظ » لاحمد بن فارس ، وتحقيق الاستاذ هلال ناجي ، وهو ايضا مثل في التحقيق والفهرسة الوافية النافعة .

ونرجو ان تكون الكتب المحققة على غرار هذين الكتابين ، وان يبذل فيها ما بذله محققاهما فان التراث بحاجة ماسة الى ان تبرز نصوصه ، وان تكون كنوزه في متناول من يطلبها ، فذلك اوفر للوقت ، وانفع للناس والله الموفق . ■■

عبد الستار فراج



التيتانوس مرض قاتل

● أصيب صاحب لي بأن دخل مسمار قدمه ، وبعدها بفترة حدث له مرض شديد ذهب ضحيته ــ وقيل انه مرض « التيتانوس » فما هو هذا المرض ؟ .

ــ مرض التيتانوس او الكزاز مرض معد يسببه دخول ميكروب الباسيلوس الخاص الذي يعيش في التراب ، وفي روث البهائم ، ويدخل الميكروب عند اصابة الجلد بجروح لم تلوث هذه الجروح خصوصا المتهتكة منها ، وكذلك عند دخول مادة حادة مثل المسمار في القدم اثناء عبور الشخص في المناطق الملوثة ــ وبدون أن يعير المصاب هذا الحدث أي اهتمام تراه بعد اسبوع او اكثر تحدث له اعراض المرض ، نتيجة لاصابة الجهاز العصبي بواسطة السموم التي تفرزها الميكروبات ، وتتوقف هذه الاعراض على سرعة ومدى انتشار هذه السموم على الجهاز العصبي ــ وتسبب هذه تقلصات وانقباضات شديدة ومؤلمة ــ يساعد على حدوثها عوامل خارجية مثل لمس المريض او تحريكه ــ أو شدة الضوء ــ أو اصوات مزعجة ــ أو عند محاولة تغذيته ، والمريض في هذه الحالة لا يفقد وعيه .

هذه التقلصات تسبب عدم القدرة على فتح الفم ، وتقلص عضلات الرقبة والظهر مما يسبب التواءات في العمود الفقري وفي عضلات البطن ، وتصلب عضلات الأطراف .

وفي الحالات الشديدة تتقلص عضلات الحنجرة والقصبة الهوائية ويصعب التنفس مما يؤدي في بعض الحالات الى الاختناق ــ وفي الحالات الأخرى يهبط القلب او يصاب المريض بالتهابات رئوية شديدة ربما تودي بحياته .

واهم شيء في المرض هو الوقاية منه ببعض الأمصال او الذين يتعرضون للاصابات كالتحصين بالطعم الواقي ــ وفي حالة الاصابة بجرح عميق او دخول مسمار بالقدم ينظف الجرح جيدا ويطهر ويعطى مصل A-T-Serum ١٥٠٠ ــ ٣٠٠٠ وحدة للمريض ليزيد من مناعته ضد المرض ، ويمنع حدوث المضاعفات .



العدسات اللاصقة
مميزاتها وعيوبها ..

● نسمع عن العدسات اللاصقة ، فما هي ؟ وما هي مميزاتها وعيوبها ؟ وهل تصلح للجميع التلقي ؟

— العدسات اللاصقة هي ما يطلق على عدسات طبية توضع ملاصقة للقرنية بالعيون في حين ان النظارات الطبية العادية توضع بعيدة عن العين بحوالي ١٥ ملم .

والعدسات اللاصقة تصنع من مواد مختلفة كالزجاج والبلاستيك والسيليكون والمواد الجيلاتينية ومواد اخرى لينة .

وهي اما تغطي الصلبة والقرنية معا Haptic Lenses او تغطي القرنية فقط Corneal Lenses او تغطي القرنية وجزءا صغيرا حولها Intermediate Lenses وتوصف العدسات اللاصقة لعدة اغراض :

(١) لاصلاح عيوب النظر : مثل حالات قصر النظر الشديد وطول النظر بعد عملية استخراج العدسة « المياه الابيض » من العين . وفي حالات تشوه الصورة على الشبكية Aniseikonia .

(٢) العلاج وحماية القرنية : مثل حالات القرنية المخروطية Keratoconus والتهاب الاكنة الورديه بالقرنية Acne Rosacea Keratitis وبعد عملية ترقيع القرنية ولمنع الالتصاقات في حالات الحروق التي تصيب الملتحمة او العمل كجبيرة بعد عملية ترقيع غشاء مخاطي بالعين او ترقيع القرنية الخ .. والمهاق Albinism لتخفيف التعرض للضوء وحالات فقد القزحية Aniridia .

(٣) للتشخيص . اذ تستعمل مع اجهزة بصرية خاصة لفحص اجزاء العين المختلفة ابتداء من الغرفة الامامية Anterior Chamber حتى قاع العين Fundus .

(٤) للتجميل . كما في حالات صغر



الحمى النكفية قد تسبب العقم للرجال

● اصبت بالحمى النكفية (Mumps) او مرض النكاف ، فهل لي ان اعرف شيئا عن هذا المرض ؟ .

— مرض النكاف — مرض يصيب الصغار بين سن الخامسة والخامسة عشرة ، وكذلك يصيب الشبان ويكثر انتشاره في فصل الشتاء والربيع وسببه فيروس .

وتظهر الاعراض بعد مدة حضانة للفيروس وتقدر بحوالي ١٢ — ٢١ يوما — وتبدأ بارتفاع بسيط في درجة الحرارة وتستمر ذلك لمدة ايام — وفي بعض الحالات يجد المريض صعوبة في فتح الفم ، وذلك لتقلص العضلات ثم يظهر تورم بالغدد النكفية خلف حلمة احدى الاذنين ويمتد الورم بعد ذلك تحت الاذن وامامها — وبعد ذلك بيومين



القرنية وصغر العين وضمور العين .

(٥) لاعمال او ظروف اجتماعية خاصة : مثلا في حالات الجو الممطر او عالي الرطوبة والسباحة والطيران — كما يلبسها كبار الفنانين والممثلات —

اهم المميزات : هي انها خفيفة الوزن ، ودرجة تكبير الصورة بواسطتها صغيرة الى حد لا يسبب متاعب لمن يستعملها حين تكبر الصورة في حالات قصر النظر بعكس النظارات العادية التي تسبب صغر الصورة في تلك الحالات ، كما انها بعد عمليات استخراج الماء لا تكبر الصورة الا بنسبة ١١٪ تقريبا بالقياس الى تكبير يعادل ٣٣٪ للنظارات العادية مما يساعد الى حد ما على الرؤيا الموحدة بالعينين .

وبما انها ملاصقة للعين فهي تشكل جزءا واحدا من الجهاز البصري للعين وتتحرك مع العين في كل اتجاه ، وهذا يمنع الانحراف « الزوغ » المنشوري الذي يحدث عند النظر خلال الجزء الخارجي للنظارات الطبيه العادية ذات القوى الكبيره . كما انها توسع ميدان النظر Visual Field وتقلل الصعاب الناشئة عن اللابؤريه Astigmatism الناتجه عن الاشعه الساقطه بميل على العين .

(٤) بما انها في درجة حرارة الجسم ويمسح سطحها بواسطة الجفون ، فان ماء المطر والضباب لا يتكثف على سطحها كما يحدث في النظارات العادية .

اهم العيوب

(١) غاليه الثمن .

(٢) الفحص واعداد العدسات يستغرق وقتا طويلا .

(٣) التعود عليها يستغرق وقتا طويلا ويصاحبه آلام شديدة واحتقان بالعين وقد لا يتعود المريض عليها ابدا .

(٤) سهلة الخدش اذا كانت من البلاستيك او الكسر اذا كانت من الزجاج .

(٥) اذا لم تعد بطريقة صحيحة فقد تسبب التهابا بالقرنيه ، واحيانا حدوثا Abrasions أو تقرحات Ulcers او جفافا بالقرنية .

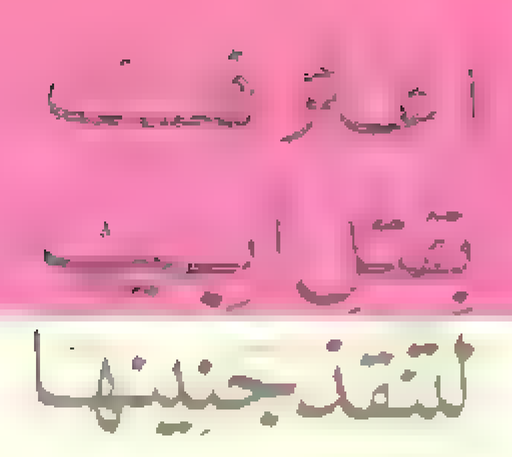
تتورم الغدة النكفية الاخرى — وربما تورمت الغدد اللعابية تحت اللسان وتحت الفك ويستمر الورم لمدة ايام ثم يبدأ في الزوال تدريجيا الى ان يزول تماما في عشرة أيام او اسبوعين .

والعدوى تنتقل من المريض الى السليم بواسطه الرذاذ الذي يخرج من فم المريض او استعمال الاشياء التي يضعها في فمه بوضعها في فم السليم .

وفي بعض الحالات الشديدة ترتفع درجة الحراره ارتفاعا شديدا وتصل الى ٤٠ درجة مئوية — وربما تورمت الخصيتان من اثر التهاب معا ، وربما سبب ذلك عقما في الرجال ، وفي الفتيات يحدث التهاب بالثدي او المبيض .

وفي بعض الحالات الشديدة يلتهب المخ ، واحيانا يحدث التهاب بالبنكرياس مع حدوث آلام شديدة في اعلى البطن .

العلاج في هذه الحالة هو الراحة في الفراش لمدة عشرة أيام على الاقل وغسل الفم ومسحه بمطهر بوريك ويعطى غذاء خفيفا ويستعمل مصاصا في حالة عدم القدرة على فتح الفم او المضغ — وفي حالة التهاب الخصيتين يعطى مركب الكورتيزون مع الاريوميسين وتوضع الخصية في كيس رافع — وتعطى مركبات الاريوميسين او الكلوروميسين في بعض الحالات ولو انه لم تثبت فعاليتها بعد .



بقلم . حسن الحداوى

● تنتهي الاسئلة التي يوجهها القاضي للمتهم الماثل امامه سؤالا ملخصه « هل انت مذنب ام غير مذنب ؟ » .

فإن اجاب بانه مذنب اقتصر الامر على سماع اقواله ومرافعة محاميه التي تدور لا شك حول التهمة — فالتهمة قد ثبتت باعتراف المتهم — وانما حول الظروف المخففة او المعفية من العقوبة كأن يثبت ان المتهم كان في حالة دفاع شرعي عن النفس او الغير او المال وغير ذلك من الحالات التي تعفي من العقوبة رغم ثبوت الفعل .

فالاعتراف عندهم سيد الادلة غير منازع .

فان اجاب بانه غير مذنب جيء على الفور بممثل الاتهام اساس التهمة . ووقف المتهم ازاءه كالمتفرج . لا يحرك ساكنا . فلو تبين القاضي من اقوال ممثل الاتهام ان ادلة الاتهام غير كافية اوقف المحاكمة واخلى سبيل المتهم لا ينطق حرفا واحدا عنه او دفاعا . طبقا للمبدأ الذي يقرر — حقا وصدقا — « ان المتهم بريء حتى تثبت ادانته » .

* * *

اما في الدول الاخرى — وخاصة في القانون الفرنسي — قانون نابليون كما يسمونه — والدول التي اخذت عنه . فإن الاعتراف وحده — ما لم يؤيد بادلة وقرائن اخرى على صحته لا يكفي لادانة المتهم . فقد يكون سببه الرغبة في انقاذ شخص آخر كما يحدث كثيرا عندنا في جرائم القتل طلبا للثار . يقتل الاب او الاخ الاكبر فيدعي الابن او الاخ الاصغر — وقد يكون غلاما دون الخامسة عشرة — فيدعي انه هو الذي قتل ويصر على ادعائه ولكن المحكمة لا تأخذ باعترافه وتحكم ببراءته . بعد اخذه .

* * *

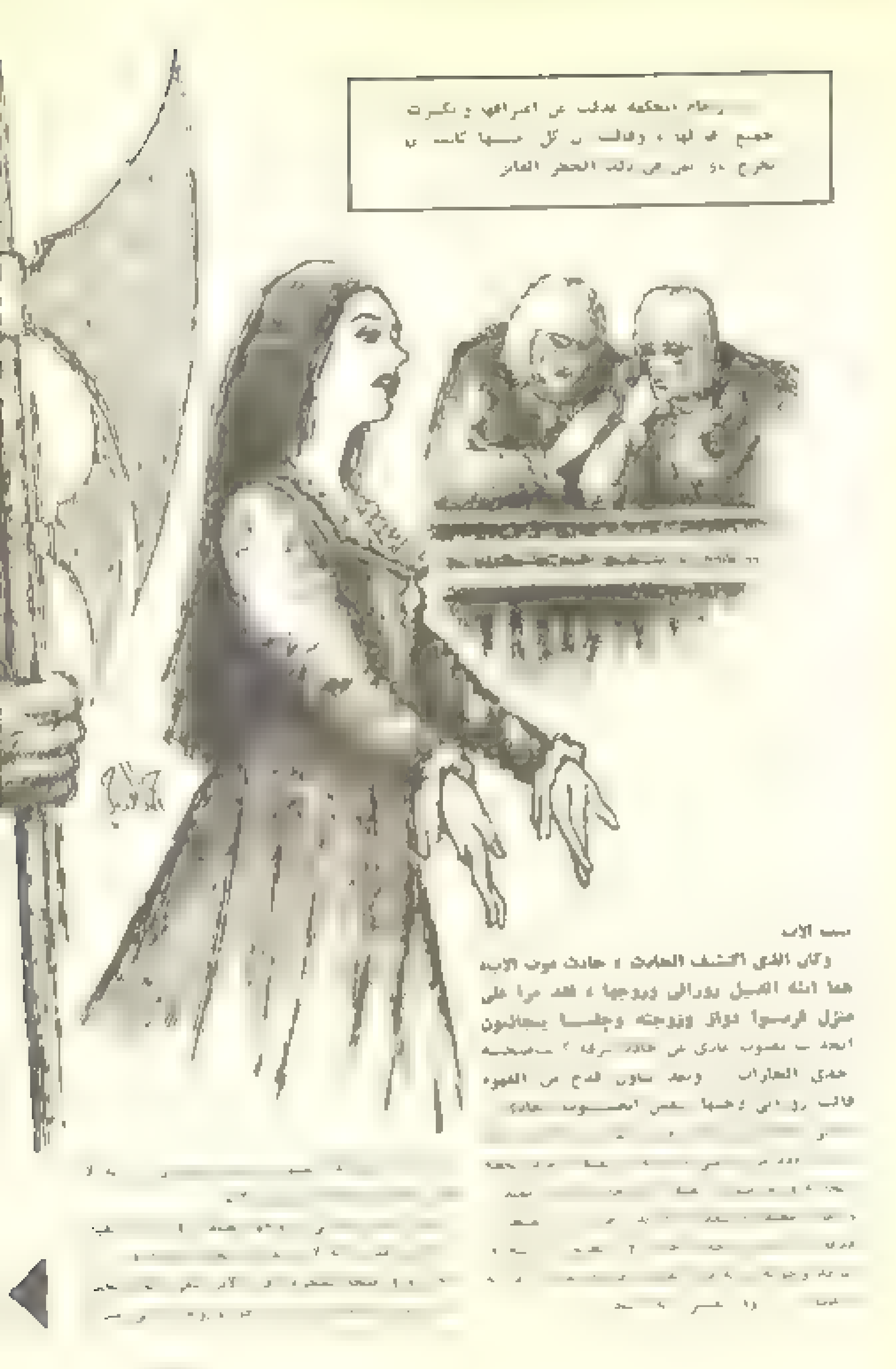
وقد جرت وقائع القضية التي نحن بصددها في السنوات الاخيرة من القرن الماضي .

ففي ليلة من ليالي شهر يناير القارسة البرد . قتل فرنسي فوار ، وهو مزارع عجوز تقدم به العمر وحيدا — بعد ان فقد زوجته — في منزل في شمال شرقي فرنسا على حدود بلجيكا .

وكان هناك ابنة اسمها روزالي متزوجة من شخص اسمه جان جاردان ، وابن متزوج ايضا اسمه فرنسوا فوار ولكن الابن كان يعيش في ناحية بعيدة عن الاب .

* * *

فلما توفيت الام جاءت روزالي وزوجها وسكنا منزل الاب الارمل بحجة خدمته والعطف عليه في وحدته . ولكن روزالي ارادت ان تحكم وتسيطر على البيت . ولم يطق الاب عليها صبرا وطلب منها ان تعود هي وزوجها الى حياتهما بعيدا عن منزله — كما كانا من قبل — ولكنهما اصرا على البقاء . فاضطر الاب الى ان يستعين بقوة البوليس والتهديد باتخاذ اجراءات قضائية بمقتضى قانون العقوبات . وبذلك خرجت الابنة وزوجها من



وكان الذي اكتشف الحادث ، حادث موت الأب
هنا ابنه اميل دورال وزوجها ، فقد مرا على
منزل فرنسوا دوال وزوجته وجلسا يتبادلون

الاب فاذا بهما امام منظر مريع لا يسمح بمجرد التفكير في احتمال الانتحار . لقد قتل بعدد من ضربات الفأس . وانه اخذ على غرة اذ لا اثر لاية مقاومة من الضحية مع انه كان — برغم سنه — قويا . ووجدنا ادراج الكتب مغلقة وكانت الغرفة مرتبا فاتفقنا ان السرقة لم تكن الباعث على القتل.

* * *

وبدأ المحققون بمعاينة الفيلا فوجدوا ان جميع ما اقتنصه القتيل موجود في ثلاثة اماكن — لا تعتبر في حقيقة الامر مخابىء — وكان من السهل للجناة أن يعثروا عليها ، فان مفتاحين من مفاتيح الادراج التي بها النقود كانا في حلقة واحدة مع مفتاح اول درج . ومع ان اول درج قد فتح فان محتوياته وجدت مرتبة ولم يعبث بها . وتبين ان كل ما فقد ثلاثة اكياس صغيرة للنقود كانت بجيوبه وساعته الفضية التي لم تكن تساوي اكثر من ثلاثين او اربعين فرنكا .

ولهذه الساعة اهمية سوف تظهر فيما بعد .

* * *

وحين ظهر ان السرقة فيما يبدو ليست الباعث على القتل بدأت اصابع الاتهام تشير الى ابنة القتيل روزالي، واخذ قالة السوء — ممن يحكمون بغير دليل ويتهمون بغير علم — فالقرية صغيرة وجميع السكان يعلمون بحكاية طرد الاب ابنته وزوجها بواسطة البوليس — قبل ذلك — او هي وزوجها هما اللذان قتلا ليحققا حلمهما القديم وساعد لعرف روزالي على تحويل هذا التصور الى حقيقة بأن بادرت مع زوجها الى السكنى في منزل القتيل .

فتقدم الى المحققين شهود يؤكدون ان الاب كان يخشى على حياته من ابنته وانه قال لهم : « اذا مت مقتولا فسيكون ذلك بيدها وحدها » .

وقالت احدى الجارات انها قالت لها سيأتي يوم يتحرر المنزل من ساكنه المجنون .

واضافت جارة اخرى انها سمعتها تقول انه — « اي ابيها » — اذا لم يمت فانها تعرف ما ينبغي لها ان تفعله .

وتطوع نجار القرية فتقدم الى المحققين ليشهد انه منذ اسبوعين قبل الوفاة قالت له الابنة في اثناء حديث حول غضبها من ان اباها طردها بطريق البوليس : اذا احتاج الامر لانقاذ حياته ان اقدم له كوبة ماء فلن افعل .

فلما اظهر النجار انه لا يصدق ذلك قالت له : صدق ذلك لا تعرف ما قد أصل اليه من قسوة .

* * *

وامام تلك الاقوال قبضت النيابة العمومية على روزالي وزوجها ووضعا في زنزانتين منفردتين .

وانكرت هي ان لها او لزوجها يدا في الجريمة .

ولكن الزوج دهش المحقق انها — اي زوجته — كانت ذات ليلة تحلم الى جواره بالسرير وبدا له انها في ضيق شديد لانها كانت تصر على اسنانها فايقظها ، فقالت له انها كانت تحلم انها تقتل اباها . وافرج عن الزوج وبقيت هي تسام العذاب — كالتنور الذي حتى سلك اكثر سكاكينه .

وظن المحقق باقوال اهل القرية مع ان كل ما قالوه لا يرقى الى درجة الدليل القاطع ، فانه حتى اذا ثبت انها كانت حاقدة على ابيها او انها لم تظهر الجزع او الالم لقتله فان ذلك كله لا يدل على انها هي التي قتلته . واتخذ مع ذلك المحقق من قولها انها متأكدة ان اباها انتحر وهو قول يتناقض مع الحالة التي رأته هي — فما من انسان ينتحر بأن يضرب رأسه عدة ضربات بالفأس . ومن انها حين مرت على اخيها وزوجته اشتركت معهما في حديث عادي ولم تبادر باعلامهما بما اكتشفته .

ومن وجود آثار دماء على كمها وكذبها فتأكد من كذب قولها ان تلك الدماء من خنزير ذبحته — ولم يكلف نفسه فحص تلك الدماء وتحليلها للتحقق من صدق او كذب قولها . واصدر امرا بالقبض عليها ووضعها في زنزانة قاتمة مظلمة لا يدخلها النور . تجرى الفئران الكثيرة في انحائها . وكل ما بها من الحصيرة تفترشها بالليل وتسحب بالنهار . فلا هي تستطيع ان تنام عليها ليلا لصلابتها . ولا نهارا . وتمضي ليلها ونهارها راقدة على جسمها فوق البلاط البارد .

* * *

وكانت حاملا في شهرها السابع . سريعة التأثر . فتولاها رعب شديد افقدها ارادتها . فاخذت تستغيث لاخراجها من ذلك الوكر — او على الاصح من تلك المقبرة — ولا من مجيب .

* * *

واستطاعت ان تقاوم الاكتئاب بشجاعة نادرة.

وكانت تؤكد لكل من سجانيها انها برينكوتيا تضع املها في العثور على الساعة المسروقة لانها موقنة ان اكتشاف الساعة سيؤدي الى معرفة القاتل . ولكن احدا لم يفكر في البحث عن الساعة ايقانا منهم انها هي التي سرقتها .

* * *

وذات صباح انهارت مقاومتها ولم تعد تستطيع صبرا فاعترفت للمحقق بكل ما طلب منها . فالحقيقة هي التي قتلت اباها بعد مناقشة حادة بينها وبينه - طلبت منه ان يبيعها المنزل ورفض وامسك الفاس واراد ان يضربها بها فتناولتها وضربته بها على راسه ولكنه لم يمت ... وربما جاء شخص آخر بعدها اجهز عليه وسرق الساعة .

ثم حورت في اقوالها وقالت انها اخذت الساعة ولكنها لا تعرف اين اخفتها . وأكدت ان زوجها لم يكن معها وانها لم تفض اليه بما فعلت لانه جبان ما كان يستطيع ان يحتمل الصدمة .

ومن أجل ذلك افرج عن زوجها . ولكنه بدلا من ان يعترف لها بفضلها حملها وحدها مسئولية القتل . فبعد ان كان قد نسب اليها انها طعنت ماتها للقتل اباها قال انها اسرفت لمباشرة القتل واضاف انه كان يعرف انها قادرة على ارتكاب افظع الجرائم .

* * *

وكان الشرط الوحيد الذي اشترطته - قبل ان تدلي باعترافها ان يخرجوها من الجحر الذي وضعوها فيه . وفعلا اخرجوها الى غرفة فسيحة حيث وضعت جنينها في انتظار تقديمها الى محكمة الجنايات .

وامام المحكمة عدلت عن اعترافها وانكرت جميع اقوالها ، وقالت ان كل املها كانت ان تخرج باي ثمن من ذلك الجحر القاتل من اجل جنينها . وكان الجميع - القاضي والمحقق والبوليس والسجانون ، وحتى رفيقاتها في السجن يقولون لها - اعترفي وانت تخرجين من هذا الجحر .

وقال لها القاضي :

- ولكنك كررت الاعتراف بعد ان اخرجت من الزنزانة المظلمة !

- طبعا لانني كنت اخشى ان يعيدوني اليها .

واصغى القاضي والمحلفون لاقوالها باذان صاغية وعقول متفتحة ، ولم يصدقوها . فصدر قرار المحلفين بانها مذنبة ، وحكم القاضي بالحكم عليها بالاشغال الشاقة المؤبدة ، وهو حكم يعتبر خفيفا في جناية قتل الاب التي عقوبتها ليس الاعدام فحسب بل كان قانون العقوبات - فيما مضى - ينص على ان قاتل الوالدين يقتل بربط الجاني من اطرافه الاربعة باربعة خيول تتولى تقطيع اوصاله .

وهذا الحكم المخفف دليل على ان القاضي لم يكن موقنا - مائة في المائة - بثبوت التهمة - وهو عيب يقع فيه بعض القضاة الراحمين - فيما يسلمون - المطارحم - وهم في هذا واهمون . فالتشديد في العقوبة واجب متى ثبتت والحكم بالبراءة اوجب لاقل شك في صحة التهمة .

* * *

وعند سماعها بالحكم الذي صدر عليها لم تبد اي جزع . وقالت في اطمئنان وايمان غريب :

« انني مقتنعة ان القاتل سوف يظهر » .

ورفضت ان تطعن في الحكم بطريق النقض . لشدة ايمانها ان الحقيقة سوف تظهر في يوم يرونه بعيدا وتراه هي قريبا .

وتحقق ظنها . فقبل مضي عام واحد تقدم رجل بلجيكي اسمه فان هالوين الى مكتب الرهونات ببلجيكا يعرض ساعة ذهبية لرهنها مقابل بضعة فرنكات . وامسكها موظف القلم وفحصها بعد تقدير قيمتها وسأله من اين جاء بها ؟ . ويبدو انه فوجيء بالسؤال فاشار الى الحدود الفرنسية - ومن على راسه بلحية يحسن عليها - فاجاب :

« لقد طلبت الى رجل لي اسمه فرهايم - ان يجد لي عملا في احدى المزارع فقال لي انه حتى لو وجد لي عملا فسألني العمر كذا كذا اجد قوت يومي ، واقترح علي ان اذهب معه الى احدى القرى الفرنسية حيث يسكن رجل معروز يكثر امرا قاتلة لنسرقه . فذهبنا الى القرية وطرقنا باب الرجل ، وادعينا أننا مرسلان كلنا من شرطة الجمارك ، ولكنه رفض أن يزورنا . وأراد ان يغلق الباب في وجهنا ، ولكننا كنا اقوى منه وعاجله زميلي بضربة فاس »

* * *

روى فان هالوين كل هذه التفاصيل من غير ان يكون نادما ، وربما كان قد ضاق بالسر الخطير او ربما ، لانه في طبعه قليل الحيلة مطلوق اللسان . فقد ظهر فيما بعد ان زوجته قد سمعت

معه نفس هذه الاقوال . والسر متى جاوز الاثنين (شخصين في بعض الاقوال والشخصين في بعض الاقوال) شاع . وهكذا وصل الامر الى اسماع النيابة العمومية فالقت القبض على فان هالوين وصديقه فيرهايم واودعتهما السجن . وقد دلت التجربة على انه اذا ارتكب شخصان جريمة ومضت فترة اعتقدا ان امرهما لم يكتشف فاذا القي القبض عليهما في وقت واحد اعتقد كل واحد منهما ان زميله قد وشى به . وحاول كل منهما ان يلقي بالعبء الاكبر من المسئولية على زميله .

★ ★ ★

لم يجد المحقق اية صعوبة في الحصول على اعتراف كامل مفصل من فان هالوين . قال :

« لقد طلبت من فيرهايم أن يجد لي عملا كخادم في مزرعة ولكنه سخر مني وقال لي تعال معي الى مزرعة « مون نوار » لصاحبها رجل عجوز يختزن اموالا طائلة سرقتها فلن ينتبه أو ثارتنا اجبرنا عليها ولكني انا الواقف امامك لا اتردد في قصف رقبة انسان كما اقصف عود عصفور صغير » .

واتجهنا الى المزرعة وطرقنا باب أول بيت في مدخلها وكانت لرجل عجوز يسكن بمفرده ، وادعينا له اننا مهربان فاران من حرس الجمارك ولكنه رفض ان يؤوينا وحاول أن يغلق الباب في وجهنا ولكننا كنا اقوى منه ودخلنا . وجلس هو على كرسي امام الموقد . وفجأة امسكه فيرهايم بمعول كان بجوار الموقد وعاجله بضربة قوية اوقعته بالموقد ، وفتش جيوبه فوجد بها مفتاحين فجربهما في الدواليب الموجودين بغرفة النوم ففتح احداهما اخذ منها ثلاثة اكياس صغيرة وساعة ثم اتجهنا الى المطبخ فاخذنا سكينتين . وفي طريقنا لباب الخروج كان الرجل في النزع فرفسه فيرهايم رفسة قوية جعلت رأسه تنفجر . وفي نفس الليلة تقاسمنا ما كان بالاكياس الثلاثة من نقود ولم يكن بها الا ثلاثة فرنكات . وبضعة صلادي تحمل صورا قديمة لم تعد مستعملة فالقيناها ـ من باب الاحتياط ـ في الغابة » .

★ ★ ★

اما فيرهايم ـ الذي يقصف رقبة الانسان كما يقصف رقبة عصفور صغير . فكانت اعصابه من حديد . واصر على الانكار . ولكن انكاره لم يطل . لقد بدأت صفحة ماضيه تتكشف وظهر انه كان على رأس عصابة من قطاع الطرق ادخلت الرعب على سكان مدينة ليل . فاعترف ولكنه ادعى ان كل دوره في الجريمة انه كان يراقب الطريق .

وسألهما المحقق :

ـ هل لكما شركاء

ـ لا . لا احد غيرنا نحن الاثنان .

ـ هل تعرفان احدا من اسرة القتيل ؟

ـ ابدا ولا نعرف حتى اسم من قتلنا .

ـ الم يسمع احدكما باسم روزالي دوال زوجة جاردان ؟ .

ـ ابدا قبل القبض علينا هنا .

وقدم الاثنان لمحكمة الجنايات بتهمة قتل جاردان دوال وجرائم اخرى عديدة اكتشفت ضد المتهم فيرهايم الذي لم يعد هناك محل للشك في انه هو القاتل .. ولم تطل المداولة فقد اعترف المتهمان اعترافا كاملا وطلب النائب العام ـ الذي تولى المرافعة بنفسه ـ من المحلفين الا تأخذهم اية شفقة وان يصدروا حكما يحقق العدالة الانسانية ، العدالة بالقصاص من اللذين قتلا بدون شفقة رجلا اعزل وحيدا لا يضمر شرا ولا يستطيع الدفاع عن نفسه ، ويفتح الباب امام المسكينة التي ادينت في العام الماضي لتخليصها من الشك الذي ظهر من ارتكابها الجريمة وتمثل امام قضاة اخرين والامل في رد اعتبارها ...

وصدر الحكم على فيرهايم بالاعدام وعلى زميله بالاشغال الشاقة المؤبدة .

ولتناقض هذا الحكم مع الحكم الذي ادان روزالي نقضت محكمة النقض الحكمين وامرت بمحاكمتهم من جديد امام محكمة جنايات غير التي اصدرت الحكمين . وانحصرت اهمية القضية في مصير روزالي لان المتهمين الاخيرين قد اعترفا اعترافا كاملا ولم يشركا روزالي معهما .

وحين عرضت القضية من جديد امام محكمة « امين » توقع الناس ان تعرض النيابة العمومية الرأي للمحكمة بالنسبة لروزالي ـ اي تتنازل عن اتهامها ضدها ، وكانت دهشتهم كبيرة حين بدا ان النيابة العمومية لم تؤمن بان الاعتراف بالحقيقة كاملة وحاولت ان تثبت ان روزالي شريكة المتهمين اللذين اكدا انهما لم يكونا يعرفانها ولا سمعا باسمها .

قالت النيابة العمومية ان اعترافات المتهمين لا تتنافى مع ادانة روزالي فهي صاحبة المصلحة في اختفاء ابيها وهي التي استفادت من موته .

وارتكنت على التهديدات المنسوبة اليها ، وقالت : ان القاتلين يسكنان نفس المنطقة وهما من الصنف الذى يقتنع بالقتل وما كانا يستطيعان ان يدخلا المنزل معهما .

قال ممثل النيابة العمومية هذه الاقوال قبل نظر القضية . استبعدت النيابة حقا يخوله لها القانون ولكنها لم تكن تلجأ اليه الا في التأخر . ووضعت نفسها بهذا العمل موضع سخرية وزرائه من الجمهور والصحافة الذين ليتا لن حماسها — والنيابة العمومية لا تحجزا — هو دفاع عن نفسها وتغطية لتقصيرها في البداية .

★ ★ ★

ومثلت روزالي امام المحكمة فتحدثت على الاسماع الاسباب التي حملتها على الاعتراف الكاذب . فقد هددها قاضي التحقيق بابقائها في الجحر الذى وضعها فيه ان لم تعترف . وكان كاتب التحقيق يلح عليها لتعترف ويرشده عن المكان الذى اخفت فيه السلاطة لتنقل الى مكان افضل . ولانها كانت حاملا وترغب في انقاذ جنينها قالت كل ما ارادوا منها ان تقوله .

وكرر المتهمان الآخران اعترافاتهما واكدا ان روزالي بريئة من التهمة براءة جنينها الذى مات في الشهر الاول من مولده .

وشهد عدد من موظفي السجن انها كانت تسألهم طوال سجنها عما اذا كانوا قد عثروا على السلاطة وانها كانت تضع كل املها في ذلك .

اما الشهود الذين كانوا قد نسبوا اليها وعلموا من ابيها اقوالا تدينها فقد بدلوا يتخلون عن اقوالهم ويخلطون بشعرهم كثيرا من الشك . فقد وقف الكورد على قصصه فاضحكت السامعين ، وقالوا انهم لا يذكرون ما سبق ان ادلوا به من اقوال . وحتى زوجها الذى كان قد اتهمها بانها قادرة على ارتكاب اشنع الجرائم عدل عن اقواله وقال : « لقد كنت مقتنعا ان القول اي شيء في سبيل الخروج من ذلك الجحر » .

واعترف مدير السجن بان المتهمة وضعت في زنزانة لا يدخلها الضوء ولا الهواء وان سلطات السجن اضطرت لتغييرها لاثرها الضار على الصحة ، وان المتهمة كانت تفقد عقلها وحاولت الانتحار .

وسنحت الفرصة مرة ثانية للنيابة العمومية لتتراجع عن موقفها المعادي ضد روزالي التي اصبحت براءتها كضوء النهار لا تحتاج الى دليل . ومع ذلك وقف النائب العام يقول انه لا يستطيع ان يعلن انها بريئة وان القضاة قد اخطأوا ... وعبر امام الله الذى يطلع على السرائر يعلن ان روزالي قاتلة لابيها . قتلها ابوها لاتفه ... وقتلتها هي لتجلب القرية وقتلها زوجها .

ان الذى اعرفه ايتها المرأة روزالي انك تبيت — وانت بصوت مسموع — وكنت تعلنين في رغبة بالقتل على الذى ... الجثة . اهل دلت القاتلين الى الجريمة ! ربما ! هل اقتنعت بان ترتكبي انتقاما ؟ وكيف انسى زملائك — بعد اكتشاف الجثة — انه لا بد قد انتحر ! .

اصغي الىّ جيدا يا روزالي . انني انا كنت لا اصر على طلب العقوبة لانني لا اريد ان ... ولا اسلم بانك بريئة . (كلا) .

★ ★ ★

وقال محامي روزالي : « ان النائب العام يسلم بعدم وجود اي دليل يسمح له بطلب قرار بادانة روزالي ويقول مع ذلك انها قتلت ابيها بالتبعية ان لم تكن قتلته بيدها . انني ارفض هذه البراءة . لا اقبل براءة لعدم كفاية الادلة . ان من حق المسكينة التي عانى منها ان نرد لها كرامتها كاملة غير منقوصة وان تخرج من هذه القاعة مرفوعة الراس » .

والقى المحامي في وصف الجحر الذى عاشت فيه تلك المرأة لا ترى احدا ولا يراها انسان الا سجان ، ولا تبادل حديثا ، ولا ترى موضع قدميها من الظلام كانها في قبر . تشكو من البرد القارص ولا تجد دثارا تجلس عليها او حصيرة تنام فوقها . لقد دفعوها حية هي وجنينها في ذلك القبر ... لقد استطاعت ان تقاوم في الاسابيع الاولى ولكن للمقاومة — كما للصبر — حدود — فانتهى بها الامر ان تقنع نفسها ان الوسيلة الافضل مما هي فيه فان الاعتراف قد ينقذ ابنها . وحملها حنانها — حنان الام — على ان تعترف على نفسها بجريمة لم ترتكبها ...

وحين صدر الحكم ببراءتها استقبلته في هدوء النفس الواثقة المطمئنة وقالت : انني اشكر قضاتي ، واحمد الله انني لم افقد لحظة في اي ساعة ان تتخلى عني » . ■■

القاهرة — حسن الجداوى



قصة بقلم : سعد حامد

■ تخطت الساعة الحادية عشرة مساء ، وقد انصرف آخر مريض من العيادة منذ لحظات ، وكنت جالسا مع زميلي الدكتور شوقي نتحدث عندما دق جرس التليفون ، فرفع زميلي السماعة ، وسمعته يقول : « انا الدكتور شوقي ... اي خدمة ... ! »

وسادت لحظة صمت ... ثم سمعته يقول : « ساحضر على الفور ... مسافة الطريق فقط ».

ووضع السماعة ، والتفت الي ، وقال : « هيا ياعزيزي ... حالة عاجلة وخطيرة ... وسنذهب فورا الى بلدة (س) .

لعلك لا ترفض « مشوار صغير » في هذا الجو الرديء ... » .

فقد كانت بلدة (س) في ضواحي القاهرة البعيدة ، والذهاب اليها يستغرق اكثر من ساعة بالسيارة ، والليلة من ليالي الشتاء الباردة ، والسماء ملبدة بالسحب القاتمة حالكة السواد تنذر بالمطر

قال زميلي وهو ينظر الى وجهي باسما : « انك لم تر شيئا من هذه المهنة بعد ... ان مهنة الطب ليست مهنة مريحة ... انك ستدعى لتعود مريضا في الثالثة او الرابعة بعد منتصف الليل ، فتغادر فراشك الدافىء وتخرج في البرد والزمهرير وتذهب الى مريض ... الواجب يحتم هذا يا عزيزي » .

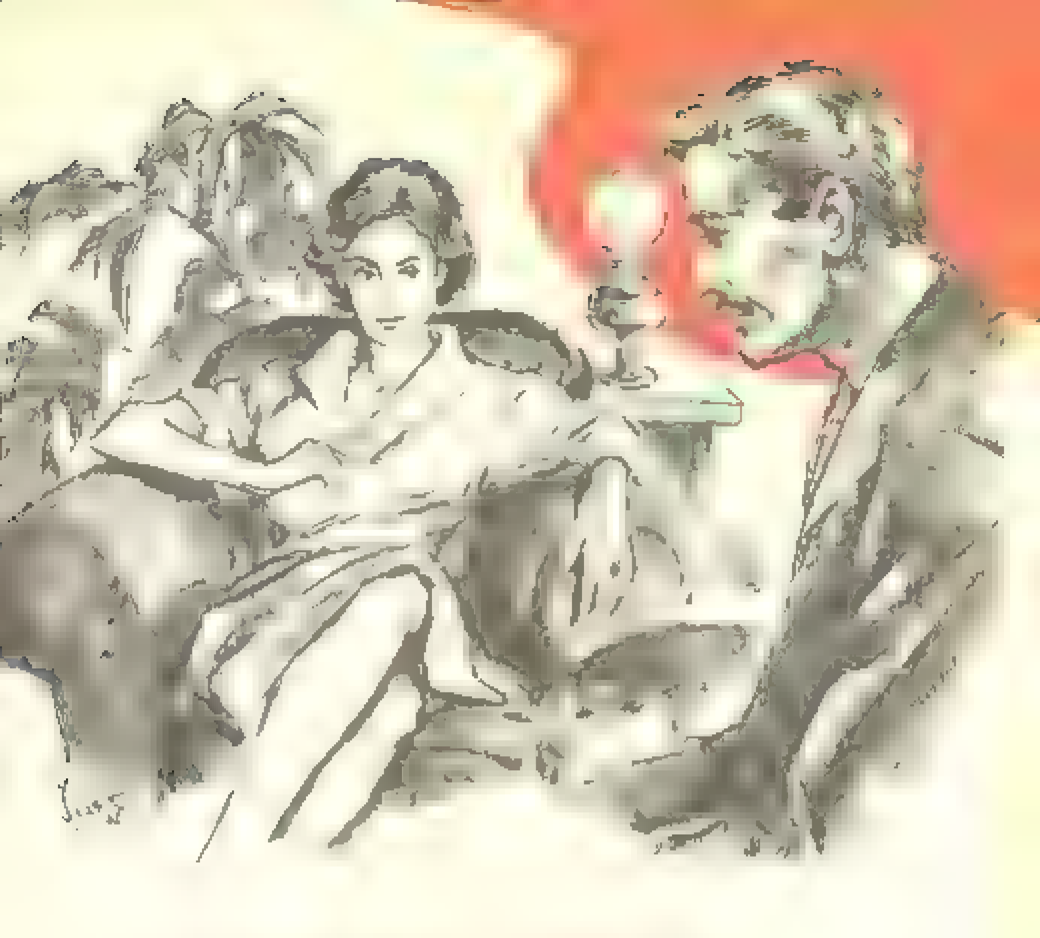
كنت حديث التخرج في كلية الطب ، وكنت اتمرن في عيادة الدكتور شوقي الذي يكبرني بحوالي عشرة اعوام ، وكان من الاطباء المعروفين وله « زبائن » كثيرون ... كنت اشاركه العمل في العيادة فافحص المرضى واكتب لهم الدواء ، واستشيره في الحالات التي يستعصي علي تشخيصها .

وكان الدكتور شوقي اعزب ، وسيما ... يخفي سنه ، ويجيد الحديث فاذا ماتحدث الى النساء معا انتقى واصطفى الكلمات المعسولة الناعمة ، وكنت المح الاعجاب به في عيون مريضاته ، واعرف ان له مغامرات غرامية .

وكنت قليل التجارب ، ولم امارس الحياة بعد وانطوي جوانحي على نفس ساذجة ... لكنني ارغم هذا الحياء الذي يظهر على وجهي عندما اتحدث الى النساء لاشعر بعواطفي تضطرم في صدري ، ومشاعري تجيش في عروقي .

واخذت العربة تمضي بنا في طرقات العاصمة التي كانت قد بدأت تخلو من المارة ... ومصابيح الطرقات تعكس ضوءها على الارض اللامعة من رذاذ المطر ... واضواء النيون تلمع هنا وهناك وفي واجهات ملاهي الليل والمقاهي ... ثم خلفنا القاهرة وراءنا وانطلقت العربة في طريق خافت الضوء ، ومساحاتها بمرآى الطريق والحقول على الجانبين ممتدة فسيحة كبساط من المخمل الاسود وبدأت قطرات المطر تضرب زجاج العربة .

وشرع زميلي يسرد علي قصة المريض الذي نقصده فقال : « مريضي السيد عباس رجل ثري يعيش في قصر فخم ... ويملك اراضي واسعة من اجود الاراضي ، وهو من كبار تجار القطن وقد تزوج برغم هذا الثراء من فتاة من اسرة



[illegible]

برغم ارادة اسرته ..

واعجب ما في الموضوع انه لم يرزق بطفل يرث هذا الميراث الضخم ، والرجل مريض بالقلب ، وحالته خطرة ... أما زوجته الجميلة الصغيرة ... التي لم تتزوجه الا لماله ، فيبدو من نظراتها الغريبة انها [illegible] على اي لم تنجب منه ... الى هذه الحالة لم تخل من [illegible]

[illegible]

وتعجب [illegible] وركز نظره الى الطريق امامه [illegible]

[illegible]

وعاد الصمت بيننا من جديد ... ولا شيء يبدد السكون سوى صوت العربة وهي تنساب على الطريق .

الليل المظلم ... والسماء التي لا نجوم فيها وصوت المطر المنهمر ... والغابة الواسعة [illegible]

امامنا وحولنا ... وانا متعب من عمل النهار .. كل هذا جعلني مرهقا حساسا ، وشطح خيالي ، فشغلت بالتفكير في تلك السيدة الشابة ذات الحسن الخلاب التي تعيش في عزلة الى جانب رجل على شفا الموت ...

واخيرا وصلنا القصر ... واجتزنا حديقته الواسعة بأشجارها الضخمة يتقدمنا بواب القصر ، وهو رجل ريفي طويل ضخم بدا لي كأنه سجان .. وارتقينا الدرج الرخامي ، ثم دخلنا الى ردهة فسيحة متألقة بالانوار ، وغاصت اقدامنا في سجاد لين ... كان القصر فخما بالاثاث الفاخر واللوحات والتماثيل والتحف البديع .

واقبلت السيدة ... ومدت لنا يدها مصافحة مرحبة ... صافحتها ... واحنيت رأسي تحية لها ... كانت بهية الحسن كما وصفها صديقي تماما ... بيضاء ملفوفة ترتدي ثوبا فاخرا يزيد بياضها نصوعا ... عيناها سوداوان واسعتان واهدابها مسدلة ... ولون بشرتها ممتقع كأن ضوء الشمس لا يقع عليها ...

عزني حسنها ... واستهواني شحوب وجهها ونظراتها الحزينة ... ، وكثيرا ماهيجنا وترك اثرا في قلوبنا مرأى الوجه الشاحب الممتقع ... ومنظر الزهرة الذابلة ... وبدا لي انها مريضة ... مريضة بمرض يستعصي على الطب علاجه ... انها تريد ان تنطلق الى الحياة ... وتلوك هم السعادة ... وانا طبيب ... مهنتي ان اعالج المرضى ... فهل استطيع ان اعالجها من مرضها واصف لها الدواء ... لا اظن . ولكن ما الذي يمنعني ... ! واجبي ... والقسم الذي اقسمته يوم صرت طبيبا يحتمان علي الا افعل هذا ... يحتمان علي ان اؤدي واجبي في حدود الشرف والاخلاق ... كيف اصف لها الدواء الذي ينقذها من مرضها واقول لها «غادري هذا القصر على الفور واطلبي طلاقك بهذا المحطم البشري واخرجي من سجنك الى الحياة ... »

من اجل شرف مهنتي لن استطيع ابدا ان اشفيها .. !!

* * *

وشاركت زميلي قصص الريفي ، وكان السيد عباس نحيلا ، وعظامه بارزة وتغلف الغضـه بصفرة ، وبشاه ترتجفان ... كان جسمه ذابلا كورقة الشجر الجافة وبادلنا الرأي ... واشرنا بالدواء ... وذهب السائق بالعربة ليحضره ... وكان واضحا ان الخيط الذي يربط الرجل بالحياة رفيع واه كخيط العنكبوت ، وكانت السيدة مضطربة يبدو القلق في عينيها ، ويكاد يطفر دمعها ..

وانتقلنا الى غرفة الصالون ، وصارح زميلي السيدة بالحقيقة ، فلم يعد يجدي اخفاؤها ... وطلب اليها ان تخبر اهله ليودعوه الوداع الاخير ، فارتجفت السيدة وزاد وجهها شحوبا ...

واخذنا نخفف عليها الامر ، ونطلب اليها ان تتذرع بالصبر ، عسى ان نكون مخطئين في زعمنا ، ويكتب الله له الحياة ، فكثيرا ماتتغلب العناية الالهية مرضى فقد الامل في شفائهم ...

ولما قمنا لننصرف قالت السيدة موجهة الحديث الى زميلي : « ارجوك ... ابق هنا الليلة انت بصحبته ... القصر واسع كما ترى ، وبه حجرات كثيرة معدة للضيوف ... وانا وحيدة واخشى ان يصاب زوجي بنوبة في اثناء الليل فلا اجد من ينقذه ... كما ان المسافة تطول والطرقات موحلة والسير في هذا الجو فيه خطورة شديدة » .

واخذت تنقل نظراتها بيننا في توسل ... نظرات ضارعة دامعة كفيلة بأن تحرك اشد القلوب قسوة ... ثم اردفت : « ليس من الحكمة ان تذهبا الآن ... وساعد لكما فراشين » .

كانت الريح تعصف في الخارج ... وصوت المطر يتناهى الينا عبر النوافذ المغلقة ... ونظر زميلي الي ونظرت اليه ... وكان صوت المطر المنهمر والبرد القارس يوحيان بالكسل والركون الى الفراش كما ان رقة السيدة وتوسلاتها ... كل ذلك كان يجعل فكرة مغادرة هذا القصر الدافيء تبدو فكرة غريبة ... فلم يسعنا الا الموافقة .

وبعد ان مرت هذه اللحظات المشحونة بالانفعال جلسنا نتحدث ونحتسي القهوة ، وبرحت الستيريه لفك السيدة رجفة ، وانطلع الى حزنها الدامي .

اي عذاب رهيب تعانيه هذه المرأة الشابة الفاتنة مع هذا الزوج المحطم .

وتحدثنا ... وخلف الحديث من اضطراب السيدة ، وسرى الانتعاش الى وجهها فانفرجت ، ومدت عاملة ... ولاحظنا وهي تختلس الينا النظر

كلتما وزن كلا منا ، وكانت توجه اليّ الحديث ، ولمحتني اكثر اهتمامها .

والليل السابق بالهواء ، فمضت السيدة لتقدم الى زوجها جرعة منه ... ثم اقبلت لتخبرنا ان غرفتينا قد اعدتا ، فشكرناها ... ثم حييناها تحية المساء ، وتبعنا الخادم ليرشدنا الى حجرتينا.

كانت غرفة زميلي مجاورة لغرفتي ... واغلقت على نفسي الباب ، وجلست على مقعد وثير الى جانب الفراش ، ورحت اصغي الى صوت الريح والى نقر المطر على النوافذ ، وسمعت من بعيد صوت قلب يدوي ... واخذت افكر في السيدة وجمالها ... ثم وحدتها ... وفي حياتها الجافة الحزينة في هذا القصر الواسع الصامت ... وبدت لي هذا كما قال صديقي ... عصفورا ملونا جميلا مسجونا في قفص من ذهب ...

ومرت علي ساعة وانا جالس في مكاني ... وفي صدري تختلج عاطفة ناعمة مبهمة ... اثارتها الافكار المضطربة ... والليل القاسي ... وجمال السيدة .

وسمعت صوت خطوات خفيفة ثم صوت اقدام تقف امام باب غرفتي ثم ساد السكون لحظة ، وسمعت طرقة خفيفة لاتكاد تسمع على باب الغرفة فانصت ، وظننتني واهما ولكن تكررت الطرقة ، فلم اعد اشك ... وفي هدوء قمت من مكاني ، وفتحت الباب .

وعندما انفرج الباب غمرتني موجة من الدهشة فقد رأيت السيدة وجها واقفة امامي ، وافسحت لها الطريق ، فدخلت الى الداخل .

ووقفت امامها مضطربا ... صامتا ... كما كنت اقف امام امي وانا طفل كلما اغضبت" عليّ وهمّت" بضربي ... فنظرت الى نظرة ناطقة لمعان لاحصر لها .

اربكتني نظرتها الفاجئة التي لم اتوقعه قط .. وغمرني الخجل ... ذلك الداء المعضل الذي لا دواء له ، ولم اقو على ان اقول لها كلمة .

فاشرق وجهها بابتسامة عذبة ... وقالت لي في ود" . ارجو المعذرة اذا كنت قد ازعجتك . لقد رأيت نور غرفتك مضاء فاردت ان اتأكد هل انت مرتاح ... او انك تحتاج الى شيء .. هل اعد لك شرابا ساخنا فالجو شديد البرودة ...؟ » .

ووقفت امامها صامتا جامدا كالابله ... وبعد جهد قلت لها : « شكرا يا سيدتي ... لست احتاج الى شيء ... » .

وظل صمتي وهي واقفة امامي ، وانا لا ادري كيف ابدأ الحديث ...

وخرس لساني ، وتصبب العرق على وجهي برغم البرد القارس ... فلما رأت اضطرابي وحيرتي بدا الضيق على وجهها .

لم افكر ... في تلك اللحظة ... من فرط سذاجتي ان هناك سببا اخر لمجيء السيدة الى غرفتي سوى حرصها على راحتي اذ كانت في صدري عاصفة كالتي تزأر في الخارج لكنني لم اكن اقوى قط على ان امد يدي فاتناول يدها بين يدي ...

وألقت بنفسها على المقعد في اعياء ... وقالت في صوت متعب : « كم انا مرهقة ... اني لم انم من ثلاث ليال » .

وسكتت لحظة ثم تنهدت وهي تديم النظر في وجهي : « انه زوجي ... من شهر مضى واني لا انام الا بالاقراص المنومة .. لقد اجهدني مرض زوجي كثيرا فانا امرضه بنفسي ولا اترك تمريضه للخدم» .

كنت اجاهد لكي اقول كلمة حتى لا ينقطع خيط الحديث ... وبعد لأي قلت لها : « كان الله في العون ! » .

فقالت : « وفي بعض الليالي لاتجدي الاقراص المنومة .. فاظل يقظة طوال الليل استمع الى طقطقات الحراس وعواء الذئاب .. صدقني الحياة في الريف مملة جدا .. ومن يعيش فيه يحس بأنه يعيش على هامش الحياة ... كم احس بالوحدة هنا » .

ولمحت بريق الدمع في عينيها ، ورأيتها تمرر يدها تبحث عن منديل ، واحسست بموجة من الالم تكتسح صدري ... لكنني تشاغلت بالنظر الى لوحة معلقة على الحائط حتى لاتدرك انني لمحت دمعها ... وسمعتها تقول : « لا ادري لماذا قلت لك هذا الكلام ... اعذرني فانا مضطربة » .

ولم ادر ماذا اقول لها ... وخيم الصمت ... صمت مرهق ثقيل ... كنت اريد ان اواسيها ... واحنو عليها ... واقدم لها قلبي وحياتي ... لكن خجلي اللعين جعلني احس كأنني محبوس في صندوق ضيق ... فاقد الهواء حتى اكاد اختنق ... وكان الخاطر الوحيد المسيطر على لحظتها هو ان اهرب .. اهرب بحثا عن نسمة هواء ...

وخجلت السيدة من موقفها ، ومن صحتي الزرقى لتضرج وجهها ، وغادرت مكانها ثم ألقت علي تحية المساء وانصرفت .

فلما أغلقت الباب وراءها ... أحسست كأن باب الجنة قد أغلق دوني ... وأن سعادة العمر قد طارت من يدي ... وصرعني الندم ... كم أنا ساذج ... وظللت ألوم نفسي على غبائي وارتباكي .

وأطفأت النور ... وأويت الى الفراش ... وفي ظلام الغرفة رحت أنصت الى سكون الليل العميق ، فقد انقطع هطول المطر ، وساد الصمت ، وأحسست بوحشة تجثم على صدري ، وشعرت أن حياتي ستذهب هباء ما دمت انسانا خجولا أضيع الفرص التي يقدمها الي القدر .

وعندما ودعتنا السيدة رجاء في الصباح وقفت أمامها مطرقا ، ولم أقو على النظر الى وجهها ، فقد شعرت بالخجل من موقفي ازاءها في الليل .

وانطلقت بنا العربة عائدة الى القاهرة ... كانت الحقول الفسيحة مغسولة بماء المطر ... والزرع الأخضر يهتز تحت أشعة شمس الصباح المشرقة ... وعلى مدى البصر كانت البيوت الريفية الواطئة تجثم عند أقدام أشجار النخيل الباسقة ... كل ما حولنا رحب يوحي بالحرية والانطلاق ... وكم تمنيت في ذلك الصباح أن أنطلق في هذا الخلاء ... وأذهب بعيدا ... الى أي وجهة ما ... كعصفور طليق ... لا أحس بقيود الحياة أو بعواصف الرغبات ...

لم أحدث صديقي عن زيارة السيدة رجاء لغرفتي في أثناء الليل وان كنت قد تحدثت عن جمالها ، فقال لي في ايجاز : « هذه هي سيدة رائعة ... خسارة في هذا الرجل ... »

ولاذ بالصمت بقية الطريق ... فلما سألته عن سبب صمته قال : « أما سبب ... أني لا أنعم بنوم عميق اذا أنا غيرت مكان نومي ... » .

* * *

وفي دوامة العمل الرهيبة ... والمشاغل التي لا تنتهي نسيت السيدة رجاء ... ونسيت زوجها تماما حتى قال لي زميلي ذات يوم : « أتذكر السيد عباس الذي زرناه معا في بلدة (س) ... لقد توفي اليوم » .

فسمعت الخبر ، ولم أعلق بشيء ، وان كنت قد أحسست بهزة وأنا أسمعه ، فقد شاءت المقادير أخيرا أن تطلق سراح السيدة رجاء من سجنها الأبدي .

وبعد عام عينت طبيبا للصحة في تلك البلدة ... وكان أول ما خطر ببالي عندما وطئت قدماي أرضها أن أسأل عن تلك السيدة صاحبة القصر الذي قضيت فيه ليلة ، والتي مازالت ملامحها مرسومة في خيالي ... وماذا كان مصيرها بعد وفاة زوجها .

وقابلني عمدة البلدة بالترحيب والاجلال اللازمين لطبيب الصحة الجديد ، وبعد السلامات والتحيات سألته : « قل لي ياحاج ماذا تم بشأن حرم السيد عباس ، هل مازالت تقيم في القصر ؟ »

فاستغفر الرجل من كل ذنب عظيم ... ثم قال : « حكاية السيدة رجاء ياسيدي حكاية غريبة وقد طارت حولها الشائعات ... فعندما مات زوجها البخيل أقبل أقرباؤه ليضعوا يدهم على القصر وما تركه وراءه من ميراث ... فوقفت السيدة بينهم شامخة الرأس وأعلنت أنها حامل ... فصدق أهله واتهموها بالكذب ... ولكن ما ان مرت شهور حتى أنجبت السيدة طفلا ذكرا فأشاع أهل زوجها أن هذا الطفل ليس ابن عباس بل ابن الدكتور شوقي الذي كان يتردد على القصر ويشرف على علاج زوجها ... وقد تعذبت السيدة عذابا أليما وهي ... ثم أصيبت بحمى وماتت بعد مولد طفلها بشهر تقريبا ... وتركت طفلا ورث أملاك الرجل الراحل وثروته » .

ووجهت القول له على الفور :

« صدقني هذا كذب ... أنا أعرف الدكتور شوقي جيدا وهو رجل نبيل شريف لا يقدم على شيء كهذا ... كما أن السيدة رجاء وقد عرفتها عن قرب سيدة فاضلة من المستحيل أن تزل هذه الزلة ... » .

قلت هذا

ثم عدت أتساءل : « ما الذي حدث في الواقع يا ترى ؟ »

وأنا بين أجيب نفسي : « علم ذلك عند الله ، فليس يكشف السرائر سواه » . ■

سعد حامد ـ القاهرة

بريد القراء

بقية المنشور على صفحة ٧

تحية للعربي من النجف الاشرف

● لا اغالني مغاليا اذا قلت ان مجلة العربي القراء هي اكثر المجلات عطاء ونفعا ، فهي جامعة ولكن لا كالجامعات وفيها كل ما لذ وطاب من شتى الثقافات ، وفي كل شهر تسافر سفرة (مجانية) ولكن لا على ما تجرى عليها السفرات، الى نحو من النجاح وقتنا الكبير وبقي ان نبرح مكاننا وما عسانى ان اضيف واقول ؟ احتفظ ان الافضل ان اقف الآن فخير الكلام ما قل ودل والى الامام يا مجلة الملايين القارئين وعطرها من العلم والادب والله مع العاملين .

على العلو ـ النجف الاشرف العراق

الفتـات والنقد الذاتي البناء

● كان سروري بالغا وانا اتتبع استطلاع الفتات الذي نشر في عدد شهر فبراير الماضي من العربي ، فنهضة شعبنا العربي لن تكون الا بالنقد الذاتي البناء لمشاكلنا ، ولن تكون الا بالكشف عن الداء حتى يسهل بعد ذلك وصف الدواء . لقد بعثت اعداد العربي في الساعات الاولى من ظهوره في مكتبات جده نظرا لاقبال ابناء اليمن المقيمين هنا على شرائه ، ولعلهم وجدوا فيه متنفسا لاحزانهم . فشكرا من الاعماق لمجلة العربي التي حملت لواء هذه الرسالة المجيدة التي اخترتموها لها منذ صدورها .

محمد فائد محمد من ابناء اليمن (جده)

تصويبات

● فيما كتبه الرحالة (البدوي الملثم) عن محمد الشريقي عدة امور تقتضي التصحيح :

١ ـ ذكر ان الشيخ رشيد رضا ولد في (قلمون) القلمون بسورية ، والصحيح هو انه ولد في قرية القلمون بلبنان ..

٢ ـ الصفة الكبرى للشيخ عبد الحميد الزهراوي هو انه كان رئيس اول مؤتمر عربي عقده العرب المطالبة بحقوقهم في الدولة العثمانية وهذا لم يشر اليه الكاتب ، كما انه لم يشر الى ان الزهراوي كان بعد ذلك من شهداء القضية العربية الذين قتلهم السفاح جمال باشا .

٣ ـ ذكر اسم الدكتور احمد المحمصاني بين اسماء مؤسسي جمعية « العربية الفتاة » .. في حين انه لا وجود لهذا الاسم بل ان الاسم الحقيقي اسمان لا اسم واحد . وهما الشقيقان محمد ومحمود المحمصاني ..

٤ ـ ذكر ان لجنة الاستفتاء الدولية مرت بدمشق اثناء الحكم الفيصلي فاقيمت لها الاحتفالات في دمشق وغيرها من المدن وقامت مظاهرة عندوصولها فاضطرب الفرنسيون واعتقلوا زعماء تلك المظاهرة : الدكتور شهبندر وسعيد حيدر وحسن الحكيم ..

والحقيقة ان ذلك لم يحدث خلال الحكم الفيصلي ولا اثناء مرور لجنة الاستفتاء بدمشق ، بل بعد احتلال الفرنسيين لدمشق وزوال الحكم الفيصلي ـ الاستقلالي انما بسبب حضور المستر (كراين) دمشق . وقد مر بها في زيارة شخصية ولا يغير من ذلك انه شغل منصب رئيس لجنة الاستفتاء فيما سبق .

حسن الامين ـ بيروت

(أين « الضحك » ؟)

● اختفت صفحة « اضحك » الجميلة منذ اكثر من عام او ما يزيد ، وقد كانت صفحة ناجحة ، كثيرا ما اضحكتنا ، وروحت عنا وسط هموم الدنيا ومشاكل الحياة . ترى لماذا توقف نشر هذه الصفحة . نرجو ان نراها مرة اخرى بين صفحات مجلتنا الحبيبة « العربي » .

طارق بساط — بيروت

● ● ●

استطلاع ملكال

● طالعت بسرور استطلاع مدينة ملكال عاصمة اعالي النيل ، والحق ان هذا الاستطلاع اعاد الي ذكريات حبيبة قديمة وحبيبة الى النفس حيث انني ولدت ونشأت في هذه المدينة . ولكن هناك شيء استرعى انتباهي ، وهو ان الاستطلاع لم يعكس مظاهر العمران والتقدم في هذه المدينة .

ولقد دهشت عندما قرأت ان في مدينة ملكال شارعا واحدا معبدا . فالذي اعرفه ان في هذه المدينة اكثر من تسعة شوارع معبدة ، وفي منطقة الري المصري وحدها اكثر من سبعة شوارع معبدة وجميعها محاطة باشجار عالية جميلة . والحق ان منطقة الري الواقعة على جنب مديرية اعالي النيل بمبانيها المنسقة الجميلة وحدائقها المليئة باشجار المنجو والبرتقال والجوافة ..

الزبير محمد نور سليمان
الدمام — السعودية

● ● ●

جامعة البصرة

● اطلعت على استطلاع العربي لجامعة البصرة (العدد ١١٧) وفيه تكلمتم عن المجموعات الثلاث لمشروع مباني جامعة البصرة الجديدة وقد ذكرتم فيه (صفحة ١٥٨) ان المجموعة الثانية ستكون لكلية الطب بجوار المستشفى التعليمي في الشرافية او « الطوير » والصحيح ان المنطقة تسمى البراضعية او « الطويسة » وهي منطقة مشهورة في البصرة .

صالح مهدي العاشور — البصرة

مركز التوثيق التربوي

● ايماء الى ما نشر بمجلة العربي ، بالعدد ١٤٨ مارس سنة ١٩٧١ ، ص ١٣٦ في باب « انت تسأل ونحن نجيب » بشأن عدد الطلبة في مراحل التعليم بالدول العربية .

اتشرف بان اضع المعلومات والبيانات التالية تحت ايديكم :

١ — بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة :
يوجد جهاز مختص بتقديم كافة المعلومات والارقام المتاحة عن التعليم في احدث صورها الى كل من يقصده من الباحثين والمعنيين ، وهو مركز التوثيق التربوي (٣٣ شارع الفلكي بالقاهرة ت ٢٤٣٤٧) وهو الجهاز الذي يتشرف بالكتابة اليكم . فضلا عن ان هذا المركز يقوم باصدار عدد من المطبوعات لاتاحة مثل هذه المعلومات يخص منها بالذكر « التقرير السنوي لتطور التربية والتعليم » الذي يصدر سنويا متضمنا ما يسأل عنه الطالب ، وهو يوزع عند طلبه بالمجان ويستطيع الطالب الاتصال بالمركز للحصول على نسخة منه تتضمن احدث البيانات المطلوبة .

ونتنهز هذه المناسبة لنشير الى ان دائرة المعارف البريطانية تستمد معلوماتها ايضا من هذا المركز .

كما ان مقتنيات التوثيق التربوي بالقاهرة — من وثائق بصفته يعمل على الصعيد العربي في اطار مسئولياته الاقليمية على مستوى الوطن العربي الموكولة اليه من قبل منظمة اليونسكو — توفر المعلومات والاحصاءات التربوية عن عدد من دول الوطن العربي . وهذه ايضا في خدمة طلاب البحث والمعنيين خاصة وانه يصدر كتابا سنويا عن تطور الحركة التعليمية في الوطن العربي مستعينا بتلك الوثائق . ويستطيع السيد السائل الاتصال بالمركز للحصول على هذا الكتاب ايضا بالمجان .

كذلك نرجو ان تعلموا الطالب بان جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) لديها ايضا البيانات المطلوبة وهي في متناول يد الباحثين منها .

واخيرا فاننا ننتهز هذه الفرصة لنحيي جهودكم في خدمة الثقافة والتعليم ، ونشكر لكم اهتمامكم باجابة الطالب الى ما سأل عنه ، راجين ان يكون في ردنا هذا ما ييسر له طريق البحث العلمي القويم .

مديرة المركز (زينب محرز)

مكتبة العربي

بقية المنشور على صفحة ١٢٥

الصواعق المحرقة

في فضائل آل الرسول

تأليف : أحمد بن حجر الهيتمي

اختيار : محمد مهدي الحسيني الشيرازي

الناشر : هيئة شباب التبليغ – كربلاء – العراق .

● مجموعة أحاديث نبوية في فضل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اختيرت من كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر لبرز فضل أهل البيت في كثير من المناسبات وتشيد بعلو منزلتهم وسمو شأنهم ، والقصد من تأليف هذا الكتاب هو دفع الناس الى الأخذ عنهم والرجوع اليهم باعتبارهم مصدرا أصيلا من مصادر التشريع الاسلامي .

الجسر والسلم

تأليف : عباس الحسني .

الناشر : دار الطباعة الحديثة – البصرة – العراق

● مجموعة قصائد متنوعة .

الموسوعة الكويتية المختصرة

تأليف : حمد محمد السعيدان

الناشر : المطبعة العصرية / الكويت .

● هذه الموسوعة تحكي قصة المجتمع الكويتي ولهجته ولغته ، مفرداتها ومصادرها ، وعاداته وتقاليده بأنواعها ، وأدبه الشعبي وحكمه وأمثاله وفلسفته في الحياة ، ثم صحراء الكويت وما حولها من نبات وكلأ وأماكن ومخلوقات وسماء الكويت وما فيها من طير ووحش ، والبحر وما فيه من أسماك وسفن ولآلئ ومغامرات .

كما تصور الموسوعة أيضا المجتمع الكويتي ورجاله ودورهم في خدمة البلاد وتاريخ الكويت ، كما أن هذه الموسوعة تعتبر مرجعا تاريخيا وأدبيا وثقافيا وجغرافيا ، كما تبحث الموسوعة في الألغاز والحكم والأمثال والطب الشعبي وتركيباته ومستلزماته ثم الحروب والمعارك التي خاضها الشعب الكويتي عبر الأعصار ، ثم الأفلاك والنجوم عند الكويتيين ، كما تعرض الجمعيات والأندية والمدارس والمساجد في الكويت ثم القرى والمناطق والسكان والبرازي والآبار ثم عرض للأسر والعائلات الكويتية التي أثرت في مجريات الأحداث في الكويت وأخيرا الأدباء والشعراء الذين خدموا الكويت .

جناح السرطان

تأليف : ألكسندر سولجنيتسين .

الناشر : دار النهار للنشر – بيروت / لبنان

● رواية طويلة استمد المؤلف أحداثها من تجربته الشخصية حيث أصيب بالسرطان بعد خروجه من معسكر الاعتقال كان قد زجه فيه ستالين ، والرواية تدور أحداثها بين مصابين بالسرطان جمعهم المرض وفرقت بينهم الآراء الفكرية والسياسية ، فوجدوا في جناح السرطان ملجأ لمناقشة أفكارهم بحرية دون خوف .

الفارس الضرير

تأليف : الدكتور أديب سركيس . الناشر : مكتبة رأس بيروت – بيروت / لبنان

● مجموعة من القصائد المتنوعة .

فتح العلي الأكبر
في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر

تأليف : أبو علي الطيب بن طاهر المصراتي .

الناشر : دار الثقافة للنشر والطباعة والتوزيع بيروت / لبنان .

● ترجمة لأحد الأقطاب الصوفية علمي في شمال أفريقيا حيث كانت الصوفية ظاهرة عامة في تلك المناطق من المملكة العثمانية ، وحيث صبغت الحياة العامة وطبعت حياة الأفراد بطابع خاص وكانت الأساس في نشوء مؤسسات دينية واسعة . كما أن الكتاب يوضح الكثير من تفاصيل الحياة والمراسم والشعائر التي يقوم بها أولئك المتعبدون مثل الذكر وموسيقاه وأقوال الأئمة فيه والكلام على السماع والحضرة وهي مجالس يعقدها عدد من المريدين ينشدون فيها القصائد والأشعار المتضمنة المدائح النبوية .

النبع

تأليف : علي كامل .

الناشر : عالم الكتب / القاهرة

● مجموعة قصص قصيرة .


العربي
العدد ١٥٤
رجب ١٣٩١
سبتمبر
(أيلول) ١٩٧١
جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا



من روائع الفن العالمى

[illegible]

زلازل في الارض

الناس يخشون زلزلة الارض ، وقد كثرت في احداث هذا العام الزلازل .

وتنتفض براكين (اسماء) بها ثقيلة ، ويهرع الناس بعيدا عنه الى حيث الامان . وقد تنصب العرائس على سفحه شيء من ناره ، فاقول انهم فداء الناجين .

واقول انها الحركة ، وان الحركة خير من الجمود .

وقديما قال الناس ، ما من حركة الا وبها بركة .

وجلست في حديقة البيت الذي انا فيه ، ولندن قارس نوعا ما ، والشمس طالعة . فدفئت من شمسها واسترخيت . وهبت الريح فتحرك معها الشجر ، ومع حركته سقط منه الى الارض ورق كثير .

قلت ان الورق الذي سقط لم يكن احسن ورق على هذا الشجر . لا بد انه اصابه شيء من الضعف جعله حملا غير نافع . فاجرى الله الريح فاسقطه . وخلت اني وجدت للريح فائدة اخرى .

وعدت اقول ما قال الناس قديما ما من حركة الا وبها بركة .

فلا ييأسن احد من رحمة الله .

لندن – يوليه ١٩٧١

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

- حديث الشهر [illegible] عام ١٩٧١ [illegible] ٨
- اقرأ باسم ربك الذي خلق : دراسة لبداية رسالة الإسلام الكبرى ١٩
- مخترعات [illegible] والمخترع لا [illegible] من الله [illegible] ٨٩
- صفحة في اللغة : [illegible] في اللغة [illegible] ١٢٣
- [illegible] الكتاب الذي [illegible] العصور الزاهية ١٤٩
- اللغة الفارسية وصلتها باللغة العربية في قديم الزمان وحديثه ١٦٨
- صناعة الألبان في الكويت (بالألوان) ٥٣
- [illegible] في السودان (بالألوان) ٩
- [illegible] ٤٢
- طب الأسرة : [illegible] ٦١
- أنباء الطب والعلم والاختراع : [illegible] ٦٨
- أمراض [illegible] ٧٦
- قصة [illegible] الحيوان ١٥٤

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ [illegible] العربي

الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة [illegible] قسم الإعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● المعابد والمدافن العربية الموروثة عن الأجداد لا تزال ماثلة في مدينة عطبرة ، مدينة الحديد والنار في شمال السودان ، ومن هذه المدافن مدفن الشيوخ المطرة والتي يسمونها هناك « بالقبة » وهي مصنوعة من الطين المضاف اليه زبل الجمل وهي عادة تراها في كل بيت من بيوت هذه المدينة السودانية التي تعتبر أكبر مدينة عمالية وصناعية في شمال السودان (الاستطلاع ص ١٠٠) .



■ في مجمل المرأة وسحرها : سحر المرأة وماذا قالوا فيه ؟ ٧٢

■ الاجتماعات وأثرها على سلوك الفرد ٣٦
■ تطور المدرسة والفكر التربوي عبر القرون ٩٢

● دراسة التاريخ عند العرب كيف نشأت وكيف تطورت ٢٤
■ الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ١٢٥

● صوت الدمع ٣٢ ● ملحمة فوست لشاعر ألمانيا جوته ٩٤
■ يا حبيبي هناك ٩٨ ● في محراب الصروع ١٥٩

■ في الدول المتقدمة والدول المتخلفة في مجال التعاون العلمي ٨

■ كتاب الشهر ... الكتاب ... الكتاب وكيف انتشر ... كم نسخة منه الأمم اليوم ... وكم نسخة في البلاد العربية ١٩٠
● مكتبة العربي ١٦٦

● قصاصة ورق ١٤٠ ● الفيصل ١٧٢

● من روائع الفن العالمي ١ ● بريد القراء ٦
■ مسابقة العربي ٤٤ ■ نتيجة مسابقة العدد ١٥٢ ٥١
■ طرائف عربية ٨٢ ■ طرائف غربية ١٢٨
● أنت تسأل .. ونحن نجيب : السكرتير العام للأمم المتحدة ماذا يرتب وما مهمته ؟ ... ١٣٢

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال قطري ، البحرين ٢ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠ قروش ، لبنان ١٠ قروش ، الأردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٣٠ فرنك ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٢ ريال ، ليبيا ١٥ قرشا ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس

الاشتراكات : الاشتراك في المجلة يحصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع بيروت ، وعنوانها : بيروت - ص.ب ١٢٢٨ ويكتب على الغلاف : « شركة التوزيع » .

بريد القرّاء

مدرسة تعرض العمل في سقطرى

● قرأت في مجلة « العربي » في عددها ١٥٢ ، الصادر في يوليو ١٩٧١ عن جزيرة سقطرى وعرفت الحياة بها من خلال التحقيق الذي نشر في مجلة « العربي » والحقيقة انني احببت حياة اهل هذه الجزيرة كما عرفت ان بسقطرى مدرسة واحدة لتعليم البنات فتحت ابوابها منذ عامين وبها مدرسة واحدة فقط وهي مريم علي سالم من عدن ، وهي تقوم بتعليم الصف الاول الابتدائي .

انني معلمة متخرجة منذ عامين فقط من الجمهورية العربية المتحدة ، واريد ان اعمل مع هذه المعلمة في سقطرى ، فما رأيكم ؟

سوهاج ـ احلام يوسف العدوى

العربي يصل متأخرا

● العربي يصل متأخرا الى القاهرة ، فهو لا يعرض في الاسواق الا بعد ان ينتصف الشهر ، هل لكم ان تبحثوا في اسباب تأخر وصوله الينا ، وان تعملوا على ازالة هذه الاسباب ؟

طلعت محمد علي / القاهرة

حرية الصحافة في الكويت

● لمست من خلال قراءتي الصحف والمجلات الكويتية تقدما وتطورا يثيران الاعجاب حقا .. واحسب ان الفضل في ذلك انما يرجع الى الحرية التي تتمتع بها الصحافة .. ان القارىء ليشعر من خلال المقالات التي تنشرها صحف الكويت ان حرية الصحافة مكفولة ، فانني اعتقد ان الصحافة المقيدة لا يمكن ان تتقدم ولا تتطور ، وبالتالي لن تستطيع ان تقوم بدورها كاملا في المجتمع ، هنيئا لدولة الكويت بصحافتها الحرة .

محمد بن محجب الزهراني
جدة / السعودية

الصيام يبدأ عند الفجر

● جاء في مقال « الانسان ، مأكله ومشربه » للدكتور علي احمد علي في الفقرة المنشورة في صفحة ١٢٢ من العربي العدد ١٥٢ تحت عنوان الامتناع عن الاكل والشرب كشكل من اشكال العبادات، ان المسلمين يصومون من شروق الشمس حتى مغربها ، والصحيح ان الصيام في شهر رمضان المبارك يبدأ عند الفجر اي قبل شروق الشمس ، لذا وجب التنويه .

سلامه احمد سلامه
بون ـ المانيا الغربية

مسائل ومشاكل واحداث

● لماذا اختفى باب «مسائل ومشاكل واحداث» عن مجلة القراء.رغم انه كان يزخر بالمواضيع الشيقة المفيدة ! ارجو منكم ان تعيدوا هذا الباب ولكم جزيل الشكر .

فرج سعيد الغامدي
مكة المكرمة / السعودية

ايهما اصح

● قرأنا في مجلتكم الجليلة العربي العدد ١٩٩ تحت عنوان « الرمزية في الأدب العربي » بقلم الاستاذ الغزالي حرب ونحن لنشكر جهودكم لنشرهذه المقالات الادبية .. الا ان عدم التدقيق على تلكم المقالات قد يؤدي الى خطأ مثال ذلك ما جاء في مقال الاستاذ المذكور « الرمزية في الأدب العربي » حيث وردت الآية الواقعة في السطر العاشر ومناسبتها : قال تعالى « قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا » والصحيح أن نص الآية قوله تعالى «قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا» وهي الآية العاشرة من سورة مريم وهذا خطأ وجب التنويه عنه .

ذياب عودة العمري — الطائف / السعودية

العربي : الآيتان موجودتان في القرآن الكريم غير أن الآية التي أوردتها أنت صححتها خطأ بسبب الآية التي أوردها الاستاذ / الغزالي حرب هي الآية ٤١ من سورة آل عمران ، وهي صحيحة

اين ولد غاندي ؟

● في العدد ١٥١ من العربي ، قرأت مقالا عن حياة المهاتما غاندي ، ومن قبله قرأت موضوعا آخر عن هذا الزعيم الهندي في العدد ١٣٤ ، وقد اتفقت آراء كاتبي المقالين في كل ما تعرضا اليه في حياة محرر الهند الكبير ، ولكنهما اختلفا في مكان ولادته ، فقد جاء في المقال الأخير ان غاندي ولد بمقاطعة جوجيرات بالهند ، بينما جاء في المقال الأول انه ولد في كاتياورا ، فأيهما الأصح ؟

عارف رؤوف خليل

العربي : كاتياورا مقاطعة داخل اقليم جوجيرات ، فكلاهما على صواب كما ترى .

اقتراحات

● اصبحت العربي بئرا يستقي منه المتعطش الى العلم والمعرفة والثقافة الغزيرة ، لي اليه اهدي بعض الاقتراحات وهي عودة الى الماضي ، ماضي هذه المجلة الحافل :

١ ـ ارجو ان تكون صورة الغلاف الخلفي مصورة لحياة شعب من الشعوب الاسلامية .

٢ ـ عودة مرآة الرأي الغربي ومرآة الرأي العربي .

٣ ـ ان تنشر وحدة الله تتراءى في وحدة خلقه بصفة مستمرة في كل عدد .

عبد الله عبد الرحمن النقيدان
الرياض / المملكة العربية السعودية

أين « صفحة الطب المصور » ؟

● حجبتم عنا صفحة الطب المصور التي كانت اجمل ما في بحوث الطب ، وانى أرجو اعادة نشرها في كل عدد تصدرونه ، ومن ناحية اخرى ارجو ان تصدروا كتابا يحوي كل صفحات الطب المصور التي ظهرت في الاعداد السابقة من « العربي » .

عبد الرحمن محمد سعيد عبد الرحيم ـ حلب

الصناعات في الوطن العربي

● ابعث اليكم بهذه الرسالة التي تحمل بين طياتها شكري وتقديري لكم على ما تبذلونه في سبيل توسيع معلومات المواطن العربي وحيث اننا نجهل الكثير عن الصناعة في وطننا الحبيب ؛ ورغبة منا في التعرف على اهم الصناعات في الدول العربية ونسبة الانتاج في كل دولة ، فاننا نأمل ان تقدموا لنا استطلاعات عن المصانع في مختلف انحاء وطننا العربي .

علي جبران العامدي
جيزان / السعودية

العربي : سبق ان قدمنا عدة استطلاعات عن الصناعات في الوطن العربي ، في الكويت ومصر والسودان ولبنان وغيرها ، وستقدم المزيد منها ان شاء الله

(البقية على صفحة ١٧٦)



حديث
الشهر
الشـ
معـش
قـالـ
سـاعـ
أطباؤنـ
المعـارض
المصـ

عام ١٩٧١

لن كاد لا يكون له وجود
النقاعد، أرعفه من خز
عن التضخم المالى: به عرقة
ة كلام ثمنها ٦ جنيهات
واطنا وهم، والعجز المزعوم
السياسى، يخطئ لآلاف. فلا يضرب بالعل
ارة الأمريكية. هل هي حقا أدت دورا؟

بقلم رئيس التحرير

الى الذهب. فلماذا لندن ؟ و

انجلترا هي أوسط هذا العالم دائما . وهي في الاستقرار السياسي سبقت اوروبا وامريكا . وهي في الثورة الصناعية ، والثورة العلمية والتكنية كانت البادئة وكانت السابقة ، وتبعها الآخرون . وهي من حيث التحفظ والمحافظة كانت اشد الأمم محافظة ، ولم تشهد امة ، من امم اوروبا ، محافظة أشد من محافظة الانجليز على تقاليدهم في العصر الفكتوري ، عصر الملكة فكتوريا ، وقد ماتت مع انبلاج اشعة العام الأول من هذا القرن الحاضر .

وانجلترا اليوم ضيعت المحافظة ، قليلا او كثيرا ، وكما هي ابطأت في الماضي عن حولها من التحول الحضاري ، بدأت تأخذ في الحاضر من اوروبا وامريكا اساليب من التحرر تذهب بالعريق من تقاليدها .

فالناظر في امر انجلترا اليوم ، يصف ما يصف فيها من تحول ، انما يصف ظاهرة تاريخية تؤيد الرأي القائل بأن الحضارات ، في تنقلها ، انما تنتقل بالعدوى من بلد الى بلد ، بقدر ما بينهما من مواصلات ، تماما كما ينتقل الوباء ، وسواء كان في الحضارات خبث الوباء ، او لم يكن . يكفي ان تنفتح الابواب والنوافذ عند الحدود لتدخل منها النسائم عطرة او غير عطرة .

الوصول الى المطار

حطت بنا الطائرة في مطار لندن . وتدرجت على سطحه طويلا حتى دخلت حظيرة بها هي جزء من بناء المطار وخطونا من الطائرة الى البناء دون ان تمس ارجلنا سطح الارض . ومررنا مرورا برجل الصحة ورجل الشرطة . ثم الى الجمرك ، واشرت الى حمّال ، فجاء بعربة بيده وحمل متاعنا ، واردت ان احدث عن هذا المتاع رجل الجمرك الواحد ، فوجدت الامر أيسر من ذلك . فالكل يخرج بمتاعه ولا يُسأل عما فيه . الا اذا أحس هو ، صاحب المتاع ، في ضميره ، بأن هناك ما يستدعي اعلانه

وخرج الحمال بالمتاع سابقا . ولحقت به . واردت ان ادفع له اجره . ولكن نقود البلاد في هذا الصيف هي غير نقود الصيف الماضي . فارشدني الرجل الى بنك في المطار . فخرجت اليه على عجل ، واستبدلت شيكا بنقد ، وطلبت الحمال فلم اجده . ترك متاعنا حيث كان وضعه ، وعاد الى عمله داخل الجمرك . واردت ان اتبعه فامتنع الدخول . انها من الابواب ذات الاتجاه الواحد من حيث المرور . فشكرت الرجل قولا ، وهو غائب ، اذ لم استطع ان اشكره نقدا ، وهو حاضر .

وبعد ساعة كنا في البيت الذي استأجرناه في طرف بعيد من اطراف العاصمة ، في حي هادىء لا تكاد تدخله الا سيارات ساكنيه . ودخلناه ليلا ، وقد راب العلامات الصغيرة صدرها . صباه خرج عبر سائر زرعه كنت بين نواهد ذات اشكال عديدة وذات الوان فكأنما هي بيوت العرائس صنعوها للاطفال واضاءوها بالأنوار .

لم يعد يكون للشلن وجود

ان اول شيء يلحظه زائر لندن ، هذا الصيف ، هو تغير العملة ، وذلك لأن اول شيء تصنعه في اي بلد تحله هو ان تضع يدك في جيبك تخرج حافظة نقودك . وهذه مواجهة لك صريحة بالعملة الجديدة والعملة الجديدة يعبر عنها الناس هنا بشيئين اثنين : الجنيه (البوند) والبنس (البني) . ولا تكاد تسمع من كلام الناس غير هاتين . تسأل بكم هذه السلعة ، والجواب : جنيه و ٦٥ بنسا . الشلن لا تكاد تسمعه اليوم على السنة الجمهور . والجنيه الانجليزي كان ٢٤٠ بنسا ، واليوم قد صار ١٠٠ بنس . فالبنس الجديد يساوي ٢٫٤ من البنس القديم . ونسي الناس في كلامهم ، وحتى في تصورهم ، البنس القديم . واعتادوا على

الجديد. ولكن الزائر الجديد لا يستطيع ان يتخلص من معنى الشلن ابداً . فاذا قيل له ان هذا الشيء ثمنه ٣٠ بنسا ، عرف ان ثمنه ٦ شلنات . واذا قيل له ان هذا الشيء ثمنه ٨٥ بنسا ، عرف ان ثمنه ١٧ شلنا .

اما العملة التي وقعت في ايدينا فعلا فهي نصف البنس، فالبنس، فالبنسان، فالخمسة بنسات (= شلن) ، فالعشرة بنسات ، فالخمسون بنسا (= نصف جنيه) . واذا دخلت كشك هاتف من اكشاك الطريق ، وجب عليك ان تستوثق من ان معك العملتين : البنسين والعشرة بنسات ، فهاتان هما عملتا الهاتف .

والنقلة من العملة القديمة الى العملة الجديدة كلفت الدولة الملايين ، ويكفيك لادراك هذا ان تذكر ان كل دكان ، وكل مكان بيع او شراء ، وكل الحسابات انما تجري تلقائيا بالحاسبات الميكانيكية ، فوجب اذن تغيير الملايين من الحاسبات لتحسب على النظام الجديد .

وسلكوا النظام الجديد ليستقيموا مع العالم من حيث اتباع المقاييس العشرية . فهكذا هو الدولار ، والفرنك والمارك ، وكذلك هي الليرة اللبنانية ، والدينار الكويتي والجنيه المصري . ولا يخفى ما يصحب الحساب العشري من سهولة عند التحويلات .

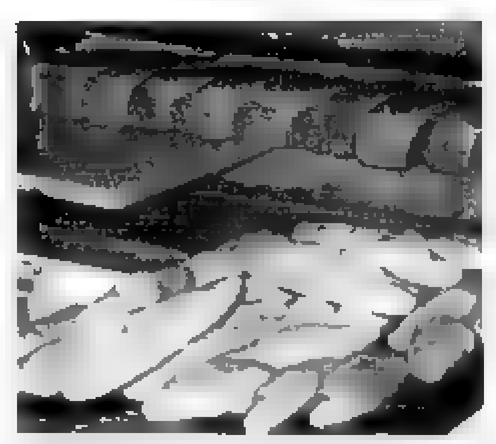
كم يشتري المشتري بالجنيه الاسترليني ؟

والحديث عن العملة يجر حتما الى مقدرتها الشرائية . واول ما يفعله زائر لندن عند الوصول اليها انما هو الدفع، وتأخذ تدفع من جيبك فتحس على الفور ، لا سيما ان كنت من زوار الصيف الذي مضى ، تحس بارتفاع الاسعار ، ويمضي اليوم بعد اليوم ، والاسبوع بعد الاسبوع ، فتحس من بعد ممارسة الشراء ، ان الجنيه الاسترليني اكتسب صفة جديدة . انه صار كالاثير فهو سريع التبخر . في يدك منه في الصباح العشرة ، فاذا بها الخمسة ، فاذا بها الاثنان ثم لا شيء . ثم تقبع في البيت ليمتلىء الضرع من جديد .

وتسأل ، فيقول لك الرسميون ان الغلاء زاد في العام بنسبة هي بين ٤ و ٥ في المائة . وتدلك الخبرة على انه زاد في كثير من الحاجات بما لا يقل من ٣٠ في المائة في السنتين الاخيرتين معا . وتقف عند وكلاء العقارات تقرأ اثمان البيوت المعروضة والشقق المطلوب بيعها في الاحياء السكنية العادية ، فتجد الاثمان ارتفعت بمثل هذا القدر وزيادة . ومع هذا تجد من يشتري ، وتجده سريعا . وتسأل عن السبب ، فيقولون لك انه الخوف من تضخم العملة ، من تضخم الجنيه الاسترليني، فاهله يتخلصون منه بشراء العقار ، فهو اكثر ثباتا واكثر امنا . ومع التضخم المالي تزيد قيمة العقار عند البيع .

هل التضخم سرقة ؟

وجمعنا مجلس ربة بيت ، وجرى الحديث في ارتفاع الاسعار ، وذكر بعض من حضروا انه التضخم المالي Inflation فاذا سيدة ، هي ربة اسرة كبيرة ، تندفع في حرارة وتقول : ان التضخم المالي سرقة . واستعرنا فؤادنا تقول : هب انك كسبت عام ١٩٦٠ ثلاثة آلاف جنيه من عرق جبينك ، وانفقت منها الفين في ذلك العام ، واقتصدت الفا . ثم يأتي عام ١٩٧٠ فيقولون لك ان هذه الالف المقتصدة صارت ٥٠٠ فقط من حيث قدرتها على الشراء . فاين ذهبت المئات الخمسة الاخرى ؟ لا بد سرقها سارق . انها تمثل عملا ما ، شئت ان تقتصد حصيلته . انها من حيث الطعام كانت تمثل في عام ١٩٦٠ عشرة آلاف رغيف ، هي خبز لك ولعيالك ، وامان لكم من جوع . فاذا هي اصبحت في عام ١٩٧٠



الفرح الشابان يكون معاش المتقاعد ارغفة خبز ، قريبا من تحقيق الثالث . وهكذا كان يعمل الازهر قديما بطلبه « جرابه » .

خمسة آلاف رغيف فقط ، فلا بد قد سرق الخمسة الآلاف الاخرى سارق .

وسألنا : **ومن السارق ؟**

قالت : **هذا ما لا ادريه . فلست من الاقتصاد ولا من عصابته في شيء .**

وكان رجل شيخ موظف متقاعد من موظفي الحكومة حاضرا . فاخذ يعلق على ما قالته السيدة ربة الاسرة الكبيرة ، فيقول **هذا قول طيب لا شك في ذلك . انى خدمت الدولة اربعين عاما ، دفعت في كل سنة منها ، بل في كل شهر ، قدرا معلوما من مرتبي يؤلف لي معاشا عند تقاعدي . ودفعته بالجنيه الاسترليني حين كان الجنيه ذهبا او لقيمة الذهب . واليوم اتقاضى معاش التقاعد ورقا من اصدار عام ١٩٧١ . فلو انى تقاضيته خبزا ، بالسعر الذى كان عليه الخبز حين دفعت تلك الاقساط الثلاث ، وفق ما ذكرت يا سيدتي ، لزاد معاش تقاعدي اضعافا .**

قال شاب في الحاضرين : **علينا نحن الشباب ان نطالب من الآن بأن يكون معاش تقاعدنا خبزا بسعر اليوم .**

قال الشيخ المتقاعد : **هذه مزحة في صميم الجد .**

قال الشاب : **ولكن لماذا اخترنا رغيف الخبز .**

قال الشيخ : **لأن الخبز عماد الحياة . والخبز في السوق الحرة تعلو قيمته وتنخفض مع المئات الحاجات والاشياء الا تعلو وتنخفض . والخبز عملة اثبت من الدولار والاسترليني والفرنك والمارك . وهي عملة يشتريها كل الناس ويطلبها كل الناس صباح مساء وهي لا تبور ابدا .**

سمعت هذا ، وذكرت به « جراية الازهر » . كان الازهر يعطي طلابه معونة يومية ، مقدارها كذا رغيفا من الخبز ، وكذا رغيفا يعطيها مدرسيه وعلماءه ، حتى شيخ الازهر كانت له « جراية » كبيرة من خبز تساق اليه ارغفة .

وكما زادت الاثمان زادت الاجور

وصديق من اهل الشرق لي في لندن ، يسكن بيتا يملكه . احتاج الى من يصلح له خللا وقع في دورة المياه . وجاء عامل يصلحه Plumber ويسميه اهل الشرق بالسمكري احيانا وبالسباك احيانا ، ولا هو هذا ولا ذاك . فقدر اجرة عمله ليوم واحد او يزيد قليلا ستة عشر جنيها . ورفض صاحبنا ، وطلب آخر ، فقدر اجر العمل عشرين جنيها . وناقشه الصديق في امر هذا التقدير . فقال له العامل : اجري في الاسبوع يجب ان لا يقل عن خمسين جنيها .

وجاء رب البيت الذي اسكنه بعامل مختص بتنظيف زجاج النوافذ من الخارج . واتم عمله في ساعة او نحوها . وسألت رب الدار كم اخذ ، قال جنيها . وعلمت انه يدور على البيوت يصنع هذا كل حين . وانه ينظف في اليوم الواحد

ما لا يقل عن زجاج ٥ أو ٦ من البيوت ، وأجره في الأسبوع لا يقل عن ٣٠ جنيها أو يزيد الى الأربعين . وكل عدته سلم يطيله عندما يشاء ، وجردل به ماء وشيء من محلول يزيل قذر الزجاج ، وخرق من جلد ، بعضها للبلل ، وبعضها للتجفيف .

وكانس شارعنا الهادىء الساكن ، وهو بعض عمال البلدية ، رجل في نحو الستين ، بيده مكنسة رأسها كالفرشة العظيمة ، ولها يد طويلة ، يمسك بها ويدور يجمع ما يجمع في أركان الرصيف من ورق الشجر المتساقط ونحوه ومعه عربة حمراء لامعة ، يحسبها من بعيد أنها جهاز كهربائي خطير . فيها يضع ما يجمع . ويدفع عربته الصغيرة وهي على عجل من المطاط الى موضع لها بالٍ وبالث . وبين الموضعين يخرج « البيبه » من جيبه ويشعلها ويدخن ، وهو منسجم معها وعلى شيء كبير من الراحة . وأجره ؟ لم أسأل عنه . ولكني عندما كنت في نيويورك منذ سنتين كان للكناس هناك خطر كبير ، بسبب نقابة لهم شديدة المراس ، تطالب برفع أجور العمل ، لا بناء على ما فيه من فن وخبرة ، ولكن بناء على قدر ما يصيب الناس والبلاد من أذى اذا امتنع العمال عن أداء هذه الخدمة الخطيرة . وفي السنوات الأخيرة شهدت باريس ، وشهدت نيويورك . وأخيرا شهدت لندن من اضراب كناسيها وعمال النظافة فيها . فأجور الكناسين من أسنى الأجور .

وسألت رجلا عاملا ، هو رئيس محرفة في مصنع غير بعيد . كان يتحدث بشيء من الشدة تجاه حكومة انجلترا الحاضرة ، وهي كما نعلم حكومة محافظين . سألته هل هو من أهل اليسار البعيد . قال تعني التشيع ؟ قلت أعني العمل لليوم الذي يكون فيه الحكم للعمال ، ولهم وحدهم دون غيرهم ، وسم ذلك ما تشاء . قال لا ، ونحن العمال أنجح حالا مع حكومة محافظين منا مع حكومة عمال .



الكناس في أوروبا أصبح له خطر كبير .

قوتنا منا . نقاباتنا حصوننا ، بها نحتمي . وعندما نختصم لا نحارب ، انما نقبع في بيوتنا ، والدول الحديثة ، كما لا شك تعلم ، كالمكنة الضخمة المعقدة التركيب ، بها ألف ترس . والترس الواحد قد تخلعه منها فتتوقف حركتها . نحن نعمل بالسلب ، لا بالايجاب . وبذلك فزنا ، مع حريتنا ، بما لم يجر به من تسميهم باليساريين . قلت : ما عليك ، من يسار أو يمين ، فما هي الا وجهات يتجه اليها الساعون ، كل يطلب ما يزعم أنه الخير .

ساعة كلام ثمنها ٦ جنيهات

ولقد شاع بين العمال جميعا ، من كل الطبقات ، ادخال الزمن في حساب الأجر . فالأجر يقدره صاحبه بناء على أمرين ، الأمر الأول : ما فيه من خبرة . والأمر الثاني : كم يستغرق من الزمن . ومن العاملين من يحتسب ساعة عمله بجنيه ، ومنهم من يحتسبها بجنيهين أو ثلاثة . والزمن عندهم فترة من العمر ، وليست كل فترات العمر بكاسبة . فالطفولة والصبى لا يكسبان ، ولا تكسب الشيخوخة . والنهار يكسب ولا يكسب الليل . ولا كل النهار بكاسب . من أجل

هذا كانت خطورة حساب الساعات عند تقدير الأعمال .

ومن طريف ما حدث في لندن منذ أيام أن مديرا كبيرا لبنك كبير ، هو بنك National Westminster أعلن أن بابه في البنك مفتوح لكل زائر على أن يتقاضى من كل زائر ستة جنيهات عن كل ساعة يقضيها معه ، أجرا لهذه الساعة .

وخمس دقائق ثمنها ٣ جنيهات

وأسرة حضرت من شمال افريقيه ، ونزلت في جوارنا،وأراد شاب من ابنائهم أن يتطعم ضد الكلرة . فقلت له : ان بجوارنا طبيبا له اسم غريب ، هو طبيب عام ممن يسمونهم General Practitioner وهو يعمل في خدمة الجمهور ، والخدمة الصحية هنا مؤممة . وهو الرجل الذى مثله يسأل عن التطعيم . فذهب اليه الشاب . فسأله الطبيب عن اسمه . قال : زبور . قال : هذا اسم غريب ، اشمه فأجد فيه رائحة الشرق الاوسط . وهي رائحة مقذرة . وعجب بأن قال ان الشرق الاوسط كله سياد باسشاء اسرائيل . وبان لشاب من هذا ، ومن اشياء رآها في المنزل ، ان الرجل صهيوني عرق ، وسكت الشاب ، ولم يثر مشكلة . ووعد الرجل باحضار اللقاح من مصادره في ادارة الصحة .

وبعد أسبوع أصاب الشاب رشح في انفه ، ظاهره من البرد.وخشي الشاب العاقبة . وبحث عن طبيب آخر فوقع على طبيب يسكن على مقربة من الطبيب الأول . وذهب اليه ، فعرف أنا لبيب خاص لا يتبع ، في بيته هذا ، الخدمة الصحية العامة ، ولو ان له عيادة اخرى تتبع .وافحصه الطب، ورأى ان يحيله الى طبيب مختص في الأنف والحنجرة . ودفع له عن هذه الخمس من الدقائق ٣ جنيهات . والمهم أنه كان يهوديا أيضا، الا أنه كان أحزم من صاحبه .

والمتتبع لليهود في انجلترا يلاحظ انهم يتوزعون على الاحياء توزعا مرسوما ، وراءه خطة ، قد لا تتبع بدقة ، ولكنها في جملتها هادية . فأنت تجدهم في المهن كالطب ، وفي التعليم كالجامعات . وفي الاسواق والشركات،وفي الصنعة اليدوية لا تجد منهم احدا . ولا في البوليس . وتجدهم في الصحافة ، وفي وسائل الاعلام جميعها .وهم في كل هذه يؤدون واجبهم خير اداء ، ويعتمدون ذلك ، لأن اليهودي يرى في امثاله هذا بعضا يسكنه بالحذق والجد وباعطائه فوق ما يجب من اعطاء . وهو قد يؤمن انه من شعب الله المختار . ولكنه يعلم ان هذا مسطور بالحبر على الورق ، ولكن لا تؤمن به القلوب .

ومن ذلك اني رأيت الدكتور ، هذا اليهودي الثاني ، الذي اخذ من الشاب ٣ جنيهات اجرا للدقائق الخمس التي قضاها معه ، رأيته يجيء بسيارته الى دار هذا الشاب ليترك لاهله اسم الطبيب المختص في الأنف والحنجرة الذي هو اختاره ، والموعد الذي ضربه ليذهب فيه اليه .

والشاب سوف يذهب،وسوف يدفع لهذا الطبيب المختص ، طب شارع الاطباء الشهير ، شارع هارلي ، ما بين خمسة جنيهات الى عشر ، اجرا له .

وهذا الشاب ، لو انه كان مقيما في انجلترا ، ويعمل بانتظام فيها ، لانتفع بنظام التأمين الصحي الذي يشمل اهاليها . نسبة تدفع كل أسبوع من اجر العامل ، تنفق منها الحكومة على هذا النظام العام . ويتكلف المريض بعد ذلك ما يتكلف . الطبيب الممارس العام خدمته . والطبيب ذو الاختصاص في خدمته ، وكذا المستشفيات . ولكن بالدور.والرجل والمرأة اللذان لا يدخلان

تحت هذا النظام لهما الويل، وما لا يطيقه الا الأثرياء من نفقات . والطبيب المعالج تحت نظام التأمين العام ، يأخذ أجرا معتدلا جدا من الحكومة عن كل مريض يراه .

ويحتاج المريض في انجلترا ، او غير المريض ، الى انبوبة من الانسولين، فيقول له الصيدلي : **هات تذكرة من الطبيب** . ويحتاج مريض السكر الى اقراص ارينسون فيقول له الصيدلي : **هات تذكرة من الطبيب** . وهو لا بد ان يكون طبيبا معالجا في انجلترا . فيحس العرب من اهل الشرق بحرج شديد . ويحس ان للمهنة الطبية في بريطانيا سيطرة على الشعب، وامتهانا لمقدار معرفته وثقافته، يحمد الله على ان خلا الشرق منها ، على الأقل الى اليوم .

وعلمت بالذى وقع ، فلم اواخذ الصيدلي في ان حجب الثقة عن كل الأطباء العامين ، فهو لم يخبرهم جميعا . وحرتي فهم ان فيهم الماهر وما دون ذلك كما في سائر أهل المهن . وخطأ هذا الصيدلي ان لعله ذهب الى طبيب عام يستشيره فمرض يحتاج الى اختصاص . والمفروض في الطبيب العام ان يبذل جهده اولا ، فلا يحول كل من يأتيه الى الطبيب المختص ، فيحول الزحام بناء على ذلك الى بابه فيعجز عن القيام بواجباته .

وفي مثل ما وقع فيه هذا الصيدلي يقع الكثير من اخواننا اهل الشرق . يذهب المريض منهم الى الطبيب العربي، فيبذل الطبيب جهده، ولا يذهب المرض . فيخرج من عنده المريض العربي وهو يلعن الزمان ويأسى لضعف الطب العربي والأطباء . ثم يذهب الى اوروبا ، او الى انجلترا خاصة . فيلعب في الطب هنالك الى أعلى مستوى ، ويدفع للأطباء الأجر الكبير المحير ، وكذا للمستشفيات . ويعود بعد الشفاء يثني الثناء العاطر على ما وجد ومن وجد . ويزيد على الطب والأطباء العرب سخطا .

والخطأ في هذا ان الطبيب العربي الذى زاره هذا المريض كثيرا ما يكون من طبقة الأطباء الممارسين العامين General Practitioners الذين هم العمود الفقري للعلاج في الشعب الانجليزي . اما الطبيب الانجليزي الذى زاره في لندن فهو طبيب اختصاصي، وهو من اختصاصه في القمة، وكذلك في الأجر . فالمقارنة ظالمة .

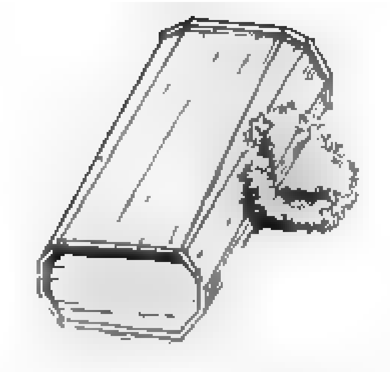
والغريب ان العربي يذكر من ذهب الى لندن واشتفى من مرضه فيها ، ولا يذكر العشرات الأخرى التى تذهب لتعود الى بلادها في الطائرة جثثا في صناديق من خشب .

واذكر ان صديقا كريما لى ، عربيا ، مرض مرضا نادرا محيرا ، وحير الأطباء

الطلاسم والطلقوبا

وزرنا في هذا الصيف من لندن بحي جديد ، واحتجنا الى طبيب ممارس عام من اهل الحي ، فذهبت زوجتي تستفسر عن ذلك من صيدلي قريب فقال لها الصيدلي : سهل علي ان اقترح اسم طبيب ، ولكني لا أثق به ولا بأحد من هؤلاء الأطباء العامين General Practitioners ولكن انتظري . وذهب واحضر كتابا به اسماء كل اطباء الشمال من لندن مرتبة على أحرف الهجاء . وقال لها خذيه ، فانظري فيه ، ثم رديه الي .

حتى انبوبة الانسولين
لا تشتريها من الصيدلية
الا بتذكرة طبيب .



العرب يذكرون من يشفى من مرضاهم في لندن ، ولا يذكرون من يعود منها بالطائرة جثة في صندوق من خشب .

من شماله حيث هو ، وذهب الى لندن ، وبعد علاج طال شفي والحمد لله . وعاد وحدثني في الامر غاضبا : قال : لم لا نأتي بلادنا بهؤلاء الأطباء وندفع لهم عشرات الالوف . قلت لو دفعت لهم مئات الألوف ما جاءوا . لان المسألة عند هؤلاء ليست مسألة مال . الطب حضارة ومستشفيات وعلماء جهابذة ، ولقاءات في محاضرات ، وعند اسرة المرضى ، وتلاقح افكار وتبادل آراء ، وهي اشياء باعثة على النمو ، وهي متعة ولذة لا تشترى بمال . والطبيب الذي هو في القمة الذي تأتي به الى هنا ، لا يمضي عليه عام فعام حتى يذبل . كالشجرة تنقلها من بيئتها . وادنى هو ينحدر عن القمة العام بعد العام .

ولست اريد بهذا القول ان انزل بالمستوى الطبي في لندن ، او ان اقول ان المستويين في لندن وغير لندن من عواصم اوروبا ، وفي بلاد العرب ، سواء . ان الطب حضارة ، والحضارتان غير متساويتين .

ومع هذا يجب القول ان المهنة الطبية في البلاد العربية بدأ يظهر فيها من الاختصاص العالي ما لم يكن يوجد فيها منذ عشر سنوات او عشرين . ولكم سمعت عن مرضى ذهبوا الى المختصين من اطباء العرب فادلوا برأيهم ثم سافروا الى لندن ، فاذا بالرأي هناك كالرأي هنا . وأمثلة فيها اختلف الرأيان ، ولكن كذلك اختلفت آراء الأطباء المختصين فيما من رجال لندن المشهورين . فالطب لم يصادر بعد حقول الظن الى حقل اليقين . وكثير مما يقول به الأطباء انما هو رجم بالغيب ، لا سيما الأطباء الباطنيين . اما اطباء الجلود فكل شيء عندهم اكزيمة !! ان الاطباء كشفوا من امراض الحياة وحادثاتها الشيء القليل ، وظل الاكثر منها المجهول . ولا احسبهم سوف يزيدون كثيرا ، فطبيعة الخلق بنيت على ان الانسان لا بد ان يموت والا ضاقت به الارض .

بريطانيا والسوق الاوروبية المشتركة

ويتحدث الانجليز اليوم في شئون من الحياة شتى ، ولكن ليس كحديثهم في دخولهم السوق الاوروبية المشتركة . وحق لهم ان يتحدثوا في ذلك وان يتحدثوا طويلا . لان وقفتهم من السوق وقفة الحائر . انهم كالرجل ، كون اخوان له شركة بينهم رابحة ، بينما هو سائر وحده في سبيل حياته غير رابح . ويغرونه بالدخول معهم شريكا ، وهو يوازن بين ان يكون « بعضا » من كل ، رابحا ، او كلا كاملا مستقلا حرا ، تعوز عليه الخسارة كما يعوز الربح ، فيتردد في الاختيار طويلا .

ولست اريد الدخول في تفصيل هذا المشكل ، فسوف ينشر « العربي » في عهد قريب قادم مقالا عن السوق الاوروبية المشتركة للدكتور عبد المنعم الطاملي فيه الكفاية والغاية . ولكن الذي اهدف اليه وصف ما تجري عليه الاحاديث ويجري النقاش ، في مسألة غاية في الخطورة ، في قوم عرف عنهم انهم في الديمقراطية الحديثة كانوا سابقين .

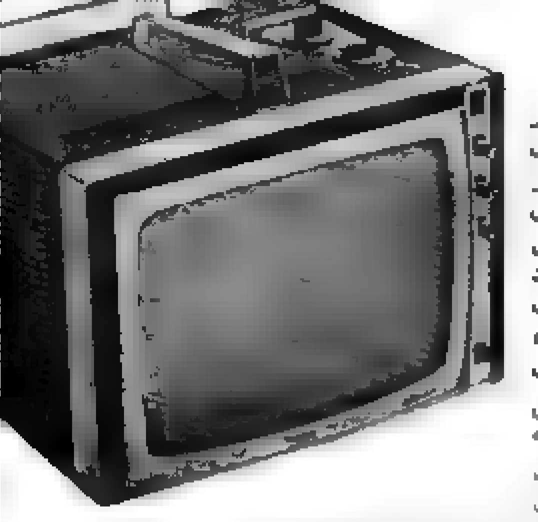
حكومة المحافظين هي الحكومة القائمة اليوم ، يعارضها اساسا حزب العمال ، في البلاد ، وفي البرلمان . ورئيس حزب

المحافظين ورئيس الوزراء هو المستر هيث Heath . ورئيس حزب العمال ورئيس الوزراء السابق هو المستر ولسن Wilson . كلاهما طلب الدخول في السوق ، وكلاهما بذل جهدا في سبيل ذلك ، وكان آخر محمود نعم هو محمود حزب المحافظين، ورضيت الدول الست التي تؤلف السوق بدخول بريطانيا اليها، بشروط . والحكومة الحاضرة قبلت الدخول والشروط . والحزب المعارض رفض الدخول بهذه الشروط . واتجه الرئيسان الى جمهور الشعب يروجان لرأيين متعارضين. واذا بالرأيين تعرضان على الشعب ، بكل وسائل الاعلام تقريبا، عرضا من حيث زمانه ومكانه واحدا . في التلفاز ظهر « هيث » في الساعة التاسعة والثلث مساء توجيه كلمته للشعب مناصرا . وفي غد ذلك اليوم ، في نفس الساعة والدقيقة ، وجه ولسن كلمته للشعب معارضا . وطول الكلمتين كان واحدا . وفي الامسية التالية تحدث في التلفاز حكوميون،وتحدث معارضون، وكانوا اعدادا متساوية،واوزانا واحدة.

ومن حزب العمال من عارض حزب العمال، ومنهم استيورت Stewart وزير خارجيتهم السابق ، فظهر على التلفاز يتحدث . وظهر مثله محافظون عارضوا الحكومة .

وكما في التلفاز،فكذلك كان في الاذاعة. والعجيب انه كان كذلك في الصحف . واقرأ الصحف المحافظة ، كالتلغراف ، فترى الرأى المعارض يحتل مكانه الى جانب رأى الحكومة الموافق . والحجج مسهبة ، ولا اختزال ولا تحريف فيها .

وجمع حزب العمال مؤتمرا حزبيا حافلا ، وخطب فيه ولسن ضد الحكومة وضد السوق خطبة شديدة قاسية . وتبعه آخرون . واذ تراءى ان الحزب كثرته الكبرى وراء رئيسه ، جاء دور المعارضين من الحزب ، وهم قلة ،



التلفاز الانجليزى ، يرحب برأى الحكومة ورأى المعارضة بدرجة سواء . اذا تحدث رئيس الوزراء فيه ساعة ، تحدث رئيس المعارضة فيه ساعة ، وفي نفس الوقت من المساء .

ورأيتهم يقتربون من الميكروفون في هذا الجمع الحاشد موقف شرا . ولكنهم مضوا في حديثهم يحبذون دخول السوق بقوة مثل قوة رافضي السوق ، ولم يصرخ ضدهم صارخ ، ولم يخرج من الجمع من يحملهم بعيدا عن منبر الخطابة حملا .

ويرجع هذا لا شك الى ان هؤلاء الناس ، من خطيب في الجمع وسامع ، او كاتب في صحيفة وقارىء ، نشأوا على معان للديمقراطية الفوها كما الفوا الهواء والماء ، ولكنه يرجع على الاكثر الى الوعي السائد في هذه الشعوب ، الذى كان من حصيلته الحرية ، وهو يرجع الى الامية التي اختفت فيهم من زمان بعيد ، والى ممارسة احدثت من الزمان كثرة كان فيها الحلو وكان المر ، والى الفوائد الكثيرة المكتسبة من خبرة الايام، سودها والبيض . فما جاءت الحرية لامة ، ولا جاءت الديمقراطية مهداة فوق طبق من ذهب .

الرئيس الامريكي على شاشة التلفاز في لندن

ورأينا نكسون ، رئيس الولايات المتحدة ، على شاشة التلفاز في لندن ، وسمعناه يتحدث ، وكان حديثا خطيرا ، زادته صحف الصباح تفصيلا . كان يتحدث عن الدنيا في غد . وان غدا لن يشاهد الامم في نفس مواقعها التي يشاهدها فيها الناس اليوم ، لا من حيث قوة السلاح فحسب ، ولكن ، وعلى الاخص ، من حيث قوة الصناعة والتجارة والمال عامة . عنده اليوم ان الولايات المتحدة في القمة ، ولكنها لن تبقى كذلك طويلا . وهو لا يقدر هذا الطول بقرن او نصف قرن ، ولكن بسنوات خمس أو عشر ، قد تصبح بعدها الولايات المتحدة مسبوقة لا سابقة . او على الأقل لا تصبح تقود العالم وحدها ، بل يشاركها في هذه القيادة آخرون . انها لاربعة مراكز للقوى ذكرها . فقال من السوق الأوروبية ، وهي تضم الآن ٦ دول ، انها ستنضم اليها بريطانيا ، فتتألف منها كتلة دولية كبرى ، عدد سكانها نحو ٣٠٠ مليون نسمة ، بها من الحضارة ومن العلم ومن التكنية ما يرفعها الى أعلى المستويات . ثم تأتي اليابان في المرتبة الثانية بعد أوروبا ، فاليابان ستنتج بعد عامين اثنين من الفولاذ اكثر مما تنتجه الولايات المتحدة . ثم الاتحاد السوفييتي ، وهو يتوقع ان تزيد منافسته الاقتصادية للولايات حدة . واخيرا وليس آخرا الصين الشعبية . وكانت الصين الشعبية اخطر ما في الحديث . ان نكسون ارسل مستشاره الخاص « كيسنجر » الى بكين ، ليستطلع الامور . **وكان من وقوع التقارب بين الدولتين ان دعت الصين نكسون الى زيارتها ، زيارة بكين !! وقبل الرجل !! لقد انقلبت الاوضاع راسا على عقب . والآن هل تنتهي حرب فيتنام ؟ والان اين يكون الروس من فيتنام ومن الصين ؟** واخذ نكسون يتحدث فيقول انه من غير المعقول ان تبقى الصين الشعبية ، وهي تؤلف ربع سكان الارض ، بعيدة عن مجالس الامم المتحدة . ويقول نكسون : انه لن تمضي سنوات حتى تكون الصين دولة ذرية خطيرة ، ودولة صناعية كذلك وتجارية لها خطرها ، ولأهل الصين ذكاء ودربة معروفة . كلام جديد . كل هذا سيغير لا شك توزع الولاء بين الامم . ويزيد نكسون فيقول : انه لا يتوقع ان تبقى امريكا الامة الاكبر قوة بين الامم الا بضع سنوات ، وان الولايات تواجه نوعا من التدهور من شأنه ان يدمر حضارة بأسرها . فلماذا لم ينبه الشعب الامريكي الى ما هو فيه ، وما هو قادم عليه ، قال الحضارة الامريكية ستلحق بالحضارة اليونانية والحضارات القديمة التي طواها الزمان !!

واسمع كل هذا ، واقرأ ، واذكر معارضة ولسن وحزب عماله لدخول بريطانيا السوق الأوروبية المشتركة ، فاقول لعل في هذه النبوءات التي تنبأ بها نكسون ما دعا ولسن الى ان يتريث في أمر الدخول في سوق اوروبا ، وانه رأى ان بريطانيا قد يكون لها في هذه الاوضاع العالمية الجديدة دور ، هو مع الاستقلال في العمل ، ارفع واخطر .

احمد زكي

نكسن ، رئيس الولايات المتحدة ، احدث انقلابا في سياسة الولايات ، بزيارته للصين . وهو قد حذر من انطواء الحضارة الامريكية كما انطوت الحضارة الاغريقية والرومانية على السواء .





دراسة لميلاد رسالة الإسلام الكبرى وتحقيق لأقوال ابن هشام وغيره
في وصف ما وقع من الوقائع والحوادث التي سبقت محمد
صلى الله عليه وسلم الى مرتبة النبوة والرسالة

بقلم الدكتور حسين مؤنس

● مشهد نزول الوحي على الرسول الأعظم صلوات الله عليه وانتقاله من رجل قرشي عادي من أهل مكة الى نبي الله ، ثم وصوله الى [illegible] [illegible] لدى المختصين في معرفة تفاصيل الحوادث الحاسمة في تاريخ البشر . [illegible] رانكه Von Ranke ، وآدولف هارناك Adolf Harnack ، وآرنولد توينبي [illegible] . وتحدث عنه كثير من فلاسفة اللاهوت المسيحي في عصرنا كارل بارث Carl Barth

سيرة ابن هشام

ولقد درجنا منذ الزمن الطويل على أن نأخذ هذا المشهد الخالد في صورة عامة لأنه أصبح مع الزمن والتكرار صورة تقليدية تفرض نفسها على تلاميذ المدرسة الابتدائية وطلاب الجامعة في صورة واحدة ، ويسمعها الناس دون تأمل في تفاصيلها ، فيصعب عليهم تصور نواحي جمالها وروعتها وصدقها التاريخي . وجمهور الناس يقرأون خبرها دون أن يتصوروا صدقها ، ويمرون بها دون أن يروها بعين الخيال .

وأعتقد أن مشهدا كهذا لا ينبغي أبدا أن يتحول الى صورة تقليدية جامدة لا تتغير ، ولا بد لإدراك مغزاها البعيد من أن نتصورها وكأنها مصورة بالكاميرا البطيئة إذا جاز هذا التعبير .

سيرة ابن هشام مستخرجة من سيرة ابن اسحاق

وهذه الصورة التقليدية هي تلك التي استخرجها أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة ٢١٨ أو ٢١٣ (١٨٣٣ و ١٨٣٦ م) ، من السيرة النبوية التي كتبها محمد ابن اسحاق بن يسار المطلبي المتوفى سنة ١٥٠/٧٦٧ . ومن المعروف أن ابن هشام تصرف في سيرة ابن



اسحاق بحسب رأيه وطريقته ، فاضاف اليها ، وحذف منها وعدّل الكثير في مواضع كثيرة ، فسيرة ابن هشام تعرض علينا سيرة النبي صلى الله عليه وسلم كما رآها وتصورها عربي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري متقيدا في ذلك بمفهوم العلم في عصره وبالذوق العام المعتاد في أيامه .

وقد ظلت سيرة ابن هشام هي السيرة المعتمدة المتداولة الى ايامنا على رغم وجود سير نبوية اخرى أوفى وأكمل منها ، بل بلغ من اقبال الناس عليها ان اهملوا سيرة ابن اسحاق فندرت نسخها ثم اختفت ، فلم تظفر الى يومنا هذا بنسخة كاملة لها ، وان كنا نستطيع ان نجمع اشتاتها من مراجع شتى ، اهمها تاريخ الطبري ، والبداية والنهاية لابن كثير ، والسيرة الجامعة التي اوردها النويري في « نهاية الارب » وقد نشرتها دار الكتب في القاهرة في ثلاثة اجزاء تضم اكثر من ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير .

وفي ايامنا هذه ، ذاعت سيرة هيكل

وفي ايامنا هذه حلت سيرة تقليدية أخرى محل سيرة ابن هشام من حيث الذيوع بين الناس ، وهي تلك التي كتبها محمد حسين هيكل ، واذا كانت سيرة ابن هشام تعرض السيرة كما رآها فقيه فان « حياة محمد » التي كتبها هيكل تعرض السيرة كما رآها اديب معاصر ، وكلاهما يختلفان اختلافا ظاهرا عن المؤرخ وطريقته في كتابة التاريخ ، ولا تزال السيرة الكريمة تنتظر المؤرخ المنهجي الذي يكتبها بعيدا عن الحدود الضيقة التي يلتزم الفقيه بها نفسه والعاطفيات والاسلوبيات المترفة التي تستهوي الاديب .

الاغراق في المديح ، يسيء الى عظمة الممدوح

وفي رأيي ان منهج المؤرخ الصادق هو وحده الكفيل باظهار جلال السيرة النبوية الكريمة ونواحي عظمتها ، فان شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم شخصية فائقة متعددة نواحي العبقرية ، وكلما ازددت منها قربا ازددت بها اعجابا لان حقيقتها ابلغ من كل ما تستطيع ان تضيف اليها من الصفات من عندنا . وفي احيان كثيرة لاحظت ان تكلف الناس في اظهار التفنن بالاغراق في المديح يقلل من عظمة الممدوح بل يسيء اليها ، وهؤلاء المتكلفون الكلام والمبالغات اشبه بمن يصيحون بعد سماع كل آية قرآنية بعبارات الاستحسان والتلذذ والاستعادة فيقطعون بصياحهم صمت التأمل في معاني الآيات ويخرجون على كل فاصلة من قواعد آداب السماع .

حديث السيدة عائشة عن عروه عن ابن شهاب

وسنعرض فيما يلي لمجموعة الظواهر والحوادث المتوالية التي انتقلت بمحمد بن عبد الله ، من رجل قرشي من خيرة اهل مكة ، الى نبي الله ، ثم رسوله المختار لابلاغ آخر رسالاته واكملها الى البشر اجمعين .

وعمدتنا الاساسية في هذه الدراسة هو حديث ام المؤمنين السيدة عائشة عن عروة بن الزبير عن ابن شهاب الزهري ، رواه البخاري في الصحيح (١/٥٠ – ٣٢ من فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني طبعة البابي الحلبي) ورواه مسلم في صحيحه بشرح النووي (طبعه المطبعة المصرية بالازهر ، ٢/٢٠٥) وابو داود الطيالسي في مسنده (طبع حيدرباد الدكن ص ٢٢٥) ، وابن عبد البر في « الدرر في اختصار المغازي والسير » (بتحقيق شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٣ – ٣٤) والبيهقي في السنن الكبرى (طبعة حيدر اباد ٩/٦) .

وابن سيد الناس في عيون الاثر (طبعة القدسي ١/٨٠) وابن كثير في البداية والنهاية (٣/٢٥٩) والنويري في « نهاية الأرب » (١٦/٦٨) ومراجع اخرى .

وقد ورد هذا الحديث مجزءا عند ابن هشام ومن اخذ عنه او قام بشرحه والتعليق عليه مثل عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي صاحب « الروض الانف » وابي ذر الخشني مصعب بن محمد بن مسعود صاحب « شرح السيرة » والزرقاني صاحب المواهب اللدنية وغيرهم . واضاف ابن هشام في سيرته اخبارا وروايات شتى لاتعين المؤرخ على معرفة الترتيب الزمني للظواهر والحوادث .

وورد هذا الحديث كذلك ببعض الاختلاف في مسند احمد ، وهو – بعد البخاري والبيهقي – اغزر الصحاح والمسانيد بالمادة النافعة للمؤرخ . واضاف احمد بن حنبل احاديث اخرى ذات

اهمية كبرى تتسم بما عرف عن ذلك الفقيه الجليل من نظر صائب وذكاء بعيد .

وانما ركزت الكلام على حديث عائشة ام المؤمنين لانه اوثق ما لدينا من الاصول عن نزول الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم وما عاناه فى اثناء ذلك وقبله وبعده .

وسأضيف الى مادة هذا الحديث موادا اخرى من اصولنا الموثوق فيها وارتب فى ذلك كله على نسق واحد يمكننا من تتبع الظواهر والحوادث لتبين مراحل وصول الرسالة الكبرى الى رسول الله وخطوات انتقاله الى مراتب النبوة والرسالة.

التمهيدات الاولى : التعبد فى غار حراء

من غرائب ما نلاحظه عند قراءة « فتح البارى » لاحمد بن حجر انه يقف عند صغائر اللغويات من مثل حرف الفاء فى « فجاءه » ويطيل الكلام عليها . فاذا ورد ذكر جبل حراء قال : « جبل معروف بمكة » وهذا هو كل التفصيل الذى يعطينا اياه هذا العلامة الذى كان يعد على انه كبير المؤرخين فى عصره ، كأن موضع هذا الحدث من الاعراب اهم من التعريف الوافى بجبل حراء وهو مهبط الوحى اول مرة وملتقى عالم السماء بعالم الارض والفناء .

ويقع جبل حراء على نحو ٥٫٧٠٠م شمال شرق مكة ، وقد وصفه فى حالته الراهنة رحالة كثيرون اهمهم محمد لبيب البتنونى فى الرحلة الحجازية ومحمد حسين هيكل فى « منزل الوحى » ، وهو يبدو للناظر اليه من بعيد فى صورة كتلة صخرية جرداء لونها بين الاسمر الداكن والبنى يختلف ظلاله ، وهو فى جزئه الاسفل اشبه بتل من الرمال مسنوع ، ثم تظهر الرأس دفعة واحدة مائلة بعض الشيء .

والجبل اجرد تماما ، وقد صقلته الرياح فاصبح املس صعب الرقى ، والقدم تزلق عليه بسهولة فى كل خطوة ، والظهر تتعبه كيف حالى المرتقى حتى الصعيد غير منتظم الفتحة ولا رحب الفناء . واذا وقف الانسان وحيدا عند اسفل ذلك الجبل وتطلع الى ما حوله شعر بوحشة ، وعندما يرتقى ويصل الى فتحة الغار وينظر الى ما تحت قدميه يشعر برهبة . والنزول من الغار اشد خطرا من الصعود ، واذا لم تسر فى حذر شديد خلف الدليل وجدت نفسك تهوى الى اسفل دون ان تظفر بشيء تتشبث به ، وقد حدث هذا لبعضنا فعلا .

والى جوار حراء يقوم جبل وهو اشبه بالهضبة العالية ، فلا لا رأس له ، وهو مهشم محطم فى معظم نواحيه من اثر الرياح وعوامل التعرية .

وانت مذ تخرج من مكة الى ان تصل الى هذا الموضع تسير فى ارض قاحلة موحشة ، فلا شجرة ولا عشب ولا شيء غير الصخر والاخاديد ، ومهما طال مكوثك فانت لا تظفر بجرادة او صوت جندب او اى مظهر من مظاهر الحياة .

ولا يمكن ان يكون هذا الجبل والطريق منه الى مكة قد كان بهذه الوحشة ايام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان كتب السيرة تحدثنا بانه كان قبل مشهد الوحى وبعده يقضى فى هذه النواحى الساعات الطوال يتأمل ويفكر ، وكان يصادف فى اثناء ذلك اشجارا ونباتا ، واذا بحثت جيدا وجدت فى اخاديد الارض جذورا ولحاء شجر ميت ، هذه الاخاديد نفسها تحدثك بانه كانت هناك مجارى ماء .

وقد وصف لنا ابو عبيد البكرى فى « معجم ما استعجم » الجبل وما حوله والطريق اليه فقال ان هناك شجرا وبعض خضرة وماء ، والبكرى اندلسى من اهل القرن الخامس الهجرى ، وهو لم يزر الحجاز ولكنه قرأ فى عناية كتابات من سبقه من الجغرافيين ممن عرفوا هذه النواحى معرفة وثيقة واهمهم عرام بن الاصبغ والهمدانى وابن الحائك وغيرهم ممن عرفوا شبه الجزيرة حق المعرفة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) .

ومن خلال وصف البكرى نرى ان تلك البقاع القاحلة اليوم كانت ذات خضرة متوسطة وموارد ماء تكفى لقيام الحياة ، ومن هنا كانت المسافة بين مكة وحراء وحول حراء عامرة مما هى عليه اليوم ، وكانت فيها جماعات من الرعاة وانواع من الشجر الكبير والصغير بل كانت الاعشاب تكسو سفوح المرتفعات والجبال مثل حراء وثبير .

وكان بودنا ان نعرف اى اشجار كانت هناك ، وقد عثرنا على بعض اثار الاشجار ولا يمكن القول بانها كانت من مثل انواع شجر الحجاز اليوم . فالشجر الذى هناك اليوم كله حديث مجلوب من الخارج .

هذه الحقيقة تفسر لنا كيف كان يمكن للحنفيين قبل محمد وعلى ايامه الخروج الى هذه النواحى واللجوء الى الغيران للانقطاع للتعبد او التحنث كما يقال خلال شهر من السنة . وقد

جرى العرف على القول بأنه كان شهر رمضان ، ولكن من الثابت ان الحنيفية كانوا يخرجون في شهور اخرى غير رمضان .

ولم يكن الانقطاع للعبادة خلال شهر من السنة معناه المقام الشهر كله في الغيران والجبال ، بل كان المتعبد يقضي اياما ثم يعود الى داره ليستريح ويتزود ثم يعود مرة اخرى ، ولدينا ما يدل على انه كان يحدث ان يعود المتعبد الى بيته كل ليلة ، وهناك ما يدل على انه كان يخرج الى الغار احيانا ومعه اهله ولدينا اخبار تدل ان السيدة خديجة كانت ترافق زوجها صلى الله عليه وسلم الى غار حراء احيانا ، وفي اليوم الذي نزل عليه الوحي اول مرة كان المفروض ان يعود الى بيته مع الغروب ، فلما تاخر بسبب ما عاناه بعثت السيدة خديجة غلاما لها الى الغار لينظر سبب التاخر ، فذهب وعاد دون ان يلقى محمدا ، ولم يلبث محمد ان وصل الى بيته .

ولا يدري احد اي نوع من العبادة واعمال التقى كان الحنيفية ورسول الله ايضا يقضون في مجاوراتهم في الغيران ، ولكننا نعلم انهم كانوا يؤمنون ايمانا غامضا بوجود اله اعظم هو خالق الكون ومدبر كل شيء فيه ، وهذه الفكرة عن الله الواحد هي البقية الباقية في الجزيرة من « ملة ابراهيم » عليه السلام او « الدين القديم » كما يقال ايضا .

فكان امثال عبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل ينقطعون ليذكروا الله ويتاملوا روائع خلقه بعيدا عن زحمة الناس ، وكان فقراء الرعاة يمرون بهم ويسالونهم القوت والزاد فيعطونهم مما معهم ، فاذا انقضت مدة العبادة عادوا الى مكة ، وكان اول ما يعملونه هو الطواف بالبيت الحرام سبعا قبل ان يدخلوا بيوتهم ، وتلك بقية اخرى من ملة ابراهيم .

وسيفعل محمد صلى الله عليه وسلم ذلك خلال فترة التمهيد للرسالة ولا نعتقد انها دامت اكثر من سنتين او ثلاثا قبل بلوغه الاربعين ، وقد حسبنا الزمن الذي يمكن ان تكون البشائر المباشرة الاولى للرسالة قد بدأت فيه فتبين انها تقابل سنة ٦٠٩ او ٦١٠ ميلادية ، ورمضان في هاتين السنتين يقابل سبتمبر او اكتوبر . وذلك حساب تقريبي . المهم لدينا ان شهر رمضان الذي نزل فيه الوحي على الرسول اول مرة جاء بعد انكسار الحر في اغسطس واوائل سبتمبر .

في هذه الظروف ، يمكن القول بأن هذه المنطقة كانت في ذلك الحين تضم اشجارا وتنبت حشائش وبعض الشجيرات التي تحتمل الحر . وفي ذلك الوقت ايضا كان لا بد ان تكون هناك زهور صحراوية هنا وهناك ، وربما يطلقون غنمهم في ذلك المرعى ، ويفيئون الى الظل حيث يكون هناك نبع ماء او بقية منه في الوهاد والاخاديد .

هذه الصورة تعيننا على تصور المشهد العام الذي كان يراه محمد صلى الله عليه وسلم في ذهابه الى حراء وعودته منه وفي تجوالاته وتاملاته في ذلك الخلاء الجميل .

التمهيدات الاولى : كلام الحجر والشجر

يذكر ابن اسحاق من رواياته ان « رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين اراده الله بكرامته وابتداه بالنبوة ، كان اذا خرج لحاجته ابعد حتى تحسر عنه البيوت ، ويفضي الى شعاب مكة وبطون اوديتها ، فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال : السلام عليك يارسول الله ، فيلتفت حوله عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى الا الشجر والحجارة ، فمكث صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله ان يمكث ، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء في شهر رمضان » .

والظاهرة التي امامنا هنا هي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الخلاء والفرد في شعاب مكة كان يسمع اصواتا صادرة من الشجر والحجارة تخاطبه وتحييه .

وقد ناقش نفر من الفقهاء وشراح السيرة موضوع هذه الاصوات التي كان يسمعها الرسول فيلتفت حوله فلا يرى الا الشجر والحجر ، فالسهيلي مثلا يستبعد ان تكون الاشجار والاحجار هي التي كانت تنطق بذلك ، ولم يستبعد كذلك ان تكون الاصوات صادرة عن ملائكة : « وقد يحتمل تسليم الحجارة ان يكون مضافا في الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الاماكن ويعمرونها ، فيكون مجازا من نحو قوله تعالى « واسال القرية » » .

وهذه الظاهرة غير واردة في الاحاديث ، وانما رواها ابن اسحق على جهة راو يسمى عبد الملك ابن جارية يوصف بأنه كان « واعية من اهل العلم » وقد دخلت بعد ذلك في مجموعة الظواهر والحوادث التي تسمى عادة بدلائل النبوة .

البداية : الرؤيا الصالحة

بعد ذلك ندخل في الخطوات الأولى كما يصفها حديث أم المؤمنين عائشة ، ويجعلها الحديث ثلاث خطوات تتجلى في النص كما يلي بعد ذكر سند الحديث . قالت السيدة عائشة :

أ ـ أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

ب ـ ثم حبب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد الليالي ذوات العدد ، قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها .

ج ـ حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ....

فأما عن الرؤيا الصالحة فلم يأتنا أحد من المفسرين والشراح بشيء يشفي الغلة . ومجمل كلامهم أنها تسمى كذلك الرؤيا الصادقة ، ويفسرونها بأنها الرؤيا التي تتحقق في اليقظة تحققا واضحا مثل فلق الصبح أي نور الصبح . ونفسر ذلك الكلام على قدر ما نستطيع فنقول ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى في نومه مثلا ان أحد أصحابه اقبل عليه وتحدث معه في أمر من الأمور ، فاذا أصبح من نومه وقع ذلك فعلا ، أو كان يرى مثلا أن قريبا له أو لخديجة مثلا أقبل من سفر بعيد على صورة غير منتظرة ، فلا تنقضي أيام حتى يقع ذلك وهكذا .

واذا جاز هذا التفسير كانت هذه الظاهرة هي انكشاف ستر الغيب أمام الرسول ، فكان يرى ما سيحدث قبل وقوعه ، وهذه ظاهرة صحيحة تؤيدها أبحاث علم النفس ، لأن النفس اذا صفت نتيجة للانفصال عن عالم الواقع الذي المطامعات والرياضات النفسية رأت الغيب المقبل قبل وقوعه . ويكون ذلك عادة في النوم وقبيل اليقظة .

وهناك تفسير آخر وهو أن تكون هذه الرؤى الصالحة مشاهد يراها في النوم تملأ قلبه أنسا وطمأنينة ، كأن يرى خضرة وماء وشجرا وزهرا وربما سمع صوتا جميلا تهفو اليه النفس وترق وترتاح . كأن يرى ذلك ويسمعه بوضوح تام كأنه نور الصباح .

وهذه الحالة النفسية : سواء أكانت انكشاف ستر الغيب أو رؤى مشاهد تسر النفس تسمح حب الرسول الخلوة والانفراد بنفسه حتى يستريح من ذلك وتستريح به نفسه ، ولهذا يقول الحديث « ثم حبب اليه الخلاء » ، فهو يمشي في شعاب الجبال وبطون الأودية ، ويطيل الانفراد بنفسه ، لأنه ينتقل رويدا رويدا الى عالم الوحي والرسالة .

وما يرد في الحديث عن خلوته بغار حراء بعد ذلك يعني أنه أحب الخلوة الكاملة في غار حراء ، ليظل في هذه الجبل هذا نهارا وليلا . فلا يقطعه عليه شيء أو انسان .

وقد كان الرسول قبل ذلك يخلو بنفسه في غار حراء كما قلنا ، ولكنه في هذه المرحلة كان مدفوعا الى ذلك ، لأن أوان الرسالة قد اقترب ، وكل ما مر الى الآن كان تمهيدا لها . ونفترض لهذا أن هذه الخلوة في الغار كانت من أوائل رمضان ، فكان يقضي عددا من الليالي ثم يعود الى بيته ليأخذ زادا لأيام أخرى ، ثم يعود الى حراء وهكذا .

ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم كان يحس أنه يقترب من أمر عظيم ، ولابد كذلك أن السيدة خديجة كانت تحس أيضا أن أمرا ما سيحدث لزوجها ، فقد كانت تعرف تماما كل ما مر به الى الآن ... ولكن أحدا منهما لم يكن يعرف ما هذا الذي سيحدث وهنالكت مفاجأة المشهد العظيم .

المشهد الحاسم الخالد :
اقرأ باسم ربك

يلي ذلك مشهد الوحي بأول آيات من القرآن ، ووصف المشهد في حديث السيدة عائشة مجمل يعرفه الناس بنصه وهو :

أ ـ « حتى جاءه الحق وهو في غار حراء » .

فجاءه الملك فقال : اقرأ

قال : ما أنا بقارئ

قال . فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني

فقال اقرأ

فقلت : ما أنا بقارئ

فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني

فقال : اقرأ

فقلت : ما أنا بقارئ

فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني

فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم

ب ـ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فقال : زملوني ، زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

ج ـ فقال لخديجة ـ واخبرها الخبر ـ لقد خشيت على نفسي .

فقالت : كلا ، والله ما يخزيك الله ابدا . انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

ففي الفقرة « أ » يبدو المشهد الخالد يحدث فجأة ، ومحمد صلى الله عليه وسلم في الغار . وعبارة « فجاءه الملك فقال » غير واضحة ، فان الرسول لم ير شيئا ، ولم يعرف ان كان الذي جاء ملكا ، ولا هو احس قبل ذلك بمجيئه ، وانما هو الصوت انطلق من السكون الشامل .

وفي تحقيق ابن حجر العسقلاني في المقدمة الفارية نقرأ نص حديث رواه مسلم مرفوعا الى عائشة ، وآخر رواه احمد عن ابن مسعود ، ملخصهما ان الرسول لم ير جبريل على صورته التي خلق عليها الا مرتين مرة عند سؤاله اياه ان يريه صورته التي خلق عليها ، والثانية عند المعراج .

وفي حديث آخر رواه الترمذي عن طريق مسروق عن عائشة ان المرتين اللتين رأى جبريل فيهما كانت الاولى عند سدرة المنتهى والاخرى عند اجياد . واجياد اسم مكان سنتحدث عنه بعد قليل .

المهم انه لم ير الملك ولم ير جبريل او اي شيء في هذه المرة الاولى

وفي خبر رواه ابن حجر ايضا ان جبريل بعد ان اقرأ الرسول « اقرأ باسم ربك » كما في المشهد السابق انصرف فبقي (محمد) مترددا ، فاتاه من امامه في صورته ، فرأى امرا عظيما .

ويفهم من هذا انه لم ير شيئا لحظة الاقراء الاولى فما معنى قوله اذن « فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني » وهو شيء يتكرر ثلاث مرات ؟

« والغط » كما يقول المفسرون هو حبس النفس . وفي عبارة اخرى : كأنه اراد : غمني وعصرني ، او اراد لمس وجه الخنق . ويفسره ابو داود الطيالسي : اخذ بحلقي . ويقال ايضا : غتني ، بمعنى الغتي وهذه التفاسير كلها لا تقنع ، فان الملك او صاحب الصوت لم يضم محمدا ولا هو مسه .

فلم يبق الا ان نقول انهذا كان احساس الرسول اول ما سمع الصوت : غشيه ضيق واحس انه يختنق او ان شيئا يضغط جسده ضغطا شديدا ، وبعد لحظة متركي عنه ، ثم عاد الصوت فعاد نفس الاحساس ، ثم مرة ثالثة . وبعد هذه الثالثة كان قد رايله الروع بعض الشيء ، فاسمعه الملك الايات الاولى من سورة « اقرأ » .

ـ ويحتمل وكما يقول ابو داود ـ انه بقي بعد ذلك مترددا لحظات ، ثم انتابه الخوف فنهض واسرع الى بيته .

والآن : متى حدث هذا ؟ في الصباح ام بعد الظهر ام في الليل ؟ لدينا ما يثبت ان المشهد وقع قرب ساعة الغروب .

فقد اورد النويري في نهاية الارب خبرا يقول ان السيدة خديجة قلقت على النبي لتأخره ، فارسلت رسلها في طلبه ، فذهبوا حتى بلغوا اعلى مكة ورجعوا اليها . ولم يلبث هو ان عاد .

وهذا لا يكون الا في آخر النهار ، عندما تنتظر الاسرة ربها ويتأخر عن موعد عودته .

وفي خبر منسوب اخر نقرأ ان الامر كله كان حلما : « جاءني وانا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال . « اقرأ ..... وهببت من نومي فكانما كتب في قلبي كتابا ... » .

والخبر على هذه الصورة غير معقول ، فهو يفترض اولا ان الرسول قام يقرأ ولهذا اتاه الملك بقطعة من الحرير كتبت عليها الايات الاولى من سورة اقرأ .

ويستبعد كذلك ان يكون المشهد قد حدث في جوف الليل ، لان الرسول اسرع بعد ذلك الى بيته ، ولا يصح هذا في وحشة الليل .

اما عبارة اقرأ فمعناها : ردد ورائي ، فان القراءة هنا معناها الالقاء او الترديد كما تقول : فلان يقرأ القرآن ، ولفظ القرآن بالذات معناه التلاوة والترديد .

وتروى عبارة النبي . ما انا قارىء ، بحذف الباء ومعناها : ما الذي اقرأ ؟ .

ب ـ في الفقرة الثانية نرى الرسول يعود الى بيته فزعا ويقول زملوني اي : غطوني بشيء او لفوني ، لانه كان يرتعد فزعا ، وربما صاحب ذلك

تصبب عرقاً ، وشيئاً فشيئاً ثابت اليه نفسه وهدأ روعه .

جـ - وبعد ذلك قص على السيدة خديجة الخبر وقال : لقد خشيت على نفسي .

والحق أن الرسول خشي أن يكون قد أصابه شيء من عمل السحر أو أصابته روح شريرة أو شيء من أذى الكهان . وكان صلى الله عليه وسلم لا ينفر من شيء قدر نفوره من منظر السحرة والكهان والمجانين .

ورد السيدة خديجة عليه يؤيد هذا المعنى ، فهي لم ترد مجرد استفاضة بهذا الكلام ، وانما كان المعروف أن الشياطين والأرواح الشريرة لا تصيب الا الانسان الشرير الخبيث، فالت له من المستحيل أن يصيبك شيء من هذا لأنك رجل فاضل كريم عطوف بار .

ثم عرف أن الذي حدثه ملك وأنها رسالة سماوية

ولله حكمة ذهاب السيدة خديجة الى ورقة بن نوفل .

وورقة وحديثه مع السيدة خديجة جديران منا بدراسة خاصة نكتفي هنا بالقول بأن خديجة عادت من ورقة بأن هذه بداية رسالة الهية .

وقد اطمأن محمد الى ذلك ، وانتظر استمرار هذا المشهد ولهذا عاد الى الخروج من مكة والتجول في البرية ، عسى أن يجيئه الصوت من جديد ، ولكنه لم ير شيئاً ، فحزن وبدأ يتشكك في كلام ورقة ، وعاد الخوف يساور نفسه .

وهذه هي حلقة « فترة الوحي » .

وطولها عند مؤرخينا يتراوح بين ثلاثة أيام وثلاث سنين ! .

والغالب الظن أنها لم تدم الا نحو الاسبوعين أو اقل .

وفي حديث للبخاري عن عائشة أيضاً : « وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كما يتردى من رؤوس الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال : يا محمد ، انك رسول الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع .. » حدث ذلك مراراً ، حتى بلغت الحيرة منه مداها وانتهت هذه الحيرة بمشهد يرويه ابن شهاب الزهري ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أنا أمشي اذ سمعت صوتاً من السماء ، فرفعت بصري ، فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملوني ، زملوني ! فأنزل الله : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر » .

فحمي الوحي وتتابع ، كما يقول الزهري .

وهذا المشهد حدث في أجياد وهو موضع صغير الى شمال مكة .

في هذا المشهد التقى الرسول بالملك للمرة الثانية . وعرف أنه ملك .

وفي خبر آخر يكمل هذا نقرأ أن الملك قال له : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل » .

وعندما نظر رأى الملك في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء وقد عرفه محمد صلى الله عليه وسلم بصوته . هذا نفس الصوت الذي أتاه أولاً في غار حراء ..

ومع ذلك فقد ملكه الروع فأسرع الى بيته .

وعندما ذهب عنه الروع أوحيت اليه الآيات الأولى من سورة المدثر . لم يبق عنده شك اذن في أن هذه رسالة سماوية . والقد صدقه ورقة فيما قال .

وواتته السيدة خديجة أيضاً ، فقالت له : ابشر يا ابن عم ، فوالذي نفس خديجة بيده اني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة .

يقول علماؤنا أن آيات « اقرأ باسم ربك .. » جعلت من محمد نبياً . والنبي هو الذي يوحي الله اليه كلاماً ولكنه لا يكلفه برسالة ، فهو أحد المختارين الذين يصطفيهم الله ويكرمهم بمرتبة النبوة .

أما « أيها المدثر » ففيها أمر بالانذار والتبليغ ، ولهذا فقد جعلت محمداً رسولاً الى البشر ، أي نبياً يحمل رسالة يبلغها الى الناس .

والرسالة مرتبة فوق النبوة .

ومن بين الرسل خمسة حملوا الى البشر رسالات كبرى هم نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وهم الخمسة العظام .

ونوح لم يحمل الى البشر كتاباً سماوياً ولكن رسالته كانت تجديد الخلق بعد الطوفان .

وحمل الاربعة الآخرون كتباً مقدسة هي « صحف ابراهيم ، وتوراة موسى ، وانجيل عيسى ، وقرآن محمد عليه صلوات الله .

حسين مؤنس



بقلم : الدكتور علي احمد علي

[illegible]
توجيه هذا السلوك ، [illegible]
[illegible]
تكون رأيا او مذهبا او مؤسسة من المؤسسات .

الاتجاهات محببة وغير محببة

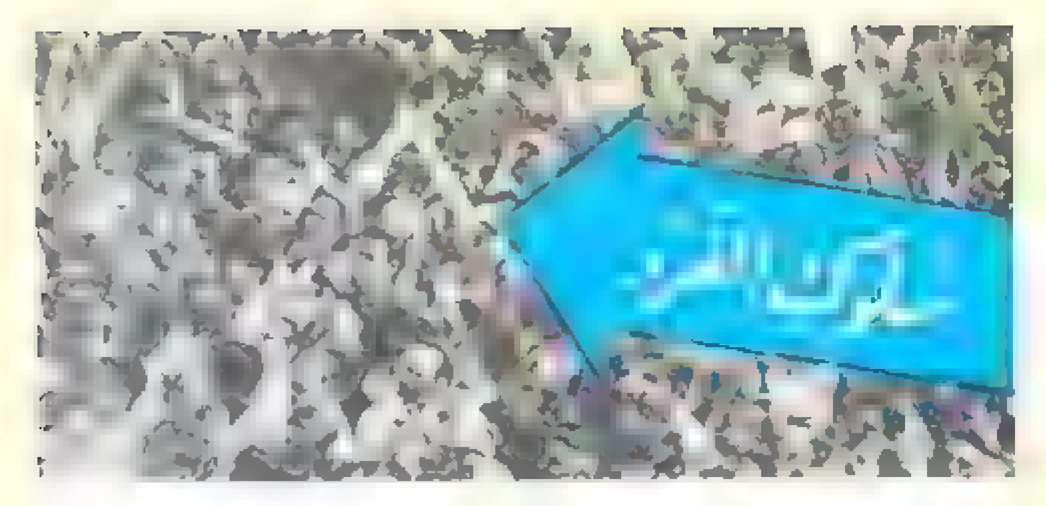
والاتجاه يعتبر انماطا مكتسبة ومتعلمة من الاستجابات الرمزية مرتبطة بالاشياء والاشخاص والمواقف . وعلى وجه العموم فان اتجاهاتنا قد تكون محببة Favourable او غير محببة Unfavourable ، وهي بذلك تعكس جوانبها الانفعالية والعاطفية القائمة . فالاتجاه الموجب يخلق انفعالا محببا وموجبا وسارا لدى الفرد ، والاتجاه السالب على العكس من الاتجاه الموجب يخلق انفعالا سالبا وغير محبب لدى الفرد . وهذه الاتجاهات ليست انفعالات بسيطة لانها لا تنشأ بعيدا عن العلاقة بالشخص او بالشيء . وعلى هذا قد يختلف الانفعال الذي يثيره الاتجاه الموجب حسب الظروف والمواقف . فمثلا بالنسبة للشخص الذي لديه اتجاه موجب نحو شخص آخر ، عادة ما يشمله انفعال السرور والفرح عند مقابلته او تعامله مع هذا الشخص الآخر ، ولكن هذا الانفعال قد يتحول الى انفعال حزن او غضب اذا اصاب هذا الشخص الآخر سوء او مكروه ، او الى انفعال خوف في حالة تعرضه لخطر معين .

فبالرغم من ان الانفعال الاصلي الذي يثيره الاتجاه الموجب هو انفعال محبب وموجب الا ان هذا الانفعال قد يتغير حسب الظروف والاحوال التي تحيط بالشخص المرتبط بالاتجاه .

ويمكن ان ننظر الى الاتجاه الموجب على ان له طبيعة دفع موجبة . فالشخص الذي لديه اتجاه موجب نحو شيء معين ، عادة ما يندفع نحو هذا الشيء ويقبل عليه ، في حين ان الشخص الذي لديه اتجاه سالب نحو هذا الشيء يندفع بعيدا عنه نافرا من التعامل معه بأية صورة من الصور .

الاتجاهات تنظيم معقد من الآراء والمعتقدات

والاتجاهات العادية للافراد هي تنظيم معقد من الآراء ([illegible]) والمعتقدات (Beliefs) المتعلقة بالنفس والناس والبيت والاسرة والقرية والعمل وغيرها . وعلى هذا فالفرد له آراء ومعتقدات بالنسبة لكل النواحي والاشياء والقضايا التي تصادفه في حياته . واذا كانت هذه الآراء والمعتقدات موجبة كان الاتجاه موجبا ،



والعكس يكون الاتجاه سالبا ، فمثلا اتجاه الفرد نحو العمل تحدده خبرات الفرد وآراؤه بالنسبة لهذا العمل . فالعمل له جوانب موجبة محببة الى الفرد ، وهذه الجوانب الموجبة تتمثل في اشباع العمل للفرد ماديا او اشباعه لحاجات الفرد النفسية والاجتماعية ، هذا بالاضافة الى ظروف العمل المناسبة . كل هذا يشكل اتجاها موجبا نحو العمل يظهر في شكل تمسك الموظف بعمله واقباله عليه ورضاه عنه وعدم الغياب عن العمل الا لظروف قاهرة . ووجود الاتجاه الموجب لا يعني انه ليس هناك بعض جوانب سالبة بالنسبة للعمل الذي يقوم به الفرد ، ولكن النتيجة النهائية هي غلبة النواحي الموجبة على السالبة وبالتالي سيادة اتجاه موجب نحو العمل الذي يقوم به الفرد . وقد يحدث ان تكون لدى الفرد اتجاه سالب نحو عمله ، ولكنه لا يترك هذا العمل خوفا من عدم تمكنه من الحصول على عمل آخر سيرضيه.

تصارع الاتجاهات الموجبة والسالبة

والاتجاه الموجب او السالب هو حصيلة نهائية للآراء والمعتقدات والخبرات التي تكون جانب منها سالب وجانب منها موجب ، وكثيرا ما تتصارع هذه الجوانب الموجبة والسالبة فتسبب للفرد ما يسمى بالصراع النفسي Conflict ، فالفرد مثلا لديه اتجاه موجب نحو الجماعة السياسية التي ينتمي اليها ، وهذا الاتجاه قد يكون نتيجة لمعتقدات الفرد وخبراته . ولكن الفرد قد لا يكون راضيا عن بعض تصرفات اعضاء الجماعة وزعمائها ، وهنا ينشأ الصراع بين الاتجاهين ، وكثيرا ما يسبب هذا الوضع للفرد الاحباط والتوتر والقلق .

امثلة من اتجاهات الفرد

والواقع اننا اذا اردنا اعطاء امثلة لاتجاهات الفرد سنجد انواعا كثيرة من الاتجاهات تختلف حسب الموضوع او الشيء الموجه الاتجاه نحوه ، ومن امثلة ذلك

- اتجاه الطالب نحو مدرسته او معهده العلمي .
- اتجاه الفرد نحو الجماعة السياسية التي ينتمي اليها .
- اتجاه المجتمع نحو المرأة .
- اتجاه العامل نحو الشركة التي يعمل فيها .
- اتجاه الفرد نحو طائفة او مذهب معين .
- اتجاه الفرد نحو الافراد الذين يختلفون عنه في اللون او الدين .
- اتجاه الفرد نحو مختلف المهن .
- اتجاه الفرد نحو سياسة معينة .
- اتجاه المستهلكين نحو سلعة معينة .
- اتجاه المستهلكين نحو شركة معينة .

ولا شك ان اتجاهات الافراد نحو غيرهم من الافراد والمواقف والاشياء السابقة قد تكون موجبة او سالبة ، وقد تكون الاتجاه محايدا لا هو موجب ولا هو سالب . وقد تختلف درجة الاتجاه من ناحية الشدة .

مما تقدم نلاحظ الآتي بالنسبة للاتجاه

١ ـ ان الاتجاه يشكل حصيلة لظروف وافكار وآراء وخبرات معينة تتعلق بالفرد ، والاتجاه يرتبط بالنواحي المعرفية والعقلية الى حد كبير لذلك سيحمه البعض الاتجاه العقلي ، ولو ان بعض الاتجاهات احيانا تكون غير منطقية .

١ ـ ان الاتجاه قد يكون موجها نحو فرد أو جماعة أو شيء مادي أو معنوي .

٢ ـ ان الاتجاه يتراوح بين الايجابية والسلبية ويختلف في درجته .

٤ ـ ان الاتجاه متعلم ومكتسب ويتكون نتيجة لظروف وعوامل معينة ستشرح تفصيلا فيما بعد .

وما دام الاتجاه مكتسبا ومتعلما فانه من الممكن تعديله وتغييره .

تكوين الاتجاهات

تسهم عوامل ونواح كثيرة في تكوين الاتجاهات Attitude Formation ومن هذه العوامل والنواحي ما يأتي :

١ ـ المجتمع والثقافة Culture التي تسوده تؤثر تأثيرا كبيرا على اتجاهات الافراد الذين يعيشون في هذا المجتمع . ففي مجتمع متدين يلعب الدين دورا كبيرا في حياة افراده ، هناك احتمال في ان يسود اتجاه موجب افراد هذا المجتمع يؤيد انفاق اموال كبيرة على بناء المساجد وتعميرها . كما ان هناك احتمال في ظهور اتجاه سالب ضد اي نشاط او سلوك يتنافى مع الدين والعقيدة السائدة .

وبالرغم من الأثر الكبير للمجتمع والثقافة التي تسوده في تكوين اتجاهات افراد هذا المجتمع ، الا اننا نجد احيانا بعض الافراد يتبنون اتجاهات تضاد وتعارض الاتجاهات السائدة في المجتمع . هذا وان كان الوضع الغالب هو ان يتبنى الفرد نفس الاتجاهات السائدة في مجتمعه او في الجماعة التي ينتمي اليها ، نظرا لما للمجتمع والجماعة من وسائل توقيع الضغط على افرادها حتى يخضعوا لمعاييرها وقيمها ويتبنوا نفس الاتجاهات السائدة فيها .

٢ ـ النماذج البشرية Models التي يتقمصها الفرد في حياته وتؤثر فيه تعمل على تكوين قدر كبير من اتجاهاته . فالطفل يتقمص شخصية والديه . ومن طريق هذا التقمص يمتص الكثير من قيم واتجاهات الوالدين . ويعتبر المعلم من الشخصيات الهامة التي عادة ما يتقمصها التلاميذ والطلاب في فترة دراستهم ، ولكنهم عادة ما يتقمصون شخصية معلمهم اذا كانت هذه الشخصية محببة الى نفوسهم . فتقمص شخصية المعلم يعتبر عنصرا هاما من عناصر تكوين الاتجاهات ، لان الافراد عن طريق تقمص شخصية المعلم يمتصون الكثير من القيم والاتجاهات واساليب السلوك . هذا بالاضافة الى ما للمعلم من اثر على اتجاهات الافراد الذين يقوم على تعليمهم ، وذلك عن طريق ما يزود به هؤلاء الافراد من معلومات وخبرات ومواقف تؤثر على اتجاهاتهم نحو العمل والقضايا الهامة والنواحي الاساسية في حياتهم .

ولكن ليس من الضروري دائما ان يتقمص الفرد شخصية النماذج البشرية الرئيسية التي يتعامل معها ويصادفها في حياته . فقد يكون الطفل كارها لأبيه ، لا يحب تصرفاته ، في هذه الحالة قد لاتحدث عملية التقمص ، بل ان الطفل نظرا لكراهيته لأبيه قد يتبنى اتجاهات مضادة لاتجاهات هذا الأب .

٣ ـ المواد الدراسية التي يدرسها الفرد في المعهد التعليمي تهدف ضمن ما تهدف الى تكوين اتجاهات معينة لدى الفرد ، فالعلوم Science تهدف اساسا الى تكوين اتجاهات علمية لدى الافراد لتمكنهم من التفكير الصحيح المنطقي غير المتحيز في كل ما يقابلهم في حياتهم من قضايا ومشكلات ومواقف . والمواد التجارية تهدف ضمن ما تهدف الى تزويد الطلاب ببعض الاتجاهات الموجبة كالدقة والنظام والامانة ، والمواد الاجتماعية تهدف الى بناء اتجاهات اجتماعية سليمة بين الطلاب نحو القضايا الاجتماعية الهامة كالتعصب ومقاومة التغيير وغير ذلك . وبالمثل فان تدريس الرياضيات يهدف الى تدريب الفرد على التفكير الدقيق والمنظم . وهكذا فكل مادة دراسية تهدف الى بناء اتجاهات جديدة او تغيير اتجاهات قائمة بجانب ما تهدف اليه هذه المادة من توصيل معلومات معينة للطلاب . ولن تحقق المادة الدراسية اهدافها ان لم تترك هذه المادة اثرها على طلابها في شكل تغير في اتجاهاتهم او اكسابهم اتجاهات جديدة .

٤ ـ المعلومات والخبرات تعمل على تكوين اتجاهات جديدة او تغيير اتجاهات قائمة . فقد يكون لدى الفرد اتجاه سالب بالنسبة لفرد آخر او شيء معين . ولكن بحصول الفرد على مزيد من المعلومات والحقائق عن هذا الفرد او هذا الشيء فان ذلك قد يؤدي الى تغيير وتعديل اتجاهات الفرد نحوه . فمثلا قد يكون لدى الفرد اتجاهات سالبة نحو الادخار ولكن بتزويد الفرد بمعلومات ذات قيمة عن الادخار وفائدته بالنسبة له وبالنسبة للوطن ، فقد يؤدي ذلك الى تعديل في

اتجاهاته . وقد لا يكون الفرد قد كون رأيا محددا أو فكر في موضوع الادخار من قبل ، ففي هذه الحالة قد تعمل هذه المعلومات على تكوين اتجاه موجب جديد لدى الفرد نحو الادخار .

وقد تعمل المواقف Situations عن طريق ما تزود به الفرد من خبرات على تكوين اتجاهات جديدة بالنسبة له . فالتاجر الذي ربح كثيرا وزاد عدد أصدقائه ، ثم تعرضت تجارته لنكسة تفقده أمواله وتفقده بالتالي أصدقائه الذين ظنهم أصدقاء أوفياء ، قد تؤدي هذه الخبرة غير السارة بالنسبة له الى تغير بعض اتجاهاته القائمة مثل اتجاهاته نحو الادخار واتجاهاته نحو الأصدقاء واتجاهاته نحو الناس عموما ، وقد تؤدي الخبرة السابقة الى تكوين اتجاهات جديدة موجبة نحو الادخار وضرورة تأمين الفرد لمستقبله .

والعامل الذي خدم أصحاب الأعمال بجد وإخلاص وأمانة ثم مرض ، فتخلى عنه صاحب العمل واستغنى عنه ، وقاسى نتيجة ذلك مرارة الفقر والحرمان ، مثل هذا الموقف كفيل بتكوين اتجاه سالب لدى العامل نحو أصحاب الأعمال .

٥ — المعايشة تؤدي الى اكتساب الفرد اتجاهات جديدة أو تعديل وتغيير اتجاهات قائمة ، فقد يؤدي فشل فرد في جماعة معينة الى تكوين اتجاهات موجبة أو سالبة نحو هذه الجماعة نتيجة لمعايشة الفرد لأفراد هذه الجماعة وحياته معهم .

التأثر بالاتجاهات السائدة

وعادة ما يكتسب الفرد الكثير من الاتجاهات عن طريق الاتصال بالاتجاهات السائدة . فالطفل الأبيض في الولايات المتحدة مثلا اذا ترك بمفرده ، لن يكون لديه اتجاه سالب نحو الطفل الأسود بل انه وُجد أن الأطفال الصغار البيض والسود يستمتعون باللعب سويا ، ولكن عندما يكبر هؤلاء الأطفال ويتصلون بالاتجاهات السائدة في المجتمع وفي الأسرة فانهم يكتسبون اتجاهات سالبة تظهر في شكل تعصب ضد السود وفي شكل تمييز عنصري . والطفل العربي منذ طفولته الباكرة ينشأ على كراهية الصهيونية وتسوده اتجاهات سالبة نحوهم ، نتيجة احتكاكه بالاتجاهات السائدة .

وهكذا الحال في كل مجال ومكان ، يكتسب الفرد الكثير من الاتجاهات عن طريق المعايشة . فالعامل قد يكتسب اتجاهات الاهمال واللامبالاة اذا كانت الاتجاهات التي تسود الجماعة هي الاهمال واللامبالاة .

ولا تعني المعايشة في كل الأحوال أن الفرد يكتسب الاتجاهات السائدة فقد يكون لدى الفرد رد فعل سالب نحو هذه الاتجاهات فالأبناء قد يكونون اتجاهات سالبة نحو ادمان المخدرات أو المشروبات الكحولية بالرغم من ادمان والديهم المخدرات أو الخمر ، وذلك نتيجة ما لمسوه من أثر مخرب لهذه المخدرات والمسكرات على الأفراد وعلى حياتهم ومستقبلهم ؟ .

٦ — بعض الاتجاهات تعتمد وتقوم على اتجاهات سابقة ، فالطالب الذي يحب الأرقام ويستمتع بالتعامل معها ، عادة ما يحب الحساب ويكون لديه اتجاه موجب نحو هذا العلم ، وكذلك قد يكتسب هذا الطالب اتجاها موجبا نحو بعض المهن التي تعتمد على الحساب كالعمل في البحرية أو في الهندسة . فالاتجاه الأصلي قد بني وقامت عليه اتجاهات جديدة .

وقد ينتقل الاتجاه نحو شيء معين الى اتجاه نحو شيء آخر . فالطالب الذي يحب معلم الرياضيات ولديه اتجاه موجب نحوه ، قد ينتقل هذا الاتجاه الى المادة التي يقوم المعلم على تدريسها . وبالعكس ، فقد يكتسب الطالب اتجاهات سالبة نحو المادة الدراسية ويكرهها لأنه يكره المعلم ولديه اتجاهات سالبة نحوه . ويظهر انتقال الاتجاهات في حالة العمال الذين لديهم اتجاهات سالبة نحو ادارة المنشأة التي يعملون بها ، فتنتقل هذه الاتجاهات في شكل اتجاهات سالبة نحو أعمالهم فيهملونها ويتكاسلون في أدائها .

٧ — الكتاب والأخصائيون يلعبون دورا هاما في تكوين اتجاهات الأفراد . فكثيرا ما يسهم الكتاب المشهورون في تكوين اتجاهات جديدة لدى الأفراد الذين يقرأون أعمالهم الأدبية ، وقد يسهمون أيضا في تعديل وتغيير ما هو قائم من اتجاهات لدى هؤلاء الأفراد . فقد يكتب الكاتب قصة محورها أم حرمت بالطلاق من رؤية ابنها ، ولا شك أن مهارة الكاتب في تصوير انفعالات الأم وشوقها لرؤية طفلها واشتغالها عليه قد يؤدي الى استثارة مشاعر القراء ضد قوانين الأحوال الشخصية فيطالبون بتغييرها وتعديلها . فهذه القصة وغيرها قد تسهم في تغير اتجاهات القراء أو خلق اتجاهات جديدة . وبالمثل فان فيلما جيدا أو تمثيلية جيدة

القصة حسنة الاخراج حول دور الصهيونية الغرب في فلسطين قد يساعد على تكوين اتجاهات ضد الصهيونية مؤيدة للحق العربي بين مشاهدين اجانب كانوا سلبيين او محايدين في موقفهم تجاه قضية فلسطين .

ويلعب الانبياء والفلاسفة واصحاب الرأى دورا هاما في تكوين اتجاهات جديدة لدى الناس او تغيير اتجاهات قائمة ، فمثلا استطاع الاسلام ودعاة الاسلام الاوائل ان يغيروا من اتجاهات العرب في الجاهلية نحو عدد كبير من القضايا والموضوعات مثل اتجاهاتهم نحو الخمر والميسر ، واتجاهاتهم نحو الطبقة الاجتماعية والافضلية فرد على آخر . فمثلا كانت قيمة الفرد في الجاهلية بجاهه وحسبه ونسبه . وكانت اتجاهات الافراد نحو الشخص الغنى موجبة دائما ، اما الشخص الفقير فقد كانت اتجاهاتهم نحوه سالبة الى حد كبير ، فجاء الاسلام وغير اتجاهات الناس نحو هذا الموضوع . والحديث النبوى الشريف التالي خير مثال لا شمل اتجاهات الناس من تغيير : « لا فضل لعربي على عجمي ولا لابيض على اسود الا بالتقوى » .

تغيير الاتجاهات

بما ان الاتجاهات مكتسبة ومتعلمة نتيجة للخبرة ، فهناك احتمال تغييرها ولو ان هذا التغيير يحتاج الى جهد موجه كبير . وتغيير الاتجاهات امر يهم رجال الاعمال ورجال الاعلان ، كما يهم اخصائيي العلاقات العامة والمشتغلين بالسياسة والعمل الوطني والدين وغيرهم ، وهم جميعا يعملون الى الابقاء على الاتجاهات الصالحة والتي تتمشى مع اهدافهم ، ويريدون في الوقت نفسه تغيير الاتجاهات غير المناسبة او غير الصالحة من وجهة نظرهم .

ويمكن تغيير اتجاهات الافراد عن طريق الآتي

١ ـ تزويد الافراد بالمعلومات عن موضوع الاتجاه Attitude Subject فالعمال الذين لديهم اتجاهات سالبة نحو ادخال الآلات الحديثة ، يمكن تغيير اتجاهاتهم عن طريق تزويدهم بمعلومات كافية عن هذه الآلات ، وما ستؤديه لهم من خدمات في المستقبل ، وعن طريق تزويدهم بالمعلومات التي تزيد من شعورهم بالامن وتزيل مخاوفهم التي كانت نتيجة احساسهم بان الآلات انما جاءت لتعرضهم للبطالة .

٢ ـ تعريض الفرد لبعض الخبرات المباشرة . فقد يكون لدى شخص ما اتجاه موجب نحو نوع معين من السجائر واتجاه سالب نحو بقية الانواع الاخرى . ولكن هذا الفرد اذا حدث وتعرض لخبرة مباشرة مع انواع السجائر الاخرى وتذوق هذه الانواع ، فقد يؤدي ذلك الى تغيير اتجاهاته نحوها فيقبل على تدخينها .

والشخص الذى كان لديه اتجاه سالب نحو الديمقراطية قد يصبح من اشد المتحمسين لها وقد يتغير اتجاهه نحوها اذا خبر الديمقراطية عمليا ولمس تطبيقاتها على الطبيعة ، وادرك المزايا العديدة التي تحققها للمواطنين .

٣ ـ تزويد الافراد بنماذج بشرية صالحة لكي يتقمصوا شخصيتها ويمتصوا منها الاتجاهات المرغوبة والقيم واساليب السلوك . فالموظفون الذين تسود بينهم اتجاهات التواكل والاهمال واللامبالاة في حاجة الى نماذج بشرية صالحة وقيادات مخلصة يؤدي وجودها بين صفوف هؤلاء الموظفين الى تغيير اتجاهاتهم واساليب سلوكهم في الوظيفة .

٤ ـ التعليم الرسمي Formal Education داخل الفصول الدراسية وغيرها قد يؤدي الى تعديل اتجاهات الافراد نحو اشياء وموضوعات معينة ، وذلك عن طريق توضيح الاتجاهات القائمة ومحاولة القاء الضوء على بعض جوانبها .

٥ ـ يمكن تغيير الاتجاهات وتعديلها عن طريق تخليص الافراد من بعض الاضطرابات النفسية والانفعالية التي يعانونها . فالفرد الذى صادف في حياته الكثير من المشكلات والاحباطات ، غالبا ما تسوده اتجاهات سالبة نحو مختلف الموضوعات والاشياء .

صعوبة تغيير بعض الاتجاهات

الاتجاهات التي يصعب تغييرها تلك الاتجاهات التي اكتسبها الفرد وظلت معه لسنوات طويلة ، وكذلك تلك الاتجاهات التي تتصل بمعتقدات الفرد وحاجاته ودوافعه الاساسية .

والاتجاهات التي تشبع بعض حاجات الفرد النفسية والاجتماعية لا يمكن تغييرها او تعديلها بسهولة الا اذا وجد الفرد بديلا لاشباع هذه الحاجات . ومن امثلة ذلك الاحداث الذين يسلكون سلوكا غير اجتماعي ويخرجون ضد قوانين المجتمع ونظمه ويتبنون اتجاهات سالبة ضد المجتمع ، لا ينجح في تغيير اتجاهات هؤلاء الاحداث نحو المجتمع

ونحو الناس – مجرد المحاضرات أو كلمات الوعظ والارشاد ، ولكن يمكن تغيير هذه الاتجاهات عن طريق اشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية بأساليب مشروعة والتي كانوا يشبعونها من قبل عن طريق الانحراف . فقد يرتكب احد الاحداث جريمة ما لكي يشبع حاجته الى المال والظهور وحاجته للأمن ، وبغير اشباع لحاجات هذا الحدث لا يمكن تغيير اتجاهاته نحو نفسه ونحو المجتمع .

من يهمه دراسة الإتجاهات ؟

هناك فئات كثيرة من المتخصصين في مختلف المجالات يهمها دراسة اتجاهات الناس والتعرف عليها ، والاحتفاظ بالاتجاهات المرغوب فيها وتغيير الاتجاهات السالبة وغير المرغوب فيها ، ومن بين فئات المتخصصين السابق ذكرها ما يأتي :

١ – المديرون : فالمديرون يهمهم أن يتعرفوا على اتجاهات العاملين نحو المنشأة التي يعملون فيها ، واذا كانت هذه الاتجاهات سالبة ، يجب على هؤلاء المديرين ان يتعرفوا سبب ودوافع ذلك ويعملوا على تغيير هذه الاتجاهات وتعديلها . عن طريق تغيير الظروف والاحوال التي تخلق مثل هذه الاتجاهات . كما يهم هؤلاء المديرون انيتعرفوا على اتجاهات الجمهور تجاه المنشأة وتجاه السلعة التي تنتجها أو الخدمة التي تبيعها المنشأة للجمهور ، وان يعملوا على تغيير أية اتجاهات سالبة .

٢ – رجال الاعلان : ويهم رجال الاعلان كثيرا التعرف على اتجاهات افراد الجمهور نحو السلع التي يعلنون عنها ، كما يهمهم معرفة اثر الاعلان على اتجاهات افراد الجمهور ، واثره في تكوين اتجاهات موجبة نحو السلعة ، تدفع افراد هذا الجمهور على شرائها واقتنائها .

٣ – رجال السياسة : لا يمكن لرجال السياسة ان يعيشوا في معزل عن الناس ، لذلك فمن المهم ان يحاول رجال السياسة دائما التعرف على اتجاهات الناسنحو ما يقومون به من اعمال وكذلك التعرف على اتجاهاتهم نحو برامجهم ونشاطهم السياسي . واذا ظهر ان هناك اتجاهات سالبة تسود هؤلاء الناس . فلا بد لرجال السياسة ان يتعرفوا دوافع ذلك وان يعملوا بالمناقشة والاقناع والشرح والتوضيح على تكوين اتجاهات موجبة بين الناس تؤيد وتدعم جهود رجال السياسة ووجهات نظرهم .

٤ – رجال الدين : ويهم رجال الدين أيضا التعرف على اتجاهات افراد الجمهور نحو بعض المسائل والقضايا المتصلة بشئون دينهم وآخرتهم .

٥ – المصلحون الاجتماعيون : ولن يتمكن المصلحون الاجتماعيون من تغيير اساليب الناس في التعامل وفي الحياة ، ولن يتمكن هؤلاء المصلحون من جعل الناس يتقبلون التغيير ما لم يقوموا اولا بدراسة الاتجاهات التي تسود هؤلاء الناس ، ويعملون على تنمية الاتجاهات الموجبة ، وتغيير الاتجاهات السالبة التي تؤثر تأثيرا سيئا على سلوك الناس وتفكيرهم واساليب سلوكهم .

٦ – المعلمون : الواقع انه لا خير في علم لا يهدف الى تغيير سلوك الأفراد الذين يتلقونه . وهذا التغيير في السلوك لن يمكن تحقيقه ما لم تتغير اتجاهات هؤلاء الافراد . ويهم المعلم كثيرا ان يعرف اثر المادة الدراسية التي يقدمها للطلاب على اتجاهاتهم . فالعلوم Science مثلا يجب ان يدرس قدر منها جميع الطلاب حتى هؤلاء الطلاب الذين لا ينوون التخصص في المجالات العلمية . لأن تدريس العلوم يهدف ضمن ما يهدف اليه الى تكوين اتجاهات علمية جديدة بين الطلاب . ومن هذه الاتجاهاتاتجاهات الدقة والامانة والموضوعية وعدم التحيز والاحتكام الى المعلومات والحقائق دون غيرها ، وهذه الاتجاهات عادة ما تسود المتخصصين المشتغلين بالعلوم ، لذلك فان المعلم يهمه أن يعرف اثر تدريس مادة دراسية معينة على اتجاهات المدرسين . وكما سبق ان ذكرنا فانه لا خير في مادة دراسية لا تعمل على تكوين اتجاهات جديدة موجبة بين الطلاب الذين يقومون على دراستها .

والمعلم الناجح هو صانع الاتجاهات بين طلابه ، ومن طريق هذه الاتجاهات الموجبة التي يعمل على تكوينها بينهم يستطيع ان يغير من سلوكهم العقلي والاجتماعي ، وان يغير من نظرتهم واتجاهاتهم نحو انفسهم ونحو الناس ونحو المجتمع عموما ونحو المستقبل الذي ينتظرهم،فالاتجاه الموجب المناسب يؤدي عادة الى سلوك مناسب مرغوب فيه . ■

علي احمد علي

مستوهب الدمع

« الى القصاص الذي عقه بنوه وزوجه بعد ان بلغ الثمانين »

مستوهبَ الدمعِ، هذا دمعيَ الجاري ... أذرفتُه طوفاناً من بين أشعاري

شكا إليّ فؤادٌ في ضلوعك، لم ... يبرحْ كعصفورةٍ في جوف إعصارِ

واهاً له ذلك المسكين، تعصرهُ ... عصراً أناملُ أحداثٍ وأقدارِ

آثرتني بشكاةٍ منك حانيةٍ ... صنتُها في صميم القلب كالنارِ

وصغتُها في نفثاتٍ مقطّعةٍ ... هذا صداها بنفسي شاعرٌ وارِ

مقاطعٍ تحملُ المأساةَ أحرفُها ... ولا تضيقُ بحزنٍ منك متوارِ

قولٌ إذا عزّ دمعُ العين يرفدهُ ... دمعٌ من القلب مدراراً بمدرارِ

شكوتَ بلبلَ إلا أنّ مسمعهُ ... قد صدّ عنك بأسدافٍ وأستارِ

وقلتَ للكوكب الساري فما سمعتْ ... يوماً بدائك أذنُ الكوكب الساري

وقلتَ للصبح إلا أنّ تنفّسهُ ... لاقت شجاك بإعراضٍ وإدبارِ

وضاع كلُّ نداءٍ كنتَ ترسلهُ ... في عاصفٍ من عتيّ الحزن جبّارِ

فجئتني تسألُ السلوى وتنشدُها ... وقد نبا بك مسمعُ الأهلِ والجارِ

عاشتْ وعشتَ على ودٍّ وخالصةٍ ... وكنتَ تبذلُ إيثاراً بإيثارِ

متّعتمين بدارٍ ملؤها رغدٌ ... من الحياة بريقُ العيش في الدارِ

فما النهارُ نهارُ الهائمين ولا ... يُرى بها الليلُ إلا ليلَ سمّارِ



كأنها وزهور الحب تملؤها ... تعيش في ناضر من خصب آذار

وتلتقي بها في الصبح رفرفة ... كأنهم في رباها سرب أطيار

حتى رماك الأسى وهي راصدة ... والدهر يبدي أطوارا بأطوار

فما وفت لك روح كنت تمنحها ... من الحنان رياضا ذات أثمار

حنانك في كل مذخور تضن به ... عذارة برقيق عبر عذار

لم تبق منك سوى أشلاء مدكر ... تغالب اليأس في عزم وإصرار

أن ينسوك فيا عار الذي صنعوا ... لما رموا بك رمي الكره الزاري

جازوا بحسناك سوءا لا انتهاء لها ... وقابلوا العرف والحسنى بإنكار

لهفي عليك تدللت الدهر مجتهدا ... فكنت أشقى جزاء من سنمار

يا كاتب القصص الحسنى ومبدعها ... هذي حكاية عذراء مختار

ثم احتلها عبرة للناس دامعة ... وانهل من نبع القول مختار

بعض النفوس ينتاب حتى تحررها ... لا تشعر الغير فيها أي إشعار

فارسم بنفسك حاميها ونادبها ... بمنطق مثل أفق الروض معطار

لئن يكن أمس قد ولى فعش لغد ... فقد تجيء غدا من غير أكدار

العوضي الوكيل



المؤرخون العرب : « [illegible]
المؤرخون العرب [illegible] أرخوا حوادثهم باليوم والشهر والسنة » .
المؤلفات التاريخية العربية [illegible] بمعنى
للمادة التاريخية » .
المؤلفات التاريخية العربية [illegible]

أصل كلمة تاريخ وبداية استعمال التاريخ عند العرب

قبل أن ادخل في صلب الموضوع اود أن أبين لقارئه الكريم بعض المصطلحات التي لا بد من ذكرها . فالتاريخ لغة « التعريف بالوقت » ، تقول أرخت الكتاب و « ورخته » أي بينت وقت كتابته(١) . وتاريخ الشيء : وقت حدوثه ، وعلم التاريخ : هو العلم الذي يتضمن ذكر الوقائع واوقاتها واسبابها . والمؤرخ هو كاتب التاريخ(٢).

وقد كان العرب في العصر الجاهلي يؤرخون حوادثهم بالقياس الى حادثة مهمة وقعت لديهم ، فكانت قبائل الحجاز والمناطق المجاورة له تؤرخ بايام حروبها المشهورة كحرب البسوس وغيرها. أما قبائل اليمن فكانت حمير تؤرخ « بالتابعة » وغسان « بالسد » أي سد مأرب ، واهل صنعاء بظهور الحبشة .

أما استعمال « التقويم » أي التاريخ الثابت عند العرب ، فقد بدأ في عهد الخليفة عمر ، وذلك على اثر استصحابه لكتاب مؤرخ ورد اليه من « يعلى بن أمية » عامله على اليمن ، وقد اتخذ المسلمون منذ ذلك الحين هجرة النبي (ص) الى المدينة بداية التاريخ الثابت لديهم ، واخذوا يؤرخون حوادثهم بالنسبة لها .

أما استعمال « كلمة التاريخ » عند العرب بمعنى « الكتب التاريخية » واستعمال « المؤرخ » بمعنى « التاريخ » فقد بدأ في القرن الثاني الهجري على ما يبدو .

التاريخ أهو علم أو أدب

كثر النقاش في العصر الحديث حول مسألة

(١) لسان العرب .
(٢) دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدي .



كون التاريخ « علما او ادبا » فالذى ادعى انه علم اعتمد في ذلك على مشابهه التاريخ للعلوم في طريقة « البحث والجمع والتصنيف والنظر » ، بالاضافه الى كونه ذا « غرض وموضوع » . والذى خالف هذا ادعى ان التاريخ لا يعتمد على التجارب العلميه والملاحظه البشره « كما هو الحال في العلوم الطبيعيه » ، كما انه لا يستفيد من الدليل العقلى المجرد « كما في الرياضيات » ، ولا يمكننا التنبؤ بحوادثه كما لا يمكن اسقاط النواحي الانسانيه منه

والواقع ان التاريخ مزيج من العلم والادب ، فكما ان العلم يشبع رغباتنا العقليه كذلك الادب يشبع رغباتنا العاطفية ، فهو علم في طريقة بحثه وغرضه وموضوعه ، وادب في طريقة عرضه وتدوينه له .

وقد وضعت تعاريف عديده للتاريخ على مر العصور فالاقدمون عرفوه بانه « معرفه البلاد والعادات والآثار الماضيه والحاضرة » . والمؤرخون العرب ومنهم « الكافيجي المتوفى سنه ٨٧٩ هـ » عرفه في كتابه « المختصر في علم التاريخ » بانه « العلم الذى يبحث عن الزمان واحواله وعن احوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته » اما « السخاوي المتوفى سنه ٩٠٢ هـ » فقد عرفه في كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » بانه « فن يبحث عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم » .

وعرفه المؤرخون الغربيون في العصور الوسطى بانه « دراسة تعاقب احداث الماضي الكبرى » .

اما بالنسبة للعصر الحديث فقد جعلوا التاريخ شبيه بالمعادلة الكيماوية ، عواملها المتفاعلة : الانسان + الزمان + المكان . وناتجها التاريخ .

وقد عرف التاريخ حديثا بانه « دراسة الماضي الحي » اى « دراسة وتدوين اعمال واقوال الانسان المهمه التى تركت اثرا في الوقت الذى حدثت فيه وامتد اثرها الى الاجيال المتعاقبة » .

علم التاريخ عند العرب واهتمامهم به

التاريخ كما نعلم ، هو من اهم ميادين المعرفة التى تهتم « بالقضايا الانسانية » . ومن اجل هذا اهتم به العرب ، ومارسوه والفوا فيه . والعرب « امة اشتهرت بالتاريخ » كما يقول المستشرق « مارغليوث » . وقد بلغ عدد المؤرخين العرب والالف الاول الهجري ما يقارب « الالف وثلاثمائة مؤرخ » حسب احصاء المستشرقين . وباعتقادى ان مثل هذا العدد الضخم ، ان دل على شيء فانما يدل على مدى اهتمام العرب بالتاريخ اما اسباب اهتمامهم به فيمكننا ايجازها بما يلى —

١ — عاطفتهم القديمة التى تهتم بالنسب والمفاخرات .

٢ — دعوة القرآن الكريم الى الاهتمام باحوال الامم واخبارهم .

٣ — رغبة الناس في التحلى بالاخلاق والسنن العليا التى كان عليها الرسول والمسلمون الاوائل .

٤ — رغبة الخلفاء والوزراء والامراء في تصفح اخبار الملوك والامراء الماضين للاطلاع على سياساتهم ومعاملاتهم للرعية .

٥ — ما في التاريخ من متعة واساس لسلامته وصحته .

العلوم التاريخية وتطورها عند العرب

لم يعرف العرب — في بداية الامر — التاريخ بمعناه الذى تطور اليه في القرن الرابع الهجرى بل عرفوا فنونا تاريخية معينة واصبحت مادته الرئيسية فيما بعد ، ومن اشهر هذه الفنون

١ ــ القصص التاريخية وايام العرب :

اول شيء عرفه العرب من فنون المعرفة التاريخية هو القصص التاريخية وايام العرب . والقصص التاريخية عبارة عن بعض المعلومات الشبيهة « بالاساطير » عن بعض العرب البائدة وبعض الامم المجاورة كالفرس والرومان والاحباش وغيرهم .

اما « ايام العرب » فمادتها تدور حول الحروب والوقائع القبلية التي وقعت بين العرب « كحرب البسوس وداحس والغبراء وذي قار وغيرها » . ويرتبط بها التعرف اشهر المحاربين العرب وصفاتهم وانسابهم . وان مما يميز القصص والايام هو استشهادهما بالشعر والاراجيز الحربية التي تعتبر سندا لمادة الرواية . اما الماخذ فهي كونها معلومات متفرقة يعوزها السبك والربط ، وينقصها التاريخ الثابت المعين ، اضافة الى انهما لا تخلوان من التعصب والتحيز لبعض القبائل فيها او اخلطا بتظاهر الاخبار احتفاظ كل قبيلة بمآثرها وامجادها .

واستمر تداول القصص والايام شفاها وخلال جلسات السمر حتى اواسط العصر الاموي . ويمكن اعتبار عبيد بن شرية الذي الف لمعاوية بن ابي سفيان كتاب « اخبار الماضين » من اشهر القصاصين العرب ويليه في هذا الباب وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ هـ .

٢ ــ المغازي والسيرة :

المغازي : وهي التي تبحث في الغزوات والحروب التي اشترك فيها الرسول واصحابه ، كما تبحث في مناقب الغزاة والمجاهدين .

اما (السيرة) فتبحث عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم واقواله وافعاله وكل ما قام به او عمله او اقر فيه . والسبب في اهتمام العرب بهما هو نص القرآن الكريم على ان اقوال الرسول « موحى » بها . وان سيرته مثل للمسلمين يقتدون به ويعتمدون عليه في التشريع والتنظيم الاداري وشؤون الحياة الاخرى ، بالاضافة الى ان المشاركة في المغازي تعتبر عاملا في رفع المنزلة الاجتماعية وزيادة العطاء .

ومن مميزاتهما انهما تشبهان « علم الحديث » في الاعتماد والاهتمام بالاسناد ، اضافة الى ان مادتهما اكثر تماسكا وانسجاما وتسلسلا زمنيا واضحا .

وقد توسعت فيما بعد دراسة المغازي فاصبحت تشمل الوقائع والحروب التي خاضها العرب ــ بعد وفاة الرسول ــ ضد غيرهم من الامم الاخرى في سبيل نشر الاسلام ، ويلاحظ ذلك في الكتابات التي بحثت عن « القادسية واليرموك ونهاوند وذات الصواري الخ » . كما انها شملت الوقائع والحروب الاهلية التي نشبت بين العرب « كالجمل ــ وصفين ــ والنهروان ــ والحرة .. الخ » .

اما فيما يخص « دراسة السيرة » فقد تطورت الى دراسة « التراجم وتراجم الرجال والطبقات » .

ويمكننا اعتبار « ابان بن عثمان المتوفى سنة ١٠٥ هـ » اول من الف في المغازي وان لم يكن له منهج معين . وقد تطورت هذه الدراسة واصبحت ذات منهج معين على يد « محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ » .

اما اشهر من الف في السيرة « فابن اسحاق المتوفى سنة ١٥٢ هـ » واما الوقائع والحروب الاهلية فاشهر من الف فيها « ابو مخنف لوط بن يحيى الازدي المتوفى سنة ١٥٧ هـ » و« نصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢١٢ هـ » و « المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ » .

٣ ــ الانساب :

لقد اهتم العرب في العصر الجاهلي بالاحتفاظ بشجرات انسابهم والافتخار بها لاعتبارات اجتماعية . ولما جاء الاسلام بمبدأ « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » خبا هذا الحماس لفترة محدودة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين . ثم اخذ في الظهور في « العصر الاموي » لاعتبارات سياسية .

ويمكننا اجمال الاسباب التي دعت المؤرخين العرب الى التاليف والاهتمام بهذا الفن فيما يلي :

١ ــ ان معظم الخلفاء الامويين وقسما من العباسيين شجعوا على التاليف في هذا الفن للتفاخر باحسابهم وانسابهم ولاعتبارات سياسية .

٢ ــ انتشار العرب في ارجاء الامبراطورية

المترامية الاطراف ويُعَدُّ بعض احفاظ القبائل عن بعضها الاخر وكذا الحاجة الماسة لتدوين شجرات الانساب خوفاً عليها من الضياع ، وخوفاً على انفسهم من التفكك والانقسام .

وقد اهتم علماء النسب بمعرفة انساب العرب في بداية الامر ، ثم انساب الناس بصورة عامة ، واخيراً تطور الامر واصبحت الدراسات تشمل معرفة انساب الحيوانات « كالخيل والحمام والابل وغير ذلك » .

والجدير بالملاحظة ان التدوين في الانساب جاء متأخراً وذلك لان الباحثين كانوا يحفظون معلوماتهم عن ظهر قلب . والثابت انهم ابتدأوا بتدوين نسب الرسول الكريم والبيت الهاشمي ، ثم تدوين نسب قريش ، واخيراً شجرات النسب الكبرى للقبائل العربية .

ويمكننا اعتبار « محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هـ » اشهر من كتب عن الانساب ، اما ابنه هشام بن محمد الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦ هـ فيعد في الطبقة الاولى من علماء النسب ، وقد طور الدراسات التي توصل اليها ابوه في كتابه « جمهرة النسب » . ومن المساهمين في هذا الباب « مصعب الزبيري المتوفى سنة ٢٣٦ هـ » في كتابه « نسب قريش » . واخيراً « احمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ » الذي طور دراسات النسب في كتابه « انساب الاشراف » .

٤ ـ التراجم وتراجم الرجال .

لقد استنبطت الترجمة من السيرة كما قلنا ، وهي عبارة عن تصنيف للاشخاص الذين كان لهم نصيب في الحوادث الجارية . وكانت بداية التأليف عند المؤرخين العرب في هذا الباب بصفة عامة ، ولم يكن هناك تصنيف معين ، فتجد الكتابات الاولى تتضمن تراجم رجال الخلفاء والقراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء .

واخيراً تطور هذا التصنيف واصبح يعتمد على اسس معينة ، كأن يكون على اساس جغرافي او طبقي « كطبقات ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ » وطبقات الحفاظ للذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ، او على صنف معين « كالشعراء والمغنين » كما في الاغاني لابي الفرج الاصفهاني المتوفى سنة ٣٦١ هـ او قد يكون هجائي الترتيب اوله الالف واخره الياء كما في « معجم الادباء » لياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ .

ويعد « ادب التراجم » من اخص الفنون التاريخية لدى العرب في نشوءه وغزارته . اما اسباب ذلك فيمكننا ان نرجعها الى رغبة الناس في التعرف على الحياة العامة والخاصة لرواة الحديث والسنة النبوية للتأكد من صحة الرواية . ثم ان نشوء الفرق الاسلامية فيما بعد والذي كان سببه الاختلاف بين الصحابة او التابعين في الرأي « حول المسائل الدينية » ولد الحاجة الماسة للبحث عن حياة هؤلاء والتعرف على فضائلهم او عيوبهم . واخيراً الهدف الانساني الذي يرمي الى تخليد ذكرى « المفكرين العرب » الذين ساهموا في ارساء قواعد الحضارة العربية في العصور الوسطى .

٥ ـ الاخبار والحوليات .

وقد تطورت القصص التاريخية وايام العرب الى « تاريخ الجند » والذي هو عبارة عن وصف شامل لحادثة تاريخية معينة . ويشابه تاريخ الخبر الفنون السابقة في استشهاده بالشعر وفي عدم ترابط مواده ويختلف عنهما بوجود التاريخ الثابت المعين .

اما « التاريخ الحولي » فهو تطور لتاريخ الخبر ، وهو عبارة عن سرد مرتب تاريخياً للوقائع والحوادث ، ومما يميزه عن الخبر « وجود فكرة الاستمرار والتي تعتبر جوهر هذا التاريخ » .

ويمكننا اعتبار التاريخ الحولي الصورة الاولى التي تطور اليها « علم التاريخ العام » عند العرب فيما بعد .

واشهر من صنف في الاخبار « الهيثم بن عدي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ » و « الزبير بن بكار المتوفى سنة ٢٥٦ هـ » . اما اشهر المصنفات في التاريخ الحولي فهما « الامامة والسياسة » المنسوب لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ و « الاخبار الطوال » لابي حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢ هـ .

٦ ـ التاريخ العام وتطوره عند العرب :

تكلمنا فيما سبق عن الفنون التاريخية التي

سبقت ظهور « التاريخ العام » والتي اصبحت بمثابة الروافد المغذية له فيما بعد . وسنتكلم فيما يلي عن التاريخ العام . فالتاريخ العام عند العرب « هو الجامع لاخبار الامم في العصور المختلفة » ومما يميزه عن غيره من الفنون التاريخية هو أن مادته اكثر ترابطا وانسجاما وتماسكا من غيرها ، بالاضافة الى وجود ظاهرة الاستمرار التي تعتبر جوهر التاريخ .

ومن الثابت أن الدراسات والمؤلفات التاريخية المتعلقة بالمعنى التاريخ العام ، اي التي ظهرت في حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ، وقد امتازت هذه الدراسات والمصنفات بما يلي :

١ – أنها هدفت الى ابراز « فكرة الامة » بدلا من الاتجاه الاقليمي ، كما سادت فيها النظرة الاسلامية العامة .

٢ – أنها مزجت بين اساليب المدرستين التاريخيتين « مدرستي المدينة والكوفة والبصرة » في كتاباتها .

٣ – امتازت باسلوب النقد والتحري ومناقشة الرواية والرواة قبل تدوينها .

٤ – سيادة الاتجاه « العالمي » في دراساتها ، اذ انها اهتمت لجمع المعلومات التاريخية عن مختلف الامم الغابرة والمعاصرة كالفرس والرومان والهنود والاحباش واليونانيين والصينيين وغيرهم .

٥ – انها مزجت بين مختلف مواد الفنون التاريخية التي ذكرناها بالاضافة الى احتوائها على شيء من (الفلك) كما في تاريخ اليعقوبي ، وشيء من (الجغرافية) كما في مروج الذهب للمسعودي ، وعلى ذكر الامثال الشعبية والفلسفة وعلى معظم المعارف السياسية والاجتماعية (كما في الفخري لابن الطقطقي) واخيرا على مصادر مادية ملموسة من دراسات الآثار او نقوش قديمة كما هو في « تاريخ ابن خلدون » .

٦ – واخيرا ظاهرة « الرحلة في طلب العلم » من استقصاء الحقائق وجمع الروايات من مصادرها الاصلية . ويمكن للباحث أن يلاحظ وجود هذه الميزات في مؤلفات « البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ » وفي « التاريخ اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ » وفي « تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ » واخيرا في « تاريخ ابن خلدون المتوفى سنة ١٤٠٦ م » .

المدارس التاريخية عند العرب

للبيئة التي يسكنها الفرد تأثير كبير على تفكيره . ويمكننا تطبيق هذا المبدأ على المؤرخين العرب الذين سكنوا بيئات مختلفة ، فمنهم من سكن المدينة ، ومنهم من سكن الكوفة او دمشق او البصرة واخيرا بغداد التي اصبحت عاصمة الامبراطورية الاسلامية في منتصف القرن الثاني الهجري . وبناء على ذلك اختلفت دراسات ومؤلفات المؤرخين العرب تبعا للمنطقة التي عاشوا فيها ، وتبعا « للاتجاه الاجتماعي » السائد في تلك المنطقة . ويمكن للباحث في التاريخ أن يلاحظ أن هذا الاختلاف لم يقتصر على الدراسات التاريخية فقط ، بل سبقته في ذلك الدراسات القرآنية والحديث والفقه واللغة ، كما يمكنه أن يلاحظ أن هناك ثلاث (مدارس) في الدراسات التاريخية ، وهي مدرسة المدينة ومدرسة الكوفة والبصرة واخيرا مدرسة بغداد .

ولكي نتعرف على خصائص مدرستي المدينة والكوفة والبصرة ، نعقد مقارنة بينهما ونوجزها فيما يلي :

١ – كان الاتجاه الاسلامي هو الغالب على دراسات وكتابات مدرسة المدينة ، بينما غلب الاتجاه القبلي المحلي على المدرسة الاخرى .

٢ – اهتمت مدرسة المدينة بسلاسل الاسناد والاسناد الجمعي في الرواية ، اما المدرسة الاخرى فقد اهتمت بالمتن اي النص .

٣ – الاستشهاد بالشعر والاراجيز الشعرية ظاهرة ملازمة لمدرسة الكوفة والبصرة ، اما مدرسة المدينة فقد قللت من ذلك .

٤ – تثبيت وتأكيد تاريخ الحوادث ميزة اساسية في كتابات مدرسة المدينة ، بينما لا نجد هذا في المدرسة الثانية الا في الوقائع والحروب .

٥ – واخيرا اهتمام مدرسة المدينة بالمواضيع الدينية ، كالمغازي والسيرة والتراجم ، اما المدرسة الاخرى فقد اهتمت بالقضايا العصبية ،

كالقصص التاريخية ، وايام العرب ، والانساب ، والاخبار والحروب والوقائع .

واشهر من يمثل مدرسة المدينة عروة بن الزبير المتوفى ٩٢ هـ وابان بن عثمان المتوفى ١٠٥هـ وابن شهاب الزهري المتوفى ١٢٤ هـ وابن اسحاق المتوفى ١٥٢ هـ ومن المتأخرين محمد بن عمر الواقدي المتوفى ٢٠٧ هـ .

واشهر من يمثل المدرسة الثانية عبيد بن شريه ووهب بن منبه المتوفى ١١٠ هـ ، وابو مخنف المتوفى ١٥٧ هـ والهيثم بن عدي المتوفى ٢٠٧ هـ اما مدرسة بغداد فيمكن للباحث ان يلاحظ ان الطابع « العالمي » هو السائد على دراساتها في نهاية القرن الثالث الهجري ، وذلك على اثر الازدهار الحضاري الذي رافق مختلف شؤون الحياة لدى العرب .

والذي اود ان الفت الانتباه اليه هو ان هذه الميزات ليست حدية وفاصلة تماما بين المدارس المذكورة .

تدوين التاريخ عند العرب

لقد امتاز العرب عن غيرهم بكثرة الحفظ وقوة الذاكرة ، ولهذا فانهم « قبل عصر التدوين » كانوا يتناقلون المعلومات التاريخية مشافهة . واذا استثنينا النقوش التاريخية التي عثر عليها المنقبون اخيرا في جنوب الجزيرة العربية ، واستثنينا السجلات التي وجدت في (كنائس الحيرة) والتي تشيد بمآثر ملوك المناذرة العرب . فان تدوين الفنون التاريخية جاء متأخرا عند العرب . وقد اختلفت الآراء في تحديد تاريخ ابتداء التدوين عند العرب ، ولكن نهاية القرن الاول الهجري هي الاقرب للواقع . اما اسباب هذا التأخير فيمكننا ايجازها فيما يلي :

١ ـ خوف المسلمين من اختلاط « نصوص القرآن الكريم » واحاديث الرسول بالمواد التاريخية . لا سيما ان قسما من نصوصهما مواد تاريخية ، وخاصة قصص الانبياء والمرسلين .

٢ ـ اشتهار العرب كما قلت بكثرة الحفظ وقوة الذاكرة حتى انهم كانوا يتفاخرون فيما بينهم بقوة ذاكرتهم ، وقد روي ان كتب الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ بلغت ستمائة قمطر ، ومع هذا كان يقول : ما من احد حفظه اكثر من كتبه مني . كما روي ان محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٣٦ هـ تعرض لنقد فظيع وهجاء مُر على اثر سؤال وُجّه اليه استخرج جوابه من الكتب الموجودة بمكتبته.

٣ ـ خوفهم من الوضع والانتحال والتزوير والتحريف .

٤ ـ ان نظام (الاجازة) في الرواية اخر كثيرا من عملية التدوين ، وذلك لان الدراسات الاولى كانت تعتمد على مفهوم « الاجازة » الذي بموجبه يمكن للتلميذ ان يروي عن استاذه . وليس بخاف على احد ما في الاجازة من اهمية وفائدة ومنزلة محترمة للاستاذ « الراوية » الذي يلقن معلوماته شفاها ، وليس بخاف ايضا انه متى ما دونت هذه المعلومات استطاع التلاميذ قراءتها « في اي مكان وزمان » وبهذا ستضيع قيمة واهمية وفائدة الاستاذ الراوي . وبالمناسبة فاني من خلال دراستي في هذا الموضوع وجدت ان المستشرق الكبير « مرجليوث » يذكر « سببا طريفا » في سياق حديثه عن اسباب تأخير تدوين التاريخ عند العرب في كتابه «المؤرخون العرب» ص ٦٤ ، الا وهو « قلة الكتاب العرب وعدم وجودهم اطلاقا » ويحدد قوله هذا في زمن عبد الملك بن مروان بالذات .

ولست ادري ما هي « الدوافع » التي دفعت مثل هذا الاستاذ الضليع في الشؤون التاريخية الى مثل هذا القول !! ولست ادري هل غاب عن المستشرق الكبير وهو الدارس والمدرس والمؤلف في تاريخ العرب قصة طلب الرسول من كل اسير من اسارى بدر تعليم ما لا يقل عن عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة مقابل اطلاق سراحه !! . ام هل غابت عنه احاديث الرسول الكريم في الحث على التعلم وطلب العلم !!؟ ام انه لم يطلع على الاحاديث المروية في صحيح البخاري مثلا والتي تبين مدى اهتمام الرسول بطلب العلم وحثه لاصحابه بان يتعلموا اللغات الاخرى كالسريانية والعبرية للرد على اصحابها !! وليقل

لنا الاستاذ الكبير بأي لغة وبأي خط دونت المصاحف العثمانية التي رفعها جيش الشام في واقعة صفين . وإذا اتفقنا معه بأن العرب قوم (اميون) عند ظهور الاسلام ـ علما بأن مصادرنا التاريخية تؤكد « ان اهل الحجاز تعلموا الكتابة من اهل الحيرة وهؤلاء تعلموها من الحميريين » ـ فهل يعقل ان يبقى هؤلاء الذين كونوا اعظم امبراطورية في التاريخ اميين لمدة قرن كامل ، مع العلم بأنهم اختلطوا بأقوام تعرف القراءة والكتابة.

واخيرا لا اريد ان اقول ان المستشرق الكبير ناقض نفسه (في نفس كتابه المذكور ص ٥٥) عندما استشهد بالرواية القائلة ان عبد الملك بن مروان امر بإحراق بعض المغازي « المعروفة » والتي وجدها في يد احد ابنائه !!

على اي حال انحصر الحظر على تدوين الفنون التاريخية « الا ما ندر » للاسباب التي ذكرناها آنفا ، حتى نهاية القرن الاول الهجري ، وعلى اثر انتشار الحركة الثقافية في اواخر العصر الاموي واختلاط العرب بغيرهم من الامم الاخرى المتحضرة ، ولشعورهم بأن لهم دورا عظيما في التاريخ يجب ان يدونوا مآثره للاجيال القادمة ونتيجة لكل ما ذكرناه بدأ عصر التدوين في مختلف فنون المعرفة ، ومنها الفنون التاريخية .

اشهر المواضيع التي صنف فيها المؤرخون العرب

من المعروف ان المؤرخين العرب فاقوا غيرهم بكثرة ما الفوا وتنوع ما صنفوا ، كما يشهد بذلك المستشرقون ، ولا يسعني وانا في هذه العجالة ان اكتب عن كل المواضيع التي صنف فيها العرب ، وذلك لانها تحتاج الى مجلدات ، ومع هذا فاني سأذكر اشهر المواضيع التي صنفوا فيها وهي قياس من فيض ، فقد صنفوا : ـ

« في القصص التاريخية ، أيام العرب ، المغازي ، السير ، النسب ، التراجم الشخصية ، الرجال ، الطبقات ، الوقائع والحروب الاهلية والخارجية ، الاخبار ، التاريخ العام، تواريخ البلدان ، تواريخ المدن ، السياسة والآداب ، الوزراء والولاة والامراء ، الادارة والمالية ، والعهود والنظام ، الفرق الدينية واخيرا في فلسفة التاريخ » .

ميزات علم التاريخ والمؤرخين والمؤلفات التاريخية العربية

من الثابت ان علم التاريخ عند العرب اصيل في مختلف فنونه ، ولم يكن مستقى من مصادر اجنبية كما هي الحال في الطب والفلسفة والرياضيات والمؤرخون العرب الشخصيون قادتهم افكارهم لكتابة التاريخ ، كما انهم وحتى قرون متأخرة لم يكونوا مؤرخين مختصين في المؤلفات ، وقد امتازوا بالحياد والاتزان التام في مؤلفاتهم وبكفايتهم فضلا ان تشهد بحقهم الاجانب ، فهذا هو المستشرق العلامة « بارتولد » يقول في حقهم « ان مؤرخي العرب اخصب من مؤرخي اليونان علما وتجربة ».

اما الدراسات والمؤلفات التاريخية فقد امتازت من غيرها « بتوريخ » وقوع الحوادث باليوم والشهر والسنة ، سابقة بذلك الدراسات الاوربية التي لم تعرف ذلك حتى القرن السادس عشر الميلادي . كما وانها امتازت عن غيرها بظاهرة الاسناد « الذي يهدف الى تأكيد صحة وقوع الحوادث ، كما امتازت بالاستشهاد (بالشعر) وهذه ظاهرة مألوفة لدى العرب لا نجدها في مؤلفات غيرهم حتى الوقت الحاضر مؤكدين بذلك الرواية القائلة « الشعر ديوان العرب » .

واخيرا فان المؤلفات التاريخية العربية لا تعدلها مؤلفات اي امة في التنوع والكثرة ، حتى ان المستشرق (روزنتال) قال عن كتاباتهم « ان التاريخ العربي فاق بالتأكيد ما وصلته الكتابات التاريخية السابقة في الفهم الاجتماعي للتاريخ او التنظيم العلمي للمادة التاريخية » .

وختاما فاني استميح القارىء الكريم العذر ، اذ ربما لم استطع الالمام بكل عناصر الموضوع في مثل هذا المقال وبهذه السرعة ، واسأل الله التوفيق .

عبد الصاحب جعفر جمال الدين

٨ أسئلة.. و١٠٠ دينار جوائز

■ مسابقة هذا العدد تتكون من ٨ أسئلة تتناول كافة مجالات المعرفة . والمطلوب منك الاجابة اجابة صحيحة على ٧ أسئلة فقط لكي تستطيع الفوز باحدى جوائز هذه المسابقة ، وهذه هي الأسئلة :

١ – لغة السيد المسيح ، وكانت احدى اللغات السامية مثل العربية والعبرانية ، من اهم آثارها الأدبية نبوءة دانيال .. تفرعت هذه اللغة الى لهجات منها السريانية الطقسية المستعملة عند الموارنة والسريان والكلدان ، ومنها لهجة بعض قرى جبل قلمون في سوريا ، ومنها لهجة النساطرة الكلدانيين والآشوريين في شمال العراق .. فماذا كانت هذه اللغة ؟!

٢ – هذان البيتان من قصيدة لشاعر عربي شهير عرف باسم شاعر النيل :

سعيت الى ان كدت انتعل الدما
وعدت وما اعقبت الا التندما
لحى الله عهد القاسطين الذي به
تهدم من بنياننا ما تهدما

هذا الشاعر هو

احمد شوقي – حافظ ابراهيم – علي الجارم .

٣ – الصلب الذي لا يصدأ تتم باضافة مادة الى الصلب العادي هذه المادة هي

الكروم – الكربون – الفضة

٤ – جبل طارق مضيق بين اوربا وافريقيا يوصل البحر المتوسط بالمحيط الاطلسي عرضه ١٥ كيلو مترا وعمقه ٤٠٠ مترا . عبرته الجيوش العربية في غزواتها لاسبانيا واوربا ، وسمي بهذا الاسم نسبة الى القائد العربي طارق بن زياد .

هذا الجبل التاريخي يملكه الآن .

المغرب – اسبانيا – بريطانيا .

٥ – الحشرات رتبة من رتب الحشر Order ، وهذه الرتبة تضم فصائل عديدة وعدد الفصائل فيها اجناس Genus وانواع عديدة Species فهل تعرف كم نوع يوجد من الحشرات

نحو ٢٥ الف – مليون – ١٠٠ الف .

٦ – ميسلون موقعة حربية خاضها ثوار عرب ابان الثورة العربية الكبرى على الدولة المستعمرة، وقاد هذه الموقعة ملك عربي نصب ملكا على سوريا لفترة من الزمن ثم نصب ملكا على العراق اذكر اسم هذا الملك العربي ؟!

٧ – يقول البحاث ان الحيوان ذا الجرم الاضخم يعيش اكثر من الحيوان ذي الجرم الاصغر ، وهذا صحيح الى حد ما ، فهل لك ان تذكر أيا من هذه الحيوانات يعيش في العادة عمرا اطول من الاخرى ؟

الجمل – الحصان – الفيل الافريقي – السلحفاة .

٨ – للذبابة أعين كثيرة ولكنها ضعيفة الابصار ، ومن اجل ذلك تعتمد الذبابة اكبر الاعتماد على قوة شمها . فهل تعرف كم عينا توجد في الذبابة ؟

عشرة عيون – خمسة عيون – ثلاثة عيون

شروط المسابقة

١ – أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك في مظروف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي

مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٤ »

٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي

الجائزة الأولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠ دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .





بقلم الدكتور أحمد زكى

■ عندما تحدثنا عن الإنزيمات (أو الخمائر) قلنا إنها مركبات كيماوية تصنعها الخلايا فى الأجسام الحية، لتساعد العمليات الكيماوية الآلاف التى ... دون أن تدخل هى فى تفاعلاتها ...

... ونوع آخر من الإنزيمات، كالتى تفرزها خلايا الغدة المعروفة بالبنكرياس، فيما تفرز، وهذه الإنزيمات تخرج ... الغدة عن طريق قناة تعرف ... البنكرياس لتصب فى المعى الاثنى عشرى ...

غدد لها قنوات

...

الهرمونات كالمايسترو في الموسيقى، ينسق بين
أنغام رجاله، حتى لا يكون فيها نشاز.

الهرمونات في الأجسام، كالرجال في المصانع،
يمهدون للأعمال لتبدأ، ويوقتون لها متى تبدأ.

والهرمونات كرجال البريد، يذوذون في أرجاء الجسم
في الدم، يحملون أخبار العضو القريب إلى العضو البعيد
ليستجيب هذا لذاك لما بينهما من روابط.

غدد لا أبواب لها

عمل الهرمونات

البنكرياس انزيماته . هذا هو الوقت المناسب لوصول الانزيمات .

ولكن من يدل البنكرياس على ان الطعام وصل ؟

انه الهرمون .

ولكن كيف ؟

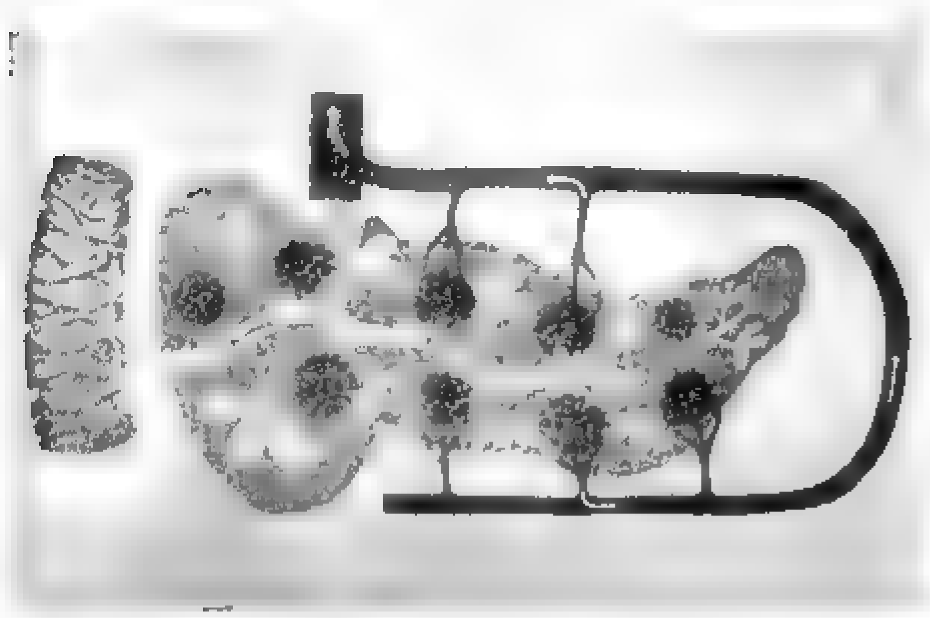
وتفسير ذلك ، ان بالخلايا المحاطبة ، بجدار المعي الاثني عشري ، خلايا بها مادة اسمها « بروسكرتين » Prosecretin اي ما « قبل السكرتين » .فعندما تنتهي المعدة من هضم طعامها ، ويمر هذا الطعام بهذه المادة في الاثني عشري ، ويمسها حامض الكلوردريك الخارج من المعدة مع هذا الطعام المهضوم ، يعمل هذا الحامض في هذه المادة فيحولها الى مادة السكرتين Secretin . وهذه المادة هرمون ، يجري في الدم مع الدورة الدموية في الجسم . فاذا هو وصل الى البنكرياس اخبره بأن الطعام وصل الى الاثني عشري ، واذن بأخذ البنكرياس في افراز خمائره التي يصبها للهضم في الاثني عشري .

في المصانع

انا في مصانعنا ، عندما نبدأ بمادة ما ، ونأخذ نبدل فيها ونغير على دفعات لنصنع منها مادة اخرى ، يقوم رجال على كل هذه الخطوات يرقبونها . وفي الموعد الموقوت يضيفون الى المادة هذا العامل الفعال ، او ذلك ، في سبيل الوصول الى الغاية . المهم ان تكون الاضافة في موعد موقوت .

عملية التوقيت هذه لا بد منها .

وعملية البنكرياس هذه ، عملية توقيت كذلك . قام الهرمون مقام العامل .



صورة ايضاحية لغدة البنكرياس . وهي تعمل عمل غدة لها قناة تصنع الخمائر الهاضمة وتصبها في المعي الاثني عشري (الى اليسار) ، والخلايا التي تصنع الخمائر بيضاء في الصورة وكذا القنوات التي توصلها للاثني عشري .. اما الخلايا السوداء فترمز الى الخلايا التي تصنع الهرمون الشهير ، الانسولين ، وتصبه في الاوعية الدموية ليدور مع الدم في الجسم مباشرة .

وسول كان لا بد منه يقوم من الأنثى عشري ، ويدخل الدورة الدموية ليصل الى البنكرياس في الوقت المناسب ، ليقول له الآن يا عزيزي افرز خمائرك على بركة الله فالطعام وصل .

عقل هذا ؟

تدبير هذا ؟

ان الجسم الانساني ، في اجرائه الحياة ، ذات العمليات الكيماوية المتناسقة التي يصل بعضها بعضا ، ويعتمد بعضها على بعض ، يحتاج لضبطها وتوقيتها وتنسيقها الى هرمون ، وهرمون وهرمون . وما أكثر الهرمونات . وما أكثر الرسل .

ابداع في ادارة هذا الجسم عجيب .

وفهم يقوم به من المواد ما لا يفهم . ولكنه يقوم به لغاية ، وغاية لا بد منها . وغاية كالغاية الواعية وما هنا من وعي .

مواد لا وعي بها . ولكن هناك وعي . وهناك هدف ، وهناك غاية . كل هذا الوعي العاقل المدبر انما اختفى وراء ما نرى من عمليات هضم وعمليات افراز ، وعملية حياة تتضمن الف عملية ، تزيد اللاحقة تعقيدا ، وتزيد التوقيت صعوبة لو ان انسانا كان قيما عليها . ولو انا كنا مهيمنين عليها ، اذن لفسدت ، ومن اجل هذا قامت الحياة بديلا عنا بوعي أيقظ ، وبفكر أفهم ، وبدعه أحد ، وبادراك لمعنى الزمان ، وبلاحق الدقائق والثواني أعمق وأشمل

ومثل آخر

ومثل آخر نقتبسه من الظاهرة الكبرى ، ظاهرة خروج الانسان منا من بطن أمه ، بالولادة ، ثم تحضير ثدي الأم باللبن من بعد ولادة لغذاء وليدها .

ان الهرمونات تقوم ، في هذه الظاهرة منذ تلقيح البيضة في رحم الأم ، الى ان يتم الحمل، ويخرج الولد الى الرضاع، تقوم تتولى كل هذه الظاهرة الكبرى ، وبكل ما تقتضيها من عمليات ، ومن خطوات، ومن تغيرات وحدثان لا يسبق منها ما وجب ان يتأخر ، ووجب أن لا يتأخر منها ما وجب ان يتقدم ، تقوم بهذه كل خطوة وبحدثها ، في توقيت رائع . وهي لا تقوم بالتعبير ، ولكنها تنبيء به وتحفز عليه ، وتسير في الدم ، أو وجب أن تسير ، حتى تصل الى الموضع الذي عنده يجب أن تلقى برسالتها .

ونقتصر للايجاز على ذكر ما يحدث بثدي الأم من تغير وتحفز للرضاع . ان المرأة اذ تبدأ في الحمل ، تخرج من مبيضها هرمونات لها واجبات شتى ، ولكن من واجباتها ايضا تجهيز الغدد لتفرز اللبن للرضيع ، عندما يجيء أوان ذلك ، تلك الغدد التي تملأ ثدي الأم ، تجهزها بحيث تتناسب للواجب الذي تقوم به عندما يجيء أوانه .

انهما الهرمونان المعروفان باسم استراديول Estradiol وباسم بروجسترون Progesterone ، وما عليك حفظ اسميهما ! هما اللذان يقومان بتجهيز الثدي عند كل حمل يبدأ . انهما يزيدان الثديين نموا ، ويزيدان عدد ما بهما من فصيصات Lobules ومن بناء عنبي Acinar Structure

واين يتولد هذان الهرمونان ؟ لدى المبيض في النصف الأسفل من البطن .

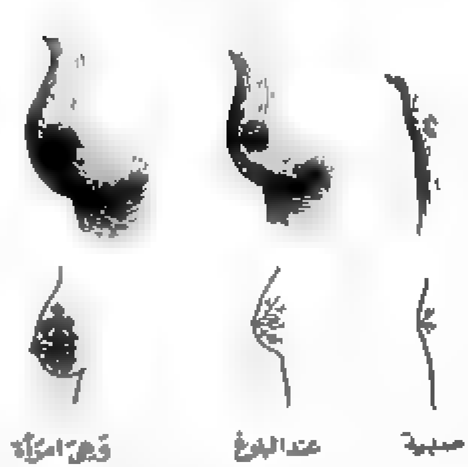
واين يوجد الثديان ؟ في النصف الأعلى من الجسم .

انهما اذن يعملان عمل رجال البريد يحملان الرسائل ، بأن الحمل قد بدأ ، فلا بد من التجهيز لذلك .

ولكن ، من يخبر الثديين بأن الحمل قد تم ، وان الوليد قد خرج فعلا ، وانه يريد الحليب ؟

انه رسول آخر . هرمون آخر . ومن الغريب انه لا يأتي من المبيضين ، ولا من حيث خرج الطفل ، ولكنه يأتي من غدة

ثدي المرأة



صور ثلاث تبين درجة نمو غدد الثدي في الفتاة الصغيرة ، وعند البلوغ ، وعندما تكون امرأة ، وهي الغدد التي تتجهز لافراز اللبن للطفل الوليد ، والذي يقوم على نشئها هكذا وتجهيزها ووظيفتها انما هي الهرمونات الجنسية التي للمرأة .

غير ذات قناة ، وهي من اجل ذلك كسائر الغدد التي تفرز الهرمونات ، ولكن موقعها عند المخ في أسفله أنها غدة صغيرة ، ولكنها هي أم الغدد جميعا ، بمعنى انها هي الهائمة ، فيما تقوم به ، بالرقابة على سائر غدد الجسم غير ذوات القنوات .
انها الغدة النخامية Pituitary Gland

والآن فقد جاء هذه الغدة خبر ما تم من ولادة ، فارسلت رسالة الى الثديين ، ان ابدئي وادري لهذا الطفل الوليد لبنا . وكانت هذه الرسالة هرمونا ، خرج منها الى الثديين ، وسار اليهما عن طريق الدم . اما اسمه فهو برولكتين Prolactin

ويدر الثدي باللبن عادة في اليوم الثاني للولادة ، وقد يتأخر الى اليوم الرابع .

لقد كان في هذا الكفاية

ولقد كان في هذا الذي ذكرنا كفاية لايضاح ما حدثنا اليه من كشف ما في جسم الانسان من خلق ، هو الغاية في الابداع ، والنهاية في الصنعة ، وهو اذا قورن بكفاية الانسان وحذقه اللذين يبذلهما في تدبير صناعاته ومصانعه لاحداث حضارته على هذه الارض ، وهي كفاية ، وهو حذق ليسا من هذه ، أقول اذا قورن هذا الابداع في الخلق بما يجري بين جنبي هذا الجسم الانساني من كفاية هي الغاية ، وحذق هو النهاية ، لم تعد كفاية الانسان وحذقه في صناعاته ومصانعه بالشيء المذكور . ونحن انما نقرن بينهما ، على بعد ما بينهما ، لأن الاشياء لا تبين احجامها واخطارها الا عند المقارنة .

وضربنا مثلين للهرمونات من جسم الانسان .

وقلنا ان الهرمونات لضبط نشاط التفاعلات الكيماوية الجارية في الجسم ، ولكن كم من هذه التفاعلات يجري ، وكم من هذه الهرمونات ؟ الاعداد الكثيرة .

وبضبط نشاط التفاعلات في الجسم تكون الصحة ، وبخلل هذا الضبط تختل الصحة .

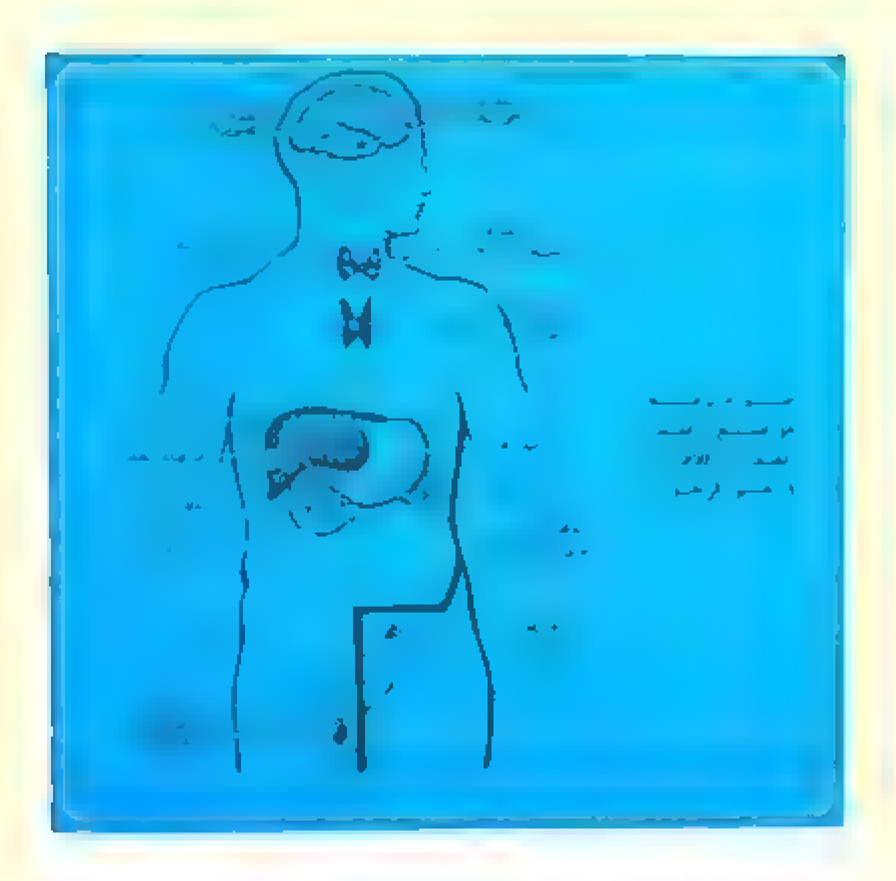
والآن فقد بقيت بعد حاجة لزيادة ايضاح بزيادة من امثلة .

غدة البنكرياس

ذكرنا غدة البنكرياس ، وضربنا مثلا كيف يأتيها الهرمون ، السكرتين Secretin ، من المعي الاثني عشري ، ليخبرها بأن الطعام وصل الى هذا المعى من الامعاء ، وعليها الآن ان تصب الانزيمات الهاضمة التي تصنعها ، في ماء البنكرياس ، لتصب في المعى الاثني عشري .

هذا عمل غدة البنكرياس ، وهو عمل الغدة التي لها قناة تصب منها .

ولكن لغدة البنكرياس عمل آخر : ان بها خلايا تفرز هرمونا هو الهرمون الشهير المعروف بالانسولين . تصنعه ثم





صورة توضح مواقع الغدد الصماء او اللاقناتية في جسم المرأة . ويرمز اليها بالارقام : اما ١ فالغدة الصنوبرية و ٢ فالغدة النخامية ، و ٣ الغدة الدرقية و ٤ الغدة الزعترية ، و ٥ الغدة البنكرياسية ، و ٦ الغدة الكلوية ، و ٧ المبيض .

القدر الكثير ، واصيب المريض بدوخة واغماء .

مقدار الهرمون لا بد من ضبطه .

وحبوب أخرى تصنعها مصانع [illegible] خاصة ، لا سيما في الشحوحة من مثل اورينز Orinase والداسير Diabinese وغيرهما ، وهذه تنشط خلايا البنكرياس التي تصنع الانسولين فتزيد منه الرشد .

الغدة الدرقية

انها غدة موضعها الرقبة من امام ، تحت الجلد مباشرة ، على جانبي الحنجرة . وهي تتألف من فصين ، يمين

وبسار ، يصل بينهما برزخ ، [illegible] الى الظهور عندما تتضخم بسبب مرض يعتريها . وما أكثر ما تمرض .

[illegible] عرفت بأنها غدة هرمونية ، وقد كان أول ما لفت النظر الحديث اليها ان سكان جبال الالب ، سكان الوديان هناك ، في سويسرا والمانيا والنمسا ، كانت تصيبهم في الحلق أورام جامدة . ويشتد الحال بهم فتؤثر في نموهم وفي ذكائهم ، والبنات اللواتي يصبن بها [illegible] لا يستطعن انجاب الاطفال .

ولما تقدم فن الجراحة تجرأ أحد الأطباء السويسريين ، هو الدكتور كوخر Theodor Kocher ، فجرى لأحد المرضى عملية استأصل منها الورم ، ونجح . واذ تبين له ذلك ، راح يستأصل الغدة الدرقية نفسها . ونجح [illegible] ، ولكنه ما لبث أن عاد اليه [illegible]

[illegible] عمل خطير . وراحوا يحقنونها ، ونشروا في سبيل ذلك الف بحث وبحث .

ونقطع عن التاريخ لنحصي النتائج بعد الابحاث نقول ان مرض هذه الغدة ثلاثة انواع :

١ — تورم درقي بسيط :

ان الغدة الدرقية تفرز فيما تفرز هرمونين ، أقواهما وأهمهما يسمى ثيروكسين Thyroxin ، ويعمل

الهرمونات هنا هو ضبط التفاعلات الكيماوية الحيوية التي تجري في الجسم ، فان زاد مقدارها ، ازدادت التفاعلات سرعة ، واذا نقصت ، تباطأت التفاعلات واختلت الحياة . وهذا الهرمون ، الثيركسين فيه من اليود مقدار كبير يصل الى نحو ثلثي وزن المركب . والانسان ما يتعاطى اليود في ماء شربه . فاذا خلا الماء من اليود او قل ، كما حدث في اوربة بجبال الالب ، لم يستطع الجسم ان يصنع هذا الهرمون ، واذن تختل تفاعلات الحياة بالجسم .

ونتيجة لقلة اليود ، وقلة الهرمون ، تتضخم الغدة رجاء ان يكون في تضخمها ما يزيد في جملة الهرمون الحاصل .

فهذا التضخم الذي يقصد به التعويض من نقص اليود يعرف بالتضخم الدرقي البسيط . وعلاجه اعطاء المرضى زيادة من عنصر اليود في ماء شربهم ، او في ملح المائدة عند جلوسهم الى الطعام .

٢ ــ الدراق المفرط :

وهذا المرض ينتج عن الغدة نفسها ، تكون لم تبلغ نموها الكامل ، او تكون تقلصت ، وفي هذه الحالة يقل او يمتنع انتاج الهرمون . ونتيجة ذلك توقف نمو الاطفال ، وكذلك تعطل ذكائهم .

٣ ــ الدراق المفرط :

وهذا ينتج كذلك من الغدة ، اذ تفرز من الهرمون اكثر مما يحتمل الجسم ، وعندها يزيد نشاط التفاعلات الكيماوية في الجسم ، ويصحب ذلك اضطراب في الاعصاب ، وكذلك بروز في كرة العين ، وجحوظ فيها . ومن علاج هذا المرض الجراحة التي تستأصل بعض الغدة لتقل افرازها .

غدد ما فوق الكليتين

وهما غدتان ، كل غدة منهما تستقر فوق كلية من الكليتين ، وتعرفان بالغدد الكظرية ، او غدد ما فوق الكليتين . او الكظران ، فكل واحدة منهما كظر Adrenal Glands

وهما غدتان لا قنويتان .

وكل منهما تتألف من نسيجين مختلفين ، نسيج ظاهري يحوط الغدة كالقشرة من اجل ذلك سمي اللحاء Cortex . ونسيج باطني سمي باللب Medulla

اما اللحاء فيفرز عدة من هرمونات من



هذا ما صنعته الغدة الدرقية بهاتين المرأتين . المرأة (ا) زاد افراز الغدة للهرمون فاصيبت بالمرض الذي من اعراضه جحوظ العينين Exophthalma ، والمرأة (ب) قل افراز الغدة للهرمون فاصيبت بتضخم الغدة الدرقية وهو التضخم المعروف بالجويتر Goiter

اشهرها الهرمون الشهير المعروف باسم كرتزون Cortisone ، وبعضها يتصل بتنظيم الظاهر الجنسية الثانوية في الجسم ، وبعض لضبط مقدار مستوى عنصري الصديوم والبوتسيوم في الجسم .

واما اللب فيفرز الهرمون المعروف بالادرنالين Adrenaline ، وقد فصله الكيماويون من هذه الغدد ، ونقوه وبلوروه ، وبعد ذلك ركبوه تخليقا من مواد في الكيمياء ابسط .

وهذا الهرمون عندما يطلق في الدم ، بمقادير قليلة جدا ، يجهز الجسم لمواجهه اي معضلة تقوم ، وبعدّه للصراع . فضربات القلب تزيد عددا ، وتزيد قوة . واوعية الدم في العضلات تتسع ، والتي هي في الجلد والقناة الهضمية تضيق . والرئتان تتسعان اكثر مما يفعلان . وتظل الغدة تزود الجسم بالهرمون ما دامت الحرب ، او الانذار بها ، قائمة وقائم .

الغدد التناسلية

وهذه لضبط الحياة التناسلية وتوجيهها . وهي تفرز الهرمونات التناسلية التي تنمي اجهزة التناسل في الرجل وفي المرأة ، وكذلك الصفات الثانوية للذكر والانثى . وهي تبدأ فتحضر اعضاء التناسل للعمل ، بعد تثبيتها وتجهيزها لذلك ، وفي الوقت المعلوم . واهم غدة للذكر هي غدة الخصية ، وللانثى المبيض ، ونكتفي بذكر ذلك منهما .

الغدة الصنوبرية

وتركنا غددا اخرى وهرمونات اخرى ، للايجاز ، فلسنا في صدد درس وظائف اعضاء الجسم ، وانما نحن في ضرب امثال لما في الجسم من نظم تفوق اي نظم عرفناها ، وتفوقها كثيرا . وهي نظم بلغت من الابداع الغاية ، ومن ورائها لا بد قوة منظمة مبدعة عارمة ، هي التي نحن نجري وراءها لنكشف عن بعض وجوهها .

ونختتم بذكر الغدة الصنوبرية ، وهي غدة صغيرة كحبة الحمص توجد في اوسط الرأس ، وهي مرتبطة بقاع المخ . وهي تتألف من عدة فصوص .

وسميت هذه الغدة بالغدة الأم Master Gland لانها تقوم على رقابة غدد الجسم الاقنائية الاخرى ، كما يقوم رئيس العمال في المصنع على شتى طوائف العمال به . وهي تراقبها بالاسلوب المعروف ، اعني بالرسل ترسلها اليها هرمونات تضبط اعمالها . وقد كشف الكاشفون عن ستة هرمونات من هذه ، كشفوها في الفص الامامي من الغدة وحده ، ولا يزال البحث جاريا في الفص الخلفي والفص المتوسط وهرموناتهما .

بعد دقة الصنعة
تأتي حكمة التوحيد فالوحدة

كل هذا الذي ذكرنا يتصل بالانسان ، وفيه من دقة الصنع ما فيه .

اما من حيث الوحدة فيجب ان نبادر فنقول ان هذه الغدد وهرموناتها موجودة في كل الحيوانات الثديية وكذلك ذوات الفقار (والاسماك من ذوات الفقار) وفي بعض مما دون ذلك .

وهي تقل في الحيوانات بسيطة التركيب لانها لا تحتاجها .

ومع هذا توجد الهرمونات حتى في النباتات تعمل مثل عملها في الحيوانات . ومن اشهرها الهرمونات التي عرفت حديثا بـ « الاكسينات » Auxins ولها اليها عوده ، وهي تؤثر في النبات بأن تزيد في نموه . واخرى تسد من جروحه ، واخرى لتنضج من ثمره ما تنضج .

نظم اشباه ، تنتظم الخلائق جميعا ، الا حيث لا تكون اليها حاجة

●●

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٠٢

الديك الرومي موطنه أمريكا

■ كانت مسابقة العدد ١٠٢ من « العربي » تغطي المعلومات العامة في مختلف ميادين المعرفة ، والملاحظ ان السهولة كانت طابع هذه المسابقة ، فهناك سؤال في التاريخ يخص قائدين عربيين ساهما في الفتوحات الاسلامية ، ثم سؤال عن جزيرة عربية كانت مادة لاستطلاع « العربي » ، الى آخر يخص الاختراع والمخترعين ، الى رابع يخص الطير والحيوان .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم اسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ كانت فتوحات عقبة بن نافع في المغرب العربي ، اما فتوحات قتيبة بن مسلم فقد كانت في المشرق العربي .

٢ ــ اكثر من لغة .

٣ ــ الرحالة العربي الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي ، وكان له كتاب تحفة النظار في غرائب الامصار هو ابن بطوطة .

٤ ــ سقطرى تقع في المحيط الهندي وتتبع جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

٥ ــ اسم هذا القائد الذي زحف على روما عبر جبال الالب هو هانيبال .

٦ ــ الولاية الامريكية التي اشترتها حكومة واشنطون من روسيا القيصرية هي الاسكا

٧ ــ فنلندة هي الجمهورية .

٨ ــ توماس اديسون هو مخترع الجرامفون (الحاكي) .

٩ ــ الديك الرومي موطنه الأصلي امريكا

١٠ ــ الخفاش يطير وليس صنف من الطيور ، النعامة صنف من الطيور ، ولكنها لا تطير .

١١ ــ فالنتينا تيرشكوفا اول رائدة فضاء في العالم ، وهي روسية الجنسية .

١٢ ــ ايطاليا دولة اوروبية عملتها الليرة .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها (٣٠) دينارا فاز بها : سمير الجبيل/بيروت/لبنان

الجائزة الثانية وقيمتها (٢٠) دينارا فاز بها : محمد الشاذلي علي/تونس

الجائزة الثالثة وقيمتها (١٠) دنانير فاز بها : يسرى السيد/اسبانيا

٨ جوائز مجموع قيمتها (٤٠) دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ــ سعاد سلطانة/اللاذقية/سوريا

٢ ــ محمد علي حسين شمل/عمان/الاردن

٣ ــ سالم احمد باسعيد/جدة/السعودية

٤ ــ عبد الرضا كاظم ولي/النعمانية/العراق

٥ ــ امال يوسف الشمالي/الكويت

٦ ــ جمعة عبد الله الفلاح/بنغازي/ليبيا

٧ ــ عبد القادر احمد بدوي/حلوان/ج٠ع٠م

٨ ــ عبد الله حسن باسحاف/المكلا/جمهورية اليمن الديمقراطية .





صناعة الزبادي



● رغم ازدهار البلاد ما زال الناس يربون الماشية في ملحقات بمنازلهم حرصا على صفاء اللبن

علم

١٢ مؤسسة تعمل على انتاج الالبان وبسترتها في الكويت . .



- مشروع انشاء مركز لتجميع وتصنيع الالبان في الكويت

■ اللبن [illegible] هذا الغذاء الذي [illegible] بالحياة [illegible] عرفه الإنسان قبل أن يعرف المشي والكلام ، عرف فيه غذاء كاملا يحوي جميع العناصر التي يحتاج لها جسمه.ولأن تساءلت متواصلا في أن يحظى به غذاء آخر ؟ فتعاليل .. تجارب [illegible] حضارات لا نهاية لها ، أجريت على اللبن في أغلب بقاع هذه الأرض ، لمعرفة المزيد عنه ، عن خواصه ، [illegible] وزيادة إمكانات الاستفادة منه على الوجه الأكمل

واستمرت التجارب إلى الحيوانات التي تدر اللبن ، فاستطاعوا زيادة إنتاج الأبقار من عشرات الكيلو جرامات إلى ألوف الكيلو جرامات ، حتى بلغ الأمر إلى إنتاج رقم قياسي بلغ ٤٢ ألف رطل من بقرة مصنفة سنويا .

بقرة في مركب !

ومن الطريف أن فصلا من تاريخ تصنيع اللبن يكمن في قصة المهاجرين الأوربيين الأوائل إلى القارة الأمريكية .. فقد كان هؤلاء المهاجرون يصطحبون معهم بقرة حلوبا في كل سفينة تعبر بهم المحيط .. يأخذون لبنها الطازج لإطعام أطفالهم . وكثيرا ما كانت البقرة تموت أثناء الرحلة،فيضطع اللبن في الأطفال .. وكانت هذه الأحداث من العوامل التي دفعت بكثير من الهيمين بالمدنية الحالية ، إلى استنباط طريقة حفظ اللبن مركزا ، في أقل حجم ممكن

البدو جففوا اللبن !

وفي صحرائنا العربية حبا الله البدوي بلبن الناقة يشربه طازجا بعد رائبه خلال رحلته الطويلة الشاقة عبر الصحراء ، بينما تقوم النساء بعملية تصنيع بدائية للبن يغلونه على النار لفترة طويلة ، ويضيفون له أحيانا قليلا من دقيق القمح حتى يصبح مثل العجين ، يقطعونه قطعا صغيرة،ويتركونها تجف بحرارة الشمس، لتصبح صلبة قوية .. وفي أيام الصيف ، عندما يقل لبن الماشية ، يضعون هذه القطع الجافة في الماء المغلي فتحول إلى غذاء سائل يشربونه في بادية العراق الشمالي وفي الأردن وفلسطين السن ..

« الشاوي » يرعى الأغنام

في الكويت القديمة كانت الأسرة تحتفظ ، مع أعداد من الماعز والخراف ترعى في الحوش الملحق بالمنزل ، فيقدمون لها التبن والحب والبرسيم ، وقشور الخضر والتمر والنخالة ، يستوردونها من البصرة وإيران لإطعام حيواناتهم .

وفي الصباح الباكر كان الشاوي (راعي الغنم) يمر على المنازل ، فيأخذ الأغنام وينطلق بها للرعي، ولا يعود للمدينة إلا بعد غروب الشمس ، فيستقبله الأطفال مهللين ، آخذين منه حيواناتهم إلى منازلهم ليتم حلبها مرة في الليل وأخرى عند الفجر ..

ومن اللبن كانوا يصنعون اللبن الرائب، ويضيفون له الماء ويشربونه باردا في أثناء الطعام .

اللبن الطازج
يثبت أمام اللبن المستورد

وتطورت الكويت .. وارتفع مستوى المعيشة ..





وانتقل الف السكان الى بيوت سكنية حديثة جدا .. واصبحت الكثرون ان رؤية الماشية قد اندثرت .. ولكن احصائيات عام ١٩٧٠ اظهرت بشكل واضح ان هناك ٣٠٦٥ بقرة ، ٥٠ الف معزة و ٦٧ الف رأس غنم ، كل هذه الاعداد مازالت تربى في الحظائر الملحقة بمنازل الكويت !!

لقد استطاعت هذه الحيوانات البقاء امام رياح التبدل ، وامام اقبال اللبن المستورد والسبب هو شغف ابناء الكويت بشرب اللبن الطازج الذي يحلب من الابقار والماعز مباشرة

وقد بلغت كمية اللبن المنتجة من الماشية المرباة في المنازل حوالي ٥٠٠٠ كيلو جرام في العام الماضي .. ومازال هناك — الى اليوم — اماكن عامة في الاسواق القديمة ، تبيع اللبن الطازج والسمن والاقط اي اللبن المجفف مجففا

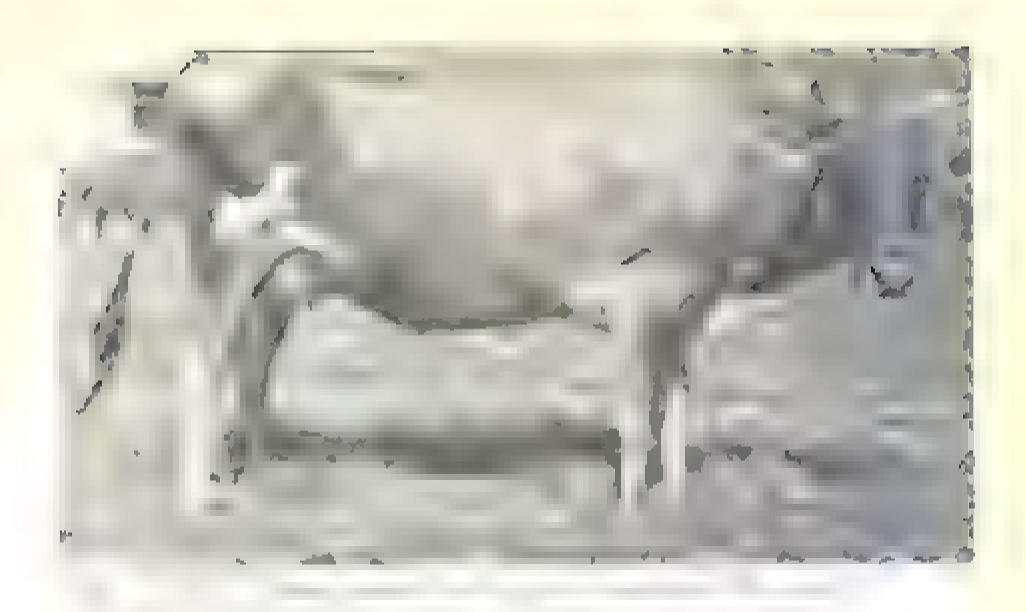
١٢ مؤسسة للالبان في الكويت

ولكن الى جانب الاحتفاظ بهذه العادات القديمة ، هناك في الكويت ١٢ مؤسسة تعمل على انتاج وبسترة اللبن وتصنيعه الى جبن ولبنة ، ولبن حمضي ، وآيسكريم ولبن روب ، وشراب اللبن الرائب .. ورأس مال هذه المؤسسات ، يزيد على ثلاثة ملايين دينار كويتي

واول تجربة لانتاج اللبن ، كانت عام ١٩٦٠ ببيع اللبن طازجا للاهالي ، ولكن الحكومة اصدرت قرارا يحظر فيه بيع اي نوع من اللبن لا يكون مبسترا .. وما هي الا بضعة اشهر حتى قامت ثلاثة مصانع تقوم ببسترة اللبن على احدث الاساليب .. ومن بين هذه المصانع مصنع كبير بامكانه بسترة حوالي ٢٠٠ الف لتر من اللبن في







الساعة الواحدة ! .. لهذا جاء اليها أصحاب المزارع المصرية فسيرة في أعمالهم ، بمعدل ٣٠٠٠ لتر يوميا ، الى جانب اللبن الذي يصنعه حوالي ألف بقرة ، تملكها هذه المزرعة .

البسترة تقتل البكتريا

وعملية البسترة كما هو معروف ، ما هي الا عملية ابادة لمعظم أنواع البكتريا التي تسبب تلف اللبن ، وكذلك الكائنات الحية الميكروبية التي تسبب الأمراض ..

وتتم عملية البسترة بأن رفع درجة حرارة اللبن الى ٦٣° مئوية وابقائه في هذه الدرجة لمدة ٣٠ دقيقة على الأقل ، ومن الممكن رفع درجة اللبن الى ٧١° وبقاء اللبن عند هذه الدرجة لمدة ١٥ ثانية فقط .. ثم يهبط درجة الحرارة بسرعة في الحالتين الى الدرجة العادية التي لا تزيد عن ١٠ مئوية ..

وكل هذه العملية تتم آليا داخل أجهزة خاصة تمر اللبن بداخلها ، وبعد عملية البسترة تعبئة اللبن داخل زجاجات أو عبوات تعقم آليا ويمكن الاحتفاظ بها سليمة لمدة أسبوع داخل الثلاجة المنزلية ، دون أن يصيبها أي فساد ..

استهلاك اللبن في الكويت

والكويت ، حسب ارتفاع دخل الفرد فيها ، واحد من أعلى الدخول في العالم ، وتصبح القدرة الشرائية مرتفعة نجد ان استهلاك الفرد سنويا يصل حوالي ١٩٠ لترا من اللبن وما يعادله مستعملا معبرا عنها باللبن الحليب وتفصيلا لذلك نجد أنها ٨٠ لترا من اللبن السائل، والباقي مستعمل كالجبن ونحوه .

وإذا قارنا الـ ١٩٠ لترا بما تستهلكه دول العالم لوجدنا أن ايرلندا مثلا يستهلك الفرد فيها ٢٠٦ لترات من اللبن ومشتقاته سنويا ، والدانمارك ١٩١ لترا ، وفرنسا ٣٦ لترا .

مراقبة الثروة الحيوانية

والثروة الحيوانية في الكويت متطورة نسبيا اذا اعتبرنا العوامل الجوية القاسية، ونقص موارد الماء بصورة عامة ..

وفي وزارة الاستقلال قسم خاص لمراقبة الثروة الحيوانية ، يضم مجموعة من رجال متخصصين اكتسبوا خبرة كبيرة نتيجة دراساتهم منذ عام ١٩٦٠ على حيوانات الكويت ، قابلنا منهم رئيس شعبة الانتاج المهندس الزراعي طاهر أحمد الفرخ ، ورئيس قسم الانتاج الحيواني محمد الهيتل ..



[illegible] مراقبة الثروة الحيوانية هو توفير اللبن ومشتقاته بكميات وأنواع واسعة مقبولة في أسواق الكويت .

كل شيء مدهش

لقد [illegible] أصحاب [illegible] طبيعة الكويت فأقاموا الحظائر المكيفة الهواء لحمايتها من الحر اللافح [illegible] الباردة ، التي تصل درجة الحرارة فيه إلى ٥٠ درجة في العصر [illegible]

كل شيء مدهش ، حتى الأهل والأصدقاء قالوا لهم : [illegible]

ولم يعبأ أصحاب المزارع بهذه الأقوال وانطلقوا في مشاريعهم [illegible] ، واليوم أصبح في الكويت ١٩ مزرعة [illegible] — كما سبق أن ذكرنا — يربى حوالي ٦٠٠٠ رأس من الأبقار

ولكن زيادة عدد سكان الكويت من ربع مليون نسمة إلى ثلاثة أرباع مليون في خلال عشر سنوات جعل الإنتاج المحلي غير قادر على تغطية أكثر من ٣٪ من الاستهلاك المتزايد للسكان ..

وأصبحت الكويت تعتمد أكثر فأكثر على المصادر الخارجية للحصول على حاجتها من اللبن ومشتقاته، ففي عام ١٩٧٠ استوردت ٤١٢٥ طنا من الحليب السائل و ١٩٩٥ طنا من مساحيق الألبان و ٢٤١١ طنا من الأجبان و ١٣٩٠ طنا من الزبد والسمن .. وكلفت هذه الواردات أكثر من ٣ ملايين دينار .

إدرار البقرة يتضاعف ٣ مرات

ولا تميل مراقبة الثروة الحيوانية في وزارة الأشغال ، إلى تشجيع المواطنين على تربية الأبقار والماعز والأغنام في الحظائر الملحقة بمنازلهم ، لأنه من الصعب إحاطة هذه المواشي بالعناية اللازمة ، وتوفير الشروط الصحية لها ، لأن هذا يؤدي إلى زيادة انتشار الذباب والروائح الكريهة ، وبالتالي إنتاج لبن ملوث .

ولكن بالرغم من عدم الاقتناع هذا ، فإن هذه المراقبة وفرت ٦ مراكز للتحسين الحيواني زودتها بثيران للأبقار ، وتيوس للماعز أصيلة [illegible] .. وقد وصلوا إلى تحسين نوعية الكثير من الأبقار والماعز المنزلية ، فزاد إدرار البقرة الهجينة المولودة من بقرة كويتية وثور أجنبي مختار ، زاد ثلاثة أضعاف عما كانت تدره البقرة غير الهجينة .

وهناك مشروع كبير ضخم لإنشاء مركز لتجميع وتصنيع اللبن .. الهدف منه استلام اللبن من أصحاب المزارع المختلفة ، لتبريده وتعبئته وتوزيعه بمعرفة المركز ، حتى يتفرغ المزارع للإنتاج فقط



ارتفاع درجة الحرارة في الكويت الى درجة [illegible] ، فيزداد الاقبال على [illegible] الالبان المثلجة ، ومن بينها الايسكريم [illegible]

[illegible]

مع العمل على تحسين نوع اللبن وزيادة كمية انتاجه

ان تحقيق هذا المشروع لا بد منه في كل بلد تكون فيه صناعة الالبان في اولى مراحلها .. وباخذ الحكومات على عاتقها تنفيذ مثل هذا المشروع ، فهو مشروع غير مربح ماديا ، ولكنه سوف يحسن من نوعية اللبن ، ويقضي على الازدواجية انشاء مصانع الالبان في مختلف مرافق الدولة ، ويشجع الكثير من المواطنين على انشاء مزارع للالبان .. فيزداد الانتاج وتقل التكلفة على المزارع، وبالتالي ينخفض السعر الذي يدفعه المستهلك في الكويت لشراء اللبن الطازج ، والذي يصل حاليا الى رقم عال يبلغ ٢٠٠ فلس ثمنا للكيلو جرام الواحد .. في حين ان لتر اللبن الطازج يباع بسعر ٦٠ فلسا في بعض البلاد القريبة من الكويت .

اعادة النظر في المواصفات القياسية

وبحديثنا الى بعض اصحاب المصانع في الكويت وجدناهم يصرخون من استمرار ارتفاع اسعار مساحيق الالبان في العالم ، فقد كانوا يشترون الطن بـ ٩٨ دينارا ، اما اليوم فيشترونه بنحو ١٩٨ دينارا ، فضلا عن التكاليف الباهظة التي يتحملونها نتيجة تكييف الهواء داخل المصنع حتى لا يتضرر الحليب .. كل هذا يتحملونه عن طيب خاطر دون رفع اسعار المنتجات المصنعة التي تخرجها مصانعهم ، ولكن ما كاد قسم المواصفات القياسية بوزارة التجارة والصناعة ، يطالبهم بزيادة نسبة الدهن في بعض الاصناف التي ينتجونها حتى ثارت ثائرتهم وهددوا برفع الاسعار ! مما اضطر وزارة التجارة الى اعادة النظر في المواصفات القياسية التي وضعتها لصناعة الالبان.

مطلوب حماية الايسكريم

اما اصحاب مصانع الايسكريم الحديثة — وعددها اربعة في الكويت — فقد اصبح انتاجهم ينافس اجود الانواع الاجنبية ، وواحد من هذه المصانع فقط انتج نحو مليوني قطعة ايسكريم في شهر مايو الماضي ، استهلك ١١٤ الف لتر من الحليب والسوائل المختلفة ..

ويطالب اصحاب هذه المصانع بضرورة حماية انتاجهم ، وذلك بوقف استيراد الايسكريم الوارد من الخارج .

ضم الادارات المبعثرة

لقد وصلت الكويت حاليا الى مرحلة متقدمة من التوسع الكبير في صناعة الالبان .. والوصول الى هذه المرحلة يتطلب الوقوف قليلا واعادة دراسة وضع هذه الصناعة ..

ويقترح الصناعيون العاملون فيها ، ضرورة ايجاد جهاز كبير يضم جميع المرافق ذات الصلة بصناعة الالبان ، والمتفرقة حاليا في مختلف الوزارات واجهزة الدولة مثل . مراقبة الثروة الحيوانية .. والطب البيطري .. والتفتيش الصحي .. والمواصفات القياسية ، وينضم الى هذا الجهاز اصحاب مؤسسات الالبان .. وسوف يكون باستطاعة هذا الجهاز وضع الخطوط العريضة لنهضة هذه الصناعة الوليدة ، ومعالجة مختلف مشاكلها ، وانشاء مختبر كبير لاجراء الفحوص البكتريولوجية والكيماوية ، للتأكد من مطابقة الحليب المحلي ومشتقاته للمواصفات المطلوبة .

ان البلد الذي يبدأ التفكير في هذه المطالب بهذا الاسلوب الصريح ، لا بد ان يكون قد خطا خطوات كبيرة في مجال صناعة الالبان .. وهذا ما حدث في الكويت .. فقد بدأت الصناعات الصغيرة تتحول الى مؤسسات صناعية متطورة تعمل من اجل غذاء افضل .. ولبن اكثر لابناء الكويت

■■

سليم زبال



تجرى على هذه الآلة عملية بعناية من الأطباء

نقل الدم ..
هل يسبب أضرارا ؟!

● ما هي الأضرار التي من الممكن أن تحدث من نقل دم لشخص مريض

— إن هناك أضرارا ومضاعفات عدة من الممكن أن تحدث عند إعطاء مريض دما . لذا كان من الواجب إعطاء الدم عند الحاجة إليه .

أولا : في بعض الحالات يحدث ارتفاع في درجة الحرارة ، مع قشعريرة وصداع وشعور بالقيء . وسبب ذلك عند إعطاء الدم بسرعة في بادئ الأمر .

ثانيا : حساسية ضد الدم مع الشعور بضيق في الصدر وطفح على الجلد وحكة .

ثالثا : هبوط بالدورة الدموية والقلب . إذا كانت حالة المريض أصلا ... يحتاج إلى الدم كما هو الحال في حالة هبوط القلب أو فقر الدم الشديد .

ويستحسن في هذه الحالة أن يعطى الدم على هيئة كرات دموية حمراء فقط ويجرى هذا ببطء .

رابعا : إذا كان الدم الذي يعطى أخذ من شخص كان قد أصيب بأمراض معدية مثل التهاب الكبد بفيروس أو الزهري ، فإنه ينقل هذه الأمراض إلى المريض الذي أعطى الدم .

خامسا : إذا ترك الدم لفترة دون إعطاء وتعرض للجو وحدثت به ...

من هذا يتضح حرصنا الحريص الشديد على أن يؤخذ الدم من الأصحاء بعد فحصهم وخلوهم من الأمراض المعدية — وأن نلاحظ المريض الذي يعطى الدم بدقة ، حتى لا تحدث المضاعفات . وأن يعطى الدم عند الحاجة فقط . لا أن يعطى للتقوية كما يطلب البعض من الأطباء .

العشى الليلى • اسبابه وعلاجه

● ابني عمره ١٠ سنوات ، لاحظت انه لا يرى بوضوح في الليل ، ويعثر كثيرا في الاثاث ، عرضته على احد الاطباء ، فقال بان الولد مصاب بالعشى الليلي ، فما هو ، وما العلاج؟

ــ العشى الليلي هو عدم الرؤية بوضوح اثناء الليل وفي الاماكن غير المضاءة جيدا ، ولكي نفهم كيف يحدث سوف اشرح باختصار شديد كيفية الرؤية الطبيعية ليلا . اذا تصورت شمعة او لمبة مضيئة في حجرة ، فان هذه اللمبة ترسل اشعة ضوئية تسقط على العين فتكسر الحزم الضوئية على القرنية وتدخل من خلال البؤبؤ اي انسان العين . لتنكسر مرة اخرى على عدسة العين ثم تخرج منها لتسقط على الشبكية وتتكون الشبكية من عدة طبقات مختلفة احداها وهي التي تهمنا هنا تسمى طبقة المخاريط والقضبان Cones & Rods ويوجد بهذه الطبقة حوالي ١٢٠ مليون قضيب و ٦ مليون مخروط . اثناء الليل تسقط الاشعة الضوئية على القضبان التي تحتوي في الجزء الخارجي منها على مادة ملونة تعرف باسم الرودوبسين Rhodopsin ، يحدث في هذه المادة تحول ضوئي كيميائي ــ من اثر الضوء ــ ينتج منه اثارة عصبية تمر بالاجزاء المختلفة للشبكية ومنها للعصب البصري فالمخ ، حيث يدرك ان هناك ضوءا بواسطة المراكز الخاصة بالرؤية في مؤخرة المخ . هذه المادة الملونة الرودوبسين تتكون من مادة بروتينية وفيتامين أ وهي تتكون تلقائيا وباستمرار من اتحادهما .

والعشى الليلي ينشأ اذا من احد امرين :

(١) اصابة العصب بمرض يصيب الشبكية او يؤثر عليها .

(٢) نقص فيتامين أ اللازم لتكوين المادة الملونة .

(٣) ضيق البؤبؤ الشديد الذي يقلل من دخول الاشعة الضوئية .

العلاج يتطلب اولا معرفة السبب ، وفي الحالات التي تنشأ عن نقص في فيتامين أ فان نتيجة العلاج مضمونة غالبا وضيق البؤبؤ « انسان العين » يعالج بتوسيعه بواسطة قطرات خاصة . اما الحالات الناتجة عن اصابة الشبكية او تأثرها بامراض اخرى سواء بالعين نفسها ، او امراض بالمخ ، او باجزاء اخرى بالجسم فالنتيجة تتوقف على السبب وامكانية علاجه عند الطبيب المختص .

الضغط المنخفض ماهو ..؟!

● اعرف الكثير عن ارتفاع ضغط الدم ، وقال لي طبيبي ان عندي انخفاضا في ضغط الدم ، وان هذا هو سبب الدوار والاعياء اللذين اشكو منهما فما هو انخفاض ضغط الدم هذا ؟!

ــ يقال ان المريض عنده انخفاض في ضغط الدم ، اذا قل عن المستوى الطبيعي ، واذا كان هذا الانخفاض بسبب امراضا او كان نتيجة لمرض يعتبر هذا الضغط منخفضا بالنسبة للمريض . واسباب انخفاض الضغط

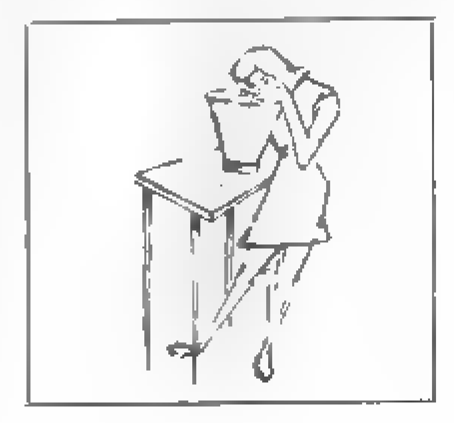
عديدة منها فقر الدم الشديد ، فقدان سوائل الجسم من غزارة العرق — او القيء الشديد او الاسهال الشديد — ومرض ضمور المعدة الكظرية — او اثناء النقاهة من مرض طال امده — او مرض مصحوب بضعف شديد . وهناك اشخاص ضغطهم ينخفض دون اعراض ويعتبر هذا طبيعيا بالنسبة لهم .

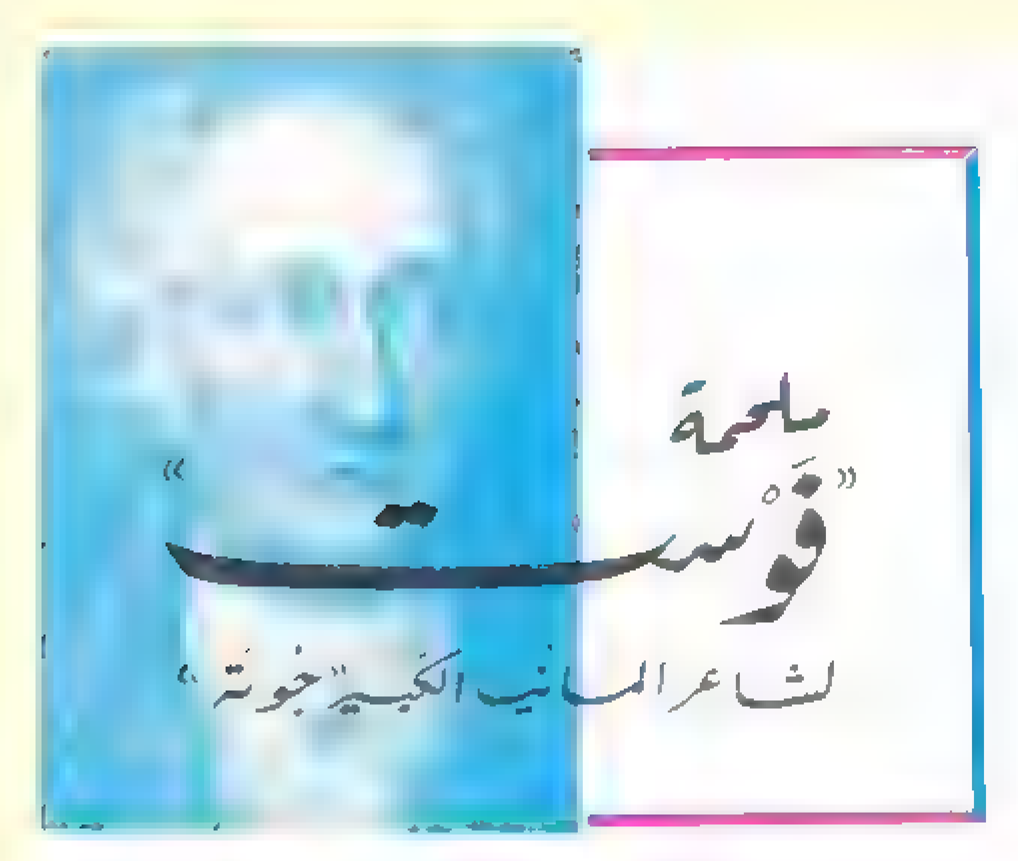
ويحس المصاب بدوار شديد — والشعور بالهبوط عند قيامه باي مجهود عضلي بسيط — وعدم القدرة على التركيز — والشعور بسواد امام العينين اذا وقف المصاب بسرعة من وضعه الامامي ، والعلاج في هذه الحالات هو علاج السبب مع اعطاء المقويات من فيتامينات ومركبات الحديد اذا كان ذلك يرجع الى فقر دم ، ثم اكل الطعام وبه ملح كثير لأن هذا يساعد على ارتفاع الضغط . وفي بعض الحالات تعطى مركبات لترفع الضغط مثل مركب بيركورتين Percorten وغيره حسب راى الطبيب .

القيء النفسي او العصبي

● انا شابة في العشرين من العمر ،اعاني من قيء يلازمني لفترة ثم يختفي ليعود — علما بانني في صحة جيدة ، ولم يتأثر وزني .

— هذا القيء الذى تشكين منه هو في الغالب الغالب من النوع الذى يحدث بعد تناول الطعام بفترة قصيرة ، ويخرج بعض الاكل بعد وصوله الى المعدة ، ولا يكون مصحوبا بالم ، ولا اعراض اضطرابات المعدة كالالم في منطقة المعده . او الاحساس بحموضة . والملاحظ كذلك ان كمية الطعام التي يتقيأها المصاب اقل بكثير من التى يتناولها وهذا القيء كما تذكرين لا يؤثر على الوزن ، ولا يؤثر على الحالة العامة للمصاب به ، والسبب في ذلك القيء هو الاضطرابات العصبية ، ولهذا يسمى بالقيء النفسي او العصبي . Psychogenic Vomiting لذا كان من الواجب معرفة حالة المصابة والحد كل الحد مما يساعد على اضطراب حالتها العصبية — ويساعدها في ذلك احد المهدئات مثل الليبريوم Librium او الفاليوم Valium واقراص ستميتيل Stemetil تساعد على توقف هذا القيء وهذه يصفها الطبيب المعالج ، ويستحسن في هذه الحالة ان تتناولي طعامك مفرقا كميات قليلة كل ساعتين او ثلاثة ولا تجلسي للوجبات العادية في اوقاتها ولا تتأثري بهذا الاضطراب ، فانه لا يضر الجسم ، ولتطمئن صاحبة السؤال فان هذا سيختفي بعد وقت باختفاء الاسباب النفسيه اني شاء الله .





بقلم: الدكتورة درية فهمي
أستاذة الأدب الفرنسي – بجامعة الإسكندرية سابقا

■ ما أعظم المكانة التي تبوأها اسم «فاوست» في تاريخ الفكر! فمنذ بضعة قرون سطع هذا الاسم في كل مكان يحبو إليه النظر ويتدفق من حروفه التي جمعها [illegible] القدر على سائر العالم أنهار من البحوث المختلفة المتنوعة: من قصص شعبية، إلى مآس ومصنفات أدبية وموسيقية، إلى رسومات ونحوت ولوحات. فقد ملأ هذا الاسم من دور الكتب والمتاحف والمسارح الشيء الكثير. وإذا نظرنا إلى قائمة بأسماء ما أوجده قرابة أربع هذه الشخصية وليدة الخيال كانت تشغل العقل البشري أكثر مما شغله أعظم بطل من أبطال التاريخ. وإن كانت «الكوميديا الإلهية» في العصور الوسطى تعد إحدى الروائع الأدبية العالمية، فكأن حرفنا بالتالي الحديث أن تطلق لنفسه رائعة لا تقل عنها عظمة ومجدا. فكان مسعاها في ألمانيا ما بين سنة ١٨١٨ وسنة ١٨٣١ على يد شوبرت Schubert [illegible] وجونسيل [illegible] ومونب [illegible] ومرسي [illegible] ثم فرنسا على يد جيرار دي نرفال [illegible] وفي إنجلترا على يد كارلايل Carlyle؛ ولم تنقطع حلقة الدراسات والتحاليل منذ شيئا فشيئا حتى أصبح اسمه وقد مر على أسطورته أكثر من مائة عام محط الأنظار وحديث الأفواه.

وهنا الأسطورة تضم جوته تلازمه ملازمة [illegible]

مقارنة بين احداث فوست واحداث جرت للشاعر جوته كل في حياته

الا انه ــ من بين الشخصيات العديدة التي ارجعها خيال الشعراء في هذا الموضوع ــ لا يوجد شخصية اقوى من هذه التي صورها جوته ، واعمق اثرا في النفوس ، واشد وقعا في القلوب .

ولم يكن جوته حينما كتب روايته الشهيرة ليصور حضارتنا الحديثة ولم يكن معاصروه الذين اعجبوا بهذه الرواية ليتصوروا منها شيئا . على ان بطله لم يزل حيا بيننا بنفس ملامحه النشاط والحيوية كأنه قد ولد بالامس . فانما نرى في فوست اليوم اكثر مما رأى هؤلاء الذين عاشوا في عصره منذ اكثر من قرن . ومن يدري ما ستكشفه الاجيال المقبلة في هذه الشخصية من آيات وما سيكتبونه من تعليق حول هذا البطل بعد مرور خمسمائة او ستمائة عام مثلما يتحدثون عنه كما نتحدث نحن الآن عن ابطال هوميروس الذين عاشوا منذ ثلاثة آلاف سنة . ولم يكف فوست بل سحبت منه جميع الاضواء بل رجع الى شيء النقاد ولم يزل يترجم في كل ساعة بالحروف في القصائد ، وبالالوان في اللوحات ، وبالموسيقى في المقطوعات الموسيقية ، واصبحت امثاله وكأنها تخرج من احشاء الانسانية نفسها . فقد قال « مسوفليس » راس الشيطان وهو جزء من رواية « مرجريت » « ليست هذه هي الاولى » . وقال مالك عظيم « ان رواية فوست قد اصبحت ملكا للانسانية باسرها وليست ملكا للالمان بل هي رواية للعالم اجمع » .

اما عن نشأة هذه الرواية فقد كتب الشاعر رتشنا عن تاريخ ميلاد بطله فقال . « منذ اكثر من ستين عاما » . ولما كان هذا في عام ١٨٣٢ فرجعنا بذلك الى عام ١٧٧١ حين كان جوته طالبا في الثالثة والعشرين من عمره . وكان حينئذ في مدينة ستراسبورج قد حصل على درجة الدكتوراه حين سيطرت فكرة فوست في نفسه واخذ يفكر من اول نظرة بناء قصيدته الخالدة .

وصف جوته « مرجريت » بقوله

كان شعرها مرسل الخصلات
فاحتلت منزل وهي خافية الطرف
عن الباب القدسي
ساذجة رائقة ومداعبة
وكانت يبدو انه في الجمال
مع شيء من الصلابة الوطنية

فماهي مرجريت من بينا فلنسأل لنا لحظة ، كان جوته في آخر ايام اقامته في ستراسبورج وضع نفسه اشد التوبيخ : ان هذه الفتاة المتواضعة الوديعة قد هجرها اثر هجره وتخلى عنها . ولقد يبدو لنا كل هذه ما من نظرته الملسة وابنه شيء منهم من صلات وبيئة . فان العاطفة وان لم تحدث ضجة او فضيحة قد تم بلا شك في المحيط الخفي . ولم يكن جوته مجرد فرد « فردريكا » ليجهل انه قد تركها وكانها ارملة حائرة بل كان يعلم تمام العلم ما كان يسيل من قلبها من حب وما كان سرا

في نفسها من الالم فمجد ان غرس في قلب الفتاة البائسة حبا عميقا كان يحس لها اي تصيره ابديا فيما هو ذا يهجرها ويرحل عنها . « الوداع ايتها الصديقة . كفاني هذا الحب اللاذع . فبري امرك كما تستطيعين » . يالها من قسوة ووحشية ما لبثت ان اصبحت على مر السنين رمزا من الرموز ولم تكف صورتها البديعة تظهر في ساعات الالهام جلية .

فلقد هجر فوست ايضا معشوقته مرجريت ثم لم يلبث ان هجرها . وكان الغرام سببا اودى بحياة والدتها وحياة شقيقها وحياة ابنها . واخيرا اودى بحياتها هي ايضا . ولم يكن هذا الغرام في نظره الا عبارة عن مغامرة بسيطة للترفيه عن النفس .

ولقد كان مقتل الطفل موجودا في حادث ستيهم المحزن المفجع ، فلم يبق لجوته الا ان يترك الحرية لخياله حتى ينتقل من فردريكا الى مرجريت فيعطيها تقاسيم الوجه نفسها ، والصفات الخلقية نفسها ، والطابع الساذج والميل الى الغابات الساحرة .

جاء جوته الى ستراسبورج ، ابن اسرة عريقة ، يملأه الغرور والزهو ، وواثقا من قدرته تمام الثقة ، لا حاجة له الى مساعدة اي شخص ليشق طريقه . فسوف يحقق في شتى العلوم في الحقوق واللاهوت والطبيعة . فهو مثيله الدكتور فوست في صومعته القاتمة . وقد كان مصمما على احترام العادات ومراعاة التقاليد ، فيما هو ذا عند وصوله الى هذه المدينة ومن اول وهلة يصطدم بشخصية غريبة شخصية « هردر » Herder . فاذا هو يشعر بانه امام قوة واثقة من نفسها مليئة بقدرتها امام سلطان لا يلين ولا يذعن ، امام ذكاء لا يستطيع ان تزيد عليه شيئا . اما هردر فعلى النقيض من ذلك انه اخذ من بادىء الامر يكشف امام عيني جوته آفاقا جديدة لم تكن تخطر على بال تلميذه ولم يكن تلميذه ليستطيع ان يكتشفها بمفرده وقد كشف له هذا كله بسلاطة وبرود وسخرية لا تهدف الا الى الرد على شاب كان حتى ذلك الوقت لا يؤمن بتفوق انسان عليه .

وسيكون الشيطان (مفستوفليس) Maphistopheles عالما ايضا بتقاذف الاشياء بعيدا الظلام عن خفايا النفس امام فوست ، ويطوف به من ساحة الى ساحة ، ويكشف امامه لذات الحياة وكنوز هذه الانسانية البائسة ، فيهزأ بها ولا يجمع ما بين عظمتها وبؤسها الا ليدلل على ان الخير والشر هما شيء واحد ، وان هذا الزخم العظيم في نهاية الامر يتمخض عن لا شيء

ولم يكن هناك ما يمنع جوته من ان يستخلص نتيجة هذا كله فقد شعر بشيء من الرهبة عندما راى هذا الرجل الشيطان يقلب الافكار والآراء بجراة فائقة كانها نقود لعبة امتلأت بها جيوبه ، فيرميها ويجعلها تسطع تحت اشعة الشمس ، ثم يلقي بها في آخر الامر كانها قطع من الفحم الاسود الحقير . فلم تكن بغيته الا اغواء النفوس وسلب ارادتها . فاذا ما استسلمت صاغرة مطيعة ، ابلد آمالها وافنى رجاءها . هذا هو التاثير الشيطاني الذي تركه في نفس جوته نقد هردر اللاذع الخالي من التحيز العديم الشفقة . فاين السبيل الى التخلص من رفيق ينفذ نظره الى اعماق النفس ويقرأ في خفاياها اقصى الخير والشر ولا يهدف من وراء ذلك الى غرض ولا يطمع في شيء ما .

وهكذا نرى فوست يخضع الى مفستوفليس من اول وهلة ، ويوقع الميثاق بدمه . وبهذا يخضع الى سلطان عقل ارفع من عقله اكثر مما يستسلم له في سبيل الحصول على اللذات التي وعد بها . فهو يشعر بانه قد ضل السبيل اذا لم يستسلم . اما مفستوفليس فلا مشيئة له ولا هدف الا تعزيز سلطانه عليه فهو يخضع لفوست في كل ما يتعلق بمسائل الحياة ، وفوست هو السيد ومفستوفليس الخادم المطيع . الاول يستمتع باللذات والثاني يحضرها له . وكل ما يحتفظ به الشيطان لنفسه هو ان يثبت في آخر الامر بطريقة قاطعة انه ليس ثمة لذة تساوي الثمن الذي اشتراها به المرء .

ان صورة فوست هذه هي النتيجة الاخيرة لحياة خضعت لشتى التجارب وشتى العواطف

غير انه كان على جوته ان يخلقها ويخترعها اختراعا .
وكان الشاعر قد وصل الى هذا الحد من اضطراباته النفسية حين طرأ له طارىء مفاجىء . فقد وقف ذات يوم في ستراسبورج امام مسرح صغير للعرائس الصامتة ، وكانت تمثل رواية الدكتور فوست في صيغتها العامية القديمة . فكانت هي الشعاع القدسي امام عيني جوته . فلم تلبث هذه الصورة الضئيلة ان اصبحت الآلة المحركة لمخيلة الشاعر ، فقد وجدت هذه الاحلام وهذه الافكار التي كانت تجيش بغير وضوح في ظلمة نفسه متنفسا الى ضوء النهار ، واخذ ماضيه وحاضره ومستقبله يتجسم امام عينيه على شكل هذه الاسطورة . واخذ هذا المنظر الصبياني يتحول الى فصول وصور كاملة مليئة تموج بالحياة والرموز فكان سرا مضاعفا وتحررا عميقا ! تخلص جوته من بؤس نفسه وتحرر من هذا العبء الثقيل الذي كان يئن تحته عبء الاشياء البغيضة والغرائز الرديئة التي ما كان يستطيع ان يتغلب عليها او يتخلص منها ، ثم اوى ملاذه بطائفة مطابقة لطبيعته المتوهجة ، وهي ان الانسان يكفر عن نفسه بالعمل المتواصل .

وهذه هي الصورة الاخيرة ومغزى الرواية السامية .

اما عن الصبغة الاولى فيمكننا ان نضيف اليها قصة فتاة عبث بها احد السحرة وطلب الى الشيطان مساعدته حتى ينجز ما صنع . فحصل هنا جوته وجزأ عمل الرواية الاول المروع الى عدة فصول ، ومزج المخيلة بالرموز ، وزين ما في الطبيعة من وحشية شنيعة بالاكاليل من الرومانتيكية حتى يصل الى تحقيق رسالته . ولم تكن هذه الرسالة مصبوغة بصبغة المانية ولا انجليزية ولا فرنسية ولا روسية ولا تركية ولا صينية ولا فارسية ، ولكنها تتصل بجميع الشعوب وجميع الاجيال ، فكان سر العبقرية في تلك القدرة على ارضاء مختلف الجماهير التي تبغي الهزل والضحك والتي تميل الى التفكير والتأمل . ثم كان يهدف من وراء هذا الارضاء الى ادراك الانسانية نفسها واثارة مشاعرها وتحريك قلوبها وتنظيم عقولها وتهذيب نفوسها ، وشغلها في كل وقت بحيث تكون الرواية تحفة وملك الخيال : هذه هي « فوست » !

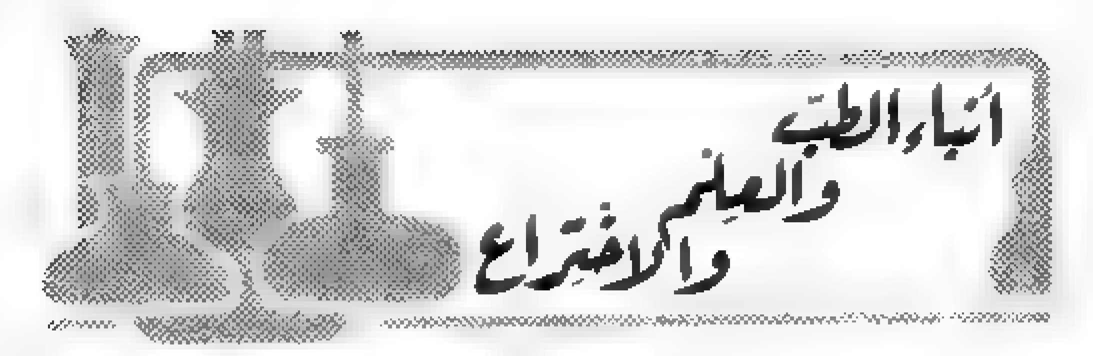
وفوست كجميع الملاحم تحوي عددا كبيرا من الرموز ، غير ان ابطالها اشخاص بشر يضطربون ويفكرون كما يضطرب ويفكر البشر ، ولو احاطت بهم قوى خارقة للطبيعة . وهذا مما يجعل تلك الرواية التي هي رواية الحياة العقلية ، مؤثرة الى هذا الحد ، مثيرة الى هذا الحد ، طبيعية الى هذا الحد .

من ذا الذي يصدق بعد ذلك ان رواية فوست التي حازت من الشهرة والانتشار هذا القسط لم تمثل على المسرح لاول مرة الا في عام ١٨٢٨ وكان ذلك بمناسبة الاحتفال ببلوغ مؤلفها الثمانين من عمره ! على ان جوته كان يتوقع لروايته مستقبلا غير هذا اذ قال : « سوف ترون فرنسيا يستخلص منها مسرحية كبيرة ذات مناظر » وهو يقصد بذلك ملهاة واوبرا وباليه .

ولم يخطىء في ذلك . فقد جاء في سنة ١٩٤٠ موسيقي فرنسي عبقري في العشرين من عمره يدعى شارل جونو Charles Gounod وعقد العزم على تلحينها ، ولم يثبط عزمه ما رأى من محاولات عديدة في هذا الموضوع ، بل على العكس شجعه على ان يتابع تحقيق مشروعه وحثه على اتمامه . وقد كتب في مذكراته « لم يبرحني هذا العمل لحظة بل رافقني في كل مكان فكنت اودع في مفكرات مبعثرة الافكار المختلفة التي كنت اراها جديرة بان تصلح يوم اعزم على الاقدام على مشروع الاوبرا . ولم يتحقق هذا المشروع الا بعد سبعة عشر عاما » .

والواقع ان اوبرا فوست كما نعرفها الآن لم تظهر الا في ١٨ مارس سنة ١٨٥٩ وقد تجاوز عدد المرات التي مثلت فيها [illegible] الاف مرة في فرنسا وحدها . وهذا اعظم دليل على نجاح هذه الرواية الشهيرة الخالدة التي لم تعرف الاخفاق في اي وقت طوال هذا الزمن .

دررية فهمي



ركاب الطائرات يتحملون الزائد في النفقات من اجل سلامتهم !!

● عندما ازدادت حركة النقل الجوي، وازداد اقبال الناس على السفر بالطائرات تردد الحديث عن احتمالات تخفيض أجور السفر بالطائرات نتيجة لزيادة عدد الركاب .

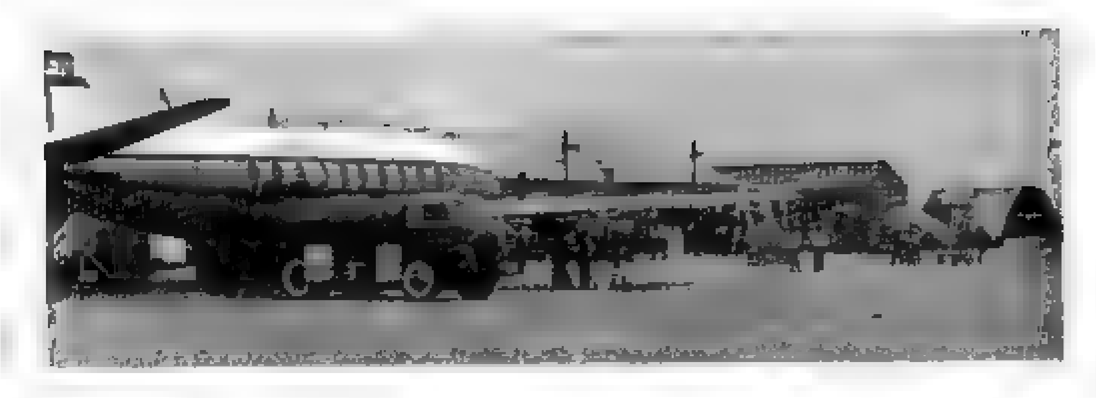
ولكن يبدو ان الحديث عن تخفيض اجور السفر قد اختفى الآن ليحل محله الحديث عن زيادة اجور السفر بسبب زيادة متطلبات الأمن والسلامة التي تطلبها الحكومات من شركات الطيران .. ويبدو ايضا ان الحديث عن زيادة اجور السفر بالطائرات قد تعدى مرحلة التفكير ليصبح امرا نافذا فقد قررت شركات الطيران العالمية زيادة اجور السفر ابتداء من اول نوفمبر القادم بنسبة ١٪ على الا تزيد هذه الزيادة عن ١٠ دولارات بالنسبة لكل مسافر وذلك لتغطية نفقات متطلبات سلامة الركاب .

وتتوقع شركات الطيران ان لا تكون هذه هي الزيادة الاخيرة في اسعار تذاكر السفر بالطائرات، وانما هي زيادة تتلوها زيادات اخرى على مدى السنوات القادمة .. وتوقع المسئولون عن شركات الطيران .. ان تزيد نفقاتهم بنسبة النصف في العام القادم ثم تتضاعف ١٠ مرات خلال العشر السنوات القادمة .

ويقدر هؤلاء المسئولون انه من المتوقع ان يتضاعف عدد الذين يسافرون بالطائرات خلال هذه الفترة ايضا ، ونتيجة لهذا فان نسبة ما سيتحمله المسافرون بالطائرات من زيادة تكاليف متطلبات السلامة تصل الى حوالي ٥٪ وبحد اقصى لا يزيد على ٥٠ دولارا للمسافر الواحد بالنسبة للرحلات الطويلة .

وقد تخلت شركات الطيران الآن من الفكرة التي تراودهم في عدم تحميل المسافرين نفقات متطلبات السلامة وذلك لان هذه المتطلبات قد تطورت اخيرا بحيث اصبحت عمليه معقده باهظة التكاليف .

فقد تمت بحوث كثيرة وهامة في تنظيم حركة الطيران المتزايدة فوق شمال الاطلنطي كما تم انشاء نظام باهظ التكاليف للتحكم في كافة عمليات الطيران التي تتم في اوربا على مستوى اعلى من ٢٥ الف قدم . وهناك مشروعات مماثلة في مختلف انحاء العالم لتنظيم حركة الطيران وخاصة في المناطق التي تزداد فيها هذه الحركة باستمرار ، ومن اهم العمليات المتعلقة بسلامة الركاب عملية ارشاد الطائرة في الجو ، وقد اصبحت هذه العملية التي كانت مقصورة على المناطق التي توجد فيها مطارات تشمل خط سير الطائرة في رحلتها كلها ، حتى وهي تحلق فوق المحيطات او الاماكن غير المأهولة . وقد قررت الحكومات انها لا تستطيع تحمل نفقات هذه الخدمات المتزايدة والتي لا علاقة لها بارشاد



الطائرات عند عمليات الهبوط والاقلاع من المطارات . وتغطى الحكومات تكاليف عملية الارشاد هذه عن طريق الرسوم التى تحصلها من الطائرات عند هبوطها الى المطارات التابعة لها وهى تقدر بحوالى ٥ ٪ من التكاليف المباشرة للرحلة على شركات الطيران .

وبالرغم من ان تكاليف ارشاد الطائرات فى الجو ليست باهظة حتى اليوم الا ان شركات الطيران تتوقع ان تصل هذه التكاليف الى ٣٥ مليون دولار فى عام ١٩٨٠ وذلك لتمويل مشروعات الارشاد عن طريق الاقمار الصناعية والتى تغطى كافة ارجاء العالم .

علماء البيئة يطالبون بالاقلال من الاعتماد على الشجر في صناعة الورق حفظا لمظاهر الطبيعة الجميلة الحرة

● يشن علماء البيئة فى امريكا حملة واسعة النطاق لتشجيع اعادة تصنيع الورق من اوراق الجرائد المستعملة واوراق الحاسبات الالكترونية وغيرها من الورق المستعمل وذلك للتخفيض من استهلاك الاشجار فى هذه الصناعة والذى يهدد بازالة الكثير من الغابات فى العالم نتيجة للزيادة الكبيرة فى استهلاك الورق .

وقد بدات حركة جمع الورق المستعمل تنشط نشاطا كبيرا فى الولايات المتحدة فى الآونة الاخيرة . ولكن فى نفس الوقت لا تزال هناك صعوبات كثيرة امام كثير من المشروعات التى قامت بجمع هذه الاوراق بعرض بيعها لمصانع الورق لاعادة تصنيعها من جديد . واهم هذه الصعوبات هو عدم اقبال الناس على شراء الورق المعاد تصنيعه ووجود مخزون كبير من لباب الاشجار لدى مصانع الورق ، وكذلك تواجد اغلب مصانع الورق الكبرى فى اماكن الغابات حيث تتوافر الاشجار وهى فى نفس الوقت بعيدة عن اماكن تجمع الاوراق المستهلكة ، وهناك ايضا عقبة اخرى وهى ان الاعفاءات الحكومية من الضرائب تجعل اسعار لباب الخشب ارخص تكلفة للمصانع من اسعار الورق المستعمل على الاقل فى الوقت الحاضر .

ويتم الآن اعادة تصنيع ١٩ ٪ من انتاج الورق فى الولايات المتحدة ، فى حين ان هذه النسبة ترتفع فى اليابان الى حوالى ٤٥ ٪ وفى المانيا تصل الى ٣٥ ٪ بينما فى انجلترا الى ٢٥ ٪ فقط .

وقد دلت الاحصائيات على ان الورق المستعمل يكون حوالى نصف الفضلات التى تجمع فى مدينة متوسطة الحجم ، وربع هذه الاوراق غالبا ما يكون من ورق الجرائد . ولما كان من الصعب فصل انواع الورق الاخرى مثل ورق اللف وغيره عن بقية انواع الفضلات الاخرى فى حين ان من السهل على اية ربة بيت ان تضع اوراق الجرائد التى تستغنى عنها فى مكان منفصل عن بقية الفضلات ، فقد اصبح لورق الجرائد الاهمية الاولى

بالنسبة لسوق الأوراق المستعملة بغرض اعادة تصنيعها .

وقد بدأت الحكومات المحلية في عدد من المدن الامريكية بحث السكان على وضع أوراق الجرائد المستعملة في أماكن منفصلة عن أماكن الفضلات الاخرى وذلك بغرض تجميعها وبيعها لمصانع الورق حيث يعاد تصنيعها . وقد نجحت الحكومة المحلية في مدينة ماديسون بولاية ويسكونسين في أن تجعل سكان المدينة يضعون جرائدهم القديمة في أماكن معينة للورق المستعمل حيث يقوم عمال النظافة بجمعها ووضعها في أماكن مخصصة لها في عربات جمع الفضلات . وقد وصلت نسبة ما يجمع من ورق الجرائد المباعة هناك الى ٥٠ ٪ وهي ضعف النسبة العامة للولايات المتحدة ككل . وفي مدينة ارفنجتون Irvington بولاية نيوجيرسي سنت الحكومة المحلية قانونا يحتم على سكان المدينة وضع الجرائد المستعملة في أماكن اخرى غير أماكن الفضلات وذلك مرة كل شهر حيث تقوم الجمعيات الخيرية بجمعها وبيعها لمصانع الورق . وقد وصل سعر بيع طن الورق المستعمل حوالي ٥ دولارات للطن الواحد تنخفض في بعض الحالات الى ٣ دولارات للطن .

وقد نجح علماء البيئة اخيرا في اقناع بعض الحكومات المحلية في الولايات المتحدة وبعض الشركات على الاقبال على شراء الورق المعاد تصنيعه ونتيجة لذلك قامت حكومة مدينة نيويورك بتغيير المواصفات الخاصة بالورق الذي تشتريه وقررت ان يكون ٢٠ ٪ من هذا الورق من النوع المعاد تصنيعه . وقام بنك امريكا ايضا بالاهتمام بحركة اعادة تصنيع الورق وتأثيرها الاقتصادي وقام باصدار تقرير سنوي عن اقتصاديات الورق المستعمل واعادة تصنيعه ووزع هذا التقرير في مظروف من ورق معاد تصنيعه .

ويقول رجال صناعة الورق ان جودة الورق تعتمد على طول الياف لب الشجر وان الورق الجيد يصنع عن طريق معالجة لب الخشب بالكيماويات حتى تحتفظ بطول اليافه ولكن ورق الجرائد والورق المقوى والكرتون يصنع بطريقة ميكانيكية تؤدي الى تكسير الالياف ، ولذا كان من السهل استخدام اى نوع من الورق المستعمل لانتاج ورق الجرائد والورق المقوى ، في حين ان انتاج الورق الجيد

السمان
يأكلون بحكم الطبع
اكثر من النحاف

● هكذا يرى الباحثون ، ان السمان عموما ، بحكم طبعهم ، يأكلون اكثر من غيرهم من سائر الناس .

وقد اجريت تجارب كثيرة ظهر منها ان السمان اقل استجابة لاحاسيس الجوع والشبع الداخلية من النحاف ، وانهم اكثر استجابة وتأثرا بمجرد وجود الطعام وحضوره بين أيديهم .

وظهر كذلك ان السمان يأكلون من الشطائر اكثر من الشخص العادي اذا كانت هذه الشطائر على المائدة امامهم مباشرة . وانهم يأكلون اقل من الشخص العادي اذا وجب عليهم القيام الى هذه الشطائر والحصول عليها من الثلاجة وهي في الناحية الاخرى من الحجرة .

كذلك يأكل السمان من الفول السوداني



يحتاج الى نوع معين من الورق المستعمل وهو الورق ذو الالياف الطويلة .

ويضيف رجال صناعة الورق ان ورق الجرائد المستعمل يحتاج الى عملية ازالة الحبر اذا كان المطلوب اعادة تصنيعه ليستعمل من جديد في الصحف وهي عملية مكلفة وتؤدي الى تلوث البيئة ايضا .

وبالرغم من ان الورق المعاد تصنيعه يمكن ان يكون في نفس بياض الورق المصنوع من لب الخشب الا انه لا يكون بنفس اللمعان ويمكن للعين المدققة ان تجد فيه بعض البقع .

وتستهلك الصحف في الولايات المتحدة حوالي ١٢ ٪ من مجموع انتاج الورق الكلي ، وحتى عام ١٩٦١ كان هذا الاستهلاك مقصورا على الورق المصنوع من لباب الشجر ، ولكن في عام ١٩٧١ اصبح الورق المعاد تصنيعه يمثل ٥ ٪ من استهلاك الصحف للورق . ويتوقع رجال الصناعة ان لا تزيد هذه النسبة بأي حال من الاحوال عن ١٠ ٪ من مجموع استهلاك الصحف في المستقبل وهذا يعني ان اعادة تصنيع الورق لا يجب ان تعتمد على الصحف كمستهلك رئيسي لمثل هذا النوع من الورق .

ويقول المختصون ان مستقبل اعادة تصنيع الورق قد يعتمد كليا على ورق التغليف والعلب الورقية التي تباع فيها البضائع . ويقوم علماء البيئة الآن بتشجيع الجمهور على الاقبال على شراء البضائع المغلفة او المعبأة باوراق معاد تصنيعها وذلك عن طريق وضع شعار معين على هذه العلب او الاغلفة لتشجيع محبي الطبيعة على شراء الاصناف المغلفة بالورق المعاد تصنيعه . ويتوقع الكثيرون ان تؤدي هذه الطريقة الى تشجيع بقية الشركات على استعمال الورق المعاد تصنيعه في تعبئة وتغليف منتجاتها وبذلك يتحقق النجاح المرجو في المحافظة على الثروة الخضراء التي يهددها الفناء نتيجة الاستهلاك الضخم للورق في عصرنا الحاضر . وهكذا يعمل رجال البيئة على الاحتفاظ بما تهبه الطبيعة للانسان من غابات ومزارع وانتجة اخرى كثيرة برية وبحرية حتى يقتنع الانسان آخر الدهر الى ضرورة المحافظة عليها قبل ان يصيبها الفناء .

الكثير ، اذا وضع امامهم وهو مقشور . اما اذا وضع غير مقشور ، ووجب على الآكل تقشيره ، فالنحاف يأكلون الاكثر .

وظهر من التجارب ايضا ان السمان اكثر تأثرا برائحة الطعام وبطعمه .

والرجل العادي يأكل من الطعام حتى يشبع ، اما الرجل السمين فيأكل اكثر من ذلك اذا هو احب الطعام ، ولا يكاد يأكل شيئا اذا هو لم يحب طعامه .

واجرى علماء في جامعة ييل Yale تجاربهم على اطفال رضع ، فوجدوا مثل ما وجدوا في البالغين السمان . الاطفال تأكل من الطعام المحلى اكثر من النحاف . واذا استخدموا حلمة لا يخرج اللبن منها بسهولة ، رضع منها النحاف اكثر مما يرضع السمان ، لأن النحاف يبذل في سحب اللبن مجهودا أكبر .

وظهر للعلماء كذلك ، في تجارب الاطفال ، ان الاناث منهم اكثر استجابة لمذاق الطعام من الذكور .

والخلاصة من كل هذا هي ان شهوة الطعام عند بعضنا تحكمها اولا واساسا حاجة التغذية القائمة في الجسم ، بينما هي عند البعض الآخر تحكمها النظر الى الطعام وتحلب الريق لمرآه .

والنصيحة المستخرجة من ذلك هي واجب من يريد ان يخفف من وزنه ان يبتعد ما امكنه عن النظر الى الاطعمة المغرية ، وينأى عن روائحها الفائحة .

●●



■ مـــن هي المــــرأة الجميــــلة؟

● الرجل وكيف ينظر إلى الموضة والأزياء الحديثة !

■ سحر المـــــرأة .. وماذا قالوا فيـــه !!

■ هل اصبحت المرأة « عبدة » لملوك الازياء .. هؤلاء الذين يتحكمون في طريقة ملبسها وفي تجميل وجهها ، وتسريحة شعرها ؟

ولمن تلبس المرأة ؟ هل تتجمل وتتزين لنفسها ، أم لرجلها ، ام لانها تريد ان تتفاخر بين بنات جنسها ، بما تظهر به امامهن من ازياء جديدة فاخرة في عالم الازياء والموضة الحديثة ؟

واخيرا من هي المرأة الجميلة .. وهل هي حقيقة في حاجة الى كل هذا الجهد الكبير والمال الكثير الذي تبذله من طيب خاطر ، لكي تبدو جميلة فتثير اهتمام الرجل واعجابه ؟

كانت هذه الاسئلة موضوع بحث اجراه بعض علماء النفس في محاولة لفهم عقلية المرأة ، لا سيما الحديثة ، والعوامل التي تتحكم في اسلوب تفكيرها وطريقة اختيارها لملابسها وزينتها ؟

الأزياء والموضة

قالوا ، ان عالم الموضة والأزياء فتن المرأة وسحرها ، وضاعف من حيرتها إزاء مشكلة من أعقد المشاكل التي تعاني منها المرأة أيا كانت في كل مكان وزمان .. ألا وهي مشكلة العناية بملبسها ومظهرها ، فقد دلت الاحصائيات أن ربع ميزانية الأسرة على الأقل ، مهما يبلغ عدد أفراد هذه الأسرة ، يضيع شهريا في شراء الجديد من الأزياء وأدوات التجميل والزينة ، لا للزوجة فحسب ، بل ولأطفالها أيضا من الاناث ، ابتداء من السنة الثانية من أعمارهن ، فما فوق !

تجارة رائجة

ونتيجة لذلك ، فقد ثبت أن أروج تجارة في العالم ، هي تلك التي تتصل بكل ما تلبسه المرأة وتتزين به وتتجمل ، في مختلف أطوار حياتها ، ابتداء من الطفولة عند سن السادسة أو ما دونها ، حتى سن الزواج ، وما بعده بسنوات طويلة .. فستان المرأة هو السلعة الوحيدة التي تعود على التاجر بربح مؤكد ولا يخسر فيها أبدا .. فالمرأة وحدها ، دون الرجل ، هي التي تدفع دائما ، وتدفع بسخاء في كل شيء جديد وجميل يثير اعجابها مهما بلغ ثمنه !

رجل يحكي تجربته

يروي أحد العلماء الذين اشتركوا في هذا البحث ، وهو جون براون «John Brown» تجربته مع زوجته التي انقضى على زواجه بها أكثر من خمسة عشر عاما ، قال : « كان ذلك في أحد أيام الربيع ، عندما عدت الى بيتي في المساء متعبا ، بعد يوم من العمل طويل ، ولم تكن زوجتي في البيت لتستقبلني ، كما عودتني دائما ، أما أبناؤنا الثلاثة ، فقد كانوا مشغولين عني ، بمشاهدة التلفاز ! » .

ولم أشأ أن أزعجهم ، فذهبت الى غرفة مكتبي في هدوء ، وجلست في مقعدي الوثير المفضل ، ثم مددت يدي ، وأخذت كتابا ، رحت أقرأ فيه ريثما تعود زوجتي من الخارج ، لنعد لنا طعام العشاء ، وكنت أمني النفس بوجبة دسمة في تلك الليلة !

« وانقضت ساعة أو ساعتان ، لا أدري ، قبل أن أسمع صوت المفتاح يدور في قفل الباب .. لقد وصلت زوجتي أخيرا ، وسمعت هرجا ومرجا .. لقد كان الأبناء يتصايحون ، وأدركت على الفور أن شيئا غير عادي يجري في الخارج ، والا فما سر هذه الضحكات العالية التي تدوي في أرجاء البيت .. ! » .

ما رأيك يا عزيزي ؟

« وقمت من مقعدي ، أستطلع الأمر ، واذا بي أمام المفاجأة وجها لوجه .. زوجتي تقف في وسط صالة البيت ، ومن حولها أبناؤها الثلاثة ، وكلهم في ذهول ، وقد راحوا يتسابقون في ترديد كلمات الاطراء والاعجاب بأمهم ، ولو أن كلماتهم لم تخل من خبث بدا واضحا في عيونهم ، وهم يتطلعون اليها في دهشة ! .

« وأخيرا ، أحست زوجتي بوجودي ، فاقتربت مني ، ثم دارت على عقبيها ، قبل أن توجه الي السؤال الذي كنت أتوقعه : « ما رأيك يا عزيزي؟» .

والحق ، انني كنت لا أعرفها .. لقد تحولت زوجتي في تلك الليلة الى امرأة أخرى ، غير تلك التي عرفتها وعشت معها .. حقيقة ، لم يكن هذا أول عهدي بمثل هذا التغيير الذي كان يطرأ عليها ، بين الحين والحين في بداية كل موسم جديد ، ولكنها في هذه المرة كانت غريبة تماما في كل ما اختارته لنفسها .. شعرها الذي رفعته فوق رأسها ، وقد تلون بخطوط ذهبية وفضية .. ورموش عينيها السوداء الجميلة ، تحولت بقدرة قادر الى رموش خضراء .. حتى شفتاها الجميلتان ، لم تتركهما على حالهما ، فاختارت اللون القرمزي لهما فقط .. نفس اللون الذي اختارته لفستانها ، ذلك الثوب الذي أخفت فيه جسمها كله ، من العنق حتى الى ما فوق القدمين بقليل .. وقد تركته واسعا فضفاضا ، أشبه بالقميص الذي ترتديه عند النوم ! !

ورحت أتطلع اليها طويلا ، والأبناء الثلاثة من حولنا ينتظرون في تحفز ، اجابتي على السؤال الذي طرحته على أمهم منذ لحظات قصيرة ، عندما أرادت أن تعرف رأيي فيما فعلته برأسها ووجهها وفستانها !!

ماذا صنعت بنفسك ؟

« ولكني خيبت أمله ، فلم أجبها ، وإنما سألتها مسرورة : « ماذا صنعت بنفسك يا عزيزتي ؟ » .

قالت : « ألا ترى .. ؟ إنها الموضة يا حبيبي ! لقد أمضيت أربع ساعات كاملة أتنقل بين دور الأزياء ، وصالونات التجميل ، لكي أبدو لك في هذا المظهر الجميل .. قل لي شيئا ، أي شيء ؟ »

« وقلت : ألست تعلمين تماما أنني تزوجتك بدون « رتوش » ، هل تذكرين لقاءنا الأول ، لقد كنت فتاة سمراء جميلة ترتدين فستانا أنيقا بسيطا .. هذه هي الصورة التي مازلت أحملها لك في مخيلتي دائما .. أنت لست في حاجة لكي تفعلي بنفسك كل هذا الذي فعلته ، لكي تؤكدي لي أنك مازلت جميلة ، ولكن مادامت هذه « الموضة » تعجبك ، فهي تعجبني أيضا !! » .

لمن تتجمل المرأة

ترى لمن تلبس المرأة ، وتتجمل أيضا ؟

لقد عبر هذا الزوج عما يشعر به ملايين الأزواج في العالم ، إزاء هذا التيار الذي تجد المرأة نفسها تنزلق فيه دون أن تدري ، أو لعلها تدري ، فهي تسعى إليه بنفسها ، وتعرف مقدار ما يكلفه الانسياق في هذا التيار الجارف من جهد ومال ! فالمرأة لا تقف عند حدود معينة أبدا .. !

إن المرأة ، كما يؤكد العلماء ، تلبس وتتزين لترضي أنوثتها أولا ، ولكنها في نفس الوقت تريد أن تسمع رأي رجلها في كل ما تصنعه بوجهها وشعرها وملابسها ، ويقول الرجل الذي لا يعرف كيف يرضي هذه النزعة في امرأته !؟ فهي تريد أن تسمع منه دائما أنها تبدو جميلة فعلا ، حتى لو كان يرى أن فستانها الجديد أو تسريحة شعرها أو طريقة وضعها للماكياج على وجهها لا تلائمها !

النزعة للتفاخر !

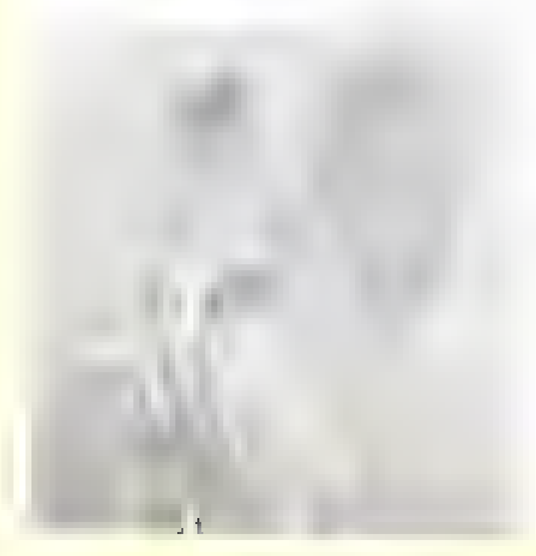
ولكن ثبت أيضا بعد دراسة نفسية المرأة ومزاجها ، أنها لا تتزين من أجل نفسها ومن أجل رجلها فقط ، وإنما هي تتجمل وتتزين وتحرص على الظهور في أفخر الأزياء وأحدثها ، لكي تباهي وتتفاخر بين صديقاتها ومعارفها من النساء .. فرغبة المرأة في سماع كلمات الإعجاب من جانب زوجها ، لا تقل عن رغبتها في انتزاع عبارات الإطراء من شفاه غيرها من النساء ، عندما تقف وسطهن ، وتحس بتلك النظرات التي يرمقنها بها والتي تمتلئ بالغيرة والحسد !

على أن هذه النزعة تختلف من امرأة إلى أخرى ، فالنساء ليسوا سواء ، والمرأة الجميلة التي حباها الله قدرا كبيرا من الجمال ، لا تهتم كثيرا بتجميل وجهها وزينتها ، ذلك لأنها تعرف أنها جميلة ، بينما نجد أن المرأة المتوسطة الجمال أكثر حرصا على العناية دائما بمظهرها وتجميل وجهها ، من أختها الجميلة ، أما الأكثر حرصا على الإطلاق فهي تلك التي لم يكن لها نصيب من الجمال كبير ، فهي تريد أن تعوض هذا النقص ، بكل ما من شأنه أن يضفي عليها مسحة من جمال تفتقر إليه .

الثقافة والتعليم !

ثم هناك بعد ذلك ، عوامل أخرى لها أثرها في عقلية المرأة ، وفي طريقة اختيارها لملابسها وظهورها أمام الناس .. وفي مقدمة هذه العوامل ، الثقافة والتعليم ، ومدى ما كان لها من نصيب منهما .. فالمرأة المتعلمة المثقفة ، أقل اهتماما بالأزياء الجديدة والموضة الحديثة ، وأخر الصيحات التي تظهر في طريقة تسريح الشعر ووضع الماكياج .. لأنها تعرف أن هناك صفات أخرى كثيرة [illegible] المظهر الخارجي ، وهي أكبر أثرا في جذب زوجها [illegible]

ثم هي تعرف أيضا أن في الحياة أشياء كثيرة أخرى ، أهم بكثير من مجرد التطلع إلى صورة



جميلة فاتنة .. فطريقة حديثها مثلا ، ومعالجتها لأمور الحياة ، لو شخصناها ، كل هذه صفات أبقى وأعمق أثرا في نفس الرجل من أية صفة أخرى تتصل اتصالا مباشرا بلون عيني المرأة أو تسريحة شعرها أو قسماتها الجميلة ..

البساطة في الجمال

ولكن ليس معنى هذا ، أن مثل هذه المرأة المثقفة ، تهمل نفسها ، وتهمل في العناية بمظهرها ، ولكن معناه أنها تختار من متع الحياة أبسطها .. والبساطة في كل شيء ، حتى في أزياء المرأة ، سر من أسرار جمالها ، ونجاحها في الحياة .

يقول الباحثون ، أن أنوثة المرأة وذكاءها ، هما أول شيء يبحث الرجل عنهما ، حقيقة أن الجمال في المرأة شيء يبحث عنه الرجل ، وهو يستوقفه حتما ، ولكنه لا يلبث أن ينصرف عنه إذا وجد أنه ليس هناك أي شيء آخر وراء هذه الصورة الجميلة التي أثارت إعجابه ، فلا يلبث أن ينصرف عنها .

الإطار .. والصورة

إن الوجه الجميل ، لا يعدو أن يكون مجرد إطار لصورة لم تتضح ملامحها بعد في عين الرجل .. وهذه الصورة لا تكتمل إلا إذا صاحبتها صفات أخرى لا تقل أهمية عن الجمال نفسه ، فشخصية المرأة ، وأنوثتها ، وثقافتها وطريقة حديثها ، كل هذه ، كما قلنا ، عوامل تلعب دورا رئيسيا في تحديد الصورة التي يريد الرجل أن يبني ملامحها ، داخل الإطار الذي استوقفه وأثار إعجابه ..

على أن هناك عاملا آخر ، يلعب دورا رئيسيا في تأثير المرأة على الرجل ، وهو يتلخص في كلمة واحدة هي « سحر » المرأة ، وقد حار العلماء في تفسير معنى هذا السحر وأسبابه ، وأمل في المعنى الظاهر لهذه الكلمة ما يحير ، فهم يقولون أن هذه المرأة ساحرة ؟ ولكن لماذا هي ساحرة ؟ فهذا هو السؤال الذي حار الرجال أنفسهم في تفسير أسبابه

سحر المرأة

إن الجمال في حد ذاته مسألة نسبية ، ومعاييره تتغير من بلد إلى بلد ، ومن زمن إلى زمن ، ومن جيل إلى جيل ، فهي عند آبائنا غيرها عند أبناء هذا الجيل ، والجمال عند أهل الإسكيمو ، يختلف عن الجمال عند سكان منطقة خط الاستواء.

ومع ذلك ظهرت نساء « ساحرات » ، تملأ كتب التاريخ قصصا ، هي أقرب إلى الأساطير عن غرام الرجال بهن !

هذا « السحر » الذي وصفه لامارتين Lamartin ، شاعر الحب والجمال ، « إنه أشبه بالزهرة المتفتحة في الربيع ، فإذا كانت المرأة هذه الزهرة ، فهي امرأة ساحرة ، ليست في حاجة بعد ذلك لأية صفات أخرى تؤكد بها شخصيتها» .

أين يكمن سحر المرأة ، هل هو في جمالها ؟ هل هو في ذكائها ؟ هل هو في حديثها ؟ هل هو في أسلوبها ؟ إنه في كل هذه الصفات وفي كثير من صفات أخرى غيرها ، ولكن الثابت أنه ليس هناك رجل واحد استطاع أن يحدد بالضبط موطن السحر في امرأته .. كل ما عرفه هو أن هذه المرأة قد سحرته وكفى !

قال الشاعر الانجليزي روبرت براونينج Robert Browning (١٨١٢ - ١٨٨٩) يصف سحر المرأة . « إنه أجمل مستحضرات التجميل ، ولكنه شيء لا يباع ، إنه هالة رقيقة تلف المرأة لفا ، ولكن أحدا لا يعرف أين بدأت ، ولا إلى أين تنتهي .. إنه وسادة ناعمة .. إنه صوت رقيق هادئ ، إنه العصفور المغرد .. إنه تلك الابتسامة الجميلة التي تضفي على كل من حولها ، وما حولها حلاوة وجمالا .. أو هو في النهاية صوت رقيق إذا سمعته مرة ، وددت لو أنك عشت معه إلى الأبد ! » .

قال إبراهام لنكولن : « إن سحر المرأة ، ليس فقط حبا وهبته لها الحياة ، وإنما هو حبا تمنحه هي لهذه الحياة .. فالمرأة الساحرة هي تلك التي تعطي أكثر مما تأخذ ! » .

قال برنارد شو . « لقد سحرتني هذه المرأة ولكني لا أعرف كيف استطاعت هي بالذات أن تصنع بي ما صنعت ، كل ما أعرفه هو أني قد وجدت فيها شيئا ، لا أدري ما هو على وجه التحديد .. وقد جعلني هذا الشيء أسعد عندما أفكر فيها ، وأحس نفسي بالقلب يقفز من ضلوعي عندما أراها ، وأشعر بعد ذلك أن من المستحيل أن أنزع صورتها من رأسي ! » .

■■

سمير [illegible]

أمراض شائعة

العلاج النفسي بين القديم والحديث أنواع عدة

ينتقي منهن المعالج أفضل الطرق لمرضاه

بقلم : الدكتور فخري الدباغ

■ قال المفكر (ترودو) Trudeau ان العلاج النفسي « يشفي المريض أحيانا » ، ويخفف عنه « غالبا » ، ويريحه « دوما » . وهو تعريف موجز وبليغ وشامل لحقيقة ما يجري في العلاج النفسي في عصرنا هذا .

وإذا كان علم النفس المرضي والأمراض العقلية Psychopathology & Psychiatry علما حديثا نسبي التاريخ ، فان الطب النفساني Psychological Medicine ممارسة بشرية عريقة جدا ترمي الى التخفيف من آلام ومعاناة الانسان من جراء شتى الظروف القاسية والملابسات المؤلمة . وكان الطبيب البارع في العصور الغابرة يمارس شتى فروع الاختصاصات الطبية المعاصرة من جراحة وطب باطني ، ومن بينها العلاج بالطرق النفسانية أيضا . والقصص الطريفة التي تروى عن ابن سينا والرازي وغيرهم ، ومن أساليبهم العلمية لشفاء بعض الامراض النفسية ، لا تزال تصلح أمثلة مفيدة للطب النفساني الحديث .

وما نود أن نؤكد عليه ، هو أن محاولة الانسان للتخفيف والترويح عن الأزمات النفسية لأخيه الانسان ، ما هي بالحقيقة الا « معالجات نفسية » بالمفهوم الحديث . ونصائح الأصدقاء ، ومؤاساة الأقارب ، وإيحاءات وتشجيعات رجال الدين وعقلاء الجماعة ، هي أمثلة قديمة وحديثة وبسيطة للعلاج النفسي .

ولم يصبح العلاج النفسي Psychotherapy فنا خاصا مستقلا بذاته تمارسه جماعة من الأطباء والمتخصصين الا في أواخر القرن التاسع عشر وذلك عندما برز علم النفس واستقل عن أمه « الفلسفة » دون رضاها ، ليشق له طريقا آخر مستهديا بالعلوم الطبيعية الأخرى، ومبتكرا لنفسه الأبحاث والتجارب .



لا علاج بدون نظرية

وطبيعي أن العلاج – أي علاج – يجب أن يستند على طبيعة الأسباب . والعلاج النفسي القديم يختلف عن العلاج الحديث في نظرته الى مسببات الاضطراب النفسي والى كيفية ازالة أو تعطيل تلك المسببات . لذلك نجد البون الشاسع بين العلاج النفسي الحديث والعلاج البدائي والقديم . كان الانسان البدائي يعتقد أن المرض النفسي ينتج عن « حلول » أرواح شريرة فيه ، أو عن اصابته بحلول « لعنة » سلطها عليه أعداؤه أو أحد أفراد القبيلة المجاورة لقبيلته . والنفس الذي حينئذ أن يكون العلاج « بطرد » الروح الشريرة وابطال اللعنة السحرية . ويتولى كاهن الجماعة أو الطبيب الساحر أو الشامان Shaman تلك المهمة ، ويلجأ الى استخدام الوسائل البدائية العديدة لشفاء المريض ، كتقديم القرابين والرقص الشعائري واحضار التمائم وصنوع الأعشاب الطبية الغريبة . ولا تزال آثار تلك الوسائل الخرافية موجودة الى يومنا هذا في مجتمعات بدائية متفرقة من المعمورة ، وكذلك بين الطبقات الجاهلة من المجتمعات والدول النامية .

وبطول المقال لو تتبعنا كل وسيلة علاجية نفسية قديمة وأسسها الفلسفية والنظرية ، ولكننا نستنتج بأن العلاج النفسي يستند ويرتكز على أرضية من نظرية أو فكرة تفسر طبيعة وسبب المرض النفسي . والنظرية الخرافية تتبع علاجا خرافيا ، والنظرية الروحية تتبع علاجا روحيا .. وهكذا ، الى أن تكون قد وصلنا الى دور مدارس علم النفس المعاصرة .

ويحق للمفكر والمثقف أن يستغرب من اصطلاح « مدارس » علم النفس ، اذ سيكولوجيا أن وجود المدارس يعني بطبيعة الحال اختلافا في تفسير المرض النفسي وأسبابه ، وهذا ما يجب أن نعترف به شئنا أم أبينا . فالمرض النفسي لا يزال معضلة فكرية وعلمية وفلسفية قيد البحث والتنقيب والجدل . الا أن شيئا واحدا يتفق عليه الجميع ، هو أن المرض النفسي يختلف كثيرا عن المرض العضوي ، وأنه يتمثل بـ : (القلق الدائم أو الاضطراب الفكري ، والشعور بعدم الاستقرار أو الأمان ، ويبدو لا يرضي الذات أو لا يرضي الغير ، وأنه نتيجة أزمات وعقد داخلية أو تجارب وأساليب في مواجهة الحياة أو الأشخاص أو الجماعات) . ولا شك أن الطفولة التعيسة والتربية الخاطئة في الحياة العامة والتوجيه الجنسي والفكري والعاطفي والعادات السيئة الأولية تحتل الحصة الكبيرة في التمهيد للوقوع في مشاكل وأزمات وعواصف المستقبل النفسية .

وتركز كل مدرسة نفسية على ناحية أو بضعة نواح من هذه الأزمات وتهمل الأخرى . أي أن لكل مدرسة نظرية خاصة في العقل والحياة والسلوك . وعلاجها النفسي مستمد من تلك النظرة . وسنبين الفوارق والخصائص لتلك المدارس من خلال استعراضنا لخطط علاجاتها النفسية .



طبيعة العلاج النفسي الحديث

بتطور العلوم الانسانية والحياتية ، اتجه الانسان الى ان المريض النفسي يجب ان يكون موضع البحث والبحث العلمي ، وان تعتقد صياغته في الفرد او الجماعة او المحيط – كما بينا – وانه يجب ان يعالج ايضا باسلوب علمي واخلاقي وانساني يخلو من الدجل والخرافة ورفض العنف والقسوة . وهذه هي مزايا العلاجات النفسية الحديثة .

والخاصية المهمة الاخرى للعلاج النفسي هي استخدامه الكلمات والافعال والاتصال الروحي او العاطفي الانساني في تحقيق عملية الشفاء دون اللجوء الى الادوية والعقاقير او الى الادوات التكنولوجية والطبية الاخرى التي يعتمد عليها الطب الجسماني المعروف .

ولقد كان مفهوم العلاج النفسي في الحضارات العريقة انه : كل وسيلة نفسانية لعلاج الامراض سواء كانت عضوية ام نفسية ، كما يتجلى ذلك في تعاليم ابوقراط وفي علاجات مشاهير الاطباء العرب . ثم اصبح مفهوم العلاج النفسي مقتصرا على علاج الامراض النفسية بالوسائل النفسية فقط . واخيرا ، ومنذ الخمسينات من هذا القرن استرجع العلاج النفسي شيئا من مفهومه القديم – اي علاج شتى الامراض بالوسائل النفسية – ولا يعني هذا انه يمكن معالجة السرطان او التدرن الرئوي مثلا بالتحليل النفسي ! لكنه يعني ان النظرة الحديثة لعلم النفس تعتبر الانسان وحدة كاملة من نفس وجسم ، وان كل اضطراب نفسي ناشيء من اسباب نفسية خالصة او عضوية يمكن ان يعالج نفسيا . فالمصاب بالتدرن او السرطان قد يعاني بالاضافة الى آلامه العضوية من الهم والقلق او الميل الى الانتحار نتيجة ادراكه لحالته الخطرة ، وعندئذ يلعب العلاج النفسي دوره بالطبع بالاضافة الى العلاج العضوي اللازم .

الا ان النسبة العظمى من العلاجات النفسية الحديثة تقتصر على مكافحة الامراض النفسية ، كما ان العلاج النفسي يقوم بجهود خطير ايضا في معالجة الامراض النفسانية الجسمانية (السايكوسوماتية) Psychosomatic Diseases كالربو والقرحة المعدية والضعف الجنسي وبعض الامراض الجلدية ، الخ . ومن كل ما تقدم ، يمكننا تعريف العلاج النفسي بانه . « كل مجهود فردي او جماعي يرمي الى تخفيف الآلام ومعاناة واضطرابات النفس التي تنتاب الحالة العقلية والعاطفية للانسان وتؤثر في سلوكه ، بالوسائل النفسية فقط » . ومن التعريف هذا ندرك ان هنالك نوعين من العلاجات النفسية : ١ – العلاج النفسي الفردي Individual Psychotherapy والذي يجري بين المعالج الواحد والمريض الواحد.
٢ – والعلاج الجماعي Group Psychotherapy وهو الذي يجري بين مجموعة من المرضى سوية ومعالج واحد او اكثر .

التحليل النفسي والعلاج النفسي

من الضروري ايضاح غموض ورفع التباس شائع وهو اعتبار العلاج النفسي مرادفا للتحليل النفسي Psychoanalysis ، وهذا غير صحيح . فبعد ان حل الانشقاق الكبير بين فرويد Freud ويونغ Jung وادلر Adler الذين كانوا يمثلون سوية كطريق متميز من بقية اتجاهات علم النفس ، اعقبت ذلك مرحلة جديدة اخرى بظهور ثلاثة علماء طوروا النظرية الفرويدية – بالتعديل والتشذيب والاضافة – وهم الذين اطلق عليهم جماعة (الفرويديون الجدد) Neo-Freudians . كما دخلت العلوم الاجتماعية والانسانية الاخرى في ميدان علم النفس ، وظهر علم النفس الاجتماعي Social Psychology ، وعلم النفس الانثروبولوجي Psychological Anthropology ، وتطورت السلوكية التقليدية لواطسون Watsons' Behaviorism تطورا جذريا ، واصبحت العلاجات النفسية بطبيعة الحال عديدة ومتباينة ، وبقيت الطريقة الوحيدة للتحليل النفسي الكلاسيكي او الفرويدي كما هي ودعيت بالعلاج النفسي للاعماق Depth Psychotherapy او التحليل النفسي فقط Psychoanalysis ، ودعيت الطرق الاخرى للتحليل النفسي التي لا تتناول اعماق الذات ولا تتوغل الى مدى بعيد من النفس السحيق بالتحليل النفسي السطحي Superficial

Psychotherapy ، هذا بالاضافة الى عدة وسائل أخرى سنحددها باختصار ووضوح. وعليه فالتحليل النفسي الآن واحد من مجموعة كبيرة لوسائل العلاج النفسي .

أنواع العلاجات النفسية

١ ـ التحليل النفسي (الفرويدي) Freudian Psychoanalysis ، وهي الطريقة التقليدية الطويلة التي ابتكرها فرويد ، والتي تستغرق أشهرا طويلة وتتجاوز السنة الى الثلاث سنوات. المريض يستلقي على الاريكة في غرفة العلاج ، ويترك العنان لافكاره .. ويجول في ماضيه وحاضره .. ويحكي أحلامه الليلية . أما المحلل فيمهد له الطريق بتوجيه وتعليق مبطن وتفسير غير مباشر ، الى أن يكتشف المريض تدريجيا القوى الخفية المكبوتة في عقله الباطن ويطلع على أسرار غرائزه الجامحة وميوله الغامضة وأسباب انطلاقه السلوك المعين . ويعتقد الفرويديون أن مجرد اطلاع المريض على ما يدور في لاشعوره من عقد ونوازع مكبوتة ـ وأغلبها جنسية الطابع ـ هي الخطوة الحاسمة نحو الشفاء . التحليل النفسي من هذا النوع قليل الاستعمال ويقتصر على حالات خاصة منتقاة لما تتطلبه من جهد ووقت وتكاليف مادية .

٢ ـ التحليل النفسي اليونجي (نسبة للعلامة يونج) ، وتدعى الـ Analytical Therapy وهو يشابه التحليل النفسي للاعماق باعتماده على تداعي الكلمات والافكار وتسلسلها الحر Free Association ، ويرمي الى الكشف عن عالم اللاشعور ، لكنه لا يعتبر أن الجنس هو مصدر الازمات والاضطرابات النفسية ـ كما يعتقد فرويد ـ بل كل ما في الحياة من مطالب روحية وحياتية ، وكذلك القوالب والغرائز السلالية للجنس البشري باجمعه Archaic Unconscious وليس للفرد الواحد .

٣ ـ التحليل النفسي الادلري (نسبة للعلامة ادلر) ، وهو لا يكترث باللاشعور والعقل الباطن ويؤمن بأن القوى المحركة للسلوك البشري تكمن في نزوعه الى تأكيد الذات وسطوتها وبروزها . والعلاج النفسي الادلري يحاول أن يكشف للمريض ميوله واتجاهاته التي يريد بها ـ من طرف خفي ـ أن يعوض Compensate عن شعوره بالنقص Inferiority Feeling ، وبذا يحرر المريض من سلوكه الخاطئ واضطرابه النفسي. وتحتل هذه الطريقة أهمية في الولايات المتحدة الامريكية .

٤ ـ العلاج النفسي السطحي (أو الخفيف) Superficial Psychotherapy ، وهو أي علاج نفسي لا يحاول نبش أعماق اللاشعور أو الاهتمام بكل دقائق النزعات الذاتية ، بل يقصد الاستعراض العام والسريع لأبرز علامات وحوادث حياة المريض العاطفية ومساعدته على استيعابها وحلها . وتشتمل العلاجات النفسية السطحية على وسائل مختلفة اختلفها واتخذها علماء النفس كاجتهاد خاص بهم أو بمدارسهم الفرعية ، وهي :

أ ـ العلاج النفسي الارشادي Traditional Counselling ، وهي الطريقة التقليدية باسداء النصائح والارشادات التي يراها الطبيب النفساني (أو الصديق أو الحكيم في الماضي) مناسبة لحالة المريض بعد دراسته . وهي وسيلة محدودة الفعالية في أغلب الاحيان ، لانه لا يكفي أن تنصح المقامر مثلا على ترك المقامرة لمضارها المعروفة ، بل أن تشرح له سر العوامل التي أدت به الى هذا السير والى كيفية التخلص منها .

ب ـ العلاج النفسي القسري Coercive Technique ، وهي أشبه ما تكون سابقتها ، اذ يلجأ المعالج الى الارشاد والتوعية « الملزمة » للمريض مثلما يتصح الابن باباه أحيانا . وللطريقة هذه مزاياها في حالات معينة فقط لدى الاشخاص الذين يحبون الخضوع والانقياد . وفيما عدا ذلك فهي عقيمة كسابقتها .

ج ـ العلاج التوجيهي المرتكز على المريض Client-Centered Counselling وهي الطريقة التي ابتكرها النفساني الامريكي روجرز Rogers . وتتلخص في أن يقوم المريض بالجزء الاكبر من الحديث والتعبير عن افكاره ، بينما يقوم المعالج بدور الوجه الثانوي والتفسير الضروري جدا غير المباشر ، الى أن يتوصلا الى لب المعضلة ويكون المريض قد اكتسب معرفة أوسع لنفسه ونفسه .

د ـ العلاج النفسي الايضاحي Interpretative Psychotherapy ، وهنا يزداد تدخل المعالج في التوجيه الى حدود الشرح والايضاح والتوعية ،

وذلك من خلال اعترافات وتصريحات المريض .

هـ – العلاج النفسي الإيحائي Suggestive Psychotherapy ، ويسود الدور الايجابي للمعالج فيتدخل في توجيه المريض بايحاء الافكار الصحيحة الى ذهنه .

أ – العلاج النفسي الاسترخائي Relaxation Therapy ، وهنا يهيأ للمريض جو من الهدوء التام والضوء الخافت والاسترخاء والانعزال عن العالم الخارجي بالاضافة الى الايحاء والارشاد . وتستخدم بعض المراكز النفسية العقاقير والامواج الكهربائية المنومة لتحقيق استرخاء اكثر مما لا يعد علاجا نفسيا صرفا .

ب – العلاج بالموسيقى Music Therapy ، وهي ليست طريقة خاصة ومستقلة بذاتها ، بل انها وسيلة اضافية لتحقيق الاسترخاء والبعد عن العالم الخارجي وبذلك تكون الموسيقى مفتاحا الى تقبل الايحاء والتوصل الى الصفاء والهدوء .

٥ – العلاج باللعب : Play Therapy ، وهي الطريقة المفضلة لعلاج الاطفال . فالتفاهم مع الاطفال عملية عسيرة ، وقد يعجز الكلام عن ايصال وايضاح الافكار والانفعالات ، بل ان بعض الاطفال يحجمون عن الكلام امام الطبيب النفساني . لذلك ابتكر بعض علماء النفس طريقة اللعب في غرف وقاعات خاصة معدة لهذا الغرض . ويترك الطفل ليلعب بشتى الادوات مع نفسه او بالاشتراك مع غيره من الاطفال المرضى . ومن خلال لعبه وسلوكه مع مواد اللعب او بقية الاطفال ، ومن نوعية اجاباته على بعض الاسئلة التي يلقيها المعالج « عرضا » وبتعمد ، يمكن تكوين فكرة تقريبية عن اسباب مرضه وكيفية علاجه .

٦ – العلاج النفسي التمثيلي (السايكودراما) : Psychodrama ، وهي الطريقة التي ابتكرها النفساني الايطالي (مورينو) Moreno ، واصبحت الوسيلة المتبعة في مراكز متعددة للعلاج النفسي في العالم . فبدلا من الحديث والتحليل النفسي بالكلام ، يطلب من المريض ان يقوم بتمثيل ادوار معينة في تمثيليات آنية او مهيأة سابقا بالاشتراك مع مرضى آخرين . ومن خلال تقمصه الادوار « المريضة » والانفعالات والاحاديث المتبادلة تتجلى مكامن الافكار والمشاكل والاسباب الخفية . وقد يسند الدور المعاكس الى المريض لتحقيق هذه الغاية . فمثلا يقوم الزوج بدور الزوجة والعكس بالعكس ، وعندئذ تصبح التمثيلية مجالا مثيرا لانفعالات غير متوقعة وتزيح الستار عن اسباب الخلاف العائلي .. الخ .

٧ – العلاج بالنوم المغناطيسي : Hypnotism اذ يستخدم التنويم المغناطيسي كوسيلة للحصول على اعترافات والكشف عن مراكز النفوس التي قد لا يجرؤ المريض على الافضاء بها وهو في كامل وعيه . كذلك يمكن ايحاء الافكار الصحيحة اليه وهو نائم .

٨ – الاستعانة بالعقاقير المهلوسة Hallucinogenic Drugs يعجز المريض بموقف عن التحرر من اسار الخجل والتردد اثناء التحليل النفسي ، ولنجح بعض العقاقير المصنوعة حديثا في فك عقدة لسانه والاسراع بالتصريح عن كوامن افكاره – اي باثارة تداعي الافكار الحر مما يصبح اشبه بالهلوسة . واشهر عقار استخدم لهذا الغرض هو (ل.س.دي.) L.S.D. ، وهذه هي بداية تاريخ الـ ل.س.دي. ، الا أن تسربه الى السوق السوداء واستغلال المفسدين جعله في متناول الشباب المنحرفين والمجرمين واصبح من عداد المخدرات الخطرة لما يحدثه في الجهاز العصبي من تحولات خيالية غريبة .

٩ – العلاج النفسي السلوكي : Behaviour Therapy ، وهي الوسيلة التي تختلف تماما عما ذكرناه آنفا من وسائل علاجية . وهي تعتمد على نظرية السلوكيين القدامى والمحدثين والقائلة ان المرض النفسي مجرد « عادة خاطئة » تعلمها الانسان في ظروف حياته . فالعلاج السلوكي يحاول تبديل السلوك بازالة العادة السيئة او التعويض عنها بنقيضها واحلال مفعولها . ويستعين السلوكيون لتحقيق هذا التحويل بالايحاء المتكرر والمصحوب بالادوية او الآلات الكهربائية لتنفير المريض من عاداته وتحويله عنها . ولذلك فان العلاج السلوكي لا يعد علاجا نفسيا خالصا لعدم اعتماده على الكلمات والاتصال العاطفي بين المعالج والمريض . ولم يثبت نجاحه في كل الحالات المرضية ، لكنه يبشر بالنجاح

في علاج امراض الادمان على المخدرات والانحرافات الجنسية .

١٠ ــ العلاج النفسي الوجودي Existential Psychotherapy ، وهي طريقة حديثة مستمدة من الفلسفة الوجودية . وهنا يكون دور المعالج الوجودي اكثر فعالية من كل الطرق السابقة ، اذ لا يكتفي بالتعليق على « الهامش » اثناء الجلسات العلاجية ، بل ان من واجبه ان « يتقمص » Empathy موقف المريض ليفهمه ويشاركه انفعالاته ويساعده على توسيع افق رؤياه وتحديد ابعاد الانفصال الوجودي فيه . ولا غرابة في ذلك ، لان علم النفس الوجودي Ontological Psychology يقول بان المرض النفسي هو « موقف انفعالي » تجاه الوجود والعدم ، وهو بالاحرى ليس مرضا مستقلا بل نمطا وجوديا .

١١ ــ العلاج الديني Religious Therapy : الشفاء الروحي الديني قديم جدا ، وعنصره الفعال لا ريب فيه . فالاعتراف والنصح والتوجيه والعطف والمحبة تدخل الامن والطمأنينة على النفوس . ولذلك ادخلت بعض المستشفيات العقلية معابد او مصليات داخل المستشفى لتيسير اداء الشعائر الدينية مصحوبة بالارشاد والتشجيع .

١٢ ــ العلاج النفسي الجماعي Group Psychotherapy : في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، ولتجمع اعداد غفيرة من المرضى النفسيين من المحاربين او المدنيين ، فكر بعض علماء النفس بجمع اكثر من مريض في محل واحد لتطبيق مهام العلاجات النفسية الآنفة الذكر : من ايحاء واسترخاء وارشاد ورياضة . ثم اصبح العلاج الجماعي فنا خاصا واسلوبا متميزا لعلاج امراض نفسية متعددة . ويجتمع من ٧ الى ١٢ مريضا في قاعة ، ويشاركهم الجلسة الطبيب المعالج وبعض مساعديه . ويفتتح حديثا في موضوع ما ويطلب من المجتمعين ابداء آرائهم وتعليقاتهم . وتنعم المناقشات .. ولا يبدي المعالج نشاطا مباشرا الا في ادارة دفة النقاش عند الضرورة لمنعه من الاستمرار او لابداء تعليقات مثيرة ومفيدة وتوجيهية . المريض وسط تلك الجماعة يرتبط بعلاقات انسانية جديدة ويدخل في رحلة استكشاف لذاته ولغيره بالاحتكاك الفكري والعاطفي عند تكرر الجلسات . وبهذه الطريقة تبدلت مواقف وافكار وسلوك المدمنين والمجرمين والقامرين والمنحرفين جنسيا واستعادوا ثقتهم بالذات او بالغير او بالمجتمع .. وتحقق شعورهم بالانتماء وبالمسؤولية .

الصفات المشتركة العامة للعلاجات النفسية

من كل ما استعرضنا من وسائل علاجية ، نستطيع ان نجمع صفات مشتركة واتجاهات متجانسة بينها نعددها فيما يلي :

١ ــ ان العلاج النفسي هو عملية اعادة تربية وتطوير عاطفي للمريض ..

٢ او اعادة تثقيف ..

٣ ــ او اعادة توعية وتبصير بالعقائق الحياتية وكيفية مجابهتها بالاسلوب الصحيح ..

٤ ــ او اعادة الثقة المفقودة بالنفس او تقويتها واسترجاعها ..

٥ ــ رفع المعنويات وترويض المخاوف وتهدئة القلق .

٦ ــ ادخال الشعور بالطمأنينة والامن والراحة النفسية .

٧ ــ جعل الانسان عضوا مفيدا ومنصرا حيويا في اسرته او محل عمله او مجتمعه ، بعد ان كان يشعر بالتشتت والغربة ، او يتصرف بالانحراف ويسلك طريق الاجرام .

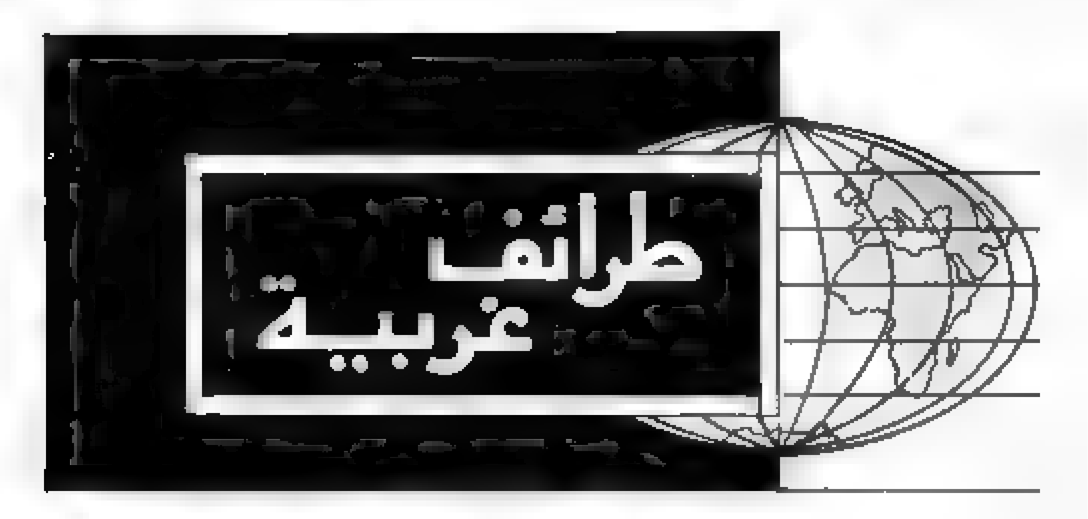
٨ ــ ان الثقة المتبادلة ، وايمان المريض بمعالجه وبسلامة الوسيلة العلاجية وعامل العاطفة تلعب دورها في انجاح العلاج ، او على العكس ، في فشله اذا لم تتوفر تلك الشروط .

وختاما

فان العلاج النفسي محاولة جادة لانقاذ الانسان من آلامه ومشاكله ، وليسير حياة مسالمة له ولغيره من الناس .. وان هذه الوسائل المختلفة تختلف وتتفق من كل مدرسة طبية ما تعتقده مفيدا لمرضاها . وقد تتعدل وتتطور هذه الوسائل في المستقبل، وقد تصبح نسيا منسيا اذا ما ظهرت وسائل احدث وانفع مفعولا . والانسانية تتطلع دوما الى الاحسن والانفع . ■■

فخري الدباغ

موصل ــ الجمهورية العراقية



(تولستوي يكتشف الحب)

● ليو تولستوي Leo Tolstoy كاتب روسيا الكبير (١٨٢٨ — ١٩١٠) يروون عنه أنه أمضى سني شبابه يبحث عن المعنى الحقيقي للحب، حتى إذا ما بلغ منتصف العمر تصور أنه قد وجد الإجابة أخيراً عن السؤال الذي ظل يلح عليه في شبابه، فكان ينكب على تسجيل واحدة من روائع الخلود في قصته الخالدة «حرب وسلام» War & Peace .. فلو ترى ماذا وجد؟

قال: «لقد اكتشفت أن خير ما أودعه الله في قلوب خلقه، إنما هو الحب!».

عاش تولستوي بعد اكتشافه هذا ثلاثين عاماً، يبشر بهذه الرسالة التي آمن بها.. ومن خلال أعماله، ومن خلال شخصيته وحياته الخصبة استطاع أن ينقل رسالته إلى كل الذين عرفوه أو قرأوا له على صفحات كتبه!

كان تولستوي يعرف أنه دميم الوجه، فكان يتساءل: «كيف يمكن لرجل مثلي له هذا الأنف العريض، وهاتان الشفتان الغليظتان والعينان الرماديتان الصغيرتان، أن يجد السعادة على هذه الأرض!».

ليو تولستوي



وعندما قرر أن يطلق لحيته، كان يتصور أنها قد تنجح في تحويل أنظار الناس عن وجهه، ولكنها على العكس من ذلك، فقد زادتهم تشبثاً بالنظر إلى عينيه بصفة خاصة.

قال مكسيم جوركي صديقه وزميله واصفاً وجه تولستوي في صورته الجديدة: «لقد ازداد شبهاً بالفلاحين.. ولكن عينيه الرماديتين الصغيرتين بقيتا كما هما تشعان هذا البريق الغريب.. لقد كنت أجد فيهما ألف معنى ومعنى.. وكثيراً ما كانت عيناه تعبران عما يعتمل في صدر هذا الرجل العظيم من معانٍ خالدة!».

نيوتن .. وجاذبية المرأة

● جلس نيوتن Newton (١٦٤٢ ـ ١٧٢٧) العالم الشهير مكتشف قانون الجاذبية ، جلس يوما بجوار احدى السيدات في مأدبة عشاء اقيمت تكريما له ، وفجأة سألته السيدة : « هل لي يا مستر نيوتن ، كيف استطعت ان تصل الى اكتشافك هذا ؟ » .

وقال العالم الكبير في هدوء : « المسألة في غاية البساطة .. لقد كنت امضي ساعات من وقتي كل يوم افكر في هذه الظاهرة الغريبة التي تدفع الاشياء الى السقوط على الارض .. ان التفكير وحده يا سيدتي هو الذي هداني في النهاية الى هذا الاكتشاف ! » .

وقالت السيدة : « ولكنني امضي ساعات طويلة من يومي ، افكر ، وافكر ، وبالرغم من ذلك لم استطع ان اكتشف شيئا » .

وقال نيوتن سائلها : « وفيم كنت تفكرين يا سيدتي » ..

قالت : « في زوجي الذي هجرني ، وانفصل عني بالطلاق ! » .

نيوتن : « وهل كنت تفكرين في زوجك بعد الطلاق ام قبله ؟ » .

قالت : « بعد طلاقنا طبعا ! » .

وهنا نظر اليها العالم الكبير ، وقال : « لو ان تفكيرك في زوجك يا سيدتي كان قبل الطلاق ، لاستطعت ان تكتشفي انت ايضا قانونا للجاذبية من نوع آخر ! .. » .

(العلم المثالي !)

● سير ديزموند مكارثي Sir Desmond MacCarthy الصحفي والناقد الفني البريطاني الشهير (١٨٧٧ ـ ١٩٥٢) كتب يوما يفسر اسباب تدهور الاخلاق ، حتى في اكثر المجتمعات تحضرا ، قال : « مسكين هذا الانسان .. مع انه استطاع ان يطور عقله بنفس السرعة التي تطورت بها الاختراعات الجديدة التي ابتكرها بعقله وصممها بيديه خلال القرن الاخير من الزمن ، لكنا اليوم نعيش في عالم مثالي .. ولكن المأساة تكمن في ان هؤلاء المخترعين لم يهتموا يوما بتغيير معدن النفس ، بتربية رجالا يكرسون حياتهم للون جديد من المخترعات .. اختراع وسائل لبث المثل العليا في نفوس البشر ! » .

السعداء بين البشر

شيء واحد اعرفه ، هو ان السعداء حقيقة بين البشر ، هم هؤلاء الذين سعوا الى المعرفة ، وعرفوا في النهاية كيف يكرسون حياتهم لخدمة البشرية وخيرها .

« البرت شفيتزر »

اسحاق نيوتن



بين الدول المتقدمة والدول في مجال التعاون

بقلم : الدكتور السيد ابو النجا
رئيس مجلس ادارة المركز العربي للبحوث والادارة في القاهرة

■ أذاعت وكالة رويتر منذ أسابيع تحقيقا عن شرائح الانفجار السكاني في الدول النامية تضمن حقائق بالغة الخطورة ، منها أن سكان العالم سيصلون الى اكثر من سبعة آلاف مليون نسمة في سنة ٢٠٠٠ وهذا العدد ضعف العدد الحالي . واذا كان سكان افريقيا الآن ٣٦٥ مليون نسمة فانهم سيصبحون في آخر هذا القرن ٨٥٠ مليونا .

والاحصائية التي اذيعت عن زيادة السكان في مصر تثير القلق ايضا ، فقد بلغ عدد السكان ٤٢ مليونا اى بزيادة مليون في ١٥ شهرا بمعدل طفل كل ٤ ثانية !

وفي اليابان تم تحديد النسل بصورة مثالية فانخفض المعدل الى ١٫٧ في الالف ، على حين تم تعقيم ملايين الرجال في الهند بعد ان أغرتهم الحكومة بمنح كل منهم راديو ترانزستور مجانا ، ومع ذلك فالزيادة السكانية لا تزال رهيبة جدا .

ان العلماء يرجون حلا سريعا يتألف من اختراع حبوب منع الحمل ومن مساعدة الشعوب المتقدمة للشعوب النامية على رفع معدل التنمية فيها .

طريق التقدم

كان هناك اعتقاد بأن الدول الفقيرة هي التي ليس لديها موارد طبيعية ، وبأن الدول الغنية هي التي لديها الخصب في أراضيها والمياه في انهارها والمعادن في مناجمها . وكنا نتعلم في المدارس ان الدولة لا يمكن ان تصبح صناعية الا اذا كان فيها فحم وحديد .

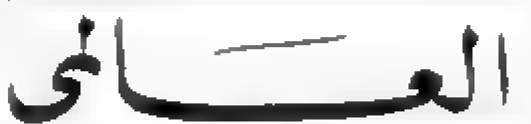
ثم قامت اليابان من غير موارد طبيعية تقريبا ، ولكن بمبدءين خطيرين هما « الارادة » و « التعلم » فقد جعلت العالم كله موردا لما تحتاج اليه من مواد اولية تختار أنسبها بأحسن الاسعار معتمدة في ذلك على اسطول بحري ضخم . وجعلت العالم كله مرة أخرى سوقا كبيرا يشترى مصنوعاتها ، ثم زادت معدل التنمية عندها سنة بعد أخرى بالفرق بين أسعار الشراء وأسعار البيع حتى وصلت بهذا المعدل الى ١١٪ وهو أعلى معدل اليوم في العالم .

لقد كانت هذه الدولة منذ ثلاثين عاما تعد من الدول المتخلفة ، فأصبحت اليوم في مقدمة الدول المتقدمة !

صورة من التخلف

هناك شبه اتفاق عام على أن الدول التي يقل دخل الفرد فيها عن ٥٠٠ دولار في العام تعد متخلفة ، او بلغة العصر نامية او سائرة . ويزيد عدد هذه الدول في العالم على مائة دولة . ومعظم دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية هي من هذه





الدول . وبعضها ذو كثافة سكانية كبيرة كالهند التي يبلغ عدد سكانها حوالي ٥٠٠ مليون نسمة ، وبعضها فارغ مثل « جامبيا » التي يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ ألف .

والعالم المتخلف يمثل ٦٦٪ من سكان العالم ، ولا ينتج إلا ١٢٪ من جملة الناتج . على حين يمثل العالم المتقدم ٣٤٪ فقط من سكان العالم وينتج ٨٧٪ من جملة الناتج !

لقد بدأت هذه المفارقة تظهر منذ مائتي سنة تقريبا حين بدأ النمو الصناعي يتصاعد في انجلترا بصورة سريعة . وفي القرن التاسع عشر امتد هذا النمو الى أوروبا وامريكا الشمالية ، ثم الى كندا واستراليا واليابان ، مما أدى الى مضاعفة الدخل سبع مرات خلال هذا القرن ، فحدثت تغيرات هائلة في مستويات المعيشة . على أن بعض دول آسيا وامريكا اللاتينية وافريقيا حققت تقدما اقتصاديا ملحوظا في الفترة ما بين ١٨٨٠ – ١٩١٣ نظرا للتوسع السريع في التجارة العالمية ، وانتقال رؤوس الأموال التي كانت حرة خلال هذه الفترة. ثم جاء الركود النسبي في التجارة العالمية بعد عام ١٩١٣ وأحدثت الحربان العالميتان تقلبات كثيرة جاء بعدها الكساد العظيم في عامي ١٩٢٩–١٩٣١ .

وبعد الحرب العالمية الثانية حصلت ستون دولة جديدة على استقلالها السياسي فانطلقت باقتصادياتها مع قليل من رأس المال والخبرة ، وكثير من الجهل، بالتعقيدات الصناعية والتجارية. وأدى التقدم التكنى الى زيادة كبيرة في معدل تقادم الآلات والمعدات التي تستوردها الدول المتخلفة من الدول المتقدمة ، ثم انكمشت أسواق التصدير في وجه المواد الأولية التي تنتجها البلاد

سامية نتيجة التشاف بدائل عنها من الالياف الصناعية الرخيصة . كل ذلك مع ارتفاع حاد في معدل النمو السكاني وضيق في امكانيات العمالة والهجرة .

ومع ذلك فقد استطاعت الدول المتخلفة في مجموعها ان ترفع انتاجها من السلع والخدمات بنسبة ٤٫٨٪ في المتوسط سنويا بين ١٩٥٠ و ١٩٦٧ ويعد هذا المعدل اسرع من المعدلات التي حققتها الدول المتقدمة في سنواتها الاولى . الا ان معدل النمو السكاني في الدول المتخلفة قد اوقف معدل زيادة دخل الفرد عند ٢ او ٢٫٥٪ سنويا . ولم تستطع الدول المتخلفة ان تدخل سوق المنافسة في بيع السلع الرأسمالية نتيجة القروض الهائلة المتوسطة الاجل والطويلة الاجل التي كانت تقدمها الدول المتقدمة للدول التي تشتري منها هذه السلع كما ان عجز الدول المتخلفة عن تدبير العملات الاجنبية لم يمكنها من اعطاء التسهيلات اللازمة للمشترين .

شركاء في التنمية

قبل ان تستلم الستينات المقاليد الى السبعينات خفضت الدول المتقدمة معوناتها للدول النامية فكان لهذا التخفيض اثره في زيادة عجزها عن حل مشاكلها .

وطلب « روبرت ماكنمارا » رئيس البنك الدولي للانشاء والتعمير من « ليستر بيرسون » رئيس وزراء كندا السابق ان يقوم بدراسة شاملة لما حققته المعونات السابقة في التنمية خلال عشرين عاما مضت عسى ان تكون هذه الدراسة نورا يهدي العالم ليرسم سياسته الاقتصادية الواجبة في السبعينات .

ولبى « بيرسون » هذا الطلب فضم اليه سبعة من افاضل الاقتصاديين من بريطانيا والبرازيل والولايات المتحدة والمانيا الغربية وجامايكا وفرنسا واليابان واربعة عشر خبيرا من خبراء التنمية في الدول المتقدمة والمتخلفة على السواء وكوّن « اللجنة الدولية للتنمية » التي قامت بمناقشة مفصلة في اكثر من سبعين دولة من دول العالم وفي كثير من المؤسسات الخاصة . ثم قدمت اخطر تقرير اقتصادي الى البنك الدولي في اكتوبر ١٩٦٩ ، اطلقت عليه هذا الاسم « شركاء في التنمية » Partners in Development

ويتضح من هذا التقرير ان المعونات ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ثم بلغت في عام ١٩٦١ ما يقرب من ٨ مليارات دولار اي نحو واحد في المائة من اجمالي الناتج القومي للدول غير الشيوعية ذات الدخل المرتفع ، يضاف اليها عمليات تمويلية من الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية الاخرى . واستمرت هذه المعونات في الزيادة حتى وصلت في سنة ١٩٦٨ الى ١٢٫٨ مليار دولار . ثم بدا يحوطها جو من عدم الثقة حين اخذت الدول المتقدمة تتأثر بمنجزات التنمية الفورية مع ان التنمية بطبيعتها تتطلب وقتا طويلا . وحين جعلت مساعداتها لخدمة صادراتها ولتحقيق امتيازات سياسية او كسب ميزات استراتيجية .

هذا والدول المتخلفة مشغولة عن التنمية بمحاربة التمييز الاقتصادي ومواجهة مشاكل الريف والحضر والفرار الطويل المضني سعيا وراء تحقيق العدالة الاجتماعية .

وفي النهاية اقتنعت الدول المتقدمة ان من واجبها الابتعاد عن الضغوط الاقتصادية والسياسية المباشرة لان الثروة لا تخولها حق السيطرة على الحياة القومية للدول المحتاجة . وتعلمت الدول المتخلفة ان الامر في النهاية مرهون بكفاءتها في استخدام المساعدات ، وبالسياسة الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التي تنتهجها ، كما تعلمت ان التنمية تأتي من الداخل ، وان المساعدات الاجنبية لا تجدي الا اذا كانت هناك ارادة قومية لاحداث التغييرات الاساسية التي تتطلبها التنمية .

متاعب الدول النامية

في الفترة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٥ تضاعفت اعداد الملتحقين بالمدارس في البلاد النامية نحو ثلاث مرات وتحسنت ظروف الصحة العامة الى حد كبير ، وتم التغلب على الاوبئة الرئيسية فانخفضت معدلات الوفيات بسرعة تفوق سرعة انخفاضها في البلاد الصناعية .

ولكن من بين كل مائة طفل دخلوا المدارس

الابتدائية لم يصل منهم الى السنة النهائية الا ثلاثون . والذين تخرجوا فشلوا غالبا في العثور على اعمال مناسبة . ولذلك لم يؤد التعليم رسالته في التطوير الحديث .

وقد اعتمدت الدول المتخلفة على الحماية الجمركية في تقليل وارداتها بدلا ان تعتمد على التكنية في تنمية صادراتها فانسحبت بذلك الى حد كبير من التجارة العالمية . وتسببت هذه الحماية الجمركية في الحد من التجارة فيما بين البلاد النامية نفسها خصوصا في غيبة ترتيبات الدفع الملائمة .

ان الموارد الخارجية لم تمول سوى ١٥٪ من الاستثمارات في الدول المتخلفة ، والمساعدات الاجنبية التي وصلت الى نحو ١٠٪ لم تؤد الى انعاش النمو الاقتصادي لانها كانت تخدم لاغراض اخرى غير التنمية . وكل ذلك في مجموعه لم ينقل التكنية الى البلاد المتخلفة ، ولم يعالج الاختلافات في العملات الحرة اللازمة للاستيراد .

لماذا المساعدة ؟

لماذا يجب على الدول المتقدمة ان تساعد الدول المتخلفة خصوصا اذا كانت الدول الاولى تعاني داخل حدودها مشكلات اجتماعية واقتصادية ؟ ان الجواب على هذا السؤال ينبثق اولا من حقيقة لم تعد خافية على احد ، وهي ان المجتمع القومي يحتل مكانه قليلا للمجتمع الدولي . فالاهتمام باحتياجات الامم الاخرى هو تعبير من البعد اساسي في العصر الحديث . ان العالم اليوم اشبه بمدينة واحدة لانه اصبح ينتمي الى جماعية عالمية بعد تقدم الطيران وانتشار الاذاعة والتلفزيون .

ان الحرب التي تنشب في اية دولة قد تمتد بسرعة فتشمل باقي الدول . والوباء في احدى البيئات قد ينتشر في الكرة الارضية كلها . ولعل الشباب يدرك اكثر من غيره وحدة التطور الانساني ، ولذلك ينفعل بالاحداث الدولية ويؤمن بالتكافل ، لان فقر الغالبية العظمى على سطح الارض لا بد ان يؤدي الى نتائج وخيمة لجميع من عليها .

ان ارتفاع معدل النمو الى ٦٪ سنويا في الدول المتخلفة يحدث فيها تحولا في الموقف الاقتصادي لا يستطيع – حتى مع حدوث نمو سكاني سريع – ان يضاعف دخل الفرد فيها اربع مرات في نصف قرن – وسوف يتمكن الكثير من الدول المتخلفة ان يصل الى المستويات العالية للمعيشة في اوروبا الغربية في خلال قرن من الزمان ، ومعنى ذلك ان هذه الدول تصبح عميلات للدول المتقدمة تركب طائراتها وتشتري منتجاتها وتسافر للسياحة فيها . ومعناه ايضا ان تجد من الافضل ان تعرض اقتصادياتها للمنافسة الدولية ، وتعرض صناعاتها المحلية لقدر اكبر من هذه المنافسة بدل الركون الى زيادة الحماية .

ولكن ارتفاع معدل النمو لا يكفي وحده لتحقيق الفائدة المنشودة فقد يرتفع الاستهلاك بنفس النسبة ، ولذلك لا بد من «تعاون بين الدول التي تقدم المساعدات والدول التي تتلقاها في وضع استراتيجيات التنمية .

التعاون بين الدول المتخلفة

لقد كان تحرير التجارة بين الدول المتخلفة في الماضي يتعثر تحت اطار اقليمي بحت . ولم يوجه الاهتمام الكافي الى تحقيق التوسع التجاري بين القارات والاقاليم المختلفة مع ان هناك مقدرة على التوسع التجاري بين الدول المتخلفة في القارات المختلفة اكبر منها في التكتلات المحلية .

وعلى سبيل المثال فان الهند والجمهورية العربية المتحدة ويوغوسلافيا عقدوا في سنة ١٩٦٧ مشروعا للتجارة التفضيلية ينص على تخفيضات في التعريفات تصل الى ٥٠٪ على قائمة مشتركة من المنتجات غير التقليدية ، وهذا المشروع مفتوح للدول المتخلفة الاخرى . وقد اظهرت عدة دول من جميع اجزاء العالم رغبتها في الاشتراك فيه .

وفي نفس السنة بدأت المفاوضات في جنيف بين الدول المتخلفة تحت اشراف الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة لمنح امتيازات جمركية لتحقيق التنمية السريعة من خلال الاعتماد على النفس .

وقد حققت امريكا اللاتينية النجاح الاكبر في هذا المجال حيث تم في عام ١٩٦١ انشاء السوق

المشتركة لامريكا الوسطى . وبحلول عام ١٩٦٦ كانت الدول قد حققت تحرير التجارة بصورة كاملة تقريبا في مجال السلع الصناعية مع انشاء هيكل تعريفات مشترك ضد الواردات الآتية من خارج المنطقة .

والآن ماذا نطلب من الدول المتقدمة ؟

لسنا نحن الذين نطلب من الدول المتقدمة ان تاخذ بيد الدول المتخلفة ، ولكن اللجنة الدولية للتنمية التي اشرت اليها في مستهل هذا البحث هي التي قدمت هذه المقترحات :

١ ــ يتعين على الدول المتقدمة ان تلغي رسوم الاستيراد وضرائب الانتاج على السلع الاولية التي لا تقوم بانتاجها . واما المنتجات الزراعية التي ترد من الدول المتخلفة وتنتج في نفس الوقت في الدول الصناعية فيزاد المستورد منها قليلا قليلا مع مرور الوقت .

٢ ــ يجب ان يرتفع معدل النمو السنوي للناتج القومي في الدول المتخلفة الى ٦٪ على الاقل بدلا من المتوسط الحالي وهو ٥٪ حتى تتمكن تدريجيا من رفع نسبة تكوين راس المال فيها والمساهمة في الاقتصاد العالمي كشريكة تعتمد على نفسها .

٣ ــ على الدول المتقدمة ان تلتزم بتقديم مساعدات في حدود ١٪ من مواردها على ان يتم ذلك بصورة كاملة عند حلول عام ١٩٧٥ .

٤ ــ لا بد من بحث التخفيف من ديون الدول المتخلفة ، فان هذا التخفيف شكل مشروع من اشكال المساعدات .

٥ ــ ان ربط تقديم المساعدات بضرورة الشراء من الدول التي تقدمها يشوه مسار التجارة الدولية ويقلل الى حد كبير اثر هذه المساعدات ، ولذلك يجب عقد اجتماع يضم الدول الاساسية التي تقدم المساعدات والدول التي تتلقاها للحد من العوائق الاجرائية التي من هذا القبيل وبيان وسائل التغلب عليها .

٦ ــ سجلت المعونات الفنية زيادة تربو على ١٠٪ (عشرة في المائة) سنويا خلال الستينات . ولكنها مع ذلك فشلت في تكييف اهدافها واساليبها طبقا للمتطلبات الفعلية للدول المتخلفة وخصوصا في مجالي الزراعة والتعليم . ولذلك فلا بد من توفير فرص التدريب العملية اللازمة للعاملين في المعونات الفنية القومية والدولية .

٧ ــ على المنظمات الدولية ان تلعب دورا كبيرا في تدريب خبراء السكان وتنظيم الاسرة في البلاد المتخلفة مع تنسيق البحوث الخاصة بالتكاثر الانساني تحت اشراف منظمة الصحة العالمية وتمويلها بمعرفة البنك الدولي .

٨ ــ يجب ان تساعد الدول المتقدمة في انشاء مراكز دولية واقليمية للبحوث والتنمية في المجالات ذات الاهمية الخاصة مثل الزراعة الاستوائية والوسائل الارشادية والتعليم وتخطيط المدن .

٩ ــ ان المستوى الحالي لعمليات التمويل في هيئة التنمية الدولية يدور حول ٤٠٠ مليون دولار سنويا والامر يقتضي ان يصل هذا المبلغ الى ١/٢ مليار دولار في عام ١٩٧٥ .

١٠ ــ ان الحواجز التي تعترض النمو السريع للتجارة بين الدول المتخلفة معروفة تماما . وفي اغلب الاحيان تكون تسهيلات النقل والمواصلات اقل جودة من تلك التي تربط الدول الفقيرة بالغنية . كما ان المؤسسات المالية وترتيبات المعلومات واجهزة التسويق توجه جميعها للتجارة مع الدول الغنية وغالبا ما تكون متحيزة ضد التجارة مع الدول الفقيرة .

واخيرا تقترح اللجنة الدولية للتنمية انشاء مجموعات جديدة متعددة الاطراف تكون وظيفتها اجراء مراجعات سنوية للاداء الانمائي في الدول التي تتلقى المساعدات . كما يكون من وظيفتها مراجعة منح المساعدات والالتزامات المرتبطة بها من جانب الدول التي تقدمها . ولعل البنك الدولي وبنوك التنمية الاقليمية هي اولى الهيئات بقيادة المناقشات لتحقيق هذه الاهداف .

هل هذا ممكن ؟ ان الانجليز يقولون Too good to be true . اي انه امل به من الخير الكثير ما يضعف الرجاء في تحقيقه .

ونحن نقول « لا مستحيل في العالم » . ■

السيد ابو النجا



المخترعات بين العلم والدين

بقلم : عباس محمود العقاد



■ الإنسان يحب الجديد ، لأنه اراده يبعث فرحه تشرح الصدر وتسر الخاطر ، ولكنه في أحوال كثيرة ينفر من الجديد ، بل يتلفع من صورته أن يرتاع منه ويرتاب بظواهره وخوافيه وينظر اليه كأنه طامع مقتحم يريد أن ينتزع منه ذخيرة يحرص عليها .

هل في ذلك تناقض ؟

نعم فيه تناقض ، ولكن في الظاهر دون الحقيقة . وما أكثر ما يحب الإنسان في شعوره وهواه ؛ ولكنه في موقفه أمام الجديد يحبه لأسباب وينفر منه لأسباب أخرى ، فهو في الحقيقة لا يناقض بين حبه ونفوره لأن أسباب الحب غير أسباب النفور .

لماذا نخاف الجديد

إننا إذا رجعنا إلى أنفسنا وجدنا أننا نحب الجديد ونقبل عليه في معظم أحوالنا ، فإذا نفرنا منه وحذرناه فلا بد أن يكون فيه شيء يمس ذات النفس ، أو يمس المصالح والأرزاق ، أو يمس العقائد الدينية والأوهام التي تدخلها بعض الناس في عداد المقدسات . فإذا كان في الجديد مساس لعادات في المعيشة ألفناها وطرد النوم من عيوننا ، ونفور [illegible]

[illegible]

من أعينهم وإن كان المسكن الجديد أدعى [illegible]

* مقال لم ينشر من قبل

وربما حالت العادات بين الانسان وبين منفعته عند الصدمة الأولى من صدمات التغيير .

تعودوا زرع القطن الخاسر ، فرفضوا زرع القمح الرابح

ومن الامثلة الكثيرة على ذلك اننا في مصر تعودنا أن نزرع القطن ونفضله في مناطقه على محاصيل الحبوب ، واتفق في ايام الحرب العالمية ان كسدت سوق القطن ، وبارت تجارته ، وقلت محاصيله ، وان زراعة القمح اصبحت من الضرورات وزادت منافعها على منافع الزراعة القطنية واصبح شراؤه مضمونا بالثمن المطلوب لان الدولة تشتريه وتشجع زراعته . ولكن الذين طال عهدهم بزراعة القطن ترددوا كثيرا قبل ان يقتنعوا بتغيير ما الفوه وفضل اناس منهم أن يجازفوا بزراعة القطن لانهم الفوه ولتعودوا أن يستعدوا له في موسمه على ان يزرعوا القمح المضمون لانه يكلفهم تغيير العادات المألوفة .

عندما تهدد المخترعات الارزاق

اما الجديد الذي يهدد الناس في مصالحهم وأرزاقهم فلا غرابة في نفورهم منه قبل اطمئنانهم اليه ، ونحن اليوم يحيل الينا ان أمم العالم وقعت في أناشيد تدفق الطبول مرحا واستبشارا باختراع البخار ، ولكن الواقع ان الملاحين حطموا أول سفينة سارت بالبخار ، ولما ساد البخار وكثرت الآلات التي تدار به لم يعد فيه جديد ، ودخل في عداد المألوفات ، وتبين يومئذ ان البخار لا يعرقل الايدي العاملة كما خطر للمتخوفين منه عند ظهوره ، وان الايدي التي تعمل فيه اضعاف الايدي التي كانت تعمل في السفن والمركبات .



الا ان المخترعات الجديدة قد تمس هذا النفر فتكون ثورتهم عليها أشد من ثورتهم على تغيير عادات المعيشة وتهديد المصالح والارزاق ، والمشاهد بالتكرار ان المخترعات الجديدة ليست كلها مما يثير الاوهام أو يرى فيه الجهلاء مساسا بالعقائد ومناقضة لاحكام الدين ، لكن الغالب على المعول أنها تهاب كل ما يتعلق بتكوين الانسان ، أو يتعلق بنظام الافلاك ، أو نظام السماء لان خلق الانسان وتسيير الفلك من أمر الله .

في القرون الوسطى اعتقدوا ان المشرح يختلس سر الله

في القرون الوسطى كان الموت عقابا عاجلا لكل من يحاول ان يشرح جسم الانسان لانهم اعتقدوا في تلك العصور أن المشرحين يختلسون سر الحياة وينازعون الله جل وعلا في امر الروح ، وفي العصور

الحديثة فزع الجهلاء من سماع صوت الانسان خارجا من آلات الحديد والخشب ، وحدث في بعض قرى الريف منذ ظهور الجراموفون أن ادعياء من ادعياء الدين حطم الجراموفون واوشك ان يبطش بسامعيه لانهم يستمعون الى الشيطان .

ثورة على الاذاعة

وفي بعض البلدان ذهب فريق من الفضوليين الى دار الاذاعة ، وحاولوا اغراء المذيع بالمال ليطلعهم على المكان الذي يختبىء فيه الشياطين وينقل منه اصواتهم من وراء الستار ، وكان ولي الامر حكيما عاقلا فاراد ان يقضي على هذا الوهم بدليل محسوس لا يمترى فيه السامعون ، قال : « هل يقرأ الشيطان آيات الله » ؟

قالوا : « كلا » . فاسمعهم من المذياع آيات القرآن الكريم ومحا بذلك ظنونهم في خدمة الاذاعة الاثيرية . فهي عمل التحقيق ليست من عمل الشياطين ، ومسألة النعي وتنشيط الصدر باستنشاق الهواء وتنبيه القلب بالبقى بعد سوره ، وسمع المذياع لمصحح عيوبه وامراضه ، كل أولئك كان في عصر الجهلاء افتراء على قدرة الله او ادعاء للقدرة الالهية ، ثم تعلموا بالخبرة وفهموا حقيقة هذه التجارب العلمية ، ففهموا أنها من علم الله وان الله هو الذي علم الانسان ما لم يعلم ، فلا يكون علم الانسان الا دليلا على قدرة الله .

ثورة على الاقمار الصناعية

وفي الايام الاخيرة يتحدث الناس بالاقمار الصناعية ، فكان من الممكن ان تسمى بغير هذا الاسم ، فيقال عنها كما يقال في لغة الفلك انها توابع صناعية للأرض ، وتنتهي المشكلة باختلاف الأسماء ، ولكن تسمية الجسم الطائر في الفضاء باسم القمر ، أوهمت فئة من الجهلاء أن هذا الاختراع ادعاء لقدرة الله ومشاركة له سبحانه وتعالى في ملك السماء .

ويسرنا أن نقول ان هؤلاء المتوهمين قليلون ، بل جد قليلين ، فلا نظن أنهم يبلغون عشر أمثالهم قبل مائة سنة او قبل مائتين ، لو ان هذا الجسم المسمى بالقمر ظهر في تلك الأيام ، وهذه علامة من علامات التقدم في مدى جيلين أو ثلاثة أجيال .

سألت باشا في دكان بدال : « **هل رأيت القمر الذي تحدثوا عنه في الصحف ؟** » .

قال في غضب « لم اره ، ولن أراه ، ولا اريد أن أراه » .

قلت : « **ولم ياصاح ؟** » .

قال : « **يشاركون الله في سمائه لم تنظر بعيني الى فعلتهم !** » .

قلت « **هل يستطيع احد ان يشارك الله في سمائه ؟** » .

فصاح : « كلا .. كلا ! » .

وبدا عليه كأنه تنبه من غفوة أو غفلة قال : « ولكن ما لهم والسماء يتطلعون اليها ، الا يكفيهم ما في الأرض حتى يتطلعوا الى سماء الله ؟ ! » .

قلت : « **مهلا ياصاح . فان الله في الارض وفي السماء وليس الفضاء الذي وصل اليه القمر الصناعي الا قيراطا من الوف القراريط ، فهو من الارض واليها، وقد وسعت الارض مخترعات الانسان ، فلماذا يضيق بها الفضاء ؟ واين يامن**

الانسان من قدرة الله ، وهو في كل مكان بل هو هنا أقرب اليك من حبل الوريد ؟ » .

فهدأت غضبة الرجل وقال : « جزاك الله خيرا ، فقد أرحتني وما كنت أظن الا أن القيامة قائمة بين يوم وليلة وأن الصواعق ستنقض علينا من كل مكان . فالحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله » .

ان هذا الرجل البريء ومن على شاكلته معذورون فيما يتوهمون لأنهم يجهلون معنى السماء ولا يدرون معنى مشاركة الله في سمائه .

فالأقمار الصناعية وما اليها جديدة في الصناعة وليست جديدة في النظريات العلمية ، وما من نظرية علمية تقوم عليها هذا الاختراع كانت مجهولة عند أحد من العارفين بقوانين الحركة وعوامل الطاقة المادية ، ولو كانت الشركات أو المصانع التجارية تشتغل بأمثال هذه المخترعات لظهرت الأقمار الصناعية قبل هذه السنة بسنوات كثيرة ، ولكن الشركات والمصانع التجارية تنفق أموال حملة الأسهم فيما يعود بالكسب المالي ، وانما تتصدى لهذه المخترعات غير التجارية أمم كبيرة تستطيع أن تنفق مئات الملايين في التجارب والمحاولات ، ولا تتصدى جميع الدول لذلك ، ولو كان لديها أقدر العلماء وأبرع المخترعين ، ولهذا كانت هذه التجارب والمحاولات محصورة في دولتين اثنتين ، ولم تكن عامة حيث وجد العلماء والمخترعون .

ولقد شهدت أمم العالم في القرن الأخير مئات من المخترعات بعضها أغرب في نظرياته وتطبيقاته من الصواريخ والأقمار . ولم يقل أحد انها بدعة في الدين ، أو انها تزعزع ركنا من أركان العقيدة في دين من الأديان .

الايمان لا يرفض المخترعات ، وانما الاعتراض يكون على سوء استخدامها

هذه المستحدثات لا اعتراض عليها من جانب الايمان ، وانما يأتي الاعتراض عليها وعلى التوسع فيها من جانب المفكرين في الحرب والسلام ، وكل من أصحاب الآراء يبيحها ويرحب بها ، أو يخشاها ويتشاءم منها على حسب ما يراه ، فمنهم من يرحب بها لأنها معرفة جديدة ، ولا يجوز للانسان أن يغلق أبواب المعرفة بيده ، ومنهم من يخشى أن يستخدمها المحاربون في القتال فلا تبقي ولا تذر ، ولا ينتهي القتال بها الا بنهاية الحضارة الانسانية وانتكاس بني آدم الى عهود الهمجية والجهالة العمياء .

والذين يتفاءلون ويتشاءمون يعتقدون بحق أن خطر الأسلحة الميكروبية أعظم جدا من أخطار الصواريخ والأقمار الصناعية لأن سلاح الميكروبات مستطاع لأكثر دول الأرض ، لا يتوقف على ضخامة المعامل ولا على وفرة الأموال ، واذا انطلقت القذائف الميكروبية بجراثيم الطواعين والأوبئة تفشت في الأرض وفتكت بالمحاربين والمسالمين ولم تمنعها الحواجز والحدود ، فهي ميسورة لكل أمة ذات صناعة أو غير ذات صناعة وهي خطر أعظم من خطر القذائف الذرية .

ومن دواعي التفاؤل بل من دواعي الأمل أن يكون الانسان قادرا على تقييدها والغاء دورها في الحروب الماضية ، فهو في المستقبل أحرى أن يقيد الأسلحة الذرية ، وأن يستخدم الطاقة الذرية سلاحا لمكافحة الفقر والقحط ونقص المواد الغذائية ، وربما كانت هذه الأقمار مفيدة في يوم قريب في تنظيم المد والجزر أو تنظيم ذوبان الثلوج القطبية أو تنظيم السحب والأمطار ووسائل الري في الصحارى المهجورة والسهول القاحلة .

عباس محمود العقاد

تطور المدرسة والفكر التربوي

عبر القرون

بقلم : كريم مناحي الصريفي

[illegible]

مرت التربية في المجتمع البدائي بمرحلتين ، الاولى بسيطة ، والثانية قبلية .

في دور الانسان الاول ـ بعد خروجه من الدور الغابي الفوضوي اقتضت ظروف العيش والعناء معاونة الابناء للآباء ، فظهرت الحاجة الى تعلم الابناء لبعض الاعمال اليدوية البسيطة وبعض المهارات الضرورية كالصيد والسباحة بالنسبة للصبيان ، واعداد الطعام واللباس وتدبير شؤون المنزل الاخرى بالنسبة للبنات .

والملاحظ ان التعلم لم يكن يجري بصورة مقصودة اذ ان الآباء يجهلون كونهم يقومون بدور المعلمين ، والابناء كونهم تلاميذ . فالتعلم كان يتم عن طريق

التقليد والممارسة . فالصبي يخرج لمعاونة والده في طلب الرزق ، والبنت تبقى في المنزل لمساعدة والدتها في ادارة شؤون البيت .

ولما تطورت اساليب عيش الانسان القديمة ، وظهرت ثقافته الاولى ، وجد نفسه وبحكم ظروف الحياة محتاجا لبعضه البعض ، فتكتل على شكل قبائل صغيرة ، متعاونة ، كل فرد فيها شاعر بأهمية الجماعة للفرد وبالعكس . وفي هذا الطور لم تعد التربية البيئية كافية اذ ان اديانا وطقوسا واعرافا وتقاليد وعادات وقوانين واحكاما ، قد اوجدها افراد القبيلة ، لتنظيم العلاقة بينهم ، ولتحديد حقوق وواجبات كل منهم . وهنا انتقلت التربية الى دور جديد وهو دور التربية الشكلية المقصودة . فعهد بها الى طبقة جديدة تسمى بطبقة « المرافقين » .

التربية البابلية والمصرية والاغريقية

تنبهت الحضارتان البابلية والمصرية الى ضرورة التربية فاعطتا للتعليم مكانة مرموقة . وكان المعلم يتقاضى اجورا معينة لقاء خدماته التعليمية .

وبلغ الاهتمام بالتربية في العصر الاغريقي شأنا كبيرا ، الا انها رافقت تطورات سياسية ، فأثرت بها وأثرت فيها . بالاضافة الى انها اتخذت اتجاها متزايدا من اثر فلاسفة الاغريق هم سقراط وافلاطون وارسطو . الذين الحوا على ضرورة اهتمام الدولة بأمور التعليم ، بعد ان بسطوا افكارهم التربوية .

لقد بلغت التربية في هذا العهد مرحلة التحول الى مؤسسة اجتماعية منظمة . وقد اتخذت المدرسة شكلها كمؤسسة تربوية متكاملة في آخر عصر من العصور الاغريقية وهو العصر الهيليني . الذي نظمت فيه الدراسة تنظيما مرحليا .

اما من ناحية علاقة الدولة بالتعليم فقد فرضت حكومة اسبارطة سيطرة تامة على التعليم واعتبرته عماد قوتها العسكرية . فوجهته وجهة عسكرية لخلق افراد حربيين ، مخلصين للدولة .

اما دولة اثينة فعلى الرغم ، من رعايتها للتعليم وسن بعض القوانين التربوية المنظمة لبعض شؤونه فان التعليم بقي تعليما خاصا ، يتقاضى المعلمون خلاله اجورا عن تقديم خدماتهم الثقافية من آباء الطلاب ، وليس من الدولة ، حتى حلول العهد الهيليني (من ٥٠٠ قبل الميلاد الى ٢٠٠ بعد الميلاد) حيث بدأت الدولة تفرض سيطرتها على التعليم ، وتقوم بتنظيم شؤونه ومراقبته .

ان اخطر ما يؤخذ على التربية الاغريقية اهتمامها بالجانب النظري من التربية فقط ، واعتباره هو الاسمى والاكمل ، واللائق بالرجل الاغريقي النبيل اما الجانب المهني من التربية فمحتقر ومهمل كلية اذ ان المهن ، في نظر الاغريق ، لا يمارسها الا العبيد .

الا ان التربية الاثينية امتازت باهدافها التربوية التقدمية التي اهتمت بشخصية الفرد المتعلم ، وعملت على تربيته تربية تكاملية ، بعكس المراحل التي سبقتها ، اذ كان هدف التربية الاسمى هدفا لمعظمها ، وهو حفظ الجماعة وبقاؤها .

التربية العربية الاسلامية

لما كان الدين الاسلامي دينا حضاريا ، استهدف اخراج الناس من الظلمات الى النور . . ومن الجهل الى العلم ، كان طبيعيا ان يحيي العلم اهتمامه ورعايته ، فاكد القرآن الكريم على العلم وحث المسلمين على اكتسابه . قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » .

اما النبي الكريم (ص) فقد قال : « اطلبوا العلم ولو كان في الصين » واشترط على اسرى المشركين ان يعلم كل واحد منهم القراءة والكتابة لعشرة من ابناء المسلمين ، مقابل اطلاق سراحه .

ولما كان الاسلام دين عدل ومساواة فقد فرض على اصحاب الكتاتيب اتاحة فرص تعليمية متساوية امام جميع اطفال المسلمين ، دون تمييز بين غنيهم وفقيرهم .. بين من تحتل عائلته مركزا اجتماعيا مرموقا ومن تحتل مركزا وضيعا . وقد يروى عن رسول الله (ص) في هذا الصدد قوله : « ايما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الامة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين » .

على ان تلك العدالة والمساواة في التعليم قد تعرضت الى النسف في العصر العباسي ، اذ ظهرت ثلاث طبقات من المعلمين : الاولى اختصت بتعليم ابناء الطبقة العليا والاغنياء وسميت بطبقة (المؤدبين) ، والثانية اختصت بتعليم العامة من ابناء الشعب ، وسميت بطبقة (معلمي الكتاتيب) والثالثة اختصت بتعليم ابناء الخلفاء وكبار الحكام وسميت بطبقة (كبار المؤدبين) .

وقد ظل التعليم كتاتيبيا ، خاصا ، يدفع آباء الاطفال اجور الدراسة فيه ، رغم اهتمام الدولة



هكذا كان التعليم في اغلب البلاد العربية في اوائل هذا القرن،ولا يزال حتى الآن يسير على هذا المنوال في بعض البلاد

بأجره ، ويوضحها للشروط الواجب توفرها بالقائمين على ادارته ، حتى حلول القرن الاسلامي الرابع حيث انشئت المدارس النظامية التي احتضنت التلاميذ بعد اجتيازهم لمرحلة الدراسة الكتابية ، وقد قام بتأسيس هذه المدارس اول الامر بعض اعلام رجال الدين الذين جعلوا منها مكانا للدراسة ولسكن الطلاب في الوقت نفسه ، وقاموا بتحمل الاعباء المالية والمعاشية للطلاب . ثم عملت الدولة على انشائها ، ورعايتها ومراقبتها ، وسن القوانين المنظمة لشؤونها ، وذلك منذ تولي الوزير نظام الملك السلجوقي الذي اعتبر اول مؤسس للمدارس الرسمية .

وعلى الرغم من ان هدف التربية الاسلامية الاساسي ، كان دينيا ، الا ان تطور واتساع حياة المجتمع الاسلامي ، واتساع حاجاته الادارية والاقتصادية ، قد دفع بالتربية الاسلامية الى تبني اهداف دنيوية ، يساعد تحقيقها على رفاه وسعادة وتقدم المجتمع .

الحركة العلمية واثرها في التربية

عند الحديث تطور الحركة العلمية، واثرها التربية، كثيرا من الفروع الانسانية بمكتشفات واساليب وطرق بحث تلك الحركة ، فاخرجتها من طور النظريات والاحكام الميتافيزيقية الى طور النظريات القائمة على التجارب والاحكام التجريبية ،فغدت التربية علما كغيرها من العلوم باستخدامها لطرق البحث العلمي في اصدار احكامها على البرامج والاهداف التربوية وطرق التدريس ، وطبيعة المتعلمين .

التربية الحديثة

كانت التربية السائدة ، قبل نشوء وازدهار الحركة العلمية تنبني على اسس ميتافيزيقية — كما قلنا قبل قليل — قوامها ان الانسان ميال بطبيعته الى الشر ، وان مهمة التربية هي قمع ميول الطفل الشريرة بكل قسوة وعنف ، ودفعه الى طريق الخير بالنصح والوعظ وان لم تجد فبالوعيد والتهديد وان لم تنفع فبالعقاب وذلك بانزال الالام الجسدية .

ان التربية القديمة بالاضافة الى كونها اهملت طبيعة الطفل المتعلم ، فانها لم تقم وزنا لحاجات البيئة الاجتماعية ، الا ان ملامحها انحصرت على

المواد النظرية الجافة المتسمة بالتعقيد والصعوبة. وكان ديدنها شحن ذهن المتعلم بالمعلومات « كلما زادت ادت الى ارتفاع المستوى التربوي للشخص المتعلم كما تعتقد » .

وكانت الطريقة التعليمية ، قبل ظهور الحركة العلمية — تقوم على نظرية « الترويض العقلي » تلك النظرية التي اعتقدت بأن العقل الانساني يتكون من ملكات مستقلة الواحدة عن الاخرى ، وان شحذ وتقوية احدها يؤثر على الاخرى وان لكل ملكة من هذه الملكات مادة تصلح لشحذها ، فالتاريخ يشحذ ملكة الذاكرة والرياضيات تشحذ ملكة التعليل .. واستنادا الى هذه النظريات ، فان العقل الانساني يروض كما يروض الجسم ، فكما ان عضلات جسم الانسان تشتد وتقوى كلما تعرضت لحركات رياضية اكثر فان الملكات العقلية تشتد وتقوى كلما اكثرنا من تدريس المواد الصعبة.

لقد تعرضت النظريات التربوية القديمة الى هزة عنيفة بفضل الحركة العلمية وتطورها . وكان اول من ثار عليها « الماركيز دى لوندورسيه » De Londreel احد كبار كتاب الثورة الفرنسية .

الا ان اول من دعا الى الاهتمام بالفرد المتعلم ذاته ، وصاغ النظريات التربوية الفردية وتزعم حركتها في التربية هو « جان جاك روسو » الذى افرط في التأكيد على الفرد ، واعتبره نقطة البداية في كل تربية ، فطالب بتحرير طاقاته واطلاق دوافعه ، واتاحة فرص النمو له من دون تدخل وتربيته عن طريق الحياة .

وعلى الرغم من تأكيده الاهتمام بالفرد ، فانه لم يهمل الجانب الاجتماعي للتربية ، كلية ، اذ اعتقد ان الاصلاح الاجتماعي يمكن ان يتم عن طريق العناية بالفرد ، ومع ان روسو لم يترجم نظريته التربوية الى الواقع العملي ، فقد تأثر بها وقام بترجمتها عدد من المربين هم : « بستالوتزى » Pestalozzi الايطالي وهربارت الالماني Herbart و « فروبل » Froebel منشيء رياض الاطفال ، الذين اعتبروا من كبار رجال الحركة الفردية ، وذلك في النصف الاول من القرن التاسع عشر . فقد لفت بستالوتزى الانتباه الى ضرورة الاهتمام بالانتباه . واكد على الحواس وضرورة تربيتها .

وبالرغم من اتفاق فروبل وهربارت مع روسو في خطوط نظريته المؤكدة على تربية الفرد ، فانهما قد اختلفا معه في عزلة الفرد عن المجتمع ، اذ انهما اعتبرا التعاون الاجتماعي اساسا لنمو شخصية الفرد . الا ان هذا التيار التربوي الفردى جوبه بشدة في بداية القرن العشرين بتيار معاكس له تماما ، هو التيار الاجتماعي في التربية ، الذى ساعد على ولادته التوسع في الدراسات العلمية والنفسية . فعرف « هربرت سبنسر » Spencer التربية بانها اعداد للحياة الكاملة ، واعداد للمشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية . وقد تزايدت اهمية العامل الاجتماعي في التربية يوما بعد آخر ، الى ان جاء « جون دوى » (١٨٥٩ — ١٩٥٢) بنظريته في التربية .

جمع جون دوى Dewey بين فردية التربية واجتماعيتها . وقضى نهائيا على اسطورة الانفصال بين الفرد والمجتمع ، اذ اعتبر الفرد والمجتمع كائنا واحدا لا يمكن شطره دون القضاء على اهداف التربية . وعلى هذا الاساس ، فالتربية يجب ان تهتم بالفرد والمجتمع في آن واحد .

ولخص « دوى » رأيه في التربية بما يأتي :

« ان الهدف من التربية هو تهيئة الفرد تهيئة اجتماعية من شأنها انها تمكنه من المساهمة في حياة الجماعة ، ومظاهر نشاطها ، فالمدرسة المثالية يجب ان تكون مجتمعا نشيطا فعالا ، فيه يتعلم الاطفال عن طريق الخبرة . ان الطفل شخصية دائمة الحركة ، النمو والتغير . والمدرسة مجرد وسيلة تساعد على هذا النمو ، وهذا التغير ، وعلى هذا الاساس يمكن القول ان »

١ — التربية حياة ، وليست اعدادا للحياة .

٢ — التربية نمو ، وطالما كان هناك نمو كانت هناك تربية .

٣ — التربية عملية اعادة تشكيل الخبرة المتجمعة .

٤ — التربية عملية اجتماعية والمدرسة يجب ان تكون مجتمعا ديمقراطيا .

والخلاصة ، ان التربية الحديثة تعتبر المدرسة مجتمعا مصغرا ، والمدرسة المثالية هي التي تعكس الحياة الاجتماعية الى داخل المدرسة ، والحياة المدرسية الى داخل المجتمع . وان نجاح المدرسة يقاس باعدادها جيلا واعيا متطورا ، صالحا للحياة ومصلحا لها .

نشأة المدرسة الرسمية

بعد ظهور الحركات القومية والديمقراطية في

أواخر القرن الثامن عشر . وباهتمامها بتنوير عقول الناس وتوسيع مداركها ، ونشر العدالة والمساواة بينها ، ارتفعت أصواتها مطالبة بربط التعليم بالدولة ، وفتح المدارس العامة والانفاق عليها ، وتهيئة المناهج والمواد الدراسية ، واعداد المعلمين اللازمين لها ، بغية اتاحة الفرص التعليمية المتساوية امام ابناء الشعب كافة ، هذا بالاضافة الى ان الدولة اصبحت الرأسمالية تنشئة الاطفال تنشئة قومية موالية لسياسة الدولة القائمة ، عن طريق المدرسة الرسمية وهكذا ولدت المدارس الرسمية .

المدرسة العربية

على الرغم من النجاح الكبير الذي ملكه مدارس الدول المتقدمة ، نتيجة لاخذها بأحدث النظريات التربوية المبرهن عليها بادلة تجريبية ، لا تزال المدرسة العربية متخلفة عن مواكبة التطور التربوي والعلمي والتكني . فمدارسنا لا تزال تسودها سياسة العصا ، وعدم الاعتراف بشخصية الطفل ومراعاة طبيعته ، وتحكمها البيروقراطية الادارية. ولا تزال تحشو اذهان التلاميذ بالمواد النظرية التي لا يربطها مع البيئة الاجتماعية والاقتصادية رابط . ولا تزال تهيمن عليها طرق التدريس القديمة التي تتمركز حول المعلم ولا تدور حول المتعلم . فالمعلم هو الذي يقوم بالتعليم : يشرح ويسأل ويجيب ، والتلاميذ من حوله يتفرجون . فتلقين المعلومات والمعارف ، والحفظ والاستذكار ، والاعداد للامتحانات ديدنها الاساسي . لذا المناهج موحدة في جميع مدارس القطر الواحد ، ابن الشمال يدرس نفس مناهج ابن الجنوب .. ابن الريف كابن المدينة ، دونما اعتبار لاختلاف البيئات . وهذا ما جعلها منعزلة عن البيئة ، غير ملائمة لحاجاتها وحاجات ابنائها .

يقول الاستاذ متى عقراوي بهذا الصدد « ان المناهج وطرق التدريس جافة لا تجتذب اليها نفوس التلاميذ ولا نفوس المعلمين ، مواد الدراسة مشحونة بمعلومات مرتبة ترتيبا منطقيا لا تمت الى البيئة بصلة ، ومكدسة تكديسا ، وبالغة من الصعوبة ما لا يتيح للتلميذ المتوسط التغلب عليها . والنتيجة رسوب مريع واعادة نسبة كبيرة من التلاميذ » .

وهنا يتبادر الى الذهن السؤال التالي : ترى ما هي اسباب تخلف المدرسة العربية ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تجرنا الى تفاصيل متشعبة الفروع ، والى احكام قد تثير الحساسية الا ان الكثير من اسباب التخلف ـ على ما اعتقد ـ سياسية . لذا نكتفي بالاشارة الى بعض الاسباب الهامة : ـ

١ ـ ان مناهجنا منتسبة ـ في اغلب اجزائها ـ من مناهج مدارس الدول الغربية القديمة ، التي تختلف بيئاتها عن البيئة العربية . وعلى هذا فهي غير مستوحاة من ثقافة المجتمع العربي ، وغير مراعية لحاجات افراده .

٢ ـ ان المشرفين على شؤون التربية والتعليم في الدول العربية ، مربون كلاسيكيون ، ليتربوا عند مرحلة سابقة من التربية ، القسم كبير منهم ملتزم بالنظريات التربوية القديمة ولا يريد ادخال « البدع » الى المدارس العربية .

ان النظم التربوية في البلاد العربية تشترط بمن يتم اختيارهم للتفتيش ، وعضوية لجان المناهج والتخطيط التربوي ان يكونوا من القدماء « لان كل قديم في المهنة خبير » !! فكيف ، اذن ، نريد للمدرسة العربية ان تأخذ بالنظريات والاساليب التربوية الحديثة ، اذا كان معيار الكفاءة القدم في المهنة ؟

اننا ندعو الى تطعيم الاجهزة التربوية المهمة بالعناصر الشابة الكفوءة ، الى جانب العناصر القديمة ذات الفكر التربوي المتجدد والمواكب للتطور .

٣ ـ ان الصراع بين ما هو قديم وما هو حديث ، ظهر منذ بداية تطور الفكر الانساني ، الا ان القانون الذي يتحكم بهذا الصراع هو حلول ما هو حديث محل ما هو قديم ، في نهاية المطاف ، وسبب المقاومة لما هو حديث ترجع الى انه يزعزع الاسس الثابتة للكيانات الاجتماعية ، ويستدعي ايجاد اسس وعلاقات وطرائق حياتية جديدة . ولما كانت عوامل المقاومة في البلاد العربية . اكثر شدة ، فمن الطبيعي الا يأخذ الحديث مكانه محل القديم ، الا بصورة تدريجية بطيئة جدا .

وما القضية بالنسبة الى المدرسة العربية ، الا قضية زمن ، وستحل النظريات التربوية الحديثة فيها مهما كانت العقبات والصعاب التي تواجهها.

■

كريم مناحي الصريفي



شعر : الدكتورة عاتكة الخزرجي

■ يا حبيبي عيناك هاتان كالسحرِ وكالأفق حلوتا الازرقاقِ ...
ليس يُدرى .. أسيرُها في صفاءٍ أو عميقٍ من المعاني الرقاقِ
وأرى نفسك الجميلةَ فيهما تتراءى سحريةَ الانطلاقِ
وأنا والله أتقي سحرَ عينيك واخشى مصارعَ العشّاقِ ؛
غيرَ أني لقيتُ منه الذي لم يلقَهُ عاشقٌ من انتلاقِ .. ؟
وأنا قد نذرتُ قلبي لعينيك فداءَ الجفونِ والأحداقِ ..
يا حبيبي عيناك هدهدتا رُوحي فشاعَ السلامُ في أعماقي
وتراءى الوجودُ حولي طيوفاً عذبةَ الروحِ والرؤى والمذاقِ
يا حبيبي عيناك زلزلتا رُوحي فأذكى على جمرُ اشتياقي
فأنا منهما على مثلِ وقدٍ لا يداويه غيرُ حرّ الفراقِ ..
يا حبيبي عيناك تقذفهما عيناي عُوقبتَ عُوقبتَ مما ألاقي
أنت لولاهما جهلتُ من الحبِّ جوى الروحِ وارتواءَ التلاقي
لا تسلني عن الهوى يا حبيبي إنّهُ فوقَ قدرتي ونطاقي
قد وصفنا وما بلغنا . وإنّا قد أخذنا لـهُ جميعَ المراقي
وروينا من ذاته ثمّ نشقى وما تصنعُ الرُّقى من راقِ ..؟



يا حبيبي حق عيبك عندي   أنا اليوم بنعمة من تلاق *

أنا أهواك يا حبيبي هوى الروح   وأهوى مكارم الأخلاق..

أنا أفديك بالنفيس وبالنفس   وأهدي العزيز من أعلاقي

أنا أخشى عليك من نغص ماض   وأخشى عليك جور شبابي

أنا أخشى عليك من خفقة القلب   وهمس الجفون والأحداق

يا حبيبي أفديك من حرق الوجد   وبرح الهوى وومض آمال

أنا أهواك يا حبيبي على البعد   والقرب والقلى والوفاق

شهد الله أنني أحفظ العهد   وقلبي على الأحبة باق

أنت عندي متعتي به أذكر الله   وأشكر الباري الخلاق

أنا والله قد عشقتك في الله   وحزت الثواب في العشاق

عز صبري إذ غبت وجهك عني   يا حبيبي وسحر عينيك باق !

قدر كان أننا نتلاقى   واتفاق جرى بغير اتفاق

حتم كان أننا نتساقى   أكؤسا لم تدر ولم يسق ساق

لم تكن لي من قبل شيئا وما كنت   فكان الهوى نعيد التلاقي

أنا أهواك يا حبيبي وأهواك   وأهواك ما بقي مني باق ! ■■

عاتكة الخزرجي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد





اعرف وطنك
أيها العربي
عطبرة
استطلاع
تصوير

● قسم الاستعمار عطبرة قسمين فجعل منها "مدينة الأضداد"

● قرية صغيرة جعلت منها السكك الحديدية مدينة كبيرة

● وخطتها الصناعة - فرفعت من مستوى أهلها وزادت في ثقافتها وتعليمها

■ مدينة الاضداد .. لقب اطلقه السودانيون على مدينة عطبرة ايام الاستعمار ..

وجاء الاستقلال .. فاطلقوا عليها لقبا جديدا، هو مدينة الحديد والنار .

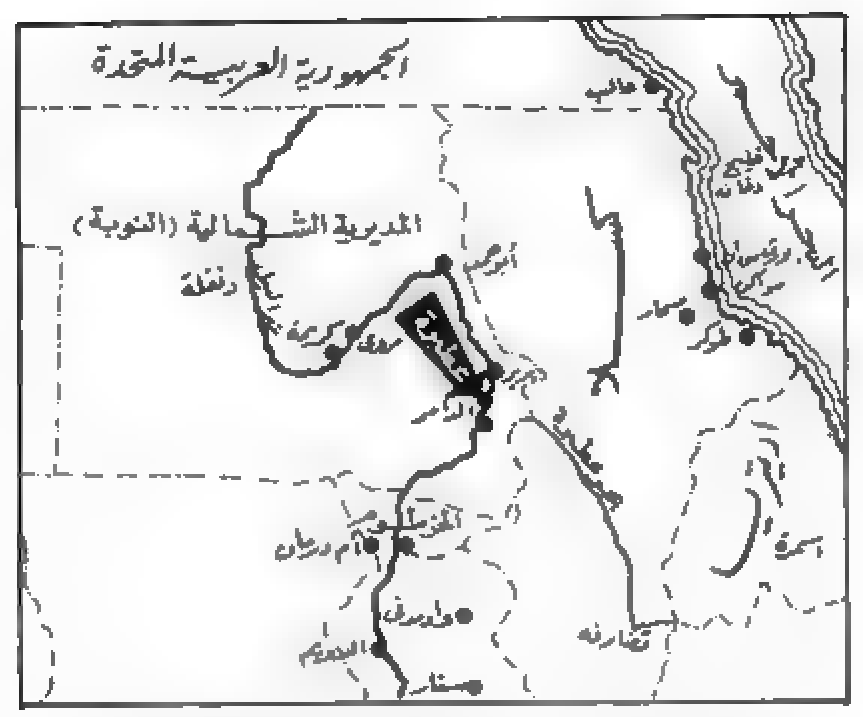
ويحلو لبعض الظرفاء تسميتها ايضا بلقب من نوع جديد .. وهو عطبرة .. مدينة الكتير من الجو القاسي الذي تتعرض له هذه المدينة طوال ٦ اشهر في العام الواحد تهب فيها الرياح المحملة بالاتربة والتي يسمونها هنا بالهبوب فتجعل من الحياة امرا شاقا يتحمله سكانها بصبر وقوة احتمال ..

ولهذه المدينة ذات الالقاب الثلاثة .. قصة طويلة .. بدأت منذ سبعين عاما .. لم تكن هناك عند التقاء نهر النيل بنهر عطبرة مدينة ، كان هناك قرية صغيرة تسمى « الداخلة » يعيش اهلها على زراعة شريط ضيق من الارض القريبة من شرق النيل .. يستعملون السواقي لسقي زراعتهم . اذ يجرون مياه الفيضان بسواقي الى الوديان القريبة منها . وينتظرون حتى تجف المياه ليزرعوا من بعد ذلك زراعتها .

لم يكن يدور بخلد واحد من سكان « الداخلة » ان قريتهم المجهولة هذه ستتحول في سنوات قليلة الى مدينة من اهم مدن شمال السودان .. وانها ستصبح الشريان الحيوي في عصب ربط شمال السودان بشرقه وغربه وجنوبه .. وتتلخص قصة هذا التحول السريع في شيء واحد هو السكك الحديدية ..

هذا الجسر ويعرف بكوبري عطبرة .. هو الجسر الوحيد الذي ربط شمال السودان بوسطه وجنوبه وغربه وشرقه وله اهمية خاصة بالنسبة الى مواصلات السودان وتمر به القطارات المتجهة الى حلفا والقادمة منها كما تمر به ايضا القطارات القادمة من بورسودان المتجهة الى الخرطوم





خريطة تبين موقع مدينة عطبرة وعينة موقعها كنقطة اتصال في شبكة المواصلات السودانية

قصة السكك الحديدية

وللسكك حديد السودان قصة طويلة نستطيع ان نوجزها هنا .. فقد بدا التفكير في ادخال السكك الحديدية في السودان في عهد سعيد باشا حاكم مصر (١٨٥٤ - ١٨٦٣) وذلك لربط مصر بالسودان .. ولكن الاحوال المالية في مصر اضطرته الى ارجاء تنفيذ هذا المشروع . وعندما جاء الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) الى الحكم عادت الفكرة مرة اخرى الى الظهور .. وبدات عملية دراسة جدية لمد خطوط السكك الحديدية بالسودان في عام ١٨٦٥ .. وبعدها بدئ فعلا في انشاء خط من حلفا الى الشمة يبلغ طوله ٨٠٠ كيلو متر ولكن العمل في هذا الخط توقف في عام ١٨٧٨ لتدهور الاحوال المالية في مصر .. ولكن في عام ١٨٨٠ عاد العمل مرة اخرى وتم مد الخط ١٨٠ كيلو مترا جنوب حلفا .. وصدرت الاوامر بالعمل في مشروع اخر هو ربط سواكن مع بربر بطريق حديدى .. واشتعلت الثورة المهدية في عام (١٨٨١) .. وتوقف العمل مرة اخرى في مشروع السكك الحديدية .. وبعد ان توفى المهدى .. وبدات الحرب مرة اخرى ضد خليفته ظهرت اهمية السكك الحديدية للعمليات الحربية وقام الجنود المصريون بمد خط للسكك الحديدية الذى تقدمهم على طول نهر النيل .. ووصل هذا الخط الى بلدة كرمة في شهر ابريل ١٨٩٧ .

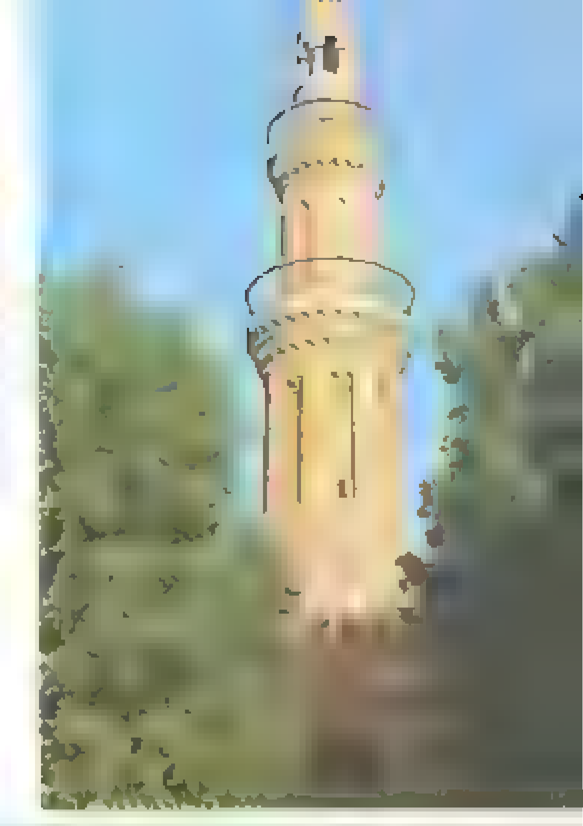
وبعد ذلك مباشرة بدا العمل في خط اخر يربط حلفا مباشرة بـ « ابو حمد » ويخترق صحراء العطمور ..

وفي عام ١٩٠٠ بلغ طول خطوط السكك الحديدية في السودان ١٢٥٤ كيلو مترا .. وبدا التفكير بعد ذلك في انشاء خط حديدى يربط بين داخل السودان ومنفذها على البحر ، وكان

● ● ● [illegible]

[illegible] والى أسفل الصفحة [illegible]

[illegible] (الصورة الى اليمين)







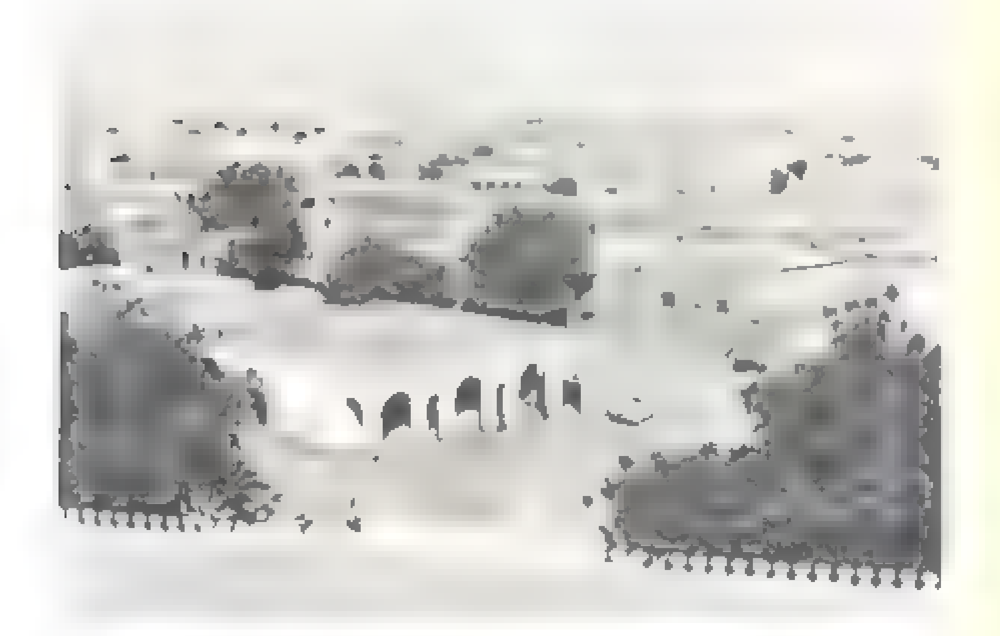
العطل حليف قريه « الداخله » التي تكون هي ملتقى هذا الطريق الذي يربط بين ميناء السودان الجديد بور سودان ومن داخل البلاد .. ومن يومها تغير اسم الداخله ليحل محله اسم « عطبره » وبدأ انشاء المدينه الجديدة واصبحت الداخله مجرد حي قديم من احيائها .

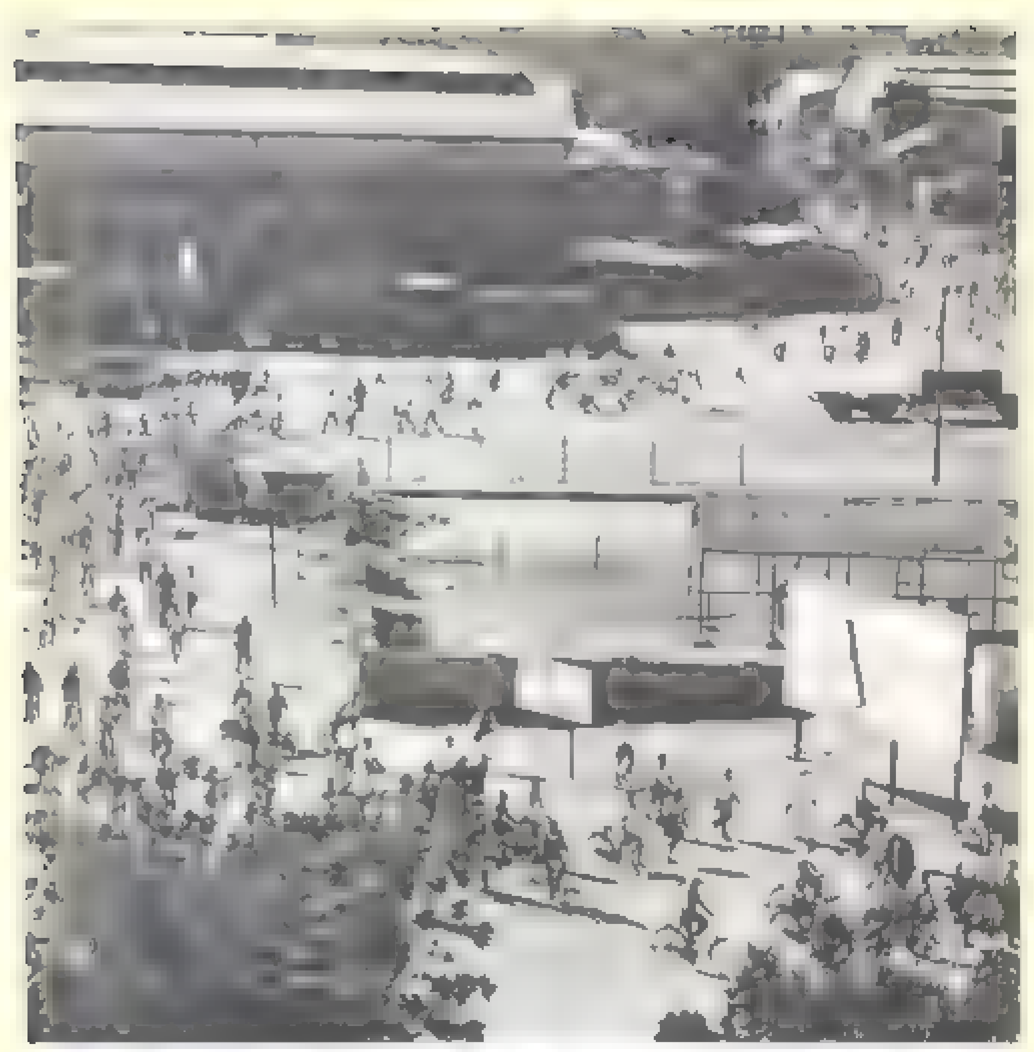
وفي عام ١٩٢٧ بدئ في استكمال الخط الحديدي الذي يربط الخرطوم بالمشارف عن طريق النيل الازرق وصعد الى كسلا وبور سودان وقد استدعى انشاء هذا الخط اقامه كوبري على نهر عطبره .. وهو وسيلة الوصل الوحيده الآن بين شمال السودان ووسطه وجنوبه .

مدينه الاضداد !

على مر الزمن .. ومنذ ان دخلت السكك الحديديه الى قرية الداخله فحولتها الى مدينة اسمها عطبره .. قام رجال السكك الحديديه .. وكان يتولى امرها مهندسون انجليز ، ببناء مدينة خاصة بهم يفصلها شريط السكك الحديديه عن الاحياء الاخرى والتي قطنها اهالي البلدة من السودانيين .. ادخلوا الكهرباء والماء النقي الى الحي الخاص بهم .. مهدوا شوارعه .. زينوها بالاشجار .. ارتفعت المباني الفخمه في كل مكان . وتركوا الاحياء الوطنيه مهمله تماما .. الطرق ترابيه .. المباني بدائيه .. الكهرباء لم تدخلها الا بعد ان مر على دخولها الى حي السكك الحديديه عشر سنوات .. الحدائق الجميله على ناحيه من السكك الحديديه والقذارة والتراب على الناحيه الاخرى .. الغنى على ناحيه .. والفقر على الناحيه المقابله .. والمسافه بينهما لا تزيد على عده امتار فقط هي خطوط السكك الحديديه .. ؟ ويتذكر سكان عطبره هذه الايام التي كان محرما عليهم ان يتخطوا شريط السكك الحديديه الى الناحيه المقابله ، ومن كان يجسر ان يتخطى هذا الشريط وهو يعلم تماما انه يتعرض لعقوبه العقد اذا فعل هذه الفعله الشنعاء

ومن هنا جاء لقب مدينه الاضداد ..





مدينة الحديد والنار

وحصل السودان على استقلاله في عام ١٩٥٦ وحل السودانيون محل الانجليز . وبعد الاشتغال بالصف الهمل من مدينة عطبرة كما عاد الصف الآخر العمل الى اهله ليسكنوا فيه ويضموا عماله ووصلت الاستثمارات في حي

السكك الحديدية وفي بناء مباني جديدة للعمال الذين بلغ عددهم ١٠ الاف عامل .. منهم ٤ الاف من الفنيين و ٦ الاف غير فنيين وبعد تمضى في توسيع ورش السكك الحديدية والتي اصبحت تضم ٣ اقسام رئيسية اولها مصنع للعربات يتم فيه تصنيع عربات الشاحنات وعربات الركاب ويقدر الانتاج السنوى لعربات الركاب بـ ٦٥ عربة . وثانيها



فني للصيانة تم فيه [illegible] من القطع
والعدد اضافة الى عربات السكك الحديدية سواء
الجارية منها [illegible] بالقدرة وتوسع
هذا القسم [illegible] كبير [illegible] الحديدية
وبسبب انتاج قطع الغيار اللازمة [illegible] ومن هذا
القسم الكبير [illegible] اساسية [illegible]
قطر [illegible] الحديد والنار وقد بلغ انتاج
[illegible] في [illegible] عام ١٩٧ [illegible]
من ١٢ [illegible] العربات الحديدية والخشب

اما القسم الرئيسي الثالث في ورشة السكك
الحديدية فهو القسم الخاص باجهزة الكهرباء
قد استعملت سكك حديد [illegible]
[illegible] هذا القسم
[illegible] في صنع [illegible]
[illegible] التي كانت [illegible]
الخارج

• • •



مصنع ماسبيو للاسمنت

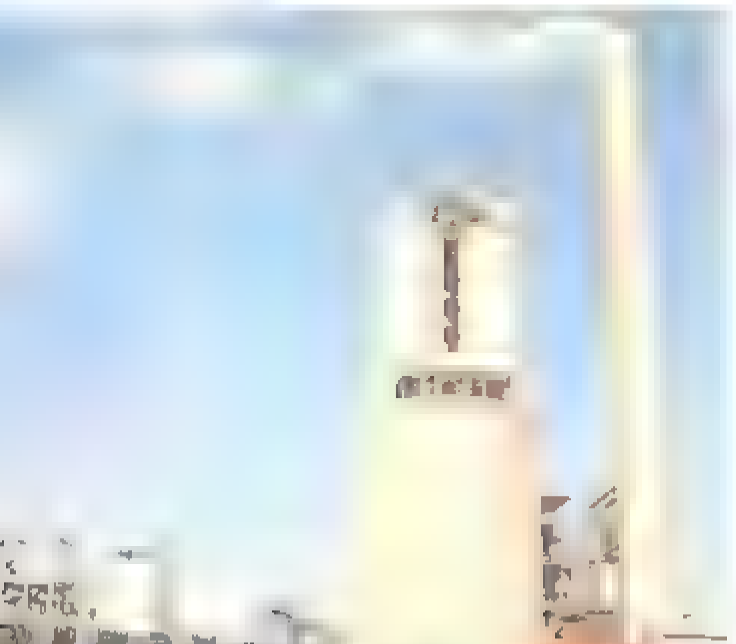
لم يكن مصنع السكة الحديد هو السبب الوحيد في تسمية عطبرة بمدينة الحديد والنار .. فهناك مصنع آخر كبير يقع على بعد ٢ كيلو مترات من وسط المدينة .. وهو مصنع الاسمنت وقد اطلق عليه اخيرا بعد تأميمه اسم مصنع ماسبيو نسبة للحروف الاولى للشهور التي حدثت فيها ثورات السودان وليبيا ومصر وهي مايو وسبتمبر ويوليو !

وقد انشيء هذا المصنع في عام ١٩٤٧ برأسمال حوالي ١٬٢٠٠٬٠٠٠ جنيه سوداني .. وبدأ المصنع انتاجه في عام ١٩٤٩ ولم يكن هذا الانتاج يزيد عن ١٥٠ طن يوميا .

وفي عام ١٩٦٤ تم تركيب فرن آخر للاسمنت فبلغ انتاجه ٤٥٠ طن يوميا .

وتوجد محاجر خامات الاسمنت على الضفة الغربية للنيل امام المصنع الذي يقع على الضفة الشرقية ويتم نقل الحجر الجيري بواسطة طريق هوائي (التلفريك) عبر النيل الى المصنع مباشرة .. وفي المصنع تتم عملية تكسير الحجر ثم طحنه .. وبعد ذلك يتم خلطه بنسب معينة بالرمل والمادة الطفلية ويعاد طحنه مرة اخرى حتى يصبح مسحوقا .. وينقل هذا المسحوق من المطحنة بواسطة مواسير ضخمة الى الافران مباشرة حيث تتم عملية الحرق في درجة حرارة تصل الى ١٤٥٠ درجة .. وبعد ذلك يخرج خام الاسمنت كتلا صغيرة كالتراب (clinker) حيث يتم نقله الى طواحين اخرى يتم فيها اضافة الجبس بنسبة ٤٪ الى الخام واضافة الجبس القصد منها اعطاء تجميد الاسمنت حين خلطه بالماء . ثم تتم تعبئته في الاكياس بعد ذلك حيث يتم شحنه







الى اماكن الاستهلاك ولتوفر الخامات اللازمة لصناعة الاسمنت كلها في مناطق مختلفة بالسودان .. فالحجر الجيري محاجره تقع امام المصنع على الضفة الاخرى من النيل وكذلك الرمال والطفل ...

وقد تم اكتشاف مناطق غنية بمادة الجبس الصخري (الاسبستـ) في المديرية الشمالية ويجري الان دراسة جادة لانشاء مصنع للجبس لاستغلال هذه المادة الخام ومصنع اخر للمواسير ومصنعين للبلاط يتم الحاقهم بمصنع الاسمنت الحالي .

ويبلغ انتاج مصنع الاسمنت الان ١٨٠ الف طن سنويا وينتظر ان يزداد هذا الانتاج بنسبة ٢٠٪ خلال العام القادم . بينما تقرر زيادة الانتاج الى الضعف تقريبا خلال الخمس سنوات القادمة . وقد طلبت المملكة العربية السعودية ونيجيريا وسيراليون والصومال استيراد كميات كبيرة من انتاج المصنع من الاسمنت ولا تزال هذه الطلبات تحت الدراسة .

مدينة عمالية

يبلغ سكان مدينة عطبرة حوالي ٥٤٫١٠٠ نسمة حسب آخر احصاء رسمي أجري عام ١٩٥٦ .. (يقدر السكان الان باكثر من ٦٥ الفا) .. وهي اكبر مدينة بالمديرية الشمالية في السودان التي تعتبر من اكبر مديريات السودان اذ تبلغ مساحتها حوالي ٢٩٠ الف كيلو متر مربع بينما يسكنها ٩٧٥ الف نسمة ١٢٪ منهم من القبائل الرحل . وبالرغم من أن عطبرة هي اكبر مدينة في المديرية كلها الا انها ليست عاصمة المديرية بل تحتل هذه المكانة مدينة صغيرة تبعد من عطبرة بخمسة عشر كيلو مترا تسمى بالدامر .. والدامر اذا قارناها بعطبرة فهي تعتبر اصغر بكثير واقل رقيا .. واقل في مستوى المعيشة . والمقارنة بين المدينتين تمثل تماما ما يمكن ان تفعله الصناعة في رفع مستوى الحياة مدينة من المدن ..

ويبلغ عدد العمال الذين يقطنون عطبرة باكثر من ١٧ الف عامل .. منهم ١٠ الاف يعملون في ورش السكك الحديدية بينما يعمل الباقون في صناعات صغيرة مختلفة تنتشر في انحاء المدينة .

ويعتمد العمال على الدراجات كوسيلة من اهم وسائل الانتقال تحملهم من منازلهم الى اماكن عملهم . ولذلك فانك تجد اعدادا كبيرة من الدراجات تملأ شوارع المدينة في الصباح الباكر .. وعند انتهاء مواعيد العمل ..

كيف تكونت نقابة عمال السكك الحديدية ؟!

ومن اقوى نقابات العمال في السودان نقابة عمال السكك الحديدية وهي تضم ٣٨ الف عضو . ومركزها الرئيسي في عطبرة . وقد تم انشاء النقابة في عام ١٩٤٧ ..

ويروي سعيد عبد الله سكرتير النقابة وهو واحد من الرعيل الاول الذين عاصروا انشاء هذه النقابة تاريخ انشائها فيقول : « في عام ١٩٤٦ فكر سليمان موسى وكان يعمل ميكانيكيا في ورش السكك الحديدية في انشاء هيئة لعمال السكك الحديدية . وقام بجمع امضاءات عدد كبير من العمال وقدمها في هيئة عريضة مكتوبة لمدير السكك الحديدية في ذلك الوقت .. وكان انجليزيا .. ورفض المدير على الرغم من ان انجلترا تضم عمالها جميعا في النقابات ، ورفض السماح بتكوين مثل هذه الهيئة .. وثار العمال وتجمعوا داخل الورش ليظهروا رغبتهم في تكوين هيئة لهم .. واتصل المدير الانجليزي بقومندان البوليس وهو ايضا انجليزي .. وحضر رجال البوليس وقامت معركة بينهم وبين العمال .. وقبض على عدد كبير من العمال واودعوا في السجن .. واعلن العمال على الاضراب عن العمل الى ان يتم الافراج عن زملائهم واستمر الاضراب ٦ أيام .. وكان اول اضراب في تاريخ السكك الحديدية في السودان .. واضطر المدير الانجليزي تحت هذا الضغط على تكوين هيئة عمال السكك الحديدية .. وتحولت الهيئة بعد ذلك الى نقابة وتم وضع دستور لها .. وقد لعبت النقابة دورا كبيرا في الحصول على استقلال السودان »

ويستطرد سكرتير النقابة قائلا : « ان العمل النقابي في مفهومنا بعد حصول السودان على الاستقلال يجب ان يستقل تماما عن العمل السياسي



العون الذاتي ... ظاهرة منتشرة في السودان من شماله الى جنوبه ، وتنعكس على الريف والحضر ، وفي مدرسة عطبرة الثانوية يقوم الطلبة ... ببناء مسرح مدرسي بأنفسهم وذلك مشاركة منهم في مشاريع العون الذاتي

.. لقد الغيت الاضرابات السياسية بعد الاستقلال وذلك حتى لا تضرب العمل الوطني » .

جمعيات تعاونية ومستشفيات متنقلة

وبعد أن أنتهى سكرتير النقابة من حديثه عن تاريخ النقابة .. بدأ نائبه وهو محمد حسن عبد الله حديثه عن النشاط الاجتماعي والثقافي الذي تقدمه لأعضائها فقال

« إن عمال السكك الحديدية في السودان ، وخاصة في الدرجة الثانية ... يعيشون تحت ظروف صعبة وبالذات هؤلاء الذين يعملون في محطات الوسط وهي محطات صغيرة بين عطبرة وحلفا ... فهم يعيشون وسط الصحراء حيث لا ماء ولا زراعة ... ومن أجل هؤلاء أنشأنا جمعيات تعاونية متنقلة ، تلحق بالقطارات التي تمر على هذه المحطات وتبيع لعمال السكك الحديدية ما يلزمهم من مشروبات وسجائر ومرطبات بأسعار التكلفة وهي بذلك تسهل عليهم كثيرا من الصعوبات التي يلاقونها .

وهناك أيضا عربة مستشفى بها طبيب تمر في هذه المحطات على دورات للاشراف الصحي وتقديم المساعدة الطبية لهم ولأسرهم .

وتقوم النقابة بدفع اعانات لأي عامل ينقطع مرتبه بسبب مرضه ٦ شهور متوالية ... أو في حالة الوفاة ... وكذلك انشأت النقابة عددا من المدارس الابتدائية والمتوسطة في محطات الوسط وذلك لتعليم أبناء عمال السكك الحديدية بها .

وقد طلبت النقابة من اتحاد العمل العربي والتي هي عضو فيه ـ امدادها بطبيب اخصائي للعمل في عيادة ستنشأ في عطبرة لعلاج العمال وأسرهم نظير مبالغ رمزية ... وقد عرضت ادارة السكك الحديدية المساهمة في هذا المشروع عن طريق اعداد سكن خاص للطبيب واعداد مكان مخصص للعيادة » .



ويتحدث رئيس النقابة عن مرتبات العمال فيقول « ان أقل مرتب شهري للعامل غير الفني هو ١٢٫٨٠٠ جنيه ويصل مرتب العامل الفني الى ٦٠ جنيها شهريا

ونحن الآن نتقاضى اشتراكا سنويا من كل عامل يبلغ ١٢٠ قرشا .. ونفكر جديا في عمل نظام معاشات النقابة للعمال عند الوفاة أو التقاعد » .

نشاط نسائي لمحو الامية بين نساء عطبرة

يقطن في مدينة عطبرة ، كأي مدينة في المديرية الشمالية بالسودان ، خليط من ابناء القبائل العربية التي جاءت الى هذه البلاد منذ مئات السنين .. والتي يرجع اصلها في رأي الكثير من المؤرخين الى بني امية الذين فروا من مصر بعد مقتل آخر خلفائهم وهو مروان بن محمد .. وقد استوطن هؤلاء العرب الاماكن الشمالية من السودان والتي تمتد من حلفا جنوبا الى الخرطوم .. ولكل قبيلة من هذه القبائل عاداتها وتقاليدها .. ومن بين هذه القبائل الرباطاب والشايقية والجعليين والنوبة وغيرهم . وقد كانت نسبة التعليم بين النساء نسبة ضئيلة جدا او شبه معدومة وبعد الاستقلال بدأ تعليم الفتيات يتخذ شكلا جديا ، وبدأت العادات البالية والتقاليد القديمة تتداعى واحدة وراء الاخرى .. ومن بين هذه العادات التي بدأت تتلاشى عادة الزار .. والايمان بالسحر والتعاويذ والاحجبة .

وقد شاهدت بعثة « العربي » الجهود الكبير التي تقوم به بعض السيدات المثقفات في مدينة عطبرة للقضاء على الامية بين النساء اللواتي فاتهن سن التعليم ، وذلك بتعليمهن مبادئ القراءة والكتابة بالاضافة الى الاشغال اليدوية التي تزيد من دخل الاسرة .

وهناك ٢٥٠ سيدة عضوات في الاتحاد النسائي فرع عطبرة .. وقد قسمن البلدة الى ٩ احياء .. وتقوم كل لجنة مكونة من حوالي ١٠ سيدات



بالاشراف على النشاط الاجتماعي والثقافي في كل حي . وتقول السيدة آمال ابراهيم شكري وهي مسئولة الاتحاد النسائي في حي « فليه مدني » وهو واحد من احياء عطبرة :

« اننا نعمل على رفع مستوى المرأة السودانية اجتماعيا وثقافيا .. فهناك نسبة كبيرة منهن أميات .. ولذلك ركزنا على فتح فصول الامية بينهن .. وقمنا باستغلال مباني المدارس الموجودة في كل حي لالقاء دروس على الكبار بعد الظهر وتطوعت المدرسات للعمل معنا مجانا في اوقات فراغهن ولا يقتصر الامر على مكافحة الامية بين السيدات بل يتم القاء محاضرات عن تربية الاطفال وكذلك عن دور المرأة في المجتمع وعن التربية القومية والعالم العربي والدول الافريقية

اما من الناحية الصحية فكل اسبوع تحضر زائرة صحية حيث تقوم بشرح وسائل الوقاية من الاوبئة واهمية النظافة في المحافظة على الصحة العامة .

وهناك احصائيات تلقى محاضرات عن العادات البالية وتأثيرها السيء على المجتمع وقد نجحت

● عطبرة

هذا الطراز من المنازل ذات الأسقف المخروطية ، يدل على أن سكانها من رجال بوليس السكة الحديد . وهذا الطراز شبيه إلى حد كبير البيوت المبنية من القش في جنوب السودان ولكن يختلف عنها بأنه مبني بالطوب الأحمر والأسمنت

هذه المحاضرات في التمثيل من مادة الزار والإيمان بالأضحية والتمائم التي كانت أساسا من أسس الحياة في المجتمع السوداني .

وقد أدى نشاط الاتحاد النسائي إلى محو أمية ٢ سيدة في خلال السنوات الماضية

الصناعة .. وتأثيرها على المجتمع

تعتبر مدينة عطبرة واحدة من أهم مدن شمال السودان الصناعية .. وقد كان للصناعة تأثير كبير على المجتمع في هذه المدينة .. فنحو ثلث سكان المدينة عمال يعملون في مختلف الصناعات .. منهم عمال فنيون .. وعمال غير فنيين وقد كان للنشاط الاجتماعي الذي تقوم به نقابات العمال في المدينة أثر كبير على طريقة الحياة في عطبرة .. ولعل أبرز ظاهرة هناك هي كثرة النوادي الرياضية والاجتماعية .. ويقبل العمال على هذه النوادي إقبالا كبيرا .. ويمارسون كل أنواع الرياضة بها أثناء أوقات فراغهم .. والرياضة الرئيسية هناك هي كرة القدم .. والمنافسة فيها شديدة بين مختلف النوادي التي تزيد عددها على ١٠ نواد .

وقد اتحدت النوادي العمالية والمهنية هناك عليها جميلا في تكريم العاملين من أبناء مهنتهم والذين يثبتون جدارة وأمانة في عملهم .. وقد حضرت بعثة « العربي » حفل تكريم أقامه نادي الممرضين والممرضات للممرضات اللواتي قضين ٢٠ سنة في خدمة المرضى . وكان مجموعهن عشرة .. وقد تم منحهن شهادات شرفية تدل على اجتيازهن وحضر الاحتفال الأطباء والمسؤولون عن المديرية ..

الإقبال متزايد على التعليم

أدى انتشار الصناعة في عطبرة إلى زيادة ملموسة في متوسط دخل الأسرة .. مما أدى بالتالي إلى زيادة الإقبال على إرسال أبناء العمال إلى المدارس . وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية للبنين في المدينة ١٨ مدرسة وبلغ عدد المدارس الابتدائية للبنات ١٤ مدرسة .

وبلغ عدد الطلبة والطالبات في المدارس الابتدائية أكثر من ١٠ آلاف طالب وطالبة ، وهناك ٨ مدارس ثانوية عامة للبنين و ٤ مدارس ثانوية عامة للبنات . ويوجد أيضا مدرسة واحدة ثانوية عليا للبنين وأخرى للبنات إلى جوار المدرسة الثانوية الفنية العليا . ويبلغ متوسط عدد الطلبة في الفصل الواحد حوالي ٤٠ طالبا أو طالبة .

عطبرة .. مقبرة ..

عندما وصف السودانيون عطبره بأنها مقبرة ..

زراعة مورد اقتصادي هام بالنسبة
للسودان ، ولكن هناك مساحات كبيرة من
الاراضي الصالحة للزراعة التي لا تستغل،
[illegible]
[illegible] (الصورة الى اليمين)
[illegible]
[illegible]
والى اليسار [illegible]
[illegible]
[illegible] والى الاسفل [illegible]
[illegible]
الصورة المقابلة [illegible]
[illegible]



فاتهم يوصفهم الناس هنا انما يعبرون عن طبيعة الجو الذي تتعرض لهم هذه المدينة خلال ٦ شهور في السنة تبدأ من أواخر فبراير وتنتهي في أواخر يونيو . اذ تهب الرياح المحملة بالرمال والأتربة على المدينة مرتين في الاسبوع على الأقل فتجعل الرؤية شبه منعدمة ويتحول لون السماء الى اللون الاحمر وتتأثر صحة السكان وتتعطل المواصلات وتصاب المدينة بشلل جزئي . وتسمى هذه الرياح « بالهبوب » .

النمتي .. يهاجم البشر .. والابقار !

من بين الاسباب التي دعت بعض الناس الى اطلاق لقب « عطبرة عطبرة » على مدينتهم .. وجود اسراب كبيرة من الذباب الصغير جدا وهو الشبيه « بالهاموش » .. ويطلقون عليه اسم « نمتي » وهو يتكاثر بالقرب من المياه في الزراعات .. ويهاجم البشر والحيوانات .. ويعمد الفلاحون الى اشعال النيران في اخشاب الاشجار واغصانها الجافة لطرد اسراب النمتي بعيدا عنهم وعن حيواناتهم .. ولكن كثيرا ما يكون « النمتي » من الكثرة بحيث يهاجم الحيوانات كالابقار والاغنام بضراوة مما يؤثر على الانتاج الحيواني في المنطقة .. واصبح النمتي مشكلة يبحث المسئولون عن حل لها .. لوقاية الانسان والحيوان من شره .

تصدير الجمال .. والابقار الى البلاد العربية

على بعد ١٥ كيلو مترا من مدينة عطبرة وعلى مدخل مدينة الدامر يوجد سوق كبير للابل والابقار .. ويأتي الى هذا السوق كل يوم سبت اعداد كبيرة من مختلف القبائل المنتشرة في شمال السودان وغربه ومعهم ابلهم يعرضونها للبيع .. ويأتي التجار الذين يعملون في تصدير هذه الجمال الى الجمهورية العربية المتحدة والسعودية لشرائها .. وتنتهي عادة ببيع الجمل الصغير بحوالي ١٥ جنيها بينما يصل سعر الجمل الكبير الى ٤٠ جنيها .. وفي هذا السوق تستطيع ان تشاهد افرادا من مختلف القبائل التي تسكن شمال السودان وغربه ووسطه ويزيد عدد هذه القبائل على ٢٠ قبيلة .

وهو يختلف الزي والشكل اختلافا كبيرا مما يدل بشكل واضح على القبيلة التي ينتمي اليها كل واحد منهم .

عطبره والمستقبل

تعاني عطبرة من مشكلة اسكان .. فعدد سكانها يزداد يوما بعد يوم .. والهجرة من الريف الى المدينة تتزايد بتزايد وجود فرص العمل نتيجة للصناعات التي تنمو في عطبرة .. وتدرس بلدية المدينة الآن مشاريع جديدة لحل مشاكل الاسكان وقد بدىء فعلا في تقسيم قرى جديدة تتسع لبناء ١٥٠٠ منزل لذوي الدخول المتوسطة والمحدودة وتتراوح مساحة كل قطعة ارض بين ٤٠٠ و ٦٠٠ متر ..

ومن اهم المشروعات التي تبحث الآن « ضمن نطاق الخطة الخمسية الاولى » مشروع لانشاء رصيف على النيل يحمي البلدة من الغرق اثناء موسم الفيضان .. وكذلك رصف الطرق الهامة في البلدة التي تعاني من سوء حالة الطرق بها .

كوبري عطبره

وعطبرة تقع عند التقاء النيل بنهر عطبرة .. ويوجد بها على نهر عطبرة كوبري للسكك الحديدية والسيارات يعتبر الشريان الحيوي لوصل وسط السودان بشماله .. ولا يوجد على نهر النيل عدا كوبري شمال الخرطوم حتى السد العالي . وهذا يسبب انعزال الضفة الغربية من النيل عن الضفة الشرقية ويؤخر التقدم في الناحية الغربية ويجعلها معزولة ولا طريق الى العبور اليها الا عن طريق استخدام المعديات .. وهناك الآن مشروع لبناء كوبري جديد لوصل عطبرة بالضفة الغربية ولكن لا يزال المشروع تحت الدراسة .. ومن ضمن المشروعات التي تدرس حاليا مشروع تشجير المناطق الصحراوية المحيطة بالبلدة لتكوين حزام اخضر يقيها من الرياح المحملة بالاتربة ..

وبعد .. ان عطبرة خير مثل حي لتأثير الصناعة على البيئة المحلية .. في مختلف نواحي الحياة . اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا . ■■

محمد طنطاوي

التضييق في اللغة بدون استقصاء

■ في لغتنا سعة ويسر مما تحويه من مجاز واستعارة وتصريف كثير وصيغ متعددة الدلالات ، هذا الى ما تحويه المعاجم من ترادف للألفاظ على معنى واحد ، او من دلالة لفظ واحد على عدة معان ، قد يكون ذلك من أصل الوضع ، جمعا من عدة قبائل ، أو يكون من طريق المجاز والاستعارة .

واللفظ الدال على عدة معان ، لا يستطيع احد ان يقطع بان دلالته على معنى هي أسبق من دلالته على معنى آخر الا بطريق الترجيح ، كأن يقال ان الحسي اسبق من المعنوي ، اما اذا اتفق اللفظ في دلالته على الحسي او المعنوي فالترجيح يكون بلا مرجح .

ويحلو لبعض اللغويين ان يضع فروقا بين دلائل بعض الالفاظ المترادفة ، اعتماداً على ورود لفظ يفهم منه ذلك في جمله بعينها ، لكنه في وضعه لهذه الفروق لا يكون مستقرئا لكل ما جاء من نصوص أدبية . وليست الفروق الموضوعة حديثة عهد . وكانوا كذلك ينكرون المعاني من قديم وبدون استقصاء . وروى ان ابا عمرو ابن العلاء قال ان ما جاءنا من لغة العرب قليل من كثير .

ومصداقا لهذا ما نزال نجد في غير كتب اللغة الفاظا او تصاريف لم تثبت في هذه الكتب . وقد استعملها العرب القدامى في اشعارهم واراجيزهم . والعلماء الكثير والاطلاع ، كابن بري والصاغاني يوردون الفاظا مكملين بها ما نقص في كتب اللغويين قبلهم ، مما عثروا عليه في اثناء مطالعاتهم .

الكأس والقدح

ومما يدور بين الناس استعمال الكأس ، فقد فرق بعض اللغويين بينها وبين القدح ، قائلين ان الكأس معناها الخمر ، او القدح الذي فيه خمر ، اما القدح عندهم

فهو الخالي من الشراب . ولو تتبعنا دواوين الشعر وجدنا الكأس تدل على كل من هذه المعاني مجتمعة أو متفردة .

فمما جاء محتملا دلالتها على الكأس وما فيها قول ابن المعتز :

أدر للكأس عليـــــنا أيهـــا الســـاقي لتشرب

ومما جاءت فيه دالة على الخمر قول أبي صخر الهذلي

فالكأس مدركتي لم يصح شاربها وقال إن تعدت يا كأس ويدي

قال السكري في شرحه : الكأس الخمر هاهنا بعينها

ومما جاءت فيه دالة على القدح قول أبي نواس

إذا حسا بعضهم لم يتـــدع ما يغمـــر الـــذرة في كأسه

وقول دعبل الخزاعي :

رزئنا الـــكأس فرغـــة وملأى فكان الوزن بينهما ســـواء

وفي مادة دهق في كتب اللغة قال الأزهري دهقت الكأس أي ملأتها

وقد استعملوا القدح أيضا بمعنى الكأس كما قال أبو نواس

وكأن أقداح الرحيق إذا جرت جنح الظلام كواكب الجوزاء

المائدة والخوان

ومما يفرقون بينه قولهم المائدة لا تسمى مائدة ، إلا إذا كان عليها طعام ، أما إذا لم يكن عليها طعام فهي خوان .

مع أن بعض اللغويين قال أيضا إن المائدة هي الطعام نفسه وإن لم يكن هناك خوان . وبعضهم قال إن المائدة هي نفس الخوان . قال الليث : الخوان : المائدة وقال بعض اللغويين إن الخوان هو الذي يؤكل عليه أو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل .

فنحن نرى اختلافا في تفريقهم ، ونجد أن الألفاظ مترادفة على معنى واحد . وأن اللفظ قد يدل على عدة معان ، فلا داعي للتضييق والاقتصار على ما يقوله أحد الرواة دون راو آخر ، فليس أحد أحاط باللغة واستقصى كل ما ورد من استعمال ألفاظهـا .

على أننا نستدرك فنقول إن تسمية الكأس بالخمر ، وكذلك القدح ، أو تسمية الطعام بمائدة ، إنما هو تجوز فمن المجاز تسمية الشيء باسم المحل ، كما أنه من المجاز أن نسمي الشيء باسم الحال فيه ، كأن تقول مثلا أكلت ثلاثة أطباق تعني بذلك ثلاثة ألوان من الطعام ، أو تكرار الأكل حشا فيه ، ولا تعني أنك أكلت ثلاثة أطباق من الخزف ، هذا إذا صح أن كلا من الكأس والمائدة لهما دلالة مفردة لا تشمل ما يدل عليه القدح أو الخوان .

الحكم

ابن هشام بن عبد الرحمن الداخل

ثالث أمراء الدولة الأموية في الأندلس

ولعاصمة قرطبة

- كان قائداً محنكاً [illegible] يترجم التاريخ والعبقة والحال [illegible]
- وقف [illegible] شهوة [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

بقلم : محمد رجاء حنفي عبد المجلي

● ولد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الأمير "الداخل" في قرطبة سنة ١٥٤ هـ ، وتدرج [illegible] بولاية العهد سنة ١٧٩ هـ . [illegible] سنة ، وقد تولى [illegible] ثالث أمراء الدولة الأموية في الأندلس [illegible] في النصف من شهر صفر سنة ١٨٠ هـ . وبويع الحكم [illegible] عبد الكريم ابن عبد [illegible] عبد [illegible] ، وكان الأمير من المعجبين بعلمه وأمانته وشجاعته .

سياسته العامة وأخلاقه

لقد خضعت سياسة الحكم العامة للظروف والأحداث ولعل القاسية التي اكتنفت عهده ، فاصطبغت سياسته بالقوة ، التي كان لها [illegible] الأثر في خلافه [illegible] الحكمة ، فانقلب صارماً ، [illegible] ، شديد الوطأة على خصومه

والخارجين عليه ، ولم تخل حياته من قسوة الأحداث والمحن ارتباطه على طبيعته الأولى : شجاعا حازما ، يميل بطبيعته الى الانصاف ، والعدالة والعفو .

وقد عرف عنه انه كان على غير شاكلة ابيه ، فكان يحب الرياضة والصيد والترف والطرب ، ويؤثر مجالس الندماء ، والشعراء ، والمغنين ، والفلاسفة ، على مجالس الفقهاء والعلماء .

وهذه الصفات الاخيرة هي التي جعلت الفقهاء يسخطون عليه ، ويثيرون الشعب ضده ، وما كان الحكم قليل الاهتمام بالدين ، او ظالما مستهترا ولكنه كان مرحا يحب الحياة كما اقبلت عليه .

استطاع الحكم ان يتغلب على جميع الاحداث التي صادفته بحزمه وشجاعته وعرف كيف يحمي عرشه بحد سيفه ، ووطد اركان الدولة وتركها هادئة مستقرة لمن جاء بعده .

كان عصر الحكم يشبه في كثير من احداثه ومؤامراته ومحنه ومتاعبه عصر جده عبدالرحمن الداخل ، كما كان الحكم نفسه يشبه جده في بأسه وقوته ، وتغلبه وظفره على منافسيه واعدائه وفي قوة الاحتمال ، والجلد والصبر ، ولهذا قدر له في النهاية ان يظفر بخصومه وان يسحقهم ، وفي رأيي ان سياسة الحكم تعتبر استمرارا لسياسة عبد الرحمن الداخل .

ثورة عميه : سليمان وعبد الله

عندما توفي عبد الرحمن الداخل كان ابنه الاكبر سليمان واليا على « طليطلة » ، وابنه هشام واليا على « ماردة » وابنه عبد الله هو الذي حضر وفاته في « قرطبة » ، وصلى عليه ، ثم ذهب الى قصر الامارة مؤملا ان يقبل عليه كبراء المدينة واعيانها ويحيوه بتحيات الامارة ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، ولم يحم احد منهم حول القصر ، وعندما تحقق من ان رغبات الاهالي منصرفة عنه الى اخيه هشام ولي العهد رأى من الحكمة الا يركب هواه ، فعقد البيعة لهشام وكتب اليه ينعى أبيه وبالامارة » ، وبقي يحضر الى القرطبة ليذهب هو الى « ماردة » .

وكان هشام والد الحكم اصغر اخويه فعندما عهد اليه أبوه عبد الرحمن الداخل بولاية العهد والحق الاخوان في التآمر ، ولما تسلم مقاليد الحكم خرجا عليه ، فطاردهما هشام واخضعهما ، واقام سليمان في « طنجة » بالمغرب الاقصى ، بينما بقي عبد الله في « طليطلة » .

ولما تولى الحكم الامارة بعد وفاة ابيه اعتقد عماه ان الفرصة سانحة للثورة على الحكم وخلعه، وانتزاع الحكم من بين يديه ، فرحل سليمان الى حيث يقيم اخوه عبد الله .

ومهما يكن من امر فان هناك اتفاقا عقد بين سليمان وعبد الله للاطاحة بحكم الحكم ، وان كانت المراجع التاريخية تكاد لا تنص على ما اتفق عليه الاخوان ، الا ان الحوادث تعرب عن هذا الاتفاق ، فعبد الله ذهب الى الثغر الاعلى لراغون Aragon ، ونزل سليمان في جنوبي شبه الجزيرة ، ولم يضيع عبد الله الوقت ، بل مضى من وقته للعمل ، فألب اهل الشمال على الامير ، وانضم اليه الكثير من الانصار ، ثم اتجه الى الاستعانة بالفرنجة ، فعبر جبال «البرانس» ، وذهب الى شارلمان ملك الفرنج الذي استقبله في قصره في مدينة « اكس لاشابل » سنة ١٨١هـ ، وافضى اليه برغبته ، فاستجاب له الامبراطور ، ولبى دعوته ، لانه رأى في تلك الدعوة الفرصة الكبيرة لتحقيق اطماعه القديمة ، من توسيع رقعة ممالكه ، والتدخل في شئون المسلمين واضعاف شأنهم في البلاد ، والقضاء على سيادتهم قضاء مبرما ، ويفوز في النهاية بالشهرة الواسعة والبطولة الفذة بين معاصريه من الملوك والامراء .

كلف شارلمان ابنه لويس صاحب مقاطعة اكتين Aquitaine بالاستعداد بكافة الوسائل ليكون الجيش متأهبا في اسرع وقت ، وان يسرع لنجدة حليفه الاموي وانصاره ، واغلب الظن ان شارلمان كانت نفسه تواقة لقهر المسلمين في الاندلس ، عله على الاقل يرد لنفسه بعض الاعتزاز الذي فقده عندما هزمته جماعات كبيرة من المسلمين بانقضاضها على مؤخرة جيشه اثناء امارة الداخل ، واستشهد في معابر رونسفال Roncesvalles ومن بينهم رولان Roland ، الشجاع قائده وصديقه الحميم الوفي ، الذي بكاه وحزن عليه حزنا عظيما .

عبر لويس البحر ، ودخل بلاد الثغر الاعلى لراغون ، وانضم اليه كثير من الحكام الحاقدين على الحكم .

ولم تخف انباء هذا الحلف على الحكم ، فاتخذ للامر عدته واستعد له ، لانه ادرك خطورة هذه

المعركة ، وانما انا قدر لها النجاح لتودى بملك الأمويين في « الأندلس » وتهدد الاسلام والمسلمين بالفناء .

وتوجه الحكم على رأس جيشه الى الثغر الأعلى ، ليصد هجوم لويس على بلاده ، ولكنه قبل ان يصل الى الشمال كان الفرنجة قد ادركوا فشل جهودهم وعقم محاولاتهم لفتح بلاد « الأندلس » ، والتمكين لأنفسهم فيها ، وذلك عندما لاحت امامهم مقاومة وبسالة ، فانسحبوا خائفين تاركين حلفاءهم يواجهون الحكم بمفردهم .

وحينما وطئت اقدام الحكم بلاد الشمال عرض اليه حكامها معلنين التوبة والخضوع ، متعهدين على الطاعة والولاء ، فتغلبت على الأمير الروح العربية السمحة وعفا عنهم ، ورجعت سرقسطة Zaragoza ووشقة Huesca وغيرهما من المدن الى املاك الحكومة المركزية في « قرطبة » .

كل هذا كان يجري في الشمال ، بينما سليمان في الجنوب يعد نفسه ، ويجمع حوله الأنصار من العرب والبربر ، ويغري القبائل بالخروج عن طاعة الحكم والدخول في طاعته هو ، وقد انضم اليه اخوه عبد الله بعد فشله في اثارة الفتنة والقلاقل في الشمال ، وانسحاب حلفائه ، وعندما تهيأت الفرصة امام سليمان ، واحس في نفسه بالقوة ، تحرك صوب قرطبة العاصمة ليهاجمها ، فقابلته قوات الدولة المسلحة بالقرب من العاصمة ونشبت بين الفريقين معركة ضارية عنيفة في شوال سنة ١٨٢ هـ ، وانتهت بهزيمة سليمان وانصاره ، بيد ان سليمان استطاع ان يجمع فلول جيشه المنهزم ويعاود الهجوم من جديد ، بعد أن اطمأن الى تحسين مركزه الحربي ، فقابلته جيوش الدولة للمرة الثانية بالقرب من استجه Astorga ، في صفر سنة ١٨٣ هـ / هزم سليمان مرة أخرى ، ففر الى ماردة Merida وفر عبد الله اخوه الى بلنسية واختفى بها ، ولكن قوات الأمير طاردت سليمان حتى قبضت عليه ، وبعثت به الى الحكم ، فأمر بقتله وصلبه مع جماعة من اصحابه وانصاره .

اما عبد الله فلم يجد مناصا من طلب العفو ، فارسل الى الأمير يطلب منه الصفح والعفو ، فلم يجد الأمير بدا من اجابته الى طلبه بشرط ان يرسل ابنه الى بلاط الأمير كرهينة في يده ، فبعث عبد الله ابنه ، وبعث الحكم اليه امانا

خاصا اقام بمقتضاه في « بلنسيه » ، واجرى عليه رزقا حسنا يتناسب مع مركزه الاجتماعي كفرد في الأسرة الحاكمة ، ثم اصدر عفوا عن القواد والجنود الذين كانوا في جيش سليمان ، وتزوج ابن عبد الله عمه ابنته ، وبذلك حسم النزاع .

وهكذا قدر للأمير ان ينتصر على خصومه ، ويقضي على تلك الثورة الخطرة التي كانت تقضي على الدولة الاسلامية في « الأندلس » ، ولم يجن عباد ولا الفرنجه منها فائدة ، ولم يحقق لهم هدف .

شارلمان يخطط لغزو الأندلس

لم يهمل الفرنجة مشروع غزو « الأندلس » مطلقا ، مع ما لحقهم من هزائم متتالية ونكبات متعددة من جراء تلك المحاولة المريرة ، وظلوا يحرصون كل الحرص على سياسة التدخل في شئون المسلمين في « الأندلس » ، ورأى شارلمان ان الفرصة مواتيه الآن لغزو « الأندلس » بسبب اشتعال نيران الثورات الداخليه في البلاد ، فحاول ان يحقق مشروعه وهو « انشاء ولاية فرنجية في ركن الأندلس الشمالي الشرقي » .

وليس يبعد ان يكون شارلمان اراد من انشاء هذه الولاية عمل سد منيع يحول دون عبور المسلمين جبال « البرانس » وتهديدهم للولايات الفرنجيه في جنوبي « فرنسا » ، ولتكون هذه الولايه - ايضا - وسيلة لتحقيق هدفه الأكبر ، وهو السيطرة الكاملة على بلاد « الأندلس » واستلالها وطرد المسلمين منها .

ولم يجد شارلمان امامه سوى ثغر « برشلونه » فهو اصلح مكان يمكن أن يتخذه الفرنجه منطلقا مأمونا لتحقيق اطماعهم ، فوق ذلك فهو يعتبر حلقة الاتصال البحري السهل بين « فرنسا » وبين « الأندلس » ، ولكي يضمن شارلمان نجاح مشروعه ، عقد معاهدة تحالف مع الفونسو الثاني امير جليقية Galicia ، ضمانا لمعونته ، ومعونة قبائل البشكنس Los Vascones ، معه .

تنفيذ المشروع

وفي سنة ١٨٥ هـ جهز شارلمان جيشا ضخما واسند قيادته لابنه لويس لغزو « الأندلس » ، فعبر جبال « البرانس » واتجه صوب ثغر

« برشلونه » ، وقسم جيشه الى ثلاثة اقسام ، قسم عسكر في شمال المدينة ، وقسم في جنوبها والآخر في غربها ، وضرب بذلك حصارا قويا شديدا حول المدينة ، فاصبح من المستحيل وصول اي مدد الى « برشلونه » عن طريق البر ، ومع ذلك فقد ثبت حاكم المدينة ولم يخش العدو ، ولم يرضخ لوعيده وتهديداته رغم حرج مركزه ، ودقة موقفه ، وشدة حاجته الى المعونة الخارجية ، وعندما يئس من معاونة حكام الولايات المتاخمة لمدينته ، ومن وصول اي مدد من العاصمة في الوقت الذي كانت فيه الامدادات تتوالى على قوات الفرنجة ، تسلل خفية تحت جنح الظلام محاولا اختراق منطقة الحصار المضروب حول المدينة ، ليذهب الى العاصمة « قرطبة » بنفسه ويطلب المدد ، غير انه عرف ووقع اسيرا في ايدي العدو ، واضطرت القوات التي كانت تدافع عن المدينة الى التسليم ، بعد ان انهك الحصار قوتها ، ونجح العدو في فتح عدة ثغرات في الاسوار ، وسقط ثغر « برشلونه » ، وقتل الكثير من ابطاله بعد ان ظل محاصرا سبعة اشهر كاملة .

وبسقوط « برشلونه » تمكن الفرنجة من تلك المنطقة النائية ، ومع مرور الزمن تكونت في شمال شرق « الاندلس » امارة « قطلونية » الفرنجية ، وفقد المسلمون امنع حصونهم واقواها ، ورجعت حدود مملكتهم الى منطقة الثغر الاعلى « اراجون » بعد ان كانت متصلة بجبال « البرانس » .

ثورة طليطلة

كانت مدينة « طليطلة » مصدرا للقلق ، فقد دابت على الثورة ضد الحكومة المركزية في « قرطبة » منذ الفتح الاسلامي ، ولعل ذلك راجع الى ان اهل تلك المدينة لم ينسوا في يوم من الايام ان مدينتهم كانت عاصمة للبلاد ، وانهم كانوا السادة الذين يتمتعون بالجاه والسلطان ، والعزة والسيادة ، فكانت ذكرى مجدهم الغابر تضطرم في نفوسهم ، وتزيد من سخطهم وحقدهم على هؤلاء الحكام الجدد من المسلمين ، ويضاف الى ذلك انهم كانوا يعتزون بكثرة عددهم ، ومناعة مدينتهم ، وعظيم ثرواتهم ، فثاروا ضد الحكم سنة ١٨١ هـ ، وقاد الثورة احد زعمائهم عبيدة بن حميد ، فسارع الحكم الى اخمادها ، وعهد بذلك الى قائده عمروس بن يوسف الذي هاجمهم واشتبك معهم في عدة معارك طاحنة ، برهنوا فيها على قوة بأسهم وشدة مقاومتهم ، ووقفوا في وجه قوات الحكم التي لم تستطع ان تخضعهم بحد السيف ، مما اضطر القائد ان يستعمل معهم اسلوب الخداع والمكر بدلا من القتال والحرب ونجح بهذا الاسلوب ان يستميل اكثر زعمائهم بالمال والوعود ، ودفعهم الى قتل زعيمهم غيلة ، وبذلك احدث الفرقة بين صفوفهم ، وضعفت مقاومتهم ، واذعنوا للخضوع والتسليم ، وسيطرت قوات الحكم على المدينة وهدأت فيها الاحوال الى حين .

وفي سنة ١٩٠ هـ عاد اهل « طليطلة » نحو الداء القديم ، فثاروا مرة اخرى ، غير ان الحكم راى في هذه المرة ان خير وسيلة لحملهم على الطاعة والخضوع ، هو ان يولي عليهم رجلا يثقون به ويستريحون اليه ، فاختار قائده عمروس بن يوسف ، وكان من مولدي الاسبان ، وهو من القواد المشهود لهم بالكفاية وحسن السياسة ، وبعد النظر وحسن ادراك الامور ، وهذه الصفات هي التي جعلته يكتسب ثقة الامير وعظيم تقديره لكفاءته ، وشدة ولائه ، فاختاره قائدا لجيشه ، ثم واليا على « طليطلة » اخيرا .

وكان معظم الاهالي في المدينة من مولدي الاسبان مثله ، وقد استغل عمروس هذه الصلة الجنسية احسن استغلال ، فعمل على استمالة قلوب الاهالي ناحيته ، واخذ يعاملهم باللطف واللين ، مظهرا بغضه وسخطه على بني امية ، متمنيا زوال حكمهم من « الاندلس » ، فاطمأنوا اليه وساعدوه على تنفيذ مشاريعه ، ووافقوه على بناء قلعة خارج مدينتهم ، لتكون مقرا لجنده وموظفيه حتى لا يوجد ازمة في المساكن ، وعندما تم بناؤها شحنها بالجند خفية ، وطلب من الحكم مددا من الجند ، فاجاب طلبه ، وبعث اليه ابنه عبد الرحمن على راس جيش واظهر انه خارج لغزو الشمال .

وكان عمروس قد بيت امرا خطيرا ، فقد قرر بينه وبين نفسه قتل زعماء المدينة ، فاعلن انه سيحتفل بابن الحكم في القلعة ، ويود ان يشاركه اهل المدينة في الاحتفال ، اظهارا لولائهم وطاعتهم ولو في الظاهر ، واعد وليمة فاخرة دعا اليها وجوه واعيان المدينة ، واطلع عبد الرحمن بن الحكم على ما عزم عليه من الفتك بسادة المدينة ، فاظهر ابن الحكم سخطه من هذا الامر الشائن ،

فاجابه ابن عمروس بأن عداوة الطليطليين للأمويين أمر كامنة دائما ، متى وجدت أمامها الفرصة المواتية ثاروا عليهم ، وأثاروا ضدهم القلاقل والفتن ، فيجب الزامهم بما يفقد أنفسهم حتى لا تقوم لهم بعد ذلك قائمة .

فخدع عبد الرحمن بقول ابن عمروس ووافقه على خطته ، وعندما جاء المساء وبدأ المدعوون الى قصر الولاية للاحتفال بابن اميرهم الحكم ، كان الحراس كلما دخل واحد الى الداخل قادوه الى حفرة وقطعوا رأسه ، واصوات الطبول والزامير تطغى على صيحات الاستغاثة والفزع ، واستمرت تلك الذبحة الرهيبة الليل بطوله ، ولم يشعر أي شخص بحركة تريبه حتى ارتفع النهار ، وفطن القوم الى المذبحة المروعة، ففروا وجروا يطلبون النجاة ، ولكن الوقت كان قد مضى ولم يبق منهم الا عدد قليل ، وقد هلك في تلك المذبحة قرابة الخمسة الآف من سادة « طليطلة » وكبار زعمائها .

وشاع بين الاهالي أن هذه المكيدة من تدبير الحكم ، فملئت قلوبهم حقدا وحنقا عليه ، وكانوا لا يلصقونها بعبد الرحمن لصغر سنه ، ولكنهم لم ينسوا أنه كان الفاعل فيها ، فثاروا عليه ايام ولايته .

وهذه المذبحة تشبه الى حد كبير مذبحة القلعة التي دبرها محمد علي بقلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وهلك فيها قرابة الألف من المماليك ، ويشبهها كذلك ما فعله نابليون بونابرت بحامية « يافا » الذين سلموا بعد أن امنهم وكانوا اربعة الآف ، فقتلهم دفعة واحدة .

وقد جردت هذه المذبحة « طليطلة » من سادتها وكبرائها ، ونالت من كبريائها ، وقضت على روح التمرد والعصيان ، فاضطر أهلها الى الاستكانة والخضوع ، وقد عرفت هذه المذبحة في التاريخ باسم « يوم الخندق » أو « مذبحة الحفرة » ، وكانت في سنة ١٩١ هـ .

ثورة الربض بقرطبة

كان هشام ثاني امراء الدولة الأموية في « الأندلس » ، ووالد الحكم ، قد استسلم لطائفة الفقهاء ، ومنحهم من السلطة ما جعلهم يملكون زمام الأمور ، وكان رأس هذه الطائفة رجل عبقري المواهب موفور العقل ، وقد غلب على نفسه من الحماسة الدينية والطموح السياسي مزيج قاتلا جر الممالك الى الخراب هذا الرجل هو يحيى بن يحيى الليثي ، الذي رأى في اخلاص هشام للفقهاء ، وفي تقواه وورعه الفرصة الذهبية لرفع الفقهاء في « قرطبة » الى قمة من القوة والنفوذ وكانت الأمور تسير سيرا حسنا طالما مالت هذه الطائفة برغباتها ، وسيطرت على كل مرافق الحياة في الدولة ، لدرجة ان هشاما كان لا يصدر امرا أو يتخذ قرارا الا بعد موافقتهم .

وعندما انتقل الأمر الى الحكم ، طرأ على قصر الامارة تغير عظيم ، فالأمير الجديد مرح يحب الحياة ويتمتع بها ، ومع هذا فلسنا نقول إنه كان قليل الاهتمام بالدين أو خليعا مستهترا ، ولكننا نقول انه لم تكن به صفة الزهد والتقشف، فهو على شاكلة تخالف شاكلة ابيه ، يضاف الى هذا ان الحكم حد من سلطة الفقهاء وسلطانهم حتى تصدع نفوذهم ، فثاروا عليه ونعوا ما اتسم به من صفات حياة شعراء ، واتهموه في دينه وخلقه ، ونسبوا اليه الفسوق والعصيان ، وقد وجدوا في سلوك الحكم ما غذى دعواتهم وأكسبها قوة ، واستطاعوا أن يوجدوا جوا من السخط العام بين الناس ضده ، ونجحوا في اثارة الشعب في « قرطبة » ، ودبروا خلعه واحلال آخر من أسرته مكانه بيد أن المؤامرة انكشفت ، وكان جزاء المتآمرين أن قتل الامراء الذين اشتركوا فيها ، ومعهم بعض الفقهاء واستطاع أن يفلت من قبضة الحكم الفقيه يحيى بن يحيى ، وعيسى بن دينار .

وكان من المظنون أن مثل هذا الدرس كفيل بأن يجعل الفقهاء لا يفكرون مرة ثانية في الثورات والفتن ، ولكنهم حركوا الفتنة حتى أطلت برأسها من جديد ، وانضم اليهم فريق كبير من الساخطين والأعيان ممن كانوا يحقدون على الحكم ظنا منهم أن الثورة هذه المرة ستطيح بحكمه لا محالة ، وازداد بغض الشعب للحكم ، وتطور الموقف الى وحشة عميقة اشتدت مع مرور الأيام ، وتجرأ خصوم الأمير عليه ، فحرضوا به ، وأغلظ بعضهم عليه القول ، وصفقوا عليه بالأكف ، وقذفوه بالحصى ، وسبوه علنا ، مما حمله يتجه الى قتل جماعة منهم بقصد الزجر والتخويف والمحافظة على هيبته ، فهاجت خواطر الشعب ، وتوالت طوائفهم للثورة ، فأدرك الحكم ما يجول بخواطرهم فحصن قصره وزاد عدد الحراس حتى لا يفاجأ بمكروه ، واستكثر من الجنود المرتزقة ، الذين كانوا عاملا من عوامل سخط العامة وبغضهم .

وحدث حادث تافه ، ولكن نظرا لجو السخط

العام الذي كان مسيطرا على المجتمع في ذلك الوقت ، فقد ادى الى ثورة كانت لها نتائجها ذات الاثر البعيد في الشرق والغرب ، فقد اعتدى احد مماليكه على صاقلي من الصناع ، فثار القرطبيون وهجموا على قصر الامير بقلب رجل واحد ، يقودهم الاعيان والقادة وجماعة الفقهاء ، وكان الثوار من اهل الربض الجنوبي لقرطبة ، فاخذوا يحطمون الابواب بالبلط والعصي والسكاكين وبكل ما يصل الى ايديهم من سلاح ، واشتد الصراع بين الثوار ومماليك الحكم ، وكاد الامر يفلت من بين يدي الحرس .

كل هذا والحكم محاصر في قصره ، فاطل براسه من احدى النوافذ فراى بحرا زاخرا من الوجوه ، وشاهد والدهشة تملأ نفسه شدة مكافحة الثوار لهجمات فرسانه ، ولكنه لم يفقد هدوءه ورباطة جأشه ، بل استدعى خادمه وامره ان يحضر له الطيب ليتطيب ، فلم يستطع خادمه ان يكتم عجبه من فعل سيده ، ولا ان يمنع نفسه عن ان يقول لمولاه : اهذا وقت التطيب يا سيدي ؟ فاجابه الحكم قائلا : اسكت ايها الغر ، كيف سيعرف ان يتعرف العصاة راسي من بين بقية الرؤوس اذا لم يتميز برائحته عطرة ؟

ثم نزل الى ساحة قصره ليخوض المعركة بنفسه ، ورائه فكرة دلت على ما يتميز به من سرعة البديهة وبعد النظر ، ارسل ابن عمه وحاجبه على راس فرقة من الجند من طريق خلفية الى الربض ، وامرهم باشعال النار فيه ، فلما شاهد الثوار النيران تندلع في مساكنهم ذعروا واسرعوا بالرجوع اليها لانقاذ اطفالهم وزوجاتهم واموالهم ، وبهذه الوسيلة تمكن الحكم من تحطيم الحصار القوي الذي ضربه الثوار من حول القصر ، وعلى الجسر الموصل بين الربض وبين « قرطبة » (١) هاجمتهم قوات الحكم من خلفهم ومن امامهم ، ووجهت الى الثوار ضربة قاضية ، واوقعت بهم هزيمة منكرة ، وكانت هذه الوقعة في سنة ٢٠٢ هـ ولم يكتف الحكم بذلك ، بل اصدر امره بنفيهم من البلاد ، واعطاهم مهلة ثلاثة أيام ، فمن سوهد بعدها قطعت راسه .

نتائج هذه الثورة

ان النتائج الداخلية التي ادت اليها هذه الثورة تعتبر من اهم النتائج ذات الاثر البعيد ، فهي احدى الثورات الكبرى التي قامت في « الاندلس » ، وانتهت بتمكين الحكم لبني امية ، فلقد ازالت تلك الثورة قوة ونفوذ الفقهاء ، واعادت الامور الى نصابها ومجراها الطبيعي .

اما نتائجها الخارجية فقد ادت الى ان يهاجر حوالي ثمانية آلاف الى شمالي « افريقية » ونزلوا بمدينة « فاس » وكان ادريس الثاني قد اتخذها عاصمة لدولته . وقصد نحو خمسة عشر الفا الى مصر ، وقد اختاروا ابا حفص عمر بن شعيب البلوطي رئيسا لهم ، فلما وصلوا الى « الاسكندرية » اعترضهم اهلها ، ومنعوهم من دخول المدينة ، ولكنهم دخلوا المدينة عنوة ، فحاصرهم عبد الله بن طاهر والي « مصر » من قبل المأمون ، واتفق معهم على الجلاء عن المدينة ، فتوجهوا الى جزيرة « كريت » التي كانت قليلة السكان في ذلك الوقت وتغلبوا على اهلها ، وحكموها مدة ١٣٨ سنة الى ان فتحها ارمانوس « Armanos » ابن الامبراطور قسطنطين في سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م .

وينتهي الصراع ، ويخرج الحكم ظافرا منتصرا، مستعيدا من جديد هيبته في نفوس الشعب ، ويذعن الناس لسلطان الحكومة ، ويجنحون الى حياة السلم والهدوء بقية المدة التي حكمها الحكم . وقد لقب الحكم بالربضي واشتهر به ، خصوصا بعد ما امر بالربض فهدم وحرث وحرث مكانه وزرع ، ووصيته بالا يسكن هذا الحي بعد مماته .

لقد اقتصرت في الحديث على الثورات التي قامت في وجه الحكم ، على اهم تلك الثورات التي كانت تشكل خطرا كبيرا على الدولة الاسلامية في « الاندلس » ، والتي لو كان قدر لاحداها النجاح لاضرت بالدولة ضررا بليغا .

اعماله الادارية واصلاحاته الداخلية

عندما تولى الحكم الحكم كانت البلاد يسودها الهدوء والامن والاستقرار والحياة زاخرة والرخاء موفور ، واستطاع ان يشق طريقه الى غايته وهدفه رغم ما وقع في عهده من الاحداث والاضطرابات والفتن .

لقد كانت له عدة صفات قلما توجد في غيره ،

(١) تفصل بين الربض وقرطبة نهر الوادي الكبير .

فهو الى جانب شخصيته القوية يمتاز بقوة النفس والعزم الصلب، والفطنة وحسن التقدير وسعة الحيلة ، شديد الحرص على حماية سلطانه من كل تدخل او نفوذ ، كثير الترفع عن العامة . كل هذه الصفات جعلته ينجح في اظهار عظمة الملك وروعته ، وتأييد هيبته في نفوس الرعية ، الى درجة ان اصبح بلاط الحكم يضارع ويناظر بلاط معاصره هارون الرشيد الخليفة العباسي .

وقد استكثر الحكم من الموالي والحشم واتخذ له حرسا خاصا من الصقالبة ، وكان يؤتى بهم صغارا ويربون تربية اسلامية خاصة ، ويدربون على ممارسة اعمال البلاط وشئون القصر ، فتهذبت نفوسهم ، وارتفعت مداركهم وصلحت امانيهم ، وسمت همتهم ، حتى وصلوا الى ارقى المناصب في الدولة .

كما كان للدولة بفضله جيش كبير ، احسن تدريبه واكمل اعداده ، وكان لهذا الجيش الفضل الاكبر في القضاء على كل الثورات والفتن التي قامت في البلاد ، والوقوف في وجه الغزو الخارجي ووجد في البلاد الشرطة القوية المنظمة التي تضرب بعنف وقوة على ايدي الخارجين على القانون .

كما انشأ جهازا جديدا لم يكن موجودا من قبل بهذا الشكل الرسمي ، مهمته ان يأتيه بكل صغيرة وكبيرة تحدث في انحاء البلاد ، مما حمل عماله وموظفيه على حسن السيرة والعدل ، والرفق بالناس وايثار الصالح العام على المصالح الشخصية .

كما انشأ منصبا جديدا يتولى صاحبه ادارة شئون اهل الذمة ، وعرف هذا الموظف باسم القومس « الكومت » وكان له الاشراف على شئون اهل الذمة ، وتنظيم علاقاتهم ببعضهم البعض ، وبالدولة ، وذلك حتى يشعروا على ان الحكومة ترعى مصالحهم ، ويثقوا بعدالتها .

عنايته بالعلوم والفنون والآداب

كان الحكم شديد العناية بالعلوم والفنون والآداب ، مولعا بالشعر مشغوفا بالادب ، ولا عجب ، فهو اديب وشاعر بطبعه ، يقول مفتخرا بانتصاراته المتكررة على اعدائه :

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعا
وقدما لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة
أبادرها مستنضي السيف دارعا
تنبئك أني لم اكن في قراعهم
بوان وقدما كنت بالسيف قارعا
واني اذ حادوا جزاعا من الردى
فلم أك ذا حيد من الموت جازعا
حميت ذماري فانتهبت ذمارهم
ومن لايحامي ظل خزيان ضارعا
ولما تساقينا سجال حروبنا
سقيتهم سما من الموت ناقعا

وكان الحكم يفضل مجالسة الفقهاء والمثقفين والشعراء على مجالسة غيرهم ، يقربهم اليه ويشملهم بعطفه ، ويصلهم بعطائه ويحثهم على الاجادة والاحسان ، ويدفعهم الى الاستزادة من المعارف المختلفة ، وعلى الرغم مما كان بينه وبين جماعة الفقهاء من جفوة ، الا انه كان يجلهم ويحترمهم ، ويختار لمناصب القضاء الفاضل العالم منهم ، ولذلك فاننا لانعجب اذا دل حاضر الدولة على مستقبلها المشرق ، ومجدها العريق في ظل من اتى بعده من امراء او خلفاء الاسرة الاموية في « الاندلس » .

مرضه ووفاته

مرض الحكم في اخريات ايامه واشتدت به العلة ، فاناب عنه ابنه عبد الرحمن في ادارة شئون البلاد ، وكان اكبر ابنائه ، فاثبت كفاءة ممتازة وخبرة فائقة ، ودراية عظيمة في ميادين الحرب والسياسة ، وتصريف الشئون الادارية فقد انتصر على خصوم ابيه في اكثر من موقعة ، وحظي باعجاب الحكم بمثل القضاء والنجاح ، وقد عهد اليه الحكم بولاية العهد في سنة ١٩٩هـ.

وتزايد المرض على الحكم ، ووافاه اجله المحتوم في ٢٦ من شهر ذي الحجة سنة ٢٠٦هـ ، وهو في الثانية والخمسين من عمره ، بعد حكم دام سبعة وعشرين عاما ، قضى معظمها في مكافحة الاعداء والقضاء على الفتن والثورات ، والتصدي للعدوان الخارجي ، وقد كتب الله له النجاح ، فتغلب على كل المصاعب والمشاكل التي واجهته وصادفته ، وترك لمن جاء بعده دولة قوية الاركان ثابتة الاساس ، وقد شبهه معاصروه بالخليفة العباسي المنصور في قوة الملك ، وتوطيد الدولة ، وقمع الاعداء .

■■ محمد رجاء حنفي عبد المتجلي



السكرتير العام للامم المتحدة لماذا يريد ترك منصبه ؟!

● [illegible] ذلك ، ومتى يترك منصبه اذا كان لا بد له من تركه !

عبد الرزاق محمود ـ الرياض

— الواقع ان يوثانت كان ينوي ترك منصبه قبل ذلك بعام او عامين ، ولكنه كان في كل مرة يعلن فيها عن رغبته بعدم تجديد مدة خدمته ، يعود فيعدل عن قراره تحت ضغط غالبية الدول الاعضاء في المنظمة الدولية وفي مقدمتها دول العالم الثالث، التي ينتمي يوثانت الى احداها ، فهو من ابناء بورما ، وكان رئيسا لوفد بلاده في الامم المتحدة منذ عام ١٩٥٧ ، حتى مصرع السكرتير العام السابق داج همرشولد في عام ١٩٦١ ، حتى اختير بالاجماع ليكون قائما باعمال السكرتير العام ، قبل ان ينتخب رسميا لشغل هذا المنصب في العام التالي ، ١٩٦٢ .

ويبدو ان يوثانت قد اتخذ قرارا نهائيا ، هذه المرة ، ويصمم الا يصغي بعد ذلك للنداءات التي قد تدعوه الى تجديد مدة خدمته سنة اخرى ، لاسباب عديدة من بينها ان الرجل يريد ان يعيش حياة هادئة بعيدا عن مشاكل هذا العالم ، تلك التي حملها فوق رأسه مدة عشر سنوات تقريبا . هذا بطبيعة الحال اذا لم يجد في الموقف جديد .

ان السبب الاساسي الذي يكمن وراء قرار يوثانت بالرحيل ، انما يرجع الى شعور السكرتير العام لهذه المنظمة الدولية ، بخيبة الامل ، بسبب ضعف الامم المتحدة في مواجهة مشكلات العالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وهي مشكلات اوجدها ، كما نعلم ، الصراع القائم بين



الدول الاعضاء نفسها . حتى ان يوثانت صرح يوما بقوله . « اذا لم تتخذ الاجراءات التي تكفل تدعيم دور الامم المتحدة فانها ستنهار في مدى عشر سنوات على الاكثر » .

لقد قال يصف منصبه بقوله . « انه من اكثر الوظائف القاتلة ، التي لا يعي برهتها الا من يحتلها ! » .

وكتب يصف مشاعره في هذه الوظيفة قال : « ان من يرضى هذه ضغطا ، هو وحده الذي



شعر بالوضع الذي يؤلم فيه العقلاء قبله .

أما في حالتي ، فإنني أشعر بالألم في مواضع عديدة ، حتى أنني لم أعد أتمكن من تحديد مكانها ، وهل هي في نفسي أم في جسمي كله !

هذا ، ومن المعروف أن مدة خدمة بولدت سوف تنتهي في ٣١ ديسمبر من العام الحالي ، وستكون الدورة القادمة للجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر سبتمبر المقبل هي آخر دورة يحضرها بوصفه سكرتيرا عاما لهيئة المنظمة الدولية إذا ما استقر رأيه على ترك منصبه ، وفي هذه الدورة أيضا سوف يتم انتخاب السكرتير العام الجديد للأمم المتحدة . ولن تكون مهمة الاتفاق على رجل يخلف بولدت في هذا المنصب مهمة سهلة ، فهناك عدة عوامل ستتحكم في اختيار المرشح الجديد ، في مقدمتها العوامل السياسية والجغرافية والقومية ، إلى جانب شخصية المرشح نفسه ، ومدى ما يتمتع به من شعبية ومكانة بين شعوب الدول الأعضاء وخاصة الكبرى منها .

ويبدو أن بولدت نفسه قد تكهن بالمحاولات المبذولة التي تدور حول اختيار خليفة له ، فقد صرح أخيرا بقوله : « إن اختيار المرشح الجديد لا يجب أن يخضع لأي من هذه الاعتبارات ، وإنما يجب أن يتم على أساس من صفاته الفكرية والخلقية » . (م . ن)

وكالات الأنباء العالمية خمس فقط !

● سمع عن وكالات الأنباء ودورها في عصر الأحداث الساخنة لكن من أمكن أن يوضحوا لنا ما تكون هذه الوكالات ، وما هي أهميتها في عصرنا الحاضر ؟ وهل تخضع في معظمها لإشراف حكومي وما هي أشهر وكالات الأنباء في العالم وأكبرها ؟

محمد راشد جمعة الكرم

ـ وكالات الأنباء هي مؤسسات تقوم بتزويد الجرائد والمجلات ومحطات الإذاعة والتلفزيون وسائر وسائل الإعلام بالأخبار من مختلف أنحاء العالم وكذلك الصور والتحليلات السياسية والموضوعات المصورة .

ووكالات الأنباء لا تقوم بنشر هذه الأخبار أو الموضوعات وإنما تزود بها وسائل النشر المختلفة وتعتمد كل الجرائد على وكالات الأنباء في الحصول على معظم الأخبار التي تنشر فيها سواء كانت هذه الجرائد كبيرة وتستخدم عددا كبيرا من الصحفيين ، أو كانت جرائد صغيرة .

وتنقسم وكالات الأنباء إلى عدة أنواع منها وكالات أنباء محلية ، ففي بعض المدن الكبرى تقوم الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون بالتعاون

في الحصول على اخبار البورصة والمعالم ومختلف اشارات الحكم للطقس وما شابهها وذلك عن طريق وكالة محلية تختص بتغطية الانباء المحلية فقط .

وهناك وكالات انباء تختص بتغطية الاخبار العالمية من مختلف انحاء العالم وقد تطورت هذه الوكالات بحيث اصبحت تنقل الاخبار العالمية وتقوم ايضا بكتابة تعليقات اخبارية مقالية وارسال الصور الصحفية، وافلام التليفزيون الاخبارية والاعلامية.

والى جانب وكالات الانباء العامة توجد وكالات انباء متخصصة ، وهناك الآن في الولايات المتحدة وحدها حوالي ١٠٠ وكالة متخصصة بعضها يقوم بخدمات علمية او دينية مثل وكالة الانباء العلمية ووكالة الانباء الفنية ووكالة الانباء الدينية ، وتوجد في سويسرا وكالة الانباء الكاثوليكية والتي تختص بانباء الثقافة الكاثوليكية والفاتيكان ، وكذلك وكالة انباء النجمة الباكستانية Star News Agency والتي تنقل الانباء الاسلامية باللغتين الانجليزية والاردية . وهناك ايضا نوع آخر من الوكالات تنشئه الصحف الكبرى وتقوم عن طريقها بتزويد الجرائد الاخرى في العالم بالاخبار التي يحصل عليها مراسلوها وهذه الوكالات تتمثل في وكالة خدمات النيويورك تايمز للخدمات الاخبارية New York Times News Service ، وكذلك تقوم التايمز اللندنية بمثل هذه الخدمات .

وبالرغم من وجود عدد كبير من وكالات الانباء في مختلف انحاء العالم الا ان اغلب الاخبار التي تنشر في مختلف جرائد العالم تأتي من عدد صغير من الوكالات . وتقول احصائية قامت بها منظمة التعليم والعلوم والثقافة التابعة للامم المتحدة United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

ان هناك اكثر من ١٨٠ وكالة انباء عامة في العالم الا ان هناك ٥ وكالات فقط تعتبر عالمية . ولديها الامكانيات الكافية لايفاد مراسلين معتمدين لها في مختلف بلاد العالم وكذلك استخدام وسائل الارسال السريعة وهذه الشركات العالمية مزودة بالامكانيات التي تمكنها من ارسال الاخبار فور حدوثها الى مشتركيها في جميع انحاء العالم . وتقول وكالة

الجنيه كلمة . . ما اصلها ؟

● لفظ جنيه يحدث عنه في العربية والفارسية والتركية ولم اعثر له على اثر ، فمن اين جاءت هذه الكلمة ؟

ـ يبدو في حكم المؤكد ان لفظ جنيه جاء الى اللغة العربية ، من اللغة الانجليزية . فاللفظ شائع في بريطانيا ، مع انه لا يبدو كونه اسما بلا مسمى . فهو يعني ٢١ شلنا ويعيد الى الذاكرة قطعة العملة الذهبية التي سموها جنيها Guinea وجعلوا قيمتها ٢١ شلنا ، والتي الغوها كما الغوا سائر القطع الذهبية الاخرى في سنة ١٩١٤ .

والسؤال الذي يخطر بالبال هو كيف اصبحت تلك القطعة تسمى جنيها Guinea ، ولماذا جعلوا قيمتها ٢١ شلنا ، اي بزيادة شلن واحد على قيمة الباوند الانجليزي ؟

ويعود بنا الجواب على هذا السؤال الى القرن السابع عشر . فقد سكت بريطانيا بعض نقودها الذهبية من ذهب استوردته سنة ١٦٦٣ من مصدر جديد هو غينيا Guinea البلد الافريقي المعروف . واتفق ان كان الذهب (الغيني) هذا انقى من ذهب المصادر الاخرى التي سكت بريطانيا عملتها منه في السابق . وبلغ من نقاء هذا الذهب ان كثر الطلب على القطع المصنوعة منه ، حتى ارتفعت قيمة الباوند المصنوع من ذهب غينيا هذا الى ٣٠ شلنا في السوق السوداء ، علما بان قيمته الرسمية لم تزد على ٢٠ شلنا . وسمي هذا الباوند مع الايام جنيه ، نسبة الى البلد غينيا التي صنع من ذهبها . ومن المعلوم ان حرف (الغين) في لفظ غينيا انما وضعه العرب ،

الاسوشيتد برس انها تستطيع ارسال خبر الى ٨٠ دولة في اقل من دقيقة واحدة .

وهناك علاقات تعاون بين وكالات الانباء بعضها وبعض فوكالات الانباء العالمية مثلا تقوم بشراء اخبار وكالات الانباء المحلية . والتعاون بين وكالات الانباء يختلف من وكالة الى اخرى .. ووكالات الانباء قد تكون مملوكة للدولة وتحت اشرافها المباشر ، بينما يمكن ان يكون بعضها مملوكا لعدة صحف ومؤسسات صحفية ، وهناك نوع ثالث ينشأ على اسس تعاونية كما هو موجود في السويد وكندا مثلا . ووكالات الانباء الضخمة الكبرى في العالم هي :

وكالة اسوشيتدبرس Associated Press

وهي اقدم واكبر وكالة انباء امريكية وقد نشأت في عام ١٨٤٨ باتفاق بين ٦ جرائد يومية بنيويورك على تمويلها . ويبلغ ميزانية هذه الوكالة سنويا حوالي ٢٥ مليون دولار وهي اكبر ميزانية لوكالة انباء في العالم .

وكالة يونيتدبرس انترناشيونال
United Press International

وتكونت في عام ١٩٥٨ بعد انضمام اليونيتدبرس ووكالة انترناشيونال نيوز .

وكالة رويتر
Reuter

وهي مملوكة حاليا لجرائد بريطانيا واستراليا ونيوزيلندا وقد نشأت في عام ١٨٥١ .

وكالة الانباء الفرنسية
Agence France — Presse

وهي الوكالة التي حلت محل وكالة هافاس Havas الفرنسية القديمة والتي كانت قد انشئت في عام ١٨٣٥ .

وكالة تاس السوفيتية
Tass News Agency

وهي وكالة الانباء السوفيتية الرسمية وتتبع مباشرة لمجلس الوزراء السوفيتي وقد تأسست في عام ١٩٢٥ .

(م . ط)



فاسمها الحقيقي الذي ينطق به العالم والانجليز هو (جينيا) ، بالجيم غير المعطشة .

وبقيت الامور على تلك الحال حتى سنة ١٧١٧ حين ميزت الحكومة البريطانية رسميا بين الجنيه او الباوند المصنوع من ذهب غينيا وبين الباوند المصنوع من ذهب المصادر الاخرى ، فجعلت قيمة الاول ٢١ شلنا ، وابقت على قيمة الثاني البالغة ٢٠ شلنا .

ومضى قرنان من الزمان تقريبا ، والغت بريطانيا التي عملتها الذهبية كلها بما فيها الجنيه . الا انها لم تستطع الغاء هذا الجنيه اسما او اصطلاحا ، ولا هي الغته من حيث هو قطعة نقود ذهبية .

(ك . ل)



● ... ام ان هناك اماكن يحج اليها الناس من مختلف ...

كاظم الحسن ـ العراق

ـ الحج او زيارة الاماكن المقدسة معروف منذ قديم الزمان .. فايام الوثنية كان الناس يزورون حجرا او شجرة او جبلا او كهفا من الكهوف يؤمنون بانه يمتلك قوة خفية تشفيهم من امراضهم او تمنحهم الخير والبركة والطمأنينة .

والحج ليس مقصورا على المسلمين فقط ، والمسيحيون يقومون بالحج الى القدس حيث يزورون كنيسة القيامة وقبر المسيح في القدس ، وقد بدأت عملية الحج هذه في القرن الرابع الميلادي عندما قامت هيلينا والدة الامبراطور قسطنطين بالحج الى فلسطين ، واخذت تبحث في القدس عن آثار السيد المسيح حتى عثرت على الصليب الذي يقال انه صلب عليه . وفي العصور الوسطى تدفق المسيحيون من اوروبا لزيارة القدس والحج الى قبر المسيح . ولا يقتصر حج المسيحيين على زيارة القدس وحدها ولكن يتعداه الى زيارة عدد كبير من كنائس القديسين مثل كنيسة سانت بيتر وسانت بول في روما ، وابرشية كنتربري في بريطانيا حيث يزورون قبر توماس بيكيت Thomas Becket الاسقف الذي قتل هناك في عام ١١٧٠م . ويوجد في اوروبا عدة مدن يحج اليها المسيحيون ايضا مثل مدينة « لورد » Lourdes في فرنسا حيث يقال ان فتاة هناك شاهدت السيدة العذراء في عام ١٨٥٨ .

وفي الهند يقوم الهندوس بالحج الى نهر الجانج في مرتفعات سيناء حيث يسبحون في مياهه لغسل ذنوبهم ، وهناك ايضا عدة مدن في الهند يعتبرها الهندوس مدنا مقدسة ويحجون اليها .

والبوذيون ايضا لهم اماكن يحجون اليها فهم يزورون الاماكن المرتبطة ببوذا .

اما العرب قبل الاسلام فكانوا ايضا يحجون الى مكة والكعبة في التاسع من ذي الحجة في كل عام حيث تعقد الندوات الادبية والاسواق ويصبح الحج بالنسبة لهم سوقا كبيرا تجتمع فيه مختلف القبائل من جميع انحاء الجزيرة العربية .

من هنا نرى ان الحج بمعناه الواسع ليس مقصورا على الاسلام بل انه يتعداه الى مختلف الاديان والمعتقدات ، ويعود في تاريخه الى اقدم الزمان .

اكبر منتج للشاي في العالم واكبر مستهلك

● هل تحتل جزيرة سيلان المرتبة الاولى بين دول العالم من حيث انتاج الشاي .. وأي دول العالم اكثر استهلاكا للشاي ؟

صبري صالح قدارة ـ السعودية

ـ ليست جزيرة سيلان اكثر الدول انتاجا للشاي في العالم . فالهند هي التي تحتل مكان الصدارة في هذا الصدد . ونعطيك فيما يلي قائمة بكميات الشاي التي انتجتها الدول المشهورة بزراعة الشاي ، وذلك في سنة ١٩٦٢ :

الهند	٣٨٠٠٠٠	طن
سيلان	١٢[illegible]	طن
الصين (الشعبية)	١٦٠٠٠٠	طن
اليابان	٨٥[illegible]	طن
اندونيسيا	٧٨[illegible]	طن
الباكستان	٢٠٠٠٠	طن

ونرى من ذلك ان سيلان ، وإن لم تكن اكثر البلاد انتاجا للشاي من حيث الكمية ، فهي اكثرها انتاجا له نسبيا وبالقياس الى مساحة ارضها .

اما من حيث استهلاك الشاي ، فقد تكون الانجليز هم اكثر سكان العالم شربا للشاي . اذ تستورد بريطانيا من الشاي نحو ٥٠٠ مليون باوند انجليزي سنويا ، اي ما يعادل نحو ١٠ باوند لكل فرد من مجموع عدد السكان .

على اننا لا نستطيع الجزم بأن نسبة استهلاك الشاي التي ذكرت تعتبر نسبية في سائر بلدان العالم كله ، فقد تكون بعض الدول التي لا تتوفر لديها الاحصاءات اكثر استهلاكا للشاي من بريطانيا وغيرها في هذا الشأن .

(ل . د)





حصاة المسجد

● سأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الانسان في ثوبه او خفه او جبهته فقال له: ارم بها.. فقال الرجل: زعموا انها تصيح حتى تردها الى مكانها في المسجد.. فقال له عمر: دعها تصيح حتى ينشق حلقها. فقال الرجل: سبحان الله! ولها حلق يا سيدي! فقال له عمر: فمن اين تصيح!

اشأم من

● طويس يضرب به العرب المثل في الشؤم، وهو رجل من اهل المدينة، مولى لبني مخزوم، واسمه عيسى بن عبد الله وهو اول من اظهر المخنث بالمدينة، وكان مغنيا يضرب بالدف سئل عن مولده فقال: ولدت يوم

ثاني اثنين

● كان الوزير ابن الزيات كاتبا شاعرا اديبا مطبوعا به ميل الى العنف والقسوة. وكان يقول: « الرحمة خور في الطبيعة ». وقد بلغ من عنفه انه اتخذ تنورا به رؤوس حديدية من الداخل يعذب فيه من يوقع بهم. ومن الغريب ان نهاية ابن الزيات كانت في هذا التنور عندما نكبه الخليفة المتوكل، ونكل به.

وكان الجاحظ صديقا ملازما لابن الزيات. وكان في داره عندما كبسها رجال المتوكل فقفز الجاحظ من فوق الدار، فاصيبت ساقه اصابة ظل يشكو منها بقية حياته، وهرب الى البصرة. فقيل له: لم هربت يا ابا عثمان وهم انما كانوا يطلبون ابن الزيات. فقال: خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما في التنور.

المروءة والكرم والنجدة

● سئل عبد الله بن عمر عن المروءة والكرم والنجدة فقال: اما المروءة فحفظ الرجل نفسه واحرازه دينه، وحسن قيامه بصنعته وحسن المنازعة، وافشاء السلام.

واما الكرم فالتبرع بالمعروف، والاعطاء قبل السؤال والاطعام في المحل.

واما النجدة: فالذب عن الجار، والصبر في المواطن والاقدام على الكريهة.



طويس

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفطمت يوم مات ابو بكر الصديق ، وختنت يوم قتل عمر ، وتزوجت يوم قتل عثمان ، وولد لي ولد يوم قتل علي ابن ابي طالب فيقولون في امثالهم السائرة اشأم من طويس .

نصائح ثلاث

● قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، قال لي ابي اني ارى امير المؤمنين عمر بن الخطاب يكرمك ويقربك فاحفظ عني ثلاثا : اياك ان يجرب عليك كذبة ، واياك ان تفشي له سرا ، واياك ان تغتاب عنده احدا ، ثم قال : يا عبد الله هذا رأى ثلاث ، فقال له رجل : يا ابن عباس كل واحدة خير من الف ، فقال بل كل واحدة خير من عشرة آلاف .

صلى الله عليك وسلم

● جاء في كتاب الجمانة الثانية من العقد الفريد ، ان ثمامة ابن اشرس قال : كنت في الحبس – على السبك – فأدخل علينا « في السجن » رجل ذو هيئة وبزة ومنظر ، وكانت في يدي كاس هممت الى لاشربها ، فلما رأيته احدثني هيبته ، واخفيت الكاس ، واقبلت عليه قائلا : من انت جعلت فداك ؟ وما ذنبك ؟ وكيف اتوا بك الى السجن ؟

فقال لي : جاء بي هؤلاء السفهاء لاني جئت بالحق من عند ربي . انا – يا ولدي – نبي مرسل ، فقلت له : جعلت فداك ، امعك دليل ؟

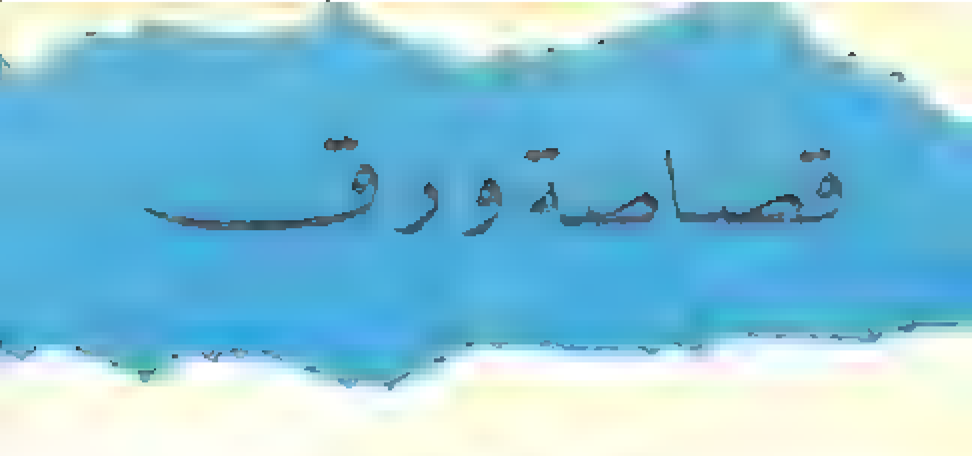
قال : نعم . معي اكبر الادلة . ادفعوا الي امرأة احبلها لكم فتأتي بمولود يشهد بصدقي .

قال ثمامة : فناولته الكاس وقلت له : اشرب صلى الله عليك وسلم .

منطق !

● قالوا : بقدر ما يعطي الغني من الايسار ، يعطي من الاجلال ، وبقدر ما ينزل بالفقير من فقر يذهب بهاؤه وتتضع منزلته ، حتى يتهمه من كان يأمنه ، ويسيء به الظن من كان يثق به .

ومحاسن الغني مساويء الفقير ، اذا كان الفقير جوادا ، قالوا : مبذر ، وان كان لسنا قالوا : مهذار ، وان كان شجاعا ، قالوا أهوج ، وان كان حليما صموتا ، قالوا : عيي بليد ، وكل شيء هو للغني مدح هو للفقير ذم .



قصة بقلم : فاضل السباعي

من حرج عليّ أن أعترف ، بادىء ذي بدء ، بأني قليل خبرة بشؤون النساء ، على الرغم من أنه قد مضى على زواجي عشرة أعوام ، وعلى الرغم من أني قد [illegible] الثلاثين بعد

بل لا أحسبني مغاليا إذا زعمت أني أمضي في ظله ، أحيانا ، في علاقتي مع هذا الجنس اللطيف ، على الرغم — أيضا — من معلوماتي ، طوال عشرة أعوام كاملة ، على دراسة القانون في كلية الحقوق ، دون أن أوفق إلى الحصول على الإجازة النهائية ! .. وإلا كيف يسوغ لي أن أمنح إعجابي لفتاة لا تستحقه ، إعجابا بلغ حدا وصل بي إلى أن أتمنى [illegible] ، وأنا في الحلم . وتزحف إلى جواري ... حتى إذا استيقظت ، في الصباح ، من نومي « تلك التي تسمى عائدة » ؟ [illegible] في حديثي ، وتبينت أنها زميلة حديثة في العمل ، وأنها تشاركني ، منذ حين ، الجلوس وراء « مكتب » رسمي واحد ! .

فإذا [illegible] ، بل لا سلطان للمرء على نفسه في الأحلام ، أفليس من قبيل المغالطة أن أدع الآنسة عائدة يسمح على رأسي من غرورها [illegible] سخيا ، حتى ليوشك أن [illegible] أمري في [illegible]

فأما [illegible] العقل والعمق ، غير أن أطل ، على مسمع من أم أولادي ، وقد [illegible] بحق ، ذات صباح ، رؤيا منظوما في الصبح :

— والله إن على الرجل أن يتزوج باثنتين ، حتى يصل إلى تلبية حاجاته الشخصية !!

أقرأ [illegible] ، في مواربة أحبها [illegible] ! ولكني أدفع ، بإصرار وعناد ، عن نفسي أي تهمة إزاء ما كان ، بالأمس ، من شرود لزوجي — [illegible] — على تلك القصاصة المشؤومة — التي [illegible] ، فشطرنا [illegible] آثار شجارا بيني وبينها ، لبثنا إثره في الخصام [illegible] ، شجارا استمر أواره حتى أحال نعيم حياتي إلى جحيم . بل لقد كانت الكلمات في القصاصة [illegible] على مغادرة عش الزوجية ، تاركة لي وراءها ستة أولاد هم أحلى [illegible] في الحياة ، بعد [illegible] والعسل اللذين [illegible] بهما منذ مطلع شبابي الباكر ! .

* * *

أما « الآنسة عائدة » ، فهي فتاة متوسطة الطول ، فارعة القامة ، قد فاتها قطار الزواج . ولقد تحلق حولها في الدائرة ، منذ حلت بيننا ، بعض الزملاء يجاذبونها الحديث ، ويتبادلون معها حوارا من نوع ما ، انتهى بها إلى أن تؤكد ، [illegible] من التصريح ، أنها [illegible] أن تظفر في حياتها ذلك « الرجل » ، الذي [illegible] مطامعها ، فيبادلها حبا بحب ، و[illegible] ، [illegible] في ما [illegible] تنفرد بها هذه الفتاة الشابة دون سائر زميلات العمل ، وأعني : البيت الذي تسكنه في حي « أبي رمانة » ، قد ورثته عن



.. وهل كان في وسعي أن أرفض ، بإزاء هذه « الرغبة » التي يلفظها بحزم ، غير الرضى

أيضا ، وليس يشاركها في سكناه اليوم غير أم عاجزة هي الى حافة القبر قاب قوسين .

نفضت أنباء هذا الحدث جانبا . وقبل أن أستعرض في خاطري أسماء الزملاء ممن تخطوا الثلاثين ولم يتزوجوا بعد ، دخل علينا « الآذن » ، وتوجه اليّ ، أنا ، وخاطبني بلطف :

— السيد المدير يطلبك !

ولم يكن بد من أن تلمحني ، مع هذه الدعوة المفاجئة ، ارتعاشة ما . فهرعت ، بقامتي المتوسطة الطول ، أتدثر سترتي ، وأشد من قامتي . وقرعت الباب ، حسب الأصول ، قرعة خفيفة ناعمة ... فاذا أنا ماثل بين يدي السيد المدير ! وما أن ألقيت عليه تحية الصباح ، منحنيا في تحسس معتذر ، وأن أميل رأسي الى جانب

أناقة متألقة ، مسلماً لزاوجيل وقلة احترام ... حتى بادرني قائلا

— « استاذ سعيد » ؟ .

— نعم ، سيدي ! .

— جاءتنا ، هذا الصباح ، موظفة منقولة من أحد فروع المؤسسة ... ونحن ، الآن ، على غير أهبة تامة لاستقبالها ! .

واضطرب تفكيري ، وجمجمت شفتاي ، وأنا أجهد النظر في وجهه السمين الغارق في النعيم :

« نعم ، سيدي ! »

لم تغب عن التفكير طويلا ، فسألت وقد ساورني القلق : أترى السيد المدير ينوي صرفها من الخدمة ؟! أن ذلك لشيء فظيع ! واغلب الظن أنه سيتعذر عليها ، حينئذ ، أن تلتقي بالزوج المنتظر ، الذي انتظرته وهي على يأس منها ! ولكن ... ما دوري ، أنا ، في ذلك كله ؟! .

— ... كأستاذك « الميدانية » فتقضيه السعي بين « الملفات » ، طوال يومك تقريبا . وأحسب أنه لن يضيرك أن تشاركك « الآنسة » مائدة الجلوس وراء مكتبك ، الى يوم تتدبر فيه الأمر على نحو ما ! .

فتلك هي الحكاية ، إذن ! بل إن مظهر الأمر كله أن تشاركني الزميلة الجديدة الجلوس وراء مكتبي ! ولكن معظم موظفي الشركة يجلسون ، مثلي ، أعمالا « ميدانية » ، والقهم أصلا مكاتبها ... فلم تختنق السيد المدير لهذه « الهبة » ، دون سواي ! .

أطلقت : « أمرك ، سيدي ! » .

وهل كان في وسعي أن أفصل ، بإزاء هذه « الرغبة » التي أبلغتها بحزم ، غير الرضى والقبول ؟ ووراء مكتبي تلك الآنسة قائلة : « دونك ، يا أخاه ، نصف الدروج التي الى اليسار ... وتبقى لي دروج اليمين ! » .

فسألتني ، وهي تؤسسني بعينين كستنائيتين تحف بهما أهداب شديدة السواد ، وقد انفرجت شفتاها الورديتان ، في ابتسامة خافتة ، عن أسنان كاللؤلؤ : « والدرج المركزي ، الذي في الوسط ؟! »

واختنقت حيلة ، وأنا أتساءل كيف خلق الرجل من هذا الجسم الضخم ، ومن هذا الجسم المتكور ، فلم يظهرا معا ؟! .

أجبتها : « لكلينا ... نحن الاثنين ! » .

— حسن فلتضع فيه ، الى جوار أوراقك ، أشيائي الشخصية ! أشياؤها ... توضع مع أشيائي ! .

وماذا كانت أشياؤها الشخصية ؟ مجموعة غريبة مما تحتاج اليه بنات حواء عادة : قلم حمرة شفاه ، علبة « كريم » ، حمرة الوجنات ، مشط ، مرآة ، قارورة عطر ، قلامة أظافر ، ملقاط شعر الحواجب ، نظارة سوداء ، صندوق مناديل « كلينكس » ، دفتر رسائل من ورق وردي اللون كتاب « تفسير الأحلام » لابن سيرين ، واعداد من مجلتي « حواء » و « طبيبك » ...

وماذا كان علي أن اعتاد الجلوس ، من يومئذ ، وراء مكتبي ساعة في الصباح قبيل انطلاقي الى ميدان عملي وبعض الساعة في نهاية الدوام ، والى جواري الآنسة جالسة على كرسيها ... فقد توجب علي ، أيضا ، أن اعتاد رؤية الزملاء ، وهم يطلون علي من وراء الباب ، يتطلعون ، فيبتسمون ، ثم ينسحبون من غير صوت ... وهناك ، في الغرف الأخرى ، يطلقون ، في ساعات الفراغ والضجر ، حكايات يتداولون فيها لغوا متندرين ... يقول أحدهم : « رأيتهما ... متجاورين على كتف ! » .

ويضيف آخر : « لقد رأيت الآنسة مائلة على ساعديها ... أخيرا ! » .

ولقد يسكب أحدهم في أذني عبارة مليئة قد أحدثها مفتنا : « هيه ! .. ان الطريق الى مسكن مضيف في « أبي رمانة » ، يبدأ بحضورا من وراء مكتبك ، يا استاذ سعيد ! » .

فيثير بقوله ، الهادئ من خواطري ، جملة ارسلها ، الى « شريكتي » في المكتب ، نظرة أخرى : أن بيتها ليتألف من طابق بأربع غرف — كما حدثتنا — وصالون فسيح ! هي وأبوها العجوز وحسب ! أما أنا والأولاد وأمهم ، فنسكن ، منذ أعوام عشرة ، في القبو من غرفتين رطبتين ! يا توزيع البيوت على البشر ، ما علي لو سرت بهم الى ذلك البيت ؟! يسرح أولادي فيه ويمرحون ، فتطلق الأخوة تضمهم الى الحياة « خالتهم » زوجة الأب ! ما كان لعين الإسلام أن يحرمكم : مثنى وثلاث ورباع ! ما خالفتني الخطوط في تحقيقه ، فيتحقق على يدي هذه الفتاة الحلوة السمراء ، ذات القامة الفارعة الممتلئة ، أين منها قامة زوجتي الضئيلة الضامرة !

خواطر يضحك منها القلب ، واضحك انا بعد لن اليوم ! .

ولكن « ام ياسر » ما كفتا تبدي اعلى تزفا ، وهي التي شاطرتني شظف العيش الذي ما كان ليخفض لنا جناحه او يلين . ولي لاأخفي ، تارة ، من هذا النزق المفض ، وليدا ، تارة اخرى ، في رفق متخاذل . وكيف ، بالله ، يجوز ان اعلن ، ونحن في جلسة واحدة ، في محاولة منها للتنفيس عن كربها الكظيم ، او انك كنت اكثر سماحة ، فحصلت على اجازة الحقوق ، كما فعل غيرك من بني آدم !! »

وعلى الرغم مما في هذا القول من صحة ، ذلك اني لو كنت وفقت حقا الى الحصول على الإجازة النهائي في الحقوق ، قبل ان اضطر القلبة الى فصلي وانا في الصف الثالث بعد ان استنفدت كل ما تخولني اياه انظمتها من سنوات دراسة ، الذ لعلالت « وضعي » في الوظيفة ، فصوت في زمرة الرؤساء لا المرؤوسين ، ولكان زيد راتبي الذي اتقاضى ، مما يرفع من مستوى المعاش والمعنوي جميعا ... اقول ، انه على الرغم مما في قولتها تلك من الصحة ، الا ان التصريح بذلك ، بين الحين والحين ، يطعن كبريائي في الصميم ، ويقلل من شأن كفاءتي الشخصية ! وانه لكذلك يفسد علي انا الاستمتاع بما تبقى لي من عواطفي التي آلت الى الفشل ، اعني به : « اللحية القانونية » التي اكتسبتها ، والتي اصبحت شديد الفخر بها ! ولكن ما حيلتي اذا كان قد كتب لي ان اكون زوجا لزوجة لا تؤمن بغير « الماديات » سبيلا الى حياة افضل !

اني بعد ان زاملت الآنسة هالة ايام في غرفة مكتب واحد ، بدأت اميني خصال فيها ، انا نفسي ، لم اكن قد فقدت اليها من قبل : اول هذه الخصال اني شاب رقيق العاطفة ، نعت لطيف ! لذلك ما آنست به اليها ! ولما عدت الى نفسي اسائلها ، ادركت ان النفس والخلق التي سلبتها ، وان شظف العيش الذي كابدته ، لم يجردني من نضارة وبهاء ما زلت احظى بهما ، ولم ينال من شعر في اسود اثيت ، ووسامة ، وخصال لا حصر لها انستنيها كر الايام وتقلب صروف الزمان ! خصال ... تعجب ، الى هذه العانس الظريفة التي تمتلك بيتا في ارقى حي من احياء دمشق الحديثة ، ان تحظى برجل

ان لم يستجمع خصالي كلها ، فلا بأس في ان يتحلى ببعضها !

ولقد وجدتني ، بعد ان اتيح لي ان اتعرف على هذا الطيب من مناقبي الحميدة ، اتحول سريعا من مواقفي الرقيقة المتأدبة ، وانا اتلقى من زوجتي مظاهر النزق المنبعث ! وهكذا سمحت لنفسي ان اجابهها ، اخيرا ، بالشديد القارس من القول .

ـ لتعلمي ان الخطأ كل الخطأ في اعتدالي ولي شكاتي ، انما يقع عليك وحدك ! فانت انت التي لم تهيئي لي ، في اي من اوجه الحياة المنسجمة التسعة ، فرصة ان ادرس دراسة منتظمة مجدية ! بل انك لترهقيني بطلباتك التي لا تنقضي ، وتصدعين رأسي بشكواك من سكنى هذا القبو الذي تسمينه « قبرا في الحياة » ، وتنغصين عيشي باولادك الذين تسببينهم ، كالقطة ، عاما بعد عام ... انك لتحملين وانت في النفاس !!

هينا صرخت بي زوجتي ، التي لم تعتد على هذه الجراءة :

ـ نعم ! ! تقول اولادي انا ! ! اتراني اجيء بهم من بيت ابي ! ! وما هي طلباتي التي لا تنقضي ! ! قل لي : ما هي طلباتي ! ان اللقمة لا ناكلها في هذا البيت الا بالجهد !

فلهي قلبي ، المحتقن ، لسحد الى ضغطة جديدة قائلة ، وهي لا تدري :

ـ تنتقي ان الدواء الذي يشملك من بلادة اللسان ... ست اعرفه جيدا !

وكنت اصرخ ، حتى خيل اليّ انه مجنون : « آه ... ان الكبة بامرأة تمتلك بيتا مريحا في ابي رمانة ! ! » ، او لا ان ...

ـ صبرا ! قل لي ما الدواء ! هيا قل من اية صيدلية نشتريه !

والتصقت بالصمت ، متخيلا بأن هززت رأسي في اسى ، وقد طالعني يقين بأن هذه المرأة ، ذات الجسم الضاوي والصوت العريض ، والتي لا تقدر العتيد من خصالي ، هي علة بؤسي وشقوتي ! واما الآنسة هالة ، فانها العلة الفارهة ! واي كلام رقيق ! واي عطف ! ... يسوم عرض ابني « ياسر » ، ورحت ادور بالوصفة الطبية ، على صيدليات دمشق دون جدوى ، آنست فيها

لهفة بحدث الزيد من حزني والشفاقي . وقد سألتني ، بعد أن كنت من التقاط شعيرات بالمنزات من اعلى حاجبيها :

ـ كم ولدا عندك ، يا « سعيد بيك » ؟ !

وانها لتنظمني في خطابها لي !

ـ ستة ، يا ... « هانمة خانم » ! !

ـ كم عددهم منهم ! وكم البنات !

ـ ثلاثة وثلاث ... انجبتهم في سنوات عشر !

ـ ما اسماؤهم !

ـ « يسامر » و « وداد » و « سامر » و « وصال » و « يوسف » و « ولسام » ... والسابع ، الآتي على الطريق ، سأسميه : « منجب » ، فان جاء بنتا فالاسم ... (اوشك لساني يطوح هاذئة » ! ولكني اتخذ سأسميها : « هالئة » !

لم سمعتها تتمتم بالعجاب ، فيما هي تعود الى مناظرها والمرآة : ـ انك لرجل .. منجب !

فكرت بسعادة : انا منجب ، نعم ، فحل ! ان من هو مثلي جدير بان يكون زوجا لاثنتين ، فقد احداهما صباح السبت ، لتحل الاخرى عشية الاحد ! لطيفة وشاطئة . وهل انسى يوم سفحت ما سفحت من قارورتها على راسي ، فبللت شعري وسال العطر حتى عنقي ! وان احد الزملاء ليهمس لي ـ مداعبا طبعا ـ وقد شمت انفه رائحة العطر المسفوح :

ـ الذي حسناء وايامنا خلف « مكتب » ، يجمعك بها تحت سقف بيت في ابي منتلة !!

قال ذلك ، وتركني لتصورات عذبة رفلت في خاطري ... وحدثتني النفس الأمارة : « انك لو كنت واثقت ، مثل غير حياتك ، الى الاقتران بفتاة ذات شأن ، الذي لاتبيح لك ان تستأثر ـ في هذا ـ كتب الحقوق ، وتنصحها اتجاهها ، فيما انت وادع في احضان غرف السكن الذي لتعلميه زوجتك الموسرة ، بعيدا عن صخب الاولاد ومن كل ضوضاء قد تقطع تسلسل افكارك الثائرة ، فتجتاز دراسة الحقوق في سنوات اربع ليس غير ، وتحتل وظيفة الوظيفي ، وتنمو في زمرة الرؤساء ... » ! فاجبت النفس قائلا : بل انه ليسعني ، كذلك ، ان امضي في دراستي قدما ، فاحصل على مؤهل الدكتوراه في القانون ! اما

ان التجاح ليقود الى التجاح ، مثلما يقود الغنى الى مزيد من الغنى ، واما الفقر فلا يجرّ الا الى الفقر ، وهل يصح القول في العشبان ؟!

ولست انسى تلك الدهشة التي ابدأت في عيني لزوجتي ، لحظة [illegible] فاجئتني في دخولي البيت ، وقد فاح مني ذلك العبير :

ـ ما هذه الرائحة الطيبة ؟!

ـ صديق ... اشترى قارورة عطر ، فعطرني !

ـ ولكني اراه ... عطرا نسائيا !

ـ انما اشترى القارورة له ... لخطيبته !

وانا كنت قد الفحت في ان اخلي ، بيديهني السريعة ، من زوجتي حقيقة قصة العطر الذي سفحته الآنسة هانمة على راسي ، وانا كنت قد تهيأت ، بفضل هذه المناسبة الطريفة كل خصالي الحميدة ... فان ذلك قد غدا ، في الحق ، من الذي ، وتفتح عيني على عيوب في زوجتي ، كنت من قبل غافلا عنها ! وهكذا انصرفت ، في صبيحة غد ، اعلن على مسمع منها ، وقد لبست بغلي زوجا من اقدار قميصي ملطوعا :

ـ والله ان على الرجل ان يتزوج بالثنين ـ حتى يطمئن الى تلبية مطالبه الشخصية !

وسرعان ما تراءى الي صوتها من الغرفة الاخرى :

ـ تزوج ! وما يمنعك ؟

فاطبقت صوتي مستنكرا :

ـ تزوّ لي قميصي ملطوع !! أيليق هذا برب اسرة محترم !!

ـ اولادي الستة ، والسابع الآتي على الطريق ، يشغلونني حتى عن نفسي .

ـ ان الزوج « مكلفه » ! فان تفصته الزوجة عن اداء واجباتها ، حق له ان ...

فاقحمتني في مبالية :

ـ هيا اسرع ، فتزوّج بمن تلبي لك مطالبك الشخصية باسرع مما امل .

ـ التزوج ؟ نعم ، استطيع ان اتزوج ! (واستدركت) ألا يسعدك ذلك او تملك ؟ .

ـ طبوله بنت طبول ... التي « ترحل » !

ـ الذي تكنا ؟ طيب !!

ـ ومثلة طيب !!

ـ وهكذا تراني اقول لها ، بعد ؟ زوجة واحدة !

لا يعليها تجديد ولا وعيد ، ولا شرك تشاركها حياتها ! وتتركه في نفس المواقف : مخبق في ابي رمانة ! شمس ذاهلة ، وانسام طيبة تتهادى من خلف قاسيون ! ولكن ، لم تغير الرجل عن الآنسة عائدة ! لماذا !

اخذت افكر التفكير بالآنسة عائدة ، وانا في يقظتي . وكان جدا ان افكر بها ، ايضا ، في الحلم ، حيث لا سلطان للمرء على نفسه ! لم اكن اعرف اني ممن يتكلمون في نومهم ! اكتشفت الكشف العجيب ، وانا ارى زوجتي تسألني ، ذات صباح ، عمن تكون ... « تلك التي تسمى عائدة » !

فتشت .. « ومن اسميك بهذا الاسم ؟ »

ـ انت ! انت ! .

وازددت عجبا : « اراك تهذين ، يا امرأة » .

ـ بل انت الذي كنت تهذي . لقد سمعتك ترداد ، في نومك ، هذا الاسم مرتين ! .

واصلت لتحاصرها : « طيب ، لم لا تقولين ذلك من البداية ! عائدة هذه ... عبارة عن موظفة منقولة حديثا الى دائرتنا ... ولما لم يكن لها « مكتب » الساعة ، فقد رأى السيد المدير ان تشاركني الجلوس وراء مكتبي ! الست ترين اني « باحث ميداني » ! وانها اتكت في الدائرة ، ذلك ان ميداني عملي الحقيقي هو ....

واسترسلت ، فحدثتها مليا عمن تكون تلك التي ظللت اسمي باسمها في تلك الليلة مرتين . ولم اغفل ذكر ابرز ما في شخصية تلك الفتاة الشابة التي تنشد زوجا : ان لها حقلا موروثا ، تسكنه مع أمها العجوز في ابي رمانة ، فضلا عن دكاكين تملكها في « سوق الحميدية » !

التفت ، في ذلك ، الفلسفة الواقعية بها الى وجهت لزوجتي اسئلتي بالرد والحسن الاستعداد ! ولكن ، هل كانت الفلسفتي وحماستي ، وانا العدل ، تنبئان عن اعجاب بالآنسة عائدة ؟ الحق ، ان اعجابي بها — ان كنت قد اقررت في اعماقي اسرارا — قد اخذ يتضاءل ... من يوم ان سألتني ان كان لدي « منديل كلينكس » ! وكان بعد ان اجبتها بالنفي ، وانا اعلم ان في الفرع الوسط ، المشترك ، علبة لها مخروطة الزرقاء يليه التاديل الورقية !! ولكنها تعود تسألني بالحاح مجبول ، فيما هي تدور حول الكتب كما لو انها في شاغل من امرها : « طيب ! منديلك ، منديلك الذي في جيبك ، الذا سمعت ! » .

والتمست ، بصورة تلقائية ، منديلي من جيبي . ثم قلت :

ـ والله ... متسخ ، يا آنسة عائدة !

ـ لا يهم ، لا يهم ، اعطني اياه لحظة !

قلت مترددا .

ـ ولكن ... لماذا ! لماذا ؟ ارجوك .

وكدت ، تحت الحاحها ، ان اسلمها اياه ، لولا ان منعني من ذلك انه كان في غاية الاتساخ ! وكأنه تكون غاية الزوجات « الثانيات » بمناديل ازواجهن ؟ ثم ان الآنسة عائدة غادرت الغرفة غاضبة ، وعادت لتقول : « شكرا . نسي الامر » .

واشهد سرتي ، حقا ، ان امرها قد نسي ، المسألة من منديلي الى الشرف . ولكني انطويت على سؤال تلك اليوم وراء المشرع ، فقد انطلق من عقاله في الليل وانا نائم ... فاخذت اردد ، دون وعي ، اسم الآنسة عائدة ، مرة ومرة ومرة ، بصوت جلي ! متمتما في ذلك بكلام كمن يسرد حكاية او ما شابه ... ذلك ما ابلغتنيه زوجتي ، الا ايقظتني لتوها ، دون ان تستطيع حتى الصباح صبرا . وطبعا لم يعجبني اقتنائها ؟

ـ لقد تنازعنا ، انا والآنسة عائدة ، على ... امر من امور العمل ! قلت لها : ان الامر يجب ان يجري على هذا النحو ! فقالت : بل على ذلك النحو ! قلت : بل هكذا ! قالت بل كذلك ! وبين نحو ونحو ، وبين هكذا وكذلك ، ارتفع صوتانا : هل قلت : صوتانا ، بالمثنى ! المطابقة ارتفعت اصواتنا عاليا ! ثم اعتذرت ، بعد ، بان الآنسة عائدة موظفة جديدة ....

الحق : ان اعجابي بالآنسة عائدة قد اخذ يتضاءل . فبعد ان اقررت استرابي بحرصها منديلي على تلك الصورة ، عرفت من الزملاء ، فيما هم يتداولون بالتندر اسرارها ، التي « كبتت » من اجلها الى دائرتنا هذه ، انها كانت ، بطلبها التعديل مني ، تخرطني بي — انا شريكها في المكتب — والسحر لي شرا لا شك فيه ! .

سألتهم : « شرا ؟ تقولون ؟ »

ـ وأي شيء ، يا أستاذ سعيد ! .

ـ وما هو هذا الشيء ؟!

أن تأخذ « الرأ » منك ، وتمضي به الى أحد « السحرة » !

واكتشفت لي ، في الآونة عاشة ، منذ ذلك اليوم ، أمور وأمور : لقد كان فيها ـ وأنا لا أدري ـ ما يشبه الولة ! وإذا كانت أسرتي بطول صمتها ورفيق لطفها خلال أسابيع ، ونحن وراء مكتب واحد ، حتى صرت أحلم بالبيت الذي في أبي رمانة ، وبالتهام كتب القانون فيه ، وبالحصول على مؤهل الدكتوراه العظيم ... فقد تكشّفت أولاهما منها كل طالب به ! واخذت أنظر اليها من زاوية جديدة : فوجدت أن أكثر ما يضايقني منها أنها تسرف في وضع الأصباغ والمساحيق على وجهها ، وتُبالغ في بعض من اللباس الذي أحمر اللون فاقع صبغه ، وما لها تتناول المرآة ، والمشط ، والمناديل والفلاحة ، ولعوده الى كتاب ابن سيرين في تفسير الأحلام كل صباح ! ...

وأما منديلي ، المشبع بالوساخة ، فقد كانت تنوي أن تسلّ منه خيوطا تلعب بها الى « السحار » ، كي يسحر عينك ، « أم تراني » فيجعله كرهها منفرة ! وذكرت أنها سألتني ، مرة ، عن اسم أمي ! وقد أجبتها : « سكرية » .

فضحكت :

ـ أسألك عن اسم أمك !

فاستدركت منهما : « اسم أمي « سكرية » ... على الرغم من أنها لم ترد ، لا في شبابها ولا في شيخوختها ، البدانة السكرية ! » .

ـ اسم غريب !

ـ بل كان ، في زمانها ، شائعا في البيئة التي نشأت فيها .

فهي من رواد السحرة المشعوذين ، الذن ! استدرجتني الى الافصاح عن اسم أمي ، وبقي أن تستحصل على « الرأ » مني ؟! كيف غابت عني أوراقها ! فأين ما مكنني الله به من الفطنة والذكاء ؟! مسكينة الآنسة عاشة ، أنها تستحق مني الرثاء ، أكثر مما أشنعها من الاعجاب ! وشرّ ما فيها ـ ليبدى لي الآن واضحا ـ أنها ما فتئت ، وهي الى جواري ، تدهن وجهها بالمساحيق ! ولما

لن أجلس ، بعد الآن ، وإياها وراء مكتب واحد ، ساعة في الصباح ومثلها في الظهيرة ، فذلك ما لم يعد في مستطاعي .

وددت لو أدخل الى السيد المدير ، وأرجوه أن ينقلها من جواري الى جوار زميل آخر . ولكن ما حجتي في ذلك ؟ أني أنا ما زلت له « الولة » التي يلقني العلم بها ولست لمس اليد قوامها ، فضحك مني وسخر ! وأما حكاية التدليل ، أن قصصتها عليه ، فأراها تكون مسوغا لطلبي ! .

وفيما أنا أتحين الفرص لعرض أمري عليه ، وقع لي هذا الحادث الذي ركبته الظروف تركيبا عجيبا . والا كيف يمكن أن تتلاق فيه الملابسات حتى يصل الأمر الى أن ...

مساء الخميس دعتني زوجتي ، كالعادة التي جرينا عليها ، الى أن أدخل الحمام التسل ، فهي ... ذكر لك ! والحق ، اني مولع بالنظافة مغرم بالاستحمام ، وأجمل ما يحلو لي أن تواكبني زوجتي الى الحمام ، فتمرّ بـ « ليف التفريك » على ظهري ، بيدها الرقيقة الحنون .

أجبت : « حاضر ، حاضر » .

وتلبثت لحظات ، ريثما أنزلت جيوبي مما فيها من ثاقل الأوراق ، ورميت بعضها جانبا ، ومزقت بعضا .

وفي الحمام ، دعكت رأسي بالصابون وأنا أغني طربا . وبعد أن يمتنع جسدي بالعرق رشحا ، نادت زوجتي ، التي عدت أراها محاسن كلها ، لتمرّ بيدها الرقيقة على ظهري . فوافتني بالحال .

ناولتها الكيس الأسود ، وأنا أوليها ظهري : كذلك كان الأمر في ملامسه الصفيقة ! ولكن يدها لم تكن ، الآن ، رقيقة ولا حنونا ! أحسست الكيس ، وهو يتراوح ما بين كتفي ، سكة محراث الدبية تشق أرضا صلدة . فأيقنني الاضطراب .. حتى لقد صرخت موجع الظهر :

ـ بريت ظهري ! ماذا دهاك ! بطك من حديد !!

أجابتني بصوت سمعته مقطعا : « ابحث لك عن زوجة أخرى ، اسمها عائشة ، تفرك لك ظهرك بيد من حرير ! » .

هتفت ، وأنا ما أزال موليها ظهري :

ـ عائشة !! أوصل حديثنا منها الى الحمام ؟!

ـ وقد يصل الى ما هو أمر !

استطردتها : « ماذا تعنين ، يا امرأة ؟ » .

قالت لي حماتي : « اخشى ان ترديك نفسها وانت مالم ... لم يكن ميتا ! » .

كانت قد كلفت من « التجربة » . وكنت قد استمرت بوجهي تعودا ، وقد ادركت اني مقبل ، الآن ، على شرّ مستطير ، وانا في الحمام كما ولدتني امي !

— حسن . فلتقل لي ، مثلا ، ان وجدت في حلمي اسم الشيطان ، فلا يكون ذلك عبثا ايضا !

صرخت : « انت تحرى الزواج من عائشة !! » .

زجرتها : « اخلي ، يامرأة ! » .

— انت احمق! بلى اقول لك : اعقل يا رجل ! بالأمس حدثتني بأن على الرجل ان يتزوج بالستين ، حتى يخشى الى اقبية مطالبه الشخصية! أليس كذلك ! ولقد حزرت ، الآن ، علي ، وبثقة ، بعطف يعلم ، عنيت لي انك راغب حقا في الزواج من هذه العانس التي انصرف عنها الرجال !

وما كنت على ثقة من انه يستحيل ان تكون يدي قد خطت مثل تلك « الشخبطة » الذي به ، فقد وجدتني اصرخ بها وانا مكين الظهر « كلبة! مفترية ! » .

— طيب ! سترى ! حالا ، من منا الذي يفتري ومن يخدع ويراوغ !

وتركتني في الحمام ، وانا اتسرب الصابون باسماكي ، وانطلقت عجلى ... لتعود وفي يدها قصاصة من ورق هي مما مزقت يدي قبل قليل ، يدفعتها الي : « اقرأ ، يا ماكر ! » .

وقرأت ، في هذه القصاصة ، كلمتين التين باللغتي الصلاة . « عائشة السعيد » !

هتفت ماخوذا : « ما هذه ! » .

— انت اعترف .

— من اين اتيت بها !

— التقيتها بين اوراقك التي حرصت على اتلافها قبل ان تتوارى في الحمام ! اني ، منذ اسابيع ، وانا ارقب متطير الزاج : الزرّ المقطوع ، حتى الزر المقطوع في قميصك ، بات يستوجب منك التفكير بالزواج من اخرى ! لتعود اليّ من وظيفتك منبسطا بعطر يفوح منه حتى راس الحارة : « مسحوق التشري الفوري عطر للطيبة ، للعرس » ! انسيها ترددها في النام ، لم تعطلني :

« تتلوزنا ، انا والآنسة عائشة ، على امر من امور العمل » ! .. وانا ، لزوجتك الصابرة ، اسهر على خدمتك وخدمة اولادك الستة !

ابتسمت ، مصعوقا : « لن في الامر التباسا ! » .

— أليس هذا خطك ! .

الله أكان خطي ، حقا : « بلى ! » .

— فلت تكتب « الآنسة » ، وهي الى جوارك ، بما يطيل ان يعلك لسانك ! « عائشة السعيد » ! هذه العمر الذي هبطت معه ، يا غادر ! امرأة انصرف عنها الرجال ، لاسباب الله اعلم بحقيقتها ، تستهويك ... لان لها طابقا من اربع غرف وصالون في ابي رمانة ! (وارتفع صوتها) والله ، لا اقعد في هذا البيت ابدا !

وانتزعت من يدي القصاصة . وصفقت باب الحمام وراءها .

اسرعت « الهث » جسدي بالصابون ، دون ان انعم بالبهد العمون لمرّ على قميص التطريه. اتكون الآنسة عائشة قد اشبهت — في التباسها — خطي ، فرسمت هاتين الكلمتين اللعينتين في قصاصة تسللها في احد جيوبي ! أليس ذلك عليها ببعيد . ولكن كيف فاتني ان اقع عليها وانا آنزل ، الساعة ، الاوراق وارميها ؟ ان الامر يحتاج الى تحقيق وتمحيص .

دلكت بقبع حسنات من ذلك القائر على رأسي ، ثم لففت جسدي بالبرنس . واسرعت الى حيث ام اولادي العزيزة ، لتحسب وتحسب حظها في عيشها مع هذا الذي لم يسعد قلبها يوما واحدا ، ولا رعى لها حقا ! .

وصاحت ، على مسمع من الصغار ، اذ رأتني ادخل عليها الغرفة :

— « عائشة السعيد » ! ها !! سوف اريها لابي ! (ولوحت بالقصاصة) سأقطع لعلك عليها ! سأتركها لاصدقائك الذين يحسبونك ذا خلق ! « عائشة السعيد » ! .

توسلت اليها ، وانا ملتفع ببرنسي ، والماء يقطر من على وجهي : « اني بريء ، يا امرأة ! والله بريء ! » .

— وهذا خط من ؟ اهو خطي ؟ قل لي ؟ .

اخذت منها القصاصة : أتكون يدي قد خطت

بهاتين الكلمتين المشؤومتين ، يوما ، وأنا في لحظة شرود ؟ الآن كتبتها وأنا تحت وطأة سحر استحكمت في الآنسة عائدة !! فكيف لم ألحظها بين أوراقي التي مزقتها ؟ كيف لم ألحظها ؟ .

وفيما أنا أمعن النظر في القصاصة ، استرعى انتباهي جانبها بقية من كلمة مكتوبة ، بالأحرف اللاتينية ، بخط سريع لا عناية فيه : ما معنى هذا ؟ .

يا للمفاجأة ! خط طبيب ! يا للهناء ! يا للروعة ! وكما تطلع الشمس من خلف غيمة كثيفة ، كذلك أشرقت الحقيقة في سماء تفكيري ... فإذا أنا ألتقط كلمة روماتيزما وأنا تحت غيمة اليأس عاليا جدا ، وقد أسهل المعنى المستتر عن اللغز المحير : « ألا تذكرين مرض ابنتنا يسر ؟ » .

طرحت سؤالي مشوبا « بقلق » شديد !

وأجابتني تلك التي ، وأجابتني في دهشة : « أذكر » .

— وتذكرين « الوصفة » التي كتبها لنا الطبيب المداوي ؟ .

— أذكر .

— وكيف أني مررت على صيدليات دمشق بحثا عن الدواء دون جدوى ؟ .

— أذكر ، أذكر .

وتذكرين أني سرحت ، أخيرا ، إلى جارنا « أبي مسلم الأعرابي » الذي يعمل سائق سيارة على طريق دمشق - بيروت ؟ .

صاحت في نفاد صبر :

— نعم ! نعم . أذكر ذلك جيدا . وقد جلب الرجل لنا الدواء من صيدليات بيروت . ولكن ما دخل ذلك كله ؟ أتريد تضليلي ؟ .

— اسمعي ، أقول لك ، يا حرمة ، حتى أكشف لك عن طيبتك وسذاجتك ! أني يوم سلمته جارنا أبا المسلم وصفتنا ، قال لي الرجل : « ادن لي جيبي ، يا أستاذ سعيد ، خمس وصفات أو وصفتك ، لأكتب لي اسمك عليها ! » فكتبته في ذيلها بخط يدي ! نعم ! « عائدة السعيد ! » أي أن هذه الوصفة عائدة إلي ، خاصة بي ، حتى لا يختلط الرجل بين أصحاب الوصفات التي يحملها ! .. هنا أبصرت ، بين الورق ، موبقة الوصفة التي مزقتها قبل دخول الحمام ، يا ... غبية !! .

لم ترامت « بيرسي » على الكتف متهكما ، وقد أحسست رعشة برد تسري في أوصالي .

وزارتني الجرأة ، في اليوم التالي ، فدخلت على السيد المدير ، وقصصت عليه ما كان بيني وبين زوجتي في الحمام من سوء تفاهم مرده الى الآنسة عائدة ... فضحك عاليا ، حتى كاد يستلقي ، وهو في كرسيه الدوار ، على قفاه . وطلبت منه أن ينقلها من جواري .

وإذا علمت بالقصة زملائي ، أسف بعضهم ، وبعضهم ضحك حتى شرق . وأما الآنسة عائدة ، فلم يبد عليها — يا للغرابة ! — أنها انحرفت بشيء من الأسف أو الانفعال ... إنها ، على العكس ، لم تكتم لدى سماعها قصتي ، ضحكة طفت على وجهها الطفلي بالسخرية ! ألم خدعت بها ؟ .

وبر السيد المدير بوعده ، فنقلها الى جوار زميل آخر . ولسنا ندري ، نحن موظفي الدائرة ، كيف سارت الأمور بعدئذ ، على نحو جعلت ، قد سعت الآنسة عائدة في الحصول ، بوسيلة ما ، على شغل شريكنا الجديد في المكتب . والذي نرثاه ، بعد ، أن شجارا عنيفا قد نشب في بيته ، بينه وبين زوجته — وهما بعد عروسان — حين اكتشفته في منديله ، وهي تغسله ، بقعا من أحمر الشفاه ! .

وفكرت ، وما أزال أتأمل في هذا اللغز : لو أن مديري كان ، يوم طلبت منه الآنسة عائدة ، خليفا حصورا ، فسلمتها إليه ، ولو أنها مرت ، بعيدا عن الأعين ، بشفتيها المكورتين ، أو مرت عليه بقلم أحمر ، وأسلمته إلي في غيبته ، ولو أن زوجتي اكتشفت ، يوم الغسيل ، البقع فيه ... أفما كان يحق لي أن أخلص من الورطة نفسي ؟؟ .

وحمدت الله أن مشكلتي مع أم يسر كانت من نوع آخر : وإني أقنعت لي أن أجد ، سريعا ، سبب الشك من خاطرها ... وذلك كله بفضل ما منحت به من ذكاء وفطنة ، ومن خبرة بالقانون عندما كانت تراودني لأن أكون محاميا أصلا : ذلك وأخيرا ، سأعيش العمر كله مع أم أولادي ، دون أن أوفق إلى حملها على الإيمان بي مقدار ذرة ! .

دمشق — فاضل السباعي

القلقشندي

وكتابه

صبح الأعشى

الكتاب الذي صار متحفاً عامراً بصور من العصور الزاهية وقد ضم ١٤ مجلداً وهو في كل مكتبة وكل دار ذات علم ولها في اللغة أصالة

بقلم : عبد الستار فراج

[illegible]

كان بها دار الليث بن سعد

[illegible]

يا ليث ، ثم قرأ له قوله تعالى « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » فاستيقظ وقد فلج ابن رفاعة ، ومات بعد ثلاث ليال :

اسم القلقشندي ونسبه

وعند اطلاق لفظ القلقشندي تنصرف الأذهان الى صاحبنا الذي نترجم له وهو صاحب كتاب « صبح الأعشى » .

وقد قال السخاوي في كتابه « الضوء اللامع » ان العيني والمقريزي ترجما للقلقشندي ، وذكرا ان والده اسمه عبد الله ، « ثم عقب على ذلك بقوله : « وهو وَهَم » لأننا نجد نسخة خطية لكتاب « مآثر الإنافة » الذي ألفه القلقشندي نفسه مكتوبا عليها ان اسمه احمد بن عبد الله . ويبدو ان في الاسم اختصارا وانه نسب الى جده الثاني.

وقرب قلقشندة من القاهرة ، وهي تبعد عنها حوالي اثني عشر ميلا ، كان يتيح لأبنائها الذهاب الى القاهرة لتلقي العلم على من يشاءون من علماء العصر ، في مدارس القاهرة ومساجدها التي كانت عامرة بالشيوخ المبرزين في الشريعة والعربية وكثير من العلوم والمعارف ، وحيث تحفل الدور بالمكتبات العامرة بالمؤلفات في كل موضوع ، مطولات كانت أو مختصرات .

لهذا نجد القلقشندي تلقى الفقه على مذهب الامام الشافعي الذي انتشر بمصر وخاصة في الوجه البحري ، وسمع على علماء عصره ، وبرع في علوم اللغة العربية . والثابت لنا في مؤلفاته انه كان ذا ثقافة واسعة ، وإلمام تام بكل ما يحتاج اليه ذوو المناصب العالية في الدولة ، وبخاصة وظيفة الكتابة في ديوان الانشاء ، وهذا الديوان كان يتولى كل ما يصدر عن الحاكم من عهود وعقود ومكاتبات الى ولاة العهد والوزراء واصحاب المناصب المختلفة في الدولة ، والى اصحاب العلاقات السياسية والأخوية من الدول الأخرى ملوكا وسلاطين .

مؤهلات كاتب الانشاء

وكان لا بد لمن يتولى العمل في ديوان الانشاء ان يكون ملما باللغة والقرآن والحديث والأدب شعرا ونثرا ، محيطا بالمعلومات العامة ، عارفا بالعبارات المختلفة والألقاب وما يستحق أن يهدى . خبيرا بقيمة كل نوع من حيوانات الزينة والركوب ، والطيور الجميلة ، والأحجار الكريمة ، وانساب العرب وقبائلهم وتوابعهم وايامهم ، وتاريخ الدول المجاورة ، ومواقع كل دولة ، والطرق الموصلة اليها ، ومن أين تجلب الأشياء ذات القيمة العالية ، قادرا على الكتابة في كل لون من الوان المخاطبات ، مع معرفة ما يناسب استخدامه كل مخاطبة ومكاتبة ، مما يجعل الانسان منا يعجب كيف استطاعوا انفسهم فاحاطوا بكل هذا ووعوه .

والحق ان الوصول الى المراتب السامية ، والمناصب الرفيعة ، والصلات الموصولة لم يكن من الأمور الميسورة ولن تكون الا فيما ندر ، وتلك الندرة لا تجعلها قاعدة يبني عليها الطامحون آمالهم وينتظرون وهم قعود أن تتحقق لهم احلامهم .

ولئن صح ان يصل الى بعض المراتب من لم يصلح لها ، وان يحسب في عداد العلماء من لم يكن واسع العلم واسع الاطلاع ، فان الايام ستكشف للناس زيفه وتبرزه على حقيقته . اما الذين وهب الله لهم القدرة على السعي ، والاستمرار في التحصيل وجنيهم الثمر الشهي ، فان ذكرهم يبقى ناصعة محمودة الآثار ، لا ينقص من قدرها مضي السنوات الغابرة ، ولكل زمان شداته ومستواه ، ولن نطلب من اهل القرن العاشر او الخامس عشر مثلا ان يكونوا في دقة المعرفة وارتفاع المستوى الثقافي كأبناء القرن العشرين في عقده السابع ، فلكل عصر رجاله وامكاناته ، ولعصرنا آلاته ومخترعاته ، وعلى الماضي السليم يبنى الحاضر ، وفوق الحاضر المتين يرتفع المستقبل الشامخ ، ولهذا تكون في الماضي عظات وعبر ، ولهذا تكون متعة ولذة ان نفخر بماض يزينه حاضر ، ويتطلع له مستقبل ، فنكون جديرين بان نقول :

نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وربما قدرنا ان نتمثل بقول القائل :

ان الفتى من يقول ها أنذا
ليس الفتى من يقول كان ابي

فضل الكتابة

يقول القلقشندي في مقدمة كتابه « صبح الأعشى »

« الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها ، وأربح البضائع وأنفسها ، وأفضل المآثر وأعلاها ، وآثر الفضائل وأغلاها ، لا سيما كتابة الانشاء التي هي منها بمنزلة سلطانها . وانسان عينها بل عين انسانها ، لا تلتفت الملوك الا اليها ، ولا تعول في المهمات الا عليها ، يعظمون أصحابها ، ويقربون كتابها ، فحظيها أبدا حقيق بالتقديم ، جدير بالتبجيل والتكريم ..

اختلاف المؤلفين في تصنيفهم

وبالطبع لا يريد القلقشندي من الانشاء ما هو متعارف لدينا الآن من معنى الانشاء المقررة على تلاميذ المدارس ، وانما يريد بها مهنة الديوان المختص بكل الكتابات الرسمية ، على مستواها العالي ، المتصل بمهام الدولة ومطالبها . وهذه المهنة ألف فيها كثيرون ، واختلفوا في منهجهم ، وفيها يقول القلقشندي : « هذا والمؤلفون في هذه الصنعة قد اختلفت مقاصدهم في التصنيف ، وتباينت مواردهم في الجمع والتأليف ، فطائفة أخذت في بيان أصول الصنعة وذكر شواهدها ، وأخرى جنحت الى ذكر المصطلحات وبيان مقاصدها ، وطائفة اهتمت بتدوين الرسائل ليقتبس من معانيها ويتمسك بأذيالها ، ويكون أنموذجا لمن بعدهم ، ومسلكا سبيلها من أراد أن ينسج على منوالها » .

ومن عرض بعض مقدمة القلقشندي في كتابه « صبح الأعشى » يتبين مدى ما حشده اذ يقول

« ورتبته على مقدمة وعشر مقالات وخاتمة :

١ ـ المقدمة فيها خمسة أبواب ، الباب الأول فيه فصلان ، الباب الثاني فيه ثلاثة فصول ، الباب الثالث فيه فصلان ، الباب الرابع فيه فصلان ، الباب الخامس به أربعة فصول .

٢ ـ المقالة الأولى فيها بابان ، الباب الأول فيه ثلاثة فصول ، الباب الثاني فيه فصلان .

٣ ـ المقالة الثانية فيها أربعة أبواب ، الباب الأول فيه ثلاثة فصول .. » .

وهكذا يقسم كل مقالة الى أبواب ، وكل باب الى فصول ، موضحا ما تحت كل فصل من موضوعات . وهذا مثال لما جاء في فهرس بعض مقالات النشر .

المقالة الأولى فيما يحتاج اليه الكاتب وفيه بابان ، الباب الأول في الأمور العلمية ، وفيه ثلاثة فصول ، الفصل الأول فيما يحتاج اليه الكاتب في الجملة ، الفصل الثاني فيما يحتاج الكاتب الى معرفته من مواد الانشاء من معرفة اللغة والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع وحفظ كتاب الله تعالى والكثير من الأحاديث النبوية وخطب البلغاء ورسائلهم ومكاتباتهم ومحاوراتهم .. وأشعار العرب وأمثال العرب ، ومن جرى مجراهم ، والمعرفة بالتاريخ ، وأنساب العرب ومفاخراتهم ومنافراتهم وحروبهم ووقائعهم في الجاهلية ، وأحوال الأمم ، والأحكام السلطانية ، وأصناف العلوم ، ومن برع في كل علم منها والكتب المؤلفة في كل فن من فنونها .

الفصل الثالث في معرفة الأزمنة والأوقات من الأيام والشهور والسنين على اختلاف الأمم فيها ، وتفاصيل أجزائها ، وما ينخرط في سلك ذلك من الفصول الأربعة ، ومواسمهم .

المقالة الثانية : في المسالك والممالك وفيها أربعة أبواب ، الباب الأول في ذكر الأرض على سبيل الاجمال وفيه ثلاثة فصول : الفصل الأول في معرفة شكل الأرض واحاطة البحر بها ، وبيان جهاتها الأربع ، وما اشتملت عليه من الأقاليم .

الفصل الثاني في ذكر البحار التي يتكرر ذكرها مع ذكر البلدان ، في التعريف بها ، والمسافر اليها من البحر المحيط ، والبحار المنبثة في أقطار الأرض ونواحي الممالك ، مما هو متصل به ومنقطع عنه وما بها من الجزائر المشهورة .

الفصل الثالث في استخراج جهات البلدان والأبعاد الواقعة بينها .

الباب الثاني في ذكر الخلافة ، ومن وليها من الخلفاء ، ومراتبهم في القديم ، وما انطوت عليه ممالكهم من الأقطار وفيه فصلان .. » .

سبب تأليف الكتاب

ألف الشيخ القلقشندي الجزء الأول من الصنعة الثانية الرائعة حدود سنة ٧٩١ هـ عند استقراره في كتابة الانشاء أنشأ مقامة بيّن فيها أن الكتابة هي التي لا يليق بطالب العلم من الكتب سواها ، ونبه فيها على ما يحتاج اليه كاتب الانشاء من المواد ، فأشار عليه بعض المتميزين أن يتبع ذلك

بمصنف مبسوط ، يشتمل على أصول الكتابة وقواعدها ، ليكون كالشرح والبيان لما أجمله ، فقام بهذا الأمر ، وقد استفاد من كتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » الذي ألفه أحمد بن فضل الله العمري ، ومن كتاب « تثقيف التعريف » الذي ألفه ابن ناظر الجيش ، ثم زاد عليهما ، ووضح ما أبهماه ، وذكر أحوال الممالك التي تتبع مصر ، وبينا قاعدة كل مملكة – أي عاصمتها – التي هي محل الملك ، شرقاً أو غرباً أو جنوباً أو شمالاً ، معرفاً الطريق الموصل إليها براً وبحراً . وسماه « صبح الأعشى في كتابة الإنشا » .

القلقشندي أجيز للافتاء والتدريس

وقد أجيز القلقشندي بأن يفتي ويدرس على مذهب الإمام الشافعي من شيخه العلامة سراج الدين عمر في سنة ٧٧٨ وسنه يومئذ إحدى وعشرون سنة . وهذه الإجازة تشبه ما يمنح الآن من الشهادات النهائية للطلاب ، حيث تؤهلهم أمام الجهات الرسمية والعلمية لأن يشتغلوا بما تعلموه ويسمح مؤهلهم .

كان للقلقشندي أكثر من ولد

ويبدو أن القلقشندي كان له أكثر من ولد ، فكنيته أبو العباس ، مما يدل على أن ولده الأكبر كان اسمه العباس ، ويذكر لنا أن له ابناً اسمه « محمد » وكنيته « أبو الفتح » ولقبه « نجم الدين » كان قاضياً .

وكان للقلقشندي أكثر من كتاب

وكتابه صبح الأعشى انتهى منه في سنة ٨١٤ هـ ومع ذلك فلا شك أنه أضاف إليه شيئاً بعد انتهائه منه لأنه يذكر في الجزء ١٤ من الصفحة ٣٢٨ « خبراً وقع في رمضان سنة سبع عشرة وثمانمائة » .

وقد طبع كتابه في المطبعة الأميرية بالقاهرة عن دار الكتب في سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) في أربعة عشر جزءاً كل جزء يقارب خمسمائة صفحة من القطع الكبير .

وله كذلك كتاب « مآثر الإنافة في معالم الخلافة » وقد طبعته وزارة الإعلام بالكويت في ثلاثة أجزاء ، وكان ألفه في سنة ٨١٩ هـ .

وله كتاب آخر اسمه « نهاية الأرب في أنساب العرب » طبع أولا في العراق وأعيد طبعه بالقاهرة .

نماذج مما احتواه « صبح الأعشى » الحمام الرسائلي ومطاراته

الحمام اسم جنس يقع على هذا الحمام المتعارف بين الناس ، وعلى اليمام والدباسي والقماري والفواخت وغيرها .. وإن المتبادر إلى فهم السامع عند ذكر الحمام هو هذا النوع المخصوص . وإن أغلاه قيمة وأعلاه رتبة الحمام الرسائلي ، وهو الذي ينقله الملوك لحمل المكاتبات ، ويعبر عنه بالهدى(1) .

فأما الاعتناء به والاهتمام بشأنه فقد اعتنى به في القديم خلفاء بني العباس ، كالمهدي ثالث خلفائهم ، والناصر منهم ، والناس فيه برئاسة الناس في العراق ، لا سيما بالبصرة .. وبالغوا في أثمانه ، حتى بلغ ثمن الطائر الفاخر منها سبعمائة دينار . ويقال إنه بلغ ثمن طائر منها جاء من خليج القسطنطينية ألف دينار ، وكانت تباع بيضة الطائر المشهور بالفراهة بعشرين ديناراً ، وإنه كان عندهم دفاتر بأنساب الحمام كأنساب العرب .

صبح الأعشى منجم عامر بصور من العصور الزاهية

إن كتاب « صبح الأعشى » حافل بكل طريف وظريف ، وهو مرجع لمن يريد أن يرسم صورة للعصور السابقة ، في احتفالاتهم وملابسهم وألقابهم ووظائفهم ومعيشتهم ، وكل ما كانوا يتصرفون فيه ، وهو سجل لأحداث كثيرة منتشرة في كتابه . ولو أن مؤلفاً للمسرح والسينما ومخرجاً لهما أرادا أن يخرجا قصة تاريخية فإن بينهما مرجعاً أولياً والنقل من « صبح الأعشى » ليكشفا منه ما يطلع المشاهدين على حياة الناس في تلك الأيام المعروفة .

(1) الهدى جمع الهادي مثل الغازي والغزى

في أوضح بيان ، كما أنه مرجع تاريخي وجغرافي ومعجم لغوي لكثير من المصطلحات ، ودائرة معارف للمؤلفات في كل الفنون المعروفة في عهده وقبله ، وانه لأمين فيما ينقل ، ولا يبخس السابقين حقهم الا انه ينسب المعلومات لأربابها ، وينص على الكتب التي نقل عنها ، فجزاه الله على ما قدم خير الجزاء .

الآلات الموكبة في المواكب العظام

يذكر القلقشندي الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام ويقول انها على أصناف متعددة :

منها (التاج) وكان ينعت بالتاج الشريف . وهو تاج يركب به الخليفة في المواكب العظام . وفيه جوهرة عظيمة تعرف باليتيمة ، زنتها سبعة دراهم . ولا يقوم عليها لنفاستها . وحولها جواهر أخرى دونها ، يلبس الخليفة هذا التاج في المواكب العظام مكان العمامة .

ومنها (قضيب الملك) وهو عود طوله شبر ونصف ، ملبس بالذهب المرصع بالدر والجوهر ، يكون بيد الخليفة في المواكب العظام .

ومنها (السيف الخاص) الذي يحمل مع الخليفة في المواكب ..

وهكذا يسلسل الأشياء التي تكون في المواكب من بعضها مثل الدواة ، الرمح ، الدرقة ، المظلة ، الأعلام ..

هيئة الخليفة في قصره

ويوافينا القلقشندي في كتابه بما كان عليه حال الخليفة في منزله وأحوال خدمه وجواريه وما يكون عليه من زي وحراسة وما يصيحون به ليلا .

ومن ذلك ما يقوله عن الخليفة

« كان له ثياب يلبسها في الدور أنظفها على الصحف من أهم ثيابه التي يلبسها في المواكب ..

خزانة الكتب

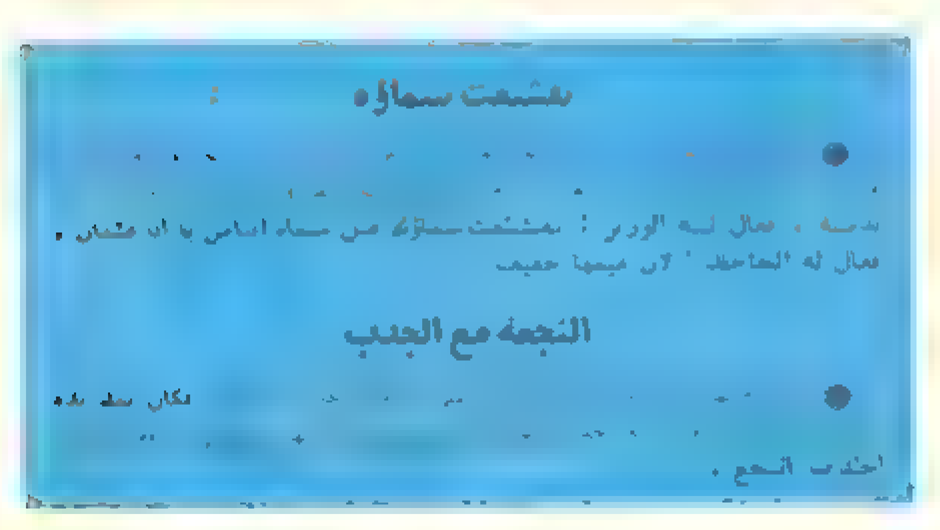
ويحدثنا القلقشندي عن خزانة الخليفة فيقول :

« وكانت من أجل الخزائن وأعظمها شأنا عندهم ، وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة عدة كثيرة . ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد ، مشتملة على أنواع العلوم مما يدهش الناظر ويحيره ..

وفاته

وقد توفي القلقشندي في سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) يوم السبت عاشر جمادى الآخرة وله من العمر خمس وستون سنة ■●

عبد الستار أحمد فراج





بقلم : الدكتور الياس بدر



■ [illegible] يقال ان الانسان قد بدأ انسانيته حين تطورت حياته من مرحلة القنص والصيد ، التي سادها القلق [illegible] واستقرارا وهي المرحلة التي دخل فيها نطاق الرعي والزراعة وما اقتضته من استئناس الحيوان وتربية الماشية للانتفاع من نتاجها .

وقد اعتمدت دراسة نشاط الانسان المبكر على مر العثور على الاكتشافات الاثرية والمخطوطات والوثائق المكتوبة ، ومن المعروف ان الانسان قد بدأ في تسجيل مخطوطاته قبل حوالي خمسة الاف او ستة الاف سنة مضت ، حيث بدأت الثورة الحضرية في المنطقة الواقعة حول نهر النيل والرافدين ونهر السند .

وقد سبق تطور الزراعة في ذلك الوقت تحول الانسان تدريجيا الى الزراعة حوالي سنة ٨٠٠٠ ق م [illegible] مناطق شمال اوروبا مغطاة بالثلوج والجليد لم يصل انسانها الى هذا المستوى الا حوالي ٣٠٠٠ سنة ق م .

الحضارات القديمة واستئناس الحيوان

وقد كانت الاراضي الممتدة ما بين وادي النيل ووادي السند ، وخصوصا مصر والاردن وفلسطين والعراق وبلاد فارس ، مهدا لتطور الحضارات ومن مخطوطات هذه الحضارات وما يماثلها توفرت بعض المعلومات عن تاريخ استئناس الحيوانات وهدف الانسان منها .

ويرى بعض علماء الآثار والاجناس ان هناك ثلاث مناطق رئيسية في العالم جرى فيها استئناس الحيوان ،



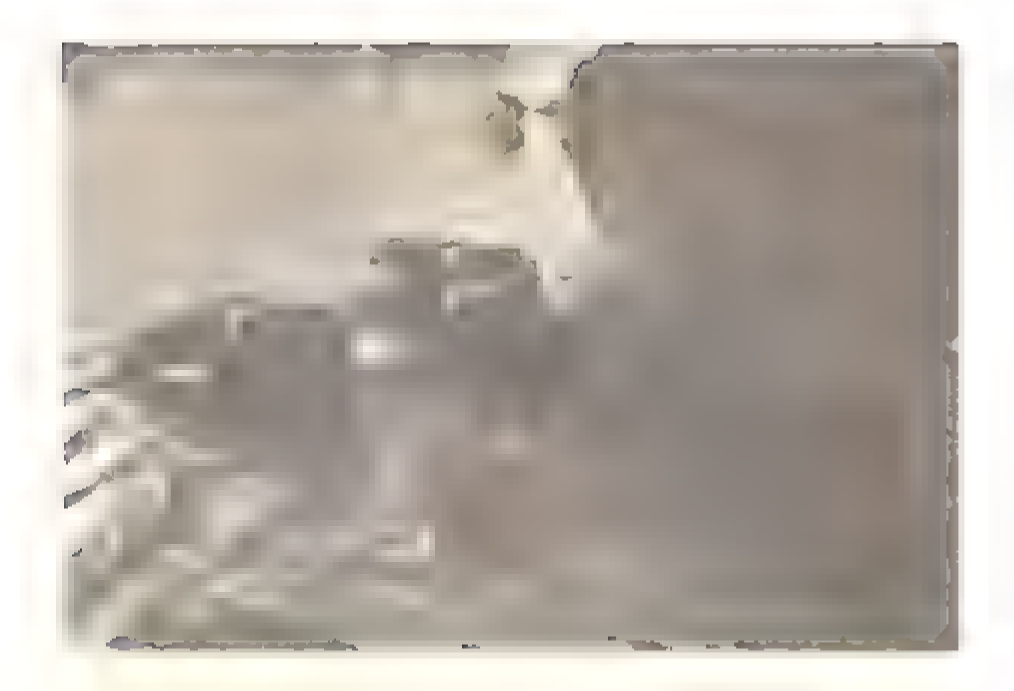
اولاها منطقة جنوب شرقي اسيا حيث جرى تأنيس البط والاوز والدجاج والكلاب والخنازير ، والثانية منطقة امريكا الجنوبية حيث استؤنست اللاما والالباكا وخنزير غينيا والديك الرومي ، وثالث هذه المناطق واهمها هي المنطقة الممتدة من ايران الى العراق والاردن وفلسطين ومصر ومناطق الشرق الادنى المجاورة حيث استؤنست الابقار والضأن والمعز والجمال وحيوانات الفصيلة الخيلية .

ويعتقد الكثير من العلماء ان الميل الفطري عند النساء والاطفال لتربية الحيوانات كان الحافز الاول الذي دفع الانسان لاستئناس الحيوان .

ويعتقد الكثير من العلماء ايضا ان الانسان اول ما بدأ ، بدأ باستئناس الحيوانات الصغيرة الرضيعة ، وقد لاحظ العالم الشهير دارون ان الانسان البدائي في عصره كان اكثر نجاحا في استئناس الحيوانات ، وقد اشار بعض العلماء ايضا الى ان نساء بعض القبائل البدائية في امريكا الاستوائية وجنوب شرق اسيا لا تزال نساؤها ترضع الخنازير الوليدة والجراء الرضيعة من لبنها عند الحاجة الضرورية ، وبالاضافة الى ميل الجنس اللطيف الى تربية الحيوانات والرأفة بها فان المعتقد ايضا ان الانسان اتجه الى ذلك لاغراض دينية وللاحتفالات والطقوس المقدسة وان المنفعة الاقتصادية من الاستئناس اتت نتيجة لذلك .

واذا رغب الانسان في وضع تعريف لاستئناس الحيوان فان ذلك سيكون ادراكه العلاقة المباشرة بالحيوان ، ويعرف بانها العملية التي يقوم او قام الانسان بها بالتدخل في تربية وتغذية الحيوانات البرية ووسائل رعايتها .

الحضارة	الحيوان	التاريخ	الغرض
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	الماعز	٣٠٠٠ ق.م	غذاء وكساء
	الضأن	٦٠٠٠ ق.م	غذاء وكساء
[illegible]	[illegible]		
	الجاموس	١٥٠٠ ق.م	غذاء وكساء
	الخنزير	٢٥٠٠ ق.م	غذاء وكساء
عصر حضارة البداوة	الحصان	[illegible]	[illegible]
	الجمل	١٨٠٠ ق.م	النقل والقتال
حضارات مصر القديمة	الماشية	٢٥٠٠ ق.م	غذاء
	القط	١٦٠٠ ق.م	مقدسة
	نسناس	١٥٠٠ ق.م	التسلية
	الإوز	١١٠٠ ق.م	غذاء [illegible]
	الحمام	١٢٠٠ ق.م	غذاء وبريد
	النحل	٦٠٠ ق.م	غذاء
حضارات الهند القديمة	الدجاج	١٠٠٠ ق.م	رياضة
	الطاووس	؟ ق.م	رياضة وزينة
حضارات اليونان القديمة	الدجاج الحبشي	٥٠٠ ق.م	غذاء
[illegible]	[illegible]		[illegible]
	دراج دجاج الوادي	٥٠٠ ق.م	الرياضة والغذاء
حضارات الصين القديمة	دودة القز	٢٠ ق.م	كساء
	البط	؟	غذاء
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	الخنزير الغيني	؟	غذاء
	الديك الرومي	؟	غذاء
[illegible]	[illegible]	٥٠٠ ب.م	[illegible]
	الأرنب	١٥٠٠ ب.م	غذاء
	الكناري	١٥٠٠ ب.م	زينة وهواية
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	الفأر	؟	هواية أبحاث [illegible]
	الهمستر	١٩٣١ ب.م	أبحاث طبية
	جربوع	١٩٥٠ ب.م	أبحاث طبية



كيف تستأنس الحيوان

بغض النظر عن المكان او الزمان فان المراحل التي مرت بها عملية استئناس الحيوان المختلفة يمكن عادة التمييز التالي :

١ ــ المرحلة الاولى

وهي مرحلة بين الترويض والاستئناس وفيها يسمح للحيوان بالاختلاط بمثل نوعه من الحيوانات البرية ومن امثلة لذلك ما يجري في الوقت الحاضر في بورما حيث تترك الفيلة المستأنسة للتزاوج مع فيلة الغاب ويسمح للحيوان المعروف بالايل بمثل هذا التزاوج في بعض المناطق الشمالية من الكرة الارضية .

٢ ــ المرحلة الثانية

وفيها ترعى الحيوانات في مكان محصور ويتم تزاوج وتوالد ضمن حدوده ، فتبعد انسالها عن مثيلاتها من الحيوانات البرية ، وهنا تظهر طلائع الاستئناس ، وتتطور الى سلالات محلية مختلفة من الابقار والماعز والخنازير وغيرها من الحيوانات.

٣ ــ المرحلة الثالثة

من اجل تحسين صفات الحيوانات المحصورة على الصفات المرغوبة من ناحية الحجم والتحسن وانتاج الحليب والصوف والجلود وكفاءة الحيوان على العمل ، تتبع طريقة الانتخاب عند تربية الحيوان . ونتيجة لذلك ظهرت تحسن نوع الحيوانات بسلالات معينة محسنة لها صفات خاصة وذات قيمة انتاجية عالية . وعند الوصول الى مثل هذه المرحلة يمنع من غير المرغوب تزاوج الحيوانات المحسنة مع اجدادها الحيوانات البرية لان مثل هذا التزاوج سيؤثر على الصفات المرغوبة التي اختارها الانسان

واذا امعنا النظر فيما تقدم يبدو لنا ان الماشية والطيور الداجنة التي نعرفها ونربيها حاليا لم تصل الى مستواها الانتاجي هذا الا بعد ان بذل الانسان القديم والحديث جهدا جبارا متواصلا في هذا السبيل ، سواء كان ذلك عن طريق الصدفة او نتيجة تخطيط مقصود .

وقد بدأ الانسان في استئناس الماشية ، ثم حيوانات النقل واهمها الخيول ، ثم تدرج الى الدواجن المختلفة . وفي العصور الوسطى قام باستئناس الارانب وسمك الشبوط والكناري وذلك تمشيا مع طموحه الدائم نحو حياة افضل وارفه . وفي العصر الحديث استؤنست حيوانات المختبر

تمشيا مع تطور العلم الحديث وليس من القريب او المستبعد ان يقوم الانسان باستئناس انواع اخرى في المستقبل للغايات مختلفة مما يدعونا الى المحافظة على كل نوع من انواع الحيوانات البرية الموجودة حاليا لاسباب عدة اخرى .

الحيوانات البرية واهميتها للانسان

وقد يتساءل البعض لماذا هذه الدعوة الى الاهتمام بالمحافظة على انواع الحيوانات البرية ، فنحن الآن في عصر الذرة وليس لنا الآن حاجة الى الحمام الزاجل مثلا ، ونحن نستطيع العيش برغد وسعادة بدون طيور البجع او غيرها من الطيور والحيوانات البرية .

ومع ان الانسان يستطيع العيش بسرور وهناء دون الحاجة الى هذه المخلوقات البرية الا ان هناك الكثير من الاسباب تدعونا للمحافظة على انواع الحيوانات والطيور البرية المختلفة ، فانها تضيف الى جمال وغنى الطبيعة فتهتم الانسان بها الى حد كبير .

ولا يخفى اثره زيارة حدائق الحيوان لمشاهدة محتوياتها من حيوانات وطيور ، ولا تقل الاعداد المتزاحمة من الناس التي تذهب لزيارة حدائق الحيوان الا ان الانسان لزوّاره مشاهدة محتوياتها سواء للراحة النفسية ام ترفيهية او تمتع بجمال الطبيعة وما عليها من مخلوقات .

ومن الطيور ما يساعد الانسان بطرق مباشرة في عملية مكافحة الحشرات الضارة ، التي تهدد انتاج المزارع وصداقة هذه الطيور للمزارع تدعونا للمحافظة عليها ورد الجميل . وقد يكون هناك سبب آخر يدعونا للمحافظة على الحيوانات البرية وهو ضرورة وجود هذه الحيوانات والطيور لاجراء الابحاث البيولوجية والابحاث العلمية والطبية الاخرى . واذا كان لكل نوع من الحيوانات موقع على هذه الارض فان اختفاء هذا النوع قد تكون له آثار يصعب التنبؤ بها .

الياس نصر
عمان/الاردن

فطنة

● حكي ان احد التجار تاهب للحج وبقي معه من ماله الف دينار لايحتاج اليها ، فمضى الى الصحراء . فرأى شجرة خروع فحفر تحتها ودفنها ولم يره احد .

ثم خرج الى الحج ، فعاد وحفر المكان فلم يجد شيئا ، فحزن كثيرا وجعل يبكي ويقول الارض سرقت مالي ! فقيل له لو قصدت عضد الدولة فان له فطنة ؟ فقال . او يعلم الغيب ؟ فقيل له لا باس بقصده . فقصده واخبره بقصته ، فجمع عضد الدولة الاطباء . وقال . هل داويتم هذه السنة احدا بعروق الخروع ؟ فقال احدهم انا داويت فلانا فقال . علي به فقال : هل تداويت هذه السنة بعروق الخروع ؟ قال : نعم فقال : اذهب بهذا معك الى المكان الذي اخذت منه . فذهبا الى تلك الشجرة . فقال التاجر هاهنا والله تركت مالي فرجع الى عضد الدولة فاخبره : فقال عضد الدولة هات المال فتلكأ فاوعده ، فاحضر المال .



في محراب الخشوع

شعر : الشيخ محمد رضا آل صادق

النجف الأشرف

■ ربي إليك أنبتُ فاغفر زلتي — وامنن بعفوك يا عظيم المنّة
كم أبعدتني عنك آثامي التي — كادت تسدّ عليّ باب الرحمة
من لي سواك وأنت غاية مطلبي — أنّى التفتُّ . فأنت تملأ مشرقي
سبحانك اللهم أنت هديتني .. — بالنور مبلجاً فزالت حيرتي !
ورضيت والإيمان يغمر خاطري — والنفس تمرح في ظلال البهجة

★★★

ربّاه كم من ليلة لم أنسها – — عبرت وقلبي في غمار الشقوة !
مكأنما آلت – وبالصبحها – — أن لا أشم شذى الهناء بوحدتي
حتى أراك وقد أفضت عليّ من — سبحات قدسك ما يبدد وحشتي
فأبيتُ أنسجُ الجمال قصيدةً — جذلى ترفّ بها طيوف النشوة !

★★★

ربّاه قد ودّعت أيّامَ الهوى — ونسيتها وسلوتُ وجهَ حبيبتي
ونسيتُ أحلامي العذابَ جميعَها — وأتيتُ محرابَ الخشوع بدمعتي ! ■

ثورة الكتاب

- كيف بدأ الكتاب
- كيف انتشر .
- كم ننتج منه الامم اليوم .
- وكم تنتج البلاد العربية .

جميله ، وان اعتمد هذا الجدول بعض الاخطاء المطبعية ، وبعض هذه الاخطاء شنيع ، ومثال ذلك ان مطبع صفحة ٢٩ ص ٢٨ .

وهذه الدراسة تكمل دراسة سابقة بعنوان « الكتاب في العالم » قام بها باركر ، امين جمعية الناشرين في بريطانيا ، ونشرتها اليونسكو عام ١٩ .

الكلمة تضيع ، اما الكتابة فتبقى

ان اقدم ما كشفت عنه الحفريات من كتابات يعود الى الوف السنين ، وهي كتابات كانت تنقش على الواح الطين الطري ، ثم تشوى بعد ذلك ، وهذه الالواح لا نعتبرها كتبا لانها تعوزها خاصية هامة من خواص الكتاب هي سهولة الاستعمال .

والارجح ان اقدم شكل للكتاب يعود الى الالف



تأليف : روبير اسكاربيت ESCARPIT
ترجمة : اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو
عرض : الدكتور محمود السمره

الاولى السابقة للميلاد ، حيث كان الانسان يكتب على اللحاء ، او الليف النباتي ، او النسيج . والكلمات الاوروبية التي تدل على الكتاب تعني في اصولها هذه المادة القديمة التي كانت تستعمل للكتابة ، ومثال ذلك ان كلمة Biblos اليونانية تعني اللحمة الداخلية لنوع من القصب ، وخاصة البردي ، وكلمة Liber اللاتينية تعني الطبقة الليفية الواقعة تحت لحاء الشجر . ومثل هذا كلمة Book الانكليزية ، و Buch الالمانية ، و Bok الفرنسية ، التي ترتد الى جذر لغوي واحد ، هندي اوروبي . والارجح ان كلمة Kniga الروسية قد انحدرت من الكلمة الصينية King ، التي يقصد بها الكتاب الكلاسيكي ، والتي كانت تعني في الاصل نسيج الحرير . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان الكلمتين الساميتين « كتب » و « سفر » لا علاقة لهما بمادة الكتابة ، كما هو الحال في اللغات الاوروبية .

واذا كان الانسان قد استطاع ان يقهر بالكتابة الزمان ، فانه بالكتاب قهر المكان ، حيث اصبح بالامكان نقله من مكان الى آخر .

المراحل التي مر بها الكتاب

كانت المرحلة الاولى من مراحل الكتاب هي لفة من اوراق البردي ملصقا بعضها ببعض ، وكان هذا اول شكل للكتاب جعله صالحا للتداول . وهذه الطريقة هي التي كانت شائعة في اثينا وروما في العصور القديمة (Volumen) وحول صناعة الكتاب هذه قامت حرفة جديدة هي نسخ الكتب ، وهي تشبه دور النشر في ايامنا هذه ، ثم الكتاب التي تبيع هذه الكتب . وقد كان ثمن هذه الكتب غاليا بحيث لم يكن يستطيع اقتناءها سوى هواتها من الاثرياء ، والادباء والمتعلمين الذين كانوا يعيشون في كنف امير او رجل مناصر للآداب والفنون . وكانت القراءة العامة ، اي ان يقوم

فرد بالقراءة على جمع من الناس يستمعون اليه ، هي الطريقة الشائعة . .

ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد بدأ الرق يأخذ مكان ورق البردي ، لانه ارخص ثمنا ، واكثر متانة . ومنذ بداية القرن الرابع الميلادي وحتى الالف عام التالية لها ، صارت المخطوطة من اوراق الرق هي الشائعة في العالم كله . ولقد وصلت الينا مخطوطات من القرون الوسطى هي تحف فنية مزخرفة بالالوان ، ومكتوبة بخط جميل وتباع في ايامنا هذه بمبالغ طائلة .

(منذ القرن الرابع عشر ، وبسبب النهضة الاوروبية ، وازدياد عدد القراء ، اصبحت الحاجة ماسة لابتكار طريقة جديدة تجعل انتشار الكتب المكتوبة بلغة رومانسية اكثر يسرا . وقد تم هذا باختراع المطبعة التي كانت عاملا حاسما في تاريخ الكتاب ، وساعدت صناعة الورق على تطوير المطبعة . وكان الورق معروفا في الصين منذ زمن بعيد ونقله العرب الى الشرق ومن طريقهم وصل الى ايطاليا في القرن الثاني عشر ، واستعمل في فرنسا وسويسرا منذ القرن الثالث عشر ، وعرفت ايطاليا صنعه منذ القرن الرابع عشر .

ولقد كان اكتشاف المطبعة من اهم الاكتشافات في تاريخ الحضارة الانسانية ، ولم يبد هذا الاكتشاف للطباعين الاوائل ليس سوى طريقة ميسرة لنسخ كتب بسرعة وبكلفة اقل بكثير من السابق ، لان نظرتهم كانت تجارية ، وما يهمهم هو مقدار ما يمكن ان يربحوا من هذه التجارة . ونظرتهم التجارية بادية ايضا في نوع الكتب التي اقبلوا على نشرها وهي الكتب التي يسهل بيعها : فهم لم يهتموا بالكتب الكلاسيكية القديمة ، بل اهتموا في طباعة الروايات ، وكتب النوادر ، والمؤلفات الدينية . . .

ولقد سجل الكتاب المطبوع نجاحا فاق تصور الاوائل ، وانتشرت المطبعة : فهي قد بدأت في مايانس في المانيا عام ١٤٥٠ ، وبلغت روما عام ١٤٦٤ وباريس عام ١٤٧٠ وبلنسية في اسبانيا عام ١٤٧٤ ولندن عام ١٤٧٦ . ورغم ان عدد سكان القارة الاوروبية كان يقل عن مائة مليون نسمة بين عامي ١٤٥٠ و ١٥٠٠ ، اكثرهم من الاميين ، الا ان عدد نسخ الكتب التي طبعت فيها خلال هذه المدة بلغ عشرين مليونا . وفي عام ١٥٣٠ وصلت المطبعة الى المكسيك عن طريق نائب الملك الاسباني انطونيو ده مندوزا .

انتاج المطبعة بقي محدودا حتى آخر القرن الثامن عشر

والملاحظ ان الكتب التي طبعت في بداية اكتشاف المطبعة لم يكن يزيد عدد نسخها عن بضع مئات ، ولم تتجاوز نسخ الكتاب الواحد الالف الا في اواسط القرن السابع عشر ، وبلغت الالفين والثلاثة الاف في القرن الثامن عشر وبقيت على هذا المعدل الى اخر القرن التاسع عشر . (ويعود هذا العدد المنخفض في النسخ الى سببين رئيسيين : اولهما ان المطبعة كانت تعمل باليد ، وثانيهما - وهو الاهم - ان الطباعين لم يكونوا يرغبون لبضاعتهم ان ينخفض سعرها في السوق بسبب كثرة الانتاج . ولقد بلغ من حرص الطباعين على تحديد عدد النسخ المطبوعة ، رغم ضغوط اصحاب المكتبات عليهم ، ان فرضت جمعياتهم تحديد عدد المطابع في البلدة الواحدة ، وتحديد عدد النسخ التي تطبع من الكتاب . وهكذا نرى انه رغم اكتشاف المطبعة ، الا ان شراء الكتب واقتناءها ، بقي ترفا لا يقدر عليه سوى افراد الطبقة الميسورة الحال) .

وانطلاقا من هذا نستطيع ان نقول ان الادب الاوروبي العظيم في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، الذي كانت المطبعة وسيلة نشره ، لم ينتشر الا في محيط اجتماعي محدود جدا .

ولقد كان عدد الاميين في انجلترا في القرن الثامن عشر ، اقل منه في اي بلد اوروبي آخر ، ولهذا لقي الكتاب فيها نجاحا يفوق ما لقيه في غيرها من البلاد . ورغم النجاح الكبير الذي لقيه الكتاب في بريطانيا فان عدد الكتب التي كانت تبيعها اشهر المكتبات في العالم لم يكن يزيد عن بضعة آلاف من النسخ . اما في فرنسا فقد كان عدد النسخ المطبوعة فيها اقل من انجلترا بكثير ، حتى انه يروى عن فولتير الساخر انه قال : « خمسون قارئا لكتاب رصين وخمسمائة لكتاب ظريف » . ورغم ان قوله هذا ليس سوى نكتة من نكات الكاتب الساخر ، الا ان له دلالته الواضحة ، وهي ان قراء الكتب كانوا طبقة من الارستقراطيين المثقفين.

وإذا كان كتاب « الكوميديا الإلهية » لدانتي (١٢٦٥ ـ ١٣٢١) قد استغرق أربعة قرون لينتشر في القارة الأوروبية ، فإن عشرين سنة كانت كافية لرواية دون كيشوته للكاتب الإسباني سرفانتس (١٥٤٧ ـ ١٦١٦) ، وخمسا لرواية « آلام فرتر » للكاتب الألماني جيته (١٧٤٩ ـ ١٨١٦) لكي يظفرا بمثل هذا الانتشار .

الجماهير تصبح المشترى الأول للكتاب

ولكن ازدياد عدد الذين يعرفون القراءة أخذ يضغط من أجل تطوير الأساليب التقنية في الطباعة وقد أدى الى زوال العهد الذي كان الكتاب فيه مقصورا على الطبقة الارستقراطية . وحدث هذا بين عامي ١٨٠٠ و ١٨٢٠ ، حين أدخل تحسين على الطباعة قلبها رأسا على عقب . من ذلك اختراع المطبعة المعدنية ، والمطبعة ذات الاسطوانات المتحركة ، والمطبعة ذات الدواسة ، والمطبعة الميكانيكية التجارية . وفي نهاية عصر نابليون كان بالإمكان أن يطبع في ساعة واحدة أكثر مما كان يطبع في يوم كامل قبل خمس عشرة سنة ، وكان هذا بداية للانتاج الغزير في عالم الكتب .

وقد بدأ هذا التطور في الطباعة في انجلترا ، لأن جل التحسينات التي ادخلت عليها انما تمت فيها . وبدأ الانتاج الغزير للكتب فيها لطباعة روايات سير والتر سكوت Scott ، ثم أخذ في التزايد حتى انه بيع من كتاب لبيرون Byron صدر عام ١٨١٤ عشرة آلاف نسخة ، يوم صدوره . ووصلت هذه التحسينات الطباعية الى فرنسا عام ١٨٣٠ ، وما حل عام ١٨٤٨ حتى كانت قد عمت بقية أوروبا وأمريكا .

وهكذا اصبحت الجماهير القارئة هي المشترى الأول للكتاب ، حتى ان الكتاب كان هو الذي كون التفكير الثوري في فرنسا عام ١٨٤٨ : ففي عهد الامبراطورية الثانية في فرنسا ، اشترك الناشر الجمهوري جول هتزل Hetzel مع مؤسس عصبة التعليم ، جان ماسيه Macé ، في جعل الكتاب الواسع الانتشار سلاحا قويا في خدمة الشعب .

ثورة الطباعة الحقيقية كانت في الصحافة

وقد بعث الثورة الحقيقية في عالم الطباعة في الصحافة ، التي هي وسيلة الاتصال بالجماهير ، والتي لا يمكن أن تنجح الا باختراع الطباعة الفائقة السرعة . وقد عرفت الصحافة البريطانية الرقم القياسي في توزيع الصحف في منتصف هذا القرن ، حيث بلغت النسبة ٦٠٠ نسخة من الصحف لكل ١٠٠٠ من السكان . وتلي في المرتبة التالية البلاد الاسكندينافية ، واستراليا ، ولوكسمبرغ (٤٠٠ لكل ١٠٠٠) ، ثم تليها نيوزيلندا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وبلجيكا (٣٠٠ لكل ١٠٠٠). أما المعدل المتفاوت بين ١٠٠ و ٢٠٠ لكل ١٠٠٠ من السكان فقد بلغته نحو عشرين دولة من الدول المتقدمة اقتصاديا وتقنيا ، وهي البلاد التي تتوزع فيما بينها بقية ورق الصحف المتداول في العالم.

وفي السنوات العشر الأخيرة اخذت هذه النسب تتقهقر في بعض البلدان بسبب منافسة السينما ، والاذاعة والتلفزة للصحف ؛ ومثال ذلك ان توزيع الصحف في بريطانيا انخفض عام ١٩٦٥ الى ٤٧٩ نسخة لكل الف ، وهبطت السويد الى الدرجة بمعدل ٥٠٥ نسخ لكل الف . وازداد التوزيع في اليابان فقفز من ٣٩٤ نسخة لكل الف في عام ١٩٥١ الى ٤٥١ لكل الف في عام ١٩٦١ ، وانخفض في الولايات المتحدة من ٣٤٢ الى ٣١٠ . ولا غرابة في أن تؤثر وسائل الاعلام في توزيع الصحف ؛ فكلفتها أقل ، وعرضها لقرائها أيسر وامتع ، واذا كان بامكان الفرد العادي أن يشاهد قصة في جو مريح ممتع لا جهد فيه ، وبكلفة أقل من ثمن الكتاب ، فلماذا يشترى الكتاب ؟

وظائف الكتاب

والكتب على نوعين : كتب تقتني لذاتها ، كالكثرة الساحقة من الكتب الموجودة على رفوف المكتبات الخاصة ، والتي ان قرئت مرة ، فانها لا تقرأ ثانية . وهنا يفرض السؤال التالي نفسه علينا : فيم تستعمل اذن ؟ وما الذي يحمل اصحابها على اقتنائها بعد ذلك ؟ والجواب عن هذا : ان مثل هذه الكتب انما يحتفظ بها اصحابها لانها سلعة يستثمر فيها المال ، اذا كانت من الكتب الثمينة النادرة ، أو لأنها عنصر من عناصر الزخرفة اذا كانت العائلة تملك من المال ما يمكنها من اقتناء بيت واسع فسيح ، أو لأن الكتب رمز للمقام

الاجتماعي ، اي ان في اساتها دلالة على الانتماء الى فئة اجتماعية معينة .

والنوع الثاني من الكتب هو الكتب التي تخدم لغايات محددة ، ويطلقون على هذا النوع من الكتب اسم « الكتاب الوظيفي » اي انه يقوم بوظيفة معينة ، ومن هذا النوع الكتب المدرسية على اختلاف مستوياتها . وقد كان الكتاب الوظيفي في عام ١٩٥٥ يمثل نحو ٧٥٪ من جميع العناوين المنشورة في العالم ، ثم زاد في عام ١٩٦٥ فاصبح نحو ٨٠٪ . والجدول المنشور باسفل الصفحة يمثل النسبة المئوية للكتب الوظيفية في عدد من بلاد العالم ، وهو ماخوذ من «الدليل الاحصائي السنوي لليونسكو ، عام ١٩٦٦ » .

والكتاب المدرسي هو الكتاب الوظيفي الذي تتوافر فيه معلومات دقيقة اكثر من غيره ، وهذه المعلومات تفيدنا ان نسبة الى الكتب الوظيفية الاخرى متفاوتة جدا من بلد الى آخر ، وهذا التفاوت يتوقف على درجة المركزية في نظام التعليم والسياسة العامة التي تجري عليها السلطات التعليمية في البلد . ومثال ذلك ان نسبة الكتب المدرسية الى مجموع عناوين الكتب الوظيفية بلغت في عام ١٩٦٦ نحو ٥ر٣٪ في جمهورية المانيا الاتحادية ، و ٧٪ في بريطانيا ، و ٢٢٪ في هولندا ، و [illegible] في [illegible]

انتاج الكتاب في العالم

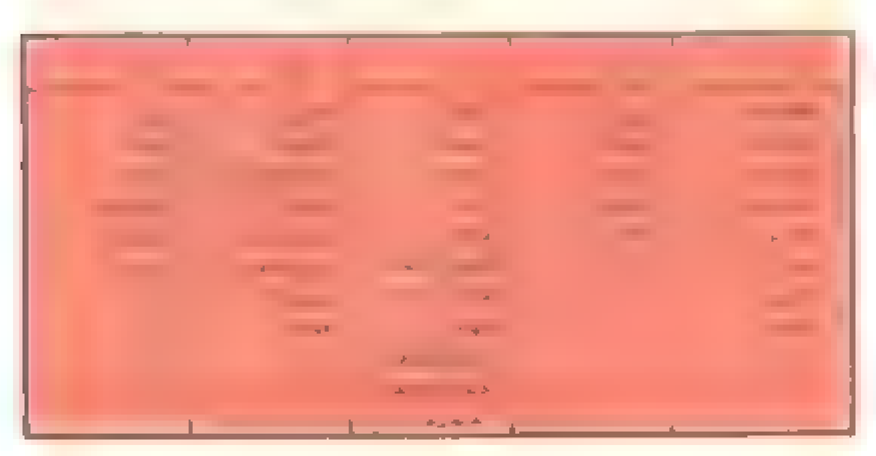
ان المشكلة الاولى التي تجابهنا عند البحث في انتاج الكتاب في العالم هي : ما هو الكتاب ؟ فبلدان العالم غير متفقة على مفهوم واحد له . فايطاليا مثلا ، تعرض ان الكتاب يجب ان يطبع منه [illegible] صفحة على الاقل ليسمى كتابا . [illegible] معظم البلدان الاخرى الكتاب تعريفا قائما على عدد صفحاته . اما بريطانيا فتتخذ سعره اساسا لاعتباره كتابا ام لا .

ووسط هذا الخلط في تعريف الكتاب ، تقدمت اليونسكو فوضعت تعريفا له ، وذلك في المؤتمر العام لليونسكو الذي انعقد في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٤ ، وهو « الكتاب نشرة مطبوعة غير دورية ، تشمل ٤٩ صفحة على الاقل ، ما عدا صفحات الغلاف . والكراس نشرة مطبوعة غير دورية تشمل ٥ صفحات على الاقل ، و ٤٨ صفحة على الاكثر ، ما عدا صفحات الغلاف » .

وعند استعراض عناوين الكتب الصادرة في البلدان المختلفة ، حسب الاحصائيات الواردة الى اليونسكو ، نستنتج ما يلي :

● ان الولايات المتحدة الامريكية تحذف من قوائم كتبها منشورات الحكومة الفدرالية والاطروحات الجامعية ، ثم اخذت في ضمها الى قوائم الكتب عام ١٩٦٥ .

● ان عناوين الكتب الصادرة في الاتحاد السوفيتي تشمل الانتاج المتراكم في ٩٢ لغة منها ٦١ لغة هي لغات شعوب الاتحاد السوفيتي ، و ٢٢ لغة اجنبية . ومعنى هذا ان الكتاب الواحد



مجموعة مرجعاً الى عدة لغات . واذا حذفنا العناوين المتكررة للكتاب الواحد في ترجماته المختلفة ، فان الانتاج الروسي يحتل ، مع هذا ، المنزلة الاولى في العالم .

● ان هناك في العالم ثلاثة بلدان هي عمالقة النشر في العالم وهي : الاتحاد السوفييتي ، والولايات المتحدة ، والصين الشعبية . ويليها اربعة بلدان يتعدى انتاج كل منها ٢٠ الف عنوان في العالم ، وهي : بريطانيا ، والمانيا الاتحادية ، واليابان وفرنسا . وتاتي بعدها ثلاثة بلدان يتعدى انتاج كل منها ١٠ آلاف عنوان ، وهي : اسبانيا ، والهند ، وهولندا . وتدنو منها اربعة اخرى هي : ايطاليا، وبولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا، ويوغسلافيا. وقد كانت هذه البلدان الاربعة عشر في عام ١٩٦٥ تنتج ٧٧٪ من الانتاج العالمي المقدر بنحو ٤٥٠ الف عنوان .

● ان الدول القوية اقتصاديا هي التي تتصدر قائمة الانتاج .

والقائمة التالية تعطي عدد عناوين الكتب الصادرة في بعض البلدان ، حسب الاحصائيات الرسمية الصادرة في عام ١٩٦٥ :

الجزائر	١٣١
مراكش	١٩١
تونس	٢٠٠
العراق	٢٦٨
لبنان	٣٧٣
سوريا	٤٥٨
ج . ع . م .	٣٣٥٥
اسرائيل	١٠٢٨
كندا	٣٧٨١
كوسا	٥٠٩
الولايات المتحدة	٢٨٥٩٥/٥٤٧٨

(يشمل الرقم الاول منشورات الحكومة الفدرالية والاطروحات الجامعية) .

الصين الشعبية	٥٠٠٠٠ (تقدير)
الصين الوطنية	١٨٦٧
قبرص	٨٣
اندونيسيا	٧٦١
إيران	٥٥٨٩
اليابان	٢٤٢٠٣
باكستان	٢٠٧٢
فرنسا	٢٦٣٥١
اليونان	١٣٢٠
بريطانيا	٢٦٣١٤
الاتحاد السوفييتي	٧٦١٠١

الكتل اللغوية

وهناك اربع لغات اوربية تتخطى حدودها الوطنية لتصبح لغات شعوب اخرى ، وهي : الانجليزية ، والالمانية ، والاسبانية ، والفرنسية ، وانتاج الكتب في هذه الكتل اللغوية بالنسبة الى الانتاج العالمي ، حسب احصاء عام ١٩٦٥ كما يلي :

	عدد العناوين	النسبة المئوية
الانتاج العالمي	٤٥٠٠٠٠	١٠٠٪
الكتلة الانجليزية	٩١٢١٧	٢٠ر٣٪
الكتلة الالمانية	٣٩٧٢٨	٨ر٨٪
الكتلة الاسبانية	٢٩٩١٩	٦ر٦٪
الكتلة الفرنسية	٢٤٩٩٦	٥ر٥٪
مجموع الكتل الاربع	١٨٥٨٦٠	٤١ر١٪

واذا اضفنا الى انتاج هذه الكتل الاربع ما تنتجه البلدان الاشتراكية الاوروبية ، والبلدان الاوروبية الاخرى ، واليابان ، كان مجموع الانتاج في هذه البلدان ٨٥ر٥٪ من الانتاج العالمي في عام ١٩٦٥ . ومعنى هذا ان بقية دول العالم (اي البلدان العربية والبلدان الآسيوية في الواقع) قد شهدت هبوطا في حصتها من الانتاج العالمي . فهي قد كانت عام ١٩٥٠ تنتج ٢٠٪ من الانتاج العالمي ، ثم اصبحت تنتج في عام ١٩٦٥ نحو ١٤ر٥٪ من الانتاج العالمي ومعنى هذا ايضا ان ٦٠٪ من سكان العالم ينتجون ١٤ر٥٪ فقط من الانتاج العالمي للكتب . وهذا ضرب جديد من الاستعمار يمكن ان نسميه الاستعمار الثقافي .

البلدان العربية

وعلى الرغم من النقص في الاحصائيات الواردة

من البلدان العربية ، الا اننا نستطيع ان نقدر ما انتجته من الكتب والكراريس بما يزيد قليلا عن ٥٠٠٠ عنوان في عام ١٩٦٦ ، يصدر نحو ٦٠٪ منها عن الجمهورية العربية المتحدة . وهذا الانتاج يمثل ١ر١٪ من الانتاج العالمي ، بينما يمثل سكان هذه البلدان ، الذين قدروا بنحو ١١٠ ملايين في الفترة ذاتها ، ٣ر٣٪ من سكان العالم . وليست هذه النسبة سيئة ، وبخاصة لان انتاج البلدان العربية في تقدم مستمر .

وتتضح الصورة اذا ذكرنا ان عدد سكان افريقيا يشكل ٩ر٧٪ من سكان العالم ، ومع هذا ينتج ١ر٢٪ من الكتب . والبلاد العربية ايضا احسن حالا من البلاد الآسيوية ، باستثناء اليابان : فبلاد آسيا تمثل ٥ر٥٥٪ من سكان العالم ، ولكنها لا تنتج سوى ٢ر١٣٪ من الكتب .

ان الكتاب كالخبز .

واذا كان اكتشاف الحبوب وصنع الخبز منها ، هو الانتصار الاكبر للانسان الاول على الجوع .

فان الكتاب هو خبز الروح ، وهو الانتصار الاكبر للانسان على الجهل والعبودية ■

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا :

مفاتيح الشرائع في فقه الامامية

ـ الجزء الاول ـ

تأليف : محسن الفيض الكاشاني .

تحقيق : عماد الدين الرسوي البحراني .

الناشر : مؤسسة الاعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان

● كتاب في الفقه الشيعي الامامي يحوي كتاب الطهارة والصلاة وهو مقسم الى اربعة ابواب . الباب الاول يدرس الصلوات اليومية والجمعة والنوافل ، والباب الثاني في مقدمات الصلاة وينقسم الى فصل في الوضوء والغسل والتيمم والنجاسات وازالتها والمياه واوقات الصلاة ومكان المصلي والقبلة .

ان الباب الثالث في افعال الصلاة والقول في الاذان والاقامة والقيام والنية وتكبيرة الاحرام . اما الباب الرابع فيدرس اللواحق وفيه القول في الجماعة والمنافيات والسهو والشك والقول في القراءات .

متخير الالفاظ

تصنيف : احمد بن فارس .

حققه وقدم له : هلال ناجي

الناشر : مطبعة المعارف ـ بغداد .

● كتاب من كتب تراثنا الخالد وهو معجم لغوي يجمع الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد مما يصح ان نطلق عليه بمعاجم المعاني او الكتب المبوبة . وقد رتب ابن فارس كتابه على ابواب المعاني وبلغ الكتاب مائة واربعة عشر بابا وقد تحدث ابن فارس في مقدمته عن منهجه في كتابه فقال : « ان الكلام ثلاثة اضرب ، ضرب يشترك فيه العلية والدون ، وذلك ادنى منازل القول ، وضرب هو الوحشي ، وكان طباع قوم فذهب استعماله بذهابهم وبين هذين الضربين ضرب لم ينزل نزول الاول ولا ارتفع ارتفاع الثاني ، وهو احسن الثلاثة في السماع ، والذها على الافواه ، وازينها في الخطابة والقريض ، وقد الفت كتابي على الطريقة المثلى ، والرتبة الوسطى ، وجعلت مفاتيح ابوابه الالفاظ المفردة السهلة وختمته بالالفاظ المركبة التي تجري مجرى الامثال والتشبيهات والمجازات والاستعارات » وقد عولت في اكثره على الفاظ الشعراء بعد التنقير عن المطارهم والتأمل لدواوينهم .

الاسلام والخلافة

تأليف : الدكتور علي حسني الخربوطلي
الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت لبنان

● دراسة علمية منهجية عن الاسلام والخلافة ، حيث تعتبر الخلافة ظاهرة فريدة في الدراسات الاسلامية والعربية ، ثم ان الكتاب دراسة للدول الكبرى الزاهرة التي شهدها العالم الاسلامي منذ ظهور الاسلام في الجزيرة العربية الى اوائل القرن العشرين الميلادي .

وقد جعل الكتاب الخلافة المحور الرئيسي لهذه الدراسة ، فقد كانت الخلافة هي النواة التي تكونت حولها هذه الدول المختلفة التي تتابعت على مر العصور وحيث كانت الخلافة سياسة حيوية هامة وظلت ثابتا ونظاما ضروريا في العالم الاسلامي طوال العصور التاريخية السالفة، ويدرس الكتاب قيام الدولة العربية الاسلامية واثر الاسلام في وحدة العرب القومية والسياسية والاجتماعية، ثم يتناول فلسفة الخلافة من جميع جوانبها ونظريات الاحزاب والفرق الاسلامية حولها ، كما يدرس تطور الخلافة ويتناول بالدراسة التفصيلية – على اساس علمي منهجي – مراحل الخلافة جميعها : خلافة الراشدين ، ثم الخلافة الاموية بالشام ، والخلافة العباسية ، والخلافة الفاطمية في المغرب ومصر ، والخلافة الاموية بالاندلس ، ثم احياء الخلافة العباسية بالقاهرة ، والخلافة العثمانية ، كما يقدم الكتاب دراسة عن خلافة السلاطين العثمانيين وسقوط خلافتهم في مطلع القرن العشرين .

بقايا القمران

تأليف : احمد محمد آل خليفة – البحرين

● مجموعة قصائد متنوعة .

رياحين

تأليف : محمد عبد الله صديق .
الناشر : دار لبنان للطباعة والنشر – بيروت – لبنان .

● مجموعة شعرية متنوعة .

العمارة العربية في مصر الاسلامية

تأليف : الدكتور فريد شافعي .
الناشر : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة .

● دراسة علمية تتناول العمارة العربية منذ الجاهلية حتى الفتح الفاطمي لمصر ، ويخصص هذه الدراسة لبحث العمارة الاسلامية في مصر كما يتناول دراسة العمارة العربية بصورة عامة .

ومنذ البداية يؤكد المؤلف فضل العرب واسهامهم الذي يستحق التقدير في توجيه الفنانين والمعماريين على اختلاف مشاربهم نحو هدف عربي خالص ، مما انتج لنا تلك التحف الرائعة من العمائر والفنون التي يجب ان تنسب الى الشعوب العربية ، فتصبح التسمية الواجبة هي العمارة والفنون العربية في العصر الاسلامي في العراق او الشام او مصر او في شمال افريقيا او الاندلس حتى يزول الابهام بنسبة الفضل في وضع اسس وتقاليد العمارة والفنون الاسلامية الى غير العرب اولا ، والى غير المسلمين ثانيا .

تطور التعليم الصناعي في العراق

تأليف : صالح عبد الله سرية .
الناشر : مطبعة دار الجاحظ – بغداد – العراق

● ان مصطلح التعليم الصناعي مصطلح واسع يعني جميع العمليات واوجه النشاطات التعليمية والتدريبية التي تعد الفرد للعمل الصناعي في جميع المستويات وبذلك فان التعليم الصناعي يشمل اعداد العمال عن طريق التدريب او التلمذة الصناعية واعداد العمال شبه الماهرين في المدارس الصناعية المتوسطة والتي تسمى المدارس الحرفية، ثم اعداد العمال الماهرين في المدارس الثانوية الفنية والتي تسمى في العراق ثانوية الصناعة ، واعداد الفنيين والمهندسين التطبيقيين ، ويشمل كذلك الفنون الصناعية ، والبحث بالتالي يشمل جميع انواع التعليم الصناعي في العراق مع التركيز على التعليم الفني . ولما كان التعليم الصناعي مرتبطا ارتباطا عضويا بالصناعة بحيث لا يمكن الفصل بينهما لذلك اصبح من الضروري ان يضم البحث واقع الصناعة في العراق واتجاهات نموها وعلاقة ذلك بالتعليم الصناعي .

اللُّغَةُ الفَارِسِيَّة

وَصِلَتُها بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِه

بقلم : الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي

■ يقترن فتح العرب لإيران في القرن السابع الميلادي بوجود اللغة البهلوية كلغة رسمية وإدارية وأدبية في الدولة الساسانية (٢٢٦ – ٦٥٢ ميلادية) ، وبالقضاء على هذه الدولة بدأ سلطان اللغة البهلوية يضمحل ويأخذ في الأفول في مواجهة اللغة العربية ، لغة الفاتحين الجدد ، الذين كان هدفهم نشر الإسلام وتحطيم معابد الشرك والضلال . وإن كانت اللغة البهلوية لم تمح تماما بمجرد تسلط العرب المسلمين ، والدليل على ذلك ، معظم المؤلفات البهلوية التي وصلت إلى أيدينا من نتاج العصر الإسلامي ، ووجود الكثير من الفرس في القرنين الثالث والرابع الهجريين يجيدون هذه اللغة وقد نشطت على أيديهم حركة النقل والترجمة من البهلوية إلى العربية .

ومما هو جدير بالذكر ، أن غلبة العرب على الفرس ودخولهم إلى إيران كان قرين شيئين اثنين هامين وردا معهم إلى هذه البلاد ، أحدهما هو الدين الإسلامي الحنيف ، والثاني هو اللغة العربية ، فقد كان العرب الفاتحون بصفة عامة يجاهدون لنشر الدين الإسلامي ، ويسعون أيضا لنشر اللغة العربية وذلك بواسطة القبائل العربية المهاجرة من الجزيرة العربية إلى المناطق المفتوحة ومنها إيران . وقد دخل الإيرانيون في الدين الإسلامي وأقبلوا عليه ، وبالتالي أقبلوا على دراسة اللغة العربية ، حتى يفهموا الدين الجديد ويستطيعوا مخالطة الحكام الجدد ، فوجدوا في الإسلام واللغة العربية قوة جديدة دفعتهم إلى الاجتهاد في الدين والإقبال على اللغة العربية . وكان الإيراني المتعلم ولا يزال حتى وقتنا الحاضر يميل إلى التحرير باللغة العربية .

ويؤيد الثعالبي النيسابوري جانبا من هذه الصورة في كتابه « فقه اللغة وسر العربية » بقوله : « إن اللغة العربية نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم . ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان اعتقد أن العربية خير اللغات والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي مفتاح التفقه في الدين وأداة العلم وسبب إصلاح المعاش والمعاد ، ولو لم يكن التبحر فيها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وإثبات النبوة لكفى بهما فضلا . على حين نرى في مقابل ذلك أن إيران لم تهمل لغتها الفارسية بالمرة ، فقد كانت متداولة بين الشعب الإيراني .

كلمات عربية دخلت اللغة الفارسية

وقد دخلت إليها كلمات ومفردات ومصطلحات عربية على شكلين :

الأول : المفردات العربية الأكثر سهولة من الكلمات الإيرانية القديمة الصعبة النطق أو الكلمات البسيطة التي تروج بسهولة وتعاصر مقابلها الفارسي .

الثاني : مفردات عربية ليس لها مماثل أو مقابل في اللهجات الإيرانية وعادة ما تكون كلمة إسلامية جديدة أو ادارية وردت مع العرب الفاتحين .

ومن أمثلة الكلمات التي لم تكن في اللغة البهلوية ووجدت طريقها الى اللغة الفارسية ، الكلمات الإسلامية الخالصة التالية : « زكاة ـ حج ـ مسلم كافر ـ جهاد ـ منافق ـ فاسد ـ خبيث ـ آية ـ قرآن ـ القبلة ـ سنة ـ طفل ـ قبلة ـ منارة ـ مئذنة ـ أذان ـ شيطان ـ يأجوج ـ مأجوج ـ منكر ـ نكير ـ حشر ـ نشر ـ واجب ـ حلال حرام ـ مباح ـ سيرة ـ عدة ـ صواب ـ غلط ـ خطأ ـ وسوسة ـ نصيحة ـ طبيعة ـ كعبة ـ نبأ ـ نبي ـ حج ـ قبر ـ ركوع ـ سجود ـ صدقة ـ عزرائيل ـ اسرافيل ـ جبريل ـ عرش ـ كرسي ـ لوح ـ أزل ـ أبد وغيرها .

ومن الكلمات الادارية التي راجت في ايران بعد الإسلام ودخلت اللغة الفارسية ، الكلمات التالية .

« الشهور العربية وأيام الأسبوع ـ حرب ـ قلة ـ سلطان ـ حرس ـ شرطة ـ محتسب ـ احتساب ـ الأمر والنهي ـ أمير ـ طلقة ـ رعية ـ صحيفة ـ كاتب ـ كتاب ـ رسول ـ اشراف ـ اشراف ـ دولة ـ شرط ـ جزاء ـ حبس ـ خادم ـ خدمة ـ غلام ـ عصيان ـ طغيان ـ خوارج ـ امام ـ غلو ـ مسلط ـ صلح ـ خلافة ـ خليفة ـ راية ـ هدنة ـ قرار ـ هزيمة ـ سبب ـ عامل ـ حاكم ـ بيعة ـ خلف سلف ـ نسب ـ حسب ـ خطبة ـ خطاب ـ حساب ـ مدح ـ ذم ـ مديح ـ هجاء ـ قصيدة ـ غزل قافية وغيرها من الكلمات العربية .

اللغة الفارسية الدرية

وكان من نتائج هذا الاختلاط بين اللغتين الفارسية والعربية ، أن نتجت لغة جديدة في ظل الظروف الجديدة ، ولم يمض قرنان من الزمان على فتح العرب لإيران حتى صارت اللغة المتداولة فيها ليست تلك اللغة البهلوية التي كانت سائدة قبل ذلك ، بل لغة جديدة اسلامية ، نبعت من لهجة في شرق ايران تختلف اختلافا تاما عن اللغة البهلوية ، تكتب من اليمين الى اليسار ، بحروف عربية مضاف اليها عدة حروف ليصبح عدد حروفها ثلاثة وثلاثين حرفا ، والتي تعرف باللغة الفارسية الدرية أو اللغة الفارسية .

واللغة الدرية هذه ، هي تلك اللغة التي بدأت تنمو وتزدهر في العصر الإسلامي . ونظرا لكونها من الجهات الشرقية والشمالية الشرقية لإيران أي خراسان القديمة ، فانه عندما نشأت الدويلات الإيرانية شبه المستقلة في خراسان ، وكانوا بالطبع يحاولون الحصول على مزيد من الاستقلال ويتقربون الى الشعب الذي يحكمونه ويخاطبونه بنفس لغته ولهجته التي يفهمها ، غير ميلهم الى لغتهم الأصلية ، وهكذا أصبحت اللغة الدرية اللغة الرسمية والأدبية لإيران منذ القرن الثالث الهجري حتى وقتنا هذا .

تطور اللغة الفارسية في مراحل خمس

ويمكننا تقسيم نفوذ اللغة العربية في اللغة الفارسية الى خمس مراحل متباينة على النحو التالي :

١ ـ من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع الهجري .

٢ ـ من القرن الرابع حتى النصف الأول من القرن الخامس .

٣ ـ من النصف الثاني من القرن الخامس حتى النصف الأول من القرن السابع .

٤ ـ من القرن السابع حتى القرن الثاني عشر .

٥ ـ من القرن الثاني عشر حتى وقتنا الحالي .

واذا كنا قد تحدثنا عن مرحلة تكوين اللغة الفارسية الدرية وكيفية نفوذ الكلمات العربية الى اللهجات الإيرانية المختلفة ، والتي تعتبر المرحلة الأولى وننتقل الى المرحلة التالية ، تلك التي تشمل القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجري ، نجد مزيجا من اختلاط اللغة الفارسية الدرية واللغة العربية ، فنراها تقبل قدرا كبيرا من المصطلحات العلمية والأدبية والدينية والسياسية ، ونلاحظ أن الكلمات العربية وردت في اللغة العلمية أكثر من الكلمات العربية التي وردت في اللغة الأدبية ، وأنها في النثر أكثر منها في الشعر ، لأن النثر العلمي قائم على المصطلحات العربية ، أما النثر الأدبي فوسط بين النثر العلمي والشعر ، كما أن الشعر الفارسي سار هو الآخر على نمط الشعر العربي في أوزانه وبحوره وقوافيه ، أما قواعد اللغة

الفارسية فقد سارت في طريق مهده الشعر العربي يستمد منه قوته وبراعته وينهج نهجه لا يحيد عنه قيد أنملة .

وإذا انتقلنا الى المرحلة الثالثة من حيث نفوذ الكلمات والمصطلحات العربية ، فهذه المرحلة التي تشمل النصف الثاني من القرن الخامس حتى النصف الأول من القرن السابع الهجري ، نجد ان هذه الفترة تمتاز عن سابقتيها بصفات وميزات عديدة ، منها ان اللغة الفارسية تخطت محيطها المحدود في المرحلة الثانية وراجت في العراق وأذربيجان وسائر ولايات ايران الغربية والجنوبية ، وهي مناطق مجاورة لعاصمة الخلافة وبسطت فيها اللغة العربية نفوذها كما وكانت تطغى على لهجاتها المحلية ، فامتازت اللغة الفارسية وانبعاثها باختلاطها باللغة العربية وامتزاجها بها حتى اصبح القاموس العربي داخل الثروة اللغوية الفارسية ، وذلك حتى حملة المغول على ايران ودخولهم بغداد وتحطيمهم الخلافة العباسية سنة ٦٥٦ هجرية .

ولا شك ان هناك دواعي واسبابا اساسية جوهرية ادت الى هذا الاختلاط والتسلط من جانب اللغة العربية ، فقد كان اغلب الشعراء والكتاب في ذلك الوقت يدرسون في مدارس نظامية ، تقوم اساسا على تدريس اللغة العربية فقد كانت تدرس فيها العلوم اللغوية والشرعية والادبية ، لهذا السبب فان التعليم والتأديب في هذه الفترة ، وحتى بين موظفي الدولة ورجال البلاط في مختلف مراكز الحكم في ايران ومن يعتبرون بالتالي اصحاب النفوذ والسلطان ، كانت معلوماتهم ودراساتهم تعتمد اساسا على اللغة العربية ، التي كانت بدورها تؤثر على نتاجهم الشعري ومؤلفاتهم النثرية . وقد افرط البعض منهم في هذه الاستفادة فاضافوا الى اللغة الفارسية قدرا كبيرا من المفردات والتراكيب والتعبيرات العربية ، والاكثر من ذلك ان دواوين الاشعار الفارسية لا تخلو من اشعار عربية ، كنوع من الدلالة على معرفة اصحابها باللغة العربية . وأصبحت الضرورة ايضا الا يبرز في اللغة الفارسية الا من كان على نصيب كبير من معرفة اللغة العربية .

فارسيون من أصحاب اللسانين

وهذا دعى أن يكون كبار الشعراء الايرانيين امثال منوچهري الدامغاني والخيام النيشابوري وناصر خسرو والخاقاني الشرواني وفريد الدين العطار والشيخ الاجل سعدي الشيرازي ومولانا جلال الدين الرومي البلخي وشاعر الغزل حافظ الشيرازي وغير هؤلاء من الشعراء المتقدمين والمتأخرين بالطبيعة من اصحاب اللسانين ، اي اولئك الذين انشدوا الشعر باللغتين العربية والفارسية واطلقوا اللسانين العربي والفارسي اداة التعبير والانشاد وتميزهم عن غيرهم بالقدرة على استعمال اللغتين والاجادة باللسانين .

وكانت الشروط التي يجب ان تتوفر في الكاتب او الاديب او الشاعر الايراني ، هي المامه باللغة العربية ومعرفته بالفنون الادبية العربية ابتداء من المعلقات السبع الى كتب السيرة والادب والفلسفة ودواوين الشعراء حتى عصره ، بل كان يشترط عليه حفظ جزء منها . وكان هذا الامر سببا جديدا لزيادة المعرفة والاطلاع والتعمق في اللغة العربية من جانب الايرانيين ، وبالتالي وجدت كثير من التراكيب والتعبيرات والمفردات العربية في اللغة الفارسية وضمها في النهاية من كثرة الاستعمال الى المعجم الفارسي . وقد ذكر ذلك صراحة احمد بن علي النظامي العروضي السمرقندي في كتابه « جهار مقاله » (المقالات الاربعة) حيث يذكر في المقالتين الاولى والثانية المتعلقتين بالكتابة والكتاب والشعر والشعراء ، الشروط الواجب توافرها في الكاتب والشاعر على نحو ما ذكرنا .

وطبقا لما ورد في كتاب « جهار مقاله » للنظامي العروضي السمرقندي ، نجد ان اللغة الشعرية كانت تحتاج الى كلمات عربية لاظهار الافكار والمعاني الشعرية الجيدة وايراد الاقوال السليمة المنمقة مما يضطر الشاعر الى استعمال قدر كبير من الكلمات العربية ، ومن ناحية اخرى كان لاقبال الايرانيين على الدين الاسلامي الحنيف وتأثيره العميق فيهم ان جعلهم يتعلقون بالتالي باللغة العربية التي اكتسبت إزاءها ناحية نفوذ كبير وسيطرة روحية هامة شملت كبار القوم وعوامهم سواء بسواء .

الأشعار تربط بين اللغتين

ولا شك أن وجود العنصر العربي في اللغة

الفارسية العربية جيل الإيرانيين – حتى يومنا هذا – يعنون باللغة العربية ويعنون بها ويخرجون لنا نتاجا ادبيا وشعريا بل وابحاثا في اللغة العربية ذاتها ، وستستمر هذه العلاقة اللغوية القائمة ما قدر للغة الفارسية ان تبقى لغة ادب وبيان ، فقد ربطت الأقدار بين هاتين اللغتين برباط محكم لا تنفصم عراه ، واصبح لزاما على دارس اللغة الفارسية ان يتفهم اللغة العربية وان يرجع الى قواعدها في النحو والاشتقاق بل وبلاغتها وعروضها وبحورها وقوافيها لدرجة لن يستطيع ايراني اديب او شاعر ان يتباهى بالمعرفة بلغته الفارسية ما لم يتوفر لدراسة هذا الشعر العربي الذي استوطن لغته ووصلت نسبته في بعض كتاباتهم القديمة والعصرية الى حدود السبعين في المائة ، والشكل احيانا والزيد في معظم الاحايين حتى لتبدو الكلمات كلها تكون عربية مركبة على قواعد النحو الفارسي ولا يزيد عليها سوى بعض الحروف الفارسية لربطها ببعضها وكذلك لعل طرسيل نهاية الجملة .

ولذلك نجد ، على مر العصور ، جيلا من الإيرانيين يعنى باللغة العربية عناية شديدة ويشارك بنتاجه الأدبي والفكري وابحاثه العلمية فيها بمثل ما يبلغه الناطقون على هذه اللغة في مختلف البلاد والأقطار حتى اتخذ موطنا للغة العربية شأنها في ذلك شأن مختلف البلاد الناطقة بهذه اللغة . لدرجة ان كبار الأدباء العرب هم من ابناء الفرس ، فقد درسوا اللغة العربية وتفوقوا فيها كابن المقفع ، وسهل ابن هارون ، والفضل بن سهل ، والصاحب بن عباد ، وموسى بن سيار الذي يذكره الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » انه كان فصيحا من اعاجيب الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، حتى انه كان يجلس للقصص والعرب عن يمينه والفرس عن يساره ، فيقرا الآية من كتاب الله ، ويفسرها للعرب بالعربية ثم يفسرها للفرس بالفارسية ، فلا يدرى باي لسان هو أبين . وكان ابو مسلم الخراساني يحفظ كثيرا من الشعر العربي ، وكان ابو سلمة الخلال عالما بالشعر والأخبار والجدل ، وكان البرامكة على درجة عالية من البلاغة وكثيرا ما نجحوا بين جنسهم على اجادة اللغة العربية والتفوق فيها لتولي الوظائف الكبيرة في دولة بني العباس .

في عصر النهضة الأوروبية الحديثة

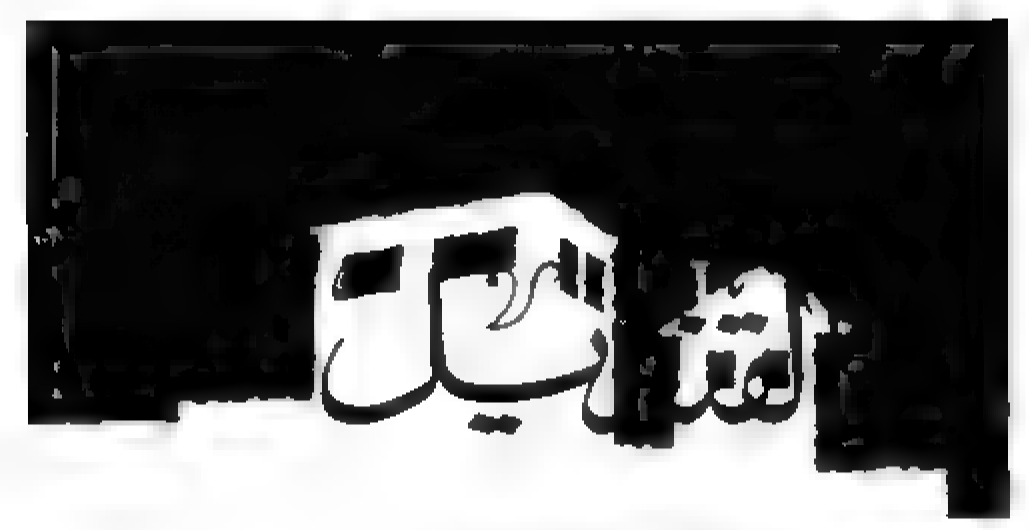
وسارت اللغة الفارسية على هذا المنوال والنهج في المرحلتين الرابعة والخامسة ، الى ان جاء العصر القاجاري ، الذي كان قرين عصر النهضة الأوروبية الحديثة واختلاط الغرب بالشرق والاتجاه نحو الغرب لتقدمه وتفوقه في العلوم والمدنية وارسال البعثات التعليمية الى اوروبا ، فوردت المصطلحات العلمية الحديثة والأفكار الغربية الجديدة واتجهت الأنظار الى الغرب وانشغل الشرق ابناؤه وتعلقوا بالجديد ، حضارة ولغة وعلما ، وحلت اللغة الفارسية محل اللغة العربية في التدريس والتحصيل لتغير اسلوب الدراسة والمنهج العلمي وكانت الترجمات من اللغات الأوروبية الى اللغة الفارسية رأسا فاهتز مركز اللغة العربية بعد ان كانت اللغة العلمية التي تدرس بها العلوم في المدارس القديمة وبطريقة معاصرة حيث كانت الكتب الأساسية الدراسية عادة باللغة العربية .

المجمع اللغوي الايراني

وكان لتأسيس المجمع اللغوي الايراني « فرهنكستان ايران » منذ خمسة وثلاثين عاما تقريبا ، واتجاه بعض المجامع اللغوية الخاصة وبعض الكتاب ايضا الى تخليص اللغة الفارسية مما دخلها من الكلمات العربية والهندية والتركية ، الذين عملوا جاهدين على تخليصها مما اسموه بالنفوذ الأجنبي والتحرر من السيطرة العربية الأدبية واللغوية ، اثر ظاهر في اللغة الفارسية الحديثة .

ولا تزال اللغة الفارسية تعتمد اعتمادا كليا على اللغة العربية والتي لا تزال ايضا اللغة الواجب دراستها وان لم يوجد من يحميها في ايران حاليا لإتجهت حاليا في ظل تسلط اللغات الأوروبية وظهور تيارات سياسية تناوئ العرب كشعب واللغة العربية كهدف . ولا تزال اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم والدين الاسلامي الحنيف ، التي عاشت في ايران قرابة اربعة عشر قرنا ، الايرانيون فتحمسوا لها وتكفلوا تطويرها وتكوين الحضارة الاسلامية بمختلف الوانها وموضوعاتها الجديدة المتشعبة ، منتشرة وصامدة ملؤها روحي وسلطان ادبي ما اعتز اللغة الفارسية الحالية البقاء .

عبد السلام عبد العزيز فهمي
دكتوراه في الآداب من جامعة طهران



قصة للكاتب الامريكي ارسكين كالدويل

■ اجتازت عصبة الصبية اليافعة الطريق في بكور شتية باردة هاربة من اطراف الطريق ، وراكضين الى المنعطفات الرئيسية لا تلاحقهم الا صيحاتهم من الصباح يتجولون في الازقة المحفوفة بالبيوت ، تاركين مسافة محترمة بينهم وبين رجال الشرطة ، محتفلين بانتصاراتهم في مباراة كرة القدم . وما ان بلغت هذه العصبة دار السيدة ويلكينز حتى توقف افرادها واطلقوا سيلاً من حجارة على كوخها الصغير في المنحدر المؤلف من طابق واحد .

خطت السيدة ويلكينز العجوز المتعبة الى الباب ، وتحاملت على نفسها لتسرق النظر الى الخارج . ورأتها الصبيان يطلقون الضحكة ثم ابتعدوا احدهم صاح في صوت خشن مناديا اسم شارلي باعلى ما وهب له الله من قوة .

رجعت السيدة ويلكينز راجعة الى غرفتها ، والتقطت قنديلها الذي تحتفظ به مشعلا ابدا الى جانب النافذة ، وحملته الى الساحة المعتمة امام الباب ، واخذت تبحث عن شارلي في الاوجه المصبوغة بالخطر ، والصبيان يراقبونها عن بعد . ورفعت القنديل فوق راسها بحيث تتمكن من رؤية الطريق التي تطل عليها دون ان تتعثر او تقع ... وبعد ان انتظرت لبرهة طالت كل التعب ارتفعت صيحتها تستجدي اقل صوت يمكن ان يصل الى اذنيها ، ثم صاحت باسم واحد عدة مرات :

— شارلي . آه ، يا شارلي . اين انت ، يا ولدي شارلي ! .

ارتعشت فتيلة القنديل قليلا حينما داعبتها هبة مفاجئة من ريح عبرت ساحة الدار ، ومع دخان بلورة القنديل ضوءها . كان الصبيان في هذه الاثناء قد عبروا الطريق مبتعدين عن مرمى الرؤية والسمع . واخذت به السيدة ويلكينز ترتعش وترتجف ، فرفعت بصرها الى القنديل فوق راسها في اللحظة التي امسكت بها البلورة بيدها الاخرى لتمنعها من السقوط والتحطم على الارض.

فتشت الساحة الخلفية في عتمة ظالمة ، ثم رجعت وبحثت في الساحة الامامية من جديد ، وانتهت بالحقل القريب وذلك طوال نصف ساعة . ورجعت ادراجها اخيرا بعد ان وصلت في سيرها الى الطريق العامة ، ودخلت منزلها واغلقت الباب ، ووضعت القنديل على الطاولة قرب النافذة . نظفت بلورة القنديل المسودة ، وتهاوت على مقعدها ، وشعرت من وضع شالها الصوفي حول كتفيها ، ثم راحت تسحب نفسها قليلا ، متوقفة بين برهة واخرى مرهفة سمعها لأي صوت يمكن ان تلتقطه اذناها ، راجية ابصارها عن النافذة على امل ودرجة .

منذ حاول الجيران جيئاً طوال سنوات ان تسعى اقناعها بالقبول طريقة محكمة ان شارلي ويلكينز لن



بالذهاب الى العمل . لكن لا ! ان شارلي وعدها ، وهي واثقة انه سيعود عاجلا ام آجلا . ولم يستطع انسان واحد من الجيران اقناعها بعكس ذلك .

كان احد الجيران قد صارحها من جديد منذ اسبوع واحد تقريبا قائلا :

— لقد ذهب شارلي ضحية حادث ، يا سيدة ويلكنز . وسوف لن يعود الى البيت على الاطلاق .

اجابت السيدة ويلكنز بأنها غير مقتنعة ابدا . انها لا تستطيع ان تصدق اي شيء يقوله لها الجيران . ان شارلي هو الشيء الوحيد الذي امتلكته في العالم منذ ان اطل على الوجود ، وسوف يظل حيا طالما انه وعدها .

لقد غادر شارلي ويلكنز الدار منذ احد عشر عاما منتقلا الى مدينة اكرون حيث وجد عملا في مصنع المطاط هناك . وقد تلقى مدير البوليس بعد خمس من رحيله رسالة من اكرون تقول ان شارلي ويلكنز سقط في حوض كيمياوي فانحل وتحول

جسده قبل العثور عليه وانتشاله من الحوض . ولم يبق من جسده شيء يدل الى والدته ، فصعب على هذه الوالدة ان تصدق خبر وفاته او تؤمن بها .

كانت تغضب كل من يحاول ان يؤكد لها ان ابنها لن يعود ثانية :

— كان شارلي في العشرين من عمره حين غادر البيت ، واذا رجع الليلة فسوف يكون في الحادية والثلاثين . فسوف يكون رجلا متين البنية ، شعره اسود اللون ، وعيناه زرقاوان ، مثلما كان ابوه والده . حينما انطلق شارلي للعمل في اكرون لم يكن قد اكتمل نموا بعد ، لكنه عندما يرجع الى البيت فسوف يكون قويا كبيرا مثلما كان والده في مثل هذه السن . وسوف اعرف ولدي شارلي عندما يرجع الى البيت لزيارتي حتى ولو تغيرت هيئته . وهو لن يتبدل كثيرا بحيث لا اعرفه .

جلست في مقعدها قرب النافذة ، طاوية يديها في حضنها ، مرهفة سمعها ، مترقبة منتظرة . وبين

حين وحين تلقي عينيها لحظات ، ولكنها لا تلبث ان تمد بصرها من النافذة الى قلب الليل ، خائفة من ان يستولي النعاس على جفنيها .

خاطبت نفسها قائلة :

— سوف لن ينسى والدي ان يعود لزيارتي . ولو جاء الناس جميعا في هذا العالم واخبروني انه لن يعود الى البيت لن اصدق كلمة واحدة مما يعرفون . لقد عاهدني شارلي على المجيء لزيارتي في اقرب فرصة تمكنه من ترك العمل . وشارلي لم يكذب على طوال عمره ، حتى يوم كان صغيرا يتراكض في الساحة محاولا اصطياد العصافير الدورية بملعقة الملح ، ولانني عندما كنت اسأله ما الذا فعل كذا وكيت كان دائما يخبرني الحقيقة ويتطلع باستقامة في عيني وهو يقول ذلك . لقد كان شارلي دائما ولدا صادقا .

دقت الساعة المعلقة فوق المدفأة معلنة العاشرة . فرحت السيدة ويلكنز اليها وادارت رأسها بحيث تستطيع النظر من النافذة . ان الوقت لم يتأخر بعد بالنسبة اليها ، فقد اعتادت ان تبقى مستيقظة الى ما بعد الحادية عشرة ليلا ، واحيانا الى ما بعد منتصف الليل ، مترقبة منتظرة .

وجاءت سيارة على طول الطريق ، فانتصبت السيدة ويلكنز في جلستها وهي تصيخ السمع الى صرير عجلاتها . لكن السيارة لم تقف امام الباب ، بل تجاوزته متابعة طريقها .

قالت تخاطب نفسها :

— لسوف يعود شارلي الى البيت . لسوف يعود في سيارة او يعود سيرا على قدميه . لقد وعدني ان يعود ، وسوف يعود بطريقة او اخرى . انا لا اعرف لماذا يحاول الناس دائما اقناعي انه لن يعود لزيارتي .

وانتصبت في جلستها فجأة معتمدة على ذراعي كرسيها عندما خيل اليها انها سمعت صوتا . ان الصوت يشبه ذلك الصوت الذي يحدثه كرسيها احيانا ، ولكنه صور لها انه يصدر من خارج المنزل — انه اشبه بصرير بوابة الساحة الامامية .

وانهال قرع على الباب قبل ان تتمكن السيدة ويلكنز من ادراك ماهية الصوت ، فضمت يديها بقوة . انها لا تعلم ماذا تفعل . ان احدا لم يأت لزيارتها في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل ليلا ، وهي لا تعلم ماذا يمكن ان تفعل . وفيما هي جالسة في كرسيها مرتعشة الجسد دق صوت القرع على الباب من جديد ، فهبت على قدميها مهتاجة ، صائحة :

— انه شارلي .

انها لتمنع نفسها من البكاء بصعوبة . ركضت الى غرفتها حيث تحتفظ بثياب نهار الاحد في احد الصناديق . وفتحت الصندوق في عصبية ، لكن الدموع التي حاولت دفعها من عينيها تدفقت وانعمتها من الرؤية فتعجز عن رؤية ما تريد ان تفعل . وتحسست طريقها للخروج من الغرفة محاولة خلع ثيابها البيتية .

وسمعت صدى قرع الباب للمرة الثالثة ، فادركت ان الصوت حقيقة لا مراء فيها . لقد سمعت ثلاث مرات . والصوت جلي واضح بحيث لا يمكن ان يخطئها . واستطاعت اخيرا ان تبدل ثيابها ، فنزعت من قدميها خفها العتيق ولبست حذاء يوم الاحد . لكن اصابع حذائها سقطت من قدميها فلم تجد متسعا من الوقت للعثور عليها .

صاحت ، وهي ترتب شعرها بيد وتحاول اصلاح هندام ثوبها بالاخرى :

— اني قادمة ، اني قادمة ، اني قادمة . اني قادمة ، يا شارلي . اني قادمة ، يا ولدي شارلي ، وعجزت عن ايجاد فردة حذائها الاخرى بعد انتهائها من هندمة ثوبها ، عجزت عن ايجادها في كل مكان ، رغم انها تذكر انها اسقطتها على الارض في عجلتها .

— لقد رجعت اخيرا ، اليس كذلك ، ياشارلي ؟ كنت اعرف انك ستعود لانك عاهدتني على ذلك .

ركضت في ارجاء الغرفة توقفت لالتقاط القنديل وبحثت عن الحذاء تحت المقاعد والسرير .

— اوه شارلي لقد رجعت اخيرا ، اليس كذلك ؟

وجدت الحذاء اخيرا ، فلبسته ثم تناولت القنديل وهرولت الى الباب .

— شارلي ، يا ولدي شارلي ! لقد عرفت انك ستعود لزيارتي . لقد كنت اعرف ذلك دائما .

وما ان بلغت الباب حتى ارتعشت يداها فسرت من رفع الرتاج . وضعت القنديل على الارض ، وحاولت فتح الباب بكلتا يديها

صرخت بصوت عال :

ـ انا نازلة واقفة ، يا شارلي ! .

ـ انني واقف هنا ، يا اماه .

ـ آه ، يا ولدي شارلي . ما اعظم سروري ! .

وسألها الصوت من الخارج .

ـ لم لا تفتحين الباب وتسمحين لي بالدخول ، يا اماه ! .

ـ آوه ، يا ولدي ، يا ولدي .

استطاعت اخيرا رفع الرتاج ، ففتحت الباب واستدارت لحمل القنديل ، وخرجت الى العتبة صائحة

ـ اين انت ، يا شارلي ! .

وقفت على العتبة ، والقنديل في يدها ، باحثة في ارجاء الساحة كلها دون ان ترى احدا . ان الساحة جرداء مثلها ابدا . صاحت في جنون .

ـ اين انت ، يا شارلي ! اين انت ، يا ولدي !.

وما ان وصلت الى الساحة حتى وثب الصبي الى صرح الرؤية من احدى زوايا الدار قائلا :

ـ ها انذا ، يا اماه .

واقترب منها وقد ارخى قبعته على وجهه ورفع ياقة معطفه

ـ الا تعرفينني يا اماه !

فصاحت في ابتهاج :

ـ اهلا انت ، يا ولدي شارلي ! اقترب ودعني انظر اليك ، يا ولدي .

وثب الصبي امامها وانتصب في وجه الضوء الشح من القنديل الذي تحمله في يدها .

هنا وجه السيدة ريكيتز لكن انا شبحا غريبا انتصب بين ظلمته ، فراحت تتراجع في حسرة

ـ انت لست شارلي .

وتطايرت صيحة الصبيان خلف السور في عاصفة مفاجئة من الضحك . لقد تكدسوا على الدرب طافحين بالضحكات والابتهاج من الزادع ، وما ان اقتربوا من دار السيدة ريكيتز حتى قفز احدهم واخبر الباقين انه سيتسلى مع العجوز . فاختبأ الباقون خلف السور بحيث يرون ويسمعون.

قالت السيدة ريكيتز من جديد والعبرات تخنق صوتها :

ـ انت لست شارلي . انت لست ولدي شارلي .

واستدار الصبي وركض عبر الساحة منطلقا مع الآخرين على طول الدرب .

وظلت السيدة ريكيتز في الساحة فترة طويلة من الزمن ، حاملة قنديلها فوق راسها ، تخاطب نفسها :

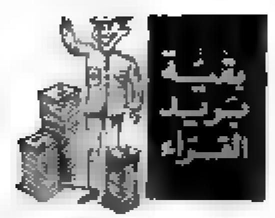
ـ آوه ، يا شارلي ، لمَ لمْ تكن انت ! لمَ لمْ تكن انت ، يا ولدي شارلي ! لقد انتظرته طويلا !

رجعت ادراجها بعد فترة فاجتازت الساحة ودخلت الى البيت واغلقت الباب وارتجت خلفها . وشرعت تخلع ثياب الاحد ، وما ان انتهت من طي الثياب واعادتها في خزانة الى صندوقها في الغرفة حتى حملت القنديل ووضعته على الطاولة قرب النافذة . انها تضع القنديل ابدا في مكانه المعتاد في خزانة ، بحيث يرسل النور كومضة معلقة من الشعاعه على النافذة ، ثم تروح تصلح من وضع فتيلته بحيث يشع الضوء ويصفو دون ان يبعث دخانا يلوث البلورة . وحين تنتهي من تركيز الضوء ، تنطلق الى سريرها .

لم تكد تبلغ منتصف الغرفة هذه المرة حتى خرت على الارض ...

انها لا تذكر متى سقطت ما اذا تعثرت قدمها بالسجادة او ان قوتها قد خانتها . ولكن آخر ما خطر في بالها ، وهي مستلقية هناك ، ان من واجبها ان تنهض باكرا لتفتح الباب لو قدم شارلي متعبا بدروب الى البيت . ■■

ترجمة : سهيل ايوب



محصول القمح

● أود ان ابين خطأ وقع فيه الدكتور السيد ابو النجا كاتب مقال التكامل الاقتصادي والسوق العربية المشتركة ، فقد ذكر الكاتب بالنص : « ان المتوسط السنوي لانتاج الوطن العربي من القمح يبلغ سبعة ملايين طن ، وهذا يعادل ٢٥٪ من الانتاج العالمي » . والصحيح ان انتاج الوطن العربي يبلغ فعلا سبعة ملايين طن في حين ان انتاج العالم كله من القمح يبلغ ٣٠٨,٦ مليون طن ، اي بنسبة ٢,٢٪ وليس ٢٥٪ .

صالح محمد ابراهيم ـ المنوفية ـ ج ٠ ع ٠ م

العربي : الدكتور سيد ابو النجا صاحب المقال صحح الرقم الذي وقع فيه الخطأ المطبعي ، فهو عنده ٢,٢٪ وليس ٢٥٪ .

تاريخ الزعماء المعاصرين

● هل لي ان اقترح ان يخصص العربي صفحة خاصة تتحدثون فيها عن زعماء معاصرين من العرب وغير العرب . انني واثق من انكم سوف تقدرون اهمية هذا الاقتراح وخاصة في الظروف الصعبة التي تمر بها امتنا العربية .

فريد بشير ـ المملكة المغربية

العربي : يسرنا ان تطرح لنا اسماء من تريد ان نكتب عنهم .

الفنانون العرب

● صفحة الفن ، من الابواب التي تثير اعجابي في مجلة العربي ، ولكننا لاحظنا ان معظم الروائع التي تظهر في اعداد المجلة لفنانين اجانب ، مع ان وطننا العربي مليء بالفنانين والمواهب الفذة ، فما رأيكم لو تتحفونا باطلالتنا من خلال هذا الباب ، على بعض الاعمال الفنية العربية وبعض الرسامين العرب .

محمد رشاد محمود ـ ج ٠ ع ٠ م

العربي : ليس في العالم العربي فنانون عالميون الى الآن ، ورغم هذا فنحن نكتب عن فنانينا العرب في الاستطلاعات الخاصة بهم .

مزيدا من العلم

● هذا رجاء ، اعتقد ان كل الشباب العربي يشاركني فيه ، فانا مطالبكم بان تكتبوا لنا المزيد في الموضوعات العلمية .. اكتبوا لنا في الكيمياء والفيزياء والفضاء والذرة والطب والعلوم ، ولا تبخلوا علينا ايضا بالمقالات الاقتصادية . ولكن لا تنقصوا من ابواب العربي الحالية ، فكلها ابواب ممتعة شيقة .

رياض عبد الكريم ـ لبنان

العربي : يا اخي لقد طلبت النقيضين ، تريد زيادة في العلم ، ولا تريد نقصا يقابله في غير ابواب العلم ، ومعنى هذا زيادة في حجم العربي ، وهذا ما لا نستطيع على الاقل في الوقت الحاضر .

يقترح بابا للرياضة

● كل شيء في مجلتنا العربي ، شيق ، ويجد فيه القارىء كل ما يحتاج اليه من معلومات .. في العربي كل ما تتوق اليه النفس ويرضيها من غذاء فكري ، ولكنكم نسيتم شيئا هاما ، حبذا لو اكملتموه الى صفحاتها ، الا وهو الرياضة . ما رأيكم لو خصصتم بابا للرياضة تنشرون فيه صورة لمباراة في كرة القدم او الملاكمة ، ومعها مقال قصير او تعليق .

محمد عبد اللطيف الزبيدي ـ الكويت

العربي : لقد ادخلنا الرياضة في العربي ، فقل لنا اي شيء نحذفه لنحل الرياضة محله ، فانت لا تستطيع ان نزيد عدد الصفحات على ما هو عليه .

تصويب

● وقع خطأ في العدد ١٤٧ بالصفحة ١٣٣ من العربي ، والخطأ في تاريخ ميلاد ووفاة القصاصة الانجليزية جين اوستن فقد جاء انها ولدت عام ١٨٦٦ وتوفيت عام ١٩٤١ ، والصحيح هو (١٧٧٥ ـ ١٨١٧) ارجو التنويه .

محمد شامي

جامعة كمبردج ـ انجلترا



العربي
عدد ١٥٥
شعبان ١٣٩١
اكتوبر
تشرين الأول ١٩٧١
جوائز



من روائع الفن العالمي

● لوحة « المزرعة في ليكن » Farm at Laeken هي احدى لوحات الرسام البلجيكي روبنز « الشهيرة » والموجودة حاليا في المتحف الوطني في لندن . وليست اللوحة التي تراها بجانب هذه السطور سوى جزء من لوحة المزرعة تلك ، ولعله الجزء غير الرئيسي من اللوحة ، وقد قصد بها روبنز الى تصوير الطبيعة ... ... جمال ... وهو الموضوع المحبب الى روبنز بالغالب على عدد من لوحاته ، ابى الا ان ياخذ مكانه من لوحة « المزرعة في ليكن » .. فكانت هذه الحسناء الريفية التي تعبق رقة وانوثة .

انظر صفحة (١٥)



امور خطيرة
تحقيقها
اشد عسرا من اقرارها

● تم في الشهر الذي مضى الاستفتاء على الاتحاد بين الجمهوريات العربية الثلاث، وكانت النتيجة هي الموافقة بما يقرب من الاجماع. ولا يمكن ان يعرض على الشعب العربي امر يسير به في سبيل الوحدة ثم يكون في بين هذا الشعب من يقول لا. فلفظ الوحدة لفظ مثير عند كل عربي. والوحدة مطلب عظيم وغاية وقد حقق العرب بالاستفتاء هذه الغاية مبدئيا، وبقي تحقيقها املا.

ان كل امر خطير له مرحلتان، مرحلة تؤدي الى تقريره والموافقة عليه، ثم مرحلة اخطر هي تحقيقه وانجاحه. وقد تخطينا في تقرير الاتحاد مبدئيا، وبقي علينا ان نسير بهذا القرار في سبيل التحقيق، وهو مطلب شاق وعسير.

ومن الناس، حتى ممن ارتضوه قرارا، من يرتاب، صادقا مخلصا، في امكان تحقيقه من بعد اقراره. ولكن ينبغي ترسية هؤلاء، السير بالقرار في طريق التحقيق بنجاحه المرجو.

ونية الاتحاد فيها اكثر عناصر النجاح. فهي تخطت حساسية الاقليم، وكانت اكثر عفة. وهي حفظت لكل جمهورية شخصيتها فلها ان تتحرك في حدودها ما تشاء من حركة. وهي وحدت بين الجمهوريات في الممكن النافع في الداخل والخارج.

انها تجربة نقصدها اسرع الفساد ان يعترض نجاحها، في غلو من الاخلاص الشديد لعروبة. وان نلقى بالحس عن العواقب فيها، ونضع الحذر جانبا، بضعة تبعث او بضعة تنوء.

والله الموفق

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

■ حديث الشهر: جامعة الهواء . جامعة لا يسعى اليها الطلبة ، وانما هي تسعى اليهم . جامعة لا مباني لها [illegible] لكن بها محاضرات . جامعة هي فرصة ثانية لمن فاته قطار الجامعات من الشباب ٨

■ المجتهد في استنباط الأحكام الشرعية: علوم يجب عليه تحصيلها ٢

■ مسلمات خالدات : زبيدة ام جعفر ١٢٠

■ عطوان ادبية: محمود تيمور [illegible] الأدب المصري [illegible] الكبير ٧

■ صفحة في اللغة: [illegible] كلمات [illegible] ٨٤

■ المصابيح في حركة [illegible] ٥٢

■ مدرسة [illegible] واحة جديدة في قلب صحراء مصر (بالالوان) ١

■ بريطانيا والسوق الأوربية المشتركة ٣٤

■ أولاد موسى بن شاكر ودورهم في الحركة العلمية في العصر العباسي ١

■ صور نستفيد منها [illegible]
نعم .. صورة [illegible] من الرمي .. [illegible] .. [illegible] .. [illegible] .. بيانات [illegible] .. [illegible] ٦٤

■ أسباب [illegible] والاحمرار
[illegible] .. [illegible] وتأثيره على [illegible] .. [illegible] تتحكم في حياة الانسان [illegible] الطريق الى [illegible] ٩٠

■ طبيب الأسرة
كيف تتخلص من [illegible] .. [illegible] مرض [illegible] .. ارتفاع ضغط الدم وتأثيره على [illegible] ١٢٩

■ أمراض شائعة : الحصبة ومرض السكر ١٤١

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت

ALARABY [illegible] KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٣٤٤١ تلغرافيا « العربي »

الإعلانات : يتفق عليها مع الادارة [illegible] قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

قصة من قصص كفاح الإنسان العربي في صورة … منذ سنوات قليلة خلت كانت هذه البقعة من الأرض صحراء قاحلة، أما اليوم فقد تحولت إلى … بالمباني والمزارع … والصورة … وقد وقف أحدهم … وهي تحتضن المحصول الجديد مع زميلاتها … فقد جاءت … جنباً إلى جنب مع الرجل في تلك الواحة الجديدة. انظر الاستطلاع صفحة ١٠

ركن الأسرة والمرأة

■ الزواج … ٨٢

علم نفس

■ إحباط الحاجات البشرية، وكيف يستجيب له صاحبها ٩٥

■ الاستطلاع: قرية يزرعها أبناء الوطن ٣٦

تاريخ .. وتاريخ …

■ العرب والملاحة … في البحر قبل الإسلام … بعد الإسلام ٦

■ محمود بيرم التونسي: الأديب الشعبي الثائر … ٣٠

■ دولة … دولة عربية دامت أربعة قرون … ٧٨

■ … في خطوطه الزرقاء … وتركت للتاريخ سجلاً حافلاً ١٢٢

شعر .. وشعراء

■ رجاء (شعر) ٧٣ ■ … (شعر) ١٢٣

■ الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ١٤٨

■ كتاب الشهر: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ١٥١ ■ مكتبة العربي ٦١

■ … ١٤٤ ■ من غرائب القضايا … قصة … ١٦٤

■ … ٣ ■ … ٦

■ … المسابقة ١٩ ■ المسابقة ٣٤

■ طرائف عربية ٤٤ ■ طرائف عربية ٦٢

■ … الرسام … الذي جمع بين الفن والسياسة … ١٥٤

■ … أسطورة … والتاريخ … السودان ومصر … من ذهب والفضة … ٣٦

ثمن العدد: بالكويت ١١٠ فلوس، الخليج العربي ٢ ريال قطري، …

… العراق ١٢٠ فلسا، سوريا ١٠٠ قرش، لبنان ١٠٠ قرش

… السعودية ٢ ريال، السوداني ١٠ قروش

… تونس والجزائر …

الاشتراكات …



هدية العربي في العام الجديد

● أنا أحد ابناء مجلة العربي الذين يرضعون منها لبن المعرفة منذ اكثر من ١٢ عاما .. وكعادة الأم الحبيبة أن تقدم هدية لابنائها الاعزاء عندما تفتح صفحة جديدة من حياتها المباركة في مطلع كل عام . ولكوني احد ابنائها فانا اقترح ان تكون الهدية — والتي ستقدمها لنا في بداية عام ١٩٧٢ — هدية علمية كأن تكون صورة مكبرة لجسم الانسان مبينا فيها بعض اجهزة الجسم ، او بعض اعضائه كالقلب والرئتين والمعدة والكبد والكليتين وغيرها او اي هدية علمية اخرى ترونها مناسبة .

عبد الحميد احمد عبد الرب
تعز — اليمن

مزيدا من اعداد العربي

● مجلة العربي ، فطر كل عربي اصيل ، منهل ثقافي وعلمي ، ينهل منه ملايين العرب المتعطشة للثقافة والعلم ، ويعز على ابناء الموصل ، بلد الثقافة والعلم ان تنقطع مواردها من ذلك المنهل ، حتى لا يكادون يستطيعون رؤية — العربي — في مكتباتهم .

فلا تبخلوا علينا بمزيد من النسخ ، فابناء الموصل يتطلعون بلهفة الى تلك الاعداد من العربي بسبب قلة المعروض ، والتي اصبحت مؤخرا لا نعثر عليها الا بجهد ، وان رأتها العيون رمقت في اشتياقها الابدي .

سمير الحمداني
موصل — العراق

استطلاع قطر .. والكتب المجانية

● نشر لكم في العدد ١٤٤ من العربي استطلاع عن قطر . ذكرتم فيه أن دار الكتب في الدوحة ترسل كتبها مجانا لمن يطلبها . وقد ارسلت الى هذه المكتبة خطابا مسجلا من شهر نوفمبر طالبا عدة كتب ، ولكن لم يصلني منها رد ، فارجو افادتي ، ان كانت مكتبة الدوحة تقوم فعلا بتوزيع الكتب مجانا ام لا ؟

محمد عبد الغفار دسوقي راجب
دمنهور — مصر

العربي : ارسلنا خطابكم الى الاستاذ عبد البديع صقر مدير المكتبة العامة ، والمستشار الثقافي لامير قطر ، فجاءنا منه الرد التالي

« نشكر مجلة العربي على استطلاعها الذي نشرته في عددها الصادر بتاريخ اول نوفمبر ١٩٧٠ والذي اشادت فيه بجهود دار الكتب القطرية بنشر الكتب وتوزيعها .. ونحب ان نوضح اننا فعلا نقوم بنشر انواع معينة من الكتب الدينية والتاريخية والادبية . ونحن على استعداد لتوزيع هذه الكتب — دون غيرها — مجانا ، لمن يستلمها من مدينة الدوحة بنفسه وليس بواسطة البريد .

« لهذا نرجو توضيح هذا الامر لقرائكم الكرام » .

القضايا الاجتماعية فى أنت تسأل ونحن نجيب

● ان مكتبتي هي كنزي الثمين الذي اعتز به ، والمكون من مائة وثلاث وخمسين جامعة حتى الآن ، وربما يسأل سائل كيف تملك هذا العدد من الجامعات في بيتك ؟ واجيبه على الفور بأن كل عدد من مجلة العربي جامعة قائمة بذاتها . كيف لا وانا امضي اجمل الاوقات في تحصيل العلم والمعرفة من خلال صفحاتها الرائعة ، المشوقة ، البهيجة .

اعود لاعرض اقتراحي وهو « ان باب انت تسأل ونحن نجيب كان يعالج قضايا اجتماعية يستفيد منها السائل والقارىء على السواء ، وكان هذا الباب لدي شيقا جدا ، اما الآن ومنذ سنوات فان الاسئلة والأجوبة اصبحت علمية ، تاريخية ، جغرافية .. الخ .. ولكن القضايا الاجتماعية حذفت ولهذا نرجوكم الاهتمام بهذه القضايا مرة ثانية » .

نادر صالح البوريني ـ ليبيا

يقترح زيادة موضوعات العلم والاقتصاد

● تحية للعربي على كل ما يقدمه لنا من مواد في مختلف فروع العلم والمعرفة ، وبهذه المناسبة ارجو ان تسمحوا لي بابداء بعض الملاحظات .. فقد لاحظنا ان ابواب التاريخ تحتل حيزا كبيرا من صفحات المجلة ، فهل لكم ان تختصروا هذه الابواب بعض الشيء لافساح مجال اوسع لنشر الموضوعات العلمية التي تتصل بحياة الانسان ، في ماضيه وحاضره ومستقبله .

ثم نرجو زيادة الموضوعات التي تتناول المشاكل الاقتصادية في عالمنا العربي ، والعالم الكبير من حولنا .

عصام عصمت
الاقصر ـ مصر

رأس الحسين

● جاء فيما ذكرته « العربي » جوابا لمن سأل عن قبر الحسين ان يزيد نصب رأس الحسين بدمشق [illegible] ايام ثم وضعه في خزائن السلاح حتى كان زمن سليمان بن عبد الملك فدفن الرأس في مقابر المسلمين . وكذلك جاء في الجواب ان ابن كثير تساءل من اين جاء الفاطميون بالرأس الذي دفنوه بالقاهرة .

ونقول : انه دفن سليمان الرأس في مقابر المسلمين ، ولكن لا في دمشق بل في مدينة عسقلان بفلسطين لانه خشي بان سيكون لدفن رأس الحسين شأن يوما ما فلم يشأ ان يكون هذا الشأن في دمشق فابعده الى عسقلان . وفي العام ٥٤٨ نقل الفاطميون الرأس من مدفنه في عسقلان الى مكانه الحالي في القاهرة .

حسن الأمين ـ بيروت

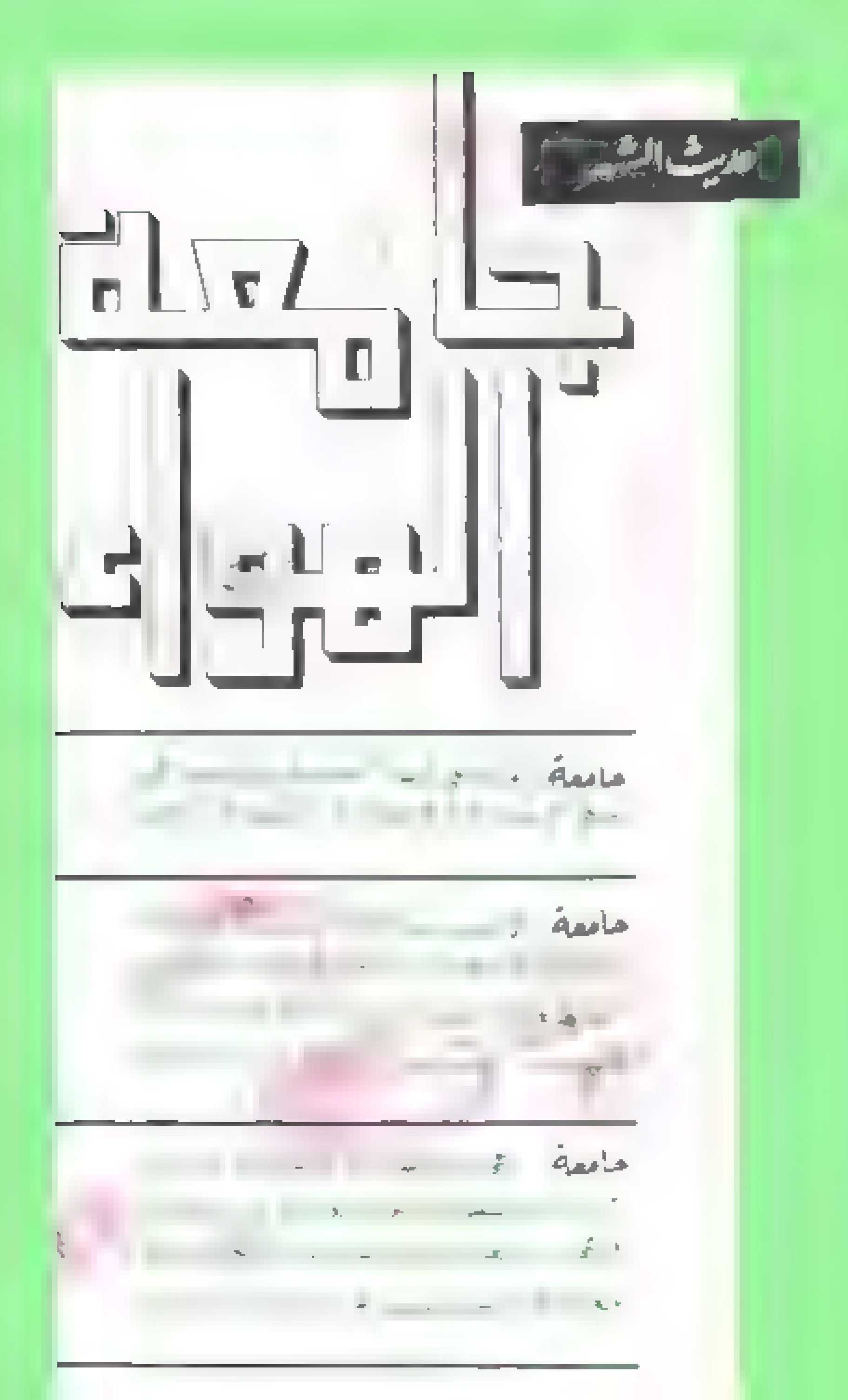
صورة الكعبة المكرمة

● بمناسبة قرب قدوم العدد السنوي الممتاز .. في عامه الرابع عشر الذي نرجوه قريبا لقراء العربي .. نرجو بان تكون هدية العربي هذا العام غير الخريطة المعهودة فنحن العرب حفظنا حدودنا ونريد الجديد . مثلا صورة رائعة للكعبة الشريفة او صورة رائعة للروضة الشريفة بالمدينة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما نرجو ان توجهوا بعض استطلاعاتكم الى عواصم البلدان العربية .. نريد استطلاعات عن القاهرة .. عمان .. دمشق .. بيروت .. الجزائر العاصمة .. عدن .. ثم الاسكندرية وبنغازي وغيرها ..

محمد نجيب عبد المحسن بقال ـ امبابة ـ القاهرة

(بقية البريد على صفحة ١٧١)


حديث الشهر
جامعة
جامعة
جامعة
جامعة

■ لعل أول شيء يخطر على بال القارئ، وهو يقرأ هذا الاسم: جامعة الهواء، أن يسأل ما هي؟ فهو لا شك وصف جديد لم يسبق أن وصفت به الجامعات.

[illegible] أن يعرفها طالب العلم يمضي في جامعة الأرض [illegible]

وجامعة الأرض هي الجامعة [illegible]

[illegible] والعلم يأخذه من فم الأستاذ

حاضرا، تقرره الكتب لمن يستطيع شراءها. وفي آخر المطاف تعطى للطالب من بعد امتحانات شتى [illegible] عادة لعمل في الحياة بالفرع الذي [illegible]

[illegible]

من بعد درس، أو حصة من دروس [illegible]

[illegible] هي الطريقة القديمة المعروفة المسماة [illegible] إنما هي تزداد دقة [illegible] مع دقة العصر الذي نحن فيه، وتزداد اتساعا.

[illegible]

من اليوم [illegible] في الأمم المتحدة [illegible] الإذاعة الناطقة، وهوائي الـ[illegible] وهما بعض أجهزة الاستقبال التي هي في داخل هذه المنازل. وسموه هوائيا لأنه قائم عاليا في الهواء. وكذلك سموا الجامعة جامعة الهواء لأن أخطر شيء فيها، والجديد الحق فيها، هو ما تطلبه الجامعة إلى



التعليم بالمراسلة، أي بالرسائل البريدية أساس التعليم في الجامعة البريدية.

منتسبيها من الطلاب عبر مساحة من الفضاء يملؤها الهواء . فالاذاعة تجري في حضور هواء وفي غيبة هواء .

فهي في لغة الادباء ، جامعة الهواء . وهي في لغة اهل العلم الجامعة المفتوحة . وهي مفتوحة لانها مطلقة لكل الناس مذاعة في الهواء ، ولكنها مفتوحة ايضا بمعنى آخر سنعود اليه . ذلك ان المنتسب الى الجامعة ينتسب ويعمل مهما كانت ساعات دراسته ، وساعات عمله

ووسيلتان اخريان تضافان الى البريد والاذاعة : تلك دراسات قصيرة اقامية تلتقي فيها الطلاب بالاساتذة . وكذلك مجالس للمناقشة اقامية تزيد فيها بعض المواضيع الغامضة ايضاحا وافصاحا .

ومعنى هذا ان يكون ، الى جانب المركز الرئيسي للجامعة ، ولا بد ان يقع حيثما يقع ، ما دام انه ليس للطلاب مسعى يسعون اليه كل يوم ، مراكز فرعية اقليمية اخرى ، تقوم للاقليم



والاذاعة والتلفاز هما عضد الجامعة في التعليم الهوائي .



بكل ما يحتاجه من تعليم وتنظيم ، واتصال بالطلاب عند الحاجة . وهي تقوم بتسجيلهم وسائر الشؤون . وليس منها التراسل بالبريد ، ولا التواصل بالاذاعات ، فهذه لها مصدر واحد لا يختلف ، هو المركز الرئيسي للجامعة المفتوحة ، او ادارات تنوب عنها ، او هيئات تتعاون معها .

الحاجة التي دعت الى خلق جامعة الهواء الجامعة المفتوحة

انها ليست حاجة واحدة وانما حاجات .

ويكشف الانسان عن هذه الحاجات ، بالنظر الى الجامعات ، الجامعات العادية ، الجامعات الارضية بأي الاشياء وفت ، وبأي الاشياء عجزت فيها عن وفاء .

الجامعات العادية لا تقبل كل من يتقدم اليها من طلاب . فاولا هي تشترط استكمال الدراسة الثانوية وحتى الناجحون في هذه الدراسة الثانوية تشترط فيهم درجة من النجاح تمنع الكثير من الطلبة من دخولها . وحتى مع الوفاء بهذه الدرجة قد تضيق رحبات الجامعة عن قبول كل من يريد والنتيجة وجود طوائف من الطلاب ظامئة الى العلم والمعرفة ، لا تجد لها ريا . وتتراكم هذه الطوائف في الامة على مر السنين . عندئذ لتدخل الجامعة المفتوحة لتؤدي الى هذه الطوائف الظامئة ما تستطيع من ري . وهي لن تبلغ بهم عادة مبلغ ما تبلغ بهم الجامعة المغلقة . ولكن نصف التفاحة او ثلاثة ارباعها خير من لا تفاح ابدا . والمسألة ليست مسألة ظمأ للمعرفة فحسب فالحياة جهاد للرزق ، والمرء اكسب لرزقه كلما زاد عرفانا ، سواء كان هذا العرفان من التخصص بحيث انه يؤدي الى طريق الارزاق ، او كان مما يريد الشاب او الفتاة ثقافة تفسح لهما

حينما كانا — في سبيل الحياة آفاقا، ومن اجل هذا سايرت الجامعة المفتوحة الجامعة المغلقة، من حيث البرامج وان تكون محددة، ومن حيث سنوات الدراسة، ومن حيث الامتحانات، واخيرا من حيث اعطاء الدرجات العلمية، وهي وثائق تدل على ما كان من دراسة، وهي المؤهل للرزق عند اصحاب الاعمال، وهي الحوافز التي لا بد منها لكل دارس، وان لم تكن هي كل الحوافز .

والطلبة الذين سبق ان اتموا الدراسة الثانوية، ولم يجدوا مكانا في الجامعات المغلقة، ما الذي كان من امرهم ؟ انك لو تتبعتهم لوجدتهم، في سبيل الرزق، قد وقعوا على اعمال في الحياة هي دون ما يحظى به عادة خريج الجامعة، وهم في اعمالهم هذه يتعلمون اشياء لم يكونوا تعلموها في مدرسة، ويتدربون . وهذا التدريب هو نوع من التخصص العملي . الذي يعمل كاتبا في ادارة عليه أن يتدرب على اعمال هذه الادارة وعلى تفهمها قبل ان يعطيها الفائدة المرجوة . والذي يعمل سكرتيرا لا بد ان يتدرب على اعمال السكرتارية حينا، وهي اعمال شتى قبل أن يكون منه نفع لصاحبه . وهو لو عمل مساعدا في مختبر فقد وجب عليه أن يتفهم اعمال المختبر وهي غالبا ما يكون لها في العلم غور ذو بال . وهو لو عمل مساعد مهندس بناء وجب عليه ان يتعلم الكثير من اصول البناء . ومساعد الصيدلي ومساعد المحاسب، ومساعد المحامي، ومساعد التاجر في متجره . والعامل منهم في المصانع، وفي المكاتب او عند الصحف اندوا، كل هؤلاء، افتقدوا الجامعة معلما، ولكنهم وجدوا من الحياة وفي سبيل الرزق معلما، كل في صنف عمله . وكل يحس بعد سنوات ثلاث او اربع انه توقف . وقف به العمل الذي هو فيه من المعرفة حيث وصل وليس له وراء ذلك من زيادة . وليس له بعد ذلك من هاد . وهنا تتدخل الجامعة المفتوحة، جامعة الهواء، تعطيه ذلك الضرب من المعرفة الذي هو في حاجة



محاضر الجامعة الارضية بعشرات المئات، ومحاضر الاثيرية بعشرات الالف والمليون .

اليه . انها لا تسأله من مؤهلاته انها تكتفي منه بانه قادر على ان يفهم ما ترسل اليه بالبريد من دروس، وان يعي ما ينقله اليه التلفاز من محاضرات . ثم التقاء برجال الجامعة في دراسات محليه لا بد منها ومناقشات تجعله يحس بان الامر ليس كله « هواء »، بل ان الجامعة جسد متجسد .

واني احكي عن الجامعة المفتوحة في الدول المتقدمة، وفي بريطانيا خاصة، عن تلك الجامعة التي افتتحوا الدراسة فيها في يناير ١٩٧١، وتجري فيها على مجرى السنة الميلادية لا السنة المكتبية.

ومثل اضربه

ومثل اضربه، لعبت فيه جامعة مفتوحة، او شبه مفتوحة، دورها كاملا .

سكرتير لي، عمل معي سنوات . وجاء يوم سألته فيه عن مستقبله، يحكي لي، وما اقتنعني وما اقنع نفسه .

اقترحت عليه ان يملأ ساعاته الفارغة ، على الشباب ، بالدرس . قال : فات القطار . قلت : ما فات فاني اسمحه بصفر ، فالحق به . وشرحت له كيف يلتحق بجامعته بالمراسلة ، ومطل ، ومضت سنة ، فسنة ، فثالثة ، فرابعة ، فاذا به يحمل درجة جامعية في الحقوق !

وظهرت آثار دراسته في عمله سكرتيرا ، وما كان لها ان تمحى .

ومثل ثان

ومثل ثان . طالب في كلية العلوم بجامعة عربية ، تقضت المقادير بان يتركها . ووجدنا له عملا ، مساعدا في مصنع كيماوي يصنع العقاقير . واذ استقر فيه التحق بقسم الكيمياء بالمراسلة . وبعد سنة فسنة ، ومع انتهازه كل الفرص لحضور التجارب الكيماوية الدراسية الواجبة ، نال درجة البكالوريوس في الكيمياء . فرقاه المصنع بعد جهد الى مرتبة الكيماوي ، ثم ذهب الى امريكا فوجد عملا في احد مصانعها على الفور ، عملا مجزيا حقا ، اذن له بشراء سيارة ، وبان يعود الى بلده الشرقي يصطحب معه الى بلد عمله زوجة . لقد اكبر الامريكان فيه علم الكيماوي وخبرة مساعد المصنع معا .

ومثل ثالث

ومثل ثالث : تضمن فشلا ذريعا .

كان شابا اتم دراسته الثانوية ، واكتفى . وسألني عما يصنع ، فكان طبيعيا ان اذكر له من امر الدراسة ما سبق ان ذكرت لاخوانه . فاذا به يقول في صراحة ان الدراسة مشقة ، وانه كان له من دراسته الثانوية ما كان ، وكان له من ذلك كفاية . وذكر لي انه احرص على شبابه من ان يضيعه هدرا . فالشباب لا يكون في العمر غير مرة واحدة ، فهو يريد ان يتمتع به الى آخر سؤر في الكأس . ودخلنا في امر الشباب ومتعته ، وهل هي حقيقة ام مجاز . وكان له في الادب العربي نصيب ، فصار يؤيد حجته من جنة الشباب النضرة ، ذات الازهار والثمار ، بما وصف الشعراء من ذلك . وفي الجو المرح الذي كان وجدتني اتزيد من محصول ذاكرتي شعرا مثل شعره او لعله في النصرة للشباب اقوى . وانقلبت المناقشة الى مطارحة اشعار . ورأيت ان احسم الموقف : جدا او هزلا ، فقد صار لا ينفع فيه للحجة . فحجة العقل قاطعة ، والعاطفة نائمة ، اما اذا استيقظت فقد تتكلم العقل حدا ، وصار لا يقطع . وانت اذا اردت ان تفسد على ذي راي رايه فاستعن عليه بالشعر والشعراء .

موقف الشبان من متعة الشباب

والحق ان موقف الشبان من شبابهم يحتاج الى وقفة قصيرة هنا .

وانا مع الشباب ، وحتى مع الشعراء ، اقول ان الشباب متعة ، وكيف لا ، وفيه طلائع الحياة كلها . فيه قوة الجسد ، وفيه قوة العقل ، وللذائذ الحسية كلها يلتذها الشاب لاول مرة ، فهي من اجل ذلك في لذاذاتها قوة شيء جديد . ومن اللذائذ الجسم الطعام والجنس ، ويقول الشعراء ومع النساء الخمر . ومن الشعراء من تقرأ لهم فتحسبانهم ما عرفوا طعم الماء ، وكان كل شرابهم الخمر . وبناء على هذه القاعدة حللوا وحرموا ، وليس كالحلال متعة . ولكن الشاب لا يمكن ان يقضي ايام شبابه كلها مستمتعا بالشهوتين : الطعام الذي هو اصلا سبيل الاحياء الى الحياة ، والجنس الذي هو اصلا سبيل الحياة الى التواصل والتكاثر . ويجد الشاب الفراغ في نهاره ، ويجده في ليله ، فيطلب صنوفا من اللهو تصنعا ، يصل فيها الوقت سحقا وهدرا . وتمضي به الايام ، وتجري به السنون ، فيبدأ يتعلم كم فاته على الشباب الهادر من مكاسب .

ويتعلم ان الشباب هو كما قلت ليس الحياة كلها ، وانما هو طلائع لها . ولطلائع فترات الحياة اقلها . وتأتي من بعد ذلك الرجولة فالكهولة فالشيخوخة ،

وهي كلها اجزاء خطيرة من الحياة لها مقومات غير مقومات الشباب ، ولكل منها تجهيز وتحضير . والتحضير لها والتجهيز لا يكون الا والشباب قائم ، حين الجسم كجلمود الصخر قوى ، وحين العقل كحد السيف قاطع . ولكم اري رجالا ، وكم اري كهولا ، واكثر ما اري شيوخا هبطوا في العيش على الكبر درجات ، وانظر في امرهم فاجدهم ما كسبوا في شبابهم شيئا يعين على كهولة او شيخوخة . قضوا شبابهم رقصا وغناء ، فهم يقضون كهولتهم والشيخوخة في بكاء صامت . لا تنزل من اعينهم معه الدموع ، وشر البكاء الصامت . واسال احدهم ماذا تريد عملا ، هل [illegible] ان تصنع كذا ؟ والجواب لا . وكذا ؟ والجواب لا . تعرف الانجليزية ؟ الفرنسية ؟ [illegible] لا . وان تكن مدرسا فقد ظل في تحصيله عندما كان حصله وهم يؤهلونه للتدريس لاول مرة .

ان الشباب متعة ، لا انكر هذا .

ولكن في الرجولة كذلك متعة ، وفي الكهولة وفي الشيخوخة ، وان تكن غلبت عن الشباب المتعة الجسدية ، فقد غلبت على فترات العمر التالية المتع العقلية ، سواء اتصلت بالقلم في قراءة او كتابة ، او اتصلت باليد في فن . ولست اعنى الفن الجميل وحده . ولكن كل الفنون الخلاقة ، فكلها جميل ، وكلها لذيذ ، فيها لذة خلق الجديد ، وخلق الدقيق الذي وهبنا الله اياه قيما وهبنا من كفايات .

كانت جامعات الهواء

وتعود بنا هذه الوقفة التي وقفناها مرة اخرى الى حديث الجامعات المفتوحة .

انها فتحت كما سبق ان ذكرنا لتعطي الشباب الذي فاته الدخول في الجامعات الارضية فرصة غير تلك ، تعوض عنه بعض ما فاته ، وبالدروس ترسلها بالبريد ، وبالدروس تدعيما بالمرئي وغير المرئي من الاذاعات الى غير ذلك من وسائل .

ولكنها فتحت ايضا لتعطي من فاتهم ركب الشباب او كاد ، وتعطي الرجال والكهول ، وحتى من شاء من الشيوخ ، صنوفا من المعرفة ، هي والذي تعطيه الجامعات الارضية اشباه . ومن كل فروعها .

واخص بالذكر اولئك الذين وقفوا بالمعرفة ، او وقفت بهم المعرفة ، ومعرفة الكتب خاصة ، عند الحد الذي تركوا عنده الدراسة والمدارس . وتقدم الزمن وظلوا هم حيث هم واقفين . ومعنى هذا انهم صاروا في زمان لا يصلح لهم وهم له لا يصلحون . ويلعنون الزمن ، ويلعنون [illegible] ، والزمن اصم لا يسمع ، [illegible]

[illegible] اولئك الذين احترفوا الحرفة [illegible] من حرفتهم غير راضين ، فهم يريدون ان يتحولوا ، او هم يريدون في حرفتهم ان يتوسعوا ، وفي التوسع ارتقاء

المدرسون والجامعة المفتوحة

ومن هؤلاء : المدرسون الذين [illegible] لهم ظروفهم الا ان يكونوا مدرسين [illegible] وهم يريدون ان يكونوا مدرسين لشباب الرجال في ادب رفيع ، او علم حديث ، او في شئون مجتمعات واقتصاديات اسواق ومصارف . فهؤلاء لا يجدون السلم الذي يرتفع بهم الى هذه المراقي الا عند الجامعات المفتوحة . وهي لا تسالهم عند البدء كما سبق ان ذكرنا عن مؤهل خاص . انها سوف تدرك بعد حين كيف استوعب الطالب وكم استوعب . وهي تعطيه آخر الامر من الدرجات ما تعطي الجامعات .

العمال الصناعيون والجامعة المفتوحة

ومن الطوائف التي تعنى بها هذه الجامعات طوائف العمال ، العمال



من ضلال الشباب ان يرى ان حلاوة العمر ، مع سمر وقصف وخمر .

الصناعيون الذين يعملون بأيديهم .
فهؤلاء في نظر حكماء العصر الحديث احق بالرعاية فيما يختص بالمعرفة . فالكثير من اضطرابات العمال يعود الى قلة المعرفة ، وهم لو عرفوا لاذكوا . ولنعموا بذلك انفسهم ونعموا سائر الخلق . ثم تنفتح للعامل بيده عن طريق الجامعات المفتوحة — ابواب الرقي جديدة . حتى وهو في عمله . وحتى وهو يعمل بيده . فليس العمل باليد اليوم مهانة . انما المهم هو ماذا تعمل اليد . والمخترعون جميعا انما اخترعوا بايديهم . ولقد ارتفعت قيم لبعض الايدى التي تعمل بالمنشار والمبرد والمخرطة والمحلة فوق ايد لم تحمل غير الاقلام . فالجامعات المفتوحة تزيد الرجل العامل بيده اليوم خطورة . تدخل الى عمل اليد عمل الرأس ، وهما اذا اجتمعا فما اسرع ما تفتح بهما القسطنطينية .

الجامعة المفتوحة وطالب المعرفة المتعددة الجبهات

ثم هناك طلاب للمعرفة على الشيوع . هم في اعمال حياتهم كاملون ، ولكنهم واقفون من جبهات العلم على جبهة واحدة ، او جبهتين او ثلاث . وحكمة الحياة لا تنال الا بتعدد جبهات المعرفة . الطبيب يرعى مهنته ، لأن فيه الكسب ، ولأن في علوم الطب الطريق لاستكناه حكمة الحياة . ولكن الطب كله لا يكفي . الطبيب يحتاج الى التاريخ ، الى الآداب ، الى ما قال الفلاسفة والغابرون ، والى ما قاله خبراء الذرة ، وما تحدث به علماء الاجتماع . انه محتاج الى ضروب من المعرفة لا يتم استكناه حكمة الحياة الا بها . والذي في حياته لا يتوسع ساعات كثيرة يستكنه حكمة الحياة يكون « كثور الله في برسيمه » ، يظل يأكل ويشبع حتى يموت ، وما ادراك ان فوق هذه الارض سماء ، بها نجوم عدد الرمل ، قد تتضمن انسالا من الخلق فوق ما عرفنا ، ومن عرفنا على سطح هذه الارض .

وكحاجة الطبيب حاجة الفقيه ، وحاجة القاضي ، وحاجة كل ذي مهنة يرى انه هانيء في مهنته راض بها . انه الرضى الكاذب .

فلهؤلاء ايضا الجامعات المفتوحة : جامعات الهواء .

الجامعة المفتوحة في بريطانيا

انها اول جامعة من هذا النوع ،

افتتحوها في الاول من مايو عام ١٩٧١ ، لتمتد سنتها الاولى الى آخر العام الميلادي . فسنتها غير السنة المكتبية العادية . وقامت الحكومة البريطانية بانشائها ، ومهدت لذلك بتكوين لجنة من اكبر رجال الجامعات البريطانية وذوى الخبرة في التعليم العالي لتبحث في هذه الجامعة ، وتخطط لها ، وترسم لها سبل العمل الاولى . واجتمعت اللجنة في اكتوبر عام ١٩٦٧ ، وقدمت تقريرها الى وزير التعليم والعلوم

وقد اعتمدت اللجنة لتحبيذها اقامة الجامعة المفتوحة ، فيما اعتمدت ، على مبدأين عامين اساسيين

اولهما : فساد الرأى القديم الشائع في دوائر التعليم الذى يقول بأنه ليس كل الشباب مؤهلا بمواهبه للتعليم العالي ، وان في الجامعات لقائمة ما يكفى لاستيعاب الكفايات المؤهلة لذلك . وقد اتخذ اصحاب هذا الرأى من كثرة السقوط بين الطلبة حجة على ما ادعوا من تخلف في المواهب . والحقيقة ان سقوط الطلاب وتخلف الكثيرين من التمام يرجع اكثره الى ظروف عائلية ، وأخرى اقتصادية ، وأخرى اجتماعية وسياسة ، هي التى أحرمت الكثير من هؤلاء الشبان من اللحاق . ورأت اللجنة بناء على ذلك ، انه من الظلم ان يؤخذ الشباب بجريرة ليسوا هم صانعوه ، وانه ظلم للافراد وللمجتمع على حد سواء ، وانه قد أصبح من حق المواطن الفرد لا أن يتعلم فحسب ، بل من حقه ان يأخذ من التعليم العالي اكبر نصيب .

اما المبدأ العام الثاني الذى اعتمدت عليه اللجنة ، فيتصل بأن هذا العصر الحديث عصر العلم والتكنية ، وعصر التخطيط والانتاج ، وعصر المنافسات الشاقة بين الامم ، وكل هذا لا يتحقق الا والعمال جميعا في اوطانهم المرحلية واعماليهم فاهمون ما يصنعون ، مدركون لمشاكل هذه الحياة الجديدة المعقدة ، غير مخدوعين بالذى يتصب فيهما من شباك ،

وهو فهم ، وهو ادراك ، وهي يقظة لا تبنى على دعاية او تحريك عاطفة ، ولكن تبنى على العلم والمعرفة التى تمتد حتى تصل الى اقصى ما يمكن من حدود

المراسلة هي الأساس في سبيل هذا التعليم الحديث

واتخذت اللجنة التعليم بالمراسلة اساسا للجامعة المفتوحة .

ان اساس التعليم في الجامعات العادية ، جامعات الارض ، انما هو المحاضرات . يلقى الاستاذ الدرس ، ويستمع له في القاعة العدد العديد ، وكثيرا ما يبلغ في هذه الايام المائة والمئات ، ويسجل الطالب في مذكراته اكثر ما يسمع ، ويعود آخر النهار الى الكتب يستعين بها على زيادة ايضاح واستدراك ما فات .

فالتلمذ للجامعة يقتضى التفرغ لها ، ويقتضى الاتصال اليها ، والانتقال كل يوم . اما التفرغ فكثير من الناس لا يستطيع التفرغ ، وانما يستطيع ان يجمع بين التلمذ وكسب الرزق . واما الانتقال فيصعب على الكثير ، وهو ذو كلفة . وقد يتعسر او يتعذر على الطالب البعيد في البلد النائي .

ومن اجل هذا ، وغير هذا ، قام

التجهيز التيخزعة لا يمكن الا والسباب قائم .



التعليم بالمراسلة . وهي محاضرات مكتوبة ، تعززها الكتب ، وهي كتب مكتوبة خاصة بها اتساقها . وفي هذا الاتصال البريدي ، ذي الاتجاهين : رائحه والغادي ، يحس الطالب بالمعنى من كل ، وانه واحد من آلاف تضمهم هذه الجامعة الام . ويكتب الى اساتذته في الجامعة ، وهي تصحح ما كتب ، فيزداد بذلك الاتصال قربا .

والتعليم بالاذاعة مرئية وغير مرئية

وكما يقوم البريد في بريطانيا بعمومه التعميم ، فكذلك تقوم الاذاعة بنوعيها ، الراديو والتلفاز .

والاذاعة تكون في فترات يأوي فيها كل انسان عادة الى بيته . وهي ، كالتعليم بالمراسلة ، تنتقل اليه ولا تكلفه الانتقال اليها . وهي كثيرا ما تكون افضل من المحاضرات واسمع . فالمحاضرون الاذاعيون يختارون من اكثر رجال التعليم كفاية ، اداء وعلما . وهم قلة في الرجال ، وليس لكل الجامعات الى امثالهم سبيل فيحاضرون وينتفع بمحاضراتهم من السامعين والمشاهدين الآلاف الكثيرون ، لا المائة ولا المئات كما هي الحال في حجرات المحاضرات بالجامعات . والسامعون والمشاهدون اشتات على البلاد موزعون . وفي التلفاز خاصة ، يعين المحاضر وسائل من الايضاح ، في العلم والتكنية ، وفي الزراعة ، والتاريخ وحتى الآداب ، لا تتيسر مطلقا لاية جامعة من جامعات الارض الا جامعات كبيرة وبعائد عدد قليل .

ومحاضرات الاذاعة بنوعيها تؤلف ، مع مراسلات البلاد ، وحدات في البرامج الدراسية كاملة .

ومحاضرات اقليمية ولقاءات ومناقشات ومختبرات

ويدعم البريد ، ويدعم الاذاعة : محاضرات اساسية تقوم بها هيئات محلية تعليمية تابعة للجامعة الهوائية . ومثلها لقاءات مرسومة لدارسات ومناقشات تربط الصلة بين الجامعة وطلابها وتأتي الى جانب مختبرات تحتاجها فروع العلم المختلفة ، او تطلبها المهن ، او تطلبها الحرف والتكنية .

انها وسائل للتعليم عدة ، تجمع بعضها الى بعض ، فتتألف منها وحدة كاملة . وهي انما شكلت بحيث تتألف منها هذه الوحدة الكاملة المتكاملة .

وهي تحتاج الى هيئة ادارية كبيرة ، والى خبرة واسعة .

ولكن اكثر هذه الخبرة سبق ان اكتسبها رجال في وجوه من الحياة شتى ، ولو لغير هذه الاهداف .

ففي انجلترا مثلا بلغت هيئتها الاذاعية ، بل هيئاتها ، درجة من الكفاية في شتى الشئون عالية . وهي التي تقوم بالاذاعة للجامعة المقترحة ، هذه الجديدة ، وفقا لبرامجها وتوجيهاتها . ولقد شاهدت برنامجا لها ، تلفازيا ، كان روعة ، لا تدانيه – من حيث قوة وسائل الايضاح – محاضرات الجامعات .

وفي المراسلة بالبريد – وحدها – وعلى انفصال ، لبريطانيا خبرة بها واسعة . ففيها نحو ٥٠ او ٦٠ كلية تعمل بالمراسلة ، في حدود ضيقة نعم . ولكن بها الخبرة كاملة . ولهذه الكليات نحو نصف مليون طالب مسجل بها .

التعليم بالمراسلة في روسيا

والتعليم بالمراسلة خبرة في الامم قديمة .

والروس يستخدمونه وسيلة اساسية لتوسيع دائرة التعليم الجامعي في بلادهم ، حتى لقد اصبح نحو نصف طلابه ، الذين يطلبون التعلم العالي ، انما يمارسونه بالمراسلة تحت اشراف مؤسسات لهذا التعلم اقليمية .

وفي اليابان

وفي اليابان استخدموا التعليم بالمراسلة ليتغلبوا على مشكلة اقطارها النائية ،

والمجتمعات المرلسة في العمال ، واستخدموه في شتى درجات التعليم . وقامت الهيئات الاذاعية تجمع بين الاذاعة والمراسلة ، تهدف الى اولئك الشبان الذين تركوا التعليم عند نهايته الالزامية في نحو سن الخامسة عشرة فلم يتح لهم اكمال الدراسة الثانوية . وهي اعطتهم ، الى جانب المراسلة ، ٣٥ ساعة اذاعة في فروع الدراسة الثانوية كل اسبوع . وجلس منهم الى امتحان من جلس ، ونجح فيه الكثيرون . وتأهلوا بذلك الى ما بعده .

وفي استراليا

وفي استراليا ، انشأت جامعة « سوث ويلز الجديدة » New South Wales University بمدينة سدني Sydney ، جامعة اسمتها الجامعة الاذاعية Radio University ، وقد كانت قبل انشاء هذه الجامعة مارست التعليم بالمراسلة . ولكنها خصت هذه الجامعة الاذاعية بالتعليم لما هو فوق الدرجة الجامعية Postgraduate Work . ومن ذلك برامج تؤدي الى نيل دبلوم فوق البكالوريوس في الهندسة الصناعية ، وهي برامج تعطى بالاذاعة وبالتلفاز ، يعززهما مجالس للمدارسة تعقد ، وتجارب تجري في مختبرات الجامعة ، الى جانب ما يرسل الى الطالب من مذكرات مطبوعة .

وتتضمن هذه الجامعة الاذاعية مناهج دراسية هدفها تجديد معلومات المدرسين والاطباء والمهندسين ، تلك التي من شأنها ان تقدم على السنين .

وبسبب اتساع القارة الاسترالية الهائل ، وتباعد ارجائها ، قضت الضرورة بتسجيل هذه البرامج والمناهج في اشرطة تنقل الى الاطراف البعيدة من البلاد حيث الناس في معزل عن مصادر العلم الكبرى .

وفي امم اخرى

وفي امم اخرى كثيرة . في نيوزيلندة ، وفي بولندة ، وفي الولايات المتحدة ، وفي فرنسا ، وفي السويد خاصة ، الى غير هذه ، قفز التعليم الجامعي ، وحتى غير الجامعي ، الى السماء ، الى الهواء ، الى ما فوق سطح الارض من اجواء ، لانه وجد فيها مكانا ارحب ، ومسارح اوسع ، وحاجات للناس شتى على اختلاف عيش واختلاف مطالب حياة . والى جانب الاتساع والرحابة ، وجد السرعة في الاداء ، والرخص في النفقة ، فالمحاضرة في القاعة ان سمعها المائة والمائتان ، سمعها على الموجات الاذاعية الالوف والملايين . وسمعوها اكثر دسما ، واملا واشبع ، بالذي يعززها في البريد من مراسلات ، وما يدار في القاعات الاقليمية من مناقشات ، وما قد يصل الطالب بالمعارف الشبه عند الجامعي المحسرات .

وأين العرب من كل هذا !

ان العرب من كل هذا في الصميم .

انها التربية . وانها تربية الشعب كله ، في عصر لا يمكن ان يتخلف فيه بعض الشعب ويتقدم بعض . وفي عصر امتلأ بالتناقض الفكري من كل جانب ، التناقض

روسيا ، نصف طلابها ، الذين يطلبون التعليم العالي ، انما يمارسونه بالمراسلة .



معاندي ، تناقض اجتماعي ، تناقض اقتصادي ، تناقض طريف وتالد ، لا تسلم أمة منه ، ولا تسلم من فرقه سنيه ، الا بالتعليم ، الا بالنور . ولا يكفي النور المتواضع في شيء من هذا . انه النور الرفيع العالي الذي يرتفع بالعقول الى أعلى حقائق الحياة ، أو ان شئت الذي يغوص في الأعماق الى أبعد حقائق الوجود غورا وأعمقها .

وسيقول قوم كيف تأذن للتعليم العالي أن يمتد هكذا ، وأكثر العرب أميون . وهذا حق . وكان المنطق يقضي بأن نزيل الأمية قبل أن نرتفع بالتعليم ونمدده . ولكن أعداء العرب قائمون من حولهم كالسباع لا يعطون الأمم التي أكثرها الخراب والضياع ، فهي تقوم لها طيب وخير ، لا يعطونها الزمن الكافي لتطور وتحسن أحوالها وتتأسد من بعد ذلك . لهذا وجب أن تعالج الأمة العربية من طرفيها ، الطرف الناهض لملء عقلها ولتزيده وسعا ، والطرف المتخلف لترفع عنه أميته . فلا بد أن ترتفع بنفسها ولتصون وجودها من علم لا دخل فيه ولا خداع ، ولتضرب عند الحدود بدفع الأعداء بآخر ما انتجه العلم من سلاح ، وطوائف في الجانب الآخر ، هذا كالنمل ، يعينها على الخروج من وحل الجهالة التي ورطها الزمان فيه .

وشيء آخر يجب أن يصحب انتشار التعليم العالي هذا الانتشار البعيد الرائع ، ذلك أن يفصل الرجل بين درجة رفيعة يحملها وهو في سبيل العلم ، وبين سبيل أتيح له أو يتاح لكسب الرزق ، كان هذا ما كان . لقد جرى انسان هذه الأرض الى اليوم على تصنيف أعمال الانسان في حياته تصنيفا أصبح على الزمان جامدا جمود الحجر . فهذا عمل رفيع شريف ، وهذا عمل خسيس دنيء . ويجري الزمان الحاضر بأن يغير من هذه القيم ان لم تقلبها رأسا على عقب . والتعليم العالي اذا انتشر هذا الانتشار الرائع المريع ، سوف لا يترك أحدا ، على القيم القديمة ، لا يرضى بأن يكون كناسا أو زبالا اذا اضطره الحال . والطراز الجديد من الزمان بدأ يقضي على هذه المعايير . فمن الكناسين من مرتبه فوق مرتب خريج الجامعة ، والكناسة عندهم أصبحت مهنة تحوطها النظافة من كل جانب . ومن يدري فقد يتخرج من بين الكناسين وأضرابهم في القرون فيما بعد القرن العشرين ، الشعراء والفنانون . يقضي الرجل نهاره صباحا في الكنس ليكسب رزقه ، ويقضي أمسياته والليل في كتابة القصة الرائعة أو رصد الربيع من النجم .

أحلام ؟ نعم . وما حقائق اليوم الا أحلام الأمس ، ولو الأمس البعيد .

ان جامعة الهواء ، الجامعة البريطانية المفتوحة التي تحدثنا عنها ، لزورها أنت ، فتجد فيها اعلانا ، هو صورة حداد بمطرقته ، وقد كتب تحتها : هذا هو الحداد ولسن ، سيصبح بعد ٣ سنوات Wilson B.A ، أي ولسن حامل درجة بكلوريوس في الآداب .

ولا أحسب أن هذه الدرجة ستجعل منه حدادا أكثر حدادة ، ولا أمهر في حدادته كثيرا ، وهي لن تحوله عن حدادته الى سبيل للرزق غيرها ، فلا بد في الناس من حدادة ، وانما سوف تجعل منه انسانا أكثر عرفانا وأوسع ادراكا ، وأقدر على التفتح للحياة والاستمتاع بنبع للعمل وأطيب فيها ، ما كان سهلا له وهو على الحديد والنار ، وفوق ذلك ، وأخطر من ذلك انها سوف تجعل منه لأمته مواطنا صالحا .

انها لنا ، معاشر أهل الشرق ، أحلام . ولكن ما ضرنا أن نحلم ونحلم ونحلم ، عسى الأيام أن تحقق لنا حلما يكون واحدا بألف . والذي لا يحلم أبدا ، لا يصدق له حلم ولا يتحقق أمل .

وعلى الله التوفيق ،

أحمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٥٢

تأرجحت الحلول بين الخطأ والصواب

■ تميزت مسابقة العدد ١٥٢ بأن أسئلتها كانت وسطاً بين السهولة والصعوبة ، فالبعض منها لم يكن يحتاج الى كثير عناء ، اما البعض الآخر فكانت المراجع والموسوعات العلمية السبيل الوحيد للاجابة الصحيحة ، ونتيجة لذلك فان اجابات القراء تأرجحت بين الخطأ والصواب ، وان كانت كفة الاخطاء ارجح .

واليك ايها القارىء نموذجاً للاجابات الصحيحة ، ثم أسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ – الحلم سيد الاخلاق .

٢ – اسم كاتب مسرحية « يا طالع الشجرة » ، توفيق الحكيم .

٣ – زوج السيدة فاطمة الزهراء : سيدنا علي بن ابي طالب ، وزوج السيدة رقية : سيدنا عثمان بن عفان .

٤ – نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ، هو صدر البيت ، وقائل هذا البيت : ابو تمام .

٥ – الاسفنج أصله حيواني .. اما الفلين فاصله نباتي .

٦ – قمة افرست اعلى جبل في آسيا ، اما الجبل الابيض « مون بلان » فهو اعلى قمة جبل في اوربا ، ويقع في سلسلة جبال الألب .

٧ – ولاية تكساس هي الولاية التي كانت تابعة للمكسيك ثم انضمت الى حكومة واشنطن .

٨ – دورة ١٩٦٨ اقيمت في المكسيك ودورة ١٩٦٤ اقيمت في اليابان .

٩ – اشتهر ماركوني باختراع الاتصال اللاسلكي (الراديو) .

الفائزون بالمسابقة

■ الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها محمد جمال مصطفى / بغداد / العراق .

■ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها سميح محمود المغربي / الزرقاء / الاردن .

■ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها جعفر محمد مكي / البحرين .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من

١ – عثمان محمد القاضي / عنيزة / السعودية

٢ – محمد سعيد رشدان / الكويت

٣ – عائشة عرفان / حلب / سوريا

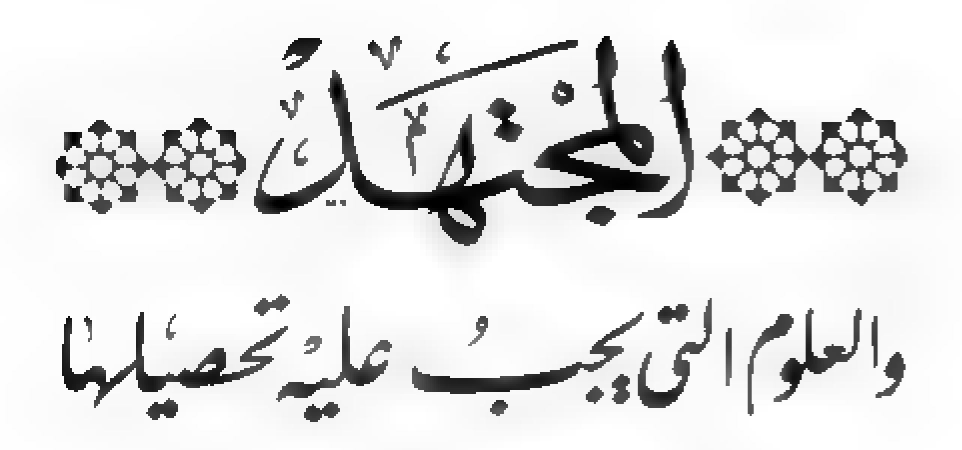
٤ – جميلة صابر / بنت جبيل / لبنان

٥ – عياد موسى البواني / طرابلس / ليبيا

٦ – حسين متجود ابراهيم / القاهرة / ج٠ع٠م

٧ – مصطفى عوض محمد / الخرطوم / السودان

٨ – نبيل موسى عوض / اليونان



بقلم : بدر المتولي عبد الباسط
عميد كلية الشريعة بالازهر سابقا والاستاذ بجامعة الكويت

■ عرفنا انه يشترط لصحة الاجتهاد – كما قال حجة الاسلام الغزالي – ان يكون المجتهد محيطا بمدارك الشرع ، متمكنا من استثارة الظن بالنظر فيها (اى تحصيل الظن بما يرجح عند النظر في ادلة الشرع) وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره .

وعرفنا ان مدارك الاحكام – هي – ادلتها ، وانها ترجع الى الكتاب والسنة والاجماع والقياس – كادلة اصلية – وهناك ادلة اخرى تبعية اهمها – كما قلنا – العرف والاستصلاح ، وهو مراعاة المصالح ، كما عرفنا الحد الادنى مما يجب معرفته من هذه الادلة ، ولكن كيفية الانتفاع بهذه الادلة تحتاج الى ادوات لايستطيع الفقيه بدونها ان يبلغ درجة الاجتهاد ، وبدون هذه الادوات لا يكون الفقيه – حقا – فقيها بالمعنى الصحيح بل هو جامع للفقه من غيره ومقلد له .

والاجتهاد مرتبة لايبلغها كل انسان ، بل من جمع ادواته واحسن استعمال تلك الادوات ، كأى فنان لا يبلغ درجة الاجادة في فنه الا اذا توفرت لديه ادواته واجاد استغلالها .

واول مدرك من مدارك الاحكام الشرعية القرآن الكريم ، ثم السنة النبوية الشريفة .

واستنباط الاحكام منهما يتطلب .

أولا : معرفة باللغة العربية واساليبها معرفة تمكنه من فهم النص فهما صحيحا بكل انواع الدلالات التي يتضمنها النص عبارة واشارة ونصا ، وهو ما يعرف عند العلماء بالفحوى ، وكذا ما يدل عليه النص اقتضاء .

وليس من الضروري ان يعرف هذه المصطلحات فانها مصطلحات مستحدثة ، ولكن المهم ان يعرف مدلولها .

كما يجب ان يميز بين العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والصريح وغير الصريح ، والظاهر والخفي والمتشابه والمحكم ، ليستطيع أن يحمل النص على ما يجب ان يحمل عليه من المعاني ، وان يجتنب التأويلات الفاسدة التي تجافي العرف اللغوي والعرف الشرعي .

وكما قلت – آنفا – لا يجب أن يعرف هذه المصطلحات ولكن يجب ان يكون خبيرا بمدلولاتها .

واشتراط معرفة اللغة العربية امر بديهي ، لايحتاج الى دليل او برهان ، ضرورة ان المصدرين الرئيسيين للاحكام هما الكتاب والسنة وهما عربيان .

وترجمة معاني القرآن الكريم والسنة – مهما

كانت دقيقة — اكتفى الفقيه المجتهد عن معرفة اللغة العربية ، لان الترجمة تعبر عما فهمه المترجم من النص الاصلى ، وليست فهما للمجتهد نفسه للنص ، فيكون الفقيه — حينئذ — مقلدا للمترجم لا مجتهدا .

نعم الترجمة الصحيحة لمعاني القرآن والسنة تصلح مصدرا للثقافة العامة وتنويرا لاذهان غير العرب بما اشتمل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية من معان سامية ومبادىء كريمة .

الى اي مدى يجب على المجتهد معرفة اللغة العربية ؟

ان تحديد المستوى الادنى لما يجب ان يصل اليه المجتهد لمعرفة اللغة العربية مشكلة ، ذلك ان الصحابة — رضوان الله عليهم — كان جلهم من العرب الخلص ، بل ان القلة غير العربية كانوا مستعربين لانهم نشأوا في بيئة عربية خالصة ، ومع هذا فان قلة قليلة جدا — هم — الذين كانوا مجتهدين ، فان المعروفين بكثرة الفتيا منهم لايتجاوزون العشرة الا قليلا ، واما المتوسطون فهم لايبلغون الاربعين ، المقلون لايتجاوزن الثلاثة الا قليلا ، بينما الذين عرفوا من الصحابة ودخلوا في سجل التاريخ قد بلغوا مائة الف او يزيدون .

من هنا يتبين لنا ان تحديد المستوى اللغوى للمجتهد من المشكلات .

ومن المؤكد — كذلك — ان الاجتهاد ليس فهما للنص من الكتاب والسنة فهما سطحيا ، فان الاجتهاد — كما علمنا — بذل الجهد والطاقة في استنباط الحكم من دليله ، فاذا كان الدليل واضحا ففهم الحكم منه لا يسمى اجتهادا .

وليس من الضرورى ان يكون مستوى المجتهد في اللغة العربية كسيبويه في النحو والاصمعي في متن اللغة ومعرفة غريبها ، ولا كمستوى عبد القاهر الجرجاني او الزمخشرى في البلاغة ، فان هؤلاء قد تخصصوا في هذه العلوم ، وايجاب ان يكون المجتهد مثلهم مجتمعين تكليف بما لايطاق وتعجيز لطالب الفقه ان يكون مجتهدا وسد لباب الاجتهاد مع حاجة الامة الى فتحه للقادرين عليه في حدود المعقول والطاقة البشرية .

اذا فما هو الحد الادنى من المستوى اللغوى للمجتهد ؟

حظ المجتهد من النحو

ان ادنى ما يطلب من المجتهد — من النحو — ان يعرف وجوه الاعراب المختلفة للنص الذى ينظر فيه ، فان بين الاعراب والمعنى صلة وثيقة ، فان النص على اعتبار النطق فاعلا غير المعنى على اعتباره مفعولا ، كما ان المعنى يتغير تغيرا كليا اذا كانت الواو في نص من النصوص واو حال عما اذا كانت واو عطف ، انظر الى قوله — تعالى : «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق» فان المعنى على اعتبار الواو — في هذه الآية — واو حال النهي عن اكل متروك التسمية اذا كان الترك فسقا ، وهو لا يكون فسقا الا اذا ذكر اسم غير اسم الله ، وبهذا اخذ بعض الائمة كالشافعي — رضى الله عنه .

واما اذا اعتبرنا الواو للعطف فان النهي عن اكل متروك التسمية يكون نهيا مطلقا غير مقيد بكونه قد ذكر غير اسم الله عليه ، ويكون قوله — تعالى — « وانه لفسق » (1) اخبار ان ترك التسمية — في حد ذاته — فسق .

واذا كان متروك التسمية — سهوا — حلالا فذلك الحل ثابت بدليل آخر ، فانت ترى ان لوجوه الاعراب المختلفة مدخلا هاما في اختلاف المعاني المترتب عليه اختلاف الاحكام .

ومثال آخر يوضح لك اثر اختلاف الاعراب في اختلاف الاحكام قوله — تعالى — في آية الطهارة وهي قوله — تعالى — « يايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين » (2) فان نصب « ارجلكم » يرجع العطف على « وجوهكم » .

وعليه تكون وظيفة الرجل في الوضوء — هي — الغسل لا المسح ، وهذا ما ذهب اليه جمهور الفقهاء سلفا وخلفا ، واما جر هذا اللفظ فانه يرجح ان تكون وظيفة الرجل المسح عطفا على برؤوسكم ، وهذا ماذهب اليه الامامية وبعض الفقهاء .

---

1 — سورة الانعام من الآية 121

2 — سورة المائدة من الآية 6

والأمثلة في ذلك كثيرة ، ولو ذهبت أعدد آثر اختلاف المعنى باختلاف الإعراب لطال البحث ولخرجت عن النهج الذي رسمته لهذا البحث .

هذا وإنكار أثر الإعراب في فهم المعنى الصحيح مكابرة .

حظ المجتهد من متن اللغة

وأما الحد الأدنى لمعرفة المجتهد لمتن اللغة وغريبها فأن يكون عالماً بمدلولات الألفاظ والمعاني التي وضعها لها العرب حتى لا يفسر لفظاً بمعنى لم يوضع له ، فإن العلم بأية لغة ليس جمعاً لحشد من ألفاظ تلك اللغة وإنما معرفة ما يدل عليه كل لفظ من المعاني ، مع فهم التركيبات اللفظية في كل لغة .

وإذا كان للفظ له أكثر من معنى في استعمال العرب فعليه أن ينظر هل هذه الاستعمالات كلها حقيقية فيكون اللفظ مشتركاً أو أن بعض هذه الاستعمالات حقيقي دون البعض ، فإذا كان اللفظ من القبيل الأول ــ وهو ما يسميه العلماء مشتركاً ــ فعلى الفقيه أن ينظر ــ مستعيناً بالقرائن والأدلة الأخرى ــ أي المعاني أقرب فيحمل عليه ، وهنا تختلف الأنظار كما في قوله ــ تعالى ــ « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء (١) » فإن لفظ قروء جمع للفظ « قرء » وقد وضعه العرب للحيض والطهر ، فقد حمله بعض المجتهدين على المعنى الأول ومنهم الخلفاء الأربعة الراشدون وأبو موسى الأشعري وابن مسعود ــ رضي الله عنهم ــ من السلف ، ومن الأئمة المجتهدين أبو حنيفة ــ رضي الله عنه .

وممن ذهب إلى المعنى الثاني عائشة أم المؤمنين وابن عباس ــ في بعض الروايات ، وتبعهم الشافعي ــ رضي الله عنهم جميعاً .

هذا مثل سقته ليتبين لنا وجوب إحاطة الفقيه المجتهد بمدلولات كل لفظ في النص الذي ينظر فيه ليستنبط الحكم الشرعي .

ويكفي المجتهد ــ الآن ــ أن يطلع على القواميس التي جمعت حشداً عظيماً من ألفاظ اللغة العربية كلسان العرب أو القاموس المحيط أو المصباح المنير ، بل يكفيه مراجعة أي كتاب جمع غريب القرآن ككتاب غريب القرآن للسجستاني أو غريب الحديث لابن الأثير ، فإني أعتقد أنه لا يوجد لفظ يصعب فهمه من آيات أو أحاديث الأحكام تركتها كتب الغريب .

ولا بد أن يفرق بين المعاني الحقيقية للألفاظ أو بعبارة أوضح المعاني الأصلية وبين المعاني المجازية وهي المعاني غير الأساسية ، حتى لا يتورط فيحمل النص على المعنى المجازي مع إمكان حمله على المعنى الحقيقي ويساعده في ذلك أن يرجع إلى الكتب المتخصصة في هذا اللون من ألوان علوم اللغة ككتاب أساس البلاغة للزمخشري .

وليس الرجوع إلى مثل هذه المراجع كالرجوع إلى التراجم ، فإن التراجم تعبير عما فهمه المترجم من النص بخلاف كتب اللغة فإن المؤلفين ليس لهم إلا حظ الجمع والتنسيق ، وهذا جهد ليس بالقليل أو الهين .

حظ المجتهد من البلاغة

هذا وأدنى ما يجب أن يبلغه المجتهد في البلاغة أن يدرك السر وراء عدول الشارع عن تعبير بتعبير ، فإن المعنى يتغير بتغير التركيب اللفظي ، فليس المعنى مع التأكيد كالمعنى بدونه ، ولا مع التقديم كما لو كان مع التأخير ، وليس المعنى للجمل الاسمية كالمعنى للجمل الفعلية ، ومثل ذلك يقال في الجمل الإخبارية والجمل الإنشائية ، والعدول عن الإيجاز إلى الإطناب أو العكس ، كل ذلك أسرار ومعان لا يستغني عنها الفقيه المجتهد .

وهذا يتطلب من المجتهد ذوقاً عربياً ، وكان هذا يكفيه قديماً ، ولكنه ــ الآن ــ يتطلب ــ مع الذوق ــ علماً بصناعة البلاغة .

نعم ليس من الضروري أن يعرف المصطلحات ، ولا أن يصل إلى مستوى كبار علماء البلاغة ولكن يجب أن يعرف كل ما يتصل بالنص الذي يستنبط منه الحكم ، وأضرب بعض الأمثلة التي تبين لنا مدى حاجة الفقيه المجتهد إلى معرفة البلاغة ذوقاً وصناعة .

قوله ــ تعالى ــ « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف (٢) » فإن المعنى الأول للجملة الثانية من الآية وعلى الأب نفقة

---

١ ــ سورة البقرة من الآية ٢٢٨

٢ ــ سورة البقرة من الآية ٢٣٣

وكسوة الوالدات بما هو متعارف عليه في بيئتهن ، ولكن المجتهد يقف متأملا امام هذا التعبير الذي عدل النص القرآني — وهو قمة البلاغة — عن التعبير بلفظ « الاب » — وهو اخصر — الى التعبير بلفظ «المولود له » وهو اطول ،والاصل ان لا يعدل عن الايجاز الى الاطناب الا لحكمة وسر .

المجتهد لايمر ذلك بمر يسر وسهولة او عدم اكتراث ، او يقول : ان ذلك من قبيل التفنن في التعبير ؛ بل يقف متأملا ، ويفهم ان هذا التعبير يشير الى معنى دقيق ، هو ان الولد — ذكرا او انثى — كأنه مولود للاب ، فهو ينتسب اليه ، ولا ينتسب الى امه ، وعند النظر الى كفالته — حسبما لاعتبارات يحسمها العرف ، فكفالته — من هذه الزاوية — تقدر بنسب ابيه لا بنسب امه ، والاب — وحده — هو الذي يتحمل نفقة ولده .

ومثال آخر ، قوله — تعالى — في آية المحرمات من النساء : الآية — ٢٣ — من سورة النساء « وامهاتكم اللاتي ارضعنكم » كان مقتضى الظاهر ان يقول : ومرضعاتكم ، ولكنه عدل عن ذلك الى التعبير بثلاث كلمات .

والمجتهد لا يقف مكتوف اليدين امام هذا العدول ، بل يغوص ليستنبط احكاما عدة ، منها ان للمرضعة حقا كحق الام من الرعاية والتبجيل ، ومنها ان المرضعة حيث اكتسبت وصف الامومة ، فاختها خالة ، وامها جدة وزوجها اب او زوج ام وهكذا .

ويمكن — كذلك — ان يفهم ان المرضعة لا تكتسب وصف الامومة برضعة او رضعتين بل لا بد ان تكون قد ارضعته رضاعا تتأهل به لان تكون اما ، كما فهم ذلك بعض المجتهدين — سلفا وخلفا .

ومثال ثالث : قوله — تعالى — « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » (١) فان ظاهر هذا النص انه اخبار من الله — تعالى — ان لا يجعل سلطانا لكافر على مسلم او لجماعة الكفار على جماعة المسلمين ، وهذا المعنى غير مراد — قطعا — والا لزم الكذب في خبره — تعالى — فقد وجدت ولاية الكافرين على المسلمين كافراد او جماعة ، وانما الفقيه المجتهد يفهم من هذا النص ان هذا نهي من الله — تعالى — لجماعة المسلمين ان يمكنوا الكفار من رقابهم والتسلط عليهم باتخاذ جميع الوسائل التي تحول بينهم وبين التسلط عليهم .

وسر العدول عن الجملة الانشائية وهي النهي الصريح الى الجملة الخبرية ان ولاية الكافرين على المؤمنين امر ينبغي ان لا يكون .

هذه امثلة تبين — لنا — حاجة المجتهد الى ان يكون له معرفة وخبرة وذوق بالبلاغة العربية .

هذا هو المستوى الادنى لمعرفة علوم اللغة العربية لمن اراد ان يبلغ المستوى الادنى للاجتهاد ، ومن اراد الرقي في هذه الرتبة التي يطمح اليها كل طالب فليتزود من التبحر في اللغة وادابها .

ومعرفة هذه العلوم امر مستحدث في الامة بعد ان فسد اللسان العربي وبعد ان اصبحت العربية الاصيلة صناعة ، يتعلمها الناشيء مع تعلم العلوم الاخرى . واما الصدر الاول فقد كانوا في غنى عنها لسلامة لسانهم من اللحن ، وجودة ذوقهم في فهم اللغة واسرارها ، ومع هذا فلم يكونوا — كلهم — فقهاء ، لان الفقه — كما سبق — يتطلب مع التعمق في اللغة ذوقا اخر ومعرفة بامور اخرى سنعلمها — فيما بعد — .

ولهذه النتيجة الاولى : ان كل من ينظر في نص قرآني او حديث نبوي ، ويريد ان يفهمه فهما صحيحا او يفسره تفسيرا قريبا من الصحة يجب ان يصل الى الحد الادنى من الثقافة في اللغة العربية ، والا كان حاطب ليل يخطيء اكثر مما يصيب ، ويكون في تفسيره لكتاب الله او سنة رسول الله متبعا للهوى جريئا على الله ورسوله .

حظ المجتهد من علم ما يقبل من الاحاديث وما لا يقبل

وثانيا : علم بما يقبل من الاحاديث وما لا يقبل ، وما يقدم منها في الاستدلال وما يؤخر وذلك ان السنة لم تدون — بصورة جماعية — الا في مطلع القرن الثاني من الهجرة ايام حكم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، وكانت قبله — يعتمد على نقلها بالمشافهة ، وعلى حفظها بالاستظهار القلبي ، لان السلف — رضي الله عنهم — خشوا ان تختلط السنة بالكتاب ، فلم يدونوا — في الجملة — الا القرآن الكريم ، واكتفوا في السنة بالحفظ والنقل الشفاهي ، ولما نجمت الفتنة في الامة في اواخر عهد عثمان — رضي الله عنه — ودخل في الدين قوم لاحظ منهم للايمان ، وانما دخلوه رغبة او رهبة مع اصرارهم على الكيد لهذا الدين حاولوا الكيد له بتحريف القرآن الكريم فلم يستطيعوا فسلكوا دربا آخر وهو الكذب على رسول الله —

١ — سورة النساء من الآية ١٤١ .

صلى الله عليه وسلم – ومنهم من حاول ان ينصر مذهبه السياسي او رايه الفقهي ، فاختلق احاديث مكذوبة على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما راى عمر بن عبد العزيز ذلك ، وخشي ان يطول المدى على الناس ويبتعد العهد بين المسلمين وبين نبيهم ، فيصعب معرفة ما صح عنه وما لم يصح فانه – بعد تردد ومشاورة – في تدوين السنة ، فشمر العلماء عن سواعد الجد في جمع هذه الاخبار ، وتنقيتها مما علق بها من شوائب ، ولما كان العهد قريبا تتبعوا الرواة واحدا واحدا ، وبينوا مراتبهم من العدالة والضبط فكانت الاحاديث على مستويات مختلفة من حيث القبول والرفض .

والحق الذي يجب ان يسجل بمداد الفخر ان لعلماء الحديث – على اختلاف نزعاتهم وطبقاتهم – دينا في عنق كل مسلم الى يوم القيامة ، فان الجهد الذي بذلوه لمعرفة ما زيف على الرسول – صلى الله عليه وسلم – جهد لم تعرفه امة من الامم لتوثيق ما نقل عن انبيائها او عظمائها ، ونظرة واحدة الى كتب الرجال او ترجيح حديث على حديث تبين لك مدى الجهد الذي بذله هؤلاء العلماء في هذا المضمار .

ولقد كان المجتهدون في القرون الاولى يسهل عليهم ان ينفردوا بمعرفة الاحاديث الصحيحة وغير الصحيحة وان يرجحوا حديثا على حديث عند التعارض لمعرفتهم بالرجال ، واما – الآن – فان معرفة ذلك – لطول العهد – لعسير عسيرة ، بل في حكم المستحيل – عادة – ولهذا فانه يكفي الفقيه المجتهد – في عصرنا هذا – ان يعتمد على كتب الصحاح التي تلقتها الامة بالقبول .

والحد الادنى لمعرفة ذلك ان يرجع الى مظان الحديث من كتب احاديث الاحكام ، كنيل الاوطار للشوكاني ، وسبل السلام للصنعاني ، ونصب الراية للزيلعي ، وسنن ابي داود وسنن البيهقي ، وغير ذلك من كتب السنة الصحيحة التي تخصصت في نقل احاديث الاحكام ، ويدخل في هذا الباب كتاب المحلى لابن حزم . ويسعفني في الترجيح – في مثل هذه الاحوال – الكتب الآتية : المغني لابن قدامة الحنبلي ، وفتح القدير للكمال بن الهمام الحنفي ، والمجموع لمحيي الدين النووي الشافعي ، ولا اقول ذلك على سبيل الحصر ، ولكن لتنوير الاذهان وليسر الامر على من اراده .

والمشكلة في هذا الموضوع – هو – ترجيح خبر على خبر ، فان العلماء في هذا المضمار قد اختلفوا اختلافا كبيرا ، وفرض كل منهم – هو – ترجيح فن على فن بالطريقة العلمية ، ولكل عالم طريقته ومن اراد ان يستزيد في هذا الموضوع فليرجع الى مباحث الترجيح في كتب اصول الفقه ، فانه سيرى العجب العاجب من هؤلاء العلماء ، ومدى اخلاصهم لهذا الدين ، ويرى انهم لم يبنوا اجتهادهم على الاهواء والاغراض .

ولم يخلصوا – اولا – لم يضعون القواعد – ثانيا – بل كانوا امناء مع انفسهم ومع امتهم

حظ المجتهد من علم مواطن الاجماع

ثالثا : ان يعرف المجتهد مواطن الاجماع ، حتى لا يخرج عليه .

والحد الادنى في ذلك ان يبحث في المسألة التي ينظر فيها ، افيها اجماع ، فان كان فيها اجماع فلينظر في طريق نقل هذا الاجماع ، اهو التواتر ام خبر آحاد ، وان كان الاجماع ثابتا بطريق يقيني اهو اجماع صريح ام سكوتي .

فان كان الاجماع نقل بطريق اخبار الآحاد او كان اجماعا سكوتيا وسعه ان يجتهد فيه بالاسلوب العلمي ، والا فمسلك انه – حينئذ – يكون دليلا قطعيا ، ولا اجتهاد في مقابلة الدليل القطعي .

حظ المجتهد من معرفة انواع العلل المناسبة للحكم الشرعي

رابعا : ان يعرف انواع العلل المناسبة للحكم الشرعي اذا كان ممن يرى جواز الاعتماد على القياس عند عدم النص . كما هو راى جمهور الائمة مع اختلاف في بعض التفصيلات .

واما ان اداه اجتهاده الى عدم الاعتماد على القياس – جملة وتفصيلا – فلا حاجة له الى معرفة انواع العلل مناسبة او غير مناسبة .

والقدر الذي يحتاجه المجتهد – كحد ادنى – من انواع العلل ان ينظر الى نوع العلة التي يرى مناط الحكم الشرعي عليها ، اهي علة اعتبرها الشارع ام الغاها ام سكت عنها ، فان كانت من النوع الاول وسعه ان يدير الحكم عليها ، متى لم يجد نصا في المسألة ، وان كانت من النوع الثاني لم يسعه ان يبني عليها حكما ، وان كانت من النوع الثالث فهي محل للاخذ والرد .

والراى – عندي – ان لا يستقل برايه ، بل

يشترك معه اهل الاختصاص في تمحيص النفع والضرر فان غلب الخير على الشر اخذ بها ، والا الغاها ، ولينحصر الاقتراد برايه – منفردا – في هذه الحال ، فان الانسان مجبول على ان لا يرى جانب الشر فيما احب ولا جانب الخير فيما يكره ، والاهواء لتجري من الانسان مجرى الدم ، وليكن اهل الاختصاص – بقدر الامكان – من الثقاة العدول او مستوري الحال على اقل تقدير ، حتى لا يكونوا متهمين في دينهم ، كما يجب ان لا يكونوا تحت سلطان تهديد او اغراء ، بل تطلق لهم الحرية في عرض آرائهم وبيان وجهة نظرهم ، ثم تأتي بعد ذلك مهمة المجتهد وهي المقارنة الصحيحة على هدى من قواعد الشريعة العامة .

العرف والاستصلاح

واما الحد الادنى لما يجب ان يعرفه المجتهد عن العرف او عن الاستصلاح فقد تحدثت عنه في مقال سابق بما احتفظ اليه كاف لمستوى هذا البحث .

علم اصول الفقه وعلم الخلاف

هذا وقد عد العلماء من العلوم التي يجب ان يتقنها علم اصول الفقه ، وعلم الخلاف الذي تطور فيما بعد الى ما يعرف « بالفقه المقارن » . وذهب البعض الى عدم وجوب العلم بهما .

وقبل ان ابدي رايي في الموضوع احب ان اعطي للقارىء صورة مجملة عن كل من هذين العلمين .

فاما علم اصول الفقه فهو علم بالقواعد التي يجب ان يلتزمها المجتهد في استنباط الاحكام حتى يكون استنباطه صحيحا ، وهذا العلم مستحدث في الامة الاسلامية ، فان المجتهدين القدامى كانت لهم قواعد ملتزمة في استنباط الاحكام ، ولكنها لم تكن مدونة ، الى ان جاء الامام الشافعي – رضي الله عنه – فدون رسالته المشهورة فكانت اول كتاب دون في هذا العلم ، والامام الشافعي ولد في سنة ١٥٠ هـ وتوفي في مطلع القرن الثالث الهجري .

ولا يعنينا ما زعمه بعض المؤرخين من ان الشافعي مسبوق في هذا المضمار ، فان الواقع – الآن – ان اقدم ما الف في هذا العلم – هي رسالة الشافعي .

واما علم الخلاف فهو – كذلك – مستحدث في الدين ، وهو علم يعرض لآراء المخالفين لراي امام معين فينقضها ، ويدافع المؤلف عن راي امامه . وهذا العلم املته العصبية المذهبية ، ولكنه مع تطور الزمن كان نواة طيبة للفقه المقارن .

والفرق بينهما ان علم الخلاف يعنى اول ما يعنى بنصرة مذهب معين ، مهما كانت وجهة نظر صاحب هذا المذهب .

واما الفقه المقارن فانه يعرض اراء كل مذهب مدللة ومعللة ، كما يعرض وجهة نظر كل مذهب مستقاة من امهات مراجع كل مذهب ، ثم يقارن المؤلف بين هذه الآراء ويتخير رايا يترجح – عنده – دليله .

هذه صورة مجملة لهذين العلمين ، والفقه المقارن والذين انكروا وجوب معرفة المجتهد لهذه العلوم بنوا رايهم على ان هذه علوم مستحدثة ، وان المجتهدين القدامى ما كان لهم بها من معرفة ، وبعبارة اوضح ان العلم بها ليس شرطا لصحة الاجتهاد .

والذين راوا وجوب معرفتها بنوا رايهم على ان تصور مجتهد جاهل بهذه العلوم غير معقول .

وبعبارة اوضح ان معرفة هذه العلوم شرط لتحقق صفة الاجتهاد لا لصحة الاجتهاد .

ومن هنا يتبين لنا – ان النفي والاثبات لم يتناولا محل واحد ، وانا مع الرايين وجاهته وان وجود مجتهد – الآن – يجهل هذه العلوم غير متصور ، فان ملكة الاجتهاد لا تحصل عند الانسان الا بالممارسة والاطلاع على اراء الآخرين ، وهذا مشاهد في كل فن او صنعة او علم ، الا لا يتصور مهندس لم يطلع على اعمال السابقين من المهندسين ، ولا طبيب لم يعرف منهج غيره من الاطباء ، وقل مثل هذا في كل شيء .

واما السابقون الاولون فقد اخذوا من ذلك التلقي عنهم من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فان المجتهدين من التابعين تفقهوا بفقه الصحابة ، وتابعو التابعين تفقهوا بفقه الصحابة والتابعين .

فلا شك ان هذه العلوم ضرورية لتربية ملكات الاستنباط عند من يريد ان يبلغ مرتبة الاجتهاد تلك المرتبة التي يرنو اليها المخلصون من العلماء ، ويحاولون الوصول اليها بتحصيل ادواتها .

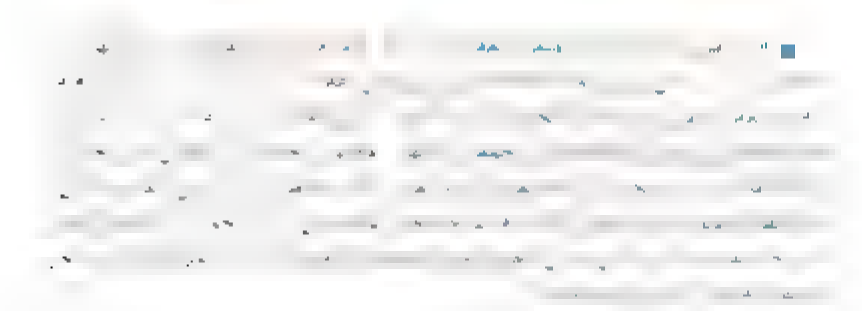
وهي – مع الاسف – مرتبة يدعي الوصول اليها كل دعي لا حظ له من العلم الا الدعاوى الكاذبة .

« فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

بدر المتولي عبد الباسط

الانتظار

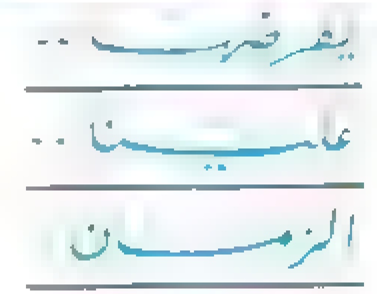
بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم



وهناك صورتان مختلفتان للانتظار ، فهناك الانتظار الصبور المتأني ، وهناك الانتظار اللهف المتعجل . والأول منهما انتظار هادئ طويل الباع ، يعرف كيف يخضع لقانون العاقبة ، ويدرك أهمية التدرج عبر بعض المراحل ، فهو يرفض التحقق السريع المباشر ، ويثور على مبدأ الطفرة أو الوثبة الخاطفة . ومثل هذا الانتظار ـ في صميمه ـ انتظار واقعي يستند الى روح المصابرة ؛ لأنه يكره الأشياء الفجة التي تجيء قبل أوانها ، ويأبى أن يجني الفاكهة الخضراء التي لم تنضج بعد

وأما الثاني منهما فهو ذلك الانتظار اللهف المتعجل وهو انتظار يريد دائما أن يتخطى المراحل المتوسطة ، ويأبى الا أن « يحرق المحطات » كما يقول بلغته العامية ! انه انتظار شكلي لا يكاد يكف عن التحسر ، فهو يقول لنفسه باستمرار « وا أسفاه ! ليس هذا بعد ما انتظره » ! انه انتظار يفرغ الحاضر من مضمونه ، وينزع منه كل قيمة ، دون أن يفطن الى أنه بذلك يلغي حاضره لحساب مستقبله ! ولكنه في الوقت نفسه انتظار عاطل خامد ، لا ينطوي على أي شكل من أشكال





النشاط ، إنه انتظار كسول يرفض قانون الزمن ، ويتمنى لو يتناسى ان الأشياء الجميلة في هذه الحياة الدنيا تحتاج دائما الى فترة طويلة من النضج او الاختمار ! ومثل هذا الانتظار يريد دائما ان يقفز الى النهاية السعيدة ، دون ان يمهد لها بالشروط الضرورية لظهورها ، وكأنما هو يزدري الوسائل او الوسائط ، او كأنما هو يتوقع لهذه النهاية ان تتحقق بفعل قوة سحرية مجهولة !

وليس من شك في أن « الانتظار » إنما يظهر من ام [illegible] الشباب ؛ فان الصبر الذي يتطلبه هذا الفعل النفساني الشاق لا بد من ان يفرض على صاحبه قدرا غير قليل من مجاهدة الذات ! إن الانسان الذي « ينتظر » يتعلق قلبا بالحاضر ، ويتحرك صوبا الى المستقبل ، ولكنه في الوقت نفسه يعلم أن الحاضر لا بد ان يسترق وقتا ، وأن المستقبل لا بد من ان يجيء في موعده ! ومعنى هذا انه لا بد لرقصة الحياة من ان تتناغم مع دندنات موسيقى الأشياء ، أي أن كل شيء — في هذه الحياة — لا بد من أن يجيء في أوانه . وانت حين تستحث المنتظر سوجها الى جهة ما من الجهات ، فلا بد لك من أن تملأ وقتك — اثناء فترة الانتظار — اما بالتطلع الى المناظر التي تقع عليها عيناك ، او بمطالعة الصحف والمجلات ، الى أن يصل القطار — بعد فترة من الزمن طالت او قصرت — الى المحطة التي ترجعها ، وعندئذ يتحقق رجاؤك ، وتنعم بلقاء الأشخاص الذين كانوا في انتظارك ! واذا كان من شأن الأطفال وبعض المرضى النفسيين الا يعرفوا « الانتظار » ، فما ذلك الا لأنهم عاجزون عن التناغم مع ايقاع الأحداث ، فهم يجيئون دائما قبل الميعاد او بعده ، دون أن يكون في وسعهم الحضور في الوقت المناسب ! وهذا هو الحال أيضا بالنسبة الى أصحاب الحساسية الزائدة ، فانهم يجدون صعوبة كبرى في تحمل مرارة الانتظار ، نظرا لأن لديهم من رهافة الحس ما يحول بينهم وبين التأني او الصبر . ولعل من هذا القبيل ما يروى عن الناثر الفرنسي الفريد دي موسيه [illegible] ، حين كان طفلا ، من ان والدته اصطحبته يوما الى محل أحذية لتشتري له حذاء جديدا ، فما ان وضع التاجر الحذاء الجديد على قدمي الطفل ، حتى صاح في والدته قائلا : « اسرعي يا أمي ، والا لأصبح الحذاء قديما ! »

هل تكون الحياة البشرية سلسلة من « الانتظارات » ؟

. . وقد أرادت الكاتبة الفرنسية سيمون دي بوفوار — في كتابها المشهور « الجنس الثاني » — أن تصف لنا حياة المرأة ، فراحت تقول ان المرأة تعيش في جو معتم ، وان حياتها سلسلة من الانتظارات لأنها تنتظر الحب وتنتظر الزواج ، وتنتظر ولادة الطفل ، وتنتظر من الرجل اثبات حبها ومبررات وجودها . وليس من شك — عندنا — في أن ما نسبته الفيلسوفة الفرنسية المعاصرة الى المرأة — وحدها دون سواها — يمثل في الحقيقة طابعا عاما للوجود البشري . فليس



جميعا — سواء اكنا رجالا أم نساء — نقضي الجانب الاكبر من حياتنا في الانتظار . وآية ذلك ان الطفل ينتظر ظهور اسنانه الجديدة ، وينتظر حلول العطلة الصيفية ، وينتظر معرفة نتيجة الامتحان الذي اداه ، وينتظر بلوغ سن الرشد ، وينتظر القيام بالرحلة التي وعده بها والده .. الخ . والشاب ينتظر الفراغ من الدراسة ، وينتظر الحصول على عمل ، وينتظر الاهتداء الى شريكة حياته ، وينتظر ولادة طفله الاول ، وينتظر الحصول على ترقية في عمله .. الخ . ونحن جميعا ننتظر طرد جيوش الاعداء من اراضينا وننتظر انتهاء فترة الحرب ، وننتظر عودة الرخاء بعد استقرار اسباب السلم ، وننتظر قيام العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص في مجتمعنا العربي الجديد .. الخ . وهكذا نرى ان سائر الاحداث الكبرى التي تقع لنا في حياتنا ، لا بد في العادة من ان تجيء مسبوقة بفترات (طويلة أم قصيرة) من الانتظار .. ولكن ، ماذا عسى ان يكون معنى الانتظار ؟ .

ان الانتظار — اولا وقبل كل شيء — دليل على انه ليس في وسع المرء ان يقتنع بالحاضر ، بل هو لا بد من ان يمتد ببصره نحو المستقبل ، سواء اكان ذلك لخير يرجوه منه ، أم لشر يخشاه فيه . وليس من شك في ان موقف الانسان من المستقبل يحتمل الكثير من الانفعالات الوجدانية ، ولكن يهمنا هنا انه لا بد لاحداث حياتنا من ان تبدو لنا مقترنة باحدى هاتين العلامتين الحسابيتين : علامة الزائد (+) ، و علامة الناقص (—) . فالامل يعني ان علامة ناقص (—) يمكن ان تستحيل الى علامة (+) ، والخشية تعني ان علامة زائد (+) يمكن ان تتحول الى علامة ناقص (—) ، وهذا هو السبب في ان كل انتظار (سواء اتخذ طابع الامل أم طابع الخوف) لا بد من ان يجيء مصبوغا بصبغة وجدانية . وقد كان الرواقيون يقيمون تفرقة واضحة بين الاشياء التي تتوقف علينا من جهة ، والاشياء التي لا تتوقف علينا من جهة أخرى . وكانت حجتهم في ذلك انه مهما يكن من حسن سير الامور ، فانه لا بد من ان تواجه الذات فترة يكون عليها خلالها ان تقنع بالترقب والانتظار . ونحن نجد انفسنا مضطرين الى الانتظار ، لاننا نعلم ان ثمة اشياء ليس لنا عليها يدان ! .

الانتظار ضريبة يفرضها علينا الزمان !

وقد وصف لنا برجسون — عند حديثه عن التعاقب في العالم المادي — هذه الظاهرة التي نحن بصددها فكتب يقول : « اذا كنت اريد ان اعد لنفسي كوبا من الماء المسكر ، فلا بد لي — سواء اردت أم لم ارد — ان انتظر ريثما يذوب السكر في الماء . وهذه الواقعة البسيطة مليئة بالدلالات ، وذلك لان الوقت الذي لا بد لي من ان انتظر خلاله ليس مجرد زمان رياضي ... بل هو زمان نفسي ينطبق مع حالة اللهفة الموجودة لدي . » (1) وواضح من هذه العبارة ان برجسون يقيم تفرقة دقيقة بين الزمان الرياضي القائم على الساعات والدقائق ، والزمان النفسي القائم على الديمومة الباطنية الحية . والامثلة كثيرة على ذلك : فان طبيب الاسنان الذي يريد ان يخلع ضرسا لا بد من ان يجد نفسه مضطرا الى الانتظار ريثما تأخذ عملية التخدير مجراها . والزعيم السياسي الذي يريد ان يقوم بثورة ، لا بد من ان يجد نفسه مضطرا الى الترقب ، ريثما تحين الفرصة المواتية للقيام بحركته السياسية . والرجل الاقتصادي الذي يريد ان يدخل تعديلا على ميزانية الدولة او تخطيطها الاقتصادي ، لا بد من ان يعد العدة لذلك قبل ان يحين موعد الاقتراع على الميزانية الجديدة ، وهلم جرا . وكل هذه الامثلة انما تدلنا على انه لا بد لنا في العادة من الانتظار ، ريثما يحين الوقت المناسب للقيام بالعمل الذي نريد ان نتهض به . وربما كانت الميزة الاساسية التي يتميز بها كبار رجال الاعمال هي انهم يعرفون دائما كيف يختارون الوقت الملائم للقيام بالمشروعات او الخطط التي يعتزمون العمل على تحقيقها ، وكأن لديهم حاسة خاصة تساعدهم على الاهتداء الى اللحظة المناسبة التي تكون في العادة مواتية تماما للعمل الذي يريدون القيام به . ولكن المهم هنا ان عملية الانتظار تنطوي على اعتراف ضمني

(1) Bergson, " L'Evolution Creatrice" P. 10.

بأن الانسان رهن بالظروف ، وان نشاطه متوقف على تعين الفرص الملائمة . ومعنى هذا انه لا بد لنا — سواء اردنا ام لم نرد — ان ندع الزمان الخارجي يقحم نفسه على زماننا الباطني ، وكأنه القوة الدخيلة التي لا بد لها من ان تسجل عملها في صميم ديمومتنا الخاصة . ولعل هذا هو السبب في ان فترات الانتظار كثيرا ما تبدو لنا طويلة مملة ، وكأن الزمان نفسه قد تمدد وتضخم ، حتى اصبح « الآن » نفسه « دهرا » ! وحين حانت لحظة الفراق ، صرخت جولييت في اذن روميو قائلة : —

« لا بد لي من ان اسمع صوتك في كل يوم من ايام الساعة ، فان في الدقيقة الواحدة اياما كثيرة ! » .

ولا شك ان الانتظار الملهوف المتعجل هو وحده الذي يرى في الدقائق اياما ، وفي الساعات اشهرا ، وفي الايام دهورا ، لأنه لا يحسب الزمان بالثواني والدقائق والساعات ، بل بالآنات والآهات والتنهدات ! ومع ذلك فقد يجيء الحب نفسه — كما ورد في بعض قصص التوراة — فيجعل السنين تمضي كالايام ، ! وهذا ما حدث بالنسبة الى النبي يعقوب ، فقد انتظر راحيل اكثر من سبع سنين ، لأنه كان يحبها . وهكذا كان انتظاره لحظة التلاقي بمثابة توقع هادىء جعله لا يستشعر مرور الزمن ، وكأن السنين نفسها قد استحالت الى ايام ! (٢) ومهما يكن من شيء ، فان الانتظار — هادئا كان ام محموما — لا بد من ان يبدو لنا بمثابة الضريبة التي يفرضها علينا الزمان . وكثيرا ما يكون تداخل زمان الآخرين مع زماننا الخاص هو المسؤول عن احساسنا بوطأة الانتظار ، وكأننا نضيق ذرعا بذلك « الضيف الثقيل » الذي ليس لنا عليه سلطان ! ولكننا جميعا نعرف انه لا مفر لنا من تقبل هذه الضريبة الفادحة التي يفرضها علينا الزمان ، لأنه لا قبل لنا بالخروج على سلطان ذلك السيد المتجبر الذي يخضع له حتى اهل العروش واصحاب التيجان ! وليس اثقل على نفس اي ملك من ان يجد نفسه مضطرا الى الانتظار (حتى لقد يروى على لسان احد ملوك فرنسا العظماء قوله : « لقد كدت ان انتظر ! ») ، ولكن الملوك جميعا مضطرون مع ذلك الى ان ينتظروا ريثما يحل لهم خدامهم سيور احذيتهم ، فضلا عن انهم مضطرون الى انتظار العديد من الامور الاخرى ...

ولكن « الانتظار » الحقيقي ليس بالضرورة مجرد ظاهرة سلبية

حقا اننا قد نتوهم ان « الانتظار » — بطبيعته — ظاهرة سلبية محضة ، ولكن التجربة كثيرا ما تشهد بأن فعل « الانتظار » قد لا يخلو من نشاط ايجابي . وآية ذلك اننا قد نقضي فترة الانتظار في الاستعداد لمواجهة الحدث المرتقب ، او في العمل على تهيئة الجو الملائم للشيء المنتظر . وانا حين اوى الى فراشي مبكرا ، طالبا الى من حولي ايقاظي في الموعد المناسب ، فانني منذ الآن قد عدلت عن الترقب او الانتظار . وحين يكف المرء عن الانتظار ، فان معنى هذا انه قد عدل عن مشروعه الاصلي ، او انه قد ادرك ان الحدث المتوقع لن يحدث او انه قد حدث بالفعل .. الخ . وانت حين تكون على موعد مع احد الاشخاص ، فانك تظل ترقبه وتنتظر قدومه . ولكنك اذا علمت ان الموعد قد تأجل ، بسبب مرض هذا الشخص ، او بسبب اي ظرف آخر دعاه الى الغاء اللقاء المحدد ، فانك عندئذ لا تعود تنتظره . وبهذا المعنى يمكننا ان نقول ان الانتظار ليس مجرد ظاهرة سلبية محضة ، بل هو موقف ايجابي ينحصر في تمثل الحالة المرتقبة ، او تصور الطرف المنتظر ، بحيث ان الشخص ليشغل وقته — اثناء فترة الترقب — بالعمل على تهيئة الاعمال التي نرجو تنفيذها (او نرجىء تنفيذها) . ومن هنا فان المرء كثيرا ما يعمد — اثناء فترة الانتظار — الى اداء دور المترقب بطريقة عقلية مسبقة ، وذلك بأن يضع نفسه في صميم الموقف الذي سيكون عليه ان يواجهه ، محاولا تصور الاستجابات التي لا بد له من القيام بها في اللحظة المناسبة ! ولكن مثل هذا التصور المسبق لكل تفاصيل الموقف قد لا يخلو من خطر ، لأن من شأن هذا التوتر النفسي ان يرهقنا ويشل حركتنا ، فلا يلبث الحدث ان يفاجئنا على غير ميعاد بعد ان نكون قد فقدنا كل مقدرة على

(٢) سفر التكوين ٢٩/٢٠-٣٠ (من العهد القديم) .

الاستجابة ! وقد يحدث في بعض الاحيان ان نكون على ميعاد مع شخصية هامة ، فنقوم باعداد كل عبارة سوف ننطق بها في حضرة تلك الشخصية ، ونكرر هذه العبارات لانفسنا مرة بعد اخرى ، ولكننا ما نكاد نجد انفسنا في حضرة تلك الشخصية ، حتى تتبخر الكلمات التي حفظناها بالامس عن ظهر قلب ، حتى ليكاد الموقف يبدو لنا شيئا جديدا لم يكن في الحسبان ! ولعل من هذا القبيل ما يروى عن الشاعر الالماني هيني Heine ، في شبابه ، من انه كان على موعد ـ يوما ـ مع الشاعر الكبير جوته ، فظل ـ طوال الطريق ـ يعد الكلمات الجميلة التي سوف ينطق بها على مسمع من الشاعر الالماني الكبير ، ولكنه لم يكد يجد نفسه في حضرة جوته ، حتى أرتج عليه ، ولم يجد ما يقوله سوى ان فاكهة الكرز ـ على طريق فيمار Weimar ـ قد اصبحت ناضجة ! وليس بين المحبين من لم ينتق ـ يوما ـ عبارات جميلة يقولها للمحبوب عند الالتقاء به ، ولكنه ما كاد يجد نفسه في حضرة الحبيب حتى تجمدت الكلمات على لسانه فاذا به اعجز من ان يحظى بكلمة واحدة من كل ما تفنن في اعداده ! .

الانتظار الذي ما بعده انتظار !

وهنا قد يقال ان الانتظار لا يحمل دائما نفس الدلالة . فهناك انتظار سعيد يحمل معنى البشرى وهناك انتظار اليم يحمل معنى الفاجعة . ولكن الحقيقة ان الانتظار رهن بالمستقبل ، فهو في العادة ثقة ضمنية في انفتاح الافق ، وايمان خفي بامكان تحقق شيء نصبو اليه . وأما حين يصبح المستقبل طريقا مسدودا لا امل فيه ، فهنالك يكون الانتظار قد استحال الى توقع اليم . وهذا هو الحال مثلا بالنسبة الى الرجل المحكوم عليه بالاعدام : فانه يعرف سلفا ما ينتظره ، ومن ثم فانه لا يرى في المستقبل سوى طريق مغلق ، وهذا ما يجعله عاجزا عن وضع اية مشروعات (٢) . ومع ذلك ، فان بعض المحكوم عليهم بالاعدام ، يتمتعون بشجاعة نادرة ، فهم يعبرون عن رغباتهم الاخيرة ، وهم يفكرون في مستقبل ذويهم . ولعل من هذا القبيل مثلا ما كان يفعله الرجل المحكوم عليه بالاعدام في رواية « الابله » L'Idiot لدوستويفسكي : فقد كان يقسم اللحظات الاخيرة المتبقية له على قيد الحياة من اجل التفكير في امور عدة ، كما كان يصنع من تلك الفترة القصيرة عالما صغيرا ، قائما بذاته ! .

« نحن نتوقع الموت ، ولكننا لا ننتظره » (سارتر)

والحق ان الوجود البشري لا يملك الاستغناء عن التوقع ، والترقب ، والانتظار ، والاستباق : لانه لا يستطيع ان يكف عن التطلع الى المستقبل ، والنزوع نحوه ، وتوجيه الانتباه اليه ، والعمل على تحقيق مشروعاته فيه . وقد يقال احيانا اننا ننتظر الموت ، ولكن مثل هذا الانتظار لن يكون الا انتظارا لشيء لن يكون بعده انتظار ! ولهذا فقد رفض سارتر فكرة « انتظار الموت » ، وقال ـ على العكس من ذلك ـ « اننا جميعا نتوقع الموت ، ولكننا لا ننتظره مطلقا » . ومعنى هذا ان الموت ليس حدثا منتظرا ، بل هو واقعة مفاجئة تباغتنا دائما على غير انتظار ! وآية ذلك ان المحكوم عليه بالاعدام حتى اذا ما حدد موعد تنفيذ الحكم فيه ، قد يموت من ذبحة صدرية او اختناق في التنفس ، او لاي سبب آخر قبل الموعد المحدد ، او هو قد يظفر بالصلح او البراءة او تخفيف الحكم قبل ذلك .. الخ .

واما اذا قيل ان موت الشيخوخة هو موت منتظر ، نستعد له ونتهيأ لاستقباله فقد يكون في وسعنا ان نرد على ذلك بقولنا ان التجربة التي قد تتوافر في مثل هذه الحالة هي ـ على كل حال ـ تجربة الشيخوخة ، لا تجربة الموت . والشيخوخة كما يقول سارتر ـ لا تنتظر الموت (بمعنى الكلمة) بل هي تظل تحيا في الحاضر الذي هو سلسلة من الانتظارات ، والشروعات ، والمطامع ، والآمال .. الخ . واما حين تجيء الصدفة فتطوي صفحة الرجل العجوز او الطاعن في السن ، فان مثل هذا الحدث لن يخول لنا الحق في ان نجعل من موته مناسبة خاصة كان ينتظرها ، او حدثا باطنا كان يتوقعه . ولهذا يقول سارتر ان الموت هو دائما

---

(٢) يروى في هذا الصدد عن احد المحكوم عليهم بالاعدام انه سئل ـ قبيل تنفيذ الحكم فيه ـ عن رغبته الاخيرة ، فما كان منه سوى ان اجاب بقوله : « انني ارغب في تعلم اللغة الانجليزية » !!

سلب لكل امكانياتنا ، دون أن يكون في وسعنا أن نقول عنه إنه داخل في دائرة امكانياتنا ! وما دام الموت سلبا لكل امكانية ، فليس من الصواب في شيء أن نقول إننا ننتظره ، لأن الانتظار يحمل معنى الامكانية التي تقبل التحقق في مستقبل قريب أو بعيد ، والموت استحالة كل امكانية ! .

ولكن الحياة لا يمكن أن تكون كلها مجرد انتظار !

لقد رأينا أن « الانتظار » مظهر من مظاهر اتجاه النظر البشري نحو المستقبل ، ولكن من المؤكد أن « الانتظار » لا يمكن أن يكون هو الصورة الوحيدة من صور التطلع نحو المستقبل . وآية ذلك أنه ليس يكفي أن نترقب المستقبل أو أن نحلم به ، بل لا بد لنا من العمل على انتاجه أو تحديد معالمه . وربما كانت آفتنا الكبرى — في الشرق العربي — أننا كثيرا ما نقتصر على التطلع الى المستقبل أو ارتقابه ، دون أن نأخذ على عاتقنا مهمة العمل على استحداثه أو المساهمة في خلقه . والحق أنه لو كان المستقبل شيئا جاهزا معدا من قبل ، لكان في وسعنا منذ الآن أن نراه أو أن نتطلع اليه ، ولكن المستقبل في الحقيقة عالم مجهول لا بد لنا من تعبئة كل طاقاتنا من أجل ارتياده بروح الأمل والشجاعة والايمان . فالانتظار الذي يقتصر على توقع حصول الأشياء (أو الأحداث) من تلقاء نفسها ، إنما هو انتظار سلبي يجعل من المستقبل — في جانب كبير منه — رهن بنشاطات الغامض . والذين يقفون مكتوفي الأيدي أمام ما يقع تحت أعينهم من أحداث ، مكتفين بترديد العبارات القائلة بحتمية القدر ، إنما هم حالمون يتفاءلون بالأماني ، أو واهمون يعيشون على الأحلام ! وهناك قوم قد ألفوا حياة الانتظار ، فهم يحلمون بالمستقبل السعيد ، بينما تفلت الفرص من بين أيديهم كأنما هي قطرات الماء التي تتساقط من بين أصابع الطفل الصغير ! وليس من شك في أن الذين يقتصرون على الانتظار ، دون أن يسهموا بأي عمل ايجابي في سبيل تقريب اليوم الموعود أو تحقيق الأمل المنشود ، إنما هم أناس يجرون وراء السراب ، ولا يتطلعون الى شيء آخر سوى الضباب !.

وكثيرا ما نرى أناسا يقضون جانبا غير قليل من حياتهم في الانتظار ، لكي يجنوا في آخر المطاف ثمرة فجة كان يمكن الحصول عليها بدون أدنى انتظار ! ولما كان الأصل في « الانتظار » أنه رفض للثمرة الفجة ، ورغبة في اجتناء الثمرة الناضجة ، فليس أمر في الفشل من أن تكون الثمرة التي نجنيها بعد طول انتظار مجرد ثمرة فجة تخلو تماما من كل نكهة أو مذاق ! وربما كانت أقسى صورة من صور « خيبة الأمل » ، أن يلتمس المرء في خاتمة المطاف — وبعد طول انتظار — شيئا كان في وسعه منذ البداية الحصول عليه أو الظفر به . وهنا يشعر المرء بالزمن الضائع ، ويدرك أنه قد بدد تلك المادة الثمينة التي تتألف منها كل حياته (ألا وهي الديمومة Duree ، أو الزمان الحي). والحق أن الحياة التي تضيع كلها في الترقب والانتظار ، دون أن تقترن بأي عمل ايجابي في صميم الحاضر ، إنما هي حياة تافهة قد ألغى فيها الفرد الحاضر الأكيد لحساب مستقبل مجهول لا يعلمون . ونحن — في مجتمعنا العربي — كثيرا ما نتناسى أن الحياة لا يمكن أن تكون كلها مجرد انتظار ، ومن ثم فإننا كثيرا ما نضيع الفرص الذهبية ، دون أن نفطن الى أن ثمة أشياء لا يمكن أن تتكرر مرتين ! وليس من الحكمة في شيء أن يعلل المرء نفسه دائما بأنه سيكون في وسعه غدا أن يتدارك ما فاته اليوم ، فإن الغد يوم جديد ، وليس ما يضمن له أن يحمل اليه هذا اليوم الجديد ما حمله اليه يومه المنصرم ! صحيح أنه ليس في وسعنا — بطبيعة الحال — أن نحصل الآن كل شيء ، أو أن نجنيه — في يوم واحد — كل ما نحن في حاجة اليه ، ولكن من المؤكد أنه قد يكون من الأفضل لنا اليوم أن نحصل شيئا ، بدلا من أن نظل نرتقب في الغد ألف الأشياء ! .. إننا ننتظر أن نحصد ، دون أن نكون قد زرعنا ، وننتظر أن ننتصر ، دون أن نكون قد حاربنا ، ولكن الحياة لا بد من أن تجيء فتعلمنا — كما علمت من قبل غيرنا — أن مجرد الانتظار ، لا يمكن أن يحمل الينا الانتصار ، وأن الاقتصار على الترقب — دون التعب — لا يمكن أن يكون الا صورة من صور الانتحار ! .

زكريا ابراهيم

مسابقة العربي

١٠٠ دينار تبحث عن

■ مسابقة هذا العدد تتألف من عشرة اسئلة، وهي اسئلة تدور حول معلومات ليست بجديدة على القراء ، اكثرها نشر من قبل في أعداد سابقة من العربي ، والمطلوب ان تجيب اجابة صحيحة على ثمانية فقط من هذه الاسئلة العشر، لتحصل على احدى الجوائز .

(١) كتاب عربي قديم ، موضوعه التاريخ ، واشتهر بمقدمته ، اكثر مما اشتهر بمتنه . عنوان الكتاب هو : « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر » . فمن هو مؤلف هذا الكتاب .

أ ـ ياقوت الحموي . ب ـ ابن خلدون . جـ ـ ابن خلكان .

(٢) عمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص القائدان من ابرز قواد الفتوحات الاسلامية .. وقد قاما باهم فتوحاتهما فيما بين سنة ٦٣٥ ـ ٦٤٠ ميلادية . والمطلوب هو تحديد المنطقة التي تمت فيها الفتوحات كل منهما : آسيا ام افريقيا

(٣) نهر النيل يبلغ من الطول (٦٦٧١) ميلا وهو بلا ريب اطول انهار العالم . فما هو اطول تلك الانهار ، واغزرها مياها :

الجانجس ، الميسيسبي ، الدانوب ، الامزون ، الراين

(٤) اللغة الاسبانية والبرتغالية والانجليزية والعربية ، هي من اللغات الواسعة الانتشار في العالم . والمطلوب هو ترتيب هذه اللغات حسب انتشارها بادئا بالاوسع انتشارا .

(٥) عدد الولايات التي تتكون منها الولايات المتحدة الامريكية هو (٥٠) ولاية ، فما هو عدد الولايات التي يتكون منها الاتحاد السوفييتي ؟

(٦) يقول العرب ، على سبيل التشبيه :

اطيش من فراشة ، اكسى من بصل ، اعطش من رمل ، ويقولون ايضا :

اسمع من .. ، احقد من .. ، اسخى من ..

المطلوب ملء الفراغ بالالفاظ الصحيحة علما بان هذه الالفاظ قد ورد ذكرها في عدد من اعداد العربي السابقة .

(٧) رائد الفضاء الذي سبح في الفضاء لاول مرة في التاريخ عام ١٩٦٥ .. هل كان امريكيا ام سوفياتيا ؟

أصحاب الاجابات الصحيحة

(٨) عبادان بلدة بترولية في ايران . عدد سكانها (٥٠٠٠) نسمة تقريبا ، وقطها اقدم بلدة عرفت البترول في منطقة الشرق الاوسط .. فاين تقع « ابادان » ، المدينة الافريقية ، في مالي ، او في الحبشة ، او في نيجيريا ، او في ملجاشي ، علما بأن ابادان هذه مدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو ثلاثة ارباع مليون نسمة ، وهي في طريقها الى ان تصبح مدينة بترولية عظيمة .

(٩) جبل افرست ، اعلى جبال العالم اطلاقا ، يبلغ من الارتفاع ٢٩٠٢٨ قدما . ويقع في اواسط القارة الآسيوية ، وعلى الحدود بين قطرين ، فما هما هذان القطران .

الهند / الباكستان ـ الصين / نيبال ـ التيبت / افغانستان /

(١٠) منغوليا بلاد واسعة من بلدان آسيا ، مساحتها تعادل مساحة الهند تقريبا ، اما سكانها فلا يزيدون على مليون وربع مليون نسمة . تسمى عاصمتها « اولان باتور » اي البطل الاحمر . فما هو وضع منغوليا السياسي :

١ ـ ولاية تابعة للاتحاد السوفياتي

٢ ـ منطقة تابعة للصين الشعبية

٣ ـ دولة مستقلة ذات سيادة يمثلها عضو في هيئة الامم .

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٥ » .

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٧١ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ، الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ، الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .



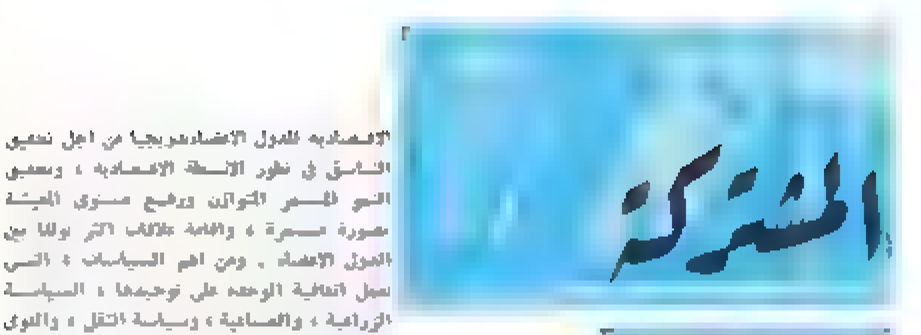


بقلم : الدكتور عبد المنعم الطناملي

■ في ٢٢ يناير ١٩٧٢ شهد العالم تحولا هاما في السياسة والاقتصاد ، سيكون له آثاره على مستقبل الجماعة الدولية ... فقد وافقت الدول الست الأعضاء في السوق الأوروبية المشتركة ، وهي فرنسا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا ولكسمبرج ، على قبول بريطانيا عضوا أصيلا في الاتفاقات المعقودة فيما بينها لإنشاء الوحدة الاقتصادية الأوروبية ، والتي تهدف إلى تحقيق الوحدة السياسية عن طريق التوحيد الاقتصادي الشامل لأوروبا

اتفاقات الوحدة الاقتصادية الأوروبية

وكان أول اتفاق عقد بين تلك الدول هو اتفاق الوحدة الأوربية للفحم والصلب الذي عقد في مارس سنة ١٩٥١ ، بناء على اقتراح من جانب فرنسا أدلى به وزير خارجيتها روبير شومان Schuman في مايو ١٩٥٠ ويتلخص هذا الاتفاق في وضع مجمع الصلب والفحم في فرنسا وألمانيا تحت سيطرة عليا في شكل تنظيم مفتوح تدخله دول أوربا الغربية الأخرى . وفعلا انضمت إلى الاتفاق إيطاليا وبلجيكا وهولندا ولكسمبرج . ودعيت بريطانيا للانضمام ولكنها اعتذرت في آخر الأمر ، وأعلن رئيس وزرائها في ذلك « أتلى » Attlee أن بريطانيا لا تستطيع أن تربط نفسها بما يمكن أن تفرضه تلك السلطة العليا للفحم والصلب من قرارات في المستقبل .



وفي ٢٥ مارس سنة ١٩٥٧ عقد في روما اتفاقان آخران بين الدول الست ، احدهما خاص بالوحدة الاوروبية للطاقة الذرية والآخر وهو الاتفاق الذي ينصب على الوحدة الاقتصادية الاوروبية . وهدف هذا الاتفاق اوسع بكثير من مجرد اقامة اتحاد جمركي اي سوق مشتركة بين الدول الاعضاء ، بل الهدف كما تقول المادة الاولى منه هو اقامة وحدة اقتصادية حقيقية اوروبية بين الاطراف المتعاقدة .

اما عن وسائل تحقيق هذا الهدف ، فهي انشاء سوق مشتركة تسود فيه حرية انتقال السلع بل وحرية انتقال عناصر الانتاج من قوة عاملة ورؤوس اموال . ويتم فيه ايضا تقريب السياسات الاقتصادية للدول الاعضاء تدريجيا من اجل تحقيق التناسق في تطور الانشطة الاقتصادية ، وتحقيق النمو المستمر المتوازن ورفع مستوى المعيشة بصورة مستمرة ، واقامة علاقات اكثر توثقا بين الدول الاعضاء . ومن اهم السياسات ، التي تعمل اتفاقية الوحدة على توحيدها ، السياسة الزراعية ، والصناعية ، وسياسة النقل ، والنقود المشتركة ، والسياسة الاجتماعية ، وسياسة التوازن الاقتصادي .

ومن اسس الوحدة ايضا وضع سياسة متوسطة الاجل ، اي تخطيط التقدم الاقتصادي على اساس من الحرية .

موقف بريطانيا من الوحدة الاقتصادية الاوروبية

كان « ونستون تشرشل » من اول الداعين الى ايجاد وحدة اقتصادية اوروبية ، تقوم على اساس المشاركة بين فرنسا والمانيا ، وله في ذلك خطاب هام القاه في زيورخ في سبتمبر سنة ١٩٤٦ . ولكنه لم يكن يرى ان تكون بريطانيا عضوا في هذه الوحدة ، بل يضعها فيها في موقف المشجع والصديق .

وكان رفض بريطانيا للاشتراك في معاهدة باريس الخاصة بالوحدة الاوروبية للفحم والصلب في عهد حكومة العمال ، التي كانت متأثرة الى حد كبير باتجاهات الجناح اليساري من الحزب ، الذي ما زال الى الآن يعارض دخول بريطانيا اتفاقات الوحدة الاقتصادية الاوروبية .

ولم يقتصر الموقف البريطاني على مجرد رفض الاشتراك في اتفاقيات الوحدة الاقتصادية الاوروبية الثلاث ، بل بذلت بريطانيا جهدا حثيثا لتحويل حركة التعاون الاقتصادي والتجاري الى وجهة تختلف عن فلسفة الوحدة الاقتصادية الاوروبية ، فسعت بريطانيا الى عقد اتفاقات لاقامة منطقة تجارة حرة ، تقوم على اساس تخفيض الرسوم الجمركية او الغائها على السلع الصناعية الواردة من الدول الاعضاء في المنطقة ، اما علاقات كل دولة مع الدول الاخرى غير المنضمة للاتفاقية ، فتظل الدولة حرة شأنها ، اي ان نظام منطقة التجارة الحرة لا يتضمن وضع تعريفة جمركية موحدة تطبقها كافة الدول المشتركة على الواردات من

العالم الخارجي ، حماية للسلع التي تنتجها الدول الاعضاء ، كما انها لا تستهدف توحيد السياسات الاقتصادية بين هذه الدول .

وانتهت جهود بريطانيا الى عقد معاهدة استكهلم سنة ١٩٥٩ ، اشتركت فيها الدنمارك والنرويج والسويد والبرتغال وسويسرا ثم انضمت اليها فنلندا . ولم تنجح جهود بريطانيا في ضم دول السوق الاوروبية المشتركة الى اتفاق منطقة التجارة الحرة .

وقد غيرت بريطانيا موقفها من اتفاقيات الوحدة الاقتصادية الاوروبية بعد ذلك ، اذ تقدمت بطلب الانضمام اليها في سنة ١٩٦٢ ثم اعادت الطلب مرة اخرى في سنة ١٩٦٧ وكررته في يونيو سنة ١٩٧٠ .

ولم يقبل طلب بريطانيا الاول ولا الثاني ، بسبب اعتراض فرنسا على دخولها السوق باعتبارها على حد تعبير الجنرال ديجول « لم يتم بعد نضجها الاوربي » .

ولكن الموقف الفرنسي قد تغير ، وقبلت دول السوق مبدأ انضمام بريطانيا اليها ، بل قد ذهبت الى حد بعيد في تقديم التسهيلات التي تمكن بريطانيا من التغلب على الصعاب الكثيرة التي تصادفها ، لكي تلائم بين اوضاعها وبين ما يقتضيه نظام السوق من سياسات والتزامات ، ستطبق كلها على بريطانيا بعد تمام قبولها وبصفة خاصة بعد مضي فترة الانتقال التي اتفق عليها .

ايجاد حل لمشاكل الكمنولث البريطاني

ومن المشاكل الاساسية التي كان يثيرها انضمام بريطانيا للسوق الاوروبية المشتركة . موضوع علاقاتها مع دول الكومنولث ، اذ يقضي نظام السوق بالتزام الدولة العضو بوضع تعريفة موحدة تطبقها على الواردات من الدول غير الاعضاء في السوق ولكن تطبيق هذا المبدأ على اطلاقه يؤدي الى الحاق الضرر بدول الكمنولث ، التي تصدر لبريطانيا المواد الغذائية وبصفة خاصة بلاد الكمنولث الفقيرة المصدرة للسكر ونيوزيلنده المصدرة للزبد والجبن . وكانت دول السوق تتمسك في المفاوضات السابقة باحترام المبدأ المقرر في الاتفاقية ، ولكن رئيس الوزراء البريطاني هيث توصل مع الرئيس بومبيدو في اجتماعهما الاخير الى موافقة فرنسا على عدم تطبيق المبدأ في فترة الانتقال وهي خمس سنوات ، يسمح خلالها لبريطانيا باستيراد كميات اتفق عليها من دول الكمنولث وهي كميات تمثل نسبا كافية لعدم الحاق الضرر بهذه الدول الاعضاء في الكمنولث . اما بعد انتهاء فترة الانتقال فسيكون الامر محل بحث . ولكن يبدو ان دول السوق غير مستعدة لكسر مبدأ اساسي من المبادىء التي يقوم عليها بناء الوحدة الاقتصادية الاوروبية بالسماح باستمرار بريطانيا في اعطاء الافضلية لدول الكمنولث .

ولا شك في ان قصر الاستثناء على بعض المنتجات سيؤدي الى انهاء التفضيل الذي كان مقررا لمنتجات الكمنولث في بريطانيا وبالتالي الى انهائه بالنسبة للمنتجات البريطانية في دول الكمنولث ما دامت منتجاتها تستثنى من ان تطبق عليها التعريفة الموحدة التي تأخذ بها دول السوق والتي تطبقها بريطانيا اذا ما اصبحت عضوا فيه ولكن يلاحظ ان كل ذلك سيتم تدريجيا . وكذلك سيتم تدريجيا الغاء بريطانيا للرسوم الجمركية المفروضة على الواردات من دول السوق .

السياسة الزراعية

تتبع بريطانيا سياسة في اسعار السلع الزراعية تقوم على اساس حرية استيرادها حتى تبلغ اسعارها في السوق البريطانية ادنى حد ممكن ، وفي نفس الوقت تساعد المنتجين الزراعيين البريطانيين عن طريق اعطائهم اعانات مباشرة لتعويضهم عن انخفاض الاسعار في السوق المحلية .

وتتبع السوق الاوروبية المشتركة سياسة زراعية مخالفة تماما لتلك السياسة البريطانية ، اذ يوضع سعر موحد للمنتجات الزراعية الوطنية ، وهو سعر مرتفع نسبيا لانه يحدد من اجل ضمان مستوى معيشة مناسب للمزارعين ويحمى هذا السعر الداخلي من منافسة المنتجات الزراعية المستوردة ، كما يضمن تصريف الفائض من الانتاج الزراعي ، وتقديم الاعانات للمزارع . ويتم في الوقت الحاضر تمويل السياسة الزراعية ، عن طريق اجهزة الوحدة الاقتصادية الاوروبية ، من موارد مشتركة تأخذها من الدول الاعضاء .

وغني عن البيان ان انضمام بريطانيا الى السوق

سيقلب سياستها الزراعية التقليدية رأسا على عقب . وقد تقرر ان تعمل بريطانيا على ان تلائم بين اوضاعها وسياسة السوق خلال فترة الانتقال المتفق عليها .

السياسة النقدية ومشكلة الاسترليني

نصت اتفاقية الوحدة الاقتصادية الاوروبية على التزام كل عضو باتباع السياسة الاقتصادية المؤدية الى توازن ميزان المدفوعات، وتوفير الثقة بالعملة مع السعي الى الوصول الى درجة عالية من العمالة ، اى تشغيل العمال في ظل استقرار الاسعار . ولبلوغ ذلك تعمل الدول الاعضاء على تنسيق سياستها وبصفة خاصة من الناحية النقدية، وعلى التعاون بين السلطات المالية المختصة بالميزانية ، وكذلك بين البنوك المركزية .

وفي سنة ١٩٧٠ وافق مجلس وزراء الوحدة على اقامة جهاز للتشاور المسبق ، كما وافق المجلس على اعداد نظام للمساعدة المالية لمقابلة الازمات النقدية التي قد تتعرض لها اية دولة من الدول الاعضاء .

فدول الوحدة الاقتصادية متجهة الى وضع سياسات موحدة ، والى تقديم المساعدات المتبادلة في سبيل تحقيق النمو والثبات الاقتصادي ، ومقاومة تقلبات العملة بل والى اقامة عملة موحدة بينما تتعرض بريطانيا لمشاكل اقتصادية داخلية ، بسبب قيام عملتها الاسترلينية بمهمة العملة الدولية ، وما يترتب على ذلك من احتفاظ العالم الخارجي لديها بارصدة نقدية كبيرة ، اى انها مدينة بمبالغ كبيرة للعالم الخارجي . فاذا ما طرأ اى طارىء على الاوضاع الاقتصادية المحلية او البريطانية تحركت رؤوس الاموال هاربة من بريطانيا ، واضطرت الحكومة البريطانية الى اتخاذ الاجراءات والسياسات الكفيلة بمقابلة الوضع اما بفرض القيود على تحركات رؤوس الاموال او بتخفيض عملتها او بانتهاج سياسة داخلية متمشية مع طلب المعونات المالية من الخارج ، الامر الذي يجعل عضويتها في السوق يؤدي الى التأثير في الاوضاع الاقتصادية في الدول الاخرى الاعضاء والى زيادة اعباء هذه الدول الاخرى في حل مشاكل الاسترليني ، التي يشاركون فعلا في حلها في



مظاهرات التأييد في لندن لدخول السوق الاوروبية المشتركة

الوقت الحاضر . فمن المعروف ان الدول الاوروبية شاركت في تقديم الاموال لبريطانيا ، كلما تعرض الاسترليني لازمة ، ومن المعروف ايضا ان اتفاقية بازل عقدت لكي تمكن بريطانيا من ضمان الارصدة الاسترلينية المملوكة للدول الداخلة في المنطقة ، ضد خطر تخفيض الاسترليني ، وذلك اعتمادا على الاموال التي شاركت الدول الاوروبية في وضعها تحت تصرف بريطانيا .

وكذلك فقد طلبت دول السوق الاوروبية المشتركة من بريطانيا ان تتعهد بالعمل على ايقاف الدور الذي يقوم به الاسترليني كعملة دولية تدريجيا . ووافقت الحكومة البريطانية على ذلك، بل يبدو انها بدأت فعلا تتخذ الاجراءات لبلوغ هذا الهدف .

بريطانيا بين عظمة الماضي ومقتضيات الظروف الاقتصادية الحاضرة

كانت السياسة البريطانية التقليدية تقوم على

أساسي أن مصالح بريطانيا لا تتحقق إلا إذا ما قامت وحدة قوية في القارة الأوروبية . وكان مصدر الانعزالية البريطانية عناصر ثلاثة أساسية ، هي الوضع الجغرافي والثروة الطبيعية ، والاطلال على المحيطات الواسعة ، والنظر الى ما وراء البحار .

ولقد تغير الكثير من هذه العناصر ، فلم تعد القناة درعا لبريطانيا ضد الغزو الاجنبي ، بل أصبحت عقبة تعوق اتصالها السريع بأوروبا ، وفقد الفحم ـ أحد أعمدة الاقتصاد البريطاني التقليدي ـ أهميته كمصدر أساسي للطاقة ، وتضاءلت أهمية بريطانيا كدولة مسيطرة على تجارة الكمنولث والتجارة العالمية . وإذا كان السوق النقدي والمالي البريطاني قد حافظ على الكثير من قدراته الفنية ، إلا أن الصعوبات التي يواجهها الاقتصاد البريطاني قد جعلت قيام الاسترليني بوظيفة النقد الدولي أمرا عسيرا يحتاج الى دعم الهيئات النقدية الدولية والدول الصناعية الكبرى . وكذلك وجدت الصناعة البريطانية نفسها تحت ضغط الاستثمارات الامريكية داخل بريطانيا نفسها ، هذا فضلا عن منافسة السلع الواردة من الخارج وعن صعوبات المنافسة في الأسواق الدولية .

وقد تغيرت أيضا اتجاهات التجارة الخارجية البريطانية ، فتزايدت أهمية دول السوق الأوروبية المشتركة تزايدا جعلها أول المناطق تجارة مع بريطانيا ، بينما تناقصت الأهمية النسبية لدول الكمنولث ، ففي المدة من سنة ١٩٥٧ الى سنة ١٩٦٥ ، تزايدت صادرات بريطانيا ووارداتها مع العالم الخارجي بنسبة ٤٠٪ تقريبا . وفي نفس المدة زادت صادراتها الى دول السوق الأوروبية المشتركة بنسبة ٨٠٪ بينما تضاعفت وارداتها منها فارتفعت نسبة الواردات من دول السوق الى جملة الواردات البريطانية خلال تلك المدة من ١٢٪ الى ١٧٪ بينما ارتفعت نسبة الصادرات البريطانية الى دول السوق من ١٥٪ الى ٢٠٪ .

وتناقصت الأهمية بالنسبة للتجارة مع دول الكمنولث ، فانخفضت الصادرات البريطانية اليها من ٣٨٪ الى ٢٩٪ وانخفضت الواردات من ٣٦٪ الى ٣٠٪ .

وقد استمر تزايد الأهمية التجارية للسوق المشتركة في المدة من سنة ١٩٦٥ الى سنة ١٩٧٠ ، اذ ارتفع نصيبها من الواردات البريطانية من ١٧٪ الى ٢٠٪ ، كما ارتفع نصيبها من الصادرات البريطانية من ٢٠٪ الى ٢٢٪ .

فاذا كانت بريطانيا تسعى في الوقت الحاضر لدخول السوق الأوروبية المشتركة، مضحية ببعض الشيء بعلاقاتها الخاصة بالكمنولث، فلأن العوامل الاقتصادية قد اتجهت بقوة في هذا الاتجاه .

ومشاركة بريطانيا في ميزانية السوق خلال فترة الانتقال ، مشاركة معقولة حددت في السنة الأولى بنسبة ٨٫٦٤٪ وفي سنة ١٩٧٧ ، وهي آخر سني فترة الانتقال ، بنسبة ١٨٫٩٢٪ وهذه النسب أقل بكثير من النسب التي كان يجب تحديدها لو طبقت القواعد التي تطبق على الأعضاء الأصليين في السوق . ولا شك أنه عند انتهاء فترة الانتقال ، وعندما يبدأ الاقتصاد البريطاني يستفيد من مزايا الوحدة الاقتصادية مع دول أوروبا الغربية ، فان بريطانيا ستتحمل عبء اشتراكها كاملا ، وان كان قد اتفق أيضا على أن تحدد هذه النسب في السنتين الأوليين بعد انتهاء فترة الانتقال على نحو لا تزيد من نسبة المساهمة في الميزانية بزيادة مفاجئة . وتبلغ ميزانية السوق حوالي أربعة آلاف مليون دولار في سنة ١٩٧٧ .

رد الفعل السياسي لقبول بريطانيا في السوق الأوروبية المشتركة

ترك قبول بريطانيا في السوق الأوروبية المشتركة رد فعل قوي داخل بريطانيا وخارجها ، والأمر الآن بيد البرلمان البريطاني ليتخذ فيه قراره ، عندما تعرضه الحكومة عليه في أكتوبر القادم . وتؤدي النظرة الأولى الى القول بأن الموافقة مضمونة ، ما دامت الأغلبية قد صوتت في سنة ١٩٦٧ بالموافقة على تقدم مستر ولسون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق بطلب الانضمام للسوق . فبلغ عدد من صوت بالموافقة ٤٨٨ صوتا ضد ٦٢ صوتا ولكن من المحتمل مع ذلك أن يتدخل الصراع الحزبي

في الموضوع ، وان كانت النتيجة النهائية فيما يبدو ستكون مع قبول الانضمام للسوق .

ويثير تقييم الاثار المترتبة على دخول بريطانيا بالنسبة لمستقبل الاقتصاد البريطاني مناقشات حادة بين الفنيين ، فمنهم من يرى ان الانضمام يلقي اعباء مالية على الاقتصاد البريطاني بسبب تكاليف السياسة الزراعية الاوروبية ، وبسبب مساهمة بريطانيا في ميزانية السوق وتعرض الصناعة البريطانية للمنافسة الخارجية في سوقها المحلي وفي اسواق الكومنولث ، هذا فضلا عن ان ما ستحصل عليه بريطانيا من مساعدات من دول اوروبا الغربية بعد انضمامها للسوق تستطيع الحصول عليها دون ذلك الانضمام ، وفضلا عن ذلك ان تنازل بريطانيا عن مركز الاسترليني كعملة دولية يعتبر تسليما بالتغير الاخير لوجودها في مقدمة الدول المهيمنة على الاقتصاد العالمي .

ولكن غالبية الفكر الاقتصادي ترى ان انضمام بريطانيا يوسع نطاق حرية التجارة ويزكي المنافسة داخل السوق مما يقضي على المشروعات التي لا تقوم على اساس اقتصادي سليم ويقيم انشطة اقتصادية جديدة قادرة وفعالة ، في صورة صناعات حديثة وضخمة ، ومعامل البحث والابتكار لرعاية الناحية الصناعية لا على المستوى البريطاني فحسب بل على مستوى القارة الاوروبية ذاتها ، ومن هذا السبيل وحده تستطيع بريطانيا ان تبلغ درجة التقدم التي تمكنها من الصمود للمنافسة الامريكية واليابانية كذلك .

ومن الناحية الدولية سيخلق دخول بريطانيا في السوق قوة اقتصادية وسياسية ضخمة ، تزيد في حجمها الاقتصادي عن حجم الاتحاد السوفيتي، وان كانت اقل في مستوى اقل من مستوى الولايات المتحدة .

ولا تقتصر اهمية هذه الفترة الجديدة على حجم مواردها الاقتصادية الانتاجية ، بل ان اهميتها تتزايد ايضا اذا ما ادخلنا في الاعتبار ان اتفاقات الوحدة الاقتصادية الاوروبية من بينها اتفاق خاص بالذرة ، فلن اوروبا مواطنان ذريتان ، هما فرنسا وبريطانيا ، فهل سيؤدي الامر الى خلق قوة ذرية اوروبية موحدة ، وهل ستكون المانيا الغربية الحق في ان تضع اصبعها على زناد السلاح الذري وهو اخشى ما يخشاه الكثيرون . وما هو موقف الاتحاد السوفيتي ورد فعله في مثل هذه الظروف. وما هو اثر ذلك على تطور السياسة والاقتصاد في العالم ؟ .

وقد يتساءل المرء في النهاية ما هو اثر السوق الاوروبية المشتركة بعد انضمام بريطانيا اليها على الاقتصاد العربي ؟ وما هو موقفنا حياله ؟ وهل الاتجاه الى الوحدة السياسية الاوروبية السائرة اليه ينعكس على مستقبلنا السياسي ؟ وهل نستطيع اتخاذ مواقف معينة امام هذا المد الاوروبي الجديد ؟ .

كل هذه اسئلة تطرح نفسها وتحتاج الاجابة عليها الى بحث وتحليل . ومعالجة خاصة في بحث مستقل ، ولكننا نظن ان ازالة الحواجز الجمركية وتطبيق التعاون على مستوى رقعة اوروبا الغربية يزيد من الانتفاع من الموارد المحلية في هذه المنطقة الاوروبية اي انه يزيد من الناتج الاجمالي في جزء كبير وهام من العالم ، ومثل هذا التقدم في صالح البشرية . ومن ناحية اخرى فان التقدم في احدى بقاع العالم لا بد وان يمتد اثره الى غيرها من بقاع اخرى وليست المنطقة العربية بمنأى من ان تفيد من النمو والتقدم المتزايد في اوروبا الغربية .

ولكن لكي يتم هذا لا بد وان نستبعد كل اسباب الاستغلال التي عهدناها في الماضي ، ولا بد ان يدرك الاوربيون وهم يشاهدون تطورهم الجديد صوب حدود اوسع واهداف اعلى ، ان رخاءهم هو ايضا يرتبط برخاء غيرهم من الشعوب ، فهذا هو الوقت الذي يجب ان تتجه فيه سياسة الدول الى خدمة مصالحها على مدى الزمن البعيد، فلا تقتصر على نظرة المصلحة العاجلة الضيقة .

اما عن الوسيلة الفنية التي تمكن الانسان في كل البقاع من ان يكون عنصرا فعالا في تحقيق التقدم وفي المشاركة في جني ثماره فامرها متروك معروف لا نريد التعرض له هنا . ونحسب ان الاحساس الدولي المتزايد في المسئولية عن الرخاء العام ومن المصلحة الوطنية باشكالها الصحيحة ، هو خير ضمان لبلوغ اسمى الاهداف الانسانية .

الدكتور عبد المنعم الطناملي

أولاد موسى بن شاكر وأثرهم في الحركة العلمية في العصر العباسي

بقلم : سليم طه التكريتي

■ لا يــرد حديث الثقافة العربية الإسلامية حتى تبرز في المقدمة حركة نقل العلوم الأجنبية الى اللغة العربية ، تلك الحركة التي كانت من أخطر الحركات الفكرية التي شهدتها الامة العربية وأعظم عهد من عهود تطورها وتعاظمها . فقد استطاعت حركة النقل هذه أن تضع بين يدي القارىء العربي ما توفر لدى الأمم الأخرى من علوم ، وأن تفتح أمامه آفاقا واسعة من المعرفة شاركت مشاركة فعالة في توسيع مدارك العرب والمسلمين ووضع أسس الحضارة العربية الاسلامية التي عرفت العالم ولا تزال .

وقد بدأت حركة النقل هذه في عهد الخلفاء الأمويين ثم بلغت أوج عظمتها في عصري الرشيد والمأمون بإنشاء « بيت الحكمة » الذي كان أعظم مجمع علمي شهدته القرون الوسطى .

ومع ان الخلفاء الأمويين والعباسيين كانوا دعاة حركة النقل والمشجعين عليها فقد ظهر عدد كبير من الأفراد حاكوا الخلفاء في اهتمامهم الأصيل بتلك الحركة ورعاية العاملين فيها وإنفاق الأموال الطائلة . وكان أولاد موسى بن شاكر على رأس العاملين على تنشيط هذه الحركة والباذلين في سبيلها أضخم الأموال .

فمن هم أولاد موسى بن شاكر هؤلاء ؟ وما هو الدور الذي لعبوه في النهضة العلمية في العصر العباسي ؟

موسى بن شاكر

لا نعرف عن موسى بن شاكر شيئا سوى أنه لم يكن من أهل العلم والأدب بل كان في شبابه قاطع طريق يترصد المسافرين فيسلبهم أموالهم وكان يعيش في خراسان ، أو « مرو » ، في الوقت الذي التجأ به المأمون الى تلك المدينة بعد وفاة والده الخليفة هرون الرشيد .

وحين كثرت الشكاوى من غارات موسى على السابلة أمر المأمون بإجراء تحقيق في الأمر وحامت الشبهات حول موسى ولكن عددا من جيرانه وصحبه شهدوا بأنهم كانوا يرونه كل يوم يؤدي صلاة المغرب والعشاء والصبح معهم في الجامع الكبير ، وبذلك انتفت التهمة عنه وتحولت الأنظار الى سواه . وكان ذلك الحادث سببا في تعرف موسى بن شاكر الى المأمون حيث قدمه البعض الى المأمون باعتباره واحدا من المنجمين المعنيين بشؤون الفلك.

وقد انتقل موسى بن شاكر الى بغداد بعد ان استتب الأمر فيها للمأمون فقويت صلته بالخليفة ونال الحظوة لديه بعد أن صنع له بعض الأزياج الفلكية ، الأمر الذي حمل المأمون على أن يتولى رعاية أولاد موسى الصغار، محمد وأحمد والحسن، وأن يوكل أمر العناية بهم الى إسحاق بن ابراهيم

المصعبي ، حتى اذا ما شبوا دفع بهم الى يحيى بن ابي منصور رئيس بيت الحكمة فتفتحت امامهم في تلك الاكاديمية كل انواع المعرفة والعلوم ووسائل الدرس والاستفادة حتى برزوا في علوم الفلك والرياضيات والميكانيكا والهندسة والموسيقى والطب والحكمة .

اولاد موسى بن شاكر والحركة الفكرية

يبدو الدور الذي لعبه اولاد موسى بن شاكر في الحركة الفكرية في عصري المأمون والمتوكل بارزا في ناحيتين رئيسيتين اولاهما اهتمامهم الكبير بحركة الترجمة لامهات الكتب العلمية والفلسفية من اللغات الاجنبية الى العربية ، وثانيهما انصرافهم الى معالجة كثير من العلوم والمعارف ولا سيما في ميدان الرياضيات والميكانيك والفلك والموسيقى .

على ميدان الترجمة ابدى اولاد موسى من النشاط والرعاية والبذل ما ساعد هذه الحركة على الازدهار بحيث لم يمض وقت طويل حتى كانت كل العلوم التي عرفت لدى البابليين والمصريين والفرس والاغريق والهنود والانباط والسريان وغيرهم قد تم نقلها الى العربية وانكب الدارسون والمثقفون على ارتشاف مناهلها وهضمها وتحويلها في نهاية الامر الى علوم عربية خالصة بما اضافوه اليها من مبتكرات جديدة وادخلوا عليها من تحويرات .

بنو موسى في بيت الحكمة

ولم يلبث بنو موسى ان اصبحوا يشرفون في « بيت الحكمة » على دائرة العلوم الرياضية والفلك والميكانيك وغيرها . فقد كان محمد ، وهو اكبرهم واشهرهم ، يشرف على ما كان يترجم في بيت الحكمة من كتب الجبر والمقابلة . وكان لديه مترجمون ينقلون له الكتب التي كان يختارها لهم بنفسه ، وكتبة يكتبون بين يديه .

ولم يقف نشاط بني موسى عند هذا الحد ، فكانوا ممن ولعوا ولعا شديدا في اقتناء كتب الفلسفة والرياضيات والميكانيكا والفلك ولا سيما اليونانية منها . وكانوا قد شاركوا في البعثات التي اوفدها المأمون الى بلاد الروم بحثا عن الكتب العلمية فيها . فقد رحل محمد عدة مرات الى اليونان وآسية الصغرى ابتغاء الحصول على كتب الفلسفة والفلك والرياضيات والميكانيك .

وعندما زادت ايراداتهم اخذ بنو موسى يرسلون البعوث ، على حسابهم الخاص ، الى البلدان الاخرى لاستخراج الكتب العلمية منها وجلبها الى بغداد ، فكانت لديهم عدة ايفادات في هذا الشأن الى اليونان وآسية الصغرى وغيرها وكان من بين من انتدبوه لهذا الغرض حنين بن اسحق العبادي الذي اصبح من كبار المترجمين .

وفضلا عن ذلك فقد كان لاولاد موسى الفضل في اكتشاف عبقريات عدد من العلماء والنقلة ورعايتهم والانفاق عليهم . فهم الذين اكتشفوا حنين بن اسحاق وضموه الى المأمون وشملوه بعطفهم ، كما اسبلوا رعايتهم على اسحق بن حنين ، وابن اخته حبيش بن الاعسم ، وثابت بن قرة العالم الرياضي الشهير والمترجم القدير الذي جلبه محمد بن موسى من الشام الى بغداد ومكنه من ان يصبح من مشاهير العلماء الرياضيين في العالم .

وبلغ من اهتمام بني موسى بحركة الترجمة انهم كانوا ينفقون على اصحاب النقل وحدهما مبلغ خمسمائة دينار في الشهر ، مستخدمين في ذلك عددا من حذاق المترجمين من امثال حنين بن اسحق ، وولده اسحق ، وحبيش بن الاعسم ، وثابت بن قرة وعيسى بن يحيى وغيرهم .

وقد يدهش المرء من سعة هذا البذل في ميدان العلم ولكن دهشته سرعان ما تزول حين يعلم ان محمد بن موسى ، كما قال « القفطي » صاحب « اخبار العلماء باخبار الحكماء » ، مضى عليه زمن كان مدخوله السنوي اربعين الف دينار ، وان الخليفة المأمون كان يدفع الى حنين بن اسحاق من الذهب زنة ما ينقله الى العربية مثلا بمثل ولذلك كان حنين يكتب الترجمة بحروف غليظة واسطر متفرقة وعلى ورق غليظ جدا لتعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه .

والى جانب النقل انتجوا

اما في ميدان البحث العلمي فان بني موسى قد انصرفوا الى معالجة عدد من العلوم والمعارف وعلى الاخص الرياضيات والميكانيكا والفلك والهندسة والموسيقى ، وابدعوا في هذا المجال ايما ابداع ، ووضعوا النظريات والمبتكرات التي لم يسبقهم اليها احد . فقد تمرس محمد في الفلك والرياضيات والفلسفة والطب ونبغ احمد في علم الميكانيكا وبرز الحسن في علم الهندسة بصفة خاصة .

ولقد عمل اولاد موسى الثلاثة في دار الرصد التي اقامها المأمون في منطقة الشماسية في اعلى بغداد وزودها بمختلف الآلات وكبار علماء الفلك في زمانــه .

مرصد خاص

وحين ذاعت شهرة بني موسى وتدفقت الاموال الطائلة عليهم انفصلوا عن دار الرصد المأمونيــة وانشأوا لهم مرصدا خاصا في دارهم التي اقاموها عند باب « الطاق » في جانب الرصافة من بغداد .

واشترك بنو موسى في التجربة التي قام بها المأمون سنة ۸۲۲ م لقياس محيط الارض وانتدب لها اشهر علماء الفلك والارصاد حيث قام فريقان من هؤلاء الفلكيين باجراء القياسات الخاصــة بمحيط الارض في كل من برية « سنجار » في شمال العراق ، وصحراء « تدمر » في الشام .

مؤلفات بني موسى

وضع ابناء موسى العديد من المؤلفات في ميدان الفلك والطب والميكانيكا والهندسة فقد عالج محمد في كتبه التي وضعها موضوعات فلكية مهمة لم يسبق العصور امثالها في اللغة العربية . واشترك الاخوة الثلاثة في وضع كتاب يحتوي على قياس المساحات المسطحة والمستديرة. ولقد اشتهر هذا الكتاب في اوربا ، بعد ان ترجمه جيرار الكريموني ، باسم كتاب الاخوة الثلاثة في الهندسة .

ولم يقصر محمد اهتمامه على الفلك والرياضيات فحسب بل برع في الفلسفة والطب ايضا وشارك اخاه احمد في علم الحيل اي الميكانيكا .

اختراعات احمد بن موسى

وكان احمد بن موسى اعجوبة زمانه في علم الميكانيكا ، صاحب مخيلة مبدعة خلاقة لا تكاد تهدم – دون كلل او ملل – الاختراعات العملية ذات الفوائد المنزلية ولعب الاطفال ، والاثقال وغيرها .

وكانت الآلات التي صنعها احمد ، واطلق عليها المؤرخون العرب اسم الآلات الروحية ، تضم دنانا من الخمر تفرغ من ذاتها كميات معينة من الشراب تعقب كل كمية منها فترة استراحة محددة ، وآلات تمشي بالسوائل وتفرغها تلقائيا ، والقناديل ترتفع فيها الفتائل تلقائيا ويصب منها الزيت ذاتيا ، ولا تستطيع الرياح اطفاءها . وهنالك معالف لا تستطيع سوى حيوانات من حجوم خاصة ان تصيب مائها وشربها منها ، وآلات تحدث صوتا خاصا كلما ارتفع مستوى الماء فيها الى حد معين ، ونافورات تندفع مياهها الفوارة في صور شتى على الدوام ، وساعات مدهشة واسطرلابات وغيرها.

ولقد جمعت مخترعات احمد هذه في كتاب اشتهر باسم « كتاب حيل بني موسى » احتوى على مائة تركيب ميكانيكي ، عشرون منها ذات قيمة علمية بشهادة اساتذة جامعة اكسفورد بلندن الذين اخرجوا كتاب « تراث الاسلام » في اوائل الاربعينات من هذا القرن .

والف احمد ايضا كتبا في علم الاثقال مبنية في اكثرها على المبادئ المنسوبة الى العالم « ايرن الاسكندري » .

ونبغ الحسن ، وهو اصغر الاخوة وانبغهم في الهندسة ، في تقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية ، وهو ما لم يسبقه اليه احد من قبل ، واستخدم الطريقة الشائعة الآن في انشاء الشكل الاهليجي ، واحتساب مساحة المثلث اذا علم طول كل ضلع من اضلاعه .

وينسب الى بني موسى انهم كانوا يقولون بوجود « تفاعل » بين الاجرام السماوية ، وهذا التفاعل هو « الجاذبية » التي تربط كواكب السماء بعضها البعض .

أولاد موسى والفلك

وفي ميدان الفلك والرياضيات انجز اولاد موسى احتساب الحركة المتوسطة للشمس ، واكملوا الزيج الصحيح ، وحددوا مكان وسط منطقة البروج ، كما حددوا الفروق في حساب العرض الاكبر من عروض القمر . ووضعوا تقاويم دقيقة لمواقع الكواكب السيارة ، واكدوا ميلان المحور الذي تدور حوله الارض ، وحسبوا مدى بعد الارض وقربها من الشمس ، وكل هذه امور لم تكن معروفة لدى الاغريق . ولقد اعتمد الفلكي الشهير ابن يونس المصري في ارصاده الفلكية على ما حققه بنو موسى من انجاز في هذا المضمار .

وبنوا للمتوكل مرصدا

واشترك الاخوة الثلاثة في بناء مرصد كبير وعجيب للخليفة المتوكل على الله العباسي في قصره بسامراء . وفي هذا المرصد صنع الاخوان محمد واحمد اسطرلابا مدهشا لا مثيل له كان دائري

الشكل ويحركه بالقوة المائية وكان هذا الاسطرلاب يمثل في وسطه صور الكواكب والنجوم ويصورها على شكل حيوانات . وكان كلما غاب نجم في قبة السماء اختفت صورته من الاسطرلاب ، وكلما ظهر نجم في قبة السماء ظهرت صورته في تلك الالة .

مؤلفات بني موسى

اما المؤلفات التي وضعها ابناء موسى بن شاكر فهي كثيرة ومتنوعة تتناول ابحاث الفلك والهندسة والطب والميكانيكا والموسيقى والانغال والفلسفة. فقد اشترك الاخوة الثلاثة في تأليف كتاب المرسطون، على ما يرواه ابن النديم صاحب الفهرست، وكتاب الالات الحربية ، وكتاب الحيل .

ووضع احمد بالاضافة الى ذلك كتابا عن عدم وجود كرة تاسعة خارج الكواكب الثابتة ، وكتابا في المسألة التي القاها على سند بن علي ، وآخر في المسائل التي جرت بينه وبين سند بن علي .

ومن مؤلفات محمد ، في ما شارك اخويه فيه ، كتاب حركة الفلك الاولى ، وكتاب المخروطات ، وكتاب المثلث ، وكتاب الجزء ، وكتاب اولية العالم ، وكتاب مائية الكلام ، وكتاب الشكل الهندسي ، وكتاب القاويم لمنازل السيارات .

ومن مؤلفات الحسن كتاب الشكل المدور والمستطيل وكتاب مساحة الاكر ، وكتاب قسمة الزاوية بثلاثة اقسام متساوية ، وكتاب وضع مقدار معين بين مقدارين ليتوالى على نسبة واحدة.

جوستاف لبون وابناء موسى

ولقد اشاد كثيرون من علماء الغرب بجهود ابناء موسى ومآثرهم في ميدان العلم والحضارة فقال المؤرخ الفرنسي المعروف غوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب عنهم : « انهم عينوا بضبط لم يكن معروفا من قبلهم مبادرة الاعتدالين ، ووضعوا تقاويم لامكنة النجوم السيارة ، وعينوا بالضبط سنة ٩٥٩ م درجة عرض بغداد فقيموها ٣٣ درجة وعشرين دقيقة » .

وقال المستشرق الانكليزي ديلاسي اوليري مؤلف « مكانة الفكر العربي في التاريخ » و « كيفية انتقال علوم الاغريق الى العرب » عن بني موسى « ان العالم مدين لهم بمقالة في الهندسة السطحية والكروية ، وبمجموعة من المسائل الهندسية ، وبكتاب في الهندسة هو الذي ترجمه جيرار الكريموني وقد ظل هذا الكتاب يستخدم لمدة طويلة » في اوربا طبعا ، كمقدمة وافية في الهندسة » .

وعلى ما اصابه بنو موسى من شهرة وثراء ، وما اسهموا به في توطيد الحركة العلمية والفكرية في الطور الاول من عصور الحضارة العربية الاسلامية، مع ذلك فانهم لم يتحرروا من خلة ذميمة لا تليق بالبشر بل العلماء والمفكرين هي خلة الحسد والحقد على من كان اليه منهم ذكرا وارفع منهم منزلة في ميدان العلم والمعرفة . فقد كانوا يكيدون لكل هؤلاء ويوغرون عليهم صدور الحاكمين وذلك ما فعلوه تجاه علمين من اعلام الفكر العربي في ذلك الوقت هما سند بن علي الفلكي الشهير ، وابو يعقوب الكندي كبير فلاسفة العرب والمسلمين فلقد كاد اولاد موسى لسند بن علي لدى المتوكل فغضب هذا عليه وابعده من سامراء الى بغداد ثم اوغرا صدر المتوكل على الفيلسوف الكندي فحقد عليه وضربه واستغلا هذه الفرصة فاستولوا على كتب الكندي ، وهو في محنته تلك ، ونقلوها الى بيتهم وافردوا لها خزانة سميت بالكندية .

ولم تلبث خيبة مؤسسهم الفتنة هذه ان انكشفت حين اوكل المتوكل الى محمد واحمد امر الاشراف على حفر نهر الجعفري فعهدا بامره الى احمد بن كثير الفرغاني الذي اخطأ في حساب فوهة النهر ولما بان ذلك للمتوكل ارسل يطلب سند بن علي واحضر معه محمدا واحمد وامره بان يدرس موضع الخطأ في النهر وهدد الاخوين احمد ومحمد بان يصلبهما على شاطئ الجعفري ان تحقق خطأ حسابهما فيه ، في ان سند بن علي افهم الاخوين بانه سيقنع المتوكل بعدم وجود خطأ في النهر المذكور شريطة ان يردا الى الكندي كتبه . حتى اذا فعلا ذلك عاد سند الى المتوكل فاعلمه بان الاخوين لم يخطئا في حفر النهر .

وكان سند قد افهم ابني موسى ان الخطأ في النهر يستتر مدة اربعة اشهر بطغيان دجلة وان مياهه وحياتهما بيد القدر اذا ما نقصت دجلة بعد ذلك وتأكد الخطأ وربما تخلص القدر الاخوين الاثنين من موت محقق فقد قتل المتوكل قبل ان تنقص دجلة ويتكشف الخطأ في حفر ذلك النهر . ويفترض بعض من درسوا موضوع هذا النهر وجود علاقة بين الخطأ فيه وبين اغتيال الخليفة المتوكل . ■

بغداد ــ سليم طه التكريتي



خصال اربع

● عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : من اعطي اربع خصال فقد اعطي خير الدنيا والاخرة وفاز بحظه منهما : ورع يعصمه عن محارم الله ، وحسن خلق يعيش به في الناس ، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والاخرة .

أشعب

● خرج سالم بن عبد الله متنزها الى ناحية من نواحي المدينة ومعه اهله وحرمه فبلغ اشعب الخبر فوافاهم يريد التطفل ، فصادف باب البستان مغلقا، فتسور الحائط عليهم.

البلاغة عند أهل الصناعة

● اجتمع قوم من أهل البلاغات ووصفوا البلاغة من طريق صناعاتهم . فقال الجوهري : احسن الكلام نظاما ما ثقبته يد الفكرة ، ونظمته الفطنة ووصل جوهر معانيه في سموط الفاظه فاحتملته نحور الرواة . وقال العطار : اطيب الكلام ما عجن عنبر الفاظه بمسك معانيه ، ففاح نسيم نشقه ، وسطعت رائحة عبقه ، فتعلقت به الرواة وتعطرت به السراة .

وقال الحداد : خير الكلام ما نصبت عليه منفخة الروية ، واشعلت فيه نار البصيرة ، ثم اخرجته من فحم الافحام ورققته بمطيس « الطرقة المطيبة » الافهام .

حكم

● خرج كسرى انوشروان متنزها فلقيه حكيم . فسأله كسرى عن احزم الملوك فقال : من ملك جده هزله ، وقهر لبه هواه . واعرب لسانه عن ضميره ، ولم يختدعه رضاه عن سخطه، ولا غضبه عن صدقه . فقال كسرى : لا ، بل احزم الملوك من اذا جاع اكل ، واذا عطش شرب ، واذا تعب استراح ، ثم قال كسرى علمني من حكمتك ايها الحكيم ، قال : احفظ عني ثلاث كلمات . قال : هات . قال : صقلك لسيف ليس له جوهر من طبعه خطأ ، وبذرك الحب في الارض السبخة ترجو نباته جهل ، وحملك الصعب المسن على الرياضة عناء .



معرفتك متفرقة

● دخل شريك الحارثي على معاوية فقال له معاوية : من انت ؟ فقال له : يا امير المؤمنين ، ما رايت لك عذرا قبل هذه تملك يعثر مثلي من رعيته ! فقال له معاوية . ان معرفتك متفرقة، اعرف وجهك اذا حضرت في الوجوه ، واعرف اسمك في الاسماء اذا ذكرت ، ولا اظهان ذلك الاسم هو لهذا الوجه، فلاكر لي اسمك تجتمع لي معرفتك

الطماع

فقال له سالم . ويلك يا اشعب ، ممن سالي وحرمي ! فقال له اشعب : قد علمت ما لنا في بناتك من حق ، والله لتعلم ما نريد ، فضحك منه وامر له بطعام اكله وحمل منه الى منزله .

يتقعر

● كان رجل من التجار له ولد يتقعر في كلامه ويستعمل الغريب ، فجفاه ابوه استثقالا وتبرما مما كان ياتي به ، فاعتل ابوه علة شديدة اشرف منها على الهلاك فقال: اشتهي ان ارى اولادي فاحضروهم بين يديه . واخر هذا حتى لم يبق سواه . فقالوا ندعو لك اخانا فلان ؟ فقال : هو والله يقتلني بكلامه . فقالوا قد ضمن الا يتكلم بشيء تكرهه ، فاذن له فلما دخل قال . السلام عليك يا ابت قل اشهد ان لا اله الا الله ، وان شئت فل اشهد ان لا اله الا الله ، فقد قال الفراء كلاهما جائز والاول احب الى سيبويه ، والله يا ابي ما شغلني عن زيارتك غير ابي علي القالي فانه دعاني بالامس : فاهرس واعدس ، واوزد واورد ، وسكبج وسبج وزربج وطهج وابصل وامصر ، ودجج وفوزج فصاح ابوه العليل قائلا اقربوه عني فقد اهلكني .

دجاجة باردة

● صحب العامري رجلا من قريش من مكة الى المدينة فقال القرشي : يا غلام اطعمنا دجاجة ، فاتى بها باردة . فقال ويحك اسخنها . ورفع غداؤهم ولم يؤت بالدجاجة، فلما كان العشاء ، قال : يا غلام عشاءنا. فلما اتاهم العشاء قال : هات تلك الدجاجة ، فاتى بها باردة . فقال . اسخنها . فقال : العامري اخبروني عن دجاجتكم هذه امن آل فرعون هي ؟ فاني اراها تعرض على النار غدوة وعشيا . فقال ويحك يا عامري اكتمها علي ولك مني مائة دينار ، فقال . والله ما كنت لا بيعها بشيء .

العرب والملاحة



بقلم : الدكتور رياض محمود رويحه

● قليلون هم أولئك الذين يعرفون أن العرب ظلوا سادة البحار وأساتذة العالم في الملاحة أجيالا طويلة قبل الإسلام وبعده .

عرب الجنوب والاحساء

عرب الجنوب و « الأحساء » جابوا الخليج العربي ، والبحر الأحمر ، والمحيط الهندي ، قبل الميلاد بقرون ، وتاجروا مع الشعوب الساكنة على شواطئ هذه البحار يوم كانت سفنهم بدائية لا تعدو أن تكون مؤلفة من ألواح خشبية تجمع بواسطة احبال ليفية تشد بعضها الى بعض ، ويسيرونها بواسطة مجاديف صغيرة كانوا يسمونها « الردي » ، أو بواسطة شراع مثلث ، هو نفس الشراع الذي اقتبسه عنهم ملاحو البحر الأبيض بعد الفتح العربي وظل مستعملا الى اليوم ، اذ كانت الشراع قبل ذلك التاريخ في هذا البحر مربعة الشكل ، وقد ظلت كذلك الى أن دخلت السفن العربية ـ ذات الشراع المثلث ـ البحر الأبيض بعد الفتح العربي في صدر الإسلام .

كذلك عرب الشمال

وليس عرب الجنوب « والاحساء » وحدهم من سكان الجزيرة العربية الذين تفردوا بهذا النشاط البحري ، بل أن عرب الشمال شاركوهم في هذا النشاط أيضا .

والطبري يقول : أن « الأبلة »(1) كانت تسمى قبل الإسلام « فرج الهند » لكثرة البضائع التي كانت تنقلها منها واليها ، ولكثرة الصلات البحرية بينها وبين الهند ، كما أن سكان « المهرة »(2) اشتهروا بمثل هذا النشاط البحري أيضا .

والشاطئ اليمني في جنوب الجزيرة

والتاريخ يحدثنا أن الشاطئ اليمني في جنوب

---

(1) الأبلة : تقع على الشاطئ الشرقي للخليج [illegible] بحيرة والعراق .

(2) المهرة : تقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي [illegible]



الجزيرة العربية كان لديها طريقه في السعي الأول للبلاد يزدحم بأرباب السفن والملاحين العرب، وكان يسكن هذا الساحل قبيلة « حمير » التي عرفت أساطيلها في هذا العرب سواحل البحر، إذ كانوا على اتصال دائم بمدن « الصومال » و « الزنجبار » والهند وفارس. وكانت عدن مركزا هاما للسفن التجارية البحرية ولتبادل السلع بين الهند ومصر، وقد ذكر عنها عند التجار من اليونان والرومان [illegible] للتجارة ـ وقد يكون هذا في جملة الأسباب التي [illegible] من الجزيرة العربية [illegible]

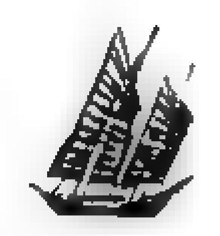
والعرب في الحبشة والصومال

كذلك يحدثنا التاريخ أن « أكسوم » أي الحبشة أسسها عرب الجنوب الذين حكموا « الصومال » وما جاورها [illegible] حكمها سلطان عربي، وكل هؤلاء قدموا إلى هذه البلاد واستوطنوها مع جماعات ضخمة من العرب عن طريق البحر [illegible] سواحلها الملاحية التي كانت سببا لاستقرارهم في أكثر البلاد والمدن الساحلية التي تقع على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي وخليج فارس.

وأهل سبأ

والثابت الآن أن « السبئيين » أي سكان « سبأ » في جنوب الجزيرة العربية كانوا أسياد البحر التجاري بين آسيا وأوربا في القرن [illegible] قبل الميلاد، وقد اكتشف في « [illegible] » بمصر تابوت مكتوب عليه بالخط [illegible] « [illegible] » يرجع تاريخه إلى سنة ٢٦٤ قبل الميلاد، يدل على أن كاهنا عربيا في أحد المعابد المصرية [illegible] كان [illegible] [illegible] من [illegible]، و [illegible] الأثواب [illegible] [illegible] و [illegible] أن [illegible] هذا [illegible] كاهنا في معبد [illegible] بالقرب [illegible] الطقوس الدينية.

كذلك [illegible] لأنهم عرب [illegible] في [illegible] تجار عرب، إذ كانت هذه الجزيرة



والسمى – ديلوس Delos مركزا لتجارة الشرق بميناء البحر المتوسط في القرن الثاني قبل الميلاد.

وشعراء العرب ذكروا البحر والسفن

ولسنا بحاجة الى القول بان شعراء العرب في الجاهلية ذكروا في اشعارهم البحر والسفن ، كما وصفوا جريها في اليم ، وشبهوها بالهوادج المحمولة على ظهور الابل في الصحراء . وحسبنا ان نذكر – على سبيل المثال – ابيات « طرفة » الذي عاش في الربع الثالث من القرن السادس الميلادي على الساحل الشرقي لجزيرة العرب ، اي في البحرين والتي وردت في معلقته المشهورة التي مطلعها .

« لخولة » اطلال « ببرقة ثهمد »
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقد شبه فيها الجمال وعليها الهوادج بالسفن وهي تمخر عباب اليم اذ قال .

كأن حدوج « المالكية » غدوة
خلايا سفين بالنواصف من « دد »
« عدولية » أو من سفين ابن « يامن »
يجور بها الملاح طورا ويهتدي
يشق حباب الماء حيزومها بها
كما قسم الترب المفايل باليد

فهذه الابيات لها دلالة قاطعة على ان سكان البحرين في الجزيرة العربية كانوا يتعاطون صناعة البحر . وان بين قراها بعض القرى التي اشتهرت بصناعة السفن امثال قرية « عدولى » . كما كان فيها بحارة مهرة مشهورون امثال « ابن ماجد » .

والعرب عرفوا الانواء الموسمية والابرة المغناطيسية

ولقد عرف العرب منذ القديم الانواء البحرية ومواعيدها كما عرفوا الايام التي تهب فيها الانواء الموسمية ، وعينوا الايام الصالحة للملاحة ، حتى ان « المسعودي » يقول : ان التجار العرب كانوا يستعينون في اسفارهم بدليل بحري معروف « رهماني » وهي كلمة فارسية تعني – دفتر ارشادات الملاحة – .

والعرب المسلمون هم اول من استعمل الحكة او الابرة المغناطيسية في الاسفار البحرية . وكان ذلك في القرن الحادي عشر الميلادي او قبله . كما ان البحارة الطليان هم اول من استعمله في اوربا بعدهم .

وعناية بالبحار من بعد اسلام

ولم يكن العرب بعد الاسلام اقل عناية بالبحر والملاحة منهم قبل الاسلام ، بل لقد زادت هذه العناية ، وتوسعوا في اعمال الملاحة فانشئوا الاساطيل الحربية ، الى جانب السفن التجارية التي كانت تمخر عباب المحيط الهندي والبحر المتوسط بعد اتساع الفتح العربي والقضاء على الامبراطوريتين الرومية والفارسية .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث المسلمين على النشاط والعناية بأمر البحر ، واستغلاله ، والتمتع بخيراته الكثيرة التي هي من نعم الله على خلقه .

وصلات قريش – القبيلة العربية الشمالية – بالحبشة عن طريق التجارة البحرية قبل الاسلام وبعده اشهر من ان تعرف ، لا سيما ان النبي الكريم قد افاد من هذه الصلات حين امر المؤمنين بالهجرة الى الحبشة لما اشتد اذى مشركي قريش لهم . وقد احسن « النجاشي » ملك الحبشة استقبالهم في مملكته ، وامنهم ولم يسلمهم حين طلب اليه وجوه قريش من المشركين تسليمهم اليهم لينتقموا منهم ، وليردوهم الى دين الوثنية .

والتاريخ يروي لنا ايضا ، انه كان للجالية العربية الاسلامية التي سكنت الصين بسبب صلاتها التجارية البحرية معها امتيازات خاصة من ملك الصين ، اذ منحهم حق احالة خلافاتهم الى قاض منهم يحكم بينهم بمعزل عن القضاء الصيني ، ولم تكن هذه الميزة لجالية غيرهم في ارض الصين .

وبلغ العرب كوريا

ولقد بلغ العرب في اسفارهم البحرية بلاد « كوريا » التي يسميها « ابن خرداذبة » « بلاد الشيلا » . ولقد وصفها فقال عنها : ان فيها الذهب الكثير ، وان من دخلها من المسلمين استوطنها ، وانه لا يعلم ما بعدها !!

وقصة ابن ماجد

ومن الثابت الأكيد ان العرب ظلوا سادة البحر في المحيط الهندي حتى سنة ١٤٩٨ للميلاد عندما دخل البرتغاليون مياه هذا المحيط .

ولعل من المفارقات اللاحظة ان يكون دليلهم ومرشدهم في هذا البحر ملاحا عربيا مشهورا هو « أحمد بن ماجد » اذ قاد سفينتهم من « ملندي » شرق افريقيا الى « كلكتا » فكان من سخرية القدر ان ملاحا عربيا مشهورا ساهم في القضاء على الملاحة العربية ، اذ لم يستطع العرب بعد ذلك ابعاد الشعوب الاوربية ، او منافستها في هذا المضمار .

وفي زمن عمر

وفي زمن خلافة عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه – « سنة ١٣ – سنة ٢٣ هـ » الموافقة « لسنة ٦٣٤ – ٦٤٤ م » شنت اول غارة بحرية عربية من الشواطيء العربية على اعداء المسلمين . فلقد سير عمر حملة بحرية ضد الاحباش ردا على هجماتهم على سواحل الجزيرة العربية ، وكان ذلك في سنة ٢٠ للهجرة الموافقة لسنة ٦٤١ للميلاد فوصلت الى « ادوليس » ولكنها لم توفق حين نزلت الى اليابسة لاسباب لا مجال لذكرها هنا .

وفي البحرين وعمان

كذلك استخدم العرب بعد الاسلام الساحل الشرقي « اي البحرين وعمان » لشن بعض الغارات البحرية في بعض حروب الفتح العربي ، فنقلوا بعض قواتهم المحاربة بحرا ، كما اصبحت بعض الغارات العربية البحرية فيما بعد جزءا من – الستراتيجية – العسكرية لجيش المسلمين عند بعض الولاة ، اما للغزو ، واما لرد غارات الغربين كالاحباش والروم .

فعثمان بن ابي العاص الثقفي – والي البحرين في زمن خلافة عمر بن الخطاب – شن غارة بحرية جريئة من « عمان » على ساحل الهند عند مدينة « تانة » بالقرب من مدينة « بومباي » ، كما وجه اخاه – المغيرة بن ابي العاص – الى الثغور الهندية عند مصب نهر السند سنة ٦٣٦ ميلادية .

ولما رجع جيش عثمان بن ابي العاص الثقفي من « تانة » – كتب الى الخليفة عمر يعلمه بخبر الحملة – اذ كان قد قام بهذه الغارة دون ان يستأذن الخليفة – فكتب اليه عمر يقول : يا اخا ثقيف ، حملت دودا على عود ، واني أحلف بالله ان لو اصيبوا لاخذت من قومك مثلهم !

والمشهور عن الخليفة عمر بن الخطاب انه كان يخاف على المسلمين من البحر ، ولذلك كان يابى ارسالهم غازين او محاربين فيه ، ولم يفعل ذلك الا مرة واحدة كما ذكرنا انفا حين ارسل حملة بحرية لتاديب الاحباش الذين كانوا يغيرون على شاطيء الجزيرة .

وحكاية عمر مع واليه على الشام – معاوية بن ابي سفيان – معروفة مشهورة . فقد كتب معاوية الى الخليفة عمر يستأذنه لغزو جزيرة – قبرص – كتب اليه يقول : يا امير المؤمنين ! ان بالشام قرية يسمع اهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم !! وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص .

عمرو يكتب الى عمر وصف البحر ، فيخشاه عمر

فكتب عمر بن الخطاب الى واليه في مصر ليصف له البحر – اذ كان عمر كما قلنا يخافه ويرهبه ، فكتب اليه والي مصر – عمرو بن العاص – يقول " اني رايت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، ليس الا السماء والماء ، ان ركن خرق القلوب ، وان تحرك ازاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة ، والشك كثرة . هم فيه كدود على عود ، ان مال غرق ، وان نجا برق[٢] .

فلما قرا عمر هذا الوصف المفزع للبحر كتب الى واليه معاوية ينهاه ويقول له : انا سمعنا ان بحر الشام يشرف على اطول شيء على الارض .. ! ويستأذن الله في كل يوم وليلة في ان يفيض على الارض فيغرقها .. فكيف احمل المسلمين على هذا الكافر المستصعب ؟؟ وتالله لمسلم احب الي مما حوت الروم ، فاياك ان تعرض لي .. وقد تقدمت اليك فلا تفعل .. الخ .

هذه القصة – التي تلوح عليها دلائل الوضع – يتخذ منها البعض دليلا على ان العرب لم يكونوا امة بحرية ، والا لما جهل خليفتهم البحر واهواله

(٢) برق : كفرح ، أي تحير حتى لا يطرف ، أو دهش فلم يبصر .



فراح يسأل عنه عامله على مصر عمرو بن العاص .

وجهل عمر بن الخطاب للبحر واهواله — على فرض صحة هذه الرواية — وعدم سماحه للمسلمين بركوبه غازين او فاتحين لا ينهض دليلا على قصر باع العرب بصناعة البحر ولا يعني انهم لم يكونوا سادة هذا البحر لفترة طويلة من الزمن قبل الاسلام وبعده .

استيلاء العرب على قبرص

على ان معاوية بن ابي سفيان الذي اخفق في اقناع عمر بن الخطاب بالسماح له بغزو قبرص ، قد نجح ايام خلافة عثمان بن عفان — سنة ٦٤٤ — سنة ٦٥٦ م — باقناعه بالموافقة على هذا الغزو وقد اشترط عليه الخليفة ان يصحب زوجه معه ليتأكد من ان غزو الجزيرة لا يشكل خطرا على الغزاة المسلمين كما زعم له واليه !

وفي سنة ٦٤٩ م غزا العرب جزيرة « قبرص » وفي السنة التالية استولوا على جزيرة « ارواد » وهذا يعني ان العرب بدأوا يستعملون الاسطول البحري في غزواتهم وفتوحاتهم بعد اقل من خمس عشرة سنة من استيلائهم على الشواطئ الشرقية للبحر الابيض المتوسط .

صار العرب اسطول ضخم

ولم يمض على الفتح العربي واحتلال العرب لبعض شواطئ البحر الابيض المتوسط زمن طويل حتى شعر الولاة العرب بالحاجة الى اسطول يحمي شواطئهم من غارات الاسطول الروم عليها . فلقد كان الاسطول البيزنطي يغير بين الفينة والفينة على سواحل سوريا وفلسطين ومصر ، فينال منها ، ثم يقفل راجعا .

وفي برهة وجيزة صار للعرب اسطول ضخم يجوب المتوسط دون خوف او وجل من الاسطول البيزنطي الذي ظل حتى ذلك الوقت سيد البحر الابيض المتوسط من شرقه الى غربه .

بين الاسطول العربي والاسطول البيزنطي

وكان الحدث الفاصل في تفوق الاسطول العربي على الاسطول البيزنطي في هذا البحر ، هو معركة « ذات الصواري » المشهورة ، وانتصار العرب في هذه المعركة انتصارا بسط سيادتهم البحرية على البحر المتوسط دون منازع او مزاحم عدة اجيال .

ففي سنة ٦٥٥ ميلادية اقلعت من مصر مائتا سفينة عربية تحت قيادة والي مصر يوم ذاك « عبد الله بن سعد بن ابي سرح » وابحر من الشام عدد من السفن لا يقل عن هذا العدد يقودها « ابو الاعور السلمي » وكان غرض هذه السفن — على الغالب — النزول على ساحل « ليكيا » لاقتلاع شجر السرو لبناء السفن .

وعرض لها الاسطول البيزنطي — وكانت عدته خمسمائة سفينة — في عرض البحر ، والمؤرخون العرب يقولون ان العرب عرضوا على البيزنطيين القتال على البر ، فرفض البيزنطيون ذلك وآثروا العرب في البحر لثقتهم وكفايتهم وكفاية اسطولهم .. ولكن العرب في اثناء المعركة البحرية استعملوا خططا تكتيكية جعلت المعركة شبيهة بمعركة برية ، اذ تشابكت السفن العربية بالسفن البيزنطية ، واخذ العرب يحاربون بالسيوف والنبل تماما كما يحاربون على اليابسة، وهذا الطراز من القتال كان يوافق الجانب العربي دائما .

على ان من الصعب الاعتقاد بان العرب حاصروا الاسطول البيزنطي جميعه في مكان ضيق حين دارت المعركة في عرض البحر وفي ساحة كبيرة منه ، بل الاقرب الى الواقع ان يكونوا قد حصروه في عدة معارك وبشكل مجزأ ، كما اننا لا ننكر ان الملاحين القبط الذين كانوا يقودون بعض سفن الاسطول العربي القادم من مصر قد ساعدوا الجيش العربي على الانتصار بمهارتهم وحسن قيادتهم للسفن المحاربة ، وهكذا انهزم الاسطول البيزنطي انهزاما منكرا وافلتت اكثر سفنه ، ونزل العرب على ساحل « ليكيا » بعد المعركة ، واصبح اسطولهم منذ ذلك الحين السيد المسيطر على البحر المتوسط ، وراح يهدد — القسطنطينية — عاصمة البيزنطيين و « صقلية » الجزيرة التي غزاها الفتح العربي فيما بعد .

ومما يدعو الدهشة والعجب — كما يقول المؤرخون الغربيون — قيام العرب بهذه الاعمال الجريئة في البحر المتوسط مثل تلك الفترة الوجيزة من الزمن ، الامر الذي وقف عنده المؤرخون مشدوهين حائرين لا يملكون الا ان يعجبوا بهذه الامة الفتية الناشئة التي عرفت القتال والفتح

الدليل على ذلك ابناؤها وجرائهم وبيوتهم واسهامهم في اكثر النهضات التى يسعد بالقرها البشر اليوم.

وفي الاسكندرية

كذلك كان النشاط العربي البحرى في العصور اللاحقة مرموقا ظاهرا، فقد ظلت مدينة الاسكندرية سوقا كبيرا ، وميناء عظيما ، كما كانت ايام الرومانيين قبل الفتح العربي ، وبعد هذا الفتح بسنين قليلة ، اعاد عمرو بن العاص فاتح مصر فتح قناة « تراجان » سنة ٦٤١ ــ ٦٤٢ م ــ وشحن من طريق هذه القناة عند ميناء « بابليون » عشرين سفينة من القمح ثم ارسالها عن طريق البحر الاحمر الى ميناء المدينة « الجار » لاطعام اهل الحجاز الذين جاعوا بسبب القحط الذى اصابهم في ذلك العام . وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد كتب اليه يطلب النجدة لاطعام المسلمين من خيرات مصر .

والطبرى يذكر ان المنصور جهز سنة ١٥٣ هـ جيشا في البحر لحرب « الكرك » اى القرع الذين كانوا قد اغاروا على « جدة » سنة ١٥١ هـ .

شاء الرشيد شق قناة السويس ولكنه عدل

كما ان الخليفة هارون الرشيد من بعده اراد ــ كما اراد عمرو بن العاص من قبله ــ ان يشق قناة مكان قناة السويس التى شقها المهندس الفرنسي « دلسبس » بعد عشرة قرون ونيف ــ سنة ١٢٨٦ هـ ــ سنة ١٨٦٩ م ــ ولكن الرشيد عدل عن هذه الفكرة للسبب نفسه الذى من اجله عدل عمرو بن العاص عن تنفيذها قبله ، وهو ان مثل هذه القناة لو فتحت ، ربما مكنت القوات البيزنطية من الاغارة على طريق الحج في البحر الاحمر ، وعلى مكة والمدينة للاعتداء على الحجيج في موسم الحج .

ولا يظن احد ان في هذا الزعم اى جنوح الى الوهم او الخيال ، فقد اثبت الواقع فيما بعد صحة هذه المخاوف عندما احتل الصليبيون « ايلة » على خليج العقبة في القرن الثاني عشر للميلاد ، وشن « رينودي شاتيون » احد قواد الصليبيين سنة ١١٨٢م غارة كهذه من هناك .

احمد بن ماجد ودليله البحرى

اما المؤرخون العرب الذين كتبوا عن البحر والنشاط العربي فيه فهم كثيرون ، ومخطاتهم جميعها تدل على ان النشاط البحرى العربي في المحيط الهندى ظل يتزايد حتى بلغ الذروة في القرن التاسع للميلاد . وبقى كذلك حتى القرن الرابع عشر حين وضع المرشد البحرى العربي المشهور « احمد بن ماجد » دليله البحرى الممتاز الذى استند فيه الى خبرته الشخصية والى معلومات من سبقه من الملاحين العرب في هذا العلم واشهرهم « ابن خرداذبة » صاحب كتاب « المسالك والممالك » الذى وضعه سنة ٨٥٠ م . و « المسعودى » صاحب كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » الذى وضعه سنة ٩٤٧ م . وكتاب « التنبيه والاشراف » ايضا وقد وضعه سنة ٩٥٥ م .

كما ان « اليعقوبي » سنة ٨٩١ م و « ابن الفقيه » وابن رشته سنة ٩٠٣ م و « الاصطخرى » سنة ٩٥٠ م و « ابن حوقل » كتبا في الموضوع نفسه بعد هذا التاريخ بقليل .

وكان آخر كتاب عربي وضع بهذا الخصوص هو كتاب « المروزى » سنة ١١٢٠ م[1] .

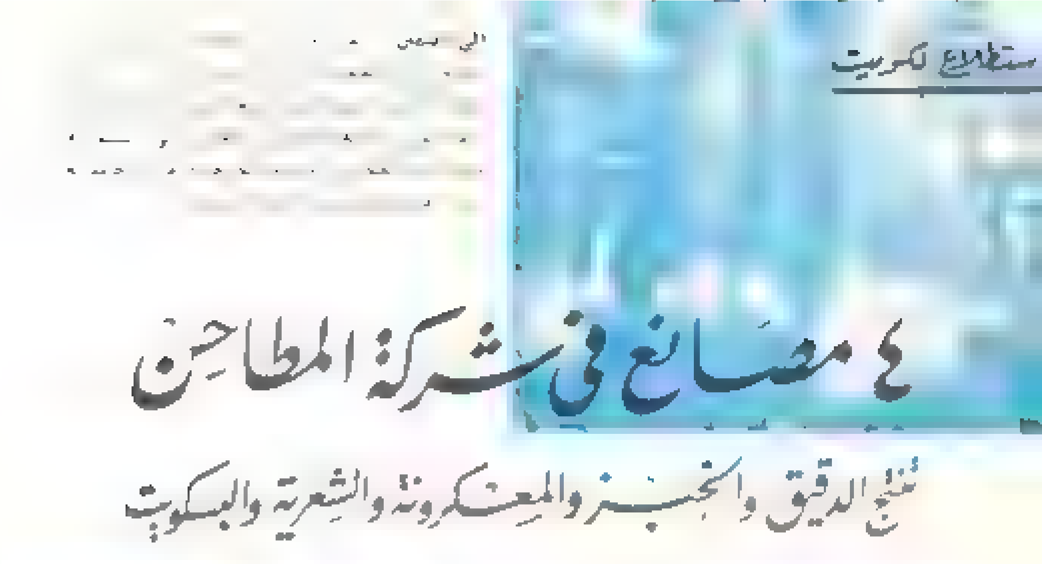
وبعد

وبعد .. فهذه لمحة موجزة عن العرب ونشاطهم البحرى وطول باعهم في هذه الصناعة ، وضعناها بين يدى القارىء ليدرك عظمة هذه الامة التى قال المنصفون من مؤرخي الغرب عنها : « انها قادت العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الانساني طوال الفي سنة على الاقل قبل ايام اليونان ثم في العصور الوسطى مدة اربعة قرون تقريبا ، ورافقت المدنيات وطورتها ، وظلت في مقدمة الامم سيدة البحار حتى عصر البخار حين استعمل الاوربيون السفن التجارية فعجز العرب عن مجاراتهم المزاحمة التى لم تمكنهم من مقاومتهم يوم ذاك .. » .

رياض محمود رويحة
اللاذقية ــ سوريا

---

(١) راجع كتاب « العرب والملاحة في المحيط الهندى » تأليف جورج فاضلو حوراني

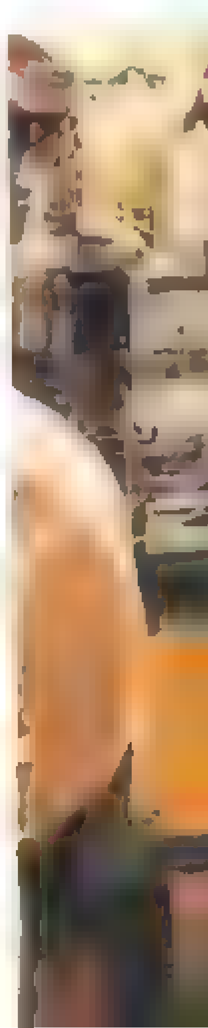


٤ مصانع في شركة المطاحن

تنتج الدقيق والخبز والمعكرونة والشعرية والبسكويت

بقلم

سليم زبال



• ألف طن من المعكرونة تأكلها الكويت سنويا

• ٢٣١ طنا من البسكويت لطلبة مدارس الكويت

■ رغيف الخبز .. نتذكره دائما عندما نجوع .. وخاصة في مشرقنا العربي ، حيث يصل استهلاكنا للخبز الى ارقام خيالية .. ففي الكويت مثلا ، حيث يصنع يوميا ما يوازي اربعة ملايين رغيف ، نجد ان متوسط استهلاك الفرد الواحد يزيد على خمسة ارغفة يوميا ..

وهذا الرقم يجعلنا نتساءل : هل حقا نحن نلتهم كل هذه الكمية من الخبز ! .. ام ان رخص ثمن الرغيف ، يجعل الفرد منا يأكل نصفه ويهمل النصف الباقي !

شكوى من رداءة الخبز

ان هذه الكمية الكبيرة من الخبز التي تستهلكه الكويت يجري صنعه في ٢٠١ مخبزا وتنورا تعمل في البلاد .. وكان اصحاب هذه المخابز يستوردون الدقيق والطحين من الخارج الذي يرجونه ، في غياب بثقافة او جودة .. وارتفعت اصوات الاحتجاج في مطلع الستينات .. الاحتجاج على نوعية الخبز وانعدام نظافته ..

وسارعت البلدية بفرض الشروط الصحية على المخابز وتحتم عليها استعمال « العجانات الميكانيكية » بدلا من العجن باليد .. ولكن المشكلة بقيت دون حل ، لان الشكوى كانت تنصب على نوعية الدقيق اكثر من اي شيء آخر ..

الحكومة تساهم بمليون دينار

وامام استمرار الشكاوي ، لم تجد الحكومة مخرجا الا باصدار قانون تحظر فيه استيراد القمح والدقيق ، وتهدد كل مخالف بالحبس ٣ شهور او غرامة ٥٠٠ دينار ..

وفي نفس الوقت صدر قرار آخر يقضي بتأسيس « شركة مطاحن الدقيق » بحيث تكون الجهة الوحيدة المخولة في الكويت من استيراد القمح وطحنه وتوزيعه على التجار والمخابز ... ووقفت الحكومة بكل ثقلها الى جانب الشركة الوليدة ، لدعمها وتسندها ، فاكتتبت بمبلغ مليون دينار قيمة نصف اسهم الشركة ، اما النصف الباقي فقد طرح في الاسواق ليكتتب به الجمهور ، فغطي في اليوم الاول من طرحه .

نجاح فني باهر

وبدأت « شركة المطاحن » عملها بسرعة فائقة .. وقعت عقدا بمبلغ ٦٩٢ الف جنيه استرليني ، اشترت بها مكائن لتفريغ القمح من البواخر ، ومكائن لطحن القمح ، واتفاقا لبناء صوامع ضخمة لحفظ القمح .. وارسلت بعض الشباب الكويتي الى مطاحن انجلترا للتدرب هناك .. وعمدت الى بناء المباني اللازمة للآلات قبل وصول الآلات .

وبعد ٢٢ شهرا اي في عام ١٩٦٥ بدأت التجارب على عشرة آلاف طن من القمح لاختبار مدى فعالية آلات التفريغ الآلية ، ومكائن الطحن ، وآلات التخزين .. وكانت النتيجة : نجاحا باهرا .

عندما تتكلم حبة القمح

ونضع الجمال قليلا امام حبة من حبات هذا القمح لتروي لنا قصة رحلتها من حقولها ودخولها الى المطحنة الآلية الحديثة .

ترى ما الذي ستقوله هذه الحبة لو قدر لها ان تتكلم ! .. تعالوا نستمع اليها سويا :

– كنت انمايل بخيلاء مزهوة بلوني الذهبي في حقول القمح في استراليا .. وفجأة جاءت حصادة كبيرة حصدتني مع الالاف من صويحباتي حيث نقلونا الى مستودع هائل في سفينة ضخمة ، وحشرونا فيها واغلقوا علينا الابواب باحكام زائد خوفا علينا من البلل .

« وانطلقت بنا السفينة ، وبعد رحلة طويلة استغرقت ثلاثة اسابيع رفعوا الرافعات ، وفتحوا الابواب ، وسمعنا اصواتا وانبعاثات متخلخلة فرحة ، ادركنا منها اننا قد عبرنا مياه المحيط الهندي ووصلنا الى الكويت .

« ولم يتركوا لنا مجالا طويلا للتفكير ، فقد

اندس بينها فوق كيس ، خرجا على الفور [illegible] بواسطة [illegible] وما هي إلا [illegible] قليلة حتى كانت [illegible] حاوية من كل [illegible]

الأقراص تتحلل

وتسترسل حبة القمح في حديثها قائلة

[illegible] مجموعة من الأكياس [illegible] كانت [illegible] على أسرار [illegible] Hydrogenic Phosphide ولم يكترث [illegible] [illegible] Silos أو صوامع الغلال [illegible]

[illegible] على من [illegible]

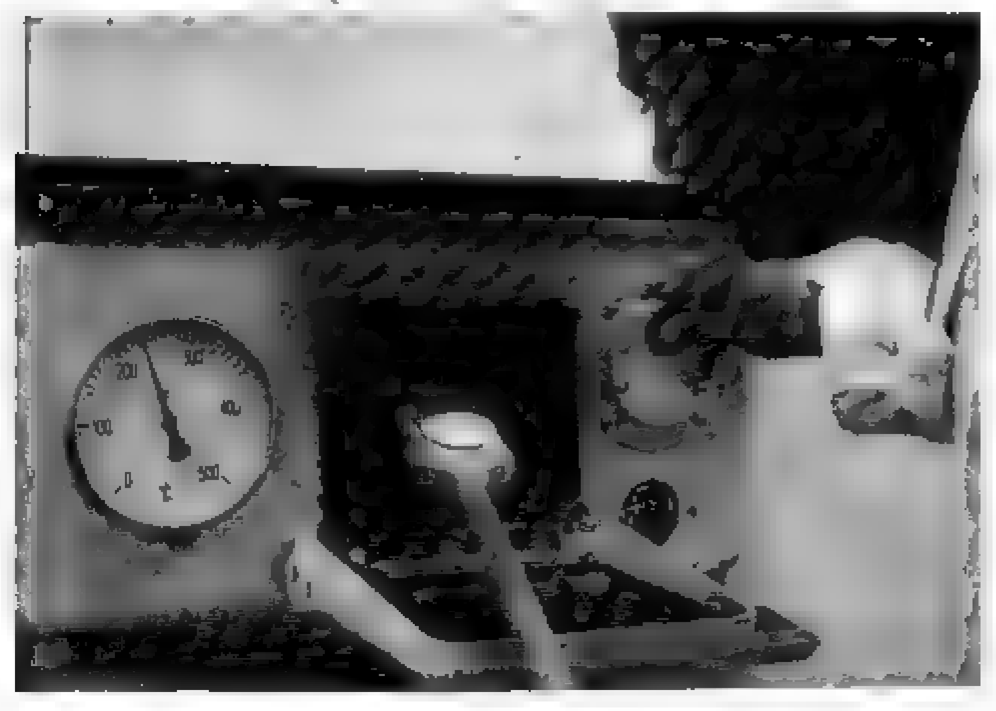
• [illegible] في هذه الصوامع [illegible] رائحة [illegible] من الأقراص التي [illegible]

طاقة زائدة

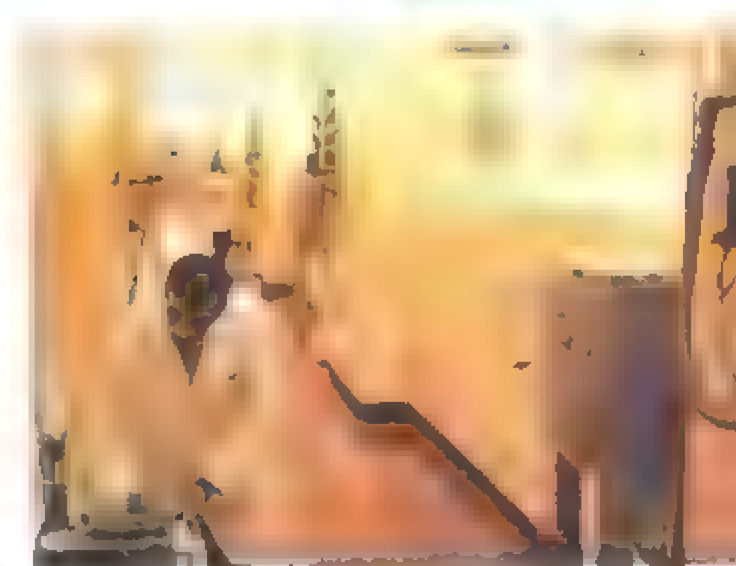
وبعد مضي ستة أيام عادت حبة القمح تكمل قصتها قائلة : [illegible] إلى [illegible] أخرى [illegible] والمسور [illegible] هو طائر [illegible] مصادر قريبة

• وبعد [illegible] صوامع الغلال [illegible]

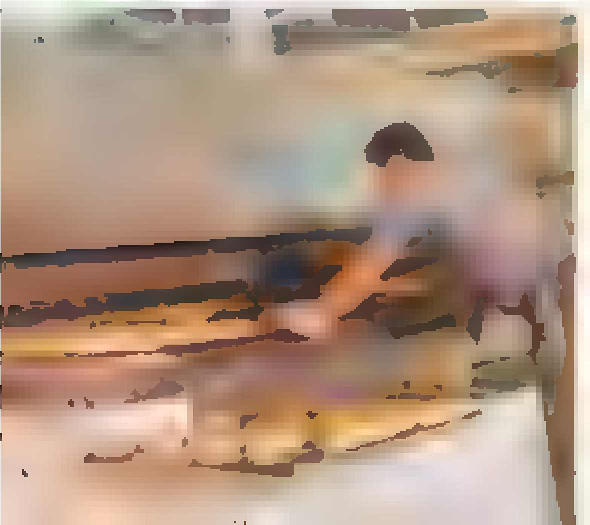
من خلال شاشة صغيرة في الفرن الطويل ، تتم مراقبة عملية [illegible] المكونات [illegible]

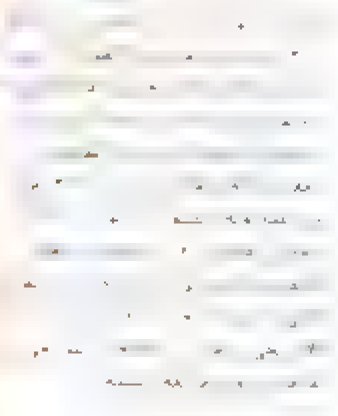






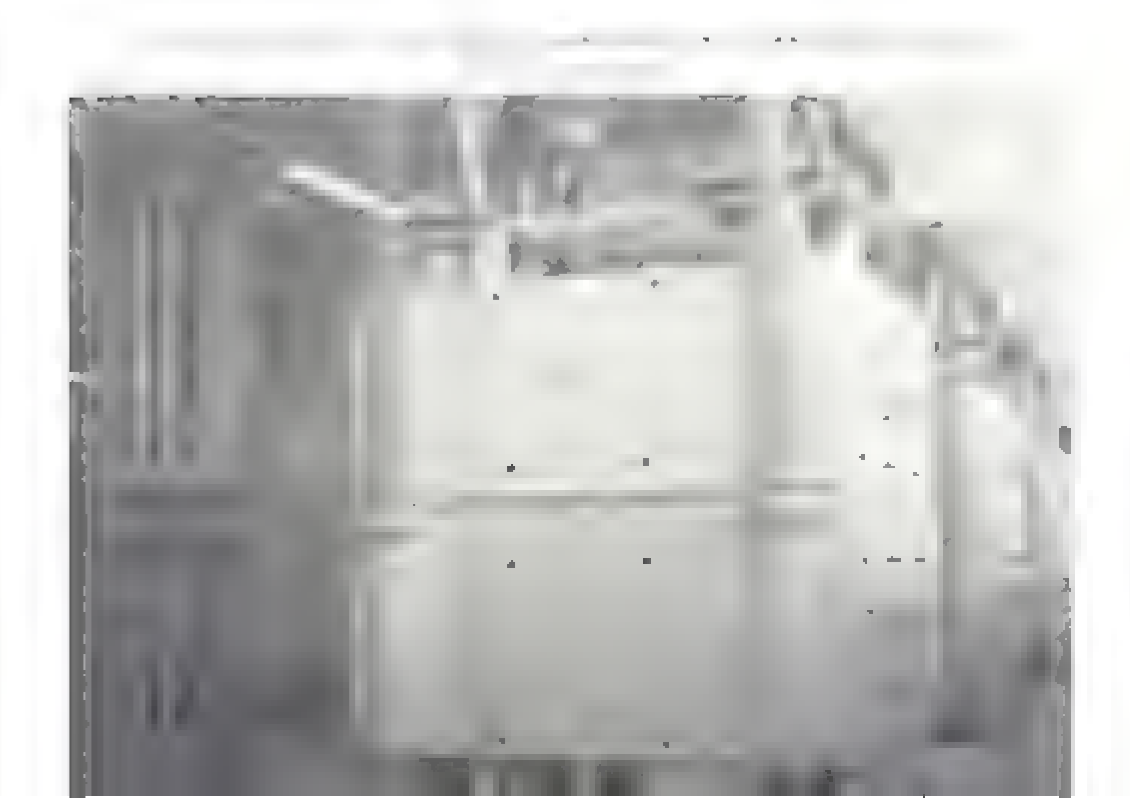






استعانة

ثلاثة انواع من الدقيق



قصة رحلتها المثيرة من آلات مطحنة الدقيق الكبيرة الحديثة .

والذي لم نذكره عن حبة القمح هو ان كل صنف من الخبز يحتاج الى نوع خاص من الدقيق .. الخبز العربي يحتاج الى دقيق نسبة النخالة فيه مرتفعة ، بعكس الخبز الافرنجي الذي يحتاج الى دقيق على اكبر جانب من النقاوة ، اما الخبز المحلي فيحتاج الى دقيق تتوفر فيه نسبة مرتفعة من النخالة .

النخالة من بقايا القمح

ومن بقايا عمليات الطحن ومن قشور حبات القمح تستخرج النخالة .. وهذه النخالة تقدم علفا للابقار ، لما تحويه من قيمة بروتينية عالية تزيد كمية ادرار الحليب وتحسن نوعية لحم الحيوانات المعدة للذبح .

والاقبال على هذه النخالة زاد من كل الوجهات والاتجاهات ، حتى بلغ مقدار ما استهلكته اسواق الكويت ١٣ الفا و ٥٥٥ طنا من النخالة خلال عام ١٩٧٠ ونتيجة هذا الاقبال الزائد اضطرت شركة المطاحن الى الاعتذار عن تلبية طلبات التصدير الواردة من اليابان وغيرها من الدول .

مشاكل زيادة السكان ..

وهكذا بدأت شركة مطاحن الدقيق تسير على بداية الطريق ، ولم يكن كله مفروشا بالزهور ، فقد برزت عقبات وعراقيل ، كانت تتغلب عليها الواحدة بعد الاخرى .

وعندما زاد عدد السكان ، وزاد الاستهلاك عن كمية انتاج المطاحن ، سارعت بتركيب وحدة طحن جديدة ، استطاعت ان تواجه بها مطالب الاسواق التي قفز استهلاكها من ٣٦ الف طن دقيق عام ١٩٦٤ الى ٧٠ الف طن خلال عام ١٩٧٠، اما انتاج شركة المطاحن فيمكن ان يصل الى ١٠٧ الف طن عند الحاجة .

١٥ طنا من الخبز يوميا ..

واطمأن الناس وارتاحوا الى الدقيق الجديد النظيف .. ولكن طموح المسؤولين عن شركة المطاحن ، كان اكبر بكثير من مجرد تقديم دقيق ونخالة .. كانت امامهم رؤى الى تحقيق سلسلة مشاريع لتخلق صناعات متكاملة مع المطاحن الحديثة .

وهكذا وبعد مرور ثلاثة اعوام على مولد هذا المصنع العملاق ، جاء المولود الثاني على هيئة مخبز آلي كهربائي كبير ، ينتج يوميا ١٥ طنا من الخبز الافرنجي النوع .. وعندما بدأ انتاج هذا المخبز في عام ١٩٦٨ قالت شركة المطاحن : « ان احدى الغايات الرئيسية من انشائنا للمخبز العصري ، هي جعله فرنا نموذجيا تجري فيه تجربة الدقيق الذي تنتجه المطحنة يوميا ، مع تعريف التاجر والمستهلك على مستوى الجودة الذي يمكن ان يصل اليه الانتاج عند استعمال الدقيق المحلي » .

والامال كبيرة في ان يتمكن هذا المخبز الحديث من انتاج الخبز العربي قريبا .

الف طن من المكرونة والشعرية يستهلكها سكان الكويت سنويا

وما كاد يمر عام واحد على الخبز الآلي ، حتى جاء المولود الثالث لشركة مطاحن الدقيق على صورة مصنع للمكرونة والشعرية،وقد بدأت الآلة تنتج اول خيوط من المكرونة في نهاية عام ١٩٦٩ مكرونة طازجة مصنوعة من اجود انواع السميد .

لقد انشيء هذا المصنع بعد دراسة عميقة لاسواق الكويت ، اتضح منها ان استيراد المكرونة بلغ ١٠٢٠ طنا ، في عام ١٩٦٨ وهذا ما شجع المسؤولين على المضي في مشروعهم .. وساعدهم الجمهور فاقبل على شراء المكرونة بعد تردد بسيط ، لتعوده على شراء المكرونة المستوردة ، ولكنه سرعان ما شعر بالجودة الكبيرة الموجودة في المواد الاولية المصنوعة منها المكرونة المحلية ، فاقبل عليها باقبال زائد حتى ان الماكينات تعمل حاليا بكامل طاقتها لسد الطلبات المتلاحقة على المكرونة والشعرية .

ومصنع المكرونة يحتوي على ثلاث ماكينات ضخمة : ماكينة تنتج ٣٣٠ طنا من المكرونة الطويلة سنويا ، وماكينة تنتج ٣٧٠ طنا سنويا من المكرونة القصيرة ، باشكال يزيد عددها عن ٣٠ شكلا . وماكينة تنتج ٣٧٠ طنا من الشعرية الرفيعة .

اي ان مجموع الانتاج هو الف طن سنويا من المكرونة والشعرية ، على اساس العمل ثماني ساعات يوميا ..

٢٢١ طنا من البسكويت ياكلها طلبة مدارس الكويت

ان مسيرة شركة مطاحن الدقيق جعلها تقيم مصنعا جديدا في كل عام تقريبا .. فبعد ان بلغ مولودها الثالث العام الاول من عمره ، جاءها المولود الرابع .. مولود حساس دقيق يحتاج الى مهارات خاصة للعناية به .. انه مصنع البسكويت .

فالكويت كانت تعتمد كليا على استيراد البسكويت حتى بلغت كمية المستورد منه ٣٠٠٠ طن في عام ١٩٦٩ .

وفي شهر سبتمبر من عام ١٩٧٠ بدأ مشروع الحصاد يهب ، عندما شرع مصنع البسكويت المحلي في انتاج نوعين من البسكويت : نوع عجينته طرية لينة ، ونوع عجينته قاسية ، / ماري – بيتي فور وغيرها) .

وتبدأ عملية صناعة البسكويت بخلط الدقيق المستخرج من القمح الغني البروتين مع السمن النباتي الخالص ، والحليب والسكر ، مع اضافات من النكهات الخاصة مثل الفانيليا .. تخلط كلها لتصبح عجينا يوضع في جهاز الى ينقلها في رحلة طويلة عبر فرن طوله ٤٠ مترا ، لا تخرج منه العجينة الا وقد اصبحت قطعة بسكويت شهية (انظر تفاصيل صناعة البسكويت تحت الصور ص ٥٦) .

ويقوم مصنع البسكويت حاليا بتقديم ٢٢١ طنا من البسكويت الخاص لطلبة مدارس الكويت ، يحوي فيتامينات اضافية عن العادي .

اما اسواق الكويت فقد بدأت تستهلك كميات كبيرة من هذا البسكويت المحلي ، بالرغم من المنافسة القوية التي يلاقيها من البسكويت الاجنبي ، ولكن البسكويت المحلي يتفوق على المستورد من عدة نواح ، اولها : القيمة الغذائية المرتفعة لاحتوائه على افضل المواد الاولية ، وخاصة السمن النباتي الخالص غير المخلوط بأي نوع آخر .

وثانيها ان البسكويت المحلي يخرج طازجا الى الاسواق مباشرة بعد صنعه ، بعكس البسكويت الاجنبي الذي لا يصل للاسواق الا بعد مضي شهور عديدة من صنعه .

ان قدرة مصنع البسكويت المحلي هي ٥٠٠٠ طن سنويا ، ينتجها عندما يعمل ٨ ساعات يوميا ، ولكن الكويت لا تستهلك اكثر من الفي طن سنويا ..

مدير شركة المطاحن يتحدث

وجلسنا الى المدير الاداري والتجاري لشركة المطاحن ، السيد سمير عبد المحسن الوسمي ، نستمع اليه وهو يحدثنا عن الشركة ومشاريعها .. قال :

انـنا [illegible] تجربة من اجل ترويج منتجاتنا .. [illegible] مدى جودة منتوجاتنا ، وما تحويه من مواد تفوق تلك المواد الموجودة في [illegible] الاجنبية [illegible] الاجنبي ، الذي [illegible] في [illegible] في اسواق الكويت ، [illegible] طرح منتجات في الاسواق .

وسمع المدير [illegible] ولم [illegible] الاسواق [illegible] فقط [illegible] الى اسواق [illegible] العربية السعودية والبحرين ، وامارات الخليج وربما [illegible] اسواق [illegible] ...

● [illegible] الانتاج على [illegible] ، و[illegible] [illegible] لتفي [illegible] المستورد [illegible] المنتجات الاجنبية في تلك الاسواق .

● [illegible] الدقيق والمعجونات والسميد [illegible] على مدار [illegible] لتلبية الطلبات الخارجية [illegible] ...

مصنع جديد في الطريق

وينتقل السيد سمير عبد المحسن الوسمي الى الحديث عن مشاريع المستقبل فيقول :

وفي نفس الوقت الذي كنا نفكر فيه [illegible] [illegible] ، كانت تجري دراسات [illegible] عن [illegible] والسمن النباتي وكمية استهلاكها في الكويت ... ومن نتيجة هذه الدراسة [illegible] اقامة مصنع لانتاج هذين النوعين الاساسيين [illegible] .

● وسوف تشهد عام ١٩٧٢ [illegible] في تركيب الآت هذا المصنع ، الذي نأمل ان [illegible] [illegible] في [illegible] عام ١٩٧٣ .

● وسوف تكون طاقة هذا المصنع ٥٠٠٠ [illegible]



« حيرتنا بحب نصرف اخوتنا »

وينهي المدير الاداري والتجاري حديثه قائلا [illegible]

لقد حققت شركة المطاحن الهدف الاساسي الذي [illegible] .. وهو تأمين الدقيق اللازم [illegible] لكنها لم تقف او تتجمد عند هذه [illegible] أصبحت اربعة مصانع عاملة في شركة واحدة ناجحة .. ■■

سليم زبال



رجل عظيم

● عندما بلغ الشاعر الإيطالي « تاسو » Tasso ، (١٥٤٤ – ١٥٩٥) ، قمة مجده جاءه بعض اصدقائه يقولون له : « لقد اصبحت الآن في مركز تستطيع بمقتضاه ان تنتقم من الرجل الذي اساء اليك ! » .

وقال الشاعر الإيطالي الشهير « انني لا اريد ان اسبب في الاذية احدا ، ولكن هناك شيء واحد اريد ان انتزعه منه انتزاعا ! » .

وسأله اصدقاؤه في لهفة « وما هو هذا الشيء ، هل هو شرفه أم ثروته ام حياته ؟ والله ان اخترت لتضمنن له الموت ، فهو رجل لا يستحق ان يعيش ! » .

وهنا قال تاسو في هدوء « اخطأتم ايها السادة ، فان ما اريد ان افعله ، هو ان احاول ان انتزع منه تلك الروح الشريرة التي تسيطر عليه .. ولن اترك وسيلة الا وسوف الجأ اليها لكي اضيف لاصدقائي صديقا جديدا !! » .

اروع صور الحياة

● سألوا الفنان البلجيكي الكبير روبز فليس Rops Felicien (١٨٣٣ – ١٨٩٨) « ما هي أجمل وأروع صور الحياة من حولك ؟ » .

قال « صورة الأم التي وضعت مولودها الصغير لتوها ، ثم مدت يديها وهي راقدة في فراشها ، لتحتضن هذا المخلوق الجديد الذي احتضنته تسعة أشهر من حنانها ، ينتظر وصوله الى هذه الدنيا ؟ »

قالوا : « ثم ماذا ؟ » .

قال « وصورة الجراح الذي امسك بمبضعه وراح يعمل في هدوء ويقظة بعد ان اضعف القلب او كاد ، محاولا ان يعيد الحياة لانسان جمعته الآلة بين الموت والحياة !

واخيرا صورة المدرس الذي بقي وحده بعد ان انصرف كل تلاميذ المدرسة ومدرسيها عائدين الى بيوتهم ، لانه وعد بعض تلاميذه ، ان يشرح لهم ما صعب عليهم فهمه »

الفلسفة .. والحرية

● الفيلسوف الاسباني المولد الشهير جورج سانتيانا George Santayana (١٨٦٣ – ١٩٥٢)، قضى حياته الطويلة يجوب اقطار الارض، الى ان استقر به المطاف اخيرا في امريكا، حيث عمل استاذا للفلسفة بجامعة هارفارد، ثم رحل بعدها الى فرنسا ليكتب وينشر فلسفته في الكتب.

سألوه وكان قد تقدم به العمر: الم تشعر بالحنين يوما لبلدك؟

فقال: ان كل قطرة في دمي تصرخ من اعماقي ان عد الى بلدك! ولكن ماذا عساي ان افعل في ظل القيود التي فرضها رجال السلطة على عقول الناس، حتى اصبحوا اقرب الى قطيع الاغنام الذي يسوقه صاحبه الى المراعي ليرعى، ثم يعود به في نهاية اليوم الى حظيرته لينام.

« انني اعيش بقلبي ودمي في بلدي، ولكن هكذا هي الحياة .. انك تحس بان قدميك مثبتتين في الارض التي تنتمي اليها، بينما تحلق روحك في الافق المائلة من حولك بحثا عن تلك السماوات الطليقة حيث تستطيع ان تتنفس فيها بحرية وتفكر وتكتب بعيدا عن كل قيد يكبل حريتك! ».

الناس تفنى واعمالهم تبقى خالدة

● روى احد اساتذة جامعة كمبردج في انجلترا القصة التالية: « كنت عضوا في لجنة مناقشة رسالة الدكتوراه التي تقدمت بها احدى الخريجات، وكان موضوع الرسالة عملاق الادب الانجليزي وليام شكسبير (١٥٦٤ – ١٦١٦). وبدأ اعضاء اللجنة يناقشون صاحبة الرسالة فيما كتبت، وفيما قرأت عن هذا الشاعر الاديب الكبير .. وكانت قد اطالت واسهبت في الحديث عن روائع شكسبير واعماله الادبية التي سبق ذكرها، تحلل شخصيات رواياته، وحاولت عن طريق تحليلها هذا ان ترسم صورة لشخصية شكسبير نفسه!

وعندما اوشكت مناقشة الرسالة على الانتهاء، نظر رئيس اللجنة الى صاحبة الرسالة وقال: « لقد حدثتنا طويلا عن اعمال شكسبير، ولكنك نسيت ان تذكري لنا شيئا عن حياة الرجل نفسه! ».



وارتبكت صاحبة الرسالة، ولكنها ما لبثت ان استردت بعض نفسها بنفسها، وهي تمضي تقول لرئيس اللجنة في تحد: « هل تستطيع انت ان تذكر لنا شيئا عن حياة شكسبير الانسان؟ ».

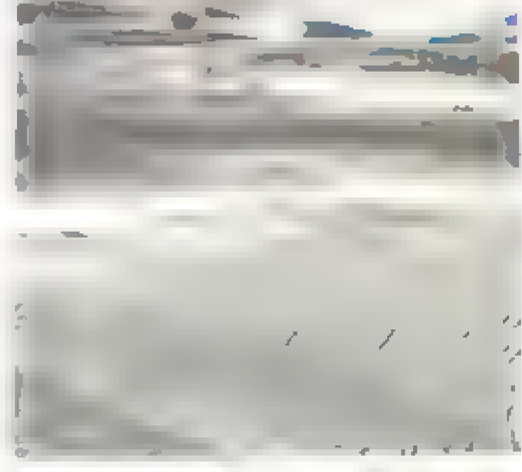
واحتار رئيس اللجنة، وراح يفكر ثم عاد يقول وكانه تذكر شيئا: « حقيقة لقد عرفنا هذا الرجل العملاق من خلال اعماله الخالدة، لكننا لم نعرف عن حياته او شأنه الكثير! ولكن الا يكفينا ما قرأناه عن اعمال هذا الاديب الكبير .. ان الرجال تذهب، ولكن اعمالهم تبقى وهي الخالدة دوما في بطون الكتب والتاريخ ».

صور يستفاد منها عبر

بقلم الدكتور أحمد زكي

صحراء
تخضر بالنبت من بعد اصفرار

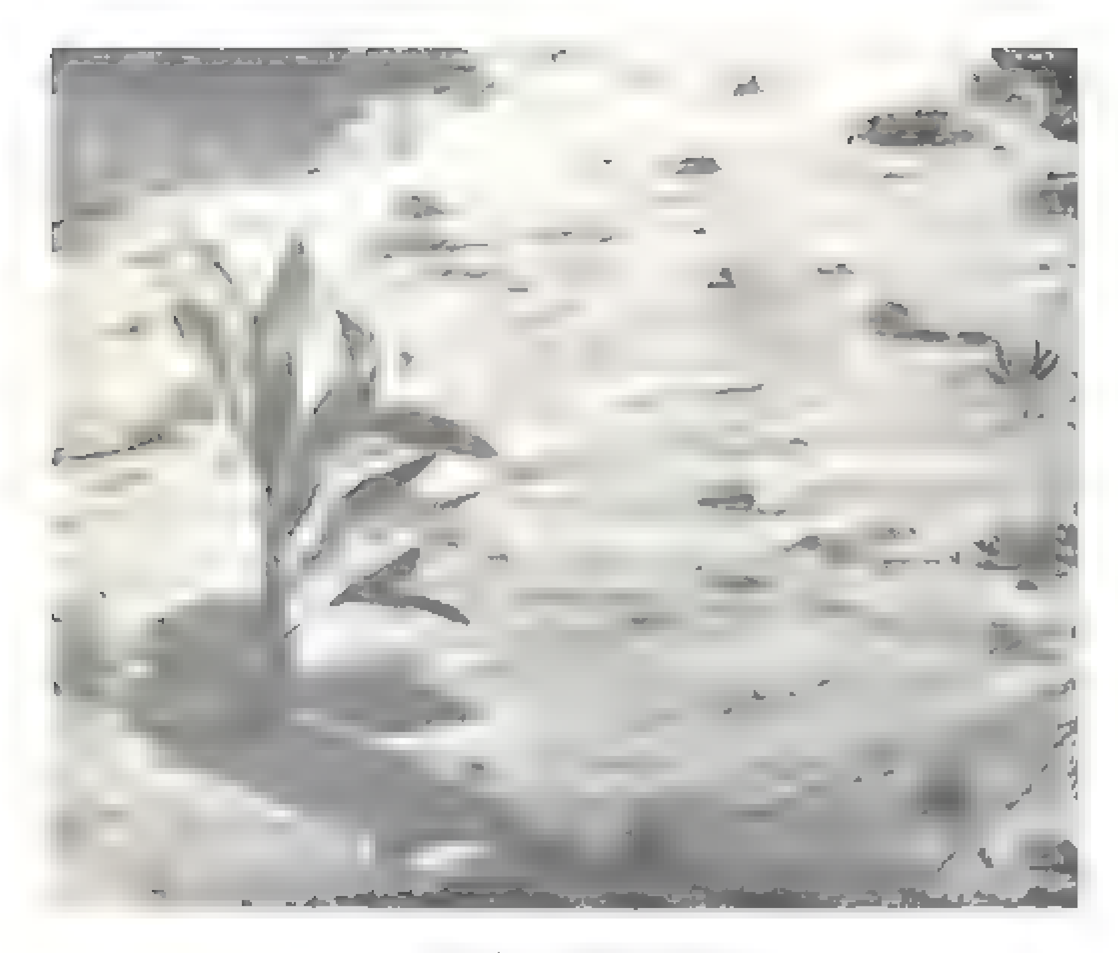
● صحراء، قد لا يصيبها الماء السنوات المتطاولة، ثم يحدث أن يصيبها المطر أياما ساعة من ال[illegible] فإذا هذه الصحراء الجرداء [illegible] بالحياة وتخضر بالنبت وبالزهر من بعد اصفرار. إنها البذور وجدت في هذه الرمال وظلت تنتظر الماء. فلما جاءها الماء من السماء ربت وازدهرت، ثم يموت النبت ويترك وراءه البذور تنام في الرمل دهرا طويلا تنتظر المطر ليعيد إليها الحياة. [illegible] وليست بها أي [illegible] حتى على هذه موارد الحياة.



نبات يأكل اللحم

● هذه النباتات تأكل الحشرات، إنها تعرفها بالرحيق الذي يغطي [illegible] إنها بهذا [illegible] وللنبات من آلاف اللحوم حيل أخرى عديدة تصيد بها ضحاياها. إنها الحياة فيها مكان للرحمة غير ما نعهد الإنسان



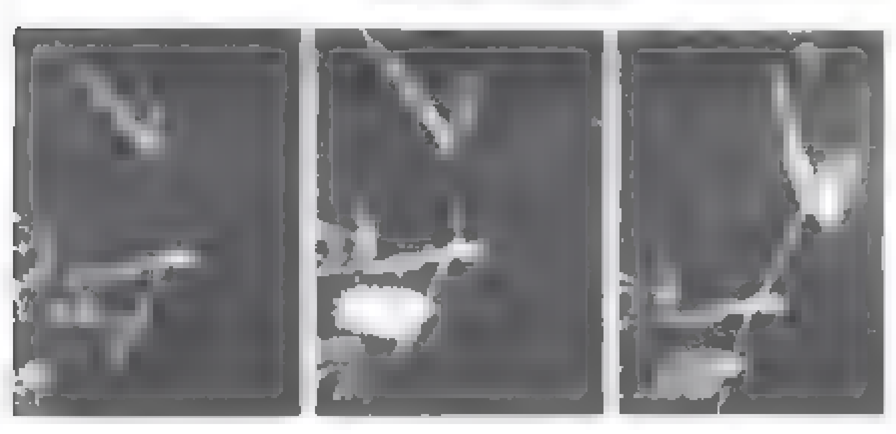


جوزة سقطت في الرمل

[illegible]

رحلته ، ثم متعه بعد ذلك السعي . وكل ساعٍ لا بد واصل .

للبذور أعمار —



حس ولا أعصاب

● صور بستاد مهد عر



أشجار عملاقة

فقد تبلغ ٣ آلاف عام

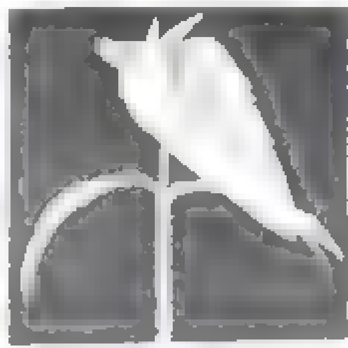
مثل المسيح عليه السلام ،

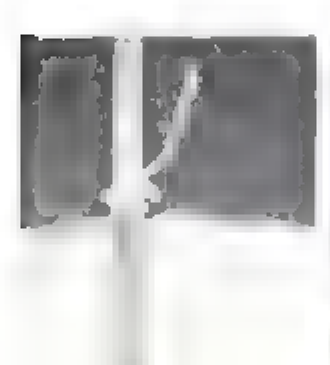
ومن الجمال ما قتل!

نباتات متطفلة

ولا هو مقصور على الحيوان











١٨٩٢ - ١٩٦١

بمناسبة مرور عشرة أعوام على وفاته

بقلم : طاهر ابو فاشا

■ عاش « بيرم » حياته ممتلئة بحس فنان ، ان يصنع الفن ، ويطوى صفحته ، ويسطر الصفحة الاخرى عبر ... وقد عاش في هذه السنين معارك ... على المستويين الاجتماعي الوطني ، والقومي المصري .

وقد تنقل هذا الفنان العظيم في بعض طوله حائلا في مساقط رأسه بالاسكندرية ما بين « الكتاب » والدكان ، ... والبوصيري ... عاملا ، وصبي « بقال » .. ولكنه بعد سنوات من القلق يستقر نهائيا ، ويركن الى صناعة القلم .

وعرف « بيرم » للقلم قيمته ، وقدر شرف الكلمة ، فارتبط منذ اول وهلة بالجماهير ، وتبنى قضاياها حتى وقف الى جانب الشعب ضد المجلس البلدي الذي كان يسيطر عليه الاجانب في الاسكندرية ، فنظم قصيدته المشهورة .

« يا بائع الفجل ، بالمليم واحدة
كم للعيال ، وكم للمجلس البلدي »

فالتهبت بهذه القصيدة ظهور السادة الذين ... الشعب ، كما لهب بها وجدان الجماهير التي راحت ترددها في كل مكان ... وتناقلت صداها من اقصى مصر الى اقصاها كما كانت ... بعد ... في هذه الفترة

وكانت هذه القصيدة خطوة حاسمة في حياة بيرم .

فقد تنبهت الى انه لم يخلق الا ليكون القيثارة التي يعزف عليها الشعب المصري آلامه وأحلامه .

لم سمي بالتونسي

سمي « التونسي » لأن جده لأبيه ـ الشيخ مصطفى بيرم ـ كان تونسيا . نزح الى مصر ، وأقام بالاسكندرية وتعاطى فيها تجارة المنسوجات ، وتزوج فتاة من بنات الاسكندرية ، فأنجبت له ثلاثة أولاد . أحدهم « الحاج محمد مصطفى بيرم » والد محمود بيرم . وموضوع هذه الكلمة .

وكان « الحاج محمد » مزواجا . مات بعض زوجاته في حياته ، ومات هو عن اثنين أحداهما والدة شاعرنا محمود بيرم .

بيرم في المعهد الديني

واسترعى نجابة الطفل أنظار أبيه وأفراد أسرته ، ورأى الحاج محمد أن يسلك الطفل في طريق العلم ويلتحقه بكتاب « الشيخ جاد الله » في حي السيالة المعروف بالاسكندرية . وبعد الطفل في شيخ الكتاب من القسوة ما يكرّه الكتاب اليه . فيرده الى الدكان ليسير على درب أبيه وجده في تجارة المنسوجات . ولكن أباه يأبى الا أن يسير الفتى في طريق المعرفة ليكون عالما فقيها ، فيلحقه بالمعهد الديني وكان مقره مسجد أبي العباس .

يموت أبوه ويتنكر له بنو عمومته

وكان المفروض أن يقطع بيرم طريقه في سلك التعليم الى نهايته ، يساعده على ذلك ذكاؤه اللماح ، وحافظته القوية ، وشيء من الثقافات سبق به أترابه في هذه السن المبكرة ـ ولكن . وقع له حادث قطع عليه طريقه ، وغير خط حياته . فقد مات أبوه وهو ما زال في الرابعة عشرة . ويضطر الفتى الى الانقطاع عن المعهد ، ويرتد الى الدكان ويتنكر له بنو عمومته . ويخرج من تجارة أبيه صفر اليدين ، ويحاصره الفقر ، وتضيق به سبل الرزق ، فيشتغل عاملا ، ويعمل صبيا في دكان بدال « بقال » لم يستقر به طويلا ، وتموت أمه ، وتترك له صبابة من مال يحاول أن يستثمرها . فيفشل . ويفلس .

ويبدأ بيرم يواجه الحياة وحيدا ، محروما من العطف والحنان ، فقيرا لا سند له . ولا معين .

موهبته لم يكتشف بعد عنها

وكان الفتى يشعر في قرارة نفسه انه يملك موهبة لم يكتشف بعد عنها . وانه ليجد ارهاصاتها في حلقات الدروس التي كان لا ينقطع عن شهودها ـ بل ربما كان انصرافه اليها واحدا من الأسباب التي أدت الى فشله في التجارة ـ هذا فضلا عن اكبابه على القراءة . فهو قارئه ممتاز يلتهم ويتمثل ما يقرؤه في نهمة عجيبة . وبحسبك أن تعلم انه قرأ « الفتوحات المكية » لابن عربي في هذه الفترة المبكرة من حياته ، وهو كتاب يتنوء ، ويخشى به ويتوه فيه كبار العارفين .

كان الفتى يجد كل هذا في نفسه ، ويحس به ، ولكنه لا يجد طريقه اليه .

وقد سبقته الى هذه الطريقة تجربة مثيرة مرت به ، تلك التي أشرنا اليها في صدر هذه الدراسة ، فقد كان مجلس بلدي الاسكندرية ـ كما قلنا ـ في يد الأجانب وكانت له سلطة وصولة حتى اعتبر دولة داخل الدولة . واستهدفت الاسكندرية من ثقل الضرائب المختلفة التي كان يفرضها بحجة النهوض بعمران الثغر ، ولم يكن بيرم ، ولا أسرته بنجوة من فداحة هذه المظالم ، وقد عانى منها هو شخصيا اثناء محاولاته التجارية الفاشلة ، فنظم قصيدته الساخرة اللاذعة التي أشرنا اليها وجعل قافيتها في جميع أبياتها من كلمة واحدة هي « المجلس البلدي » زيادة في التشهير والسخرية :

قد أوقع القلب في الأشجان والكمد
هوى حبيب يسمى المجلس البلدي

وفيها يقول بيرم فيما يقول :

أمشي وأكتُمُ أنفاسي مخافةَ أن
يعدَّها عاملٌ للمجلس البلدي

إذا الرغيفُ أتى ، فالنصفُ آكلُهُ
والنصفُ أتركُهُ للمجلس البلدي

كأنَّ أمي بلَّ اللهُ تربتَها
أوصتْ فقالت : أخوكَ المجلسُ البلدي

أخشى الزواجَ إذا يوم الزفافِ أتى
أن ينبري لعروسي المجلسُ البلدي

وربما وهبَ الرحمنُ لي ولداً
في بطنِها يدَّعيهِ المجلسُ البلدي

وإن أقمتُ صلاتي قلتُ مفتتحاً
اللهُ أكبرُ باسمِ المجلسِ البلدي

أستغفرُ اللهَ حتى في الصلاةِ غدَتْ
عبادتي نصفُها للمجلسِ البلدي

* * *

يا بائعَ الفجلِ بالمليمِ واحدةً
كم للعيالِ وكم للمجلسِ البلدي

* * *

ومع أن هذه القصيدة ليست من أطايب بيرم ، فهي النتاج المبكر يدخل في باب المحاولات الأدبية لشاب ناشيء من شذاذ الشذاذيين ، إلا أنها أحدثت دويّاً شديداً ، وكان لها صدى بعيد ، فقد وقعت على الجرح ، واصابت ما في نفوس الجماهير الذين وجدوا فيها متنفساً لضائقهم من إرهاق هذا المجلس البلدي ، ولهذا راجت على ألسنة الناس من مختلف الفئات والطبقات ، فحفظوها ، وتناشدوها ، وكتبها الخطاطون في لوحات علقت في الأماكن العامة ، وأنشدها المنشدون ـ على الذكر ـ في مولد أبي العباس ، وقام متشطرو بعض الشعراء ، وخمّسها بعضهم وأداها الترّ من شاعر . فأرسلها بيرم الى جريدة الأهالي وكانت صحيفةً مشهورة يحررها ويصدرها بالاسكندرية عبد القادر حمزة (1) ، فنشرتها موقعةً باسمه « بيرم التونسي » . وتساءل الناس : مَنْ بيرم ؟ وإذا بيرم ذلك الفتى القليل الذي يواجه الحياة مجرداً إلا من هذا الاستعداد المثير .

مجلة المسلة

كان رواج هذه القصيدة على هذا النحو شهرةً مفاجئةً تهبط على بيرم . فانطلق في طريق الفن الأدبي وليداً وقد انفتح له مجالٌ فسيح من أوسع الأبواب .

ويحكى أن قصيدة المجلس البلدي لم تكن أول أعمال بيرم . فقد سبقتها محاولات ، نشرها في عام ١٩١٦ . وبعضها أجود من قصيدة المجلس البلدي ، ولكن الرواج والسمعة حظوظ ـ أيضاً ـ وقد بلغ من رواج هذه القصيدة أن بيرم عندما أصدر مجلته « المسلة » قدم نفسه لقرائها منسوباً الى هذه القصيدة ، فكتب عنوانها على الغلاف : « المسلة ، لصاحبها محمود بيرم التونسي ، صاحب قصيدة المجلس البلدي » .

وكانت هذه القصيدة مورداً من موارد رزقه في هذه الفترة . فكلما مسَّتْه الحاجة طبع منها بضع مئات ، وراح يوزعها بنفسه ، فيتخاطفها منه الناس ، وكان يكرر طبعها كلما احتاج ، فيتجمع له من ذلك ما يرد عنه شبح الجوع .. بل كان طبعه ، ونشره ، وتوزيعه لهذه القصيدة تجربةً وجَّهتْه وقادته الى اصدار مجلة « المسلة » .

وانما سماها « المسلة » رمزاً الى مسلة الاسكندرية الأثرية ، وقد رسمها على غلاف المجلة ، وكان صدور العدد الأول منها في الرابع من مايو

(1) الأهالي في ١٩١٧/٢/٣٠

وأبعدوه ، ونفوه — ولكنهم لم يسكتوه . بل لعلهم قد زودوه بأسباب شخصية للسخط والثورة ، الى حنينه لهذه الأرض التي شقي فيها وبها .

ولم يعدم الشاعر فرصة يصدح من فوقه . فيجعل يترجم كل ذلك في زوايته ، ويرسلها من فرنسا الى مجلات الشباب . والنيل . والفنون . والأمام .

لقد أبعدوه عن مصر . ولكنه لم يبتعد عنها ، ولم يستطيعوا أن يمنعوا صوته أن يعبر البحر ، ويخترق الحدود ، ويجد سبيله الى قلوب الجماهير .

فرنسا تنفي بيرم الى تونس

وفي عام ١٩٣٢ . كانت فرنسا تمر بأزمة مالية ، وانتشرت فيها البطالة والتعطل . فاتجهت سياستها الى ترحيل كثير من الغرباء الى بلادهم التي كانت تقع في دائرة النفوذ الفرنسي ، فالتمس شملهم ذلك بيرم ، فقد نفته السلطات الفرنسية الى تونس مرة أخرى .

ان بيرم من الناحية الثورية يشبه — من بعض الوجوه — الثائر الاسلامي العظيم السيد جمال الدين الافغاني . فحيثما كان يحل السيد جمال الدين كان ينشر افكاره الثورية ، وكذلك كان بيرم . حيثما حل شرع قلمه ليترجم عن شعور الجماهير ، ويصور أحوال المجتمع ومشاكله . فما كاد يستقر في تونس حتى كان في الجبهة التي تقاوم الاستعمار والاستغلال . فيعمل بشبابه في تحرير بعض صحفها ، ولم تتسع هذه الصحف لأفكاره وآرائه فأصدر مجلة سماها « الشباب » . وتضيق به السلطات الفرنسية في تونس ، فتغلق مجلته ، وتقبض عليه ، وتخرجه من تونس منفياً ، وينتهي به المطاف في الشام .

بيرم في دمشق

وفي دمشق يقبض عليه الجند الفرنسي ويأمر بنفيه مرة أخرى الى فرنسا ، ويضعونه في سفينة لتحمله من اللاذقية الى مرسيليا مارة ببورسعيد والاسكندرية .

وفي بورسعيد وقفت السفينة لتتزود بالمؤونة والوقود . ووقف بيرم ينظر الى الأرض التي يعشقها والدموع تجول في عينيه ، واذا أحد « البمبوطية » — تجار السفن — من ابناء بورسعيد يعرفه بنظرة الصامت ، وان هي الا كلمات تدور بينهما حتى يقوده الى الشط ، وقد « حشكه » بين أطنان قصب العراقي زعماً انها « للبمبوطي » ولم يسألوه .

على هذا النحو تيسر لبيرم ان يتسلل مرة أخرى الى وطنه وقد أصبح رجلاً يناهز الخامسة والأربعين ، وبلوه برصيد ضخم من آلام الغربة وتجارب الحياة . فقد كان ذلك في صيف عام ١٩٣٨ بعد ان قضى في منافيه نحو عشرين عاماً .

في بور سعيد السفينة
رسيت تفرّغ وتملا
والبايعين حوّطونا
بكارت بوستال وعملة
لكن بوليس المدينة
ما ترعش من جنبه نملة
يا بور سعيد واقف حسرة
وليه يا اسكندرية

★★★

هتف بي هاتف وقال لي
انزل . ومن غير عزومة
انزل . دي ساعة تجلّى
فيها الشياطين في نومة
انزل دا ربك تسلى
فوقك وفوق الحكومة

حطّت في سِتر المهيمن
للستر يا حكيمدارية

* * *

واقول لكم بالصراحة
اللي في زماننا قليلة
عشرين سنة في السياحة
واشوف مناظر جميلة
ما شفت يا قلبي راحة
في دي السنين الطويلة
إلا أما شفت التراقع
والنذالة والجلابية

وهكذا عاد الى مصر اديبا فقيرا ، مستخفيا كما يقول .

تركت في مصر مستحق قبر وأديب
دخلت بوكالته مفتوحة لكل غريب
تملق الحاج سالم نعمة الله حبيب
راجل ميعلم ميكمل تربية كاتب

وتطارده عيون الحكومة ويسعون له الارصاد ، ويشير عليه بعضهم ان يسترضي الشراي في بعض اشعاره فلم شفعت اشعار الاعتذار لامثاله .. فكان غاية ما وصل اليه انهم تناسوا من وجوده ، فاقام في مصر بصفة غير رسمية . الى ان قامت ثورة ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ فمنحته الجنسية المصرية في عام ١٩٥٤ .

وكانت الايام قد اخذت منه ، بعد ان تقدمت به السن ، وانكته مرض « الربو » ولكنه ظل الى آخر لحظة من حياته وهو في مكانه من صفوف المناضلين الشرفاء من حملة الاقلام الحرة الجريئة، اصحاب الكلمات القوية المضيئة حتى فارقنا الى جوار الله يوم الثلاثاء من يناير عام ١٩٦١ . فمات واقفا – كما يقول العسكريون – .

فن بيرم

ان محمود بيرم التونسي المصري – هو قضية ذات شقين :

اولهما : بيرم نفسه . حياته التي عاشها بالعنف والمرض كنموذج لكفاح الفنان الحر ، وكانت آثار بيرم الادبية افرازا لهذه الحياة ... وما زلنا نقول : ان بيرم – نفسه – دراما لم تكتب الى اليوم .

وثانيهما : التراث العظيم الذي تركه بيرم ، والمضاف به الى مأثوراتنا الشعبية رصيدا باقيا يحتاج الى تنظيف ، وتبويب ، وجهود تتضافر للنهوض بتقريب هذا التراث وكسر الحواجز بينه وبين الشعب .

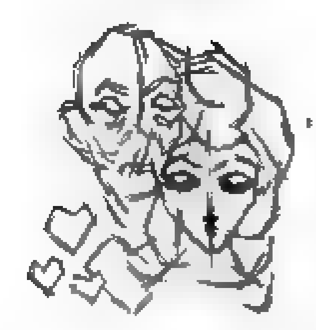
* * *

ولقد كان بيرم ذا ثقافة عربية واسعة ، وهو يكتب بالفصحى ايضا . ويجيده ، واسمع اليه في هذه المناجاة الصوفية العذبة

قد دعاك المكروب في غسق الليل
وقد نام كل حي سواكا
رب انت اللطيف بالبر والعاصي
مجيب لكل عبد دعاكا
لك لطف في الحجب لو أمس
المكروب في وقته يكاد يراكا
أنا متمسك بحبلك في اليم
إذا الكائدون مدوا الشباكا

ولو قد آثر بيرم ان يتجه الى الكتابة بالفصحى لجاء ادبه شعبيا ايضا ، اذ يمكن اعتبار الادب شعبيا اذا تحدث عن قضايا الشعب ، وعالجها وطبب لها . وان لم يكتب بلغة الشعب العامية .. ولكن بيرم آثر ان يكتب للشعب بلغة الشعب البيئية ما دام قد تبنى قضايا الجماهير . ■■

طاهر ابو فاشا



رجـــاء

■ أحب حبي مهجتي بيدا ، فهيهات في القلبـه
ممبق عزت علي ، وان يكن أمست شقيـه
عزت بك ملوها ، في كل عرق أو خليـه
فأن وأنت ، أنا ، كلانا واحـد ، أحيوا بليـه
طـللان من ركب الرحيـل عن لعني الأزمن العتيـه
دعه عن الـدرب الطويل معاً فعيشنا قصيـه
سرنا عليه لعله يلقي على الـذكر النديـه
فأنت شريكك في الحيـاه وخير ما يبقى من صحبـه
أي أحبك بعـد حتى تندى حلق الربيـه

★ ★ ★

يامـن ثوى في خاطـري وأصاه عيبه حبيبـه
وأمام في حـدى الحنان وكان نجوى الشجيـه
وأداع في عمري السلام فشع في روحـي النقيـه
اني ولدت لمقلتيك وكنت أدمعها السخيـه
وطلائع هدتك كل أمـاً وآمـالاً سنيـه
لاتشتكي من أصغر يلك بـلا عتاب أو رويـه
فسى أمات لا رعمة وما لنا في خطيه (١)
دعني الرفيق على الطريـق فإن في بعد أبيـه
مرت عمات الحصا وادت عنها نبيـه
دعني أعيش كما تريد وخل عن روحي الفتيه
اني وهبت لـك الصبح فلو تركت لي تعشيه ■

وهيب دبّب

---

(١) خطيه : خطيئة (بعد الين الهمزة) بقولها الشامي مستعطفا .

دولة الخزر

دولة غريبة عاشت أربعة قرون، أسلم عامتها، وتهود ملوكها وخاصتها، وانقرض شعبها منذ القرن الثاني عشر.

بقلم: نجدة فتحي صفوة

الوزير المفوض سابقا ـ بغداد

[illegible] رقعتها، وازدهرت تجارتها، واثرت في مصائر ما جاورها من الاقطار وما يلي [illegible] ولم يعرف لشعوب [illegible] لها. وهذه الدولة هي [illegible] الخلافة العربية. [illegible] اليهودية الى تلك البلاد.

فما قصة دولة «الخزر» البائدة؟

وممن تألف شعبها؟

وكيف اعتنقت اليهودية؟

الخزر والبلغار

شهد جنوب روسيا ـ او المنطقة التي تعرف بمنطقة السهوب ـ Steppe ـ اقواما عديدة تعاقبت على غزوها واستيطانها منذ اقدم الازمنة. ومن اوائل هذه الاقوام «القوط» Goth ـ وهم قبائل المانية زحفت من الشمال ـ ثم «الهون» Huns ـ وهم قبائل بدوية تركية ـ مغولية جاءت من آسيا في اواخر القرن الرابع الميلادي فهزمت القوط ـ ثم اعقبهم «الافاريون»، حتى غارت على المنطقة اخيرا، في القرن السادس، قبائل بدوية نشأت منها فيما بعد دولتا «الخزر» اليهودية Jewish Khazars و«البلغار» المسلمة.

وهذه القبائل لا يعرف اصلها على التحقيق، وان كان الاعتقاد السائد انها من اصل تركي ـ مغولي. وقد اصبحت للخزر دولة قوية امتدت في منطقة واسعة من بحر الخزر (بحر قزوين) ونهر الفلجا شرقا، الى شبه جزيرة «القرم» ونهر «دنيبر» غربا.

ولا تزال معلوماتنا قليلة عن الوقت الذي انفصل فيه البلغار عن اخوانهم الخزر، وعن كيفية هذا الانفصال. ويبدو ان قبائل «البلغار» لم ترغب في الخضوع لدولة «الخزر» التي كانت اقوى منها واكثر، فاضطرت الى الهجرة، وانشطرت قسمين ذهب اولهما الى شمال بلاد الخزر، وقد استقرت تلك المجموعة في حوض نهر الفولجا (او نهر «اتل» كما تسميه المصادر العربية) واسست هناك دولة «بلغار الفلجا» واعتنقت الاسلام. اما المجموعة الثانية فقد اتجهت غربا الى منطقة الدانوب السفلى، فاخضعت القبائل السلافية التي كانت فيها،



واستمسكت بها ، وأقامت لها دولة على الأرض التي احتفظت باسم « بلغاريا » حتى اليوم .

دولة تجارية

وقد ذكرت دولة الخزر لأول مرة سنة ٦٢٧ م ، بوصفها حليفة قوية للامبراطورية البيزنطية في حروبها مع الفرس . وكانت عاصمتها في البداية في سهوب القفقاس الشمالية ، ثم نقلت في مطلع القرن الثامن الميلادي الى مدينة « اتل » في مصب نهر « الفولجا » وقرب موقع مدينة « استراخان » الحالية .

وأصبحت دولة الخزر دولة مستقرة وآمنة نسبيا ، وبالرغم من أن بعض الخزر اكتسبوا في عهود استقرارهم شيئا من الخبرة في الزراعة وتربية المواشي وصيد الأسماك ، فان اهتمامهم الرئيسي كان موجها الى التجارة . وقد ساعد دولة الخزر موقعها الجغرافي على مفترق الطرق ان تكون مركزا تجاريا دوليا مهما . ويقول المستشرق بلوب « من الواضح ان ازدهار دولة الخزر ورخاءها اعتمدا على موقعها الممتاز على طرق التجارة أكثر من اعتمادها على مواردها (٢) . وقد انشأ الخزر على هذه الطرق تجارة نشطة بين الشرق الأقصى والبحر الأسود من جهة ، وبين الخلافة العربية في الجنوب ، والشمال السلافي ، من جهة أخرى . وكانت واردات الدولة تعتمد على المعاملات التجارية ، وكذلك على الاتاوة التي فرضتها على الشعوب المجاورة لها ، والواقعة تحت نفوذها . وقد ازدادت تلك الاتاوة كلما اتسعت رقعتها نحو الغرب في السهوب الروسية .

وكان زعيم الخزر يحمل اللقب التركي « خاقان » ، وكانت السلطة قسمة بينه وبين قائد يحمل لقب « بك » [illegible] فالسلطة الفعلية في شؤون الدولة والدين كانت بيد الأول ، على

حين ان الثاني كان يمارس السلطة الفعلية . وذكر ياقوت في معجم البلدان ان مدة حكم الملك — او الخاقان — لا تكون اكثر من اربعين سنة ، فاذا جاوزها يوما واحدا قتلوه وقالوا هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه (١) . وذكر المسعودي في « مروج الذهب » انه اذا اجدبت الارض او حلت ببلدهم نائبة او ثارت عليهم امة من الامم او فاجأهم امر من الامور نفرت الخاصة والعامة الى قائد الجيش (البك) فقالوا له قد تطيرنا بهذا الخاقان فاقتله او سلمه الينا لنقتله ، فربما فعل ذلك ، او دافع عنه (٢) .

البحث عن دين سماوي

اختلط الخزر بسكان البلاد من « السلاف » ، كما كان يزورهم التجار المسلمون والمسيحيون واليهود ، فانتشرت هذه الديانات بينهم بعد ان كان معظمهم وثنيين قبل ذلك . وفي القرن الثامن كان « الخاقان » وحاشيته والطبقة الحاكمة قد بلغوا درجة من التحضر والاستنارة لزاموا معها التخلي عن وثنيتهم واعتناق احد الاديان السماوية التي تؤمن بالتوحيد . وكان التجار من الامبراطورية البيزنطية يبشرون بينهم بالمسيحية ، والتجار المسلمون يدعونهم الى الاسلام ، كما ان اليهود الموجودين في مناطق القفقاس والقرم — القريبة منهم — يحملون اليهم اليهودية . واصبح للاسلام والمسيحية اتباع كثيرون بين الخزر ، ولكن « الخاقان » كان مترددا في قبول واحدة من هاتين الديانتين . ويرى المؤرخ « فرنادسكي » — وهو اكبر اساتذة التاريخ الروسي المعاصرين واوثقهم — ان تردد الخاقان ربما كان لاسباب سياسية . فقد كانت هاتان ديانتي الدولتين العظميين الامبراطورية البيزنطية والخلافة الاسلامية ، فخوفه ان يتبع اعتناق احداهما نفوذ سياسي اجنبي ايضا ، فحل المشكلة باختيار ديانة محايدة هي « اليهودية » التي لم تكن تتعلق بها اية خيوط سياسية (٣) ، فاعتنقها هو واسرته ومعظم افراد الطبقة الحاكمة والغنية ، ويقال ان عدد الذين تهودوا مع الملك بلغ اربعة آلاف (٤) .

وهكذا تهودت دولة الخزر — او بالاصح حكومتها — لاسباب سياسية وليس بسبب اعجاب حكامها بتعاليم الديانة اليهودية ، او بتفضيلهم اياها على سواها من الاديان السماوية ، كما ذكرت بعض المصادر اليهودية (٥) .

وضع شاذ

ادى تهود الطبقة الحاكمة في هذه الدولة الى وضع غريب شاذ . فقد كانت اكثرية السكان من المسلمين ، كما كان بينهم عدد من المسيحيين والوثنيين ، ولكن الملك والطبقة الحاكمة والغنية — وهي تمثل اقلية عددية ضئيلة — كانت تدين بديانة تختلف عن ديانة شعبها ، والناس في هذه الدولة لم يكونوا « على دين ملوكهم » . ومع ذلك ، فان اعتناق هذه الطبقة الديانة اليهودية كان سببا في انتشارها التدريجي بين الشعب الخزري (٦) .

واول من اعتنق اليهودية من ملوك الخزر هو « بولان » ، وذلك في حدود سنة ٧٤٠ م . وكان

---

(١) ياقوت الحموي « معجم البلدان » ، لايبزك ١٨٦٧ ، ج ٢ ص ٤٣٩ .

(٢) المسعودي « مروج الذهب » ، بيروت ، ١٩٦٥ ج ١ ص ٢١٥ .

(٣) George Vernadsky, A History of Russia, New Haven & London, 1964, P. 28.

(٤) انظر مثلا : Solomon Grayzel, A History of the Jews, Philadelphia, 1964, P. 280.

(٥) The Standard Jewish Encyclopedia, (Ed. in Chief: Cecil Roth) London, 1966, P. 1125.

(٦) ان تهود الخزر من الادلة التاريخية التي تفند زعم القائلين بان اليهود يمثلون جنسا نقيا لم تخالطه عناصر غريبة ، وان اليهود جميعا ينحدرون من سلالة واحدة هي سلالة اسرائيل ، كما انه يفند الخرافة القائلة ان اليهودية ليست من الاديان التبشيرية ، وان اتباعها لم يحاولوا نشرها بين غيرهم من الشعوب .

معاصرا للخليفة هرون الرشيد والامبراطور شارلمان .

وقد تزوج الامبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس كبرونيموس (٧٤١ — ٧٧٥ م) اميرة خزرية ، وتولى ابنه العرش باسم الامبراطور ليون الرابع (٧٧٥ — ٧٨٠ م) ولقب بـ « الخزري » نسبة الى امه .

ويقال ان يزيد بن اسيد السلمي ، والي ارمينية ، تزوج خلال ذلك الوقت ابنة ملك الخزر تلبية لرغبة الخليفة المنصور .

وسمع حسداي بن شبروط ، الطبيب اليهودي في الاندلس ، بوجود دولة يهودية في تلك المنطقة ، فتراسل مع آخر ملوكها « يوسف » ، وكان ذلك في عهد الحكم الثاني . وقد روت بعض المصادر نصوص الكتب المتبادلة بين حسداي وملك الخزر ، ولكن صحة هذه الوثائق كانت موضوع نقاش كثير بين الباحثين ، ومعظمهم يرى انها موضوعة.(١)

حروب مع الفرس ثم مع العرب

وبدأ الخزر — منذ منتصف القرن السابع الميلادي — في سلسلة من الحروب مع الفرس ثم مع العرب الذين نازعوهم السيطرة على القفقاس ، وقد تمكن العرب من ردهم في كل مرة.

وفي سنة ٧٣٧ م ، دبر العرب حملة قوية اسفرت عن هزيمة منكرة للخزر ، فاكتسحوا القفقاس الشمالي (ما وراء النهر) وتقدموا شمالا حتى نهر الدون ، واسر العرب في هذه الحملة قرابة عشرين الف اسير ساقوا ليسكنوهم الى سورية .

واغار الخزر لآخر مرة على الاقاليم المتاخمة التي على الحدود في عهد هرون الرشيد عام ١٨٣ هـ . ويقول « الطبري » ان الباعث على هذه الغارة كان فشل المحاولة التي رمت الى تحالف الدولتين بزواج الفضل بن يحيى البرمكي من ابنة ملك الخزر . (٢)

عربي يزور بلاد الخزر في القرن العاشر الميلادي

وفي المصادر العربية اشارات كثيرة الى الخزر ودولتهم . وقد روى المسعودي في مروج الذهب ان جيش الخزر الذي اغار على البلاد الاسلامية كان على رأسه قائد خوارزمي ، على حين انه كان في حرس ملك الخزر فيما بعد جنود مسلمون من خوارزم لم يرضوا بالقتال في صفه الا بعد ان سمح لهم بالبقاء على الحياد كلما اعلن ملك الخزر الحرب على المسلمين . (٣)

على ان اهم مصدر عربي عن الخزر ودولتهم — ولعله اهم مصدر عنهم على الاطلاق — هو رسالة « ابن فضلان » الذي ارسله الخليفة العباسي « المقتدر بالله » في سفارة الى مملكة البلغار — على الفلجا — في مطلع القرن العاشر الميلادي .

وكان ملك البلغار ارسل الى عاصمة الخلافة العباسية رسولا ، وطلب الى الخليفة ان يمده بالعون تجاه ضغط الخزر على بلاده من الجنوب ، وان يبعث اليه من يعرف شعبه بشعائر الاسلام — الذي اعتنقوه منذ عهد غير بعيد — ويبني لهم مسجدا ، ويقيم لهم حصنا يتحصنون فيه من الخزر واعتداءاتهم . وكان طلب هذه الدولة الناشئة من الخلافة العباسية القوية المزدهرة اشبه بالمساعدات الفنية والعسكرية التي تطلبها الدول النامية في ايامنا هذه من الدول الكبرى .

وقد استجاب « المقتدر » لطلب ملك البلغار فارسل اليه سفارة او وفدا كان « احمد بن فضلان » عضوا بارزا فيه ، فدون في وصف هذه الرحلة رسالة اصبحت مرجعا مهما نقل منه المؤلفون المسلمون والغربيون شيئا كثيرا عن البلغار الفلجا ، وكذلك عن الخزر الذين مر الوفد ببلادهم في طريقه الى بلاد البلغار . ولعل هذه الرسالة هي الوصف الوحيد الذي دبجته يراعة شاهد عيان عربي لتينك الدولتين .

---

(١) The Standard Jewish Encyclopedia, P. 1125 .

(٢) الطبري « تاريخ الامم والملوك » ج ٢ ص٦٤٧ .

(٣) المسعودي ، ج ١ ص ٢١٢ ـ ٢١٣

وتحدث ابن فضلان في رسالته عن الخزر فقال ان لملكهم مدينة عظيمة على نهر « اتل » ، وهي جانبان : في احدهما المسلمون ، وفي الآخر الملك واصحابه . وأشار الى اعتداءات الخزر على البلغار المسلمين فقال انهم كانوا يفرضون عليهم الضرائب يأخذونها من كل بيت في المملكة ، وان ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك البلغار ، ويتزوجها غصبا ، والخزري يهودي ، وابنة الملك مسلمة . (١)

الحياة في بلاد الخزر

ويروي ياقوت في « معجم البلدان » اخبارا اخرى فيها معلومات مهمة (٢) ، منها ان دولة الخزر كان « فيها خلق كثير من المسلمين ، يقال انهم يزيدون عن عشرة آلاف مسلم ، وان لهم نحو ثلاثين مسجدا » . والشعب يتألف من المسلمين والنصارى ، وفيهم عبدة الاوثان ، واقل الفرق عددا اليهود ، على ان الملك وخاصته منهم . والغالب على اخلاقهم اخلاق اهل الاوثان ، يسجد بعضهم لبعض عند التعظيم . وجريدة جيش الملك اثنا عشر الف رجل . وتحدث عن موارد الدولة فقال : « انها من الارصاد ، وعشور التجارات ، على رسوم لهم من كل طريق وبحر ونهر » ، وذكر انه كان « للملك تسعة من الحكام ، من اليهود والنصارى والمسلمين واهل الاوثان ، اذا عرض للناس حكومة قضى فيها هؤلاء ، ولا يصل اهل الحوائج الى الملك نفسه » وقال : « ان الغالب على قوتهم الارز والسمك ، وما عدا ذلك مما يوجد عندهم يحمل اليهم من الروس وبلغار وكويابه » (٣) .

وتروي المصادر العربية ايضا انه كان في « اتل » العاصمة مسجد جامع له مئذنة شامخة . وبلغ ملك الخزر في عام ٣١٠ هـ . (٩٢٢/٩٢٣ م .) ان معبدا لليهود قد دُمّر في بعض البلاد الاسلامية فما كان منه الا ان هدم مئذنة المسجد ، وقتل المؤذن ، ولم يمس المسجد نفسه بسوء مخافة ان تدمر جميع المعابد اليهودية في البلاد الاسلامية . (٥)

الشعب الخزري

اما عن الشعب الخزري وصفاته ، فقد روى ياقوت : « انهم لا يشبهون الاتراك ، وهم سود الشعور . وهم صنفان ، صنف يسمون قره خزر (اي الخزر السود) وهم سمر يضربون لشدة السمرة الى السواد كأنهم صنف من الهند . وصنف بيض ، ظاهرو الجمال والحسن » .

وقال في المعجم : « ان لسانهم غير لسان الترك والفارسية ، ولا يشاركه لسان فريق من الامم » (٤)

واما كتابتهم ، فقد ذكر ابن النديم في « الفهرس » ان « الخزر تكتب بالعبرانية » (٦) .

اتساع دولة الخزر وامتداد سلطانها

وتشير الحوليات الروسية ـ بوضوح ـ فضلا عن المصادر العربية ـ الى ان مملكة الخزر في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) كانت اقوى بكثير من مملكة « البلغار » وان سلطان الخزر امتد كثيرا من ناحية الشمال الغربي (٧) حتى شملت حمايتهم الروس المجاورين ، وكان امير

---

(١) رسالة ابن فضلان ، حققها وشرحها الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٦٠ ، ص ٢٢

(٢) ذكر ياقوت انه نقل هذه المعلومات من رسالة ابن فضلان ، غير ان تحقيقات عدد من الباحثين دلت على ان معظم ما رواه ياقوت لم يرد فيها ، وربما نقله من مصادر اخرى ، وفاته ان يشير الى ذلك .

(٣) كويابه : هي مدينة « كييف » ـ عاصمة اوكرانيا ـ كما تسميها المصادر العربية

(٤) ياقوت ، مجلد ٢ ص ٤٣٦ .

(٥) ص ٣٨ .

(٦) ابن النديم « الفهرس » ، القاهرة ١٣٤٨ ـ ١٩٢٩ ص ٢٩

(٧) بارتولد : في دائرة المعارف الاسلامية (مادة « بلغار ») الطبعة العربية ، مجلد ٤ ص ٨٨ .

كييف يدفع لها الاتاوة ايضا . وفي هذه الفترة كانت اول دولة روسية تكون بتوحيد القسم الجنوبي من قبائل السلاف المتمركزة حول « كييف » مع القبائل السلافية من الشمال الشرقي . وكان مقرا « الفايكنك » الروسية قبل ذلك في مدينة « نوفوغورود » وكانت في البداية تحت حماية الخزر ، وتعتمد عليها في تسيير تجارتها . ولكن الخزر تقلصوا بنتيجة الحملات العربية — خاصة بعد سنة ٧٣٩ م . — ثم ضعفوا بعد الهجوم العربي سنة ٨٢٥ م . فاعتمد الروس على انفسهم ، واستغلوا ظروف الشماليين ، فاعلنوا استقلالهم ، واتخذ اميرهم لقب « خاقان — روس » مقابل « خاقان الخزر » وسيطروا على التجارة .

واحس الخزر بالخطر ، فاستعانوا بالبيزنطيين لبناء حصون على مجرى الدونتز والدون . وقد انشأوا بمعونتهم قلعة على نهر الدون — سميت « ساركل » ، وبهذه الطريقة سيطروا على طرق التجارة الى الشرق . وفي خلال عشر سنوات استولى « الخزر » على « السلاف » الموجودين في منطقة (اوكا) وسيطر الماجيار على منطقة كييف . واضطرب وضع الروس ، وحاولوا التفاهم مع الامبراطورية البيزنطية ، فلم ينجحوا في ذلك (١) .

تكوين اول دولة روسية
« امارة كييف — روس »

وفي اواخر القرن التاسع الميلادي (سنة ٨٨٢م.) اتجه « اوليغ » امير « نوفغورود » الى الجنوب ، واستولى على « كييف » ووحدها مع امارة « نوفغورود » في الشمال ، وبذلك قامت اول دولة روسية موحدة ، هي دولة « كييف — روس » التي دامت ثلاثة قرون ، وكان مركزها مدينة كييف .

وكانت المهمة الرئيسية التي تواجه هذه الدولة هي توسيع التجارة ، لانها كانت اساس اقتصادها وكان من نتائج ذلك ، او من متطلباته ، التوسع الاقليمي . وقد قام « اوليغ » بحملات عسكرية ضخمة معظمها كان موجها الى الامبراطورية البيزنطية ، وقد هدد القسطنطينية مرارا .

وخلف « اوليغ » على العرش ابنه « ايغور » الذي خاض حربين فاشلتين مع بيزنطة ، وخلف « ايغور » ابنه « سفياتوسلاف » وهو لا يزال طفلا فاصبحت امه وصية على العرش ، فلما شب وتولى الحكم سنة ٩٦٠ م . استأنف سياسة التوسع الاقليمي ، وعادت الحملات العسكرية ، فكان اهمها توجيه ضربة قاصمة الى دولة الخزر ، فسقطت قلعة « ساركل » بيد الروس ، ثم العاصمة « اتل » وبعدها المدينة الثانية في البلاد وهي « سمندر » .

سقوط دولة الخزر وانقراض شعبها

ولم تدم دولة الخزر بعد ذلك اكثر من نصف قرن آخر ، وقد انتقل مقرها الى شبه جزيرة القرم ، حتى اسقطها نهائيا « ماستيسلاف الاول » بمعاونة البيزنطيين في سنة ١٠١٦ ميلادية ، فهرب ذوو قربى الخاقان الاخير الى اسبانيا ، والتحقوا بابناء دينهم فيها ، وتشتت الشعب الخزري . فقد انضم بقايا الخزر في القرم — في اقوى الاحتمالات — الى الجاليات اليهودية القديمة الموجودة فيها ، وبذلك انتقل قسم كبير منهم الى امارة « كييف » ، كما تغلغلوا في داخل روسيا ، واعتنق بعضهم المسيحية ، ودخل آخرون في الاسلام ، وانصهروا تدريجيا في القوميات الاخرى ، ولم يعرف للشعب الخزري اثر منذ القرن الثاني عشر . وهكذا بادت دولة الخزر ، بعد ان سادت حوالي اربعة قرون ، واندثرت آثارها ، ولم تبق من شعبها بقية .

نجدة فتحي صفوة

(١) الدكتور عبد العزيز الدوري « الجغرافيون العرب وروسيا » — مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ١٣ ، بغداد ١٩٦٦ ص ٦ .
S. M. Dubnow, History of the Jews in Russia and Poland, Philadelphia, 1946, Vol. I. P. 28 — 29.

صفحة في اللغة

صيغة تفاعيل

قالت المعاجم أن لها في اللغة كلمات أربع لا نظير لها ؟!!

بقلم : عبد الستار فراج

■ اما هذه الكلمات الاربع فهي :

(١) تباشير كل شيء ، أوائله ، كتباشير الصباح والنَّوْر - اي نوّار النبات .

(٢) والتعاجيب العجائب .

(٣) وتفاطير النبات اوائله ، وكذلك التفاطير البثر يخرج في وجه الغلام والجارية - حب الشباب .

(٤) والتعاشيب الضروب من النبت والعشب المتفرقة منه .

وقد قالت بعض كتب اللغة كاللسان والتاج في مادة (بشر) ان هذه الكلمات الاربع لا نظير لها .

واذا حاولنا ان نبحث عن نظائر لهذه الكلمات في كتب اللغة نفسها التي نصت على القول السابق نجد فيها الفاظا كثيرة على وزنها ومن نوعها ، اما في مواضعها الخاصة بها ، واما جاءت عرضا في شرح لفظ آخر في مادة غير مادتها .

ونعني بذلك هذا النوع من الالفاظ التي يحتمل ان يكون مفردها « تفعيل » .

ولئن عجبنا من قولهم ان هذه الاربع الكلمات لها نظير فان العجب ايضا يتملكنا من قولهم عن بعض هذه الالفاظ انه لا واحد لها من لفظها مثل ما قالوه في تباشير وتعاجيب .

اما سبب ذلك فهو ان الرواة لم يحيطوا من اللغة بكل شيء ، واليك الدليل .

تهاويل وتصاوير وتزايين

ففي مادة (هول) نجد الفاظا ثلاثة ، اولها « التهاويل » وقالوا انها جمع تهويل . وهو ما هالكَ من شيء ، والتهاويل أيضا زينة « التصاوير » والنقوش والوشي والسلاح والنبات والحُلِيّ ، واحدها تهويل ، والتهاويل الالوان المختلفة، ويقال للرياض اذا ازينت بنَوْرها وازاهيرها من بين أصفر وأحمر وابيض واخضر :

قد علاها نورها ، وفي الحديث « ينفر من ريشه التهاويل » اراد بالتهاويل « تزايين » ريشه وما فيه من صفرة وحمرة وبياض وخضرة ، مثل تهاويل الرياض . ويرى بعضهم ان التهاويل واحدها « تهوال » .

فنحن نرى هنا الكلمات تهاويل وتصاوير وتزايين وردت في مادة واحدة .

التفاريق

وفي مادة (فرق) نجد لفظ تفاريق ، ويحكون ان امرأة كان لها ولد شديد العرامة مع ضعف أسره ودقة ، وكان قد واثب فتى فقطع انفه ، فاخذت امه ديته . ثم واثب آخر فقطع الآخر شفته ، فاخذت امه ديتها فصلحت حالها ، فقالت تخاطب ابنها هذا الذي كان سببا في صلاح حالها .

أحلف بالمروة يوما والصفا
انك خيرٌ من تفاريق العصا

قال ابن الاعرابي : العصا تكسر فيتخذ منها ساجور ، فاذا كُسر الساجور اتخذت منه الاوتاد ، فاذا كسر الوتد اتخذت منه التوادي تُصَرّ بها الاخلاف . فهذه هي التفاريق التي تنتج من العصا .

التلافيف ، والتلابيب

وفي مادة (لفف) في ارض بني فلان تلافيف من عُشب ، اي نبات ملتف .

ومن هنا ما يقال في اصطلاح الطب « تلافيف المخ » .

وفي مادة (لبب) « أخذت بتلبيبه وتلابيبه اذا جمعتَ ثيابه عند نحره وصدره ثم جررته » .

وفي مادة (وكد) : التآكيد والتواكيد السيور التي يشد بها القربوس الى دفتي السَّرْج وقيل انها من الجموع التي لا مفرد لها » .

وفي مادة (أسر) (١) تآسير السرج : السيور التي يؤسر بها .

وفي مادة (سخن) والتساخين المراجل ، والتساخين أيضا الخفاف ، وفي الحديث « فأمرهم أن يمسحوا على المشاوذ والتساخين » المشاوذ العمائم .

وفي أساس البلاغة في مادة (مجد) « وهو أهل التماجيد » .

التفاتيح والتفاقيح

وفي اللسان والتاج مادة (فقه) : والفقه : النرجس اذا كان جنبذا لم يتفتح ، فاذا تفتح فهي التفاتيح والتفاقيح .

وفي مادة (فقح) قالا : كل نور تفتح فقد تفقح ، وكذلك الورد وما أشبهه من براعيم الأنوار ، وتفقحت الوردة ، تفتحت . ومع ذلك لم يذكرا التفاتيح ولا التفاقيح .

وفي مادة (ضعف) : وتضاعيف الشيء : ما ضُعِّف منه .

وفي مادة (روح) : التراويح ترويحة ، وهي المرة الواحدة من الراحة .

وفي مادة (مرد) والتمراد بيت صغير يتخذ في بيت الحمام لبيضه ، فاذا جعلت سفلا بعضها فوق بعض فهي التماريد ، وقد مرّدها صاحبها تمريدا وتمرادا .

واذن فالتماريد يحتمل أن واحدها تمريد ، كما أن واحدها تمراد .

وقال الزمخشري من كتابه الكشاف في التفسير :

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد
وليس فيها لعمري مثل كشافي

وفي مادة (برح) : التباريح . الشدائد ، وتباريح الشوق : توهجه .

مفرد تفاعيل

ومن نظرنا الى بعض ما جاء ، نلحظ أن الواحد من تفاعيل يغلب عليه أن يكون على وزن « تفعيل » وقد نص على ذلك في التهاويل ويفهم أيضا مما سبق كلمة التباريح في مادة (برح) ، وكل ما قالوا عنه أنه ليس له واحد ، مثل التعاشير والتعاشيب والتعاجيب والتصاوير والتزايين والتعاظير يحتمل أن واحده على وزن تفعيل ويؤيد ذلك أن الزمخشري جمع التفسير على تفاسير ، وأن هناك ألفاظا يستعملها الناس على هذا النهج ، لعلها لم تدوّن في كتب اللغة ، ولا يحول دون فصاحتها شيء مثل .

أيام التشريق . وتقاسيم العود ، والتسابيح ، والتراتيل ، والتعاويذ وتصاريح العمل ، وتراكيب القول ، والتحاليل الطبية ، والتصانيف ، والتواريخ ، والتواليف ، والتعاريف ، وهكذا .

والتعاشيب لم تذكر بنصها ، في مادة عشب ولكن جاء المفرد تعشيب وهو بمعنى التجميع .

وكذلك يستعملون التعاريض وتكاليف المعيشة . والتقارير والتمارين .

وقد يكون بعضها مفرده « لصيغة » ، مثل ما قالوه في ترويحة ، ولا يمتنع أن يكون مفرد التراويح الترويح ، تشبيها لها بالتهاويل والتعاشيب والتكاذيب .

ان الباحث في الكتب ، والمتتبع لما يقوله الناس ويستعملونه ، سيجد من ذلك ألفاظا لعلها كثيرة .

وهذا لا يمنع أن « تفاعيل » تكون جمعا أيضا لما كان على « تفعال » مثل تمثال وتماثيل ، وتمساح وتماسيح ، وتنبال وتنابيل ، وتمراد وتماريد وتسخان وتساخين ، وقيل ان تساخين جمع تسخان .

تنور وتنانير

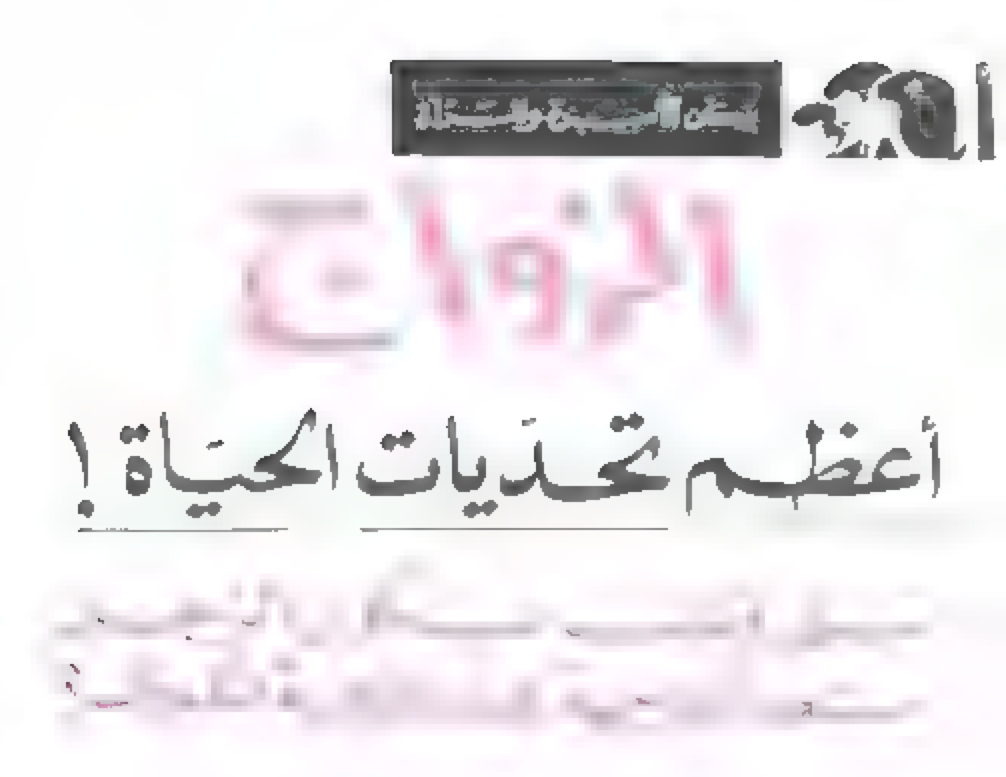
اما تنور وجمعه تنانير ، فالذي عليه أكثر اللغويين أن وزنه فعّول وأن تاءه أصلية ، ولهذا وضعوه في مادة (تنر) ، وقال ثعلب : ان تنور وزنه تفعول مأخوذ من مادة (نور) . وعقب عليه ابن سيده بقوله : « وهذا من الفساد بحيث تراه ، وانما هو أصل لم يستعمل الا في هذا الحرف ، وبالزيادة وصاحبه تنار » .

والذي جعل بعض اللغويين ينصون في بعض الألفاظ أنه لا واحد لها ، هو تطبيقهم للقول القائل ان المصادر لا تجمع الا في القليل .

جمع مازاد على أربعة أحرف

ولا يفوتنا أن نذكر أن كل ما زاد على أربعة أحرف ولم يسمع له جمع فانه يجمع قياسيا جمع مؤنث سالما ، تقول : اسطبل واسطبلات ، وحمّام وحمّامات . وقد طبق الناس هذا في كل مصدر جاء على تفعيل أو غيره مما استطعموا صيغته في استعمالهم ، مثل تعيينات وتأثيرات وتسهيلات وتعليقات وتعريفات وتنبيهات وتهديدات مما لا يتخلص من هذا الوزن ، وكذلك من غيره امكانات ، اعلانات ، وتصورات وتأملات .

(١) الأسر : الخلق وتكوين الجسم .



● أعظم تحد في الحياة ، هو هذا الذي يواجهه الرجل في أعظم تجربة له في الحياة تجربة الزواج ؟ ..

● ترى من يكون أول من يتصدى لقبول هذا التحدي ؟

وهل هناك صفات خاصة يجب ان يتميز بها الرجل لخوض هذه التجربة .. تجربة الخروج من حياة الوحدة والتقيد برباط الزواج ، بكل ما يحيط به من [illegible] والتزامات ؟

ولنستمع الى هذه القصة اولا قبل ان نسجل رأي الباحثين ..

قالت الفتاة لأبيها ، وكانت جميلة ، ذكية مثقفة ، لم يبخل عليها والدها بجهده ووقته وماله ، لكي يجعل منها سيدة متحضرة تستطيع ان تحتل مكانها في المجتمع .. قالت الفتاة محدثة اباها التي قرأت في مكتبته العامرة ، وتعلمت من كتبه الكثير من حقائق الحياة . « لا اريد ان اتزوج متعصباً يا ابي .. ولا اريد ان اتزوج شابا مغرورا .. فقط ابحث عن رجل يحبني ويفهمني ويحترمني !! » .

ولم يمض غير فترة طويلة على هذا الحديث الذي دار بين الأب والابنة ، عندما تلقت رسالة حملها اليها البريد ، وتوقعت الفتاة وهي تقلبها بين يديها ، ان تجد فيها من كلمات الوله والهيام ، ما تجده كل فتاة جميلة من هؤلاء المعجبين الذين احترفوا مطاردة الجمال ، في كل مكان تتاح لهم فيه فرصة التعارف والاختلاط !

رسالة من رجل كبير

وقرأت هذه الرسالة ، فلم تجد فيها من كل هذا الذي تصورته شيئا .. فهي ليست برسالة ، كما توقعت وانما هي دعوة من رجل فاضل كتب اليها يقول : « علمت انك عدت من الخارج بعد ان حصلت على نصيب لا بأس به من العلم والثقافة . لا بد انك سمعت عن الحركة التي بدأت في البلاد ،

تلك التي تدعو الى تحرير المرأة ، ومنحها حق الانتخاب .. فلك لا شك ترغبين في الانضمام الى هذه الحركة ، وقد يدهشك بعد هذا ان تعلمي انني أريد منح المرأة هذا الحق ، فانا من دعاة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل » .

وما كادت الفتاة تفرغ من قراءة هذا الخطاب ، حتى اسرعت الى والدها ، ولوحت بالرسالة امامه وهي تقول : « اريد ان القى هذا الرجل ! » .

لقاء ، وحب

وكان اللقاء .. وجلست الفتاة تتحدث في حماس كله ساعة كاملة عن دورها في هذه الحركة ، وعن المظاهرات النسوية التي تقدمت فيها الصفوف داعية الى هذا الدور الجديد الذي ارادته لبنات جنسها !

اما هو فقد جلس ينصت باهتمام الى هذه الفتاة الصغيرة التي لم تكن قد تخطت بعد عامها العشرين حتى اذا فرغت ، راح يحدثها بدوره عن رأيه في دعوتها وتحمسه لهذه الدعوة واخيرا عن اعجابه الشديد بهذه الروح الشابة المتطلعة التي وقفت تتحدى القانون والتقاليد وتطالب بتحرير المرأة من قيود المجتمع .

وفي مساء هذا اليوم الذي تم فيه اللقاء بين الفتاة وصاحب الرسالة ، ذهبت الابنة الى ابيها في غرفة مكتبه وقالت : « لقد وجدته يا ابي ، وجدت الرجل الذي كنت ابحث عنه .. وانا اطلب موافقتك على زواجي به ! » .

امرأة عظيمة

ولم تكن هذه الفتاة سوى املين بانكهيرست (Emmeline Pankhurst ١٨٥٨ – ١٩٢٨) ، السيدة الشهيرة التي حملت لواء الدعوة الى منح المرأة الانجليزية حق الانتخاب السياسي في بريطانيا منذ سبعين عاما تقريبا .



اما الرجل الذي اختارته زوجا وشريكا لحياتها فلم يكن سوى الدكتور ريتشارد بانكهرست Richard Pankhurst ، المحامي المعروف الذي بقي بلا زواج حتى بلغ الاربعين من عمره ، فكان يكبرها بأكثر من عشرين عاما .. وقد عاشت معه حياة سعيدة هانئة انجبت له خلالها اربعة اطفال في اقل من ست سنوات بعد زواجهما الذي احتفلا به عام ١٨٧٩ !

ما الذي وجدته املين في هذا الرجل ولم تجده في غيره من الرجال ؟

ماذا قالت املين ؟

كتبت في عيد زواجها العشرين تقول : « كنت واثقة ان ظني لن يخيب . كان اول ما لفت نظري اليه ، واكثر اعجابي به ، هو هذه الخشونة والصلابة اللتان تميزت بهما تقاطيع وجهه ، وكأنما كان يريد ان يقول لي : « انني استطيع ان اعنى بنفسي ، واستطيع ان اعنى بك وباطفالنا .. ولكن ثمة شيء آخر جذبني اليه .. هو حديثه الجاد الذي يوحي بالثقة والاطمئنان !

« لقد كان ريتشارد كثير الشبه بوالدي ، في تصرفاته وحركاته ، وحتى في نظرته الى كثير من امور الحياة .. وقد كنت احب والدي ، واتمنى ان اجد رجلا مثله ! » .

صورة الأب !

يقول عالم النفس فردريك برمنجهام Frederic Birmingham : « ان الفتاة تتأثر ، عن وعي او غير وعي ، بشخصية ابيها ، وخاصة اذا كان يخصها بحبه ورعايته ، وهي اكثر ميلا الى التعلق بوالدها في سني الطفولة ، فاذا اجتازت هذه المرحلة وبدأت تخطو الى المراهقة والشباب ، بدأت تبحث عن فتى احلامها بين الرجال الذين يعبرون معها طريق الحياة في المدرسة او الجامعة ، او في مقر عملها بعد التخرج ، ولكن مع هذا تبقى صورة ابيها ماثلة في ذهنها فهي لا تكاد تلتقي برجل غريب ، وتشعر بينها وبين نفسها بأن شيئا ما في هذا الرجل يجذبها اليه ، حتى تعود ، الى المقارنة بينه وبين والدها ، اول رجل عرفته وهي طفلة ، وحملها بين ذراعيه ودللها وداعبها ، واستجاب لرغباتها ونزواتها .. وهي تفعل ذلك مرة اخرى بلا وعي منها ! » .

الزواج هدف !

متى يكون الرجل مستعدا للزواج ؟

يقول برمنجهام : « ليست هناك سن معينة للزواج ، وانما هناك استعداد للزواج ، وهذا الاستعداد لا يتحقق الا اذا كان الرجل قد وضع الزواج في مقدمة اهدافه في الحياة . فهو يقبل على الدرس والتحصيل ويسعى ويكد ، حتى يكمل تعليمه الجامعي لكي يستطيع ان يشغل مركزا ممتازا في المجتمع الذي يعيش فيه ، ليكون جديرا بالفتاة التي تصورها في احلامه ، وتمنى لو انها اصبحت له زوجة وشريكة لحياته .. وقد يجدها سريعا ، وقد تمتد به الاعوام ، وهو ما زال يبحث عنها .. مثل هذا الرجل ، سواء تزوج شابا ، ام رجلا في منتصف العمر ، فمن المؤكد ان يكون زوجا صالحا وابا كريما ، لانه لن يتخلى ابدا عن الهدف الذي حدده لنفسه في الحياة ، وهو تكوين بيت واسرة ، يعطيها من وقته وحبه ورعايته كل ما ادخره لهما ، طوال سني بحثه عن نصفه الحلو التائه وسط طرقات الحياة ! » .

فالزواج هدف ، وهو عند المرأة هدفها الاول والاخير في الحياة .. فليس هناك امرأة واحدة تستطيع ان تعيش بلا زواج .

القدر والمصير

اما عند الرجل ، فالحال يختلف ، فهو عند البعض هدف وغاية ، بينما هو عند غيرهم مسألة يتحكم فيها القدر والمصير ، وكثيرا ما يأتي الزواج مصادفة ، ومع هذا يكون زواجا ناجحا ، اذا كان الرجل مستعدا له عاطفيا وادبيا وماديا .. ولكنه ايضا كثيرا ما يفشل اذا لم يكن الرجل اهلا لهذه التجربة الجديدة في حياته ..

يقول برمنجهام : « ان اهم عامل من العوامل التي تلعب دورا رئيسيا في نجاح الرجل في تجربة الزواج هو ان يكون مهتما اهتماما حقيقيا ببيته وزوجته واطفاله ، ويوم يشعر الرجل بانه لا يحتمل ان يبتعد عن بيته ، ولا يطيق فراقه ويتلهف على العودة الى البيت بعد انتهائه من عمله ، وبعد الدقائق التي سيلتقي بعدها بافراد اسرته ، هؤلاء الذين اصبحوا اصدقاءه ، وحلفاءه وشركاءه له في حياته ، يوم يشعر الرجل بهذا الشعور ، فهو قد نجح في تجربته ، وعرف كيف يسعد نفسه وبيته .

تحديات الزواج

« ان التحديات في الزواج ، تحديات حقيقية وكثيرة ، وهي تتطلب من الرجل قابلية الفكر وسعة الصدر والادراك السليم ، الشيء الكثير .. هناك مثلا هذه الانسانة الرقيقة التي تعتني به وتسهر على راحته وترعى بيتهما واطفالهما انها تختلف عنه في كل شيء .. في تفكيرها وفي تكوينها الفسيولوجي ، وفي نظرتها الى امور الحياة .. فاذا استطاع الرجل ان يدرك هذا كله ، وعرف كيف يعود نفسه على ان يتعلم ، ويعلم في الوقت نفسه وان يتخلى عن كبريائه ويقبل طوعا على مساعدة زوجته في شئون البيت ورعاية الاطفال ، دون ان يجد في ذلك حرجا او انتقاصا لكرامته فهو زوج ناجح استطاع ان يتغلب على بعض جوانب التحديات التي تواجهه في زواجه .

الخلافات في الزواج

ان الحياة بين الرجل وامراته في البيت لا تخلو من الخلافات .. وهذه المسائل في الزواج ، هي بمثابة الملح في الطعام ، وكما لا يمكن ان يطيب مذاق الطعام بغير الملح ، كذلك لا يمكن ان تمضي الحياة الزوجية حلوة بغير تلك المنازعات والخلافات ، بشرط الا تتطور وتكبر بينهما !

ويقول برسيجهام . « ولكن اذا عرف الزوج ، كيف يعالج مسائل الاسرة في هدوء ، وان يشرك زوجته في كل القرارات التي تمس حياتهم ، وان يعبر عن مشاعره في وضوح وصراحة ، فاذا اسمعته تصرف صدر من امراته ، لم يحاول اخفاء سخطه ، واذا اغضبته بادرة منها ، عبر عن غضبه دون ان يكبته ويحمله في صدره ، اذا عرف الرجل ان يبقى على وسائل الاتصال الفكري والروحي بافراد اسرته ، وان يكون مستمعا دائما لمن يشكو ويبكي ، فهو قد نجح مرة اخرى في التغلب على اكبر محنة يهدد كيان الاسرة » .

حساسية المرأة

ان المرأة انسان حساس ، اي شيء يرضيها واي شيء يجرحها ، فاذا عرف الرجل كيف يعبر عن مشاعره تجاه امراته ، وكيف يظهر لها تقديره لدورها الكبير في حياته معها ، ولا يلومه ان يثني على ذوقها ، ويهمس في اذنها بكلمات الاعجاب والاطراء من وقت لآخر .. فاذا اعجبه طهي الطعام الذي قدمته له على مائدة العشاء سارع بشكرها على ما صنعت ، واذا رآها تلبس فستانا جديدا ، لم ينس ان يبدي اعجابه به ، واذا جاء عيد ميلادها ، قدم لها فيه هدية جميلة ، واذا جاءت اليه تذكره بعيد زواجهما ، فاجاها هو بسهرة هادئة يقضيانها وحدهما بعيدا عن البيت والاطفال .. اذا عرف الرجل كيف يشعر زوجته بتقديره لها ، فهو قد نجح في انتشال زوجته من هذا الشعور الذي يصيب كل امراة في بعض مراحل الزواج ، بان زوجها قد بدأ يهملها وينساها

الجرح الدامي

اما الجرح الذي يبقى داميا في قلب المرأة ، فهو ذلك الذي يصيبها ، اذا احست يوما ان زوجها ليس امينا على حبه لها ، وليس وفيا لهذا الرباط الذي جمع بينهما تحت سقف واحد .

فالمرأة لا تغفر ابدا لرجلها اذا شعرت ، وشعور المرأة لا يكذب ، بانه يخونها ، او انه بدأ يمل حياته معها .

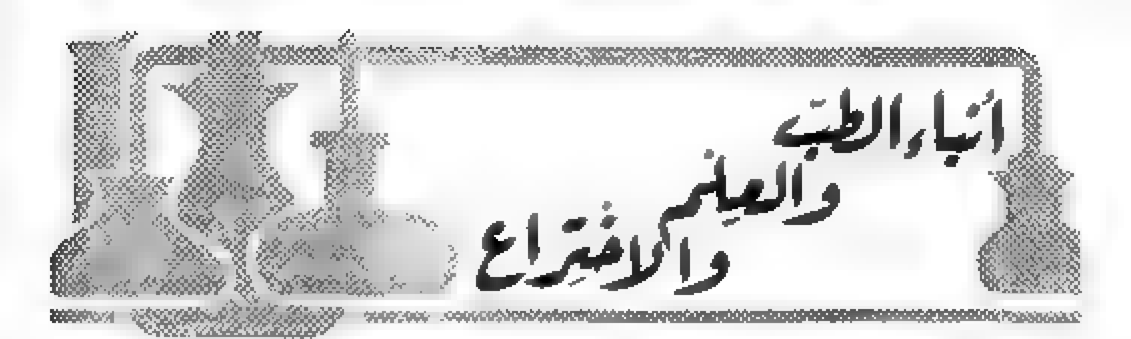
يقول برسيجهام « ان هذا هو اعظم التحديات التي تواجه الرجل في زواجه على الاطلاق ، فاذا ادرك الرجل منذ اللحظة الاولى التي اختار فيها امراته ، انه تزوج هذه الفتاة لانه يحبها ، ولانه يريد ان يبني اسرة ويصنع بيتا سعيدا ، واذا ادرك انه لم يتزوج امراة لكي تصبح له خادمة ومدبرة لبيته ومربية لاطفاله .. استطاع ان يشعرها بحبها نفسه ، وان يثبت لها انه على استعداد لان يضحي بحياته من اجلها ومن اجل اطفالهما ، بنفس القوة التي يريد بها ان يعيش من اجل اسعاد اسرته ..

متى يكتمل الزواج ؟

« واذا عرف الرجل بعد ذلك ، ان الحياة الزوجية لا تكتمل بهذا الحفل التقليدي الذي يقام احتفالا بالزفاف ، وانما هي في الواقع تبدأ في هذا اليوم الذي يتم فيه عقد ذلك الرباط الذي يكبر معه الزوجان ويتحولان عاطفيا وماديا واجتماعيا ومع هذا النمو تزداد علاقتهما قوة وصلابة ، حتى لا يكون مصير هذا الزواج الموت ، كما يموت كل شيء حي .. اذا عرف الزوج اخيرا كل هذا ، استطاع ان يتغلب على كل التحديات ..

تلك التي تواجه كل رجل في اعظم تجربة له في الحياة .. تجربة الزواج » . ■

م . ن



دليل جديد على تأثير التدخين على الرئة بالنسبة لصغار السن !!

● بالرغم من البحوث الطبية العديدة والتي اثبتت ان للتدخين علاقة وثيقة بسرطان الرئة ، وبالرغم من التحذيرات الكثيرة التي نشرتها الاوساط الطبية عن اخطار عادة التدخين لم تتأثر الامزجة مثله . واثبتت الاحصائيات ان عدد المدخنين لم يقل الا نسبة صغيرة خلافا لما كان متوقعا من قبل الهيئات الطبية بعد الحملة التي شنتها ضد التدخين .

واليوم يأتي تحذير جديد يضيف الى خطورة التدخين عنصرا جديدا قد يؤدي في النهاية الى ان يصبح عدد كبير من شباب اليوم وخاصة الشباب الصغار الذين تتراوح سنهم بين ١٥ و ٢٠ سنة ضحايا هذه العادة الضارة . وقد جاء هذا التحذير نتيجة بحث قام به فريق من اطباء كلية الطب بجامعة ييل Yale الامريكية على ٣٦٥ طالبا وطالبة تتراوح اعمارهم بين ١٥ و١٩ سنة .. وكان من بين هؤلاء ٥٠٪ من الطلبة الذكور يدخنون بانتظام ، اما نسبة الفتيات اللواتي يدخن بانتظام من بين من اجريت عليهم البحوث فكانت ٣٧٪ .

وكانت نسبة الطلبة الذين يدخنون من ١١ الى ٢٠ سيجارة يوميا حوالي ٢٦٪ من مجموع الذكور ووصلت نسبة من يدخنون اكثر من ٢٠ سيجارة في اليوم الى ٩٪ اما نسبة الفتيات اللواتي يدخن اكثر من ٢٠ سيجارة يوميا فلم تزد على ١٪ فقط .



وقد تم قياس حجم الزفير في كل شخص من الاشخاص موضع التجربة وكان اهم جزء في التجربة هو قياس حجم الزفير ودرجة خروج الهواء في آخر عملية الزفير .. ومن المعروف ان درجة خروج الهواء في هذا الوقت بالذات تعتمد على حجم الشعبات الهوائية الصغيرة

« Alveoli » في الرئة وليس على المجهود العضلي الذي يقوم به الفرد أثناء عملية التنفس ، ولهذا السبب فان اي ضيق ولو ضئيل في الشعيبات الهوائية يسبب في تخفيض درجة خروج الهواء .

وبعد اجراء التجارب على هذه المجموعة من الطلبة والطالبات ، وكانوا قد امتنعوا عن التدخين لمدة ٢٤ ساعة قبل اجراء التجارب عليهم . اتضح ان درجة خروج الهواء في آخر عملية الزفير تقل بنسبة محسوسة خاصة عند هؤلاء الذين يدخنون بانتظام وتزيد هذه النسبة كلما كان الشخص يدخن اكثر ، وهذا يدل في الواقع على حدوث تلف في الشعيبات الهوائية للرئة . وبالاضافة الى هذا التلف فانه لوحظ ان المدخنين من الصغار يصابون بسعال حاد ، وافرازات البلغم ، وقصر التنفس .

ويقول الاطباء الذين اشرفوا على هذه التجارب ان خطورة النتائج لا تكمن فقط في التلف الذي يصيب الشعيبات الهوائية ولكن ايضا في ان هناك حقيقة علمية تقول ان الانسجة الشعبية للرئة تستمر في النمو في الانسان تدريجيا حتى يكتمل نموها في سن العشرين . وهذا يعني ببساطة ان التدخين في سن مبكرة من العشرين يؤدي الى توقف النمو الطبيعي لشعيبات الرئة علاوة على التلف الذي يسببه لها مما يؤدي الى عدم قيام الرئة بمهامها كاملة وعدم جدوى اي علاج .

ويعتقد اطباء جامعة ييل ان نتائج هذا البحث ستؤدي الى ان يفكر الشبان الصغار مرتين قبل اقدامهم على ممارسة عادة التدخين لما في ذلك من خطر كبير على صحتهم .

غاز الاثيلين .. وتأثيره على نمو النبات !

● لقد كان اكتشاف تأثير غاز الاثيلين Ethylene على نمو النباتات مفاجأة كبيرة لعلماء النبات ويبدو من الابحاث التي تجري الآن ان النباتات تقوم فعلا بانتاج هذا الغاز كمنظم لنموها ، وقد أصبحت هذه الظاهرة محل دراسة الكثيرين من علماء النبات أخيرا .

لقد كان من المعروف في الماضي ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ان الغازات المستخدمة للاضاءة والتدفئة تؤثر تأثيرا ما على نمو النبات ، وفي عام ١٩٠١ اكتشف الدكتور نلجاو Neljubow أن العنصر الفعال في هذه الغازات هو الاثيلين .. ولاحظ « نلجاو » ان نمو النبات الى اعلى يتأثر تأثرا كبيرا اذا ما تعرض لغاز الاثيلين ويؤدي هذا الى ان ينمو النبات افقيا لا رأسيا مما يدل على تأثره بالجاذبية .

ووجد هذا العالم ان كمية ضئيلة جدا تبلغ ٦ من الالف في المليون من الاثيلين في الجو تكفي لكي تقلل من درجة نمو النبات وتؤدي الى تقصير سيقانه وزيادة سمكها . وبالرغم من اختلاف تأثير الاثيلين على النباتات المختلفة الا ان اغلب النباتات الارضية تشترك في ان الاثيلين يؤثر في درجة نموها ، ويؤدي الى اصفرار اوراقها وسقوطها ، كما يؤدي ايضا الى النضج المبكر للثمار ، وذبول الازهار ، والى اعوجاج وتثني سيقان هذه النباتات . وباختصار فان الاثيلين يؤثر سلبا في كل عمليات النمو المتعلقة بالنبات ، وليس من الغريب بعد معرفة هذا كله ان مادة لها مثل هذا

التأثير على نمو النبات لا تكون من بين المواد التي تقوم النبات بانتاجها طبيعيا .

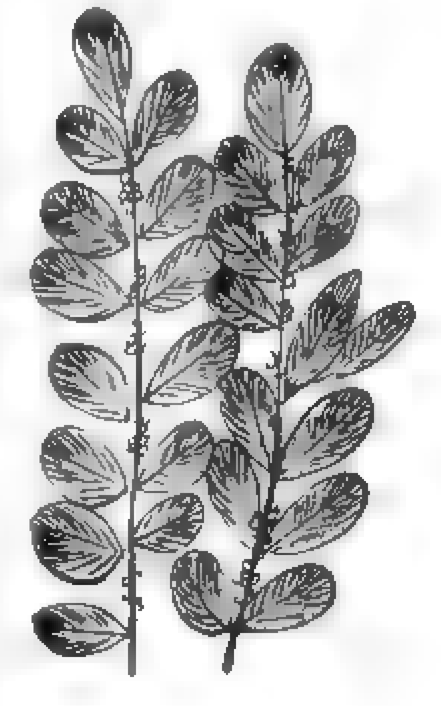
وفي منتصف الثلاثينات من هذا القرن تم اكتشاف حقائق هامة عن فسيولوجية الاثيلين ومن بين هذه الحقائق ان الهرمون النباتي المسمى أوكسين Auxin ، يؤدي الى زيادة انتاج الاثيلين . وقد ادى اكتشاف هذا الأمر الى اثارة جدل علمي حول ما اذا كان من الممكن اعتبار الاثيلين هرمونا نباتيا ام لا .. ؟ وقد استمر هذا الجدل العلمي طوال مدة ٢٠ عاما ، ولكن عدم وجود الوسائل العلميه الفعالة خلال هذه المدة للكشف عن فسيولوجية الاثيلين وعمله داخل النبات ادى الى توقف الكثير من الابحاث وقصر اهمية اكتشاف تأثير الاثيلين على استعماله لانضاج الفواكه المبكر مما اكسبه اسم هرمون التنضج .

وعاد الاهتمام العلمي لدراسة فسيولوجيه الاثيلين في اوائل العقد السادس من القرن العشرين بعد ان تمكن العلماء من اكتشاف طرق لتحليل الكميات الصغيرة جدا من الغازات . وادت الدراسات التي اجريت في الستينات من هذا القرن الى معرفة ان الاثيلين تنتجه كل اجزاء النبات وتبلغ اعلى نسبة لانتاجه في البراعم والاوراق الصغيرة والثمار الناضجة والزهور بينما تقل في الاجزاء الاخرى للنبات ، ولم اكتشاف ان عمليه سقوط اوراق النبات لها علاقة مباشرة بزيادة انتاج الاثيلين اذ لوحظ ان الاوراق الصفراء للنبات تحتوي على كميات اكبر من الاثيلين عن مثيلاتها الخضراء .

وبدراسة سرعة انتقال الاثيلين من جزء في النبات الى الجزء الآخر اتضح ان هناك احتمالا ان اغلب هذا الغاز يخرج الى الهواء المحيط بالنبات وان كمية قليلة جدا منه هي التي تنتقل من خليه الى خلية .

ولا تزال دراسة تأثير الاثيلين تنتظر الكثير من الاجابات على الكثير من الاسئلة التي تتردد على اذهان علماء النبات .. ومن أهم هذه الاسئلة هو كيف يحدث تركيب كيماوي بسيط مثل هذا الكثير من التغييرات في نمو النبات ؟!

ولا يفوتنا ان نذكر ان تركيب الاثيلين بسيط بحيث انه لا يحتوي الا على ذرتين من الكربون بينهما رابطة مزدوجة غير مشبعة ، وان كل ذرة من الكربون تحمل ذرتين من الايدروجين فرمزه الكيماوي هو اذا « ك ٢ يد ٤ » .



ساعات ناطقة تتحكم في حياة الإنسان !!



● التقدم العلمي الهائل الذي تشهده في الأبحاث العلمية المتطورة التي شملت كل ميادين الحياة لم يترك مجالا في اي صناعة من الصناعات الا وطرقه باحثا عن تحسينات جديدة يدخلها على هذه الصناعة او عن اختراع جديد قد يقلب هذه الصناعة رأسا على عقب . ولعل احدث البحوث التي اجريت اخيرا في ميدان صناعة الساعات هي تلك البحوث التي قامت باجرائها شركة ماتسوشيتا Matsushita اليابانية والمتخصصة في الصناعة الالكترونية . فقد استطاعت معامل البحوث التابعة لهذه الشركة ان تصنع ساعة جديدة هي مزيج بين جهاز للراديو وساعة متكلمة ، ويقوم من يريد معرفة الوقت بالضغط على زر مضيء في اعلى صندوق الساعة وسرعان ما تنطق الساعة محددة الوقت بالضبط . ويمكن ايضا ضبط هذه الساعة المتكلمة بحيث تنطق في وقت معين لتذكرك بموعد محدد . او لتقوم بايقاظك في الصباح في الوقت الذي تحدده انت بنفسك ، ويمكن بهذه الساعة ايضا ان تكرر نطقها للوقت لمدة خمس دقائق بدون توقف وبذلك تتم ايقاظ كل ذي نوم ثقيل !! ولا يقتصر الامر على ذلك بل يمكن ضبط طبقات صوت الساعة ، فهؤلاء الذين يزعجهم الصوت العالي النبرات يمكنهم ضبط الساعة بحيث تنطق بصوت رقيق اقرب الى همسات العشاق .. وهؤلاء الذين لا يوقظهم سوى الاصوات المزعجة يمكنهم ضبط صوت الساعة بحيث يكون اقرب الى صوت صفارة الانذار !!

وينظر خبراء الادارة الى هذا الاختراع الجديد في عالم الساعات نظرة كلها سرور وبهجة .. فهو في نظرهم قد يكون نقطة البداية لتنظيم وقت كل العاملين تحت ادارتهم ، وعندما يتم تطوير هذه الساعة المتكلمة بحيث تكون صغيرة الحجم ويمكن ارتداؤها على الرسغ بدلا من الساعات العادية يمكن لكل مسئول في مؤسسة او شركة ان ينظم عمل مرؤوسيه عن طريق هذه الساعات المتكلمة .. ويذهب البعض في الخيال الى اكثر من ذلك فيتصورون ما يمكن ان يحدث عن طريق هذه الساعات المتكلمة في تنظيم حياة كل فرد على الارض في المستقبل فيتصورون ان كل فرد يمكن ان يزود بساعة متكلمة تتحكم في مستقبله عن طريق اشرطة مسجلة مبرمجة حسب درجة ذكائه وبها التعليمات التي تحدد لهذا الفرد منذ صغره طبيعة العمل الذي يصلح له طبقا لمواهبه الشخصية .. ويقول هؤلاء ان هذه الساعات يمكن ان تتحكم في الحياة بحيث تلغي تماما ضياع اية دقيقة من عمر الانسان هباء . كل دقيقة ستكون محسوبة من قبل ومعد لها برنامج معين ما على الفرد سوى تنفيذه طبقا لاوامره المسجلة على الساعة التي يحملها !!

ترى اية حياة هذه التي يرسمها لنا خيال بعض العلماء !!





● اطلقت الولايات المتحدة مركبتي فضاء من طراز مارينر Mariner الى المريخ في شهر مايو الماضي لكي تصلا الى [illegible] حول المريخ في شهر نوفمبر وذلك [illegible]

[illegible] ٨٧ [illegible]

[illegible] مرتفعة فتقطع دورتها حول [illegible] ساعة والثانية اعلا فتقطع دو[illegible]

ويقول المسئولون عن برنامج الفضاء الامريكي انه اذا لم [illegible] نجاح المركبتين [illegible] مرة بالتهما في مدارهما حول هذا [illegible] قد تمتد الى حوالي سنة لتجمع الكثير [illegible]

وتحمل كل مركبة اجهزة مماثلة للمركبة الاخرى وكل واحدة منهما [illegible]

[illegible]

[illegible] S [illegible]

[illegible]

دولار الى الارض حيث [illegible]

[illegible]

[illegible] على رحلة مارينر الى المريخ ان تؤدي هذه الرحلة الى [illegible] الكثير من المعلومات التي لا [illegible] عنا من هذا الكوكب [illegible] علاوة على ان عدسات [illegible] سوف تمسح سطح هذا الكوكب من [illegible] صحيحة للمريخ فان من اهم اغراض رحلة معرفة وجود الماء على سطح هذا الكوكب و[illegible] لك بقياس درجات الحرارة والضغط الجوي ومختلف اجزائه ودرجة تركيز غاز الاوزون التي قد تعطي فكرة عن وجود حياة فوق هذا الكوكب .

[illegible] ان نجاح هذه الرحلة الفضائية الطويلة قد تؤدي في النهاية الى الكشف عن [illegible] اسرار الفضاء الخارجي [illegible] ذلك الكوكب [illegible]

[illegible]

إحباط الحاجات البشرية وكيف يستجيب له صاحبها

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

■ يقضي الانسان ، طفلا وراشدا ، لربما وعشرين ساعة كل يوم في ارضاء حاجاته او محاولة ارضاء هذه الحاجات . وحاجات الانسان جسدية واجتماعية وشخصية . وهكذا فانا نرى الناس يأكلون ويشربون ويسرحون ، ويسعون الى تقدير المجتمع ، ويبحثون عن اللذة ، ويحاولون اتقان حرفة من الحرف ، ويسعون الى الحرية . والذي يلاحظ الاطفال الصغار يلاحظ انهم لا ينقطعون عن طلب شيء او آخر . اما الاطفال الاكبر سنا والراشدون فهم مانحو الاستقلال يعملون على تحقيق أهدافهم التي تختلف في التوتر الذي تخلقه حاجاتهم . ومن واجب عالم النفس ان يلاحظ ان كل نشاط من انشطة الانسان يحاول ارضاء حاجة ما . وهكذا فالانسان — طفلا او راشدا — حين يكون منهمكا او هجوميا او محبوبا او جانحا او مجرما او قائما بأي عمل من الاعمال فانه يكون عاملا على التكيف وقضاء الحاجات . وقد يكون العمل الذي يقوم به خيرا او شرا — من وجهة نظر الاخلاق والمجتمع — ولكنه مع ذلك يحاول قضاء حاجة جسدية او شخصية او اجتماعية .

الحاجات الانسانية الاساسية

لقد وضع علماء النفس قوائم عديدة للحاجات البشرية . ويرى معظم علماء النفس ان الحاجات يمكن ان تقسم الى قسمين : (١) حاجات ذات صلة بالجسد و (٢) حاجات ذات صلة بالنفس . اما الحاجات الجسدية فتشتمل على الحاجة الى الهواء والماء والطعام والجنس واخراج الفضلات وتجنب الاذى الجسدي وسواها . اما الحاجات النفسية فمنها الحاجة الى الانجاز والحاجة الى التميز والحاجة الى الحب والعطف والحاجة الى

الاستقلال وغيرها من الحاجات الكثيرة الاخرى . ومعلوم ان فرويد ــ في اخريات ايامه ــ قال بان للانسان دافعين رئيسيين هما غريزة الحياة وغريزة الموت . اما ادلر فقد جعل الميل الى التفوق اهم الميول .

ويرى جمهرة علماء النفس ان الرضى عن الذات والاستمتاع بالحياة لا يكونان الا باشباع الحاجات الاساسية ، ما كان منها جسديا وما كان منها نفسيا .

واهم ما في الامر ان الحاجات اذا لم ترض فان الفرد يشعر بعدم الراحة والتوتر ويحاول القيام باعمال تعيد الى نفسه وجسده الاتزان الذي اخلت به الحاجة غير المقضية . وهكذا فان الانسان الجائع يبحث عن الطعام ، والانسان العطشان يبحث عن الشراب ، والانسان المتعب يبحث عن الراحة ، والانسان البردان يبحث عن الدفء والانسان النكرة يبحث عن التميز واسترعاء انتباه من حوله اليه ، والانسان غير المحبوب يبحث عن حب الناس له وعطفهم عليه والانسان العاطل بمثابة مبالغ فيها يبحث عن التحرر والاستقلال .

وحين تقضى الحاجة تحدث حالة من الاتزان الجسدي او النفسي وتستقر النفس الراضي وتوقف نشاطها بهذا الصدد . وهكذا فان الانسان الذي يتناول وجبة من الطعام طيبة يكف عن البحث عن الطعام مدة ساعات ، ومثله المرؤوس الذي سمع من رئيسه ثناء على عمله فيكتفي به لايام تطول او تقصر . ومع ذلك فان الانسان دائم التوق الى الشعور بقيمته وتميزه وانتمائه الى الجماعة التي يعيش بينها . ومن هنا كانت الحاجات الاجتماعية والشخصية في توق مستمر الى الارضاء . وقلما يكون رضى الانسان عن نفسه كاملا ونهائيا .

الظروف التي تسبب الاحباط

كثيرا ما تحول عوائق دون تحقيق رغبات الانسان وقضاء حاجاته . والحياة مليئة بالظروف التي تقف عوائق في وجه مطاليب الانسان . وهكذا فان زيادة المطر قد تسبب السيول التي تحول بين الانسان وبين الحصول على طعامه . ومثل هذا صحيح عن قلة المطر وزيادة الجفاف التي تؤدي الى النتيجة نفسها . وقل الشيء نفسه عن زيادة الحرارة او زيادة البرودة اللتين تضايقان الانسان وتتعارضان مع حاجاته . والمجتمع نفسه قد وضع قيودا وزواجر ونواهي قد تكون في مصلحة المجموع ولكنها تتعارض احيانا مع مطاليب الافراد ورغباتهم . والامر نفسه صحيح عن القوانين والاعراف والتقاليد التي كثيرا ما تقف في وجه رغبات الناس وحاجاتهم . ولا ننسى الفقر الذي قال عنه الرسول الكريم انه كاد ان يكون كفرا ، وما يسببه هذا الفقر من حرمان واحباط . ثم ان العاهات الجسدية من عمى او عور او صمم او قصر بصر او عرج او غير ذلك تحول بين الناس ــ احيانا ــ وبين قضاء حاجاتهم وتنفيذ رغباتهم . وقل الامر نفسه عن المفاهيم والمثل والقيم والمعتقدات التي تكون الفرد والتي كثيرا ما تتضارب مع مفاهيم المجتمع ومُثله وقيمه ومعتقداته .

الاحباط

وهكذا نستطيع تعريف الاحباط بانه التثبيط الذي يصيب جهود الفرد لارضاء حاجة او حاجات بطريقة او باخرى بالرغم من الجهود المتكررة التي يبذلها هذا الفرد وما يرافق هذا التثبيط من مشاعر بعدم الرضى والضيق والعجز . والحق ان الشخص الذي يستشعر الاحباط يشعر بعدم الرضى ويكون في حالة من عدم التوازن ولذلك كان لا بد من شيء من التكيف لتخفيف التوتر وتمكينه من تقبل الوضع .

التكيف الذي يثيره الاحباط

وثمة اشكال للتكيف عديدة يقوم بها الافراد الذين تحبط آمالهم وهي تشمل المهاجمة ، المباشرة او غير المباشرة ، والتعويض والتصعيد والتقمص والتبرير والاسقاط والكبت والسلبية والتركز حول الذات والانسحاب والنكوص وغيرها . كما ان الشخص العصابي او الذهاني له طرائقه الخاصة في مواجهة الاحباط وهي تشمل الهستيريا والامنيزيا (النسيان المرضي) والرعاب والهلوسة وسواها . وسنحاول ان نمر ببعض هذه الاستجابات مرا سريعا .

المهاجمة

المهاجمة : هي رد فعل النموذجي للاحباط . ويرى الكثيرون من علماء النفس ان الدافع للهجوم هو الاحباط . بيد ان الانسان لا يظهر الهجوم السافر دوما بل قد يكبته . ومع ذلك فان من الامور السوية ان يهاجم الانسان ما يحبط اعماله ويحول دون تحقيق رغباته وقضاء حاجاته . وتقول (كارن هورني Karen Horney) ان كبت كل المشاعر المعادية والهجومية امر خطر من وجهة نظر الصحة النفسية ، ذلك بان هذا الكبت قد يقود الى القلق والعصاب . وهي تقترح انه من المفيد للانسان ان يعبر عن مشاعره المعادية من حين الى آخر وذلك بقصد التنفيس .

على ان الهجوم قد لا يكون سافرا ومباشرا ولا سيما عند المتمدنين والمثقفين . وهكذا فان العامل الذي تخاصم مع زوجه صباحا قد يصبح نكدا طوال النهار ويخاصم طلابه . والمرؤوس الذي لا يستطيع مهاجمة رئيسه قد يهاجم مراجعا يراجعه في امر من الامور ويجعل منه « كبش الفداء » . وفي كل الاحوال فان كبت الهجوم قد يسبب القلق وقد يجعل من الانسان فردا نكدا سيء التكيف مع من حوله .

التعويض

كل انسان يميل الى الشعور باهميته ، واذا لم يستطع الحصول على التميز بطريقة ما حاول التميز بطريقة اخرى . وهكذا فان الطفل الذي يسقط في دروسه يحاول — احيانا — ان يتميز بالرياضة وان يتفوق فيها . والرجل الذي اصيب بشلل الاطفال في طفولته قد لا يصبح في رجولته رياضيا بارزا ولكنه يصبح كاتبا مشهورا ، على ان بعضهم يصر على ان يتفوق فيما فشل فيه بالذات . ويرى علماء النفس ان الميل الى التعويض ينجم عن شعور بالنقص والنقص .

التصعيد

التصعيد في الواقع شكل من اشكال التعويض ويرى الفرويديون ان طبيعة التصعيد جنسية ، اما غير الفرويديين فيرون انه استبدال الرغبة غير المقبولة اجتماعيا او اخلاقيا برغبة مقبولة . وهكذا فان المراهق قد يصعد ميوله الجنسية ويستعيض عنها — مؤقتا — بميول فنية او رياضية او سواها .

التقمص

والتقمص (او التوحيد Identification) هو آلية يرضي بواسطتها فرد ما احدى او بعض حاجاته الاساسية عن طريق توحيد ذاته مع ذات شخص آخر او جماعة اخرى او مؤسسة اخرى . وهكذا فان الاطفال يوحدون بين ذواتهم وبين آبائهم . والاب الذي فشل في حياته يوحد بين ذاته وبين ابنه ويجعل كل همه ان ينجح ابنه في الحياة ويحقق ما لم يستطع هو تحقيقه ولذلك فهو يرضى لرضاه ويحزن ويغضب لفشله ويتألم .

التبرير

لما كان من الصعب على الانسان ان يعترف بفشله في الوصول الى اهدافه فانه يجد مبررات لهذا الفشل . وهكذا فان الطالب الذي يفشل في دراسته قد ينسب هذا الفشل الى تحيز معلميه او الى مرض اصابه او الى غير ذلك من المبررات . والحق ان التبرير آلية على جانب كبير من الاهمية ولولاه لكان العالم زاخرا بالمرضى العقليين . ان في التبرير حماية لصحة الفرد النفسية .

الاسقاط

ويسميه بعضهم بالاسقاط Projection وهو آلية ينسب فيها الانسان اخطاءه الى الآخرين ويسقطها عليهم . وهكذا فان الكثيرين من البخلاء ينسبون البخل الى من حولهم . والاسقاط في جوهره نوع من التبرير . ومعلوم ان الكثيرين منا ينسبون اخطاءهم الى الآخرين وهكذا فان الطفل الذي يتورط في مقاتلة كثيرا ما يجعل الطفل الآخر مسؤولا عن هذا القتال .

الكبت

والكبت كما هو معلوم مقام خاص عند فرويد

Freud واتباعه ، وهو عملية يلجأ الانسان بواسطتها الى دفع ما يزعجه الى عالم اللاشعور ، وهم يعتقدون ان اهم اسباب النسيان هو الكبت . وترى عالمة النفس كارن هورني Karen Horney ان كبت المشاعر العدائية هو السبب الرئيسي للقلق والعصاب .

تكوين الرجاع المعاكسة

وهو عملية الاستعاضة برغبة معاكسة عن رغبة اصلية . ومثال ذلك ان سيدة كانت ترغب رغبة شديدة في عدم الانجاب . ولكنها حين وضعت كرهت الطفل ، وهذه الكراهية سببت لها شعورا بالاثم وذلك على اعتبار ان المفروض في الام ان تحب وليدها فما كان منها الا ان بالغت في الحرص على وليدها وحمايته . ونستطيع القول انه حين يلاحظ على شخص المبالغة في امر ما والتحمس له فانه من الواجب الشك بوجود هذه الرجاع المعاكسة .

التركز حول الذات

الانسان الذي لا يشعر بالاطمئنان والرضى عن ذاته كثيرا ما يميل الى وضع نفسه في مركز الانتباه ، انه قد يبدو معجبا بنفسه ويطرح عددا من الاسئلة ويتكلم بصوت عال ويحاول الظهور بمظهر الذكي صاحب الثقة ويقوم بكثير من الالاعيب . وامثال هؤلاء الناس كثيرون ومعروفون وهم موجودون بين الكبار والصغار ، الاغنياء والفقراء .

السلبية

ان بعض الناس سلبيون في كل شيء تقريبا ، كلمتهم المفضلة هي (لا) ، انهم سلبيون في البيت وفي العمل وفي المجتمع . ومعلوم ان بعض الاطفال يكونون سلبيين ومثل ذلك انهم يستشعرون الاحباط والتثبيط ولذلك فان من واجب من يتعامل معهم ان يتفهم ذلك وان يعمل على تذليل الصعاب التي يلاقونها .

الانسحاب

بعض الافراد لا يكادون يواجهون صعوبة او يصادفون اعاقة حتى ينكمشوا وينسحبوا . وقد يبدو لاول وهلة ان الانسحاب لا يحتاج من الطاقة الا قدرا ضئيلا يقل عما تحتاجه الاشكال الاخرى من اشكال المواجهة ولكن الانسحاب في الواقع مؤلم . وقد يقود الانسحاب الى احلام اليقظة ، كما انه قد يقود الى الكحولية وادمان المخدرات .

النكوص

والنكوص نوع من الانسحاب ، وهو آلية يرجع الفرد بواسطتها الى مستوى من النضج والتكيف اقل من مستواه الحالي وذلك حفاظا على تماسك شخصيته ووحدتها . وهكذا فان الراشد العاجز عن حل المشكلات التي تواجهه قد يلجأ الى تصرفات وطرائق صبيانية وكذلك المراهق الذي يلجأ الى تصرفات كان يقوم بها حين كان طفلا صغيرا ، ومعلوم ان الراشدين كثيرا ما ينفجر غضبهم على شكل نوبات كانت تحدث لهم حين كانوا اطفالا وان المراهقين كثيرا ما يتصرفون تصرف الاطفال الصغار جدا . وهذا ما نسميه بالنكوص .

الهروب عن طريق العجز الجسدي

ان الفرد الذي يجد نفسه في وضع صعب او صراع نفسي قد ينسحب من هذا الوضع انسحابا يعتبره مناسبا عن طريق اظهار عوارض العجز الجسدي . وبديهي ان هذا الاظهار للعجز الجسدي ليس مقصودا ولا شعوريا . والاسم الفني لآلية التكيف هذه هو الهستيريا . وهكذا قد يظهر عند الفرد اعراض الشلل او العمى او الصمم او غيرها من الاعراض . ان المرض يقدم للفرد فرصة التخلص من المشكلة . والذي يجب ان نؤكده هو ان العضوية تكون سليمة ولكن العلة تبقى حتى تحل مشكلة الفرد التي سببت عماه او صممه او شلله ومتى حلت المشكلة زالت الاعراض وعاد الفرد سويا .

التكفير او التعويض

واخيرا هناك آلية يستعملها الكثيرون من الافراد

من اجل التكيف الشخصي والتخلص من الشعور بالالم وهي تسمى بالتكفير او التعويض . يقول احد علماء النفس : « حين تفشل جميع الوسائل في تخليص الفرد من صراعه الؤلم بخصوص فعل معلب للضمير فان الشخص قد يحاول ايجاد طريقة للتعويض عنه والتكفير من السيئات . بيد ان الصعوبة التي تواجه الانسان هنا هي انه يحاول التكفير عن سيئاته دون ان يخسر التقدير المجتمع وعطفه وهو امر ليس بالسهل » .

وهكذا فان الطالب الذي اهمل دروسه او تجاوز قوانين المدرسة قد يشعر بقلق شديد من جراء اعماله هذه ولذلك فقد يستشعر الراحة من طريق معاقبة ذاته بطريقة او باخرى . وهكذا فقد يلجأ الطالب الى الصيام كفارة عن ذنوبه . ويقول احد المؤلفين انه يعرف طالبا في مدرسة ثانوية كان لديه شعور بالالم قوي من جراء ممارسته للعادة السرية فما كان منه الا ان اخذ يخز ذراعه بالدبوس حتى ادماه .

التكيف العصابي والذهاني

ان آليات التكيف الاربعة عشر التي ذكرناها سابقا يلجأ اليها جميعها الاشخاص الاسوياء بمقادير ودرجات كبيرة او صغيرة استجابة لاحباطات الحياة المختلفة . وكلما كان الاحباط اكثر حدة زاد لجوء الفرد الى آلية من هذا النوع يخفف بواسطتها من توتره النفسي ، والاشخاص العصابيون Neurotics او الذهانيون Psychotics يلجأون الى نفس الآليات التي يلجأ اليها الاشخاص الاسوياء ولكنهم يتجاوزون الحدود التي يصل اليها هؤلاء الاسوياء . ان الشخص العصابي مثلا قد ينسحب انسحابا كاملا من اجل ان يتجنب مواقف الصراع ، في حين ان انسحاب الفرد السوي يكون جزئيا ومؤقتا . والانسان الذهاني قد يحسب انه نابوليون او الاسكندر الكبير في حين ان الانسان السوي يعتقد احيانا انه « اعظم مما يحسب الناس الآخرون » .

وبالرغم من ان العصابيين والذهانيين يخضعون للقوانين العامة للسلوك ، شأنهم في ذلك شأن سواهم ، فانهم قد يلجأون الى طرائق وحيدة من نوعها في حل مشكلاتهم التكيفية .

ولما كان المجال لا يتسع لذكر جميع طرائق التكيف العصابية والذهانية وشرحها في مقالنا هذا فلا اقل من ان نشير اليها آملين ان نعود اليها .

ان من بين الطرائق المرضية التي يلجأ اليها العصابي : الهستيريا ، وقد سبق ان شرحناها ، والرهاب Phobia والقلق والعصاب (او الوسواس) والالحاح Compulsion والهجاس السوداوي Hypochondria وسواها .

اما الطرائق المرضية التي يلجأ اليها الذهاني فاهمها فصام الشخصية Schizophrenia بانواعه وقد سبق ان تحدثنا عنه في « العربي » .

الخلاصة

ان الاحباط ناشيء من الوقوف في وجه الرغبات ومنع اشباع الحاجات ، والانسان السوي يلجأ الى طرائق عدة في مواجهات عددنا بعضها ، اما الانسان غير السوي فتظهر عنده امراض اشرنا اليها .

دمشق — فاخر عاقل

نباهة صبي

● قال الجاحظ : دخلت الى صديق لي اعوده وتركت حماري على الباب ولم يكن معي غلام يحفظه ، ثم خرجت واذا فوقه صبي ، فقلت : اتركب حماري بغير اذني ؟ قال : خفت ان يهرب فحفظته لك . قلت : لو هرب كان احب الي من بقائه . فقال الصبي : ان كان هذا رأيك في الحمار فاعمل على انه قد هرب وهبه لي واربح شكري فلم ادر ما اقول .



اعرف وطنك أيها العربي

واحة جديدة في قلب صحراء مصر
مديرية التحرير

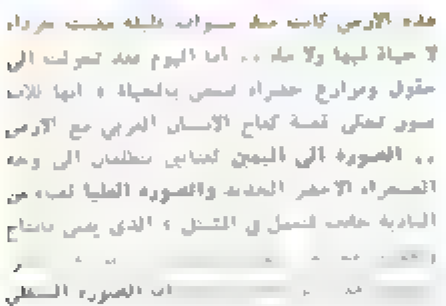
(القطاع شمال)

سمير عفيف

اوسكار متري







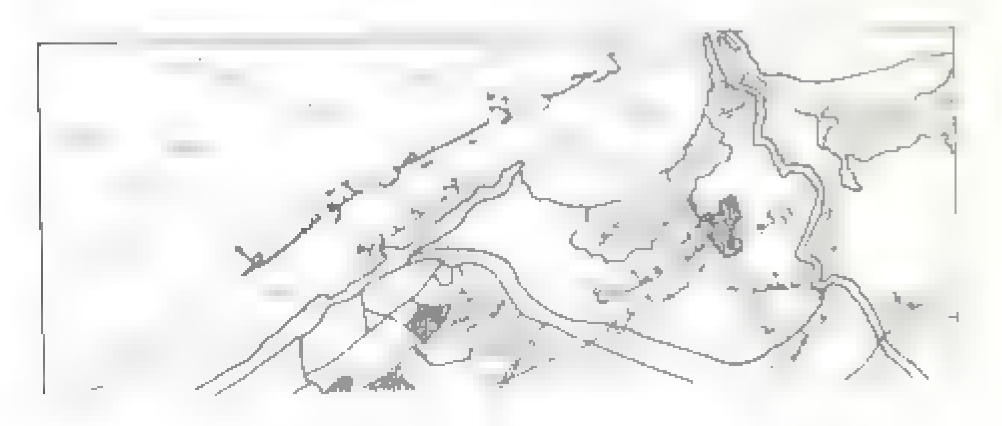
هذه الأرض كانت منذ سنوات قليلة مجرد صحراء
لا حياة فيها ولا ماء .. أما اليوم فقد تحولت الى
حقول ومزارع خضراء تنبض بالحياة ، انها للاف
سور تحكي قصة كفاح الانسان العربي مع الارض
.. الصورة الى اليمين لفتاتين تتطلعان الى وجه
الصحراء الاخضر الجديد والصورة العليا لفتاة من
البادية جاءت لتعمل في الحقل ، الذي يعني بانتاج
[illegible]
[illegible] ان الصورة السفلى
فهي لآلة رش المحصول بالمبيدات الحشرية .

■ على الطريق الممتد من القاهرة الى الاسكندرية مخترقا الصحراء الغربية وفي قلب تلك المنطقة الصحراوية [illegible] التي تكسوها الرمال ، وتنتشر فوق سطحها الاعشاب البرية والكثبان الرملية [illegible]

هناك ، وعلى بعد ١٥٠ كيلو مترا شمالي غرب القاهرة ، عاصمة مصر ، واربعين كيلو مترا جنوبي ثغر الاسكندرية على شاطىء البحر المتوسط ، قامت مديرية التحرير الجديدة بقطاعها الشمالي ، موضوع هذا الاستطلاع ..

قصدنا اليها بالسيارة التي وضعها اخبار اليوم تحت تصرف بعثة العربي ، طوال الرحلة ، وانطلقت السيارة بنا تنهب الطريق نهبا من القاهرة عبر الصحراء الواسعة المترامية على الجانبين .. رحلة طويلة مملة لا تملك الا ان

[illegible]
الحوامل .



تشعر خلالها بالوحشة والرهبة معا ، وانت ترى نفسك وحيدا على الطريق الممتد امام عينيك في ارتفاع وانخفاض ، كما لو كان الافعى بجسمها الطويل وهي تزحف على بطنها في تلو والتواء .. فقد عرفت السيارات دربا من الطريق الصحراوي بعد انشاء الطريق الزراعي الفسيح الذي يربط بين القاهرة ومعظم مدن الدلتا حتى شواطىء البحر المتوسط ..

لقاؤنا الاول

واقتربنا من مشارف الحياة الجديدة التي قامت على الضفة الشرقية للطريق الصحراوي .. وكان لقاؤنا الاول بهذا اللون الجميل الذي تهفو اليه النفوس ، لون الزرع الاخضر ، وقد احتضنته اشجار الجازورينا التي ارتفعت بقامتها العالية وفروعها الصلبة ، لتصد الرياح والعواصف عن الاغصان اللينة والثمار الطيبة ..

ووصلنا اخيرا الى تلك الواحة التي قامت في قلب الصحراء .. ومن فوق مئذنة المسجد الصغير الذي يقع في مدخل قرية الناصر ، احدى القرى النموذجية التي انشئت في القطاع الشمالي لمديرية التحرير ، رأينا لاول مرة ، هذا التلاقي بين الحقول الخضراء ورمال الصحراء الصفراء وقد امتدت امامنا جنبا الى جنب على مرمى البصر .. هناك صحراء قاحلة لسعتها الشمس باشعتها المحرقة ، وهنا ماء وارض ارتوت من بعد ظمأ طويل فاثمرت واكتست بلون الخضرة .. لون الحياة ..

نموذج للحياة الجديدة

وفي قرية الناصر التي تقع على طريق السيارات الصحراوي مباشرة ، رأينا نموذجا مصغرا للحياة الجديدة التي قامت في القرى المركزية الثلاث ، التي يتألف منها القطاع .. اما القريتان الاخريان فهما قريتا الصداقة والثورة .. ان كل قرية منها تعتبر مركزا لعشر قرى سكنية صغيرة تحيط بها .. وتقع كل مجموعة من المجموعات الثلاث وسط منطقة من الارض الزراعية تبلغ مساحتها ٢٠ الف فدان .. وبذلك تكون مساحة الارض المزروعة في القطاع الشمالي لمديرية التحرير هي ٦٠ الف فدان ، تتبع كلها محافظة البحيرة .

ولكن لا بد لنا هنا من وقفة قصيرة نعرض فيها بايجاز هذا المشروع الضخم الذي اقام الحياة في تلك المنطقة الصحراوية ، طبقا للسياسة التي تبنتها وزارة استصلاح الاراضي في مصر ، وهي التي تدعو الى التوسع الافقي ، او بمعنى آخر زيادة الرقعة الزراعية في البلاد عن طريق اضافة اراض بور جديدة او بسبيل استصلاحها منذ فجر التاريخ ، وتحويلها الى اراض زراعية وتحسينها وتطويرها على مدى السنين ، حتى يمكن بعد ذلك تحقيق سياسة التوسع الرأسي فيها عملا بسياسة وزارة الزراعة ، التي تسعى دوما الى مضاعفة غلة الفدان من الارض ..

تعمير الصحاري

وقد نجحت تجربة تعمير الصحاري في العديد من المناطق الصحراوية في مصر ، نذكر في مقدمتها ، الوادي الجديد (انظر استطلاع العربي العدد رقم ٩٩) ، والقطاع الجنوبي لمديرية التحرير الذي بدأ استصلاحه واستزراعه في عام ١٩٥٢ ومريوط وغيرها .. وكان الدافع الاساسي لهذا التوسع ،



مسجد الناصر ، احد المساجد الحديثة التي اقيمت في مديرية التحرير ، ويقع هذا المسجد في احدى القرى النموذجية الثلاث ، وهي تشرف على الطريق الصحراوي بين القاهرة والاسكندرية .

[illegible]
[illegible]
[illegible] اما الصورة السفلى [illegible]
[illegible]



الصورة العليا [illegible]

[illegible]

أما الصورة الأخرى التي

اليسار [illegible]

[illegible]



عنيت الدولة بتوفير أسباب العيش الصحي للعمال الزراعيين الذين يعملون في المزارع الحكومية التي أنشئت في صورة شركات ومؤسسات ، وفي الصورة أحد المعسكرات السكنية التي أنشئت على الطريق الصحراوي على بعد ٨٤ كيلو مترا من الإسكندرية ، وتكلف بناؤه ١٩٠ ألف جنيه ، وقد أعد لاستقبال ١٥٠٠ عامل ريفي يومياً ، ويقيم العمال في هذه المساكن بالمجان ، وتقدم لهم ثلاث وجبات كاملة مقابل ثمن يجري حول أربعة قروش ، يدفعها العامل الزراعي من أجره اليومي الذي يصل في المتوسط إلى ٢٥ قرشاً مصرياً ، ويجد العامل في هذه المعسكرات كل ما يحتاج إليه من رعاية صحية واجتماعية وترفيهية وفي مديرية التحرير ستة معسكرات لإيواء العمال الزراعيين

وإضافة أراض جديدة إلى الرقعة الزراعية في مصر ، هو الزيادة المستمرة في تعداد السكان من ناحية ، وقد بلغ اليوم ٣٤ مليون نسمة . وتوفر مياه الري بعد قيام السد العالي والتحكم في مياه النيل .

ونعود إلى القطاع الشمالي (موضوع استطلاعنا اليوم) . لقد بدأ التفكير في استصلاحه بعد نجاح تجربة استصلاح الأراضي واستزراعها في القطاع الجنوبي ، الذي بلغت مساحة الأرض المستزرعة فيه حتى اليوم ما يزيد على ثلاثة وثلاثين ألف فدان .

وفي مقدمة العوامل التي ساهمت في تحقيق هذا المشروع الجديد، توافر الخبرة التي اكتسبتها تلك المجموعة الهائلة من الشباب المثقف العامل الذين دربوا على هذا النوع من العمل وهو الذي كان مقصوراً من قبل على الشركات الأجنبية ، ولمصلحة فئة محدودة من الرأسماليين ..

المدرسة الأولى

وهكذا يمكن أن نقول أن مديرية التحرير كانت المدرسة الحقيقية لاستصلاح الأراضي واستزراعها في مصر ، في التجربة الرائدة .

٦٠ ألف فدان

لقد بدأ استصلاح القطاع الشمالي في أواخر عام ١٩٥٧ ، واستزرعت الأرض التي شملتها عملية الاستصلاح وهي ٦٠ ألف فدان ، ابتداء من عام ١٩٥٩ . وتكلف المشروع حوالي ١٥ مليون جنيه ، إلا أن هذا المبلغ قفز إلى ٢٣ مليون جنيه في ميزانية عام ١٩٧١/١٩٧٠ ، بعد إضافة ٤٠ ألف فدان جديدة ، بدأ العمل فعلاً في استصلاحها تمهيداً لاستزراعها .

وفي مبنى صغير يتألف من ثلاثة طوابق يتوسط حديقة جميلة التقينا بالمهندس عمر عبد العزيز المدير المسئول عن القطاع الشمالي لمديرية التحرير ، وكان يجلس وسط أكداس من خرائط مسح التربة وخرائط المشروعات الجديدة للمساكن والمرافق العامة ومياه الري وغيرها .. قال : « لقد عاصرت العمل في القطاع الشمالي منذ بدايته .. جئت مع أول فأس ضربت في الأرض ، ومع أول قطرة ماء خرجت لتروي الصحراء العطشى . لقد عشت التجربة من أولها .. وكان عملاً شاقاً متواصلاً لا يعرف الهدوء أبداً .. ولكن ما أروع أن يجني المرء ثمرة كده وكفاحه ، مهما طال به الانتظار ..



المهندس عمر عبد العزيز ، المدير المسئول عن القطاع الشمالي يناقش المشروعات الجديدة على الخرائط مع اثنين من المهندسين الزراعيين .. لقد عاصر المهندس عمر التجربة منذ بدايتها

قلنا للمهندس عمر : « حدثنا عن هذا العمل .. عن الأيدي التي شاركت فيه ، والتجارب التي تمر بها ، والثمار التي جنيتموها ! » .

بداية الطريق

قال : « نحن ما زلنا في بداية الطريق ، ولو أن النتائج التي حققناها حتى الآن ، فاقت كل ما كان متوقعا لها . ولكن قبل أن احدثكم عن ثمار هذا المشروع ، سأقدم لكم صورة سريعة لهذه الأرض التي تنبض اليوم بالحياة .. أرض التوسع الزراعي في قلب الصحراء ..

« إن هذه الأرض تنقسم الى قسمين .. القسم الأول للأراضي البستانية التي تزرع بشتى أنواع الفاكهة وهذه مزارع حكومية ، لكي تضمن الدولة توجيه زراعة الفواكه التي تعد كلها للتصدير ..

« أما القسم الآخر ، فهو يشمل الأراضي التي تزرع بالخضراوات والمحاصيل والمراعي .. وهذا القسم الآخر ما زلنا نجري فيه عدة تجارب حتى اليوم . التجربة الأولى ، هي تجربة تمليك الأرض للمزارعين . والثانية تأجير الأرض للعمال الزراعيين والتجربة الثالثة ، انشاء مزارع حكومية (بصورة شركات ومؤسسات يعمل فيها العمال الزراعيون موظفين في الدولة ، مقابل أجر يومي حده الأدنى ٢٥ قرشا ، الى جانب الخدمات السكنية والصحية والاجتماعية والثقافية التي تقدم لهم ..

« وفي التجارب الثلاث ، الزراعة موجهة ، حتى يمكن المحافظة على احتياجات الدولة للاستهلاك المحلي ، والتصدير ، وضبط الميزان التجاري للصادرات بقدر الامكان ، وفي اطار الخطة العامة » .

ثلاث مناطق زراعية

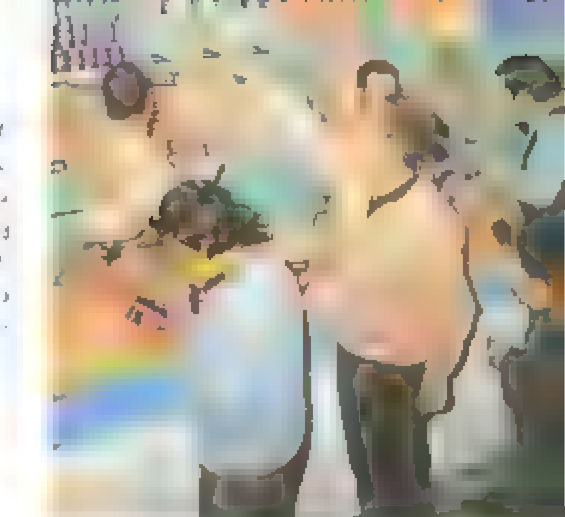
ومضى المهندس المسئول يكمل حديثه ، قال « هناك ثلاث مناطق زراعية في القطاع ، كما تعلمون ، وفي كل منطقة من هذه المناطق قرية مركزية تحيط بها عشر قرى سكنية صغيرة تابعة لها .

« وسأحدثكم عن الزراعة في كل منطقة من هذه المناطق الثلاث ، التي تبلغ مساحة الأرض التابعة لكل منها ٢٠ الف فدان ..

« هناك منطقة الناصر » ، حيث تتركز مزارع العنب ، بمختلف أنواعه ، وقد بلغت مساحة بساتين العنب ٦ آلاف فدان ، وسوف يستمر

تتركز مزارع العنب في منطقة الناصر بمديرية التحرير ، حيث تبلغ مساحة بساتين العنب [illegible] أكثر من ستة آلاف فدان ويضم الفدان الواحد حوالي ألف شجرة عنب ، وفي الصورة فريق من العمال الزراعيين ، وهم يقومون بعملية تقليم أشجار العنب ، وهي عملية تجري سنويا ابتداء من أول يناير حتى آخر فبراير .. ويبلغ محصول الشجرة الواحدة من أشجار العنب خمسة كيلو جرامات ونصف في المتوسط .. ويبدأ موسم العنب في منتصف يونيو ويستمر حتى منتصف أكتوبر





[illegible]

[illegible] والصوريان على [illegible]

وسار هذا الكلام [illegible]

[illegible]

(الصورة السفلى ، الى اليمين)

الصورة (الى اليسار)





مجموعة من الموظفين والموظفات بادارة شئون العاملين بمديرية التحرير .. وهم يقيمون جميعا في المساكن التي أعدت لهم . سألناهم : « كيف يجدون الحياة هنا ! » قالوا : « ان المنطقة توفر لنا كل ما نحتاج اليه .. اننا نعيش حياة هادئة بعيدا عن صخب المدن وضجيجها . حياة الريف الحديث ، اننا سعداء بزراعتنا الجديدة ، ثم لا تنسوا اننا نستطيع ان ننتقل الى دمنهور او الاسكندرية في اقل من ساعة ، بفضل المواصلات المنتظمة السريعة التي وفرتها لنا محافظة البحيرة »

التوسع فيها حتى تصل الى عشرة الاف فدان . وقد بلغ انتاج الثمر منها عام ١٩٧٠ ، ستة ملايين كيلو جراما من العنب ، وقيمته ٦٠٠ الف جنيه .

« اما المنطقة الثانية فهي منطقة الثورة وتركز فيها زراعة الموالح ، وقد بدأت تثمر اشجارها عام ١٩٧٠ ، وبلغ مجموع ما انتجته هذه المنطقة ٨٠ الف كيلو جرام ، قيمتها ٢٤ الف جنيه . على انه يجب ان نلاحظ هنا ان مساحة الارض المنزرعة بالموالح لا تتجاوز حاليا ..٥ فدانا ، وسيتم توسيعها الى ١٥ الف فدان .

الزرعة الآلية

بقيت المنطقة الثالثة ، وهي منطقة « الصافية » تلك التي تستخدم فيها الماكينات الزراعية بأدق صورها واكبرها .. فقد حلت الآلة محل العامل الزراعي في كل مراحل الانتاج .. وتختص هذه المنطقة بزراعة الخضروات والمحاصيل ذات الانتاج العالي والمميزات والخواص الجيدة التي استنبطتها الادارات الفنية بوزارة الزراعة ، او الاصناف التي كان يتم استيراد تقاويها في الماضي من الخارج بالعملة الصعبة ، والهدف من ذلك هو نشر هذه الاصناف على مناطق التركيز في مختلف انحاء مصر ، لضمان سلامة عملية التوسع الرأسي .. وقد تم بالفعل انتاج تقاوي محاصيل وخضر بلغت قيمتها نصف مليون جنيه عام ١٩٧٠ ، سترتفع الى مليون جنيه في خطة العام الحالي ١٩٧١ . وقد تم تسليم هذه التقاوي كلها لوزارة الزراعة لتوزيعها على مختلف المناطق الزراعية بالجمهورية بعد تغطية احتياجات المناطق التابعة للمؤسسة » .

وتركنا المهندس عمر مع الخرائط والمهندسين الزراعيين الذين جاءوا يتحدثون معه في مشروعات القطاع وسير العمل ، فقد كنا على موعد مع المهندسين العاملين في الزرعة الآلية .. وهي تبعد بضعة كيلو مترات عن مقر الادارة العامة للقطاع ..

مدينة صغيرة

وصلنا اليها برفقة احد المهندسين الشبان الذين يعملون فيها .. مدينة صغيرة جميلة تحيط بها المزارع من كل ناحية وتنتشر فوق ارضها المساكن الحديثة ، ومن بعيد تظهر الرمال الصفراء التي لم تصل اليها بعد يد الاصلاح ..

هنا فيلات المهندسين ، وعلى مقربة منها في الناحية الاخرى مساكن العمال والموظفين .. والطرق بينها ممهدة مرصوفة ، واشجار الكافور والصور تنتشر في كل مكان ، تحيط فيه الزرع الاخضر ، تحميه من الرياح والعواصف المحملة بالرمال .. حقول خضراء واسعة زرعت بالبازلاء والطماطم والبطاطس وغيرها ..

ووسط هذا كله برزت الآلة ، تلك التي ساهمت في تحويل هذه الارض القاحلة الجرداء الى مزرعة نموذجية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ..

رأينا الآلة تعمل في تقليب التربة وحرثها وزراعتها وتسميدها وتقليمها .. ثم رأيناها اخيرا وهي ترش الزرع بالمبيدات لتنقذه من الآفات والحشرات ..

حظيرة الإصلاح والصيانة

واخيرا رأينا الحظيرة الكبرى التي اصطفت فيها الجرارات والآلات فوق مساحة من الارض تزيد

على ١٢ هكتارا تغطى جزءا كبيرا منها ، وجعلوا منه ورشة لاصلاح هذه الآلات وصيانتها ، تحت اشراف خمسة من المهندسين الفنيين المصريين واكثر من مائة عامل فنى ، يقيمون كلهم فى المساكن التى اعدت لهم ولاسرهم فوق ارض المزرعة .

استقبلنا المهندس عادل ظاهر سليمان فى بيته الذى يعيش فيه بالمزرعة مع زوجته واطفاله الثلاث .. فيلا جميلة انيقة تتالف من خمس غرف ومطبخ وحمامين وحديقة كبيرة تحيط بالبيت ..

قال لنا المهندس عادل : « انتى اسكن فى هذه الفيلا بالمجان ، حتى النور والماء لا ندفع مقابل استهلاكنا لهما اجرا .. ان زوجتى ايضا تعمل مشرفة اجتماعية فى المزرعة . لقد تخرجت فى كلية الزراعة فى عام ١٩٥٩ ، وعملت فى السودان المصرى حيث زرعت النخل بين البربر وسنار وجزيرة ابا فى اعالى النيل ، واخيرا عدت الى مصر ، حيث عملت فى منطقة ابيس ثم كوم امبو ، واخيرا فى مديرية التحرير القطاع الشمالى . وما كاد يصدر قرار نقلى اليها منذ عام تقريبا ، حتى اصدرت وزارة الشئون الاجتماعية قرارا بنقل زوجتى التى لحقت بى مع اطفالنا بعد وصولى بأسابيع .

الاكتفاء ذاتى

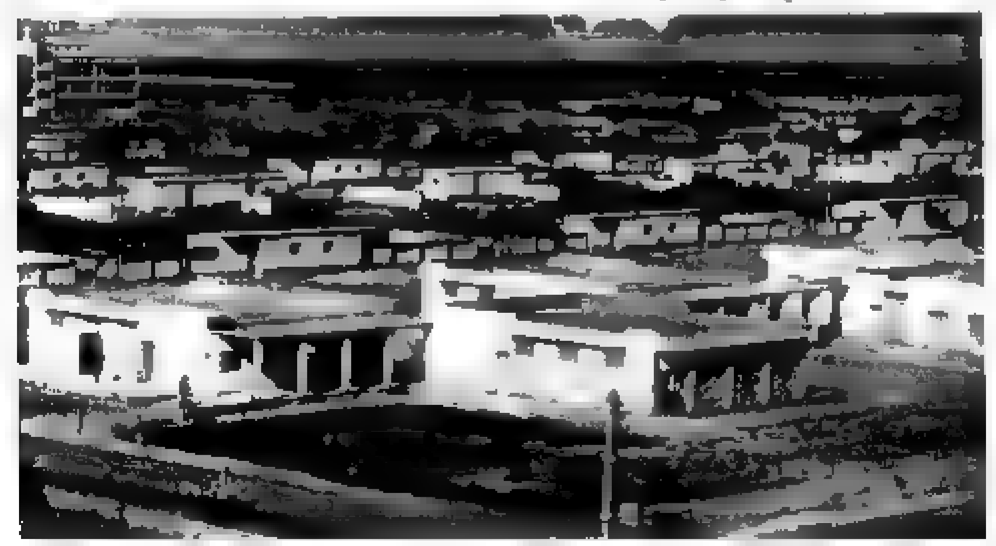
« اننا نحيا حياة هادئة فى هذه البقعة من ارض الوطن . ونحن نجد فى المزرعة كل ما نحتاج اليه من مأكل ومشرب ، فنحن اكتفاء ذاتى .. فهناك مبنى السوق التجارى الذى يضم جمعية استهلاكية ومحلا لبيع الخضر والفواكه ومتجرا للاقمشة ، ومخبزا وصالون حلاقة للرجال وآخر لتصفيف شعر السيدات .. واخيرا مستشفى صغيرا واطباء متخصصين ومدرسة ابتدائية ومكتبا للبريد ومركزا للشرطة .. اننا نعيش وسط مجتمع صغير حقيقة ، ولكنه لا يختلف كثيرا عن الحياة فى اى مدينة اخرى من مدن مصر » ..

واسرة المهندس عادل ليست الاسرة الوحيدة التى تعيش فى المزرعة الآلية ، فهناك عشر اسر اخرى ، اما عدد الآنسات العاملات من المهندسات والمشرفات والمدرسات فيبلغ ضعف عدد الامهات العاملات .

هدية الشعب الروسى

لقد بدأ العمل فى المزرعة الآلية فى سبتمبر المنصرم من عام ١٩٦٥ ، عقب توقيع اتفاقية بين جمهورية مصر العربية وبين الاتحاد السوفيتى ، تقضى بأن

منظر عام لجانب من القرية الآلية او قرية الصداقة ، تلك التى تستخدم فيها الآلات الزراعية بأكثر صورها .. وقد ظهر فى الصورة المساكن التى انشئت للمهندسين والعمال ، واحد المعسكرات ... ، ولا يزال العمل جاريا فى اقامة المزيد من المساكن والمرافق العامة ، التى تتطلبها التوسعات الجديدة لاستصلاح الاراضى و زراعتها





يقدم الشعب السوفييتي هديه للشعب المصري تتكون من المعدات والآلات الزراعيه اللازمه لانشاء مزرعه كبيره كاملة متكاملة .. وقد بلغ عدد هذه الآلات ٣ وحدة . وفي خلال السنوات الست الماضيه نجح العاملون على هذا المشروع الجديد في انشاء هذه المزرعه النموذجيه الواقعه غرب ترعة النوبارية التي يعتمد عليها كل اراضي القطاع في امدادها بماء الري ، وهي الترعه التي تتفرع من الرياح البحيري .

قال لنا المهندس المسئول عن القطاع : « ان المزرعه الآليه ستصبح نموذجا لما سوف يتبع في استصلاح تلك المساحه الكبيرة من الاراضي التي تجري امدادها الآن بالقرب من المزرعه ، والتي تزيد مساحتها على ٢٠٠ الف فدان من الاراضي الصحراويه التي اثبتت التحاليل خصوبه تربتها وصلاحيتها للزراعه .

وتركنا المزرعه لنكمل جولتنا في بقيه انحاء القطاع

مصنع الرجال

قال لنا مرافقنا : « ستزورون الآن مصنع الرجال هؤلاء الذين يقومون على اداره وصيانه تلك الآلات والمعدات الزراعيه التي تعمل في اراضي المزرعه الآليه وفي كل بقعه اخرى حلت فيها الآله محل الايدي الكادحه العامله في الارض منذ آلاف السنين » .



جانب من مركز التدريب بمديرية التحرير الصحراوي الذي انشيء في عام ١٩٦٦ لتدريب وصيانة الآلات والعدد
[illegible]
[illegible]
على انواع الميكانيكيه

وذهبنا الى المنبع .. الى مركز التدريب هيئة تعمير الاراضي .. ورحنا نتجول بين ارجاء المباني التي قامت وسط الحقول والمزارع التي امتدت في كل اتجاه .. ورافقنا المهندس محمد رشاد الملا المسئول عن المركز ودخلنا المباني والمنشآت والورش وقاعات الدراسة النظرية والعملية . وقد خصص كل قسم منها لدراسة جانب من جوانب التدريب على ادارة وصيانة الجرارات والآلات الزراعية بمختلف انواعها .. انها مدرسة تحتل فيها الآلة المقام الاول .. فهي المادة الاولى في برامج التعليم والتدريب

قال لنا المهندس المسئول « لقد بدأ العمل في انشاء هذا المركز في بداية عام ١٩٦٦ ، عقب وصول الآلات والمعدات من روسيا وكان الهدف الاكبر من انشائه هو خلق جيل من العمال والفنيين القادرين على تشغيل هذه الآلات واصلاحها وصيانتها ..

معهد التدريب

« وقد بدأت الدورة الاولى في عام ١٩٦٣ ، وكان عدد الطلبة الذين التحقوا بها حوالي ١٨٠ طالبا جاءوا الينا من مختلف انحاء المحافظة ، وكان فترة هذه الدورة الاولى كانت قصيرة لان معظم الذين التحقوا بها كانوا يعملون فعلا في شركات استصلاح الاراضي قبل ذلك ولم تكن الآلة غريبة عليهم ، فقد دربوا على تشغيلها وصيانتها ..

« لقد وضعنا شروطا خاصة للطلبة الراغبين في الالتحاق بهذه الدورات ، في مقدمتها ان يكون الطالب حاصلا على الشهادة المتوسطة او الاعدادية .. ولكننا ما لبثنا ان تخلفنا عن توافر هذا الشرط ، وفتحنا الباب امام من لم يحصل على هذه الشهادة بشرط ان يجتازوا اختبارا خاصا في الاستعداد للعمل الفني ، ثم ما لبث مركز التدريب ، ايمانا منه بتوفير العلم الفني لكل طالب يظهر استعدادا خاصا لهذا التدريب ، ان قرر اعطاء الفرصة لكل عامل ممن يعملون في مجال الزراعة الآلية ، واعد المركز برامج خاصة لتدريسها لهم وتدريسهم فنيا ، وبرامج اخرى لمحو اميتهم في الوقت نفسه ، في غير ساعات العمل في المساء ..

« ان المركز يتولى رعاية الطالب منذ اللحظة الاولى التي يلتحق فيها بهذا المعهد حتى يوم تخرجه .. فقد اعددنا لهم مساكن صحية داخل المركز الذي يحتل اليوم مساحة من الارض تزيد على الالفي فدان خصص منها ... فدان للمزارع التجريبية ، والباقي للمباني والمنشآت ، والمرافق العامة ..

رعاية صحية واجتماعية

« ويجد الطلبة في هذه المدينة الصغيرة ، كل ما يحتاجون اليه ، فتقدم لهم الوجبات الغذائية بالمجان ، كما يوفر المركز لطلبته كل الخدمات الصحية والاجتماعية والثقافية والترفيهية ..

« لقد بلغ عدد الطلبة الذين تخرجوا من مركز التدريب والتحقوا بالعمل في مختلف القطاعات بمحافظة التحرير وغيرها من المحافظات اكثر من الف ومائتي عامل فني حتى الآن ..

« على ان نشاط المركز لا يقتصر على تدريب واعداد العمال فحسب ، بل لقد وجهنا اهتماما خاصا بالمهندسين من خريجي كلية الهندسة المتخصصين في مختلف فروع الميكانيكا والكهرباء

وهؤلاء نعقد لهم دورات تدريبية كاملة في ورش المركز المختلفة، الهدف منها ربط النظريات العلمية بالتطبيق العملي ، وذلك تمهيدا لالحاقهم بمواقع العمل في شتى انحاء البلاد .. وقد تخرج من

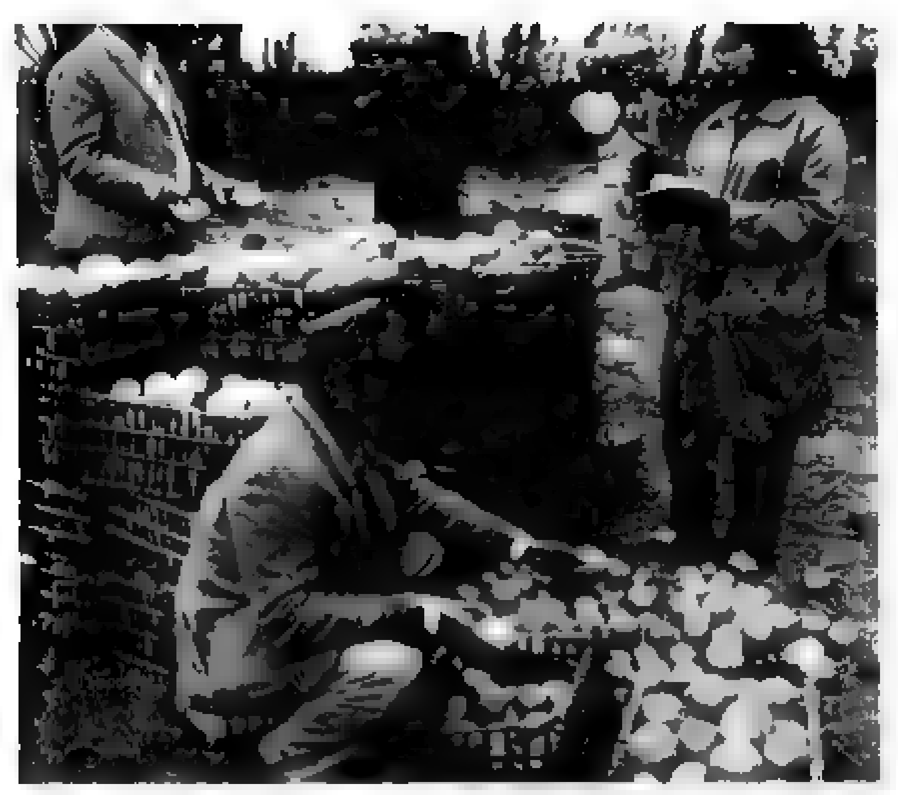


في الحقل الذي اشترته مديرية التحرير لتعليم ... من ... الزراعي ، وهنا مدرسة الاعمال المدرسية شرح ثلاثة من ... في التطبيق .. وقد تم انشاء هذا الحقل منذ ثلاثة اعوام ، [illegible] للتجربة ... [illegible] ... يحاول فيها ... دراستها فيه









احدى المهندسات الزراعيات اللواتي يعملن في مديرية التحرير ، تشرف على عملية جمع البرتقال في الاقفاص ووضعه لارساله الى مصانع تعبئة الفواكه للتصدير او للاستهلاك المحلي .. لقد جاءت المرأة الى مديرية التحرير ، لتعمل جنبا الى جنب مع الرجل في هذا الميدان الجديد من ميادين البناء والتعمير

المركز حتى الآن ما يزيد على المائة مهندس ميكانيكي ومهندس كهربائي ، الى جانب ١٥٠ مهندسا زراعيا حضروا دورات مماثلة » ..

المرأة في الصحراء

لقد انتهت جولتنا في مديرية التحرير او كادت، فهل نسينا شيئا ؟ نعم نسينا .. نسينا المرأة التي التقينا بها في هذه الواحة التي قامت في قلب الصحراء .. في قرية القاهر ، وفي المزرعة الآلية ، وفي كل مكان .. المهندسات الزراعيات اللواتي يعملن جنبا الى جنب مع زملائهم في الحقول ، والفتيات المثقفات العاملات في المكاتب وفي المدارس وفي المستشفيات ..

لقد بلغ عدد المهندسات اكثر من عشرين فتاة ، يعملن في الحقول وفي مزارع تربية الدواجن والمواشي ، وفي قنوات الري ، يعملن في هدوء وصمت من الفجر حتى غروب الشمس ..

سألناهن : « كيف تجدن الحياة هنا ؟ » .

قالت المهندسة الزراعية وفاء السيد ، وكانت اول فتاة تخصصت في الانتاج الحيواني

« لقد تخرجت من كلية الزراعة عام ١٩٦٠ ، وفوجئت بتعييني في مديرية التحرير .. وجئت الى هذه المنطقة ، ولم يكن في رأسي اية صورة لما سوف تكون عليه الحياة هنا ! لقد احسست برهبة في الايام الاولى لعملي،وهو شعور طبيعي ، ولكنني ما لبثت ان شعرت بعد مضي بضعة اسابيع من وجودي هنا وسط زميلاتي وزملائي ، انني اعيش بين اخوتي واهلي .. لقد كان هناك عمل كبير ينتظرني ، ولكن روح التعاون التي لمسناها بين العاملين في المزرعة خففت عني العبء الذي يشعر به كل عامل في مجال عمله الجديد » .

هؤلاء هم ابنائي

ثم قالت : « اننا نشرف على اكثر من عشرة الاف راس من الابقار و ١١ الف راس من الاغنام. هؤلاء هم ابنائي ! » ..

قالت هذا ، ثم مدت يديها تحتضن عجلا صغيرا ولدته امه توها !

ووقفنا نتأمل المهندسة التي اختارت الانتاج الحيواني ، مجالا لدراستها وعملها ، واصبحت تشرف على هذا العدد الكبير من الابقار والاغنام وصغارها .. لقد كانت ترتدي المعطف الابيض ، والحذاء الطويل المصنوع من المطاط .. والقفاز الذي يغطي يديها الناعمتين .. كان كل شيء فيها يؤكد انها فتاة عاملة مجدة في المهنة .. ولكنها مع هذا لم تنس انها امرأة .. فقد بدا شعرها مصففا تصفيفا جميلا ولم تنس ان تتخذ من اسباب الاناقة ما يتفق والمرأة .. فالمرأة هي المرأة اينما كانت ومهما اختلفت طبيعة عملها ..

في بيوت المهندسات

ودعينا لزيارة المساكن التي خصصت لسكنى المهندسات بمديرية التحرير .. بيوت صغيرة جميلة تتوافر فيها كل وسائل الراحة الحديثة .. كلها مضاءة بالكهرباء ومزودة بالمياه الحلوة النقية ..



السيد علي فوزي يونس محافظ البحيرة ، قال لنا : « ان كل مولود جديد في حاجة الى رعاية ، وقد اولينا جانبا كبيرا من اهتمامنا بهذه الرقعة الخضراء الجديدة وبالحياة فيها »

وفي المساء يلتقي العاملون والعاملات في النادي الاجتماعي والرياضي الذي انشيء خصيصا لهم ، حيث يجتمعون لمشاهدة برامج التلفزيون ، ولعب الشطرنج والبلياردو .. والاستعداد ليوم عمل جديد ..

محافظ البحيرة يتحدث

وعندما بدأنا نستعد للرحيل الى دمنهور ، عاصمة مديرية البحيرة حيث قضينا اسبوعا ، كنا نخرج فيه كل صباح الى مديرية التحرير ولا نعود اليها قبل ان تغيب الشمس في المساء .. ذهبنا نشكر الرجل الذي يسر لنا مهمة استطلاع هذه المنطقة التابعة لمحافظته ، وقدم لنا كل التسهيلات التي كفلت لنا انجازها ، السيد علي فوزي يونس محافظ البحيرة ..

قال يسألنا : « ماذا رأيتم ، وكيف كانت رحلتكم ؟ » .

وجلسنا ننقل له انطباعاتنا ومضينا نحدثه ونصف له ما رأيناه ، وفي النهاية قال

« ان كل مولود جديد في حاجة الى رعاية .. ومن اجل هذا اوليت جانبا كبيرا من اهتمامي بهذه الرقعة الخضراء الجديدة وبالحياة فيها .. اننا نعمل من اجل توفير كل وسائل الراحة للعاملين في هذا القطاع . ان هناك الآن ما يزيد على عشرين الف نسمة يعيشون ويعملون في القطاع الشمالي وحده لمديرية التحرير .. ومن المنتظر ان يتضاعف هذا العدد قريبا بعد استصلاح واستزراع الاراضي الصحراوية الجديدة .. ومهمتنا الآن تنحصر في توفير الخدمات لهذه الاعداد الجديدة الوافدة من المواطنين ..

اهم المشروعات

وقال المحافظ : « ان اهم المشروعات التي بدأنا في تنفيذها بالفعل ، تتلخص فيما يلي

انشاء خطوط منتظمة تربط ما بين محافظة البحيرة ، ومدينة الناصر ، عاصمة القطاع الشمالي لمديرية التحرير .. فهناك خط مباشر سريع بين دمنهور والناصر ، وخط ثان بين ابو المطامير والناصر ، وخط ثالث بين الاسكندرية والناصر .

« اما المشروع الثاني ، فيعني بتعميم الجمعيات الاستهلاكية في كل قرى القطاع ، وتوفير السلع والمواد التموينية الاساسية حتى يتحقق الاكتفاء



إلى أعلى [illegible]





إلى أسفل [illegible]







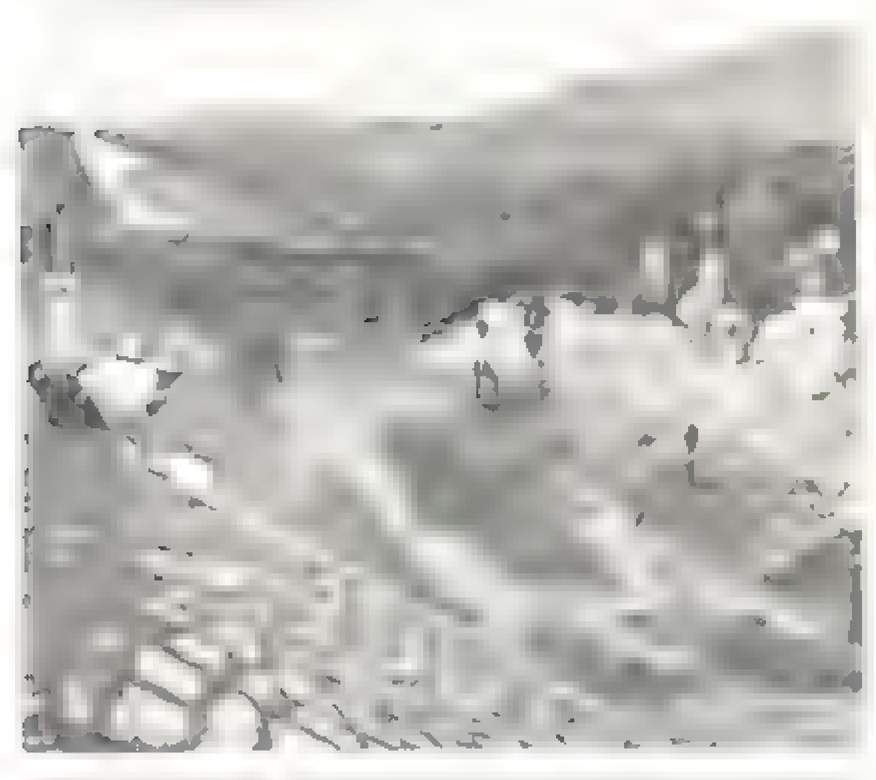
المائي تشكل هذه المنطقة جميعا .

« أما يهمنا الآن حل مشاكل التصحيح بالأرض الجديدة وتوفير متطلبات الانتاج .. إن كل شكوى نعملها على القضاء عليها مباشرة ، حتى نضمن استمرار التوسع في استزراع واستصلاح المزيد من الأراضي ، وحتى لا يشعر هؤلاء العاملون بالفرق بين هذه المناطق الجديدة .. فنحن نريد أن يشعر كل فلاح وعامل بأنه قد ارتبط بهذه الأرض .. إن عمليات استصلاح الأرض الجديدة لا يجب أن تتوقف ثابتة واحدة . إن الصحراء يجب أن تنتزع مساحتها مع كل يوم على وادي النيل ، ونتمنى الوصول الى الحد الذي تستمع فيه كل قطرة من ماء النيل قادرة على التحول فوق رمالها الى حياة خلاقة لا تهمل هذه ولا تضيع »

وركبنا جميعا ، عائدين للقاهرة بالسيارة عبر الطريق الصحراوي ، ونحن في غبطة مما رأينا .. تجربة في تزريع الصحراء الغربية قد يتسع بها في تجارب أخرى تقوم لتزريع الصحارى العربية ، وما أكثر الصحارى في وطننا العربي .

بعد شعور الغبطة والسيارة تنطلق بنا عائدة عبر الطريق الطويل .. لقد فارقنا الشعور بالملل الذي احسسنا به في طريق الذهاب .. وإن الطريق الصحراوي لم يعد صحراويا .. لقد اكتسب [illegible]

منير نصيف



[illegible]
الجديدة التي تمت في المنطقة الممتدة بالقرب من مدينة الاسكندرية



يا عيوني

حلمي الهداوي



بقلم: بسمة قراعة

■ أعوام ستة عشر مضت، عدد على أصابع اليد الواحدة، كانت قد مرت على إنشاء بغداد العاصمة العظيمة التي بناها أبو جعفر المنصور لتكون عاصمته وحاضرة خلافته.

ستة أعوام مرت منذ أنشأ بغداد، وأن المنصور اليوم وهو في « قصر الذهب » ليستمع صيحة سعيدة وخفية سيحمل بهاء القصر ومقاصيره وطرقاته، ثم يتعالى في أرجائه همهمة وصخب فرح وابتهاج ..

راح أبو جعفر المنصور يسائل نفسه عما يمكن أن يكون قد حدث اليوم في قصر الذهب. وإذ به يرى [illegible] بالبشرى، ولم يطل أمر الوصيف أحد الساقين أو طرق الباب حاجبه بعد لحظات ليحمل إليه بشرى ميلاد حفيدته في ولي عهده ولده جعفر.

وملأ أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور فم حاجبه بالذهب لقاء هذه البشرى التي جاءه بها .. ثم راح بنفسه لينتقل فورا من قصر الذهب إلى قصر الخلد ليرى حفيدته ويباركها ويتمنى أن تكون كما تصورها أن تكون ..

ووصل المنصور إلى قصر الخلد ثم أسرع في خطوه فرحته إلى حيث كانت الصغيرة الغالية « أمة العزيز » .. فمال عليها يقبلها ثم حملها بين يديه وراح يتطلع في محاسنها وهو سعيد، إذ قد جاءت على الصورة التي تمناها تماما! وإذا به يسأل عن اسم الوليدة، فلما قيل له: إنهم تخيروا لها اسم « أمة العزيز » قال: بل سموها « زبيدة » [illegible] كما يروى. بضة نضرة فيها حتى لم يعهد من قبل على مثلها من [illegible]

فسموها « زبيدة » كما أراد جدها، ثم كنيت بعد ذلك باسم « أم جعفر » ..

وهكذا .. وفي مراتع العز والجاه درجت الصغيرة ثم شبت ونمت وترعرعت على خير ما يشاء لها أهلوها فعهدوا بأمر تربيتها وتثقيفها وتعليمها صادقي الدين إلى فقهاء لهم مكانتهم، فراحت تتزود منه بما صقل مداركها لتسع وجعل لها نظرة فاحصة ورؤيا ثاقبة ميزت به رغم صغر سنها ..

كانت زبيدة تشعر وهي طفلة أنها شيء عظيم في عالم عظيم، وأنه لكي تستمر في مدارج العظم والسمو عليها أن تتحلى بالتواضع والكرم، وتغرس في أعماق القلوب حبها.

ولقد أحس أهلوها بما كانت تطمح به نفسها من آمال وأحلام، فراحوا يمهدون لها الصعاب ويعبدون لها الطريق لتصل إلى حيث تريد.



ولما بلغ جبها الصور وولى بعده عنهما « المهدي » لم تقصر ابدا في رعايته شأن اخيه رجلة عاشرتها خير منزل واعدها لتكون شريكه لحياة ولده « هارون » .

كان صدرها يجيش بالآمال الجسام ..وكانت تطلع ولطالما تمنت لو انها كانت رجلا ، الى لعرفت كيف تروض الزمن وتجعله عبدها المطيع ، ولكن الله ارادها انثى ؟ وانها لتحني راسها امام هذه الارادة وهي تؤمن في قرارة نفسها ان الانثى انما خلقت لتؤدي اجل وانبل واسمى الاعمال في تاريخ البشر ، اذ كانت هي الباقية وهي الراعية وهي مصدر الحنان وهي سر الوحي وروح الالهام.

كانت زبيدة تحلم .. وكانت أحلامها تتعاظم وتتعالى متسامية نحو آفاق بعيدة ، ولكنها لم تكن لتحب التحليق في الخيال ولا الافراط في اسلام أفكارها الى مجرى التخيلات ، فكانت تقف بهذه الأماني الغالية عند حد محدود ، وكانت ترى أن النهاية الحلم لن تكتمل فعلا الا يوم يتم زواجها من « هارون » وليكن بعد ذلك ما يكون .

وخيل الى زبيدة أن النهاية الحاسمة التي كانت تكمن في أحناء خيالها بدأت تتجسد ذات يوم وقد خرج عمها المهدي لحرب الروم ، وخرج معه ولده الرشيد ليخوض الى جانب أبيه نيران هذه الحرب الضروس ، لتأديب الروم وإيقاف مطامعهم عند حدود لا يجب أن يتعدوها ، فلا يجرؤ جريء منهم بعد ذلك على مهاجمة التخوم العربية واشاعة الفوضى والسلب والنهب فيها ، وكأنه ليس على العرب ولا على وطنهم الكبير راع أمين وحارس يقظ يقف لأولئك الروم العادين بالمرصاد ..

خرج أمير المؤمنين محمد المهدي الى حرب الروم ومعه ابنه هارون وقد أحست زبيدة أن اليوم المرجو قد بدا قريبا مع هذا الخروج ، وانه سيقدر للأمنية الغالية أن تتحقق ولو مع بدايتها على الأقل ، خاصة وقد حالف النصر الجيش العربي الذي سار من فتح الى فتح وجحافل الروم تندحر أمامه في كل موقعة كانت تتصدى له فيها .

وصالحت « ايرين » ملكة الروم أمير المؤمنين المهدي على الجزية والخضوع ، واعتذرت عما سلف ، وتعهدت بعدم العودة الى ما كان السبب في قيام هذه الحرب الضروس ، وعاد أمير المؤمنين مع ولده هارون الى بغداد التي خرجت تستقبل الفاتح الظافر والجندي العربي الغالب الذي أيده الله بنصره وأعز معه مكانة ولده هارون ، فقربه الى القلوب وجعله فارسا مغوارا من فوارس العرب كانت تشخص اليه الأبصار وتحقق عنده آمال الأجيال الطامحة التي كانت تطل على بعيده الخير كل الخير ، خاصة وقد تمرس بفن الحرب وتتلمذ على يد أبيه المهدي العظيم ..

وبدا الضباب ينقشع عن النهاية التي تصورت زبيدة مكتنفها وقد بدأت تبين معالم اليوم المرجو واذا بالعائلة تفيق على الحقيقة وقد أبى أمير المؤمنين المهدي الا أن يتوج الأفراح التي شملت البلاد بفرحة كبرى أسعدت قلب الحب الثاني اليه .. قلب زبيدة بنت أخيه جعفر وقلب ولده هارون الرشيد .. فزوجهما في حفل رائع زفت فيه العروس الى رجل أحلامها الرشيد وكان ذلك عام ١٦٥ الهجري .

وأحست زبيدة بأن أحلام الأمس الهائلة قد بدأت تتصاغر أمام الحقيقة التي بدأت تعيش فيها يوم تزوجت هارون الرشيد ! وأحست أن اليوم الذي تمنته قد وقف أمامها وفي موعده المحدد الدقيق .. اليوم الذي ستحمل فيه وتصل .. ولن يكفيها أبدا أن تكون شريكة الرشيد فحسب، بل عينه التي ترقب ، وأذنه التي تسمع ، ويده التي ترفع .

وبالرغم من أن هارون الرشيد لم يكن ولي عهد المهدي كانت زبيدة تؤمن بأن هناك غدا مشرقا ينتظر هارون ، وأن دلائل هذا الغد وبشائره بدأت تبدو في رعاية المهدي لهارون دون ولده الأكبر « الهادي » حتى لقد قرب هارون على الهادي وخصه ببره وعطفه وأكثر من اسراره .. واعتمد عليه في عديد من أخطر وأدق أمور الدولة ...

والغريب أن احساس زبيدة بأن الغد سيكون لهارون دون أخيه بقي ، برغم أن أخاه قد ورث أباه بعد موته وأصبح أميرا للمؤمنين .. ولكن زبيدة رغم ذلك لم تفقد الأمل ، وكانت لا تزال مع كر الأيام تتطلع الى مقدم الغد الذي ترجوه ...

وانتهت أيام أمير المؤمنين « الهادي » ، واذا بالحظ الضاحك يسرع الى باب زبيدة أم جعفر ، ليدخله ويقول لها ان اليوم الذي طالما تطلعت ملامحه قد توقف أمامها بمواكبه وأبهته .. وأنها اليوم لم تعد زوج أمير عباسي فحسب ، بل شريكة أمير المؤمنين هارون الرشيد ! .

وضحكت زبيدة لرد الحظ ضحكته ، وكأنما كانت مع أصداء ضحكتها الهائلة هذه تهمس الى نفسها همسة النقتها حديث طويل ، خيل اليها أنها راحت خلال لحظاته تحدث هذه النفس وتوصيها وتقول لها اذا كان الحظ قد دق بابك فعلا ، فعليك أن تلقي حيث التقت ، وإياك أن تنسي على فتح بابك الوحيد لتخرجي منه الى ما تصورته سجل أمانيك العذبة .. ذلك لأن الخيزران أم الرشيد لم تزل في مكانتها السيد وأنها في الجاه والقدرة والقوة والنعمة ، بحيث تستطيع أن تسحق من يفكر في أن ينتزع من بين يديها مقود سلطتها على ابنها البطل هارون الرشيد .. وراحت زبيدة تشرف على ادارة أملاكها وضياعها

الواسعة ولعبها بالزرع والسقيا لتنع ابهى وانضر الثمار والغلات ، ولم تقصر في نفس الوقت في العمل بالتجارة ، فكان لها نشاط ظاهر في ميادينها المتعددة ، عن طريق وكلاء اخلصوا في العمل لصالحها وراحوا يشترون الرسائل يعملون على تنمية ثروة زبيدة الضخمة التي كانت قد ورثتها من ابيها جعفر بن ابي جعفر .

وحدث ذات يوم ان اقدم احد وكلاء ام جعفر على شراء صفقة من الابل من صاحبها ، ولم يدفع ثمنها في حينه وارجاه الى موعد قريب يدفع له فيه ثمن ابله ، ونظرا لمكانة وكيل ام جعفر لم يستطع صاحب الابل ان يمتنع عن قبول شروط الوكيل في تأجيل ثمن ابله .. فلما حل موعد الوفاء ذهب التاجر ـ وكان من اهل خراسان ـ ليتسلم ثمن ابله من الوكيل كسابق وعده ، فاذا هذا يماطل ويسوف ويرجيء ويعتذر ويختلق مواعيد ويحدد آجالا بعضها قريب وبعضها بعيد ، حتى ضاق الرجل بالشكوى ووقف موقف الحيرة ولم يعرف لمن يشكو ، وعرض الامر على بعض معارفه ، فنصحه بأن يقيم دعوى اثبات دين امام القاضي العادل « حفص بن غياث » ...

واستطاع القاضي العادل حفص بن غياث ومن طريق ذكائه وبراعته ان يحصل على اعتراف بمديونية ام جعفر عن طريق وكيلها الرجل الخراساني ، فكان ان اقدم اول ما اقدم على اصدار امر بحبس وكيل ام جعفر حتى يوفي الدين لصاحبه ..

وبلغ الامر زبيدة فثارت ثائرتها واعتبرتها اهانة لها يجب ان يكفر القاضي حفص بن غياث عنها باصدار امره فورا بالافراج عن وكيل ام جعفر .. ولكن القاضي ابى .. وابى ايضا الا ان يثبت الدين والمديونية ويقرن حكمه بموجب الدفع ! فلم تجد زوج الرشيد الا ان تغري زوجها بعزل القاضي ، فخاطبها دون ان يحقق الامر او يعرف سر ما كان ..

واسرع رسول ام جعفر الى قاعة المحكمة ليسلم القاضي قرار عزله ، والرجل العادل منهمك في اثبات ذلك الدين بسجلات المحكمة ، وكانت حكمة الاسراع ان يحول دون القاضي واثبات الدين بصفة قاطعة في السجلات الرسمية ..

واحس القاضي بالامر الجلل ساعة اقبل عليه الرسول وناداه ، فلم يعبه وعجل برجته ويسرع في تحرير سند المديونية حتى اتم اثباته ، ثم التفت الى الرسول القادم بقرار عزله ولسلم الامر وكان شيئا لم يكن ، ثم ترك مكانه واسرع الى الرشيد ليقف معه موقفا كان حفص بن غياث اقدر الناس على الوقوف فيه لاثبات حقه في القضاء دون تدخل كائن ، كان من كان ، مهما علت مكانته في مثل هذه الامور الدقيقة التي سوف يحاسب الله عليها القاضي ويحاسب عليها امير المؤمنين ..

وعرف الرشيد جلية الامر .. وثار وغضب ، واعتذر لحفص بن غياث وراح يترضاه ، وسحب قرار العزل الذي اصدره وتوسل الى الرجل ان يعود الى مكانه في القضاء ، فمكانه يجب ان يظل حيث هو .. ومكانه من يجب عليه ان يرد الخارج على الشريعة ولو كان امير المؤمنين نفسه .. ثم اسرع الرشيد الى زبيدة يعنفها وكان له معها موقف اعتذرت فيه وتراجعت ، واسرعت تترضى القاضي العادل بنفسها ، وامرت بدفع دين التاجر الخراساني ، وحرصت على وكلائها بعد ذلك ان ينصفوا الناس ويتحاموا او ان يشتروا باسمها بضائع يرجئون دفع ثمنها ..

ولما خلا الجو من الخيزران بعد ان وافاها اجلها المحتوم ، لم تشعر ام جعفر وحدها بأن السلطان قد واتتها مواكبه ، وان السيادة والمجد اصبحا ملك يمينها ، بل شعر بذلك قبلها امير المؤمنين هارون الرشيد نفسه ، اذ كان يرى في امه سحابة داكنة تحجب عنه ممارسة كافة سلطاته ، وتقحم نفسها على شتى اموره وتبرم ما لا يريده وتفسخ ما يريد ..

ووجدت زبيدة ان المسرح قد خلا لها وحدها فبرزت فيه مواهبها العديدة وذكاؤها النادر وكرمها الفياض ، فقد كانت تجزل العطاء وتسرف في منح الهبات رغبة منها في جمع القلوب حولها وربطها اليها برباط التقدير والحب والاحترام ..

كانت نبيلة .. وكانت ذكية .. وكانت ذات عقل راجح ، عرفت به كيف تملك اعنة الرشيد زوجها، حتى كان لا يعصي لها قرارا وكانت تحلو له دواما صحبتها ومجالستها .

وقد اتخذت ام جعفر لزوجها الرشيد « محمدا الامين » الذي كان طوله مبلغ الشباب من الاسباب الخطيرة التي حولت تفكيره الى المجال السياسي، فراحت تراقبه بحذر وفطنة وذكاء انتصر فصارى تيارات المنافسة لتصل بها وبولدها الى حيث كانت تريد ..

وكان أكره ما تكرهه زبيدة أن يصرف الرشيد بعض اهتمامه وعطفه عن ولدها الآخر « عبد الله المأمون » .

كانت زبيدة تشعر بكراهية الوزراء البرامكة .. الذين عزّت مكانتهم وعظم نفوذهم في دولة الرشيد ، حتى صار جعفر بن يحيى البرمكي وزير الرشيد وكأنه أمير المؤمنين غير الرسمي ، لا يبرم أمر الا بموافقته ، ولا تقر كبيرة من الأمور الا وهو راض عنها ، وكان الرشيد هو الرجل الثاني في الدولة بعد جعفر البرمكي ..

وبدأت زبيدة تعمل .. وبدأت تؤلب صدر زوجها على البرامكة ، بأساليب لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها .

وبدأ الرشيد يرى بعيني زبيدة ويحس بقلبها ويستجيب لمشاعره التي كانت صدى لمشاعر كراهيتها للبرامكة .. فرأى ما لم يره من قبل .. وهاله أن ولاته وقادة جيشه وكبار رجال دولته كانوا في أغلب الأوقات ينصرفون من بابه الى باب وزيره ، كما رأى أيضا كيف أن الأموال والهدايا والهبات كانت ترد محملة من الأمصار لتذهب الى بيت جعفر دون أن يفكر من أرسلوها في ارسالها الى بيت المال أو الى ولي أمرهم أمير المؤمنين الرشيد ..

وتنفست زبيدة الصعداء يوم فتك الرشيد بالبرامكة وقضى عليهم .. وبدأت تشعر عن ايمان عميق أن الرياح قد واتت ولدها الأمين وأنه أصبح اليوم وحده وبلا منازع في قلب أبيه ، وأن المأمون قد فقد دعاته وأنصاره ومن كانوا يروجون له ويشيدون بذكائه ويتحدثون عن كرمه وجوده وفضله ، حتى لقد بلغت الجرأة ببعضهم أن كانوا يرمون الأمين وهو ولي العهد بالغباء والتخلف والتخاذل ، وأنه دون المأمون في كل شيء .. وأنه من الجرم في حق الشعوب أن تكون ولاية العهد للأمين دون المأمون لأنه أسن منه وأنبغ !

وصار الأمر الى ولدها محمد الأمين الذي بويع بولاية العهد في حياة أبيه وبويع من بعده أخوه المأمون الذي كان يحكم اقليم خراسان

ولقد شاءت الظروف بعد أن أصبح محمد الأمين أميرا للمؤمنين أن يخلع أخاه المأمون من الولاية لتكون لابنه من بعده ، واذا بالأمور تضطرب مؤذنة بالفتنة التي استنامت طويلا تخرج من مكمنها وتكشف عن وجهها ، واذا بالمأمون ينطلق كالإعصار الجارف من خراسان وينتهي الأمر بمقتل الأمين .

ولما مات الأمين مقتولا ودانت الدنيا لعبد الله المأمون بدأت زبيدة أم جعفر تفيق من الحلم الذي كانت تعيش فيه وراحت تنظر في أسى وتحسر الى صروح أمانيها وقد تهاوت وتحطمت ، فعرفت وبعد فوات الوقت أنها كانت تبني قصورا على الرمال .. قصورا من ورق لم تلبث أن اكتسحتها رياح العواصف وذهبت أباديد ..

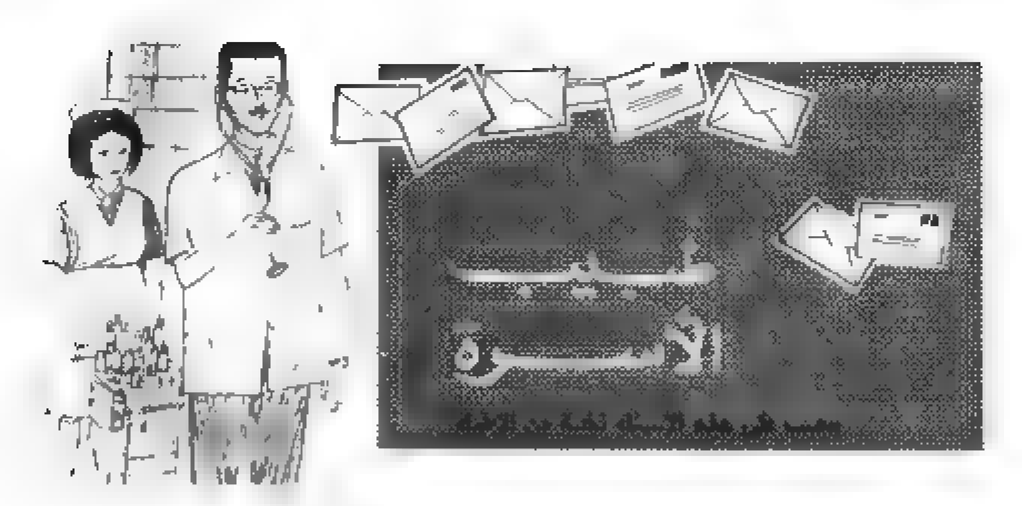
كانت زبيدة كاتبة ، ووقعت في ظهر كتاب ورد اليها من أحد عمالها : أن أصلح كتابك والا صرفناك عن عملك . فتأمله ذلك العامل فلم يظهر له فيه شيء ، فعرضه على بعض اخوانه فرأى فيه الدعاء لها . وأدام كرامتك . فقال : انها تعيبك أنك دعوت عليها ، فان كرامة النساء دفنهن . فغير ذلك وأعاد الكتاب اليها ، فقبلته .

ولم تقصر زبيدة عطفها على الشعراء والمغنين والأطباء بل شملت به الفقراء والسائلين وأرباب التقوى والصلاح والعلماء . وكان لها مائة جارية يحفظن القرآن ، ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع في قصرها دوي كدوي النحل من قراءة القرآن .

وكان الكرم من أظهر صفاتها ، وكانت لها على جهات البر أياد وآثار ؛ فقد أنشأت من مالها الخاص مسجدا ، كما أنها اشتركت بمالها في عمارة عديد من الأماكن في البلد الحرام .. واليها تنسب عين الماء الجارية التي تعرف باسم « عين زبيدة » .

ان التاريخ حين يروي سيرة زبيدة يقف أمامها مطأطيء الرأس مأخوذا بالجلال والكرم والشجاعة والنجدة والتمسك بالعروبة وبعد النظر .. لقد كانت غنية نقية .. سباقة الى المكارم .. تسارع الى الخيرات وتمد اليد في سخاء الى كل من كان يطلب نفعا من أصحاب الحاجات ، فأسهمت في كل ميدان من ميادين النشاط في دولة الرشيد حتى استطاعت من جدارة أن تخلد اسمها في صحائف العصر العباسي بمداد من ذهب ، فقد كانت مسلمة من الجيل وأعظم المسلمات الخالدات .

سنية قراعة



الطفل ذو الخصية الواحدة

يستطيع الانجاب عندما يبلغ سن الشباب

● عندي طفل ولد بخصية واحدة ،وقد نصحني طبيب جراح بعمل عملية لانزال الخصية الاخرى ، فهل تنجح هذه العملية ؟ وهل بامكان هذا الشخص ان يتزوج وينجب اطفالا ؟

— عادة تنزل الخصيتان في الشهر الثامن او التاسع من الحمل بحيث يولد الطفل بخصيتين ، ولكن هناك حوالي ٣٪ من الاطفال قد يولدون بخصية واحدة ، ثم تنزل الخصية الاخرى في الاسابيع الاولى بعد الولادة ، وهناك نسبة ضئيلة من الاطفال الذين يكبرون ويظلون بخصية واحدة أو حتى بدون خصية ، وفي هذه الحالة اما ان تكون الخصية غير موجودة او تكون موجودة ، وتوقفت اثناء نزولها في الممر الطبيعي لها او تكون ضلت الطريق وخرجت اثناء نزولها الى مكان آخر .

ويجب علاج هذه الحالة في سن مبكرة قبل الخامسة او السادسة من العمر ، وذلك باعطاء الطفل هرمونات تسمى Gonadotropic Hormones بعد نزول الخصية في خلال شهر من العلاج ، فاذا لم تنزل بعد شهرين يمكن تكرار العلاج مرة اخرى ، فاذا لم تنزل ملجأ لعمل عملية جراحية لانزال الخصية ، وعادة يفضل عمل العملية بين عمر ٦ الى ١٢ سنة ، وعادة بعد سن الخامسة تبدأ الخصية المعلقة في الضمور وتفقد وظيفتها في افراز السائل المنوي تدريجيا ، وقد تكون ضامرة من الاصل ، ولذلك كلما كان عمل العملية الجراحية مبكرا كان افضل قبل ان تضمر الخصية وحتى يمكنها الاستمرار في النضج بعد نزولها والاستمرار في وظيفتها .

وفي بعض الحالات القليلة قد تنزل الخصية عند سن البلوغ نتيجة زيادة افراز الهرمونات ولكن يكون قد ضمر جزء كبير منها عند هذه السن ، وحتى في الشخص البالغ اذا ظلت الخصية معلقة ولم تنزل يفضل عمل عملية لانزالها حيث ان الخصية المعلقة او الغير نازلة لها مضاعفات اكثر من غيرها مثل السرطان او العدوى او الالتواء او حدوث فتق معها .

ويمكن الشخص الزواج وممارسة الحياة الجنسية الطبيعية ، وكذلك انجاب الاطفال اذا كانت الخصية الواحدة الموجودة سليمة وطبيعية ، اما اذا كانت هي الاخرى ضامرة فان الامل يصبح ضعيفا في انجاب الاطفال .

كيف تتخلص من تجاعيد الوجه ؟!

● انا شاب في الرابعة والعشرين من عمري مصاب ببعض تجاعيد بسيطة في وجهي ، وقد وصفوا لي كثيرا من الكريمات لازالتها ، فهل تفيد في ازالة التجاعيد ؟

ـ التجاعيد تحدث عموما نتيجة ضمور في خلايا الانسجة والطبقة الدهنية من الجلد ، كما ان التغيرات التي تحدث في العضلات السطحية خاصة في الوجه تؤدي الى بعض التجاعيد وبالتالي تغير من شكل الوجه ، وهذه التغيرات عادة تصحب الشيخوخة ، او التعرض المتواصل للشمس والرياح كما يحدث للبحارة والمزارعين حيث يكون الجلد في العادة جافا ، وقد تتكون عليه بعض القشور الخفيفة . وقد تكون التجاعيد ما هي الا نتيجة نهائية لبعض الامراض الموضعية

اما التجاعيد العميقة التي تحدث في الجبهة ، بين الحواجب ، على الزوايا الخارجية للعين وعلى جوانب الفم ، فهذه تحدث بسبب التواء الجلد تبعا للعضلات الموجودة تحته ، ونادرا ما تكون التجاعيد وراثية .

العلاج : اولا يجب علاج اي مرض موضعي قد يؤدي الى هذه التجاعيد ، ولعلاج التجاعيد نفسها يلجأ بعض الناس الى طرق مختلفة مثل الكي والحك حتى يحدث التهاب سطحي مؤديا الى تجديد الطبقة تكون افضل منظرا من التجعيد الموجود . اما من ناحية الكريمات والمراهم الموضعية فقد ثبت ان استعمال المراهم المحتوية على فيتامين ا تفيد كثيرا في كلا الجنسين كما ان هناك كثيرا من المراهم المغذية للجلد منتشرة في الاسواق ، وعادة تستعمل هذه المراهم مرة أو مرتين يوميا مع التدليك الخفيف بأصابع اليد . كما ان هناك بعض مراهم التجميل العامة التي لها لون الجلد تكل بشرة لها مرهم يشبه لونها ، وهذه ليس لها اي تأثير سوى انها تغطي فقط التجاعيد حتى لا تبدو للناظر اليها ، ثم يزال المرهم في المساء عند النوم . ويوجد الآن مراهم محتوية على هرمون Oestrogen بنسبة بسيطة ، وتستعمل بكثرة في الجلد الجاف المجعد خاصة عند النساء ، واعطت نتائج حسنة الا انه يجب استعمال هذه المراهم في مواضع محددة ومساحات ضيقة حتى لا يمتص هرمون الاستروجين مؤديا الى مضاعفات غير مرغوب فيها . وهناك بعض العمليات السطحية لازالة هذه التجاعيد مثل التسلخ السطحي . وهذه يجب عملها بواسطة الاخصائي حتى تؤدي الى نتيجة ايجابية .



الانيميا المنجلية مرض وراثي

● قال لي الطبيب بعد فحصي انني اعاني من مرض الانيميا المنجلية فما هو يا ترى هذا المرض وهل من علاج لمثل هذه الحالة ؟ .

ـ الانيميا المنجلية ـ Sickle Cell Anaemia هي فقر الدم ـ الذي يحدث نتيجة لتكسر الكرات الدموية الحمراء ، لانها تحتوي على مرض خلقي في الهيموجلوبين ، وهو ما يسمى هيموجلوبين S ولوجود هذا النوع من الهموجلوبين ، يعطي الكرة الحمراء



ارتفاع ضغط الدم وتأثيره على العيون !

● والدتي عمرها ٥٠ سنة ، وهي مريضة بضغط الدم المرتفع ، انحنت لتلتقط بعض الأغراض من على الأرض، ولما انحنت ، قالت انها لا ترى شيئا بعينها اليسرى ، فعرضنا بها الى طبيب العيون الذي قال : انها مصابة بنزيف داخل العين ، واعطانا بعض الادوية ، ونصحنا باستشارة طبيب باطني لعلاج مرض ضغط الدم .. فما رأيكم !

— النصيحة التي قدمها لكم طبيب العيون هي نصيحة قيمة ومخلصة ، الا أن العلاج الحقيقي هو علاج مرض ضغط الدم المرتفع الذي سبب النزيف داخل العين ، وحيث أن الوالدة اصبحت بانها لا ترى بعينها اليسرى بعد الحادث الذي اصابها ، فمعنى ذلك ان النزيف ، اما انه كان شديدا لدرجة انه غطى الشبكية او انه كان خفيفا ، ولكنه حدث في منطقة النقطة الصفراء ، وعلى اي حال ، فان النتيجة تتوقف على ما يحدث بعد امتصاص هذا النزيف، فاذا لم يترك اثرا فان الرؤية تتحسن تدريجيا ، أما اذا تسبب في تلف انسجة الشبكية ، فان الأمل ضعيف في حدوث اي تحسن .

ولا يوجد للاسف ، اية ادوية لعلاج هذه الحالة ، وعلاج ضغط الدم العالي هو لمنع حدوث نزيف آخر بنفس العين أو بالعين الاخرى ، ولمنع حدوث مضاعفات اخرى في القلب والكلى والمخ على سبيل المثال .

شكلها المنجلي وبدلا من أن تكون حياة الكرة الحمراء ما يقرب من ١٢٠ يوما فانه في حالة الانيميا المنجلية تكون قصيرة حوالي ثلاثة اسابيع ثم تتكسر بكميات كبيرة مما يسبب فقرا في الدم مع ارتفاع في نسبة المواد الصفراوية به Serum Bilirubin وترتفع تبعا لذلك درجة الحرارة ، وتحدث آلام شديدة في الجسم خصوصا في العظام وفي منطقة الطحال وفي البطن وفي الساقين . وتكون هذه الآلام شديدة وتحتاج الى مسكنات مثل الثيدين ، وبعد أن تزول النوبة ترى أن نسبة هيموجلوبين الدم تنخفض مما يستدعي اعطاء المريض دما لتعويض ما فقده .

وفي بعض الحالات تعطى السوائل كمحلول الملح ، وبيكربونات الصوديوم ، ولكن كل هذا وجد انه لا يفيد كثيرا ، والعلاج دائما هو تعويض الدم عندما تنخفض نسبة الهيموجلوبين تحت ٥٠٪ .

والمرض وراثي ينتقل من الآباء الى الابناء وليس له في الوقت الحاضر علاج . والوقاية منه خير سبيل ، وذلك بأن يمنع زواج المصابين به .



أوليا جلبي

ابن بطوطة التركي

رحلة كبرى، اتسمت بدقة منقطعة النظير، زار بها صاحبها بلاد الفرس، والقوقاز والعراق، وسوريا، والحجاز، ومصر، وعدد كبير من بلاد أوروبا حتى السويد. واستغرقت ٤٠ عاماً، وتركت للتاريخ سجلاً حافلاً.

بقلم : محمد أديب غالب

● اذا كان الرحالة العربي العالمي ابن بطوطة المغربي قد خلف لنا تراثا خالدا في اسفاره التي كانت تطالع بالمدارس الثانوية الى عهد قريب : فان « ابن بطوطة التركي » اوليا جلبي(١) قد وفاه حقه المستشرق بارتولد (١٨٦٩ — ١٩٣٠) يوم كتب عنه يقول : « ومن الآثار ذات الاصالة التي دونت باللغة التركية وصف رحلة اوليا جلبي الذي يفوق كثيرا الآثار الجغرافية العربية الكلاسيكية في غزارة مادته الجغرافية والاثنوغرافية واللغوية على الرغم من انه قد اعمل فيه خياله بصورة كبيرة »(٢) .

ثم كرر بارتولد هذا الحكم على اوليا جلبي بايجاز في كتابه « الحضارة الاسلامية » فقال : « ان اوليا جلبي يفوق من حيث وفرة المادة وغزارة المعلومات مصنفات غيره الجغرافيين العرب على الرغم من جنوحه الواضح الى الخيال »(٣) .

وجاء بعد ذلك المستشرق كراتشكوفسكي (١٨٨٣ — ١٩٥١) ليؤكد قول بارتولد قائلا : « اما من حيث الثقافة الجغرافية فقد كان بلا شك اكثر قراءة واطلاعا من ابن بطوطة ولجأ اكثر منه الى استعمال المصادر الادبية »(٤) .

اسمه ولقبه

هو اوليا جلبي بن درويش بن محمد من مواليد

---

(١) جلبي ، تلفظ بين الجيم والشين وهي اقرب الى لفظ الشين ، وهي كلمة تركية معناها : لطيف او مهذب ؛ وفي اصطلاح اهل العراق السيد ، والعامة في الديار الشامية تقول : « فلان شلبي » بمعنى لطيف المعشر ، او انيق المظهر .

(٢) Bartold, Ist.Izuch. Vostoka 2, P. 114 .

(٣) Bartold. Kult. Mus P. 140 .

(٤) تاريخ الادب الجغرافي العربي .

استانبول « القسطنطينية »(*) ومن اصل تركي والذي رغب الكثير من المؤلفين الترك وغيرهم ان يلقبوه بـ « ابن بطوطة التركي » حيث برز الى حد كبير في محيط الجغرافيا والرحلات الكبرى ، مما جعله ان يحمل لقبا آخر باسم « سياح عالم » وما زالت الدوائر العلمية في تركيا تطلقه عليه الى يومنا هذا .

كان جده محمد حافظا للواء السلطان محمد الثاني الفاتح واشترك في فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ . اما والده درويش فقد كان جواهري « قويومجي باشي » البلاط السلطاني وكان في معية السلطان سليمان القانوني في بعض حملاته العسكرية . كما ان والدة « ابن بطوطة التركي » كانت اخت الصدر الاعظم . ولقد عرف عن اسرته انها عاشت اعمارا طويلة اذ بلغ جده من العمر العقد الرابع بعد المئة ، كما ان والده مات عن مئة وسبعة عشر عاما .

مولده ونشأته

اما رحالتنا فقد ولد عام ١٠٢٠ هـ - ١٦١١ من اصل رفيع ، لكنه لم يشأ ان يلتحق بالجيش ولا بالبلاط الذي كان قريبا منه طول حياته . ولقد ظهرت لديه منذ البداية بعض الميول العلمية نحو الدراسات القرآنية . ففي عام ١٠٤٥ هـ - ١٦٣٦ نلتقي به ، حافظا للقرآن الكريم بمسجد ايا صوفيا ، وشد سمع السلطان مراد بتجويده الاهتمام بالحافظ ليضمه الى حاشيته ومرافقته دون ان يعين له عملا رسميا في البلاط .

ثم تراه يلتحق بالجيش العثماني بمرتبة « سباهي » ولم يكن له حظ الترقية في سلسلة الرتب الوظيفية ، وقد يرجع ذلك الى اتجاهاته كرحالة ، وصوفي ، ومجاهد في سبيل الحملات التي كانت تسعر يومئذ بين الشرق والغرب على ارض اوروبا الشرقية والوسطى .

عصر الرحالة

لو دققنا النظر في العصر الذي عاشه الرحالة بالذات ، لوجدنا ان العثمانيين الاتراك في ذلك العصر ، كانوا يمثلون مجرى القوة والاندفاع الحضاري الاسلامي بكل ظواهره وتجاربه . ولقد استطاع هذا الاندفاع البشري العثماني ، ان يتحرر اولا من البيئة القبلية التي لم تكن تعرف في جاهليتها وبدويتها ، الا القتل والضراب والتدمير . فاذا بها بين ليلة وضحاها ترقى الى القمة الاسلامية الساطعة ، في المعتقدات التوحيدية ، والموازين والقيم الاخلاقية ، فتحرر الامة التركية بفضل الاسلام من عبودية العبيد للعبيد ، وترفع في اسيا الصغرى صيحة التوحيد مجلجلة صافية عالية « الله اكبر الله اكبر » .

من هذه الحقيقة التاريخية التي عدها بعض متتبعيها ، يوم كانت الامبراطورية العثمانية الاسلامية طوال القرنين السادس والسابع عشر(١) دولة من اعظم دول الغرب واقواها ، ان لم تكن اعظمها واقواها على الاطلاق . وكانت اداراتها الحكومية منتظمة تنظيما محكما تهدف الى الخير العام وتوفيره للرعية . وكانت تحظى بولاء شعبها والخاضعين لها ، ذلك الشعب الذي يعتبر الطاعة والنظام من ارفع الفضائل التي ينالها المرء في حياته . اما جيشها النظامي فقد كان احسن الجيوش تدريبا ، وكانت مدفعيتها احسن مدفعية تملكها اية دولة وكان اسطولها يسيطر على البحر الابيض المتوسط كله .

الرحلة الكبرى

من هذه القمم الاسلامية انبعثت رحلة اوليا جلبي بحلة منقطعة النظير . والتي استغرقت اربعين عاما . نجد رحالتنا يجوب الآفاق تارة في لباس عالم او مؤذن ، او قارىء (حافظ) القرآن

(*) ان اليونانيين المحدثين سموا عاصمتهم باسم مشوه الاصل « استانبول » اما الاتراك فقد غيروا الاسم الى اسلامبول اي : « مستودع الاسلام » Mazas, Alexandre. Les Hommes Illustres De L'Orient Vol. II. P. 383 (Paris 1847)

(١) في المعاهدة المعقودة بين السلطان محمود الثالث وبين هنري الرابع ملك فرنسا سنة ١٥٩٧ ، تبدأ المعاهدة هكذا : « انا السلطان الذي بفضل سمو الله والآلاء التي لا تحصى ، وبفضل عزة الخالق العظيم وبفضل معجزات نبيه الاعظم ، امبراطور الاباطرة القاهرين ، موزع التيجان على اعظم ملوك الارض ، خادم الحرمين الشريفين مكة والمدينة ، وحاكم القدس الشريف وحاميها ، الخ » France, Ministers Des Affairs EtranGeres - Turquie, Vol. I (1494 - 1644)

القرم . ومرة نجده كاتبا للسر لجملة شخصيات من كبار رجالات الدولة ، وطورا مبعوثا خاصا لهؤلاء الى العاصمة . وقد ساقته اسفاره الطويلة السنين ، الى بلاد الفرس والقوقاز والعراق وسوريا والحجاز ومصر وجنوبي روسيا والافلاق والبوسنة والنمسا والمجر ، والى اعماق البلاد الالمانية ، والسويد وبولندا ، وآخر تاريخ لوصف اسفاره هو عام ١٠٨٩ هـ ـ ١٦٧٨ ولهذا يفترض انه قد توفي عقب ذلك في عام ١٠٩٠ هـ ـ ١٦٧٩ ولم يكتب له الحظ من العمر الطويل ، كما كتب لاسلافه من الآباء والاجداد القريبين منه .

اسلامبول وضواحيها

الم رحالتنا « ابن بطوطة التركي » باسفاره التي بدأت منذ عام ١٠٤١ هـ ـ ١٦٣١ عندما اخذ يتجول حول المواضع التي تحيط باسلامبول وضواحيها . وقد كرس لها بحثه عن وصفه لتلك المواضع من الجزء الاول من مؤلفه الضخم الذي يقع في عشرة اجزاء ، والتي انتظمت في شكل يوميات ، ويوصف بسبب لاطول رحلة بلغت في ضخامتها واسلوبها القصصي السنين الطويلة .

بروسه وازمير

ونستطيع ان نتتبع طريق رحلته في الجزء الثاني الذي يتناول فيه الكلام بالتاريخ المفصل عن بروسه (١٠٥٠ ـ ١٦٤٠) وازميد (نيقوميدية) ورحلته الى باطوم ، وطرابزون وبلاد الابخاز(٧) Abkhazia (١٠٥٠ هـ ـ ١٠٥٤ هـ ـ ١٦٤٠ ـ ١٦٤٤) والحملة على كريت (١٠٥٥ هـ ـ ١٦٤٥) ، ورحلته الى ارضروم واذربيجان ، وكرجستان Georgia واماكن اخرى (١٠٥٦ هـ ـ ١٠٥٨ هـ ـ ١٦٤٦ ـ ١٦٤٨) .

سوريا وفلسطين

يصف رحلته في الجزء الثالث الى سوريا وفلسطين والرملة وسيواس وكردستان وارمينيا (١٠٥٨ هـ ـ ١٠٦٠ هـ ـ ١٦٤٨ ـ ١٦٥٠) والروملي ، خاصة منطقتي بلغاريا ودبروجه (١٠٦١ هـ ـ ١٠٦٢ هـ ـ ١٦٥١ ـ ١٦٥٢) وفي عام (١٠٥٩ هـ ـ ١٦٤٩) ادى « ابن بطوطة التركي » فريضة الحج ولكنه ارجأ وصفها الى الجزء التاسع من مصنفه .

العراق وايران

وفي الجزء الرابع يصف لنا مدن وان وتبريز وبغداد والبصرة (١٠٦٥ هـ ـ ١٠٦٦ هـ ـ ١٦٥٥ ـ ١٦٥٦) .

في الحملات والبعثات

يحتوي الجزء الخامس خاتمة وصف رحلته السابقة من والي البصرة ، ووصف رحلته الى ولشاكوف Ochakov (قرمان) والحملة العثمانية ضد راكوتشي Rakoczi ، والغارة على روسيا وذلك عام ١٠٦٦ هـ ـ ١٠٦٨ هـ ١٦٥٦ ـ ١٦٥٨) ثم الحملة على العصاة بالاناضول ورجوعه من بروسه عن طريق الدردنيل الى ادرنة (١٠٦٩ ـ ١٠٧٠ هـ ـ ١٦٥٩) . وفي هذا وصفه للسفارة الى البغدان Moldavia ، والحملة على ترانسلفانيا والبعثة الى البوسنة والحملة على دالماسيا ثم رجوعه الى صوفيا (١٠٧٠ هـ ـ ١٠٧١ هـ ـ ١٦٦٠) .

محاصرة ايوار

ويحتوي الجزء السادس وصفا لاشتغال الرحالة في الحملة على ترانسلفانيا والبعثة الى الباشا ورجوعه الى اسلامبول (١٠٧١ هـ ـ ١٠٧٢ هـ ـ ١٦٦١ ـ ١٦٦٢) . والحملة ضد المجر ومحاصرة ايوار ورحلته في النمسا والمانيا وهولندا حتى طوفه بحر الشمال . كما ان هذا الجزء يحتوي على صور حية ، وتفاصيل طريفة غريبة عن جيوش التتار البالغ عددها ([illegible]) جندي ، وعن استيلاء العثمانيين مع هذا الجيش القوي على مدينة ايوار وعلى قلاع المجر الاخرى ، وقطعهم التتار بشناق بلغراد (١٠٧٣ هـ ـ ١٠٧٤ هـ ـ ١٦٦٣ ـ ١٦٦٤) . ثم البعثة الى بلاد الهرسك ، والحملة على الجبل الاسود وكانجة Kanizsa بالمجر وكرواتيا .

القوقاز ودنكرة

وقد خصص الرحالة الجزء السابع لوصف النمسا والمجر والبلقان والافلاق والقرم

---

(٧) الابخاز Abaza قبيلة تنسب الى الابخاز Abkhazia (الجزء المركزي للقوقاس) ، واكثر عددهم قد هاجروا الى سوريا (حمص ، القنيطرة ، دمشق ، منبج) والى الاردن (عمان ، [illegible])

والصالحين وغيرها من نواحي القوقاز وبلاد ليجان واستراخان والطريق الى ازاق Azze
ويضم هذا الجزء وصفا لفيينا واوروبا الوسطى حيث بلغ الرحالة مدينة دنكرك وعلى ما يبدو ان « ابن بطوطة التركي » كان ضمن حاشية السفير قره محمد باشا عام ١٠٧٥ هـ ـ ١٦٦٤ والتي كانت تضم مئة وخمسين شخصا . ثم لم يلبث الرحالة ان اتم تجواله منحدرا برزخ من الشبجاعة النادرة ولم يرجع الى استانبول الا بعد ثلاث اعوام ونصف ، وذلك في سنة (١٠٧٩ هـ ـ ١٦٦٨) مجتازا في طريقه بلاد السويد وبولندا وروسيا والقرم .

كريت وسلانيك

ويصف في الجزء الثامن الفتح ابتداء من ازاق الى كريت وسلانيك والروملي بما في ذلك المورة ، كما انه يصف في هذا الجزء اشتراكه مجاهدا في حملة ضد كريت ثم في الحملة ضد المينا .
Lemainolet

في الحج

وفي الجزء التاسع اتم الرحالة وصفا شيقا لحجه في ١٠٥٩ هـ ـ ١٦٤٩) منذ بدايتها من استانبول فالاناضول وسوريا والحجاز .

في مصر والسودان

وفي الجزء العاشر الاخير يحتوي وصفا لمصر مع استطرادات تاريخية مفصلة . ثم الكلام على السودان والحبشة .

كتاب الرحلة

يقول موردتمان (١٨٦١ ـ ١٩٣٢) عن كتاب الرحالة اوليا جلبي « تاريخ سياح » او « سياحتنامه » والنقل بعد من خيرة المستشرقين العارفين لتاريخ تركيا : « يجب الاعتراف بان كتاب الرحالة التركي ذخيرة لا تنفد في جميع ما يمس الحياة الاجتماعية والادب الشعبي والجغرافيا وانه يعرض كل هذا في كتابه باسلوب يمتاز بالبساطة والحيوية معا » .

كما ان لتشنر يقول . ان كتاب « سياحتنامه يعد من اهم الوثائق التي تصف العصر الذي عاش فيه الرحالة اوليا جلبي ، فهو مصدر تاريخي في الدرجة الاولى بالنسبة لتلك الفترة ويقدم لنا في ذات الوقت وصفا للبلاد والشعوب التي رآها لا يجاريه فيه احد ، وهو معين لا ينضب لفنانيه التي تمس جميع مظاهر الحضارة البشرية » .

الرحالة الصوفي

وقبل ان ننهي بحثنا عن اوليا جلبي يجب ان لا ننسى ان اسمه وحياته وليد المدرسة الصوفية التركية فمصنفه الذي اتسم بالطرافة ، يتضمن الى جانب الاصطلاحات والمداخل التاريخية والاوصاف البحرية والبرية والاحاديث الشخصية المطولة التي يتحلى بها بدرجة عالية من حب الاستطلاع ، يتضمن الكثير من الحكايات التي تتصل بكرامات الاولياء والصالحين . وهو يبرز بسطوات الرؤيا والمنامية الصوفية يوم كان يلبس الصوفي الولوي ، ويسمى « جلبي النمش » . فوجيم اسميم لتصبيب سلطان عرش الامبراطورية العثمانية والتي كانت تتم في مسجد الصحابي ابو ايوب الانصاري والذي تم خرق القرن الذهبي خارج اسوار استانبول .

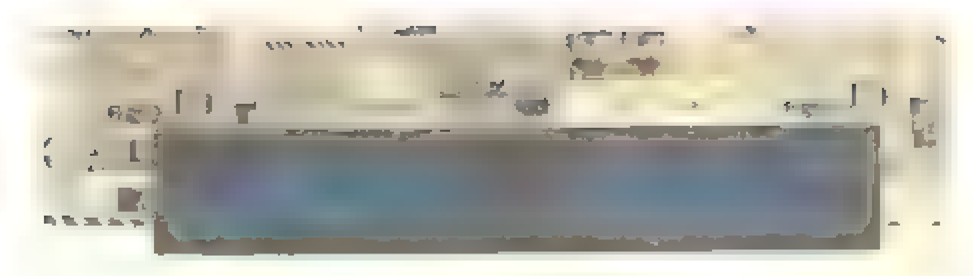
الخاتمة

من كل ما تقدم نتبين ان « ابن بطوطة الشرقي » اوليا جلبي (١٠٢٠ ـ ١٠٩٠ هـ الموافق ١٦١١ ـ ١٦٧٩) لم يكن ذلك الرحالة التركي الاسلامي فحسب ، بل كان في ذات الوقت صوفيا مجاهدا حقا يقف في المستوى القريب من الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة . وقد حظيت رحلته « تاريخ سياح » في الاوساط العلمية المعاصرة ، كمصدر علم قائم بذاته ، وذلك لانها كانت تمثل اهمية خاصة وقد تم تحليل ما وصفه الرحالة بمقارنته بالابحاث والشهادات الحديثة المركزة ، التي قام بها المستشرقون نحو مصنفه الطريف في كل جانب من جوانبه الوصفية والعلمية الخطيرة . ■

محمد اديب غالب
طرابلس / لبنان

---

(٨) الالاز الداغستانيه نسل النافل الشرقية لقفقاسيا جنساه وهي بلاد صعبة طبيعتها حصينة معرة اهلها وبنيتهم الوطنيه ، واليهم يرجع الفضل في تعز معرفته من اعراء الفاتحين وقد كافحوا و حافظوا على استقلالهم وعاداتهم ونسيانه وساله لا مزيد عليها ، ونالوا بذلك اعمر الشرف



اسقاط الجنسية وسحبها

● كثيرا ما نسمع أن دولة أسقطت الجنسية عن أحد رعاياها أو سحبتها من آخر . فما معنى هذا الاسقاط والسحب ؟

محمد محمود عبد الله

الموصل / العراق

ـ لتوضيح معنى اسقاط الجنسية عن الفرد او سحبها ، لا بد لنا ان نعرف اولا ان الدولة هي التي تملك اعطاء الجنسية ، ولا يحق لأي دولة ان تتدخل لدى دولة اخرى في مسائل الجنسية ، فهذه المسائل تدخل في النطاق الخاص للدولة .

ومن الواضح ان كل دولة تتمتع بحرية كاملة في تشريعها لجنسيتها اكسابا وتجريدا .

والدولة تجرد الشخص من جنسية سبق ان منحتها اياه ، وذلك بالسحب .

ولكن الدول لم تقتصر على هذا النوع من التجريد ، بل عمدت الى توسيع هذا الاجراء ليشمل الوطني الاصيل ايضا ، ويسمى هذا النوع من التجريد بالاسقاط .

والخلاصة ، انه بينما السحب اجراء تلجأ اليه الدولة لتجريد المتجنس من جنسيتها ، نجد ان الاسقاط اجراء تتخذه الدولة لتجريد الوطني الاصيل من جنسيتها .

ويحمل تجريد الفرد من جنسيته ، سواء بالسحب او الاسقاط ، دائما معنى الجزاء .

اسطوره اوزيريس لها في التاريخ اصول

● ايزيس واوزيريس اسمان سمعنا بهما في التاريخ المصري القديم هل كانوا فراعنة في مصر ، ام كانوا آلهة ام غير ذلك ؟

مجدي وهبه ـ تونس

ـ اسطورة اوزيريس اسطورة فرعونية قديمة كتبت حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م . وهي كباقي الاساطير المصرية القديمة لها علاقة وثيقة بالمعتقدات الدينية وبعبادة الشمس وتقديس نهر النيل .

وتقول الاسطورة ان اوزيريس هو ابن اله الارض الذي ينحدر من سلالة اله الشمس رع . وقد اصبح اوزيريس ملكا على مصر وعلم شعبها كيف يزرع وكيف يصنع الخبز والنبيذ . وتزوج اوزيريس من اخته ايزيس وتعاونا سويا لنشر الحضارة في البلاد .

وكان اوزيريس محبوبا لدى شعبه واثار هذا الحب حقد اخيه « ست » الذي اخذ يفكر في التخلص من اخيه والاستيلاء على عرشه .

واستطاع « ست » ان يدبر حيلة لكي يتخلص من اوزيريس حيث اقنعه بان ينام داخل نعش قام باغلاقه عليه والقائه في النيل .. وحمل النهر النعش القفل والقى به في مكان يسمى بيبلوس على شاطئ سوريا . وخرجت ايزيس للبحث عن جثمان زوجها واخيرا عثرت عليه واحضرته الى مصر .. ولكن « ست » قام بتقطيع جثمان اوزيريس قطعا صغيرة ونثرها في طول البلاد وعرضها .. وقامت ايزيس بالبحث عن اجزاء زوجها المقتول وظلت الاهوال في سبيل جمعها واحدة بعد الاخرى .. وبعد طول عناء استطاعت



كعقوبة لبعض الجرائم ، تلك التي يمكن رد أسبابها الى عدم ولاء الشخص للدولة ، أو عدم صلاحية الفرد لأن يكون عضوا في مجتمع الدولة .

وقد وجه الى نظام التجريد بالاسقاط نقد شديد ، وذلك بسبب ما يؤدي اليه هذا النظام من انعدام الجنسية بالنسبة للوطنيين الأصلاء ، في الوقت الذي تستطيع فيه الدولة أن تستعيض عن هذه العقوبة بعقوبة أو جزاءات أخرى ، قد تكون أكثر ردعا بالنسبة للوطني الأصيل الذي يظهر بمظهر عدم الولاء ، كمصادرة أمواله أو حرمانه من بعض الحقوق الهامة ، وبهذا تظل الدولة محتفظة بعنصرها على أحكام رقابتها على من تشك في ولائه من رعاياها .

أما اجراء التجريد بسحب الجنسية من المتجنس ، فهو أكثر استساغة ، لأنه اجراء توقعه الدولة كلما تبين عدم ولاء هذا الاجنبي المتجنس بجنسيتها ، أو عدم صلاحيته لأن يبقى عضوا في مجتمعها بسبب خطورته على كيان الدولة ، ففي هذه الحالة تجد الدولة مبررا كافيا للرجوع في هذا المنح الذي كانت منحته .

والفرد الذي تجرده الدولة من جنسيتها عن طريق الاسقاط أو السحب لا يستطيع استردادها اللهم الا اذا رأت الدولة أن مبررات هذا التجريد قد زالت ، فترد اليه جنسيته ، وفي هذا تملك الدولة سلطة تقديرية .

أما من فقد جنسيته بالتغيير ، أي بمحض ارادته ، عن طريق اكتساب جنسية أخرى ، فانه يستطيع استرداد جنسيته الأصلية ، أما بقوة القانون ، واما بتوافر شروط معينة .

(أ . ع . ي)

هذه الزوجة الوفية لأن تجمع كل أجزاء جسد أوزوريس . ثم قامت بمعونة بعض الآلهة وسحرها باعادة أوزوريس الى الحياة الأبدية ، وأصبح أوزوريس الها بعد موته وعاد مرة أخرى الى الأرض حيث قام بتعليم ابنه « حورس » وساعده ضد عمه « ست » واستطاع حورس في النهاية التغلب على عمه والاستيلاء على عرش أبيه .

ويقول المؤرخون ان هذه الأسطورة تمثل بعض الأحداث التاريخية في مصر الفرعونية .. فالصراع بين أوزوريس وست يشبه الى حد كبير الصراع الذي كان قائما بين حكام مصر العليا ومصر السفلى . وموت أوزوريس ثم عودته الى الحياة يرمز أيضا الى جفاف النيل وفيضانه .

(م . ط)



مدن السودان ومصر ومواقعها من شواطىء النيل

● لاحظت في خريطة الوطن العربي التي وزعتها مجلة العربي هدية مع عددها السوري الخاص أن أغلب مدن الجمهورية العربية والسودان تقع على الضفة الشرقية للنيل فهل هناك سبب لهذا . وما هو ؟؟

سليم عبد الله ــ الكويت

ــ لهذه الظاهرة التي لاحظتها أسباب تاريخية وعوامل جغرافية واقتصادية ولعل الأسباب التاريخية أهم بكثير من العوامل الجغرافية .

وأهم الأسباب التاريخية هو أن قدماء المصريين كانوا يعيشون مع الشمس بل وعبدوها في فترة من فترات تاريخهم القديم . والملاحظ أن معظم مدنهم كانت دائما تقع شرق النيل في حين مقابرهم ومعابدهم الجنائزية كانت كلها في غرب النيل . انهم كانوا يعتقدون أن الشمس وهي رمز الحياة في شروقها رمز الموت في غروبها ، ولذلك كان الفراعنة يدفنون موتاهم في الغرب بينما يعيشون ويقيمون مدنهم في الشرق وينقلون موتاهم في مواكب جنائزية عبر النهر ، والدليل على ذلك هو أن أغلب الآثار الفرعونية القديمة مثل الأهرامات ومعابد الكرنك وسقارة وحتشبسوت ، وهي مقابر كلها ، تقع على الضفة الغربية للنيل . وكان لهذا الاعتقاد أثره الذي امتد عبر آلاف السنين .. ونشأت أجيال وراء أجيال لتجد أن العمران دائما في شرق النيل .. فسارت على ما سار عليه الآباء والأجداد حتى بعد أن زالت معتقدات هؤلاء الأجداد وحلت محلها معتقدات وعادات جديدة .

أما العوامل الجغرافية والاقتصادية فهي تتلخص

بين العملة من ذهب والعملة من ورق

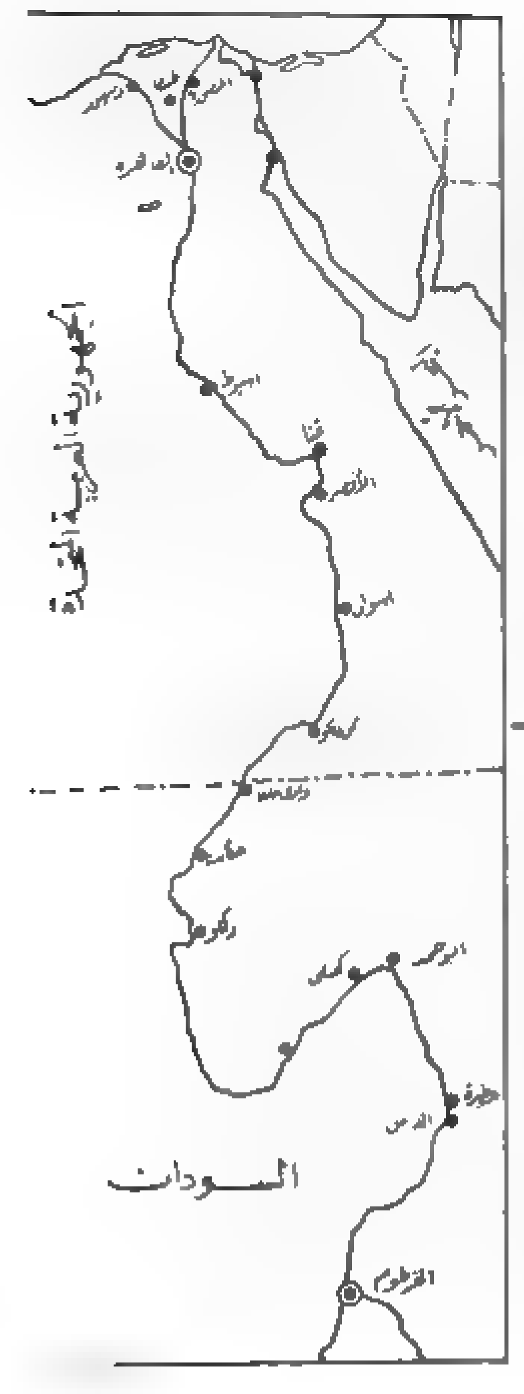
● وقع في يدي منذ أيام جنيه من ذهب « أصفر اللون » قيل لي أنه الجنيه الانجليزي « الاسترليني » وقد تأملته بدقة وشوق ، فهو أول عملة ذهبية وقعت عليها عيني ، وأسفت لأن الأسف لاستبدالهم الجنيه الورق بها ، وتساءلت : متى يا ترى حدث هذا الاستبدال .. وما كان الدافع عليه .. فهل عندكم على سؤالي من جواب !

عادل سمارة ــ سوريا

ــ لعلك تظن أن النقود الورقية حديثة ، وأن تداولها يعود بنا إلى أيام الثورة الصناعية ، أو حتى قبل ذلك .. والحقيقة هي أن النقود الورقية لم يكن لها وجود البتة في تلك العهود ، وإنما وضعت موضع التداول في أكثر دول العالم في أوائل القرن العشرين .

وكانت بريطانيا هي الرائدة بين دول أوربا في هذا الصدد ، وقد كانت صاحبة الامبراطورية الشاسعة التي لا تغيب عنها الشمس . ولقد ظهرت النقود الورقية فيها لأول مرة سنة ١٩١٤ أي في مستهل الحرب العالمية الأولى . وعمدت حكومة لندن في تلك الآونة إلى سحب العملة الذهبية من أسواقها ، ومن سائر الأسواق الأخرى التي خضعت لنفوذها من قريب أو بعيد . ولا يخفى أن بريطانيا وجدت في تلك المبالغ الطائلة ، بل الكنوز ، عونا كبيرا لها على خوض غمار الحرب .

على أن اقدام بريطانيا وغيرها من دول أوروبا على اصدار العملة الورقية لا يعني أنها ألغت عملتها الذهبية . فقد بقيت هذه العملة موجودة الى جانب العملة الورقية حتى سنة ١٩٣١ ، حين صدرت القوانين التي أوقفت التعامل بالنقود الذهبية بصورة نهائية . والأهم من ذلك هو أن



في وجود نهر النيل نفسه كفاصل طبيعي بين الشرق والغرب وفي وعورة الناحية الغربية للنيل وعدم وجود الامكانيات الاقتصادية لربط الضفتين بعدد كاف من الكباري ينقل العمران القديم على الضفة الشرقية الى الضفة الغربية . واذا نظرنا الى السودان مثلا فاننا لا نجد كوبريا واحدا على النيل شمال الخرطوم حتى حلفا وفي الجمهورية العربية ايضا فان عدد الكباري الموجود على النيل لا يتيح تعمير الضفة الغربية للنيل .

ولعل في المشروعات الجديدة التي تدرس الآن في كل من السودان ومصر ما يؤدي الى تعمير الضفة الغربية للنيل .

(م . ط)

خريطة تبين ان الشريط الضيق في الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان تقع على الضفة الشرقية للنيل .

تلك القوانين اللذمة بما يعرف بقاعدة الذهب Gold Standard واستبدلت بهما ما يمكن تسميته بقاعدة بمعادل الذهب Gold Exchange Standard وتشترط القاعدة الاولى الاعتماد على الذهب نفسه غطاء النقود الورقية بينما تسمح القاعدة الثانية بالاعتماد على عملات اخرى بدلا من الذهب كالدولار مثلا ، لكون هي تعتمد على الذهب .

والغطاء ضروري ، كما لا يخفى ، لكل النقود الورقية . اذ ان قيمة هذه النقود ليست في ذاتها وانما في غطائها .

وتجدر الاشارة بعد هذا الى ان فكرة تداول النقود الورقية كانت من ابتداع الولايات المتحدة الامريكية وقد سبقت بريطانيا في اصدار العملية الورقية بنحو نصف قرن . اذ كان ذلك ابان حربها الاهلية (١٨٦١ — ١٨٦٥) .

(ك . ز)

الموسوعة البريطانية

أهي بريطانية حقا ؟

● تحدثت أنا وصديقي عن الموسوعة البريطانية التي كان من حظي أن ورثها عندنا قال صاحبي انها امريكية .. وقلت انها بريطانية ، بدليل اسمها .. فأيُّنا على حق ؟

ـ حقا ان الموسوعة البريطانية Encyclopaedia Britanica ليست بريطانية في الوقت الحاضر . فهي امريكية ومقرها الرئيسي في مدينة شيكاغو ، بالقرب من جامعة شيكاغو الشهيرة ، التي تمتلك نحو ١٦٪ من أسهم الموسوعة الرئيسية .

على ان العلاقة بين هاتين المؤسستين لا تقتصر على النواحي المالية . فجامعة شيكاغو تساعد محرري الموسوعة الى حد كبير . فهي تضع في متناول هؤلاء المحررين ، الذين لا يقل عددهم عن المائة ، حصيلة خبراتها وثمرة بحوثها ، فضلا عن المراجع والمخطوطات والكتب القيمة التي تزخر بها مكتباتها . ولعل لجامعة شيكاغو الفضل الاكبر ، كما يقول البعض ، في ان الموسوعة البريطانية تحتل مكان الصدارة بين شتى الموسوعات في العالم .

فالموسوعة البريطانية تبيع في مختلف بلاد العالم ما بين ١٥٠٠٠٠ ـ ٢٠٠٠٠٠ نسخة في السنة الواحدة ، والنسخة الواحدة تتألف من عشرة مجلدات (٢٤ مجلدا على وجه التحديد) ويبلغ عدد صفحات المجلد الواحد من هذه المجلدات نحو الف صفحة من الحجم الكبير . ويقدرون مجموع عدد الكلمات التي كتبت بها مواضيع الموسوعة البريطانية اجمالا بنحو ٤٠ مليون كلمة .

وقد لا يخفى ان لهذه الموسوعة ميزات اخرى اهم واخطر من كبر حجمها . فهي تتصف بسعة النطاق بحيث لا يكاد يخطر ببالك موضوع الا وتجد في الموسوعة البريطانية ذكرا له مفصلا كان ام موجزا . وهي تتصف ايضا بالوثوق ، بحيث يمكنك الاعتماد على ما تجده فيها من معلومات وآراء .

غير ان الموسوعة البريطانية ليست في منأى من المآخذ . وقد جمع مدرس منها في كتاب ظهر في نيويورك قبل بضع سنوات بعنوان « اسطورة موسوعة البريطانية » بقلم الدكتور هارفي ساندر .

وتجدر الاشارة الى ان اكثر المآخذ التي اخذها النقاد ، كالدكتور هارفي وغيره ، على الموسوعة البريطانية ، انما تدور حول مقالاتها العلمية ، وما قد تتعرض له هذه المقالات من قدم ، على مر السنين . فالعلوم في تقدم سريع ، ومكتشفاتها ومخترعاتها في تلاحق سريع ايضا ولا مفر للمسؤولين عن الموسوعة البريطانية من تتبع مقالاتها العلمية بالسرعة التي تقتضيها هذا التلاحق وهذا التقدم .

ولا عجب اذن ان كانت اسرة تحرير الموسوعة البريطانية ماضية في اصدار نسخة جديدة منها ، منقحة ومعدلة ، وفق ما تقتضيه آخر التطورات ، وستصدر هذه النسخة الجديدة في اواسط السبعينات ، كما يؤكد بعض المطلعين . ذلك ان المسؤولين عن الموسوعة يتكتمون كثيرا في هذا الصدد وذلك بالنظر الى ما يخشونه من كساد في مبيعاتهم الحالية ، اذا هم اذاعوا خبر النسخة المنقحة المرتقبة .

ولا يفوتنا ان نذكر بعد هذا ان الموسوعة البريطانية يزيد عمرها على قرنين . فقد أسسها رجلان اسكتلنديان في ادنبرة عام ١٧٦٨ . ولم تلبث ان انتقلت الى لندن ، حيث بقيت الى سنة ١٩٠١ ، حينما انتقلت الى امريكا . وهكذا اصبحت الموسوعة البريطانية اصلا امريكية مقرا ومالا وقلبا وصناعة . ■■

(ك ر)



بقلم : الدكتور سامي عمران

[illegible] السكر بسطى الحمل والانجاب .

أنواع السكر

المواد السكرية المكتشفة اثناء التحليل الروتيني للبول في الحمل على نوعين :

١ ـ سكر اللبن Lactose ؛

وهذا النوع من السكر يظهر في البول في اسابيع الحمل الاخيرة وفي ايام الارضاع الاولى واحيانا اثناء الولادة وليست له اية دلالة مرضية بل يدل على ازدياد في نشاط غدد الثدي .

٢ ـ سكر جلوكوز

ويدل ظهور هذا النوع في بول الحامل على واحدة من احتمالات ثلاث :

● الاحتمال الاول : يتعلق بالجهاز الهضمي ويسمى « سكر الجهاز الهضمي » Alimentary Glycosuria ومن المعروف فسيولوجيا ان الشخص الطبيعي في امكانه ان يتناول من الجلوكوز ما مقداره ١٠٠ جم من غير ان يصحب ذلك اي زيادة في نسبة السكر في الدم (١١٠ ـ ١٢٠ مجم / ١٠٠ سم٣ دم) .

اما اثناء الحمل فان الجلوكوز يمتص من الجهاز الهضمي بأسرع مما يختزن الزائد في الكبد والعضلات ونتيجة لذلك ترتفع نسبته في الدم عن الحد الطبيعي . هذه الحالة طبيعية وكثيرة الشيوع في الشهور الاولى من الحمل وربما كان لازدياد نشاط بعض الغدد الصماء : كالغدة الدرقية والنخامية وفوق الكلوية علاقة بذلك .

● الاحتمال الثاني : ويتعلق بالكلية ويسمى « بالسكر الكلوي » Renal Glycosuria وسببه هبوط في الحد الكلوي للجلوكوز Renal Threshold الذي يكون في الاحوال العادية ١٨٠ مجم جلوكوز / ١٠٠ سم٣ دم ، اما في الحمل فقد لوحظ انه في حوالي ١٥٪ من حالات الحمل الطبيعي يهبط هذا الحد الى ١٤٠ مجم٪ ، ونتيجة لذلك يتسرب الجلوكوز الى البول اذا تجاوزت نسبته في الدم هذا الحد .

● اما الاحتمال الثالث والاخير : فهو ان تكون الحامل مصابة فعلا بمرض البول السكري .

من هذا نرى أنه بالرغم من أن الولاد السكرية شائعة الظهور في أغلب حالات الحمل الطبيعي ، إلا أن مرض البول السكري المعروف لا يشكل إلا جزءا ضئيلا منها .

الصور الإكلينيكية للسكري أثناء الحمل

١ - في هذه الفئة يكون السن كبيرا نوعا : الحامل بين الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين من العمر ، تميل المريضة إلى البدانة ويزيد وزنها عن المعتاد . وبالرغم من ارتفاع نسبة الجلوكوز في الدم إلا أن هرمون الأنسولين موجود في البلازما ، ولا تعاني المريضة من أي نقص فيه . مثل هذه النوع غير منتشر أثناء الحمل في هذه السن المتأخرة نسبيا .

٢ - أما الفئة الثانية فنصادفها بين حديثات السن من الحوامل ويتميز هذا النوع بنزول مستمر في وزن الجسم وبانعدام هرمون الأنسولين تماما من الدم وبارتفاع مستوى الجلوكوز فيه ارتفاعا كبيرا Hyperglycaemia ، ومثل هذه المريضة يلزمها الأنسولين لكي تعيش . ومعظم حالات مرض السكر التي نصادفها أثناء الحمل تنتمي لهذا النوع .

تشخيص مرض السكر أثناء الحمل

ظهور أعراض السكر المعروفة : كازدياد مرات التبول ، والشعور الدائم بالعطش ، والحكة الجلدية وخاصة الحكة المهبلية ، ونقص وزن الجسم المستمر .

مخبريا : باكتشاف الجلوكوز أو الأستون في البول أو بواسطة منحنى السكر في الدم الذي يعطي شكلا مميزا لمرض البول السكري .

أثر الحمل في مرض السكر

- ازدياد أعراض المرض ، إذا أصيبت المرأة بمرض السكر قبل الحمل ، كأن يزداد التبول والعطش وفقدان الوزن .

- يكون هناك ميل خاص لتكوين المواد السامة أثناء الحمل مثل الكيتون Ketosis التي تكون بمثابة جرس خطر ينذر مبكرا باقتراب غيبوبة السكر الرهيبة Diabetic Coma . ومما يزيد في هذا الميل كثرة القيء في أول الحمل والتهابات الحمل المختلفة كالتهاب حوض الكلية Pyelitis of Pregnancy

- صعوبة السيطرة على مرض السكر أثناء الحمل لعوامل كثيرة تتعلق بالحمل نفسه ، مما يستوجب الحذر التام والدقة الفائقة في ضبط جرعة الأنسولين التي تحتاجها المريضة لسرعة هبوط السكر في الدم Hypoglycaemia .

تأثير مرض السكر في الحمل

المرأة الحامل إذا أصيبت بمرض السكر أثناء الحمل نتج عن ذلك ازدياد الاستعداد للإصابة بالأمراض والحالات الآتية أثناء الحمل :

- الحكة المهبلية : التي تسببها فطريات خاصة Vaginal Thrush .
- الحمل التسممي : Toxaemias of Pregnancy ، وهي حالة خطيرة قد تهدد حياة الأم والجنين وتصل نسبة الإصابة بها بين مريضات السكر الحوامل إلى ٢٠٪ (بالمقارنة إلى حوالي ٢ - ٥٪ في حالات الحمل غير المصحوب بالسكر) .
- الاستسقاء الأمنيوسي Hydramnios .

ويبلغ نسبة ٢٠٪ في حالات الحمل المصحوبة بمرض السكر (بالمقارنة إلى ١/٢ ١٪ من حالات الحمل العادي) .

التهابات الكلية والتهاب شبكية العين

ويحدث هذا بعد ١٥ - ٢٠ سنة من الإصابة بمرض السكر بسبب التلف والتغير الأوعية الدموية الدقيقة في الكلية وشبكية العين . ومن مثل هذه الأحوال قد يرتفع ضغط الدم ارتفاعا كبيرا أثناء الحمل ، أو يهدد الحمل وقد يتطلب هذا إنهاء الحمل فورا .

الأخطار التي يتعرض لها الجنين في مريضات السكر الحوامل

- تزيد وزن الجنين عن الحد المألوف مما قد يؤثر في عملية الولادة .
- بالرغم من كبر حجم الجنين إلا أنه جنين ضعيف ، مرهف ، ناقص النمو ، غير تام النضج ، لا يصمد في كثير من الأحيان لعملية الولادة .
- قد يتسبب مرض السكر في موت الجنين داخل أو خارج الرحم .

ومن العوامل التي تساعد على موت الجنين : وجود الحمل التسممي ، ارتفاع ضغط الدم ، صعوبة التحكم في مرض السكر ، ارتفاع نسبة العيوب الخلقية في الجنين حيث (تبلغ ٥٪) ، كما

يساعد الاستنشاق الهرموني على انهاء مبكر للحمل (قبل تسعة اشهر) ، هذا بالاضافة الى كبر حجم الجنين الذي قد يسبب صعوبة في الولادة ، كما تزداد فرص اختناق الجنين اثناءها بسبب تعسر ولادته في بعض الاحيان .

ومن المعروف ان نسبة السكر في دم الجنين تهبط هبوطا حادا عقب الولادة مباشرة مما قد يسبب وفاته في الايام الاولى بعد الولادة .

كل هذه الاسباب والعوامل تجعل ان نسبة خسارة الجنين داخل الرحم او الطفل حديث الولادة ، تبلغ حوالي ٤٠٪ وهي نسبة مرتفعة جدا لم يؤثر فيها استعمال عقار الانسولين وغيره كعلاج ، ولكنه بتعميم مراكز رعاية الامومة ، وازدياد نسبة العملية القيصرية في مثل هذه الحالات ، وانهاء الحمل مبكرا قبل موعده باسبوعين او ثلاثة ، انخفضت هذه النسبة الآن الى حوالي ٢٥٪ .

فترة السنوات التي يتوالى فيها الحمل قد تكشف عن مرض السكر

تركز البحث في الآونة الاخيرة على فترة معينة تمتد من ١٥ — ٢٠ سنة قبل الاصابة بمرض السكر اذ لوحظ ازدياد مطرد في معدل وزن الجنين — وخاصة ما زاد عن ١٠ ارطال — حملا بعد حمل حتى يعلن مرض السكر فعلا عن وجوده . كما لوحظ انه في نفس الفترة ترتفع نسبة الوفاة بين الاجنة والاطفال حديثي الولادة كلما اقتربت الحامل من الاصابة بمرض السكر ، اما درجة الاخصاب فتكون ثابتة لا تتغير . وقد جذبت هذه الفترة اهتمام العلماء والاطباء على اساس انه بالامكان تشخيص مرض السكر قبل وقوعه ببضع سنوات . ويتم ذلك بملاحظة النساء اللواتي ينجبن اطفالا تزيد اوزانهم عند الولادة عن المعدل الطبيعي بالنسبة لهن او بالنسبة للوسط الذي يعشن فيه ، او اللاتي لديهن استعداد وراثي للاصابة بمرض السكر . وقد وجد فعلا انه باتباع هذه الطريقة امكن اكتشاف كثير من حالات السكر قبل ظهورها ببضع سنوات . ونتيجة لذلك تحسن الوضع بالنسبة للجنين وبالنسبة للام في نفس الوقت .

لا يوجد اي مبرر طبي لانهاء الحمل واجهاض المريضة في الشهور الاولى بسبب مرض السكر فقط ، ونادرا ما يلجأ الاطباء لتعقيم المريضة بعد الولادة القيصرية الا اذا كانت هناك مضاعفات خطيرة كارتفاع حاد ومستمر في ضغط الدم مثلا .

طريقة الولادة

١ — هناك الآن قانون شبه سائد ، في جميع مراكز التوليد ومستشفياتها في كل انحاء العالم تقريبا بانهاء الحمل بواسطة العملية القيصرية : Caesarean Section ، في نهاية الاسبوع السادس والثلاثين او اول السابع والثلاثين من الحمل . فقد وجد ان هذه هي خير طريقة ، وهذا هو السبب وراء الحصول على جنين حي لم يزد وزنه عن المألوف ، حيث انه بعد هذا الوقت يصبح الجنين في خطر حقيقي ، فربما تعرض للموت داخل الرحم بسبب القصور الشديد عن متطلبات الجنين : كبر الحجم ، ضعف الاجهزة في تمام النمو والنضج ، اي النقص في البنية

٢ — لا يسمح للجنين بالولادة طبيعيا الا اذا كان هناك عيب خلقي واضح في الجنين شريطة انتفاء وجود اي مستقبل طبي للمولود بسبب ولادة عسرة طريقة الاجهاض وخيمة العواقب بالنسبة لمرض السكر والام .

٣ — تزود الام بكمية كافية من الجلوكوز والانسولين قبل وبعد الولادة .

رعاية ما بعد الولادة

هذه الرعاية هامة جدا بالنسبة للام وكذلك بالنسبة للطفل الضعيف المعرض للاصابة بالالتهابات المختلفة وخاصة الالتهابات الرئوية الخطيرة التي قد تودي بحياته في الايام الاولى .

من كل ما سبق نرى ان مرض السكر ليس بالشيء الهين بالنسبة للام ، ومضاعفاته خطيرة ، وتأثيره على الحمل والولادة قد يكون وخيم العاقبة في كثير من الاحيان ، وفرصة الجنين في الحياة قد تكون ٥٠٪ اي ان نصف الاطفال عرضة للموت سواء داخل الرحم او في الايام القليلة الاولى بعد الولادة . لذا يجب العمل على اكتشاف المرض مبكرا ، وعلى مراكز رعاية الامومة التي ترعى الام اثناء الحمل ان تبذل ما في وسعها من جهد وعلم ورعاية حتى تصل بسفينة الحمل المتعبة الى بر السلامة والامان . ■■

سامي عمران



تحية عابرة

بقلم : ثروت اباظه

كان عدلي يفرح اشد ما يفرح حين يمر بالاطفال فيلقي عليهم التحية فيستقبلونها بالبشر والاعجاب والاكبار ، ان عدلي جميعه يلقي عليهم التحية ويشعرهم رجلا يستحقون منه هذا الاكرام وكان هذا الشعور بالفرح يلمس الاطفال يسكب سعادة مترفة في قلب عدلي ، ويشعره انه ما زال فتى الليل ذا الصيت الضخم الذي تهتز لذكره الافئدة التي في قريته وجميع القرى المجاورة . وكان هذا الشعور يسليه عن نظره الذي يعلم انه اصبح ضعيفا وهو يعلم انه يجب ان يذهب الى طبيب يعالج له ما يلقاه من بصر ولكنه يخشى ان يتسامع الناس بهذا فتسقط هيبته ، ويزول مجده الذي اصبح في مهب الرياح منذ توقف عن الاعمال المجيدة التي تعود ان يقوم بها . فهو لم يقتل احدا منذ ثلاث سنوات وهيبته يوشك ان يصبح نسيا ، فلولا فرحة الاطفال بتحيته لاصبح بلا امجاد على الاطلاق .

وهو يخشى ايضا أن تعرف حبيبته هنية ان نظره قد ضعف فينكمش حبها له وتفضل عليه زوجها عبد الباقي فهو الان يبقى على سره دفينا في العميق العميق من صدره لا يطلع عليه احد .

خرج عدلي من داره في اول الليل وراح يتحسس طريقه الى دار عبد الباقي ، فالليلة موعد . كان عبد الباقي في الحقل يروي الارض وسيظل هناك الى ساعة متأخرة من الليل . فالفرصة مواتية لعدلي ان يذهب الى هنية .

استقبلته هنية في بشاشة ودخلا الى حجرة النوم .

لم يطل بهما المقام في الحجرة فقد سمعا صوتا .

ـ عبد الباقي

ـ هل رآه الشيخ

ـ اختفي بسرعة

ـ ايهما امره

ـ زوجتي

ـ وانا عدلي

ـ انه زوجي

وذهل عبد الباقي مما يرى

ـ عدلي

واخرج عدلي مسدسه من جيبه ولم يتكلم ، ونظر عبد الباقي والثورة توشك ان تمزقه تمزيقا ، ولم يجد شيئا يفعله الا ان يخرج من البيت هائما على وجهه ، وقاده الطريق وطال به السير لا يعرف مكانه من القرية وهي قريته ، ولا يعرف مواقع قدميه على الطريق وهي طريقه. وكلما اطال تذكر زوجته الخائنة وتذكر عدلي

ليعود الى الصباح . وينسلخ الليل وتطلع الشمس ولكن الظلام ما زال يحيط به ويلتف حواليه آخر الأمر فيتبين له ان قدميه قد سحبتاه الى مراب قريب من المدينة .

في المدينة يعرف طريقه .... يعرفه في اصرار وحزم .... انه الآن يعرف ما يريد ... ويعرف الطريق .

ــ يلزمني قلة سلفة

ــ بخمسة عشرة في المائة

ــ في السنة ؟

ــ في الشهر

ــ اعطني عشرة جنيهات

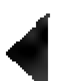
ــ كم شهر ؟

ــ حتى اجمع القطن .

ــ لمدة ثلاثة شهور ؟

ــ نعم

ــ وقع على هذه الكمبيالة



– هات الفلوس

– توليعة في واحد

– اولع ثانية

– خذ الفلوس

– هذه سبعة جنيهات !!

– خمسة الفائدة

– آه ... لن ازال هذه الكمبيالة واكتب كمبيالة اخرى بخمسة عشر جنيها . وسار طريقه .... انه يعرف طريقه .

– اريد مسدسا

– هل معك رخصة ؟

– بكم هذا المسدس ؟

– ان كان معك رخصة فهو بثمانية جنيهات

– وان لم يكن معي ؟

– فهو باثنى عشر جنيها

– والرصاص ؟

– بجنيه

– اسمع اريد هذا الرصاص مفرغا مما بداخله من بارود .

– مر على بعد ساعة

وحين عاد الى القرية لم يذهب الى البيت ، فما عاد له بيت . ذهب الى حقله وبات ليلته في العراء .

وفي الصباح راح يهيم على وجهه محاذرا ان يقترب من بيوت القرية حتى اقتربت الشمس من المغيب ، فهو يمشي الى بيت مسعود حيث يعلم ان عدلي يسهر كل ليلة ويتأخر مرتفيا .

حين خرج عدلي سار خلفه بضع خطوات ثم اخرج مسدسه واطلق منه رصاصة . ونظر اليه عدلي هائما ، فاطلق رصاصة اخرى ، وثالثة حتى افرغ المسدس جميعه . وعدلي واقف على قدميه لم يتحرك ، فهو مسمر الى الارض ، شاخص الى قاتله لا يكاد يحس بقدميه من الهلع . وهذا الرصاص يتدافع من المسدس ، وعبدالباقي اشد هلعا ودهشا من عدلي لان الرصاص لا يصيب مقتلا .. وحين ينتهي الرصاص يظل عدلي مسمرا في مكانه ، يلتفت عبد الباقي الى موقفه فيسارع بالجري الخائف المفزع ، ويظل يجري ويجري حتى ابتعد قاطعا الطريق الى الدهشة ويظل

عليهم بما شاركها للقتلا ، فما يصيح الصريخ وتفتح الابواب المغلقة حتى يسارع الى الرجل الذي بيده المسدس .

– ما هذا الرصاص ؟

رصاص بلا بارود

– لماذا فعلت هذا ؟

– عرفت انك تريد ان تقتل

– وما شأنك ؟

– وعرفت انك لست قاتلا محترفا

– وما شأنك ؟

– ليس في العالم شيء يستحق ان تفقد من اجله حياتك او حريتك .

– شرف

– طلقها

– شرف

– ان طلقتها سيصبح شرفها هي وليس شرفك انت .

وبصمت عبد الباقي حينا ويجلس ويجتذب من امحاقه نفسا بعيد الاغوار .

– عجيبة

– احس الآن بالراحة

– حقا ؟

– لقد قتلته

– هل قتلته ؟

– انا قتلته ولكن هو لم يمت

– لذا فانت فعلت ما اريد

– لقد قتلته

ظل عدلي مسمرا وتقاطر الناس الى صوت الرصاص فوجدوه واقفا جامدا في موضعه لم ينتقل وراحوا يسألون وهو شارد .. ذاهل .. هزوه .

– قتلني

– ليس بك جرح

– ولكنه قتلني

– من ؟

وتطايرت القصة في ارجاء القرى جميعا واصبح القوم ولا حديث لهم الا هذا الحادث ، فانهم هناك يترقبون مثل هذه الحوادث بشغف ، يتسقطون انباءها ويطيلون حديثها ، فانهم هناك لا يجدون الكثير من وسائل التسلية ولا عزاء لهم عن هذا

الا الحديث .. لن يتركه عطى .. سيجعل من جثته غربالا .. ستسمع القرى في الايام القليلة القادمة .. وستروى القرى في الايام القليلة القادمة .. وتقول .. وتروى وتتحدث وتنسى .

وتمر الايام ويزداد التوقع والتشوق ، وعطى وحده يعلم انه لن يستطيع ان يصنع شيئا ، ان يده لا تعرف طريقها الى الطلق الذي يأتي منه الا بالتحسس .

ويمر بالناس فترنو اليه العيون في ترقب وتوقع ، وفي الكبار ايضا ، فهو الرجل الذي تعلقت به امالهم ان يمدهم بموضوع الحديث بينهم على الثلاثة شهرا او ربما شهرين .. انهم يتوقعون وهو يعلم انهم يتوقعون ولكن كيف .. انه يستطيع ان يستأجر قاتلا .. انها اذن النهاية .. عطى الذي ظل عمره جميعا يستأجره الناس للقتل يستأجر هو الآخر . اذن انه مات عطى .

وتمر الايام وتصبح اسابيع وما تلبث ان تصبح شهورا وينسى الناس بقية الامل فقد افتر حديثهم عن حادثة عبد الباقي وهم يرضون ان يبادروا حديثهم عن عطى لقد خاب املهم .. خاب املهم . ولكن عطى ما يزال يمر بالناس ويلقى التحية وقد اصبح الرجال يستقبلون هذه التحية بلهجة فاترة فيتظاهر عطى بأنه لم يلحظ هذا الفتور . ويمر بالاطفال فيسعد باللهجة الرحبة المليئة بالاعجاب والاكبار ويشعر انه ما زال ذا مجد وشموخ .

حتى كان يوم .. ياله من يوم .

مر بالاطفال وكان من بينهم محمد بن عبده ابو السيد .. وكانت هذه الثلة من الاطفال قد عودته ان ترد تحيته في اعجاب شديد يزيد على اعجاب الجماعات الاخرى من الاطفال .

— السلام عليكم يا رجالة

وتعالت الاصوات وهي تقول :

— سلام

سلام فقط .. اين اذن السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا سيد الرجال ، اذن الاطفال ايضا قد اصابتهم عدوى الفتور .

ولكن اشتطر ما هذا !

انه لم يكد يخطو خطوتين حتى سمع صوتا ..

انه يعرفه .. يعرف الصوت . قال الصوت

— جاتك خيبة يا عطى

وضحك الاطفال ، ولا يملك عطى نفسه فينقلب اليهم .

— ولد يا محمد كيف تقول هذا !

— اسألك عايب ولا مؤاخذة يا عم عطى

— قتلت اثنين رجلا ولا يمكن ان انتهي الى قتل الاطفال .

— تستطيع ان تقتل رجلا اذا شئت يا عم عطى

— والله لن اقتل الا اباك

— اذا شتمتك .. انما ابي قتلك ، ولم تعد اليه يدا . جاتك خيبة يا عم عطى .

وافر عطى وهاج وعلا صوته وصرخ . لقد اصابه الغيظ من ادراك الموقف لتجمع الناس ووجد القوم اخر الامر حديثا يسليهم من الملالة .

ولكن عطى لم يقتل .. حياته اهون من ضياع مجده .

انتظر عبد الباقي في الطريق وتحرى ان يكون ملاصقا للمكان الذي يمر به عبد الباقي .. ومر عبد الباقي واطلق عطى رصاصة ، ولكن بالحرى قبل ان يلتفت اليه عبد الباقي فرميه هو وسحبه ترابا .. ويصرخ عبد الباقي في طلب النجدة ، ويأتي الناس ويبلغ الحادث الى الشرطة والنيابة، وحين يأتون الى مكان الحادث يقرر وكيل النيابة حفظ القضية ضد عطى والسبب ان المكان الذي اطلق منه عطى الرصاص على عبد الباقي لا يسمح بالخطأ ، فلو انه اراد قتله لما اخطأه فقد كانت المسافة مترا واحدا . فالشكوى كيدية يحاول بها سجن عطى . فالامر هو امر لا يمكن ان يخطىء من هذه المسافة القريبة .

فوجد القوم اخر الامر شيئا يتحدثون فيه .. واصبح عطى اخر الامر اسطورة هزء وخذلان .. وبعد شهور كان عبده ابو السيد يسير بحماره فاذا بعطى يمسك برقبة الحمار .

— حاول ان يقتلني عشرة المجرمين يا عبده يا ابو السيد ، فلم يستطيعوا ، ولكن ابنك يا عبده يا ابو السيد قتلني .. فوضت امري الى الله .. فوضت امري الى الله . ■

ثروت اباظة

الشعراء الصعاليك

في العصر الأموي

بقلم : الدكتور حسين عطوان

الجامعة الاردنية ــ عمان

الصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه ويكفيه (1)، أما في الاستعمال الأدبي في العصرين الجاهلي والأموي فهو الفقير المتمرد (2) على فقره، الساعي الى اكتساب قوته، واثبات وجوده، الحريص على شرفه وكرامته.

وقد ضعفت حركة الصعلكة في صدر الاسلام ضعفا شديدا، أو ضعف شأنها (3) ثم عوامل كثيرة ذلك حل الاسلام جميع المشاكل التي أثارت الصعاليك الجاهليين اجتماعية كالفقر الاقتصادية وساوى بين الناس كافة، وكفل لكل انسان حقه في الحياة الكريمة، كما وضع الحدود (4) القاطعة لعاقبة السارق، وقاطع الطريق، والخارج على الجماعة، والمفسد في الأرض، صيانة للنفس وحفاظا على أرواح الأمة وأموالها.

ويظن بعض الدارسين أن حركة الصعلكة لم تظهر الا في العصر الجاهلي، أما في العصر الأموي فتلاشت واختفت.

والحق أن حركة الصعلكة عادت الى الظهور في العصر الأموي، ولعل اختلال الأوضاع الاقتصادية واضطراب الأحوال السياسية، والتمسك بالروح الجاهلية والعصبية القبلية هي أهم الأسباب التي أدت الى نشأة الصعاليك في العصر الأموي.

الأوضاع الاقتصادية

أما من الناحية الاقتصادية فان تلك الأموال التي ترد الى بيت المال في عهد بني أمية كثيرة، بحيث لا يتمكنون من الانفاق منها على وجوه الخير وعلى مصالح الجماعة، ومما يعود على الأمة (5) بالمنفعة، فقد كان يرد الى بيت المال ملايين الدنانير من الصدقات والخراج والغنائم. غير أن بعض العمال والسعاة الذين كانوا يجمعون هذه الأموال ظهروا بالخيانة وباستغلال الأموال لأنفسهم، كما أن بعض الخلفاء الأمويين ــ وخاصة عبد الملك بن مروان ــ أفرطوا في تطبيق النظام المالي وجباية الصدقات والخراج بالسياسة، فأساءوا اساءة بالغة الى القبائل التي ناصبتهم العداء، ووقفت في الصفوف الثائرة

وسائلةٍ أين ارتحالي وسائلٍ
ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه
مذاهبه أن الفجاج عريضةٌ
إذا ضنّ عنه بالنوال أقاربه

عليهم ، يفرضون الصدقات الباهظة عليها ، ويتشددون في استيفائها منها دون مراعاة لظروفها سواء أجدبت أرضها أو أخصبت ، أو افتقر أبناؤها أو حسنت حالهم فقد كان عليها أن تؤدي ما فرضوه عليها من الأموال . ولا نكاد نعثر على شيء من شعر هذه القبائل في دفع ما كتب على قبيلته من الصدقات لأن السعاة يفرضونه فرضا جبريا ويتقاضون به أشد أنواع التنكيل ، وما يزالون به حتى يدفع ما طلبوا منه .

وتشكو شعراء القبائل من ظلم عمال الصدقات وتعسفهم ظهرا سجلتها الشعراء الأمويون ، ورفعوا بها القصائد الطويلة إلى الخلفاء والعمال ، وقصيدة الراعي النميري اللامية التي رفعها إلى عبد الملك بن مروان يشكو فيها من عسف عماله مشهورة ، وقصيدة عمرو بن أحمر الباهلي التي أنشدها ليحيى بن الحكم بن أبي العاص والي المدينة لعبد الملك بن مروان يتظلم فيها من إرهاق السعاة لقومه مذكورة .

وبجانب ذلك لم يفرض الأمويون في العطاء لأفراد القبائل التي ظلموها والصعاليك والمحتاجين منها صون نص القرآن الكريم لها صريحا على أن لهم فيها حقا معلوما ، بينما كانوا يغتصبون الصدقات من أصحابها ، ويستأثرون في جمعها معهم ويتخيرون عليهم الأموال التالدة التي يعطوا أولياءهم . ومعاوية بن أبي سفيان هو أول من سن هذه السنة للخلفاء الأمويين ، إذ يقول أبو الفرج الأصفهاني : « إنه كان يفرض في العطاء لأهل اليمن » .

أما الصعاليك الآن يمنعه منهم ولا يجريه عليهم .

والغريب من ذلك أن الصعاليك الأمويين لم يكونوا يبتعدون عن هذه المظالم ، بل كانوا واعين لها ، يحسون بها ، ساخطين على الأمويين بسببها . ولعل أشهر صعلوك أمويّ ندد بسياسة الأمويين المالية الجائرة هو مالك بن الريب المازني التميمي الذي وصفه ابن قتيبة بأنه « كان فاتكا لصا يقطع الطريق » إذ يقول :

أُمَنّا على السُّلطانِ أمّا الذي لـه
فيُعطى وأمّا ما عليه فيُمنَعُ



وما أنا كالعَيْرِ المُقيمِ لأهلِهِ
على القَيْدِ في بَحْبُوحةِ الضَيْمِ يَرْتَعُ

وإذا كان شعراء القبائل قد اكتفوا من العمل لدفع الظلم عن قبائلهم برفع رقاع الشكوى الى الخلفاء والعمال فإن الشعراء الصعاليك الأمويين لم يكتفوا بالتشهير بالسياسة الاقتصادية الظالمة لبني أمية ، فقد ثاروا عليهم ، وعمدوا الى استخلاص حقوقهم وتحقيق وجودهم بسيوفهم ، وإذا هم يؤلفون طبقة من الصعاليك الفقراء الذين اتخذوا من التمرد والثورة وسيلة الى حياتهم وكسب أرزاقهم . ومن أشهرهم في هذا العصر مالك بن الرَّيْب التميمي ، وشظاظ الضبي ، وأبو حَرْدَبة التميمي ، وأبو النشناش التميمي ، ولويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وجَحْدَر بن مالك الحنفي .

الأحوال السياسية

ومعلوم منذ زمن بعيد أن الأمويين قربوا القبائل اليمنية ، واستعانوا بأبنائها للقضاء على خصومهم السياسيين كالخوارج والشيعة والزبيريين ، أما القبائل العدنانية وخاصة القبائل القيسية فأبعدوها عن السياسة ، ولم يستعينوا بها ، كما كانوا حربا عنيفة عليها .

وكان لهذه السياسة الأموية المتطرفة التي تنازع فيها الحكم الحر من حزبه ، والتي كان الأمويون يتعمدون فيها دائما القضاء على أعدائهم ــ أثرها على بعض الصعاليك الأمويين المتمردين ، فقد مضوا يثورون على الأمويين وسياستهم الظالمة وينتقدونها نقدا لاذعا .

ومن أبرز الصعاليك الأمويين الذين تأثروا بالأحوال السياسية المتطرفة عبد الله بن الحجاج من قيس عيلان ، وعُبَيْدُ الله بن الحُرِّ الجعفي من مذحج . أما عبد الله بن الحجاج فيصفه أبو الفرج الأصفهاني بأنه « شاعر فاتك شجاع من معدودي فرسان مضر ذوي البأس والشجاعة والنجدة فيهم » ، كما يقول فيه أيضا إنه « كان شجاعا فاتكا صعلوكا من صعاليك العرب متسرعا الى الفتن » . وليس من شك في أنه لم يتصعلك ولا تسرع الى الفتن إلا لأنه رأى الأمويين قد أرهقوا قبيلته من أمرها عسرا ونكلوا بها في موقعة مرج راهط تنكيلا شديدا . ومن أجل ذلك كان يَميلُ الى كل من يخرج عليهم نكاية بهم وانتقاما لهم وتشفيا منهم ، إذ خرج مع عمرو بن سعيد بن العاص بدمشق على عبد الملك بن مروان ، فلما ظفر به عبد الملك هرب الى عبد الله بن الزبير بمكة وكان في جيشه يقاتل معه جيش الحجاج الثقفي حتى قتل .

وكان عُبَيْدُ الله بنُ الحرِّ الجعفي أشهرَ ذكرا وأبعدَ خطرا ، وكان للأوضاع السياسية أثرها الواضح في تصعلكه وتوجيه حركته التي تحولت الى ما يشبه الثورة العارمة . فقد كان في صدر حياته ــ كما يقول الطبري ــ رجلا من خيار قومه صلاحا وفضلا وصلاة واجتهادا ، فلما قتل عثمان بن عفان انتصر له وانضم الى معاوية بن أبي سفيان ، ولم يلبث معاوية أن تشكك في ولائه ووفائه ، فانفصل عنه . وما هي إلا أن يموت معاوية ويثور ابن الزبير بمكة ويضطرب الأمر على بني أمية حتى ينخلع من صلاح الأمة ويخالف الأمويين قريش ، وينادي أبناء العراق ، ويأتيه خليعُ كل قبيلة ، فكان معه سبعمائة فارس خرج بهم الى المدائن ، فلم يَدَعْ مالاً للسلطان فيها من بلاد الجبل إلا استولى عليه وأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه الذين خرجوا معه والذين ظلوا بالكوفة . ومضت حياته على هذا النحو : يسيطر على الأمصار ، ويطرد عمالها منها ، ويجبي خراجها ويوزعه على صعاليكه ، ويحارب كل من تصدى له من الأمويين كعبيد الله بن زياد ، ومن الشيعة كالمختار الثقفي ، ومن الزبيريين كمصعب بن الزبير الى أن غدر به قادة من قادة مصعب بن الزبير على الكوفة .

التمسك بالروح الجاهلية

أما من الناحية الاجتماعية فقد أخذت كثرة القبائل العربية بالإسلام ، واتخذت تعاليمه

وقوانينه ، وتحللت من كثير من تقاليدها الجاهلية ، وخاصة العصبية القبلية . فمن الثابت أن إسلامها وخضوعها وتحللها من عاداتها الموروثة لم يحجب نفرا من أبنائها ممن تمكنت الروح الجاهلية منهم واستحكمت في نفوسهم ، فاحتفظوا بتقاليدها بالمحافظة على عاداتها وتقاليدها القبلية ، وبالخروج على النظام ، ورفض الانصياع لقوانين الدولة التي تتحكم في رقابهم ، والانتصار لهم سواء كانوا ظالمين أو مظلومين على شاكلة ما كانت تفعل في الجاهلية . ولم تستجب لهم بل اعتقدت بأن عهد الفوضى قد ذهب وأن من الخير لها أن تلتزم بالنظام ، وبلغ من تمسكها بالقانون أنها كانت تخلعهم وتتبرأ منهم إذا تعددت جرائمهم ، وأصبحت تتعاون مع الدولة لا بخلعها لهم وإعلانها أنها لا تتحمل جرائرهم فحسب ، بل أيضا بمساعدتها لشرطتها وسعاتها للقبض عليهم وإنزال العقوبة بهم ، مما زادهم سخطا عليها ، وجعلهم يهجرونها هجراً لأنهم يحسون فيه بالضعف والتخاذل والتقاعس ، ومما أجبرهم على الخروج منها والاتجاه إلى الصحراء للاختفاء فيها عن عيون السلطان الذين يبحثون عنهم ويتربصون بهم للقبض عليهم ومعاقبتهم. وإذا هم كإخوانهم من الصعاليك الفقراء لا يجدون مكانا آمنا تتوفر لهم فيه الحياة الآمنة والمعيشة التي ينشدونها إلا في مجاهل الأرض وقفار الصحراء التي لا يصل السعاة إليها ، ولا تسيطر الدولة عليها . وإذا هم لا يجدون وسيلة إلى كسب أرزاقهم إلا بقطع الطرق والإغارة على القوافل .

ويمثل معظم هذه الطبقة من الصعاليك الأمويين المتمردين في قبائلهم ، الخارجين من الدولة كثرة يطول معها استقصاؤهم ، غير أن من أشهرهم يعلى الأحول اليشكري ، الذي خلعه قومه وتبرأوا من جرائره إلى العرب ، فانضم إلى اللصوص وأخذ يغير على أحياء العرب ويقطع السابلة ، والأخيضر السعدي اللص الذي كان كثير الجنايات فخلعه قومه وطلبه السلطان فخرج إلى الفلوات وقفار الأرض ، وعبيد بن أيوب العنبري اللص الخبيث الذي نذر السلطان دمه وخلعه قومه ، فاستصحب الوحوش وأنس بها وأنست به ، والقتال الكلابي الذي غلب عليه هذا اللقب لتمرده وفتكه ، والذي كانت عشيرته تبكته لكثرة جناياته وما يلحقها من الأذاة ، ولا تمنعه من مكروه يلحقه .

وعلى اختلاف هذه الطبقات الثلاث التي تألف منها الصعاليك في العصر الأموي ، وتباين الأسباب التي حملتهم على التصعلك ، جمع بينهم الفقر والتشرد والتمرد ، وعاشوا جميعا في الصحراء أو في المناطق التي لا يمتد إليها نفوذ الدولة ، خارجين على قبائلهم والثائرين على الدولة ومتخذين الغزو والإغارة للسلب والنهب وسيلة إلى تحصيل أرزاقهم ، ومؤمنين بأنهم لا يرتكبون خطأ ، بل يحافظون على حياتهم ويحفظون الكرامة والعزة لأنفسهم .

لكل طبقة مشكلة

وكان لكل طبقة من الصعاليك الأمويين مشكلة ، كما كان لصعاليكها رأي فيها ، أما الصعاليك الفقراء فكان الفقر أمرّ قضية شغلتهم ، وسعوا إلى التغلب عليها بالاغتصاب والانتهاب ، دون اكتراث بالمهالك ، أو خوف من الموت لأنهم فضلوا الحياة الكريمة على الحياة الذليلة ، وفي ذلك يقول أبو النشناش التميمي أحد الصعاليك الفقراء الذين ظهروا في عهد مروان بن الحكم :

وسائلةٍ أينَ ارتحالي وسائلٍ
ومَن يسألُ الصُّعلوكَ أينَ مذاهبُهْ
مذاهبُهُ أنَّ الفِجاجَ عريضةٌ
إذا ضنَّ عنه بالنَّوالِ أقاربُهْ
ليُدرِكَ ثأرًا أو ليكسبَ مغنمًا
ألا إنَّ هذا الدَّهرَ تترى عجائبُهْ
فعِشْ مُعذِرًا أو مُتْ كريمًا فإنَّني
أرى الموتَ لا يُبقي على مَن يُطالبُهْ

الفجاج : الطرق الواسعة بين الجبال ، والنكال : العقاب ، وتترى : متتابعة ، ومتكربا : مبديا الشر والعبث .

مشكلة الصعاليك السياسيين

اما الصعاليك السياسيون فكان الظلم السياسي اهم مشكلة استولت على تفكيرهم ، وعملوا على التخلص من اسبابها بالثورة على الأمويين ومحاربتهم ، ابتغاء القضاء عليهم واقامة دولة الصعاليك التي لا تفرق فيها بين وضيع ولا بين غني وفتي . وفي ذلك يقول ابو حزردية رفيق مالك بن الريب متمنيا لو امده الله بالأبطال الغاوين الذين يتكفل بهم من الإطاحة بالأمويين وحكمهم :

فهل الإلهُ يُتيحني بفوارسٍ
لبني أميةَ في سرارِ جميرِ

السرار : آخر ليلة من الشهر ، وابن جمير : الهلال في تلك الليلة .

وكان عبيدُ الله بنُ الحرِّ الجعفيُّ على ما يُنسَبُ اليه من الفتك والسطو لا يستكبرُ على صعاليكه ، بل يعاملهم معاملة حسنة ، ويسوي بينهم وبين نفسه لا في توزيع المغانم عليهم ، بل ايضا في اقتسام ما يجنون من الاموال بالتساوي والانصاف ، وفي ذلك يقول :

أقولُ لفتيانِ الصعاليكِ أسرجوا
بأموالكم أو تهلكوا في الهوالكِ
إذا ما غنمنا مغنماً كان قسمةً
ولم تتبعْ رأيَ الشحيحِ المتاركِ

مشكلة سريان الروح الجاهلية

اما الصعاليك الذين اشغلهم سريانُ الروح الجاهلية في نفوسهم ، واستبدادُ العصبية الاعرابية بهم ، فكانت اخطرُ مشكلة صادفتهم مشكلة تحللهم من العصبية القبلية ، فاخذوا يُحمّلونها على ان تتماسك ولا تذعن للسلطان ، ولا تستكين للقانون ، فلما لم تستجب اليهم اشتدوا في ذمها واتهامها بالجبن والعجز ، واشادوا بالقبائل التي لم تستسلم للدولة ، وانما تمردت عليها ، ومدحوا ابطالها والثائرين مثلا يحتذى ، وفي ذلك يقول القتال الكلابي متبرئا من عشيرته الذين قعدوا عن مساندته ومتمنيا لو كان ينتسب الى غيرها من العشائر التي تنصر ابناءها ، وتثأر لأصحابها ، دون مراعاة القانون او خوف من عقاب السلطان :

بالبَتي والمَتي ليستْ بناصرةٍ
لمالكٍ أو لجحشٍ أو لسبّارِ
من معشرٍ بقيتْ فيهم مكارمُهم
إنَّ المكارمَ في إرثٍ وآثارِ
لا يتركون أخاهم في مودأةٍ
يُسفي عليه دليكُ الذلِّ والعارِ
ولا يعيرون والمحراةُ تقرعُهم
حتى يصيبوا بأيدٍ ذاتِ أظفارِ

مالك وجحش وسبار : من شجعان بني فزارة ومتمرديهم ، والمودأة : المهلكة ، الدالية : الظلم .

شعر الصعاليك صور جوانب حياتهم

ولا يتسع المقام للحديث عن موضوعات شعر الصعاليك الأمويين لكثرتها وتنوعها ، غير ان شعرهم صور كل جوانب حياتهم : كتصوير تمردهم وثوراتهم ، أو مطاردة الدولة لهم ، او التجائهم الى الصحراء ومعايشتهم لحيواناتها .

أو اقتراعهم على القبائل والأسواق والقوافل ، أو العذاب الذي كان يصب عليهم إذا ما وقعوا في قبضة العمال .

ومن غرائب أشعارهم ونادرها مما لا تعثر عليه عند غيرهم من الشعراء الرسميين الأمويين ، وصفهم لحياة السجون القاسية ، وما كانوا يكبلون به من قيود ثقيلة ، ويشدّون إليه من أوتاد مضروبة ، وما كانوا يلاقون من العذاب الشديد بالضرب والجلد ، وما كانوا يتجرعونه من الآلام النفسية المريرة لانفصالهم عن أحبابهم وأهليهم وأولادهم وأزواجهم ، ومنع الحراس لهم من زيارتهم وحنينهم إليهم وإلى الحرية حنينا قاسيا . ومن ذلك قول جحدر بن معاوية العكلي وقد حُبس بسجن دوّار باليمامة ، يتوسّل فيه بضرعه إلى الله أن يصلح شأنه ، وينجيه من الهلاك ، ويصور فيه أيضا ما يعاني هو ورفاقه من المسجونين من الشدة والضيق والعذاب النفسي :

إني دعوتك بالإله محمد
دعوى فأولها لي استغفار
لتجيرني من شر ما أنا خائف
رب البرية ليس مثلك جار
كانت منازلنا التي كنا بها
شتى وألّف بيننا دوّار
سجن يلاقي أهله من خوفه
أزلا ويمنع منهم الزوار

وقول السمهري بن بشر العكلي يصف تشاؤمه بمنزله وقومه التي أزروه في الشام وهو مقيد بالقيود الأثرية المثقلة على رجليه ، ويصف كذلك خوفه من الموت ، وأمله في أن يفك عنه :

ألا أيها البيت الذي أنا هاجره
فلا البيت منسيٌّ ولا أنا زائره
ألا طرقت ليلى وساقي رهينة
بأشهب مشدود عليّ مسامره
فإن أنج بالليل فرب فتى نجا
وإن تكن الأخرى فشيء أحاذره

ومن أشعارهم ما تحدثوا فيه عن توبتهم ، بعد أن تقدمت بهم السن ، ورجعوا عن الفتك والسطو ، وأخذوا يلحّون على الله أن يغفر لهم ، ولا يعذبهم ، لأنهم إنما اقترفوا الذنوب والجرائم وهم صغار لا أحلام لهم تردعهم ، ولا دين يمنعهم يزجرهم ، ومن ذلك قول عبيد بن أيوب :

يارب عفوك عن ذي توبة وجل
كأنه من حذار الناس مجنون
قد كان قدّم أعمالا مقاربة
أيام ليس له عقل ولا دين

وقول طهمة بن الصعلوك المتكيب الذي كان قبلا يسرق الإبل ثم تاب وقتل في سبيل الله :

ألا قل لرعيان الأباعر أهملوا
فقد تاب عما تعلمون يزيد
وإن امرأ ينجو من النار بعد ما
تزوّد من أعمالها لسعيد

أهملوا : استرخوا إبلكم .

والواضح أن حركة الصعلكة لم تضعف ولا توقفت في العصر الأموي ، وإنما ظهرت من جديد كما ظهرت في العصر الجاهلي ، وإن اختلفت بعض الأسباب التي أنشأت الصعاليك الأمويين عن الأسباب التي أنشأت الصعاليك الجاهليين ، لتغير طبيعة الحياة ، وتبدل نظام الحكم ، مما استتبع اختلاف المشاكل التي كانوا يشكون منها والغايات التي كانوا يسعون إليها .

حسين عطوان



بقلم : يوسف زعبلاوي



هيئة امرأة مرتدية ثوبا أسود . ويظهر في أوسط اللوحة مارس ، اله الحرب ، وفينوس الهة الحب ، وقد أمسكت هذه تشد باله الحرب وتحاول منعه من المضى في مهمته . ويظهر في أعلى اللوحة وجوه [illegible]
في أسفلها وجوه وأجسام أخرى تمثل الدمار والفوضى .

ويعتبر روبنز في طليعة رسامي أوربا في القرن السابع عشر . وهو يذكر عادة مع [illegible]
ورمبرانت وبرنيني Bernini . ويذهب الكثيرون الى أن لروبنز الفضل الأكبر في تطوير ونشر أسلوب الباروك في الرسم ، وقد شاركه في ذلك برنيني الذي ذكرنا .

وجدير أن نذكر في هذا الصدد أن من ميخائيل انجلو وتيتيان ، وهما من أساطين عصر النهضة كما هو معروف وكذلك من كارافاجيو Caravaggio والكراتشي The Carracci وهم من أقطاب أسلوب الباروك .. هؤلاء الفنانون العظام الذين قد التقيا في [illegible] في رسوم روبنز ولوحاته .

ولا عجب فقد زار روبنز ايطاليا سنة [illegible]
[illegible]
[illegible] فيما بعد
وأمضى في البلاد التي أنجبت ليوناردو ودافنشي وانجلو حوالي ثماني سنوات ، أي حتى سنة ١٦٠٨ حينما رجع الى انفرس أو انتورب Antwerp .

أضف الى ذلك أن روبنز زار اسبانيا أول مرة أثناء اقامته في ايطاليا سنة ١٦٠٣ ، ثم زار باريس وأقام فيها نحو ثلاث سنوات أى ١٦٢٢ — ١٦٢٥ . وعاد فزار اسبانيا مرة ثانية سنة ١٦٢٨ حينما عينه الملك فيليب الرابع أمينا عاما لمجلس الملك Privy Council الخاص بالبلاد [illegible]

وأمضى روبنز بعد ذلك فترة في لندن (١٦٢٩ — ١٦٣٠) عمل [illegible] مبعوثا Envoy لدى الملك شارل الأول . وقد ظفر الفنان في تلك الأثناء بوسام الفروسية وأصبح يحمل لقب سير Sir ونال كذلك شهادة الماجستير M. A. من جامعة كمبردج .

وتوفى روبنز في انفرس سنة ١٦٤٠ عن عمر ناهز ٦٣ عاما . ■

جرت عادة الكثيرين من مؤرخينا أن يكتبوا تاريخنا على أنه تاريخ حكام ومعارك، ولم يهتم إلا القلة القليلة منهم بالبحث في التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، وحالة الزراعة، وما إلى ذلك من الشؤون التي هي في صميم حياة الناس في العصر الذي يؤرخون له. وهذا الكتاب الذي يقدمه الدكتور عبد العزيز الدوري، إضافة طيبة للدراسة التي سبق أن قدمها في عام ١٩٤٨ بعنوان "تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري".

مقدمة في

التاريخ الاقتصادي

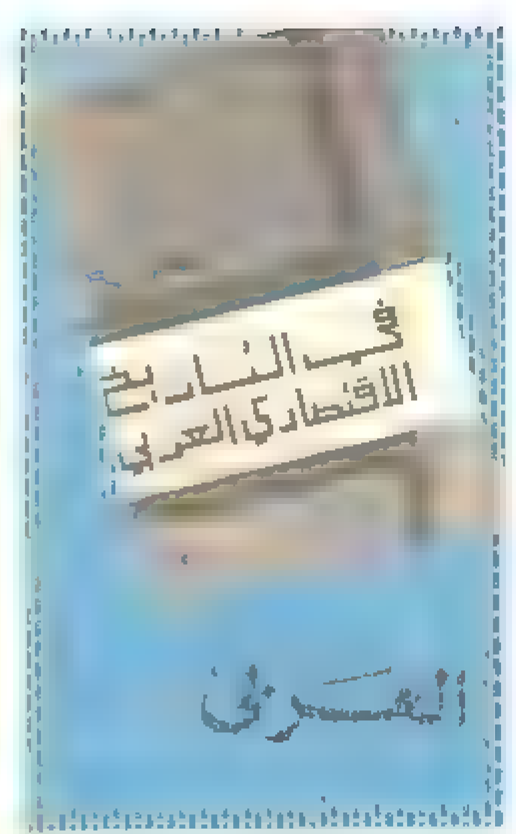
بقلم: الدكتور عبد العزيز الدوري

عرض بقلم الدكتور محمود السمرة

■ وهذا الكتاب الذي بين أيدينا، "مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي"، في نحو ١٧٠ صفحة من القطع الكبير، وقد نشرته "دار الطليعة" ببيروت، وهو في حقيقته رسالة مفصلة، ولكنه قسم إلى فصول تيسيرا للقارئ. وفصوله هي: الأمة والجهاد، الفتوح الإسلامية، الإسلام والملكية والأرض، المجتمع التجاري والازدهار المالي، التسلط الأجنبي والإقطاع العسكري، الركود الاقتصادي والتخلف والإقطاع الجديد. ويلي هذه الفصول خاتمة، وثبت بالمراجع العربية والأجنبية.

يقول المؤلف في مقدمة كتابه: "ولا أريد بالصفحات التالية أن أزيد على ما توصلت إليه البحوث الحديثة، وإنما أردت أن أرسم مخططا أوليا لتاريخنا الاقتصادي بين القرن السابع والتاسع عشر للميلاد. ولم أحاول في ذلك من معالجة تفرضها سعة الموضوع، وكثرة الشرائح فيه، وما ينطوي عليه من تعقيد. إنها محاولة لأخذ خلاصة تحليلية للتاريخ الاقتصادي العربي، تلمس خطوطه الرئيسية دون أن تنتهي إلى نظرية ما، ولكن مثل هذا العرض يؤدي بالضرورة إلى مجموعة من الآراء تبرز من خلاله".. وهذا الوصف للكتاب، صحيح ودقيق.

ونحن نستطيع أن نوجز المعالم الكبرى في الكتاب على النحو التالي:



١ — كان القرن الأول للهجرة (السابع للميلاد) قرن تكوين الأمة وتعبئتها للجهاد ، وفترة الهجرة الكبرى للقبائل الى الأمصار ، وانتقالها من حياة الترحل الى الاستقرار .

٢ — وكانت الفترة التالية (القسم الأكبر من القرن الثاني للهجرة — الثامن الميلادي) فترة الاهتمام بملكية الأرض ، وفيها ظهرت الملكيات الكبيرة وفيها أيضاً ظهر الموالي كقوة جديدة بانتشار الاسلام ، كما برزت العصبيات القبلية بعنف حتى انتهت العقل بالثورة العباسية .

٣ — وامتدت الفترة الثالثة من العصر العباسي الى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وهي فترة نمت فيها المدن ، وازدهرت التجارة والصيرفة وتوسعت الملكيات الكبيرة في الأرض ، وظهرت رأسمالية تجارية صيرفية والى جانبها قامت حركات شعبية ثورية .

٤ — وامتدت الفترة الرابعة من تسلط البويهيين (أواسط القرن الرابع الهجري — العاشر الميلادي) الى بداية السيطرة العثمانية . وفي هذه الفترة انحرف خط التطور الاقتصادي ، فتراجع النشاط التجاري ، وضعفت المؤسسات النقدية ، وعاد الناس الى الاعتماد على الزراعة . وأخطر من هذا كله ظهور الاقطاع العسكري الذي أخذ بالانتشار حتى عم المنطقة كلها . وكانت هذه الفترة أيضاً بداية النهاية لكيان العرب السياسي وحريتهم ، وذلك بسبب تسلط العناصر الأجنبية (من بويهية وتركية) [illegible] هذه الفترة الحروب [illegible] .

٥ — [illegible] الفترة [illegible] السيطرة العثمانية وفيها ركدت الحياة الاقتصادية في البلاد العربية ، حيث سيطر البرتغاليون على طريق التجارة الى الهند بعد أن ضربوا الملاحة العربية في المحيط الهندي . ودخل الاستعمار الغربي ليسيطر على البلاد العربية ، ويقسمها الى دويلات ويرسخ التخلف فيها ، ويجعلها تعيش على هامش الأحداث العالمية .

هذه هي المعالم الكبرى في الكتاب . وسنأتي بعد هذا الى شيء من التحليل والتفسير بوضع ما سبق ذكره .

الحياة الاقتصادية
في صدر الاسلام والعصر الأموي

قد أحدث الاسلام ثورة شاملة في الحياة العربية . فهو قد رفض العصبية القبلية وأحل مكانها مفهوم الأمة ، وأكد على الوحدة بدلاً من التجزئة ، ودعا الى الجهاد في سبيل العقيدة بدلاً من الغزو ، وجعل القانون « أو الشريعة » هي الحكم في شؤون الناس لا العرف القبلي ، وأكد على العدالة الاجتماعية وهاجم الاستغلال والجشع ، وحث على الاستقرار بدلاً من حياة التنقل والبداوة .

وهكذا نجد أن حياة الأمة قد نظمت على أسس جديدة ، وكان الجهاد في سبيل نشر العقيدة على رأسها ، ولأجل هذا أنشئت دواوين الجند ، وفرضت الأعطيات للمجاهدين حتى لا يشغلهم شيء عن الجهاد . وإذا كان الخليفة الأول لرسول الله قد ساوى بين الناس في الأعطيات فإن الخليفة الثاني جعلها متدرجة حسب السبق في الاسلام ، والبلاء في سبيله ، والحاجة .

وفي ظل ظروف المجتمع الغرائب [illegible] من خراج

وجزية ، وزكاة . فأهل البلاد المفتوحة يدفعون الخراج والجزية ، وأما المسلمون فيدفعون الزكاة . والخراج هو ضريبة يدفعها غير المسلم عن ارضه الملك ، وهذا لا يقل عن الخمس ، ولا يزيد عن النصف . ومقابل هذا كان المسلم يدفع عن ارضه الملك ما يوازي العشر . وكان غير المسلم يدفع الجزية ، وهي ضريبة كان يدفعها مقابل دفاع المسلمين عنه ، وهناك حوادث كان فيها غير المسلم (الذمي) يعفى من الجزية اذا حارب في صفوف المسلمين . اما الزكاة فهي ضريبة كان يدفعها المسلمون لمساعدة الفقراء منهم .

هذا هو التنظيم الاقتصادي الذي شاع في صدر الاسلام في ظل الفتوح . ولقد جلبت الفتوح معها مشاكل اقتصادية : فقد رافق الفتوح هجرات كبيرة من القبائل العربية الى الامصار المفتوحة . ولقد اعتمدت هذه القبائل على الغنائم الكثيرة التي كانت من نصيبها بسبب مشاركتها في الجهاد ، ولهذا فانها اخذت تتململ عندما فرض عليها ان تكتفي بعطائها من ديوان الجند ، بعد ان توقفت موجة الفتح . ومما زاد في تذمرها ان الاراضي المفتوحة لم توزع عليها ، وبقيت بيد اصحابها يزرعونها . وتذمرت هذه القبائل ايضا ، فوجدت ان السلطة انتهت الى قريش ، وليس لها هي الا دور ثانوي . يضاف الى هذا كله ان عرب المدن ، وبخاصة قريش ، وهم تجار ، وجدوا في البلاد المفتوحة افاقا جديدة للتجارة ، فتاجروا ، واصبحوا من اصحاب الثروات الطائلة . وزاد في تذمرهم ان الخليفة عثمان رضي الله عنه ، قد اقطع الاراضي الشاسعة لعدد من اقاربه .

في ظل هذا كله نستطيع ان نفهم الثورة على الخليفة عثمان بن عفان ، وهي ثورة كان الجانب الاقتصادي فيها بارزا جدا .

وقد ارتفعت اصوات مسلمة معبرة منذرة من هذا التفاوت الكبير بين الناس ، حيث تكدست ثروات طائلة في ايدي فئة قليلة ، وقالت : ان الاسلام يدعو الى التسوية والعدالة . وكان اعلى هذه الاصوات واقواها ، صوت ابي ذر الغفاري .

* * *

وكانت الفتوح عاملا هاما في تغيير الاقطاع القديم في البلاد المفتوحة ، حيث كانت الارض اقطاعيات للاسر الحاكمة والنبلاء ورجال الدولة . وكانت هناك ايضا مساحات شاسعة مخصصة للمعابد ، وكانت نسبة كبيرة من الفلاحين تعيش في شبه عبودية لملاك الارض ، فلما فتح المسلمون هذه البلاد اعتبرت هذه الاقطاعيات ملكا لبيت المال ، يتصرف الخليفة فيها كما يشاء ، على ان يعود انتاجها الى بيت المال كما ان المسلمين حرروا الفلاحين من عبودية الارض وجعلوا الفلاح مسئولا عن ضرائبه بصورة مباشرة .

وبسبب انتعاش الحياة الاقتصادية في المدن ، اخذ كثير من الفلاحين يتركون اراضيهم ، ويهاجرون الى المدينة . مما فتح المجال امام بعض العرب لاستغلال هذه الاراضي . واخذ بعض الخلفاء يقطعون بعض اقاربهم وانصارهم الاراضي الشاسعة وهكذا نجد ان طبقة جديدة من اشراف القبائل ظهرت على انها طبقة ارستقراطية من اصحاب الاملاك الشاسعة .

وقد اضر هذا الوضع الجديد بواردات بيت المال حيث انتقل كثير من الاراضي الخراجية ، الى ايدي المسلمين ، واصبحت اراضي عشرية . وزاد في ازمة الضريبة انتشار الاسلام ، وبهذا قل عدد الذين يدفعون الجزية .

* * *

وقد حدث في زمن عبد الملك بن مروان تعريب دواوين الخراج ، وتبعا لذلك تعريب النقد ، وتعريب المصطلحات المالية بحيث اصبحت العربية لغة في الدواوين .وكان لهذا الاجراء اثار اقتصادية هامة : ففيه تأكيد على كيان الدولة المالي وتدعيم لاقتصادها . وانتقلت الدولة مرحلة التعريب هذه الى اعادة النظر في اوزان النقد ، ووضع ذلك على ضرب الدينار العربي الذي اصبح هو العملة المتداولة ، بعد ان كان التعامل بالدينار البيزنطي وبالدرهم الساساني ، هو الشائع . وبهذا الاجراء فتح المجال امام الدينار العربي ليكون عملة ذات شأن دولي في المعاملات التجارية والمالية .

واتخذ عبد الملك بن مروان خطوة اخرى في تقوية خزينة الدولة بأن فرض الضريبة النقدية على الارض بدلا من الضريبة العينية ، وفرض جزية دينار واحد على كل راهب ، وكان الرهبان قبل هذا لا يدفعون جزية . ويبدو ان السبب الذي جعل عبد الملك يتخذ مثل هذا الاجراء ان عددا كبيرا من الناس التحقوا بالرهبنة تحاشيا لدفع الجزية . وقام الحجاج ، والي عبد الملك على العراق ، بفرض

الخراج على الارض التي كانت اصلا خراجية ، والتي اصبحت ارضا عشرية بانتقالها الى ايدي المسلمين . ولعل هذا هو السبب في ان العرب في الكوفة قاموا ، اثناء ثورة ابن الاشعث (٨١ ــ ٨٢هـ/٧٠١م) ، بحرق سجلات الاراضي في الديوان ، ليدعوا بعد ذلك ان اراضيهم كانت عشرية لا خراجية .

★ ★ ★

وجاء عمر بن عبد العزيز،الخليفة التقي النقي الورع ، فرأى ان كثيرا من هذه التنظيمات الضريبية لا تتفق ومبادىء الاسلام ، ولهذا حاول اعادة تنظيم الضرائب في ضوء مفاهيم الاسلام : فالاراضي المفتوحة (ارض الخراج) ملك للامة تديرها الدولةباسم الامةولصالحها ، والماء والمعادن ملك للامة تستثمرها الحكومة مباشرة ، او تسمح للاخرين باستثمارها مقابل دفع الخمس لبيت المال والعنبر والزمرد واللؤلؤ ملكا مشاعا للامة . اي ان مصادر الثروة الطبيعية هي ملك للامة .

واتخذ عمر بن عبد العزيز اجراءات في اطار المفاهيم الاسلامية ، فاعفى المسلم من دفع الجزية مهما كانت حداثته في الاسلام ، وقرر ان الارض الخراجية تبقى خراجية ، سواء مالكها مسلم او ذمي . ولكنقصر خلافة عمر بن عبد العزيز لم تترك المجال لاصلاحاته لكي تترسخ وتتوطد .

الموالي في الدولة الاسلامية

وقد كان من نتائج الفتوح ، وانتشار الاسلام ، ظهور قوة جديدة هي قوة الموالي ، اي المسلمين من غير العرب . وقد عني الموالي من سكان المدن بالاشتغال بالتجارة ، والصيرفة ، او بالعلم . وكان منهم الباعة والصناع ، واصحاب الحرف المتنوعة ، ويبدو ان العرب لم يكونوا يحفلون بهذه الحرف وذلك بسبب انصرافهم الى الحكم ، والادارة والجهاد . وهكذا نرى ان عددا كبيرا من الموالي كان يحتل مكانة مرموقة في المجتمع يضاف الى هذا ، ان الوظائف كانت مفتوحة امامهم .

وكان اصحاب الحرف والصنائع يعيشون في اسواقهم الخاصة بهم ، ولكل حرفة او صنعة مكانها . واذا نظرنا في تخطيط المدن الاسلامية الجديدة،كالكوفة والبصرة والقيروان وواسط ، نجد ان الاسواق الرئيسية قد قامت جنب المسجد الجامع . وكانت الحكومة تشرف على الاسواق وتعين لهذا المنصب موظفا عرف باسم « العامل على السوق » ، ومهمته مراقبة الاوزان والمكاييل وجباية بعض الضرائب على المبيعات ، واستيفاء اجور الحوانيت التي كانت تشيدها الدولة وتؤجرها للعاملين في السوق .

ان كل ما مر يدحض ما جاء به بعض الباحثين من ان الموالي كانوا في حالة تذمر دائم بسبب احتقار العرب لهم ، ومعاملتهم معاملة سيئة ، وبسبب ارهاقهم بالضرائب .

العصر العباسي
عصر المجتمع التجاري وازدهار المدن

ان اختيار موقع مدينة بغداد نفسه يدل دلالة واضحة على مدى اهتمام العباسيين بالتجارة : فهي قد اقيمت في موقع وسط بالنسبة للمواصلات البرية والمائية . وتنظيم المدينة يدل على الاهتمام بالاسواق ، وتخصيص محلات مناسبة لها . وعمل العباسيون على دعم التجارة الخارجية وتشجيعها واهتموا بتنظيم الضرائب واخضاعها للنسب الاسلامية ولاجل هذه الغاية وضع لهم ابو يوسف كتابه المشهور في الخراج ، وكانوا هم الذين طلبوا منه ان يفعل ذلك .

وقد بلغ تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية ذروته في القرنين الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) . واول شيء نلاحظه نمو المدن ، وتطور الحياة فيها ، وامتزاج الناس من مختلف الالوان والاصول ، واتساع الاسواق ، وازدياد نشاط اصحاب الحرف والصنائع وظهور تنظيمات تعبر عن اتجاهاتهم وتعاونهم . وانتشرت في هذه الفترة النسبة الى الصنعة او الحرفة ، بالاضافة الى النسبة الى المدينة والقبيلة . وهذا بدوره زاد من اهمية العامة ، اي اصحاب الحرف منهم .

وفي هذا العصر نجد لكل حرفة ، شيخها العارف بها ، وهو عريف كان مقبولا لدى القاضي والمحتسب وعليه يعتمدان في فض المشاكل التي كانت تنشأ بينهم . ويتدرج الفرد من « مبتدىء » في الحرفة ، الى « صانع » ، الى « استاذ » . وكان لاهل كل حرفة زعيم الخاص بهم . ولهم

شيخ او رئيس تعترف به الحكومة ، وقد تختاره هي احيانا . وكان لاهل كل حرفة رابطة تجمع بينهم ، على اختلاف اديانهم ، وذلك من اجل ضمان مستوى جيد للصناعات ، وتحديد الاسعار، والدفاع عن حقوقهم . وكان اصحاب الحرفة الواحدة يتكاتفون ضد السلطة لحماية مصالحهم ، ومن امثلة ذلك ثورة صناع المنسوجات القطنية والحريرية في بغداد سنة ٣٧١ هـ ، حين فرض البويهيون ضريبة العشر على هذه المنسوجات ولم تهدأ الثورة الا بعد ان الغيت الضريبة . وكانوا يشاركون في المناسبات العامة فيحتلون احتفالا خاصا بهم ، ويطلبون المواكب .

★ ★ ★

وهناك جانب آخر يدل على انتعاش الحياة الاقتصادية ، هو التجارة : فقد امتد النشاط التجاري من العراق حتى وصل الى المغرب الاقصى والاندلس وشرقي افريقيا وغربا . وامتد شمالا حتى روسيا وحوض البلطيق ، وشرقا حتى الهند والصين واوربا . وسيطر التجار المسلمون في هذه الفترة على الطرق البحرية والبرية المؤدية الى هذه البلاد . وكانوا يجلبون الذهب والرقيق من شرقي افريقيا والرقيق والفرو والدروع والسيوف من اوروبا الشرقية وبلاد الترك ، والمسك من التبت ، والثياب الحريرية والورق من الصين ، والبسط والسجاد من ارمينيا ، والتوابل والاحجار الكريمة والعقاقير والرماح والكافور من الهند .

وكان التجار المسلمين وكلاء ومراكز تجارية في مختلف الجهات : في الهند ، وسيلان ، والصين ، وبلاد الخزر ، وسومطرة .. وكان التعامل اما بالمقايضة او بالنقد مباشرة .

وهكذا نشأت طبقة من التجار تملك الاموال الطائلة ، وقد بلغت ثروات بعضهم الملايين .

وكانت التجارة حرة ، ولكن الدولة كانت تعامل التجار الاجانب معاملة دون معاملة رعايا دولة الخلافة من حيث الضريبة . ولا شك ان مما جعل التجارة تزدهر هذا الازدهار ، الرخاء الاقتصادي الذي كانت تنعم به الدولة ، والرخاء جعل افراد الامة قادرين على شراء ما يجلبه التجار ، وبخاصة الخليفة والامراء وكبار موظفي الدولة ، حتى ان ابن خلدون اطلق على الدولة اسم « السوق الاعظم للتجارة » .



وبسبب ازدهار التجارة ، نشطت المؤسسات المالية والمصرفية . وقد قام الصرافون بدور هام في تنشيط التجارة لانهم كانوا يقومون بتسليفهم وتسديد الحسابات بين التجار دون حاجة الى ان يقوموا بالدفع مباشرة في كل صفقة تجارية.وكانوا يستعملون في معاملاتهم ما عرف باسم « السفاتج » (جمع سفتجة) للدفع في البلاد الاخرى ، وهذه كانت تقوم بما تقوم به الحوالات المالية اليوم . وكانت هذه السفاتج تقبل حتى خارج حدود الدولة الاسلامية . وظهرت ايضا مؤسسات مصرفية كانت تقوم بدور البنوك في ايامنا هذه . واذا كان الاسلام يحرم الربا واخذ الفائدة فان التجار والصيارفة قد وجدوا الحل في بعض المخارج الفقهية لتيسير بعض انواع التعامل .



وظهر هذا الازدهار الاقتصادي ايضا في(الزراعة) وملك التجار اراضي زراعية واسعة بسبب ثرواتهم الطائلة. وهذه الثروات اعانت على تطور الزراعة.

ولكن علينا ان نذكر انه الى جانب هذا الثراء الطائل ، كان هناك فقر مدقع . وهذا التباين ادى الى قلق اجتماعي ، كان من نتيجته ان شهد القرن الثالث الهجري قيام حركة العيارين والشطار ، وثورة الزنج ، وحركة القرامطة والاسماعيلية . وحركة العيارين والشطار يمكن وصفها بانها ثورة العامة على الطبقة الغنية المترفة . اما ثورة الزنج فكانت نتيجة لتوسع الاقطاع في منطقة البصرة ، فهي ثورة الرقيق المجلوبين من افريقيا للعمل في الارض على استصلاحها .

هذا الازدهار الرائع الذي بلغته الدولة العباسية في ظل الحكم العربي،ولكن عندما خضعت الدولة لسيطرة الاجانب في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) اخذ هذا الازدهار بالتراجع . وعلى هذا فانا نستطيع ان نقول ان القرن الرابع الهجري شهد قمة التطور الاقتصادي ، كما شهد بداية التراجع في الحياة الاقتصادية ، وذلك بعد ان تعرضت دولة الخلافة المجزأة نتيجة الحركات الانفصالية ، وبعد ان دخل البويهيون بغداد

(٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) ليقيموا حكما وراثيا في قلب الخلافة .

التسلط الاجنبي وبدء الاقطاع العسكري

كان الغزو البويهي ذا اثر بعيد في حياة العرب ، فقد كان بداية السيطرة الاجنبية في البلاد العربية ، وبداية التدهور الاقتصادي ، وبداية نشوء اقطاع جديد هو الاقطاع العسكري . واساس هذا الاقطاع العسكري ان البويهيين بدلا من ان يدفعوا لجنودهم الرواتب ، اقطعوهم الاراضي والقرى . وقد ادى هذا النوع من الاقطاع الى تأخر الزراعة ، لان الجند تركوا ادارة اقطاعاتهم لوكلاء ينوبون عنهم . ولم يكن الجنود ووكلاؤهم يهتمون الا بجمع المال ، دون ان يبذلوا اي جهد للعناية بالارض ، وتحسين طرقها الانتاجية . ويبدو ان اعتبار الارض ملكا للجيش الغالب ، كانت فكرة مألوفة في بلاد الديلم التي جاء منها البويهيون .

وكان من نتيجة السيطرة البويهية ايضا ، تدهور التجارة والصيرفة بسبب تعرض التجار للمصادرات والضرائب الكثيرة . وقد بلغ تخلف البويهيين الحضاري درجة جعلتهم يتلاعبون بنسبة المعدن الثمين في النقد ، ظانين انهم بهذا يوفرون مالا على الخزينة من فرق المعدن الثمين ، ولكنهم بعملهم هذا قضوا على ثقة الناس بالنقد الذي يصدرونه ، وبهذا قل استعمالهم له في معاملاتهم .

وجاء السلاجقة فساروا سيرة البويهيين والغزنويين في الاقطاع العسكري ، وزادوا فجعلوا الاقطاع العسكري وراثيا ، بعد ان كان لفترة محدودة من الزمن . واجتاح المغول الخلافة العباسية (٦٥٦ هـ - ٧٣٦ هـ / ١٢٥٨ - ١٣٣٥ م) وفصل العراق عن بقية البلدان العربية . وفي زمنهم استمرت الحالة الاقتصادية في التدهور ، وتوسع الاقطاع ، واحتملت الناس كثرة الضرائب ، وتجبرها اهلها ، واستغل كثير من العمال الضرائب بسبب ضعف سيطرة الحكام وعجزهم عن حفظ الامن ، مما عرض المدن لغزو البدو ، الذين كانوا ايضا يقومون بقطع الطرق التجارية ، وسلب التجار اموالهم .

وجاء المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ م - ١٥١٧ م) فحكموا مصر ، وضموا سوريا ، وتابعوا محاربة الايوبيين ضد بقايا الصليبيين حتى استولوا على آخر معاقلهم في عكا سنة ١٢٩١ م . كما انهم وقفوا سدا ضد تقدم المغول ، اذ احرزوا عليهم اول انتصار اسلامي في معركة « عين جالوت » سنة ١٢٦٠ م . وهكذا انتقل مركز الثقل في العالم العربي الى مصر . وفي زمنهم بقي الاقطاع العسكري هو المعمول به ، وكانت الارض المقطعة تتناسب وما يستطيع ان يقدمه الامير من جند الجيش السلطاني . ولكنهم ادخلوا تعديلا على الاقطاع العسكري : فهم قد ابطلوا الوراثة فيه ، وكانوا يقومون بمسح الارض واعادة توزيعها بين فترة واخرى لتأكيد سيطرتهم على البلاد ، كما انهم اخذوا منذ مطلع القرن الرابع عشر يودعون الاقطاعات للقطع في عدة اماكن .

وجاءت الضربة القاصمة في نهاية القرن السادس عشر حين سيطر البرتغاليون على المحيط الهندي ، وقضوا على التجارة العربية في البحار الشرقية .

الاقطاع الجديد

وفي سنة ١٥١٧ م انهى الاتراك العثمانيون حكم المماليك ، ودخلوا سوريا ومصر ، وامتد سلطانهم الى شمالي افريقيا حتى مراكش . وفي سنة ١٦٣٩ تمت لهم السيطرة التامة على العراق . وهكذا اصبح جل العالم العربي تحت السيطرة العثمانية .

وقد اخذ العثمانيون نظام الاقطاع المملوكي ، ولكنهم ابطلوا صفته العسكرية : فالارض تعطى لمن يديرها كالملتزم ، فهو يشرف عليها ويرسل واردها الى المركز بعد ان يحفظ منه مرتبه .

★ ★ ★

وبعد هذا العرض لابرز مظاهر الحياة الاقتصادية في التاريخ العربي منذ صدر الاسلام الى حكم الاتراك العثمانيين ، نلاحظ ان الحياة في المجتمع كانت ، في فترات الانحطاط خاصة ، تخرج عن التعاليم الاسلامية . ولقد كان المبدأ الاساسي في المجتمع العربي الاسلامي هو مبدأ العدالة : العدالة في السياسة والتشريع ، وفي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ، وعدم التفاضل بين الناس الا بالعمل .

ومن عرضنا السابق نلاحظ انه حصلت انحرافات خطيرة تنافي هذا المبدأ الاسلامي الخالد .

محمود السمرة



المطالب العالية
بزوائد المسانيد الثمانية — الجزء الأول

الناشر : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية — الكويت .

تأليف : الحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني .

تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

● كتاب من رياض السنة المطهرة وهو يهم ذوي العناية بعلم الحديث وذوي الاهتمام بالعلوم الشرعية وهواة الثقافة الدينية ، فهو مرجع بين أولئك وهؤلاء على تخريج الأحاديث وطرقها، والكتاب أريد به انتخاب الأحاديث الزائدة على ما في الكتب الستة المشهورة ومسند أحمد ، وهو قبل هذا محاولة لجمع السنة النبوية ليكون ذلك سبيلا الى صنع موسوعة حديثة .

وموضوع هذا الكتاب هو استخراج الأحاديث لثمانية مسانيد كاملة هي : مسانيد الطيالسي والحميدي وابن أبي عمر ومسدد وابن منيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي أسامة وأضاف اليه من مسند أبي يعلى ومسند اسحاق بن راهويه فاستخراج الأحاديث الزوائد فيها على ما في الكتب الستة ومسند أحمد ثم رتب تلك الأحاديث على ترتيب الأبواب الفقهية خلافا لترتيب المسانيد المستمد منها .

وهذا الكتاب أغنى ما ألف من كتب السنة ثروة وأكثرها فائدة لا حتوائه على زوائد تلك المسانيد الثمانية تماما وعلى عدد كثير من زوائد مسندين آخرين ثم لجمعه في مكان واحد على الترتيب الفقهي ما كان مبددا في ثمانية أمكنة بل عشرة من غير مراعاة لهذا الترتيب واشتماله في كثير من المواضع على بيان درجة الحديث من صحة وضعف واتصال وانقطاع .

الطريق القومي لتحرير فلسطين

إعداد : جبهة التحرير العربية .

الناشر : دار الطليعة — بيروت — لبنان .

● ان الفكر الجديد الذي دخل ساحة المقاومة مع الرصاصة الأولى لجبهة التحرير العربية ساهم منذ اليوم في توضيح الطريق أمام المقاومة والفتح الآفاق في وجهها وحمايتها من العزلة والاختناق .

والفكر هو الذي يعطي العمل النضالي الوجهة ويعطيه المقاييس ويعطيه القدرة على التثبت من سلامة كل خطوة يريد أن يخطوها ، ولا شك أن توحيد التنظيمات داخل المقاومة وتبيين موقع المقاومة من الثورة هو المنطلق الرئيسي لنجاح القضية الفلسطينية .

والمقاومة بكونها تحديا للحركات الوطنية في أن ترتفع الى مستواها مسؤولة عن وضع صيغة النضال الثوري التي تجعل كلا من العمل النضالي والحركات الوطنية يسير بلورة الاثنين معا .

الأوائل

تأليف : أبو هلال العسكري

تحقيق : محمد السيد الوكيل .

الناشر : أسعد طرابزوني الحسيني المدينة المنورة — السعودية

● كتاب من كتب التراث العربي القديم يعزز الأدب الذي تستمتع العقول بتحصيله والتاريخ الذي تتوق النفوس الى الوقوف على حقائقه .

والكتاب يدرس أوائل الأعمال ومتقدمات الأسماء والأفعال ، ذلك لأن الخاصة وجل العامة يعنون بالسؤال عن الأوائل ، ومن أمثالهم ، بل أن الناس لم يجدوا كتابا يجمع هذه الفنون ويحوي تلك الضروب بأخبارها وشرح وجوهها وأبوابها ، الا شيئا متفرقا في تصانيف الصحف .

وقد قسم المؤلف كتابه الى عشرة أبواب تحدث في الباب الأول عن ما كان من قريش ، من أوائل الأعمال واستعمالات الأمور في الجاهلية ، وما حدث بمكة منها . أما الباب الأخير فيتناول أشياء مختلفة رويت عن العرب والعجم ، ولم يفرد كل نوع منها بنفسه ، فجعلها بابا واحدا .

فلسطين قبل وبعد

تأليف : الدكتور يوسف هيكل

الناشر : دار العلم للملايين

● دراسة مستفيضة عن مشكلة فلسطين منذ بدايتها ، فالمؤلف يحاول ان يطلع القارىء العربي في مختلف البلاد العربية على حقائق تتعلق بفلسطين قبل هزيمة حزيران ١٩٦٧ ويقول ان حرب حزيران كانت خطوة للوصول الى ما تهدف اليه الصهيونية في بناء دولتها من النيل الى الفرات على حساب الامة العربية ، وان حرب حزيران هزيمة لم يتم فيها قتال فكيف وقعت تلك الكارثة ؟ وهل كانت هناك اشارات تحتم وقوع ما حدث ؟ وماذا عن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ هل هو في صالح القضية العربية او ضدها وما هي مراميه وكيف ينبغي ان نفهمه على حقيقته ؟ ثم لماذا تساند الولايات المتحدة الامريكية مواقف اسرائيل وما هي مصالحها في ذلك ؟ وهل يخدم ذلك حقيقة المصالح الامريكية .

ثم يتحدث المؤلف عن المقاومة الفلسطينية لماذا ظهرت ومن هم اعداؤها ، وما واجب العرب تجاهها ثم ما هي فكرة الجبهة المركزة التي تم عرضها في مؤتمر طرابلس .

طبقات الشافعية — الجزء الاول

تأليف : جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي .

تحقيق : عبد الله الجبوري .

الناشر : رئاسة ديوان الاوقاف — بغداد .

● كتاب في الفقه الاسلامي لعالم فقيه عاش في القرن الثامن الهجري ، وقد اعتمد المحقق على عدة نسخ لهذا الكتاب منثورة في مكتبات العالم ، وقد سبق الاسنوي كثير من الفقهاء ممن كتبوا عن طبقات الشافعية .

والكتاب يتناول اعلام الفقهاء الشافعية ، فقد بدأ المؤلف بالترجمة للامام الشافعي ، ثم ترجم لاصحابه ، الذين عاصروه واخذوا عنه فذكر مواليدهم ووفياتهم واعمارهم وبلدانهم وشيوخهم ، وما غلب عليهم من الفنون وشيئا من شعرهم وتصانيفهم ومناصبهم التي باشروها . وقد رتب تراجمهم على حروف المعجم ، مبتدئا باول حرف في اللفظ الذي يحصل عنده التعريف ، والشهرة اسما كان او لقبا او نسبة او صفة او نحوها ، وقد استقى مصادره ومادة كتابه ، وهي تتكون من كتب الطبقات وكتب التاريخ والمشيخات .

ادب الطف
او شعراء الحسين

تأليف : جواد شبر .

الناشر : دار المرتضى — بيروت — لبنان

● يدرس هذا الكتاب القصائد التي قيلت في رثاء سيد الشهداء الحسين بن علي بن ابي طالب بعد مقتله في كربلاء منذ القرن الاول الهجري حتى القرن الرابع عشر والكتاب يعتبر موسوعة ادبية يضم بين دفتيه تراجم طائفة كبيرة من شعراء الشيعة ونتاجهم الفكري ثم المراثي الكثيرة التي قيلت في الحسين واهل بيته يوم موقعة كربلاء ، ثم دراسة تحليلية لحياة اكثر هؤلاء الشعراء المغمورين منهم ومن كان له نصيب من الشهرة .

البراهين الحسية
على تقارض اللغتين السريانية والعربية

بقلم : المنطيرس يعقوب الثالث

الناشر : مطابع الكريم الحديثة — جونيه — لبنان

● اتحف المؤلف المكتبة العربية بهذا الكتاب القيم ، وقد ضمنه بحثا وافيا وكافيا عن الصلات الجوهرية ما بين اللغتين الشقيقتين العربية والسريانية .

وهو كتاب فريد في محتوياته ، مبتكر في اسلوبه وطريقة بحثه ، سد حاجة ملحة عند اللغويين الباحثين في اللغات السامية ، اذ وفر عليهم عناء البحث والتنقيب . ذلك ان المؤلف بذل جهدا كبيرا ، وعملا شاقا في مختلف المصادر والمراجع حتى تمكن من ابراز كتابه هذا .

معجم المؤلفين العراقيين

تأليف : كوركيس عواد .

الناشر : مطبعة الارشاد — بغداد — العراق

● الجزء الثاني والثالث لمعجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين يحصي مؤلفاتهم ونتاجهم الفكري باللغة العربية والانجليزية والكردية مرتبة حسب الترتيب الهجائي . كما يسهل على القارىء الرجوع اليها .

■■



بقلم : حسن الجداوي

■ موضوع الرواية – في هذه القضيــة – ان رجلين مختلفين كل الاختــلاف . احدهما بدين والآخر نحيف . احدهما متعلم والآخر جاهل او يكاد . احدهما كما قال الشاعر « بفوره النعيم غساله بلباقة » والآخر عاش في الفقر المدقع وسقط العيش . احدهما ابن بارون انجليزي ولد في باريس ودرس فيها ثم في الكلية الحربية بلندن ، والآخر ابن قصاب محترم – الى كل صناعة محترمة – ولد في ضاحية صغيرة من ضواحي لندن وعمل في دكان ابيه ... رجلان لم يسيرا في طريق واحد ، ولا اخترق احدهما خط حياة الآخر . عاشا في وقت متقارب ولكنهما ظلا على مسافة الآف الاميال بعضهما عن بعض . فلما مات احدهما حاول الآخر – الذي بقي على قيد الحياة – ان يدعي انه الآخر ، ليستولي على لقبه وثروته . فدفع بدعوى شغلت بها المحاكم سنوات طويلة . وعرض في مئات الجلسات . وترافع فيها محامون افاضل شغلوا فيما بعد مراكز رؤساء القضاء .

ترافع احدهم ثلاثا وخمسين جلسة ، واستمرت مرافعته في بعض الجلسات لمدى عشرة ساعة بغير انقطاع . وانقسم الرأي العام في هذه القضية ، وتحمس فريق لابن القصاب ، وتبرعوا له بالاموال ليستمر في دعواه . وتقدم مئات الشهود ليشهدوا لصالحه .. وقضى رئيس القضاة وقائع القضية في ثمانٍ وعشرين جلسة . ونشرت جريدة التايمز اللندنية – الشهيرة صفحاتها – وقائع الجلسات والمرافعات في القضية وصلاته عموده .

ولنبدأ القصة من اولها .

في عام ١٨٢١ توفي سير هنري تيتشبورن سليل اسرة انجليزية عريقة وغنية ونبيلة يرجع نسبها الى اكثر من سبعة قرون من ثلاثة ابناء ، توفي اكبرهم عام ١٨٤٥ مخلفا ست بنات ، ولم يرزق اصغرهم الا بابنة واحدة اسمها كاترين . وهكذا انتقل اللقب الى الابن الأوسط الذي لم يرث شيئا من الثروة – تبعا للنظام الانجليزي . وكان هذا الابن – جيمس – قد سبق وتزوج في باريس بفتاة فرنسية جميلة وغنية ... ولكنها ابنة غير شرعية للورد سيمور ولسمي الى اسرة بربون وقد سبحت بعد قضايا شغلت المحاكم طويلا في استرداد جزء كبير من ثروة آل بوربون .

ومع ذلك فان اسرة تيتشبورن اعتبرت ان زواج الابن قد الحق العار بها وادى ذلك الى ان يستقر الابن جيمس في باريس ، مبتعدا بزوجته عن حياة الارستقراطية الانجليزية المترمتة في العهد الفكتوري . ولم يكن ذلك ليغضب زوجته التي ترهب لندن وتغتر حبها لباريس .

وبعد سنة ونصف من الزواج انجب ابنا اسماه روجيه دشن في كنيسة اللادلين . وهو مطل غضبا عليه . وقد امضى روجيه سنيه الاولى معدلا من



ويسرع الى [illegible]
تطلب وان التعب [illegible]

امه مهملا لعروسه ، لا يرفض له امه طلبا ، ذلك
ان زوجها ، وان كان رجلا طيبا ، الا انه كان
منصرفا الى لعب الورق ومطاردة النساء ،
فصرفت الأم كل حبها الى ابنها ولم تكن [illegible]
عليه [illegible] هو [illegible]

[illegible]
وكان [illegible] ولكنه فتى
لا يعرف الاستقرار ، انتقل من جميع مدارس
[illegible] الواحدة بعد الاخرى ، وتجد
امه له الاعذار في كل مرة . ولما سدت جميع ابواب

المدارس في وجهه بيت له مدرسين خصوصيين .

وفكر آل ليشيوين أن هذا الوريث الشاب يجب أن يتلقى تعليما انجليزيا يؤهله لحمل اللقب وزعامة الأسرة – وكان هدفهما على زواج سمي جيمس بفتاة فرنسية قد خلت جده فلوسات نحو الأب الكافة في انجلترا ، ولكنه فضل أن يبقى في فرنسا ، وأرسل ابنه ليلتحق بالمدارس الانجليزية ، وفيها التحق بالأكاديمية سند هرست الحربية الشهيرة .

وبعد بضع سنوات غادر ابنه يوجين من حضانة أمه من الحلاقة ، ولكنه لم يكن ينسجم كثيرا مع زملائه من الانجليز ، فصار يتجنب الاختلاط بهم ويقضي اكثر أوقاته مع سائسي الخيل فأصبح بذلك موضع سخرية زملائه ، وكثيرا ما قامت بينه وبينهم معارك ، يضربهم ويضربونه . وانتهى به الأمر الى مقابلة سخريتهم بهز الاكتاف والاستخفاف في غرفته يحلق شعره ويقرأ كتب السياحات والمغامرات . وقد عزى تصرفه هذا الى أنه وقع على رأسه أثناء الركوب وبقي ساعات طويلة في حالة غيبوبة .

وجاء والداه لزيارته فنزل الأب والابن في ضيافة اسرة ليشيوين ، واضطرت الأم للنزول في فندق لأن الاسرة لم تكن تستطيع استقبالها ... الى هذا الحد وصل الترفع الانجليزي في تلك الأيام ...

وفي هذه الاثناء قام كيوبيد (اله الحب) بدوره بين يوجين وكاترين ابنة عمه التي بلغت الخامسة عشرة فلما التحق يوجين بالفرقة السادسة الخيالة التي كان مزمعا ارسالها الى الهند ، جمع يوجين شجاعته وتقدم يطلب يد ابنة عمه . ولكن طلبه رفض بإباء وشمم كما يقولون . ليس فقط لا لحق بوالد أمه ، ولكن لأنه تربى تربية فرنسية فيها الكثير من الغربة جعلته سليط اللسان لا يتحرج من حكاية قصص ونكات مكشوفة ويتلفظ بكلمات محرمة في الصالونات الانجليزية . وكانت صدمة لم يكن يتوقعها . فقرر أن يتغرب ، واستقال من الجيش . ولكنه لم ينس حبه لابنة عمه . وربما بثها حبه في خطابات قال في آخر خطاب منها « أنني انسى كاترينتي العزيزة انني سوف أعود لانجلترا في نهاية اكتوبر سنة ١٨٥٤ أو يناير ١٨٥٥ فاذا لم تكن قد تزوجت أو خطبت لأتزوجها . أما اذا كانت قد تزوجت أو حتى خطبت فسوف أبقى في منفاي عشرة أو خمسة عشر عاما أخرى لها بالسعادة فإن سعادتي في أن أراها سعيدة » .

وجمع ما تيسر له من مال واشترى من الفلوبه وركب مركبا شراعيا مع خادمه . وكانا الراكبان الوحيدان بها ، وذهب يبحث عن الثروة في امريكا الجنوبية . وعند وصوله الى « فالباريزو » تلقى رسالة تنبئه بوفاة والد كاترين . وفكر في أن يعود ليطلب يد كاترين ولكنه تذكر أن المعارضة في زواجه كانت من أم كاترين لا من أبيها فقرر أن يستمر في رحلته يدرس ويعمل وأخذ يتنقل بين بلاد امريكا الجنوبية . بلد تشبيه ، وبلاد تسلمه الى أن عاد من جديد الى البرازيل ، ومنها كتب الى والده الذي كان قد استقر في انجلترا يقول له انه سيسجل اتمام بعض الاعمال ثم العودة الى انجلترا .

وفي ٢٠ ابريل ١٨٥٤ ركب مركبا اسمها « لا بيلا » حمولة خمسمائة طن ، مرت على ميناء كنجستون في جزيرة جامايكا . وترك الجزيرة بمركبه في ٢١ ابريل قاصدا ليفربول ولم يسمع عنها بعد ذلك ، فقد ابتلعها اليم جسما وبحارة وركابا . وعثر على بعض بقاياها . وانتهى التحقيق الذي اجري باعتبارها مفقودة نهائيا ، ودفعت شركة البريد ، شركة التأمين ، التعويضات . وأدت المصيبة الى التقارب بين أبوي يوجين ، فجاءت الأم التي كانت قد بقيت في باريس الى لندن والتقت في قصر ليشيوين واعتبر الناس جميعا أن يوجين قد مات ، الا امه ، فقد بقيت تنتظر الاخبار من جميع انحاء العالم ، وتستقبل في القصر كل من يدعي أن لديه اخبارا عن المركب لابيلا وطاقمها الغارق بركابه . وأصبحت موضع حديث البحارة في جميع الموانئ ، يتحدثون – فيما بينهم – عن نبل السيدة العجوز التي تبحث عن ابنها . وما أكثر عدد المترددين الافاقين الذين يدعون أن لديهم معلومات تستقبلهم الأم وترحب بهم في القصر ، فضاق صدر زوجها فأمر بعدم السماح لهم بالاتصال بزوجته اعتقادا منه بأنها أصيبت بالجنون ..

ومضت الأيام .

وفي عام ١٨٦٠ تزوجت كاترين ، فقد مضت سنوات على غياب ابن عمها وذابت في خيوط الشمس ذكراه .

وفي سنة ١٨٦١ تزوج أخ يوجين الأصغر (الذي

ورث اللقب والثروة التي كانت ستعود الى روجيه لو لم يمت) . وقبلها مات سير جيمس فاضطرت زوجته بالعودة الى فرنسا واستقرت في منزل صغير لتكرس وقتها كله في البحث عن ابنها (الغائب) فقد ظلت مصممة على ان قلبها يؤكد لها انه لم يمت وسيعود اليها . وبلغ من قوة ايمانها انها كانت تضيء حديقة منزلها في كل ليلة حتى لا تتعثر خطوات روجيه اذا عاد اثناء الليل من رحلته .

ونشرت في صحف القارات الخمس اعلانا نصه :

« ستمنح مكافأة سخية لمن يقدم معلومات عن مصير روجيه شارل تيشبورن الذي ترك ريو دي جانيرو في ٢٠ ابريل سنة ١٨٥٤ على المركب « ابيلا » التي غرقت بجميع محتوياتها في الاطلنطيق . ولم تصلنا من وقتها اية معلومات عنه . ولكن الشائع في انجلترا ان بعضا من البحارة والركاب قد التقطهم مركب اتجهت بهم الى ملبورن فيما يقال . ان روجيه شارل تيشبورن يكون قد بلغ الثانية والثلاثين ، ضعيف البنية ، متوسط القامة ، اشقر الشعر ، ازرق العينين وهو ابن المرحوم سير جيمس ووريث لقبه وممتلكاته . ترسل المعلومات الى ليدي تيشبورن برقم ١٤ شارع ماثورين بباريس » .

واستمر هذا الاعلان ينشر من وقت لآخر في كبريات الصحف العالمية من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٥ . ثم توقف النشر ... فقد ظهر روجيه بعد طول الانتظار ... بلحمه ودمه .. ثم هكذا ادعى شخص في خطاب تاريخه ١٧ يناير سنة ١٨٦٦ ، ارسله الى الام الوالهة من مدينة واجا واجا باستراليا . ملأ قلب الام سعادة واثبت لها انها كانت على حق وان قلبها كان دليلها .

قرأت الخطاب بقلبها - لا بعقلها - وكان نصه :

« أمي العزيزة . بعد انقضاء هذا الوقت الطويل منذ خطابي الأخير في ٢٠ ابريل سنة ١٨٥٤ أجد عسيرا ان ابدأ خطابي هذا . انني شديد الأسف لما سببته من الآم وقلق بعدم كتابتي لك . ولكن لسكوتي هذا الطويل اسبابا يعرفها رجل امثالي وانا حريص على ان احتفظ بها سرا ولن ابوح بها كتابة الا مشافهة لك . لقد اضطررت للعيش في ضنك وتقشف . ولكن كرامتي على الاقل انني لم اقبل ما لا يتفق مع شرف اسمي . لقد كنت بائسا . ذلك كل ما في الأمر .

انني الآن اذكر بعض وقائع معروفة لك ولي لاتعرفك بشخصيتي . مثل الحسنة السمراء التي بجنبي وموضوع ديك القمح في برايتون . وآمل يا امي العزيزة ان ذكراك لم تبارحني لحظة . أرجو ان لا يعلم احد في هذه البلاد بهذه الامور . ولكنني مصمم على ان اعود اليك . فارجو ان تبعثي الي بما يمكنني من دفع اجرة الطريق وتسديد بعض ديوني التي تزيد على مائتي جنيه . بل عزمي ان احضر عن طريق البحر والبر تحت اسمي الحقيقي ولكن لا بد يا امي العزيزة ان تمكنيني من ذلك » .

وفي ورقة اخرى ضمن نفس الظرف (الغلاف) شرح باختصار كيف انقذ من غرق « ابيلا » وانه لم يكن الوحيد الذي نجا . واعترف انه حين ركب المركب كان في حالة سكر كامل . وكان ذلك - ان لم تخنه الذاكرة - يوم ٢٠ ابريل ، وان عدد الذين ركبوا معه سبعة عشر . وان البحر ظل هائجا لمدة اربعة ايام وكان هو بها يشرب بكثرة . وهاج البحر ولم تنقطع العاصفات ، وفر القبطان ترك المركب وركب ستة منا في زورق نجاة ، وكان من حظنا ان لحقتنا مركب اسمها - فيما اذكر - اوسبري - حملتنا الى استراليا .

وهذا الخطاب مجموعة من المتناقضات . ولكنه لم يدع الشك يتسرب الى عقل الام . الام التي ظلت تستقبل في قصر تيشبورن الاقارب الذين كانت ترحب بهم . بدأت تشك - او لعلها خشيت ان تصدق - وقالت للمقربين منها . « ليس هذا خط روجيه » . « ولا اعرف ماذا يقصد بالحسنة السمراء او لعبة ديك القمح » وما الذي جعله يتحمل عيشة القسوة التي يعترف بانه عاشها ؟! .

ولكنها - مع ذلك - ردت على مرسل الخطاب ونعتته في ردها « عزيزي الصغير روجيه » وارسلت اليه مائتي جنيه اردفتها بمائتين وخمسين ثم ارسلتها بناء على طلبات متكررة منه . وكان في كل مرة يتقدم بتفصيلات عن حياته طوال السنوات الاثنى عشر . فقد عمل قصابا في واجا واجا وعاش على « قد الحال » . ولكنه راض عن مصيره . وانه تزوج من فتاة اسمها ماري آن بريانت من اصل متواضع . امية لا تقرأ ولا تكتب . ولكنها رقيقة عاقلة ومخلصة . وقد انجبت له ابنة واحدة . وانه اعتقد - كيف ولماذا لا احد يدري ! - ان جميع افراد اسرته قد ماتوا ولذلك استمر كل هذه

المة لا يكتب أو يبحث باخباره ولم تنسبه الى كاسترو .

ويقول في تلك الورقة الثانية : « وكان يمكن أن أبقى على هذه الحال لولا أن وقع نظري على الاعلان المنشور . فما كاد يقع نظري عليه حتى شعرت بتبدل كامل في حياتي وارتباطي بوطني وأسرتي وحياتي السابقة . وكرهت حياتي التي أحياها في المنفى . واعتبرت أن (كاسترو) قد مات وأنني عدت الى حقيقتي ليشبورن . وأبعث اليك بصورتي ومنها تحكمون على مقدار ما نالني في منفاي ... الى المتلقي القريب يا أماه » .

⭑ ⭑ ⭑

كان تأثير الصورة على الأم قويا . فقد رأت صورة ابنها حيا بعد أن اعتقد الجميع أنه قد مات . فقد وجدت ايمانها الذي عارضت به جميع الناس يتحقق . فقد عرفت ابنها تماما واكتشفت في الصورة جميع الملامح العزيزة التي لم يمحها طول الغياب من ذاكرتها .... فقد أنمحت كل الشكوك التي راودتها بادىء الأمر . وكتبت له تعطره من استلامها الصورة بكلمات كلها حنان وحب . وقالت في خطابها ان باستراليا خادمين سابقين لأسرة ليشبورن أحدهما بستاني اسمه جيلفويل والآخر سايس خيول أسود اسمه بوجل .

يالها من سكينة . انها في لهفتها لتحقيق أملها بدأت تمد من تظنه ابنها بالمعلومات التي كان يجب أن يعرفها ـ فكان يجد من كتاباتها سلما يرقى اليه .

بحث صاحبنا ـ ويستحق عليه من الآن اسمه الذي اتخذه (روجيه) تحقيقا لرغبة أمه حتى تقتنع من حيثها الشكوك عن الرجلين واستصحبهما الى واجا واجا وحصل منهما بكل سهولة على شهادة قررا فيها أنهما تعرفا من الوهلة الأولى على (سيدهما) . وكان الأول البستاني يكسب قوت يومه ولا يفكر في ترك استراليا عائدا الى عمله . أما الثاني فكان بائسا وله زوجة وولد فالتحقه روجيه بخدمته ومنّاه بأنه سياخذه ويأخذه معه الى انجلترا ... وانهال صاحبنا ما يريده القصص منه فأخذ يروي له جميع المعلومات التي يعرفها عن أسرة ليشبورن وهو يستمع ويعود في ذاكرته كأنما يسمع ويهز بأسه ويقول « أذكر ذلك تماما » .

⭑ ⭑ ⭑

فركب روجيه بزوجته وابنته وبصحبتهم بوجل فزوجته وابنته مركبا وجهتها ميناء الهافر . فأسرع الى باريس حيث استقبلته أمه (؟) بالأحضان . واعتقد أنه قد حقق مطلبه وان اللقب والثروة الطائلة قد أصبحت في متناول يده .

⭑ ⭑ ⭑

ولكن الرواية لم تكن قد تمت فصولها . فقد ورث اللقب والثروة الابن الأصغر الذي تزوج وأنجب ابنا هو الآن حامل اللقب ، بفقده أنه أصبح أن القادم من وراء البحار هو صاحب الحق الشرعي فرفضوا الاعتراف به .

وكانت زوجة سير جيمس (أمه) تعمه بالأمل في انتظار أن يضع يده على الثروة ولكن شاء حظه العاثر أن لا تطول حياتها ـ لعل قلبها لم يحتمل ما غمرها من سرور ـ وانقطع بذلك ما كانت تلقيه من ظلة تدفع مدى حياتها . فلم يبق أمام روجيه الا أن يلجأ للقضاء .

وقد لجأ خصومها فقدم بلاغا ادعى فيه أن وفاة أمه لم تكن طبيعية وطلب استخراج جثتها لتشريحها كما طلب تشريح جثته فلا مات الأنه ـ فيما ادعى ـ لا يجهل أن يبلغ الف جنيه قد عرض على أحد خدامه ليدس له السم في الطعام .

واطلع القاضي على شهادة الأطباء المبينة لسبب الوفاة ورفض هذا الطلب .

ولم يقف خصومه مكتوفي الأيدي فبعثوا برجل اسمه ماكنزي الى استراليا ليجمع معلومات عن شخصية غريمهم وقام الرجل بتحريات واسعة وعاد بشهادات تثبت أن كاسترو كان يعمل في استراليا قبل غرق وصول روجيه الحقيقي وكانت بأن ماري بريجت قد عقد مرتين مرة في عام ١٨٥٩ أمام قسيس بستغاك ومرة في عام ١٨٦٦ أمام الكنيسة الكاثوليكية ـ الأمر الذي كشف كاسترو أن أسرة ليشبورن كاثوليكية .

واستطاع ماكنزي أن يحصل على مفكرة بها بيانات بخط كاسترو منها عنوان قصر ليشبورن ـ في غير موضعه الصحيح . كما كتب اسم ليشبورن عشرات المرات كما لو كان كاسترو يريد أن يرسخ ذلك الاسم في عقله . كما وجد فيها جملة منقولة أخطأ كاتبها نصها له تقول :

« ينقسم الناس الى فئتين : أصحاب عقول وليس لديهم المال . وأصحاب مال بدون عقول وجدوا لمصلحة الفئة الأولى » .

واكتشف ماكنزي أن شخصا آخر اسمه شوتييه

كان في واجا واجا كان يعرف كاسترو وانه هنأه من ناحية قريبة من لندن اسمها وابينج . فجمع الكثير من المعلومات عنه — انتسبه كان قد زار استراليا — وانتقل الى وابينج بحثا عنه ولكنه لم يجد له اثرا بل وجد اثرا لقصاب اخر صديق له اسمه اورتون قد ابن هاجر الى استراليا في حوالي سنة ١٨٥٠ ولكنه لم ينجح في عمله ولم يجمع ثروة الا في الايام الاخيرة حيث ظهرت على اسرة اورتون بعض مظاهر الثراء التي لم تعتها من قبل . واستجوب ماكنزي اخوة اورتون فقالوا ان احد اخوتهم يملك ضياعا واسعة في استراليا قد عاد اخيرا وانه يدفع لهم ايرادا شهريا .

★ ★ ★

وتتبع الخصوم هذا الخيط الجديد واثبتوا ان ارثر اورتون هو الافاق الذى عاد تحت اسم كاسترو ويدعى انه روجيه المفقود . فمن هو ارثر هذا ؟ .

انه الابن الثاني عشر لاسرة مكونة من ثمانية ذكور واربع بنات . كان ابوه جورج اورتون قصابا محترما في وابنج . ولد من حواليه ٢٠ مارس ١٨٣٤ اي انه يكبر روجيه بخمس سنوات . درس دراسة اولية في احدى مدارس الضواحي ولم يتم تعليمه لاصابته بمرض الرعشة على اثر حريق شب في المنزل المجاور . فالتحق بمركب شراعي متجها الى فالباريزو حيث وصل في يونيو سنة ١٨٤٩ ووقع في غرام راقصة هرب من اجلها مركبه ... وبعد ثلاث سنوات عاد الى لندن حيث ازدج بها — وليس بواجاواجا بعارى آن بريخت ولي العهد — سنة ١٨٥٢ هاجر الى استراليا .

وامن آل تيشبورن ان هذا هو القصاب الذى جاء يدعى انه روجيه تيشبورن بلحم عظامه ليحرمهم من اسمهم ولقبهم وثروتهم الطائلة . بينما انقسم الناس في لندن وفي الامبراطورية البريطانية بين انصار الاسرة وخصوم وشغلت الصالونات والنوادي والصحف باخبار القضية ودارت المراهنات حولها .

★ ★ ★

بدأت القضية في اليوم العاشر من مايو سنة ١٨٧١ واستمرت حتى ٢٨ يناير ١٨٧٥ .

جاءت في البداية مجموعة من الشهود الذين جمعهم آرثر اورتون من نوع شهود العالم المحترفين الذين يشهدون بما لا يعلمون . اولهم خادمه الذي التحق بالفرقة السادسة التي انضم اليها روجيه وأكد انه عرفه من النظرة الاولى من طريق مشيته وتقوس ساقيه وانفراج ركبتيه وحركة عينيه .

وثانيهم رجل اسكتلندي لم ير روجيه الا مرة واحدة على رصيف طرسيليا قبل واحد وعشرين سنة واكد انه هو الذي رآه .

وعدد كبير من الشهود الاخرين شارب عددهم الثلاثة منهم من جاء لمنفعة ومنهم من جاء متحمسا بحماسه وجميعهم لم يصمدوا امام استجواب محامي الاسرة وبدا للمحلفين انهم ليسوا بالشهود العدول .

★ ★ ★

وبدأ استجواب روجيه (او اورتون) ووجهت اليه اسئلة كثيرة من القاضي ومن محامي الخصوم عن حياته قبل ان يهاجر وعن تصرفاته وتنقلاته الثلاث الطويلة في الغربة واتخذ هو موقفا واحدا امام هذه الاسئلة التي تستهجن تصرفاته قائلا « انا انه نسي . ثم انه ليس من حقهم الاستغراب لتصرفاته وعزا ما في تصرفاته من شذوذ الى عدم زواج ابنة عمه بعد ان تعاهدا على الزواج مدعيا الى انه حدث بينهما ما كان يجب ان لا تنساه » .

واحدث ذلك التلميح ضجة في القاعة مما حمل محامي الاسرة الى ان يتحداه الا كان يجرؤ ان يقول ان كاترين التي اصبحت الآن ليدي رادكليف قد اباحت له نفسها .

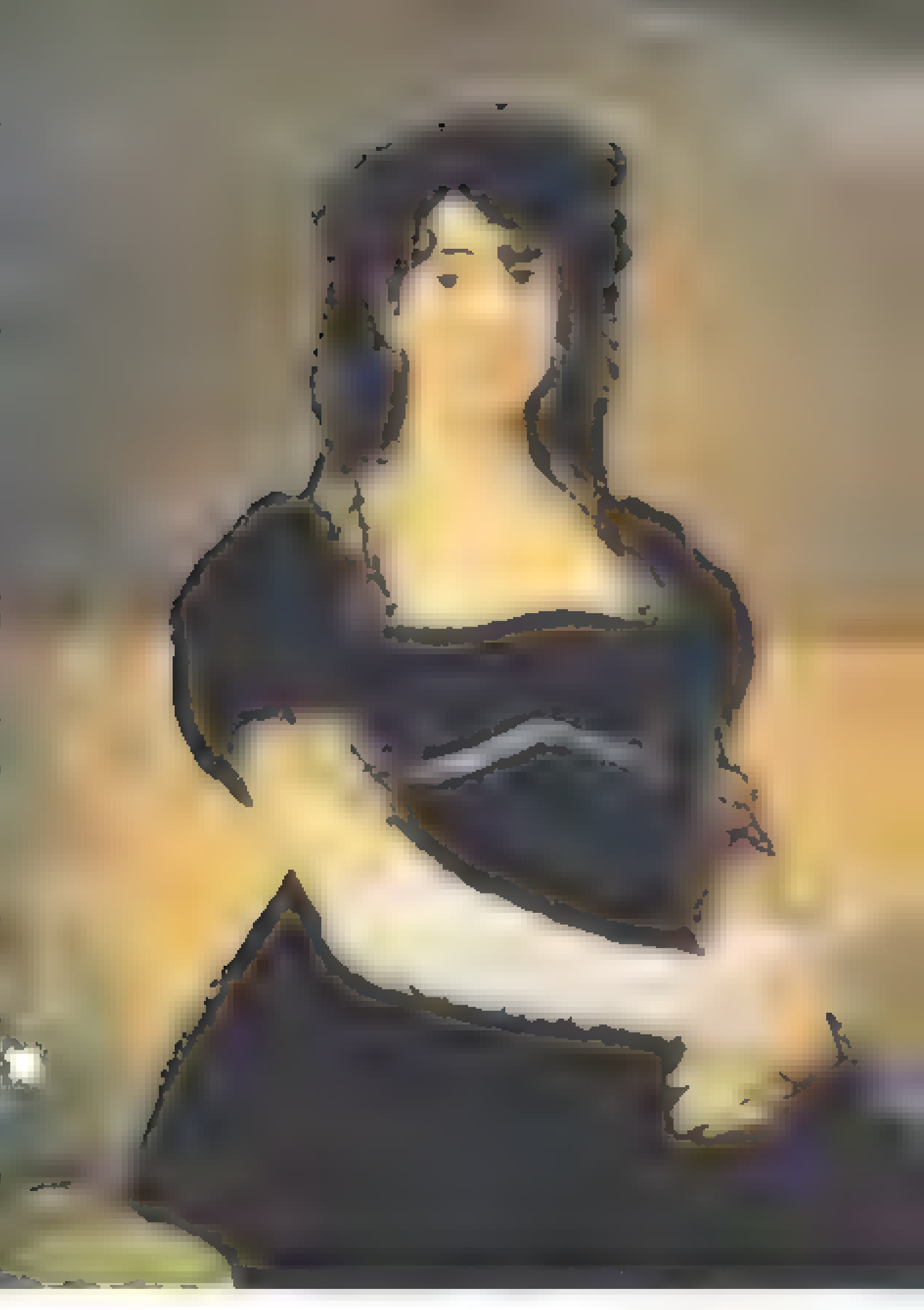
فتردد قليلا لعله يستعيد ذاكرته او يقدر خطورة اجابته ثم قال : نعم .

وهنا صاحت ليدي رادكليف التي كانت بالجلسة بصوت عال : هذا كذب .. كذب .

وتعددت اسئلة القاضي له فلم يستطع الاجابة على الكثير منها .

فهو لا يذكر اسم القسيس الذى علمه . واكد انه لم يلتحق باي مدرسة في باريس . ولا ذكر اسم ثلاثة من الذين رافقوه . وذاكرته عن وقائع حرب القرم السياسية بليدة . وكان يتحدث الفرنسية بطلاقة لغة فهو فرنسية وعاش حياته الاولى في باريس ومع ذلك لا يعرف كلمة واحدة


العربي
العدد ١٥٦
رمضان ١٣٩١
نوفمبر
(تشرين الثاني) ١٩٧١



من روائع الفن العالمى

● لوحة سيدة للرسام الإسباني جويا رسمها سنة ١٨٠٥ والتي [illegible] صورة [illegible]
[illegible]
[illegible] والوحة موجودة [illegible]
تبلغ مساحة الصورة ٨١٫٩ سم × ١٠٣ سم

عزيزي القارئ

● قالوا لما دخلت البحرين ودخلت قطر هيئة الأمم المتحدة : فوجئت الدهشة

وسكتوا وسكتنا

وقالوا بعد أيام : ودخلت « عمان » هيئة الأمم المتحدة : فوجئت الدهشة

وسكتوا وسكتنا

سكت من يحسب أن هيئة لا تكون إلا من الكبير [illegible]

ونظرت في سجل [illegible] أعضاء هذه الهيئة الأمثون [illegible] الأعضاء الأحدثين [illegible] هيئة تشمل فيها شر [illegible] ، وأسعد من [illegible]

انها هيئة تضم مائة وثلاثين عضوا ، وزادوا واحدا . في حكم القانون اعضاء متساوون ولكن الاقطاع فيهم شر من اقطاع كان في القرون الوسطى . منهم دول قليلة اسموها بالدول الكبرى ، واسموا ؟ فلم يسموا خلق الله الباقين بالدول الصغرى . وسياسة الهيئة هي سياسة ما يرى الخمسة الاربعة او الخمسة . والسبيل منهم ... ذكرت المثل العربي الذي يقول

« يا بخت من كان النقيب خاله »

واسرائيل ، وهي ليست من الدول الكبرى في شيء ، هي كبيرة ، لأن [illegible] الأكبر في الأمم المتحدة حاميها . ولقد كوكب الولايات المتحدة في هيئة الأمم المتحدة ، توابع ، كما تتبع الكواكب الشمس [illegible] ، لا [illegible] ولكن القانون الاساسي الذي [illegible] المال الذي جاذبيه ، وكالمال القوة ، قوة علم ، أو قوة حرب

الولايات المتحدة اليوم هي في الأمم المتحدة اليوم « عصبة » هي عصبة الكثر في هيئة امم متحدة .

رأت ابدا ان تدخل الصين الهيئة سنوات ، فما دخلت . وقالت أمم كثيرة في الهيئة العالمية لا تدخل .. ثم رأت هذا العام ان تدخل ، وبقدرة قادر ، قالت نفس تلك الأمم : لا بأس ، فلتدخل !

فهل بعد كل هذا يكون هناك مجال للدهشة بدخول هيئة امم كهذه ؟؟

ان كان بعد كل هذا دهشة ، فللأخوة العرب الثلاثة ألف دهشة ، ودهشة !

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

[illegible]

■ حديث الشهر: الإنسان [illegible] من عصري بدائي قديم وعصري حديث ٨

[illegible]

■ مساجد الإسلام في شتى العصور ، المسجد فكرة وروح قبل أن يكون مبنى وشكلا ٢٨
■ جوته والإسلام ٧٤

لغة وأدب

■ شعر الملاحم في الأدب العربي [illegible] في الجاهلية وفي صدر الإسلام ٦٢
■ ابن زيدون [illegible] مع أفراح حبه [illegible] وأحزانها شعرا خالدا لا يفنى ٨٨
■ [illegible] لها تاريخ [illegible] وحول الذكرى صاحب كتاب مهاريج اللؤلؤ ١٤٨
■ الجاحظ [illegible] إلى [illegible] لغة الإنسان بالحيوان ١٦١

استطلاعات مصورة

■ مكتبات الكويت (بالألوان) ٥٢
■ الشارقة: إحدى إمارات الاتحاد الوليد بالخليج العربي (بالألوان) ٩

طب .. وعلوم

■ وحدة الله نراها في وحدة خلقه [illegible]
ربط بين الحيوانات والنباتات في وحدة الكون الكبرى ٤٠
■ أمراض شائعة: استئصال اللوزتين ٤٩
■ أنباء الطب والعلم والاختراع [illegible]
[illegible]
ـ خالية من [illegible] بعد الطاقة من [illegible] ٨٣
■ طب الأسرة: البثور على البشرة ، [illegible] ـ النظر [illegible]
[illegible] ٩٧
■ [illegible] عند العرب [illegible] ١٦٦

شعر .. وشعراء

■ أسائل عنك الدار (قصيدة) ٣٨
■ شعر الملاحم [illegible] على [illegible] النطاسي ٦٢
■ ابن زيدون ، شاعر خلد الحب شعره ٨٨

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت
[illegible] مسؤولة عما ينشر فيها [illegible]
[illegible]
العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٧١٤١ تلغرافيا: العربي
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة [illegible] الإعلانات
المراسلات: تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● [illegible] مكتبة عامة [illegible] مكتبة مدرسية [illegible] في جميع أنحاء الكويت وفي منطقة [illegible] أحدى ضواحي الكويت ، مكتبة عامة حافلة [illegible] تحوي عدة آلاف من الكتب والمجلات ، هذه صورة منها .
(انظر الاستطلاع ابتداء من صفحة ٥٢)

عروبة

■ الأصل في تعليم العرب أن يكون بالعربية ١٢٤
■ المشكلة العربية الإسرائيلية مرة أخرى ١٥٢

[illegible]

■ [illegible] كتابات [illegible] ، وطاقات و [illegible] فاعبة كاملة ٧٩

تربية وعلم نفس

■ [illegible] العمر ، [illegible] الأخلاق [illegible] ادخلوا العمل في كل مدرسة ٢٠

تاريخ .. وتاريخ أشخاص

■ [illegible] صاحب [illegible] المسكي ، [illegible] ٨٨
■ [illegible] الموسيقيين الأندلسيين ١٣٧
■ أبو الفتح [illegible] الذي [illegible] ودولة [illegible] ٤٢
■ الجاحظ ، دائرة معارف عصره وصحافته السيارة ١٦٦

كتب

■ كتاب الشهر : المشكلة العربية الإسرائيلية ٥٩
■ مكتبة العربي ١٥٩

[illegible]

■ [illegible] والطيف : قصة من الشعر [illegible] ١٢٨
■ الدرس الآخر (قصة) ١٧٠

متنوعات

■ [illegible] ٣
■ من روائع الفن [illegible] ٤ ■ بريد القراء ٩
■ نتيجة مسابقة العدد ١٥٤ ١٩ ■ مسابقة العربي ٢٥
■ طرائف عربية ٢٦ ■ طرائف عربية ٧٢
■ اسأل ونحن نجيب [illegible]
[illegible]
[illegible] - متى عرفت [illegible] في زواياها وأحكامها [illegible] العظيم ١٣٣

ثمن العدد بالكويت [illegible]
٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش
[illegible]
[illegible]
[illegible] ٣ فلس
الاشتراكات [illegible] بالشركة العربية
[illegible]





في سبيل موسوعة علمية

● في كل عدد جديد تطلع علينا العربي بموضوعاتها المتسعة في العلم والادب والتاريخ ومختلف فروع الثقافة . ان المواد التي تنشر وهذه الابواب تصنع كتبا لو سوف لرؤيتها كاملة لكل ما نشره العربي وسينشره . فلما لا تصدرون كتبا تحوي الموضوعات العلمية واخرى للموضوعات الادبية وثالثة للتاريخ وهكذا . نرجو ان تحققوا لنا هذه الامنية .

محمد سعد ـ السعودية

العربي : ليس هذا مطلب جديد ، فقد تلقيناه وما زلنا نتلقى مئات الخطابات من القراء من مختلف ارجاء الوطن العربي ، يرجون ويلحون في الرجاء بأن نجمع لهم مواد العربي في كتب ، لا سيما العلمية ، وتحقيقا لهذا تقدم احد الناشرين العرب ، وله هواية بالعلم ودراية ، فاستأذن لطبع ما نشرته العربي تحت باب « في سبيل موسوعة علمية » ، وقد علمنا ان هذا الكتاب الجديد قد اوشك على الصدور ونرجو ان يتبع هذا الكتاب بكتب اخرى تجمع ما نشر العربي من مسلسلات في العلم والادب والتاريخ كما ذكرتم .

الاندماج الاقتصادى

● لاحظت في عدد نوفمبر ١٩٧١ في مقالة الاندماج الاقتصادي على المستوى الاقليمي للكاتب اسماعيل العربي ان هناك خطأ وقع في الايضاح بالخريطة الخاصة بالاتحاد الجمركي لافريقية الوسطى ، حيث اشير على الخريطة المذكورة الى من جملة هذا الاتحاد الكونغو بشطريها في حين ان الكونغو (برازافيل) وحده هو الصواب لتضمن المجموعة الفرنسية المكونة للاتحاد .

ياسين الشيخلي ـ بغداد

اقتراحات من القراء

● استجابة لما دعونا القراء اليه من ارسال اقتراحات تتصل بالموضوعات والابواب المنشورة بالعربي ، وبمناسبة العام الجديد ، وصلتنا من الكثيرين منهم اقتراحات قيمة ، ولكنها لم تخرج عن الاقتراحات التي سبق ان ارسلوها الينا في الاعوام الماضية .

ونحن نسدي الشكر الى من تكرموا بارسال المقترحات .

« العربي »

خطأ مطبعي

● جاء في مقال الدكتور حسين مؤنس الذي نشر في العدد ١٥٤ من العربي تحت عنوان ، اقرأ باسم ربك الذي خلق « الآية الكريمة من سورة المدثر وهي : « يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر » . ولكن فكبر كتبت فكر ، وهو خطأ مطبعي لا شك في ذلك ، لذا وجب التنويه .

احمد مختار العلاو
دمشق / سوريا

ربط العلوم الطبيعية بالعلوم الانسانية

● منذ أيام قليلة شاهدت على شاشة « التلفاز » ندوة كان يديرها السيد الدكتور عبد المنعم ابو العزم وكيل وزارة البحث العلمي وجاء ذكركم في سياق حديث سيادته كأحد أعمدة العلم ودعائمه وأثار سيادته قضية ما من شك في أنها ستحظى منكم باهتمام يشجع لنا في المقالة باشباع موضوعها في مجاله وكان محور المناقشة مدى ارتباط العلوم الطبيعية بالعلوم الانسانية ومدى مساهمة التكنية في تطوير العلوم الانسانية ووجدت نفسي تلقائيا أكتب لسيادتكم مناشدا عرض الموضوع في سلسلة من المقالات على نمط سلسلة مقالات « وجعه الله تراءى في وحدة خلقه » .

ج . ع . م — [illegible]

كربلاء والنجف الاشرف

● سبق لمجلة العربي ان قامت باستطلاع العتبات المقدسة في كربلاء والنجف الاشرف ، في العدد رقم ٤٢ الذي صدر في اول مايو من عام ١٩٦٢ ، اي منذ عشر سنوات او نحو ذلك . ومنذ ذلك التاريخ حدثت تغييرات كثيرة في المدينتين المذكورتين ، فقد ازدهرتا وبسطت حركة العمران فيهما ، حتى اصبحتا من المدن الهامة في العراق آمل الشرح على مجلة العربي ان تقوم بزيارة جديدة تستطلع فيها هاتين المدينتين في ثوبهما الجديد .

[illegible]

العراق — النجف الاشرف

اقليدس لم يكن انجليزيا

● في الصفحة الثانية من عدد ابريل ١٩٧١ نشرتم لوحة تمثل العالم اليوناني القديم « اقليدس » وقد ذكرتم تحتها بالنص « .. الكتاب الذي وضعه في اصول الهندسة وسماه The Elements » .

فلا صححتم بالله عليكم ، هذه الخطيئة .. فاقليدس لم يضع كتابه المشهور باللغة الانجليزية بل باللغة اليونانية القديمة . وأراهن بمبلغ الف دينار على ان اقليدس لم يعرف اللغة الانجليزية ... فهذه اللغة لم تكن موجودة بعد في عهده ..

محمد عبد الرحيم عثمان

[illegible]

العربي : إنك تؤكد في رسالتك حقائق معروفة ومسلما بها .. فالكل يعرف ان اقليدس المذكور ، او العالم اليوناني القديم الذي عاش ودرس في الاسكندرية ، حوالي سنة ٣٠٠ ق.م ، لم يعرف الانجليزية ، ولم يضع كتابه « Elements » في اللغة الانجليزية .. حقا لقد اغفلنا عنوان الكتاب الاغريقي الاصلي (Stoicheia) .. واكتفينا بذكر اللفظ الانجليزي Elements ، الذي يؤدي معنى ذلك العنوان والذي يقوم مقامه في الغرب ، ليس خطيئة ، ولا يجوز ان يفهم منه بأي حال ان اقليدس وضع كتابه باللغة الانجليزية .. ولو أننا كتبناه بالعربية وقلنا « العناصر » لجاءنا منك خطاب يستنكر فيه ان اقليدس كان يعرف العربية .

(البقية على صفحة ١٧٤)



الأسرة ماعت عند الروس ، ثم عادت إلى تماسكها .

التبعية الفكرية ، عبودية لا ترضاها العقول ، إلا عند عجز .

الصناعة فككت روابط الأسرة القديمة لتصنع منها أسرا حديثة .

والمرأة عملت ، وكسبت ، وتحررت .

تحرر المرأة لا يعني فساد آدابها .

الطلاق لا يهدم الأسرة ، ولا الإباحية الحاضرة بقاضية عليها .



زراعيٌّ قديمٌ ، وصناعيٌّ حديثٌ

افلاطون ورايه في امر الاسره

قلت : اقرا جمهوريه افلاطون ، فستجد فيها نظاما للدوله فريدا . وتجد ان الدوله عنده هي ذات الخطر الاكبر في حياه الناس ، ومن اجل هذا لا بد من الغاء كل ما ينافسها في الخطوره

والسيطرة. والأسرة من أكبر منافسيها، وإذن وجب إلغاؤها أو على الأقل إضعافها. وهو يقترح للدولة أن يكون حكامها من رجال ونساء يختارون من الصفوة. وأن يكون هؤلاء النساء زوجات بالمشاع للحكام الرجال جميعا، فلا يختص رجلٌ بامرأة. وما يلدن من أطفال يكونون أطفال الجميع على المشاع أيضا، فلا يعرف والدٌ من ابنه ومن بنته، ولا تعرف والدةٌ، ولا يعرف ولدٌ مَنْ أبوه ومَنْ أمه.

استمعَ الشاب وسكت.

وأردتُ أن أزيده، فسألته: أي الدول الحاضرة اليوم هي في نظرك أكثر يسارية، ففكر ثم قال في شيء من استحياء: لعلها روسيا.

قلت: سألتك وأنا أعلم أن جوابك سيكون الروس، فاستمع لما صنع الروس، هؤلاء اليساريون، في أمر الأسرة.

الروس الثورة، وما صنعوا في أمر الأسرة

إن الثورة الروسية قامت في عام ١٩١٧، وكانت نظرتها إلى الأسرة تنم عن استخفاف بها، وعدم إدراك لخطورتها، ونتجت هذه النظرة بسبب المزاج الثوري، الذي كرهَ في عنفه كلَّ النظم التي كانت قائمةً في عهد القياصرة، ومنها الأسرة، وبسبب الرغبة العامة الجامحة للتحرر من كل قيد. [illegible] يتزوج من شاء من شاء، ويطلق، أو يتعاشر الاثنان فيصبح [illegible] كالمتعاشر. وفي عام ١٩٢٩ مات رجل فتنازعت امرأتان ادعاء الإرث فيما خلف، ولم تكونا زوجتين للرجل الراحل، ولكن ثبتَ أن كلتيهما تعاشرت وإياه زمنا تعايش الزوجين، فقضت المحكمة العليا لهما باقتسام الميراث. وكانت النتيجة الطبيعية لهذه النظرة للزواج، فللأسرة، أن لم تكد يكون



أفلاطون .. جعل النساء شركة بين الرجال، وبذلك دعا إلى إباحية مطلقة وفصل بين الأمهات وأولادهن، وجعل الأولاد، أولاد الدولة.

هناك فارقٌ بين الولد ينجبه الرجل في زواج، والولد ينجبه في غير زواج.

والطلاق صار بعد زواج، أباحته الثورة، بلا عائق، كان هذا العائق ما كان. يكفي أن يذهب الرجل أو تذهب المرأة، إلى وكيل الحكومة فيطلب إلغاء زواجها، أو يطلب. ويقع الطلاق على الفور. ولا هو يُسأل عن سبب، ولا الزوجة تُسأل عن سبب.

ثم يأتي عام ١٩٤٤ فينقلب رأي الروس في الزواج وفي الأسرة. انقلبوا، وهم اليساريون، بعد تمزيع معنى الأسرة تمزيعا دام أكثر من ثلاثة عقود من الزمان. ففي هذا العام، عام ١٩٤٤، صدر القانون الذي يحرم أن تحل المعاشرة بين الرجل والمرأة محلَّ الزواج، وأن الزواج، والزواج المسجل وحده، هو الأسلوب الوحيد الذي يُعبر عن علاقة المرأة بالرجل.

والطلاق أصبح لا يؤذن به بمحض طلبه، فقد وجب على المحكمة أن تعمل على إصلاح ذات البين بين الزوجين أولاً. وزيدتْ رسومُ الطلاق زيادةً كبرى، ووجب إعلان طلبه في الصحف المحلية. فإذا أخفقت المحكمة في إصلاح ذات البين، فقد يؤذنُ لها بإيقاع الطلاق. ومع هذا، فصفة الروس اليوم إنما هي كراهة



لينين .. بدأت الثورة الروسية في امر الاسرة ، باباحة الطلاق اباحة مطلقة ، ثم وطدت بروابط كثيرة حفاظا على الاسرة .

الطلاق . وقد وجهت المحكمة العليا الى المحاكم عام ١٩٤٩ مكتوبا تلومهم فيه على شيء وقع من التساهل والميل الى ارضاء الزوجين بالطلاق ، وذكرتهم بان الطلاق لا يعطى الا لاسباب قاهرة ثابتة تحققت المحاكم من قيامها ، وبحيث اصبح استمرار الزواج معها لا يؤدى الى الهدف منه من حيث المحافظة على كيان الاسرة ورعاية اطفالها

الحق لا يعرف يسارا او يمينا

انصت الشاب الى قولى هذا كله ، ومع هذا ظل ساكتا يفكر . فرأيت ان ازيده خشية أن يخطئه الهدف من كلامى ، وبحسب انى اصبحت معه يساريا . ولست ابالى ان أكون يساريا او أكون يمينيا ، لانى لا افهم معنى محددا لليسارية ، ولا لليمينية . كل يدعى الهدى ، وهدى أو هدى الطريق لا يكون دائما فى اتجاه واحد . والهدى قد يسلك اليه الانسان سبلا ذات اتجاهات اربعة او ما شئت من اعداد

قلت : اردت أن ازيد هذا الشاب صفاء رأى ، فقلت له : الأذكر ان الذى استخف بامر الاسرة فى ثورة عام ١٩١٧ كان يساريا ، وان الذى اعترف بثقل وزن الاسرة فى المجتمع فى عام ١٩٤٤ ، ولان استقرار الاسرة لا بد منه لاستقرار المجتمع ، كان ايضا يساريا . كلاهما اعتمد الفكر مصباحا للحل . واخطأ الفكر اولا ، واصاب الفكر اخيرا ، حتى لتكاد ان يكون يمينيا ، وحتى لتقال الروس بما قال به الرسول : « ابغض الحلال عند الله الطلاق » . اما خطأ الفكر أولا فلامتزاجه بشائبة من عاطفة جامحة هى كراهة النظم الذى كان قبل الثورة ، والمجتمع الذى كان ، وبالتبع كل ما كان ، ومن ذلك الاسرة . واما اصابة الفكر آخر الامر فقد اعان عليها ما كسب الروس من خبرة فى ربع القرن الذى مضى بين الرأيين .

وسكت وسكت الشاب

التبعية الفكرية عبودية لا ترضاها العقول الا عند العجز

وعدت اسأل الشاب عن محتوى ما استفاد واستغل من هذا الحديث

قال : عرفت أن الروس كرموا الاسرة ، وهذا كنت لا ادريه .

قلت : حديث الاسرة والروس انما جاء عرضا ، وانما الرأى الذى اردتك ان تعيه وان تحذره أن تسمع رأى ، وتعلم ان اليساريين يقولون به ، فتدعى لهذا الرأى انتعدم . ثم تسمع برأى وتعلم ان اليمينيين يقولون به ، فتدعى لهذا الرأى التحجر واحذر من عكس ذلك ، رب رأى يقول به اليمينيون ، وحقيقى رأى يقول به اليساريون . انها التبعية الفكرية والعبودية العقلية التى يلغى فيها الرجل ، ويلغى المرأة ، عقلها وفكرها ، لتستعيض بهما فكرا وعقلا غيرهما واهل اليمين كثيرا ما يتحدثون عن الاستعمار الفكرى وينالهم ، فتعلم انهم انما يقصدون الاستعمار اليسارى واهل اليسار كثيرا ما يتحدثون عن التخلف الفكرى ويتألمهم ، فتعلم انهم يقصدون الاستعمار الفكرى اليمينى وان كان لا بد من

استعمار فليستعمر الرجل نفسه ، من راسه يخرج الفكر ليبني ، ومن راسه يخرج الفكر ليزدرع . ومن راسه يخرج الكفر ويخرج الايمان، ومنه يخرج الضلال والهدى . وليس لدى المرء اداة هدى الا عقله ، فان ضلّ من بعد اجتهاد صادق فما على المرء بعد ذلك من سبيل . الا ان يمنّ الله عليه بالفكر الذي يكشف خطأ الفكر ، ويقيه العثرات .

قال الشاب : هذا كلام طيب ، ولكنا الى الآن لم نقض في امر الاسرة شيئا ، هل نظام الاسر نظام باق على الزمن او هو زائل مع ما زال من نظم هذه الحياة عبر الايام .

قلت : اظننا قضينا اننا لا نستطيع ان نقضي في امر الاسرة ، هل تبقى ام تزول ، بسبب قدم او حداثة. فالشجر قديم وباق ، والشمس قديمة وباقية ، والحياة نفسها قديمة وباقية . وقضينا كذلك باننا لا نستطيع ان نقضي في امر الاسرة ، بقائها والزوال ، بناء على ما يقول اهل يسار او اهل يمين ، وانتهينا الى ان لا دخل ليساريه او يمينية في الحكم على الامور . وهذه قواعد ثابتة اساسية في الحكم ، لا في امر الاسرة وحدها ، ولكن في سائر ما ننظر فيه من امور .

وقطع الحديث قاطع

وفي تلك الساعة استاذن بالدخول الينا من قطع علينا الحديث . والحق انه كان قد طال حتى استبانت نهايته.

ولكن تراءى لي مع هذا في امر الاسرة، هل هي باقية مؤسسة راسخة الكيان في المجتمعات الانسانية ام هي الى زوال، ما لا يجوز ان يقف الانسان به عند الحد الذي وقفنا عنده ، لا سيما وقد ظهرت في المجتمعات الانسانية ، ولا سيما الغربية ، نذر تكاد تنذر بفناء الاسرة ، فينجاب الاستقرار في هذه المجتمعات.

الاسرة القديمة فيما قبل التصنيع

واستانفت الحديث بالاسرة القديمة في بلاد الغرب ، اى قبل عصر التصنيع والحضارة الحاضرة،وتشبهها في اصول الصفات ، الاسرة الريفية الحديثة في بلاد الشرق وبلاد الغرب ، وهي لم تعرف بعد ما العهد الصناعي ، ولم تتأثر بمطالب الصناعة والصناعيين .

الاسرة القديمة كانت مؤلفة من رجل زوج وامراة زوجة ، واولاد ثلاثة او خمسة او عشرة . ويكبر الاولاد ويتزوجون وتتسع لهم الدار . جمعتهم جميعا لقمة الارض ، وشركة الحياة ليلا ونهارا. وتوزعت الواجبات بينهم . فالاب وهو العامل الاول ، والكاسب الاول ، ومغداه ومراحه خارج الدار . وهو الراس المدبر ، وهو الناصح،واليه ترجع الامور . والزوجة الام لها البيت كله ، فيه مغداها ، وفيه مراحها . والاولاد ، الذكور ، في الدار يعملون . او فيما هو قريب من الدار . وان كبروا وتأهلوا فلهم في الدار عش مأمون . وان لم يكن فعش من الدار قريب، تمتد اليه الرقابة ، رقابة رب الاسرة الكبير ، وهي تصح على السنين مشاركة ، ومعاونة وولاء للاسرة دائما .

وحاجات العيش كانت تعين كلها على ربط الاسرة الكبيرة وضم شملها في تلك العصور ، عصور ما قبل العصر الصناعي الحديث . فكل شيء تمكن صناعته في البيت ، فليت صنعه . رغيف العيش يعجن ويخبز في البيت . واللبن يحلب في البيت من بقرة او معزة، واللحم يجزره الجزار عن قرب . . وتبحث عن المطاعم في القرية او المدينة القريبة فلا تكاد تجد من ذلك شيئا . وقد تجد الخان ولا تجد الفندق لان الضيوف تنزل في البيوت .

وكالطعام في الاسرة فكذلك اللباس . يصنع في البيت . ويغسل ويكوى في البيت . والركوبة ، لكل بيت ركوبته .



الأسرة القديمة فيما قبل التصنيع، حاجات العيش تتضمن كلها على ربط الرابطة، جمعتهم جميعا لحمة الأرض وشركة الحياة.

ولكم سمعنا ونحن صغار من مدرسين مشهورين أعلام كانوا يتنقلون الى مدارسهم على الحمير والبغال ، هي حميرهم أو بغالهم ، ولها في المنازل كما لأبناء آدم مأوى .

والأسرة يكسب كاسبوها فيوضع الكسب كله في حصيلة واحدة . ولا كاسب عند ذلك غير الرجال .

والأسرة كانت تحمل اسما واحدا يجوب به كل أعضائها في القرية ، أو في المدينة ، قبل العصر الصناعي ، وهي تحمل مع هذا الاسم كل ما بلغته الأسرة في بيئتها من مكانة . كرجل القبيلة يتنقل ومعه اسمها ، بنو تميم أو مازن ، وينال له من احترام بقدر ما للاسم يحمله من مكانة .

والأسرة القديمة كانت في حقيقة أمرها أسرا ، يجمعها الى جانب المكان الواحد والزمان الواحد ، العيش الواحد ، والطعام الواحد ، واللباس الواحد ، والعمل الواحد أو المتشابه ، وتجمعها الحظوظ المتقاربة ، وهي من حيث العلاقات الأدبية والالتزامات الروحية ، كانت كتلة متضامنة واحدة كان أعضاؤها متحدة اشترك فيها الجميع ، أو متلعثمة مست كل أفرادها .

والسيادة فيها كانت للذكور، وللإناث المحل الثاني . وكل راض بنصيبه . للرجل السيادة ومعها السعي لا وتبعه الرزق والعيش ، وللمرأة أن تطيع وهي تعفى من قلق الكسب وخطر التحيل لالتقاط لمادة الحياة ليست دائما بالدانية . ورضي الرجل بنصيبه لأنه عليه نشأ ، وما عرف حالا غيره . ورضيته المرأة نصيبها لأنها عليه نشأت ، وما عرفت غيره نصيبا .

ثم تبدلت الحياة بدخول الصناعة

ثم تبدلت الحياة بدخول الصناعة ، ولكن رويدا رويدا .

ومع الصناعة حضارة لا شك جديدة مست كل نواحي العيش ، وكل مكان في الحياة ، وكل زمان ، والفكر دخلت إليه هذه الحضارة الصناعية التكنية الحديثة فكونت من الإنسان ، إنسانا غير إنسان ذلك الزمان .

الصناعة فككت روابط الأسر القديمة

الصناعة فككت كل تلك الروابط القديمة ، ومنها روابط الأسرة القديمة . فلو أنك قرنت أسرة قديمة بأسرة من أسر أهل الغرب حديثة (وأنا هنا أتكلم

عن الحضارة الحديثة وهي في درجة الاكتمال ، لا الكمال ، التي وصلت اليها ، واذن لا بد من ضرب الأمثال من اهل الغرب) لوجدت الأسرة قد اختزلت اختزالا عظيما . كل صناعات البيت خرجت عن البيت ، ووجب ان تخرج ، والا فيم كانت المصانع ؟ وصار لانتاج حتى الرغيف مصنع ، ولانتاج الجبن مصنع ولكل سائر الحاجات مصنع ، بل متجر ، يضخم ، لا العشر من الاسر ولا المائة ، ولكن المئات والالوف . حتى ليأكل بعض اهل اوروبا رغيف الخبز وما رأوا في حياتهم حبا للقمح قط .

وعمل المنزل الكثير المتشعب الذي اجتمعت عليه الاسرة المركبة القديمة ، وفيه تعاونت ، قد خرج من نطاق الاسرة الى المصانع .

والمصانع احتاجت الى عاملين ، ومنها ما احتاج الى عاملات ، الوفا الوفا ، فخرج اليها العاملون والعاملات . والمصانع لا تنتقل الى العاملين والعاملات ، واذن انتقل العاملون والعاملات الى المصانع ، فتفرقت الأسر وتقطعت اربا .

ومع الصناعة جاءت التجارة

والصناعة لا تتقدم الا ومعها التجارة . فكان التجار ، وكانت البنوك ، وكانت الاسواق ، وتباعدت وتشتتت . وطلبت العاملين والعاملات ، فخرجوا وخرجن اليها ، وزاد هذا الأسر القديمة تفرقا وتشتتا وتمزقا .

ومع الصناعة والتجارة جاء التعليم

والصناعة لا تزدهر الا ومعها الفنون ، ولا فنون الا ومعها التعليم . واذن شاع التعليم رويدا رويدا ، حتى عم . فاخرجت المدارس ، واخرجت الجامعات على السنين ، بل على القرون ، اجيالا من المتعلمين من الرجال والمتعلمات من النساء .

حشو الرؤوس اذن تغير ، وتغيرت مطالب القلوب وآمالها .

والمواصلات كان لها نصيب كبير في تشتيت الأسر

وباتساع الصناعة ، واتساع الحضارة ، كان لا بد من ابتداع صنوف جديدة من المواصلات ، تربط الأطراف فكانت السكك الحديدية ، وكانت السيارات ، وكانت الطائرات . وأشرعة السفن تحولت الى مراجل تتدافع فيه النار والبخار . واصبح توزع العمال بالاعمال ، لا في الأحياء المتباعدة بالمدينة الواحدة ، ولكن كذلك بين المدن ، فزاد هذا في تشتيت الاسر ، وزاد في تباعد افرادها

والمرأة تعلمت ، وكسبت واستقلت وتحررت

وأثر كل هذا كان أبلغ شيء أثرا منه على الرجال . فالرجل شغل وكسب



كان الخبز تصنعه الأسرة في البيت ، ثم اصبح بعض الصناعات القومية العامة .



والمواصلات كان لها نصيب كبير في تشتيت الاسر .

طول عمره . اما المرأة فكان هذا اول عهدها بان تسعى وتكسب . كان هذا اول عهدها بان تقول لا عندما لا ترضى شيئا . وكان تقولها لا في نفسها فرحة كبرى . كانت بشرى لها بميلاد عهد جديد ، صدقت بشرى او لم تصدق .

تسبب في اسرتها وعملها ، او خرجت من اسرتها وكسبت واستقلت . وكان لتلك الحرية هذه . وغلتها الاقتصادية من حيث انها صارت كاسبة . كان يهدي اثر بالغ في نظرتها لنفسها .

تحررت المرأة من بعد قرون من الاستبداد طالت ، لقيت فيها الزوج المستبد الغبر فستاولتها فالزوج المستبد المتحكم المتعجرف اكثر الاحيان . وما نفع اكثر الرجال في ذلك دين ، ولا نفعت شهامة ، وخيم الجهل على الامم فسد مسالك الرحمة دون النساء . حتى في الاغريق ، وهم سادة الامم عقلا ، شقيت المرأة اكبر الشقاء . كانت كما مهملا . والرومان لعبوا بها لعب الاطفال بالعرائس ، والنصرانية سنت الرهبنة ، لرجال ونساء ، بعدا بالرجال عن شرور الاجساد . وجاء الاسلام ، وقال الرسول رفقا بالقوارير ، وقد عشت ما عشت ، فوجدت اكثر الرجال من دعي بقارورته فحطمها عند الغضب .

تحرر المرأة
لا يعني فساد آدابها

واهل المحافظ من الناس ، لا سيما من العرب ، لا يسمعون بتحرر المرأة الا ويفهمون منه الخروج عن المعروف المرسوم من الآداب . والحرية درجات ، وقد تبلغ من الحرية ان تشتق الرجل نفسه ، ولربما تلوم الحرية من اجل ذلك . وقد كان في البيئة العربية ، قديمها والحديث ، نساء فاقت الرجال في ادب ، وزادت عليهم في حصانة ، وعلتهم ارادة حتى لقد سادتهم واتمروا . ونحن في حريتهن هذه البالغة لم يرمهن احد بسوء ، ولا شانتهن في حريتهن واستقلالهن عيب .

ومع كل هذا
ظلت الاسرة وحدة المجتمع الراسخة

ومع كل هذا التغير والتبدل ، وتفرق الاسر وتشتتها ، ظلت الاسرة الى اليوم هي وحدة المجتمع التي لا تتبدل . كانت الاسرة القديمة مركبة ، اعني مؤلفة في

حقيقتها من أمر كما ذكرنا ، فتسقط .
وأصبحت الأسرة زوجا وزوجة . وما
أنجبا من أولاد هم في العادة قلة .
والزوجة أم تقوم على تربية أطفالها ،
حتى اذا بلغوا عهد الذهاب الى المدرسة،
وفرغت الأم منهم ، فأغلب الظن أنها
تصبح كزوجها ، زوجة تعمل كاسبة .
وأعان على ذلك أن أكثر حاجات العيش
يحملها الباعثون الى أبواب الدور أو
قريبا منها . حتى الملابس لها في خارج
الدور ، في الأسواق مغاسلها ومكاويها .
ونظافة البيت سهلتها في البيت كل أداة
تدار بالكهرباء . والثلاجات تحفظ بها
الأطعمة لأيام وأسابيع . كل شيء مهيأ
لخروج المرأة الزوجة للعمل والكسب ،
ولكن من بعد أداء وظيفتها في اطراد
النسل . وهذه الوظيفة تأتي أولا .

الأسرة الآن باقية ، والزواج باق ، ولكن على حال من الديمقراطية لم تمارسها الأسر القديمة كثيرا . حتى الزوج ، لا تختاره الأسرة الحديثة لابنتها وتلزمها به ، ولا تختار الزوجة لابنها . انه ، وإنها ، في حركة الحياة ونبضها لا بد مصادفين أرواحا متجاذبة، وأخرى متنافرة ، وتتصافى وتتشابك الأذرع ، وتسلك الى طريق الزواج مسلكا قريبا ، يتحقق به أمل كل فتاة في الحياة ، ذلك الزواج ، وإقامة بيت الأسرة الذي تتم فيه أكبر عمليات الخلق وأشرفها وأكرمها عند الله ، فيما نعرف من ظواهر هذا الوجود .

أسر
لا أسماء لها اليوم ولا ألقاب

والأسر القديمة أظهرها أنه كان لها
أسماء طنانة رنانة ، تتردد أصداؤها في
أماكن في الريف ، والمدن الريفية عدة .
فأسرة الطحاوي ، وأسرة السخاوي ،
وأسرة عرابي ، والعطواني ، قد تضم
المئات والآلاف . ولكن الأسرة في المدن
الكبيرة في عصر الحضارة الصناعية
الحاضرة،فقدت كل اسم رنان بشيء .
فهذا بيت محمد علي ، وهذا بيت
عبد الحافظ اسماعيل،وهذا بيت حسن
عبد الرزاق . أسماء شائعة بمعنى أنها
لا تدل على مسميات بذاتها . فقد تعد
من بيوت حسن عبد الرزاق مائة بيت
في المدينة الواحدة ، لا صلة للقرابة
بينها أصلا .

صلة القربى هذه ، صلة الدم ،
التي كانت رابطة من أكبر الروابط في
ربط الأسر الكبيرة القديمة ، ذهبت بها
الأيام . ولعلها خيرا فعلت . فهي كانت
تطغى على صلة الزوجية، فكثيرا ما كانت
تستباح الزوجية في سبيل الولاء لقربى
الدماء .

والمرأة عملت ، وكسبت ، واستقلت ، وتحررت ، وفي حدود الأدب ، تحررت





واسماء الاسر ضاعت . فهذا رجل اسمه محمد علي . وفي حيه عشرون اسمهم محمد علي ، لا ينتمون الى اسرة واحدة .

الطلاق
لا يهدم الأسر
ولكن يصحح اخطاءها

ورأي الرامون في ظاهرة الطلاق الشائعة اليوم ، في البلاد المتحضرة، بلاد الصناعة ، انها دليل على قرب انحلال الاسر في البيئات الصناعية المتحضرة الحاضرة .

وسم طالبت اهل الغرب باباحة الطلاق حتى ما تكون له حدود يقف عندها . وانتصرت هذه الحركة في كثير من الولايات الامريكيه ، وكثير من الدول الاوروبية ، على درجات متفاوتة . وكان آخرها اباحة الطلاق في ايطاليا ، وهي معقل الكثلكة التي تقول ما معناه ان الزواج رابطة ربطها الرب ، وما ربطه الرب ، لا يجوز ان يحله انسان .

وليس في حركة اباحة الطلاق هذه ما يدل على ان الناس انصرفوا عن الزواج وعن الاسرة ، فهم يريدون التحرر منها. ولكن دلالتها ان اهل اوروبا ضاقوا في العهد الحديث كثيرا بما اصاب بعض الزيجات من فشل . وقد قضى على الزوجين الفاشلين ، غير الهانئين ، ان يظلا على هذا الاتصال الزوجي مع ما فيه من شقاء الزوج والزوجة . وقد يتعدى اثره كذلك الى انجبا من بنين وبنات .

والزواج ككل شيء في الدنيا ، ينجح ويفشل ، وتكون مصالحات ، ويظل الفشل قائما لان هذا الزواج الذي نحن بصدده قد يجمع من النقائص و الطبائع جمع النار بالحطب ، فلا يكون منهما الا اشتعال . والحكمة آخر الامر انما تكون في الحيلولة بين الحطب والنار .

وليس معنى هذا ، ان بناء الاسر في خطر . ففي جانب عشر من الاسر فيها الصياح والصراخ ، تجد الف اسرة لا تكاد تسمع فيها صوتا ، الا حفيف الشجر اذ يهتز بورقه ، والا هدير الماء اذ يترقرق في غدرانه . فبيت الزوجية ان انقدح وخرج منه شرر احيانا ، فالاغلب انه مصنع تصنع فيه المحبة ودّ وزكو .

والاباحية
ليست بقاضية على الاسر

ومن الناس من اتخذ من الاباحية السارية اليوم في امم الغرب ، امم الصناعة والمدنية الحاضرة ، دليلا على اقتراب زوال عهد الاسر من المجتمعات الانسانية .

وليس حديثي هذه الساعة في الاباحية ، فحديثها يطول . لهذا ادع ذكر ما بين الاباحية والاخلاق ، واقصر قولي على ما بينها وبين الاسرة والزواج .

والاباحية تشبه بالحيوانات ، وهي صنوف . صنف منها ، ان يتصل الشاب بالشابة في غير زواج ، وان يطول اتصال . فهذا كثيرا ما أدى الى حال كحال الاسرة ، وانتهى بالزواج . الا ان يكون قد وقف المناد الفكري العقائدي في سبيل ذلك ، كما وقف لدى الكاتب الفرنسي، فيلسوف «الفكر الوجودي»، بول سارتر Jean Paul Sartre .

وصنف من الاباحية يتبدل فيه الصاحبان ، فلا يكون فيه استقرار . وهذا فيه الغرم كل الغرم على المرأة .



الاباحية ، ان مست الشباب ، فهي علامة من علامات الشباب طارئة ناعمة .. تنطف بالشباب آخر الامر الى المرأة والاسرة وهدوء البيت ، في الرجولة والكهولة والشيخوخة

متقدم السن يعلق بالمرأة ما لا يعلق بالرجل . ومآل هذه المرأة التي تتقدم هو موضع القمامة في المجتمعات .

على ان هذا الاتصال الاباحي ، ان يكن مهربا للرجل ، فهو مهرب الى حين . فالجنس في الحياة ليس كل شيء . والجنس ينطفىء لهيبه على السنين . وهو اشد لهبا بين العشرين والثلاثين . ثم يبحث الرجل عن طمأنينة الحياة بتقدم السن فيفقدها : الصحبة الصادقة ، المشاركة في السراء والضراء الانس في الوحدة ، في غربة وغير غربة ، وفي وحدة الشيخوخة ، في كل هذه لا يكون لارتواء الشهوة مكان ، ولا لراويها ، ولا لراويتها . وفي الازمات تتراءى الشهوة على حقيقتها : انها الانانية . وانها انانية الرجل خاصة . وانها الكراهة الخبيئة في قلب المرأة .

وكم عرفنا رجالا ، طفوا في مدارج الرياح والاهواء سنين طوالا . ثم يردت الريح من بعد دفء . فاذا هم بالرياح يتدثرون ويستدفئون . ولكن بعد أن خلفوا الكثير من الضحايا على جنبات الطريق . ونسي الطريق .

ومع كل هذا لم تتأثر الاسرة ، في المجتمع الصناعي الحضاري الحاضر ، بشيء مما ذكرنا تأثرا فادحا . ذلك على هذا الاضطراب الغريب الذي اخترق في البلاد الصناعية المتقدمة فاباحة الطلاق لم تهز مكان الاسرة في المجتمع . ولو انها فعلت لكانت اباحة الطلاق بين أهل الشرق ، والعرب خاصة (والطلاق عندهم كما يعلم الكثيرون ، كلمة تخرج من فم الرجل الى امرأته) لكانت هذه الاباحة سببا في اهتزاز مكان الاسرة بين أهل الشرق والعرب .

وكلتا الاباحتين . يغالبها في طبع الانسان خصائص لا يمكن ان يتخلص منها لانها محفورة في كيانه . فهو لا يستطيع ان يستمر طبع الكلاب طويلا . يقضي شهوته ، كما يقضي الكلب بوله . وهو عابر سبيل . فالشهوة للماء لا للهرب . والحياة ذكرى والحياة تمسك بالايام وتعلق والانسان ما ذاهب ، يعمل في الارض لارساء اقدام لاحق . وشر الذاهبين من قذروا وما لحق بهم احد .

لا . لا . ان الاسرة باقية ما بقي طير قادرا على بناء عش ، لم يعلم كيف يبنيه ، او حيوان وحشي يطلب جحرا يطويه ، او انسان يأوي الى كهف يسكنه ، او بيت يحتويه .

●●

احمد زكي

الآرامية كانت لغة المسيح

■ مسابقة العدد ١٥٤ تناولت معلومات عامة في مجالات شتى من المعرفة ، وجاءت بعض اسئلتها علمية بحتة لا مجال للتخمين او الاعتماد على الذاكرة في حلها ، لذلك ترجحت الحلول بين خطأ وصواب ، فأخفق من اعتمد على التخمين او الذاكرة .. وافلح من اعتمد على المراجع العلمية في حله مسابقته .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ ــ اللغة التي كان يتكلمها السيد المسيح هي اللغة الآرامية .

٢ ــ الشاعر هو حافظ ابراهيم .

٣ ــ المادة التي تضاف الى الصلب كي لا يصدأ هي الكروم .

٤ ــ بريطانيا هي التي تحكم جبل طارق الآن .

٥ ــ يوجد نحو ٢٥٠ الف نوع من الخنافس .

٦ ــ موقعة ميسلون حرب بين العرب في سوريا بقيادة الشهيد البطل يوسف العظمة والقوات الفرنسية المعتدية .

وقد استبعدنا هذا السؤال من المسابقة لما وقع فيه من خطأ اثناء الاجازة الصيفية وغياب المسئولين .

٧ ــ السلحفاة هي اطول تلك الحيوانات عمرا .

٨ ــ الحقيقة ان للذبابة عينين كبيرتين ، وبينهما من فوقهما عادة ثلاث عيون صغيرة كثيرا ما تنطمر في سائر هذه الحشرات

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : خالد محمد السم / حمص / سوريا

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : عبد الرحمن محمد شمس الدين / العروانية / الكويت .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : عثمان ابراهيم العسولي / نيويورك / امريكا .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا لكل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ــ سناء حاتم حموري / الرياض / السعودية .

٢ ــ عبد الرزاق احمد محمد الذكير / البصرة / العراق .

٣ ــ عبلة محمد مبيضين / عمان / الاردن .

٤ ــ فايز عودة الياس / بيروت / لبنان .

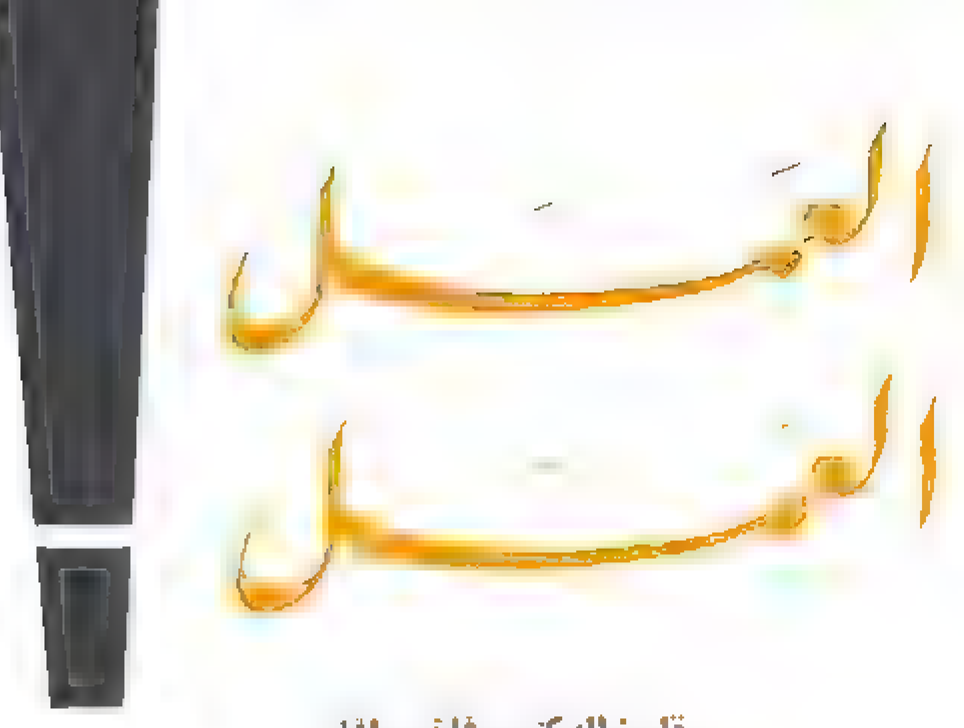
٥ ــ تحية عبد الرحمن عطية / مصر الجديدة / مصر .

٦ ــ محمد حسن القماطي / البيضاء / ليبيا .

٧ ــ الامين حسن نور / الخرطوم / السودان .

٨ ــ احمد محمد مجاهد شيباني / عدن / اليمن الديمقراطي .

وسنرسل الجوائز للفائزين ■



بقلم : الدكتور فاخر عاقل

اعتبر الفلاسفة القدامى ان الصفة المميزة للانسان هي العقل ، وقد اعتبروا العقل ملكة طبيعية مقرها التكوين الخاص الدقيق للدماغ البشري ، كما اعتبروا ان العقل ساعد الانسان على الفهم والمحاكمة . ولذلك كله عرف الفلاسفة القدماء الانسان بانه « كائن عاقل » Homo [illegible] . ولكن الفيلسوف اليوناني انكساجوراس Anaxagoras نبه الى ان العقل الانساني انما هو محصول عمله اليدوي . وقد مال اكثر المفكرين والفلاسفة في القرن الماضي الى تخصيص المقام الاول في حياة الانسان لنشاطه العملي. ولذلك فهم لم يعتبروا العقل الا واسطة لتحقيق الاهداف العملية وصنع الآلات النافعة . وقد كان في مقدمة القائلين بهذه النظرية الفيلسوف الفرنسي (هنري برجسون) Henri Bergson (١٨٥٩ — ١٩٤١) وكذلك الكاتب الفرنسي (بول فاليري) Valery (١٨٧١ — ١٩٤٥) وقد قالا ان الصفة الجوهرية للانسان هي انه « كائن عامل » Homofaber . ان عمل الانسان — في رأيهما قد تكون لانه به يصنع الآلات . ويلاحظ (مار) الروسي ان الاقوام البدائية كانت تعتبر هذه الفكرة سحرا غامضا ولذلك فانها كثيرا ما كانت تمثل الاله ، خالق الكون ، في صورة عامل .

فالعمل اذن ، اي القدرة على الانتاج ، هو العامل الاساسي في خلق الحضارة البشرية ، وهذا ما دفع (كارل ماركس) الى القول بان الحياة الاجتماعية في نظامها وفي جميع مظاهرها مرتبطة بالحياة الاقتصادية وخاصة بطرق الانتاج ووسائله وبما ينشأ عن ذلك من علاقات بين البشر .

والحق ان الناس جميعهم عمال ، سواء اكانوا يفلحون الارض او يضربون الحديد او يكتبون القصص ، ذلك بان كل هذه الاعمال ترمي الى (١) كسب العيش ، (٢) صنع مواد جديدة لها قيمة اقتصادية (٣) خدمة المجتمع .

ولو امعنا النظر لوجدنا ان الفرق بسيط — في جوهره — بين العامل العادي الذي يحمل الحجارة والتراب وبين المهندس الذي يصمم البناء ويشرف على تنفيذه . ذلك بان العامل والمهندس — ومثلهما كل انسان آخر — يخدمون انفسهم ويخدمون المجتمع .

الانسان عاقل والانسان عامل

كل من يعمل بعقله أو بيده فهو عامل

تقسيم العمل صار اليوم ضرورة

تقسيم العمل بين الرجل والمرأة

العمل يقوّم الأخلاق ويثبتها

أدخلوا العمل في المدرسة، كل مدرسة

وهكذا يكون العمل — في اساسه — كل نشاط انساني مهما كان شكله ونوعه . اما في علم الاقتصاد فالمقصود بالعمل الجهد الذي يبذله الانسان لانتاج شيء مفيد يساعد على قضاء حاجاته او حاجات غيره . وهذا العمل هو الوسيلة الطبيعية التي نحصل بواسطتها على ما نحتاج اليه في حياتنا المادية وحياتنا المعنوية .

والبشر بحاجة دائمة الى العمل لاستثمار خيرات الطبيعة وصنع المواد اللازمة لقضاء حاجاتهم . وكلما تقدمت الحضارة زادت الحاجة الى العمل وتنظيمه .

انواع العمل

تجمع الاعمال البشرية بين النشاط العقلي والارادي من جهة وبين الجهد العضلي من جهة اخرى . ومن الصعب ان نجد عملا عقليا صرفا او عملا يدويا محضا . وبالرغم من ذلك فان من الممكن التفريق بين العمل الجسدي وبين العمل العقلي . اما العمل الجسدي فنقصد به العمل الذي يتوقف بالدرجة الاولى على قوة عضلات العامل ومهارته البدنية . واما العمل العقلي فهو الذي يحتاج — اكثر ما يحتاج — الى استخدام الفكر واعمال العقل .

وفي الميدان الاقتصادي يتجلى العمل العقلي بأشكال مختلفة من مثل الاختراع والادارة والتنظيم والرقابة والدعاية . ولهذه المظاهر المختلفة للعمل اثر كبير على الانتاج يفوق كثيرا اهمية العمل العضلي .

ويميز علماء الاقتصاد عادة بين العمل اليدوي والعمل الميكانيكي . ونقصد بالعمل اليدوي ذلك الذي يستخدم فيه العامل يده ومثال ذلك عمل النجار واستخدامه للمنشار والمطرقة . اما العمل الميكانيكي (او الآلي) فهو الذي يقوم به العامل بمساعدة الآلات التي تتحرك بقوة غير قوته كقوة البخار او الكهرباء او سواهما . ومعلوم ان العمل في النصف الثاني من قرننا العشرين اتخذ شكلا جديدا وهو ما يسمى بالاطمطه Automation وهي التقنية يستطاع بها جعل العمل يجري تلقائيا او اوتوماتيكيا وكذلك تسيير الاجهزة . وذلك طبعا بالوسائل الالكترونية .

وتتوقف القدرة على العمل الجسدي لدى الفرد على نمو جسده وصحة بنيته ووزن جسمه وقوة عضلاته وسرعة حركاته وسهولتها ، ونوع غذائه

ومقداره وعنايته بالرياضة البدنية وقواعد حفظ الصحة وغير ذلك . أما في مستوى الأمم فهي مرتبطة بعدد السكان وصحتهم .

على أن هذه القوة الجسدية لم يعد لها مكان هام في حضارتنا الحديثة حيث تلعب القدرات الفكرية الدور الأهم وتتوقف عليها الحياة الاقتصادية . وواضح أن القدرات الفكرية تتوقف على الذكاء والذاكرة وحسن الفهم والابداع والاختراع وما الى ذلك من قابليات عقلية .

وبديهي أن العمل لا يمكن أن يصبح منتجا حقا ـ من الوجهة الاقتصادية ـ الا اذا لم تلازمه بصورة عقلية علمية وامتاز أصحابه باخلاق خاصة من مثل الاجتهاد والمثابرة والشعور بالواجب والنزاهة واحترام العمل والسرور به . ومن هنا كان ما نلاحظه من أن الذين ينجحون في العمل ليسوا أولئك الذين يمتازون بالنبوغ بل الذين يتصفون بالاجتهاد والمثابرة ولو كانت مواهبهم العقلية متوسطة . هذا ويمكن القول بأن جميع المزايا العقلية لا تفيد في الحياة الاقتصادية اذا لم تدعمها نظرة معينة الى الحياة ، نظرة ترى أن الانسان انما وجد في هذا الكون من أجل العمل، وانه لا يستطيع تحقيق أهدافه في الحياة الا عن طريق العمل والقيام بالواجب .

تقسيم العمل

يقوم الاقتصاد في البلاد المتمدنة على أساس من تقسيم العمل الذي بلغ في وقتنا الحاضر درجة عظيمة من الاتساع وأدى الى نتائج خطيرة جدا . لقد كان البشر قديما ـ ولا يزالون في المجتمعات البدائية ـ يسعى كل فرد منهم الى قضاء حاجاته القليلة بنفسه ولذلك فهو يقوم بأعمال عدة متنوعة

أما في المجتمعات المتمدنة ـ حيث ازدادت حاجات البشر ازديادا هائلا . فقد اضطر الناس الى تقاسم الأعمال واختصاص كل واحد منهم بعمل معين . ولقد كان تقسيم العمل في المجتمعات القديمة محصورا في نطاق ضيق ـ كما هو الحال في بعض المجتمعات الريفية الحاضرة ـ أما في المجتمعات الحديثة فقد اتسع تقسيم العمل وتشعب حتى بلغ حدودا بعيدة جدا .

وأبسط مظهر من مظاهر تقسيم العمل وأقدمها هو تقسيمه بين الرجل والمرأة ضمن الأسرة ، وهو تقسيم قائم على أساس من اختلاف الجنسين اختلافا فسيولوجيا . ويرى بعض العلماء أن الفرق في القوة الجسدية هو أساس هذا التقسيم، فالمرأة ـ في رأيهم ـ أصغر جسما وأضعف قوة ولذلك فهي تقوم بالأعمال التي لا تتطلب جهودا كبيرة ويذهب آخرون الى القول بأن هذا مخالف للواقع اذ تدل جميع الظواهر على أن الرجال لم يكونوا في مبدأ تطور الجماعات البشرية أقوى من النساء ، وتجمع الدلائل على أن المرأة البدائية لا تقل سرعة ومهارة في الحركة عن الرجل ولذلك فهي كثيرا ما تشاركه في محاربة الحيوانات المفترسة وقتال الأعداء . ثم اننا اذا أمعنا النظر في الأعمال التي اختص بها كل من الجنسين نجد أنها لم توزع حسب الصعوبة أو السهولة وانما حسب نبل الأعمال وحقارتها ، فالرجل ينصرف الى الصيد والقنص والقتال ، باعتبارها أعمالا شريفة تضمن للرجل السيطرة والسيادة على المرأة التي يترك لها شئون البيت وحراثة الأرض وغير ذلك من الأعمال (الحقيرة) . ومعلوم أن المرأة الحديثة في المجتمعات المتمدنة ثارت على هذا كله وغزت كل الأعمال التي يمارسها الرجل دون استثناء بما في ذلك الحرب .

ومن مظاهر تقسيم العمل تقسيمه بين الطبقات وهنا تتجلى فكرة السيطرة والاستثمار بصورة واضحة . ففي الهند القديمة كان المجتمع مقسوما الى طبقات هي (١) طبقة البراهمانيين وهم رجال الدين (٢) طبقة المحاربين و (٣) طبقة التجار والزارعين و (٤) طبقة الخدم و (٥) طبقة المنبوذين . وفي المجتمع اليوناني كانت الفلسفة من اختصاص السادة أما العمل اليدوي فكان من اختصاص العبيد .

وبطلان نظام الطبقات يلوم تقسيم العمل وتوزيع الوظائف في المجتمعات الحديثة على أساس الاستعدادات الفردية والمواهب الشخصية. وليس هناك اليوم ما يرغم الأفراد على ممارسة مهن آبائهم كما كان الأمر في فرنسا مثلا قبل الثورة . ان التقدم الاقتصادي الصحيح يقتضي أن يباشر كل فرد العمل الذي يستطيع أن يتقنه وأن ينتج

فيه اكثر ما يمكن . ومعنى هذا ان يكون توزيع العمل حسب المواهب والاستعدادات الفردية . وفي البلاد الحديثة مؤسسات للتوجيه والانتقاء المهني ، تنتقي لكل مهنة اصلح من يصلحون لها وتوجه كل فرد نحو اصلح مهنة له .

والعمل الحديث مقسم الى اجزاء دقيقة محروسة يمارس كل عامل جزءا معينا منه وفي هذا فوائد اقتصادية وله مضار نفسية كتب عنها الكتاب المعاصرون وعالجها المفكرون المحدثون .

قيمة العمل الاخلاقية

ليس العمل وسيلة للانتاج والتقدم المادى فحسب بل هو كذلك من الوظائف الاجتماعية التى لها تأثير كبير في الحياة الاخلاقية والتى ينشأ عنها الكثير من الواجبات والحقوق . ان الانتاج لا يخرج في جوهره عن ان يكون عملا انسانيا . وحتى لو نظرنا في الحاجات الطبيعية لرأينا ان اكثرها ، او على الاقل تلك التى عليها في اشباع الحاجات الانسانية ، لم يبرز من الطبيعة بصورة عفوية وانما بجهود البشر وعملهم . انه لم يكن من الممكن ان ينبت القمح او العنب مثلا لولا ان افرادا من البشر ـ يمكن اعتبارهم مبتكرة ومخترعين مجهولين ـ انتخبوا بعض النباتات الوحشية واعتنوا بتربيتها لتدريجيا .

وخيرات الطبيعة التى نعيش عليها مثل خصب الارض واستخلاص المعادن والافادة من قوة الماء والهواء والبخار والكهرباء لم تكن لتصبح منافع لولا ان العقل البشرى قد اهتدى الى معرفة خصائصها المفيدة وتوصل الانسان بمجهوده الى استثمارها .

وهكذا نرى بأنه في العمل تتجلى شخصية الانسان . لان العمل المفيد يقتضي استخدام اسمى المواهب ، والعمل احسن وسيلة للتعبير عن جوهر الشخصية واظهار السطوة على عناصر الطبيعة واستثمارها لمصلحة الانسان . ومن خلال العمل تظهر عبقرية الانسان وقدرته على الاكتشاف والابداع والاختراع . وقديما قيل « ان النبوغ عرق جبين » .

ومن هنا كانت للعمل كرامة عظيمة لانه هو الذى يضمن لصاحبه استقلاله ويساعده على تأمين حاجاته بنفسه حتى لا يكون عالة على غيره . ومن هنا كان واجب المربين ـ آباء وامهات ومعلمين ـ في ان يعرفوا العمل قيمته ويحترموا كرامته التى لا تختلف عن كرامة الانسان نفسه . ولقد اخطأ الفلاسفة والرجوت القدامى الذين كانوا يميزون بين العمل الفكرى والسياسي الذى يختص به (الاحرار) والذى يعترفون له وحده بالكرامة وبين العمل الجسدى الذى يقوم به (العبيد) والذى ليس له في نظرهم اية كرامة . لقد كان كل من افلاطون وارسطو نفسيهما يعتبران جميع الاعمال الاقتصادية ـ بما في ذلك الصناعة والتجارة ـ من اعمال العبيد الحقيرة . وظل هذا الرأى سائدا في القرون الوسطى والى زمن الثورة الفرنسية ، كما ظل سائدا بين (الاشراف) في اوروبا الذين كانوا يفاخرون بانهم يعيشون دون ان يعملوا شيئا . وما زالت بقاياه ـ مع الاسف ـ عالقة في اذهان الكثيرين من (وجهاء) شعبنا العربي .

هذا ولا يمكن ان تكون للعامل كرامة الا اذا تمتع بالحرية . وقد كانت هذه الحرية مفتقدة في الازمنة القديمة وكان العبيد والاقنان ـ وهم الفلاحون الذين كانوا تابعين للارض التى يولدون فيها ويخضعون لسلطة صاحبها ـ يجبرون على اعمال لا يريدونها ولا يرغبون فيها . اما في عصورنا الحديثة فقد اعلنت حرية العمل واصبح في استطاعة العامل ان يعمل حيث يريد وبالعمل الذى يريد وذلك بالاتفاق مع صاحب العمل مقابل اجر معين . ولكن هل يكفي اعلان حرية العمل حتى يصبح العامل حرا حقا . وهل صحيح ان لكل عامل اليوم حريته في العمل ؟ اننا نترك للقارىء الحصيف ان يجيب عن هذين السؤالين بنفسه ، وعلى ضوء ما يجرى في كثير من اقطار الدنيا .

على اننا لا نحب ان نترك هذا القسم من حديثنا قبل ان نشير الى ان العمل حق وواجب . ان من واجب الانسان ان يعمل ولا يجوز لاى انسان ان يتوقف عن العمل الا في حالة المرض او التقدم في السن او العجز . والشخص الذى يعيش في

المجتمع ويتمتع بخيراته وبنعيمه دون ان يساهم هو ايضا في الجهود اللازمة لارتقاء هذا المجتمع ليس سوى حشرة طفيلية . ان العمل وظيفة اجتماعية يجب على كل فرد ان يقوم بها بمنتهى الاخلاص والنشاط والنزاهة .

على ان العمل حق لكل فرد ومن واجب المجتمع ان يهيء لكل فرد عملا يقوم به ويعتاش منه ولكل انسان حق المطالبة بالعمل . والحق ان مشكلة عصرنا الحاضر هي ان بعض الناس يرغبون في العمل ويجدون في اثره ولكنهم لا يجدونه . ومن واجب الحكومات الواعية ان تهيء لكل مواطن عملا يليق به وبكفاءاته ويؤمن له عيشا كريما يحفظ له كرامته ويقضي حاجاته ويبقي على ماء وجهه .

التربية والعمل

بعد هذا الذي قدمنا عن العمل واهميته وقيمته في تكوين الشخصية البشرية نلتفت الى المدرسة والى البيت والى واجبهما في تحبيب الطفل بالعمل وتنمية الشعور باحترامه .

في التربية قول مشهور ينص على « اننا نتعلم العمل بالعمل » ومعنى هذا انه لا يكفي ان نقول للحدث او المراهق او الشاب ان عليه ان يعمل وان يحب العمل ويحترمه ، ولكن لا بد لنا من ان نحمله على القيام بالاعمال الفعلية من اجل ان يعرف قيمة العمل ويحب العمل ويحترمه .

والحق ان مجتمعنا العربي ما زالت فيه بقايا من احتقار العمل — اليدوي خاصة — والاعتقاد بان الوظيفة المكتبية اشرف من العمل في المصنع او الحقل . والحق ان تربيتنا ما زالت نظرية وبعيدة عن العمل والتطبيق العملي . والحق بعد ذلك ان المدرسة الحديثة تعمل جاهدة على التقريب بين النظر والعمل وادخال العمل الى مناهجها وبرامجها وطرائقها .

ولو نظرنا الى المدرسة الحديثة في الشرق او في الغرب لوجدنا ان العمل جزء لا يتجزأ من عملها اليومي وبرامجها الاسبوعية ومناهجها العامة والخاصة .

وحين نتحدث عن العمل لا نقصد العمل في المختبرات العلمية او الاشغال اليدوية كاعمال الورق والورق المقوى والخشب وامثالها فحسب ، وانما نعني العمل الحقيقي الفعلي ، العمل في المعمل والمصنع والمشغل والعمل في الحقل والمزرعة.

وحين ننادي بوجوب ممارسة العمل فلا نقصد درجة معينة من درجات المدارس فالعمل يجب ان يكون جزءا من منهاج المدرسة الابتدائية وكذلك المدرسة الاعدادية والثانوية والجامعة . واذا كان صحيحا ان طبيعة العمل ونوعه يختلف من مدرسة الى مدرسة فانه اصح ان العمل الفعلي يجب ان يكون جزءا من دراسة كل طالب .

والواقع ان المدرسة الحديثة لا تكتفي بضم مخابر ومشاغل وورشات الى ممتلكاتها وانما تحمل طلابها على ممارسة جزء من نشاطهم التعلمي في الحقل والمزرعة والمصنع والمعمل .

ان هذه هي الوسيلة الوحيدة لحب العمل واحترامه والايمان بكرامته كما انها الوسيلة الوحيدة للتعليم الصحيح والتقريب بين العلم والعمل ومسايرة عصرنا الحديث القائم على العمل .

وبديهي ان نشير هاهنا الى ان ما ندعو اليه مختلف عن التعليم المهني ، ان الذي ندعو اليه هو ادخال العمل الى المدرسة ، كل مدرسة ، ايا كان نوعها واية كانت درجتها .

ويبقى ان نشير الى الدور الذي يجب ان يلعبه البيت ومن فيه من مربين في تحبيب الطفل بالعمل واحترامه له واقباله عليه . وبديهي ان اول شرط لذلك كله هو ان يحترم الابوان العمل والعمال وان يفهموا انه لا فرق بين ان يعمل الانسان بيده او بعقله وان كل عامل — ايا كانت درجته — يلعب دوره في بناء وطنه ودفعه الى امام .

فاخر عاقل

مسابقة العربي

١٠ أسئلة علمية

المطلوب الإجابة عن ثمانية منها

١ – الأنسجة التي يستخدمها الانسان بعضها نباتي وبعضها حيواني وبعضها كيماوي صناعي. فانسب الأربعة التالية إلى أصولها .

قطن – صوف – حرير – نايلون .

٢ – العملة النقدية ، كثير منها الآن يصنع من الورق المطبوع . وكانت قديما ، من أدناها إلى أعلاها ، تصنع من المعادن . وكان أعلاها وأغلاها الدينار الذهبي ، وهو يصنع من الذهب ومعه معدن آخر عادة ، ليعطيه قوة فوق قوة الذهب .. **فما هذا المعدن ؟**

٣ – الورق ، أصبح اليوم أصنافا مختلفة ، بعضها الرخيص وبعضها الغالي ، ومن الرخيص ورق الصحف والجرائد ، ومن الغالي الورق الذي يحتفظ به الناس ورسائلهم ، لا سيما تلك التي لها عندهم قيمة ذاتية كبيرة ، ولهذين الصنفين من الورق مصدران مختلفان ... فاذكرهما بالذات ، فما هذان المصدران ... **الرخيص والغالي .**

٤ – الأرض تدور في فلكها حول الشمس ، فتتم قطع هذا الفلك في نحو ٣٦٥ يوما ، وهي تسير في هذا الفلك بسرعة في الثانية هي بالتقريب ٦٠ ميلا أو ١٨٫٩ ميلا أو ٣٫٥ ميلا .

فأي هذه السرعات هي الصحيحة ؟

٥ – الأمراض المعدية تنتقل من مريض إلى مريض بواسطة : أ – **الفيروس** ، ب – **الكروب** . فأي هذه الأمراض ينتقل بالفيروس وأيها ينتقل بالكروب . الملاريا – الكوليرا – ذات الرئة – الدوسنتاريا – الكلب .

٦ – الأغذية تمر في الجهاز الهضمي ، بالترتيب ، بالمعدة ، فالاثنى عشري ، فالمعي الدقيق ، فالمعي الغليظ . **فأي جزء من هذا الجهاز يقوم بالنصيب الأكبر من الهضم وامتصاص الطعام المهضوم ...**

٧ – المفرقعات الحديثة إذا أرادوا تقدير قوتها قالوا إنها تساوي ٦٠ مرة من قوة ت.ن.ت أو مائة مرة أو ألف مرة ، **فما هو هذا الـ : ت . ن . ت :**

أ – بارود أسود

ب – مواد سليلوزية مخلوطة بمواد أكسجينية

ج – مادة عضوية بنزينية متفاعلة مع حامض الأزوتيك

٨ – جوف الأرض ، يقول العلماء ، إنه مؤلف من شيء محصور من حديد ، جرانيت ، بخار ماء تحت ضغط عال . **فأيها الصحيح ؟!**

٩ – النحاس ، أحمر وأصفر ، أحدهما عنصر خالص ، والآخر نحاس مضاف إليه معدن آخر . **فأيهما هو الخالص وما المعدن الآخر الذي أضيف إليه ؟!**

١٠ – وعاء شكله شكل مخروط قائم ، صيرنا قاعدته هي العليا ، ثم ملأناه إلى حافته بالماء ، **فكم لترا من الماء احتوى ، علما بأن قاعدة المخروط قرص قطره ٢٠ سم وارتفاع المخروط ٣٠ سم ؟**

شروط المسابقة .. وجوائز ١٠٠ دينار

١ – يرفق بالإجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع إجاباتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ١٥٦ »

٤ – آخر موعد لوصول الإجابة إلينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر ديسمبر (كانون أول) ١٩٧١

٥ – كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط معرض لأن يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار توزع على الوجه الآتي :

الجائزة الأولى ٣٠ دينارا **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .

• وعند تعدد الإجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع





مماكسة

● ساوم مزبد المديني رجلا « خفافا .. بيع الخفاف » نعل. فقال الرجل : أبيعك إياها بعشرة . فقال المديني والله لو كانت من جلد بقرة بني اسرائيل ما أعطيتها بأكثر من درهم .. فقال له الرجل والله لو كانت دراهمك من دراهم أهل الكهف ما بعتها لك .

طفيلي

● قيل صحب طفيلي رجلا في سفر فقال له الرجل : امض فاشتر لحما ، قال : لا والله ما أقدر ، فمضى هو فاشترى اللحم ، ثم قال له قم فاطبخ ، قال لا أحسن الطبخ ، فطبخ الرجل ثم قال له : قم فاثرد ، قال : والله أنا

يشرب شراب اهل الجنة

● لما حبس الامين ابا نواس دخل عليه الفضل بن الربيع ، وكان يتعهد المحبوسين ، ويسأل عنهم وكان سبب حبسه . فدنى ابا نواس وقال ما حرمك حتى حبست حبس الزنادقة ؟ أزنديق انت ؟ قال : معاذ الله . قال أتعبد الكبش ؟ قال . ولكني آكله بصوفه . قال . أتعبد الشمس ؟ قال . والله ما أحس فيها من حرها فكيف أعبدها ! قال : أفتعبد الديك قال : لا والله بل آكله ، ولقد ذبحت ألف ديك ، لأن ديكا نقرني مرة فحلفت الا أجد ديكا الا ذبحته قال ، فلأي شيء حبست ؟ قال لأني أشرب شراب اهل الجنة ، وأنام خلف الناس . قال . وأنا أيضا أفعل ذلك . ثم ذهب الى الامين فقال : ما تحسنون جوار الله تحبسون من لا ذنب له . سألت رجلا في الحبس خبره فقال كذا وكذا ، وعرّفه بكل ما جرى بينه وبين أبي نواس . فضحك الامين وأمر بتخليته للحال .

بين الرشيد والمامون

● دخل الرشيد على المأمون في مكتبه وحده وقد أمسك بكتاب يقلبه بين يديه فقال له ما هذا بيدك ؟ فقال بعض ما تشحذ به الفطنة ، ويؤنس به من الوحشة . فقال له ما تحب أن أهدي لك ؟ قال : حسن رأيك .

فقال الرشيد الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر مما ينظر بعين جسمه وحسه .



الضرائر

● قيل لرجل من العرب كان يجمع الضرائر : كيف تقدر على جمعهن ؟ قال : كان لنا شباب يصابرهن علينا ، ثم كان لنا مال يصبرهن لنا ، فلما ذهب الشباب والمال بقي لنا خلق حسن فنحن نتعاشر به ونتعايش .

كسلان

كسلان ، فثرد الرجل ، ثم قال له : قم فاغرف . قال : أخشى أن ينقلب على ثيابي . فغرف الرجل ، ثم قال له : قم الآن فكل . قال الطفيلي : قد والله استحييت من كثرة خلافي لك ، وتقدم فأكل .

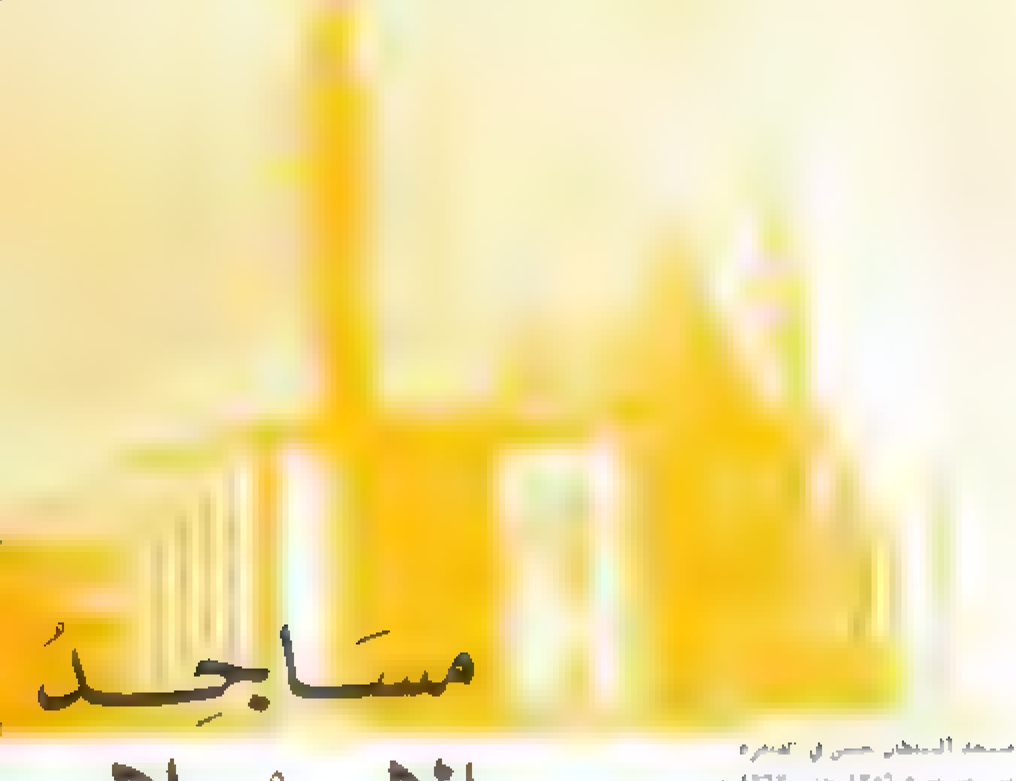
دعاء غير مستجاب

● كان المنصور العباسي قبل أن يتولى الخلافة ينزل على أزهر السمان ، وكان عالما بالحديث من أهل البصرة . فلما استخلف المنصور صار اليه أزهر فقال له المنصور : ما أقدمك ؟ قال : حاجة يا أمير المؤمنين على أربعة آلاف درهم ، ولي دار منهدمة ، وأريد البناء لابني محمد . فأمر له بأربعة آلاف درهم . وقال : يا أزهر ، لا تأتنا طالب حاجة . قال : أفعل . فلما كان بعد أيام عاد فقال : يا أزهر ما جاء بك ؟ . قال : جئت مسلما يا أمير المؤمنين . قال : إنه ليقع في نفسي أنك ما أتيت الا لما أتيت له في المرة الأولى . وأمر له بأربعة آلاف درهم . وقال : لا تأتنا طالب حاجة ولا مسلما . قال : نعم .

ثم ما لبث أن عاد فقال : يا أزهر ما جاء بك ؟ . قال : دعاء كنت سمعت أمير المؤمنين يدعو به فجئت لأحفظه منك . فقال : لا تكتبه لانه غير مستجاب ، لأني دعوت الله به أن يريحني منك فلم يستجب لي ثم صرفه ولم يعطه شيئا .

اذا رأيت

● قال بعض الأذكياء : اذا رأيت رجلا قد وقف على باب داره وهو يقول : ومن عند الله خير وأبقى ، فاعلم أن في جواره وليمة لم يدع اليها ، واذا رأيت قوما يخرجون من مجلس القاضي وهم يقولون : وما شهدنا الا بما علمنا ، فاعلم أن شهادتهم لم تقبل ، واذا تزوج الرجل فسئل عن حاله ، فان قال : ما أردنا الا الصلاح ، فاعلم أن زوجته قبيحة .



مسجد السلطان حسن في القاهرة بني من سنة ١٣٥٦ حتى ١٣٦٢، وهو مسجد ومدرسة وروضة ضريح في آن واحد، انه مجموعة معمارية رائعة تمتاز بفخامة البناء وضخامته وارتفاع جدرانه، مآذنه نماذج للمآذن المصرية في أحسن صورها المئذنة ذات الانواع المدببة تعتبر من معالم الطراز المصاري

مساجد الإسلام

بقلم: الدكتور حسين مؤنس

■ المساجد بيوت الله سبحانه، يبنيها المسلمون من فضله ويوقفونها على عبادته، ليعبروا بذلك عن شكرهم اياه وليلتمسوا من فضله. وقد قال سبحانه في سورة النور (سورة ٢٤، آيات ٣٦ — ٣٨)

«في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من ...»

وكل مكان نظيف مخصص للصلاة ومقصور عليها فهو مسجد، ولا يشترط في المسجد بناء ولا هيئة معمارية، وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا» حتى الجدران لا ضرورة لها، فقد اتخذ المسلمون في الأجيال الأولى مساجد هي قطع من الأرض فصلوها عن غيرها بخندق يصونها من ولوج الناس اليها دون طهارة ويمنع كذلك دخول الحيوانات اليها، ومثال ذلك مسجد الكوفة الأول الذي لم

في عمارة المساجد عناصر اساسية ...

... تدعو الى الاعجاب .

فعقيدة الاسلام سهلة واضحة لاتعقيد ولا تكلف فيها ، وانني معجب بوضوح الاسلام وبعده عن التكلف معجب بهذه المساجد البسيطة ، لانها مجرد اماكن طاهرة محوطة بما يحوط طهارتها حتى المؤمن فيها بين يدي ربه .

وقد قرأت كتابا قطعا لقس كاثوليكي هو الاب بركروى Berguercuil ، قضى سنوات طويلة في افغانستان كتب بعدها ذلك الكتاب يسجل فيه خلاصة تجاربه في ذلك البلد الاسلامي الجميل ، وقد خص عنوانه « الحجر والنجم ... »

فكان اكثر ما مس قلبه ورآه في نفسه وقف منها ساطر عدة المساجد البادية والمسلمون يؤدون صلواتهم فيها في خشوع لا يجده ذلك القس في فخامة الكاتدرائيات . وقد قال في بعض صفحاته انه كان ذات مرة في حافلة تتوقل جبلا

والمسلمين في شتى العصور

وانما ...

في منطقه .

تكن له جدران ، وفي بلاد الاسلام جميعا مساجد ليس لها جدران او عمد او سقوف وانما هي مساحات صغيرة محوطة عما حولها باى صورة من صور الصيانة بفرش بحصير او نحوه ليقوم الناس فيها بصلواتهم . وفي بعض مساجد الاسلام الاولى لم يعرف الناس حتى فرش الارض بالحصير ، فكانوا يفرشون الارض بالحصى (الزلط الصغير) الجاف النظيف فاذا اتسخ رفعوه واستبدلوا به غيره .

وهذه المساجد البسيطة ترمز ببساطتها الى جانب هام من جوانب العقيدة الاسلامية ، فعلى

دائرة على ممر ضيق يدور بالسفح ويطل على حافة لا يقل عمقه عن الف متر ، فلما بلغت الحافلة سطحا في داخل المنعطف المعروف اوقف السائق السيارة تحت حائط الجبل ، ومضى الركاب معه الى فسحة لا تزيد مساحتها على عشرة امتار مربعة بارزة في الفضاء كانها شرفة معلقة بين السماء والارض ، وتوضأ الرجال من سبيل ماء كانه الثلج برودة ثم وقفوا صفوفا في هذه الشرفة المطلة على الموت ووجوههم الى القبلة .

كانت تلك هي صلاة المغرب ، وقد جلس بركروى يرقبهم في ابدع صلاة رآها في حياته . فلما فرغوا من الصلاة وعادوا الى اماكنهم قال القس لجاره :

...

المشاة عند الوصول ! اما اسم غنى مسافر ! فقال الرجل وهو يشير الى الهاوية : والله ... محفوظا من ... فيها ... هو سبحانه فكيف

المسجد النبوي في المدينة ، أبو المساجد جميعا

ورمز البساطة المطلقة في مساجد الاسلام هو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، شرع الرسول في بنائه في الشهور الاولى من استقراره في المدينة ، وكان مجرد الانتهاء من ذلك المسجد ايذانا بقيام الجماعة الاسلامية ، فقد اصبح لها مركز يتجمع المسلمون فيه وحوله ، ولقد بُني المسجد لاقامة الصلوات ولكنه لم يلبث ان اصبح قلب الجماعة النابض ورمزا ملموسا لوحدتها ، فان المسجد بيت الله ، ولكنه بيت المسلمين ايضا هناك يتلاقون ويتجمعون ويتبادلون الرأي ويحسون بوحدتهم احساسا مباشرا .

وعندما ابتنى الرسول صلوات الله عليه حجراته في ركن من صحن الجامع ، اصبح المركز السياسي للجماعة كلها ، فان بيتها ، وقائدها يقيم هناك ويجتمع فيه باصحابه ويتبادل معهم الرأي وينفذ ما يرى من القرارات . هنا كان يفد الناس ليتعرفوا اخبار جماعتهم ويتلقوا تعليمات رسولهم الكريم،اي،ان ذلك الانشاء البسيط الذي ينصب كان في واقع الامر حدثا هائلا في تاريخ البشر : كان ايذانا بميلاد جماعة الاسلام وقيام دولته ، كان نقطة البداية لذلك الاسلام الشامخ ، وكان ايضا منبع الحضارة الفكرية الاسلامية بشتى فروعها ، فهنا كان المسلمون يسمعون آخر ما اوحيَ الى نبيهم من آي القرآن الكريم ، وهنا ايضا كانوا يجتمعون بأهل الذكر منهم يسألونهم في امور دينهم ودنياهم ، وهنا ايضا ـ سواء في الجامع او في جلساته وسط صحابته ـ القى الرسول الكريم بالجانب الاكبر من حديثه النبوي الشريف .

ومعنى هذا ان المسجد لم يكن مجرد مكان لاقامة الصلوات ، بل اصبح منذ انشائه جزءا من بناء الجماعة الاسلامية،فكما ان الانسان لا يستطيع ان يتصور اسلاما بغير مسلمين فكذلك لا يمكن ان تقوم جماعة اسلامية بدون مسجد يؤدي لها الوظائف الدينية والسياسية والاجتماعية التي اشرنا اليها .

انشاء مسجد جامع في بلد معناه دخول القطر كله في دار الاسلام

ولهذا كان اول ما جرى الفاتحون المسلمون على عمله بعد اتمام الفتح العسكري لأي بلد هو انشاء المسجد الجامع ، لان قيام هذا المسجد معناه

جامع السليمانية في ادرنة في تركيا ، بني فيما بين سنتي ١٥٦٧ و ١٥٧٤ ، وهو من اجمل نماذج الفن التركي العثماني انشاه المهندس سنان باشا الذي يعتبر من اعاظم المهندسين في تاريخ الاسلام ، فقد بنى نحو ٣٧ مسجدا ، ومثل هذا العدد من القصور بالاضافة الى مدارس واضرحة وقناطر . لاحظ المآذن التركية الرائعة الضاربة في الجو كأنها صواريخ . لاحظ كذلك كثرة القباب ما بين كبيرة وصغيرة ، وكاملة ونصفية .

امتداد الجماعة الإسلامية الى ذلك البلد ودخوله في نطاق دولة الاسلام .

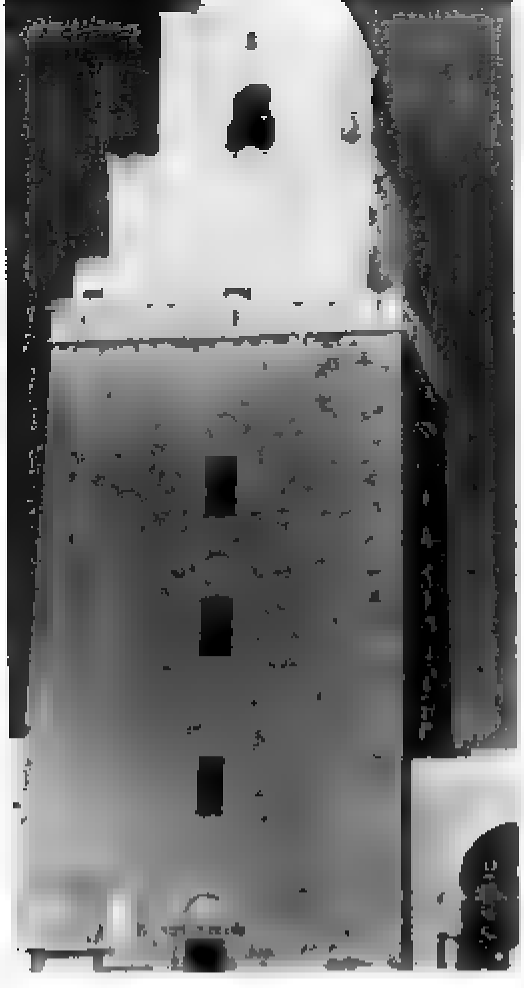
ومن القواعد الاساسية التي سار عليها بناة دولة الاسلام الكبرى انه لا يمكن التخلي عن قطر يقوم في عاصمته مسجد جامع ، فاذا لم ينشيء المسلمون مسجدا جامعا في قلب قطر من الاقطار لم يكن عليهم بأس بالارتداد عنه اذا اضطرتهم ضرورات عسكرية او سياسية الى ذلك ، ومن امثلة ذلك ان انشاء عقبة بن نافع للمسجد الجامع في القيروان فيما بين سنتي ٥٠-٥٥هـ/٦٧٠ - ٦٧٥ اصبح التزاما للدولة الاسلامية بالمحافظة على ولاية افريقية وهي تقابل الجمهورية التونسية اليوم ، فاصرت على ذلك رغم الثورات المتوالية التي قامت في هذه الناحية وكلفت المسلمين الوفا من الشهداء حتى استقرت قواعد الاسلام في البلاد ثم امتدت حتى شملت المغرب كله .

قبل ذلك - سنة ٣١هـ/٦٥١م - كان عبد الله بن سعد بن ابي سرح قد فتح شمال السودان بانتصاره في واقعة دنقلة ، ولكنه لم ينشيء عقب انتصاره مسجدا جامعا فيها ، ومعنى ذلك انه لم تقم في شمال السودان اذذاك جماعة اسلامية ، ونتيجة لذلك لم تكن الدولة الاسلامية ملزمة بمواصلة الفتح في السودان ، فتأخر فتحه واسلامه كثيرا .

في ايامنا هذه عندما يفتحون بلدا يرفعون على عاصمته راية الفاتح دليلا على النصر والسيادة ، اما المسلمون فقد كانوا اذا فتحوا بلدا انشأوا فيه مسجدا جامعا دلالة على ان البلد اصبح جزءا من دار الاسلام ومركزا من مراكز جماعته . النتيجة السياسية التي تترتب على ذلك هي ان جماعة الاسلام الكبرى تصبح مسئولة عن ذلك الجزء الجديد من دار الاسلام . كان انشاء المسجد الجامع اعلانا لسيادة دين الله سبحانه ولم يكن معناه قط سيادة الغالبين على المغلوبين . في خطب الجمعة الاولى التي القيت في الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان لانجد اشارة قط الى انتصار او فتح او غلبة وانما نجد فيها شكرا لله سبحانه على ان فتح هذا البلد او ذاك للاسلام.

ومن هنا فان وجود المسجد الاقصى في القدس الزام للمسلمين جميعا باستعادة القدس واقليمها كله وهو فلسطين .

هذا واجب يحتمه الاسلام على المسلمين جميعا فرادى وجماعات .



مئذنة المسجد الجامع في القيروان ، نموذج للمآذن في الساحل الغربي لعالم الاسلام . [illegible] [illegible] ومربعة [illegible] [illegible] [illegible] العدار [illegible] [illegible] [illegible] المسجد

المسلمون ما كانوا يحولون الكنائس الى مساجد

هذا يكفي ليعطيك فكرة عن المعنى البعيد لانشاء مسجد جامع في عاصمة بلد فتحه المسلمون او في بلد اختطوه ليكون عاصمة او مصرا كما كانوا يقولون .

كانت المساجد الاولى كلها تحمل هذا المعنى رغم انها كانت ابسط مساجد بناها المسلمون في تاريخهم .

ولم يكن المسلمون الاول يلجأون الى اتخاذ الكنائس مساجد جامعة في البلاد التي فتحوها . كل ما نقرأه عن ذلك غير صحيح وهو من اختلاق كتاب العصور المتأخرة او من اختلاق بعض المستشرقين من امثال ليوني كايتاني Leone Caetani و . ك . كريسويل K.Creswell ممن عز عليهم ان يسلموا بان المسلمين ابتدعوا عمارة مساجدهم على نحو فريد يجمع بين البساطة المطلقة والوفاء بالغرض ، ويفتح الباب امام التجديد والابداع .

فلا في بيت المقدس ولا في دمشق ولا في مصر او المغرب ، او الاندلس استولى المسلمون على كنيسة وحولوها الى مسجد .

وقد اكثر الناس الكلام فيما زعمه المقري المؤرخ من ان المسلمين عندما دخلوا قرطبة شاركوا المسيحيين كنيستها ، ثم اشتروا النصف الباقي عندما جاء عبد الرحمن الداخل وانشأوا جامعهم .. الى آخر هذا الكلام الغريب الذي لا يزال يردده بعض المؤرخين المحدثين .

وقد اراد الاثري الاسباني فيليكس ارناندث Felix Hernandez ، ان يتحقق من ذلك فقام بحفائر في كل ناحية من نواحي مسجد قرطبة وذهب مع العمق الى عشرة امتار فما وجد اثرا لاي بناء سابق ، لاكنيسة ولا غير كنيسة ، واورد هذه الحقيقة المهندس الاثري ليوبولدو توريس بالباس Leopoldo Torres Balbas في كتابه الكبير عن الفن الاسلامي الاندلسي في عصري الامارة والخلافة .

وبعد ذلك بسنوات ذهبنا مع نفر من الاثريين وحفرنا وحققنا فما وجدنا الا ان الارض التي قام عليها الجامع ارض بكر لم يسبق فيها بناء .

ولماذا كان يحرج المسلمين الى تجشم مشقة التفاوض مع المسيحيين على اخذ جزء من كنيستهم في حين ان انشاء المسجد على ارض عذراء ابسط واسهل واقل تكاليف ثم هو لا يؤلم مشاعر احد من الناس ؟

حقا لقد انشأ المسلمون مساجد في مواضع ابنية قديمة مهجورة ـ كالمعابد الوثنية مثلا ـ لكي يستفيدوا من جدرانها وارضها المبلطة بالحجر ، وهذا امر لم يعارض فيه مسيحي او غيره ، لان هذه المباني كانت خرائب مهجورة على اي حال ، ولقد استسهل العرب ذلك احيانا ، لانهم كانوا يجدون في هذه الخرائب اعمدة واحجارا تعينهم على العمل .

وقد اثبت باحثون آخرون عدم صحة هذه الادعاءات فيما يتصل بمساجد اخرى غير مسجد قرطبة ، وقد تكلم عن ذلك بتفصيل الاثري المعروف د . احمد فكري في مدخل كتابه الجليل عن مساجد القاهرة ومدارسها .

ونستثني من ذلك ما فعله الاتراك العثمانيون في الاستانة ، وبعض ما فتحوه من بلاد الدولة البيزنطية .

ولكن هذا رد فعل لما كان الاسبان يعملونه بمساجد الاندلس التي وقعت في ايديهم .. كان هذا معاملة بالمثل جرى عليها خلفاء العثمانيين في ظروف تاريخية معينة . ولكنه لم يكن قاعدة اسلامية عامة .

تفاصيل عن ابي المساجد

ولكي نزيد هذه الحقيقة وضوحا نعود الى ميلاد المساجد الاسلامية بادئين بابيها جميعا وهو المسجد الاول الذي انشأه الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد شهور قليلة من هجرته ووصوله اليها بعد ظهر الثاني عشر من ربيع الاول من العام الهجري الاول (٢٤ سبتمبر ٦٢٢) .. فقد كان وصول الرسول الاعظم الى قباء ثم انتقاله بعد ذلك الى دار ابي ايوب الانصاري في منازل بني عدي بن النجار في وسط سهل المدينة المنخفض ، كان هذا ايذانا بقيام الجماعة الاسلامية في المدينة .. فقد التف المسلمون حوله وتقاطر عليه نقباء الانصار ووجوه المهاجرين يتلقون توجيهاته ويبادلونه الرأي في تنظيم امر الجماعة الجديدة .

ومن اول الامر استقر راي الرسول على انشاء مسجد للجماعة تقيم فيه صلواتها وليكون مركزا ملموسا لوحدتها وقد اختار الرسول للمسجد قطعة ارض كانت مهملة ينبت فيها عشب وحشي وشجيرات صغيرة تسمى الغرقد ، وكانت فيها منخفضات يتجمع فيها ماء آسن ، وقد اتخذ الناس في بعض نواحيها قبورا ..

قام الرسول مع اصحابه بتنظيف هذه الارض وتسويتها ، ونقلت القبور الى مكان بعيد شرقي



صحن مسجد الجامع في حلب الذي كمل بناؤه في القرن الثالث عشر . انه من الطراز السلجوقي المبكر ويمتاز صحنه بالراحة الفريدة في بابها في عالم المساجد . والصحن كله مبلط ببلاطات كبيرة من الرخام متوسطه ميضأة مدعمة تقوم تحت جوسق ذي قبة .

موضع المسجد ، وقد عرف هذا المكان ببقيع الفرقد واصبح مقبرة للمسلمين ، واول من دفن فيه عثمان ابن مظعون .

ويقال ان الرسول الكريم اشترى هذه الارض من صاحبيها ، وكانا غلامين يتيمين تحت وصاية ابي امامة اسعد بن زرارة . وهذا ايضا غير صحيح لاننا سنجد هذين الغلامين بين القاتلين في بدر بعد شهور قليلة ، ولم يكن الرسول يسمح للغلمان بالاشتراك في الحرب ، ومعنى هذا ان هذه الارض لم تكن ملكا للغلامين يتيمين او غير يتيمين ، وانما هي كانت ملكا للمجاهد الجليل ابي امامة اسعد بن زرارة . وكان يصلي فيها مع اصحابه قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . وعلى اي حال فقد كان الاتفاق بين الرسول واهل المدينة يعطيه الحق في التصرف في اي قطعة ارض مهملة لا ينتفع بها احد . وقد حث الرسول اصحابه على استصلاح هذه الاراضي وكانت كثيرة جدا وكان لذلك اثر بعيد في نهوض العمران في المدينة .

وكانت مقاييس المسجد اول الامر ٧٠ ذراعا في ٦٣ ، والذراع المقصود هنا طوله ٥٠ سنتيمترا ، اي ان مساحة الجامع الاول كانت على وجه التقريب ٣٥×٣١٫٥ مترا ، اي انه كان مربعا اقرب الى الاستطالة .

وقد جعل الرسول من اول الامر للجامع قبلة ، اي اتجاها محددا يجعل المصلون جميعا وجوههم قبالته . وكانت القبلة الاولى تجاه بيت المقدس . ونعتقد ان جدار القبلة هذا — وطوله ٣١٫٥ مترا — هو اول ما بني ، فقد حفروا له اساسا عمقه متر ونصف وبنوه بالحجارة النضدة اي المصقولة ، اما بقية الجدران فكانت من اللبن اي الطين غير المحروق ، وقد قامت هي الاخرى على اساس حجري .

وكان ارتفاع الجدران حينما يقول المؤرخون « بسطة » اي طول رجل مبسوط القامة ، وهو تعبير معناه متران تقريبا .

في نصوص اخرى نجد ان ارتفاع الجدران كان ٣٫٥ مترا . وهذا القول الثاني ينطبق على ارتفاع المسجد بعد ان وسعه الرسول وزاد فيه .

في ناحية القبلة جعل الرسول عريشا أو ظلة تقوم على جذوع تقوم بوظيفة الأعمدة ، ثم سقفوها بعوارض من خشب جذوع النخل أيضا وطرحوا عليها السعف والجريد .

وصفت جذوع النخل ثلاثة صفوف موازية لجدار القبلة ، في كل صف تسعة جذوع بين كل نخلة ونخلة ٣ أمتار تقريبا .

في صدر المسجد أيضا حددوا موضع المحراب وعلموه بعلامة مميزة ، وإلى جانب المحراب بنوا جزءا مرتفعا ليقف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم إذا خطب . هذه هي بداية المنبر .

وفتحت في جدران هذا المسجد ثلاثة أبواب : واحد في الجدار الشرقي قرب جنوبه ، والباب الثاني يقابله في الجدار الغربي ، أما الباب الثالث فكان في وسط نفس ذلك الجدار الغربي .

ومعنى هذا أن مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة كان يضم في صورته الأولى العناصر الآتية .

١ ـ ساحة واسعة مكشوفة هي التي تعرف بالصحن في مصطلح المساجد .

٢ ـ جزء معروش أو مغطى من تلك الساحة يقع في ناحية القبلة ، هذا الجزء هو الذي نسميه عادة بيت الصلاة .

٣ ـ قبلة محددة يجعل المصلون جميعا وجوههم ناحيتها عند الصلاة . كانت هذه القبلة تتجه أولا نحو الشمال أي نحو بيت المقدس بالنسبة للمدينة ، ثم حولت القبلة إلى الجنوب ، أي نحو الجدار الجنوبي المتجه نحو مكة المكرمة وبيتها الحرام (بالنسبة للمدينة) .

٤ ـ موضع محدد في جدار القبلة يقف تجاهه الإمام وهو المحراب .

٥ ـ شيء مرتفع إلى يمين المحراب ليقف عليه الخطيب في صلوات الجمع والأعياد وهو المنبر .

وهذه العناصر الخمسة : الصحن وبيت الصلاة والقبلة والمحراب والمنبر هي الأجزاء الرئيسية التي لا يمكن أن يخلو منها مسجد .

وكل ما عدا ذلك فزيادات وعناصر اكمال أتت فيما بعد ، وهي لا تدخل في صلب المساجد .

فالمئذنة مثلا ليس من الضروري وجودها في كل مسجد . أيام الرسول كانوا يؤذنون من أعلى بيت مجاور ، هو بيت السيدة حفصة أم المؤمنين .

والميضأة كذلك عنصر اكمال ، لأن المفروض أن المسلم يذهب إلى المسجد متوضئا . وعلى الرغم من تصور كثير من المسلمين لأهمية وجود الميضأة في المسجد فاننا نقرر أن وجودها أضر بالمساجد بصورة عامة وكان من العقبات التي حالت دون المحافظة على نظافة المساجد كما ينبغي . ولابد أن أن نتحلل من التزام الميضأة الآن بعد أن دخل الماء النقي كل بيت . ومن المؤكد على كل حال أن أوضاع الميضآت وطرق التطهر والاغتسال والوضوء لا تضمن الطهارة الكاملة .

والمقصورة كذلك عنصر لا يدخل في تكوين المسجد . وتتخذ المقصورات عادة في صدر المسجد وتخصص ليصلي فيها أهل السلطان .

وكذلك القباب لا تعتبر أجزاء أساسية في المساجد .

ومعنى هذا أن مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم احتوى على العناصر الأساسية للمساجد ، وعلى الرغم من التطور الشامل الذي مر فيه فن بناء المساجد عند المسلمين إلا أن أحدا لم يضف بعد أيام الرسول عنصرا أساسيا .

ولن نمضي في التاريخ لمسجد الرسول ، فهذا تاريخ طويل ، ولكن يكفي أن نذكر هنا أن الرسول زاد في مسجده زيادة كبيرة في السنة الثامنة للهجرة ، فأضيفت إليه خمسة أمتار في الشرق وعشرة أمتار في غربه وخمسة عشر مترا في الشمال .

ونتيجة لذلك أصبحت مقاييس المسجد ٤٥ × ٥٠ مترا ، أي أن مساحته أصبحت ٢٢٥٠ مترا مربعا تقريبا ، وهي تعدل نصف فدان على وجه التقريب . وعندما حولت القبلة إلى الجنوب أمر الرسول بانشاء عريش أو ظلة أخرى عند جدار القبلة الجديدة ، أي أن بيت الصلاة انتقل من الشمال إلى الجنوب . وكانت مقاييس بيت الصلاة الجديد وطريقة بنائه هي نفس مقاييس القديم وطريقة بنائه .

وقد سمي بيت الصلاة القديم الصفة ، وكان يأوي إليها نفر من الفقراء المسلمين أحبوا أن يبيتوا دائما في بيت الله وعلى مقربة من رسوله الكريم ، وهؤلاء هم أهل الصفة .

ويظن الكثيرون أن أهل الصفة كانوا من الفقراء الذين عاشوا هناك على احسان اخوانهم المسلمين .

وذلك غير صحيح . فعندما نقرأ أسماء أهل الصفة على أيام الرسول نجد أنه كان فيهم نفر من

لفقراء اصحاب الرسول ممن لا يوصفون بالفقر فقط ولا يرضون بان يعيشوا على احسان الغير . وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يرضى من المؤمن ان يعيش على جهد الغير ، وله احاديث كثيرة تنهى عن ذلك ، فكيف يرضى ذلك لنفر من صحابته الاعزة عليه من امثال ابي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت (٢) .

ولم يصل احد الى تحديد الجهة التي اقام الرسول فيها حجراته التي عاش فيها مع الزواجه امهات المؤمنين ، واقرب الآراء الى الصحة — دون تأكيد — انها كانت صفا من تسع غرف متجاورة بلصق الجزء الجنوبي من الجدار الشرقي ، ويدخل اليها من الباب الشرقي .

ولم تكن الغرف متصلا بعضها ببعض بل كانت ابوابها كلها تفتح على صحن الجامع.وجدير بالذكر انه لم تكن لها ابواب من خشب بل ارخيت عليها ستر تقوم مقام الابواب .

اي ان سكن الرسول الاعظم كان مفتوحا دائما ، ولو اراد انسان ان يدخل من باب المسجد ويمضي الى مخدع الرسول لفعل دون ان يجد صعوبة .

ولهذا — اعتقد — حرص اهل الصفة على ان يقيموا على مقربة من رسول الله ، فقد ارادوا الا تطمئن جنوبهم الا على مقربة من باب الداخل والخارج وخاصة في سكون الليل .

المساجد الجامعة الاولى

وعلى غرار مسجد الرسول قامت في المدينة المنورة مساجد كثيرة على ايامه صلى الله عليه وسلم ، وقد عد السمهودي عددا كبيرا منها في كتابه الفريد : وفاء الوفا باخبار دار المصطفى (القاهرة ١٩٠٩) .

وعلى طرازه ايضا قامت المساجد الجامعة الاولى في عواصم البلاد التي فتحها المسلمون على ايام الخلفاء الراشدين وبني امية وبعدها :

مسجد البصرة ، انشيء سنة ٦٣٥/١٤ على يد عتبة بن غزوان . اقام سوره اولا من قصب اي من البوص ، ثم بناه ابو موسى الاشعري باللبن ، ثم بناه زياد بن امية بالحجر سنة ٦٦٥/٤٤ .

ومسجد الكوفة ، انشيء سنة ٦٣٦/١٥ او ٦٣٨/١٧ على يد سعد بن ابي وقاص . لم يكن له جدار اول الامر ثم عمل له جدار من قصب ، ثم بني باللبن ، ثم بالحجارة سنة ٦٧٠/٥١ .

وثالث المساجد الجامعة مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط ، بني سنة ٦٤٢/٢١ والتاريخ هنا



مسجد ومدرسة انجي في قونية في تركيا . انشيء هذا المبنى الجميل سنة ١٢٥٨ وهي السنة التي خربت فيها بغداد على يد المغول . انه نموذج لطراز العمارة السلجوقي . لاحظ المئذنة الجميلة التي تعتبر من اوائل المآذن التركية . انها مجللة بخطوط من القاشاني الازرق ذي البريق . لاحظ كذلك القبة الكبيرة يعلوها طاق حبيل للنور . هذه القبة تقوم فوق المدرسة .

المسجد طويلاً فقد وسع وهدم وبنى مرارا عديدة. والمسجد الحالي لا يمت في عمارته الى المسجد الأول بصلة ، وهو حديث البناء .

ورابع المساجد الجامعة مسجد عقبة بن نافع في القيروان ، بناه ذلك الفاتح العظيم فيما بين سنتي ٥٠ و ٦٧٠/٥٥ و ٦٧٥ وقد مر هذا المسجد أيضا بأدوار شتى في تاريخه ، ولكن هيأته الحالية أصيلة ترجع الى أيام ابراهيم بن أحمد تاسع امراء بني الأغلب على افريقية ، وقد تمت سنة ٨٧٥/٢٦١ .

وخامس المساجد الجامعة هو المسجد الأقصى في القدس . وبناؤه يرجع الى أيام عمر بن الخطاب ، ولكن ليست لدينا فكرة عن صورته الاولى . وقد اعاد بناءه بالحجر عبد الملك بن مروان سنة ٦٨٨/٦٥ ، اما الذي اعطاه صورته التاريخية التي ظل محافظا عليها رغم التجديد واعادة البناء المتكررين فكان الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٦/٨٧ . والوليد من اعاظم البنائين في تاريخ الاسلام .

وهذه الخمسة الى جانب مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم هي آباء مساجد الاسلام كلها .

ويلي ذلك المسجد الجامع بواسط وقد بناه الحجاج بن يوسف سنة ٧٠٣/٨٤ .

والمسجد الجامع الأموي في دمشق ، وهو من بناء الوليد بن عبد الملك فيما بين سنة ٧٠٦/٨٧ سنة ٧١٤/٩٦ .

وبعد ذلك تأتي الوفا المساجد التي بناها المسلمون على طول تاريخهم .

ومعظم هذه المساجد الجامعة الأولى مرت في انشائها الأول بالمراحل التقليدية الثلاث : مرحلة كانت جدرانها فيه من القصب ، ثم حل اللبن محل القصب ، ثم حل الآجر او الطوب المحروق او الحجر محل اللبن . وهذه المراحل تمثل تطور العمران في عالم الاسلام . وتاريخ كل مسجد من هذه انما هو جزء لا يتجزأ من تاريخ الاسلام ، لأن المسجد ليس مجرد مكان للصلاة ، بل هو قلب الجماعة الاسلامية النابض ورمز وحدتها ومجمع اهلها .

وقد رأينا ان الرسول صلى الله عليه وسلم اسرع بانشاء مسجده الجامع حتى تأخذ الجماعة الاسلامية هيأتها الملموسة .

عمارة المساجد تجمع بين نقيضين البساطة والفخامة

وعلى الرغم من التطور البعيد الذي مرت فيه مساجد الاسلام ، من ميلادها الى اليوم ، الا انها ظلت تحتفظ بعناصرها الرئيسية القديمة التي اتخذت لها أيام الرسول .

وقد واجه المعماريون المسلمون مشكلة عويصة كان عليهم ان يجدوا لها حلا اذا ارادوا ان يسيروا الى الامام بأساليب بناء المساجد على نحو يتمشى مع ما وصلت اليه دولة الاسلام من ملك شاسع وتطور حضاري واسع المدى .

فلم يكن من الممكن ان تصبح دولة الاسلام امبراطورية تمتد من حدود الصين الى الاطلسي وتظل مساجدها الجامعة سياجات من القصب او اللبن تدور حول مساحات من الارض بعضها مغطى بسقائف تقوم على اعمدة من جذوع النخل ، ولم يكن من الممكن كذلك ان تدخل على المساجد عناصر لا تتفق مع طبيعتها ، او عناصر تتعارض مع بساطتها ، لأن هذه البساطة تعبير ملموس عما تمتاز به العقيدة الاسلامية من وضوح وسهولة وتحرر من التعقيد .

فكيف اذن يستطيع المعماري ان يجد حلا يجمع بين البساطة والفخامة ، وهما في واقع الامر نقيضان ؟ .

معادلة عسيرة استطاع المعماريون المسلمون حلها بنجاح يدعو الى الاعجاب .

لقد كانت المهمة الكنائس مشكلة يسيرة الحل على المعماريين النصارى ، لأن الكنيسة بناء معقد مركب ، فهي مكان للصلاة وفيها سجل للاحوال الشخصية لرعاياها ، وفيها مكتب او مكاتب للاسقف او القس ومساعديه ، وفيها مخازن للاخشاب والادوات اللازمة الطقوس من صلبان وكئوس واجراس وكتب مقدسة وكتب صلوات وملابس لكل مرحلة من مراحل الطقوس ، وفي الكنيسة ايضا خلوات للاعتراف وغرف لتغيير الملابس ومساكن للقس او الشماسة او القيومة وما الى ذلك .

اي ان المعماري الذي يضع تصميم كنيسة يجد امامه متسعا للابتكار والتشكيل ، اضف الى ذلك

أن الكنائس ترحب بالتصاوير والتماثيل وكل ما يساعد على تجسيم العقيدة ..

أما المساجد فلا تقبل شيئاً من هذا على الاطلاق.

والآن فالعناية ينبغي أن تنصب على أشكال العناصر الأساسية الأولى وكذلك على المواد التي بني بها .

والصور المبتكرة والزخارف وأشكال الزينة ينبغي أن تقتصر على العناصر الرئيسية : الأعمدة والبوائك والشبابيك والأبواب والسقوف والمآذن والقباب وما الى ذلك .

وهنا ينبغي أن نقرر أن المعماريين المسلمين وفقوا في أعمالهم توفيقاً فاق كل ما كان متصوراً .

طرز المساجد الإسلامية

وهنا نقف أمام باب الطرز المختلفة للمساجد .

والطرز جمع طراز (مثل كتاب وكتب) ويراد بها الهيأة العامة للشكل المعماري العيني والأشكال الخاصة للعناصر الرئيسية والصور المبتكرة للعناصر الثانوية .

وهنا ينبغي أن نقرر أن تاريخ عمارة المساجد لم يمر في أطوار عامة يسود في كل منها طراز بعينه في مساجد الإسلام كلها كما نرى في الطرز الرومانية والقوطية والرينسانس والركوكو أو الباروك وما الى ذلك من مراحل تطور عمارة الكنائس في الغرب.

ولكن الذي لدينا طرز محلية ، فهناك طراز أموي هو في الحقيقة طراز شامي . وهناك الطراز المصري الذي سار في طريقه من جامع عمرو الى أن وصل الى جامع محمد علي في القلعة مارا في تطوره بمراحل واضحة أهمها المرحلتان الفاطمية والمملوكية .

وهناك الطراز العراقي الذي يعرف عادة بالطراز العباسي ، وأهم ما بقي لنا من نماذجه الأولى جامع سامرا ومسجد ابي دلف . وقد مر هذا الطراز في مراحل شتى في تاريخه الطويل .

وهناك الطراز الايراني الذي بلغ ذروته وأروع صور جماله في مساجد العصر الصفوي الرائعة .

وهناك الطراز الهندي أو المغولي نجده في مساجد الهند وأضرحتها مثل جامع قطب منار في دلهي وضريح التاج محل في أجرا .

وهناك طراز الملايو الذي نجده فيما يلي الهند شرقاً حتى جزائر اندونيسيا وجنوبي الفلبين .

وهناك الطراز التركستاني الرائع الذي نجده في بخارى وسمرقند وطشقند وما اليها .

وهناك الطراز التركي العثماني الذي يروع النفس في مساجد الاستانة وبروسة وادرنة وما اليها .

وهناك طراز العمارة المغربية الذي ولد في جامع عقبة في القيروان وتطور بعد ذلك تطورا رائعا كما نرى في مساجد المرابطين والموحدين والسعديين والعلويين في بلاد المغرب الأقصى جميعا .

وهناك الطراز الاندلسي وقد مر هو الآخر في أطوار شتى وتاريخ طويل .

ومن المستحيل علينا في هذا الحديث عن المساجد أن نعطي ولو فكرة يسيرة عن خصائص كل طراز من هذه .

وقبل أن نختم هذا الحديث لنا رجاء الى أساتذة العمارة الاسلامية .. فهم جميعا مشكورون على ما يؤلفون ويكتبون .

ولكننا بحاجة الى كتاب مختصر لا يزيد على ٤٠٠ صفحة يقدم للقارىء العربي العام كل ما يحتاجه من المعلومات عن المساجد عامة وعن الطرز المختلفة. نريد كتابا محلى برسوم بالريشة توضح لنا الأجزاء والتفاصيل وصورا جيدة واضحة مطبوعة على ورق جيد بدلا من هذه الصور الباهتة والكليشيهات المزورة التي نجدها في كل كتاب يؤلفونه . نريد صورا بالأبيض والأسود وأخرى بالألوان . نريد كتابا كهذه التي نجد منها عشرات في مكتبات الغرب عن تاريخ الفن المعماري عندهم وأصوله .

باختصار نريد كتابا واضحا خاليا من التكلف وجميلا أيضا يشترك في عمله متخصص في تاريخ الفن الاسلامي ومهندس معماري ورسام يعرف كيف يرسم ويستخدم الألوان يعرف كيف يتكون ، ومصور فوتوغرافي يعرف كيف يصور ، وبعد ذلك نستطلقكم بالله — مطبعة تعرف كيف تطبع كتابا جميلا وناشر يبيعنا اياه بثمن رخيص .

حسين مؤنس

أُسائلُ عنكِ آذارا ؟

[إليها في ذكرى الخامس عشر من آذار ١٩٤٢]

أسائلُ عنكِ آذارا لعلَّ لديهِ أخبارا؟
فمن آذارَ عرفنا الـ ـهوى والحبَّ والنارا؟

كتبنا الحبَّ أعواماً تحاورنَ الثلاثينا!
وقلنا في غدٍ ننسى وأيُّ غدٍ سينسينا؟
وجهٌ عدتُ بكتبهِ الـ ـسى عشتُ فلطب
وهمسٌ كانَ همراً عبيراً كادَ يُردينا
فيم نشدُّ الذي كانتْ تسوقُ لهُ أمانينا
وحبٌّ لم يزلْ في القلـ ـبِ مرتبعاً عاصبـ
أحبيهِ إذا حنتْ ـبَ ذكرى تلاقينـ
وأنتِ حبيبتي مذ كنـ ـتِ أمسِ ولا تزالينا
يامحبّةُ الإلهِ وكم درّتْ للعمرِ مدرارا!
أُسائلُ عنكِ ما أصبحـ ـتِ أو أمسيتِ آذارا!

ألا ما أجملَ الذكرى تعيشُ بسحرها حينا!
نحمحمُها على تعْد فتهجرُنا وتحيينا!
أراكِ هناكِ حولَ الند رِ حائرةً تطوينا



بقلم : احمد غازى النمرى

وهذا طيفُكِ المحبو	بُ يخترقُ البابا
أناديه تعالَ إلى	ما أحلى تدانينا
فيومي أنتِ آتٍ	ليُعطيني رياحينا
أراهُ مُقبلاً ولقد	جنى وردٌ وسريب
وقدّم لي أزاهيرَ الـ	ـربيعِ وقالَ مكتبا
وغابَ ولم تعدْ عيني	تراهُ وأغلقَ الدارا !
هنالكَ صعدتُ أدراجي	أسائلُ عنكِ آذارا !

**

هجرنا القدسَ وشردتْ	بنا أيدي أعادينا
وعندَ حدودنا العربي	أضعناهُ بأيدينا !
مساجدُنا ، كنائسُنا ،	متاجرُنا ، مبانينا
لماذا لم نمتْ في ظلـ	ـها عزّاً ميامينا ؟
دفاعاً عن منازلنا	دفاعاً عن أراضينا
تركناها وولّينا	وقد ظلّتْ تنادينا
وصبَّ اللهُ لعنتَهُ	فقلتُ ربِّ آمينا
محلّتْ لسهٍ كُثرى	ربوعنا ودانيا !
ألا ليتَ السماءَ جرتْ	إلى الوديانِ أنهارا !
وما ولّيتُ جموعَ العدْ	وِّ يومَ الهولِ أدبارا !

للنبات هرمونات كما للحيوانات هرمونات

بقلم الدكتور أحمد زكي

ويخرج جذرا أو جذورا تهبط نازلة في الأرض .

أكسيد الكربون الموجود في الهواء ، ومن

للصعد بالساق ، وكيف يصنع ليهبط بالجذر .

والآن نتوجه بعد ذلك الى السائل



● جذور النباتات تضرب في الأرض ،

فسيقان تصعد إلى السماء ، وجذور تهبط في التربة

فمن علمها أن في السماء الهواء ؟

ومن علمها أن في التربة الماء ؟

● والنبات ، تضعه في الظل ، فيميل بأوراقه وفروعه نحو الشمس

فمن علمه علم الكيمياء الذي يقول

" إن الشمس مصدر الحياة فوق هذه الأرض " .

تسأله كيف يصنع ذلك ، وتسأل النبات ولا تجد منه غير الصمت .

إن الهدف الذي ذكرت أن النبات يستهدفه ، بصعوده وهبوطه ، هو نفسه لا يعرفه . وهو إذن لا يعرف الوسيلة أو الوسائل التي توصل بها إلى هذا الهدف أو الأهداف .

كذلك جسمك أنت ، يجري فيه ما يجري ، ولا تكاد أنت تفهم لهذا الذي يجري في جسمك مما به إقامة الحياة. ولا تكاد تفهم حتى ما يتوسل به الجسم إلى هذه الغاية ، أو الغايات من وسيلة أو وسائل. لأنك أنت ما صنعت الجسم ، ولا خططت له كيف يكون .

وكذلك النبات ما صنع جسمه بنفسه ، ولا خطط بتفكير فيه أو سابق، أن يصعد أو يهبط .

ستقول أنك تعلم اليوم عن جسمك الكثير الذي كنت تجهله بالأمس ؟

ولقد صدقت في هذا أيضا . إنه أعجب الحديث الذي علمك .

وكذلك هو العلم الحديث الذي عمق

كيف تصعد الساق ، وكيف يهبط الجذر . ومن قبل ذلك علمنا ، لماذا تصعد الساق ويهبط الجذر ، طلبا للشمس والهواء ، او طلبا للملح والماء .

ان الذي يجري في اجسام النباتات ، واجسام الحيوانات ، فيه من التعمل والتدبير ، ومن العلم ومن الفن ، ما لو وكل امره الى النبات او الحيوان نفسه ، او حتى الى الانسان ، ولو كان ارسطو فيما زعموا له من سعة فهم وحدة ذكاء واتساع افق ، لفسدت هذه الاجسام ، بسبب عجز من وكلت اليهم ادارتها عجزا مريعا .

ان في الاجسام الحية جميعا من فن وعلم ، وحيل شتى ، وظواهر غامضة وغير غامضة ، تجري كلها معا على تنسق لا يحدث به نشاز ابدا ، وفي ادارة الاجسام الحية جميعا حصيلة من واجبات تعجز حتى العقول الانسانية عن فهمها ، دع القيام بها ، لهذا كان اول تدبير الخلق ان توضع كل هذه الحصيلات العلمية الفنية في كنه الاجسام ، بعيدة من عقول اربابها ، صغرت او كبرت ، وان يؤذن لها ان تدور وتعمل بقدرة قادر ، وحدها ، تلقائيا . حتى لا يكاد يدري بها العقل القائم على الجسم الذي تعمل فيه مهما بلغ من سمو في المراتب البشرية .

كدت ان اقول ان للنبات عقلا

لقد كدت أن اقول ان النبات به من العقل ما يدرك به السبب في توجيه ساقه الى اعلى ، وتوجيه جذوره الى ادنى ، والذي فهو يقوم بهذا التوجيه . وجائز ان نكون في هذا تفسير بسيط مريح لنا ، نحن بني الناس .

هذا اذا توسعنا في معنى العقل حتى يشمل تلك الظواهر التي نسميها بالغرائز ، كخوف الصبي من شعلة عود الكبريت .

ولكن ، حتى لو صح ان نسمي امثال هذه الغرائز عقلا في لغتنا الانسانية ، فانه يشق علينا ان نحمل العقل ، اي عقل ،

مما يجري في جسمك او جسمي ، وما يجري في جسم شجرة زيتون او عود نحمل قمحا ، ذلك لان الذي يجري هناك احداث واعمال وانجازات اشق واكثر واوسع مما يتسع لها العقل الانساني مهما كانت مكانته من الفطنة وقدرته على الاستيعاب ، فكيف بعقل الحيوان لو انه كان .

لندرك هذا مما سوف نذكره توا ، مما توسل به النبات من وسائل تدعو بعضه الى ان يسمو الى السماء ، وتدعو بعضه الآخر الى ان ينحط في بطن ارض .

الهرمون
جسم خالوه ، قبل ان يكتشفوه

منذ عام ١٨٨٠ خال بعض علماء النبات ، من تجاربهم في تنمية النباتات ، ان هناك مركبات كيماوية يصنعها النبات في جهة من جسمه ، بمقادير غاية في الصغر ، وان هذه المركبات تدور في جسم النبات الى حيث تنمو الازهار او تنمو الجذور فتنشطها وتحفزها على النمو فتنمو .

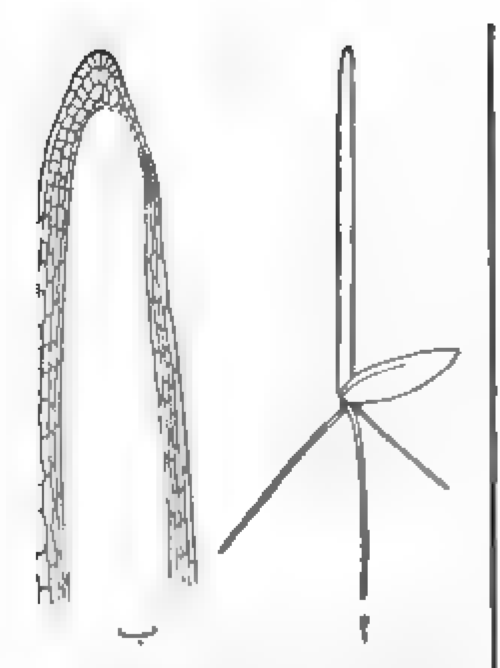
ومن عام ١٨٨٠ الى عام ١٩١٠ . زاد هذا الرأي ولوقا عند العلماء لاتفاقه مع خبرتهم في البحوث التي قاموا بها في تلك الفترة .

وفي نحو عام ١٩٠٥ اطلق علماء يعملون بتجارب في الحيوان اسم هرمون Hormone على هذا الشيء الذي خالوا انه موجود في الحيوانات .

والهرمون لفظ اغريقي معناه المنشط ولم يلبث علماء النبات ان اخذوا هذا الاسم من علماء الحيوان لما خالوه من وجود مثل ذلك في النباتات ، من اجسام حافزة منشطة للنمو .

الكشف عن الهرمونات في النباتات

اكثر علم العلماء عن هرمونات النباتات جاء نتيجة ابحاث قاموا بها على الاعشاب ، وعلى الاخص على عشب الشوفان oats ،



رسم ايضاحي لبذرة في الارض (أ) ، انبتت ، فخرجت منها الساق عالية ، وخرجت الجذور فغاصت في التربة . والساق هنا هي ساق نبات الشوفان وهو وليد ، وهي عبارة عن غمد Coleoptile ، يحمي بداخله الورق الجديد حتى لا يتلف وهو يخرج من التربة الخشنة فوقه . والى جانب الرسم (أ) رسم مكبر (ب) للذروة النمو ، وفي الذروة يتولد الهرمون الذي يعطي النماء لخلايا النبات التي تحته .

وحدث أنهم اثبتوا من تلك التجارب وجود هذه الهرمونات ، وذلك بالكشف عن آثارها أولا . ثم هم بعد ذلك كشفوها ، وفصلوها ، واثبتوا كل صفاتها ، وحللوها وكشفوا عن تركيبها . ومن بعد ذلك هم ركبوا منها بالتخليق في المختبرات ما ركبوا .

الكشف عن وجود الهرمون خبيئا في قمة الساق

في الصورة المرفقة بذرة الشوفان قد نبتت في الارض ، وخرجت منها الجذور وذهبت الى اسفل في الارض هبوطا ، وذهبت الساق (وهي في أول أمرها غمد يحتوي الاوراق ويحميها Coleoptile) فوق سطح الارض صاعدة .

والذي صنعه العلماء ، أو بعض الذي صنعوه ، أنهم قصوا الذروة من هذه الساق ، وازاحوا الذروة عن الساق ، فاذا بالساق يقل نموها .

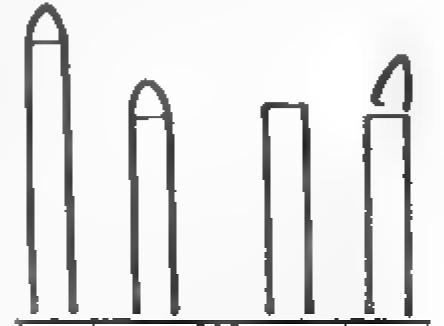
عندئذ ردوا الذروة الى الساق ، فعاد النمو اليها .

ثم وضعوا بين الذروة والساق طبقة من الجلاتين ، فاستمر النمو . ذلك لأن الهرمون ، المفروض أنه في الذروة لا في الساق ، استطاع أن ينفذ الى الساق عن طريق الجلاتين .

ثم اعادوا التجربة ، ولكنهم وضعوا بين الذروة والساق ، بدل الجلاتين ، ورقة رقيقة من القصدير ، فقل النمو حتى اختفى أو كاد . ذلك لأن الهرمون لم يستطع الوصول من الذروة الى الساق ، فالقصدير لم يأذن للهرمون أن يصل الى الساق كما فعل الجلاتين .

وبوضع الذروة ، على الساق لتغطي نصف مقطعها فقط ، مالت الساق الى ناحية عكس الناحية التي غطت فيها الذروة بعض مقطع الساق . والتفسير أن الذروة ، بالهرمون الذي فيها ، تنشطت خلايا الساق في هذا الجانب ، ولم تنشطها في الجانب الآخر . فكثرة الخلايا في جانب دون جانب، أمال الساق الى الجانب قليل الخلايا . ويسمى هذا بالميل أو الانحناء السالب Negative Curvature .

ساق قطعت ذروتها ، ثم اعيدت اليه فنمت الساق حتى كأن الذروة لم تقطع



الكشف عن الهرمون واستخراجه

حدث بعد ذلك ان استخرج الكيماوي كوجل Kogl، وهاجن شمت Haagen Smit ثلاثة مواد لها قدرة كبيرة في حفز النبات على النمو، كانت احداهما اكسين أ Auxin A، والثانية اكسين ب Auxin B، والثالث هترو اكسين Heteroauxin. واذ اكتشفا وجود الاكسين الاول بمقدار لا بأس به في بول الانسان فصلاه على هيئة بلورات منه (عام ١٩٣١). وحللاه ودرسا حرثه فكان رمزه الاولى ك ١٨ يد ٣٢ أ ٥. ثم اكتشف كوجل واصحابه الاكسين الثاني فاسموه (ب) واسموا الاول (أ) عام (١٩٣٢) وحصلوا عليه من زيت جرثومة الذرة ثم اكتشفوا الاكسين الثالث، واثبتوا أنه حامض رمزه ك ١٠ يد ٩ ن ٢ أ (١٩٣٤).

وهم اشتقوا لفظ اكسين من اللفظ اليوناني اكسو Auxo، أو فعله Auxien، ومعناه يزيد والزيادة هنا هي زيادة نمو النبات.

وقد كشفوا عن وجود هذه الاكسينات في شتى النباتات وهي تصنع لا شك فيه مثلما تصنع في الشوفان من حيث الحفز على النمو.

وقد ركب الكيماويون من هذه المواد مشتقات لها في المختبرات الكيماوية كانت حافزة على النمو كذلك على درجات مختلفات.

الانحناء الضوئي او انحناء النبات ناحية الضوء

تلك خاصية معروفة في النباتات من قدم. فلو انك وضعت اصيصا به نبات، في حجرة قليلة الضوء، ووضعته بجوار نافذة يدخل منها نور الشمس، اذن لمال النبات بفروعه واوراقه ناحية الشمس.

وتسأل الرجل العادي عن سبب ذلك فيقول لك ان النبات يطلب الحياة من الشمس، وتسأله هل للنبات ارادة وفكر بهما يعرف ضرورة الشمس لحياته فيقول لك: لا، انما هي الغريزة، وانها حكمة الله.

وتسأل الرجل الكيماوي، او من درس الكيمياء، فيريد لك هذه الظاهرة تفسيرا، اذ هو يحكي لك عن التمثيل الضوئي ما يحكي، ويقول لك ان الاوراق تصنع غذاء النبات (وغذاء الحيوانات بالطبع) من ثاني اكسيد الكربون في الهواء، تجمعه الى ما يصل اليها من الارض من ماء، تصنع من كليهما السكر الاسط الجلوكوز، الذي هو اول خطوة في صنع الاعقد من الغذاء. ثم هو يزيدك تفسيرا فيقول ان ضوء الشمس دخوله ضروري في هذا التركيب، وتخليق الجلوكوز. ومن اجل ذلك مال النبات الى الشمس باوراقه.

هذا لا شك زيادة تفسير، وهو تفسير علمي صحيح.

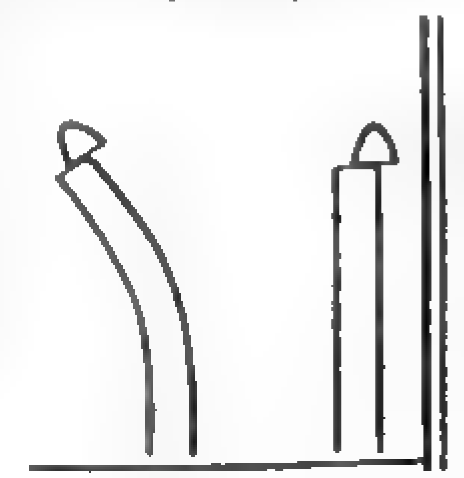
وهو من العلم المكرر الشائع.

ولكن يبقى السؤال من غير جواب: هل عرف النبات كل هذا؟

سؤال بقي بدون جواب.

ثم يدخل العلم بعد ذلك ليزيد هذه العملية تفسيرا.

ساق قطعت ذروتها، ثم اعيدت الى الساق بحيث تغطي نصف القطع، فنمت الساق ولكنها مالت الى الناحية الاخرى.





وفي هذه الصورة انحنى الاصيص على جانبه ، وقد أعطي ضوء الجهة الواحدة التي جاء منها النور ، فانحنت الساق انحناء كبيرا ناحية النور .

التفسير العلمي لاتجاه النبات ناحية الشمس

انه عرف الاكسين ، وانه يزيد في نمو الخلايا حيث يكون من جسم النبات . كل هذا ثبت من بحث العلماء في النبات ، كيف يميل ناحية الشمس .

وصل العلماء الى ان للضوء تأثيرا كبيرا في صنع هذه الظاهرة ، واثبتوا ان الاشعة القصيرة في طيف الشمس (البنفسجية والزرقاء) لها الاثر الاكبر في احداث هذه الظاهرة ، اما الاشعة الطويلة (الحمراء) فلا تكاد تكون لها تأثير .

ووجدوا ان حساسية النبات كبيرة لهذه الاشعة حتى اذا قلت شدتها كثيرا . وان النبات يستجيب بالميل نحو الاشعة ، حتى اذا هي بلغت شدة هذه الاشعة من الضعف جزءا من الف من ضوء القمر البدر . ووجدوا ان الميل في هذه الحالة يحتاج تمامه الى ساعات كثيرة . وتزيد شدة الضوء فتقل الساعات ، وتزيد الشدة فيقل الزمن الذي يتم به الميل حتى يبلغ كسرا من الثانية .

ويخرج العلماء بان هذا الميل نحو الضوء ، يحدث بسبب ان الهرمون الناتج في الساق ، عند دخول الضوء الى النبات من جانب واحد ، يختل مقدار انتاجه وتوزيعه في النبات . لقد كان يشيع في النبات بالتساوي في كل ناحية منه ، فلما استقل جانب من النبات بالضوء ، قل الهرمون الناتج في هذا الجانب ، وكثر في الجانب الاكثر اظلاما . ومعنى هذا ازدياد نمو الخلايا في هذا الجانب المظلم ، فازداد حجمه ، بالنسبة لحجم الجانب المضيء ، وادى انحناء الساق ناحية الضوء . وبهذا تقترب الاغصان والاوراق من مصدر الحياة الاول ، الشمس

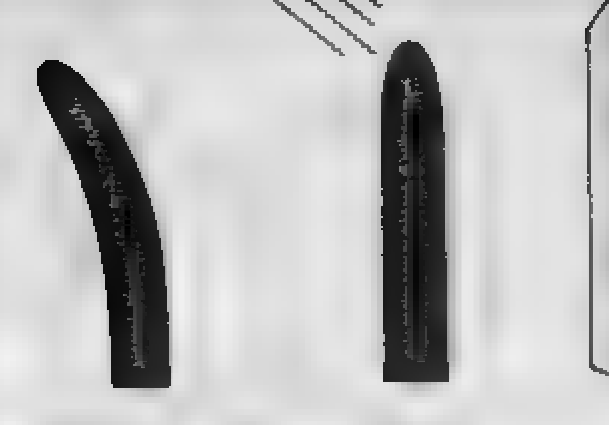
الاتجاه الارضي للنباتات

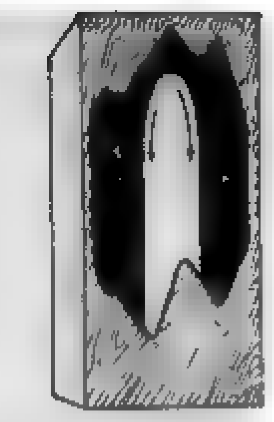
وكالاتجاه الضوئي للنبات ، كذلك الاتجاه الارضي .

وننظر في الاتجاه الارضي للساق فنجد ان الساق دائما تصعد الى السماء على الرغم من جاذبية الارض . اما المادة الحيوية من ذلك فظاهرة وسبق ان

بذور [illegible] ، جاءها الضوء من اليسار فمالت سيقانها كلها الى اليسار







ساق النبات تنمو للأمام مستقيمة إذا تساوى توزع الضوء من حولها كما نرى في الصورة اليمنى . أما إذا هو جاء من ناحية دون ناحية ، مال الهرمون في النبات إلى الجانب البعيد عن الضوء ، فزاد نمو خلاياه ، فانحنى النبات بسبب ذلك ، ومالت ساقه ناحية الضوء كما نرى في الصورتين ، الثانية والثالثة . والخطوط المتموجة ترمز إلى أشعة الضوء . والسهم الأسود الذي هو في داخل الساق يدل على اتجاه ميل الهرمون في الساق .

ذكرناها وكررناها . ولكن المطلوب الآن أن نعرف كيف تعمل النبات ذلك نفسه تماما كما تعمل في الانتحاء الضوئي .

أي أن أسباب نسج الهرمون بمقادير منتظمة في ذروة الساق . فمن كل مقطع الساق ، ينمو مقطع الساق بدرجة واحدة ، وفق لطبيعة النبات وحاجة حياته .

وإذا نحن قصصنا النبات ، فقلبنا ساقه ، بأن جعلناها في وضع أفقي ، تغير توزع الهرمون في الساق فزاد نمو الخلايا في ناحية ، وانقصه في ناحية . فينشأ عن ذلك تحور في النبات دائم ليصعد إلى السماء متى أزلنا عنه الإكراه الذي فرضناه عليه .

علل العلماء ذلك بأن جاءوا بساق (صغيرة لينة طبعا) فوضعوها غصنا في وضع أفقي كما في الشكل المرفق ، وبحثوا فوجدوا أن الهرمون ، الأكسين ، يتركز في النصف الأسفل من الساق أكثر من النصف الأعلى .

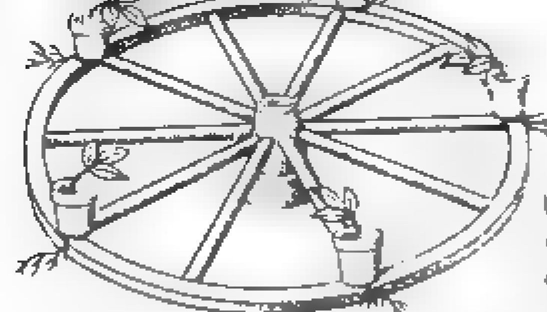
ومعنى هذا أن نمو الخلايا تكون أكثر في النصف الأسفل من الساق وهي أصغر ، وأقل في النصف الأعلى .

ومعنى هذا أن النبات إذا ترك في حريته وهو على هذه الحال استقام راسيا وصعدت ساقه نحو ناحية السماء معارضة قوة جاذبية الأرض .

فهذه هي ظاهرة الانتحاء الأرضي ، والانتحاء من فعل انتحى ناحية ما أي مال إليها .

في الصورة انحنى الأصيص الذي به الزرع على جانبه ، فما لبثت الساق أن انحنت وارتفعت رأسيا ، فهذا طبعه ، يجري عكس الجاذبية إذا لم يمنعه مانع .





في هذه الصورة استبدلنا قوة الطرد المركزية بقوة الجاذبية الارضية . ولما دارت العجلة بسرعة وعليها الاصص بالنبات الذى فيها ، اتجهت السيقان الى ناحية عكس قوة الطرد (وقوة الطرد انما تطرد الى خارج العجلة) ، اما الجذور فاتجهت في اتجاه قوة الطرد كما فعلت مع قوة الجاذبية الارضية .

زادنا العلم تفسيرا وزادنا اسبابا ولكنه لم يصل الى اعمق الاسباب

وهنا لا بد ان نوضح ان العلم زادنا تفسيرا لما بين النبات والشمس والحياة، من علاقه ، اولا بتفسير ظاهرة التمثيل الضوئي Photosynthesis ثم بتفسير ظاهرة الاتجاه الضوئي ، ثم تفسير ظاهرة الاتجاه الارضي .

ولكن بقى السؤال الاصيل من غير جواب :

كل هذه العمليات تحتاج الى علم (هو علم الكيمياء) والى فن (لا يتصل بعلم الارض وحده ولكن كذلك بعلم السماء)، والى تدبير واحكام . وهذا كله يحتاج الى العقل في اكبر مراتبه .

وسوف تعود فتقول انها الغرائز ، وسنقول معك انها الغرائز .

ولكن اذا نحن ادركنا ان الغرائز تتضمن كل هذا العلم ، وكل هذا الفن ، وكل هذا التدبير والضبط والتنظيم ، وجب ان نضع الغرائز فوق العقول ، فهي اسمى من العقول احتواء ، وادق ضبطا ، واوسع حيلة ، وهي في العلم اعمق .

بين ابداع الصنعة وشمول الوحدة

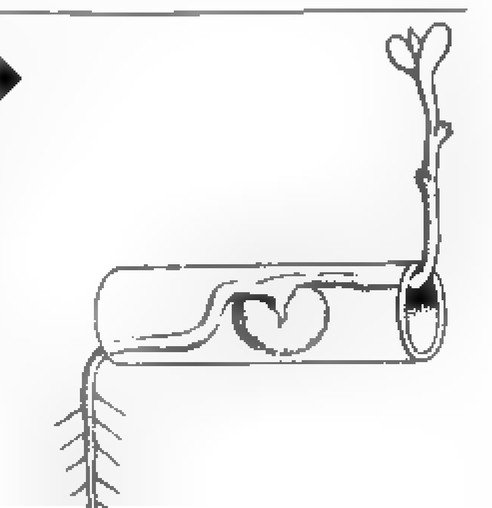
حديثنا هذا ، كان حديث الصنعة ، صنعة الخلق ، في ابدع واروع صورها ، لا بما تضمنته من عمليات كيماوية غاية في الدقة ، ولكن كذلك فيما كان بين هذه العمليات جميعا من ترابط وتوافق ، وبين ما تهدف اليه جميعا من الوفاء باهداف الحياة ، في ضبط عجيب ، وربط اعجب .

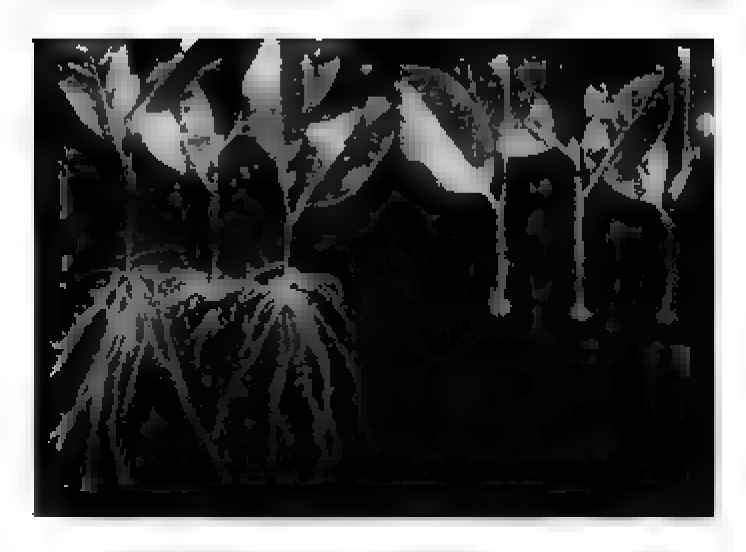
الوحدة وهرمونات النباتات

بقي شمول الوحدة .

وقد سبق ان تحدثنا عن هرمونات الانسان ، وفي هذا الحديث الحاضر تحدثنا عن هرمونات النبات .

بذرة النبات اذا دفنت في التربة ، وتركت بذلك ، تنبت ، وصعدت ساقها الى اعلى ، ونزل جذرها الى اسفل . فاذا نحن عوضا عن هذا بأن وضعنا البذرة (والتربة معها) في انبوبة افقية كالتي ترى في الصورة ، فقد فرضنا بذلك على الساق ان تنمو قصبا افقيا، وكذا الجذر،حتى اذا هما بلغا حافة الانبوبة ، رجع كلاهما الى طبيعتهما ، فذهبت الساق الى اعلى ، ونزل الجذر الى اسفل . الساق تذهب عكس الجاذبية ، والجذر يذهب وفقا لها .





البهشية أو الهولي Holly ، نبات ، إذا قطعت منه جزءا ، ثم أردت أن تنبته بوضع ساقه ، حيث قطعت ، في الماء ، فقلما تنبت الساق جذورا . ولكنها تنبت الجذور الكثيرة إذا وضعت في الماء شيئا من الهرمونات النباتية ، إنها تحفز الجذور على النمو حفزا .

وفي شمول الوحدة نقول إن الهرمونات ـ كما رأيت ـ منتشرة في النباتات كما هي منتشرة في الإنسان .

وقد ذكرنا من هرمونات النبات المواد المعروفة بالأكسينات . ولكن يوجد في النبات من الهرمونات مواد كثيرة أخرى غير الأكسينات . وهي جميعا توجه النباتات وتحكم أعمالها الكبيرة والكثيرة ، وذلك بمقادير منها تطلق في النبات غاية في الصغر . وهذه هي صفة الهرمونات الأولى .

والفرق بين هرمون الإنسان وهرمون النبات أن هرمون الإنسان تصنعه أعضاء متخصصة تعرف بالغدد الصماء أو اللاقنائية ، أما في النبات فالهرمون تصنعه خلاياه ، مادة كيماوية ، تجري في النبات حتى تستقر حيث يراد منها استقرار .

هرمونات الإنسان تمتد لتشمل الحيوان

أما عن الهرمونات في الحيوان فما أشبهها بهرمونات الإنسان . وهي تقوم بضبط عمليات الحياة في أجسام الحيوانات الفقارية جميعا كما تقوم في جسم الإنسان وذلك طول حياتها . والغدد الهرمونية موضوعة في الحيوانات الفقارية في مثل مواضعها في جسم الإنسان . وبلغ من شبهها بهرمونات الإنسان أننا نستخدم بعضها عند الحاجة لسد عجزها في جسم الإنسان . ومن ذلك أننا نستخدم الخلاصة المستخرجة من الغدد الدرقية للخنزير لتعويض ما في الإنسان المريض من عجز في إفراز هذه الغدة . وكذلك الإنسولين نستخرجه من الأبقار وغيرها لمرضى المرض السكري .

وقد يوجد الهرمون في الإنسان والحيوان ذي الفقار على السواء ، ولكن قد تختلف تركيبته في هذا عن ذاك . ومعنى هذا أن حاجة الحيوان غير حاجة الإنسان ، أو ليست مثلها تماما ، فوجب أن نسمي واجب العمل مع أن الهرمون واحد . ومعنى هذا بالطبع أن الهرمون قد تكون له كفايات متعددة .

أما فيما دون الحيوانات الفقارية ، أي ما يختص بالحيوانات غير ذات الفقار ، فقد كشف العلماء عن وجود الهرمونات في الكثير منها . وجدوها في الحيوانات القشرية وفي الحشرات ، وكشفوا عن عملها ، فمنها ما تتحكم في المواد الصابغة في الجلد ، ومنها ما يوقت لانسلاخ الجلد .

على أن أبحاث الهرمونات أبحاث في عمومها حديثة . لم يفرغ العلماء منها بعد ، وهم فيها ماضون وكل يوم يأتي فيها بجديد .

أحمد زكي

استئصال اللوزتين

بقلم : الدكتور محمد الزعفراني

■ تكون اللوزتان جزءا من حلقة الغدد الليمفاوية التي تقع عند مدخل البلعوم وتقومان بوظيفتهما الدفاعية بتنقية الهواء والمأكولات من الجراثيم بعد دخولهما الدورة الدموية أو الليمفاوية .

وهذه الوظيفة الدفاعية تدوم ما دامت اللوزتان سليمتين .

وتقع اللوزتان على جانبي البلعوم في نهاية الفم . وفي بعض الاحيان يحضر أحد المرضى الى العيادة للكشف عليه سائلا ان كان عنده لوزتان أم لا . وطبعا اللوزتان جزء من التكوين الطبيعي للجسم ولهما منافعهما وقد تصاب اللوزتان بالتهاب حاد وهذا شيء طبيعي اما اذا تكرر هذا الالتهاب على فترات قصيرة بالرغم من العلاج فقد يسبب احدى المضاعفات الآتية :

١ ـ التهاب الكلى .
٢ ـ التهاب في المفصل أو العضلات .
٣ ـ ضعف في صمامات القلب أو في عضلاته .
٤ ـ دمامل في الجلد .

وتنتج هذه المضاعفات من وجود بؤرة متعفنة في اللوزتين، وفي هذه الحالة يجب استئصال اللوزتين منعا للاضرار التي تنتج من ذلك .

وتجرى عملية استئصال اللوزتين عندما يصبح وجودهما أكثر ضررا للجسم من منافعهما . وتجرى هذه العملية تحت التخدير وفي بعض الاحيان بالتخدير الموضعي . ويستخدم التخدير الكلي في حالات الاطفال اما في الكبار فقد نستخدم التخدير الكلي أو الموضعي . ولكل منهما مزاياه فالتخدير الكلي أكثر راحة للجراح وكذلك للمريض فهو يخلصه من الوهم والخوف وكذلك يعطي للجراح فرصة أكبر للعمل لو حدثت أية مضاعفات اثناء العملية مثل النزيف الحاد . ونحن نفضل هنا استعمال التخدير الكلي في معظم الحالات الا اذا تعذر وجود طبيب التخدير فيمكن استخدام التخدير الموضعي . وللتخدير الموضعي بعض المزايا فيقل فيه النزف اثناء الجراحة وكذلك تجنب المريض بعض المضاعفات التي يمكن ان تحدث بعد اعطاء المخدر الكلي .

وأفضل طريقة لاستئصال اللوزتين هي طريقة التشريح والمقصود بطريقة التشريح هو أن تنزع اللوزتان من قشرتهما أو تقشر فلا تترك أي بقايا وبهذه الطريقة يمكن للطبيب أن يتحكم في الأوعية الدموية فلا يخشى النزف .



وفي الماضي كانت اللوزتان تقصان او تخلعان مثل الاسنان بآلة تسمى المقصلة. وقد اندثرت هذه الطريقة ولو انها مازالت تستعمل في بعض بلاد العالم ، واما اندثارها فسبب انها كانت تترك بقايا بعد العملية في كثير من الحالات يضطر الطبيب الى استئصالهما فيما بعد .

دواعي استئصال اللوزتين هي ما يلي :

هناك دواع كثيرة لاستئصال اللوزتين تتلخص في :

١ ــ الالتهاب المتكرر بالرغم من العلاج وقد يتعرض المريض نتيجة لذلك للمضاعفات مثل امراض القلب او الكلى او المفاصل .

٢ ــ التضخم الشديد فقد يكون كبر حجم اللوزتين بدرجة تعوق البلع او التنفس او تؤثر في الصوت .

٣ ــ وجود بؤرة تعفن في اللوزتين ، وفي بعض الاحيان قد لا يشعر المريض باي الم في اللوزتين أو التهاب بهما وعلى الرغم من ذلك تكمن الجراثيم الخبيثة في ثناياها وتسبب بؤرة تعفن متوحدة مجوات باللوزتين تكون بها صديد يظهر بعضه في الفم عند الضغط عليها ويسبب رائحة كريهة للنفس وتسري البعض الآخر الى الدورة الدموية او الليمفاوية مسببا امراض كثيرة مثل :

ا ــ روماتيزم في المفاصل .

ب ــ تآكل في صمامات القلب .

حـ ــ التهاب بالكلى .

د ــ ارتفاع ضغط الدم .

هـ ــ امراض العينين مثل التهابات القرنية او الشبكية او عصب النظر .

و ــ الامراض الجلدية مثل الاكزيما ، التمامل ، وحب الشباب .

٤ ــ ظهور غدد درقية بالرقبة وسببها دخول جرثومة الدرن الحيواني في ثنيات اللوزتين وعادة تاتي الاصابة عن طريق اللبن غير المبستر ، فان لم تستأصل اللوزتان استمر دخول جرثومة السل

وقد تصيب اعضاء اخرى من الجسم .

٥ ـ وفي بعض الاحيان تستأصل اللوزتان لحملهما جرثومة الدفتريا والميكروب السبحي او ان تكون بهما اورام حميدة او خبيثة او فيهما او في احدهما جسم غريب وتعذر اخراجه مثل شوكة السمك او قطعة من العظم او غيرهما .

٦ ـ تكرر خراج اللوزتين .

اسئلة واجوبة عن استئصال اللوزتين

وهناك بعض الاسئلة التي تدور حول عملية استئصال اللوزتين والاجابة عنها .

س ١ : هل الافضل اجراء الجراحة صيفا او شتاء ؟

ج : يمكن اجراؤها في فصل الصيف والشتاء على سواء واذا لم يكن بد من التفضيل فان فصل الصيف افضل، ونعني بذلك الصيف المعتدل وليس الحار جدا المصحوب بارتفاع في درجة الرطوبة مثل الصيف في الكويت وذلك لان تجمد الدم في الحرارة المعتدلة اسرع منه في البرودة ولان الكمادات الباردة على الرقبة تطيب في الحر اكثر منها عندما يكون الجو باردا .

س ٢ : ما هي السن التي يمكن فيها اجراء العملية ؟ وهل في اجرائها للكبار خطر ؟

ج : يمكن اجراء العملية في جميع الاعمار ولكن عادة يكون الحد الادنى (٤ سنوات) والحد الاقصى (٦٠ سنة)

س ٣ : هل تؤثر جراحة استئصال اللوزتين في الصوت ؟

ج : لاشك ان الصوت يتحسن ويصبح حلو الجرس بعد ان كان اجشا غليظا بيد انه قد يمضي بعض الوقت قبل ظهور هذه النتيجة .

س ٤ : هل تؤثر الجراحة في الغناء بالنسبة لمحترفيه ؟

ج : المبتدىء في الغناء يستفيد منها بانها تكسب صوته مزيدا من القوة والعذوبة ، اما من احترف الغناء فقد يحتاج لاجراء تمرينات صوتية حتى يعتاد الوضع الحديث .

س ٥ : ما اسباب حدوث النزف بعد بضعة ايام من جراحة ناجحة ؟

ج : قد يرجع ذلك الى احد الاسباب الآتية :

أ ـ النوم في حجرة سيئة التهوية .

ب ـ تناول الاطعمة الجافة والمجروشة والحارة والحريفة .

جـ ـ الاسراف في استعمال الغرغرة او علك الاسبرين .

د ـ الاجهاد البدني والجنسي .

س ٦ : هل تجوز الجراحة للحوامل ؟

ج : احيانا قد تكون ضرورية جدا بحيث يصعب تأجيلها ولكن الافضل ارجاؤها لما بعد الوضع وذلك للقيء او ضيق التنفس الذي قد ينجم عنها .

س ٧ : هل يجوز استئصال اللوزتين بالكي ؟

ج : من الافضل تجنب هذه الطريقة للاسباب الآتية :

أ ـ انها تجرى على جلسات متباعدة وهذا يستغرق اضعاف وقت الجراحة .

ب ـ لان كل جلسة تعتبر بمثابة جراحة قائمة بذاتها نظرا للتفاعلات التي تنشأ منها والالتهابات والآلام التي تصاحبها وما في ذلك من الارهاق للمريض .

جـ ـ لو تلوث الجرح يحدث نزيفا ثانويا يصعب التمكن من ايقافه .

د ـ احتمال حدوث التصاقات لينة وهذه قد تختفي تحتها بؤر تزيد الحالة سوءا .

هـ ـ استحالة استئصال اللوزتين بالكي استئصالا كاملا دون ترك بقايا منها .

و ـ الصعوبة الشديدة التي تواجه الجراح بعد ذلك لو اراد استئصال البقايا .

دكتور محمد الزعفراني
رئيس وحدة جراحة الاذن والحنجرة
مستشفى الصباح ـ الكويت

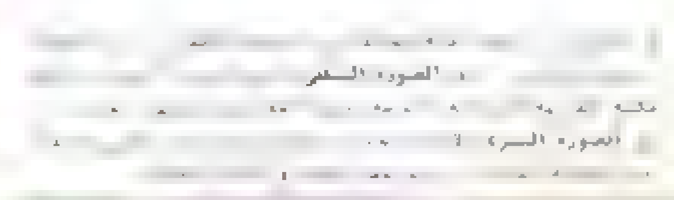


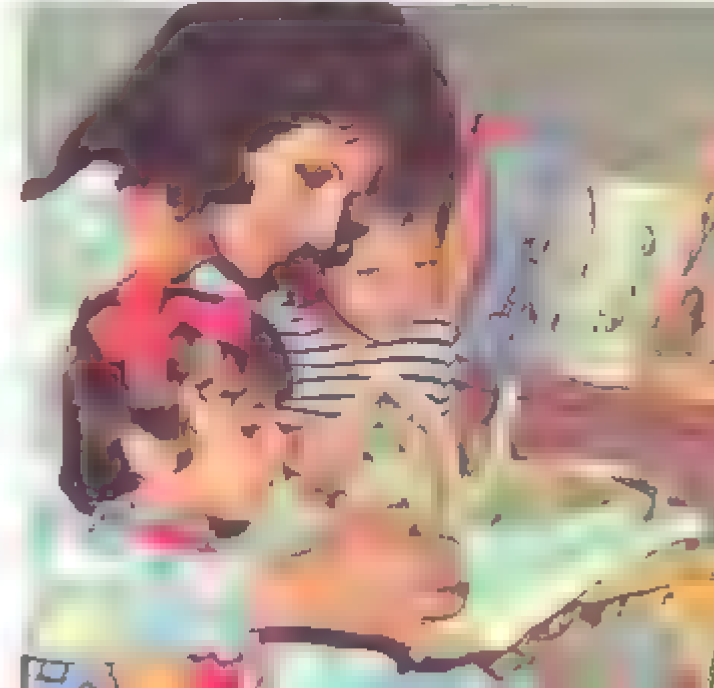
مكتبات الكويت

٢٣٧ مكتبة

[illegible]

بين مدرسية وعامة







■ المسئولون عن تراثنا العربي .. اكرموا الكتاب واعطوه قدره ورفعوا منزلته .. وعرفوه بانه جوهرة تشع نورا يبدد ظلمات الجهل والتخلف .

وكم احرانا ونحن نبني اليوم انفسنا من جديد، ان يأتي هذا البناء ، مرتكزا على العلم والمعرفة ، ولن يكون هذا ميسورا الا بتيسير تداول الكتاب ليصبح في متناول كل يد ..

٢٣٪ من السكان في المدارس !

والكويت تمر اليوم بمرحلة جديدة .. مرحلة التنمية الثقافية ، تخوضها بعد ان قطعت شوطا كبيرا ناجحا في مراحل التنمية العمرانية والاجتماعية والاقتصادية ..

والمعركة الثقافية الجديدة معركة شاقة طويلة متشعبة الاطراف .. تخوضها ضد التأخر العلمي، فنسبة الامية في الكويت ما زالت ٢٩٫٣٪ بالرغم من الجهود الجبارة المبذولة لتخفيض هذا الرقم .. جهود امتدت الى كافة المجالات .. التعليم جعلوه الزاميا بالنسبة للجميع، وفرضوا العقوبات الرادعة على الذين يتخلفون .. والذين فاتهم القطار ، افتحوا لهم ٤١ مركزا مسائيا لتعليمهم، حتى اصبح ٢٥٫٨٪ من مجموع سكان الكويت يتعلمون في مختلف معاهدها ومدارسها .

مكتبات بالجملة

ولم يتوقف تثقيف الشعب على المدارس ؛ بل انطلقوا يفتحون له المكتبات .. مكتبة عامة جديدة في كل ضاحية من ضواحي المدينة .. ومكتبة مدرسية في كل مدرسة حكومية .. واحصوا عدد المكتبات في الكويت فوجدوها ٢٠ مكتبة عامة و ٢١٧ مكتبة مدرسية ..

امين المكتبة الفني هو الوحيد الذي يستطيع ترتيب سجلات الكتب وفهارسها وفق نظام ديوي العشري الحديث ، الذي تم تعديله في ادارة المكتبات المدرسية ، ليتلاءم مع التوسع في الوطن العربي ! من امور التراث والادب والتاريخ العربي .





اجتماع لبعض امناء وامينات المكتبات المدرسية يترأسه رئيس القسم الاستاذ محمد عبدالعليم عبد العزيز والى يساره حضرت الآنسة عادلة عبد الله التركيت ، خريجة قسم المكتبات بجامعة القاهرة

نظرتنا الى المكتبة

والمكتبات في الكويت ما زالت في عمر الزهور .. وحالها لا يختلف كثيرا عن حال المكتبات في معظم البلاد العربية التي زرناها .. ما تكاد تتعمق قليلا بين خباياها ، حتى تفاجأ بعلامات استفهام تتلاحق امام عينيك ؟ .. ما هي نظرتنا الى المكتبة ؟ .. وما هو دور امين المكتبة ؟ .. هل نحن شعب يقرأ ؟ .. وماذا نقرأ ؟ ..

المؤسف ان الصورة الراسخة في اذهان معظمنا عن المكتبات انها : قاعة كبيرة فيها كتب انيقة فوق ارفف طويلة .. ومقاعد ومناضد .. وسطامات صفت بجوار بعضها البعض .. وفي صدر القاعة يجلس امين المكتبة .. والمفروض في هذا الامين ان يساعد قراء المكتبة ، ولكن الروتين الحكومي جعله يجلس كحارس من حراس المكتبات ، كل همه الحيلولة دون ضياع الكتاب او تلفه ، مخافة اقتطاع ثمنه من مرتبه في آخر الشهر !

من يكشف أسرار الكتب ؟

ويؤكد الدكتور احمد بدر مستشار مكتبات جامعة الكويت ان المكتبة لم تعد في عصرنا هذا ، هي المظاهر او الاشكال المادية ، كالمبنى والاثاث والكتاب الذي يوضع على الرف ، فهذه لها اهميتها التي لا تنكر ، ولكن الاهم منها هي المعلومات وزاد الانسانية من الفكر والمعرفة المختبىء بين دفتي الكتاب ..

« ودور امين المكتبة هو ابعد ما يكون عن دور الحارس او امين المخزن ، لمروره على هذ الثاني، ولا يستطيع تأدية هذا الدور الا من كان مؤهلا ومتطورا بدرجة تسمح له بارشاد الاستاذ الجامعي، والعالم ، والطالب ، والجمهور على اختلاف مستوياته التعليمية والعلمية والثقافية.. يرشدهم الى ما في الكتب من اسرار ويقدم لهم المعلومات بمجرد طلبها ..

والواقع ان غياب الامناء المؤهلين هو السبب

المباشر في تدهور مكتباتنا العربية وقلة الانتفاع بمحتوياتها .

وعلمنا ما حدث بجامعة القاهرة منذ ١٥ عاما الى افتتاح قسم المكتبات يتخرج منه متخصصون في الوثائق والمكتبات .

ضياع الكتاب ، حياة له !

ويتحدث الدكتور عبد العال سالم مكرم، استاذ اللغة العربية عن المكتبات قائلا : « ان مكتباتنا العربية في حاجة الى انقلاب فكري كبير ، حتى تؤدي رسالتها على اكمل وجه نحو طلاب المعرفة في وطننا العربي الكبير .. ولا شك ان النظرة الضيقة حول المحافظة على الكتاب ، وعدم تيسيره لطلاب المعرفة لا تتلاءم مع نهضتنا الكبرى في عصر التحديات والتكنولوجيا والمعرفة ..

« ان قيمة الكتاب في استعماله ، وكلما امتدت له الايدي كان ذلك دليلا حيا على ان الكتاب ادى رسالته في هذا المضمار .. حتى ولو ضاع الكتاب واختفى من المكتبة ، فان هذا الضياع حياة له ، لانه لا بد ان يستقر في يد تعرف قدره ، وتنزله المنزلة اللائقة ، وذلك بالتهام ما فيه من معرفة ، لتخرج هذه المعرفة بعد ذلك نورا يضيء ما حوله من ظلمات » .

١١٠ الآف قارىء للصحف !

وانتقلنا الى المكتبة العامة المركزية في الكويت لنتحدث الى الاستاذ يوسف ملا حسين مدير عام المكتبات بوزارة التربية ، سألناه عن القارىء الكويتي ماذا يقرأ في المكتبات ، وما مدى اقباله على القراءة ، فقال : « في العام الماضي ١٩٧٠ كان عدد المترددين على المكتبات العامة ١٧٢١٨٠ قارئا، طلبوا من الكتب العلمية فقط ٢٣٠٢ في حين وصل اقبالهم على الكتب الادبية الى اكثر من عشرين الف كتاب .. وكان عدد قراء الصحف والمجلات ١١٠ الآف شخص ..

« أما الاستعارات الخارجية فلا تتم الا بعد دفع ثلاثة امثال ثمن الكتاب كتأمين له لصيانته من التمزيق والضياع ، لان القارىء ما زال الى اليوم لا يحترم الكتاب .. ولكن هذا لا يمنع من ان نتغاضى عن التأمين بالنسبة للباحث والاديب الذي يقدر الكتاب ، على ان يعيده بعد ١٥ يوما من استعارته » ..

تدهور الكتاب من تدهور القارىء !

اما القارىء الكويتي القديم فيتحدث عنه الاستاذ محمد صالح التركيت ، الرجل الذي قضى ٣٦ عاما مديرا للمكتبة المركزية العامة، قبل ان يتقاعد في العام الماضي ، يتحدث عنه قائلا .

في الماضي كان عندنا في الكويت قراء يهتمون بقراءة الكتب والمراجع ، امثال فهد العسكر ، وعبد الله الصانع ، والشيخ عبد العزيز حمادة ، كانت قراءاتهم للكتب الدسمة القيمة ، ولم تكن عندنا كتب ضعيفة ، اما اليوم فانت مضطر لوضع الكتب الضعيفة ، حتى لا تغلق المكتبات العامة ابوابها نتيجة تدهور مستوى القارىء » ..

اول مكتبة في الكويت

ويعود الشيخ محمد بذكرياته الى الماضي فيقول :

« واول مكتبة انشئت في الكويت كانت المكتبة الاهلية ، انشئت عام ١٩٢٢ من تبرعات الاهالي ومساعداتهم فبلغ عدد كتبها ١٥٠٠ كتاب ، ولكن عندما تسلمتها وزارة التربية واسندت الى ادارتها كان عدد كتبها ٢٠٠ كتاب فقط .. اما اليوم فقد تركتها وعدد كتبها اكثر من مائة الف كتاب ، ولها ١٩ فرعا في مختلف انحاء البلاد » ..

مكتبة نسائية واحدة !

ورواد المكتبات العامة جميعهم من الذكور ، بالرغم من ان نظام المكتبات يسمح للمرأة بدخول المكتبات الى جانب الرجل ، ولكن ربة البيت في الكويت لم تتعود الخروج بعد من منزلها الى المكتبة ، فضلا عن ان طاقم المكتبات العامة كله من الرجال ، مما يسبب لها حرجا ، هذا الى جانب ان نسبة الامية بين الاناث ترتفع الى ٧٢,٧٪ في حين انها لا تتعدى ٤١,٧٪ بين الرجال .. لهذه العوامل وغيرها نجد ان هناك مكتبة عامة واحدة للنساء ٧٠٪ من مجموع المترددات عليها من الطالبات ، ومجموع عدد المترددات على المكتبة ٩٥٢٢ امرأة ، استعرن في العام الماضي ٥٢٢ كتابا لمطالعتها في منازلهن ، وطالعن ٤١٢٤ كتابا داخل



توزع الكتب الجديدة على مكتبات المدارس داخل صناديق كبيرة ، يضم الواحد منها نحو ٥٠ كتابا ، وتتم عملية التوزيع ثلاث مرات خلال السنة الدراسية .

المكتبة .. اي ان هناك نحو خمسة آلاف امرأة جئن لمطالعة الصحف ، او مراجعة الواجبات ..

رأي المرأة

وتحصي السيدة الشابة عزة البسام امينة مكتبة الشامية الشمالية ، وتعزو قلة الاقبال على القراءة والمكتبات الى قصور محتويات الكتاب نفسه فتقول : « الذي يوجد الهوة والنفور بين القارىء والكاتب ، هو ان حياتنا العربية تنادي وتوحي بأشياء محددة ، بينما كتابنا في واد آخر ، ابعد ما يكونون عن مشاكلنا وواقع حياتنا ، لقد كانت اغلب كتاباتهم غريبة عن واقعنا العربي الذي نعيشه .. وبالبحث العلمي ينقلب ويصبح المترجم العربي مؤلفا عربيا خالصا ، ينقب ويبحث ويعالج اوضاعنا ومشاكلنا ..

« لقد اصبح كتابنا يكررون انفسهم ، فلم يعد القارىء يعثر على جديد في كتاباتهم لهذا يبتعد عنهم ؛ وبالتالي يبتعد عن الكتب العربية وعن مكتباتنا » ..

٢١٦ مكتبة مدرسية !

ونترك المكتبة العامة وفروعها الستة عشر لنبحث عن القراء ، والاصدقاء الاوفياء ، والكتاب النافع ، ونتجه الى المكتبات المدرسية ، حيث القارىء الدائم موجود ، ولكنه غائب في اغلب الاحيان !

وجلسنا الى الرجل المسؤول عن هذه المكتبات الاستاذ محمد عبد العليم، انه يعمل عملا متواصلا دوريا ، ويرد على مكالمات ثلاثة تليفونات مرة واحدة لا تتوقف عن الرنين..طلبات واستفسارات عن كل شيء ، اثاث وكتب وفهارس وغيرها تأتيه من جميع مدارس الكويت ، تعالوا نستمع اليه وهو يقول : « في هذا العام ١٩٧١ اعددنا ١٧ مكتبة لـ ١٧ مدرسة جديدة لتقفز مجموع مكتباتنا المدرسية الى ٢١٧ مكتبة .. ونحن نتبع خطة خمسية متجددة لتجهيز مكتبات المدارس التي تفتح كل عام من اعداد الاثاث والكتاب والفهارس اللازمة وتعيين الامناء وغير ذلك ، لهذا ترانا نعمل حاليا على استكمال اعداد ٥٠ مكتبة احتياطية لتكون جاهزة للاستعمال بمجرد افتتاح اي مدرسة جديدة خلال السنوات الخمس القادمة » .





الأرنب دبدي والدوائر الالكترونية !

وتابع رئيس قسم المكتبات حديثه قائلا :

« وعدد الكتب الموجودة حاليا في مكتباتنا المدرسية يزيد على مليون وخمسين ألف مجلد وكتاب وكتيب ، تتنوع مواضيعها : من قصة الأرنب دبدي الذي أكل الخس والجزر في روضة الطفل ، الى قصة البيولوجيا والوراثة البيولوجية (علم تركيب الخلية) الى نظريات الدوائر الالكترونية ، وغيرها من الكتب العلمية الموجودة في مكتبات المدارس الثانوية والمهنية

« وفي كل عام نشتري كتبا جديدة بمبلغ ٧ الف دينار نقوم بتوزيعها على ٢١٧ مكتبة . ان هدفنا هو تقديم الكتاب المناسب للقارىء المناسب في الوقت المناسب ، ابتداء من التلميذ في رياض الاطفال حتى تخرجه من معهدي المعلمين والمعلمات والمدارس الثانوية » ..

المنهج الدراسي هو المشكل الاساسي !

وحضرنا اجتماعا ضم عددا كبيرا من امناء المكتبات المدرسية .. ان لكل منهم نظرته الخاصة، كونها نتيجة احتكاك سنوات مع الطلاب في المكتبات .. « المشكل الاساسي عندنا يكمن في المنهج الدراسي العربي، فهو مرتبط ارتباطا كليا بالكتاب المدرسي، وبمقدار ما يحفظه الطالب من سطوره عن ظهر قلب ، وهذا على عكس التعليم في منهج الدول الاجنبية المتقدمة ، الذي يعطي الطلاب مجالا كبيرا من الحركة، فيطلب منهم ابحاثا يستخرجونها من بطون الكتب الخارجية غير المدرسية ، التي هي منبع الثقافة الحقيقية لانها توسع مدارك الطالب وتنمي ذهنه . » هذا ما قالته اول كويتية خريجة قسم المكتبات بجامعة القاهرة الآنسة عادلة عبد الله التركيت ، التي عملت في توجيه وتدريب امينات المكتبات المدرسية .

تلميذات مدرسة ابتدائية في الكويت يتابعن مواضيعهن بمطالعة الصور الملونة والمجسمات البسيطة الموجودة في مكتبة مدرستهن تحت اشراف المدرسة وامينة المكتبة





تقوم ادارة المكتبات المدرسية ، بتزويد مكتبات ال ٤١٧ بالكتب الجديدة مع فهارسها مطبوعة على بطاقات خاصة .. ونرى هنا ماكينة الطباعة التي تطبع من كل بطاقة ٤٠ نسخة باسم المؤلف و ٢٠٠ نسخة باسم عنوان الكتاب .. بينما جلس اثنان من فنيي المكتبات يفحصان البطاقات

مطلوب وقت للاطلاع !

وتتوالى الآراء والافكار ، فيقول الاستاذ سلامة مجمي : « الاطلاع والتدريب على استعمال الكتب يحتاجان الى وقت ، أما الاكتفاء بتخصيص ١٥ دقيقة كل اسبوعين ، يدخل خلالها الطالب الى المكتبة ليقرأ قراءة حرة ، فهذا غير كاف بالمرة » .

ويعلق الاستاذ عبد المنعم ابو زيد امين مكتبة ثانوية خيطان على هذا بقوله : « لهذا اقترح ان يكون التدريب في المكتبة داخلا في صلب المنهج الدراسي، يمتحن فيه الطالب كأي مادة اخرى

الأبحاث تدفع الطالب الى المكتبة

والظاهرة الواضحة في المكتبات المدرسية هي قلة الاستعانة بمراجع المكتبات في المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، ولكن في معهد ودار المعلمين تنقلب الآية ، وفي هذا يقول امينا المكتبتين محمد سعيد الشيخ ، واحمد محمد عيسوى : « يختلف الوضع في معهد ودار المعلمين عن الوضع في المدارس الثانوية وما قبلها ، فهنا يطلب الاستاذ من التلميذ ابحاثا ، عليه ان يعدها ويبحث عن معلوماتها في كتب خارجية غير مدرسية ، لهذا يتجه الطالب الى المكتبة ، لتعمل على مساعدته ، وارشاده الى الكتاب النافع اللازم من بين ٢١ الف كتاب موجود في مكتبتي معهد ودار المعلمين » ..

الروتين في عصر التحديات !

ويتحدث امناء المكتبات المدرسية واحدا بعد الآخر - وعددهم ٢٨٦ امينا وامينة ، ٣٧ منهم متخصصون والباقي غير متخصصين ، و٧٠ منهم غير متفرغين اي يعملون امناء مكتبات الى جانب عملهم الرئيسي وهو التدريس - يتحدث هؤلاء الامناء احاديث يروون فيها تجاربهم ومتاعبهم واهمها : النظرة الضيقة .. نظرة الروتين والمحافظة على العهدة التي ينظر بها اليوم ، في عصر اسموه عصر التحديات .. لقد نسي القرآن

الكريم على الذين يحملون الكتب من غير ان ينتفعوا بها ، فشبههم بالحمار الذي يحمل اسفارا دون ان يدري ما فيها قال تعالى : ومثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا » ..

مناقبات الارقام

ويتبع قسم المكتبات المدرسية في الكويت مكتبة مركزية لوزارة التربية ، وهي المكتبة التي تخدم اسرة التربية من مفتشين وخبراء ومدرسين وطلاب بعثات . وتضم ٣٥ الف كتاب اغلبها تربوي وتعليمي ..

اما المكتبات المدرسية فمجموعها ٢١٧ مكتبة موزعة على هذه الصورة :

ــ ٢٢ مكتبة ثانوية و ٤ في دور ومعاهد المعلمين والمعلمات ، تحوي كل منها كتبا ومراجع يصل عددها الى ١٠ آلاف نسخة في المتوسط .

ــ ٨١ مكتبة متوسطة تحوي كل منها اكثر من خمسة آلاف نسخة في المتوسط .

ــ ٦٣ مكتبة ابتدائية تحوي الواحدة منها أربعة آلاف نسخة في المتوسط .

ــ ٤٦ مكتبة رياض اطفال تحوي المكتبة الواحدة في المتوسط اكثر من ١٥٠٠ نسخة من الكتب المبسطة والمصورة للاطفال ..

مكتبة مجانية لطالب الجامعة !

وبراء المكتبات المدرسية تطالب امثالها حساب القائمين وتزيد عدد كتبها ، وتتجه الى رأس مكتبات الكويت .. مكتبة الجامعة .

اروع ما في هذه المكتبة الجامعية هو هديتها لابنائها الطلبة والطالبات المستجدين : مكتبة خاصة ، مع مجموعة كتب تكون نواة لمكتبتهم المنزلية الخاصة يعملون على توسيعها واستكمالها حتى تتحول الى مكتبة عامرة تصبح لهم مرجعا علميا وثقافيا دائما .. وقد بلغ عدد الكتب التي

أمين مكتبة وزارة التربية كامل الشامي ويوسف الهاشم يتسلمان مجموعة جديدة من الكتب ، من بعض المصادر اللازمة لها



قدمتها مكتبة الجامعة حتى نهاية العام الماضي الى الطلاب الجدد ٢٠ الف كتاب ، ثمنها اكثر من ٤٠ الف دينار ..

سبع مكتبات في مكتبة !

ومكتبة الجامعة ليست مكتبة واحدة ، وانما هي سبع مكتبات في مكتبة ! .. واحدة مركزية كبيرة ، وثلاث للطلبة ، وثلاث للطالبات .. واختلاط الجنسين مسموح به في المكتبة المركزية فقط ..

وهذا التكرر لنوعية المكتبات قفز باعداد الكتب الى ١٥٠ الف كتاب ؟ تحمل اكثر من ستين الف عنوان ..

ويقول الاستاذ سليمان الشطي ، مراقب مكتبات الجامعة : « تمتاز مكتبة الجامعة بقسم التصوير والوسائل السمعية والبصرية الموجودة فيها لهذا القسم يضم احدث ما وصل اليه العلم من الات التصوير والعرض بطريقة المايكروفلم والمايكروفش ، الى جانب اجهزة التصوير الجاف المرادى والتصوير الملون ، ومكائنة طباعة الماليتيت .

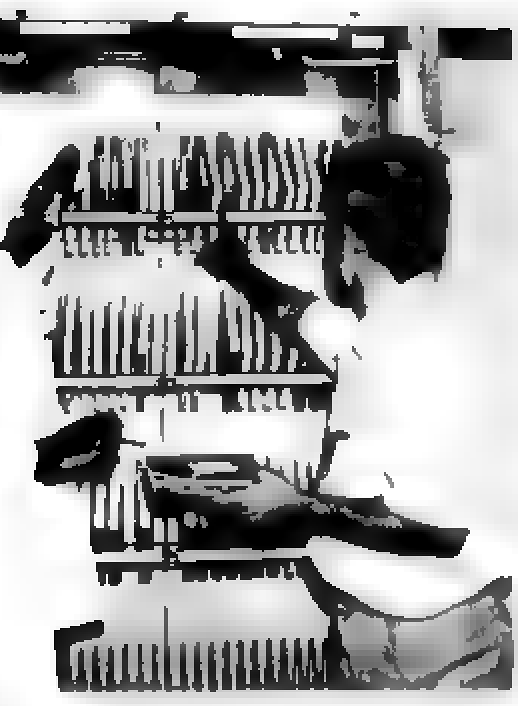
« وتقوم ادارة المكتبة بشراء كتب ومراجع ودوريات بمبلغ مائة الف دينار سنويا .. ويعمل في مكتباتنا ٢٩ فنيا متخصصا في كافة فروع المكتبات ..

« وفي العام الماضي ١٩٧٠ بلغ عدد الذين استفادوا من الاطلاع في مكتبة الجامعة ١٣١ الف قارىء ، استعاروا ٥٨ الف كتاب ، استعارة خارجية » .

مركز التراث القومي في الجامعة

وفي هذا العام ١٩٧١ صدر قراران من مجلس الوزراء الكويتي يوصي فيهما جامعة الكويت بتوسعة مكتبتها ، لتخصيص جزء منها لانشاء مركز التراث القومي ، يجمع فيه وثائق الكويت والخليج العربي والجزيرة العربية .

وتنزل مكتبة الجامعة تبحث وتنقب عن الوثائق



قارىء يبحث عن أحد الاشرطة المسجلة لمحاضرات الموسم الثقافي في المكتبة العامة السمعية والبصرية بكيفان

والتراث ، ونسأل عن مقدار ما تستورده الكويت من كتب ، فنجد انها استوردت ما وزنه ١٧٠٠ طن من الكتب في العام الماضي ، و٤٤ طنا من ورق الاستنساخ و ٢٤ طنا من ورق الكربون و ٦٦٩٩ طنا من ورق الطباعة ، يستهلك الجزء الاكبر منه في طباعة الثلاثين جريدة ومجلة التي تصدر من الكويت وتطبع في ١٧ مطبعة عاملة فيها.

وتتولى بيع الكتب في الكويت ٤٥ مكتبة الا ان الكثير منها يبيع الادوات القرطاسية ..

منطقة حضارية

ان العام القادم ١٩٧٢ هو العام الدولي للكتاب

.. والكويت تستعد من الآن لاستقباله بنشاط وهمة ..

وفي وزارة الاشغال مشروع لانشاء منطقة حضارية تطل على مياه الخليج الفيروزية ، تضم مباني للمتحف والمسرح ودارا للكتب .. وقد انتهت الدراسات الخاصة بالمتحف..اما الباقي فما زال تحت الدراسة ..

لا جديد تحت الشمس !

ان الاقبال على شراء الكتب وفتح المكتبات في الكويت ، يذكرنا بماضينا المجيد ، فقديما « ارسل خليفة قرطبة رجاله وسماسرته في كل اصقاع الشرق ليجلبوا له الكتب حتى بزت روائع مكتبته .. والخليفة العزيز في القاهرة حوت مكتبته ١٦٠٠ر٠٠٠ مجلد ؛ فكانت بذلك اجمل واكمل دار للكتب ضمت ٦٥٠٠ مخطوط في الرياضيات ، و ١٨ الف مخطوط في الفلسفة ؛ ولم يمنع هذا قط ابنه من بعده من ان يبني مكتبة ضخمة فيها ثماني عشرة قاعة للمطالعة الى جوار المكتبة القديمة » ..

وتتابع المستشرقة الالمانية زيغريد هونكة كلامها عن المكتبات العربية القديمة في كتابها الرائع المترجم « شمس العرب تسطع على الغرب » فتقول : « وعند وفاة الوزير المهلبي عام ٩٦٣ م ، ترك مجموعة كتب مكونة من ١١٧ر٠٠٠ مجلد ؛ واستطاع زميله الشاب ابن عباد ان يجمع في مكتبته ٢٠٦ر٠٠٠ كتاب ، وجمع أحد قضاته ٠ ر ١٠٠ مجلد .. ولم يكن بعض الوزراء يخرج الى رحلة الا ومعه حمولة ثلاثين جملا من الكتب تصحب ركبه

« وسعت دور الكتب في بغداد نمو العشب في الارض الطيبة ، ففي عام ٨٩١ م ، احصى مسافر عدد دور الكتب العامة في بغداد باكثر من مائة ؛ وبات كل مدينة تبني لها دارا للكتب يستطيع عمرو أو زيد من الناس استعارة ما يشاء منها ؛ وان يجلس في قاعات المطالعة ليقرأ ما يريد ..

« ولقد ضمت المكتبة « النظامية » ، وهي المدرسة العليا الشهيرة ببغداد ، ما يعادل مليونا وسعيا من الفرنكات الذهبية لشراء الكتب والمخطوطات سنويا .

« ان عشق الكتاب لم يكن وقفا على حفنة من العلماء فقط ، بل كان هواية العرب على اختلاف طبقاتهم ؛ فكل متعلم من اكبر كبراء الدولة الى بائع السمك ؛ ومن قاضي المدينة الى مؤذن المسجد هو مشتر دائم عند بائع الكتب ..

« ان مكتبة كمكتبة النجف في العراق ، كانت تحوي في القرن العاشر (٤٠) الف مجلد ؛ بينما لم تحو اديرة الغرب سوى اثني عشر كتابا ربطت بالسلاسل خشية ضياعها !! » .

هكذا كان شغف اجدادنا بالكتاب فاين نحن من ذلك الماضي ؟

المطلوب من الجامعة العربية ان تتحرك

لقد ارسلت الجامعة العربية بعثات الى بعض الدول بحثا عن المخطوطات العربية القديمة .. وصورت العديد من المخطوطات وهذا عمل طيب يحتاج الى مضاعفة الجهد لدراسة تراثنا المخطوط الكامن في دور كتب الدول المختلفة ، العامة والخاصة .. ان تراثنا المخطوط اكثر من تراثنا المطبوع حتى اليوم .. لهذا لا بد من نشر الصالح منه .. لان الامة التي لا ترتبط بماضيها، لا حاضر لها..وبالتالي من لا حاضر له،لا مستقبل له ..

قصة اخرى سنعود اليها

ولكن هل انتهى الحديث عن المكتبات في الكويت؟ لا ، انه لم ينته !

ان هناك جانبا هاما لم نتطرق اليه في استطلاعنا هنا .. انه ذلك المجهود الفردي الذي قام به ابناء الكويت ورجالاتها .. هؤلاء الذين عشقوا الكتاب فاقتنوه ، واقاموا في منازلهم مكتبات خاصة ، راحوا يبحثون وينقبون فيها ، ويفتحون ابوابها لكل من سعى ويسعى الى العلم والمعرفة..

انها قصة اخرى ، وهي قصة طويلة ، سوف نعود الى الحديث عنها في عدد مقبل بإذن الله. ■

ص . ل .



• في الجاهلية : اعتمد على التهويل والأساطير
• في صدر الإسلام : بلغ قمته على يد المتنبي وأبي تمام الطائي

بقلم : عبد الجبار محمود السامرائي

■ تعني كلمة (ملحمة) في اللغة العربية الوقعة العظيمة . وقيل موضع القتال . وفي الحديث (اليوم يوم الملحمة) . والجمع ملاحم .

قالت العرب .. (الحم فلان الشعر) ، اي حاكه ونظمه واحكم اجزاءه .

اما معناها الذي اصطلحنا على ان يكون مقابل لفظ Epic في الادب الغربي فهو القصيدة التي اتسمت بالحديث عن الابطال . وتعتمد على الخيال المجنح ، وتصور بطولة المحاربين ، وتمجيد الملوك بالحروب ، وتحكي قصص الاحداث التاريخية، ويتجلى فيها تدخل الآلهة .

والشعر الملحمي الذي نتحدث عنه ، او شعر الملاحم ، هو شعر الملحمة بمعناه الغربي ، اى شعر الحروب .

أدوار الملحمة

لقد خضع الادب العربي – كغيره من الآداب العالمية – لعوامل النشأة والتطور والازدهار ، وسار متأثرا بالبيئة في تطوره ، متسربلا بالوانها واصباغها المتنوعة ، تلك الاصباغ التي يضفيها كل

عصر على ثقافته ، وكل مجتمع على حياته ، وكل جيل على أفكاره وعاداته ، فتلفها خيال الشاعر ليجعلها عنصرا للقول ، وميزة للعمل الفني ، وروحا للموسيقى الوجدانية .

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم الملحمة في الشعر العربي وفق المراحل التالية

١ ــ دور النشأة :

ظهرت بوادر الشعر الملحمي في الجاهلية منبعثا الشعر من صهيل الجياد وصليل السيوف والتغني بالأبطال والحروب . وأن الشعر في هذا الدور أصدق على أشياء ملحمية ومصورة . فهو في نفسه طويل ، تبلغ القصيدة من قصائده آلافا من الأبيات وهو في معناه يذكر الحروب والمحن وبلاء الأبطال فيها ، ولكنه يذكر الآلهة ويستوحيهم ما يريد أن يقول ، ثم هو في معناه ــ اجتماعي ــ يفني شخصية الشاعر فناء تاما في الجماعة التي يصفها من جهة والجماعة التي ينشدها من جهة أخرى .

وقد سجل العرب في جاهليتهم كثيرا من ملاحمهم وأخبار حروبهم وأبطالهم . هذا عمرو بن كلثوم يمثل قوة تغلب في حرب البسوس التي دامت وأوارها مشتعلة طويلا ، فقد جعل تغلب رحى عظيمة تطحن الأعداء بثفليها طحنا . وقد ملأوا البر بأبطالهم حتى ضاق بهم ، وقد ملأوا البحر بالسفن كذلك ، وهم أبطال الأبطال تخشى الجبابرة من صبيهم الفطيم

متى ننقل إلى قوم رحانا ... يكونوا في اللقاء لها طحينا
يكون ثفالها شرقي نجد ... ولهوتها قضاعة أجمعينا

يقول فيها :

إذا ما الملك سام الناس خسفا ... أبينا أن نقر الذل فينا

ويقول أيضا :

ملأنا البر حتى ضاق عنا ... وماء البحر نملؤه سفينا

ويقول :

إذا بلغ الفطام لنا صبي ... تخر له الجبابر ساجدينا

أما النابغة الذبياني ــ الذي يمثل قوة ثقافة في العرب ــ وبأسهم فيها ، فيقول إن جموع مقاتليهم لم تعد زاحفة في الأرض ، بل في الأرض والسماء ، وإن النسور تحولت من مراقبة القتلى التي تنهشه في البيداء ، لتصبح بين صفوف الرجال في مواقعهم الحربية

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب
يصاحبنهم حتى يغرن مغارهم ... من الضاريات بالدماء الدوارب
جوانح قد أيقن أن قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أول غالب
لهن عليهم عادة قد عرفنها ... إذا عرض الخطي فوق الكواثب

ووصف الجاهليون الخيل ، وأولوها كل عناية واحترام ، لأن الخير معقود بنواصيها ، كما قيل ، وقد عنوا بأنسابها وتفاخروا بها ، حتى أن الكثير كانت لها أسماء معلومة ، وتضرب بها الأمثال بالسرعة وانتصاب القامة وعراقة الأصل ، لأنها مصدر قوة لهم في كرهم وفرهم .

ومن الشعراء الذين استنطقوا الجواد في كرهم وفرهم الشاعر العربي البطل عنترة بن شداد العبسي ، حيث قال :

الخيل تعلم والفوارس أنني ... فرقت جمعهم بضربة فيصل
إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا ... أشدد وإن يلفوا بضنك أنزل (١)

(١) أن يستلحموا : أي أن يدخلوا الحرب ويلتحموا لأنهم محاطون بها ، والضنك : الضيق

والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنما ... تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ (٢)

٢ ــ دور التطور :

ولما جاء الإسلام ، كان هذا الدين الجديد مبعثاً لتطور الملحمة الشعرية ، حيث انصبت تعاليمه الروحية المقدسة على الأنظار وحدها تتسم بالاستماتة في خدمته ، وراحوا يتهافتون في سوح القتال في سبيل الذب عنه وإعلاء رايته ، وكانت كتائب الفاتحين تصول وتجول وتتسع مجالاتها حتى بلغت الهند والأندلس .

وهذا كعب بن زهير ، يحكي معركة بدر الكبرى ، وكيف تكاثر فيها الأعداء وتكالبوا ، وحين التحم معهم المسلمون ، نصرهم الله ونصر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، وكان معه الأوس ، وإخوانه بنو النجار ... ولوحد بعمه قريش ، أبو جهل وعتبة وغيرهما صرعى في ميدان القتال . وقد جعلهم الله وقوداً لنار جهنم :

فما لقيناهم وكلٌّ مجاهدٌ ... لأصحابه مستبسلُ النفسِ صابرُ
شهدنا بأن الله لا ربَّ غيرُهُ ... وأنّ رسول الله بالحقّ ظاهرُ
وقد عُرِّيت بيضٌ خفافٌ كأنها ... مقابيسُ يُزهيها لعينيك شاهرُ
بهنَّ أبدنا جمعهم فتبددوا ... وكان يلاقي الحَينَ من هو فاجرُ
فكُبَّ أبو جهلٍ صريعاً لوجهه ... وعتبةُ قد غادرنه وهو عاثرُ
فأمسوا وقودَ النارِ في مستقرها ... وكلٌّ كفورٍ في جهنم صائرُ
وكان رسول الله قد قال أقبلوا ... فولّوا ، وقالوا إنما أنت ساحرُ
لأمرٍ أراد الله أن يهلكوا به ... وليس لأمرٍ حمّه الله زاجرُ (٣)

وها هو ذا بشر بن ربيعة يصف حرب القادسية التي دارت رحاها بين العرب والفرس سنة ١٦ هـ ، وكانت أعظم وقائع المسلمين ، وكان سعد بن أبي وقاص يقود فيها العرب .

تذكّرْ هداك الله وقعَ سيوفنا ... بباب قُدَيسٍ والمكرُّ ضريرُ
عشيةَ ودَّ القومُ لو أنّ بعضهم ... يُعارُ جناحَيْ طائرٍ فيطيرُ
إذا برزتْ منهم إلينا كتيبةٌ ... أتونا بأخرى كالجبالِ تمورُ
فضاربتُهم حتى تفرّقَ جمعُهم ... وطاعنتُ إني بالطعانِ شهيرُ

٣ ــ دور الازدهار :

ولما انغمس العرب في غمار الحضارة العباسية وترف العيش ، إذا العقول غير العقول ، وإذا المجد العربي الأصيل تستفزه الشعوبية الفارسية بوادر بالحركة الفكرية يطلق لها العنان .

وفي هذه الفترة وظروفها المتصارعة ، بكل ما يدور فيها ، يواكب الشاعر القائد ، وهو يصد هجمات الأعداء ، ليسمع حوله وبه أساطير المجد والعمالي ، ليشيد صرح الملحمة الواقعية والأسطورية .

كان المتنبي ينفخ في مزامير الحرب ويدق طبولها ، وكان أبو تمام يصف الصمام ، ويوقد جذوة التلاحم ، ويرفع بنود البؤس والقتال .

(٢) ساهمة الوجوه : متغيرتها ، ونقيع الحنظل : عصيره ، والحنظل نبات مر المذاق .
(٣) حمه الله : قدره الله .

والالتحام بين المسلمين والروم ، معروف في شعر المتنبي وأبي تمام والبحتري وغيرهما ممن سبقوا المتنبي ، ولكن هؤلاء الشعراء لم يفرغوا لهذا الفن كما فرغ له المتنبي ، ولم يبرعوا في أوصاف المعارك كبراعة المتنبي ، لأن أغلبهم لم يحضر تلك الوقائع والملاحم على عكس المتنبي ، فوصفوا ما أداه السماع ، والمتنبي وصف ما أداه العيان ، لأنه كان يرافق سيف الدولة الحمداني ـ حامي الثغور الإسلامية ـ في ملاحمه مع الروم البيزنطيين .. وكان جهاده الروم جهادا متصلا ، ونضاله نضالا عنيفا .

والمعروف من أخبار المتنبي أنه لما اتصل بسيف الدولة ، سلمه إلى الرواض ، فعلموه الفروسية والطراد والمثاقفة ، ثم صار يصحبه في غزواته إلى بلاد الروم ، ويصير معه في مقام الطعن والضرب ، وقد التحم المسلمون والروم ووقعة بالقرب من بحيرة (الحدث) ، فدارت الدائرة على سيف الدولة وتشتت جنده ، وهلك أتباعه ، ولم يبق معهم إلا سيف الدولة بنفسه وستة أنفار أحدهم المتنبي ، وأخذت الروم عليهم الطرق ، فاخترقوهم ونجوا ، ولذلك نجد المتنبي أبدع كل الإبداع في وصف القتال والتلاحم ، حتى أن ابن الأثير صاحب المثل السائر قال في المتنبي (إنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا ..) .

ومن روائع القصائد الملحمية للمتنبي ، قصيدته التي وصف بها سيف الدولة

أتوك يجرون الحديد كأنهم ... سروا بجياد ما لهن قوائم

إذا برقوا لم تُعرف البيضُ منهمُ ... ثيابهمُ من مثلها والعمائم

خميسٌ بشرق الأرض والغرب زحفه ... وفي أذن الجوزاء منه زمازم

تجمَّعَ فيه كل لِسْنٍ وأمةٍ ... فما تُفهِمُ الحُدَّاثَ إلا التراجم

إلى أن يقول :

وقفت وما في الموت شكٌّ لواقفٍ ... كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمرُّ بك الأبطال كَلْمى هزيمةً ... ووجهُك وضاحٌ وثغرُك باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنُّهى ... إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

ضممتَ جناحيهم على القلب ضمةً ... تموتُ الخوافي تحتها والقوادم

بضربٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائبٌ ... وصار إلى اللبَّاتِ والنصرُ قادم

حقَرْتَ الرُّدينيات حتى طرحتها ... وحتى كأن السيف للرمح شاتم

ومن طلبَ الفتح الجليل فإنما ... مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

نثرتهم فوق (الأحيدبِ) كلِّه ... كما نُثِرَتْ فوقَ العروسِ الدراهم

الملحمة العربية :

وكان لاستيلاء العرب على (عمورية) الأثر الكبير على تفكير العرب آنذاك ، فوصفوها بـ (الملحمة العربية) . ومن هذه الملحمة يحدثنا التاريخ على المعتصم لما بلغه أن أسيرة عربية لدى الروم هي وأطفالها ، استغاثت (وامعتصماه) وبلغ المعتصم خبر استغاثتها ، اهتز من كرسيه ، وصمم أن يدك حصن عمورية . فخرج من (طرطوس) على رأس جيش عرمرم بلغ قوامه مائة وثلاثين ألفا من الجنود ، ثم نصح المنجمون المعتصم ألا يتقدم لفتحها إلا وقت نضوج التين والعنب لبرودة الطقس والثلوج فيها ، غير أن المعتصم ضرب بنصيحتهم عرض الحائط وتقدم إليها وحاصرها

لمدة اثني عشر يوما ، الى ان تمكنت قواته من اقتحام حصونها واسوارها المنيعة ، ونهبها ودمرتها ، وقتلت اكثر اهلها ، واستولت على كثير من الغنائم ، ثم احرقتها في النهاية . وكان ذلك عام ٢٢٣ هـ .

ولما عاد المعتصم الى (سامرا) احتفل باستقباله ، ومدحه ابو تمام الذي صحبه في الملحمة بقصيدة عصماء تعد من اروع ملاحم الشعر العربي :

السيفُ أصدقُ إنباءً من الكتبِ ... في حدهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ
والعلم في شهب الأرماح لامعةً ... بين الخميسين لا في السبعة الشهبِ
أين الرواية ؟ أم أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذبِ
تخرصاً وأحاديثاً ملفقةً ... ليست بنبع إذا عدت ولا غربِ

وكان حصاد هذه المعركة تسعين الفا من المحاربين ، والوفا منهم اكلتهم شفرات السيوف ، والوفا منهم جثوا على ركبهم يطلبون الامان :

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت ... جلودهم ، قبل نضج التين والعنبِ

ولا بد للشاعر ان يشيد بالمعتصم على هذه المعركة الحاسمة التي بلغت من النجاح فوق ما يطلب من الثأر . ولابد ان يمدح فيه العزم والاصرار ، ورد الكرامة من العدو الذي دمر المدن الآمنة وروع السكان الآمنين في منازلهم :

لم يغز قوماً ، ولم ينهض إلى بلدٍ ... إلا تقدمه جيش من الرعبِ
لو لم يقد جحفلاً يوم الوغى لغدا ... من نفسه وحدها في جحفل لجبِ
خليفة الله ، جازى الله سعيك عن ... جرثومة الدين والإسلام والحسبِ

ولا بد لابي تمام ان يجد شبيها لهذه المعركة بالنسبة الى انها كانت معركة فاصلة قطعت امال الروم واحلامهم زمنا طويلا من التحرش بالمسلمين ، فرآها اشبه شيء بمعركة بدر التي كانت الحاسمة بين الشرك والاسلام ، وبين قريش والرسول صلى الله عليه وسلم

إن كان بين صروف الدهر من رحمٍ ... موصولة أو ذمامٍ غير منقضبِ
فبين أيامك اللاتي نُصرتَ بها ... وبين أيام (بدر) أقرب النسبِ

خاتمة

نستخلص مما تقدم ان الشعر الملحمي عرفه الجاهلية ، بانه قصص حماسي يعتمد في خياله التهويل والتعظيم ، مبني على الخوارق ، مشحون بالبطولات الاسطورية ، التي تصور عالما تتطاحن فيه فيالق القدر وعفاريت الجن . وكان قاصرا عن البناء الملحمي العالي ، نتيجة لسذاجة الجاهليين الفطرية وبديهيتهم في القول ، وبعدهم عن التعمق في المعاني والتفكير فيها .

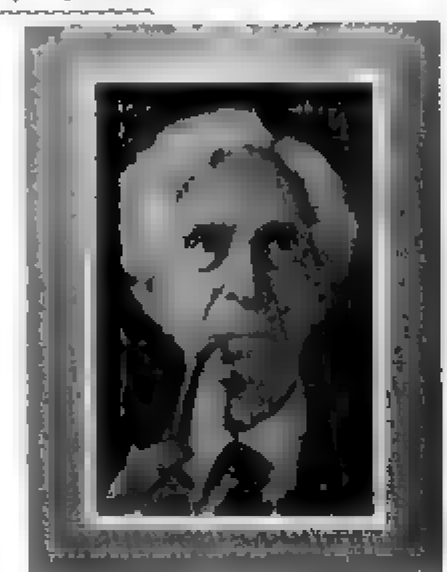
وفي صدر الاسلام تابع الشعر الملحمي خطوه مع شيء من التطور متأثرا بتعاليم الدين الاسلامي لم يبلغ قمته في عصر الحضارة العباسية ، على يد كبار الشعراء مثل ابي تمام الطائي والمتنبي .

واذا امعنا النظر في ما بعد عصر ابي تمام والمتنبي ، نجد الشعر الملحمي يكاد يختفي تماما من صفحات الادب العربي ، اذ لا يبدو له اثر حتى قيام النهضة العربية المعاصرة ، حيث هب فيها الشعراء متفجرين طاقات جديدة من طاقاتهم القديمة ، ومزجوها بالروح الرومانتيكية الحديثة بيد انها لم تبلغ القمة بعد .

عبد الجبار محمود السامرائي
جلولاء/العراق



اضخم اعباء الحياة



● كان الفيلسوف البريطاني الشهير برتراند راسل (١٨٧٢ ـ ١٩٧٠) ، يحمل فوق كتفيه آلام واحزان البشرية كلها .. تلك الآلام التي قضى حياته في محاولات لتخليص العالم منها .. ولكنه كان سعيدا بهذا العبء الذي ظل يحمله، وخاصة عندما كان يحس بأن هناك امورا تستجيب لندائه كلما دعا الى السلام ونبذ العنف !

سأله شاب صغير يوما : « قل لي يا مستر راسل ، ما هو اكبر عبء يحمله الانسان في هذه الحياة ؟ » .

وراح الفيلسوف الكبير يفكر برهة ثم قال : « عندما يشعر الانسان يا بني انه لا يحمل عبئا على الاطلاق !

فالفراغ هو اضخم حمل في حياة الانسان رجلا كان ام امرأة !! » .

شعوب الارض .. فئات ثلاث !

● كتب جان جاك روسو Jacques Rousseau الكاتب فرنسا الشهير (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) يقول : «انني اقسم شعوب العالم الى ثلاث فئات : « هؤلاء الذين يصنعون الاحداث » وهم قلة ضئيلة بين شعوب الارض » وهؤلاء الذين يقفون متفرجين على هذه الاحداث وهي تمر امامهم ولا يحركون ساكنا واخيرا هؤلاء الذين لا يدرون من امرهم ومن امر هذه الاحداث شيئا !

سألوه : « اي الفئات الثلاث اجدر بالحياة ؟

فقال : « صانعو الاحداث » لنحن في حاجة الى المزيد منهم ، لانهم وحدهم الذين يستطيعون ان يغيروا وجه التاريخ ! » .

بين تلميذ واستاذ !

● شارل فرانسوا جونود Charles Francou Gounod (۱۸۱۸ – ۱۸۹۳) ، الموسيقار الفرنسي الشهير ، كان له مدرسة تضم مجموعة من الشباب الموهوب الطموح الذي كان يحلم بعبور هذا العالم الذي كان جونود يتربع فوق اعلى قمة فيه .. عالم الموسيقى ..

وكان جونود قاسيا في معاملته لتلاميذه ، حتى انه كان يضطرهم في بعض الاحيان الى اعادة عزف اللحن الواحد لاكثر من مائة مرة لكي يصلوا به الى مرتبة الجودة التي ينشدها ..

ولكن هذا التكرار شيء الملل والتمرد في نفوس بعض تلاميذ الموسيقار الكبير ، الى أن حدث يوما أن القى احدهم بآلة الكمان على الارض فحطمها ، ثم تقدم من استاذه وقال له في لهجة يشوبها التحدي :

« اعتقد انني احدث عزف هذه المقطوعة ، اجادة تامة ، ولن أعود الى تكرار عزفها مرة اخرى .. ثم هناك شيء آخر اريد ان أقوله لك يا سيدي .. لقد جعلتني اكفر بالعلم والتعليم .. لا معلمين ولا تقاليد بعد اليوم ! انني اشعر بانك تسحق شخصيتي سحقا ! » .

ووقف جونود يستمع الى تلميذه المتمرد في هدوء بعد ان طلب الى باقي زملائه ، التوقف عن العزف ثم نظر اليهم وقال في لهجة يشوبها التأثر : « انني اشعر بانني فقدت اليوم ابنا لي ، ولكن ما حيلتي اذا كان هذا الابن يؤمن بوجود عالم من الابناء فقط دون الآباء ! » .

وبكى التلميذ الثائر ، ومعها تقدم من استاذه ، ثم انحنى على يده يقبلها ويبللها بدموعه ! .

حياة الرجل في راى شيللي

● الشاعر الانجليزي المعروف شيللي Shelly (۱۷۹۲ – ۱۸۲۲) ، سألوه يوما : « حدثنا عن حياة الرجل » .

قال : « الرجال سواء .. هم سواء في شيء واحد . انهم ليسوا ملكا لانفسهم .. وانما هم ملك للآخرين .. ملك لامهاتهم وملك لزوجاتهم وابنائهم ، واخيرا ملك لكل الذين عرفوهم في حياتهم ..

في السنوات العشرين الاولى من حياة الرجل ، تسأله امه : « الى اين انت ذاهب يا بني ! » .

ويتزوج الرجل ، ولكنه يبقى اسير المرأة ، وان اختلفت حياته معها ، فقد تعود ان يأخذ عندما كان يعيش مع امه ، ولكنه هنا مع امرأته يعطي ولا يكف عن الاعطاء ، ومع هذا يبقى السؤال التقليدي : « الى اين انت ذاهب ؟ ولماذا تأخرت ! » .



وفي النهاية يموت الرجل ، فيحملونه الى مقره الاخير .. ويبقى السؤال الحائر ، لا على لسان امه وزوجته وابنائه فحسب ، بل في اذهان كل الذين خرجوا يشيعون جثمانه : « الى اين هو ذاهب .. نعم الى اين ؟ » .



بقلم : الدكتورة درية فهمي

استاذة الأدب الفرنسي بجامعة الإسكندرية سابقا



ناحية مجهولة من نواحي الالهام عند جوته

هذه ناحية غير معروفة تمام المعرفة من نواحي الفكر والالهام عند جوته ، فان أكثر المؤرخين الفرنسيين والانجليز الذين قاموا بدراسة حياة الشاعر الألماني العظيم قد أهملوا هذه الناحية ، ولم يخصصوا لها الا صفحات معدودات وان كانوا قد فطنوا الى تنوع هذه العبقرية المتألقة الا أنهم أرادوا أن يدخلوها في عبارة واحدة وصورة واحدة طبقا لمعتقدهم ، فصوروا لنا جوته بروتستنتيا ، وجوته كاثوليكيا ، وجوته باحثا لمذهب وحدة الكون ، فيلسوفا للأديان الوثنية القديمة ولكن واحدا منهم لم يفكر في أن يصور لنا جوته مسلما فقد كان في استطاعة الباحث أن يجد في آثاره جميع العناصر اللازمة لهذا البحث ! فلنا الى شرف القيام بهذا الواجب .

رجل متسامح مقتبس من كل معين

ويجب أن نقول قبل كل شيء أن جوته كان رجلا متسامحا كل التسامح لا يجهل شيئا مما يتعلق بالانسان . فقد أعكف على الحضارات كلها يتلمس الروح العاطفية السمحة وحاول أن يفهمها جميعا ، وأن يقتبس من كل منها ما يستطيع أن يضيفه الى كنز الحكمة الذي كان يدخره في نفسه فكان يعد من الظلم الا يعتقد الناس جميعا بالحقيقة الا بدين واحد ، والا يروا الحقيقة على صورة واحدة . وهذا سر عظمة الشعر الذي سيطر به على عصره وسيطر به على نفسه



كان جوته رجلا [illegible] لا يحبس [illegible] بالاسلام [illegible] عام ١٧٧٣ [illegible]

ابوه وامه ومعلموه

وقد وضعت تربيته الاولى في مدرسة السماحة واظهرت له ان الناس لا يفكرون جميعا بنفس الطريقة . وابوه لوثري متدين . لكنه غير ميال الى التصوف . وامه ديّنة وديعة شديدة بشاعرية التوراة ، ومعلموه يتبعون مذهب التشكك وقد قال احدهم « وفي الله ايضا اجد عيوبا » .

وكان جوته في شبابه مع ولعه بالمعرفة واحترامه لوالديه ومعلميه يثق كل الثقة في اولئك وهؤلاء ، ويعرف لهم الجميل لما قاموا به من جهود في سبيل نهضة عقله وروحه في اتجاهات مختلفة .

في منزل اهله

وكان يراقب الرواد من الطبقة الوسطى ، والتجار الذين يترددون على منزل والده ، ويتحدث الى الصبية في الشوارع . وعندما ادت مصادفات حرب السبع سنوات الى العيش عند والده بضابط فرنسي لعوب طائش خفيف النفس حفظ بينه وبينه اواصر الصداقة مدة من الدهر .

رحلاته في طلب العلم

ثم عندما رحل الى ليبزج طالبا للعلم اظهر الرغبة نفسها في معرفة الناس ومختلف الآراء التي يتبادلونها او يصطدمون بها .

وفي اسفاره الطويلة عرف المانيا وفرنسا وايطاليا وجنى من كل حضارة احتك بها خير ما فيها من امور .

وكان يلتمس في الوقت نفسه من دور الكتب كل ما كانت نفسه الوثابة تستطيع ان تقتبسه . كما كان ملما كل الالمام بالعلوم والاداب يتكلم اللغات الحية على اختلافها بما فيها لغة التوراة العبرية .

جوته يؤلف قصيدة روائية حماسية بطلها محمد

ويرجع اول اتصاله بالاسلام الى عهد شبابه حوالى سنة ١٧٧٢ عندما كان مترددا في شأن الطريق التي يسلكها . وكان يقوم في الوقت نفسه بأبحاثه العلمية ومحاولاته في الشعر . واين يجد صورة الشعر وتعبيرا ابلغ مما يجده في القرآن ! فيأخذ في قراءته وفي مطالعة رحلات المسافرين الذين عرفوا الحضارة الاسلامية ثم يفكر في تأليف قصيدة حماسية عظيمة بطلها محمد .

وفولتير اتخذ محمدا بطلا ، ليسيء الى الاديان

وقد كان « فولتير » قد اتخذ محمدا منذ مدة

سنوات بطلا لاحدى تمثيلياته . ولكن التمثيلية كانت رديئة والبطل مبغضا الى حد يبعده عن الحقيقة . ولم يكن فولتير في الواقع يبغض الاسلام او يريد ان يجاهد في سبيل الدين ولكنه كان يريد ان يهاجم مؤسسي الاديان والتشنيع على اختلافهم ، فهم في نظره رجال يملأ قلوبهم الطموح ، يبغون فرض حكمهم المطلق متخذين سلطة الله عدة لهم ووسيلة . فلم يتخذ فولتير محمدا ولم يكلفه بالقيام بهذا الدور المنكر الا التهرب من قسوة الرقابة الدينية في ذلك الحين .

في قصيدة جوته : ان محمدا نبي أوحى الله اليه من روحه

اما مشروع جوته فهو يختلف عنه كل الاختلاف فقد اقدم على موضوعه بروح سمحة كل السماحة تشيع فيها نفحة حماسية خالصة . فمحمد في نظره نبي حقيقي أوحى الله له من روحه والهمه قداسة رسالته وجلالتها الالهية . فالمأساة التي تدور في نفس النبي هي مأساة عدم امكانه جذب الناس في طريق النور التي يخصه الله فيها . ومن ثم فعليه اضطر ان ينزل الى مستواهم وان يهبط الى مستويات الحياة المادية وكلما ازداد سلطانه قوة ازدادت نفسه حسرة وظلمة .

ولم يتم جوته روايته ولم يبق منها الآن سوى قطعة صغيرة . وربما شعر جوته انه لا يستطيع ان يمكث على القمة التي بلغها . على انه ترك لنا عناصر مطولة لهذه الرواية وجد في وضعها على حد تعبيره « متعة وسرورا عظيمين » .

تبدأ الرواية
محمد تحت قبة السماء ليلا

وتبدأ الرواية بمقدمة مليئة بالعظمة والشاعرية . فنرى النبي واقفا وحده تحت قبة السماء ينظر الى النجوم تتألق الواحدة تلو الاخرى فتبدو له كل واحدة منها آلهة فيقدم لها نشيد الصلاة . فاذا ما ظهر المشتري ملك الكواكب خصه بصلاته وحده . فيظهر الهلال بنوره فيخصه ايضا بالصلاة والعبادة . واخيرا لاح الفجر واشرق الصبح فاغلقت نفس محمد وقد طاشت وانتشت تقدم له صلاته الاخيرة .

وحينئذ يفطن انه لا بد له من ان يعلو في الارتفاع حتى يبلغ الى الكائن الواحد الازلي الذي يعزى اليه وجود الشمس والقمر والنجوم .

وكان جوته يأسف كل الاسف لفقده هذه القصيدة وقد فكر ان يعيدها على شكل اغنية ، وفي اعتقاده انها تتناسب والموسيقى بسبب تنوع تعابيرها . فكان يتخيلها على لسان قائد قافلة يتغنى بها بينما كانت اسرته ورجال قافلته يصحبونه فيرددون عليه الغناء . ومن دواعي الدهشة ان احدا من كبار الموسيقيين الرومانتيكيين الالمان لم يتقدم له معاونته فيسمح بتحقيق هذا المشروع العظيم . وهنا يبدو بوضوح مدى الاسف الذي يشعر به المرء لعدم اتصال اواصر الالفة بينه وبين « بيتهوفن » .

ثم كانت الرواية تقص كيف هدى محمد زوجه وتلميذه عليا الى الاسلام ثم حاول ان ينشر عقيدته في قومه ثم قام بهجرته وانتصاراته وتطهير الكعبة الا انه حين اراد ان يواصل الجهاد بين الناس اضطر الى استخدام الاساليب التي يمقتونها وهي القوة والاقناع . واخيرا لم يسترد صفاءه واصالته بالوحي الالهي الا في الفصل الاخير فيحمد مبادئ الدين لتلاميذه واتباعه وينظم البلاد ثم يتوفاه الله.

لم يصل الينا من هذه القطعة الرائعة الا قطعة واحدة هي نشيد في مدح النبي وضعه جوته على لسان علي ، وحسبه ان يشعرنا بالأسف الشديد لعدم استئناف جوته عمله واتمام موضوعه .

بين جوته ونابليون

ثم اتيحت تجارب اخرى ان اجتذبت جوته واشرعت على نفسه الشغوفة بمعرفة كل شيء . فزالت رؤية النبي امام شبح فرتر Werther الشاب الشاحب فشغل جوته به عن غيره ، وظل به الامد فلم يرتو فيه من ينابيع الحكمة الشرقية المقدسة .

ثم عاد اليها بعد ذلك بدافع من الالم والاسى حين كان مع ذلك على قمة المجد والشرف وحين اشتدت عليه وطأة الدهر والايام فاثقلت كاهله القوي . وكان نابليون حينئذ قد دوخ اوربا باسرها ، ثم ها هو يرى الهزيمة للمرة الاولى في صقيع روسيا فتنسحب فلول جيوشه المنهزمة الى المانيا حيث اخذت الشعوب المغلوبة على امرها تنهض لتقف امام الغازي . فها هي الجيوش الفرنسية في سكسونيا التي دمرتها ، وليبزج التي اشتعلت فيها النيران ، ترى النصر الذي طالما رافق اعلامها قد حاد عنها للمرة الثانية .

ولكن جوته لم يشعر بأي فرح لتحرير وطنه بل لم يجد نفسه جديرة بأن تشعر بأي فرح .

فنفسه لا تهتز الا لما تجلبه الحروب معها من آلام وعذاب للابرياء والضعفاء ، وقلبه يرفض ان يصغى الى الاصوات التى تتحدث اليه عن الشرف والحريات الجرمانية . ولم يشعر باى حقد نحو المستعمر ، فقد عامله نابليون احسن معاملة واكرمه كاحد امراء الفكر . فنيل جوته منه بيشان الشرف ورفض ان يوافق على انه كان من الواجب للعصاة على القائد العظيم ان يدمر كل هذا الجمال وان يضحى بكل هذا العدد من الارواح البشرية .

وامام هذا الصراع الهائل لم يشعر جوته للمتحمسين والمهزومين الا بالشفقة واحيانا النفور ولم يكن له الا رغبة واحدة هى انقاذ رفاهيته المهددة . لذلك فقد نظره عن كل ما يحيط به من فظائع وتناسى الحاضر الفجع ليلجا الى ماض مشرق مبتسم يملؤه الصفاء والنور يجد صورته مضيئة ساطعة فى قصائد شعراء الفرس حافظ والفردوسى .

وكلنا يعرف ابيات الشاعر الفرنسى « تيوفيل جوتييه » Theophile Gautier فى مقدمة مجموعة قصائده Emaux et Camées ، حيث يقول :

فى اثناء حروب الامبراطورية
بين قصف المدافع المدوية
كتب جوته « الديوان الشرقى الغربى »
وهى واحة منعشة يتنسم فيها الفن

جوته يرفض ان يكون الشاعر متحزبا

وكثيرا ما يتحدث الناس فى زماننا عن الكتاب والشعراء المتحزبين ويسلمون بانه من واجب الشاعر ان يحدد موقفه ويتحزب وان يقحم نفسه فى محيط السياسة وان يقول كلمته فى الحوادث الخطيرة التى تمس وقته . لكن جوته يخالف هذا المبدا كل المخالفة . بل لا يتخذ على نفسه الا تعهدا واحدا وهو ان يخدم الجمال دائما وفوق كل شىء . فهو كما قال الكاتب الفرنسى رومان رولان عن نفسه فى اثناء حرب اخرى « يتبوا مكانا عاليا فوق عامة الناس » . ورومان رولان يعد الى حد ما تلميذا لجوته .

وقد اخذ بعض الناس على جوته هذا واتهموه بالانانية وانعدام الروح الوطنية وبات مآل هذا الاتهام — من جهل لكل ما تنطوى عليه العزلة من الصفاء وحب للجمال — خاليا من الغرض ، وفى آخر الامر من ثقة ثابتة فى مستقبل البشرية . فهو يريد ان يؤمن ان البشرية — بالرغم من الحروب والتعصب الخ — قد جعلت السعادة وان الصفاء غايتها الطبيعية وليس الالم . وان الحب والشباب والجمال هى الموضوعات الوحيدة التى يجد فيها الشاعر الصفاء الكامل لتهتز له قيثارته .

على ان جوته لكى يتحاشى والفظائع التى تحيط به يتنفس بشدة فى هذا الجو الشرقى الذى يعزل به عما فى زمنه من بؤس . فيبدا كما فعل عندما كتب رواية « محمد » بالقراءة المتصلة عن الشرق وعاداته وتقاليده . ويطلق رغبته وحبه الولوع الى المعرفة بكل ما يقع تحت يده من مذكرات المسافرين . الا انه فى هذه المرة قام باعظم من ذلك فقد اخذ فى الرابعة والستين من عمره يدرس اللغة العربية ، وكم كان سروره عظيما يوم استطاع ان ينقل بيده مخطوطا عربيا . واخذ يتخاطب مع المستشرقين المشهورين امثال فون هامر الالمانى Von Hammer وسلفيستر دوساسى Sylvestre De Sacy الفرنسى . وقيل انه حاول ان يتعاطى المخدرات ليطلق احلامه الشرقية . الا انه كان غيورا على صفاء ذهنه وصحة ذكائه حتى يتمادى فى الغوص فى « هذه الجنات الصناعية » . ثم كانت مخيلته من القوة فى الارتقاء وتصوير الاحلام ما جعلته فى غنى عن تنشيطها بوسائل اصطناعية .

محادثاته مع صديقه اكرمان

ونجد فى محادثاته مع « اكرمان » Eckermann آثارا صحيحة عن دراساته الشرق ولكل ما يتعلق به ومن حبه له ورغبته فى فهم الاسلام . وقد اظهر بصفة خاصة اعجابا عظيما بالتربية الدينية التى تعطى لشباب المسلمين .

وقد قال فيها « انهم يثبتون قبل كل شىء فى اذهان الشباب — كالمعتقدين — العقيدة الراسخة بان الانسان لا يصيبه شىء الا وقد قدره له سلطان اعلى منظم لكل شىء . فها هم قد اصبحوا مسلحين لكل الحياة وها هم قد اصبحوا وانهم لا يكادون يحتاجون لشىء آخر .. ثم يبدا المسلمون تربيتهم الفلسفية بهذه السنة وهى « لا يوجد شىء لا نستطيع ان نقطع عكسه » هكذا يمرنون اذهان الشباب فيكسبهم ذلك مرانة كبيرة فى التفكير » .

« ولكن اذا استطاع المرء ان يؤكد عكس كل راى حينئذ يتولد الشك فى نفسه ويتساءل ايهما هو الحق . والراحة منعدمة فى الشك لان الشك

يدفع العقل الى البحث والتنقيب والى الحيرة التي اذا قيدت الى حلها امتنع عنها اليقين وهو الهدف الذي يجد فيه الانسان راحته التامة.

« ونحن نرى الآن ان هذا الشعب لا يفتقد الى شيء واننا لا نفهمهم بشيء ولم نعد نطامعهم ولا يستطيع احد ان يتفهمهم بشيء » (محادثة يوم الاربعاء الثاني من شهر ابريل سنة ١٨٢٧) .

كتاب الديوان الغربي جوه شرقي

وهكذا نرى ان جوته بعد ان كتب الديوان بمدة طويلة وفي آخر سني حياته ما فتيء يرنو الى الصفاء والسماحة واليقين النهائي التي وجدها في الاسلام .

فقد نشأت اذن القصائد المجموعة تحت عنوان « الديوان الغربي » من التاملات التي قام بها جوته في ابان حروب نابليون . ولقد زعم في هذا الكتاب انه قطف اجمل زهور الحكمة الفارسية . وفي الواقع اننا نجد فيه كثيرا من التشابيه اللطافة والرقة . ولكن قال احد النقاد « ان الجو وحده هو الشرقي في هذا الكتاب ، فشخصية المؤلف الغربي تظهر فيه بكل وضوح . فالصور شرقية والشعور غربي . ومع ذلك فقد تبع القافلة بكل رفق عبر الصحراء واصغى الى النشيد « البلبل » الحزينة على ضفاف الينابيع البراقة ، وجمع سنة محمد بكل اخلاص ، وسرّ لسماع نبرات حافظ الفارسي فكان الجمع الذي وفق اليه من هذا كله من خير ما يمكن ان يوفق اليه احد .

فان كان جوته قد قال في هذا الجو وان كان قد اظل المجال لكتابته في بعض الاحيان فهذا شيء طبيعي !

ويتكون « الديوان الشرقي الغربي » Westostlicher Divan ، وهو مجموعة من الشعر الغنائي ، من اثني عشر بابا وهي : المطرب، وحافظ، والحب، والتامل والحزن، والامثال ، وتيمور ، وزليخة ، والخمر والتشابيه ، والفرس، والجنة .

وقد كتب في صدر باب « حافظ » وهو استاذه ومرشده في رحلته العاطفية عند خلق الشعر الفارسي ، قال : « فليكن العالم الزوجة وليكن العقل الزوج فمن عرف حافظ قد حضر هذا الزواج » . لزواج العقل والشعر لزواج جوته والشرق هذا ما حاول ان يؤديه « الديوان الشرقي الغربي » وان المعجبين بجوته متحدون جميعا في اعجابهم بنضارة هذا الاثر العظيم الذي اولده قلم شاعر تجاوز الستين ، وزاد وراءه حياة حافلة بالتجارب المتنوعة. ومن الصعب نقل هذه القصائد الى لغة اخرى « فيها من خفة ورقة يبدو من العسير نقلها الى لغة غير اللغة التي وضعت فيها. ويبدو ان الموسيقى هي الشيء الذي تتطلبه ولم تجده حتى الآن .

ان « الديوان » اليوم اثر قد طواه العصر والنسيان ، فقد القت به « آلام فرتر » والنسختان المختلفتان من « فوست » ، وغيرها من روائع الاثر جوته في ظل النسيان . ومع ذلك فمن التاريخ نشرها يبدا تاريخ ادخال الصبغة الشرقية في الفن الالماني وفي الفن الرومنتيكي الاوروبي اجمع .

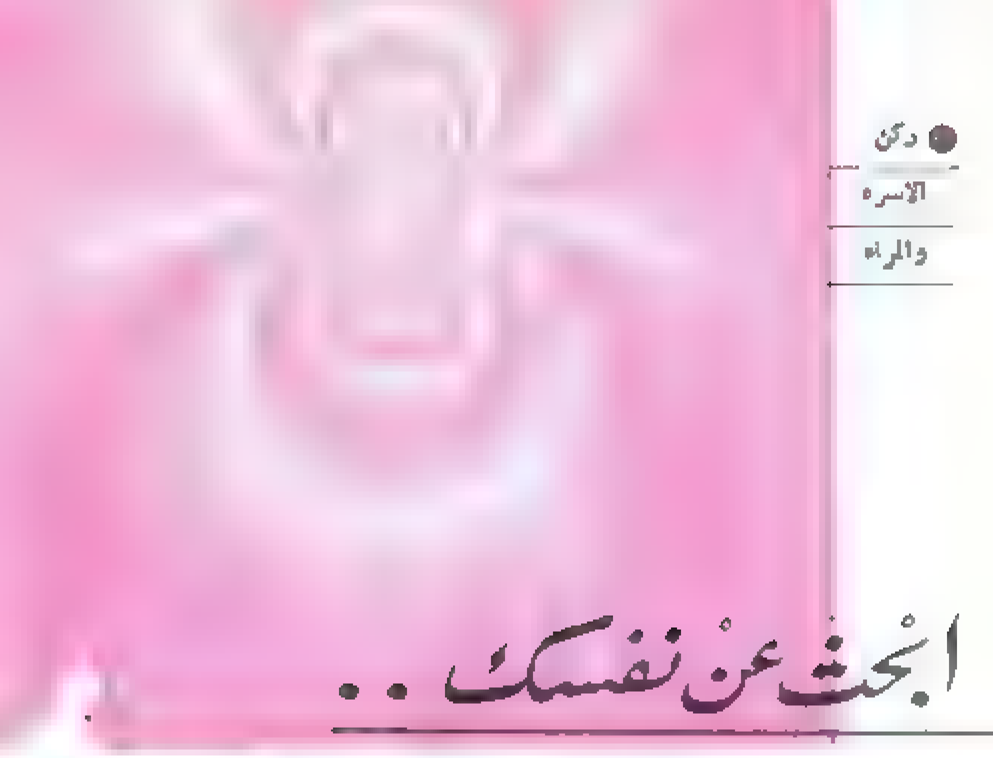
وحذا الشعراء حذو جوته

وقد حذى حذوه كثير من الشعراء الغنائيين الالمان واخذوا يقلدون الشعر الشرقي مع تفاوت في النجاح امثال « روكرت » Ruckert و « بلاتن » Platen فكان الشرق لهم بمثابة تخلص من العالم وتسيان الآمه ومثل الانسجام السامي والحكمة السامية ثم اخذ الموسيقيون يسلكون الطريق التي فتحها الشعراء ، فألف شومان هذه الآية الرفيعة التي سماها « الجنة والجنية » Le Paradis et la Fee

واخذ الشعراء خارج المانيا ينصرفون الى سحر الشرق وخياله واحلامه وقام بيرون Byron وكولريدج Coleridge وشاتوبريان ChateauBriand ولامارتين Lamartine وجوتيه Gautier يجنون الزهور في حديقة « سعدي » تلك الزهور التي اوحت الى مرسلين ديبورد فالمور Marceline Desbordes Valmore الشاعرة الرقيقة الحزينة اجمل قصائدها وارقها .

وهكذا كان جوته في كل ما يتعلق بالرومنتيكية الرائد العبقري الفذ . استطاع عقله الذي كثيرا ما وصفوه بانه اوروبي ان يتخلص من حدود اوروبا ويندفع الى الشرق مع ماله من ميل الى معرفة كل شيء والى حب كل شيء حيث يشعر بانه في وطنه كما يشعر بذلك في ايطاليا وفي فرنسا، فهو في وئام واتحاد تام مع جميع الذين يتطلعون من وراء بؤس العالم الحاضر وآلامه الى الحكمة الالهية والجمال الازلي .

باريس — درية فهمي



● ركن

الأسرة

والمرأة

ابحث عن نفسك ..

عندئذ تكتشف لك فيها كفايات عنك خافية ، وطاقات في أطوائها قابعة كامنة .

بقلم : منير نصيف

■ هل نعرف أنفسنا ؟

سؤال قلما نوقفنا عنده ، ونحن نمضي في دوامة هذه الحياة بكل ما فيها من صور ، وبكل ما تحويه من أسرار !

ولكن لماذا لا نعرف نفسنا ؟

[illegible]

الهروب من النفس

يقول العلماء ان الناس – رجالا كانوا أم نساء – قد ابتكروا على مر السنين ، أساليب متنوعة غريبة ، للهروب من نفسهم . فنحن اليوم نستطيع ان نمضي كل وقتنا ، وأن نملأ شتى جوانب حياتنا ، وأن نرهق رؤوسنا بمختلف مشاكل الحياة ، حتى يصعب علينا بعد هذا كله ، أن نجد لحظة واحدة ، يمكن أن نخلو فيها الى التأمل والتفكير ، في نفوسنا ، ومحاولة التعرف على هذا العالم الغريب الذي يكمن في أعماقنا

وقد تجيء هذه اللحظة في وقت أو في آخر ، في مرحلة أو في أخرى من مراحل حياة الانسان ، ولكننا كثيرا ما نحاول الهرب منها لأننا لا نريد أن نعرف حقيقة أنفسنا ..

فهل معنى هذا أن الانسان يعيش ويموت ، دون أن ينتهز هذه الفرصة يوما ، لكي يعرف نفسه ؟

كيف وجد نفسه ؟

يقول سومرست موم ، الكاتب البريطاني الشهير : « لقد قضيت سني شبابي ، أبحث عن شيء ضائع لا أعرفه ، لقد كنت حائرا بين دراسة القانون الذي عشقته بالوراثة عن أبي وجدي ، وبين دراسة الطب .. ولكنني كنت أعرف أنني لن أصبح محاميا ناجحا في يوم من الأيام ، لقد كان الكلام بالنسبة لي شيئا ثقيلا[1] ودرست الطب ، ولكنني لم أصبح طبيبا .. وعندما بدأت أفكر في هذا المستقبل المظلم الذي ينتظرني ، وأمسكت بالقلم لأول مرة لأسجل تلك الخواطر التي كانت تطاردني ، أحسست بأنني قد وجدت هذا الشيء الضائع الذي قضيت سنوات طويلة أبحث عنه .. لقد وجدت نفسي ! » .

وكما نجح كاتب بريطانيا الكبير في أن يجد نفسه ، نجح الكثير من الرجال والنساء ، في التخلص من هذا الشعور الذي يسيطر علينا .. الشعور بأننا غرباء عن أنفسنا .

مشكلة أبدية

فالبحث عن النفس ، والحيرة في معرفة حقيقة هذه النفس وأسرارها وطاقاتها ، هي المشكلة التي يعاني منها كل انسان منذ تلك اللحظة التي يرى فيها النور ..

الطفل يعيش سنوات حياته الأولى حائرا لا يعرف ماذا يريد ، ولا ماذا هم يريدون به .. والشاب الذي بدأ يخطو أول خطواته في الطريق الطويل نحو المستقبل المجهول ، هو أيضا لا يعرف عن ميوله واتجاهاته إلا هذا القدر اليسير الذي تجيء به نتائج امتحاناته ، في المواد التي يدرسها .. فهو اليوم يريد أن يصبح مهندسا ، وهو في الغد أميل الى الأدب وفروعه ، ثم هو بعد سنوات قليلة ، لا يريد هذا ولا ذاك ، فهو بدأ يرى الشيء الكثير غريبا في هذه الدنيا وهو يريد أن يدرس ويتخصص في هذا الذي قدمه اليه أخوه الانسان ، في شتى مجالات العلم والمعرفة .

المرأة أكثر صراحة وقدرة

والفتاة هي الأخرى .. انها حائرة ماذا تصنع بنفسها وبمستقبلها .. ولو أن العلماء يؤكدون أنها أكثر اقترابا من فهم حقيقة نفسها من الرجل ، بالرغم من تلك القيود التي تعيش في ظلها ، والتي يفرضها المجتمع على تصرفاتها وحتى على أسلوب تفكيرها ..

فالمرأة أكثر صراحة مع نفسها من الرجل ، وأكثر قدرة على التفكير فيما تريد وفيما لا تريد من نفسها ومن الناس ومن المجتمع الذي تعيش فيه .. وهي وان كانت في بعض المجتمعات مغلوبة على أمرها ، إلا أنها لم تفقد في يوم من الأيام الثقة بنفسها ، ولولا هذه الثقة لما استطاعت المرأة أن تقتحم دنيا الرجل ، ولما نجحت في أن تصل الى ما وصلت اليه في شتى مجالات الحياة ..

متى وكيف يستطيع الانسان أن يجد نفسه ؟

ليس هناك في الواقع اجابة محددة على هذا التساؤل .. فمحاولة اكتشاف النفس ، محاولة صعبة في حد ذاتها ، الا اذا نحن جعلنا منها هدفا ورحنا نبحث ونفكر فيما نحن فيه وفيما نحن مقبلون عليه من أحداث ..

تجديد النفس

ويرى العلماء أن اكتشاف النفس ، لا يتحقق الا عن طريق تجديد النفس ، وهذا التجديد ، يكمن في قدرة المرء على التخلص من « الروتين » الذي يتحكم في أسلوب حياته ، سواء أراد ذلك أم لم يرد !

ففي بعض الأحيان نجد أننا قد اكتشفنا أنفسنا

---

[1] كان سومرست موم مصابا بالتأتأة ، وكان يجد صعوبة في اخراج الكلمات

بالرغم منا ، عندما يطرأ تغيير جذري على الطريقة التي الفناها وتعودنا عليها في حياتنا ، كأن نترك حياة العزوبية الى الزواج ، او ننتقل الى الحياة في مدينة اخرى غير تلك التي عشنا فيها وتعودناها وعرفنا اهلها .. او عندما نلتحق بعمل جديد يختلف عن العمل الذي قضينا فيه جانبا كبيرا من سنوات عمرنا ..

او عندما توجه الينا الدعوة لتأدية واجب الدفاع عن بلدنا ووطننا ..

في الحرب

عندئذ يجد الرجل ، انه خلع لباسه المدني ، وارتدى حلته العسكرية ، ثم ودع مودعا زوجته وابناءه وحياة البيت الناعمة ، سائرا في هذا الطريق الذي رسموه له ، الى ساحة الشرف والقتال ، حيث نصبت الخيام وشكلت المدافع واحتشدت العزائم على الدفاع عن النفس وعن ارض الوطن الى اخر قطرة دم .

هنا ، يتحرر الانسان من الحياة التي الفها ، ومن العادات التي ترسبت في نفسه وتمكنت منه ، وسيطرت على حياته ، ومع هذا التحرر ، سوف يدرك ، وربما لاول مرة ابعاد هذا السجن الذي كان يحبس نفسه فيه ، والذي نسجوه له من حوله بخيوط من الحرير الناعم ، اشبه ببيت العنكبوت !

والمرء في هذه المرحلة من مراحل التغيير التي طرأت على حياته ، سوف يكتشف في نفسه ايضا قدرات وطاقات هائلة لـم يكن يعلم بوجودها من قبل .

وفي غير الحرب

ولكن هـل يجب ان ننتظر حتى يحدث هـذا التغيير في اسـلوب حياتنـا وطريقة عيشنا لكي نكتشف حقيقة انفسنا ؟

وكيف السبيل اذن الى البحث عن النفس ومعرفتها ؟

هل من وسيلة تساعدنا على التعرف على ما في داخل نفوسنا ، والتخلص من روتين الحياة التي يحبطها ، بحيث نستطيع ان نظل ذلك دون ان نبذل في سبيله جهدا قد يدفعنا الى الهرب من محاولتنا هذه ، ما دمنا نميل الى الهرب دائما من انفسنا كما يقول ارسطو ؟

وقبل ان نجيب على هذا السؤال ، نتوقف قليلا لنرى ما حدث لهؤلاء الذين تغيرت صورة حياتهم في ظروف عادية ، بغير حرب ، فاكتشفوا انفسهم من خلال محاولتهم لتدريب هذه النفس على السير في هذا المجرى الجديد ..

مثلا حدث للرجل الذي ترك بلده وبيته واهله واصدقاءه ومعارفه ، وذهب ليعيش مع افراد اسرته في بلدة اخرى لا يعرفون عن طابع الحياة فيها شيئا ؟ !

التخلص من العادة

لقد احسوا بانهم غرباء ضائعون في هذا البلد الجديد ، وهذا الاحساس هو الذي يخلق القدرة على تجديد النفس ، فلا بد لهذه الاسرة لتعيش ولكنها تعرف ان هذا العيش لن يصبح ممكنا ، الا اذا استطاع كل فرد من افرادها ان يكيف حياته بهذا المناخ الجديد ، ويتأقلم .

وعندئذ فقط يبدأ افراد هذه الاسرة يتخلصون من العادات التي تمكنت منهم وسيطرت عليهم وصبغت تصرفاتهم وسلوكهم بهذا الروتين الذي لم يتغير لسنوات طويلة .. فاسلوب الانسان في الحياة لا يعدو ان يكون اكثر من سلسلة من العادات التي تمكنت منه فصار عبدا لها ..

وهكذا تتغير حياة هذه الاسرة .. حياة الاب وحياة الام والابناء .. وفي هذا الانتقال من حياة الى حياة اخرى جديدة ، سوف يكتشفون ابعادا جديدة لميولهم واتجاهاتهم وتطلعاتهم للمستقبل .. ولكن ماذا يحدث اذا لم يطرأ هذا التغيير في حياة الاسرة ؟

الروتين مظلوم !

ونعود الى السؤال الذي طرحناه ، كيف السبيل الى البحث عن النفس ومعرفتها ؟ هل يمكن المرء ان يجدد نفسه ، وهو حبيس هذه

« الروتين » اللعين الذى تمكن منه فلم يعد يترك له فرصة لتجديد نفسه وتغييرها ؟

والواقع ان الروتين يقتل النفس ، ويقتل القدرة على التفكير والتجديد والابتكار ! ولكننا لا نستطيع ان نلوم الروتين وحده فى هذا الذى يصنعه بنا ، لسبب واضح ، وهو ان هذا الاسلوب من الحياة الذى لا يتغير هو من صنعنا نحن ، ونحن وحدنا الذين نملك القول الاول والاخير ، فى تقبل الحياة فى ظل تلك العادات التي تتطلب منا ، او رفضها ، وبالتالى بذل كل محاولة ممكنة للتخلص من الروتين،وتغيير اسلوب حياتنا كلما حانت الفرصة لهذا التغيير .

الرحلات والاسفار

من هنا كانت الرحلات والاسفار من اهم العوامل التي تساعد على التخلص من روتين الحياة .

رحلة قصيرة تقوم بها الاسرة فى عطلة نهاية الاسبوع ، او نزهة فى قارب صغير فى مياه النهر او حتى الممارسة لنوع من انواع الرياضة كالسباحة او لعب التنس او حتى المشي على الاقدام لمسافات طويلة فى الامسيات ، كل هذه وسائل يمكن ان تساهم فى التخفيف من اثر الروتين على حياة المرء ، فى مختلف مراحل حياته ..

الكتاب اقدم مدرسة

ثم هناك القراءة ، وهى اقدم واكبر مدرسة تعلم فيها الانسان .. وهو قد تعلم فى الكتب ان المرء يسير فى طريق الحياة ، دون ان يعلم على وجه التحديد ، ما هى حقيقة طاقاته وقدراته .

يقول الفيلسوف الامريكى الكبير ايمرسون : « اننا لم نكتشف ابدا ما الذى يجب ان نعلمه لابنائنا فى المدارس .. اننا نقدم لهم عصارة فكر الانسان ، بدلا من ان نعلمهم كيف يفكرون . اننا نعطيهم زهورا فوق طبق من فضة ، بدلا من ان ندربهم على زراعة الزهور . اننا نحشو عقولهم بنتاج من سبقهم من الاباء والاجداد بدلا من ان نوجههم الى العقل وسيلة للتفكير والانتاج ! »

انطلاق القدرات

وفى الكتب التى يقرأها هؤلاء الصغار عندما يكبرون ، خارج اسوار المدرسة، سوف يكتشفون اشياء كثيرة وحقائق غريبة ، غابت عنهم ،ولكنهم ظلوا تائقين لمعرفتها .. وقد يكتشفون مع هذه الحقائق انفسهم ، وحقيقة قدراتهم واتجاهاتهم !

ان الطاقات والقدرات التى يتمتع بها المرء ، ايا كان ، ليست دائما معدة للانطلاق لتصنع به ويصنع بها ما يريده لنفسه ، وهى تظل كامنة خامدة داخل نفوسنا ، لان ظروف حياتنا وعملنا ، لم تتطلب خروجها من مكامنها .

ومن اجل ذلك ، فان استكشاف هذه القدرات والمواهب ، لا يجب ان يترك لظروف الحياة التى نعيشها .. لا بد لنا من ان نبحث عنها فى كل فرصة وفى كل مناسبة تتاح لنا ، الى آخر يوم فى حياتنا .. والكتاب الذى نختاره نحن ، ولا يفرض علينا ، هو وسيلتنا الاكيدة لاكتشاف هذه القدرات .

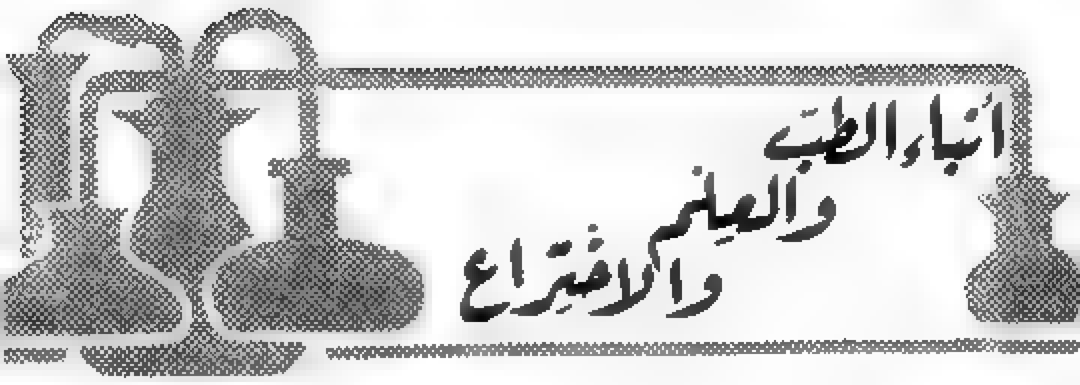
لقد كان توماس اديسون تلميذا خائبا فى طفولته ! هكذا كان يؤكد له مدرسوه . وهو لم يتخرج من الجامعة ولكنه كان يعشق كتب العلوم والهندسة ، ومن خلال قراءته لهذه الكتب استطاع ان يكتشف الطاقات الهائلة الكامنة داخل نفسه ، واستطاع ان يقدم للبشرية من المخترعات العظيمة ما خلد اسمه !

الحب اعظم سلاح

يقول ايمرسون : « لو عرف الناس ما يصنعه الحب فى حياتهم لتغير العالم وتغير معه وجه التاريخ .

« ان الحب هو السلاح الوحيد الذى يستطيع ان يحمله كل رجل وامرأة وطفل لقتل هذا العدو الذى يتربص بهم « الملل » ، ذلك الشعور الذى ينمو حتى يصبح « غولا » نتيجة لروتين الحياة الذى لا يتغير .. ولا شيء يقضي على الشعور بمرارة النقص ، وبقسوة الحياة ، سوى الحب نحمله فى صدورنا للناس .. كل الناس ! » .

منير نصيف



مستقبل غامض لمحادثات تحديد الأسلحة الاستراتيجية

● تعود قراء الصحف في العالم أن يقرأوا بصفة منتظمة تصريحات مبالغا فيها للسياسيين العالميين عن أهمية اتفاقيات تحديد سباق التسلح في العالم. وأحدثت تصريحات الرئيس الأمريكي نيكسون المتفائلة الأخيرة عما أسماه بنقطة تحول في محادثات تحديد الأسلحة الاستراتيجية التي تدور بين روسيا وأمريكا ضجة في صحف العالم بالرغم من أنه من الواضح أنها منصبة على مجرد الوصول إلى اتفاق للدخول في مفاوضات حول عقد اتفاقية تحدد عدديا الصواريخ الدفاعية والهجومية ذات الرؤوس النووية.

وقد نشرت مجلة العالم الجديد والعلوم New Scientist and Science Journal مقالا عن هذا الموضوع قالت فيه:

« إن دلت التعليقات الصحفية، ذات التوقعات المغرقة في التفاؤل، حول تصريحات نيكسون على شيء، فإنما تدل على نقص في إدراك أو فهم الخطر الحقيقي لسباق التسلح النووي ولنوع الاتفاق المطلوب الوصول إليه للتقليل من هذه المخاطر.

إن هناك الآن ٣ عوامل جديدة أثرت في التكتيك العسكرية وتهدد بإحداث اختلال في الميزان الاستراتيجي الحساس القائم الآن بين القوى العظمى. وهذه العوامل هي أولا التحسينات التي أدخلت على فاعلية الصواريخ المضادة للقذائف وزيادة الاعتماد عليها، وثانيا زيادة الدقة في هذه الصواريخ، وثالثا: انتشار الصواريخ ذات الرؤوس المتعددة والتي تستطيع إصابة عدة أهداف في وقت واحد وهي تلك الصواريخ المسماة ميرف Mirv وهذه العوامل الثلاثة تدل على احتمال أن كلا من روسيا وأمريكا قد تمتلك، لأول مرة، قدرة حقيقية على توجيه ضربة أولى ساحقة، وذلك في خلال السنوات القليلة القادمة. ولا يلوح في الأفق الآن أن هناك أي اتفاق في محادثات تحديد الأسلحة الاستراتيجية يستطيع أن يوقف الوصول إلى هذا الموقف الخطير جدا.

ومن المتوقع أن الاتفاق الذي وصفه الرئيس نيكسون وهللت له الصحف لن يؤدي إلى إقناع الكثير من الدول التي وقعت على اتفاقية منع انتشار الأسلحة الذرية أن هناك إجراءات فعالة اتخذت نحو نزع السلاح الذري. يجب علينا أن نتوقع أن عدم وجود مثل هذه الإجراءات سيؤدي إلى زيادة عدد الدول التي تمتلك قوة ذرية

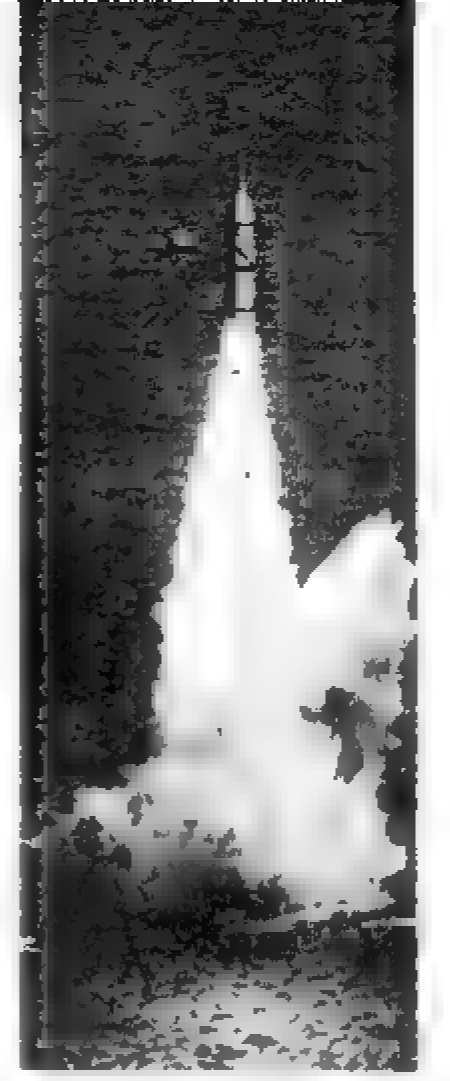
والخطر المتوقع خلال الفترة القصيرة القادمة، نتيجة للتقدم المرئي في التكتيكية الذرية العسكرية، ولانتشار الأسلحة الذرية يكمن في زيادة احتمالات نشوب

حرب ذرية شاملة نتيجة حادث غير مقصود ، او نتيجة خطأ فى التقدير او حتى نتيجة لحظة جنون .. ويمكن أن نقول انه اذا استطاعت محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية التقليل من هذا الخطر الرئيسى فانها تكون بذلك قد استطاعت تحقيق تقدم أكثر مما نتوقعه منها الآن .

وعلى الاقل فانه يجب ان يتم تجميد انتشار الاسلحة الجديدة ، والوصول الى اتفاق بمنع ادخال تحسينات جديدة على الاسلحة الذرية وبعد ذلك عقد اتفاق سريع ينص على تخفيض المخزون من الاسلحة الذرية فى كل الدول الذرية .

وتساعد المفاوضات للوصول الى اتفاق شامل لوقف التجارب على الاسلحة الذرية فى اقناع الدول الصغرى على حسن نوايا الدول العظمى بالنسبة للوصول الى نزع السلاح الذرى ، وذلك لان التجارب التى تجرى الآن على الاسلحة الذرية تحت الارض انما هى فى الواقع تجارب لزيادة الكفاءة الهجومية لهذه الاسلحة وهذا يعنى سقوط اهم الفائدة التى كانت مرجوة من اتفاقية وقف التجارب الذرية فوق سطح الارض » .

ان دول العالم ، صغيرها وكبيرها تنظر الآن الى محادثات تحديد الاسلحة الاستراتيجية نظرة امل ورجاء ، وان كان يشوب هذه النظرة الكثير من القلق وعدم التفاؤل .



العلم يكشف للشعب
ما يصنع له نوابه فى البرلمان

● كيف يمضى النائب وقته فى البرلمان ؟

كم سؤال يوجهه للوزراء بالنيابة عن ناخبيه ؟

ما موقفه من القضايا الحيوية التى يبحثها البرلمان ؟

هذه كلها اسئلة تهم الناخبين فى البلاد الديمقراطية معرفة الاجابة عنها حتى يستطيعوا تقييم ممثليهم فى البرلمان .

وقد اقترح الدكتور مارك فرانكلين Mark Franklin محاضر العلوم السياسة فى جامعة ستراثكليد Strathclyde ، استعمال الحاسبات الالكترونية Computers ، فى البرلمان الانجليزى لمتابعة

مختلف اوجه النشاط داخل اروقة البرلمان ، وكذلك متابعة نشاط كل نائب على حده . وبالرغم من ان هذا الاقتراح يبدو سهلا للوهلة الاولى الا ان هناك صعوبات فنية كثيرة تقف حائلا دون تنفيذه ومن اهم هذه الصعوبات ان نشاط النواب فى البرلمان البريطانى متفرع ومبعثر فى وثائق عديده داخل المجلس ولكى يستطيع اى انسان ان يتابع هذا النشاط فعليه الرجوع الى اكثر من جهة داخل المجلس والى اكثر من محضر من محاضر الجلسات واللجان المختلفة وغيرها من وثائق المجلس

وبالرغم من ذلك فان باستطاعة الحاسبات الالكترونية تنظيم هذه العملية بدقة متناهية اذا ما تم تلقينها المعلومات المطلوبة بدقة ايضا .

وعن طريق تنظيم جهاز وظيفى مختص يمكن عمل ارشيف كامل عن اعمال النواب منذ عام ١٩٤٥ حتى الآن ويصبح فى متناول اى ناخب ان يعلم كل شيء من اعمال النائب الذى انتخبه من قبل وبذلك يستطيع ان يحكم له او عليه ، فيعيد انتخابه او ينتخب غيره .

ويقول الدكتور فرانكلين انه يمكن التغلب على كل المشكلات التى تقف عائقا امام تنفيذ فكرته .

ويبقى هذا السؤال : هل يوافق البرلمان البريطانى على تنفيذ هذه الفكرة ؟

فى الماضى اثبتت الاحداث ان البرلمان فى انجلترا كان دائما يعارض فى نشر ما يدور فى قلبه على الجمهور ، ولكن كلما قلت السرية فى الحكومة كان هذا لخير المحكومين .

ويتساءل البعض الآن .. لماذا لا تنفذ هذه الفكرة .. وتصبح الحاسبات الالكترونية رقيبا جديدا على تصرفات اعضاء البرلمان الانجليزى !



الدغدغة .. فى رأى علماء النفس !!

● يبدو ان الدغدغه اصبحت امرا يستحق البحث ويحمل فى طياته اشياء اخرى غير الضحك والانتعاش !!

لقد قام فريق من علماء النفس بجامعتى اكسفورد وشيفلد بنشر تقرير عن ابحاث اجروها لمعرفة السبب فى ان الشخص لا يضحك عندما يدغدغ نفسه ! وقد استخلصوا من بحثهم هذا ان الدغدغة ليست بالبساطة التى يتصورها الانسان .

وفى الماضى استرعى نظر العالم البريطانى الكبير تشارلز داروين Charles Darwin ، ان عملية دغدغة الانسان لنفسه لا تكون بنفس الفعالية فى اثارة الضحك مثلما يقوم انسان آخر بعملية الدغدغة لنفس الشخص . ولكن بحوث داروين اقتصرت فى هذا المجال على القيمة البيولوجية للضحك والدغدغة ..

اما ابحاث الفريق الجديد من علماء النفس والذى يتكون من الدكاترة ويسكرانتز Weiskrantz ، ودارلينجتون Darlington ، من جامعة اكسفورد واليوت Elliot من جامعة شيفلد فقد اجريت لتحليل العمليات التى تتم داخل الجسم عند تعرضه للدغدغة مسببة الضحك .

وقد استعان هؤلاء العلماء بفريق من ٣٠ متطوعا اجريت عليهم تجارب عديدة بواسطة آلة ميكانيكية تقوم بدغدغتهم بينما يقوم العلماء بتسجيل ردود الفعل فى كل واحد منهم . وقد اجريت على كل فرد من المتطوعين ٣ تجارب تختلف كل واحدة منها عن الاخرى ، فى التجربة الاولى يستسلم المتطوع لمن تجرى عليه التجربه تماما ولا يقوم بأى عمل . وفى التجربة الثانية يقوم الشخص الذى تجرى عليه التجربة بتحريك جهاز الدغدغة وفى التجربة الثالثة بان يقوم العالم النفسانى بتحريك جهاز الدغدغة بينما

تكون يد المتطوع على يد الجهاز التي تقوم بدغدغته .

وبتحليل نتائج التجارب الثلاثة اتضح ان عملية الدغدغة تكون ذات فعالية كبيرة في اثارة الضحك عندما لا يكون للشخص الذي تجرى عليه التجربة اية علاقة بالدغدغة ، وتقل هذه الفعالية الى درجة كبيرة اذا قام الشخص نفسه بتحريك جهاز الدغدغة ، اما عندما يضع يده على يد الجهاز فان الفعالية تقل ولكن ليس بنفس الدرجة التي تصل اليها عندما يقوم هو فعلاً بادارة الجهاز وتشغيله .

وقد استخلص العلماء المشتركون في التجربة من هذه النتائج ان هناك عاملين رئيسيين يمنعان او يقللان من الضحك عندما يقوم الانسان بدغدغة نفسه .. اولهما أن حركة ذراع الشخص وهو يدغدغ نفسه تؤدي الى نوع من الشعور السلبي تجاه الدغدغة لتجعلها الحركة .. والعامل الثاني هو اشارة الامر التي تصدر من المخ عندما يقرر الشخص ان يبدأ عملية دغدغة نفسه .

ويقول الدكتور وسكرانتز ان هذه النتائج قد لا تكون دقيقة تماما لاحتمال ان يكون بعض من اجريت عليهم التجارب قد قاموا بالفعل ولو قليلا ، دون شعور منهم ، عند تحركهم اثناء اجراء التجارب عليهم وخاصة في حالة وضع يدهم على يد الآلة اثناء دغدغتهم .

ويأمل العالم النفساني البريطاني ان يتمكن هو وفريقه من اجراء تجارب اكثر دقة في القريب لكشف كل اسرار عملية الدغدغة !!



طاقة من اندماج الذرات

● مصدر القوة الذرية الموجودة اليوم في الدول النامية يحدد صورتين (أ) صورة القنبلة الذرية كقنبلة اليورانيوم ، وفيها تنشطر الذرة اليورانيومية التي وزنها الذري ٢٣٥ فتعطي تلك الطاقة الهائلة المدمرة التي ظهرت آثارها اول ما ظهرت في القنبلة التي اسقطها الامريكان على مدينة هوروشيما في الحرب العالمية الثانية ، في اغسطس من عام ١٩٤٥ ، وهدمت ما هدمت من مباني المدينة ، وذهبت بما ذهبت من ارواح الضحايا .

فهذه هي الصورة التي بها انشطار الذرة لا ضابط له ، ولا يتحكم فيه احد .

ثم تلا ذلك (ب) الصورة الاخرى لانشطار الذرة التي فيها نتحكم في سرعة الانشطار ، فيسير على هوادة ، وبغير انفجار ، وبالسرعة التي يعطينا فيها المقدار النافع من الطاقة من غير دمار .

فهذه هي الطاقة النافعة من انشطار الذرية ، ومنها تنتج الكهرباء مثلا .

اما الطريقة الاخرى ، فهي التي تكون من اندماج الذرة Atomic Fusion ، نواة ذرة من الذرات الخفيفة ، مثل ذرة الايدروجين او نظائره ، تندمج باخت لها ، وينتج من هذا الاندماج تفاعل كيماوي تكون حصيلته تجمعات اخرى من البروتونات والنيوترونات (والبروتون والنيوترون منهما تتألف نويات الذرات) ومنها خروج طاقة هائلة ، هي الطاقة التي خرجت عند اطلاق القنبلة الايدروجينية وهي كانت اقوى من القنبلة الذرية ، قنبلة انشطار الذرة ، واقوى كثيرا .

بقي على العلماء ان يهدئوا من هذا التفاعل الاندماجي ، كما هدأوا من التفاعل الانشطاري لليورانيوم .

بعد الطاقة من انشطارها

ان تحقيق هذا سيكون فتحا على الانسانية ليس كمثله فتح ، لان الذرة التي سوف تستخدم للاندماج هي ذرة الايدروجين الثقيل ، وهي التي تتألف نواتها من ذرة واحدة من البروتون ومعها ذرة من النيوترون . وهذا الايدروجين موجود في الماء الذي نشربه وفي ماء الارض جميعا ، وهو ليس من الصعب الحصول عليه كما هو صعب الحصول على اليورانيوم .

ولقد عمل الباحثون سنوات لتهدئة التفاعل ، فما كادوا ان يصلوا .

والخبر الجديد اليوم هو ان العلماء في منطقة لوس الاموس ، وهي المنطقة التي شهدت انتاج القنبلة الذرية في الحرب العالمية الثانية ، انهوا بناء جهاز جديد وهو جهاز يعتمد على ما سبق ان اعتمد عليه العلماء ، وذلك لحصر الذرة المراد ادماجها ، وهي متاشة ، اي متفككة المحتوى ، في شبه زجاجة ، وحصرها في اوسط الزجاجة فهي لا تمس جدرانها . والذي يحبسها تطلق هذا الحيز الذي سمه بالزجاجة نطاق مغناطيسي شديد ، تهرب منه الذرات الى اوسط الزجاجة .

واذ تطلق قوة المجال المغناطيسي عليها لتندمج في اصغر حيز وبذلك ترتفع درجة حرارتها ، حتى اذا بلغت الدرجة العالية المنشودة حصل الاندماج .

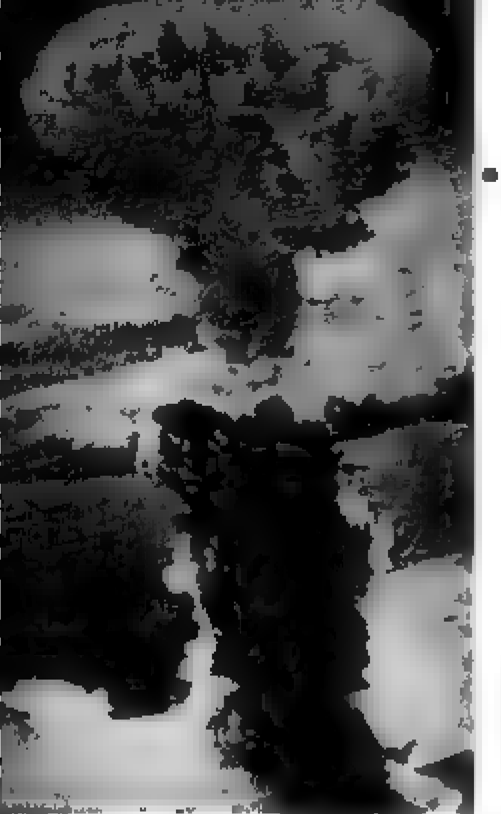
والدرجة المنشودة هي بضع عشرات من الملايين من الدرجات لبعض الذرات ، وهي بضع مئات من الملايين لذرات اخرى .

والطريقة الجديدة في هذا الجهاز الجديد المسمى Scyllac هي تسليط قوة المجال المغناطيسي على الذرات الثابتة (ويسميها العلماء السيرم Serum ، وهو المصل ، كسيرم الدم ، وهو لفظ افرنجي معناه كل ما سال من شيء ، كمصل الدم الابيض وشرش الجبن) بصمت ، ولكن على دفعات ، وبذلك قد يتحقق البلوغ بالمصل تلك الدرجات العالية .

وهو اذا تم هذا ، واندمجت الذرة بالذرة عندها ، اخرجت من الطاقة فوق ما اخذت ، واذن هي تسير نفسها بنفسها ، وتكون كذرة اليورانيوم عندما تنشق .

بدأ العلماء في تشغيل هذا الجهاز ، ولم يذهبوا بعيدا .

وهم يقدرون ، اذا هم نجحوا ، ان لا يصلوا الى استخدام هذه الطاقة الجديدة الهائلة تجاريا ، الا في عام ١٩٦٠ فما بعده . ●●





ابن زيدون

بقلم : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

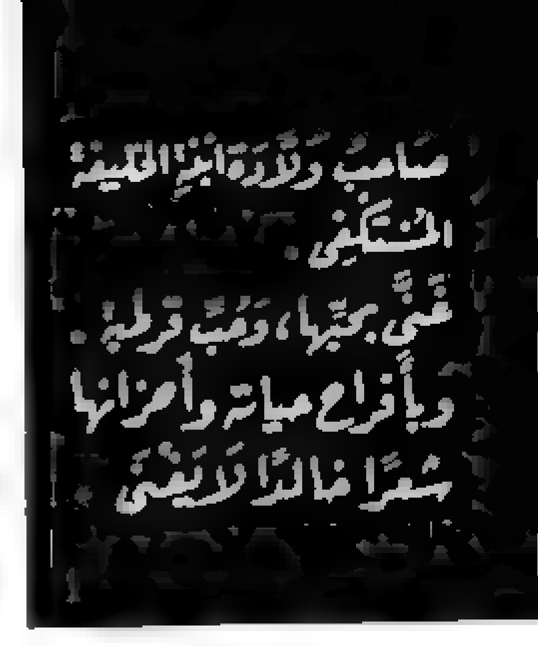
■ ولد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المخزومي في « قرطبة » سنة ٣٩٤ هـ ١٠٠٣ م ، في بيت من بيوت أعيانها وفقهائها ، فأبوه فقيه من سلالة بني مخزوم القرشيين ، التي كان لها شرف في الجاهلية وصلته في الإسلام ، وجده لأمه ، صاحب الأحكام الوزير أبو بكر محمد ، فهو من بيت حسب ونسب ، ولقد احتلت أسرتا الشاعر لأبيه وأمه في المجتمع الأندلسي مركزا جليلا وخطيرا ، فوالده كان ذا جاه عريض ، ومال وضياع ، وله المشورة المحترمة في « قرطبة » ، وجده لأمه تولى القضاء بمدينة « سالم » ثم أحكام الشرطة والسوق في « قرطبة » .

نشأته

نشأ ابن زيدون في مدينة « الرصافة » التي بناها عبدالرحمن بن معاوية « الداخل » ، وسماها بهذا الاسم تشبيها لها برصافة جده هشام في « دمشق » ، وعندما توسم فيه والده القدرة على الانتفاع اهتم به ، وأحضر له الأساتذة والعلماء والفقهاء ، ليلقنوه مبادئ الشعر واللغة ، وقراءة القرآن وكتابة الحساب وتعلم النحو والصرف ، وذلك على الطريقة المتبعة في ذلك الوقت .

غير أن الموت قصف حياة هذا الوالد ، وولده بعد صغير لم يتعد الحادية عشرة من عمره ، فكفله جده وتولى تربيته ، فتتلمذ على أيدي كبار الأساتذة والعلماء ، وأخذ يغترف من بحور العلم ، شأنه في ذلك شأن كل راغب من أبناء « قرطبة » مال إلى التعلم ، واشتاقت نفسه إليه . ولم يرد ابن زيدون أن يفوته ما يلقى في جامعة « قرطبة » الكبيرة من الدروس وضروب التعليم ، فأمها وغذى عقله وروحه كغيره من شباب عصره بألوان المعارف والثقافة ، والعلوم والآداب .

لقد كان بيئة صالحة ، غذاها العلم فأنتجت شمس الشعر ، بقول الشعر وهو في العشرين من عمره . ولقد كان لموت القاضي الفقيه ابن ذكوان أثر كبير في حياة ابن زيدون ، فلقد رثاه بمرثية بليغة على قبره ، فذاع صيته وطارت شهرته في « قرطبة » كلها .



وكان يتمتع الى جانب مواهبه الادبية بأكبر نصيب من الثقة بنفسه ، والاعتداد بمكانته وادبه، والاعتزاز بمواهبه ومعارفه ، في ارفع وابائه ، حتى لكأنما يجري في عروقه دم الملوك ، على انه كان الى جانب ذلك سليم العقيدة صافي النفس .

وقد رافقت الفتنة ابن زيدون من سن الخامسة حتى سن الثالثة والثلاثين ، غير ان تلك الفترة والاحداث التي وقعت لم تكن لتلهيه عن طلب العلم والتدرب على شئون السياسة في نفس الوقت ، وقد اجمع الدارسون لحياته وما مر بها ، ولشعره على انه قد اشترك اشتراكا فعليا في الفتنة التي وقعت في « قرطبة » بل لقد كان من زعمائها ، غير ان اخباره في تلك الفترة يسودها الغموض ، وهذا ما يجعلنا لا نتعرض لها بالرغم من تأثيرها العميق على حياته كلها .

بيد انني استطيع ان اجزم بان ابن زيدون كان يشايع ابن جهور ، ويؤيده في سياسته ، وانه كان الى جانب كفايته ومواهبه من ابرز انصاره ومؤيديه الامر الذي جعل ابن جهور يستوزره ، ويعتمد عليه كل الاعتماد في ادارة شئون المملكة ، ويستعين برأيه وأدبه في صلته بالملوك ومراسلتهم والسفارة اليهم ، وكان توليه الوزارة سنة ٤٢٢ هـ ، وسنه لا تتجاوز الثمانية والعشرين عاما .

ابن زيدون وحبه لولادة

اتصلت حياة ابن زيدون بحياة ولادة بعرى لا تنفصم ، وبرباط قوي لا ينقطع ، وابتدأت معرفته لها وسنه لا تتجاوز الثلاثين .

اما ولادة فهي تنتسب الى اعرق بيت مالك ، فهي درة من درات البيت الأموي ، وتنمي الى عبد الرحمن الناصر اشهر خليفة تولى حكم « الاندلس » من بني امية ، وابوها الخليفة المستكفي بالله . ويجمع المؤرخون على وصف ابيها بالتخلف والضعة والانغماس في الملذات . وفي بيت هذا الخليفة نشأت ولادة ، والغالب الظن انها ابنة سكرى المورورية ، الجارية التي استبدت بالمستكفي . ويظهر ان ابا ولادة اعتنى بها فاحضر لها المعلمين والمؤدبين ، فتفتحت مواهبها كما تتفتح الزهرة . وعندما مات ابوها خلا لها الجو ، فاصبح بيتها قبلة الادباء والشعراء . وكان ابن زيدون من جملة الشعراء الذين يقصدون منتداها الأدبي ، وفي هذا المنتدى توطدت بينهما اواصر الصداقة ، ووقع في شراك حبها .

كانت بيضاء البشرة ذات شعر اشقر وجمال فتان ، بارزة الصدر ، دقيقة الخصر ، ممشوقة القوام ، طويلة العنق ، ذات خال اسود في خدها ، وقد لهج ابن زيدون بوصف جمالها .

معتصر شعر له معصب
من عنبر في خده المذهب

وكانت تجمع الى جانب جمالها الفتان وثقافتها الواسعة ، ذكاء وقادا ، وروحا فنية موهوبة ، وسرعة بديهة ، مع ما امتازت به من الرقة والعذوبة في الحديث ، بحيث تملك سامعها عندما تتحدث اليه ، « وكانت من الادب والظرف وتتميم السمع والطرف بحيث تختلس القلوب والالباب وتعيد الشيب الى اخلاق الشباب » .

لقد احب ابن زيدون ولادة حبا ملك عليه كل حواسه ، وسيطر على جميع مشاعره ، وشغله عن كل شيء ، وانساه كل فجيعة ، فكان لا ينساها حتى في اوقات الخطوب والمحن ، وقد فجر هذا الحب في نفسه ينابيع من الشعور الفياض انسابت فيه قصائده الغرامية ، فجاءت من اروع ما صيغ في الحب من بسمات ومن دموع ، ولكننا لا نستطيع

ان معرفة متى كان اللقاء الاول الذى تطارحا فيه الغرام ، واظهر كل منهما ما فى قلبه للآخر ، وان كنت ارجح ان اللقاء الاول الذى تقابلا فيه منفردين بعيدا عن مجلسها الادبى هو ما جاء فى كتاب « الذخيرة » لابن بسام ، فهو يصف لنا هذا اللقاء على لسان ابن زيدون فيقول : « قال ابو الوليد كنت فى ايام الشباب وغمرة التصابى هائما بفتاة تدعى ولادة ، فلما قدر اللقاء وساعد القضاء ، كتبت الى :

ترقبْ إذا جنَّ الظــلام زيارتــي
فإني رأيت الليل أكتــمُ للســـر
وبي منك ما لو كان بالبدر ما بــدا
وبالشمس لم تطلع وبالليل لم يســر

وذهب فى الموعد المضروب ، وباح كل منهما للآخر بحبه ، وشكا كل منهما ما بقلبه ، « فلما انفصلنا صباحا انشدتها ارتياحا :

ودّع الصبرَ محبٌ ودّعـــك
ذائع من سره ما استودعـــك
يقرع السن على أن لم يكـــن
زاد في تلك الخطا إذ شيعـــك
يا أخا البدر سناء وسنـــا
حفظ الله زمانــا أطلعـــك
إن يطل بعدك ليلي فلكـــم
بتُّ أشكو قصر الليل معـــك

ومرت الايام وهما يتبادلان اهنأ سعادة واجمل عمر ، يتساقيان كؤوس الهوى ، ويجنيان من شهى النعيم ، تغمرهما ظلال الحب ودفؤه .

على ان هذه الايام لم تدم طويلا ـ وهذه هى سنة الحياة ـ ، فحدثت بينهما جفوة ، وانقطعا عن التلاقى ، فكتبت ولادة اليه :

ألا هل لنا من بعد هــذا التفــرق
سبيل فيشكو كل صب بما لقي ؟
وقد كنت أوقات التزاور في الشتا
أبيت على جمر من الشوق محرق
فكيف وقد أمسيت في حال قطعــة
لقد عجل المقدور ما كنت أتقــى
تمر الليالي لا أرى البين ينقضـــي
ولا الصبر من رق التشوق معتقي
سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا
بكل سكوب هاطل الوبل مُغدق

فرد عليها بقوله :

لحـــا الله يوما لست فيـــه بملتـــق
محياك من اجل النـــوى والتفرق
وكيف يطيب العيش دون مسرة ؟
وأي سرور للــكئيب المــؤرّق ؟

ولم تطل مدة الجفاء بينهما ، بل رجعا الى ما كانا عليه ، وعادا الى سابق عهدهما ، بيد ان الجفاء سرعان ما رجع للقيا بينهما ، فلقد حدث فى احدى الامسيات ، وابن زيدون جالس مع ولادة ، وجاريتها عتبة تغنى لهما ، ان طلب ابن زيدون من الجارية ان تعيد له صوتا غنته بدون امر ولادة ، فغاظه ذلك جاريتها ، فغابت الابتسامة من فـــوق شفتيها ، وظهر عليها التجهم ، وقطعت لقاءها شعيعها ، وضربت جاريتها عتبة وكتبت اليه رسالة تقول فيها :

لو كنت تنصف في المــودة بيننــا
لم تهـــو جاريتي ولم تتخيــــر
وتركت غصنا مثمرا بجمالـــه
وجنحت للغصـــن الذي لم يثمـــر
ولقـــد علمتَ بأني بدرُ السمـــا
لكن ولِعتَ لشقوتـي بالمُشتري

الا ان المودة بينهما لم تكن صافية ، بل كان الجفاء يشوبها حتى فى أيام اللقاء ، وانصرفت ولادة

عن ابن زيدون انصرافاً كلياً ، ولم تجد معها الوسائل والطرق التي حاولها ابن زيدون ليعود لسابق عهدهما ، ولم تشفع له رسالته الرقيقة او العصيدة على السواء ، ولعلنا نقول ان غيرتها لم تكن السبب المباشر في جفاء ولادة ، بل هناك سبب آخر قد يكون له اكبر الاثر في هذا الجفاء ، هو انضمام ابن زيدون لحركة الجهاورة وما تركه من اثر سيء في ولادة وهي بنت خليفة اموي .

لقد حدثت القطيعة بين الاثنين ، وسمحت ولادة لحب جديد بالدخول الى حياتها ، ولم يكن هذا الحب الجديد شاعراً مرهفاً ، وانما كان الوزير الخطير ابا عامر بن عبدوس ، ونشأت العداوة بينه وبين ابن زيدون ، وازدادت عنفاً ، وكانت حافزاً لابن زيدون على انشاء رسالته الهزلية المشهورة ، التي تعتبر اكبر مفخرة تفخر به الادب العربي من هذه الناحية ، كما كانت حافزة له على انشاء بعض القصائد التي يهدد فيها ابن عبدوس ويتوعده ويسخر منه .

أثرت هزبر الشّرى إذ ربض
ونبهته إذ هدا فاغتمض
حذارِ حذار فإن الكريـ
ـم إذا سيم خسفاً أبى فامتعض
وإن سكون الشجاع النهو
س ليس بمانعه أن يعض
وإني ألين لمن لان لي
وأترك من رام قسري حرض (١)
وكم حرك العجب من حائن (٢)
فغادرته ما به من حبض (٣)

ولقد دفعه حرصه على الاستئثار بولادة ان يتهمها في وفائها وفي خلقها ، حتى لا يشاركه في اعجابه بها احد، ولا ينال حبها سواه ، فهو يحاول مزاحمه ، ويظهر تبرمه بها واعراضه عنها ، ويود أن يصل اليها هذا التبرم والاعراض ، فتهزها دوافع الغيرة وترجعها اليه ، ويكتب لها كثيراً من القصائد ذاكراً حبه، متشوقاً لايامه السعيدة التي قضاها معها ، ولكنها تصم اذنيها ، وتغلق قلبها ، فقد صممت على عدم الرجوع اليه ، فليكتب رسائلاً ، ولينظم شعراً ، فان كل هذا لن يؤدي الى نتيجة معها .

ولكن ابن زيدون لا يستطيع ان ينساها ، فانها وان اصمت اذنها لكلام العشاق والوشاة ومجيريه ، وتركت قلبه يئن ، فانه سيذكرها دائماً وسيحفظ عهد حبه طالما كان له في الحياة عمر .

لئن قصر اليأس منك الأمل
وحال تجنّبك دون الحيل
وناجاك بالإفك فيَّ الحسو
دُ فأعطيته جهرة ما سأل
وراقك سحر العدا المفترى
وغرك زورهم المفتعل
وأقبلتهم فيَّ وجه القبول
وقابلهم بِشرُكِ المقتبل
فإن ضمام الهوى لن أزا
ل أبقيه حفظاً كما لم تزل

ثم يخبرها بانها اذا استمرت في ملالها عليه سيضطر لوداعها الى غير رجعة ، وهذا الموقف الذي سيتخذه سيكون مكرهاً عليه ، لانها هي التي اصرت على ذلك ، واذا كانت قد سلته فسيحاكيها في سلوانها ، ويقلدها في انصرافها عنه .

عليك السلام سلام الوداع
وداعُ هوىً مات قبل الأجل
وما باختيار تسلّيتُ عنـ
ـك ولكنني مكرهٌ لا بطل
ولم يدر قلبي كيف النزو
ع إلى أن رأى سيرة فامتثل

---

(١) لا يقوى على القيام . (٢) من قرب حينه . (٣) بقية حياة .

وهو الى جانب هذا لن يبوح بما بينهما من اسرار ، وسيحمل في سبيلها ما لا يحتمل ، وسيظل على عهده مهما اشتطت ولادة واستبدت .

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع
سرٌ إذا ذاعت الأسرار لم يذع

يا بائعا حظه مني ولو بذلت
لي الحياة بحظي منه لم أبع

يكفيك أنك إن حملت قلبي ما
لا تستطيع قلوب الناس يستطع

تهْ أحتملْ واستطلْ أصبرْ وعزّ أهُنْ
وولّ أقبلْ وقلْ أسمعْ ومرْ أطع

سجن ابن زيدون

كان المجتمع الاندلسي في عهد ملوك الطوائف يموج بشتى الوان الدسائس ، ويضطرب بمختلف انواع فنون المكائد ، من اثر الانقلاب السياسي واضطراب نظم الحكم ، فالجاسوسية تنتشر في كل مكان ، وتتناول جميع الامور ، حتى الامور الشخصية والاحوال الفردية ، ومن ذلك ما ذكر بعض المؤرخين انه كانت في « قرطبة » جارية تحب فتى من القرشيين ، وكانت تكتم حبها خشية ان ينتشر خبره ، وهذا الامر على تفاهته وصل الى الوزير ابن زيدون ، فلم يحفل به لان الفكر منشغل في هذا الطريق ، وكانت الجارية تقرض الشعر ، فجاشت نفسها بهذا البيت وامتنع عليها ما تريد .

يا معطشي من وصال كنت وارده
هل منك لي غلة إن صحتُ واعطشي

فذهبت الى ابن زيدون ، وطلبت منه ان يزيد على هذا البيت شيئا ، وهي تعتقد انه لا يعلم بامرها ولا بما هي عليه من حب الفتى القرشي ، فامسك بالقلم منتهزا فرصة الرويّ وكتب :

كسوتني من ثياب السقم أسبغها
ظلما وصيرتني لحظا لعيني قُرَشي

حتى إذا اتلفت الأجفان طيب كرى
محا المنام وصاح الليل يا قرشي

لقد خلق حب ابن زيدون لولادة ومكانته لديها اعداء له وحسادا ، كما كانت مكانته عند ابن جهور ، ومنزلته لدى الملوك في سفاراته ، ومركزه العام الذي كان يطغى على مركز كل وزير ، كل هذا كان داعية الحسد ومثير المؤامرات ضده . انه لم يصل الى ما هو فيه من مجد ورفعة الا بثقة ابن جهور فيه ، فليعمل حساده واعداؤه على زعزعة هذه الثقة ، ولكن كيف يصلون الى هذا ؟ وبأي اسلوب ؟ .

ان ابن جهور احس بمكانة ابن زيدون عند الملوك الذين كان يذهب اليهم في سفاراته ، فهم يحتفلون به كل الاحتفال ، ويحسدون ابن جهور على الاختصاص به ويودون لو طال وجوده بينهم ومدّ في سفاراته اياما اخرى ، والواقع ان هؤلاء الملوك على ما كان بينهم من مظاهر الود والمجاملة والمراسلة والسفارات ، كان بعضهم دائما في حالة توجس من بعض ، فقد علمتهم الفتن والاضطراب الا يطمئنوا او يحسنوا الظن باحد ، فهم على حذر دائم ويقظة مستمرة ، وابن جهور لم يكن لتفوته ملاحظة اهتمام ملوك الطوائف بابن زيدون ولكن كان يصرفه عن الاهتمام بذلك الثقة المطلقة بولاء ابن زيدون ، وما كان يسمعه منه من قصائد في الاعتراف بفضله والاخلاص في مودته ، بيد ان الوشاة والحاقدين عليه حينما عملوا عملهم ، واحكموا تدبيرهم ، اصبحت ملاحظات ابن جهور على ابن زيدون بمثابة الشواهد والادلة ، خصوصا ان اعداء ابن زيدون ابلغوا ابن جهور انه يعمل على اعادة ملك الامويين متخذين من قصة حبه لولادة الاموية دليلا يضاف الى الشواهد والادلة الاخرى .

وأخيرا لفقوا له تهمة اغتصاب عقار ، وسيق من أجل هذه التهمة إلى المحاكمة ، وحكم عليه القاضي ابن المكوى بالسجن .

وأغلب الظن أن الأمير ابن جهور كان من الوهن بهذا الاتهام — تهمة اغتصاب العقار — ووجد فيه الفرصة المناسبة للتخلص من ابن زيدون ، فعزل ابن ذكوان من ولاية القضاء ، وهو صديق ابن زيدون ، وولى مكانه ابن المكوى في محرم سنة ٤٣٢هـ ، الذي حكم على ابن زيدون بالسجن على الفور لموجدة قديمة بين الاثنين .

ويقضي الشاعر ما يربو عن خمسمائة يوم سجينا حائرا ، ويستعطف ابن جهور ويناشده العفو ، ولكن كل هذا يذهب دون فائدة .

لقد أثار السجن في نفسيته عاصفة قوية ، أثارها الأمه ، فأخذ يبث أنينا جميلا ، ويفتن في هذه الآلام ، فتارة يصفها ويعبر عنها بالشعر ، وتارة بالنثر ، وكانت نفسه من النفوس المرهفة الإحساس ، الدقيقة الإدراك ، فهي تتأثر بكل شيء وينطبع فيها ما حولها من المباهج والأحزان ، غير أن خواطره في العزة والشمم والفخر كانت تختلط بدموعه ، فيجعل مدحه لابن جهور أو عتابه مدحا لنفسه هو واعتزازا بكبريائه .

ولكن اليأس كان يستبد به أحيانا ، خصوصا بعدما طالت عليه مدة السجن ، فيستسلم للقنوط ويوحي لنفسه بأن هذه هي سنة الحياة ، ويقلب أمامها صفحات الأيام فلا يفزع من الأحداث التي لحقت به ، ولا يرى فيها موضع غرابة أو استنكار فيصبح الزئير الصارخ أنفاسا هادئة ، يشيع فيها الاطمئنان والرضا .

وهكذا يتمازج بين اليأس والرجاء ، والغضب والصبر ، وكأنه في عراك دائم بينه وبين نفسه ، ويرى ذلك واضحا في القصيدة الشهيرة الفياضة بالألم واللوعة والحزن ، والتي بعث بها إلى صديقه الوزير الكاتب أبي حفص بن برد ، والتي جاء ذكرها في قلائد العقيان ومطلعها :

ما على ظنّي بـاسُ
يجرح الدهر ويأسو

ولقد ينجيك إغفا
ل ويرديك احتراس

والمحاذير سهام
والمقادير قياس

وكذا الدهر إذا ما
عز ناس ذل ناس

نلبس الدنيا ولكن
متعة ذاك اللباس

وتعاوده الحيرة ويطالعه الحزن فيقول :

أنا حيران وللأمـ
ـر وضوح والتباس

ما ترى في معشر حا
لوا عن العهد وخاسوا

أذؤب هامت بلحمي
فانتهاش وانتهاس

ثم يعاوده الرضا والأمل :

إن قسا الدهر فللما
ء من الصخر انبجاس

ولئن أمسيت محبو
سا فللغيث احتباس

ثم تعاوده الحسرة من ظل كبريائه وهو الذي كان يرى في نفسه معنى قدسيا يسكن الهم والنجم ويسمو بها على هذا الأفق الظالم المحدود .

فتأمل كيف يغشى
مقلة المجد النعاس

ويُفَتُّ المسك في التُّـــرْ
ب فيوطا ويُـــــــــداس

ولكن الامل يتغلب عليه في النهاية ، فيحاول ان يسلي صديقه :

وأدر ذكريَ كأســـا
ما امتطت كفك كـــاس

واغتنم صفو الليالـــي
إنما العيش اختـــلاس

وعسى أن يسمح الدهـــ
ـــر فقد طال الشِّمـــاس

والواقع ان ظلام السجن والمعاملة التي لقيها فيه قد كسرت من حدته وروضت نفسه على الانكسار ، وألهمته تلك الحكمة في شعره .

ومن سجنه ـ أيضا ـ ارسل الى ابن جهور رسالته الجدية ، يستعطفه فيها ، وارسل معها قصيدة يمدحه فيها ، وذكر في القصيدة انه مكث في السجن خمسمائة يوم .

أتُصبّرُ مِئيّن خمسا من الأيـــا
م ناهيـــك من عذاب أليـــم

فرار ابن زيدون من السجن

لم يلق ابن زيدون من ابن جهور رغم استعطافه له الا الجفاء ، فلم يعف عنه رغم توسلاته التي ذهبت عبثا ، وعز عليه ان تطوى حياته بين جدران السجن ، يعاني من قتامه ظلام الحس والنفس ، فيتحايل على ان يفر ويهرب من هذا الجحيم الذى حكم عليه ان يعيش فيه ، ويفر من السجن في غضون سنة ٤٣٢ هـ ، بعد ان اخفقت وساطته وتوسلاته وليس يستبعد في ان يكون ابو الوليد ابن جهور قد ساعده على الهرب كما زعم بعض المؤرخين ، فقــد كان صديقه ، وكان يزوره في السجن ، ويذهب ابن زيدون الى « اشبيلية » ، ويجد هناك صدرا رحبا ، فقد ادناه المعتضد منه وقربه اليه ، وغمره بعطفه ، بيد ان نفس ابن زيدون كانت متعلقة بموطن هواه ومسرح صباه ، فظلت نفسه تجذبه الى « قرطبة » ، فكتب الى ولادة قصيدته النونية الخالدة :

أضحى التنائي بديلا من تدانينـــا
ونـــاب عن طيب لُقيانا تجافينا

ولم يطق ابن زيدون البقاء بعيدا عن « قرطبة » فعاد اليها ، وظل هائما على وجهه في نواحيها وهو يضطرب ويضيق بين الغبطة والحذر ، وقد تنكر له كل شيء ، فهو يشكو الغربة وما هو بغريب ، ويذنب الاصدقاء الذين تخلوا عنه وما هم ببعيد ؛ ومع كل هذا لا ينسى ولادة ، بل يتضاعف حنينه اليها وحبه لها ، ولا يفتأ يذكرها في كل قصائده باللوعة والحسرة ، ويظهر ان ابن عبدوس قد انتهز فرصة المحنة التي لحقت بابن زيدون ، ـ والتي كان له فيها نصيب ـ ، فشغل بولادة وشغلت هي به ، وهذا امر ما كان يعاني منه ابن زيدون في محنته ، ثم استقر به المقام مختفيا في ضاحية « الزهراء » ، ولم يكن احد يعرف مكانه الا اخلص الناس اليه من اصدقائه ، وهم قليلون بعد محنته فراسلهم ويستشفع بهم لدى ابن جهور ، ومن « الزهراء » ارسل الى ولادة قصيدته العاطفية التي يتشوق فيها الى لقائها ، ويصف لها فرط قلقه ، ويعاتبها على اخلال عهده :

إني ذكرتُكِ بالزهـــراء مشتـــاقا
والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا

وللنسيم اعتلال في أصائلـــه
كأنـــه رقّ لي فاعتـــل إشفاقـــا

العفو

ولم يزل ابن زيدون بأبي الوليد يستشفع به الى ابيه ابن جهور حتى شفع له وعفا عنه ، وظهر ابن زيدون بعد اختفائه ، وتوثقت المودة بين ابن زيدون وابي الوليد ، فيمدحه ويمدح اباه ، ثم لم يلبث ابن جهور ان توفي في سنة ٤٣٥ هـ ، ويتقلد ابنه زمام الامور ، فيتألق نجم ابن زيدون ويرتفع، ويقربه ابو الوليد منه ويعينه للنظر على اهل الذمة.

ازمة اخرى

وفي عام ٤٤٠ هـ نكب بنو ذكوان ، وهي الاسرة التي ينتسب اليها استاذ ابن زيدون القاضي ابو بكر ابن ذكوان ، اثر محاولة بعضهم الوثوب على السلطان في « قرطبة » ، وحامت الشبه بابن زيدون ، فارسل الى ابي الوليد قصيدة يظهر من خلالها قلق الشاعر ، وعدم اطمئنانه لمستقبله ، وينفي فيها عن نفسه الاشتراك ولو من بعيد فيما فعله بنو ذكوان .

ويرسله ابو الوليد سفيرا الى « مالقة » ، فيطيل الثواء هناك ويتقرب من اميرها ، فيعتب عليه ابو الوليد هذا التصرف ، ويعزله عن السفارة بينه وبين امراء « الاندلس » ، ويتهدده ان رجع الى « قرطبة » بعد ان اوغر خصومه صدر ابي الوليد ضده ، فيقصد ابن زيدون « بلنسية » ويستقبله اميرها استقبالا حسنا ، غير انه لا يقيم بها طويلا ، فيتجه الى « بطليوس » في الغرب بعد مدة قضاها في « قرطوش » ، ويلقى من اميرها كل احتفاء ، وفي هذه المدينة ينظم قصيدة تصور صبابته وشوقه ، وحبه وحياته ، فالتنقل والرحيل لم ينسياه او يشغلاه عن هواه ، فهو في حنين دائم ولهف مستمر .

يادمعُ صُبَّ ما شئتَ أن تصوبا
ويا فؤادي آنَ أن تذوبا
إذ الرزايا أصبحتْ ضُروبا
لم أرَ لي في أهلها ضريبا
قد ملأ الشوقُ الحشا ندوبا
في الغرب إذ رحتُ به غريبا
عليلَ دهرٍ سامني تعذيبا
أدنى الضنا إذْ أبعدَ الطبيبا

في اشبيلية

واخيرا استقر به المقام في « اشبيلية » ، بعد ان تأكد برسائل ارسلها الى خواص المعتضد والمعتمد نفسه من انه سينزل على الرحب والسعة ، وقد احتفى به المعتضد احتفاء رائعا ، وولاه الوزارة ولقبه بذي الوزارتين ، وقد بقي ابن زيدون وزيرا للمعتضد حتى توفي سنة ٤٦١ هـ ، وتولى مكانه ابنه المعتمد .

وكان المعتمد شاعرا محبا للادب ، لا يستوزر وزيرا الا ان يكون اديبا شاعرا ، ولقد وثق بابن زيدون ثقة مطلقة تقديرا لادبه وشعره ، بيد ان حساده وعلى راسهم ابن عمار حاولوا الايقاع به لدى المعتمد ، وسعوا في النكاية به ، ولكن المعتمد لم يستمع الوشاة ، ولم يصدق ما قيل في ابن زيدون ، وكان لهذا الصنيع اثره في نفس شاعرنا فمدحه بقصيدة عرض فيها بحساده ووصفهم بالبغاة :

قل للبغاة المبتغين لبيبَهم
ستَرون من تُصميه (١) تلك الأسهمُ
ما كان حلم (محمد) ليحيله
عن عهده دَغِل (٢) الضمير ملمَّم

---

(١) تصميه اصابة قاتلة . (٢) فاسد حاقد .

وتمضي الايام بابن زيدون مفعمة بالمسرة والهناء ، ولا يعكر صفوها الا اطياف حب قديم جاثم في القلب ، ولم تنسه حظوته العظيمة عند المعتمد « قرطبة » او تقلل من شوقه اليها .

الرجوع الى قرطبة

وفي عام ٤٦٢ هـ هاجم ملك « طليطلة » المأمون ابن ذي النون « قرطبة » ، يريد احتلالها ، فاستنجد ابو الوليد بن جهور بالمعتمد ، فبعث اليه جيشا يقوده احد ابنائه ، فانسحب جيش المأمون بينما نزل جيش المعتمد في ضاحية المدينة واخذ يتصل باهالي « قرطبة » محرضا اياهم على الثورة حتى ثاروا على ابي الوليد ، فانتهز الجيش الاشبيلي الفرصة واستولى على « قرطبة » ونودي بالمعتمد ملكا عليها .

والغالب الظن ان ابن زيدون كان يغري المعتمد بالاستيلاء على « قرطبة » ، لان حنينه كان يلح عليه في موطنه ومنبت طفولته ومصدر هواه الذي خرج منه كاسف البال حزين النفس مشردا ، فهو يود ان يرجع اليها عزيز الجانب مرهوب السلطان ، ويضاف الى هذا ما كان يحس اليه من انتقام نزل به في نفسه وفي قرابته نكل به ابي الوليد بن جهور على الرغم مما كان بينه وبينهم من صلات ، فمن الطبيعي ان يعمل على الانتقام منهم .

وهكذا يرجع ابن زيدون الى « قرطبة » سعيد النفس قرير العين برؤية وطنه واهله ، وتقبل الدنيا عليه ويرتفع حظه ، ويبلغ من الحظوة عند المعتمد ما يجعل وزيريه ابن مرتين وابن عمار يسعيان في ابعاده والكيد له ، وتساعدهما الظروف ، فتحدث فتنة في نهاية عام ٤٦٢ هـ في « اشبيلية » ، ويبعث المعتمد من « قرطبة » جيشا جرارا للقضاء على تلك الفتنة في مهدها بقيادة ولده الحاجب سراج الدولة ، ويسول ابن عمار وابن مرتين للمعتمد ارسال ابن زيدون مع الجيش ، املا في ان تنجح مهمة سراج الدولة بدون اراقة دماء لما لابن زيدون من محبة في قلوب اهل « اشبيلية » ، غير ان الواقع لم يكن قصد الوزيرين سوى ابعاد ابن زيدون عن « قرطبة » ليصفو الجو لهما ، وينفردا بالمعتمد خصوصا بعد ان غلبت عليهما شخصية ابن زيدون الكبيرة التي كان يتمتع بها في « قرطبة » .

النهاية

كان ابن زيدون مريضا ، وعلى الرغم من مرضه غادر « قرطبة » بصحبة سراج الدولة وجيشه قاصدين « اشبيلية » ، وترك خلفا له في الوزارة ابنه ابا بكر ، ولكن المتآمرين ظلا يلحان على المعتمد حتى ارسل الابن وراء ابيه ، وكانما اراد القدر ان يشهد الابن موت ابيه ، ويعتني بتشييعه ودفنه في « اشبيلية » .

والواقع ان هذه الرحلة كانت سببا في وفاة ابن زيدون ، اذ كانت حالته الصحية تسوء يوما بعد يوم ، فمات بعيدا عن المدينة التي عشقها واحبها في ١٥ من رجب سنة ٤٦٣ هـ ، وكان لنبأ موته في « قرطبة » رنة اسى ، وحزن اهلها عليه حزنا شديدا .

★ ★ ★

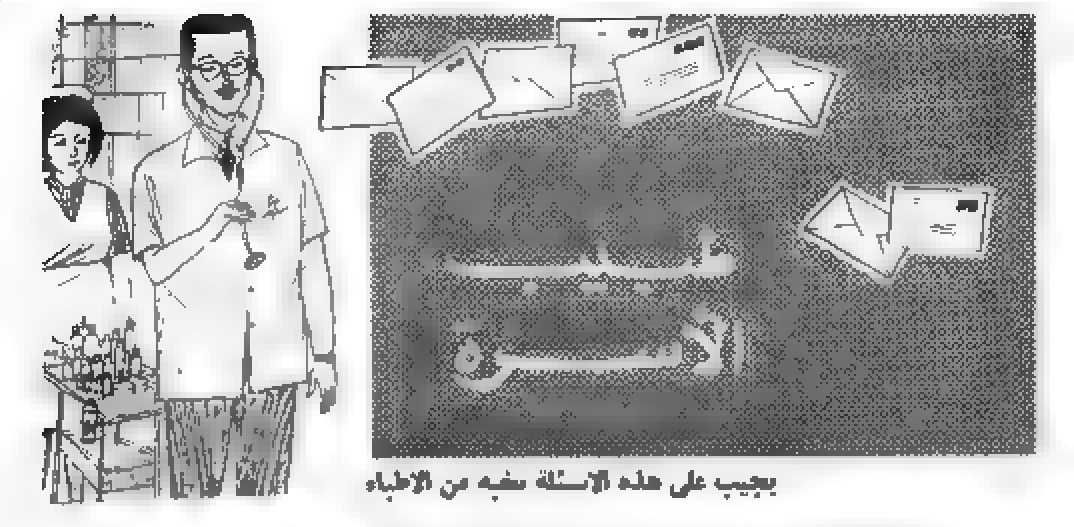
وهكذا تنطوي حياة شاعر ملأ الآفاق شدوا ، وهز المسامع لحنا ، واطرب العواطف غزلا وحبا ، وروع القلوب اسى ودمعا .

تنطوي حياة مجاهد روعته الايام ، وطاردته الخطوب ، وتقاذفته البلاد والممالك ، فلا يستقر به المقام في مكان واحد .

تنطوي حياة في عالم الفناء ، لتبدأ حياة خالدة ، حياة ادب فذ رفيع ، وفن رائع خالد على مر العصور والايام .

■■

محمد رجاء حنفي عبد المتجلي



يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

القشـــور على البشـــرة .. تصاحب الجلد الجاف

● أعاني من قشور في جميع انحاء جسمي، وقد قيل لي انه طفح جلدي، وهو غير مؤلم، ولكنه يشوه الجسم، فما هو هذا المرض وطريقة علاجه ؟

ـ يكون الجسم عادة قشورا خفيفة ودقيقة، ولكن اذا حدث اضطراب في أسرة نتيجة بعض الامراض يزداد هذه القشور زيادة ملحوظة، وقد تكون القشور جافة أو دهنية مختلفة في الشكل والحجم واللون تبعا للمرض، فقد تكون بيضاء او صفراء او فضية او بنية.

ومن الملاحظ دائما ان القشور تصاحب الجلد الجاف، وجفاف الجلد قد يكون وراثيا مثل مرض Ichthyosis حيث يكون الجفاف شديدا والقشور كثيرة، وقد يكون الجفاف مكتسبا نتيجة الضعف العام وسوء تغذية الجلد او ضعف نشاط الغدد الدهنية والعرقية نتيجة اضطراب الهرمونات، او استعمال عقاقير الجارصيني والذهب او اضطراب تمثيل الماء والبروتين في الجسم او جفاف الجلد في الاشخاص المسنين. وتختلف درجة الجفاف والقشور تبعا للمرض المسبب وشدته ففي الضعف العام والهزال نتيجة امراض مزمنة او سوء التغذية تكون القشور سطحية ودقيقة مثل الردة. وعادة تخف حدة الجفاف والقشور تلقائيا في الصيف حيث الحرارة والرطوبة، وتزداد في الشتاء.

وهناك الكثيرات من السيدات تشتكين من هذه القشور التي قد تصحبها بعض الحكة خاصة في المساء، او بعد الحمام، وذلك نتيجة شدة سخونة المياه، وطول فترة الاستحمام مع كثرة استعمال الصابون والاصباغ والعطور بشكل ملحوظ مما يؤدي الى جفاف الجلد وظهور القشور، كما ان استعمال مساحيق الصابون والمذيبات الكيماوية يؤدي كذلك للجفاف.

العلاج. المهم هو علاج السبب الرئيسي، ويلاحظ ان اعطاء فيتامين أ بكميات كافية، وكذلك فيتامين ب المركب، كما ان اعطاء خلاصة الغدة الدرقية بنسبة ضئيلة تؤدي الى تحسن ملحوظ. هذا ويجب الاقلال من استعمال الصابون في الغسيل والحمام.

كذلك استعمال حمامات محلول ملح ٣٪ والجلوس فيها لمدة ربع الى نصف ساعة يوميا، وكذا المراهم المحتوية على الملح بنسبة ١٠٪ تفيد كثيرا لازالة الجفاف والقشور.

ومن الضروري دهن وتدليك الجلد يوميا بالمراهم الملينة المحتوية على اللانولين والزيوت وكذلك الكريمات المرطبة Cold cream ومن المراهم المعروفة طبا Lubriderm Cream وكذلك Mandle Cream وغيرها كثير من مستحضرات التجميل.

القطر مرض معد سريع العدوى

● هناك احمرار في منطقتي بجسمي تحرجني وكلما عالجته طويلا تعاوده الإصابة ولدي بنفس المرض ، والخيري البعض انه فطر ، فما هو هذا المرض وهل هو معد ؟

— انه فعلا مرض فطري معد ينتشر بين الذكور اكثر من الاناث ويسمى Tinea Cruris . وعادة تكون الاصابة به عبارة عن رقعة دائرية تتسلق المنحنى من اعلى من الجسم ، الى عدة بوصات وتتكون الرقعة على المنحنى ويكون لونها محمرا او ذا صبغة بنية، ونجد أن اللون في وسط الرقعة يخف تدريجيا ، ولكنه يزداد عند الطرف حيث يمتد المرض ، وحيث يوجد بعض القشور والبثور الصغيرة ، وقد لا يشكو المريض من اي اعراض سوى هذا الاحمرار المزايد او يكون هناك بعض الحكاك ، ونظرا للاحتكاك والحرارة والعرق فقد يزيد الالتهاب وتزداد الحكة مما يضطر المريض الى سرعة البحث عن علاج ، وتشخيص المرض سهل نظرا لشكله المعروف ولمكانه المحدود ، كما انه يمكن العثور على الفطر

النظر خلال الجزء الاوسط للنظارة الطبية يقضي على الزوغ البصري


● والدي شيخ مسن عمره حوالي ٧٠ سنة ، اصيب بضعف في قوة الإبصار ، وقال الطبيب الاخصائي انه مصاب بالسد (اظلام عدسة العين) واجريت له عمليتان ، وبعدهما اصبح يرى بوضوح بنظارة طبية ، ولكنه يشكو احيانا من اختفاء بعض الاشياء التي حوله عن ناظره ثم عودتها للظهور مرة اخرى ، كما انه يخاف الزوار عبر الابواب ، ارجو توضيح ذلك وهل هناك علاج ؟

— في ظني ان والدك اجريت له عملية استخراج السد مع المحفظة Intracapsular Cataract Extraction والسد هو ما يعرف باسم الماء الابيض، وبعد هذه العملية يحتاج المريض الى نظارة طبية ذات عدسة لامة قوية ، وتحتاج المواءمة Adaptation لهذه النظارات بعض الوقت ، اذ انها تسبب مضايقات شديدة لا تلبث ان تزول باتباع العلامات والارشادات الصحيحة . وما يشكو منه والدك ناتج عما يعرف بالزوغ البصري الدائري للعدسات وفي حالات العدسات اللامة القوية في المخطوطة





في القشور والبثور الموجودة في طرف الرقعه . والمرض يميل الى الازمان والمعاودة نظرا لان المريض يعدي نفسه بنفسه .

العلاج : ان المهم هو المواظبة على استعمال الدهانات حتى بعد اختفاء المرض تماما لبضعة اسابيع حتى لا يتردد المرض ثانية علاوة على تطهير الملابس الداخلية باستمرار ، وكيها واستعمال الصابون المطهر ومنع الاحتكاك الشديد وتجفيف العرق باستمرار .

والدهانات المضادة للفطر كثيرة، ومنها الاستيرول ودهان اليود ودهان جاديت، وقد يحدث بعض التقشير اثناء العلاج فنلجأ الى دهان معتدل او نستعمل بعض الدهانات الملطفة خاصة اذا كان هناك التهاب او حكة شديدة ، كما يمكن استعمال بودرة الستيرول خاصة بعد شفاء المرض كوقاية من عدم تكراره .

المستقيمة تبدو منحنية الى الداخل فاذا تصورنا بابا فان جانبيه الراسيين سوف ينحنيان الى الداخل اى جهة فتحة الباب ، وحاسبه الافقيين ايضا سوف ينحنيان الى الداخل ، وبذا تبدو فرجة الباب ضيقة جدا ظاهريا ، ويعتقد المريض الذي يستعمل هذه النظارات ان مثل هذا الباب لن يسمح له بالمرور خلاله ويخشى الاحساس فيه ، ولذا يتردد او يرفض المرور مرة، ولكن اذا تم تشجيعه ومر من خلاله بسلام مع توضيح السبب ، فانه لن يلبث أن يمر من الابواب بدون خوف ، ايضا يجب أن يتعلم النظر خلال الجزء الاوسط من عدسات النظارات ، وان يحول كل راسه الى الجهة التي يريد النظر اليها ، وليس عيناه فقط. اما من حالة اختفاء المرئيات من امامه فهي حالة ناتجة من الزوغ البصرى المنشورى .

وهذا الزوغ البصرى المنشورى ينشأ عند التطلع خلال الجزء الخارجي للعدسة ذات القوة الكبيرة، ويؤدى هذا الى حدوث حلقة عمياء تشمل الجزء المركزى لميدان النظر وهذه الحلقة العمياء المتحركة ، تتحرك في اتجاه مضاد لحركة العين ، مثلا اذا كان المريض يتحدث الى شخص امامه ثم تطلع المريض الى اليمين خلال الجزء الخارجي لعدسة نظاراته ، فان الشخص الذى كان يتحدث اليه يختفي من ناظره لتحرك هذه الحلقة العمياء الى اليسار كي تشمل المتحدث اليه ، ايضا هذه تسبب مضايقات كثيرة مثل تعثر المريض في الاثاث أو الارض غير المستوية السطح او عند هبوط الدرج فانه قد يعمى عن احدى الدرجات ، ويسقط .

ايضا من عيوب هذه النظارات القوية ظهور الاجسام اكبر من حجمها الطبيعي بنحو الثلث ، والالتباس في تقدير المسافات ، والرؤية المزدوجة .

ويصحح ذلك بالنظر خلال الجزء الاوسط للنظارة الطبية ، وان يلتفت بكل الراس ، وليس بالعينين فقط عند النظر الى احد الجانبين او الى اسفل او اعلى فاذا لم تتحسن حالته يرجى مراجعة الطبيب الاخصائي فربما اشار عليه بلبس عدسات لاصقة او باجراء عملية تركيب العدسة داخل الغرفة الامامية للعين .

■■

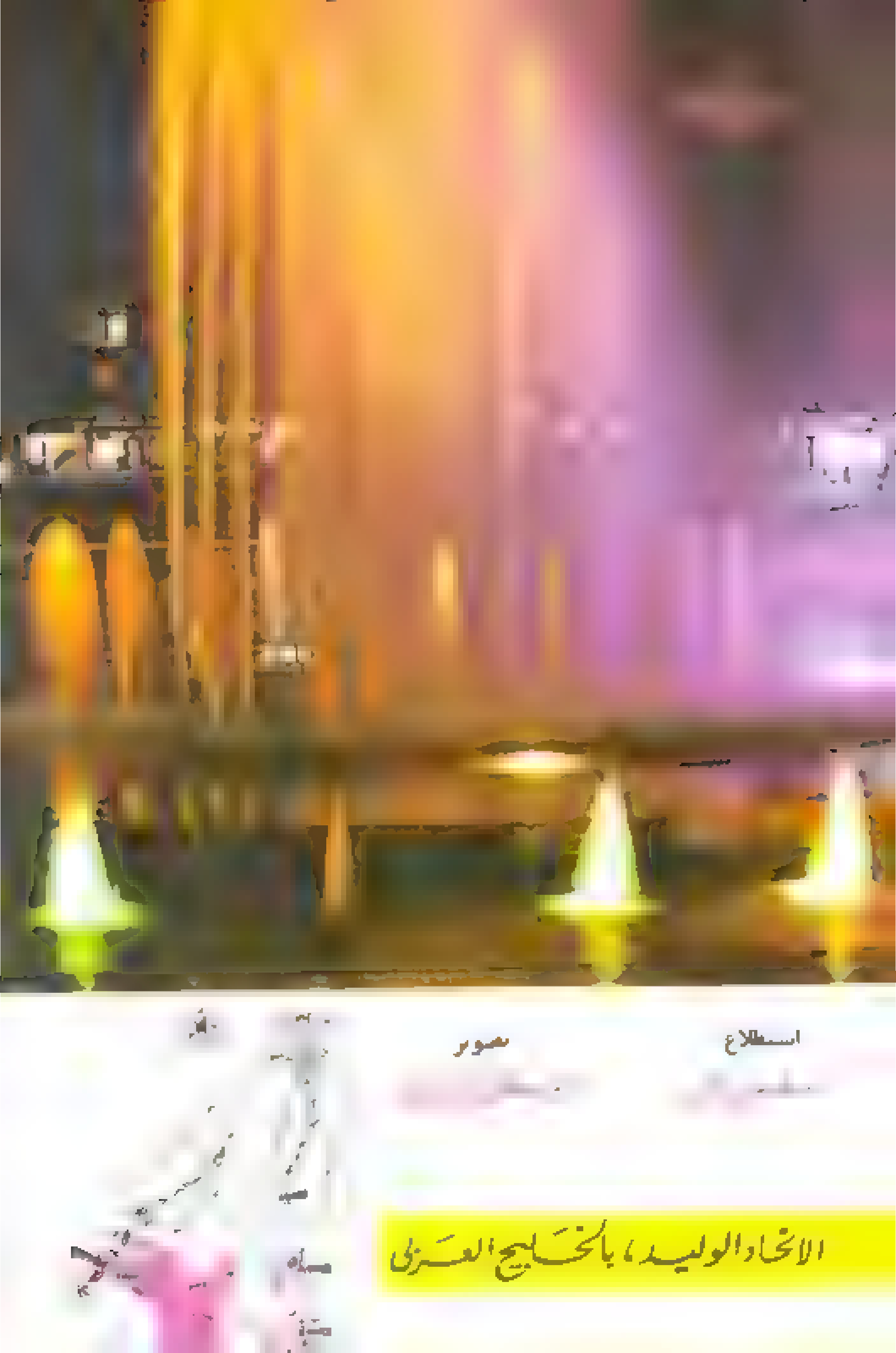


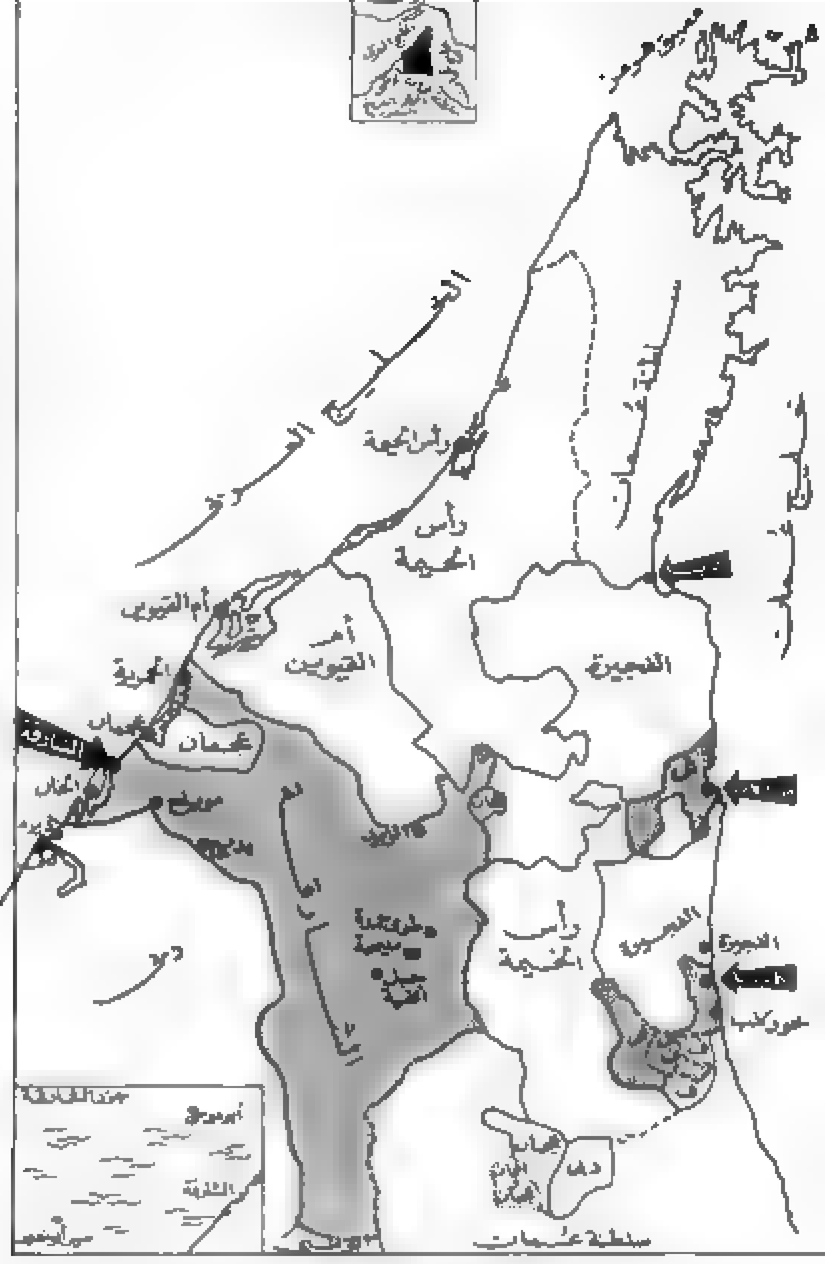
[illegible]
[illegible]
[illegible]
راحة البال على وجوه
المواطنين رغم [illegible]
الحضارة [illegible]
الى الحضارة

[illegible]

الشارقة

صورة من صور الحياة الجديدة في إحدى إمارات


استطلاع
مصور
الاتحاد الوليد، بالخليج العربي

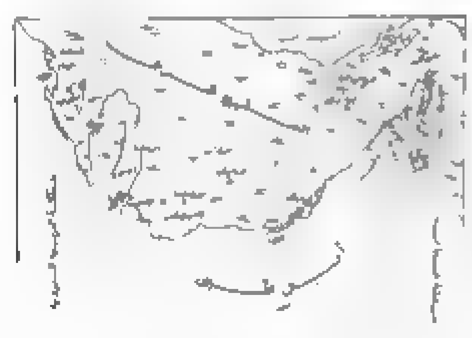


خريطة كبيرة لحدود امارات ساحل عمان قبل قيام الاتحاد السداسي . ويلاحظ التقسيم الغريب فيها وكأنها رقعة شطرنج .. والاجزاء المظللة في الخريطة تمثل امارة الشارقة المقسمة الى اربعة اجزاء جزء يطل على الخليج العربي ، وثلاثة جيوب تطل على خليج عمان ..

■ تسعة حكام لتسع امارات عربية تطل على مياه الخليج اللازوردية اجتمعوا في اوائل سنة ١٩٦٨ ميلادية ووضعوا اتفاقية مولد اتحاد الامارات العربية ..

وظل الناس وصفقوا ، فالوحدة خير من الفرقة ، وانتظر العرب نهاية القصة ، ولكن الاتحاد ظل يدور حول نفسه . وتعاظمت الخلافات واتسعت شقتها .. خلافات على اتفه الاسباب في كل المجالات ..

واقترب الموعد النهائي لجلاء القوات البريطانية ، فهب الحماس ، وتلاحقت الاحداث النهائية فولدت دولة الامارات العربية صبيحة يوم ١٧ يوليو من سنة ١٩٧١ ميلادية ..



وفي خريطة تنشر لدولة الإمارات العربية المتحدة ، المؤلفة من إمارات أبو ظبي ودبي والشارقة وعجمان وأم القيوين والفجيرة ومجموع مساحتها ٣١٥ ميل مربع تقريبا ، أكبر أبو ظبي الجزء الأكبر منها ٢٦٠٠ ميل مربع ويبلغ عدد سكان الدولة الجديدة حوالي ١٥٥٫٥ نسمة (إحصاء ١٩٦٨) . أما إمارة رأس الخيمة التي يحتمل انضمامها للاتحاد ، فمساحتها ٦٥ ميلا مربعا ، وعدد سكانها ٢٤٫٥٠٠ نسمة

البعض كان يفضلها دولة تساعية .. والبعض الآخر كان يريدها سباعية .. ولكنها هكذا جاءت ، دولة سداسية مكونة من أبوظبي ٤٦٫٠٠٠ نسمة) (١) ودبي (٥٩٫٠٠٠ نسمة) والشارقة (٣١٫٠٠٠ نسمة) وعجمان (٤٫٢٠٠ نسمة) وأم القيوين (٣٫٧٠٠ نسمة) والفجيرة (٩٫٧٠٠ نسمة) .

لقد تخلفت ثلاث إمارات عن الاتحاد . رأس الخيمة (٢٤٫٠٠٠ نسمة) اعترضت على دستور

١ - عدد السكان طبقا لإحصاء ١٩٦٨ الرسمي وهنا لا شك فيه أن العدد قد زاد كثيرا اليوم .







منظر جوي رائع لبلدة خورفكان الطبيعي المطل على خليج عمان ؛ انه ميناء المستقبل ، الذي سيكون له شأن كبير .

واحة الذيد .. ارتبطت مع الشارقة بطريق أبو ظبي ... منطقة خصبة بمائها ،

الاتحاد فانسلخت منه .. أما البحرين (٢١٦٫٠٧٨ نسمة) فقد كانت فكرة الاستقلال قد اختمرت في ذهنها فاعلنته في صباح يوم ١٤ أغسطس ١٩٧١ واعترف بها العالم على الفور ودخلت الجامعة العربية والأمم المتحدة وأصبحت دولة مستقلة ..

ولم تتأخر قطر (١٠٠٫٠٠٠ نسمة) عن البحرين كثيرا ، فاعلنت استقلالها هي الأخرى ، ودخلت الجامعة العربية والأمم المتحدة .

وحتى لا يساء فهم هذا الاستقلال لم ينس المسئولون في الدولتين المستقلتين الوليدتين أن يذكرا الناس بتكرار كلمة الاتحاد ، « وكيف انه ضرورة عصرية تحتمها مصلحتنا المشتركة وتقتضيها الروابط العميقة و .. و .. » حتى آخر القصة المعتادة ..

الاستطلاع الثالث

ان امارات الخليج العربي تمر اليوم بفترة انتقالية حاسمة .. ففي مطلع العام القادم – ١٩٧٢ – تسقط المعاهدات الابدية التي عقدتها بريطانيا عام ١٨٢٠ مع مختلف الامارات .. وتنسحب القوات البريطانية من قواعدها في المنطقة ..

والجلاء العسكري البريطاني يعني في الدرجة الأولى الجلاء عن القاعدة البريطانية الضخمة الموجودة في الشارقة منذ عام ١٩٤٠ .

والشارقة هي بلد الاصالة والعراقة .. ففيها عاش القواسم الذين وصلت قوتهم في يوم من الأيام الى درجة جعلتهم يسيطرون على ساحل الخليج العربي كله ويفرضون الضرائب على كل سفينة تمر بمضيق هرمز ..

لقد قصدنا اليها في ثالث زيارة ، قبل مولد الاتحاد بأشهر قليلة ، فقد سبق ان زرناها مرتين واستطلعناها في العددين رقم ٣٠ و ١١٤ من العربي وفي كل مرة تستطلعها تجد شيئا جديدا يستحق التسجيل .

« شبابنا هم ثروتنا الحقيقية .. »

وعندما طرنا اليها في هذه المرة لم نصدق أعيننا .. هل هذه هي الشارقة التي عرفناها .. تغير





تحصد اليوم من حقول الشيخ راشد حاكم ... المزارع ينتشر فيها على نطاق واسع

« مرلى » ساحل عمان ، ابو قريه ذات ... الى ٣ ... التابعة لسلطنة عمان ، والعصي للشارقة ، وستستمر للتجربة ،

فتحمل نقل السكان من حياة البداوة الى حياة القرن العشرين في فترة واحدة .

ولكن قبل ان ينتهي استطلاعنا هذا دعونا نستمع اولا الى حاكم الشارقة وهو يحدثنا عن بلده :

اننا نسير ونهتم بالنهضة التعليمية في بلادنا ، وبشبابنا الجامعي ، وبعثات الطلابية الى جامعات العالم ، و ... بلغ عدد افرادها نحو ٨٠ مبعوثا

ان هؤلاء الشباب هم نواة الشعب ...

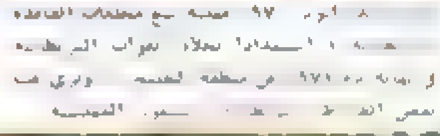
ويستطرد الشيخ خالد بن محمد القاسمي حاكم امارة الشارقة الذي يعمل ١٦ ساعة يوميا « ولكن نشر التعليم وحده لا يمكن ان يؤدي الغرض المرجو منه الا اذا واكبته حياة جديدة متطورة تتناسب مع تفكير المتعلمين والمثقفين الجدد ، وتتجاوب مع طموحهم وتطلعاتهم السعيدة ... ان الواحد منهم لن يعيش ابدا الحياة ثانية ... في العيش ، فهذا امر واهم والتخطيط للمستقبل وليس لليوم فقط ، حتى لا تنسى الاجيال القادمة » .

وينهي الامير الشاب حديثه بقول ماثور لاحد كبار المفكرين يقول فيه : « العقل هو الذي يصنع المدنية ... والمدنية هي التي تصنع العقل » ويعلق الشيخ خالد على هذا بقوله « وهكذا سوف ... الجيل الصاعد من ابناء الشارقة في بيئة متفتحة متطورة ، تسمح لهم بنشر الرخاء والازدهار في مختلف ارجاء الشارقة وساحل عمان ، وفق اسلوب من الحياة جديد » .

وتركنا الشيخ خالد ، مع آماله العريضة التي بدأت تتحقق في اطار هذا الاتحاد الجديد ، الوليد وخرجنا نطوف بارجاء المدينة . شوارع فسيحة طويلة ممتدة ، وعمارات شاهقة مرتفعة ، احتلت مكان المنازل التي شيدت بالطين ، وقادتنا اقدامنا الى القاعدة البريطانية انها تقع في مدخل مدينة الشارقة ، فتمتد امتدادها من ناحية الجنوب الغربي ..

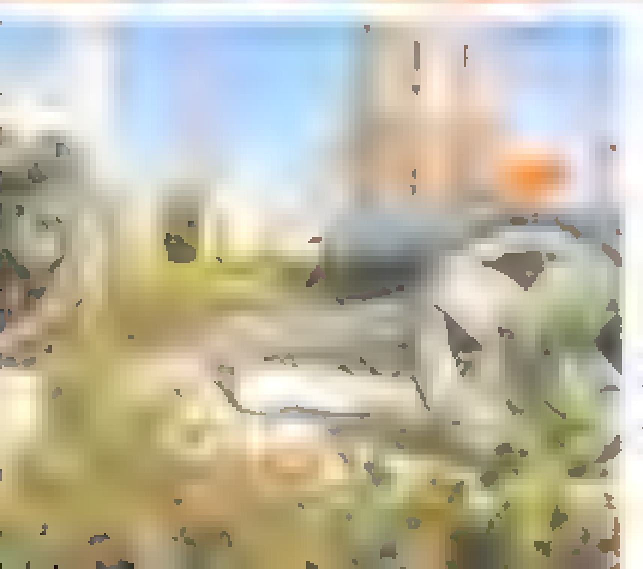
ورقة صغيرة

وحاولنا الدخول الى القاعدة ، فاقتادونا تحت المراقبة الى القائد الاعلى ، الذي رحب بنا وقال مبتسما ببراءة : « لا مانع لدي ابدا من


[illegible] ١٩٧ [illegible] مع مخلفات العاصفة [illegible] [illegible] [illegible] العواصف [illegible] ١٩٧١ في منطقة [illegible] [illegible] بعض [illegible]



الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لاهالي منطقة [illegible] [illegible] [illegible]



الى اليسار [illegible]
[illegible]
[illegible] ١٨٨٢ [illegible]
[illegible]
[illegible]
وهو اليوم قطعة أثرية

تسجيل حضوركم .. لكن لا بد من ورقة صغيرة بالموافقة على التصوير من دار الاعتماد البريطاني . »

وكان الكلام لبقا ولكنه كان بارداً حتى اننا شعرنا بلسعة الحر عندما تركناه وحملنا نشق طريقنا الى مقابلة المعتمد البريطاني .. لكنه « غير موجود » ومشغول جدا بعمليات التنقل والانتقال .. وقابلنا مساعده ، وكان الرد : « سأرسل برقية الى مركز القيادة في البحرين ، ولكنني لا اعتقد بأنهم سيوافقون .. فقد سبق ورفضنا السماح لمندوبي مجلتي لايف وتايم بالدخول الى القاعدة وتصويرها .. لهذا لا اعتقد انهم سيسمحون لكما .. عاودوا الاتصال بنا ثانية على كل حال ! » .

الفولس بن حسون في الشارقة !

وتوجهنا الى فندق سبأ ذي الخمسين غرفة المكيفة الهواء ، وكنا ندفع ١٠٠ ريال – أي عشرة جنيهات استرلينية تقريبا – مقابل النوم في غرفة مستقلة ذات سريرين ، مع الوجبات الثلاث .

وجلسنا في البهو الكبير .. الناس من كل مكان يتحدثون .. ويذيعون كل ما خفي من أسرار .. فليس في الامارات السبع كلها سر مجهول لا يعرف تفاصيله الناس !

وتحركت فينا الحاسة السادسة كما يقولون وبدأنا نرهف السمع .. مجموعات تجلس في كل مكان .. اشخاص جاءوا من اركان العالم الاربعة الى الشارقة يتحدثون الى ابنائها ويتفاوضون معهم .. في مطالب واحاديث غريبة شيقة .. هنا يطالب بحق استغلال القاعدة الضخمة بعد جلاء الانجليز ، ويؤكد كلامه بالعربية والانجليزية قائلا « تفاوضوا معكم سيكون بدرجة اولى First Class » .

« أوه .. حر كثير عندكم .. كيف تطيقون هذا الحر .. لماذا لا تهاجرون من هنا ؟! »

وعلى اريكة كبيرة جلس رجل كبير يتحدث قائلا « سنصنع عقدا خاصا من محلتنا التي تغطي العالم كله ، تتحدث فيه عن الشارقة وسنقلد اسمكم ونجعلكم اشهر من الفولس بن حسون .. ! » .

وسألنا عن الفولس بن حسون عند اهل الذكر ، فلم نجد له اثرا !!

مضاربات بالاراضي !

وفي وسط الرحلة كان احدهم يروى قصته بصوت عال وكيف انه اشترى منذ ثلاث سنوات قطعة ارض في الشارقة بثمن بخس لا يزيد عن ريال للقدم المربع الواحد ، وبعد فترة عرضوا عليه سبعة ريالات للقدم ، ولكنه رفض واصر على عشرة ريالات .. وتمسك بالثمن ، ودارت الدنيا دورتها ، وطار المشتري ، وبقي هو يلطم خديه وجبهته !!

وقد بلغت المضاربات الجنونية بأراضي الشارقة حدا جعل من الضروري انشاء دائرة خاصة بالاراضي .. تمسح الارض وتحددها ، وتحل مشاكل البيع والشراء والتسجيل ، وتصدر سندات الملكية .. وتم تعيين ٢٤ مواطنا يمثلون احياء الشارقة وضواحيها ، وجعلوها لجنة مستقلة للاراضي ، للتخفيف عن دائرة الاراضي والمساحة ، التي تعرضت لضغط هائل لم يتوقعه المسؤولون .. فالجميع يريدون شراء اراض في الشارقة ، والقانون يعطي تسهيلات وضمانات كبيرة للمواطنين العرب .. فكل عربي باستطاعته شراء الارض التي يريدها في الشارقة ..

ونتيجة لهذه التسهيلات بدأت في ١٩٦٩ معركة اتفقوا على تسميتها بـ « معركة الاراضي » العرب في الشارقة يشترون .. ومن شارع الشارقة تعرجات وشيكات كلها اثمان لقطعة ارض في الشارقة ، وقدروا قيمة ما اشتراه العرب بمبلغ ٢٠ مليون ريال تقريبا ، اشتروا بها خلال عام ١٩٦٩ ارضا مساحتها خمسة ملايين قدما مربعا ..

وهكذا ارتفعت اثمان الاراضي في الشارقة من ريال الى سبعة ، ومن ٣٠ الى ١٥٠ ريالا في وسط المدينة (كل ١١ ريالا = جنيها استرلينيا تقريبا) .

وليست كل الاراضي تباع في الشارقة ، انما هناك اراض خاضعة الى قطع مساحتها ١٠ آلاف قدم مربع ، يمنحها حاكم البلاد مجانا للمواطن العربي الذي يريد اقامة عمارة تجارية او سكنية او مشروع صناعي في الشارقة ..

ان ابناء الشارقة بعروبتهم جعلهم يطلقون اسم « العروبة » على الشارع الرئيسي الذي يقطع عاصمتهم .

التسمم .. آت في الشارقة !

وتركنا الفندق الذي يستضيف الدبلوماسيين والوزراء واتجهنا الى مدينة الشارقة ..

يا الله .. هل هذه هي الشارقة ؟ مصابيح كهرباء

.. وفلورسنت ملون يشع من كل مكان .. وسيارات فاخرة تجوب الارض في كل اتجاه .. واضواء مبنى السينما تغمر المكان .. فقرأنا على ضوئها عبارة مكتوبة على لافتة عند مدخل المدينة ، تقول :

« ابتسم انت في الشارقة .. »

وابتسمنا .. وشعرنا بارتياح داخلي عجيب .. فانت هنا تشعر بان الانسان العربي الاصيل مازال موجودا لم يبدله زيف الحضارة بعد .. « ابوابنا .. روحنا .. وصدورنا مفتوحة للاهل والاحباب » .

ومجرد جلوسك مع « الشرقاوي » وتناولك الفوالة ، اي الحلوى التي تقدم قبل القهوة ، من موز وبرتقال ولوز وحلوى مسقطية وشوكولاته وبطيخ ، مجرد تناولك لتلك الفوالة معه يعني انك اصبحت صديقا عزيزا ..

« والشرقاوي » ، هو ابن الشارقة الذي يلقاك محييا مرحبا في كل مكان .

« نعالج النفوس بالنافورات » !

ووقفنا امام نافورة كبيرة رائعة ، تدفق المياه عالية ، فتنعكس عليها الاضواء الملونة المتعددة ..

قال لنا حاكم الشارقة : « انني اشعر بارتياح عندما ارى الناس يقفون امامها ويتطلعون لمائها الراقصة ، لانني عندما اتطلع الى وجوههم المح عليها راحة البال وراحة النفس .. ولهذا انشأنا نافورة في كل ميدان .. اننا نعالج النفوس بالمرايا » .

وتركنا النافورة وانطلقنا في شارع العروبة الرئيسي .. كان طريقا رمليا لا يزيد عرضه عن ١٥ قدما عندما زرنا الشارقة لاول مرة ، فاذا به اليوم طريق معبد عرضه ١٢٠ قدما ، تعبره السيارات في اتجاهين ، وتضيئه المصابيح الكهربائية منذ عام ١٩٦٨ فتقلب ليله الى نهار ..

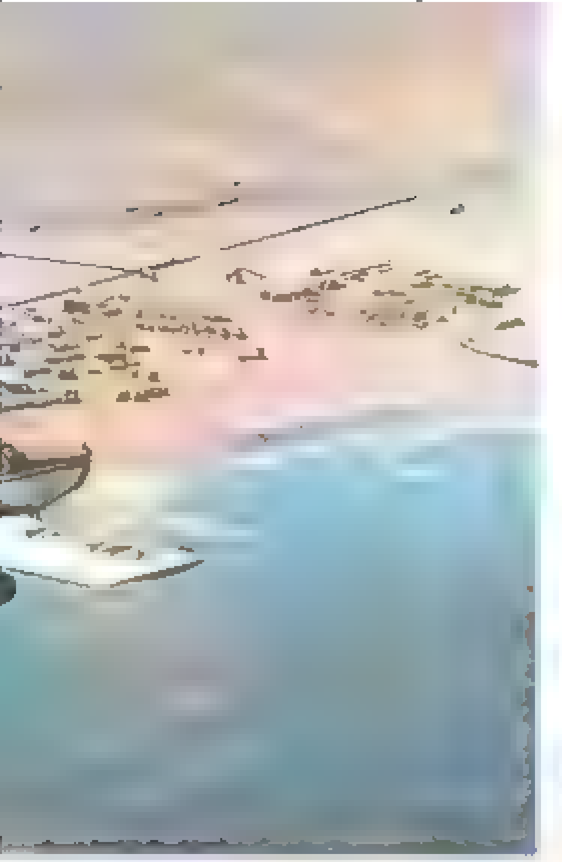
حسرة في غير محلها

ويتحسر بعضهم على ايام زمان .. ايام كانت الجمال والصقور تسرح وتمرح في الشارقة ، فاصبحت اليوم تجفل وتهرب من الطرق المعبدة الساخنة التي تتسابق عليها طوابير السيارات والدراجات ، تنفث الغازات من عادمها في وجه الجمال والجمالين ..

« ان روعة الماضي لن تعود ابدا .. كان كل ما



لاول مرة يوضع قانون للبلدية في يناير ١٩٧١ وله على الرأ مجلس بلدي مكون من ٢٢ شخصا اختيروا من خيرة رجال الشارقة .. لقد قام المجلس باعمال طيبة حتى الآن ، ولكن المطلوب تحمل مسئوليات العمل في جميع اطراف الشارقة بجرأة ودون اكتر





[illegible]

الى اليمن : يعرفون دائما ان دخل البترول هو الذي [illegible] في [illegible] ولكن [illegible] في الشارقة [illegible]

الى [illegible] في الشارقة [illegible] في [illegible] مصنع [illegible] في [illegible] مصنع [illegible] ٣ الآف [illegible]



يعرف الأمر لأنه كنا فيه فأصبحنا اليوم وسط مجتمع واسع من كثير من الأجناس .. » .. وكان روعة الماضي في حرية الصراع بين رجل ورجل دون تدخل الشرطة !

وهذا الكلام قد يكون فيه بعض الصحة ، فمما لا شك فيه أن مجتمع البادية : الثقة والاستقرار ، والمروءة والشهامة ، وحياة رتيبة تحت ظلال خيمة ضيقة .. ولكنه في نفس الوقت مجتمع يعيش دائما تحت رحمة الطبيعة : عاصفة هوجاء تقتلعه، ومطر مدرار يجرفه .. وفترة جفاف تهلكه ..

ويقولون أن تحول السلطة في الشارقة ، من البداوة الى المدنية قد حرم ابن البادية من الكثير من حقه في حكم نفسه .. الا انهم يتناسون أن هذا التحول جعل ابن البادية يتمتع بنصيب من الرخاء والطمأنينة والاستقرار لم يتمتع بها من قبل ..

مخطط لخمسين سنة قادمة

لقد انتبه الشيخ خالد الى أن الشارقة تدخل عصرا جديدا متطورا ، فسارع الى الاتفاق مع شركة عالمية للتخطيط ، أعدت مخططا نموذجيا للمدينة.. وفي نفس الوقت استقدم خبيرا سودانيا اسمه مختار التوم ، لتطوير البلدية ، واختار معه ٢٢ من أعيان البلاد ليصبحوا أعضاء في المجلس البلدي ..

وبدأت عمليات تخطيط واسعة النطاق للمناطق الحديثة والقديمة ، وانتقل العمل من الخرائط الى الشوارع ، فتحولت الشارقة عام ١٩٦٩ الى ورشة عمل هائلة ، وانتهت المرحلة الأولى بظهور طرق معبدة مضاءة . وعلى الأثر بدأت العمارات ترتفع الى عشرة طوابق أنها شارقة الغد التي ستمتد شرقا حتى الحدود مع عجمان ، وجنوبا على طول طريق الذيد ..

وقال لنا الأستاذ مختار التوم خبير البلدية :

« أننا نخطط لخمسين سنة قادمة .. نخطط لسكنى ١٢٠ ألف شخص في مدينة الشارقة فقط .. وتتضح لك ضخامة هذه الأرقام اذا علمت أن عدد سكان الامارة كلها حاليا هو حوالي ٤٠ ألف نسمة فقط !

« ان بلدية الشارقة ، رغم ارتفاع ايراداتها من ٢٠٠ ألف ريال عام ١٩٦٦ الى نحو مليوني ريال في العام الماضي ، وجدت نفسها عاجزة عن تغطية نفقات المشاريع والانشاءات التي تقوم بها ، فأصبحت ميزانيتها بعجز يغطيه حاكم البلاد .. »

الرمال المتحركة تقضي على مركز الشارقة !

ومدينة الشارقة تقع على خور (خليج صغير) مثلها في ذلك مثل بقية مدن ساحل عمان ، وكان هذا الخور مصدر رخائها وامجادها التجارية .. ولكنها بدأت تفقد مركزها التجاري الممتاز عندما تدهور اللؤلؤ الطبيعي عام ١٩٣٠ اثر اختراع اللؤلؤ الصناعي.. الا أن مأساة الشارقة الحقيقية كان سببها الرمال البحرية المتحركة التي سدت مدخل الخور في وجه السفن واللنشات .. ومنذ عام ١٩٥٠ والتفكير يدور دائما حول تنفيذ مشاريع لاعادة فتح الخور .. ولكن شيئا من هذا لم يتم، حتى كان عام ١٩٦٨ عندما وقع حاكم الشارقة خالد بن محمد القاسمي اتفاقية مع شركة عالمية لاعادة الحياة الى الخور ..

وبدأ العمل في الشركة حثيثا متعبا .. فقد



المبنى الجديد لمطار الشارقة الدولي ، سيمتد ويكبر حتى يشمل القاعدة الجوية البريطانية ، بعد الجلاء عنها في نهاية العام.

العام الثاني اكوامًا تهم غوق الرمال التي سدت الخور ، وكان لا بد من تعويضهم واجلائهم عن هذه الرمال ، وعلى الخور بدأت الشركة تزيل عشرات الآلاف الاطنان من الرمال الكثيفة وتسف الصخور القاسية ، وتصب الاسمنت والحديد لعمل مراسي المراكب .. وبعد مرور سنتين من العمل الشاق افتتح خور الشارقة في الشهر الماضي (اكتوبر ١٩٧١) .

ودخلت ١١ سفينة واتشنا حمولة الف طن ترسو لاول مرة على الرصيف بلغت اطوالها ١١٠٠ قدم وعمق مياهها ١٨ قدمًا وقت المد و ١٢ قدمًا وقت الجزر .. انها المرحلة الاولى في اعادة الحياة الى خور الشارقة ، وقد بلغت تكاليفها مليون جنيه استرليني ..

ميناء خالد

والى جانب هذا الخور يمتد ميناء الشارقة الكبير الذي يتسع لرسو سفينتين حمولة كل منهما ١٠ آلاف طن وفي الميناء منطقة حرة للخدمة التابعة لها ، اما البضائع التي تدخل الشارقة فالضريبة عليها بسيطة موحدة بنسبة ٢½ ٪ فقط ..

وفي العام الماضي ١٩٧٠ احتلت مواد البناء المركز الاول في الواردات ، فقد كانت حركة التفريغ في الميناء حسب الارقام الرسمية التالية : ١٧٠ الف طن من الاسمنت ، و ١١٠٠٠ طن من الاخشاب ، و ٢٤٠٠٠ طن من الحديد و ٢٢٠٠٠ طن من الرخام..

ان الشارقة تبني نفسها .. وميناء خالد هو النافذة التي بدأت تطل منها على الخارج ..

الشارقة في سطور

وتتميز الشارقة بموقعها الاستراتيجي الممتاز وسط امارات عُمان السبع..وهي الوحيدة التي لها حدود مشتركة مع كل الامارات بالاضافة الى سلطنة عمان ..

ومساحة الشارقة ٢٦٠٠ كيلو متر مربع ، وهذا يجعلها ثاني اكبر الامارات السبع مساحة ، بعد أبو ظبي .

ويصر المسؤولون على تقدير عدد سكان الشارقة بأكثر من خمسين الف نسمة ، متعللين بأن احصاء ١٩٦٨ لم يكن شاملا للبدو في الامارة ، ولكن هذا الاحصاء يحدد عدد سكان امارة الشارقة بـ ٣١٥٠٠ نسمة ، منهم الثلثان أي ٢٠٦٠٠ يعيشون في العاصمة ، والثلث الباقي وعدده ١٠٩٠٠ نسمة يعيشون في بقية اجزاء الامارة .. ويقدروا عدد القبائل في الشارقة ، بسبعة وعشرين قبيلة ، اكبرها القواسم ..

جيب في الشارقة

وارض الشارقة مقسمة الى اجزاء اربعة متباعدة .. الجزء الرئيسي يطل على مياه الخليج العربي ، وهو سهل منبسط يمتد من الساحل الى الداخل حوالي ٥٠ كيلو مترا .. وعلى هذا الساحل تقع العاصمة الشارقة ، وقرى الحمرية والخان والزبد وغيرها .. وفي وسط هذا الجزء من ارض الشارقة ، تقع امارة عجمان كالجيب الصغير .

المستقبل لخورفكان

واذا كانت عجمان تمثل جيبا على ارض الشارقة المطلة على الخليج العربي ، فان الصورة تنعكس في الضفة الاخرى المطلة على ساحل عمان ، حيث تتحول اراضي الشارقة الى ثلاثة جيوب منفصلة عن بعضها بأراضي تابعة لامارتي الفجيرة ورأس الخيمة (انظر الخريطة) .

واشهر هذه الجيوب : خورفكان .. الميناء الطبيعي الذي لا يعادله ميناء في طول الساحل الممتد من مسقط حتى رأس مسندم ..

انه ميناء المستقبل الذي يتسع لرسو سفن حمولة ٣٠ الف طن ، ظل غائبا في عزلة اضطرارية لعدم وجود طرق توصل اليه ، اما اليوم فقد بدأ الاتصال يتم بالميناء .. ومتى تم تنظيم هذا الميناء ووصله بشبكة طرق معبدة فانه سوف يتفوق تماما على موانئ الخليج ، اذ ستقف عنده السفن الكبيرة وتفرغ بضائعها على ارصفته دون حاجة الى دخولها للخليج العربي ، واضاعة وقتها في رحلة لا داعي لها ..

وخورفكان ليست بلد المستقبل فقط ، ولكنها بلد الماضي كذلك ، فقد جاءها البرتغاليون في منتصف القرن السادس عشر ومثلوا بأهلها اشنع تمثيل كما سبق وذكرناه في استطلاعاتنا السابقة..

برلين خليج عمان !

والى الشمال من خورفكان تقع دبا .. او برلين ساحل عمان ، فهي مقسمة بين ثلاث امارات ، الشارقة وسلطنة عمان ، والفجيرة ، والفاصل بينهما ليس حائطا ، وانما طرق رملية ! وتقع دبا


AP-AWT







٢٠٩٢ طالبة يتلقين تعليمهن في مدارس الشارقة . وتقوم بتعليمهن ١١٦ معلمة ، منهن ٤١ فتاة من الشارقة نفسها . تخرجن كأول دفعة من معهد المعلمات وهن يدرسن وهن حاصلات على الثانوية العامة



تقوم الكويت ببناء اكبر الابراج وستبلغ تكاليفها مليوني ريال .

على خليج يطل ساحر ، ذكره الرحالة بيلجريف في القرن التاسع عشر بقوله « ينافس خليج دبا خليج نابولي بجماله وروعته .. » !

والعجب انت للشارقة هو منطقة كلبا أرض زراعية خصبة للغاية تقع جنوب خورفكان ، ما زال أهلها يزرعون النبع على الاسلوب القديم يستعملون الاسماك سمادا لزراعتهم !

دقيق أو طحين السمك

والسمك في خليج عمان متوفر ، وبكميات خيالية وقد اجرت شركتان : امريكية وكندية عمليات مسح استغرقت ٦ شهور للثروة السمكية في مياه خليج عمان الزاخرة العرارة ، وكانت هذه العمليات ضرورية لمعرفة امكانية نجاح انشاء مصنع لطحن السمك وتحويله الى طحين في قرية خورفكان .

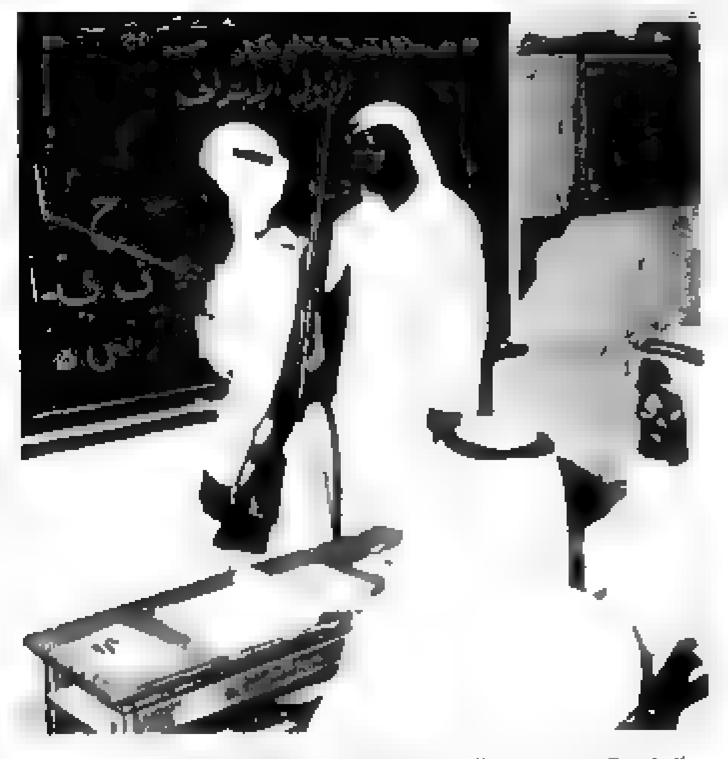
ان هذا المشروع سوف تبلغ تكاليفه عشرة ملايين دولار ، وهو لن يؤثر على الثروة السمكية الهائلة ، حتى لو تم يوميا اصطياد عشرات الالوف من اطنان السمك .. فالاسماك موجودة في مياه خليج عمان بكميات خيالية .. ومما يذكر ان مجموع ما يصطاده الصيادون في الامارات السبع مجتمعة ، لا يزيد عن ٢٠٠٠ طن سنويا فقط !!

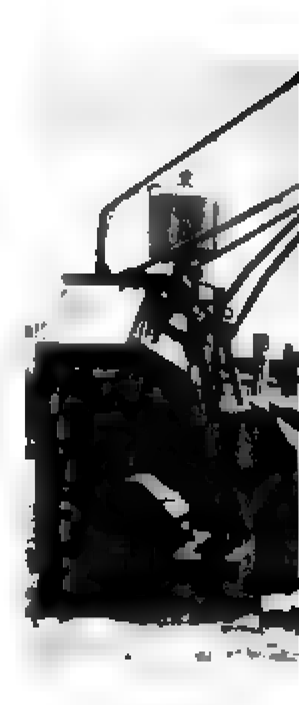
مسلسل قصة النفط

واحتمالات العثور على النفط تحت مياه خليج عمان بعثت تتصدع المواقف بالرغم من ان الشركة المسؤولة لم تحفر بئرا واحدا حتى اليوم في المنطقة ..

والحديث عن النفط في الشارقة مضى عليه .. عاما وهو يثير الشجون والاعصاب .. فلاول مرة ورد فيها اسم النفط كان في عام ١٩٢٢ في عهد الشيخ خالد بن احمد القاسمي ، الذي ارسل خطابا للمقيم البريطاني يخبره فيه ان الشارقة لن تعطي حق التنقيب عن النفط في بلادها الا الشركة التي تختارها بريطانيا ..

وظل كل شيء هادئا حتى عام ١٩٣٥ عندما بدأت الشركات العالمية تتكالب على الشارقة ، الواحدة وراء الاخرى وكأننا نشهد مسلسلا







التعليم للجميع — وفي السنة تفتح المدارس أبوابها ثانية لمن فاتهم سن التعليم ، ونرى هنا مدرس المدرسة المسائية : عيسى عثمان ، يستمع إلى الأستاذ عبد إبراهيم جلال من بعثة البحرين ، وهو ... كبيره

في الخليج ستستمر ٤٧ ... وينتهي العمل فيها في ١٩٧٢

سيما أيا بدأته شركة ارمس ، إحدى فروع الشركة البريطانية الإيرانية للبترول ، بأخذ حق التنقيب عن النفط في كل إمارات الساحل عام ١٩٣٥ ولكنها بعد عام واحد تنازلت عنه لشركة أخرى كانت أكثر حماسا ، فبدأت تدفع لحاكم الشارقة ٨٣٣ روبية ونصف شهريا قبل أن يتفجر البترول ، مطالبة نفسها بأنها ستشتري الطن الواحد من النفط الأول استخراجه بسعر مقطوع قدره ثلاثة روبيات فقط !

ولكن هذا الحماس كان ظاهريا ، إلا لم تهتم الشركة كثيرا بالتنقيب ، وبعد عامين ١٩٣٨ تنازلت شركة ثانية نفط إمارات الخليج عن حقها .. وحفرت الشركة الجديدة بئرا يتيمة عام ١٩٥٨ لم تعط أي نتيجة ، وثارت ثائرة حاكم الشارقة ونحت بالملامة وبسببه تخلت الشركة عن حقوقها في كل إمارات الساحل ، ما عدا أبو ظبي ودبي ..

وحلت شركة ميكوم مكانها عام ١٩٦٠ وبدأت عملية حفر بداخل البحر على مسافة ٣٠ ميلا عن ساحل الشارقة ، فلم يعثروا على النفط .. واتجهوا إلى اليابسة ، فحفروا في منطقة الجزيرة فعثروا على نفط من النوعية الممتازة ، ولكنهم أكدوا بأنه ليس بكميات تجارية .. وانتهت أعمال هذه الشركة بانتهاء امتيازها عام ١٩٦٧ .

الحفرة اليتيمة !

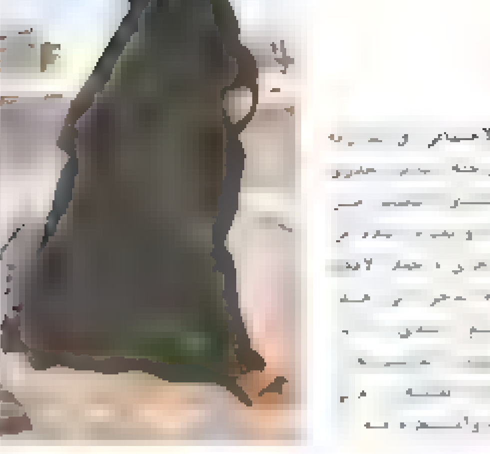
والغريب أن أهل الشارقة جميعا يعتقدون اعتقادا جازما بوجود النفط تحت أراضيهم وإنه لا بد سيرى النور في وقت قريب .

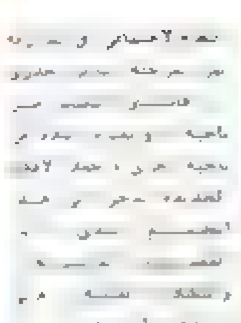
وفي عام ١٩٦٨ جاءت شركات جديدة الأرت ضجة حولها ، عندما بدأت تتحدث عن الأساليب المتطورة الحديثة والآلات الالكترونية التي ستمكنها من التنقيب والكشف عن النفط قبل نهاية عام ١٩٧١ .

وشعر أهل الشارقة بفرحة داخلية عارمة .. كيف لا والازدهار النفطي الذي طالما انتظروه أصبح على الأبواب !

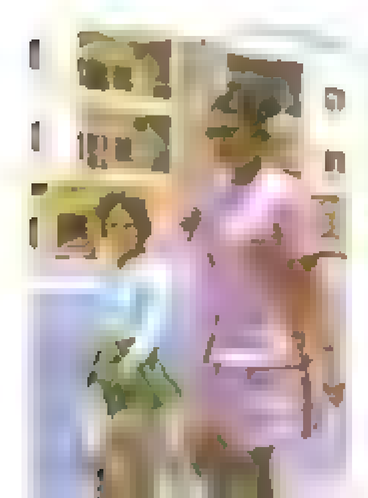
وبدأوا يتصرفون في بعض أمورهم وكأن النفط قد تدفق من تحت أراضيهم .. ولكن سرعان











ما ارتسمت خيبة الامل على الوجوه .. الا تمخض الجبل الكبير عن فأر صغير .. فالحفارة التي تمتلكها الشركة ذات الاجهزة الالكترونية – ! – ثبت انها حفارة لا تستطيع الانطلاق الى اكثر من ١١ الف قدم تحت سطح الارض ، بينما مكامن النفط موجودة حسب قول الجيولوجيين على عمق ١٥ الف قدم !!

ليس هذا فحسب ، وانما توقفت الشركة عن الحفر في الشارقة بعد البئر الاول ، وانتقلت الحفارة اليتيمة لتبحث عن النفط في ام القيوين وراس الخيمة .. انها حفارة واحدة خصصوها لتبحث عن النفط في ثلاث امارات ، في حين ان نفس الشركة تستعمل ١١ حفارة للتنقيب عن النفط في سلطنة عُمان .. مثلا !!

اما قصة البحث عن النفط تحت مياه الشارقة فهي اكثر اثارة والما من قصة النفط تحت اليابسة.

واحتمالات وجود النفط تحت مياه الخليج العربي ، احتمالات قوية ومشجعة للغاية وخاصة حول جزيرة ابو موسى .. تلك القطعة العزيزة على قلب ابناء الشارقة وقلب كل عربي ، انها جزء لا يتجزأ من تراب الشارقة ، ولم تبدأ شركة النفط البحرية في عملياتها حول الجزيرة الا بعد ان حصلت على خطابين من وزارة الخارجية البريطانية في شهري ١٠ و١١ من عام ١٩٧٠ تؤكد فيهما ان جزيرة ابو موسى تابعة للشارقة ، ولا سيادة لاحد عليها الا الشارقة .

وانطلقت الشركة وبدأت تستعد للحفر ، ولكنها اصطدمت بشركة اخرى حصلت من امارتي ام القيوين (٣٧٠٠ نسمة) وعجمان (١٢٠٠ نسمة) على امتياز التنقيب عن النفط في ابو موسى ومياهها باعتبارها تابعة لهما !!

وانتقلت المشكلة برمتها الى محاكم الولايات المتحدة وصدر الحكم لصالح شركة الشارقة البحرية ، ولكن الشركة الاخرى استأنفت الحكم ، وهو الآن معروض امام المحاكم العليا في الولايات لابداء الرأي النهائي فيه !!

قصة او مأساة عربية تؤكد لنا مدى اهمية قيام اتحاد الامارات ليقضي على مثل هذه النزعات الفردية الضيقة التي تصيب المنطقة بأفدح الاضرار !!

اكبر قاعدة صيانة

وقبل سفرنا بيوم واحد جاءت موافقة قيادة البحرين على السماح لنا بتصوير صورة يتيمة لمخلفات الجيش البريطاني .

ودخلنا القاعدة .. انها مدينة كاملة متكاملة ، وليست بقاعدة .. فيها ١٢٠٠ منزل كلها مكيفة الهواء،تتسع لسكنى اكثر من خمسة الاف نسمة ومحطة كهربائية خاصة تعادل قوتها قوة محطتي الشارقة ودبي مجتمعتين ! و ٢٠٠ خط تليفون داخلي .. وخزانات ماء هائلة تتسع لمليون و ٨٠٠ الف جالون .. ومستشفى كبير يتسع لخمسين سريرا تعالج فيه كل الامراض .. وناد انيق جميل يضم حوضا للسباحة ومطاعم وملاعب .. كل هذا الى جانب مدرج الطائرات الهائل ، ورادار يعمل ليل نهار ، وورشة صيانة حديثة لمختلف انواع الطائرات ، تضم معدات قيمتها اكثر من ستة ملايين جنيه استرليني . تجرى حاليا – بتكتم شديد – مفاوضات بشأنها بين حكومة الشارقة وشركة طيران مدنية عالمية لتحويلها الى مطار مدني كبير حديث ، يضم اكبر ورشة صيانة للطائرات المدنية والحربية في الشرق الاوسط .

كما تجرى مفاوضات مع شركات الطيران العربية والعالمية لعقد اتفاقيات تسمح بمد خطوط طيران مباشرة الى الشارقة ..

كلمات في الطريق

وانفتاح الشارقة لم يقتصر على الجو والبحر ، وانما امتد الى البر ، اذ يجرى حاليا شق طريق يربط سلطنة عمان بالشارقة،مارا بساحل الباطنة عبر وادي حام الى مسافي والذيد والشارقة .. والانتهاء من شق هذا الطريق الحيوي الهام سيجعل من الشارقة نقطة التقاء شبكات الطرق الكبرى في ساحل عمان ..

اخوة ابناء الخليج

وعندما بدأوا في اطلاق الاسماء على الشوارع، كان اسم الكويت في مقدمة الاسماء ، وفي هذا قال لنا حاكم الشارقة « ان هذه التسمية هي اعتراف منا بمجهود الكويت الرائع في المنطقة .. فقد ادت الكويت دورا مشرفا في بلادنا .. فهي التي وضعت اللبنة الاولى للتعليم في بلادنا .. وهي التي ساعدتنا وما تزال تساعدنا من ناحية الصحة .. »

واتجهنا الى الشيخ بدر محمد احمد الصباح



مدير مكتب الكويت في الامارات ، سألناه عن دور الكويت في المنطقة .. ولكن جوابه معونات الى ... في منزله الانيق ، اتحفنا خلالها الا شيئا .. ولكننا خرجنا اكثر ما نكون جوعا .. جوعا من ناحية المعلومات والبيانات ، اذ اكتفى الشيخ بدر بالقول : « نحن هنا بين اخواننا ... اخوة ابناء الخليج بكل معانيها .. والذي يدور بين الاخ واخيه شيء خاص ليس للنشر ابدا .. »

سن القبول ٧ سنوات للتخفيف على المدارس

واتجهنا الى دائرة التعليم في الشارقة .. دائرة حديثة يترأسها شاب خريج من ابناء الشارقة ، جلسنا نستمع اليه فوجدناه يتدفق حيوية ونشاطا واملا كبيرا .. انه الشاب عبد الله عمران الذي بدا حديثه بقوله :

« الاقبال على التعليم في الشارقة فاق كل التقديرات ، وللتخفيف من حدة هذا الاقبال ، رفعنا سن القبول الى ٧ سنوات بدلا من ست .. ان عندنا ستة الاف طالب وطالبة يتعلمون في مدارس الشارقة ، وعندنا في نفس الوقت اربعة الاف طالب وطالبة في حاجة الى مدارس جديدة تستطيع ايواءهم »

ويستطرد عبد الله عمران قائلا :

« حتى الكبار اصابتهم عدوى التعليم ، فلقد فتح لهم حاكم البلاد مدارس ليلية على نفقته ، هي الاولى من نوعها في ساحل عمان ، يتعلم فيها اليوم ١٨٠ امرأة و ٢٧٠ رجلا .. كما فتح مدارس لتعليم ابناء مناطق الذيد والحمرية ودبا وخورفكان وجزيرة ابو موسى ..

« اما الكويت فقد شيدت حتى اليوم تسع مدارس في الشارقة بين ثانوية ومتوسطة وابتدائية ، وتقوم حاليا ببناء اكبر ثانوية للبنين تكاليفها مليونا ريال لتضم ٤٧ فصلا ، وسينتهي بناؤها في اوائل عام ١٩٧٢ » .

ويضيف رئيس دائرة تعليم الشارقة حديثه بقوله :

— ولدينا حاليا بعثات معلمين عرب يتولون التدريس على نفقة حكوماتهم .. لدينا ١٥٠ مدرسا من الكويت و ٣٦ من جمهورية مصر العربية و ٢١ من ابو ظبي و ١٢ من قطر و ٦ من البحرين و ٥ مدرسين من المملكة العربية السعودية .. »

٧ آلاف قضية في السنة

والذي يثير العجب في الشارقة هو انها تبني نفسها رغم انعدام الامكانيات المادية تقريبا ..

« حقيقة ان النفط لم يظهر في بلادنا بعد ، ولكننا لا نتحسر ، وانما نعد العدة لاستقباله عندما يتفجر .. »

وانطلاقا من مبدأ مشاركة الشعب في مسئولية ادارة البلد انشأ الحاكم ١٢ دائرة حكومية ، وزع عليها مختلف الاختصاصات ، وبدأت بعض هذه الدوائر تعطي نتائج ايجابية ملموسة ، مثل دوائر الاراضي والمساحة ، والبلدية ، والمعارف ودائرة العدل ، فقديما كان الحاكم يجلس بنفسه يستمع الى شكاوى الناس ويفصل فيها .. اما اليوم فقد اصبح في الشارقة جهاز قضائي متكامل : محاكم شرعية ومحاكم مدنية ، ومحكمة استئناف ، ونيابة عامة .. واعترفت بريطانيا بهذه المحاكم فنقلت اليها اختصاصات محاكم الاجانب التي كانت تتولاها ..

وفي عام ١٩٧٠ بلغ عدد القضايا التي تم الفصل فيها في محاكم الشارقة اكثر من سبعة الاف قضية حقوقية وجزائية وشرعية !

تغيير في اسلوب الحياة

لقد تعبنا هذا الحاكم ولكنه متفائل كبير .. صنع عملا رائعا .. نحت مدينة كاملة .. اعطاها كل ما في قلبه ووجدانه من حب وجهد وتضحية .. وابناؤه يعمل صباحا ومساء ، يحاول استخراج اقصى ما يمكن من اقل ما يمكن . وفي يوم الجمعة عندما يستريح الناس يفتح الشيخ خالد ابوابه لاستقبالهم والحديث معهم في مجلس شورى مفتوح ..

ان الذي يحدث اليوم في الشارقة شيء فريد .. كفة النجاح فيه راجحة على كفة الجمود ..

والتغيير ليس في المبنى والمكان ، بقدر ما هو في الانسان في اتجاهه .. في عمله .. في اسلوب حياته .. تغيير سيجعل من الشارقة جوهرة في جبين دولة الامارات المتحدة الوليدة .. ■■

سليم زبال

الأصل في تعليم العرب.. أن يكون

بقلم : الدكتور عزة مريدن
عميد كلية الطب السابق بدمشق

■ الضجة التي قامت في بعض البلاد العربية وتقوم ، حول تعريب التعليم ، بين المفكرين المصلحين ، وبين العلماء والمسؤولين ، ليست الاولى من نوعها ، فلقد سبقتها ضجة مماثلة او اشد حماسة في أيام الوحدة بين سورية ومصر ، انتهت الى قرار تعليم الطب والعلوم الاخرى باللغة العربية ، حتى جاء في المادة الثامنة من القانون (١٨٤) المتضمن تنظيم جامعات الجمهورية العربية المتحدة ما يلي : اللغة العربية هي لغة التعليم ، ما لم يقرر مجلس الجامعة، في احوال خاصة ، استعمال لغة اخرى ، على ان الاستدراك الاخير ، لا يعني اكثر من الالحاح على ضرورة معرفة اللغات الاجنبية ، والا فان الاصل في تلك المادة ، أن يكون التعليم باللغة العربية ، لغة البلاد الاصلية ، التي كانت ومازالت من أقوى لغات العالم، في قدرتها على النحت والاشتقاق والتعريب والتعريف .

ولقد طلب الي وقتئذ ـ وكنت عميدا لكلية الطب بجامعة دمشق ـ ان احاضر من نتائج التجربة التي عانيناها في تعليم الطب باللغة العربية ، منذ تأسيس كلية الطب حتى ذلك اليوم ، فلبيت الطلب ، وحاضرت على مدرج دار الحكمة بالقاهرة ، مثبتا بالحجج والبراهين الدامغة ، نجاح هذه التجربة ، واوردت في محاضرتي ما يهم المعارضين ، وما يوضح أن لغتنا الحبيبة ، قادرة على الاضطلاع بأعباء التعليم الطبي والعلوم الاخرى .

وقد زعم احد المعارضين وقتئذ ان سبب التعليم باللغة العربية في غير بلاد العرب ، يوم كانت الدنيا كلها تتغنى فيه بقوة العرب وامجادهم وبطولاتهم ، يكمن في قوة الفتوحات العربية آنذاك ، وان القوة وحدها هي السبب الاول والاخير ، في نشر التعليم بلغة العرب ، في البلاد التي استولوا عليها أيام فتوحاتهم ، ولقد

بالعربيَّة

رددت هذا الزعم ، واجبت المعارض بأن هذه الحجة التي ظنها الى جانبه ، كانت في الواقع حجة عليه ، فهل كان يريدنا ان نعتقد ان القوة ايامها ، هي التي كانت السبب في تعليم الطب والعلوم الاخرى باللغة الانكليزية في البلاد المصرية ؟ ولقد شهد فوري آنئذ علماء ولغويون فطاحل ، من اساتذة كلية الطب وغيرهم كانوا من شهود المحاضرة ، مؤيدين ما ذهبت اليه .

ولقد اثبت آنئذ ، ان كثيرا من علماء عصرنا الذهبي ، ممن لم يكونوا في الاصل عربا ، قد اختاروا اللغة العربية للتعبير والتأليف ، والتعلم والتعليم ، لما تبين لهم من قدرتها على حسن الاداء ، وغناها بالمفردات والصيغ والاوزان ، وتمكنها من متابعة التيار الحضاري والعلمي من نواحيه كافة ، ولما كنت من الذين حملوا لواء الدفاع عن تعليم الطب والعلوم الاخرى باللغة العربية ، مستندا الى ماضي العرب المجيد ، حيثما كانت العلوم كلها ، تدرس باللغة العربية ، والى النجاح الذي لاقته هذه التجربة في جامعة دمشق ، منذ نصف قرن حتى اليوم ، أحببت ان ادلي بدلوي بين الدلاء ، ذاكرا ما اعتقد بصواب منطقه وقوة حجته .

في مؤتمر الادباء العرب الثاني المنعقد في لبنان في شهر ايلول من عام ١٩٥٦ ، قال عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين : لقد اثبتت اللغة العربية انها لغة طامحة مرنة ، تسيغ وتهضم كل ما تستطيع ان تلقاه امامها من انواع البحث والعلم والحضارة على اختلاف فروعها ، فكل ما كتبه اليونان والرومان ، اساغته اللغة العربية ، وحولته الى ثقافة واحدة .

ويقول العالم (تارو) : لقد كانت العلوم اول نشأتها يونانية ، فارسية ، هندية ، فاقتبسها العرب وترجموا جميع ما وقعت عليه ايديهم الى اللغة العربية ، وطبعوها بطابعهم ، واضافوا اليها الكثير من مبتكراتهم وآرائهم ، ولما استيقظ الغرب ، انتقلت هذه العلوم من اللغة العربية على يد التراجمة آنئذ .

ويقول العالم (لوكلرك) لم يكد ينقضي القرن الثامن حتى كان العرب قد ملكوا جميع علوم اليونانيين ، وحتى اضافوا اليها الكثير مما ابتكروه او نقحوه او حددوه ، وحتى اجتمع لهم في خزانة قرطبة وحدها ، زهاء (٦٠٠ الف) مجلد ، في مختلف العلوم والفنون ، واللغة والآداب ، فليت شعري كيف استطاع العرب وقتئذ ان يملكوا جميع العلوم اليونانية ؟ والى اي لغة ترجموها ان لم تكن اللغة العربية ، وكيف امتلأت بطون هذه الكتب بالعلم ومصطلحاته ؟

وكيف كان يعبر اساطين الكيمياء والرياضيات والطب والجبر والفلك عن بحوثهم وآرائهم ، وهل عجزت اللغة العربية من نقل جميع المصطلحات العلمية او وضع مصطلحات جديدة او نحتها او تعريبها .

ويقول السير (ويليام اوسلر) : لئن ضاع معظم اصول العلوم اليونانية ، فان العرب قد حفظوها ثم مالبثوا ان جودوها وزادوا عليها ، ثم انتقلت منهم الى البلاد العربية .

ويقول (سارطون) : انه لعمل عظيم جدا ان ينقل العرب علوم اليونان وعلمتهم ، وان يزيدوا عليها حتى اوصلوها الى درجة مرموقة من النمو والارتقاء .

ويقول (سيديو) : ان العرب كانوا اساتذة اوربا كلها في جميع فروع المعرفة ، لقد انتشرت علومهم في مصر وسورية ابان الحروب الصليبية ، كما انتشرت من صقلية ونورماندیا وجنوبي ايطاليا في عهد بني الاغلب ، وانتشرت من الاندلس ، وهي اكبر مركز للتصدير ، بواسطة التراجمة والرواد الذين اموها من بلاد الغرب ينهلون العلم من منابعه الثرة الدافقة ، في ظلال الحكم العربي السمح ، والمع هؤلاء الرواد (جربر) المولود في (اوفرنيا) والذى رقي فيما بعد ، لرتبة البابوية باسم (سلفستر الثاني) وذلك لطول باعه في العلم الذى اخذه عن العرب في الاندلس ، وهو الذى نقل الارقام العربية الى اوربا وسهل بذلك علم الحساب والجبر والفلك .

وكانت طليطلة واشبيلية وقرطبة وغرناطة ، منائر تتألق بالعلم في عصور الحكم العربي ، وحينما سقط الفردوس المفقود ، كلف اسقف طليطلة ، بجمع العلماء في قصر الزهراء ، لترجمة الكتب العربية ، تمهيدا لتدريسها والافادة منها ، فقد نقل (ليونارد) كتب الجبر والطبيعة ، وامر (روجه الاول) في صقلية ان تكون كتب الادريسي المرجع العلمي المعتمد ، وحينما افل نجم العرب عن صقلية وحكمها النورمانديون ، وجدوا ان لا مناص لهم من تعلم اللغة العربية ، وقربوا العلماء العرب للانتفاع بهم ، وحافظوا على آثارهم ، ودعا حاكم صقلية عندئذ (روجه الثاني) الشريف الادريسي هذا ، للتاليف في الفلك ، فوضع له كتابه الشهير : (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ، وحث الامبراطور (فردريك الثاني) على دراسة علوم العرب ، حتى كان ابناء الفيلسوف (ابن رشد) يقيمون في بلاط الامبراطور ، ليعلموه دروس النبات والحيوان . ولم تذكر المراجع التاريخية شيئا عن اللغة التي كانت تلقى بها هذه الدروس ، ولكن المسألة لاتعدو ان تكون احد امرين ، فاما ان تكون هذه الدروس قد اعطيت باللغة العربية ، وهذه مناسبة قوية للتدليل على فضل لغتنا الحبيبة واضطرار الغربيين لتعلمها ، ليستطيعوا دراسة العلوم العربية واما ان تكون قد اعطيت باللغة الاجنبية ، وهذا دليل آخر ، على أن اللغة العربية مرنة كريمة معطاء تأخذ وتمنح وتطور ، ولا تعجز من نقل ما فيها الى لغات غيرها ، كما لم تعجز من قبل عن نقل ما عند الآخرين اليها .

ولعل استشهادي باقوال واعمال المستشرقين والعلماء والتراجمة الغربيين ، كاف لاقناع الجاحدين والمترددين ، بفضل لغتنا وقدرتها على حمل الرسالة العلمية ، اليوم وغدا والى الابد ، مثلما حملتها في الماضي ، يوم كانت بلاد العرب ، كعبة القصاد

ومنارة الهدى ، يؤمها المتعطشون للعلم والمعرفة من كل حدب وصوب .

اما الحجة التي يتذرع بها انصار التعليم باللغة الاجنبية ، وهي مسألة المصطلحات العلمية والاسماء الجديدة التي نشأت بسبب تطور العلوم واتساعها ، فقد كفانا العلامة اللغوي المرحوم الامير مصطفى الشهابي مؤونة النقاش فيها ، وذلك حينما وضع كتابه القيم عن المصطلحات العلمية ، ففيه آراء لمينة عن كيفية وضع هذه المصطلحات ، وطريقة ترجمتها من اللغات الاجنبية ، والسبيل الى توحيدها في الاقطار العربية كافة . ولقد تطورت العلوم في جميع فروعها ، ونشأت من هذا التطور وجوه جديدة للقول فيه ، ووضعها وتعريبها ، وشرحها وتصنيفها ، فكان لا بد من ان تنمو اللغة وتزداد مفرداتها ، بوضع المصطلحات العلمية ، وضمها الى صميم اللغة العربية ، ولئن نمت اللغة العربية فيما مضى من الزمن ، بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب فهل من الصعب اليوم أن تنمو بعد تطور العلوم ، بهذه الوسائل نفسها ، وفوق ذلك ، فان العلوم المختلفة تدرس في البلاد الاجنبية بلغات اهلها ، فكيف نستبيح هذه الدراسة ، نحن العرب ، بلغة غيرنا ، حتى تلك الامم ، التي هي دوننا قدما وثقافة وعراقة في اللغة والادب والعلم والعدد ، لا يسمح لها تمسكها بقوميتها ولغتها وواجبها الوطني ، ان تدرس العلوم بغير لغتها .

على ان الاقرار بضرورة التعليم باللغة العربية في البلاد العربية ، لا يعني الاكتفاء بالدراسة بها وحدها ، بل لا بد من الرجوع الى ما قيل او كتب في غيرها من اللغات ، في الكتب والمجلات ، اذ ان التوسع والاطلاع على كل مستحدث وجديد ، تفرضه ضرورة متابعة الركب العلمي ، السائر بخطى حثيثة نحو الامام ، وهذا ما يوجب معرفة لغة او لغتين اجنبيتين معرفة كافية ، حتى تخرج علومهم ومعارفهم ، من افقها الضيق المحدود ، الى الآفاق العالمية التي يجب أن تكون فيها ، ولكن الفرق يظل واضحا بين تعلم اللغة الانكليزية او الفرنسية او سواهما ، وبين التعليم باحدى هذه اللغات ، في بلد ووطن غير بلدها ووطنها ، فهما امران مستقلان ، ولا رابطة تلزم بالضرورة ، أن يتصل هذان الموضوعان بل هما يتممان بعضهما بعضا .

واذا قدر للتاريخ أن يعيد نفسه في يوم من الايام ، واصبحت للعرب علومهم ومبتكراتهم ، فكيف سيأخذ عنا الآخرون ؟ الم يأخذوا في الماضي بترجمة كتبنا وثقافتنا من لغتنا العربية الى لغاتهم الاجنبية فلماذا نحرم على ابنائنا اليوم ، ما حل لغيرنا في الماضي ؟ وسبيله الى ذلك ان تتبنى كل الدول العربية ، المصطلحات التي قدمها مجمع اللغة العربية ، الذي يضم علماء ولغويين ، من البلاد العربية كافة ، وكذلك تلك التي ينشرها المكتب الدائم للتعريب ، المنبثق عن جامعة الدول العربية ، والذي يشرف عليه في المغرب ، العلامة اللغوي الاستاذ (عبد العزيز بن عبد الله) .

واني لأخلص من جميع ما ذكرت ، الى ان الضرورة القومية تفرض علينا فرضا ، أن نجعل التعليم في بلادنا بلغتنا ، وان ننشىء ابناءنا واجيالنا القادمة ، على الفخر والاعتزاز بلغتهم وبمقدرتها على اساغة العلوم واستيعاب الثقافات . ■■

دمشق ـ عزة مريدن

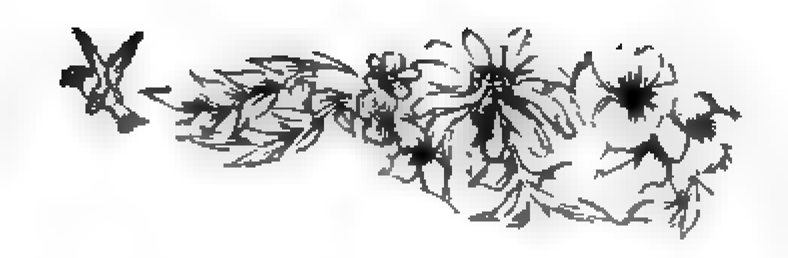
العجوز .. والضعيف !

في بهمة الليل ، سرت متحسسا طريقي .
الظلام أكداس ، بعضها فوق بعض .
العتمة تشيع في نفسي ، فتختنق عيني .
الهواء حبيس كثيف ، يجثم على صدري .
وبعد لأي اهتديت إلى داري .
لم أستطع أن أشعل النور ..
لا كهرباء .. حتى لا أعواد ثقاب .
داري خربة مهدمة .
وانسحبت فيها ركنا أنشد الراحة .
ولكن ليس ثمة من راحة .
بل ليس ثمة من تعب
إنه شيء مبهم ، يرسب في قرارة وجداني :
إحساس بالخواء .
[illegible]
[illegible]
ورغبت في أن أغفو ..
ولكن النوم كان عصيا .
[illegible]
صباح ما له من صباح !
وتهاوى رأسي من بين يدي .
واسترسلت أبكي .
ظللت وقتا طويلا أذرف الدمع .
[illegible]
أهلي .. أين هم ؟
أموالي .. أين هي ؟

قصة من الشعر المنثور

بقلم محمود تيمور

مجدي .. كهربائي .. عمري ..
لم يعد لي من شيء .
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كان عصفور [illegible] على المكتب
[illegible]
[illegible]
كان شدوه حنونا ، أخذ بمجامع قلبي .
أصغيت له ، منتشيا به .
[illegible]
ريش مختلف ألوانه ، كأنما هو قوس قزح .
ومنقار ناصع بياضه ، كأنه قطعة من عاج .
وخصلة على الجبين تتهدل خيوطا من حرير ..
إن العصفور يغدو حيالي ويروح .
[illegible] على كتفي رشيق الخطا .
يقف على رأسي ، يداعب شعري .
وما لبث ينقل مواصلا شدوه الرخيم
[illegible]
وأخيرا لمحت العصفور على صوت رفيف الأجنحة [illegible] من كفي .
واستقر على يدي ..
شد ما هو خفيف الوزن ، لا أكاد أحس له وقعا ..
ووجدتني أدنيه من فمي
ولامس منقاره [illegible]
[illegible] للرعشة التي هزتني ..



واحسست العصفور يلقى في فمي بحبات رقاق .

اكانت حبات قمح ، ام حبات ارز ، ام لا ادرى ما هي ؟

انها حبات حلوة المذاق .

ما كان اشهاها في فمي بعد صيامي المديد .. صيام أعوام !

وعاد العصفور فطار ثم عاد نحوي ، ليلقمني من حبه الشهي .

ودبت في اوصالي حياة .

واستطاعت عيناى ان تجلو عن المرئيات غواشي الظلمات ..

ومن الاعماق البعيدة ، انشق طيف نوراني ..

واذا هو يقترب مني ..

طيف غادة ، جسدها شعلة وهاجة ، عليها غلالة قرمزية ، ومن رأسها تنساب جدائل شعرها الوهاج .

سارت في خطو وئيد ، ترف على فمها ابتسام ، ويضوع منها عطر .

قالت في صوت منغم ، وهي تدور حوالي :

ـ لماذا انت جالس هكذا ؟

ـ اني شيخ هرم ، هده الضياع !

ـ كم عمرك ؟

ـ الوف سنين !

ـ عمر مألوف فيمن هو على غرارك ..

ـ وهن جسمي ، واشتعل الرأس شيبا .

ـ انه رأس عامر بتجربة الزمن ، وحكمة الأيام .

ـ أشعر بدنو أجلي .

ـ ستضيف الى عمرك الوفا من السنين اخرى .

ـ لقد سئمت الحياة ..

ـ انها الحياة المتجددة .. وستغريك بالحياة جدتها .

ـ اني هالك !

ـ لقد صارعت الزمن في ماضيك ؟ وستصارعه في مستقبلك .. انها الحياة ، بل معجزتها الخالدة .

ـ لقد اصبحت الحياة عبئا ، لا تتمخض عن معجزات . ■■

ـ المحرة فيك أنت .. أيها المسحور ! .. اطلبها تستجب لك .. انها لا تجيئك من خارج ..

.. صمت ، وتأمل ..

ـ الا تعرف لماذا زرتك أيها المسحور ؟

ـ أني سمعت لك ..

ـ لأني أحبك .. متولهة بك .

.. هذه بمرة تحب شبحا فانيا ..

ـ انها سنة الحياة .. تجمع بين المتباعدين ، وتؤلف بين الأضداد ، لتحقق التآلف والوفاق .

ـ وماذا تحبين مني ؟

ـ غضون وجهك ..

ـ .. .. ؟ !

ـ انها كتاب حافل بالبطولات العظام .

ـ لقد عفى الزمن على تلك البطولات .

ـ انت تستطيع احياءها ، بل تستطيع ان تحقق بطولات تفضلها مما سبق .

ـ .. .. ؟ !

ـ ان بسحرك ان تبني ما انهدم ، وتبعث ما طمسه في عدم .. فافتح عينيك للنور ، واملأ رئتيك بالنسيم .

وهنا ارتفع شدو العصفور ، والفيت الغادة تتوسط القاعة ، وبدأت تحرك قدميها رشيقة هينة .

كانت ترقص في رشاقة ، وذراعاها تتمايلان في الهواء ، كأنهما جناحان لطائر ..

ووجدتني اتطلع اليها في ابتهاج ، وهي تبعث الي بابتسامات لطاف ، والنغم العذب يملأ كيانها الساحر ..

كنت ارنو اليها ، امتع ناظري بطيفها اللألاء .

ظلت هي كذلك حينا ، وانا سادر في متعة ، ذائب في نشوة .

ومن بعيد ، ترامت الى سمعي مع بواكير النـسيم هتفات تثير المشاعر ، وتراءت لعيني على تباشير الضوء صروح تتعالى شواهق .

ثم صافح سمعي اذان تتجاوب اصداؤه في الفضاء

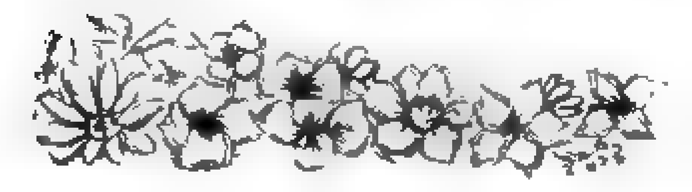
انه اذان الفجر الجديد ..

وتطلعت الى النافذة فاذا خيط ابيض ينشق في الافق ، متسللا الى الحجرة ..

واذا الغادة والعصفور يترايلان في صورته على مهل ، يصحبهما نور المكان !

■■

محمود تيمور





هل الجنيه الاسترليني والدولار هما العملتان الصعبتان فقط في العالم ؟

● الدولار والاسترليني ـ ... عملتان ... في التجارة

كمال حسين ابراهيم ـ السودان



ـ كل عملة حرة هي عملة صعبة .. والعملة الحرة هي تلك العملة التي لا يكون هناك قيود مفروضة على التعامل بها واستبدالها بعملات اخرى خارج حدود بلادها .. ومن هنا يتضح لك ان هناك عملات حرة كثيرة غير الدولار والاسترليني نذكر لك منها على سبيل المثال لا الحصر الدينار الكويتي ـ الليرة اللبنانية ـ الفرنك السويسري ـ المارك الالماني الغربي وغيرها وغيرها .. وزيادة

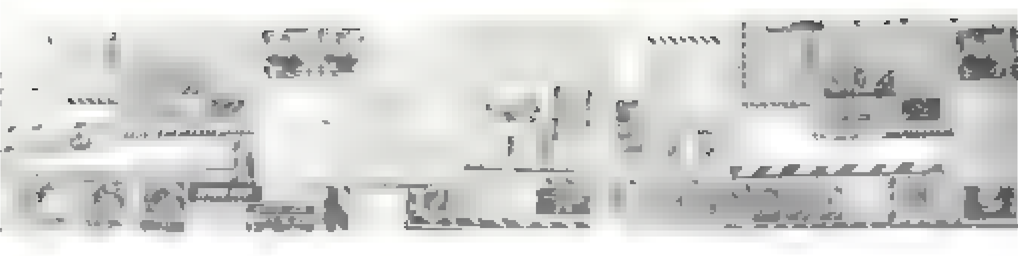
أرادت عمرًا ..!!

ـ اما عمرو في هذا المثل فهو عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي ، المشهور بالدهاء ، اسلم سنة ثمان من الهجرة. وخارجة ، هو خارجة بن حذافة بن غانم القرشي العدوي ، من الذين شهدوا فتح مصر ، وكان احد الثلاثة العدد الذين امد بهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص في فتح مصر ، وكان على شرطة مصر في امرة عمرو بن العاص لمعاوية بن ابي سفيان. وقيل انه كان قاضيا لعمرو بن العاص بمصر . وكان ثلاثة من الخوارج قد اتفقوا على ان يقتلوا سيدنا عليا بن ابي طالب ، ومعاوية بن ابي سفيان، وعمرو بن العاص ، واجمعوا على ان يكون ذلك في ليلة واحدة في صلاة الصبح .

فاما سيدنا علي بن ابي طالب فاصابه عبد الرحمن بن ملجم المرادي فقتله ليلة في صلاة الصبح بالكوفة .

واما الحجاج بن عبد الله الصريمي ويعرف بالبرك فانه توجه الى دمشق ، فضرب معاوية بسيفه وهو في الصلاة ، فجرحه ولم يقتله.

واما داذويه ، وهو رجل من بني العنبر بن عمرو بن تميم ، وقيل انه مولى لهم، فانه مر ...



ايضاحا نقول ان العملات الحرة هي تلك العملات التي يتم التعامل فيها رسميا في عمليات الاستيراد ودون حاجة الى اتفاقيات نقدية خاصة . وغالبا ما يكون مركز العملة الحرة قويا في الاسواق بسبب متانة مركز غطائها الذهبي او الاقتصادي . اما عندما تفرض قيود على التعامل بعملة بلد ما في الخارج فانها تصبح غير حرة ، وهذا الاجراء تضطر اليه كثير من الدول النامية لحماية عملتها من التدهور بسبب لاختلال ميزان مدفوعاتها وعوامل اقتصادية كثيرة اخرى . والعملات الحرة لها اسواق دولية اهمها في جنيف ونيويورك ويتحدد سعر هذه العملات يوميا في هذه الاسواق ، وهي بين هبوط وصعود دائم في حدود ضيقة عادة بسبب مختلف العوامل الاقتصادية او العالمية التي تؤثر في سوق المال ، وهي عوامل كثيرة لا مجال لذكرها هنا .

م . ط

لعمرو بن العاص ، لكن عمرو بن العاص قيل انه اصابه شيء في بطنه في تلك الليلة المتفق عليها ، فتخلف في منزله ، واستخلف خارجة ليصلي بدله ، فتقدم داذويه من خارجة وهو يظنه عمرو ابن العاص ، فقتله . فلما قتله أخذ وأدخل على عمرو بن العاص فقال : من هذا الذي اخذتموني عنه ؟ فقالوا : عمرو بن العاص . فقال : ومن قتلت ؟ قالوا : خارجة . فقال : أردتَ عمرا وأراد الله خارجة .

وكان عمرو يقول : ما نفعني بطني قط الا تلك الليلة .

هذا وقد قال ابن عبدون في قصيدته التي رثى بها بني الأفطس ملوك بطليوس :

وليتها اذ فدتْ عمْراً بخارجةٍ
فدتْ علياً بمن شاءتْ من البشر

ع . ف

اسكتلنديرد .
ماهو عمل هذه الدائره الحقيقي

● ما هو عمل اسكتلنديرد ؟ هل هو الاستخبارات السياسية ؟ ام المباحث الجنائية ؟ ام ماذا ؟ ..

خليل زكا ــ الموصل

ــ اسكتلنديرد هي قوة بوليس العاصمة البريطانية او ، ان شئت الدقة ، هي قوة بوليس لندن الكبرى Greater London ، البالغ عدد سكانها نحو ٨ ملايين نسمة . انها احدى قوى البوليس المئة وثمانية وخمسين العاملة في شتى انحاء بريطانيا . واسم اسكتلنديرد ، او قوة بوليس المتروبوليتان Metropolitan Police كما تسمى رسميا ، لعلها اكبر تلك القوى حجما . فهي تضم نحو ١٠٠٠٠ رجل بوليس ، اي ما يقارب ٢٧٪ من مجموع رجال البوليس في بريطانيا البالغ عددهم نحو ٧٥٠٠٠ رجل .

وتقوم اسكتلنديرد بمعظم الاعمال التي يقوم بها البوليس عادة . فهي تشرف على حركة السير والمرور وتحافظ على الامن والنظام وتمارس اعمال الخفر والنجدة ، وتقوم بملاحقة المجرمين ، الى غير ذلك من اعمال .

على ان اسكتلنديرد ، وان شابهت غيرها من قوى البوليس من حيث الاعمال التي تقوم بها ، فانها تختلف عنها من حيث المستوى الرفيع الذي بلغته في ممارسة تلك الاعمال . فهي تعتبر رائدة في هذا الميدان ، وقد توافر لها من الخبرة والتقدم ما لم يتوافر لغيرها . هذا الى ان قوى البوليس الاخرى ، البريطانية وغير البريطانية ، كثيرا ما ترجع الى اسكتلنديرد ، تطلب مساعدتها وتلتمس ارشادها ، ولا سيما في القضايا الغامضة والجرائم المستعصية .

لا عجب الى ان كانت دائرة الجريمة Crime Department او دائرة « C » كما يرمزون اليها ، هي اشهر دوائر اسكتلنديرد الاربع

واخطرها . ويعزى ذلك الى الاساليب المتطورة التي تعتمد عليها هذه الادارة في محاربة الجريمة

وحسبنا ان نشير هنا الى ثلاثة من تلك الاساليب،او بالاحرى الى الشعب التي تعمل بها دائرة الجريمة .

فهناك شعبة الارشيف الجنائي Criminal Records ، وهي التي اشتهرت بفهرسها الفريد الخاص بالمحكومين والمطلوبين . الا ان هذا الفهرس لا يشمل فقط الاوصاف المالوفة من طول ووزن ولون شعر وعيون وما الى ذلك . فهو يشمل ايضا ما يمكن تسميته باسلوب المجرم الخاص في ارتكاب الجرائم .

والمقصود بهذا الاسلوب الاشياء او الافعال التي لا علاقة مباشرة لها بالجريمة والتي تصدر عن المجرم اثناء ارتكابه اياها ، كالتدخين مثلا ، وعدد السجاير التي يدخنها المجرم في فترة الجريمة ، ومقدار ما يدخنه من كل منها ، وهكذا . فقد ثبت ان هذه المعلومات الجانبية وامثالها قد تساعد على اكتشاف المجرم ، حتى في الحالات التي تطمس فيها المعالم الاساسية للجريمة .

وتجدر الاشارة هنا الى النشرة الخاصة بالبصمات التي استحدثتها اسكتلنديرد وطورتها. فهذه النشرة تصنف شتى البصمات وتضمها الى فئات مختلفة . وهي تميز بين هذه الفئات بتحديد المواصفات المشتركة بينها تحديدا دقيقا يسهل معه الحديث عن البصمات وكانها السيارات . وهكذا اصبح في مقدور قوى البوليس المختلفة في العالم ان تتبادل المعلومات عن البصمات دون الحاجة الى تبادل صور هذه البصمات . وهذا امر غريب وقد بدا في السابق مستحيلا بالنظر الى ان صفة البصمات المميزة هي في انها تختلف من انسان لانسان ، ولا تتشابه البصمات منها الا في حالات نادرة جدا ، قدروها بحالة واحدة في كل (٦٤٠٠٠) مليون حالة .. !

ناتي الآن الى ما يسمى بغرفة الاستعلامات Information Room . ولعل العمل الذي تقوم به هذه الغرفة هو سر من اسرار ما اشتهرت به اسكوتلنديرد اجمالا . ذلك ان رقم ٩٩٩ الذي يديره اي انسان للاستنجاد بقوة البوليس في اسكوتلنديرد انما هو رقم الغرفة المذكورة . واذا علمنا ان الوقت الذي يفصل بين طلب النجدة وبين وصولها الى طالبها ، لا يكاد يتجاوز بضع دقائق معدودة ، ادركنا الدور الخطير الذي تلعبه غرفة الاستعلام التي ذكرنا .

ولا يتسع المجال بعد هذا للحديث عن شعب اخرى من شعب دائرة الجريمة كشعبة المباحث الجنائية C I D مثلا،وقد لا يتسع لاكثر من التلميح الى معهد الدراسات العلمية والمختبرات الكيماوية والصحيفة اليومية التابعة لاسكتلنديرد . ولا بد من التلميح ايضا الى ان اسم اسكوتلنديرد انما هو الاسم الذي اطلقه اهل لندن على المقر الاول الذي شغلته رئاسة قوة البوليس هذه ، لدى انشائها سنة ١٨٢٩ . وكان ذلك بسبب فناء Yard كان وراء ذلك المقر ، اشتهر بين اهالي لندن باسم الفناء الاسكتلندي وذلك نظرا لقربه من قصر اسكتلندة الذي كان لملوك اسكتلندة ايام كانت هذه دولة مستقلة . والغريب ان قوة بوليس المتروبوليتان تخلت عن مقرها الاول ولكن اسم سكوتلانديرد لم يتخل عن مقرها الثاني . فقد انتقل معها الى هذا المقر الثاني الذي شغلته اعتبارا من اواخر القرن الماضي والذي اصبح يعرف منذئذ باسكوتلنديرد الجديد New Scotland Yard

ى . د

الملاكمة ... متى عرفت وماهي قوانينها واحكامها .. ؟

○ انا من هواة رياضة الملاكمة ... [illegible]
اساسي في ممارسة [illegible]
ولكنني لا اعرف الكثير [illegible] عن قوانينها واصولها وتاريخها ، فهل لكم ان تقدموا
لنا نبذة مختصرة عنها !

صالح فلاح / الكويت

ـ الملاكمة من اعنف انواع الرياضة في العالم . ويرجع تاريخ هذه الرياضة الى عصر قدماء الاغريق واليونانيين الذين مارسوا نوعا من القتال كثير الشبه برياضة الملاكمة اليوم ، الا انه يختلف عنها ، لان المتبارين والمقاتلين كانا يستعملان قبضات ايديهم عارية بلا قفازات . الى ان كان عام ١٩١٧ ، عندما نصب رجل انجليزي يدعى جيمس فيج James Figg ، وكان يعمل في احد المسارح المتنقلة ، نصب نفسه بطلا ، وافتتح حلبة للملاكمة في ساحة توتنهام كورت Tottenham Court كان يدرب فيها الكثير من تلاميذه الهواة ، ويتحدى الوافدين لمنازلته . وكان يتبع اسلوبا عنيفا في ملاكمة خصومه .

وحتى هذا التاريخ ، لم يكن الملاكمون ، او المقاتلون يعرفون القفازات ، كما لم تكن لهذه الرياضة قوانين مرعية ، فقد كان مسموحا للمتبارين ان يستخدما كل الوسائل في سبيل انزال الهزيمة بالخصم وتحقيق النصر من اجل الفوز بالجائزة المرصودة للفائز ، حتى العض والرفس والامساك بالخصم وحمله والقائه على الارض ، كلها اساليب كان مسموحا بها في ذلك الوقت ، وكانت المباراة تستمر ساعات طويلة ، واستمرت اطول مباراة ست ساعات و ١٥ دقيقة .

ثم تطورت الملاكمة ، وجاء احد تلاميذ المقاتل جيمس فيج ، ليضع اول قوانين مكتوبة للملاكمة ، ويبتكر القفازات ، ولو ان استخدام هذه القفازات كان مقصورا على التدريبات وحدها ، فقد استمرت المباريات تجرى بدون قفازات .

الى ان كان عام ١٨٦٦ عندما انشىء نادي الهواة الرياضي في انجلترا ، ووضع اعضاء هذا النادي وفي مقدمتهم جون شيمبرز John Chambers قواعد مباريات الملاكمة بالقفازات ، وهي التي اصبحت بعد ذلك اساسا لكل القوانين التي تسير عليها مباريات الملاكمة اليوم .

وحددت هذه القواعد الاوزان العشرة للملاكمين ، وهي التي لا تجيز لاي ملاكم ان يدخل في مباراة مع ملاكم اخر الا اذا كان من نفس الوزن .

وقد اصبحت الملاكمة الان توصف بانها « فن الدفاع عن النفس » ، وان اتصفت بالعنف والقسوة ، حتى ان اصواتا كثيرة ارتفعت مطالبة بالغاء هذه الرياضة .

وقد حاول المشرفون على هذه الرياضة ان يضعوا القوانين التي تحرم الضربات التي تشكل خطرا على حياة الملاكم ، فمنعت القوانين الضرب تحت الحزام ، كما منعت توجيه اللكمات الى منطقة الكليتين او الظهر ، او الضرب بالقفاز وهو مفتوح .

وتعتمد حقوق الملاكم على التقيد بقوانين الملاكمة وعلى توجيه الضربات الصائبة ، وعلى احكام الدفاع عن نفسه ، واخيرا على حركة قدميه فوق حلبة الملاكمة .

اما النصر ، فيتحقق عن طريق « النقط » اي عدد الضربات الصائبة التي توجه الى الخصم ، ويحسبها الحكم لصالح الملاكم الفائز ، او الضربة القاضية ، وهي تلك التي لا يستطيع الملاكم المهزوم ان يقف بعدها على قدميه عندما ينتهي الحكم من العد حتى رقم عشرة ، او الضربة القاضية الفنية التي يصاب فيها الملاكم اصابة بالغة تعرض حياته للخطر او يصبح عاجزا عن الدفاع عن نفسه اذا ما استمر في المباراة .

٥٠٢

سور الصين

● نسمع ... عن سور الصين ونعرف انه قديم ولكننا لا نعرف شيئاً عن تاريخه ، ... ؟ .. ارجو ان تحدثونا عن ذلك في صفحات سؤال ونحن نجيب.

سليم الحداد – القامشلي

ـ سور الصين العظيم سور ضخم للغاية . فهو طويل يمتد مسافة ١٥٠٠ ميل (٢٤٠٠ كيلو متر) على حدود الصين الشمالية والغربية. وهو مرتفع ، وعلوه متفاوت ، الا انه يبلغ ٢٠ قدما بالمتوسط . وتتجلى ضخامة هذا السور في انه مزدوج ولا يقتصر على جدار واحد . ويصل بين جداريه الداخلي والخارجي ممر او سطح مبلط (انظر الصورة) . أضف الى ذلك ان عددا كبيرا من الابراج الحصينة تتخلل سور الصين وقد قصر المسافة بين هذه الابراج احيانا بحيث لا يزيد بعد البرج الواحد عن البرج الذي يليه على ١٠٠ ياردة .

وسور الصين العظيم قديم في التاريخ . انه من آثار الزمن القديم التي صمدت واحتفظت بكيانها حتى الوقت الحاضر ، شأنه في ذلك شأن الاهرامات ، وان كان ما يبلغه من العمر (٢٢٠٠ سنة) لا يكاد يساوي نصف عمرها (٤٧٥٠ سنة) .

فقد استكمل بناء هذا السور فيما بين سنة ٢٢٨ – ٢١٠ ق.م ولا يعرف بالضبط متى بنيت اجزاء ذلك السور التي كانت قائمة ابتداء والتي يعود بناؤها الى اقدم عصور التاريخ . الا ان تلك الاجزاء كانت قليلة وغير متصلة وكانت في الغالب مبنية من طين .

وبقيت تلك الاجزاء على هذه الحال حتى ظهور الامبراطور شيه هوانج تي Shih Huang Ti وقد تزايدت في عهده غارات قبائل هسيونج نو Hsiung - nu وكانت تسكن المناطق الواقعة الى الشمال والشمال الغربي من الصين . ولو ذكرنا ان هؤلاء هم اسلاف قبائل الهون ... التي اجتاحت اوربا فيما بعد ، في القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد، لما استغربنا الغارات المتلاحقة بل الحروب الدامية التي شنوها على الصين ، بقصد السلب والنهب .

وبلغت هذه القبائل من القوة والشراسة ما لم تبلغه القبائل الاخرى التي اغارت على الصين من الجنوب والشرق والشمال الشرقي، والتي ما لبثت ان خضعت لحكم امبراطورها المباشر او غير المباشر . كان لا بد اذن من سور عظيم لكبح جماح تلك القبائل المغيرة وقد تعذر كسر شوكتها والسيطرة عليها .

وهكذا عمد الامبراطور شيه هوانج الى ترميم ما كان قائما من اجزاء السور ووصل بعضها ببعض واعاد بناء الكثير منها ، وكذلك الى بناء اجزاء جديدة ، اطول واقوى من تلك القديمة حتى كان سور الصين العظيم .

ولعله أعظم بناء بنته يد انسان . فقد سماه اهل الصين وعرفوه على هذا النحو منذ القدم .

ك.د

سور الصين العظيم ... ويمتد هذا السور مسافة ٢٤٠٠ كيلو متر





تستور

بلد الموريسكيين الاندلسيين

بقلم: محمود عبد الله عمار



سقوف مدينة تستور

التونسية . وما زال عشرات الالوف من اعقابهم ، يعيشون بها حتى اليوم ، في ظروف واحوال تميزهم عن بقية اخوانهم التونسيين .

من هم الموريسكيون

ويجب قبل ان نتحدث عن تستور ، وعن خواصها التاريخية والاجتماعية ، ان نقول كلمة عن اولئك الموريسكيين ، الذين قاموا بانشائها ، وانشاء غيرها من البلاد والمحلات التونسية الجميلة الزاهرة . فالموريسكيون هم بقايا الامة الاندلسية المغلوبة ، الذين ارغمتهم اسبانيا على التنصر ، بعد ان سقطت في يدها غرناطة ، آخر القواعد الاسلامية بالاندلس في سنة ١٤٩٢ ، باعوام قلائل ، وتحولوا بفعل الضغط والاضطهاد المطبق ، من امة مسلمة الى طائفة نصرانية كاثوليكية ، واطلق عليهم اسم الموريسكيين Moriscos أي العرب الاصاغر ، ويسمون في الاصطلاح التاريخي ، (بالعرب المتنصرين) .

وقد لبث اولئك الموريسكيون ، يعيشون تحت النير الاسباني المرهق ، زهاء مائة عام اخرى ، وهم يعانون أروع ما يعانيه الشهداء ، من ضروب الاضطهاد والذلة ، تطاردهم السلطات المدنية والدينية ، ولا سيما محاكم التحقيق الشهيرة(1) باقسى انواع المطاردة ، وترغمهم تباعا ، على ترك عاداتهم وتقاليدهم الاسلامية ، ولغتهم واسمائهم وثيابهم العربية ، حتى تقضي بذلك على تراثهم الديني والحضاري ، وعلى اخص مقوماتهم المادية والمعنوية. وبالرغم من انهم كانوا في الظاهر نصارى، يشهدون القداس ، ويتكلمون القشتالية كانوا في سرائرهم مسلمين ، يتعلقون اشد التعلق بعقيدتهم الدينية الاصيلة ، ويزاول الكثير منهم سرا ، شعائر دينه ، من الصلاة والصوم ، وتلاوة الكتاب العزيز . وكانت اسبانيا تنظر الى وجودهم في ارضها - وهي ارض آبائهم واجدادهم من قبل - بعين السخط العميق ، وتعتبرهم عنصرا دخيلا بغيضا ، يجب التخلص منه ، وذلك بالرغم من انهم كانوا ، من افضل عناصر السكان ، نشاطا وخلقا وكفاية ومهارة وامانة. واخيرا قررت الحكومة الاسبانية ، تحت ضغط الكنيسة ، ان تتخلص منهم نهائيا ، وان تجليهم عن اراضيها . وكان ذلك في سنة ١٦٠٩ ، في عهد الملك فيليب الثالث. ففي ٢٢ سبتمبر من هذا العام ، صدر مرسوم النفي النهائي للموريسكيين او العرب المتنصرين، وهو ينوه بخياناتهم ، واتصالهم باعداء اسبانيا ، واخفاق كل الجهود التي بذلت لتنصيرهم وضمان ولائهم . وينص على نفيهم جميعا الى بلاد البربر (المغرب) . وبناء على ذلك فانه يجب على جميع الموريسكيين ، من الجنسين، ان يرحلوا مع اولادهم

(1) هي المحاكم التي تعرف خطأ بمحاكم التفتيش .



صومعة الجامع الاعظم

في ظرف ثلاثة ايام ، من نشر هذا القرار ، من المدن والقرى، الى الثغور التي يعينها لهم مأمورو الحكومة والموت عقوبة المخالفين ، وان لهم ان يأخذوا من متاعهم ما يستطاع حمله على ظهورهم. وان السفن قد اعدت لنقلهم الى بلاد المغرب ، وسوف تتكفل الحكومة باطعامهم اثناء السفر . ونص المرسوم على تفاصيل واحكام كثيرة اخرى ، وفقا لمختلف المناطق،التي يعيش فيها الوريسكيون.

حياتهم في المنفى

وبدأ خروج الوريسكيين ، وفقا لهذا القرار ، من مختلف الثغور الاسبانية ، في اكتوبر سنة ١٦٠٩ (رجب سنة ١٠١٨ هـ) . وخرجت جموع كبيرة منهم ، من ثغور بلنسية ودانية ، وثغور اسبانيا الجنوبية . وسافرت جموع كبيرة منهم ، على السفن الحكومية ، في مناظر مبكية ، من البؤس والفاقة والجوع . وسافر منهم الوف كثيرة من الاغنياء والموسرين ، على نفقتهم الخاصة . والقت السفن بمعظم المنفيين ، الى ثغور المغرب ومدنه المختلفة . ونزل معظمهم بتطوان وسلا والرباط ووهران وتلمسان وفاس ، والجزائر والثغور التونسية . ويقدر عدد من غادر اسبانيا من الوريسكيين المنفيين بنحو ستمائة الف . وهلكت منهم الوف كثيرة خلال السفر ، من الجوع والمرض والاعياء . وقد عاد معظم الوريسكيين ، الذين مضوا الى افريقية والشرق ، الى الاسلام دين الآباء والاجداد ، ولم تخمد مائة عام من التنصير المغصوب ، والارهاق المستمر ، جذوة الاسلام في نفوسهم .

تلك هي قصة الوريسكيين او العرب المتنصرين وتلك هي مأساة نفيهم من اوطانهم القديمة ، في ربوع الاندلس . وقد قصدت من اولئك المنفيين جموع كبيرة الى شواطىء تونس . ونزلت منهم في الداخل الوف كثيرة ، يقدرها البعض بنحو ثمانين الفا . واليك ما يقوله ابن دينار القيرواني التونسي ، عن مقدمهم الى البلاد التونسية، وقد كتب تاريخه بعد مأساة النفي بنحو سبعين عاما ، وذلك في حوادث سنة ١٠١٧ هـ (وصحتها ١٠١٨ هـ) .

« وفي هذه السنة والتي تليها ، جاءت جالية الاندلس من بلاد النصارى،طردهم صاحب اسبانيه، وكانوا خلقا كثيرا ، فوسع لهم عثمان داي في البلاد ، وفرق ضعفاءهم على الناس ، واذن لهم ان يعمروا حيث شاءوا فاشتروا الهناشير ، وبنوا فيها ، واتسعوا في البلاد ، فعمرت بهم ، واستوطنوا في عدة اماكن .

اهم بلدانهم

« ومن بلدانهم المشهورة سليمان ، وبلي ، ونيانو ، وقرنبالية ، وتركي ، والجديدة ، وزغوان ، وطبربة، وقريش الواد ، ومجاز الباب ، والسلوقية ، وتستور ، وهي من اعظم بلدانهم واحضرها، والعالية وغير ذلك ، بحيث تكون عدتها ازيد من عشرين بلدا ، فصار لهم مدن عظيمة ، وغرسوا الكروم والزيتون والبساتين ، ومهدوا الطرقات بالكراريط للمسافرين ، وصاروا يعدون من اهل البلاد » .

والآن فقد كانت تستور ، وقت ان كتب ابن دينار تاريخه ، في اواخر القرن الحادي عشر الهجري (اواخر القرن السابع عشر الميلادي) . من اعظم بلدان الوريسكيين ، في تلك المنطقة ، من الاراضي التونسية . وهي ما تزال كذلك الى اليوم ، وان كانت بمضي الزمن ، قد فقدت كثيرا ، من عناصرها الوريسكية القديمة . والواقع ان تستور تذكرنا بخططها ومظاهرها العمرانية، بالمدن الاندلسية الصغيرة . وقد كنا نشعر شعورا قاطعا ، ونحن نتجول في دروب تستور ، اننا نتجول في دروب مدينة اندلسية . ونحن نستطيع ان نقول دون تردد ، ان تستور تشبه بخططها وشارعها الكبير ، ودروبها الجانبية ، ومنازلها

البيضاء (وهو اللون الاندلسي المفضل) مدينة استجة الاندلسية ، الواقعة على نهر شنيل فرع الوادي الكبير ، على مقربة من جنوب غربي قرطبة، بدروبها ومنازلها البيضاء ، ذات الطابق الواحد والطابقين . ومن مظاهر التخطيط الاندلسي ، في تستور ايضا ، ان كثيرا من منازلها ، يحتوي على الفناء الاندلسي الداخلي ، وقد غرست به النخيل او اشجار النارنج والورود . وقد وقفنا على هذه الحقيقة ، حينما صعدنا الى اعلى صومعة الجامع الاعظم ، والقينا منها نظرة على تستور ، فاذا بها مربعة التخطيط والفناء الاندلسي مخططاشجاره يتوسط معظم منازلها البيضاء .

الجامع الاعظم

واعظم صروح تستور التاريخية ، هو الجامع الاعظم . وقد انشيء وفقا للرواية المتعارفة سنة ١٦٣٠ م (١٠٣٩ هـ) ، اي بعد انشاء البلد بنحو عشرين عاما،وقام على انشائه محمد تاغاربنو ، احد زعماء الجيل الثاني من المهاجرين . وهو مسجد كبير الحجم بلغ صحنه في داخله ، وتحيط به العقود من الجهات الاربع ، تقوم كلها على اعمدة رومانية ، اخذت بلا ريب من الاطلال الرومانية القريبة . وليست به اية نقوش او زخارف . وله صومعة اندلسية ضخمة عالية ، اشبه بابراج الاجراس الموريسكية في اسبانيا ، يصعد اليها بسلم داخلي ، وبها زخارف صلاجية في السطور الاعلى . وقد رسمت فوق واجهتها العليا ساعة (مزولة) ترى من بعد ، وتسير من اليمين الى اليسار ، خلافا للوضع المألوف . وفي صحن الجامع ، دولاب به نسخة خطية من صحيح البخاري ، محبوسا عليه ، في عدة اجزاء ، كتبت في صفر سنة ١٠٦٧ هـ ، على يد « محمد بن بلنسين الاندلسي التاستوري » مما يدل على ان تستور كانت تسمى من قبل « تاستور » ثم تطور اسمها بمضي الزمن الى رسمه الحالي .

وتضم تستور من السكان نحو عشرة الاف نفس، وبالرغم من انها كانت في بداية عصرها الاول ، منزلا للاندلسيين الموريسكيين دون غيرهم ، فانها اليوم الى جانب سكانها الموريسكيين الاصليين ، تضم سكانا من التونسيين ، وعرب جبل وسلات القريب من مدينة القيروان وفئة ضئيلة من اليهود . ويوجد اليوم في تستور نحو مائة اسرة من اصول موريسكية محققة ، وعدد آخر من عائلات يرجح انها ترجع الى اصل موريسكي . وهم ما زالوا يحملون اسمائهم الموريسكية القديمة ، لا يرضون عنها بديلا ، لانها برهان ارومتهم الاندلسية العزيزة . وقد وقفنا من سجل بلدية تستور ، على قائمة الاسماء الموريسكية ، من اهل تستور واليك بعض ما نقلناه من هذه الاسماء :

برفيتو ـ برتيلة ـ البشور ـ بلنسين ـ بلانكو ـ بكيل ـ بوست .

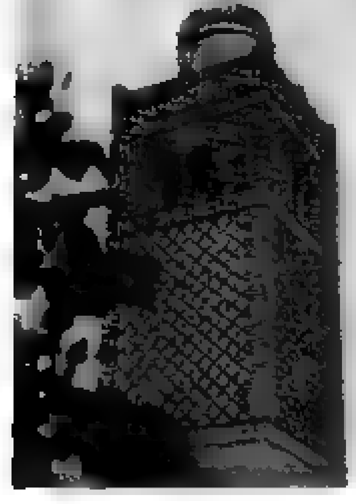
ومن اسماء الأسر الحالية الموجودة بها اليوم :

منظر عام لمدينة تستور





مجموعة من الزليج بدار السعادة
المنشأة على الطراز الأندلسي



صومعة جامع
سيدي عبد اللطيف

جيبس ـ العبورقي ـ رمضانة ـ كاشي ـ كاشيمي ـ لكاني ـ مركيكو ـ موريشكو ـ مدينة ـ ساكتة ـ هندبلي ـ هنيني ـ ماركو ـ بانيس ـ الكومدي ـ مرسيو ـ فليبو ـ .. الخ .

وهذا هو بالضبط ما نلاحظه في مدائن المغرب ، التي نزل بها الموريسكيون ، مثل تطوان والرباط وسلا ومراكش وفاس وغيرها ، ففي هذه المدن تكثر العناصر الموريسكية ، التي تحتفظ بأسمائها الموريسكية القديمة ، مثل اسر بركاش ومكيكو ، وملاط ، ومريشو وبلانيو ، وكريسيو ، وفرتون ، ولهديرا ، وبوبو ، واللوديش ، ومولينة ، وصبينة ، ومورارش ، وغيرها . وتحتفظ هذه الاسر باسمائها الموريسكية القديمة ، كذلك اعتزازا بأرومتها الاندلسية .

مميزات الاسر الموريسكية

وتمتاز الاسر الموريسكية بتستور ، كما تمتاز في غيرها من بلاد المهاجرين الاندلسيين ، عن باقي السكان ، بتفوق واضح ، في مستواها الاجتماعي والثقافي والفني والمهني ، وتزاول معظم هذه الاسر الموريسكية الاعمال الزراعية،ولا سيما زراعة البساتين . وقد ذكرنا فيما تقدم ان تستور تقع في وادي مجردة ، ومن الرجيح ان وقوع هذه البقعة، في هذا الوادي الخصب،هو الذي حمل الموريسكيين المهاجرين ، على النزول بها ، وتعميرها ، وتعمير غيرها من المحلات القريبة ، مثل بلدة مجاز الباب الموريسكية ، التي تقع على مقربة من تستور . ونحن نعرف ان الاندلسيين ومن بعدهم اعقابهم الموريسكيين ، كانوا من ابرع الشعوب في الزراعة، وغرس الحدائق، والخبرة بشئون الري والصرف. ويوجد على الضفة اليسرى من نهر مجردة ، عدد من المزارع والحدائق النضرة ، معظمها لاهل تستور الموريسكيين . وقد انشأت محافظة باجة اخيرا ، قنطرة على نهر مجردة ، لتسهيل اتصال الاهالي بمزارعهم وحدائقهم ، وتسهيل المواصلات بصفة عامة بين ارجاء المحافظة كلها .

ويحتفظ اعقاب المهاجرين الاندلسيين ، بهذا التفوق اينما وجدوا ، وفي سائر البلاد والقرى التي انشأوها ، ونزلوا بها . وقد كان لنشاطهم، ولتفوقهم المهني والفني ، اثار طيبة في البلاد التونسية ، والتمسها من تفوقهم وبراعتهم الفنية والحرفية . وقد ادخلوا بها كثيرا من معالم العمارة والزخرف ، وانشاء الطرق ، وغرس الحدائق ، والانتاج الزراعي ، والملابس والاطعمة وغيرها ، وهو ما لم يفت المؤرخ ان يشير اليه ، وما يشهد في نفس الوقت لشملن داي وحكام تونس المعاصرين للمأساة ، والذين استقبلوا المهاجرين برحابة وسعة صدر ، بحسن التصرف ، وبعد النظر ، فضلا عن نبل العاطفة ، وجميل الشعور والتضامن الاسلامي العميق .

محمد عبد الله عنان



جويا

رسام اسبانيا الشهير

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ يعتقد الكثيرون ان جويا ، رسام اسبانيا الشهير ، هو في طليعة الفنانين الذين انجبهم النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، من حيث الاصالة والابداع . هذا على الاقل هو راى فالنتين كاردريرا Vel.ntin Carderera صديق جويا وكاتب سيرته ، وقد استهل هذه السيرة بالرأى الذى ذكرنا .

اسم جويا كاملا هو دون فرنسيسكو جويا لوسينتس Don Francisco Goya Y. Lucientes وقد ولد سنة ١٧٤٦ في احدى مدن الاراجون ، المملكة الاسبانية المعروفة انذاك .

وكانت دراسته الاولية للفن في اكاديمية سان لويس في سرقوسة Saragossa ، حيث الم بمبادىء الرسم واستعمال الالوان الزيتية . ولكن حب جويا العميق للرسم ما لبث ان دفعه الى روما لاستكمال دراسته فيها . وكانت روما تزخر بطلاب الدراسات الفنية من الاسبان انذاك . وقد اختلف جويا عن هؤلاء في انه لم يكن معتمدا على مخصصات البلاط الاسباني كما كانوا في الغالب ولم يفرط ، كما فرطوا ، باى وقت كان في وسعه ان ينفقه في التحصيل والدراسة . ولا عجب فلقد كان في حال من يجمع بين موارد الاهل المحدودة وبين الموهبة الفذة .

ادرك جويا موهبته تلك وذهب الى ابعد الحدود في الاستجابة لها . ولم يسمح لنفسه ، بالرغم من ذلك ، او لربما بسبب ذلك ، بان تجرفه التيارات ، سواء تيارات الجماهير ، او تيارات النظريات التى صالت بين معاصريه من الفنانين . لقد راح جويا يشق طريقه ، ويناضل في سبيل الهدف الذى وضعه نصب عينيه : واقد ، في ذلك استكمال مواهبه وكفاياته واستلهام فطرته ووجدانه . ولا ريب في ان هذا هو الفارق الثاني والاساسي الذى ميز جويا عن غيره من طلبة الفن في روما .

ولم تطل اقامة جويا في عاصمة الفن . فقد غلبته على امره عاطفته نحو ابويه ، فعاد الى الوطن للعيش معهما وعدم الافتراق عنهما ما امكنه ذلك . وهكذا انتهى عهد الدراسة وبدأ عهد الانتاج الفني ، او بالحرى ، المرحلة الاولى من حياته الفنية .

ويغلب على فن جويا في هذه المرحلة طابع البساطة وعدم التكلف ويغلب على لوحاته فيها طابع الصدق . ولعل هذه اللوحات لم تتسم بمثل الحيوية التى اتسمت بها لوحاته المتأخرة ، الا انها فاضت بالامانة والاخلاص ، واول ما يذكر من انتاج جويا في هذه المرحلة الصور التى رسمها لصانع السجاد الملكية . ولعلها هي التى مهدت السبيل للفنان الناشىء . الا ان اللوحة التى اسماها « صلب المسيح » هي اشهر ما انتج في تلك الاثناء .

اما المرحلة الثانية والاخطر في حياة جويا الفنية فتتميز بانصرافه لدراسة الرسامين الكبيرين فلاسكيز ورامبرانت ، دراسة واسعة . وقد اخذ جويا عن فنان هولندة الشهير اسلوبه في الحد من الاعتماد على الضوء في رسم ما رسم . واخذ عن رسام اشبيليا واسبانيا الاول في التاريخ ، ما شاع في لوحاته مما يشبه العطر ، او كأنه الضباب الرقيق الذى انتشر .

ومن اشهر لوحات جويا في هذه المرحلة لوحة « اسرة شارل الرابع الملكية » وهي موجودة حاليا في المتحف في مدريد ، حيث يرفل افراد هذه الاسرة ، بالذهب الاخير .

وتبدأ المرحلة الثالثة من حياة جويا الفنية بسفره الى باريس سنة ١٨٢٤ . فقد اعتلت صحته وضعفت قواه فالتمس من الملك ان يزور العاصمة الفرنسية . ولم يطل امد هذه المرحلة نظرا لان حياة جويا لم تمتد طويلا بعد ذلك فقد وافته المنية في مدينة بوردو الفرنسية عام ١٨٢٨ .



أبو الفتح البستى

معلم الصبية ... الذى شارك فى تأسيس الدولة الغزنوية

بقلم : محمد الخولى

■ بالرغم من ان كثيرا منا يحفظ ابياتا من القصيدة النونية في الحكمة التي مطلعها

زيادة المرء في دنياه نقصان
وكسبه ، غير محض الخير ، خسران

تلك القصيدة التي كان يحفظها التلاميذ في شتى بقاع العالم الاسلامي لعموم فوائدها وجليل عوائدها ــ كما يقولون ــ الا اننا لا نكاد نظفر بشيء من المعرفة عن صاحبها ابي الفتح البستي .

والواقع ان ذلك الرجل الذى كان وزيرا بارعا وشاعرا مبدعا يقل الحديث كثيرا عن حياته واخباره في المراجع التي ترجمت لرجال عصره ، وكل ما لدينا من ذلك ترجمة واحدة ساقها صديقه ومعاصره ابو نصر العتبي في تاريخه المسمى بالتاريخ اليميني ، ومنه ساقها شخصها صديق له آخر هو ابو منصور الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر بعد ان وشحها بكثير من اشعاره ، ثم تناقلتها بتصرف قليل او كثير المراجع التالية بعد ذلك . حتى المستشرقون الذين عرفوا بسعة الاطلاع والتقصي ، ترجم ثلاثة منهم ، هم بروكلمان وهانك فك وبراون ، ترجموا لابي الفتح ، فلم يضيفوا جديدا على ما ذكر في المراجع السابقة .

غير اننا سنحاول استنادا على تلك المراجع وعلى ديوان الشاعر نفسه ، وما جمعناه من شعره الذى سار في بطون الكتب ، ان نرسم صورة نرجو ان تكون متكاملة لذلك الرجل الذى شارك في تأسيس الدولة الغزنوية وادى لها اجل الخدمات .

مولده ونشأته

ولد ابو الفتح في مدينة بست الواقعة الآن في بلاد افغانستان ، وكانت آنذاك مدينة جليلة خرجت كثيرا من العلماء الاعلام كابن حبان البستي وابن سليمان الخطابي . ويذكر بروكلمان ان مولده كان في عام ٣٦٠ هـ ، لكن ذلك ليس صحيحا ، فابو الفتح كان تلميذا للمحدث الشهير ابن حبان البستي ، وابن حبان توفي سنة ٣٥٤ هـ فكيف تتلمذ عليه قبل ولادته بست سنوات ، كذلك فان ناصر الدين سبكتكين حينما افتتح مدينة بست سنة ٣٦٦ هـ كان ابو الفتح آنذاك وزيرا لاميرها ولا يصح ان يكون وزيرا وسنه خمس سنوات ، ولكنا نرجح ان تكون ولادته بين عام ٣٣٠ و ٣٣٥ هـ . ولسنا ندرى شيئا من نشأته الأولى او صدر شبابه

الا ما ذكره الثعالبي عرضا في « تتمة اليتيمة » من انه بدأ حياته معلما للصبية في بست ، ويبدو انه لم يمض في عمله هذا مدة طويلة ، اذ لا يلبث ان نراه كاتبا في ديوان الامير ، ويظهر في عمله الجديد مقدرة وبراعة تؤهلانه للترشيح للوزارة . لكن ابا الفتح يرفض هذا المنصب لما يحيط به من دسائس ، ونراه يقول :

حرضوني على وزارة بست
وراوها من ارفع الدرجات
قلت لا اشتهي وزارة بست
انني لم امل بعد حياتي

لكنه لم يلبث ان قبل ذلك المنصب وان كان ضيقا به نادما عليه ، وهو يعبر عن ذلك بقوله :

وزارة بست وزرها قاصم الظهر
ومدلجها حتف المداة الى العمر
فلا تعطينها ابدا غرة النحر
ومنهجها روح المسؤولة عن الصدر

وعلى اي حال فقد استمر ابو الفتح وزيرا لامير بست حتى ادى تطور الاحداث فيه الى استيلاء الامير سبكتكين على تلك الولاية وطرد اميرها منها .

استيلاء سبكتكين على بست

اما قصة استيلاء سبكتكين على بست فهي تتلخص في ان اميرها المدعو « باي توز » لم يكن في الحقيقة اميرا شرعيا للبلاد ، بل كان مغتصبا لها من اميرها المدعو « طغان » ، وقد ذهب هذا الاخير الى ناصر الدين سبكتكين امير غزنة واتفق معه على مساعدته في اعادة امارته المسلوبة اليه في مقابل كمية من السلاح وقدر من المال يدفعه اليه بعد اعادته الى عرشه .

وفعلا تحركت جيوش سبكتكين الى بست والتقت بنظيرتها بجيوش باي توز فلم تصمد هذه طويلا وولت الادبار وعلى راسها باي توز وحاشيته ومن بينهم ابو الفتح .

واعيد طغان بعد ذلك الى عرشه في بست ، وعسكر سبكتكين بها في انتظار انتهاء ما اتفقا عليه .

الا ان طغان التوى في تنفيذ هذا الاتفاق فدفع هذا سبكتكين الى ان يخاشنه في القول ، فثار هذا وامسك بسيفه وضرب به الامير ضربة شجت منها بالدم ، فضرب الآخر ضربة انتصف بها لنفسه ، ثم امر جيشه بتطهير الناحية من طغان وحاشيته ، فتم له ما اراد واصبحت بست خالصة له .

موقف سبكتكين من ابي الفتح

صحب ابو الفتح اميره باي توز في فراره حتى اعيته صحبته ، ولم يجد مفرا آخر الامر من ان يستأذنه في التخلف عنه فاذن له ، فعاد ابو الفتح الى بست وعاش متواريا ، الا ان الامير دل عليه فاستحضره ، ويبدو انه كان على علم بمقدرة ابي الفتح الديوانية فقرر ان يسند اليه امر ديوانه . ويقول العتبي مؤرخ الدولة الغزنوية : ان الامير استحضره ومناه ، واعتمده لما كان قبل معتمدا له اذ كان محتاجا الى من هو في مثل كفايته ومعرفته وهدايته وحنكته ، ولقد قبل ابو الفتح هذه المهمة شاكرا ، لكنه طلب من الامير ان يمنحه فترة من الوقت قبل ان يكل اليه امر ديوانه ، وذلك خوفا من ان يتهم بالعمل لاميره المخلوع وذلك لقرب عهده به ، فوافق الامير في اعجاب على ما طلبه ، واشار عليه بناحية « الرخج » التي تشتهر بمنتزهاتها الجميلة ، فذهب اليها ابو الفتح وقضى بها ستة اشهر في اسعد حال وانعم بال .

ابو الفتح رئيسا لديوان الانشاء

والواقع ان سبكتكين كان في حاجة الى ابي الفتح ربما اكثر من حاجة ابي الفتح اليه ، فهذا الرجل الحصيف الذي كان قد تعدى الخمسين من عمره ، حينما اسندت اليه امارة غزنة ، كان عارفا بالرجال بصيرا باختيار معاونيه منهم .

وكان قد تولى هذه الامارة واحوالها مضطربة وخزائنها خاوية ، فاصلح امورها ونظم جندها ، لكنه لم يجد وسيلة لدفع ارزاق هؤلاء الجند الا وسيلة محفوفة بالمخاطر حقا ، وهي الهجوم على تخوم الهند المجاورة وافتتاح حصونها ، وكان لشجاعته وبسالته وبثه روح الايثار والتضحية في جنده ، وحثهم على فتح هذه البلاد لرفع راية الاسلام فيها اكبر الاثر في انتصاره في كل موقعة دخل غمارها مما قوى عزمه ورفع شأنه وملأ خزائنه بالمال .

لكنه رغم ذلك كان حاكما محليا محدود الشهرة بين الامارات العربية المحيطة به ، قد يكون اغنى واقوى منها ، غير انه كان يفتقر الى اللسان البارع الذي ينوه بانتصاراته ويذيع احداث وقائعه ببيانه وسحره .

ولذا فانه ما يكاد يعثر على ابي الفتح بشهرته الواسعة ، وبادبه وخبرته الطويلة في اعمال الديوان حتى يتمسك به ويصيره على حد قول العتبي أخلص صفاياه من فتح بست وسرعان ما يسند اليه امر ديوانه .

جهود البستي في خدمة الدولة

لم يفرد احد من الذين ترجموا لابي الفتح حديثا عن جهوده في خدمة الدولة ، فالعتبي في تاريخه والثعالبي في يتيمته اشارا فقط بعبارات سريعة غامضة الى بعض تلك الجهود ، اما المستشرقون الذين كتبوا عنه فلم يشيروا بكلمة واحدة الى هذا الموضوع ، ولعل ندرة الاشارات الواردة في المصادر عنها هي التي صرفتهم عن الحديث عن ذلك .

لكن ذلك لا يعني ان ينتفي التساؤل عن هذا الامر ، وبخاصة وان البستي يشير في شعره الى ان له من الكتبة اغنى عن الجيوش ، فهو يقول :

كتب الامير كتائبا في المعركة
والرأي منه طبيب داء المملكة
واذا رمى بالظن امرا مشكلا
اصمت سهام الغيب منه مهلكه

ولا جدال في انه كان يعني بكتب الامير كاتبه اي انه يعني نفسه ، فاذا ما حاولنا ابراز الدور الذي قام به مستندين الى النزر القليل من النصوص والى ديوانه لامكننا ان نقول : انه في الوقت الذي كان فيه الامير سبكتكين منصرفا الى فتوحه المظفرة في الهند ، كان على ابي الفتح كاتبه ورئيس ديوانه ، وهو منصب اشبه بوزير الخارجية في عصرنا الحاضر ، ان يحمي ظهره من ان يطمع في بلاده طامع او يعتدي عليها معتد ، وذلك انما يتم بتوثيق العلاقات بينه وبين الامارات المجاورة . ولتحقيقا لهذه الغاية فقد راح ابو الفتح يوطد علاقاته بامراء هذه النواحي ، فنراه يمدح خلف بن احمد الصفار امير سجستان اكبر الامارات المجاورة لغزنة بقصيدة طويلة وببعض مقطعات شعره ، ومنها قوله .

خلف بن احمد احمد الاخلاف
اربى بسؤدده على الاسلاف
خلف بن احمد في الحقيقة واحد
لكنه مستربٍ عن الالاف
أضحى لآل الليث اعلام الهدى
مثل النبي لآل عبد مناف

كما نراه كذلك يمدح بني فريغون امراء الجوزجان ، ويبدو انه أرسل اليهم في سفارة ناجحة الى امرائه يقول

بنو فريغون قوم في وجوههم
نور الهدى وضياء السؤدد العالي
كأنما خلقوا من سؤدد وعلا
وسائر الناس من طين وصلصال
يا سائلي ما الذي حصلت عندهم
دع السؤال وقم فانظر الى حالي

كذلك فقد مدح ابو الفتح قابوس بن وشمكير امير طبرستان واشاد بتاديبه للعصاة الخارجين عليه في بيته هذا المشهور :

لا تعجبنّ لقسوة في قابوس
من عصى قابوس لاقى بؤسا

وكانت العلاقات بين ابي الفتح والصاحب بن عباد وزير البويهيين في الري متينة وثيقة ، والمكاتبات ورسائل الود كثيرة التبادل بينهما .

اما صلته برجالات الدولة السامانية ، وهي التي كانت تتبعها امارة غزنة ، فقد كانت في غاية المودة والتقدير ، وبخاصة بينه وبين الوزير السامانيين العتبي ابي علي الدامغاني الذي تربع في دست الوزارة مدة قيل انها بلغت خمسة وعشرين عاما ، الى جانب صلاته العديدة بالعلماء والادباء في هذه الدولة وغيرها مما يطول ذكره .

أثر هذه الصلات في خدمة الدولة

لا جدال في ان هذه الصلات التي ارتبط بها ابو الفتح مع رجالات عصره كان لها اثر كبير في خدمة الدولة التي كان يرأس ديوانها .

ويتضح ذلك في انه حينما ساءت الامور في الدولة السامانية وخرج عليها ولاتها وقوادها ، واضطر الامير نوح بن منصور الساماني الى طلب النجدة من الامير سبكتكين واليه على غزنة بعد ان ألجىء الى الفرار من عاصمة بخارى وهرب معظم جيشه . في هذه الآونة نرى سبكتكين يستعد للدفاع عن الدولة وتأديب العصاة ، وكان اثنان منهم وهما ابو علي الحسن ابن سيمجور وفائق الخاصة قد استقلا بخراسان ، ويدرك سبكتكين انه امام عدو قوي فيطلب معونة جيرانه من الامراء بواسطة كاتبه ابي الفتح ، وعلى الفور يجد استجابة من خلف بن احمد امير سجستان ، وكذلك من بني فريغون امراء الجوزجان ، في حين ينضم قابوس ابن وشمكير الى جانب ابن سيمجور ،

وظلت هذه الجيوش الجرارة الى العصر تلغ لتحتدم المعركة بينها فترة طويلة بلا ترجيح لظفر .

المفاجأة المذهلة

وبينما المعركة في شدة احتدامها اذ تحدث المفاجأة المذهلة فيأمر قابوس بن وشمكير ابنه دارا بالانهزام من جيش ابن سيمجور والانضمام الى سبكتكين ، وهنا تحدث المفاجأة أثرها فيدب الاضطراب والخلل في جيش ابن سيمجور في حين تقوى جيوش سبكتكين وتنقض كالبزاة على الفريسة التي شلها الخوف ، فلا يجد ابن سيمجور بدا من الفرار بما خف من جيشه ، ويدخل سبكتكين خراسان دخول الفاتح الظافر .

ونتيجة لهذا الانتصار الذي حفظ للدولة وحدتها فان الامير يخلع على سبكتكين لقب ناصر الدولة وعلى ابنه محمود لقب سيف الدولة مع توليته خراسان وهو لم يتعد العشرين من عمره .

مهمة اخرى لابي الفتح

الى هنا ويبدو لابا الفتح قد آن له ان يستريح بعد ان ادى مهمته بنجاح ، الا ان القدر كان ما زال يدخر له مهمة اخرى .

الا انه بينما كانت الجيوش الظافرة تعود الى بلادها سعيدة بالنصر والغنيمة ، كان خلف بن احمد الصفار امير سجستان قد ملأه لهيب الغيرة لما وصل اليه سبكتكين وابنه من مكانة رفيعة ، وقد خشي من مغبة ارتفاع نجم هذا القائد الذي كان يحرز من الانتصارات المتوالية في الهند ما كان يقوي جيشه وحزمه ، وما هو لا يخفى اليها انتصارا كبيرا داخل الدولة السامانية وليس في اطراف الهند التي ما كان يعبأ بها احد ، ولهذا فانا نراه يصرح بندمه على مشاركة سبكتكين في تلك الحملة ، ثم نراه يراسل ايلك خان ملك بلاد الترك لاجتياح امارة غزنة والاستيلاء عليها .

ووصلت هذه الانباء الى سبكتكين فاضطرته ضرورة الانتصار الى الامر باعداد الجيوش لتاديب خلف والاطاحة به ، الا ان ابا الفتح يتدخل لمنع هذا ، ويشرح العتبي هذا الموقف بقوله : فثناه كاتبه ابو الفتح عن ذلك ، واراه ان بعض البلاغات زور ، وان القابل لها كالقائل ماخوذ بها موثق . ثم ان ابا الفتح كاتب خلفا بما بلغ اميره عنه ، فرد هذا منكرا حدوث شيء منه . فتفرق عليه سبكتكين كثيرا من هداياه ، واستمرت الحال بينهما على الالفة .

هذه لمحة سريعة من بعض جهود ابي الفتح في خدمة الدولة ، ولا شك ان له جهودا اخرى كثيرة اغفل المؤرخون ذكرها ، لكنها في الواقع قد اسهمت في تاسيس الدولة الغزنوية التي صارت امبراطورية عظيمة فيما بعد ، ورفعت من مكانة ابي الفتح لدى معاصريه ولدى اميره على وجه الخصوص ، ويتضح هذا من اشارة العتبي في تاريخه الى ابي الفتح بقوله : كاتب الامير وصاحبه .

ابو الفتح الاديب

الى جانب ما كان يمتاز به ابو الفتح من براعة سياسية وحنكة وكياسة ، فقد كان عالما كبيرا واديبا بارعا ويذكر الثعالبي انه كان خطيبا وشاعرا وحاسبا وفقيها ومحدثا ، هذا الى جانب براعته الكتابية في تدبيج الرسائل وشعره الرقيق البديع الصنعة . ولقد كان لابي الفتح مؤلفات في سائر الفنون ، الا ان يد الزمان لم تبق من ذلك الا نتفا يسيرة من رسائله وديوان شعره الصغير .

واذا ما اجلنا النظر في هذا الشعر فان اول ما يسترعي انتباهنا فيه هو انه من جهة معانيه واغراضه مملوء بمعاني الحكمة والايمان بالله والحث على فعل البر والاحسان ، ومن جهة الفاظه فان الصنعة البديعية وبخاصة الجناس تغلب عليه وتتفشى فيه مع رقة هذه الالفاظ وسهولتها ، مما جعل كثيرا من ابياته شهيرة سيارة ، ومنها قوله :

اذا ملك لم يكن ذا هبه
فدعه فدولته ذاهبه

وقوله :

النحس حظي سعي تعسي
ترى نعمى اراق دمعي

وقوله :

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفي حتى لقب الصوفي

وقوله :

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله
وليس له ذكر اذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي
فان لم يكن نسل فانا بها نسلو

والبراعة هنا في استعمال الجناس واضحة جلية ، والواقع أن أبا الفتح كان يملك مقدرة فذة في اكتشاف الألفاظ المتشابهة وتطويعها للمعنى التي يريدها ، ولننظر الى لفظ « الجواريا » الذي أورده في أربعة معان مختلفة في رشاقة ويسر ، في قوله :

أنست بأيام الشباب وطيبها ... وآنست جمرا في جوار الجواريا

فلما رأيت الشيب يبسم ضاحكا ... بكيت فاجلت العيون الجواريا

وقلت [illegible] كاتبا ... وكنت أراه يقدح التليج وربما

[illegible] بالدموع [illegible] ... وما يصنع [illegible] الجواري ربما

وقوله في الشيب أيضا ، وهو يستعمل فيه شتى ضروب الجناس :

[illegible] الشيب [illegible] ... وذا زمانك ـ فاسرح فيه ـ الزمني

مضى الشباب بما أحببت من متع ... والشيب وافى بما أبغضت من محن

لما [illegible] ... وما [illegible]

الى غير ذلك من مقطوعاته الرائعة البهجة الممتعة التي يطول بنا الأمر لو أوردناها كلها .

رأي النقاد في شعره

يعجب النقاد القدامى كثيرا بأبي الفتح وشعره ويصفونه بصفات الاكبار والتقدير فيقول الثعالبي هو صاحب الطريقة الأنيقة في التجنيس البديع التأسيس ، وكان يأتي فيه بكل طريفة ولطيفة . ويقول ابن كثير : له في الجناس اليد الطولى ومبتكرات أولى . ويقول ابن الجوزي عنه : هو الشاعر المشهور ، كان يقصد التطابق والتجانس في شعره . ويعجب عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة بأبي الفتح ويشيد بهذا البيت من شعره :

ناظراه فيما جنى ناظراه ... أو دعاني أمت بما أودعاني

إلا أن النقد الحديث لا يوافق على هذه الآراء ، والواقع بعد ذلك أن أبا الفتح ابن بيئة ألزمت بهذا النوع من التعبير ، وهو قد وفق توفيقا كبيرا دل على القدرة الفائقة لتطويع أصعب [illegible] الانسان لمشيئته وهي الكلمات والألفاظ .

خاتمة أبي الفتح

ظل أبو الفتح يتمتع بمنزلة سامية مع أميره ناصر الدين سبكتكين قرابة العشرين عاما حتى توفي الأمير سنة ٣٨٧ هـ ، وتولى بعده ابنه محمود بن سبكتكين . وقد انعدمت منزلة أبي الفتح لديه ، ولا ندري السبب في ذلك إذ لم يذكر المؤرخون شيئا من ذلك قط . والواقع أن أبا الفتح لا يبدو أنه ارتكب ذنبا أغضب عليه الأمير ، وكل ما في الأمر أن السلطان محمود كان يمثل القوة العاصفة ، فهو قد قضى على الدولة السامانية كلها بعد ثلاث سنوات من حكمه ، كما قضى على كل الامارات المجاورة واحتلها ، واتسع من بلاد الهند وخصومها ما لم يكن أحد يحلم بالوصول اليه ، فلم يكن والحالة هذه في حاجة الى السياسة التي يمثلها أبو الفتح . واحل محله آخرين من الوزراء والقواد ، إلا أن أبا الفتح يأسى لما وصل اليه حاله من الابعاد ويخاطب أميره قائلا :

سيدي أنت لا تخيل بخيل ... لم يكن [illegible]

وتذكر [illegible] ... [illegible] الأعمال [illegible]

رب شعر لا [illegible] ... سار في العالمين [illegible]

[illegible] أودعته [illegible] الشعر ... من [illegible] البلاد شرقا وغربا

ثم يرفع صوته بالشكوى قائلا :

وإذا [illegible] الكتابة [illegible] ... في مجلس [illegible] لم [illegible]

فلطالما حررت من [illegible] ... ولطالما [illegible] من [illegible]

[illegible] الوعد والوعيد [illegible] ... [illegible] الحكيم [illegible] كالمطلوب

ويكثر أبو الفتح من شكواه هذه التي لا تجد مجيبا ، بل يبدو أنها أحدثت أثرا عكسيا في السلطان محمود الذي لم تتسع له سعة الصدر ، فيصدر أمره أخيرا بنفي الشاعر الى بلاد الترك ، وفي عام ٤٠٠ هـ ، وفي سهول أوزجند توفي الشاعر البارع والوزير الذي أدى لبلاده أجل الخدمات ، ولم يكافأ في آخر حياته إلا بالجحود والنكران .

محمد الخولي
معهد المخطوطات ـ جامعة الدول العربية

ندوة توفيق البكرى صاحب كتاب صهاريج اللؤلؤ

بقلم : انور الجندى

■ كانت ندوة السيد توفيق البكرى تعقد في دار السادة البكرية في الخرنفش ، وكانت تجمع شباب الأدب من كل فن ، [illegible] الشرف والجاه والأبهة ، وكانت الندوة الكبرى تمتاز بالرواء والفخامة ، محوطة بمظاهر الطقوس الصوفية والتجديد .

في الندوة

وقد صورها الرجل الحسن الوجه الواسع العينين ، الذكي اللماح ، وقد حفلت ندوته بأعلام عصره من رجال الأدب والسياسة والفكر والأمراء ، ومن محدثيه السيد علي يوسف صاحب المؤيد ، [illegible] والشيخ الشنقيطي ، وحمزة فتح الله ، وإبراهيم المويلحي ، وخليل مطران ، وكانوا يسمرون حتى ساعة متأخرة من الليل .

وتدور المجالس مختلف الأحاديث

فإذا طال المجلس وتطاول السمر انصرف البكري مع زواره الى مائدة حافلة ، فلا يزالون بالقرب ويسمرون حتى مضي الهزيع الأول من الليل ، ولقد كانت تحول القاعة في بعض المناسبات الإسلامية بمشايخ الطرق الصوفية [illegible] لواء السادة البكرية ، ولواء السادة الصوفية ، ولواء نقابة الأشراف .

البكرى : مؤلفا ، مجددا وكاتبا وشاعرا

ولد توفيق عام [illegible] وتولى الخديو عباس حلمي الثاني عرش مصر ، وكان له رفيقا في الدراسة ، وكان قد برز في مختلف مجالات الثقافة والأدب مؤلفا ومجددا وكاتبا وشاعرا

وكان السيد قد أحرز حظا من التعليم العصري [illegible] المدرسة الفرنسية [illegible] العلوم [illegible] حظي بصحبة الشيخ محمد عبده [illegible] والسيد [illegible] وحضر دروسه في الأزهر وجامع [illegible] كما تلقى دراساته في [illegible] اللغة العربية [illegible] على الشيخ محمد محمود الشنقيطي الكبير .

وقد تقدم بعد إتمام دراسته الى الأزهر الشريف حتى أحرز [illegible] الأساتذة [illegible] في إجازته العالية :

[illegible]

تتمثل غايات الشهامة حيث [illegible]

[illegible]

وقد عرف له فضله في مجال الدراسات الأدبية [illegible] من أراجيز العرب أعلاها وشرح غريبها ، وكان كتابه صهاريج اللؤلؤ هو أكبر أعماله ، وقد أصدره عام ١٩٠٦

وله كتب في الدراسات الإسلامية [illegible] المستقبل للإسلام ، أصدره عام ١٩٠٢ ردا على ما أثاره بعض المستشرقين [illegible] من شبهات ، وله [illegible] كانت تنشره الصحف [illegible] وقد جرى في كتاب صهاريج اللؤلؤ على نسق الأدباء القدامى في السجع



والجاس والصناعة اللعوبة ، صور فيه جوانب من حياته ورحلاته الى باريس واستانبول .

وقد صور سليم سركيس في لقاء له مع السيد البكري عام ١٩٠٥ أسلوب حياته الأدبية فقال : ادخلني الى غرفة مكتبه وقد ملأوا طاولة مستطيلة طولها اربعة أمتار حافلة بالكتب والأوراق والأكياس لأن سماحة السيد يضع أوراقه وأظرفه الفخمة في أكياس صغيرة ويكتب غالبا بقلم رصاص وغالبا مدخن وهو يكره الكلام اثناء اشتغاله بالكتابة .

ومما قال ان له الفا أكثر من كل كاتب مصري ولكنه يبخل بنشر كتاباته » .

ويقول الدكتور زكي مبارك : ان أكبر أثر تركه البكري هو كتاب صهاريج اللؤلؤ ، وهو أثر كاف في الدلالة على ان صاحبه كان مرشحا للخلود منذ أمد بعيد فانه لم يتفق لكاتب في اللغة العربية ان ظفر بذلك الحظ من الذكاء ، وما ظن القارئ برجل يفتن في صنوف التشبيهات والاستعارات والكنايات في أكثر الصور الأدبية حتى استطاع ان يحولها على أسلة قلمه الى ملك خاص لا ينازعه فيه مكابر ولا حسود .

ولقد كان لندوة البكري تاريخ ، فقد وقعت فيها صفحات من تاريخ الأدب ، وملامح من تاريخ السياسة ، وأبرز حدثين أدبيين فيها هما : رسالة حفني ناصف الشهيرة وقصيدة المطاوعة في هجاء الخديو منسوبة الى البكري .

خطاب حفني ناصف الى السيد البكري

ولقد كان خطاب حفني ناصف الى السيد البكري من أروع صفحات الأدب ، وقد تناقلته حديث الناس وما زال ، ويصور الخطاب جانبا من ندوة البكري وسلوك السيد مع زواره وأصدقائه يقول : « كتابي الى السيد السند ، ولا أحتشم الجواب منه ، فذلك ما لا أنتظره منه ، وإنما أسأله ان يبسط الى قراءته ويرنو الى مطالعته .

« زرت السيد ويعلم الله ان شوقي الى لقائه كحرصي على لقائه ، فسألت عنه فقيل لي انه خرج ليودع زائرا وهو عما قليل حاضر ، فانتظرت رجوعه وترقبت طلوعه ، فلم أزل أعد اللحظات وأستطيل الأوقات ، حتى بزغت الأنوار ، وأربع صحن الدار ، وجاء السيد في موكبه متعبا لاستقباله ، فلم يتعرف وجوه القوم حتى حالاتي ، وكبر على عينه ان يراني ، فغادرني ومن على يساري ، وأخذ في السلام على جاري ، ويكرر القعود والقيام ، وأنا في هذه الحال أوهم جاري اني في داري ، وأظهر للناس ان شدة الألفة تسقط الكلفة ... الخ » .

ويلاحظ النقاد ان حفني ناصف كان قد تحدث الى السيد في الأدب وطال بينهما السجال ، ومما قاله حفني ناصف للسيد :

ان عليه ان يترك الشعر ، لأنه لم يبرع فيه وليس من عمله ، وإنما هو نادر في البلاغة والنثر ، ولكن السيد رفض هذا الرأي وغضب .

فسألك تحداه حفني ناصف ان ينظم كل منهما قصيدة على الفور وان يحكما حكما في القصيدتين ليعرفا أيهما السابق والمسبوق . واشترط على السيد ان تكون القصيدة في « الغزل » . ووافق البكري . فلما انتهى البكري من قصيدته ، وكان حفني قد أتم قصيدته ، بلاغها واحدة بعد أخرى ، لم أعرف للبكري بالحسن والقبول ، وأسرع بعرض القصيدتين وأنهى الموقف . ولكن حفني احتفظ بقصيدة البكري ، وأرسلها للخديو بعد ان كان الخلاف قد وقع بينهما . فاستطابها الخديو . وكانت هذه الشبهة ترد على القصيدة ... ان البكري ناله العرض عليها .

وكان من نتيجة ذلك اعراض السيد عن حفني ناصف ، وخطاب ناصف الى البكري على النحو الذي جاء به من العتب !

قصيدة الهجو

وكانت قصيدة « العوم » قد ظهرت في ٤ نوفمبر ١٨٩٢ على صدر جريدة (الصاعقة) التي كان يصدرها (أحمد فؤاد) في نفس يوم عودة الخديو من مصيفه من الآستانة وفي مطلعها هذه الأبيات

قدوم ولكن لا أقول سعيد
ومُلْك وان طال المدى سيبيد

تذكرنـا رؤيـاك أيـام أنزلت
علينا خطوب من جنودك سـود
رمتنـا بكم مقدورهـا فأصابنـا
مصيب بسهم وبالبلاد شديد

الى أن قال :

كأني بقصر الملك أصبح مقفرا
من العز والعلم المبين مبيد
ويصحب في افلاكه اليوم ناعبا
له فيه ترديد الرثاء نشيد

وقد هزت القصيدة دوائر القصر والاستعمار في مصر ، واتهم السيد (توفيق البكري) بأنه هو الذي حرض المنفلوطي على نظم القصيدة ، بل قالوا ان له مشاركة فيها . وفي التحقيق اعترف مصطفى لطفي المنفلوطي واحمد فؤاد بأن الاول هو المنشيء للقصيدة هذا المقطع وبيتين في وسطها ، ولكنه كان يأبى ان يقول انهما للسيد البكري . وقال الثاني ان السيد البكري هو المحرض على انشاء القصيدة وطبعها . اما السيد فقد انكر في التحقيق معرفة المتهمين ، وقد شغلت القضية الصحف خلال عام ١٨٩٨ شهورا كثيرة ، وراجها متحمسة ، ولما كان توفيق البكري قد اختلف مع الخديو قبل هذه الحادثة فقد جرت محاولة لتفتيش منزله . وقد كانت الندوة في خلال هذه الفترة تضم كثيرا من اصدقاء الشيخ من المحامين والعلماء الذين كانوا يتحدثون طويلا عن هذا الموقف.

وقالت الصحف ان البيتين اللذين اضافهما البكري هما :

أماني يرجى ان تكون خليفة
كما ودنا ابناه ودام جحوده
فيا ليت دنيانا تزول وليتنا
نكون ببطن الارض حين تسود

وقد شغلت القصيدة الناس الذين نسخوا منها عشرات بل مئات .

حتى لقد اراد احد الكتاب ان يعيد نشر القصيدة في الصحف فشطرها واضاف اليها ما يزيد عليها ووضع الاصل بين اقواس على هذا النحو الذي قام به الشاعر عثمان الموصلي ونشرها سركيس في مجلته :

(قدوم ولكن لا اقول سعيد)
على فاجر عجز الفؤاد عنيده
لاصحابه بيت من اللؤم عامر
(وملك وان طال المدى سيبيد)

وفهم الناس ان المقصود هو نثر ما بين الاقواس وهو نص القصيدة الاصلية .

التصوف

وكان مجال التصوف من ابرز مجالات ندوة البكري فقد كان بحكم زعامته الصوفية ورئاسته للزاوية الثلاثة مبرزا في هذا المجال . ولقد كانت تحفل داره في المناسبات الاسلامية برؤساء الطرق وقد حلقوا حوله في تنسيق عجيب ، بطبولهم ودفوفهم وبخورهم يتلون « دلائل الخيرات » بصوت مرتفع متناسب في نغماته واوزانه ، وكانت تقبل كل طريقة بعد اخرى ومعها اعلامها ومصابيحها ودفوفها ، ثم تتهادى من باب الدار وخلفها رجالها ذوو العمائم الخضراء يجهرون بالاذكار والاوراد ، فيتحولون الى الحديقة الفسيحة قاصدين الطريق ثانية وثالثة .

وقد عني السيد البكري في ندواته بطرح موضوع اصلاح الطرق الصوفية وكان للامام الشيخ محمد عبده توجيهات في هذا الصدد . وكانت الصحف لا تتوقف عن الحديث في هذا الامر يحمل لواءه السيد رشيد رضا في المنار والشيخ عبد العزيز جاويش في جريدة (العلم) .

وكان السيد البكري قد التقى بالسيد جمال الدين الافغاني في الاستانة وتحدث معه في هذا الشأن وكان لاجتماعه به اثر بعيد في نفسه وفكره ، وقد اشار اليه في كتابه « صهاريج اللؤلؤ » .

كما اشار الى ان هذا اللقاء كان عاملا اساسيا في كتابة فصول كتابه (المستقبل للاسلام) وفيه تحدث عن الدور الذي لعبته الطرق الصوفية في نشر الاسلام خلال القرن التاسع عشر في افريقيا .

وقد كان دائما يردد في ندوته ان اهم اسباب انتشار الاسلام هو خدمة دعاته (الصوفية) ويقول انهم جمعية في الامة الاسلامية مرتبة النظام ، منتظمة الهندام ، يبلغ عددها ملايين من النفوس فهم اكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوذيون في الصين ، ولا الطوائف الدينية في اوربا ، وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الاسلامية قياما عجيبا.

والصوفية في الحقيقة هي القوة الدالة على الحيوية والنماء في العالم الاسلامي فتراهم في افريقيا وفي الصين والهند واواسط آسيا ، بل في جزر المحيط يدعون الى الاسلام ويدخلون الافواج

فيه على مدى الايام ، حتى ان الخطوط التى ترسم في افريقيا لبيان حدود الاسلام وبلاد خط الاستواء لتنتقل متقدمة الى الجنوب في كل عام ، وذلك من اثر فتوح مشايخ الصوفية في مجاهل افريقيا ، وما دخل المستعمرون قرية من قرى الكونغو الا وجدوا الصوفية قد سبقوهم الى نواصيها .

ولقد واجه السيد البكرى حملات الصحف والكتاب عليه ، ورد عليهم مؤكدا اهمية التصوف مستشهدا بكتابات الامام الغزالى واشار الى اهتمام الكتاب الغربيين بالصوفية .

مجمع اللغة العربية

وقد كان من ابرز موضوعات ندوة البكرى : موضوع اللغة العربية.فقد جرت مسامرات طويلة خلال ليالى متعددة حول هذه الاراء حتى حملها المهندس « ويلكوكس » في خطابه الذى القاه في حديقة الازبكية تحت عنوان « اللغة العربيةاساس التاخر » وهو الخطاب الذى فرجع تاخر المصريين الى اللغة العربية الفصحى ودعاهم الى اتخاذ اللغة العامية كوسيلة للتقدم ، ثم كانت كتابات القاضى ولمور ، وغيره من دعاة ما اطلق عليه اللغة المحكية .

ثم صح العزم على اتخاذ موقف ، فدعا السيد البكرى نخبة الباحثين والعلماء في سرايهبالخرنفش وتحت رئاسته . وقد عقد هذا الاجتماع خريف عام ١٨٩٢ ، وحضره محمد عبده ، والشنقيطى الكبير ، وحسن الطويل ، وحمزة فتح الله وحفنى ناصف ومحمد بيرم ومحمد الوبلحى ، وتوالت اجتماعات هذا المؤتمر الذى اطلق عليه من بعد « مجمع اللغة العربية » الاول .

وقد استطاع المجتمعون اقرار وضع كلمات عربية بديلا لمثلها من الكلمات الاجنبية وهي كلمات :

مرحى : بدلا من (برافو) — معرة : بدلا من (الكلاكو) — عسرة : بدلا من (التليفون) — نعم صباحا : بدلا من (بون جور) — نعم مساء : بدلا من (بون سوار) — بهو : بدلا من (صالون) — قفاز : بدلا من (جوانتى) — وشاح : بدلا من (كردون) .

الحديث عن الجامعة الاسلامية

وكان من اهتمامات ندوة البكرى الحديث عن الجامعة الاسلامية ، فقد استقبل البكرى عالما فاضلا قدم من التركستان هو (اسماعيل غصبر نسكى) يدعو الى الجامعة الاسلامية فاحتفل بموعرفه به رواد ندوته وسمح له في ان يصور فكرته ، وقد اقترح السيد على يوسف على السيد البكرى ان يعقد له اجتماعا عاما في فندق (الكونتننتال) وليشرح فكرته لاهل الراى وقد حرص البكرى ان يلزم دائما كلما اثير موضوع الجامعة الاسلامية :

« ان الجامعة الاسلامية منذ القديم جامعتان . دينية وسياسية ، اما الجامعة الدينية فهى موجودة لوجود روابطها وهي العقيدة الاسلامية اولا واخوة الاسلام ثانيا والقبلة التى تتجه اليها وجوه المسلمين مرارا في كل يوم . اما الجامعة السياسية التى يخشاها الافرنج فغير موجودة لفقدان الرابطة في كل امر سياسى » .

ولقد كان السيد يتحدث في فخر عن لقائه السيد جمال الدين الافغانى في الاستانة عام ١٨٩٢ وعن لقائه السلطان عبد الحميد الذى انعم عليه بدرجة وزير ، وقد تحدث عن ذلك في كتابه (صهاريج اللؤلؤ) والمستقبل للاسلام .

اهتمامه بالشعر والشباب من الشعراء

وكان السيد اهتمام بالمتنبى وشعره ومعانيه وكان يحفظ كثيرا منها ويرددها ، كما كان يسمح للشعراء الشباب ان يرودوا ندوته وينشدوه من شعرهم ، وكان يوجههم وكان اقوى صداقته : لعلى يوسف صاحب المؤيد ، وفارس نمر مدير المقطم . وكان كثير المطالعة ، وقد حوت مكتبته آلافا من الكتب العربية والفرنسية ، وكان حريصا على ان يضيف اليها كل جديد وخاصة في الموضوعات التى اولاها اهتمامه

وهى دراسات البلاغة والشعر واللغة العربية والاسلام والتصوف .

وقد امتدت ندوته في سراى الخرنفش من عام ١٨٩٢ تقريبا (وهو العام الذى تولى فيه مشيخة الطرق الصوفية ومشيخة السادة البكرية ونقابة الاشراف) الى حوالى عام ١٩١٢ وهو العام الذى اضطربت فيه اعصابه على اثر الخلاف الذى وقع بينه وبين الخديو ، فنقل الى مستشفى العصفورية قريبا من بيروت ، فاقام به حتى عاد عام ١٩٢٨ الى القاهرة ، وقد عاد متهدم البنية منهوك القوى فلم يلبث طويلا معتزلا الناس ، حتى توفى عام ١٩٣٢ .

القاهرة — انور الجندى



كتاب الشهر

المشكلة العربية الإسرائيلية *

■ في أغسطس (آب) من عام ١٩٤٤ ، نشرت جريدة « جون بول » John Bull الأسبوعية مقالا للكاتب المشهور اتش . جي . ويلز H. G. [illegible] عنوانه « [illegible] العرب ».

وفي عام ١٩١٩ ظن بعض الكتاب الأوروبيين الساخرين على معاهدة فرساي الظالمة ، أنها معاهدة لسلم ليس بعده سلم ، وقد كانت هذه المعاهدة بالنسبة للعرب كما وصفها أولئك الكتاب الساخرون . ومنذ ذلك التاريخ نعيش مشاكلها الحقيقية مع الاستعمار والصهيونية العالمية . وها نحن هذا اليوم لسنا سوى ضحية لما خططوا له ، وتم الاتفاق عليه في تلك المعاهدة . ولكن الغربيين لا يرون عدالة موقفنا لأنهم كانوا دوما أسرى الدعاية الصهيونية الماكرة .

ونحن نعرف أنه منذ أن نشبت الأزمة في الشرق في مايو « أيار » ١٩٦٧ ، حتى هذا سيل من الكتب والمجلات ظهر معتمدا على الأزمة وأسبابها وما يمكن أن يترتب عليها من نتائج . وفي ضوء الحقد أن الكثرة الساحقة من هذه المنشورات تعرض وجهة النظر الإسرائيلية وتسعى دون نظر إلى حقوق العرب ، وما أصابهم من ظلم . ولم يكتب إلا القليل جدا عن الأسباب الحقيقية لهذا الصراع ، وعن أخطاره بالنسبة لمصالح الدول العربية في المنطقة . ولهذا كانت الحاجة ماسة إلى تقديم دراسات موضوعية تحاول أن تقيم هذا النزاع العربي ـ الإسرائيلي ، بعيدا عن الأهواء وأساليب الدعاية السائدة .

وانطلاقا من هذه الغاية ، قامت بجمع مواد هذا الكتاب ، السيدة مجدية خدوري ، باختيار هذه المقالات التي نشرت ، التي كتبها أعلام رجال من الأعلام الذين عرفوا بتحررهم وموضوعيتهم ، وعلمهم الطويل بموضوع البحث ، وذلك من أجل أن تساعد القارئ المهتم بالقضية على تكوين رأي حر وموضوعي . والسيدة مجدية خدوري مؤهلة تماما للقيام بهذا العمل * ، فهي عراقية المولد ، درست في بغداد ، وبيروت ، وستانفورد ، وطوفت في البلاد العربية والأوروبية

* Majdia D. Khadduri (Editor) : The [illegible]



حرر : مجدا خدوري

عرض : الدكتور محمود السمره

وامريكا . وهي زوجة الاستاذ مجيد خدوري الاستاذ في جامعة جونز هوبكنز .

وهذه المقالات متنوعة ، لا يجمع بينها سوى اطارها الكبير وهي انها تتحدث عن الصراع العربي - الاسرائيلي . ولم يكن يخطر ببال انها في يوم من الايام ستضم الى بعضها بعضا في كتاب واحد ، وهي المقالات التي نشرت في مجلات متعددة . والقيمة الاولى للكتاب انه ينشر في امريكا ، لكي يطلع القارئ الامريكي على حقيقة ما يجري في المنطقة ، وهي حقيقة ضاعت في خضم الدعاية الاسرائيلية التي حجبت عن الامريكيين الوجه الآخر للقضية .

نظرة عامة في الكتاب

وبدأ الكتاب بثلاث مقالات تتناول الخلفية التاريخية للعرب ، والازمة الحالية ، وهي بأقلام سرجون غلوب Sir John Bagot Glubb والمؤرخ المشهور ارنولد توينبي والسياسي البريطاني المعروف انطوني نتنج .. وتلاها ثلاث مقالات عن حرب ١٩٦٧ بأقلام السياسي الامريكي تشارلس يوست Yost ممثل امريكا السابق في هيئة الامم ، والدكتور جون بادو Badeau الذي كان رئيسا للجامعة الامريكية في القاهرة ثم سفيرا لامريكا في الجمهورية العربية المتحدة ، ومقالة مأخوذة من مجلة فرنسية هي " Le Nouvel Observateur "

ويروي يوست في مقاله بالتفصيل الاحداث التي ادت الى حرب الايام الستة . ويرى جون بادو ان العرب يتكلمون كثيرا ولكن الكلام عندهم لا يعني الفعل ، اما الاسرائيليون فالصلة وثيقة عندهم بين الكلام والفعل ، وهذا ما كان يجهله العالم الغربي عن العرب . وفي رأيه ان الامريكيين لا يفهمون وجهة النظر العربية ، كما ان العرب لا يفهمون الامريكيين . ويحلل البرت حوراني ، الاستاذ بجامعة اكسفورد ، الواقع العربي تحليلا جيدا ، ويؤكد على ان العرب لا يكرهون اليهود لانهم يهود ، ولكنهم يرفضون رفضا قاطعا الصهيونية ويعتبرونها في كلامهم .

ويرى كل من دون كوردر Don Corder ، والمر برجر Elmer Berger ، وجان لاكوتير Jean La Couture ان الاحوال لن تستقر في منطقة الشرق العربي ، بسبب الاخطاء الفاحشة في السياسة الامريكية ، مما ادى الى تدهور صورة امريكا في نفوس العرب لتحيزها الفاضح لاسرائيل وهم يدعون المسؤولين الامريكان الى اعادة النظر في سياستهم هذه .

وبعد هذه الاشارة السريعة الى بعض مقالات الكتاب ، نقف بشيء من التفصيل عند بعضها

غلوب : لقد فرضنا نوعا من الرقابة على تاريخ العرب

ويبدأ بمقال سير جون باجوت غلوب Sir John Bagot Glubb ، وهو في اصله محاضرة كان

قد القاها في « معهد الشرق الاوسط » بوشنطن في ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ . وهذا بعض ما ورد في مقاله :

يقول غلوب : « انني اريد ان اعرض عليكم هذا المساء وجهة نظر في ازمة الشرق الاوسط مغايرة لتلك التي تقرأونها كل يوم في الصحف . وفي رأيي اننا لن نفهم الحاضر الا اذا درسنا الماضي . وهذا التاريخ البشري الذي يمتد عبر خمسة آلاف سنة ، شهد امبراطوريات شادها الفراعنة والاشوريون ، والبابليون ، والفرس القدماء ، والاسكندر الاكبر واليونان ، والرومان ، والعرب ، والعثمانيون ، ثم البريطانيون. ولتشترك كل هذه الامبراطوريات في صفة واحدة هي انها جميعا حكمت مصر . واذا بحثنا عن السر في هذا ، وجدنا لذلك سببين ، اولهما : ان مصر ومنطقة الشرق الاوسط هي الطريق الوحيد الذي يصل اوروبا ودول البحر المتوسط بالمحيط الهندي ، والهند ، والشرق الاقصى ، واندونيسيا ، واستراليا .

وثانيهما ان الشرق الاوسط هو المركز الذي يصل بين اوروبا وآسيا وافريقيا ، وهي القارات العالم القديم الثلاث المعروفة . ولهذا فان من كان يستولي على مصر ، كان يستطيع ان يتحرك منها نحو اوروبا ، او آسيا ، او افريقيا ، ويستطيع في الوقت نفسه ان يقطع الطريق من اي من هذه القارات الى اي قارة اخرى .

ولا اريد اليوم ان استعرض تاريخ هذه الخمسة الآف سنة ، ولكني اطوي القرون لاصل الى القرن السابع الميلادي، حين خرج العرب المسلمون من بلادهم مجاهدين فاتجهت جماعة منهم شرقا الى الامبراطورية الفارسية ، واحتلت ما يعرف اليوم بافغانستان وسهول شمالي الهند . واتجهت جماعة اخرى شمالا فوصلت الى ما يعرف اليوم بالارض السوفييتية ، وشمالي التبت الى ان وقفت عند حدود الصين . واتجهت جماعة ثالثة الى الغرب، فاستولت على سوريا وفلسطين ومصر وشمالي افريقيا ، ثم عبرت جبل طارق لتستولي على اسبانيا ، ومنها تتوغل في الارض الفرنسية لتقف على بعد ٢٥٠ ميلا من شواطئ انجلترا . وهكذا في زمن قصير نجد ان هؤلاء القوم قد استطاعوا ان يهزموا اقوى امبراطوريتين في عصرهم، هما الامبراطورية البيزنطية والفارسية ، ويقيموا امبراطورية تمتد من المحيط الاطلسي الى حدود الصين .

وفي هذه الفترة من التاريخ كانت اوروبا تتطلع الى الامبراطورية العربية ، كما يتطلع العرب اليوم الى اوروبا : فقد كانت تلك الامبراطورية هي مركز الصناعة ، والعلوم ، والآداب والتجارة. وكانت هي المسيطرة بسفنها على البحار المعروفة، حتى ان كاتبا اوروبيا معاصرا قال : « لا يستطيع اي اوروبي ان يُسَيِّر في البحر الابيض المتوسط حتى ولو لوح خشب ، الا باذن من العرب » واذا ارادت اوروبا ان تحصل على اي نوع من المصنوعات، فان عليها ان تشتريه من البلاد العربية .

وقد دامت سيطرة العرب الكاملة على العالم القديم ، الذي كان معروفا انذاك ، مدة مائتين وخمسين سنة ، وهي المدة نفسها التي عاشتها الامبراطورية البريطانية ، ثم اخذت في الانقسام الى دول عديدة .

ورغم الحركات الانفصالية ظل العرب يقودوا مدة مائتين وخمسين سنة اخرى قادة الفكر في العالم : فهم رواد العلم الحديث ، لانهم هم الذين علمونا الارقام التي نستعملها والتي ما زلنا نسميها باسمهم، فقالوا والعرب اساس الرياضيات. وكانوا قرون طويلة قادة العالم في الطب ، والكيمياء ، وعلم الحيوان . وهم الذين نقلوا صناعة الورق من الصين الى اوروبا عن طريق الاندلس . وقاسوا محيط الارض قبل ان تصل اوروبا الى الايمان بان الارض كروية بستمائة سنة . ولم يستطع العرب ان يحتفظوا بهذا المستوى الحضاري الرفيع ، الا لانهم سيطروا على منطقة الشرق الاوسط ، ولما لذلك سيطروا على الطرق البحرية والبرية المعروفة . وكانت نتيجة سيطرة العرب على هذه الطرق ان حُصِرَت اوروبا ضمن حدودها ، ولم تجد لها حيلة الا في الزراعة .

وهكذا نرى انه خلال اربعة الآف وخمسمائة سنة من تاريخ الامبراطوريات الانسانية البالغ خمسة الآف سنة ، كانت مصر وسوريا تقودان الحضارة الانسانية ، ولم تتخليا عن هذا الدور الا في الخمسمائة سنة الاخيرة . وهذه الحقيقة تفتح عيوننا على ان جهلنا بالتاريخ الانساني جعلنا نظن ، خطأ ، اننا نحن صفوة الجنس البشري ،

بينما كان العرب في الماضي في مثل موقفنا اليوم منهم .

وقد يقول بعضكم : « قد لا يكون ما تقوله عن العرب صحيحا ، فنحن لم نسمع بمثل هذا الكلام من قبل » . واذا اجبتكم بأنا في الغرب قد فرضنا نوعا من الرقابة على تاريخ العرب ، هو ابشع ما عرف من انواع الرقابة ، لأننا عندما نكتب التاريخ لابنائنا ، نحذف عامدين هذه الصفحات الباهرة منه ، لأن العرب كانوا الأمة الوحيدة في العالم التي استطاعت أن تغزونا في عقر دارنا ، وتفرض حصارا علينا طيلة خمسمائة سنة . إن الكراهية التي يحملها الغرب للعرب هي التي املت عليه أن يقف منهم هذا الموقف .

لقد بدأت كفة اوروبا بالرجحان قبيل عام ١٥٠٠ ، وفي سنة ١٤٩٢ بالضبط ، حين اكتشف كولمبس امريكا ، وفي سنة ١٤٩٧ حين دار فاسكودي جاما حول رأس الرجاء الصالح ليصل الى الهند بمساعدة ملاح عربي اسمه احمد بن ماجد . وهكذا حلت السفن الاوروبية المحيط الهندي ، وسيطرت على الملاحة فيه ، ومنه سيطرت على مداخل البحر الأحمر والخليج العربي ، وحصرت العرب فيهما . وحدث الشيء نفسه في البحر الابيض المتوسط . واذا بالحال ينقلب الى ضده : فالحصار الذي كان العرب قد فرضوه على اوروبا ، وبسببه عاشت اوروبا في ظلمة القرون الوسطى ، قد اصبح حصارا يفرضه الاوروبيون على العرب . وبهذا انتهت العصور المظلمة في اوروبا ، لتبدأ في البلاد العربية .

وقد اتخذ نابليون بونابرت قيمة الشرق العربي ، ومصر خاصة ، في صراعه مع بريطانيا ولهذا لم يهاجمها في ارضها ، بل قاد اسطوله الى مصر والشرق العربي ، ولو نجح في السيطرة على المنطقة لقضى على الامبراطورية البريطانية بقطعه لخطوط مواصلاتها الى الهند . ويروى سير هدسون لو Sir Hudson Lowe حاكم جزيرة هيلانة ، حيث كان الامبراطور اسيرا ، ان نابليون قال له : « ان الشيء الذي لا يمكن ان انساه هو ان مصر هي اكثر بلدان العالم اهمية لمن يريد السيطرة على العالم » . ونحن لا ننسى الصراع الذي دار بين بريطانيا وفرنسا للسيطرة على مصر، ولا صراع الدول الاوروبية في الحرب العالمية الاولى من اجل السيطرة على منطقة الشرق الاوسط . ولقد نشبت بين روسيا والعثمانيين احدى عشرة حربا في القرن التاسع عشر ، كانت روسيا تهدف من ورائها الى الخروج الى البحر الابيض المتوسط ، ومنطقة الشرق العربي .

توينبي : بقوة السلاح البريطاني قذف بجسم غريب في فلسطين

وبعد هذا نقف عند مقال المؤرخ البريطاني الشهير ارنولد توينبي Toynbee الاستاذ بجامعة لندن ، وصاحب المؤلفات العديدة . وهو يبدأ بعرض وجهة النظر اليهودية ، ثم يأخذ في الرد عليها ، وفي نهاية مقاله يقترح حلا للمشكلة . وهو في رده على الموقف الصهيوني يرى انه في عام ١٩١٨ كان ٩٠٪ من سكان فلسطين من العرب ، وفلسطين هي وطنهم منذ القرن السابع الميلادي. وفي عام ١٩١٨ وبقوة السلاح البريطاني قذف في فلسطين بجسم غريب ، رغم الاحتجاجات العربية. وبمساعدة بريطانيا ايضا ، بنى اليهود الغرباء قوة عسكرية تفوق كثيرا قوة عرب فلسطين . وعندما حققت بريطانيا لليهود هذا التفوق، تركت البلاد تحت رحمة الصهاينة،الذين اجبروا العرب بأساليب عدة ، منها القتل والارهاب ، على ترك ديارهم ، وبهذا اصبح ٩٠٠,٠٠٠ من عرب فلسطين لاجئين ، يعيشون حياة يأس قاتل . ومن بقي منهم تحت الحكم الاسرائيلي اعتبروا مواطنين من الدرجة الثانية .

والعجيب أن يعامل اليهود العرب بهذه الطريقة وهم الذين نعموا في ظل الامبراطورية العربية بالمعاملة الممتازة وتولوا المناصب العالية ، حتى كان منهم وزراء . وكان العرب هم الذين سمحوا لليهود بأن يعيشوا في فلسطين بعد ان فتحوها ، وكان ذلك لأول مرة بعد خمسمائة سنة . وعندما فتحوا الأندلس حرروا اليهود من ظلم الاسبان . وسجلات التاريخ حافلة بهذه المعاملة الطيبة التي نعم بها اليهود في ظل الحكم العربي . واذا كان اليهود قد قاسوا الكثير على ايدي المانيا النازية فقد كان على المانيا ان تعوض اليهود عما قاسوا باعطائهم دولة في بلادهم ، على الراين مثلا . واذا كانت الدول الغربية تشعر مع اليهود ، وتتعاطف

منهم بسبب ما حل بهم ، فبامكان بريطانيا او امريكا ان تقتطعا بلاديهما لهم . اما ان يدفع الثمن شعب لا يد له البتة في هذه الجريمة ، فأمر مناف للعدل .

وفي رأي توينبي ان المانيا ، وبريطانيا، وامريكا، هي التي خلقت هذه المشكلة التي قد يمتد خطرها ، فيهدد العالم بمواجهة بين الدولتين الكبيرتين .

انطوني ناتنغ : المأساة الفلسطينية منذ وعد بلفور الى اليوم

وهذا هو عنوان مقال انطوني ناتنغ ، وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية (١٩٥٤ — ١٩٥٦) الذي استقال اثناء حرب السويس احتجاجا على تصرف حكومته ،وله عن العرب كتاب «العرب» (١٩٦٦) . وهذا المقال في اصله محاضرة كان قد القاها ناتنغ في نيويورك في الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ ، امام المؤتمر الثالث والعشرين للمجلس اليهودي الامريكي . وهو هنا يرى : ان وعد بلفور الذي اعطته بريطانيا لليهود في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٧ كان اساس البلاء . ويستعرض في مقاله المواقف المتخاذلة التي وقفتها الحكومة البريطانية امام الضغوط الصهيونية ، في كل مرة حاولت فيها ان توقف النشاط الصهيوني في فلسطين. ويبدو ان بريطانيا التي اتخذت وعد بلفور ستارا تخفي وراءه طموحها الحقيقي الى حكم فلسطين من اجل حماية قناة السويس بطريق مواصلاتها الى الهند ، قد وجدت نفسها بعد حين اضعف من ان تقف في وجه النقمة الصهيونية . ولهذا حالفت المنظمة الصهيونية ، وساعدت في قيام دولة اسرائيل لتكون قاعدة لها في المنطقة ، تحافظ من خلالها على مصالحها في الشرق العربي . وقد عبرت هذه السياسة البريطانية عن نفسها بوضوح في حرب السويس ١٩٥٦ . وفي حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ضمت اسرائيل اليها اراضي من ثلاث دول عربية ، مخالفة بذلك دستور الامم المتحدة . ويبدو انها لا تعتزم الانسحاب من الاراضي التي احتلتها ، وهي تقيم فيها المستعمرات ، ولا تلقي بالا لأي قرار من الامم المتحدة ومجلس الامن ، لا يتفق مع مخططها التوسعي ، هذا المخطط الذي اكد العرب ان اسرائيل تريد ان تقيم دولة تمتد من النيل الى الفرات . وفي رأي ناتنغ ان الولايات المتحدة الامريكية وحدها هي القادرة على جعل اسرائيل تعيد النظر في موقفها ، وهي مدعوة لان تبذل جهدها من اجل حل هذه الازمة ، التي اذا لم تحل ، هددت العالم كله بحرب عالمية مدمرة .

المر برجر : مشاكل رجال السياسة الامريكية في الشرق الاوسط

وهذا هو عنوان المحاضرة التي القاها المر برجر Elmer Berger في امريكا في ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ . والمر برجر هو مؤسس المجلس الامريكي لليهودية American Council For Judaism في عام ١٩٤٣ . وقد طوف كثيرا في الشرق الاوسط، وله مؤلفات كثيرة منها « المعضلة اليهودية » The Jewish Dilemma .

ويبدأ برجر محاضرته بقوله : « انه لا شيء يثير الدهشة اكثر من موقف الولايات المتحدة الامريكية من النزاع العربي — الاسرائيلي . والاكثر يبله الغرابة انه في عام ١٩٤٨ حذر وزير الدفاع الامريكي ، جيمس فورستال Forrestal ، من ان السياسة التي تتبعها امريكا في الشرق العربي ستؤدي الى القضاء على كل مصالحها في المنطقة » . ويذكر فورستال في مذكراته انه قال لوزير الخارجية الامريكية جيمس بيرنس Byrnes ما يلي : « ان من الفجيع ان يسيطر على سياستنا الخارجية نفر من اليهود في هذه البلاد ، لا لشيء سوى انهم يدفعون معونات مالية للحزب » .

وكتب المؤرخ الدكتور جورج لنكزوسكي Lenczowski في عام ١٩٥٨ يقول : « ان واقع السياسة الامريكية في اخطاء متتالية في الشرق الاوسط ، سببه الخلاف القائم بين البيت الابيض ووزارة الخارجية : فوزارة الخارجية تنطلق في نظرتها الى المشكلة من مصلحة امريكا في المنطقة ، اما البيت الابيض فيعي من هذه المصالح ، ويرى في اسرائيل موضوعا يستطيع عن طريقها ان يرضي المتنفذين من الصهاينة في امريكا ، لان رئيس الولايات المتحدة يأمل من هذه الطريق ان يكسب اصوات اليهود واموالهم في انتخابات الرئاسة » .

ويذكر المر برجر ان شهادات قدمت امام لجنة

الشؤون الخارجية في الكونجرس التي يرأسها السناتور فولبرايت ، بلغ عدد صفحاتها اكثر من ثلاثمائة ، وكلها تثبت بالدليل القاطع ان ملايين الدولارات التي تبرع بها الشعب الامريكي لمساعدة اليهود المحتاجين في اسرائيل ، قد انفق جلها في امريكا من اجل الدعاية لاسرائيل ، ولتشويه صورة العرب في اذهان الامريكيين ، هذا مع العلم ان هذه التبرعات معفاة من الضرائب لانه قيل انها ستنفق على مشروعات انسانية في الخارج . فهل الدعاية لاسرائيل ، وخداع الشعب الامريكي ، واعطاءه معلومات كاذبة ، من الاعمال الانسانية ؟!.

ثم يتساءل الو بيرجر : « هل سياسة امريكا في الشرق العربي تخدم المصالح الامريكية ؟ » ثم يأخذ في تحليل مصالح امريكا في المنطقة ليثبت ان مثل هذه السياسة تضر ، ولا شك ، بهذه المصالح . ويمكن تلخيص مصالح امريكا في الشرق العربي في ثلاثة امور ، هي : ١) عقد صداقات مع دول الشرق العربي ، بسبب موقعها الاستراتيجي لتستطيع ان تقف امام المد الشيوعي ، ويحول دون مواجهة بين الدولتين الكبريين . ٢) عقد صداقات مع دول المنطقة بسبب موقعها على طرق المواصلات العالمية . ٣) عقد صداقات مع دول المنطقة لانها غنية بالنفط .

واذا كانت هذه هي مصالح امريكا في الشرق العربي ، فان عليها ان تصادق الدول التي تستطيع تحقيق هذه المصالح لها ، وهي الدول العربية ، بينما لا تستطيع اسرائيل ان تحقق لامريكا اياً من هذه المصالح . وما تفعله سياسة البيت الابيض هو استعداء شعوب المنطقة عليها ، بسبب انحيازها دون تحفظ ، ودون حدود ، لاسرائيل .

جان لاكوتيه : آفة العرب كثرة الكلام وقلة العمل

ويجد جان لاكوتيه ، الصحفي المعروف في جريدة (لوموند) الفرنسية ، يحاول ان يبرز في مقاله كيف ان اسرائيل ، بسياستها الحالية ، انما تحفر قبرها بنفسها . ان الكثيرين من الصحفيين ، الذين شهدوا حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ، وهو منهم ، قد دهشوا لتراص صفوف الاسرائيليين قبل نشوب الحرب ، وهدوء اعصابهم ، واستخفافهم بالخطر العربي . وقد دهش هؤلاء الصحفيون اكثر لما رأوا من الاسرائيليين بعد انتصارهم : فقد امتلأت نفوسهم غروراً ، واخذ تتجلى في حديث كل من تقابل منهم اعتقاده بأن الله مع الاسرائيليين لانهم هم شعبه المختار ، وايمانه بأن قوة اسرائيل العسكرية هي الضمان الوحيد لبقائها . انهم شعب اصبح يعبد القوة ، ولا يؤمن الا بها . وفي رأي لاكوتيه ان هذين المنطقين الخاطئين ، وهما : الايمان بأنهم شعب الله المختار ، والاعتقاد بأن القوة العسكرية هي الفيصل في كل الامور ، سيؤديان في النهاية الى سقوط اسرائيل . ولكن يبدو لي ان رأي لاكوتيه في ان القوة العسكرية ليست هي التي تحسم المواقف ، يخالف الواقع الشعوب في عصرنا . صحيح ان الانسان قد بنى كل هذه الحضارة الرائعة ، ولكنه في غرائزه بقي ذلك الانسان الاول الذي كان يحيا في مجتمع السيف فيها هو الاقوى . واذا كان الانسان قد تقدم كثيراً في ميدان العلم والتكنولوجيا ، فان هذا التقدم لم يرافقه بالنسبة نفسها تقدم في الاخلاق والمثل .

وينتقل لاكوتيه بعد هذا الى القول : ان الصحفيين الذين يعيشون في الشرق الاوسط يرون ان اكبر عيب في العرب هو الانفصام التام ، في حياتهم ، بين القول والعمل . ثم هناك الخلافات فيما بينهم ، وتخلفهم في ميدان التكنولوجيا .. انهم على نقيض الاسرائيليين تماماً .

ديمس بيلي : العرب هم الهنود الحمر

واخر مقال في هذه المجموعة بقلم ديمس بيلي Denis Baly ، وهو استاذ انجليزي عاش في فلسطين من عام ١٩٣٢ الى ١٩٥٤ ، وهو الآن استاذ جغرافية الشرق الاوسط بكلية كينيون Kenyon بولاية اوهايو .

ويبدأ بيلي مقاله قائلا " ان صورة اسرائيل في ذهن الفرد الامريكي هي " انها دولة صغيرة تهددها عشرات الملايين من العرب بالفناء . ويرى الامريكيون في الاسرائيليين صورة منهم عندما هاجروا الى امريكا ، فوجدوها قاحلة بسبب كسل سكانها الاصليين من الهنود الحمر ، ولكنهم بجدهم ونشاطهم وكفاحهم احالوها الى جنة . وكما

انتهى الامر باليهود المصير الى القتل ، او العيش في معسكرات خاصة بهم لا يخرجون منها ، كذلك فانهم يرون ان العرب لا يستحقون اكثر من هذا . وقد ساعد على رسم هذه الصورة الاسرائيلي والعربي ذكاء الدعاية الصهيونية ، وسوء الدعاية العربية التي كانت ضارة بهم الى ابعد الحدود . ويرى (بيلي) انه عاش بين العرب سبعة عشر عاما ، فلم يجدهم كسالى ، او غير اكفاء ، وعكس هذا هو الصحيح . ولكن اذا كانت قيم الخاطئة في ادارة بلادهم ، فسبب ذلك انهم حديثو عهد بالاستقلال ، بعد قرون طويلة خضعوا فيها لحكم اجنبي متخلف .

« وقد الزمني ، وهزء الشمايتي ، بد فصل الامريكيين لحرب يونية (حزيران) ١٩٦٧ ، كما قرأته في الصحف والكتب التي صدرت عن الحرب وكما شاهدته على شاشات التلفاز ، ذلك انها جميعا تعبر عن وجهة نظر جانب واحد فقط ، دون ان يدور بخلد الامريكيين ان هناك فريقا آخر يستحق ان نستمع الى رأيه . وقد كان السرور ظاهرا لانتصار الاسرائيليين في الحرب ، حتى لقد اطلق عليها بعضهم اسم « الحرب المقدسة » واعتبروا النصر السريع الذي احرزته اسرائيل معجزة جديدة جاد بها الله على شعبه المختار .. اما انا فلا اشارك الناس موقفهم هذا . ولي يقيني ان حرب يونية (حزيران) ١٩٦٧ لم تحل اية مشكلة ، بل ان الوضع اصبح اكثر خطورة لان كلا الفريقين يؤمن انه لا مفر من القتال ، وانه مستعد للهجوم عندما يرى الفرصة مواتية له .. وكلا الفريقين يحاول ان يحصل على احدث اسلحة الحرب ، واكثرها قدرة على التدمير .

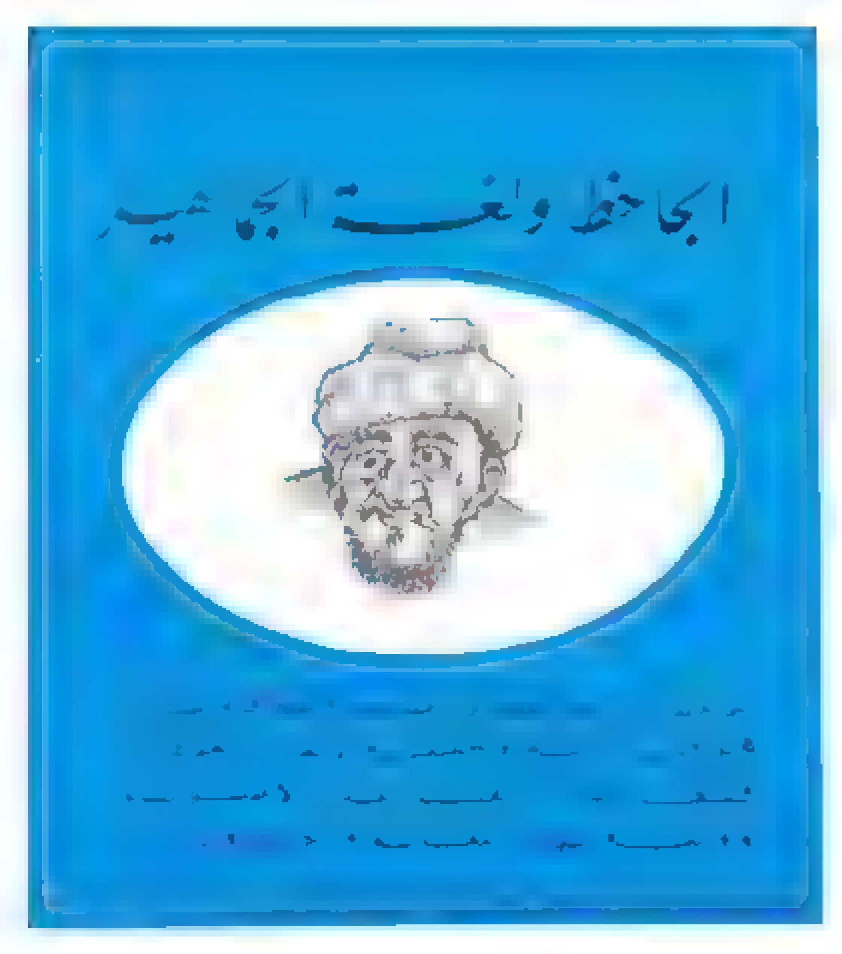
ونحن نستطيع ان نلاحظ التصاعد في الكم وفي نوع الاسلحة ، اذا استعرضنا في امعان حروب ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ والفارق الكبير بينها ..

ولا يرى العرب انهم في صراعهم هذا يجابهون اسرائيل فقط ، بل العالم الغربي بأكمله ، واليهودية العالمية بكل امكانياتها الاقتصادية والسياسية وقدرتها على تسخير العالم الغربي لخدمة السياسة الاسرائيلية . صحيح ان اسرائيل متقدمة على العرب في ميدان العلوم والتكنولوجيا ، ولكن الزمن كفيل بتضييق هذا الفارق بينهما .. هذا الفارق الذي سببه خضوع العرب للحكم الاجنبي المتخلف نحو ستمائة سنة ، مما جعلهم عاجزين في ميدان السياسة ، لا يحسنون الاستفادة من خيرات بلادهم ، وموقعها الاستراتيجي ، ومصادرهم الكبيرة .. ورغم كل هذا فانهم يرون انهم قادرون على تذليل الصعاب التي تعترض طريقهم ، وان عليهم ان يستمروا في الصراع من اجل استرداد ما احتل من اراضيهم .

ويبدو لي وسط دوامة الدعاية الصهيونية ، لا يستطيع الغرب ان يقتنع بقناعة العرب بأن اسرائيل دولة توسعية ، رغم ان الشواهد على ذلك كثيرة . ان اسرائيل تعلن انه ليست لديها اطماع توسعية ، ولكنها في الوقت نفسه تخطط لعدوان جديد . وقد يبدو هذا الرأي مضحكا لتلك الفئة من الغربيين التي تؤمن ان العرب هم المعتدون ، ولكن يكفي ان اذكر هذه الفئة بأن اسرائيل اعلنت في هذه البلاد انها محتاجة لمياه نهر الاردن ، ونهر الليطاني ، من اجل مشروعات الري في النقب . والماء هو حياة الناس في البلاد التي يقل فيها الماء .. وهو كذلك بالنسبة لسكان هذه المنطقة . والناس الذين اسعدهم الحظ فلم يحسوا بقيمة الماء في حياة الناس ، اسوق الملاحظة التالية : في ٢١ اغسطس (آب) ١٩٦٥ ، وعندما حدثت ازمة الماء في نيويورك والولايات المجاورة ، قال كبار المسؤولين في نيويورك لوزير الداخلية : « ان ألفي مليون غالون من الماء العذب التي تصب يوميا في نهر ديلاور Dilaware ليست ملكا لنا بل هي جزء من اجسادنا » . واشير ايضا الى ما ورد في كتاب اسرائيل السنوي لعام ١٩٢٥ حيث ورد فيه : « ان دولة اسرائيل قد قامت على جزء بسيط من ارضنا التاريخية » . وقبل حرب ١٩٦٧ اصدرت اسرائيل ٣٦ طريقة تفصيلية « لدولة اسرائيل » كان منها ستة خرائط لاراضي لم يكن الاسرائيليون قد احتلوها حتى ذلك الحين ، والامثلة على هذا كثيرة » .

فهل يبقى ، بعد هذا ، شك في نوايا اسرائيل التوسعية ؟ !

محمود السمره



بقلم: فاروق شوشة

■ [illegible] الكثيرون إلى العرب [illegible] باعتباره
العربي الذي [illegible] في [illegible]
وسائل المواصلات [illegible]
ووسائل الاتصال بالجماهير [illegible]
وإذا كانت وسائل المواصلات قد تطورت عبر
العصور والقرون ، بدءا من سفينة الصحراء ،
فسفينة البحار والقطار والطائرة [illegible]
[illegible] بالأقمار الصناعية وسفن الفضاء ، فإن
وسائل الاتصال بالجماهير [illegible] الصحافة
و[illegible] والإذاعة بنوعيها المسموعة والمرئية
وقد حدثت وسائل الاتصال بالجماهير [illegible] ،

[illegible] الجاحظ ، و[illegible] الحديثة ، [illegible]
[illegible] على [illegible] الناس وعلى أقلامهم
[illegible] الأوان [illegible] على [illegible]
[illegible] ، وسائل عن كتب [illegible]
[illegible] — [illegible] — [illegible] الفكرية
[illegible] في [illegible]
العربي [illegible] على
[illegible] المسائل الفكرية التي تواجهها لغة العرب
[illegible] العديد [illegible] ، وفي مجالات الترجمة
[illegible] ، وفي مواجهة مصطلحات العلوم الحديثة
وألفاظ الحضارة [illegible] العامة ، وفي

ميادين تطوير متن اللغة ونحوها بحثا واشتقاقا وتوسعا وقياسا .. .. واخيرا في مجال ارساء قواعد علم جديد لبلاغة عربية عصرية جديدة ، تمثل جوهر التراث ، وتستوعب روح العصر ، وتفي باحتياجات الذوق الادبي المعاصر ..

لغة الاتصال بالجماهير

ونتيجة لهذا الربط الحي بين القرن العشرين، من ناحية ، ووسائل الاتصال بالجماهير من ناحية اخرى ، صدق الظن الشائع بأن لغة الاتصال بالجماهير ، التي اصطنعتها الصحافة لنفسها في اول الامر لتكون شيئا آخر غير لغة التراث السلفية المحافظة ، وغير لغة النص الادبي التي تقوم على الالوان والظلال وتستند الى العاطفة والانفعال والتصوير ، وغير لغة المشتغلين بالعلوم والبحوث التجريبية – ثم تبنتها اجهزة الاتصال الاكثر حداثة كالسينما والاذاعة والتلفزيون ، صدق الظن الشائع بأن هذه اللغة من مستحدثات هذا القرن ..

صحيح أن لغة الاتصال بالجماهير قد ازدهرت في وطننا العربي مع مطالع القرن العشرين ، وقام رجال الصحافة الرواد ، بدور بارز في سبيل تأصيل هذه اللغة ، وتعميق اصالتها بموضوعات الحياة الحديثة ، وجعلها لغة مجتمع يقرأ قبل أن تكون لغة كتاب يتسلى ، وفي خوض الصراع الطويل المرير مع المحافظين المتشددين من سدنة اللغة ، الذين توهموا أن في تطويع اللغة لروح العصر ، وتطوير اساليبها وتراكيبها ، وتوسيع آفاقها وتجديد معانيها – مروقا وعصيانا وتمردا على القديم المألوف .. لكن الذي لم يلتفت اليه أحد ، أن لهذه اللغة – لغة الاتصال بالجماهير – في ادبنا وتراثنا العربي اصولا عريقة .. ابعد بكثير من مطالع القرن العشرين .. ولئن كان الجاحظ – شيخ العربية وأديبها الكبير – هو أحد امثلتها البارزة ، الا أنه ليس المثل الوحيد ، فهناك رسائل اخوان الصفا والرسائل الديوانية ، وأدب المقامات ، وأدب المساجلات بين الخلفاء والولاة والقواد وحكام الاقاليم .. كل ذلك يشكل النبع الاول الذي تفجرت منه لغة الاتصال بالجماهير ..

رواد على الطريق

لقد ورثنا مع مطالع عصر النهضة والانبعاث لغة قادمة من عصور الانحطاط والضعف والتخلف .. جسدا بلا روح ، ولونا تقليديا فضفاضا يخفي العجز عن التجديد ، بل والعجز عن محاكاة القديم والارتفاع الى مستواه ، لغة جامدة ، ابتذلت على ايدي الوراقين والناسخين وكتاب الشروح والذيول والحواشي وصناع المختصرات وناظمي القواعد والمتون ممن زخرت بهم عصور التخلف ..

ثم أتيح لهذه اللغة أن تواجه « صدمة » الصحوة ، مع الحضارة الحديثة الوافدة ، وهنا يبرز دور الرواد الاوائل الذين واجهوا صدمة التعامل الاول مع الحضارة الحديثة – وكل ما في جعبتهم لغة جامدة موروثة – وفي طليعة هؤلاء الرواد : رجال الصحافة، وطلبة الجامع العربية واساتذة التعليم ، وخطباء الثورات العربية ، والكتاب والأدباء .. وفي مكان الصدارة من هذه الطليعة : رفاعة رافع الطهطاوي الذي دعا الى الحضارة الحديثة ، وانشأ مدرسة الألسن ، وواجه بنفسه مشكلة التعريب والفاظ الحضارة وهو يضع كتابه «تخليص الابريز في تلخيص باريز» الذي يعد وثيقة متقدمة للغة الاتصال بالجماهير ، والى جانب هذه المحاولة الرائدة لرفاعة الطهطاوي كانت هناك جهود فارس الشدياق في لبنان وعلي مبارك ومحمد عبده في مصر ، والمجامع العلمية المتخصصة كمجمع البكري الذي سبق مجمع اللغة العربية بوقت طويل ، ثم تتابعت مواكب الرواد ، كل منهم يضيف لبنة الى بناء اللغة ، وشراعا الى سفينتها ، ولونا الى تنوعها وثرائها، السنامي الترملي ونجيب الارزي وابراهيم اليازجي وعيسى المعلوف ويعقوب صروف ولبيب المقدسي وحسن القاياتي وحافظ عوض واحمد الصاوي والفيس السيد ومنصور فهمي وعبد القادر حمزة وفارس نمر وتوفيق دياب والدكتور هيكل والزيات والمازني والعقاد والدكتور طه حسين والدكتور احمد زكي والدكتور حسين فوزي .. وغيرهم من حملة المشعل وفرسان الكوكبة .

صدمتان حضاريتان .. والحل واحد !

هذه الصدمة مع الحضارة الحديثة ، التي تمخضت عن لغة الاتصال بالجماهير ، تذكرنا



بقلم : عمر الأسعد

● صادف لدى سائر الأدباء نظرة خلاصتها الحكم على ما يسمى بعصور الدول المتتابعة بالجمود والعقم الفكري والأدبي معا ، وخلو هذه العصور من الإبداع والأصالة الذاتية . وهذه النظرة القائلة بصعوبة هذه الجهود توقفت عن أثر قصد في الغالب ، بعد أن لفها مساقطوها عن مبدعيها من خصوم اللغة والأدب ممن أرادوا إدخاله في متاهات يدور بها ما شاؤوا له ذلك . فكان هذا الرأي أبعد ما يكون عن السداد ، للناظر المتأمل شيء من الروية وإمعان النظر

وإذا خصصنا من تلك العصور ، العصر الذي عاش فيه الشاعر الذي سنتحدث عنه ، وهو عصر الأيوبيين في مصر وبلاد الشام ، وجدنا على نموذجات حية خصبة لأديب رفيع لا يزال تحت الركام ، يحتاج إلى جهود المخلص من الباحثين لبعثه وإخراجه إلى النور من جديد . فقد قل من عرف من غير المتخصصين ابن العاوطي وابن الساعاتي وابن عنين ، أماثيل لشعراء أعلام يستحقون أن ينشر آثارهم ويتداولها عامة دارسي الأدب ونقاده

صحيح أن شاعرنا موضع الحديث قد مر عليه قرون تكثر من التراث وجاوزه مراحل في الإبداع والابتكار . ولكن شعره نموذج لعصره من حيث كونه صورة ناطقة للحياة الاجتماعية والأحداث التاريخية الجارية آنذاك .

ابن النبيه ثالث ثلاثة

هو علي بن محمد بن النبيه المصري أحد شعراء القرنين السادس والسابع من حيث الفترة الزمنية ، ووسطا بين شاعرين معاصرين شهيرين ، عصيبين من أعلام الشعر في ذلك العصر أشار كل منهما بصرف قادته إلى طريق الاشتهار والذيوع هما ابن سناء الملك المتوفى سنة ستمائة وثمان للهجرة (1)

[illegible]

ولعل في معرفة علاقات تلك الشهرة سبقا لتحديد موقع شاعرنا بين هذين . فأين يقف منهما ، وما

(1) معجم الأدباء ياقوت ج ٩ ، ص ٢٦٥ ـ ٢ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ج٣ ص ١٨

مناحي تفكيره الأدبي ، ومدى تأثره الشعراء معاصريه ، وتأثره البعيد بالمذاهب الشعرية السابقة واحد الشعراء من ممثلي تلك المذاهب .

حياته ومولده

أشار ابن خلكان (٤) في ترجمة الأشرف موسى ابن العادل الأيوبي ، ممدوح ابن النبيه ، في معرض الحديث عن الشعراء الذين مدحوه ، إشارة عابرة بيّنتا إلى إمكان تحديد تاريخ تقريبي لولادته . وهي قوله : (واشتغل ابن النبيه ، وكانت وفاته سنة تسع عشرة وست مئة ، بمدينة نصيبين الشرق، وعمره تقديراً مقدار سبعين سنة ، كذا أخبرني صهره بالقاهرة). ومنه نستنتج أنه ولد سنة خمس مئة وستين أو قريبا منها .

ويمكن قسمة حياته إلى فترتين متفاوتتين ، أولاهما تضم النشأة الأولى التي لا نعرف عنها شيئاً كثيراً . ولعلنا عرفنا به من خلال بعض التآليف الأدبية التي ضمت ما كان يدور في مجالس الأدباء من نوادر ومطارحات ومساجلات شعرية على البديهة. وقد سلخ فترة حياته الأولى ـ وهي معظمها ـ في مصر ، مادحاً القاضي الفاضل وبعض ذوي الشأن ، مادحاً إياهم بمقطعات صغيرة أثبت بعضها في ديوانه . وتمتد هذه الفترة من ولادته إلى مطلع القرن السابع ، حيث انقطعت أخباره في مصر ، ليسمع صوته في الديار الجزرية بصاحبها الملك الأشرف بدءاً من ذلك التاريخ يدل على ذلك بعض الأحداث التي أرخ لها في أوائل شعره في الأشرف ، والتي جرت أوائل المئة السابعة الهجرية .

ويخالف ابن النبيه صاحبيه في أنه أمضى في ثانية فترتي حياته ، بالأشرف موسى بن العادل فقد كان كاتب الإنشاء لديه بين سنتي ست مئة وست مئة وتسع عشرة . وهما سنة انتقاله من مصر إلى بلاد الشام وظهوره في بلاطه ، وسنة وفاته على ما ذكر أكثر من ترجم له (٥) . وقضى جل هذه الفترة في نصيبين من الجزيرة الفراتية حيث كان الأشرف ملكا على الديار الشرقية .

ثقافته

سكتت المصادر التي ترجمت الشاعر عن ذكر شيوخه وأساتذته فلم نعرف منهم أحدا . ولكننا نعرف أنه نال نصيبا حسنا من الثقافة ، تنعكس في شعره ونثره ، لأن يكون صاحب ديوان رسائل الملك الأشرف . وهو منصب يستلزم قدرا غير محدود من المعرفة ، ومزيجا من الشعر والنثر وأخبار الأدب وعلم الدين . والحق أن مستلزمات هذا المنصب الأدبية أشبه صناعية جافة ، صبغت هذا اللون من الشعر بصبغة خاصة ، تميز بها شعر الفئة من أصحاب دواوين الإنشاء والترسل الذين اضطروا إلى الانتقال من ظل الأدب الرفيع لسمو ثقافتهم أماكن مخصصة لهم فيه. ومستلزمات هذا المنصب أيضا أحاطته بقيود لو يتركه منها وانطلق لشيطان شعره مراحا ، وترك طبيعته على سجيتها ، لأتى النتاج أمرا أطيب وأكثر نفعا . إلا أن الصلة التي ربطت بين الملك الأشرف وشاعره ، جعلت هذا كثير التعب له دائم الشكر له ، منتقيا على ذكر فضائله ومدح صفاته مستنطقا إياه إذا ترجمت ترى محبته ، ماثلا في ذلك شعرا طائعا .

أما نسبة اللقب بالقاضي كما في عنوانات بعض نسخ ديوانه ، فقد سكتت عنها المصادر جميعها ، واقتصرت على ألقابها وعدم الإشارة إليها . ولعله لقب جاءه جريا على العادة المتبعة آنذاك في إطلاق هذا اللقب على جملة كتاب ذلك العصر . ويؤيده ما أورده القلقشندي (٦) من (أن كتاب الرسائل يطلقون هذا اللقب والألقاب المتفرعة منه كالقضائي والفاضلي على أرباب الأقلام في الصنعة ، سواء كان صاحب القلم متصديا لها بالوظيفة أو غيرها كسائر العلماء والكتاب ومن في معناهم . وعلى ذلك عرف العامة أيضا) .

---

(٤) وفيات الأعيان (٤ : ١١٨ ـ ١) نقلا عن كتاب بدائع البدائه لابن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ

(٥) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٦ : ٢٤٢ ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٥ : ٨٥ ، وفوات الوفيات لابن شاكر ٢ : ١٤٣ ويخالفهم السيوطي في حسن المحاضرة ١ : ٣٢٦ ، فيجعل وفاته سنة ٦٢١ هـ .

(٦) صبح الأعشى ٥ : ٤٥١ ، والألقاب الإسلامية للدكتور حسن الباشا ص ٤٤١

ديوانه

قسم الشاعر ديوانه الى ثلاثة أقسام جعل لكل منها اسما :

١ ـ الناصريات : وتنسب الى الخليفة العباسي الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بن المستنجد ومدحه فيه في ثلاث قصائد ، ورثى فيه أحد أبنائه في واحدة .

٢ ـ العادليات ، ومدح به الملك العادل محمد ابن أيوب أخا صلاح الدين في قصيدتين اثنتين ونسبه اليه .

٣ ـ الأشرفيات : ويشكل هذا القسم جل الديوان وأكثره في مدح الأشرف الذي نسبه اليه أيضا

طبع الديوان مرتين الأولى في بيروت سنة ١٢٩٩ هـ ، والثانية في مصر سنة ١٣١٣ هـ بعناية عبد الله القرى الذي قام بصنعة شروح لبعض الكلمات والتعابير .

ابن النبيه ، بين ابن سناء الملك ، والبهاء زهير

عرف ابن سناء الملك بناحيتين اظهرتا تميزه ، كان فيهما أسبق شعراء عصره فيما هو معروف . أما الأولى فهي أنه أول من جمع الموشحات ونظم فيها وبوبها في « دار الطراز » الذي شهر به ، فشاع عنه كونه وشاحا أكثر منه شاعرا ، مع أن له ديوان شعر ضخما .

والذي يلفت نظر دارس ديوان ابن النبيه ، موشحة وزجل اثبتهما الشاعر فيه ، ونظمهما في مجموعه في وقت يوازي الفترة التي عرفت فيها الموشحات والأزجال واشتهرت على يد ابن سناء الملك وابن قزمان في الشرق والغرب . وهي ظاهرة تلفت النظر في شيوع هذين الفنين في الشام ومصر والأندلس جميعا ، وتقلل من فضل سبق ابن سناء الملك للموشحات والاشتهار بها .

وأول موشحة ابن النبيه قوله مطلعه

قل لمن يلوم في معتنقي أسمر
لثغره كوميض في كثيبه الأعفر
تمسيره التظليم عسكر على عسكر

آه لو سقاني ، اطفأ حر براني
غير كيه الياقوت مكررا(٧)

ومطلع الزجل :

الاحسان منه صواب
والحبيب حلو ورشيق

والربيع ساط أخضر
والشراب أحمر مروق

والناحية الثانية التي عرفت عن ابن سناء الملك ، هي أنه رصع شعره بزاوية من زوايا العلم والثقافة ، حتى ان الاستكثار النظر فيه على دخائل الاصطلاحات العلمية وتعابير علوم الدين وكثرتها كثرة ملحوظة(٨) .

وقد جمع ابن النبيه هذا النهج أيضا ، فبث في صفحات ديوانه كثيرا من المصطلحات المذكورة ، بل انه ضمن في قصيدة واحدة أبياتا من مجموعها الترتيل من الكتاب الكريم ، حشد في كل بيت منها آية أو اثنتين ، وظلت رغم ذلك مطبوعة طبيعة الرونق رائقة المعنى :

ليت قبل الصدود الا قليلا
لم رتلت الذكر ترتيلا

ووصلت السهد تبتع وصالا
وهجرت الرقاد هجرا جميلا

سمع اني من كلام عذولي
من الغي عليه ثقلا ثقيلا

وزادا ، وقد كان بين ضلوعي
اعدلاء الاحباب اخشا وبيلا

قل لراقي النجوم أن ليهنى
في بحار الدموع سبحا طويلا

يان مني لهيب في الثمر الجيد
من غرضوني والمستوعم كثيبا

أما بهاء الدين زهير أمير شعراء عصره رقة شعر

---

٧ هو موشح أقرع سطرا بيت لا مطلع وبيته من ثلاثة أجزاء وقفله من أربعة

٨ ، نظر كتاب ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر للدكتور عبد العزيز الأهواني .

وعذوبة لفظ وبساطة تعبير ، فظل ابن النبيه شاركه تلك الرقة والعذوبة ، وحمل بلورها معه الى الشام ، واضاف اليها جمال السبك وحلاوة التعبير ، فاشتهر بقصائد جميلة مثلة لا تزال مثالا لشعر الغزل الرائع . من ذلك قصيدة يمدح بها الأشرف موسى ، صدّرها بالتغزل بالساقي ومداعبته ووصف ضروب حسنه وبهائه :

أماناً أيهــا القمــر المطــلّ
فمن جفنيــك أسيــاف تُســلّ

يزيــد جمــال وجهــك كل يوم
ولي جســد يذوب ويضمحــل

وما عرف السقــام طريق جسمي
ولكن دلّ من أهوى يَــدل

أيا ملــك القلوب أنكت فيهــا
وفتكــك في الرعيــة لا يحــلّ

قليل الوصــل ينفعنــا فإن لم
يصبهــا وابــل منــه فطــلّ

ومن ذلك أيضا مطلع قصيدة يستعطف فيها وقد وجد عليه ، قال فيه :

أفديه ان حفظ الهوى أو ضيّعا
ملك الفؤاد ، فما عسى أن أصنعا

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه
حلوا فقد جهل المحبة وادعى

هل في فؤادك رحمة لمتيّم
ضمت جوانحه فؤادا موجعا

هل من سبيل ان أبث صبابتي
أو أشتكي بلواي أو أتضرعا

مناحي تفكيره الأدبي

ويمكن ان نضيف الى خصائص ابن النبيه السابقة خصيصة أخرى ، انفردت بها مرثاته الفريدة في ديوانه ، وهي التي رثى بها أحد أبناء الخليفة الناصر العباسي ، فلقد عمد في مرثيته على نقل مشاعر الحزن والأسى الى نفس القارئ عن طريق مخاطبة العقول ، لا بسرد صفات المرثي على ما درجت عليه أكثر مراثي الأدب العربي ، بل باتخاذ فلسفة خاصة للحياة والموت تجلت في صورة حسنة من صور التعبير .

النــاس للمـوت كخيــل الطــراد
فالســابق الســابق منهــا الجــواد

والله لا يدعــــو الى داره
الا من استصلــح من ذي العبــاد

والمــوت نقّــاد علــى كفــه
جواهــرٌ يختــار منهــا الجيــاد

والمــرء كالظــل ولا بــد ان
يزول ذاك الظــل بعــد امتــداد

ماتحســبه في الأرض لكــن لــه
عرس على الســبع الطبــاق الشــداد

طــرقتَ يا مــوت كريمــا فلم
يقنــع بغير النفس للضيــف زاد

ثم يلتفت الى مخاطبة الخليفة والد المرثي ، فيمجد روحه ويسبغ عليه بعض الصفات التي يقتضي ان يتحلى بها في مثل هذا المصاب ، ويذكره أنه بشمائله وصفاته يعوض خسارته ، ويعزيه بأن فقد ولده لم يفقده ولاء الرعية كلها :

خليفة الله اصطبرْ واحتســب
فما وهَــى البيــتُ وأنت العمــاد

في العلم والحلم بكم يقتــدى
اذا دجــا الخطب وضــلّ الرشــاد

انت سمــاء فضلك ممطرهــا
لا ينقص الأمطار منهــا نفــاد

وانت لجّ البحــر ، ما ضــره
ان ســال من بعض نواحيــه واد

حاشاك نقص في قلــوب الورى
وأين الولا يُعــدل بابن الــولاد

ولا نغلو اذا قصر الشاعر القول على المدح ، فخلا ديوانه من غير هذه المرثية ، ما دام وصل في الرثاء الى مرحلة أثارة عواطف القارئ بالمصاب ، وتوجيه احاسيسه الى الخطب الأليم .

ولقد اتقن شاعرنا فنونا من القول لطيفة ، لا يتجاوزها القارئ دون ان تترك من شاعريته أثرا في النفس . فكما نقرأ هذين البيتين في الخمر ، فيعجبنا فيهما جمال الصورة وما ألقى عليها من

الظل والحركة والالوان ، فغدت عناصر التشبيه اغناء :

سكرى ، اذا ابن سحاب مسّها لبست
ثوب الحباب حبابة منه وانسحبت
تشعشعت في يد الساقي وقد مزجت
كأنما بصقال الماء قد جليت

كذلك يعجبنا من معالجته لوحات رسمها من خلال ممدوحيه ، واطلق فيها شاعريته الفنان. منها مدح الملك العادل من خلال وصف قلعة الطور التي بناها فلفت نظره اليها شموخها واشراقها وهيبتها .

الملك العادل من اجله
قلعة رأى موسى على الطور
كأنه تاج على مفرق
لما استدارت غرف السور
يزاحم الجو له منكب
كالنجم في الرفعة والنور
كأنما ارتفعت حارساً
تنظر من مكة الى عشور

ويحاول احيانا ان يميز اسلوبه بالقوة ، فيأتي بالتعبيرات الفخمة ويسبغها على المعاني الجليلة كما في مدح الاخوين الاشرف والمعظم صاحب دمشق :

ملكان حلا من الطيبة في شرف
سامي العلى منيع المرتقى وعر
هيف النوال قريب المجتنى خضل
ومنهل الفضل سلسال الندى غمر
كم جبرتي اذا جاءت عداة ومن
بمثلها من جيوش الله تنتصر

وللشاعر في حكاية قوة الجيش وصلابته وشجاعة افراده ، نماذج تشخيصية معبرة :

وجيش لعين النصر كحل بنقعه
اذا رمّدت من لمع اسيافه البتر
واسد على جرد لها مثل صبرهم
اذا ما تجلى الموت في الحلل الحمر
دماء أعاديهم شراب رماحهم
واجسامهم هدى الى الذئب والنسر

القدوة الشعرية

جعل الشعراء ديدنهم ترسم خطا السابقين وتقليدهم في كل ما يأتون ويذرون . فلقد نصب كل شاعر من شعراء العصر لنفسه اماما مقتدى ، انصرف الى مراجعته ودرسه والاستلهام منه ، ثم صب شعره في قوالب اتخذ نفسه بجدتها وجودتها . كذلك كان شأن ابن النبيه . فقد بدا فيه شخص التجديد ، وثار على ما تواضع عليه الشعراء من نمط الطلول ومناجاتها. وانصرف عن ذلك الى الاغراق في الشراب والتفنن في وصف الخمرة . فهو في هذا الجانب النواسي لا ريب . ولنستمع اليه ينشد :

حسبك ؛ لا يعنى سؤال الديار
تعرّفُ الهمّ بصرف العقار
واستنطق العيدان ان كنت ذا
لبٍّ ، فما تنطق عنهم الحجار
البمّ والزير وكأس الطلى (١)
اولى بمثلي من سؤال الديار
تحسبها الساقي فقلنا له
حل جمد الماء وذاب النضار

اما مذهبه الشعري في الحياة ، الذي يدعو اليه في اكثر من مناسبة ، فهو التكسب ليس غير ، يلمح اليه حينا ويصرح به احيانا ، كحديثه عن الاشرف ثم مخاطبته :

سحّ الجزيل ويطوره حينا كرم
كأنه سائل من كان أعطاه
فاخشى بلوغ ذي المجد العلى ولن
أكن مستجدا في الذي ارجو واخشاه

وبعـد

هذه نظرة شديدة الاختصار الى هذا الشاعر الايوبي وشعره ، تبلورت فيها الحديث عن ابعاد عصره السياسية والاجتماعية ، املين ان يتوفر على دراسة العصر وشعرائه محبو الادب والمعنيون به. ■■

عمر الأسعد

---

(١) البم : الوتر الغليظ من العود ، يقابله الزير . وهما فارسيتان معربتان .

رسالة إلى ولدي

بقلم: خليل هنداوي

■ أدعوك يا ولدي ... في القرب والبعد
تمضي وتتركني ... وحدي، بلا سند
قد كنت متكئي ... بل كنت معتمدي

* * *

لو رحت تبصرني ... والداء في جسدي!
والنور شح على ... عيني من السهد
وأنا هنا وهنا ... في يأسي الأبدي
ألقاك في حلمي ... وأراك ملء يدي
لو رحت تبصرني ... لرثيت يا سندي

* * *

قد كان لي قفصي ... كالطائر الغرد
أطلقته سهما ... مني، ولم يعد
ورعته، فإذا ... سقف بلا عمد
حتى فقدت به ... روحي، إلى الأبد

* * *

قتلته نفسي ... طوقته بيدي
والدمع محتبس ... والنار في كبدي



« هل نلتقي بغد ؟ »   آواه ! مات غدي

* * *

إني جنيت على نفسي . هل ولدي
لما قذفت به   في ذلك البلد
لا يحنو أحد   فيه على أحد
الكل منفرد   أو شبه منفرد
يتصارعون على   دنيا من الكمد

* * *

عش أنت منطلقاً   بالعيشة الرَّغد
واسحب بُرودك عن   رهنٍ على بَرد
إن كنت تذكرني   فالله في الرصد
من يشقَ والده   كأس الجفا يَرِدِ

* * *

أدعوك يا ولدي   يا عُدّة العُددِ !
خيّبتَ لي أملي   وأضعت لي رشدي
وتركتني غرضاً   للهمّ ، والكمد
عُد لي ولو كذباً   زرني ، ولا تَرِد !
ما زلت منتظراً   ياليت لم تعدِ ! ■

خليل هنداوي



■ في عام ١٨٧٦ حلت باسرة انطون تشيكوف كارثة مالية ترجع الى سوء تصرفات والده الذي افلس تماما وتراكمت عليه الديون فعرض البيت الذي كان يملكه في تاجنروج — وهي بلدة روسية ساحلية — للبيع وفاء لبعض الديون ثم اضطر الى الفرار الى موسكو هروبا من السجن ، والى هناك تبعته زوجته واولاده الثلاثة مايكل وميشا وايفان ، واضطر انطون الى ان يبقى في تاجنروج ليواصل الدراسة بمدرستها العليا وكان في السادسة عشرة من عمره .

وفي موسكو قاست العائلة ذل الفقر وحرمان العيش اذ اضطرت الى ان تعيش في مسكن قذر مظلم يقع في حي تقيم فيه بغايا موسكو ، وعانت العائلة قسوة الجوع نهارا والتحاف البرد ليلا اذ كانت العائلة كلها تنام على الارض الصلبة الرطبة الجرداء .

والى جانب الكارثة تعرضت العائلة لمحنة اخرى هي الخيانة ، فقد تقدم صديق العائلة عارضا انقاذ المنزل الذي كانت تقيم فيه العائلة ، وذلك بدفع المستحق عليه من ديون وقد فعل ولكنه استولى على المنزل لنفسه .

وعاش انطون تشيكوف في تاجنروج بعد ان شهد رحيل ابيه وامه واخوته وحلول المالك الجديد ، فاخذ يعاني الام الوحدة والحرمان ويفتقد جو البيت الاسري بجميع ما كان يشتمل عليه من اساليب وعادات درج عليها واستانسها ، ولقد ترك هذا الحادث اثرا لا يمحى في نفس تشيكوف ومن هنا تكثر مواقف الفراق في قصصه .

وعرض عليه المالك الجديد الذي سلبهم الدار حيلة وخداعا ان يظل مقيما لديه في مقابل ان يضطلع بتدريس بعض اقاربه ، وقبل تشيكوف



... لقد كانا في
طريقهما لشراء
شبكة « ركس
خيال » مصير ،
كانا يدركان أسرة
بعد زواجهما ، أن
المستقبل كان طوع
لكليهما بأزهى
الآمال ..

هذا المرض اذ لم يكن هناك مكان آخر يذهب إليه .

وفي هذه الظروف القاسية المؤلمة ظل انطون تشيكوف ولكنه واجه الموقف بشجاعة ورجولة وروح انسانية نادرة لتشد وتخلص — وسط كل هذه العوامل الداعية الى اليأس — النواحي الطيبة في الحياة ، وقد تعرض انطون تشيكوف في اول الأمر لسخرية ومهاجمات بعض التافهين من اهل البلدة ولكنه اجبر الجميع ، بما فيهم صاحب الدار ، على احترامه اذ كانت تتسم تصرفاته كلها بالهدوء والحزم دون ما تحد .

وكان تشيكوف قبل الكارثة التي حلت بعائلته يحلم بالحرية ، وكانت الحرية عنده هي التخلص من جبروت والده الباطش القاسي الشديد ، فلما جاءت جلب معها الألم والهوان والتحقير والفقر ... ولكنها الحرية .

ولا يعرف الكثير عن السنوات الثلاث التي قضاها تشيكوف في تاجنروج (١٨٧٦ — ١٨٧٩) ولكن من المقطوع به انه عكف على تنمية ذاته وشخصيته في الوقت الذي كان يواصل فيه الدراسة كطالب ، ويقوم باعطاء الدروس الخصوصية للطلبة ويبيع ما لا لزوم له من البقية الباقية من الأثاث القليل لديه حتى يستطيع ان يرسل بعض النقود الى عائلته في موسكو .

وفي عام ١٨٨٦ كتب هذه القصة التي يصور فيها عزلة الانسان في محنته ، وانصراف كل امرىء الى غاياته واهتماماته الخاصة دون اكتراث لمشاعر الآخرين .

القصة

ستيبان كوفاليوف شاب حديث التخرج في كلية الحقوق ، ولم تكن الساعة قد اربت على السادسة صباحا حين استقل عربته وفي صحبته عروسه ، وانطلقا في احد الطرق الريفية ، ولم يكن قد سبق له او لعروسه ان استيقظا في مثل ذلك الحين من البكور ، وشعرا ان روعة الصباح الصيفي الساكن تشبه بضع صفحات من احدى قصص الأساطير ، ان الأرض المكسوة بالخضرة والقطرات من فوقها قطرات الندى ، كانت جميلة تتلألأ بالسعادة ، وقد تراءى ضوء الشمس الذي تقطعه الظلال فوق ارض الغابة وتألق على صفحة النهر اللألاء ، وكانت هناك طراوة في الهواء اللازوردي البالغ الشفافية حتى لكان يبدو ان كل دنيا الخلائق قد برزت لتوها من حمام منعش ولتجدد شبابها الى اول عهد .

كان ذلك اسعد صباح لدى آل كوفاليوف في شهر العسل كله ، وكما اعترفا بذلك فيما بعد بل اسعد صباح في حياتهما كلها . لقد كانا يثرثران بلا انقطاع ويضحكان ضحكات صاخبة بلا سبب ، واستمرا في ذلك دون اي احتشام حتى انتهى بهما الأمر الى الشعور بالخجل امام الحوذي . ان السعادة كانت تبتسم لهما في الحاضر والمستقبل ايضا ، لقد كانا في طريقهما لشراء ضيعة « ركن خيالي » صغيرة كانا يحلمان بها منذ يوم زواجهما ، ان المستقبل كان يلوح لكليهما بلازوردي الآمال . اما هو فقد كانت لديه احلام عن وظيفة بالهيئة المشرفة على الاقليم ، وعن الزراعة وفق الأساليب العلمية وكل الأعمال والمسرات المقترنة بحياة الأرياف التي سمع وقرأ عنها الكثير ، اما هي فقد كانت تهمها الأمور الخيالية تماما : الرحلات على سطح البحيرة ، الدروب الصغيرة الظليلة والليالي العطرة .

ولم يلحظا — مع الضحك والحديث — الى انهما قطعا مسافة الاثني عشر ميلا الى ضيعة المستشار القيصري مايكلاف التي كانا ذاهبين لمشاهدتها ، كان هناك نبع ماء عند اسفل التل تماما ومن فوقه يقوم المنزل الذي تكاد تخفيه اشجار البتولا ، ان السقف الأحمر كان يبدو وقد احاطت به الأشجار الكثيفة ، والمنحدر المعشب التربة تتناثر فوقه الشجيرات .

وقال كوفاليوف حين كانا يعبران مجرى الماء :

— منظر لا بأس به ... المنزل فوق التل ومجرى الماء عند اسفله ، ياله من شيء لطيف جدا جدا ولكن — يا فيروتشكا — درجات السلم ليست على ما يرام ، انها تشوه المنظر .. انها بشعة واذا ما اشترينا الضيعة لا بد لنا بالتأكيد ان نستبدلها بدرج من الحديد الزاهر .

وقد احبت فيروتشكا ايضا المنظر ووثبت على

السلم ، وهي تترنح من أثر الضحكات البهيجة ، وتبعها زوجها وسار كلاهما وهما يلهثان الى الحديقة وكانت ملابسهما قد فقدت تناسقها ، كان اول شخص يقع بصرهما عليه فلاح ضخم الجثة كثيف الشعر ، عليه امارات الندم والاكتئاب وقد جلس تحت سقيفة الباب ينظف حذاء طفل .

وساله كوفاليوف :

ـ هل السيد مايلكوف موجود ؟ الحب واخبره ان الناس الذين يرغبون في شراء الضيعة قد قدموا ليلقوا عليها نظرة . وحملق الفلاح في كوفاليوف وزوجته في دهشة بلهاء وبلغ في نظره ، لا الى الدار ، بل الى المطبخ وكان بناء منفصلا عن المنزل وسرعان ما برزت من نوافذ المطبخ وجوه ، كل منها اكثر نعاسا من الآخر .

وسمع همس :

ـ لقد وصل الشارون .. يا رب ، انهب ارادتك ، ضيعة مايلكوف تباع ؟. انظر .. يا لهما من زوجين صغيرين .

ونبح كلب في مكان ما ، وعلت صرخة القرد متمما بدوس شخص ما فوق ذيله ، وسرعان ما انطلق صوت الفزع الذي أصاب الخصيان صغار الدجاج والأوز والدجاج الرومية التي كانت تتهادى في نواحي الضيعة ، وبعد قليل برز من المطبخ شخص يشبه الطهي وضيق من عينيه وهو ينظر الى آل كوفاليوف ، واخذ يرتدي سترته وهو يجري نحو المنزل ، وكانت كل هذه الانفعالات تبدو مضحكة لآل كوفاليوف ، ولم يعد في وسعهما ان يمتنعا من الضحك .

وقال كوفاليوف وهو يتبادل النظرات مع زوجته :

يا لها من وجوه مضحكة .. انهم ينظرون الينا كما لو كنا من المتوحشين .

واخيرا برز من الدار رجل صغير الحجم ذو وجه حليق شديد الشحوب وشعر اشعث ومسح لحيه المشعرتين في خفين منزليين مطرزين .. فعل ذلك وهو ينحني وابتسم ابتسامة مسرورة وحملق في الضيفين القادمين بلا موعد .

وبدا كوفاليوف الحديث وهو يرفع قبعته :

ـ السيد مايلكوف ؟ اسمح لي ان اقدم نفسي ، انا من مدوجي ولقد قرا بيان بنك الاراضي الذي يقول ان ضيعتك معروضة للبيع وقد اتينا لنعاينها ومن المرجح ان نشتريها ، فهل تتكرم وتتيح لنا ان نلقي عليها نظرة .

واعترى مايلكوف الارتباك وعلت وجهه ابتسامة مغتصبة ، وفي حيرته ازداد شعره تشعثا وارتسم على وجهه الحليق مزيج من الخجل والحيرة الى حد جعل كوفاليوف وقرينته يتبادلان النظرات السريعة مرة اخرى ولا يستطيعان اخفاء البسمات، وتمتم مايلكوف قائلا :

ـ يسعدني ان اراكما .. انني رهن خدمتكما ، اجئتما من مكان بعيد يا سيدي ؟

ـ انتا قادمان من كوكوفو .. انها مسكن صيفي هناك .

ـ هكذا .. مسكن صيفي .. شيء جميل .. مطرة .. معطرة .. لقد استقبلتنا توا ولم نرتب المكان بعد تماما .

وقاد مايلكوف الزائرين الى مؤخرة المنزل وهو يبتسم في مرارة ويفرك يديه ، ووضع كوفاليوف نظاراته على عينيه واتخذ هيئة السائح الخبير حين يشاهد بعض الاماكن المأثورة واخذ يتفحص الضيعة بادئا بالمنزل وكان بناء من الحجارة ومن طراز عتيق بالغ التعقيد ، ذا واجهات تحمل رسومات غريبة وسبابا ، وقد تسلخ طلاؤه ، وكان السقف في حاجة ماسة الى طبقة من الطلاء اما زجاج النوافذ فقد حال لونه واصبح خليطا من الوان عدة وذلك بفعل الزمن ، وقد نمت الحشائش في الشقوق التي تتخلل درج السلم ، كل شيء كان متداعيا ومشعثا ، ولكن القائمين على الشراء ياهم المنزل في عمومه فقد كان ذا طابع شعري متواضع ، حسن الموقع ، مثله مثل العقائل العذراء التي تقدم بها السن ، وامامه على بعد خطوات من الباب الرئيسي بركة ماء تتلألأ في الشمس ، وكان ؛ م بها بطتان ولعبة على هيئة قارب وكانت محاطة بعدد من اشجار السنولا متساوية الطول والضخامة .

وقال كوفاليوف وهو يشير من عبر الشمس

ـ آه .. عندكم بركة أيضا .. هذا شيء لطيف .. هل فيها أسماك ؟

ـ نعم يا سيدي .. كان فيها أيضا أنواع أخرى غير ما نعرفه حاليا ولكنها ماتت عندما توقفنا عن تنظيف البركة .

وقال كوفاليوف بلهجة الأستاذ

ـ شيء سيء للغاية ، يجب تنظيف البركة كلما أمكن ذلك ، ويزيد من أهمية الأمر أن الطمي وسابات الماء من المخصبات الممتازة للحقول ، أتعرفين يا فيرا ؟ عندما نشتري هذه الضيعة سنقيم كوخا صيفيا على سطح البركة فوق دعائم وقنطرة ، لقد رأيت مثل ذلك الكوخ الصيفي في مسكن الأمير المشرف ..

وصمتت فيرا في عذوبة .

ـ يمكننا تناول الشاي في الكوخ الصيفي

ـ طبعا .. وما هذا البرج ذو الطرف المدبب؟

وأجاب مايلكوف :

ـ انه خاص بالضيوف .

ـ انه يبدو بائسا على وجه ما ، انما سوف نهدمه وعلى وجه العموم أشياء كثيرة هنا لا بد أن نهدم .. أشياء كثيرة .

وفجأة سمع بوضوح بكاء امرأة ونظر آل كوفاليوف في اتجاه المنزل ولكن في تلك اللحظة نفسها انفتحت نافذة بعنف وظهرت عبرها رقبة وعينان كبيرتان مغلقتان بالدموع من وراء الزجاج الملطخ بالألوان ، ويبدو أن المرأة التي كانت تبكي قد خجلت من دموعها فاختفت وراء الستار وهي تغلق النافذة .

وبدا مايلكوف يتحدث بسرعة وهو يقطب من وجهه المجعد بشكل ملحوظ ، وأصبح أكثر مرارة من أي وقت مضى .

ـ ألا تريدان رؤية الحديقة والمباني الخارجية؟! إن أهم شيء ـ كما تعرفان ـ ليس المنزل بل الأراضي المحيطة به والأشياء الأخرى .

وذهب كوفاليوف وعروسه لرؤية الحظائر والمباني الخارجية ، وقد طاف المحامي الحديث المرح حول كل مبنى ، عاينه وشمه وأظهر لمن معه معرفته بالزراعة واستعلم عن مساحة الضيعة بالفدان وعدد الأغنام وتحسر بالألسنة على روسيا من أجل إزالتها غاباتها ، ووبخ مايلكوف من أجل كمية السماد الكبيرة التي أضاعها وتناول غير ذلك من الموضوعات وأسهب في الحديث ، ومن حين إلى حين كان ينظر إلى فيروسكا زوجته التي لم تحول عينيها عنه كأنها تقول لنفسها

ـ ما أذكاه رجلي هذا .

وأثناء معاينة مخزن الحبوب سمع صوت بكاء مرة أخرى .

وسألت فيروشكا :

ـ أرجو أن تخبرني من الذي يبكي ؟

وأشاح مايلكوف بيده وأدار وجهه وفجأة تحولت التجهمات إلى بكاء عصبي متواصل لدهشة فيروشكا .

ـ عجيب .. كما لو كان هناك من يضرب أو يغتال شخصا ما .

وقال مايلكوف :

ـ انها زوجتي .. كان الله في عونها .

ـ ولكن لماذا تبكي ؟

ـ امرأة ضعيفة يا سيدي ، لا تحتمل أن ترى دارها تباع .

وسألت فيروسكا :

ـ لماذا تبيعها إذا ؟

ـ نحن لا نبيعها يا سيدتي ، البنك هو الذي يبيعها .

ـ غريب . ولماذا تسمح له ؟

وألقى مايلكوف نظرة دهشة على وجه فيروسكا القلق وهز كتفيه وقال

ـ لا بد من دفع فوائد على الرهن : ألفان ومائة

من الروبلات كل عام ومن اين لنا هذا ؟ ذلك ما يجعلها تبكي ، النساء مسيحيات كما تعلمين ، انه ليحزنها ان تفقد منزلها ، انها حزينة من اجلي ومن اجل الاولاد ، كما تشعر بالخجل امام الخدم وادار وجهه ناحية كوفاليوف ثم اضاف :

— لقد راق لله ان نقول قرب البركة لن هنا لا بد ان يهمم وذلك ان ييس ولكن ذلك بمثابة سكين نفذت الى قلبها .

وفي طريق العودة عند مرورهم امام الدار رأت فيرا في النافذة رأسا حليقا لصبي في المدرسة العليا وفتاتين صغيرتين ، وكان من الواضح انهم ابناء مابلكوف ؛ ترى فيم كانوا يفكرون وهم ينظرون الى المشترين ؟؟ يبدو ان فيروتشكا كانت تعرف ما يدور في رؤوسهم من افكار ، وحينما ركبت العربة للعودة كان الصباح المشمس والركن الخيالي قد زال كل سحرهما لديها وقالت لزوجها

— ان كل هذا لا يليق اطلاقا .. وفي الحقيقة فانا لا نعطيهم مبلغ الالفين والثلاثة روبل ؟؟ دعهم يعيشون في ضيعتهم .

وضحك كوفاليوف ..

— يا لله من ذكية .. انني آسف من اجلهم طبعا ولكنها الضيعة من اجبرهم على رهن الضيعة؟ ولماذا اهملوها الى هذا الحد ؟؟ في جدير بنا ان ناسف حقا من اجلهم .. انا ما احسن شخص رعاية هذه الضيعة بمهارة فادخل فيها الفلاحة العلمية واقوم بتربية المواشي لجعل من هذا المكان شيئا طيبا للغاية .. ولكن هؤلاء التافهين .. انهم لم يفعلوا شيئا .. هو في الغالب سكير ومقامر .. هل لاحظت قدح الشراب الخاص به ؟ وهي سيدة من الطبقة العليا ومغرورة .. انا اعرف امثال اولئك الناس .

— كيف تعرفهم يا سيروجا !

— يمكنني ان اعرف ، انه يشكو من عجزه عن دفع فوائد الرهن ، كيف يحدث ؟؟ يستطيع ان يكافح ويجمع الفين من الروبلات ؟ لو ادخلت الفلاحة العلمية واستعملت الاسمدة والقدرات الماشية بالتربية ، وهذا ما ادخلت في ضيعاتك الظروف المناخية والاقتصادية تستطيعين ان تكسبي عيشك من هذين الاثنين .

وظل « سيروجا » يتحدث طوال الطريق حتى البيت ، وكانت زوجته تستمع اليه وتؤمن بكل كلمة يقولها ولكن فرحتها السابقة ليست ، انها لم تستطع ان تكف عن التفكير في ابتسامة مابلكوف المتعبة والعينين الكبيرتين المغطيتين بالدموع التي لمحتهما ..

وفيما بعد عندما ذهب سيروجا مبتهجا الى المزاد واشترى الضيعة ووقع عن زوجته لانها كانت هي مكتئبة ، ان خيالها لم يكف عن تصور مابلكوف وعائلته وهم يركبون احدى العربات ويغادرون بيتهم القديم باكين ، وكلما ازدادت الصور التي رسمها خيالها بؤسا وتأثيرا ، كلما ازداد سيروجا انشراحا .

كان يتحدث بمزيد من الثقة في النفس عن الزراعة طبقا للاساليب العلمية ، وكان يرسل في طلب الكتب والمجلات الزراعية ويجعل من مابلكوف موضوعا لسخريته ، وكانت خططه الزراعية تنبي دائما بالمظاهر الجريئة للشباب والمجيل للغاية .

— سوف تشاهدين .. انا لست مابلكوف ، سأريك كيف تكون الزراعة .. سوف افعل ذلك حقا .

وعندما انتقل آل كوفاليوف الى ضيعة مابلكوف المهجورة كان اول ما لاحظته فيروتشكا بقايا مخلفات اليرة تركها السكان السابقون : برنامج دراسي خطته يد طفل ، عبارات بالقلم الرصاص على الحائط « فتاتا سيئة » ، عصفور مفرد بجنبه الى النافذة ليتناول فتاته المعتاد واشياء تشبه ذلك ..

وكان جزء كبير من الضيعة في حاجة الى طلاء او كساء جديد من الورق ، وجزء كبير لا بد من هدمه حتى تنمحي ذكرى محنة الآخرين .

■■

ترجمة : نصري عطا الله



بين البستي والرندي

● قال الاستاذ المحقق عبد الستار فراج في مقاله القيم « الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى » المنشور في عدد يوليو ١٩٧١ (رقم ١٥٢) من مجلة العربي الغراء :

... وقد يأتي (الدميري) ببعض القصائد الطوال النادرة مثل قصيدة ابي الفتح البستي التي بلغت ٥٦ بيتا والتي مطلعها :

زيادة المرء في دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران

هكذا ذكر اولها واذكر اننا نحفظ مطلعها كما يأتي .

زيادة المرء في دنياه نقصان
فلا يغرر بطيب العيش انسان

هذا قول الاستاذ فراج حفظه الله ، ويبدو لي ان المطلع الذي يحفظه انما هو :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان

وهو مطلع قصيدة اخرى ، بالوزن والروي نفسه ، لشاعر اخر هو ابو البقاء صالح بن شريف الرندي اخر ادباء الاندلس في مرثاته الشعرية الشهيرة للملك الفردوس المفقود ، وهي واردة بتمامها في نفح الطيب للمقري وفي الحلل السندسية لشكيب ارسلان ، ونشر مطلعها مع بعض ابياتها في مقال للشاعر النابلسي (الفردوس المفقود) في العدد ٦١ من العربي (ديسمبر ١٩٦٣).

اختلف في تاريخ وفاة البستي ، ويرجح لها خير الدين الزركلي في الاعلام سنة ٤٠٠ هجرية وورد قول ابن كثير في البداية والنهاية حيث ذكره في وفيات سنة ٣٦٣ هجرية . ومع انني لا اجد فيما تحت يدي من مراجع ترجمة لابي البقاء الرندي تبين تاريخ وفاته ، فانه لا شك متأخر كثيرا عن البستي باعتباره آخر ادباء الاندلس ، وارجح انه حفظ قصيدة البستي واستعار منها لرثائه الوزن وشطرين على الاقل . ففي قصيدة البستي البيتان .

لا تحسبن سرورا دائما ابدا
من سره زمن ساءته ازمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده
ان كنت في سنة فالدهر يقظان

وفي قصيدة الرندي :

هي الامور كما شاهدتها دول
(من سره زمن ساءته ازمان)
يا غافلا وله في الدهر موعظة
(ان كنت في سنة فالدهر يقظان)

واضيف ان خير الدين الزركلي في « الاعلام » ذكر في هامش ترجمته لعلي بن محمد البستي ان شكيب ارسلان في الحلل السندسية نسب قصيدة « زيادة المرء ... » الى الرندي . والحقيقة ان القصيدة التي اوردها امير البيان هي قصيدة الرندي بمطلعها « لكل شيء اذا ما تم نقصان ... ».

العربي : مع الشكر نذكر ان صالح بن شريف الرندي توفي حول سنة ٧٠٠ هـ وذلك ان صاحب كتاب الذيل والتكملة ، المتوفى سنة ٧٠٣ ، يذكر انه كتب اليه باجازة مارواه والله .

سالم علي سالم
شركة نفط الكويت

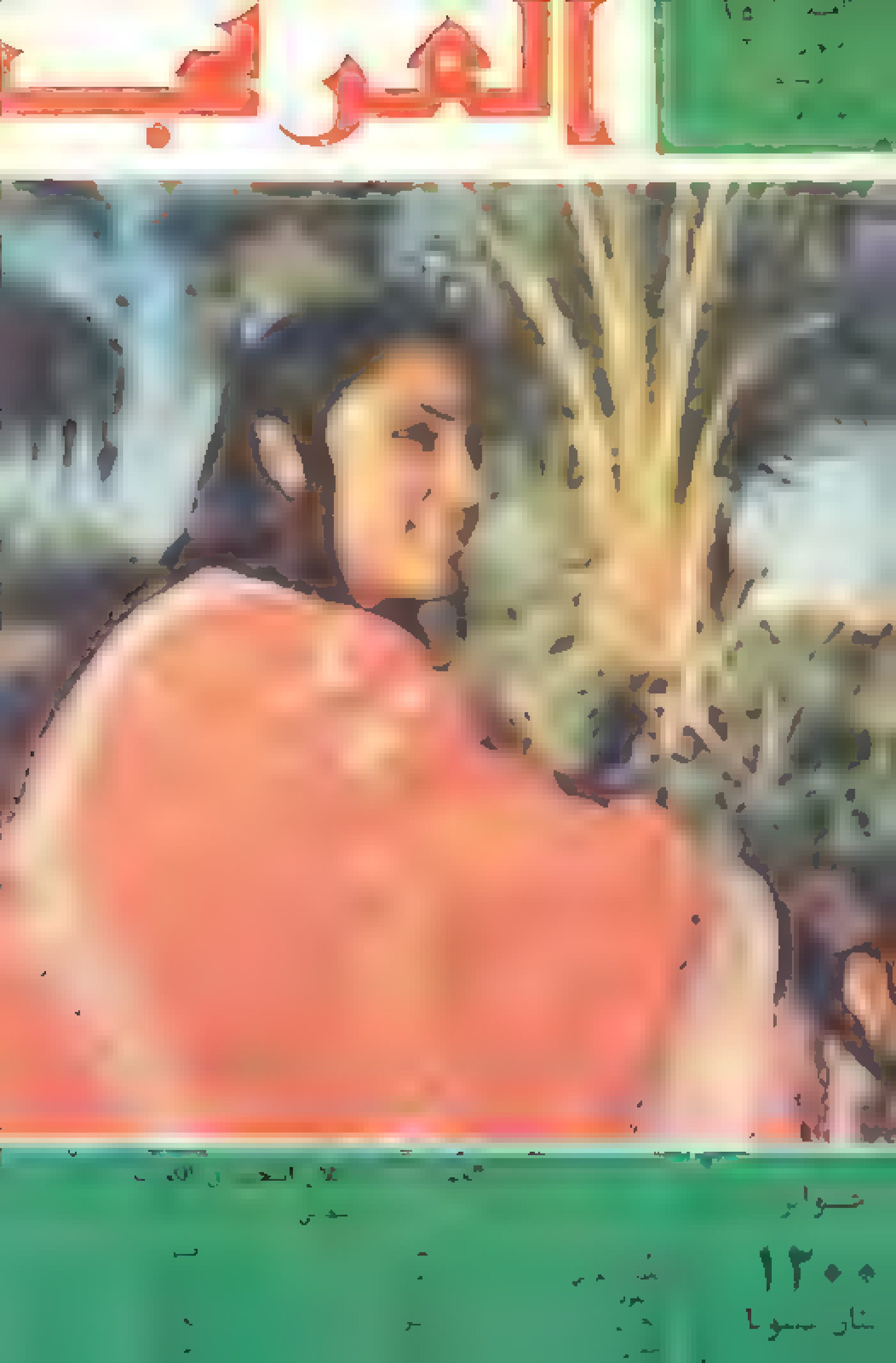
• • • • • • • • • • • • • •

الدراسات العلمية

● انني الاحظ بمرور الوقت ان مجلتي العزيزة العربي تزيد من نشر المقالات والموضوعات الادبية ، حتى اصبح كل عدد منها يحوي ثلاثة مقالات في الادب ، وربما اكثر ، وبذلك تقل المساحة المخصصة لنشر الموضوعات العلمية المتعددة الجوانب . الحتى لو امكن اختصار بعض المقالات الادبية ، حتى يفسح المجال لنشر المزيد من البحوث والدراسات العلمية التي يستفيد منها قراء هذا العصر .. عصر العلم والتقنية .

جاسم محمد
البصرة / العراق

• • • • • • • • • • • • • •


العربي



● لوحة للفنان الفرنسي [illegible] (١٨٣٤ - ١٩١٧) ولد في باريس ونال شهادة البكالوريا بدرس الآداب الكلاسيكية ، ثم كان أن باشر دراسة القانون ، ولكنه [illegible] تعرف الى [illegible] ، فتخصص في الرسم على يد كبار اساتذته [illegible] وقد عاشر [illegible] الانطباعيين [illegible] ، وصادق مونيه ورينوار وعرضها معهم ، وبات باسلوبهم ، واحد منهم بحيث صحح انطباعيا معهم في نظر اكثر النقاد وقد تخصص في [illegible] برقص الباليه

المال يشتري كل شيء؟

عزيزي القارئ

● ظلت الولايات المتحدة اكثر من عشرين عاما تمنع الصين الشعبية من ان تحتل مقعدها المرسوم لها في مجالس هيئة الامم المتحدة ، تسعفها في ذلك الكثرة ممن اصطنعتهم من اعضاء هذه الهيئة من امم .

● واحتفظت الولايات بمكان الصدارة في هيئة الامم بما كان لها من قوة ، وما كان من مال وفير تغدقه عليهم اعانات تنفق في عدة حرب او شئون اقتصاد .

● وفي هذا العام الحاضر تغيرت وجهة السياسة الامريكية ، فرضيت ان تدخل الصين الشعبية في هيئة الامم ، وتبقى على الصين الوطنية فيها . فلما تقدمت بذلك الى الجمعية العمومية لهيئة الامم ، وجرى التصويت على ذلك ، وافقتها في دخول الصين الشعبية ، ولكن خذلتها فيما يختص بصديقة العمر ، الصين الوطنية .

● كان رد الفعل لهذا الخذلان في الولايات المتحدة شديدا ، لا سيما في مجالس الشيوخ ، فاذا به يحجب اموال العون عن الامم ، وعلى الاخص عن هيئة الامم المتحدة نكاية بها ، وجزاء بما اقترفته من خذلان . وهو يعلم بان الولايات اذا منعت عن هيئة الامم عونها لم تجد الهيئة ما يكفي لتقيم اودها ، فتتقوض .

● المال عند الولايات المتحدة يشتري كل شيء ، حتى ديمقراطية الراي التي يجب ان تتمتع بها مجالس هيئة الامم ، يجب ان تخضع لما تمن عليها الولايات من عون . ان الصداقة عندهم شراء بمال .

« المحرر »



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام

- حديث الشهر [illegible] مواصلات [illegible] [illegible]
  مواصلات بين أحلام وأحلام ٨

اسلاميات

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، كتاب للإمام الحافظ ابن الأثير ١٤

لغة وأدب

- أدب العربي [illegible] ٤٤
- [illegible] ٥٨

استطلاعات مصورة

- الجهراء [illegible] مدينة كويتية حديثة [illegible] (بالألوان) ٣٦
- [illegible] مدينة سودانية لها في التاريخ مجد قديم (بالألوان) ٨٤

وعلوم

- [illegible]
  [illegible] ٢٤
- [illegible]
  [illegible] ٥٢
- [illegible] ٧٩
- [illegible]
  [illegible]
  [illegible] ١٤٦
- [illegible]
  [illegible] ٥٩

سياسة

- بين العقل والعاطفة في عالمنا العربي المعاصر ٦٨
- [illegible] ٩٠
- [illegible] ١٠٨

اجتماع

- الخدمة الاجتماعية [illegible]

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإعلام بحكومة الكويت



AL ARABI = No. 157 December 1971 P.O.B. 748 KUWAIT

العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ [illegible]

الإعلانات: [illegible]

المراسلات: [illegible]

صورة الغلاف

● مدينة الجهراء التي تحتل صدر الكويت ، تجري فيها الآن نهضة عمرانية [illegible] ترافق [illegible] ، والجهراء إحدى [illegible] التي اشتهرت بالزراعة في صحراء الكويت منذ القدم ، ولا يزال الناس [illegible] فيها حتى اليوم ..

وهذه الصورة لفاطمة [illegible] الجهراء [illegible] ثوبها الوطني تحت سعف النخل ، وعلى وجهها ابتسامة ثقة بالمستقبل

شعر وشعراء

■ بعثة (قصيدة) ٣٤

■ يا فجر (قصيدة) ٦٢

■ الشعر [illegible] الأدباء من عرب وغير عرب [illegible] ١٢١

■ رسالة الى والدي (قصيدة) ١٦٨

ركن الأسرة والمرأة

■ فتى عزيز ، أعادت اليه زوجه وفية أملا ضائعا ١١٣

تربية وعلم نفس

■ العقل ـ مكانه في فلسفة التربية على مر القرون ١٤٨

تاريخ ، وتراجم أشخاص

■ من تراثنا العربي [illegible] ٢٠

■ ابن البيـه المصري ١٩٣

[illegible]

■ كتاب الشهر [illegible] على [illegible] ، من خلال رسالة الى [illegible] راقية حتى فقى محبة ٧٢

■ مكتبة العربي ٧٨

قصص

■ لعبة الأصابع الدامية ١٥٤

■ محنة الآخرين ١٧٠

[illegible]

■ عزيزي القارىء ٣

■ من روائع الفن العالمي ١٠٩ ■ بريد القراء ٩

■ سجية مسابقة العدد ١٥٥ ٢٥ ■ مسابقة العربي ٥١

■ طرائف عربية ١٢٢ ■ طرائف غربية ١٣٦

■ [illegible] ٠٦

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلوس ـ [illegible]

٢٠٠ [illegible] العراق ١٢٠ فلسا ـ سورية ١٠٠ قرش ـ لبنان ١٠٠ قرش

الأردن ١٠٠ فلس ـ السعودية ٢ ريال ـ السودان ١٠ قروش ـ ج ع م ١٠

قروش [illegible] [illegible] ٣٠ مليما ـ المغرب ٣ دراهم ـ اليمن [illegible]

[illegible] ١٥ قرشا [illegible] [illegible]

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة [illegible] الاشتراك [illegible] العربية [illegible]

[illegible]

[illegible] العربي .





جامعة الهواء أيقظت طموح الشباب العربي

● جاءنا خطابات كثيرة تسأل عن جامعة الهواء التي تناولها بالحديث رئيس التحرير في أول سبتمبر ١٩٧١ ، وقد دلت هذه الكثرة على ما أيقظته هذه الجامعة في قلوب الشباب من طموح كان نائما فاستيقظ ، والحق أن جامعاتنا العربية ضاقت عن أن تستوعب الجزء القليل من شبابنا المتعلم الذي يريد أن يستكمل علمه ومعرفته ، فلما طلعنا عليهم بخبر هذه الجامعة الحرة التي تراسل بالبريد وبالراديو وبالتلفاز وبوسائل أخرى ، ولا تمنع شابا سائرا في طريقه لكسب الرزق ، من أن يسعى في هذا الطريق ، فلما طالعه بخبر هذه الجامعة ، كان رد الفعل الشديد رغبة في معرفة عنوان هذه الجامعة .

ولكن هذه الجامعة ، مع الأسف ، جامعة انجليزية ، إقليمية ، لا يتسع مجالها لخارج حدودها ، وإذن فهي لا تعين من يسكنون وراء البحار ، لم يبق إذن أمام هذه الرغبة الصالحة ، إلا إيقاظ رجال التربية في البلاد العربية إلى استكمال جامعاتهم الرسمية بجامعات للمراسلات أسوة بجامعة الهواء الانجليزية ، أو لعلهم يتخذون مثلا لجامعاتهم من غير انجلترا ، فهذه الجامعات ، كما ذكر رئيس التحرير منتشرة في كثير من الأمم ، فهي في روسيا ، وهي في فرنسا وهي في استراليا ، وهي في نيوزيلندة وغيرها .

« العربي »

* * *

تصويب

● ظهرت بعض الأخطاء في مقالي المنشور بالعربي في عدد نوفمبر الأخير ، أرجو التفضل بتصحيحها بالشكل الذي ترونه مناسبا .

الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
٣٦	١	٢٨	كلف	كلف
٣٦	٢	١٦	تمشي	لا تمشي
٣٦	٢	٣٧	تحويل	تمويل
٣٨	١	١٤	الهيبة	القبة
٣٨	١	٣٦	بالنسبة	النسبية
٣٩	٢	١٥	العشبية	القرنية

د . عبد المنعم الخلخالي

المستشار برئاسة مجلس الوزراء — الكويت

يقترح إعادة ذكر سؤال المسابقة عند نشر إجابته

● إن مجلة العربي للقراء الهادفة تصلنا بأعداد محدودة وينتهي بمجرد وصولها إلى المكتبات لكثرة الراغبين في قراءتها والاطلاع عليها . وكان من نتيجة ذلك أننا لا نتمكن من شراء بعض الأعداد ، وعندما يسعفنا الحظ ونمتلك عددا من المجلة نبدأ بقراءته صفحة صفحة ، وعندما نصل إلى نتيجة مسابقة العدد الذي سبقه ولم نره نجد أن الأسئلة مجاب عليها ولكن لا نعلم نص السؤال الذي لدينا إجابته . فهل لكم أن تعيدوا نشر السؤال باختصار عند نشر الإجابة الصحيحة عليه .

عبد الرحمن راشد الجدوع

المملكة العربية السعودية — حائل



اخطاء المنجد تداركوها

● قرأت كثيرا في العربي وغيرها عن اخطاء معجم المنجد في اللغة للأب لويس اليسوعي ، ولكني لم أر من لاحظ على جانب من انحراف وابتعاد عن جادة الصواب في كثير من الاصطلاحات الدينية المختلفة ، والمثال وتعريض والقذف عند ذكره معاني الالفاظ الدينية الاسلامية . مثال ذلك :

ـ المسيح : لقب المرب يسوع ابن الله المتجسد

ـ العذراء : لقب السيدة مريم والدة الاله المتجسد !!

ـ المصطفى : لقب موسى الرسول !

عبد الله بن يحيى العلوي ـ القاهرة

العربي : اطلع رئيس التحرير على رسالتكم ، وحاول ان يجد هذه الامثلة التي ذكرتموها في الطبعات العديدة من المنجد ، فلم يجد لها اثرا ، فلعل اصحاب المنجد تداركوا الامر ، وقد احسنوا

العربي

العدد السنوي الممتاز
يصدر في اول يناير
ومعه هدية كالعادة

العصر الأموي

● قرأت في العدد ٢٥٥ من (العربي) الزاهرة عنوانا جذابا (الشعراء الصعاليك في العصر الأموي) بفتح الهمزة والذي ارجحه ان الأموي نسبة الى بني امية فالاصح ان يقال الأموي (بضم الهمزة لا فتحها) .

وقد يكون الامر خطأ مطبعيا او قد اكون انا على خطأ ، وفوق كل ذي علم عليم .

يسهم الدويب ـ بغداد

العربي : الضم والفتح صحيحان ، الاول عربي والثاني صحيح وصالح وجه مالت عن سيبي وقد قال به سيبويه وغيره

صبيحة ملكة قرطبة

● اطلعت في عدد المصطفى على مقال السيدة تهنية قراءة من صبيحة ملكة قرطبة فوجدت به بعض اخطاء كان يمكن استدراكها لو رجعت الكاتبة الى اي مرجع من مراجع التاريخ الاندلسي المأثور ، سواء اكان من المراجع القديمة او من المراجع الحديثة او كتب المستشرقين .

من ذلك ما ذكرته السيدة في مقالها عن المنصور وانه الشاب الطموح الى الشمال الافريقي الذي عاد سلطانه الى بني الاغلب وقد استقل الاغالبة الى مصر ورأى ان يربط قدره بقدر تلك البلاد ، وان يتقدم لخطبة اسماء ابنة الامير الاغلبي زعيم القبائل هناك وسيد العشائر والحاكم المتصرف صاحب المجد والسلطان » .

وابن عذاري يقول في الجزء الاول من البيان المغرب ان انقراض دولة الاغالبة كان سنة ٢٩٦ اي قبل ان يولد المنصور بن ابي عامر ، ولست ادري على من اعتمدت السيدة في تقريرها ان المنصور تزوج « اسماء ابنة الامير الاغلبي » والصحيح ان المنصور تزوج اسماء ابنة القائد الاندلسي الشهير غالب الناصري في قصة معروفة .

وتقول السيدة في مقالها وهي تتحدث عن سلطة السيدة صبيحة في تصريف امور الدولة « حتى لا تدع بذلك فرصة اي فرصة لشارلمان واسراب الاقطاع المترصدين ان يجدوا ثلمة يتسللون منها الى تحقيق ما كانوا يطمعون فيه . ولست ادري من شارلمان هذا الذي تقصده فشارل الاكبر او شارلمان حفيد شارل مارتل لم يكن معاصرا للسيدة صبيحة وانما كان معاصرا لعبد الرحمن الداخل ، وقد غزا الاندلس في عهد الداخل ، واضطر الى الهزيمة والانسحاب ، واصيبت مؤخرة جيشه بكارثة كان من ضحاياها صديقه الاثير رولان .

علي ادهم

أسمو ...

إعلاما

وماهو إلا مواصلاتٌ

بين أرواح وأفهام

من بعد مواصلاتٍ

بين أجسام وأجسام

بقلم رئيس التحرير

> قضى ابن بطوطة في رحلاته ربع قرن، ولو أنه قام بالذي قام به بوسائل إعلام اليوم، لأنجز ما أنجز في عام.

> الناس راضون عن الإعلام وغير راضين، لأنهم يمثلون طرفي زمان، حديث وقديم. إنه اختلاف أكثره اختلاف ثقافة واختلاف أمزجة.

■ أخبرني صديق بأنه ذاهب الى بلد من بلاد غرب أوروبا، وأنه هناك سوف يقيم الى حين. قلت وأنا أيضا طريقي لا يبعد أن يأخذني الى هذه الارجاء. وكأني والله بك لاحق لأراك هناك وأرى كيف استقر بك وبأهلك المقام.

ولحقت به على مثل ما حلف، ووجدته استقر هو وزوجته وولده الواحد وابنته الواحدة في المدينة الغربية بغير كثير عناء. وجلسنا نتحدث ذات ليلة. قال انه رغم استقراره المادي يحس هو وأهله بالغربة الشديدة والانقطاع. انهم حلوا في هذه المدينة الواسعة الزاخرة بالناس وكأنهم حلوا في بقعة في صحراء لا حياة فيها ولا بناء.

ووجدت الى جانبه ورقة عظيمة مفتوحة، فمد يده اليها فاذا بها خريطة لهذه المدينة. تنظرها بعينك فتحس كأنما امتلأ بها صدرك حتى ضاق، لما تعبّر عنه الخريطة من شوارع ومسالك. قال صاحبي اني انظر الى هذه الخريطة كما ينظر الأمي الى صفحة في كتاب، هي سطور أمامه كثيرة، ولكن لا معنى لها. اني انظر الى هذه الخريطة بعيني ولكن نظر الأمي الذي لا يرى منها شيئا ولا يفهم شيئا.

قلت لصاحبي، هذه الخريطة هي أول وصلة لك بالمدينة. لا تستطيع قراءتها اليوم، ولكن تستطيع غدا، حين تتعلم كيف تقرأ، وعندئذ تزول عنك أميتها، ثم تصبح لا ترى لعلك حاجة اليها الا فيما ندر.

وسألته: هل عرفت أين السوق القريبة، وأين تشتري اللحم والخضار؟

قال نعم عرفنا بالسؤال، سؤال الناس. وما كان أسرعهم اجابة وأحرصهم على عون، كأنهم أحسوا

بأننا غرباء ، ومنهم من تطوع ودلنا على خير الأماكن التي منها نشتري .

وسألت : وماذا عرفت غير الأسواق ؟

قال : عرفت أين الصيدلية القريبة ، وأين الطبيب القريب ، والمستشفى ، ومركز الشرطة ، وعرفت السيارات العامة ومساراتها ، لا سيما تلك التي تحملني الى عملي والى اوسط المدينة ، وعرفت وعرفت .

قلت : كفاك هذا الآن ، ولا تحاول ان تلتهم المدينة التهاما . انت اليوم تذهب اليها تتعرف عليها ، وهي غدا تأتي اليك لتهديك طرقا ، وتهديك سبلا اخرى .

وعرجت على صاحبي بعد اشهر

وحدث ان عرجت على صاحبي هذا ، وقريبي ، بعد بضعة اشهر . ولما اجتمعت بالاسرة بدأت اسألهم عن حال هذه الصحراء التي شكوا منها الانقطاع والعزلة منذ نصف عام . فجرت على الوجوه ابتسامة . وعلمت انهم اصبحوا يعلمون عن هذه المدينة ، غير الصغيرة ما يكاد يساوي ما يعلمون عن مدينتهم في وطنهم . وبعض التفكه قام صاحبي فاحضر نفس الخريطة ، خريطة المدينة ، التي كان بسطها لي عند زيارتي الاولى . وقال لي وهو يبتسم : لقد تعلمت قراءتها ورأت مني أميتها . وتابع يقول : ولقد صدقت ، فقد كانت هذه الخريطة ، بيننا وبين المدينة والناس ، اول سبيل من سبل الوصال .

ثم استدرك يقول ، اعني المواصلة .

الوصال والمواصلة

قلت لا بأس عليك ، فالوصال ، والمواصلة ، شيء واحد . وهما مصدر للفعل واصل يواصل . وجمع المواصلة المواصلات . والسيارات العامة اسموها سبلا من سبل المواصلات ، وكذا القطارات والطيارات سبلا من سبل المواصلات ، لانها تصل بين البلد والبلد ، وبين اهل البلد واهل البلد . وخريطة هذه وصلت بينك وبين المدينة ، فهي سبيل من سبل المواصلات . وهي شيء لا يركب ، وانما هو يرسم وينشر ويقرأ . وليست كل سبل المواصلات بالشيء الذي يركب . فان نكن اكثر ما اصطلح عليه الناس من مواصلات تحمل اجساما وابدانا ، فمن المواصلات ما يحمل افكارا وافهاما .

وذهبت اسأله ان يحدثني عن غير هذه الخريطة سبلا الى وصال .

في النادي

قال التقاؤنا بأهل هذا البلد اصدق سبيل لمواصلة ، وعلى الاخص لقاؤنا اياهم في النادي الذي جمعت المهنة وجمع العمل به بيننا وبينهم . فليس كالحديث اسهل لعلم ، واسهل لفكر ، وتعرف على هويات الناس وامزجتهم . والناس كالقواميس ، تفتح منهم [illegible] الى ما تشاء لتعلم ما تشاء .

والسير في الاسواق

قلت ثم ماذا ؟

قال : السير في الاسواق ، تملأ فيها عينك ، وتملأ فكرك ، وتملأ قلبك بالذي ترى . ان كل سوق مسرح ، وكل قائم بسوق ممثل لاعب ، سواء حمل طفلا ، او حمل سلة ، او هرول مسرعا ، او مشى بطيئا متكئا على عصا .

وكالاسواق المساجد والكنائس . وكالمساجد والكنائس ، الاعراس والمآتم . كلها سبيل للتعرف الى الناس وعلى الناس . سبل للتواصل . سبل تتواصل فيها الافكار والعواطف .

قلت هذا جميل ، ولكن هذه اشياء لا يطلبها المرء خاصة ليعلم ، وانما هي تأتي في الحياة عرضا .

وصحيفة الصباح

قال : نعم . نعم . ولكن هناك ايضا سبل المواصلات الدائمة الرائبة التى وصلتنى بهذا البلد معرفته عرفان طلدى الاول . فأول هذه المواصلات صحيفة الصباح . ان صحيفة الصباح وصلتنا بالناس والاحداث . وصلتنا باحداث الدنيا ، حتى الامور الخطيرة التى تحدث فى بلادنا البعيد . ووصلتنا ايضا بناس هذه المدينة التى نعيش فيها وباحداثها. ان فى هذه البلاد صنفين من الصحف . صحف قومية تتصل بالوقائع على مستوى العاصمة والدولة والعالم ، وصحف محلية ، تتصل بالوقائع على مستوى المدينة والمدن المتجاورة . وكلتاهما اذن لنا خدمات فى التعرف على هذا البلد كبيرة كثيرة . ان صحيفة الصباح لرجل هذه الحضارة الحاضرة فى موضع من الخطورة كالموضع الذى يضع فيه اعطاره . والناس هنا يعنون بشئون مدينتهم عنايتهم بشئون عاصمتهم ودولتهم ، وربما يكونون بها اكثر عناية.

مع ابن بطوطة

وتركت مدينة صاحبى هذا ، وانا افكر فى حال دنيانا هذه الحاضرة ، بما استجد فيها من طرق مواصلات لا تحصى واقارن بينها وبين دنيا الناس التى كانت منذ مئات من السنين .

وذكرت فيما ذكرت ، ابن بطوطة ، الرحالة العربى المغربى عندما خرج من موطنه طنجة فى القرن الرابع عشر ، يريد زيارة بيت الله ، فاذا به ياخذ يطوف فى المعروف من الارض ، والمشهور وغير المشهور من البلاد ، قرابة ربع قرن من الزمان قبل ان يعود الى موطنه الاول . وساءلت نفسى كيف كان المسكين يصنع . لا خرائط ولا صحف، ولا نوادى يرتادها الناس . كانت كل اداة مواصلة بينه وبين العشرات ، او لعلها المئات ، التى زارها من مدن العالم ، انما هى عينه فيما يرى ، او هى اذنه فيما يسمع . والاخبار بين البلد والبلد هى ما تتناقله بين البلد والبلد الخيل والجمال . وهو نفسه ما انتقل الا على مثلها ، من خيل وجمال .

وكان يرتاد البلد ، فيتصل بعاصمه ، او فى المسجد بعامه ، ويدور فى اسواقه يرى ما يصنعون ، ويسمع لى ما يقولون .

ومضى فى رحالته بضعة وعشرين عاما . وخطر لو انه عاش اليوم فسأله . نفس تلك المدن التى استطاع فى دنيا



الأسواق قديما وحديثا ، هي اكثر المواضع وصلا للناس بالناس ، فيها الاعين ترى ، والآذان تسمع ، والعقول تعي وتحفظ .

الزمان البعيد ، فالقدر الذي استطلع، لما استغرق بوسائل المواصلات اليوم ، اكثر من عام بل لاستغني بوسائل المواصلات اليوم بشتى صنوفها عن الكثير من الترحال . مستطلع الامس كان لا بد ان يرحل الى البلد الذي يريد ان يستطلع . ومستطلع اليوم ، بوسائل الاستطلاع الحاضرة ، جاز أن يصل اليه البلد الذي يريد ان يستطلع ، وان يصف منه أكثر مما وصف ابن بطوطة او صاحبه الايطالي الذي حضر بعض زمانه ، ورحل مثل ترحاله ، ذلك ماركو بولو Marco Polo ، وموطنه فينيسيا Venice .

مواصلات الامس ومواصلات اليوم

مواصلات اليوم، واعني بها مواصلات ما بين العقول والافهام ، تضم الكتب والنشرات، وتضم الصحف والمجلات ، وتضم الصور المتحركة والسينما ، وتضم الاذاعة ، وتضم التلفزه .

وليس شيء من هذا يشترك فيه الزمن القديم والحديث غير الكتب . وحتى هذه كانت تنشر استنساخا بالقلم ، فلم تكن ابتدعت المطابع . والصحف لم يكن لها وجود .

والمطبعة لم يخترعها مخترعها الاوروبي جوتنبرج الا في نحو عام ١٤٤٠ ، ومضى وقت طويل بعد ذلك قبل أن تصبح أداة للنشر .



ماركو بولو الرحالة الشهير ، وهو أكبر رحالة اوربي سافر الى الشرق الاقصى ، ومثله الرحالة العربي ابن بطوطة . وكان ابن بطوطة اعلم بالمناطق الشرقية التي مر بها ماركو ابولو . وماركو بولو ، عاش ابن بطوطة ، ولكنه كان أسن منه .



صارت الصحيفة اليومية في الاوطان الغربية ، وكذا في كثير من الاوطان الشرقية ، معنى مرتبطا بالفطار الصباح ، وتكاد تكون جزءا منه .

الصحافة

الصحافة ، وقد استندت اول ما استندت على الحبر ، بدأ الشعور بالحاجة اليها في عصر النهضة في اوروبا، عندما نشأت المدن واتسعت ، وانتشرت التجارة بينها ، وكانت هناك حاجة أن يعلم بعضها اخبار بعض . ونقلت الاخبار

مع المسافرين اولا اعتباطا ، ثم مع عربات البريد تجرها الخيل من بلد الى بلد . وخرجت اول الصحف ، لا يومية ، ولا اسبوعية ، ولكن كلما تجمع من الاخبار قدر ذو بال . وكان اصحاب المطابع بذلك ، هم اول صحفيين وظهرت اول صحيفة يومية منتظمة فى لندن عام ١٧٠٢ .

واخذت طرق الطبع تتحسن ، ووسائل انتقال الخبر تتسهل . واخترعت السكك الحديدية ، واخترع التلغراف وتحسنت صناعة الورق . وهذا كله مكن للصحف ان تحتل مكانا راتبا ثابتا من حياة الجمهور ، حتى لكانت صحيفة التيمس اللندنية تطبع ٥٠٠٠ نسخة فى اليوم فى عام ١٨١٥ ، وكان هذا رقما عظيما سبقت به سائر صحف العالم عند ذاك .

وكانت هذه الصحيفه تباع بسبعة بنسات ، منها ٤ بنسات ضريبه للحكومة .

وكان فى هذا ، وفى غيره ، الدليل على ان الحكومات ، منذ ولدت الصحافه ، لم تنظر الى الصحافة نظرة عطف وود . لا سيما تلك الصحف التى مالت الى الاستقلال فى الرأى ، او تلك التى لم ترد ان تكون لسان حال الحكومة القائمه .

واتخذ الوزراء من الرشوة اداة يرشون بها رؤساء التحرير ، لينشروا ما يودونه فى صحفهم . فان لم يفعلوا ضايقوهم فى عيشهم ، او كان السجن اسرع وسيلة الى هدف .

حتى فى البلاد التى لم يحكمها حكم دكتاتورى ، رأى حكامها أن الجمهور صنفان ، مثقف وغير مثقف ، وان الجمهور المثقف هو وحده الذى له الحق فى الاهتمام باحداث البلاد ، وان جاز ابداء رأى فيها . ومن اجل هذا هم



عربة البريد يجرها عدد من الخيل .. هذه هى العربات التى عرفتها انجلترا واوروبا فى القرون الوسطى ، وكانت تحمل البريد من شمال البلاد الى جنوبها وتستغرق فى ذلك الايام، وتحمل فيما تحمل الاخبار خاصة وعامة.

فرضوا الضرائب على الصحف ليقل توزيعها على الآخرين .

ودار الزمان ، وفعلت التكنية فى القرن التاسع عشر ما فعلت ، وفى القرن العشرين جاء اللاسلكى ، وكان سبقه التلغراف ، وجاءت السيارة والطيارة . وشتى وسائل النقل ، من ناقلة جسم او ناقلة فكر ، وكلها صنعت من الصحف شيئا لم يكن يخطر على بال مَن عاش فى مثل زمان ابن بطوطه وماركو بولو . وبلغ ما يباع من الصحيفه الواحدة فى اوروبا وامريكا مئات الالوف والملايين .

في انجلترا يبلغ توزيع بعض الصحف اليومية الشعبية ٤ ملايين فما فوقها .

ويعتبر القرن الحاضر ، القرن العشرون ، هو عصر انتشار الصحف انتشارا جماهيريا عظيما ، لا سيما في الدول الصناعية . ففي هذه الدول صارت عادة قراءة الصحيفة في الصباح بعض روتين اليوم .

وقد احصوا منذ سنوات قليلة ، كم يباع من الصحف لكل الف من السكان . وخرجوا بالارقام الآتية :

ببريطانيا ٥٧٣ صحيفة ، في السويد ٤٦٢ ، في اليابان ٤٠٠ ، في الولايات المتحدة ٣٧٧ ، في المانيا الغربية ٣٧٧ ، في فرنسا ٢٤٤ ، في روسيا ١٠٧ ..



صورة الهوائي في محطة ام العيش بالكويت وهي من احدث الوسائل واسرعها لنقل الاخبار من بقعة في الارض الى بقعة اخرى فيها ، وذلك عن طريق الاقمار الصناعية ، وتحمل كذلك الصور ومنها نقلت صور الهبوط على القمر لاول مرة .

ومن بعد الصحف
جاءت السينما من صامتة وناطقة
وجاءت الاذاعة وجاء التلفاز

وكلها اشياء، يذكرها رجل الجمهور، وامرأته، فلا يذكران منها الا انها اصوات وصور ، وقصة وخبر ، ومسلاة من مسالي الانسان فاخرة . وهما لا يريان ما اختفى وراءها من تكنية شتيتة ، عظيمة ، معقدة ، بارعة ، قضى الانسان في تجريبها نحو قرن من الزمان . ان الجمهور لا يرى من العلم البارع ، ومن التكنية العظيمة ، الا محصلها الاخير ، ويراه في اقصر صورة واخصرها . وهو لا يحرجه ان يفهم منها او لا يفهم . تماما كالرجل الضخم ، يركب السيارة الضخمة ، وتتعطل منه بسبب غاية في البساطة ، فيصلحه له مصلح ، ولكنه لا يفهم ما حدث فيه من اصلاح ، وهو لا يحاول فهمه . وهو اذ يدخل سيارته المحببة لا يرى منها غير المقاعد الوثيرة، والنوافذ الزجاجية التي تفتح وتغلق بضغط زر من الازرار .

وسبقت السينما الاذاعة ، وسبقت الاذاعة التلفاز .

السينما بدأت في نحو اوائل هذا القرن . والاذاعة بدأت ما بين العقد الثاني والثالث منه ، والتلفاز بدأ قبل الحرب العالمية الثانية ، ثم عاد الى الظهور بقوة بعد انتهائها . وعاد كما يعود الماء الزاخر وقد انصدعت في اعالي النهر سدوده .

وغلب التلفاز السينما ، وغلب الاذاعة .

ذلك انه اختطف منهما الصورة ، واختطف الصوت (من كلام ، وموسيقى وغير ذلك) ، ثم هو فوق ذلك دخل المنازل دون ان يستأذن على اهلها . وهم لا يدفعون لدخوله ثمنا ، أو لا يكادون . وفي وسعك ان تمنعه من دخول ، ولكنه دائما حاضر عند الباب .

ولكن ليس معنى هذا ان السينما اغلقت ابوابها ، او ان الاذاعة حطمت ابواقها . ذلك ان في كل منهما صفات ، ليست في التلفزة ، تؤمن وجودها رغم شعبية التلفاز . ودليل ذلك اننا ما زلنا نفتح الراديو لنسمع الاخبار ، نستمع الى حديث سياسي خطير ، او الى نغمة من الميوزيكا المرموقة ، او محاضرة من وزن ثقيل . ليس شيء من هذا مكانه التلفاز . ان الانسان هنا يريد ان يتركز على الصوت ، ولا شيء غير الصوت ، وما تتضمنه الصوت من قيم .

وكذا السينما ، لا يزال يخرج اليها ، الى شاشتها الكبيرة ، وهي تطل عليها واسعة مديدة في الدور الواسعة . وتسمع صاحبها فتح الستار صاحبيه . تحمل لك بينهما صور المعارك والحروب في ميادينها الشاسعة ، او صور المهرجانات العظيمة والذي بها من فخامة وابهة .

ادوات مواصلة ، ولكن في اي شيء ؟

واسميا الكتب ، والصحف ، والسينما ، والاذاعة ، والتلفاز ، ادوات مواصلة ، واسماها اخواننا الاوروبيون من قبلنا Mass Communication اي مواصلة الجماهير ، او المواصلات الجمهورية او الجماهيرية . اي انها تحمل شيئا من طرف الى طرف . اما الطرف الذي تحمل اليه فهو جمهور الشعب على اختلاف طبقاته وتعدد مراتبه . اما الطرف الحامل ، فهو المؤلف في الكتاب ، او الصحفي في الصحيفة ، او الاذاعي في المذياع ، والتلفازي في التلفاز .

اما الشيء المحمول الى الشعب فالف صنف وصنف . انا لا نكاد نحصي الاصناف التي تنقلها المواشي والسيارات والقاطرات والطائرات والسفن من تجارية وغير تجارية ، من طعام وكساء

العدد القادم
عدد ممتاز

وبناء وحاجات حياة وأدوات مدنية ، ومكنات صناعية . وكلها مواد توضع في الميزان فتثقل به .

اما الذي تحمله المواصلات الجماهيرية الفكرية ، مما تنتج المطابع من كتب وصحف ، وما تنتجه دور السينما والاذاعات والتلفازات من كلمات وصور ، فتبلغ عند العد الف صنف وصنف . ولكنها صنوف لا توضع في الميزان ولا تثقل بها الموازين ، ولا تخف . ذلك انها معان لا مادة لها . انها طاقة ، والطاقة حياة ، والحياة تركب الاجسام ، والاجسام توزن ، والحياة لا وزن لها .

ومن هذه المعاني صنوف المعرفة . ويدخل فيها كل ما يدرس في المدارس والجامعات . وهي اقسام ، تنقسم الى اقسام . من اقسامها الكبرى اللغة والادب . والعلوم الطبيعية النظرية واخواتها التطبيقية . والطب وفروعه والاسبابيات ومنها التاريخ والمجتمع والفلسفة والرياضة وعلم النفس ومنها الفنون ومن افنون القصص . وابواب من الثقافات عديدة شتى اخرى

وهذه الصنوف ستقول انه يتضمنها المنشور من الكتب .

ولكن كذلك من الصحيح ان يتضمنها المنشور من الصحف . ان الصحيفة اليومية اساسها الخبر . ولكن جاءها من بعد الخبر الرأي . ثم جاءتها الثقافة الوانا كثيرة ، لا سيما صحف الاحد في اوروبا .

. طبع بعض صنوف الثقافة اشبه . . . حاجة من بعض .

لذلك انت ستظر فيما تعرض دور

السينما فنجدها تتركز على القصة . وقد تكون قصة تاريخية وقد تكون اجتماعية اجرامية . وقد تكون حبا وشعرا وعاطفة . ولا يخلو شيء من ذلك من تثقيف . ان لم يكن تثقيف عقل، فهو تثقيف عاطفة ، وارهاف حس .

والى جانب هذا ، فالسينما تاتيك بالعلم ، وتاتيك بالفن صريحا او مغلفا .

الاذاعة والتلفاز اوسع من السينما ، يكاد يدخلهما كل شيء ، مع مراعاة تخصصهما، فالاذاعة لها الصوت وحده، والتلفاز له الصوت والصورة معا . وفي امر التلفاز ، لا يكاد يوجد شيء يذاع عن مثله في دور العلم ممتنع اخراجه في التلفاز ، وعلى وجه اكمل . وهل ادل على هذا من حاصمات الهواء التي انحدت من التلفزة خاصة صالة محاضرات متسعة يحصرها في الوقت الواحد عشرات الالوف من الناس ، او مئاتها .

التسلية
معنى غلب على المواصلات الجماهيرية

سألت رجلا من رجال الاعلام ، ما صفة البرنامج الاول الذي تضمن له النجاح ؟ قال : ماذا تعني بالنجاح ؟ قلت كثرة المشاهدين .. قال : ان يكون للبرنامج في مراتب التسلية مرتبة ذات بال ...

جواب لا شك صادق اذا ما اعتبرنا كثرة المشاهدين ..

ان رجل الجمهور يفتح التلفاز عادة في ساعة استرخاء من بعد عمل . وهو يشاهده وهو في حال بين اليقظة والمنام، يستمع الى موسيقى هادئة او يرى رقصة مكاهية ساخرة . فاذا انفتح التلفاز على شيء من الجد ، فما اسرع ما يغلقه . والمغلقون هم كثرة من الجمهور أو قلة ، وفق ما يكون موضع التلفاز من سطح الارض ، ومن نوع الامة التي هو فيها ، وفي اي مستوى هي من مستويات الثقافة في ارجاء هذه المعمورة، وما أقل ما ترتفع مستوياتها وما أكثر ما تنخفض .

والتسلية : لفظ يطلق عادة على الشيء الاجوف الذي قد يفتح ولا يشبع . وتحاول ان تمضغه فكانما تمضغ هواء . ويذهب عنك فتنساه . واكثره الذي يذهب من الرجل الفارغ شغل وملء .

ولست اعيب على رجال الاعلام ان يتخذوا التسلية لنجاح برامجهم هاديا . فالمشاهد حر في أن يشهد المشهد المذاع او ان لا يشهده . لا شيء يفرضه على ان يشهد . ونحن قد نشهد عرضا للتلفزة فلا نرضاه ، ولكن يرضاه السواد من الناس .

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو ، هل تكون التسلية الصفة الارجح في البرامج ، والصفة الدائمة ؟

وسؤال آخر يفرض نفسه ، هل ادوات الاعلام يجب ان تسير وراء الجمهور ، يرضى الجمهور منها ، ام هي مدعوة احيانا بأن تتقدم الجمهور ليتبع ؟

سؤال ، على اي صيغة كانت اجابته، يختلف في جمهور المشاهدين قوما غير راضين .

راضون
عن الاعلام
وغير راضين

لهذا ، ولاشباه هذا ، لم اجد في بلاد العرب بلدا الا ساخطا على ما فيه من اجهزة اعلام ، تعمل في البلد في داخل البلد ، ولصالح البلد . من اجهزة تشر





السراويل لم تكن يوما من المأثورات الشعبية
التي تستحق العرض على الخشبات المسرحية

في الكتب ، الى صحافة ، الى سينما ، الى اذاعة وتلفزة .

والسبب اختلاف الثقافات لا سيما في البلد العربي الواحد من الوطن العربي .

في المأثورات الشعبية

واضرب مثلا بالمأثورات الشعبية : انها بدعة جديدة من بدع العرب حاليا . ويريد ان يحييها في السينما . وفي التلفاز مقلدين . ويشهدها المشاهد المثقف احيانا وهو يتصبب عرقا من خجل وحزن شديد . ويراها مشاهدون آخرون فيسرون فيها مجد الماضي وعزه .

وتسال المثقفين : فيقولون ان يكن هذا حقا ، فقد اندثر ، فما بعثنا رمائم المقابر ؟!

وعندهم انه ، ان كان مأثورا شعبيا كريما ، فلينشر ، والا فظلمة النسيان به اولى .

رايان مختلفان ، يصدران عن عاطفتين ، كل منهما صادق . اصلهما لاختلاف الثقافتين في البلد العربي الواحد .

ولكن ، مأثور شعبي كهذا يجب ان لا يخرج من حدود وطنه . فاذا هو خرج اضر بالبلاد من الوجهة الاعلامية ضررا لا يفهمه الا المثقفون .

وكالمأثورات الشعبية الاغاني

يحسبني ان لها كارها وحاقدا .

والكاره يقول لك انها اغان ملوكة لا فن فيها ، وهي تكاد تملأ زمن الاذاعة والتلفاز ، فاغلب الظن انك اذا فتحت المذياع عشر مرات ، فسوف تجد اول ما يخرج منه الاغنية الشعبية ، ثماني مرات في كل عشرة .

انها المادة التي تملأ خانات البرامج حين لا يكون هناك ما يملأها .

وهي اغان من الحب . وهو نوع من الحب الذي لا يمت بصلة الى حب هذه الايام . انه حب يتحدث عن العذول ، وعن الحبيب المغاضب . وانه الحب الذي تبلغ صاحبه حد الموت . فالقلب مدف ، والكبد قرحى من الحب . وتنظر الى المحب او الى المحبة فلا ترى في

الوجوه والأجسام من الصحة وعمر الدانة. وقد تغني المغني أغنية حزينة وتنظر اليه فاذا على وجهه بهجة الفرح غامرة. ومعان للحب نزلت اليهم من عصر عنترة بن شداد، ومجنون ليلى، لا تتفق مطلقا مع الجو الذي تغني صاحبا به او صاحبتنا اليوم. ثم ان أحباب اليوم اذا ضاق بهم الحب لم يهرعوا الى الغناء ولم يفهموا من هذه المعاني شيئا.

انه غناء ان متّ الى قرن فهو القرن العاشر، او معان فهي معاني القرن العاشر تمشي على مسارح للألوف والملايين، هم شهود أهل القرن العشرين.

واستثني مقاصد للغناء عليا، لا تزال تلمع، من بعض نجوم الغناء، الحين بعد الحين.

وكان الغناء في الاذاعة صوتا، فلما صار في التلفاز صوتا وصورة، أفسدت الصورة الصوت. وتمنى الكثيرون من الشاهدين لو عاد المغنون، ولا سيما المغنيات، الى الاذاعة التي لا ترى، انه الصوت الذي نال منه، والعود أحمد.

هذه آراء سمعتها من رجل عربي مثقف، في أمر الغناء العربي الشائع في الاذاعة العربية وتلفازها.

ولو انك استنطقت رجلا كريما، قديما عتيقا، مغموسا في ماضي بلده العربي، لو انك استنطقته تتعرف على رأيه فيما قال مواطنه هذا، لصب عليه اللعنة من كل دلو عظيم..

اختلاف ثقافة. واختلاف أمزجة.

وبينهما يقف رجل الاعلام في حيرة، بين طرفي زمانه، عتيقه والحديث.

قنوات
لا قناة واحدة

اني لو استرسلت في هذا الامر ما انتهيت الى غاية، وحسبي ان اقول انه لا مخرج من هذا الحرج الا انشاء قناتين لكل من الاذاعة والتلفاز، واحدة للزمان العتيق واهله، والاخرى للزمان الحديث واهله.

ان الصحافة لا تجد هذا الحرج. فالصحافة انقسمت الى صنفين، صنف شعبي، وصنف فوق ذلك (فهي قنوات). حتى الصحافة اليومية في بلاد الغرب تجدها على مستويات عدة. فالتيمس والابزرفر والتلغراف في انجلترا، فوق المستوى الشعبي، وتوزيعها أقل. والديلي ميل، والديلي اكسبرس، والديلي ميرر، صحف يومية شعبية، وتوزيعها اوسع كثيرا.

والكتب، وهي من أسس دعائم الاعلام، مستوياتها لا تعد حتى الاطفال لهم كتبهم.

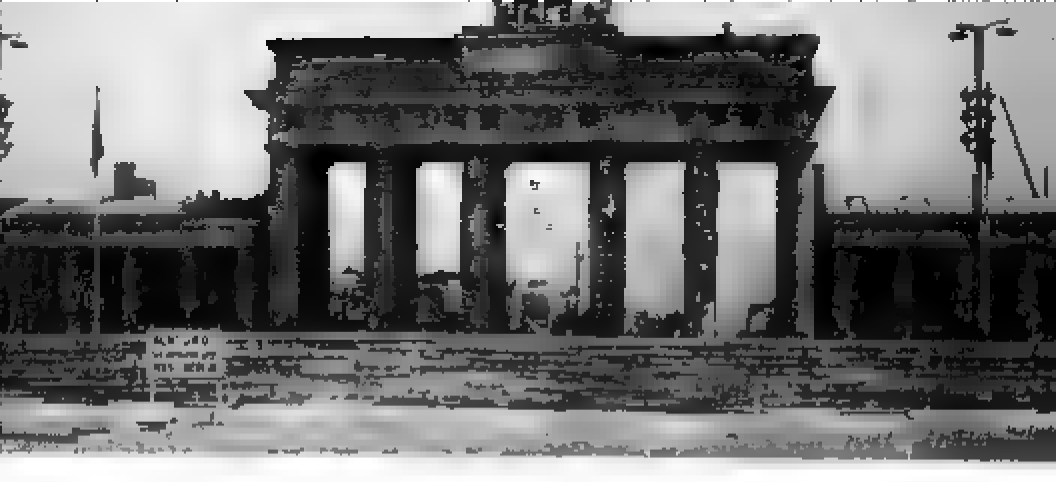
وانشاء قناتين او اكثر سوف تمكن الاذاعة وتمكن التلفاز، وهما اوسع ادوات الاعلام ساحة ونجعة، من القيام بواجبهما الاول الذي يستفاد من لفظ الاعلام.

ان الاعلام من العلم. والمدارس والجامعات تعطي العلم. والدنيا تعطي العلم. والاذاعة والتلفاز جامعتان عظيمتان نظل نستفيد منهما بعد الجامعة بعد تركها، علما وأدبا وفنا، وخبرة حياة، ليس شيء منها من الصنف الذي تعطيه المدارس والجامعات عادة.

ان اجمل شيء في الحضارة الحاضرة، العلم والمعرفة والاستنارة اجمالا. واخطر ما في العلم والمعرفة والاستنارة مصدرها. ومن اخطر هذه المصادر، مصادر الكلمة الذائعة والصورة الذائعة، فبهما نخلق خلقا جديدا، وبهما تتغير مقادير الشعوب

●●

احمد زكي



اتفاق برلين ..

حدث من أحداث الدنيا عظيم • ضمن سلام الأرض إلى حين •

بقلم : محمد عبد الله عنان

● وقع خلال عام ١٩٧٠ ، تطور خطير وحاسم ، في صميم المشكلة الألمانية ، وفي ميدان السياسة الدولية ، وذلك حينما عقد ميثاق بعدم الاعتداء بين روسيا السوفيتية وألمانيا الغربية ، تم توقيعه في موسكو في ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٠ . وينص هذا الميثاق على وجوب المحافظة على السلام ، وإعادة الموقف في أوربا الى حالته الطبيعية ، والعمل على تنمية العلاقات السلمية بين الدول الأوربية كهدف رئيسي للدولتين المتعاقدتين ، كما ينص على تعهد الدولتين بتسوية منازعاتهما بالطرق السلمية ، والامتناع عن التهديد بالقوة أو استخدامها ، وينص أخيرا على التزام الدولتين باحترام الحدود القائمة ، واحترام وحدة وسلامة أراضي الدول الأوربية بحدودها الحالية ، ولا سيما بالنسبة لبولونيا وألمانيا الديمقراطية ..

ومعنى ذلك ، وهو أهم بنود الميثاق ، هو أن ألمانيا الغربية تعترف وتقر حدود ألمانيا الشرقية ، التي حددت نتيجة لهزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية ، بنهر « أودر » واستداده نهر « نيس » ومعنى ذلك أن ألمانيا الغربية تترك وتعترف لروسيا وبولونيا بما استولتا عليه من أراضي ألمانيا القديمة ومنها بوميرانيا وبروسيا الشرقية ، وهي أراضي يسكنها أكثر من عشرة ملايين من الألمان .

ومعنى ذلك أخيرا ، أن ألمانيا الغربية تتخلى عن أمانيها القديمة ، في تحقيق الوحدة الألمانية وبعث ألمانيا الكبرى ، وربما كان ذلك مدى أجيال .

ولم يمض على عقد الميثاق السوفييتي الألماني نحو ثلاثة أشهر أخرى، حتى عقدت ألمانيا الغربية في منتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٧٠ مع بولونيا معاهدة بعدم الاعتداء، ونبذ استخدام القوة، مماثلة للميثاق الذي عقدته مع روسيا، واعترفت فيه كما اعترفت في الميثاق الروسي، بإقرار حدود بولونيا الغربية كما هي على خط نهر أودر – نيس، ونص على أن تتبادل الدولتان التمثيل السياسي، كما اتفقتا على وضع المواطنين الألمان السابقين المقيمين في بولونيا، وتسهيل هجرة من شاء منهم العودة إلى ألمانيا.

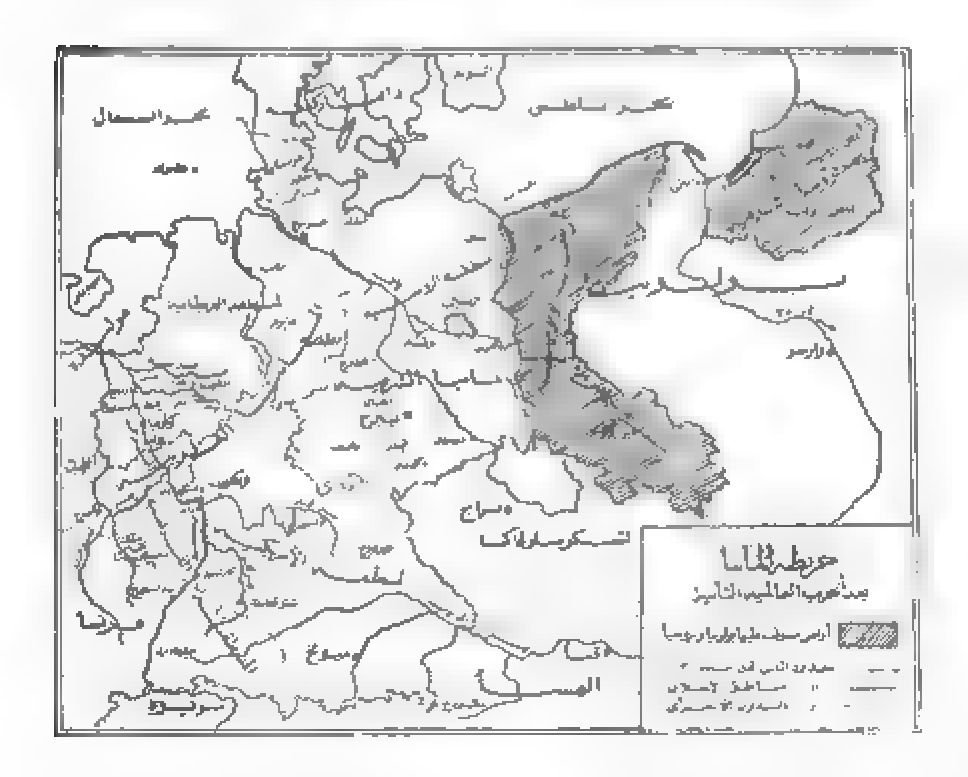
كان رائد هذه السياسة الألمانية الجديدة هو المستشار فيلي برانت رئيس حكومة ألمانيا الغربية (الاتحادية) وقد أبدى في الاضطلاع بها شجاعة نادرة، لأن الاعتراف ببتر هذه الرقاع الضخمة من أراضي ألمانيا العريقة، وضمها إلى روسيا وبولونيا، يعتبر من أخطر الأمور القومية. وقد كان برانت في الواقع، إذ كان رئيسا لحكومة برلين الغربية، كلما برزت مشكلة برلين، يصرح بأن حل هذه المشكلة لا يمكن أن يجري إلا في نطاق تسوية المشكلة الألمانية ذاتها.

ومن ثم، فإنه ما كاد يعقد الميثاق الروسي الألماني، والمعاهدة الألمانية البولونية، حتى ظهر ما يبشر بأن مشكلة برلين قد بدأت تدخل في دور التسوية. فقد اجتمع على أثر ذلك سفراء الدول الأربع الكبرى، وهي التي تحتل برلين، في برلين ذاتها لبحث هذا الموضوع، وعقدت اجتماعاتهم مدى أشهر، وانتهت أخيرا بوضع مشروع اتفاقية لحل مشكلة برلين من سائر نواحيها.

ويجدر بنا قبل أن نتحدث عن الحلول التي انتهت إليها الدول الأربع الكبرى لمشكلة برلين، أن نوضح طرفا من عوامل هذه المشكلة، ونواحيها الجغرافية والسياسية والاستراتيجية.

أصول المشكلة

والواقع أن العوامل الجغرافية تلعب في مشكلة برلين أعظم دور، فقد سقطت برلين وألمانيا الشرقية كلها في أيدي الروس في ٢ مايو سنة ١٩٤٥، قبيل تسليم ألمانيا النهائي بأيام قلائل، وانفرد الروس في البداية باحتلال عاصمة الريخ القديمة، ولكن روسيا تنازلت بمقتضى اتفاق





الهر فيلي برانت
مستشار المانيا الغربية

خاص عقد بينها وبين حلفائها ، عن القطاع الغربي لمدينة برلين ، وهو يشمل نحو نصف مساحتها ، الى حلفائها الغربيين ، وذلك نظير حصولها على اجزاء من مقاطعتي سكسونيا وتورينجيا ضمت الى منطقة احتلالها . وهذا هو اصل الاحتلال الرباعي لمدينة برلين .

وتقع برلين في قلب منطقة الاحتلال الروسية ، وهي التي غدت فيما بعد « جمهورية المانيا الديمقراطية » وتمتد هذه المنطقة فيما بين بحر البلطيق شمالا وحدود تشيكوسلوفاكيا وبفاريا جنوبا والى نهر اودر ــ نيس شرقا ، والى ما وراء نهر الألب غربا ، وتضم خمسا من ولايات المانيا السابقة هي مكلنبورج ، وبراند نبورج وسكسونيا وتورينجيا ، وتبلغ مساحتها ٤١ر٧٨٠ ميلا مربعا ، ويبلغ سكانها ستة عشر مليونا ونصف مليون من الانفس .

وتحتل روسيا من برلين قطاعها الشرقي ، وهو يتكون من ثمانية اقسام من اقسامها القديمة تبلغ مساحتها ١٥٤ ميلا مربعا ، وسكانها نحو مليون ومائة الف نفس . ويحتل الحلفاء الغربيون قطاعها الغربي وهو يتكون من اثنى عشر قسما ، تحتل امريكا منها ستة ، وبريطانيا اربعة ، وفرنسا قسمين ، وتبلغ مساحتها ٨٨ ميلا مربعا ، وسكانها نحو مليونين ومائتي الف نفس .

● انفاق برلين .

ومن الواضح ان موقع برلين على هذا النحو ، في قلب منطقة الاحتلال الروسية ، يضع مواصلاتها الحيوية مع الغرب ، تحت رحمة الروس ، وهذه هي اول نقطة حساسة في المشكلة ، وقد ظهرت خطورتها بصورة عملية حينما وقع الخلاف بين روسيا والحلفاء ، حول نظام العملة في المدينة ، وقام الروس بمحاصرة قطاعها الغربي في يونيو سنة ١٩٤٨ ، واضطرت الدول الغربية المحافظة على خطوط مواصلاتها مع المدينة المحصورة ان تقيم جسرا جويا قوامه آلاف الطائرات ، واستمر هذا الحصار الرهيب نحو عام ، حتى انتهى الروس الى رفعه في مايو من العام التالي .

نظم الحكم في برلين

وكانت روسيا وحلفاؤها قد اتفقوا عقب النصر على ان يكون حكم برلين المحتلة على يد مجلس من قواد الدول الاربع . ولكن هذا النظام لم يلبث ان عطل والغي ، لما نشب بين روسيا والحلفاء من خلاف عمدت روسيا على اثره ، وذلك في شهر نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، الى انشاء مجلس بلدي خاص لبرلين الشرقية يتولى حكمها . ورد الحلفاء الغربيون على ذلك بان وضعوا من جانبهم لحكم القطاع الغربي دستورا خاصا بدأ تطبيقه منذ سنة ١٩٥٠ . وهو ينص على ان برلين تعتبر مدينة ودولة معا ، وانه يجري حكمها وفقا للنظام البرلماني ، على يد برلمان منتخب (بلد سناتو) ويتولى الحكم مجلس تنفيذي (بلد سرات) يتكون من عمدة المدينة كرئيس (وهو رئيس حزب الاغلبية) ، ونائبه واحد عشر شيخا (وهم بمثابة الوزراء) .

واما عن علاقة برلين بالمانيا الغربية (الجمهورية الاتحادية الالمانية) فان الدستور الاتحادي يعتبر برلين ضمن الاراضي التي يشملها تطبيقه ، وينص دستور برلين الصادر سنة ١٩٥٠ ، من جهة اخرى على ان برلين هي « ولاية » من ولايات الجمهورية الاتحادية ، تطبق عليها قوانينها . بيد ان قواد الحلفاء الغربيين قد احتفظوا لانفسهم بنص يقرر ان برلين لا تعتبر محكومة بواسطة الجمهورية الاتحادية ، وانه لن يكون لها نواب في البرلمان الاتحادي ، وان كان يحق لها ان تشترك في اجتماعاته

على يد ممثلين عاديين . وطبقا لما تقدم فان برلين مثل باقي الولايات الاتحادية ، لها ممثل في بون العاصمة ، وللجمهورية الاتحادية من جانبها ممثل في برلين ، وهذه العلاقة المتبادلة القائمة بين برلين الغربية والجمهورية الاتحادية ، ليست علاقة افلاطونية ، وانما هي بالعكس علاقة عملية فعالة. ويكفي أن نعلم أن الجمهورية الاتحادية تقدم الى برلين الغربية كل عام اعانة تبلغ نحو الف وخمسمائة مليون مارك لتقوم بانفاقها في اعمال الانشاء والتعمير دون قيد ولا شرط وان الجمهورية الاتحادية تحصل كذلك على ٨٢٪ من صادرات برلين .

برلين الغربية والشرقية

وقد زار كاتب هذه السطور برلين غير مرة ، قبل الحرب وبعدها . والذين يعرفون برلينها قبل الحرب لا يرون اليوم من صروحها واحيائها القديمة في برلين الحالية سوى لمحات ضئيلة . والواقع ان برلين الغربية ، هي اليوم مدينة جديدة بكل معاني الكلمة ، وقد انمحت احياؤها القديمة في فترة قصيرة من خرائب وركام مؤذية ، الى مدينة من اعظم المدن الاوربية تعج بالاحياء الفخمة والصروح العالية المحدثة ، والشوارع العريضة والمنشآت والمتاجر العظيمة من كل ضرب ، وقد خلعت عنها الثوب البروسي القديم الذي خلعته مدن المانية كثيرة اخرى جددت بعد الحرب . وتعتبر برلين الغربية من حيث الانتاج والنشاط من اعظم مدن المانيا الصناعية ، ويشتغل من سكانها المليونين ، ثلاثمائة الف في مختلف الصناعات ، ويبلغ قيمة انتاجها الصناعي في العام اكثر من سبعة الاف مليون مارك .

وتضم منطقة برلين الشرقية من السكان نحو مليون من الانفس وقد قام الروس فيها كذلك باعمال التعمير ولكن بنسبة تقل عن نظيرتها في القطاع الغربي . واعظم اعمال التعمير الروسية ، هو اقامة شارع ستالين الشاسع (وهو اليوم شارع كارل ماركس) على انقاض شارع فرانكفورت القديم ، وهو الآن اعظم شوارع المنطقة الشرقية. بيد انه مما يلاحظ ان الحركة قليلة في هذه المنطقة وما زالت توجد بها خرائب كثيرة .

اسوار حول برلين الشرقية

وقد كان من اثر الخلاف المتكرر بين الحلفاء الغربيين والروس على مشكلة برلين ، ان انحرفت علائق القطاعين الشرقي والغربي ، وشدد الروس الحجر على سكان المنطقة الشرقية ، ومنعوهم من مغادرتها ، كما شددوا في منع سكان القطاع من دخول القطاع الشرقي ، لزيارة اقاربهم وقضاء مصالحهم المتبادلة . وترتب على ذلك حالة عصبية في القطاعين وكثر فرار الالاف من القطاع الشرقي الى القطاع الغربي بكافة الوسائل ، لما يلاقونه من الشدة والارهاق ، واستعمل الروس اشد الوسائل لقمع هذه الحركة ، ولكنهم اخفقوا . وعمدوا في النهاية الى وسيلة مثيرة حاسمة ، هي ان اقاموا حول القطاع الشرقي من سائر نواحيه ، اسوارا من الاسمنت المسلح ، يبلغ ارتفاعها نحو ثلاثة امتار (اغسطس سنة ١٩٦١) وكان لهذا الاجراء اسوأ وقع لدى سكان القطاع الغربي ولدى الحلفاء ، وزادت بسببه حالة التوتر بين القطاعين .

وقد كان اخر مظهر من مظاهر مشكلة برلين هو ما وقع من احتجاج الروس بشدة على عقد برلمان المانيا الغربية (البندستاغ) في برلين الغربية (اوائل سنة ١٩٦٩) وقيامهم بقطع المواصلات البرية الموصلة الى برلين .

تسوية مشكلة برلين

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه الاتصالات لعقد ميثاق عدم الاعتداء بين روسيا والمانيا الغربية كانت الدول الاربع الكبرى ، الاتحاد السوفيتي وامريكا وبريطانيا وفرنسا ـ قد بدأت اتصالاتها في محاولة جديدة لتسوية مشكلةبرلين. واستغرقت المفاوضات بين سفراء الدول الاربع سبعة عشر شهرا ، منذ مارس سنة ١٩٧٠ وساعد عقد الميثاق الروسي الالماني ، والمعاهدة الالمانية البولونية ، على دفع المفاوضات وانجاحها ، وفي يوم ٢٣ اغسطس سنة ١٩٧١ ، اعلن في برلين بان سفراء الدول الاربع قد نجحوا في الوصول الى اتفاق بشأن مشكلة برلين ، وان هذا الاتفاق قد ارسل الى الحكومات المختصة لاقراره قبل اعلانه في يوم ٣ سبتمبر ، وان الاتفاق المذكور يتضمن النصوص الآتية :

أولا : قبل الاتحاد السوفيتي أن تضطلع الدول الثلاث بالمسئولية العليا لحرية مرور قوات الحلفاء الغربيين ، وكذلك مرور المدنيين عبر أراضي جمهورية ألمانيا الشرقية .

ثانيا . يمكن لسكان برلين الغربية أن يجتازوا أسوار برلين الشرقية الى أراضي ألمانيا الشرقية وكذلك يحق لسكان برلين الشرقية أن يعبروا الى برلين الغربية .

ثالثا : بعض الهيئات الفيدرالية في بون التي لها مقار في برلين الغربية أن تحتفظ بها ، ومع ذلك فان هذا لا يعني انتماء برلين الغربية الى ألمانيا الاتحادية سياسيا ، ومن ثم فانه لا يجوز للمؤسسات الفيدرالية مثل رياسة الجمهورية والبرلمان الاتحادي (البند ستاج) أن تمارس أعمالها الدستورية في برلين .

رابعا : يمكن لسكان برلين الغربية الذين يحملون جوازات سفر من ألمانيا الاتحادية ، أن يستعملوا هذه الجوازات للسفر الى بلاد حلف وارسو .

خامسا : يحق للاتحاد السوفيتي أن يفتح قنصلية عامة في برلين الغربية ، وتعتمد هذه القنصلية من جانب السلطة العسكرية في القطاع الذي تقام فيه .

وفي اليوم الثالث من سبتمبر تم في برلين توقيع اتفاقية برلين » من ممثلي الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا .

وقد نوه في الاتفاقية بتعهد الدول الأربع بالعمل من أجل ازالة التوتر ، والحيلولة دون حدوث تعقيد في المنطقة ، والاتفاق على الا يقع تهديد أو استخدام للقوة في المنطقة ، وان تسوى المنازعات فيما بينها بالوسائل السلمية ، كما نص على أنه لن يطرأ في المنطقة أي تغير على الوضع الحالي من جانب واحد من قبل احدى الدول الأربع . ويعلن الاتحاد السوفيتي من جانبه بأنه لن تقوم أية عوائق في سبيل عبور الأفراد والسلع بالطرق البرية والسكك الحديدية والممرات البحرية من ألمانيا الغربية وبرلين الغربية ، وهي تقع داخل أراضي ألمانيا الشرقية (الديمقراطية) .

وتعلن الدول الغربية الثلاث من جانبها بأن برلين الغربية لا تعتبر جزءا من ألمانيا الغربية ، وانها لا تحكم برلين الغربية .

وينص الاتفاق أخيرا على أن تتولى ألمانيا الغربية الشئون القنصلية لسكان برلين الغربية عند سفرهم الى الاتحاد السوفيتي ، كما أنها تمثل برلين الغربية في المجال الدولي ، ويقيم الاتحاد السوفيتي له قنصلية عامة في برلين الغربية .

وهكذا حققت المعجزة ، واستطاعت الدول الأربع الكبرى ، بعد نحو ربع قرن من الخلافات المستمرة بين الاتحاد السوفيتي والدول الغربية أن تصل الى الاتفاق على تسوية مشكلة برلين .

وقد كان لهذا الاتفاق أصداء عميقة في المجال الدولي ، ولا سيما في ألمانيا الغربية ، التي يعتبرها الاتفاق منطلقة من الزوايا الحيوية ، ومن الواضح أن أكبر الفضل في تهيئة الجو للتفاهم بين روسيا والدول الغربية ، يرجع قبل كل شيء الى سياسة الهر فيلي برانت ، وجهوده في العمل على تحقيق التقارب بين الشرق والغرب ، والاعتراف بالواقع فيما يتعلق بالأوضاع التي خلقتها الحرب العالمية الثانية ، والتي لم يكن ثمة مندوحة من التسليم بها ، وهي جهود اتسمت بكثير من الشجاعة ، وضبط المواقف ، وبعد النظر . وقد استحق برانت من أجل ذلك تقدير سائر المحافل الدولية ، وكان من أثر هذا التقدير أن منحته لجنة نوبل جائزة نوبل للسلام عن عام ١٩٧١ ، وصرحت السيدة أازي ليوناس رئيسة اللجنة ، بأن برانت منح الجائزة لمساهمته الأساسية في تقوية احتمال التطورات السلمية ، لا في أوربا وحدها ، ولكن في العالم كله .

هذا وقد أذيع أخيرا ، أنه قد حدثت على أثر توقيع اتفاق برلين بعض خلافات ، في معناه وفي وسائل تطبيقه بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية ، بيد أنه مهما كان من شأن هذه الخلافات فانه لا ريب أن الأمر يرجع قبل كل شيء الى موقف الاتحاد السوفيتي ، وهو الذي يسيطر في الواقع على ألمانيا الشرقية ، ويوجه سياستها ، وهو المسئول عن تنفيذ الاتفاق الذي قام بعقده مع الحلفاء الغربيين .

محمد عبد الله عنان

وحدة تتمتزاى فى وحدة خلقه

لنفس أجهزة أربعة أعوان

الكبد، الرئتان، القلب، الكليتان

لخلق ، معجزة ، معجزة إذا نظرناها إلى ما قدر وعدد وصنع الإنسان وهو فى أوج ما وصل إليه من علم ، وما تم اليوم وما قد يتم غدا من تكنية .

ولقد كان فى الإمكان أن نواصل فى تناول أجهزة الجسم الأخرى ، بمثل هذا الإسهاب ، ولو نسبيا ، ولقد كان هذا يحقق فى ذاته هدفا ، ويحقق رسالة ، ويزيدنا اطلاعا على ما فى الخلق من صنع بديع وتدبير فائق .

ولكن الإنسان فى هذه الرحلة ، ومع أغراضها ، يحمل من الحدث فى وحدة

حتى ليحسب بعد ذلك

بد منها لإظهار الوحدة القائمة فى صنوف ما خلق الله من أحياء .

لهذا ، رأينا أن نمر سريعا ، وخطفا ، فى سائر أجهزة الجسم ، جسم الإنسان ، لنا من ذلك فقط الحقائق الأولى التى لا بد من تفهمها عندما نجرى النظر فى خلائق الله ، من أكثر خلقه ، وذلك هو الإنسان ، إلى أدنى خلقه فى الحيوان ، تلك هى الحيوانات التى تتألف من الخلية الواحدة المفردة التى تطلب الغذاء وتحيا لتحيا وحدها فى ومن الحيوانات ، رأسها وأذيلها ، نعبر إلى النبات ، ونربط بينه وبين

ان حسنا تتمت
على مستوى
من الخلق، من دون
مستويات العقل.

ويبقى الجسم ويذهب الوعي
عن صاحبه، ووعي الجسم
النائم قائم يرقب، انه
في غير حاجة إلى يقظة
الصحو، يقظة صاحبه.

أجهزة أربعة

وهذه الأجهزة التي نعالجها شرحا وحفظا، لتتابع المسيرة الكبرى، هي أجهزة أربعة:

[illegible]

[illegible]

الكليتان والبول.

القلب والدورة الدموية.

وكل هذه يمكن اعتبارها ملحقات لجهاز الهضم والمعدة.

ولقد سبق لنا أن شرحنا أكثرها في «العربي»، في «صفحة الطب المصور»، فليرجع إليها من شاء ليزداد وفاء.

الكبد

والكبد تكاد تكون جزءا من جهاز الهضم والمعدة.

إنها أكبر غدة في جسم الإنسان، وهي تزن في جسم البالغ ما بين ٣ و ٤ أرطال. أما موضعها من البطن فهي في الجانب الأيمن منه، تحت الحجاب [illegible] المعدة في الجانب الأيسر من البطن.

وهي تحتوي، والجسم ساكن هادئ، على نحو ربع ما في الجسم من دم.

وسموا الكبد بمختبر الجسم الكيماوي الأكبر، وذلك لكثرة ما تقوم به من تغييرات كيماوية فيما يصل إليها من دم ومن غذاء. ولا بد أن نذكر دائما أن الحياة كيمياء.

إن الدم يصل الكبد عن طريقين. الطريق الأول: الشريان الكبدي Hepatic Artery، وهو يمد الكبد بالذي يحتاجه من دم ومن أكسجين. والطريق الثاني الوريد البابي Portal Vein، والباب هنا باب الدخول إلى الكبد، إن الأوعية الدموية التي

امتصت الأغذية المهضومة من المعا وسائر الجهاز الهضمي ، وتبلغ أطوالها نحو ٣٠ قدما ، تتجمع مع غيرها لتصب في وعاء مركزي واحد ، هو الوريد البابي . وهذا يصب في الكبد ، وهو يدخل جسم الكبد فيتفرع فيها الى اعداد هائلة من فروع تجري بالذي بها من دم بين خلايا الكبد . وخلايا الكبد هذه تقف لهذا الدم والذي فيه بالمرصاد . انها لا تأذن بمرور كل شيء فيه . ثم هي تظل تجري في الغذاء الداخل اليها تفاعلات كيماوية لا بد منها في بعض واجباتها .

ان الكبد تصنع المرارة ، وتختزن ما تختزن منها في الحويصلة المرارية ، وهي تصب آخر الأمر في الأمعاء فتعين على الهضم . ولكنها لا تهضم فليس فيها خميرة هاضمة .

ومن وظائف الكبد اتلاف ما لا خير فيه من كرات الدم الحمراء . والكبد تصنع بروتينات ترمم الجسم ، وكذلك تصنع المواد اللازمة في الدم لتجليطه وتجميد جروحه فلا ينسكب من العلق بدون توقف . والكبد تحول السكر الى جليكوجين Glycogen وبذا تختزن منه لصالح الجسم ما تختزن . فإن احتاج الجسم الى السكر ، ردته الكبد به من مخزونها هذا . والكبد تختزن كذلك الدهن والبروتينات . والكبد تحول الدهن والبروتين الى سكريات ، وتحول سكر الحليب الى سكر العنب أي الجلوكوز . وهي تفصل النشادر من الحوامض الأمينية المستمدة من البروتينات . وهي تحول النشادر من بعد ذلك الى البولينة التي تخرج في البول . والكبد تصنع الأملاح التي تصحب الصفراء فتعين على الهضم .

ونستطيع أن نمضي ونعدد الشيء الكثير من وظائف الكبد ، ولكنا بذلك نوغل في الكيمياء العضوية ايغالا .

والقدماء نسبوا الى الكبد أمورا نفسية كثيرة ، وضعت الكبد لا شك في احترام الناس موضعا عاليا ممتازا ، ودلت الأبحاث ، على أنه موضع كاذب ، الا أن تكون الكبد الصحيحة مصدرا للصحة ، فللصحو والبهجة ، أو تكون الكبد المريضة مصدرا للمرض ، فللاكتئاب والحزن .

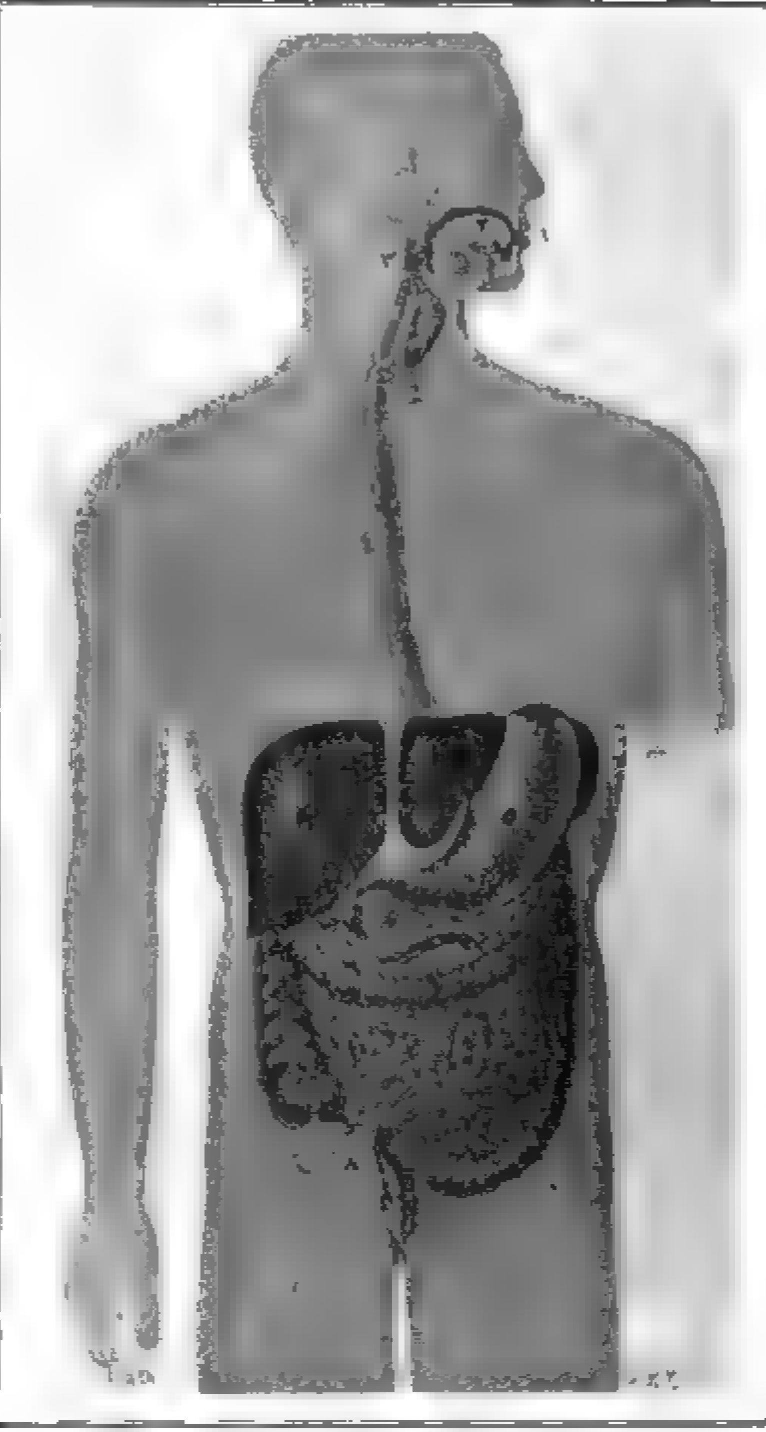
وربط العرب الكبد بالحب . فإذا اشتد العشق فتدعم فهو المرض ، وهو مرض الكبد خاصة :

ولي كبد مقروحة من يبيعني
بها كبدا ليست بذات قروح
أباها علي الناس لا يشترونها
ومن يشتري ذا علة بصحيح

الرئتان
عاملان في التغذية أساسيان

اذا ذكر الانسان الغذاء والأغذية ، ذكر اللحم وذكر الخبز وذكر السكر والسمن . فإذا ذكرنا الأكسجين ، أكسجين الهواء ، بحسبانه غذاء ، تردد السامع ، لأن هذا ممن قل ما يجري به في المطبخ لسان . والحق أنك تستطيع أن تصبر على اللحم والخبز وكل ما ذكرنا من الأغذية وما لم نذكر ، الأيام الطويلة ، وتستطيع أن تصبر على الماء ، الساعات الكثيرة والأيام القليلة ، أما عن الأكسجين فلدقائق معدودة يحبس فيها أكسجين الهواء عنك تطفئ منك شعلة الحياة .

وسمينا الحياة شعلة . وما أصدقه تسمية . فالشعلة احتراق . وهو احتراق جسم كالزيت أو الشمع (هو طعام المصباح) . ويخرج منه حرارة والنور . وهو احتراق لا بد له من أكسجين الهواء . انه يؤكسد مادة الشمع بالزيت ويعطي الحرارة والنور . ومن ناتج الاحتراق غاز ثاني أكسيد الكربون . وكذا الجسم المحترق وتأكسد الأغذية في أنسجته الباطنة ، بالأكسجين الداخل اليها من طريق الرئتين ، لتعطي للحياة شعلتها . تعطي للحياة طاقتها وتعطيها نشاطها . وهي طاقة من حركة ، وهي



صورة الاحشاء

١. الفم

٢. اللسان

٣. البلعوم

٤. المريء

٥. المعدة

٦. المعا الدقيق

٧. الاثني عشري

٨. الزائـــدة الدودية

٩. المعا الغليظ

١٠ المستقيم

١١ الاست

(أ) الغدد اللعابية

(ب) الكبد

(جـ) الحويصلـــة الصفراوية

(د) البنكرياس .

طاقة من حرارة . وهي طاقة كيماوية تختزن في الجسم اختزانا حتى يحتاج الجسم اليها في صنع خلايا وانسجة به ، بليت ، ووجب استبدالها . فهي طاقة مختزنة من أجل تحقيق مادة للجسم جديدة .

كل هذه لا تتم الا بالاكسجين، تحترق به الاجسام السكرية والنشوية والدهنية غالبا ، وأولا ، ثم تليها تبدلات الجسم الكيماوية من هدم وبناء ، تلك التي يجملها في قولنا ان الحياة كيمياء . وهي عمليات يجملها العلماء في قولهم Metabolism . وترجمه علماء العرب فقالوا الأيض . وهي كلمة تحتاج الى قرن لتجري مألوفة على ألسنة العرب .

والرئتان
مدخل الاكسجين الى الجسم

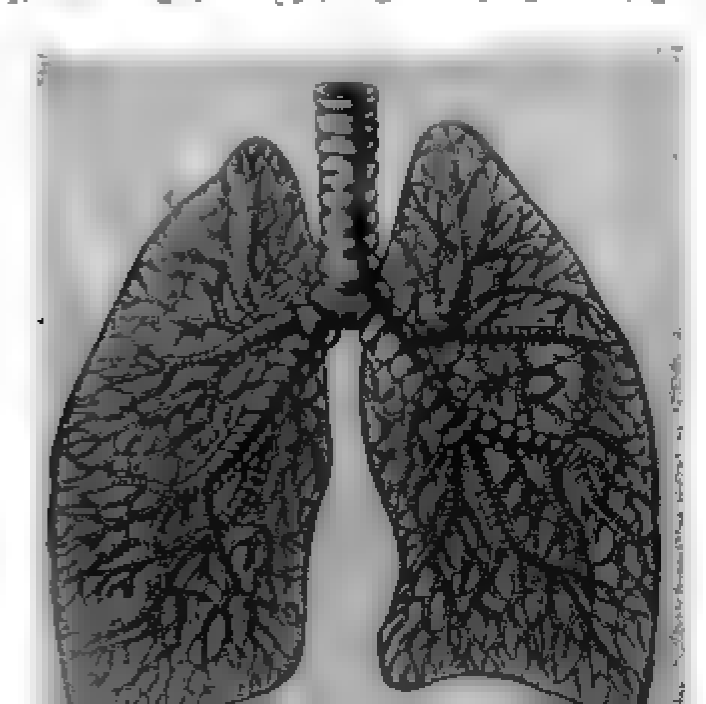
يبدأ مدخل الهواء الى الجسم بالفم ، فالحنجرة وفيها الحبلان الصوتيان Vocal Cords اللذان ينتجان الكلام ، ثم القصبة الهوائية ، وتتفرع فرعين ، فرع يذهب الى الرئة اليمنى ، وفرع يذهب الى اليسرى . ويتفرع كلاهما الى شعب ، والشعب الى شعب اصغر فأصغر ، ويخرج من الشعب شبه اكياس هي التي تمتلىء بالهواء من داخل الرئة ، وخارج الكيس تجري اوعية الدم الدقيقة ، ، وهو الدم الذي يأتي من سائر الجسم ، وحينما يلتقي الدم بالهواء عند هذه الحدود ، اي جدران هذه الحويصلات الرقيقة ، يأخذ هيموجلوبين الدم من الهواء الاكسجين ، ويفرغ في هذا الهواء بعض ما به من ثاني اكسيد الكربون (نتيجة احتراق الاطعمة في خلايا الجسم ، وهو نفس نتيجة احتراق الشمعة في الهواء كما ذكرنا) . ويتجدد هواء الرئتين بالتنفس . ويتجدد الدم الواصل اليهما .

وهنا يقف الرجل العالم مأخوذا بحقيقة ما يجد .

فلا يتجدد دم ويتجدد هواء .

اما تجدد الدم فالدورة الدموية الجارية ، وهذه سبق ان وصفناها ، وقد نعود .

ولكن ما تجدد الهواء ؟ .



الرئتان والقصبة الهوائية وما تفرعت اليه من شعب

الا فاعلم ان الرئة مضخة هواء عظيمة . كالمصاح تنمع به بيديك .

ان الرئة (مع القلب) تملأ الصدر كله ، وجدرانها تلتصق بجدران الصدر التصاقا . وفي أسفل الصدر ، وبين الصدر والبطن ، يوجد الحجاب الحاجز . وتضم الرئتين من جانبيهما اضلاع الصدر .

والآن يمكن تفسير حركة المضخة الهوائية . حركة المصاح :

ان الحجاب الحاجز يشد نفسه الى اسفل ، بينما العضلات الموكلة باضلاع الصدر تعمل على اتساع القفص الصدري . وكلا الشيئين يزيد في حجم الرئتين فيزداد ما يدخل اليهما من الفم من هواء . ويرتخي الحجاب الحاجز ، وترتخي عضلات الاضلاع فيهبط القفص ، ويصغر الصدر ، ويزيد ضغط الهواء فيه ، فيخرج انفاسا حارة ، وحرارتها من حرارة الدم الذي اتصلت به .

وتعود الصدر الى اتساع . وتعود الى ضيق . وهكذا دواليك .

وتظل هذه المضخة الهوائية تعمل ، دون ارادة الانسان ، ما عاش ، عاما ، او عشرة اعوام ، او مائة عام !! .

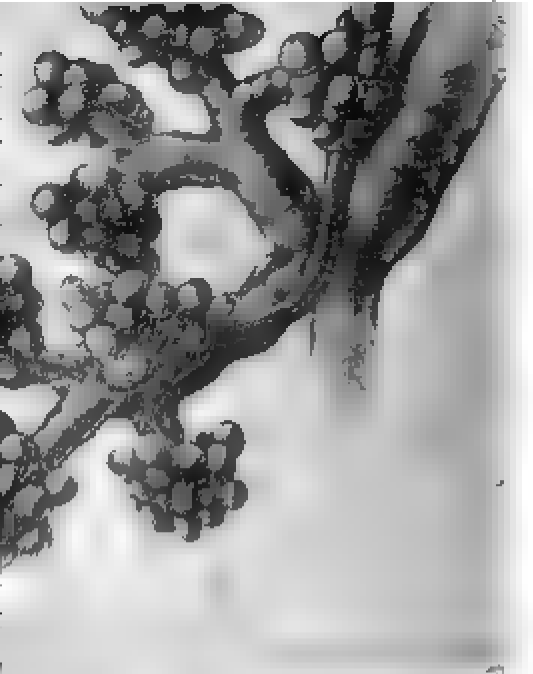
ومسئولية الحجاب الحاجز في التنفس اكثر من مسئولية الاضلاع وعضلاتها .

وانت ساكن فيجري النفس بسرعة هادئة معلومة لا تكاد تحس انت بها ، ولكنك تجري فتجد ان التنفس قد زاد ، اردت ذلك او لم ترد ، حتى لتلهث وتخطف انفاسك من الهواء خطفا . ان الجسم زاد بالحركة احتراقه ، فزاد في دمه ثاني اكسيد الكربون ، فاصدر امره بأن تزيد عدد الانفاس وكم يجب ان تزيد .

وتقول اصدر أمره

ممن أصدر ؟

لا شك ان المصدر للامر ليس انت .



الشجيرات التي انتهت اليها شعب الرئتين . وهي ذات جدران رقيقة يحيط بها الدم خارجها في شعيراته الدموية . وهنا يحصل الدم من الشجيرات على الاكسجين ، ويفرغ فيها ما تحمل به من ثاني اكسيد الكربون .

سعة الرئة

ومن عجب أن الفرد ما يحمل رئتيه ولا يعرف كم سعتهما . ولا كم من الهواء ، في اليوم الواحد ، تمر بهما !

ولفهم ذلك يجب ان نعود الى اصل من اصول الحياة . ان الاصل في الحيوانات البسيطة ، البسيطة التركيب جداً ، التي تتألف من عدة من خلايا ، ان يدخل اليها الاكسجين عن طريق الجلد . وحتى الحشرات ليست في حاجة الى جهاز تنفس ، ولا الى دورة دموية ولا الى رئة فيها ، وذلك لأن الحشرات من صغر الجسم بحيث أنها تعتمد على انابيب تحمل الهواء تجري متفرعة في جسم الحشرة فتبلغ غايتها وهي ليست بعيدة .

ولكن في الحيوانات الكبيرة - وعلى

رأسها الانسان ، كبير الحجم كبرا بالغا بالنسبة لسطح ، فلم يكن بد من جهاز كامل مختص بالتنفس نخلق فيها . ولتعويض السطح المفقود وجب أن يكون جهاز التنفس الجديد ذا سطح عظيم حتى يلتقي بالهواء .

لهذا نجد أن شعب الرئتين ، بعد تفرعهما ، ثم تفرعهما ، ثم تفرعهما ، تنتهي الى حجيرات رئوية ، تمتلىء بالهواء ، كثيرة العدد كثرة حسب من سطوحها التي تلتقي عندها بالدم ، تزيد عن سطح جسم الانسان كثيرا ، حتى لتبلغ نحو خمسين مثلا من هذا الجسم . وقد قدر بعضهم مساحة سطح هذه الحجيرات الرئوية فكانت بين ١٠٠ و ١٢٥ مترا مربعا .

أما ما يتنفسه الشخص البالغ العادي في اليوم وهو ساكن فيبلغ نحو ٢٣٠٠ جالون (الجالون نحو ٤ ونصف لتر) ، وهو يتنفس في الدقيقة ما بين ١٦ و ١٨ نفسا ، ومعنى هذا أن النفس يستغرق ٤ ثوان أو دون ذلك قليلا .

والشخص اذ يتنفس يترك وراءه دائما بعد كل نفس خمسة أسداس من الهواء ، ثم يتنفس ليترك خمسة أسداس من تلك الخمسة الأسداس ، وهلم جرا .

وفي المخابىء التي لا يتجدد هواؤها لا يستطيع ساكنوها البقاء فيها الى الأبد . وضربوا مثلا لذلك مخبأ سعته ٤٢٠٠٠ قدم مربع (٤٥ قدما × ٤٥ قدما × ٢١ قدما) يستطيع ٦٥٠ شخصا أن يظلوا به ٣ ساعات ، وهم ساكنون . فاذا تحركوا لم يحتملوا البقاء فيه أكثر من نصف هذا الزمن .

القلب والدورة الدموية وعلاقتهما بالجهاز الهضمي والتنفس

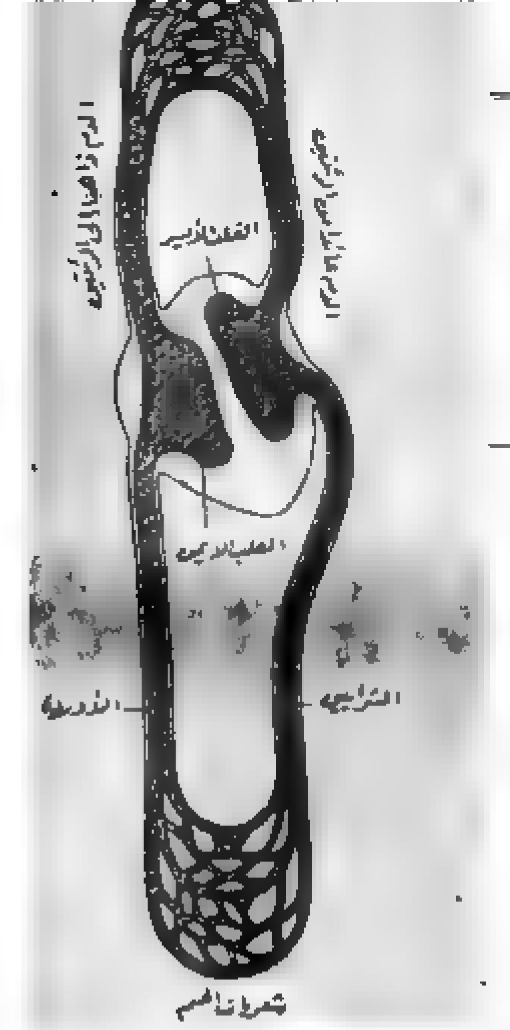
ان القلب والدورة الدموية يقومان في الجسم بشيء يشبه ما تقوم به وزارة المواصلات في المدينة الواحدة لا سيما في الدولة الاشتراكية .

ان المدينة قد يكون بها الطعام كثيرا ، والخبز واللحم والماء كثيرا ، ولكن أين هذا كله من الناس في منازلهم ، لا سيما في البلد الكبير . لا بد أن يصل كل هذا الى الشوارع والأزقة والحارات ، وحيثما كان بيت .

والجسم ، هو نسبيا شيء متعدد الجنبات ، متباعد الأطراف . والطعام ينهضم في القناة الهضمية . وهذه القناة ، رغم انطواء الجسم عليها ، هي خارج الجسم . وجدران هذه القناة تمتص الطعام المهضوم . وهو يظل حيث هو اذا لم يأت شيء يحمله الى الأذرع والأرجل والبطن والصدر والرأس ، وكل خلية في الجسم تحتاج الى غذاء والى ماء . والذي يقوم بحمل كل هذا الى أبعد مكان في الجسم ، انما هو الدم ، في دورته الدموية ، تلك التي يقوم على ادارتها ودفعها القلب من حيث هو مستقر في مكانه من الصدر .

والدم يندفع خارجا من بطين القلب الأيسر ، عن طريق شريان الجسم الأكبر (الأورطة أو الوتين) وهو يتفرع ، ثم تتفرع فروعه ، وتعود تتفرع هذه الى أن تدق أوعيتها فينتشر ما فيها في خلايا الجسم حيثما تكون ، وهناك يعطي الدم الخلايا ما يعطي من طعام وأكسجين وحاجات أخرى ، ويأخذ منها كل ما فرغت منه من نفايا هي بقايا ما جرى فيها من كيمياء الحياة . ومن أهمها ثاني أكسيد الكربون أحد نواتج الاحتراق . ويعود تجمع الدم في نوع من الشعيرات دقيق جديد ، هي الأوردة ، وتكبر ثم تكبر أوعيتها ، وتتجمع في أوعية أكبر ، وتتهيأ للوصول الى القلب ليضخها في الجسم في دورة جديدة .

ولكن ، بهذا الدم الآن أوضار كثيرة



الدورة الدموية وأنت ناظر اليها من أمام

صورة ايضاحية تريك حقيقة أن القلب قلبان ، الأيسر ويضخ الدم الى الجسم كله عن طريق الشرايين ، وينتهي الدم بعد ذلك الى القلب الأيمن ، وهذا يضخه الى الرئتين ليتصفى ويتزود بالاكسجين ، ثم يعود الى القلب الأيمن ، لتبدأ منه بالضخ دورة ثانية

لا بد من تصفية الدم منها ، من أهمها ما ذكرنا من ثاني أكسيد الكربون . اذن تصل الأوردة بدمها الى نصف القلب الأيمن (لا القلب الأيسر الذي كان خرج منه هذا الدم) ، وهذا يعود يضخها ، لا في الجسم ، ولكن الى الرئتين حيث يتصفى الدم من أكسيد الكربون أساسا ، ويتزود بالاكسجين ، ثم هو يعود ، وهو لا يزال تحت دفعه النصف الأيمن من القلب بل دفعاته ، بل دفعاته ، يعود الى القلب الأيسر وقد تصفى مما ذكرنا ، فيضخه الى الجسم ، الى كل أجزائه . وبهذا تتم دورة واحدة بالدم كاملة . وتتلو الدورة دورة فدورة فدورة ، الى نحو ٧٠ دورة في الدقيقة .

والحقيقة أن القلب قلبان .

انه مضختان . مضخة تضخ الدم من بطين القلب الأيسر عبر الشرايين ، ثم الأوردة فالى القلب الأيمن . ومضخة تضخ الدم من بطين القلب الأيمن ، عبر الرئتين وما بهما من شعب وحويصلات هواء ، الى القلب الأيسر .

والقلب الأيسر هو المضخة الكبرى ، لأن حمله اثقل .

والقلب الأيمن هو المضخة الصغرى ، لأن حمله أخف .

ونسأل : وما الابداع في كل هذا ؟ .

والجواب : أن كل هذا ابداع .

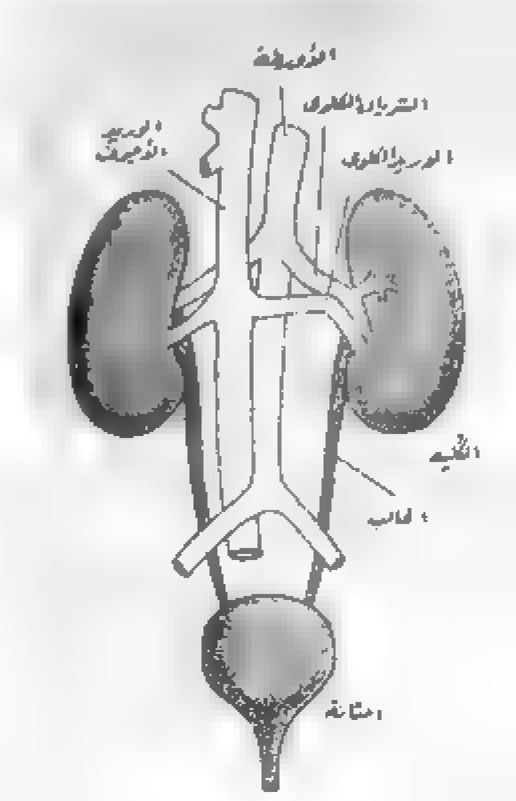
في الأحياء الصغيرة الدنيئة اقترب الغذاء من خلايا الجسم التي تتغذى ، بسبب صغر هذه الأجسام ، فلم تكن هناك حاجة لدورة تحمل الغذاء بعيدا ، ولا تحمل عن الخلايا فضلات الحياة ، ولكن ، اذ طالت أبعاد الجسم ، وطالت شوارعه ، وتعددت حاراته ، وتشابكت أزقته ، وجب الوصول الى كل جزء حي فيه بدورة كالتي وصفنا ، تدق شعيراتها آخر الأمر حتى تدخل كل

الازرقة ، وتدخل حتى الاكواخ . وكان لا بد للدورة من محرك فكان القلب لها محركا .

وهذا القلب عمل حتى قبل ولادة الطفل . وهو يظل يعمل طول عمر الرجل حتى اذا عدف الى المائة من السنين عما فوقها . لا هو بالساعة التي تملأ بادارة زمبركها . ولا هو بمحرك السيارة الذي يتوقف عند فراغ بنزينه . اعط الجسم الطعام ، ثم انس ما يجري فيه . ولا تحاول ان تفهم كيف يجري ، فالى الآن لا يفهم سرّ ذلك العلماء .

والكليتان هما للدم مصفاتان يستخلصان منه أوضاره

ان للعيش ، كل عيش ، فضلة .



والحياة لا بد لها من غذاء . ولكن يتبقى من الغذاء بعد اجراء الحياة عمله، فضلات ، لا تنفع الحياة في شيء ، ومنها ما يضر ، فلا بد من التخلص منها ليخلص الجسم صفاؤه .

من اجل هذا صمّم مصمم الاجسام، لاجسام بني الناس ، جهازا بهذه التصفية خاصا ، هو جهاز التبول .

وجهاز التبول يتألف من الكليتين ، يخرج منهما حالبان ، يصبّان البول في المثانة البولية ، ومن هذه يخرج البول الى خارج الجسم .

والفن والابداع اكثره في الكليتين .

ماذا تأخذان من الدم اذ يمر بهما في دورته العادية ، وماذا تتركان ؟ وكم تأخذان ، وكم تتركان ، ومن علمهما ان هذا المأخوذ ضار ، وان هذا المتروك نافع ، وانه بهذا القدر الذي تتركه نافع ، فان هو زاد من هذا القدر ، اخذت منه الزائد الذي يضير .

امور لو دخلنا فيها لطال بنا المقال . ونحن نبغي الايجاز، وقد سبق ان تناولنا هذا الموضوع في « العربي » باسهاب فيه غناء (*) .

ولنضرب مثلا للذي تنقي الكليتان الجسمَ منه من اضرار .

ذلك مثل البروتين (مادة اللحم) وما تتحول اليه في الجسم . ان البروتين يتحول الى حوامض امينية فيها المجموعة المكونة من ذرة نتروجين وذرتي ادروجين . وهذه اذا انفصلت بالتحول تكوّن النشادر ، وهو غاز يتألف من ذرة نتروجين وثلاث ذرات ادروجين . والنشادر في الجسم سام . فالجسم يتخلص منه بتحويله على الفور الى

(*) راجع « العربي » العدد ١٢٤ مارس ١٩٦٩ .

المـادة المعروفة بالبولينـة او البوريا Urea (والكبد هي التي تقوم بهذا التحويل) وهذه المادة لا تضر بالجسم مثل النشادر ، ولكن لا بد من تخليص الجسم منها حتى لا تتراكم . والكليتان تقـومان بذلـك ، حتى لا يزيد مقدار البوليـه في دم الرجل السليم على نحو ٤٠ مليجرام في كل مائة سنتيمتر مكعب من الدم . والطبيب يرسل بدمك الى المختبر للتحليل عند المرض ليتأكد من ذلك . وتتلف الكليتان ويزيد مقدار البولية في الدم زيادة لا يوقفها شيء فيكون انذارا بالموت .

ومثل آخر .

مثل السكر في الدم .

ان الكليتين تقومان على مراقبته . فان زاد مقداره عن حد معلوم في الدم ، هو مادة نحـو ١٧٠ مليجراما في المائة سـنتيمتر مكعب من الدم ، قامت الكليتان بفرز الزائد من ذلك في البول . وكان هذا دليلا على احتلال تحول السكر في كيمياء الجسم ، بنقص الانسولين .

كل هذا يجري ، وانت لا تدري .

ويجري ولا نكاد نعلم كيف يجري . وظواهر نردها الى ظواهر اخرى ، فاخرى ، وتبقى الظواهر الاخيرة بدون تفسير .

اتساق في اكتمال واكتمال في اتساق

اجهزة خمسة ، بدايتها بالهضم وجهازه ، وانتماؤها بأجهزة اربعة هي للهضم اعوان ، ومع العون اكتمال . ولا يكاد يتصور انسان وجود جهاز من هذه الخمسة بدون وجود الاربعة الاخرى . فلا معنى لوجود كبد دون جهاز هضم . ولا معنى لوجود كليتين دون دورة دم . ولا حاجة لوجود دورة دم اذا لم يكن هناك طعام مهضوم يراد توزيعه، واوضار في الدم يراد تصفيتها .

ثم مع التعاون الـساق في العمل عجيب . واحتفـاظ كل بواجباتـه ، واداتها في زمانها ، اعجب .

كل جهاز يقظ حاضر لكل طلب . في ليل وفي نهار ، وفي كل ساعه . وكـل دقيقه وثانية . وينام الجسم ويذهب الوعي عن صاحبه ، ووعي الجسم قائم راقب . ان الجسم في غير حاجة الى وعي اليقظة الذي يتمتع به صاحبـه الانسان ، الا بمقدار

والجسم ، في وعي مشام او وعي معطة . لا يطلب من صاحبه الانسـان العون في حال . وكيف يطلب منه العون فيما لا يفهم . ونقول : نحن لا نفهم ، فيفهمنا عوضا عنا الاطباء . والطبيب العالم الحق اول معترف بجهل . اول معترف على الاقل بينه وبين نفسه . ومن اجل هذا كان ضيق الناس بالاطباء، يستثني اهل الجراحة منهم في كثير من الامور .

ان اجسامنا ضمنت على مستوى من الخلق ، من دونه ، ومن دونه كثيرا، مستويات افهامنا .

وننظر الى الاجسام ، وهي غامضة ، فنعجب ، ونحمد ، ونسمي ما بها ابداعا . ونبحث ، ونكشف الغامض ، او نكشف طرفا منه ، فتكشف لنا صفات شملت للمواد جميعا ، وقوانين عمت الكون . ارتفعت من هذا الغموض رداء كثيفا ، فاحسست، ونكشف طرف الرداء، فنعود نعجب ، ونحمد ، ونعود نسمي ما نرى ابداعا . الا انه هنا سمية من كشف وعرف ، ولو عرف القليل . وكان الابداع الذي احسسناه على الغموض ابداعا اثاره السحر عن فهم . والسحر دائما يطاطيء راسه تسليما للقوة ، ولو غامضة ، واعجابا بها .

●●

أ . ز



دُمْيَة

بقلم : خالد العنساني

■ ودُمْيةٍ لحمٍ ودمْ بعثتُها من العدمْ
ألبستُها الحرير والد مقس والعبير الأعجمْ
نفختُ في آمالها روحا بأحلام جثّم
ألهمتُها في خاطري وحيَ خيالٍ مضطرم
سجدتُ في محرابها رتلتُها قلبا لفمْ
فبادلتني بالودا د والعطاء والكرم
حتى إذا يوم مضى ورمتُ لها فلم
خانت أمانيَّ ولم تحفظ لها عهدا ولمْ
ما أسرع النسيان عمن ليس تعنيه القِيَمْ
بان الجفا وعربدت بعض خرافات الوهم
وإذ بها كدميةٍ صيغتْ من الطين الأصم ■

خالد العنساني

نتيجة مسابقة العدد ١٥٥

سعدٌ في العراقِ وعمرٌو في مصر

■ قامت مسابقة العدد ١٥٥ على اسئلة تدور حول معلومات مختلفة سبق ان نشر العربي اكثرها في اعداد سابقة ، ولكن اللاحظ ان القراء لم ينتبهوا الى ذلك فانعكس هذا على اجوبتهم لهذه المسابقة فجاءت كثيرة الاخطاء كما ان عدد الرسائل الواردة كان قليلا بالنسبة الى مسابقاتنا الماضية .

واليك ايها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من حالفهم الحظ بالفوز بالمسابقة .

١ – كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون

٢ – عمرو بن العاص سجل فتوحاته في افريقيا ، اما سعد بن ابي وقاص فكانت فتوحاته في آسيا

٣ – اعرض الانهار واغزرها مياها هو نهر الامزون

٤ – اللغات الاوسع انتشارا بالترتيب الانجليزية ثم الاسبانية ثم العربية ثم البرتغالية

٥ – عدد ولايات الاتحاد السوفييتي ١٥ ولاية

٦ – اسرع من فرس ، احقد من جمل ، اسخى من ديك

٧ – رائد الفضاء الذي سبح في الفضاء اول مرة كان روسيا

٨ – ابادان مدينة افريقية تقع في جمهورية نيجيريا .

٩ – جبل افرست يقع بين نيبال والتبت .

١٠ – منغوليا دولة مستقلة ذات سيادة

الفائزون بالجوائز

● **الجائزة الاولى** وقيمتها ٣٠٠/ ـ دينارا فاز بها **اشرف ابراهيم منصور** ـ القاهرة / مصر

● **الجائزة الثانية** وقيمتها ٢٠٠/ ـ دينارا فاز بها **ابو العيد الطاهر العمي** ـ طرابلس/ليبيا

● **الجائزة الثالثة** وقيمتها ١٠٠/ ـ دينار فاز بها **عبد الله شرف شيبان** ـ تعز ـ اليمن

٨ جوائز قيمتها ٤٠/ ـ دينارا لكل منها خمسة دنانير فاز بها كل من

١ – **سعد ابراهيم السامرائي** ـ بغداد/العراق

٢ – **عمر صالح فهد اليوسف** ـ الدمام / السعودية .

٣ – **وليد شراب** ـ كيفان/الكويت

٤ – **ابو الصديق ايوب** ـ الجزائر

٥ – **محمد وليد صبري قاقا** عمان/الاردن

٦ – **موفق محمد علي الوعد** دمشق/ سوريا

٧ – **الصديق زلاقي** ـ فرنسا

٨ – **منال محمد السقاف** عدن

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■

استطلاع الكويت

الجهراء





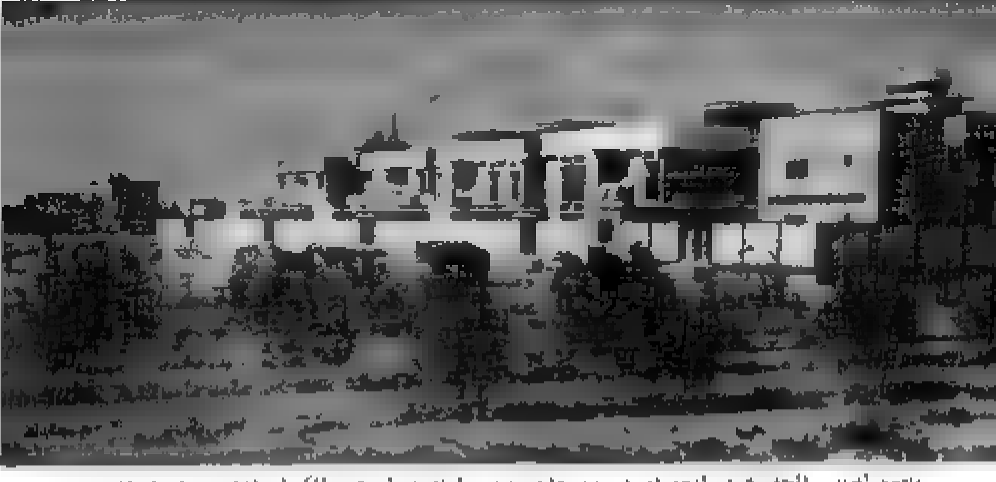




استطلاع
منير نصيف

تصوير
فهد الكوح





بدأت المباني الحديثة في الجهراء ، ومع هذه المباني ارتفعت أشجار الكينا والجزورينا وغيرها من مصدات الرياح التي تحمي المدن من الرياح المحملة بالأتربة . وفي الصورة جانب من الفلل الحديثة التي شيدها أصحابها في مختلف أنحاء مدينة الجهراء

■ قال صاحبنا ، وكان شيخا بلغ الثمانين من عمره أو كاد : « أهلا بكم في مدينة الجهراء » واستضافنا في بيته ، وقدم لنا أقداح الشاي والقهوة المرة وهي عادة عند العرب قديمة في اكرام الضيف ، وجلس يحدثنا عن هذه المدينة الكويتية ، القديمة الحديثة ، عن ماضيها وعن تاريخها وعن أصلها وفصلها ، بقدر ما يذكر ، وبقدر ما امتد به العمر ، وبقدر ما سمع من قصص يرويها له الآباء والأجداد الذين سبقوه في العيش فوق هذه البقعة الطيبة من الأرض التي تقع على بعد ثلاثين كيلو مترا شمالا من قلب مدينة الكويت العاصمة .

قال : « ان الجهراء هي أم الكويت » وهي حقيقة كاظمة .. هل تعرفون كاظمة ، تلك المدينة الجميلة التي تغنى الشعراء بها ، وجاء ذكرها في قصائدهم كلما دب الحنين في قلوبهم الى سماء مواطنها البعيدة وذكرياتهم فيها ، وفي أرضها الخضراء ! كاظمة هذه هي الأصل .. هي أم الجهراء والكويت. عودوا الى كتب التاريخ وسوف

تلميذات المرحلة الابتدائية بمدرسة الجهراء المشتركة للبنات ، وقد وقفن في طوابير بساحة المدرسة قبل بدء اليوم الدراسي . وقد شيدت مباني المدرسة على أحدث طراز ، ويصل عدد المدارس ٦٥ مدرسة [illegible] في الجهراء





جامع مسجد ... في مدينة الجهراء ، وقد بناه الحاج عبد المحسن البابطين من ... وهو يقع في شارع القصر الأحمر ، ويتسع لأكثر من الفي مصل ، وتكلف بناء المسجد حوالي ٢٢ ألف دينار وتملك ... عبد المحسن مزرعة في الجهراء ، يزرع فيها ... أنواع الخضر وات

يجدون فيها فصولا عن كاظمة ومن الشعر الذي قيل في كاظمة » !

ماذا تقول الكتب

وعدنا الى الكتب .. رحنا نقلب في بطونها وبحث . قال ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان : « كاظمة جون على سيف البحر ، في طريق البحرين من البصرة ، وبينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب (اي دون العذب) واستسقاؤها ظاهر ، (اي غير بعيد الارشية) » .

وجاء وصف كاظمة في « صبح الاعشى » ، اذ قال : « كاظمة جون على ساحل بين البصرة والقطيف في سمت الجنوب من البصرة مسيرة يومين ، واربعة ايام من القطيف » !

وقلنا : فلنذهب الى كاظمة لنرى ما بقي منها ولعبنا .. انطلقت بنا السيارة داخل منطقة صحراوية ، لا نرى فيها من حولنا سوى تلك الاعشاب البرية التي تنتشر على طول الطريق .. ولكن ما هو هذا الطريق الذي سلكناه بالسيارة ؟ انه لا يعدو ان يكون اثرا لعجلات العديد من سيارات ابناء الكويت في رحلة الذهاب الى كاظمة والعودة منها .. وكم من مرة اردنا التوقف للعود من حيث اتينا عندما اتعبت بنا الرحلة ولم نجد لوجهتنا غاية .. ولكن كان مصورنا ، وهو من ابناء الجهراء ، كانت تطمئننا وتؤكد لنا اننا في مقل طريقنا ، لانه يعرف كاظمة ، وقد زارها كثيرا ، وليس في الكويت من لا يعرف طريقه الى كاظمة من ابنائها .

وبعد ، وكنا قد قطعنا نحو عشرة كيلو مترات او ما يزيد فاشار ابن الجهراء اصبعه وقال : هنا : « هل ترونها ! » .

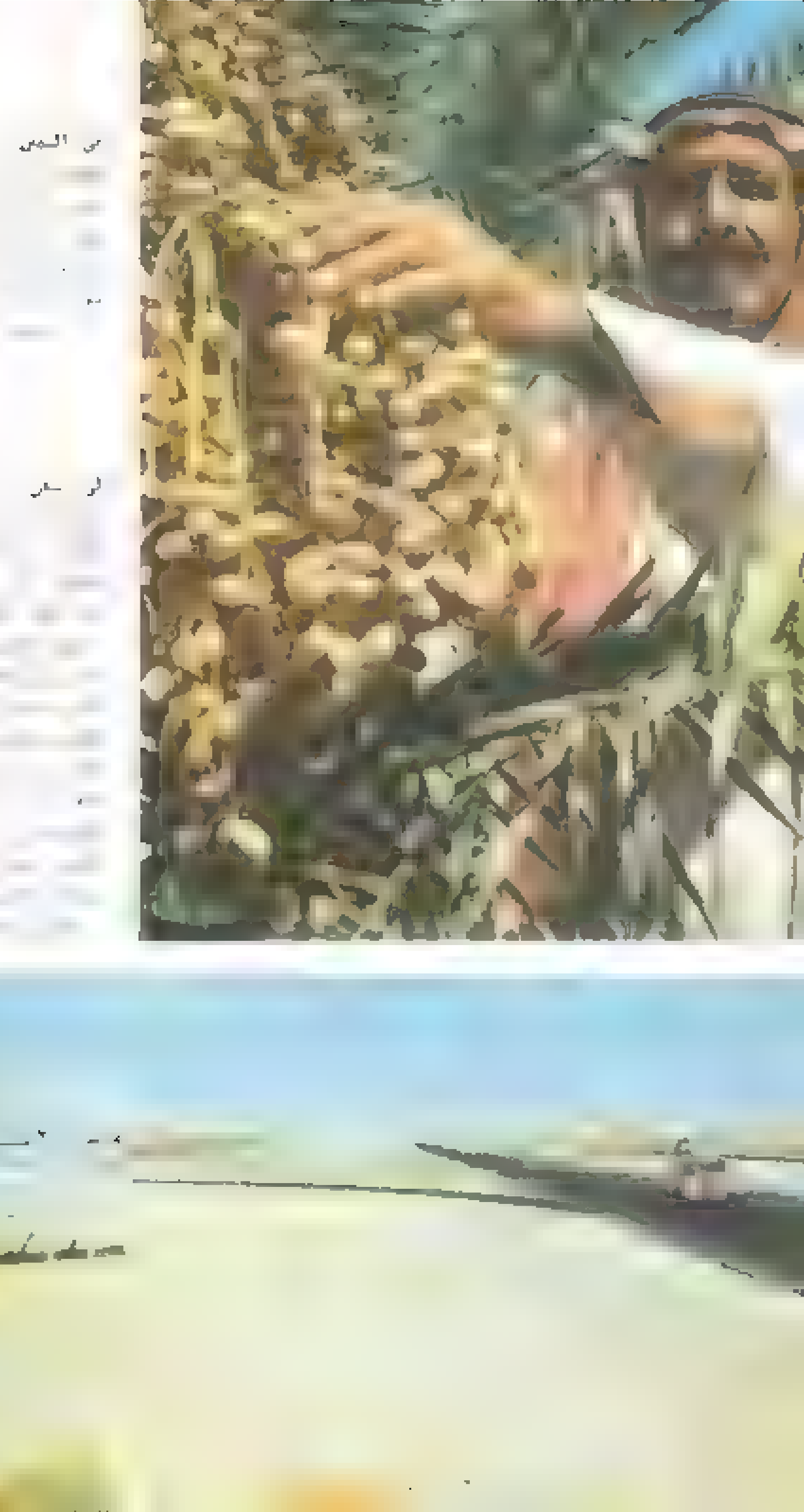
هذه هي كاظمة

ولم نر شيئا .. رأينا الخليج ومياهه الهادئة ، وآثار مبان قديمة مهدمة،ولا شيء اكثر من هذا..

وقال مرة اخرى : « هذه هي كاظمة ! » .

ونزلنا من السيارة .. الهواء عليل جميل ، فيه برودة لم نعهدها منذ تلك اللحظة التي تحركنا فيها قبل نصف ساعة تقريبا من الجهراء في قيظ الصيف .. وعلى الشاطئ انتشرت شباك الصيادين ، وقد رقدت في مكانها تنتظر عودتهم اليها ، لتغوص معهم في الماء بحثا عن السمك .. ثم ماذا ؟ لا شيء اكثر من هذا ..

هذه هي كاظمة او ما تبقى منها .. وهي تقع في الشمال الغربي من مدينة الكويت على ارض لها شبه لسان (راس) ، داخل البحر ، وتبعد عن مدينة الكويت بحرا ما يقارب الخمسة والعشرين كيلو مترا .. ارض منبسطة لا ترتفع عن سطح البحر الا قليلا .. كل شيء فيها اصبح في ذمة









التاريخ .. حتى قبر مظهر ، جد عبد الملك بن قريب الاصمعي راوية الادب ، الذي قيل انه مات ودفن في كاظمة ، بحثنا عنه ، فلم نجد له اثرا .. ومظهر هذا ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ، واعتنق الاسلام دينا ، كذلك لم نجد اثرا لقبر جد الفرزدق ، وقد دفن في كاظمة .

ذكرى عزيزة قديمة

وعدنا من حيث اتينا ، ونحن نلقي نظرة اخيرة على هذه الارض التي تغنى بحبها شعراء العرب في الجاهلية وفي الاسلام ، عدنا وفي النفس حسرة وفي القلب غصة .. الم يكن جديرا بهذه البقعة من الارض العربية القديمة ان تمتد اليها يد الاصلاح لتصنع منها شيئا .. ماذا لو حولوا شواطئها الهادئة الجميلة ، وما اكثر الشواطئ المهجورة في الكويت ، الى مصيف يقصدون اليه هربا من حر الصيف .. لو انهم فعلوا لاحيوا ذكرى قديمة عزيزة .. ذكرى مدينة دخلت التاريخ .

لقد اطلنا في الحديث عن كاظمة ، التي اصبحت اليوم اثرا بعد عين ، ولكنها ام الجهراء ، كما نعلم ، وهل يستطيع المرء ان يتحدث عن الفرع دون الاصل ..

الجهراء هي كاظمة ؟

يقول الاديب الكويتي المعروف احمد بشر الرومي : « ليس من المعقول ان يشتهر موضع الا اذا كان ذا ماء وفير ، واعز ما في الصحراء الماء . والجهراء لا تبعد عن كاظمة باكثر من بضعة كيلو مترات ، وانا اعتقد ان الجهراء هي التي كانت تسمى كاظمة قديما ، حيث ان ما مر في وصف كاظمة « في كتب التاريخ » ينطبق على الجهراء تماما ، وبما ان الوصفين متقاربان ، وبما انني لم اجد الجهراء اثرا فيما تتبعته من مصادر قديمة ، سواء باسمها الحالي ، او باسم اخر ، فلا بد ان تكون الجهراء هي كاظمة » .

انتهى كلام المؤرخ البشر .

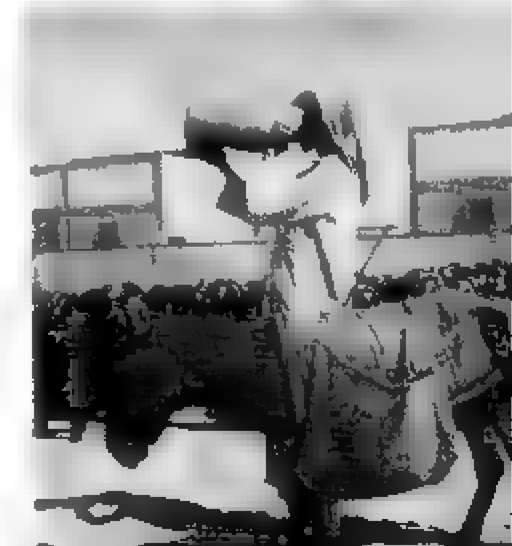
وللتوفيق بين ما ذكره المؤرخون من ان كاظمة كانت جونا على البحر على مقربة من البصرة ، وبين ما يراه الاستاذ احمد البشر ، قد يرى الرائي ان الجهراء الحالية وقد كانت هي كاظمة ، كانت ممتدة فعلا الى البحر ، وهي في طريق الذاهب من الطائف الى البصرة .

واحة في الصحراء

نعتنا الى الجهراء ، فوجدناها واحة في قلب صحراء الكويت الساخنة، كثيرة المياه، لقد اكتست ارضها بلون الخضرة ، وقامت مزارع الخضر والطماطم وبعض انواع الفول بين اشجار النخيل التي تتخللها في رفق ، وهو نخيل قصير القامة طيب الثمر .. وكثرت زراعة البرسيم الذي يقدمونه علفا للحيوانات .. وانتشرت القنوات الصغيرة بين الحقول ، وهي تنقل اليها الماء الذي تستخرجه الالات من جوف الارض ، فالجهراء غنية بمياهها الجوفية، وهي ليست مياها عذبة ولكنها صالحة للزراعة لضآلة نسبة الملوحة فيها ..

وسرنا بين حقولها ومزارعها التي تسعد فيما تزرع على ما يقدمه لها المشتل الزراعي الذي اقاموه في الارض الفسيحة الواقعة بجوار مستشفى الصباح .. وهناك يربون الشتل الجديدة ، ويعملون على تجويدها واستنباط اصناف جديدة من الفواكه والزهور ، التي يوزعونها على مختلف المناطق الزراعية في الكويت ، والجهراء بصفة خاصة .. واهم ما يعنى به المشرفون على الزراعة

بدوي يرعى اغنامه .. لقد سالتها امامه من الصحراء حيث اقام مشتة التي يعيش فيها ، الى قلب مدينة الجهراء . ولكنه لم ينسى ان يحمل معه ماءه وزاده . لقد بدات حياة المدينة تشده اليها .. ولن يمضي وقت طويل حتى يترك هذا الرجل حياة التنقل والترحال ، ليستقر اخيرا في نطاق المجتمع الحضاري ، وهو هدف حكومة الكويت ، وكل الحكومات العربية





كان اول عمل قام به الدكتور عبدالرزاق العدواني وزير الصحة الكويتي ، عقب توليه منصبه هذا العام ، ان قام بزيارة للوحدة الصحية المجمعة في الجهراء وعندما شاهد بنفسه المجهود الذي يبذله الاطباء والممرضات لمواجهة الزيادة المستمرة في عدد المترددين على المجمع للعلاج ، حتى وعد ببناء مجمع آخر في المستقبل القريب ، كما امر بتدعيم هيئة الاطباء المعالجين

في الكويت ، هو مصدات الرياح ، مثل اشجار الكينا والطلح ، والكازورينا ، تلك التي قامت ، وما تزال تقام حول المزارع وعلى اطراف المدن لتحميها من الرياح المشبعة بالاتربة او (الطوز) ، كما يسميها اهل الكويت .

أين اليوم من الامس

قلنا لمن التقينا بهم من اهل الجهراء اثناء جولتنا بين ارجائها ، لتقدم صورة للحياة في هذه المدينة الكويتية ، التي اصبحت اليوم تضم ما يزيد على الاربعة والثلاثين الف نسمة ، قلنا : « لا شك ان هذه الارض الخصبة عندكم ، وما تحويه من مياه وفيرة ، تنفرد بها الجهراء عن بقية مدن الكويت وقراها ، ترى هل يكفي ما تزرعونه من خضر لاستهلاك سكان مدينتكم ؟ » .

قالوا : « اين اليوم من الامس .. لقد كان انتاج مزارعنا يكفينا ، ويكفي اهل الكويت كلها ، كانت الكويت تعتمد على الجهراء ، في مدها بما تحتاج اليه من خضراوات ، وعلف للماشية .. ولكن اين نحن اليوم مما كنا عليه في الماضي ، لقد كان هذا قبل عصر النفط ، وقبل ان تتحول الكويت الى بلد مستورد لشتى انواع الخضراوات والفاكهة من مختلف الدول العربية الشقيقة ، بعد ان تضاعف عدد سكانها عدة مرات .

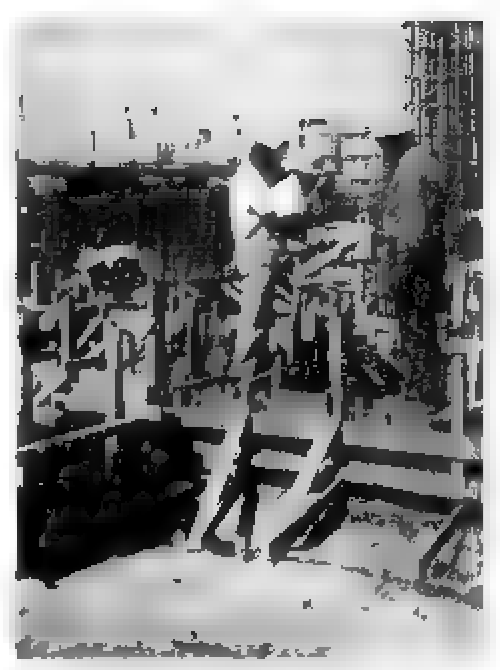
« ان الزراعة قد تقلصت عندنا وما ترونه اليوم لا يعدو ان يكون تعلقا بمهنة توارثها بعض ابناء الجهراء عن ابائهم .. انه تراث نريد ان نصونه ونحفظه ، فنحن لا نستطيع ان نتخيل الجهراء بدون خضرة وبدون نخيل .. اننا نزرع اليوم ونحصد ، لمجرد اننا نريد ان نرضي نزعة في نفوسنا متأصلة ..

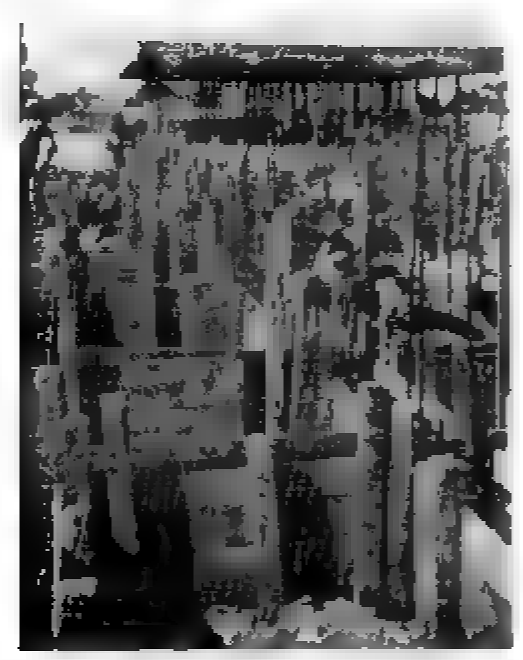
مدينة جديدة

« انكم ترون اليوم مدينة جديدة ، جديدة في مبانيها ومعالمها .. مدينة تختلف اختلافا جذريا عن تلك التي اقامها اجدادنا منذ مئة وخمسين عاما او نحو ذلك عندما تدفقت المياه من اول بئر حفروها في ارض الجهراء ، فاصبحت ملتقى للقوافل في طريق ذهابها وايابها ! . »

ومضينا نكمل جولتنا في المدينة .. لقد تحولت الجهراء في اقل من خمس سنوات ، الى مدينة حديثة ازدحمت بالعمارات السكنية الجديدة







حركة البناء والتعمير تجري اليوم على قدم وساق في مختلف انحاء المدينة لتوفير مزيد من الاكتفاء الذاتي لاهالي الجهراء . وفي الصورة (الى اليمين) ، المهندسون وهم يشرفون على سير العمل في بناء اول دار سينما تقام في الجهراء ، وسينتهي العمل فيها خلال الاشهر القليلة المقبلة ، اما الصورة الاخرى (الى اليسار) فهي لجانب من المباني التي لم تستكمل بعد ، للمجمعات التعاونية الاستهلاكية ، التي ستوفر على الاهالي مشقة الذهاب الى مدينة الكويت لشراء حاجياتهم

والفلات الجميلة ، وكل المرافق العامة الحيوية ، التي تحقق لها شيئا من الاكتفاء الذاتي .. مدارس ابتدائية ومتوسطة للبنين والبنات، ومركز للبريد ، ومحطة للاطفاء وفروع صغيرة لبنوك الكويت الكبرى ، ومخفر للشرطة ، ومستشفى ، او وحدة مجمعة تضم عيادات لطب الاسنان والعيون وقسم للولادة ورعاية الامومة ، ومختبر وصيدلية .. ولعل المستشفى ، هو المرفق الوحيد الذي اصبح غير قادر اليوم ، بالرغم من استمرار العمل فيه خلال الاربع وعشرين ساعة بلا توقف ، على مواجهة الاطراد المستمر في عدد المرضى الذين يترددون عليه يوميا للعلاج .. فقد انشيء المستشفى في عام ١٩٥٦ ، عندما كانت الجهراء قرية صغيرة ، لم يكن يزيد عدد سكانها على الخمسة آلاف نسمة .

٢٤ ألف نسمة

أما اليوم ، وبعد هذا التوسع الكبير الذي تشهده المدينة في عدد الانفس الذين بلغوا ٢٤ الف نسمة ، كما قدمنا ، ومع حركة العمران الضخمة التي شملت كل مرافق الحياة فيها ، فقد اصبح المستشفى عاجزا عن تأدية رسالته على الوجه الاكمل .. حقيقة ان المستشفى يهتم بالحالات العاجلة ، بينما يترك لمستشفى الصباح ، الذي يبعد عنه بحوالي عشرين كيلو مترا تقطعها سيارة الاسعاف في ثلث ساعة ، مهمة العناية بالحالات الاخرى ، ولكن بالرغم من هذا ، فهو لم يعد قادرا على مواجهة الزيادة المستمرة في عدد المترددين عليه يوميا .

بناء وتعمير

وقد زار الدكتور العوضي وزير الصحة الكويتي مستشفى الجهراء عقب توليه لمنصبه مباشرة ، ووقف بنفسه على ما يعانيه المستشفى من نقص ، فوعد بانشاء مستشفى جديد في المنطقة الجنوبية من المدينة ، كما امر بزيادة عدد العاملين من الاطباء والممرضين والممرضات على الفور .

يقول سكان الجهراء : ان يد الاصلاح لم تمتد الى هذه البقعة من قرى الكويت الا منذ خمس سنوات او نحو ذلك ، عندما كان اهلها يعتمدون اعتمادا كليا على اسواق الكويت ، في شراء كل

ما يلزمهم من حاجيات ، حتى الصحف اليومية والمجلات ، كانوا يقطعون من اجل الحصول عليها ستين كيلو مترا ذهابا وايابا .

اما اليوم ، فقد تغير الحال ، واستطاع المسئولون في الدولة ان يعوضوا سكان الجهراء ما فاتهم ، ان حركة البناء والتعمير تشمل كل نواحي الحياة فيها .. مستشفيات جديدة ومدارس جديدة .. ومئات من المساكن الحديثة يجري العمل في تشييدها على قدم وساق .. مساكن لذوي الدخل المحدود انتهى العمل في بناء العديد منها ، وما يزال العمل جاريا لاستكمال ما تبقى فيها .. ودار جديدة للسينما تقيمها شركة السينما الوطنية الكويتية وستكون اول دار في الجهراء ، فلم يكن فيها سينما من قبل ، وسوف تفتح في الشهر السادس من العام المقبل عام ١٩٧٢ ، وجمعية تعاونية استهلاكية ، ضخمة ، هي الاخرى سوف ينتهون من بنائها خلال السنة القادمة ، وسيجد فيها اهل الجهراء كل ما يحتاجون اليه من سلع وكماليات ..

اسكان البادية

ثم مشروع اسكان وتوطين البادية ، وهو مشروع عظيم ، يعمل في انجازه الان مئات المهندسين والعمال ، انه مشروع لتوسيع مدينة الجهراء الذي يقوم بتمويله بنك التسليف والادخار الكويتي .. لقد اعتمد لهذا المشروع مبدئيا مبلغ مليونين من الدنانير ، ولكن النفقات الفعلية لانجازه سوف تصل الى خمسة ملايين دينار . وهو يشمل بناء مايزيد على الفين وخمسمائة بيت ، وبناء مدارس ابتدائية ومسجد ، ومستوصف ، وسوق مركزي وحدائق عامة ، الى اخر ما هنالك من المرافق الحيوية التي ستجعل من هذه المنطقة مدينة صغيرة ، قائمة بذاتها ، وتعتبر امتدادا لمدينة الجهراء .. اما هذه المساكن الجديدة فسوف تؤجر للبدو من العاملين في الحكومة الكويتية مقابل اجر شهري لايزيد على ثلاثة دنانير في الشهر ، على ان يصبح البيت ملكا لمستأجره بعد سداد ثمنه .

وسوف يتم تسليم الدفعة الاولى منها وهي تتألف من خمسمائة بيت في الشهر المقبل من العام الجديد ١٩٧٢ ، وسيتم تسليم بقية المساكن تباعا على مراحل ، كل مرحلة تستغرق ستة اشهر ، ويتم بعدها تسليم خمسمائة بيت جديد وهكذا..

بين الترحال والاستقرار

ان مشروع توطين البدو في الكويت ، هو جزء من الاتجاه العام المتزايد في كل البلاد العربية ، لنقل البدو من حياة الحل والترحال ، الى حياة الاستقرار ..

ومن هنا بدأ الاهتمام بتوفير السكن الصحي الملائم للبدو ، تمهيدا لتحضيرهم ، بحيث يصبحون مواطنين لهم كل حقوق المواطن وواجباته وبذلك يصبحون جزءا لا يتجزأ من الوحدة القومية .

وهذه العملية .. عملية توطين البدو وتحضيرهم عملية معقدة ، فهي ككل العمليات الاجتماعية التي تستهدف تغيير الناس ، تحتاج الى جهد كبير ، حتى يكون التغيير جذريا ، بحيث يشمل كل القيم والاتجاهات والسلوك والعادات .. وهو امر لا يمكن تحقيقه بين يوم وليلة .. فهو يحتاج الى وقت ، والى دراسة متخصصة لطبيعة هؤلاء القوم الذين لم يعرفوا الاستقرار يوما في حياتهم ..

ولقد اهتمت حكومة الكويت منذ اكثر من عشر سنوات بتوطين البادية ، وبذلت في سبيل ذلك كل الجهود لتوطينهم وتوفير سبل الاستقرار وبث الطمأنينة الى نفوسهم .



الحاج محمد مرزوق التقينا به في الجهراء ، ليحكي يحدثنا عن تاريخها وتاريخه .. لقد ناهز الثمانين من عمره ، واشترك في معركة الجهراء المعروفة في تاريخ الكويت ، وحج الى بيت الله الحرام ثلاث مرات وهو اليوم اب لستة اولاد وخمس بنات ، كلهم تزوجوا ، وهو جد لاكثر من ثلاثين حفيدا .. انه يعيش على المعاش الذي تصرفه له وزارة الشئون الاجتماعية ، ويحمد الله على ما رزقه . لقد عاصر الحاج مرزوق الكويت في ماضيها وحاضرها الحديث .. وهو سعيد بالحاضر المشرق





جانب من المساكن الحديثة التي سيخصص لذوي الدخل المحدود في الجهراء .. حول مختار المدينة :
« انني أتوقع أن تصبح مدينتنا من أجمل مدن الكويت وأكبرها خلال السنوات القليلة القادمة »

ازالة العشش

يقول مختار الجهراء ، الحاج عثمان عزمي السعيد : « ان حكومة الكويت تهدف الآن الى ازالة العشش التي يسكنها البدو ، كما فعلت وما تزال تفعل في المناطق الاخرى من الكويت ، ولكن هذا امر لايمكن تحقيقه ، الا اذا وفرت الحكومة المسكن الصحي لهذه الاسر التي يعمل معظم رجالها موظفين في الحكومة الكويتية . ومن اجل ذلك شرع المسئولون في استكمال مدينة اسكان البادية ، وهو مشروع ضخم كما رأيتم . وعندما ينتهي العمل فيه ، سيكون معظم سكان البادية الذين يعيشون الآن في الخيام والعشش المنتشرة في الصحراء المحيطة بمدينة الجهراء ، وعددهم لايقل عن ستة آلاف نسمة ، قد انتقلوا للعيش في المساكن الصحية الجديدة » .

قلنا : « ما رأيك في وصف الجهراء بالمدينة المنسية ؟ »

لا .. لم ينسوها

قال : « اذا كانت يد الاصلاح والتعمير قد تأخرت بعض الشيء ، فليس معنى هذا انهم نسوا الجهراء . ان اعادة بناء الكويت كلها ، لم تبدأ الا منذ خمسة عشر عاما او مايزيد على ذلك قليلا .. وعندما جاء دور الجهراء حاولوا ان يعوضوها ما فاتها ، وقد رأيتم بأنفسكم المشروعات الضخمة التي يجري العمل في انجازها على قدم وساق ، من رصف وتعبيد الطرق ، وعمليات توصيل مياه المجاري وبناء المساكن الحديثة ، وانشاء المدارس والمستشفيات ، وبناء اول دار للسينما في المدينة ، وغير ذلك من انجازات اخرى تحققت بالفعل خلال السنوات القليلة الماضية ، وفي مقدمتها مشروع اسكان رجال القوات المسلحة . والشرطة الى آخره » .

انا ابن الجهراء

واختتم المختار حديثه معنا بقوله : « انا ابن الجهراء ، لقد كان جد جدي وشقيقه وابن عمهما ، هم اول من حلوا بهذه المنطقة منذ اكثر من مائة وخمسين عاما ، لقد كان ثلاثتهم من المزارعين ، وفي الزراعة لابد من البحث عن الماء ، وقد بحثوا عنه وحفروا الارض ، وكان ان ظهرت اول بئر للماء ، فقالوا : « لقد جهرنا البئر واجهرناها » اي كسحوا البئر ، وكانت من قبل مطمورة .. ومن هنا اسموها الجهراء ..

« لقد عاصرت الجهراء ، كما ترون ، كما عاصرها آبائي واجدادي من قبلي ، وانا اعيش اليوم لأرى قريتنا الصغيرة ، وهي تنمو وتكبر وتزدهر .. انني اتوقع ان تصبح الجهراء في خلال السنوات القليلة القادمة ، من اكبر مدن الكويت واجملها » .

منير نصيف

١٠ أسئلة هنا.. وهناك، وجوائز ١٠٠ دينار

■ مسابقة هذا العدد تتألف من عشرة أسئلة من هنا وهناك ، والمطلوب ان تجيب عن ثمانية منها اجابة صحيحة ، لتفوز باحدى الجوائز التي يقدمها العربي لقرائه مع كل عدد جديد .

١ – الاخطلان شاعران عربيان ، سمي احدهما الاخطل وسمي الآخر الاخطل الصغير .. فمن هما هذان الشاعران وما هو العصر الذي عاش فيه كل منهما ..

٢ – شهر رمضان شهر تميز من بين الشهور بان نزل القرآن الكريم في اواخره .. في ليلة القدر .. ولكنه تميز باحداث اخرى .. منها مولد سيدنا علي بن ابي طالب ، كرم الله وجهه ، وكان ذلك في ٢٢ رمضان ، ومنها وفاة السيدة خديجة ، وكان في ١٠ رمضان .. ومن تلك الاحداث ايضا غزوة بدر وفتح مكة .. ففي اي يوم من ايام رمضان وقع كل من هذين الحدثين الاخيرين ؟

٣ – طيوان أخرجت من هيئة الامم ، وحلت محلها الصين الشعبية .. فاين يوجد طيوان هذه وما اسمها القديم .. ؟

٤ – وادي الموت اقليم اشتهر بجفافه وجدبه وحرارته بين اقاليم الولايات المتحدة الامريكية . وقد بلغت درجة الحرارة فيه في احد ايام الصيف الماضي ١٢٧ درجة فهرنهيت ، وبلغت في اليوم نفسه في احدى مدن الكويت ٥٠ درجة سنتغراد ، فاي المكانين كان اشد حرارة .. ولماذا .. ؟

٥ – قصيدة مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

فمن قائلها ؟

٦ – المادة التي يسميها الكيماويون : كلوريد الصوديوم ، طعمها

أ – حلو كالسكر
ب – مر
ج – طعمها مالح
د – لا طعم لها .

٧ – الحرس السويسري الشهير ، اين يوجد وما هي مهمته :

أ – يوجد في سويسرا ويقوم بحراسة مقر رئيس الدولة السويسرية

ب – يوجد في سويسرا ومهمته هي حراسة ضريح بطل سويسرا المعروف وليم تل

ج – الحرس السويسري لا يوجد في سويسرا وانما في الفاتيكان حيث يقوم بحراسة مقر البابا

٨ – العود آلة موسيقية وترية ، كم عدد اوتاره ؟

٩ – نيويورك هي الولاية الاولى من حيث الصناعة والتجارة والولاية الثانية من حيث الاتساع بين الولايات المتحدة الامريكية ، اذ تبلغ مساحتها نحو ٥٠ الف ميل مربع . اما سكانها فيقاربون ١٨ مليونا .

فما هي عاصمة ولاية نيويورك هذه ..

١٠ – قالوا ان سرعة طائرة الكونكورد البريطانية الفرنسية ، تعادل ٢ ماك . ونسأل عن ماك هذه فنعلم انها سرعة الصوت. فكم تكون هذه السرعة ؟

شروط المسابقة

١ – ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور ذيل هذه الصفحة .

٢ – اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح .

٣ – ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي

مجلة العربي – صندوق البريد ٧٤٨ الكويت، مسابقة العدد ١٥٧ ؟

٤ – آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢ .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي .

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا . الجائزة الثانية ٢٠دينارا . الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

■■



في سبيل موسوعة علمية



■ لو انك اوقفت اليوم صبيا في عمر
في ابتدائية ، وهو خارج من مدرسته ، وواجهته بهذا السؤال :

الارض هذه التي نمشي عليها ، هذا الكوكب ، مسطحة هي ، او مستديرة ، او شكله آخر ، هذه الارض مبسوطة هي كالبساط المفروش ، ام هي كرة مكورة ؟

اذن ما تردد في الجواب لحظة :

انها كرة مكورة ..

ولكن لو انك كنت استوقفت رجلا كهلا ، عالما متبحرا ، في عصر من عصور القديمة ، حتى كان اسم الفلسفة يعم الارض فلا يكاد يدرك منها فراغا ، ووجهت له هذا السؤال نفسه .

لعجب الحق انه يتردد .

فقد اختلفت العصور القديمة في امر الارض اختلافا كبيرا . عاشوا عليها طويلا ، وماتوا كثيرا ، وفي ترابها دفنوا .

عرف قدماء الإغريق أن الأرض كرة ، وقاسوا قطرها ومحيطها ، ومع هذا ظلت أعين باصرة كثيرة في الناس تنكر تكورها ، حتى غلبت العقول البصيرة آخر الدهر القلوب فلم يعد هناك موضع لإنكار .

بقلم الدكتور أحمد زكي

[illegible]
هي أم مكوّرة .

* * *

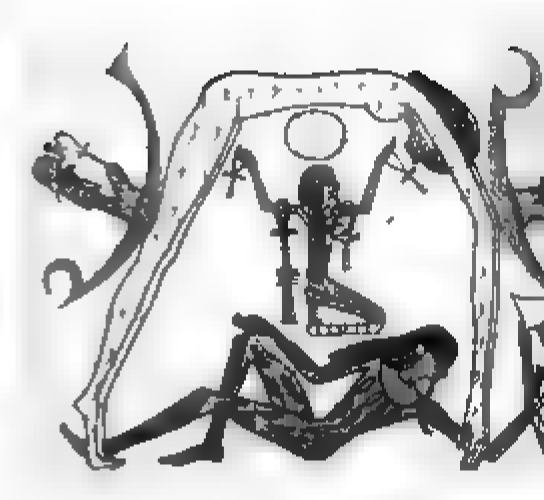
[illegible]

[illegible]
بالأمس .

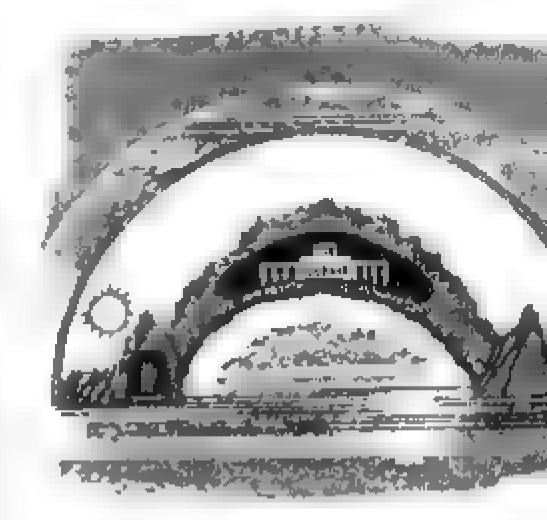
[illegible]

شكل العالم
في نظرة القدماء من بني الإنسان

[illegible]



قدماء المصريين تصوروا الأرض الها متكئا ، هو الإله كب ، وقد غطته الخضرة ، وتصوروا السماء الهة وقد انحنت بقوامها الرشيق فوق الأرض ، وقد ساندها على البعد في وضعها هذا اله الجو . اما اله الشمس ، وهو المصور في القاربين ، فهو يعبر السماء كل يوم الى ليل الموت .



بابل تصورت الأرض جبلا اجوف محيطه واحاط به البحر . وفي داخل هذه الأرض استقر عالم الأموات ، في ظلامه ومع غباره . وفوق الأرض استقرت السماء مبنية صلبة ، وعبر السماء سارت الشمس والقمر والنجوم .



اختلف الهندوس في تصورهم صورة الأرض ، ولكن طائفة منهم اعتقدت ان الأرض تحملها الفيلة ، وتحرك الفيلة ، فتحدث الزلازل . والفيلة تقف فوق سلحفاة ، وهي الحيوان الذي تجسد فيه الإله وشنو . وهي استقرت فوق الثعبان المعروف بالكبرا ، وهو عندهم رمز الماء .

الخيال بهم بعيدا . وكانت احلام المنام اسعد في آرائهم من منطق اليقظة .

والكثير منهم تصور الأرض قرصا مرطحا ، او شبه قرص ، عائم فوق الماء . وعلاه ماء ، وفوق هذا الماء دارت الشمس ودارت النجوم . خيال خصب !!

في القرن السادس فقط قبل الميلاد دخل المنطق في تصوُّر الناس شكل الارض

والحق ان المنطق لم يدخل في تصور شكل الارض (والدنيا) الا في اوائل القرن السادس قبل الميلاد . ومن الطريف ، ان يذكر الانسان هذا القرن فيذكر انه القرن الذي ظهر فيه بوذا وظهر كنفوشيوس . وكان دخول المنطق في تصوير الارض (والدنيا) على يد الاغريق .

كان عندهم ان الارض مفرطحة كما

عند سائر الامم . ثم بانت لهم ملاحظات دخلت اليهم بالشك في هذا التصور البسيط الظاهر .

لاحظوا ان النجوم التي يراها الناظر الى السماء تختلف باختلاف مكانه من سطح الارض . فالناظر الى السماء في اليونان يرى من النجوم جملة ، شيئا يختلف عما يراه وهو في مصر . ومن امثلة ذلك نجوم المجموعة المعروفة « بالدب الاكبر » . هذه يراها الانسان في اليونان كاملة تدور حول النجمة القطبية دورة تامة . اما في مصر فانها تختفي في دورانها وتختفي في رمال الصحراء . فدلت هذه الظاهرة فيما دلت على انحناء سطح الارض .

اول القائلين بانحناء الارض

وكان اول القائلين بهذا فيلسوفهم اناكسي مندر Anaximander . والغريب انه قال بانحناء سطح الارض من جنوب الى شمال ، اي في حدود الظاهرة التي رآها . اما انحناء سطح الارض ايضا من شرق الى غرب فمسألة اخرى . اي انه خال الارض اسطوانة انحنى سطحها وطال من جنوب الى شمال . وهو لم يذهب من ذلك الى القول بانحناء سطح الارض من شرق الى غرب ، ولعل هذا كان بسبب العقيدة الدينية التي كانت سائدة في ذلك العصر ، ان الغرب هو موطن الناس من بعد موت(1) .

اول من قال بكروية الارض

ينسب هذا الى الفيلسوف الاغريقي فيثاغورس(2) Phythagores ، وهو قد ولد في اوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وكانت له شهرة ملات الآفاق .

على انه يقال ان برمينيدس Parmenides ، وهو من اتباع فيثاغورس ، وعاش حول عام ٥٠٠ قبل الميلاد ، هو صاحب فكرة كروية الارض . ولكن اختلط الامر فنسب هذا الرأى الى فيثاغورس بسبب شعبية فيثاغورس الهائلة ، ولانه عاش طويلا حتى لحق باوائل القرن الخامس . فهو عاش تلميذه برمينيدس . ويجرى منطق برمينيدس في شان كروية الارض هكذا :

قال لو كانت الارض ذات شكل غير شكل الكرة لتقوضت وتداخل بعضها في بعض . والكرة هي الشكل الواحد الذى توازنت كل اجزائه وتماثلت ، فكانت اثبت الاشكال جميعا واكثرها اتزانا .

ثم ان السماء عنده ، كان يراها كرة ، وتدور هذه الكرة بنجومها ، وتختفي نجومها عند حافة الارض لتظهر من جديد في المشرق عند الشروق من الحافة الاخرى المقابلة ، وهذا يدل على كروية الارض . وبذلك تخطى برمينيدس الصعوبة التي كان يلقاها من يقولون بتسطح الارض ، اذ كانوا يسالون : واين

---

(1) والفيلسوف اناكسي مندر الفلكي الاغريقي عاش بين عام ٦١١ وعام ٥٤٧ قبل الميلاد . وهو من مدينة ميليتس Miletus على ساحل اسيا الصغرى اليوم في قبالة اليونان . وهي مركز علم اغريقي قديم ، وفيها ولد اناكسي مندر ، واستاذه الشهير طاليس Thales ، الذى اعتبره الاغريق مؤسس علم الهندسة الاغريقية وعلم الفلك والفلسفة فيهم .

(2) ليس في التاريخ الشيء الكثير المعروف عن فيثاغورس . انه ولد في السنوات الاولى من القرن السادس قبل الميلاد ، وعاش فوق الثمانين عاما حتى لحق بالقرن الخامس . وزار مصر وبابل ، وعاد الى موطنه بجزيرة ساموس Samos عند الساحل الايوني (آسيا الصغرى الآن) واختصم مع الفرس ، فخرج من بلده الى بلدة كروتونا Crotona على الساحل الايطالي . وهناك تكونت حوله اخوة عظيمة ، فذاع صيته وكثر اسمه . ولكن في ختام حياته كان له من القوة الروحية بين القوم هناك ما ازعج رجال السياسة ، فنفوه من كروتونا ، ونفوا تلاميذه ، واحرقوا المكان الذى كانوا يجتمعون فيه . وكان من اثر ذلك ان ازدادت سلطة فيثاغورس على الاجيال القادمة بعد وفاته .

تذهب النجوم عندما تغرب والارض قرص مسطح ؟!!.

هذا القول تنسبه البعض الى برمنيدس ، لا الى استاذه فيثاغورس . على أن مؤرخي العهد النصراني الذي جاء من بعد ذلك بقرون ، عادوا فنسبوا هذا الرأى الى فيثاغورس . والذي يهمنا انه ، في عصر فيثاغورس ، كان في الاغريق من رأى ان الارض كرة لا قرصا مسطحا كما سبق ان رأى قدماؤهم .

والاجرام السبعة تدور في افلاك سبعة

ولقد ذهب فيثاغورس الى ابعد من ذلك ، فزعم ان الاجرام السبعة المتحركة في قبة السماء ، وهي الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل ، انما هي اجرام تدور حول الارض في افلاك سبعة ثابتة .

وافلاطون اعتمد كروية الارض

كان للوصول الى الحقائق عند الاغريق طريقتان : طريقة البحث عن اصول ثابتة عامة شاملة في الحياة ، يستوثقون منها ، فاذا هم فعلوا ، طبقوها حيثما شذوا من ظواهر الكون . وطريقة اخرى هي المشاهدة والملاحظة بالعين .

وقد اهتدى افلاطون الى كروية الارض ، واكثر اعتماده على الطريقة الاولى .

قال ان الله خلق الكون . والله اكمل شيء . فاذا خلق شيئا فانما يخلقه على مثاله كاملا . وهو خلق الارض . وهو لا بد شكلها على اكمل صورة ، واكمل صورة ، هي صورة الكرة . هي اكثر الاشياء تماثلا واتزانا وجمالا . واذن فالارض كرة .

وزاد افلاطون فقال : والله اعطى اجرام السماء هذه حركتها ، واكمل الحركة الدائرة . فالكواكب تسير في دوائر .

وافلاطون عاش بين القرن الخامس والرابع قبل الميلاد (٤٢٧ — ٣٤٧) .

وارسطو قال بكروية الارض

وقال ارسطو بما قال افلاطون .





الفلك كروية مصمتة ، في اوسطها الأرض كرة . وسار في الغلاف الاول القمر وعطارد فالزهرة فالشمس فالمريخ فالمشترى فزحل.وزحل هو ابعد الكواكب دارا.هكذا خال القدماء.

وظهرت في عهد ارسطو حجة قوية اخرى على كروية الارض . ذلك ان الشمس عندما تلقي بضوئها على الارض ترمي بظل لها من ورائها . وفي القمر عند الخسوف يمر بهذا الظل فترتمي صورته سوداء على القمر ، ولها حرف منحن ، هو في حقيقته ليس الا صورة من سطح الارض المحني . اى الكروى .

وصور ارسطو حركة الدوائر كما صورها افلاطون .

وجعل الأرض مركز الدنيا ، وحولها دارت الاجرام المتحركة السبعة ، والشمس والقمر كانا من عدادها) .

وارسطو عاش في القرن الرابع قبل الميلاد (٣٨٤ — ٣٢٢ ق.م) ، فهو عاش استاذه افلاطون زمنا .

الأرض
ليست كرة فحسب
بل هي ايضا تدور حول نفسها

انه هرقليدس Heraclides ، كبير شعراء علم الفلك في الاغريق ، هو صاحب هذا الرأى . قال به في غمرة رأى آخر قال به فلكى آخر : ان الأرض تدور حول كتله من نار (ولو قال الشمس لصدق) .

وكان يريد من ذلك فيما يريد أن يفسر كيف أن السماء كلها بنجومها لا تدور حول الارض ، وانما الارض هي التي تتحرك فتتراءى السماء وكأنها تتحرك حولها .

ورفض هرقليدس دوران الارض حول كتلة النار هذه . وقال فلعل أن الارض تدور حول محورها ، فهذا ابسط وايسر .

ولكنه كان اقتراحا لم يبق على الزمان طويلا .

وهرقليدس عاش في القرن الرابع قبل الميلاد .

العالم الفلكي ارستاركس

ومضى الاغريق على تصور افلاطون وارسطو للارض والعالم نحو قريب من الزمان .

حتى جاء الفلكي ارستاركس Aristarchus

وهو ولد في عام ٣١٠ قبل الميلاد . اى بعد وفاة ارسطو باثنى عشر عاما .

وتدل المأثورات التاريخية على انه رأى ان الارض تدور على محورها دورة كاملة .

وهو ارتأى ان الشمس ثابتة فهي لا تدور ، وان النجوم ثابتة فهي لا تدور . انما الارض هي التي تدور ، فتتراءى لنا الشمس وتتراءى النجوم كأنها جميعا تدور .

هو ارتأى ان الارض تدور حول الشمس ، لا الشمس تدور حول الارض ، وان الشمس هي مركز الدوران لا الارض .

آراء سابقة لاوانها ، لم يهتد اليها العلم الا بمجيء العالم الفلكي البولندي الكبير كوبرنيك Copernicus وقد عاش بين القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣ م) .

وما بين القرن الثالث قبل الميلاد ، والقرن الخامس عشر ، ظل العلماء عند رأي افلاطون وارسطو في تصور الارض واجرام السماء : الارض كرة ، وهي المركز ، وحولها تدور الاجرام السبعة : القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل .

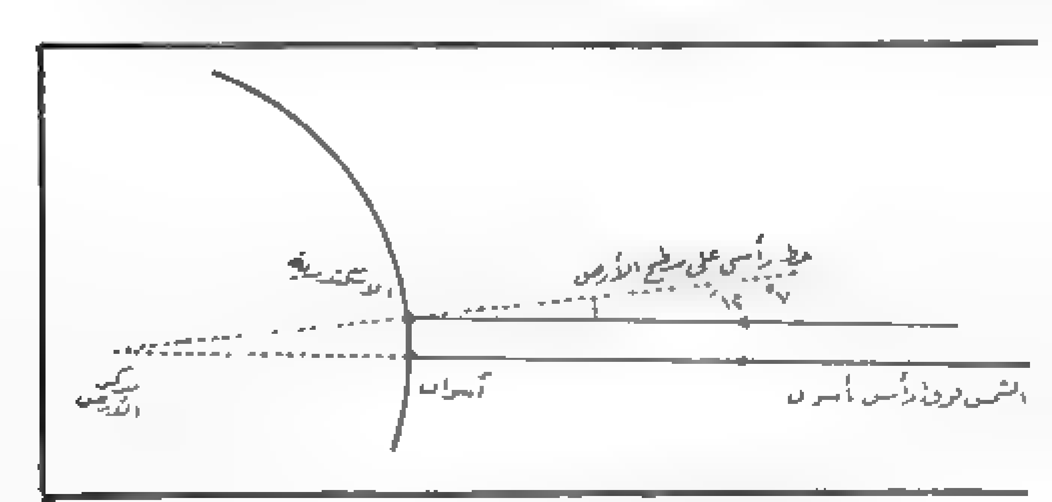
الاغريقي الاسكندري قاس محيط الارض وقطرها وصدق قياسا

كان هذا في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد .

اما الفلكي واسمه اراتوستينس Eratosthenes ، وهو بعد ان ايقن بان الارض كرة ، راح يطبق عليها علم الهندسة .

كان هو في مدينة الاسكندرية ، في شمال مصر ، حيث كان ترعرع العلم الاغريقي زمنا وانتعشت الفلسفة ، وظلت هكذا الى ما بعد مولد المسيح عليه السلام .

وكانت هناك ، في جنوب مصر ، مدينة سيينى Syene ، عند نهر النيل وهي ما نعرفه اليوم بمدينة اسوان Aswan) ، وكانت على بعد من الاسكندرية يبلغ نحو ٥٠٠٠ ستاديوم Stadium بالقياس



■ هكذا قاس الفلكي الاغريقي الاسكندري محيط الارض .
في اسوان كانت الشمس في رأس السماء عمودية على سطح الارض ، بينا هي في الاسكندرية مالت عن هذا الرأس بمقدار ٧ درجات و١٢ دقيقة . والمسافة بين اسوان والاسكندرية ٥٠٠ ميل . اذن فمحيط الارض ٢٥٠٠٠ ميل

الافريقي ، وهو المقياس الذي تقاس به الرحلات ، ومقداره ١٥٧ مترا . اى ان البعد ما بين المدينتين كان نحوا من ٥٠٠ ميل .

وعرف صاحبنا انه عند تمام الظهر ، عند استواء النهار بالليل ، بين الربيع والصيف ، تنير الشمس في اسوان بئرا حتى قاعها . ومعنى هذا انه في تلك اللحظة تكون الشمس عمودية فوق سطح الارض هناك .

وقام هو في تلك اللحظة برصد الشمس في الشمال ، في الاسكندرية ، فوجدها تميل عن الخط الراسي العمودي بمقدار ٧ درجات و ١٢ دقيقة ، اي بما يساوي ١/٥٠ من محيط الارض .

وبعملية هندسية بسيطة ، ظاهرة في الرسم المرفق ، اهتدى الى طول محيط الارض .

يلاحظ من هذا ان خطوط رصد الشمس في الزمن الواحد خطوط متوازية دائما ، من اى موضع من الارض رصدناها ، لان الشمس بعيدة بعدا كبيرا .

ومن الرسم نرى ان الزاوية عند مركز الارض هي ايضا ٧ ١٢ ، واذن فالمسافة بين الاسكندرية واسوان وهي ٥٠٠ ميل مضروبة في ٥٠ مرة ، وهي ٧ ١٢/ ٣٦٠ ، = ٢٥٠٠٠ ميل . وهي محيط الارض .

وهو رقم قريب جدا من رقم نعرفه اليوم .

وبقسمة هذا الرقم على ٣٫١٤ (نسبة محيط الكرة الى قطرها) خرج الفلكي المذكور بالرقم ٧٨٥٠ ميلا ، وهو رقم لا يقل عن الرقم المعروف لقطر الارض باكثر من ٧٠ ميلا .



الفلكي البولندي كوبرنيك
وهو الذي احل الشمس محل الارض ، مركزا تدور حوله الكواكب : عطارد والزهرة والارض والمريخ والمشتري وزحل . (١٤٧٣ — ١٥٤٣)

بطليموس الاسكندريه

وتمتد مدرسة الاسكندرية الى ما بعد ظهور المسيحية ، ويظهر الفلكي الشهير بطليموس Claudius Ptolemaeus بالاسكندرية وهو عاش في القرن الثاني الميلادي ، ولم يكن نصرانيا . وهو صاحب الكتاب الشهير في الفلك الذي عرفه العرب واسمه المجسطي Almagest

وبطليموس هذا كان آخر الفلكيين الاغريق وهو آمن بدوران الكواكب والشمس والقمر في افلاك دائرة ، وانها تدور حول الارض ، فالارض هي المركز . ولكن حركة هذه الاجرام حول الارض لا تستقيم مع دورانها حول الارض تماما ، فمنها من يقترب ، ثم يبتعد ، ثم يقترب ، وهو في الدورة الواحدة ، او

هكذا يتراءى . وابدع بطليموس صورا بصر بها هذا النظام الكبير المعقد ، ومع هذا فهو عاش الى القرن السادس عشر ، حين جاء كوبرنيك ، واستبدل بالارض الشمس ، مركزا تدور حوله الارض والكواكب .

الارض في العصر المسيحي الاول

عاد الآباء المسيحيون ، في العصر الاول ، الى فرطحة الارض .

وممن قال بفرطحتها القديس اوغسطين Saint Augustine ، وهو عاش في ختام القرن الرابع المسيحي .

وقد جاء في الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الاصحاح الاول عدد ٦ الى ١٠ عن الجلد :

« وقال الله ليكن جلد في وسط المياه ، وليكن فاصلا بين مياه ومياه ، فعمل الله الجلد ، وفصل بين المياه التي تحت الجلد ، والمياه التي فوق الجلد ، وكان كذلك .

« ودعا الله الجلد سماء ، وكان مساء ، وكان صباح يوما ثانيا .

« وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء الى مكان واحد ، ولتظهر اليابسة ، وكان كذلك .

« ودعا الله اليابسة ارضا ومجتمع المياه دعاه بحارا .

« ورأى الله ذلك انه حسن » .

وبنى القديس اوغسطين تصوره للدنيا على ما ورد في الكتاب المقدس : فالسماء محاطة بالماء ، والارض مفرطحة . وهناك ماء فوق السماء ، وما تحت الارض .

والراهب كسماس

وجاء بعد القديس اوغسطين الراهب كسماس ، وكتب كتبا اثنى عشر عنوانها : الرد على القوم الذين ، رغم ادعائهم المسيحية ، يؤمنون بما يؤمن الوثنيون ، من ان السماوات مكورة . وفي الكتاب الاول يذكر هذا الراهب ان الدنيا جزيرة مفرطحة في اوسط الدنيا ، يحوطها الماء ، من كل جهاتها . وعلى بعد منها توجد جزيرة اخرى هي الجنة . وهو يذكر ان العالم له شكل الاسطوانة اذا تنصفت * .

والظاهر ان الكنيسة الشرقية كانت احفظ لما خلف اليونان من الكنيسة الغربية .

الارض في العصر الاسلامي الاول

لقد سكت القرآن عن الارض ، ما شكلها ، وعن السماء ما يدور بها وكم يدور . لم يأت فيه من هذا الأمر شيء صريح ، ولا هو ناقض كروية الارض وقد شاورت في هذا الرأي علماء اجلاء ، فأقروني على ما قلت . ذلك على الرغم مما امتلأ به الكتاب الكريم من الحث على النظر في السماء واستجلاء اجرامها .

ثم جاء عصر الترجمة ، لا سيما في العصر العباسي ، فترجم العلم الاغريقي الى العربية ، وكان هذا بدء النهضة العلمية ، لا العلمية العربية فحسب . فالنهضة العلمية الاوروبية انما بدأت حين انتقل ما ترجم العرب عن الاغريق ، وما استحدثوه انفسهم ، الى اوروبا ، لا سيما عن طريق الاندلس .

والذي ترجم ، وانتهى امره الى اوروبا من مؤلفات الاغريق ، ضاعت اصوله الاغريقية التي نقل عنها العرب . فلم يكن بد من الترجمة عن العربية الى اللغات الاوروبية .

والحديث عن الفلك العربي ، في العصر العباسي ، والذي بعده ، حديث شهير . ولكن وقف فيه العرب حيث وقف

* رأي القديس اوغسطين والراهب كسماس منقول عن كتاب للدكتور Jean Charon العالم الفيزيائي في مؤسسة البحوث الذرية بفرنسا Cosmology



الأرض وقد صورها رجال الفضاء وهم فوق سطح القمر فكانت كرة يراها واضحة ضعيف البصر والبصيرة.

الأعرق من حيث كروية الأرض وأنها مركز أبدنا .

وأذكر أني قرأت للبيروني مسألة . هل الأرض ثابتة ، والسماء تدور بنجومها حولها ، أم أن الأرض هي التي تدور ، والسماء ونجومها ثوابت ؟ .

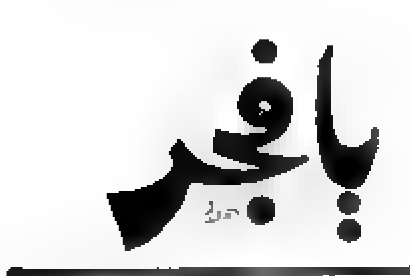
وأذكر أن البيروني قال : إنهما فرضان متشابهان ، والحركة هنا شيء نسبي .

فإن كان هناك جرمان في الفضاء ، يدور أحدهما حول الآخر ، لم نستطع أن نقول من يدور حول من ..

ولو أنه زاد فقال : إن الأصغر يدور ، والأكثر يسكن . وإن هذا فرض من البساطة التي نفرضها أنظم ، لكان أقرب إلى الصواب .

●●

أحمد زكي





بقلم : الدكتور محمد عبده غانم

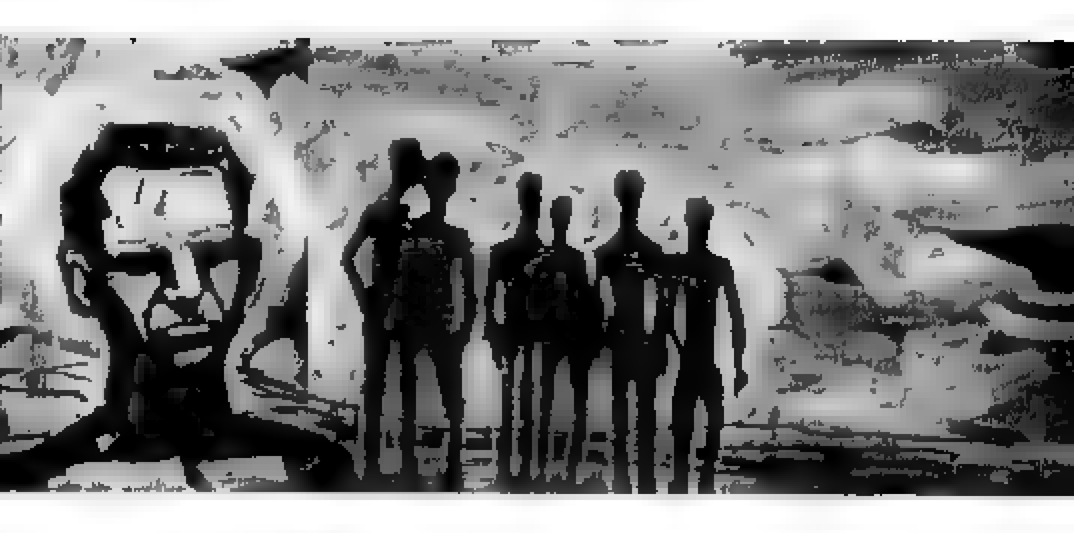
■ أشقاءٌ ولكنْ في شقاقٍ	وأحبابٌ ولكنْ لا تلاقي
متى يلتامُ صدعٌ كاد يقضي	على آمالنا الغُرِّ العتاقِ
ويسلبُنا جنى زرعٍ سقتْه	سيولُ نضالِنا بدمٍ دِهاقِ
إلى أن أينعت منه ثمارٌ	تكاد تذوبُ شوقاً للمذاقِ
فلا تستطيع مدَّ يدٍ إليها	كأنّ الغُصنَ في السبعِ الطِّباقِ

★ ★ ★

لكمْ يافجرُ تُرهقنا الليالي	ونحن من التلهّف في احتراقِ
كطفلٍ في القِماطِ فما يُلاقي	سبيلاً للثُّدِيِّ من الوثاقِ
فكيف نُلام إنْ سالت مآقٍ	بدمعِ أسىً تحدّرَ في انطلاقِ
وكيف نُلام إن ضاقتْ صدورٌ	بهمٍّ كم يشدُّ على الخِناقِ
أيجْني اللومَ شادٍ قد تغنّى	بما في النفس من ألمِ الفراقِ

★ ★ ★

متى يافجرُ ينحسر عن حمانا	ظلامٌ بات ممدودَ الرُّواقِ
تُرى تستكثر الحُقَبُ علينا	ونحن نكاد نَضنى في السِّباقِ
فكم سالتْ لحبك من نفوسٍ	كرامٍ لا تهون على الرفاقِ
وكم ولّى لأجلك من شبابٍ	بشاشتُه على قدمٍ وساقِ



وكم طفلٍ رأى فيها أباه ... يُساق إلى الرَّدى شرَّ المساقِ
وكم روحٍ غدَتْ من غير نعلٍ ... فليس لها من الأحداثِ واقي

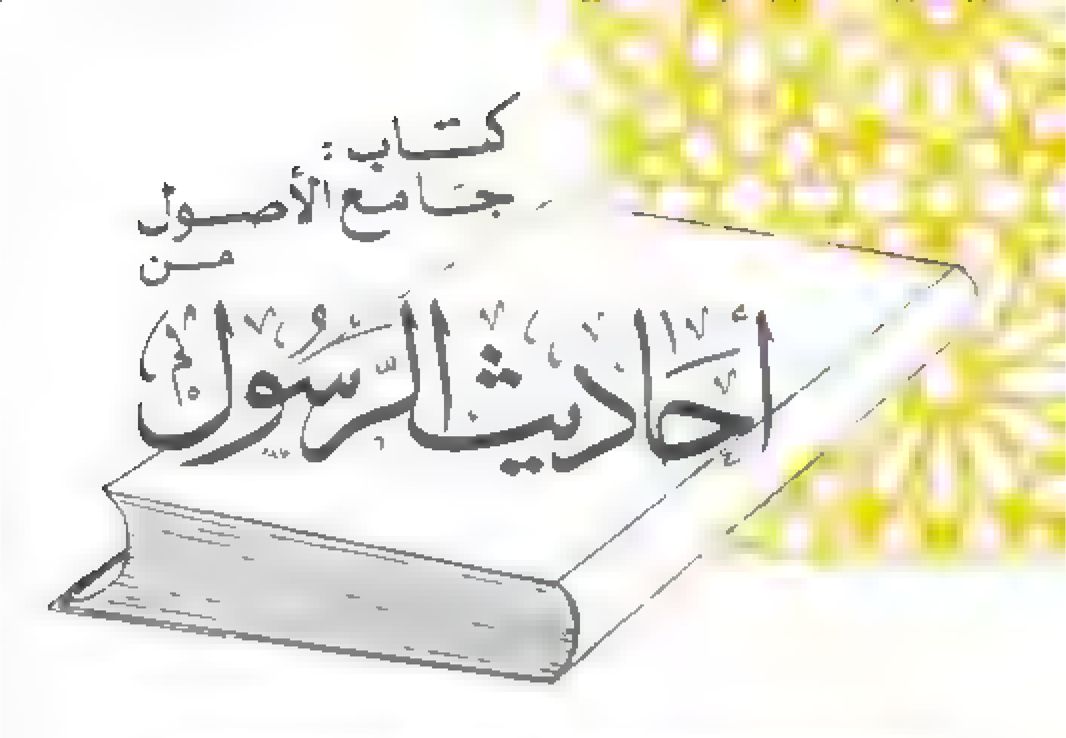
* * *

متى يافجرُ تطلعُ في رُبانا ... فقد عزَّ اللقاءُ على الملاقي
أتبقى خلفَ أفقكَ لاتبالي ... ونحن نذوب من حرِّ اشتياقِ
أتُطمِعُنا وتُخلِفُ كأننا ... نُطيقُ الصبرَ في ليلِ المحاقِ
فهلاّ جئتنا والشعبُ فينا ... قويٌّ في اندفاعٍ واندفاقِ
فما يُغني الوفاقُ إذا تعدّت ... قوى الأحبابِ في نكدِ الشقاقِ
لكم أشفقتُ من عنتِ الصبايا ... شبيهٍ ليس يُجدي في العناقِ
إذا مدَّت إليه يداً فتاةٌ ... رأى في المدِّ شدّاً لارتباقِ
فلا يلقى بها إلا عداءً ... وإن كانت من الحورِ الرقاقِ

* * *

ستبقى أعيناً يافجر ترنو ... وترقب خيطَ نورك في انبثاقِ
فلم تفقدْ رجاءً بعدُ فينا ... يُحدّثنا بأن الخير باقي
وأن الشرَّ دونَه عن زوالٍ ... وإنْ نعتتْ به العقلُ الراقي
وإنْ كثرتْ لصولته الضحايا ... وإن سالتْ بمذبحها السواقي
ستبقى ترقب الآفاقَ حتى ... يلوحَ سناكَ أو تفنى المآقي ■

محمد عبده غانم



■ [illegible] ١٤٧ [illegible]
[illegible]
الدعوة لوضع كتاب جامع للأحاديث النبوية جمعاً وترتيباً دقيقاً .
[illegible]
التسعة التي أشار إليها في مقاله المذكور .

وهذه الدعوة المخلصة الصادقة ، تستحق كل عناية من جانب العرب والمسلمين ، حكومات وهيئات ومجامع علمية ، وبالأخص أننا اليوم أصبحنا ولدينا المال اللازم لمثل هذه المشاريع ، كما أننا لا ينقصنا الخبرة والمعرفة والدراية الواسعة من جانب علمائنا والمتخصصين منهم على وجه الخصوص .

والذي نريد أن نوضحه في هذا المقال ، هو مدى الدور الكبير الذي قدمه لنا علماء الحديث من سلفنا الصالح في جمع الحديث من كتب السنة الصحيحة ، وترتيب ذلك في مؤلف واحد ، ليتيسر على الباحث العثور على أي حديث يريد الوصول إلى معرفة طرقه ، وقوته وضعفه .

ونحن لا نجازف ونزعم أن علماء الحديث قد أهملوا هذه الناحية الهامة ، أو أنهم فرغوا منها وأوفوها حقها ، فهذا أمر لا نقوله ، ولعل العذر للسابقين ، قلة الإمكانيات لديهم في ذلك الزمان ، فلم تكن للطباعة وجود ، كما أنهم لم يستعملوا الأرقام في كتبهم ، ولكنهم رغم ذلك كله قد وضعوا مؤلفات تيسر أو تقرب على الباحث العثور على ما يريد من الأحاديث ورواياتها المختلفة .

عناية العلماء بعلم الحديث من الوجهة العامة

وقد قام علماء الحديث بجهود كبيرة ، وبحوث

للامام الحافظ مجد الدين بن الأثير

بقلم
حسين محمد علي الصافي

مستفيضة ، ودراسات نافعة ، ومؤلفات ضخمة ، لعلم الحديث ، كانت – على وجه العموم – الأساس لكل الجهود التي قام بها المشرفون ، وستقدم العون للمشروع الذي دعا اليه الاستاذ (فراج) ، بل ستكون المرجع الذي يمكن الاستعانة به ، والاعتماد عليه ، لا سيما اذا عرفنا ان علماء الحديث قد بلغوا الذروة من العلم والمعرفة بالحديث وطرقه ، مع دقة التحري والتمحيص ، وانهم قد ذهبوا في الامور الى ابعد مما نتصوره ، ويكفي ان نذكر انهم توسعوا في علم الحديث ، ونوعوه الى علوم كثيرة ، وفرعوه الى فنون متنوعة ، واصبحت مؤلفاتهم في هذه العلوم اكثر من ان تحصى ، ويكفي ان نشير الى ان كل فرع من فروع علم الحديث قد كتب فيه الآلاف العديدة وكل مؤلف منها في اجزاء ضخمة ، والدليل على ذلك نذكر ان الامام عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي الف في « الجرح والتعديل » – وهو فرع من فروع الحديث – كتابا في ستة اجزاء (مجلدات) ، هذا عدا غيره من العلماء الذين الفوا في هذا الفرع ، وهكذا في سائر فروع الحديث .

كتاب جامع للاحاديث النبوية

ونعود الآن الى الموضوع المقصود بالذات من هذا المقال وهو جمع الاحاديث النبوية في كتاب واحد .

وقد سبقت محاولات في ذلك كان من اجلّها – فيما نعلم – كتاب (جامع الاصول من احاديث الرسول) للامام الحافظ مجد الدين ابن الاثير المتوفى عام ٦٠٦ هـ ولا اعلم ان كان هذا الكتاب قد طبع ام لا ، ويوجد منه نسخة خطية في مكتبتي الخاصة كتبت عام ٩٦٧ هـ .

جامع الاصول

وقد جمع ابن الاثير – في كتابه المذكور – كتب الحديث الستة ، المروية (بامهات كتب الحديث الست) وهي (١) صحيح البخاري (٢) صحيح مسلم (٣) سنن ابي داود (٤) جامع الترمذي (٥) سنن النسائي (٦) موطأ مالك .

وفي الصدد – ونحن بصدد جمع كتب الحديث – ان نذكر ان ابن الاثير ذكر في كتابه ، انه اعتمد على كتابين – في جمع الحديث – وهما (كتاب الجمع بين الصحيحين) للامام الحُميدي (وكتاب التجريد في الجمع بين الصحاح) لرزين بن معاوية الاندلسي المتوفى عام ٥٢٠ هـ وقد جمع رزين هذه الكتب الستة للحديث الآنفة الذكر .

وقع كتاب (جامع الاصول) في خمسة اجزاء كبيرة (مجلدات) وقد قسمه المؤلف الى ثلاثة اقسام ، سماها « اركانا » ، والقسم الاول (او الركن الاول) في المبادئ . والقسم الثاني « او الركن الثاني » في المقاصد . والقسم الثالث « او الركن الثالث » في الخواتم .

وسنعرض فيما يلي الاقسام الثلاثة بايجاز لان العرض الوافي لا يتسع له المقام .

القسم الاول

يتضمن القسم الاول (او الركن الاول) المبادئ وهي تنقسم الى خمسة ابواب .

وهي اشبه بمقدمات مهد بها الدخول الى الكتاب

وذكر في (الاول) الباعث على عمل الكتاب ، وبيّن فيها جمع الحديث وتاليفه ، وانتشاره ، واختلاف اغراض العلماء المتقدمين في تصنيف كتب الحديث ، واقتداء المتأخرين بالسابقين ، واختصاراتهم لكتبهم وتاليفها ، ثم بيّن الغرض من جمع كتابه .

ثم ذكر في (الباب الثاني) كيفية وضع الكتاب ،



وما يتصل بها من الاسانيد والمتون ، والابواب ، والفصول الى آخر ذلك .

ثم ذكر في (الباب الثالث) بيان اصول الحديث واحكامها وما يتعلق بها من طرق نقل الحديث وروايته الى آخر ما هنالك . ثم ذكر « الجرح والتعديل » وما يتصل به من فروع . ثم ذكر « النسخ » وحده ، واركانه وشرائطه ، واحكامه . ثم بيان اقسام الصحيح من الحديث الخ . . .

ثم ذكر في (الباب الرابع) الائمة الستة اصحاب كتب الحديث التي جمعها في كتابه وهم مالك ، والبخاري ، ومسلم ، وابو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وترجم لكل منهم .

ثم ذكر في « الباب الخامس » اسانيد الكتب المودعة في كتابه .

القسم الثاني

اما القسم الثاني (او الركن الثاني) فهو المقاصد ، وهو اهم اقسام الكتاب ، ويضم اكثر اجزائه . ويتضمن هذا القسم نقل نص متون جميع الاحاديث الواردة في كتب الحديث الستة المشار اليها ، مشيرا عقب كل حديث الى مَنْ رواه منهم ، واذا كان هناك اختلاف في الرواية بيّن ذلك الاختلاف ، واورد نص الروايات المختلفة ، ولتيسير البحث وتقريبه رتب موضوع الاحاديث على حروف المعجم ، الا انه من المعروف ان الاحاديث كلها تدور حول مواضيع معروفة ومقاصد واغراض معينة ، مثل « الصلاة » و « الزكاة » و « الصوم » و « الجهاد » و « الايمان » و « الاسلام » و « الخلافة » الى غير ذلك من المواضيع ، وكتب الحديث تسمي كل « موضوع » باسم « كتاب » فهم يقولون « كتاب الصلاة » و « كتاب الزكاة » و « كتاب الصوم » و « كتاب الجهاد » الخ وهذه الكتب قد تشتمل على ابواب وفصول قد تتجاوز العشرات الى المئات ، وقد تقل عن ذلك تبعا للموضوع .

فالمؤلف وضع كل « موضوع » في الحرف الذي يبتدئ به ، ولنضرب مثلا « حرف الخاء » خصص له خمسة كتب ، هي : كتاب (الخلق) وكتاب (الخوف) وكتاب (خلق العالم) وكتاب (الخلافة والامارة) وكتاب (الخلع) .

وبعد ان يورد الاحاديث التي تختص بهذه الكتب ، ويورد مَنْ رواها من اصحاب الكتب الستة ، ويبين اختلاف الروايات عندهم ، ويورد نصها . بعد هذا كله يوضح ان هناك مواضيع وابوابا اخرى في حرف « الخاء » ولم ترد في حرف الخاء (وقد رايت انه لم يخصص للخاء الا خمسة كتب) — فيقول (الخيار) في كتاب البيع من حرف الباء (الخمس) في كتاب الجهاد من حرف الجيم ، (الخمر) في كتاب الحدود من حرف الحاء ، وكتاب الشراب من حرف الشين (الخاتم) في كتاب الزينة من حرف الزاي (الخضاب) في كتاب الزينة من حرف الزاي (الخلوق) في كتاب الزينة من حرف الزاي . (الختان) في كتاب الزينة من حرف الزاي (الخيل) في كتاب السبق والرمي من حرف السين . (الخلوة بالنساء) في كتاب الصحبة من حرف الصاد . (الخوارج) في كتاب الفتن من حرف الفاء .

ثم يأتي (بشرح غريب حرف الخاء) .

ويشرح غريب الالفاظ التي وردت في الاحاديث في الكتب الخمسة التي خصصها لحرف الخاء .

وينبغي ان نذكر ونحن بصدد شرح غريب الحديث ، ان لابن الاثير كتابا يسمى (النهاية في غريب الحديث) وان ابن منظور صاحب المعجم الكبير (لسان العرب) جمع كتابه المذكور من خمسة كتب ، احدها كتاب (النهاية) لابن الاثير ، ومن هنا نعلم ان ابن الاثير كان ايضا من ائمة اللغة ، كما هو من ائمة الحديث .

والآن وقد اوضحنا طريقة المؤلف بهذه الامثلة من حرف الخاء ، فقس على ذلك جميع الحروف من « الهمزة » الى « الياء » فهو يخصص لكل حرف كتبا ، ويسرد بعد كل كتاب الاحاديث الواردة في ذلك الموضوع مع ذكر اختلاف رواياتها ، ثم يتبع ذلك بالابواب والمواضيع التي كان ينبغي ان ترد في ذلك الحرف ولم ترد فيه ، ويحيلك الى مواضعها في الحروف الاخرى ثم يتبع ذلك بشرح غريب ذلك الحرف ، حتى تنتهي جميع حروف المعجم ، مع العلم ان بعض الحروف كحرف « الصاد » مثلا قد شمل ما يقرب من جزء كامل من اجزاء (جامع الاصول) لانه يحتوي على مواضيع مثل (كتاب الصلاة) و (كتاب الصوم) وما يتفرع منهما من ابواب وفصول كثيرة .

القسم الثالث

أما القسم الثالث من الكتاب (أو الركن الثالث) فهي الخواتم .

ويضم الجزء (المجلد) الخامس كله من الكتاب، ويشتمل على ثلاثة (فنون) كما سماها .

(فالفن الأول) في ذكر الأحاديث المجهولة المواضع وقد قال المؤلف في تعريف ذلك « إنه قد يعرض للانسان في بعض الأحاديث اشتباه فيشذ عنه موضعها من الكتاب ، وقد أشرنا في - مقدمة الكتاب - الى أننا استخرجنا من تلك الأحاديث - التي ربما اشتبه موضعها - كلمات هي أشهر ما فيها ، كأن الحديث يعرف بها ، فإنه لا يخلو الانسان أن يعرف من ذلك الحديث كلمة يستدل بها ، وقد أثبتنا تلك الكلمات في هذا الكتاب على ما سبق على الهوامش منسقة على حروف المعجم ، وأشرنا في مقابلها الى الموضع الذي قد جاء ذلك الحديث فيه ، فإذا احتجت الى حديث يشتبه عليك مكانه ، فاطلب الكلمة التي تستدل بها عليه في حرفها واقرأ ما بإزائها ، واطلبه منه تجده مبادراً بعون الله » .

ثم وضع فهرسة الأحاديث المجهولة مرتباً على حروف المعجم .

(وأما الفن الثاني) ففي الأسماء ، والكنى ، والأبناء ، والألقاب والأنساب ، وفيه كما يقول المؤلف « ذكر الصحابة ، ذكرهم وأتباعهم ، ومن بعدهم من التابعين وغيرهم ، ممن له ذكر أو رواية في الكتاب ، وذكر من ورد اسمه في الكتاب من جاهلي أو قديم ، أو اسم قبيلة ، أو كنية ، أو لقب ، أو نسب مرتباً على حروف المعجم . وقد قسمنا كل حرف من الحروف الى فصول اقتضاها ما ورد فيه من الأسماء ، (فالفصل الأول) منها في الأسماء ، وفيه قسمان ، القسم الأول في الرجال ، والقسم الثاني في النساء وكل قسم منها أو أحدها ينقسم الى فرعين أو ثلاثة فروع (الأول) في أسماء الصحابة (والنوع الثاني) في أسماء التابعين ومَنْ بعدهم ، (والفرع الثالث) في أسماء الجماعة غير مَنْ ورد في الفرعين المتقدمين ، من جاهلي أو قديم أو غيره ، وربما جاء في أحد الحروف من النساء واحدة أو اثنتان فنضيفها الى أسماء الرجال ولا نفرد لها فصلاً » .

(والفصل الثاني) من الحروف يشتمل على الكنى ، فإن كان ينقسم الى ما انقسم اليه الفصل الأول قسمناه ، وإلا سردناه فصلاً واحداً .

(والفصل الثالث) يشتمل على الأبناء ، ويجري حكمه مجرى فصل الكنى .

(والفصل الرابع) يشتمل على الألقاب ، إن كان في الحرف ألقاب ، وهو قليل ، وربما جاء من الألقاب ، اللقب الواحد أو الاثنان ، فأضفناه الى فصل الكنى ، لأنه أشبه به .

(والفصل الخامس) يشتمل على الأنساب ، إما الى قبيلة ، أو بلد ، أو صنعة أو الى غير ذلك . وقد التزمنا في ترتيب الأسماء والكنى والألقاب والأنساب تقديم الحرف الأول من ترتيب حروف المعجم ، ووضعها بعد الابتداء بالحرف الأول الذي هو أول الكلمة ، ثم نلتزم ذلك في الحرف الثاني والثالث إن أمكن ، فإن استوت الأسماء اعتمدنا ذلك في الآباء ، فإن استووا التزمناه في الأجداد ، ولا نعتبر بمن تقدم زمانه أو تأخر ، ولا نقدم المفضول على الأفضل ، بل نقف مع الحروف ... وكذلك فعلنا في الكنى والأبناء ، فالتزمنا الاسم الذي أضيف اليه الأب والابن كما تراه مفصلاً مرتباً إن شاء الله) .

وعلى هذا النحو يسوق الأسماء والكنى والأبناء والألقاب ، والأنساب ويذكر عقب كل اسم لبذة وافية تبين كلما يتصل بهذا الاسم .

(وأما الفن الثالث) ففي فهارس الكتاب ، ويتضح من هذه الفهارس أن الكتاب قد اشتمل على : مائة واثنين وثلاثين كتاباً ، ومائة وواحد وثلاثين باباً وخمسمائة وثلاثة عشر فصلاً ، ومائتين وواحد وتسعين فرعاً .

الخلاصة

وبعد ، فهذه بعض الجهود ، التي قدمها بعض سلفنا الصالح ، في سبيل جمع الحديث النبوي وترتيبه وتبويبه ، والتي نرجو أن تكون المرجع والأساس للمشروع الذي دعا اليه الأستاذ (عبد الستار فراج) .

وهذا ما أردنا عرضه ، مع قصورنا وقلة بضاعتنا في هذا المضمار ، فضلاً عن بُعد بلادنا عن المطبوعات ، وعن دور الكتب الكبرى المخطوطات ، ولكنها ملاحظات ذكرناها لعل فيها تذكرة نافعة والله الموفق . ■

حسين محمد علي الصائق
الجمهورية العربية اليمنية



بقلم : عبد الله زكريا الانصاري

رئيس رابطة الادباء الكويتي

● ان اهم ميزة تميز الانسان عن غيره من المخلوقات هي العقل، والعقل هو الميزان الصحيح الذي يزن به الانسان الناجح ، ولن يكون انسانا ناجحا في هذه الحياة دون ان يكون العقل مسيطرا على تصرفاته ، وتصرفات الانسان التي لا يحكم فيها العقل ، تؤدي به الى الفشل الذريع ، ذلك ان العقل ينظر الى واقع الامور مجردا من الانفعالات العصبية التي كثيرا ما تؤدي الى الخطأ ، والعقل كما يقول اصحاب اللغة انما هو التثبت في الامور، والتثبت في الامور هو التفكير فيها تفكيرا عميقا قبل الاقدام عليها ، ولقد سمي العقل عقلا لانه يعقل صاحبه من التورط في المهالك ، اي ان العقل يمسك صاحبه ويحبسه عن اي تورط يدفعه الى الهلاك ، ولما كان معنى العقل ، هو الفهم والادراك ، فانما فائدته بحبس صاحبه ومسكه عن التصرف في اي امر من الامور الا بعد ان يدرس هذا الامر ويفهمه فهما كاملا على حقيقته ، فاذا فهم هذا الامر وادركه بعقله اقدم عليه اقداما دون خوف او وجل ، مطمئن البال ، مرتاح الخاطر ، هادىء النفس ، ويقول المتنبي

الرأى قبل شجاعة الشجعان
هو اول وهي المحل الثاني

اي ان الرأى النابع من العقل هو في الدرجة الاولى عند الانسان العاقل ، اما الشجاعة فتجيء بالمرتبة الثانية بعد العقل ، وما هي فائدة الشجاعة اذا استطاعت ان تتحكم في العقل عند اي انسان ؟ ان مثل هذه الشجاعة تقود صاحبها حتما الى الهلاك ، اما الرأي فهو الذي يمسك بصاحبه عن اي تورط يقوده الى الهلاك ، واذا كان العرب الاوائل يفسرون كلمة العقل بحبس النفس وردها عن هواها ، وان تفسيرهم هذا استمدوه من عقل البعير بجميع قوائمه ، ادركنا قيمة العقل عندهم ، ووضعه بالدرجة الاولى في امورهم ، وعقل البعير بجميع قوائمه ، كعقل اللسان وحبسه ، كلاهما يؤدي الى المعنى المقصود ، اذ ان عقل البعير اي بجميع قوائمه مربطها ، يمسك به عن الانطلاق على غير هدى ، والانطلاق على غير هدى يؤدي الى الضياع ، وفي ذلك خسارة لا شك فيها ، وعقل اللسان اي حبسه ، يمسك به ايضا عن الانطلاق في كلام غير محمود ان لم يكن هذا الكلام صادرا بعد تفكير وان لم يكن موزونا بميزان العقل ، والكلام غير المحمود يؤدي بصاحبه الى الزلل الذي قد ينتج عنه الضياع والهلاك .

العاطفة .. مزاياها وعيوبها

وبجانب العقل هناك العاطفة ، والعاطفة بقدر ما تشتمل على المزايا الطيبة ، تشتمل على العيوب ايضا ، والعاطفة كثيرا ما طغت على العقل ، اي



انها كثيرا ما تخرج من نطاق العقل، وتدفع بصاحبها الى التصرف والاندفاع، بعيدا عن الروية والتفكير، والروية والتفكير من نتاج العقل طبعا، اما العاطفة فان الروية والتفكير لا يستطيعان التحكم فيها او حتى التأثير عليها في كثير من الحالات، الامر الذي قد يدفع بصاحبها الى الهلاك والدمار، واذا كان للعاطفة مزايا جميلة حسنة، فان لها مضار ومساوىء في كثير من الاحيان، واجمل تعريف للعاطفة هو ذلك التعريف الذي جاء في المعجم الوسيط من انها اي العاطفة «هي استعداد نفسي ينزع بصاحبه الى الشعور بانفعالات معينة، والقيام بسلوك خاص حيال فكرة او شيء». لكن نرى كيف يكون هذا النزوع النفسي مصحوبا بانفعالات معينة، وكيف يتم هذا السلوك الخاص حيال فكرة او شيء، اذا كان سلوكا صادرا بمشاعر وانفعالات نفسية معينة؟ لا شك ان هذا السلوك وهذا النزوع قد يدفعان بصاحبهما الى امر نافع مفيد، وقد يدفعانه ايضا الى امر ضار غير نافع يؤدي به الى الهلاك. فاذا كان هذا النزوع والسلوك صادرين عن انسان يستعمل عقله وتفكيره في اموره التي يصرفها، فانهما بلا شك يؤديان الى نتيجة حسنة طيبة. اما اذا كانا صادرين عن انسان لم يستعمل عقله وتفكيره في اموره فانهما بلا شك يؤديان الى نتيجة سيئة. وكل انسان في هذه الحياة لديه جانب العقل، والعاطفة، فالعقل والعاطفة في كل انسان، والناس متفاوتون، وموازينهم مختلفة، ونظرتهم الى الامور مختلفة، والعقل والعاطفة يتصارعان فيهما، فلذا تغلب احدهما على الآخر اختلفت موازنته في اموره وفي تصرفاته وانفعالاته النفسية، ودفعته الى سلوك خاص حيال اي فكرة يرتضيها او شيء يحبه، ان خيرا فخير وان شرا فشر.

فاقد العقل، وفاقد العاطفة

ان العقل والعاطفة من طبيعة البشر، ومن مميزات الانسان، والانسان الذي يخلو من العقل، يفقد ميزة الانسان العاقل، ويخرج من عداد الناس العاديين في هذه الحياة، بل يفقد قيمة الحياة نفسها، ويعيش على هامشها بعيدا عن امورها وعن الناس الذين يعيشون افراحها واتراحها، لانه يكون بفقده العقل فاقدا لكل معاني الحياة، ولكل المقاييس التي يتحكم في تصرفاته حيال نفسه وحيال الناس وحيال الحياة. والانسان الذي يخلو من العاطفة، يخلو من كل ميزة من ميزاتها الخيرة، كحب الخير، وبغض الشر، والعطف على الضعيف، والشفقة على المظلوم الى غير ذلك من الامور التي يرتفع بالانسان عن غيره من المخلوقات الاخرى، والتي تميزه عن الحيوانات الضارية الوحشية، ولا نعتقد ان هناك انسانا يخلو قطعا من العاطفة، قد تقل العاطفة فيه، وتصل الى درجة واطئة، لكنها مهما كلف الامر لا تصل الى درجة الصفر حسب اعتقادنا، فلذا كان معقولا ان يفقد الانسان عقله، فانه من غير المعقول ان يفقد عاطفته، ولا ندري مدى صحة اعتقادنا هذا، وربما راى علماء النفس رأيا غير هذا الراي، لكننا نستمد رأينا مما نشاهده في الانسان وفي الحيوان

ايضا ، فالحيوان لا يفقد عاطفته ، الا ان كثيرا من الحيوانات التي شاهدتها نرى العاطفة لديها قوية ، بل ان بعضها تكون العاطفة لديها عالية ، بالرغم من انها لا تعقل ، ولا تتمتع بالعقل الذي يتمتع فيه الانسان ، واذا صح ما ذهبنا اليه من ان الحيوان لا يفقد العاطفة، فما بالك بالانسان الذي ميزه الله تعالى بالعقل . قد تتقلب موازين العقل وتختل موازين العاطفة لدى الانسان ، فتدفع به اما الى الحكمة واما الى التهور ، فاذا زادت نسبة العقل في الانسان دفعته الى التروي في الامور والحكمة فيها ، واذا زادت نسبة العاطفة فيه ادت به الى التهور والاندفاع الاهوج في حل مشاكله واموره .

موازين العقل والعاطفة

وهذه النسب في العقل وفي العاطفة ليست متساوية بين الناس ، ولهذا تراهم مختلفين في تصرفاتهم ، وفي اعمالهم ، وفي مدى نجاحهم في حياتهم ، وفي درجة فشلهم في امورهم واعمالهم ، واختلاف الناس في عقولهم وفي عواطفهم من مشيئة الله تعالى في خلقه (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين) . فلو تصورنا مثلا ان موازين العقل والعاطفة متساوية بين الناس، وان الناس مثلا متشابهون في كل شيء ، وفي تصرفاتهم وفي اعمالهم ، وفي حركاتهم وسكناتهم ، فماذا تكون النتيجة ؟ نعتقد ان النتيجة ستكون ركودا وجمودا ، والركود والجمود يؤديان الى الفساد والى الموت ، والموت ضد طبيعة الحياة ، ذلك ان مثل هذا التساوي يشل الحافز الى الابداع والتغلب على الآخرين ، والاتيان بكل جديد ، وتركيز العقل والتفكير على التجديد والاختراع ، والوصول الى معرفة اسرار هذا الكون العظيم ، وتلك اهم الحوافز التي تدفع بالانسان الى تعمير هذا الكون ، واستخراج كنوزه ، بل ان عدم التشابه في كل شيء بالانسان من طبيعة الحياة ، وطبيعة الحياة هي التغير والتطور ، والانسان يتغير ويتطور مع تغير الحياة وتطورها ، بل ان الانسان نفسه يغير ويطور الحياة التي يحياها ، والا اصبح جامدا ميتا ضد طبيعة الحياة . ولهذا فاننا نرى المستويات الشاسعة بين الناس ، بعضهم بلغ ارقى مستوى في حياته ، وبعضهم ما زال يتعثر في حضيض الحياة ، بعضهم دفع به الطموح الى الكشف عن اسرار الكواكب الاخرى والبعض الآخر ما زال يبحث عن لقمة عيش يسد بها رمقه ، وبعضهم من الذين اختلت او اختلفت درجات العاطفة لديهم يحرقون محاصيلهم الغذائية حتى لا تؤدي كثرة انتاجها الى هبوط مستوى اسعارها في ميزان التجارة ، وبعضهم يموتون جوعا بالمئات ، بل بالآلاف لعدم استطاعتهم الحصول على ما يقتاتون به ، من غذاء يمسك بهم عن الموت ، والغريب في الامر ان مثل هؤلاء الناس الذين يقاسمون الموت ، ما فتئوا يطعمون بموجات وموجات من البشر ، ويتركونها تصارعه بدون هوادة ، وبدون استعداد يمكنها من التغلب عليه ، ويتركونها في دوامة الحياة القاسية الرهيبة انها العاطفة بلا شك ، العاطفة الراجحة موازينها على موازين العقل .

لكن ترى ما هو مدى استطاعة الانسان التحكم في عقله ، او في عاطفته ؟ وهل يقدر الانسان ان يتحكم في عقله ، وهل يستطيع ان يتحكم في عاطفته؟ لا شك ان الانسان لا يستطيع ان يزيد من درجات عقله ، ولا يقدر ايضا ان يقلل او ينقص من درجات عاطفته التي خلقها الله تعالى في كيانه ، لكنه يستطيع ان يستعمل عقله ويتحكم به ويفكر تفكيرا عميقا قبل ان يقدم على امر من الامور ، لا سيما اذا كان هذا الامر خطيرا ، او يؤدي الى عواقب وخيمة في حالة فشله ، كما انه يقدر على ان يكبح جماح عاطفته ، ويروضها حسبما تمليه مصلحته ومصلحة مجتمعه ، اذا كانت عاطفته ستدفع به الى الهلاك ، وكثيرا ما دفعت العاطفة الى الهلاك . ان الانسان العاقل هو الذي يروض نفسه ويطوعها على تقبل الحياة مرها وحلوها ، وهو الذي يستطيع ان يتحكم في عواطفه ، ويخضعها لارادته، ولا يتركها تفلت على غير هدى، بل انه الذي يستطيع ان يستفيد من ميزات العقل الذي وهبه الله تعالى .

تباين وتضارب

اننا عندما نتكلم عن العقل وعن العاطفة ، كأننا نتكلم عنهما ونحن نشعر بالالم والاسى من جراء ما نسمع وما نرى هنا وهناك حولنا ، من عواطف منطلقة ، ومشاعر متدفقة بدون اتجاه محدد بالعقل والحكمة . عواطف متنافسة متضاربة ،

ومشاعر مختلفة متضاربة ، وكلها تلعب عبثاً ، في فيض الرياح ، بل لعلها تترك آثارا سيئة على النشء وعلى الجيل الذي يتطلع الى وضعه المضطرب ، وينظر الى هذه السهام الطائشة التي تئز ازيزا في امته ، ويفتقد القدوة التي تدفع به الى معترك الحياة موحد الرأي ، صافي الذهن ، واضح الهدف ، عارفا الغاية التي يتطلع اليها ، والمبدأ الذي يعمل له ، والنتيجة التي يصل اليها . ان العاطفة والعقل اللذين نشاهدهما في عالمنا العربي غير متوازنين ، وعالمنا العربي عالم واحد ، لكن الانسان العربي الذي يعيش في هذا العالم العربي ، مضطرب الفكر والرأي ، مهتز العاطفة والشعور ، من كثرة ما يرى التراشق حوله ، والتشكيك في وحدته وفي تراثه وفي حضارته وفي عروبته ، والسبب هو اختلال موازين العقل وموازين العاطفة لدى المتحكمين في مقدراته ، والقابضين على ازمته ، والمسيطرين على اموره ، وفي هذا الجو المضطرب المحموم الذي يعيش فيه ، هناك بعض الفئات التي شمرت عن ساعد الجد ، لتطوي هذه الصفحة ، وتدخل فيها مع الداخلين ، وتنشر فيها شباكها ، علها ترجع منها بحصيلة .

ان الفرد العربي يكاد يتوه ويضيع في هذه الفلسفات والمبادىء المتنزلة عليه ، وكلها تضرب في اتجاه غير اتجاه الاخرى ، فالفلسفة الواحدة تتفكك وتتوزع الى عدة تفسيرات والى عدد من الفلسفات ، والمفسرون المدعون فهمها يتخبطون في تفسيرها ، عن قصد او عن غير قصد ، والايدي الخفية تندس بين هؤلاء واولئك ، عن طريق مباشر ، او غير مباشر لتساعد على تشتيت الفكر العربي وتمزيقه ، وكلما هبت رياح الوحدة التي تريد ان تجمع هذه التيارات المتعاكسة المتضاربة في اتجاه واحد ، هبت رياح اخرى معاكسة تتحكم فيها العاطفة ، وتتشنج المشاعر ، ويضيع العقل ، وفي نفس الوقت يروح العدو يعمل عمله بعيدا عن العواطف ، ويستعمل عقله لاشعال نار الفتنة بين ابناء الامة الواحدة ، بواسطة الحرب النفسية طورا ، وتارة بواسطة مريديه واتباعه . يشن الحرب النفسية بواسطة الاجهزة التي يسيطر عليها في الخارج ، بل وفي الداخل ايضا ، وبواسطة مريديه واتباعه الذين ينقلون ما يملى عليهم بكرة واصيلا .

الافادة من التجارب

العجيب حقا ان تمر علينا كثير من الدروس القاسية ، والعبر البليغة المرة ، التي تمثلت في الهزائم والنكسات ، ولم نستطع ان نستفيد منها في التحكم بعقولنا وعواطفنا بل ما زلنا نسمع التصريحات التي تدعو الى الرثاء ، والخطب التي تثير السخرية ، والادعاء الذي يخلو من العقل والمنطق ، والتعليقات التي لا نجد فيها الا العواطف المشبوبة الهوجاء ، والحماس الذي لا يثير الا السخرية ، فالذين يدعون الوحدة ، ويعلقون على رؤوسهم شعاراتها ، تتشنج اعصابهم حينما يشعرون برياحها تهب عليهم ، والذين ينادون بالحرية نراهم يبطشون بها ويمثلون بجثتها تمثيلا يعصمهم خزية واستحياء ، ويعصمهم هلعا بكل صلف وكبرياء . والذين يتبجحون بالعدالة الاجتماعية ، يتناولون العدالة ، ويشوهون سمعتها بتصرفاتهم ، وبالترف الذين يعيشون فيه ، في بطونهم وفوق ظهورهم . اما الذين يبكون على الديمقراطية ، وعلى العدالة ، فهم اول من اساؤوا الى الديمقراطية ، واول من ظلموا العدالة . والذين ظلموا ولعزلت احتلالهم على اولئك الذين لاقوا مصيرهم العادل من جراء ما ارتكبوه من جرائم ، ومن محاربة للخط العربي الوحدوي السليم ، ما زالوا يخشون محاكمة الوحدويين امام الجمهور العربي ، وما زالوا يخجلون من التحدث بصدق وصراحة عن الرجال الشرفاء الذين امدوهم بالعون المادي والمعنوي ، وضحوا في سبيل دفعهم بكل شيء الى الصفوف الاولى لخوض معركة المصير العربي ، فاذا بهم يتراجعون ويخادعون الشعب العربي الذي يعرفهم ويعرف كل شيء عنهم .

ان العقل العربي مدعو الى الحضور بعد الغيبة الطويلة ، والعاطفة العربية مدعوة الى الاتزان بعد الانفلات الطائش الذي سارت وما تزال تسير فيه ، ان العقل العربي عليه ان يعود الى الرؤوس قبل ان تفرغ ، والعاطفة العربية عليها ان تهدأ وتستهين قبل ان تضيع الامة ، وقبل ان يستفحل الداء ويعز الدواء ، وقبل ان نضيع في هذه المتاهات التي خلقها لنا الاعداء ، ويرحنا نحمل راياتهم السوداء من بعدهم . ■■

عبد الله زكريا الانصاري

أضواء جديدة على ... جبران

من خلال رسائله إلى ... حتى قضى نحبه

بقلم : توفيق صايغ

عرض : الدكتور محمود السمره

● [illegible] عن الاديب والشاعر المهجري المعروف ، في انه [illegible] يمكن الاعتماد عليها عند دراسة جبران . وهذا الكتاب يضعف كثيرا من اخبار جبران التي اعتبرها [illegible] ١٩٦٦ [illegible] الدار الشرقية للطباعة والنشر بيروت .

وقصة هذا الكتاب ان المرحوم الاستاذ توفيق صايغ قرأ في احدى صحف الادب الامريكية الاسبوعية « ان عددا من الرسائل المتبادلة بين جبران وسيدة امريكية موجودة الآن لدى مكتبة جامعة من الجامعات في امريكا . » ، ثم هداه البحث الى ان الرسائل موجودة في مكتبة جامعة نورث كارولينا ، وانها موجهة الى مارى هاسكل. وكل من اطلع على حياة جبران يعرف ان هذه السيدة الامريكية ، التي عرفت جبران في بوسطن منذ عامه الحادي والعشرين ، هي التي رعته ، وامدته بالعون المالي ، حين كان في امس الحاجة الى العون : فقد خصصت له ٧٥ دولارا مساعدة شهرية منها له ، لم تقطعها عنه ، وهي التي ارسلته على نفقتها الى باريس ليدرس الفن ، وهي التي طلب اليها ان يتزوجه فرفضت لايمانها بانه سيكون زواجا فاشلا . وقد بقيت هذه



السيدة صديقته الأثيرة الى يوم وفاته . ومن هنا كان لهذه الرسائل قيمة كبيرة عند المعنيين بدراسة جبران .

وتضم الرسائل الموجودة في مكتبة جامعة نورث كارولينا ٣٢٥ رسالة من جبران الى ماري هاسكل ، وزهاء ٣٠٠ رسالة من ماري هاسكل الى جبران ، كتبت بين عامي ١٩٠٨ و ١٩٣١ . وآخر رسالة فيها هي رسالة من ماري كتبتها اليه قبل وفاته بأربعة أيام .

وقد قرأ الأستاذ بوشي هذه الرسائل ، ثم نقل مقتطفات منها ، وضمها الى بعضها بعضا في ثلاثة فصول هي : جبران وماري ، جبران والوطنية والسياسة ، جبران : حياته الثقافية . وفي الكتاب صور لبعض رسوم جبران . وقبل أن

نعرض لنا في هذه الفصول ، أود أن أشير الى المعالم البارزة في حياة جبران ، كما وردت في مؤلفات الذين كتبوا عنه ، لنرى بعد مختلف هذه الصورة السابقة عن صورته في هذه الرسائل .

جبران كما عرفناه

وقد اختلف الدارسون في جبران . فهو العبقري الذي قلما يجود الزمان بمثله في كتاب باربارة يونغ « هذا الرجل من لبنان » ، وهو الفاسق المفسد للأخلاق في كتاب « جبران خليل جبران » للأب الياس رفيل ، وكتاب « محاولات في درس جبران » لأمين خالد . ويبقى كتاب ميخائيل نعيمة « جبران خليل جبران » أكثر الكتب التي كتبت عن جبران اتزانا ، وإن اتهمه البعض بأن كثيرا من أخباره من نسج الخيال .

ولد جبران في قرية بشري اللبنانية في ١٨٨٣/١٢/٦ من عائلة فقيرة ، وفي سنة ١٨٩٥ حملت الأم أولادها الأربعة (بطرس وسلطانة ومريانا وجبران) الى بوسطن ليسكنوا في حي الصينيين ، أفقر أحياء المدينة . واشتغل الأخ الأكبر في التجارة ليعول العائلة ، وأدخل جبران في مدرسة هناك . وفي المدرسة لفت موهبته التصويرية معلميه ، وفي خريف عام ١٨٩٨ عاد جبران الى لبنان ليدرس العربية في معهد الحكمة مدة أربع سنوات عاد بعدها الى بوسطن ليرى أن مرض السل حصد أخته سلطانة ، ثم لم يلبث الموت أن أخذ اليه أمه وأخاه الأكبر بعد أن فتك المرض اللعين بهما أيضا . ولم يبق له سوى أخته مريانا ، تشتغل بالإبرة ليل نهار ، وتذيب نور عينيها من أجل أن تنفق عليه ، وهو منصرف الى رسومه وكتاباته . وفي أول معرض لرسومه تعرف الى ماري هاسكل ، وهي صاحبة مدرسة في المدينة ، فأعجبت برسمه إعجابا دفعها لتشجيعه .

وفي عام ١٩٠٥ صدر له أول كتاب وهو « الموسيقى » ، ثم تلاه « عرائس المروج » و « الأرواح المتمردة » وفي سنة ١٩٠٨ سافر الى باريس ليتخصص في فن الرسم على نفقة ماري هاسكل ، ويذكر جبران أنه تتلمذ في باريس على يد الرسام المشهور رودان Rodin ، ولكن معرفة جبران برودان مشكوك فيها . وعاد الى بوسطن . وفي سنة ١٩١٢ انتقل الى نيويورك ، واستقر

فيها . وصدرت له « الاجنحة المتكسرة » ، وديوان شعر بعنوان « المواكب » ، هو ديوانه الوحيد ، وقد صدر مزينا برسوم من ريشته ، و « العواصف » . وفي نيويورك اسس ، مع اصدقاء له ، رابطة ادبية عرفت باسم « الرابطة القلمية » .

وبعد عام ١٩٢٠ انصرف الى التاليف باللغة الانجليزية ، فاصدر ثمانية كتب في ثمانية اعوام ، درت عليه دخلا طيبا جعله ينسى الشقاء الذي نشأ فيه . واشهر كتبه هو كتاب « النبي » فقد وضع فيه كل آرائه بعد ان نضجت .

وفي ١٩٣١/٤/١٠ توفي جبران ، ثم نقل جثمانه ليدفن في دير مارسركيس بلبنان .

هذه هي الخطوط العريضة في حياة جبران ، اشهر ادباء المهجر قاطبة .

والآن ماذا في هذه الفصول الثلاثة في هذا الكتاب الذي نقدمه ؟

جبران وماري

ان الاستاذ توفيق صايغ اكتفى بان نقل الينا من الرسائل خلاصة العلاقة بين جبران وماري ، دون تعليق والذي سنستنتجه ان جبران كان يتصور اشياء لا يتصورها الاسوياء ، وان ماري كانت امرأة ساذجة . وتبين لنا هذه الرسائل ان صلته بها كانت اشبه بصلة الابن بامه .

وجبران الذي نعرفه يأخذ صورة اخرى في هذه الرسائل : فهو يروي لماري ان اجداده جاؤوا دمشق في القرن التاسع ، وكانوا حكاما اشداء ، شنق ثلاثة منهم ، وتوجه بعضهم الى جبل لبنان في القرن الثاني عشر ، وحكموه بحزم وقوة . وجده لابيه ثري ارستقراطي كي يحتفظ في داره بأسود كما يحتفظ الانسان عادة بكلاب . وجده لامه ، الذي نعرف انه خوري بسيط ، يصبح هنا مطرانا بسعة اطلاعه ، وحبه البحث والدراسة ، ويتكلم لغات عدة . وجدته لامه كانت ابنة اغنى رجل في لبنان . ويفيض في وصف بيته في بشرى ، وما فيه من اثاث فاخر ، وتحف نادرة . ويحدثها عن امه الامية التي لم تكن تعرف القراءة ، فاذا بها هنا رفيعة الثقافة ، تتكلم الفرنسية والايطالية والاسبانية والانجليزية ، عدا العربية . ويذكر لها ان والده كان احد افراد حاشية الامبراطور غليوم ، عند زيارته الى سوريا ، وانه هو نفسه كان يعرف الامبراطور معرفة جيدة .

ولئن كانت ام جبران قد ارتحلت باولادها الاربعة الى بوسطن لسببين : هربا من الفقر ، وهربا من قسوة الاب الذي لم يكن يحسن سوى شرب الكأس ، فان جبران هنا في هذه الرسائل شاب غني يذهب الى المدرسة ، ويزامل ابناء اغنى سوريا ، وينفق المال يمنة ويسرة .

ويحدثها عن ابيه : فهو قد بدأ يكتب الشعر في سن العاشرة وقصائده هذه التي كتبها في سن مبكرة يحسبها المئات في سوريا ومصر . وما ان بلغ الثالثة عشرة من العمر حتى كانت قد نشرت منه المقالات العديدة في الصحف العربية ، وصدرت الكتيبات من انتاجه ورسومه . ويعرض على ماري لوحة رسمها في سن الخامسة عشرة ، ويقول لها معلقا على اللوحة : « اني ابو التكعيبية » !!!

ويجمح بجبران الخيال ، فاذا به يؤكد لها ان عنده شعورا واعيا بانه عاش حياة بشرية قبل عصره هذا ، وانه عاش مرتين في سوريا ، ومرة في كل من ايطاليا ، واليونان ، ومصر ، والهند ، وفارس . وعاش مرات في بلاد الكلدان . وتسأله ماري : كم قربا في المستقبل يعي الآن ، وكم قربا في الماضي ، فيرد بكل ثقة : انه يستطيع ان يرى بعد ٥٠٠ عام في المستقبل بوضوح اكثر مما يرى ما بعد ٢٠٠٠ « وهو يرى بعد الف عام اوضح من ٤٠٠ عام ، « اما ابعد من الف عام فلا اشعر اني استطيع ان ارى ... » اما الماضي فبوسعه ان يعيش فترة النهضة فيه ببصر شديد ، لكن الفترة الايسر عليه هي قبل الفي سنة .

ويحق لنا ان نتساءل : ولماذا ارهق جبران نفسه في خلق حياة جديدة فرارا من حياته الواقعية ؟ وفي رأيي ان جبران الذي لم يكن راضيا عن فقره وعصره وظروفه وبيئته ، وعليها جميعا ثار ، خلق شخصية من صنع خياله ، وآمن بالتقمص لان فيه تعويضا عما فاته في واقعه .

ومن مبالغات جبران ايضا حديثه عن السيد المسيح الذي وضع عنه كتابه « يسوع ابن الانسان » بالانجليزية : فهو يتحدث الى ماري عن علاقته الشخصية به ، وكيف انه يظهر له مرارا في رؤاه وتخيلاته « لا اقل من مرتين في العام الواحد — لكنه لا يراه مطلقا اكثر من اربع مرات في العام الواحد . » وقد رآه لاول مرة عندما كان عمره اربع عشرة سنة ونصف السنة ، وهو على ظهر الباخرة العائدة به الى سوريا . وهو دائما

يظهر له على صورة لا تتغير « لا يشبه ابدا اية من الصور المعروفة له ... ففي الصور يبدو على الدوام وكأنه قد خرج لتوه من الحمام ، بشعره المسوى جيدا . اما انا فاراه في يوم قاتم — دوما اراه في منتصف النهار ، وعلى قدميه غبار ، وفي يده عصا ، وشعره منكوش ، يرتدي ثوبا رمادي اللون ، ذا حاشية بلون الغبار ، وقد اهترأ وحفا في اسفله . » وهو قوي البنية « اما عيناه فاني مستعد ان اعطي اي شيء لو اني استطيع ان اخبرك عن عينيه وجلده ، فانا لم اشهد مثل لونهما على بشري ابدا . ان عينيه ليستا بالحزينتين ولا بالرحيمتين ، لكنهما مليئتان بالحياة والحيوية والعمق والراحة والمجد والبساطة .... » .

ويبدو ان ماري كانت تحب ان تسمع منه مثل هذه الاحاديث ، ولهذا نجده يسهب في الوصف ، ويعود الى هذا الموضوع في رسائله دون ان يمل التحدث عن المسيح . وهنا نذكر ان جبران ذكر مرة ان اكثر من اثروا في حياته هم : السيد المسيح ، والنبي محمد ، وعلي بن ابي طالب

ويمضي الشاعر الحالم لو ان المسيح زاره كل مرة ، فيكتب الى ماري قائلا « آه يا ماري ، يا ماري ، الا لا يمكنني ان اراه في احلامي كل ليلة ! » فتجيبه : « كم انت عزيز ، يا خليلي ، لانك اخبرتني عن حلمك عن يسوع ، وعن شعورك في اليوم التالي . ان ذلك كينبوع ماء عذب عميق يتفجر . » .

★ ★ ★

ومن الموضوعات التي يطرقها في رسائله : الزواج . وله عليه ماخذ ، ويعرف ان له بعض المنافع اذا نظم . ومن ماخذه عليه قوله : ان الازواج الآن يرون بعضهم بعضا اكثر بكثير مما يجب ، لكن هذا سيتبدل بعد خمسمائة سنة من الآن . ولكن لماذا حدد الفترة بخمسمائة سنة بالذات ؟ لا ندري . وعناصر الزواج الناجح ، في رأيه ، ان يقوم على التفهم ، لا على الحب ، وان يكون لكل من الزوجين عمله الخاص ، وحياته الخاصة به ، وان يحيا كشخصين ولا يحاولا ان يعيشا كشخص واحد ، وعليهما ان يناما في فراشين منفصلين . وهو يقول انه معني بموضوع الزواج وسيضع دراسة عنه قبل وفاته ، ولكن يبدو انه لم يتمكن من وضع هذه الدراسة .

ورأى مرة مواكب من العمال خارجة من اماكن عملها ، فكتب اليها يقول : « هذه المواكب تبعث فيّ الحزن ، لانها مواكب عبودية ، ان الاثرياء اراد لهم يوسعهم التحكم في العمل مقابل دفع اجور زهيدة ، فاذا تحكمت النساء بالعمل ، فانهن سينجبن عددا اقل من الاطفال ، وسيكون لزاما على المستخدمين ان يدفعوا اجورا اعلى ، ولن يقل المستخدمون جيدا ... ان الراسماليين والحكام يريدون ، عن وعي او غير وعي ، ان تزداد الولادات والانجابات ، لانهم يريدون مزيدا من العمال الذين يدفعون لهم اجورا رخيصة . » .

ولا توافقه ماري على رأيه هذا ، وحجتها ان هذه الصلة بين طبقة العمال هي متعتهم الوحيدة في الحياة ، فهل يحرمون حتى من هذه المتعة !

جبران والوطنية والسياسة

واذا كان خيال جبران الجامح قد خلق له حياة لا صلة لها بالواقع ، فانه جعله ، ايضا ، يخيل لنفسه دورا وطنيا هاما في الحركة الوطنية السورية . ويبدأ الوطن يشغل باله ، ويحتل حيزا من رسائله ، في مطلع عام ١٩١١ وحتى عام ١٩١٩ . وهو في هذه الرسائل شديد النقمة على الاتراك العثمانيين ، ويبدو ان السنين لم تغير من رأيه فيهم . انه يكتب اليها في ابريل (نيسان) ١٩١١ عن « انحطاطية الاتراك المطلقة » لانهم القوا القبض على زعماء الثورة السورية ، وشنقوا ثلاثة منهم . ويكتب اليها في الشهر التالي قائلا « انني احاول ان ابشر بين السوريين بالاعتماد على الذات . اني اريد هؤلاء القوم المسالمين ان يدركوا ان الكلمة الجميلة رديئة ورنانة الكلمة البشعة ، وهذه الكلمة الجميلة هي اعتمادهم على الحكم الجديد في تركيا . اريدهم ان يعرفوا ان عرش السلطان الجائر مبني على رمل رطب . فلماذا يركعون امام صنم ملوث ، ما دام ثمة قدر لا حد له بوسعهم ان يعدلوا فيه ابصارهم ؟ » .

وعندما اندلعت الحرب بين الدولة العثمانية وايطاليا في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١١ ، نرى جبران يكتب اليها قائلا : انه يخشى ان يميل المسلمون العرب الى تركيا لانها مسلمة ، والحقيقة ان هذه الحرب قد تكون الطريق الى تحرير السوريين من حكم الاتراك . وعندما تقصف ايطاليا بيروت بالقنابل ، يكتب الى ماري ان

« قصف الايطاليين لبيروت بالقنابل قد أظهر للسوريين ان تركيا لا تبالي بهم ... ان كل شيء يؤول بالسوريين الى كره الاتراك هو شيء جيد لنا.

وعندما نشبت الحرب التركية البلقانية، ابتهج جبران أملا أن تؤدي هذه الحرب الى تجزئة الامبراطورية العثمانية ، وتحرر العرب : « اني أرجو ، وأتضرع الى الله ، ان تؤول هذه الحرب الى تجزئة الامبراطورية العثمانية ، كيما تحيا من جديد دول الشرق الأدنى المسكينة المتصدعة ، كيما تلتئم الام سوريا حبيبها الحزينين وتحدق من جديد في الشمس » .

ويكتب في احدى رسائله الى ماري بأنه عاكف على كتابة شيء « قد يقلب العالم العربي كله بأسره ضدي . لكني مستعد لذلك . لقد صرت معتادا على ان اسمر على الصليب . » وهكذا نراه يتصور نفسه مسيحا جديدا يقدم نفسه فداء للآخرين !!

وعند ما بدأت فكرة الحكم الذاتي لسوريا تراود اذهان زعمائها ، كتب اليها بأنه هو منشىء هذه الفكرة ، والموجه لها . ويتشجع الداعون الى هذه الفكرة ، ويقررون الاجتماع في مؤتمر يضمهم في باريس ، ويرسلون دعوة الى جبران لحضور المؤتمر ، ولكنه يرفض الحضور ، لاختلافه معهم في الرأي . انهم يريدون ان يحصلوا على الحكم الذاتي عن طريق الديلوماسية ومساعدة الدول الاوروبية لهم . وجبران يريد الثورة ! لم ينعقد المؤتمر ، فيكتب بأن المؤتمر قد فشل ، والسبب في فشله ان الاعضاء « يتكلمون كشعراء ويتصرفون كرجال احلام والنتيجة هي قصيدة ـ حلم . » والعجيب ان يصدر هذا القول من جبران وهو سيد الشعراء الحالمين .

وتندلع نار الحرب العالمية الاولى ، ويعود الى الحديث عن « كتابه الفتوح الى الاسلام » وكيف ان بعض اصدقائه في الوطن كتبوا اليه بأنه بهذا الكتاب قد وقع وثيقة موته بيده « لكني لا ابالي . وان لم يسمح لي بالعودة الى وطني فلي وسعي ان اذهب الى بلد آخر . » ويصف كتابه بأنه « رسالة بسيطة الى جميع المسلمين ، تفسر بأسلوب سوي ، لماذا الحكومة التركية مدمرة للاسلام اجتماعيا وسياسيا . »

وتحمله احلامه الى آفاق أبعد فنجده يتحدث في رسائله عن اقامة امبراطورية عربية،تعرفين انحلما من أحلامي ، وواحدا من الاشياء التي اريد ان اكرس وقتي لها ، هو اقامة امبراطورية عربية . واتوقع ان اكرس يوما ما بضع سنوات على الاقل لهذا الحلم . لو كانت لي المؤهلات لافادت فائدة قصوى ، ذلك ان العالم العربي يؤمن في ككاتب . حتى اعدائي يؤمنون بي . لو كان لي التكنيك العسكري لكان هذا شيئا طبيعيا . ولكنني احببت ذلك . »

ويتصور جبران ان الدولة العثمانية ترى فيه خطرا عليها ، ولهذا فهي تتآمر عليه ، وتسعى الى قتله : « اني اعرف انني اقوم بخدمة ، ولذلك فلن تمنا جيدا قد وضع لرأسي . ان هذا لا يهمني ، وانت تعرفين ان هذه الامور تافهة بالنسبة لي . » وتروي ماري في مذكراتها لآخر عام ١٩١٧ ان جبران جاء لقضاء عيد الميلاد في بوسطن ، وفي هذه الزيارة كشف لها عن ذراعه ، واراها ندبة فيه ، قال لها : انها اثر جرح نجم من رصاصة اطلقت عليه حينما كان في باريس يخطب متحدا ملاتراك ، وان محاولة اغتياله هذه دبرها الاتراك للتخلص منه . والغريب ان جبران يحدثها عن هذه الحادثة بعد مرور نحو ثماني سنوات عليها وهو الذي كان يكتب اليها عن تلك الحوادث التي تقع له .

ويحلق به خياله ليصل به الاوج عندما يكتب اليها في ٢ نوفمبر (تشرين الاول) ١٩٢٨ قائلا ، « لقد اخبرت اهالي جبل لبنان انه ليست في رغبة في ان اعود اليهم ، وأتولى الحكم فيهم . انهم يرجونني ان افعل ذلك ، وانت تعرفين يا ماري ، اني مشتاق لوطني وان فؤادي يحن الى تلك التلال والوديان . لكن من الافضل ان ابقى هنا واشتغل » .

وبعد ان بلغ به خياله الدرجة التي ليس بعدها درجة في تصوير دوره السياسي ، نراه ينحط على الارض فجأة فيكتب اليها في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٩ قائلا : « ان مسؤولياتي في الشرق قد انتهت » . لقد تكسر جناحا خياله السياسي ، فلم يعودا قادرين على حمله الى الآفاق البعيدة بعد الآن .

جبران : حياته الثقافية

وبعد اذا حاولنا ان نبحث في هذه الرسائل عن نظرية لجبران في الادب والنقد ، فاننا سنفشل

فهو ليس له سوى آراء متناثرة هنا وهناك ، وحكمه على الادباء الذين يشير اليهم انما هو حكم قائم على التذوق والاستمتاع ، لا على نقد منهجي مبتكر ممحص .

واول ما نلمسه في هذه الرسائل هو اعجابه البالغ بشكسبير ، وحبه لنيتشه وبليك . وقد كتب الدارسون كثيرا عن اثر نيتشه وبليك في جبران ، وليس المقام هنا مقام التحدث عن هذا الجانب من جبران .

والى جانب تعليقاته العابرة على الادباء والفنانين ، يكتب اليها عن الادب العربي ، معبرا به فهو « اعظم ادب على وجه الارض . والعرب هم الامة التي تحظى باعجابه اكثر مما تحظى به امة اخرى » . ويفخر باهتمام العرب بالشعر ، ويقول لها : « ان لدى كل راع عربي احساسا بالشعر يفوق ما لدى افضل شاعر فرنسي » . !! ويحدثها عن اللغة العربية ودورها في الادب ، ويقول : « ان العرب ابتدعوا لغة وادبا ابعد بكثير مما ابتدعته اية امة في اوروبا ، ذلك لان اللغة العربية هي لغة الادب الفارسي ايضا ، والادب الارمني ، والادب التركي ، فحيثما تسمع هذه الامم ادبا ، فانها تستخدم هذه اللغة » . ولكن كيف ! ومتى ؟

وفي هذه الرسائل اشارات كثيرة الى امين الريحاني ، وهو هنا يبدو لنا في صورة غير التي نعرفها : ان امين الريحاني لم يحدث له قط ان حظي بامرأة صديقة .. لقد كانت حياته موحشة. وجبران وماري لا يثقان باراء الريحاني فيما يختص بالناس ذوي الاخلاق « ان الريحاني ليس منه شيء منها . » وهو يبذل جهده لان يحدث الناس ، ولا بد ان عدد اصدقائه الحقيقيين قليل جدا ، ولعل السبب في مزاجه هذا انه كان يعاني من آلام التهاب العصب دون انقطاع . ويخبر جبران ماري بان الريحاني كان يعيش بمفرده ، برفقة امه واخته ، في مكان منعزل على الجبل « ولا اعتقد انه كان يحادثهما كثيرا . » ونقع في احدى الرسائل على هذه العبارة : « انه لا يمكن الوثوق بالريحاني . »

ويتحدث في هذه الرسائل كيف انه راى في احلامه جميع الرجال العظام تقريبا ، وخاصة الشعراء منهم. لقد حلم بكيتس وشيلي ، وباولهما اكثر من الثاني . وحلم ببليك ، ولكن اقل مما حلم بكيتس وشيلي . وحلم بشكسبير مرارا عديدة . « ان هذه الاحلام حقيقية ، لكنها ليست موازية كما هي احلامي عن المسيح » . ويقول لها انه كان من عادته ان يحتفظ بدفتر يسجل فيه احلامه باللغة العربية ، لكنه اقلع عن ذلك منذ سنين ، ولم يكن قد احتفظ بالدفتر .

★ ★ ★

وفي هذه الرسائل اشارات الى رجال الموسيقى الذين يعجب بهم ، ويستمع الى مقطوعاتهم ، وبيتهوفن عنده « اعظم البشر جميعا ، واكثرهم غموضا . انه يظل سرا غامضا ، ولا اعرف كيف ابدع هذه الآثار الخالدة ، ولا كيف اكتشف تلك الاعماق والنغم الغريبة التي لا ارى كيف يمكن تخيلها » .

وهو شديد الشغف بالموسيقى العربية ، التي يؤكد لماري انها « اروع موسيقى في العالم » وعندما تقول له ماري : « اتمنى لو يتاح لي سماعها » ، يجيبها بسرعة : « لا تستطيع الاذن الغربية سماعها » . ويقول لها في مناسبة اخرى : « ان الموسيقى العربية ابعد شأنا من اية موسيقى اخرى » .

★ ★ ★

ويتحدث في الرسائل باسهاب عن طريقته في الكتابة ، وعن كتبه وكيف الفها ، وعن مكانته العالية التي يحتلها في الادب العربي . ولكننا هنا، واخيرا ، نقف عند نقطتين .

فهو يكره تكذيب نفسه ، ويبرر هذا تبريرا عجيبا « فهو قد شمح بالعرس ، لكنه كان يابى خشية ان يمضي العرس على فرديته وعبقريته ».!! ونحن نعرف ان دراسة آثار الخالدين ، وقراءتها، تزيدنا فهما بالحياة ، والانسان ، والفن ايضا .

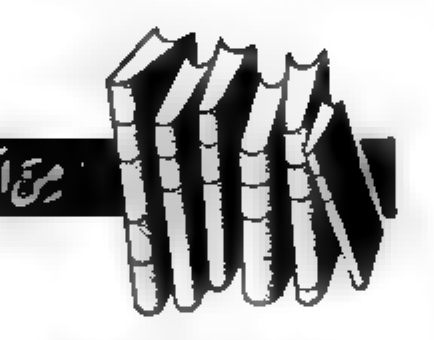
وهو يكتب الى ماري قائلا : « اني اومن يا ماري ، ان المستقبل لن يكون قاسيا على نتاجي .. انا اعرف ان في الادب العربي اشياء كثيرة اعظم من اثاري ، ولكني اقول بصراحة ان اثاري هي اكبر اثر في اللغة العربية اليوم » .

وفي رأيي ان معاصر قراء العربية اليوم،لا يتفق تماما مع تفاؤل جبران .

هذا هو جبران في رسائله ،

وهي رسائل مثيرة ، يتمنى عشاق جبران لو انها لم تر النور .

محمود السمره



من الكتب التي وصلتنا :

من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الاسلامية

تأليف : محمد عبد الرحمن مرحبا .

الناشر : مكتبة الفكر الجامعي – بيروت – لبنان

● دراسة عن الفلسفة اليونانية منذ بداياتها الى أن انتقلت الى الفلاسفة الاسلاميين ، ثم ان الكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام يتناول القسم الاول مدخل الى دراسة الفلسفة عامة ايا كانت هذه الفلسفة فيه يجد القارىء بعض المقدمات الفلسفية والنشاء حقيقتها ومعرفة وظيفتها والفائدة التي تعود علينا من دراستها ثم الفرق بين الفلسفة والعلم .

اما القسم الثاني فيبحث في الفلسفة اليونانية، ثم مقارنة بينها وبين الفلسفات الاخرى ، والمؤلف يلح على اهميتها بالنسبة الى سائر الفلسفات ، ثم يعرض للاطوار التي مرت بها والمراحل التي قطعتها حتى انجبت سقراط وافلاطون وارسطو .

اما القسم الثالث فيدرس كيف وصلت الفلسفة الى العرب واهم كتبها المنقولة واشهر النقلة . ثم يتناول مشكلة الفلسفة الاسلامية وامكانية وجودها ، ثم ينتقل الى الكلام عن الفارابي وابن سينا والعرى والغزالي وابن رشد وابن خلدون .

ببليوغرافية الادب العربي المسرحي الحديث

تأليف : الدكتور صالح جواد الطعمة

الناشر . مطبعة العاني – بغداد – العراق .

● هذا الكتاب فهرس منظم يتضمن ما نشر في المجلات العربية الصادرة بين ١٩٤٥ – ١٩٦٥ من مقالات ومسرحيات تدرس المسرح العربي . وذلك لما للمسرح من اهمية وزيادة الاقبال على دراسته واتساع افقه وتعدد موضوعاته واساليبه في فترة ما بعد الحرب العالمية ، وظهور جيل جديد من الكتاب الذين خطوا خطوات اكثر جدية وجراة في مواجهة العقبات او معالجة المشكلات التي تعترض قيام فن عربي للمسرح واضح المعالم والاهداف .

وهذا الفهرس يتناول الاسئلة باكبر عدد ممكن من المجلات العربية ويراعي تباين الاقطار العربية المختلفة في الاتجاهات والايديولوجيات ويعطي صورة شاملة لاوجه النشاط المسرحي في العالم العربي .

وهذه المجلات مجلات مجمعية وجامعية مثل مجلات المجامع اللغوية في بغداد ودمشق والقاهرة ومجلات جامعات بغداد والقاهرة والاسكندرية وعين شمس ، ثم مجلات تابعة لوزارات عربية مختلفة ثم مجلات ادبية وثقافية عامة .

صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصر

تأليف : محمد أسد شهاب .

الناشر : دار لبنان للطباعة والنشر – بيروت لبنان

● كتاب يسلط الضوء على تاريخ اندونيسيا المعاصر ويكشف أسرار احداثها المفجعة والمتلاحقة في السنوات الاخيرة ، ويسجل كذلك كفاح الشعب الاندونيسي وتطلعاته للحرية والازدهار .

كما ان الكتاب يبرز فشل ثورة الشيوعيين للاستيلاء على السلطة وما صاحبها بعد ارتكاب ابشع جرائم القتل والتعذيب التي تمت في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥ وتنفيذ الخطط للاستيلاء على الحكم في البلاد وتصفية العناصر غير المرغوب فيها .

والكتاب يتناول كيف دخلت الشيوعية الى اندونيسيا ثم الثورة الشيوعية الاولى في سبتمبر ١٩٤٨ وثورة ١٩٦٥ والدور الخطير الذي لعبته الصين الشعبية .

كما يعرض الكتاب لحياة سوكارنو وبعض زعماء اندونيسيا ويعرض كذلك للاسباب التي ادت الى فشل الشيوعية في اندونيسيا .

■ أمراض شائعة



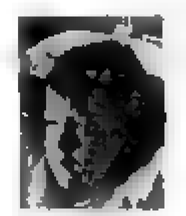
اللوكيميا ... أو سرطان الدم

بقلم : الدكتور احمد حافظ يوسف

دكتوراه امراض الدم Ph D London

● كان الطبيب الالمانى الشهير رودلف فرخو (Virchow) اول من اطلق اسم Leukemia « اللوكيميا » على هذا المرض فى عام ١٨٤٨ . وكلمه لوكيميا معناها الدم الابيض او الدم الذى يشبه اللبن لكثرة ما يحوى هذا الدم من كريات بيضاء. ولقد وصف فرخو نوعين من اللوكيميا : طحالية ولمفاوية اعتقادا منه بأن للطحال او الغدد اللمفاوية فى المريض هو السبب فى صنع الكريات البيضاء الزائدة .

واللوكيميا هى امراض غير معروفة السبب وتتميز بزيادة ثابتة فى عدد الكريات البيضاء نتيجة انقسامها بصورة غير طبيعية وغير منتظمة . والخلايا اللوكيمية تكون دائما غير مكتملة النضوج وغير طبيعية من حيث الشكل والتكوين ، وهى



تظهر عادة في الدورة الدموية كما انها تغزو نخاع العظام وانسجة الجسم الاخرى .

وتنقسم اللوكيميا من حيث مدة المرض الكلينيكية الى لوكيميا حادة ولوكيميا مزمنة ومن حيث نوعية الخلايا اللوكيمية الى :

لوكيميا جذعية نخاعية Myeloblastic, Myelocytic

لوكيميا لمفاوية Lymphoblastic, Lymphocytic

لوكيميا احادية النواة Monocytic

وقد يصعب في بعض حالات اللوكيميا الحادة تحديد نوعية الخلايا اللوكيمية وهذا ما يطلق عليه اسم لوكيميا جذعية غير مميزة .

واحيانا قد لا يزيد عدد الكريات البيضاء في الدم عن معدله الطبيعي في حين ان فحص نخاع العظام قد يؤكد وجود مرض اللوكيميا وهذا النوع يعرف باسم لوكيميا لا لوكيمية Aleukemic Leukemia

وهناك انواع نادرة من اللوكيميا تصيب الكريات الدموية الحمراء Erythro - Leukemia او الخلايا الأم للصفائح الدموية Megkaryocytic Leukemia

السن

ليس هناك سن معينة لمرض اللوكيميا ، فقد يصيب الاطفال كما يصيب الكبار من كل الاعمار ولكن يمكن القول بأن نسبة اللوكيميا الجذعية النخاعية في الكبار اكبر بكثير من نسبة اللوكيميا اللمفاوية . كذلك فانه يندر اصابة الاطفال باللوكيميا المزمنة التي تظهر عادة بعد سن الثلاثين. ورغم أن اللوكيميا اللمفاوية الحادة هي النوع الذي يصيب الاطفال عادة الا ان هذا لا يمنع ان يصابوا بالانواع الاخرى سالفة الذكر .

اسباب اللوكيميا

في الوقت الحاضر ليس لدينا معلومات كافية للتأكد من طبيعة هذا المرض او سببه في الانسان. وللتعرف على حقيقته ذهب الباحثون الى دراسة جوانبه المختلفة وخرجوا من بحوثهم بنظريات تحاول تفسير طبيعته .

النظرية الأولى

تعتبر اللوكيميا نوعا من الاورام الخبيثة التي تصيب الانسجة الدموية واللمفاوية . ويمكن تلخيص الدلائل التي تتفق وهذه النظرية فيما يلي

أ – ان خلايا اللوكيميا غير ناضجة وفي طبيعة مشابهة تماما للخلايا السرطانية .

ب – توالد هذه الخلايا يبدو بلا هدف ويصعب على الجسم السيطرة عليه او تنظيمه .

ج – خلايا اللوكيميا تغزو الاعضاء غير الدموية وتعرقل وظائفها المختلفة .

د – وجود كروموسومات شاذة داخل خلايا اللوكيميا يتفق مع طبيعتها غير الحميدة .

النظرية الثانية

تربط بين اللوكيميا وبين انواع معينة من الفيروسات ، ورغم تمكن فريق من العلماء من احداث هذا المرض في الفئران والقوارض السليمة بواسطة تلك الفيروسات الا ان الدور الذي تلعبه هذه الفيروسات في احداث اللوكيميا عند الحيوانات لا يزال مجهولا .

وتستجيب كل خلية لهذه الفيروسات بطريقة مختلفة عن الاخرى فبعض هذه الخلايا تقضي على الفيروس قضاء تاما . والبعض الاخر يتحول الى خلايا لوكيمية .

اما في لوكيميا الانسان فقد فشلت كل المحاولات لايجاد اي ناقل محدد لهذا المرض . ولكن العالم بيركت (Burkett) وجد في عام ١٩٦٢ ان الساركوما اللمفاوية (اي السرطان اللمفاوي) منتشرة بصورة وبائية في بعض مناطق وسط افريقيا .

وبما انه يمكن الربط بين هذا المرض وبين اللوكيميا ، فان هذه الملاحظة تزيد من احتمال وجود هذا العامل المعدي .

النظرية الثالثة

كانت وليدة دراسات مستفيضة عن شذوذ الكروموسومات عند مرضى اللوكيميا . وتحاول هذه النظرية ايجاد عامل وراثي مسبب لهذا المرض . ورغم انه قد يصاب اكثر من فرد بهذا

المرض في بعض الأسر الا أنه من غير المعروف ان الأمهات المصابات باللوكيميا يلدن أطفالا مصابين بهذا المرض عند ولادتهم . كذلك فانه رغم تعدد حالات اللوكيميا الخلقية عند الأطفال (أي الأطفال الذين يولدون وهم مصابون بهذا المرض) فانه لم يثبت أن اما واحدة لهؤلاء الأطفال كانت تشكو من اللوكيميا .

ومن المعروف أن بعض شذوذ الكروموسومات يكون مصحوبا بأمراض خلقية كالمنغولية Mongolism حيث يوجد كروموسوم زائد عن العدد الطبيعي وان استعداد المنغولي للاصابة باللوكيميا يصل الى حوالي عشرين مرة استعداد الشخص العادي . وبما أن حالات اللوكيميا الحلمية النخاعية المزمنة تتميز عن الأخرى بوجود شذوذ كروموسومي داخل الخلية اللوكيمية يسمى كروموسوم فيلادلفيا ، فانه يمكن القول بان سبب كل من اللوكيميا والمنغولية يرجع الى الشذوذ الكروموسومي المذكور .

النظرية الرابعة

ليس هناك شك في أن التعرض لكميات كبيرة من الاشعاع يمهد لمرض اللوكيميا عند بعض الأشخاص . وتأكيدا لهذا كانت نسبة الاصابة باللوكيميا مرتفعة جدا بين الأحياء الذين نجوا من التفجير الذري في هيروشيما خصوصا بين القريبين من مركز التفجير . كذلك فان المرضين للأشعة كالعاملين في هذا الحقل والمرضى الذين يعالجون بالأشعة هم أكثر من غيرهم تعرضا للوكيميا . ويعتقد البعض ان تعرض الجنين داخل الرحم للاشعاع قد يسبب اصابته بهذا المرض نتيجة احداث شذوذ في الكروموسومات .

وهناك عوامل أخرى اتهمت بأنها مرسبة لمرض اللوكيميا مثل التسممات Sepsis واستعمال المضادات الحيوية كالكلورامفيكول والفنيل بوتازون . ولكن هذه العوامل لا تبرز كثيرا في تاريخ مرضى اللوكيميا . وبما أن التكوين الجسماني كالطول والوزن عند المرض يكون عادة طبيعيا فان احتمال وجود عامل غذائي مسبب لهذا المرض أمر مستبعد .

اللوكيميا الحادة

تصيب اللوكيميا الحادة الكبار والصغار على السواء وقد تكون من أحد الأنواع الثلاثة السالفة الذكر . وتتميز اللوكيميا أحادية النواة الحادة عن غيرها بأنها نادرة نسبيا وتصيب الكبار فقط كما أنها تحدث تضخما في اللثة وتقيحات ملتهبة في غشاء الفم المخاطي .

ومن الاحصائيات اتضح أن اصابة الأطفال باللوكيميا الحادة تكثر عادة في السنين الخمس الأولى من عمرهم وان الذكور أكثر تعرضا لها من الاناث .

ورغم تشابه حالة المريض الكلينيكية في كل الأنواع الا أنه من المستحسن معرفة نوع اللوكيميا للتنبؤ بمدى استجابته للعلاج . فمثلا من الأسهل الحصول على فترة مهادنة في اللوكيميا المفاوية منه في اللوكيميا الحلمية النخاعية .

أعراضها

ان الأعراض المختلفة للوكيميا الحادة تستوجب من الطبيب استبعاد هذا المرض الخطر بعمل فحص دم على الأقل في معالجة أية مشكلة مرضية . ولقد نتج عن التهاون في هذا الأمر تعريض بعض مرضى اللوكيميا لعمليات جراحية لم يكونوا بحاجة اليها مثل عملية استئصال اللوزتين بسبب تضخم مطرد في حجمها أو عمليات استكشاف بالبطن نتيجة التهابات بالغدد الساريقات اللمفاوية Mesenteric Adenitis

وأهم أعراض اللوكيميا الحادة في الكبار هي : توعك ، ارتفاع في درجة الحرارة ، الام في العظام والمفاصل ، نزيف والتهابات بالفم والحنجرة . وقد يتضخم الطحال والغدد اللمفاوية لدرجة بسيطة أو متوسطة خصوصا في اللوكيميا اللمفاوية .

أما في الأطفال فأهم الظواهر المرضية هي : ارتفاع في درجة الحرارة ، تضخم في الغدد اللمفاوية ، الام بعظام الأطراف . كذلك تكثر الشكوى من النزيف في صورة فرفورية Purpura أو رعاف أو نزيف من اللثة .

اللوكيميا المزمنة
أولا : اللوكيميا الحلمية النخاعية المزمنة

هذا المرض يصيب الانسان عادة بين سن الاربعين

والخمسين كما انه يصيب الذكور والاناث على السواء . والخلايا المصابة تكون عدة الخلايا البيضاء الحبيبية Granulocytic Series خصوصا الخلايا المتعددة النوى Polymorphs . وتضخم الطحال هو العرض المميز لهذا المرض واحيانا يكون العرض الوحيد . اما تضخم الغدد اللمفاوية واستعداد المريض الزائد للنزيف فليس من الصفات المعروفة كثيرا في هذا المرض خصوصا في مراحله الاولى . وينتهي هذا المرض عادة بصورة حادة تودي بحياة المريض . وكما ذكرنا تتميز اللوكيميا الجذعية النخاعية المزمنة بوجود كروموسوم فيلادلفيا داخل الكريات المنوية البيضاء وخلايا النخاع فقط . وعدم وجود هذا الشذوذ الكروموسومي في خلايا انسجة الجسم الاخرى يرجع انه صفة مكتسبة وليست وراثية او خلقية .

ومنذ بداية هذا المرض يتراوح عمر المريض اقل من سنة الى عشر سنوات وفي المتوسط ثلاث سنوات .

ثانيا : اللوكيميا اللمفاوية المزمنة

هي اكثر انواع اللوكيميا المزمنة انتشارا وهي تصيب الرجال اكثر من النساء وتظهر عادة بعد سن الاربعين . والعرض المميز لهذا المرض هو تضخم الغدد اللمفاوية مع تضخم بسيط او متوسط في حجم الطحال . واحيانا تظهر على المريض امراض جلدية كالحكة والهربس النطاقي Herpes Zoster واصابة الجلد بخلايا لوكيمية كما انه يكون عرضة للالتهابات الرئوية المتكررة نتيجة انخفاض نسبة الجلوبولين Gamma - Globulin

قد لا تسبب اللوكيميا اللمفاوية المزمنة اية اعراض مرضية وفي احوال كثيرة يتم اكتشاف المرض بمحض الصدفة عند فحص دم المريض لسبب لا يتعلق باللوكيميا . ومثل هذا المريض لا يحتاج لاي علاج سوى مراقبته الى ان يظهر المرض اعراضا كزيادة حجم الغدد اللمفاوية والطحال او الى ان يظهر تدهور متزايد عند فحص دمه كهبوط نسبة الهيموجلوبين . وقد يعيش مريض اللوكيميا اللمفاوية المزمنة لسنوات طويلة بدون حاجة الى علاج .

علاج اللوكيميا

ليس هناك علاج شاف معروف يقضي على اللوكيميا حتى الآن ولكن الهدف من العلاج المستعمل حاليا هو :

١ – السيطرة على المرض وادخاله في فترة مهاودة وذلك بارجاع كل من دم ونخاع المريض الى حالتهما الطبيعية . ويرجع الفضل في ذلك الى اكتشاف الادوية التي تحبط انقسام الكريات البيضاء المتزايدة .

٢ – التغلب على الاعراض المرضية حتى يعيش المريض حياته بصورة طبيعية .

٣ – تفادي وعلاج المضاعفات التي قد تنشأ عن المرض خصوصا الانيميا والنزيف والالتهابات .

٤ – محاولة اطالة عمر المريض بقدر الامكان املا في ان تسفر الابحاث الجارية في هذا المجال عن علاج يقضي على هذا المرض . وبما ان استجابة اللوكيميا للعلاج تختلف من شخص لآخر فانه من الصعب تحديد طبيعة او مدة هذه الاستجابة عند اي مريض .

العلاج الاساسي

ومن اهم الادوية النوعية التي تستعمل في علاج اللوكيميا الحادة نذكر الفنكرستين Vincristine سيتوزين ارابنوسيد Cytosine Arabinoside ، ٦ مركبتوبيورين 6 Mercapto - Purine اسباراجينيز Asparaginase ، هرمونات قشرة الكظر السرودية Adreno Cortical Steroid Hormones ، والميثوتركسيت Methotrexate

واختيار النوع المناسب من الادوية المذكورة يتوقف على سن المريض ونسبة المرض وقت تشخيصه . اما فترة مهاودة المرض فقد تستمر اياما او شهورا او سنوات .

وفي حالات اللوكيميا الجذعية النخاعية المزمنة فيفضل استعمال دواء الميليران Myleran لقوة فعاليته وقلة مضاعفاته . كذلك تستعمل هرمونات قشرة الكظر السرودية و ٦ – مركبتوبيورين ، اما في حالة عدم استجابة المرض للادوية فيمكن اشعاع



اعرف وطنك أيها العربي

شندي

مدينة سودانية لها في التاريخ مجد قديم

استطلاع: محمد طنطاوي   تصوير: عبد الناصر سمره



■ تاريخ السودان ، تاريخ قديم عريق .. وقد اثبتت الحفريات الأثرية وجود حضارات يعود تاريخها الى ٢٤٠٠ سنة قبل الميلاد . والمنطقة التي قامت فيها الحضارات الأولى للسودان تقع في اقليم دنقلا وحلفا ، وهي منطقة محدودة ، فالزراعة محصورة في شريط ضيق على شاطىء النيل ولذلك سميت ... الثاني الى الجنوب ، وبدأت هذه الحضارات القديمة تمتد جنوبا حتى شملت منطقة « شندي » التي تعتبر الآن من اغنى المناطق الاثرية في السودان .. وظهرت في هذه المنطقة حضارة تعرف بالحضارة المروية نسبة الى عاصمتها مروي (قرية البجراوية الآن) .



محطة شندي مزدحمة بالعربات وبعضها اكثر من ؟ عربة ، ووسيلة المواصلات بين هذه القرى والمدينة هي هذا الاوتوبيس المصنوع والاوتوبيسات هنالك مزدحمة دائما بسبب قلتها ووعورة الطرق

في الطريق الى شندي

والطريق من الخرطوم الى شندي طريق وعر يبلغ طوله حوالي ٢٠٠ كيلو متر يقطعها قطار

تنتشر في شندي صناعات صغيرة بيئية ومن أهم هذه الصناعات الصغيرة صناعة الأزيار الفخارية ويقبل على شرائها سكان المنطقة المحيطة بالمدينة وهي تتميز بلونها الاسود ويقولون انها تعطي مياه الشرب نكهة خاصة مميزة

السكك الحديدية في اكثر من ست ساعات يمر فيها بصحارى واسعة على مدى البصر .. ورحلة القطار من الخرطوم الى شندي هي ٦ ساعات من العذاب .. التراب يملأ ممرات الركاب حتى يكاد يمنعهم من التنفس وعندما يتحرك القطار يسير نحو خمس عشرة دقيقة او اكثر قليلا ثم يقف في محطة من المحطات الصغيرة التي لا ترى فيها اثرا للحياة سوى عدة منازل لا تزيد على اصابع اليد الواحدة متناثرة حول رصيف المحطة ..

قبائل رحل ، وقبائل مستقرة

ومنطقة شندي منطقة مترامية الاطراف تبلغ مساحتها ٢٨٧٢٢ كيلومترا مربعا ويبلغ عدد سكانها اكثر من ٢٥٠ الف نسمة حسب اخر تعداد رسمي (عام ١٩٥٦) وتضم منطقة شندي اكثر من ٢٠٠ قرية يقيم فيها اكثر من ٨٠٪ من عدد سكان المنطقة

اما بقية السكان فهم عرب رحل او شبه رحل يعتمدون في معيشتهم على تربية المواشي وعلى الزراعة المطرية .. واهم القبائل المتنقلة التي تقيم في منطقة شندي هي الحسانية والعلاعية والعالياب.

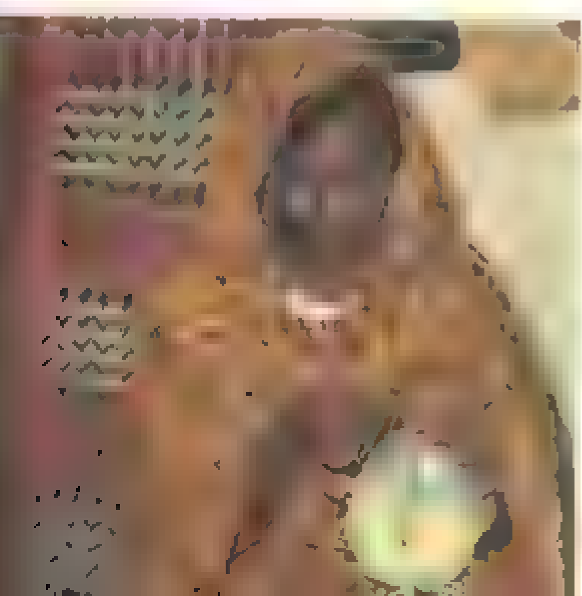
اما اهم القبائل المستقرة في المنطقة فهم الجعليون والشايقية . وسكان مدينة شندي وهي المدينة التي اطلق اسمها على المنطقة المحيطة بها يبلغ تعدادهم ١٦٥٠٠ نسمة حسب الاحصاء الرسمي الاخير اما حسب تقدير المسئولين في المجلس البلدي فانه يصل الان الى حوالي ٣٢ الف نسمة .

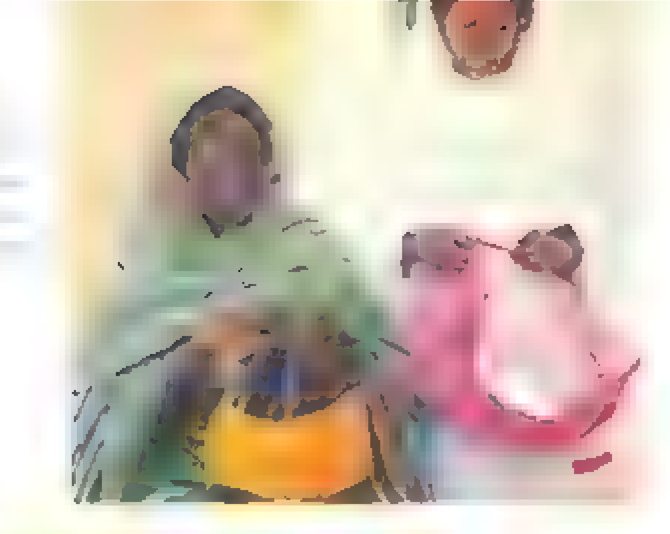
بلدة تاريخية

وشندي بلدة صغيرة ، ولكنها مشهورة في تاريخ السودان قديمه وحديثه .. وهي تكتسب اهميتها الان بوصفها اقرب مدينة تجد القبائل الرحل في اسواقها مجالا للتجارة ، يبيعون ويشترون ..

في قلب سوق مدينة شندي وقف هذا [illegible]
وغذاء الجمل يتكون من الذرة الرفيعة الحمراء اللون









٣ من أهالي القبة يقومون ببناء مدرسة للقرية
إن كل واحد من أهل هذه القرية قد ساهم
في وضع حجر في هذا البناء

يبيعون الجمال والأغنام ويشترون الذرة والمأكولات والأقمشة ..

وشندي هي البلدة التي يقصدها السياح الذين يريدون زيارة آثار السودان التاريخية والتي تقع على مسافات قريبة من المدينة لا تتعدى الستين كيلو مترا .

وتعتبر المدينة الآن مركزا من مراكز الاشعاع الاجتماعي والحضاري بالنسبة للريف السوداني كله ، فمنذ عام ١٩٦٠ افتتح هناك المركز القومي للتنمية الاجتماعية الذي أنشأته وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع هيئة اليونسكو ، والغرض منه إعداد مرشدين اجتماعيين للعمل على رفع مستوى المجتمع الريفي من جميع النواحي الاقتصادية والثقافية والصحية .

الأهالي يساهمون في نهضة بلدهم

ومدينة شندي هي في الواقع مثال لكل المدن

مجموعة من الفتيات السودانيات اللواتي يقضين دورة تدريبية في المركز القومي للتنمية الاجتماعية في شندي لقد أتين من جميع مديريات السودان وهن يعشن في سكن داخلي ملحق بمبنى المركز وفي الصورة بعض هؤلاء الفتيات يتناولن غداءهن في مطعم المركز



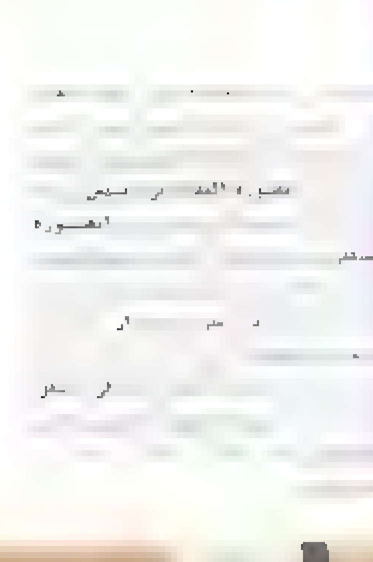
اجتماع مجلس قرية القبيبة [illegible] الاجتماعي [illegible] وحضرته المرشدة الاجتماعية واعضاء المجلس لمناقشة مشروعات العون الذاتي التي يقوم بها الاهالي من تلقاء انفسهم لرفع مستوى معيشتهم

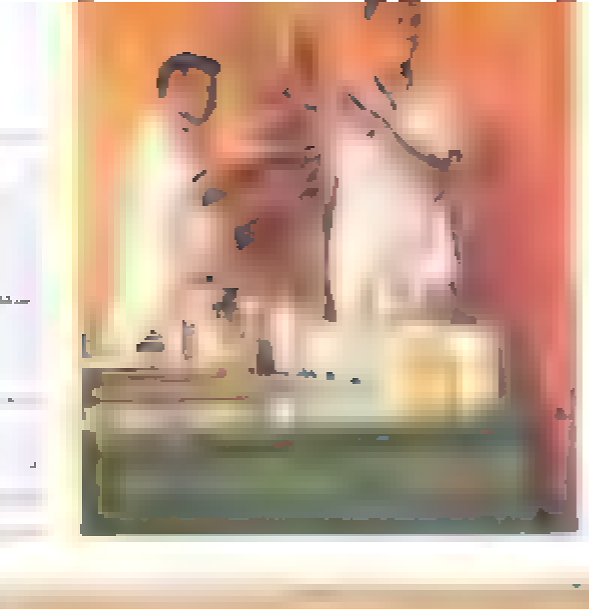
الصغيرة في شمال السودان ، فبالرغم من انخفاض مستوى المعيشة وعدم وجود مصانع او شوارع معبدة ، او مطاعم حديثة او فنادق مريحة الا ان هناك احساسا بين المسئولين عن شئون المدينة من موظفي الادارات الحكومية المختلفة بضرورة القضاء على كل نواحي التخلف ، والعمل على رفع مستوى المعيشة بين السكان عن طريق استغلال الامكانيات الطبيعية للمنطقة . ويشارك هؤلاء المسئولين في شعورهم ابناء البلدة انفسهم والذين بداوا يترجمون احاسيسهم واشواقهم نحو التقدم ترجمة عملية بانشاء صناعات حديثة في المنطقة ..

مصنع الكمال !

ومن ابرز امثلة النهضة الشعبية في هذا المجال هو مشروع مصنع نسيج « الكمال » .. وهو المصنع الاهلي الوحيد في المنطقة والذي يقوم بانتاج الفتيات السودانيات ويعتبر الزي القومي للفتاة السودانية. ولهذا المصنع قصة طويلة سرد سردها لنا كمال الدين احمد ، وهو صاحب المصنع ومؤسسه :

« منذ عام ١٩٣٤ وحتى عام ١٩٤٢ ، كنا مجموعة من التجار من اهالي قرية التوراب التي تبعد عن شندي حوالي ٢٠ كيلو مترا على الضفة الغربية من النيل ، وقد مارسنا تجارتنا في مدينة كسلا ولكن كانت هناك فكرة تراودني دائما ، وهي العودة الى بلدي الصغير وانشاء مشروع صناعي فيها للعمل على رفع مستوى اهالي هذه المنطقة الذين تزيد عددهم عن ٥٠ الف نسمة .. وبدأت احلم بانشاء مصنع النسيج في قريتي « التوراب » وعرضت المشروع على زملائي التجار ، فرحبوا به في البداية ولكن بتكرار الاجتماعات والدراسة تخلوا







جميعا عن المشروع بحجة ان القريــة بعيدة عن العمران وليس هناك طرق صالحة تؤدي اليها .. ولم اكن في وضع يسمح لي بان اقوم بتحقيق حلمي وحدي وتركت كسلا وذهبت الى ام درمان ، ومنها ذهبت الى القاهرة حيث عملت في الاستيراد والتصدير ، واستطعت ان اجمع بعض المال وعدت احلم من جديد بالمصــنع في قرية التــوراب ، واستطعت في عام ١٩٥٠ ان احقق حلمي بانشاء المصنع بآلات يدوية .. وبعد عشر سنوات اي في عام ١٩٦٠ تحول المصنع الى مصنع متطور مزود بأحدث آلات النسيج ، وبمحطة كهربائية لمده بالقوى الكهربائية اللازمة لادارة الآلات ، واصبح انتاجه حوالي ٢٥٠ الف متر في العام الواحد .. ومع دخول الصناعة الى هذه المنطقة قلت هجرة اهلها للبحث عن العمل واصبحت هناك كهرباء في القرية، وبجزء من ارباح المصنع بنيت مستشفى مركزيا جديدا تكلف ٢٠ الف جنيه ، وتبرعت بمبلغ ١٠ آلاف جنيه للمساهمة في انشاء طريق معبد يربط بين ام درمان والقلابات قرب ، وهو مشروع يحيي عددا كبيرا من قرى الضفة الغربية للنيل التي تعاني من الاهمال بسبب وعورة مواصلاتها .. » .

اهتمام بالزراعة والثروة الحيوانية

ولكيا يحمل الاهالي من جانبهم على النهضــة ببلدهم فان الحكومة السودانية تقوم الآن بتنفيذ مشروعات كثيرة للنهضة بمنطقة شندي كلها .. ومن اهم المشروعات الحكومية مشروع استصلاح الاراضي وزراعتها ببساتين المانجو والموالح . وهناك الآن ٢٤ الف فدان مقسمة الى اقطاع كل قطعة منها ٦ آلاف فدان تقوم الهيئات الزراعية الحكومية بزراعتها بالمانجو مستعملة في ذلك احدث الطرق العلمية . وفي نفس الوقت يقوم تفتيش الزراعة في منطقة شندي بتشــجيع الاهالي على زراعة الفواكه فيمدهم بالشتلات بأسعار اسمية والارشادات مجانا . ونتيجة لذلك بلغت مساحة الاراضي المزروعة فواكه في المنطقة حوالي ٥٠ الف فدان .

وتهتم الحكومة السودانية بالثروة الحيوانية في منطقة شندي . ولما كانت المنطقة واسعة ، وبها عدد من القبائل الرحل ، فان الاحصائيات الدقيقة عن اعداد الثروة الحيوانية غير متوفرة ، ولكن الارقام التقريبية تقول ان في شندي حوالي ٣٠ الف راس من الابقار ، و ١٠٠ الف راس من الاغنام ، و ١٥ الف راس ماعز وحوالي ٦ آلاف من الجمال .

ويتم تصدير ١٧ الف راس من الاغنام سنويا الى السعودية ، وحوالي ٢٠٠٠ جمل الى الجمهورية العربية المتحدة . وكذلك عدد كبير من الابقار

المركز القومي للتنمية الاجتماعية ودوره في الريف السوداني

يقطن اكثر من ٩٠٪ من الشعب السوداني خارج المدن ، ويوجد في المساحات الواسعة خارج المدن عدة اهالي متخلفة تعاني من الثالوث الرهيب الجهل والفقر والمرض ، علاوة على سوء استغلال الطاقات والموارد الطبيعية . ومن هنا نشأت اهمية الدور الذي يلعبه المركز القومي للتنمية الاجتماعية في شندي والذي يقوم باعداد المرشدين الاجتماعيين وتدريبهم حتى يصبحوا قادرين على تحريك المجتمعات المتخلفة وتنظيمها لتغير من طرق حياتها التقليدية ، ولتستغل الطاقات والامكانيات ▬ .

تدريب المرشد الاجتماعي

ويتحدث السيد النور عبد الســيد النور مراقب المركز عن دور المركز في اعداد المرشدين الاجتماعيين فيقول « ان المركز يهدف الى تزويد الدارسين بالمعلومات وشتى وجوه الخبرة والمهارة في فترة الدراسة وهي تستمر ١٠ شهور وتنقسم الى ثلاث مراحل.. المرحلة الاولى للدراسة النظرية ويتلقى فيها الدارس ١٨ مادة تتعلق بالتنمية الاجتماعية وما يتصل بها من خدمات فنية كالتمريض والتعاون والزراعة بالاضافة الى ما يتخلل هذه المرحلة من تدريب على بعض الخبرات والمهارات كالوسائل السمعية والبصرية والصناعات الريفية اليدوية .

اما المرحلة الثانية فهي مخصصة للعمل الميداني للتدريب على كيفية تطبيق النظريات التي درسها المرشدون في المرحلة الاولى .

وتتناول المرحلة الثالثة فن البحث الاجتماعي .

ويقبل المركز في كل عام دفعة من ٣٠ باحثا او باحثة اجتماعية ، كلهم مختارون من بين مدرسي المدارس الابتدائية في مختلف مديريات السودان . ويشترط في كل واحد منهم ان يكون قد امضى

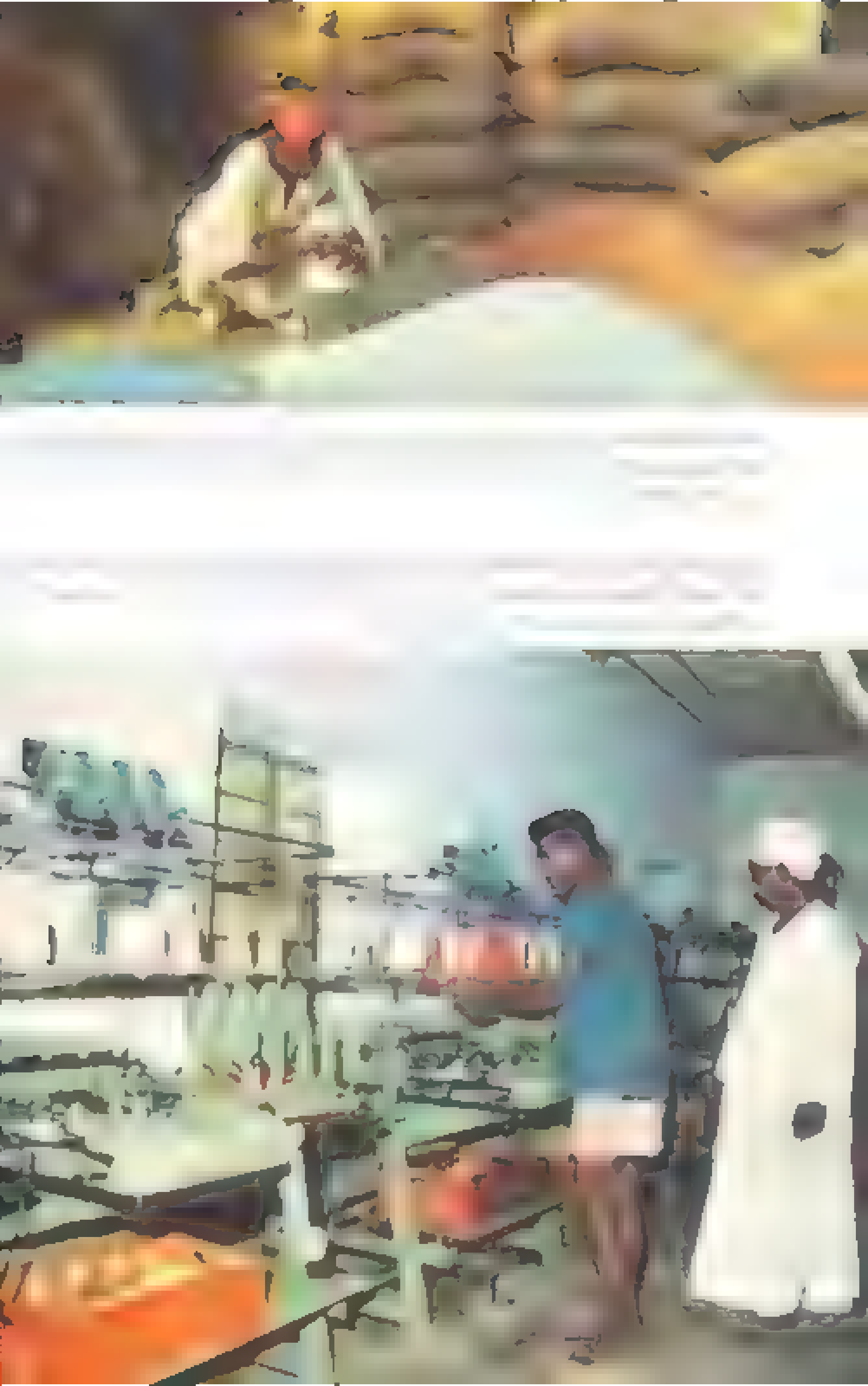


[illegible] • عند بئر ماء في صحراء شندي حيث تجتمع قطعان الرعي لتسقي أغنامها ومن ثم [illegible]
واحد ثم يملأون قربهم الجلدية بالماء تقيهم عطش الصحراء [illegible] في [illegible]
[illegible] التي [illegible] أصابعها لترى الأغنام

في التدريس بالمدارس الابتدائية في أنحاء السودان المختلفة مدة لا تقل عن ٥ سنوات .

الجعليون والشجاعة !!

وتتميز قرى منطقة شندي بطابع خاص ، فالغالب سكانها من قبائل الجعليين أو الشايقية وقد قامت بعثة العربي بزيارة قرية صغيرة تسمى القليعه وتبعد ١٠ كيلو مترات عن مدينة شندي . وهذه القرية بالذات كل سكانها البالغ عددهم ١٢٠٠ من الجعليين ، والجعليون قبيلة عربية لا تزال تحتفظ بتقاليدها القديمة واعتدادها بالنفس ولا يزالون يتناقلون قصة الرجل الجعلي الذي تهشمت ساقه تهشما تاما واضطر الطبيب العربي الى بترها في مكان الحادث لانقاذ حياته فلم تصدر من فمه صرخة





تلوه واحدة اثناء عملية بتر ساقه وزغردت النساء تحية لشجاعته . فلما سمع الزغردة أصر على أن يقوم الطبيب ببتر ساقه الأخرى دليلا على شجاعته وتحمله الآلام !! .

التطور الاجتماعي يتم بمعونة الأهالي

وفي قرية الفكيه يقوم مرشد اجتماعي ومرشدة اجتماعية بالاشراف على تطوير القرية .. وقد يروي لنا المرشد الاجتماعي أنه بدأ عمله والقرية ليس فيها من مرافق الحياة الحديثة أي شيء .. ولم يمض على وجوده سنتان الا والقرية فيها مدرستان ابتدائيتان واحدة للبنات والأخرى للبنين وأنشئت فيها جمعية تعاونية ، ودخل التليفون الى القرية لأول مرة ، كما دخلتها المياه النقية ، وأنشأت الجمعية التعاونية محلا للجزارة ، وأخيرا أنشئ فيها أيضا مركز للاسعافات السريعة يشرف عليه مساعد من وزارة الصحة ويزوره أحد الأطباء مرة في الأسبوع .

كل هذا تم بمعونة الأهالي وبمساعدتهم وبواسطة توجيهات المرشد الاجتماعي لهم .

أما المرشدة الاجتماعية فقد قامت بتعليم نساء القرية الصناعات اليدوية والخياطة ، والتدبير المنزلي ، واستطاعت بعد صبر طويل أن تقضي على كثير من العادات القديمة كالاعتقاد بالسحر والشعوذة والزار .. وأنشأت أيضا فصلا لمحو أمية النساء كبيرات السن .

ويقول أحد سكان القرية عن هذه النهضة « انها ليست الا البداية بعد أن لمسنا مدى ما نستطيع أن نحققه عن طريق تعاوننا » .

في الطريق الى الآثار القديمة

تعتبر منطقة شندي من أهم المناطق الأثرية في السودان كله كما ذكرنا ، وعلى بعد حوالي ٥٠ كيلو مترا من جنوب شرق المدينة تقع منطقة « المصورات الصفراء » وكانت تعتبر في عهد المملكة المروية القديمة مكانا مقدسا يحج اليه كل أبناء السودان .

والطريق الى المصورات الصفراء طريق وعر غير ممهد يمر وسط أشجار الشوك والأعشاب البرية .. ولا يصلح للسير فيه سوى عربات « اللاندروفر » وعندما ركبنا السيارة كنا نتوقع أن لا تستغرق الرحلة أكثر من ساعة للوصول الى منطقة الآثار .. ولكن يبدو أننا كنا متفائلين أكثر من اللازم .. فقد استغرقت الرحلة أكثر من ساعتين ونصف بسبب وعورة الطريق وعدم وضوح ملامحه .. ووصلنا الى السياج الأعظم وهو قصر الملك ومعبد الاله آمون ، وقمنا بزيارة معبد الأسد (أبيدماك) اله الحرب عند قدماء السودانيين ، وقد أعيد بناء هذا المعبد في الفترة ما بين عام ١٩٥٧ الى عام ١٩٧٠ ، ويعود تاريخه الى عهد الملك المروي ارنكاماني في عام ٢٢٥ ق.م ويعتبر أول معبد بني لتقديس الاله « أبيدماك » ..

وفي هذه المنطقة توجد مجموعة من التماثيل وصور الأفيال التي تدل على أنها كانت منطقة غنية بالحيوانات المتوحشة مثل الأفيال والأسود .

بئر بناجه .. وبئر المرأة

بعد أن قمنا بزيارة معبد آمون ومعبد الأسد ، عدنا مرة أخرى الى السيارة اللاندروفر والى الطريق وسط أشجار الشوك .. والأعشاب ، وذلك لزيارة منطقة أثرية أخرى تسمى منطقة النقعة . وفي الطريق شاهدنا وسط الصحراء تجمعا كبيرا لعدد من رجال القبائل الرحل مع مواشيهم وجمالهم وأغنامهم .. لقد اجتمعوا جميعا حول بئر تسمى بئر بناجه وبدأوا يملأون



معبد الاله آمون في منطقة المصورات الصفراء وقد ظهرت على جدرانه رسومات تشبه تماما تلك الرسومات التي توجد على الآثار والمعابد الفرعونية القديمة الموجودة في مصر .



واحد من اهرامات منطقة البجراوية « مروى القديمة » وهذه الاهرامات هي التي دفن فيها الملوك والملكات الذين حكموا المنطقة عام ٢٥٠ ق.م حتى عام ٣٢٠ م

فربهم الجلدية الى البئر ويسحبونها بواسطة حمارين لتخرج مليئة بالماء الذي يحمل لهم ولحيواناتهم الحياة .. وفي النقعة شاهدنا معبد آمون الذي بناه الملك « نتكه اماني » والملكة اماني تاري في عام ١٢ ق.م .

وشاهدنا بناء أثريا من الطراز الروماني القديم وهو البناء المطبوعة صورته على العملة السودانية الورقية من فئة الجنيه ، ولم يعرف بعد تاريخ هذا البناء الا انه من المرجح ان يكون قد بني في أوائل القرن الثاني بعد الميلاد . ويعتبر مثالا للتأثير الروماني على الفن المروي القديم .

اهرامات البجراوية

وفي منطقة البجراوية « مروى القديمة » تقع اهرامات البجراوية الشهيرة في السودان .. وهذه الاهرامات تنقسم الى ٣ مجموعات رئيسية هي

١) المجموعة الشمالية ودفن بها الملوك والملكات الذين حكموا المنطقة منذ عام ٢٥٠ ق.م حتى عام ٣٢٠ م .

٢) المجموعة الشرقية وتسمى باهرامات الوبداء وفي العميقة فهي مدافن الامراء والعائلات المالكة .

٣) المجموعة الجنوبية وهي أقدم مجموعة من هذه الاهرامات وقد دفن فيها الملوك الذين حكموا منذ عام ٧٢٥ ق.م وحتى عام ٢٥٠ ق.م .

وفكرة الاهرامات السودانية مأخوذة اصلا من اهرامات مصر الشهيرة .

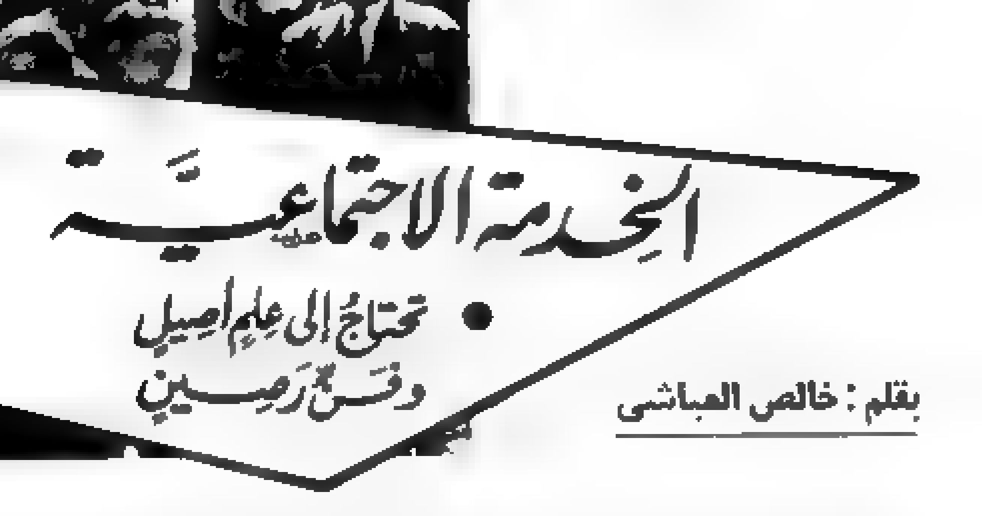
شندي المستقبل

بعد ان شاهدنا الآثار التي تحيط بمدينة شندي وتنتشر في الصحراء . تبادر الى الذهن سؤال واحد محدد .. هو لماذا لا تستغل هذه المنطقة الغنية بالآثار سياحيا ؟! .

وعندما طرحنا هذا السؤال جاء الجواب المنطقي .. ان المنطقة في حاجة الى مشروعات أخرى ملحة وعاجلة وعندما تتم هذه المشروعات المحبوبة من مصنع سكر الى نهضة زراعية الى تصنيع الى تعليم سيصبح الباب مفتوحا لتحويل المنطقة الى منطقة يؤمها السياح من جميع انحاء العالم ..

وعندها فقط ستعود شندي الى مجدها القديم .

محمد طنطاوي



الخدمة الاجتماعية

• تحتاج إلى علم أصيل وفن رصين

بقلم : خالص العباشي

● ارتبطت الخدمة الاجتماعية في اذهان الكثيرين باعمال البر والاحسان ، وابداء الصدقات ، وتقديم العون للمحتاج ، والمريض ، والعاجز واليتيم .

ويرى بعض الناس ان الخدمة الاجتماعية ليست مهنة ، ولكنها واجب انساني حثت عليه جميع الاديان ، ومارسه الانسان لمعاونة اخيه الانسان منذ بدء الخليقة .

ويسمع آخرين يقولون بان الخدمة الاجتماعية نشاط انساني يقوم به الانسان دونما حاجة الى اعداد او تخصص . فالاباء ، واعضاء الاسرة الواحدة ، والاطباء ، والمعلمون ، ورجال الدين .. كل هؤلاء يقومون بدور ايجابي في خدمة المجتمع مع انهم لم يتدربوا على الخدمة الاجتماعية ، ولم يتمرسوا بفنونها في المدارس المهنية المعدة لهذا الغرض .

وفي راي هذا الفريق ان المعيار الصحيح الذي يمكن اتخاذه اساسا للتمييز بين الاعمال التي تعتبر من الخدمة الاجتماعية ، والاعمال التي لا تعتبر كذلك ، انما هو الدافع من وراء العمل ، والنوايا التي ينطوي عليها .

وبمقتضى هذه النظرة اعتبرت الخدمة الاجتماعية « جهودا تنطوي على الاخلاص ، وتقوم على اسلوب منظم يوجه نحو الافراد الذين تاخر تقدمهم بسبب ضعف صحي ، او اضطراب في علاقاتهم العائلية او الاجتماعية » .

ولا مراء في ان الدافع الذي يبعث المرء على اتيان الخير او اسداء النصح للغير ، هو الجوهر الحقيقي لكل عمل انساني ، وهو الذي يضفي على هذا العمل قيمته الانسانية .

وما لم يثق الانسان الذي يتلقى العون من انسان آخر بان صوت خالصة من الشوائب ، منزهة عن المآرب .. لا يستطيع ان يتقبل هذا العون . ومهما اضطره ظروفه لقبوله ، فالغالب الظن انه لن يفيد منه الفائدة المرجوة ولن يكون له في نفسه الاثر المستحب .

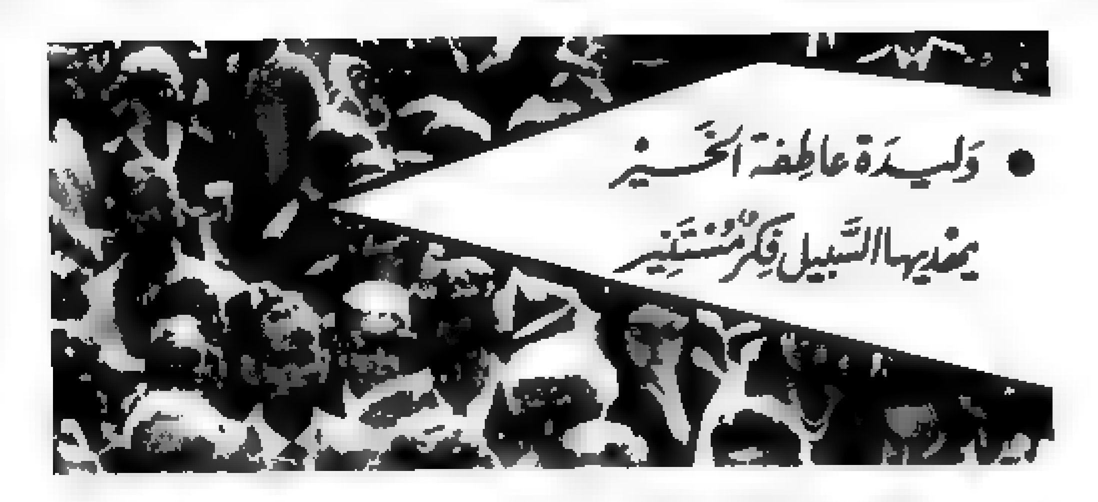
المساعدة بدافع المحبة

على ان توافر الدوافع الطيبة ، والنوايا الصالحة .. ليس هو كل ما يهم في التعامل مع الناس يخفقون في مساعيهم ، ويتعثرون في خطاهم . فالمساعدة التي يسديها الوالد لولده ، او المعلم لتلميذه ، او الصديق لصديقه ، بدافع من المحبة والغيرة . يمكن ان يكون لها نفعها اذا ما كان الشخص المرغوب في مساعدته يتمتع بشخصية سوية . اي اذا كان ينظر للحياة نظرة ايجابية ، ويرغب في التعاون من اجل ايجاد حل للمشكلة التي يعاني منها ، ان كانت لديه مشكلة ما .

ولكن الملاحظ بوجه عام ، ان كثيرا ممن تستدعي احوالهم اسداء العون والنصح لهم ، هم الناس يعانون من اضطراب الشخصية . فالاشخاص الذين يتعذر عليهم التعامل مع غيرهم من الناس ، والشاكون ، والمتهيبون ، وغير المتعاونين ، واولئك الذين يخرجون عن المألوف .. انما يعانون جميعا من سوء التوافق النفسي .

وامثال هؤلاء لن تنفع معهم نصيحة واضحة الصدق او معونة مبعثها الاخلاص وربما انقلبت النصيحة ضارة والمعونة مضرة بالنسبة اليهم .

والتعرب الناطق مثلا بعربة الوها بمهارة لاتي نطيس الجاوب بسرعة ، كما ان ناظري سليم يميز



الرؤية بوضوح ، فضلا عن كونه الان استخدام ادوات القيادة .. وكل هذا حسن وجميل طالما كانت العربة تسير دون ان يطرأ عليها خلل ما . ولكن حينما يصاب احد اجزائها بخلل ، لن يكون في وسعه الا الوقوف مكتوف اليدين ، حتى يهرع لنجدته من هم اكثر منه خبرة في شؤون ميكانيكية العربة .

وهكذا الحال بالنسبة للعلاقات الانسانية ، الا قد تكفي النوايا الطيبة وحسن الادراك في التعامل مع شخص طبيعي وفي وضع سليم .

لكن قدرا كبيرا من الخلل يمكن ان يدب في نفوس البشر . وكلما كبر الخلل احتاجت المعالجة الى المعرفة والتخصص ، والى الخبرة والمهارة لعلاجه واصلاح امره .

وفي مقدورنا ان نذهب الى ابعد من ذلك ، فنؤكد بان الضرر كثيرا ما يصدر عن انسان خالص النية ، كريم القصد . ويوسعنا ان نسوق هنا بعض الامثلة العملية على ذلك :

الخطأ من الحكم على الامور

قد تضيق زوجة شابة ذرعا بحياة الزوجية الجديدة عليها ، وتحس بانها قد خدعت ، وان زوجها لا يفهمها .. فتلتمس الى رأي صديقة تزين لها هجر زوجها ، والسعي الى العمل مستقلة عنه وربما لا يمضي اكثر من اسبوع واحد ، حتى يكون الزوجان الشابان قد سويا خلافاتهما ، وصفا الجو بينهما .

وفي حالة كهذه ، لم يحدث ضرر كبير في الواقع، اللهم الا ما يمس سمعة الصديقة ومكانتها ، ولكن من يدري ؟ فقد تتطور الامور الى اسوا من ذلك وتنتهي الى انفصال الزوجين عن بعضهما .

او لنفترض ان سيدة طيبة السريرة ، طالما ما رأت عليه منزل احد جيرانها من حيث قذارة فرشه ، وبؤس اهله .. فبذلت جهدها ومالها في ابعاد اطفال تلك الاسرة عن ذويهم والحاقهم بإحدى دور كفالة الاطفال .

ترى ؟ هل خدمت تلك السيدة الخيرة ايهما افيد لتلك العائلة وابنائها الاطفال : بالاقامة في مسكنهم الوضيع ، حيث الفراش النتنة ، والوجبات الرخيصة ، وندرة وسائل اللعب .. ام عيشهم في جو تتوافر لهم فيه كل اسباب النظافة والعناية والترفيه .. بينما يظلون محرومين من عطف آبائهم وامهاتهم ، ودفء الحياة في بيوتهم ؟ ..

هنالك عشرات الامثلة للمواقف التي يمكن ان يخدع فيها الانسان ذو النوايا الطيبة، والعواطف السليمة ، ويخطئه الحكم على الامور .

ولهذا كان لا بد لمن يريد ان يتصدى لمهمة مساعدة الناس ان ينتحل الفكر العلمي في تناوله المواقف الانسانية .

العاطفة .. رجل اعمى

ولقد ساق لنا الفيلسوف الالماني « شوبنهاور » تشبيها طريفا في هذا المعنى ، يستند الى قصة المقعد والاعمى المشهورة ، اذ شبه العاطفة بالرجل الاعمى ، والفكر بالرجل المقعد .

فمن الواضح ان العاطفة كالرجل الاعمى ، تملك قوة السير والحركة ولكنها محرومة من نعمة البصر ، انها تعجز عن رؤية الطريق فلا تستطيع

ان تبين الاتجاهات التي يجب ان تسير نحوها .

واما الفكر شأنه كالرجل المقعد ، يتمتع ببصيرة حادة ، يرى الطريق وكل ما يحيط بالطريق ، فيستطيع ان يبين الاتجاهات التي يجب ان يسير نحوها ولكنه محروم من قدرة الحركة فلا يستطيع ان يسير نحو الاماكن التي يشاهدها بعينيه مع انه يدرك وجوب التوجه نحوها وضرورة الوصول اليها .

كذلك فن الخدمة الاجتماعية ، انها وليدة عاطفة الخير ، يهديها السبيل فكر مستنير ، يقودها بخطى وئيدة في ضوء فهم شامل للنوازع النفسية البشرية ، ودراية تامة بطرق البحث العلمي ، ومعرفة بصيرة بأساليب العمل مع الافراد ، والجماعات ، والمجتمعات .

تطور الخدمة الاجتماعية

وهذا هو التصوير الحديث لطبيعة الخدمة الاجتماعية كما عبر عنها عالم الاجتماع الفرنسي (رينيه ساند Rene Sand) حين قال : انها وضع الشعور والميل الاجتماعي موضع التطبيق ، مع الاستنارة ببحوث العلوم الاجتماعية .

بيد ان الخدمة الاجتماعية لم تصل الى ما وصلت اليه من تطور وتقدم في عصرنا هذا ، الا بعد ان قطعت طريقا طويلا ، حافلا بالتجارب والمصاحبة مليئا بالنجاح والفشل . اذ كان عليها ان تطور فلسفتها وان تطور اسلوبها باستمرار ، تبعا لتطور الفكر الفلسفي والسياسي لكل مجتمع وكل عصر .

فمنذ ان استقر الانسان في الارض ، وانشأ المزارع والقرى ، اتجهت الانظار نحو المالك الذي يملك الارض ويدير شؤون الجماعة ، باعتباره المسؤول الاول عن مهمة الغوث الاجتماعي .

وفي العصور التي سادت فيها تعاليم الاديان كانت الوظيفة الاولى للخدمة الاجتماعية هي منح الصدقات والمعونات . وكانت المؤسسات والهيئات الدينية هي المسؤولة عن هذه المهمة .

وبدءا من القرن السابع عشر ، ظهرت في العالم الاوروبي لاول مرة ، فكرة مسؤولية الدولة تجاه رعاياها ، وبخاصة اولئك الذين يشكون من علة ما ، والذين يعيشون في ظل اوضاع غير انسانية – وذلك عندما صدر في انكلترا عام – ١٦٠١ – قانون الفقراء الشهير بقانون اليزابيث .

ومنذ ذلك الحين استمرت فكرة مسؤولية الدولة تجاه رعاياها تنمو وتتقدم تدريجيا حتى بلغت اوجها في عصر النهضة الاوروبية لعصر الاستنارة حيث حلت فكرة « العدالة الاجتماعية » محل الاحسان الديني وحيث اصبحت شؤون الرعاية الاجتماعية للمواطنين مسؤولية الدولة اكثر مما هي مسؤولية الافراد والهيئات والمنظمات الدينية .

احترام الفرد كانسان

فكان القرن الثامن عشر اخرجنا من الفترة الضيقة التي اساسها الساعدة بالاحسان الى فكرة حديثة ، واسعة الافق ، وهي فكرة احترام الفرد كانسان ، والايمان بالعدل الاجتماعي ، وبذلك خطت الانسانية خطوة واسعة الى الامام .

وهذه الفلسفة الجديدة المتطورة انعكست صورتها في مرآة التشريعات الجديدة التي تقوم على فكرة الديمقراطية ، وعلى ان المجتمع الديمقراطي اسرة كبيرة يوشج الصلة بين افرادها تواد وتراحم وتعاطف ، بالاضافة الى مصالح مشتركة تفرض عليهم التعاون على تأمين الحياة ، ورغد العيش ، وان على هذا المجتمع اتاحة الفرصة لكل مواطن لينال حظه من العلم والعمل ويبلغ اقصى ما تسمح به مواهبه حتى يؤدي واجبه كمواطن اكمل ما يكون الاداء . فاذا اقعده عن هذا الواجب مرض او عجز او عاهة ، اخذت امته بيده ، وتعهدته بالرعاية اللازمة ، وهي حين تفعل ، انما تؤدي اليه حقه عليها ، لا تسدي اليه يدا ، ولا تتصدق عليه بفضل نوال .

ومن حقنا نحن معشر العرب مسلمين ومسيحيين ان نباهي بان مجتمعاتنا الشرقية كانت اسبق الى اقرار مبادىء العدل الاجتماعي وحقوق الانسان . وذلك حينما اقامت الدولة الاسلامية نظاما كاملا للرعاية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي كان بمثابة تتويج للمبادىء الانسانية التي اطلقتها الديانة المسيحية ، وتكملة لنظامها الاجتماعي الذي يقوم على اعتبار الصدقة حقا للفقراء لا منحة متفضل ، ولا هبة محسن .

اهم مميزاتها اليوم

على ان اهم ما يميز الخدمة الاجتماعية في القرن العشرين موضوعيتها وتناولها العلاقات والمشكلات الانسانية بأسلوب البحث العلمي . فلم تعد

تقنع بتقديم ما يمكن تسميته بالمعونة المسكنة او المخففة ولم تعد ترضى بالحلول الوقتية وانما غدت تبحث عن المعونات العلاجية الشافية التي يمكن ان يكون لها صفة الديمومة والتي تصلح ان تكون اساسا في النهوض بشخصية الفرد والجماعة والمجتمع وتعيد اليهم درجة من الفاعلية والانتاجية لكل منهم .

وما من خطة يرسمها الاخصائي « وهو الشخص المؤهل علميا وعمليا في طرق العمل مع الافراد والجماعات والمجتمعات المحلية » الا وتكون مسبوقة بدراسة علمية وافية لطبيعة الموقف الذي يستلزم المساعدة وللعوامل المتداخلة فيه .

وقريب وجه الشبه من هذه الناحية ، فيما بين مهنة الخدمة الاجتماعية ومهنة الطب . فهذه تعالج آفات البدن ، وتلك تعالج آفات المجتمع . والاخصائي الاجتماعي شأنه كالاخصائي الطبي لا يكتفي بدراسة الاعراض الظاهرة للمرض ، ولا يقنع باعطاء الدواء المسكن ، بل يذهب بعيدا في البحث وراء العوامل الحقيقية للمرض مستعينا بمنهج البحث العلمي ووسائله .

تضافر المهن الاخرى

على ان الخدمة الاجتماعية حينما تتصدى لمشكلات المجتمع لا تستطيع ان تقف وحيدة في الميدان ، الا لا بد ان تتضافر معها مهن اخرى كثيرة ، كالطب ، والزراعة ، والهندسة ، والقانون ..

هذا وربما كان للقانون دوره وسلطانه في المجتمع فلا مندوحة من ان تشفع الدراسة العلمية والخطط العلاجية ، بتشريعات وقائية واصلاحية تدعمها وتمكن لها في التنفيذ . على ان تستوحي احكامها من حاجة المجتمع ومصلحته . فخير القوانين ما صدر عنها لو جاء صدى للحاجة .

وهذه التشريعات الوقائية والاصلاحية انما هي بمثابة عملية لسلاح اجتماعي ، تساعد الخدمة الاجتماعية على دخول معركتها ضد اعدائها التقليديين : الفقر ، والجهل ، والمرض .

فتشريع اجتماعي يحد من الطلاق وتعدد الزوجات ، احتراما لوحدة الاسرة ، وتماسك لبنائها ، واجدى عليها من قانون يحدد النفقة لاولاد حيارى بين أب مطلق وأم حانقة .

وتشريع يسقط حق الآباء في الولاية الشرعية على بنيهم ، اذا ساءت بهم النخوة ، وتخاذلت منهم الهمة .. اجدى على الامة من انشاء مؤسسات المشردين والمتقطعين من الاطفال الذين غاب حظهم في ابوة صالحة كريمة .

وتشريع يوفر للعمال في مصانعهم اسباب الوقاية من امراض المهنة وحوادث العمل ، انفع لهم وللامة من صرف الاموال الطائلة لتعويضهم عن نواحي العجز والقصور التي يصابون بها ، فضلا عن الاموال التي تستلزمها اقامة المؤسسات الاجتماعية الخاصة بتأهيل العاجزين ولو ان هذه المؤسسات لا غنى عنها لاي مجتمع طالما ان مصادر الاصابة بالعاهات متعددة ، متنوعة ، وغير مقتصرة على اصابات العمل .

تنسيق الجهود

والخدمة الاجتماعية في كفاحها ضد عوامل التفكك والتخلف الاجتماعي ، اشبه بالجيش المحارب ، فهو لكي يكتب له النصر ، لا بد له من تنسيق جهود وحداته المختلفة لبلوغ الهدف المنشود .

فتنسيق جهود الهيئات المعنية بخدمة المجتمع، اهلية وحكومية ، ضروري لتماسك المجتمع ونهوضه . وتكاتف جهود الوحدات الاجتماعية المختلفة لتقوم كل منها بيسر مهمتها ، وتؤدي ادوارها فيما هي بسبيله من وجوه الاصلاح . فالمدرسة لا تؤدي رسالتها المرجوة على اكمل وجه ما لم تعاونها الاسرة ، وترفد جهودها البيئة ، ويعكس تعاليمها المجتمع .

واذا حاولنا تحديد دور الخدمة الاجتماعية بالنسبة للمجتمع – بصفة عامة وبصورة مبسطة – يمكننا ان نشبه المجتمع بجسم الانسان ، ونشبه الانظمة الاجتماعية الموجودة فيه (كالنظام العائلي ، والنظام التعليمي ، والنظام الحكومي) باجهزة الجسم (كالجهاز التنفسي ، والجهاز الهضمي ، والجهاز العصبي) .

العوامل التي ادت الى ظهورها

وكان مما ساعد على نشوء مهنة الخدمة الاجتماعية في القرن العشرين تضافر عدد من العوامل دفعت بها خطوات واسعة الى الامام منذ بداية القرن . ونستطيع ان نجمل هذه العوامل في الآتي :ـ

١ ـ تقدم العلوم الانسانية ، وتطبيق منهج

البحث العلمي في ميادينها على اوسع نطاق ، منذ أواخر القرن الماضي .

٢ ـ اجتهاد رواد الخدمة الاجتماعية منذ أوائل هذا القرن ، في نقل وترجمة الحقائق والمعطيات الانسانية الى مبادئ عملية تطبيقية . وبمعنى آخر ، وضع هذه الحقائق الانسانية في خدمة الانسان نفسه .

٣ ـ التوسع الكبير في الاخذ بفكرة مسؤولية الدولة في الرعاية الاجتماعية لمواطنيها ابتداء من مطالع العصر الحديث .

٤ ـ الدور الفعال الذي أدته الخدمة الاجتماعية خلال فترتي الازمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٣٠ ، والحرب العظمى الثانية وما بعدها .. مما جعل المجتمعات تقدرها حق قدرها ، وتعطيها ارفع منزلة .

هذا ، واعتبارنا الخدمة الاجتماعية مهنة يقتضينا تحليل مقومات المهن بوجه عام، ومقارنتها بالمقومات الخاصة بمهنة الخدمة الاجتماعية .

اولا ـ يتصف العمل في محيط المهن عموما ، بانه عمل فكري قبل كل شيء . وينطبق هذا القول على الخدمة الاجتماعية باعتبار ان العمل في ميدانها يعتمد على دقة الملاحظة والتفكير والتحليل (تحليل المعلومات والبيانات المتصلة بظاهرة اجتماعية معينة والربط فيما بين هذه المعلومات) ، من اجل تكوين صورة تشخيصية تصلح ان تكون اساسا لخطة عملية في معالجة الظاهرة .

ثانيا ـ تقوم كل مهنة على مبادئ ومثل خلقية معينة ، وتتطلب من المنتمين اليها سلوكا مشرفا لمهنتهم . والخدمة الاجتماعية من اشد المهن صرامة في هذا المطلب ، فهي تفترض فيمن يعمل تحت لوائها ان يحمل صفات ومميزات معينة، كالاستقامة والصبر ، والقدرة على ضبط الانفعال، وحب الناس ، والتمتع بالروح المرحة .. فضلا عن القواعد السلوكية التي ينبغي ان يلتزم بها ، والتي اهمها :

أ ـ المحافظة على سرية المعلومات المتعلقة بالاسر والافراد الذين يتلقون العون من احدى الهيئات الاجتماعية .

ب ـ المحافظة على دقة المواعيد .

جـ ـ احترام كرامة الناس وتقبلهم بصرف النظر عن اعتبارات الجنس واللون والمعتقد .

د ـ عدم اطلاق الاحكام العاجلة على الآخرين ، وعدم توقيع اللوم عليهم .

هـ ـ الحياد التام ازاء المواقف التي تعرض لهم .

ثالثا : تحظى المهن جميعا ، وبخاصة الانسانية منها ، كالطب والقضاء والتعليم والارشاد الديني باحترام وتقدير جميع فئات المجتمع وهيئاته . وما اظن ان الخدمة الاجتماعية والقائمين عليها يستحقون نصيبا من الاحترام اقل من ذوي تلك المهن . ولكن لا يجب ان يفوتنا ان درجة التقدير التي تتمتع بها مهنة ما تحددها عوامل مختلفة اهمها :

أ ـ مدى تجاوب المهنة مع ارضاء الصالح العام.

ب ـ درجة الوعي الاجتماعي والثقافي المتوفرة لدى الجمهور فيما يتصل باهمية الخدمات التي تقدمها هذه المهنة للمجتمع .

جـ ـ الكفاءة الفردية التي تعود بها المهنة على اصحابها . فكلما كانت هذه الكفاءة كبيرة حظيت المهنة بتقدير اجتماعي اكبر .

رابعا ـ للخدمة الاجتماعية كما لبقية المهن مجالات وميادين يعمل فيها اختصاصيوها . وكما ان الطبيب يعمل في عيادته الخاصة ، وفي المشافي العامة والمراكز الصحية ، كذلك يعمل الاخصائي الاجتماعي في مكاتب ودوائر الخدمة الاجتماعية المتصلة بالمدارس ، والمستشفيات، ومعاهد اصلاح الاحداث المنحرفين ، وفي السجون ، وفي مراكز انعاش الريف ، وفي المؤسسات المعنية برعاية الاسرة والطفولة ، وفي المصانع ، وفي مؤسسات التأهيل المهني لذوي العاهات كالمكفوفين وغيرهم.

خامسا ـ ومما يضفي على الخدمة الاجتماعية صفتها المهنية ، كون العلاقة التي تقوم فيما بين الاخصائي الاجتماعي وعميله (فردا او جماعة او مجتمعا محليا) علاقة مهنية مجردة عن الاهواء الشخصية ولها صفة الموضوعية .

سادسا ـ ولعل اخص ما تمتاز به الخدمة الاجتماعية كمهنة انسانية ما تضفيه على العاملين في مجالاتها من مشاعر الرضا والسعادة . واني لاذكر الكلمة التي قالها لي احد اخواني طلبة المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بدمشق اثر عودته من زيارة قام بها لمريض كان يتتبع حالته الصحية والعائلية . قال : ان الانسان ليستشعر سعادة كبرى حينما يساهم بقسط في اسعاد الآخرين .

الخدمة الاجتماعية كعلم وفن

ان القول بان الخدمة الاجتماعية علم وفن أمر يحتاج الى كثير من التحليل والتفصيل . وحسبنا في هذا المجال ان نورد المبررات الرئيسية لاعتبار الخدمة الاجتماعية علما « وفنا » .

فمن الممكن اعتبارها علما لسببين رئيسيين :

اولاهما – انها في تشخيصها اى موقف انساني تعمد الى تفسير المعلومات والحقائق المتصلة بالموقف في ضوء معطيات العلوم الانسانية .

ثانيهما – كونها تستخدم طرائق في مساعدة الناس منسجمة مع طريقة البحث العلمي .

وتتضمن كل طريقة من طرائق الخدمة المهنية وفق خطوات اساسية ثلاث هي :

أ – الدراسة الاجتماعية للموقف .

ب – التشخيص الاجتماعي للموقف .

ج – تصميم الخطة العلاجية للموقف .

ومما هو جدير بالذكر ان الوسائل التي يستعين بها الاخصائيون الاجتماعيون في دراستهم للمواقف والعلاقات الانسانية هي نفسها المستخدمة في مجالات العلوم الانسانية .

« فالمقابلة الشخصية » التي تستخدمها الخدمة الاجتماعية في مجال العمل مع الافراد بوجه خاص، هي احدى وسائل البحث المطبقة في ميدان علم الاجتماع وهي ما يعرف بمنهج « بحث الحالة الفردية Case Study » .

« واساليب القياس السوسيومتري » التي ابتدعها العالم الايطالي « مورينو » حوالي عام ١٩٣٧ ، اقتبستها الخدمة الاجتماعية من علم النفس الاجتماعي ، وطبقتها في مجال العمل مع الجماعات . وذلك كوسيلة لاختبار وقياس علاقات وتفاعلات اعضاء الجماعة واتجاهاتهم ، ومعرفة درجة تماسك الجماعة او تفككها الى غير ما هنالك مما يعين الاخصائي الاجتماعي في رسم خطة مساعدته لجماعته ، وتحديد دوره معها .

« ومنهج المسح الاجتماعي » اخذته الخدمة الاجتماعية من علم الاجتماع واستخدمته على نطاق واسع في الدراسات والعمليات المتصلة بتنمية المجتمعات المحلية في الريف والحضر .

دور الاخصائي الاجتماعي

ومن الممكن اعتبار الخدمة الاجتماعية فنا ، لانها تعتمد في ممارسة اسلوبها المهني والعلمي على شخصية الاخصائي الاجتماعي وطريقته في الافادة من معارفه وفي تكريسها لخدمة الآخرين . ومن البديهي ، ان يكون لكل اخصائي اجتماعي باعتباره انسانا متميزا ، طريقته في التعبير وقدرته على التأثير .. مما لا يشاركه فيهما اى انسان آخر .

وليس معنى هذا ان كل اخصائي اجتماعي يتصرف وفق هواه ، وعلى سجيته الخاصة .. الا ان هنالك مبادىء وتوجيهات عامة مرتبطة بالاسلوب المهني للخدمة الاجتماعية . وهذه المبادىء والتوجيهات هي ميدان تدريب الاخصائي الاجتماعي خلال سنوات اعداده في المدارس المختصة .

واذا علمنا بان البشر مختلفون في كل شيء .. في امزجتهم ، وفي استجاباتهم ، وفي ميولهم ، وفي قدراتهم .. ادركنا انه يتعين على الاخصائي الاجتماعي ان يواجه في كل يوم وفي كل ساعة حالة جديدة وموقفا فريدا . الامر الذي يتطلب منه ان يكيف شخصيته ومعارفه ومهارته لكل حالة جديدة .

لكل هذه الاسباب نجد ان تطبيق مبادىء واسلوب الخدمة الاجتماعية على الانسان، يتطلب ادراك وحساسية الفنان .

وبعد ، فليست الخدمة الاجتماعية علما « متكاملا » بذاته ، (فما يزال العاملون في ميادينها في طور اختبار صحة افتراضاتهم بواسطة اساليب البحث المعروفة في ميدان العلاقات الانسانية) .

وليست هي كذلك فنا « خالصا » ، وانما يتعاون في اطارها كل من اسلوب العلم واسلوب الفن ويمتزجان امتزاج الماء بلون الاناء الذي يحتويه . والخدمة الاجتماعية كما اراها ، اخيرا ، مهنة تتضمن علما وفنا، وتقدم بواسطتها المساعدة لمن يجد صعوبة في التكيف ويحتاج الى هذه المساعدة ، كما انها المساعدة التي يعطاها من هم في حالة تكيف اجتماعي سليم حتى لا يصبحوا في حالة سوء تكيف . وذلك بواسطة الاخصائيين الاجتماعيين وعن طريق المؤسسات والهيئات المعنية بالرعاية والتنظيم الاجتماعي . وذلك في حدود اهداف المجتمع وثقافته . ■■

خالص العياشي

مدير تخطيط المنطقة الشمالية (حلب)

القطر العربي السوري

رقصة الباليه

صورة في الذروة من الفن المسرحي
أداة تعبيرها الحركة وحدها .

بقلم : يوسف زعبلاوي

■ فنّ الباليه ، كما لا يخفى ، لون من ألوان الرقص الشائعة في الغرب . يدل على ذلك اسمه المشتق من الأصل الإيطالي Ealare ، ومعناه : يرقص . الا ان هوة سحيقة تعزل رقص الباليه عن سائر أنواع الرقص ، حتى لتكاد ان يكون لونا فذا . ولو انت نظرت الى حركاته لشعرت بأنها من الرشاقة والنبل ما يبتعد بها كثيرا عن حركات الرقص العادي .

فالباليه ذو طابع غريب ومميز حقا . يظهر ذلك في وقوف الراقصين وسيرهم ورقصهم على أطراف أصابع القدم . ويظهر أيضا في الحركات التي تعتمد أعضاء في الجسم وعضلات لم يألف الانسان استعمالها بقصد الحركة . ونذكر الدوران على سبيل المثال . فهو بمثابة المحور لكثير من حركات الباليه ، يمكّن الراقص من مدّ ساقه في شتى الاتجاهات على زاوية مستقيمة أو شبه مستقيمة .

على ان هذه الحركات الغريبة مصقولة ومتقنة ، تحددها قواعد وأصول سنت وتطورت على مدى قرون . وهي اما حركات رئيسية ، وهذه قليلة ، لا يتجاوز عددها الخمس ، واما حركات فرعية ، وهذه كثيرة لا يكاد يعرف لها عدد . وتحتل الحركة المعروفة بالأرابسك Arabesques ، مكانة مرموقة بين هذه الحركات جميعا . اما تسميتها بهذا الاسم فلعله يعزى الى اقتباسها أصلا عن الرقص الأندلسي .

ولا يخفى ان حركات هذا شأنها لا بد وأن يكون أداؤها صعبا ، بل مستحيلا ، ما لم يعتمد على أساس من الدراسة الجدية الرصينة والمران الطويل . فمعاهد الباليه تشترط في المنتسبين اليها الجسم المرن القوي ، و"الأذن" الموسيقية ، فضلا عن صغر السن ، وهو ، عند البعض ، ١١ – ١٢ سنة في الذكور و ٩ – ١٠ سنوات في الاناث . وهي تخضع طلابها لبرنامج حافل بالتدريبات الشاقة المضنية ، يجرونها تباعا يوما بعد يوم ، طوال سنوات عديدة ، بحيث يتسنى لهم اتقان حركات رقص الباليه ، والبلوغ به حد الكمال .

وهو أبعد ما يكون عن الاثارة الجنسية والتعبير عن الغرائز والميول . انه يبرز جمال حركة الانسان ليتذوقها ويستمتع بها الانسان . ويتأتى هذا وذاك في تجرد وتنزه عن كل مبتذل .

غير ان رقص الباليه يعبر أيضا عن أحاسيس وأفكار وحالات نفسية ، وفق ما تقتضيه طبيعته من حيث هو فن مسرحي . فهو والأوبرا والأوبريت أشقاء . اذ انها تروي لنا قصصا وحكايات من فوق خشبة المسرح وكلها تستعين على ذلك بالموسيقى الكلاسيكية الرائعة . ولكنها تختلف في أداة التعبير التي تعتمد عليها في سرد تلك القصص . فالأغنية هي واسطة التعبير في الأوبرا ، والأغنية التي يتخللها الحوار والحديث هي تلك الواسطة في الأوبريت . اما في الباليه فأداة التعبير هي الحركة الراقصة المطلقة التي لا يرافقها نشيد ولا كلام .

ونضرب مثلا على ذلك بالباليه الشهيرة « بحيرة البجع » Swan Lake ، وهي التي وضع موسيقاها تشايكوفسكي Tchaikovsky ، الموسيقار الروسي المعروف . انها تتألف من أربعة فصول هي طويلة . يظهر في أولها الأمير زيجفريد وهو يحتفل بعيد ميلاده الواحد والعشرين ، في حديقته . ولكنه بادي القلق ، ولا يحد من قلقه ظهور عدد من البجعات أو الفتيات الجميلات ، وقد أخذن يرقصن من حوله ، ويرفرفن بأجنحتهن من فوقه . وفجأة يخطر ببال الأمير الصيد ، فيتوخى فيه الخلاص من قلقه وكآبته ، ويدعو أصدقاءه الى مشاركته الصيد .. صيد البجع ..



حركة ترجية مستمدة من احدى الحركات العشبي الرئيسية . لاحظ أن وزن الجسم كله انما تحمله القدم اليسرى . فاليمنى كعبها مرفوع .. لاحظ هنا انحناء الجسم في اتجاه الساق الممدودة

ويبدأ الفصل الثاني ، وما اسرع ما يصل الصيد الى غزل وهيام . اذ يكتشف الامير ان البجعات لم تكن طيورا وانما كانت فتيات مسحورات ، وان زعيمتهن ، اوديت ، هي ايضا مسحورة . وتؤدي اوديت من الرقصات والحركات الرشيقة المعبرة ما يوحي لزيجفريد بالملك . ولا يلبث الامير ان يهيم بحب اوديت .

ثم يبدأ الفصل الثالث بظهور الساحر الذي مسخ اوديت ورفيقاتها . فقد تخفى هذا الماكر الخبيث فظهر على هيئة فارس وجعل ابنته اوديل، التي كانت بصحبته ، تبدو وكأنها اوديت . بعد ذلك اثر اخر جديد كان يبيته للبجعات . فالظاهر ان مسطين على هذا النحو لم يكن كافيا لارواء غليله .

وانطلت الحيلة على الامير ، وظن ان ابنة الساحر هي حبيبته اوديت ، وقد انقلت منها السحر لسبب او آخر . وهكذا راح زيجفريد يراقص ابنة الساحر رقصة « البجعة السوداء » الشهيرة بحركاتها المتنوعة ، وعددها ٣٢ حركة . ولم يكتف الامير عند حد الرقص ، بل اقدم على طلب يد ابنة الساحر. وهنا يتدخل الاب ويشترط يمين الولاء .. فيقسم زيجفريد هذا اليمين .. فيما تدوي الموسيقى بعنف وصخب .. وفي لمح البصر يختفي الساحر وابنته .. وتظهر اوديت من بعد ، وهي ترفرف بجناحيها ، ووجهها يعتصر اسى والما .

عندئذ يبدأ الفصل الرابع وتظهر البجعات يرقصن رقصات حزينة بل يائسة . ولكن الامير زيجفريد لا يلبث ان يظهر ثانية ، فيتقدم من اوديت طالبا الغفران . ولم تتردد سيدة البجعات في العفو عن امير الاحلام .. ثم غاص الحبيبان في البحيرة ، وحطمت بذلك عقدة السحر عن اوديت وزميلاتها . وتنتهي الباليه بالزواج بين الامير زيجفريد واوديت .

اما عن تطور رقص الباليه في التاريخ فيمكن القول بان بداية هذا الرقص تعود الى حوالي منتصف القرن الثامن عشر .

وتجدر الاشارة هنا الى ان رقص الباليه انحصر في ذلك الزمن على البلاط الملكي وقصور النبلاء . ومن طريف ما يذكر ان الملك لويس الرابع عشر كان من هواة هذا الرقص بل من راقصيه المدمنين !! الا ان رقص الباليه ما لبث ان اختفى من فرنسا وايطاليا وغيرها من الدول لدى اندلاع الثورة الفرنسية ١٧٨٩ . يستثنى من ذلك دولتان هما : روسيا وامريكا .

فقد بقي هذا الفن حيا في امريكا حيث ظهرت الراقصة الشهيرة ازادورا دنكان Isadora Duncan في مطلع القرن العشرين . ولم تكن ازادورا هذه راقصة فحسب ، بل كانت مفكرة ومجددة ايضا . الا ان نظرياتها ومقترحاتها لم يكن لها اثر يذكر حتى زارت هذه الراقصة روسيا .

ذلك ان رقص الباليه الذي لم يتوقف في روسيا منذ البدء ، بل نما وتطور في موسكو وبطرسبورغ حتى اصبح فنا روسيا خالصا ، او كاد ، واصبح الروس زعماءه بلا نزاع . لا عجب اذن ان وجدت افكار ازادورا الامريكية سبيلها الى التطبيق في بطرسبورغ حيث كان فوكين Michel Fokine في توجيه .

ولم يكد يمضي عام واحد على هذا التعاون الروسي الامريكي حتى ظهرت نتائجه الطيبة سنة ١٩٠٨ وخاصة في رقص الراقص الروسي المبدع نجنسكي Nijinsky ، الذي يعتبر على رأس راقصي الباليه في كل زمان ومكان . هذا الراقص ولم نقل الراقصات . اذ ان مكان الصدارة بينهن قد احتلته آنا بافلوفا Anna Pavlova

ثم يقف الروس عند زعامتهم في الباليه في بلادهم بل مطوا جهودهم الى فرنسا وبريطانيا وايطاليا وغيرها حيث ساهموا في تنشيط رقص الباليه او تطويره مساهمة فعالة . ■■



بقلم : الدكتور احسان هندي

■ تحتل كلمة « القومية » اليوم في صحف [illegible] الحاضر .

وسنحاول فيما يلي تعريف القومية بشكل دقيق ثم لبيان الفروق بينها وبين الكلمات الاخرى التي تتصل بها :

ا ــ تعريف القومية : ان الاتيان بتعريف جامع مانع لكلمة « القومية » ليس بالامر السهل مطلقا، اذ ان هذه الكلمة هي ، ككل الاسماء المجردة ، مفهوم نظري يصعب تعريفه بالدقة المطلوبة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية نجد ان اعطاء تعريف للقومية يتأثر كل التأثر بنظرة صاحب التعريف الى اركانها الاساسية، ولذا فقد اختلفت التعاريف المعطاة الى القومية ، وتعددت بتعدد النظريات القومية على الاقل .

مفهومان لكلمة القومية

ثم يجب ان نشير هنا ايضا الى انه هناك مفهومان اساسيان ومتميزان لكلمة « القومية » :

ا ــ المفهوم العملي : والقومية حسب هذا المفهوم هي الوجود التاريخي الاجتماعي والثقافي السياسي الذي يميز امة من الامم عن غيرها ، فالقومية العربية حسب هذا المفهوم العملي هي وجود الامة العربية الذي يميزها عن غيرها منذ ان ظهرت كلمة « العرب » للوجود وحتى الآن .

ب ــ المفهوم النظري : والقومية بهذا المفهوم هي الفكرة التي تعبر عن هذا الوجود وتجسده في اجلى مظاهره خلال مرحلة معينة من مراحل التاريخ .

وهذا المفهوم الاخير ، الذي يعبر عنه احيانا بما يسمى « نظرية القومية » هو مفهوم قابل للتعديل والتطور والتبلور ، بعكس المفهوم الاول الذي لا يزول الا بزوال الامة .

وسيتضح هذان المفهومان اكثر اذا قلنا بخصوص القومية العربية : ان الامة العربية بدأت بالظهور كأمة متميزة في التاريخ منذ حوالي ثلاثة الاف سنة ، ولذا فالقومية العربية حسب المفهوم العملي موجودة منذ ذلك الوقت كوجود تاريخي يميز الامة العربية عن غيرها . واما القومية العربية

عصمت شلالة :

شعب وارض وسيادة

حسب المفهوم النظري هي المدة التي يعبر عن هذا الوجود ، أو هي النظرية التي تجسد أبعاد هذا الوجود وهي بهذا المعنى لم تظهر إلا منذ قرن من الزمن لا أكثر ، وتبلورت في النصف الأول من القرن العشرين مارة بجملة مراحل من التطور كما هي الحال بالنسبة لبقية القوميات جميعا .

والقومية في لغتنا العربية مشتقة أصلا من كلمة « قوم » والقوم هم من ينتمون إلى العائل قومه الرجل الواحد ، فمعناها اللغوي الأصلي يرادف مفهوم « العصبية القبلية » تقريبا . وأما الآن فالمفهوم الاجتماعي ـ السياسي للقومية ـ وخاصة فيما يتعلق بالقومية العربية ـ قد ابتعد عن العصبية القبلية وأصبح يدل على « مجموع الصفات المميزة والعناصر المقومة للأمة » كفكرة ، وعلى رابطة الولاء التي يحس بها الفرد تجاه أمته كحالة شعورية .

القومية والأمة

وأول ما نلاحظه من الشيء القليل الذي قلناه حتى الآن ـ عمق العلاقة الوثيقة بين مفهومي « القومية » و « الأمة » ولا غرابة في ذلك حتى أن المصدر اللغوي للكلمتين واحد في أغلب اللغات الأجنبية كالكلمتين (أمة Nation) و (قومية Nationalisme) الفرنسيتين ، وهما مشتقتان من أصل (الولادة Naitre) . وإذا شئنا العثور على تعريف علمي مقبول للقومية نقول : « هي الرابطة التي تجمع بين أفراد الأمة الواحدة وتشد بعضهم إلى بعضهم ، وتشعرهم بأنهم متميزون عن غيرهم من الأمم بجملة ميزات ثقافية أو حضارية أو تاريخية أو سياسية » .

وأما القومية العربية بشكل خاص فيمكن تعريفها بأنها : « عقيدة نابعة من أعماق الذات العربية ، ومن مفكر كل عربي بأن الأمة العربية أمة متميزة ذات خصائص أصيلة ثابتة وطابع معين » .

هذا فيما يتعلق بالقومية ، وأما بالنسبة للأمة فإن أفضل تعريف لها ـ في رأينا ـ هو التعريف الذي اقترحه العالم الأمريكي « ماك دوغال » في كتابه (عقل الجماعة Group Mind) حيث يقول عن الأمة أنها « تآلف من أفراد يشعرون بأنهم متماسكون تماسكا طبيعيا بروابط لها عندهم من القوة والصدق بحيث يكون في ميسورهم أن يحسوا بالسعادة والهناء إذا كانوا معا ، ويصابوا بالضيق إذا تفرقوا ، ويرفضوا كل خضوع وانقياد للشعوب التي لا تشاركهم هذه الروابط » .

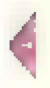
وقد اخترنا هذا التعريف دون غيره للأمة وذلك لأنه مرن ، ويمكن انطباقه بدقة على أية أمة كانت لأنه لا يورط بتحديد المقومات الأساسية للقومية بل يترك ذلك لظروف كل أمة وخصائصها وأهدافها . فهذه « الروابط » التي يشير إليها التعريف يمكن أن تكون « اللغة » إذا كانت الأمة تتبنى النظرية الألمانية في القومية ، ويمكن أن تكون « المشيئة الواحدة » إذا كانت الأمة تتبنى النظرية الفرنسية ، ويمكن أخيرا أن تكون « المصالح الاقتصادية » إذا كانت الأمة تعتقد بصحة النظرية الماركسية ـ اللينينية في حقل القوميات .

الأمة العربية

فإذا حاولنا تطبيق هذا التعريف على « الأمة العربية » بحسب واقع هذه الأمة وتطلعاتها حاليا فإن التعريف الذي نطرحه للأمة العربية هو التالي ـ

« الأمة العربية هي الجماعة البشرية التي يعيش أفرادها ضمن الحيز العمراني العربي ومتميزون عن غيرهم بتكوين نفسي خاص نابع عن لغة مشتركة ، هي اللغة العربية ، وتاريخ واحد وتراث تمثل بروحي واحد ومصالح واحدة مشتركة تجد تعبيرا لها في وحدة الآمال والأهداف » .

وقد حاولنا في هذا التعريف التركيز على الأركان الأساسية للقومية العربية التي تتمثل الآن باللغة



العربية ، وبالتاريخ الواحد ، وبالتراث الثقافي الواحد ، وبالمعتقدات المشتركة،ثم اخيرا بالمصالح الاقتصادية والسياسية الواحدة .

ومن المستحسن هنا ان نحدد نقاط الاختلاف والتشابه بين مفهومي « القومية » و « الامة » من جهة ؛ وبين جملة مفاهيم اخرى تقترب كثيرا او قليلا من هذين المفهومين مثل «وطنية» و «دولة» و « شعب » و « جنسية » وما الى ذلك . ويهمنا قبل كل شيء – في هذا المجال – ان نضع حدا فاصلا بين مفهوم « الامة » ومفهوم « الدولة » وسيقودنا ذلك الى استعراض بقية المفاهيم التي تتفرع عنهما او تتعلق بهما .

عناصر ثلاثة

الدولة – كما يعرفها علماء السياسةوالاجتماع – هي « جماعة من البشر يعيشون في ارض مشتركة مؤلفين هيئة سياسية مستقلة ذات سيادة » (١) .

فالدولة كما نستخلص من هذا التعريف تستلزم وجود ثلاثة عناصر هي :

١ – السكان : اي وجود جماعة من الناس ، قلوا او كثروا ، يعيشون معا .

٢ – الارض : اي وجود حيز جغرافي معين تحتله هذه الجماعة من الناس .

٣ – السيادة : اي السلطة المنبثقة عن السكان لتنظيم حياة الجماعة .

والعنصر الاول من هذه العناصر الثلاثة يطلق عليه في بعض الاحيان اسم « الشعب » وعلى هذا فالشعب هو العنصر الديموغرافي (السكاني) الذي يشكل الدولة ، ومن هنا لا يضير من الخطأ قولنا « الشعب السوري » و « الشعب المصري » و « الشعب الجزائري » طالما انه هناك « دولة سورية » و « دولة مصرية » و « دولة جزائرية » ، ولكن من الخطأ القومي الفادح ان نقول « الامة السورية » او « الامة المصرية » او « الامة الجزائرية » لانه ليست هناك الا امة واحدة في جميع هذه الدول الا وهي الامة العربية .

واما العنصر الثاني من عناصر الدولة ، وهو الارض ، فيطلق عليه عادة اسم « الوطن » فالوطن ليس هو الا ارض الاباء والاجداد . ومن هنا يبين لنا الفرق الواضح بين مفهوم « الوطنية » من جهة ومفهوم « القومية » من جهة ثانية ، فالوطنية هي شعور الحب والولاء الذي يكنه الفرد (المواطن) تجاه قطعة من الارض هي (الوطن) ، واما القومية فهي شعور الحب والولاء الذي يكنه الفرد نحو جماعة من البشر هي « الامة » .

واما العنصر الثالث – السيادة – فهو الذي يبين لنا الفرق الحقيقي بين مفهومي الامة والدولة، وذلك لان عنصر « السيادة » ضروري تماما لوجود الدولة ولكنه ليس ضروريا لوجود الامة ، الا ان الحس القومي يصبو الى ان يكون لكل « امة » واحدة (دولة) واحدة ذات سيادة ، ولكن الواقع هو غير ذلك في كثير من الاحيان حيث نجد ثلاثة انواع من الامم :

ثلاثة انواع من الامم

١ – الدولة – الامة او الامة – الدولة Etat - Nation وهي الدولة التي تنطبق فيها الحدود السياسية الواقعية على حدود الامة من الناحية الديموغرافية .

وهذا الشكل هو الشكل المثالي في المجتمعات القومية ، ونراه – مع بعض التجاوز – في عدد محدود من الدول مثل : فرنسة – ايطاليا – السويد – اليابان ..

٢ – الدولة التي تحوي اكثر من امة : وهنا تجتمع اكثر من امة داخل نطاق دولة واحدة ، اي ان الحدود السياسية ، الدولية تكون اوسع من الحدود القومية ، المثالية ، بحيث تحتوي الدولة على امتين فما اكثر كما هي الحال في بلجيكا ، التي تحتوي امتين هما الفالون – والفلامند ، وفي سويسرة حيث تتعايش ثلاث قوميات – الطليان والالمان والفرنسيون – وفي يوغوسلافيا التي تضم ست قوميات مختلفة ، وفي الاتحاد السوفييتي الذي تعيش فيه حوالي عشرين قومية او اكثر (وكلمة قومية ترادف كلمة امة في هذا المجال) .

٣ – الامة المجزأة في اكثر من دولة : وهنا ينعكس الوضع السابق فترى الامة الواحدة موزعة على عدة دول ، ويكون ذلك حين لا تفلح الامة في توحيد نفسها ولم شتاتها فتكون الحدود المثالية – القومية – المطلقة اوسع بكثير في هذه الحالة من الحدود السياسية الدولية – الواقعية ، وذلك كما هو الحال في الامة العربية التي تضم حاليا

(١) من كتاب « اراء واحاديث في الوطنية والقومية » لساطع الحصري ص ٩ .

(١٥) دولة مستقلة وعددا من المشيخات والمحميات والمستعمرات ، ومساحات من الاراضي المحتلة والمغتصبة من قبل سلطات اجنبية .

وبما ان « الوطنية » هي عاطفة الولاء تجاه الوطن المتمثل بارض الدولة ، والقومية هي عاطفة الولاء تجاه الامة ولذا فهاتان العاطفتان لا تنطبقان على بعضهما تماما الا في حالة واحدة من الحالات الثلاث السابقة ، وهي حالة الامة ـ الدولة .

والتاريخ لا يرينا ـ وخاصة قبل القرن التاسع عشر ـ تطابقا تاما بين «الوطنية» وبين «القومية» اي بين « الدولة » وبين « الامة » ، وما الحركات القومية التي ظهرت منذ ذلك الوقت وحتى الآن الا نوع من « ثورة الامم على الدول » واستهدفت في بعض الاحوال انفصال الامة عن الدولة التي كانت تحكمها ، وسعت في احوال اخرى الى توحيد شعوب الامة التي كانت موزعة بين دول متعددا لتكون دولة قومية واحدة » (٢) .

وخلاصة القول في مجال الفروق بين « الامة » و « الدولة » انه لا يزال هناك موجب التمييز بين هذين المفهومين وذلك لاختلاف الواقع السياسي عن الفكرة القومية المثالية التي تستهدف ان يكون لكل امة دولة خاصة بها . ولكن في انتظار ذلك نجد ان كيان الامة لا يتوقف على تشكل دولتها القومية ، لان الامة تكون موجودة ولو لم تكن قد تمكنت من تشكيل دولتها القومية لاسباب خارجية او داخلية ، او اذا كانت قد توصلت لاستقلالها ثم فقدته ، وكذلك في حال كون الامة مجزأة وموزعة على عدة دول مستقلة لم تتوحد بعد .

وبهذا الشكل نكون قد اوضحنا الفروق الدقيقة بين جملة مفاهيم يتصل بعضها ببعض هي :

القومية، والامة ، والدولة ، والوطن، والشعب، ولم يبق بعد الا بيان الفرق بين كل من «القومية» من جهة ، و « الجنسية او التابعية » من جهة ثانية :

فالقومية Nation علاقة عاطفية ذات مفهوم اجتماعي ، واما الجنسية او ـ التابعية Nationalite فهي رابطة ذات مفهوم حقوقي .

الانتماء لقومية معينة

وبوضع هذه الفكرة اكثر فنقول : ان الانتماء لقومية معينة هو انتماء عاطفي مبني على العقيدة والشعور ولا يحتاج الى اية شكلية لاظهاره ، بينما يعد الانتماء لتابعية او جنسية معينة هو انتماء شكلي قانوني (يشبه العقد) يوضح كل طرف فيه (الدولة من جهة ومواطنها من جهة ثانية) نفسه والتحلل منه .

ولذا نجد انه من الجائز ان يجد انسان ما نفسه يحمل جنسية معينة بينما هو ينتمي في قرارة نفسه الى قومية تناصب دولته العداء كما هو الحالة بالنسبة لعرب فلسطين في المناطق المحتلة سنة ١٩٤٨ حيث انهم شكليا يحملون الجنسية الاسرائيلية في الوقت الذي لا يزالون يدينون فيه بالولاء للقومية العربية من الناحية العاطفية (٣) .

وعلى هذا يجوز ـ من جهة اخرى ـ ان يكون للانسان احيانا اكثر من جنسية واحدة وقد يصبح في حالات معينة « بلا جنسية Apartheid » ولكن القومية لا تتعدد ولا يمكن ان تسقط ، وان كان بعض المفكرين لا يعتبرون مجرد الانتساب السلبي الى قومية معينة مبررا لاعتبار شخص ما « قوميا » ويصرون على ان يكون هذا الشخص مؤمنا بقوميته ويعمل من اجل رفعتها وتحقيق اهدافها لكي يستحق هذا اللقب .

وهذا يقودنا اخيرا الى ايضاح فرق اخير بين « القومية » كفكرة و « القومية » كمبدأ : ففكرة القومية هي مجرد نظرية تحمل طابع السلبية في مفهومها ، واما المبدأ القومي فهو ذو مفهوم ايجابي لانه اعتناق الفكرة القومية ، او بالاحرى هو « وضع هذه الفكرة في حيز التطبيق ومجال العمل » .

ونأمل ان نكون بهذا الشكل قد حررنا مفهوم « القومية » مما يتصل به من مفاهيم اخرى في مجال النظرية القومية بشكل عام والقومية العربية بشكل خاص . ■

احسان هندي

---

(٢) من « ماهي القومية » لساطع الحصري ص٢٤ .

(٣) اما سكان المناطق العربية المحتلة في سنة ١٩٦٧ فلا يزالون من الناحية القانونية الدولية يعتبرون حسب بلدانهم الاصلية ، مصريون ، اردنيون ، سوريون ، لان الاحتلال الحربي عمل مؤقت لا يؤثر على جنسية السكان .



■ هذه قصة فنان لم يكتشف نفسه الا عندما فقد نور عينيه في الثالثة والستين من عمره . انه يرويها من نفسه ، بقلم صديق له بعد مرور سنوات على ذلك اليوم الذي تحول فيه كل شيء حوله الى ظلام ، فتصور ان القضاء قد انتهى بالنسبة له .. انها قصة الرسام الامريكي المشهور « جوردان » C. W. E. [illegible] (١٨٨٠ – ١٩٦٣) الذي قال بعد ان فقد بصره : « انني لم اصبح [illegible] من عمري الى ان اكتشفت حقيقة نفسي ومواهبي ! »

كانت السماء ملبدة بالغيوم في صباح ذلك اليوم من ايام شهر اكتوبر ، وكنت راقدا في فراشي الى ان احسست بومضة قوية داخل رأسي ، وفجأة اختفى الكتاب الذي كنت امسك به بين يدي ، واختفت الغرفة كلها من ناظري .. ووجدت نفسي في النهاية اغوص في قبضة من الظلام الذي يلف كل شيء من حولي .

كنت اعرف ان هذا اليوم آت لا محالة ، فقد اصابني مرض الجلوكوما Glaucoma في احدى عيني ، وحذرني الاطباء من احتمال فقد عيني الاخرى ، بعد ان بدأ المرض الخبيث يزحف اليها ، ولكنني لم ابال كثيرا بتحذيرهم ، كنت اقول لنفسي لو انني تجاهلت هذا التحذير ، ونسيت مرضي ، فربما استطعت ان اتغلب على مخاوفي ، لم لا ؟ في عمري ، الا يمكن ان يخطيء الطب احيانا .. لقد كنت احب الحياة ، واريد ان انعم بها مهما قست علي .

كنت ما ازال اتعلق بالامل في ان يكون ما حدث لي هو ظلام مؤقت ، لا يلبث ان يزول ، ويعود النور الى عيني المريضة ، الى ان القى الطبيب في النهاية على امل الاخير الذي رحت اتشبث به في يأس !

ووجدت نفسي افرض بجسمي وكياني في هوة سحيقة يلفها اليأس والالم . لقد كنت فخورا دائما بتلك الروح الاستقلالية التي نعمت بها طوال ايام حياتي . واحسست بالالم يعصر قلبي عصرا ، وانا ارى حياتي كلها تنهار !

لقد فقدت والدي ، حيث كنت اعمل محاسبا مسئولا لاحدى شركات الفنادق الكبرى .. وليس لي في هذه الدنيا انسان واحد استطيع ان اتكيء عليه ، فقد عشت حياتي بلا زواج حتى بلغت الثانية والستين من عمري .. حتى الاقربين لم اعد اعرف عنهم شيئا .. لقد اصبحت وحيدا في هذا الظلام الذي يحتويني !

الرحلة الى الظلام

ولكن حدث ما توقعه الاطباء ، لقد تمكن المرض من عيني الثانية ، وحولني الى المستشفى ، التي لم تكن تبعد كثيرا عن بيتي ، ولكن الرحلة بدت طويلة كئيبة مظلمة ، حتى لقد خلتها دهرا ،

العالم الذي افتقدته

وانقضت اسابيع طويلة ، احسست خلالها بان عقارب الزمن قد توقفت ، فلم تعد تتحرك كما كانت تفعل قبل ان تلفني الدنيا بهذه السحابة السوداء .. كنت احس بايدي الاطباء والاصدقاء

● قصة المرأة التي اتخذ منها شريكة لحياته فاسعدته ساعدها هي لترى الدنيا.

● عرف نعمة الحياة عندما اكتشف انه فنان ، وان في داخل نفسه مواهب لم تتح لها الفرصة للانطلاق، الا عندما اصبح ضريرا بعد ان تجاوز الستين من عمره

نفسي ورتب على كثير من مواهبه منحصه .

وكنت اسمع اصواتهم تصل الى اذني ، ولكنها كانت دائما تبدو لي وكأنها اتية من بعيد من عالم اخر لا تربطني به اية صلة .. عالم النور الذي افتقدته ولم اعد ارى منه شيئا ..

ولم اكن اجد شيئا افعله ازاء هذا الذي يحدث من حولي ، الا ان اجلس صامتا هادئا لا ابدي حراكا لساعات طويلة من النهار او الليل ، بعد ان اسرها عندي ، دون ان يغمض لي جفن للحظة واحدة .

خوف ورهبة

الى ان حان الوقت اخيرا الذي كان يتحتم علي فيه ان اغادر المستشفى،واحسست بخوف شديد يملأ نفسي ويسيطر على مشاعري .. لقد الف هذا المكان،ولكنهم يريدون مني ان اتاركه ليستفيد منه غيري .. ولكن الى اين ؟!

لن يكون لي سوى معاش بسيط ، لا يكاد يكفي ضرورات الحياة ، وفيما عدا ذلك ، فليس هناك شيء استطيع ان اعتمد عليه .. لقد كنت اعيش في بلدة صغيرة بولاية وست فرجينيا ، لم اكن اعرف من اهلها سوى عدد قليل من الناس ..

وقررت ان انتقل الى بلدة اخرى ، الى مسقطنا بولاية جورجيا ، حيث قضيت جانبا من سني شبابي ، وعرفت عددا من الاصدقاء .. وقلت لنفسي : « من يدري فقد اجد بينهم من يذكر هذه الصداقة القديمة ، ويمد لي يد العون في وحدتي والمي ! »

واستقر بي المقام اخيرا في هذه البلدة الجديدة.

ولكن ماذا عساي افعل بحياتي ، وفكرت في ان اكتب فربما استطاع القلم ان يترجم ما كان يعتمل في صدري من احاسيس وانفعالات .. لقد كنت اريد ان اكتب قصة حياتي !

سكرتيرتي دورولي

ونشرت اعلانا صغيرا في الصحف ذكرت فيه انني ابحث عن سكرتيرة تعمل معي نصف الوقت ، ولم انس ان اقول في الاعلان انني رجل ضرير يخطو بسرعة الى الشيخوخة ، وان الاجر الذي سوف ادفعه لسكرتيرتي الجديدة لن يكون مغريا ، لان امكانياتي المادية محدودة .

وكانت مفاجأة لي ، عندما تقدمت اكثر من اربعين فتاة تطلبن الوظيفة .. ولم اشأ ان استعين باحد لكي يشير لي سكرتيرتي،لقد جلست وحدي في غرفة مكتبي ، ورحت البادل بضع كلمات مع عدد من الفتيات اللواتي جئن يعرضن خدماتهن علي . ولم اكد افعل ذلك حتى اكتشفت انني قد وجدتها !

قالت سكرتيرتي دورولي تسألني بعد ان اتفقنا على الاجر ومواعيد العمل : « ولكن لماذا اخترتني انا بالذات ، ماذا وجدت في ولم تجده في الاخريات؟ »

قلت : « نبرة صوتك ورقتك .. لقد احسست من خلال حديثك معي انك انسانة طيبة القلب ، وانا في حاجة الى انسان يساعدني ويشجعني ويشفق علي .. »

وصدق حدسي ، لقد كانت دورولي تعطف علي، ولكن سرعان ما تحول هذا العطف الى حب . ولكنني رفضت ان اصدق في بداية الامر ! هل

يمكن أن تحب فتاة لم تتجاوز عامها الثلاثين شيخا محطما في مثل سني ؟ !

فشلت في الكتابة

ومرت الأيام ، وفشلت في الكتابة ، لم استطع ان اكون كاتبا كما كنت اريد .. ولكن دوروثي لم تفشل في ان تزيل الشكوك من رأسي ، وان تقنعني بانها تحبني حبا صادقا نقيا ، وانها تريد ان تشاركني حياتي بكل ما فيها من مرارة وألم !

وتزوجت دوروثي ، ولم اعد اشعر بالوحدة بعد هذا اليوم ، ولكن ما أكثر تلك اللحظات التي كنت اشعر فيها بأنني قد ظلمت هذه الفتاة المسكينة وانا اربطها معي الى هذا الجحيم المظلم الذي اعيش فيه .

وعدت احاول الكتابة من جديد ، ولكن الفشل ظل يلازمني .. واخيرا ايقنت انني لن اصبح كاتبا ابدا .. لقد كان الفراغ المظلم اللانهائي امام عيني ينعكس على عقلي فيشله عن التفكير . وكانت دوروثي تحاول ان تخفف عني هذا الألم الهائل الذي كنت اشعر به عندما اجد نفسي عاجزا عن ان افعل شيئا ، وكانت محاولاتها تنجح احيانا ، وتفشل في كثير من الاحيان ، فتشتد ثورتي على نفسي ، وعلى دوروثي ، التي لا تلبث ان تتركني وحدي حتى اهدأ ، ثم تعود الي لتجمعني نادما على ما فعلت .

وحدثت المفاجأة

وفي احد الايام سمعتها تقول لي بعد ان اقتربت مني وامسكت برأسي بين يديها تداعبني : « سأخرج في نزهة قصيرة ، وقد تركت لك على المنضدة الصغيرة بجوارك ، قلما وورقا ، فربما اردت ان تسجل شيئا في وحدتك ! »

وودعتني وذهبت .. وعدت اليوس في مقعدي الكبير ، وابحث بعيني في هذا الظلام الكئيب من حولي ! وعدت بضع دقائق ، قبل ان امد يدي واتحسس موضع القلم والورق اللذين تركتهما لي دوروثي . واخيرا امسكت بالقلم ، وشعرت برجفة تسري في اصابعي .. ترى ماذا انا فاعل به ؟

ومددت يدي الاخرى ، وامسكت بالورق ، واردت ان اسجل شيئا ، أي شيء ، اعبر به عما يملأ قلبي من حب لهذه الفتاة التي ضحت بحياتها ومستقبلها من اجلي ، انا الشيخ الضرير البائس حتى اذا عادت فاجأتها به فربما ضحكت علي .. ولكنني لست بكاتب ، ولا انا بشاعر ، فماذا اقول لها ؟

ورسمت في الظلام !

وعدت الى القلم ورحت احركه فوق الورق ، وفجأة احسست بشيء غريب .. ان اطراف اصابعي تطوف بالقلم في سهولة ويسر ، ولكن لا لتكتب ، وانما لترسم خطوطا لا اعرف من اين بدأت ولا الى اين تنتهي .. وشعرت بحساسية غريبة تدب في هذه الاصابع التي لم تعرف سوى الارقام خلال عملي كمحاسب .. ترى ماذا افعل الآن ؟ ليتني تعلمت الرسم في صباي ، فلو انني فعلت ، لاستطعت ان ارسم لدوروثي شيئا .. أي شيء .. ولكنني لا اذكر انني حاولت مرة واحدة ان امسك بالقلم او الفرشاة لارسم ..

وعدت اليوس في مقعدي من جديد ، والقلم ما زال في يدي ، ورجعت بذاكرتي الى الوراء ، الى الماضي البعيد ، منذ ثلاثين عاما او اكثر .. لقد شاهدت يوما منظرا جميلا شدني اليه شدا ، واستوقفني طويلا ، وانا اشق طريقي في الريف عائدا الى بيتي .. منظر المياه المتدفقة من الجبل ، ومن حولها غابة الصنوبر .. ترى هل استطيع ان اسجل هذا المنظر بقلمي الآن .. لم لا احاول ؟

وعدت الى الورق ، ورحت افرغ فيه ما علق في ذاكرتي ، وانا لا ادري ماذا صنعت يداي ، ولكن ثمة شعور غريب سيطر علي في تلك اللحظة التي انهمكت فيها بكل حواسي في تصوير المياه الهادرة والاشجار الصنوبر .. لقد احسست ان ينبوعا من الضوء ينبع من رأسي !

وعادت دوروثي اخيرا .. وما كدت احس بعودتها حتى مددت اليها الورق الذي رسمت عليه في الظلام . وقلت : « ماذا ترين هنا ؟ »

لوحة رائعة

وسادت فترة من الصمت ، قطعتها هي اخيرا بسؤاله .

« من الذي صنع هذا ؟ »

قلت لها : « انا يا عزيزتي ! ماذا وجدت ؟ »

قالت : « انها لوحة رائعة رسمها فنان يدرك الجمال ويتذوقه ! »

ومددت يدي بسرعة ابحث عن ورقة بيضاء

جديدة ، ثم امسكت بقلمي ، ورحت ارسم وارسم .. لوحة ولوحتين وثلاثا .. ودوروثي جالسة امامي على مقعدها ترقب في صمت .. لقد كان كل همي ان ترى دوروثي كيف رسمت لوحتي الاولى في ليبتها .. لقد جلست في هدوء ارسم الخطوط ، واقيس المسافات باصابع يدي، واملأ الفراغات بالضوء والظلال .. كانت محاولة غريبة، ولكنني احسست وانا اقوم بها ، ان الظلام الذي ظل يحيطني منذ ان فقدت نور عيني ، لم يعد ظلاما قاتما اجوف .. لقد استطعت ان ارى مرة اخرى .. ارى بعقلي بدلا من عيني .

الحياة تعود الي

ومنذ تلك اللحظة بدأت اشعر بالحياة تدب في اوصالي .. ومضيت في محاولاتي ، يوما من بعد يوم . لم اترك القلم حين يبدو ايضا ، يعطني الرغبة في اكتشاف تلك القدرة العجيبة التي ظلت كامنة في باطني دون ان اوفر لها فرصة الانطلاق في يوم من الايام . وكنت اخطىء كثيرا .. ولكن اخطائي كانت بمثابة تحد لي .. وكان مجرد الاستجابة لهذا التحدي ومحاولة اصلاح الخطأ يجددان في نفسي الرغبة في الاستمرار .. وهكذا بدأت اشعر بانني حي ، وبدأت احب هذه الحياة الجديدة رغم انف الظلام الذي يحوطها ..

وبدأت اطور اسلوبي في الرسم .. كان هذا التطور يسير ببطء ولكن في ثقة لم تخل من الم .. كنت ابدأ بالتركيز في الموضوع الذي اريد ان ارسمه ، وكان ذلك يستغرق من وقتي ساعات طويلة ، وربما امتد في كثير من الاحيان الى ايام، فاذا شعرت بان ذهني قد استوعب الصورة بكل تفاصيلها والوانها ، قمت من مقعدي واتجهت الى القلم والورق لاسجلها كروكيا اولا ثم اعرضها على دوروثي فاذا اعجبتها ، القيت بالقلم جانبا ، وامسكت بالفرشاة .. وكانت زوجتي تقف بجانبي لتقدم لي الالوان التي اطلبها ، والتي اريد ان استخدمها في لوحتي ..

دوروثي تعلمني

وشيئا فشيئا ، بدأت دوروثي تعلمني كيف اعثر على الالوان دون مساعدتها ، كانت تضع لي الالوان الرئيسية في مكان ، والالوان الفاتحة في مكان ثان ، والالوان القاتمة في مكان ثالث وهكذا .. ومع الايام،استطعت ان احفظ مكان كل لون، وكانت فرشاتي تطاوعني ، وكأنها هي الاخرى قد حفظت مكان اللوحة والالوان .

ومضيت ارسم وارسم..اللوحة بعد اللوحة . لقد اصبحت رساما .

كنت اعلم ان كل شيء في نجاحي كرسام يتوقف على مدى ما استطيع ان اتذكره من صور مرت بي في حياتي قبل ان يحتويها الظلام ، وكنت اصحو من نومي في صباح كل يوم ، واظل مستلقيا على فراشي ساعات طويلة محاولا ان استعيد هذه الصور وانقلها معي من الماضي الى الحاضر ،الذي اعيش فيه .

وجاء الناس ليروا لوحات الرسام الضرير ، ومن احدى المدن الكبرى تلقت دوروثي عرضا من احد كبار الموسرين يعرض شراء كل انتاجي .

ومرت تلك السنوات الاخيرة من عملي كرسام بسرعة ، فما اسرع ما تمضي ايام النجاح ، واصبح لنا طفل جميل ، كان سلوانا في حياتنا الجديدة الحلوة .

اقول لطفلي

وكنت احمل طفلي ، واشعر في بعض الاحيان وانا الفه بذراعي قول سحري انني اريد ان اقول له : « على يا بني كل لحظة من لحظات حياتك

ان الله وهبك نعمة البصر ، لا لترى ما يدور حولك من صور جميلة فحسب ، بل لترى ما في داخل نفسك اولا .. سوف تكبر غدا وتصبح رجلا .. حاول دائما ان تجد نفسك ، كي تعيش جاهدا ، ثم لا تنس انك حي .. تذوق الجمال الذي يملأ الدنيا من حولك .. ثم احتفظ بكل صورة في قلبك وفي ذاكرتك .. لا تأخذ الامور على علاتها .. ولكن حاول دائما ان تجدد حياتك وتطورها !

« ان هناك لحظات يا بني ستمر بك في حياتك، وقد تتصور خلالها انك قد فقدت رغبتك في الاستمرار في هذه الحياة .. ولكنك اذا استطعت ان تصمد ، وان تتشبث بها ، فسوف يتحرك في داخلك حتما شيء ما ، ومع هذا الشيء سوف تجد نفسك تتطلع الى حياة جديدة وسوف تجد هذه الحياة حتما ! »

(م - ن)



الملثمون اصلهم من حِمير ..

● قرات عن الملثمين في كتب التاريخ ، فهل لكم ان تذكروا لنا شيئا عن اصلهم .. وسبب تلثمهم .. ؟ اعني بذلك القوم الذين يقيمون في الصحراء الكبرى ويسمونهم الطوارق .

سليم الغليش – الكويت

– اصل هؤلاء القوم من حمير بن سبا ، وهم اصحاب خيل وابل وشاء ، يسكنون الصحارى الجنوبية الى جنوبي المغرب ، وينتقلون من ماء الى ماء كالعرب ، وبيوتهم من الشعر والوبر ، واول من جمعهم وحرضهم على القتال والتهجم في تملك البلاد عبد الله بن ياسين الفقيه .

وهم قوم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم ، فلذلك سموا الملثمين ، وذلك سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف ، وسبب ذلك – على ما قيل – ان حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد ، تفعله الخواص منهم ، فكثر ذلك حتى صارت تفعله عامتهم .

وقيل كان سببه ان قوما من اعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم اذا غابوا عن بيوتهم ، فيطرقون الحي فياخذون المال والحريم ، فاشار عليهم بعض مشايخهم ان يبعثوا النساء في زي الرجال الى ناحية ، ويقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء ، فاذا اتاهم العدو وظنوهم النساء يخرجون عليهم .

ففعلوا ذلك وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم ، فلزموا اللثام تبركا به ، بما حصل لهم من الظفر بالعدو .

وقيل ان سبب اللثام ان طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم ، فخالفهم العدو الى بيوتهم ، ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء ، فلما تحقق المشايخ انه العدو ، امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ، ففعلن ذلك ، وتقدم المشايخ والصبيان امامهن ، واستدار النساء بالبيوت ، فلما اشرف العدو راى جمعا عظيما ، فظنه رجالا ، وقالوا : هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت ، والراي ان نسوق النعم ونمضي ، فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم ، فبينما هم في جمع النعم من المراعي اذ اقبل الرجال الى الحي ، فبقي العدو بينهم وبين النساء ، فقتلوا من العدو خلقا كثيرا ، وكان من قتله النساء اكثر ، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلازمونه ، فلا يُعرف الشيخ من الشاب ، ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا .

ومما قيل في ذلك :

قومٌ لهم دَرَكُ العلا في حِمْيَرٍ
وإن انتَمَوا صنهاجةً فهُمُ هُمُ
لما حَوَوْا إحرازَ كلِّ فضيلةٍ
غلبَ الحياءُ عليهمُ فتلثَّموا

(ع . ف)

اول القرون

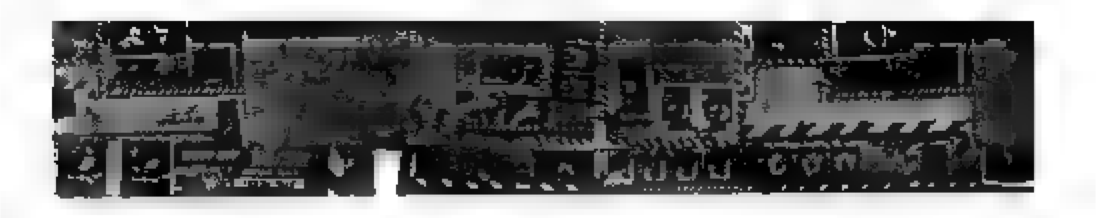
● لقد عرفنا ان القرن ١٠٠ سنة ولكننا نريد ان نعرف في اي سنة بدأ القرن العشرون .. ؟

علي محمد – الكويت

– بدأ القرن العشرون في يوم اول يناير سنة ١٩٠١ ، كما بدأ القرن الثامن عشر في يوم اول يناير سنة ١٧٠١ ، كما بدأ القرن الاول يوم اول يناير سنة ١ ميلادية .

●●





ابناء يعانون من تعنت الآباء

● مشكلتي ، هي مشكلة الابناء الذين يعانون من تعنت الآباء ، هؤلاء الذين لا يستطيعون ان يتحركوا الا بمقدار ما يسمح به آباؤهم ، فهم ممنوعون من مغادرة البيت الا بإذن ، فاذا غادروه فلا بد ان يعودوا في ساعة معينة . حتى تصرفاتهم واعمالهم وسلوكهم ازاء الآخرين ، لا بد ان تخضع كلها لرقابة الوالدين ، وخاصة الاب ، الذي يحرص على ان يعرف كل شيء في حياة ابنه الخاصة ، سواء كان طفلا ام حتى شابا في الجامعة . كيف نواجه هذه القيود التي تسبب في قلقه ، هل هناك كلمة تستطيعون ان توجهوها الى الابناء والآباء على السواء من اجل تضييق تلك الهوة السحيقة التي تفصل بينهم ، فتجعل الابن يتصور ان والده عدو له ! وتدفع الاب الى التمادي في سيطرته وسيطرته على ابنه وهو يرى منه ذلك التحدي الواضح في الكثير من تصرفاته !

محمد عثمان عبد الرحمن
الخرطوم ـ سودان

اننا لا نستطيع ان نلوم الابناء وحدهم ، كما لا نستطيع ان نضع المسئولية كلها على عاتق الآباء ، في موقف التعنت هذا الذي يقفه البعض منهم تجاه ابنائه .

فالابن مسئول ، لانه لم يستطع ان يكسب ثقة والديه ، ولم يستطع ان يبني شخصيته بصورة تبعث على احترام ابويه له ، وهي امور لا يمكن ان تتحقق ، الا اذا كان الابن صادقا في تصرفاته ، امينا في علاقاته مع الناس ، مقبلا على الدرس والتحصيل دون حاجة الى نصيحة او توجيه ، الا في حالات الضرورة القصوى ، عندما يشعر هو انه يواجه مشكلة او مأزقا يحتاج فيه الى نصيحة من هم يكبرونه سنا وتجربة في الحياة .

مثل هذا الابن ، لا اظن انه يعاني من التعنت والسيطرة والقيود التي تتحدث عنها ، وتشكو منها ، فهو غالبا ما يجد في ابيه صديقا واخا كبيرا يلجأ اليه في الشدائد .

ولكن بعض الابناء يفشلون فيما ينجح فيه غيرهم ، وهؤلاء في حاجة الى رقابة ليس في ذلك شك . والخلاف هنا ليس على مبدأ وجود هذه الرقابة التي لا بد منها ، ولكن على طريقة فرضها عليهم ، والاسلوب الذي يتحتم على الاب ان يسلكه لكي يحقق الهدف الذي يرجوه .

فلا بد للاب في مثل هذه الحالة ، ان يحاول من جانبه ان يكسب صداقة ابنه ، وثقته به ، وبهذا يطمئن اليه ابناؤه ويفتحون له قلوبهم ، ويلجأون اليه في كل متاعبهم ومشاكلهم .. وبذلك يستطيع ان يراقب تصرفات ابنائه دون ان يشعرهم بانه رقيب عليهم .

ان الهوة التي تتحدث عنها ، لا تحدث الا عندما يشعر الابناء ان كل وسائل الاتصال مع آبائهم قد قطعت .. ولكن اذا ادرك الابناء ان آباءهم ليسوا اعداء لهم ، فالاب هو الانسان الوحيد الذي يريد ان يرى غيره يتمتع بنصيب اكبر من النجاح الذي حققه هو في حياته .. انه يريد ان يرى ابنه احسن منه .

اذا ادركوا هذا فلم تعد هناك هوة بين الآباء والابناء كما تقول .

بوتان في الامم المتحدة

● لقد اصبحت في عضوية الامم المتحدة دولة بوتان . فما هي مساحة هذه الدولة وما هي اهم مواردها وكم يبلغ عدد سكانها وما هو نظام الحكم فيها

حامد مهدي سالم ـ سوهاج ـ ج.م.ع

● ورد ذكر دولة بوتان Bhutan مؤخرا بمناسبة انتسابها الى عضوية الامم المتحدة ، وقد تم ذلك في الاجتماع الاول من اجتماعات الجمعية العمومية في دورتها السادسة والعشرين التي انعقدت في الخريف الماضي .

ولعلنا لم نسمع كثيرا بهذه الدولة قبل ذلك . ولا عجب فبوتان دولة نائية منزوية . انها تقع شرق جبال الهملايا ، وتحدها الهند وسكيم والنبت من الجنوب والغرب والشرق، على التوالي (انظر الخريطة) .

ثم ان بوتان دولة صغيرة . فعدد سكانها لا يزيد على ٧٥٠,٠٠٠ نسمة ، وهم يعيشون في رقعة جبلية تبلغ مساحتها ١٩,٠٠٠ ميل مربع ، ويعتمدون في رزقهم على تربية الخيل وزراعة الارز والذرة ، والفن عندهم محدود .

وبوتان فوق ذلك دولة متخلفة . وحسبنا ان نذكر انها الدولة الوحيدة في العالم التي لا وجود للهاتف فيها ، وان جيشها ما زال يعتمد على سلاح الاقوام البدائية : القوس والنشاب !

وتجدر الاشارة الى ان بوتان خضعت لحكم بريطانيا منذ سنة ١٧٧٤ ، ولدولتها المصنوع اعتبارا من سنة ١٩١٠ . واستمرت تبعيتها لبريطانيا حتى سنة ١٩٤٩ ، حينما حلت الهند محل الحكومة البريطانية في رعاية بوتان وفي تقديم العون المالي لها ، وقد رفعته الهند حتى اصبح ½ مليون روبية سنويا .

الجزر الثلاث

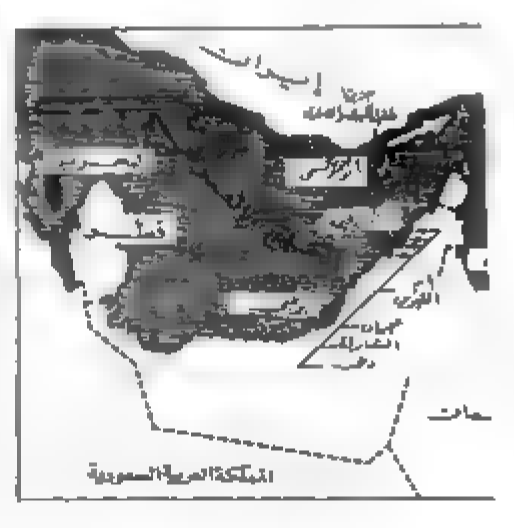
● اين تقع الجزر الثلاث ، ابو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى .. وما هي اهميتها من الناحية الاقتصادية

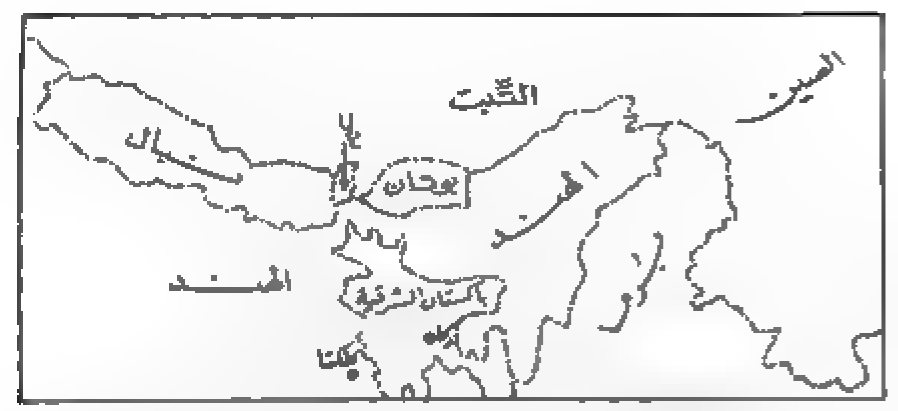
اكرم محمد موسى
ناحية الصناعيل / الكويت

ـ تقع الجزر الثلاث في عنق الخليج العربي ، غير بعيد عن ساحل عمان .. (انظر الخريطة) . واكبرها ، كما هو معروف ، هي جزيرة ابو موسى ٧ كيلو مترات × ٥ كيلو مترات تقريبا (وكان العربي قد نشر استطلاعا وافيا عنها (راجع عدد نوفمبر ١٩٦٨) . وجزيرة ابو موسى هذه غنية بالمعادن ، ولا سيما اكسيد الحديد .

ويؤكد الخبراء انها غنية بالبترول ايضا ، شأنها في ذلك شأن الجزيرتين الاخريين ، طنب الكبرى وطنب الصغرى .

ك . د





بقي أن نذكر أن نظام الحكم في بوتان نظام ملكي. وقد ساد هذا النظام اعتبارا من سنة ١٩٠٧ ، حينما نصب أهلها حاكمهم المهراجا ملكا عليهم . وبقي هذا النظام وراثيا ومطلقا حتى سنة ١٩٦٩ ، حينما أصبح ديمقراطيا وأصبح الملك مسؤولا أمام مجلس الأمة الذي أصبح يتمتع بسلطة تنحيته وإقالته إذا اقتضت الضرورة .

ونذكر أخيرا أن عاصمة بوتان هي ثمفو Thimphu ، والدين السائد فيها هو البوذية .

ولا نعرف ما مستوى الحياة التي فيها ، ومن الناس من يقول إنها لا بد أن تكون حياة بدائية فيها الراحة وفيها الأمن وفيها الرضى بما عرف الناس وبما لم يعرفوا .

(أ ي د)

لعنة الفراعنة
بين الحقيقة والخيال

● تجدد الحديث أخيرا عن لعنة الفراعنة بمناسبة وفاة عالم الآثار الفرعونية البريطاني البروفيسور والتر ايمري إثر أزمة قلبية حادة داهمته أثناء عمليات الحفر للبحث عن قبر أمحوتب إله الطب القديم . فما هي هذه اللعنة وهل هي حقيقة أم خرافة !

ابراهيم مصطفى — بنغازي
ليبيا

— أدى البحث عن الآثار الفرعونية إلى الحديث عن لعنة الفراعنة وكان لاكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في عام ١٩٢٢ أبلغ الأثر في تردد الحديث عن لعنة الفراعنة في مختلف أنحاء العالم . فبعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون توفي اللورد كارنارفون وهو الذي موّل أبحاث العالم الأثري البريطاني كارتر للبحث عن هذه المقبرة ، وكانت وفاة كارنارفون على أثر لدغة بعوضة بعد ستة أسابيع من اكتشاف المقبرة . وبدأ الحديث عن لعنة الفراعنة والحديث عن المعتقدات المصرية القديمة التي تقول بأن « الكا » أو قرين الإنسان عند قدماء المصريين يظل يحوم حول الجثة بعد الوفاة وذلك لحمايتها من أي عبث بها . ويقول بعض الأثريين إن إزعاج المومياء يفصل « الكا » عن صاحبها مما يجعلها تنتقم من الذي سبب هذا الانفصال . وساعد على انتشار هذا الاعتقاد أن الكاتب بيشارد

بنسيل الذي ساعد في فتح قبر توت عنخ آمون مات ضحية القدر نفسه في عام ١٩٢٩ وانتحر والده بعد ذلك بعام بأن قفز من النافذة ، وفي عام ١٩٥٦ انصرفت أرملته . وقد بلغ عدد من لاقوا حتفهم بطريقة غامضة في فتح مقبرة توت عنخ آمون حوالي العشرين شخصا من المصريين والبريطانيين .

وقد ذكرت الأنباء أن البروفيسور امرى وعمره ٦٧ عاما كان يحمل في يده تمثالا صغيرا لإله الموت عند المصريين القدماء قبل أن تهاجمه النوبة القلبية التي قتلته بوقت قصير .

ويبدو أن لعنة الفراعنة شيء سيظل يتحدث عنه الناس طويلا لما يحيط بها من اساطير وملابسات ، ولكن الواقع أن هذه اللعنة غير موجودة بدليل أن عددا كبيرا من مكتشفي الآثار المصرية القديمة لا يزالون يعيشون بيننا حتى الآن ، وكثير منهم أيضا مات ميتة طبيعية غير مفاجئة .

(م . ط)

البليون والترليون

● قرأت في العدد (١٤٨) من مجلة « العربي » أن نفقات العالم للأسلحة تقدر بترليون دولار ، وهذا المبلغ يساوي مليون مليون ، وعلى حد علمي أن البليون يساوي مليون مليون ، فأيهما الأصح ؟

محمد خليل الرجبي — الاردن

— الترليون هو مضاعف البليون ، وهو في فرنسا كما في الولايات المتحدة مليون مليون ، ولكنه في بريطانيا وفي المانيا هو مليون مليون المليون .

أما البليون، فهو مضاعف الألف وهو في الولايات المتحدة ، كما في فرنسا ، عبارة عن الألف الألف الألف (أو ان شئت الف مليون) . وهو في بريطانيا والمانيا الف الف الف الف (أو ان شئت مليون مليون) .

ومن أجل هذا الاضطراب يعبر الناس بالمليون والألف فيذكرون الف مليون أو مليون مليون أو نحو ذلك .

وعند الفرنسيين المليار ، وهو عبارة عن الف مليون .

الرز وقصته في العالم

● ما هي اكبر دولة منتجة وما هي اكبر دولة مصدرة للارز في العالم ؟

سعد عبد الله الهنداس
الجبيل — السعودية

● الرز هو احد الأغذية الأساسية التي تعتمد عليها البشرية . بل انه يحتل في الكثرة المقام الأول بين هذه الأغذية جميعا ، بما فيها القمح .. ذلك ان الرز هو الغذاء الأساسي لأكثر من نصف سكان الأرض ، وهو الغذاء الوحيد للكثيرين من هؤلاء ..

لا غرابة اذن ان بلغ مجموع محاصيل العالم من الرز سنة ١٩٦٩ نحو ٢٧٠ مليون طن . وتنتج الصين الشعبية نحو ثلث هذا المجموع (٩١ مليون طن) وتنتج الهند نحو ربعه (٦٣ مليون طن) . اما بقية الكمية فموزعة على كثير من الأقطار في آسيا وأمريكا وأفريقيا . واليك فيما يلي بيانا بأهم تلك الأقطار ، وبمقدار ما انتجت من الرز في السنة المذكورة ، ١٩٦٩ .

باكستان	٢١،٢٦٧،٠٠٠	طن
اليابان	١٧،٥٠٠،٠٠٠	طن
اندونيسيا	١٦،٥٨٨،٠٠٠	طن
تايلند	١٠،٧٧٢،٠٠٠	طن
البرازيل	٥،٦٠٠،٠٠٠	طن

غير أن الانتاج شيء والتصدير شيء آخر . فالهند ، مثلا ، وهي الدولة الثانية انتاجا للرز ، لا تصدر منه شيئا ، بل انها تستورده بكميات بلغت ٤٢٣،٠٠٠ طن في السنة التي ذكرنا . ويصدق ذلك أيضا على اليابان واندونيسيا ، وقد استوردتا من الرز في السنة السالفة الذكر ٣٢١،٠٠٠ طن و ٣٦٠،٠٠٠ طن على التوالي ، ولا يخفى أن هذه الظاهرة انما تعزى الى كثرة سكان تلك الأقطار من جهة ، والى استهلاكهم الكبير للرز من جهة ثانية .

اما الدولة التي تحتل المكانة الأولى في تصدير الرز في العالم فهي الولايات المتحدة الأمريكية ، تليها تايلند فالصين الشعبية . وتأتي جمهورية مصر العربية في المرتبة الرابعة، واليك بيان ذلك :



	الكمية المصدرة	المحصول سنة ١٩٦٩
الولايات المتحدة الامريكية	١ر٥٧٥ر٠٠٠ طن	١ر١١٤ر٠٠٠ طن
تايلاند	١ر٦٦٩ر٠٠٠ طن	انظر ما سبق
الصين الشعبية	١ر١٢٢ر٠٠٠ طن	انظر ما سبق
جمهورية مصر العربية	٥٢١ر٠٠٠ طن	٢ر٨٦٠ر٠٠٠ طن .

أ . ق . م

حائر بين العلوم والآداب !

● أنا طالب في المرحلة الثانوية ، حصلت هذا العام على شهادة الصف الأول الثانوي ، والآن فلا بد لي من التخصص في العام الدراسي المقبل ، فاما ان اتجه الى القسم العلمي او الادبي ولكنني لا ادري ماذا افعل بنفسي ، انني في حيرة وسبب حيرتي ان ميولي تتجه الى القسم الادبي ، بينما درجاتي في مواد العلمية ممتازة ، فماذا افعل ؟ ان المستقبل اكثر اشراقا امام طلبة القسم العلمي ! فنحن نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا ، ولكن ماذا افعل بهذا الميل الطبيعي في نفسي الى الادب وكل ما يتصل به ؟ ترى هل اجد عندكم حلا لهذه المشكلة ؟

سالم احمد مبارك باسعيد ـ الكويت

ـ هذه مشكلة شائعة بين الطلبة ، اذا صح لنا ان نسميها مشكلة ، فهي في واقع الامر ليست بمشكلة ، على الاطلاق . فنحن لا نجد تناقضا بين ميولك وقدراتك . فانت تستطيع ان تلتحق بالقسم العلمي ، ما دامت درجاتك في العلوم ممتازة ، وفي نفس الوقت ترضي ميولك الادبية عن طريق القراءة والاطلاع .

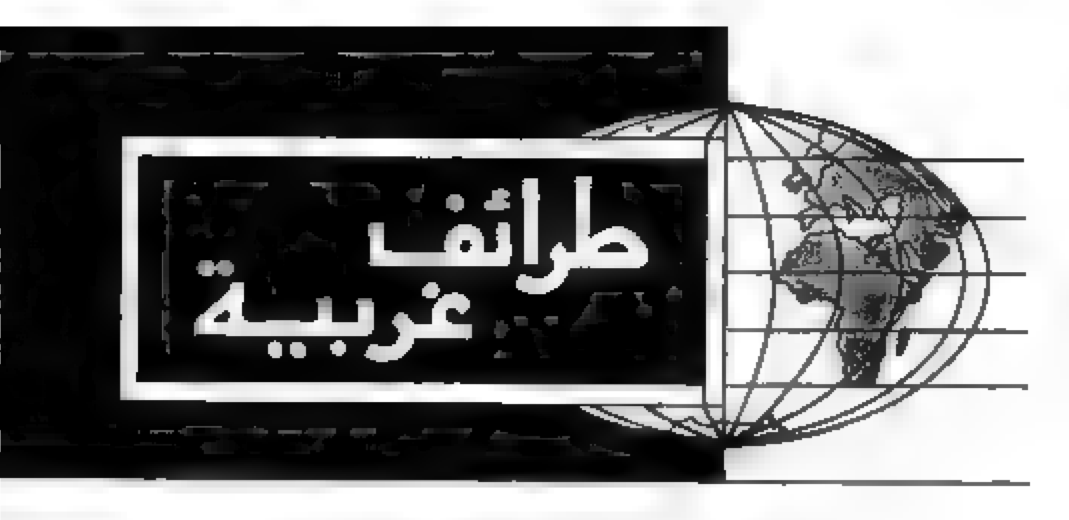
اكمل دراستك العلمية ، فهذا هو طريقك الطبيعي ولا تهمل هم ميولك ، فسوف تجد لها منطلقا بعد تخرجك . فالاختبار الحقيقي لنجاحك في الحياة، لن يجيء قبل التخرج وممارسة عملك.

والعلم والادب لا يتعارضان .. نعرف عالما كبيرا معاصرا ، يفكر بعقل علمي ، وله في العلم بحوث ودراسات مستفيضة ، وهو الى جانب ذلك كاتب يكتب في شتى فروع الادب ، كأروع ما يكتب في الادب .

والتاريخ حافل بامثال هذا الرجل العالم الاديب ، في الشرق وفي الغرب على السواء .

ثم لا تنس بعد هذا ان تستعين بنصائح اساتذتك ، فنصائحهم لا شك تفيدك في تقرير مستقبلك ، فالاساتذة يبنون احكامهم في العادة على كفاية الطالب وميوله من ناحية وعلى احتياجات اسواق الانتاج عند التخرج من ناحية اخرى . ثم يجب الا تنسى بعد هذا ان الميول التي تؤدي الى الفشل ميول خادعة .

أ م . ق



الفيلسوف فولتير، كان اعظم الصحفيين

● الصحفي والمعلق الامريكي الشهير والتر ليبمان Walter Lipman ، سألوه يوما : « من هو أعظم الصحفيين الذين صادفتهم خلال فترة عملك الطويلة في الصحافة ؟ »

فقال : « كنت اتمنى ان القاه ، ولكنه سبقني الى المجيء الى هذا العالم بأعوام طويلة ، انه فولتير » Francois Marie De Voltaire (١٦٩٤ — ١٧٧٨) كاتب فرنسا وفيلسوفها .. لقد كان هذا الرجل اعظم رجل امسك بالقلم ليكتب ، وينشر ما يكتب في الصحف . لقد كان شجاعا لم يرهبه السيف ، فقد كان يؤمن بأن قلمه أقوى من كل سلاح يسلط على رقبته .. كان ناقدا لاذعا ، ونصيرا للحق مهما كانت المخاطر التي تحيق بكاتبه لهذا الحق . كنت اتمنى ان يعيش فولتير ليرى ثورة الشعب في فرنسا على الطغيان . تلك الثورة التي غذاها ورعاها قبل مولدها .. فلم تكن عظمة هذا الكاتب الفيلسوف تكمن فيما قدمه من مؤلفات في الادب فحسب وانما في شجاعته وقدرته وسخريته من كل شيء لا يتفق مع المبادىء التي آمن بها ، ومن كل انسان يحاول أن يفرض سطوته .. ولكنه مات قبل ان يرى هذه الثورة .. مات في نفس العام الذي رحل فيه جان جاك روسو فقد كان الانسان على موعد مع الموت ، كما كانا على موعد مع الحياة .

التعليم اولا

لا يمكن لاية حكومة ديمقراطية تعتمد على التأييد الشعبي في حكمها ، ان تستمر وتحيا وتزدهر الا اذا اعتمدت على شعب متعلم ..

« وودرو ويلسون »


فولتير



دانتي

بين شكسبير ودانتي

● سمع شكسبير Shakespeare يوما ما كتبه احد اصدقائه من كلمة القاها امام جمع من الادباء والشعراء بمناسبة بلوغه عامه الستين من العمر . قال الصديق في كلمته : « لقد اجتمعنا اليوم لنكرم أبا الادب والمسرح الانجليزي ! »



وكان شكسبير غائبا ، فقد اقعده المرض يومها من الحضور ، فلما بلغه ما قيل في وصفه ، عندما قصدوا اليه في بيته يحملون اليه الزهور ، دمعت عيناه ، ثم طلب الى المهنئين ان يعطوا ومد اليهم يده فاذا بها تحمل « كتابا » ، وقال شكسبير : « هذه هي الكوميديا الالهيه The Divine Comedy هل تعرفون من هو صاحبها ؟ انه دانتي اليجري Dante Alighieri (١٢٦٥ ـ ١٣٢١) ، اعظم شاعر انجبته ايطاليا ، واعظم اديب عرفته اوربا .. واعظم انسان ظهر في عصر الظلام ، لقد ولد هذا الرجل العملاق ومات عندما كان العالم الغربي يصارع اعداء التحرر في القرون الوسطى .. وعندما ظهر ذلك البصيص من الضوء الخافت الذي اعلن مجيء التعاليم الجديدة التي اضاءت لنا طريق الشعوب في هذا العصر المظلم ، كان دانتي يحمل الشعلة ويتقدم بها الصفوف .. لقد كان دانتي هو الرجل الذي ذهب الى السماء ، ولكنه لم يبق فيها ، فقد ظل يعود الى الارض بعد اجيال طويلة من موته ، ليضيء للناس طريقهم كلما اشتد الظلام من حولهم ... »

وانتهى شكسبير من حديثه ثم نظر الى الحاضرين وقال : « لا تنسوا دانتي اليجري ايها السادة فهو الذي حمل الشعلة التي حررت انسان القرون الوسطى من الخوف ! »

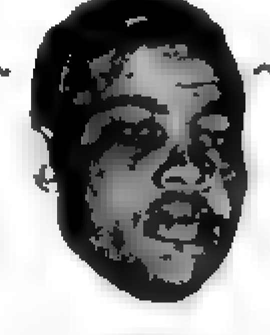
امنية بطل

● جو لويس Joe Louis ، بطل العالم الاسبق في الملاكمة للوزن الثقيل ، تلقى يوما دعوة لزيارة كلية الهندسة بجامعة ايوا Iowa ، عقب فوزه مباشرة في احدى المباريات العالمية .

وفي اثناء طوافه بردهات الكلية ، فوجيء الملاكم البطل ، باحدى الطالبات ، وكانت تدرس الهندسة الميكانيكية ، تقترب منه وتقول : « هل تسمح لي بان اوجه اليك سؤالا ؟ »

وقال البطل : « بكل سرور ، وانا مستعد للاجابة عليه فورا ! »

وقالت الطالبة : « اريد منك ان تصف لي شعورك عندما يتحقق لك الفوز على خصومك في المباريات ؟ »



وقال جو لويس : « ولماذا لا تسألينني عن شعوري وانا اتعذب كيتكم ؟ هل تعرفين فيم افكر في هذه اللحظة . انني كنت اتمنى لو انني استطعت ان اعمل شيئا نافعا بهاتين اليدين بدلا من توجيه اللكمات الى وجوه الناس ! »



بلنسية في زمن العرب



محكمة المياه في بلنسية في زمن العرب

بقلم
الدكتور فيصل دبدوب

[illegible] وورثت خزائن الكتب [illegible]

وصف الاندلس

لابد لي قبل الدخول الى صلب الموضوع من الدوران حوله للاحاطة به فلنشر الى ما قاله بعض اعلام الجغرافية من العرب الاوائل في وصف الاندلس .

قال البكري في المسالك والممالك « يذكر ان اسمها في القديم (ابارية) من وادي (ابرة) ثم سميت بعد ذلك (باطقة) Eatica من وادي (بيطي) Baetis وبيطي هو الاسم القديم للوادي الكبير Gvadal Aviar نهر قرطبة . ثم سميت (اشبانية) من اسم رجل ملكها بالقديم اسمه (اشبان) ، وقيل انها سميت (بالاشبان) لما سكنوها في اول الزمان على جرية النهر وما والاه ، وقال قوم ان اسمها انما هو في الحقيقة (اشبارية) صفة (اشبرش) وهو الكوكب المعروف بالاحمر ، وسميت بعد ذلك بالاندلس من اسماء (الاندليش) الذين سكنوها على ما ياتي ذكره . والاندلس شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، اهوازية في عظيم جبايتها ، فيها اثار عظيمة لليونانيين اهل الحكمة وحاملي الفلسفة . وكان من ملوكهم الذين اثروا الاثار بالاندلس (هرقليش) وله الاثر في الصنم بجزيرة قادس ، وصنم جليقية ، والاثر في مدينة طركونة الذي لا نظير له (انظر جغرافية الاندلس واوربا من كتاب المسالك والممالك لابي عبيدة البكري تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجي ص ٥٧ - ٧٠) .

وقال المقري في نفح الطيب « تشابه اساليب بلاد الشام سحر متاعها وصفاء هوائها ، واليمن سماحها المعتدل صيفا وشتاء ، والهند عطورها الزكية الرائحة وبلاد فارس بالعجبة نكوسها ، وحسن مسرحات سواحلها » .

بلنسية في عمارها وحضارها

لما استولى العرب على بلنسية لم يجاوزوا الاستان في اطلاق هذا الاسم Valencia عليها بلفظه الاسباني الفصيح (بلنسية) واوردوه بهذا الرسم في تواليفهم التاريخية والجغرافية ، فقد جاء في معجم البلدان لياقوت « بلنسية بلد وسين مهملة وياء خفيفة ، كورة ومدينة مشهورة بالاندلس ، وهي برية وبحرية ذات اشجار وانهار وتعرف بمدينة التراب » . وجاء في نزهة المشتاق « بلنسية من قواعد الاندلس ، في مستو من الارض ،



عامرة القطر كثيرة التجارة والعمارة ، بينها وبين البحر ثلاثة أميال مع النهر الذي يسقي مزارعها ، ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة » (انظر دائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ١١٧) .

قال الحميري في الروض المعطار « بلنسية في شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما ، وعلى الجادة ثلاثة عشر يوما . وهي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس في مستو من الأرض ، عامرة القطر كثيرة التجارات ، وبها أسواق وحط وإقلاع ، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال ، وهي على نهر جار ينتفع به ويسقي المزارع ولها عليه بساتين وجنات وعمارات متصلة والسفن تدخل نهرها ، وسورها مبني بالحجر والطوابي ، وأهلها حسن زي وكرم طباع والغالب عليهم كسب الثروة والميل الى الراحات ، وهي في أكثر الأمور ناحية الأسفل كثيرة الفواكه والثمار جامعة لخيرات البر والبحر ، ولها أقاليم كثيرة » .

وبلنسية اليوم ثالثة مدن اسبانيا أهمية ، لا يفوقها سوى مجريط (مدريد) وبرشلونة ، وهي مركز ولاية تسمى باسمها ، وفيها جامعة ودار أسقفية ، ومعامل متنوعة الإنتاج وبينها وبين البحر مسافة لا تزيد على ثلاثة أميال ويخترقها نهر يسمى نهر توريا Turia وقد سماه العرب النهر أو الوادي الأبيض وعلى هذه التسمية أطلق عليه الإسبان اسم Guadaviar (انظر دائرة المعارف البريطانية الجزء ٢٢ ص ٩٤٧ – ٩٤٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ١١٩) .

ولكن المسافر لا يرى بلنسية حتى يصير في وسطها وذلك من كثرة جناتها التي تغطيها ، ومع هذا فالناظر يسرح منها الى مسافة عشرين كيلو مترا في الجبال التي في قربها . ويرى قلعة (مربيطر) في شمالها وجبل (القنت) في الجنوب الشرقي منها ، هذا ومنظر قبابها المرصعة بالزليج الأزرق والأبيض والمذهب حين تنعكس عليها أشعة الشمس منظر رائع حقا يخلع على المدينة بهاء العواصم العربية العريقة ، القاهرة وبغداد ودمشق .

كان الأقدمون يقولون « بلنسية قطعة سقطت من السماء » وقال عنها ياقوت في معجم البلدان « وكم من بلدة في الأرض تمشي أن يكون لها جنان بلنسية ونخيل البصرة » (انظر معجم البلدان لياقوت الحموي الجزء الأول ص ٤٩٠)

وجاء في دائرة المعارف البريطانية « بلنسية هي المدينة الثالثة في اسبانيا ، وهي عاصمة لمقاطعة بنفس الاسم ، مناخها معتدل ، وشتاؤها ليس بقارس ، وعدد سكانها حسب احصاء عام (١٩٥٠م) (٦٧/٥٨٩) نسمة ، لها مرسى يقال له غراو Grewe وأهم صادراتها البرتقال والليمون والكتان والحرير والرز ، وتصدر كذلك الزيوت والزرابي الاسبانية الشهيرة وأنواع الخمر والأنسجة الكتانية والحريرية والمفروشات المطرزة ، والزليج الذي اشتهرت به منذ زمن العرب والذي ما زال الإسبان يسمونه في لغتهم Azulejos » .

ارتبطت المدينة بمجريط (مدريد) بخط حديدي طوله (٤٩٠) كيلو متر ، على أنه لو كان الخط مستقيما لما زاد عن ثلاثمائة كيلو متر . هذا ولم تفقد المدينة مكانتها التي تبوأتها زمن العرب ، بل زادها الدهر أهمية بخلاف قرطبة وطليطلة ، وقد أطلق على المدينة لقب (السيد Cid) نسبة للمغامر القشتالي الشهير في زمن ملوك الطوائف ذلك الزمن الذي أخذت فيه تنحسر العرب بالتقهقر عن الأندلس .

إن الذين وضعوا حجر الأساس لبلنسية هم الرومان عام (١٣٩ قبل المسيح) ثم دمر بعض أحيائها بومبي Pompee ثم عادت الى رونق الشباب في عهد القيصر أوغسطس باعادة تشييد ما تهدم من مبانيها واضافة أحياء جديدة إليها وسقطت المدينة بيد القوط الغربيين Visigoths عام (٤١٣م) ثم انتقلت الى حوزة المسلمين عام (٧١٤م) – (٩٦ هـ) وذلك بعد أن فتحها طارق هي والمدن التي تجاورها مثل (ساغونتة) و (شاطبة) و (دانية) وقد حافظت عليها وعلى أسمائها العربية بنزول التوسعة في أرباضها (انظر الحلل السندسية لشكيب ارسلان الجزء الثالث ص ٥٠ ودائرة المعارف الإسلامية المجلد الرابع ص ١١٩) .

هذا واستمرت بلنسية طيلة عهد الإسلام من أعظم المراكز العربية في جزيرة الأندلس وقد أصبحت عام (١٠٢١م) عاصمة لمقاطعة مستقلة بعد أن انفرط عقد الخلافة الأموية في قرطبة . ومن أشهر من حكمها آنذاك عبد العزيز المنصور

حفيد الحاجب المنصور ، ثم دخلتها الفوضى عام (١٠٨٠م) من جراء الفتن الداخلية ومطامع الاسبان بالاستيلاء عليها والظهور السيد الكمبيادور Cid El Campeador الذي نوهنا عنه ، (وكلمة سيد محرفة من كلمة سيد العربية والكمبيادور معنى في القشتالية القديمة المقاتل) وقد استولى السيد على بلنسية بعد ان تغلب على جيش المرابطين سنة (١٠٩٤م) فسميت المدينة بلنسية السيد Valenc de cid وبعد موته عام (١٠٩٩م) تولت زوجته (شيمان) Chimene حكم المدينة وقيادة جيش زوجها المكون من الزوارقة ، فلم تقو على صد جيش المرابطين ، فحملت جثة زوجها وغادرت المدينة محترقة بعد ان اشعلت فيها النيران عام (١١٠١م) فدخلتها جيوش المرابطين ، وحينذاك توقفت مغامرات الاسبان في تلك الانحاء الى حين ، ثم سقطت المدينة بيد الاسبان نهائيا عام (١٢٣٨م) ولم تعد الى حظيرة الاسلام (انظر مواقف حاسمة في تاريخ المسلمين لمحمد عبد الله عنان (ص ٢١٩ – ٢٢٢) ودائرة المعارف البريطانية (الجزء ٢٢ ص ٩٤٨) .

كانت بلنسية حافظة صبغتها العربية الى العصر الاخير حيث تبدلت فيه هيئتها وغلب فيها طرز البناء الجديد فلم يبق منها على الهيئة القديمة سوى اثار معدودة ، فقد هدموا السور سنة (١٨٧١م) ولم يبق غير برجين مشرفين على العمارة القديمة ، وقد جعلوا مكان السور حدائق فاصلة بين البلد القديم والعمارات الجديدة . والبلد القديم ما زال يحتفظ بشيء من الطابع العربي بطراز بعض ابنيته وضيق ازقته وتعرجها واصمية جدرانها لخلو معظمها من النوافذ الا بعض الكوى التي تطل على الازقة من عل . (انظر الاثار الاندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان ص ٦٨ – ٧٢) هذا ولبلنسية مرفأ يقال له مراو وقد اشرنا اليه واخر يقال له كابانال Cabanal والاول اهم واشهر .

اعظم شوارع بلنسية اليوم شارع خوسية انطونيو Avenida De Jose Antonio ومن اشهر خطط بلنسية شارع الرصافة وهي الرصافة Calle De Ruzafa ويذكرنا هذا الاسم برصافة قرطبة الشهيرة وقد ورد في الروض المعطار بانه كان في بلنسية ايام المسلمين حي يسمى بهذا الاسم ، الاول ربما كان موقعه في نفس هذا المكان (انظر الروض المعطار ص ٥٢) .

سواقي بلنسية

لقد حول العرب بلنسية الى بستان حقيقي رغم ان تربتها ليست فائقة الجودة كما ان ميزات مناخها ليست افضل المميزات الزراعية ، الا ان نسبة هطول الامطار فيها منخفضة جدا (٨٠ ملم في السنة) ، ولكن عرف العرب طرق الاستفادة من مياه نهرها الغزير نهر توريا او الوادي الابيض كما سماه العرب منذ الف سنة او اكثر فانشأوا السواقي Acequas العديدة لروي الاراضي القاحلة بمياه النهر فحالتها الى جنات تجري من تحتها الانهار ، ولبلنسية نهر اخر اصغر من النهر الابيض يسمى نهر Jucar . ان السواقي التي اوجدها العرب ما زالت باقية حتى ايامنا هذه وهي تشكل عملا هندسيا رائعا بشهادة ابرز الشخصيات الفنية الحديثة .

قال الدكتور (بوزية) رئيس جامعة لوزان من سويسرة مشيدا بهندسة الري العربية في بلنسية « لقد طوفت بلاد الاندلس ، ورايت اثارها الباقية من عهد العرب ، فاعجبت بها كل الاعجاب ، ومما شهدته السدود القائمة الى اليوم في ولاية بلنسية ، فان اهل هذه الولاية من الاسبان اليوم يعيشون بفضل هندسة مهندسي العرب لهذه السدود ، ولم يتيسر لامة القرون الوسطى ان تقيم اثرا مما انشأ ابناء جنسكم (يعني العرب) في القرون الوسطى ، ولحسن الحظ لم يقو التعصب الديني الذي دك كثيرا من المعالم في ارض الاندلس على نسف هذه السدود على وادي الابيض وغيرها ، والا لهلك ذلك الاقليم عطشا . ومن الاسف ان مدنية هذه بعض اثارها ذهبت ولا من يبكيها فليبح من قضوا عليها » . (انظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . الجزء السابع من المجلد الثاني تموز سنة ١٩٢٢) .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية : « ان اتقان اعمال الري والاساليب الزراعية الراقية التي ميزت بساتين وحدائق بلنسية ذات شهرة عظيمة تعود الى العرب ، ويعود اليهم كذلك ايجاد غابات النخيل فيها وزراعة البرتقال وجلبه

من الشرق اليها ونشر زراعة الكروم في ضواحيها » . (انظر دائرة المعارف البريطانية الجزء ٢١ ص ٩٤٧) . وجاء في دائرة المعارف الاسلامية « قال احد المعنيين المتحمسين من الافرنج ومن عجيب انه في مدى القرون الستة التي انقضت منذ خروج مدينة بلنسية من يد المسلمين لم يستطع الاسبان أن يضيفوا الى ذلك النظام الهندسي شيئا ولا أن يدخلوا عليه تعديلا من عند انفسهم ، اذ انه اليوم على وضعه الذي ابتكره العرب قبل تلك القرون الكثيرة » (انظر دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ، المجلد الرابع ص ١١٧)

فلا عجب اذا ان اصبحت بلنسية اليوم عبارة عن بستان كثير الخصب وافر المزروعات ، غلبت المزروعات الزراعية التي حازت الشهرة واعجاب المستهلك داخل اسبانيا وخارجها . ان هذه الجنة العربية التي يرجع عهدها الى اكثر من الف سنة يجري فيها سبع سواق لنهر اسماؤها التي مصدرها العربي وهي : ساقية قورات Cuarte وابن عشار ومسلاتة Mislata والفيسارة Favara على الضفة اليمنى ، وساقية الترمس Tormos وساله Mestalla وراسكانا Rascana . على الضفة اليسرى للنهر وتتفرع منها قنوات وافرة تنقسم بدورها الى فروع عديدة تسقي مساحة واسعة من اراضي الري مساحتها نحو عشرة آلاف هكتار (انظر الحلل السندسية لشكيب ارسلان الجزء الثالث ص ٢١٣ ـ ٢١٤).

وعلى ذكر السواقي اقول بان الكنيسة الكبرى في بلنسية قائمة في محل هيكل قديم تحول بعد النصرانية الى كنيسة ثم بعد دخول الاسلام الى جامع ، ثم لما استرجع الاسبان بلنسية اعادوا الجامع كنيسة وكان ذلك عام ١٢٦٢م ، وفي هذه الكنيسة جرس عظيم يقال انه يدق لتعريف ساعات السقيا للبساتين ، ومن اعلى برج الجرس يشرف الانسان على جميع بساتين بلنسية ويرى جبال بني قاسم Benicasim وقد انشىء برج الجرس في نهاية القرن الرابع عشر منفصلا عن الكنيسة وهو شاهق يبلغ ارتفاعه خمسين مترا . ان شعب الاقنية لا ينتهي عددها وهي متشابكة لا يعلم مبدأها ولا منتهاها الا اصحاب البساتين. وعلى كل حال لا بقعة من الارض العاطلة في هذه الغوطة التي تشبه لوحة تمتد شبرا واحدا دون شرب ، وكل هذا يجري ترتيبه النظامي في الدقة من ايام العرب ، هذا واذا ما اشتد الحر في القيظ فان مياه النهر الابيض لا يبقى منها شيء تقريبا في فصل الصيف جاريا الى البحر بل تشربها كلها البساتين ، وان الانسان ليحار عندما يدخل تلك الجنان ويرى ما فيها من الجداول راكبا بعضها فوق بعض ، منها ما هو معلق في الهواء ومنها ما هو انفاق في الجبال او المرتفعات ولكل قناة من الاقنية الكبرى السبع التي ذكرناها يوم مشهود فيه لسقيا البساتين المتعلقة بها فتجري المياه منها الى القنى الصغار التي لا يحصى عددها ، وسقيا البساتين بالساعات ، ولهذه الاقنية هيئات اي نقابات خاصة لادارة امورها كل قناة لها هيئة ينتخبها اصحاب البساتين

في السنين التي يكون الجفاف فيها شديدا يحق لاعضاء نقابات المياه ان يغيروا القواعد المرعية بحسب المصلحة فاذا ادى ذلك الى ان الذين يدخرون المياه لاجل زراعات دون اخرى ، ويغيرون ساعات السقيا ان شاءوا ويحق لهم بحسب الامتيازات القديمة الممنوحة لهم من الملك خايمي الاول فاتح بلنسية ان يأمروا اصحاب القرى العالية التي تنحدر منها المياه ان يسدوا مجاري المياه التي يسقون منها مدة اربعة ايام واربع ليال متواليات فيتجمع حينئذ من المياه ما يشغلون به الموسم . واذا امتنع اهالي القرى المذكورة عن اجابة هذا الطلب فان نقباء المياه يراجعون الوالي وعلى هذا ان ينفذ طلبهم وهذا النظام يرجع الى سنة ١٢٣٨م حينما فتح خايمي الاول ملك ارغون مملكة بلنسية فامر آنئذ ان تكون هذه المياه تابعة للبساتين دون ادنى بدل ولا ضريبة عليها بمقتضى الانظمة والقوانين العربية التي كانت سائدة قبل احتلاله المدينة .

يزعم جوسه Josset صاحب كتاب اسبانيا والبرتغال المصور ان العرب اخذوا هذه التراتيب عن الرومان سواء كان ذلك في اسبانيا او في شمال افريقية . والحقيقة خلاف ذلك فان العرب اينما وجدوا اكثروا من توزيع المياه على الاراضي ولم يقلدوا فيه غيرهم وان كونهم عمروا بلنسية وهذه التراتيب فيها على اجيال هو ثابت فيبقى هناك قضية هل اخذوها عن سلف ام لا ؟ هذا مما

سوف نطلع عليه بعد قليل في حديثنا عن محكمة المياه (آثار العلل المتحصبة الجزء الثالث صفحة ٢١٥) .

محكمة المياه في بلنسية

يطلق على محكمة المياه اليوم Tribunal de la Aguas ، وان هذه المحكمة الطريفة الكليفة تقام في العراء كل خميس من كل اسبوع في مدينة بلنسية منذ تأسيس المحكمة من قبل العرب حتى اليوم وانتخب يوم الخميس من بين ايام الاسبوع لتجرى فيه محاكمات المياه لانه اليوم السابق للعطلة الاسلامية (الجمعة) ، ويتم اجتماع المحكمة امام باب الرسل من الكنيسة الكبرى المسماة (Santissima Maria اى مارية عالية القداسة) وهي كاتدرائية بلنسية التي كانت المسجد الجامع للمسلمين زمن العرب . تتألف المحكمة من سبعة قضاة ينتخبهم الشعب من بين هيئات (نقابات) الاقنية السبع ، قاض عن كل ساقية . واختصاص هذه المحكمة هو الفصل في الدعاوى الناجمة عن توزيع المياه . ويقوم عادة الحارس الاكبر لكل ساقية بتقديم الدعوى بناء على طلب المدعي الذي يعتبر نفسه مغبونا فيقدم الاستدعاء ويحضر المدعي والمدعى عليه امام المحكمة ، ويدافع المدعى عليه عن نفسه ويجوز احضار الشهود والكشف عن الحوادث في المكان عينه ، ولكن يكتفى غالبا بسرد الوقائع لتعرف المحكمة تفاصيل القضية ، وبعد تداول يجرى بصوت منخفض بين اعضاء المحكمة ، يعلن الرئيس الحكم وهو غير قابل للاستئناف . لمحكمة المياه ميزات نادرة ، تجرى المحكمة في العراء كما قلنا ، ويتكلم الجميع اللغة البلنسية وعلى القضاة ان يرتدوا اللباس الرسمي - وهو عبارة عن قباء اسود - (وهذا الزي تقليد عربي) وذلك قبل الجلوس على مقاعدهم ، وتفرض العقوبة المالية باسم الدولار ولكنه يجب الاشارة الى قيمتها بالليرات القديمة . ويتقاضى الرئيس عادة كمية من الحلوى عن كل جلسة ، وهذه الحلوى تصنع في معمل حلويات مشهور ببلنسية يملك باصنعها .

ومما تجدر الاشارة اليه ان محكمة المياه انشأها العرب وقد قام بخلقها الخليفة الاموى الحكم الثاني خليفة قرطبة ، وكان قاضيه في بلنسية آنذاك عبد الرحمن بن جبل ، وقد تأسست هذه المحكمة في اواخر عام (٩٦٠ م) وما زالت تقوم بدورها في الوقت الحاضر ، وعندما استولى الملك خايمي الاول على بلنسية احترم هذه الهيئة الشرعية وحافظ عليها كما احترمها جميع الحكام الذين استلموا زمام الامور في اسبانيا حتى يومنا هذا واعترف التشريع الاسباني بشرعية المحكمة وشرعية قوانينها اعترافا صريحا (انظر العلل المتحصبة الجزء الثالث ص ٢١٢ - ٢١٥ ودائرة المعارف البريطانية (الجزء ٢٢ ص ١٩٨) .

هذا ومما تجدر الاشارة اليه ان القوانين التي تطبقها المحكمة مقتبسة بالاثرها من قوانين الرى التي كانت سارية في بابل في القرن الثامن الميلادى ومن احكام شريعة (حمورابي) (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) واحكام شريعة (اورنمو) (٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق.م) الملك السومري الذي سبقت شريعته شريعة حمورابي بنحو من ثلاثمائة عام (انظر الرى والحضارة في وادى الرافدين / الجزء الاول / الدكتور احمد سوسه ص ٥٧) ، وهذا يعني ان اقدم الشرائع في العالم تطبق في القرن العشرين كل يوم خميس عند مدخل كاتدرائية - مسجد - بلنسية .

ان قوانين بابل وشرائع (حمورابي) و (اورنمو) دخلت الى اسبانيا عن طريق الجيش العربي الذي جاء لنصرة طارق بن زياد وشارك في فتح بلنسية التي استوطن فيها فيما بعد .

لقد كان عام (١٩٦٠ م) عام الذكرى الالفية لتأسيس « محكمة المياه » ، وحضر الاحتفالات بهذه الذكرى وزير العدل الاسباني وبصحبته وزراء الزراعة والاشغال العامة ، وقد اشاد الخطباء في تلك الاحتفالات الباهرة بالحضارة العربية وبمآثر العرب الرائعة في الاندلس ، ومما يلاحظ ان تغير الاسبان عن خطاياهم التي ارتكبوها ضد العرب قد جاء متأخرا جدا .

في خلال الحرب العالمية الثانية كان احد سفراء الدول العظمى بمدريد ذا ثقافة عالية وميل شديد الى الدرس والتنقيب في الابحاث التاريخية حضر محكمة المياه ودرس تاريخ نشأتها ، وبعد ان اطلع على تاريخها الطويل المستفيض قال : يظهر ان هذه المحكمة خالدة الى الابد ، ويظهر ان العرب لم يتركوا الاندلس نهائيا بعد .

القول اجل ، ان هذه المكتبة خالدة خلود التراث العربي في الاندلس ، وباقية بقاء الحضارة العربية الظاهرة على ملامح الاسبان في الفردوس المفقود .

وبعـد

فان (البرخت كوتزة) يقول « ان تاريخ السومريين والبابليين القدماء لا يمكن ان يفهم كما يجب ما لم يرد وضوحا بنظام الري كما كان عليه في تلك الازمان » (انظر الري والحضارة في وادي الرافدين لاحمد سوسة الجزء الاول الصفحة الاولى) . والقول بان ما قاله (كوتزة) ينطبق على الحضارة العربية في الاندلس الى حد بعيد . فنحن ان اردنا ان نفهم اثر العرب على اسبانيا من وجهة النظر الحضارية لا يمكننا ان نستقصي هذا الاثر بشكل دقيق والعلم الحديث ما لم ندرس انظمة الري وتقنيته وتشريعاته ، والزراعة وما يتعلق بها في الشام عند العرب وفي العاصر عند الاسبان التي تحدد وتثمن فضل العرب الحضاري على التمدن الاسباني ، وهو ما حاولنا الباته في هذا البحث بدراستنا لكورة مهمة من كور الاندلس هي الاقليم بلنسية ذلك الاقليم المتميز بطابعه الزراعي الممتاز .

مراجع البحث

١ ـ دائرة المعارف البريطانية الجزء (٢٢) طبعة عام ١٩٥٩ م .

٢ ـ دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) المجلد الرابع القاهرة عام ١٩٣٧ م .

٣ ـ الحلل السندسية لشكيب ارسلان الجزء الثالث .

٤ ـ المسالك والممالك لابي عبيد البكري ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي الحجي دار الارشاد . بيروت ١٩٦٨ م .

٥ ـ الروض المعطار لابي عبد الله الحميري المنشور بعناية الاستاذ ل . بروفنسال القاهرة عام ١٩٣٧ م .

٦ ـ نفح الطيب للمقري ، طبعة محيي الدين عبد الحميد القاهرة عام ١٩٤٩ م .

٧ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي طبع دار صادر بيروت عام ١٩٥٥ م .

٨ ـ مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام لمحمد عبد الله عنان ، الطبعة الاولى عام ١٩٦٢ م .

٩ ـ الآثار الاندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان . الطبعة الاولى عام ١٩٥٦ مطبعة مصر .

١٠ ـ الري والحضارة العربية في وادي الرافدين . الجزء الاول لاحمد سوسة مطبعة الاديب البغدادية عام ١٩٦٨ .

١١ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، الجزء السابع من المجلد الثاني تموز عام ١٩٤٢ .

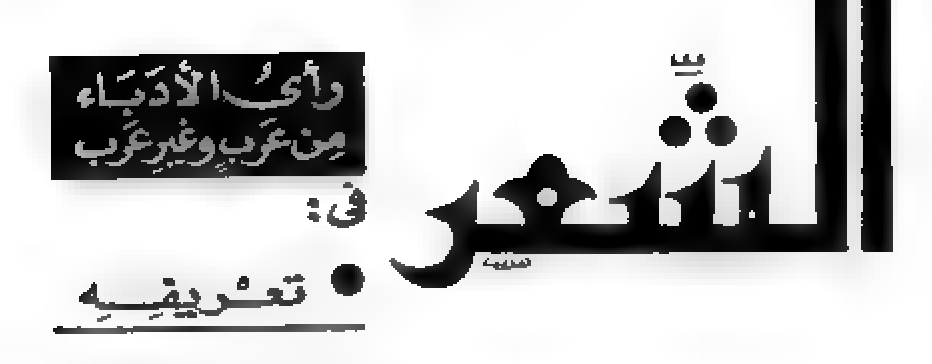
١٢ ـ مشاهداتي الخاصة

فيصل دبدوب

تواضع عند الكرم

● اتى رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما يسأله فقال الحسن : ان المسألة لا تصلح الا في غرم فادح ، او فقر مدقع وحمالة مفظعة . فقال الرجل : ما جئت الا في احداهن . فامر له بمائة دينار . ثم اتى الرجل الحسين بن علي فسأله فقال : كم اعطاك ؟ قال : مائة دينار . فنقص دينارا . كره ان يساوي اخاه .

ثم اتى الرجل عبد الله بن عمر رضي الله عنه فسأله فاعطاه سبعة دنانير فقال له الرجل اني اتيت الحسن والحسين وقص عليه كلامهما وفعلهما به فقال عبد الله بن عمر : وأنى تجعلني مثلهما انهما غرتا العلم غرتا المال .



الشعر في :

● تعريفه
● غايته
● مهمته
● وظيفته

بقلم : طلال سالم الحديثي

■ مسألة تعريف الشعر مسألة معقدة لتشعبها وتشابكها واضطراب الآراء حولها اذ لم يستقر رأي النقاد والمتذوقين على تعريف جامع للشعر سواء بالنسبة للشعر العربي أو لشعر الأمم الأخرى . وقد امتلأت كتب النقد ومباحثه بتعريفات كثيرة لا حصر لها (والباعث على كل هذا الاختلاف هو اختلاف النظر الى الشعر ، فهو يرى من ناحية على انه وظيفة أساسية من وظائف الحياة وجهد مبدع متكامل ويرى من وجهة أخرى على انه [illegible])

تعريف الشعر

وقد حاولت مراراً الاجابة على السؤال الآتي : ما هو الشعر ؟ وكنت أجيب وفي ذهني طائفة من التعريفات منها انه : (قول موزون مقفى يدل على معنى)(٢) أو (ضرب من النسج وجنس من التصوير)(٣) أو (ان الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز)(٤). أو ان (الشعر ليس عملاً سهلاً ساذجاً كما يعتقد كثير من الناس ، بل هو معقد غاية التعقيد ، فهو صناعة تجتمع لها في كل لغة طائفة من المصطلحات والتقاليد ما يزال النقاد منذ ارسطاطاليس يحاولون ان يصوغوها صياغة [illegible] ومقاييس)(٥) .

وقد يكون الشعر كما عرفه اليوت Eliot ، بأنه (ليس انطلاقاً للانفعال ، لكنه هروب من الانفعال ، انه ليس تعبيراً عن الشخصية ولكنه هروب من الشخصية)(٦) .

وعلى رأي جونسون Johnson ، يكون الشعر هو الأدب الموزون وانه فن توحيد السرور مع الحقيقة

---

(١) الأسس الفنية للنقد الأدبي ، دكتور عبدالحميد يونس ص/١٢٤ .
(٢) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ص (١٥)
(٣) الحيوان ، الجاحظ جـ ٣/١٣١
(٤) الوساطة ، الجرجاني ص ١٥ .
(٥) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دكتور شوقي ضيف ص ١٣
(٦) مناهج النقد الأدبي ، دمحمد مندور ص ٢٢٠

باستخدام الخيال .. وجوهره الاختراع) . او يكون كما يقول مل Mill (الفكر والحس حين تربطهما العاطفة) . او كما وصفه ماكولاي Macaulay ، ب (انه فن استخدام الكلمة حيث ينتج عنها ايهام الخيال ، وانه الفن الذي يستخدم الكلمة لتؤثر نفس التأثير الذي يحدثه الرسام باستخدام الالوان) . ويمكن ان نعتبره انه غنيا بالالفاظ كما اعتبره روبرت فروست Frost.

وقال كارليل عن الشعر بانه (الفكرة ذات الطابع الموسيقي) . اما شيلي Shelley ، فعده (تعبير الخيال عن نفسه) . وعرفه هازلت Hazlitt ، بانه (لغة الخيال والعاطفة) . واما كولردج Coleridge ، فقد عرفه بقوله : (الشعر نقيض العلم،هدفه المباشر اللذة وليست الحقيقة). وقال عنه ادجار آلن بو Poe بانه (خلق الجمال الموزون) . واعتبره راسكين Ruskin ، (ايحاء العواطف النبيلة)(٧) .

تعريفات الشعر غير مقنعة

هذه التعريفات(٨) على الرغم من تعددها واقتراب بعضها من بعض في احيان قليلة تبدو غير مقنعة لانها في الاصل تحاول تحديد شيء ليس من خاصيته ولا من طبيعته التحديد .

ان في الشعر (خصوصيات) لا نجدها في النثر، هذه الخصوصيات هي التي تجعلنا اسم شيء نسميه الشعر وآخر نسميه النثر . ان القصيدة هي بمثابة فيض شعوري هائل تحسه وراء الكلمات التي تكون الاطار الموسيقي لهذا الفيض والذي يحتاج بدوره الى حدة انفعالية ينتقل بواسطتها الى المتلقي او القارىء . ولا ينطبق تعريفي هذا على النثر انطباقه على الشعر وهو لهذا قاصر عن اعطاء المتلقي فكرة واضحة عن الشعر .

ان الشعر في اعماقنا صورة خاصة تميزه عن النثر الا اننا في الغالب لا نحسن توضيحها . فما قلناه ليس هو ما اردنا قوله . وبسبب من عدم خضوع الشعر لتحديد مقنن بقي مجال النظر في تعريفه مفتوحا وسيظل .

ويبدو ان هذه المسألة قد دفعت بعض النقاد الى تجنب وضع تعريف للشعر واستهجان هذه المحاولة الا (من الخطأ البين ان يقسم النقاد الفن المتوسل باللسان الى شعر والى نثر فني على هذا الاساس العجيب وهو ان الشعر هو الذي يختص بالموسيقى . اما النثر فمرسل عاطل من هذه الموسيقى)(٩) . فالادب في ظل هذه النظرة (وحدة كاملة مهما اختلفت دائرته . وانه كغيره من الفنون الجميلة لا يختلف عنها الا في وسيلة التعبير وهي اللسان او اللغة المنطوقة ، وانه في شعره ونثره الفني يقوم بالكشف من التجربة لصاحبها ، ثم لمن يتلقاها ويتذوقها . وبهذا الفهم لا يجرد النثر الفني من الموسيقى التي هي صلة اصيلة في اللغة المنطوقة قبل ان تكون خصيصة من خصائص الادب ولا تقصر الموسيقى على الشعر وحده ، ويكون التفريق بينهما على اساس نفسي . فان الموسيقى في الادب ترتفع عن مجرد موسيقى لغوية لسانية وتستعين بدلالات اخرى غير مجرد دلالات المخرج ، والسر توجد في الترديد والمماثلة والمشاكلة والمقابلة والتوقف والاسترسال والايقاع ، وهي تصاحب الشعور المعبر عنه وتساير جيشانه ، وتحكي درجته ومقداره . فاذا زاد الانفعال ارتفعت النبرة وتداعت وتصلبت ، واذا هدأ واقترب من التأمل خفت هذه النبرة وانبسطت . فالشعر هو الضرب الذي يحكي هذا الانفعال . والنثر في منزلة بين المنزلتين اتصالات متوسطة بين العنف والهدوء تأخذ من خصائص الشعر ومن خصائص النثر الفني على السواء . والمقترب من النثر هو (النثر الشعري) . ولا يمكن ان توضع حدود وتعاريف جامعة كما يتطلب المنطق في ميدان الفن الجميل ، ولا يمكن ان ترسم خطوط فاصلة بين نوع ونوع في هذه الفنون)(١٠) ويبدو لي ان نظرة الدكتور عبد الحميد يونس هذه الى الموضوع نظرة

(٧) الاقوال التي لم ارقم مراجعها بتصرف الدكتور داود سلوم في كتابه النقد الادبي الجزء الاول ص١٢٧

(٨) لعل القارىء يلاحظ انني لم اعمد الى ترتيب آراء النقاد بشكل تاريخي والحق انه كان من الاجدى اتباع هذه الطريقة لولا نظري الى دلالة القول فقط .

(٩) الاسس الفنية يونس/١٢٢

(١٠) الاسس الفنية ، يونس/١٢٥ .



اليوت .. الشعر عنده ليس تعبيرا عن الشخصية ولكنه هروب من الشخصية

صائبة جديرة بالملاحظة ليس لانها تمنحنا جملا ليس بذي طبع وحسب وانما لواقعيتها ولنصيبها من دقة النظر واقترابها من طبيعة هذا الفن المتجدد .

ان الشعر قد وصل في هذا العصر الى حد من التعقيد والسمو بموضوعاته واهتماماته . وجدير بهذا الجيل ان يوجه الى الشعر معنيه الغايات والوافره . يقول ديتشس (وقد تجيء عصور يكون فيها الشعر او الادب بمنجاة من الهجوم فيمنحه اربابه في طلاقة ووفر فيقدمونه الى جمهور يرى فيه ، رأي التسليم ، جزءا طبيعيا من حضارته ، وفي مثل تلك العصور ينتفي الدفاع النظري عن الشعر وتحل محله المناقشة التطبيقية ، فيتجه النقاد الى ابراز القيمة في الاثر الادبي الواحد ، والى التحدث عن طرائق التجديد في الكتابة والى دراسة اسرار الصنعة الادبية وتعليم المتأدبين كيف يمتلكون ناصية فنهم)(11) .

غاية الشعر ، مهمته ، وظيفته

بعد ان القينا نظرة على تعريف الشعر نحاول

● الشعر ورأي الادباء فيه

ان نلقي نظرة اخرى على غاية الشعر ومهمته ووظيفته . فلست اشك مطلقا في اهمية هذا الموضوع بالنسبة الى الشعر في هذا العصر الحديث . ذلك ان بعضنا فيما يبدو قد اخذ يحدد موقفه من الاشياء بقدر ما تعطيه او بقدر ما يأخذ منها . ولا اريد ان اجزم بحداثة هذا الموضوع او ان اقصره على الشعر الحديث ، ذلك انني وجدت في كتب الادب القديمة اشارات افصحت او هدفت الى الافصاح عن هذه المهمة والغاية . الا ان النقاد العرب الاوائل لم يحفلوا بالموضوع احتفالهم بقضية الاوزان والقوافي ، وتقسيم الشعراء الى طبقات وفحولة الشعراء وايهم ارغب واطرب . ومهما يكن من شيء فقد وجدنا اشارات غير قليلة الى الموضوع وهي جديرة بالتأمل لانها تضع امامنا بوضوح مفهومهم للشعر ونظرتهم اليه. واضع امام القارئ سؤال الحجاج القاه على الصلتان بن عنقد . سأله : لم تقول الشعر ؟ فاجابه وقال :

« اسقي به الله وارعى الكلا وتقضى لي به الحاجة وان كفيتني تركته »(12) .

من خلال هذا القول يتبين لنا ان فكرة التكسب بالشعر هي التي كانت تدور في رأس هذا الشاعر ، فشعره يطلب ما هو في حاجة اليه وبشعره تتعلق اطماعه وامانيه . ثم هو — اي الشعر — في نظره وسيلة الى غاية فان كفاه اياها احد فانه قادر على ان يسكت وينقطع عن قول الشعر .

ان هذا المفهوم النسبي لمهمة الشعر وغايته مقرون الى مفاهيم اخرى خاطئة سيطرت على الشعر العربي في اعصره الاولى ، اضافة الى اغفال قيمة احاسيس الشاعر وتركيز مطالبه كلها برغبات مادية بحتة ينصرف الى تحقيقها .

ولعل قولا اخر نذكره هنا هو قول عمر بن الخطاب (رض) عن الشعر . قال : « الشعر يسكن به الغيظ وتطفأ به النائرة(13) ، ويتبلغ به القوم ويعطى به السائل(14) » .

---

(11) مناهج النقد ، ديتشس/٣٦٣ .
(12) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء ، الراغب الاصبهاني جـ ١ ص/٣٦ .
(13) نارت نائرة : هاجت هائجة . القاموس المحيط ٢/١٤٢ .
(14) محاضرات الادباء للاصبهاني .

الشعر لا يقتصر على المطالب المادية

ويبدو ان هذا القول اقرب الى فهم طبيعة الشعر من القول الذي سقناه آنفا . ذلك لانه لا يقتصر على المطالب المادية وحسب وانما يتعداها الى التأثير على النفوس فتجد في ثناياه مراحا ناعما يسكن به الضيق ولطفا به النائرة الصاخبة الى انه يمكن ان يحمل فكرة او رأيا او رسالة يتبلغ بهديها الناس. كذلك يحظى به السائل اذا ما رفعه في هذا المقام لنيل طلب او عطاء . واذا كنا نجري هذين القولين من (محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء) فانما نؤكد ان مثل هذه النظرة لا يمكن ان تعم شعر امة باجمعه ولا شعر فترة باسمها وحسبنا ان نذكر الاصل عنهما النوع . فالشعر الحديث هنا ليس وليدا غير شرعي للشعر العربي القديم ولكن بمثل هذا القول الباطل يريد نيلا من حقيقة تراث عربي ضخم غني وحسب .

ان جمع الاقران تلك المقالات المتباينة بعضها الى بعض يقوي شمولية النظرة الى الموضوع ويحد من تنافرها لتكون خيط الوصل بين الاشياء وتشابهها وتطورها . وبعد ان القينا هذه النظرة القديمة لغاية الشعر ومهمته سنتابع النظر في ذات الموضوع عند المحدثين لكي نجمع بين النظرتين ونحاول التوفيق فيما بينهما .

اننا امام قول لـ (كيتس) Keats يذكر فيه (ان وظيفة الشعر الحقيقية ليست الوعظ)(١٧) .

ان انتفاء هذه الوظيفة للشعر لا يعني بالاساس الى ان يتجنب الشاعر تحميل شعره فكرة ما او آراء معينة . وهو يستطيع ذلك بجعل اسلوب شعره ليس وعظيا والا لجأ الى الشعار الامر والنصائح . ولدينا اشعار كثيرة تحمل فكرة معينة الا انها لا تتبع هذا الاسلوب . ان الهدف البين الذي يحمله الشعر لا يعني ان يكون الشعر وعظيا بالضرورة وليست كل قصيدة تحمل هدفا واضحا هي قصيدة وعظية .

واذا ما وضعنا قولا آخر جنب هذا القول نرى تناقضا يثبتنا بصحة رأينا الذي ذهبنا اليه . تقول « اليزابث درو » : (ان الشعر فن وليس رسالة اجتماعية ، ولكننا مع ذلك لا يمكننا ان نفصله عن المعنى ، فهو يبدأ بمعطيات خارجية ويهضمها في الداخل ويخلقها خلقا جديدا ، وهو في النهاية تركيب لفظي له رسالته بمعنى ان الشاعر لا يعطيك زخرفة جرسية فقط)(١٥) . ان نظرة « اليزابث درو » الى الشعر لهي واقعية ومنطقية اذا ما نظرنا الى الشعر بمنظار يبعده عن دائرة التهويمات اللفظية التي تنطلق من مركز اللاوعي عند الانسان.

العصر الحديث ضيّق من مجال الشعر

ويبدو ان العصر الحديث بمعارفه التي بلغت شأوا بعيدا في التقدم قد ضيق من مجال الشعر ويرهن على عدم جدواه لذلك يبدو توماس لف بيكوك Peacock ، متشائما في اطوار الشعر الاربعة اذ يقول : (ان الشعر قد فقد فائدته وانه في عصر المعرفة والعقل والاستنارة لا يؤدي الا الى الخمول والخرافة)(١٦) . ولعل نظرة بيكوك هذه تنطلق من قصر رسالة الشعر على المجتمعات البدائية او غير المتقدمة . ان هذه النظرة بالغة السذاجة ذلك لان رسالة الشعر لا تنتهي عند حد معين بل لا تقف عند حد معين . ان الشعر كالثورة تركز همها في التغيير ، حتى اذا تم لها ما تريد انصرفت الى الداخل تبني وتصنع . ان مهمة الشعر لا يمكن ان تموت ذلك لانها مهمة ازلية تغذي الوجدان الانساني الذي تقلبت به الحال .

(١٥) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه « اليزابث درو » ترجمة الدكتور محمد ابراهيم الشوش ص ١٠٤ ـ ١٠٥

(١٦) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه « اليزابث درو » ص ١٠٤ .

(١٧) مناهج النقد ديتشس ص ١٧٥ .

ولعل شيللي Shelley ، يعطينا في قوله له ما يمكن ان نسلم به رأينا . يقول : ان الشعر لا يمكنه القلة دوما ، وكل الارواح التي يسقط عليها تفتح ازهارها للقار الحكمة التي تمتزج مع اللذة ([18]).

ولتوضيح هذه الفكرة نذكر لشيللي ايضا قوله : ان الشاعر لا يقدم صورة ثابتة للاخلاق بل انه يساعد على تطبيق الخير الاخلاقي بتقوية الخيال ([19]) . ان شيللي يرسخ على ان الشعر غاية لكنه ضد الاسلوب المباشر والهدف البين .

: الشاعر يسمو منشدا حين يجسد الفكرة من الخير والشر . اما الشعراء الذين كانت مواهبهم اقل منها على نحو اشبه امثال « يوريبيدس » و « لوكان » و « تاسو » و « سبنسر » فانهم كانوا دوما يتمثلون غايات اخلاقية وكان اثر شعرهم يتناقص تناقصا مطردا مع الدرجة التي يضطروننا فيها على ان نلتفت الى هذه الغاية ([20]) . ومن الممكن ان نجد تفاوتا بين آراء شيللي هذه والرأي الآتي لآرنولد Arnold : اما الشعر فان الفكرة بالنسبة اليه هي كل شيء ، وكل ما عدا ذلك فهو عالم من الوهم او الوهم العلوي . الشعر يربط انفعالاته بالفكرة والفكرة هي الواقع في حقيقته ([21]) .

ان قول « ارنولد » هذا يتناقض تمام التناقض مع قول « كيتس » السالف ذكره وهو وان اتفق مع بعض الآراء التي ذكرناها انفا الا انه يختلف وإياها في الاسلوب لكنها تلتقي جميعا في الغاية . ولرانسوم Ransome قول يجعل في الشعر موضوعا الا انه يجعل مهمته – اي مهمة الشعر – هي ان يقنعنا بان الموضوع الذي فيه يستحق الاهتمام.

الشعر ليس بالونا منتفخا بالهواء

ان الشعر لا يمكن ان يكون خاليا من الموضوع وهو ليس بالونا منتفخا بالهواء . هذه حقيقة يمكن ان نتفق عليها . لكن ما يباعد بين وجهات النظر هو مهمة الشعر وغايته ووظيفته . ان الشاعر يطرح موضوعه : مبدعا او محاكيا : بشكل ما من خلال انطباعاته الخاصة او يطرحه بالشكل الذي وعاه وليس هذا الشكل تقريرا لا نحسه في الواقع، وانما يولد هذا الشكل الفني بعد ان يكون قد اختزن في وعي الشاعر او لا وعيه وحمل انفعالات تكون مرتكزا لما يريده الشاعر .

تقول اليزابث درو : فللشاعر طبيعتان انسانية وفنية . والشعر ينتج عن مصدرين : من تجربة عاطفية تكمن في الادراك ، ومن تنظيم عقلي تام الوعي . انه عملية تختلط فيها الحياة باللغة ويتزاوج فيها المعنى والمبنى ، ويصعب فيها كل من التصميم والطبع تمييزها ([22]) .

ان الموضوع الذي تتضمنه القصيدة لا يحدد دوما مهمتها ووظيفتها . كذلك فان تحميل الشعر رسالة ما لا يقلل من منزلته ولا ينتقص من مكانته، حتى ارى ان الشعر لا يضيق ذرعا بان يكون موضوعه مشيرا الى غاية ما دام الشعر يرفع لـ (لي) بين يدي الانسان . والانسان هو الاخر لا يريد ان يصل دوما الى شعر لا يهتم به وبآماله . الا انني انكر على الشعر ان يكون وسيلة الى غاية شخصية او متكئا الى سلطة او فرد . ان الفن عامة والشعر خاصة يحفل بمعطيات ازاء يجب ان تخدم الانسان .. حريته وانسانيته وامانيه . وعلى هذا تكون مهمة الشعر هي استشراف عالم الانسان بوسائل فنية تطرح ولا تفرض وتشرح ولا تحدد وتقول ولا تجزم . هي تكوينات ذاتية يمكن ان تثري الاخرين ايضا، او ان يعلمنا الشعر كما يقول (ييتس) Yeats : لنلمس العالم ونتذوقه ونسمعه ونراه ويعلمنا كيف نصرف عن كل ما هو من صنع العقل وحده بل عن كل شيء ليس فاكهة تنبجس من كل آمال الجسد وذكرياته وأحاسيسه ([23]) . ■■

العراق – طلال سالم الحديثي

---

(18) نفس المصدر ص ١٨٧ – ١٨٨

(19) و (20) نفس المصدر ص ١٨٩ و ٢٠١ .

(21) نفس المصدر ص ١٨٩ .

(22) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو ص ٢٥ ، ٣٩ .

(23) نفس المصدر ص ٢٥ .



أعجب من العجب

■ أتى أحد الأبناء أبا الهيثم في السحر ، فجعل يتعجب من تكبره . فقال له ابو الهيثم . سبحان الله تشاركني في الفعل . وتتفرد بالعجب !

ثكل علي

● قال الشعبي : لما مات علي بن ابي طالب رضي الله عنه قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، واستعبر الله لابيه ، ثم قال : نعم اخو الاسلام كنت يا ابي ، جوادا بالحق ،

تحرّجٌ وتأثمٌ

● كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة يطلب اليه ان يجمع بين اياس ابن معاوية، والقاسم بن ربيعة الجوشني فيولي القضاء انفذهما. فجمع بينهما. فقال له اياس : سل عني وعن القاسم فقيهي البصرة الحسن البصري وابن سيرين .

فعلم القاسم ان اياسا يهرب من القضاء . وانه ما اشار على عدي بسؤال فقيهي البصرة الا ليختاراه دون اياس . فقد كان اياس لا يأتيهما . فقال القاسم لعدي : لا تسأل عني ولا عنه . فوالله الذي لا اله الا هو ان اياس بن معاوية افقه مني واعلم بالقضاء . فان كنت كاذبا ـ وقد حلفت ـ فما يسعك ان توليني . وان كنت صادقا فينبغي لك ان تقبل قولي .

فقال اياس متحرجا متأثما : اي عدي ، انك جئت برجل فأوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف .

فقال له عدي : اما وقد فهمتها فانت لها . واستقضاه « ولاه القضاء »

★ ★ ★

ما ترى فيما ترى ؟

● قال الاصمعي : اصابت الاعراب مجاعة فمررت باعرابي قاعد مع زوجه على قارعة الطريق وهو يقول :

يا رب اني قاعد كما ترى
وزوجتي قاعدة كما ترى

والبطن مني جائع كما ترى
فما ترى يا ربنا فيما ترى ؟



قريش

نبلا بالباطل عن جميع الخلق ، تغضب حين الغضب ، وترضى حين الرضا ، عفيف النظر ، غضيض الطرف ، لم تكن مداحا ولا شتاما ، تجود بنفسك في المواطن التي تبخل بها الرجال ، صبورا على الضراء مشاركا الحمد ، ولذلك لتلت على اكتاف قريش .

يخاف الموت

● قيل لاعرابي : ما يمنعك أن تغزو ؟ فقال : والله اني لابغض الموت على فراشي فكيف امضي اليه ركضا .

نار اللــه

● شرب ابو دلامه يوما ، فأحضره الشرطي الى المهدي فقال : استنكهوه ففعلوا فوجدوا رائحة الخمر . فأمر المهدي ان يحبس به . فأمر الربيع ان يحبسه في بيت الدجاج ويغلق عليه الباب ، ففعل ، ثم اخلى سبيله بعد يومين . واقيم بين يدي المهدي ، فقال : يا عدو الله اتشرب الخمر ؟ اما اني لا اقيم عليك الحد ولا تأخذني عليك لومه لائم ، فأنشأ ابو دلامه :

اميـر المؤمنين فدتك نفسي — علام حبستني وخرقت ساجي
اقاد الى السجون بغير جرم — كأني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان خيرا — ولكني حبست مع الدجاج
لدى صهباء ريح المسك فيها — ترقرق في الاناء لدى المزاج

عقار مثل عين الديك صرف
كأن شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار اللـه حتى
لقد صارت من النطف النضاج

فسأل المهدي الحاضرين ماذا يعني بنار الله ؟ فقال الربيع : يعني بها الشمس فقال ابو دلامة لا يا امير المؤمنين ولكن نار الله الموقدة ، التي تطلع على فؤاد الربيع مؤصدة ، وعلى من أخبرك باني صبحت بها الشمس مطلقة . فضحك المهدي وجلساؤه وعفا عنه .

★ ★ ★

اقيلوني

● قيل ان القلاخ بن حزن ، وكان احد شعراء الدولة الاموية ، قام يوم عيد الاضحى خطيبا في احد مساجد دمشق ، فقال ، وقد ارتج عليه : الحمد لله الذي خلق السموات والارض في ستة اشهر . فقيل له : انما خلقها في ستة ايام ، فقال : اقيلوني فوالله لقد ظننت اني اقللت وكنت اريد القول في ست سنين .



العقل: مكانه في فلسفة التربية

بقلم :
الدكتور سعيد اسماعيل علي

عندما قارن الانسان بين نفسه وبين غيره من الكائنات الاخرى ، وجد انه يمتاز عنها بجوهرة ثمينة لا تملكها هذه الكائنات الاخرى ، هذه الجوهرة الثمينة هي « العقل » . صحيح انه يشترك معها في « الجسمية » ، الا ان ما يملكه من « عقل » يجعله يسمو عليها ويعلو .

وقد عكس الانسان هذه الفكرة عن نفسه على الطبيعة والكون كله . فتخيل الكون ذا عنصرين ، طبيعة مادية يكمن فيها او وراءها او فوقها عقل كبير يسيرها ويدبرها كما يسير عقل الانسان جسده ويدبره . والطبيعة التي هي من عنصر مادي هي الحواس التي تطور استخدامها فابتكرت لها الاجهزة والآلات العلمية ، ووضعت لها الطرق والمقاييس ، وما ذلك الا لتتقرب قدر الامكان من المعرفة التي موضوعها العنصر الثاني من الطبيعة وهو العنصر العقلي الثابت الاساسي . فهذه المعرفة لا تعتمد على الحواس التي كثيرا ما تخدعنا ، وانما تعتمد على العقل . ومن ثم فاذا كنا نعتمد على منهج تجريبي علمي في معرفة الطبيعة المادية للكون ، فاننا لا نستطيع ان نعتمد على نفس المنهج في معرفة الطبيعة الروحية والامور الثابتة التي تكون الشطر الثاني من الكون .

ولو كان الامر امر نظرية في الفلسفة او في علم النفس فحسب ، لهان الامر ، ولكن تلك النظرية كانت تعكس واقعا اجتماعيا بدأ ظهوره منذ العصور الاولى للتاريخ ، وكون هذا الواقع حصنا حصينا احتمت به الفلسفة ، ووجد من اقطاب الفلسفة القديمة مثل افلاطون وارسطو من دافع عنه خير دفاع فقد كان يزعم ان من يستطيع ان يتخذ من العقل هاديا ومرشدا في حياته من الناس عدد بسيط ، اما السواد الاعظم من الناس فكل ما يقومون به من عمل ينحصر في حدود الوظائف النباتية والحيوانية هذا بالاضافة الى ان ما يقومون به من نشاط فكري — ان وجد — ليس من القوة بحيث يمكن ان يضبط او يتحكم ويسيطر على اهوائهم وشهواتهم الجسمانية . ان هؤلاء الناس لا يفترقون عن النباتات والحيوانات من حيث هم وسائل لغايات ابعد منهم . كل ما هنالك من فرق هو ان لديهم قسطا قليلا من الادراك يمكنهم من ان يقوموا بما يكلفون به من اعمال . ولذا فالطبيعة ، لا النظام الاجتماعي ، هي التي حتمت ان ينقسم الناس الى طبقات ، اسفلها هي طبقة العبيد التي تقتصر وظيفتها على تنفيذ ما ترسمه لها الطبقة الممتازة من غايات واهداف .

نوعان من التربية

اما الآثار السيئة التي نرى صداها في التربية نتيجة هذا الاتجاه فهي قيام نوعين من التربية ، تربية وضيعة آلية تؤهل لاعمال العبودية ، وتربية عقلية تؤهل الفرد لكي ينخرط في سلك طبقة المفكرين ذوي العقول الممتازة القادرة وحدها على التفكير ، اما النوع الاول فطريقته هي ان يدرب الناس تمارين عملية حتى يستطيع المرء منهم ان

علَى مَرّ القـرون





لوك — ديوي

يقدر على معالجة الاشياء واستخدام الآلات التي يتوقف عليها انتاج السلع المادية واداء الخدمات للآخرين . والتدريب هنا لا يخرج عن كونه عملية اعتياد ومهارة آلية يتم بالتكرار والمثابرة على العمل دون حاجة الى اعمال الفكر او تشغيل الذكاء ، هذا على عكس النوع الثاني من التربية ، فهنا يكون الهدف هو تدريب العقل حتى يمكن ان يؤدي وظيفته التي هي المعرفة . وبالقدر الذي تبعد به هذه المعرفة عن الامور العملية والصناعة والانتاج بقدر ما تكون اكثر فاعلية وانجع سبيل لتدريب العقل .

لقد كان لهذه النظرية الغلبة والسيادة طوال العصور القديمة والوسطى . فلما جاءت العصور الحديثة وظهر فيلسوف مثل ديكارت معلنا الثورة على الفلسفة القديمة ، وخاصة فلسفة ومنطق ارسطو ، نجد انه انقلب دون ان يدري الى مناصرة ما كانت الفلسفة القديمة تنادي به من شطر الانسان الى شطرين متمايزين : جسم مادي من جهة ، وعقل لامادي من جهة اخرى ، وان العقل هو الذي يكون حقيقة الانسان وجوهره ، فهو يقول عن الجسم : « اقصد بالجسم كل ما يمكن ان يحد بشكل ، وما يمكن ان يحتويه مكان ويشغل حيزا بحيث يخلو منه اي جسم آخر ، وما يمكن ان يحس اما باللمس او بالبصر او بالذوق او بالشم ، وما يمكن ان يحرك على انحاء شتى » . (ديكارت : التأملات في الفلسفة الاولى ، التأمل الثاني ، الترجمة العربية للدكتور عثمان امين ، ص ٧٢) .

وعندما اراد ان يبحث عن حقيقة نفسه استطال في تفكيره ان تكون حقيقتها فيما اتى بذكره من صفات الجسمية ، « فهل استطيع ان اؤكد اني املك صفة من جميع الصفات التي قلت من قبل انها تختص بطبيعة الجسم ؟ افكر في الامر مليا ، واجيل هذه الصفات وادبرها في ذهني فلا اجد منها شيئا يصح ان اقول انه من خواص نفسي » . ثم يصف ما يظنه من صفات العقل او النفس فيجد من بينها صفة « التفكير » فيقول : « انا واجد هنا ان الفكر هو الصفة التي تخصني ، وانه وحده لا ينفصل عني .. والان فما انا ـ على التدقيق ـ الا شيء مفكر ، اي ذهن او روح او فهم او عقل » . وبهذا دعم ديكارت ما كان قائما من ثنائية الجسم والعقل، وانهما من عنصرين متباينين لا يؤثر احدهما في الآخر . ويصف العالم التربوي الديوي Dewey هذه النظرية وغيرها مما يماثلها بانها فوق الطبيعي Super-Natural بمعنى انها مما يتجاوز حدود القوانين الطبيعية المعروفة .

تنمية التخيل والاستدلال والتصور

وشهدت التربية سيرة لفلسفة صراعا احتدم حول مركز اهتمامها ، وهل هو العقل او الجسم ، الطفل او المادة الدراسية .. الى غير ذلك من ثنائيات شغلت رجال الفكر الانساني واورثته صراعا فكريا ما كان اغناها عنه ! فمن ذلك نظرية توجه اهتمامها الى العقل وتعتبر ان كل نشاط يقوم به مثل : التصور والاستدلال والتخيل ، انما هو وظيفة لقوة معينة من قوى العقل، ووظيفة التربية هي ان تنمي هذه القوى او الملكات ، وخير طريقة لتنمية هذه القوى هي تدريب معين خاص ،

تماما كما تمرن اجزاء الجسم لتربيتها وتنشئة القوى وتؤدى وظيفتها على الوجه الاكمل. ومشكلة التربية هنا هي في تحديد المواد اللازمة لتمرين ولتدريب هذه القوى العقلية ، فدراسة الاعداد مثلا تقوى ملكة الاستدلال ، ودراسة الشعر تقوى الذاكرة .. الخ . و « جون لوك Locke » هو الذى وضع اسس هذه النظرية التى تعرف بنظرية التدريب الشكلى Formal discipline او تدريب الملكات Training of Faculties والتى على اساسها انظم نظرة معينة الى عملية التعلم ، ومن هنا عده مؤرخو التربية ، الرائد الاول لهذا الاتجاه . فقد كان يظن ان التعلم لا يتم الا اذا حلل العقل ما يتلقاه من انطباعات حسية من العالم الخارجي وركبها على النحو الذى تحلل به وتتركب في الطبيعة نفسها ، وبعبارة اخرى نجد انه يميز في هذه العملية بين جانبين رئيسيين : الجانب الاول هو العالم الخارجي وما يقدمه للفرد من احساسات تكون محتويات المعرفة، وفي الجانب الثاني العقل وما يتكون منه من قوى . هذا بينما يقول الدكتور « فريمان بتس » اننا لا نستطيع ان ننسب هذه النظرية الى « لوك » لو اعتبرنا آراءه في التربية قد ضمنت في كتابه Thoughts Concerning Education .

والواقع ان هذه النظرية قد خانها التوفيق في نظرتها الى العقل وطبيعة الانسان ، وعلى الرغم مما لاقته من شيوع وذيوع لما تؤدى اليه من تزويد المربي بمهام محددة غير غامضة ولا مبهمة

ومن لم تيسر ـ الى حد ما ـ وضع اصول مفصلة للتدريس . Bode, Boyde How we learn, Boston, 1940, P. 85 .

الا انه من الخطأ الزعم بوجود مثل هذه القوى التى ذكرناها ، وانما الموجود حقيقة هو عدد من الميول الفطرية الاصيلة ومن الاساليب الغريزية في العمل ما يبلغ عددا كبيرا ودرجة كبيرة من التشابك والتعقيد يصعب معه حصرها في مثل هذا العدد القليل من القوى . وليس هذا فحسب ، بل انها ليست في واقع الامر قوى فطرية كامنة لا تتطلب الا المران حتى تبلغ الكمال ، وانما هي ميول تستجيب بوسائل معينة الى ما يحدث في البيئة من تغيرات بحيث تحدث في البيئة تغيرات اخرى ، وهكذا حق علينا ما قاله « بود Bode » من انها نظرية مبهمة الجدوى وغير معقولة Bode Fundamentals of Education, New York, 1931 P. 182

واذا كانت النظريات السابقة قد عيب عليها نظرتها الثنائية الى العقل والجسم، الفرد والمجتمع، الانسان والطبيعة ، فقد نحت نظرية اخرى الى تلافي هذا العيب بطريقة خاصة ، وكان ذلك بتأثير الفلسفة المثالية الالمانية وعلى راسها الهيجلية Hegel الذى كان يذهب الى ان هناك روحا مطلقا او عقلا مطلقا يحكم العالم ، بل هو حقيقة هذا العالم وهذا الوجود بحيث لا يصح ان نميز فيه بين فرد ومجتمع ، انسان وطبيعة . وكل فرد يكمن فيه هذا العقل الكلى المطلق ، وانما في حالة استعداد وتهيؤ ، او ـ على حد تعبير ارسطو ـ موجود بالقوة . فجاء « فروبل Froebel » وقال بان واجب التربية هنا هو العمل على اكتشاف هذه القوى الكامنة في الطفل بحيث يستطيع ان يصل الى العقل المطلق ، وبذلك وضع التربية هدفا بعيدا يمكن ان يقال عنه بلغة الفلسفة Transcendental او متعاليا يبعد عن الخبرة والادراك المباشرين . ثم ان هذا الهدف الكامل الشامل اذا وضعناه هدفا للعملية التربوية ، فسوف يعمل على ابتلاع شخصيات الافراد .

والخبرة جزء من الطبيعة ، بحيث نستطيع القول ان العلم قد انتهى الى ما يسمى « تطبيع العقل » اى الى جعل العقل جزءا من الطبيعة وظاهرة من ظواهرها .


ارسطو



فروبل



منهج العلم التجريبي

ولكن ما معنى هذا ؟ معناه أن ليس أمامنا في دراسة الظواهر الا منهج واحد هو منهج العلم التجريبي ، فمهما كان هناك من اختلاف الظواهر الانسانية عن الظواهر الطبيعية،فان هذا الاختلاف لا يبلغ الى الحد الذي يجعلهما مختلفين في النوع، وانما الاختلاف هو في الدرجة ليس الا . ان اي موضوع تتناوله الدراسة هو نظر الى الطبيعة من احدى نواحيها ، وليس هناك من اختلاف يميز بين موضوعات طبيعية وموضوعات انسانية ، كلها متضمن في الخبرة ، وليس هناك من فرق بين خبرة وخبرة من حيث علاقتها بالانسان وقابليتها للبحث والنظر ، والخبرة لا تقبل انقساما بين شئون الانسان وبين الطبيعة ، فموطن الانسان هو الطبيعة ، وتحقيق أهدافه واغراضه انما يتوقف على الاحوال الطبيعية ، فالانسان يعيش بالتنفس الذي يحتاج الى ما في الطبيعة من هواء ، ويتغذى بما في الطبيعة من مواد يمكن ان تؤكل ، ويسير بقدميه على ارض الطبيعة ، وهكذا .

ولم يكن امام الفلسفة الا ان تضع في حسبانها هذه النتائج العلمية الخطيرة ، فلسنا في عصر تستطيع الفلسفة فيه ان تنعزل عن الحقائق التي يكشفها العلم وتضع في مواجهة العلم الخالص وسائل من امور الحياة الجارية . ولقد تمثلت هذه الحساسية في فلاسفة آمنوا بنظرية التطور ، وجعلهم هذا الايمان الى العقل نظرة طبيعية ، وبدا هذا واضحا في الكتاب الذي وضعه « وليم جيمس » James بعنوان « اصول علم النفس » Principles of Psychology سنة ١٨٩٠ ، والذي يمكن ان يعد فاصلا بين عهدين في الكتابة، اذ اعتبر العقل فيه نمطا معينا من السلوك يعالج به الانسان بيئته على نحو يعينه على الحياة . فالعلامة الدالة على وجود العقل في اية ظاهرة سلوكية هي أن نلحظ استهدافا لغايات مستقبلة واختيارا للوسائل المؤدية الى بلوغ هذه الغايات، وهذا ما عناه « جون ديوى » بقوله ان العقل يعني القدرة على التنبؤ والقدرة على التحكم والضبط.

اخذ فلاسفة التربية الحديثة الفكرة التي ذكرها وليم جيمس وطوروها ونموها حتى تخللت كل كتاباتهم ، وجعلت فلسفاتهم تتميز عن سائر الفلسفات السابقة بتأكيدها على نحو ما كان من ثنائيات مثل الجسم والعقل ، المادة والروح .. الخ ، بل ودعا البعض منهم الى ان تستبدل بكلمة « العقل » كلمة « الذكاء » Intelligence لأن العقل يتميز في الفلسفة التقليدية بالضرورة والكلية والسمو على التغير ، اما « الذكاء » فيرتبط بالحكم، اي باختيار وسائل وترتيبها لتحقيق نتائج معينة ، وليس الانسان ذكيا بسبب حصوله على العقل الذي يدرك الحقائق الاولى البينة بذاتها ، بل بسبب قدرته على تقدير الاحتمالات في موقف ما، وسلوكه طبقا لما قدره . وبوجه عام ، الذكاء عملي والعقل نظري .

الانسان مر بثلاث مراحل

ولكن ، كيف اصبح الانسان ذا سلوك ذكي ؟ يقول ديوى ان الانسان مر في ذلك بثلاث مراحل ففي المرحلة الاولى وهي المرحلة « الفيزيقية » كانت حرارة الارض شديدة بدرجة لا تسمح لأي كائن حي بالحياة فوقها ، حتى اذا بردت وتكونت البحار ونشأت المادة البروتوبلازمية ، تكونت الكائنات البسيطة التي استطاعت ان تعيش في البحار الدفيئة ، ويقال انه حتى هذه الكائنات البسيطة تستطيع ان تميز فيها تفاعلا بينها وبين الظروف البيئية بحيث يمكن ان تميز بينها وبين سائر الاشياء الاخرى غير الحية ، وهنا نكون قد وصلنا الى المرحلة « السيكوفيزيقية » . ثم يزداد تعقد هذه الكائنات بارتقائها وتتحرك من المياه لتسكن على الارض وتنشأ كائنات جديدة تستطيع ان تستجيب لما هو بعيد عن الاشياء في المكان ثم في الزمان ، ومن ثم فان اوجه نشاط هذه الكائنات ذات المستوى العالي تتميز بالسرعة في النمو والتقدم واتخاذ الوسائل والادوات التي تمكنها من معيشة افضل، ونكون هنا قد وصلنا الى المرحلة التي يبدا فيها العقل بالبزوغ او الذكاء عندما يستعمل الانسان الرموز والمعاني ، وهذه المرحلة تسمى المرحلة « السيكولوجية » .

Dewey. J Experience and Nature P 272

وعلى ذلك فانه يمكن القول ان « المعاني » تبرز خلال عملية التكيف التي تقوم بها الانسان ، ومن ثم فان وظيفتها هي « تعديل السلوك الانساني ». ويضرب لنا « بود » مثالا يوضح به هذا المعنى فيقول ، ان الطفل حينما يرى شمعة ويمسكها

فلسفه ، عندما يراها مرة أخرى ، لن يرى الشمعة مجرد شيء فيزيقي ، وانما سيراها مرتبطة بمعنى جديد هو « الاحتراق » أو « اللسع » فيفهم لها معنى و « يعقلها » ، ولذلك فقد اعتبر أن وظيفة الأشياء في الاشارة الى ما يحدث في المستقبل هو ما يعني بالعقل ، انه اسم ، ولكن لا لمادة أو لحالة عقليـة ، وانمـا لوظيفـة البيئـة .
How we learn, P 224.

وديوى نفسه يذهب الى أن العقل من حيث هو كائن ، ليس الا القوة على فهم الأشياء بواسطة استعمالها .

أما الدكتور « تشايلدز Childs » فلا يبعد عن ذلك حين يقول أن الانسان لم يلاحظ أشياء الطبيعة ويسميها فقط ، بل تعلم أيضا كيف يستخدمها ، ومن خلال هذا الاستخدام ، استطاع أن يعمل على اعادة تشكيل هذه الأشياء لتكون أقدر على خدمته ، ولم يزد هذا الاختراع قدرة الانسان على السيطرة على الأشياء فحسب ، بل زاد من معاني الأشياء لدى الانسان وثراء معناه .

واذا كان العقل هو القدرة على فهم الأشياء واستعمالها ، فان اختراع الأدوات والآلات يلعب دورا كبيرا في اثراء عالم الانسان بالمعاني والرموز ، ذلك أن الأداة تعني وسيلة الوصول الى نتائج معينة يمكن الوصول اليها بطريقة غير مباشرة ، وبالتالي تستخدم على مستوى العلاقات والرموز . ان الدليل على أن الحيوان لا يفكر ، انما هو عدم استخدامه للأدوات والوسائل التي يتوسل بها الى تغيير شكل الطبيعة . واللغة تعد أهم الأدوات والوسائل التي تستخدم في سبيل هذا المضمار ، وما كان لها أن تصبح وسيلة ناجحة لو لم يكن استعمالها مبنيا على أساس الاستخدام الآخر المحسوس للأدوات أو الوسائل المادية للتوصل الى النتائج . ومن هنا قرر الفيلسوف « ديوى » أن العقل والنفس أن هما الا نتاج اجتماعي ، وان اللغة هي الوسيلة التي بها يتم نشوؤهما ورقيهما .

وما أثر هذا بالنسبة للفكر التربوي ؟ لقد لعب هذا الاتجاه التجريبي العلمي في تفسير العقل دوره بالنسبة للتربية وللحرية الانسانية .

العقل ، ذكاء قائم على التجارب

فما دام « العقل » انما هو « ذكاء » قائم على اجراء التجارب ، وتوجيه ذكي لنشاط الانسان ، تتضح المهمة الأساسية التي ألقاها العلم الحديث على كاهله .. ان مهمته بناء على ذلك هي أن يحرر الانسان من عبوديته للماضي ، والتي ما نشأت الا بسبب الجهل والمصادفات التي تبلورت فصارت عادات وعرفا . انه بذلك يبشر بمستقبل أفضل ، ويعاون على تحقيق هذا المستقبل ، وهو بهذا المعنى أيضا يكسب الانسان قدرة على الابداع والثقة بنفسه وشجاعة لا تقف به وجلا أمام ظروف الطبيعة ، فهو بوضعه الخطط والأفكار واخضاعها لمحك الخبرة والتجريب ، يلقي على الانسان مسئولية تحمل نتائج أعماله . ثم ان ذلك يدرب الانسان على حرية التفكير التي لا تجعله أسير الاختلافات والآراء القطعية ، وانما على العكس من ذلك ، يكون الانسان مستعدا لأن يتخلى عن أفكاره لو أثبتت التجربة خطأ الخطط والأفكار الموضوعة ، فما يضعه الانسان من مخططات وما يصوغه من مبادئ يلي الاعتقاد بها في العمل الأخلاقي لا يمكن أن تعد حقائق جازمة ، وانما هي مجرد فروض تنتظر التطبيق العملي الذي يقرر اذا كانت سترفض أو تصحح أو توسع في ضوء مدى ما تؤدي اليه من نجاح أو فشل في هداية خبرتنا العملية ، الهداية اللازمة .

ولتتضح لنا تلك القيمة التي تضفي اليها نظرتنا الى العقل باعتباره توجيها ذكيا للخبرة كامنا فيها غير منفصل عنها ، اذا قابلنا بينها وبين ما كانت تؤدي اليه النظرية القديمة عن العقل المفارق للتجربة ، فتلك النظرية قد مالت بالعقل الى الاهمال والغرور وعدم الاكتراث للمسئولية ، والى الجمود . واذا كان علم النفس قد كشف لنا عن « حيل عقلية » نتذرع بها ــ بدون وعي منا بذلك ــ لنجعل سلوكنا يبدو في نظر أنفسنا سلوكا حسنا بينما هو غير ذلك في الحقيقة ، فكذلك تبدو بعض المذاهب الفلسفية التي اتخذت « العقل » وسيلة التبرير والدفاع عن ميلنا ، لأن ما يوجد في خبرة الواقع من شرور يمكن أن تختفي في « الكل العقلي » الشامل . وان جزئية الخبرة وما تتصف



ديوي

جيمس

به من نقص يكتسب الاشياء ما قد يكون لها من حياة . اما قولنا بان هذا الراى يؤدى الى الاهمال والتردد وعدم المسئولية العقلية ، فمرجعه الى ان اللعب العقلى بافتراضه ان محركات العقل الكلية ذات اكتفاء ذاتى ، وانها فوق متناول الخبرة ، انما يعفى الانسان من مسئولية كبيرة ، ولهذا خطره ، الا ان هذا الفرض يجعل الناس لا يهتمون بالملاحظات الجزئية ولا بالتجارب العملية.

واذا كان الذكاء له هذا الدور الفعال فى اعادة تكوين الظروف التى يعيش فيها الانسان وتحويلها الى ادوات وموضوعات تفيد فى تنظيم حياتهم الانسانية ، وبالتالى ينمى قدرة الفرد على التمييز واستخدام الاشياء والتحكم فيها وتوجيهها ، اذا كان هذا صحيحا ، فان التربية نتيجة لذلك تجد نفسها ملزمة بان تعمل على تنمية هذا الذكاء وباتاحة الفرص المتنوعة للمتعلم التى يجد فيها من الخبرات الحية المختلفة ما يساعد على توجيه نموه توجيها سليما . ولعل ما هو اخطر من هذا وذاك ، هو الافتراض الذى يقوم عليه هذا الراى من النظر الى العقل او الذكاء على اعتبار انه لا يوجد فطريا عند الانسان ، وانما هو يتعلمه ويكتسبه من خلال ما يمر به من خبرات ومواقف يتوسل فيها الانسان بما تحتويه بيئته من عناصر لتحقيق اهداف وآمال وغايات يسعى اليها .

السبيل لتجديد المدرسة

على انه ما دام العقل يكتسب باكتساب معانى الاشياء عن طريق استعمالها واستخدامها ، فان المدرسة ملزمة بادخال الحرف والفنون العملية ، كالفلاحة ، والنسيج ، والتجارة ، واشغال الابرة واشغال المعادن ، والطبخ ضمن برامجها ، لا على ان تضاف كمواد مستقلة ، ولكن على ان تكون اسلوبا للحياة واسلوبا للتعليم ، اذ ينبغى ان تجعل نواة العمل المدرسى كله ، وبذلك تتجدد روح المدرسة ، وتحولها الى مجتمع صغير ، يعمل فيه التلاميذ ويتعلمون عن طريق العمل فيكتسبون من الاشياء معانى تزيد قدرتهم على الفهم وعلى السيطرة على مواد الطبيعة لتزيدهم بصرا وذكاء، فليس المقصود من دراسة هذه الحرف والاشغال القيمة الاقتصادية لما ينتجه التلاميذ ، او مجرد اكسابهم مهارات فنية تنفعهم فى كسب اقوات حياتهم ، او اعدادهم للاشتغال بتلك الحرف فى مستقبل حياتهم ، وانما المقصود ان تكون محاور لنشاط يؤدى الى فهم خصائص المواد الاولية والعمليات التى تجرى عليها فهما علميا .

ان الحرف والاشغال المختلفة ليست مجرد عمليات آلية ، وانما هى ضروب من النشاط تنطوى على افكار ومعان علمية واجتماعية كثيرة وينبغى ان ترمى دراستها الى ابراز هذه الافكار والمعانى، والوصول بالتلاميذ الى ادراكها وتقديرها فكل دراسة فنية لها ناحيتها الثقافية التى لا يصح فصلها عنها ، ومتى راعينا هذا ، فانه يمكن ان نتخذ منها اطارا تنظم فيه دراسات تاريخية وجغرافية وعلمية واقتصادية وفنية،هذا بالاضافة الى ان الاشغال وثيقة الصلة بالاسلوب العلمى . كما يقول فلاسفة التربية المحدثون الذين يلفتون النظر الى ان العصر الذى كان فيه التقدم العلمى بطيئا هو الوقت الذى كان فيه العلماء يحتقرون الاعمال اليومية لما فيها من اضطرار الى الاشتغال بالاعمال اليدوية ، اما منذ بداية القرن السابع عشر وما تلاه من قرون فقد ارتقى اسلوب التجربة حتى اصبح اسلوب المعرفة المقبول ، كلما كان مركز اهتمام الناس هو السيطرة على الطبيعة لمنافع الانسان ، واهم مدخل الى الاسلوب التجريبى ، هو الاشتغال بالحرف والاشغال التى تستعمل الادوات من اجل ملائمة الاشياء المادية لمصالح الانسان ومنافعه . ■■

سعيد اسماعيل على
كلية التربية ـ جامعة عين شمس



بقلم : ألفة الادلبي

■ نلاحظ في بعض أدبنا العربي المعاصر ظاهرة الإبهام والتعقيد سواء في الأداء والمضمون على السواء. نجدها في نتاج كثير من أدبائنا المعاصرين لا سيما الشباب منهم. ويبدو أكثر ما يبدو في الشعر الحديث، وفي القصة القصيرة، وفي الرواية والمسرحية، وأحيانا في طريقة تناول بعض الدراسات الفكرية والنقدية. وقد يقف القارىء العادي أمامها حائرا، لا يدري أكان القصور في فهمه هو، أم في هذا الأداء المعقد المبهم الذي يستعصي عليه فهمه حتى يكاد لا يفقه منه شيئا ؟؟..

فقد يجد نفسه في بعض الأحيان في متاهات من رموز غامضة تبدو له كالأحاجي، وصيغ غريبة عليه يخيل إليه أنها لا تمت إلى اللغة العربية الفصحى بصلة، كما أنها ليست من العامية التي ألف تداولها. فما يكون منه إلا أن ينحي الكتاب أو المجلة جانبا يائسا حانقا. فإذا كان من هواة المطالعة الذين لا يعدلون بها هواية أخرى يعمد مرغما إلى قراءات غير مجدية كتبت للتسلية فقط، فيروح يملأ بها وقت فراغه. ونخسر نحن قارئا جادا كان من الممكن أن نجعل منه المواطن الذي نريد: ثقافة، وعقيدة، ووعيا. وفي ذلك ما فيه من الخسارة لمجتمع نام كمجتمعنا العربي. لأن هذا النوع من المواطنين يؤلف الغالبية العظمى من القراء في وطننا العربي الكبير الذين يمكن أن يعتبروا من أنصاف المثقفين أو دونهم. فإذا تيسرت لهم القراءات الجادة المفيدة في الأدب والفكر لاتسع وعيهم، وأصبحوا مع الزمن مثقفين بالفعل فلا شيء يصقل الثقافة وينميها كالإدمان على المطالعة الجادة.

محاولة لحل الرموز

أما إذا كان هذا القارىء العادي المتوسط الثقافة من طويلي البال، ومتوفري الذكاء — وهم لا شك قلة — فشرع بالصبر، وراح يقرأ ويعيد ما يقرأ، فإذا لم يفهم لجأ إلى تحليل غيره من الكتاب والنقاد للأثر الأدبي الذي بين يديه حتى يتاح له بعد لأي حل الرموز الغامضة، والصيغ المغلقة، فإذا كان الأثر الأدبي لكاتب أصيل موهوب سرعان ما يشعر القارىء بمتعة مشاركة المؤلف في الجهد الذي بذل، ويجد نفسه يكتشف عوالم جديدة كانت خافية عليه، وفي هذا ما فيه من متعة وفائدة.

غير أن الواقع وفي — أحيان كثيرة — يبوء هذا القارىء بخيبة كبيرة عندما يبذل الجهد ليصل في النهاية إلى فكرة مبسطة، وقد تكون بديهية لكن المؤلف ألبسها ثوبا أكبر منها، وراح يسربلها

في التعقيد والغموض والتلاعب في الاسلوب تحبو على نصيب وافر من العمق والتفلسف ـ على حد اعتقاده هو ـ الامر الذي يلجأ اليه كثير من الكتاب الناشئين من ذوي المواهب المحدودة يقلدون الكبار الاصلاء فيأتي نتاجهم مسخا يسيء الى الادب والقراء على السواء .

التورية والتلويح

وقد يغتفر للاديب لجوؤه الى الرموز الغامضة المبهمة اذا كان مضطرا الى الخضوع لسلطة تحد من حريته فلا سبيل امامه عندئذ ليقول ما يريد ان يقول الا طريق التورية والتعمية والتلويح . ولكن اي فائدة نجني نحن اذا كان الذين يعمدون هذا النوع من الادب في مجتمعنا العربي فئة تنحصر في فئة من المثقفين من ادباء ونقاد متصرفين الى تتبع الادب العالمي والمطبوع الى تطوره ، ومذاهبه الحديثة التي تطالعنا كل يوم بلون جديد منه . هذا الادب يكتب الان للخاصة ، وللخاصة فقط . وفي اعتقادنا ان في هذا شيئا كثيرا من الانانية ، انانية المؤلف الذي لا يهمه امر القراء بقدر ما يهمه رضى النقاد الجدد ، فهم الذين سيحشرونه في عداد الاصلاء والموهوبين او الرواد والمجددين .

اقول الرواد لان هذه الموجة الجديدة جاءتنا من الغرب ، مع ان تراثنا الادبي القديم عليه بالادب الرمزي الذي لجأ اليه ادباء قدامى كادباء المعتزلة وغيرهم ، فقد عمدوا الى التورية والتعمية خوفا من السلطات المناوئة لمذاهبهم الفكرية . او ادباء الصوفية عندنا بافكارهم السامية ـ كما كانوا يعتقدون ـ على العامة التي تسيء فهمها . لكن الصلة انقطعت بيننا وبين هذا الادب الرمزي القديم . فنحن لا ننسج الان على منواله ، ولو ان ادباءنا المحدثين كثيرا ما يستلهمون شخصياتنا التاريخية واساطيرنا ، وطقوسنا ، وتقاليدنا الشعبية فيتخذون منها رموزا لكن طريقة تناولها تاتي متأثرة الى حد بعيد بالطرق الغربية الحديثة وليس في هذا التأثر ما يضير اذا جاء ملائما لنفسيتنا والوافنا ، انما الذي يضير حقا هو ان ناخذه في سبيل البلاغة بالتجديد ولو جاء غريبا عنا ، او في سبيل التقليد والتبعية للغرب الذي ما يزال بيننا وبينه في مجال الثقافة هوة واسعة من الافضل ان نعمل على مد الجسور لنجتازها في هوادة وروية من ان نقفزها متجاهلين خطورة القفزة .

عندنا وعندهم

ان الانسان الغربي مؤهل لهذا الادب المعقد ذي الرموز الغامضة بالنسبة لاتساع ثقافته وشمولها اكثر من الانسان العربي . والتعقيد في الادب الغربي لم يأت هكذا جزافا ، انما جاء صدى لتعقيد حياة الانسان في الغرب في هذا العصر المعقد عصر الفضاء . فمن شان الادب ان يعكس مميزات العصر الذي يكتب فيه ، بينما ما تزال حياة الانسان العربي اقرب الى البساطة على الرغم من تشابك مشكلاته وتنوعها .

ان مسؤولية الاديب العربي كبيرة جدا في عصرنا الراهن . انها اكبر واخطر منها في اي عصر مضى ، بالنسبة لخطورة المرحلة العصيبة التي تخوضها امتنا العربية ضد الصهيونية التي تعمل بشتى الوسائل التي تملكها على سلب وجودنا ، واقتلاع جذورنا من ارضنا ، ولما كان الاديب الحق هو الرائد الموجه وجب عليه الا يبدد مواهبه فيما لا يجدي شيئا على المعركة المصيرية التي تخوضها امته . لا مكان من ادبنا الان للعدمية والعبثية والاسطورية التي هي ولا شك صدى للانحلال والضياع والانحراف الذي يعاني منه الغرب .

فيتحتم على الاديب العربي ليكون عظيما ، مجديا ، وليضمن لادبه اكبر عدد ممكن من القراء ان يكتب ادبا واضح المعالم ، سهل المأخذ ، مع المحافظة في الدرجة الاولى على الاداء الفني . فالبساطة في الاداء لا تتنافى مطلقا مع عمق الفكرة وجدتها ومع اصول الفن الرفيع . وفي اعتقادنا ان هذا كله هو مما يحتاج الى جهد كبير والى موهبة واصالة . فالاديب الاصيل هو من استطاع ان يعمد الى تبسيط الافكار المعقدة وتقريبها من الاذهان ، ليجعلها في متناول الجميع الذين اختلفت ثقافاتهم مستعينا بموهبته الفنية الذاتية التي قد لا تتوفر دائما لمن يعالجون قضايا الفلسفة والفكر كما تتوفر للادباء .

دمشق ـ الفة الادلبي

أنباء الطب والعلم والاختراع

الجنس .. والعلم .. !!

● بينما يقوم علماء الاجتماع والدين في أغلب دول العالم بشن حرب عنيفة ضد الموجة الجديدة من الانحلال الجنسي بين البشر وما صاحبها من أفلام وكتب رخيصة منحطة لا تعمل إلا لإثارة الغرائز الجنسية .. نجد العلماء في مختبراتهم يعملون في نفس الوقت على استخلاص مواد كيماوية لتثير الغرائز الجنسية في الحيوان أو الحشرات .. في الحيوان لزيادة نسله وانتاجه ، وفي الحشرات لإبادتها وقتلها .. وهكذا يكون الجنس سلاحا ذا حدين !!

في امريكا استطاع علماء الحشرات أن يستدرجوا أعدادا ضخمة من ذكور الحشرات الضارة عن طريق وضع الرائحة التي تفرزها الحشرة الأنثى في مكان معين بإحدى الغابات ويشم الذكور هذه الرائحة في لهفة وما يكادون يصلون الى ما كانوا يتصورون من متعة حتى تقتلهم الأشعة الحارقة من مصابيح تعمل بالأشعة فوق البنفسجية وتبيدهم عن آخرهم .

وفي انجلترا قام علماء معهد أبحاث اللحوم باكتشاف أن مادة الأندروليون Androsenone ، هي الرائحة التي يفرزها الخنزير الذكر والتي تجعل أنثى الخنزير في حالة استعداد لممارسة الجنس .

وقد استطاع العلماء أن يقوموا بتعبئة هذه الرائحة في بخاخات صغيرة يستطيع أي مربٍ للخنازير أن يستعملها وقت الحاجة .. فنفخة واحدة من هذه الرائحة أمام أنف أنثى الخنزير المطلوب تلقيحها ، تجعلها في حالة استعداد تام لممارسة الجنس . وفائدة هذه المادة أنها توفر المال والوقت لمربي الخنازير عندما يقوم باستحضار خنزير ذكر لتلقيح الأنثى ، وقد تمتنع الأنثى عن ممارسة الجنس فيضيع على المربي مجهوده ووقته !!

الأسلحة الكيماوية
هل يتفق العالم على منع استعمالها ؟!

● في مؤتمر صحفي عقده ممثلو الحركة الشعبية لتحرير انجولا في لندن مؤخرا ، اتهم ممثلو الحركة البرتغال وحكومة جنوب افريقيا ، باستعمال الحرب الكيماوية ضد انجولا الشرقية .

وقد عززوا اتهامهم هذا بصور التقطت في مايو ١٩٧١ لحقول مات النيهوت Cassava في اقليم شيوخيب Chiumbe وقد تجردت أشجاره من أوراقها نتيجة رشها بالأسلحة الكيماوية .

رائحة بق الفراش لها سبب علمي !!

● كان الكاتب الاغريقي القديم ارسطو فانس Aristophanes ، هو أول من وصف الرائحة الكريهة المميزة التي تفرزها بق الفراش .

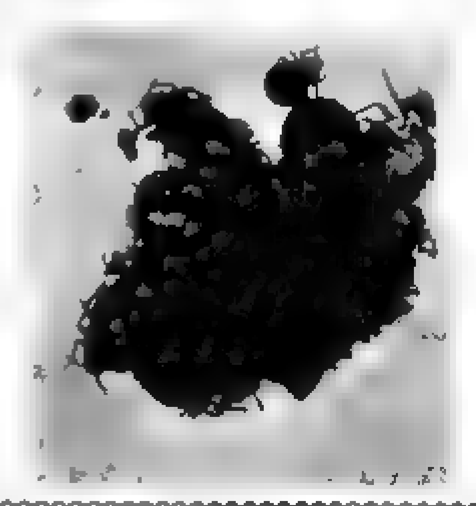
واهتم العلماء بهذه الرائحة ، ليس لمعرفة نوعها ، ولكن لمعرفة لماذا تقوم البق بافراز هذه الرائحة الكريهة .

وقد كان الاعتقاد السائد بين علماء الحشرات ان هناك رائحة واحدة هي التي يفرزها البق وتتحكم في طريقة سلوكه ويستخدمها كوسيلة من وسائل الدفاع ضد اعدائه . ولكن الابحاث التي اجريت اخيرا اثبتت انه توجد على الاقل رائحتان يفرزهما البق .. الاولى تفرز لتجميع البق في مجموعات صغيرة والثانية يتم افرازها كاشارة خطر فيقوم البق بالتفرق بعدها ..

ومن المعروف ان البق يتجمع في مجموعات صغيرة داخل شقوق .. وعند حدوث اي علاقة تدل على الخطر بالنسبة للبق على هذه المجموعات من البق تتفرق بسرعة مخلفة وراءها رائحتها الكريهة التقليدية .

ويبدو ان هذه الرائحة لا تستعمل فقط كسلاح لابعاد الحشرات الاخرى المعادية للبق ولكنها ايضا تستخدم لتفريق البق بعضه من بعض . وقد استطاع علماء الحشرات اثبات هذه الحقيقة لتفريق مجموعات من البق بهذه الرائحة فتفرقت بسرعة .

وقد لاحظ العلماء انه بعد ان يتفرق البق فانه يعود مرة اخرى الى التجمع في نفس المكان الذي كان متجمعا فيه قبل تفرقه .. وقد ادت هذه الملاحظة الى اكتشاف ان كلا من انثى وذكر البق يفرزان رائحة معينة داخل ملجئهما تعمل على تجميعهما مرة اخرى . وباكتشاف هذه الرائحة وجد انها تدوم اكثر من الرائحة التي يفرزها البق في حالة التفرق عند الخطر بالرغم من ان رائحتها اقل قوة .



كما عرضوا ايضا فيلما سينمائيا التقطه مصور سينمائي يبين تأثير المواد المبيدة للاشجار على حدائق الفاكهة وحقول الميهوت على حافة حديقة كاميا Kameya في انجولا .

وعرض ايضا في المؤتمر الصحفي بقايا لنبات الميهوت من جذور واوراق ملوثة بمبيدات الاشجار . واتهم اعضاء جبهة تحرير انجولا البرتغال وجنوب افريقيا باستعمال ٤ انواع من المواد الكيماوية المبيدة للاشجار سموا من بينها حامض الكاكوديل Cacodilic Acid ، والبكلورام Picloram ، وهو مادة لها تأثير فعال ضد نبات الميهوت بالذات وهو النبات الرئيسي الذي يعتمد عليه سكان انجولا ، في غذائهم وقد اثارت هذه الاتهامات الاهتمام مرة اخرى على الحاجة السريعة لعقد اتفاق دولي يحرم استعمال المبيدات

الشجرية في الامور الحربية .

ان احتمال التوصل الى مثل هذا الاتفاق قد يزداد زيادة كبيرة اذا صادقت الولايات المتحدة الامريكية على بروتوكول جنيف لعام ١٩٢٥ وهو تلك المعاهدة التي تحرم استعمال الغازات السامة او الخانقة او الوسائل المماثلة لهذه الغازات .. ولم يرد في هذه المعاهدة اي استثناء بالنسبة للمبيدات الشجرية او الغازات المسيلة للدموع . ويميل الرأى الدولي للتفسير العام لهذه المعاهدة الذي يقول انها تمنع استعمال اي مواد كيماوية ضد الاشخاص او النبات .

وتدور الآن مناقشات حول التصديق على هذه المعاهدة في امريكا وايضا التصديق على التفسير الدولي المذكور .

وقد اعلنت الحكومة الامريكية عدة اجراءات خاصة بالاسلحة الكيماوية والبيولوجية بالاضافة الى محاولتها التصديق على معاهدة جنيف لعام ١٩٢٥ ، ومن بين هذه الاجراءات استنكارها للحرب البيولوجية واعلانها التخلي عنها ودعوتها الدول الاخرى لتدمير اسلحتها البيولوجية وقد بدأت فعلا في التخلص من مخزونها من هذه الاسلحة ، كما اصدرت تعهدا بأن لا تكون هي البادئة في استعمال الاسلحة الكيماوية . وتوقفت امريكا ايضا عن استعمال هذه الاسلحة في فيتنام .

وتدور الآن مناقشات قوية حول ضرورة الاسراع في الدخول في مفاوضات لتوقيع اتفاقية دولية لتحريم استعمال المبيدات الشجرية وذلك بفصلها عن بقية المواد الكيماوية والبيولوجية الاخرى . وخاصة ان العامل الاخلاقي ظاهر تماما في هذه المسألة .. فان التخريب المتعمد للبيئة، بالنسبة لشعب لمدة طويلة قد تصل الى عدة قرون من اجل الحصول على مكاسب عسكرية قصيرة الامد امر غير اخلاقي على الاطلاق .

يبقى امر آخر هام وهو ان المواد الكيماوية التي تستعمل ضد النباتات ليست بنفس قوة المواد البيولوجية من ناحية التدمير . وهناك خطر كبير في انه اذا لم يتوقف استعمال المواد الكيماوية المبيدة للاشجار في الحروب فان المسألة ستتطور الى استعمال المواد البيولوجية التي هي اشد فتكا وتدميرا .

وفي هذا الشأن يقول العالم البيولوجي ماثيو ميسلسون Mathew Meselson وهو استاذ بجامعة هارفارد بامريكا : « اننا الآن في وسط ثورة في الكيمياء الحيوية ، والجزيئات البيولوجية التي قد تؤدى الى حصولنا على ادق المعلومات عن عملية الحياة ، وبالتالي فان حصولنا

قارب حربي جديد سرعته ٤٦ عقدة بحرية

● بعد النجاح الذى حققته شركة فسبر ثورنيكروفت Vosper Thornycroft في بناء السفن التي يطلقون عليها اسم الهوفركرافت Hovercraft ، والتي اصبحت الآن تجوب مياه بحر المانش مقلة آلاف الركاب من شواطىء بريطانيا الى شواطىء فرنسا وبالعكس في سرعة وراحة . بعد هذا النجاح بدأت هذه الشركة الآن في عمل تصميمات لقارب حربي جديد ذى سرعة عالية لاعمال الدوريات البحرية، تستعمل فيه مميزات السفن من ناحية السرعة وصغر حجم ماكينة .

وتمثل الصورة المرفقة شكل هذا القارب الحربي الذى تقوم الشركة الآن بعمل تصميماته وستصل سرعة هذا القارب القصوى الى ٤٦ عقدة بحرية (ميل بحري في الساعة) لا يحتاج الا لماكينة قوتها ٥ آلاف حصان في حين ان القوارب الحربية المعروفة الآن تحتاج الى ماكينة لاتقل قوتها عن ١٥ الف



حصان لكي تصل سرعتها الى نفس سرعة هذا القارب الجديد .
ويستطيع القارب الحربي الجديد ان يحمل ٢٢ طنا من الاسلحة من بينها ٤ صواريخ موجهة يبلغ مداها ٢٠ كيلو مترا . وتزعم الشركة المنتجة ان هذا القارب يستطيع الافلات من التوربيدات بسهولة نتيجة سرعته الكبيرة .

على هذه المعلومات سيؤدى الى تحكم الانسان في كل ما هو حي ، بما في ذلك هو نفسه ، وذلك طرق لا يمكن التنبؤ بها الآن ... ولكن يجب علينا ان نعمل بالنسبة لخلق اى رغبة في استعمال هذه المعلومات في الامور الحربية . » .

والعمل يقتضينا من الآن ان نعمل فورا على منع استعمال المواد الكيماوية المبيدة للنباتات .

ويبدو ان الاصوات التي تتعالى الآن ، في محاولات لمنع استعمال الكيماويات في الحرب ، قد رأيها ما حدث في فيتنام نتيجة لاستعمال امريكا هذه الكيماويات .. فقد قامت امريكا برش ٢/١ مساحة اراضى فيتنام بالكيماويات المبيدة للنبات مما أدى الى تدمير نصف غابات المعروف Mangrove ، وتقدر مساحتها بحوالى ٢٥ الف فدان وتعتبر مصدرا رئيسيا من مصادر الوقود للاهالى . كما قضت ايضا على ٤ ملايين فدان من غابات الأخشاب الكبيرة والتى تعتبر مصدرا اساسيا بالنسبة للدخل القومي .

ترى هل يتم توقيع مثل هذه الاتفاقيه قبل ان يرى الانسان يدمر حياته بيديه ؟! سؤال لا يزال بدون جواب حتى الآن !!

الاوربيون وقيود التجارة بين بلادهم!

● يعاني الاوروبيون منذ سنوات عديدة من العوائق والقيود التي تتعرض لها تجارتهم بين بلدانهم على اختلافها . وبذلك أصبحت دول اوربا لا تواجه فقط اختلاف اللغة والتعليم والمذاهب الدينية، بل تواجه ايضا اختلاف مستويات سلعة ما ، وتواجه اختلاف قوانين نقل الاموال من بلد الى بلد واختلاف القوانين التجارية وقوانين الضرائب وقوانين الشركات وغيرها . وقد تسببت هذه المشاكل في خلق صعوبات عديدة امام كل شركة اوربية تريد ان تقوم ببيع منتجاتها خارج السوق المحلي لبلادها كما جعلت من الصعب جدا تحقيق اي عملية اندماج بين شركة صناعية أو تجارية في اي بلد اوروبي وبين شركة مماثلة في بلد اوروبي آخر .

وفي نفس الوقت نجحت الشركات المتعددة الجنسية وخاصة تلك الشركات التي من اصل امريكي في ان تتخطى كل هذه العقبات بطريقة او اخرى، واستطاعت بذلك ان تحصل على ارباح كبيرة من السوق الاوروبية .

فشركة I.B.M الامريكية مثلا تتحكم في سوق اوربا بالنسبة للعقول الالكترونية Computers وكانت شركة فورد الامريكية للسيارات هي اول شركة تقوم بانتاج سيارة تشترك مصانعها في دولتين اوروبيتين في صنع اجزائها الرئيسية ، بينما تقوم مصنع ثالث في دولة ثالثة بصنع بقية الاجزاء .

وهناك ايضا الشركة العالمية للبرق والهاتف I.T.T الامريكية وهي تملك اسهم شبكة المواصلات السلكية واللاسلكية في اوربا الغربية .

وفي عملية التسويق نجحت شركة اسو الامريكية في نشر شعار النمر في مختلف دول أوربا وجعلت منه شعارا تجاريا لكل منتجاتها في مختلف بلدان اوربا .

وقد ضربت الاستثمارات الامريكية المثل لاوربا في كيفية تخطي العقبات التي تعوق تقدم التجارة بين بلدان اوربا ، وكيفية قيام التكنية الصناعية والاقتصادية في اختراق الحدود بين مختلف البلاد .

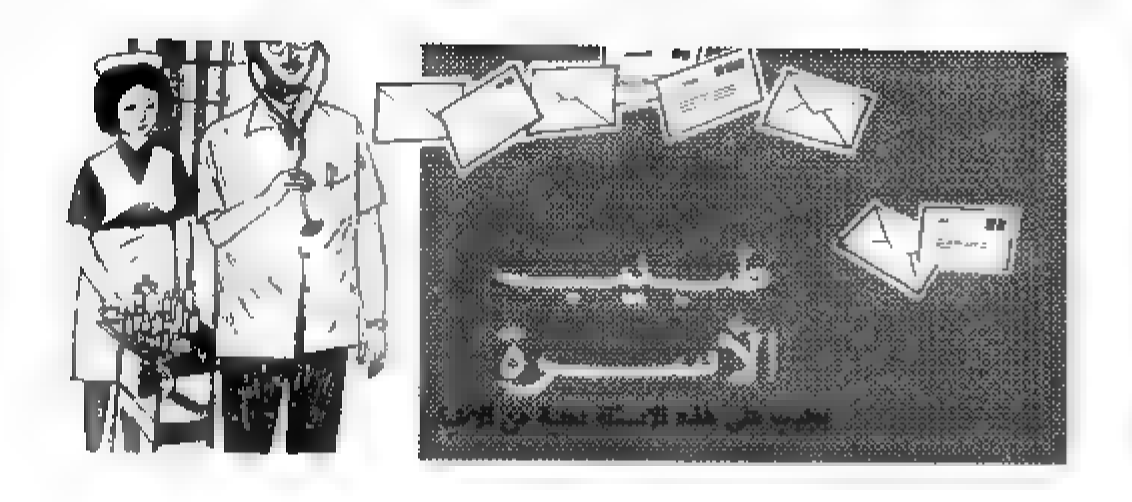
ولكن ما الذي تستطيع دول اوربا ان تعمله الآن لكي تتخطى هذه الحواجز التي تقف عائقا امام تنشيط التجارة فيما بينها ؟ !

الجواب يكمن في شيء واحد فقط وهو الغاء هذه العوائق ، وتشجيع عمليات اندماج الصناعة المتماثلة في بلدان اوربا المختلفة ، والقضاء على القيود المقيدة والقانونية .

وقد اقترح كريستوفر لايتون Christopher Layton في بحث نشرته جامعة باث Bath ، انشاء وكالة او هيئة تكون مهمتها احصاء الشركات الصناعية المتماثلة في دول اوربا ودراسة امكانيات اندماجها سويا لتكوين وحدات صناعية تستطيع ان تنافس كبريات الشركات الدولية وتستطيع كل شركة منها ان تستفيد بخبرة الشركات الاخرى مما يتيح مجالا اكبر للربح ولتحسين مستوى الانتاج .

ويقول لايتون انه بهذه الطريقة يمكن للشركات الاوربية ان تخترق حدود بلادها وان تصبح فعلا وعملا شركات ذات صبغة عالمية .

●●



«الظفرة» علاجها
جراحة بسيطة في العين!

● الاحظ وجود قطعة لحم حمراء تغطي البياض بدأت من ناحية الانف، وتغطي الان القرنية ، كما انه توجد بدايات في العين اليسرى لنفس الحالة ، ولكنها لم تغط القرنية بعد ، واخشى ان تسبب لي العمى ، فما رأيكم ؟

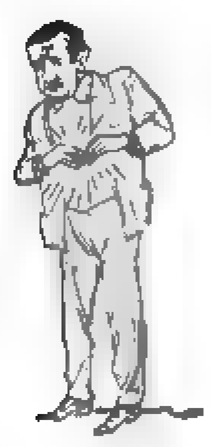
— هذه الحالة تسمى الظفرة pterygium وهي طية مثلثة الشكل للملتحمه تحتل الفرجة بين الجفنين Interpalpebral Tissue وتمتد من الجزء الانسي « الداخلي » او الوحشي « الخارجي » للملتحمة التي تغطي المقلة Bulbar conjunctiva حتى قد تغطي القرنية . ورأس المثلث هو الجزء الذي يغطي القرنية . والعنق هو الجزء الذي يقع على طرف القرنية Limbus وجسم الظفرة هو الجزء الذي يمتد من العنق حتى فوق العين الداخلي او الخارجي والظفرة تتكون من نسيج ضام يحتوي على انسجة مرنة ذات اتصال بالانسجة المبطنة للملتحمة والصلبة وهي تغزو القرنية اسفل الطبقة الاساسية للنسيج الطلائي Epithelium وتحطم غشاء بومان Bowman's membrane وفي البداية تحتوي الظفرة على عدد كبير من الاوعية الدموية ، وكذا تبدو حمراء كقطعة اللحم ، وحينما تضمر هذه الاوعية فان اللون يتغير الى اللون الابيض ، والظفرة تنمو ببطء شديد ، وهي لا تغطي وسط القرنية الواقع امام البؤبؤ « انسان العين » الا نادرا وعلى هذا ، فهي لا تسبب العمى ، كما انها لا تسبب اية مضار للعين بخلاف شكلها غير المستحب . وسبب الظفرة غير معروف حتى الان ، ولكن يلاحظ انها تحدث عند هؤلاء الذين يتعرضون كثيرا للرياح والغبار . وعلاج الظفرة يكون بواسطة اجراء عملية جراحية بسيطة ، ويحدث كثيرا جدا ان تعود الظفرة للظهور ، وتعالج باجراء عملية ثانية .

ما وصفناه هو الظفرة الحقيقية ، وتوجد حالة تعرف بالظفرة الكاذبة ، وهي تحدث من التصاق طية من الملتحمة بالقرنية بعد اصابة الاخيرة بقرحة ، وتعالج بفصل الملتحمة من القرنية باجراء عملية صغرى .

فتحة الحجاب الحاجز وعلاقتها بزيادة حموضة المعدة

● اعاني من حموضة مزمنة – وفي الآونة الاخيرة لاحظت الما في اسفل عظم القص خصوصا عندما اميل الى الامام لالتقط شيئا من على الارض ، ويزداد هذا الالم اذا كانت معدتي ممتلئة . فما هو السبب ؟ وما العلاج ؟.





– من وصفك يتضح لي انك تعاني من اتساع في فتحة الحجاب الحاجز ، التي يمر منها المرىء ويصل الى المعدة – وفي هذه الحالة ينزلق جزء من المعدة بجوار المرىء الى داخل القفص الصدري وفي الحالات الشديدة ، تصعد كل المعدة الى الصدر ، وفي بعض الحالات الاخرى يكون الجزء السفلي من المرىء فقط والجزء العلوي من المعدة هما اللذان يرحفان داخل القفص الصدري ، ويتبع ذلك انه عندما تمتلىء المعدة وتزداد حموضتها ترتفع الى اعلى الصدر ، ويحدث الالم مع الاحساس بالحموضة التي ربما تصعد الى اعلى ويحس بها المريض حتى في البلعوم ، ويلاحظ ان هذا يحدث في الاشخاص قصار القامة – من ذوي السمنة المفرطة وفي النساء اكثر من الرجال ، ويزداد حدوثها اثناء الحمل أي عندما يرتفع الضغط داخل البطن ضاغطا على المعدة الى اعلى .

وفي كثير من هذه الحالات لا يشعر المريض بمرض ويكتشف المرض عندما تعمل اشعة على المرىء والمعدة . ولكن عندما تزداد الحموضة ويلتهب الجزء السفلي من المرىء – وبميل الانسان الى الامام أو عندما يرفع ثقلا من على الارض او ينام على وسادة واحدة غير مرتفعة خصوصا اذا كان العشاء متأخرا ، عندها يرتفع الحامض الى اعلى ويوقظ المريض من نومه مع الم شديد . وفي الحالات الاخرى يحس المريض وكأن الاكل يقف في اسفل الصدر واعلى المعدة وربما يحس المريض بالم يشبه مرض الذبحة الصدرية – اي بالم ضاغط خلف عظم القص ينتشر الى الذراع الايسر . ولكن هذا لا يزيد مع الاجهاد العضلي ، كما هو الحال في الم الذبحة الصدرية – ويزول باخذ دواء يزيل الحموضة او بسبب تقلص المرىء .

والعلاج في هذه الحالة : هو ان يبتعد المريض من تناول الماكولات التي تهيج المعدة كالتوابل والمياه الغازية – ثم تعاطي الدواء الذي يقلل من حموضة المعدة مثل سلكات الماغنسيوم والاقراص المضادة للحموضة ، والعشاء يكون مبكرا وبكميات قليلة ، والنوم على وسادتين عاليتين ، ثم علاج فقر الدم والسمنة المفرطة اذا وجدا . واذا لم يستجب المريض لهذه العلاجات لمدة شهور فانه من المحتمل ان تجرى عملية جراحية لتضييق فتحة المرىء وحتى تبقى المعدة في البطن .

(الحساسية من اسباب احمرار العين)

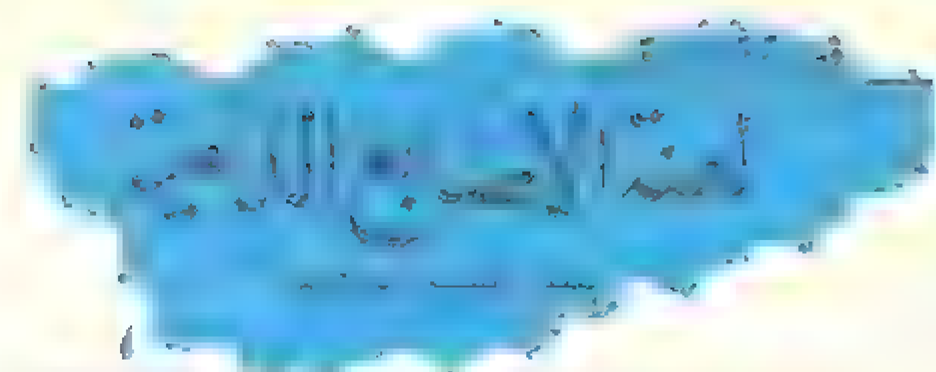
● ابنتي عمرها ثماني سنوات منذ صغرها ، وهي مصابة باحمرار في العينين مع حكة شديدة ودموع غزيرة ولم ينفعها اي علاج .

— ابنتك مصابة غالبا باحد امراض الحساسية ، والحساسية تنشأ من تعرض الجسم كله او بعض انسجته لمادة غريبة عنه يصبح الجسم بعدها حساسا لتلك المادة ، فاذا تعرض لها مرة اخرى يحدث تفاعل تختلف حدته ، واهم مظاهره العامة هي حدوث زيادة في الدورة الدموية بالجزء المصاب مع استسقاء (اديما) وزيادة في عدد كرات الدم حمضية التفاعل Eosinophils في الدم والانسجة .

والحساسية في الملتحمة تنشأ من مسببات كثيرة للحساسية بعضها من خارج الجسم مثل النباتات والغبار ومخلفات الحيوانات واحيانا الادوية مثل الابرين والبنسلين والاطعمة او من داخل الجسم لبؤرات عفنة Septic Foci ، وهنالك مرض مزمن يصيب الملتحمة والغشاء المبطن للجفون ، والذي يغطي المقلة .. يعرف بالرمد الربيعي ، وهو احد امراض الحساسية ، وسببه غير معروف تماما ، وهو يصيب الصغار والكبار على السواء ، وتزيد حدته في فصل الربيع والصيف والخريف ، وتقل او يختفي تماما في فصل الشتاء ، وخلال فترة النشاط «الحدة» . يصاب المريض برغبة شديدة في حك العين مع دموع غزيرة وخوف من التعرض للضوء ، اذ تزيد هذه الاعراض مع احساس بسخونة وثقل في الجفون وهذا المرض قد يصيب جزء الملتحمة المبطن للجفون Palpepral Conjunctiva او قد يصيب الجزء الذي يغطي المقلة Bulbar Conjunctiva او كليهما ، والنوع الاول هو الاكثر شيوعا ، وبه تظهر حلمات Papules مرطحة ويابسة تنفصل عن جاراتها باخاديد Furrows وتبدو الملتحمة كما لو كانت مرصعة باحجار او حصى شبيهة تلك التي كانت تستعمل في رصف الشوارع . وتبدو الملتحمة بلون ابيض ضارب الى الزرقة . وفي النوع الثاني تظهر الحليمات حول القرنية مصحوبة باحتقان وامراز مخاطي والرمد الربيعي يشفى من تلقاء نفسه .

وعلاج امراض الحساسية بالملتحمة ، هو علاج للاعراض المصاحبة للمرض فقط ، حيث ان السبب الحقيقي يظل غالبا غير معروف ، وهذا هو السبب في ان ابنتك لم تشف من مرضها . انصحك باستشارة طبيب للعيون ، اذ ان بعض هذه الحالات يلزمها علاج بالاشعة السينية او الجراحة .





■ العدو يحاول في جنون أن يقيم سدا رهيبا هائلا .. يستغل لحظات الهدوء التي تسجل الجبهة ، ويحضر أعدادا كبيرة من سيارات (البولدوزر) ، ويعمل في همة لا تعرف الكلل ، وظل في عمله الدؤوب محاولا أن يخفي ملامح أفراده وأن يموه على العيون التي ترصد تحركاته ، وعندما ظن أنه قد استطاع أن يقيم سده الهائل تسري طلقات المدفعية عبر القنال من الضفة الغربية تسحق في عنف وبلا هوادة أوهامه وأركانه وتبدد تجمعاته وتحطم بؤرها الأسود جنوده ورجاله، وتساعد العيون المفتوحة الصقر في لهاثه الدائم ومحاولاته الفاشلة .. ثم يعود الهدوء من جديد .. هدوء مشوب بالتوتر .. هدوء يصنعه العدو ولكن نتوهمه .. كيف يعرف الهدوء والعيون المفتوحة التي تحرق سماءها وجوه المحتل الغاصب لا تعرفه ؟ .. هذه العيون التي تشاهد صباحا ومساء جنود العدو تمسح أرض الضفة الشرقية .. هذه العيون الصامدة .. كيف يوهم العدو الغاصب أنها مركزه في أمان ؟ .. يصرخ بالسلاح وهو يقول لطاقم مدفعه . عشر يا دفعة .. عشر يا أنت محظوظ .. وكأنما يتذكر شيئا .. أيوه محظوظ . أخلاق من الواد علوان ؟ .. تذكره لحظة .. كان يحبه .. يعزه .. يشكر له في إعجابه لقدرته الخارقة على اصطياد أفراد العدو .. قناص أذهل العدو .. فين علوان ؟ فين علوان ؟ .. كان يحبه ويحبه جميع الجنود .. هل يوجد فرد منهم ينساه .. كيف ينساه بتشبيهه التلقائي وبهمته الذي لا يشبع مهما اقتنص من جنود العدوان .. ويهبط علوان فجأة ويجده أمامه .. تمام يا افندم .. ويضاحك الجميع وهم يطلقون نظرهم نحو الضفة الشرقية .. علوان يقول : عظيم يا أولاد الحلال .. عظيم .. عدونا لم يعد يعرف الراحة

جندي يقول عدونا ما زال يمس أرض بلادنا

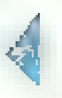
[illegible] لقصفه مرفوعا الرأس [illegible] به طين

وتدوي المدفعية من جديد [illegible] ما رحمة [illegible] العدو ويتطاير مع الأشلاء ذراع واحد من جنود العدو . ويشاهد علوان الذراع يسقط بجوار الجثة . ذراع واحد .. لقد شاهد عشرات الأذرع .. الذراع صغيرة فهذه كانت تحمل [illegible] الزيتون .. شاهدها والدموع في عينيه .. قفز إلى ذهنه بسرعة البرق الخاطف .. بل وتجسد أمام ذاكرته هاني ابن شقيقه .. [illegible] هاني الطفل الجميل .. لماذا تذكره الآن [illegible] كان يحبه منذ مولده .. كانت ملامحه البريئة تعكس سعادة غامرة .. شفاهه باسمة من قلب طاهر .. ظل ينمو وتسمو ملامحه البريئة حتى أصبح تلميذا في المدرسة الابتدائية .. كان تلميذا ذكيا .. مرات كثيرة دخل معه في حوار وأعجبته ردوده .. هاني اللطيف .. يتذكر ذلك اليوم الذي زاره فيه .. كان في إجازة قصيرة .. استقبله هاني فرحا وقال في سعادة . خالي .. وقعنا أربع طائرات .. [illegible] ..

علمنا فرحة من الجبهة .. مدرستها الصغيرة يحيط بها المزارع .. كان هاني يتابع الحرب مع العدو .. يسعد كلما سمع عن سقوط طائرة للعدو .. أو أسر جندي .. كانت لديه نماذج للطائرات وكان يهوى متابعة أخبارها .. وعندما كان يسأله عن رغبته وماذا يريد أن يكون عندما يكبر .. كان يقول بصوته الحلو . طيار .. علشان أموت الأعداء .. كان في قلبه الصغير حماس غير معقول .. حماس أجيال بأسرها .. حماس يسد كل ما هو جاد .. وفي يوم عودته من الجبهة استقبله هاني فرحا وقال له : سنحضر معرض الرسم .. ستقيمه المدرسة غدا .. ويتذكر علوان رده عليه : آسف يا هاني .. الإجازة قصيرة .. لم

سالم هاني بل ضحك وقال : ساحضر لك لوحاتي
التي رسمتها .. ووعده أن يحضرها في الغد ..
وفي الغد .. شغل الناس في بلده .. كانت أخبار
الغارة التي قام بها [illegible]
[illegible]
[illegible]
.. يخترق الحقول ويعبر الصحراء .. لكن لا يرى
[illegible] سوى هاني [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لم يكن يخطر على باله [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]



.. الانقاض ودمار .. كل ما يراه الآن فظيع .. لا توجد مدرسة .. انما مجموعة من الانقاض .. جثث ممزقة .. مشوهة .. محروقة .. اطفال في عمر الزهور ليس لهم ملامح .. كراسات وكتب .. حقائب واحذية .. ملقاة في اهمال في كل مكان بعضها محروق وبعضها سليم .. تمزق في خوف .. وقف يتأمل المذبحة .. كل ما يراه رهيبا .. دمعت عيناه .. انقبض قلبه .. اشتعلت النار في عروقه .. احس برجفة تشمل جسمه كله .. صرخ .. كان هاني جثة وسط الانقاض .. هاني .. هاني .. وركع بجواره على الارض الساخنة .. اخذ يقبله .. لم يعبأ بالانقاض الملتهبة .. لم يعبأ بالسلطات التي امتدت امامه وهو يزيح الاحجار واسياخ الحديد التي تشابكت حول الجثث فحميها من جبروت التحطيم ولكن حرارتها الملتهبة ارقتها .. احالتها الى جثة مشوهة .. بكى .. حمل الجثة الصغيرة واخذ يقبل كل جزء منها .. كان طعم الرماد المحترق يبعث في نفسه الالم .. هاني جثة مشوهة .. القتلة .. الاوغاد .. الثأر .. الكلمة على كل لسان .. قتلة الاطفال .. جبناء .. لعبوا بشبابهم الطفل .. الثأر .. كان عويل النساء يقطع القلوب ولكن صيحات الثأر والالم الدفين في قلوب الناس جميعا .. كانت تعود وتعود في تحفز .. لم يشعر علوان بالاصوات التي تتوالى من حوله .. كان مذهولا .. لم ير رجال الشرطة ولا اجهزة الدفاع المدني ولا رجال الهلال الاحمر ولا خبراء المفرقعات .. كان مشغولا بهاني .. بالامه .. بعذابه .. والامل ليجد نفسه في بيته .. كيف عاد ومع من ؟ .. وهي والدته .. اين هاني ؟ .. التفت نحو والده هاني .. اين هاني .. بكى .. وبكى الرجل ولكنه تماسك .. وقف صامتا .. ربت على كتف علوان وقال في ثقة .. علوان .. البقية في حياتك .. انك فينا .. في كل رجل على خط النار .. كلنا سنثأر للرجال كبير يا علوان .. البقية في حياتك .. وعليه الثأر فاجهش بالبكاء .

.. دورك الآن يا علوان .. واجبك الآن ان تثأر يا علوان .. ان تكون يد الله التي تقتص من هؤلاء القتلة .. الثأر يا علوان .. ثأر بقدم ابهاتي وعشرات غيره .. ثأر بقدم على ملامح شهداء بحر البقر .. شهداء كل مكان في مصر دنسه العدوان يجب ان نثأر لكل مكان خربه العدو بقنابله .. يجب ان نثأر لمصانع السويس وبيوت سيناء والاسماعيلية .. للمصانع .. للشهداء .. للزرع .. للشجر .. للحجر .. لكل ذرة هواء دنسها العدوان ..

واختفى علوان فجأة .. لم تنته اجازته .. عاد الى الجبهة .. عاد وكله حقد .. عاد يصب جام غضبه على الاعداء .. كان عمله كقناص يستغرق كل وقته .. ما ان يرى اى تحرك في جبهة العدو حتى يرصده لم يقوم باصطياده .. وعندما ينجح في اصطياد الهدف الاسرائيلي احس براحة تملأ قلبه .. احس بالنشوة .. احس انه اخذ بثأر هاني .. وعرف كل من في الجبهة علوان القناص الماهر .. الصياد القدير .. ولكن علوان لم يكن سعيدا .. كان يحس بالفرح الطاغي عندما يرى العيون المفتوحة تسبب ارتياحا على العدو وتصطاد افراده وقواده .. ولكنه بعد كل معركة كان يجد نفسه حزينا .. كان يجد نفسه غير سعيد .. ما الذي ينقصه .. ما الذي يريده ؟ ..

كان يحس انه لم يشف غليله بعد .. وكلما رآه اخوانه حزينا احسوا انهم في حاجة لشد ازره .. كانوا يعرفون .. يحسون .. يشعرون .. يعلمون ولذلك كانوا يجمعون انفسهم على استعداد لكل شيء من اجل ان يحس علوان انه ليس وحده .. انه فرد منهم .. بايمانهم .. وكانوا في احاديثهم يلحون على خططه الرائعة ضد العدو .. وكان قائد الفصيلة يعرف كل شيء .. وسأل علوان ذات يوم .. ماذا تريد يا علوان .. الا يكفيك ما قمت به ؟ .. دمعت عينا علوان وقال بلهجة حاسمة .. انا لم افعل شيئا .. كان املي ان اقوم بعمل حقيقي .. ان اصطياد افراد العدو شيء سهل .. وقاطعه القائد قائلا .. سهل ؟ .. هذا عمل صعب .. ثق يا علوان .. انك تبذل جهدا حقيقيا .. تعرض حياتك للموت .. وصرخ القائد .. انت معرض للقتل في اية لحظة .. عملك خطر .. خطر جدا .. وابتسم علوان ابتسامة حزينة وقال .. انا فلاح .. تعرف قصتي .. لا بد ان اواجه العدو وجها لوجه .. لا بد ان اواجهه .

وابتسم القائد واسر له في اذنه ببضع كلمات وارتسمت معالم الراحة على وجه علوان .. وسأله زميل .. هيه ؟

وكان علوان انشغل في تنفيذ بعمليته الرائعة ذات الشكوك .. هل ينفذها ويدفعها .. لم

أخذ في إعداد مهمته .. جهز نفسه تجهيزا جيدا .. كان يعرف أنه على موعد مع العدو .. موعد اختاره له القائد ورضي به هو ليصفي حسابه .. وجاء الموعد بعد طول انتظار .. كان الوقت يمر بطيئا ثقيلا .. اجتمع بهم القائد وأعطاه التوجيهات اللازمة ثم قال له بتأكيد .. كن حذرا .. فخطر .. العدو خطير .. وتحت جنح الظلام تسلل علوان ومعه مجموعة من القناصة .. كانت مهمته خطرة .. ولكن الجميع كانوا سعداء .. عليهم أن يسبقوا وحدة من الوحدات الخاصة التي ستعبر القناة وعليهم إسكات مواقعهم ورصد تحركات العدو واستطلاع الرادار إذا اقتربوا في لحظة حرجة قد تعيق عملية العبور .

كان علوان سعيدا وهو يقود جماعته وهو يتسلل عبر الظلام ، ثم وهو يعبر القناة في صمت ، ثم وهو يختفي في الرمال على الضفة الشرقية .. وفي هدوء أخذ في إعداد رجاله المهمة الصعبة .. وشقت سكون الليل طلقة مضيئة أطلقها العدو لكشف مواقع التسلل ولكي يطمئن قلوب جنوده .. لم يتحرك أحد من أفراد مجموعته .. حبسوا أنفاسهم وفي الوقت المحدد تسللوا فرادى إلى حيث اتخذوا مواقعهم في انتظار العدو .. وفي ساعة الصفر تحركت وحدة العبور وتابعتها قلوب مجموعة القناص .. تحرسها بنظراتها وتتمنى لها عبورا ناجحا .. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن .. سمع أفراد المجموعة صوت مجنزرات العدو تقترب وكشفت الطلقة المضيئة تحركات قوات العدو لمحاولة إيقاف عملية العبور وأصدر علوان أوامره بضرب المدرعات المتقدمة ، وانطلق الرصاص في صمت يخترق أجساد العدو ويحرق مدرعاته .. وأصاب الهجوم المفاجئ ارتباكا في صفوف العدو فحاول التراجع ، ولكن القناصة لم يتركوا فرصة لأحد .. اشتعلت مدرعتان وأصيبت بها أخرى وحاول الجنود الفرار ولكن الرصاص ما لبث أن التهمهم قبل أن تسنح لهم فرصة .. وأخذت وحدة العبور تضع أقدامها في ثبات على الضفة الشرقية .. وحاولت مجموعة أخرى من جنود العدو أن تقترب من المكان ولكن علوان ورجاله تصدوا لهم ودارت معركة حامية بالسلاح الأبيض ولم يشعر علوان بنفسه إلا وهو فوق صدر أحد جنود العدو وخنجره في قلبه .. صرخ علوان منتشيا .. لقد بدأ حلمه الكبير يتحقق .. كان يهاجم أفراد العدو وصرخاته القوية تلقي الرعب في قلوبهم .. قاتل بضراوة وتوحش .. وقاتل رجاله ببسالة .. وكلما سقط فرد منهم ازدادت رغبة علوان في مواجهة الباقي .. قوات/جحافل العدو تسرع إلى أرض المعركة وحدة العبور تحتل مواقعها وتشتبك بعنف مع قوات العدو .. علوان يواجه العدو .. نسي نفسه .. تسلل إلى صفوفهم .. انقض على الرادار .. ولكن قائد قوات العدو يقترب .. تسلل نحوه ثم انقض عليه وعلا صراخ رهيب .. كان القائد قوي البنية وحاول أن يفلت نفسه .. قاتل بضراوة وساعده جندي آخر .. ولكن علوان صرع القائد وأغمد خنجره في صدر الجندي .. ثم .. تذكر هاني .. كان سعيدا ولكن دموعه خانته .. جرت دون وعي .. دون إرادته . حاول مسحها .. لاحت الصورة أمام ناظريه .. لم يشعر باقتراب أحد أفراد العدو .. انتبه في اللحظة الأخيرة .. أغمد خنجره في قلبه .. لم يكن وحده .. كانت وراءه مجموعة من أفراد العدو .. أحاطت به .. لم يستسلم .. قاتل في شجاعة .. كان يرى هاني أمام عينيه وهو يقاتل .. هاني سعيد .. علوان يقاتل في ضراوة .. يصرخ في غضب .. يصرع خصومه .. يتسلل وراء أحد الجنود الفارين .. يلحقه .. يطعنه .. هدوء غريب شمل أرض المعركة .. أين أنا ؟ .. أدار بصره فيما حوله .. أحس بسكون غريب .. كانت أرض المعركة مضرجة بالدماء .. الحرائق في كل مكان .. طلقات الرصاص تدوي في جميع الجهات .. كان في دهشة يحاول أن يعرف موقعه .. اكتشف أنه داخل خطوط العدو .. لا بد أن يعود إلى وحدته ..

رغم كل شيء كان يحس بالراحة .. قاتل عدوه دون شفقة .. انتصر لهاني .. الآن فقط يحس بالراحة .. حركة خفيفة بجواره .. نظر في غضب .. كان أحد أفراد العدو .. انقض عليه .. أغمد خنجره في صدره .. لكن شحنة غادرة من الرصاص انطلقت نحوه وخرقت صدر علوان .. علوان يسقط مضرجا بالدماء .. ابتسامة مضيئة تشرق بها وجهه رغم الألم .. كان يبتسم .. ملامحه تنطق بالراحة .. صورة هاني أمام عينيه .. تسعده .. تحتضنه .. وفي محاولة جاهد أن ينطق اسم هاني .. هاني .. انتظرني .. انتظرني .. أنا قادم إليك .. سأزف إليك البشرى . ■

السيد إبراهيم

مجالس جمال الدين الأفغاني

بقلم : أنور الجندي

ما يزال الحديث عن مجالس جمال الدين الأفغاني يتردد على أقلام الكتاب دون أن يكشف جوهر الموضوعات والمسائل والقضايا التي كانت تثار في هذه المجالس ، ولا ذلك الأسلوب الذي يثار به ، وقد تردد اسم « قهوة متاتيا » على أنه هو المكان الذي كان ينعقد فيه مجلس جمال الدين الأفغاني ولكن المراجعات الواسعة التي أجريناها في الصحف والمؤلفات القديمة تكشف عن أن جمال الدين كانت له مجالس كثيرة ، من أهمها ([illegible]) وكان منزله في [illegible] [illegible] المسجد الحسيني [illegible] المجالس كما كانت له مجالس في بيوت أصدقائه وتلامذته ثم عرف له مجلس في الجزيرة دار فيها حوار بينه وبين [illegible] إبراهيم اللقاني . غير أن [illegible] كانت بالمقهى المعروف الآن [illegible] [illegible] وقهوة متاتيا في مواجهة حديقة الأزبكية قريبا من (البوستة العمومية) في ميدان العتبة ، ويوجد مكانها الآن مقهى غير أنه لا يحمل الاسم القديم . وقد ظلت قهوة متاتيا إلى وقت طويل بعد غياب السيد جمال الدين مقرا للصحفيين وأصحاب الأقلام ، وكان من روادها عبد القادر المغربي وعبد الحميد الزهراوي وحسين وصفي رضا ، وإمام العبد ، ومحمد المويلحي الصحفي الذي كان يحرر أربع أو خمس صحف ومجلات أسبوعية في وقت واحد !

مذكرات ابراهيم الهلباوي

أما أروع مجالس جمال الدين فقد سجلها « إبراهيم الهلباوي » (١) في مذكراته وكان من زملاء سعد زغلول ومحمد عبده ومن تلاميذ الأزهر في هذه الفترة التي قضاها جمال الدين الأفغاني في مصر بين عامي (١٨٧١ – ١٨٧٩) يقول : كنت طالبا في الأزهر الشريف ثم أجاور العام السادس عشر حين نزل السيد جمال الدين مصر وأقبل عليه الأدباء والمتنورون يستمعون إلى أحاديثه العلمية ويحضرون في مجالسه ودروسه ، وكان الشيخ محمد عبده من هؤلاء الذين [illegible] له ، [illegible] به وبأخوانه الدوائر ، لأني كنت أعتقد كما يعتقد أشياخي الذين تأثرت بهم أن السيد جمال الدين رجل ملحد ، نزل مصر ليضل الناس ويجمع حوله شيعة يتركون العبادة والصلاة ، حتى أصبح الشك في نفسي لا أستطيع دفعه ، وعرفت أن [illegible] شيئا من السيد جمال الدين أو أحد أتباعه لأتثبت بها عندي عنهم . فقد كان السيد جمال الدين يسكن في ذلك الحين منزلا بعمارة العناني بشارع أم الغلام وكنت مع ثلاثة من زملائي طلبة الأزهر نسكن في غرفة من هذه العمارة أيضا . فكان ليلة دخل علينا أحد الضباط ومعه جندي من البوليس وأشار إلينا مخاطبا الجندي : من عرفت من هؤلاء الثلاثة ، فنظر الجندي إلى كل منا متفحصا فلم يجد بيننا غريمه ، فالتفت إلى الضابط ونفى له أن يكون الضارب أحدنا وإنما أن ضاربه يبدو على وجهه ملامح العجم . فما سمعت كلمة عجم حتى طرت فرحا ، وقلت في

---

(١) [illegible] كبير من [illegible] ذلك بالدفاع عن



قال: "تأخر أسبابه: التعصب وهو سوء فهم الدين، والاستبداد وهو انصياع الامة لرأي مستبد واحد"

نفسي ، لابد ان يكون السيد جمال الدين او خادمه (ابو تراب) هو الضارب ووجدت في ذلك فرصة سانحة للكيد للسيد جمال الدين واسرعت ما تمكنت لارشاد الضابط الى مسكنه بالعمارة.

ذهبت مع الضابط والجندي الى مسكن السيد جمال الدين فما اقتربنا من غرفته حتى قال لنا ادخلوا بسلامكم .. فامتثلنا لامره ، ودخلنا عليه فدعانا الى الجلوس ، ثم عرض الضابط عليه شكوى جنديه ، فانبأه السيد ان الضارب هو خادمه (ابو تراب) لانه وهو متوجه الى المقهى وجد الجندي خارجا منه وكان لابسا ملابس عادية وبيده لفافة كبيرة بها شيء ظن الخادم انه متاع مسروق فهجم عليه يريد ضبطه ، فكانت مبادرة بينهما ادت بالخادم الى ضرب الجندي واخذ اللفافة منه قسرا ولكنه ما لبث ان رأى انه اخطأ في حدسه ووجد ان ما بداخل اللفافة (جرابه) حملها الجندي الى ضابطه حتى دفعها اليه . واعتذر عما صدر منه وصالحه قبل ان يبرح . فسأل الضابط الجندي عما يقوله السيد جمال الدين في هذه الحادثة فاقر بصحته ، وكان السيد جمال الدين [illegible] في عبارة فصيحة واسلوب بليغ الاثر في نفس [illegible] افكاري سحر . وكنت لم اجتمع به قبل ذلك مطلقا وبينما نحن جالسون حول السيد : سأله الضابط قائلا : اصحيح يا فضيلة الاستاذ انه كان في صدر الاسلام طائفة تزعم ان عمل البر وتحري اعمال السعادة يغني عن الايمان بالله واقامة الشعائر الدينية

يقول الهلباوي : وقبل ان يجيب السيد بالجواب ظننت انه سيعجز عن الرد [illegible] وجدت مثل هذه الطائفة [illegible] مدينة . وقال السيد [illegible]

[illegible]

الطائفة منصوص عليه في [illegible]

[illegible]

لا يسألون عنه الله ، [illegible]

[illegible]

والاكاذيب التي [illegible]

[illegible]

وقد [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقد وصف هذا [illegible] الصحفي [illegible]



حوله على هيئة نصف دائرة فيها اللغوي والشاعر والمنطقي والطبيب والنحوي والتاريخي والجغرافي والمهندس والطبيعي ، وانهم كانوا يتسابقون على القاء ادق المسائل عليه وبسط اعوص الاحاجي عليه ، فيحل اشكالها فردا فردا ويفتح اغلاق طلاسمها ورموزها ، واحدا واحدا بلسان عربي لا يتلعثم ولا يتردد بل يتدفق كالسيل من قريحة لا تعرف الكلل فيدهش السامعين ويفحم السائلين، ولا يدع هذا الشأن شأنه حتى يتسلل رأس الليل شيئا فشيئا الى داره بعد ان يتقلد صاحب الفضل كل ما يترتب له إزاحة الساهرين ويعود بالمجاميع الانس » .

وقد كانت ملحمة هؤلاء الاتباع والتلاميذ الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني واديب اسحق ، وابراهيم الويلحي وسليم نقاش وعبد الله نديم وعلي مظهر وعبد السلام الويلحي ومحمود سامي البارودي والشيخ الزرقاني والشيخ ابو الوفا القوني وعبد الرحمن البرقوقي والشيخ حسني الطويل وعلي يوسف صاحب المؤيد من بعد .

وكان يولي اهتمامه الى اصحاب الصحف والاقلام وخاصة اصحاب جريدة مصر ومرآة الشرق وجريدة التجارة ، ممن استطاع ان يحصل لهم على تراخيص باصدار صحفهم ، وكانت مادتها في الاغلب مما يتحدث به في هذه المجالس ، وتدور حول الحرية والدستور والعدل الاجتماعي مما كان يردده، وكان لا يكتب شيئا مما يقول بل يملي ما يريد على امثال ابراهيم اللقاني « وطالما يراجعه ويصلحه فيجيء منذ اول وهلة مسبوكا مفرغ المعاني بقوالب الالفاظ لا ينقص منها ولا يزيد » (٢) . وكانت هذه الكلمات تنشر احيانا تحت توقيع « ابن وضاح » . وكان يتحدث عن الرابطة الاسلامية والاشتراكية والفلسفة المادية ويعرض لمواقف اوربا من العالم الاسلامي وحركات التحرر والمقاومة ، ويحض الشرقيين الى العمل من اجل التحرر من الاستبداد والنفوذ الاجنبي معا .

شجاعة الافغاني وجرأته

وكان جريئا في نقده لاسماعيل وحكومته ، وكانت له دعوة الى تجديد الفكر ، ودعوة اخرى الى اصلاح اساليب الكتابة ، وقد علم تلاميذه ذلك الاسلوب الجديد الذي ينفذ الى الموضوع دون مقدمات متحررا من الزخرف فكانت هذه الصحف والكتابات بحق تطورا جديدا في الاسلوب العربي.

وكان جمال الدين يتحدث الى مختلف الثقافات والطوائف والمذاهب لا يتحرج ويرى انه يحاول الالفة دون ان يسأل عن الآراء الغريبة . ولم تكن كلماته في مجال الاديان وحدها بل في مختلف مجالات الثقافة والفكر والفلسفة !

وكانت لجمال الدين جلسات مع الدكتور شبلي شميل مترجم مذهب داروين ، ومن الطبيعي ان احدا منهما لم يستطع ان يقنع الآخر ، ولكن الدكتور شميل حفظ في مذكراته لجمال الدين انطباعات طيبة حيث قال عنه : ان جمال الدين كان من اوسع عصره عقلا واسع الاطلاع على علوم الاقدمين والمستشرقين ذا ذكاء مفرط وادب رائع على شجاعة من القول لا تصدر الا عن نفوس كبيرة .

وكان اذا تحدث على شيء ، لا يخلو حديثه مع فصاحة عربية في التزام القواعد واختيار الالفاظ ولكنها ممزوجة ببعض لكنة اعجمية ، وانما وقعها على الآذان كان محبوبا . وبالرغم من انه لم يعرف لغة من لغات الافرنج فانه كان ذا ولعا عجيبا على التحصيل حتى انه ليستفيد منك الشيء الجديد ويحبه في قوالب العلوم المفتقر اليه » .

ولقد حفلت مجالس جمال الدين بالاحاديث والتوجيهات والمساجلات وكانت كلها تدور حول فكرته الرئيسية التي كان يرددها دائما ويجري حولها البحث : « تحرير الشرق من اغلال الاستبداد ، وتحرير الاسلام من آثار التقليد ، وكان مما يقوله ويردده دائما في مجالسه :

الفرقة داء الشرق

لقد جمعت جهاز دماغي لتشخيص داء الشرق وتحري دوائه ، فوجدت ان اقتل ادوائه وما يحول دون توحيد الكلمة فيه داء انقسام اهله وتشتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف فقد اتفق ساكنوه والمقيمون وتظاهروا اليه كان يقول : « علينا اتباع ما وضع في عقول العوام والخواص من فهم بعض المفاهيم الدينية على غير وجهها ، وحملهم النصر والنفع على معنى

(٢) عبارة سليم عنحوري في ترجمته لجمال الدين

يوجب ان لا يتحركوا بطلب مجد او التخلص من ذل ، علينا ان نحرر العقول من قيد الجمود ونطهر العقيدة ونخلص البلاد من نفوذ اوربا خصوصا نفوذ انجلترا ونخلصها من استبداد الملوك والامراء ، علينا بث روح الكرامة للمسلمين واشعار اهل الشرق بقدرهم وحقهم في الحرية وزعزعة صرح الظلم » .

وكان يقول : « ان فهم بعض الاحاديث الشريفة على اننا في آخر الزمان هو مما يثبط الهمم في السعي وراء الاصلاح فلابد من فهم القرآن وبث تعاليمه الصحيحة بين الجمهور وشرحها لهم على وجهها الثابت من حيث يأخذ بهم الى ما فيه سعادتهم » .

وكان جمال الدين في مختلف مجالسه واحاديثه مثيرا للمشاعر موقظا للقلوب ، لا يخاف في الحق شيئا ، وكان مما يعطي كلماته قوتها ، ذلك المظهر البسيط ، الجبة الواحدة، والانقطاع عن الشهوات والنظر الى المال نظره الى التراب ، لا يسأل منه الا ما هو ضروري للحياة ، كريما باذلا لا يحسب شيئا .

وقد وصف الشيخ محمد عبده الذي شهد مجالسه كلها في مصر اسلوبه فقال : « ان له سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى خلق له ، وان له قوة على حل ما يعضل منها وكأنه سلطان شديد البطش فنظرة منه تفك عقدها ، وله لين في الجدل وصدق في صناعة الحجة لا يخطئه فيها احد » .

كما اشار السيد عبد القادر المغربي وقد شهد مجالسه في مصر وفي استانبول الى قدرته في الجدل فقال بانه كان يعمد الى الحجة البليغة من اقرب طرقها فيحتج بها خصمه فيفحمه ويقطع عليه حجته، وانه كان يناقش بعض الاوربيين مرة في المفاضلة بين الشرق والغرب فافحم السيد خصمه بنبرة حادة وقال : كفى الشرق شرفا ان قام منه رجل مازالت امم اوربا تعبده الى اليوم وكان يسأل احيانا في مجلسه عن المرأة والزواج ، وهو ممن عزف عنه فكان يقول : « ان معرفتي بما تتطلبه الحكمة الزوجية من معنى العدل وعجزي عن القيام بامره دعتني الى اتقاء عدم العدل ببقائي عزبا من ان اتأهل واكون ظالما » .

وقال احد تلاميذه في مجلسه : هل تتخذنا من الخوف من عدم العدل يجوز ان يخالف الانسان طبيعته .

مساواة المرأة والرجل

فابتسم السيد وقال له : ان الطبيعة احكم منك فهي تدبر نفسها ولن ترى شيئا عاش بدونه .

فاعترض آخر وقال : ومساواة المرأة بالرجل وحقوق المرأة . وهنا قال : لا اظن ان صحيح بعض الناشئة في الشرق والمتفرنجين منهم يقصدون بطلبهم مساواة المرأة مع الرجل في « التكوين » ذلك انه ممتنع بل مستحيل ، فاذا صح هذا الامتناع من هذه الوجهة فلا مناص من ان تبقى المرأة كما هي امرأة تكوينا والرجل رجلا ، اما اذا قصدوا المساواة من حيث المواهب الفطرية فهذا امر الاكتساب فيه ضعيف فالشاعر والشاعرة اذا كان في فطرتيهما حسن التصوير وسعة الخيال مع ضعف في السليقة برعا في الشعر . وان لم يكونا كذلك وانصرفا الى اوزان الخليل تعلما واكتسابا فلا يخرجا الا وزانا ووازنة . ومعنى انه لا مانع من السفور اذا لم يكن مطية للفجور . واضاف : والمجتمع الانساني انما قام على دعامتين او يقوم بالمجتمع عاملان : المرأة والرجل . فاذا اخذ الرجل وبحث في تكوينه وخلقه وتركيبه ، فنرى في اعضائه ووجوده ما ليس في المرأة ، وفي كلا التكوينين من النقص والزوائد ما لا يعد بالنظر الى الفطرة نقصا ولا كمالا ، لان الطبيعة احكمت صنعها في ذلك واجادت في تكوينها (فتبارك الله احسن الخالقين) .

وفي مجال الحرية والوطنية كانت احاديثه الكبرى ومواقفه الواسعة ومناقشاته المختلفة مما يرويه كثير من تلاميذه امثال : سليم عنحوري ومحمد عبده ومحمد المخزومي ولطفي جمعة وكان دائما يردد :

امجاد التاريخ الاسلامي

« لا بد من انتهاض الدولة الاسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شئونها حتى يلحق الشرق بالامم الراقية فيعود لهم مجدهم » .

وكان يتحدث عن امجاد التاريخ الاسلامي والعربي وبطولات رجاله واعلامه ، فاذا امتد الحديث الى الرابطة بين بلاد العالم الاسلامي قال

في حماسة : « التمس ان يكون مالك الامر في الجميع شخصا واحدا ، فان هذا ربما كان عسيرا ، ولكني ارجو ان يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذي ملك على ملكه يسعى جهده لحفظ الآخر ما استطاع ، ويعتقد ان حياته بحياته ، على ان تكون اول صيحة تبعث على الوحدة وتوقظ من الرقدة ، صادرة من اعلاها مرتبة ، واولاها حركة . » .

وقد اجمع الذين شهدوا مجالس جمال الدين على ان مجلسه كانت له شارات معينة وشعارات لافتة تلفي يحطها جمال الدين مدخلا لصوته واحاديثه ونهاية لها . فهو اذا اقسم قال : « وحق الحق وسر العدل » . ويردد دائما « الحق لا تزول بالاوهام والجبن لا يقي والشجاعة لاتقتل » . وكانت عباراته دعوة حارة الى الكرامة والعزة والتضحية :

احقر الناس من يطلب موت الناس ليحيا ، الذل وصحيح العلم ضدان لايجتمعان ، لاخير في حق لاتحميه قوة ، وما مات احد في حب امة الا واحيته ، ولا امة بدون اخلاق ، ولا اخلاق بلا عقيدة ، الف قول لا يساوي في الميزان عملا واحدا ، الاسد لا يهمه فريسته ابتما ذهب ، الحرية تؤخذ ولا تعطى ، من اعتقد ان لا حياة الا في هذه الفانية فقد خسر الاولى والآخرة ، الازمة تلد الهمة ....

احقر صناعة النحات انفع من قصر النحاة

وفي مجال الكتابة والبحث يقول :

تطويل المقدمات دليل على سقم النتائج ، وليس في كل اختصار بلاغ ، والتكلف السجع ينفر منه الطبع ، ويحسن وقعه اذا جاء عفوا ، احقر صناعة للنحات انفع من فقر النحاة ، كان المقصود من النحو ان يكون آلة لتيسيره جمود النحاة غاية ، مقبرة العلوم خزانات الكتب ، العربية وسعتها البدو في البوادي وضيقها الحضر في المدن والامصار . » .

ولقد كانت هذه الندوات والاحاديث تنشر في الصحف التي يتولاها تلاميذ الافغاني كما كانت تنشر اخباره ، عندما كان ينتقل الى الاسكندرية ليعقد مجالسه او يلقي خطبه وهذا نموذج مما نشرته جريدة مصر في ٢٢ نوفمبر ١٨٧٨ .

« في عشية الجمعة وفد على الاسكندرية سيدنا عروسة كتاب الكمال ، وخلاصة حساب الجلال ، استاذنا الاجل الفيلسوف الاكبر السيد جمال الدين الافغاني ، فابتسم له الثغر عن درر الهناء به وفرد التناء عليه ، وسعى اليه النبهاء والوجهاء وما من جارحة فيهم الا تود لو كانت اذنا فتلتقط درره وجواهره ، او عينا لتتجلى مطالعة مناظره وقد اعد له (جبرئيل الشمعي البلغ) بمحل (طرودي دي فنتسي) مأدبة فاقت الحسن والظرف فأخذ بالقلب والطرف ، جامعة لمحاسن الكمالات وكمالات المحاسن ، متوفرة اسباب الهناء والسرور كافلة وسائل الانس والحبور » وكان مما قاله جمال الدين في مجلسه هذا :

« ان الهرمين والسلات واعمدة الكرنك لعا باصابيعها النحرية لبين المصريين الذين يتركون الشرقيين بالهمجية والنقص في الفطرة ، وان طول سنوات واطلال صور وبعلبك ومنفيس وشبيهة ما بقيت الا لتبث الغبار على ابصار المفترين الذين ينظرون الينا بعين الاستخفاف والاحتقار » .

« ان تجد تأخرنا في سببين اصليين : هما التعصب والاستبداد . اما الاول فهو عبارة عن سوء استعمال الدين ، اما الاستبداد فهو ان تكون امة من الامم مقيدة بسلسلة رأي واحد » .

« ان العلم سلطان عادل كريم ، اذا حل ببلد لزم لبه الغنى والثروة ، لانهما لا يحصلان الا بالتجارة والزراعة والصناعة التي لا تحصل الا بالعلم » (١) . هـ .

ولم يلبث جمال الدين ان ترك مصر عام ١٨٧٩ وطفق ، ليعقد مجالسه في باريس وطهران واستانبول ويضيف الى احاديثه تجارب جديدة ويبقى اسلافه ودعوته الى الحرية والكرامة والتجديد دائمة مستمرة . ■

انور الجندي

المراجع : جريدة مصر والتجارة ٨٧٤ ـ ١٨٧٩ ـ جريدة مصباح الشرق ١٨٧٩ ـ جريدة القاهرة ١٣٢١ هـ مجلة المنار ١٩٠٥ ـ الجامعة ١٩٠٦ مجلة البيان ١٩١١

وجعل الملك شمس الدين الراغب في امر الولوب على عرسه ـ يباعد حيث اراد الابن ان يقترب .

وراح الابن ان يتباعد عنه ابوه ولن يتغاضى على هذه الصورة من صور الاهمال المتعمد في الوقت الذي كانت فيه شقيقته رضية هي الاثيرة المقربة حتى لقد داخل ركن الدين شعور مقيت لا به قد اوغرت عليه صدر ابيه ودست له عنده دسيسة كاذبة صدقها فابعده ، وراح والشك يملأ قلبه يراقب تصرفاته في ريبة وحذر .

لقد كاد الامير يجن ويخشى ان يستبد به غضبه فيخرج على جادة التعقل ويقدم على امر قد يكون فيه قاطعة ما بينه وبين ابيه ، فصبر على مضض واخذ ينظم خطة تراجعه الى منطقة الظلال من جديد ليبتعد عن هالات الضوء التي كانت تعيش فيها رضيــة وحدها ، ولكن كره ان يتراجع او ينسحب في صمت ودون ان يحس به احد خاصة رضية اخته ...

لقد اصبح يبغضها اليوم من كل قلبه وانه لا يخفي كراهيته هذه لها بل كان يتعمد اظهارها والبوح بها امامها فكانت تلاحظه وتلاطفه وتؤكد له انه واهم يخدع نفسه وانه لا توجد في الدنيا من تحبه بعد ابيه اكثر من اخته التي تتمنى له الخير وترجو ان يقدر مركزه ويشعر بعظيم مكانته وان يعد نفسه ليأخذ مكانه وهو جدير بان يشغل ذلك المكان العظيم وذلك بان يخلي من طباعه ويروض من شراسته ويكون لين العريكة كبير القلب ، لا يتصور حقدا ولا ينفساد للكثير من كان ، وان يتذوق حلاوة الحب والسماح ، وان يبدأ بان يمنح الناس حبه ليمنحه الناس حبهم ليجد نفسه في النهاية يعيش في جو من المودة والاخاء والحب النابع من القلوب .

واستمرت رضية الكبيرة القلب تقول لركن الدين وتقول ، وهي ترجو ان تجد كلماتها صدى في اعماق نفسه ، ولكنه كان بعيدا عنها بعواطفه ، فثار عليها ولم يستطع ان يكتم عواطفه ازاءها فراح يقول لها رايه فيها في صراحة حتى لقد تطور به الموقف الثائر فاذا به يهددها ويتوعدها ويقسم انها لن تفلت من عقابه في يوم من الايام !! .

وبلغت رضية ذروة الحلم في ردها على شقيقها الثائر وكرهت ان تقف منه مثل موقفه منها ، ولم تجد غير ان تنسحب تاركة اياه الى احقاده وتبرمه وهي تسأل الله له الهداية والتوفيق ...

وركب ركن الدين راسه ، وحاول شقيقه معز الدين ان يروض من ثورته ويكبح جماح كراهيته لأخته الطيبة بلا جدوى ، واذا به يرى في معز الدين هو الاخر عدوا قد سارع بالانضواء لعصابة رضية كي يتخلصا منه ، فيخلو له الجو او لرضية ويكون هو او رضية صاحب الامر من بعد ابيه !! .

كان الاب المسكين ينظر حواليه في اسى وهو يراقب ابناءه الثلاثة وبنته ثم يعود بالفكر الى شعبه ، ثم لا تلبث ان تشغله الاهــواء والمطامع المتربصة بالجميع ... ويود لو يصيح عسى ان توقظ صيحته اولئك الغافلين ولا جدوى ...

واستمرت عجلة الاحداث في مسيرها ، وركن الدين حيث شاء لنفسه ان يكون ، ورضية ومعز الدين معها حيث شاءت لها مصــالح دلهي ان يكونا ، فوقفا الى جانب ابيهما وراحا يشدان ازره ، ويعينانه على مهام الملك وتبعات الحكم ما وسعهما الامر ...

ودارت عجلة الوجود في انطلاقتها العاصفة خلال زوابع الدنيا واعاصير الحياة ثم اذا بها تتوقف فجأة ذات يوم ، وقد ارتفع صوت الناعي يحمل الى اسماع شعب دلهي نبأ وفاة الملك شــمس الدين ...

وان كان الحزن قد شمل القلوب جميعا لموت الراعي الصالح ، فان هذه القلوب لم تشعر بحزن لموت الملك ، بالاضافة الى جانب الحزن من اجل دلهي نفسها ، فقد اشفق الشعب على بلده ، وكره ان تمزقه الاحقاد والثورات الداخلية ، وان ينقلب اهلوه على بعضهم بعضا فيفسحوا بذلك الطريق للعدو المتربص بهم ...

لقد مات شمس الدين ، ولم يخلف موته فراغا خلا من صاحبه ، بل خلف مشكلة رهيبة قاسية بددت وحدة الاراء في البلد الواحد وجعلت الناس شيعا واحزابا .

وتعددت الاراء ... وابى الناس ان يجمعوا على امر واحد فيه المخرج والخلاص الذي كانوا يرجونه جميعا اذ اصر شعب دلهي باسره على ابعاد ركن الدين عن العرش ثم ...

ثم استقرت الآراء جميعها على ابعاد معز الدين عن سعيه ..

لقد ترادفوا رضية .. وارادة بعضهم معز الدين .. وانقسمت الآراء قسمين كأن لكل انصار ومعارضون .

واتجهت الانظار الى رضية التي صارحت الشعب واولي الامر فيه بكراهيتها للتحزب والانقسام وطالبت بتوحيد الرأي فاجمعوا على ان تكون هي الحكم ، وان تكون صاحبة الكلمة الفاصلة في المشكلة التي طال امدها ، وعليهم بعد هذا وفي رضاء تام ان يقبلوا ما تشير به ...

وتجمعت الجموع حول رضية واتجهت العيون كلها مربطة بشفتيها لتقول كلمتها الاخيرة التي ستضع الامور في نصابها ...

وتكلمت رضية .. ووصل الى اسماع الناس جميعا صوتها العميق تقول انها ترى ان اصلح الناس للحكم والتولي عرش دلهي هو ... شقيقها الاكبر ركن الدين ...

ودوت اصداء الدهشة في جوانب قاعة العرش بل في طول دلهي وعرضها وتساءل الناس في عجب عما جعل رضية تحول هذه الامور في جانب ركن الدين – وهو من تعلم – ليخلف والده على عرشه .

وراحت جموع الشعب تلح بنفسها انها لم تحسن الاصطفاء ولكن رضية لم ترشح ركن الدين للعرش بل الرت ابعاده عنه ولكن رضية عادت تصر على رأيها وتتمسك به ، وهي تؤكد ان ركن الدين اجدر الناس بعرش ابيه والبعهم له .

واستند ركن الدين على يد اخته التي مدتها اليه ... استند عليها في قوة صورها خيالها انها التعبير عن الشكر والامتنان في الوقت الذي لم تكن فيه غير تعبير عن حقده الذي تشكل في اعماقه .

وانطلقت الايام تمر .. وجثم على دلهي سكون مريب .. وانصرف ركن الدين الى مباشرة شئون رعاياه في معاد من اراد ان يثبت للشعب انه منه .. لم .. لا وفي ان الامور قد بدأت تتحول في صفه اليه بمجامع الفكره نحو رضية الكبيرة القلب صاحبة الافضال عليه فراح يضع خطته للتخلص منها ...

وقد يكون التخلص من عدو لصاحب سلطة امرا سهلا هينا لا يستغرق اكثر من دقائق معدودة ، ولكن رضية لم تكن كغيرها من الناس يقدم عدوها على القضاء عليها لم يسجل التاريخ وكان امرا خطيرا لم يحدث !! .

لم تكن رضية من هذا النوع الهين الشأن من الناس ... لم تكن ممن اذا اختفى وجوده لا يثير هذا الاختفاء قلقا وريبة وتساؤلا ، لذلك فكر ركن الدين وفكر في خطة مثالية تضمن له ان يتم هذا الاختفاء وسط جو من الثقة والطمأنينة ، بل يعد لها مثلا موكب خروج للصيد تصحبه فيه فاذا انطلق الفوارس وراء الفرائس يتصيدونها ... وربصت الفوارس بالصائدين فليس اهون من ان تمتد يد خفية تدفع رضية عن ظهر جوادها الذي يجمح عليها وقد تركها لاحد الفوارس الجائعة الشرسة التي تتسم للقتل بأولئك الصائدين الذين اتوا متناقلين قتلها او ازعاجها على الاقل !! .

ورانت الفكرة الى ابعد حد لركن الدين ، وراح بعد العدة لتنفيذها ، وان يحيط هذا التنفيذ بكل ما يكفل ابعاد الريبة عنه ، ومن هنا اراد الا يخرج معها الى الصيد او في صحبة حاشيته هو وبطانته بل ... وان يكون معهما شقيقاه معز الدين وناصر الدين ...

واسرع الشقيق الحاقد الاسود القلب ينفذ خطته وراح يتقرب من اخيه معز الدين وكانت قد قامت بينهما جفوة عرف بدهائه كيف يزيل آثارها ... وتلاقى ركن الدين ومعز الدين حول مائدة شراب الرفد ركن الدين في تناول كئوسه فانطلق لسانه وتكلم ، وظن انه من طريق صراحته هذه يضاعف من اطمئنان معز الدين اليه ويجذبه الى جانبه بالاسرار ، ولكن معز الدين ثار وهدد واقسم ان يقطع كل صلة يمكن ان تصله بقاتل شرير مثل شقيقه ركن الدين ، وهم بترك القاعة متوعدا ، واذا بركن الدين يطلبه شيطانه ويصور له انه لو ترك معز الدين القاعة فسوف تصل انباء المؤامرة الى رضية فتكون القاضية . وتكون ثورة الشعب . وتكون نهاية طاغية فاسق شرير ..

وارتفع صوت ركن الدين متوسلا يناشد شقيقه معز الدين ليعود ، ولكن معز الدين استمر في ابتعاده ، فاذا بالدم يفور من عيني ركن الدين

ويجرد سيفه ويسرع خلف شقيقه فيطعنه في ظهره طعنة ارداه قتيلا ولكن بعد ان نطق ببضع كلمات مبهمة عن المؤامرة ضد رضية الطيبة للتخلص منها !! .

وضجت دلهي .. وتراءت رضية في حلم من كانت تعرف ان الواجب يقضي عليها بأن تتوارى مؤقتا ، فقد خرج الوحش الرهيب من مكمنه ، وفقد اتزانه وتعقله ، والسم ليرتكب الفظائع والأهوال ، ولن يقف في طريقه أحد على الاطلاق وانه ما دام قد بدأ بأخيه معز الدين فسوف تكون الضحية الثانية ولا جدال !! .

وتوارت رضية .. وتركت القصر ، واستطاعت ان تختفي عن عيون شقيقها الذي كانت تتابعه وظلت ترصده وتترقب تحركاته وهي تحصي عليه كل صغيرة وكبيرة ...

كان القاتل النحس قد فقد اتزانه ، وكان يعرف ان صمت الشعب وانصرافه عنه انما هو صمت يوحي بانه يخفي في طياته سرا ، ومن هنا اوحى اليه بعض اعوانه ان يسارع بمصالحة شعبه فيتقرب منه ويغدق عليه ، فينسوا ما كان ولا يذكروا غير الحاضر الذي يعيشون فيه ويروا في ركن الدين ملكا عادلا كريم العطاء !! .

وراقت الفكرة لركن الدين وظن أنه ان التظاهر بالصلاح والتقوى انما هو خير وسيلة لتملك القلوب ، فأحب ان يخرج الى الصلاة الجامعة وان يقف وشعبه في المسجد الجامع وكأنه منهم ..

وراحت رضية ترقب حتى كان وقت خروج الطاغية القاتل للصلاة واذا بصوت يرتفع من فوق احد القصور القديمة المجاورة للمسجد ، وكان في الصوت نبرة استنجاد ، عرف الناس فيها رضية التي يحبونها .

وكانت تصرخ .. وكانت تستغيث .. وكانت تلجأ الى عدالة شعب طالبة منه ان يأخذ بحق شقيقها البريء معز الدين من قاتله ، وان يحميها هي من بطش ذلك القاتل الذي قبر منه القانون !! .

وتذكرت الدنيا بجموع الشعب وعادت تتبدى لهم صورة ركن الدين الطاغية وكيف انه اراد ان يقطع اليد التي امتدت اليه بالخير والاحسان ، وعادوا ينظرون اليه نظرتهم الى وحش مفترس يكره الشعب ويتربص به وانه على الشعب ان يبدأ بالتخلص منه قبل ان يتحصن ، ويحتمي بجلاده فتكون الطامة ويكون اذلال الشعب ...

وعلا صوت رضية يطالب بالثأر واجراء عدالة الله .. وثار الشعب مستجيبا لها .. وتحركت جموعه اللجبة الغاضبة التي هزها من الاعماق صوت رضية الهالع الوجل وهي تذكره بالماضي .. بابيها الملك شمس الدين .. بايامه السعيدة الهانئة .. بايامها هي في ظله وقد دابت على حب الشعب ورعايته ..

وهاج الشعب ، وبلغ منه الغضب اشده ، ورضية مستمرة في صياحها تزمجر وتقول انها مدت يدها الى شقيقها الفاجر ركن الدين واوصلته الى الملك بعد ان وقف الشعب ضده . فكان الجزاء ان مد يده فقتل شقيقه وسلك معه بغير حق ، وانه يعد بعد هذا ، ليعد العدة لاغتيالها هي ؛ وهذا شر جزاء في عدالة القادرين الذين لا يرعون عهد الله ، ويخونون من آمنهم على انفسهم واموالهم ...

واندفعت رضية تطالب بدم معز الدين لانها اصبحت ولية هذا الدم ..

وانطلق الشعب .. واحاط بالقاتل وجاء به الى رضية واسلمها اياه !! .

وتقابلت الوجوه مرة ثانية .. وجه المجرم وقد غمرته غيرة الاذلال والخوف ، ووجه اخته رضية وقد اضاءته نورانية حب العدالة ، والمطالبة بالحق ...

وانهار الطاغية امام من كاد لها واراد التخلص منها ، وسدت المسالك في وجهه ولم يعد يرى غير جلاديه ينتظرون سماع كلمة من رضية ...

وفجأة .. ركع الملك ركن الدين امام شقيقته متوسلا نادما .. راجيا ان تمنحه فرصة اخيرة وسوف يطيعها ويعمل برأيها ولو طلبت اليه ان يتنازل عن عرش دلهي ...

وضحكت رضية ساخرة منه فما طالت بعرش ولا سلطان ولا هي طمعت في جاه أو منصب ، فقد عرض عليها العرش من قبل فأبت أن تقبله ووهبته للغادر القاتل الذي لم يرع الود ولم يحترم صلة الدم وأبى إلا أن يغدر ويقتل .. !! .

وعلا صوت الشعب يسأل رضية أن تقول في المجرم كلمتها النهائية وأن تأمر جزاء ما اقترف من الإثم والعدوان ، ولكنها أبت أن تستجيب لطلب الشعب وقالت إنها ولية دم معز الدين أخيها ولهذا فإنها لا تحكم ولكنها تكل المجرم إلى شريعة الله وحكم الله وليس على القضاة من الذين يحترمون العدالة إلا أن يحولوا في ركن الدين قولهم وينفذوا فيه الشريعة وما تقضي به ...

ولما كان لا بد للقاتل أن يقتل ، فقد حكم بموت ركن الدين القاتل ملك دلهي وما أسرع ما نفذ فيه حكم الله ..

وهكذا .. وبفضل رضية الباسلة اختفى الطاغية ونفى الشعب الصعداء .. وهنا اتجهت العيون إلى رضية مرة أخرى لتحمل أعباء الحكم ، وتكون ملكة على دلهي لتسوس أهليها بالحب والعدالة والسلام والمساواة ، ولكن رضية التي رفضت العرش بالأمس لم تبعه ، عادت لرفضه مرة أخرى فقد كان أخوها الأصغر ناصر الدين أحق منها بالعرش وأجدر بالملك ...

ولكن ناصر الدين كان حدثا صغيرا ، ولم تكن سنه لتسمح له في أن يحكم أو يقيم ميزان العدالة ...

وأمام الظروف القاهرة وإجماع الشعب نزلت رضية على مطالب الشعب وقبلت أن تحكم دلهي باسم أخيها ناصر الدين وصية عليه حتى يبلغ رشده وتعده الإعداد الكامل لتحمل تبعات الحكم والسلطان .. وكان ذلك في ١٢٣٦ ميلادية .

وبدأت رضية بنت السلطان شمس الدين تباشر شئون الحكم في دلهي نيابة عن شقيقها ناصر الدين ، فكان عهدها عهد الخير والبركة والسعادة والاستقرار ، فأولت المحرومين ما كانوا في حاجة إليه من أمن ومأوى ، ورعت اليتامى وساعدت المحتاج وأغاثت الفقير ومدت يد العون إلى كل من كان يطلب العون ...

ولم تقف جهود رضية عند هذا الحد بل وجهت عنايتها إلى إنشاء بيوت الله وتعميرها ، كما أنشأت السبل ، وملاجئ الضعفاء والعجزة ، وأجرت عليهم الرزق والقوت ، وفتحت أبواب الأمل أمام كل من كان في حاجة إلى الأمل ليسير في موكب الحياة !!! .

وبقيت رضية العادلة تحكم بالعدل وتأمر بالإحسان حتى عم الهدوء على دلهي وتذوق الناس جميعا حلاوة الإخاء والمساواة .

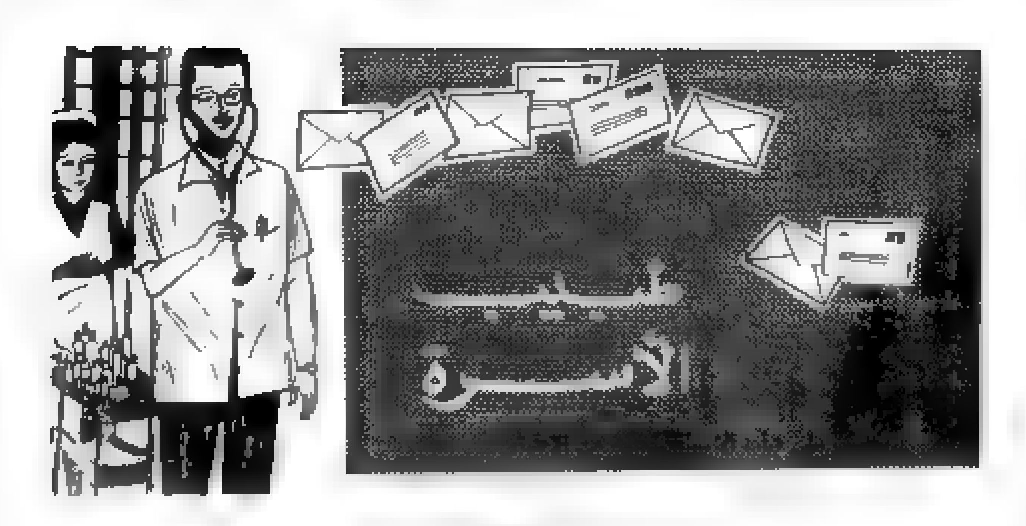
ولكن .. هل ارتضت كل النفوس مثل هذا التوفيق الباهر لرضية المحبوبة !! .

كانت هناك عيون ترقبها وتحاول جاهدة أن تنال منها ولكن .. كيف يمكن لهذه العيون أن تقع على فضيحة أو تكشف خطأ ورضية ما عرفت غير طاعة الله وخدمة الشعب ورغم هذا لم تسلم رضية من اجتراء بعض الحاقدين عليها فأشاعوا عنها قول السوء ونسبوها إلى ما هي بريئة منه ..

وسمعت رضية بكل ما حدث .. وعرفت أن بعض الحاقدين أرادوا النيل من سمعتها فعز ذلك في نفسها وبدأت تبغض المجمع وتتحاشى الناس الذين أبوا أن يتركوا لها العرض السليم والاسم الطاهر جزاء على ما قدمت من خير ، وأصرت على أن تهجر المجمع وتهجر الناس وتترك ملك دلهي لصاحبه ناصر الدين وكان قد بدأ يسعى في مراحل الشباب ...

وكما اعتمدت « رضية » لتحمل أمانة الحكم في ثبات وقوة واقتدار وكبرياء تركت الحكم في إصرار وكبرياء ، وعكفت على خلوتها واتخذتها لتسدل سترا بينها وبين الناس فلا تراهم ولا تسمعهم ولا تحس بهم ، بل بقيت في جو روحي خلصت نفسها فيه إلى الله .. وعبادة الله .. وحب الله .

القاهرة ـ سنية قراعة



تبضات القلب الزائدة لها اسباب عدة

● يشكو من احساسه بضربات زائدة مع الاحساس بتوقف في القلب لفترة مع عدم انتظام في دقات القلب ويسأل عن ان الى اي مدى هذا السبب وما العلاج ؟

— هذه الدقات الزائدة هي التي يطلق عليها [illegible] Extrasystoles وهي دقات يتعرض لها الدقات الطبيعية المنتظمة للقلب وتأتي بعدها فترة دون دقة ثم تعود للقلب دقاته الطبيعية ويتعرض لهذه الدقات الزائدة كل ثلاث او اربع دقات او خمس دقات او اكثر من ذلك وهي اما ان تحدث من مضاعفات اصابة القلب بالمرض من جراء انسداد شرايين القلب — او تصلب شرايين القلب او روماتزم القلب او ارتفاع ضغط الدم — وهي تحتاج لملاحظة شديدة اذ ربما تتحول الى دقات كثيرة في الدقيقة وتؤدي الى هبوط في القلب. اما اذا حدثت من غير ذلك. فسببها اضطراب في حركة عضلة من عضلات القلب ولكن لا يدل على مرض عضوي وقد ترجع الى اضطرابات عصبية او زيادة في التدخين — او ازدياد الحموضة في المعدة والضغط على القلب. او زيادة تعاطي الشاي والقهوة والمشروبات الكحولية .

والعلاج في حالات عدم وجود مرض عضوي بالقلب هو التخفيف عن المنبهات التي ذكرتها كالمشروبات والتدخين وغيرها وتناول الغذاء مبكرا حتى لا تتاح الفرصة لتجمع غازات وضغط على القلب اثناء النوم — وعلاج الامساك ان وجد .

فاذا لم يستجب المريض للعلاج يعطى مهدئا كاقراص الفاليوم او الليبريوم او انوسال — فاذا كانت الدقات الزائدة غير الطبيعية كثيرة ويشكو منها كثيرا المريض يرى الطبيب في مثل هذه الحالة ان يعطي مريضه اقراصا مثل الاندرال وما يشابهه

اما في حالات المرض العضوي للقلب فعلاج المرض المسبب يقلل من حدوثها



القولون المتقرح ..
اعراضه وعلاجه

● تعتريني نوبات مصحوبة باسهال ومخاط به آثار من دم في البراز وعنده تمكث لفترة ثم أكون طبيعيا وبعد فترة طويلة تحدث نفس الأعراض ، وقد حللت البراز عدة مرات وقيل لي انك تعاني من التهاب القولون المتقرح فما هو هذا المرض ؟ وما علاجه ؟ .

من وصفك للمرض يلوح لي انك تعاني من مرض القولون المتقرح ، وهو مرض يصيب القولون في سن ما بين ٢٠ ــ ٤٠ سنه ، ونادرا ما تحدث بعد سن الشيخوخة ، ويصاب القولون في معظم اجزائه باحتقان شديد مع افراز كمية كبيرة من المخاط ــ وكذلك تحدث به تقرحات في أجزاء عدة منه تنزف دما ، وتحدث المضاعفات في هذه التقرحات فتغزوها الميكروبات وتسبب صديدا على هذه التقرحات تنزل مع البراز ، وهذا يسبب نزول كميات كبيرة من المخاط والدم والصديد عند حدوث نوبات حاده .

والسبب المباشر لهذا المرض غير معروف ، ولكن هناك احتمال على ان هذا يرجع الى مرض نفسي يؤثر على القولون ــ أو ان هذا يكون نتيجة لوجود تفاعل بين مواد غريبة تدخل الجسم أو تفاعلات بين مركبات الجسم المختلفة

وعلاوة على ظهور الاسهال وما به من مخاط ودم وصديد فان المريض يشكو من آلام ومغص في منطقة القولون تقل الطعام ، ويمتنع من نوبات الاسهال بعض

لا تستعمل مركبات الكورتيزون الا تحت اشراف الطبيب المعالج

● أصبت بمرض الروماتيزم فوصف لي الطبيب علاج مركبات الكورتيزون واشار على أحد الأصدقاء بعدم استعمال الدواء لأنه ضار ــ فهل هناك حقا خطورة في استعمال هذا الدواء ؟.

ــ ان لكل دواء خطورته اذا استعمل بكميات كبيرة ولمدة طويلة خصوصا اذا لم يكن ذلك تحت اشراف الطبيب . ولمركبات الكورتيزون عدة اخطار ، لذا كان يجب الاحتراس في استعمالها فلا تستعمل الا بأمر الطبيب وتحت ملاحظته ، لانه في بعض الاحيان تؤدي الى مضاعفات خطيرة خصوصا اذا كانت الكمية المستعملة كبيرة ولمدة طويلة .

وربما كانت هذه المضاعفات بسيطة ــ كظهور حبيبات على الجلد ، ولورم في الجسم وزيادة في الوزن والتي سرعان ما تزول عند توقف الدواء ــ ولكن في بعض الاشخاص الذين عندهم استعداد لمرض السكر ــ يظهر السكر في البول ، وكذلك يرتفع ضغط الدم ، وربما أدى الى تقرحات بالمعدة وتزيف فيه

واذا استعمل في كبار السن فانه يزيد من ليونة العظام مع وجود آلام بها يزداد عند الحركه .

ولوحظ انه اثناء استعمال مركبات الكورتيزون ان الجروح لا تلتئم بسهولة وتبقى لمدة طويله ــ وكذلك الكسور في العظام .

في الفيتامينات ، وما يصحب ذلك من امراض وكذلك يحدث فقر في الدم ، ونقص في بروتينات الدم وقد تعترى المصاب نوبات شديدة من الاسهال،وتتبع ذلك فقدان لاملاح الدم واهمها البوتاسيوم والصوديوم . وبسبب ذلك في انهاك شديد وهبوط في ضغط الدم ، والاحساس بالتعب عند القيام بأى مجهود عقلى .

ويتأكد هذا المرض بفحص البراز عدة مرات للتأكد من خلوه من الطفيليات والميكروبات وكذلك بفحص الشرج والقولون بالمنظار الخاص،وعمل الاشعة اللازمة .

والعلاج يتلخص في اعطاء المهدئات للمريض اذا كان من النوع الذي يتوتر عصبيا ــ وكذلك اعطائه المواد التي يفقدها المريض من دم اذا كان فقر الدم شديدا، أو مركبات الحديد والفيتامينات والبوتاسيوم،وزيادة البروتينات في الطعام، على أن يكون هذا الطعام لا يحتوى على كمية كبيرة من الالياف التي تسبب الاسهال ، ثم علاج المعص بالمركبات المختلفة كالبلادونا وغيرها . والاسهال يعالج بأقراص الكودايين او مركبات الافيون التي يصفها الطبيب .

واذا حدث التهاب بميكروبات فيعالج المريض بالمضادات الحيوية كالبنسلين والستربتومايسين وغيرها او بمركبات السلفا .

ولعل العلاج الذي يؤثر على هذه الحالة هو مركبات الكورتيزون ، والتي افادت كثيرا من المرضى ــ وذلك باخذها عن طريق الفم أو استعمالها كحقن شرجية . وفي بعض الحالات الشديدة والتي لا تستجيب للعلاج الدوائي او تتعرض لمضاعفات يعمل لها عملية جراحية .

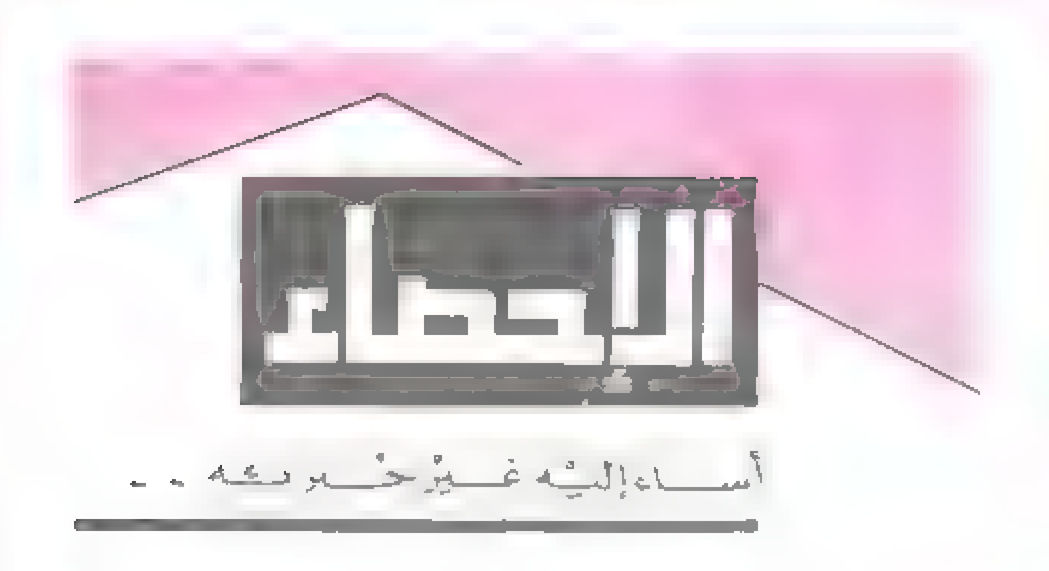
وفي بعض الحالات عند الذين عندهم استعداد للاضطرابات النفسية تظهر عليهم علامات الاكتئاب ــ او الابتهاج الذي لا مبرر له .

ولعل من اخطر المضاعفات هو ان مركبات الكورتيزون اذا استعملت تخفى وراءها امراض امراض اخرى ــ ولا يحس المريض بهذه الامراض ، فمثلا مريض عنده التهاب حاد بالمرارة، واخذ مركبات الكورتيزون يحس بتحسن كبير ، ولكن ربما انفجرت المرارة وسببت اضرارا جسيمة . لذا يجب الاحتراس في استعمال الكورتيزون اذا كان عند المريض امراض لأى مرض آخر خصوصا الالتهابات الحادة .



وكذلك اذا اوقف استعمال الكورتيزون دفعة واحدة دون ان تقلل الكميات ببطء الى ان يوقف الدواء ، فان كل اعراض المرض التي اعطى من اجلها الكورتيزون تعود كما كانت بل وعلى اسوأ صورة ــ لذا كان التوقف عن الدواء دون استشارة الطبيب من الخطورة بمكان .

من هنا يجب ان يكون استعمال هذه المركبات بحذر .



أساء إليه غيرُ خبرته . .

بقلم . محمد عثمان وديع

وكذلك المشتغلون العارفون لأخطائه

المرء فيهما عمره طوله من حياته . وكذلك كلمة « عاطل عن العمل » يجب تفسير المقصود منها وهل يشمل أم لا ، المتعطلين عن العمل جزء الوقت ، أو من يعمل لدى الأسرة بدون أجر وهل يشمل ذوي البطالة المقنعة

وحين قال « خروشوف » للأمريكي « أننا نخرج ١٠٦ ألف مهندس في العام ، أي ثلاثة أضعاف ما تخرجه الولايات المتحدة » لم تكن مفردات لغة العالم ، لأن تعريف المهندس لم يكن واحداً ، من حيث سنوات الدراسة ، ومواد الدراسة والامتحانات ... فلا يجوز المقارنة ، بين كلمة مهندس بالمفهوم السوفيتي والمفهوم الأمريكي

وينبغي أن تكون المقارنة محددة من حيث الزمان ، فإن كلمة « جامعة » في القرون الماضية تختلف عن الجامعة بالعصر الحديث ، وكذلك كلمة « آلة حاسبة » في الأربعينات من هذا القرن تختلف عن كل الوجوه عن كلمة « آلة حاسبة » في السبعينات وقل الأمر نفسه على كلمة « مدير » « خط » .

٢ ـ أخطاء وحدات القياس

هناك من الوحدات الإحصائية ما لا يمكن عده ، ولا يدل على قياسه ، بالوزن ، أو الطول ، أو الحجم ، أو القيمة ، ووحدات القياس نفسها غير مرغوبة في بعض الأحيان ، دون تعريف واضح ، فكلمة « طن » تختلف من حيث الوزن بين الطن

المتري والطن الإنكليزي والطن القصير ، وكذلك « كلمة « مين » وكلمة « ليرة » الإيطالية تختلف عن « الليرة » السورية ، وهذه تختلف عن الليرة اللبنانية ، كما تختلف قيمة الدينار الجزائري عن الدينار الكويتي ، إضافة إلى أن وحدة النقد نفسها ، تختلف قيمتها الحقيقية بين وقت وآخر ، وخصوصاً في ذلك العصر الحاضر أو القرب الراهنة ، نتيجة لارتفاع مستوى الأسعار الذي نشكل سمة من سمات هذا العصر

ويبرز ، في بعض المجالات ، مشكلة عدم كفاية الوحدات البسيطة ، فإذا قالت شركة النقل « أنها تنقل العدد من السياح وغيره الاستثمار خلال شهر سائح مثلاً ، فلا يجب أن نتصور أنها أكثر نشاطاً من الشركة « ب » التي نقلت نشاطها في وجهة الألف مسافر ، بل يجب أيضاً أن نعلم ، فضل ذلك ، عن المسافة التي تم النقل عليها في كل من الشركتين . ولهذا تبرز الحاجة إلى فكرة « الطن الكيلومتري » و « الراكب الكيلومتري » ، وهذه الوحدة تعني نقل راكب واحد مسافة كيلو متر واحد ، أو نقل راكبين مسافة نصف كيلو متر .. ولا يكفي فقط ، معرفة عدد السياح الذين زاروا بلداً ما ، بل من الأفضل أن نعرف الليالي السياحية التي قضاها أولئك السياح في ذلك البلد ، لأن سائحاً يقضي لعشرة ليالٍ يعادل سائحين يقضي كل منهما ليلة واحدة ، على الأقل من الناحية المالية » .

٣ ـ أخطاء الصفة

كثيراً ما يجد الباحث الإحصائي نفسه عاجزاً

عن مؤسسة تمثل وحدات المجتمع الاحصائي وبالتالي ينتقى (بالاساليب المعروفة احصائيا) « عينة ممثلة » لهذا المجتمع من حجم يتلاءم مع الامكانيات المخصصة للدراسة ، من مال ، وجهاز بشري ، وآلات . ومن ثمّ يقدر « الثوابت » الاحصائية Constant ويتخذ القرارات اللازمة . ويمكن ان تتعرض العينات الى نوعين من الاخطاء :

أ ـ اخطاء المصادفة Hasard

انه لا تحتوي العينة على نفس خواص وتركيب مجتمعها الاحصائي وذلك نتيجة لتدخل قوى الحظ والصدف في عملية انتقاء العينة . وغالبا ما يتم معالجة هذا النوع من الاخطاء عن طريق تحديد مستوى الدلالة Seuil de Signification واحتمالات الخطأ المسموح به ، وهو طريق فني لاتخاذ القرارات ، لا اجد مبررا للدخول في تفاصيله . أو ان نعالج هذه الاخطاء عن طريق تكبير حجم العينة لان احتمال تقرر الصدف الشاذة يقل كلما زادت الوحدات المدروسة .

ولصغر العينات مخاطر كثيرة

وكثيرا ما نواجه حالات من الكذب او الايهام تعتمد على حجم عينة صغيرة . فاذا قال احد الاصدقاء « تسابقت مع بطل العالم في السباحة ، وكان ترتيبي الثاني في نهاية السباق » . فقد يكون كلامه صحيحا ، ولكنك لو سألته كم كان عدد المتسابقين واجابك ، انا والبطل فقط ، فان بامكانك ان تستنتج ان كلمة (الثاني) في الترتيب لا تصور ترتيبا متقدما ، بل يمكن استبدالها بكلمة (المرتبة الاخيرة) التي تعطي للموقف صورة اكثر واقعية ، ولعل المغالطة التي اعطتها الكلمة الاولى رغم انها صحيحة من حيث المعلومات ، ولكنها جزء من الحقيقة ، والسكوت عن الجزء الآخر الذي هو عدد المتسابقين ، اضافة الى صغر هذا العدد اعطى انطباعا موهوما ، اراده القائل ، واورط بقبوله السامع .

واذا جاءك ابنك ، في يوم من الايام ، قائلا : بابا ، لقد تقدم ترتيبي في الفصل هذا العام ، فاصبح التاسع ، بعد ان كان الرابع والعشرين في العام الماضي . فسألته قبل ان تقول له مرحى ، كم عدد تلاميذ فصلك هذا العام ، فقد يجيبك : « تسعة فقط » .

وتشمل مخاطر العينات الصغيرة ، استعمال النسب المئوية المحسوبة منها . فلنفترض ان عينة مكونة من ثلاثة اساتذة اخذت من هيئة تدريس جامعة ما ، وكان في هذه العينة زوج وزوجته ، وهي استاذة ايضا ، بالاضافة الى استاذ ثالث عازب . ان من المغالطة القول ان ٦٧٪ من اعضاء الهيئة التدريسية متزوجون من زميلاتهم ، او القول ان ٣٣٪ منهم عازبون ، فان قولا كهذا يوحي بغير الحقيقة ، على ابسط تقدير .

لنفترض ايضا ان طلبة القسم النهائي في كلية ما عددهم اربعة ، بينهم طالبة متزوجة وفي حالة حمل ، اليس القول ان ٢٥٪ من طلبة القسم في حالة حمل صحيحا ؟ انه صحيح من حيث المعلومات ، بيد انه يوهم السامع بكبر ظاهرة الحمل بين طالبات القسم ويبالغ في وزنها الحقيقي .

ب ـ اخطاء التحيز

لنفترض ان صحيفة تريد معرفة الرأي العام للشعب الامريكي حول قضية الشرق الاوسط ، وبعد ان اعدت الاستمارة ، ارسلتها بالبريد ، الى عينة كبيرة من الاشخاص انتقتهم عشوائيا Aléatoire من سجل اصحاب المصارف والبورصة وحملة الاسهم لمدينة « نيويورك » . انه لا يجب ان نفاجأ اذا وردت معظم الاجابات بالتأييد لوجهة النظر الصهيونية ، نظرا لكون معظم يهود امريكا يتمركزون في مدينة « نيويورك » وفي قطاع المصارف والمال بشكل خاص . ولهذا فان العينة لم تكن ممثلة للشعب الامريكي ، ومن الممكن ان تتغير نتيجة الاستفتاء اذا اخذت العينة من سجلات نقابات العمال الامريكيين ، رغم ان هذه العينة ، كسابقتها ، لا تمثل المجتمع الامريكي ، بل تمثل قطاعا محدودا له ميزاته ووجهات نظره .

وكمثال آخر ، لنفترض ان مؤسسة الاسكان

يرغب بانشاء نوع من المساكن الشعبية،ذات الكلفة الرخيصة ، نظرا لاستعمالها مواد اولية جديدة وبسيطة ، واردات ان تحصل على آراء المواطنين حول هذه البيوت ، والمواصفات التي يرغبون فيها،فقامت من اجل ذلك بسحب عينة عشوائية، من اطار يحوي اسماء اصحاب السيارات الخاصة في تلك المدينة ، فان من الطبيعي ان لا تكون اجابة غالبية افراد العينة ـ اذا اجابوا ـ في صالح هذه الابنية الرخيصة ، وان لا تعكس المواصفات التي يرغب بها اولئك الناس المهتمون حقيقة بمثل هذه البيوت ، والمستفيدون الفعلون منها .

٤ ـ عدم مراعاة ميزات المقاييس الاحصائية نفسها

كثيرا ما يستعصي على غير الخبير فهم الدور الذي يلعبه كل مقياس احصائي ، فمثلا ، ان فكرة المتوسطات ، من اكثر الافكار ضرورة واستعمالا في الاحصاء حيث تبرز الحاجة الى التعبير عن مجموعة ارقام برقم يمثل نزعتها المركزية العامة . وهناك العديد من المقاييس لها تختلف بالنتيجة وبالدقة. واذا اخذنا الوسطين الاكثر استعمالا ، والمتازين بالصفات الرياضية الواضحة ، وهما الوسط الحسابي والوسط الهندسي فانهما قد يعطيان نتائج شديدة الاختلاف ، وخصوصا عند بعد المفردات بعضها عن البعض . فلو كان لدينا ، مثلا ، القيم ١٠ و ١٠٠٠ فان وسطهما الحسابي

$$\frac{١٠ + ١٠٠٠}{٢} = ٥٠٥$$

ووسطهما الهندسي = ١٠ × ١٠٠٠ = ١٠٠

والفرق واسع بين هذين الوسطين ـ لنفس الارقام ـ بالاضافة الى ان الـ (٥٠٥) و (١٠٠) ليسا بممثلين جيدين للقيم الاصلية ١٠ و ١٠٠٠ .

ان القيمة التمثيلية التي يأخذها مقياس النزعة المركزية ، وليكن الوسط الحسابي ، ترتبط ، بالضرورة ، بمقدار التشتت فلو اخذنا مجموعتي القيم التاليتين

ا ـ ٢٠	٢٠	٢٠	٢٠	٢٠
ب ـ ١٧	١٦	١٩	٤٢	٦

فان الوسط الحسابي لكل منهما يبلغ (٢٠) ، واذا كانت هذه القيمة تمثل المجموعة (ا) احسن تمثيل ، فذلك يعود الى انعدام التشتت فيها ، بينما تقل القيمة التمثيلية للوسط (٢٠) في المجموعة (ب) لوجود التشتت . ويمكن القول ان الثقة التي توضع في مقياس النزعة المركزية تتناسب عكسا مع التشتت .

وثمة نقطة اخرى ، جديرة بالاشارة ، وهي ان « البيانات » المعروضة غالبا ما تكون مبوبة في جدول تكراري ، وصحة الوسط المحسوب من هذا الجدول ، مرتبطة بحسن انشاء الجدول نفسه ، وحسن انتقاء طول الفئات وحدودها ، نظـرا لاضطرار الباحث لافتراض ان نقطة وسط الفئة ممثلة لكل بيانات الفئة من اجل الحسابات اللاحقة ، فاذا كان هذا الفرض غير صحيح فان الاخطاء تكبر وتتضخم باستمرار العمليات الحسابية التالية . وربما كان انتقاء فئات غير متساوية في الطول ، في بعض الاحيان ، محاولة مقصودة من منظم الجدول لابراز اهمية احدى الفئات ، او لاخفاء هذه الاهمية ، لسبب من الاسباب .

٥ ـ اهمال جانب من الدراسة

لنفرض اننا نرغب باختيار مقدرة تلميذين من مستوى معين ، فسألناهما في الحساب مثلا ، فحصل اولهما على عشر نقاط ، والآخر على ثمان ، فلا نستطيع ان نقول ان الاول اقدر من الثاني ، حيث اننا لم نختبرهما الا في موضوع واحد مما يمكن ان تشمله كلمة مقدرة . فلم نختبر بعد قدرتهم على المطالعة، او سرعة البديهة .. الخ .

ويلجأ الباحثون عند تنظيم الجدول التكراري ، في بعض الاحيان ، الى ترك الفئة الاخيرة مفتوحة، وذلك لسرية الاجابات او لعدم امكانية حصر حدودها العليا ، كالدخل والملكية والاعمار .وهذه الفئة المفتوحة قد تشمل مجالا واسعا لا يعطي القارىء الحقيقة فيه . فاذا صنفت الدخول في بلد ما في الفئات التالية :

١٠٠ واقل من ٢٠٠

٢٠٠ واقل من ٤٠٠
٤٠٠ فما فوق

فان الفئة الاخيرة قد تشمل الدخل ٤٠١ ، والدخل ٥٠٠ ، والدخل ١٠٠٠٠ وحدة نقدية ايضا ، وهذا جانب من جوانب البلبلة ، وقد تكون متعمدة ، لأن كل الارقام السابقة اكبر من ٤٠٠ وحدة ، وبهذا يسهل اخفاء ارتفاع الدخول الفاحش . وعندما يقوم باحث آخر باغلاق الفئة المفتوحة من اجل حساب الوسط الحسابي مثلا ، فانه سيرتكب خطأ – وهو يعرف هذا – يرتبط مداه بمقدار اقتراب اغلاق الفئة من الحقيقة .

٦ – سوء تفسير النمو بالقيم المطلقة

قد تعمد بعض الحكومات الى ابراز زيادة الدخل فيها ، وتستنتج من ذلك زيادة في رخاء مواطنيها المالي ، ولكنها تغفل ان هذه الزيادة قد تكون ظاهرية ، لا تعود للنمو الاقتصادي بقدر ما هي نتيجة لارتفاع مستوى الاسعار ، وبذلك قد تعني نقصا في الدخول الحقيقية ، نتيجة انخفاض القيمة الشرائية لوحدة النقد . ويمكن التغلب على هذا المحذور بحساب الدخل بالاسعار الثابتة (بقسمة الارقام بالاسعار الجارية على الرقم القياسي للاسعار) .

ثم ان زيادة الدخل القومي بالارقام المطلقة قد لا تماشي زيادة عدد السكان ، وبالتالي فان الدخل الفردي في هذه الحالة سينخفض رغم زيادة الدخل القومي . كما قد تكون زيادة الدخل القومي مصحوبة بسوء في توزيع هذا الدخل على الفئات التي ساهمت بانتاجه ومن ثم ، لا يمكن القول ان ارتفاعا قد حصل في معيشة المواطنين . وقد تختلف مساهمات القطاعات المختلفة في الدخل القومي فتتغير نسب مساهمتها ، فقد تنقص مساهمة القطاع الزراعي النسبية رغم ان زيادة قد حصلت في ناتج هذا القطاع (معدل الزيادة في هذا القطاع اقل من معدل الزيادة العامة) . هذا عدا عدم دلالة الارقام المطلقة – والنسبية ايضا – على المحتوى ، اي عدم دلالة الكم على الكيف ، وهذا من مساوىء الاهتمام بالارقام دون رؤية نوعية الوحدات المعبر عنها بالارقام ، كجودة الانتاج الصناعي مثلا ، أو مستوى المعلومات التي يحملها خريج المدارس الثانوية ...

٧ – خطر مد بيانات الحاضر الى المستقبل Extrapolation

اذا كان معدل الزيادة في سكان بلد ما ٣٪ خلال العشرين سنة الماضية ، فمن الممكن ، مبدئيا ، الافتراض ان هذا المعدل سينسحب على المستقبل اذا وقفنا ان المعطيات الديموغرافية التي صنعت هذا المعدل – كمعدل الولادات ، ومعدل الوفيات ، الكبار والاطفال ، ومعدل الزواج والخصوبة .. ستبقى ثابتة . ولكن الا يجافي هذا الثبات الواقع الموضوعي من تغير في كل مظاهر الحياة ، ديموغرافيا واجتماعيا ، وبالتالي هل تسير الحياة بالضرورة على منوال الماضي ؟ . وبهذا الصدد يمكن ان نضيف خطورة مد البيانات ضمن الزمن الواحد – على مجتمعات مختلفة دون مراعاة الحدود الطبيعية للتجربة ، فمثلا ، اذا وجدنا بنتيجة دراسة سابقة لانفاق مجموعة من الاسر العمالية ذات الدخل المتراوح بين ٢٠ الى ٦٠ دينارا شهريا ، اذا وجدنا ان هذه الاسر تنفق ٧٠٪ من دخلها في المتوسط على الغذاء ، فان من العبث تطبيق هذه النسبة على اسرة برجوازية دخلها الشهري ٢٠٠٠ دينار .

واذا تبين لنا من دراسة الارتباط بين المتغيرين انه يأخذ شكل الخط المستقيم فاننا نستطيع استنادا الى معادلة مستقيم الانحدار التنبؤ بالنسبة لبيانات مشابهة ، بالقيمة التي ستأخذها الظاهرة التابعة « المتغير التابع Variable dépendante » اذا تغيرت قيمة الظاهرة الاساسية « المتغير المستقل Indépendante » . لكن هذا التنبؤ قد لا يكون صحيحا خارج حدود البيانات التي حسبت منها ثوابت مستقيم الانحدار نفسه ، لانه ليس هناك ما يضمن ان العلاقة التي كانت من النوع الخطي (المستقيم) ستبقى مستقيمة خارج حدود البيانات ، ام ستتغير شكلها ، وربما اتجاهها ايضا .

٨ — الخلط في ايجاد علاقات الارتباط

في دراسة جرت في الولايات المتحدة ، تبين وجود ارتباط وثيق بين زيادة رواتب القسس وبين زيادة مبيعات الخمور . وبالطبع ، فان هذه النتيجة (التي قصد منها السخرية بطرق الارتباط) تمثل محاولة مرفوضة من الاساس ، لانها عمدت الى وضع ظاهرتين غير مرتبطتين موضع الدراسة. وان الارتباط الذي ظهر رقميا يمكن اعادته الى ان كل من هاتين الظاهرتين تخضع الى عوامل متعددة ساهمت برفع قيمتها بشكل مستقل . لذا يجب الاحتراس من استعمال اساليب الارتباط في دراسة ظواهر يستبعد ، منطقيا ان تتبع احداها الاخرى بعلاقة مباشرة ، كأن يدرس الارتباط بين ارتفاع اسعار البطاطا وبين زيادة الطلاق ، او بين ازدياد نفقات ابحاث الفضاء وزيادة مبيعات لعب الاطفال . .

٩ — تحميل النتيجة الاحصائية
تفسيرات غير منسجمة معها

رغبت ادارة احدى المجلات بمعرفة الاشخاص الذين يقرؤون المجلة ، فكلفت احد ضباط الشرطة المتقاعدين باجراء دراسة حول هذا الموضوع . وباشر هذا الضابط عمله بالخطوات التالية :

١ — جمع المجلة من بيوت عدد كبير من الناس .

٢ — فحص عدد البصمات المختلفة الموجودة على كل نسخة .

٣ — حسب متوسط عدد البصمات المختلفة . فتبين له ان بكل نسخة اربع بصمات مختلفة بالمتوسط فاستنتجت الادارة ان الذين يقرؤون المجلة من الالاف الى الالاف اربعة امثال المشتركين فيها . الا ان هذا التفسير لا ينسجم مع نتيجة الدراسة التي تقرر ان المجلة قد مسكت من قبل اربعة اشخاص ، ولا تثبت ان هؤلاء قد طالعوها بالكامل ام لا .

وعلى العموم فانني لا ازعم انني القدرة على كشف كل وسائل الخطأ — المتعمد او غير المتعمد — في الاحصاء والاساليب الاحصائية ، ولكنها محاولة لتبيان الثغرات التي يمكن ان يتعرض لها القارىء بتأثير من الباحث المغرض، او غير الخبير، حين يستعمل الاحصاء الذي هو — كعلم ، او كطريقة علمية ، تتعامل بالارقام — له نقاط ضعفه وحدودها التي يعرفها الاحصائي الخبير ، كما يعرف اين يجوز له ان يتدخل ليفترض،او يفسر، او يعلل ، واين يعطي ثقته ، وبذلك لا يحمل الاحصائيات عبء ثقة لا تقدر على حملها ، بحكم عوامل النقص المتعددة التي تشوب العمل الاحصائي بدءا من جمع البيانات ، ومرورا بمراحل تبويبها وعرضها، ثم تحليلها وتفسيرها ، واستخلاص النتائج منها . ومع كل هذا ، فان كفة المصالح لا بد ان تثقل في جانب الاحصاء ، فهو ، رغم كل المحاذير ، — التي من الممكن التغلب عليها ، بشكل ، او بآخر — احد اعمدة حضارة هذا العصر ، ويشهد له بذلك ، التوسع الكبير والانتشار في مجالات الاقتصاد والتخطيط الاقتصادي والادارة الحكومية ، وفي الابحاث الطبية والنفسية والبيولوجية والاجتماعية ، وفي مراقبة جودة السلع احصائيا ، والحكم على ما تعتبر شحنات مقبولة ، او مطابقة للمواصفات ، ضمن حدود من الثقة . وكذلك دوره في حسابات الانتاجية والارقام القياسية لمختلف الظواهر المتغيرة . وقد ساعد على تطويره ذلك التقدم الهائل في الالات الالكترونية ، وما قدمته للاحصائي من دقة في العمل وسرعة كبيرة . وهو ، بهذا ، ليس وسيلة لسد الفراغ ، الذي كان يتسم بالكذب كما قال « ليكوك » ، وليس مرادفا لكلمة « الكذب » كما عبر « دزرائيلي » ، وانما هو مجموعة من الطرق العلمية ، تضع تحت تصرف الباحثين في مختلف المجالات ، الادلة العلمية التي تمكنهم من اتخاذ القرارات على الشكل الذي يلغي امكانية الوقوع بالخطأ الى اقل قدر ممكن ، ومعرفة اماكن الزلل واحتمالات الوقوع فيه ، وهذا حسبه ، في الوقت الحاضر .

الجزائر — محمد عدنان وديع

● مِنْ حَصَادِ التَّأَمُّلات



■ أين ألقاك؟ لم تعد بقريبِ — فرّق الموت بيننا يا حبيبي

أنسيت من لقائي وعهدي — بك جمَّ الوفاء والترحيب؟

وتلاشيت مثل باقة ورد — بعثرتها ريح الشمال العصوب

لم يرن سحرها بجوب الدرارى — سائلا عن عبيرها المكسوب!

* * *

كم تشبثتُ بالحبال هروبا — من همومي فما حماني هروبي .

فى غمار الحياة عن نَصيبا — مالها من مخالب ونيوب

أترى يمنح طولُ الحياة لتمضى — بعضنا عمرنا وينبحُ المغيب؟!

ليس من عاش يطيق بقاءً — بين أنيابها ولا مغلوب

أخذت على رحاه ورددتـ ـنا — إلى حسرة وشك مريب

لم يلمس قلبها على أبد الدهـ ـر ولا انفضَّ سرها لأريب

وارتمت على رواها عطاشا — وجرينا خلف السراب الكذوب

من نفس تُجيب داعي عيش — طالما صادته غيرُ مجيب؟!

* * *

صور لم تزل تلوح لعيني — وأعيش لسحرها المجلوب

كم توهمتُها خيالا يواتي — منى تشبه سحرَ الطيوب



وإذا ما دنوت منها تراءت ... ودمي أشواكها في جيوبي

تلك ألوانها تطلّ فكسرى ... ثم ترتدّ من مدى الشحوب

وصداها في خاطري نغمة ... الكآبة ألقى عصاه بين الدروب

أي غاب أضعته فتغنّى ... في عروقه وفي تنقيبي؟!

ما لأهدافه تشوق على البعد وتعدو فريسة من قريب؟!

ظمأ الروح ما شفته الليالي ... في اقتناص المجهول والمحجوب

أبدا كان في مجال سباق ... وصراع مع الحياة رهيب!

أي دنيا شدت رؤاه لجواب ... وأفق طلق الشعاع رحيب؟

رحلة الشوق لم يعد بعد منها ... غاب في شطه انتظار الغريب

* * *

لا تلمه إذا تعثّر يوما ... خجلا من حباله المثقوب

فمراميه كم تشظّى عليها ... من جناح وكم هوى من صبيب

يمسح اليوم جرحه في أناة ... واعتداد المجرب الموهوب

لو تأملته لأكبرت فيه ... نسمة السحر في تحدي الخطوب!

نور الدين ابو ريشه

قصة فى رسالة
من أب إلى ولده

من قلبى ...

بقلم : نصرى عطا الله

■ ولدى الحبيب

اكتب اليك استجابة لمشاعر واحساسات لم يملأ صدرى بها الا ما لاحظته من تغير طرأ عليك أخيرا ... تغير تناول عواطفك وافكارك وكل نواحى حياتك كأنك قد خلقت خلقا جديدا. انك تحب يا ولدى ولا تحاول أن تنكر ، فهذا البشر الذى تفيض به قسمات وجهك ، وهذه الأغنيات العذبة النابعة من أعماقك والتى تترنم بها فى صوت مترع فرحا ولهفة وحنينا ، وهذه البهجة التى تتمثل فى حديثك وحركاتك ولفتاتك ، وكل هذه الرقة فى معاملتك للناس كأنك تريد أن تهبهم جميعا السعادة والهناء .. ثم عزوفك أحيانا عن كل من حولك وانطلاقك الى سماوات بعيدة .. بعيدة ، تعيش فيها بفكرك وخيالك ومشاعرك .. انك تظن انك تطوى السر فى قلبك وانه خاف على الجميع فى حين انه واضح كل الوضوح ، واضح فى لمعة عينيك وما يرتسم على وجهك من انفعالات عميقة وانت جالس بيننا ، ولكن بجسدك فقط ، فى حين ان روحك تهيم فى آفاق سحرية مع تلك التى اختارها قلبك من بين البنات ، ثم هذه الحيوية المتوثبة المتدفقة ... ان روحا كريمة وهبت روحك من عزمها وبأسها ، وقلبا حنونا مزجت شبابها بشبابك وهكذا اختمر فيك السحر الالهى والسلوان . انك تحب يا ولدى والحب هو الميلاد الثانى ... انك تحب يا ولدى والربيع الذى اينع فى قلبك يرسل من حوله عطره ودفئه وانغامه يلمس بها الخريف الذى فى قلبى فيملأه بهجة ويعيد اليه بعض شبابه وحرارته ، وما شباب قلبى المستعاد الا انت ، فانت امتداد لحياتى على هذه الأرض التى لن تلبث أن تطوينى فى جوفها بعد حين قد لا يطول ...

وما لى غاية من كتابة هذه الرسالة الا أن تسعد فى حبك وتجنى منه أطيب الثمار وأحلاها ، فهل تتأمل يا ولدى نصائح ابيك الذى يعصر قلبه الاخلاص لك والذى قضى فوق هذه الأرض سبعين عاما تنضجه خلالها التجارب ... ؟

... كانت لى يا ولدى تجارب مثل تجاربك ولكن الزمن تبدل ، وما كان محرما علينا أصبح مباحا لكم ، فقد انتشرت الحريات واستفاضت ، وللحرية فضائلها وامتيازاتها ومآسيها ، وما أود يا ولدى أن تتحول فرحتك التى تنعم بها الآن الى ألم وندم ودموع ، وهدفى لك هدوء الضمير ولكنى اخشى عليك سورات الشباب .



وأنا قلت لك أن مدرسة الحب هي المدرسة العليا فان قلبك سيوافقني على ما أقول فما من شك أنك تشعر أن حبك يصيغ حياتك كلها صياغة جديدة ، ويجعلك تشعر أن الكثير مما كنت تعتقد استحالته أصبح ممكن التحقيق ، ذلك أنه عندما نحب ، وعندما نحب فقط ، تستيقظ الحياة من سباتها وتروح تفتش عن آمالها ، وتحلق لتجوب سماواتها ،.. وبدون حب نحن ملتصقون بتراب الأرض .

وليس هذا كل ما أريد أن أقوله لك ، بل أنني أسطر لك هذه الرسالة ، لأذكرك بالخيال وأحذرك من الخيال ، وأقص عليك بعض تجاربي وكل أملي أن تنتفع بما سأقصه عليك وتتجنب الأخطاء التي وقعت أنا فيها ثم ندمت ، ولولا أنني أصلحت أخطائي قبل فوات الأوان لبقيت فريسة الندم حتى الموت ...

لعلك سمعت وقرأت — وما أكثر ما يكتب وما يقال — أن المرأة هي اللغز الأكبر الذي يحير العقول ويدهش الألباب ، وأنها الملاك الرحيم والشيطان الرجيم ، فيها نور النهار وظلمة الليل ،

رقة النسيم وهول العاصفة ، حرارة النار وبرودة الثلج ، سذاجة الحمل ودهاء الافعى ، وفيها من العسل طعمه ومن العقرب لدغها ، ومن الورد لونه ومن البحر عمقه ومن النور ضوءه ... الى آخر ما قيل مما لا يحصيه عد ...

لعلك قرأت كل هذا او لاحقته بتساؤل وتعجب اين الصواب واين الخطأ ! .. الا فاعلم يا ولدي انها كل ذلك واكثر منه ...

اتراني زدتك حيرة على حيرة ؟ ارجو الا تعتقد ذلك فما اردت الا ان ارسم لك معالم الطريق الواضح المستقيم ...

وقفت مرة على قول جميل هز اعماقي وما زالت ذاكرتي تعيه وتحرص عليه ، ولا ادري من قاله ولكنه في نظري من احكم الحكماء ، قال ذلك القائل : ان المرأة هي العمل الوحيد غير الكامل الذي تركه الله للرجل ليتمه او يبدله ...

الا توافقني ان ذلك القول صحيح في كل حرف من حروفه وانه مفتاح كل تلك الاوصاف السالفة التي وصفت بها المرأة ؟؟

ان التي ربطتَ بين قلبها وقلبك بشر مثلك ومثلي ومثل كل الناس ، اعلمك يا ولدي انك ستعارضني وتقول انها ملاك من السماء ، فذلك هو اقل ما يفعله الحب بقلوبنا وعيوننا ، وليس ذلك وهما على اطلاقه ، فلا شك ان الحب اعمى كما يقال بل ان الحب وحده يبصر ما لا يبصره غيره من حقائق في هذا الوجود . فانت وحدك تستطيع ان تنظر الى فتاتك وتراها على حقيقتها كما خلقها الله ، اما الناس فسينظرون اليها كما ينظر الناس الى سائر الناس ، نظرات سطحية لا ترى شيئا ، واذا رأت فلن ترى الحقيقة لانها نظرات مادية دنيوية تمليها الاهواء والمصالح والرغبات ، وانت تعرف ان كل هذه المطامع والاغراض تسدل على العين ستارا فلا تجعلها ترى الا ما تريد ان ترى ، اما انت وهي فكل منكما يرى الآخر على حقيقته : تتفاهمان بلغة العيون وتتبادلان بها معاني ارق واسمى من ان تتناولها الالسنة ، فتحس وانت تطل في عينيها ان الحب معجزة تعز على الالفاظ ... تتأمل قسماتها وملامحها فتحس ان السر الالهي قد انحصر في قلبها وشاع في كل جوارحها وتألق في وجهها فاضفى عليها ذلك السر القدسي وجعله اعمق وابدع واثمن من كل ما في الحياة والطبيعة والفن من روائع ومعجزات ، ان الحب ليس اعمى يا ولدي بل انه يبصر ما لا تراه العيون وذلك يؤكد لك ان الحب معجزة تتجدد على مر الايام . من الحب صاغ الله هذا الكون الكبير ، ومن الحب صاغ نواميسه وسننه التي لا تتبدل ، فاذا ما حل الحب في قلبك اصبحت الوشائج بينك وبين الكون اقوى واعمق واشمل ، ذلك لان الحب هو تآلف ارادة المخلوق مع ارادة الخالق وهل هناك اسمى من ان تحل ارادة السماء في قلب ابن الارض ... الا تحس مصداق ذلك في قلبك يا ابني ؟

اني لا اوافقك على ان التي تحبها ملاك من ملائكة السماء ، انها بشر مثلنا اي جسد وروح .. ذانكما العنصران اللذان تواجدا معا كي يظلا متنافرين الى الابد ومن تنافرهما انبثقت طاقات الحب ومرارته واصبح لذة والما ، شفقة وقسوة ، حنانا وبغضا ، احتراما واحتقارا ، غفرانا وقسوة ، دهشة ولهفة واشتياقا .

هل فكرت اي طريق تختار ، اي هذه العناصر ستتصل او تلتقي به ؟ الدمع شوكا يا ولدي ولكن لا تخالط مشاعرك ، لا تنتظر ان تجني غير الشوك ، او الدمع وربما عطرا طيبا وارويه من اخلاصك وحنانك وآمالك وثق انك ستجني منه سعادة وهناء ومحبة وصفاء وتضحية واخلاصا . واعلم ان الفتاة تنظر الى كل رجل الا من تحب ، انها في يده مثل العجينة الرخوة ، لا عن غواية او شهوة ، ولكن بحكم تكوينها وطغيان عواطفها : ان كل لمسة او نظرة او كلمة من الحبيب تروي ظمأ قلبها وتسعدها والامر يختلف كل الاختلاف عند الرجل بحكم تكوينه المختلف وقدرته على السيطرة على نفسه .. الى حد كبير ... وهو المسؤول اولا ـ اذا كان يحب حقا ـ عن صيانة زهرة الحب من الولوغ في وحل الشهوات .

وساحدثك الآن عن تجربة مرت بي وتركت في نفسي اعمق الاثر ... كنت في ذلك الحين في السابعة والعشرين او الثامنة والعشرين من عمري ولم يكن قد مضى على اشتغالي بالتدريس اكثر من عام ، وكان من اتصل بي قد عرف حبي واخلاصي لمهنتي .

ويوما ما عهد الي بتدريس احد الطلاب في منزله مساعدة له على اجتياز امتحان الملحق ... وكانت هي اخته ، وظل الحب ينمو في قلبينا حذرا متمهلا حتى تمكن تماما ... وملا كل فراغ قلبينا

... ولم نعد نكتفي باللقاء في منزلها ... ذلك اللقاء الصامت المعطر بل كنا نلتقي خارج المنزل ونمضي خلوات طويلة سويا .

وكانت فتاة ساذجة طيبة القلب ، وضعت كل ثقتها فيّ ، واحبت عيوبي واخطائي قبل ان تحب صفاتي الاخرى ، وكانت تطيعني كظلي ولا تختلف معي الا عندما اعمد الى تأخير موعد بيننا يوما او اثنين فتثور وتصر على تقديمه يومين او ثلاثة .

ومرت الايام وكان يبدو عليها القلق احيانا ، ولكنها لم تكشف لي يوما عن مخاوفها ، بل لم تقل اكثر من انها كانت تدعو الله ان يرزقني توفيقا ونجاحا حتى تتحقق كل امالي .. وامالها ... هذا في الوقت الذي بدأت اخرجها فيه من دائرة آمالي ، ولا ادري لماذا ؟ ذلك هو الالتواء الذي ابتليت به الطبيعة الانسانية ولا نعرف له علاجا او تفسيرا . انني افكر في امرها الآن في شيخوختي الهادئة والوم نفسي ولكنه من المستحيل ان تعثر على قلب واحد مثل قلبها بين كل الف قلب . كان قلبها مليئا بالاخلاص العميق الوحيد الذي لا ينضب ولا يتبدل ولا يتزعزع . ألم يكن في ذلك ما يدعوني الى التمسك بها في هذه الدنيا التي تعج بالغدر والخيانة والتقلب ؟

ولكن دعني اقص عليك ما حدث ... لقد بدأ الملل يتسرب الى قلبي ، وخلقت لنفسي آلاف التساؤلات للتخلص منها : بدأت اكتشف ان جمالها لم يكن رائعا فتانا ... ان انفها كبير نوعا ما ... ان هنالك اقواسا داكنة تحت عينيها ، وان شفتيها رفيعتان اكثر مما يجب وحاجبيها مقترنان شيئا ما .

وبدأت الاحظ في كثير من الضيق ان ثقافتها ليست من النوع الرفيع ... انها لا تستطيع ان تناقشني في كل شيء او تفهم كل ما اقوله لها .. ونسيت انني كنت اكبرها بعشر سنوات على الاقل وانني انفقت كل عمري في القراءة ... لقد نسيت قلبها الذي لا مثيل له بين القلوب .. ان مرور الزمن اسقط من بيننا الكلفة وشيئا فشيئا بدأ يسقط من حسابنا الحياء . واحب ان اصارحك واخبرك اننا لم نقترف اثما او نقع في خطيئة ، وكنت احس تماما وهي بجانبي ان الرغبات قد استبدت بي معها واصبحت تكبح جماحها وتحرمها من السلام . كان ذلك ظاهرا جليا في ضيقها ، وعصبيتها كلما كنا نلتقي احيانا سالمين وكأنها

وبدأت تذبل دون ان تفطن الى سر ذلك التغير الذي طرأ على حياتها ، ودون ان تدرك انني كنت المجرم الاثيم الذي سبب لها كل ذلك .

ودامت العلاقة بيننا فترة اخرى بقوة الاستمرار وحده .

واستمرت لهبا في نفسي احتقارا هائلا ، واصبحت اشمئز من تصرفاتها واحاديثها وحركاتها ... ولم اقل لنفسي انني كنت شريكها والسبب الاول في كل ذلك ، كنت اريدها ان تتصرف تصرفات الملائكة الاطهار في الوقت الذي كنت ادق فيه على اعصابها نغمات صاخبة والهب دمها بكل ما يثير الرغبات ...

ثم اتى يوم قاطعتها فيه ورفضت ان اراها ... وظل قلبها حتى ذلك الحين باقيا على ولائه واخلاصه لي ، ولكنني عميت عنه كما عميت عن ضميري ، ورضيت لنفسي الظلم والانانية والصلافة . وحاولت بكل ما في وسعها ان تسترضيني فلم تستطع وتمثل لها حينذاك ذل الحب ومذلته ... توسلت الى اصدقائي الذين سبق ان قدمتها لهم وارسلت الى اختها عدة مرات وبعثت الي بعشرات الرسائل التي لم افتحها .. بل كنت امزقها مغلقة مع اختها ... فتحطمت وتحيرت ولم اكترث لما سببته لها من ذل وهوان ودموع ، ومع ذلك لم استطع ان اطرد صورتها من خيالي .

وكنت قد ابتدأت الهاما آخر ... وساقني التيار الى بعيد ولم تكن العودة سهلة ، ولم اكن اريدها برغم خيالها الذي كان يلازمني خطوة خطوة ..

تلك قصتي يا والدي بين الحسان ... وكنت اقول لنفسي لكل مليحة مذاق .

هذه هيفاء لا يثبت عودها اللدن على حال من فرط الرقة . وتلك ممشوقة القوام مشرئبة الصدر مشيتها موسيقى تحكيها السماء . واخرى فمها دقيق رقيق ... ورابعة كانت ضحكتها تثير في قلبي فرحة الدنيا . والعيون يا والدي ... هل استطيع ان احدثك عن العيون ؟ لو استطعت لعرفت كنه الحياة وسر الوجود : العيون السوداء وسحرها الآسر الفتاك .. والعيون الكهرمانية وسرها الدفين الذي لا يدرك كنهه .. كنت احدق في عيونهن واحس انني تائه في بحر الظلمات غريق ولا يفكر في النجاة .

لم افكر يوما في الالم – ولعل بعض الفتيات تألمن مني من أجل ذلك – ولا تعجب – ، ولكن روحي كانت تهتز ، وما زالت ، امام الجمال بمختلف صوره واشعر في قرارة نفسي وانا اتامل حسنه .. انني اصلي ، ومرت الايام وانا غارق في مغامراتي ولا ابحث من الشاطيء .

ولكن شبح القلق بدأ يلوح في افق خيالي من جديد ... كنت احس بان شيئا ما ينقصني ... ترى ما هو ؟؟؟ ... هناك نقطة حائرة بدأت تتململ في اعماق ضميري ... ورحت ولهانا عني أسعى وراء ذلك المجهول فعلي اظفر به واحظى بالسعادة التي افتقدها لنفسي .. .

وبدأت تتضح لي معالم شيء ما ...

لم يكف طيف الحبيبة الاولى عن زيارتي بين حين وآخر .. ظل مطلعها وفيا كما كانت هي مخلصة وفية .. كان يذكرني بها وبطيبة الحال – وبهما حاولت صده وابعاده – كنت اجد نفسي استعيد ذكرى ايامي معها ، ولا ماثالني والحاضر يجريان معا في خاطري . ولا بد من المقارنة . ورشيئا فشيئا تأكدت في نفسي حقيقة غابت عني طوال تجاربي الماضية .

تأكدت ان كل من عرفت من فتيات بعد الحبيبة الاولى لم يستطعن ان يقدمن لي لحظة واحدة من لحظات السعادة الهنيئة التي طالما احسست بها مع تلك التي تعرفت على حبها .. لقد كانت علاقتي بها علاقة حب ، اما العلاقات التالية فلم تكن حبا على الاطلاق ، ذلك ما اكتشفته .. لقد كنت استمتع بتلك الفتيات كما كنت امتع نفسي بمنظر العصافير الملونة مثلا ، او صنوف الازهار في الربيع . ولكن قلبي لم يشاركني في تلك العلاقات مشاركة جدية . وهكذا كانت تمضي سريعا دون ان تخلف في النفس آثارا . اما حبي الاول فلقد زهدت فيه لاني لم اصنه ، عبثت به وشوهت صورته ولقد عملت شرها به . ادركت ذلك . اكتشفت كل هذا وشعرت بالقلق ووخز الضمير وتحققت اني ضيعت ماردانني اثمن واجل ما اشتملت عليه حياتي ..

ومضت بضعة اسابيع دون ان تهدأ خواطري او تستقر ، واحيانا كانت خيالاتي الاليمة تعربد في رأسي وحسي وتذكرني بها في كل ساعة ، وكنت احس انها تعاني مثل ما اعاني بل واكثر .

وفجأة اخذ ضميري يستيقظ شيئا فشيئا ، ثم اخذت افكاري تستقيم وتعتدل – ولا تعجب فذلك عنصر الخير كامن في كل نفس – ثم ادركت فداحة ما اقترفت من اثم في حق تلك الفتاة المسكينة التي وهبت بي ثقة عمياء .. والتي كانت تعيش في سلام مع نفسها وقبلت ان ترهنها ، فظلمت بين عواطفها وارادتها حربا لا تهدا ، وسمعت تفكرها وعوتت عليها المستقبل ، واحسست بمسئوليتي واستيقظ ضميري . وكنت في اعماق نفسي اخشى ان تقع فريسة سهلة للذئب من ذئاب البشر .. الا تستطيع ان تكبح جماح نفسها اذا وقعت في يد شاب عابث .. لو حدث ذلك وعلمت به فلظللت طول العمر تعسا شقيا فالمجرم الحقيقي هو انا ..

واشتقت من جديد ان اعرف ماذا فعلت بها الايام وسبيت ان القاها . وكنت يائسا من ذلك ، فاقل ما كان ينتظر منها ان ترفض حتى ان ترد على التحية ، فقد قاطعتها بطريقة تجرح الكرامة جرحا لا يبرأ .

ولكن الاقدار استجابت لرغبتي الصادقة فقد قابلتها في الطريق يوما ما ، وابتسمت في وجهها دون وعي مني فابتسمت ، وكانت جلسة طويلة احسنها جلسات .

تصور يا واشي انها قالت لي دون تصنع او افتعال ان الحب يظل في قلبها كما هو لانني لم ادنسها او اغيرها في عفافها .. هل قرأت او سمعت ان الحب يغتفر كل شيء .. ان هذه العبارة تظل تطن في الرأس شيئا لا معنى له حتى تصادف مثل هذه التجربة فتحس بقلبك يهتز اجلالا واكبارا لكل ذلك الاخلاص النادر في دنيا تموج بالالم والشرور .

وبعد ان استنفدنا ملاكنا قلت لها .

– هل تسمحك الفتاة بالاعتذار عني بعد ما كان مني ؟

فقالت لي بنفس البراءة والبساطة :

– وهبنا فعلت .. اتراها تستطيع ان تمحني.؟

واقسم قلبي الندم وانا استمع اليها .. ثم قصت علي انه قد جاءها خطيبان ولكنها رفضت لانها اصبحت كافرة بالرجال .. بسببي ، ولكنها لم تكفر بي ، فانظر كيف يسمو منطق الحب على منطق التجربة والامر الواقع ..

تأمل يا اخي كيف يفترض الحب في الطبيعة البشرية النقاء التام ، يفترض الخير كله ويؤمن

به ايمانا كاملا ويسعى لتحقيقه ، ويرفض الاعتراف بالشر حتى حين يكون الشر امرا واقعا يصطدم به ويعثر فيه .. ذلك هو الحب يا ابني .. كأنه يقول ان البشر والملائكة سواء بسواء ، وكأنه يدفع البشرية الى الامام ملايين السنين .

هكذا علمتني فتاتي قداسة الحب ، وعلمتني التمرد حتى دان لها ، وشفتني من الحماقة والرعونة فكان ذلك هو الملاك الثاني الذي حدثتك عنه في مستهل هذه الرسالة ، فقد شعرت حقا انني بعثت بعثا جديدا .

وبدانا نبني من جديد على انقاض ماض فيه ما يسر وما يسوء ، واشتقت الى ان اكفر عن ذلك الماضي فوجهت همي الى تلك الغاية .

وكانت تجربة عنيفة : لقد سألت نفسي اتراني استطيع ان احيي فيها الانسان النبيل كما سبق ان ايقظت فيها الحيوان الاهوج ؟؟

انني لم احاول ان انكر ان لها جسدا — مثل كل انسان — له رغباته ، ولكل شيء وقته واوانه ، واشعرت نفسي انه الى جانب ذلك الجسد ، قلب يدق وعواطف طيبة تنتظر الزوج الذي تزويها من حنانها لتستيقظ وتنمو وتثمر اطيب الثمار .

وقد نجحت التجربة والحمد لله .

وفرحت لانني افلحت في اصلاح ما افسدت .

واعترفت بغلطتي لنفسي .. وكنت قد ظننت حين انصرفت عنها انها قد فسدت وتهورت ولم تعد الا جسدا يشتهي فاذا بي ادرك بعد التجربة ان الامر على عكس ما تصورت : لقد نضجت عواطفها الاخرى ، ورأيت فيها الوداعة والرقة والحنو والتحشم ، والرغبة في الحياة الهادئة النظيفة ، برغم البركان المحموم الذي ظل يضطرم في اعماقها فترة طويلة .. والتقت عواطفنا واماتينا مرة اخرى بعد ان طهرتها التجربة النفسية القاسية التي مرت بنا .. وهنا اطل الحب برأسه ، كشف لنا عن معجزته الخالدة : في تلك الاوبة فقد اكتشفت نفسي .. شعرت بآفاق حياتي تتسع . احسست في اعماقي من المشاعر والاحساسات ما لم اعهده قبلا قط .. تفتحت مواهبي وتضاعف نشاطي واصبحت حياتي املا وخصبا واسعد مما كانت عشرات المرات .. احسست انني ارقى وانبل مما كنت ، ووطدت عزمي على المحافظة على مستواي والا اقدم ابدا على ما يخدش كرامتي او يجرح تلك الفتاة التي ركنت الي ، وبالاختصار عرفت سعادة الحياة وتمنيت ان يشركني فيها جميع اهل الارض او ان ارشدهم اليها وابوح لهم بسرها ، وسرها هو الحب اذا ابقينا له قدسيته وطهارته .

وشرعت ارسي اسس حياتي الجديدة بعزيمة لا تكل ومرت الايام واصبحت زوجا ورب اسرة سعيدة .

تلك الفتاة التي حدثتك عنها يا ولدي هي امك فهل رايت اعف وانبل منها ؟ هل رايت اكثر منها اخلاصا لي ولك ولسائر اخواتك ؟ لقد كانت بحق الرفيق الامين الذي شاركني معركة الحياة في حلوها ومرها ، لقد تحملت معي الاعباء ولم تحاول يوما ان تثقل فوق طاقتي بل كانت على استعداد دائم للتضحية من اجل راحتي وهنائي ، وسعادتك انت واخوتك .

وما زلت الى الآن التمس ذلك روحي في عينيها الكهرمانيتين الواسعتين ، اعمق في صفائهما العجيب الذي لم ينل منه الزمن فتجزي الطيبة والاخلاص ..

تامل وجهها يا ولدي .. لقد انتشرت فيه التجاعيد وزحفت السمائه ، التي يحيط بها الشعر الابيض بفعل قسوة الزمن وزحفه الذي يتحول .. فقله مرة اخرى لترى كيف تشع الروح من خلال المادة . لو تمعنت في وجه امك مع لحظات الشروف لنرى انه من لحم ودم واستغرقك المعاني العريقة العميقة التي تشع من قسماتها التي عايشت الزمن ما يقرب من ستين عاما .. هذه المعاني الكبيرة التي تصنعها التجارب من القلب الطيب والروح النبيل والافكار السليمة لها جمالها الروحي العريق مثلها مثل الخمور الجيدة المعتقة لا يصنعها الا الزمن وحده .. انا لست اقول انني انظر الى وجهها الآن في جمال الخريف واستمتع به متعة لا تقل عن كل ما استمتعت به في ربيع الشباب فصدقني يا ولدي وارجو ان يمتد بك العمر حتى تدرك وتتذوق فتنة الخريف هذه ، فتنة الثمرة الناضجة التي لا وظيفة لها الا ان تهب نفسها ، كما تستمتع الآن بفتنة الربيع ، فتنة الزهر المتوهج والعطر الذي يسكر القلب والروح .

والدك

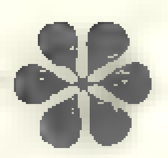
القاهرة نصري عطا الله



هدية بالمجان:



من روائع
الفن العالمى



عزيزي القارئ

● مضى على ظهور « العربي » ، بحلول أول ديسمبر هذا الماضي (كانون الأول) اثنا عشر عاما كاملة ، فنحن إذ نحتفل في أول يوم من عام ١٩٧١ بعيد ميلاد « العربي » ، فإنما نحتفل بعيد ميلاده الثاني عشر . ومن الطريف أن نتلقى رسائل من صغار الأعمار يقولون ويعلنون أنهم ولدوا مع «العربي» حين ولد .

● ولا نزال واقفين بالعربي عند ١٥٠ ألف نسخة نصدرها في الشهر العادي ، وعند ١٥٠ ألف نسخة نخرجها في أول العام . وما زالت الأسواق تطلب المزيد مضاعفا ، ولا تزال «العربي» تباع بضعف ثمنه في بعض الأقطار ، ولا تزال تعجز وتعجز وسائل الطبع الحاضرة عن الوفاء بحاجة الأسواق .

● و « العربي » تحاول دائما أن تبتعد عن أن يكون له صفة الصحافة اليومية ، التي تعتمد على الخبر ، وعن الصحافة الأسبوعية ، لتبقى أكثره للثقافة وقيمها الدائمة خالصا . ولا تزال عند أبواب للثقافة ثابتة ، ثابتة العنوان ، مختلفة المحتوى . وبعض رأى أن الصحافة لا تحيا إلا على التغيير ، واقترحوه علينا ، قلنا ماذا نضيف وماذا نحذف . قالوا أضيفوا بابا للمعارف ، وبابا للرياضة البدنية ، وبابا لنجوم السينما ، وبابا لتعليم التنس . قلنا هذه لا تنسجم مع ما نحن فيه ، ومع هذا فلها صحفها ووسائلها . فماذا نحذف .. وهنا احتار طالبو التغيير . فحمدنا الله أن الحيرة وقفت بهم عند أبوابنا الثابتة فلم يجرأوا على تغيير شيء منها .

● ومع هذا فنحن لم نقف أبدا بصورة « العربي » عند صورتها الأولى . إنما هو تطور مستمر لا فجاءة فيه . ومن ذلك أن صورة الغلاف ستتبدل من العدد القادم . ستختفي صورة المرأة العربية ، لتحل محلها صور يرى الكثير أنها أكثر اتفاقا مع دنيا العرب ، دنيا الرجال .

فلك يا قارئ العربي ، تحية العام ، ومزيدا من التوفيق بإذن الله .

« المحرر »



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

[illegible]

- حديث الشهر [illegible] الوحدة [illegible] ٨
- [illegible] إلى مخالفيها عقيدة [illegible] الفقه الإسلامي عام ١٩٦٧ ٤٢

[illegible]

- صفحة وجدانية كتبها ديجول في عزلته ١٠
- تحقيق المخطوطات ضرورة لإحياء التراث العربي ٤٧

[illegible]

- الإنسان .. كيف يواجه الطبيعة ٥٨
- [illegible] والعرب ١٥٤

[illegible]

- [illegible] بالألوان ٢
- [illegible] بالألوان

[illegible]

- [illegible]
  [illegible] ٢٥
- في سبيل موسوعة علمية [illegible] ٦٨
- [illegible]
  [illegible] ١٤٢
- [illegible]
  [illegible] ١٦٠
- [illegible] ١٤٧

[illegible]

- [illegible] الأوسط [illegible] ٩٢

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

[illegible]

العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون [illegible] ـ تلغرافيا « العربي »

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

المراسلات: تكون باسم رئيس التحرير

- الفكر ليس وقفا على الفلاسفة ٥٠
- الإنسان في مواجهة الطبيعة ٥٨

- [illegible] بطوطة .. رحالة العرب [illegible] ١٦٣
- فلاسكير .. رسام [illegible] الأول في التاريخ ١٣٦-٢

- [illegible] (قصيدة) ٤٦
- [illegible] (قصيدة) ١٠١

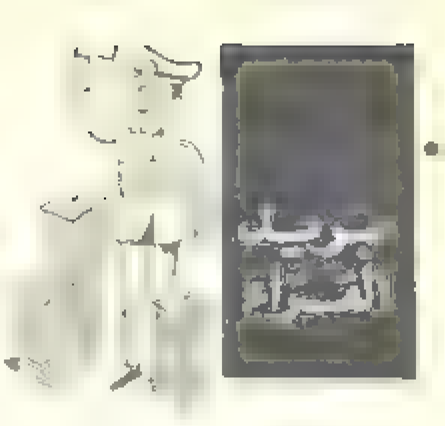
- [illegible] .. [illegible] والكهول .. الأزواج والعزاب منهم رجالا كانوا أم نساء ١٢٨

- [illegible] .. القصة الفلسطينية [illegible] ١٥٠
- مكتبة العربي ١٥٨

- أحسن [illegible] .. قصة [illegible] ١٢١
- [illegible] ٧

- عزيزي القارئ ٣
- بريد القراء ٩
- نتيجة مسابقة العدد ١٤٤ ١٩
- طرائف عربية ٤٨
- مسابقة العربي ٥٦
- طرائف غربية ١٣٦
- [illegible]
[illegible] ١٧٨

ثمن العدد: بالكويت ١٠٠ فلس - الخليج العربي ١ ريال [illegible] - [illegible]
٢ [illegible] العراق ١٢٠ فلسا - سوريا ١٠٠ قرش - لبنان ١٠٠ قرش
الأردن ١٠٠ فلس - السعودية ٢ ريال - السودان ١ [illegible] - ج.ع.ي ١٠
[illegible] - تونس والجزائر ٢٠٠ مليم - المغرب ٢ درهم - [illegible]
ليبيا ١٥ قرشا
الاشتراكات: للاشتراك في المجلة [illegible] الاشتراك بالشركة العربية
للتوزيع بيروت [illegible] - ص.ب ٢٢٢٨ [illegible]
[illegible] العربي



بينما يريد القراء هنا بالخطابات التي ... وبحسب برنامج العربي من حيث مقالاته وما يراه القراء في أمرها . ونعتذر عن أن القراء يتحدثون دائما عن رئيس التحرير . ورئيس التحرير يقول أن العمل . عمل جماعي ، كل له فيه نصيب .

مزيدا من العلم !

● ... من قراء مجلة العربي ... [illegible] ... وخاطرى بعض الافكار حولها ، اعرضها الى عليكم

[illegible]

[illegible]

٤ ــ حديث الشهر ، باب لا يستغنى عنه .

٥ ــ في كل عدد نكتفي بقصة واحدة سواء كانت موضوعة أو مترجمة أو من غرائب القضايا .

٦ ــ « وحدة الله سراول في وحدة خلقه » باب رائع وعظيم نرجو أن تعودوا إليه ، بعد أن جاءت الأعداد الأخيرة خالية منه

٧ ــ المواضيع الفلكية التي بالترام نشرها منذ العدد (١٣٦) مواضيع هامة ، وحاجتنا اليها ماسة ، لذلك نرجو الاستمرار فيها .

على ستار حسني القاسملي

الزواج المبكر

● ... حديث الشهر لرئيس التحرير بعنوان « ... » في العدد ... من مجلة العربي وليس المجال هنا مجال مديح . فانا مهما كتبت ، ومهما قلت ، فلن أستطيع أن أوفي تلك الاحاديث حقها ... [illegible] من أجل تأبيده وتأكيده ، هو تلك الحلول التي [illegible] باهل الزوج للصبي . فما دام الزوجان في غربة أو حاجة ، فالمال أقل منهما هو العامل الفاعل .»

رأي ، لو طبق ، لاستطاع مجتمعنا أن ... فيما يصبو اليه من رقي وتقدم فهو الوسيلة الوحيدة لصيانة أخلاق شبابنا وبناتنا .

طالب في جامعة ... [illegible]

ليبيا في عهد الثوره

● لا تنسوا ليبيا الثورة ، إننا نرجو أن نرى قريبا على صفحات مجلتنا الكبرى « العربي » استطلاعا لمدينة من مدن ليبيا في عهد ثورتها المباركة . إنه رجاء نتقدم به نحن أبناء طرابلس لمجلة العربي ، مجلة كل عربي .

... الفيتوري

طرابلس ــ ليبيا

● [illegible] الأسلوب العلمي [illegible] المحرر [illegible] للمقالات العلمية [illegible] الدكتور [illegible]
توجيه حياتي ، فقد عشقت العلوم والتحقت بكلية العلوم ، وتخرجت بدرجة الامتياز وعينت معيدا بالجامعة التي كان الدكتور زكي مديرا لها ، ثم سافرت الى اوروبا وحصلت على التخصص في العلوم الجيولوجية ، ثم الدكتوراه ، وعدت الى الجامعة لاعمل فيها مدرسا بقسم الجيولوجيا .

وطوال هذه الفترة ، فترة دراساتي ، لم يفتني قراءة شيء من مقالات رئيس تحرير العربي وكتبه .. واود أن اسجل هنا ان الفضل الاول والاخير في اجتيازي لهذا الطريق يرجع اليكم .. وقد طرقت اخيرا باب الصحافة لاكتب ، ولم يكن غريبا بعد هذا ان اسير بخطى استاذي الذي تأثرت به وتتلمذت على يديه دون ان يعرفني ، فرحت اقدم المقالات العلمية باسلوب مبسط ، محاولا ان اقلده [illegible] في الكتابة

علي صادق عبد الواحد – القاهرة

* * *

اكتبوا لنا موضوعات اقتصادية

● ان مجلة العربي تكتب في مختلف فروع العلم والادب والفلسفة والثقافة الى آخره ، ولكني اعتقد ان هذه المجلة العظيمة التي سارت بفضل جهودكم الجبارة خطوات سريعة قوية الى الامام ، ينقصها في رأيي فرع هام الا وهو فرع الاقتصاد ، ارجو ان تنشروا لنا موضوعات اقتصادية مدروسة على غرار ما تنشرونه لنا من موضوعات في شتى مجالات العلوم والحياة ، كما ارجو ان تقدم لنا العربي بعض باب الدين والاستفسارات ، [illegible] [illegible] من كبار [illegible] الله

عبد الله عبد الكريم عبد الله – بنغازي – ليبيا

(العربي في اندونيسيا)

● كان لقاؤنا لاول مرة بمجلة العربي [illegible] [illegible] الى [illegible] من [illegible] المملكة العربية السعودية [illegible] الحج [illegible] الله الحرام [illegible] [illegible] هذه المجلة العظيمة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا تعيبون وكيلا لتوزيعها في اندونيسيا [illegible] الاسلامي ، حتى يسروا عملية اقتنائها لكل من يريد أن ينهل منها صاعا له .

[illegible]

[illegible]

* * * ماساة زوجة * * *

● اود ان اعرض ماساتي كاملة وارجو ان تنشروها لكي تكون في نشرها عظة ودرسا للكثيرين من ذوي القلوب المتحجرة . قبل ان ابدا قصتي اود ان اتساءل لماذا وجدت المرأة .. هل وجدت من اجل ان تكون متعة في البيت يتلذذ بها الزوج كما يشاء ؟ ام انها خلقت اساسا من اجل الامومة ؟

والآن الى سرد ماساتي التي تتلخص في انني تزوجت من قريب لي ، زواجا اجبرني عليه الاهل واستمر هذا الزواج ١٥ عاما ، ولم ننجب اطفالا ليس بسببي عيب فيّ ، ولكن لان زوجي هو الذي لا ينجب ، وبدأ شعور الامومة فيّ يتحرك كلما مرت السنون وكلما بدا الامل في شفاء زوجي يتضاءل ويتضاءل . وبدأت افكر في ان احصل على الطلاق منه فانا اريد ان اقوم بالدور الطبيعي الذي من اجله خلقت المرأة .. اريد ان اصبح اما ولكن الزوج القاسي يرفض الطلاق ويتمسك بي .. وانا الآن يائسة من حياتي انني اعيش في جحيم اريد الخلاص منه فما الطريق الى ذلك ؟

[illegible]

العربي : الاسلام يبيح الطلاق في مثل هذه الحالة ، وكذلك [illegible] المسيحية [illegible]

(البقية صفحة ١٨١)





● ما امراضنا
الا عرض لمرض
اكبر الاعراض

● ان نسأل
عن المرض
فهو التخلف

● ارضكم فراغ فراغ
أيها العرب
فاملؤوها ما استطعتم
ثروة من سر

● فرقوا بين العرب بقولهم
رأسمالية واشتراكية ،
وجمهورية وملكية ،
وصلوا السبل بالذي قالوا



■ هذا اول العام الجديد قد أشرف ، وسألوني : متى تكتب كلمة هذا العدد ؟

واسأل نفسي ... وهم يصرخون أن اكتب !

وعودي : وهل في غير حضور الناس ، ... انتي ، تكتب الكاتب ، وعند الى عام يعروب ، واتى عام باشراق .

السنون سواسية

... ليختلف عن عام يؤذن بغروب ، والسنون سواسية .

ورحت أؤكد لهم ان عاما هم اليوم فيه ، لا يختلف في كنهه عن عام ولد فيه أجدادهم ، او ماتوا فيه، ولا عن عام ولد فيه ... ، ولا عن عام بعث فيه محمد او ... فيه عيسى الى السماء . وكيف اذهب الى آدم لأقول انها سنون سواء . انما الناس هم الذين يحملون من السمير الأبيض والأسود ، وما بين ذلك من شيات . وهي الوان لا تخرج يوما عن تصورهم الى أرض أو سماء .

الطبيعة ما اجملها

... ، والطبيعة جميلة ، والطبيعة ممتعة ، استطيع ان أحس انا اليوم انفاسها بمثل ما أحس نوح ، لو خرجت وحدي اليها كما خرج نوح في ... في وعاء عظيم من خشباء . والشمة هي في ... ولي أمرها صحيفة صفراء ... السماء . وريح ... والعلة لا تستجيب الا في ريح . وشجر وعشب ، وطير غرد . كلها حقائق ... نحن ، احفاد لآباء قديمة واجداد .

الى المائدة فالصحف

... الصحف ، وانه الحبر ؛ تكشف عن وجه الحياة الأحمر ، حياة الناس . ليس ... مع الطبعة الحمراء ما مر كل هذا الذي أقرأ ، ولكن في سبع الناس يريد أن يعتزل ، ويبني علينا طبيعتنا أسرار . ذلك لأني أنا الناس ، وأنت الناس ، فكيف تخرج من جلودها ...

قيم في الحياة نغالي في تقديرها

واعود فاقول لعل الانسان منا ، عندما يمارس الحياة ، يعطي لها فوق قيمتها . وهي تتزيد رفع القيم ، قيمتها هي . ان الحياة تربطه بالدنيا تربطه كالحوافز شداد حداد .

ان الانسان جزء من الطبيعة ، ولكنه يخرج بحياته « المجيدة » عن جوهر الطبيعة . الطبيعة سكون وسكوت ، وحياة الانسان « المجيدة » لجب وصخب . والطبيعة في سكونها وسكوتها تصنع ما يعجز عن صنعه الانسان اللجب الصاخب .

الرجل على الفطرة يمارس الحياة والموت معا

والرجل على الفطرة يمارس الحياة ويمارس الموت معا ، وعلاقة ما بين الحياة والموت واضحة عنده ، كاختلاف الليل الأسود القاتم عن النهار الأبيض الضاحي . وكما انه لا يبالي ان يغشاه ليل بعد وضوح نهار ، فكذلك هو لا يبالي ان يغشاه موت من بعد انشاء حياة . حب الحياة لا يستعبده ، وكراهة الموت لا ترهبه .

خروج العرب الى الدنيا

والمؤرخون يتحدثون عن ظاهرة خروج العرب من صحرائهم ، وانساحهم على الدنيا ، او انفتاح الدنيا لهم ، والواقع انه لم يمض قرن فقرن حتى ملكوا الدنيا . ملكوا اكثر واخطر ما عرف منها وبان لهم اباطرة ودانت ملوك .

واختلف المؤرخون في سر هذا .

والسر عندي ، اول السر ، هو الفطرة التي كان عليها العرب ، اعني ممارسة الحياة والموت معا . يخرج الرجل منهم لغزو وهو لا يعلم يموت أم يعود . فاذا مات فالأطفال حاضرة ، والزوجة حاضر موفق جنة الخلد ، وانا لله وانا اليه راجعون



بعض العرب المعاصرين يخرج في الطبيعة وهم لم يمارسوا الحياة ... سقط في المعركة ... وإنا لله وإنا إليه ...

واليوم العرب ، بحكم الصفة المتداولة على القرون ، غشوا الصحراء ودوخ الصحراء ، وساهد ما بينهم وبين الفطرة . ومارسوا الحياة كثيرا ، ومارسوا الموت قليلا ، ومنهم من لم يمارسه قط . ونشأ في العالم اليوم غيرهم كانت متعتهم روح المغامرة ، فغلبوهم ، واستعمروهم وأذلوهم ، وما المغامرة إلا ممارسة الحياة والموت معا .

فانت اليوم ، إذ تجد في العرب نكوصا ، فسر ذلك كله ، سراً أولاً ، هو استمراؤهم حظوة الحياة ، في أدنى صورها ، وأرخص قيمها ، وأذل جوانبها ، والهرب من ميادين الصراع خشية أن يصيبهم سهم طائش قد يؤدي بهم إلى فقدان هذه الحياة ، ولو تعيسة .

فلعل الشاب الذي كتب يسألني ، عما سر ضياع العرب هذه الفسحة ، واجد في هذا الذي ذكرت سببا

ما ظاهرة لها سبب واحد
وإنما هي أسباب

ولكن الأسباب يستقل بعضها عن بعض ، ويشتق بعضها من بعض ، ويلتحم السببان فيكونان كأنهما شيئا واحدا . وما في ظاهرة انسانية سبب واحد ، ولكنّ بها أسباب .

ما إسرائيل إلا عرض
لمرض كثير الأعراض

وضياع العرب بوطنه الرابط ، في الأيام المعاصرة ، فإسرائيل وهي ورداء

كتب إليّ قارئ يقول : لولا إسرائيل لكان العرب بخير .

والحق أن إسرائيل لم تكن سببا لمرض ، بل هي عرض . إن الجسم المريض قد تظهر أعراضه دمامل تظهر في عنق ، أو قرحة تبين في معدة ، أو جلطة تستقر في دم شريان . وهي كلها أعراض تدلل على علة في الجسم . أن لم تكن هذا ، كان ذاك . وكذلك إسرائيل دمل في عنق ، ولو شطبنا منه فسوف تظهر على التحقيق ، في الجسم غير السليم ، دلائل على الداء الدفين ما أكثرها .

إن تسأل عن المرض
فاعلم أنه التخلف

وإن تسأل عن المرض فاعلم أنه التخلف ، وعجز أكثر العرب عن مجاراة الحياة المعاصرة ، هذا إلى مرض من أمراض الحياة ، مما يورث وبما يعاني ، أو مما يعقل ويختل ، أو من أحاسيس تهدي الحياة حيثما تعجز العقول عن هدي الحياة ، ودرّ في الوطن العربي من رأسه إلى ذيله ؟ ويعتقد ما شبه من ذلك ، لم دريّ في العالم المدني العصري الحاضر ، وهي عرفنا وحدنا شرقيا مثيل أو شبيه له

عربي ، يبيّن لك معنى التخلف الذي نحن فيه ومقداره .

والمرتقى هو كل ما يبنى عليه لتقوم حياة نافعة .

اجرِ هذه المقارنة في زراعة . اجرها في صناعة . اجرها في تعليم وتثقيف ، في مدرسة او جامعة . اجرها في نظام شارع ، ونظام مسكن ، ونظام حيّ ونظام مدينة وعاصمة . اجرها في شركة او في جند . اجرها في محكمة او قضاء . اجرها في مستشفى او سوق . اجرها في جنازة او عرس . واجرها في نجاح او عند خيبة . يبيّن لك ما اسى من فروق واضحة بيّنة .

لو أن العالم العاصر خيّر

ولو ان العالم المدني العاصر عالم خيّر ، لأذن للعاجز ان يعيش الى جانب القادر ، ولأذن للضعيف ان يعيش الى جانب القوي ، ولأذن للفقير ان يعيش الى جوار الغني ، ولأذن للمتخلف القاعد ان يعيش في بعد من المتقدم الناهض ، لجاز للعرب ان يعيشوا طويلا بلا جهد يبذل من اجل تحسين حال ، والناس قد تسرع في الجهل ناعمة فيه راضية به .

ولكن العالم المدني العاصر عالم غير خيّر . انها امم قد تكون خيّرة فيما بين اهلها . ولكنها لا تخرج من حدودها حتى تكشف من انفسها عن ناب ومخلب .

انه عالم يحتقر الضعف ، ويحتقر العجز ، ويحتقر الجهل والفقر ، والذين يقعون فريسة هذه الأشياء لو يستصرخون باسم العدل وباسم الحق ، وباسم الشريعة ، من وضعية وسماوية ، لا يجدون في هذا العالم المدني العاصر اذانا تسمع .

ويعتدي القوي على الضعيف ويجد الضعيف ان كان له صوت يبلغ المدى . واذن تردد له اصداء ، لانه لكل صوت لا بد من صدى . يرددها الضعفاء مساعدة ومسايرة ، واحتسابا ليوم يستغيثون فيه . وتضيع كل الاصداء عبثا . اما الاقوياء من الامم فالقوة مرهونة بمصالحهم . فان اصاخوا فلا نفع لهم . وهم ان اصاخوا او لم يصيخوا ، ليس في نفوسهم غير احتقار الضعف ، واحتقار العجز ، واحتقار هذه الانسانية المهزولة التي لا تجد العون من انفسها ، فتظل تصرخ في طلب العون وهي لا تدري من اي جهة يجيء .

ارض الله

ويقول الضعيف هذه ارضي ، وهذا منبتي ، وفي ضمير القوي معنى يؤمن به قلبه ، ولا يخرج الى لسانه ، لو انبسطت نوبا من التكلم لكان : ما هذه الارض بأرضك ولو عشت فيها الف عام . انها ارض الله . وهي للقوي في كل زمان وكل مكان يكون هذا منطق القوي ، ويؤمن على صوته سائر أقوياء الارض .

ويذكرني هذا بمحاورة حضرتها بين عربي وامريكي .

قال الاول فيما قال ، يحكي عن عرب فلسطين : كيف تستسيغون ايها الامريكان ان تزيح الصهاينة اهل فلسطين ، ازاحة هكذا بالجملة ، عن ارض ملك ارضهم الوف الاعوام

وابتسم الامريكي .

وسأله العربي : لم تبتسم ؟

ولم يُحر الامريكي جوابا .

فابتسمت انا وقلت لصاحبي العربي ، صاحب

ازاحة الفلسطيني عن اراضيهم [illegible] ، [illegible] الامر [illegible] [illegible] الشعب [illegible] اهل فلسطين على ما [illegible] من ارضهم [illegible] من فلسطين



بسم لأنه هو هو اول من بسمسيع الازاحه بالجمله ، ولقد مارسها قومه في القارة الامريكيه حينا طويلا .

اغتصاب واغتصاب

وخلوب بهذا الصحفي الامريكي من بعد ذلك ، نجري بنا حديث الصبح ونجرا .

عدنا الى حديث الارض الغنية ، فأخذ الصحفي يفسر وجه الخلاف بين اغتصاب واغتصاب من غير طائل . وقال عن امريكا انها كانت الارض الواسعة ، وكان فيها الهنود الحمر قلة لا تكاد تبين في تلك الآفاق المترامية . وابوا ان يشاركهم في الغنى مشارك . وان هذا الفراغ معهم على سلام ، عالي .

الهلال الخصيب

قلت ، فماذا كان عند العرب من فراغ ارض تغري بأن يملأه من غير العرب مالئه !

قال : ان الاسرائيليين احتلوا فلسطين لانها سالفة اولى وهم يعلمون ان وراء حدودها القائمة الارض المترامية التي سماها اهل السياسة بالهلال الخصيب Fertile Crescent وهم يرونه الآن من وراء الحدود ليحلب له ريقهم . وهو خصيب باعتبار ما يحسن الطامعون فيه ان يكون من بعد اغتصاب . انه خصيب بخصوبة أرضه ، خصيب بوفرة مائه ، ما هو كان منها وعلى الاكثر ما سوف يكون . وخصيب خصب مثانة ، بما فيه من وفرة زيت ، ما هو كائن منه وما يرجى ان يكون . هلال خصيب به اليوم بضعة ملايين يرجو الطامعون ان يملأه منهم ، ومن انسائهم واعوانهم ، على الدهر ، عشرات الملايين .

ارضكم فراغ ايها العرب

واستمر يقول :

ارضكم فراغ ايها العرب والطبيعة تأبى الفراغ . ان علم الفزياء علمنا ان القارورة ، تفرغ منها هواءها ، فتظل تطلبه حتى يعود اليها . وما تكاد تغفل عن سدادها برهة حتى يندفع اليها الهواء ، وهو صارخ ، كأنما هو يلعن القوم الذين كانوا اخرجوه . وكذا الارض ، لا سيما الخصبة ، وفراغ



الهلال الخصيب وهو يشمل العراق وسوريا ولبنان ، وفلسطين المحتلة
وهو ، في تعريف آخر عند الاكثرين ، يمتد من سهول العراق ذات الرواسب الغرينية ، عبر سورية ، ثم يمتد الى الساحل الشرقي للبحر المتوسط نحو وادي النيل وهو مطمع الطامعين منه سكانه ، وكثرة احتمالات الحياة فيه في العصر الحضاري ، الذكي العاصر .

الناس منها ، وتكالب الناس عليها . لا سيما واهل الاحصاء اليوم يحدثون عن عام ٢٠٠٠ م ، وانفجار السكان فيه ، وان في ذلك العام لن يجد الرجل له على سطح الارض مكانا لأكثر من قدميه .

« مهاجرون » « وانصار »
وعروبة وصحبة ، ولكن من بعيد

وهنا سكت صمت رحت برهتي اذكر فيه مواقع كثيرة من الوطن العربي بها حقا فراغ غير قليل . وذكرت محاولات شتى ، كانت ترمي الى ملء فراغ العرب هنا بالعرب ، ينقلون من حيث الضغط كبير الى حيث الضغط صغير وبنماذج « المهاجرون » و « الانصار » وما اسرع ما يتصهرون معا ، فاللغة واحدة ، والثقافة واحدة ، والدين واحد ، وحتى اذا اختلف فهما المسيحية الشرقية والاسلامية ، وكلاهما عليه مسحة عربية . وهم فضلا عن ذلك معاونون على فلاحة ارض ، واقامة صناعة ، والى جانب غير مأهول من وطن واحد .

ذكرت محاولات قديمة من ذلك لم تتجاوز مجالات الرأي الى مجالات العمل . وذكرت كيف نطق ابناء الوطن العربي الصيحة ، خارج هذا الوطن وداخله ، بأن هؤلاء القادمين انما يقدمون ليشاركوا اهل البلاد في خيراتها ، ولو لم يكن بها خيرات لاذكر . ونسوا ان هؤلاء

الفاتحين انما يجيئون ومعهم أرجحية قوية للنصر، وسواعد مكشوفة للعمل، ووجوه تعودت ان يجري منها العرق صببا على المشقة. ثم هي، وهذا هو الأخطر، سواعد القتال عندما يغزو البلاد غاز.

وذكرت ما سمعت عند ذلك وما غربت. وربما خرجت به عند ذلك عن عروبة العرب طريفا: انها عروبة ومحبة على بعد، اما عن قرب، فهي التنافر. انها تنافر البروتونات او الالكترونات عندما تتقارب وكلها شحنة كهربائية، موجبة او سالبة، واحدة.

ورأي آخر خرجت به عندئذ عن عروبة العرب. ان قلب العربي ربما يكون اكثر ائتلافا بقلب الأعجمي منه بقلب العربي، بسبب هذه الصبغة الغربالية السالفة الذكر التي لا يماري فيها احد. ان الشحنات تتنافر اذا تشابهت، وتتجاذب اذا اختلفت.

المهاجرون هم الخاسرون

وذكرت ما كان لي من رأي سمعته في امر المهاجرين. ذلك انهم هم الخاسرون، وان بلادهم اشد منهم خسارة. فالناس في كل بلد ثروة، والثروة عزة. الثروة فكر وبدونه يظل الحكم عاجزا عن فكر وعن تخطيط، وعن ابتداع واختراع واشتراع، وهي حتى ثروة في بلد كاليابان، مائة مليون على قليل من الأرض وقليل من مصادر الغنى، ولكنه بلد عرف كيف يفكر وكيف يدبر، وكيف يجعل هذه الثروة البشرية تحتل منزلتها الأولى بين الأمم أمة صناعية فوق ظهر هذه الأرض، وأكثرها زراعة، وأكملها تعليما، وأطولها باع حضارة.

الوطن العربي أكثره الصحراء

ان اول ما يبهر الناظر الى الوطن العربي، في خريطة من خرائط الدنيا، سعته واتساعه. انه يمتد من الخليج العربي شرقا، الى المحيط الأطلسي غربا. فهو بذلك أعرض من أوروبا. وهو يمتد من البحر المتوسط شمالا، الى ما قارب خط الاستواء جنوبا، فهو بذلك ساوى امتداد أوروبا في هذا الاتجاه بل زاد عليه قليلا.

ثم ان عدد سكان هذا الوطن، الذي له هذا الطول والعرض، لا يكاد يبلغ عدد سكان فرنسا وبريطانيا مجتمعتين. وانت لا تذهب في هذا الوطن من بلد فيه الى بلد الا تلقاك الصحراء جافة واسعة، كالبحر، ترفض الحياة، الا عسرا. وطن كهذا، التشتت فيه اكثر من التجمع، والتقاطع فيه اكثر من التواصل. والذاهب فيه، من طرف الى طرف، أيسر عليه الى اليوم ان يتخذ من أوروبا اليه معبرا. وهذه المجلة، مجلة «العربي»، لا تصل من الكويت الى الرباط مثلا الا بعد ما بين شهر وشهرين، وطريقها اليها البحر لا الصحاري.

الوطن العربي ما كان يوما وطنا واحدا

وهذا الوطن الواحد ما كان يوما، في ايام العرب الخالية، وطنا واحدا، بمعنى ان الحكم فيه كان واحدا، فالعاصمة واحدة، والحاكم واحد، حتى في الوقت الذي كان فيه شأن العرب في الرفعة ما كان. كانت دول شرقية، وكانت دول غربية. وكبير الدولة لم يكبر حتى اذا بلغ حجما، هو الغاية، كانت كالبالون الذي ينفخ انتفاخه، وجب عليه ان ينفرقع. والدولة الكبيرة قد تصبح دولا صغيرة، ليعود الزمن الى تشكيلها دولا اخرى لها حكام آخرون، مغامرون، او مستعمرون.

ولست ادري ان الواقع قد اختلف اليوم عن امسه البعيد كثيرا.

سلوا دول الوطن العربي كم بينها اليوم من استعداد لالتحام وطني كامل

انها اليوم بضع وعشرة دولة، هي الدول العربية، هي التي تؤلف على الاستقلال الوطن العربي، فاسألوها كم بينها اليوم من بوادر استعداد لالتحام وطني كامل. اسألوها على الصعيد الرسمي، او على الصعيد الشعبي.

اما على الصعيد الرسمي، فان لم تكن هناك خصومة، فصدود ونفور. وان كان التقاء فالتقاء على ريبة.

اما على الصعيد الشعبي، فالكراهة قائمة بين الشعوب. كانت المحبة هي السائدة يوما. وكان

حتى الوحدة « السابقة » بين الجماهير ويصرخون مطالبين بها . ثم مضت السنوات بطيئة ، فاذا كل هذا يتبدل . يتبدل الا عند قلة من السياسيين الصغار ، والا عند من ظنوا صغارا على كبر ، والا جهات كان همها دائما المحافظة على الشعارات ولو بليت اعلامها واهترأت حتى تمزقت .

علموا الشعوب ان الوحدة الشاملة اخذ وعطاء . وهذا حق . ولكن علموهم ايضا ان الوحدة الشاملة ستجمع بين السباع والذئاب والنعاج ، وان النعاج لا بد مأكولة .

وعلموا الشعوب التي عندها ما تعطي ، فاعطاء وليس عندها ، ما تأخذ ، فاخذا ، بان الوحدة غرم عليها واستغلال .

وقامت في كثير من البلاد نظم الوطنية العربية الضيقة جارفة ، يحسبها الانسان ابتعادا سائرا في الوطن العربي . وكلما زادت الاقليمية ضراوة ، زاد رجال الاعلام في نطقها بالشعارات القديمة ، كقولهم : امة واحدة ، ووطن واحد ، حتى يظل من شبوا على هذه الشعارات سادرين في نومهم فلا يوقظهم احد .

وكان اكثر الدول العربية حظا من كراهة بين سائر هذه الدول ، تلك الدولة التي ظنوا انها اسبق ، الا بحسب الوحدة ، الى الصدارة .

وباسمها العداء حتى وهي اليوم تكاد تكون الدولة الواحدة القائمة تدفع عن الجدار العربي الباقي خشية ان ينهار ، والذي بانهياره ستحطم مصالح العرب في كل الارجاء .

الاعلام العربي

وحب المال وحب الاهل والجار ، طبع في الناس قديم . ولكن ان تزيد في هذا الحب حتى ينقلب كراهة للغير ، فطبع في الناس كذلك قديم ، ولكنه طبع لئيم .

انا سأتحدث عن الاعلام العربي ، وعن حاجتنا الى الاعلام العربي في شتى ارجاء البلاد المعمورة لا سيما اوروبا وامريكا . والرأي عندي اننا احوج الى الاعلام العربي في البلاد العربية نفسها . اعلام ينفي كل هذه المزاعم السائمة ، التي يطلقها المطلقون من زوايا شعب عربي تجاه آخر ، او زعيم تجاه زعيم ، او احداث يختلقونها اختلاقا تجري على السنة الناس مجرى الوقائع الصادقة ، تزيد في احتمال صدقها ان الصحف العربية ، جميعها ارسا ، وهي واقعة تحت الرقابة الشديدة ، يجب ان نخوض فيها .

والمذاهب المعاديه دخلت بين العرب تقطع ما بينهم من صلات

ولست اري دولة دون اخرى في هذا المجال ، الكل ليهم في كل ما وقع من جفاء ، مما ذكرت بعضه

ودخلت المذاهب المعاديه بين العرب تقطع ما بينهم من صلات ... فهذا مجتمع اسلامي ، وهذا مجتمع اشتراكي

وسأل المتسائل عن العمر ، فيقول كلاهما [illegible]

وسأل عن حظ الفقر في الحياة ، فيقول كلاهما ، حظ منقوص .

وسأل ما الذي ينقصه فيقول كلاهما ، ينقصه التعليم ، وبالمجان يكون . وينقصه الفرص تتاح له في التعليم كسائر الخلق ، حتى اذا بلغ بكفايته كرسي الرئاسة في الامة توجب ان يجلس عليه .

وسأل هل يباح استغلال رجل ذي مال رجلا لا مال له ، فيقول كلاهما . بل الاستغلال مقيت ، وربما كان الاسلام اكثر مقتا له ، فالمال في الاسلام مال الله ، وما الاغنياء الا خلفاء عليه الى حين . (انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .

وسأل وسأل ..

وما تلك الجواب في اكثر المسائل واحدا . وربما كان الاسلام اقسى جوابا ، الا منطقا ، فقصده خزائن الارض ، وخالق الله مخلوقه ، فالمسلم وجهه الانسانية الى مآله .

وقد كتب قوم كثيرون في هذه الامور ، واشاروا انهم لم يكتبوا ليجادلوا بالتي هي احسن . انه السباب كان احب اليهم من الفكر الهادئ ، فكان التهجم والزرى بالكرامة ، وكان سبه التاجور . وقد وقع هذا في كلا المعسكرين فلم ينتفع به احد . وانما زاد الناس خصومة . والناس لم تعود بعد على ان تسمع للرأي الرزين والصوت الواطئ . انها ما تزال تتهوكب على الصوت الصارخ والهجاء يسمع لاسماعهم وتشرح لصدورهم .

الاشتراكية غير الشيوعية

ان الاشتراكية غير الشيوعية ، لا جدال في هذا .

ان الاشتراكية اشراك الفقير للغني في بعض ماله.

والاشتراكية منازل عدة كمنازل القمر، مبدأ بالهلال، ثم يكون ربعاً، فنصفاً، فبدراً كاملاً، فما بين هذه المنازل من درجات.

ويقول قائل المسلم هذا، فيمضي بغير، ويعلم ان الاسلام انما بدأ شركة بين المسلمين. ولقد صدق الرجل الطيب الذي يحطب قلبه عصير اسلام، اعني به احمد شوقي حيثما قال يخاطب رسول الله

الاشتراكيون انت امامهـــــم
لولا دعاوى القوم والغلــــواء

ومن المؤمنين المسلمين من يقول لهم هذا، فيتسيحون بايديهم، دليل قلة الصبر، فيكونوا في صف هم والشيوعيون سواء.

ويذكر لهم انجلترا بحسبانها ملغا طبع من الاشتراكية اكثر مما طبقت دول عربية بحسبونها [illegible] .

ولقد نظرت في امر هؤلاء، فوجدت بعضاً جمد عنده معنى من الاشتراكية كرهه، او اصيب فيه، فهو لا يريد ان يتحول عنه، وبعضاً لو طبق الاسلام فاعطى الفقير حقه من حليم واعمى ورفعه شأن، ومن مساواة الفرص، لهاله ذلك تماماً كما يهوله لو طبقت الاشتراكية المعتدلة الفقير مثل ذلك. المسألة عنده، ليس باسلام، ولا باشتراكية، وانما هو غرم يخشاه من كليهما.

ورجل مسلم ترى عارض في مثل هذا، علمت ان اسلامه يقف عند الخروج بالزكاة من ماله، فهو لا يزكي.

واقول هذا لا حنقاً على هؤلاء، ولا محاباة لاولئك، ولكن تعجباً للمعنى الكبير الذي احاط الله به، سبحانه، الفقر والفقير عندما قال لنبيه: «الم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فاغنى، فاما اليتيم فلا تقهر، واما السائل فلا تنهر، واما بنعمة ربك فحدث».

وهي حديث بنعمة الله لشركة الفقير في نعمة الله.

انها الاشتراكية الاسلامية.

وملكية وجمهورية

ومما زاد الخلاف بين الدول العربية فصلها ان تكون دولة واحدة، ان هذه دولة ملكية، وهذه جمهورية.

ولقد نظرت في الامر طويلاً، وخبرت على الدهر حكومات كثيرة، من ملكية وجمهورية، في النطاق العربي، فلم اجد فرقاً بين نظام ونظام.

مثل واحد استثنيه، ذلك اليمن في عهد حسن اسموهم بالائمة. فبئس العهد الذي حضرناه وبئس الائمة.

هناك ملكيات عربية نعمت، وهناك ملكيات عربية امرت. وهناك جمهوريات من حيث فردية الحكم كالملكيات، بل اشد فردية. ومن الجمهوريات ما احسن، ومن الجمهوريات ما اساء. ومن الجمهوريات ما اساء فوق ما كان يظن ان يسيء مثله جمهورية او ملكية.

وبسبب هذه الفوارق تصبح الوحدة الوطنية في الوطن العربي غير ذات موضوع. وليس الفرق في اختلاف الاسمين، ملكي وجمهوري، ولكن الفرق في اختلاف الواقعين، ولو توحدت الاسماء.

والفرق ليس فقط اختلافاً على وحدة حكم، ولكن على تقبل هذا النوع او ذاك من الحكومات وبعض الشعوب العربية بلغ من التخلف، ومن سوء الحال على التخلف، انه لا يبالي من يحكم، ولا كيف يحكم.

وان يكن اهل الحكم احياناً علة في تخلف الشعوب، فكثيراً ما كانت الشعوب على التخلف علة في تخلف حكامها.

اختلاف ينبع من ائتلاف

انها صنوف من الاختلاف تنبع من ائتلاف، اما ان معالجتها محكمة، والا فعلى العروبة والاسلام كليهما السلام. ومن قال في الدنيا، ولو عن جهالة، فما له والله في الآخرة من خلاص.

فلنكن الوحدة العربية الشاملة املاً برحتى

في هذه الاجواء العربية الحاضرة لا يمكن ان تكون هناك اليوم وحدة شاملة كالتي زعموها.

وفي هذه الاجواء العربية الحاضرة لا تقبل الدول العربية، حكومات وشعوباً، ان تكون هناك وحدة كاملة كالتي وصفوها

ومع هذا التخاذل القائم اليوم في كل ارجاء الوطن العربي، وهو اليوم الذي فيه القضية العربية معروضة على محكمة الاقدار، فاما السلامة





واما الصغار ، لا يمكن أن تكون هناك وحده كالتي احتوها .

ومع انصراف اكثر الشعوب العربيه ، عن ستون الوحدة القوميه وتلهيهم بالمنافع الاقليميه لا يمكن ان تكون هناك وحده كالتي خالوها .

لا يمكن ان تكون هناك وحدة اندماج ، تكون فيها للعرب حكومه واحدة تنظر في شتى امورهم ، وتدفع عنهم غائلة الايام ، من الخليج الى المحيط .

الى هنا يجب ان ننتهي ، وبهذا نصرح ، ولا نخدع الناس ،

او شر الساسة المخدعون .

على بعد ذلك لن نظل الوحده الكامله الشامله املا ، عسى أن تخطىء الآراء ، وبصير محالا يستطيع ان ننبأ الاحوال .

وبقي الدول العربيه تجمعها الجامعه العربيه ، يجري فيها التفاهم العربي حيا ، على الشقاق احيانا ، او على الخلاف احيانا . وعلى التصاون التكامل بسديه دوله لاخرى ، وعلى المسارعه عند الضرورة الى سد الثغور اذا دهم العرب من نوائب الدهر داهم .

وصلة العروبة لا يمكن ان تزول ، كما انها ، على التقدير الحاضر للامور ، لا يمكن ان تنتهي الى وحدة ، كتلك التي ننعتها بالكاملة الشاملة . تلك الوحدة التي بدات على التجربة التالية ، عام ١٩٥٨ فلم تستمر ٣ سنوات حتى انفصلت عراها .

ان لم تكن وحده واحده شاملة كبيرة فلتكن وحدات مجزاة صغيرة

مطالعة الوحدة العربيه الكبرى تنزع كل ناظر فيها ، وهي وحدة ، ان تأمل لها العرب عاطفة غامرة ، فهم لم يتأملوا لها كيثم اهواء ، ومصالة طموح ودراسة في ادارة ، وعلما وتكتيكا . ومن لم ير رأيي فليسر في البلاد العربية كما درت ، وليسمع ما سمعت .

وعلى ذلك الوحدات الثلاثيه او الرباعية بين البلاد المتقاربه ، المتقاربه جغرافيا ، او المتقاربه عدائيا .

ولقد بدا العرب في هذا السبيل سيجربون .

التجربة الأولى

التجربه الاولى تجربه المغرب العربي الكبير المغرب والجزائر وتونس . لقاءات جرت وتجرى بينهم لا يخطىء الناظر اليها الغاية منها . وهي الى اليوم على ما احسب في دور التحضير . اما ان يكون لها اعلان او لا يكون ، فذلك امر يكشف عنه الغد القريب او البعيد . انه المنتظر يدري بالسر

على ان الوحدة قد تم عناصرها ، او اكثر منها قبل ان نسمى

التجربة الثانيه

اما التجربه الثانيه فتجربة الاوسط العربي : ليبيا ، والسودان ، ومصر ، وبينها تقارب جغرافي الى انضمت اليها سورية زادتها تقارب اهداف .

التجربة الثالثة

اما التجربة الثالثة فواقعة لا محالة ، ولكن من بعد ان تتبين امور هذه الحرب القائمه . ونستطيع ان ننبأ كيف تكون هذه التجربة الثالثة ، او على الاصح كيف يجب ان تكون . ولكن الصمت من ذلك خير .

وبسبب الصمت انه يوجد في سبيل هذا الاتحاد ، وعلى سواحل الخليج خاصة ، عقبات لا بد ان تزاح من الطريق ، وهي اسهل ازاحة من عقبات كثيرة عرفناها . فان لم تزح ازاحة ، فمن يدري ؛ فلعل روح هولاكو تعود فتظهر في الشرق من جديد على ظهر حصان ظهر ، فهو لا يدري ما القوانين الدوليه ، ولا يعرف ما القواعد الرعية ، وليست عنده من تقدير حرمة للملكية ، فهو ان امتلك فانما يمتلك بطشا واقتصادا . وهو ان قتل فانما يكون قد قتل



تجربة ثنائية في الاتحاد العربي المصري ،

كما فعل الاستعمار الاكبر : نظر الى الصمد ، وامجزنه الجبلة فلم يدر كيف معلهاء فاذا به عوم الى سيفه ويهوى بحده السافر اليها ، فيحطمها اسهل قطع ، ويمضى بفسه والناقمين حوله حتى حمرة .

محاذيـــر الوحده الكاملة الشاملة هي محاذير الوحده المتجزئـــة

والذى قلناه في الوحده الكاملة الشاملة ، وما انها هي نطهر قائم كاني والوحدة متجزئة . كذلك ما سوف نواجه به من اخطار ، من داخل البلاد ومن خارجها . وندرى ان الاتحاد غير الوحده . ولكن الاتحاد اقرب الى الاتساق في الداخل . اما في الخارج ، فاعداء البلاد معهم الوحدة والاتحاد سواء . كل مظاهر القوه للعرب تزعجهم ، فهم يدبرون لتكون كفة العرب الدنيا ، وكفة الاعداء العليا ، وقد يخلقون من اهل البلاد ذرائع . وفي كل البلاد دائما فئة من الناس لا تعرجها النعمه الغامرة تحملها اليهم ، على حسيسه من ذهب ، يد الاعداء ، ولو كان في ذلك الكثره من اهلهم واسلاد جلدتهم الفقر والتعاسة والضياع .

كلمة للاسرائليين

بعثت كلمة اقولها للاسرائيليين ، وقد فرغت تواً من قراءة مقال الموسيقي الالماني العالمي الكبير فجنر Wagner ، الذي كتبه عام ١٨٥٠ م ، وعنونه « العنصر اليهودي » ، وملاه من الكراهه قدر لا يستطيعه الا قلب يحمل حساسيه .

ولست ارى راى فجنر فيما ذهب اليه من اسباب كراهته ، ولكنه على كل حال ذكر من صفات اليهود ما اراه لا تزال فيهم الى اليوم . والاسباب لهذه الصفات لم يذكرها جعلت يهود الدنيا دائما بمعزل عن محبة الناس . وموقف اليهود اليوم من العرب ، والظهور بالاستعلاء عليهم ، صدقت حوافز هذا ام لم تصدق ، ليس من الاشياء التى تكسب عطف الناس . واستخدام يهود الولايات المتحده في ارغام هذه الدوله الكبرى للاستجابه الى مطالبهم ، وطوعها عصيا حتى تركبوها مطيه سهله الى اغراضهم ، ليس ، على الزمن المطاول ، مما يكسب قلوب الناس .

ثم العرب يا بني اسرائيل . اذكر قادتكم منهم ، انهم دول قد انقسم عراها ، وان زعيم كبرى دولهم خلف ورائه دوله اصابها الضعف والخذلان ، وان الزمن من اجل هذا يعمل لصالحكم فلتصبروا ولتصابروا ، وترابطوا حتى تثبت حدود اليوم على اوضاعها الحاضرة حيث وضعكم المد العدواني .

اما عن العرب وانقسام عراهم ، فلا شك انهم اختلفوا ، ولكن اختلافهم لا يمكن ان يبلغ بهذا ذلك الحد الذى تظنون . وقد رأيتم كيف ان لعل رأيا صرح به قادتكم ، كان من بعض الاسباب التى بها تقرب في العالم العربي ، النجاة ومن بعد ذلك الامور .

اما عن ضعف دوله عربيه كبرى بعد ذهاب زعيمها ، فحلم من احلام اليقظة ، قد تستيقظون منه قريبا على فزع عظيم .

ومهما يكن من خاطر هذا الزمان ، فماذا انكم تصنعه ، ومصر وحدها تبلغ في عام ٢٠٠٠ م اكثر من ٥٠ مليون نسمة ، فماذا انتم في غد هذا الزمان ، في هذا البحر المتلاطم من البشر العربي ، تلك الاجيال الجديدة الصاعدة ، فاعلون .. ●●

احمـد زكـي

١٩٧٠/١٢/٢

نتيجة مسابقة العدد ١٤٤

نورد فيما يلي الاجابات الصحيحة لأسئلة مسابقة الصورة في العدد ١٤٤

١ ـ الثورة الامريكية سبقت الثورة الفرنسية ، اذ نشبت الثورة الامريكية سنة ١٧٧٦م . ولم تبدأ الثورة الفرنسية الا سنة ١٧٨٩م.

٢ ـ هلفيتيا اسم آخر لسويسرا يظهر على طوابعها خاصة .

٣ ـ الكوبرا : ان نطقت بالباء P فهي لب جوز الهند المجفف في لغة التجارة العالمية .. وان نطقت بالباء B فهي الاسم الافرنجي لنوع من الحيات .

٤ ـ السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة ، وهي بالتقريب ٦ مليون مليون ميل .

٥ ـ يمثل الرسم علم المملكة المغربية .

٦ ـ سرعة الباخرة تساوي نحو ٢٢ ميلاً في الساعة ، لأن العقدة البحرية تساوي ٦٠٨٠ قدما ، بينما الميل به ١٧٦٠ × ٣ = ٥٢٨٠ قدما .

٧ ـ ينسج العنكبوت خيوطه من مادة حريرية .

٨ ـ عاصمة نيوزيلندا القديمة هي اوكلند .

٩ ـ ولد فيليبوس العربي ، احد اباطرة الرومان في حوران سوريا .

١٠ ـ هارا كيري . اسم الطريقة التي ينتحر بها اليابانيون .

١١ ـ الطريقة الثالثة التي تدور بها كرتنا الارضية هي تلك الدورة التي تقوم بها بالاشتراك مع سائر المجموعة الشمسية .

١٢ ـ قائل البيت هو مؤيد الدين الاصفهاني المشهور بالطغرائي في قصيدته المشهورة .

الفائزون بالجوائز

● [illegible] وقيمتها ٣ دنانير فازت بها فاطمة ... محفوظ ... طرطوس ـ لبنان

● [illegible] وقيمتها ٢ دينارا فاز بها محمد فراج سعيد ـ الخرطوم ـ السودان

● [illegible] وقيمتها دينار فاز بها عبد الرحمن ابراهيم محمد سعودي ـ المغرب

● ٨ جوائز مجموع قيمتها ٤٠ دينارا قيمة كل منها خمسة دنانير :

١ ـ امين مصطفى السعدي ـ بغداد ـ العراق .

٢ ـ فرج الله جبرائيل عيسى ـ الزرقاء ـ الاردن .

٣ ـ عبد الله عبد المحسن العيسى ـ الفحاحيل ـ الكويت .

٤ ـ محمد ابراهيم الرحيبي ـ الهيئة العامة للتخطيط ـ طرابلس ـ ليبيا

٥ ـ حامد انس محمد حسن ـ السلك الاهلي المصري ـ القاهرة ـ ج.ع.م.

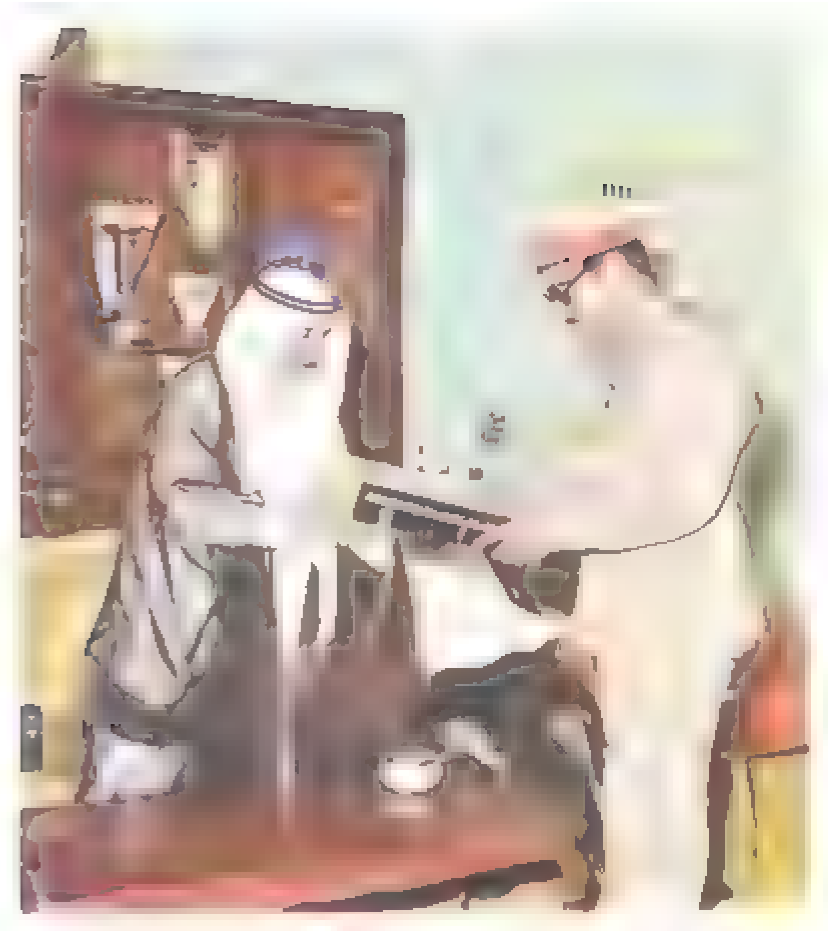
٦ ـ عبد العزيز محمد المصري ـ الظهران ـ المملكة العربية السعودية .

٧ ـ ليلى بالحسن ـ موبجيل ـ رادس ـ تونس .

٨ ـ احمد محمد مراد شاكر ـ دبي ـ الخليج العربي

وسوف ترسل الجوائز لاصحابها بالبريد .

■■



الكلية العسكرية في الكويت

- مصنع الرجال ..

وحين العرب أحوج للرجال .

استطلاع : منير نصيف	تصوير عبد الناصر سعره



■ وجاء اليوم الأخير ... يوما خالدا في تاريخ القوات الكويتية المسلحة عندما

وكان هذا اليوم هو يوم ٤ مايو من عام ١٩٧٠ . يوم وقف سمو أمير الكويت والقائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة يبارك هذا الشباب الصاعد من أبنائه .. أبناء الأمة وحماة الوطن ويسلم الشهادات للخريجين والجوائز للمتفوقين..

وكنا من القلة الذين شهدوا هذا اليوم الكبير في حياة الكويت وفي حياة جيش الكويت ..

لقد بدا مصنع الرجال ساحته ، كما أعلن رئيس الأركان العامة للجيش اللواء مبارك العبدالله الجابر الصباح ، في الكلمة التي ألقاها في هذه المناسبة التاريخية .

وتركناهم بعد أن سجلنا بالكلمة والصورة برنامج هذا اليوم الحافل في حياة ذلك الجيل الصاعد من أبناء الكويت .. هؤلاء الشبان الذين وضعوا أقدامهم على بداية الطريق .. لقد وقفوا في صف يتطلعون إلى طريق المجد والشرف .. طريق التضحية والفداء من أجل وطنهم وأرضهم ..

تركناهم ، ولكن إلى لقاء آخر .. إلى اليوم الذي ستستأنف فيه الكلية العسكرية دراستها بعد انتهاء العطلة الصيفية وودعناها ثم افترقنا .

في مصنع الرجال

ومر الصيف ، وعاد الطلبة إلى كليتهم ، وفتحت الكلية أبوابها لتستقبل النوع الجديد من أبناء الكويت الذين تتوافر فيهم شروط الالتحاق بالكلية ، ممن صمموا على أن يكون الجيش هو مكان عملهم ، وهو حاضرهم ومستقبلهم .. وجاءوا وجئنا معهم لنستمع إلى قصة إنشاء هذه الكلية الوليدة .. ولنرى ، ويرى معنا كل مواطن عربي كيف يعد الرجال في مصنع الرجال للذود عن استقلال وطنهم الصغير والكبير والدفاع عن حريته وأمنهم واستقلالها وأمنها .. نقول هذا ولا ننسى ما قام به أخيرا لواء اليرموك الكويتي الذي يرابط على جبهة القتال عند قناة السويس ضد العدو من تضحية وفداء واستشهاد .

مع مدير الكلية بالوكالة

وفي منطقة هادئة تحجبها الأشجار العالية التي تحجب عنها حرارة الشمس المحرقة ، وتتوسط مجموعة من الكثبان الصغيرة التي تنتشر حول الملاعب الفسيحة التي خصصت ليتدرب فيها طلبة الكلية .. وفوق الأرض المرصوفة التي لا تنقطع





طوابير الطلبة من العرب فيها باعدادهم الفعلية .. من مهاجع النوم الى ميادين التدريب .. ومن غرف المحاضرات الى ساحة الفرص .. وسط هذا المكان الذي يوحي كل شيء فيه بنظام دقيق صارم لا يتغير ولا يتبدل رحنا نشق طريقنا الى مكتب المقدم وجيه المدني ركن التوجيه المعنوي بالمطلب الحربية ، الذي قدمنا بدوره الى مدير الكلية العسكرية بالوكالة ، العقيد صدقي محمد طه حيث جلسنا نستمع الى القصة من اولها .. قصة انشاء اول كلية عسكرية في الكويت وفي منطقة الخليج العربي ..

قصة الكلية العسكرية

قالوا لنا : « لقد تشكلت وحدات الجيش الكويتي على غرار احدث الاساليب العسكرية المتبعة في معظم جيوش مختلف دول العالم .. ولكن رئاسة الاركان العامة للجيش كانت تعتمد في الماضي على البعثات العسكرية التي توفد للخارج ، وكانت تنتظر انتهاء افراد هذه البعثات من دراساتهم وتدريبهم ، حتى اذا تخرجوا منها ، وعادوا الى بلادهم منهم ضباطا في مختلف قطاعات الجيش ..

● ثم كانت النكبة التي المت بالامة العربية كلها .. نكبة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، عندما وجد المسؤولون في الجيش الكويتي ، ان الاعتماد اعتمادا كليا على نظام البعثات للخارج ، لا يساعد على اعداد العدد الكافي من الضباط الذي يحتاج اليهم الجيش ، بعد ان ازدادت الحاجة الى العسكريين الاكفاء ، والمتخصصين في مختلف الاسلحة ، نتيجة لتوسع الجيش في ظل الظروف الراهنة .

● لهذا ، وبناء على توجيهات صاحب السمو امير البلاد والقائد الاعلى للجيش والقوات المسلحة ، صدر القرار الوزاري رقم ٤٢ بتاريخ ١٩٦٧/٩/١٤ ، اي بعد اربعة اشهر تقريبا من العدوان الاسرائيلي الغادر على الامة العربية ، وهو يقضي بانشاء اول مدرسة عسكرية لتدريب الطلبة الضباط على مختلف الفنون العسكرية .

سمو أمير الكويت يضرب المثل

ولم تكد تنقضي بضعة اسابيع على صدور قرار انشاء المدرسة العسكرية ، حتى كانت الدراسة







خلال المدفع المضاد

قد التحقت فيها في اليوم العاشر من شهر اكتوبر عام ١٩٦٧ ، وكان اول طالب يلتحق بالمدرسة الجديدة هو علي صباح السالم الصباح ، نجل سمو امير الكويت والقائد الاعلى لقواتها المسلحة. لقد اراد الاب القائد ان يجعل من ابنه مثلا يحتذى به كل الشباب الكويتي المثقف .

وضرب الابن « علي » بذلك مثلا صادقا لابناء وطنه ، اذ عبر عما يجيش في صدره من حماس للدفاع عن ارضه ووطنه ، فما كان من ابناء امته الا ان تدافعوا هم ايضا للالتحاق بالمدرسة الوليدة ، وقد حفزهم ما راوه من ابن اميرهم وقائدهم

وكانت النكبة التي تعرضت لها الجيوش العربية قد صنعت بهم ما صنعت .. فعادوا وقد امتلأت صدورهم حماسا للقتال والثأر واسترداد الارض المحتلة ..

وتحقق الامل اخيرا

غير ان هذه المدرسة ، لم تكن في الواقع سوى النواة الاولى لانشاء الكلية العسكرية ، الا ما لبث ان صدر مرسوم اميري بانشاء الكلية بتاريخ ١١ اكتوبر من عام ١٩٦٨ ، ولم تلبث الدراسة ان بدات في الكلية العسكرية الجديدة بعد صدور القرار بايام قليلة في اليوم الثاني من شهر نوفمبر من نفس ذلك العام ..

وهكذا تحقق الامل الذي ظل يراود رجال الجيش والقوات المسلحة في الكويت منذ سنوات عديدة مضت

اول دفعة من الضباط

وهكذا بدات الكلية العسكرية تؤدي دورها في اعداد ضباط الجيش الكويتي وقادته في المستقبل .. وفتحت الكلية ابوابها لتستقبل اول دفعة من الطلبة الضباط الذين كانت تدريبهم واعدادهم طبقا لاحدث المناهج المتبعة في الكليات العسكرية في مختلف الدول المتقدمة ..

وكان افراد هذه الدفعة هم انفسهم الذين تخرجوا في شهر مايو من العام التالي .اول ضباط



من الكويت ويتخرجون في الكويت وفي الكلية العسكرية التي انشأها ابناء الكويت ..

هذه نبذة سريعة عن قصة انشاء الكلية التي اصبح الالتحاق بها والانضمام اليها ، املا يراود كل شاب اختار طريق الخطر ، طريق الشرف ، طريق الجندية ..

اختيار العناصر الممتازة

وقد حرص المسؤولون عن ادارة الكلية العسكرية في الكويت على اختيار العناصر الممتازة من بين المئات من الشبان الذين يتقدمون في بداية كل عام دراسي ليكون لهم شرف خدمة مليكهم ووطنهم ..

وما ذلك ، الا لايمانهم بان الجيش القوي القادر على الذود عن ارضه لا يقاس بكثرة ما لديه من جنود ، ولا يقاس بوفرة ما يملكه من سلاح ، وانما يقاس بما يتمتع به جنود هذا الجيش من روح معنوية عالية ، وبما يتميزون به من صفات عسكرية ثم بقدرة جنوده على استخدام ما لديهم من اسلحة حديثة وكفاءة تامة في ميدان القتال .. فكل شيء يملكه الجيش من اسلحة ومعدات يمكن ان تشترى بالمال ، الا الجندي نفسه ، وما هو عليه من روح معنوية عالية وكفاءة لاستخدام هذا السلاح والذود به عن وطنه حتى يدرك الموت ..

القسم

ولعل في صميم التنظيم ، القسم الذي يؤديه كل الطلبة الضباط عند انتهائهم من الدراسة في الكلية وتخرجهم ، لعل في هذا القسم ، المعنى الكبير الذي تحمله ..

فيؤدي الضابط قبل ان يتسلم شهادة التخرج امام القائد الاعلى للقوات المسلحة او من ينوب عنه .. يمين

« اقسم بالله العظيم ، اقسم بالله العظيم ، اقسم بالله العظيم وبشرفي وشرفي ، باعتباري عسكريا في الجيش الكويتي ، ان اكون وفيا لدولة الكويت ، امينا على حقوقها ، مطيعا لاوامر

[illegible]
[illegible]
[illegible]





اسلم ، مطيعا لجميع الأوامر المعطاة التي تصدر الي من رؤسائي ، منفذا لها في البر والبحر والجو داخل وخارج البلاد ، وأن أقسم نفسي ومواهبي في خدمة الكويت ، وأن أحمي علمها ، وأحفظ استقلالها وسلامة أراضيها ، مدافعا عن حدودها ، صائنا من يساكنها ، محافظا على شرفي وسلاحي ، لا اتركه قطعا حتى اذوق الموت ، والله على ما اقول شهيد "

شروط الالتحاق

من أجل هذا وضعت الكلية شروطا لا بد من توافرها في كل طالب يتقدم للالتحاق بها ، وفي مقدمة هذه الشروط : أن يكون محمود السيرة ، والا يكون قد سبق الحكم عليه في أية جريمة مخلة بالشرف او الامانة ، مالم يكن قد رد اليه اعتباره

وأن يكون أعزب غير متزوج ، وأن يكون لائقا صحيا للخدمة العسكرية ، بكل ما فيها من حياة خشنة قاسية لا تمت الى الحياة المدنية التي اعتادها بصلة .. والا يقل عمره عند الالتحاق بالكلية عن ١٨ عاما ، ولا يزيد على الخمسة والعشرين ..

ثم تأتي الشروط الخاصة بتمتعه بالجنسية الكويتية ، وحصوله على شهادة الثانوية العامة او ما يعادلها

ماذا يدرسون ، وكيف يتدربون ، وما هي صورة الحياة التي يعيشها طلبة الكلية العسكرية داخل ثكناتهم ومعسكراتهم ؟

قضيت ثلاثة ايام بين الطلبة الضباط ومدربيهم ومدرسيهم في الكلية .. فقد أولت رئاسة الأركان العامة للجيش أهمية كبرى لدعم هذه الكلية الوليدة فاختارت لها هيئة التدريس تضم صفوة

ضباط الجيش الذين نالوا دراساتهم وتدريباتهم وتخصصوا في مختلف فروع الجيش وأسلحته في الكليات العسكرية في الوطن العربي وفي خارجه .

هؤلاء الضباط الأكفاء ، هم الذين يعدون هذه الكلية العسكرية الكويتية للمهمة الكبرى الملقاة على عاتقهم ، يعاونهم في أداء هذا الواجب القومي أعضاء البعثة العسكرية التي قدمتها الحكومة السودانية الشقيقة ، والذين يسهمون بخبرتهم في هذا المعهد الوطني الجديد ..

مدير الكلية بالوكالة يتحدث

قال لنا مدير الكلية بالوكالة أن الطالب عندما يبدأ حياة جديدة منذ تلك اللحظة التي يطأ فيها قبوله له بعد ظهور نتيجة الفحوص الطبية ، والاختبارات الأخرى التي تجرى عليه .. وهي حياة لا تمت الى حياته المدنية الأولى بصلة ، فهو يخضع لنظام خاص في نومه وصحوه وتدريبه وتعليمه .. نظام يعتمد أساسا على الطاعة لكل ما يصدر اليه من تعليمات وأوامر .. فالطاعة هي دستور الجندية .

برامج الدراسة

ويمضي مدير الكلية بالوكالة فيقول ان .... برامج الدراسة في الكلية فهو يضم الى جانب دراسة أكاديمية ، وتشمل اللغات والرياضيات والتاريخ والجغرافيا العسكرية فوق المستوى الثانوي وكذلك القانون الدولي والثقافة العامة الخ .. ثم الدراسة العسكرية وتشمل التربية البدنية والتدريب على استخدام الأسلحة الخفيفة والمتوسطة ومهارة الميدان ، ثم الخدمة وفن القتال وقراءة الخرائط والبوصلة والتدريب على أصول الاتصال بواسطة أجهزة اللاسلكي ، وهندسة الميدان ، وفن قيادة الآليات الخفيفة وصيانتها وأخيرا دراسة الشئون الادارية في السلم والحرب على السواء ، والقوانين العسكرية والضبط والربط .. الى غير ما هنالك من مواضيع يحتاجها الطالب في حياته العسكرية .

هيئة التدريس بالكلية من عسكريين ومدنيين

● وتقوم وزارة التربية في الكويت بانتداب أساتذة متخصصين لتدريس الطلبة ، العلوم الأكاديمية ، أما الدراسة العسكرية فيقوم بها أعضاء هيئة التدريس من ضباط الكلية ، وتضم عدد .... البعثة العسكرية كبير المعلمين من السودان



الطلبة الضباط في قاعة الدراسة

التمارين في المعارضة البانية بالجيوردا









الشقيق الرائد ابراهيم يوسف ومعاونه في هذه المهمة النقيب الكويتي حمد السلطين المقيم مع سرية الطلبة ، ويشرف على ادارة شئون الطلبة مساعد ضابط الكتيبة فهد حمد الجابر الصباح .

سألنا النقيب فهد : « صف لنا يوما في حياة طالب الكلية العسكرية ؟

عمل في عمل في عمل

وقال الضابط الشاب في حماس : « وماذا سوف تعرفون ؟

ان حياة الطالب داخل ثكنات الكلية كلها عمل في عمل في عمل .. انه يصحو من نومه قبل شروق الشمس ، وفي اقل من نصف ساعة يكون قد اعد نفسه تماما للتدريبات البدنية ، التي تستمر لمدة ساعة كاملة ، يتناول بعدها طعام الافطار ، ثم يستعد من جديد للتدريبات العسكرية داخل ساحة التدريب في الكلية ، او في مناطق التدريب داخل الكلية وخارجها ..

ثم ينتظم الطالب بعد ذلك في قاعة المحاضرات ، وتبدأ الدراسة الصباحية في الساعة الثالثة مرة ظهرا ، فيتناول الطالب طعام الغداء ، ثم يستعد من جديد للدراسة المسائية التي تبدأ في الرابعة والنصف بالتدريبات البدنية مرة اخرى ، فاللياقة البدنية ، كما تعلمون ، في مقدمة الصفات التي يجب توافرها في الطالب الضابط وتشمل هذه التدريبات مختلف الالعاب القوى والفروسية .

« وهكذا يمضي اليوم ، وهو يوم مليء بالعمل والنشاط والتدريب والدراسة ..

فاذا اتى المساء ، وخلا الطالب بنفسه ، راح يستعيد دروسه ، ويعد ملابسه وتجهيزاته اللازمة لليوم التالي ، ثم يتناول عشاءه ، ويستمع الى اوامر اليوم الذي يليه

مدة الدراسة عامان

وعلمنا بعض الحياة في الكلية العسكرية بالكويت مدة عامين كاملين ، يتمتع فيهما الطلبة باجازاتهم الاسبوعية التي يقضونها مع اهلهم وذويهم ، الى جانب العطلات الرسمية الاخرى في المناسبات والاعياد ثم العطلة الصيفية الطويلة في نهاية العام الدراسي

ان الدراسة تستمر عامين يتخرج بعدها الطلبة ضباطا برتبة ملازم في الجيش .. ثم تأتي بعدهم دفعة ثانية وثالثة وهكذا .. وينمو الصرح الكبير في قلاع الرجال .. في اعداد جيش المستقبل ..

ولا ينحصر دور الكلية في تخريج الضباط واعدادهم للخدمة في القوات البرية بل تقوم ايضا بتخريج الطلبة الضباط لسلاح الطيران والذين يقضون عاما دراسيا في التدريب الاساسي في الكلية العسكرية ثم يلتحقون بسلاح الطيران الاميري حيث يقوم السلاح باعدادهم للطيران

طريق المجد والشرف

هذه هي قصة الكلية العسكرية في الكويت .. التي اصبح الالتحاق بها ، كما يقول مديرها بالوكالة املا يراود كل شاب اختار طريق الفخار ، طريق الشرف ، طريق التضحية

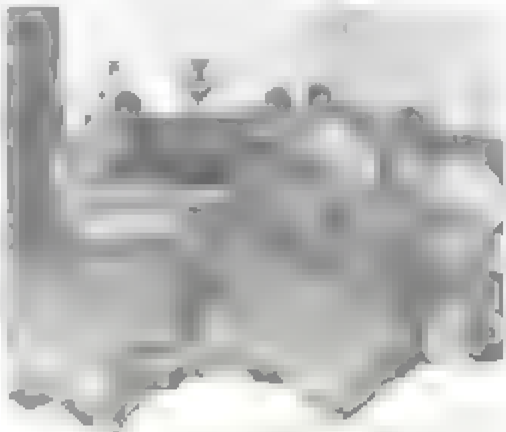
فالجيش هو درع الوطن ، وهو سلاحه ، وهو حاميه من كل طامع ومن كل معتد .. ثم ما هو الجيش بعد ذلك .. انه الشعب ممثلا في هؤلاء الشباب الذين وهبوا انفسهم وارواحهم فداء للوطن

واذا كانت الامم والشعوب تحيا وتسود بقوة جيشها ، كذلك الجيش لا يمكن ان يرقى وينهض الا بقوة الشعب وارادته .. فالجيش من الشعب والشعب من الجيش ، ولا حياة لاحدهما بدون الآخر ■

فهمي بخيت

بطاقة المستطيل النادي العباس

يستمعون الى ... الاخبار ... بعد يوم





المفاعلات الذرية

أضحت تهدد العالم بأخطار جسيمة

■ هكذا هي الدنيا .

[illegible]

إنه لم يمض على ابتهاج الناس بدخولهم العصر النووي غير سنوات قليلة ، بحسبانه عصر رخاء للمجتمع الإنساني كله . ولا تزال كلمات الرئيس أيزنهاور التي قالها في السنة التي أسميناها سنة « الذرة من أجل السلام » حية في الذاكرة . قال : « إن الطاقة الذرية لا بد أن تتحول سريعاً إلى خادم لفائدة البشر كلهم أجمعين » .

ولا شك أن السبب في تحول الكثير من الناس العارفين اليوم عن الذرة ، وإدراك أخطارها ، إنما هو الانتشار السريع للمفاعلات النووية التي تستخدم الذرة وقوداً لها لإنتاج الكهرباء ، طاقة العصر الصناعي الكبرى .

عدد المفاعلات بالولايات

ولنضرب مثلاً بالولايات المتحدة . ففيها أنشئ أول مفاعل نووي ، أو إن شئت ذري ، أو إن شئت يورانيومي ، فالمفاعل إنما يفاعل باشتعال ذرة اليورانيوم . أقول فيها أنشئ أول مفاعل نووي ، في ولاية بنسلفانيا ، في عام ١٩٥٧ ، في وقت لم يكن يسمع الكثيرون فيه باسم القوة النووية . وفي العشر من السنوات التي تلت أقيم في الولايات ١٧ مفاعلاً نووياً جديداً . وفي ختام هذه العشر من السنين ، أي في عام ١٩٦٧ كانت الهيئات المختصة بإنتاج الكهرباء في الولايات قد ارتبطت بإقامة ٦٠ مفاعلاً جديداً في ما سبق .

حجم المفاعلات بالولايات

أضف إلى ذلك حجم المفاعلات . فمنذ زمن قريب لم يكن بين المفاعلات ما قدرته تزيد على ٥٠٠ مليون وط من الكهرباء . والآن معظم المفاعلات المطلوب في الولايات إقامتها تزيد على هذه القدرة ، وأكثر من ١٢ منها سوف تزيد على ١٠٠٠ مليون وط .

وموضع المفاعلات

أضف إلى ذلك أن المفاعلات المزمع القائمون عليها إقامتها قريباً من حيث السكان كثيرة ، ففي الولايات سوف يقيمون مفاعلاً نووياً في ولاية نيويورك في منطقة عدد سكانها ، في دائرة مركزها المفاعل النووي ونصف قطرها ١٥ كيلو متراً ، يبلغ ١٥٥٠٠٠

سنة . وكذلك في بريطانيا يزمعون اقامة مفاعل قدرته ١٢٠٠ مليون وات لا يبعد عن بلدة هرتل بول Hartel Pool غير ٣ كيلو مترات . وكندا في تخطيط بعض المفاعلات ما يعني بنائها في اوساط المدن

زيادة المفاعلات سببها الحاجة الملحة الى الكهرباء

وهذه الزيادة في المفاعلات انما جاءت من الزيادة

محطة كولدر هول بانجلترا وهي من المحطات النووية المكتملة التي انتجت الكهرباء من الذرة



منه استالة الطاقة من الكهرباء . كل آلة تريد الكهرباء ، وربما بمقادير خيالية .

انه في عام ١٩٨٠ سيبلغ استهلاك العالم من الطاقة ضعف ما كان يستهلكه في عام ١٩٦٠ . وفي عام ٢٠٠٠ سوف يبلغ استهلاكه خمسة اضعاف ذلك المقدار .

وبما ان الكهرباء هي ايسر الطاقات تطوعاً عند الاستخدام ، فسوف تكون حاجة العالم منها اكثر من حاجته الى غيرها من صور الطاقات .

ان مصادر الكهرباء اليوم في الولايات المتحدة قادرة في الوقت الحاضر على انتاج ٣٠٠٠٠٠ مليون وات ، تزيد الى اكثر من ثلاثة اضعاف في عام ١٩٩٠ لتنتج مليون مليون وات .

وسوف تصعد حاجة العالم عام ٢٠٠٠ الى نحو ستة مليون مليون وات . ومعنى هذا اضافة ما ينتج ٥٠٠ مليون وات كل عام .

والكهرباء تنتجها الذرة وينتجها الفحم والزيت ومساقط الماء ، ولكن حاجة العالم من الكهرباء سوف تقع على عاتق الذرة ، على عاتق نواتها وتفاعلاتها

ولهذا سببان

اولهما : اننا في حاجة الى الفحم والى الزيت لانتاج الكيماويات البترولية والمركبات العضوية منها، وقد خطونا بكيمياء البترول خطوات واسعة.

وثانيهما انه ، في ختام السنوات الثمانينية من هذا القرن ، سيهبط كلفة انتاج مقدار كيلو وات ساعة من الكهرباء الى ٣ر٠ من السنتيم . وقد تكون هذا ارخص من انتاج مثله عن طريق الفحم والزيت بمقدار ٥ر٠ من السنتيم . فلن تحقق هذا تطلب انتاج الكهرباء من الذرة تطلبا كبيرا ، الا سيكون من استخدامها بدل الفحم والزيت وفر عظيم يبلغ في الولايات المتحدة وحدها ٥٠٠٠ مليون دولار في السنة الواحدة .

المفاعلات في بضع وعشرين دولة

من اجل كل هذا لن تمضي سنوات خمس حتى يبلغ قدرة المفاعلات النووية القائمة في العالم ١٢٠٠٠ مليون وات ، ينتجها ٢٨٦ مفاعلا ، موزعة على ٢٢ دولة او اكثر .

ولن تمضي سنوات عشر حتى يبلغ قدرة المفاعلات

في العالم ٢٠٠٠٠٠ مليون وات ، تنتجها مفاعلات في اكثر من ٢٠ دولة .

ان الدول التي تكون فيها المفاعلات ، فالدول الغنية ، يستثنى من ذلك الهند ، فضعها اليوم في مخططاتها اقامة مفاعل نووي .

وهذا امر يؤسف له ، لان الدول الفقيرة احوج الى الكهرباء وهي سبيلها الى النمو . والكهرباء عماد الصناعة . والسبب في ذلك ان المفاعل النووي لا يغني من الوجهة الاقتصادية الا اذا يجاوز قدرته ٥٠٠ مليون وات . ونستطيع ان نضرب مثلا باليونان وبمصر واسرائيل ، فقدرة الشبكة الكهربائية في هذه الدول تقل عن ٢٠٠٠ مليون وات ولهذا السبب ليس بالمستطاع عندهم اقامة مفاعل يعطي كهرباء يستطيع بها ان ينافس كهرباء يصنعها الفحم او الزيت .

ولكن الحديث في هذا لا يقف عند هذا . فالصعوبات دائما يدار حولها ، ويكون لها حلول . ولهذا حديث آخر .

ما الذي ازعج العارفين من الذره

ازعجهم ما سوف يتخلف من هذه المفاعلات ، عندما تكثر ، وتتزايد على السنين ، من مواد مشعة ، عرف الناس عنها كيف تفعل بالناس .

وهم يقدرون انه في العشرين سنه القادمة سوف يتخلف من هذه المفاعلات ٦٠٠٠ طن على الاقل ، كلها منسحبة من الانشطار الذري ، وستكون على صورة سوائل يبلغ مجموعها نحو ١٠٠٠٠٠ متر مكعب ، وهي تشع اثناء مضيها في تحللها الذري نحو ١٢٠٠ مليون كيلو جول Kilo Joules من الحرارة في الساعة الواحدة . وفي عام ٢٠٠٠ سيبلغ مقدار هذه البقايا ١٦٠٠٠ طن .

فماذا يصنع الناس بهذه النواهي .

يدفنونها في الارض

يصرفونها في الماء .

كل له مخاطره . ويبقى الكلام في استطراد .

- -

مركبه فضائيه

تمر

بالزهرة وعطارد معا

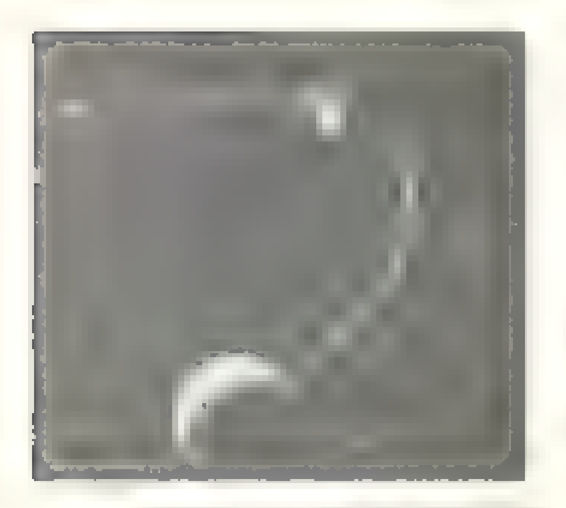
عام ١٩٧٣

نعم . انها مركبة فضائية تنطلق من الارض لتمر بالزهرة اولا ، ثم بعطارد اقرب كواكب المجموعة الشمسية الى الشمس .

وتاخذ من كلا الكوكبين ، عن قرب ، صورا تلفازية لاول مرة . كذلك هي تقيس درجة الحرارة التي بهما ، ومغناطيسيهما ، واشعاعاتهما ، ومحتويات اجوائهما .

اما طريق سير المركبة الفضائية فيظهر واضحا من الشكل المرفق .

تنطلق المركبة بالصاروخ من الارض ، في زمن هو



اصبح الاوقات حسابا ، لتمر ناحية الزهرة . والزهرة تجلب المركبة حينما تقترب منها حتى تكون بعدها عنها في حدود ٥٣٠٠ كيلو متر . وهي مسافة ، وبسبب هذا الجذب ، تزيد في سرعة المركبة حتى تبلغ ١٦٠٠٠ كيلو متر في الساعة . وهي تتجه بعد ذلك نحو عطارد . والمركبة تسير نحو عطارد وتقترب منه بحيث يكون قربها منه لا يزيد على ١٠٠٠ كيلو متر .

انها اصابة عصفورين بحجر .

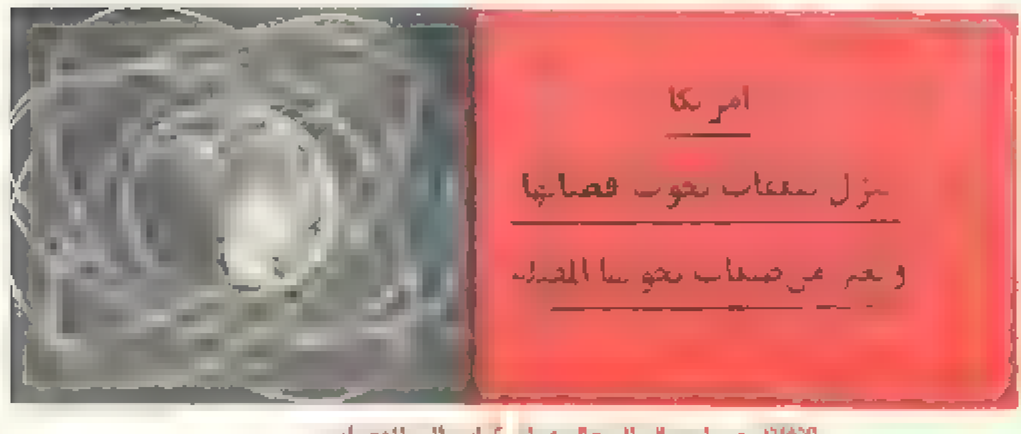
ولكن كيف يمكنا من ذلك ؟

ان الصاروخ الذي يستخدم في هذه التجربة هو اطلس - سينتور Atlas - Centaur ولو اننا اطلقنا المركبة ناحية عطارد مباشرة لاحتجنا الى صاروخ قوته اكثر من ضعف هذا الصاروخ .

فنحن الآن نجعل المركبة تمر بالزهرة ولانستفيد من قربها منها ، ذلك لان الزهرة سوف تجذب المركبة فتزيد في سرعتها بحكم هذا الجذب بحيث تبلغ بها السرعة الواجبة لبلوغ عطارد لو جاز لنا اطلاق المركبة من عند الزهرة .

وبالطبع سوف يستخدم العلماء القابعون على ارض الولايات المتحدة توجيه المركبة حتى تسير على النحو المراد .

والمركبة سوف تطلق في اكتوبر او نوفمبر من عام ١٩٧٣ ، وتصل الى الزهرة في فبراير ١٩٧٤ ، وتصل الى عطارد في اواخر مارس الذي يأتي بعد ذلك .



■ الاقلال من ارسال الرجال والمركبات الى الفضاء

■ الاتجاه ببحوث الفضاء الى ما بعد اهل الارض

■ مركبة فضاء تذهب من كوكب الى كوكب .

■ حافلة تركبها الناس الى الفضاء . ■ ٢٠٠٠٠ دولار ثمن التذكرة ذهابا وايابا

هذا التعثر في سياسة الفضاء كان لا بد منه اولا بدافع الاقتصاد والتوفير بنفقات الولايات المتحدة الى الارقام التي تناسب الاحوال الاقتصادية القائمة ، وثانيا لما اكتسبه الخبراء ، خبراء الفضاء ، وغير الفضاء من التجارب الماضية . وما اعطت من فوائد وما قصرت ، او غفلت عنه من اهداف . وثالثا للنكبة الاخيرة التي نكب بها الفضاء الامريكي ، نكبة ابولو ١٣ .

وفي سبيل ذلك ، انشأ رئيس الولايات لجنة من

العلماء تشجع الرئيس فيما يسع من سياسته في هذه المجالات .

الاقلال من رجال الفضاء

وكان مما ارتأته هذه اللجنة ان تتطلع الولايات في برنامج فضائها للسنوات السبعينية في هذا القرن العاشر ، وذلك بان تتجه اكثر فاكثر الى استخدام الآلات والادوات الاوتوماتيكية في جمع المعلومات المطلوبة عن اجرام السماء . فقد تحقق عندها ان وجود الانسان في المركبات الفضائية ليس من الضرورة الملحة بحيث لا يمكن الاستغناء عنه في برنامج الفضاء في العشر القادمة من السنوات .

وكان من جراء ذلك ، او واكب ذلك ، ما قررته ادارة الفضاء بالولايات من المباعدة في الزمن بين اطلاق مركبات ابولو Apollo التالية . فبعد ان كانت تخطط لاطلاق ابولو الى الرقم ١٩ ، قررت ان تكتفي بارسال مركبتين فضائيتين اثنتين ، لا اكثر ، في السنة الواحدة ، حتى يفرغ برنامجها .

وقد وافق رئيس الولايات على ما رأت اللجنة العلمية الناصحة من ذلك ، ولكنه مع هذا نص على ان الولايات المتحدة ستنتهي آخر الأمر بارسال رجال الى المريخ ، وضرب لذلك موعداً محتملاً هو عام ١٩٨٦ .

وهذا ينزل بالنفقات نزولاً كبيراً .

الاهتمام ببحوث تعود بالخير على أهل الأرض

واللجنة ارتأت فوق ذلك ان الفوائد المجنية من اعمال الفضاء هي فوائد علمية تكنية خالصة ، ولكن مع هذا فمهمتها تفوق هذه الفوائد العلمية التكنية الى ما هو اعلى واسمى ، وما هو احرى بربابة النعمة عندما تيسر الأمور .

مع هذا فاللجنة نصحت بان تتجه بحوث الفضاء الآن اكثر فاكثر الى ما يفيد الناس فوق هذه الارض وضربت مثلا لذلك بدراسة الاجواء ، بغية تسجيلها ، وبغية تحسينها ، وكذلك دراسة المواصلات الفضائية والكشف عن الموارد . وترى اللجنة ان الاقمار الصناعية تستطيع ان تقدم للانسان خدمة جليلة ، بان تعين في ضبط خطوط مرور الطائرات في السماء بعد الذي ينتظر من زحام لا شك واقع بينها . وضربت لذلك مثلا طريقا للمواصلات الجوية بين اوروبا وامريكا عبر المحيط الاطلسي ، تهيمن عليه الاقمار الصناعية ، ويمكن انجازه في السنوات الثلاث او الاربع القادمة .

مركبة تسير بين الكواكب من كوكب الى كوكب

وترى اللجنة ان في اواخر هذا العقد العاشر ، العقد السبعيني ، سيمكن رجال الفضاء من ارسال مركبة فضاء تمر بشتى الكواكب ، وهي كلما مرت بكوكب ، فاقتربت منه ، زاد هذا الكوكب في سرعة المركبة ، ثم هي تبتعد عنه لتصل الى كوكب ثان ، فتقترب ، وتزيد سرعة ، وتبعد الى ثالث ورابع حتى تمر بالكواكب الاخرى ، حتى الكوكب الابعد بلوتو . تماما كما وصفنا في الصفحات الماضية . مركبة فضاء تذهب الى الزهرة ومنها الى عطارد . وتقترب منهما ولا تمس ايهما ، ولكنها تزداد سرعة .

انشاء محطة فضائية ، البحوث ، تدور حول الارض

واللجنة ترى انشاء محطة فضائية ، تظل تدور حول الارض ، اليها تذهب الرجال ليمضوا بها اياما او اسابيع ، ثم يعودون الى الارض . وهم في ذهابهم وعودتهم يركبون ما يشبه الحافلة الفضائية ، تذهب بهم وتعود . وتذهب بالعلماء خاصة يجرون تجاربهم فيها . وبرجال الفلك خاصة حيث يرصدون الافلاك في جو خال من الهواء .

وهذه الحافلات الفضائية تكون مما تستعمل المرة بعد المرة .

وقد قدروا ان وضع مركبة بلا رجال ، في فلك بعيد عن سطح الارض ببضع مئات من الاميال ، سيكلف رفعها اليه نحو ١٠٠٠ دولار لكل رطل من وزنها . ووضع مركبة تزامن الارض في دورانها Synchronous (على بعد ٢٢٣٠٠ ميل بين سطح الارض) سيكلف عشرة امثال هذه النفقة . ولكن اذا امكن ارسال حافلة تتردد بين الارض والسماء ، بالارض ، فالسماء ، مائة مرة قبل ان تستهلك ، وذلك الى فلك غير بعيد من الارض ، فان نفقة ارسال رطل تهبط الى نحو ١٠٠ دولار . وعندئذ تكون نفقة سفر انسان الى مثل هذا الفلك ، ذهابا وعودة ، تتكلف فقط نحو ٢٠٠٠٠ دولار . ●●



صفحة وجدانية كتبها :



وهو في عزلته ببيته الريفي *

[illegible]

« ان هذا [illegible] ، وحتى
الاحداث ، ثابت [illegible] ، ومن الآن
[illegible]

« وثابة رغبته اخرى برغم الانسان ، وهو
يواجه التاريخ !

« ان هذا الركن من مناطقه « شمباني »
سوداء الهضاب ، آفاق واسعة ، موحشة ، كئيبة ،
[illegible] واعشاب قاتمة ، وبقايا جبال
تآكلت بالقدم ، مهزولة ، قانعة ! وقرى
عتيقة ، شحيحة الموارد ، لم يتبدل شيء خلال
آلاف السنين من روحها ، ومن مكانها .

« هكذا شأن قريتي !

« انها قائمة ، مركوزة على سطح جبل مشرف
فيه ربوة كثيفة الشجر ، وحولها حقول متراتبة
يزرعها الفلاحون ، وهم — على الرغم من اني
بعيد عن فرض نفسي عليهم — يحيطونني بصداقة
صامتة .. وانا أسرتهم فانا اعرفها حق المعرفة ،
واحترمها وأحبها .

« ان الصمت يملأ بيتي ، ومن زوايا الحجرة
التي اقضي فيها اكثر ساعات النهار ، اكتشف
الاعماق السحيقة ، باتجاه الغروب .

« وعلى امتداد خمسة عشر كيلو مترا ، ما من
شيء يبدو ، وعلى السهل المترامي ، والغابات
الناثرة ، يتابع بصري مشهد السفوح المنبسطة .

« ومن نقطة مرتفعة ، من حديقة المنزل ،
ارسل نظري في الاعماق المتوحشة ، ترسم الغابة
الكثيفة ، كما يلطم البحر حيزوم السفينة .

« وفي المساء ، [illegible] الطبيعة بسدوله
والى ذلك — وانا امعن النظر في النجوم — الاحظ
ايضا سفاهة تؤذي هذه الدنيا !

« ولا ريب ، ان الرسائل والصحف والراديو
تنقل انباء العالم الى مسكني ، وتخلل زياراتي

---

* [illegible]
[illegible] ، نبيل ، وتصبح ذكرى لا تنسى في تاريخ فرنسا ، وتاريخ أوروبا ، وتاريخ العرب ، فقد
[illegible] الاصل وقدام [illegible]

الـاويه لبـاريس كنت لسجيل واترين ، كانت احاديثهم تجلو لي الطريق التي تتجه اليها النفوس .

« وفي أشد الصلات كل اولئنا واحفادنا يصنعونا مـآسيهم الفني ، ما عدا اسـمـا « آن » التي غادرت هذا العالم قبلنا .

« ولكن .. كم من ساعات مرت بي ، وانا اطالع واكتب ، او أحلم ، دون ان يخفف اي وقع ، واي حنكم ، من مرارتي الساكتة الصماء !

« ومع ذلك ، وفي الحديقه الصغيرة التي طالما ترعها سيرا الوف المرات ، كنت ارى ان الاشجار التي يعريها البرد من اوراقها ، قل ان تعود الى الاخضرار ثانية ، وان الازهار التي غرستها زوجتي ، تزهر من جديد ، وبعد أن ذبلت .

« ان منازل القرية هي منازل هرمة ، قديمة متداعية ، ولكن .. ها هي ذي يخرج منها فجاة لفيف من الفتيات والفتيان الضاحكين للحياة .

« وعندما اتجه ، في نزهاتي ، نحو احدى الغابات المجاورة للقرى القريبة من قريتي ، احس ان اعماقها الظليلة ، القاتمة ، تغمرني بالحزن . ولكن .. بغتة ، يذكرني غناء عصفور ، او بزوغ الشمس على اوراق الشجر ، او تفتح الازهار في الاجمة ، بان الحياة — منذ ظهرت على سطح الارض — تخوض معركة غالبة ، لم تخسر فيها ابدا

واذ ذاك اشعر بعزاء ممزوج بشعور كبير !

« وما دام كل شيء يبدأ من جديد ، بصورة دائمة ، فان الذي قمت به سيكون — عاجلا او آجلا — منبتا ومثارا لاندفاعات جديدة من بعدي .

« وبمقدار ما كانت تتقدم بي السن نحو الشيخوخة ، كانت الطبيعة تزداد اقترابا مني .

« وفي كل سنة ، وخلال توالي الفصول الاربعة التي هي دروس اربعة ، تأتي الطبيعة الى تخفيف ثقل المرارة لنفسي .

« فهي ، في الربيع ، تنشد قائلة

« ليكن ما كان في الماضي ! فانا لا ازال في البداية ، كل شيء مشرق عندي بالرغم من الكوارث . اني فتية ، وفتية مثلي هذه الاشجار المسورة . وانني لجميلة ، بالرغم من هذه الحصون الملأى بالحصى . فالحب يخفق في عروقي دما ولمد هنا من الروعة والقوة بحيث لا ينسيان ابدا

« وهاهي ذي في الصيف تعلن قائلة

« يا لعظمة خصوبتي ! بجهد كبير يخرج من كل ما يغطي الكائنات . ان كل حياة تتوقف على حرارتي فهذه الحبوب ، وهذه الثمرات ، وهذه القطعان السارحة التي يغمرها الشمس بنورها ، هي جميعها عمل ناجح لا يستطيع شيء ان يهدمه .

« ان المستقبل لي منذ الآن ! »

« وهاهي ذي في الخريف تنهد قائلة :

« ان مهمتي قد اشرفت على النهاية .. لقد اعطيت ازهاري ، وحصيدي وثماري ، والآن اراني انكمش ، وانطوي بنفسي الى نفسي »

« انظروا ! كم انا جميلة ، بعد هذا كله ، بردائي الارجواني الذائب تحت النور الوهاج ! »

« ولـكن .. وا اسفاه ! ان الريح والبرد سيحملان قريبا لينزعا عني ردائي »

« ولكنه سياتي يوم تزهر فيه على جسدي العاري ، شابي الجديد . »

« وهاهي ذي الطبيعة في الشتاء ، تبقى صامتة

« ها انا الآن مجمدة ، عاقر ، مسجونة »

« كم من اشجار واعشاب ودواب ، وطيور سحبها الحياة من صدري ، واحببتها بكل قلبي ، تموت الآن على صدري الهامد الذي لا يستطيع تجديدها ، ولا بعثها ! »

« هل ابرم القدر ، ياترى ، حكمه النهائي ؟ وهل هو انتصار الموت الى الابد ؟ »

« كلا .. ثم كلا . ها ان عملا صامتا يتحرك تحت ارضي الفاقدة للحياة ، الساكنة في اعماق الظلمات . اني لأشعر بالعودة الرائعة ، عودة النور ، عودة الحياة »

« فيا ايتها الارض العجوز التي تطرقك القرون واداستك الامطار ، وحرثتك العواصف ، وانهكت الزروع ، انك مستعدة دائما ، والى ما لانهاية ، لاسباغ عصارة امتاعه ، من اجل ان يتعاقب الاحياء عليك . »

« وانت ، يا فرنسة العجوز ! يا من حملت اعباء التاريخ وحدها ، وانهكتك الحروب والثورات بالجراح ، وتنوء حساب ، دون انقطاع ، بين الشروق والافول ، انك لتنهضين من كبوتك ، قرنا بعد قرن ، بفضل عبقرية التجديد .

« وانت ، يا ايها الرجل المسن ، يا من ارهقه العمر ، ومالت عنك الاعمال ، فيما تشعر بالبرودة الابدية تدنو منك ... انك لا تيأس ابدا من ترقب قبس من نور يسطع وسط الظلام . »

خليل الهنداوي — حلب



بقلم: الشيخ زكريا البري

[illegible]

[illegible] يخالف أحد منهم مخالفة جوهرية .

النتائج العشر

ونلخص هذه النتائج في الأمور التالية

أولا: أن المرأة تساوى الرجل في الحياة الاجتماعية ، وأن كلا منهما يكمل الآخر في المجتمع كما يكمله في الأسرة ، وأن العلاقة بينهما هي التعاون والتكامل لا التكرار والمماثلة

[illegible] أن المساواة الكاملة بين النوعين ليست ممكنة ، لاختلاف خصائص كل منهما وقدراته وكفاياته ، وليس في صالح المجتمع نفسه ، لذى



يحتاج الى وضع الشخص المناسب في المكان المناسب . والله سبحانه وتعالى يقول « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شيء عليما »

يقول عطاء بن ابي رباح : نزلت الآية في النهي عن تمني ما لفلان ، وفي تمني النساء ان يكن رجالا .

ويقول الطبري . فلا تتمنى المرأة ان يكون لها ما للرجل .

ثالثا : ان المرأة اولى من الرجل ، واكثر تحقيقا لخير المجتمع ، في مزاولة بعض الاعمال العامة ، ومن ذلك اشتغالها طبيبة او ممرضة نسوية ، او قابلة ، او مدرسة في المدارس والكليات النسوية ، او ضابطة في الشرطة النسوية ، او احصائية اجتماعية في المحيط النسائي .

رابعا : ان بعض الاعمال لم تهيأ لها المرأة جسميا ونفسيا ، ومن ذلك اشتغالها ضابطة عاملة في الشرطة ، او حارسة ليلية .

خامسا : ان بعض الاعمال لا ينبغي لها ، كوظائف « السكرتيرة » الخاصة ، للرؤساء من الرجال ، فانها بطبيعة عملها ـ تقتضي الانفراد والخلوة والسرية ، مما يؤدي الى مواقف الريبة ومظان التهمة ، من غير ضرورة ولا حاجة ، ومن غير مصلحة خاصة ولا عامة . والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » .

الشريعة الاسلامية وخروج المرأة من بيتها

سادسا : ان الشريعة الاسلامية لم تحرم على المرأة الخروج من بيتها ، في أدب واحتشام ، لشئون دينها ودنياها ، بل اباحت لها الخروج لمباشرتها من صلاة وحج ، والرسول ـ صلى الله

عليه وسلم ـ يقول : « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله » ويأمر باخراج ذوات الخدور يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين . كما اباحت لها الخروج لشئونها وشئون اسرتها واعمال المجتمع التي تصلح او تتعين لها .

وهذه اسماء بنت ابي بكر ، تقول الزبير ، تقول " كنت انقل النوى على راسي من ارض الزبير ، فجئت يوما والنوى على راسي ، فلقيني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه نفر من اصحابه فدعا لي .

وقد اشترك بعض الصحابيات مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الغزوات : كأم عمارة ، في غزوة احد ، وام سليم في غزوة حنين ، وامية بنت قيس في غزوة خيبر .

سادسا : ان التقاء الرجل بالمرأة في ميادين الحياة والعمل التقاء عاديا غير متكلف ، في حدود الآداب والاعراف الطاهرة ـ لا يحرمه الاسلام ، وانما المحرم هو الانفراد والخلوة وما يتصل بها ، وما يجر اليه من ريبة وفساد ، وبخاصة تحت ستار العمل .

يقول الماوردي في الاحكام السلطانية ، وهو يتحدث عن اعمال المحتسب الذي يراقب الآداب : « واذا رأى وقفة رجل مع امرأة في طريق سابل لم تظهر منهما امارات الريب لم يتعرض لهما بزجر ولا انكار ، فما يجد الناس بدا من هذا . وان كانت الوقفة في طريق خال ، فخلو المكان ريبة فينكرها ، ولا يعجل بالتأديب عليهما ، حذرا من ان تكون ذات رحم ، وليقل " ان كانت ذات رحم فصنها عن مواقف الريب ، وان كانت اجنبية فخف الله تعالى من خلوة تؤديك الى معصيته ، وليكن زجره بحسب الامارات » .

الملاءمة بين العمل والواجب الأسرى

ثامنا . ان عمل المرأة في الخارج يجب الا يكون على حساب زوجيتها وامومتها واسرتها ، والا تسيء استعمال حقها في العمل، لان جميع الحقوق في الاسلام ـ للرجال والنساء ـ منحة من الشارع منوطة بالمصلحة ومرتبطة بها ، وليست منحا شخصية للهو والعبث ومجرد الاستعمال .

ويمكن الملاءمة بين واجب المرأة في الاسرة وعملها في الخارج عند الحاجة الشخصية او الاجتماعية ببعض التشريعات في شروط التوظف ومواعيد العمل واحكام الاجازات والاجور والمنافع .

تاسعا : ان الاعتماد المطلق على دور الحضانة والمربيات والخادمات في تربية الاولاد ـ يضعف روابط الاسرة ، ويؤدي الى مفاسد مختلفة بالجيل المقبل ، فلذة المستقبل ، وابناء الغد واسلافه .

وقد ظهر من التجارب ان الطفل الذي يفارق بيته عدة حاضنات تختل شخصيته وتتفكك ، ولا تنمو فيه مشاعر الحب والحنان .

التبرج المسرف

عاشرا : ان زي المرأة وما يتصل به من تبرج وتكلف في ابراز المفاتن ، والفرقة الغرائز ، وما وصل اليه الامر في ذلك من قلب الاوضاع وعكسها ، بحيث اصبحت المرأة لا تتزين لزوجها داخل بيت الزوجية ، وانما تتزين للمجتمع ، وتمضي في ذلك اوقاتا طويلة ضائعة على اسرتها ومجتمعها ـ هذا الزي والتبرج الذي يرتبط في الافهام بعمل المرأة ـ مسألة منفصلة ، لانه لا تلازم بينهما ، فهو اولا يعم المرأة العاملة في الخارج وغير العاملة ، ثم ان بعض السيدات العاملات قد تحلين بزينة الادب والحشمة ـ ولو نسبيا ـ فلم يسرفن في هذا المجال .

وهو بعد هذا ، امر لا يختلف في حرمته فقيه ، ولا يتنازع في اضراره اجتماعي امين ، وهو من الامراض التي انتقلت الينا من بلاد منحلة في هذا المجال عن تأثر بعض رجالنا ونسائنا بثقافاتها

وتقاليدها ، ثم فرضت دور الأزياء ومن وراءها على باقي الناس مناهجهم .

وليس ثمة مصلحة — ولو وهمية — من هذا التبرج المسرف ، وواجب المرأة أن تخرج الى المجتمع — حين تخرج — كإنسانة لا كأنثى ، فلا أنوثتها للمجتمع ، وإنما أنوثتها لزوجها ، وعليها أن ترجع في ذلك الى آداب دينها ، وتقاليد قومها ، وإن نعلم أن بعض البلاد التي تسوي فيها المرأة مع الرجل في ميادين الحياة العامة ، تخرج فيها المرأة الى المجتمع فتكون رجلا ، ثم ترجع الى بيتها فتكون أنثى . ونحن أولى بذلك اذا احتكمنا الى ديننا وتقاليدنا .

ملابس المرأة والحرية الشخصية

ولا يصح الاحتجاج في قضية لباس المرأة بالحرية الشخصية ، التي يتحدث عنها في هذا المقام أصحاب الأغراض المريضة وصاحباتها . فإن ذلك الاحتجاج لا نقول : إنه حق يراد به باطل ، بل إنه باطل يراد به باطل ، فالفرق بين الحرية والفوضى ، هو الفرق بين الالتزام والانطلاق ، بين الصلاح والفساد ، بين الخير والشر .

وحرية الرجل لم تجعله يعري جسمه ، ويكشف عورته .

وقد وصل حال أمر الزي في بعض البلاد الى الحد الذي اضطر ويضطر رجال التشريع والحكم — وهم الذين يسوسون الدنيا ويحرسون الدين والأخلاق الفاضلة — الى التدخل عن طريق التشريع والقانون ، حين لا تجدي التربية والتوعية والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة ، وحين تعم البلوى ، وتنتقل العدوى من المرضى الى الأصحاء ، وتشيع الشهوة والتهمة ، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ويحدث للناس من الأقضية بمثل ما يحدثون من الفجور .

وخلاصة الأمر أننا لاحظنا أن سيطرة الأسرة على أفرادها في مجال تكوين العادات والآداب قد ضعفت وانتقلت عنه السيطرة الى المجتمع بسلوكه العام وبصحافته وإذاعاته المسموعة المرئية ووسائل الإعلام فيه — وطنية وأجنبية — وقد دخلت في كل بيت ، وخلا لها الجو في هذا المجال .

وإن الإسلام يتطلب في الزي أن يكون ساترا للجسم ، يحميه من العوارض الجوية ، ولا يعوقه عن الحركة والنشاط والعمل . والله سبحانه وتعالى يقول : « وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » .

ويقول سبحانه : « يا أيها النبي ، قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما » .

بين الإفراط والتفريط

وإن الأمر في بعض البلاد الإسلامية قد انتهى الى الإفراط في التضييق على المرأة وإهمال شخصيتها ، بقدر ما انتهت بلاد أخرى الى التفريط في هذا المجال . وكلا طرفي قصد الأمور ذميم .

وخطوة من أولئك الى الأمام ، وخطوة من هؤلاء الى الوراء ، فنلتقي عند حكم الله ، وأدب الإسلام ، وفطرة الله التي فطر الناس عليها « وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » . ■■

زكريا البري



أنت باقٍ ولم تزل في الوجود ـــي قلوبٍ وفي عيونٍ ســود
الجماهيرُ نورها أنت في الليل وإلهامُها إلى المنشـــود
حبُّها حبُّ عابدٍ قدم العصـ [illegible]
ما شككت درمك الطويل وقد كـ ـت تُمشّي الخُطى بدرب جديد
أنت علّمتها الصعود إلى المجد وعلمتها احتمال الصمود
إن تبدّت صفق الليل رهواً وتحنى كل شامخ للسجود
وإذا ما خطبت أصغت لك الدنيا وحُييت بالهتاف الشديد
رضت خلفك الجماهير لا تر هب حقدا من شانئٍ أو حسود
[illegible]
وسرت في الضحى وكنت نشيدا [illegible]

* * *

[illegible] وفاءً مُرّاً من جحود
عصرت قلب العروبة دمعا وتهاوت في يومك المشهود
وتجهم الفضاء واسودت الأرض وما كان في الأسى من مزيد
يا أبا خالد فداك لكن لست والله عندنا بفقيد
ـعهود التي قطعنا بتوثق نحن أرباب مبدأ وعهود
ولنا في غد هجوم وثارا ت ونصر من العزيز الحميد
إن خسرنا فكم هزمنا جيوشا ورفعنا البنود فوق البنود



[illegible] العمر لن يسجنها [illegible]
والفترحات عن أمل الفتوحا

[illegible]

* * *

[illegible]

الكويت - احمد السقاف

طـــرائف

● كتب المنصور العباسي الى جعفر الصادق يقول: لم لا تزورنا كما يزورنا الناس؟ فأجابه: ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنئك بها، ولا في نقمة فنعزيك. فكتب اليه المنصور: تصحبنا لتنصحنا. فكتب اليه الصادق: من يطلب الدنيا لا ينصحك، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك.

زهد

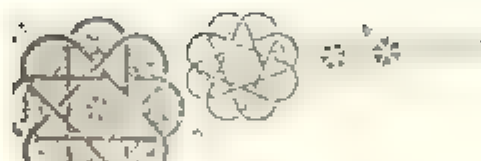
● قال سويد بن غفلة: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد أن بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير وليس في البيت غيره، فقلت:

نباهة شاب

● [illegible]

أفحمهم المرأة

● [illegible] حتى مات .



عربيـــه

متاع الحياة

يا أمير المؤمنين يملك المال ولست أرى في بيتك شيئا مما يحتاج اليه [illegible] فقال يابن عطية: ان البيت لا يلبث في دار النقلة، ولنا دار نقلنا اليها خير متاعنا، وانا عن قليل اليها صائرون.

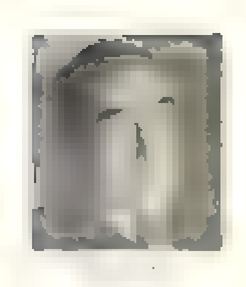
● قال الجاحظ كنت جالسا عند احد الوراقين ببغداد فاقترب مني ابو العباس احمد بن يحيى وكان من ائمة النحو في عصره فسألني: الظبي معرفة أو نكرة يا جاحظ؟ فقلت: ان كان مشويا على المائدة فمعرفة، وان كان في الصحراء فهو نكرة. فقال ابو العباس ما في الدنيا اعرف منك بالنحو.

سهم الجود

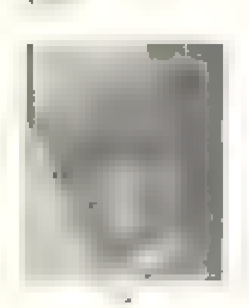
● [illegible] سهمي بيت من الشعر فأنشد الاعرابي [illegible]

التجربة اولا

● [illegible] الثلاثة.







بقلم : الدكتور حلمي اللحام

أمية وأمية

على أن هناك أمية من لون آخر، ليس خطرها أقل من خطر الأمية الأولى. وإذا كنا [illegible] الحرف [illegible] في هذه الأمة في مستوى [illegible] من اللحاق بركب الأمم المتحضرة، فإن أمية المتعلمين هي أقسى من الأمية الأولى

وسجنتها ورواجها، ولعل هذه النسبة [illegible] من أصحاب الإجازات العليا وأصحابهم، فما دامت الدولة قد سهلت لهم في [illegible]، إنهم إذا [illegible]؟ فلا عليهم إذا هم أغلقوا الكتب إلى الأبد، وأقاموا بينهم وبين الفكر سدا منيعا، وانصرفوا إلى أعمالهم اليومية الرتيبة، وإلى أحلامهم

والفكر

الكثرة الشائعة حوالي مفاهيم الثقافة الماضية، إنهم لا يقرأون ولا يفكرون ولا يملأون فراغهم إلا بما هو أفرغ منه ، لأنهم يتوهمون أنهم أحاطوا بالعلم من جميع أطرافه ، واكتسبوا من المعرفة في مختلف أعطافها . ومن المؤسف أن يكون هؤلاء هم كثرة المتعلمين ، وأن يكون الذين شذوا من « قطيعهم » قليلي العدد ، محصوري القدرة . ومن حق المرء أن يتساءل متى يتاح لمتعلمينا أن يفرّقوا بين ما حفظوه في مدارسهم ومعاهدهم ، وما اشتروا به علامات نجاحهم ، وبين ... الثقافة ، التي ينبغي أن تكون هي همهم وهاجسهم .

وليست الثقافة مقتصرة على المعطيات التي نتلقاها رأساً من الكتاب ومن الأستاذ ، فهذه المعطيات ليست سوى مفاتيح إذا ملكناها أمكننا أن ندخل بها إلى حرم الثقافة ، هذا العالم الرحب الذي يحس أننا متشوقون إلى ملاحظة ما يحيط بنا ، وإلى التفكير الذاتي في الأحداث ، والانغماس في الأشياء ، والبحث المتصل عن فكرة جديدة نستكشفها ، ومن إحساس غريب لم يكن لتراودنا عهد بمثله .

الثقافة متطلعة طامحة

والثقافة الرصينة متطلعة طامحة قلقة ، تنطلق من الشك الذي عرفه وعرف من يتابعه « جيد » André Gide ، والذي أسس قواعده « ديكارت » ، والذي انطلق منه ، قبلهما بقرون طويلة « الغزالي » ، وتجعل منه ، على حد تعبير أحد المفكرين « مفتاح الفكر » ، عازفة عن المعرفة المجترة التي تظفر بالإعجاب الواسع في المجتمع العريض ، منصبة على المعرفة الشخصية العميقة ، التي تقنع برضى فئة ضئيلة ، لأنها هي



التي تعرضها الى الفكر الخصب الجريء الحر، واذا كانت دعوى « غاليليو » انه استكشف اسلوبا آخر للحصول على المعرفة ، هو اسلوب القمع والقهر ، فان هذا الاسلوب لم يمنع الارض من ان تدور حول نفسها وحول الشمس ! وظل عالم « ايطاليا » ، على الرغم من ركوعه ، وقد تجاوز السبعين ، امام محكمة تفتيش روما ، وانكاره فكرها ، ما سمّوه كفره وزندقته ، وعلى الرغم من مكابدته التعذيب الذي افقده بصره ، — ظل رمزا للفكر المجاهد المنتصر ، وطوى النسيان من عذّبوه وظلموه .. ولقد يمكن كما يقول الفيلسوف « ألَن » « Alain » ان يجهل المرء ان الارض تدور ، ويحيا مع ذلك ، حياة جديرة بالانسان ، ولكن لن يكون انسانا مطلقا من يؤمن ، ومن يناصر من يعتقدون انه من الطبيعي ان تقام الادلة على دوران الارض بوسيلة السيف والشرطة ..

القوة فوق الحق ، والسيف فوق الرأي

وما اكثر ، مع ذلك ، من لا يزالون يجعلون القوة فوق الحق ، والسيف فوق الرأي . واذا كان قد قيل بعيدا عهد وزير المأمون اسحق بن ابراهيم ، الذي حاكم الامام « ابن حنبل » على رأيه المناقض لرأي الخليفة في موضوع خلق القرآن ، ومثله فان عهد وزير « الفترة » « فوربيع » ، الذي كان يردد هذا القول : « كلما حدثني احد من الاذكياء شعرت ان صدري « ليس بخير » ، واذا لمحنا اليوم ، ذات اليمين ، وذات الشمال ، في مشرق الارض ومغربها ، وقع بصرنا على من يساهمون في قص اجنحة الفكر ، والمحاسبة الجائرة على الرأي ، وتشريد المفكرين . ومن هنا نجد ان ولادة مفكر امر عسير ، غالي الثمن ، اذ ان كل ما في الوجود يتضافر للحيلولة دون مصافحته النور : ... ، المدرسة ، التقاليد ، المجتمع ، ... السلطة . وليس ايسر من ان يصنع المرء ما يصنع الناس ، وان يردد ، كالببغاء ، ما يقولون ، ففي هذا اراحة ظاهرة للاعصاب ، والتماس للسكينة ، وهرب من الجهد الذي يستلبه ما حاول « سقراط » نشره من تعاليم ، بحواره ، وهو يطوف في الاسواق ، وبقصة حياته التي انتهت بكأس السم القاتلة ، ليجيب بكل فرد ان يخلق فكرته الذاتية ، ويكافح بها ، ويموت ، مثله ، من اجلها ..

على ان الثمن الذي يدفع حتى يولد مفكر ، مهما يكن باهظا ، لا يذهب سدى ، ويظل هذا العقل العربي المستنير ، صاحب الملكة المميزة ، والحس النافذ ، والابتكار الخصب ، هو المعين النبع الذي يغني المجموعات البشرية الاكثر تشوه العظمة الجماعة ، وسطوة السلطة السياسية ، ويظل ايضا هو اب هذه الحضارة الانسانية ، والسمو الذي يحقق به الانسان معنى وجوده على سطح الكرة الارضية ..

الفكر والتفكير شرائط لا بد من توافرها

ويوهم مع ذلك ، كثير من المعلمين ، انهم ، دون ان يضعوا اي فن مرهق ، مفكرون . ومن شيمهم فرط حسن النية ، بحسب ان الفكرة الصحيحة صائبة ، وانه يبحث عنها في كل مكان ، ولكن حسن النية لا يكفي ، والتفكير فن يتطلب، كسائر الفنون ، شرائط لا بد من توافرها حتى يستقيم مطلوبا كاملا ..

من شرائط الفكر تركيز النفس

واذا كان لا ريب في ان عمل الفكرة يرتكز على التركيز النفسي ، فان في انطلاقها دائما ، كما يقول « برغسون » « Henri Bergson » ، باكرا خالصا صافيا .. وان في جذر كل فكرة كبيرة تمور اولا اوتار الروح ، كما انتعش الصنوبر بظلمه المطر ، شعورا بالتجاوب بين النفس وبين ما حوله مكانها ، والاثر اعماقها ، وانتظار نضجها ، وهذا معنى صاحب الفكر ان يحيا مرتفعا عن الاطلاع ، ويوهم نفسه في خلاياها انه انما يهبط على الارض من رحلة الآفاق ، فينظر الى الاشياء بعين بريئة معجبة ، ويحاول طوق حسه وخياله وحذره ، ان يلهم باسلوب جديد يحرك فيه الاستغراب والقلق ، ويصل ، في الوقت نفسه ، ذكاءه .

والذكاء يصدأ ، فلا بد من صقله

وليس من التأكيد ، بعد ، ان صقل الاذكاء باستمرار ، لئلا يتحول الى ماكينة تدور حول نفسها ، امر ضروري غاية الضرورة ، بالقياس الى رجل الفكر . ونظرة عجلى الى الاستاذ الذي يقتات من مادته المحفوظة ترينا كيف ان معرفته تقف عن النمو ، وان نشاطه النفسي يتجمد شيئا فشيئا حتى ليكاد ينطفئ ، وان ذكاءه يصدأ من طول مقامه في العمل الرتيب . وبمعنى كلمة لـ « جول لوميتر » Jules Lemaître يقول

شيئاً . « خير تلميذ لي هو الذي ليس من رأيي » . وأظنّ أنه يقصد من ذلك هدفين : أولهما تعويد الطالب استخدام الآلة التي يحملها فوق كتفيه ، ولو أدّاه هذا إلى مخالفة رأي أستاذه ، وثانيهما أنّ هذه المعارضة تدفع الأستاذ إلى اليقظة الدائمة ، وإلى تجنّب الاعتماد على ما حفظ وما كرّر . فالتلميذ المستقلّ الرأي يبني شخصيته بيديه فيبني هو أيضاً ، ويذكّر أستاذه ، دون أن يرجف ، بواجبه في شحذ تفكيره شحذاً متصلاً ، ليكون أهلاً لما نذر له حياته .

والتجريب الذهني يتعدى بمعتقده أكثر من مجال

والتجريب الذهنيّ في أيّ اتجاه يتخطى بصاحبه أكثر من مجال . وإنّ أيّة محاولة جادّة ، كما تقول « سيمون فيل » ، لحلّ مسألة هندسية معقدة مثلاً ، ولو لم تؤدّ بصاحبها بعد جهد ساعة وبعض الساعة ، إلى أيّ حلّ ، تكون قد أدّت ، دون شعور صاحبها ، إلى تقدّم من دقيقة إلى دقيقة في اتجاه آخر أعمق ، وإنّ سرّاً . إنّ نوراً جديداً في النفس قد شعّ ، في هدوء وعمق ، سيبدو أثره ، فيما بعد ، في موطن من مواطن الذكاء قد يكون غريباً كلّ الغرابة عن الاتجاه الذي جهد فيه الفكر !!

والحوار مع عقل كبير

هذا ، والحوار مع عقل كبير ، يبقى المصدر الأول والأعظم لتحريك الذهن . وما أحوج المثقف والمتعطش إلى الثقافة إلى أن يصطفي مؤلفاً كبيراً يستصحبه مصاحبة ويسامره ساعة كلّ يوم ويحسّ في بادئ الأمر ، أنه في مطلع كلّ لقاء جديد ، أن تكون موقفه حياله ، موقف الإعجاب والإجلال والخشوع ، يلتمس منه أول ما يلتمس تحريك الفكر ، وفتح باب من أبواب التفكير .

فإذا شاع في النفس جوّ الصفاء ، وبهتت لولوج عالمها الخاصّ ، عاد الكتاب فنام في موضعه من رفّ المكتبة ، وربما تفانى بهما مرة ، وبصفة أخرى بين أفكار تصطرع في معالمه مؤتلفة من أفكار « أستاذه » ، ومن أفكار شتى مخالفة ، فإذا انقطع التلاقي بدا حوار داخليّ في أعماق النفس ، فها هي ذي أسئلة تخرج ، وأجوبة تحشد أعناقها ، وها هي ذي مشكلات تعرض ، وحلول تلوح في عالم من شغب ، والعقل في حواره

هذا التفاعل ، يلد الفكرة الحية نفسها الفكرة .

والكتب العظيمة ، بعد ، كلها صالحة لتحريك العقل ، إذا أحسنت قراءتها . ومن أجود ما قيل في هذا المعنى ما رواه الجاحظ في كتابه الحيوان من قول أبي إسحق : « إنّ الكتب لا تحيي الموتى ، ولا تحوّل الأحمق عاقلاً ، ولا البليد ذكيّاً ، ولكنّ الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول ، فالكتب تشحذ وتفتق ، وترهف ، وتشفي .. »

رجل الفكر بين كتبه

وما أحلى هذه السويعات ، يجلس فيها رجل الفكر إلى مكتبه ، والفجر لمّا يبزغ بعد ، وضياء مصباحه الذي لديه ، يرسل أشعّته الهادئة الناعمة على الورقة البيضاء أمامه ، وهو غارق في تأمل عميق ، يفرح بالأفكار المزدحمة من حوله ، كالعصافير فوق بيدر القمح ، وهو يحاول اقتناص ما يحتاجه منها ، يختار اختيار متمهل ، ليتدبّر ويزن ، بمرآة الذوق الحساس ، كلّ خاطر ، وكلّ هاجس ، لا يستسلم لأيّة حركة من الحركات العفوية ، ولا يقبل ما يأتيه عن طريق حواسه ، دون أن يقارعه بالاجتهاد ، ويحكّم عناصره ليتبيّن له السطحيّ من العميق ، والخطأ من الصواب ، والحقّ من الباطل ، والمصدر بعينه حكمه ويقدّره ويزنه .

الوزن عماد المفكر

فالوزن هو عماد المفكر ، ولا يخدعنك هؤلاء الخطباء الذين يتدفقون بالكلام كالسيل الهادر ، لا يقوّمونه ولا يزنونه ، فليس وراء كلامهم ، في الأغلب ، فكر ، والخطاب الذي يقصد به إلى الإثارة الأدبية العابرة مثل الكلام الذي يجدر بالعاقل أن يتجنبه ، مهما يجرّ عليه ذلك من غضب ، فما تكره أكثر رجال السلطان شيئاً كالفكر ، كأنما هم يضيقون بأسه ، ويخافون غضبه . ولو قد عاد هؤلاء إلى أنفسهم ، في لحظات محاسبة وجدانية لأدركوا أنّ دورهم في مسيرة الإنسانية ، بعد زمن يسير من تألّق نجومهم ، دور ضئيل محدود .

كتب في التاريخ يجب أن تختفي

وأظنّ أنّ الكثير من كتب التاريخ ، ينبغي أن تختفي من الوجود لتحلّ مكانها ، كتب تاريخ جديدة ، مكتوبة بأقلام مفكرين . ولئن طغى أمثال أسياد محترفي الشغب ، وهاجت غرائزهم الوالغة

ملا ثنى العابر ، فان الحق سيرغم الا يحتل صفحات التاريخ المجيدة رجال العلم والادب والفن الذين يسهمون كل يوم ، بل كل ساعة ابين اسهام في صنع الحضارة الانسانية من جديد .

النعيم الابله الذي يحوزه اخوه الجهالة

ايكون هذا حكما لا يحتمل ؟ ولكنه حكم لم اصبح ان يتحقق ، لينال الفكر مكانه الذي اغتصبه الجهل .. ، والى ان يرقى البشر في هذه المعارج الثالثة ، فلنحاول نحن ما استطعنا ان نمضي بالعلم كيفما ، وان نجعله وسيلة الى تدريب عقولنا واعدادها للبحث الشاق المتصل ، في ايمن لهذا العناء يتكبده ذوو العقول ، ولا مغرورين بهذا النعيم الابله ينال اخوه الجهالة .. هذين الشقاء والنعيم اللذين وصفهما المتنبي في بيته الجميل هذا

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

ورب شقاء خير من نعيم .. فلا فرح حقيقيا يمكن ان يكتشف بدون الم .. ولا بد دون الشهد من ابر النحل ـ كما يقول المتنبي نفسه ـ .

حوار طريف بين صاحب فكر وافكاره

واني اود ان اضع بين يدي الذين يرغبون مشكلات التفكير هذا الحوار الطريف بين احد كبار مفكري العصر وشعرائه ، وبين الافكار ، فلعل في هذه الفترة القارعة ما يحبب الى بعضهم عذاب الفكرة (١) .

.. ويصف الشاعر نفسه ، حين استيقظ مع الوردة ، واخذ يمشي في « روضه » ، يطل راسه مجنحا بالثقة ، فيحيي افكاره الساترة ، واحدة هنا تناقش ، واخرها هناك ... ، ثم يسائلها جميعا : « ماذا صنعت هذه الليلة ، ايتها الزاوية ، يا من [illegible] السلام ان تشتهين بينات [illegible] »

فتجيبه « الافكار » :

« نحن دائما ناصعات السيرة ،
« لم يطفئ وجودنا السمر ابدا سطع حجرتك
« كنا هنا ، غير بعيد منك
« ولكننا كنا اشبه بمخالب خفية
« في ظلمات ذاتك .
« السنا الان شيئا من الفرح
« الا ترى الف شمس من حرير
« تنسل من حنايك الظلام
« لتشرق في حنايا الغامضة .
« لقد القينا على ضوء قراراتك السحيقة
« حيوتنا الوثيبة الدائمة
« وسلكنا طيبتك العارية
« في نسيج هش
« فسوف تصبح مشعا (٢) .

التفكير ليس وقفا على الفلاسفة

ومن الناحية الثانية فان التفكير وقف على الفلاسفة والمتفلسفين ، واذا كان هؤلاء واولئك يعانون من تفكير الفرد ما يعانون ، فلعل طائفة منهم قد اسهمت في تبرير ذلك بما احاطت به الفكر الفلسفي من ضبابات وطلاسم ، كما ان لدى بعض فئة الاحزاب ومفكريها من الرموز والمصطلحات والتعابير ما يعطي اسوأ صورة عن الفكر ، وما يخيف اوساط الناس منه ..

على انه في وسع كل من اعطى نصيبا من المعرفة والذكاء ، في حدود طاقته ، ان يكون على حد تعبير احد العلماء ، مرآة مفكرة ، تعكس صورا للوجود على شكل ما ، ليس هو بالضرورة شكل الصورة التي تنعكس في المرايا الاخرى ، لان الصور اذا تماثلت جعلت الناس اشباحا لا ارواحا ، وتماثيل لا عقولا ، واوراقا صماء لا قلوبا . فالفكر هو الذي يمنح صاحبه لحنه الخاص في سمفونية الوجود الكبرى ، وهو الذي يتيح له ان يكتسي عالم الفكر باراء ، مهما تكن متواضعة ، تنتجها في انها شخصية ، ذوات طابع خاص .

ونحن في شرقنا العربي

ونحن ، في شرقنا العربي ، ما نزال نزداد بعدا عن القضايا الفكرية ، زاد نفورنا منها انفتاح العصر الحديث المطل على كل ما يتصل بالحس ، وبالحس بوجه خاص ، وانطلاقه المخيف مع

---

(١) [illegible] ، خلال [illegible] ، أن [illegible] كل صباح في الساعة [illegible] ، [illegible] الى « [illegible] » التي [illegible] ، والتي [illegible] ، موسوعة [illegible] .

(٢) [illegible]

السرعة التي تلهم كلّ شيء . الغرب المنحرف مع مشكلات العصر ، ووراءه تراث ضخم من العلم والمعرفة والحضارة ، وأخلفه تهاويل السرعة ، والآلة عنده في أوج نتاجها ، وصفت بنا نحن مشكلات المدنية ، ونحن لم نهيئ لها ولم نستعد ؟ وسحقتنا السرعة ، ونحن في مستنقع الجهل ، فطرأت بها لئلا نسحق شيئاً ، ووراءنا ، مع ذلك ، الراؤون ، بتفقي سياسات متطاولة على رصيف طهي يتثاءب فيه ضميرنا ، لا يدري عن أي شيء . وما بقينا أمة تهمل الفكر فسيصعب علينا كسب أية معركة في أي مجال .

لقد أخذنا من الغرب مفاهيمه ، تنحرف تارة الى اليمين ، ونتجه طوراً الى اليسار (مستهلكها) صطفاً ، ولعلنا بما راق لنا منها ، وما فهمنا من صورها ، وأحاط بنا صور مسرب ، حديث الأساليب والوسائل، سائر الطريقة فعارسناه بالوهم والخيال وأمجاد التاريخ ، وسرنا في شوارع كلها على غير هدى ! ..

ولن يكتب لنا أن ننتصر في معاركنا الداخلية والخارجية ، ما لم نستمر في أعمالنا بضياء الفكر ، الفكر الذي يمتدّ جذوراً عميقة في تربته ، وينسج خيوطاً مشعة في أجوائنا ، الفكر الموهوب الذي يرفع الفكرة الى مستوى الخلق والاختراع .

الفكر هو ابن الثقافة الحقة

وهذا الفكر هو ابن الثقافة الحقة الحية المتطورة .

الثقافة التي تبدأ بسعي المثقف ذاته ، فيجنيها معجباً بما آمنت به .

الثقافة التي تنظر الى تغيير المجتمع المريض وتحريره من التخلف العلمي والاقتصادي والحضاري ، وانتشاله من الاستغلال ، دون أن تكون في هذا خادمة لمذهب بعينه تتوكأ عليه ، فلم يبق في الامكان ان يمسه تبديل .

الثقافة الحقة المؤمنة بأن أجمل صفات المثقف انه لا يتسم بالأنانية والأثرة ، ولا يملك شيء كما يلذ له أن يعطي من ذاته ، لأن معنى وجوده يكمن في العطاء ..

الثقافة التي هي اتزان وتوازن ، لا صلة لها بالحناجر المجروحة من الصياح ، ولا بالأعطاف الملتوية من البلاغة ، لأن المثقف لا يعتبر الكلام إلا تعبيراً عن فكرة انضجها ذهنه ، والشكل إلا قالباً لمحتوى صادق صحيح ، والشعار ، اذا كان شعاراً ، إلا رمزاً لما طوى عليه ضميره من معنى .

الثقافة التي هي علم وعمل ، فالمثقف يؤازر ان يتطفل الفكر ، ويحرص حرصه على أن يقول ما لا يريد أن يراه وأنما أمامه ، وما لا يعمل بكل قواه على انقاذه ، واخراجه من الكلام المجرد الى عالم الحقائق

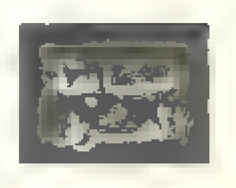
الفكر لا يتجسد إلا اذا سكن الاحرف

واذا كانت الثقافة الحية هي التي تلد الفكر ، فالفكر هنا هو تعبير ، وما بقيت الفكرة هواجس تختلج في الضمير ، فانها تظل صوراً سابحة في السحاب ، تعلو وتطفو كدخان الشيفة ، والكلام هو الذي يحدد معالمها ، فاذا كان كلاماً شعرياً وضع الفكر حتى الوضوح، وأمكن نقله والاستفادة منه ، حتى السهو . على أنه لا يكمل ولا يتحدد كلّ التحديد إلا حين يسكن الأحرف ، ويتجسد فيها (؟) ، ففي هذا الاخراج المادي صوغ للفكرة يصقل عناصرها ، ويحاول جعلها دقيقة الحي الدالة المتكنه وقابلة للتداول أيضاً .. ومن هذه الصلة الوثيقة بين اللغة والفكر تظهر ضرورة مقدرة المثقف على التعبير ، فكلما قوي في هذا المجال اكتسب فكره دقة ، وكان امكان انتشاره أوسع ، واحتمال بقائه أقوى . واذا عجز المفكر عن التعبير ماتت الفكرة في صدره ، فأصبح طاقة مهدورة ، وما أفظع مأساة ضياع القوى في بلاد هي في أمس الحاجة الى أية طاقة وأية قوة ..

الفكر الحي مع الحرية

والفكر الحي مع الحرية ، فكما انه لا ينمو ولا يمكن أن يبدع إلا في جو حر ، وكما أن الفكرة ابداً لن تكون حرة أو لا تكون ، فان الفكر يدافع عن الحرية في جميع اشكالها . واذا كافح من أجل حقوق الفلاح والعامل والفقير والمريض — وهو خائن لثقافته إن لم يكافح — فانه لا يرضى أن يشتري هؤلاء خبزهم ودواءهم بثمن كرامتهم . انه يريد لهم الخبز والحرية .. ، الفكر الحي لا يمكن أن يكون إلا مع الانسان ، كل الانسان ..

حلمي التحام



١٢ سؤالاً

■ [illegible] سؤالاً [illegible] في
أعداد مجلة « العربي » التي صدرت خلال عام ١٩٧٠ .

[illegible] الأولى [illegible]
الجوائز ، التي تبلغ مجموع قيمتها ١٠٠ دينار .

١ – [illegible] أعلنها الإسلام قديماً ، وأعلنتها الثورة الفرنسية والأمم المتحدة حديثاً .. ففي أي سنة أعلنتها الأمم المتحدة ؟

٢ – [illegible] تنقسم إلى جواهر مادتها عضوية [illegible] ، وجواهر مادتها لا عضوية . والعضوية هي التي [illegible] على سطح الأرض أو في البحر . [illegible] الجواهر غير العضوية [illegible] لا حياة فيها ، وتوجد [illegible] على شكل بلورات . والمطلوب منك أن تذكر أمام كل نوع من الجواهر الآتية عضوية هي أم غير عضوية [illegible] المرجان .

٣ – [illegible] فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة ، ألف رسالة [illegible] في موضوع [illegible] ما قيل في الصداقة والصديق ، [illegible] تأليف هذه الرسالة فترة طويلة ، امتدت من [illegible] التوحيدي حتى أواخر حياته ... فما اسم هذه الرسالة ؟

٤ – [illegible] مرض معروف من قديم الزمان ، ذكره أبقراط في كتاباته ، [illegible] وصفاً دقيقاً [illegible] فما هو الاسم العلمي العربي الذي عرف به هذا الداء .

٥ – [illegible] من [illegible] والحصى [illegible] الآخر [illegible] مادة [illegible] ، وبعد [illegible] معنى اللفظة التي تقوم بالقسم لصالحا .

٦ – [illegible] على [illegible] ، كما [illegible] مصطلحات الألفاظ الزراعية [illegible] المصطلحات العربية والفرنسية [illegible] لفظاً عربياً [illegible] المسماة « الكلوروفيل » ، فما هو هذا اللفظ العربي ؟

إذا تعذرت عليك الإجابة فراجع في أعداد العربي الاثني عشر لعام ١٩٧٠

٧ - [illegible] لم يعرفه العرب [illegible] وكانوا يستخدمون ورق السدر وأنواعا من [illegible] فمتى [illegible] أعملوا [illegible] وبدأوا [illegible] صنع الصابون اليوم ؟

٨ - [illegible] ضربها الزلزال عام ١٩٦[illegible] ولم يمض سبع سنوات على خرابها حتى ظهرت مكانها مدينة رائعة جديدة ، ويحضر هذا القول الذي قيل بعد وقوع الزلزال : « التي حكمت الأقدار بخرابها [illegible] ولكن بناءها موكول إلى إرادتنا وإيماننا » .. فمن هو قائل هذا القول ؟

٩ - كان [illegible] العالم في [illegible] القرن السابع [illegible] البلاذري [illegible] هذه الشجرة التي [illegible] كثيرة المساوئ والأضرار .. فما اسم هذه الشجرة ؟

١٠ - [illegible] جرم من أجرام السماء ، متوسط الحجم ، متوسط [illegible] هو أقرب النجوم [illegible] الزمن [illegible] لأرض

١١ - [illegible] كتاب [illegible] رحل [illegible] المغرب العربي ، [illegible] التي [illegible] في أدب [illegible] العربي .. فما اسم مؤلف هذا الكتاب ؟

١٢ - [illegible] فكان ما كان فيها من استقلال وحرية .. فمن هو هذا السلطان ؟

شروط المسابقة

١ - أن يرفق بالإجابة كوبون المسابقة المنشور في ذيل هذه الصفحة

[illegible]

٣ - ضع إجابتك في مظروف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي :

[illegible]

٤ - آخر موعد لوصول الإجابة إلينا في الكويت هو اليوم الثالث من شهر فبراير

٥ - [illegible]

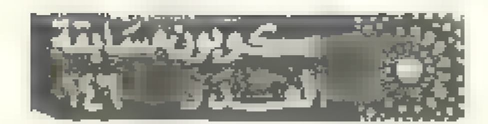
الجوائز

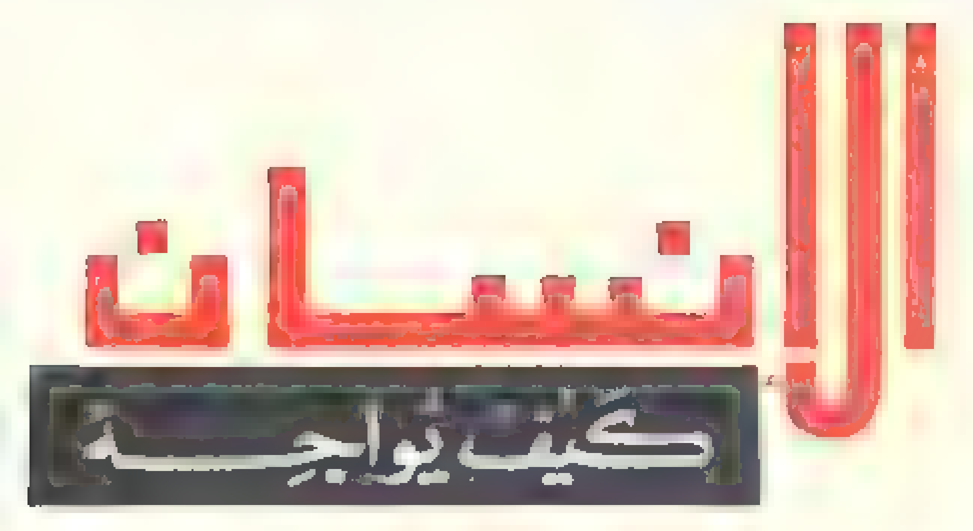
يمنح الفائزون جوائز [illegible] دينار كويتي على الوجه الآتي

الجائزة الأولى [illegible] دينار الجائزة الثانية [illegible] الجائزة الثالثة [illegible]

٨ جوائز مالية قيمتها [illegible] دينارا ، لكل منها [illegible] دنانير .

... وعند تعدد الإجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع





بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

المسايرة كيف تكون

فسايرها بما يجعلها متفقة مع روح العصر ، وتخالفها بما يحفظ لها كيانها المتميز ؟ واما المسايرة فأدنى درجاتها ان تشترك انداد عصرنا همومهم ومشكلاتهم ، بحيث تكون المسائل الرئيسية المطروحة للبحث ، هي نقطة الالتقاء التي يجتمع عندها المفكرون جميعا ، كل بوجهة نظره ، فالذى يجعل العصر الفكرى المعين عصرا واحدا ، ليس هو ان تتفق اجابات المفكرين عن الاسئلة المطروحة ، بل هو ان تكون الاسئلة المعينة الواحدة مطروحة للجميع ، اما ان يكون موضوع البحث الرئيسي في هذا الركن من اركان العالم هو كذا ، وفي ذلك الركن هو كيته فعندئذ لا يكون الركنان كلاهما في عالم واحد بالمعنى التاريخي ، برغم انهما واقعان في عالم واحد بالمعنى الجغرافي لهذه العبارة ، وانظر نظرة الطائر الى عصور الفكر المتعاقبة ، تجد ان سقراط وافلاطون وارسطو يكونون عصرا فكريا واحدا ، لان المسائل الرئيسية الموضوعة عندهم للبحث واحدة ، لا لانهم اتفقوا في الرأى حولها ، وتجد جماعة المتكلمين في تاريخ الفكر الاسلامي يكونون مدرسة واحدة ويعيشون معا في عصر فكرى واحد ، لان امهات المسائل التي عرضوها للنظر واحدة عندهم جميعا على وجه التقريب ، لا لانهم اجابوا كلهم عنها بجواب واحد ، وكذلك قل في جماعة الفقهاء وجماعة الفلاسفة . وكذلك ايضا قل في تاريخ الفكر الاوربي الحديث منذ النهضة الى يومنا ، فكان للقوم في كل قرن من زمان مسائل رئيسية تشغلهم ، فيختلفون في حلولها ، لكن يتفقون في جعلها موضوع البحث والنظر ، فيكونون بهذا الاتفاق انداد عصر فكرى واحد .. وعلى هذا الاساس نفسه ، نقول ان المفكر العربي في عصرنا ، انما يساير عصره الفكرى ، لا بكونه يردد الاجابات التي يجيب بها سواه في هذا الجزء او ذاك من اجزاء العالم ، بل هو يساير عصره بأن يشارك زملاءه المفكرين في مشكلات بعينها انشأتها لهم جميعا ظروف العصر الواحد وحوادثه .

المخالفة كيف تكون

تلك هي المسايرة ، واما كيف يجيء الاختلاف بما يحفظ لثقافتنا العربية كيانها المتميز الفريد ، فذلك واضح فيما اظن ، فالامة العربية تتكلم لغة خاصة بها ، ليست هي الانجليزية ولا الفرنسية ، ولالفاظ اللغة وطرائق تركيبها جذور عميقة في طريقة الانسان حينما يتناول الطبيعة



من حوله بكل ما فيها ومن فيها ، فانظر – مثلا – في اختلاف لغة عن لغة في التعبير عن الزمن ، تجد فروقا شاسعة في اللغة العلمية عند أصحاب اللغتين ، فقد يكون موضع الاهتمام عند فريق هو أن تجيء « الأفعال » في اللغة دالة على التسلسل الزمني بين حادث سبق وحادث لحق ، على حين يكون موضع الاهتمام عند فريق آخر هو مضمون الأحداث لا ترتيبها الزمني ، أو انظر إلى اختلاف لغة عن لغة في العناية بأن يجيء ترتيب الألفاظ دالا بذاته على ترتيب أجزاء الفكرة ، فاللغة التي لا تتغير أواخر كلماتها في الإعراب تعتمد كل الاعتماد في تنظيم الفكرة على ترتيب اللفظ ، وأما اللغة التي تتغير أواخر كلماتها في الإعراب فأكثر مرونة وحرية ، لأنها تستطيع أن تقدم وأن تؤخر ، معولة في فهم الفكرة ، لا على ترتيب ألفاظها بل على شكل أواخر كلماتها ، ففي الأولى دقة العلم وفي الثانية ليونة الشاعر ، الأولى أقرب إلى الآلات الحاسبة الحديثة ، التي تسير عملياتها في طريق واحد لا اختيار فيه ، ومن ثم تأتي دقة النتيجة والثانية أقرب إلى الكائنات الحية فلها أن تختار أكثر من طريق ما دام الهدف واضحا أمامها .

الكاتب العربي يختلف اختلافا يحفظ له كيانه المميز

أقول إن الكاتب العربي إذ يشارك معاصريه همومهم ، فهو قمين أن يختلف في طريقة التفكير وطريقة الحل ، اختلافا يحفظ له كيانه المتميز ، أولا : لأن له لغته الخاصة بكل ما تؤدي إليه تلك اللغة من أسلوب في تناول المشكلات ، وثانيا : لأن أمته وضعا خاصا وضعتها فيه ظروف التاريخ الحديث ، ذلك أنها غلبت على أمرها أمدا طال هنا وقصر هناك ، والذي غلبها على أمرها كان إما حامل سلاح لم تحمل هي مثله ، وإما حامل علم لم تحمل هي ما يشبهه ، فلما ما أزاحت عن كاهلها هذا الضيم وأخذت تحمل السلاح وتحمل العلم ما استطاعت إليهما من سبيل ، فهل معقول – والحالة هذه – أن ينظر الغالب والمغلوب إلى مسألة بعينها ، فينظرا إليها بعين واحدة ؟ أإذا أخذت الغالب القديم نظرة تشاؤم إلى المستقبل بعد أن فقد سلطانه وهيلمانه ، يلزم أن ينظر المغلوب إلى المستقبل بهذا التشاؤم نفسه ، مع أنه في سبيله إلى أن يكون له هيلمان وسلطان ؟ أإذا نظر شباب الغالب القديم إلى آبائه فيئس من حكمتهم التي خابت ، وخرج عليهم مثل هذا الخروج الجامح الذي نشهده كل يوم أشكالا وألوانا ، يلزم أن ينظر شباب الأمة التي هي في طريقها إلى الخروج من محنتها ، إلى آبائه نظرة اليأس نفسها مع أن الآباء هنا هم الذين حملوا لهم ألوية النصر في المعارك ؟ إنه ليكفي الكاتب العربي أن تكون أحداث العصر قد ألقت في وجهه شيئا اسمه إسرائيل ،

لتكون وجهة نظره الى مشكلات العصر وحوادثه مختلفة أشد الاختلاف مع زملائه الكتاب من الجماعات التي أشرت في صدر هذا القول، حين ينظر معهم الى مسائل العصر وحلولها.

والكاتب العربي قمين كذلك أن يخالف المفكرين المعاصرين اذ يشاركهم النظر في الأمور المطروحة للبحث، لا لأنه مختلف بحكم لغته — أي بحكم أسلوب تفكيره — ولا لأنه قد وضع في ظروف سياسية واجتماعية سائدة فحسب، بل لأنه أيضا ورث تاريخا غير التاريخ الذي ورثه الآخرون، فهذا التاريخ يحمل الينا مع موجه تقاليده، قد نقبلها وقد نرفضها وقد ندخل عليها تعديلا، لكننا في جميع هذه الحالات مشغولون بها انشغالا ينعكس على طريقة النظر — هكذا يساير الكاتب العربي عصره اذ يسايره، وهكذا يتخذ لنفسه موقفا فريدا اذ يختلف عن معاصريه بما يحفظ له شخصيته وكيانه.

العلاقة بين الإنسان والطبيعة

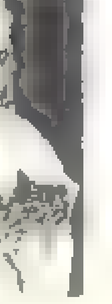
ومن المسائل المطروحة في النتاج الفكري لعصرنا، مسألة العلاقة بين الإنسان والطبيعة، ما طبيعتها وعلى أي نحو تكون؟ وليس الموضوع ابن اليوم، فهو من الموضوعات القليلة التي ما انفكت قائمة تتحدى المفكرين، ويكون لكل عصر طريقته في معالجتها، حسبما يسود من مبادئ تكون غالبا سائدة عندئذ، فقد تكون من هذه المبادئ الأولية السائدة في عصر معين أن كل ما في الكون حياة واحدة، وأنه ليس في الكون الفسيح جماد موات، واذن فالانسان بالنسبة الى بقية الكائنات الحية درجة عليا في سلم متدرج، يختلف ادراكه عن ادراكها في درجة الوضوح فقط، لا في أنه هو وحده المدرك وبقية الكائنات عمياء بغير ادراك، وقد تكون المبادئ الأولية السائدة في العصر المعين نقيض ذلك، بأن نفرض أن كل ما في الكون — انسانا وغير انسان — مجموعات ذرية، تجتمع على صورة ما فتكون كائنا معينا، أو تجتمع على صورة أخرى فتكون كائنا آخر، واذن فالانسان بالنسبة الى بقية الكائنات في هذه الحالة تشكيل بين صنوف متنوعة من تشكيلات المادة، له خصائصه التي يمكن أن تقاس بالعلم وتضبط قوانينه، وقد تكون المبادئ الأولية السائدة هي رفض هذا التجانس بين الإنسان وغيره — حيوانا أو جمادا — فلئن كانت النظرة الأولى قد جانست بينهما في الحياة والادراك، والنظرة الثانية قد جانست بينهما في عناصر التكوين المادية، فالنظرة الثالثة تأبى أن تجانس بينهما في شيء، وتجعل الإنسان في منزلة وحده دون سائر الأحياء والأشياء، ولكل نظرة من هذه النظرات نتائجها التي تظل تتسع حتى تشمل أوضاع الحياة جميعا.

فلما جاء عصرنا هذا الذي نحياه، وجد مسرح الفكر في هذا الموضوع لا يكاد يشغله الا أصحاب نظرة ازدواجية تقابل بين الإنسان في طرف، والطبيعة في طرف، لكنه سرعان ما تبين أن مثل هذه النظرة قد لا تتسق مع الفيزياء النووية التي تسود عصرنا، ولا مع النظريات العلمية بالنسبة الى تطور الأحياء، فأخذ فلاسفته يميلون شيئا فشيئا الى أن يحلوا ضربا من الوحدانية بين الإنسان والطبيعة محل الازدواجية القديمة، على اختلاف بينهم في الطريقة التي يوحدونها بها، ففريق يختار في هذا التوحيد تعقيلا للطبيعة، أي أن يجعل الطبيعة عاقلة في جوهرها كالإنسان سواء بسواء، وفريق آخر يختار تطبيعا للعقل، أي أن يجعل العقل ظاهرة كأية ظاهرة أخرى في الطبيعة، يبحث بالمنهج العلمي نفسه الذي تبحث به سائر الظواهر

لكننا نريد مزيدا من الشرح، لنرى بعد ذلك، أي موقف يحسن بالفكر العربي أن يقفه من الأمر، فيساير الزملاء في موضوع البحث، ويشاطرهم وجهة النظر؟

مواجهة الذات العارفة بالشيء المعروف

كانت المواجهة الأساسية بين الإنسان والطبيعة التي ظفرت بالعناية من فلاسفة الغرب بصفة عامة، وفي القرون الحديثة الثلاثة من عصر النهضة الأوروبية بصفة خاصة، مواجهة الذات العارفة بالشيء المعروف، فالإنسان يدرك ما حوله أو يتعرف على أساس ادراكه، وسؤالهم الرئيسي هو: كيف يتاح للإنسان أن يدرك ما يدركه؟ أبالحواس يدركه، أم بالعقل المحض، أم بأداة أخرى لا هي موهوبة حاسة ولا عقل، كالحدس مثلا؟ (الحدس هو المصطلح الفلسفي لما قد نسميه «البصيرة»)، وكان هذا السؤال يتضمن فيما يتضمنه أن الذات الانسانية


جاليليو

ديكارت

وهي التي تعرف ، والطبيعة المحيطة بالإنسان وهي التي تعرف (بضم التاء وفتح الراء) جوهران مختلفان ، قوام الذات روح والطبيعة مادة ، وفي ادراك الروحاني للمادي صعوبات تحتاج من الفلاسفة الى توضيح ، ما دام الطرفان — الطرف العارف والطرف المعروف — على هذه الدرجة كلها من الاختلاف .

والعجيب أنه لا الاقدمون ، ولا فلاسفة العصور الوسطى ، قد تبينوا سببا كافيا لما ينطوي عليه هذا الموقف المعرفي من مشكلات نظرية ، فلم يعنوا عنه لا طويلا ولا قصيرا ، اذ افترضوا افتراض التسليم بأن الجهاز الانساني من حواس ومن عقل قادر على أن يصور لنا الاشياء والحوادث كما هي في واقعها الخارجي ، حتى ظنوا أن عالم « الانفعال » يصور عالم « الاعيان » تصويرا حرفيا — كما قد يقال — فيكون الشيء أو الحدث الذي وقع ، معادلا لادراكنا الحسي منه معادلة تامة ، فكرى من العلم الذي يجيء في صورة مطابقة للعالم نفسه ، وجاءت النهضة الاوروبية بما حملته معها من مجموعة العلماء الافذاذ ، وفي طليعتهم جاليليو ونيوتن ، وبما عاصر هؤلاء العلماء من فلاسفة كبار ، مثل ديكارت وجون لوك ، ومثلك فقط لتنبه المفكرون — علماء وفلاسفة على السواء — للمشكلة الكامنة في هذه العلاقة بين الانفعال والاعيان .

الاشياء التي تعرف بها الاشياء ليست كلها من الاشياء

ولعل جاليليو كان أول من صاح بالتحذير ، اذ أشار الى أن الصفات التي نعرف بها الاشياء ليست كلها في الاشياء ، بل منها ما هو في الاشياء ومنها ما خلقناه نحن بحواسنا خلقا ، واطلق على الصنف الاول الصفات الاولية ، وعلى الصنف الثاني الصفات الثانوية ، وكان تقسيما غاية في الاهمية والخطورة ، لانه مهد الطريق بطريقة واحدة امام اقامة علم موضوعي لا دخل للذات الانسانية فيه ، وذلك لانه — هو وكل من جاءوا بعده — جعل العلم مقصورا على الصفات الاولية التي هي في الاشياء نفسها ، واخرج من مجال العلم الصفات الثانوية التي تسقطها الذات من عندها اسقاطا ، فلو كان الذي يعلم برتقالة — مثلا — فشكلها الكروي وثقلها وعددها صفات في البرتقالة نفسها ،

وأما لونها الاصفر وطعمها عند مذاقها فصفات اسقطها جهازه الادراكي اسقاطا ، وهي لم تعد شأنا للعلم الموضوعي به ، نعم ، قد ينبعث من البرتقالة موجات « ضوئية » ذات اطوال لترجمها عينك واعصابك ودماغك « لونا اصفر » ، فاذا اراد العلم أن يبحث ، فعليه ينصب على موجات الضوء ، لا على اللون الاصفر ، وهكذا قل في سائر الصفات الاولية التي هي من اختصاص العلم موضوعيا ، وسائر الصفات الذاتية التي تخرج عن دائرة العلم لذاتيتها .

التقسيم الى الموضوعي والذاتي

ولقي هذا التقسيم اهتماما كبيرا من رجال العلم والفلسفة جميعا ابان القرنين السابع عشر والثامن عشر ، لانه في الحقيقة تقسيم يرسم الخطوط العريضة لعلم طبيعي يقوم على ترجمة ممكنة من تدخل الذات وخصوصياتها بكل انواعها ، حتى لقد ألفنا — الى يومنا هذا — التقسيم الى الموضوعي والذاتي ، الفا يتعذر معه أن نمحوه ، كما يحاول بعض فلاسفة عصرنا هذا جهدهم كله أن يمحوه ، لانه لم يعد تقسيما يتفق مع متطلبات العلم الطبيعي نفسه ، في صورته النظرية الحديثة .

البدء بالانا عند ديكارت

وكلنا يعرف وقفة ديكارت المشهورة ، التي ميز فيها بين الذات من جهة والطبيعة من جهة أخرى ، فالاولى فكر خالص ، والثانية امتداد خالص ، فهو حين قال قولته التي لم يعد يجهلها المثقف ، قولته :

« انا افكر ، فأنا اذن موجود » اراد بها أن « الانا » أو « الذات » قوامها فكر ، قوامه

عقل ، وهي تعرف نفسها بنفسها ، ولا تحتاج في ادراكها هذا الى برهان ، وواضح ان هذه الانا المفكرة لا يخالطها شيء من مادة حس ولا يعمها نفسه ، لان البدن مندرج مع بقية العالم الطبيعي وليس هو من نبأ الفكر الخالص . وبهذه الانا المفكرة يستطيع ان يبرهن على كل موجود آخر مما يقوم على وجوده برهان عقلي ، من ذلك وجود الله ، ووجود الطبيعة .. على ان ما يهمنا نحن من هذا كله ، هو هذا التباعد بين طرفي العارف وموضوع معرفته .

جون لوك يؤكد التفرقة بين الصفات الموضوعية والذاتية

وكان الفيلسوف الانجليزي جون لوك هو اول فيلسوف يجعل هذا الموقف ذا الطرفين موضوعه الرئيسي الذي لا يكاد يكون له موضوع سواه ، وعن طريقه هو ، شاعت التفرقة المعتادة بين الصفات الاولية التي هي موضوعية في الاشياء ، والصفات الثانوية التي هي ذاتية في الانسان ، ثم كان بعد ذلك ما كان من تاريخ الفلاسفة ابان القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فليس منهم واحد لم يتناول هذه التفرقة ــ في عملية المعرفة ــ بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي ــ الا انهم تناولوها على وجوه مختلفة ليست هي موضع اهتمامنا في هذا المقال ، الا واحدا ، هو في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وكانت له في الموضوع وقفة بلغت من العمق حدا جعله طرازا من الفلاسفة فريدا ، واعني به عمانويل كنط Kant .

الفيلسوف كنط جعل العلم الطبيعي كله من صنع العقل ، الا بقية تبقى

فلقد عاد « كنط » الى القول بطرفي المعرفة بمقابل طرفي العقل ، ولكن على اساس جديد لم يألف مثلا له فيمن سبقوه جميعا ، وذلك لانه جعل الطبيعة التي هي موضوع العلم الطبيعي بجميع اصنافه ، من صنع العقل وصياغته ، فما يصوغه العقل في قوالبه الجبلية في فطرته (ويسمون هذه القوالب « مقولات ») ، يجيء عند الانسان « طبيعة » خارجية يقيم علمه على اساسها ، واما البقية التي تبقى ، اعني ما ليس يجد سبيلا الى تلك القوالب العقلية ، فهو



جون لوك — كنط

« الاشياء في ذاتها » ــ بمصطلح كانت ــ التي لا يعلم عنها الانسان شيئا سوى انها هناك ، فما زال ــ حتى في هذه الحالة ــ الطرفان قائمين يواجه احدهما الآخر : عقل من جهة ، وطبيعة من جهة اخرى ، يحاول الاول ان يعرف الثانية بما اعد في فطرته من اجهزة الادراك .

وترك لنا « عمانويل كنط » والعالم بين ايدينا شطران : احدهما حقيقي خارجي لا نعرفه لانه لا ينفذ في اجهزتنا العقلية ، والآخر ظاهري ــ بمعنى انه هو الظواهر التي تنقلها حواسنا بحكم استعداداتها الادراكية ، ثم تحيلها الى مقولات العقل ينسجها مفهومات وقضايا . فلئن كان العالم الطبيعي الذي هو مجال الفكر العلمي خلقا خلقناه لانفسنا بعقولنا ، او قل انه بناء اشرف على تصميمه وتشييده العقل الانساني ، فان هذا العالم الطبيعي الذي اصطفى للعقل قياده ، ليس هو كل الحق ، بل بقي من حقيقته جانب فوق متناول الانسان ، هذا اذا اقتصر الانسان على عقله النظري .

الفيلسوف هيجل يذهب بتعقل الطبيعة الى آخر الشوط

فيجيء هيجل Hegel ليمضي بهذه الفلسفة ــ فلسفة تعقيل الطبيعة ــ الى آخر شوطها ، فهو متفق مع سالفه « كنط » في ان مهمة الفلسفة الاولى هي ان تجعل العالم معقولا ــ اي جاريا مجرى القوانين العقلية ــ لان ذلك يجعل العالم والذات العاقلة التي تدركه حقيقة واحدة متجانسة ، لكنه يختلف عن سالفه في رفضه ان يفرق بين الحقيقي والظاهر ، بان يقول ــ كما قال كنط ــ ان الاشياء في ذواتها ممتنعة على ادراكنا وانا لا نعرف بالحواس والعقل الا ظواهرها ، ورفض هيجل هذه الثنائية التي تجعل المعرفة العقلية مقتصرة على وجه من الكون دون وجه ،

قائلا ان الكون كله « معقول » لا فرق فيه بين باطن وظاهر ، بل ان العالم الواقعي والفكر العقلي المنطقي اسمان على مدلول واحد ، فالواقعة هي فكرتها ، والفكرة هي واقعها ، كل ما هنالك من فرق هو ان الجانب الواقعي بمثابة التعبير الذي يفصح عن فكرته العقلية .

فلاسفة العلوم الأحدثون يرفضون الازدواجية

ونسرع الخطى حتى لا يطول بنا الطريق ، لنصل الى فلاسفة العلوم في عصرنا هذا ، وفي مقدمتهم « وايتهد Whitehead » و « رسل Bertrand Russell » فتراهم — على ضوء الفيزياء الحديثة وما تقتضيه — يرفضون الازدواجية التي تشق الطبيعة نصفين : نصف قائم في الواقع ونصف آخر ماثل في أذهاننا عن النصف الأول ، وليس النصفان متشابهين ، فكأننا اذ نزعم معرفة الطبيعة الخارجية لا نزيد على كوننا متلقين مؤثرات منها ، نسميها « معرفة » في أذهاننا فيما يجيء في نهاية الأمر وفق مزاج الشخص ، بغض النظر عن حقيقة المؤثرات الأولى التي جاءت الينا عن طريق حواسنا — يرفض فلاسفة العلم المعاصرون هذه الازدواجية ، ويضعون « المعرفة » في صورة أخرى تجعل الخط موصولا بين الشيء الخارجي وبين فكرتنا الباطنية عنه ، ويسمون هذا الخط الموصول « خطا سببيا » حيث لا يكون في هذا الخط الموصول فاصل يفصل الأصل الذي بعث مؤثراته الينا ، عن الصورة التي تكونت عنه في عقولنا ، وبذلك تسد الفجوة الفاصلة بين الطبيعة الخارجية وبين الذات العارفة ، فافرض — مثلا — أنك تبصر ضوءا آتيا الى عينيك من مصباح ، فليس تحليل الموقف هنا هو ان « شيئا » قائما في الخارج هو الذي نعرفه ، وان ذاتا في الداخل هي التي تؤدي عملية المعرفة بحيث يكون هنالك فاصل بين الشيء من جهة وفكرتنا عنه من جهة أخرى ، بل ان أشعة الضوء تنبعث في موجات تعرفها الفيزياء ، حتى تصل الى العين ، وهنا يواصل خط الأحداث سيره بغير قطعة فاصلة بين خارج وداخل ، كل ما في الأمر ان نوع الأحداث يتغير حين يسير خط الأحداث في طريقه من جهازنا العصبي والى الدماغ ، الأمر كله أحداث تعقبها أحداث ، وهذه بدورها تتلوها أحداث ، حتى تنتهي العملية التي نقول عنها انها « معرفة » . مع ملاحظة هامة وخطيرة ، لعلها من أبرز ما يميز الفلسفة المعاصرة كلها ، وهي أنه لم يعد أمامنا « طبيعة » هناك و « نفس » هنا ، يختلفان جوهرا ، بل أصبحت الطبيعة والعقل كلاهما من جنس واحد ، هو « الأحداث » — أو قل هو الحركة التي تتحول بها الذرات المكونة للطبيعة والعقل معا — والتفرقة بينهما هي تفرقة في التخصصات العلمية وحدها ؛ فالفيزيائي يختص بالأحداث التي تقع في مسار الضوء بادئا من المصباح واصلا الى العين ؛ والفسيولوجي (عالم وظائف الأعضاء) يختص بالأحداث التي تقع على طريق الأسلاك العصبية ، وعالم النفس يختص بآخر الطريق ، حين يقال عن تلك المرحلة من مراحل السير ، انه « فكرة » الانسان عن شيء رآه .

وضرب آخر من فلسفة العصر : فلسفة هوسرل

لكن عصرنا في الوقت نفسه ، يشهد ضربا آخر من الفلسفة ، يقر هذا الاتصال المحتوم بين الذات العارفة والشيء الذي تعرفه ويرفض أن يكون بين الطرفين فاصل يضيق أو يتسع ، لكنه يتصور هذا الاتصال على صورة أخرى ، أخذ بها « هوسرل Husserl » في فلسفته التي تطلق عليها اسم « الفينومينولوجيا » — أو تحليل الظواهر — فلقد أقر هوسرل هذا وأتباعه — ولنلاحظ هنا أن الوجوديين المعاصرين جميعا من أتباعه بطريق مباشر أو غير مباشر — ثار على التقليد القديم الذي كان يقتضي الفصل بين ذات الانسان العارفة والأشياء التي تعرفها ، فهو تقليد نشأ من فهم خاطئ لطبيعة العقل ، اذ صوروه وكأنه صندوق يحتوي على صور ذهنية وأفكار ، ومن هنا أخذوا يسألون : من أين لهذا الصندوق محتواه ؟ وما العلاقة — من تشابه أو تباين — بين ذلك المحتوى وبين العالم الواقع ؟ وحقيقة الأمر عند هوسرل هي أن العقل ما هو الا « مشي الى كذا .. » أو « قاصد نحو كذا .. » أو « ملتفت الى .. » ولأضرب لك مثلا موضحا ، فأقول : افرض أنك رأيت رجلا سائرا متجها الى .. « الى

مكان لا تدريه ، فسألته . الى أين ؟ فهل أنت في هذه الحالة تفرق بين سير الرجل واتجاهه ؟ أم أنهما عندك شيء واحد ؟ أن سيره هو اتجاهه ، أنه اذا اجابك عن سؤالك . الى أين ؟ بقوله : لست أدري ، ضحكت منه ، لأنه لا يعقل أن « يتجه الى ... » ثم لا شيء ! ، وهكذا « الوعي » في قصده ، هو « اتجاه نحو ... » هو « وعي بـ ... » [illegible] « يفكر » لكن الفكرة لا تسمى الى « شيء » فاعلم أنه كان حالما أو عابثا ، ومن هنا تأتي الركيزة الأولى في فلسفة هوسرل ــ مصطلح يعطي كما أسماها بالظواهرية ، أو الفنمنولوجية ، ولكني أخشى استخدام أي من هاتين الكلمتين مخافة أن يختلط الأمر باتجاه فلسفي آخر وهو أيضا معاصر ، واسمه الافرنجي فينومينالزم ، أي الرأي بأن الانسان لا يدرك من الأشياء الا مجموعة ظاهرات تظهر للحواس ولا شيء وراء ذلك . أقول إنه من هنا تأتي الركيزة الأولى في فلسفة هوسرل ، وهي « القصدية » ويعني بها أن كل وعي هو وعي بشيء ، كل فكرة هي فكرة عن شيء ، وهكذا أخذ هوسرل على ديكارت قوله : « أنا أفكر ... » دون أن يذكر لنا في أي شيء يفكر ، لأن الفكر بغير شيء يفكر فيه ضرب من المحال .

يظل السؤال القديم هل أفكارنا تطابق الواقع أم لا

ونحن اذا ربطنا الأواصر بين الوعي وما يعيه ، يظل السؤال القديم هل أفكارنا تطابق الواقع أو لا تطابقه ، وذلك لأنني اذ أكون على وعي بهذا القلم الذي في يدي بصرا ولمسا ، فقد أصبحت أنا والقلم حقيقة واحدة أيان لحظة الوعي به ، فاذا سألني سائل : ما الذي يدلك على أن القلم موجود فعلا ؟ أجبته . لأني أراه وألمسه ، وفي هذا الجواب ما ينبغي أن يقطع كل شك بعد ذلك ، فليس عالمي منفصلا عن وعيي به ، لأني طالما أعيه فأنا أعيشه . ان التحليل النظري وحده هو الذي يفتت الحقيقة ، لا الحقيقة كما نعيشها قبل تحليلها ، فربما نظرت الى وردة حمراء ، فيقول لي التحليل ان هذا الذي تراه وردة واحمرار أضيف اليها ، لكن الذي أراه في الحقيقة ليس حاصل جمع الوردة على لونها مع التفرقة بين المفردات التي جمعت ، بل هو وردة حمراء دفعة واحدة ، وفي لحظة وعيي بالوردة الحمراء ، لا نكون اثنين ، بل نكون كيانا واحدا .

ومن هنا تبطل التفرقة القديمة بين صفات أولية كائنة في الأشياء نفسها ، وصفات ثانوية هي من صنع عقولنا ــ تلك التفرقة التي سادت القرن السابع عشر بصفة خاصة ، وكان لها أثرها البعيد في دنيا الفيزياء عندئذ ــ اذ قصر العلم نفسه على الصفات الأولية وحدها ، ولم يكن ليعنى بالصفات الثانوية ، على اعتبار أنها جانب ذاتي يدل على صاحبه ولا يدل على العالم الموضوعي ، أما على يد هوسرل فهذه التفرقة غير مفهومة ولا مقبولة ، فادراكي للوردة الحمراء ، وامتزاجي بها في كيان واحد ساعة ادراكي لها ، ليس فيه ما هو أولي وما هو ثانوي ، ليس فيه ما هو موضوعي وما هو ذاتي ، هو لحظة حية لا تقبل التحليل ، ليس في العالم الخارجي وردة تبعث موجات ضوئية ، وفي الذهن صورة لها ترجمت الموجات الضوئية الى لون أحمر ، فليس الأمر هكذا ، بل ان وعيي بهذا الجزء من العالم الخارجي حقيقة متصلة ، فالأشياء حقائقها هي ظواهرها في وعينا ، وليست هي تكوينات من الصفات يتكوم بعضها فوق بعض في صندوق اسمه « عقل » . واختصارا فقد قامت فلسفة تحليل الظواهر عند هوسرل ، لما كانت الفلسفة عنده سواء قد يجزئه أشتاتا بعضها خارج وبعضها داخل .

ماذا يقول المفكر العربي لو شارك مفكري الغرب

هذه « عينات » موجزة مما يقوله مفكرو الغرب لو طرحوا على أنفسهم مشكلة المواجهة التي يواجه بها الانسان الطبيعة ، ما عاصرها ؟ وانهم ليطرحون هذه المشكلة بالفعل ، كما طرحها أسلافهم ، لكنهم ربما ازدادوا بها اليوم عناية واهتماما ، فماذا يقول مفكر عربي لو أراد المشاركة في البحث والرأي ؟ هب جماعة من أولئك الفلاسفة جلست على منصة للحوار ، وأجلست معها مفكرا عربيا سمع ما دار بينهم من نقاش حول علاقة الانسان بالطبيعة ، ثم طلب منه أن يدلي هو الآخر برأيه ، شريطة أن يصدر فيه عن ثقافة عربية



اصبحت في مجاوبة له من هنا أو هناك ، فماذا تراه قائلا ؟ .

علاقة العربي بالطبيعة ، علاقة الفاعل بما ينصب عليه فعله

احسب بهذا الحديث بالعربي يساول معه الأسس والجذور ، فزملاؤه من فلاسفة الغرب ، لم يستوقف انظارهم شيء في العلاقة بين الانسان والطبيعة بمقدار ما استوقفتهم عملية « المعرفة » كيف تتم للانسان حين يكتسب عن بيئته علما ؟ فإذا اتسع عندهم نطاق البحث ، جاءت البحوث بمثابة الفروع المشتقة من ذلك الأصل والاساس ، الذي هو « المعرفة » كيف يرتبط بها الطرفان : الانسان العارف والطبيعة التي هي موضوع معرفته ؟ أقول انني اظن ان صاحبنا العربي يبدأ حديثه بالدراسة على اساس البحث والنظر ، لأنه — على ضوء ثقافته التقليدية الموروثة — يرى ان العلاقة الاساسية الأولى ، التي يواجه الانسان بها الطبيعة التي حوله ، ليست هي علاقة العارف بموضوع معرفته ، بل هي علاقة الفاعل بما ينصب عليه فعله ، أو قل انها ليست علاقة العقل بالمعروف بل هي عنده أولا علاقة الارادة بالفعل المراد .

الطبيعة في الثقافة العربية مسرح للحركة والنشاط

الطبيعة في الثقافة العربية مسرح للحركة والنشاط والفاعلية ، أكثر منها موضوعا للنظر المجرد ، وحتى المعرفة العقلية النظرية ، إنما ينظر اليها على ضوء الثقافة العربية على انها عاطلة اذا انحصرت ، فالارادة لها الاولوية المطلقة عنها تشرع سائر الجوانب ، ويكفي أن نقول ان القرآن الكريم هو كتابنا الذي نهتدي به ، لنقول بالتالي انه مصدر التشريع ، أي مصدر القوانين والأوامر والنواهي ، وهي كلها من قبيل الفعل لا من قبيل الفكر المجرد ، ولقد ورد في هذا الكتاب الكريم مجموعة من القيم — الأسماء الحسنى قد ينظر اليها على انها دالات على قيم — المتعلقة بالسلوك ، سلوك الانسان مع اخيه الانسان ، وسلوكه مع سائر الكائنات ، وكل هذا هو بالنسبة الى التطبيقية

محيط به ، ويراد له ان ينصرف ازاءها على نحو موحد .

ولقد يبدو مجموعة القيم السلوكية هذه ، مجموعة متفرقة الى درجة ربما غابت عنها الوحدة التي تضمها جميعا في نسق واحد مرتب ، فيه الأعلى وفيه الأدنى ، بمعنى ان تكون هنالك قيمة — أي معيار أو مقياس للسلوك — أعم واشمل من قيمة اخرى ، وبحيث تأتي هذه الاخرى بمثابة النتيجة المتفرعة عنها ، وفي هذه الحالة تكون مهمة الفيلسوف العربي — بعد ان يتناول افكارا فلسفية ليرى كيف جاءت وعلى أي نحو تتسق في بناء واحد — أن يحاول لنا ليرى كيف يتصل بعضها ببعض اتصال الأعم بالأخص ، لتكون في النهاية مرشدا عمليا لسلوك الانسان في محيطه الاجتماعي والطبيعي على حد سواء ، وان وحدانية الله نفسها لا تلقينا نظرة فهما جيدا الا اذا انعكست في الذهن من بينها وحدانية في مجموعة القيم ، حتى ننسبها لها ، من شأنه ان يسعد السالك نحو الهدف ... لو كانت مسالكه متناقضة فيما بينها ، لأدت بالسالك الى تمزق وتشتت وانحلال ، بل ان كلمة « الاسلام » نفسها تتضمن تسليم الانسان ارادته لارادة الله ، أي ان يجعل ارادته في خدمة ما اراده له الله من فعل يؤديه .

محور المواجهة عند المفكر العربي هو الأخلاق

فاذا كان محور المواجهة بين الانسان وما يحيط به عند مفكري الغرب هو « العلم » ، فمحور المواجهة عند المفكر العربي هو « الأخلاق » — وانما استعمل هذه الكلمة هنا « لتعني مبادئ السلوك الصحيح تجاه مختلف المواقف ، على ان المواقف « الاجتماعية » أولى عنده بالنظر والسعي ، فهي اهم الاعتبارات التي اهتمت بها الثقافة العربية

— مبادرة في ذلك عن العقيدة الإسلامية — تنظيمها لأخلاقية العمل ، بعد أن كانت الأخلاقية قبل ذلك مقصورة على النية والضمير ، ولنلاحظ هنا أن أخلاقية العمل لا تلغي أخلاقية الضمير ، بل تضاف إليها لتزيد عليها ، فبدل أن تحصر النية ثم يقف الإنسان عند هذا الحد ، تطالب أخلاقية العمل بنقل النية إلى فعل يؤدى . أخلاقية النية تجعل من الفرد الإنساني فردا منعزلا في فرديته ، وأما أخلاقية العمل فتخرج الفرد من فرديته لتجعله مواطنا صالحا ، أي لتجعله عضوا نافعا في جماعة. في أخلاقية الضمير ليس هنالك من حكم إلا الضمير نفسه ، فإذا استراح ورضي عن صاحبه كان صاحبه سعيدا راضيا ، وحسبه جزاء أن يرضى عن نفسه لأنه أرضى ضميره ، ولا عبرة عندئذ لوقعه على الناس الآخرين ، وأما في أخلاقية العمل فلا يكفي أن يستريح الضمير ويرضى ليكون الفرد صالحا ، بل لا بد أن توضع النية الحسنة على محك العمل، ومحك العمل عندئذ هو الآخرون ، هو المجتمع ، هو الإنسانية وبغير هذا الطرف الخارجي لا تتم المواقف الأخلاقية .

وإذا أنت أمعنت النظر قليلا في ذلك ، ألفيت نتيجة هامة تلزم عنه ، هي ضرورة الوجود الاجتماعي لتكميل الفرد ، وبذلك تكون الثقافة العربية الأصيلة قد أضافت هذا البعد الاجتماعي إلى حياة الأفراد ، لا ليكون عرضا من أعراضها ، بل يكون ضرورة للوجود الإنساني المتكامل ، ومن هنا كانت عزلة الزاهد أو المتصوف شيئا لا ينسجم مع الروح العربية ، المسجلة في الثقافات الأخرى . ولما كان تنظيم العمل في مجتمع يحتاج إلى « قانون » يضع له الحدود ، كان التشريع ، أو كان « الفقه » ورسم الحدود لما يجوز وما لا يجوز للإنسان أن يفعله ، من أهم وأعظم نتاج الثقافة العربية . وأكرر مرة أخرى ، أن احتكام الفاعل إلى قانون أو شرع ، لا يلغي احتكامه إلى ضميره ، بل يضاف إليه ، فالاحتكام بمحكمة الضمير وحدها ، قد لا يلزم الإنسان بالانغماس في حياة العمل . إن العلاقة بين الحالتين هي كالعلاقة بين آلة ننظر إليها وهي ساكنة ، ثم نختبر صلاحيتها وهي تعمل ، فلا تتحقق الحالة الثانية إلا إذا تحققت قبلها الحالة الأولى ، لكن العكس غير صحيح ، أي أنه قد يكتفي في الآلة بحالة سكونها ، فلا ندري ماذا تكون في دنيا العمل، وهكذا قل في أخلاقية الضمير وحده ، ثم أخلاقية العمل المبنية على موافقة الضمير .

العمل
هو حجر الزاوية من وجهة النظر العربية

العمل ومتابعته ، لا العلم المجرد في ثباته وسكونه ، هو حجر الزاوية في البناء الإنساني من وجهة النظر العربية ، وأحسب أن ذلك هو العكس في اللغة العربية وطرائق بنائها ، فهي تبدأ الجملة « بالفعل » وتعقب عليه بالفاعل ، على خلاف اللغات الأوروبية التي تبدأ جملتها بالفاعل ، ثم تعقبه بالفعل ، نحن نقول « جاء » زيد أكثر مما نقول « زيد » جاء ، وهم عاكسون ، ولما كان الفعل ينشأ في الأغلب عن إرادة ، ثم لما كانت الإرادة يوشك أن تنحصر في الإنسان دون سائر الكائنات في العالم المخلوق ، كانت المواجهة التي تحلل الثقافة العربية ، ليست هي مواجهة الإنسان للطبيعة بخصائصها ابتغاء الوصول إلى قوانين العلوم الطبيعية ، وإنما هي مواجهة الإنسان بإرادته للمجتمع الإنساني في قاطبته ، وأوجه نشاطه ، ابتغاء المشاركة في عمل موحد يوصل إلى أهداف ترضى عنها القيم العليا ، فمطلب الرضى عند فلاسفة الغرب هو أحكام العقل ، ومطلب الرضى عند المفكر العربي هو قيم السلوك ، والخير كل الخير في أن نضم هذه إلى تلك ، فإذا كان الغرب ينقصه ما يكمله ، فنقصه في القيم التي تدمج الفرد في جماعة الإنسانية دمج التعاطف والتعاون ، وإذا كان العربي ينقصه ما يكمله ، فنقصه في قضايا العلوم التي هي الوسيلة للسيطرة والإمساك بزمامها ، ولا عجب أن شهد التاريخ الفكري حركتين سارتا في اتجاهين متضادين ، فمن الشرق سارت ديانات إلى الغرب وانتشرت ، بما تحمله تلك الديانات من رسالة

القيم ؛ ومن القيم سارت إليها علوم ؛ بما تحمله تلك العلوم من وسائل التصرف في ظواهر الطبيعة.

ثقافة العربي تعرف بالشعر

لقد عرفت ثقافة العربي — أبرز ما عرفت به — بالشعر وغيره من فنون الأدب التي تستطيع أن ندرجها مع الشعر في مقولة فنية واحدة ، وما الشعر ؟ إنه — في صميمه — تعاطف مع كائنات الدنيا ، ومعايشة لها ، إن الشاعر لا يقف — كما يقف العالم — من الأشياء على مسافة لينظر إليها في ذواتها دون أن يسقط ذاته هو عليها ، كلا ، بل الشاعر يتمنى أن يرى نفسه في ماء البحر وفي نجوم السماء وفي تدرج الأرض ، وكأنما هي جميعا أفراد معه في أسرة واحدة . فتأمل معي هذه المفارقة العجيبة : إذا نظر العلماء إلى الإنسان حولوه إلى شيء ليبحثوه بحثا علميا موضوعيا ، وإذا نظر الشعراء إلى الأشياء حولوها إلى أناسي يبادلون معها الحديث ! وذلكم هو نحن في نظرنا إلى الطبيعة على نحو لا [illegible] شغلنا ، والناس عند المفكر الغربي يكادون يتحولون إلى طبيعة .

الوجودية في شعبتها المؤمنة

وأستطيع أن أستثني من تيارات الفلسفة المعاصرة تيارا واحدا ، بين نظرته ونظرتنا وشائج قربى ، هو تيار الفلسفة الوجودية في شعبتها المؤمنة — فللوجودية شعبتان : مؤمنة وملحدة — لأنها فلسفة (بشعبتيها معا) ترتكز على أن يكون الإنسان فاعلا حرا مسئولا عن فعله ، فلا تغني نفس عن نفس في مسئولية الفعل شيئا . وأما التيارات الأخرى جميعا ، فينظر إليها العربي المتمرس في ثقافة عربية أصيلة ، فيحس كأنه في جو غريب عنه ، يحس كأنه يتنفس مختنقا لا هواء طلقا ، ولكاتب هذه السطور تجربة حية في ذلك ، فقد أسلمته ثقافته « الإنجليزية » في ميدان الفلسفة إلى اختيار أحد التيارات العقلية العلمية ، واقتنع بصلاحيته ، هو تيار التجريبية العلمية — أو الوضعية المنطقية — وكتب في شرحه الكتب والفصول ، لكنه لحظ عن كثب كيف كانت تلك النزعة المتسلطة العقلية غير أهلها ، فإذا تحدث في الوجودية أو في فلسفة برجسون مثلا ، فهنا ترهف الآذان لتسمع .

لقد رأى إمام من أئمة الفقهاء المسلمين — هو ابن تيمية — أن معرفة الله من حيث هو ماهية ، مستحيلة على الإنسان ، وأنه لا سبيل أمام الإنسان لمعرفة الله إلا بمعرفة إرادته التي كشف عنها آياته ، والتي يحصر واجب العباد في طاعتها وما إرادة الله إلا مجال القيم التي يراد للسلوك الإنساني أن يسير على مقتضاها . ولما كان هذا السلوك المراد يتطلب أن يكون ذا صلة بحياة الآخرين في المجتمع ، كانت فكرة « الأمة » ذات أهمية بالغة ، والذي يجعل من مجموعة الناس أمة واحدة ، ليس هو أنهم يعيشون على رقعة جغرافية واحدة ، ولا أنهم يستذكرون تاريخا مشتركا ، ولا أنهم يتكلمون لغة واحدة ، بل هو — عند ابن تيمية — المشاركة في « فعل » ، وبهذه المشاركة ، يجاوز كل فرد حدود نفسه ، لينفتح على الآخرين الذين هم شركاؤه في فعل واحد . وليس بي حاجة إلى ذكر الموقف الراهن « للأمة » العربية إزاء الوجود الإسرائيلي ، تأييدا لرأي ابن تيمية ، فالأمة العربية في هذه الحالة لا تتوافر لها صفة « الأمة » إلا وهي في حالة فعل مشترك .

لقد كدنا ننسى أن موضوع المحاورة الذي اجتمع من أجله جماعة من مفكري العصر ، هو مسألة تلفت حديثا في عصرنا ، وهي علاقة الإنسان بالطبيعة حين يواجهها ، ما أصلها وما فصلها ؟ وكدنا ننسى كذلك أننا افترضنا وجود مفكر عربي مع تلك الجماعة ، ليشارك بالرأي من وجهة نظر عربية أصيلة ، فماذا عساه يقول على سبيل الإضافة المبدعة. أزعم أنه يغير من زاوية النظر ، فالمواجهة عندهم مواجهة للطبيعة تنتهي بعلم ، والمواجهة عنده مواجهة للمجتمع الإنساني تنتهي بالقيم ، فليشارك كل من الفريقين بأي طابع يحمي ، وما الذي يضيفه ليكمل الإنسان إنسانا . ■

زكي نجيب محمود



بقلم الدكتور أحمد زكي

■ كنا صغارا ، اذا ذكرت الحرب ، ذكرنا معها البنادق يحملها الجند ، يطلقونها بالرصاص ، فتصيب أجسام الجند الأعداء ، أو لا تصيبهم .

وذكرنا مع البنادق المدافع .

وما المدفع الا أنبوبة يدخل اليها بدفعه ، رأسها قنبلة يرسلها لتنفجر في الأعداء ، وجسمها شحنة يفجرها داخل المدفع عند انطلاقه ، فما لا يقصد بها الأعداء ، ولكن يقصد بها أن تحمل هذا الرأس ، هذه القنبلة، بعيدا الى الأعداء. انها القوة الدافعة Propellant . أما عندما يطلق المدفع ، انما تطلقها هي ، متحول الى غاز كثير ، تضيق به أنبوبة المدفع [illegible] هذه الأنبوبة [illegible] هذا الدفع سمي المدفع مدفعا . انه آلة الدفع

[illegible]

[illegible] أعمارا، ندخلنا عصر الصواريخ، عصرها الحديث . فالصواريخ قديمة قديمة

الصواريخ قديمة الأعمار

ان الصواريخ ، أول ما ظهرت في

- الفرق بين الصاروخ والمدفع
- قانون الأطفال يفسر عمل الصاروخ
- محرك الصاروخ حرارات ثلاثية
- وقود الصاروخ سائل وصلب
- رأس الصاروخ المتفجر تقليدي ونووي
- أجهزة توجيه الصاروخ
- قذائف تعبر ما بين القارات
- قذائف قارية تخرج من بطن البحار
- الصواريخ تحل محل المدفعية
- عصرنا عصر الصواريخ والالكترونات وآلات الحاسبة معاً.
- قذائف صاروخية ضد الطائرات العالية
- قذائف صاروخية ضد الطائرات المنخفضة.
- القنابل الطائرة يدعها الألمان
- الحربية المصرية تحرق المدمرة الإسرائيلية إيلات.
- قذائف موجهة ضد الدبابات.

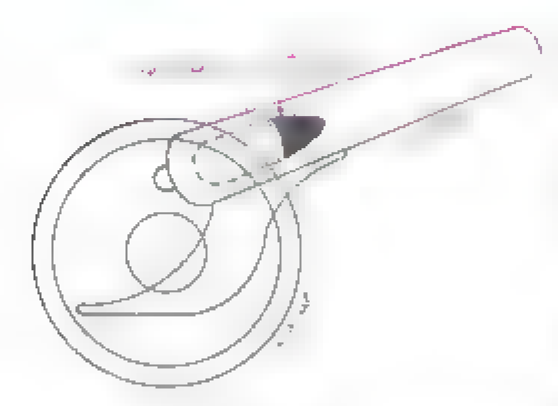
بلاد الصين. بذلك حدثنا المؤرخون من رجال العرب. ومن الصين انتقلت من بعد ذلك الى العرب. ومن العرب انتقلت الى أوروبا.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
ملتهبة تطلق بواسطة الأقواس في الأعداء، شأن كل سهام.

ويذكر الذاكرون وأمثاله كان لهذه السهام فيها الى دفع بمدينة تونج بالصين، وذلك في عام ٩٩٤ ميلادية.

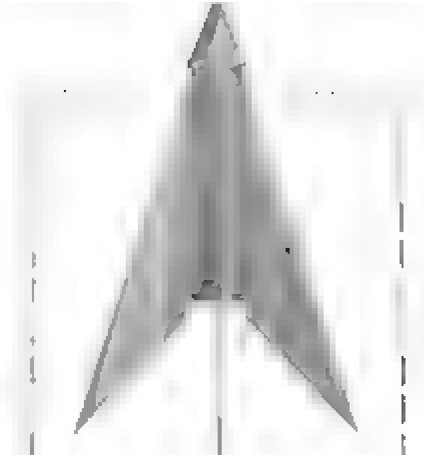
حتى أن القرن الثالث عشر لم ينحسر كانت الصواريخ بمعناها المعروف، شائعة فيه.

والذين يصفونها يقولون انها كانت أنابيب حشوها مسحوق البارود الأسود (خليط من النترات ومسحوق الفحم النباتي والكبريت) تربط الى السهام،



رسم ايضاحي للمدفع

وفتحاتها في اتجاه هو عكس اتجاه السهام، ثم يشعل المسحوق فتخرج منه الغازات [illegible] بالسهم الناحية الأخرى باتجاه [illegible] الرامي الجارح أو القاتل، لا سيما اذا



صاروخ قديم محشو من البارود ، ووراءه عصا ، يجعل في الهدف أن يكون شبيها بالسهم الجارح . وبه زعانف تعمل على توجيهه ... في الاتجاه الذي يطلق أول مرة فيه .

هم ذخيرة بدهان سام مما عرفوا من ذلك بعد ذلك .

وتقدم الزمن فاستبدل السهم بان كان للاسلحة التي حشوها بالبارود الاسود سن حادة ، تصل الى الرجل من الرجال الاعداء ، فتدخل في جسمه وتجرح وتحرق .

وكانت كل هذه الصواريخ من صعوبة تصويبها الى حيث يراد لها أن تذهب .

وفي سبيل احكام تصويبها صنعوا لهذه الصواريخ صفائح كالزعانف تثبتها في مسارها . وآخرون جعلوا في مؤخرة الصاروخ من أسفل شبه مظلة ، أنصاف أقطارها صفيحات مائلة ، تخرج الغازات من الصاروخ تديرها هي والصاروخ سرعة ، تكون من نتيجتها تثبيت الصاروخ في مساره .

على أننا لا نريد أن نواصل التاريخ الى اكثر من هذا ، فقد أحدثت الصواريخ ثم بعد ذلك بعمل رجال كثيرين من شتى الامم حتى اذا جاء القرن العشرون وتلك ، وصلت به المانيا الى مركز الصدارة في شئون الصواريخ ، وذلك في الثلاثينات والاربعينيات من هذا القرن .

وكان من أثر ذلك في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ما كان .

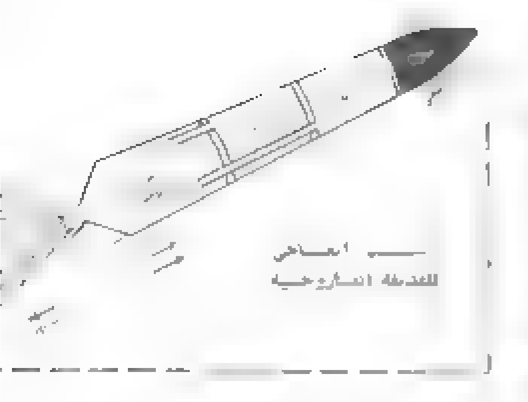
الصاروخ

والصاروخ يتألف ، كقذيفة المدفع ، من شحنة دافعة ، ومن رأس متفجر يرسل ليتفجر في الاعداء . والشحنة الدافعة هي هي التي تحمل هذا الرأس المتفجر الى الاعداء ، سواء كان هذا الرأس قنبلة من المتفجرات التقليدية
[illegible]
[illegible]
الرأس المتفجر حبا في مسيرته الى الاعداء .

وهذه الشحنة الدافعة وقود يحترق ، ومعه اكسجين . نرول مثلا الكيروسين ، سائل ، ومعه الاكسجين ، وهو سائل أيضا . كل في خزانة . ويلتقي الاثنان في انبوبة أشبه شيء بأنبوبة المدفع ، هي حجرة الاحتراق . ويحترق المقادير الكبيرة منهما في وقت قصير ، ويتولد من هذا الاحتراق مقادير من الغازات عظيمة تماما كما يحدث في المدفع . وتريد هذه الغازات تحت ضغطها الهائل أن تخرج

صاروخ قديم ، كالسابق تماما ، وانما توجيهه يكون بأن الفوهة التي في مؤخرته ، التي يخرج منها الغاز ، بها ريش ثلاث مائلة كما في المراوح والتربينات ، فاذا خرج غاز الصاروخ صدمها ، فدار الريش ، ودار معها الصاروخ على محوره ، وهذا الدوران يثبت اتجاهه عند انطلاقه .





[illegible] الخارجي للقذيفة الصاروخية

[illegible]
الاحتراق ، فلا تجد الا مخرجا لها ضيقا تخرج منه . والصاروخ يسلك بحيث تخرج هذه الغازات، لا في اتجاه الاعداء ، ولكن عكس اتجاههم تماما . ويكون لخروج هذه الغازات من هذا المخرج الضيق ، بسرعة هائلة ، رد فعل في [illegible] خرج واتجاهها الغاز . والغاز مخروجه هكذا ، رفس الصاروخ مما جعل [illegible]

ويظل هذا الرفس دائما ، والدفع دائما ، وما خرج من حجرة الاحتراق غازات .

الفرق بين المدفع والصاروخ

ان المدفع ، يدفع قذيفته بعيدا ، [illegible] خروج القذيفة من انبوبة المدفع [illegible] المدفع القذيفة الثقيلة حيث [illegible]

اما الصاروخ ، فالدفع فيه قائم وهو [illegible] الاحتراق تظل تدفعه في عكس اتجاهها.

كاد الصاروخ أن يكون مدفعا طائرا ، يطير بقذيفة ، وقوة دافعة ، الى حين .

[illegible]

بالون الاطفال يعمل عمل الصاروخ دافعا ، رافعا

[illegible] جدرانه من الداخل [illegible] هذا الهواء ، وهو ضغط متساو في كل ناحية ما دام الصبي قد امسك بيده فوهته يمنع هواءه ان [illegible]

ثم هب ان الصبي ارخى اصابعه ، واذن للهواء بالخروج . فماذا يحدث ؟

عندئذ تختفي الضغوط الواقعة على جدار البالون الداخلي ، تبقى منها التي تدفع البالون الى اعلى والتي تدفعه الى [illegible] بعضها بعضا) . اما التي تدفعه الى اسفل فلا يكون لها وجود

والذي يبقى من هذه الضغوط ضغط واحد فعال هو الذي يعمل في جدار البالون الى اعلى ، فهو الذي يدفع البالون الى اعلى

والنتيجة من خروج الهواء (الغاز) مندفعا الى اسفل ، هي تحرك البالون مندفعا الى اعلى (في اتجاه ضد اتجاه الغاز) .

وهذا هو عمل الصاروخ تماما : يخرج [illegible] لتحركه هو في عكس ذلك الاتجاه .

الصاروخ بعيد المدى

بعد هذه المقدمة التي نعطي فكرة مجملة عن عمل الصاروخ ، نتجه الى صورة الصاروخ الكبيرة التي تصحب هذه الكلمة .

[illegible] كان روسيا، أو كان أمريكا . فالصواريخ اليوم اشباه ، على الاقل في ظاهرها .



وسوف ندور على اجزاء هذا الصاروخ ، واحدا من بعد واحد ، نشرح عمله بتفصيل اكثر

محرك الصاروخ

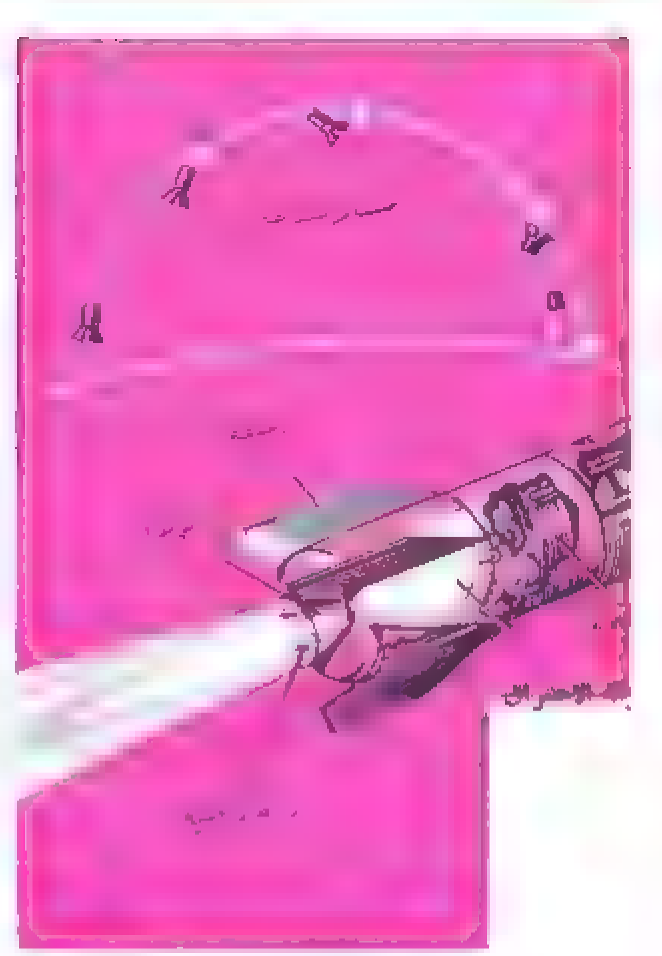
هو اهم شيء فيه ، ذلك لانه القوة الدافعة له ، المحركة اياه تلك الحركة السريعة التي لولاها ما سمي الصاروخ صاروخا .

وقد ذكرنا ان الصاروخ به خزانة للوقود السائل ، الكيروسين ، واخرى [illegible] مخرج ضيق ، فيعطي الصاروخ [illegible] عكس اتجاهها .

هذا هو المحرك Engine ، محرك الصاروخ

اجسام الصواريخ تصنع من الفلز

وتصنع اجسام هذه الخزانات من [illegible] شديدة الصلابة ، من معدن التيتانيوم Titanium واخيرا [illegible]



صورة ايضاحية عامة للمدفعية الصاروخية الروسية ، عند راسها القنبلة وعليها غلافها الذي يحجبها ، وعند ذيلها الغازات مندفعة بدفع الصاروخ الى على :
ومع الصورة مسار منحنى يوضح كيف تسير القذيفة في الجو، وكيف يهبط راس القذيفة وحده ، والصاروخ وحده ، كلاهما في النصف الثاني من المسار بحكم الجاذبية وحدها.

التدائن في صنع اجسام الصواريخ بنجاح، وكان من ذلك ان خفف وزنها ، وزاد المدى الذي يرسله اليه وقودها .

سرعة الصاروخ من سرعة غازه

وسرعة الصاروخ تتوقف على مقدار الغاز الخارج من فوهة خزانة الاحتراق، وعلى سرعة خروجه . ونقول بالتقريب انه كلما تضاعفت سرعة خروج الغاز من هذه الفوهة الضيقة تضاعفت سرعة الصاروخ في انطلاقه . وتبلغ سرعة الغاز النافث ما بين ٣ر٢ و٧ر٢ كيلو مترا في الثانية ، ينتج عنها قوة هائلة تحمل الصاروخ الى ابعاد بعيدة .

ضخ الوقود والمؤكسد الى خزانة الاحتراق

ويدخل الى خزانة الاحتراق في الثانية الواحدة من الزمان بضع مئات من الكيلوجرامات من الوقود والاكسجين ، يضخهما في خزانة الاحتراق مضخة توربينية Turbopump ، لا يستغنى عنهما ؛ وهي تقع بين خزانتي الوقود والاكسجين وبين خزانة الاحتراق .

الضغط والحرارة في خزانة الاحتراق

اثناء عمل المحرك وانطلاق الصاروخ

يبلغ ضغط الغاز في خزانة الاحتراق ما بين ٥٠ الى ٦٠ ضغطا [illegible]
[illegible] ٣٥
درجة مئوية ، وهي درجة عالية يلتف منها أن جدار الخزانة جداران من بينهما يمر الوقود السائل والاكسجين قبل دخولهما خزانة الاحتراق ، فيأخذان من حرارتها فيهدئانها ، ثم يدخلان الى الاحتراق .

نوع الوقود ويكون سائلا أو صلبا

وذكرنا أن الوقود السائل هو الكيروسين . والكيروسين صنوف ذات درجات . ولكنه أيضا قد يكون الوقود من الكحولات أو غيرها من المحروقات . والمؤكسد ذكرنا أنه الاكسجين السائل ، وقد يكون غيره ، كأن يكون حامض الازوتيك المركز مع اضافات به خاصة .

وقد يستعاض عن الوقود والمؤكسد بمزيج صلب من الاثنين : يتشكل على صورة مكعبات ، يملأ بها جسم الصاروخ ، وهو عندئذ يقوم مقام خزانة الاحتراق ، وفيه يحترق .

للصاروخ زعانف

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يميل
في مساره الى يمين أو الى يسار . كذلك هم يفعلون للسهام عندما يطلقونها من أوتارها وعانف لمثل هذا الغرض .

والاسم احسبه مأخوذ من زعانف السمك ، « زعانف السمك » لا سيما التي [illegible] الاسمكة وهي منطلقة في الماء . [illegible] السمك أن يميل ، وتعطه ثباتا في اتجاه هو يداته .

ولا حاجة الى أن تكون زعانف [illegible]
[illegible]
[illegible]

في مساره . وسوف نتحدث عن هذه الاجهزة الموجهة .

رأس الصاروخ المتفجر

[illegible]
يحملها الى الاعداء لتتفجر فيهم أو في مصانعهم أو أجهزة حربهم Warhead
ويكون من المتفجرات العادية أو قنبلة نووية . وهي مغطاة بغطاء مخروطي الشكل احتراما . وهذا المخروط عليه غشاء لمقاومة الحرارة العالية التي سيعانيها المخروط عندما يقترب في هبوطه من الارض ، ويمر في طبقات الهواء الكثيفة
[illegible]
[illegible] ٧ درجة مئوية

مسار الصاروخ ومنحنى القذيفة في الهواء

[illegible] لو قذفت حجرا [illegible]
الى غاية ، ثم أخذ ينحدر في شبه قوس الى أن يضرب الارض .

وهذه المسيرة جزؤها الأول اكتسب طاقة من يدك ارتفع بها ، واحدثت جاذبية الارض تنقص منها حتى فرغت ، ثم تولت الجاذبية وحدها بعد ذلك الهبوط بها الى سطح الارض .

كذا القذيفة الصاروخية . حملتها قوة محركة الى أعلى ، ضد الجاذبية ، وظلت تحملها الى أن فرغت الطاقة وتولت الجاذبية وحدها . فأخذت القذيفة تهبط الى الارض كل من جسم
[illegible]
[illegible] الصورة) في خط [illegible] ، وهي
[illegible]

[illegible] طلق
[illegible] يحترق
[illegible]
[illegible] خلاف الجو [illegible]
كثافة الهواء عالية في القلة . وبذلك يكون صعود القذيفة فيه أسرع .

والمدى الذي تعلو اليه القذيفة ، وتذهب اليه في الارض بعيدا ، يتوقف على قوة الصاروخ وما فيه من وقود .

ومسار القذيفة يرسم قبل اطلاق الصاروخ بدقة ، ويوضع له برنامج تهتدي به اجهزة التوجيه في الصاروخ على ما سوف نصف من ذلك . والصاروخ يضبط سيره وفقا لهذا البرنامج الا ان تأتي اوامر بضبط حركته ومساره بالراديو من مراقبيه في الارض) .

ثم يقف الضبط والتوجيه ، وينفصل الصاروخ عن رأس القذيفة ، ويمضي هذا الاخير الى الهدف المتصور المحسوب سابقا وهو غير متأثر الا بما تتأثر به قطعة الحجر يرميها راميها فتأخذ تهبط الى الارض . اي لا يتحكم فيها الا ما يتحكم من قوانين القذائف العادية Ballistic .

اجهزة التوجيه وضبط حركة الصاروخ

هنا ندخل في اشق ما في الصاروخ من علم ومن حيلة .

[illegible] على كثرة العوامل التي تعمل فيه ، [illegible] مستطاع .

[illegible] اوامرها تلقائيا الى اجهزة [illegible] وهذه تقوم بالتأثير في عوامل الحركة بالقدر الذي يصحح الاتجاه .

ويسمى هذا النظام بالتوجيه الذاتي Inertia Guidance [illegible]

[illegible] الصاروخ التي تصلح ما [illegible]

الارض ، هم القائمون على رعاية الصاروخ ، وهم يرسلون اوامرهم الى اجهزة الاصلاح بواسطة الاشعة اللاسلكية من الارض .

ويسمى هذا النوع من التوجيه [illegible] بالتصحيح .

دفة الصاروخ

دفة السفينة ، او سكانها ، هما شيء واحد . انها الصفيحة التي في مؤخرة [illegible] المستوى الذي فيه محور السفينة على طولها ، جرت السفينة تندفع في خط مستقيم . ولكن اذا مال الملاح بدفته يمينا او يسارا ، جرت السفينة يمينا او يسارا .

وكالسفينة الطائرة .

وكالسفينة والطائرة ، الصاروخ .

[illegible] حيث يخرج غاز الاحتراق الحار مندفعا ، هنالك تجد صفيحات ، هي الدفات ، اذا استقامت ، خرجت الغازات مستقيمة ، وجرى الصاروخ مستقيما في نفس استقامتها . ولكن ان مالت ، امالت الغازات الخارجة فانحرف الصاروخ في مساره ، قليلا او كثيرا .

وهذه الدفات هي وسيلة اجهزة [illegible] الاجهزة الحاسبة الى الاجهزة التي تحرك الدفات في الاتجاه المطلوب وبالقدر المطلوب ، لتصحيح [illegible]

قذائف

بها اكثر من صاروخ واحد

[illegible]



صورة ايضاحية فقط ، تشير (أ) الى جهاز التوجيه ، في القذيفة الصاروخية ، والقذفة التي بداخل الفوهة التي تخرج منها النار صدفتها من الصاروخ . في الصورة (ب) ، دائرة سوداء هي نفس جهاز التوجيه ، نجد فيها مسمرها الاسود منحرفا عن وسط الدائرة الى اليسار ، دليل انحراف الصاروخ . ولتصحيح ذلك انحرفت صفائح القذفة عند الفوهة (ج) ، لتصلح اتجاه النار الخارج اتجاه القذيفة . وفي الصورة (د) نرى عودة القذيفة الى اتزانها ، عاد المسمر الى مكانه ، وعادت القطعة الى مكانها واستقامت .

مدى .

ومن أمثلة هذه القذائف قذائف ما بين القارات Intercontinental Ballistic Missiles ويرمز اليها بالحروف I. C. B. M. .

ومداها ألوف الأميال .

وهي عبارة عن صاروخ مرتبط فوقه بآخر ، ثم بآخر . وكل منها صاروخ كامل . ويفرغ الصاروخ من عمله فينفصل ليشغل الثاني ، وينفصل ، وهلم جرا .

قذائف ما بين القارات

هي لا شك أكبر القذائف ، وأخطر القذائف ، وأبعد القذائف الحربية مدى . مداها يزيد على ٥٠٠٠ ميل ، وهي أوسع القذائف تدميرا ، تدمير سكان ، ومساكن ، وتدمير صناعات وزراعات ، وتخريب مساحات من الأرض واسعة . وفي رؤوسها ما يطلع القنابل الذرية أو القنابل الايدروجينية تفعل كل هذا .

ويسبب تدميرها هذا الشامل صنعتها الأمم القادرة على صنعها ، مثل أمريكا وروسيا ، ولكن أبقتها ، بل أبقت العدد العديد منها جاهزا ، ولكن بدون استخدام .

القذيفة الصاروخية الأمريكية تيتان الثاني Titan II وهي تخرج من مخبئها الذي يخبيها في الأرض . انها تظل وهي في الأرض تطل برأسها ، ثم تظهر بجسمها ، ثم تترك سطح الأرض ، وترتفع في الجو طولها ١١٥ قدما ، ومداها ٥٠٠٠ ميل .
(صورة أربع)

فهذه القذائف الى اليوم ، مع كل ما تناله كل عام من تحسين ، ليست الا تهديدا بحرب . فهي على هذا الوضع ، والى اليوم ، مانعة حرب أكثر منها خادمة حرب . انها رادعة عن قيام حرب ، فيه الدمار للطرفين . ونقول الى اليوم ، لأن ندري أن الحرب بحسب الناس ، ولكن لا ندري متى وأين .

[illegible] Atlas [illegible] Titan [illegible]

وهاتان القذيفتان الصاروخيتان كلاهما وقودهما سائل ، ومعنى هذا أن ما



يتضمنه من طاقة شيء عظيم ، ولكن يقابل هذا ان الوقود السائل يزيد في تعقيد تركيب الصاروخ . هذا فوق ما في الصاروخ من تعقيد تركيب بسبب ما به من اجهزة تحمي خطأ بحسب مسير الصاروخ في الجو ، واجهزة تقوم بتصحيح المسار Guidance System . فهكذا هي عابرات القارات ، لا بد أن تحتوي على اجهزة للتوجيه للغاية كاملة . وتجد مع هذه الكلمة (صور من الصاروخ تيتان وقد اطلقوه من مخابئه تحت الأرض في الصفحة السابقة صفحة ٧٧) .

وكان من نتيجة ذلك ان استدعت الولايات المتحدة صاروخا عابرا للقارات

[illegible]

صلب لا سائل . فهذا هو [illegible]

[illegible] Minute Man [illegible]

[illegible]

[illegible] Minute Man [illegible]

[illegible] ري معناه الرجل العصير ، طولها مع نقط نحو ٦٠ قدما بعد ان كان طول التيتان ١١٥ قدما ، وهي تزن فقط ٧٠٠٠٠ رطل ، بعد أن كان وز [illegible]

[illegible]

الايدروجينية الى اكثر من ٧٠٠٠ ميل . وهي تحمل اجهزة للتوجيه ذاتية خاصة بها . وهي ، كسائر القذائف ذات الوقود الصلب ، على استعداد لانطلاق على الفور .

ويذكر الذاكرون ان الولايات المتحدة عندها من هذه القذيفة الف ، ووزعتها على ستة مراكز للدفاع .

وقد ذكر الرئيس نكسون في كتابه «سياسة الولايات المتحدة في السبعينات» الصادر من حين قريب ، ان قذائف الولايات المتحدة العابرة للقارات سوف

[illegible]

[illegible] ذكر ان قاذفات [illegible]

[illegible]

وتصحب هذه الكلمة صورة للصاروخ [illegible] مان ، عند اطلاقه ، كشفت عن [illegible] اجزائه ، فهو يتألف من صواريخ [illegible] بعضها فوق بعض (صفحة ٨١) .

القذيفة الروسية الكبرى «سكراج» Scrag العابرة من القارات ، مداها الالاف من الأميال ، وهي تحمل قنبلة ايدروجينية الى الأعداء ، رغم من القذائف الخفيفة التي تترك مساحات كبيرة من الأرض خارجة عن القضاء والاحصاء

كذلك تجد مع هذه الكلمة ، الصفحة المقابلة ٧٨) صورة لعابرة القارات الروسية المسماة اسكراج Scrag والمظنون انها من آخر ما هدفت اليه روسيا من قذائف .

والمفهوم ان عملها خطير .

القذائف الصاروخية عابرة القارات تنتقل الى البحار

ذكرنا ان القذائف [illegible] يحرص أصحابها عليها [illegible] [illegible] الأرض [illegible] الأعداء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تحرم الكل [illegible]

والآن ، لزيادة الاطمئنان ، براهم خرجوا بصواريخهم وقذائفهم الى البحار ، وبنوا الغواصات خصيصا لتطلق منها الصاروخ الشهير المسمى بولارس Polaris وهي تحت الماء . وستطلق منها كأنما تنطلق من فوق سطح الأرض ، كل شيء محسوب ، وكل شيء مقدر .

والغواصات تتحرك فلا تدري أحد [illegible] ابحار . وهي تضرب من الأعداء وقد آ[illegible] يحسون بها ، فتكون أملك للدمار .

ان قذيفة بولارس تحمل رأسها النووي ومعه الصاروخ ، وهو مؤلف من صاروخين ، أحدهما فوق الآخر . وأبوبوه صلب . وهي تحمل جهاز توجيه وضبط ذاتي كامل فتصحح هي [illegible] مسيرها كل انحراف عن مسارها المرسوم .

والقذيفة تطلق من الغواصة ، من أنبوبة تحتويها ، تدفعها الى أعلى غازات تخرج من تحتها من صاروخ في الغواصة نفسها . وهي بهذا تنطلق الى سطح الماء . وعند مغادرة الماء تقتطع بأحد صاروخيها الأدنى في الاشتعال وينطلق بها في الفضاء .

[illegible] ٢٨ [illegible] وبعض مداه ١٧٠٠ ميل

وترفق بهذه الكلمات صفحة ٨٢ و ٨٣ ، صور غواصة ، قد أطلقت قذيفة بولارس في الماء حتى كادت تصل الى سطحه .

وهناك قذيفة جديدة ، اسمها بوسيدون Poseidon ، سوف تحل محل بولارس ، ولهذه القذيفة الجديدة أكثر من رأس نووي ، وبعض هذه الرؤوس لا يحمل ناسفا . وانما هو لتضليل الأعداء .

أما بولارس فلفظ هو اسم للنجمة القطبية . وأما بوسيدون فهو في الأساطير الاغريقية أخ زيوس Zeus رب الأرباب ، ورب البحار .

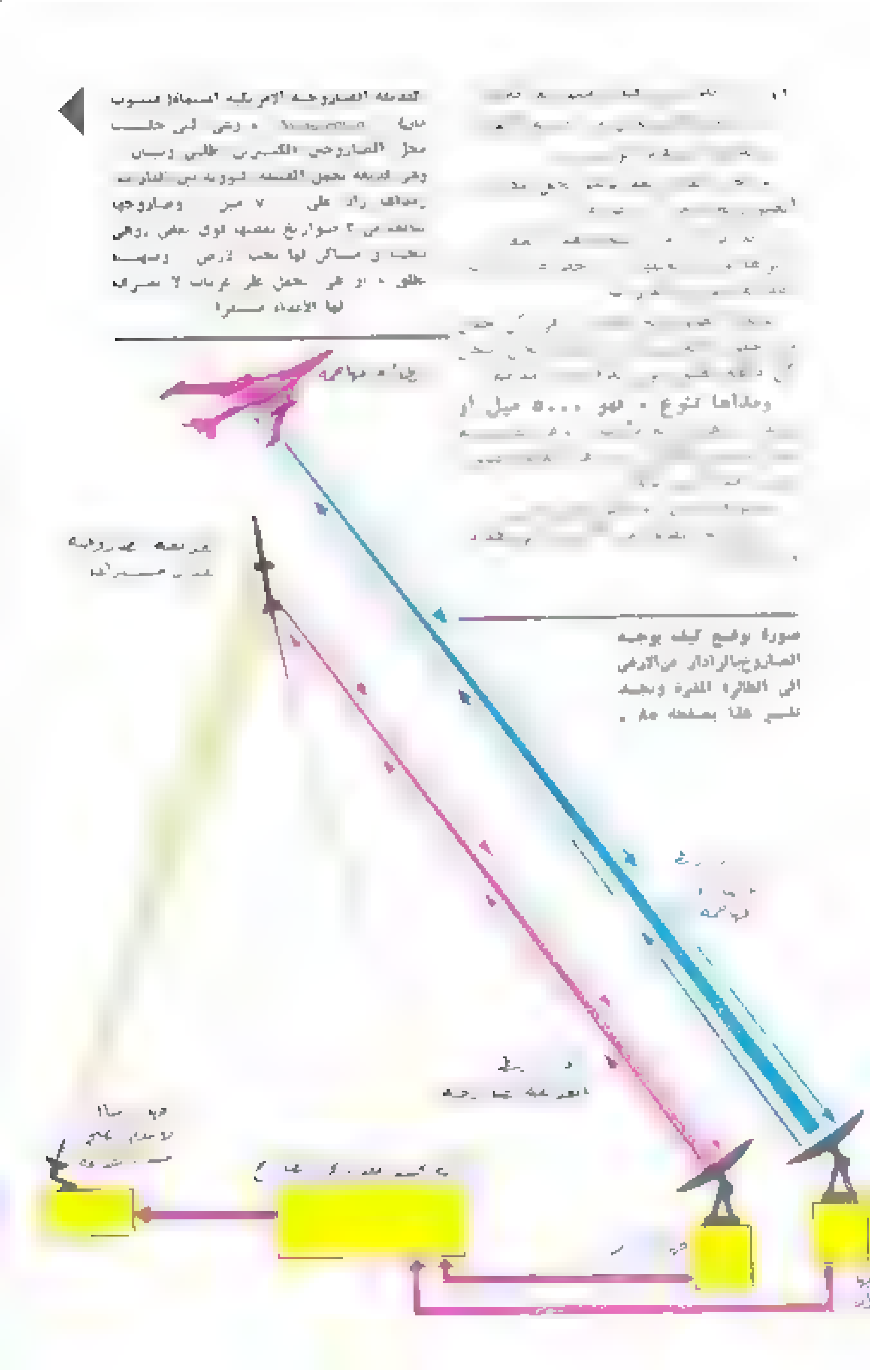
وعند الروس غواصات نووية وقذائف نووية . ولكنهم لا يذكرون عن ذلك شيئا .

ولكن جاء في كتاب الرئيس نكسون الذي ذكرناه آنفا أن عند الأمريكان هذا العام الحاضر ٦٥٦ قذيفة تقذف من غواصات ، بينما عند الروس ٣٠٠ . وقد يكون هذا صحيحا لأن دخول الروس الى هذا الميدان كان على الأرجح دخول الأمريكان . ولكن نكسون قال انهم سائرون في ازدياد .

الصواريخ تحل محل مدفعية الحروب في شتى أغراضها وصورها

[illegible] حتى هذا التأهل للحرب العالمية الثالثة .

وكان من أول ما اتجهت اليه العيون ، القذيفة الصاروخية V2 التي رمى بها الألمان لندن ، وفكروا فيها بالقدر الذي فكروا . وكذلك الى قنابل الطائرة



ومداها تتراوح نحو ٥٠٠٠ ميل او

صورة توضح كيف يوجه الصاروخ بالرادار من الارض الى الطائرة المغيرة وتجد شرح هذا بصفحة ٥٥ .

القذيفة بولاريس ، وقد اطلقتها غواصة ، وهي تحت الماء . انها تحمل قنبلة نووية ، وصاروخها مؤلف من صاروخين ، احدهما فوق الآخر . والوقود صلب ، فهي الى حتى على الفور . وتقرب الغواصة من اهدافها ما تشاء ، ما استطاعت ان تتستر فلا يدري بوجودها الأعداء .

وصواريخ تنطلق من الأرض الى هدف في الجو .

وصواريخ تنطلق من الجو الى الارض .
وصواريخ تنطلق من الجو الى الجو .
وكل من هذه الضروب هي الاخرى انواع شتى ، واحجام واوزان شتى ، واجهزة لاطلاق شتى .

ويضيق المقام عن استيعاب .
لهذا نذكر من ذلك طرفا .

عصرنا هذا
عصر الصواريخ والالكترونيات
والآلات الحاسبة معا

ويصف هذا العصر بعصر الصواريخ .

[illegible]
الصواريخ Rockets والالكترونيات * Electronics والآلات الحاسبة Computers معا .

ان الكيمياء لعبت دورا عظيما في بناء الصواريخ ، ولكن الالكترونيات ركبت لهذه الصواريخ اعينا تصيب بها . انك ترسل الصاروخ ، بلا اجهزة توجهه ولا تضبط مساره ، فيذهب الصاروخ في الهواء ، او في الماء ، اعمى ، ان أصاب هدفا ، فحمدا لله ، وان لم يصب ، فما على الاعمى من عتاب .

ان الالكترونيات ترسم للصاروخ المجال الذي يجب ان يسير فيه ،

* نسبة الى الالكترون ، وهو جسيم متناهي الصغر يدخل في تركيب الذرات ، يحمل شحنة كهربائية سالبة ، وهو الذي يجري في الاسلاك فيحدث التيار الكهربائي الذي يجري بها . وللالكترونيات خواص كثيرة عجيبة يستفاد منها عندما تتخلص من اسلاك الكهرباء التي تجري فيها . والالكترون هو الذي يعطي لنا الراديو والتلفزيون والاشعة السينية والمجهر الالكتروني ، والآلات الحاسبة وغيرها



غواصات من الغواصات الامريكية التي تحمل ١٦ قنبلة من قنابل بولاريس تطلقها من البحر لأهداف معينة ، وعند الولايات المتحدة اليوم منها ٤١ غواصة بولاريس ذرية . وعند الروس امثال لها

والالكترونيات يحس به اذا هو حاد .
. . . . يصدر الجهاز من ذات
نفسه اوامر لمحركات تجرى في اتصال
من شأنها ان تصحح . . .
ومن هذه الاجهزة ما كانت عيونه
مركزة على الهدف كما تعرف الـ . . .
. . . والهدف يتحرك . والصاروخ
. . .
هو التقاء الدمار .

واجهزة التوجيه صنفان . صنف
كامل التوجيه ، يحس ويلاحظ من ذات
نفسه ، ومن ذات نفسه يصحح . وهذا
هو التوجيه الذاتي ، ويعرف باسم
Inertial Guidance كما سبق ان ذكرت
وكررنا . وصنف آخر يعين فيه
رجال مختصون بذلك ، يقيمون في مراكز
خاصة بالارض ، هم يرصدون ويرقبون
ويحسبون ، ويدركون الخطأ . ومن كل
هذه الارصاد ينتهون الى نوع التصحيح
ومقداره ، ثم هم يرسلون اوامرهم الى
اجهزة الصاروخ الضابطة فتتحرك وفق
ما يريدون وبالقدر الذي يريدون .

وكل هذه حسابات لا بد ان تتم في
ثوان . وهنا يأتي مكان الآلات الحاسبة .
انها تأتي بجواب اعقد المسائل في اقصر
وقت . فلولا هذه الحاسبات الحاسبات
ما امكن ملاحقة صاروخ في مسيره .

ونرجو هذه المعاني
بتفصيلا فيما

القذيفة التي اسمها بوسيدون Poseidon
وهي شبيهة بالقذيفة الصاروخية بولاريس وتطلق
من الغواصات . ولكن مداها اوسع ، ورأسها يحمل
مقدارا اثقل وزنا . ورأسها يحمل اكثر من قذيفة
بعضها متفجر ، وبعضها للتضليل ولا تتفجر .



هذه الصواريخ هو المكان حث بها وقيادتها وتوجيهها حتى تسقط على الهدف الذي هي موجهة .

إن الصاروخ عندما ينطلق ، يطلق بقدر الإمكان في الاتجاه الذي [illegible]
[illegible]
تعمل فيه . وهذه العوامل تتألف من المحرك الصاروخي وهو يعمل ، ثم جاذبية الأرض بعد المحرك الصاروخي يعمل ومن بعد أن يتوقف . والبرنامج الذي يهتدي به جهاز التوجيه في القذيفة الصاروخية يتضمن الوقت الذي سيظل فيه عمل محرك الصاروخ ، وكذا مكانه . ومن بعد توقف عمل محرك الصاروخ [illegible]
تماما كما تعمل الجاذبية في حجر ترميه [illegible]

ولكن هناك الريح التي قد تهب فتؤثر [illegible]
جسم الصاروخ ، فقد لا يكون متماثل [illegible]
جانب إلى جانب . حتى قوة الصاروخ قد لا يكون تماثلها كاملا فيخرج النار [illegible]
خط سير محور القوة الذي هو في [illegible]

كل هذا الميل يحتاج [illegible]
[illegible]

طريقة التوجيه الذاتي Automatic or Inertial Guidance وطريقة التوجيه من الأرض كما ذكرنا .

أما الطريقة الأولى فتقتضي مرجعا يكون في الصاروخ ثابت الاتجاه لا يتأثر بحركة الصاروخ ، وبه تقارن المسار الراسم القائم فعلا ، لتكتشف بذلك الانحراف إن كان وقع . والذي يقوم بهذا الكشف أدوات حساسة يحملها الصاروخ نفسه Sensors . والذي [illegible] الآلات الحاسبة Computers وهي تقارنها بالمسار المرسوم وتقدر مقدار الانحراف إن كان ، ثم هي ترسل كل [illegible]
[illegible] النفاثات الخارجة المندفعة ، فترد بذلك الصاروخ إلى مساره الصحيح .

وهذه الأدوات كلها والآلات توجد مع الصاروخ في التوجيه الذاتي الكامل .

[illegible] في التوجيه [illegible] يرسمون [illegible] ويكون معهم بعض هذه الأدوات ، كالحاسبات وغيرها ، وعندئذ هم يرسلون أوامر هذه الحاسبات إلى آلات تعدل اتجاه الصاروخ ، بتعديل دفاته ، وهي بالصاروخ نفسه .

ويتضح من كل هذا اعتماد التوجيه على ثلاث : الكينات في تصميمه ، والإلكترونيات ، والحاسبات في حسابه .

اجتمعت هذه الثلاث في عصر واحد ، ولو تخلف أحدها ما كان الصاروخ مثل هذا الخطر .

ومن أن نتحدث عن المرجع الذي يكون في الصاروخ ، ذلك الذي يبقي الاتجاه الثابت الذي لا يتأثر بحركته ، ولا حتى حركة الصاروخ نفسها .

ومن أن نتحدث عن الآلات الحاسبة التي تحسب ، وتحسب في لمحة .

ومن أن نتحدث عن آلات الضبط والربط التي تقضي بتحريك الدفات الداخلة في قوة النفاثات .

ولكن دون هذا يضيق المقام ، ولولا علمه علم تضاحكه لغة الرومان .

ولنضرب مثلا لنوع من هذا التوجيه نجد له صورة منشورة بصفحة ٨٠ . إنها صورة توضح نوعا من التوجيه ، يساعد القذيفة على الاتجاه بالهدف الذي يراد تدميره . فهذه طائرة العدو في السماء ، وقد أطلقنا إليها أشعة رادار

[illegible]

الصاروخية اليها ، وبطاها شعاع من رادار آخر مرتد كذلك اليها . ومن الرادارين تذهب المعلومات الى الآلات الحاسبة [illegible] حتى تلمس الطائرة . وهي ترسل الأمر بمقدار هذا الانحراف الذي يتحرك به الصاروخ لصندوق البث اللاسلكي ، وهذا ينقله الى آلات التوجيه التي بالصاروخ فتحرك [illegible]

قذائف ضد الطائرات المغيرة

[illegible] . وكان أمرها محتملا لما كانت سرعتها [illegible] التقليدية [illegible] من الحرب [illegible] الطائرات [illegible]

وفوق هذا وذاك ظهرت القنابل التي تستطاع أن تحملها هذه الطائرات [illegible]

من نتيجة ذلك أن استدعت [illegible] الجديدة للقذيفة [illegible] معا ، أولهما [illegible] وثانيهما [illegible] وقوده سائل . فهذه هي القذيفة نايك أجاكس Nike - Ajax [illegible] ومعها بالطبع نظام للتوجيه يتضمن شعاعين من الرادار Radar ، أحدهما دائم الاتصال بطائرة العدو هذه [illegible]

وهي عندئذ ترسل الاشارات اللاسلكية عبر جهاز ارسال لاسلكي الى أجهزة الضبط في القذيفة فتحول مجراها الى أن تلتقي بالطائرة المغيرة . وعندئذ تؤمر بالانفجار أشبه شيء بالذي سبق أن وصفناه .

وعند الروس قذائف كهذه ، تطلق من [illegible]

صاروخ يطلقه رجل واحد من انبوبة يحملها على كتفه ليحمي به كتيبته مما يصادف من طائرات للعدو تسير على مستوى منخفض في حيث لا توجد قوات حربية دفاع . وهو أشبه شيء بالبازوكا يطلقها على الدبابة جندي واحد

القذيفة الروسية التي يسميها الأمريكان Guide Line ، وقد استخدمت بكثرة في الحرب الفيتنامية .

ولعل القذيفة التي اشتهرت في حرب فيتنام باسم سام ٢ ، شبيهة بهذه ، أو لعلها هي هي .

قذائف ضد الطائرات التي تطير منخفضة فوق سطوح المنازل

لقد أمر علماء الحرب ، ومكتبوها ، أمر القذائف الصاروخية التي تنال من الطائرات المغيرة ، التي تطير عالية في السماء . فاضطرت هذه الطائرات بسبب ذلك الى أن تنخفض بطيرانها حتى تكاد تمس سطوح المنازل في المناطق الآهلة ، أو سطوح الشجر في الغابات . وذلك حتى لا تكشفها صفحة الرادار وهي قادمة . وهي بهذه الطريقة لا تعطي لأجهزة الرادار الوقت الكافي ، حتى الصغير ، لتربط رادارها بالطائرة الهاجمة وتطلق عليها قذيفتها الصاروخية اللازمة ومن تلو ذلك من عمل دفاع .

وجب على المدافعين عندئذ ابتداع قذيفة صاروخية أخرى للدفع بها شر هذه الطائرات الفئة الثانية المنخفضة .

ونجح الأمريكان في ذلك .

ونجح الروس في ذلك .

... الصقر الأمريكاني American Hawk (في الصورة السفلى) . وأخص ما فيه نظام التوجيه فيه ، به رادار يستطيع أن يفرق كل ما ينعكس إليه من موجات اللاسلكي ، من رؤوس بيوت أو رؤوس شجر وغير ذلك ، وكذلك من الطائرات وهي تتحرك . ولكنه من ابدعه بحيث يميز بين المتحرك منها والثابت .

وهذا لا شك ما صنعه الروس ، ولعلها هي القذيفة التي اشتهرت باسم سام ٣ .



الصاروخ الأمريكي الصقر American Hawk ، وهو للدفاع ضد الطائرات المنخفضة ، وبه رادار خاص يفرق بين الصور التي تظهر في لوحته من أجسام كالطائرات المتحركة ، وأخرى كسطح الحقل ورؤوس الشجر ثابتة .

[illegible] العدو ان تمنع طائراته من العبور الى ما وراءها ، اى بطن الوادى ، الى الاعماق من مصر .

قنابل طائرة

سبق ان ذكرنا ان الامريكان والروس ورث كلاهما عن الالمان قذيفتين للهجوم والفتك بالاعداء . احداهما عرفت بالحرف V1 ، وهو اختصار للفظ الالمانى Vergeltungswaffe ، اى سلاح الانتقام ، والثانية عرفت بالحرف V2 وحدثت بعد الاولى من حيث الزمان . ونريد هنا ان نعرف ان الامريكان والروس كلاهما ركز عليهما في اول عهدهما بالصواريخ الحديثة ، يختبرهما ، ويطورهما ، ويحورهما بمساعدة العلماء الالمان الذين كان لهم فضل تصميمها وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية [illegible]

اما القذيفة الاولى V1 فقد عرفت باسم القنبلة الطائرة ، وكانت فى الواقع طائرة بمعناه ولا طائر بها . تحمل فى انفها ، اى فى مقدمها ، ٢٠٠٠ رطل من المتفجرات وكانت سرعتها ٤٠٠ ميل فى الساعة . وقد أرسل الالمان منها ، من شاطىء اوروبا ، نحو ٨٠٠٠ قذيفة ، قذفت اكثرها لندن . ولم يفرغ الالمان من هذه القذيفة حتى بدأوا بالقذيفة V2 ارسلوا منها الى لندن نحو ١١٠٠ قذيفة . وكانت هذه قذيفة صاروخية حقا ، وقودها الكحول ، والاكسجين مؤكسده . [illegible] بمضخة تدفع الوقود . وكذلك كان [illegible] نوع من التوجيه ، ولو انه كان غير [illegible] . [illegible] وقعت القذيفة ببعد دون ٣ او ٥ اميال من هدفها . والمعروف ان هذه القذيفة حملت عند رأسها طنا من المتفجرات . وكانت سرعتها ٣٠٠٠ ميل الساعة ، ولكن مداها كان فقط ٢٠٠



الصاروخ الامريكى « [illegible] » ٨ [illegible] ، [illegible] طائر ، شكله شكل الطائرة ، لها جناحان [illegible] على [illegible] من موضعها ، تجرها عربة اخرى تذهب بها الى مواقع اطلاقها



صورة القارب والصاروخ التي اغرق المصريون بها المدمرة الاسرائيلية ايلات في عام ١٩٦٧ .

سبق الروس والالمان من القذيفة V 2 [illegible] سائر قذائفهم ، ومنها ما ارتفع بالاقمار الاصطناعية مدارات حول الارض كما فعل الروس أول مرة [illegible]

ومن أحدث القنابل الطائرة التي صنعها الامريكان القنبلة الطائرة المسماة Wasp A وبهذه القذيفة جهاز للتوجيه كامل فيه الجزء الذي يحس بخروج الصاروخ عن مساره ولو بقدر صغير [illegible] الجهاز ذا الحلقة الدوارة [illegible] المحركات التي تتولى تلقي الاوامر الناتجة عن هذه الاحساسات الناتجة ، وهي تقوم من الفور بتعديلها ، ووضع القذيفة مرة أخرى في مسارها الصحيح [illegible]

[illegible] فوق عربة اطلاقها ، صفحة ٨٧ ، تجرها قاطرة أخرى صغيرة عظيمة [illegible] بها حيث يراد اطلاقها .

وكما للامريكان فكذلك للروس .

ومن قنابل الروس تلك القذيفة [illegible]

اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات

[illegible] في ٢١ أكتوبر من عام ١٩٦٧ [illegible] دفنتها في دقائق .

اما القذيفة التي استخدمها المصريون فقارب سريع من قوارب البحر ، صنعه الروس .

اما القذيفة فطائرة صغيرة ، بلا طيار ، سماها رجال الغرب Styx 20 تمييزا لها . ولها جناح طوله عشرون قدما . وهي تحمل المتفجرات التي تنفجر عند اصابة الهدف .

والذي حمل هذه الطائرة الى هدفها انما هو صاروخ ، وضع في أسفلها ؛ [illegible] هذه القذيفة الطائرة سبيلها الى المدمرة .

ويرى البعض ، بسبب هذه الاصابة الناجحة ، على بعد ١٢ ميلا ، أن هذه القذيفة تحمل جهازا هاديا موجها ، من نوع ما .

وعند الروس قذائف اكبر من هذه ، واحدث ، واقدر على الاغراق .

طائرة مقاتلة روسية ... تحمل قذيفة تحت كل جناح من اجنحتها ، ونراها في الصورة وقد اطلقت القذيفة على الهدف ، وهو بعيد ، لم يجاوزه في ... .

الطائرات
صارت حوامل القذائف الصاروخيه تطلق منها الى ارض او بحر

لقد كانت الطائرات تحمل القنابل [illegible]

[illegible]

فاسرعت الى انجلترا ، حملتها الى انجلترا طائرة مقاتلة ، واطلقتها وهي لا تزال بعيدة عن هدفها . ان هذه الطائرة [illegible]

السماء قائم : ان تخاطر بالغرات

وتقدم الزمن وحرب السنون فحدثت [illegible]

تطورت ، عندما تقدمت وسائل الدفاع ضد المغيرات من السماء . فمن رادار حدثت تنذر بالطائرة المغيرة . ومن ... ومن قذائف صاروخية ضد هذه الطائرات . ومن طائرات مقاتلة [illegible]

[illegible]

... تطلق وعينها قد رصدت وتحركت على الطائرة المغيرة فهي تتبعها حيثما تكون ، فلا تتركها حتى تصيبها وتسقطها .

كان عندئذ لا بد من تحول .

وتحول الامريكان ، وتحول الروس ، وتحول حتى البريطانيون ، الى تحويل الطائرات هذه الكبيرة المقاتلة ، او التي [illegible]

ودفاعها قبل ان تصل الى اهدافها ، في ارض كانت الاهداف او في بحر .

ومن بعده تتحسب المحاصرة ... [illegible]

[illegible]

... طائرة مقاتلة من ... هي 16 TU ، وقد اطلقت منها قذيفة من الاثنتين اللتين حملتهما تحت جناحيها .

وللامريكان في هذا المجال مثل ما للروس .

قذائف
ضد الدبابات

الدبابات كالطائرات ، كلاهما اداتان من ادوات الحرب خطيرتان . للاولى ... وللثانية السماء .

لهذا كان من اخطر القذائف الصاروخية ، واشد المحاربين المشاة حاجة اليها ، قذائف الدبابات . واليوم لا تكاد تخلو [illegible]

جاهزة من هذه القذائف الصاروخية

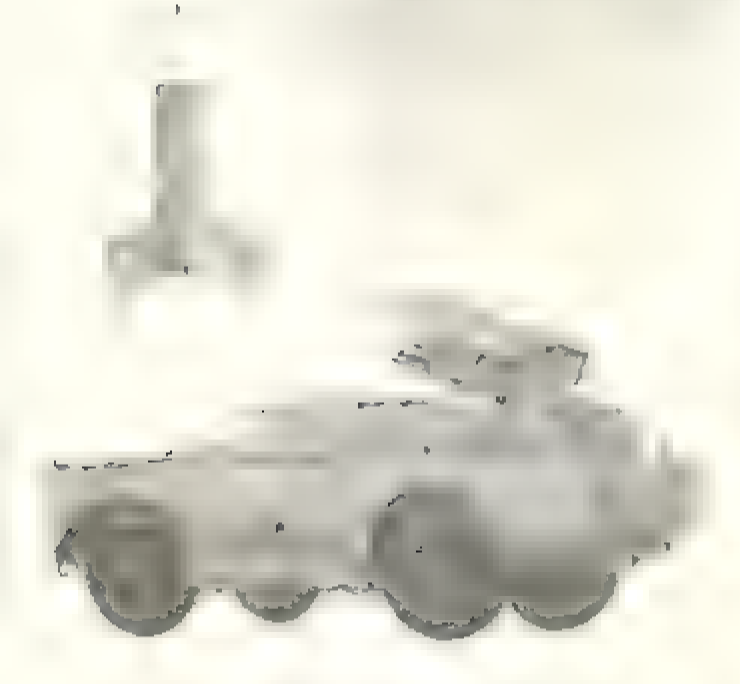
وهي ... بالقذائف ... .

ومن امثلتها البازوكة Bazooka ، وهي عبارة عن صاروخ يطلق من انبوبة يحملها



صورة صاروخ امريكي اسمه Vigilant وهو صغير ، يستهدف الدبابة فيخترق جسمها الفولاذي اختراقاً قبل ان ينفجر . وهو يوجه بواسطة اشارات تصل اليه عن طريق سلك يصل بينه وبين جهاز التوجيه عند الجندي الواحد الذي اطلقه .





صواريخ روسية ، ضد الدبابات من آخر طراز ، اربعة ، محمولة على سيارة تسير بها مع احدث [illegible] دبابات العدو وهذا الصاروخ عرف باسم [illegible]



الصاروخ الامريكي المسمى [illegible] جون Jones John ، انه من القوة [illegible] ومن سعة الوضع الذي يناله [illegible] بحيث لا يحتاج الى جهاز توجيه .

صاروخ روسي يحمل راسه مقدارا كبيرا من متفجر تقليدي قوي ، او متفجر نووي ، يطير به صاروخ فرد ، او صاروخان احدهما فوق الآخر مومداه ما بين ١٥ الى ٢٠ ميلا الى الاعداء ولس له جهاز توجيه ، الا [illegible] [illegible] الصاروخ [illegible] [illegible] الصاروخ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

وفي الصورة مثل لمرته يحمل سنا من [illegible]

[illegible]

قذائف صاروخيه لا حاجه الى توجيهها

[illegible]

وهي اذ تلمر [illegible] مساحات واسعة [illegible]

[illegible] كان مداها ١٢ ميلا فقط .

[illegible] Honest [illegible]

[illegible] John [illegible]

[illegible] مرة أخرى .

[illegible]

●●

محمد زكي



مصالح أمريكا الاقتصادية

- ١٧٠٠ مليون دولار دخل امريكا الصافي في عام واحد من استثماراتها المباشرة في المنطقة .
- اغلاق قناة السويس كلف دول اوروبا الف مليون دولار في عام واحد !!
- الفوسفات والكوبلت والمنجنيز والقطن والكروم ثروات اخرى غير البترول .
- في عام ١٩٨٠ ستضطر امريكا الى استيراد البترول من الشرق الاوسط .

بقلم : محمد طنطاوى

■ منذ أقل من ربع قرن كانت أهمية منطقة [illegible] تتركز في موقعها الاستراتيجي بين القارات الثلاثة أوربا و[illegible] آسيا . وكونها أيضا سوقا [illegible] الدول الصناعية المتقدمة، وممرا لمرور هذه المنتجات الى الدول الأخرى الافريقية والاسيوية ، علاوة على أنها [illegible] لدول أوربا التي كانت تستعمر أجزاء كبيرة من المنطقة .

ولكن هذه الصورة تغيرت بسرعة بعد عام ١٩٤٨ وخاصة بعد ان اشتدت حاجة العالم للبترول نتيجة لحركة التعمير التي بدأت في اوربا بعد الحرب العالمية الثانية .. واصبحت هناك اهمية اخرى للشرق الاوسط وشمال افريقيا (١) .

ولسنا هنا بصدد قصة البترول في هذه المنطقة منذ بدايتها فلن نستطيع ان نتتبع الدور الهام الذي لعبه ويلعبه البترول بالنسبة لهذه المنطقة الحساسة من العالم ..

بداية اهتمام امريكا ببترول الشرق الاوسط

في العشرينات من هذا القرن كانت الولايات المتحدة الامريكية تقوم بانتاج ٨٠٪ من احتياجات العالم البترولية .. ولكن زيادة استهلاك احتياطي البترول الامريكي اثناء الحرب العالمية الاولى ادى الى خشية نفاد هذا الاحتياطي في سنوات قليلة . ومنذ ذلك الوقت بدات حاجة امريكا الملحة للحصول على امتيازات لشركاتها للتنقيب عن البترول في الشرق الاوسط . وفي عام ١٩٢٥ قامت شركة ستاندارد اويل نيو جيرسي ومعها سوكوني موبيل بالاشتراك مع عدة شركات اوربية بانشاء شركة البترول التركية ، والتي اصبحت تسمى فيما بعد بشركة بترول العراق .

ومنذ هذا التاريخ بدا التسابق بين شركات البترول على منطقة الشرق الاوسط ، وبدات الاكتشافات البترولية تتوالى في المنطقة . ولكن الاستغلال التجاري على نطاق واسع كان بطيئا نتيجة لتوتر الموقف الدولي والاستعداد للحرب العالمية الثانية في ذلك الوقت من الثلاثينات في هذا القرن .

وحتى عام ١٩٤٨ كانت بريطانيا لا تزال تحصل على ٥٧٪ من احتياجاتها البترولية من امريكا ، و١٨٪ من ايران و١٩٪ من بقية دول الشرق الاوسط ، وكان انتاج الشرق الاوسط كله في ذلك الحين لا يزيد على ٣٢٠ر٠٠٠ برميل (٢) بترول يوميا ، وهو ما يعادل ٦٪ فقط من الانتاج العالمي .

وبدا التطور الهائل في الانتاج بعد عام ١٩٤٨

ولم يبدا تطور الانتاج البترولي في منطقة الشرق الاوسط الا بعد عام ١٩٤٨ . وفي خلال ١٠ اعوام اي في عام ١٩٥٨ وصل انتاج المنطقة من البترول الى ٤ر٣٠٠ر٠٠٠ برميل يوميا .. وفي عام ١٩٦٦ تفوق الشرق الاوسط على امريكا لاول مرة بالنسبة لانتاج البترول . وبالرغم من حرب يونيو عام ١٩٦٧ وصل انتاج الشرق الاوسط البترولي الى ١٠ر٥٠٠ر٠٠٠ برميل يوميا وهو ما يمثل ٣٢٪ من انتاج العالم كله فيما عدا الكتلة الشرقية (الدول الشيوعية) .

وفي عام ١٩٦٨ وصل انتاج الشرق الاوسط من البترول الى ١١ر٠٠٠ر٠٠٠ برميل يوميا ، وفي عام ١٩٦٩ ارتفع هذا الانتاج ليسجل رقما قياسيا جديدا هو ١٢ر٢٦٦ر٨٧٨ برميل يوميا .

اما في شمال افريقيا فان التطور البترولي كان اكثر سرعة من مثيله في الشرق الاوسط . وقد تم اكتشاف البترول بكميات تجارية في الجزائر في عام ١٩٥٦ ووصل الانتاج الى ١٠ الاف برميل يوميا في عام ١٩٥٨ . وفي ليبيا تم اول اكتشاف تجاري للبترول في عام ١٩٥٧ ولكن الانتاج لم يبدا الا في عام ١٩٦١ .

وفي عام ١٩٦٧ اصبح انتاج دول شمال افريقيا ٢ر٨٤٤ر برميل يوميا ، وارتفع هذا الرقم عام ١٩٦٨ ليصبح ٣ر٢٥ برميل يوميا ، ثم ارتفع مرة اخرى في عام ١٩٦٩ حتى اصبح ١١٢ر٢٣٩ر٣ برميل يوميا .

استثمارات امريكا في المنطقة

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى عام ١٩٦٦ انفقت شركات البترول الامريكية ٢٨ الف مليون دولار على انتاج ونقل وتكرير وتسويق البترول ومشتقاته في مختلف انحاء العالم . ومن هذا المبلغ كان نصيب الشرق الاوسط ٢٨٥٠ مليون دولار ، وكان نصيب شمال افريقيا ١٥٠٠ مليون دولار . وفي عام ١٩٦٦ اصبح البترول يمثل ٣٠٪ من مجموع استثمارات امريكا الخارجية في العالم كله ، ولكنه كان في نفس الوقت يمثل ٤٥٪ من الدخل الكلي للاستثمارات الامريكية الخارجية المباشرة كلها .

وقد بلغ دخل الولايات المتحدة الامريكية من استثماراتها البترولية في العالم كله عام ١٩٦٦ مبلغ ١٨٠٠ مليون دولار ، كان منها اكثر من ١١٠٠ مليون دولار من منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا .

استثمارات غير مباشرة

وتوجد الى جانب الاستثمارات المباشرة الامريكية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا استثمارات اخرى غير مباشرة تتمثل في شراء الدول للبضائع الاستهلاكية الامريكية ، والخدمات ، واجور موظفي شركات البترول العاملة في المنطقة ، والمنتجات

(٢) الطن المتري = حوالي ٧ ١/٣ برميل .

البترولية الكيماوية . الى جانب ان عددا كبيرا من الامريكيين العاملين في الشركات الامريكية المختلفة يحولون مبالغ كبيرة من رواتبهم الى الولايات المتحدة.

وفي عالمنا الحالي تتشابك اقتصاديات امريكا مع اقتصاديات كندا واوربا الغربية واليابان وتتداخل بشكل يجعل مصالح دولة ما هي نفسها مصالح الدولة الاخرى .. ولعل اصدق دليل على هذا التشابك بين المصالح الاقتصادية لهذه الدول يتمثل في عمليات التمويل الدولي والنظام النقدي. فعندما تحدث ازمة للجنيه الاسترليني ، فان هذا يهدد الدولار .. والضغط على الفرنك الفرنسي قد يخلق صعوبات امام كل العملات الصعبة الاخرى .. وهكذا .. ومن هذا التشابك ينشأ اهتمام آخر غير مباشر لامريكا في منطقة الشرق الاوسط .

وقد بلغ دخل امريكا الصافي من استثماراتها المباشرة وغير المباشرة في الشرق الاوسط عام ١٩٦٦ حوالي ١٧٠٠ مليون دولار وذلك بعد خصم كل ما دفعته الولايات المتحدة بصفة مساعدات لدول هذه المنطقة .

امريكا ستضطر الى استيراد البترول من الشرق الاوسط

تقوم الولايات المتحدة الامريكية حاليا بانتاج ٨٠٪ من احتياجاتها الفعلية للبترول وقد بلغ انتاج امريكا في عام ١٩٦٩ ما يقدر بـ ١٠٫١٧٠٫٠٠٠ برميل يوميا .. ولكي تسد امريكا باقي حاجتها فانها تقوم باستيراد البترول من دول امريكا الجنوبية وخاصة فنزويلا التي تمدها بـ ١٧٪ من احتياجاتها .. وتستورد امريكا ايضا الثلاثة في المائة الباقية من الشرق الاوسط .

ويمكن لامريكا في حالة الضرورة القصوى ان تقوم بزيادة الانتاج المحلي للبترول ولكن سيتم ذلك على حساب زيادة محسوسة في متوسط تكاليف البترول المنتج ، وايضا على حساب الاحتياطي البترولي المتناقص في الولايات المتحدة .

وقد ثبت ان احتياطي البترول المكتشف في امريكا قد انخفض من كميات تقدر بانها تكفي استهلاك امريكا ١٢ عاما وتحديدا عام ١٩٤٨ الى كميات تكفي ١٠ سنوات فقط حاليا .

واذا فرضنا ان مجموع ما تستورده امريكا للبترول سيظل كما هو اي بنسبة ٢٠٪ من استهلاكها الكلي فان منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية قد قدرت ان امريكا ستحتاج لاستيراد ٢٫٨٠٠٫٠٠٠ برميل بترول يوميا في نهاية السبعينات ، ويصل هذا الرقم ، في تقدير المنظمة المذكورة الى ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ برميل بترول يوميا في عام ١٩٨٠ . واذا فرضنا مرة اخرى ان نسبة زيادة انتاج العالم الغربي للبترول ستظل كما هي اي حوالي من ٣ الى ٤٪ سنويا ، وفي نفس الوقت كانت نسبة زيادة استيراد الولايات المتحدة للبترول تتراوح بين ٥و٦٪ فان هذا يعني ببساطة ان بترول الشرق الاوسط ستزداد اهميته بالنسبة لامريكا في السنوات القادمة وخاصة ان نسبة زيادة انتاج البترول في المنطقة تصل من ١٠ الى ١٥٪ سنويا

اما اذا نظرنا الى التطور التكنولوجي الحديث، وما يتطلبه هذا التطور من زيادة ضخمة في استهلاك البترول فان الدراسات منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ستصبح الدراسات اقل ما يقال عنها انها متواضعة . ولكي نضرب مثلا واضحا على ذلك فلنأخذ الطائرات الضخمة الحديثة والتي تستهلك في كل رحلة تقطعها آلاف الجالونات من البترول ، هذا بسبب زيادة الاستهلاك البترولي في دول الغرب وخاصة امريكا .. ويقدر كثير من البحوث ان نسبة هذا الاستهلاك تزداد سنويا بما يقدر بحوالي ٩٪ من الاستهلاك العام بسبب ضرورات الصناعة الحديثة.

وعمليات حسابية تشير ان امريكا قد تضطر اوائل الثمانينات من هذا القرن الى استيراد اكثر من ٥٠٪ من حاجتها البترولية من الشرق الاوسط وشمال افريقيا .

بترول الشرق الاوسط لاوربا واليابان

اما بالنسبة لاوربا الغربية واليابان فان الاعتماد على بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا يعتبر اعتمادا حيويا مباشرا .. ومن المحتمل ان هذا الاعتماد سيزداد ايضا في المستقبل خاصة وان استهلاك البترول في زيادة مستمرة .. في عام ١٩٥٩ كان البترول مصدرا لـ ٣٠٪ من الوقود والطاقة اللازمين لاوربا ، وفي عام ١٩٦٤ اصبح البترول هو المصدر لـ ٤٥٪ من هذه الطاقة اللازمة لاوربا . وكان البترول ايضا مصدرا لـ ٥٦٪ من احتياجات اليابان للطاقة . ومن المعروف انه لا توجد في اي من اليابان او دول اوربا الغربية حقول للبترول تفي باحتياجاتهم الملحة للبترول كمصدر للطاقة .

وفي عام ١٩٦٧ كانت اوربا الغربية تقوم باستيراد ٦٫٨١٥٫٠٠٠ برميل بترول يوميا منها ...١١٩٠٠٠٠

من منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، وفي نفس العام كانت اليابان تقوم باستيراد ٢٫١٠٠٫٠٠٠ برميل بترول يوميا منها ٢٫٠٢٥٫٠٠٠ برميل بترول يوميا من الشرق الاوسط وشمال افريقيا .. وهي نسبة تصل الى ٩٠٪ من احتياجات اليابان كلها .

ومن هنا تظهر اهمية بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا لكيان الاقتصاد الغربي كله ، فان انتاج اليابان واوربا الصناعي يساوي تقريبا الانتاج الصناعي للولايات المتحدة الامريكية .. واي تأثير على اقتصاديات اوربا او اليابان يؤثر بالتالي على اقتصاديات امريكا نفسها .

وعلاوة على هذا فان للولايات المتحدة الامريكية مصالح اقتصادية مباشرة من مبيعات بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا لليابان واوربا . وعلى سبيل المثال فان ٦٣٪ من البترول الذي استوردته اليابان في عام ١٩٦٧ من الشرق الاوسط هو من انتاج شركات بترول امريكية ، وكذلك فان ١٨٪ من مجموع مبيعات المنتجات البترولية في فرنسا يعود لشركات امريكية ايضا . ويمثل بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا اكثر من ثلثي البترول الذي تنتجه الشركات الامريكية خارج امريكا .

احتياطي ضخم .. وتكاليف اقل

ويمتاز بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا برخص تكاليف انتاجه التي تبلغ ثلث تكاليف الانتاج في الولايات المتحدة .. وسدس تكاليف الانتاج في الآبار الجديدة بالاسكا . ومن هنا يتضح اهمية هذا البترول من الناحية التجارية ايضا . وتمتلك المنطقة ٧٦٪ من احتياطي البترول المعروف في العالم بينما لا يزيد احتياطي البترول في امريكا عن ١٠٪ فقط من احتياطي العالم . ويبلغ احتياطي البترول في الشرق الاوسط في نهاية عام ١٩٦٩ ما يقدر بـ ٣٢٩٫٦٤٠٫٥٠٠٫٠٠٠ برميل ويبلغ الاحتياطي لدول شمال افريقيا في نفس الوقت ٤١٫١٤٤٫١٠٠٫٠٠٠ برميلا في حين ان احتياطي الولايات المتحدة في عام ١٩٦٩ هو ٢٩٫٦٣١٫٨٦٢٫٠٠٠ برميلا ، وهذه الارقام ان دلت على شيء فانما تدل على ان بترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا ستتزايد اهميته على مر السنين .

اغلاق قناة السويس كلف دول اوربا الف مليون دولار في سنة واحدة

بالاضافة الى اهتمام الولايات المتحدة الامريكية بمنابع البترول في الشرق الاوسط ومصالحها الواسعة في هذا الميدان ، فان لها اهتمامات كبيرة ايضا بطرق نقل هذا البترول المستخرج من المنطقة . وبحسب الظروف الطبيعية ، فان اهم طريق لنقل البترول في العالم هو قناة السويس . ولقناة السويس اهمية خاصة بالنسبة لدول اوربا فحتى اغلاق القناة في يونيو عام ١٩٦٧ كان ٤٠٪ من البترول و ٣٠٪ من المواد الغذائية و ٢٥٪ من مواد النسيج و ٩٠٪ من المطاط ، و ٥٠٪ من المعادن اللازمة لدول اوربا الغربية تمر في القناة في طريقها الى تلك البلاد .

ولما اغلقت قناة السويس نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ استطاعت شركات الملاحة ان تواجه المشكلة بتغيير خط سير ناقلات البترول الى طريق رأس الرجاء الصالح . وازدادت مسافة الرحلة من الشرق الاوسط الى اوربا بمقدار ٧٠٪ .. وتبعا لذلك ازدادت تكاليف الشحن زيادة كبيرة .. ولم تكف ناقلات البترول الموجودة في ذلك الوقت لنقل الكميات الكافية من البترول اللازم لدول اوربا فقامت شركات الملاحة بتحويل عدد كبير من سفن الشحن العادية الى ناقلات بترول على وجه السرعة . وازدهرت حركة بناء ناقلات البترول العملاقة .. ولكن كل هذا قد كلف شركات الملاحة والدول المعنية الكثير من المال والوقت .

وقد قدر بنك انجلترا ان اغلاق قناة السويس في السنة الاولى قد كلف ميزان المدفوعات البريطاني ٢٥٠ مليون دولارا .

وقامت الحكومة الفرنسية بدفع مبلغ ١٢٥ مليون دولار كتعويض لشركات البترول الفرنسية عن خسائرها بسبب زيادة تكاليف نقل البترول الناتجة عن اغلاق القناة وذلك في السنة الاولى من اغلاقها .

وقدرت زيادة تكاليف نقل البترول المستورد الى المانيا الغربية بحوالي ١١٠ ملايين دولار في السنة الاولى ، وازدادت مصاريف ايطاليا بحوالي ١٢٥ مليون دولار . وبعملية حسابية يتضح ان اغلاق قناة السويس للسنة الاولى قد كلف اوربا حوالي الف مليون دولار !!

وبالرغم مما يقال حاليا من ان اهمية قناة السويس قد تناقصت بسبب بناء الكثير من ناقلات البترول العملاقة الا ان الحقيقة هي خلاف ذلك تماما ، فان زيادة حاجة امريكا ودول الغرب

للبترول المنتج في الشرق الاوسط ، وزيادة انتاج الشرق الاوسط من هذه المادة الحيوية والتي تقدر بحوالي ٥٪ سنويا .. كل هذا يحتاج الى زيادة كبيرة جدا في عدد ناقلات البترول اذا استمر اغلاق القناة وحتى السفن العملاقة وغيرها والتي يجري بناؤها الآن لن تكفي لسد حاجة العالم من البترول الا اذا افتتحت قناة السويس كطريق ملاحي حيوي .

دور دول الشرق الاوسط في الحركة المالية الدولية

يعتبر الدور الذي تلعبه دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا في مجال الحركة المالية الدولية ، دورا هاما بالنسبة لامريكا وغيرها من دول اوربا الغربية .

وتحتفظ دول هذه المنطقة باحتياطي ذهبي ونقدي تقدر قيمته بحوالي ٢٥٠٠ مليون دولار ، ومن بين هذا المبلغ عملات صعبة قيمتها تصل الى ٢٢٠٠ مليون دولار . واغلب هذه العملات هي الدولار والاسترليني .

والى جانب هذا الاحتياطي الرسمي ، فان هناك الكثير من رؤوس الاموال الخاصة والمملوكة لرعايا دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا مودعة في بنوك امريكا واوربا ، وفي استثمارات امريكية او اوربية .. وتقدر هذه الاموال بآلاف الملايين ايضا .

اي ان منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا قد تستطيع ان تحدث هزة دولية في الاسواق المالية العالمية اذا ما ارادت هذا .. ويضاف الى هذا ايضا ان دخل المنطقة من البترول يتزايد سنويا ، حتى انه قد يصل في نهاية ١٩٨٠ الى عشرة آلاف مليون دولار ، وقد وصل دخل المنطقة من البترول الى اكثر من ٥ آلاف مليون دولار في عام ١٩٦٩ .

الغاز الطبيعي الشرقي ... ثروة لم تستغل بعد

اثبتت الاكتشافات البترولية الاخيرة ومنطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، انه يوجد بهما ثلث الاحتياطي العالمي المعروف بالنسبة للغاز الطبيعي . وبالرغم من ان الاستغلالات الصناعية للغاز الطبيعي لم تبدأ بعد في اكثر دول المنطقة ، الا ان الانتاج التجاري بدأ على درجة لا بأس بها في كل من الجزائر وايران .

وهناك مشروعات تحت التنفيذ ، او قيد البحث ، لتسييل الغاز واستعماله في الصناعات البترولية الكيماوية في مختلف انحاء المنطقة .

مصادر اخرى للثروة في المنطقه غير البترول

الى جانب الثروة البترولية ، والتي تكون الجانب الاكبر من مصالح امريكا الاقتصادية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، توجد ايضا بالمنطقة ثروات اخرى ، ففي المغرب توجد ثروة من الفوسفات تجعلها اكبر دولة مصدرة للفوسفات في العالم . وتعتبر المغرب ايضا الدولة الثانية في العالم بالنسبة لانتاج الكوبلت ، والسادسة بالنسبة لانتاج المنجنيز ، وكلها مواد هامة بالنسبة لامريكا .

والجمهورية العربية المتحدة هي اكبر مصدر للاقطان طويلة التيلة في العالم كله .

وتركيا هي ثالث اكبر دولة منتجة للكروميت (خامة الكروم) ..

وتعتبر دول المنطقة كلها من اكبر المصادر الرئيسية للخضر والفواكه الطازجة لاوربا في الخريف والشتاء والربيع .

* * *

هذا بحث سريع لاهتمامات امريكا ومصالحها الاقتصادية في دول الشرق الاوسط وشمال افريقيا. وقد اعتمد هذا البحث على الارقام والاحصائيات التي وردت في تحليل عن مصالح امريكا في الشرق الاوسط صدر في عام ١٩٦٨ من المعهد الامريكي للبحوث السياسية العامة . كما اعتمد ايضا على آخر احصائيات قامت شركات البترول بنشرها في اعوام ٦٨ ، ٦٩

ومن هذا البحث تتضح بصورة جلية الاهمية الاقتصادية الرائعة لبترول الشرق الاوسط وشمال افريقيا ليس بالنسبة لامريكا وحدها ولكن بالنسبة لبقية دول العالم كله .. وتتضح ايضا اهمية هذا البترول بالنسبة لدول الشرق الاوسط التي يمكنها ان تجعل منه وسيلة من اهم وسائل التطور والتقدم وملاحقة العصر الحديث .. والحصول على مقدار اكبر من العدالة الدولية التي لم تحقق العرب منها الى اليوم بطائل. ■■

محمد طنطاوي



تحقيق المخطوطات ضرورة لإحياء التراث العربي

بقلم : عبد الستار فراج

● في التراث العربي كثير من المخطوطات ما زال بحاجة الى النشر والتحقيق ، طبقا للقواعد العلمية السليمة .

ولسنا بصدد بيان شروط التحقيق ، الا ان اهم ما يتطلبه هو ثقافة واسعة واطلاع على المراجع، ومعرفة مظان البحث وكيفية الاهتداء الى النصوص التي تتصل بالكتاب المراد تحقيقه ، مع خبرة بالفن الذي يدور حوله الكتاب ، حتى لا يظهر شيء من هذه الكتب بادي النقص مملوءا بالتحريف .

واي قيمة لكتاب يكون محرف الكلمات ، مختل الاوزان في الشعر ، او فاسد الضبط ، او كثير الغموض ؟

ومن قبل كانوا يستطردون في التأليف . فتأتي امور مبهمة عرضا . يطويها الحديث ذو الشجون . ولذا كانت فهرسة الكتب المحققة اهم ما يعنى بها في نشر التراث . والا لفقد الفائدة المرجوة منه ، فليس كل احد يرضى ان يضيع وقته في كل مرة ليبحث عما تناثر بين ثنايا الكتاب المحقق، وبخاصة اذا كان متعدد الاجزاء .

لهذا كان مما يبعث على الرضا والاطمئنان ان يسهم في تحقيق الكتب من لهم حظ كبير من الثقافة وقدرة على الدراسة والاستيعاب .

ومما يضاعف السرور ان تمتد هذه الرغبة في احياء التراث الى جميع الاقطار العربية لتبرز لنا ما اثمرته قرائح العلماء في كل ناحية ، وفي كل لون من الوان العلوم والفنون، مما ظل مخطوطا قابعا في ثنايا المكتبات العامة والخاصة ، ويخشى عليه عوادي الايام وطوارق الحدثان .

وفي كتاب « منوعات محمد المنوني » الذي صدر سنة ١٩٦٧ بمناسبة مرور عشر سنوات

على تأسيس جامعة محمد الخامس فالمهة بأبحاث ومؤلفات الاستاذ محمد الفاسي « محمد بن عبد الواحد الفاسي الفهري » تجاوزت المائة والثمانين ، ما بين كتب مؤلفة ومقالات طريفة وكتب محققة . وهذا محصول عظيم بالنسبة لرجل ساهم في أعمال كثيرة ، منها السياسة والادارة قد تشغله عن الكتابة والتأليف . ومن هذه الاعمال انه كان مدير تلك الجامعة .

ومن الكتب المهمة الجديرة بالتنويه ما هو خاص بالرحلات لما فيه من طرافة ودقة ملاحظة ووصف للاقاليم وذكر للعلماء .

وأبناء المغرب كانت لهم ولا تزال مجالاتهم واسعة في كل العلوم الدينية والعربية ، كما كان لهم مجال كبير ونصيب وافر في فن الرحلات . ومن ذا الذي لم يسمع عن رحلة « ابن بطوطة » التي طبعت مرات وبعدة لغات .

ومن ايدينا بعض الكتب التي حققها الاستاذ نذكر منها

١ — « انس الفقير وعز الحقير » : لمؤلفه ابن قنفذ المتوفى سنة ٨١٠ هـ وقد طبع سنة ١٩٦٥ . ويمتاز هذا الكتاب بأنه رحلة قصد بها مؤلفها زيارة أولياء وقف بها الوقوف على أضرحة الصالحين ، والمهم فيه هو ما شاهده المؤلف نفسه من اتصالاته الشخصية برجالات التصوف في عهده وذكر أخبارهم ومجاهداتهم والاشارة الى ما تمتاز به سيرة كل واحد منهم . والكتاب يرينا الحياة الصوفية في المغرب في القرن الثامن الهجري .

٢ — « انس الساري والسارب » ومؤلفه ابو عبد الله محمد بن احمد القيسي ، يذكر فيه رحلته الى الحجاز سنة ١٠٤٠ هـ (١٦٣٠م) ، ويصف المراحل التي قطعها والمناهل التي وردها ، والبلاد والمدن التي اجتازها ، وقد حلا رحلته بمقطوعات شعرية وقصائد ووصف ما رآه من آثار ومشاهد وطبع سنة ١٩٦٨ .

٣ — الرحلة الابريزية الى الديار الانكليزية «

ومؤلفه ابو الجمال بن الطاهر بن عبد الرحمن . وعنوان الكتاب من وضع الاستاذ محمد الفاسي ، اذ ان المؤلف لم يضع له عنوانا . وقد احسن في اختياره للعنوان قياسا على رحلة كانت في زمن المؤلف نفسه الى فرنسا عنوانها « تحفة الملك العزيز بمملكة باريز » .

والرحلة الابريزية هي انطباعات أحد رجال المغرب الذي ينتقل من حياة عادية لها مبادئها وتقاليدها ، الى حياة جديدة عصرية حافلة بالآلات والمصانع وألوان المدنية الزاهية ، فيصف كل ما يشاهده منذ ركوبه الباخرة من طنجة الى

مجمع اللغة العربيه والمصطلحات العلميه

سررنا بافتتاحية العربي بعدد أول نوفمبر ١٩٧٠ ان مجمع اللغة العربيه في القاهرة صاغ من المصطلحات اللازمة أعدادا غفيرة قاربت مائة الف مصطلح ، ووعدنا بتفصيل ذلك . وهاك هو التفصيل :

بلغ ما أخرجه مجمع اللغه العربيه بالقاهرة الى اليوم نحوا من ٢١٧٠٠ مصطلح ، في شتى العلوم والفنون، وهي المصطلحات التي أقرتها نهائيا مؤتمرات المجمع السنوية ؛ وهي غير المصطلحات التي لا تزال في لجان المجمع المختلفة الكثيرة لم تنته منها ، وهذه قد تبلغ نحو ضعف ما أقرته المؤتمرات .

وهذه المصطلحات في الاحياء والطب والرياضة والهندسة والفزياء والكيمياء

والصيدلة والتاريخ والجغرافيا والفلسفة والموسيقى والاجتماع وعلم النفس والقانون والاقتصاد والجيولوجيا وغيرها.

وأقول أخرجها المجمع، ولا أقول صنعها، فالكثير منها كان معروفا متداولا قبل ... والترجمات.

والسؤال الذي يعرض نفسه: لم لم يطبع المجمع كل هذه المصطلحات جميعا وينشرها في معجمات؟ والجواب: أن المجمع لا يستطيع نشر إلا عددا قليلا. والمجمع أخذ في نشر بعض هذه المعاجم التي كادت تشكل قاموسا ...

ولقد فتح المجمع بابه واسعا لكل من يريد أن يتزود من مصطلحاته، فخرجت معاجم جديدة جوانب مما أخرج المجمع

[illegible]

قدمها الأستاذ الدكتور إبراهيم بيومي ... أمين عام المجمع، في كلمة ... مؤتمر المجمع لعام ١٩٦٨:

«... ولعلكم تذكرون تلك الحركة التي يضطلع بها «مكتب التعريب» في الرباط، فقد وقفتم على الكثير من آثارها، ورأيتم أنها جمعت شتات المصطلحات في شتى العلوم والفنون، وبدا لكم أنها تعول التعويل كله على ما أقره مجمع اللغة العربية من قبل.

«وأمامي اليوم مثل آخر يستلفت النظر، وهو ما ظهر في لبنان في العام الماضي من معجمات، فقد نشر منها ثلاثة، تكاد تدور كلها حول المصطلح العلمي. أولها «قاموس حتي الطبي»، وثانيها «المصطلح» للأستاذ حسن الشريف، وثالثها «المورد» للأستاذ منير بعلبكي.»

والذي يعنيني منها هنا هو أن أصحابها يعلنون صراحة في مراجعهم أنهم أخذوا عن مجمع اللغة العربية، وأفادوا منه.

[illegible]

وانتشارا.

أن رجع ثانية. وهي رحلة مائة وسبعين يوما، وكانت تلك الرحلة سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٦٠ م) وطبع الكتاب سنة ١٩٦٣. وهي رحلة طريفة في قدمها.

٤ - وآخر هذه الكتب كتاب «رحلة العبدري» المسماة «الرحلة المغربية» ومؤلفه العبدري يصف زيارته سنة ٦٨٨ هجرية لمصر وبيت المقدس، وما شاهده في طريقه منذ قيامه من المغرب، [illegible] بالعلم والعلماء والأدب والأدباء ووصف العادات والمجتمعات، ويحفل كتابه بالقصص والمطرفات.

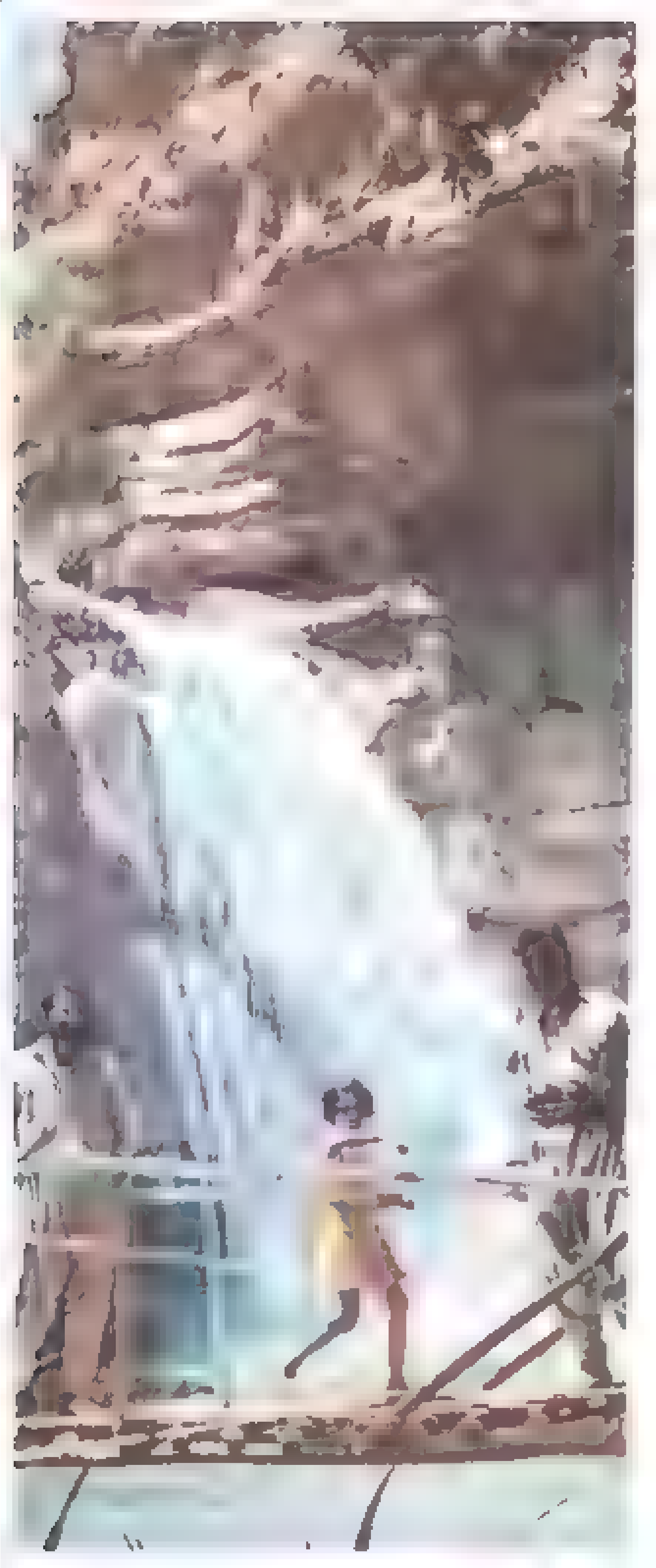
وهذه الكتب حققها الأستاذ مخرجا، ما عدا الكتاب الأول «أنس الفقير» فقد شاركه في تحقيقه «أدولف فور» الذي كان أستاذا بكلية الآداب. وإننا لنجد في كل كتاب مقدمة مفصلة عن دراسة وافية، كما وضع لكل كتاب فهارس للموضوعات والأعلام والألفاظ الاصطلاحية [illegible] الكتب، مما يستلزم أن يصحب الكتب القديمة لتيسير الوصول إلى ما فيها. هذا إلى جانب ما يجده بهوامش الكتب من شرح أو توضيح يجلو ما غمض، وما لا يستطيع الآخرون الوصول إليه. فالأن في ... من المحسنين. ■■

عبد الستار أحمد فراج

اعرف وطنك أيها العربي

الأكراد





استطلاع

« عندما تطلق بندقك على عصفور صغير ، سترى الطير المسكين جاهدا ليتخلص من [illegible] يرفرف بجناحيه ويحرك ساقيه محاولا النجاة ، وهكذا كان حالنا نحن الأكراد ، مثلها مثل حال العصفور المسكين . ومع ذلك قالوا عنا انها قتلة [illegible] في [illegible] السلاح لندفع به الخطر عن أنفسنا . إننا لم نكن نسعى أبدا للحرب ، إنما سعينا دائما للسلام » .

[illegible]

[illegible] اليه .

[illegible]

الرائعة ، حيث يعيش الأكراد ..



كانوا .. فأصبحوا

[illegible] إلى الكهوف و [illegible] هربا من [illegible] النار

واستمر الحال على هذا المنوال سنوات طوالا ، حتى كان صباح ١١ مارس (آذار) ١٩٧٠ وفي هذا اليوم ساد الحال هدوء لم يكن يخطر على بال وبدأت الجبال والوديان تردد أصداء الألحان بدلا من صفير الرصاص .. أنها أصداء الأغاني والأهازيج وزغاريد الأفراح .. والتف الناس حول المذياع ينتظرون أن يسمعوه ، وهم يستمعون إلى صوت المذيع مرددا بيان مجلس قيادة الثورة العراقي وخاصة عندما قال :

« [illegible] الاعتراف بالوجود الشرعي للقومية الكردية ، وأصبح الشعب العراقي مكونا من قوميتين رئيسيتين هما القومية العربية والقومية الكردية ، ضمن الوحدة العراقية . وسوف يكون أحد نواب رئيس الجمهورية العراقية كرديا ، كما سيتمتع الأكراد بالحكم الذاتي في إطار الجمهورية العراقية . واللغة الكردية ستصبح اللغة الرسمية إلى جانب اللغة العربية ، في المناطق التي غالبية سكانها من الأكراد ، كما ستدرس اللغة الكردية في جميع أنحاء البلاد ، باعتبارها لغة [illegible]

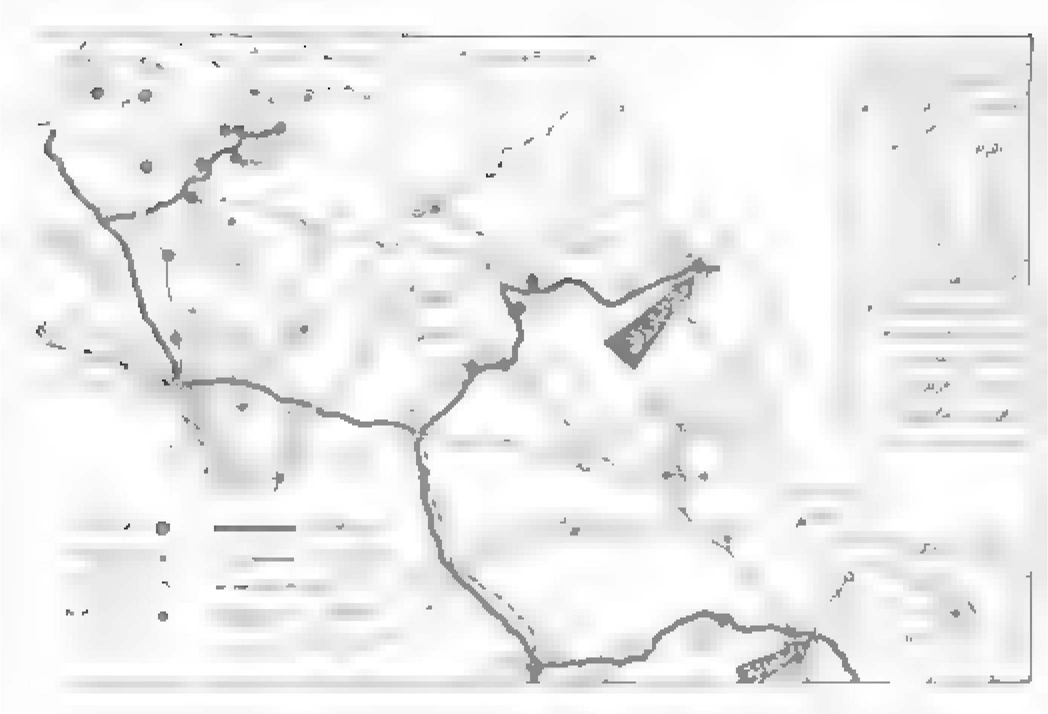
[illegible]

وسائر [illegible] كلامه

[illegible]

١١ مارس (آذار) ١٩٧٠ وبينما [illegible] في [illegible] المعنى الفاتحة [illegible] بالسطور الأحمر ...

وسوف تكون فيه [illegible] الكردي [illegible] عيدا وطنيا في جميع أنحاء الجمهورية »



خريطة توضح منطقة الشمالية من العراق حيث ... منطقة الاكراد ... انها منطقة مصايف طبيعية من ...

[illegible]

حاج عمران ، الواقع على الحدود العراقية ـ الايرانية ... ويرتفع هذا المصيف ١٧٨ مترا فوق سطح البحر

النزول من الجبل

وهكذا حل السلام الحقيقي لأول مرة في شمال العراق ، وبدأ الثائر ينزل من قمة الجبل الى المدينة والقرية .. يرقص رقصة الرأس الجماعية ويسير مختالا بزيه الوطني ... الكلاو والجمدانة ، أي الشروال والسترة ولفة الرأس .. يتجول في الشوارع والطرقات ، متجها الى المرطبات والمقاهي ... لكنه لا ... منها ... [illegible] ياكلها على ناصية الطريق وهو واقف ... الباعة المتجولين .. بينما الكلاب الضخمة ذات الفرو الثقيل تنتظر قطعة الطعام من البائع ، ليتنازل عنها .

وعندما يتعب الكردي من التجوال ، يجلس على كرسي في أحد المقاهي ، يلعب الدومينو مع اخوانه ويحتسي الشاي ، ويتفرج على الرائحين والغادين ، الذين يتفرجون بدورهم على الجالسين في المقاهي .. وتميل الشمس الى الغروب ، فيبدأ في شرب العرق ... والبيرة المثلجة ، ويعود راضيا من بار الخمر ، فقد حل له عمر السلام الذي طال ... وهو ... الكهف طول العمر

لقد كانت مدن شمال العراق شبه ثكنات عسكرية أما اليوم فقد عاد الأهالي يملأون شوارعها ومقاهيها ، انهم يعيشون في فراغ كبير منذ ان حل السلام ..

لقد جعلنا من هؤلاء المحاربين رجال سلام .. سلام جاء لقوم فرغوا من حرب ، ولم يؤمن لهم من بعد حرب ، عمل سريع يشغل الفراغ .. انها فترة الانتقال من الحرب والقتال الى السلام و ...

نصيب الأكراد من السلام

وعندما يقولون لك : ان السلام حل لأول مرة في شمال العراق ، بعد حرب استمرت ١٠ سنوات لا تصدق !! لأن الحروب لم تتوقف في تلك المنطقة



[illegible]

... لا ... الاسم ... ودمرها ... وعاصمتها ... أيام ... ودمرها .. وبعد فترة وجيزة ... ثانية على واقع حوافز جبل بيوراشيك ، الذي احترق ودمر ما سمي قلعتها .

وانتهت الحرب العالمية الأولى على سلام ، وكان نصيب الأكراد من هذا السلام تقسيمهم الى ثلاثة اقسام جزء تحت سيطرة تركيا ، وآخر تحت حكم ايران ، وثالث تحت حكم العراق .

وتوالت ثورة الأكراد فتعددت حركاتهم لا سيما في تركيا وايران .. وفي العراق — حيث تركزت استطلاعاتنا — بدأ البارزانيون ثورتهم الأولى عام ١٩٣٢ أعقبها بثورة ثانية عام ١٩٤٣ وثالثة ورابعة في عامي ١٩٤٥ و١٩٤٧ ثم ثورتهم الأخيرة التي بدأت عام ١٩٦١ وانتهت في مارس ١٩٧٠ باعلان بيان السلام

جيش البيشمركة

[illegible]

الأكراد قوة مسلحة عدد أفرادها نحو ٢٠ ألفا من ... البيشمركة .. أي المحاربين المسلحين ، الذين يكونون شبه جيش نظامي ، انهم من ابناء ... الأقوياء .. وحدث بعد ذلك ان تم الاتفاق بين الأكراد والحكومة العراقية على تحويلهم الى حرس للحدود ، وشرطة في البوليس ، وجنود في الجيش النظامي العراقي .

التاريخ والأساطير

والسؤال الذي يردده المرء هو ... من يكون هؤلاء الأكراد ، وما هو أصلهم ؟ والواقع ان أصل هؤلاء الأكراد الأشداء شغل فكر العديد من المؤرخين الذين خرجوا بنظريات متضاربة ، بعض الأحيان يعتقد ان الأكراد جائز ان يكونوا قد جاءوا من أي مكان .!

أما أبو القاسم الفردوسي صاحب الشهنامة ، وهو الذي أمضى في تأليفها ٣٥ عاما ، فيذكر أصل الأكراد بقصة أسطورية ، أورد فيها اسم الملك الزمحاك (الضحاك) والحيتين اللتين خرجتا من منكبيه تتغذيان على ادمغة الناس ، ثم كيف انتقم الكاوة على الناس.

فكنا بعضنا كل يوم رجلا ، حتى اجتمع سوق العمل عند كل منهم ، المختار من سلالتهم الأكراد ورغم اختلافات المؤرخين وأساطير الفردوسي ، الا ان الأكراد يشكلون شعبا مميزا ، له اسلوب خاص يعتمد على أصول حضارية قديمة .. ولو كان لعمل برامكرن لسنتي ، لروى قصة الشعب الذي لم يعرف شيئا للتخلف ، حتى يكتب تاريخا صحيحا عن الأكراد .. والواقع ان الشعب الكردي لم يتح له فرصة يبرع فيها لشعر الحلى اصوله .

في الطريق لمقابلة البارزاني

وقررنا التوجه لمقابلة زعيم الأكراد الملا مصطفى البارزاني ، وعدنا نستعد للرحلة الطويلة لأن الزعيم الكردي حسن في منطقة حاج عمران ، المصيف الصيف التالي ، على رأس جبل قسروب الحدود الشمالية مع ايران .. وانطلقنا من السليمانية ، الى كركوك ، الى اربيل ، الى مصيف صلاح الدين .. الطريق جبلي معبد ممهد فسيح ، وبعدها يبدأ في الارتفاع ممرها ملتويا خطرا ، يمر على سلسلة مناظر طبيعية رائعة .شكلاوه تكشف على شلالات راوندوز كيلالة . وتمضي السيارة وسط غابات من أشجار البلوط والصنوبر والسنديان والجوز والتين

ومع اقترابنا من مقر زعيم الأكراد .. لم نعد نسمع ضحكات مرافقنا كاكا أنور .. كان مرحا ضاحكا طوال الرحلة .. وعندما اقتربنا من مقر زعيمه البارزاني خيم على وجهه نوع من الرهبة والصمود .. وفي قرية كلالة اتجه الى حلاق القرية وطلب منه قص سوالف شعره الطويلة ، ... لا ... الأكراد ... الاحترام ... مقابلة زعيمنا سوالف طويلة ! .. هكذا قال لنا مرافقنا كاكا أنور جولي .

وسألناه ... هل ... ؟

فأجاب ... أي لا ... ، وأنت تسمعه في ... !

في مقر قيادة البارزاني

ووصلنا الى ناوپردان الى بين الجبلين ، انها مقر قيادة البارزاني ، ومركز المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني المكون من ... أشخاص . ٣ مهندسين وطبيب ومحام ، وخريج كلية الشريعة وعميد ركن في الجيش العراقي .







المنطقة تحيط بها الجبال العالية من كل جانب ورجال البشمركة منتشرون في كل مكان بمدافعهم الرشاشة الحديثة وزيهم الرسمي المزركش .

ويرحب بنا السيد علي عبد الله عضو المكتب السياسي ويدخلنا الى مقر القيادة ، نفس المكان الذي جرت فيه المفاوضات بين الملا مصطفى البارزاني وجماعته ، وبين صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي .

وجلسنا في هذه الغرفة .. كراسي عادية ملاصقة للجدران ، الحائط غير مدهون ، وأرضها اكتسوا بسطها سابون اخضر يكشف عن الاحجار والحصى .. ودخل رجل طويل القامة يحمل صينية كبيرة عليها علب سجائر اجنبية ، يضعها على طاولات [illegible] .

ودعانا عضو المكتب السياسي لتناول الطعام .. فوجدنا مائدة طويلة عامرة بما لذ وطاب ، وتناولنا الغداء وقوفا مع بعض كبار المسئولين ورجال البشمركة .

البارزاني كما رأيناه

وبعد الغداء ركبنا سيارة عضو المكتب السياسي ، واتجهنا الى حاج عمران لمقابلة الزعيم الكردي الكبير .

الجرافات والتراكتورات تعمل بنشاط زائد لتوسعة الطريق الجبلي الضيق ، انها هدية الحكومة العراقية للملا مصطفى البارزاني ، بعد توقيع بيان السلام في ١١ آذار .

ووصلنا الى حاج عمران .. واستقبلنا الرجل الكبير على باب منزل صغير ، ودعانا للدخول الى قاعة متوسطة بها مقاعد وثيرة ملاصقة للجدران الاربعة .. انه لم يعد شابا مثلما كان عندما اشترك في اول ثورة بارزانية عام ١٩٣٢ ان عمره اليوم ٧١ سنة رغم ان اتباعه يقولون لك انه لا يزيد عن ٦٦ سنة يسير بلياقة وخفة ، يضع الخنجر ذا المقبض الخشبي في حزامه الازرق العريض (المشتى) .. وعلى رأسه العمامة الحمراء ، رمز البارزانية ، انه معروف كالصقر ، بشرة الانف يكاد ينقلب على الاسود .. عندما قرأ بلمع النظارات على عينيه .. وعندما يتحدث — وهو يتحدث العربية بطلاقة — يستعين بيديه للتعبير عن فكرته ، ويخرج خنجره من غمده ،

ليؤكد لنا ان الاكراد حملوا السلاح دفاعا عن [illegible] .

والبارزاني متأثر جدا بنشأته ، فقد درس فترة من الوقت العلوم الدينية ، فهذا لقبوه بالملا دون سائر اخوته » . وهو يؤكد كلامه بآيات من القرآن الكريم . ومن الاشياء الاخرى التي لاحظنا تأثيرها في البارزاني طبيعة الارض الساحرة المحيطة به .. ومن وحي هذه الطبيعة اجاب عندما سألناه عن حاله وحال الدنيا ؟

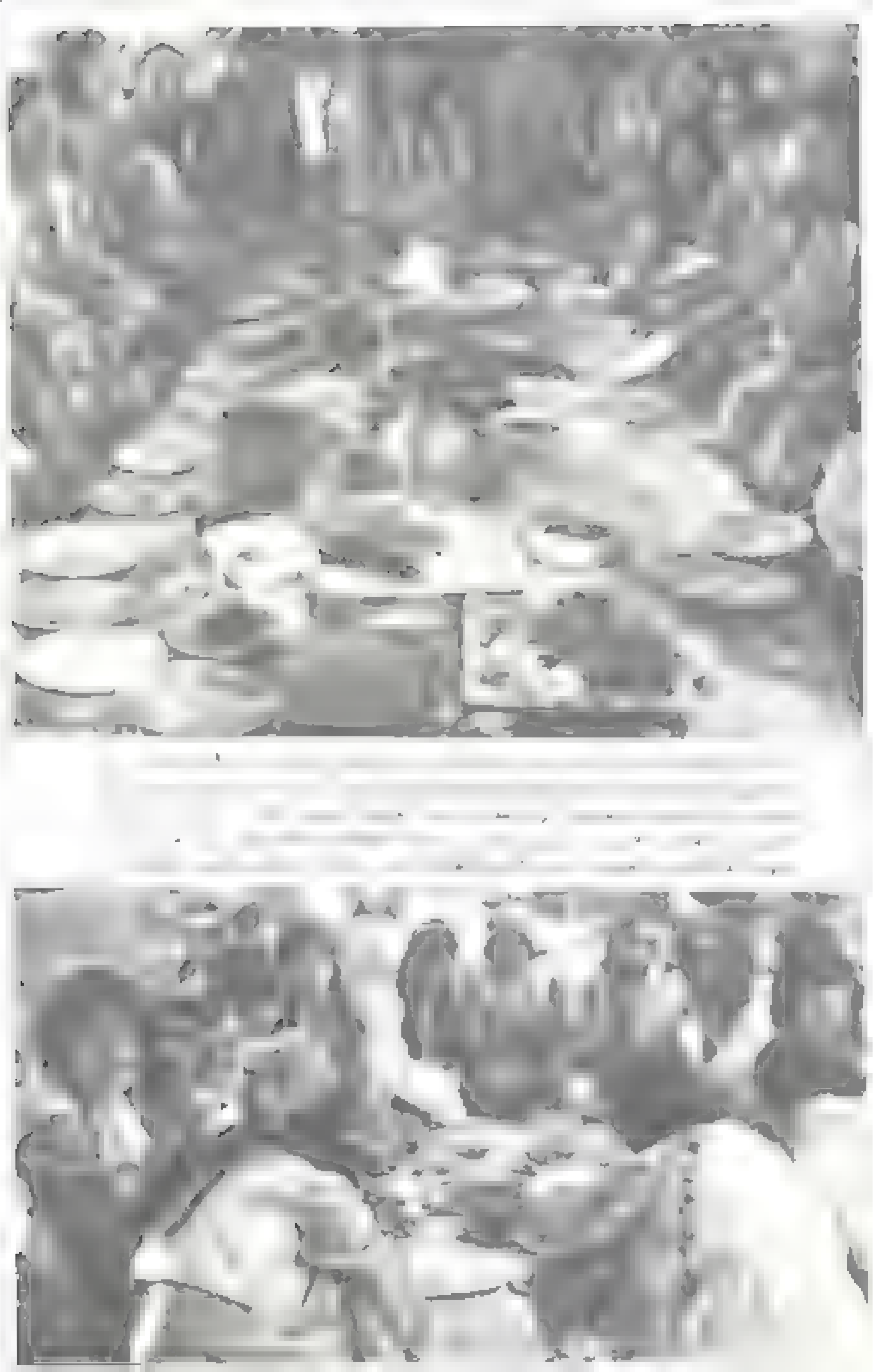
ان قال [illegible] عجيبة [illegible] حياة الانسان [illegible] هذه الجبال ، واشار الى الجبال العديدة المحيطة بنا — بعضها مرتفع وبعضها منخفض ، وهذه الصخرة التي امامك ، [illegible] ووجد [illegible] [illegible] .. وهكذا طبيعة [illegible] مختلفة [illegible] [illegible] الطبيعة [illegible] اسماء مختلفة من مصادر [illegible] ووجودنا على هذه الارض [illegible] [illegible] وليس [illegible] [illegible] [illegible] في التفاسير مثل [illegible] [illegible] ولكن [illegible] ليس [illegible] .. ان [illegible] واحد [illegible] [illegible] [illegible] في هذه الدنيا » ..

الكردي بشر وانسان

واتجهنا بسؤالنا ناحية التاريخ ، فسألناه عن حقيقة اصل الاكراد ، وعن ما يقوله بعض المؤرخين من انهم من نسل الجن .

فاجابنا ضاحكا : « ان ما كتب الى الآن عن الاكراد ، لا يعدو الاساطير في اذانه من [illegible] .. ان كل من امسك علينا بكتابه [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] او [illegible] .. ان الذي يكتبونه ليس [illegible] نزلا من السماء ، وانما من وحي [illegible] [illegible] . ان الكاتب [illegible] هذه الجبال — [illegible] [illegible] والاودية المحيطة بنا ، [illegible]

« اما اذا كان بحكم معرفة اصل الكرد ان الكردي بشر وانسان ، من نسل آدم وحواء ، اذكر قوله تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . ويتذكر الزعيم الكردي شيئا فيعود ويقول ضاحكا : « اما لو كنا من نسل الجن ، فهذا دليل على ان المقبل البشري قاصر . اذ اننا عندما نعرف ماضينا ،







[illegible] فلا نعرف اكثر من ذلك ، وقد [illegible]

ثورة [illegible] هجرة ... وبطولة

قلنا : ما هي اهم مسائل الاكراد في حركتهم ؟ ورفع الزعيم الذي قاد خمس ثورات نظارته عن عينيه ونظر الينا وقال بالهدوء [illegible]

[illegible] لا [illegible] ولا اي شيء [illegible]

وسألناه : ما هي قصة هجرتكم التي قمتم بها عام ١٩٤٨ والتي يعتبرها الاكراد اشبه بمعجزة ؟ فاجابنا الرجل [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] والعاصفة والضباع ، [illegible]



وكان عددنا ٤٠٠ شخص [illegible] الحدود التي [illegible] والصعب لايران ثم دخلنا العراق [illegible]

وصلنا الى روسيا [illegible] [illegible] في [illegible] من رجال [illegible] وكثيرا ما حدثت [illegible] [illegible] التي مررنا بها ، حتى وصلنا سالمين الى روسيا ومكثنا هناك حوالي ١١ سنة ، [illegible] [illegible] في [illegible] وعندما قررنا العودة وصل عددنا الى اكثر من الف شخص ... »

وعندما سألناه : « هل انت متفائل من تطور الاحداث في منطقتكم ؟

وأحس الرجل [illegible] ان [illegible] الاجابة [illegible] ، فقال [illegible] [illegible] [illegible]

وودعنا الرجل الذي شعرنا انه من اكثر [illegible] وداعة ، ولكنه اصر على الخروج معنا لتوديعنا [illegible] [illegible] [illegible] في الجبال ... ثم بدأنا رحلة العودة الطويلة [illegible] التي استغرقت ١١ ساعة بالسيارة .

عدد الاكراد

[illegible] كم هو عدد الاكراد ؟

والاجابة الصحيحة على هذا السؤال متوقفة على الاجتهاد والتقدير التقريبي ، اذ لا توجد احصائيات [illegible]

[illegible] المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني ، اجاب عضو المكتب [illegible] [illegible] على هذا السؤال بقوله :

[illegible]

- [illegible] العراق [illegible] من الاكراد
- [illegible] ملايين كردي
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

ورغم احترامنا لتقديرات عضو المكتب السياسي الكردستاني ، الا ان رقم ١٥ مليونا رقم مبالغ فيه الآن اصدق التقديرات تقول ان مجموعهم لا يزيد على [illegible] ملايين كردي باي حال من الاحوال .

دولة لا وجود لها

وكلمة كردستان التي رددها عضو المكتب السياسي



وحسين فرقة كجرة
يسجون الى عرضه
وجسون في الحص ؟

بكثرة هي اسم لدولة لا وجود لها على الخرائط ولا يعرف بها الا الاكراد انفسهم ، اذ يعتبرونها وطنهم القومي الكبير .. فتراهم يستعملون اسم كردستان بكثرة ، فهناك اتحاد نساء كردستان ، والحزب الديمقراطي الكردستاني وعلم كردستان ومقهى كردستان وغيرها الكثير ..

ويقدرون مساحة كردستان هذه ــ المقسمة بين ثلاث دول ــ بما يزيد عن نصف مليون كيلو متر مربع من الارض الجبلية .

ومن اشهر مدن كردستان ارضروم وبتليس في تركيا ، وكرمنشاه وسنندج وبوكان ثم مدينة السقز في ايران .. والسليمانية واربيل في العراق .

مدينة خالية من جمال الهندسة

وبهبط اهاليهم .. انها مدينة لم يطنب اي من الرحالة في وصف جمال مبانيها ، بل على العكس قال بعضهم

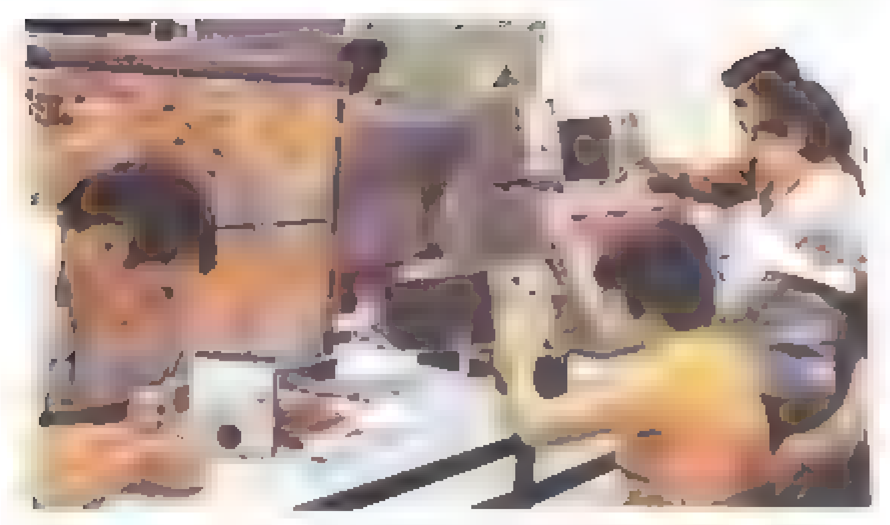
عراك وخاصة بعد مجاعة ١٩١٨ التي عانت منها

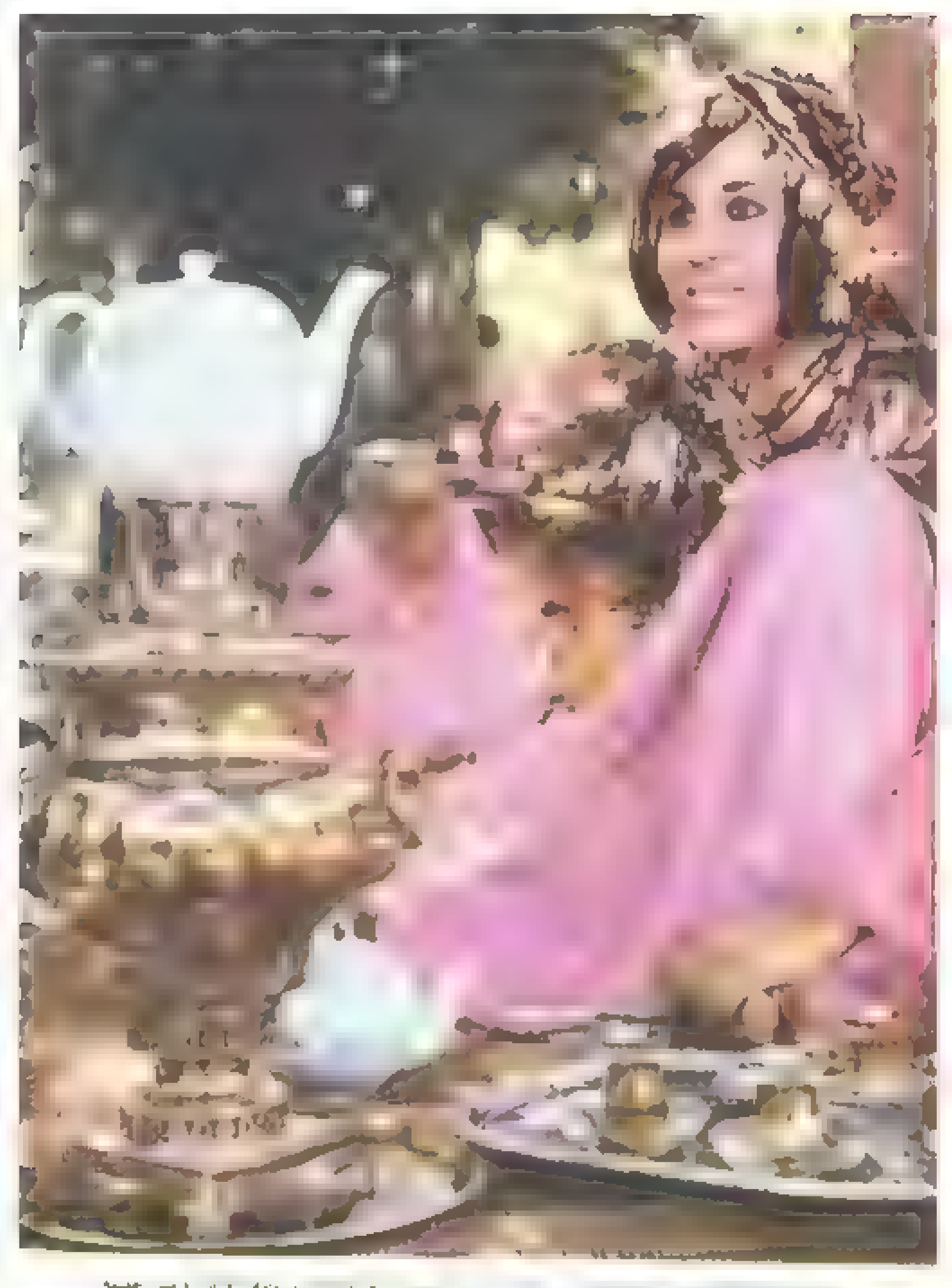
اكثر من ثلثي عدد السكان

ولكن سرعان ما يدرك عجلة الزمان، ووجدنا الناس يخرجون من الطين القديم في السليمانية « مدينة كاني اسكان » اي مدينة عين الغزلان حيث اسقف المنازل مصنوعة من الطين ، وجميع شبابيك النوافذ والابواب مطلة على الجنوب خوفا من رياح الشمال القارسة ، ومن رياح الراشا السوداء التي تنقل الاتربة معها ، وهي تشبه رياح الخماسين والطوز ، والجنوب في مدينة نفسها العربية

لقد خرج الاهالي من الطين القديم كاني اسكان واتجهوا صوب محلة ولكندي ، اسم الشاعر الكردي الكبير .. انه مجنون الشعر والادب ، « وقصة مم وزين » هي من اروع ما كتب من قصص الحب التي سالت قصة روميو وجولييت .

لقد سمت الدور في السليمانية الجديدة ، على احدث طراز ، واصبحت شبابيك بواباتها ونوافذها تطل على كل اتجاه ، وتوقف بناء السقف بالطين ، لتحل محله الاسمنت والحديد





الكلوحرام وطقات الرصاص

وامتد التطور الى وحدة الازياء فاصبح المحلي بالكلوجرام والحرام ، بعد ان كانت ...

[illegible]

بالسليمانية نفسها ، ولكن للاسف لا يوجد الا طرق تؤدي الى مصيفي سرجنار وبيراماكرون اللذين ... ١٥ و٢٠ دقيقة عن السليمانية .. اما احمداوا وبيارة وطويلة وباخالون وسرجنه ، فالوصول اليها يحتاج الى قوة وعند التمكن من ...

...

[illegible]

ومنها تطلب العربي منهم ، بجيوبك ...

[illegible]

ومعنى قولهم ، حتى كانت زيارتنا لثانوية بنات السليمانية الا بينما كنا نتحدث مع الطالبات ... جاء على لساننا ان جميع الفتيات الكرديات اللواتي تخطين الرابعة عشرة متزوجات فارتفعت الاصوات النامية مستنكرة قائلة .

[illegible]



مرمونة في المنطقة ، ... الفارعة ...

((عيبة ... عبا))

[illegible]

العمة ان كان المثل الكردي يقول « عيبة ... » اي ارتداء العباءة عيب ، اصبحت المرأة الكردية ...

[illegible]

الالمانية تؤدي مهامها



في المناسبات ... غير العادية ... تبسط
تقوم بجميع الأعمال المنزلية ... تحلب الماعز وتصنع
الزبد والجبن والخبز ، وتأتي بالماء من نهر
القرية الذي قد يبعد بضعة ساعات عن منزلها ،
وتغزل صوف الماعز بمغزل اليد .. وتطهي الطعام
في المنزل .. وخاصة الدولما وهو الطبق الرئيسي
في الريف ، ويتكون من البرغل المخلوط باللبن
المختمر ، مجففة في الصيف ، فتأكله في الشتاء
مخلوطا بالماء الساخن والسمن ، والجوز .. أما في
المدن فقد تناولنا ما لذ وطاب من أشهر أنواع
المأكولات ذات الأسماء الغريبة والمذاق الطيب مثل
... ، أي الأرز مع عصير الرمان واللحم
المفروم والزبيب والفول .. ثم « ... » مثلا ،
أي الكباب المحشي باللوز والزبيب ، و « ... »
... ، أي الباذنجان بالطماطم والحمص
والبصل .

يوسف الأول

والمرأة الكردية لا تعرف شيئا عن راتب زوجها ، كذلك الزوج لا يعرف شيئا عن أمور المنزل .

والسبب في ذلك أنه إذا ساعد الزوج زوجته في
الشئون المنزلية .. وقد حدث أن قام شخص بكسر
هذا التقليد ، فانتشر اسمه وذاع صيته ولقبوه
بيوسف الأول ، وأصبح كل شخص يخالف فعلا
من أمراته يطلقون عليه لقب « يوسف » .. ويوم
يوسف الأول ... في جنازته عشرة آلاف شخص ،
وظل المنصب شاغرا حتى عثروا على شخص آخر
ساعد زوجته ... فأطلقوا عليه اسم يوسف
...

توقف عقارب الساعة

...
تعليمها سنة ١٩٢٦ على يد ... شيخ سلام ،
ولكنها ... عارض ... تعليمها
فتوقفت عقارب الساعة من عام ١٩١٨ حتى عام
١٩٢٦ لتعود وتدفع من جديد .. واليوم ارتفع
عدد طالبات الابتدائي في مدارس السليمانية إلى
عشرة آلاف طالبة .. وفي الثانوي إلى ألفي طالبة
وفي معهد المعلمين إلى ٥٠ طالبة ، بينما تضم جامعة
السليمانية ٧١ طالبة في كلية العلوم و٨٠ طالبات في



« ولقد وضعت الثورة العراقية نصب عينيها منذ ايامها الاولى واجب تحقيق الوحدة الوطنية لشعب العراق دون اي تفريق بسبب الجنس او اللغة او الدين او المنشأ الاجتماعي ، لكي يستطيع العراق ان يسهم بكل طاقاته وامكاناته في المعركة القومية المصيرية معركته مع الصهيونية »

هكذا جاء الحل السلمي للقضية الكردية التي تحولت الى [illegible]

[illegible]

على ابرازه كما نرى في الصورتين اللتين على الصفحة التي الى اليسار



كلية الهندسة ، و١٢ في كلية الزراعة .. انها الكليات الثلاث التي سألت منها جامعة السليمانية حيث يبلغ ٣٧ طالبة وطالبة تقريبا مختلطا .

الطلاق نادر

لقد تركت المرأة الكردية اعمالها التقليدية الرتيبة ، وخرجت في الجامعات طبيبة ومهندسة وموظفة .. الى جانب العمل في مصنع الاسمنت والتبغ للمرأة العادية ، التي اصبحت تؤمن ان عملها كفيل بحل مشكلة الفراغ ، لانها بالعمل تصبح قادرة على مساعدة زوجها في تحمل اعباء الزواج الباهظة .

وعما نذكر ان حالات الطلاق شبه نادرة في المجتمع الكردي ، وقالوا لنا [illegible]

جامع كاكا احمد

والى ضريح كاكا احمد تقصد المرأة الكردية تطلب وساطته حتى يفرج الله ما تتمناه ، وكلمة « كاكا » كثيرة الاستعمال عند الاكراد ، وهي [illegible]

وذهبنا الى فضيلة الشيخ محمد عمر القرداغي شيخ جامع كاكا احمد ، نستمع اليه وهو يحدثنا في الجامع وصاحب الجامع .. قال [illegible]

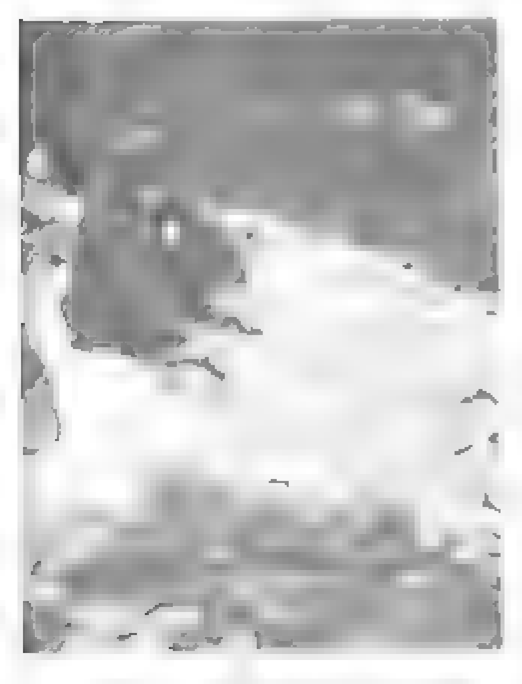
القادرية .. والنقشبندية

وتابع الشيخ القرداغي حديثه بقوله [illegible]

[illegible]

[illegible] الصدوق [illegible] القلوب ، [illegible]

* ويمضي الشيخ القرداغي كلامه بالحديث عن المعهد الاسلامي فيقول [illegible]



[illegible]

● الأكراد

كما شهدت محافظة أربيل مصنع للسجائر في أربيل، ومصنع للسكر في السليمانية .. وأجريت الدراسات الأولية لمعمل الألبان، ومعمل للدواجن في أربيل، ومصنع للحرير ومعصر الفاكهة في دهوك، كما تقرر ربط شمال العراق بشبكة كهربائية بتكلفة مليوني دينار .

ماذا تطالب بالإصلاح السريع

وسمعت إلينا الدكتور محمود عثمان (٤١ سنة) الطبيب الخاص للملا مصطفى البارزاني، ورئيس وفد المفاوضات مع الحكومة، فيقول

عشر سنوات عجاف

ومما نذكر أن هناك ٢٠ مسجدا وجامعا في السليمانية، كانت وما تزال دور عبادة وعلم، يقوم فيها الإمام بإمامة الناس في الصلاة وإرشادهم وتعليمهم .

وعندما سألنا الشيخ الكرداغي :









يا عمير العالم انضموا

الى اسفل

... سلبي .. ونحن نعرف انه من الصعب اجراء تحويل سريع في خبرة خلقت تميل للحرب منذ عشر سنوات وتحويلها الى خبرة تعمل من اجل [illegible] ... [illegible] ولكن [illegible] على مدى تجاوب سياسة الحكومة نحو حاجة [illegible] . اما نحن [illegible] طريق الحرب [illegible] هو طريق التقدم والازدهار .

نقص في الخبرة

ومشكلة اعمار الشمال ؟ هل سنعرفها ، ان المشكلة ليست اقامة المشاريع ، وانما تتمثل في تكوين الاطارات اللازمة لادارة هذه المشاريع . لاحظ مثلا قطاع الفنادق .. انها [illegible] [illegible] من [illegible] المدينة تحمل عبئا على [illegible] او قريبة من نقص الخبرة .. لهذا لا يوجد فنادق كبيرة .. ومع ذلك فان القليل الموجود يقوم على ادارته اناس [illegible] احوالهم [illegible] في الجمهورية العربية المتحدة [illegible] الخبرة واللباقة والثقافة .

المسئول عن المصايف والسياحة يتحدث

واتجهنا الى مدير عام المصايف والسياحة السيد علاء الدين نكري ، وعرضنا عليه ما شهدنا ، فجمع مساعديه وتناولوا النقد [illegible] رحب وقال لنا [illegible] :

— لقد فتحنا ابواب الشمال [illegible] بعد [illegible] عشر سنوات [illegible] السياحية [illegible] في حالة سيئة للغاية .. اضف الى ذلك ان صناعة السياحة جديدة في العراق [illegible] عدم [illegible] هذه الصناعة ، اضف الى ذلك [illegible] .

في [illegible] ، والذي [illegible] اكثر من [illegible] الى ادارة الفندق [illegible] الشخص [illegible] .. حتى [illegible] كان [illegible] في [illegible] [illegible] .



[illegible] المصايف في [illegible] العراق [illegible] بعد [illegible] عشر سنوات [illegible]



المختصين [illegible] في إدارة الفنادق و[illegible]

وتابع مدير المصايف والسياحة كلامه [illegible]

[illegible]

أسمنت .. وتبغ

وإلى جانب صناعة السياحة توجد بعض الصناعات الكبيرة في مدينة السليمانية مثل معمل كبير ، واحد لإنتاج الاسمنت ينتج ١٢٠ ألف طن سنويا .. ومصنع ثان لتصنيع التبغ ، ينتج ٢/١ مليون سيكارة يوميا ..

أما التبغ فهو ثروة المنطقة الشمالية من العراق يزرع في كل مكان فيها ، اكثر من يزرع محصول آخر ، لأن محصول التبغ يباع للمصنع في الحال .. انه أشبه برأسمال نقدي ..

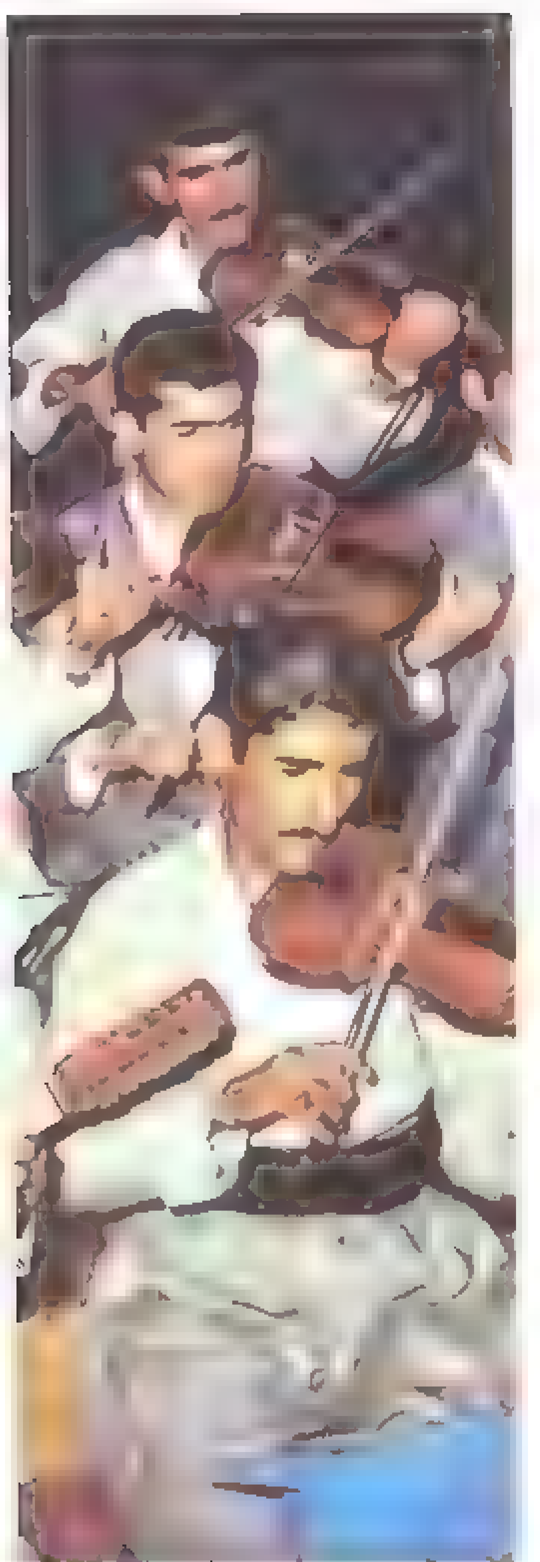
سجاد و[illegible]

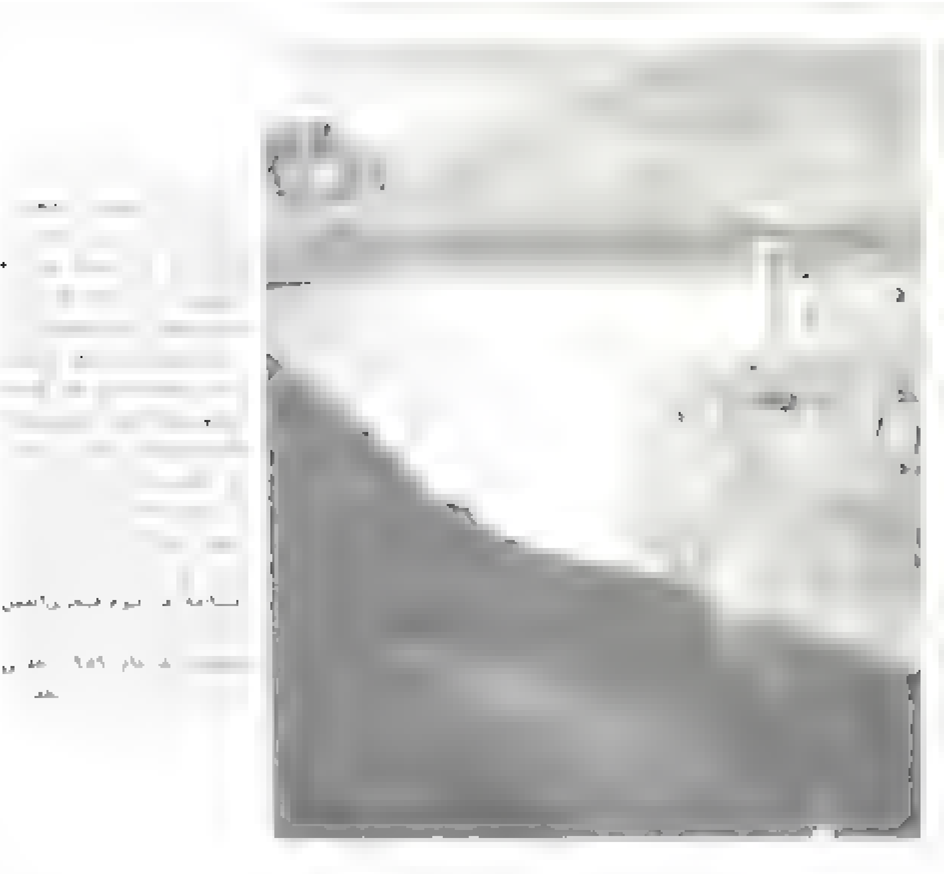
ويقول الأهالي إن الذين يزرعون التبغ هم أحفاد من زرعوه منذ ٢٥٠ سنة في منطقتي [illegible] قرب السليمانية ، وفي سهل شهرزور ، ذلك السهل الطويل الممتد ٤٥ كيلو مترا بين سلسلتي جبال شاهقة ، أشبه ما يكون بسهل البقاع في لبنان .. انه سهل الخير لكثرة المياه فيه ..

وعلى جانبيه سلاسل جبال [illegible] وسورين ، [illegible] كأنها أسوار وقلاع

[illegible]







والواقع ان روابي شمال العراق ظاهرة للعيان تكشف الحال اذا ما استعنت بها ؟

لقد انعم الله على المنطقة بسخاء طبيعي زائد، ويقدر سخاء الله كل ناظر او تناسى اسبابها من اصابته بها ..

لن تتدفق المياه ؟

ويحتج الاهالي على هذا القول مستشهدين بالظروف التي مرت بها المنطقة، ويقولون السليمانية مظلومة.. لقد سمعوا بمشروع سد دوكان العظيم على مسافة ٤٠ كيلو مترا من مدينتنا .. شموخه بارتفاع ١١٦ مترا على الزاب الصغير احد روافد نهر دجلة، وقالوا انهم سيولدون منه سنويا قوة كهربائية مقدارها مائة الف كيلو واط، وانتهى بناء السد عام ١٩٥٩ ثم سحقت الآمال .. لما اسلمها ضد المارقين.

ويحدث اهل السليمانية عن ارباح مصنعي الاسمنت والتبغ.. مئات الالوف من الدنانير سنويا

.. ومع ذلك لم يعد المصنع ذا مشروع لخدمة السليمانية او حتى مساعدة تدفعها للفقراء ..

عبء هائل على كاهل المسؤولين

ان الحساسية الزائدة في المنطقة، والوعي الكبير المنتشر فيها، والرغبة الجامحة في رؤية كل شيء فيها يتحول الى جميل في لمحة عين .. كل هذا يلقي عبئا هائلا على كاهل المسؤولين هناك.

ان شمال العراق يعيش اليوم فترة انتقال صعبة للغاية مليئة بالحساسية الزائدة .. تحتاج الى التعاون والتكاتف، والعمل الجاد، بعيدا عن السفسطة والشعر .. ومما يبشر بالخير ان العقلاء الكثر يسود المنطقة، لان الجميع – سواء كانوا عربا او اكرادا – يؤمنون ايمانا راسخا بان اسلوب العنف ليس هو طريق الازدهار.

حمى الله العراق، وشمال العراق.

■■

سليم زبال



قصه بقلم : عباس محمود العقاد

■ كان صالحا في بلده

لأنه منذ فارقها وهو في العاصمة مرة لم يكن يعود اليها الا مرة في كل خمس سنين ، او مرة كل عشر سنين ، فيمضي فيها اياما ، كما يمضي السائح القادم من القارة الاوربية او القارة الامريكية : يوما في النيل ، ويوما في الصحراء ، ويوما عند اودية الجبال التي تهبط من السيول ، ويوما عند المتاحف والآثار ، [illegible] هذه المزارات والرحلات التي يعرفها كل من عرف البلدة الخالدة : أسوان !

وكان يجد في هذه الرحلات من المتعة النفسية ما لا يجده السائح الغريب ، لانه يجمع في نزهته بين ذكرياته الشخصية وذكريات التاريخ

وانه لفي طريقه الى الفندق يوما اذا به

يلتفت الى جانب المسلة الناهضة او المسلة المهجورة فيراها ... !

نعم يراها هي بعينها

هي هي الفتاة الروسية الراقصة التي ظل ينظر اليها في فندق « الكتاراكت » ويمني ان يراها في جلسة هادئة ليعارفها .

يراها هناك وليس معها احد غير الترجمان ورسول الفندق الصغير وسائق الحمار الذي تركبه ، ولا يدري من تركه انه حمار .

وكانت آية في الجمال الفخم المتين ، فارعة باسقة الطول ، صحيحة الجسم ، يشع جمالها بوهج الصحة ، رشيقة لا تذكرك رشاقتها بالعيدان الدقيقة التي يخشى عليها الكسر السريع ، او بالنحال الانيق الذي تميل به نسمة ، ولكنها الرشاقة التي تحترم وتهاب .

يراها هي بعينها في اوسع مكان لفرص التعارف في الصحراء !

وانه ليخدع نفسه لئلا هو يوهمها انه رأى الفتاة على سبيل المصادفة والاتفاق العجيب .

كلا . لم تكن مصادفة ولا اتفاقا عجيبا تلك المقابلة في جانب المسلة المهجورة .

لانه كان في فندق « الكتاراكت » ليلة امس ، على خلاف عادته في السهر خارج المنزل ليزور بعض الاصحاب

وكانت الفتاة الروسية تحيي ليلتها التي تعيب لاخذها من القاهرة ، فرقصت واسمعت ، وراحت وهي قبلة الانظار ، بل قبلة الاعصار [illegible] لانهم حاقوا بها يسرونها ويسرون منها ، وهي تبسم وتتخلص الى طريق الشرفة المشرفة المطلة على النيل .

ثم جاءها مدير الفندق ومعه الترجمان وقال لها :

[illegible]

فلما رآها في اليوم التالي ، لم تكن المقابلة محض مصادفة لا علم بها قبل لحظتها ، ولكنها كانت كذلك لا تخلو من شعور المصادفة السارة ، لان الصحراء واسعة ، ومواقع الفرجة فيها متعددة ، والوقت من الصباح الى الضحى ليس بالوقت القصير ، فمن الممكن ان يخرج الى هذا الجانب في الصحراء عشرون ولا يلتقون ، ومن الممكن ان يخرج اثنان ويلتقيان .

فهي اذن مقابلة عجيبة قد اجتمع فيها سرور المصادفة وسرور الانتصار وبقي شيء ، شيء واحد .

بقي كل شيء في الحقيقة ..

بقي التعارف المنشود الذي بغيره تصبح هذه المقابلة حسرة ، ويزول كل ما فيها من السرور فكيف السبيل اليه ؟

هو محتفظ جدا في هذه المواقف ، وان شئت فقل انه خجول في مقابلة الغرباء من الرجال او النساء . وهي بطبيعة الحال فتاة مدللة تشعر بعزة الجمال ، وتجري على الاداب الاوربية في هذه الناحية ، وفرصة التعارف واسعة جدا على التحقيق

ولكن المسافة بين المتعارفين اوسع من فرصة التعارف ، اوسع من الصحراء ، وان الفرصة ليوشك ان تفلت آخر الامد بغير امل في التجديد ، الا بالاحسن حمار في اللحظة تمهد سبيل التعارف عن عمد

لانه جمح على غير العادة ، بل جمح على حسب العادة التي اصابها كل حمار اصيل ! فان هذه الحمير الاصيلة لا تحتمل النخس اليسير ، وقد سبقها الى الجري ما يضمن سرعتها بهزة صغيرة في الركاب ، فتاتي بالسرعة التي يعجز عنها الحمار البليد ، ولو انهالت على راسه الف عصا ، وانغمس في خاصرته الف مهماز .

وفي تلك اللحظة كان السائق الذي يقرب الحمار الى الفتاة الروسية لتركبه ، فنخسه على سبيل الاستعجال ، فكانت هي النخسة المباركة التي لم ينتظرها احد من الواقفين ، لانه جمح وانطلق في الصحراء ، وانطلق وراءه السائق ليعيده الى الطاعة ، فوقفت الفتاة مدهوشة ، وهي تقول للترجمان كأنها تؤنب الفندق ومديره في شخصه . هذا احسن حمار في الفندق ؟!

فارتبك الترجمان ولم يدر ما يقول ، او لعله قد الهم ان يقول افضل ما يقال في تلك المناسبة ،

فأقسم لها أنه لأحسن حمار حقا ، وإن لم تصدقني يا مدام فسألي الأستاذ ! »

قالت وقد أغرقت في الضحك : وما شأن الأستاذ بهذا ! »

فمضى الترجمان في اعتذاره وهو يقول

« نعم يا سيدتي ، إنه من أهل البلدة ، وإنه يعرف حميرها حميرا حميرا وطالما ركب هذا الحمار نفسه ، وخرج به إلى هذا الكهف ، وإلى كل مكان في أسوان . وهل تدرين يا سيدتي ؟ إن الأستاذ ليعرف كل قطعة من قطع الآثار كما يعرف بيته ، فاسأليه عما كنت يا سيدتي تشكين فيه من كلامي عن هذه الآثار ، اسأليه ... أليس كذلك يا أستاذ ! »

بارك الله فيك يا هذا الترجمان !

إنك حقا لأحسن ترجمان في البلدة، وفي العالم !

★ ★ ★

[illegible] التعارف بهذه المناسبة الصحراوية المضحكة ، وعاد الحمار إلى القلعة ، مشكورا على عصيانه ، و[illegible] الحمارين ، ليقيم لها الدليل على انتسابه إلى الحمار المتهم بالجموح ، وقضيا بقية الرحلة معا ، وسمع منها الكثير وأسمعها الكثير .

علم منها من هي في بضع كلمات : هي روسية أحبت [illegible] وتزوجت به ، وعاشت معه سنين في بلده ، ثم افترقا . وعرفت طريقها إلى المنفى على أثر هذا الفراق ، وعلمت منه من هو في بضع كلمات : هو من أهل هذه البلدة ومن محبي الغرابة ، وهي وطنه الذي لا ينقطع عنه ، إلا انقطع ربما عن وطن من الأوطان .

وأدهشته وأدهشها .

أدهشته لأنها وهي الفتاة الراقصة اللاعبة تعرف الأدب الروسي الحديث كأنها طالبة في جامعة من الجامعات الكبرى تخصصت فيه .

وأدهشها لأنها لم تكن تتوقع وهي قادمة إلى أسوان أن تعرف إنسانا من أهلها تحدث إليه عمن تحب من كبار الكتاب الروسيين ، ولا سيما « دستيفسكي » .. وأن يتم ذلك كله بفضل حمار وعلى غير انتظار !

لك الله يا أيها العزيز دستيفسكي ! .. كم وددت لو قبلت العنك الثلاث من عارضيك إلى نفثك في ذلك الصبح البهيج .

★ ★ ★

وعلم منها أنها ستسافر غدا لتقضي يومين في الأقصر ، ثم تعود إلى القاهرة . وعلمت منه أنه عائد إلى القاهرة بعد أسبوع .

وطلبت منه رقم التلفون وعنوان [illegible] وهي تودعه عند باب الفندق : « انتظر مني تلفونا بعد بضعة أيام » .

— إلى اللقاء في القاهرة .

في القاهرة .. في القاهرة .. إلى اللقاء

★ ★ ★

ومضت الأيام وهو لا يصدق أنها تتكلم كما وعدت ، وإن كانت لهجتها الجادة ومحياها الحزين توحي إليه أنها ليست ممن يلهو ويهزأ بالمواعيد ..

ثم دق جرس التلفون ذات صباح : « من المتكلم ؟ »

هي بعينها ، هي الفتاة الروسية التي كان ينتظرها ولا يصدق أنه يسمع صوتها مرة أخرى ، ولم يعرفها بصوتها كما عرفها بلهجتها الإنجليزية الضعيفة التي كانت تخلطها بكلمات فرنسية تبدو عليها مسحة اللغة الروسية من بعيد .

— هالو . هالو ؟

— نعم [illegible] كيف أنت ! متى حضرت إلى [illegible]

— منذ يومين .. جد سعيد يا صديقتي !

قالت : « شكرا . لكن لم تتأخر كثيرا في [illegible] » .

قال : « بل كثيرا جدا .. يومان يا آنستي [illegible] في الانتظار » .

قالت : « حسنا .. [illegible] ؟ أين متى [illegible]

قال : « غدا الساعة الخامسة . أتوافقك هذه الساعة ؟ » .

قالت : « كل الموافقة . أين هذا [illegible] المحببة .. إلى اللقاء » .

★ ★ ★

وفي وسع القارئ أن يتخيل لهفة الانتظار في الصباح .

فمن الصباح كان « الأستاذ » في حدود الوعد المنظور عند الغروب ، وكان من عادته أن ينام قليلا بعد الظهر ، فلم ينم في ذلك اليوم .

وحانت الساعة الثالثة وهو في موقف الانتظار.

ومضى نصف ساعة ، ومضت ساعة ، وعشر دقائق ، وتم ربع ساعة بعد الرابعة وإذا بجرس الباب يدق !

ماذا ؟ قبل الموعد بخمس وأربعين دقيقة ؟ ما الذي أعجلها ؟ ولماذا لم تبلغ بالتليفون ؟؟ أهي رغبة منها في المفاجأة ؟ أهو تبدل في مواعيدها وسهراتها الراقصة قد اضطرها إلى هذا التبكير .

في خطواته بين المكتب والباب تدور في رأسه كل هذه الخواطر كأنها صورة واحدة يلمحها مرة واحدة في كتاب وكان مع ذلك معجبا جدا بهذه الاختلافات في المواعيد ، على فرط كراهته لكل اختلاف في المواعيد .

وفتح الباب وهو يرسم في عينيه صورة الوجه الذي سيراه فبداله بعد لمحة خاطفة أي وجه ؟!

وجه بائد .. آخر وجه كان يفكر فيه الرجل يفكر في تلك اللحظة المباركة .

وجه رجل ثرثار سريع اللسان في الكلام ، بطيء الحركة في الجلوس ، يحسن أن يبدأ الكلام في كل مكان ، ولا يحسن أبدا أن ينتهي منه ، ولو ينهيه بكل وسيلة يسه في قدرة الآدميين .

سكت ولا يرد عليه وهو يتكلم فلا يبالي ، ويقاطعه ويخرج من الحجرة وهو يتكلم فلا يبالي ، ويعرض عنه ويشاغل بنقل هذا الكرسي أو رفع هذه المنضدة فلا يبالي ، ويفعل ما يشاء فلا يبالي ما دمت لا تمضي يدك على لسانه ، ولا تمنعه أن يحركه بين شدقيه .

والمهم عنده أن يفضي ما في صدره بغير توقف ولا مناسبة كيفما كان موضوع الكلام .

وليس مهما أن يرد عليه أو تعقب على ملاحظاته وأسئلته التي يوجهها ولا ينتظر جوابها ، فهو على التحقيق لا يصغي إليها ولا يسمعها ولا يفكر في معناها

إنما يقول ويقول ويقول .

حتى يفرغ مما يقول وأنت لا تدري متى يحين موعد الفراغ .

★ ★ ★

جزاك الله يا هذا .. في هذه اللحظة دون غيرها

فكيف الخلاص ، وكيف الاعتذار ؟ ومتى ينتهي هذا الثرثارة إذا سمح له بالابتداء .

وبدأ القصة الأبدية بعد دقيقة واحدة من تاريخ دخوله الميمون ، وعند الله وحده علم الدقيقة التي ينتهي فيها الكلام .

وكان الأستاذ في زياراته السابقة يطيل صبره عشر دقائق أو ربع ساعة إذا كان لديه متسع من وقت الفراغ ، ثم يبدأ بعملية التشاغل فلا تنجح العملية قبل نصف ساعة .. على أهون تقدير .

ولكنه في هذه الزيارة بدأ العملية في الدقيقة الأولى .

خروج من الحجرة ورجوع ، ومحادثات في التليفون ، ولا حديث ، وقراءة في هذه الصحيفة ثم إلقاء الصحيفة وسائر الصحف بضجر وتأفف لا يحفظ فسواعراض ومقاطعة والمصائب وسكوت ، ولا فائدة .

ما العمل ؟ ما الحيلة ؟ كيف الخلاص من هذه البلوى ؟

بعد ربع ساعة كأنها آباد الجحيم ، خطرت له خاطرة أخيرة ، وهي الخروج من البيت كله لإكراه هذا الثرثارة على الخروج معه ، ثم يعود في الوقت المناسب

فمشى على عجل ، وعاد مهرولا يقول له وهو لا يملك أن ينتظر جوابه : « معذرة يا صاحبي إني مضطر إلى الخروج .. إني على موعد في المدينة ، ولا بد من الذهاب إليه الآن .. الآن بغير ..

غير أن سينهض من مكانه وهو أقرب إلى الجلوس منه إلى النهوض ، وقال متراخيا : « أضروري جدا هذه المواعيد في هذه الساعة ؟! » .

— نعم ضروري جدا ، ضروري جدا ، لأمر هذه

وسبقه إلى الباب فلم ير الثرثارة بدا من اللحاق به ، وهبط السلالم متمهلا كأن له أملا

في اقناع الاستاذ بالعودة .. ولا ضرورة لهذه المواعيد في هذه الساعة !

ولم يتقدما في الطريق خطوات حتى لمح الفتاة مقبلة من بعيد ، فرأته ، فاستغربت ، ووقفت في مكانها مبهورة .

يا للطامة الكبرى !

لم يعنه أن يحزر ما جال بخاطرها في تلك اللحظة .. جال بخاطرها ولا شك أنه استخف بها ولم يحفل بميعادها ، ولم يكلف نفسه عناء الانتظار للقائها ، وهي التي يتهافت على لقائها عشرات وينتظرون الأيام .

فمن حقها أن تمر راجعة ولا تسأل ..

ولحظة واحدة وقد كانت تهم أن ترجع ، ويا لها من لحظة قد نسي بها حماره ذلك الثرثار البغيض ، فلم يرد الاستاذ أن يترك ذلك الثرثارة هجاء بغير استئذان وبغير تمهيد .

وصاح به وهو يعدو راجعا الى البيت : « سبقت الفتاة ! سبقت المدعو ! بعثرة سعيدة » .

قال : « من الفتى ؟ » .

فلا يذكر الاستاذ أجابه أم لم يجبه ، وقفز على السلالم حتى فتح الباب ووقف وبيده يكاد أن يقف .. بالانتظار خمس دقائق مضت وكانت ضحكات الفتاة الروسية الرنانة المجلجلة تسمع في الطريق .

لأنها عرفت الحكاية بتفصيلها وتصورت الموقف بجميع حرجاته ومفاجآته ، واسترسلت في الضحك حتى انقطع

قال لها ، وهي أول مرة يجترئ فيها عليها : « على رسلك يا حسناء .. ان الشارع كله يسمع هذه الضحكات » .

وتحرك فعلا الى النافذة يقول لها مازحا : « انظري .. ان الشارع يمتلئ بالسامعين والمتفرجين ! » .

فماذا رأى ؟

من السهل على القارئ أن يحزر الآن ماذا رأى الاستاذ ، وماذا رأت الفتاة ، وهما ينظران الى الشارع الذي ليس فيه أحد .. الا صاحبنا الثرثارة يخطر أدراجه الى المنزل ليستعجل الاستاذ في الرحيل .

فما هو الا أن وقع نظر الاستاذ على وجهه حتى أخذ هو يضحك كما كانت تضحك الفتاة ، ولكنه ضحك فيه شيء من الحنق والدهشة والمجازفة .. المجازفة بكل ما يحوله ذلك الثرثارة وكل ما يلفظ به ، وكل ما يرويه للعارفين وغير العارفين .

قال لها : « يا فلانة ! لا أدري خير لي من الانتقام من هذا الثرثار ولا في سكينة ... الا أن ... في هذه المرة » .

فتلقفت الاقتراح مسرورة بتصورها ما ... فيه ، وكانت أسرع من صاحبنا الى جرس الباب ، فدقته ، ولبثت تصغي الى ما يقول وتعجب لها ... كيف تكون الأشياء

وقد كان في وسع صاحبنا أن يهم مرة واحدة فيطلب الى الطريق قبل أن يسأل ، ولكنه كان أبيا لثقته كالة الامانة ، فسأل هذه الخادمة المسكينة الشاخصة بين يديه : « هل الاستاذ

قالت : « الاستاذ نزل من هذا الترو ! » .

قال مستعجبا : « يا ست ... معه على ؟ أليس ... منذ خمس دقائق » .

قالت : « وهو قد نزل من خمس دقائق ليس الا » .

واغلقت الباب ، وعادت تستأنف ضحكها وهي تقول : « انه لا يضحك ، وهو يضحك » .

قال الاستاذ : « من سجل هذه المرة والله أعلم »

فنظرت اليه متهمة بعينيها الواسعتين ، وصاحت به : « أهذا هو المحل ؟ هذا كان ... لو لم يضحك بالمحل ؟ » .

قال ... تلك أن تصحبيه الى ... الاستاذ

■■

عباس محمود العقاد



ديجول .. والبطل الزائف !

● يروى عن الجنرال ديجول الرئيس الفرنسي الراحل، واحد ابطال المقاومة ضد قوات الاحتلال النازي، انه كان [illegible] في مأدبة عشاء [illegible] له في لندن، والمقاومة الفرنسية قائمة ضد الالمان، [illegible] احد الجنرالات الفرنسيين [illegible] قصة [illegible] قوات [illegible] الجنرال حتى كاد [illegible] الوقت كله [illegible] الحلوى .. !

[illegible] ديجول [illegible] الجنرال [illegible] القصة [illegible] الاحتلال الالمانية

[illegible]

[illegible] ديجول [illegible] جميعا [illegible]

دموع .. ودموع !

[illegible]

[illegible] امرسون [illegible]

فقال [illegible]

[illegible]

[illegible] امرسون [illegible]

[illegible]



ذكريات طفولة !

● قالت اليانور روزفلت ، Eleanor [illegible] زوجة فرانكلين روزفلت [illegible] قالت [illegible] تصف طفولتها : « لم اكن [illegible] [illegible] [illegible] من صديقاتي واخيرا اخجل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عمله !! »

ازمة الحرية بين اقصى اليمين واقصى اليسار

● [illegible] (١٨٦٧ – [illegible]) [illegible] السلوك السياسي ، اذا ورعا الآراء والافكار [illegible] [illegible] الضعف واتدهما ، والخلط بين المرفقة والتفكرة الجديدة سياستهما . لا فرق عندهما بين الشعور بالسخط وبين الخيانة . كل صوت يرتفع معارضا لا بد من اخراسه مهما كان الثمن .. ان الحرية في ازمة ، والديمقراطية في محنة . ولا [illegible] [illegible] الطرفين » .

دروس التاريخ !

● سألوا المؤرخ الامريكي الشهير تشارلز [illegible] (١٨٧١ – ١٩١٨) ما هي الدروس التي يمكن استخلاصها من التاريخ ؟

فقال [illegible] انه يستطيع ان يجيب على هذا السؤال في اربع جمل :

– ان الزعماء الذين يحطمهم الآلهة ، [illegible] [illegible] السلطة .

– ان طاحونة الآلهة تطحن ببطء ، ولكنها تسحق بقسوة وعنف !

– ان النحلة تسرق رحيق الزهرة ، وهي تلقحها ، دون ان تدري انها تلقحها

– ان النجوم لا ترى الا عندما تشتد ظلمة السماء !

حال تعترى
الرجال والنساء
شبابا وكهولا
ازواجا وعزابا

الغرور

• يحدثنا الفيلسوف الامريكي رالف ايمرسون Ra... Emerson (١٨٠٣ ـ ١٨٨٢) ... عن الغرور وعن ...

الغرور الوان

• الغرور غرور مظهر ، وهو حسب النفسي الراهن او الشاء الحميلة ، انا احس او احسب ان هناك شيئا مميزا عن الاخرين ، سواء كان هذا الاحساس له ما يبرره ام كان مجرد وهم صوره له خيالها !

وبينما نحن نعلم ان اعمار الرجل خمسة طفولة ، فمراهقة ، فرجولة ، سواء في العزوبية ام في الزواج ، ثم منتصف العمر فالشيخوخة ، نجد انها عند المرأة ثلاثة فقط ، هي طفلة ثم انثى حيث تبقى انثى الى ان تبلغ سن الشيخوخة ... في احفاد آثار السنين على وجهها !

• لهذا تكون فترة الغرور عند المرأة اطول منها عند الرجل الذى قد ينهي مرحلة شعوره بالغرور بانتهاء المراهقة ..

غرور الفكر



ولولا غرور اديسون الذى ظن في وقت من الاوقات انه يحوز اسئلة علما ومعرفة لما اصبح هذا ... مخترعا ، قدم للبشرية عشرات المخترعات التي ربطت بين اطراف العالم .

... لزوجها
« لقد رأيت نفسي في المنام وانا احمل شعلة اضيء ...

ولولا غرور الدكتور صامويل جونسون لما صدر اول قاموس في اللغة الانجليزية .. كان في الثامنة والثلاثين من عمره ، عندما وقف يقول لاصدقائه .



أعجب برنارد شو بسيدة المجتمع في لندن ، وأعجبت به ، وكان وراء الاعجابين ترتيب وتنظيم وبناء أسرة . فلما التقيا لأول مرة ، اصطدم غرور برنارد شو ، بغرور السيدة ، فانفجر ما بينهما .. قال شو بعد أن تزوج من غيرها : «لقد كنت والله غبيا مغرورا» .

« اليوم بدأت في انجاز العمل الذي شغل تفكيري منذ سنوات طويلة ، سأضع أول قاموس انجليزي ، وسأضعه وحدي ، ولن يستغرق إصداره أكثر من ثلاث سنوات ! » .

كبرياء واعتقاد بالنفس

... لأسلوبه الفريد ، كثيرا ما يزيد على الأربعين عاما في ...

... في كبريائه ، وهكذا في ... شوبها الغرور ، وقد ازداد وجهه امتقاعا ...

ولكن هناك لونا آخر من الغرور لا يمت الى الطموح بصلة .. غرور المرأة الجميلة كما قدمنا ، تلك التي تعرف أن الله قد حباها نصيبا أكبر من الجمال ، فتفاخر بجمالها ، وتبالغ في إظهاره ، حتى إنها تترفع عن الجلوس أو الحديث مع أية امرأة أخرى دونها فتنة وجمالا ...

الطاووس في مشيته ، ولما جلست ، تصورت أنها تجلس على عرش يسمو على كل ما عداه من عروش .

ولكن ليس معنى هذا أن كل امرأة جميلة تصاب بالغرور .. فالتدريج يجعلها في سماء كي تتمتع بجمال آخر ، وبالرغم من هذا فقد كن أكثر تواضعا ...

الجمال والفناء

تقول الباحثة النفسية مارغريت كلارك Marguerite Clark في كتابها « Why So Tired ? » ان ...

عطرسه الغرور

كثير من الأحيان ، فكان يروي وهو يضحك من نفسه ويسخر من تفكيره وتصرفاته . ويروى أنه دخل مسرحا في أحد الأيام ، وكان قد حجز لنفسه مقعدا من بعد الظهر ، ولكنه ما كاد يصل حتى فوجىء برجل غريب يحتل مقعده ، فوقف أمامه وقال: «ألا تعرف أنك تجلس على مقعد الدكتور صموئيل جونسون؟»

فأجاب الرجل في هدوء: «لا ، ولكنني أعرف أنني لا أجلس على المقعد الذي حجزته لنفسي ، لأنه يقع في نهاية الصفوف الخلفية ، ولكن الأمر يستوي عندي ، سواء كان صاحب هذا المقعد هو الدكتور جونسون أو غيره من الرجال!»

فما كان من الكاتب الكبير إلا أن أمسك بالرجل والمقعد معا ، ثم قذف بهما فوق خشبة المسرح!!

غرور القوة

[illegible] بعض قطاع الطرق ، وكان في طريق عودته إلى بيته في المساء ، وتجمعوا حوله يريدون أن يسرقوا ما يحمله من مال ، فصرخ فيهم: «سوف أصرعكم جميعا بضربة واحدة!»

[illegible]

يصادف غروره في تلك اللحظة!

حتى عندما بلغ الستين من عمره ، وكان [illegible] حيث [illegible] البرد [illegible] ، وأصيب [illegible] ، وجاء أحد أصدقائه [illegible] ، وكان [illegible]

قال الصديق: «إني أرثي لحالك ، فيبدو أن العمر قد تقدم بك ، ولم تعد قادرا على تحمل برد مارس!»

وأرغى الدكتور جونسون وأزبد ، وقرر أن يثبت لصديقه هذا أنه أكثر منه شبابا وقوة وحيوية حتى في مرضه .. قال له متحدياً في غرور: «إن السماء تمطر في الخارج ، ومع هذا فإنني على استعداد لأدخل معك في سباق في الجري تحت مياه المطر!»

قال له صديقه: «لقد جننت!»

قال جونسون: «[illegible] على تحديك!»

وبدأ السباق ، وفاز جونسون ، ولكنه نقل في اليوم التالي إلى المستشفى مصابا بالتهاب رئوي حاد.

مع برنارد شو

يقول برنارد شو فيلسوف بريطانيا الساخر (١٨٥٦ - ١٩٥٠): «لولا فرويد وفاتي ، لكنت قد أصبحت زوجا للمرأة التي ملكت علي حسي ومشاعري!»

ثم يروي شو بعد ذلك قصة هذا [illegible] يقول: «كان قد اتفق على بداية العشاء الذي أقامه صديقي سيدني ، [illegible] الساعة أو يزيد ، وكان المدعوون قد حضروا وازدحمت بهم قاعة البيت الكبير في إحدى ضواحي لندن ، وقد وقفوا في مجموعات صغيرة أحيانا ، كبيرة أحيانا يتبادلون أطراف الحديث ، وما أكثر الأحاديث التي تدور على ألسنة الناس ، وخاصة إذا كانوا من أهل الفكر والعلم والأدب .. ولقد كانوا كلهم ينتمون إلى هذه الفئة من المفكرين الذين عاشوا في تلك الحقبة من الزمن والقرن التاسع عشر يوشك على الرحيل .. لقد حضروا مع نسائهم [illegible] .

«وكان يمكن أن يبدأ العشاء في هدوء .. لو أن [illegible] كان حاضرا بينهم .. ولكن الذي حدث أنني تأخرت في الحضور ، كما كانت عادتي دائما كلما دعيت إلى حفل ، حتى لو كان الحفل [illegible]

«وبحث الجميع عن صاحب البيت ، ليسألوه ماذا حدث لصديقه .. ولكنهم لم يجدوه في الأمر .. فقد كان صديقي سيدني ، يقف أمام باب البيت الخارجي ينتظر .. وقد عقد يديه وراء ظهره ، وراح يذرع أرض الحديقة جيئة وذهابا وقد امتلأ [illegible] بالقلق والضيق معا .. لقد كان سيدني المسكين يعرف عادتي ، ومن أجلها ، [illegible] أن أصل متأخرا ، لكي [illegible] الأعظم! ومع هذا فقد كان يحبني ، لأنني كنت صديق عمره وزميل طفولته .. ثم إنه كان مع هذا [illegible] لي ، فما كنت [illegible] من [illegible] الذي أصبت به في بيته حتى [illegible] أن يقيم هذا الحفل تكريما لي بمناسبة شفائي من مرضي.

ولم تطل وقفة سيدني ويب Sydney Webb إلا سرعان ما أبصر عربة قادمة من بعيد ، ولم تلبث العربة أن توقفت ، ونزلت منها في هدوء [illegible] مصافحا ..

قال سيدني [illegible]: «أما كان يجدر بك أن تبكر قليلا .. إن الجميع ينتظرون وصولك!»

واحست في صدره « أعرف ذلك ! » .

— أين هيا بنا ..

— مهلا .. فلا بد لي ان اصلح من شأني .. لقد كانت الرحلة شاقة ومتعبة .. هل اجد هنا مرآة لا اريد ان ابدو كريهة امام تلك الوجوه الناضرة الجميلة !

— توجد مرآة بالقرب من الباب الخلفي .

— الى سندخل من الباب الخلفي !

ودرت على عقبي ، ووجهت [illegible] وسط [illegible] بحديقة [illegible] في هذا الوقت من ربيع عام ١٨٩٨ .. وهي نفس السنة التي اصبحت فيها زوجة [illegible] من المرأة التي سيطرت على [illegible] في [illegible] الانسة شارلوت [illegible] Charlotte

[illegible]

[illegible] صاحبي [illegible] ، حيث [illegible] الاسابيع الطويلة راقدا على فراش المرض ، وكانت ترفض ان تفارقني لحظة واحدة .

[illegible] ودخلت الحمام لأغسل وأصلح من [illegible] [illegible] راسي [illegible] السوداء [illegible] .. ولما شعرت بالاطمئنان الى ان كل شيء [illegible] في مكانه [illegible] ، خرجت ابحث عن سيدي ، ولكنني ما لبثت ان [illegible] لحظات [illegible] من وراء احدى الستائر ، [illegible] في وجه [illegible] الذين [illegible] الكثيرة ..

ووجدت ما كنت ابحث عنه ، فقد نظرت الى صاحبي وقلت : « تستطيع أن [illegible] من وصولي ، ولكن هل ترى هذه المرأة الجميلة التي تقف وسط هذين [illegible] .. ايمكن ان [illegible] اليها ! » .

— من ! [illegible] الكامل !؟

[illegible]

★ ★ ★

ودخلت اخيرا .. واتجهت [illegible] الى [illegible] وكانت في [illegible] الى [illegible] في [illegible] عن حالي وأحوالي ..

ولكنني [illegible] وسط [illegible] ، [illegible] وصافحت ، دون أن أرفع عيني لحظة واحدة عن [illegible] كامبل التي كانت تقف في ثوبها الاسود الانيق ، وقد جمعت شعرها في [illegible] كبيرة [illegible] فوق رأسها في كبرياء [illegible] .

وما كدت اقترب ، حتى وقفت على بعد

[illegible] ووضع [illegible] جبينه [illegible] على [illegible] .. [illegible] سيدي [illegible]

[illegible] السيد جورج برنارد شو .. ! » .

وتقدمت اخيرا نحوها موجها كلامي اليها : « اني اعرف انك كنت تتحرقين شوقا للقائي .. ترى ماذا يجري في راسك الصغير الآن ، [illegible] ان [illegible] !؟ » .

[illegible] ما [illegible] ان [illegible] على [illegible] .. [illegible] وهي تحاول ان تكتم غيظها [illegible] [illegible] الى صاحب [illegible] ولكن شيئا لم يكن .

— قل لي يا سيد [illegible] هل [illegible] صديقك هنا من اجل [illegible] !!

واستبد [illegible] ، فقال [illegible] ، وهو يتوقع حدوث عاصفة : « لا شك انك [illegible] يا مسز كامبل ! » .

— هل انا جادة ، واني انتظر جوابك !! »

— [illegible]

— ولكن ماذا ؟ أرجوك لن [illegible] لهذا المغرور اني لست سعيدة ابدا بلقائه ! ثم ما لبثت ان غادرت الحفل ، واتجهت الى الخارج تبحث عن عربة تعود بها الى بيتها ..

★ ★ ★

[illegible] صاحبي [illegible] ، ولم [illegible] على هذا اليوم حتى كنا [illegible] زوجين ولكنني لم انس مسز كامبل ابدا .. لقد [illegible] واستمرت صداقتنا [illegible] طويلة [illegible]

[illegible] بعد ذلك [illegible] ما حدث [illegible] [illegible] [illegible] في رسائله لها ، قال : « [illegible] المغرور في تلك [illegible] ، وما اكثر اللحظات التي كنت [illegible] [illegible] لقد اعترفت لي في رسالتها

[illegible]

قالت : « لم اكن اتصور ان يعجز الرجل الذي استطاع ان يهز مشاعر الناس بفكره وقلمه ، عن فهم طبيعة المرأة .. لقد [illegible] ان تكشف سر المرأة دون أن تخدش كبرياءها [illegible] .. ألم أقل لك انك [illegible] مغرور!!» .

■■

أنباء الطب والعلم والاختراع

[illegible]

بريطانيا خاصة ، من هجرة نسبة كبيرة من علمائها ومهندسيها ، لا سيما الشباب منهم ، الى الولايات المتحدة ، عاما بعد [illegible]

اما سبب الشكوى ، فان هذه الامم [illegible]

[illegible] جدا يعتمدون عليه ، وبعد ان [illegible] الدول في تعليمهم ما تكلف من جهود ومن نفقات ، يشربون غضب امهم . ان هذه الامم تزرع ليجني غيرها ثمار زرعها .

ولن البحث على ان الامة الاولى التي تجني ثمار هذه الدول اول جانبه ، واكثر جانبة ، في هذا المجال ، انما هي الولايات المتحدة الامريكية . وان الخاسرين سائر امم اوروبا وافريقيا واسيا ، وامريكا اللاتينية .

واتفق واحد مع هذه الكلمة حرفيا لهذه الامم ، ومع كل امة عدد من معدنهم من العلماء والمهندسين بالنزوح الى الولايات ، وذلك في عام ١٩٦٩ ، ونسبى توسيعن عدد من عددتهم العام السابق اي عام ١٩٦٨ .

وسوف تلحظ ان عدد النازحين قد تناقص في عام ١٩٦٩ عن عام ١٩٦٨ ؛ [illegible] تناقص تلك الراغبين في الهجرة وانما كان هذا لان الولايات المتحدة [illegible] من عدد [illegible] اشد ، ولكن فالعدد النازح مذهل .

مؤتمر

ولقد راى بعض اهل الراى ان [illegible] لاجتماع عقد في جامعة هارفرد ، جامعة الولايات المتحدة الشهيرة ، يحضره من تيسر لهم حضوره من المهاجرين ، لينظروا في امر هذه الهجرة من اسبابها ، وما دوافعها ، وهل هي شر يجنى منها ام لمير الخير ، واختصارا ليستمع الناس [illegible] هؤلاء المهاجرون .

دوافع الهجرة

ومن حصيلة المعاني المنثورة نعلم ان الدافع الاول للهجرة تتلخص في ان هؤلاء المهاجرين انما دفعهم الى نزوحهم عن اوطانهم قلة الاجر ، ثم قلة المال المبذول للبحوث العلمية ، وعموما ضيق

[illegible] لتقدم الشخصي في هذه الاوطان، وبوجود العكس من ذلك في الولايات المتحدة .

[illegible]

[illegible] وذهبت وجيئة ، وراء المال ، للبحث [illegible] اولا عام ١٩٥٩ لادرس [illegible] ، وعدت الى ايطاليا . ثم عادت الموارد هناك تنضب ، فرجعت الى الولايات استكمل بحثي . كنت وراء هذا المال دائما .

واسباب كثيرة اخرى ذكرها هؤلاء العلماء المهاجرون دائما للهجرة التي كانت .

اما هل هم يودون [illegible] المتحدة بعد ان هاجروا [illegible] فيهم الآراء ، بعض [illegible] يقول بالرجوع من حيث جاءوا .

[illegible]

فشل المهاجرين في اندماج

[illegible]

[illegible] بالفرنسيين ، والايطاليون بالايطاليين ، لكل [illegible] في هذا . وليس بين هذه الطوائف تعاون .

[illegible] ان التقدم في مهنتي هنا حيث اعمل . اما في المجتمع فكل شيء لا [illegible] بانك [illegible] امريكا .

وقال فرماني الماني : لقد اردت ان احد



سبيل في المجتمع الامريكي ؛ ولكن وجدت ان هذا الامر ليس من السهولة بمكان .

... البريطانيين كثيرون يودون العودة [illegible]

الحريه

ومع هذا فقد اندمج الكثيرون الحريه التي وجدوها في الولايات . الحريه الفرديه . قال انجليزي : ان الذي يغري بالحياه في هذه البلاد ما بها من حريه . وبين ما بهذه البلاد من حريه في مجتمعاتها اكثر من اي حريه يجدها الانسان في دول اوروبا .

ونلاحظ ان هذا الانجليزي قال دول اوروبا ، ولم نقل انجلترا .

وقال الماني : ان القيود بهذه البلاد اقل كثيرا من غيرها . ولقد وجدت منذ الحرب حق خلق ما اشاء لحياتي من اسلوب دون ان يتدخل احد في ذلك لتعديله او [illegible]

زياده الهجره
من مصر والهند

[illegible] في عام ١٩٦٩ عن عام ١٩٦٨ . بخلاف ما وقع في دول اوروبا .

معرض اوساكا في اليابان

● هو احدث المعارض العالميه ، وقد اقامته اليابان ، في هذا العام ، عام ١٩ [illegible] استرليني . واما عماله فبلغوا عشره الاف عامل . واما مساحته فامتدت الى ما زاد عن ٧٠٠ فدان .

تبعد [illegible] دقيقه بالسياره من مدينة اوساكا .

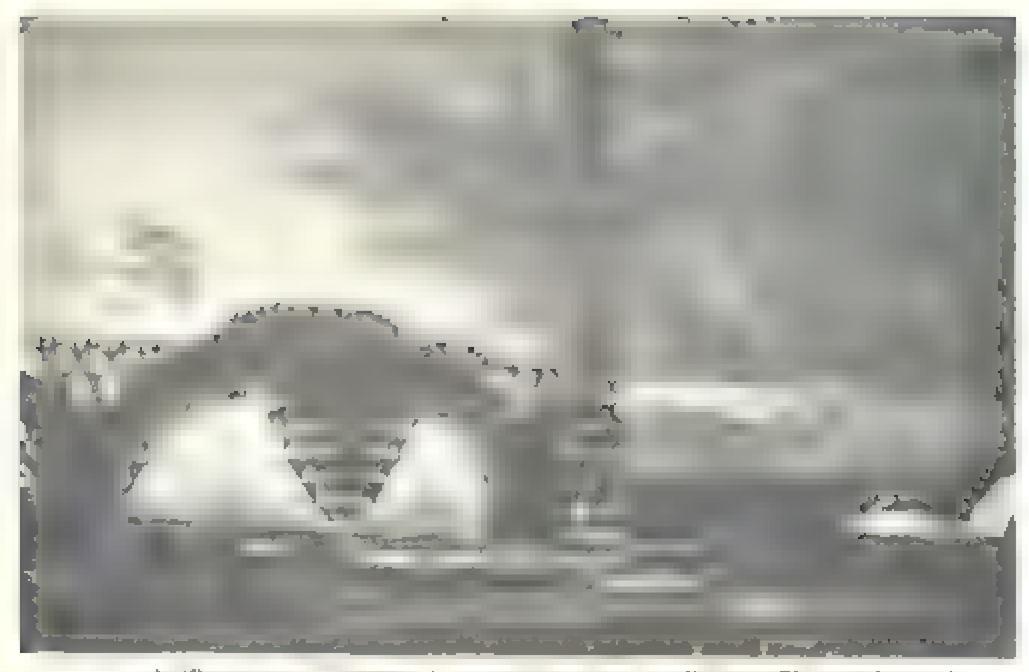
واشترك في المعرض [illegible] في تاريخ اليابان [illegible] والتكنيكي والصناعي .

ذلك ان الحرب العالميه الثانيه تركت اليابان في حاله من السوء كبيره ، ما كان يرجى معها ابدا ان تسترد اليابان عافيتها ، وان تسترد علمها وصناعتها ، وان تسترد ثقتها بنفسها بهذه السرعه التي كانت .

انها ٢٥ عاما منذ انتهت الحرب العالميه الثانيه قضتها اليابان في نفق خروجها وتضميد اصاباتها ، والبدء من جديد في انشاء ما كان تهدم . وامضت ربع القرن هذا تعمل وتعمل وتعمل حتى ظهرت اليوم مصانعها الحديثه ومصاهرها ، وحيث تصنع الحديد والفولاذ ، وحيث تصنع السفن الكبيرة ، كل هذا ظهر في [illegible] على ما كان من ساحات مديدة من خراب .

وانتاجها القومي ظل يزيد ، في اتصال [illegible]

[illegible] حصيلة انتاجها القومي في عام ١٩٧٥ الى ٢ مليون جنيه استرليني ، وعندئذ سوف تساوي حصيلة بريطانيا [illegible] والمانيا مجتمعة ، وعندئذ سيكون لليابان في ميزان مدفوعاتها فائض مقداره ٥ [illegible] مليون جنيه استرليني .



... ما هدف اليه المجموعة المذكورة وكذا الغرض من عدم الإصابة ...

واليابان بدأت نهضتها هذه ، من بعد حرب ، بأن قررت أن تجمع تماما ما يمكن من علم الأجنبي ، وتجارب الأجنبي ، وخبرة الأجنبي ، فأخذت تستورد كل هذا فيما يتصل بصناعة الفولاذ ، وصناعة المنسوجات ، والسيارات ... ـات والالكترونيات ذات ... الشمسي ، والمفاعلات النووية والطائرات .

وأذنت للاستغلالات الخارجية أن تدخل اليابان بقدر ما خططت وقدرت ، ولم تأذن لاستغلال يدخل الى صناعة توجد أصلا في البلاد .

وكانت اليابان تعتمد على العلم الأجنبي والتكنية الأجنبية ، والتقليد ، ولا شيء ... لكانت معتمدة أكثر منها ...

[illegible]

أن تستعمل مالها في أحياء علمها ، وأحياء تكنيتها ، وأغدقت على البحوث الصناعية والخطط التجريبية الكثير .

ويقول الخبراء الذين نروي عنهم أن لليابان اليوم أحلاما هي عندهم رغبة بالتحقق في السنوات القادمة ، وهم لم يكادوا يتركون صناعة من صناعات العالم ، إلا وكان لهم فيها مطمع .

ويرد الخبراء كل هذا الى التعليم المنتشر في اليابان ، وأن الأمية في اليابان لا تزيد على ٢ في المائة . ثم هم يردون كل هذا الخير الى صفتين عجيبتين في العامل الياباني . أما الصفة الأولى فالوطنية الدافقة ... بهم الى اليوم ذكرى النكبة التي كانت بهم . وهم يذكرون هيروشيما ونجازاكي كما لو كانت وقعت بالأمس القريب . أما الصفة الثانية فاشتغال عمال اليابان على العمل اشتغالا شديدا تدفعهم اليه عاطفة ...

... صفة

... ـعمى ... صفة ...

الكبريت في البصل سبب حرافته

● البحوث الزراعية أنواع، وكل نوع له اختصاص، وأهل اختصاص، ولعل أهم البحوث الزراعية أو من أهمها بحوث المحاصيل وتكثيرها، لأن لها علاقة بجوع الناس وشبعهم.

ولكن كذلك مذاق الأطعمة له خطره، إنه عامل في هضم الطعام.

لهذا لا يستغرب أحد قيام رجال باحثين مختصين في بحث طعوم الأطعمة ومذاقها ونكهتها.

ففي المحطة القومية لبحوث الخضراوات [illegible] يوجد بين رجالها رجال مختصون ببحث هذه الطعوم والمذاقات.

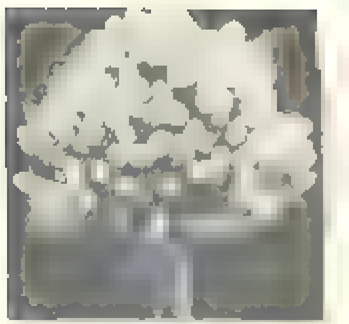
ومن بعض ما بحثوا أخيرا بحث البصل ومذاقه.

قاموا بتحليل مكونات البصل من زيوت طيارة، وأثبتوا أن بالبصل مركبات عضوية تحتوي على الكبريت عنصرا فيها.

وبتحليل صنف من البصل توصلوا إلى أن نكهة البصل تزداد بازدياد مقدار الكبريت فيه.

وعندئذ ظهر أن بحثين سابقين في هذا الشأن، واحد من الهند، والثاني من إيطاليا. وكلا البحثين توصلا إلى القول بأن نكهة البصل تعلو وتنخفض بعلو مقدار الكبريت في تربة الأرض التي يزرع البصل فيها.

وفي إيطاليا ثبت أيضا أن نكهة البصل هبطت عندما استخدموا كلوريد النشادر



زهرات البصل صورتها العدسة عن قرب

سمادا للأرض، وزادت عندما استخدموا كبريتات النشادر مكان كلوريد النشادر.

عندئذ قام رجال محطة البحوث [illegible] بزراعة البصل زراعة تجر[illegible] لتربة فيها رملا خالصا نقيا، [illegible] عنصر الكبريت في الأسمدة [illegible] قليلا، أو كثيرا، في هذه التجارب وعلى [illegible]

وقد تحليل البصل الناتج على قدر ما احتواه من الكبريت [illegible]

والطعوم جمعوا لها طائفة من الحكام يتذوقون، وجمعوا لهم صنوف البصل الناتج، فتذوقوها، وأجمعوا على أن نكهة [illegible]

[illegible] البصل الأعلى نكهة والأمر حرافة، لأنهم استطابوه على هذه الدرجة، ولأنه لا يجري دمع العين بكثرة.

والآن قد انفتح الباب [illegible] وإنتاج ما ترضى به الأسواق من محاصيل، فلا يصير إنتاج البصل عرضيا، مرة حرا دامعا، ومرة هادئا غير دامع.



حقل من البصل، على زهوره في الهواء، وساق البصل يختلف طوله، وقد يبلغ 3 أقدام طولا

●●



سوء الهضم

بقلم
الدكتور محمد ابو شوك

■ من منا لم يشتبه سوء هضم في يوم من الأيام،اذا لم يكن في معظم الايام،حتى ولو كان صحيح البدن معافى ، يكفي أن يدعى الى وليمة فاخرة ، تحوي ما لذ وطاب من طعام وشراب فلا يجد في نفسه الا أن يملأ جوفه من هذا وذاك فلا يلبث أن يشكو من عسر في الهضم او سوء فيه، وصدق رسولنا الكريم حين يقول « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » وحين يقول « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » .

ما هو سوء الهضم

سوء الهضم عرض لاعراض عدة تصيب المعدة واعضاء اخرى من الجسم ، وهذه الاعراض تختلف باختلاف الاعراض التي تصيب اعضاء الجسم ، بل وتختلف من شخص الى آخر في الوصف والحس والتعبير ، ولو جمعنا هذه الاوصاف والاحساسات، لكان من المستطاع أن تكون عندنا فكرة عن سوء الهضم او عسر الهضم .

وهذه الاعراض هي : الاحساس بالشبع ، وعدم تحرك الطعام من المعدة ، كثقل في منطقة المعدة ، الاحساس وكأن هناك ورما او جسما غريبا يملأ المعدة ، الاحساس بعدم الراحة بعد الطعام ، مع الشعور بثقل ، وفقدان الشهية ، حرقة في المعدة تطفو الى اعلى ، الاحساس بالانتفاخ ، والميل الى القيء ، وآلام مختلفة في اعلى البطن .

وعلى هذا النحو تكون الاوصاف والاحساسات كل



● ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه

يصورها حسب ما يحس وما يشعر ، وما على الطبيب الا ان يسمع ويدون ثم يكشف ويفحص الى ان يجد سببا لهذه الاعراض .

اسباب سوء الهضم Dyspepsia

اولا : أسباب تتعلق بالمعدة :

١ ـ التهاب المعدة الحاد والمزمن

٢ ـ قرحة المعدة او الاثنى عشر

٣ ـ سرطان المعدة

٤ ـ سوء الهضم العصبي

ثانيا : أسباب تتعلق بالاعضاء التي تجاور المعدة :

١ ـ التهاب الحويصلة الصفراوية .

٢ ـ حصى الحويصلة الصفراوية

٣ ـ التهاب واحتقان الكبد

٤ ـ التهاب الزائدة الدودية

٥ ـ التهاب المعي الدقيق او المعي الغليظ

٦ ـ القولون العصبي (الهائج)

٧ ـ التهاب البنكرياس

ثالثا : الأدوية التي تؤثر على المعدة بشكل خاص والتي تؤثر على الجهاز الهضمي بشكل عام .

هذه بعض الاسباب التي تسبب عسر الهضم ، والتي اغلب بعضها لقلة حدوثها ـ ولكي اوفر على القارىء عناء التفكير فيها أرى من الواجب علي ان اركز على المهم منها ، والكثير الحدوث لكي نتناول تلك الاسباب ، وبذلك يصلح هضمنا ، ونرتاح اعصابنا .

ولست اعني من وراء مقالي هذا ان اجعل القارىء يحس في بدايته أنه يعاني من هذه الاعراض ولا يأتي على آخرها الا ويرسل رسالة لي ـ او يسعى مسرعا الى طبيبه ـ فالعاقل من قرأ وتثقف، وابعد عن نفسه الوهم والوساوس ـ أو اخذ مما يقرأ قدرا يعينه على فهم صحة بدنه ، دون اقلال ولا مغالاة ، فلا يهمل ولا يغالي .

ولنأخذ امراض المعدة

فالتهاب المعدة الحاد ينتج من تناول المواد التي تهيجها وتؤثر على اغشيتها وتسبب بذلك اضطرابات حركة المعدة وفي افرازاتها مما يسبب بالتالي سوء الهضم ، وعلى سبيل المثال الاطعمة الحريفة وغير الناضجة او شديدة الحرارة ، او شديدة البرودة ، والاكلات الدسمة والزائدة عن الحاجة والتي تستعصي على المريض كالبيض والسمك



● تناول المشروبات الكحولية وتناول المشروبات الغازية والشاي والقهوة بكثرة والافراط في التدخين من أسباب عسر الهضم .

والاسراع في بلع الطعام دون مضغه المضغ الكافي ، والمشروبات الكحولية ، وتعاطي المشروبات الغازية بكثرة ، والشاي والقهوة ، والافراط في التدخين .

ولا ننسى المواد التي تؤخذ بسبيل الخطأ ، كالمواد السامة والاحماض ، والمواد القلوية .

هذه امثلة ليست على سبيل الحصر - وغيرها كثير - وما احرى كل فرد منا ان يجد لنفسه ما يضره من الاطعمة ويبتعد عنها لسلامة معدته ويسلم هضمه وبذلك يوفر على نفسه التداوي والدواء ويوفر على طبيبه الجهد الذي يبذله ليهتدي الى سبب العلة .

واذا ما اهملنا ، وزادت نسبة الحموضة في المعدة - كما عرفنا لقرحة المعدة والاثنى عشر . وكثير منا عرف اعراضها والامها التي تحدث بعد تناول الطعام مع الاحساس بحرقة والشعور بالقيء - وهذا الالم يخف او يزول بالقيء او تعاطي سكربونات الصودا - او المواد القلوية لانها تمتص حموضة المعدة او القيء - لظهور هذه الاعراض واختفائها تماما في مدد مختلفة الى ان تسوء الحالة فيصبح الالم وعسر الهضم ملازمين للمريض باستمرار .

بفحص المريض وعمل الفحوصات المختبرية والشعاعية يصل الطبيب الى التشخيص ووصف العلاج اللازم الذي اهم ما فيه هو « الحمية » والابتعاد عن المواد التي تزيد من حموضة المعدة .

سرطان المعدة

ولمحة خاطفة عن سرطان المعدة اريد منها ان لا يهمل المريض او اهله حتما يصاب بهذا المرض - الا ان المرض لو اكتشف في بدايته ، فان علاجه - وبعد المريض . ومن اعراض سرطان المعدة الذي يحدث بعد سن الخمسين ان يفقد المريض شهيته للاكل - دون ما سبب ظاهر - ولمدة طويلة تتجاوز الثلاثة اسابيع مع الشعور بالضعف العام هنا يجب ان يعرض على الطبيب لان من المبكر اكتشاف المرض والامل في العلاج في هذا الوقت .

سوء الهضم العصبي

ويجيء سوء الهضم العصبي الذي يلعب اكثر الادوار - خصوصا ونحن نحيا في ايامنا هذه كما يقول القائل . على اعصابنا - عدم الرضا بالحاضر ، والخوف على المستقبل المجهول والتنكر للماضي والغضب لاتفه الاسباب وعدم التسامح والغيرة والحسد ، والسرعة في كل شيء ، حتى في تناول الوجبات وقضاء الحاجة ، ثم السهر والارهاق والجهد والعمل المتواصل والقلق . وغير ذلك كلها تثير الاعصاب ، ومن اهم الاعضاء التي تتأثر بذلك المعدة - فيزداد افرازها - وتزداد الحموضة تبعا لذلك ، فتأتي الالام التي لا تفارق صاحبها ما دام لا يرتاح له بال او يهدأ له نفس . وما زيادة عسر الهضم في ايامنا وزيادة قرحة المعدة والاثنى عشري الا لان هذا التوتر العصبي لا يفارقنا ، بل ويزداد بمر الايام ، وما احوجنا الى ان نتغلب على هذا بالراحة والتسامح والقناعة والتوكل على الله دون تواكل والعمل بنظام وتؤدة ، وقضاء العطل وايام الراحة في جو كله هدوء وطبيعة هادئة جميلة تريح النفس وتزيل التوتر العصبي .

امراض الاعضاء المجاورة للمعدة الحويصلة الصفراوية

ثانيا : امراض الاعضاء التي تجاور المعدة وهذه تؤثر على المعدة وتسبب سوء الهضم ، فالتهاب الحويصلة الصفراوية او وجود حصى بها يجعلها تعجز عن عملها وبالتالي لا تعطي المادة الصفراوية التي يتطلبها الطعام اذا زادت نسبة الدهنيات به - لذا نرى ان مثل هؤلاء المرضى علاوة على ما يصيبهم من مغص والم مراري - نرى انه يحدث لهم عسر هضم خصوصا مع الطعام الدسم ، ويكون مصحوبا بتطبل البطن مع امساك شديد . والعلاج في هذه الحالة ينصب على الحويصلة الصفراوية اما بتنشيط عملها او ازالتها اذا كانت تحتوي على حصى يسبب الاما للمريض ويقلل من عمل الحويصلة .

الكبد والزائدة الدودية

ولا يخفى على مرضى الكبد ما يسببه ذلك من عسر في الهضم اذا كان الكبد محتقنا - او متهيجا - الطعام لا يأخذ مجراه ويبقى بها وكأنه حجر ، فتقل شهية المريض - ويضعف ، ويحس وكأن

علاوة على عدم استساغته للمواد الدهنية بوجه خاص منها اذا تجاسر وتناولها .

ومما يجدر ذكره ما يحدث للمريض من فقدان للشهية وآلام في منطقة المعدة وقيء وغثيان عندما يصاب بالتهاب في الزائدة الدودية سواء كان ذلك حادا او مزمنا .

القولون العصبي

وعلى رأس القائمة يجيء القولون العصبي — والتهاب القولون وما يسبب ذلك من آلام في البطن تدور وتنتقل من جهة الى اخرى مع الانتفاخ الشديد — والغازات التي يسمع صوتها — والامساك الشديد ، الذي تعقبه في بعض الحالات فترات من الاسهال ، كل ذلك يؤثر على الهضم ويؤثر على حركة المعدة وافرازاتها ويجيء مريض القولون يشكو من عسر في الهضم ، وفقدان للشهية .

من هنا نرى انه من الواجب على الطبيب حتى يتوصل الى سبب سوء الهضم ، ان لا يكتفي بالمعدة كسبب لذلك ، بل عليه ان يبحث فيما جاورها لعل السبب الحقيقي يكون هناك وبعلاجه تزول العلة ويتحسن الهضم .

امراض العقاقير

ثالثا : واخيرا وليس آخرا امراض العصر — امراض الادوية والعقاقير ، وقد افردت لها هذا السبب — علما بأنه كان من الممكن ان يكون مع الاسباب التي تؤثر على المعدة ، ولكني فصلت ذلك لاهمية هذا الموضوع . ذلك بأن كثيرا ما يتناول

● تعاطي اقراص الاسبرين قد يسبب قرحة معوية .





● اذا وجدت السيدة ان حبوب منع الحمل تسبب لها عسرا في الهضم وجب عليها ان تخبر طبيبها بذلك .

كثيرا من الادوية اما من تلقاء نفسه او بوصفة من صديقه او جاره ، او بوصفة من طبيبه وهو لا يعلم ان معدته لا تتحمل ذلك . بل وفي بعض الاحيان ، وارجو ان يكون ذلك قد تضاءل كثيرا ، وصفات يصفها مدعي الطب ، كل هذه تؤثر على المعدة ، وتسبب سوء هضم شديدا وآلاما مبرحة في منطقة المعدة وربما في بعض الاحيان تسبب ما هو اخطر من ذلك مثل قرحة المعدة والنزيف منها ، ولقد وجد في انجلترا مثلا ان ١٠٪ من النزيف المعدي سببه تعاطي اقراص الاسبرين . وهناك اقراص اخرى تسيء الى المعدة ايضا امثلة مثل الاقراص التي تستعمل للآلام الروماتيزمية كاقراص البيوتازوليدين Butazolidine ، واقراص مركبات الكورتيزون Cortisone ثم هذه الاقراص المختلفة التي تستعمل كمسهل فترهق بذلك الامعاء ومنها عملية الهضم .

وهناك عقاقير اخرى كثيرة تؤثر على الغذاء ، وانا في غنى عن سردها .

وتجيء اقراص منع الحمل لتتوج هذه العقاقير التي تؤثر على المعدة خصوصا وقد ازداد استعمالها في ايامنا هذه فنجد سيدات كثيرات يشكين من التهاب في منطقة المعدة ، والاحساس بالغثيان والقيء — وعدم تحمل الطعام — مع ما يصحب ذلك من صداع بالرأس شديد وتوتر بالاعصاب والى ذلك من مضاعفات هذه الحبوب .

والقصد من وراء ذلك انه يجب عدم الاسراف في تعاطي الادوية ثم استشارة الطبيب ، واذا حدث ولو تألم المريض بعد اخذ الدواء وجب عليه اعلام طبيبه بذلك حتى يصف له الدواء الذي يمنع حدوث



● تحدث كثرة تناول المواد النشوية والسكرية نوعا من عسر الهضم .

ذلك وان يقلع عن اى دواء سبب له نزيفا من المعدة ويخبر طبيبه بذلك لكي لا يصفه له مرة ثانية .

اما بخصوص حبوب منع الحمل فاذا وجدت السيدة ان تلك الحبوب تسبب لها عسرا في الهضم وجب عليها ان تخبر طبيبها بذلك لكي تغير لها نوع الحبوب ، والتي تقل آثارها على المعدة ، فتنجو من مضاعفاتها .

سوء الهضم نتيجة لبعض الاغذية

واخص بالذكر هنا هذه الاطعمة التي اذا تناولها الانسان احدثت عنده سوء هضم مع ظهور اعراض الحساسية ، مثل : طفح على الجلد او حكة به او بالعينين ، او تورم بالجفون خاصة ، والوجه عامة .. وفي بعض الحالات يكون القيء والاسهال ، وفي الحالات الشديدة ، ارتفاع في درجة الحرارة او اعراض الربو ، وفي حالات كثيرة يعرف المريض هذه الاطعمة ويتجنبها ، مثل البيض والسمك واللبن وغيرها ، لذا كان من واجب من يشكو من حساسية لنوع من الطعام ، ان يتجنبه فيسلم من عسر الهضم الذي يعانيه .

ولا يفوتني في هذا المجال أن اذكر نوعا من عسر الهضم نتيجة تناول كميات كثيرة من المواد السكرية والنشوية ، يعرف باسم Carbohydrate Despepsia اى سوء هضم المواد النشوية والسكرية ، ويتميز بتخمر هذه المواد في الامعاء ، وتجمع كميات كبيرة من الغازات ، مع الاحساس بامتلاء البطن وانتفاخ ، واحداث اصوات تنتقل من مكان الى آخر داخل البطن ، تكون في بعض الحالات مصحوبة بعدم الاحساس بالراحة ، وربما يزداد الى مغص شديد يسبب الارق للمريض .. ومع هذا تخرج غازات كثيرة من البطن ، مع براز حمضي شديد الحموضة ، يسبب حرقة في فتحة الشرج .. ومع خروج البراز والغازات يشعر المريض براحة بعض الشيء .. ولكنه سرعان ما تعاوده النوبة بعد فترة ، اثر تناول وجبة غنية بالمواد السكرية .

ونلاحظ عند الذين يعانون من هذا النوع من عسر الهضم انهم يتجشأون كثيرا ، ويعانون من الامساك ، مع نوبات من الاسهال من آن الى آخر وربما تزيد حالة المريض سوءا انه دائما يشعر بالتعب الشديد عندما يقوم بمجهود عضلي لا يستلزم هذا التعب ، وفي بعض الاحيان يكون مضطربا مع الشعور بدوار واضطراب في ضربات القلب وتوتر بالاعصاب .

والامتناع عن تناول الاطعمة النشوية والسكرية بعض الوقت ، ثم الرجوع اليها تدريجيا ، مع تزويد المريض بالادوية التي يتغلب بها على الامساك كالاجارول والكالومل وغيرها ، الى جانب الخمائر التي تساعد على هضم المواد النشوية وهي كثيرة مثل التاكاديستيز Takadiastase وباسوروسا فستال ثم تناول المهدئات التي لها اهميتها في هذه الحالة ، للتغلب على الاضطرابات التي يعاني منها المريض .

ارجو ان اكون قد القيت ضوءا على هذا الموضوع الذي طالما سئلت كثيرا عنه .. راجيا ان يفي بما يدور بخلد القارىء وأملي ان يبتعد كل منا عما يسبب له سوء الهضم حتى يسلم جسده ويسعد في حياته . ■■

محمد ابو شوك

ضَمِيرٌ مُعَذَّب

للدكتور حسان حتحوت

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

* * *

ألأنّي يا خالقي لستُ أرضى [illegible]

أنت حسبي وأنت وحدك حسبي [illegible]



[illegible]
[illegible]

* * *

[illegible]
[illegible]

* * *

[illegible]
[illegible]

* * *

[illegible]
[illegible]

* * *

[illegible]
[illegible]

* * *

[illegible]
[illegible]

* * *

[illegible]
[illegible] راضيا فلست أبالي [illegible]



عرض بقلم

■ الكتاب الذي نعرضه الآن هو « اسرائيل والعرب » للكاتب الفرنسي « مكسيم رودنسون » « Maxime Rodinson » يتسم الكتاب بالروح الموضوعية ويحاول مؤلفه ان يظهر حقيقة القضية الفلسطينية ، وجوهر النزاع العربي الاسرائيلي بامانة ودقة . وهو يعرض ذلك باسلوب هادىء عميق ، ونظرة [illegible] الامور ، معتمدا في ذلك على وثائق [illegible] لديه ، ومستمدا من خبرته في البلاد العربية [illegible] يضاف الى ذلك [illegible] معرفته باللغة العربية وبعض اللغات السامية الاخرى كالاثيوبية والعبرية . والاهم من ذلك كله هو ان المؤلف يهودي ، ولد في باريس سنة ١٩١٥ من اب يعتبر احد المؤسسين لاتحاد العمال اليهود في باريس . هذا وقد شغل المؤلف بعد تخرجه من السوربون عدة وظائف في الجيش الفرنسي ودار الانتداب الفرنسي بعد ذلك في كل من سوريا ولبنان ، واخيرا ، وبعد ان طاف بكثير من البلاد العربية ، عاد الى فرنسا سنة ١٩٤٧ ، والى التدريس في السوربون حيث شغل ، ولا يزال يشغل ، منصب استاذ اللغة الاثيوبية واللغات اليمانية الجنوبية القديمة .

والكتاب في الاصل صدر بالفرنسية في عام ١٩٦٨ ، وترجم الى الانجليزية [illegible] في كل من لندن ونيويورك ، وهو يقع في ثمانية فصول رئيسية ، هذه عناوينها : القومية اليهودية والقومية العربية ، من القومية الى الاوطان ، اسرائيل في اول عهدها ، ظهور الاشتراكية العربية ، اسرائيل بين العرب والعالم ، من مرحلة عدم الاستقرار الى النزاع المسلح .

اما الازمة ، او حرب سنة ٦٧ ، فتشكل موضوع الفصل الثامن من الكتاب ، اي الفصل الاخير قبل الخاتمة .

بوادر القومية اليهودية

يمكن القول بان القومية [illegible] بدأت في الظهور

في مكانين مختلفين ، هما : أولا . في منطقة نهر الفولجا الأدنى ، حيث كان لليهود في الماضي دولة الخزر . وقد اتخذت هذه القومية شكل حزب سمي آنذاك ، « الحزب الاشتراكي اليهودي في الامبراطورية الروسية » أو « البوند » (Bund) وكان ذلك سنة ١٨٩٧ ، في أعقاب الاضطهادات المتلاحقة التي تعرض لها اليهود في روسيا ، اثر اغتيال القيصر الاسكندر الثاني سنة ١٨٨١ ، على يد أحد المواطنين اليهود .

أما موطن القومية اليهودية الثاني فكان في النمسا ، بلد الصحفي اليهودي المعروف « تيودور هرتزل » Theodor Herzl . فقد استغل هذا حادثة الضابط اليهودي دريفوس Dreyfus الذي اتهم بخيانة الجيش الفرنسي، فراح يكتب ويجذب الرأي العام اليهودي العالمي بكتاباته عن « الدولة اليهودية » . فاستقطب هرتزل من حوله الكثير من زعماء اليهود ، وخاصة يهود الروسيا ، مما ساعد على عقد أول مؤتمر لليهود في بازل سنة ١٨٩٧ ، حيث أرسى الأساس النظري لتلك الدولة اليهودية . وقد أعقب ذلك المؤتمر تهجير أعداد كبيرة من اليهود الى فلسطين بغية انشاء المستعمرات وبقصد الاستيطان . ولاقت هذه الهجرات تشجيعا من كل الشعوب الأوروبية التي لم تكن تحسب للعرب ، سكان فلسطين الأصليين ، أي حساب . وهذا يرجع ، فيما يرجع اليه ، الى الفكرة الخاطئة التي تسيطر على أذهان أهل الغرب ، والتي تعتبر كل بلد خارج القارة الأوروبية فراغا فكريا وحضاريا ومن واجب الأوروبي أن يملأ هذا الفراغ بفكره وحضارته !

والقومية العربية

في الوقت الذي بدأت فيه القومية اليهودية تتبلور كحركة سياسية وتخطو الخطوات العملية لانشاء الدولة اليهودية الصريحة في فلسطين بدأ عرب فلسطين يتأثرون بمؤثرات ايديولوجية أو ما يسمى بالقومية العربية . وكان ذلك في أعقاب الحركات التحررية التي ظهرت في الامبراطورية العثمانية والتي انتهت بعزل السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٨ ، وأدت الى تعصب الأتراك لقوميتهم ، وتنكرهم لاخوانهم العرب ، رفاق الأمس في الكفاح ضد العهد البائد . وكان من نتيجة هذا التعصب والتنكر ، الذي صحبه شيء من البطش والاضطهاد ، أن دخلت القومية العربية مرحلة جديدة من حياتها فانصرفت الى مطالبة الأتراك بالحرية ، ولو ضمن اطار الدولة العثمانية .

بريطانيا تمهد لقيام اسرائيل

وعلى الرغم من انحياز العرب الى جانب الحلفاء ضد الأتراك في الحرب العالمية الأولى ، وبالرغم أيضا مما وعدوا به من استقلال لدى انتهاء الحرب لصالح الحلفاء ، فقد تنكرت انجلترا لتعهدها المقطوع للعرب ، وأصدرت في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ وعد بلفور المشهور ، الذي يخول بموجبه اليهود انشاء وطن قومي لهم في فلسطين . وحينما استتب الأمر لانجلترا في البلاد المقدسة عينت أول مندوب سام لها السير هربرت صموئيل وهو يهودي صهيوني من المتحمسين لقيام الدولة اليهودية . وقد فتحت في عهده أبواب فلسطين على مصراعيها لكل يهود العالم ، وهكذا ارتفعت نسبة اليهود من مجموع سكانها من ١٢٫٧٪ في ١٩٢١ الى ٢٨٪ في ١٩٣٩ . وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن ثار عرب فلسطين على هذا الغزو اليهودي لبلادهم ، الا أن الدولة البريطانية المنتدبة عملت كل ما في وسعها لمساعدة اليهود لبلوغ أهدافهم . فالأحزاب البريطانية ، وخاصة حزب العمال ، كان يتعاطف مع الحركة الصهيونية . أما داخل فلسطين فيقول المؤلف أن الادارة البريطانية كانت تشعر أحيانا بالعطف على العرب ، ولكنها كانت مكلفة بتنفيذ مخطط مرسوم ، ولم يكن لها وزن أو تأثير في سياسة الحكومة البريطانية بلندن ، وقد كانت ترضخ لمطالب الصهاينة ورغباتهم .

انسحاب بريطانيا من فلسطين

سمحت بريطانيا لليهود في فلسطين بانشاء وكالة لهم تدير شؤونهم وترعى أمورهم ، وكانت هذه بمثابة دولة داخل دولة ، وأمدها يهود العالم بكل مقومات الحياة والقوة ، وساعدتها دولة الانتداب بالتدريب العملي كي تتسلم مقاليد الحكم والادارة في اليوم الموعود . وكان للوكالة اليهودية تنظيمات تشرف على شؤون الصحة والتعليم فضلا عن الجيش الذي كان ممثلا في عصابات ، أهمها الهاجاناه والارجون وشترن .

وفي ١٤ فبراير ١٩٤٧ أعلن بيفن وزير خارجية بريطانيا آنذاك عن عزم بلاده على الانسحاب من فلسطين . وفي ٢٩ نوفمبر من ذلك العام أوصت

الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود وتدويل منطقة القدس مع ربط الأقسام الثلاثة في وحدة اقتصادية .

وحينما اقترب موعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين اشتدت ضراوة القتال بين العرب واليهود ، كل يريد أن يستولى على أكبر قدر ممكن من الأراضي . ويذكر أن القوات البريطانية التي بدأت تتركز في المدن الفلسطينية استعدادا للرحيل والتي تعهدت بالتزام الحياد ، كانت تحابي العرب حينا واليهود أحيانا . ولم يحدث بينها وبين اليهود اشتباك إلا حين دعت الضرورة لذلك ؛ وحين سعى اليهود الى احتلال المزيد من المناطق التي نص مشروع الأمم المتحدة على أن تكون عربية ، كمدينة يافا التي نجح اليهود أخيرا في احتلالها . ويذكر المؤلف هنا كيف أن القوات البريطانية قبل وأثناء انسحابها من المدن والمراكز الهامة في فلسطين ، حرصت وعملت على تسليم تلك المدن والمراكز الى اليهود .

العرب يسيء فهم العرب

على أثر هزيمة عام ١٩٤٨ قامت عدة انقلابات في الوطن العربي تريد اصلاح الأوضاع . وكان الغرب ينظر اليها نظرة شك وارتياب ، ويخشى من تقارب بين العرب وبين الاتحاد السوفييتي ، على الرغم من أن زعماء العرب كثيرا ما أوضحوا للغرب أهدافهم وآمالهم في أن يعيشوا أحرارا كراما في بلادهم . وهنا يقول المؤلف « إن الخطأ الجسيم الذي وقع فيه خبراء الشرق الأوسط في الدول الغربية هو في أنهم لم يفهموا الآمال العربية على حقيقتها . فالعرب كانوا يرون الخطر الذي يتهددهم من التوسع الصهيوني . أما بالنسبة الى الاتحاد السوفييتي فكانوا يشعرون بأن لا مصلحة لهم في عداء دولة كبيرة لا تشكل خطرا عليهم . وكانوا يرون أيضا بأن على دول الغرب أن تضغط على اليهود كي يقبلوا قرارات الأمم المتحدة . ولا يحق للغرب على كل حال أن يلزمهم (أي العرب) بالدخول في أحلاف لا ناقة لهم فيها ولا جمل » .

ولا يلام العرب طبعا حينما ولوا وجوههم نحو الشرق ، طالبين السلاح الذي منعه عنهم الغرب . هذا السلاح يحتاج اليه العرب لا ليعتدوا به على غيرهم بل ليحرروا به أرضا اغتصبت منهم ، وليعيدوا به شعبا طرد من وطنه وداره . والنتيجة هي مزيد من اساءة للعرب ، ومزيد من سوء فهم لأهدافهم ، واتهام زعمائهم بالهتلرية ، ثم مزيد من الدعم لاسرائيل . فالولايات المتحدة كان دورها مد اسرائيل بالمال والسلاح ، وفرنسا قامت بانشاء مفاعل ذرى لاسرائيل في النقب ، والمانيا قامت بتعويض اليهود في بلادها .

بن جوريون يدور في دوائر ثلاث

يقول المؤلف ان سياسة بن جوريون التي سارت عليها اسرائيل ، ولا تزال تتبعها ، تدور في ثلاث حلقات ، أو دوائر متصلة . فالدائرة الأولى هي الدول الكبرى ، وسبقت الاشارة اليها ، والدائرة الثانية ، هي الدول المحيطة بالبلاد العربية مثل ايران وتركيا ، والدول الافريقية كالحبشة وغيرها ، وهدف هذه الدائرة هو ضرب طوق حول البلاد العربية ، يفك منه اسرائيل مشكلة الحصار الذي تفرضه الدول العربية عليها . والدائرة الثالثة ، هي دول افريقية وبعض دول العالم الثالث . وقد استغلت اسرائيل الصهيونية لربط هذه الدوائر بعضها ببعض لتنفيذ الأهداف والمطامع اليهودية ، معتمدة في ذلك على الدعاية ضد العرب وتشويه سمعتهم .

أسباب ظاهرة وأخرى باطنة لحرب ٦٧

ثم يتناول المؤلف بالسرد والتحليل سير الأحداث في البلاد العربية واسرائيل عشية حرب ١٩٦٧ ، كتزايد الحركات الفدائية من الأراضي السورية ، وغطرسة اسرائيل واصرارها على زراعة واستغلال الأراضي المجردة من السلاح بينها وبين سوريا ، ثم أعمال اسرائيل العدوانية والانتقامية في الأراضي السورية والأردنية ، وأخيرا تفاقم الأزمة حينما أعلنت اسرائيل تهديدها في ١١ مايو باحتلال دمشق واسقاط نظام الحكم فيها . ويرى المؤلف أن هذه ليست الأسباب الحقيقية لحرب ١٩٦٧ ، وأن الأسباب الرئيسية انما تكمن في رغبة الولايات المتحدة الأمريكية في التدخل لاسقاط حكومة سوريا ، بعد أن ازدادت المخاوف من انتشار النفوذ الروسي ، واتخاذ اللاذقية كميناء أو محطة للسفن الروسية في البحر المتوسط . الأمر الذي أقلق الأمريكان ، وقد نجحوا في احداث انقلاب في اليونان وها هم يدبرون انقلابا ثانيا في سوريا ، بعد أن اقترب الأسطول السادس من السواحل الشرقية للبحر المتوسط .

اشارات لاسلكية من الاسطول السادس

اتحاد الروسي الخطر المحدق بسوريا ، وبعثوا مصر ، وطلبوا منها ضرورة الاستعداد والتيقظ . وبعد ذلك التقطت السفن العربية في البحر المتوسط اشارات لاسلكية تبادلها الاسطول السادس واسرائيل ، ودلت تلك الاشارات على نية الطرفين في العدوان . وقيل ان المعلومات عن العدوان سربت من اسرائيل بواسطة جنرال فرنسي . ولكن المؤلف يميل الى الاعتقاد ان هذه كلها كانت عمليات مدبرة ومقصودة لجر مصر والعرب الى حرب ليسوا مستعدين لها بخلاف اسرائيل التي كانت تخطط لها منذ زمن بعيد . وزاد احتمال هذه الحرب ان تغلب فريق الصقور في اسرائيل بزعامة موشي دايان وبيرس على الفريق الآخر الذي يتزعمه رئيس الوزراء انذاك ليفي اشكول ، وقد ساعدهم على ذلك ضعف شخصية اشكول ، وقصر نظره ، وضعف حجته ، وعدم قدرته على الكلام والاقناع بعكس سلفه بن جوريون .

الصهيونية حركة استعمارية

ان اليهود حينما جاءوا الى فلسطين لم تكن في نيتهم الاقامة والعيش مع عرب فلسطين ، وكان هدفهم اقامة دولة وتشريد شعب ، ولذلك قاومهم العرب واعتبروهم غزاة استعماريين . ولو كانت نية اليهود مجرد البحث عن مكان يعيشون فيه لرحب بهم العرب كما رحبوا بغيرهم من اقوام طردوا من ديارهم في ظروف عصيبة قاسية . فالارمن مثلا بعد اضطهاد الاتراك لهم وجدوا من العرب كل حسن وفادة واستقبال ، وها هم اليوم يحتفظون بلغتهم وتراثهم وحضارتهم مع انهم يعيشون في ارض عربية وفي محيط من العرب .

الاضطهاد القديم
لا يبرر اضطهادا جديدا

ويقول الكاتب اذا كان لليهود الحق في انشاء دولة لهم بعد ان تعرضوا لاضطهاد اوربا لهم فليس هناك من سبب يدعو العرب أن يكونوا الضحية . فاذا كانت اوربا تريد أن تكفر عن اخطائها نحو اليهود ، فالمنطق يقتضي ان تتنازل هي عن جزء من اراضيها لهم ، ليقيموا عليه دولتهم ، لا ان تتكرم وتسخى وتكفر عن ذنوبها على حساب العرب . واذا كان اليهود انفسهم قد تعرضوا لظلم واضطهاد الاوربيين فليس هناك من داع يدفعهم الى ان يمارسوا مثل هذا الاضطهاد على الشعب العربي الذي لم يسيء اليهم بل كان دوما كريما معهم . كان من الاولى ان يوجه الانتقام الى المنتقم لا الى البريء . ان الصهيونية وان نجحت اليوم في خلق الدولة اليهودية فانها اقامتها على اسس غير سليمة . فالقوة التي اعتمدت عليها لن تدوم الى الابد ، وظروف الامم في صعود وانخفاض . فكما فشلت الدولة الصليبية ان تبقى وتدوم في ارض العرب ، فان اسرائيل ستلقى نفس المصير الذي لاقته هذه الامارات اللاتينية في فلسطين . ان الصهيونية ، كما يقول المؤلف ، لم تحقق اهدافها الكاملة بعد ، ما دامت دولة اسرائيل ، من وجهة النظر الصهيونية ، هي المرحلة الاولى من مراحل اهداف عدة : منها بعث العنصر اليهودي من جديد، من بعد تشريد .

القوة لا تكفي لخلق دولة

كثيرا ما تدعي اسرائيل انها اسهمت كثيرا في تطوير الشرق الاوسط اقتصاديا وتكنولوجيا وحضاريا . ومن العجيب ان يشارك في هذا التيار المضلل اهل الغرب ، وهم يدافعون عن اسرائيل ، ويبررون قيامها معتقدين ان انشاء هذه الدولة المتقدمة حضاريا واقتصاديا هو من حسن طالع الشرق الاوسط . ان مثل هذا القول ينطبق الى حد ما على حالة الاستعمار الاوروبي حينما كان يدعي بانه ما قام باحتلاله للبلاد المختلفة الا لاجل تطويرها وتحضيرها ، وكأنه رسول الحضارة والتقدم . ورغم استنكارنا للاستعمار فان اوجه الشبه في هذا المجال مفقودة.فالاستعمار الاوروبي، رغم قيامه بعملية التحضير (رغم تخلفه في الدرجة الاولى) فانه تعرض لقيام الكثير من الثورات والحركات التحررية في البلاد التي استعمرها . وكانت النتيجة ان ذهب المستعمرون ، وعادوا من حيث جاءوا . اما اليهود فما جاءوا ليذهبوا وانما ليبقوا الى الابد . وهم لم يسمحوا لابناء البلاد الاصليين حتى بمشاركتهم في العيش معهم ، بل طردوهم الى خارج بلادهم . ثم ان العرب في نفس الوقت لم يكونوا بحاجة الى تحضيرهم وتطويرهم ، وهم في غنى عن خبرات اليهود وجهودهم ما داموا على مقربة من اوربا وتحت تصرفهم خبرات الشعوب المتقدمة في الغرب عامة .

الحجة التاريخية واهية

ان تمسك اسرائيل بسند تاريخي هو ان فلسطين كانت موطنا لليهود قبل الفين من السنين ، امر لا يقبله العقل . ولو جاز لنا واخذنا به لوجب على كل شعب ان يبحث عن اصله وموطنه ، وهو مبدأ خطر ، ولو طبق لتغيرت ولا شك خريطة العالم السياسية . فالانجليز وهم احفاد السكسون ليسوا اصلاء في انجلترا التي كانت ارض الكلت .

سياسة الامر الواقع غير مجدية

وان سياسة الامر الواقع التي تتبعها اسرائيل بتأييد من قوى العالم الكبرى هي ايضا سياسة خاطئة . فاسرائيل ، ومن ورائها القوى المؤيدة ، تطلب من العرب الاعتراف بها اولا وقبل ان تستجيب لاي شيء من مطالب العرب . سياسة الامر الواقع هذه هي مبدأ « بن جوريون » الذي لا يريد ان تتنازل اسرائيل عن شبر واحد من اراضي احتلتها رغم تصريحاته بخلاف ذلك ، ولا [illegible] طرد من وطنه وديار‍ه . واليوم يطلب من الدول العربية الاعتراف باسرائيل قبل ان تنسحب اسرائيل من الارض التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ ، وحينما يرفض العرب ذلك يتهمون بمخالفة العرف والاخلاق الدولية . ولا يخفى ان سياسة الامر الواقع الاسرائيلية هذه انما قامت على القوة لا على اي اساس خلقي .

ويقول المؤلف ان على اسرائيل ان لا تتعجل امر الاعتراف بها من جانب العرب ، بل يجب عليها اولا باظهار النوايا الحسنة وتحقيق شيئا من مطالبهم العادلة .

نظرة الى المستقبل

ويصل الكاتب الى القول ان اسرائيل مدينة وجودها الى عوامل قوية سبق التعرض لها ، ولكن من المحتمل ايضا ان عوامل اخرى قد تؤدي الى هدمها فلو افترضنا ان التهديد الخارجي لاسرائيل سيزول ويختفي فان الصراع في داخل اسرائيل سيشتد حينئذ ويلعب دوره في اضعاف اسرائيل . فالعناصر الرجعية ودعاة التوسع سيفقدان بهذا ما لديهم من اوراق رابحة كانوا يستغلونها في استقطاب الشعب اليهودي وتوجيهه الى الخطر الخارجي . ويدعي ايضا ان هذه الانقسامات في اوروبا وامريكا ، وهذا بدوره سيحد من الهجرة اليهودية الى اسرائيل ويشجع على الهجرة بالاتجاه المعاكس . ومن شأن هذا وذاك في المدى البعيد ان تفقد الصهيونية قوتها ، وتخرج مركزها ، بحيث تكف عن القيام بدور راس جسر للدول الامبريالية ، وتتخلى عن سياستها العدوانية ، وتندمج في منطقة الشرق الاوسط . وسيضطر اليهود في تلك الحال الى التعايش السلمي مع العرب في دولة واحدة قائمة على [illegible] . ولو سارت اسرائيل [illegible] هذا الطريق لوجدت ان الشرق الاوسط يتقبلها ، ولحلت بذلك مسائل اليهود القديمة بدلا من ان تضيف اليها مسائل اخرى اشد خطرا واكثر استعصاء . ■■

الكويت ـ محمد علي الفرا



البترول العربي في المعركة

تأليف : جان دو بريه
ترجمة
الناشر [illegible] للطباعة والترجمة
دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .

● وهكذا فالبترول الذي كان عبئا على العرب يمكن الآن ان يصبح قوة في يدهم ولئن كان مصدر ارباح لهم فهو الآن مصدر حريتهم ، ولئن كان قيدا لهم فهو الآن في طريقه لان يصبح سلاحا الى حريتهم ذلك لانه دخل المعركة ولانه عوضا عن ان يكون سلطة للمتاجرة والمضاربة في يد الاحتكارات فهو الآن في طريقه ليندمج في اقتصاديات العرب وليسهم في التقدم العميق للمجتمع العربي وليصبح سلاحا للدفاع القومي والسلامة العامة .

مصر والعرب عبر التاريخ

تأليف : محمود توفيق الحماوى
الناشر : دار الفكر العربي — القاهرة

■ هذا الكتاب تأليف محمود توفيق الحماوى استاذ علم الحياة والوراثة في كلية العلوم بجامعة القاهرة ، وعميد كلية الزراعة سابقا واول وزير ثني لوزارة الزراعة .

وهذا الكتاب جمع بين التاريخ والعلم فالمؤلف يعتقد ان التاريخ دائما كان سردا لفتوحات الدول ومغامرات الغزوات ثم اختلفوا يفسرون احداثه بناء على النظريات الاقتصادية وهو اتجاه صحيح ولكن المؤلف رأى عوامل كثيرة اثرت في التاريخ وغيرت من اتجاهاته وكثير من هذه الآثار كان مما ينسب الى العلم .. ففي المعركة التي دارت بين المصريين ولويس التاسع في الحروب الصليبية لعب فيتامين ج دورا هاما في هزيمة الجيش الصليبي .

كذلك لعبت البعوضة او البرغوث او القمل ادوارا كبيرة في معارك الاسكندر ونابليون وجنكيز خان وهي فتكت من الجند اضعاف ما فعله السلاح .

والكتاب في ذلك من طرائف كثيرة مما لا يجده الانسان في كتاب شامل جامع .

درر العقد الفريد

تأليف : ابن عبد ربه الاندلسي .
الناشر : مكتبة الحياة — عمان — الاردن

● مختصر لكتاب العقد الفريد يجمع خير ما قاله العرب في ضروب شتى من المعرفة في العلم والادب والفن والتاريخ والشعر والخطب والالحان والنساء وصفاتهن ثم طائفة من الطرف والنوادر واخبار البخلاء والطفيليين الى جانب بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان وتفاصيل البلدان والكتاب وعصر بني امية وقسما من ادب الدولة العباسية .

صبيحة النهار

تأليف : عبد المجيد لطفي .
الناشر : مطبعة الغري — النجف — العراق

● مسرحية اجتماعية في فصول ثلاثة .

نازل الحافلة

تأليف : محمود ايوب .
الناشر : دار الاجيال — دمشق — سوريا .

● قصة طويلة تجمع بين الرواية والمسرحية .

فهد العسكر حياته وشعره

تأليف : عبد الله زكريا الانصاري
الناشر : المطبعة العصرية — الكويت

■ دراسة وافية لاحد شعراء الكويت المجددين الذين آمنوا بضرورة مسايرة الشعر لتطور الزمن ومواكبة العصر ، وما يمتاز به شعره من التحرر من قيود الصنعة واتجاهه نحو التجديد .

وقد تناول فهد العسكر في شعره شتى الاغراض فقد كان كثير التغني بالجمال ومفاتنه وبمشاهد الطبيعة كما كان يصف الوان الحياة ويطنب في وصف افراحها ومجالسها وندمائها بالاضافة الى مدحه وهجائه وفخره ورثائه . كما يمتاز شعره بصورة كثيرة للقومية وحث الامة العربية على النهوض وتحطيم القيود والسير نحو العز والمجد .

ثم الشكوى في شعر فهد ، الشكوى المريرة من الحياة والمجتمع والناس وهذه الشكوى كثيرة في شعره حيث ان هذه الشكوى وهذه الاشجان اثارت عاطفة الحب لهذا الشاعر عند الكثيرين من الناس حيث احبوه وشاركوه في آلامه وبؤسه .

والكتاب فوق ذلك يعطي صورة واضحة عن الشاعر فهد العسكر وعن حياته في طفولته وشبابه وبيئته البيئة التي تربى في احضانها ، وبيئة الكويت التي كان يعيش فيها ثم فصول اخرى عن نشأته وفقد بصره ومدرسته الشعرية .

ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة

تأليف : الدكتور علي جواد الطاهر
الناشر : مطبعة الارشاد — بغداد

● مجموعة من الملاحظات التي وجدها المؤلف في الموسوعة العربية الميسرة وهي هفوات او اغلاط او اوهام وقع بها عدد من كتاب مواد هذه الموسوعة ، والهدف من ذلك هو توجيه القراء وكتاب مواد الموسوعة الى التحقيق الدقيق فيما كتبوه كي يتفادوا هذه الاخطاء عند اعادة طبع الموسوعة

صور الحياة

تأليف : [illegible]
الناشر : [illegible]

● مجموعة قصص قصيرة .

■■



ضمور العضلات وضعفها Myotonia

● [illegible] ... وما هو علاجه .. أم ليس له أي علاج ؟

ـ إن ما أصيب به هو واحد من مجموعة الأمراض العصبية النادرة التي [illegible] وراثي عائلي .

[illegible] العضلات المصابة

[illegible] بواسطة المجهر وجد أن بعض الخلايا العضلية منتفخ ومتورم ، وبعضها الآخر ضامر ومنكمش ، كما أنه وجد في بعض الأنواع أن الخلايا العصبية الموجودة في النخاع الشوكي أو المتصلة به ، والتي تصل وتغذي أو تستقبل من العضلات المصابة ؛ وجد أنها في حالة تحلل وتلف ، عند التشخيص ومعرفة نوع المرض بواسطة الفحص الدقيق لحالة العضلات معرفة التاريخ المرضي الشخصي والعائلي



[illegible]

كبر الثديين في البلوغ Gynecomastia

● ابلغ من العمر ١٨ عاما ، لاحظت كبر [illegible] الثديين عند البلوغ ، ولقد طمأنني احد الاطباء [illegible] البلوغ ، [illegible] ثلاثة اشهر بدون فائدة [illegible] ، وهل لا بد من ظهورها عند كل شاب بالغ ؟



ـ ان ما تشكو منه مرض يسميه الاطباء « جينيكوماستيا » او تضخم الثديين في الذكور ، وله اسباب كثيرة منها :

ـ اختلاف في الكروموسومات ، وفي عوامل الوراثة في الانسان .

ـ ازدياد نسبة هرمون الانوثة في الدم .

[illegible]

الانوثة ثابتا في الدم [illegible]

[illegible]

ثالثا : [illegible]

[illegible]

لم احمل منذ خمس سنوات

● انا زوجة في العاشرة والعشرين من عمري حملت مرتين بعد زواجي ورزقت فيهما بطفلين جميلين [illegible] وقد اصبت بحمى بعد ولادتي الثانية مباشرة وشفيت منها تماما ، ولكن من الآن خمس سنوات لم احمل ، ولما عرضت نفسي على احد الاطباء المختصين قال لي — بعد الكشف والفحوص — ان ما منع الحمل عندي هو انسداد ابواق فالوب فما هي هذه الحالة وهل لها علاج وكيف تكون

— من الجائز جدا ان تكون الحمى التي اصبت بها بعد ولادتك الثانية [illegible]

وابواق فالوب ما هما الا انبوبتان شعريتان توصلان ما بين الرحم [illegible]

هذه الابواق مفتوحة تماما وخالية من اي عائق او مانع يقف حجر عثرة امام [illegible]

وكذلك عند الولادة او الاجهاض — او حتى الحيض العادي — تكون التجويف الرحمي مفتوحا ومتصلا بالهواء الخارجي ويحدث احيانا لسبب او آخر وخاصة بسبب الجروح والت[illegible] [illegible] لتمكن بعض الميكروبات والجراثيم من الصعود من خارج الجسم خلال التجويف الرحمي الى قنوات فالوب الدقيقة وتصيبها بالالتهاب الذي ينتج عنه انسدادها ثم عدم الانجاب وتسميه عقم ثانويا كالذي قد تشكين منه.

وعلاج هذه الحالة لا بد من التأكد [illegible] عملية نفخ للابواق وهي عملية سهلة وبسيطة ويمكن اجراؤها مرة او مرتين ونسبة نجاحها هي ٨٠٪ .

وفي حالة عدم الحمل تصور الابواق اشعاعيا بواسطة صبغة معينة لتحديد [illegible] من جراحة « ابواق فالوب » ، وهي ولو انها دقيقة وتحتاج لخبرة واسعة ، الا انني اعتقد انه يمكن اجراؤها في اي مكان في الوطن العربي .

لا تقلق من « الصدفة »

● اصبت منذ [illegible] بمرض جلدي غريب يظهر على هيئة قشور تتراكم فوق جلد القدمين والكفين ويمكنني ان ازيلها بدون الم مخلفة وراءها طبقة حمراء من الجلد كأنها حرق حديث . وقد اخبرني احد الاطباء انني مصاب بمرض « فما هو هذا المرض وما هو علاجه ! علما بان الفحوص التي اجريتها كلها سلبية » .

— ان ما وصفته بدقة وذكاء في خطابك هو في الواقع مرض جلدي مزمن له اطوار حادة احيانا ويسميه الاطباء « بالصدفية » لظهور اصداف او قشور على الجلد وهذا المرض يصيب الجنسين على السواء ما بين سن ١٥ ، ٣٥ سنة وعند ازالة هذه القشور يبدو الجلد تحتها محتقنا لامعا ناعما به بقع دموية صغيرة . وهو يصيب جلد الاطراف عادة ، وقد يصيب فروة الرأس وجلد [illegible] ، وقد يصيب الاظافر وتتشقق . وفي طور المرض الحاد يشعر المريض بحكة [illegible] وقد تصاب المفاصل في بعض الاحيان .

سبب هذا المرض غير معروف حتى الآن ويرجح ان يكون ناتجا عن اضطراب تمثيل المواد الدهنية ، او اضطرابات عامة للذوبان في المواد الدهنية .

ويجب عليك ان تعرف ان هذا المرض لا يؤثر على مجرى حياتك ولا يؤثر في نشاطك العام فلا داعي للقلق ، وبعد [illegible]



بقلم : عبد الله كنون

ولئن كان كتب عنه اكثر من مرة ، فان من دواعي سروري أن أكتب عنه من جديد ، بمجلته العربي التي تسهم في جوانب البلاد ، وضرب [illegible] في الآثار من بين المجلات العربية .

أسرته

ينتمي ابن خلدون الى أسرة علمية من أهل اشبيلية ، ظهر فيها العلماء ومشايخ العلم ، وقد ذكر ذلك [illegible] في الرحلة ، [illegible] علت الهمم من وظائف الوزارة والكتابة والقضاء ، فأما الوزارة والكتابة فلسبب سياسي ، وأما القضاء والمشيخة فلسبب [illegible] ، وكان احد ابناء

معوضة على قضاء مدينة الرمة ببلاد الاندلس لما دخل اليها في رحلته .

وهذه الاسرة اصلها من قبيلة لواتة ، وهي احدى القبائل البربرية التي نبغ فيها كثير من العلماء والفضلاء .

اسمه

واسمه الكامل ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي ، عرف بابن بطوطة ، بفتح الباء وضم الطاء الاولى مع التخفيف ، حسبما هو جار على الالسنة وتلقيناه من شيوخنا ، وضبطها اساتذتنا في تاج العروس ، على انه على وزن سفودة .

مولده ونشأته

وقد ولد في طنجة يوم الاثنين ١٦ رجب عام ٧٠٣ (٢٤ فبراير ١٣٠٤) ونشأ بها ، ولم نعثر على شيء من حياته قبل رحلته ، فهو الى هذا ظفر مراسه على حداثتها ، وتكون تكوينا صالحا في علوم العربية والفقه والحديث ، يدلنا على ذلك انه اخذ خطة القضاء بالقصى ، وحمله عبء القضاء في جزائر ذيبة المهل التي اهلها اسلموا على يد رجل من المغرب ، لا يقيم خطبتها خطبة الجمعة . كما يدلنا على ذلك توليته قضاء الركب التونسي للحج عند انفصاله من المغرب ، اما خروجه الى لقاء مشايخ الصوفية والاخذ عنهم في رحلته ، فهو ايضا مما يدلنا على ما كان من نوع ثقافته .

وعلى كل حال فهو قد استقل بطلب العلم مدة صباه ، واستبع بعضه من قبل ان يسعى الى الرحلة ، فنحن لا نراه في تجواله يقصد احدا من اهل العلم للدراسة عليه ، الا ان نكون على سبيل التبرك والاتصال بالسنة كما هي عادة المشايخ ورجال العلم . ونعتقد ان ذلك مما ساعده على رحلته الطويلة ، فان الرحل اذا كان من اهل العلم مهد امامه السبيل ووجد الناس في خدمته كلما حل وارتحل .

يضاف الى ذلك تربيته الدينية التي جعلت منه رجلا قوي الايمان ، شديد الصبر على المكاره ، واثقا بالعناية الالهية ، مما كان له اكبر الاثر في اتساع رحلته واقدامه على المخاطر شجاعة ونفسا .

ولا ادل على صلابة دينه من ان باعثه الاول على الرحلة ، كان هو قراءة الحج واداء هذه الفريضة التي لا تجب على الفور ، كما اشار لذلك في اول رحلته ، لا سيما وهو شاب امامه متسع من الوقت للقيام بهذه العبادة ، لكنه كان شابا نشأ في عبادة الله ، فلا غرو اذا سعى مبكرا لاستكمال قواعد دينه .

ومما نذكر من العوامل التي ساعدته على طول الرحلة انه كان ذا اخلاق اجتماعية ، سريع التأقلم اي التكيف بطبعه الاقليم الذي يحل به والاندماج في اهله ، ومواطنتهم على عاداتهم ومألوفاتهم حتى يصير كأنه واحد منهم ، وكانت ولادته بين ظهرانيهم وقاتل معهم رحلا طويلا ، ولعل لبلده طنجة التي هي طريق رئيسي بين الشرق والغرب ، وملتقى لمختلف الاجناس والعناصر ، وطبيعة اهلها الى حبة التنزه دخلا في ذلك ، وهذا العامل هو الذي سهل له التغلغل في الاوساط المختلفة ، وجعل رحلته سجلا مهما للحياة الاجتماعية في اكثر البلاد التي زارها .

رحلته الكبرى

ونقول رحلته الكبرى لانه رحل ثلاث رحلات ، الاولى (وهي الكبرى قضى فيها ٢٥ سنة) وهي التي زار فيها معظم اقطار العالم . (والثانية) انما كانت بضعة اشهر زار فيها مملكة غرناطة من بلاد اسبانيا . (والثالثة) دامت مدة عامين ، وكانت الى افريقيا السوداء .

ومعلوم ان قصده الاول كان هو الحج ، وكان خروجه من طنجة في يوم الخميس ٢ رجب ٧٢٥ (١٣٢٥) وله من العمر اثنان وعشرون عاما ، وذلك في ايام السلطان ابي سعيد المريني الاكبر .

في تونس

وقد دخل مملكة تلمسان ، وسلطانها يومئذ ابو تاشفين بن ابي حمو ، ومنها انتقل الى تونس ، وكانت خاضعة للحفصيين ، الا انه في الطريق ، والقته تحامل على نفسه حتى وصلها ، وضعف وحصل له شعور بالغربة فبكى وسرعان ما استأنس ورحله فلم عرف الضعف بعد . وكان نزوله في تونس بمدرسة الكتبيين ، وذكر من



اعلامها ابن الغماز وابن عبد الرفيع وابي علي عمر الهواري ، وقال في هذا الاخير ان من عوائده انه كان يستند كل جمعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الاعظم المعروف بجامع الزيتونة ويستفتيه الناس في المسائل ، فاذا افتى في اربعين مسألة انصرف .

في مصر

وغادر تونس في ركب الحاج التونسي قال : وكان اكثره من المصامدة — يعني اهل المغرب — فقدموني قاضيا بينهم . وهذا دليل على مكانته العلمية ، وتزوج في الطريق ، ووصل الركب الى طرابلس في ذي القعدة من السنة ، فمكث بها حتى دخلت سنة ٧٢٦ ، وفي اواخر محرم منها انفصل عن الركب وسافر في جماعة من المصامدة الى مصر ، فوصلوا الى الاسكندرية في اول جمادى الاولى ، ويصفها الرحالة بوصفه طويلة يصف مشاهداته فيها ويذكر بعض علمائها الذي لقيهم ، على الخصوص بمنارتها التي كانت بها المحراب .

ويمضي في الاقاليم المصرية ، ويصف بعضها وصفا دقيقا ويقارن بين الحالة الاقتصادية في مصر والمغرب . وفي مدينة دمياط شاهد عجبا ، وهو انه اذا دخلها احد لم يكن له سبيل الى الخروج منها الا بطابع الوالي فمن كان من الناس معتبرا طبع له في قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها ، وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به . وهذا الاجراء الذي يشبه ما يسمى اليوم بجواز المرور ، لا شك انه هنا كان يفرضه موقع المدينة البحري .

ويركب الرحالة النيل من دمياط متجها الى مصر التي يعرفه بعظمتها ، ويصف مساجدها ومعالمها ويذكر اشياء من اخبار امرائها واخلاق اهلها ، وكان سلطانها يومئذ محمد الناصر بن قلاوون واثنى على علمه وحسن سيرته ، ثم ذكر القضاة فقال ان اعلاهم منزلة هو القاضي الشافعي ، وكان اذ ذاك هو البدر بن جماعة المشهور ، وذكر العلماء ايضا فكان من بينهم ابو حيان النحوي الغرناطي .

وسافر من مصر متجها الى الحجاز طريق الصعيد ، وفي قوص عاصمة هذا الاقليم رأى العالم ابن دقيق العيد ، وكان هو الخطيب بها فاثنى عليه بالفصاحة وقال : لم ار من يماثله الا خطيب المسجد الحرام بهاء الدين الطبري ، وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين المشاطي ، فحصر خطباء العالم الاسلامي في ثلاثة في وقته .

ومن صعيد مصر
قصد الحجاز ، فما استطاع

وواصل رحالتنا سيره في صعيد مصر الى مدينة ادفو ثم ركب النيل الى مدينة العطواني وعبرها دخل الصحراء مع جماعة من الاعراب الى مدينة عيذاب التي كان يقصد الابحار منها الى جدة ، لكن ميناءها كان معطلا بسبب حالة الحرب التي كانت قائمة بين صاحبها والسلطان الناصر ، فرجع عودة على بدئه مع قافلة الاعراب ، وقطع الصحراء ثانية الى الصعيد وانحدر في النيل الى مصر ، وقصد الشام فاخترق شمال مصر كما اخترق جنوبها ، ووجد على الحدود مركزا للتفتيش لا يجاوزه احد الا ببراءة خاصة بعد تفتيش واستنطاق من طرف العمال والكتاب والخفراء حتى انه ليوجد فيه موظف مصري يتحقق من

مغربيه المسافرين ، وبذلك لا يختلف هذا المركز عن اي مركز من نوعه على الحدود بين بلدين مختلفين في عصرنا هذا .

والرحالة فضلا عن ذلك [illegible] السياسة من [illegible] من ملوك مصر و [illegible] العباسيين في العراق .

في فلسطين

ويصل رحالتنا الى عكة ثم ينتقل منها الى [illegible] فالقدس ، ويصف المسجد الاقصى وقبة الصخرة ويذكر بعض صنائع القدس ، ثم يغادرها [illegible] الى ان يصل الى [illegible] وهي خراب وبجوارها قرية معمورة ، [illegible] . ولقد نزلت بها على بعض [illegible] فالى بعض اهلها [illegible] ولم [illegible] ، ثم [illegible] في [illegible] من الانسان .

في لبنان وسوريه

ويواصل الرحالة سيره الى [illegible] طرابلس [illegible] وبيروت بها كثيرا ويذكر من وجد بها من العلماء ومنهم ابن الزملكاني ، ويمر بعد ذلك [illegible] الاسماعيلية ، [illegible] وهي سهام الملك الناصر ، [illegible] عن [illegible] بالعراق ومصر [illegible] ، ثم يمر [illegible] ويصل [illegible] لبنان [illegible] من [illegible] الكثير .

في دمشق

ويصل الى دمشق [illegible] التي عرفت [illegible] ، ويصفها ابلغ وصف [illegible] ، ويصف [illegible] الجامع الاموي باسهاب ، [illegible] المساجد والمدارس والزوايا ومن الاوقاف الخيرية التي [illegible] على [illegible] ، [illegible] الاسرى [illegible] الطرق ، ويذكر [illegible] المرحلون [illegible] الركبان .

ويذكر من لقي بها من العلماء ومنهم ابن [illegible] ، سمع عليه البخاري في اربعة عشر مجلسا بقراءة [illegible] و [illegible] اجازة عامه ، كما اجازه غيره من علمائها

في الحج

ويغادرها مع الركب الحجازي قاصدا [illegible] ويصل المدينة المنورة عن طريق الصحراء ، فيزور الروضة الشريفة [illegible] ثم [illegible] مكة [illegible] ، [illegible] والحجيج [illegible] من ذي الحجة ، اي بعد الانتهاء من مناسك الحج [illegible] ، صحبة الركب العراقي ، وكان ركبا [illegible]

[illegible]

بالمئين الكثير [illegible] والادوية والاطعمة [illegible] ، [illegible] من الموصل [illegible] وقد [illegible] رحالتنا [illegible] ، [illegible] الرحالة في الطريق بين الحجاز والعراق عبر نجد ، [illegible] من مصانع الماء في الصحراء [illegible] الركب ليلا [illegible] امام القطار [illegible] .

في العراق

ويترك رحالتنا الركب العراقي في النجف بعد ما [illegible] ، [illegible] البصرة في طريق واسط ، ويصف المدينة العربية الشهيرة ، ويحكي حكاية [illegible] التي [illegible] من قبل .

في فارس

ثم يعبر شط العرب ويخترق بلاد فارس ، [illegible] انه لا يعود من طريق سلكها ما امكنه ذلك ، فهذا [illegible] زيارة بغداد ، ويتقدم في بلاد العجم ، فيزور مدينة تستر ويحل بها [illegible] على [illegible] سهل بن عبد الله التستري ، قال : [illegible] الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع [illegible] في الوعظ [illegible] والسلام [illegible] . ■

تعلوها ما ينقص منه العجب ، ثم زار شيراز ، وذكر من غريب أمورها اجتماع النساء لسماع الوعظ في المسجد الاعظم يحملن المراوح في اشتداد بلغ الالف والالفين ، ولاحظ تلقب العجم لاهل العلم ، وان اللقب عندهم اسما بمخاطب مولانا ، وان ملوكهم ربما سموا ابناءهم باسماء بعض العلماء ، وذكر ممن لقيه بشيراز من العلماء الشيخ مجد الدين بن خداد وانه سمع عليه مسند الامام الشافعي ومشارق الصغاني ، وزار بها قبر الشاعر سعدي المشهور وقال « انه كان اشعر اهل زمانه باللسان الفارسي وربما ألمّ في كلامه [illegible] » .

في الكوفة وبغداد

ثم دخل البصرة فالكوفة ومنها توجه الى بغداد دار السلام عاصمة الرشيد ، وكان وجوده بها في رجب ٧٢٧ حيث سمع مسند الدارمي على الشيخ سراج الدين القزويني ، ولم يطل الكلام عليها لانها كانت في ادبار من امرها ، الا انه بسط في الكلام على ملكها ابي سعيد بهادر الذي عرف به وبما لحق من خدمه فيسر له بالزاد والركوب في السبيل مع المحمل ، ولما كان الموسم لا يزال بعيدا فانه زار تبريز وتعجب بسوقها الحافلة وخاصة سوق الجواهر التي حار بصره لما رأى من انواعها ومن تعدد مماليك حسان الصور عليهم الثياب الفاخرة واوساطهم مشدودة بمناديل الحرير ، وهم بين يدي التجار يعرضون الجواهر على نساء الاتراك قال « فرأيت من ذلك كله فتنة » .

حجته [illegible]

وبعد ان عاد فزار الموصل وديار بكر ، لحق بالركب العراقي وكان اميره هو البهلوان محمد الذكر ، [illegible] به غاية الاعتناء ، ووصل مكة وحج بالناس عام ٧٢٧ واستقر بها مجاورا حتى حج ثالثة عام ٧٢٨ ورابعة عام ٧٢٩ وكانت كل مداركة ما فرط منه في الحجة الاولى من قصر الاقامة بمكة ، اذ تعجل بالسفر منها مع الركب العراقي ، وفي حجته ٢٨ كان [illegible] طلحة ، ومن قصر الصغار ومن القصر الكبير جلهم من الفقهاء كما قال ، فعرف منهم اخبار العرب .

الى اليمن ، فالصومال ، فاليمن

ثم فارق مكة وركب البحر من جدة لاول مرة متوجها الى اليمن عبر سواكن فطاف بارجاء القطر العربي الجنوبي وقد حفل بتسجيل السماحة بين اليمنيين والمغاربة في كثير من الاحوال ، وعاملة مع الزيدي الذي يكون من اصل هؤلاء من عمرت اليمن ، وابحر بعد ذلك من عدن الى مقديشو ونزل بالصومال ولاحظ عليها سمة التجارة ثم توجه الى ممبسة ثم كلوة عاصمة البلاد ولقي سلطانها ، وذكر من غريب [illegible] الرسمية لا يفارقه ولا يخرج من موضعه ، ومن كان [illegible] ، كما هو الحال الان في كثير من البلدان حيثما تعرف السنة الرسمية ، وذلك لا [illegible] اليمني كما يقال

حجته الخامسة

وعاد الى اليمن عبر ظفار ثم عرج على هرمز وسيراف والبحرين ووصف مغاصات اللؤلؤ فيها من تلك البلاد ورجع مرة اخرى الى النجف [illegible] بالسماحة صوب مكة ، حيث حج للمرة الخامسة سنة ٧٣٢ وذكر ان الملك الناصر بن قلاوون حج تلك السنة .

عودته الى
مصر ، فالشام ، فآسيا الصغرى

وبعد هذه الحجة ينتقل ابن بطوطة القسم الاكبر من رحلته ، ويعتبر ما مر عليه منذ خروجه من بلده نحو ٨ سنوات ، فانه لم يرجع ولا تقاعس عن جهد العزم وعقد النية على دخول الهند وبلاد شبه الوسطى والشرق الاقصى وسائر البلاد التي لم يزرها من قبل ، وقد اراد ركوب البحر الى اليمن قصد الهند فلم يجد مركبا [illegible] فعاد الى مصر طريق العقبة ثم الى الشام عن طريق طرابلس ، وركب البحر الى العلايا بجنوب آسيا الصغرى ، قال « وهي بلاد الروم » فحيى جلالها وتعجب من اهلها وكان الاتراك جميعا مسلمين وعدهم لسماحتهم [illegible] في هذه الجهة له اهمية كبيرة ، ومما لفت النظر وصفه المنظمة الفتيان التي كانت منتشرة في هذه البلاد ويعرف بالاخية .

وهي سنة المكشفة في عصرنا ، وصف علومها الفقهية الدينية والخلقية . ولها اعتناء كبير بالإكرام الضيف وسلبه الغريب . ويتخذون السراويل رمزا لما يأخذون به من التزام العفاف والعفة . وقد اتصل بهم رحالتنا واكرموه واعتنوا به ، وهذا مما يفسر لنا ما كان يجده من التسهيلات والمعونة المادية والأدبية على مواصلة رحلته الطويلة ، مع اتصاله ايضا بالأمراء والرؤساء الذين كانوا يمنحونه ولا سيما ما هو في حاجة اليه من النفقات والأسباب الضرورية للسفر .

الى القرم وبلاد البلغار

واستمر رحالتنا الى شبه جزيرة القرم ثم الى شمال آسيا الصغرى ، ثم الى بلاد البلغار التي وصلها في رمضان ، فقال « طلبت الغرب فطرنا واذن بالصلاة في اثناء افطارنا فصليناها وصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر اثر ذلك . وكذلك يقصر النهار بها في فصله » . وفي هذه البلاد الشمالية ركب العربات لأول مرة واكل لحم الخيل ونال البوزة وهي نوع من النبيذ ومما راى على البلاد احتشام فانهم لم يكونوا يحتجبون من شربها كما قال . واتصل بالسلطان محمد أوزبك خان وحظي عنده حتى ارسله بصحبة احدى زوجاته الى القسطنطينية لزيارة ابيها ملك الروم ، فانسحب له فرصة زيارة لعاصمة البزنطية الشهيرة ، ولم تكن قسطنطينية

الى خوارزم وبخارى وخراسان وافغانستان

وعاد الى مدينة السرا عاصمة السلطان اوزبك ثم ذهب منها الى خوارزم فبخارى وسمرقند وبرمة فخراسان فافغانستان الى الهند . ويطول الامر لو وقفنا معه في كل هذه البلاد وسجلنا ملاحظاته عنها وعن اهلها .

في الهند

وقد وصل الى الهند في محرم سنة ٧٣٤ ، وفي الحين ، علم به ملك الهند محمد شاه بن تغلق ، حسب النظام المتبع في هذه البلاد ، الا يجاوز احد حدودها حتى يرفع به الى الملك ، فحضر الامر بإكرامه والاعتناء به . وفي شوال من السنة اتصل به وحظي عنده وعرض عليه ان يولّيه بعض المناصب فاختار ولاية القضاء لانها شغله وشغل آبائه كما سبق القول ، وبقي فيها الى سنة ٧٤٢ ، وقد مكنته اقامته هذه المدة كلها في الهند وولايته القضاء ان يعرف احوالها وشؤونها السياسية والاقتصادية ، ويتطلع على جوانب الاجتماعية وعوائد اهلها مما جعل القسم الذي يختص بالهند من رحلته ، وهو يكاد يستغرق الجزء الثاني منها ، مرجعا هاما للمؤرخين والباحثين في تاريخ الهند وحضارته .

وفي جمادى الاخرة من عام ٧٤٢ ترك الهند على رأس سفارة ملكية الى الصين ، ورغم الاستعدادات الكثيرة التي اتخذت لهذه السفارة فانها لم توفق ، وطوحت الاقدار برحالتنا الى جزائر ذيبة المهل (المالديف) في المحيط الهندي ، حيث اقام عاما ونصف عام عند سلطانها خديجة بنت جلال الدين وولي هنالك القضاء ايضا ، فاستطاع بذلك ان يتحدث عن حياة اهل هذه الجزائر حديث العارف المطلع

في الصين

ثم غادر هذه الجزائر متوجها الى الصين عبر جزيرة سيلان ، فبنغالة فجاوة فسومطرة فالزيتون وهي من مواني الصين الواقعة على المحيط الهادي ، وتعرف الآن بتسوان تشو . وتوغل في داخل البلاد التي تقع على مقربة من الساحل حتى وصل خان بالق التي هي بكين عاصمة الصين الآن . ومع انه لم يتجول في الصين كما جال الهند فانه لم يخل رحلته من اخبار هامة عن هذه البلاد ولا سيما احوال المسلمين بها ، ويتحدث عن براعة الصينيين في التصوير وصناعة الفخار وعن تعاملهم بأوراق النقد واذ خارهم الذهب والفضة بشكل سبائك كما هو الحال في المدنية الحديثة .

اما حديثه عن امن الطرق وسهولة المواصلات والمحافظة على اموال الناس وتنظيم الملاحة التجارية فهو لا يقل عما هو معروف الآن .

وفي الشرق على العموم كانت الطرق حسبما يروي متصلة الى مراحل يجد فيها المسافر كل ما يحتاج اليه وبعضها كانت عليه التحصينات ...

عدد الاصقاع التي قطعها المسافر والتي بقيت عليه وعدا فضلا عن الامان التام .

ومن الصين الى المغرب

ومن الصين يكر رحالتنا راجعا الى المغرب عن طريق سومطرا فالهند فاليمن فبلاد العجم فالعراق فالشام فمصر الى ان وصل الى مكة في شعبان ٧٤٩ فحج بها الى ان يحج للمرة السادسة ويسافر الى المدينة المنورة ومنها الى القدس ثم الى مصر فالمغرب ، اذ يدخل عاصمة فاس اواخر شعبان عام ٧٥٠ (١٣٤٩) بعد ان قضى في رحلته هذه ٢٥ سنة .

رحلته الى اسبانيا

ولم يستقر النوى برحالتنا حتى بدا رحلته الثانية الى مملكة غرناطة من اسبانيا الاسلامية او الاندلس ، وذلك لئلا تفوته مشاهدة قطر من العالم الاسلامي ، مع انه بزاوية من بلده وصقعه. وقد خرج من بلده طنجة فعبر سبتة ومنها اجتاز الى جبل طارق ، ثم مر بمدينة رندة وكان القاضي بها احد قرابته ، ثم مدينة مالقة ثم العاصمة غرناطة ، وكان ملكها حينذاك ابو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن نصر ، ولقي بها من الاعلام ابا القاسم الشريف شارح مقصورة حازم ، والفقيه ابا القاسم ابن جزي وابا البركات ابن الحاج ، وابا القاسم ابن عاصم وسواهم

رحلته الى افريقيا السوداء

وعاد الى المغرب ولم يلبث ان شرع في رحلته الثالثة الى بلاد السودان ، وفي سجلماسة اعد عدته لهذه الرحلة ، واشترى جملا وسافر مع رجال مسوفة وذلك في محرم ٧٥٣ فوصل الى تغازي بعد ٢٥ يوما ومنها استأنف الرحلة عبر الصحراء الى مدينة ايوالاتن وهي اول عمالة من السودان ، ثم فارقها متوجها نحو مالي عاصمة البلاد ، فلقي سلطانها منسى سليمان ولم ينل منه خيرا الا انه وصفه بالعدل والاستقامة ، ثم توجه الى تنبكتو ومنها الى تكدا ، وفي سفرته بين هذه المناطق وصل الى نهر النيجر فظنه النيل ، ورأى التمساح في بعض ضفافه فكأنه قارب صغير ، ومن الحقيق بالاعجاب في هذه الرحلة اماكن لم يصلها مستغرب قبله ووصفها وصفا دقيقا .

وبينما هو يوالي رحلته وافاه امر السلطان ابي عنان المريني بالرجوع الى المغرب ، فكر راجعا الى سجلماسة عن طريق هوار ، وفي نهاية عام ٧٥٤ وصل الى فاس بعد ان قضى في هذه الرحلة عامين كاملين وبحساب ذلك مع رحلته الكبرى نكون قد عرفنا رحلة ٢٨ سنة في السفر والتجوال .

وامره السلطان باملاء رحلته على الكاتب ابي عبد الله بن جزي ، وهو ولد الفقيه الشهير ابي القاسم بن جزي ، فقام بما امر به من تنسيق اطراف الرحلة وترتيبها وتصحيحها وسماها (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) وانتهى من ذلك في ذي الحجة عام ٧٥٦ .

ويظهر انه في بعض المواضع انما املى رحلته من حفظه وذاكرته ، فلذلك قد لا يضبط التاريخ وقد يقع له بعض الاوهام ، ولكنه نقل وجه الى مغربه وصيانة فيما يعتبر ثبته ، وان تعجب الناس من بعض حديثه .

ثم يسدل حجاب كثيف على حياته

ويسدل حجاب كثيف على حياة رحالتنا بعد هذا التاريخ ، وقد عاش اكثر من عشرين من السنين الموالية له ، فلم نعرف عنه شيئا بعد ما صنعه قرابة ثلاثين سنة ، وما طرأ عليه ، وامتاعنا بحوادثه العجيبة ، واستحسنا سكنه وملاحظاته الغريبة ، والذي نستطيع ان نقوله هو انه دخل سجن الوطن فلم يخرج منه حتى توفي . والمعروف انه تولى وهو سوبى القضاء ببعض البلاد كما يقول ابن مرزوق ، وفي رسالة انشأها لسان الدين بن الخطيب في كتابه « نفاضة الجراب » كان ارسلها الى رحالتنا ، يلتمس منه المساعدة على شراء قطعة ارض ببعض حكمه ، يفهم انه كان على قضاء (تامسنا) الناحية المعروفة اليوم بالشاوية فيما اظن . اما مكان وفاته التي اختلف فيها فيما بين سنة ٧٧٧ وسنة ٧٧٩ (١٣٧٧) رحمه الله رحمة واسعة . ■■

طنجة — عبد الله كنون

قصة:

من الوالد؟

من أولى بالطفل: الأب الذي أنجبه ثم تخلى عنه، أم الرجل الذي وجده ورباه، ووهبه الحب وقدم له البيت والأسرة والاطمئنان والمستقبل؟

بقلم

الدكتور حسين مؤنس

حديث عهد بالعمل في ... لم يكن عند ... معي من في هذا ...

... لأني خشيت ألا أستطيع تحقيق ذلك الأمل المرجو الذي وضعه في الوزير، ولكني ... وقررت أن أجمع كل قواي للنهوض بالمهمة، وعزمت على أن أقيم ...

والحق أني تخوفت عندما صدر قرار تعييني ... العام والعمل.



وقد جاءت رحلتي خلال السنة الأولى من العمل،
إذ توالت علينا قضايا كلها مجد لا يحتمل … عرضه
قبل مزاولته في غمط حقه في رحلة سبيله الحرفية
دون أدنى ممحص من جهد . عرفت شوبة السلك في
مسماه البوليسي واصابه الحارس … في
مخدعه . … مطاق . اطلاق النار
على ناظر محطة كوم والى .. الى آخره . وكل
واحدة من هذه جرجرتني من فراشي في عز الليل
ولا أحد يتصور سواد الليل الحيف في قرى سي
مرار . ولا أنسى ما جنت … المحرب …

… في الظلام البهيم … جوانبه
عرفها الناس … بالسلام والكلمات
… السابق … الذي لا أرى سحره
الحمر في عز الهجير ، والى جانبي خفير مخصص
في النوم العميق في السارات ، والخفير عريان
سوية الذي لا … الا قائلا … يا العدم !
كده يا العدم ؟ مضبوط يا العدم

وقد عاركني الله برحمته أوائل العهد العمرية
على المجرمين في جانب شوبة السلك ، عرفنا عليهم
مصادفة ولا فضل لأحد منا في ذلك ، ولكننا رغم

في تقريرنا انها سمعنا المحرمين سابقة بسالفة لمدة شهرين حتى تم الفحص عليهم ، فرفعت نحني للوزارة الى حين .

وبينما كنت استعد لقضاء شهر اجازة بعيدا عن ميدان العمل المتعب حدثت قضية سخيفة معقدة لا رأس لها ولا ذنب ، ولكن كان لابد من تناولها بسرعة وحزم ، لانها تعلقت برجل من اعز رجال المركز واكثرهم نصيبا من حب الناس ، وهو الحاج امين عبد الله عبد الجواد تاجر القطن الكبير وصاحب المزارع الواسعة في زمام كفر الشيخ ابراهيم .

ولم تكن لهذا الرجل الا ولد وحيد اسمه رشدي . كان غلاما لطيفا وسيما في الحادية عشرة

[illegible]

[illegible] وكنا جميعا نحب رشدي ونعامله كابن لنا ، وكان القاضي يحبه حبا شديدا لانه كان رفيق اولاده في المدرسة واللعب . ولم يسأل الرجل وامه من السنة الفرنسي ، هكذا نسمع بين الحين والحين ان رشدي ليس ابنه ، وانما هو ابن بنات ، لان زوجته عقيمة ، هكذا كانت [illegible] الاطفال ، حسبما يقولون ..

وفي ذات صباح في اوائل مايو استدعاني القاضي الى مكتبه ، وعندما دخلت عليه وجدته مهموما مشغول الفكر ، وكان الضجر باديا على وجهه ، لانه كان حريصا على الا يبقى في هذا حزار اكثر من ثلاثة ايام في الاسبوع ، فقد فوجيء بهذه القضية واتصل به المحافظ وطلب اليه ان يخف الى البلد من القاهرة ، لان الحاج امين كان مهموما جدا ، فلم يسعه الا الاسراع بالمجيء .

قال لي ان رجلا شريرا حل مركزنا منذ ايام ومضى يدور في كل مكان انه والد رشدي ، وانه كان قد استودع الحاج امين ذلك الغلام بعد مولده بشهور قليلة ، لانه اتهم في قضية سرقة واعتداء على رجال الامن فحكموا عليه بالسجن اربع سنوات ، وبعد ان دخل السجن ساومه الحاج على ان يتنازل له عن الطفل فرفض ، فادعاه الحاج لنفسه ، وسعى الرجل وزوجته في كل ناحية من نواحي القطر ، فلا يخرج الرجل من السجن حتى يعود اليه ، وشكا اخيرا من الافلات من قضية واختفى في الاسكندرية حتى جمع ثروة طيبة ، وعاد الآن ليطالب بابنه .

وللوهلة الاولى احسست ان هذا الرجل نصاب محتال ، وانه ليس بوالد رشدي ولا تربطه به صلة ، انما هو رجل يريد ان يبتز شيئا من المال من الحاج امين . وقد اوصاني القاضي بالترفق في التحقيق لان ذلك الرجل فيما يبدو ليس هينا ولا هو نكرة في الطريق وحده وانما هو عضو في عصابة او سلسلة اشقياء لا يحترزون عن الضرب والايذاء .

وارسلت في طلب هذا الرجل فاتاني في مكتبي تصاحبه امرأة قال انها زوجته . وقد اسحبت هيئته لاول ما دخل علي ، فقد بدت الي مظهر تعبي بلدي صائل منه صدري ، ثم دخل فاذا هو رجل بدين ابيض احمر الوجه قد صبغ شعر رأسه بصباغ اسود ظاهر للعيان ، وفتل شاربيه وامضى طرفيهما الى اعلى وملأ فمه اسنانا ذهبية ، وكان يرتدي البدلة جيدة زرقاء مفتوحة تكشف عن قميص ذي خطوط ورباط رقبة احمر صارخ الحمرة ، وعلى رأسه طربوش طويل قاني الحمرة قد اماله الى اليمين ، ولبس في اصابعه خواتم ذات فصوص كبيرة وامسك في يده عصا وفي اليد الاخرى سيجارة .

اما المرأة التي معه فلا يمكن ان تكون سعيدة اطلاقا ، فهي مصبوغة الشعر منفوشة الوجه ، تلبس ملابس اوروبية لا تستقيم عليها منها قطعة واحدة . وكانت في يديها اساور من ذهب وفي اصابعها خواتم وفي صدرها عقود ، وكانت تمضغ لبانا وتنظر اليك في جراة ووقاحة .

وقد قدمها لي الرجل على انها ام رشدي ، وعلت شفتي ضحكة لا ادري لماذا ، ثم عرض علي سيجارة اعتذرت عنها ، فقال :

ــ هل تسمح بان تطلب لنا القهوة .. لقد جئنا المجيء اليك لكي نخرج من هذه المسألة وناخذ ابننا ونمضي !

قلت له : اظن ان الاحسن ان تقص علي القصة كاملة .

فوضع رجلا على رجل وقال : قصتي قدم بها محامي مذكرة الى سعادة المحافظ ، وسعادة المحافظ احالها الى سعادة القاضي ، ولدى ما اضيفه اليها ..

ولم اكن قد سمعت بهذه المذكرة ، فقلت له :

ــ سأقرأ هذه المذكرة طبعا ، ولكن يسعدني ان آخذ اقوالك .

ــ تاخذ اقوالي ! وهل انا متهم ؟

ــ لم اقصد ذلك ، انما اردت ان اسمع الحكاية منك

وبرقد الرجل ، فانتفضت المرأة في ضيق صدر ظاهر

– وقالت لا نريد أن نتكلم . إنهما يريدون معرفته منا ثم يخافون أن نسمع أقوالنا .. أي مصائب هذه ؟ فنظرت إليها طويلا وقلت

– ولماذا لا تحكي الحكاية أنت ؟ أليس [illegible] ابنك ؟

– ابن من إلى ؟ أي هذه العجوز العجيبة ..!

فقال لها الرجل .

– يا عطيات لا داعي لهذا الكلام ، لا نريد أي شيء [illegible] مشاكل .

فنهرت له محتدة

– اسكت أنت فإنك لا تعرف كيف تتكلم ولا تفهم شيئا ، وما دخلوا ابننا إلا بسبب سوء تصرفك ..

– سوء تصرفي أنا يا عطيات .. أنا ..

وبدى أن أراهما سيتشاجران ، فتركتهما على سجيتهما ، وأدركت من الحديث أن هذا الرجل تعبه في يد هذه السلطانة ، وأن حيرتنا الفاصلة ستكون معها

قلت لها : يمكنك أن تتكلمي ، فيمكن أنك تعرفين الحكاية أحسن من زوجك ..

فنظرت إلى زوجها وقالت : عن أي حكاية تسأل ؟ هذا الولد ..

فصرخ زوجها : قلت لك إننا لا نستطيع أن نتكلم ما دمنا قد قدمنا الشكوى ، هكذا قال لنا المحامي .. هل نسيت ذلك ؟ وسكتت المرأة [illegible] فقلت

– أظن أنني مضطر إلى إصدار أمر بحبسكما [illegible] رهن التحقيق

فنظر إلي الرجل في فزع وقال

– تحقيق ! أي تحقيق ؟ ..

– التحقيق في البلاغ الكاذب الذي تقدمت به

ونادت شوقي العسكري الكاتب ، وقلت له

– اكتب أمر [illegible] بحبس [illegible]

وأبلغ السيد المأمور ، ويمضي [illegible] القاضي بالسجون .

ونهض الرجل واقفا وقال .

– يا [illegible] البيه .. إنك لا تستطيع أن تفعل ذلك ، لأننا سبق أن قابلنا البيه المأمور وشرحنا له الأمر ، [illegible] أنه لن يفهم أحدا هذا الأمر [illegible]

[illegible]

[illegible]

في أعمال [illegible] .. ويمضي أكلم القاضي ..

فبدا الخوف يدب في نفس الرجل ، فاقترب مني وقال وهو ينظر إلى شوقي

– لا لزوم يا شوقي أفندي [illegible]

[illegible]

سرقوه منا فتحبسونا في السجن ؟ هل هذه عدالة ؟

– نعم هذه هي العدالة .. هذا الكلام ليس ابنك ولا صلة لكما به ، وقد [illegible] ضربا عليها

[illegible]

– [illegible] لا لزوم لهذا الآن .. دعنا أولا نتحدث إلى الحاج أمين [illegible]

[illegible]

– إنما أحدثك عن الحاج أمين . ليس أمامي في القضية إلا أن أحبسكما أربعة أيام حتى أستطيع أن أحصل على الحقيقة منكما ومن غيركما .. هذه مسائل خطيرة تتعلق بكيان أسر محترمة ومصالحها ، ولابد من الحزم فيها .. [illegible] ذلك الأمر ..

* * *

عندما [illegible] خبر ما حدث إلى القاضي بدا لي أنه لم يسترح لتصرفي . فهمت من كلامه أنني [illegible] وأنه لا حق لي في الأمر [illegible] الرجل وامرأته لمجرد أنهما قدما بلاغا كاذبا .. ثم أنه لم [illegible] في أن البلاغ كاذب ..

وأضاف القاضي .

– [illegible] أن [illegible] الحاج أمين ، وربما [illegible] وجها لوجه للحقيقة ..

[illegible] عندما [illegible] الحاج أمين [illegible] للحقيقة [illegible]

قال بعد صمت طويل

– [illegible] .. إنني [illegible] على [illegible] ، ولكن [illegible] أن أصارحك بما لم أقله لأحد إلا [illegible] في الحقيقة ليس ابنا ..

– يا إلهي .. إن هذا الرجل صادق ..

– لا ليس صادقا .. الحقيقة أنه ليس ابنك وإنه هو والد الطفل الذي [illegible] ..

– كيف ؟ ألم تعرفه من قبل معرفة شخصية ؟

– لا ، ولكن الذي حدث أن زوجتي [illegible] للولد شوقا شديدا بعد سبع سنوات من زواجنا ، وكانت تعمل عندنا [illegible] خادمة لها [illegible] الحظ ، تزوجت رجلا شريرا لا يخرج من سجن إلا دخل آخر ، وقد أنجبت منه في فترة من [illegible] عن السجون غلاما ، ثم عادوا [illegible]

فطلبت المرأة ولدها ، وفي ذات يوم تعرفت برجل اعجبها واعجبته فهربت معه تاركة ابنها لخادمتها ، وبعدها زارت اباه في السجن وحدثته بما وقع فقال انه لا يريد الغلام

— الم تحرروا ورقة بذلك ؟ الم تقوموا بأي اجراءات رسمية ؟

— لم نستطع ، فان الوالد لم يلبث ان فر من السجن ، وبهذا اصبح الطفل في الهواء ولم نستطع عمل اي اجراء رسمي ، لان هذه الاجراءات تتطلب اوراقا او شهادات شهود من موظف الطفل وحالته ، ولم تكن هناك وسيلة لذلك ، فعمدنا قيد الطفل على انه ابننا . كانت سنه اذ ذاك نحو خمسة اشهر .

— وهذا الرجل الذي يدعي ابوة الطفل ..

— لا ادري من ابوه حقا .. ربما كان هو .. وربما كان رجلا له في السجن رفاقه واراد ان يفيد منها .. الحقيقة انني لا ادري ..

وسكت قليلا ثم قال

— ولكني اريد منكم ان تساعدوني على الاحتفاظ برشدي . انه الان حالي وحياة عجيبة ، وانت ترى في اي ظروف يعيش واي مستقبل ينتظره ..

* * *

وحكيت ذلك كله للقاضي فقال بعد تفكير

— لم يحسن الحاج امين باعترافه بالحقيقة .. كان يستطيع الصمت ، ولم تكن هناك وسيلة لنابية كلام هذا المدعي

— اننا لم نأخذ منه اعترافا مكتوبا ..

— لا يهم ، نحن اهل العدالة ، ما دمنا قد عرفنا الحقيقة فلا يمكننا ان نحكم الا بمقتضاها ..

— والحل ؟

— اذا اثبت هذا الرجل ان الطفل ابنه فلا بد ان نحكم له به ..

— ولكن هذا تضييع لمستقبل رشدي .

— نعم .. ولكن القانون هو القانون ، ووالد الغلام اولى به ، وهو كما ترى رجل قادر ماليا على تربيته ..

— ولكنه في اهل اخلاقنا ..

— هذه مسالة تصعب على القانون تحديدها ..

— وقال لي بعد ان اشغل ...

— لابد ان نفرج عن الرجل .. لقد تصرفت خارج القانون ولكني اعذرك .. حاول ان تجري معه بعض التحقيق ، ويمكنك ان تطلق سراحه قبل ان يهبط الليل وثق في القضاء انك اكتفيت بهذه التحقيقات ، ولا لزوم للتحجز ..

قلت : سافعل ذلك ، ولكن لي اليك رجاء

— وما هو ؟

— هو ان تكتب الى الحاج امين ان يترك الصبي الى الغد ...

— لك على ذلك ..

وامسكت سماعة التلفون وادرت رقم الحاج امين ، فرد خادم يقول انه ذهب مع الحاجة نعيمة ورشدي الى القاهرة .

* * *

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر عندما دخلت على ذلك الرجل في غرفة السجن . كان مضطجعا فنهض واقفا وقال

— اهلا وسهلا يا سعادة البيه .. هل جئتما ترسلك ؟

— ابت اضطرتني الى ذلك ..

واي ذنوب ؟ يوضحي القصد ؟

— اطلقنا سراحها .. لم نجد اي دليل يبرر حبسها

فبدا خوف شديد على وجهه وقال

— اطلقتم سراحها ؟ واين ذهبت ؟ لابد انها هربت بالطفل ..

— اي طفل ؟

فاستدرك وقال

— لا شيء .. لا شيء .. اقصد انها لم تترك لي شيئا اخذ منه اذا خرجت

— ولماذا تعتقد انها هربت

— لم اقصد انها هربت .. اردت ان اقول انها لابد ان تكون قد ذهبت الى بيتنا في دمنهور ..

— دمنهور ؟ حسبت انك تسكن في الاسكندرية ..

— فلماذا لا تقول الحقيقة ويصح لكي اطلق سراحك .. من هذه المرأة ..؟

— سبحان الله .. زوجتي والله ..

— ومتى تزوجتها ؟

— من ثلاثة اعوام ..

— اذن فهي ليست ام رشدي ..

ـ واتت .. هل انت ابوه ؟ ..

ـ نعم ابوه .. انجبته ثم اختطفوني السجن فاختطفوه .

ـ هذا ليس تماما صحيح ، ومع ذلك ، فمجرد الانجاب لا يعطيك هذا الحق .. ان اي كلب يستطيع ان يفعل مثله .. تصور مصير هذا الولد لو لم يأخذه اولئك الناس .. انهم هم الذين ربوه واحبوه وسهروا عليه وتعبوا فيه وانفقوا عليه .. هذا هو الذي يعطي حق الابوة فعلا .. اما الانجاب .. فمجرد الانجاب فاي مصيبة نحمدها فيه

فنظر الي في ضجر شديد وقال

ـ مالي انا يا اخي وهذه الفلسفة .. كل الذي اعرفه هو انني والد هذا الغلام وانا اولى به من اي انسان .. ولكن هذا ليس هو المهم الان المهم هذه المرأة اللعينة التي هربت بالمال .. فكم تطردونني بهذا الشكل ، وساهرب منكم ..

ـ اي مال هذا الذي تتحدث عنه ..

ـ كل ما عندي .. كل ما جمعت .. انه عشرة الاف ، لو كلمتها ستقول ـ والاب لابد انها هربت الى زوجها القديم ..

ـ ومن اين اتاك هذا المال .. ؟

ـ من التجارة .. هل هذا حرام ايضا

ـ لا ليس حراما ، ولكنك تكذب .. لقد اعترفت هي لنا بكل شيء قبل ان نطلق سراحها .

فنظر الى الرجل واجما وقال

ـ اعترفت .. بماذا ؟

ـ بكل شيء انت تعرفه ..

ـ وهل اعترفت لكم بانها هي … موضوع رشدي وحرضتني على … ، بل … المال من الحاج … اعترفت لك بانها اخذت من الحاجة … حبه لنه امي ؟

ولم اكن اعرف من ذلك … .

ـ كل هذا عرفناه ، وعرفنا … في الاسكندرية

ـ ليس شغلي .. انه شغلها هي ، هي التي سعت في التهريب .. اقسم لك انني اسير تحت

يديها .. اتركني ارجوك لكي الحق بها واستخلص .

ـ لن اطلق سراحك حتى تكتب لي اعترافا صريحا بان هذا الولد ليس ابنك ولا تعرفه وان ما زعمته كان تدبيرا من امرأتك ، وقل انها اخذت المال حبه في عينيه هاتم ..

ـ اكتب لك ما تريد واطلق سراحي ارجوك ..

وكتب لي ما طلبت وانقذنا رشدي من براثن هؤلاء الاشقياء ..

وكانت امرأة لا تزال محبوسة في سجن المحافظة فاستدعيناها الاثنين معه ، واستكتبناها اعترافا بانها هي التي دبرت امر الاحتيال على الحاج

وقبل ان اطلق سراحهما بعثت الى القاضي واطلعته على كل شيء ، فابتسم وقال :

ـ هذا حسن جدا .. انقذت الغلام الطيب .. فله

ـ الان سنحيل هذه الاوراق لنيابة الاسكندرية لكي يواصلوا التحقيق مع هذا الرجل وزوجته في امر المال الذي جمعا ..

فنظر الي مبتسما وقال

ـ يا بني .. هما مواجهان في احضانها فدعهما يذهبان الى الشيطان واحفظ اوراق القضية

ـ ولم لا نستمر التحقيق ؟

ـ قد يؤدي هذا الى اثارة موضوع رشدي مرة اخرى .. ونحن ما صدقنا ان انتهى الا تريد ان نقوم بالاجازة ؟ اسرع انت واطلق سراح الاثنين وقل للعسكر يرافقوهما حتى يطرحوهما في رمال الصحراء ..

وعندما كنت عند الباب التفت اليه وقلت :

ـ ولكن .. اريد ان اسألك : هل تعتقد ان هذا المحتال هو والد رشدي ؟

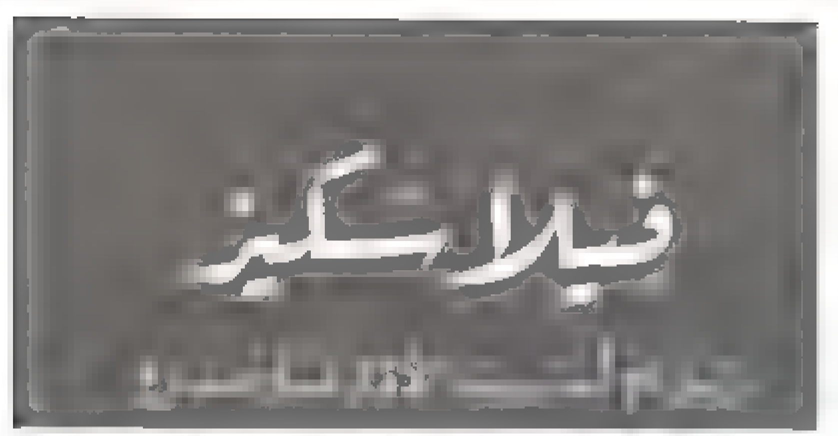
فنظر الي طويلا وقال

ـ اغلق الباب اولا ، واقترب مني .. واقتربت منه ، فوضع يده على كتفي وقال

يغلب على ظني ذلك .. ولكني لا استطيع ان اؤكد لك شيئا ، ولا اريد ان اتأكد .. نعم .. ربما كان هو والده .. ولكنه لا يستحقه ، فمصلحة رشدي تقضي ان يبقى عند هذا الجد .. اليس هذا رأيك ؟

■■

حسين مؤنس



بقلم : يوسف زعبلاوي

● على كثرة ما انجبت اسبانيا من فنانين رسامين ، فان فيلازكير يحتل مكان الصدارة بينهم ، ويصدق ذلك على الذين عاصروه ، وعاشوا في القرن السابع عشر مثله ، ولكنه يصدق كذلك على الذين جاءوا من بعده ، وقد اقتفوا اثره في معظم الحالات ، وتأثروا باسلوبه واتجاهاته وقد بلغ من تأثر الرسامين الاسبان بفيلازكير ان اعتبره بعض النقاد صاحب مدرسة ، بل مؤسس مدرسة في الرسم الاسباني الحديث

ومهما يكن من امر فقد كان فيلازكير رسام البلاط الاسباني منذ فجر شبابه وحتى وفاته . ولم يسمح لاحد بشغل هذا المنصب الا من كان ذا موهبة اصيلة نادرة وكفاءة ممتازة . وليس في كلمات رودين الرسام الفرنسي الشهير ، خير دليل على ما يتمتع به رسامنا من شهرة ، اذ قال « ان فيلازكير هو اعظم الرسامين الاحياء .. » و يقصد بالاحياء هنا ، كما لا يخفى ، الرسامين الذين كانوا احياء في النصف الاول من القرن السابع عشر ، حوالي سنة ١٦٢٨ ، وهي السنة التي اجتمع فيها الرسامان في مدريد . وحسبنا ان نذكر ان المتحف القومي National في لندن ، اشترى احدى لوحات فيلازكير في سنة ١٩٠٥ بمبلغ ٤٥٠٠٠ جنيه استرليني . لا عجب اذن ان تكون اللوحة التي خصصناها لصفحة (٢) من هذا العدد هي احدى لوحات فيلازكير ، وان تكون سيرة حياة هذا الفنان الكبير هي الموضوع الذي سنحاول الالمام به باختصار في هذه الكلمة

ولد فيلازكير في مدينة اشبيلية سنة ١٥٩٩ وكان اسمه الكامل Diego Rodriguez de Silva Velazquez . والطريف ان الاسم الذي اشتهر به رسامنا ، والذي نعرفه جميعا ، اي فيلازكيز ، انما اخذه الفنان عن امه لا عن ابيه ، وذلك جريا على تقليد شائع في اسبانيا . وكان ابواه برتغاليي الاصل ، وقد اتجهت رغبتهما منذ البدء الى اعداد ابنهما لمهنة المحاماة التي كان يمارسها الاب

وقد بذلا جهدا كبيرا في هذا السبيل ، ودرس فيلازكير الفلسفة والآداب وهو صبي صغير . ولكن تلك الجهود لم تستمر طويلا . اذ لم تلبث مواهب فيلازكير وميوله الفنية ان برزت وطغت .

وما اسرع ما استجاب الابوان ، وما اسرع ما عهدا بابنهما الى باشيكو اشهر اساتذة الفن والرسم في اشبيلية آنذاك . وكان فيلازكير في الثانية عشرة من عمره حينما التحق بهذا الاستاذ الشاعر الفنان ، وانتسب الى معهده الذي كان اشبه بالمتاحف الفنية والمعارض (الصالونات) الادبية منه بالمدارس التقليدية . اضف الى ذلك ان التلميذ لازم استاذه وشاركه العيش في بيته . ولا يخفى ان المهمة التي اضطلع بها باشيكو لم تقتصر على تعليم الفتى اصول الفن والرسم ، فقد اخذ الاستاذ على عاتقه تثقيف فيلازكير ثقافة عامة وادبية عامة ، وعمل على تهذيبه وتنمية شخصيته ، فضلا عن صقل مواهبه الفنية .

ما لبث فيلازكير ان لمع واظهر من الكفاءات النادرة ما اثار اعجاب استاذه وشده اليه شدا . ولو قرأت كتابات باشيكو عن هذه الفترة لرأيت ان معهده الكبير الشهير لم يكن فيه الا طالب واحد هو فيلازكير . ومهما يكن فقد كان فيلازكير بالفعل الطالب الوحيد بين طلاب باشيكو الذي استحق في نظر استاذه على الاقل ، ولا ابالي هذا من عناية



وما احاطه به من حب وتقدير

وبعد جهد التحصيل والدراسه حتى سنوات اربع سنه ، وتخرج فيلازكيز سنه ١٦١٧ حاملا لقب استاذ ، ولذلك Pintor de imagen . ثم انه لم يبتعد عن استاذه باتشيكو بعد ذلك ، وانما ازداد قربا منه وارتبط به بالمصاهره . اذ تزوج ابنته جوانا سنه ١٦١٨ وقد انجبت له الاطفال وعاشت معه حتى النهايه في هناء ووئام . ولا عجب فقد جمع الحب بين فيلازكيز وجوانا قبل ان يجمع بينهما ...

[illegible] الطاهيه في نفس السنه التي تزوج فيها — اي سنه ١٦١٨ . وتجدر الاشاره ايضا الى ان هذه اللوحه تظهر عمق الاهتمام الدقيق الذي يوليه فيلازكيز وجه الانسان ... . وقد لا يجرب المرء للنظر الى وجه المرأة العجوز التي نرى في الصورة . الا ان احدا لا يستطيع ان ينكر ما سجل في هذا الوجه من انفعال واستماع . ومثل ذلك ، بل واكثر من ذلك يقال في وجه الصبي ، الوجه الاخر في اللوحة .

ونذكر هنا ان هذا الصبي الذي كثيرا ما نراه في لوحات فيلازكيز الاولى ، هو بارجيا Pareja الذي اختاره فيلازكيز من بين ابناء الريف بسبب ما يحسه في قسمات وجهه وفي ملامحه . وقد استاجر الفنان هذا الصبي واسكنه معه في بيته ، وراح يدرس وجهه دراسة دقيقه ، ويرسمه مرارا ، طوال السنوات الست الاخيره من حياته في اشبيليا .

اما البيض المقلي وسائر الاشياء التي نراها في اللوحه فلا ترمز الى اكثر من ان لوحه الطاهيه هي من نوع من انواع الرسم معين يسمى الحياة [illegible] لقد تمثل في هذا اللون من الرسم رغبة بعض فناني القرن السابع عشر الى رسم الاشياء العاديه التي يراها الانسان هنا وهناك ، لا سيما في المطابخ وتتمثل فيه كذلك رغبتهم في الانطلاق والاقدام على الرسم ، بدافع الميل الى الرسم ، لا لمصلحة الاخر وبناء على تكليف الغير .

وتجدر بالذكر ان تلك الرغبة كثيرا ما التقت بمسار الفن الحارف الذي طغى على فناني القرنين السابع عشر والثامن عشر جميعا ، والذي يسمى ... . والمجال لا يتسع هنا للتحدث عن هذا التيار ونكتفي بالاشارة الى انه ظهر في اعقاب سنوات عصر النهضة الفنية ، وانه ركز اهتمامه على الشكل ، قبل المواضيع الدينية ، وانه استهدف اثارة مشاعر الناظر الى الانتاج الفني ، وسواء كان ام معنا ام غير ذلك .

على علينا بعد هذا ان نسير الى السنوات العديده التي قضاها فيلازكيز في مدريد وقد بلغت ستا وثلاثين . فقد كان فنانا في هذه الفترة الرسام الخاص للملك فيليب الرابع الذي لم يقبل ان ... ثم عينه مراقبا عاما [illegible] كلفه اخر الامر بالاشراف على تاسيس متحف فني كبير في مدريد .

ونذكر هنا ان فيلازكيز زار ايطاليا في هذه الفتره مرتين ، الاولى بقصد الاطلاع والثانيه من اجل شراء التماثيل للمتحف الذي ذكرنا . ونذكر هنا ان روبنز ، الرسام الهولندي الشهير الذي اعتبر رساما فيلازكيز في طليعه رسامي عصره ، كما سلفنا ، قد زار مدريد في تلك الاثناء . الا انه زارها بوصفه سفيرا لبلاده . ولما اعرب السفير عن رغبته في زيارة اثار اسبانيا ومتاحفها لم يجد الملك خيرا من فيلازكيز لكي يكون المرشد الدليل لصاحب السمو .

وفيما عدا هذه الزيارات فقد امضى فيلازكيز الجانب الاعظم من فترة اقامته في العاصمة الاسبانية في اعمال الرسم . وقد كثر انتاجه وتعددت اللوحات التي رسمها في تلك الفترة وقد شهدت ... .

توفي فيلازكيز عام ١٦٦٠ عن عمر ناهز الستين .

يوسف زعبلاوي ■■

– يرجع تملك اسبانيا لهذه الصحراء الى ما قبل بداية هذا القرن العشرين ، حيث تم الاتفاق بين الدول الكبرى – في ذلك الوقت – على تقسيم مناطق النفوذ فيما بينها بالتراضي .. انجلترا تحتل وادي النيل .. ايطاليا تحتل ليبيا .. فرنسا تحتل بلاد المغرب العربي ، وتظل اسبانيا محتفظة في جنوب المغرب ، وطرفاية في شماله ، لتبعد سواحلها اسبانيا من الجوار الفرنسي في المغرب .

وقد بدأ احتلال الصحراء الغربية المغربية في الغرب في عام ۱۸۸۱ بنزول قوات اسبانية في منطقة الفيلا سيسنيروس على ساحل المحيط الاطلسي .. ومن هذه النقطة انطلقت القوات الاسبانية تحتل شبه جزيرة الصحراء ، وفي عام ۱۹۱۲ تم تخطيط حدود الصحراء الغربية الملاصقة للمغرب والجزائر وموريتانيا ، ولان الطرفان المتصارعان هما اسبانيا وفرنسا ، والاخيرة كانت تحتل بلاد المغرب في ذلك الوقت .. وكانت الصحراء بعيدة عن مركز السلطان في الرباط ، لهذا لم تصادف القوات الاسبانية مقاومة تذكر ، منذ نزولها ، اذ كان اهل المنطقة من القبائل الرحل .. وظل الحال على هذا المنوال حتى ظهر في سمائل الصحراء الغربية العملاقة زعيم ديني كبير هو الشيخ ماء العينين [illegible] سمارة واقام فيها جامعا ، وقلعة وسوقا للتجمع ،

ولم تستطع القوات الاسبانية احتلال هذه البلدة

وظلت المنطقة تعيش هدنا من الاضطراب حتى عام ۱۹۵۷ عندما قام الاهالي بثورة ضد الاحتلال الاسباني ، استولوا خلالها على بلدة الرابح .

ولم تستطع الاسبان طويلا على هذه الهزيمة





توضح هذه الخريطة ، موقع الساقية الحمراء ووادي الذهب ، [illegible]

العاصمة فطلبوا قوات حربية كبيرة ، واستطاعوا بسلاحهم الجوي فرض سيطرتهم التامة على الصحراء كلها ، التي كانت مكونة من اقليمين اثنين الساقية الحمراء ، والقسم وادي الذهب ..

وخط سيطرة الجيش على البلاد ، وجعلوا الاقليمين في اقليم واحد جعلوا عاصمته مدينة العيون ، واصبحت المنطقة معروفة باسم [illegible] بحر الذهب ، في حين انه لا يوجد فيها لا بحر ولا ..



[illegible]

وهكذا اصبح الاحتلال الاسباني دائما في كل مكان .. ولكن رغم حكم الحديد والنار ، قام الاهالي اخيرا بثورة مجيدة يوم ١٧ يونيو ١٩٧٠ اطلق خلالها الاسباني النار على « ثوار الصحراء » فسقط عشرات الشهداء الابرياء .. وسارع الاسبان بعد بحملات عسكرية جديدة من اسبانيا اقاموا لها الثكنات في مدينة العيون وفي جميع اطراف الصحراء التي تبلغ مساحتها ٣٠٠ الف كيلو متر مربع ، ويعيش عليها ٨٠ الف نسمة

لقد كانت اسبانيا تأمل في العثور على النفط في تلك الصحراء ، ولكن الشركات الامريكية اعلنت انها لم تعثر على اي اثر للنفط ، وانما صرفت مئات الالاف من الدولارات في البحث عنه ، والآن بحث الاسبان عن الثروة خارج الارض ،

البقية على الصفحة [illegible]

انت تسأل .. ونحن نجيب

الصحراء الاسبانية [illegible]

وبعد فترة بسيطة عثروا في منطقة بوكراع ، في شمال الصحراء ، على أكبر منطقة فوسفات في العالم مساحتها نحو ٢٥٠ كيلو مترا مربعا ، وتحوي نحو ١٫٧٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طن من خام الفوسفات ، مع كمية احتياطي تحت الأرض تزيد عن ١٠ آلاف مليون طن ، على ما قدروا !! وفي الحال بدأوا في بناء مرسى كبير في مدينة العيون ، بعد عدة كيلو مترات داخل مياه المحيط الأطلسي لنقل الفوسفات الخام الى مختلف انحاء العالم وخاصة الى المعامل في اسبانيا [illegible] سنة ١٩٧٢ بعد [illegible] اسبانيا التي ستكلف نحو ٢٠٠ مليون دولار ..

لقد خلق اسبانيا طمعا دوليا غريبا في المنطقة ، ونقول ان هناك اكثر من دولة تطالب بالصحراء الاسبانية : المغرب من ناحية ، وموريتانيا من ناحية اخرى .. وانها ازاء هذا الوضع [illegible] العقلاء من الصحراء بالرغم من ان الأمم المتحدة اصدرت قراري سنة ١٩٦٥ و١٩٦٧ بضمان اجراء مشاورات بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا تحت رقابة الأمم المتحدة ، من اجل عمل استفتاء شعبي يقرر فيه شعب الصحراء الاسبانية مصيره .

ولكن هذا الاستفتاء لم يتم ابدا الى الآن .. بل على العكس بدأت محاولات مشبوهة ترمي الى اجتذاب اهل الصحراء نحو اسبانيا بإغرائهم بشتى الوسائل ، مثل الاعلان عن مشروع كبير للاصلاح الاجتماعي والعمراني والصحي في البلاد وفي نفس الوقت بدأت سلطات الاحتلال توزع المناصب الادارية الكثيرة على ابناء الصحراء من اجل دفعهم للمطالبة بقيام دولة مستقلة في الصحراء [illegible] ، تكون مرتبطة بمعاهدات مع اسبانيا ..

ولكن الاجتماع الاخير الذي عقده ملك المغرب مع رئيسي جمهوريتي الجزائر وموريتانيا في نواذيبو بموريتانيا ، واصدارهم بيانا يساندون فيه سكان الصحراء الاسبانية الذين يناضلون من اجل حريتهم وتأييدهم للجنة دائمة بقطع جذور بقية الاستعمار من منطقة الصحراء المحتلة ، كل هذا وضع اسبانيا في موقف دبلوماسي حرج ..

ولكن اكتشاف هذه الكمية الهائلة من الفوسفات الى جانب الثروة السمكية التي تقدر بنحو ٥ آلاف طن سنويا ، وغيرها من الثروات المخبوءة .. كل هذا سيجعل اسبانيا تزداد تشبثا وتمسكا بارض ليست هي ارضها .

ان اسبانيا بلد صديق للعرب ، وكم نود ان نعرف سلميا سيادة العرب على اراضيه ..

وكان ظننا ان المساعي المبذولة الآن لاقناع اسبانيا بالاعتراف بعروبة هذه الصحراء وتسليمها وفقا لارادة الامم المتحدة وما تطالب به الدول العربية المجاورة .. كان ظننا ان هذه المساعي المبذولة ناجحة ان شاء الله ..

ولكن اسبانيا اقترحت اليوم اجراء استفتاء بين



● سمعت ان احد ائمة المذاهب الاربعة [illegible] ضربا موجعا من [illegible]

[illegible]

صبري عبد العزيز ـ القاهرة

ـ الحق ان ذلك الفقيه المذاهب ضرب من اولهم الامام ابو حنيفة ، لكن ضربه كان في آخر عهد بني امية ايام مروان بن محمد ، والذي ضربه هو يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزاري امير البصرة والكوفة ، ولم يكن ذلك في مسألة كلامية وانما اراده ان يلي القضاء بالكوفة فامتنع ، [illegible] عن القبول ، فضربه مائة سوط وعشرة ، كل يوم عشرة اسواط وهو مصر على الامتناع . فلما رأى ذلك تركه وخلى سبيله . وكان ضربه في الكوفة في موضع عرف بالكناسة . وقد لقي الامام ابو حنيفة محنة في ايام العباسيين ودول سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥٣ ، على ان ابا جعفر المنصور العباسي اراد ايضا ان يولي ابا حنيفة القضاء فامتنع ، ثم اراده ان يتولى قضاء الرصافة فامتنع ، فقال له : ان لم تفعل ضربتك بالسياط . قال : اوتفعل ؟ قال نعم ، فقعد في القضاء يومين . اما ابن خلكان فيقول في احدى رواياته « قيل كانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء ، فلم يفعل » ويزيد على هذا قوله « هذا هو الصحيح » .

والامام مالك بن انس ايضا ، سُعي به الى جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس وهو عم ابي جعفر المنصور ، وقالوا له انه لا يرى



ايمان بمحكم هذه سنين ، فغضب جعفر ودعا به وجرده وضربه بالسياط ، ومدت يده حتى خلعت كتفه . فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حلياً به ، وكان ذلك في سنة ١٤٧ هـ . وذكر بعض المؤرخين انه « ضرب سبعين سوطاً لاجل فتوى لم توافق غرض السلطان . »

وظل الامام مالك في علو قدر حتى توفي سنة ١٧٩ هـ . بالمدينة في ايام هارون الرشيد .

اما الامام احمد بن حنبل فهو الذي ضرب من اجل مسألة كلامية ، وكانت ولادته وكل حياته في عهد العباسيين . ولقد نشأت في ايام المأمون مناقشة كلامية حول القرآن هل هو مخلوق او قديم غير مخلوق . وكان على رأس القائلين بخلقه القاضي احمد بن ابي دؤاد ، وعلى رأس الممتنعين عن القول بخلق القرآن الامام احمد بن حنبل ، واشتعلت الفتنة واحتدت ، ومات المأمون وولي المعتصم ، وصار احمد بن ابي دؤاد صاحب الكلمة النافذة لدى الخليفة ، ودعي الامام احمد بن حنبل الى القول بخلق القرآن فلم يجب فضرب وحبس ، وهو مصر على الامتناع ، وكان ضربه في العشر الاخير من شهر رمضان سنة ٢٢٠ هـ ، ثم زالت المحنة عن الامام احمد الى سنة ٢٤١ هـ . حتى توفي فيها ، وقدر عدد من حضر جنازته من الرجال بحوالي ثمانمائة الف ، ومن النساء حوالي ستين الفا .

ع . ح .

اهل هذه الصحراء .. وهو شيء ليس فيه جديد ، فهو نفس قرار الامم المتحدة .. وان يكن فيه جديد فالتاخير .. وان يكن لا بد للتاخير من تفسير ، فجد أن هذا التفسير فيما مهدت له اسبانيا خلال السنوات الثلاث الماضية من التحضير لهذا الاستفتاء ، وذلك بانفاق عشرات الملايين من الدولارات ، واغراء القادمين من اهل الصحراء بالثراء الكبير الذي سوف تغدقه اسبانيا عليهم لو انهم صوتوا لها ، او صوتوا لاستقلال يكون فيه الانسان سلعة !!

(س . ز)

وكالة المخابرات الامريكية تم انشاؤها منذ عام ١٩٤٧ فقط !

● متى انشئت وكالة المخابرات المركزية الامريكية وكيف تعمل هذه الوكالة التي امتدت مؤامراتها لتشمل جميع انحاء العالم !

عصام عبد الوهاب ـ القاهرة

ـ انشئت وكالة المخابرات المركزية الامريكية Central Intelligence Agency (C. I. A.) في عام ١٩٤٧ . وقد جاء في قرار انشائها انها قد اسست لكي تقوم بتحليل وتفسير وجمع المعلومات العسكرية والسياسية التي تهم الامن القومي الامريكي . وتعمل هذه الوكالة تحت امرة مجلس الامن القومي الامريكي .

وتتلخص اختصاصاتها المعلنة فيما يلي :

١ ـ ان تقدم النصح لمجلس الامن القومي الامريكي فيما يخص مسائل السلام والحرب .

٢ ـ ان تربط وتنظم كل الاقسام والوكالات التي تعمل في مثل ما تعمل في مجال المخابرات .

٣ ـ ان تجمع وتربط وتقيم وتوزع المعلومات السرية على الاقسام والوكالات المعنية التي تتبعها الحكومة الامريكية .

وقد تشعبت وكالة المخابرات المركزية واصبحت تمتد عملاتها الى جميع انحاء العالم وخاصة بعد نشوء الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشيوعي ، واشتداد حركات التحرر بين البلدان المستعمرة . كما تشعب عملها ايضا ليشمل تدبير الانقلابات العسكرية والمؤامرات في دول امريكا اللاتينية والدول النامية على وجه الخصوص .

ولوكالة المخابرات المركزية الامريكية تأثير كبير على رسم سياسة امريكا الخارجية التي ترسم بناء على التقارير التي تقدمها هذه الوكالة . وتعتبر المخابرات المركزية دولة داخل الدولة بما لها من نفوذ على جميع سلطات الحكومة الامريكية . اما ميزانيتها السنوية فهي تزيد على عدة مئات من ملايين الدولارات .. وان كان ليس لدينا الرقم الصحيح لها .

(م . ط)



ثلاثة أنواع!

● نسمع كثيرا أن شخصا طلب حق اللجوء السياسي في دولة من الدول ، فما هو حق اللجوء هذا ، ونحن نرجو ... هذا الأمر !

فادية ... ـ الزرقاء

ـ حق اللجوء السياسي هو الحماية التي تعطى بواسطة دولة ما لشخص من غير مواطنيها وذلك لكي تحميه من دولته الاصلية . ولا يوجد اي حق قانوني بالنسبة لطالب اللجوء السياسي تجاه اي دولة يطلب منها حق اللجوء ، كما انه ليس هناك اي إلزام لأية دولة على قبول لجوء اي شخص لديها . اي ان منح اللجوء السياسي لشخص ما هو عمل من اعمال الدولة المطلقة لا يجبرها عليه احد .

ولتنظيم عملية اللجوء السياسي نصت المادة الرابعة عشرة من اعلان حقوق الانسان الصادر عن الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في ١٠ ديسمبر ١٩٤٨ على القواعد الخاصة بمنح حق اللجوء كما نص القانون الدولي على ان يستثنى اللاجئ السياسي من تطبيق اتفاقيات تبادل المجرمين التي تكون الدول اطرافا فيها .

ويستثنى من حق اللجوء السياسي كل من

١ ـ قاتل رئيس الدولة .

٢ ـ [illegible]

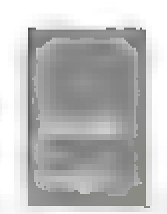
٣ ـ المتعاونين مع الاعداء في زمن الحرب .

٤ ـ مجرمي الحرب ومرتكبي اي جرائم ضد الانسانية .

وينقسم اللجوء السياسي الى ٣ انواع

ـ [illegible]

يحدث عندما يطلب شخص ما حق اللجوء اثناء وجوده في اراضي الدولة التي يطلب منها هذا الحق .



كانت تدرس كتب

● قرأت في سيرة ... انه تخرج من جامعة السوربون ...

سوربون هذه مدرسة ...

... وما ...

سامية الهدى ـ الاسكندرية

ـ السوربون ليست جامعة ولكنها كلية ، فهي احدى كليات جامعة باريس . وهي بلا نزاع اشهر تلك الكليات واقدمها ، اذ يعود تاسيسها الى حوالي منتصف القرن الثالث عشر ، وقد تسمى اسمها على يد روبرت دي سوربون ، احد ... البابا في باريس آنذاك .

وجدير بالذكر ان جامعة باريس كانت موجودة ومشهورة قبل ذلك ، في النصف الاول من القرن الثاني عشر ، حين لم تكن في اوربا جامعات اخرى . وقد سبقتها في ذلك جامعة بولونيا الايطالية التي اشتهرت بتدريس الطب منذ القرن العاشر الميلادي . الا ان جامعة بولونيا هذه لم تكن جامعة بالمعنى الدقيق ، في نظر الكثيرين ، وقد اقتصرت على تدريس الطب واقتصرت الى الفروع الثقافية ، ولم تعن بتدريس الآداب والعلوم والفنون وغيرها من الفروع التي اشتهرت وتميزت بتدريسها جامعة باريس

ومن طريف ما يذكر هنا ان بعض كتب التدريس

٢ ـ [illegible] وهو النوع الذي يطلب فيه الشخص منحه حق اللجوء في سفارة الدولة التي يريد ان يلجأ اليها في بلد من البلدان ، او في احدى السفن الحربية او التجارية التابعة لهذه الدولة اثناء وجودها في اراضي اجنبية . ومن الناحية القانونية لا يوجد اي نص في القانون الدولي يسمح بمنح اللجوء

ابن رشد في الماضي البعيد



[illegible]

التي اعتمدتها جامعة باريس في تلك الايام وهي [illegible]
[illegible]
ترجمت الى اللغة اللاتينية . ولا يخفى ان هذه
الكتب كانت نصوصها معربة عن كتب اليونان بأمثال
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
ارسطو ، وقد اعتبرت تلك الشروح ، طيلة قرون ،
التفسير الصحيح ، بل المرجع الوحيد لنظريات
[illegible]
[illegible]
[illegible] ٧٢ [illegible]
[illegible]
[illegible]
الاساتذة والدارسين ، في تفسيرهم لتلك الكتب ،
على احد نوع ثلاثة من شروح ارسطو القديمة .

وكان شرح ابن رشد هو الشرح الاول الذي ذكره
المرسوم .

اما المرجعان الآخران فكانا لالبرتوس ماغنوس
[illegible]
[illegible]

وتجدر الاشارة الى ان هذين الآخرين كانا من
بين الاساتذة الذين الذين درسوا في جامعة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بيكون .

ولا بد من التنويه بعد هذا كله بأن جامعة
[illegible]
[illegible] من مجموع
[illegible]
[illegible]
[illegible]
بلغ عددهم نحو [illegible]

الدبلوماسي . ولكن العرف جرى على جواز ان يتم
منح حق اللجوء الدبلوماسي في حالات الحروب
الاهلية والاضطرابات لحماية ارواح من يلجأ الى
دور السفارات في مثل هذه الحالات .

٣ ـ اللجوء المحايد .

وهو حق قوات دولة من الدول المشتركة بحرب
من الحروب في اللجوء الى اراضي دولة محايدة على
ان تظلوا بها طوال مدة الحرب . وهو ايضا يشمل
حق السفن الحربية في اللجوء الى الموانئ المحايدة
اثناء الحرب ، على ان لا تزيد مدة مكوثها عن ٢٤
ساعة ـ الا في حالات العطل والتلف التي تستدعي
وجودها اكثر من هذا الوقت .

(م. ط.)

(بقية المنشور على صفحة ٧)

منذ عشرين عاما

السيد رئيس التحرير ،

[illegible]

[illegible]

لم نغير من مفاهيم الحكم عندكم شيئا ؟

اما المقال المذكور فالنص منه اوله ، واكتفي مدلله

« سألني سائل اي نظام من انظمة الحكم تفضل ؟ » .

[illegible]

[illegible]

الافهام »

« ان الحكم الصالح هو الذي يرضى به الناس جميعا واسهله . »

ابراهيم نجيب

خطأ مطبعي وجب تصحيحه

● [illegible]

[illegible]

[illegible]

مجلة العربي في امريكا

● [illegible]

[illegible]

نيويورك

[illegible]


SM 130
SM 290
توشيبا
TOKYO SHIBAURA ELECTRIC CO. LTD
طوكيو شيبورا اليكتريك كومباني ليمتد
طوكيو - اليابان
مكتب لبنان :
غرفة رقم ٣ ٥ ، الطابق الخامس
رياض الصلح ، شارع موريس باريس
بيروت ، لبنان . هاتف ٢٩٧٤٤٧


دو مورييه سوبر كينجز


العدد السادس عشر
من الأعمال الكاملة
موليير ١٠

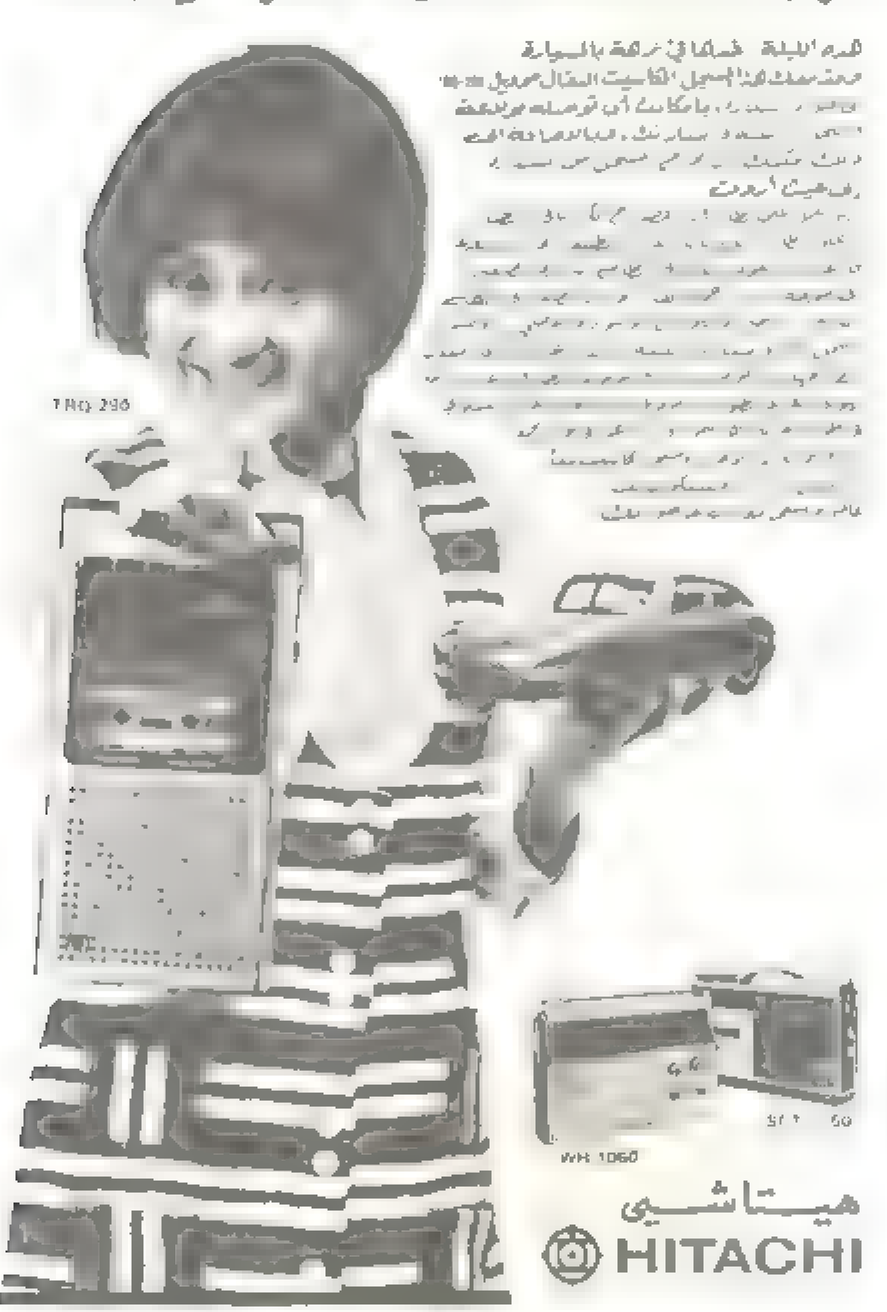



مارلبورو
Marlboro
AMERICA S FINEST FILTER



glass &
X'tal
GX-365
اوديو فيديو
AKAI




بامكانك ان توصله بسيارتك
TRQ 290
WR 1060
هيتاشي
HITACHI

أحبُّ الرَّجُل الذي
يَعتني بمظهره

وَهوَ يستعمِل دهان
الشعر ڤازلين .





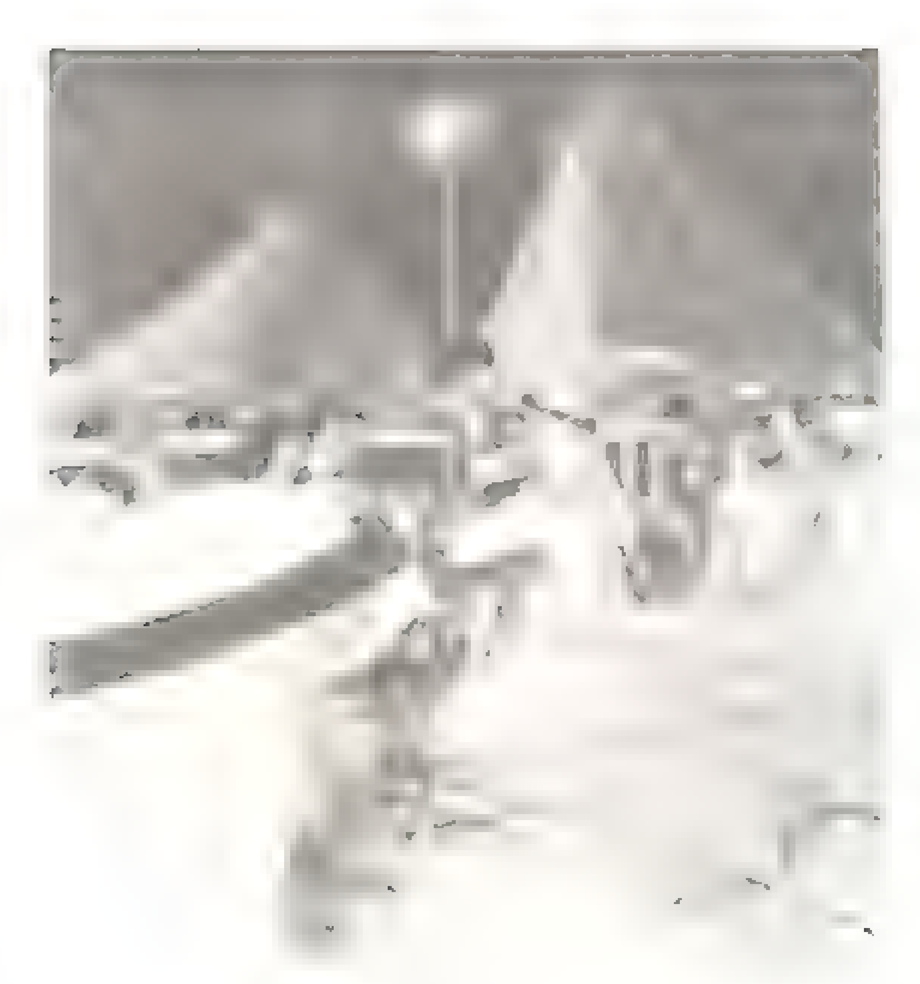

CAMY

خذه معك أو استمتع به في منزلك

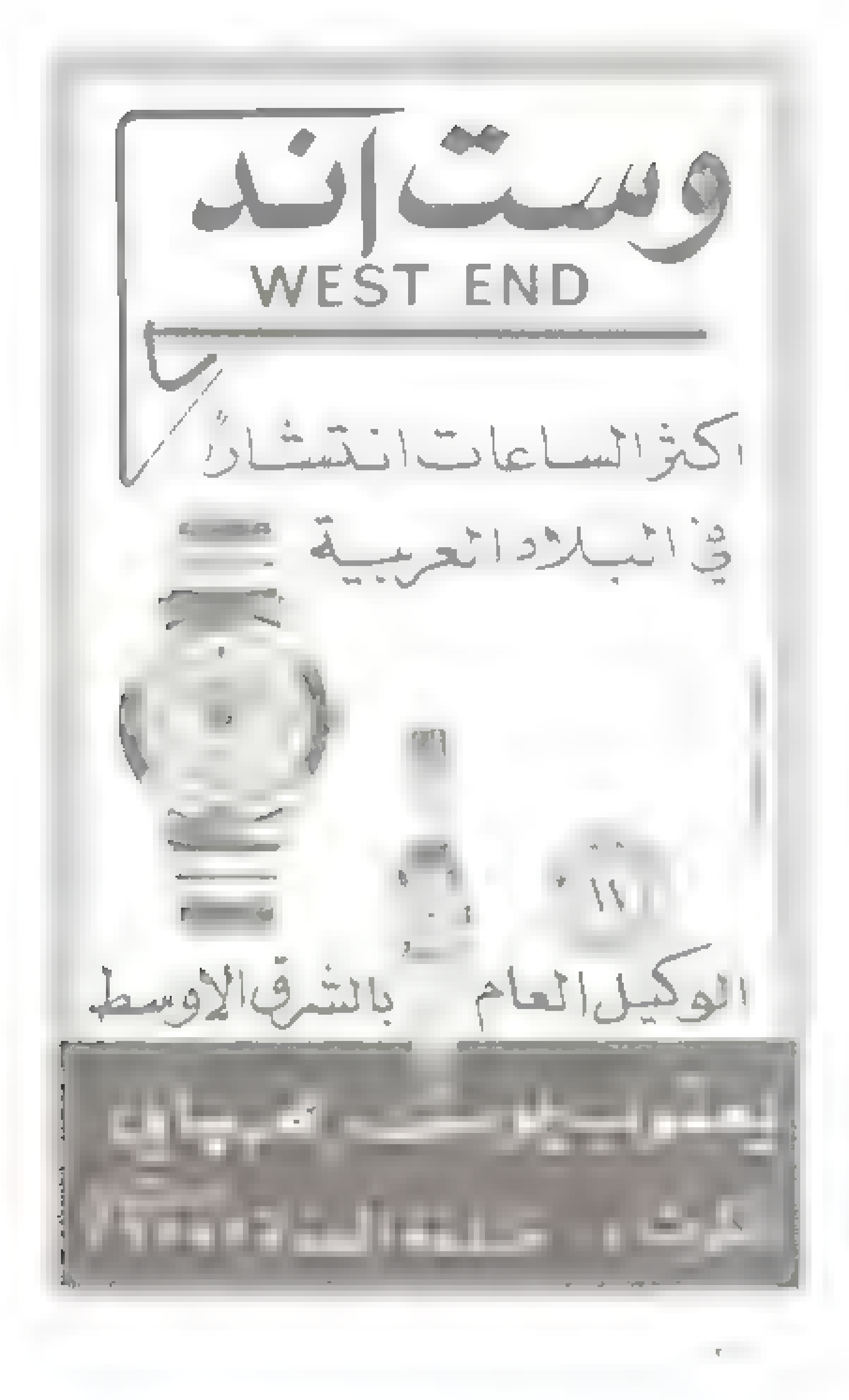


يعمل على البطاريات وعلى التيار الكهربائي العادي

SONY



نيسان تمد يد الصداقة



وست اند
WEST END
اكثر الساعات انتشاراً
في البلاد العربية
الوكيل العام بالشرق الاوسط


رونسون
RONSON



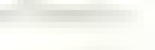

EDOX

دع نقودك تربح
فائدة مأمونة
٧٪



LOMBARD BANKING

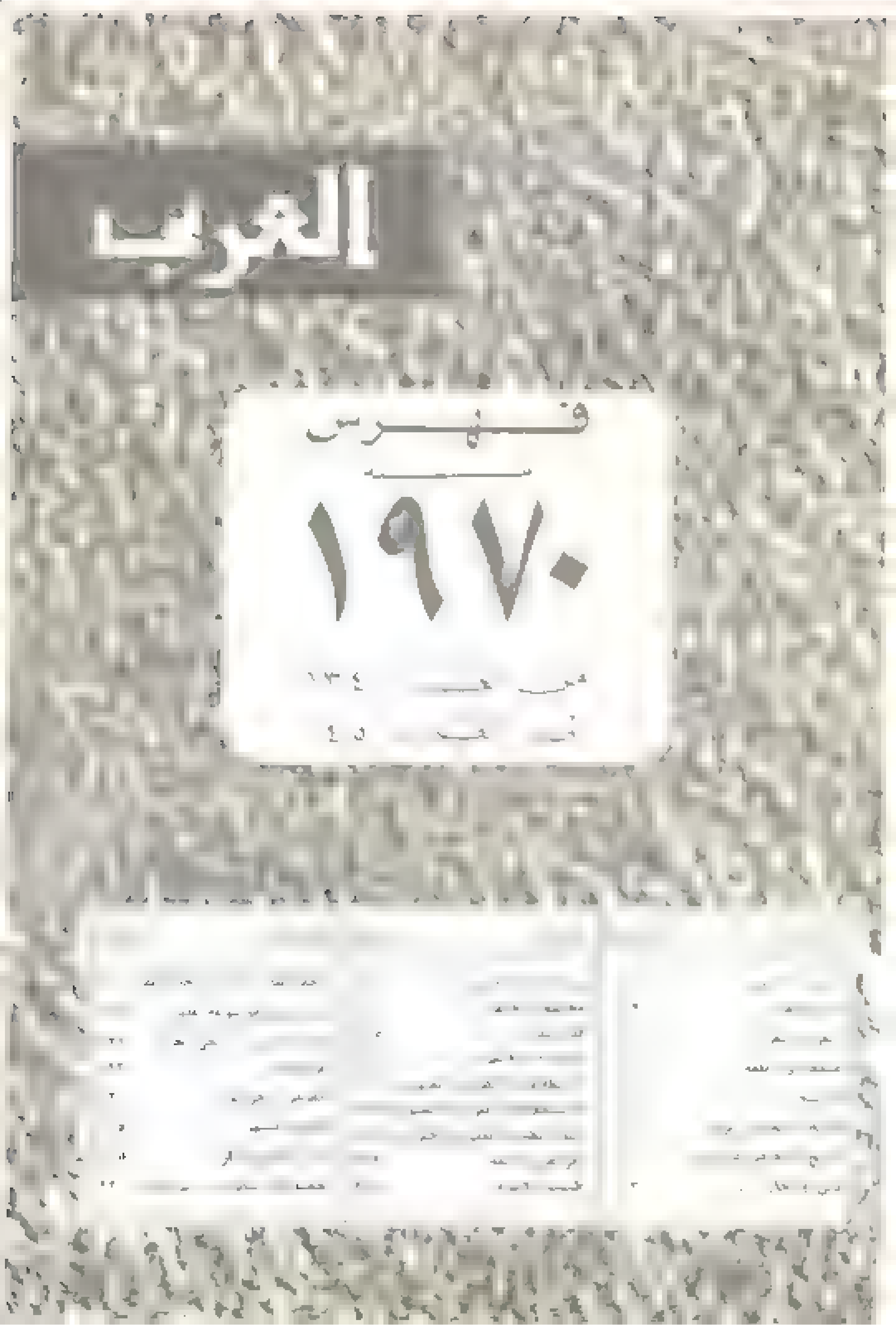
وتعدى حاجة الى بشرى ميكروفون تسجيل







سانيو SANYO


العربي
فهرس
١٩٧٠



الموضوع	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
١١ عاما من حياة العربي . بداياته ...٫... نسخة وهذا العدد ... ٢٥٥ نسخة ، ومجموع ما بيع حتى الآن ١٢ مليون نسخة / بين العربي وكتابه / بين العربي وقرائه / خطورة الرأي الحر في أزمة العروبة	١ /٧٠	١٣٤	٦
الولاء . ولاء الإنسان لنفسه / الأنانية وولاء الإنسان لنفسه / ولاء الإنسان لأهله / ولاء يجتاز الحياة إلى ما بعد الوفاة / الولاء للوطن / الولاء في الإسلام / الولاء في الدولة الحديثة	٢ /٧٠	١٣٥	٨
عمر ولبس . ما العمر / خطوط الأمر بين عمر ولبس / لا دفع للعمر إلا بزيادة [illegible] وكذلك طرق المواصلات والرسائل	[illegible]	[illegible]	[illegible]
القومية والدين . ويظلان لا يتجادلان أبدا / مشكلة القومية والدين تخرج [illegible] ظهرت في دساتير الأمم / الوحدة العربية والجامعة الإسلامية / جامعة سياسية للدفاع عن العقيدة	٧٠/	١٣٧	٨
الجامعات بين قديمها والحديث . الجامعات في الهند / وفي الخليج / [illegible] التعليم العالي / عصر علمي وتمدن [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الإعلام العربي / حرب متطاولة بغير سلاح حربي كثير / الحرب المتطاولة قد تحسم حربا شاملة بأكملها	٩ /٧٠	١٣٩	٨
الطعام والجنس . أصلان من أصول الحياة لا بد منهما [illegible]			
الزوج الكسب [illegible]			
[illegible] علم / مراكز القوة في الدولة / صناعة الحروب [illegible]	[illegible]		٨
[illegible] / لا بد للحياة من الكمال	[illegible]		٨

الموضوع	السنة / الشهر	العدد	الصفحة

نصف الأرض شمال على نصف سمال وجنوبي ، ونصف من الأرض قاروا

موقف أمريكا / وموقف روسيا / أحداث اليوم / علاقات اثنان لا ثالث بهما / غرائب العقيدة والقراءة / الصالحة انطلوا من العلم والكتبة سلما / الحرب العالمية الثانية قلب موازين الأمم / العالم اليوم في تطور

من وحي رحلة في المغرب العربي في صيف عام ١٩٧٠ / اللغة العربية في الوطن العربي ستمن ، شيء ينطق بالضاد وشيء ينطق بغير الضاد .. فذلك قضاء الله لا دافع له

ديمقراطية مريضة حرية قد تصبح فوضى / وازرة هي اليوم تحت التراب /

/ ومضى خاطئ ان الحياة في الديمقراطية أشر / لا عمل الا بعد عناء

الديمقراطية جميلة .

الموضوع	الكاتب	السنة / الشهر	العدد	الصفحة

اللغة ... منها بعد ثورة التجديد

بولسوى – زيارة الى بيته

الشيخ رضى الدين الحسن الصغانى

الوضوح والغموض فيما كتب الكتاب والشعراء والفلاسفة

جمال الدين العرضرى

التجديد في الشعر ، ظاهرة في الأدب العربي قديمة

اللغة العربية بين عاميها والفصحى

مصطفى الشهابي

الالتزام في الشعر العربي المعاصر

فارس ... في خاطرى ذكريات عطرة

مالك بن الريب

سنوات لها تاريخ

النسيب في الشعر العربي



الموضوع	الكاتب	السنة/الشهر	العدد	الصفحة
أبو بكر بن عمار	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
شارلز ديكنز	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
تعريب العلم في البلاد العربية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
البحتري	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
القصة ودورها في المجتمع	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الشعر الوجداني في شعر العرب قبل الإسلام	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
العقد الفريد لابن عبد ربه	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الفكاهة في الشعر العربي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الأمالي لأبي علي القالي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
اللغة العربية أطول لغات الأرض عمراً	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
عيون الأخبار لابن قتيبة	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

الموضوع	الكاتب	السنة/الشهر	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الأخطل الصغير في إحياء ذكراه	أحمد السقاف	[illegible]	[illegible]	[illegible]
كان	مصطفى عبد الرحمن	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	نور [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	سلطان [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	أحمد [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	عبد المنعم عواد يوسف	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	أحمد السقاف	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	عبد المنعم عواد يوسف	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	أنطون عيد	[illegible]	[illegible]	[illegible]



الموضوع	الكاتب	السنة / الشهر	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	٧		[illegible]
[illegible]	[illegible]	٧		
الى شاعرة [illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]		[illegible]	٢٨
[illegible]	[illegible]	٧	[illegible]	
الى صديق مهاجر	[illegible]	٧	[illegible]	[illegible]

الموضوع	الكاتب	السنة / الشهر	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	٧		[illegible]
[illegible]	[illegible]	٧	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	٧	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	٧	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
معجم البلدان لياقوت	عبد الستار فراج	٨ / ٧٠	١١١	٧٦
[illegible]	[illegible]	٧	[illegible]	
[illegible]	[illegible]		[illegible]	

الموضوع	الكاتب	السنة / الشهر	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]
حقوق الانسان اعلنها الاسلام	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
العلم العربي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٧٨
التكافؤ عند الزواج	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
كارل بروكلمان . اسدى للفكر اجل الخدمات	[illegible] موسى	٦ /٧٠	١٣٩	٣٢
العرب والزراعة	د. عبد [illegible]	٧ /٧٠	١٤٠	[illegible]
[illegible] الفجر وفاتح فرنسا	[illegible]	٧ /٧٠	١٤٠	٢٩
[illegible]	نسيبة فراعة	٧ /٧٠	١٤٠	[illegible]
المماليك واحياء الثقافة العربية والاسلامية بمصر	د. عبدالعال سالم مكرم	٧ /٧٠	١٤٠	٨
الاصول العربية للكوميديا الالهية	د. حسين مؤنس	٩ /٧٠	١٤٢	٣٢
العقد الفريد لابن عبد ربه	عبد الستار فراج	[illegible]	[illegible]	٩٧
الحضارة العربية في تاريخ عصر سيدنا ابراهيم	د. محمد اسماعيل الندوي	١٠/٧٠	١٤٣	٨٤
نحاة لتاريخ .. الى ابن [illegible] تاريخ البشر	د. حسين مؤنس	١١/٧٠	١٤٤	٦٢
علماء الزراعة الاندلسيون	محمد عبد الله عنان	١١/٧٠	١٤٤	٨٧

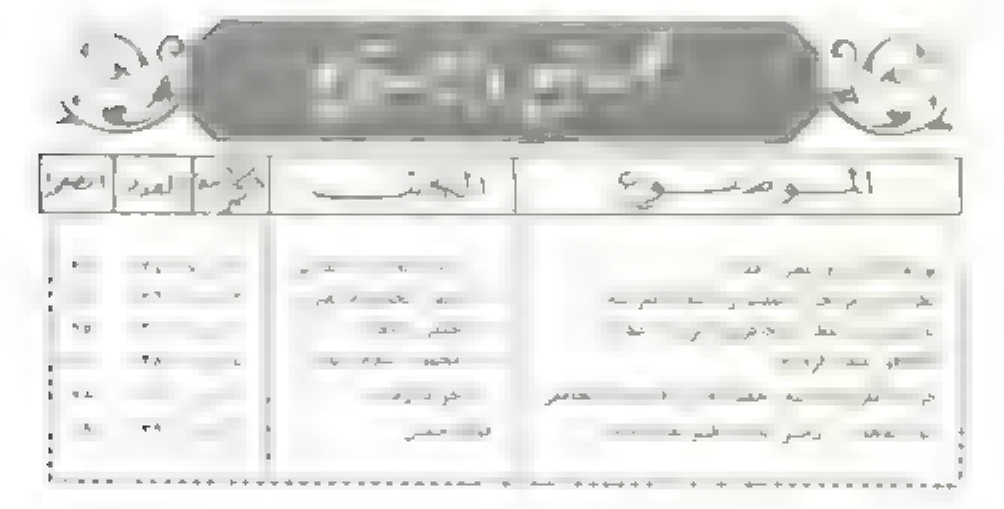
[illegible]

الموضوع	المؤلف	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
الامام جعفر الصادق	[illegible]	١ /٧٠	١٣٤	٩
الرهندي يعود الى النور	[illegible]	١ /٧٠	١٣٥	٨
[illegible]	[illegible]	٢ /٧٠	١٣٥	[illegible]
[illegible]	[illegible]	٢ /٧٠	١٣٥	٤٦
[illegible]	د. محمد اسماعيل الندوي	٣ /٧٠	١٣٦	[illegible]
جمال الدين الصرصري	خليل هنداوي	٤ /٧٠	١٣٧	٧٥
عبد الحميد بن باديس	زكي رابح	٤ /٧٠	١٣٧	
مصطفى [illegible]	علي جبر النجاري	٥ /٧٠	١٣٨	٨٣
مالك بن الريب	د. حسين عطوان	٦ /٧٠	١٣٩	٩٢
[illegible] وفاتح فرنسا	[illegible]	٧ /٧٠	١٤٠	٢٩
الكاهنة	نسيبة فراعة	٧ /٧٠	١٤٠	[illegible]
ابو بكر بن عمار	محمد عبد الله عنان	٧ /٧٠	١٤٠	٧٦
ابو بكر الطرطوشي وكتابه سراج الملوك	محمد عبد الله عنان	٨ /٧٠	١٤١	٨٨
البحتري	د. حسين عطوان	٨ /٧٠	١٤١	[illegible]
الوزير المهلبي	حسن الامين	٩ /٧٠	١٤٢	[illegible]
محمد الشرقي	الحوفي [illegible]	١٠/٧٠	١٤٣	٣٨
من تاريخ حياة الدكتور احمد زكي رئيس تحرير العربي		١٠/٧٠	١٤٣	٣٣
الدكتور مصطفى جواد	عبد الكريم مراد	١١/٧٠	١٤٤	٣٩
ام انس بن مالك	نسيبة فراعة	١٢/٧٠	١٤٥	٦

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible] في مالك	حصيلة قراءة	٧٠/١٢	١٤٥	٦٠

الموضوع	الكاتب	التاريخ	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
العربية ودورها في المعركة المعاصرة	د. شاكر [illegible]	٧٠/٥	١٢٨	٩٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٨
١٠ وصايا للنجاح في الحياة	د. علي احمد علي	٧٠/٧	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الملابس وآثارها النفسية والاجتماعية	د. علي احمد علي	٧٠/٩	[illegible]	١٧
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٨
الأحلام	د. علي احمد علي	٧٠/١١	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]



الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	٧/٧	[illegible]	٦
الزواج [illegible] الاسلام	[illegible]	٧/٨	[illegible]	٩٦
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	١٢١
[illegible] المجتمع	محمد [illegible]	٧/٨	[illegible]	١٥١
[illegible]	[illegible]	٧/٩	[illegible]	[illegible]
[illegible] المجتمع الاسلامي	[illegible]	٧/٩	[illegible]	[illegible]
الرمد العربي	الدكتور [illegible]	٧٠/١٠	١٤٣	٤
جيل القلق	[illegible] العطار [illegible]	٧٠/١٠	١٤٣	١٨
[illegible] المجتمع الاسلامي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

[illegible]

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
برتراند راسل	محمد شطاوي	٧٠/٤	١٣٧	٣٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مفكر أو لا مفكر	د. زكريا ابراهيم	٧٠/٦	١٣٩	٨٣
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
من هو الفنان	د. زكريا ابراهيم	٧٠/٩	١٤١	٢٤
هل الانسان انسان بالجوهر وفنان بالعرض ام هو فنان بالجوهر وانسان بالعرض	د. زكريا ابراهيم	٧٠/١١	١٤٤	٢٤
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
خلق العالم عند الفيلسوف الالماني ليبنتز وعند محيي الدين بن عربي	د. محمود قاسم	٧٠/١٢	١٤٥	٧٣
ابن طفيل والفلسفة	د. محمد احمد [illegible]	٧٠/١٢	١٤٥	١٣٦



الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
قاهرة محرر الهند الاول	بقلم : محمد طنطاوي	٩/٧٠	١٢٤	١٥٠
سمارة	بقلم : علي ابحيو	٩/٧٠	١٢٥	١٠٩
[illegible]	بقلم : محمد طنطاوي	[illegible] ٧	[illegible]	٨١
[illegible]	[illegible]	٨ / ٧	[illegible]	٨٨

الموضوع	الكاتب	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
[illegible]	بقلم : [illegible] تصوير : اوسكار متري	[illegible] ٧	٢	٦
[illegible]	بقلم : محمد طنطاوي تصوير : اوسكار متري	٧	١٢٥	١
[illegible]	استطلاع : [illegible] تصوير : [illegible]	٧	٣٦	٣٦
[illegible]	استطلاع : [illegible] تصوير : عبدالناصر شرف	٧	٣٧	٥٣
الخطوط الجوية الكويتية	بقلم : [illegible] تصوير : اوسكار متري	٥/٧٠	١٢٨	٩٠
اندية الكويت الرياضية	بقلم : محمد طنطاوي تصوير : اوسكار متري	٦/٧٠	١٢٩	١١٦
صيد الربيان	بقلم : محمد طنطاوي تصوير : اوسكار متري	٧/٧٠	١٣٠	١٠٨
معهد المعلمين	استطلاع : [illegible] تصوير : عبدالناصر [illegible]	٨/٧٠	١٣١	١٠٨
نهضة الكويت كما صورها [illegible]	بقلم : محمد طنطاوي تصوير : اوسكار متري	[illegible] ٧	[illegible]	٦
[illegible] الكويت	استطلاع : [illegible] تصوير : عبدالناصر [illegible]	٧	[illegible]	٥٣

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
بيوت الله في الكويت	بقلم : محمد طنطاوي [illegible]	٧٠/١١	١٤٤	٥١
[illegible]	[illegible] محمد [illegible] تصوير : عبد الناصر شهرة	[illegible]	[illegible]	٥٢

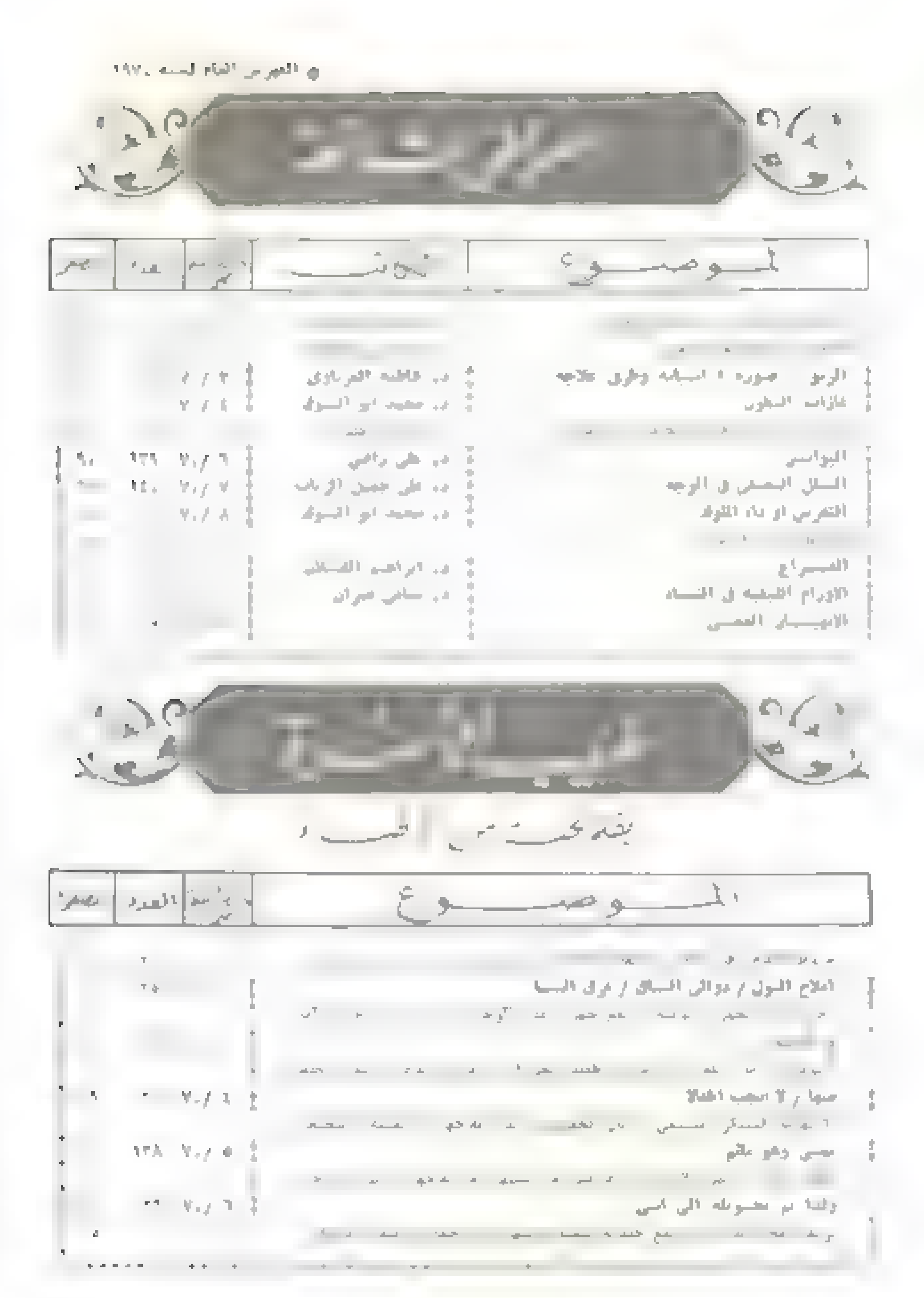
[illegible]

الموضوع	الكاتب	الشهر/السنة	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	المصور : أوسكار متري المستطلع : منير نصيف	٧٠/ ٢	١٣٥	٧٦
مصايف سورية	المصور : أوسكار متري المستطلع : منير نصيف	٧٠/ ٣	١٣٦	٦٠
[illegible]	المصور : أوسكار متري [illegible]	[illegible]	[illegible]	٨
[illegible]	المصور : أوسكار متري [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible] !	المصور : أوسكار متري المستطلع : سليم زبال	٧٠/ ٦	١٣٩	٥٢
البصرة !	المصور : أوسكار متري المستطلع : منير نصيف	٧٠/ ٧	١٤٠	٥٢
البحرين !	[illegible] المستطلع : سليم زبال	٧٠/ ٨	١٤١	٥٢
صنعاء !	المصور : أوسكار متري المستطلع : سليم زبال	٧٠/ ٩	١٤٢	١٠٨
المنصورة !	المصور : أوسكار متري المستطلع : منير نصيف	٧٠/١٠	١٤٣	٩٢
قطر !	المصور : أوسكار متري المستطلع : سليم زبال	٧٠/١١	١٤٤	٩٢
تعز !	[illegible] المستطلع : سليم زبال المصور : أوسكار متري	[illegible]	١٤٥	٩٢



بقلم الدكتور [illegible] زكي

الموضوع	السنة	العدد	الصفحة
السكارين والسلاسل/الأسلحة البيولوجية من [illegible] / [illegible] النفس احتلاهم بالسود	١/٧٠	١٣٤	١٢٨
[illegible] والنصحة [illegible] النحر من [illegible]	١/٧٠	١٣٥	١١٨
[illegible] في برلمان الولايات المتحدة	٣/٧٠	١٣٦	٩٤
[illegible] عمدان العلم / [illegible] الجديد [illegible] في اليابان / [illegible] اليوم من بقايا صواريخ ومركبات فضاء	٤/٧٠	١٣٧	٨
تعليم الدكتور [illegible] / أول [illegible] / [illegible] الأسلحة البيولوجية والأسلحة الكيماوية / العالم في عام ١٩٨٥ وما [illegible] / [illegible]	٥/٧٠	١٣٨	١٢١
[illegible] سيارة على سطح القمر	[illegible]	[illegible]	٧
[illegible] أكثر [illegible] على القمر / [illegible] / [illegible] في أيام [illegible] الأولى / [illegible] والعدد في [illegible]	٧/٧٠	١٤٠	٩٤
[illegible] / المبيدات الكيماوية والبرود [illegible] / [illegible] في المضادات [illegible]	[illegible]	[illegible]	٨٠
المضادات الحيوية [illegible] / العقم [illegible] / [illegible] الدم في [illegible] / [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible] / الصواريخ العابرة للقارات / [illegible] / [illegible] محطة كهرباء تحت الأرض	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible] الدول الكبرى في [illegible] / أكثر أنواع السرطان [illegible] الروسي كما [illegible] روسيا [illegible] / [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible] الصوت [illegible] الأصابع / [illegible] [illegible] بالكلى	[illegible]	[illegible]	٨٨



الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
الربو: صوره، اسبابه وطرق علاجه	د. فاطمة [illegible]	٣ / ٧		
غازات البطون	د. محمد ابو [illegible]	٤ / ٧		
البواسير	د. علي راضي	٦ / ٧٠	١٣٩	٩٠
السلل [illegible] في الوجه	د. [illegible]	٧ / ٧٠	١٤٠	
التعرق [illegible]	د. محمد ابو [illegible]	٨ / ٧٠		
الصداع	د. ابراهيم [illegible]			
الاورام الخبيثة في النساء	د. سامي عمران			
الانهيار العصبي				

بقية حديث [illegible]

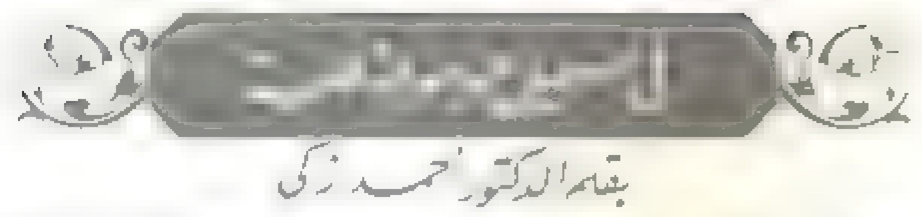
الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
املاح البول / دوالي الساق / مرض [illegible]		٢٥	
صبيا / لا انجب اطفالا	٤ / ٧٠		
عصبي وهو عالم	٥ / ٧٠	١٣٨	
ولدنا لم يتحول الى انسان	٦ / ٧٠		

الموضوع	رقم السنة/الجزء	العدد	الصفحة
الدولون الحساس / اسطوانات الهواء , ... في الفراش ... الصدر سرطان الدم / الهابات المفاصل / ضعف الدم / روماتزم القلب			٢٩
[illegible]			
... في الفم ما أسبابها		٣	
الفرق بين الأعياء و ... / مرض ... / ... نور في العين			
... / حرب ... / ... في الفراغ		٧	١

[illegible]

بقلم الدكتور أحمد زكي

الموضوع	رقم السنة/الجزء	العدد	الصفحة
السماء ... للفكر / ... , ... / ... الموجز			
[illegible]			
دراسة وخطة			
الشمس أم الحياة / الرجل الذي ... من مخلوقات الله , والقرى كم تعرف / المعبود بخلق الله / أحياء الأرض التي ... الإنسان الأسباب ... / ... أصل الحياة الأول	٧٠/٢	١٢٥	٢٠
... في هواء الجو ... في ماء الأرض ... / ... / كل حياة إلى نمو ... / دورة الكربون في الحياة / الأجسام ... / دورة الأزوت / وظائف أودعها ... في الأجسام ...	٧٠/٣	١٢٦	٢٤
[illegible]			
... العمود ...	٧٠/٤	١٢٧	٢٢
هياكل الحيوانات ... من الوحدة ... / الهيكل ... للإنسان , وحده لا ... / الزرافة / هيكل الإنسان ... نموذج ... الهياكل العظيمة للحيوان / ...	٧٠/٥	١٢٨	١٨
الحيوانات لا بد لها من هيكل صلب ... , الهياكل في الحيوانات			
[illegible]			
... / الحيوانات ... / الحيوانات ... / ...		٢٨	



بقلم الدكتور أحمد زكي

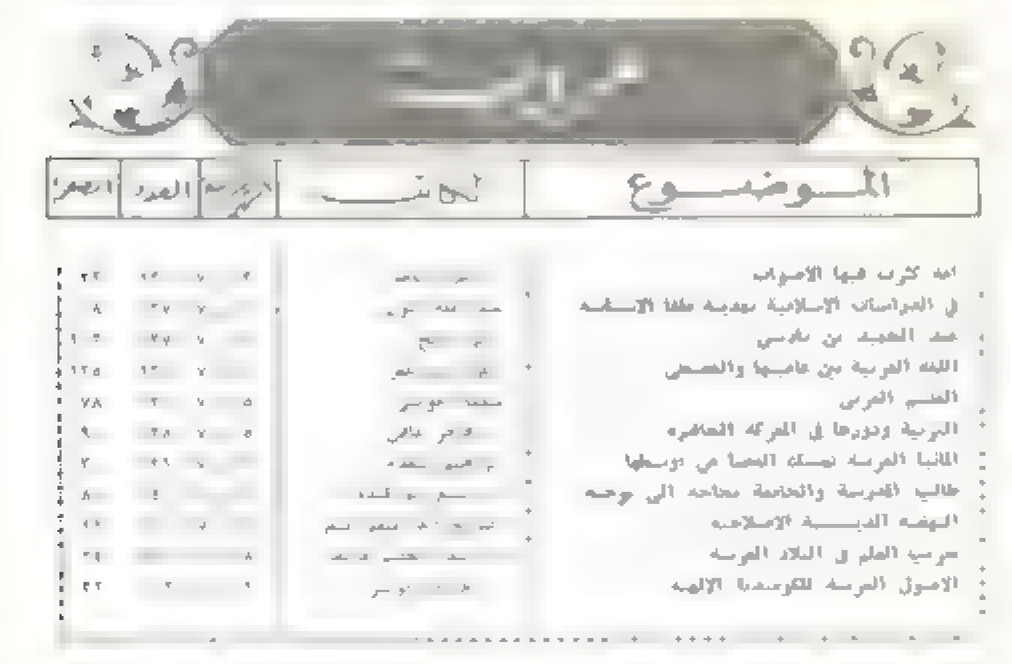
الموضوع	تاريخ سنة	العدد	صفحة
[illegible] المدار من داخل الإطلاق ورائه ممر خطر / سفينة الفضاء وصاروخها ساترن رقم ٥ / صاروخ المرحلة الأولى والثانية والثالثة / أطلاق السفينة في مدارها [illegible] في مدار حول القمر / الهبوط على سطح القمر / اللحظة الحاسمة / [illegible]	٧		
الثلاجة كيف تعمل : المادة المبردة في الثلاجة / الثلاجة المنزلية / الثلاجة الكاملة / بين المبرد والمثلج / الطعام يصلح على المبرد والمثلج ولكن [illegible]	٧٠/ ١	١٣٤	٧٤
الألوان : اللون كان شيئا مبهما ثم تكشف / تحليل الضوء الأبيض إلى [illegible] الشمس / كيف يعبر عن الإنسان الألوان / الألوان وأثرها في النفس / [illegible]	٧٠/ ٢	١٣٥	٣٨
[illegible] من الشجر / تركيب الخشب / تجفيف الأخشاب / الخشب اللين والخشب الصلب / معارج الأخشاب تكسبها جمالا / خشب الخبرة ، خشب الرقائق ، الخشب مادة لصناعة الورق / تعين الخشب من الحرق ومن البلى .	٣ ... ٧	٣	[illegible]
الصابون : الصابون عرفه الإنسان قديما ملأ كل الناس قبله / الأصباغ والأسحار استعملت صوابين / صناعة الصابون / أنواع الصابون / كيف تقوم هذه البدائل بالتنظيف / البدائل والحرب الكريمة		٩	
الحرف والفخار . الطين والصلصال / صناعة الطوب أو الآجر أو القرميد/ احتراق الطوب والخزف عامة / صناعة الصيني / الزجاج تكون في وسط / وكذلك الطوب والزخرفة / الخزف في التاريخ		٢	
الشمس : أقرب نجوم السماء إلينا / الإنسان والنجوم / مصدر الحياة على ربع وحمى الإنسان على أمن / الشمس تدور حول محورها / الشمس سيم الشمس كرة من غازات ملتهبة وقربها الكرة / عمر الشمس	٧٠/ ٦	١٣٩	٤٠
نجوم السماء : النجوم كما للناس عمل / ألمع النجوم وأقربها / كيف نقاس أبعاد السماء / لا نرى السماء كما هي اليوم ولكن كما كانت في الأمس البعيد/ طاقة النجوم من أين مصدرها / النجوم وأطياف ضوءها / النجوم في حركة .	٧٠/ ٧	١٤٠	٤٣

الموضوع	سنة / شهر	العدد	الصفحة
[illegible]	١		٢٨
[illegible]	٧		١٨
طعام الانسان ... / اصول الطعام ثلاثة / الحبوب ... / النخل ... والفول ... / النحل واللحم والجزر / ... [illegible]	٧٠/١٠	٤٣	٦٢
البن .. والقهوة ... اسم البن ... / القهوة ... / زراعة البن / ... / حصاد البن / انواع البن / ... / ... البن العالمي ...	٧٠/١١	١٤٤	
... السرولة ... / اصول البترول ... / البترول ... / ... / الزيوت ... / ... / ... البترولية ... / ... والدول العربية	٧٠/١٢	١٤٥	٣٢



الموضوع	سنة / شهر	العدد	الصفحة
واق ... / ... التاريخ ... / ... امريكا ... في ... الارض ... / ... / ... الارض ...		٢	٥
[illegible]			
اوناسيس ... اليوناني الكبير / شهادة ... G.C	٧ ٢	٢٥	٤٩
حركة ... في بريطانيا / ... / ... / ... في الصين / ... الورق ... / ...	٧ ٣	٣	٥
[illegible]			
كيف ... في الخارج دون ان ... / ...	٧٠/٤	٣٧	٥

الموضوع	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
[illegible]	[illegible]	١٣٨	[illegible]
البترول في ترابه	٧٠/٦	١٣٩	١٧٠
[illegible]			
المركبة من شاك واين	٧٠/٧	١٤٠	١٥٤
[illegible]			
والسجين اليوم	٧٠/٨	١٤١	١٧٢
[illegible]	٧٠/٩	١٤٢	١٧٢
العربية / احصى مكان واغلى مكان	٧٠/١٠	١٤٣	١٥٤
الكويت / اسرع الحيوانات / محطة الاتصالات بدون حجة	٧٠/١١	١٤٤	١٥٤
قارات العالم / الأيام والشهور العربية / اوسع المعاجم انتشارا	٧٠/١٢	١٤٥	١٥٤



الموضوع	الكاتب	الشهر / السنة	العدد	الصفحة
امة كثرت فيها الأصوات	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٣٢
في الدراسات الإسلامية بمدينة طفا الاسلامية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٨
عبد الحميد بن باديس	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
اللغة العربية بين عامياتها والفصحى	[illegible]	[illegible]	[illegible]	١٢٥
العلم العربي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٧٨
العربية ودورها في الحركة المعاصرة	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
المانيا العربية تمسك العصا من وسطها	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
طالب المدرسة والجامعة محتاجة الى توجيه	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
النهضة الدينية الإصلاحية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مرسي العلم في البلاد العربية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الاصول العربية للوحدة الالهية	[illegible]	[illegible]	[illegible]	٤٢



الموضوع	الكاتب	تاريخ العدد	العدد	الصفحة
الوطن العربي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
جيل العلمي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
محمد السرطي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
اللغة العربية تطور لعلم الوطن العربي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

الموضوع	الكاتب	تاريخ العدد	العدد	الصفحة
شظايا راعي تحت البوابة	د. حسين مؤنس	١ / ٧٠	١٣٥	١٣٤
صانع الأقدار	سليمان العطار الكزبري	٢ / ٧٠	١٣٥	١٥٠
الحب الخائف	حسن الحداري	٣ / ٧٠	١٣٦	١٣٦
الفرسان مقلب وحش دلال	ترجمة عبادة ابراهيم	٣ / ٧٠	١٣٦	١٤٤
حديقة الذكرى	عبد الله محمد احمد	٦ / ٧٠	١٣٩	١٦٠
السعادة « من ليو تولستوي	ترجمة يوسف مطر	٧ / ٧٠	١٤٠	٤٨
الرغيف	نظمي عبد المطلب السري	١٠ / ٧٠	١٤٣	١٤٤
قصة « ابو الشامات العمش »	محمد سليم رشدان	١٢ / ٧٠	١٤٥	١٣٨

قام باعداد رسومها احمد الوردي



بقلم الدكتور [illegible]

الموضوع	السنة	العدد	الصفحة
جهاد شعب فلسطين لصالح مسعود ابو بصير	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الكيبوتز او المزارع الجماعية في اسرائيل لعبد الوهاب الوكيل	[illegible]	[illegible]	[illegible]
هل ينجو الشعب اليهودي لجورج فريدمان	[illegible]	[illegible]	[illegible]
اخطار المخطط الصهيوني في اسرائيل ليوسف [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
فلسطين في ضوء الحق والعدل لهنري كتن	[illegible]	[illegible]	[illegible]
مسرحية « بانتظار جودو » تأليف صموئيل بيكيت	[illegible]	[illegible]	[illegible]
بدر شاكر السياب للدكتور احسان عباس	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible] لجورج فريدمان	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible] لجون كيمتي	[illegible]	[illegible]	[illegible]
اسرائيل [illegible] تأليف مصطفى عبد العزيز	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible] محمد [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]



بقلم منير شفيق

الموضوع	السنة	العدد	الصفحة
المرأة التي في اعماقنا	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ماء و اباء	[illegible]	[illegible]	[illegible]
عندما يكون الحب عونا على مصاعب الحياة	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الوحدة	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الغيرة	[illegible]	[illegible]	[illegible]
قصة الكاتب الايطالي الكبير [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
رسالة ام الى ابنها العروس	[illegible]	[illegible]	[illegible]
حب [illegible] و [illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
لماذا لا يتزوج الرجل	٧٠/١٠	١٤٣	
صبيحة زفافها سافرت الى صاحب جنسها	٧٠/١١	١٤٤	٧٨
سيمون ، هكذا تزوج ابنته -	٧٠/١٢	١٤٥	٨٠

بقلم يوسف زعبلاوي

الموضوع	الشهر والسنة	العدد	الصفحة
طلائع الزراعة عندنا من العرب	[illegible]	[illegible]	[illegible]
هيرودوتس ... ابو التاريخ	[illegible]	[illegible]	[illegible]
رحلة في اعراس البردي	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ملحمة جلجامش	[illegible]	[illegible]	[illegible]
حوراني ... حاكم يوحنا الكبير وصديق فرعون	[illegible]	[illegible]	[illegible]
علم الفلك عند اليونان	[illegible]	[illegible]	[illegible]
من معابد الملك رمسيس الثاني	[illegible]	[illegible]	[illegible]
حمورابي ملك بابل وشريعتها العظمى	[illegible]	[illegible]	[illegible]
المسرح اليوناني القديم	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الطب عند قدماء المصريين	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الزراعة والمزارعون في عهد الرومان	[illegible]	[illegible]	[illegible]
الصناعة في العصور المصرية القديمة	[illegible]	[illegible]	[illegible]



العدد ١٤٩

صفر ١٣٩١

ابريل

نيسان ١٩٧١

محصول الارض ، [illegible] السودان [illegible]

١٢٠٠

دينار سنويا



من روائع الفن العالمي

● هذه لوحة « من جزء صغير من لوحة أخرى كبيرة لرسام النهضة الإيطالي الشهير « رفائيل [illegible] وهي لوحة جدارية من نوع الفرسكو [illegible] فقد رسمها رفائيل على أحد جدران الفاتيكان وسماها « مدرسة أثينا » .

ما هذا الذي نرى؟ هو إقليدس كما تخيله رفائيل، وقد بدا منهمكاً في تدريس تلامذته أصول الهندسة كان ذلك في الإسكندرية [illegible] ق . م) وقد اشتهر إقليدس بالكتاب الذي وضعه في أصول الهندسة وسماه [illegible] وهو الكتاب الذي اعتمد عليه العالم بطلميوس فيما بعد ، والذي كان في طليعة الكتب اليونانية التي ترجمت إلى العربية حوالي القرن الثامن الميلادي .

عزيزي القارئ

الموقف العربي يتلخص هذه الساعة فيما يلي :

(أ) أعطت الجمهورية العربية المتحدة في سبيل السلام غاية ما يعطي المعطي ، دون أن تجعل من السلام استسلاما .

(ب) لم يعط العدو شيئا ، ولم يعد بشيء ، اعتمادا على ما عنده من سلاح تكدس ، وعلى ما وعده الأحباب إياه من زيادة فيه ، وحسن التعويض عن كل ما يخسر من طائرات يستخدمها في تخريب بلاد العرب ، غير المعونات الاقتصادية التي لا حد لها .

* * *

والذي نريد أن نلفت إليه النظر اليوم أن العدو يرفض قيام قوات من الدول الكبرى عند الحدود ، فيما بينه وبين العرب ، في حين أن الدنيا وجدت في هذا الضمان كل الضمان ، وأنه يغني بالأمن الذي يطلبه العدو وهو قابع فيما اغتصب من بلاد .

والحقيقة في هذا الأمر عند العدو ، هي غيرها عند سائر الناس .

عند سائر الناس ، أن الحماية مطلوبة لإسرائيل من العرب .

وعند إسرائيل أن هذه الحماية ، حماية للعرب من غزو مقبل للبلاد العربية تعتزمه إسرائيل .

* * *

إسرائيل لا يمكن أن تحيا إلا بأن تتوسع .

ولا توسع إلا بغزو .

وحالة العرب اليوم ، وغدا ، وبعد غد ، تغري كل غاز بغزو .

إن الحدود لا تحمي أحدا ، ولكن تحمي الناس ما داخل الحدود .

٨ مارس ١٩٧١ المحرر



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام

- حديث الشهر: مطلوب العروبة والأمن في الحياة السوية، الإنسان [illegible] قبل أن يولد، وبعد أن يولد، وإلى أن يموت .. 8

إسلاميات

- عالم الإسلام والعروبة في الحرب الصليبية الطويلة المدى 86

أدب ولغة

- الرمزية في الأدب العربي قديمها وحديثها .. 95
- صفحة في اللغة [illegible] الشيب ومعانيها .. 129

استطلاعات مصورة

- افتتاح أول دورة لمجلس الأمة الجديد في الكويت (بالألوان) 52
- ملكال عاصمة أعالي النيل بالسودان (بالألوان) 100

عروبة

- أجهزة الحكم تطلب فيها أساليب من إدارة حديثة، ما أحوج العرب إليها 67

تربية وعلم نفس

- التعليم المختلف في البلاد العربية لا ينهض به الأساليب العلمية 4
- الغيرة الوجدانية ودورها في حياتنا النفسية 148

طب وعلوم

- [illegible] 36
- في سلسلة موسوعة علمية: [illegible] 22
- أنباء الطب والعلم والاختراع: [illegible] 45
- أمراض شائعة: [illegible] الإنسان .. 78
- [illegible] 12

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

العربي

تصدرها [illegible] حكومة الكويت

[illegible]

ALARABY — No. 149 April 1971 P. O. B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت: صندوق بريد 748 — تلفون [illegible] — تلغرافياً: العربي

الإعلانات: [illegible] قسم الإعلانات

المراسلات: [illegible] رئيس التحرير

صورة الغلاف

● بعد الاستقلال ترك الاستعمار جنوب السودان في حالة اقتصادية واجتماعية أقل ما يوصف به أنها سيئة . وحاولت حكومات ما بعد الاستقلال النهوض بالجنوب على حالته بسبب المشاكل التي خلفها الاستعمار [illegible] وحين [illegible] الحكومة الحالية في عمل مشروعات اقتصادية وزراعية واجتماعية لنهوض الجنوب . وتمثل صورة الغلاف واحدة من [illegible] مدينة [illegible] ملكال « [illegible] مشروعات الزراعة الآلية الحديثة وفي وسط حقل من حقول الذرة الرفيعة . (Millets) انظر الاستطلاع ص ١٠٠)

■ [illegible] ظاهرة [illegible] في العالم في الخطورة بمكان ٢

وتاريخ شخصي :

■ مصطفى عبد الرازق الفيلسوف الذي جمع بين الثقافة [illegible] والثقافة العربية ١٣٣

ركن الأسرة والمرأة

● خضوع الآباء لمطالب الأبناء [illegible] عليهم ١٢٥

شعر .. وشعراء

● شعراء [illegible] [illegible] [illegible] ، والشاعر [illegible] ، والشاعر [illegible] ٧

● أنا وأنت .. (قصيدة) ٨٤

● إلى [illegible] .. (قصيدة) ١٥٥

كتب

● كتاب الشهر : العلم والتعليم العالي في إسرائيل ١٦١

مكتبة العربي ١٦٧

قصص وأدباء

● من غرائب القضايا [illegible] الذي [illegible] شخصيته ١٥٦

■ العنيسة الأحمر ١٤٤

● من روائع الفن العالمي [illegible] وساجداته ، [illegible] ١٤٢ – ٢

● [illegible] القارئ ٢ ■ [illegible] القراء ٦

● [illegible] مسابقة العدد ١٠٧ ١٨ ■ مسابقة العربي ١٩

● طرائف عربية ٥ ■ [illegible] ٧٦

■ [illegible] [illegible] [illegible] السد العالي ومجرى النيل في ج.ع.م – [illegible] [illegible] بين الشرق والغرب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الجزائر [illegible] ١٣٦

ثمن العدد : الكويت ١٠٠ فلوس ، الخليج العربي ٢ ريال ، [illegible]
٢٠ فلس بحريني ، العراق ٩٢ فلسا ، سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش
الأردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ٩ قروش ، ج.ع.م ١٠
قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، ليبيا [illegible] ٢
[illegible] ٤٥ [illegible]

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة تحول طلبات الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع بيروت ، وعنوانها : بيروت – ص . ب ٢٢٢٨ ويكتب على الغلاف .



العربي في تشيكوسلوفاكيا

● نتتبع بكل سرور عددين من اعداد مجلة العربي الغراء لشهري نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٧ ، وكانت هذه اعظم هدية تسلمناها اليكم الطلبة العرب الذين يتلقون علومهم في الخارج ، فما ان وصلت بين ايدينا حتى رحنا نتسابق على قراءتها ، وكل واحد منا يريد ان يلتهمها التهاما ..

وكم كان سرورنا اعظم عندما عرضنا مجلتنا « العربي » على اصدقائنا التشيك المستشرقين بجامعة براغ وجلسنا نستمع الى كلمات الاطراء والاعجاب بالمجلة وما حوته من موضوعات علمية وثقافية وادبية ممتعة .

ثم لا ننسى ان نوجه تحية خاصة لرئيس التحرير استاذنا الدكتور احمد زكي ، على مقالته القيمة في وحدة اللغة في مغرب العربي ، وما حواه هذا المقال من عرض وتحليل لوضع اللغة العربية في هذا الجزء من وطننا العربي ، وموقف هؤلاء الفرنسيين الذين يتهمون العربية ، زورا وبهتانا ، بالقصور ، ويعتبرون انها لغة التخلف والتخلف ، ناسين او متناسين ، انهم بهجومهم هذا ، انما يدافعون في جهلهم بلغة احفادنا ، وخوفهم من اي سياسة عادة في مجال التعريب .

لقد كان مقالكم موضوع مناقشة حادة ومستمرة مع فريق من الطلبة المغاربة الذين يتلقون علومهم معنا في جامعة براغ ، وقد بد فالمستهم كل كلمة جاءت في مقالكم القيم .

رابطة الطلبة اليمنيين

جامعة براغ ـ تشيكوسلوفاكيا

ابواب العربي في كتب

● لاحظت ان مجلتكم مقسمة الى ابواب عديدة طب وعلوم وادب ولغة وشعر وشعراء ، وركن الاسرة والمرأة .. الخ فهي بمثابة مجمع ما تنشره المجلة منذ صدورها تحت كل باب واعادة اصدارها في صورة كتب وبالتالي يمكن لمن فاته اعداد كثيرة من مجلتكم فرصة اخرى لقراءة هذه الموضوعات لان الكثيرين ، ونحن في عصر العلم والتخصصات ، يرغبون في نوع معين من ابواب المجلة وسوف يتيح لهم تنفيذ هذا الاقتراح شراء الكتاب الذي يحوي كل ما نشرته المجلة في اي باب من الابواب الثابتة .

نبيل حبيب عوض الله

جائزة في الطريق

● انني من قراء مجلة العربي ، تلك المجلة التي تجد فيها القارئ كل ما يبحث عنه ، وقد فزت في احدى مسابقات العربي وهي المسابقة ١٤٣ لعدد اكتوبر ١٩٧ ، وقد نشر اسماء الفائزين في العدد رقم ١٤٥ ديسمبر ١٩٧ وكان من ضمن الاسماء المنشورة اسمي ، ولم يصلني حتى الآن قيمة الجائزة فما رأي سيادتكم في ذلك .

يوحنا مسعود عزاوي

الاسكندرية ج.ع.م

العربي [illegible]

مقبولة .



يمتدح تغيير صورة الغلاف

● احتفظ بصورة المرأة على غلاف العربي ، لتحمد الله الذي هداكم الى ذلك . فلم تكن العربي تمد يوما حتى وضع صورة فتاة جميلة على واجهتها ، لكي تضمن الرواج والتوزيع .. فنحن مشترى العربي ، لانها المجلة الوحيدة التي تقدم لنا من الغذاء الفكري ما لا نجده في اية مجلة اخرى ، ثم ان لنا رجاء آخر ، حاربوا التدخين ، وامتنعوا عن نشر الاعلانات عن مختلف انواع التبغ ، فقد ادرعنا ما قرأناه من تقارير الصحة عن اخطاره على المدخنين .

عبد الله محمد العلي

الظهران – السعودية

.. وآخر يحتج !

● [illegible] امر ؟ – كيف ترضى [illegible] تحرير المرأة مما هي عليه من (الظلم – التعسف –) دنيا الرجال . ثم تأتون بعكس ما تقولون – لم لا تصدقون بما تقولون – اني اعتقد تمام الاعتقاد بان مجلتكم هي صحيفة لمسيرة المرأة العربية في كل مكان ، وهي تفتخر كل بيت ، لان كل ما فيه نافع من الثقافة واللغة العربية – ولذلك يوافق كل رجل عربي على ادخال هذه المجلة بيته تقرأ منها الفتاة والفتى أيضا على حد سواء لا تستحيان منها شيئا . اتركوا صورة المرأة مكانها على الغلاف .. ولا تسيئوا الى الله جميل يحب الجمال .

محمد عبد المنعم ابراهيم

[illegible]

خريطة الوطن العربي اخطاء بها مزعومة

● لاحظت خطأ في خريطة الوطن العربي ، لقد فاتكم ذكر المنطقة المحايدة الواقعة بين دولة الكويت والمملكة العربية السعودية .. لهذا ارجو تصحيح هذا الخطأ .

محمد سليمان – قطر

علم سلطنة عمان

● في الهدية المرفقة بالعدد الاخير من مجلة العربي – صفحة ١٢٦ – صور لاعلام الدول والامارات العربية مع معلومات عن عدد سكانها ، غير انني لاحظت ان صورة علم سلطنة عمان لم يدخل عليها التعديلات التي طرأت ، فلقد صدر مرسوم منذ مدة حول شكل العلم الجديد للسلطنة ولكن اغلب الظن ان العربي لم تكلف نفسها عناء البحث عن ذلك التعديل فنشرت صورة العلم كما كان في السابق .

محمد نور الصالح / دبي

العربي : فيما يختص بالسؤال الاول نحن نعلم انه في ٢١ يناير ١٩٧٠ وقعت اتفاقية تقسيم المنطقة المحايدة بين البلدين الشقيقين الكويت والمملكة العربية السعودية واصبح الخط المار في منتصف منطقة المحايدة هو الحدود الجديدة ، وبعد هذا التقسيم الجديد انشئت مراكز جمركية تابعة [illegible]

أما عن السؤال الثاني فنحن نعلم ان علم سلطنة عمان استبدل من قطعة حمراء كاملة الى علم مفصل رسما للشعار العربي ومستطيلين واحد ابيض والآخر اخضر ، حدث هذا يوم ٢/١٢/ ٧ وكذلك اصبحت العملة المتداولة هناك هي الريال السعيدي ، وقيمته تعادل الجنيه الاسترليني ، وذكرت كذلك اسم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وهذه تشير الى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ولكن هذه التغييرات حدثت كلها بعد الانتهاء من طبع الخريطة ، ولذا [illegible] على ملاحظته على الخريطة ، ونرغب في ان نوضح للقراء ان خريطة الوطن العربي التي قدمناها هدية مجانية مع عدد يناير ١٩٧١ احتوت على عشرات التعديلات ادخلناها على الخريطة السابقة التي قدمناها مع عدد يناير ١٩٦٩ .



بقلم رئيس التحرير

- الانسان مقيد قبل ان يولد ، وبعد ان يولد ، والى ان يموت ، ويضيق بالقيد ، فيطلب الحرية ، مع القيد .
- التقاليد قيود تعين الناس على حمل اثقال الحياة .
- الانسان محيوز محتار .

كالسجين ، في رجليه القيد ، وفي رجليه ، مع القيد ، الحركة المحدودة .

- الحريات مطبوعة ، ومصنوعة . وفي الحضارة حريات مصنوعة حشوها القيد .

والانسان صاحب فهم ، وصاحب نباهة وفطنة ، ومع هذا فما اكثر ما تستبد به معاني الحرية ، فتجعله يغفل عن قيود كثيرة ، قيدته بها الحياة ، تكاد تكون في كثرة ما تقيدت به الاغلال .

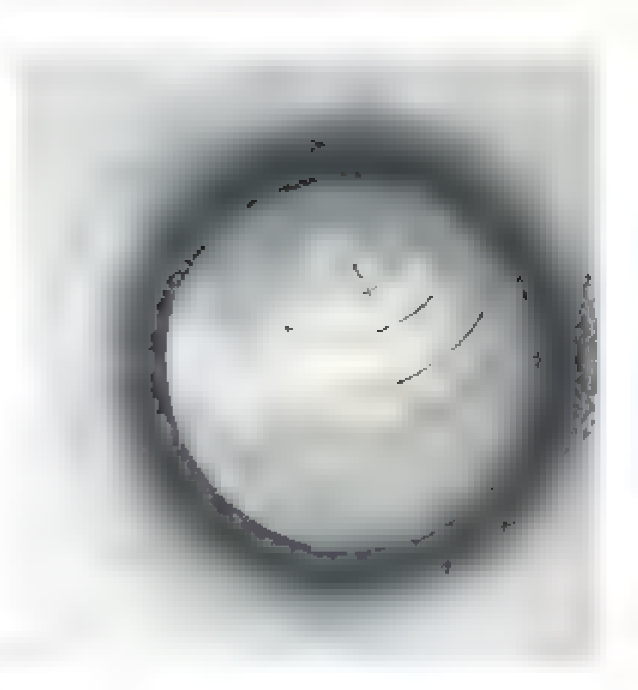
الجاذبية

اول القيود التي تمنع الحرية

حياته على هذه الارض . انها الجاذبية الارضية ، اول القيود التي تمنع من الحرية .

الطاق من الهواء ، عرضت أيضا

... هذا الدفق الهوائي



اول قيد للانسان جاذبيـة الارض . انها تجذبه ببعض من هوائها ، وشرب من مائها . وهو لو انطلق بعيدا في الفضاء لهلك

الطير في طيرانه في الهواء . ويطمع في المزيد من الحرية فيغزو الفضاء حيث لا ماء ولا هواء ، ولكنه يحمل معه المـاء ، ويحمل الهواء . ويعرفان فتقضي عليه الضرورة بالعودة الى الكوكب الام ، الى الارض . ويعود راضيـا ، لانه يحس بانه نال شيئا من الحرية ولو بضع ساعات ، ولو اياما .

انه ضيق يضيق به الانسان .

... اودعه في جسلته الرحمن .

وهو باذن الله يطير . وهو باذن الله يغزو الفضاء . وهو باذن الله يكسر ما ...

والنـاس
يخرج من ارحام امهاتهم
وفقا لمخططات مرسومة
هي قيود محتومة

والمرأة تحمل ولدها ، من نطفة منها ، ومن نطفة من ابيه . ويدعو الوالدان يكون ولدهما ذكرا ، او يدعوان ان يكون ... ، وهو دعاء بعد الاوان ، وبعد ... الطفلان . ولقد علم القدر

ايكون المولود ذكرا او تكون انثى حتى قبل ان تلتقي النطفتان . انه قراهما ، وقرا المخطط الذي حمله كل منهما ، وعلم ما تكون في الغد ، ان هما التقتا .

... ويظل الجنين يتألف ، ويأخذ شيئا ، في بطن امه نحوا من مائتين وسبعين يوما ، اي نحوا من ٦٥٠٠ ساعة او ٣٩٠٠٠٠ دقيقة ، وفي كل دقيقة من هذه هو يزيد ، كما يزيد بناء البيت طوبة او طوبتين في كل دقيقة ، ويجري بناء الجنين ، لا اعتباطا كما يظن الناس ، ولكنه يجري ، كالبيت الذي يبنيه الباني ، وفقا لرسم هو حامله ، وهو دائما متابعه ، لا يخرج منه قيد انملة ، يسارا ، ولا قيد انملة يمينا .

والقدر ، الذي يقرأ مخططات ابناء هذا الذي يجري في الارحام ، يستطيع قبل ان يتم البناء ان يصف لك الطفل كم طوله ، وكم عرضه ، وكم لحمه وكم عظمه ، وما وجهه وما صفته ، من قمة راسه الى اخمص قدمه . وهو يصف الطفل قبل ان يولد ، يصفه من المخطط ولا شيء غير المخطط ، كما يعطي رسم البيت الذي تنوي بناءه الى

المهندس يستطيع ان يصف لك البيت ما يكون ، وكيف يكون . وانت تجده بعد ذلك يكون كما وصفه الواصف العارف .

وانت خرجت من رحم امك لا كما تريد . . وانما خرجت كما اريد لك . انها القيود تباعا من يوم تولد الى يوم [illegible]

ومن قيود النفس كما هي قيود اجسام

ويأتي الاجنة في ظلام ارحامها لم تبن جسما فحسب ، فهو شيء بناه وجسما معا . ان رسومها هي ايضا في هذه المخططات من كروموسومات وجينات . ان الولد يأخذ من امه وابيه جسدا ، وهو يأخذ من امه وابيه صفات النفس جميعا . وان هو اخذ من سابق اجداده فعن طريق ابويه هؤلاء . كل شيء في سجلهما هما مرقوم .

الحياة جبر والحياة اختيار

وقالوا ان الحياة جبر ، يسير فيها السارى يسير من يؤمر فيطيع . انه في الحياة مقيد ، انه مجبور على سلوك هذا الطريق او ذاك .

وان صح ما قال هؤلاء ، وظنوا الجبر جائرا ، فهم واجدو بعضه في تلك المخططات التي يضمها تلك النطف التي سكنت ارحام الامهات .

وقال قوم بان الحياة اختيار . ولكن لم يقل احد ان الحياة اختيار كلها .

ان الايمان بانها اختيار هو الذي حفز بني الناس على القيام لتكسير هذه القيود . وظني ان الذي صنع هذه القيود جعل منها ما يهون كسره ، حفزا على مداومة التكسير والتحطيم . ويكون

هذا المخطط الجديد هو فوق المخططات جميعا ، مخططا يشمل الاحياء جملة ، والانسان خاصة ، يرسم له طريقا في السير هو مسيره فوق المسيرات جميعا ، يحسبها من الناس القلة ، اولئك الذين خالوا انهم مسوا بعض مسارب العرفان الخافية . وما احسوا بالمس حتى انقطع المساس .

ومن بعد قيود الارحام قيود الطفولة

[illegible]

وتقوم بتعليمه امه ، بعيدا ما اودعه الله في الطفل من غرائز .

ان الام لا تعلم الطفل كيف يأخذ اللبن من ثديها . انها تمس فمه بحلمة ثديها فتقوم الغريزة على الفور تستجيب . ويأخذ الطفل يمص ويمص . من علمه المص ؟ لا احد . انه من الاشياء التي لا تعلم . وهو من الاشياء التي لا يتسع حتى الوقت لتعلمها . فوجب ان يولد الطفل وهو يعلمها . ولكن نعود نسأل : ومن علمه ؟

والذي علمه المص هو الذي علمه البلع ، وعلم معدته الهضم ، وعلم هذه الالة الحية كيف تجرى الحياة في بدنه من الطفل ومعزلا عن وعيه .

ويشتد الطفل كل يوم [illegible] حركة ، وتزيده استقامة ، [illegible]

ويتعلم كيف يقعد ، ويتعلم كيف



ولكن اين القيود من كل هذه ؟

[illegible] الفعل [illegible] بفعل [illegible]

واللغة . اللغة ! انها القيد كل القيد .

انها ليست بالالفاظ فحسب ، ولا هي بالمعاني فحسب . ولكن فيها التوجيه [illegible] التوجيه ، وفيها التقويم للاشياء [illegible] الاعمال ، فهذا قبيح ، وهذا حسن ، وعادة الفكر بسكون من الكلام .

ان الاسرة تتسلمها اللغة للطفل [illegible] والتشكيل [illegible] قيد .





وهو لا يعرف لغة هذه أيما التي ،
... اللغة أسبابا مطلقا ، فصار
... أو هدا أو
...
... والصف قد .

ومن الطفولة الى الصبا

يصبح الطفل صبيا فيزداد تشكيله .
إن الطفل ، وقد ولد صفحة بيضاء ،
بدأ امتلاء صفحته ، وقد دخل دور
الصبا ، بالكثير من معاني الأشياء ،
الطيب منها وغير الطيب ، والعابر منها
...
...

ولكن هذا لا يكفي .
هذا يعني لعبة الأيام

وفي الصبا يزداد الطفل اكتساب
بعده الشخصية ، ثقافة هذا المنزل بالذات ،
أو ثقافة هذه المدرسة . ثقافة البيئة
حيثما كان .

وفي سنوات الصبا هذه ترى
صفحته ، التي كانت بيضاء في أول
الطفولة ، تزداد امتلاء ، الكثير منها
صور لازمة الاتباع لأسباط الصبي
حتما : أسلوب الطعام ، أسلوب الغذاء ،
أسلوب السلام ، أسلوب الزيارة ،
ووجوه ما هو حق وما هو باطل ، فما
أرتاته هذه البيئة خاصة .

وصاحب الصفحة يرعاها . إنها
التقاليد القائمة في البيئة . وهي تقاليد
تتصل بعمل يد ، وبمشية قدم ، وحركة
قلب ، وبمعنى فكر ، وهي لحماية الفرد
في الحياة كما ارتأتها خبرة القوم ، ممن
سبقوا ، والأشياخ ممن بقوا . تماما
كما كانت الغرائز حماية للطفل ممن
قد يواجهه ، وقد خرج لأول مرة
من بطن أمه الى الدنيا .

والتقاليد قيود

وتقوم التقاليد تحميه من بيئته



والطفل ، لا يعرف ... والعسار ، ... الأم ... على ... والعمس ... عن كل شيء يودع فيه

... أمه لأمه ، ومعنى هذا أنه
يحتلف القيود .

ومن القيود راحة

ومن القيود راحة .

يدخل عليك الزائر فتقوم له ...
له يدك وتسط ، وتقول أهلا ومرحبا .
وتقول - تفضل ، فيجلس . وتدعو له
بفنجان قهوة وأسماء تتحدثان .

... مرسوم ، شاع حتى كاد أن
يكون واحدا عند كل أمة ، مع اختلاف .
علمه الناس فرفع عنهم المشقة التي
كانوا لا بد هم ملاقوها في ابتداع الطريقة
التي يلقون بها الزائرين كل مرة .

وتقيم يوم عرسا ، وتدعو أب ...
وتدلك التقاليد ، وهي قيود ، كيف
تعمل ، وهو طريق واحد في السلوك

تمسكه ، قد تتعب اذا سلكت غيره . وترحب بهذا القيد لانه رفع عنك عنتا كثيرا .

من اجل هذا يقبل الناس الكثير من التقاليد ، من القيود ، في اخطر مما ذكرنا من مرافق الحياة .

وهي قيود حقا لانك لا تستطيع ان تخرج عليها .

لست حرا في ان تسلك فيها اي مسلك تشاء .

هي راحة ، وهي قيد في آن .

والتقاليد
قيود تعين الانسان على الحياة

نعم . هذا منطق ظاهرها . وهي هكذا في اكثر ما هي قائمة فيه .

ودليل ذلك ان تتصور ، ان التقاليد والاعراف اختفت بين يوم وليلة ، وان تنظر بعد ذلك كيف كانت تسير الحياة عند ذلك ، في بيت او شارع او سوق او ما تشاء من حيث يجتمع الناس ، وفي اي شيء يتعامل الناس . انها الفوضى .

التقاليد ، في عرس وفي مأتم ، وفي كل مواقف الحياة ، تسهل على الناس كيف يتصرفون



والصبي قد ينشأ بعد ذلك
فتجد انه رهين الفقر
ويجد انه رهين الجهل

وهو ما اختار فقرا .

وهو ما اختار جهلا .

انه ولد على حصير في بيت فقير ، وولد حرا لا عبدا .

او هو ولد في الجهل ، والجهل ابو الفقر . فلا علم عند اب ولا علم عند ام . والبيئة بيئة امية لم تعرف ما الكتابة والقراءة قط . وهي بيئة حرة تعمل بحياتها ما شاء لها الجهل ، وما شاء بها الفقر .

والصبي لم يكن اختار لنفسه هذه البيئة مولدا او سكنا . وهو لو اراد ان يلوم احدا على ما هو فيه لم يجد من يلوم .

والجهل قيد .

والفقر قيد .

والناس تحس الفقر قيدا ، ولكنها ابطأ في ان تحس الجهل قيدا .

وفي المدارس
وفي المعاهد والجامعات
قيود وقيود

والدراسة تبدأ ، فتستغرق طول فترة الصبا ، وتمتد فتستغرق سنوات الطالب اذ هو غلام يافع ، واذ هو شاب بالغ . سنوات طويلة يقضيها في دور التعليم ، فيها يتعلم الكتابة والقراءة واللغة والحساب ، وطائفة شتى من فروع العرفان . مواد لها برامج لم تكن من صنع الطالب ، ولا من صنع ابيه او جده . وهو مساق مسلوب بها اليها ، والى مدرسيها . ويقوم المدرس بشكلها ، ادبا وعلما ، على هواه . وهو مدرس يصنع من تلاميذه جميعا في هذا التعليم بالجملة ، ما يصنع الحذاء بجلده .

[illegible]
وعرضا ، وتختلف عمقا وسعة ، ولكنها [illegible]

[illegible]

[illegible]

تكون لعبة بها موضوع دراسته ، ويريد لته الطب ؛ فاذا به يجد نفسه في كلية زراعة ، ويريد ان يدرس الهندسة فاذا به في فصل من الطلاب معلم معهم اسباب التضخم المالي وكساد الاسواق

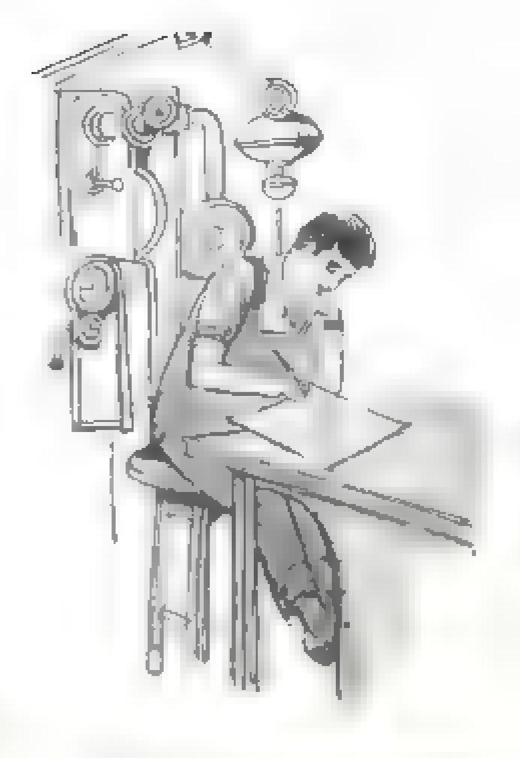
وحتى بعد طلوع هذا الطالب ما يلم ، يجده لا [illegible]

[illegible] **انا حر افعل ما أريد ! ؟**

[illegible]

المدارس تصنع من تلاميذها نمطا ، في هذا التعليم بالتعلم ، [illegible] ما يصنع الحذاء بجلود حيواناته ، انه طراز واحد ،





ولكني أنه ربما يستطاع على هذا النحو حل معضلة الجبر والاختيار ، تلك التي حار فيها الفلاسفة منذ عهد بعيد . أنه الجبر يكون بالدخول عضوا في زنزانات الخشاش . ولكن في الزنزانات حركة ، يحركها إرادة حرة . فهذا ما نريده عندما نقول أن الحب اختيار .

أنهم الطغاة الذين يتحركون في قبورهم .

وعندما يغلق الطالب
أبواب الرزق في الأسواق

ويتخرج الطالب من بعد فراغ من دراسته . فيبحث عن رزق . يطلب عملا .

والكساء ، والعمل . وما أحد في هذه الأيام يطاعم أو كاسٍ إلا إذا عمل .

إن طالب العمل قد يجد العمل وقد لا يجد .

والذي يجد العمل يعمله مختارا أو غير مختار .

وصاحب العمل يتخير ، وقل أن يتاح لطالب العمل اختيار .

والمجتمعات
والحكومات
والدول
تزيد الناس قيودا

هذه القيود التي ذكرنا تلازم الناس حيثما يكونون . في قرية أو مدينة ، وهي تلازمهم أيضا في العواصم . ولكن



والنظام لا يكون الا بقواعد ترسم ونواهي .

وكل قاعدة قيد . وكل قانون .

والدولة الواحدة قسموها الى عشرات [illegible]

[illegible]

[illegible] فجدها تشرع . لم تشرع [illegible] اي تصدر القانون تلو [illegible]

وكل قانون انما هو قيد مرسوم ، يتقيد به المواطنون .

قيود مطبوعة
وقيود مصنوعة

[illegible] القيود التي سبق ان ذكرناها في هذه الكلمة ، قيود يحملها الانسان معه ، عند ميلاده ودخوله هذه الدنيا . فهي مطبوعة ، وقيود اخرى . كقيود النواهي الوضعية والشرائع ، فهي قيود مصنوعة .

والقيود المصنوعة يقع فيها الخطأ كما يقع الصواب . والقيود المطبوعة لا مفر من مطبوعها ان يحاول الناس [illegible] والشعر شيء مطبوع .

وان تكن القيود طبعا ، فالتحرر من القيد كذلك طبع في الانسان ، فهما طبعان يتزاحمان ، كما يتزاحم الحلم والغضب ، والحب والكره ، والشجاعة والجبن في قلوب الناس .

ومن الناس من يطلب التحرر من الحكومات جميعا ، وتلك هي الفوضى ، ولها مذهب معروف ، ويعرف اصحابه بالفوضويين ، ولسنا منهم .

ومن الحريات ما يعرف بالحريات المدنية

ومن الناس من يطلب تحرير الكلمة المكتوبة ، في كتاب او مجلة او صحيفة .

ومن الناس من يطلب تحرير الكلمة المسموعة في خطبة او في مسرح او في اذاعة او تلفاز .

ومن الناس من يطلب ان يكون الناس احرارا في غدوهم ورواحهم ، يذهبون الى حيث يشاؤون ، ويعودون عندما يودون .

ومن الناس من يطلب ان يتحرر من استغلال صاحب مال او صاحب سلطان .

ومن الناس من يطلب ان يتحرر من خوف ، وان ينعم في بيته ، وفي مغداه ومراحه ، بالأمن . ومن الناس من يريد ان يتحرر من جوع ومن عري .

ومن الناس من يريد ان يتحرر من بطالة ، ويطلب العمل فيجده .

كل هذه مطالب للحرية .

واسموها بالحريات المدنية ، لان امورها لا تبين خطورتها للانسان ، الا في المدنية ، وهي تزداد خطورة في المدينة ذات الحضارة ، وفي الدولة ذات الادارة [illegible] التي تملك من امور الناس ما تستطيع به ان توزع بينهم العدل اقساما ، او توزع الظلم والجور .

وهي حريات يرى صغار المشتغلين بها ان نوالها من ايسر الامور . [illegible] يحدثونك عنها ، ويقولون [illegible] **ما دامت حريات ، فهي لا بد ان تكون تحررا من قيود . وما دامت الحرية المطلقة لا تأتلف وهذه الحياة ، فهي اذن حريات حشوها القيود .**

وهنا يصدق ما اخترناه عنوانا لهذه [illegible] **ان الاصل في هذه الحياة القيود ...**

ولعل لنا في امر هذه الحريات ، الحريات المدنية ، وما بها من قيود ، عودة .

●●

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد ١٤٧

«البحيرالدا» أم مئذنة أشبيلية

■ [illegible]

[illegible] القومية ، وهو يعرف الفرد العربي باجزاء وطنه الكبير

[illegible]

١ – [illegible] الصحراء .

٢ – [illegible] الماضي ، جامعة ذاع صيتها واستمر دوام هذه الجامعة [illegible] المستنصرية .

٣ – [illegible] الأهوار

٤ – [illegible] لمسجده الذي اندثر ، تعرف اليوم باسم البحيرالدا .

٥ – [illegible] الأطلسي [illegible] جزيرة توبه .

٦ – [illegible] نفس

٨ – الاسم الشعبي الذي يطلقه أهل الكويت على الرياح الشديدة ملازمة هو : الطوز .

٩ – بغداد عاصمة الرشيد تقع على نهر : دجلة .

١٠ – توجد حدود مشتركة بين السودان [illegible]

١١ – [illegible] ليس له منفذ على بحر [illegible]

[illegible] الجمهورية العربية المتحدة .

[illegible] عمان ولبنا

[illegible] اللطاني

[illegible] الأساسي .

[illegible] البحر الأحمر .

الفائزون بالجوائز

الجائزة الأولى [illegible] حسن حسين محمد/أم درمان/ السودان .

الجائزة الثانية [illegible] فاز بها عبد الله عبد الغني / تعز /اليمن .

الجائزة الثالثة [illegible] فاز بها سالم علي محمد سالم / [illegible]/طرابلس/ليبيا

[illegible]

١ – [illegible] ابراهيم [illegible]

٢ – اسماعيل ابراهيم اسماعيل حسني [illegible]

٣ – فاروق عبد الرحمن عثمان [illegible] السعودية .

٤ – [illegible] حسن الوسود [illegible]

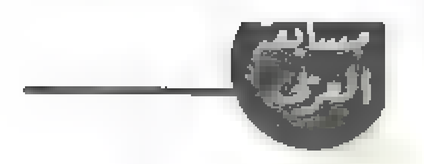
٥ – محيي الدين محمد عبد الكريم مصطفى / [illegible]

٦ – [illegible] شوقي الجمل [illegible]

٧ – فتح رشدي عاشور/دير الزور/سوريا

٨ – مصباح مرزوق [illegible]

وسوف ترسل الجوائز لأصحابها . ■



١٠ اسئلة .. و ١٠٠ دينار جوائز

● هذه مسابقة نرجو ان تسهل عليك [illegible] تلجأ بعد البحث في مراجع ، او بمراجع [illegible] [illegible] بالاضافة الى الجائزة اذا حصلت عليها .

والمطلوب هو الاجابة على ثمانية من الاسئلة العشرة التالية

[illegible]

[illegible] ان اسقطت في الهواء [illegible]

فما هو النصف الثاني من هذا البيت ، وما اسم هذا الشاعر ...

[illegible]

١ ـ [illegible]

٢ ـ [illegible] الجزيرة العربية

٣ ـ [illegible] جزيرة [illegible]

[illegible]

١ ـ [illegible]

٢ ـ [illegible] بالاتباع

٣ ـ [illegible]

[illegible]

فمن كان والد كل منهما ....

٥ ـ الطرف الجنوبي من افريقيا يسمى رأس الرجاء الصالح ، فما اسم الطرف الجنوبي من امريكا الجنوبية ؟

[illegible] الاندلس عام ١١٠٠ م وعاش في بالرمو ؟

[illegible]

فمن هو هذا العالم الجغرافي ... ؟

[illegible]

١ ـ مادة [illegible]

٢ ـ خشب اسود قاس

٣ ـ مادة حيوانية بحرية

[illegible] في هيئة الامم ، واي ثلاث ليست اعضاء في المنظمة الدولية

[illegible] العربية [illegible]

[illegible]

[illegible] ، همدان ، [illegible]

[illegible]

الدولة العربية الاسلامية ... [illegible]

[illegible]

[illegible] يبني اكبر [illegible] في العالم ؟

شروط المسابقة

١ ـ [illegible] بالاجابة كوبون المسابقة المنشور في [illegible] هذه الصفحة

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح

٣ ـ ضع اجابتك في مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتي

[illegible] البريد ٧٤٨ الكويت مسابقة العدد ١٦٩

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابات الى الكويت هو اليوم [illegible] ١٩٧

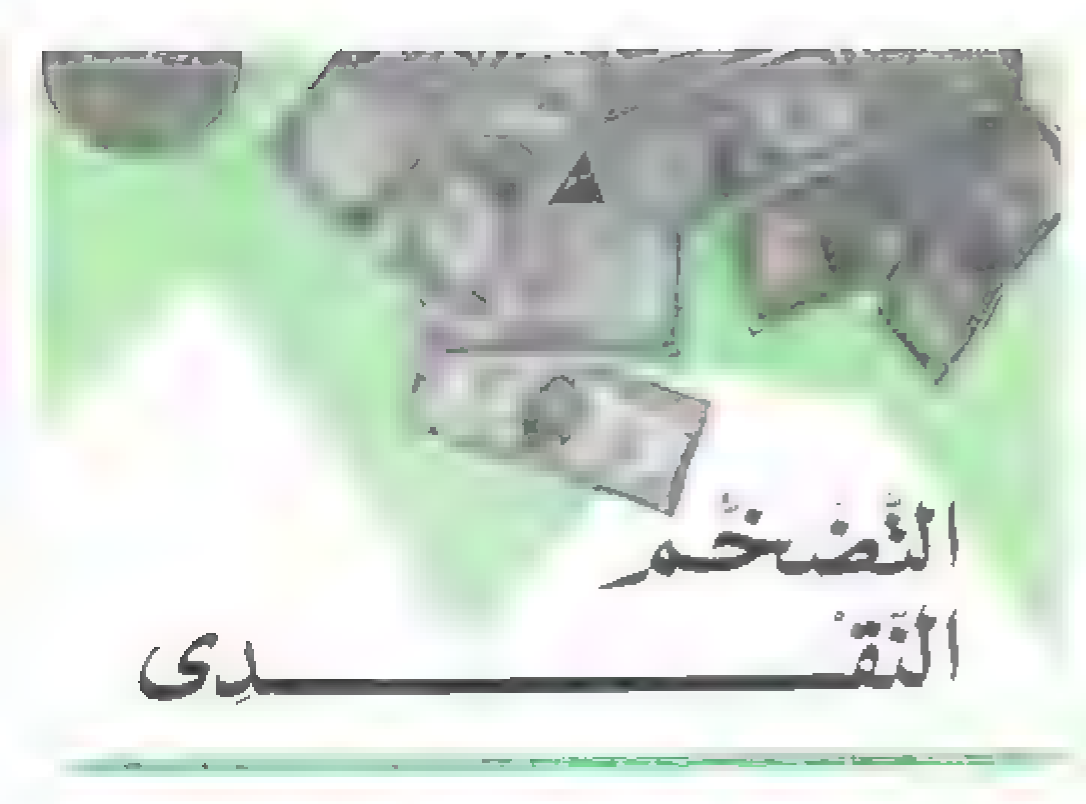
الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كويتي على الوجه الآتي

[illegible]

٨ جوائز مالية قيمتها ٤ دينارا ، كل منها [illegible] .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

كوبون مسابقة العدد ١٦٩

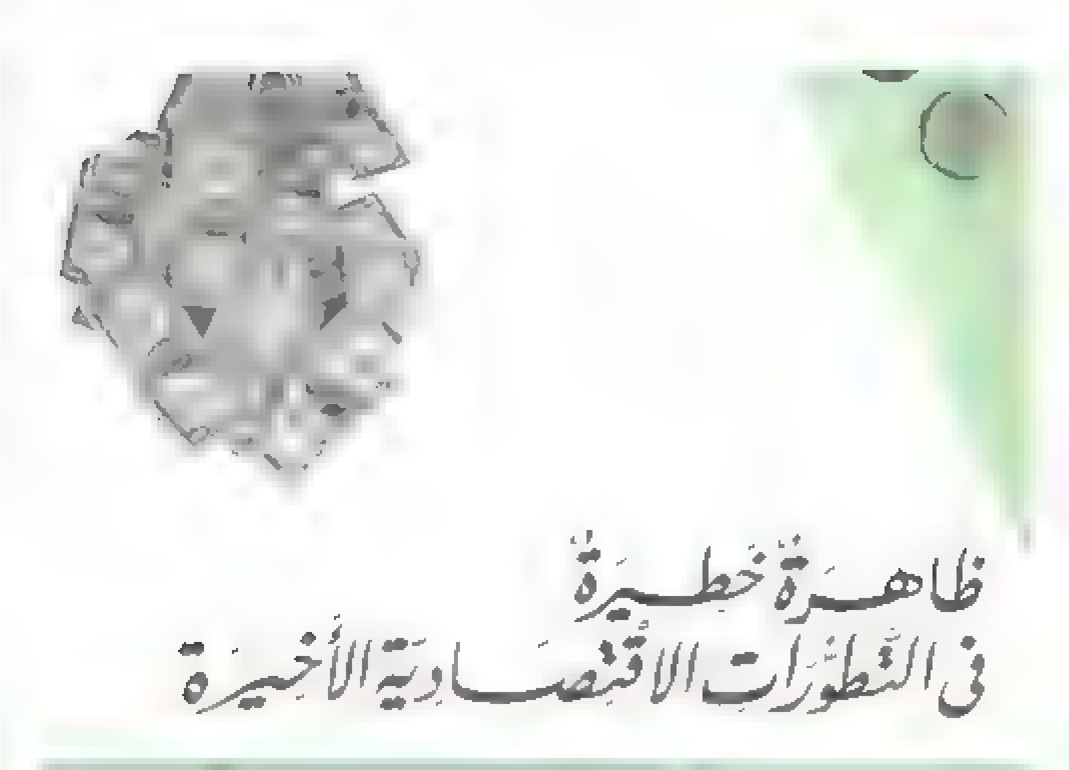


التضخم النقدى

بقلم : الدكتور عبد المنعم القيسونى

● [illegible] والترفيهية الى آخر ما هنالك .

[illegible]



ظاهرة خطيرة في التطورات الاقتصادية الأخيرة

دون سائب فترات الرواج وفترات الكساد. ولكن ظهر بوضوح – خصوصا في السنين الاخيرين – أن هذه المشاكل الاقتصادية قد زادت حدتها. فقد اهتزت البورصات العالمية، وتعرضت بخطر بعض العملات الرئيسية، وعمت الاضطرابات كثيرا من الدول الرأسمالية، واشتد سخط الرأي العام في كثير من الدول، فسقطت حكومة العمال في المملكة المتحدة، ومرت حكومات اخرى بفترات عصيبة لاسباب مالية واقتصادية.

والواقع أن متابعة الابحاث الاقتصادية الاخيرة والاطلاع على التقارير السنوية للمؤسسات النقدية الدولية الرئيسية، مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير، يظهر بوضوح مدى القلق الذي يسيطر على اذهان الخبراء والمسئولين بسبب التضخم النقدي الذي يجتاح العالم في الوقت الحالي والذي صاحبته اعراض ومظاهر لم نعرفها في الماضي مقترنة بالتضخم.

ونرجو أن نلقي هنا نظرة على بعض جوانب هذا الموضوع ونحاول أن نبين أهميته وخطورته

تعريف التضخم النقدي

اذا حاولنا قبل ان نسترسل في الحديث عن التضخم واسبابه وآثاره ان نعرف التضخم تعريفا بسيطا بعيدا عن التعقيدات الفنية المختلفة أمكننا ان نقول انه عبارة عن اختلال في العلاقة النسبية بين القوة الشرائية المتاحة للحكومة والافراد من جهة، وبين السلع والخدمات المتاحة للبيع من جهة اخرى. ونحن نعلم جميعا ان الاسعار تتحدد عادة نتيجة لتفاعل العرض والطلب، وان زيادة الطلب او زيادة القوة الشرائية (ما لم تصاحبها زيادة مماثلة في العروض من السلع والخدمات) تؤدي حتما الى ارتفاع الاسعار كما ان نقص الطلب يتبعه انخفاض في الاسعار. فاذا فرضنا اننا بدأنا دراستنا بسنة معينة نطلق عليها اسم سنة الاساس، وان القوة الشرائية (أو الطلب) معروفة لنا، وان العروض من السلع والخدمات معروفة ايضا، وان اسعار هذه السلع والخدمات محددة عند مستوى معين نتيجة لتفاعل العاملين السابقين، فان اي اختلال في العلاقة بين هذين العاملين لابد ان ينعكس اجلا

او عاملا على مستوى الاسعار . والتضخم أو الضغوط التضخمية تنشأ نتيجة لزيادة القوة الشرائية زيادة تفوق في أهميتها زيادة السلع والعروض من السلع والخدمات

والقوة الشرائية تتأثر بعوامل مختلفة ، ويمكن للحكومات والدول والافراد ان يعملوا على زيادتها أو خفضها فيعملوا بذلك على زيادة مجمل الطلب في الدولة أو على خفضه . فاذا قامت الحكومة مثلا بزيادة الانفاق على التنمية او على الخدمات أو على التسليح (دون أن يصاحب ذلك زيادة مماثلة في ايراداتها) فانها تخلق ضغطا تضخميا يساعد على رفع الاسعار . وكذلك اذا توسعت الدولة في قروضها ، أو زاد ما ينفقه الافراد من دخولهم او من مدخراتهم ، فان مجمل الطلب الكلي في الدولة يزداد ويرتفع تبعا لذلك الاسعار .

اما العروض من السلع والخدمات فتتأثر بما يتاح للدولة من موارد وبطريقة استخدام هذه الموارد . فان كانت الدولة غنية بالموارد ، وان كانت الاستثمارات الجديدة موجهة توجيها سليما بحيث يؤدي حسن استغلال الموارد الى زيادة مستمرة في الانتاج ، فان ذلك يساعد على خفض الاسعار . والعكس بالعكس .

اسباب التضخم النقدي العالمي في السنوات الاخيرة

بعد هذا التعريف البسيط يمكن ان نستعرض اهم اسباب التضخم النقدي في العالم خلال السنوات الاخيرة :

(١) لاشك ان السنوات العشر الاخيرة شهدت تطورا هائلا في معظم الدول النامية بالعالم . فبعد ان كانت هذه الدول مستعمرات مغلوبة على امرها نالت معظمها استقلالها وبدأت توجه اهتمامها نحو تنمية اقتصادياتها ورفع مستوى المعيشة فيها ونشر الرفاهية بين شعوبها .

والتنمية الاقتصادية تستلزم بطبيعة الحال التوسع في الانفاق العام والخاص لاقامة المصانع الجديدة واستصلاح الاراضي وشق الطرق ومد السكك الحديدية واقامة المدارس والمستشفيات و . . . .

وقد ادركت الدول النامية انه لا يمكنها استكمال مقومات استقلالها دون ان تعنى عناية خاصة بالتنمية الشاملة في اراضيها ، فاندفعت في هذا الطريق ، وساعدها على ذلك ان الرأي العام العالمي والمؤسسات الدولية ، وحركات التكتل بين الدول النامية ذاتها ، ابرزت الاهمية المتزايدة لسلوكها هذا السبيل وشجعتها على الانطلاق فيه . وهذا التوسع الكبير في الاستثمارات ادى الى زيادة كبيرة في الطلب على الموارد والسلع والخدمات المختلفة ، ولم يصحب ذلك من التقدم ، زيادة مماثلة في الانتاج . فالدول النامية كانت في المراحل الاولى من التقدم وكان بعضها متعثرا في خطواته هذه الاولى ، والبعض الاخر كان يعاني من صعوبات شديدة تواجهه في الداخل والخارج . وكان كل هذا عاملا هاما في ظهور الضغوط التضخمية في الدول النامية ذاتها ، كما انه ساعد الى حد ما على زيادة الطلب العالمي على السلع والخدمات .

(٢) وقد صحب التوسع في الاستثمار في الدول النامية توسع آخر كبير في الدول المتقدمة ، فالاختراعات والاكتشافات الحديثة المتلاحقة ، وضرورة ادخالها بسرعة في عمليات الانتاج ، استلزم ذلك انفاق المبالغ الطائلة على الاستثمارات الجديدة اللازمة لمجاراة التقنية المتطورة . وفي الوقت ذاته قامت الدول المتقدمة سواء في اوروبا الشرقية او اوروبا الغربية ، بعمل تكتلات اقتصادية وبازالة ما بينها من الحواجز الجمركية والتجارية والنقدية ، فساعد هذا على توسيع الاسواق الكبرى بدرجة ملحوظة كانت حافزا قويا الى التوسع في الاستثمارات داخل هذه التكتلات لخدمة الطلب المتزايد في الاسواق الكبرى .

(٣) وقد شهدت السنوات الاخيرة ايضا زيادة ملحوظة في السكان لم يسبق للعالم ان شاهد مثيلا لها ، وترجع زيادة السكان بصفة خاصة الى الاكتشافات الطبية الاخيرة التي ساعدت في التغلب على كثير من الامراض والاوبئة كما ترجع الى العناية بالخدمات الطبية في الدول

المختلفة مما ادى الى ارتفاع معدل الزيادة في السكان ارتفاعا ملحوظا .

وقد صاحب هذه الزيادة السريعة في عدد السكان في العالم زيادة ضخمة في مطالب الشعوب واحتياجاتها المختلفة . وبعد ان كانت الناس تسمح بالانفاق المعتدل وتعمل على ادخار جزء هام من دخلها اصبح معظمها يسارع الى انفاق كل ما اتيح له من دخول ، بل والى التوسع في الانفاق مستعينا بقروض المصارف . وقد دفع الناس الى التوسع الجارف في الانفاق عدة عوامل ، منها انتشار طرق المواصلات وطرق الاعلام الحديثة التي ساعدت الناس في شتى انحاء المعمورة على الاطلاع على مستويات المعيشة في ارقى الدول ، والتعرف على مختلف السلع والخدمات المتاحة للافراد في الدول الراقية ، والمطالبة بالحصول سريعا على مثيلاتها بدلا من التوسع التدريجي المعقول في طلباتها . كما ساعد على زيادة الطلب في بعض الدول انتشار روح جديدة من القلق والاضطراب النفسي بين الناس بعد التوسع في انتاج اسلحة الحرب والدمار الشامل. لقد دفعنا الى عدول الناس عن التوسع في الادخار لخوفهم من عدم امتداد العمر بها الى السن التي تتاح لها فيها فرصة الانتفاع بمدخراتها .

(٤) وقد ساعد ايضا على زيادة الطلب في دول كثيرة ما شهدناه في السنوات الاخيرة من قيام نقابات العمال بالمطالبة المستمرة بزيادة الاجور . وقد انتشرت الاضرابات في كثير من الدول الغربية في الثلاث السنوات الاخيرة بدرجة لم يسبق لها مثيل ، وارتفعت الاجور في بعض الاحيان بنسبة تفوق كثيرا نسبة الزيادة في انتاج العاملين مما ادى الى ارتفاع الاجور وارتفاع الاسعار معا . وفي كثير من الدول الاخرى اتخذت الاجراءات المتتالية لتحقيق العدالة في توزيع الدخل بين الناس مما ساعد على زيادة القوة الشرائية في ايدي الطبقات العاملة وزيادة الانفاق الكلي في كل دولة .

(٥) واخيرا فهناك عامل هام ساعد على زيادة الضغوط التضخمية بدرجة ملحوظة في السنوات الاخيرة وهو توسع الدول الرئيسية في الانفاق على التسليح وكذلك السباق الذي انتهجته التي تخصصها رحلات الفضاء . وهذان العاملان (التسليح ورحلات الفضاء) ، وان كانا يختلفان من حيث الهدف ، الا انهما يشتركان في نتيجة واحدة ، وهي انهما يؤديان الى سحب موارد هامة من الموارد التي كانت متاحة لاشباع طلبات الجمهور وتوجيهها نحو اغراض غير انتاجية مما يؤدي الى تناقص نسبي في العروض للاستهلاك من السلع والخدمات في ذات الوقت الذي يزداد فيه الطلب نتيجة لزيادة الانفاق الحكومي على التسليح وعلى رحلات الفضاء .

نتائج التضخم

واذا انتقلنا الآن من دراسة اسباب التضخم الى دراسة بعض نتائجه فيمكن ان نجملها فيما يلي :-

(١) ان التضخم وما يصاحبه من ارتفاع مستمر في الاسعار يخل بالتوازن الاجتماعي داخل الدولة ، فهو يسيء الى اصحاب الدخول الثابتة الذين تقل القيمة الحقيقية لرواتبهم واجورهم ومعاشاتهم نتيجة للارتفاع المستمر في الاسعار بينما تثرى طبقات اخرى من التجار والوكلاء الذين ينتفعون من ارتفاع اسعار بضائعهم . وهذا الاخلال بالتوازن الاجتماعي داخل الدولة كثيرا ما تنشأ عنه اضطرابات اجتماعية وسياسية مختلفة ، فنقابات العمال بعد ان الزيادات فوق زيادة كبيرة في الاعقاب الاخيرة لا يمكن ان ترضى بانخفاض القيمة الحقيقية لاجور اعضائها ، فتسوء العلاقات بين العمال واصحاب العمل وتنتشر الاضرابات في المصانع ، وكثيرا ما يطالب العمال - احتياطا للمستقبل - بزيادة في اجورهم تفوق كثيرا الارتفاع في الاسعار مما يؤدي الى ارتفاع تكاليف الانتاج والى الاضرار بقدرة الدولة على التصدير والمنافسة في الخارج . وقد تؤدي الاضطرابات الاجتماعية واضرابات العمال الى شلل في دولاب العمل ، او الى ازمات سياسية تختلف في شدتها حسب الظروف كما حدث في ايطاليا في العام الماضي عندما تعاقبت الحكومات المؤقتة في جو بعيد عن الثبات والاستقرار ، وكما حدث في المملكة المتحدة اذ سقطت حكومة العمال

في الاستثمارات نتيجة الثورة وثبات السوق على الارتفاع المطرد في تكاليف المعيشة .

(٢) ان الدول النامية تصاب بأضرار بليغة نتيجة لما يحدث من تضخم في الدول المتقدمة ويمكن ان نوجز آثار التضخم في الدول المتقدمة على اقتصاديات الدول النامية في ثلاث نقاط رئيسية

أ) ان الدول النامية في حاجة مستمرة الى استيراد الكثير من السلع والخدمات من الدول المتقدمة سواء أكان ذلك للوفاء بحاجاتها الاستهلاكية او للمساهمة في برامج التنمية ، ويؤدي ارتفاع الاسعار في الدول المتقدمة الى ارتفاع « مستورد » في تكاليف المعيشة وفي تكاليف التنمية في الدول النامية والى زيادة الاعباء الملقاة عليها دون ما ذنب جنته .

ب) ان التضخم في الدول المتقدمة كثيرا ما تصاحبه ارتفاع في اسعار الفائدة وتدهور في شروط الاقراض في تلك الدول . وهذه الظاهرة تنعكس ايضا على الدول النامية التي تحتاج الى قروض من الدول المتقدمة لتنمية مواردها ولدعم استثماراتها فترتفع بالتالي تكلفة التنمية وتزداد صعوباتها فيها .

ج) ان بعض الدول النامية تحتفظ باحتياطاتها النقدية في الاسواق المالية للدول المتقدمة ويؤدي التضخم والاضطرابات النقدية التي تعاني منها الدول المتقدمة الى فقدان جانب هام من القيمة الحقيقية لتلك الاحتياطيات . وتتمثل هذه الخسارة في صورتين مختلفتين ، فمن جهة ترتفع اسعار السلع والخدمات والآلات التي يمكن للدول النامية شراؤها من الخارج فتقل بذلك القيمة الحقيقية لاحتياطاتها النقدية ، ومن جهة اخرى تتدهور في كثير من الاحيان الاسعار الجارية للاوراق المالية التي تستثمر فيها الدول النامية احتياطاتها الخارجية (كما حدث في العام الماضي) فتمنى الدول النامية بخسارة اضافية فوق الخسارة المترتبة على ارتفاع الاسعار .

(٣) ومن الاضرار الرئيسية الاخرى للتضخم انه يعرقل الخطوات المنشودة في طريق التعاون الاقتصادي الدولي . وعلى سبيل المثال فان مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية الذي انعقد في جنيف سنة ١٩٦٤ والذي وضع دستورا جديدا للعلاقات الاقتصادية بين الدول نادى ـ فيما نادى به ـ باعادة تقسيم العمل الدولي بين الامم ، وبقيام الدول المتقدمة بمد الدول النامية بما يعادل ١٪ من دخلها القومي في شكل قروض واعانات مختلفة تعاونها على التنمية الاقتصادية.

ولا شك ان هذه التوصيات وغيرها يصعب تحقيقها في جو تسوده الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة . فمن العسير على الدول المتقدمة ان تقنع الرأي العام بها بضرورة اعادة تقسيم العمل الدولي وبالتخلي تدريجيا عن بعض الصناعات التقليدية كصناعات النسيج والجلود والآلات للدول النامية في الوقت الذي تعاني فيه من الاضطرابات الداخلية الاقتصادية والاجتماعية . كذلك يصعب عليها في مثل ذلك الجو ان تقنع الرأي العام فيها بتخصيص ١٪ من دخلها القومي لاعانة الدول النامية أو لمدها بالقروض اللازمة للتنمية . والمشاهد فعلا ان نسبة ما تقدمه الدول المتقدمة الى الدول النامية خلال السنوات الاخيرة قد اخذ يتناقص فعلا رغم ازدياد ثراء الدول المتقدمة . كما ان نصيب الدول النامية في التجارة الخارجية قد تناقص في السنوات الاخيرة .

(٤) ومن نتائج التضخم الاخرى انه كثيرا ما يسيء الى الانشطة الاجتماعية في الدولة ، فمن الملاحظ ان الاعتمادات المخصصة للنواحي الاجتماعية والصحية والتعليمية في ميزانيات الدول المختلفة لا تتزايد بنفس سرعة الاعتمادات المخصصة للنواحي العسكرية والانتاجية مما يؤدي الى تخلف النشاط الموجه للنواحي الاجتماعية خلال فترات التضخم وارتفاع الاسعار.

علاج التضخم

هناك وسائل مختلفة لعلاج التضخم نادى بها الاقتصاديون على مر العصور ، منها وسائل نقدية كرفع سعر الفائدة ، وضغط القروض المصرفية . ومنها وسائل مالية كخفض الانفاق الحكومي أو

وتزايد الإيرادات النقدية بفرض ضرائب ورسوم جديدة ومنها أيضا تجميد الأجور والمرتبات .

وقد اختلف الاقتصاديون اختلافا بينا في الأهمية النسبية لكل وسيلة من العلاج المادي فبعضهم ناصرها جميعا ونادى البعض الآخر باتباع عدد قليل من الوسائل السابق الإشارة إليها . كذلك اختلف الاقتصاديون في السياسة التي تتبع نحو الانتاج الكلي للدولة فاقترح البعض التمسك بسياسات تنادي بالتوسع في الانتاج وإتاحة الإمكانيات اللازمة والمعدات للشركات والمصانع لزيادة إنتاجها حتى تتوافر السلع في الأسواق وزيادة العرض فتنخفض الأسعار ، وبعضهم من ينادي بضبط العروض والحد من الإمكانيات اللازمة حتى يمكن التغلب على الغلاء في الاندفاع نحو استثمارات جديدة والغلاء في طلب زيادات متتالية في الأجور والأسعار فيؤدي ذلك ـ في نظرهم ـ الى اعادة الاستقرار في الأحوال الاقتصادية عند مستوى تكون فيه الأسعار أكثر اعتدالا .

ولا أدخل هنا في هذا الجدل الطويل ولكني أرجو أن أشير الى ثلاث نقاط أعتقد أنها يمكن أن تساعد في علاج التضخم وفي تثبيت الاستقرار في الأحوال الاقتصادية .

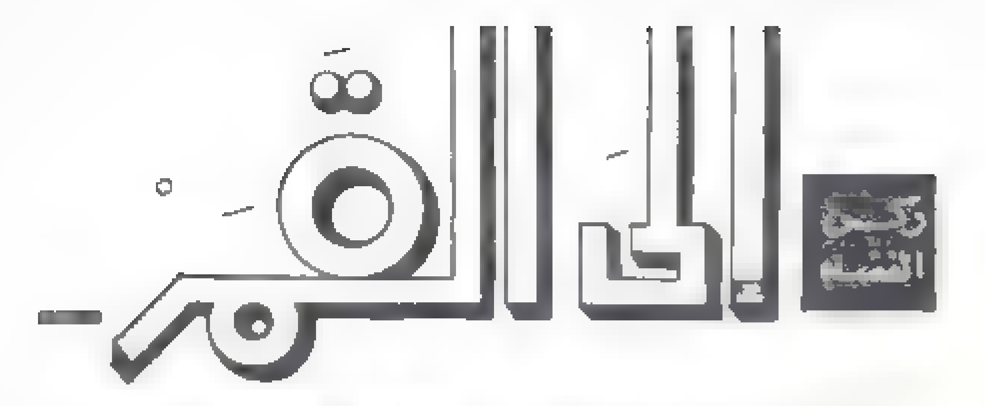
أولا : يجب أن تعمل الدول الكبرى على خفض ما تنفقه على التسليح وأن تستخدم الموارد التي تستهلكها في هذا المجال ـ لانتاج السلع والخدمات التي يمكن أن تساعد على رفع مستوى المعيشة وعلى نشر الرفاهية ، وبدلا من أن تنفق الأموال فيما يطلق عليه العسكريون اسم « توازن الرعب النووي » يمكن أن تنشر العالم الى حالة يتمتع فيها « بتوازن الرخاء الاقتصادي » . كذلك يجب على الدول الكبرى أن تتوخى رحلات الفضاء وأن تعيد مقدرات تنفقها على رحلات الفضاء وأن تستخدم الموارد التي توجهها لهذه الرحلات في أغراض انتاجية تساعد على رخاء البشرية .

كذلك يجب التخلي عن الحروب الاستعمارية التي تشنها الدول الكبرى والتي تضيع فيها كثير من الموارد الهامة وتوجيهها للعمل على التعاون السلمي في جو من الاخاء والاستقرار .

ثانيا : يجب أن تعمل الدول الكبرى بجدية وإخلاص على تنفيذ ما تعهدت به في التوصيات الاقتصادية التي تهدف الى مساعدة الدول النامية بإتاحة القروض والإعانات لها لتدعيم الاستثمارات فيها ، وكذلك فتح أسواقها أمام منتجات الدول النامية ، وأن تتخلى عن بعض المنافسة الشديدة لصادرات الدول النامية ، وبالاختصار باتخاذ جميع الوسائل الكفيلة بتحقيق تعاون دولي فعال يساعد الدول النامية على حسن استغلال مواردها وعلى زيادة إنتاجها وعلى التوسع في تجارتها الخارجية . ويخطئ الدول المتقدمة في ظنها أن تقدم الدول النامية وزيادة انتاجها يساعد على زيادة الرخاء العالمي ، ويفتح أمامها أسواقا جديدة واسعة أمام منتجات الدول المتقدمة ذاتها . فالتقدم في الدول النامية لا يعني انسحاب من الدول المتقدمة بل يساهم في زيادة الرخاء العالمي لأنه يفتح الأسواق للدول المختلفة كبيرها وصغيرها ويساهم في زيادة السلع والخدمات المتاحة في العالم ويساعد بذلك على مكافحة التضخم وعلى نشر روح الاستقرار في الأحوال الاقتصادية .

ثالثا : وأخيرا يبدو لي أنه لا يمكن أن نهمل النواحي الروحية والأخلاقية في الموضوع وأن نتصور أن الأمر يقتصر على أشياء مادي وعلى علاقات حسابية بين العرض والطلب . إن الموضوع في نظري يمتد الى أبعد من ذلك ولا يمكن علاجه علاجا حاسما طويل الأجل الا اذا أدرك الناس مسئولياتهم المعنوية والأدبية تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه ، وتجاه المجتمعات الأخرى التي تشترك معهم في هذه المعمورة ، والا اذا تخلت الناس في بعض المجتمعات المتقدمة عادة على الغرور لدى مصانع وبعض مجتمعات بسبب التقدم المادي السريع الذي حققوه والا اذا تحقق بين الشعوب والمساعدة بإخلاص وحدة والله ان المجتمعات الأقل حظا في التقدم والانتاج انها بذلك لا تساعد فقط على زيادة الانتاج المادي في العالم وعلى زيادة رخاء البشرية وانما تسمو بالعلاقات بين الناس الى المستوى الذي يرضي الضمير ويساعد على نشر روح من الطمأنينة والاستقرار ليس فقط في العلاقات بين الدول ولكن أيضا في العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية داخل الدولة ذاتها . ■■

عبد المنعم القيسوني


إلى القمر

رحلة أبولو الرابعة عشرة وهبوط الرجال على سطحه للمرة الثالثة

وصفنا هذه الرحلة الجبارة الأولى في « المعرفة » ، عدد أول شباط عام ١٩٧٠ ، وذكرنا هنالك من تفاصيل الرحلة ، وصورها ، ما لا بد من الرجوع إليه لفهم كل رحلة من رحلات القمر التالية ، واستمرار خطورة هذه الخطوة الجبارة التي خطاها الإنسان ، ذلك الاستمرار الذي لا يمكن أن تبلغه الآلة ، وسببه استمرار على الزمان .

قائد رحلة أبولو ١٤ آلن شبرد يقف بجانب العلم الأمريكي الذي وضعه على سطح القمر يوم ٥ فبراير الماضي فور نزوله من المركبة القمرية ليمشي على سطح القمر

كانت هذه الرحلة الحادية عشرة التي تضمنها مشروع أبولو لبلوغ القمر .

وجاءت بعد هذه الرحلة الأولى بهبوط الرجال ، الرحلة الثانية عشرة لأبولو ، وكانت شبيهة بالرحلة [illegible] ١٤ [illegible] نوفمبر ١٩٦٩ .

[illegible] الرحلة [illegible] عشرة لأبولو [illegible] على سطح القمر [illegible] الأرض ، وقد ترجح الأمل في نجاتهم بين نعم ولا (١١ — ١٧ أبريل ١٩٧٠) .

إنه الوعاء الذي به الأكسجين مضغوط في المركبة ، وتماس كهربائي ، نتج عنهما فرقعة هائلة ، ذهبت بأكثر هذا الغاز الشحيح الذي احتاج إليه رجال الفضاء للتنفس ، فصار الهدف ، لا النزول على القمر ، ولكن الوصول إلى الأرض قبل أن يموت الثلاثة الرجال اختناقاً .

وجاءت رحلة أبولو الرابعة عشرة هذه [illegible]

[illegible] الرحلة ١٣ [illegible] الكهربائية [illegible]

وأصلحوا بالطبع أشياء أخرى ، في



رائد الفضاء ادجار ميتشل يقوم باستخراج احد الاجهزة العلمية من العربة المخصصة لحمل هذه الاجهزة وتبدو خلفه جوانب المركبة على سطح القمر في منطقة مرتفعات فرا ماورو Lee Main

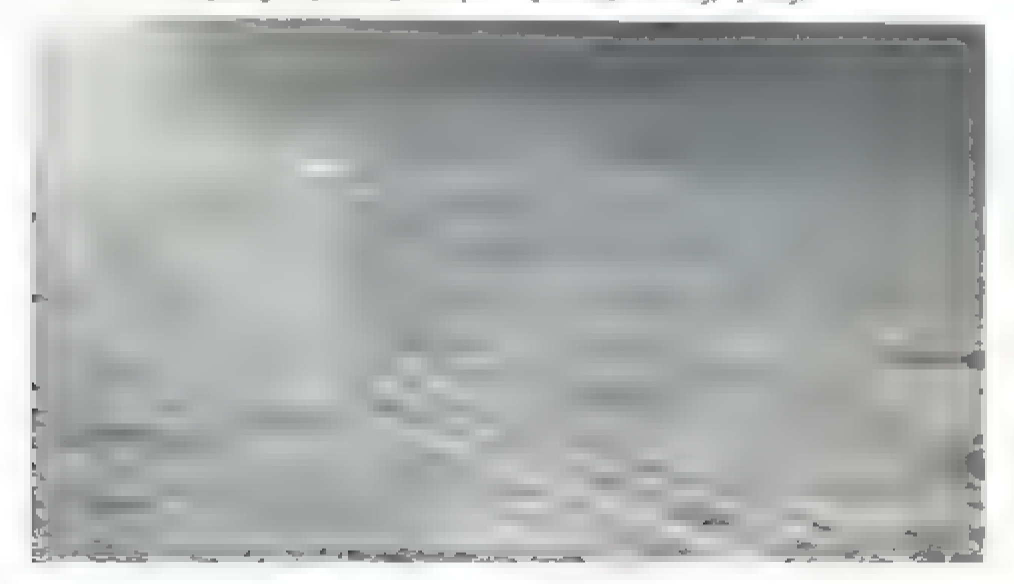
تركيب السفينة الفضائية خروجها غير التي ذكرنا ، وربما كانت اقل شأنا .

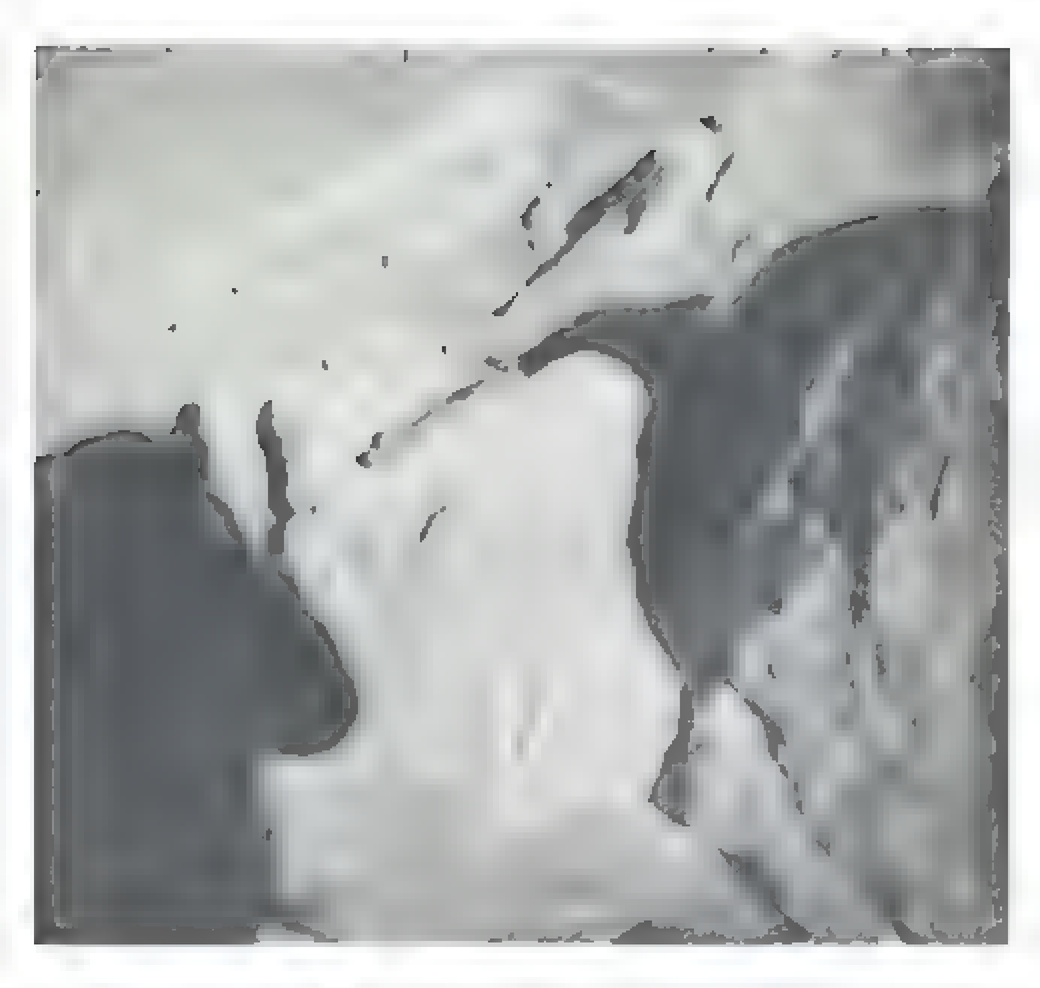
وعدا ذلك فقد اطلقوا السفينة الفضائية لرحلة ابولو ١٤ بنفس الأسلوب المعروف، وعلى نفس التوجيه وبنفس التدبير ، والمواصلات بين ركاب السفينة ورجال المراقبة في الأرض ، حتى نزلت السفينة القمرية ، وهبط رجلان من الرجال الثلاثة على سطحه بسلام .

اجراءات جرى بعضها بعد بعض ، في مواعيد موقوتة ، يطول بنا الحديث جدا لو أنا اعدنا ذكرها ووصفها هنا . وفي استطاعة القارىء ان يعود الى كل هذا الوصف مفصلا ، لرحلة ابولو الحادية عشرة ، في عدد « العربي » لأول يناير عام ١٩٦٩ كما سبق ان ذكرنا .

ونجحت الرحلة في كل ما ذهبت اليه ولم يصادفها ما وقف بها عن السير في

آثار عجلات عربة الآلات المعدنية التي استعان بها رواد الفضاء بعد نزولهم من مركبة القمر . وتظهر هذه الآثار بادية في ... المركبة التي تعد من سطح القمر





ظل أحد رواد أبولو ١١ وهو يلتقط صورة لبعض صخور القمر وقد ظهرت في الصورة مطرقة يبلغ طولها ٣٥ سم ، كما ظهرت أيضا خلف جسم الفضاء

حطمها كاملة مثل ما صادف الرحلة أسبقه له في رحلة أبولو ١٣

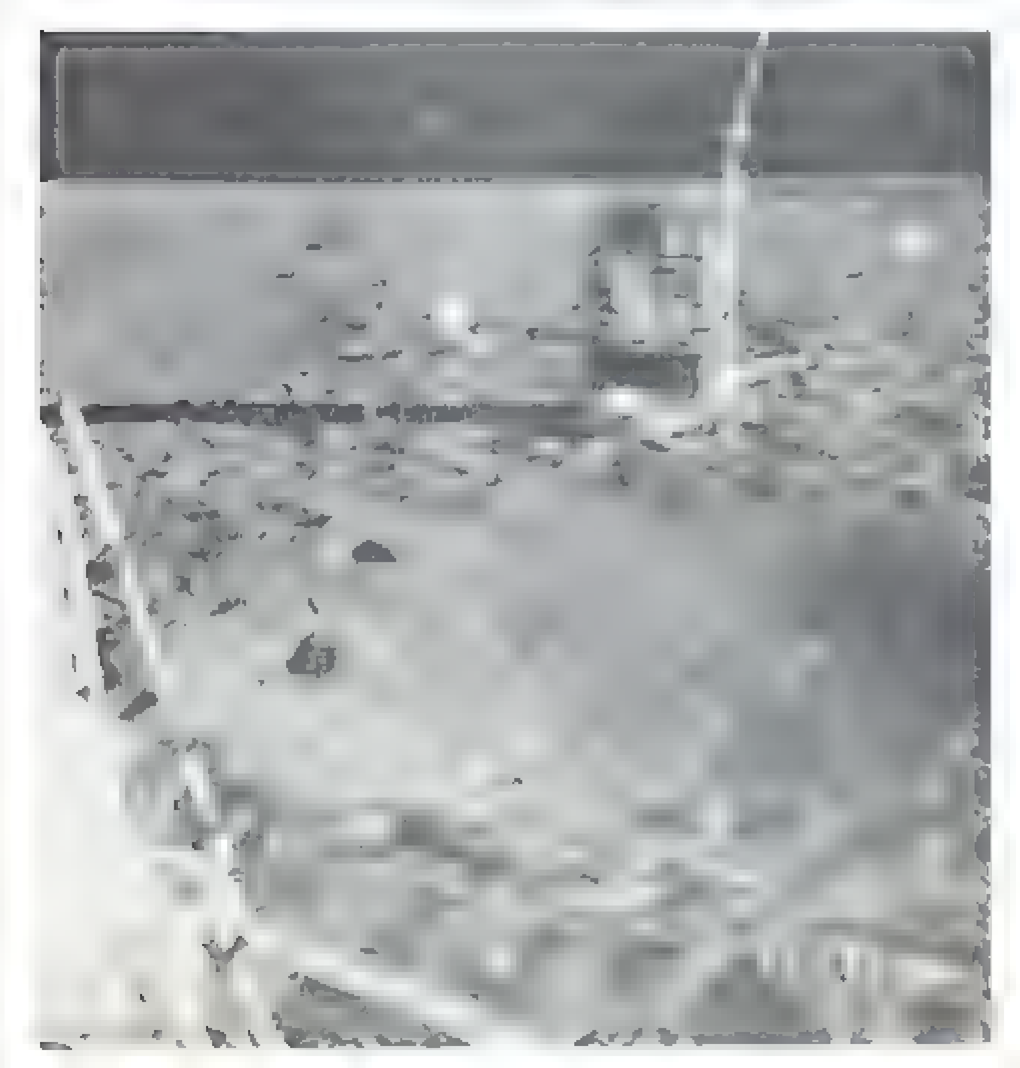
تبعد فقط عن الموضع الذي ارادا النزول فيه ، بين قوسين في ارض القمر .

وما بدأ السير حتى لاحقتهما المتاعب [illegible] ، فهو اقدم الثلاثة واسنهم ، يكتشف أن انبوبة اللون في ثوبه الفضائي قد التوت ، وان الراديو الذي بالثوب لم يعد يؤدي عمله. وصحيحا كل ذلك ، انه ثوب كلفته ١٠٠ر٠٠٠ دولار .

ومن المتاعب انهما ارادا فتح الهوائي [illegible] الى الارض ، وكان على شكل مظلة تنفتح وتنغلق ، ولكن الهوائي رفض ان ينفتح ، ثم اطاع .

ومع كل هذا قام رائدا الفضاء بما ارادا أن يعملاه على سطح الارض ، ارض القمر .

المحطة الرئيسية للاجهزة التي اقامها الرواد على سطح القمر ، ويتم عن طريقها تزويد اجهزتهم بالطاقة ، وايضا بث المعلومات المرسلة منهم الى الارض .
ويظهر في الصورة بعض الاجهزة الاخرى التي انصبت بالقرب من المركبة القمرية.





رواد أبولو ١٥ الزمع اطلاقها الى الفضاء في ٢٦ يوليو القادم يقومون باختبار العربة الميكانيكية التي سيقومون باستعمالها على سطح القمر لكي يتمكنوا من قطع مسافات طويلة عليه واحضار عينات مختلفة من المنطقة المسماة « هادلي رِيل [illegible] » وقد تمت هذه التجربة في مركز الفضاء في هيوستون بولاية تكساس .. ويظهر في الصورة من اليسار جيمس اروين ، وديفيد سكوت وهما اللذان سيهبطان على سطح القمر ، ثم الفريد وردن الذي سيقود المركبة الأم وتبلغ سرعة العربة الميكانيكية وهي تعمل بواسطة بطاريات ، حوالي ١٢ كيلو مترا في الساعة .

علم الولايات المتحدة [illegible] رشقاه في تربة القمر .

وساروا على السطح ما ساروا ، وجمعوا من صخوره ما جمعا ، [illegible] رطلا [illegible] حملا .

[illegible]

[illegible] سانح في الشعور [illegible] السطح كما وجب [illegible]

وان اول العودة ، فاطلقا نصف المركبة [illegible]



بقلم الدكتور احمد زكي

أبناء أعمام الشياه

وكلها أغنام

ما أكثر ما نرى الحصان والحمار ، وهما يجران ويحملان الأثقال ، فإذا طلبنا رؤية البقرة ، وجدنا الطريق إليها أقل سهولة من رؤية حصان أو حمار ، ونحن إذا عشنا ، في المدينة الكبيرة ، رؤية الشاة بعد ذلك كان الطريق إليها عسيرا .

وإذا جئنا للمعز كان الطريق إليه أكثر عسرا .

والمعيز أو المعز أو المعزى هي والشاه أبناء أعمام ، ويقال للشاه أيضا الضأن ، ويجمع المعز والشياه [illegible] الغنم والأغنام .

حيوانات داجنة من آباء لها وحشية على الفطرة ، تعطي الإنسان اللبن والجلد واللحم ومنافع أخرى ، وقد خلفت الحضارة المعاصرة من رسمها صناعات معروفة ، واستولدت منها قرنات أنعم ، وأنسال أرق ، وهي جميعا من الحيوانات المجترة .

[illegible] ونحن هل [illegible] من هذه الأنسال إلا العدد القليل ، ومن ممارسة تربيتها وتنشئتها وتتبع هذه التربية إلا الأقل ، فعند أكثر قومنا كل حيوان صغير ، له قرن [illegible]



صغير ، له قرن وعليه شعر ، ماعز .

وعند غيرنا ، ممن انتزعوا منا السبق الى التحضر ، ان الشياه صوف ، وحشي الماعز ، وهو في علم الحيوان نوع واحد Species ، له اجناس مختلفة Breeds عدة ، لها في اقتصاد الاقوام مكان ذو بال .

بين الماعز والشاة

لا يكاد يختلف احد على ماعز وشاة اذا هو رآهما . [illegible] انثى المعيز . [illegible]

والمعيز تختلف عن الشياه بأن الذكور من المعيز لها لحية على الذقن ، ولاكثر الاناث . والذيل قصير ومتجه الى اعلى ، اما الشياه فلها ذيل هذه اطول وقد يملؤه الشحم فيكون الية . وقرون للمعيز تصعد من رؤوسها الى عل ، بينما قرون الشياه تدور مائلة الى جوانب راسها .

وجسم الماعز اصغر عادة من جسم [illegible] فوق ذلك .

وجسم الماعز يغطيه الشعر ، وهو [illegible] مغطيه الصوف و[illegible]

[illegible] محمد الدميري (٧٤٢ — ٨٠٨ هـ) [illegible] في كتابه « حياة الحيوان الكبرى » [illegible]

[illegible] عنه . ولما خلق الله [illegible]

[illegible] الكبير .

طعام المعيز

[illegible] الشجيرات والاشجار . وكذا اوراقها [illegible] ما تأكل من الشجر ولو علا . وتأكل الشوك .

والمعروف عن المعيز انها تعيش وتجد قوتها في حيث تموت سائر الحيوانات جوعا ، لانها تأكل كل ما تجد من مواد لا تأكلها سائر الحيوانات ، حتى ورق اللف تأكله وورق الصحف ، [illegible]

المعيز
عامل التخريب عظيم

ومن اجل هذا كانت المعيز سببا للتخريب كبير ، اذا ما انطلقت كما يطلقها البدو ، تسعى لتجد طعامها حيثما تجد .

قال عالم الاحياء السويسري الشهير كارل فوجت Karl Vogt ان المعيز تصيب الغابات باضرار لا يصيبها بمثلها اي حيوان آخر . وهو يرى ان « المدنيات القديمة التي قامت حول البحر المتوسط في الزمان القديم اصابها من الاضرار ، بسبب المعز ، الشيء الكثير . وان الذي اصاب غاباتها من التلف ، وجبالها من التعري ، وما ادى اليه ذلك من



ماعز يأكل كل شيء حتى السوق

جفاف وقلة مطر ، انما يعزى الى ما قامت به المعيز حينذاك من تخريب .

وهو يرى [illegible] لا يجوز مطلق [illegible] [illegible] ولا تذر ، لا تفرق بين وحيش وهال ، ولا بين ورق وزهر ، [illegible]

ويؤكد قول هذا العالم الاحيائي ان [illegible]

[illegible] لعنز حيوانات نفيسة ، ولكن لا بد [illegible]

[illegible]

المعزاة
تلد الواحد والثلاثة

يتصل الذكر من المعز بالانثى فتحمل ، ويطول حملها نحو ٢١ اسبوعا اي نحو ٥ أشهر ، وهي عندئذ تلد الولد الواحد او الاثنين او الثلاثة ، وهي تكبر وتعيش نحوا من ١٥ عاما .

وولد المعز يعرف بالجدي ، وهو صغير . وهو يعرف بالانجليزية بلفظ Kid ، وهو قريب اللفظ من الاسم العربي ، وقريب المعنى ، فمعناه الماعز الصغير ، وفي العامية الانجليزية تطلق لفظ Kid على الطفل ، وعلى الاطفال Kids

والجدي الوليد يستطيع ان يقف على رجليه بعد ساعات من ولادته ، فاذا صعدت امه جبلا تبعها وصعد معها .

والجدي برج من ابراج السماء واسمه Capricorn . وهذا لفظ لاتيني . ويترجم الى الانجليزية فيكون برج الماعز (Caper معناها ماعز ، و Corn معناها قرن . وبرج الجدي هو العاشر في دائرة الابراج وتدخله الشمس عند انقلاب الشمس الشتائي ، وهو في شمال الارض اقصر نهار واطول ليل ويقع في نحو ٢٢ ديسمبر .

المعزاه اللبون (كثيرة اللبن)

[illegible]

[illegible] من ماعز بلاد فارس .

والماعز المستأنس Capra hircus نوع واحد ، ولكنه سلالات مختلفة . ومن هذه السلالات ما يمتاز بلحمه ويربى من اجله ، ومنها ما يمتاز ويربى لصوفه ، ومنها ما يقصد لجلده .

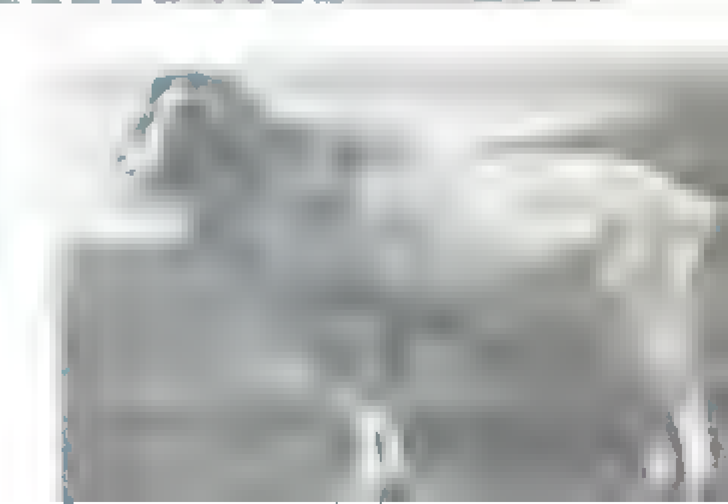
والمعز اللبون ، اي كثيرة اللبن ، التي تربى من اجل لبنها ، هي المعز المسماة بمعز توجنبرج Toggenburg ، وهي محافظة وواد في سويسرا ؛ وكذلك معيز سانه Saane وهو نهر في سويسرا ايضا . فالسلالتان سويسريتان .

كذلك من المعيز التي تربى لألبانها المعيز النوبية Nubian وموطنها مصر والحبشة . وهي اكبر من السلالة السويسرية ، ولونها يتراوح بين الاسود والبني العميق والاحمر الضارب الى الصفرة . وشعرها اقصر وانعم . ولها آذان طويلة .

والمعزاه تدر في اليوم ما بين ٤ الى ٦ ارطال من اللبن ، لمدة عشرة اشهر من السنة الواحدة .

واللبن الناتج كريات دهنه اصغر منها في لبن البقر . والجبن الناتج منه انعم من جبن لبن البقر . من اجل هذا كان [illegible] سهل هضمه .

وتعتبر دهن هذا اللبن ، وصغر كرياته ، يجعل من العسير فصل قشدته



معزاة التوجنبرج
وموطنها سويسرا ، وفروتها بنية ، وقد تبلغ لون الشكلاتة عمقا وعلى وجهها من ناحيتيه شريط ابيض وهي من المعيز الشهيرة بألبانها



معزاة ســانه

ولونها ابيض ، وموطنها سويسرا ، وهي شهيرة بالبانها



اربع معزات توجنبرجية معا . اظهر انتاجها حليبه باللبن

(وتشذبه) هي سائر اللبن ، [illegible] تستخدم لذلك الآلات الفاصلة .

والمعز لا تأكل من الطعام الكثير اذا هي قورنت بسائر الحيوانات المماثلة وهي لا تحتاج الى المكان الكبير الرحب [illegible] حتى العشب

المعز الذكر له رائحة

[illegible] واللبن من الانثى ، [illegible]

المعز مصدر للصوف

[illegible]



معيز أنقرة

لها فرو سميك له من الحرير [illegible] يصنع منه النسيج المعروف بالموهير . يلاحظ فيها قرونها الملتفة الملتوية وآذانها المتدلية .

[illegible]

النسيج المعروف بالموهير Mohair

[illegible]

حبوب ارمينيه .

وأما ماعز كشمير ، فيوجد أصلا في [illegible]

[illegible]

جلود الماعز

[illegible] الأحذية والقفازات ، وكذلك جلود [illegible]

[illegible]



ماعز كشمير وهو ماعز صغير ، وصوفه ناعم وهو غالي الثمن



أسرة ماعز وحشي أسيوي (أيكس) ، الذكر وله قرنان عظيمان جميلان معجسان ، والانثى وهي تلد ولدا واحدا ، هو الذي الى جانبها . وذلك في الربيع . والولد يتبع أمه حتى من ساعة ولادته ويتلق معها الجبل .



وهو مادة طيبة بصناعة الجلد المعروف بالسويد Suede Leather .

وفي الأسواق أشياء تصنع من الجلد يتفق عليها أنها من جلد الماعز ، وهي في الحقيقة مصنوعة من جلد الكلاب والفئران .

لحم الماعز

[illegible]

وقل أكل لحمه في الولايات المتحدة الأمريكية .

الماعز الوحشي

الماعز الوحشي ، وهو غير المستأنس Wild Goat ويعرف بالأيكس Ibex

وهو يعيش في أعالي جبال الألب Capra Ibex ، وجبال البرانس بين أسبانيا وفرنسا ، وكذلك في جبال آسيا Capra sibirica [illegible]

وهو يلتزم مساكنه هذه ، ولا يبرح منها ، وهي فوق خط الثلوج ، إلا للقوت ، فهو يرعى في الغابات المرتفعة

ومن لطيف ما يلاحظه الناظر الى الماعز الوحشي أن قدميه الأماميتين أقصر من قدميه الخلفيتين ، وهذا يسهل عليه طلوع الجبل

وفي الخريف ، وعند قرب انتهائه [illegible]

[illegible]

[illegible] ولد لهما الولد الواحد . وهو واحد لا غير . وهو يولد بعد ١٠ يوما من الأول . والذي تكون ولادته في الربيع .

احمد زكي



في البلاد العربية

يواجه التعليم في البلاد العربية ـ ولا سيما تلك التي سنتحدث عنها في هذا المقال ـ تحديان قاسيان.

أولهما أنها تريد اللحاق سريعا بركب الدول المتقدمة، والقضاء على الهوة الكبيرة التي تفصلها عنها، وبها تتوسل بالتعليم وتتخذ منه سبيلا لهذا الهدف.

وثانيهما أن ما لديها من امكانات مادية وبشرية يقصر عما ترجوه من تقدم سريع في هذا الميدان.

الهوة المتعاظمة بين البلدان المتقدمة وبين البلدان السائرة في طريق النمو

أما فيما يخص التحدي الأول، فمن الأمور التي غدت بديهية ومكرورة، أن نشير إلى ما بين البلدان المتقدمة والبلدان السائرة في طريق النمو (ومنها البلدان العربية) من هوة تزداد اتساعا يوما بعد يوم ويصبح معها اللحاق على الراغب.

وإذا لم يكن لنا أن نمضي بعيدا في وصف هذه الهوة القائمة في شتى جنبات الحياة، فحسبنا أن نشير إلى بعض مظاهرها في ميدان التربية وحدها.

لقد استطاعت الدول المتقدمة جميعها أن تعمم التعليم الابتدائي الإلزامي منذ سنوات بعيدة يرجع معظمها إلى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على أبعد تقدير. بل إن بلدا كالدانمارك استطاع أن يعمم التعليم الإلزامي منذ عام ١٨١٧، كما استطاع بلد كاليابان أن يحقق هذا الهدف منذ عام ١٨٨٦، واستطاعت انكلترا أن تبلغه منذ عام ١٨٧٠، وبلغته فرنسا عام ١٨٨٢. وكثير من هذه الدول المتقدمة اليوم وصلت إلى تعميم التعليم الثانوي نفسه حتى الثامنة عشرة من العمر تعميما عاما وإلزاميا. وهكذا تنصب جهود معظمها اليوم على التوسع في التعليم العالي وتيسيره لأكبر عدد ممكن، وكادت تبلغ نسبة الطلاب في هذا التعليم لدى بعضها ٥٠٪ من مجموع الطلاب



هل من الممكن أن يقوم تعليم بدون صفوف ، وبدون مدرسة ذات جدران ، بل وبدون معلم ؟

بقلم : الدكتور
عبد الله عبد الدائم

لا نَنهض بالأساليب التقليديةً

الذين هم في سن التعليم العالي (كما في الاتحاد السوفياتي والسويد والولايات المتحدة) . هذا فضلا عن تعليم الكبار وعن شعارات التربية المستمرة لجميع الناس طوال مراحل العمر ، ومن شعارات التربية لملء أوقات الفراغ في الشيخوخة وما شابها ! في مقابل ذلك نجد أن الدول العربية لم تبلغ بعد مرحلة تعميم التعليم الابتدائي على جميع الأطفال الذين هم في سن هذا التعليم (بين السادسة والثانية عشرة من العمر). وتدل الأرقام أن حوالي ١٠ ملايين طفل في سن التعليم الابتدائي مازالون خارج هذا التعليم ، في جملة الوطن العربي ، وأن متوسط معدل الزيادة السنوية في هذا التعليم لاتجاوز في الجملة ٦٫٢٪ خلال هذا العقد الأخير من السنوات . أما التعليم الثانوي والعالي فلا شك أن ماتقدم فيهما من خدمات مازال مقصرا جدا عن الشوط المطلوب ، رغم أن نسبة التزايد في أعداد الملتحقين بهذين التعليمين تفوق في السنوات الأخيرة نسبة التزايد في التعليم الابتدائي

ونسمع اليوم ونتساءل اذا تطلعنا ببصرنا نحو المستقبل ونحو السنوات التي تفصلنا عن نهاية هذا القرن.

فالدراسات المستقبلية Prospective التي تعتمد قائمة على عدة وسائل والتي تحاول أن تتبين صورة المستقبل في أواخر هذا القرن ، تريبا أن البلدان المتقدمة تطمح الى مراتب من التقدم في التعليم وسواه ، تصل بها الى مرحلة جديدة من الحضارة ، تعرف بحضارة مجتمعات ما بعد الصناعة ، بل تصل بها الى حضارة مختلفة في النوع لا في الدرجة فحسب عن حضارتها الحالية. ومن توقعات مثل هذه الدول المتقدمة أن تبلغ عما قريب يوما يؤدي فيه التقدم الآلي بل الأوتوماتي وماوراءه من ثورة صناعية ثانية (هي ثورة العقول الالكترونية) الى ولادة مجتمع يبلغ متوسط الدخل لدى الفرد فيه بين ٥ آلاف و ٢٠ عشرين ألف دولار في العام ، مع هبوط كبير في عدد ساعات العمل اليومية وفي عدد أيام العمل السنوية بل هم يتحدثون منذ اليوم عن عهد ليس ببعيد ،



(سيعمل فيه الإنسان طوال سني حياته أكثر من ٤٠ ألف ساعة)

وفي مقابل ذلك تبين التنبؤات والإسقاطات التي تجريها على البلاد العربية ، فيما لو تابعت خطوات سيرها الحالية ولم تحدث انقلابا جذريا في حياتها وسرعة خطوها ، أن هذه البلدان لن تكون في نهاية القرن إلا في عداد الدول التي تحبو لدخول مرحلة الصناعة والتصنيع ، كما تبين أن التعليم الابتدائي نفسه لن يكون في معظمها قد انتشر وعم ! وإذا كانت بعض البلدان العربية ، التي أصابت حظا من التقدم التعليمي منذ سنوات عديدة ، تصل (في كثير من التيسر) إلى تعميم التعليم الابتدائي حوالي عام ١٩٨٠ (كما أوصى بذلك مؤتمر وزراء التربية العرب الذي انعقد في مراكش في بداية عام ١٩٧٠) ، فإن بعض الدول العربية الأخرى لا ترجو — إذا هي تابعت سيرها الحالية ولم تفكر في إحداث تغيير جذري في أساليب تعليمها — أن تتمكن من تعميم التعليم الابتدائي قبل نهاية القرن على أحسن تقدير ، بل لابد لها من أمد أطول من هذا ينتهي من أجل تحقيقه لمثل الأهداف ! . وتصدق هذه الحقيقة الأخيرة على بلدان عربية كثيرة كالسودان وليبيا واليمن بشطريها والسعودية والعراق والمغرب وسواها .

الإمكانات المالية والمادية والبشرية محدودة فوق ذلك

وفوق هذا وذاك ، فالإمكانات المالية والبشرية لدى معظم الدول النامية تقصر حتى عن بلوغ هذه المرتبة المتواضعة وعن الوصول إلى هذا الهدف البسيط رغم القبول ، هدف تعميم التعليم الابتدائي خلال الثلث الباقي من هذا القرن ، فضلا عن أهداف التوسع في التعليم الثانوي والعالي وتعليم الكبار .

فعلى الرغم من الخدمات التربوية المحدودة التي تقوم في معظم هذه البلدان ، نجد أن ماينفق على التعليم فيها كبير وضخم بالقياس إلى ميزانيتها العامة وإلى دخلها القومي . فلقد تضاعفت ميزانية التربية في العديد من هذه الدول خلال السنوات الثلاث الأخيرة وحدها (كما حدث في ليبيا والسودان والجزائر) . وأصبح ماينفق على التعليم من ميزانية الدولة في بلد كالسودان أكثر من ١٦٪ من مجموع ميزانية الدولة ، وحوالي ٥٪ من الدخل القومي . بل إن بلدا كالبحرين ينفق على التعليم أكثر من ٢٨٪ من ميزانية الدولة كما تنفق السعودية أكثر من ٤٪ من الدخل القومي على هذا التعليم . وفي بلد كالعراق نجد أن ماينفق على التعليم يبلغ حوالي ربع ميزانية الدولة وحوالي ٦٪ من الدخل القومي (وهي نسبة عالية جدا) ومع ذلك فالخدمات التعليمية لم تشمل بعد في المرحلة الابتدائية أكثر من ٦٠٪ من الطلاب الذين هم في سن هذه المرحلة ! وفي بلد كالجمهورية العربية اليمنية ينفق على التعليم الابتدائي وحده مايقرب من ٨٪ من ميزانية الدولة رغم أن نسبة الطلاب في هذا التعليم لاتتجاوز ٦٪ من مجموع من هم في سن التعليم الابتدائي !

إن نسبة ماينفق على جملة التربية في البلدان المتقدمة لا يتجاوز ٧٪ من الدخل القومي لدى أكثرها تقدما ، مع خدمات تربوية واسعة وكثيفة ، في حين أن ماينفق على التربية في معظم البلدان العربية يحوم حول ٦٪ من الدخل القومي ، مع خدمات تربوية محدودة لاتغطي حاجات التعليم الابتدائي نفسه . فما عسى أن يكون عليه الأمر لو حاولت هذه البلدان العربية أن تخطو في السنوات المقبلة خطوات أوسع في طريق التعليم؟ ماعسى أن تكون نسبة ميزانية التربية إلى جملة ميزانية الدولة ؟ وهل يمكن أن تخصص التربية وحدها ما يجاوز ثلث ميزانيتها العامة ؟ وماعسى أن تكون نسبة ماتخصصه للتعليم من جملة الدخل القومي ؟ هل ترتفع بهذه النسبة إلى رقم غير معقول فتبلغ حوالي ١٠٪ من مجموع هذا الدخل؟

سبيل الحل

أمام هذين التحديين الكبيرين تجد الدول العربية نفسها . إنها تريد اللحاق بالركب المنطلق في سيره ، وتجاوز الهوة المتعاظمة بينها وبين سواها ، غير أنها في الوقت نفسه لا تجد الموارد المالية اللازمة لذلك ، وإن افترضنا جدلا أنها وجدت المال ، فمن العسير عليها أن تجد الرجال ، أعني العناصر البشرية اللازمة لهذا التوسع السريع في التعليم . وإن قدر لها أن تجد المال والرجال ، فمن العسير أن تجد الإمكانات المادية ، من أبنية وتجهيزات وسواها ، بمثل القدر من السرعة .

وهكذا تبدو الصورة امامنا صورة قاسية . ان طموحنا من اجل تعميم التعليم الابتدائي (حتى خلال سنوات طويلة لا يسمح بمثل طولها منطق التطور في العصر) ، يصطدم بالصعوبات المالية والمادية والبشرية . ولو جاز لنا او لبعضنا ان نفكر في تأخير هذا التعميم حتى نهاية القرن ، فانما واجهه في هذا الطلب نفسه امرا انما لا تسمح به امكاناتها المالية وسواها .

لنتخيل الان هذا الواقع المرير ، ولنرضى لنفسنا ان نجهد ونجهد ، فيما يقرب من اليأس ، لبلوغ مثل هذا النذر المصير ومثل هذا الهدف الهزيل ، هدف تعميم التعليم الابتدائي في اواخر هذا القرن وان نكون في واد ، والعالم المتقدم في واد اخر يبني حضارة ما بعد الصناعة ويخطو نوعا جديدا من الحضارة والبشر ؟

لا شك ان الجواب على هذا التحدي ينبغي ان ينطلق من نقطة : ان ما يومىء اليه هذا التحدي في وضوح واصرار هو انه لا بد من التفكير بأساليب تعليمية جديدة ، تمكن مثل هذه البلدان من تحقيق مطلبين في ان واحد : مطلب التقدم السريع في التعليم واللحاق بالركب في وقت معقول بالقياس الى سير الزمن وخطى العصر ، ومطلب الحصول على مثل هذا التقدم السريع بامكانات مالية ومادية وبشرية قليلة .

ومثل هذين المطلبين لا يبدوان اليوم امرا معجزا ، بعد تقدم الوسائل التعليمية وبعد طرح مشكلات التربية من زاوية جديدة . ولعل البلدان السائرة في طريق النمو (ومنها البلدان العربية) مدعوة قبل غيرها الى ابتكار وابتداع مثل هذه الاساليب الجديدة في التعليم ، ولعلها المرشحة قبل سواها لان تكون الرائدة في هذه التجارب الجديدة ، ما دامت الحاجة تفتق الحيلة ، وما دام نقص الامكانات المالية وسواها لا يسده الا الابداع البشري والتفكير في تسليط العقل التربوي المبدع على مشكلات الواقع الصعبة .

بعض معالم الاساليب التربوية الحديثة

اما الحديث عن هذه الاساليب التربوية المبتكرة التي من شأنها ان تحقق نموا متزايدا في التعليم مع نفقات اقل ، فامر لا تتسع له حدود هذه الكلمة ، ولعله يحتاج الى مقال برأسه بل اكثر من مجلد .

وحسبنا ان نقول موجزين ان شعار الاساليب التربوية الحديثة اليوم هو الشعار الذي نرى في شتى ميادين الحياة المعاصرة ، نعني شعار الاستخدام الامثل للامكانات المتاحة ، شعار الوصول الى افضل مردود واجود مردود باقل الموارد الممكنة .

ومثل هذا الشعار يستلزم امرين ، ثانيهما اهم من اولهما في نظرنا : اما الامر الاول فهو القضاء على مآلي نظام التعليم القائم من هدر وضياع (بسبب الرسوب الكبير وبسبب التسرب الكبير) ، ذلك الهدر الذي يؤدي في كثير من البلدان العربية الى ظاهرة تعرفها جميعا وهي ان اقل من نصف من يدخلون المرحلة التعليمية يتخرجون منها فعلا في نهايتها . بل ان بلدا كاليمن (الشمالي) يخرج من التعليم الابتدائي اقل من ١٠٪ من عدد الاطفال الذين يدخلون هذا التعليم ! وبلد كالعراق يخرج من التعليم الابتدائي عددا لا يزيد على نصف الذين يدخلونه في السنة الاولى الامر الذي يزيد في نفقات التعليم وكلفته بحيث بلغت هذه الكلفة رقما غريبا لا نجد له مثيلا (اذ وصل متوسط كلفة الطالب في التعليم الابتدائي ٣٦ دينارا عراقيا (عام ٦٨/٦٩)) ولا شك ان القضاء على مثل هذا الهدر الكبير مطلب اساسي في بلاد لا تتوافر فيها الامكانات المالية ، فضلا عما يحمله هذا الهدر من معان تتصل بضعف مستوى التعليم ومحتواه .

واما الامر الثاني الذي يستلزمه شعار الاستخدام الافضل للامكانات المتاحة — وهو كما قلنا اساسي اكثر من الاول — فهو التفكير في طرائق تعليمية غير الطرائق التقليدية المألوفة ، تؤدي الى ان نعلم اعدادا اكثر وان نقدم تعليما افضل باعداد من المعلمين اقل وبابنية مدرسية اقل عددا وبامكانات مالية اقل بالتالي .

وراء البحث عن هذه الطرائق التعليمية الجديدة ، انه لا بد من اعادة النظر في اطار التعليم الشائع ، وهو اطار قوامه — منذ الازل — صف ذو جدران ومعلم وطلاب . والسؤال الذي يطرح اليوم بشدة وحدة : من قال لنا ان هذا الاطار اطار منزل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ او ليس من الممكن ان يقوم تعليم بدون صف ، وبدون مدرسة ذات جدران ، بل بدون

معلم ؟ ألا نستطيع أن نلجأ — ولا سيما في المناطق الريفية النائية وفي المناطق الجبلية والقرى المتناثرة — الى تعليم أفضل ، لا يستند بالضرورة الى وجود الصف التقليدي ، ولا يعتمد بالضرورة على نسبة ثابتة بين عدد الطلاب وعدد المعلمين ؟ ألا نستطيع مثلا أن نلجأ الى تعليم قوامه المدرسة ذات المعلم الوحيد ذات الصفوف العديدة مع وسائل تنظيمية أفضل ؟ ألا نستطيع أن نلجأ الى مدرسة في الهواء الطلق كما يقال ، عن طريق وسائل الاتصال الجماعية كالراديو والتلفزيون وسواهما ، بحيث نضع برامج تعليمية منظمة لمنطقة بأسرها دون ما لجوء الى صف أو معلم الا في النذر اليسير ؟ أو ليس من الممكن أن نلجأ الى وسائل التعليم الذاتي (أن يعلم الطفل نفسه بنفسه) عن طريق برامج وكتب معدة سلفا لهذه الغاية ، وعن طريق ما يسمى التعليم المبرمج ؟ أليس من الأجدى أن نقيم تعليما محوره العمل ومحوره تعلم مهنة معينة ، في البيئات الزراعية والصناعية ، بحيث يتعلم الطفل وهو يعمل وينتج وبحيث نقيم تعليما يسد نفقاته بنفسه ، كما أراد زعيم الهند غاندي فيما سماه بالتربية الأساسية؟

أسئلة كثيرة من هذا النوع تطرح نفسها اليوم ولا تعني الاجابة عليها أن نتبنى بعض الحلول الجاهزة التي طبقت في بلدان أخرى ، بل تعني أولا وقبل كل شيء أن نفيد من التجارب التي تمت في بعض البلدان لنكيفها ولنبتكر طرقا أصلح لمشكلات بلادنا بل لمشكلات كل بلد وكل منطقة .

المهم في الأمر ألا نؤخذ بالقوالب الجامدة وألا نضع التعليم في حذاء صيني يضيق عليه ويكاد يخنقه . والتفكير في مثل هذه الأساليب الجديدة أمر مفروض علينا على أية حال لسببين

أولهما هو الذي أشرنا اليه عبر هذه الكلمة ، وهي أننا لن نستطيع بالطرائق العادية التقليدية أن نجتاز الهوة وأن نسد النقص وأن نقطع الشوط

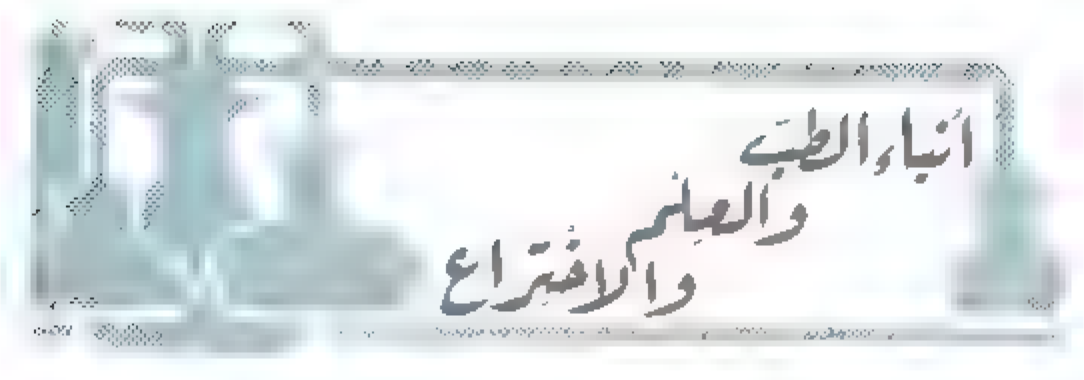
وثانيهما أن مثل هذه الطرائق الجديدة لا تؤدي الى زيادة مردود العملية التعليمية والى تخفيض نفقاتها فحسب ، بل تؤدي — وهذا أهم — الى تقديم تعليم أجود من حيث مستواه ومحتواه ومن حيث ملاءمته لأغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية

ان المربين في بلادنا والمشرفين على توجيه الحركة التربوية مدعوون الى التفكير جديا في الخروج عن الاطار التقليدي — حيث يلزم ذلك — وفي ابتداع طرق وأساليب جديدة ، متأسين بالتجربة العالمية ومستجيبين قبل هذا لمطالب مجتمعهم ومشكلات بيئاتهم الخاصة . وهم مدعوون الى مثل هذا التفكير المبدع اليوم قبل الغد ، لأن مشكلات التعليم لا تمهل ، وقد يصلون فيها (ان لم يكونوا قد وصلوا فعلا) الى طريق مسدودة . ومن حق بلادهم عليهم ألا يجعلوا المشكلات تتعاظم ويصعب رتقها ، وأن يبادروا بمعالجة نظام التعليم اليوم على ضوء مشكلاته وصورته في الغد . فلم يعد من الجائز ، في عصرنا هذا ، أن نفكر بالحاضر على ضوء الماضي ، بل لابد من نظرة مستقبلية جديدة ، قوامها التفكير في الحاضر على ضوء المستقبل . ان من واجب المربين أن يطلوا على أنفسهم وعلى بلادهم قمة الغد وأن يكتبوا لها تاريخ الغد لا تاريخ الأمس ، وأن يبنوا تعليمهم الحاضر على ضوء ما تقدمه صورة الغد .

ان صورة الغد — فيما لو استمرت الاتجاهات الحالية في التعليم — صورة قاتمة صعبة كما رأينا . ومن حق الأجيال علينا أن نطرح بالخيال — الخيال العلمي — وإلا عدمنا القدرة على نقد المستقبل والتحوط له . وعصرنا كله هو عصر السيطرة على المستقبل ، عصر ابتكار المستقبل كما يقال . ولا يتم ذلك الا اذا تنبأنا بصورة هذا المستقبل عن طريق مد الاتجاهات الحالية واسقاطها في المستقبل ورؤية نتائج ذلك المد والاسقاط ، وذلك من أجل اتخاذ التدابير اللازمة التي تغير من هذا المستقبل وتسوقه على طراز جديد .

وواضح أن صورة المستقبل — كما رأيناها باختصار في خاتمة هذه الكلمة — تشير الى موقف يتطلب مبادرة جادة لاجتنابه . ولن تكون هذه المبادرة الا أن نقتحم ميدانا جديدا خصبا ، هو ميدان اعادة النظر في اطار التعليم وأساليبه التقليدية ، من أجل ابتكار نظام أقدر وأنجع ، يتيح لنا اللحاق بالركب ، ولا يدعنا في موقف العاجز أو اليائس أمام ضخامة الهوة وصعوبة التحدي .

بيروت — عبد الله عبد الدائم



حبة واحدة شهريا لمنع الحمل

● حبوب منع الحمل [illegible] لا تؤدي [illegible]

ويتم الآن اجراء تجارب على عدة [illegible] لضمان عدم الحمل . وقد اعلن اخيرا عن التقدم الذي حققه العلماء في هذا الميدان .

ومن اهم ما اعلن اخيرا [illegible] بواسطة الطبيبين لوتعيي [illegible] وبرمان E. Berman عن حبة جديدة تتناولها [illegible] في الشهر [illegible] الحبوب [illegible] في الكبسولات [illegible] الفعال في هذه الحبوب اصطناعية من هرمون الاستروجين Oestrogen واسمه Quinestrol وهو ذو مفعول باق على مرور الزمن . فهو يمتص بعد ابتلاعه بواسطة مخزون الجسم من الدهنيات ، وهي تقوم بدورها بافرازه تدريجيا [illegible]

ويتلخص التأثير البيولوجي لهذا الهرمون في منع تبييض البويضة Ovulation وبذلك يمنع الحمل . وتؤدي استعمال الكوينسترول وحده الى اختلال الدورة الشهرية لدى المرأة وهذا قد يسبب قلقا نفسيا لديها . ولهذا السبب فهو يعطى مع مادة البروجستاجين المصنعة Progestagen والتي تسمى اسيتات [illegible] النفسي الذي قد يعتري من تستعمل هذه الحبوب الجديدة .

وقد اعلن لوتعيي وبرمان انهما قد جربا حبوبهما الجديدة على ۲۰۰ امرأة [illegible] ۱۰۱ منهن باستعمالها لمدة سنة [illegible] الحبوب لا تتعدى على الآثار التي [illegible] حبوب منع الحمل العادية والتي تستعمل الآن ، بينما تبلغ فعاليتها في منع الحمل ۱۰۰٪ .

البيضه الانسانيه في المختبرات العلميه

انضاجها ، ثم تلقيحها ، ثم اعدادها

لتوضع في رحم المرأة التي جاءت منها

لتكون حمل وتكون ولاده

● ان الذي يجري في بيضة الانثى من بني الناس، محجوب عن رؤية الناس، لأنه يجري في ظلمات البطون والارحام . وقد كشف العلماء من كثير من هذا المجهول بدراسة هذه الظواهر في الحيوانات . [illegible] من ذلك الكثير .

ومن بيضة الحيوانات انتقلوا الى بيضة الانسان .

وقد علموا ان الطفلة الانثى حين تولد، تولد وبها كل حصيلتها في الحياة من البويضات غير الناضجة Oocytes . وقد أتمت اول تطور لها وذلك بانقسامها انقساما Meiosis . بمعنى ان كروموسوماتها ينقسم كل منها الى نصفين . وهي تبدأ هذا الطور الاول وتتمه بين الشهر الرابع ، والشهر السابع من حياة الجنين .

ثم هي تدخل فترة عديدة تعرف بالفترة الشبكية Dictyotene Stage وفي هذا الدور تتخذ نواة البيضة اشكالا [illegible] [illegible] [illegible] الحال سنوات عديدة ، تبدأ من قبل ان تولد الطفلة حتى تأخذ تنضج عند البلوغ .

ومعنى هذا ان البويضة قد تبقى على هذه الصورة الاخيرة مدة اربعين عاما ، تنتظر النضج والخروج من المبيض .

[illegible] على [illegible] في شهر

وعند الزواج يتم بالطبع التلقيح .

وقد استطاع العلماء اجراء كل هذه الاشياء ، والمرور بالبويضة الانسانيه على كل هذه الاطوار ، وفي زجاج المختبرات لا في ارحام النساء . والحقوا حتى تلقيح البويضات بالحيوان المنوى من الذكور .

وهم صنعوا كل هذا [illegible]

ومن غاياتهم الواضحة تحبيب النساء [illegible] يحدث في طور من هذه الاطوار ، او بسبب موت اجنتهن وهن في بطونهن لخلل يتصل بهذه الامور .

انهم عندئذ يستخرجون من المرأة بويضتها ، وهي في طور من اطوارها ، ويجرون عليها ما وجب حتى تنضج اذا لم تكن قد نضجت، ويلقحونها بالحيوان المنوى المأخوذ من الزوج . وهي بعد تلقيحها ترد الى رحم الأم . فقد تلد العاقر ، وقد تكون اطفال للمحرومات من الاطفال .



صورة بويضة امرأة ، لقحوها في المختبر بحيوان منوي ، ثم اخذت تنمو ، فلما بلغت [illegible] من الخلايا ، أخذت صورتها بالفوتوغرافيه ، والجسم الذي تحتها هنا نسيج ٨ خلايا [illegible]

كساح الاطفال
سببه احتجاب الشمس عنهم

● ان اول وصف لكساح الاطفال ، في انجلترا ، كان في عام ١٦٥٠ . وفي هذا الوقت كان بدء استخدام الفحم الحجري ، وامتد استخدامه في اوروبا عندما بدأت الحركة المسماة بالثورة الصناعية. ومعها امتلأت الأجواء بدخان الفحم.

[illegible] التي لم تكد تدخلها الشمس.

وقالوا عندئذ ان الكساح سببه نقص في الغذاء .

ونعلم نحن اليوم انه انما كان ويكون بسبب نقص في ضوء الشمس .

[illegible] الشمس المسمى بالفوق البنفسجي ، وهو الاشعاع الضروري للجسم ، والذي هو فيه خلق الهرمون الذي اسمه كلسي فيرول Calci Ferol ، هذا الذي يجري بعد ذلك في الدم ، فيعين في تكلس عظم الانسان ، لا سيما الانسان الناشيء ، ونعني به الطفل النامي .

بدون هذا الهرمون لا تتكون مركبات الكلسيوم في العظام ، ولكن بتعريض الاطفال للشمس ، او ادخال القليل من هذا الهرمون الى اجسامهم ، امتنع

فيتامين ج له قصة

● ليس أحد في العالم يسمى ، امريكيا كان او غير امريكي ، لا يدري من هو الدكتور باولنج Linus Pauling انه الكيماوي الشهير الذي نال جائزة نوبل مرتين ، مرة جائزة الكيمياء ، والمرة الثانية جائزة السلام .

[illegible]

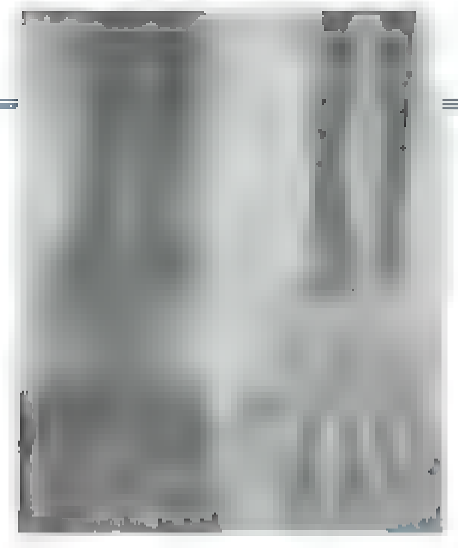
مدينة بسطي ، وجادلوا صاحب العالم في نظريته هذه ، وهم في شك منها شك كبير . وكان زعيم العالم يجمع بين التكذيب والإصرار على ما يقول . ورأى بعضهم [illegible] رجلا عالما في مكانته هذه المرموقة ، من حقه احيانا ان يلعب دور المغفل بهم . ولكن [illegible] هؤلاء المشككين من ترك ذاته القاتل(?) فاذا ما يحدثهم في الاسواق عند الصيادلة يبيعون بمقادير هائلة من هذا الفيتامين .

وهذا مثل من التناقض يقوم في مواقف الناس من الشيء الواحد . يقول ومعه الرهط . [illegible] على الناس عشرات من السنين يقوم لوم فيه بالدعاية الهائلة للفيتامينات وترويجها [illegible] لها من فضائل ، فهي تشفي من مرض البري بري ، كما تشفي من [illegible] البرغوث(?) ، حتى ادت هذه [illegible] التي [illegible] في [illegible] الفيتامينات

كذلك يحاول المعلنون ان يأتوا بالدلائل المثبتة على ما يقولون ، بدون ان يحذروا من ضعف الدليل الذي به يأتون ، وقد كان من جراء شيء كهذا وقع منذ سنوات ان خرج كتاب صغير الى الاسواق عنوانه : كيف تستخدم الاحصاءات في الكذب على الناس .

ولكن قد يظهر بعد كل هذا الدليل العلمي الصحيح الصادق فيضيع الشاكون في شكوكهم .

ولعل شيئا من هذا هو الذي وقع



انه الكساح ، بسبب سوء تشكيل العظام ، ويحدث بسبب نقص في الهرمون الكلسي المسمى كلسي فرول ، وهو يتخلق في الجسم بفعل من شعاع الشمس . وفي الصورة اليسرى ، رسم بالأشعة من لعظمي ذراع طفل عمره سنة ونصف ، على الصحة ، والى جانبها صورة مثلها للعظام بعد ان نالها الشفاء . ويمنع من كل هذا ضياء الشمس يدخل الى بيوت الناس

★ ★ ★

[illegible]
[illegible]
الاطراف . وحساهم كذلك كل ما كان ظاهرا على الاجسام وعظامها من الصور المشوهة .

ومع كل هذا نجد كتب الطب الى اليوم تتحدث عن فيتامين د ، وتقول انه بسبب نقصه في الجسم ، يحدث الكساح ! !

لما اصدر الدكتور باولنج ، منذ اسابيع ، كتابه الذي عنوانه : « فيتامين ج والبرد العادي Vitamin C and the Common Cold »

ما كاد هذا الكتاب يظهر حتى اشترى الناس كل ما في الصيدليات من هذا الفيتامين . وكان من جراء ذلك ان مدير مصلحة الغذاء والعقاقير بالولايات المتحدة ، عندما سمع بذلك اسف ان تذهب بدعة كهذه باموال الناس في غير طائل . اما الدكتور باولنج فقد بنى ايمانه بهذه الفيتامينات على ثلاثة امور :

١ ــ انه عندما تناول جرعات كبيرة من هذا الفيتامين هو وزوجته ، لاحظ هبوطا بينا في عدد اصابات البرد التي اصابتهما ، وكذلك في قدرها .

٢ ــ جاء بقائمة من ابحاث عشر اشخاص ، قاموا بتعاطي الفيتامين ، نتج عن ذلك أنهم كانوا اقل اصابة
[illegible]
الفيتامين شيئا . وكان من هذه الحالات الذي ذكرها حالات ذكرها آخرون

[illegible] ان نظرية فيتامين ج هذه نظرية لا اصل لها . وذكر الدكتور باولنج كذلك دراسات اخرى تدل على ان هذا الفيتامين يساعد على التئام الجروح ، ويمنع آلام الظهر وبعض صنوف السرطان التي تصيب المثانة . وهو يزيد في النشاط الذهني ان لم يزد في مقدار الذكاء .

٣ ــ وهو صرح ، بدون دليل ، [illegible] بان اقتراحه بدون دليل ، ان فيتامين ج ربما تؤدي عنه هذا ، بان تشجع انتاج الانترفيرون Interferon ، ذلك المطهر العام للفيروس في الاجسام .

والناقدون لرأي باولنج في امر هذا [illegible] ان الدراسات التي [illegible]
[illegible]
[illegible]
هذا الفيتامين لمدة طويلة لا تعرف عواقبه ، وقد تدرس هذه العواقب بعد .

على كل حال لا تزال الصيدلة الى اليوم مشتطين لكثرة ما يبيعون .



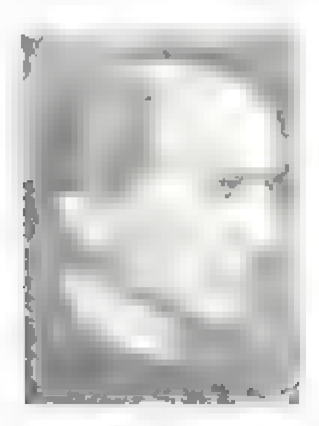
ماذا نتعلم في الجامعه

● يقول وليم كوري William Cory ١٨٢٣ ـ ١٨٩٢ استاذ الشعر [illegible] بكلية [illegible] [illegible] [illegible] لتحقيق مجموعة [illegible] العلم والمعرفة [illegible] [illegible] اخرى لا تقل اهمية عن المعلومات التي نقرأها في الكتب ..

* [illegible] الانتباه و[illegible] التعبير عن النفس
* ونتعلم فن التأثير على افكار الناس واقناعهم بما نؤمن به
* ونتعلم فن الاعتراض او الموافقة على الآراء والمقترحات التي تطرح علينا ، ولكن باسلوب جامعي .
* ونتعلم فن انجاز اعمالنا في الوقت المحدد لنا .
* ونتعلم كيف نتذوق [illegible] وكيف نفرق بين الغث والسمين في قراءاتنا
* واخيرا كيف نبني [illegible] الادبية [illegible] الفكرية في نفوسنا »

الاستقلال .. والزواج

● كان من عادة وليام ايوارت جلادستون William Ewart Gladstone ، الذي تولى رئاسة الوزارة البريطانية عدة مرات (١٨٠٩ ـ ١٨٩٨) وكان من السياسيين النادرين الاحرار ، وزعيما لحزب الاحرار البريطاني ، أن يرد على بعض الخطابات الخاصة التي ترد اليه من افراد الشعب ، والتي كان يحرص دائما على الاطلاع على اكبر عدد ممكن





ضمير يستيقظ

● يروى عن هنريك جوهان ابسن [illegible] Henrik Johan Ibsen المسرحي الشهير (١٨٢٨ – ١٩٠٦) ، ان احد اصدقائه من كبار رجال السياسة في الحكومة النرويجية ائتمنه يوما على سر خطير يتعلق [illegible] الجديدة التي ستعرض على [illegible] بمناسبة تقديم الميزانية الجديدة للبرلمان ، وطلب اليه الا يبوح به لاحد .

ولكن ابسن ما كاد يخرج من بيت [illegible]

[illegible]

لبيت فيه ليلته !

[illegible]

تعمل شيئا يسيء الى احد !

[illegible]

آلاف دولار ! » .

[illegible]

[illegible]

ثمار جهوده !

[illegible]

هـذا هو بالضبط مطلب الشعب

[illegible]

استطلاع الكويت

مجلس الأمة الكويتي

افتتاح الفصل التشريعي الثالث له

استطلاع
سليم زبال

تصوير
اوسكار مترى







■ « إننا .. أمامك أعمال كثيرة ومهمة على الصعيد العربي [illegible] من أجل العرب .. ويتمثل ذلك في معركة المصير التي [illegible] ، وعلى الصعيد الداخلي ، [illegible] ، [illegible] منتصرة [illegible] في بلدنا [illegible] .. [illegible] نرجو أن نكون [illegible] .. [illegible] واحدة [illegible] .. [illegible] واحدا ، ومن [illegible] [illegible] .. »

كانت هذه من الكلمات التي افتتح بها صاحب السمو امير دولة الكويت الشيخ صباح السالم الصباح دور الانعقاد العادي الاول من الفصل التشريعي الثالث لمجلس الامة ، وهو يتحدث الى اعضاء مجلس الامة الخمسين الجدد ، الذين انتخبهم الشعب من بين ١٨٣ مرشحا تقدموا للانتخابات الرابعة النيابية في تاريخ الكويت ..

كبار رجال البلاد يشهدون حفل الافتتاح

كان النواب يجلسون في مقاعدهم الى جانب اعضاء مجلس الوزراء الجديد ، وحولهم الشيوخ ورؤساء المجالس [illegible] وكبار رجال الدولة من وزراء سابقين ، ورجال [illegible] ووكلاء وزارات .

وفي الاماكن المخصصة للسلك الدبلوماسي جلس سفراء الدول من فرنسا وانجلترا وروسيا وامريكا والسعودية والباكستان ومصر وايران وغيرهم .. جلسوا كلهم يستمعون الى كلمة الامير والخطاب الاميري الذي جاء بعده .

روح الأسرة الواحدة

وقبل ان تبدأ الجلسة دخل رجل جليل كبير السن يمشي متكئا على عصاه ، ما كاد يلمحه الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، السكرتير الخاص لامير الكويت ، حتى تقدم اليه يساعده ويقدم له مقعده ليجلس عليه .. انه « ابو عبد الله » عبد الرحمن الرومي ، الرجل الذي يحمل ذكريات نحو تسعين عاما فوق كاهله ، ومع ذلك يصر على حضور حفل الافتتاح لكل دورة .. يحضرها مشاركا معتزا بها

انها روح الاسرة الواحدة التي اشتهرت بها الكويت ، والتي تربط بين افرادها حكاما ورعية ..

ذكريات اول مجلس

وعندما بدأ سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد في القاء الخطاب الاميري ، تداعت الذكريات ، ورجع القدماء الحاضرون من اهل الكويت بالذاكرة الى الماضي ، ورجعنا معهم الى عام ١٩٢١ عندما تأسس اول مجلس استشاري في الكويت في عهد حاكم البلاد العاشر المرحوم الشيخ احمد الجابر ، والد ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الحالي ..

لقد كان المجلس الاول مكونا من اثني عشر عضوا يمثلون اعيان الكويت ووجهائها .. وتم اختيار هذا الرعيل الاول من ممثلي الشعب دون انتخاب رسمي .. بالاختيار ومناصحة اهل الرأي .. اما اسماؤهم فهي :

الحاج حمد العبد الله الصقر .. الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، عبد الرحمن السيد خلف النقيب .. هلال بن فجحان المطيري .. الحاج شملان بن علي بن سيف .. الشيخ عبد العزيز الرشيد .. خليفة بن شاهين الغانم .. احمد الحمد الخالد .. احمد بن صالح الحميضي مرزوق الداود البدر .. ابراهيم بن مضف سلطان الحمد الخالد ..

لقد بدأ هؤلاء الاعضاء اجتماعاتهم بحماس زائد ولكن هذا المجلس الاستشاري لم يعمر طويلا ، اذ سرعان ما دب الخلاف والمنازعات بين اعضائه ، فانفض سامرهم بعد شهرين فقط من انعقاد مجلسهم الاستشاري الاول ..

الخطاب الأميري يستعرض السياسة العربية والمحلية

وتنقطع الذكريات بصوت ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء وهو يقرأ في سطور قوية الخطاب الاميري ليحدد موقف الكويت ثم يقول : « لقد اوضحنا اكثر من مرة اننا لن نوافق على اي حل لقضية فلسطين لا يرضى عنه الشعب العربي الفلسطيني ، صاحب الحق الاول في هذه القضية »

ويتحدث الخطاب الاميري عن الاحداث الاليمة التي وقعت في الاردن الشقيق فيقول : « ان ما يجري في اي قطر شقيق من احداث تؤثر في قدرته على الصمود تجاه عدونا المشترك هو مما [illegible] »

لم يتحدث الخطاب الاميري عن الوحدة الرباعية

في الجمهورية العربية المتحدة وليبيا والسودان وسوريا فيقول : « انه يبارك الخطوات التي تحدث لقيام الاتحاد الرباعي وكل تقارب عربي [illegible] خطار ، وعلاء شأنها ... »

ويستطرد الخطاب مرحبا بوضوح موقف الكويت تجاه بقية الاحداث ، من تأييده لكل لقيام اتحاد بين الامارات العربية التسع في الخليج العربي .. ثم يتحدث عن حرص الحكومة على تقوية الجيش وتدريبه وتزويده بالعتاد .

ويتابع الحديث عن السياسة الداخلية فيتحدث عن التشريعات الجديدة اللازمة للمحاكم ، وعن قانون البلديات ، وعن تنظيم الادارة الحكومية ، ومراعاة احلال ابناء الكويت من خريجي الجامعات والمعاهد العليا والمتوسطة في الوظائف اللائقة لهم ، ليحملوا عبء المسؤوليات الوطنية الملقاة على عاتق جيلهم ، ثم يتحدث الخطاب الاميري عن تحسين اوضاع العمال والمستخدمين وصغار الموظفين من ابناء البلاد .. وعن زيادة فئة العلاوة الاجتماعية لجميع العاملين في الدولة .. ورفع فئة الهبة لاصحاب معاشات التقاعد من الكويتيين ..

ثم يتابع الخطاب الاميري الحديث عن المخطط الهيكلي ، وعن زيادة عائدات النفط ، وعن انشاء مركز الدراسات المصرفية لاعداد موظفين كويتيين على اعمال المصارف .. وعن اشتراك الكويت في صندوق الانماء العربي ، وعن الحركة الاقتصادية والتجارية ، وعن دعم الحكومة لحركة التصنيع في الكويت وتشجيع الصناعات الوطنية وفتح آفاق لها .. وحماية المستثمرين المحليين من شركات الاستثمار التي تتعامل بالاوراق المالية في البورصات الاجنبية .

ثم يتطرق الخطاب الاميري الى الخدمات العامة فيقول : « ان [illegible]

مجلس يقسم الكلمات

ويقسم سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد تلاوة الخطاب الاميري بهذه الفقرة ، موجها حديثه الى النواب خاصة

- ان مواطنيكم الذين اولوكم ثقتهم في الانتخابات النيابية يتطلعون الى مجلسكم هذا ، الذي يضم [illegible]

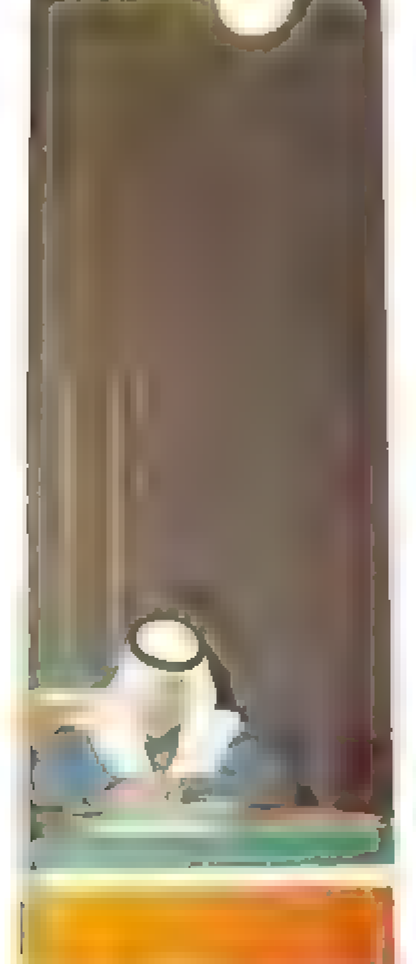
و « شاورهم في الامر »

وهذا المجلس الجديد الذي جاء محققا [illegible]

[illegible]









الشعب والحكومة على حد سواء، لم يكن الا وليد حياة نيابية حديثة في الكويت، جاءت امتثالا لقوله تعالى « وشاورهم في الأمر » واستمرارا لكلامه من كرمهم في كتابه العزيز بقوله « وامرهم شورى بينهم »، واستجابة لسنة التطور والافادة من مستحدثات الفكر الانساني ..

انتخاب اول مجلس تأسيسي

وقد مرت الحياة النيابية في الكويت بمراحل مختلفة خلال العشر سنوات الماضية .. وحياة الحياة النيابية الحديثة بدأت بصدور مرسوم اميري يوم ٧ اكتوبر ١٩٦١ بدعوة ابناء الكويت الى انتخاب اول مجلس تأسيسي .. وتقدم لهذه الانتخابات ٧٤ مرشحا تنافسوا على ٢٠ مقعدا، وبلغت نسبة الناخبين الذين ادلوا باصواتهم ٩٠٪ من مجموع عدد الناخبين . وعقد المجلس التأسيسي اول جلسة له يوم ٦٢/١/٢٠ .. وكان الهدف الاول للمجلس هو وضع دستور لدولة الكويت.

وبعد عشرة شهور من المناقشات الجادة توصل اعضاء المجلس التأسيسي الى وضع الصيغة النهائية للدستور ، وفي ١١ نوفمبر ١٩٦٢ صدق امير الكويت المرحوم الشيخ عبد الله السالم الصباح على هذا الدستور الذي يجمع بمواده المائة والثلاثة والثمانين بين حسنات الحكم الرئاسي، وحسنات الحكم البرلماني المعمول بهما في الدول المتحضرة .

اول مجلس امة ..

وكان مولد الدستور بداية عهد جديد للبلاد اذ اجريت على الفور انتخابات جديدة . كانت اول انتخابات برلمانية يخوضها المواطنون . كانت حماسة الوطن من اجل اختياره ٥٠ عضوا لاول مجلس للامة، من بين ٢٠٤ من المرشحين الذين تقدموا للانتخابات

وعقد هذا المجلس جلسته الافتتاحية في ٢٩ يناير ١٩٦٣ وتناولت جلساته في خمس دورات عادية ودورة استثنائية، ووافق على العديد من القوانين والميزانيات والاتفاقيات .. وانتهى عمر المجلس الاول في ٢٨ يناير ١٩٦٧ .

ثاني مجلس للامة

واجريت الانتخابات الثانية لانتخاب مجلس امة في ٢٥ يناير ١٩٦٧ وقد تقدم اليها ٢٢٥ مرشحا فاز منهم ٥٠ عضوا، عقدوا من الجلسات ٢٠٢ خلال فترة اربع سنوات، وانتهى عمر المجلس الثاني في ٦ فبراير ١٩٧١ .

ثالث معركة انتخابية تختلف عن سابقتيها

ومنذ شهرين فقط اجريت انتخابات مجلس الامة الثالث، اي هذا المجلس الحالي الذي نتحدث عنه . واختلفت هذه المعركة الانتخابية عن سابقتيها بوجود عناصر شابة، اذ خاضها خريجون كويتيون كانوا موضع ترحيب الشعب .

وبلغ مجموع عدد المتقدمين للانتخابات ١٨٣ مرشحا، كان التنافس شديدا بينهم، وكانت الحملات الاسبوعية تصدر الملاحق اليومية، فتزيد من احتدام المعركة بذكرها للتوقعات والتنبؤات، مع نشر مقابلات وبرامج المرشحين، ووجهات نظر المواطنين .

المرأة تفشل في المعركة وتنجح في الندوة !

ومن قلب المعركة الدائرة، ارتفع صوت المرأة مطالبة بحقها في الانتخاب، ولكن صوتها لم يلق اذنا صاغية، فاتجهت الى منبر الاجتماعات والندوات .. فاقيمت ندوة في جامعة الكويت اشتركت فيها المرأة وبعض اساتذة الجامعة وعدد كبير من طلاب الجامعة .. وبعد نقاش ومجادلات اسفرت النتيجة عما يلي :

١ ـ من الخطأ اطلاق تسمية « مجلس الامة » على مجلس لم تساهم المرأة في تكوينه عن طريق المعركة الانتخابية، مع العلم ان كلمة « امة » [illegible]

٢ ـ ان احتكار الرجل لهذا الحق دون المرأة هو اقرار ضمني بتخلفه عنها، وحتى في مجتمعنا نجد جانب هام من حرمان النساء، هو الجانب [illegible]

٣ ـ ان في الوضع الذي تعيشه الدول التي منحت المرأة هذا الحق شاهدا على كفاءة افرادها ودراستها في ميدان الانتخابات، ومن ثم فلا مبرر مطلقا لحرمان المرأة مطلقا من هذا الحق

وهكذا صوت ٨٧٪ من حاضري الندوة الى جانب حق المرأة في الانتخاب، ولكنها رغم هذا النجاح



الذي حققته ، واشترك فيه الرجل في الندوة الجامعية ، بحيث كما هي غير قادرة على التعبير عن رأيها السياسي أو إعطاء صوتها ..

ترحيب بنتائج الانتخابات

وبدأت الانتخابات .. وتجمعت أصوات أكثر من ٤٠ ألف ناخب في صناديق الاقتراع .. وكانت ساعات فرز الأصوات ، ساعات قلق وترقب حتى سيطرة على الناخبين والمرشحين حتى أعلنت النتائج .. نتائج رحب بها الجميع ، فقد دخلت المجلس عناصر جديدة تحمل أفكارا جديدة تعكس تطلعات الشعب وآماله في تحقيق حياة نيابية حديثة مثالية ..

لقد سقط في الانتخاب بعض الأسماء لأشخاص لامعين ، ودخل المجلس ٢٧ نائبا جديدا من مجموع ٥٠ نائبا .. كانت الانتخابات نزيهة حضارية ، حتى أن الذين خانهم الحظ في النجاح احترموا مراعيها .

تحفظ من الناخبين

وترتفع أصوات بعض الشباب معلقين على الانتخابات بقولهم : « انا نريد الادلاء بأصواتنا

الآمال كلها معقودة على المجلس

وهكذا أصبحت آمال الشعب معقودة بهذا المجلس الجديد .. الذي ضم وجوها عركتها الحياة والتجارب ، ووجوها شابة فتية متحمسة ، وفي الجلسة الأولى للمجلس الجديد استطاع النواب الجدد الشباب ثقة وأصوات اخوانهم القدامى ، الذين انتخبوا الشباب لرئاسة وعضوية أغلب لجان المجلس .

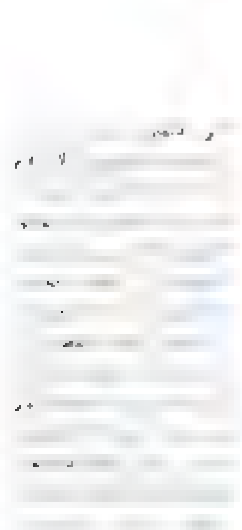
قلب نظام الجلسات

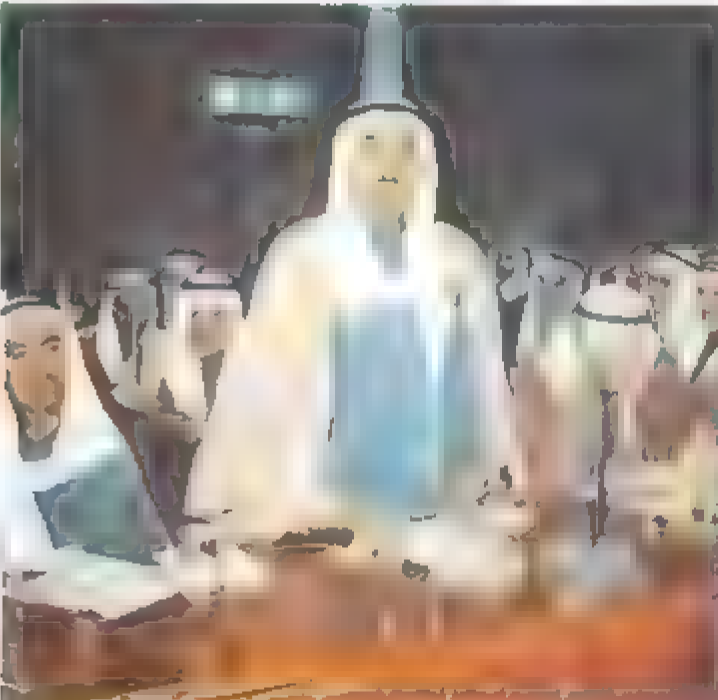
وفي الجلسة الأولى أيضا حدثت مفاجأة ، عندما وقف النواب يطالبون بتغيير مواعيد عقد الجلسات وجعلها مسائية بدلا من انعقادها صباحا ، حتى لا تعوق الوزراء عن أعمالهم خلال ساعات العمل في الصباح ، وتتيح الفرصة أمام المواطنين لمتابعة أعمال المجلس .. وقد وافق المجلس على ذلك ..

استهلال طيب

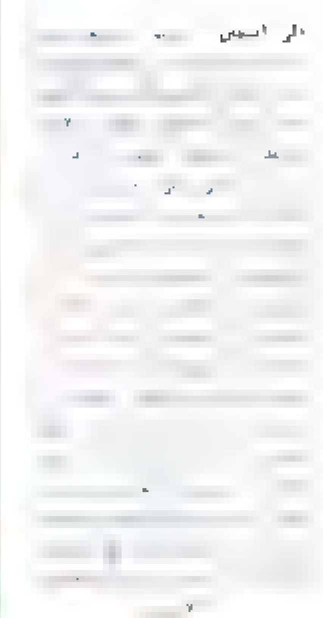
وكان أحسن استهلال لأعمال المجلس الجديد هو موافقة لجنة المالية على المرسوم بقانون الذي أصدرته الحكومة خلال عطلة المجلس وينص هذا القانون الموافقة على الانضمام الى صندوق الإنماء العربي ، الذي ساهم فيه الكويت بثلاثين مليون دينار كويتي

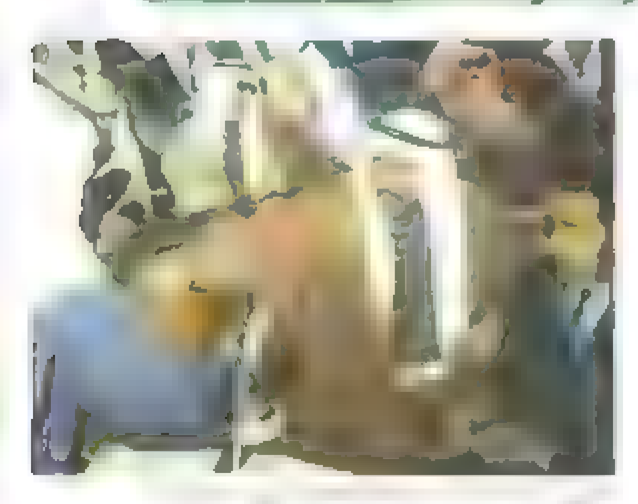
ومما يذكر أن إنشاء هذا الصندوق جاء نتيجة اقتراح قدمته الكويت الى جامعة الدول العربية ، وهو يهدف الى الاسهام في مشروعات الإنماء













الاقتصادي والاجتماعي في الدول العربية ، عن طريق تمويل المشاريع الاقتصادية ذات الطابع الاستثماري ، بقروض تحمل شروطا ميسرة.

ورأس مال هذا المشروع ١٠٠ مليون دينار كويتي، ساهم فيه الدول العربية جميعها بنسب متفاوتة .. وسوف يكون مقر الصندوق الدائم في مدينة الكويت .

تجربتنا البرلمانية بمقاماتها جديدة في أسلوب « الشورى »

وحملنا الى رئيس مجلس الأمة السيد خالد صالح الغنيم ، نستمع اليه يحدثنا عن التجربة البرلمانية التي مرت بها الكويت مؤخرا

ــ طالما وصفت تجربتنا البرلمانية بأنها تجربة « رائدة » ، وهذا حق التعليق في سياقها ، كما انها حقيقة مزدوجة الحد ، لانها ان جعلت معنى الاعتزاز بها من جانب، فهي تحمل معنى المسؤولية من جانب آخر .

اما كونها حقيقة تاريخية فمرده أننا فور استكمال الاستقلال مباشرة ١٩٦١ ، لم نتردد في الاخذ بأسلوب العصر الحاضر في شأن اسلوب « الشورى » وكيفية الخروج بها من نطاق العموميات والمبادئ العامة الى حيز الواقع المحدد المعالم . الموفور الضوابط ، المحكم الجزئيات . فالشورى في جملتها حكم اسلامي عام أمر الله تعالى به في كتابه العزيز ، واكدته السنة النبوية الشريفة قولا وفعلا واقرارا ، كما انتهجه السلف الصالح طوال فترات الحكم الاسلامي الرشيد حيث ساد الهدى الاسلامي في الحكم والادارة بل وفي كل ضروب الحياة . ولعله لا يخفى ان هذه الضوابط والجزئيات الكافلة لمبدأ الشورى تحتمل حسب الاجتهاد والتطور والتحديث حسب مقتضيات الجماعات والعصور ، احوجها يؤكد الشورى ولا يخرج عليها ، وتطورا يثبت دعائمها ولا يجافيها . وبهذا الحرص آثر الكويت الاخذ بالأسلوب النيابي ــ اي الانتخابي ــ المعبر المحكم الصادق عن ارادة الشعب ، كما قصدنا في ظل هذا الاسلوب الاخذ كذلك بالنظام البرلماني ــ الذي يحقق رقابة مستمرة يومية على الحكومة ، وبهذه الرقابة يفضل النظام الرئاسي المتبع في الامريكتين حيث تنفرد كل سلطة بوظيفتها وتستقل في عملها الى حد بعيد تكاد تختفي معه الرقابة الشعبية المستمرة والتوجيه على اعمال الحكومة .

ومعروف ان الاسلام لا يعفي اي حاكم من الرقابة او النقد ، في اي وقت ، ولا بالنسبة لاي عمل . ولهذا كانت « الديمقراطية البرلمانية » التي آثرناها على غيرها ، اكثر ما يكون النظام تجاوبا مع احكام الاسلام وتعاليمه .

على هذا النحو كانت تجربتنا البرلمانية التي بمقاماتها سنة ١٩٣٦ جديدة في اسلوب « الشورى » وضماناتها ، لا في ذات مبدأ « الشورى » الاسلامي العربي .

هذه التجربة البرلمانية الكويتية تقف الينا ، مدعاة للاعتزاز من جهة ، وللشعور بالمسؤولية من جهة اخرى . فاعتزازنا بها انما يعني الاعتزاز بما وراءها من معان دينية وقيم اخلاقية وسياسية، كما اعني بالاعتزاز ايضا اننا نحمد الله تعالى على نعمة التوفيق في تطويرنا لاسلوب الحكم سنة ١٩٦٢ . واننا نسجل ، على مر الزمن ، شكرنا لكل من اسهم في انطلاق هذه المسيرة البرلمانية وتوجيهها،واخص بالذكر والشكر تلك اليد الطولى التي كانت للمغفور له الامير الراحل الشيخ عبد الله السالم الصباح الذي حقق للكويت الاستقلال ثم الحكم الديمقراطي السليم ، وهذه الجهود المتواصلة التي يبذلها حضرة صاحب السمو الامير المعظم الشيخ صباح السالم الصباح لوطيد الاستقلال وتوكيد الشورى والتجربة الديمقراطية.

على ان الاعتزاز ليس كل شيء في هذه التجربة، فالى جانبه نشعر بعظم المسؤولية القائمة على ابناء الكويت حكاما ومحكومين ، فنجاح التجربة في مسيرتها المتواكبة رهن بحرصهم على تكامل ذلك النجاح ، وذلك رهن بتكاتف الجميع والتفاهم حول المعاني والقيم التي اشرت اليها ، وهذا كله لا يكون الا بالكثير من التضحية وانكار الذات .

ويسعدني كل السعادة ان اذكر للحقيقة والتاريخ ان خبرة السنوات التي عاشتها تجربتنا البرلمانية التي قد جاءت مشرفة لنا ماضي ، وحاضرة الحاضر ، مبشرة بما هو آت .

« من الشذوذ حرمان المرأة من حقوقها السياسية » !

وعندما سألنا رئيس المجلس الجديد عن رأيه في عطاء المرأة الكويتية حقوقها السياسية ، قال

ــ لقد ترك الدستور موضوع حقوق المرأة السياسية الى قانون الانتخاب ، وقد رأى هذا



القانون الصادر سنة ١٩٦٢ الى حصر هذه الحقوق في هذه المرحلة على الرجال دون النساء . ولم يكن غريبا ان يتقرر ذلك سنة ١٩٦٢ حيث كنا على ابواب الاخذ بالاسلوب الانتخابي العام للناس لاول مرة في تاريخنا . اما الآن وقد تطورت الكويت فكريا وحضاريا وعمرانيا ـ بخطوات جبارة ـ في تلك الفترة القصيرة نسبيا ، فانني ارحب باعادة النظر في هذا الموضوع والعمل على اعطاء المرأة حقوقها السياسية ، ويكفي قولنا ، حتى في هذا اللفظ ذاته معنى ضرورة ، واداء الحقوق الى اصحابها

ولا يفوتني في هذا الشأن ان اذكر ان المرأة الكويتية تسهم فعلا في مختلف مجالات الحياة العامة في الكويت الى درجة اصبح من الشذوذ معها الاصرار على حرمانها من الحقوق السياسية ، وخاصة فيما يتعلق بالكويتيات المثقفات . ويكفي في هذا الخصوص ان نلقي الى نظرة على نصيب المرأة الكويتية في الوظائف مثلا ، وفي التعليم وخاصة في الكليات الجامعية ، وكذلك في الصحافة والاذاعة والتلفاز وغيرها . وعليه ارى من الخير ان نكون واقعيين وان نتوج اصلاحاتنا السياسية والدستورية بانصاف المرأة ، بعطف الجميع ، باعطائها حق الانتخاب وحق الترشيح على السواء .

« تخفيض سن الناخب الى ١٨ سنة محل نظر المجلس الحالي »

اكتفى السيد خالد صالح الغنيم بالقول

ـ هذا الموضوع محل نظر حاليا في مجلس الامة ولجانه ، واوثر الا اخرج به عن نطاقه الجاري ، والذي سيعرفه المواطنون قريبا من خلال متابعتهم لاعمال المجلس ولجانه ، والجميع حريصون اشد ما يكون الحرص على تحقيق ما فيه الخير لبلدنا العزيز .

« مجلس الشيوخ يخلق ازدواجية غير مستحبة »

بضرورة انشاء مجلس للشيوخ الى جانب مجلس الامة ، فقال :

— بخصوص اقامة مجلس شيوخ في الكويت ، اود ان يلاحظ ان مجلس الامة الحالي فيه تطبيق بصورة خاصة — لفكرة مجلس الشيوخ ، ولكن ضمن اطار مجلس الامة الواحد . ذلك لان المقصود الاساسي من « المجلس الثاني » — اي « مجلس الشيوخ » — هو ان يوجد مجالا لاعضاء معينين الى جانب مجلس النواب المنتخب كله بالطريق الشعبي . وقد يكون كل اعضاء المجلس الثاني معينين او بالوراثة (كما في انجلترا) وقد يكون بعضهم معينا والبعض الآخر منتخبا ، مع جعل الاغلبية فيه للمعينين او للمنتخبين حسب رغبة كل دولة وظروفها . ومن هذا القبيل مجلس الشيوخ المصري قديما ، ومجلس الاعيان في الاردن الآن ، وفي العراق قبل الثورة ، وفي غيرها .

ويلاحظ ان هذه الازدواجية — المعروفة بنظام المجلسين — لم تعد مستحبة في عصر السرعة الحالي لما فيها من ازدواجية ، واضاعة للوقت والجهود ، وتعطيل للمشروعات ، وزيادة في النفقات ، بل وخلافات قد تنشب احيانا بين المجلسين .

لذلك اراد دستورنا ان يأخذ بأهم مزايا مجلس الشيوخ ، مع تفادي هذه المآخذ ، وذلك بأن اوجد اعضاء معينين في المجلس الحالي بحكم مناصبهم ، وهم الوزراء . ولا شك في انهم من خيرة من يمكن ان يشملهم التعيين في نظام المجلسين ، فاصبحوا في دستور الكويت اعضاء كالاعضاء المنتخبين تماما يعملون معهم في المجلس الواحد جنبا الى جنب كأنما في اسرة واحدة .

وانني لا ارى — في الوقت الحاضر — الاخذ بفكرة مجلس للشيوخ .

انادي بضرورة الاسراع في انجاز الاتحاد البرلماني العربي

اما عن مقدار اسهام سائر المجلس الجديد وتفتحه على البلاد العربية وتعاونه مع برلماناتها فقد اجاب رئيس المجلس بقوله :

— ما من شك في ان المجلس الجديد سيتابع المسيرة ويسهم بنشاط وافر في التعاون مع البلاد العربية الاخرى وبرلماناتها . ونحن في كل وقت ، وفي هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ امتنا بصفة خاصة احوج ما نكون ، واشد ما نكون احساسا بهذا التعاون . كما يسعدني ان اسجل في هذه المناسبة ما حققناه من تفاهم وتضافر عربيين خلال المؤتمرات الدولية العديدة للبرلمانيين مما اعلى صوت العرب فوق مزاعم اسرائيل ومناوراتها ، والقى الاضواء مركزة على جوانب الحق والعدل في قضيتنا الاولى — قضية فلسطين — وكان لذلك من غير شك اثره الفعال في الرأي العام العالمي الذي ظل حينا طويلا فريسة للاكاذيب الصهيونية ودعاياتها . وهذا يجعلني انادي بسرعة انجاز الاتحاد البرلماني العربي واحاطته بكل اسباب التوفيق والنجاح . ولقد اتاحت لي رئاستي لبعض وفودنا البرلمانية الى تلك المؤتمرات الدولية فرصة طيبة للمس هذه الحقائق جميعها وادراك المزايا الكثيرة الناتجة عن ورائها ، كما اسعدني حظا مصادقة الكثيرين من اخواننا البرلمانيين العرب من رؤساء الوفود العربية واعضائها ، مما احرص شخصيا عليه واعتز به كل الاعتزاز .

كلمة تذكارية اميرية في سجل الزيارات

وعند خروج صاحب السمو امير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح من قاعة المجلس ، اتجه الى قاعة الاستراحة حيث سجل الكلمة التالية في سجل الزيارات .

« بسم الله الرحمن الرحيم

« يبدأ اليوم فصلا تشريعيا جديدا من عمر هذا المجلس وفي حياة امتنا ونرجو ان تعود سنواته الاربع على الجميع باليمن والبركات .

« ونحن اذ نستشعر الظروف الراهنة الدقيقة التي تجتازها امتنا العربية ، ويجتازها معها شعب الكويت ، كجزء لا يتجزأ منها ، نشعر بمسؤولية العمل الباني في كافة الميادين . فالعمل هو السد المنيع الكفيل برفع شأن بلادنا ، وفتح آفاق ارحب امام ابنائها . ولنتوكل بعد ذلك على المولى العلي القدير ، الذي لا يضيع اجر من احسن عملا » .

* * *

وهكذا بدأت صفحة جديدة في دورة تشريعية ثالثة تبشر بديمقراطية صحيحة ، من اجل حياة افضل وحرية كريمة دائمة .

سليم زبال

في أجهزة الحكم وحاجة العرب إليها

بقلم : أحمد خالد علام

[illegible]

مصالح الحكومة في مختلف فروعها ، فتعمل على معاونتها في حل مشكلاتها الادارية والبحث عن التحسينات الممكن عملها ثم مساعدتها على تنفيذ هذه الاصلاحات.

فحبذا لو ان امة العرب قامت بانشاء مؤسسة عامة - على هذا الغرار - مستقلة عن الحكومات يكون غرضها خدمة الادارة العامة - اي مساعدة الاجهزة الحكومية في رفع مستويات خدماتها للجمهور . يكون لهذه المؤسسة مجلس ادارة من بعض موظفي الحكومات العربية ثم يكون لها هيئة فنية دائمة من الموظفين ذوي الخبرة والكفاية في الادارة الحديثة (على ان تستفيد المؤسسة في الوقت الحاضر بخبرة الدول التي سبقتنا في هذا المجال) وتكون لهذه المؤسسة مثل هذه الاختصاصات.

١ - عمل الدراسات اللازمة لانشاء برامج تدريبية في ادارة المصالح الحكومية المختلفة .

٢ - الدراسات اللازمة للاعمال الادارية والمالية والمستخدمين كالمخازن والحسابات والموظفين .

٣ - دراسات خاصة بمصالح الدولة المختلفة مثل المدارس العامة - المستشفيات العامة - الخدمات الاجتماعية - الامن العام - الزراعة - المشروعات العامة.

٤ - دراسة المرافق العامة : طرق تشغيلها وادارتها وصيانتها ورفع مستوى خدماتها للجمهور.

٥ - دراسات خاصة للمديرين والرؤساء المسؤولين والهيئات التشريعية والقضائية في مجال الادارة العامة .

٦ - تمرين الموظفين العموميين اداريا .

٧ - المساعدة في تخطيط القوانين واللوائح الخاصة في المجالات الموضحة سابقا من الناحية الادارية .

٨ - التعاون مع مراكز الابحاث والمؤسسات العلمية على اصدار النشرات اللازمة في الادارة الحديثة في جهاز الحكم في مختلف فروعه وتوزيع هذه النشرات على نطاق واسع على الموظفين واساتذة الجامعات وغيرهم .

وعلى سبيل المثال وشيء من التفصيل تقوم المؤسسة بمثل هذه الخطوات عند مساعدتها لمصالح الحكومة المختلفة :

المدارس العامة

دراسة مناهج وطرق التعليم ومدى تحصيل التلاميذ ومقارنتها بالمقاييس العامة للتحصيل التي تصدرها الهيئات العلمية .

دراسة اهداف البرامج الخاصة المتعلقة بمشاكل البيئة والمجتمع المحلي مثل التعليم الفني ومجالاته المختلفة ومدى صلاحية المناهج وطرق التعليم في حل هذه المشاكل .

معاينة مواقع سكن التلاميذ وبعدها عن المدرسة - ومعدلات الولادة والوفيات واحتياجات الفصول في المستقبل .

دراسة السياسة العامة لادارة الاوجه غير التعليمية للانشطة المختلفة مثل مواصلات التلاميذ والموظفين - وصحة التلاميذ .. الصحة العامة . وطرق استعمال غرف الطعام والمعامل والمكتبات ودرجات الاستفادة منها .

دراسة كيفية صيانة مباني المدرسة والاراضي الملحقة بها ومدى الاستفادة منها في الاغراض الاخرى كخدمة المجتمع المحلي .

دراسة القوانين واللوائح المعمول بها في نظام المدرسة ماليا واداريا وفنيا .

وعلى ضوء هذه الدراسات تقوم المؤسسة بعمل التقارير والتوصيات اللازمة ومناقشة هذه التوصيات مع المسؤولين ثم مساعدتهم على تنفيذ هذه التوصيات وان تكون الهيئة بعد ذلك على اتصال دائم بالمسؤولين لمساعدتهم لاصلاح ما يظهر من عيوب اثناء التنفيذ وبعده .

المستشفيات العامة

دراسة خدمة المستشفى للجمهور في السنوات الاخيرة وعدد المرضى وطبيعة الامراض واحتياجات المستقبل من فنيين واجهزة وادوات وامكنة وغيرها.

دراسة العمليات الجارية بالمستشفى في كل اوجه الخدمات من الناحية التنظيمية والادارية وطريقة العمل والخطوات اللازمة لتادية كل خدمة على حدة - مثل الخطوات المتبعة في مقابلة المرضى والكشف عليهم والعمليات وصرف الادوية وطريقة استهلاكها - وسلسلة المسؤوليات وغيرها .

تقييم الموقع العام للمستشفى بالنسبة للمنطقة التي يخدمها - وكذا مواقع الاقسام داخل المستشفى نفسه ومدى صحة موقع كل قسم بالنسبة للخدمة التي يؤديها والاقتراحات الممكنة لتعديل مواقع بعض هذه الاقسام حتى تؤدي خدماتها بطريقة افضل .

دراسة طريقة تشغيل الاجهزة الميكانيكية والصحية وصيانتها .

كيفية صيانة مباني المستشفى والحدائق الاخرى الملحقة بها ومدى الاستفاده من كل على حدة .

مجلس المدينة « البلدية »

دراسة القوانين واللوائح التشريعية التي تنظم جهاز مجلس المدينه الادارى .

دراسة نظام مجلس المدينة بوجه عام ودوائره المختلفة المالية والادارية والفنيه . ودراسه كل وحده من وحداتها على حده كالموارد والمجارى والحدائق وعلاقه الوحدات ببعضها .

بحث مشاكل كل وحدة على حده وطرق الادارة والتشغيل والصيانة في عمليات المياه والانارة وغيرها ومستويات الخدمة التي تؤديها للجمهور على اساس مقارنتها بالمقاييس العامه ومدى تمويل هذه العمليات اقتصاديا مع عدم المساس بمستوى الخدمه .

دراسة موارد البلديه في السنوات الاخيره والاقتراحات الخاصة بتحسينها ومدى اثر ذلك على المواطنين والهيئات الاخرى التجاريه والصناعيه ومشاكل التحصيل .

دراسة جهاز الامن المحلي مثل المركز او النقطه او القسم وطريقة توزيع الاشخاص والمسئوليات في هذه الوحدات وكيفية التغلب على المشاكل المحلية ومدى فعالية الطرق التي تستخدمها هذه الوحدات .

دراسة توزيع الاجهزه والمعدات الميكانيكيه كعربات المرور والنجدة والحريق والاجهزه الخاصه بالاتصالات السلكية واللاسلكيه ومدى كفاية هذه الاجهزه وكيفية ادارتها وتشغيلها وصيانتها .

دراسة النظم الخاصة باعمال التحري عن الحوادث الجنائيه والمرور والحريق وتحليل الحوادث واسباب مخالفه القوانين [illegible] ومدى اثر الوسائل الجديدة ان وجدت .

دراسة مشاكل رجال الامن وخبراتهم وتدريبهم وتعليمهم وطريقة معاملتهم للجمهور وشروط استخدامهم وساعات العمل والراحة والطوارئ والترقيات والاجازات وخلافه والتحسينات الممكن عملها

المشروعات العامة

دراسة علاقة المصلحة مع مصالح الدولة الاخرى فيما يختص بمشروعات هذه المصالح التي تقوم المصلحة بتنفيذها وحجم هذه المشروعات .

دراسة علاقة الاقسام الداخليه بالمصلحة ببعضها كاقسام تصميم المشروعات والرسم والتخطيط والمقاولات والعقود والحسابات والخطوات المتبعه من البدء في تصميم المشروع حتى طرحه في المناقصه العامه وترسيته على المقاول .

متابعة المشروعات الجارى تنفيذها على الطبيعه والاطلاع على دفاتر المرور والتفتيش والتقارير الخاصه بالعملية واعمال كل من الملاحظ الفني والمهندس ومدير الاعمال وتسلسل المسئوليات .

دراسة برنامج تنفيذ المشروعات وخطوات التنفيذ وصرف المستحقات للمقاولين واستلام المشروع بعد اتمامه ومتابعة الاستفادة منه وصلاحيته .

دراسة كيفية استلام المواد والاجهزة بمختلف انواعها وطريقة تخزينها وكيفية استعمالها .

دراسة ومراجعة الميزانية وطرح العمليات في المناقصات العامه والعقود وقوائم الاسعار والقوانين واللوائح المعمول بها .

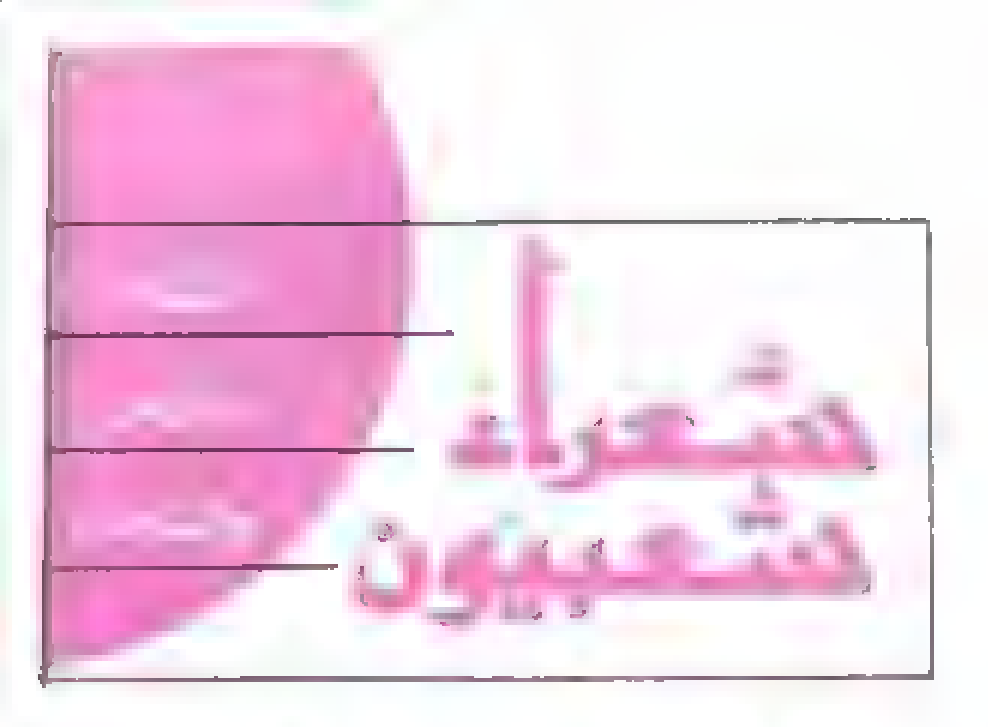
وتتبع خطوات مماثله في علاج مشاكل الادارة وتحسينها في باقي مصالح الحكومه الاخرى .

والخلاصـــة :

ان مثل هذه المؤسسه (او الهيئة) يمكنها ان تؤدى دورا فعالا في خلق ادارة حديثه في جهاز الحكم بالدول العربية وذلك بتقديم خدماتها لمصالح الدولة ومساعدتها في رفع مستوى خدماتها للناس. فاذا ما طلبت مصلحة حكومية مساعدة من هذه الهيئة لحل مشكله اداريه بها فان المصلحه تكون في هذه الحالة قد احضرت لمشكلتها فنيين — على مستوى عال من الكفاءه والخبره في شئون الادارة الحديثة يتميز وجودهم في كل فروع الحكومة — خالين من روتين العمل اليومي الذي يستهلك وقت الموظفين العموميين . ويقوم هؤلاء الفنيون بالبحث والمعاينة والدراسة والتحليل وعمل التقديرات والتوصيات اللازمه بالحساب الممكنه ومناقشتها مع المسئولين الرسميين ثم مساعدتهم على تنفيذ هذه التوصيات .

هذا بالاضافة ان هؤلاء الفنيين يمدون (اثناء مساعدتهم للمصلحة) موظفى المصلحة بخبراتهم وبما قاموا به في الماضي في وحدات الحكومة الاخرى وطريقه تغلبهم على المشاكل الاداريه وكيفية انشائهم ادارة حديثة لكل من هذه الوحدات . ■

احمد خالد علام



[illegible]

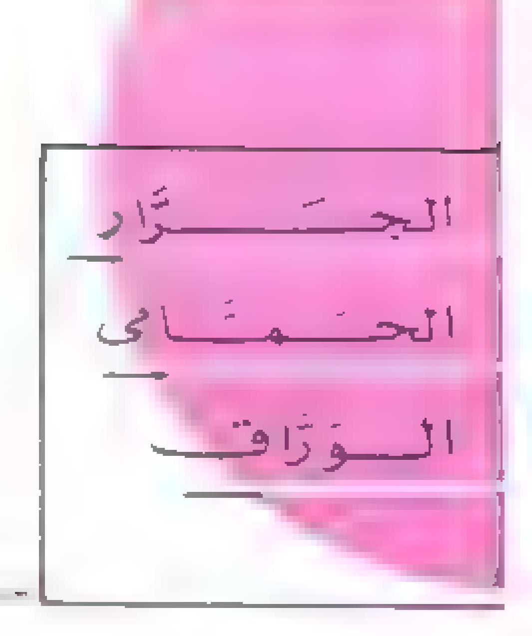
وراق وحمامي وجزار

[illegible] الجزار ، الذي عرفوه باسم « ابو الحسين الجزار » .

[illegible]

مساجلات بينهم

[illegible]



بقلم

حسن الأمين

ركب الوراق الى الجزار في عيد الأضحى .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ورك الصبي فقال :

[illegible]

[illegible]

وقال السراج أيضا :

[illegible]

السراج والضياء

ومن طرائفهم ان السراج خاطب من اسمه ضياء الدين

[illegible]

[illegible]

[illegible]

للأدب ويشار بالشعر فخاطب رجلا السراج فيه فقال يقول :

[illegible]

[illegible]

الخطوب التي لا يضيء فيها سراج الأمل ولا يشرق ضياء الرجاء .

السراج والشمس والبدر

والتقى السراج بمن اسمه شمس الدين ومن اسمه بدر الدين فقال :

[illegible]

وقال السراج أيضا موريا بصناعة الوراقة :

[illegible]

ثم يقول في ذلك :

[illegible]

[illegible]

[illegible] معرف بالفضل [illegible] على الاحسان

[illegible]

السراج والشيب

ولما ادركه الكبر واشتعل رأسه شيبا قال :

[illegible]

هموم [illegible]

[illegible]

[illegible] فلا يداورونه بل يشفقون عليه .

[illegible]

فاذا عرف الناس الاسى الجاثر وحده فهو قد عرف اسى لم يعرفه احد من الناس الى جانب الاسى المعبر الذي عرفوه [illegible] عرف الاسى [illegible] [illegible] [illegible] فلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] طورا [illegible] طورا آخر ..

وهمـــوم الجـزار

ولقد [illegible] الجزار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى العصر

[illegible] الناس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

ولكن صاحب الجزار [illegible] كان عرف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كان قد عرف من [illegible] الكلف ، فقد كانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فهو [illegible] [illegible] من [illegible] الكلف ، ولكنه لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هو [illegible] [illegible] المعرفة [illegible] [illegible] والناس ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كل ما كان [illegible] [illegible] [illegible] من لحوم ، فلم يكن مستطيعا ان [illegible] شيئا من اطايبها لنفسه :

[illegible]

واصطحبت من [illegible] ومن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

وساءل بين العين والعين حاله فيقول مثل هذا القول :

[illegible]

[illegible]

لا يتحاســدون

ونحن نرى ان هؤلاء الشعراء قد خرجوا على ما عرف من تحاسد الشعراء المعاصرين وتباغضهم ، [illegible] [illegible] بينهم روابط من الود والزمالة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] واصدقاء [illegible] بعضهم على بعض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الوراق [illegible] على الحمامي

[illegible]

[illegible]

[illegible] الوراق [illegible] [illegible] الجزار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على الدهر [illegible] [illegible] [illegible] عما فيها من مدح وتقدير .

الجـــزار

وصاحبنا الجزار ولد سنة [illegible] هـ وتوفي سنة [illegible] هـ على قول[1] او سنة ٦٩٧ على قول آخر[2] ودفن بالقرافة . وقد ورث الجزارة عن ابيه فهو فيها عرق ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حال [illegible] [illegible] ، فقد [illegible] [illegible] على [illegible] الشعر ، [illegible] [illegible] الشاعر [illegible] الاصبع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كان لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشعر [illegible] [illegible] ، فقال له

(١) أعيان الشيعة   (٢) شذرات الذهب

ابو الاصبع » ست عوام ناهر » . فسر الاب الامر بهذا القول ، ولما سئل ابو الاصبع عما بعثه تكلمه قال : « انه يعني ان الشعر من بحر الى بحر » . ونفهم من قول صاحب المستطرف انه نفى الحرارة ان عراته حتى عنها وعرج للشعر وللمدح بحاجته . ولا نفهم من المستطرف انه كان فيعلى في اسمر راجعه للحرارة ، وبكر عواني الشاعر مر على ان ساعفه الشعر لم يسمع ، من رجع جرارا كما بد ، رجع مباكيا من المديح وشعواني المداح وان هناك من لامه على هذا الرجوع وهو صديقه شرف الدين فقال له :

لا تلمني يا سيدي شرف الدين اذا ما رأيتني قصابا
كيف لا شكر الجرارة ما عشت وفاء وأهجر الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجيني وبالشعر كنت ارجو الكلابا

ثم يكرر هذا المعنى ويؤكده :

لا تلمني مسيدي العصاب فيمن ارتني من صنعتي الآداب
صار فضلي على الكلاب وقد كنت اديبا ارجو فضل الكلاب

عنه صاحب المستطرف بهذا القول : « كان جرارا بمصر ، ثم مدح وسمع شعره في البلاد وتناقله الرواة وكان كثير التبذير لا تفارقه شدته » .

حرارة وشعر وفقر

واذا كان قد عاد للجرارة فان ذلك لم يمنعه من قول الشعر ، بل لم يمنعه من المدح من الحين والحين ومن الاشارة الى مناعته والى حرفته معا . فاسمع اليه من الناس يعدو بهما لم يمنعا عنه لا مجيبين ولا معرضين .

يا اسيادي ارحموني وهنئوني لسائلي ومسوال في جموع حسرت [illegible]

[illegible]

وحتى سكاكينه الى من لا رحمه ولا عطف داراه على محنته الذي سيطر عليه اهل امراء فاستغلوا مرارته في استكمال الفقر ومنالفته فلزمهم ، معرضه بما بكته من سوء حواله هو ضعاف ما يعديه خوف الناس .

على تستكاني الى قسيم واصلهم واصل الحسن لا يرحمون فقيرا
وستكر منحنى فتورى ما سوف شامت كسد الى محن لا يسرون شكورا

—

يقول ساخرا من نفسه والفقر فهو طورا جائع ، بعد ما يجد في نفسه بهذا كاملا حتى لنجد التنبه يمضي من الشعر المليئة المزاح حتى يحسب ان رجلا من نوع اخر هو الذي يقول : ورثاه الحسين بن علي عليهما السلام :

[illegible]

شاعر الكنافة

فاحب الشعر من يطعمه والكنافة فقد شعر فيها اشعارا ... كل وقت ، وحدد به من كل حده فقد كان موسم الكنافة معدا لها ، وكتب قريبه لتكن عليه لا ساعه من مال ، فقد نفى رمضان ولم يصبه منها شيئا قال :

لسالي اري وحسه الكنافة معرضا ولسولا رضاعا لم ارد رمضانها
عجبت لها في هجرها كيف اظهرت على جسده الصد يعني جنانها

[illegible]

[illegible]

ولع به الشوق الى الكنافة [illegible] نفسها [illegible] على المدح

[illegible]

حتى اذا [illegible] فالكنافة لا [illegible] وهي المطلوب ، فاذا [illegible] على الكنافة وقال

[illegible]

ثم [illegible] فيصرخ من الاعماق

[illegible]

ثم [illegible] بالكنافة [illegible] القاهرة [illegible] ويعجب على الحاح زوجه بمطالبته بها .

[illegible]

مداعبات

[illegible] حمارة [illegible] انه يستطيع النيل منه :

[illegible]

ولكن يد الجزار كان جاسما :

[illegible]

[illegible] من الدهر الذي حمل منه وهو الشاعر جزارا ، لا يرى غيرا من ان يقول :

[illegible]

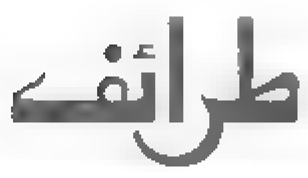
[illegible] وصاحبته يوما امرأة فقال فيها :

[illegible]

[illegible] لؤم الجزارين » .

[illegible] عليهم الزمن ، [illegible] بالحفظ ■

بيروت — حسن الأمين



الاخلاء الثلاثة

● قال احد الحكماء
للمرء ثلاثة اخلاء خليل
يقول له انا معك حيا وميتا
وهو عمله ، وخليل يقول
له انا معك حتى تموت
وهو ماله ، وخليل يقول
له انا معك حتى باب قبرك
ثم اتركك وهو ولده .

العاقل ، والأحمق

● [illegible]
الناس ثلاثة [illegible]
[illegible] فالعاقل [illegible]
شريعته، والحلم طبيعته والرأي
الحسن سجيته ، اذا نطق [illegible]



اغبط الناس

● قال زياد بن ابيه لجلسائه [illegible] الامير
وحلسائه . فقال : ما صنعتم شيئا . ان لاعواد المنابر هيبة ، وان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

● ● ● ● ●

فبها كلف وخنس

● [illegible]
[illegible]
[illegible] تعلو الوجه ، وخنس في انفها [illegible] تاخر الانف [illegible]
[illegible]
[illegible]

ما سلم الظبي على حسنه	كلا ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خنس بين	والبدر فيه كلف يعرف

[illegible]



لم السؤال

● خطب ابو القطوف الى قوم امرأة لهم فاجابوه ، وقالوا ان لها من الضياع خمسا ومن البيوت عشرة ومن الاموال عشرين الف دينار ومن الذهب والفضة الكثير . فما مالك انت؟ قال: ان كنتم صادقين فان مالها يكفيني واياها ما عشنا وزيد ، فما سؤالكم عن مالي ؟!

، والفاجر

اصاب ، واذا [illegible]
[illegible] والاحمق ،
اذا تكلم عجل ، وان حدث
وهل ، وان [illegible] عن رايه
نزل . واما الفاجر : فان ائتمنته
خانك وان صحبته شانك .

مكارم الاخلاق

● [illegible]
قال : احسنتم في الجواب ووفقتم الى الصواب .

● ● ● ● ● ● ●

اشترى القتل لنفسه

● [illegible]
الاف درهم ووجبت الجملة عليه .

أمراض شائعة



بقلم : الدكتور زهر جمل

ماجستير طب الأسنان [illegible]



[illegible] بسبب هذا النجاح في أعضاء الجسم الأخرى .

زراعة الأسنان زراعة قديمة

قد يعجب البعض [illegible] عملية زراعة الأسنان كانت [illegible] بالنسبة للحياة الإنسانية لا ترقى إلى أهمية القلب والكلى . إلا أن الأسنان تحظى باهتمام خاص من قبل العاملين في مجال طب الأسنان لأهميتها من الناحية الصحية ، ومن قبل الناس لأهميتها الجمالية .

ذهاب الأسنان يسيء إلى التغذية ومظهر الوجه

[illegible]

[illegible] الوجه

الأطقم الكاملة والجزئية

لكل هذه الأسباب [illegible] المختصون في مجال طب الأسنان بمعالجة مشكلة تعويض الأسنان المفقودة ، وتوصلوا إلى طرق عديدة [illegible] الأطقم [illegible] إلا أن [illegible] الناس [illegible] وتعدد الأسباب [illegible] بعضها نفسي وبعضها صحي [illegible]

وكذلك طالب المرضى [illegible] طب الأسنان

زراعة اسنان صناعية له . ولقد نجح بعض الباحثين والاختصاصيين في العقدين الاخيرين في زراعة اسنان صناعية تبدو في غاية الدقة لتعويض الاسنان المفقودة .

زراعة الاسنان الطبيعية سبقت زراعة الاسنان الصناعية

وقبل ان نتحدث عن هذا الانجاز العلمي علينا ان نشير الى زراعة الاسنان الطبيعية وذلك لان هذه العملية قد سبقت بوقت طويل محاولة زراعة الاسنان الصناعية . فقد نجح العديد من الاختصاصيين من اطباء الاسنان في نقل وزراعة الاسنان الطبيعية ، ويمارس هذه العملية بعدة طرق ناجحة في العديد من بلدان وجامعات العالم في الوقت الحاضر . وسنصف ما كان من ذلك اولاً .

الاسنان اسماؤها ومواضعها من فم الانسان

ونبدأ لاجل الايضاح بذكر اسماء الاسنان ومواضعها من الفم .

ان مجموع الاسنان في فم الانسان البالغ (اثنان وثلاثون) سناً موزعة بالتساوي على الفكين الاعلى والاسفل . والاسنان في كل من الفكين متناظرة حيث توجد ثمانية اسنان في الجهة اليمنى من كل فك يناظرها ثمانية اسنان اخرى من نفس النوع والشكل في الجهة اليسرى . ولهذه الاسنان الاثنين والثلاثين اسماء وتواريخ ظهور مختلفة نبين في الجدول التالي .

اسم السن	تاريخ الظهور التقريبي سنوات العمر
القاطعة الاولى	— ٨
القاطعة الثانية	٧ — ٩
الناب	٩ — ١٠
الضاحك الاول	٩ — ١٠
الضاحك الثاني	١٠ — ١٢
الضرس الاول	٦
الضرس الثاني	١١ — ١٣
الضرس الثالث ويسمى (سن العقل)	١٧ — ٢٢

طرق زراعة الاسنان الطبيعية

هناك طرق مختلفة عديدة لزراعة الاسنان الطبيعية يمكن تفصيلها فيما يلي .

زرع السن الطبيعية في نفس الفم
Autotransplantation of Teeth

يطلق هذا المصطلح على العمليات التالية .

(العملية الاولى) – عملية قلع ونقل السن من موضعها الطبيعي في فم المريض الى موضع سن اخرى في فم المريض نفسه . ان هذه العملية منتشرة في الوقت الحاضر في امريكا واوربا ولعل عملية نقل الضرس الثالث (سن العقل) من موضعه الى موقع الضرس الاول هي اكثر هذه العمليات شيوعاً ، وذلك لان الضرس الاول هو اول الاسنان الدائمة النابتة التي تظهر في الفم في السنة السادسة من عمر الانسان ، وحيث ان الاهتمام بنظافة الاسنان في مثل هذه الفترة من الطفولة صعب جداً ، ولان العلاج المبكر لهذه السن عند اصابتها صعب ايضاً نظراً لصعوبة اقناع الطفل بالذهاب الى طبيب الاسنان ، لذلك تكون هذه الضرس اكثر الاسنان واسرعها عرضة للتلف او القلع . وحيث ان الضرس الثالث (سن العقل) هو اقل الاسنان اهمية اثناء المضغ ، وهو لا يحتاج الى ما يحتاجه غيره من عناية ، لذا برزت فكرة تعويض الضرس الاول بالضرس الثالث .

وتتلخص خطوات هذه العملية بما يلي : –

ا – الاختيار الصحيح للمريض والضرس المناسب لهذه العملية بعد الفحص الاشعاعي الكامل والدقيق بحيث يتقرر استحالة علاج هذا الضرس بكافة الطرق الاعتيادية .

ب – يجب ان يكون الضرس الثالث في دور التكوين وان تكون جذور الضرس قد بدأت فعلا بالتكوين ولا يزال الضرس غير ظاهر في الفم .

ج – يتم قلع الضرس الاول او الثاني بصورة تامة ويهيأ موضعه لاستقبال الضرس الجديد .

د – يتم اخراج الضرس الثالث من موضعه بعملية خاصة حيث من الضروري المحافظة على الكيس السني الذي يحيط به The Dental Sac

هـ – يتم نقل الضرس في نفس الوقت الى موضع



الضرس الاول ويدخل داخله ويحافظ عليه باحدى طرق التثبيت في مثل هذه العمليات .

ج - بعد مرور اشهر ثلاثة يبدأ هذا الضرس بالنمو بصورة طبيعية في موضعه الجديد .

(العملية الثانية) - عملية قلع السن لسبب مرض واعادتها بعد علاجها خارج الفم الى نفس موضعها في الفم وتسمى هذه العملية بالاسم

وتتلخص خطوات هذه العملية بما يلي : -

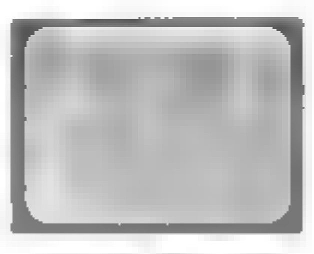
ا - يتم اختيار السن لهذه العملية بعد ان يكون علاجها داخل الفم غير ممكن مهنيا وان تكون حالة تاج السن مشجعة لاعادتها الى موضعها بعد معالجة جذورها المريضة .

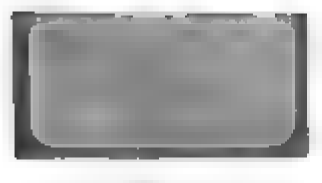
ب - تقلع السن من موضعها الطبيعي وتتم معالجة جذورها خارج الفم باسرع ما يمكن ، وحسب يجب معالجة السن واعادتها الى موضعها في اقل من نصف ساعة للمحافظة على حيوية الانسجة المحيطة بالجذور .

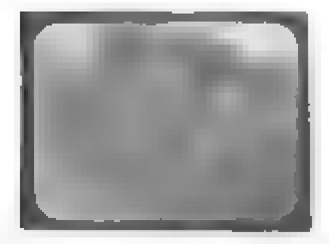
ج - بعد اعادة السن الى نفس موضعها الطبيعي في الفم تثبت باحدى الطرق المناسبة ولمدة ستة اسابيع تقريبا .

د - يتم رفع المثبت وتكون السن في هذه الحالة قد ثبتت في موضعها . ويمكن المريض استعمالها بصورة طبيعية واعتيادية .

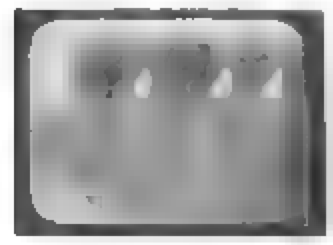
وفيما يلي التصاوير التوضيحية التي توضح خطوات هذه العملية والتي اجريتها لاحد المراجعين قبل ما يزيد على السنتين هذا مع العلم انني اجريت عدة عمليات من هذا النوع اولها كانت عام ١٩٦١ .







بعد علاج جذور الضرس واعادته الى نفس موضعه في الفك لاحظ ظهور اسلاك المعدن المستعمل لتثبيت الضرس



بعد سنتين من تاريخ عملية زرع السن .

زرع السن الطبيعية في فم آخر

تطلق هذه الاصطلاح على عملية نقل السن من فم احد الاشخاص وزرعه في فم شخص آخر ، حيث يتم نقل الاسنان التي لا تزال في دور التكوين والنمو ، وتؤخذ عادة من الاطفال الذين تتراوح اعمارهم ما بين (٧ - ٩) سنوات والذين يحتاجون الى عملية تقويم الاسنان حيث يتم قلع بعض الاسنان لتقويم البعض الآخر ، ويمكن خزن هذه الاسنان في محلول خاص .

في درجة حرارة معينة تبلغ (٢م) ويمكن خزن هذه الاسنان بهذا المحلول مدة ثلاثة اسابيع وقد تصل الى ستة اسابيع . وقد نشر الدكتور Corplain عام ١٩٦٣ مقالا في مجلة اطباء الاسنان الامريكية

من عشرات الحالات الناجحة التي اجراها لنقل اسنان من شخص لآخر .

زراعة الاسنان الصناعية

ان موضوع زراعة الاسنان الصناعية قد سبب التباسا عند المرضى حيث ان معظمهم يتصورون بالامكان غرس او زرع اسنان صناعية في عظم الفك عوضا عن الاسنان المقلوعة . الا ان الواقع العملي لعملية زرع الاسنان في الفك والمستعملة حاليا هو غير ذلك .

لقد حاول العديد من الاختصاصيين في طب الاسنان حل مشكلة تعويض الاسنان المفقودة باسنان صناعية تثبت في عظم الفك ورغم عدم التوصل حتى الآن الى الطريقة المثلى في تعويض الاسنان المفقودة الا انه بالامكان الآن اجراء عملية تثبيت اسنان صناعية في الفك عوضا عن الاسنان المفقودة .

هناك ثلاث طرق مستعملة في الوقت الحاضر لهذا الغرض سنأتي على ذكرها جميعا ، واياً كانت الطريقة المستعملة فان هذه العمليات لا تزال محدودة التطبيق ومقتصرة على بعض الاختصاصيين وذلك راجع الى الاصابات العديدة التي قد تحصل اثناء وبعد هذه العملية .

الطريقة الأولى

Subperiosteal Implant Prosthesis

يمكن استعمال هذه الطريقة في حالة تعويض بعض أو جميع الاسنان المفقودة ، اي عمل طقم جزئي او طقم كامل ثابت في الفك . ويمكن تلخيص الخطوات العملية لهذه الطريقة بما يلي : ـ

بعد الفحص الكامل والتصوير الشعاعية الضرورية يتم اختيار المريض الملائم لهذه العملية ويتم فتح اللثة بصورة جراحية خاصة على امتداد الفك في حالة فقدان جميع الاسنان او على امتداد منطقة الاسنان المفقودة في حالة تعويض بعض الاسنان فقط .

ب ـ تؤخذ طبعة لعظم الفك الذي تم رفع اللثة عنه وذلك بواسطة احدى المواد المستعملة لهذا الغرض ثم تخاط اللثة وتعاد الى وضعها الطبيعي وبعد هذه الخطوة تبدأ الخطوات المختبرية المعقدة والدقيقة جدا والتي نوجزها بما يلي : ـ

١ ـ يصنع قالب بواسطة الطبعة السابقة مشابه تماما لعظم الفك .

٢ ـ تصنع قاعدة معدنية مشبكة ورقيقة جدا من معدن خاص جرى له Chrome Cobalt ، وتمتد هذه القاعدة على طول عظم الفك المراد تعويض الاسنان المقلوعة منه ، وتأخذ هذه القاعدة شكل سطح عظم الفك تماما ، وتبرز من هذه القاعدة نتوءات او ارتكازات خاصة الى الجهة العليا .

٣ ـ تصنع قاعدة ثانية خاصة على امتداد القاعدة الاولى على ان تكون بالامكان تثبيتها فوق النتوءات او الارتكازات البارزة من القاعدة المشبكة عند الحاجة .

٤ ـ يثبت فوق القاعدة الثانية طقم اسنان كامل او جزئي بحيث تكون ملائمة لفم المريض من ناحية الحجم والشكل .

٥ ـ بعد اكمال كافة الخطوات المختبرية يعاد فتح اللثة مرة ثانية وتوضع القاعدة المشبكة فوق عظم الفك وتخاط اللثة فوقها وتبقى النتوءات فقط بارزة من اللثة في حين تبقى بقية اجزاء القاعدة تحت اللثة .

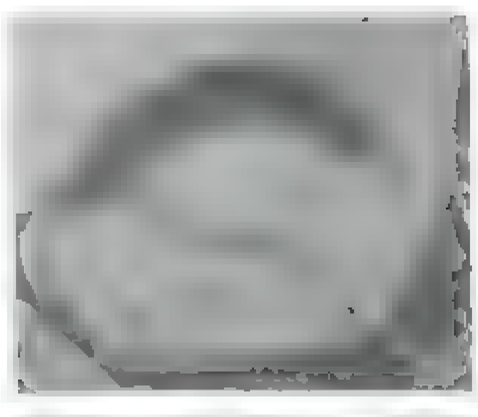
٦ ـ بعد مرور مدة مناسبة لتثبيت هذه القاعدة فوق عظم الفك ، عند ذلك يمكن تثبيت القاعدة الثانية والتي تحمل الاسنان المثبتة فوق النتوءات البارزة من القاعدة الاولى من خلال اللثة وبذلك يتم تعويض الاسنان المفقودة باسنان صناعية ثابتة .

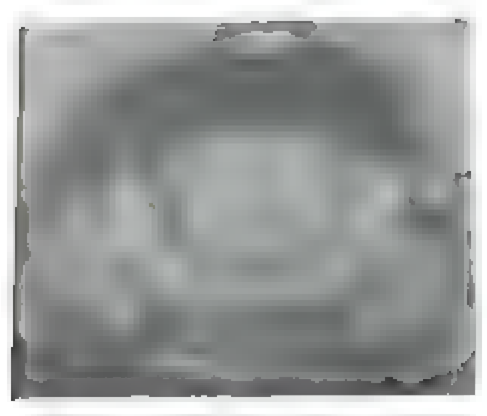
الطريقة الثانية

Endosseous Implant Prosthesis

ان اهم اختلاف بين هذه الطريقة والطريقة الاولى هو انه في الطريقة الاولى القاعدة المعدنية تثبت فوق عظم الفك وتحت اللثة اما الطريقة الثانية فتعتمد على غرس اوتاد معدنية ثابتة Implant Post داخل عظم الفك . ويمكن تلخيص الخطوات العملية لهذه الطريقة كما يلي :

١ ـ بعد الفحص الشعاعي الدقيق لفم المريض





يقرر الطبيب نوع وعدد الأوتاد التي يجب أن تغرس داخل عظم الفك.

٢ ـ يتم حفر عظم الفك بواسطة [illegible] خاصة من خلال ثقوب معينة وحجم مناسب لتستقبل تماما الأوتاد التي ستغرس في هذه الحفر.

٣ ـ بعد غرس الأوتاد اللازمة في الفك يصنع في المختبر رؤوس معدنية خاصة تثبت فوق هذه الأوتاد المغروسة بعظم الفك والبارزة من اللثة.

٤ ـ تصنع في المختبر قاعدة معدنية على امتداد منطقة الفم لتوضع عليها الأسنان الصناعية المركبة.

٥ ـ تثبت هذه القاعدة مع الأسنان [illegible] فوقها على الرؤوس المعدنية الخاصة والتي سبق تثبيتها فوق الأوتاد المغروسة في الفك وبذلك يمكن [illegible] القطع التي هي عبارة عن أوتاد معدنية مغروسة في عظم الفك.

ونلفت نظر القارىء الكريم إلى الصورة التي على الصفحة المقابلة [illegible]

الطريقة الثالثة

هذه الطريقة هي أحدث طرق غرس [illegible]

ولا تزال استعمالها مقتصرا على البحوث الجامعية وخاصة في جامعة بوسطن في أمريكا حيث يجري [illegible] ما يزيد عن ثماني سنوات تجارب [illegible] على القرود إلا أنه طبقت على الإنسان وقد سجلت عدة حالات ناجحة لزراعة الأسنان الصناعية بهذه الطريقة حيث مضى على [illegible] أكثر من خمس سنوات وهي ثابتة في الفم. وتتلخص هذه الطريقة بزراعة سن صناعية مصنوعة من مادة [illegible] وشبيهة تماما بالسن الطبيعية في عظم الفك وفيما يلي الخطوات المتبعة بهذه الطريقة.

١ ـ [illegible] بصورة [illegible] وبعد الفحوصات [illegible] علاجها، يوجد طبيب الأسنان لعمل قالب خاص [illegible] تماما لأسنان المريض.

٢ ـ تقلع السن ويصنع في المختبر حالا سن صناعية شبيهة تماما للسن المقلوعة من حيث طول وشكل الجذور.

٣ ـ يهيأ موضع السن المقلوعة [illegible] لاستقبال السن الصناعية الجديدة [illegible] السن داخل الفك في نفس موضع السن الطبيعية التي تم قلعها وتثبت بإحدى الوسائل المستعملة لهذا الغرض.

٤ ـ بعد مضي عدة أسابيع تكون السن الصناعية المغروسة أو المزروعة في عظم الفك قد [illegible] في موضعها ويمكن استعمالها بصورة طبيعية.

ملاحظات حول زراعة الأسنان الصناعية

يؤكد اكثر الباحثين في مجال زراعة الأسنان الصناعية بانه في حالة فقدان بعض الأسنان فقط يكون من الافضل جدا عمل اسنان تثبت بواسطة الأسنان الطبيعية المتبقية في الفم أي صنع جسور ذهبية ثابتة كما هو معروف .

وهناك انواع عديدة من هذه الجسور افضلها النوع المعروف Cast Gold Bridge With Facing ، وفيهما يمكن اخفاء الذهب بواسطة مادة تلبيسية وبصورة ناجحة بحيث تكون السن الصناعية مشابهة للسن الطبيعي من حيث الشكل واللون . وهذه الجسور الثابتة عادة يكون عمرها اطول ومشاكلها اقل من زرع اسنان صناعية ثابتة في عظم الفك .

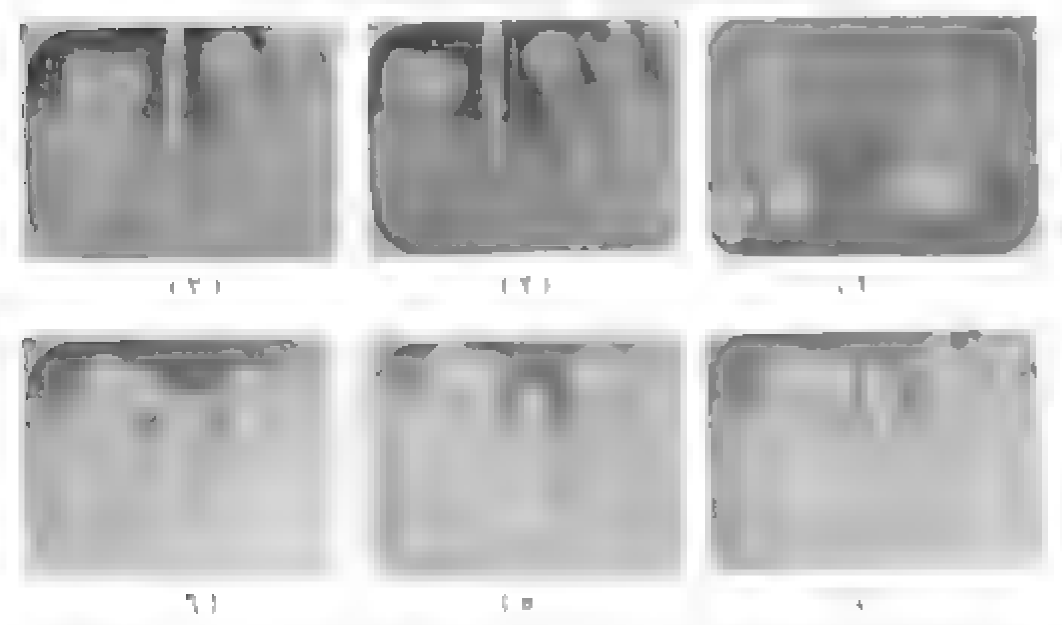
كذلك في حالة فقدان الأسنان الطبيعية كافة وعندما يكون الفكان بصورة جيدة وصالحة لعمل طقم كامل متحرك اعتيادي فمن الافضل عدم التفكير فورا بزراعة اسنان صناعية في عظم الفك ، وانما عمل طقم اعتيادي ومن النوع الجيد وذلك لتفادي العملية الجراحية والمضاعفات الاخرى والتكاليف الباهظة لعملية زراعة الأسنان الصناعية .

اما في الحالات الخاصة والتي يكون فيها صنع الطقم الاعتيادي المتحرك او صنع الجسر الذهبي الثابت غير ممكن ، فعند ذلك تكون طريقة زراعة الأسنان الصناعية حلا لمشكلة المريض وعدم حرمانه من الأسنان الصناعية .

ان عملية زراعة الأسنان الصناعية الى الآن لا تعتبر الطريقة المثلى في تعويض الأسنان المفقودة لانها ليست بالعملية السهلة البسيطة . انها تتطلب عملا جراحيا ومختبريا دقيقا جدا ، كما انها باهظة التكاليف ومحدودة النجاح في الوقت الحاضر . ■■

زهير جميل

الخطوات الضرورية المتبعة في تثبيت سن صناعية واحدة بواسطة وتد معدني



(١) (٢) (٣)

(٤) (٥) (٦)





للشاعر : فاروق شوشه

[illegible]

* * *

[illegible]

* * *

[illegible]

* * *

[illegible]

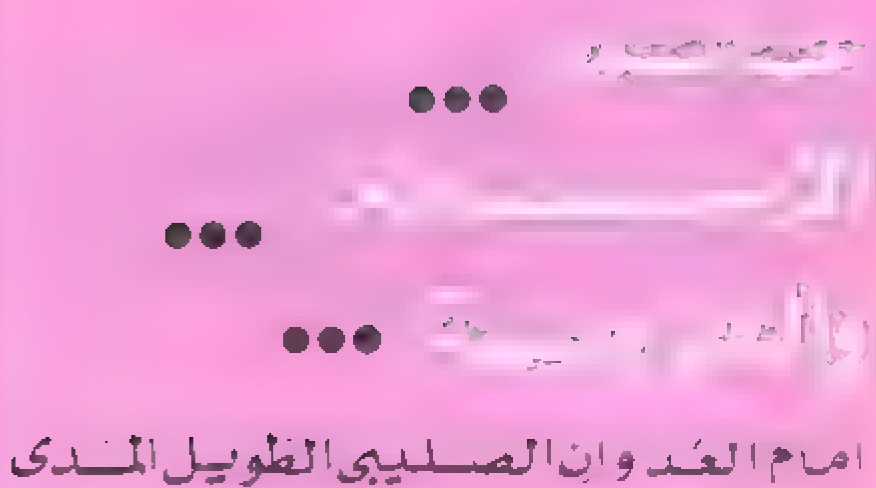


* * *

* * *

* * *

فاروق سوسه



امام العدوان الصليبى الطويل المدى

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

والعدوان لحجاج النصارى وحول بينهم وبين

المسيحي الى الاسراع لانقاذ ذلك البلد المسيحي الذي كان معظمهم يتصور انه كان درعاً يقي منه العالم المسيحي من خطر التقدم الاسلامي .

ـ تطلع الكثيرين من امراء الاقطاع والاشراف في اوروبا الغربية الى الغزو وانشاء امارات واملاك مسيحية في البلاد الاسلامية .

ـ رغبة الكنيسة الكاثوليكية في تحقيق ما كانت تطمع فيه من سيادة العالم المسيحي بتوجيهه نحو حرب دينية واسعة النطاق يشرف عليها رجال الكنيسة .

ـ الحماس الديني ، اذ ان الكثيرين من النصارى حملوا شارة الصليب على صدورهم ، وساروا لحرب المسلمين مدفوعين بحماس ديني حقيقي ورغبة صادقة في انتزاع السيطرة على مهد المسيح من ايدي المسلمين ، والانتقام من المسلمين الذين انتزعوا من العالم المسيحي بلاداً واسعة كالشام ومصر والمغرب والاندلس وجزائر البحر الابيض .

ـ واخيراً تطلع الجمهوريات الايطالية التجارية مثل جنوة والبندقية وبيزة الى السيطرة على التجارة وطرقها واسواقها في البحر الابيض وانتزاع التجارة الاسيوية من ايدي المسلمين الذين كانوا يحتكرونها منذ نهاية القرن الثامن الميلادي على الاقل .

لندع ذلك كله جانباً ـ برهة من الوقت ـ فانه معروف ومتوارد الذكر في الكتب ، ولنحاول ان نذهب الى ابعد من ذلك ، فنقول :

هل هذه الاسباب كافية لكي يتحرك الغرب المسيحي ويقوم بهذا العدوان الضخم الطويل المدى ؟

ولتوضيح هذا السؤال سؤال آخر : لنفرض ان العالم الاسلامي كان خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي موحداً قوياً ، سوى امرة دول حربية واعية ومتهيئة للدفاع ، فهل كان من الممكن ان تفكر اوروبا ـ او غيرها ـ في العدوان عليه وغزو اراضيه

الجواب قطعاً بالنفي .

السبب الرئيسي للغزو الصليبي تمزق المسلمين

فالسبب الرئيسي في وقوع الحرب الصليبية هو



الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين بن شادي الايوبي ، الذي توج حركة التحرير العربية بانتصاره الخالد في حطين سنة ١١٨٧ واسترد بيت المقدس

تمزق بلاد المسلمين ، والمنازعات التي كانت قائمة بين المسيطرين على دولها ، والفوضى الحزبية التي عمت بلاد الشام نتيجة لهذه الخلافات والمنازعات .

لقد شهدت بلاد الشام والاراضي المقدسة تياراً متصلاً من الحجاج النصارى خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر ، لان الكثيرين من اهل العالم المسيحي كانوا ينتظرون ان تقوم القيامة وتطوى سجلات الدنيا وينصب الميزان للحساب على راس الالف الحادية عشرة للميلاد . كانوا قد انتظروا قيام القيامة على رأس الالف سنة من مولد المسيح ، وباع الكثيرون املاكهم وتصدقوا بأثمانها وقضوا العام الاخير المكمل للالف في صلاة وعبادة . ثم لم تقم القيامة ، وقال القائلون ان الله امهل البشر مائة سنة ليتوبوا عن ذنوبهم ، فلما اقترب الموعد الجديد تصدق الكثيرون باموالهم وخرج الناس للحج الى مولد السيد المسيح عليه السلام .

وقد وجهوا بالفعل بعض المتاعب والمضايقات في الشام وفلسطين ، ولكنهم لم يلقوا ذلك لانهم كانوا نصارى بل لان الاحوال كانت مضطربة

فاسحة يتناسى منها القيم والزائر والمسلم والنصراني على السواء .

ولكن ضعف البلاد واضطراب امور حكومها استوقف نظرهم ، وتساءل الكثيرون منهم : كيف سرت هذه البلاد بأيدي اولئك الناس الذين لا يقدرون القيام عليها ولا يستطيعون الدفاع عنها ؟ .

راهب متحمس ينبه لنقطة الضعف في المسلمين
و « بابا » ذكي طموح يسعر الفرصة ويشعل النار
ودولة مصممة تفتح الباب للغازين

فذلك هو بطرس الناسك ذلك الراهب الفرنسي الحي للعواطف ، الزاجج للحماس ، الحاقد القلب لحقد على المسلمين ، الطامع في السيطرة وقيادة الجماهير ... لقد قام بطرس برحلة الحج الى بيت المقدس وادهشه ما رأى من ضعف بلاد الاسلام ، فعاد الى الغرب وزار روما ونبه الاعلان البابوية الى ضرورة انتهاز الفرصة السانحة ، فان بلاد المسلمين في حالة يرثى لها من الضعف ، ولا بد من الاسراع بحملات عسكرية لاستخلاص الاراضي المقدسة من ايديهم . ثم هو ذهب الى فرنسا واخذ يطوف بلادها داعيا في حماس شديد الى الاسراع بحرب المسلمين .

واستجاب للدعوة الناس بسبب ما رأوه من ضعف الجبهة الاسلامية وما توقعوه من فتح سهل يملكون به الاراضي المقدسة اولا ، ثم يغورون بخيرات البلاد الاسلامية ثانيا . ولقد كانت خطبة البابا اوربان الثاني في المجمع الديني الذي عقد في مدينة كليرمون Clermont Ferrand في فرنسا في نوفمبر ١٠٩٥ صريحة في هذا المعنى ، فقد جاء فيها « وليست هذه الحرب للفوز بمدينة واحدة فحسب ، بل هي اقاليم اسيا بجملتها ، مع غناها وخزائنها التي لا تحصى ، فسيروا نحو القبر المقدس ، وخلصوا الارض المقدسة من ايدي الغاصبين ، وتملكوها انتم من دونهم ، فهذه الارض كما قالت التوراة تفيض لبنا وعسلا » .

وكان الفاطميون يرحبون بهذا الغزو الاجنبي ، وقد تصوروا أن الصليبيين اذا ازاحوا السلاجقة من الشام شغلا الجو للفاطميين ليستعيدوا سلطانهم عليه ! .

وجدير بالذكر أن بعض المؤرخين يقولون أن الفاطميين فعلوا ذلك لانهم كانوا شيعة والسلاجقة كانوا سنة ، وهذا غير صحيح . فلا دخل للشيعية او السنية في موقف الفاطميين ، وانما الحقيقة ان هذه الدولة كانت بلاء على الاسلام والمسلمين من يوم قامت في المغرب ثم امتدادها الى مصر بعد ذلك ، وقد سير سياستها خلفاء ووزراء في غاية الانانية والبعد عن التفكير في مصير الجماعة الاسلامية . وخلال خلافة الحاكم (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م) فقدت هذه الدولة الفاطمية معظم ما قامت عليه من اسس معنوية وخلقية ، وانفصل الخلفاء ورجالهم عن الجماعة الاسلامية انفصالا معنويا ، ولم يعودوا يمثلون الا انفسهم ، ولا دخل لمصر او الشام او الشيعة او السنة في تصرفاتهم .

وفي المعسكر الغربي
قامت دول جديدة قوية واعية
وتحقق تقدم صناعي واقتصادي
وتضاعف عدد السكان

وخلال هذه الحقبة بالذات - اي طوال القرنين الرابع والخامس الهجريين ، أي العاشر والحادي عشر الميلاديين ، كانت اوروبا الغربية تخرج من الفوضى الى الاستقرار ، وفي كل من فرنسا والمانيا وانجلترا قامت بيوت مالكة جديدة ذات سياسات مرسومة واهداف قومية واضحة .

ففي فرنسا ظهر الكونت اودو l'Eude Comte de Paris في باريس وما حولها وعمل هو وخلفاؤه من بعده على توحيد السلطة في فرنسا والقضاء على كبار الامراء الاقطاعيين وتوسيع حدود سلطانهم . وفي سنة ٩٨٧ انتقل العرش الى ابن عمه هيو كابيه Hugh Capet ، الذي اتخذ لقب الملك ، ونجح هو وخلفاؤه الى اقامة فرنسا موحدة قوية ذات طابع قومي واضح . وقد نجح ملوك هذا البيت نجاحا عظيما واستمروا يحكمون فرنسا فوق القرون الثمانية فلم ينته ملكهم الا سنة ١٨٤٨ ، وفي خلال هذه القرون خرجت فرنسا من ظلمات العصور الوسطى الى نور العصر الحديث .

وفي انجلترا بدأ عصر جديد مع الغزو النورماني على يد وليم الفاتح سنة ١٠٦٦ ، فقد اقر وليم وملوك البيت النورماني من بعده النظام وحكم

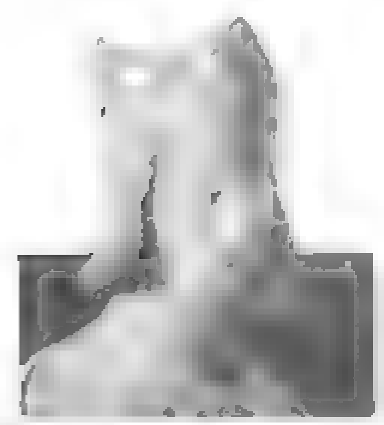
القانون في البلاد ، وحكموا الى سنة ١٤٨٥ أي الى نهاية العصور الوسطى تقريبا .

وفي المانيا قامت الامبراطورية الرومانية المقدسة التي بدأها اوتو الكبير Otto der Grosse ، حيث توج في عيد الميلاد سنة ٩٦٢ ، وتولى ملوك بيت الهوهنشتاوفن Hohenstaufen ، الحكم في المانيا وجزء كبير من ايطاليا ، واستمر هذا البيت يحكم ـ على فترات متفاوتة من التوهج وعدم التوفيق والقوة والضعف الى القرن التاسع عشر .

وكانت البابوية تسير طريقها في حزم واصرار وعناد ، وبسط سلطانها على روما ووسط ايطاليا ، وتطالب بالحق في سيادة العالم المسيحي ، فلما فشل البابوات في ذلك اكتفوا بالمطالبة بالسيادة الروحية وحق التوجيه . ولقد تمكن البابوات رغم كل شيء من قيادة اوروبا وتوجيهها نحو حرب المسلمين في الاندلس والشام وحوض البحر الابيض .

واستطاع النورمان ان ينشئوا لهم دولة في جنوب ايطاليا ، ومن سنة ١٠٦١ بدأوا في محاربة المسلمين في صقلية . وما ان حلت سنة ١٠٩١ حتى كانوا قد قضوا على الحكم الاسلامي في تلك الجزيرة الكبيرة ، فكانت صقلية الاسلامية أول ما سقط من بلاد الاسلام في الحرب الطويلة التي نشبت بين العالمين الغربي والشرقي . في كل هذه البلاد التي ذكرناها قامت نهضات اقتصادية واجتماعية في ظلال النظم السياسية القوية التي ذكرناها ..

انتعشت المدن بعد طول ركود ، وأخذت باريس ولندن وكولونيا وفرانكفورت واستراسبورج وبافيا وريجنزبورج وروما وغيرها تتحول الى مراكز تجارية وصناعية . وفي هذه المدن تجمع الصناع والتجار واشتروا حقوقا مدنية من الملوك والأمراء ، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم ، وقامت نقابات التجار والصناع تعمل في نشاط ، فكثر المال فيها وارتقت الصناعات ، واخذت هذه المدن تقود المجتمع الاوروبي من فوضى الاقطاع الى انتظام الدول ، وكانت المدن التجارية الايطالية أنشط الجميع ، اذ لم يكن هناك سلطان سياسي يحد من نشاطها أو يفرض عليها الجبايات الثقيلة ، فنشأت الموانىء الضخمة في البندقية وجنوة وبيزا وامالفي Amalfi وغيرها ، وفي هذه الموانىء قامت دور



لويس التاسع ملك فرنسا (١٢١٥ ـ ١٢٧٠) الذي قضى خير سنوات حياته محاربا في سبيل عقيدته الكاثوليكية .. وقد قاد الحملة الصليبية السابعة على مصر ، ثم الحملة الصليبية الثامنة على تونس . وتوفي في تونس بعد هزيمة هذه الحملة ، ورفعته الكنيسة الى مقام القديسين ، ولهذا فهو يعرف عادة بسان لويس .

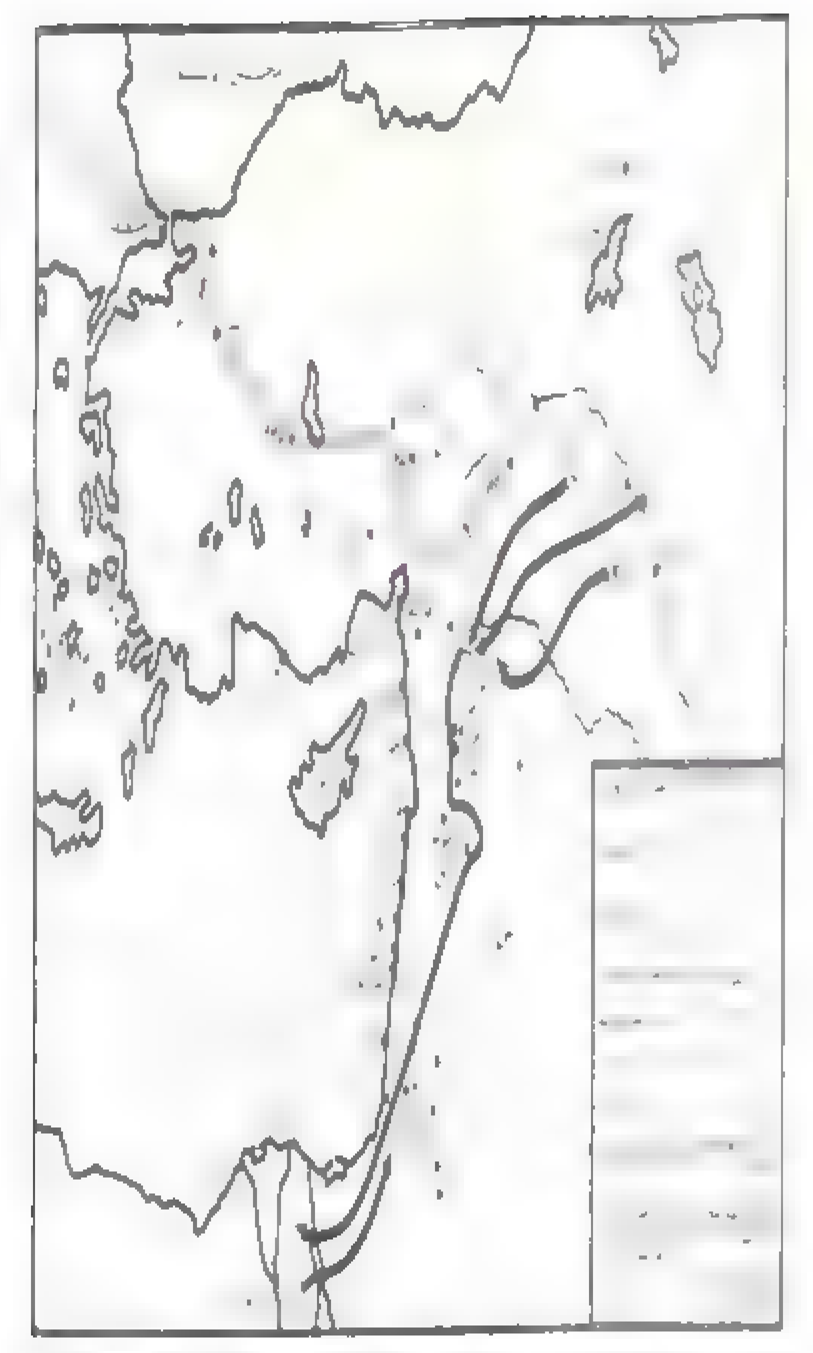
الصناعة (الترسانات) . وبنيت السفن الكبيرة وتعلمت خطوط الملاحة فتدرب رجال البحر وكسبوا مهارات كبرى ، واتسعت المخازن والمصانع والمصارف ، وشيئا فشيئا سيطرت هذه المدن ـ أو الجمهوريات ـ الصغيرة ، على تجارة البحر الابيض وتطلعت الى السيطرة على متاجر اسيا .

لا غرابة اذن في ان تشهد اوروبا خلال القرنين العاشر والحادي عشر تطورا اجتماعيا بعيد المدى .

تضاعف عدد السكان وكان لا بد لهذه الزيادة السكانية من موارد رزق وميادين كسب ونشاط .

وخطت صناعة السلاح خطوات واسعة الى الامام ، فاتقن الصانعون والحدادون في غرب اوروبا ووسطها صناعة السيوف الجيدة والدروع المتقنة والحراب المتينة والاقواس القوية وآلات الحصار والمنجنيقات والكباش والسلالم مما لم يعرفه العالم من قبل .

وهذه كلها كانت علامات قوة تشعرت بها قوة



اوروبا ، وهذه القوة هي التي حفزتها على الهجوم على عالم الاسلام . .

النتيجة الطبيعية توغل الصليبيون في البلاد دون صعوبة ، واحتلوا ثلاث امارات في انطاكيه ، وطرابلس ، والرها واقاموا مملكة بيت المقدس

والآن وقد عرفنا الحالة التي كانت عليها كل من المجتمعين الاسلاميه والمسيحية عشية وصول اول حملة صليبية الي ارض الشام فانت تستطيع ان تتصور بنفسك ما كان لا بد ان يحدث .

في شعبان ٤٩٠ هـ يونيو ١٠٩٧ دخلت الحملة الصليبية الاولى اراضي سلطنة سلاجقة الروم في اسيا الصغرى واخترقتها ودخلت شمال الشام وبدأت حصار انطاكية مدة ثمانية شهور .

وسلك الامراء واصحاب السلطان في الشام المتمزق فلم يبدوا اي مقاومة حقيقية . كل المقاومة التي حدثت قام بها افراد الشعب العربي ما بين متطوعة خرجوا للقتال واهل مدن صبروا للحصار . مات من هؤلاء واولئك الوف بعد الوف .

ولكن بتخاذل الامراء كسر ظهر المقاومة ، فسقطت مواضع الساحل ، وانشأ الصليبيون امارة انطاكيه في رجب ٤٩١ هـ ١٠٩٨ م .

وفي شوال ٤٩١ هـ سبتمبر ١٠٩٨ توغلت قوات صليبية في نواحي اعالي الفرات واحتلت الرها وانشأت فيها امارة الرها الصليبية .

وفي شعبان ٤٩٢ هـ يونيو ١٠٩٩ بدأ حصار القدس . كان اصحاب السلطان هناك رجال الفاطميين . انسحبت قواتهم دون قتال الى عسقلان . بقي في الميدان اهل البلد ومن انضم اليهم من المتطوعة . دافعوا عن بلدهم الى اخر رمق . اقتحم الصليبيون الاسوار وقتل من المدافعين نحو ٧٠٫٠٠٠ عربي . وانشئت مملكة بيت المقدس الصليبية . وبعد ذلك بقليل في ٥٠٢ هـ ١١٠٩ اكمل الصليبيون احتلال نواحي طرابلس وانشأوا فيها الامارة الصليبية الرابعة .

بهذا وبدون مقاومة من اهل الدول التي كانت قائمة اذ ذاك وجيوشها الكثيرين ، وضع الصليبيون قدما ثابتة في ارض الشام ، فملكوا الساحل كله وجزءا كبيرا من اراضي الشام وفلسطين بما في ذلك كل شمالي فلسطين والقدس وملكوا ايضا اعالي الفرات واصبحوا يهددون كل الدول الاسلامية القائمة تهديدا مباشرا .

وفي نهاية العقد الاول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كان الموقف العام في الشام وشمال العراق مخيفا : عدو غالب مستأسد يواجه حكومات عاجزة خائرة القوى مجهدة في المحافظة على مصالح اصحابها .

ثم ظهر قادة الكفاح المنظم ، وبدأت حرب التحرير سلسلة من الابطال ، من شرف الدولة مودود الى صلاح الدين ، حطمت حصون المعتدين واستعادت القدس وكل فلسطين ..

ولكن ، اذا كانت تلك القوى قد انهزمت فان الشعب العربي الاسلامي لم ينهزم ولم يشأ ان يعترف بالهزيمة .

وهذا كلام لا نقوله لمجرد رفع القوى المعنوية ، بل لانه حقيقة تاريخية تشهد بها الاثبات ، وحتى نؤمن بان العلم ينبغي ان يقوم على الحقيقة وحدها وان تزييف التاريخ يخدم الاعداء ولا ينفع الاصدقاء ..

فان الصليبيين لم يتقدموا في ذلك الطريق الطويل من شمال اسيا الصغرى الى جنوب القدس الا على اجساد الشهداء . الوف بعد الوف من العرب قتلوا مدافعين عن انطاكيه وطرابلس ومعرة النعمان وصور وصيدا والقدس وغيرها .

ولم تكف المتطوعة عن الاغارة على طوابير القوات الصليبية في الطرق : فيخطفوا رجالها ويرموها بالسهام المسمومة . هنا برزت الى الميدان جماعات الفدائيين الفاطميين الذين يسميهم مؤرخو الصليبيين بالتركمان .. ولقد كان التركمان بالفعل هم الذين علموا العرب والمسلمين فن القتال على الخيول الخفيفة السريعة والرمي بالسهام من وراء كل صخرة او شجرة في الطريق ، وتعلم شباب العرب ذلك وبرعوا فيه ..

بعد قليل شعر العدو المعتدي انه محاصر فيما احتل من البلاد . كان رجاله لا يستطيعون السير

من مكان لمكان الا جماعات محروسة . وقد كان دعاة الحروب الصليبية يزعمون أن المسلمين يهددون أمن الحجاج النصارى في مسيرهم من الساحل الى بيت المقدس ، فأتوا واحتلوا الأرض ليجدوا بعد ذلك أن طريق الحجاج قد أصبح أقل أمنا مما مضى ، وأصبحوا مضطرين الى تنظيم قوافل حراسة مستمرة لتأمين الطرق من الساحل الى القدس مما كان يكلفهم مالا وجهدا عظيمين .

وبعد سقوط القدس انبعثت الصيحة للجهاد.

في كل بلاد الشام والعراق ظهرت جماعات « المستنفرين » يخطبون في المساجد وعلى شوارع الطرق والأسواق ، يهيبون بالناس أن يحملوا السلاح وينفروا لتحرير البلاد . وذهبت جماعات منهم الى بغداد وحاصرت قصر الخليفة العباسي ، وأرغمته على الظهور ، فطالبوه علنا شعبيا ؛ وأهانوا الأمراء ورجال الدولة وطلبوا منهم سرعة النهوض لمواجهة الأعداء .

وعلى هذا النداء الجماهيري والجهاد الباسل الذي قام به جمهور الناس صحا بعض أصحاب الأمر ونهضوا مستعدين للكفاح المسلح.

وظهرت في شمال العراق والموصل ثم في حلب وبقية الشام بعد ذلك طلائع النصر : رجال أفذاذ عملوا على توحيد الصفوف وتكوين قوات عسكرية للجهاد والتحرير ورفعت راية الجهاد . ولم تنطفئ بعد ذلك حتى تمام التحرير . وسنذكر أسماء قادة الجهاد دون تفصيل لأن المجال لا يتسع

— شرف الدولة مودود أمير الموصل . تحت رايته سار أول جيش للتحرير من الموصل الى أرض الشام في سنة ٥٠٤ هـ / ١١١٠ — ١١١١ م.

— نجم الدين ايلغازي بن أرتق صاحب ماردين. على يده كسب المسلمون أول نصر عسكري على الصليبيين في الميدان . حدث هذا عند بلدة قسطون جنوبي حلب سنة ٥١٣ هـ / ١١١٩ م عندما انتصر مودود ورجاله على جيش صليبي كبير يقوده أمير انطاكية . وقد تمزق الجيش الصليبي اربا وقتل أمير انطاكية ومئات من فرسانه وأسر المسلمون مئات أخرى ، فانكسرت أسطورة القوة الصليبية التي لا تغلب ، وتشجع الأمراء في كل مكان ، وهبت رياح النصر على المجاهدين في أرض العروبة والاسلام .

— توفي نجم الدين ايلغازي في رمضان ٥١٦ هـ/نوفمبر ١١٢٢ م وحمل راية الجهاد من بعده نور الدين بلك الذي استطاع أن يهزم قوات جوسلين Joscelin ، أمير الرها وبودوين الثاني Baldwin II ، ملك بيت المقدس ، ويأسر هذين الزعيمين الصليبيين ويضعهما في سجنه في ربيع الأول ٥١٧ هـ أبريل ١١٢٣م . هنا خطت حركة التحرير خطوات حاسمة الى الأمام اذ ان أسطورة الصليبيين لم تحطم فقط بل بدأ الخوف يملأ قلوبهم من ناحية المجاهدين . وقد ضم نور الدولة بلك حلب الى امارته واستشهد في ربيع الثاني ٥١٨هـ/مايو ١١٢٤م وهو يحارب الصليبيين عند منبج . وقد قال وهو يلفظ آخر أنفاسه . « هذا موت لكل المسلمين » مما يدل على انه كان يشعر فعلا انه جندي الجبهة الاسلامية كلها في الجهاد .

— وتولى القيادة بعده آق سنقر البرسقي صاحب الموصل وحلب سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م .

— وخلفه في القيادة ابنه عماد الدين زنكي في ربيع الآخر ٥٢١هـ/مايو ١١٢٧م وعلى يده تمت أول خطوة حاسمة من خطوات التحرير وهي القضاء على امارة الرها الصليبية في أعالي الفرات سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م. وفي أعقاب هذا النصر العظيم انضمت الى جبهة الكفاح ألوف بعد ألوف من المقاتلين المتطوعين . لم تعد القوات النظامية وحدها هي التي تخوض المعارك ، وانما شاركها بنجاح قوات المجاهدين . هذه القوات الفدائية التي تكونت في كل بلد في الشام والموصل ووسط العراق .

كانت تقوم في الحقيقة بأعظم جانب من القتال. في كثير جدا من الأحيان كانت قوات الأمراء النظامية تتسلم البلاد من المجاهدين الذين يكونون قد قضوا على مقاومة الصليبيين .

— توفي عماد الدين زنكي شهيدا في ربيع الثاني ٥٤١هـ/سبتمبر ١١٤٦م. فخلفه في القيادة ابنه نور الدين محمود ، ذلك المجاهد الذي لا يكل . لقد وهب حياته كلها للجهاد وقضى ٢٨ سنة في الميدان حطم فيها قوات الصليبيين تحطيما ، وقضى على الحملة الصليبية الثانية ، ووحد الشام والموصل في جبهة النضال . وتوج أعماله بالقضاء على الفاطميين وضم مصر بمواردها العظيمة الى معسكر الجهاد .

وقد توفي نور الدين في ١١ شوال ٥٦٩هـ/١٥ مايو ١١٧٤م وقام من بعده نائبه على مصر صلاح الدين

يوسف بن نجم الدين ايوب الذي توج الجهاد العربي الاسلامي بنصر حطين في ربيع الثاني ٥٨٣هـ/ يوليو ١١٨٧م واستعادة القدس في الشهر التالي والقضى نهائيا على مملكة بيت المقدس . بعد ذلك ضعفت امارتا انطاكية وطرابلس ضعفا شديدا واستطاع صلاح الدين ان يطمئن الى انه اكمل حركة التحرير واستعاد للاسلام بلاده المسلوبة .

والفضيلة الكبرى لصلاح الدين انه اخذ عن نور الدين فكرة الجهاد المطلق حتى التحرير التام وسار بها الى الامام وجعلها سياسة ثابتة لكل دول الاسلام في الشرق العربي . ولما استعار نور الدين الى الصف جند من قوات المجاهدين الاحرار فقد عرف صلاح الدين كيف يسمو بها الى درجة تصل الى الاعجاب . ومن الحق ان نقرر ان جانبا كبيرا من الفضل في نصر حطين يعود الى المجاهدين الذين اهلكوا الجيش الصليبي بالغارات المتتابعة ليلا ونهارا اسبوعا بعد اسبوع . وعلى صخرة صلاح الدين العاتية تحطمت الحملة الصليبية الثالثة . وقد ابدى صلاح الدين من الشهامة والنبل وعلو الهمة ما جعله موضوع اعجاب المسلمين والاوروبيين جميعا .

ولكن الذي اضعف جانب صلاح الدين كانوا قواده ورجاله . فقد خبروا تعبه بعد الاستيلاء على القدس ومال معظمهم الى الراحة والتمتع بثمرات النصر . ويحدث ان كان صلاح الدين يقول لكاتبه ابن شداد وهو يشير الى امواج البحر : امني ان استريح حتى اركب هذه الامواج واعبر هذا البحر واتبعهم في بلادهم . اضطر الى عقد صلح الرملة الذي تنازل للصليبيين فيه عن جزء من الساحل يمتد من صور الى حيفا ، وسمح لهم بدخول القدس للحج متى ارادوا .

وتوفي هذا البطل العظيم في ٢٧ صفر ٥٨٩هـ/ مارس١١٩٣م بعد ان سجل اسمه في سجل الخالدين في تاريخ البشرية جمعاء .

وتخلى خلفاء صلاح الدين من الايوبيين عن الجهاد ، ولكن امة العرب والاسلام بقيت في الميدان ، وسارت على طريق بطل حطين العظيم

لم يخلف صلاح الدين من رجاله او من افراد بيته من يقاربه ولو في جزء قليل من ملكاته وصفاته. وعلى قدر ما كان صلاح الدين نعمة على العرب والاسلام كان خلفاؤه الايوبيون مجموعة من الورثة السفهاء . حتى اكابرهم من امثال الملك العادل الذي خلفه على السلطنة لم يكن اكثر من متآمر ماكر أناني ، ولم يكتب سطرا واحدا في صحيفة الجهاد . اما ابنه الكامل فكان نقمة على الجهاد والمجاهدين ، وكان مستعدا للتسليم حتى في القدس (وقد فعل) في سبيل الاحتفاظ بكرسي السلطنة

ولكن ، اذا كان البيت الايوبي قد غادر ميدان الجهاد بعد صلاح الدين العظيم فان امة الاسلام والعروبة تلقت الراية وبقيت في الميدان .

وفي حوادث الحرب الصليبية الخامسة نرى مصداق ذلك بكل وضوح .

كانت وجهة هذه الحملة مصر ، ونزلت القوات الصليبية عند دمياط في صفر ٦١٥هـ/ مايو ١٢١٨م فوقع الملك العادل ورجاله في حيرة كبرى ، لانهم كانوا يتحاشون القتال بكل وسيلة . وفي اثناء هذه الفوضى تقدم الصليبيون واستولوا على دمياط بعد ان استشهد من اهلها الوف كثيرة . في ذلك الوقت مات العادل وخلفه ابنه الكامل .. وبينما كان هذا الرجل يفاوض مع الصليبيين ليتنازل لهم عن القدس وعسقلان وجبلة واللاذقية في مقابل جلائهم عن مصر كانت قوات المجاهدين من شتى نواحي مصر تتجمع في شرق الدلتا . في مقدمة المتشددين للقتال متطوعين في سبيل الله والوطن كان اتباع الطريقة الشاذلية . كان اتباع ابي الحسن الشاذلي يقاتلون في سبيل الله في نواحي المغرب الاوسط . وعندما انتشرت الطريقة في مصر اصبح رجالها من المصريين من رجال الجهاد .

وخلف المريدين من الصوفية المجاهدين الذين الوف المصريين. وشجع الايوبيون فتشوا وصمموا على القتال .

وهذه الالوف من المجاهدين المصريين هم الذين قطعوا جسور النيل ليغرقوا قوات الصليبيين .

وامام طوفان الله وطوفان الناس بدأ الصليبيون يتراجعون نحو الشمال هناك كان المجاهدون في انتظارهم فتخطفوهم من كل جانب ، وانتهى الامر بخروجهم من مصر دون قيد او شرط .

ولا يستطيع احد ان يقول ان رجال الايوبيين

هاجموا الصليبيين بدافع من مشاعرهم ، فقد رأينا ملكهم يتفاوض مع الاعداء ويعرض عليهم كل ما فتحه صلاح الدين في سبيل الجلاء عن مصر وتركه يتمتع بعرشه التعس .

ثم ان فكرة قطع الجسور كانت فكرة مصرية بحتة . ولو عرفها الايوبيون ورجالهم لنفذوها بدلا من ان يجثوا على ركبهم على ذلك النحو المعيب

وكذلك كان الحال في الحملة الصليبية السابعة التي قادها لويس التاسع ملك فرنسا على مصر ونزلت بدمياط في صفر ٦٤٧هـ/يونيو ١٢٤٩م فاستولت عليها بعد انسحاب الايوبيين دون قتال . لأن الملك الصالح توفي والصليبيون يحاصرون دمياط ، فسترت الامر امرأته شجرة الدر حتى يأتي ابنه توران شاه من الموصل .

في هذه المناسبة ايضا كان الذي قضى على الصليبيين هو بيبرس البندقداري في شمال شرقي المنصورة فلم يطل العمر بتوران شاه حتى قتله البندقداري وكان اذ ذاك رئيس المماليك البحرية ، مماليك الصالح أيوب ، وهو وزملاؤه هم الذين قادوا الهجوم المنظم بعد أن كان المتطوعون المصريون قد انهكوا قوى العدو انهاكا تاما

وعندما قطع المصريون جسور النيل مرة أخرى تقرر بصورة نهائية مصير هذه الحملة الصليبية السابعة . اضطر الاعداء الى التسليم ووقع لويس التاسع في الأسر (المحرم ٦٤٨هـ/ابريل ١٢٥٠م) .

وسجل بيبرس بهذا النصر ، فكان همه بعد ان أصبح سلطانا هو القضاء على بقايا الصليبيين في الشام .

وفي بدء سقطت امارة انطاكية ٦٦٦هـ/١٢٦٨م .

وروع الملك لويس التاسع وكان قد عاد الى فرنسا من زمن وقرر ان يقوم بحملة صليبية ضخمة على بلد اسلامي عربي آخر هو تونس .

وتلك هي الحملة الصليبية الثامنة .

وفي ذي القعدة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م نزلت قوات الصليبيين ساحل تونس عند قرطاجنة .

وكان سلطان تونس اذ ذاك هو المستنصر الحفصي ، وكان رجلا شهما باسلا فقرر أن يلقى لويس التاسع وأخاه الأمير شارل دانجو درسا ..

وسار بجيشه للقاء العدو وانضمت اليه الوف من المتطوعة ومقاتلي الموحدين ، وقاد المسلمين العلامة محمد بن الحسين ، ويحيى بن ابي بكر ، ويحيى بن صالح . وبعد قتال مرير ادرك الباقي من الصليبيين انهم لا يفكرون في التسليم . ومات الملك لويس التاسع وهو مقاتل في سبيل النصرانية فوجهت الكنيسة الكاثوليكية عليه بعد قديسا القديس لويس او سان لوي .

ورجع الصليبيون بالهزيمة في ربيع الأول ٦٦٩هـ/اكتوبر ١٢٧٠م .

والى هنا يقف قصة الحروب الصليبية في مرحلة الطول ..

ولعلك رأيت في ذلك العرض الموجز كيف كان الخطر جسيما ، حتى لقد زعزع ابطال الكثيرين في حقوق بلادهم ودينهم ومالوا الى التسليم .. ولكن شعوب العروبة والاسلام ظلت مكانها ، تتحمل المشاق والهزائم دون أي تنازل .

وسايرها هذا سجيع الزعماء المخلصين على السعي للتحرير قبيل الكفاح ، وقد اشتركت فيه أمم الاسلام والعروبة بتوفر نصيب .

حقا ان كتب التاريخ لا تعطينا تفاصيل وافية عن نصيب الشعوب ، لأن كل مؤرخي تلك العصور كانوا مؤرخي ملوك وسلاطين .

وانتصاراتنا الكبرى في الحروب الصليبية انتصارات شعوب .

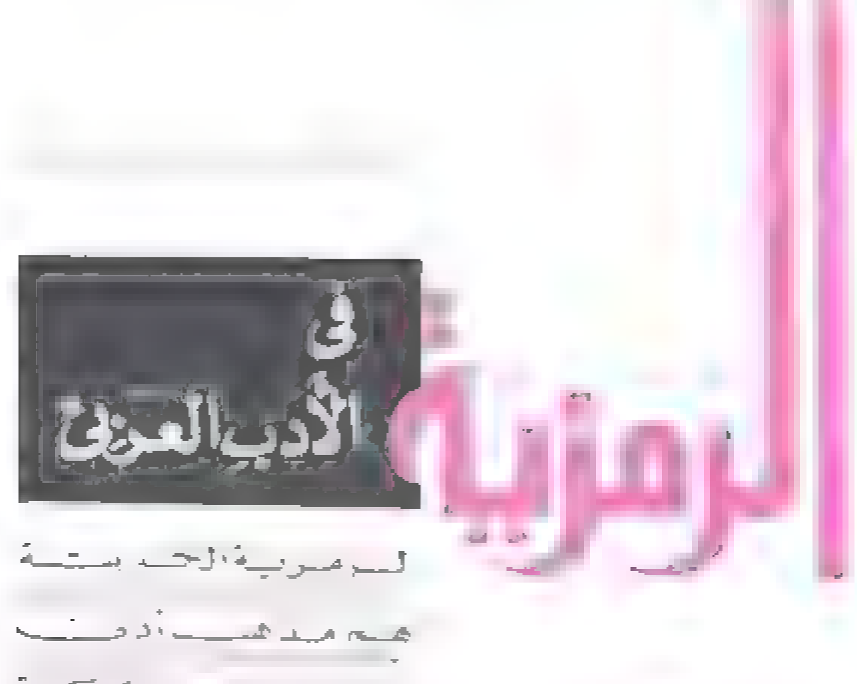
وتفضل توجيه الامة العربية الاسلامية يوصي سلاطين المماليك لاكمال عمل صلاح الدين دون الدين .

استطاع ركن الدين بيبرس أن يزيل من الوجود امارة انطاكية سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م . وفي مارس ١٢٨٩م استولى السلطان سيف الدين قلاوون على امارة طرابلس ووضع حدا لتاريخها .

وفي ١٨ مايو ١٢٩١ م سقطت عكا في يد الأشرف خليل بن قلاوون وبسقوط عكا تمت تصفية العدوان الصليبي

طال امد العدوان مائتي سنة ، ولكننا صبرنا وقاومنا وقفنا العدوان ، وحررنا ارضنا .. بعد ٢٠٠ سنة !

حسين مؤنس



الرمزية الحديثة
هي مذهب أدبي
بعد الرومانتيكية
في العصور الحاضرة

بقلم : الغزالي حرب

■ يختلف معنى « الرمزية » في الأدب العربي القديم ، عن معناها في الأدب العربي الحديث

أما معناها في الأدب العربي القديم ، فيجب معرفته قراءة أو نسبة إلى المعاني اللغوية التي ذكرتها معجمات اللغة للرمز ، ومن هذه المعاني

[illegible]

وفي اللغة [illegible]

وفي القرآن الكريم ، « قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا » أي إشارة بحاجبيه أو رأسه

ومن معاني الرمز : [illegible] يشير إلى [illegible] ، وقال فلان الآخر مرموز إليه ، وجمعه رموز ، ومن ذلك قول الشاعر

[illegible]

وجاء في أساس البلاغة » للزمخشري [illegible]

[illegible]

وجاء في [illegible] العرب من كلام [illegible]

[illegible]

وفي ظل هذه المعاني اللغوية كلها يتبين لنا أن الرمزية في الأدب العربي القديم ، تعني [illegible] الأخبار كالتشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو نحو ذلك ، ونستطيع أن نذكر من أمثلة الأدب الرمزي بهذا المعنى القديم ما يأتي

الأقاصيص نسجها الخيال حول بعض الأمثال

ـ الأقاصيص التي نسجها الخيال العربي حول بعض الأمثال العربية التي جاءت على لسان حيوان أو نبات أو جماد ، لتوضيح تلك الأمثال والكشف عن هدفها أو مغزاها .. مثل الأقصوصة التي تدور على لسان الأفعى [illegible]

[illegible] ، والمثل القول على لسان الثور الأسود [illegible]

[illegible] الضبع [illegible]

الأرنب و الثعلب والضب [illegible]

اقاصيص الحيوانات والطيور

ب – قصص او اقاصيص الحيوانات والطيور التي يرمز القصاصون بها في شعرهم او نثرهم الى بعض الشخصيات او الحوادث او المعاني او ما الى ذلك ، كما نرى في كتاب « كليلة ودمنة » نثرا او شعرا ، و « الصادح والباغم » شعرا لابي يعلى محمد بن محمد الهباري المعروف بابن الهبارية والمتوفى سنة . . ه .

ومن هذا القبيل في عصرنا الحديث ما ترجمه محمد عثمان جلال (١٨٢٨ – ١٨٩٨ م) شعرا من امثال « لافونتين » La Fontaine وهي اقاصيص شعرية انطق بها بعض الطيور والحيوانات للعظة والعبرة – كما يدل على ذلك اسمها « العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ » وما قاله احمد شوقي من الاقاصيص الشعرية التي تبلغ (ستة وخمسين نصا في خمس وخمسين قطعة) ، ولعل الشاعر عبر فيها عن لفتة في سائر شعره ، وانه قد يصح فيه للشاعر أن يرمز ، واحسبه في بعض ما قص من هذه الحكايات الشعرية كان يرمز لبعض ما مر به من كيد الناس له في حياته وعرض به . وما قاله احمد شوقي ايضا في مسرحيته « كليوباترا » تحت عنوان « نشيد الموت » الذي تغنى به « انطونيو » شاكي الفتك بعد مصرع انطونيو .. وفي هذا النشيد يرمز شاعرنا احمد شوقي الى الموت بزورق صيغ من العبير ، ووشي شراعه من الفضة ، وجرت ساقه بنه الفضة ذاتيه :

ومن الشعر الرمزي بهذا المعنى القديم بعض الاشعار الصوفية قديما وحديثا ، واشعار رواد ادب المهجر ولا سيما جبران خليل جبران وايليا ابو ماضي ، وميخائيل نعيمة ، وامين الريحاني ... وقد ذهب الاستاذ مارون عبود الى ان جبران خليل جبران هو الذي ادخل في لغة القصاد مدرسة الرمزية ... وهذا ما نختلف معه فيه ، لان رمزيه جبران وكذلك رمزية ادباء المهجر ليست الا رمزية بمعنى اللغوي او الادبي القديم .

الرمزية بمعناها الفني الحديث

اما الرمزية بمعناها الفني الدقيق الحديث فقد عرفت – اول ما عرفت – في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وظهرت بواكيرها في « ازهار الشر » لبودلير Baudelaire عام ١٨٥٧ ، وقد شهد له فيكتور هوجو بانه قد « بعث الفن برعشة جديدة » ثم ظهرت في الشعر العربي – اول ما ظهرت – في شعر اديب مظهر وسعيد عقل ، ومن اليهما في لبنان ... كما ظهرت في شعر بشر فارس وحسن كامل الصيرفي ومن اليهما في مصر ... ونرى في ضوء الاسماء الآتية لهؤلاء الشعراء الرمزيين بالمعنى الفني الحديث لكلمة « الرمزية » ان البون شاسع بين الرمزية الحديثة التي هي سمة كلية للاسلوب والرمزية القديمة التي هي سمة

.. وقد سلف لها بعد

فيما مر بنا .. ويمثل لها احسن ما اختبره مارون عبود وعيسى الناعوري من الرمزية بمعناها الحديث وما هو الا من الرمزية بمعناها القديم – كما ارى – :

امثلة من رمزية جبران

كلمة « الغاب » التي رمز بها جبران الى الحياة المتحررة من الوهم والضلال والظلم ، وكلمة « البحر » التي رمز بها الى الطموح اللانهائي ، وكلمة العاصفة التي رمز بها الى قوة جبارة فوق القوى الانسانية... والحكايات الشعرية المهجرية الرمزية التي يكفينا منها هنا قول ابي ماضي :

قال التراب وقد رأى كثب الورى

لم لا احيد عن المسير منته ؟
ما الفرق بين صاحبه وصاحبي ؟
اني اشد قوى واصلب منكبا
فعلام سار السائر عن سعادتي ؟

كم في السواقي من شبيبة للظما
فعلام ليس لها مقام الرواء ؟
ليس المطرف من الحصوم ... له
السر كسر السرفي الارواح

فليس من الدقة في الحكم ، أن نصير جبران خليل جبران أو غيره من شعراء المهجر آباً أو رواداً للرمزية بمعناها الفني الاصطلاحي الدقيق .. لأنها لم تظهر بهذا المعنى إلا في مطالع الربع الثاني من القرن العشرين ، وقد ظهرت — أول ما ظهرت — في شعر أديب مظهر الذي اعتبره الرائد الأول للرمزية الفنية الحديثة في الشعر العربي وقد نقل الأديب اللبناني صلاح لبكي قصيدة أديب مظهر « نشيد السكون » في كتابه « لبنان الشاعر » ص ١٧٤ ، ١٧٥ وهي أول قصيدة في الشعر العربي تمثل الرمزية الحديثة — فيما نرى — بجمعها بين « النشيد » و « السكون » للايحاء وهو كالجمع بين النقيضين ومطلعها

[illegible]

واستدل الأسف بالأدمع

واسمع عزف اليأس في أضلعي

[illegible]

ومنذ عام ١٩٢٢ أخذ الشاعر اللبناني الآخر سعيد عقل بنشر قصائده الرمزية في بعض المجلات اللبنانية .

كما أخذ الشاعر اللبناني الثالث صلاح لبكي بنشر بعض قصائده الرمزية التي ظهرت عام ١٩٣٨م وحسبنا منها « أرجوحة القمر » .

رمزية بشر فارس

ومنذ عام ١٩٢٤ أخذ بشر فارس ينشر في مصر بعض القصائد الرمزية التي نراها في مجلات مجلة « المقتطف » ومنها « الذكرى » « والسحر » و « الخريف في برلين » كما أخذ الشاعر المصري الآخر حسن كامل الصيرفي ، ينشر بعض مقطوعاته الشعرية الرمزية التي نراها مثلاً في ديوانه « الألحان الضائعة » الذي قدمه الدكتور أحمد زكي أبو شادي بقوله ، [illegible] ومن قصائده الرمزية في هذا الديوان « [illegible] » و « [illegible] » و « [illegible] » ومن قصائده الرمزية في ديوانه الآخر [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وختامها

[illegible]

[illegible]

رمزية علي محمود طه المهندس

وشاعرنا علي محمود طه المهندس ، تظهر رمزيته أحياناً قليلة في اعتماده على ما يسميه الرمزيون والنقاد « التراسل بين الحواس » [illegible]

والتمني والظلال موسيقا أصاخ لها سمعه الرهف في بعض قصائده بديوانه « شرق وغرب » والضياء — وهو شيء منظور — قد أرهفه الشاعر كما رهف السراب في مطولته الشعرية الأسطورية « أرواح وأشباح » ص ٨٠ وما بعدها . ومن هنا قال الدكتور محمد مندور أن هذا الشاعر ، يصدر في شعره أحياناً عن المذهب الرمزي ، ويجمع بين المتناقضات في شعره كما صنع « بودلير » من قبله

— فكما اختار «بودلير» لديوانه اسم«أزهار الشر» اختار شاعرنا المهندس للشر زهرة في قوله» .

[illegible]

[illegible]

ب — وكما جمع « بودلير » بين النور والعتمة في قوله :

« النور القاتم » جمع المهندس — وبالمثل — بين «العتمة» و «الهاوية» في قوله

[illegible]

[illegible]

وللدكتور محمد مندور الحق كل الحق ، في تساؤله — وهو الناقد الأدبي الذواقة — « ما هذه الهاوية ؟ وهل لها حقيقة صورة واضحة في خيال الشاعر ، أم هي صنعة المذهب ؟ » .

رمزية الهمشري

ومن الأشعار الرمزية لشاعرنا المصري المرحوم عبد المعطي الهمشري مطولته الشعرية « شاطئ الأعراف » وقصيدته « التاريخية القاتلة » التي منها قوله بأختها .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهفت عليك الروح في وادي الأسى
لتعب من خمر الأريج الأبيض

ورمزية ابراهيم ناجي

وشاعرنا الدكتور ابراهيم ناجي له من الأشعار الرمزية القصيدة المشهورة «العودة» التي منها

موطن الحسن ثوى فيه السأم
وسرت أنفاسه في جوه
وأناخ الليل فيه وجثم
وجرت أشباحه في بهوه

وقصيدته «زازا» التي يقول فيها مخاطبا حبيبه الذي هجره ـ وما أقسى وما ألذ هجر الحبيب .

لا تنثني [illegible]
في [illegible] ناعم
لا تنثني [illegible]
في [illegible]
لا تنثني [illegible]
في [illegible]

رمزية أبي ريشة

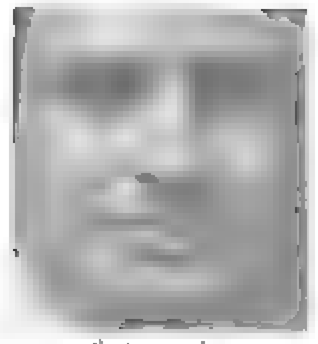
وما أروع القصائد الرمزية لشاعرنا السوري عمر أبي ريشة

منها قصيدته «الغراب الأكبر» وقد رمز بالغراب الأكبر الى العقل الباطن ، الذي يعطل عقله ، ويحدث أثره ، حيث يقف الادراك وقد مهد عمر أبو ريشة لهذه القصيدة بقوله :

« رآها في معرض » ، وفي لحظة خاطفة ، شعر انه عاش مع حبها الوحشي في عصر من العصور ، وقذف عقله الباطن ، هذا الغراب الأكبر ، الى ذلك المحور الخفي بالكلمات الثلاثة النيل ، المجد ، الكمال ، [illegible] الا [illegible] فظنه يهلل .

فكم [illegible] في [illegible]
وما [illegible]

وقصيدته « ليلى » التي مهد لها هي الأخرى بكلمة من عثمان الجاحظ مؤلف « الحيوان » « [illegible] في نفسي » وقد رمز شاعرنا المبدع بهذه القصيدة الى نفسه ، وكيف حالت الأيام والظروف دون تحقيق آماله في الدنيا فزهد فيها ، ويرتقب من اتخذ شريكة له في هذه الحياة



علي محمود طه

اشفاقا منه على أبنائه من هذه الشريكة أن يصيبهم ما أصاب أباهم من الذل والهوان ، فليبكِ في حياته كهذا الشكل الذي :

[illegible]

من [illegible] الدهر ومن [illegible]
في [illegible] الأدرا
[illegible]

الرمزية في نظر العقاد

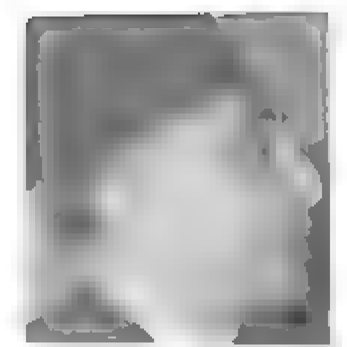
وقد سئل الأستاذ عباس محمود العقاد عن الرمزية فقال رحمه الله ـ كما في كتابه « يسألونك » ص [illegible]

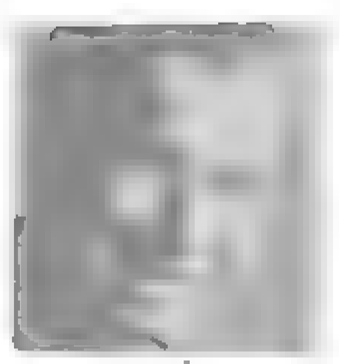
[illegible] بالرموز [illegible] الكتابة بالحروف [illegible] الكتابة الأولى [illegible] الا بالرموز [illegible]

[illegible] الأشياء ـ [illegible]

ثم قال العقاد : [illegible] بالرمزية [illegible] القرن الحاضر [illegible]

[illegible] جميع العصور ..


إبراهيم ناجي


عمر أبو ريشة


عباس محمود العقاد

لقد راج مذهب الرمزيين هذا في أواخر القرن الماضي ، فظهر الرمزيون [illegible] في ابتكاره ، وتذرعوا بما يسمونه من أسرار النفس التي لا تبرز على وجوه الكلمات ، ويسمونها إلى عالم الوحي والإيحاء الذي اعتمدوه في سبيل تمثيل المحسوس والروح الساري على سمت الأساليب ، وقد كان الرمزيون على حق لولا الغلو الذي يندفع إليه أصحاب [illegible] يتصدون لحرب المدارس الأخرى فيعدلون عن معنى التعبير في أصل الفن ، فالأدب لا يستغني عن الوحي والإشارة ، وأبدع الفن ما يجمع الكثير في القليل ، ويطلق الذهن من وراء الظواهر العرضية إلى المعاني المتعددة التي توحيه الحس الظاهر ولا تحويها جميعها إلا على سبيل [illegible] .

ولكن هذه المدرسة قد وسادت في الغلو حتى عادت من [illegible] الغموض والتعمية [illegible] مقصودا لذاته ويؤثر كل من [illegible] لم ير مدرستهم طويلا وستختفي في الأدب الفرنسي بما سيختفي في آداب الأمم التي انتقلت إليها

الرمزية الحديثة في كتاب الحاني

وجاء في كتاب (من مصطلحات الأدب الغربي) للدكتور ناصر الحاني ص ٦٩ — ١٨ — أن هذه الرمزية الحديثة تغالي في تقدير الجمال وتحرص على الوحدة بين العالم الخارجي والعالم الداخلي (عالم الوعي الباطن) ومن مساوئها أنها أبعدت الشعر عن الجماهير ومدركاتها .

وزكي طليمات يقول

وقال زكي طليمات :

« الرمزية أحد الاتجاهات الفنية في الإصطناع والتمثيل تهيء وسيلة من وسائل التعبير عن [illegible] النفس ، بمنظور الرمز [illegible] إلى تيار العقل الباطن والشعور والعاطفة في [illegible] وتسجيل أصداء [illegible]

ملخص القول

ومهما يكن من أقوال في « الرمزية » فالذي أريد تقريره هنا في إيجاز ما يأتي :

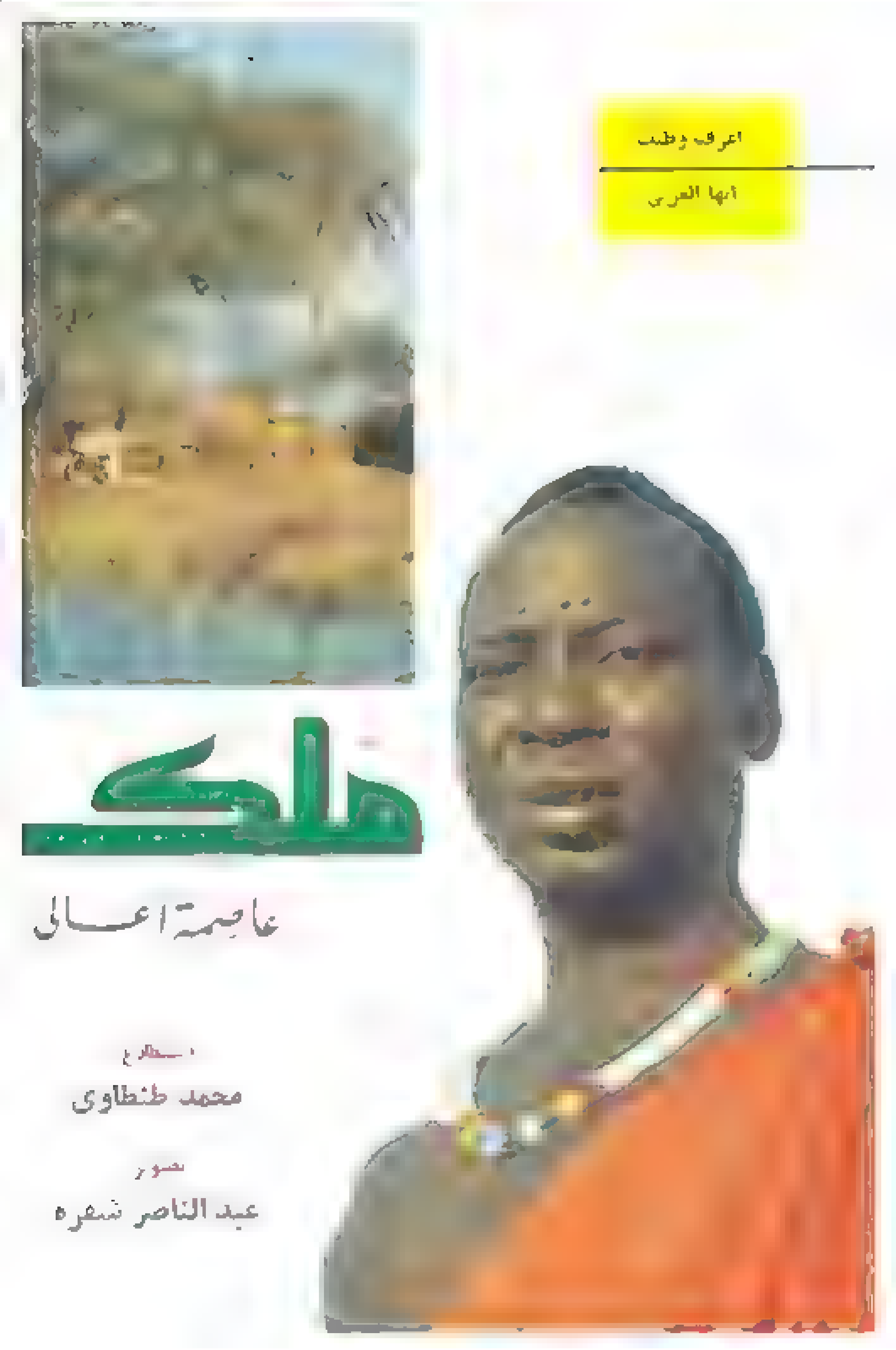
١ — الرمزية الحديثة في الشعر العالمي أهم مذهب أدبي بعد الرومانتيكية وقد أحدثت في الأدب المعاصر آثارا لا يستهان بها .

٢ — وهذه الرمزية الحديثة ، لم تنسخ القيم الجمالية الفنية في المذاهب الأدبية السابقة عليها ، وإنما اقتبست منها ، ثم أضافت إليها ثروة فنية جديدة ..

٣ — إسراف بعض الرمزيين وغلوهم بالجنوح إلى الغموض والتعمية والألغاز أساء إلى هذا المذهب الأدبي أبعد إساءة

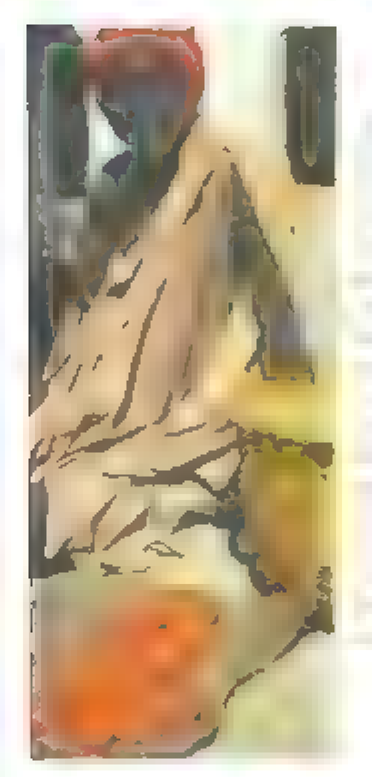
٤ — رأي الأستاذ العقاد في الرمزية الحديثة رأي متزن معتدل وقور منصف ... وهو أقوم مثلا من الرأي الثائر لعزيز أباظة الشاعر الكبير الذي حمل في مقدمته لديوان (أصداء الحرية) لعبد الله شمس الدين حملة شعواء لا هوادة فيها على الرمزية الحديثة كائنة ما كانت . فلا عجب أن يتصدى له الدكتور محمد مندور ذاهبا في توسط واعتدال « إلى أن الرمزية لا يجوز أن نرفضها كلية أو نقبلها كلية وإنما نرفضها أو نقبلها حسب نصيبها من صدق التجربة الشعرية ، وإخلاص صاحبها في نقل أثرها إلى نفوس قرائه .... » وبهذا الاتزان في الرفض أو القبول .. تتميز الرموز الفنية عن الألغاز ، كما تتميز عن الهذيان والعبث ■

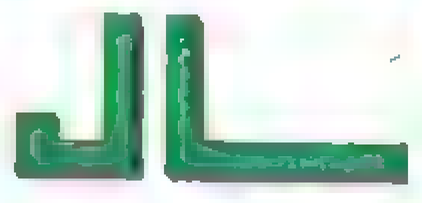
القاهرة — العزالي حرب


اعرف وطنك
أيها العربي
عاصمة أعالي
محمد طنطاوي
عبد الناصر شعره









النيل بالسودان

■ عادات وتقاليد غريبة توارثها الابناء عن الآباء والاجداد .. لغات ولهجات عديدة تختلف باختلاف القبائل .. تعتبر [illegible] لا [illegible] ولا [illegible] ولكن تستخدم [illegible] العملة الذهبية و الورقية مهورا للزواج ..

كثير من [illegible] ولم [illegible] الاراضي الصالحة للزراعة لا [illegible] بعضها احد [illegible] وتنمو فيها الاعشاب والاشجار البرية .. اعشاب نيلية تتراكم على مجرى نهر النيل وفروعه المختلفة لتكون سدودا طبيعية وتعطل مجرى النهر بسبب وبسبب [illegible] الآف الاطنان من الامطار من مياهه التي [illegible] الخير والبركة والعمران للصحاري الواسعة في شمال وادي النيل، وتحول الآف الكيلو مترات الى مستنقعات غير صالحة للسكن .. مؤامرات تحاك في الظلام، ويساندها الاستعمار، لكي تفرق بين الاخوة بعضهم وبعض، ولكي [illegible] على المحاولات الجادة التي تبذلها الحكومة للقضاء على التخلف واستغلال الثروات الطبيعية التي انعم الله بها على هذه البلاد.

اين تقع ملكال في السودان ؟؟

كل هذا وغيره رأته بعثة العربي في زيارتها لمديرية اعالي النيل وعاصمتها ملكال في جنوب السودان .. تلك المديرية التي تبلغ مساحتها ٢٣٦،١٨٠ كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها حسب اخر احصاء [illegible] نسمة (وسكان السودان [illegible]) تقع بين خطي العرض ١٢° و ٦° وبذلك تكون الجزء الشمالي من جنوب السودان ويحدها في الشرق مرتفعات هضبة اثيوبيا، وفي الجنوب المديرية الاستوائية، وفي الشمال والشمال الغربي مديريتا النيل الازرق وكردفان وفي الغرب مديرية بحر الغزال.

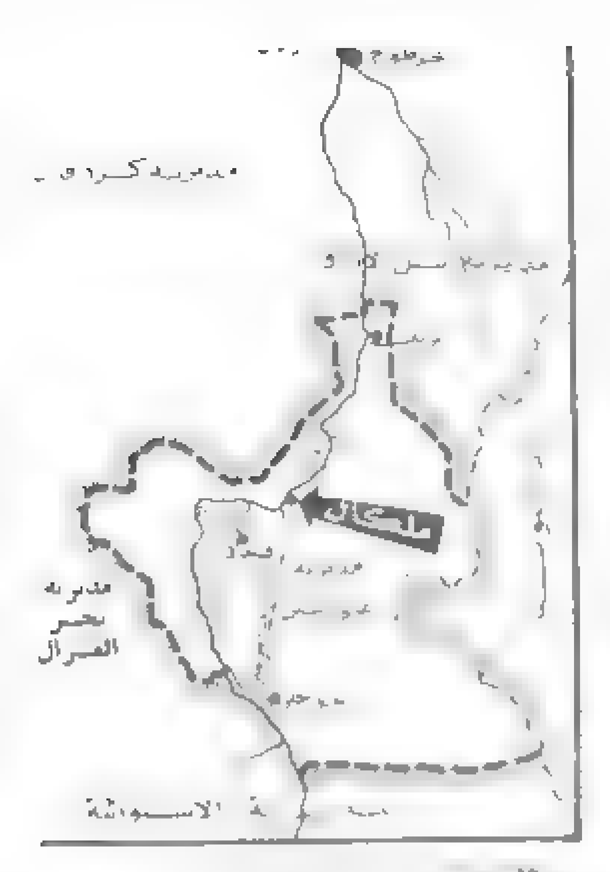
بداية عزل الجنوب عن الشمال

وتمثل مدينة ملكال كل مشاكل جنوب السودان خير تمثيل، وتبين بصورة جلية واضحة الجريمة التي ارتكبها الاستعمار البريطاني طوال اكثر من نصف قرن للفصل بين شمال السودان وجنوبه، وعزل سكان الشمال عن سكان الجنوب، واقامة سدود بين ابناء الوطن الواحد اساسها العمل على زيادة الفوارق الاجتماعية والثقافية والدينية بين السكان.

ولكي نستطيع ان نفهم ابعاد هذه المشكلة التي تواجه السودان الآن لا بد لنا من عودة الى الوراء والى سرد قصة الخطط الاستعمارية الرامية لفصل الجنوب عن الشمال والتي بدأت في نهاية عام ١٩٢٩ عندما وضع الحاكم البريطاني العام



تنقسم ملكال الى عدة احياء منها الحديث المبني بالاسمنت و الطوب الاحمر ومنها القديم المبني [illegible] على الطريقة التي تتميز بها جنوب السودان، و[illegible] سكان مدينة [illegible] قبيلة الشلك [illegible] احد الاحياء [illegible] في [illegible]



للسودان حينذاك سياسة جديدة تقوم على عدة أسس أهمها

١ ـ إلغاء تطبيق القوانين المدنية والرجوع الى العرف و عادية كمصدر للتحكيم بين أبناء الجنوب

٢ ـ العمل على تشجيع الهيئات التبشيرية الحياة القبلية بكل مظاهرها وعاداتها وتقاليدها

٣ ـ نشر اللغة الإنجليزية وجعلها لغة التعليم رسمية بين القبائل الجنوبية المختلفة ومحاربة العربية ، ونفي الأسماء العربية

٤ ـ محاربة العادات والتقاليد التي انتقلت من الشمال الى الجنوب وتشجيع العري والأعياد

٥ ـ نقل كل موظفي الإدارة والمعلومة المعينة للشماليين وابعاد التجار الشماليين من الجنوب

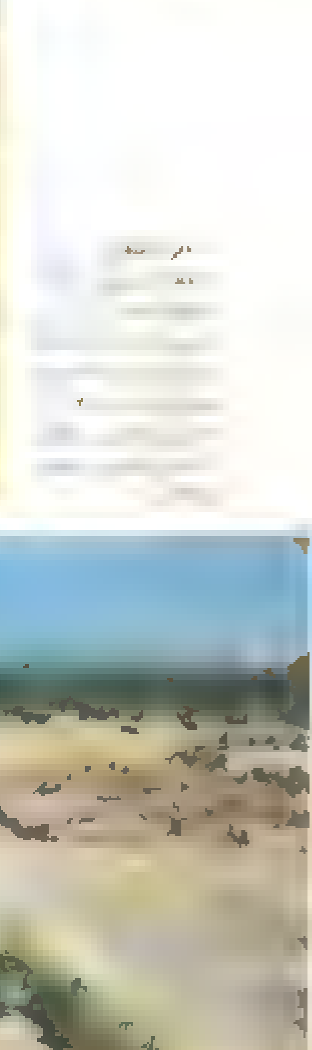
وحدد يوم ٢١ ديسمبر عام ١٩٣٠ موعدا أقصى لاكمال هجرة الشماليين من الجنوب . وبعدها صدرت التعليمات المشددة بعدم السماح لأي شمالي بدخول المديريات الجنوبية إلا بإذن خاص يصدر من السلطات البريطانية .

استغلال الديانات ، كعامل فرقة

بعد أن تم طرد الشماليين من الجنوب ، بعد تنفيذ المخطط البريطاني . وبدأت العمليات الإرهابية على سكان الجنوب من الذين اعتنقوا الدين الإسلامي وتسموا بأسماء عربية .. وبعد فصل كل مسلم جنوبي من أي عمل حكومي سواء .. وفي نفس الوقت عهدت السلطات البريطانية الى القساوسة بالإشراف على عملية التعليم الذي لم يكن يزيد عن التبشير للديانة المسيحية وتعليم اللغة الإنجليزية . ولكي يزداد نفوذ القساوسة بين رجال القبائل وسكان الجنوب عمدت الإدارة البريطانيـة الى تخفيض مرتبات العاملين بالجنوب ، بحجة أن سكانه لا يستحقون أجورا عالية ، وأصبح أجر العامل اليومي لا يزيد عن ٣ قروش .. وازداد البؤس بين الجنوبيين بسبب انخفاض دخولهم .. وهنا تنفيذا لهذا المخطط الذكي ، تدخلت القساوسة وقدمت لهم المساعدات المادية والعينية وسدت العجز الذي نشأ عن تخفيض مرتباتهم .. وبذلك تم دعم سيطرة القساوسة على العاملين في القطاع الحكومي بالمدن .

بداية التمرد بعد اعلان الاستقلال

استمر عزل جنوب السودان عن شماله حتى جاءت اتفاقية القاهرة في عام ١٩٥٤ والتي تم بمقتضاها الاتفاق على جلاء قوات الاستعمار عن السودان . وهنا أراد الاستعمار أن يلعب لعبته التي مهد لها طوال ربع قرن وذلك بإثارة الفتنة في جنوب السودان .. وهنا استغلت بريطانيا الفرقة الجنوبية من الجيش السوداني وكلهم من أبناء الجنوب ، وأسقطها كثير منهم من الانضباط ، لتفجير التمرد في شهر أغسطس عام ١٩٥٥ ، وذلك لكي تتخذ من هذا الحادث حجة للتدخل وإلغاء بنود اتفاقية ١٩٥٤ . ولكن الحكومة السودانية تمكنت من السيطرة على الموقف بسرعة على أساس أن التمرد مسألة داخلية بحتة وبذلك قطعت الطريق أمام التدخل الأجنبي .





مشكلة الجنوب والحكم الوطني

تطورت مشكلة الجنوب بعد الاستقلال .. فبعد ان نثر الاستعمار البريطاني بذور الفرقة .. والانقسام بين الشمال والجنوب ، كان من الطبيعي ان تنمو هذه البذور وسط التربة الصالحة التي اصطنعها الاستعمار على اسس من من التفرقة الدينية والعادات القبلية والمخاوف الموهومة من استغلال الشمال للجنوب .. وكان من الطبيعي ايضا ان تزداد حدة النمو بعد التمرد الذي قامت به الفرقة الجنوبية وكان من نتيجته قتل عدد كبير من الشماليين هم ونساؤهم واطفالهم .. ومرت مشكلة الجنوب بمراحل عديدة ، واتخذت معالم سيئة لاخطاء وقعت فيها الحكومات المتتالية التي تولت حكم السودان بعد الاستقلال .

بداية الحركات الانفصالية

لقد تم استقلال السودان ولم يكن في الجنوب سوى مدرسة ثانوية واحدة ، مع العلم بأن الجنوب بمديرياته الثلاثة يشكل نحو ٢٦٪ من مساحة السودان كلها . ويبلغ مجموع سكانه حوالي ٤ مليون نسمة (حسب الاحصائيات التقديرية الاخيرة) اما المدارس الابتدائية فان عددها لم يكن يتعدى العشرة .. وكلها تابعة للكنائس والبعثات التبشيرية . لم يكن هناك سوى عدد لا يزيد على اصابع اليد الواحدة من الجنوبيين الذين استطاعوا ان يكملوا تعليمهم الجامعي .. اللغة الانجليزية كانت هي لغة التفاهم الوحيدة بين مختلف القبائل .. فلكل قبيلة لغة خاصة بها لا تفهمها القبائل الاخرى .. الرعاية الصحية شبه معدومة .. والاعتماد على اطباء القبائل من السحرة هو الوسيلة الوحيدة للعلاج ..

ونتيجة للحالة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي ترزح اليها جنوب السودان خلال السنوات الطويلة من العزلة عن الشمال تحت حكم الانجليز ظهرت بعد احداث التمرد في عام ١٩٥٥ اصوات جديدة تحاول ان تجد مبررات سياسية لانفصال الجنوب عن السودان . وكانت تبني حججها على ان التخلف الاقتصادي والاجتماعي في الجنوب يخلق هوة سحيقة بينه وبين الشمال لا يمكن تجاوزها عن طريق التكامل ولكن يمكن القضاء عليها عن طريق الانفصال .

كما ان هناك فروقا عنصرية ودينية وثقافية بين الشمال والجنوب تشكل عوائق ضخمة تحول دون تعايش القوميات في الجنوب والشمال في اطار بلد واحد .

المنظمات الانفصالية

وظهرت الى الوجود عدة منظمات انفصالية كانت اولاها منظمة السودان المسيحي Sudan Christian Association وقد اعلن قادتها عنها لجأ بعض الانفصاليين الى اوغندا وكان على رأسهم الاب ساترنيو وجوزيف اودهو ووليم دينق واتخذت هذه الرابطة من الدين ستارا .. واستغلت الطائفة الدينية سلاحا لتلقى العون المادي من المنظمات المسيحية في مختلف بلدان العالم .

ولم تمض ٩ شهور الا وتحولت المنظمة الى حركة سياسية تعمل في سبيل فصل جنوب السودان عن الشمال .

الصراع داخل المنظمات الانفصالية

وفي عام ١٩٦٤ تم انشاء حزب سانو وتم اختيار

ليوبولدفيل في الكنغو كعاصمة مقرا له . وتم انشاء أول تنظيم حربي تحت اسم « جيش تحرير السودان الجنوبي » وهو اساس منظمة «الانيانيا» الارهابية التي قامت بعمليات تخريبية ضد منشآت الحكومة والبوليس في المناطق النائية .

وفي اكتوبر ١٩٦٤ دب الخلاف في حزب سانو (خارج السودان) وظهرت الى الوجود جبهة تحرير ازانيا وهي تضم الاعضاء المنشقين عن حزب سانو ولكن الخلافات دبت مرة اخرى بين اعضاء الجبهة وفي مارس ١٩٦٨ تم تكوين حكومة جنوب السودان الانفصالية برئاسة اقري جادين و ١٥ وزيرا واعلنت انها تعبر ان هناك حالة حرب بين الجنوب والشمال وانها ترى ... مشكلة الجنوب ...

ولم يمر عام الا واستولى وزير خارجية حكومة السودان الانفصالية على رئيس الحكومة اقري جادين وكون حكومة جديدة اسماها حكومة النيل الاستوائية

وفي عام ١٩٦٩ قامت المنظمات المسلحة الانيانيا بانقلاب عسكري على المنظمات السياسية الاخرى والف قائد الانيانيا حكومة اسماها حكومة « انيدي » وهي لفظة تعني الحرب . وكل هذه الحكومات تكونت ونشأت خارج حدود السودان.

ثورة مايو ومشكلة الجنوب

عندما قامت الثورة السودانية بقيادة اللواء جعفر النميري في مايو ١٩٦٩ كان من اهم المشاكل التي واجهتها هي مشكلة الجنوب ، وقد سارعت الحكومة السودانية الجديدة ولم يمض على توليها الحكم سوى اسبوعين بمنح جنوب السودان حق الحكم الاقليمي الذاتي في اطار السودان الموحد ، كما اصدرت عدة قرارات بشأن الجنوب كان اهمها

... وتطوير ... والاجتماعية

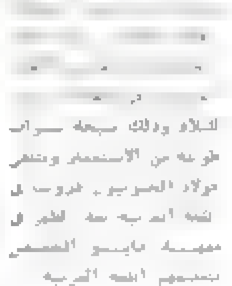
ـ ... الجنوب على الاعمال الادارية ... اسلحة

ـ ... في الاخوة في الجنوب والشمال مع ... الاسلامية ... والامة مراعاة مشاعر ... من ابناء

حديث مع وزير الاعلام السوداني

وقبل ان تغادر بعثة « العربي » الى مدينة « ملكال » عاصمة مديرية اعالي النيل التقت مع وزير الاعلام في حكومة السودان السيد عمر الحاج موسى .. ودار حديث طويل عن جنوب السودان .. وعن دور الدول الاستعمارية في استغلال مشكلة الجنوب وتشجيع المتمردين وامدادهم





للبلاد وذلك نتيجة سنوات طويلة من الاستعمار وتنفير ... الجنوب ... في ... مهمة مايو ... بتشجيع ابناء العرب







بالسلاح والأموال التي تشغل السودان عن القضايا العربية وقضايا التنمية والتقدم .. وقال وزير الاعلام

• ان المخطط الاستعماري في جنوب السودان يهدف الى تحويله دون استعمال [illegible] المنطقة السودانية خاصة بعد ان اصبح السودان من دول المواجهة مع اسرائيل •

الوزير السوداني في حديثه بملكال : ان الدعايات الاستعمارية التي تدعي ان هناك اضطهادا دينيا ضد الجنوبيين المسيحيين لا أساس لها من الصحة . وسيرون بأعينهم كذب هذه الدعايات عندما يزورون الجنوب ..

ان الحكومة السودانية تقوم بحركة تعمير في الجنوب ومشروعات زراعية و [illegible] مستشفيات والمدارس . والآن يزداد الشعور هناك يوما بعد يوم بضرورة التعاون الوطني المخلص مع الجيش السوداني في مطاردة فلول المتمردين الخارجين على القانون ..

واكد الوزير في نهاية حديثه ان القضاء على مشكلة جنوب السودان نهائيا بشقيها العسكري والاقتصادي والاجتماعي امر سيتم في اقرب وقت ممكن .

في ملكال .. عاصمة اعالي النيل

استغرقت الرحلة بالطائرة من الخرطوم الى ملكال حوالي الساعتين وربع الساعة وكان الجو حارا بالرغم من اننا وصلنا في الاسبوع الاخير من شهر ديسمبر الماضي .. وملكال لا تزيد عدد سكانها عن ٢٥ الف نسمة (آخر احصاء رسمي تم في عام ١٩٥٦ يقول أن عدد سكان ملكال هو ٩٦٨٠ نسمة) وهي تقع على الضفة الشرقية للنيل الابيض. ويخترق المدينة شارع رئيسي طويل وشارع آخر [illegible] هو شارع [illegible] وهو [illegible] الذي ترسو فيه البواخر النيلية القادمة من مدينة كوستي الى الجنوب وهي وسيلة المواصلات الوحيدة القائمة والتي تربط بين الشمال والجنوب ، وتستغرق رحلة الباخرة من كوستي الى ملكال ٤ ايام ثم تستغرق ٤ ايام اخرى الى جوبا عاصمة المديرية الاستوائية .

اليوم احد وهو يوم الاجازة الاسبوعية .. الكنائس مملوءة بالمصلين من ابناء الجنوب .. ويتولى القداس قساوسة جنوبيون يتلون مواعظهم باللغات



عمر الحاج موسى وزير الاعلام السوداني

الصلبة العادية .. المنازل جزء كبير منها مبني بالقش على الطريقة المحلية بينما الجزء الاخر مبني بالطوب والاسمنت .. سوق المدينة اشبه بالاسواق الشعبية في مختلف البلدان العربية ؛ الباعة يجلسون على الارض يعرضون بضائعهم امامهم .. كل شيء هنا رخيص كيلو اللحم ثمنه ١٢ قرشا ، الدجاج لا يتعدى ثمن الزوج منه العشرين قرشا ؛ السمك النيلي رخيص جدا .. الناس يرتدون ازياء غريبة بسيطة ويختلف الزي تبعا للقبيلة التي ينتمي اليها كل فرد ..

٣ قبائل رئيسية في اعالي النيل النوير ـ الدنكا ـ الشلك

يسكن مديرية اعالي النيل ٣ قبائل رئيسية هي

النوير والدنكا والشلك وهي قبائل نيلية Nilotic . وهناك قبائل اخرى صغيرة العدد وغالبها نيلية حامية Nilo Hamites وهم البورلي والانواك والبرون . ولكل قبيلة لغتها وعاداتها وطبائعها الاجتماعية والدينية . وهناك ايضا خلافات قبلية تعود الى الماضي البعيد ولكن لا تزال آثارها باقية حتى الآن ..

النوير لا يأكلون الدجاج !

تعتبر النوير من اهم القبائل التي تسكن مديرية اعالي النيل ويقدر عددهم باكثر من نصف مليون

سبعة ، وينقسم قبيلة النوير الى فصائل كثيرة داخل القبيلة .. ويعتقد النوير انهم سقطوا من الارض مباشرة ومعهم بقرة في مكان يعرف بـ « مار » في منطقة غرب النوير ، ويقال ان اثر الرجل الاول منهم وآثار بقرته لا تزال ظاهرة حتى الآن بالقرب من احدى الاشجار هناك . ورزق الرجل الاول بولدين احدهما يسمى « دوينجانق » وهو ابو الدنكا والثاني يسمى « دوينعو » وهو ابو النوير . وكان الرجل يملك عجلا وبقرة وكان يحب ابنه الثاني النويري فاعطاه العجل ، فلما سمع الدينكاوي بذلك صحا مبكرا واستولى على العجل ، وغضب الابن الثاني وشكاه لابيه فعسر عليه والده ان يرد ذلك العجل ولكنه قال « يا بني انك ستقضي حياتك كلها تسعى وراء ذلك العجل وتريد الاستيلاء عليه » وذلك هو السبب في العداء بين النوير والدنكا وفي ان النوير لا يزالون يغيرون على الدنكا ويستولون على ابقارهم .

ويعمل النوير بالزراعة والرعي وهم يملكون قطعانا كبيرة من الماشية . واغلبهم لا يزال على ديانته الوثنية ... ويتميز النويريون بالسلوخ (جراحات الناصد ونبت الفرعا) الثلاثة الافقية على الجبهة ، ولهم عادات غريبة منها انهم لا يأكلون الدجاج على الاطلاق ما عدا الاطفال .. وان لا يزور زوج الابنة حماه او حماته الا مرغما والا فانهما يموتان .. !؟

ويستطيع النويري ان يتزوج اي عدد من النساء كيفما شاء مادام يملك الابقار التي يستطيع دفعها كمهر لعروسه ..

الدنكا اصلهم من قبائل الجعليين في الشمال

تعتبر قبيلة الدنكا من اكثر القبائل عددا في جنوب السودان ، وقد تكون اكبر القبائل في













السودان كله ويبلغ عددهم اكثر من مليون نسمة وهم يسكنون القلب اتجاه مديرية بحر الغزال وانحاء اخرى من مديرية اعالي النيل . ويعد اصل هذه القبيلة الى اماكن متعددة فهم جاءوا من شمال وشرق وجنوب السودان وتجمعوا ليكونوا قبيلة الدينكا .

اما الذين جاءوا من الشمال فهم يعيدون باصلهم الى القبيلة الجعليين ويقولون لن جدهم شخص واحد كان يسمى « العباس » وترك ولدين احدهما احمر والثاني اسود ، وكبر الولدان وكان العباس يملك ابقارا وتعنيه فاعطى لابنه الاحمر السلطة ، واعطى الاسود بعض البقر . وشعر الابن الاسود ان اختاره لا يجد الكلا الكافي لها في الشمال فنزح جنوبا حتى وصل الى حدود مديرية اعالي النيل وبقي في منطقة الرنك .. واصبح جد الدينكا الشماليين اما الدينكا الجنوبيون فقد اتوا من اوغندا .

وللدينكا لغتها ايضا ، وعاداتها ، وتقاليدها ، ودياناتها .. وهم يؤمنون بتعدد الزوجات ويتراوح مهر الفتاة ما بين ٣٠ بقرة الى ٢٠٠ بقرة وعندما يطلق الدينكاوي زوجته فان الابقار التي دفعت كمهر تعاد اليه ومعها ما ولدت !! ويعتقد الدينكا انه لابد لكل رجل ان يترك ابنا قبل ان يموت فاذا مات الشاب قبل ان يتزوج فان احد اقاربه يتزوج باسمه ويلد اولادا يحملون اسم الشاب المتوفي . واذا كان للرجل عدة اشقاء ماتوا ولم يتزوجوا فان عليه ان يتزوج لكل واحد منهم بزوجة قبل ان يتزوج هو . ويتشابه النوير والدينكا في طقوسهم الدينية . والساحر عندهم مرتبة عظيمة ويطلقون عليه اسم «كينا» ويعتبرونه الوسيط بين الاله والناس. ويؤمن الدينكا بان لكل واحد منهم روحا يطلقون عليها اسم «اتيب» ويعتقدون ان الاحلام التي يراها النائم ماهي الا نتيجة لذهاب الروح الى آفاق بعيدة والى تجوالها اثناء النوم . ويعتقدون ان الموت والمرض والمصائب تنزلها ارواح الاجداد بالاقارب اذا نفر منهم ما يسيء الى الاموات.





ويعتقد الدنكا بوجود خالق يسمونه «نيالك» وروح ساحرة يسمونها «جوك» وانهما شيء واحد ولكن يسمى الشيء نفسه عندما يرحمهم يسمى طيب ويسمى جوك عندما يحل بهم الأذى !!

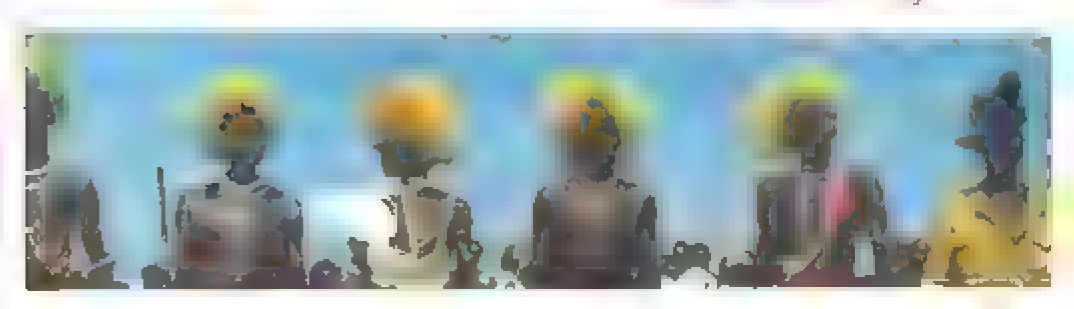
الشلك يكونون اكثر سكان ملكال

يكون قبيلة الشلك اكثر سكان مدينة «ملكال» وهم اقل من الدينكا والنوير في مجموعهم ولا يزيد عدد افراد القبيلة كلها عن ٢٠٠ الف .. ويمتاز الشلك من الرجال بملابسهم الحمراء التي هي عبارة عن قطعة قماش من الدمور الاحمر تربط من على الكتف وتستر جسم الانسان ويطلق على هذا الزي اسم «اللاوو» وترتدي النساء ايضا «اللاوو» ولكنهن يربطنه على كتفهن الايمن بينما يربطه الرجل من على كتفه الايسر . ويزين الرجال والنساء انفسهم بعقود من الخرز الملون يسمونها السكسك !!

والقبيلة الشلك مملكة مرتبة لها قائمة لوقت طويل منذ عام ١٥٠٠ ميلادية حتى الآن .. ويطلق على ملك القبيلة لقب «رث» .. ويبلغ عدد زوجات الرث الحالي ٢٠٠ زوجة !

والشلك قبيلة تعتمد على الامطار وتعيش على صيد السمك .. وهم يؤمنون بان اصلهم بقرة سماء تسمى «دنانج ابوك» وان هذه البقرة هي جدتهم وان الاله «جوك» هو خالقها ومخرجها من النيل .. تقول الاسطورة ان البقرة «دنانج ابوك» انجبت طفلا آدميا اسمه «كولو» وانجب «كولو» ابنا اسماه «اطار» وولد «اطار» ابنا اطلق عليه اسم «دوامول» وورث «دوامول» ابنا يدعى «اوكوا» وهو الذي انجب «نياكانج» مؤسس قبيلة الشلك وزعيمها الاول

وكان لنياكانج قوة خارقة في ادارة مملكته وفكر في زيادة رعاياه فاستعمل قوة السحر التي يقال انه يتمتع بها في تحويل الحيوانات التي



المدمين وكون لصه قبيلة كبيرة من التماسيح وافراس النهر والحيوانات المفترسة والامطار . وعندما كثر عدد قبيلته اعتم المسوخين منهم حتى يحول عامة الناس اسمهم واصبح في قبيلة الشلك اسرتان : اسرة من الحيوانات وتسمى « كول » وهم عامة الشعب واسرة ثانية منحدرة من نيالانجو وتسمى « كواريت » وتعتبر « الشلك » بالعلامات التي في جباههم ونسبة العدد وهي تعمل للرجال والنساء على السواد ، وهم يضيفون اليها بعض الوجه .. لعلها في لها اصلا طوطميا الا انها تميز الفرد من الشلك عن بعض القبائل الاخرى .

تطور سريع

ومدينة « ملكال » وهي لفظة شلكاوية معناها « النهر الواسع » تضم فروعا لكل ادارات الحكومة المختلفة . وهي مدينة هادئة ليس فيها اي مظهر من مظاهر الحضارة سوى السيارات واغلبها من نوع « لاندروفر » لكي تتحمل وعورة الطرق .. وسوى الانارة الكهربائية وشبكة المياه النقية . وبالرغم من عدم الاستقرار الذي تعرضت له كل مديريات الجنوب منذ الاستقلال حتى الآن ، وبالرغم من العزلة التي فرضت عليه طوال سنوات الاستعمار الا ان حكومة السودان تحاول الآن جهدها ان تطور مدن الجنوب وملكال واحدة منها . حركة الانشاء والتعمير تسير على قدم وساق .. مستشفى جديد يبنى .. اجنحة جديدة في المستشفى القديم تقام .. مدرسة ثانوية عليا ستفتتح مبانيها الجديدة في العام القادم .. مشروعات للزراعة الآلية .. وعيادات بيطرية ومعامل لتحضير الامصال الواقية ضد امراض البقر تنشأ .. معهد لتعليم اللغة العربية يبنى في المدينة لتعليم الموظفين الجنوبيين اللغة الرسمية للبلاد ، اي العربية ، بعد ان حرمهم الاستعمار من تعلمها . بحوث اجتماعية للعمل على تغيير بعض العادات الضارة بين القبائل .. اتحادات للعمال وتنظيمات جماهيرية ونواد رياضية ونوادٍ للسينما .. كلها من معالم المدنية الثائرة ..

نهضة تعليمية لمواجهة التخلف

لعل اهم مظاهر التطور في ملكال هو الاقبال على التعليم والمدارس فبالرغم من ان الجنوب لم يكن به اية مدارس سوى مدارس تابعة للكنائس ولا تزيد عددها عن اصابع اليد الواحدة وكان التعليم فيها باللغة الانجليزية فقط ، فان الحكومة بعد الاستقلال عملت على انشاء عدد كبير من المدارس الابتدائية والثانوية في جميع انحاء الجنوب .. وفي ملكال الآن توجد مدرسة ثانوية عليا للبنين ، ومدرسة ثانوية عامة للبنين ، واخرى للبنات و ٥ مدارس ابتدائية للبنين ومدرستان ابتدائيتان للبنات وذلك عدا رياض الاطفال .

والتعليم لم يتحول الى اللغة العربية الا منذ عامين فقط ، بعد ان تمت تصفية كل المدارس التبشيرية في مديرية اعالي النيل .

ويقبل الاهالي على ارسال اولادهم الى المدارس .. وفي العام الماضي وبعد ان تقرر تغيير السلم التعليمي الى ٦ سنوات للدراسة الابتدائية و ٣ سنوات للثانوي العام و ٣ سنوات للثانوي العالي قام الاهالي بالتبرع لبناء الفصول المطلوبة في كل مدرسة لمواجهة هذا التغيير واشترك الطلبة والمدرسون في عمليات البناء ولم تتكلف الدولة اي شيء لمواجهة هذا التطور .

والتعليم يعتبر اساسا من اهم اسس التطور بالنسبة للمجتمع البدائي الذي يسيطر على مديرية اعالي النيل وقد قررت وزارة التربية السودانية تدريس الدين المسيحي باللغة العربية للطلبة المسيحيين في الجنوب .

وبالنسبة لتعريب التعليم كانت هناك مشكلة فالمدرسون من ابناء الجنوب لا يعرفون اللغة العربية ، وانشأت وزارة التربية معهدا لهم لتعليم اللغة العربية على ان تصرف لهم مرتباتهم كاملة طوال مدة دراستهم في هذا المعهد .

اما موظفو الحكومة من الجنوبيين فقد اقيم لهم معهد مسائي خاص تدرس لهم فيه اللغة العربية واطلق على المعهد اسم معهد مايو وافتتحه الرئيس جعفر النميري في عام ١٩٧ اثناء زيارته لملكال .

٢٠ مليون فدان قابلة للزراعة في أعالي النيل وحدها

تتميز مديرية اعالي النيل بانبساط ارضها وكلها سهول ضخمة من « السافنا » وينتشر في هذه السهول اسلوب من الزراعة التقليدية ، يمارسها الشلك بالقرب من مياه النيل وحول قراهم ، فيزرعون الارض لمدة تتراوح بين عامين

او اربعه ثم يتركونها بورا ويعودون لزراعة قطعة اخرى . وبعد ذلك يعودون الى الارض الاولى وهكذا .

اما النوير فانهم يقومون بزراعة قطعة من الارض لمدة عام ، ثم ينتقلون الى قطعة اخرى لمدة عام ويعودون بعده الى القطعة الاولى وهكذا الى ان تجهد الارض فينقلوا مزارعهم الى ارض جديدة .

والدينكا تعمل الزراعة تحت ظل الشجر وخاصة زراعة السمسم وهم يستمرون في زراعة الارض ٥ سنوات متتالية ثم يتركونها بعد ذلك للبحث عن ارض اخرى .

والزراعة في اعالي النيل زراعة مطرية بدائية لا يستعمل فيها الآلات ، وهم يستعملون العصي التي تملأ الارض بالحرق .. ولا تستعمل فيها الاسمدة ولذلك تجهد الارض خلال سنوات قليلة مما يضطر المزارع الى التنقل بحثا عن اراض جديدة .

واهم الزراعات هناك هي الذرة الرفيعة Common Mill والسمسم وبعض الفول .. ومشروع القطن في شمال المديرية باقليم الرنك حيث توجد مشروعات للزراعة عن طريق الري الدائم بماكينات الضخ من مياه النيل . وتقدر مساحة الاراضي القابلة للزراعة في مديرية اعالي النيل وحدها بحوالي ٢٠ مليون فدان ، لا تزرع منها الا اقل من مليون فدان ""

مشروعات الزراعة الآلية

وقد سعت الحكومة السودانية الى اقامة الزراعة الآلية في هذه المناطق وعلى بعد ٥١ كيلو مترا من مدينة ملكال قامت ... مشروع جديد للاعاشة تبلغ مساحته ١٠ آلاف فدان مزروعة كلها بالذرة الرفيعة ويروي المهندس محي الدين عبد الرحمن وهو المسئول عن المشروع قصة هذه الفدادين العشرة آلاف فيقول :

" بدأت قصة المشروع عشرة الآف ... في اعالي ... مساعدة ... [illegible]

مشروع للزراعة الآلية ... [illegible]

... ووجدنا ... الآف فدان ...

... الآلات التي ...

... Seed Dr ... [illegible]



الف فدان تنظر ١٠٠ جنيه

ويستطرد المهندس الزراعي الشاب في حديثه فيقول : ... [illegible] ... الا ... [illegible]

... ارض الى قطعه ٢٦ ... [illegible]









الذرة الرفيعة هي محصول رئيسي في مديرية اعالي



زريبة للأغنام

لن يتم زرع منها سوى مساحة الف فدان .

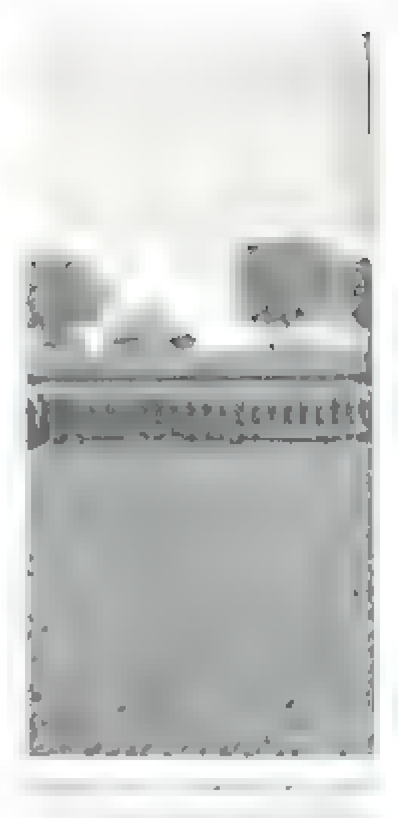
ومن المشروعات الزراعية الجديدة قال المهندس محي الدين أن هناك الآن تجربة جديدة لزراعة ٧٠٠ فدان بساتين مانجو وموالح .. وان نفس الزراعة تقوم بتوزيع بذور الخضراوات مجانا في مناطق الملك والدنكا والنوير . كما ان هناك دراسة حول الاستفادة من ماكينات الري الضخمة لدفع المياه من النيل الى الاراضي العالية التي تقع على ضفتيه وذلك لكي تستمر الزراعة طوال العام »

الثروة الحيوانية .. ثروة غير مستغلة

عندما تسير في شوارع مدينة « ملكال » فقد ساقنا نرى الابقار في كل مكان .. وعند ظهر كل يوم تخترق كميات هائلة من الابقار ذات القرون الكبيرة الضخمة شوارع المدينة عائدة الى حظائرها بعد أن ظلت في المراعي طوال النهار .. ويقدر عدد رؤوس الابقار في مديرية اعالي النيل وحدها بـ ١٫٨٠٠٫٠٠٠ رأس . كما ان هناك ايضا ١٫٦٠٠٫٠٠٠ رأس ماعز وحوالي ٦٠٢ الف رأس غنم و ١١ مليونا من الدجاج . ولكن هذه الابقار لا تلعب الدور الاقتصادي الذي كان ننتظر منها ان تلعبه ، ويعود هذا الى عاملين رئيسيين اولهما يعود الى المناخ والثاني يعود الى النظام الاجتماعي السائد بين القبائل الرعوية . فظروف المناخ تحتم على الاهالي كثرة التنقل خصوصا في فصول الجفاف ، والتي تهب فيها الرياح ويجف الكلا حالا .. وينتج عن هذا الترحال اجهاد الماشية وقد يتوقف نموها خلال هذه الفترة لان افراد القبائل لا يعرفون تخزين العلف اللازم لها .

اما العامل الثاني وهو العامل الاجتماعي فيعود





[illegible] ... تحصين حوالي ٣٠٠ ألف رأس من ... ضد الطاعون

الى التقاليد التي تجعل من الأبقار مهورا لكل من يريد الزواج .. فكل فرد من أفراد القبيلة لا يفرط في أبقاره بأي حال من الأحوال وهو لا يذبح منها طعاما إلا في الأعياد وإلا متضمنا معه القرابين للآلهة. وهو متضمنا بعضها مهرا فإن والد العروسة هو الآخر يحتفظ بها حتى إذا حدث أن طلب ابنه ؛ اضطر في هذه الحالة الى اعادة ما كان أخذه من الأبقار الى الزوج . فهو يعتبر هذه الأبقار أمانة عنده .

وأبقار الجنوب لا تدر كميات كبيرة من الألبان ولذلك فإن هناك دراسات لعمليات تهجين لتحسين السلالات .. وهناك أيضا مشروعات لمصانع الألبان ولكن تقف أمامها عدة عوائق اجتماعية أيضا فعدد كبير من القبائل يعتقد أن حلب البقرة وشرب لبنها قد تجلب له الهلاك !!

وهناك أمراض كثيرة تفتك بالمواشي في الجنوب أهمها الطاعون البقري والالتهاب الرئوي البلوري والحمى الفحمية .. ويقول الدكتور فؤاد رمضان حامد وهو المفتش البيطري في أعالي النيل .. انه قد تم تطعيم حوالي ٣٠٠ ألف رأس بقر ضد الطاعون البقري في المديرية .. وانه قد تم انشاء معمل لانتاج الأمصال الواقية ضد أمراض الماشية في ملكال .. وان الأهالي الآن أصبحوا يقبلون على تطعيم مواشيهم بعد أن لمسوا أهمية هذا التطعيم في حمايتها من الهلاك .. وهناك الآن وحدات متنقلة تقوم بعمليات التطعيم في مختلف أنحاء المديرية . كما أن هناك دراسات اجتماعية تقوم بها وزارتا الثروة الحيوانية والشئون الاجتماعية للقضاء على العادات التي تقف عائقا دون استغلال الثروة الحيوانية الاستغلال الاقتصادي السليم .

منطقة السدود والمستنقعات ومشروع قناة جونجلى

في جنوب ملكال تقع السدود والمستنقعات الشهيرة والتي تحصل مجرى النيل بشعب

ويتشعب ، وتبدد من مياهه الآف الملايين من الأمتار المكعبة سنويا .. وقد ازدادت المستنقعات بشكل خطر حتى ان هناك الآن مشروعات لتهجير الأهالي من منطقة « فنجاك » التي حاصرتها المستنقعات من كل جهة وجعلت الحياة فيها شبه مستحيلة .. وقد بدأت حكومتا السودان والجمهورية العربية المتحدة في احياء مشروع « قناة جونجلي » وهو مشروع قديم ويتكلف نحو ٢٠٠ مليون جنيه . وينقسم هذا المشروع الى مرحلتين ، المرحلة الأولى تشمل اقامة قنطرة حجز على بحر الجبل ، ثم حفر القناة التي تبدأ على نهر الأتم وتصب في النيل الأبيض بالقرب من مصب نهر السوباط .

وتتكلف هذه المرحلة الأولى حوالي ٦٠ مليون جنيه وتسمح بتصريف مياه قدره ٢٠ مليون متر مكعب يوميا أي ما يقدر بـ ٤.٧ مليار متر مكعب مقدرة عند السد العالي . ويستغرق اتمام هذا المشروع ٥ سنوات .

أما المرحلة الثانية فهي مقترنة بمشروعات التخزين في البحيرات الاستوائية وتتضمن التعاون الفني بين كل من السودان واوغندا وكينيا وتنزانيا وبوروندي ورواندا والكنغو كنشاسا . وتوفر هذه المرحلة ٧ مليار متر مكعب مقدرة عند السد العالي .

وهناك عدة مشروعات أخرى نصت عليها اتفاقية عام ١٩٥٩ بين الجمهورية العربية المتحدة والسودان وهذه المشروعات لو تم تنفيذها تستطيع توفير ٣٦ مليار متر مكعب سنويا تضيع في مناطق مستنقعات بحر الجبل والزراف وبحر الغزال والسوباط .

وقد بدأت فعلا الدراسات الفنية اللازمة في تنفيذ هذه المشروعات .

كل ذلك علما بأن القدر الذي تستفيد منه الجمهورية العربية من تخزين السد العالي حاليا سنويا هو ٧.٥ مليار متر مكعب وما يستفيد منه السودان هو ١١.٥ مليار متر مكعب وذلك في الفيضان المتوسط .

مشروعات التنمية هي الحل لمشكلة الجنوب

ونعود مرة أخرى الى مشكلة الجنوب .. والتي يحاول الاستعمار أن يجعل منها قضية دينية .

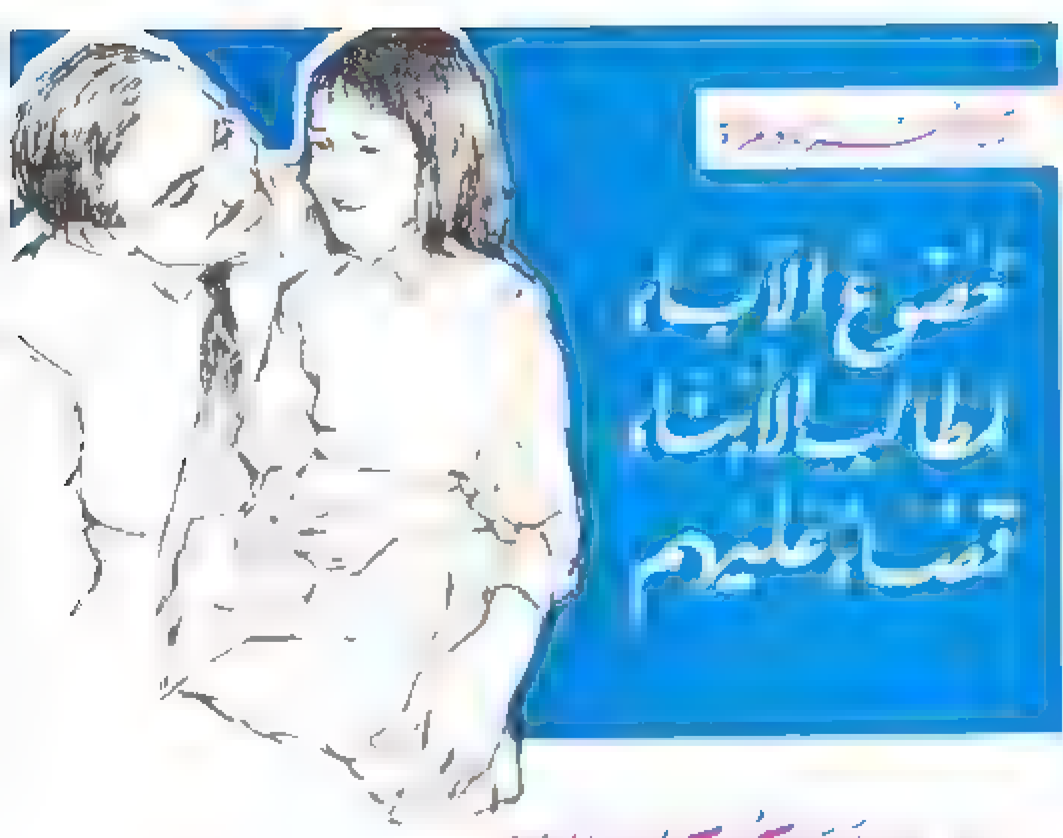
ان عدد المسيحيين في الجنوب لا يزيد على [illegible] من مجموع السكان [illegible] وجميع العادات لهم سوى [illegible] لا توجد اية حرفة دينية هناك لقد قابلت بعض [illegible] في ملكال وكلهم من الجنوب [illegible] ان المشكلة الرئيسية في نظرهم تكمن في النهوض بالجنوب اقتصاديا واجتماعيا، وقابلت عددا آخر من المواطنين الجنوبيين ، وهم الطائفة المثقفة المتعلمة .. انهم يتطلعون الى اليوم الذي تستغل فيه ثروات الجنوب الملقاة تحت الأقدام .. مساحات شاسعة من الأرض تريد من يزرعها .. وثروة سمكية هائلة لا تتطلب سوى مراكب الصيد الحديثة ومصانع التعليب ومعها قد تغني استهلاك عدة دول افريقية الى جانب السودان ..

وفي حديث مع مدير مديرية اعالي النيل مع السيد ملوال مصطفى نائب المحافظ .. كان الأمل في المستقبل وفي مشروعات التنمية هو أساس الحديث .. فبعد أن تحسنت احوال الأمن في عام ١٩٦٤ بدأت في التحسن .. فقال الوطني أصبح الآن في كل مكان يوفر الأمن للمواطنين فقد تم افتتاح ٢٠ نقطة بوليس خلال ٥ سنوات .. وهناك في الخطة الخمسية الجديدة مشروعات ضخمة للتنمية ، والفرص ومع [illegible] المشاريع الزراعية ملكال واستصلاح الأراضي .. الخدمات الصحية في زيادة مستمرة .. هذا العام سيكون هناك مستشفيان كبيران في ملكال وحدها . والآن هناك مستشفى يضم ٢٥٠ سريرا .. المدارس تزداد عددها باستمرار .. اللغة العربية بدأت تحل محل اللغة الانجليزية التي كانت سائدة طوال فترة الاستعمار .

ان ملكال تحاول الآن اللحاق بالمدن العصرية [illegible] وكأنها لا تزال في عصور الظلام !!

حتى شيء واحد لكي تستطيع مقابلة [illegible] كل مدينة في جنوب السودان ان تعرض [illegible] وهذا الشيء هو التخلص من عاداته والتقاليد التي تعمل على تأخير [illegible] وهذا التخلص لن يأتي الا عن طريق التعليم والانفتاح على العالم العصري ، ومشروعات التنمية [illegible] تعطيه حكومة السودان الآن [illegible] تشهد ملكال جوانب في هذه المدنية العصرية .

محمد طنطاوي



دعوا أبناءكم يبكون اليوم
بدلا من أن يعضوا في الغد أصابعهم ندما!

بقلم: منير نصيف

■ هل صحيح [illegible]

هل صحيح [illegible] سلوكهم وتصرفاتهم وحتى نظرتهم لأمور الحياة.

[illegible] هذه الأسئلة وغيرها [illegible] موضوع [illegible] هذه الظاهرة الخطيرة.

[illegible] Edward [illegible] هذه [illegible]

حدد العلة ووضع اصبعه على موطن الداء ، ثم وصف له العلاج ..

سيطرة الابناء

ويرى ليبين ان الابناء يوجهون تصرفات الآباء ويسيطرون عليهم بصورة مثيرة للقلق والازعاج . فقد يسخر الابناء اباءهم لتحقيق وتلبية طلباتهم وتدليل رغباتهم ، دون ان يسمحوا لاحد بأن يبدي رأيا او يجاهر بكلمة اعتراض .. وليت الامر قد اقتصر على خضوع الوالدين وحدهما لثورة الابناء وطغيانهم ، فقد امتدت سلطاتهم واتسعت لتسخر الكثير من المجتمعات المتحضرة التي وضعت كل امكاناتها في خدمة افراد هذا الجيل الجديد من الشباب ، وتحقيق ما يتطلعون اليه من اسباب اللهو والتسلية !

الافراط في الحب

ما هو الدافع لهذه الظاهرة الخطيرة التي باتت تهدد المجتمع وتهز كيان الاسرة هزا ، حتى كادت تعصف به ؟ !

والجواب على هذا السؤال كما يؤكد ليبين ، يتلخص في عبارة واحدة .. انه الحب ! افراط الآباء في حب ابنائهم ، وخوفهم من ان يفقدوا حبهم لهم ، اذا هم اعترضوا على تصرفاتهم ، او اختلفوا معهم في الرأي في اي موضوع او مشكلة تتصل بحياتهم ومستقبلهم !

وحب الآباء للابناء شعور طبيعي ، ولكنه يصبح غير طبيعي عندما يعجز الآباء عن التفرقة بين العاطفة والعقل ! فنجد الام تحنو على صغيرها وتسرف في تدليله حتى تكاد تصبح له عبدة ليس امامها الا ان تستجيب لكل مطلب ولكل رغبة يبديها ! او نجد الاب حاملا طفلته ، وكأنه يحمل الدنيا كلها بين يديه ، فلا تكاد تبدر منها اشارة يفهم منها اشتهاء شيء تشتهيه ، حتى يسارع الى تلبية طلبها ، وهو يتمنى لو انه استطاع ان يأتي لها بالقمر والنجوم لتلهو بهما !

اطفال .. ولكن كبار !

مثل هؤلاء الاطفال ، ستجدهم وراء كل قرار يتخذه والداهم ، رغم حداثة سنهم ، وسذاجة تفكيرهم : فهم الذين يختارون البيت الذي سوف تستأجره الاسرة او تمتلكه ، وهم الذين يشيرون على آبائهم بقضاء عطلة الصيف في المكان الذي يرسمونه ، فقد ذهبوا اليه في العام الذي مضى وفي العام الذي سبقه ، وقضوا فيه وقتا ممتعا ..

ويذعن الآباء لرغبة ابنائهم ، بطريقة شعورية او لا شعورية ، حتى يتصور المرء احيانا ان هؤلاء الصغار هم الكبار الذين يأمرون وينهون ، وان آباءهم هم صغارهم الذين يؤمرون ، فلا يملكون الا ان يطيعوا !

صور من حياتنا

حتى في حياتنا اليومية ، كثيرا ما نرى صورا لامثال هؤلاء الابناء والآباء .. فهناك الاب الذي يصطحب اولاده ليشتري لهم ملابس جديدة ، انه لا يختار ما يراه هو مناسبا لهم ، وانما تراه يقف متفرجا ، تاركا مهمة الاختيار لابنائه الصغار ، حتى اذا ما فرغوا من مهمتهم ، اخرج حافظة نقوده ، ليدفع الثمن !

وهناك الام التي تذهب الى السوق ومعها صغارها .. انها تمر على مختلف اقسام المتجر ، ولكنها لا تمد يدها لتأخذ شيئا .. انها تترك مهمة الانتقاء لابنائها ، فهم الذين يختارون نوع الحلوى التي يحبونها ، والصابون الذي تعجبهم رائحته ، ومعجون الاسنان الذي يفضلونه على غيره .. اما مهمتها هي فتقتصر على دفع ثمن الاشياء التي انتقاها الاولاد ، وكثيرا ما تعود الى البيت وقد نسيت ان تشتري ما ذهبت الى السوق من اجله ! وامثال هؤلاء الابناء والآباء تبقى مشاكلهم صغيرة ما داموا صغارا لم يبلغوا بعد سن الشباب بطيشه ومشاكله .. فهي لا تعدو ان تكون مجرد صورة للطفل المدلل المفسد حتى الفساد !

ثم تكبر المشاكل

ولكن ما ان يكبروا حتى تكبر معهم مشاكلهم وتتغير الصورة ، انها لم تعد صورة طفلة تشكو لأن امها لم تجبها الى طلبها ، او طفل غضب لا يريد

ان يعلم ان اللعب بالنار سوف يحرق اصابع يديه .

انها الآن فتاة في سن المراهقة ، وقد بدأت حياتها تنفتح على دنيا اخرى جديدة ، تختلف تماما عن دنياها الصغيرة التي تركتها وراءها منذ سنوات قليلة مضت .. لقد بدأت غريزة المرأة تتحرك في داخلها ، واحست بهذا الشيء الجديد الذي يشدها الى الجنس الآخر ..

طيش الشباب

وعندما حاول شاب مصادقتها على هذا الطريق الجديد ، وتسير معه خطوة هذا اللقاء ، ويحدث ما لا بد ان يحدث .. ووقعت الفتاة في غرام صاحبها ، واسير احلامها ، وهي واثقة تماما من ان والديها لن يعترضا على هذه الصداقة التي جمعت بينها وبين هذا الشاب الغريب ، حتى لو رفضا لها ظلا طوال ايام حياتها معها ..

وقد تكون علاقتها بصديقها ، مجرد علاقة بريئة ، قائمة على تبادل نظرات الود والاعجاب ، وقد لا تكون ؟

ثم يكتشف الابوان في النهاية هذه الحقيقة التي يحتمل ان تكون قد ظلت خافية عليهم شهورا طويلة دون ان يكتشفا شيئا عنها .. وتبدأ الام تتساءل ، وهي ترى هذا الشيء الغامض في حياة الابنة العاشقة .. ثم تكون المفاجأة عندما تصارحها ابنتها : « نعم يا امي .. انني احب ، واريد ان اتزوج هذا الشاب الذي احبه ! »

موقف الابوين

وتسر الام الى زوجها ووالد ابنتها ! ويتم اللقاء ، وربما لاول مرة ، بين والدي الفتاة وبين الشاب الذي اختارته ابنتهما ليكون زوجا لها .. ويفكر الابوان ، ولكن تفكيرهما لا يطول ، لان الابنة العاشقة لا تترك لهما الفرصة للتفكير في هدوء .. ان هناك اشياء كثيرة تحضرهما ، ولكنهما لا يستطيعان ان يجاهرا بها ؛ فهي مثلا لا تزال صغيرة لم تكمل تعليمها الجامعي بعد ، وربما كان الشاب الذي اختارته غير جدير بها ، فهو ايضا لم ينته من دراسته او ان الوظيفة التي يشغلها لا تدر عليه اجرا يكفي لمواجهة مطالب الحياة ومشكلاتها ..

ولكن ما حيلتهما وهما يريان ابنتهما متيمة بحبه ، وهي تؤكد لهما في كل مناسبة انها لن تجد السعادة التي تنشدها الا مع هذا الشاب الذي كان اول عابر يطرق باب قلبها الصغير !

ويوافق الابوان على الزواج - ويباركانه ، فهما لم يحبا ان يرفضا لابنتهما طلبا ، ثم ماذا يملكان لها من هذه الدنيا غير تلك السعادة التي تحدثت عنها ، والتي راءاها تسبيها المرتجاة في حياتها المقبلة معه ؟ ؟

السحابة تنقشع

وتمر الايام ، وتفاجأ الصغيرة بحقائق الحياة ، فلا تلبث ان تدرك مدى الخطأ الكبير الذي ارتكبته في حق نفسها ، وفي حق والديها .. لقد اساءت الاختيار .. لقد تسرعت في حكمها على هذا الشاب الذي اختارته .. انه ليس بالرجل الذي توقعت السعادة معه في حياتها .. فهو لم ينل من العلم والثقافة الا القدر اليسير ، لم تربه ! .. انه لا يكاد يكفي ضروريات الحياة ..

وتنقشع السحابة التي كانت تخفي عن عينيها حقيقة شخصيته قبل الزواج ، وتصحو الفتاة من نومتها القصيرة ، وتحاول ان تصلح ما افسده تسرعها وطيشها ، ولكنها لم تجد احدا يقول لها « لا ، ان هذا الشاب لا يصلح لك زوجا يا ابنتي »

فشل الشباب

وما يحدث لمثل هذه الفتاة يحدث للشاب ايضا ، فكما يبدو من خلال هذه القصة ، يتضح ان السبب الاساسي لفشل الشباب في الحياة ، هو عزوفهم عن اتمام تعليمهم الجامعي ، الذي يؤهلهم لحياة افضل وكسب اوفر ، ورغبتهم في الخروج الى الحياة العملية قبل استكمال دراستهم ، رغم انف والديهم !

وقد كان من الممكن ان ينجو مصير مثل هذا

الشاب وحياته ومستقبله ، او انه كان ابنا لاب حازم ، يعرف متى يقول نعم ، ويعرف متى يقول لا ، دون ان يسمح لنفسه بان ينساق وراء عاطفته نحو ابنه !

الخلاف بين الوالدين

يستعرض الدكتور سيمون الفرنز ، استاذ علم النفس ، ان هناك حالات اخرى ، يتسابق فيها الابوان على كسب حب ابنائهما لهما ، والمبالغة في اظهار عواطفهما نحوهم .. وفي مقدمة تلك العوامل التي تتحكم في تصرفات الوالدين ومسلكهما ازاء ابنائهما ، ان يكونا غير موفقين في زواجهما ، فالشجار والخلاف المستمر بين الوالدين ، يدفع كلا منهما الى العمل على كسب عطف الابناء وحبهم ، حتى لو كان هذا على حساب سعادتهم ومستقبلهم !

فالام التي تشعر ان زوجها لا يحبها ، تحاول ان تعوضه الى ابنائها ، عن طريق الاستجابة الى كل طلباتهم مهما كلفت ومهما كان الثمن الذي ستدفعه مقابل شعورها بانهم قد عوضوها عن حب والدهم لها ..

وكذلك الاب الذي يشعر بان زوجته وام ابنائه تنفر منه وتكرهه ، لا يتردد عن القيام بنفس الدور مع ابنائه !

شراء الحب

وعندما يحاول الوالدان ان يشتريا حب ابنائهما ، يرتفع سعر هذا الحب ويظل يستمر في الارتفاع ، وخاصة عندما يدرك الابناء انهم امام تجربة جديدة .. تجربة ابتزاز من نوع غريب فهم لا يعطون حبهم الا لمن يدفع اكثر !!

وتكون النتيجة كارثة بالنسبة لمستقبل هؤلاء الابناء انفسهم !

كيف نجنب ابناءنا خطر هذا الحب الذي نسخو في منحه احيانا ، او نحاول ان نستجديه منهم في بعض الاحيان ؟

حكم بالاعدام

يقول ليمين ان نظرية خضوع الآباء هي حكم بالاعدام على الابناء .. فقد دلت الاحصاءات على ان ٨٠٪ من بين هؤلاء الابناء الذين سمحنا لآبائهم في منحهم كل حبهم وعطفهم وحنانهم ، قد فشلوا في حياتهم العلمية والعملية والعاطفية ..

ان ما يحتاج اليه الابناء في مختلف مراحل حياتهم الى جانب حب آبائهم لهم ، هو التوجيه والارشاد والقدرة على ان نقول لهم لا عندما يسلكون الطريق ، حتى لا نجعلهم يتصورون ان الدنيا كلها قد اصبحت ملكا لهم !

ان مفتاح التربية الصحيحة السليمة الذي يمكن ان يؤدي الى ايجاد جيل صالح من الشباب ، هو الطاعة والنظام .. فهو دستور الحياة ، وهو شيء يجب ان يتعلمه الطفل وهو ما يزال في مهده حتى قبل ان يخطو اول خطواته على الارض .. فالطفل .. اي طفل في حاجة لان يشعر دائما بان هناك من هو اقوى منه ، واكثر منه عقلا .. انه يريد ان يشعر ان هناك ذراعا قوية يستطيع ان يعتمد عليها ، ويستند اليها حتى في غضبه وبكائه ..

قل لابنك لا !

فاذا جد الجد ، فقل ولا تخف .. قل لابنك لا .. لن تفعل هذا .. او لن تأخذ هذا الشيء ، لانه ليس ملكا لك ، او لان في امتلاكك له خطرا عليك !

وقد يحتج ، وقد يبكي ويمسك باذيال امه مستغيثا .. ولكن اليس من الخير ان يبكي الآن ، بدلا من ان يعض اصابعه ندما حيث لا ينفع الندم .

ان دموع الشاب او الفتاة في تلك المراحل المبكرة من حياتهما هي تعبير عن الم تصور احدهما او كلاهما انه قد فقده ، ولكنها ستتحول فيما بعد الى اعتراف بالجميل ، فهما لن ينسيا ابدا ان هذا الموقف الحازم من جانب ابويهما انقذ حياتهما وانقذهما من مغامرة طائشة يمكن ان تتسبب في تحطيم مستقبلهما وربما تودي بحياتهما ! ■

منير نصيف



ت التأنيث وبعض معانيها

١ ــ عالم ، عالمة ، محسن ، محسنة ، جميل ، جميلة .

التاء في كل هذه الألفاظ للتأنيث .

٢ ــ غلام ، غلامة ، امرؤ ، امرأة ، طفل ، طفلة .

التاء في كل هذه الألفاظ أيضا للتأنيث .

٣ ــ بقرة ، جرادة ، بطة ، حمامة

التاء هنا ليست للتأنيث لأن كل لفظ من هذه يشمل الذكر والأنثى فالبقرة تشمل الثور والحمامة تشمل ذكر الحمام وهلم جرا .

وفي هذه الأحوال إذا أردت أن تشير إلى ذكر الحمام تقول هذه حمامة ذكر ، أو تقول هذه حمامة أنثى

واسم الجنس من هذه بقر ، جراد ، بط ، حمام .

٤ ــ رجل علامة ، ونسابة ، وراوية وفروقة ، وملولة .

التاء هنا ليست للتأنيث ، وإنما هي دالة على المبالغة فهو كثير العلم ، بارع في الأنساب والرواية ، وكثير الفرق والخوف ، وكثير الملل .

وفي الشعر في وصف المذكر

[illegible]

وتترك ذا الرأي الأصيل [illegible]

وفي وصف المؤنث قال سويد بن كراع [illegible] يرثي امرأته أم العلاء :

امررْ على الجدث الذي حلّت بــه

أمُّ العلاء فنادها لو تسمـــع

أنّى حللت وكنت جدّ فروقة

بلدا يمرّ به الشجاع فيفـــزع

صلّى عليك الله من مفقـــودة

إذ لا يلائمك المكان البلقـــع

فقد تركت صغيرة مرحومـــة

لم تدرِ ما جزع عليك فتجـــزع

فقدت شمائل من لزامك حلوة

فتبيت تسهر أهلها وتفجّـــع

[illegible]

[illegible]

« قال التبريزي في شرح حماسة أبي تمام : أنى حللت أي كيف حللت ومن أين . وفروقة بناء للمبالغة ودخول الهاء فيه زادها مبالغة » وهي كما رأينا يوصف بها المذكر والمؤنث . وقال المرزوقي في شرح حماسة أبي تمام وفروقة بناء للمبالغة وازداد بها بدخول هاء المبالغة » .

وفعول بدون دخول التاء قد يشمل المذكر والمؤنث أيضا قال حميد بن ثور في وصف الأنثى :

رأتني مجنّيها فصدّت مخافة

وفي الخيل روعاء الفؤاد فروق

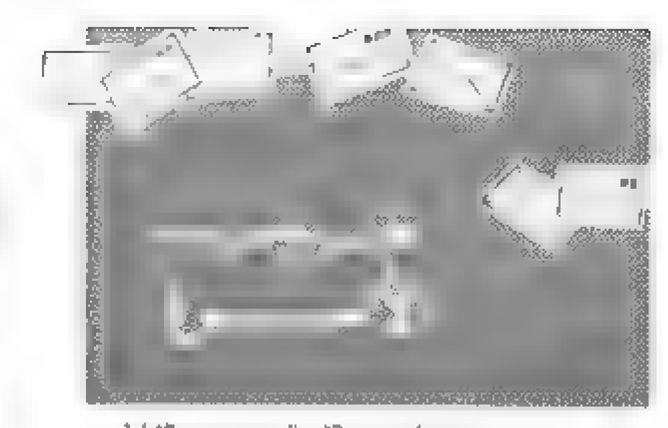
٥ ــ المناذرة ، المسامعة ، المهالبة ،

التاء هنا للنسب ، فالمناذرة الجماعة الذين نسبوا إلى المنذر ، والمسامعة إلى مسمع ، والمهالبة إلى المهلب .

وتاء التأنيث في كل ما سبق تنطق هاء عند الوقوف عليها ، إلا ما شذ من بعض اللهجات العربية التي تقف عليها بالتاء الساكنة . وهذه تفسر نطق لفظة « الحياة » بسكون التاء عند الوقوف عليها عند بعض الأقاليم العربية كلبنان .

وأصل الوقوف بالتاء الساكنة يرجع إلى قبائل حمير كما قال ياقوت في معجم البلدان عند الكلام على « ظفار » . ■■

عبد الستار أحمد فراج



نجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

الآلام الوخزية في الصدر لاعلاقة لها بامراض القلب

● تعتريني من آن الى آخر آلام وخزية كالسكين في صدري وتنتقل من مكان الى آخر — فهل لهذه الوخزات اي علاقة بامراض القلب ؟

— ان الآلام الوخزية التي تحسها تنتج من مصادر .

اولها : هو ما ينشأ من الالتهاب في العضلات والاربطة التي تحيط بها Fibromyositis وهي ليس لها علاقة قوية [illegible]

العضلات — والملاحظ ان هذه الآلام تنتقل من مكان الى آخر ، وتزداد بالحركة وبالتنفس ، ومن الممكن ان تكون مصحوبة بالام في الساقين او في المفاصل . وتزداد هذه الآلام شدة اذا التهبت اللوزتان

[illegible]

وكثيرا ما ... ليس لها علاقة بالقلب — وعلاجها هو علاج اي التهاب في العضلات من اعطاء اقراص الاسبرين .

وفي بعض الحالات النادرة يكون ذلك من زيادة في افراز حامض البوليك Uric Acid اي مرض النقرس — وتشكل مع المفاصل هذه الآلام التي تميز هذا المرض .

ثانيهما : تكون من مرض بالبلورا ، اي الغشاء المغطي للرئة عندما تلتهب من ميكروب يدخل الجسم — وتسبب الالم

[illegible]

التنفس عوق الاخرى — والآلام هنا اشد من الآلام التي تحدث في العضلات ، وتكون في المكان الملتهب وحده ولا تنتقل ، وتزداد كثيرا مع التنفس خصوصا اذا كان عميقا — او مع السعال ، ويفضل المريض ان لا يأخذ نفسا عميقا ، بل يكون نفسه سطحيا ، خوف الالم — ويتفادى السعال — واذا حصل كان ذلك بحذر واحتراس — ممسكا بوضع يده على موضع الالم ، ويضغط على هذا الموضع خوف الحركة — وفي بعض الحالات يكون هذا مصحوبا بارتفاع في درجة الحرارة .

[illegible]

انتيفلوجستين او بلادونا موضع الالم — واعطاء مسكن يخفف الالم . فاذا كان الالم بسيطا يعطى الاسبرين ، اما اذا كان شديدا اعطى الكودين او المورفين ، ثم اذا كان هناك التهاب في الرئتين فيعطى المضادات الحيوية للتغلب على الميكروب الذي سبب الالتهاب اذا كان هذا الميكروب يستجيب للعلاج بمثل هذه المستحضرات . وعلى كل ففي مثل الحالات استشارة الطبيب واجبة ، ليعرف مصدر المرض ويعالجه .



الاسبرين .. هل هو مضر .. ؟!

● اعانى من صداع مزمن واتناول كميات كبيرة من « الاسبرين » فما هي مضار الاسبرين ؟

— الاسبرين اذا اخذ بكميات قليلة في اشخاص ليس عندهم استعداد للمضاعفات ، فانه لا يوجد ضرر من استعماله في ازالة الالام . ولكن في بعض الاشخاص ربما حدث منه المضاعفات . فلقد شوهد اشخاص شديدي [illegible]



[illegible] براز اسود يشبه القار (الزفت) وهذا [illegible] على حدوث نزيف . [illegible] هذا [illegible]

[illegible]

حساسية في [illegible] استعداد للربو [illegible]

[illegible]

في بعض [illegible]

[illegible]

الشلل الرعاش

● والدى عمره [illegible] وخمسون عاما وصحته العامة جيدة ، وقد شكا منذ عام من الام في المفاصل [illegible] بدء على [illegible] ثم ظهرت رعشة خفيفة في يده ورجله اليمنى لم تشعر اخيرا بثقلهما [illegible] على طبيب فقال انه مصاب بشلل رعاش فما هي حقيقة هذا المرض [illegible] طبي ؟

— الشلل الرعاش [illegible] اضطراب مزمن في الجهاز العصبي المركزي [illegible] مضاعفات التهاب المخ الوبائي ، او بسبب تصلب في الشرايين ، او [illegible] بعض المواد الكيمائية ، او ضربة قوية على الراس في بعض الاحيان ، او مرض الزهرى واحيانا لا نجد له سببا على الاطلاق وخاصة عند متوسطي العمر وكبار السن من المرضى .

الاعراض كما ذكرتها ، وشكل المريض المميز بسبب الرعشة التي لا تعرف ، ووجهه الجامد الخالي من التعبير هذا بالاضافة الى الرعشة العامة اللاارادية . ويكون المريض بطيء الحركة والفهم وله مشية خاصة ذات خطوات ضيقة والجزع مائل للامام والذراع مثنية بجانب الجسم . وعضلات الجسم في حالة تيبس .

وعلاج هذه الحالة يكون بافادة المريض [illegible]

[illegible] غير ذلك من الادوية التي ينصح بها الطبيب



الحساسية من البنسلين قد تؤدي إلى الوفاة

● كثيرا ما نسمع عن «الحساسية من البنسلين» فما هي هذه الحساسية وكيف نتقيها ؟

ـ البنسلين من الأدوية الهامة والمفيدة والشافية لأمراض كثيرة تعتري الجسم ، وكان اكتشافه من الاكتشافات التي غيرت كثيرا من أوجه الطب ومجالاته المختلفة ، سواء الباطني أو الجراحي وكان فاتحة اكتشاف المضادات الحيوية الأخرى Antibiotics ـ ولكن لما له من هذه الأهمية نجده في الوقت نفسه سلاح ذا حدين ـ حد يقتل الميكروب والحد الآخر ممكن أن يسبب ضررا .

والضرر الذي ينتج من استعمال البنسلين هو ما نسميه « بالحساسية » وهي نتيجة لتفاعل بين البنسلين كمادة غريبة داخلة في الجسم بأنواعها ويحاربها هذا الجسم بمضادات لها ـ ويكون نتيجة ذلك أعراض تظهر على المريض منها ما يكون خفيفا جدا ، ومنها ما يكون شديدا قاتلا في بعض الأحيان .

والنوع الخفيف هو أن يحس المريض بارتفاع في درجة الحرارة مع حكة في جلده وعينيه ـ ونزول سائل من الأنف ، وطفح جلدي ، وآلام بالمفاصل ، وآلام في الغدد الليمفاوية ، وفي الحالات المتوسطة الشدة ـ [illegible] ضيق في الشعب الهوائية الذي نسميه « ربو شعبي » مع سعال شديد والإحساس بالاختناق .

أما في الحالات الشديدة ، فيحدث ما نسميه « صدمة » Anaphylactic Shock فيسقط المريض على الأرض مع هبوط شديد في ضغط الدم مصحوب بالقيء وفقدان للوعي ، وضعف شديد في النبض مع تغطية جسم المريض بعرق بارد ، وإذا لم يسعف المريض ويؤخذ إلى المستشفى في أسرع وقت، وربما أدى ذلك إلى الوفاة .

والوقاية في هذه الحالات هامة جدا ـ ولقد أجريت تجارب كثيرة أن نعطي كمية قليلة جدا من البنسلين تحت الجلد وننتظر لنرى تأثير ذلك في الجلد ، فإذا حدث طفح أو شعور بحكة في الجلد لا نعطي البنسلين ، ونسمي هذا اختبار [illegible]

والأهم من ذلك أن يسأل المريض إذا كان عنده استعداد للحساسية من أي دواء أو أي طعام ـ أو حدثت له حساسية من البنسلين ـ فإذا كان ذلك ، نمنع من أخذ البنسلين ، ونعطي مضادا حيويا آخر .

وعلاج الحساسية يختلف باختلاف الحالة ففي الحالات البسيطة نعطي الأدوية التي تعالج الحساسية كالبريتون Piriton أو Periactin بريأكتين مع الأورالين ، وفي الحالات الشديدة تعطى مركبات الكورتيزون مع علاج الصدمة إذا حدثت .

مصطفى عبد الرازق

• كيف كان بالأزهر، ثم التقى بالإمام محمد عبده فتحول.

• كان أحد أولئك الأبرار الذين ظلوا على وفاق مع قانون المجد والسخاء والرجولة.

بقلم: انور الجندي

■ يمثل العلامة مصطفى عبد الرازق نموذجا مفردا من النماذج العليا في الفكر العربي الإسلامي، الجامعة بين ثقافة الإسلام وثقافة الغرب، وهو واحد من أساتذة الفلسفة الذين أقاموا مدرسة جديدة في الثقافة العربية المعاصرة، لها منهجها اليوم ولها أتباعها ودعاتها، ولا شك أن منهجه العلمي كان خصبا وعميقا وأكثر أصالة.

ولعله كان يعد نفسه واحدا من أولئك الأبرار «كرام النفوس» الذين ظهروا على مدى التاريخ الإسلامي، هذه المدرسة التي أطلق عليها فلسفة «كرام النفوس» أولئك الذين عاشوا العالم كله لا لأنفسهم - على حد تعبير تلميذه الدكتور عثمان أمين - وظلوا على وفاق مع قانون المجد والسخاء وتتلخص هذه الفلسفة في حالة نفسية يصبح

---

(١) انظر أيضا ما نشر في العربي العدد ٧٤ يناير ١٩٦٥

ان يطلق عليها اسم « الاريحية » وتلك حال النفوس التي تعطي ولا تأخذ ، وتسعى الى اسداء الخير مهما كلفت من عناء .

والحق أن مصطفى عبد الرازق اخذ من الريف ذلك الوفاء النبيل ، وتلك الطبيعة الثابتة العميقة الخصبة ، التي لا تتحول عن شيء ألفته ، سواء كان صاحبها في القاهرة أو في باريس ، في الوزارة أو في الأزهر أو في الجامعة ، اخذ من الأزهر اللغة والبيان والرصانة ، واخذ من السوربون التحقيق العلمي ، ومزج الشرق والغرب ، وظل مع ذلك محتفظا بطابعه وخلوته ومراجعة النفس .

وفي يومياته (ابراهيم الغزالي) التي كتبها عن نفسه ونشرها تحت هذا الاسم الرمزي (وقد جمعت في كتابه « آثار مصطفى عبد الرازق ») يقول :

« ان حياتي ليست منطقية ، ان الحياة المنطقية هي مطابقة الحياة للمزاج ، والسير في الشئون الخارجية على وفق طبيعة النفس الباطنة » .

نشأته وتعلمه ووظائفه

نشأ مصطفى عبد الرازق في الريف من الصعيد في قرية « ابي جرج » من اعمال المنيا ، ثم أمضى في الأزهر اثنى عشر عاما حتى حصل على العالمية ، ولما تخرج عين مدرسا في مدرسة القضاء الشرعي ، ثم رحل الى باريس شيخا معمما فبقي بالعمامة نحو سنة وهو يروح ويغدو بها بين الباريسيين .

وتلقى في السوربون دروس علم الاجتماع على « دور كايم » ثم التحق في « ليون » بمدرسة اللغات الشرقية ، فلما عاد الى مصر عام ١٩١٤ اشترك في تحرير الجريدة والسفور والسياسة الاسبوعية ، وقد عين سكرتيرا عاما للمعاهد الدينية ، ثم مفتشا بالمحاكم الشرعية فأستاذا بالجامعة ، وقد ولي منصب شيخ الأزهر في السنوات الأخيرة من عمره(١) .

مطامحه ومحطة التحول في حياته

كان مصطفى عبد الرازق منذ شبابه الباكر يتطلع الى المجد ، ويرنو الى آفاق بعيدة ، لم تكن واضحة وضوحا صريحا في نفسه ، ولكنها كانت تملأ قلبه وعواطفه ، تصورها هذه العبارات التي كتبها في « مذكرات الشيخ الغزالي » :

« انا مستيقظ من منامي قبل ان تشرق الشمس ، فما ازال انتقل من حلقة استاذ الى مشاركة رفيق في المطالعة الى انفراد بالدرس ، حتى آوي الى مضجعي قبل نصف الليل فاتر القوة منهك عصب الدماغ ، محتاجا الى النوم ، فلا اجد اليه سبيلا ، وليس لي من لذة العمل نفسه ولا من ثمرته . ثم ان في آمالي قلقا تنزع بي الى اماني لا موضع لتحقيقها في هذا الوسط » .

ولقد مضت ايامه في الأزهر مضطربة حتى بلغ مرحلة الأزمة . ولكن لقاءه بالأستاذ الامام محمد عبده كان محطة تحول في حياته .

يقول : لم تكن دراستي في الأزهر على طول مدتها بالتي تشبع رغبتي في العلم ، وتحقق لروحي ما تتطلع اليه من الاطمئنان ، ولكن الدروس التي كنت احضرها في الأزهر على الشيخ محمد عبده كانت تشفي ما اشعر به من مرارة ، وتخفف من السأم واليأس اللذين كانا يساورانني ابدا ، فلما انقطع ، رضوان الله عليه ، عن التدريس في الأزهر ، عاودني هذا اليأس ، وذلك السأم واسودت دنيا الدراسة في الأزهر امام عيني ، فكرهت العيش فيها ، بيد اني رأيت الا اتركها قبل ان استهدي برأي الأستاذ الامام » .

وهنا وفي هذه المرحلة العاصفة ارسل الى الشيخ محمد عبده رسالة نقتطف هذا نصها .

« مولاي

« اني نظرت في امري بعد ان قضيت ما قضيت في الجامع الأزهر ، وانفقت ما انفقت من صحتي وشبابي في طلب العلم ، فلم اجد شيئا يا سيدي الا حسرة من الصور والخيالات ، لا تغني

(١) تولى منصب وزير الأوقاف قبل توليه مشيخة الأزهر .

البصيرة ، ولا تبصر الفرصة ، ولا تجد السعادة في الحياة الدنيا ولا في الحياة الأخرى .

ليت الحوادث باعتنى الذى أخذت
منى بعلمى الذى أعطت وتجريبى

طلبت السبيل الى العلم النافع فما وجدت الدليل ، ولا اهتديت الى السبيل ، وقد هدتنى اليك خاتمة المطاف وفاتحة الالطاف ، فجئتك أسألك أن تعلمنى مما علمك الله ، ولا تكلنى الى رأيى ، وها أنا ذا أبسط يد الرجاء اليك ، ولم أبسط لغيرك يدا ، وأرفع اليك أنفس ما في الحياة ، وقد وضعت أملى ببابك ، ومثلك من لا يخيب سائله الأمل » .

مصطفى (١٩٠٥)

تأثير الامام محمد عبده

وقد استدعاه الأستاذ الامام وقال له :

« ان الحق معك ، وانه عزّ على مثل حالتك ، وغاية ما أستطيع أن أرشدك اليه — قبل نيلك شهادة الازهر — هو أن تعنى الى جانب دراستك الازهرية بالتزود في الدراسات الأدبية » .

ويقول : أن الامام قد أشار لى طائفة من الكتب لأطالعها فى أوقات فراغى ، وما أشك أن هذا التوجيه الصائب كان له أثر كبير فى تفاعلى الأدبية اذ صادف منى ميلا الى هذه الناحية كان يغذيه والدى رحمة الله عليه . على أن فضل الأستاذ الامام ليس مقصورا على هذا الجانب وحده ، فقد كان تشجيعى بعبارته وشخصه فيما أثر كبير فى حياتى العملية .

وعرفت بعد انتهائى من الدراسة فى الازهر ، واشتغالى بالتدريس فى مدرسة القضاء الشرعى أن انشئت وكلا نجمية تضامن العلماء التى تألفت من تلاميذ الأستاذ الامام ، للسعى فى اصلاح الازهر واستقلاله ، ولن تكون سرا فى اختيار قلمه لموحش ذو السلطان خيفة من فيلهطه الجماعة بعد أن كثر الاقبال عليها ونمت بواكير نجاحها فى مهدها .

وكان أن استدعانى ناظر المدرسة ، عاطف بركات ، وتحدث الى فى هذا الشأن حديثا فهمت منه أن اتصالى بمدرسة القضاء الشرعى مع اشتراكى فى الحركة التى تقوم بها جمعية تضامن العلماء يثير حول المدرسة ظنونا ، ويرغب ما أترى استقالتى من المدرسة ، ذاكرا أن نفسى لا تطيب بأن أهجر شريعة القاصد مرجوة النفع للاسلام وأهله ، من أجل أوهام ليس لها سند صحيح ، وقدمت استقالتى من مدرسة القضاء واعتزمت تحقيق أمنية السفر الى أوربا لاتمم ما فى خاطرى » .

نفس رقيقة ، هادئة ، طيبة ، متواضعة

كان لتلاقيه بالأستاذ الامام فضله يحول فى حياته ، فخلص من تلك النظرة القاتمة ، وانطلقت طبيعته السمحة الكريمة تأخذ حظها ما بينها : مراسلة للبهاء زهير الذى يلتقى مع مصطفى عبد الرازق ، فالبهاء زهير شاعر رقيق حيى ، هادئ النظرات لا تعرف حياته زوابع ولا عواصف ، ولا هو من المدعين الذين يفترون المغامرات أو يدخلون حلبة صراع ، وهذا الطابع ، هو صورة من حياة مصطفى عبد الرازق الذى عاش حياته هادئا سمحا بعيدا عن منافسات الأنداد فلا صول ولا جول .

كان لمصطفى عبد الرازق طابعه الحيي المتواضع ، وكان الى ذلك مثلا للاناقة والرقة والهدوء ، كأنما الحياة عنده قطعة حسنة ، ويتمثل فى أسلوبه حب الجزالة والرصانة مع الحرص على المراجعة والتنقيح والتعديل فى صياغة الأثر الفنى الذى يكتبه قبل أن يظهر علنا للناس .

★ ★ ★

كان مصطفى عبد الرازق مثلا حيا للشخصية السمحة المحبة ، المؤمنة بالانسانية ، وكان واحدا من مدرسة كرام النفوس الذين عاشوا للعالم كله لا لأنفسهم ، وظلوا على وفاق مع قانون المجد والسخاء .

(ولد ١٨٨٤ — وتوفى ١٩٤٧) ■■

أنور الجندى



السد العالي .. ومجرى النيل في الجمهورية العربية المتحدة

● [illegible] في الجمهورية العربية المتحدة [illegible] ... وعن على تآكل [illegible] النيل [illegible] الجسور والقناطر الموجودة [illegible] ... فهل ما قرأناه هذا صحيح [illegible] علما ان مشروع السد العالي [illegible]

محمد احمد سليمان ـ ليبيا

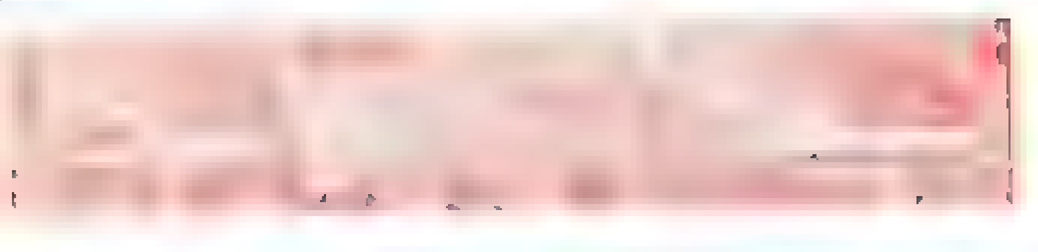
[illegible] في بعض الصحف العربية عن السد العالي [illegible] وقد نشرت بعض الصحف الانجليزية [illegible] لا تذكر فيه [illegible]

[illegible] بعض الاخصائيين [illegible] السد العالي [illegible]

[illegible] الا ان القراء المصريين كانوا [illegible] هذه النتائج .

اما عن فوائد السد العالي بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة فيكفي ان نعرف انه [illegible] مصر [illegible] قوة كهربائية [illegible] الكهرباء [illegible] مصانع [illegible] والاسمدة الكيماوية . [illegible] السد العالي [illegible] الكهرباء [illegible] مياه [illegible] اراضي [illegible] السد العالي [illegible] بالجمهورية العربية المتحدة [illegible]

(م . ط)



قميص عثمان

● أفيدونا أفادكم الله عن قميص عثمان ما هو ، أو ماذا يراد به ، وشكراً .

محمد عثمان الزيني ـ القاهرة

ـ أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه انتهى أمره الى أن قتل في منزله ، وقميص عثمان هو القميص المضرج بدمه حين قتل فيه ، وفي معركة صفين التي كانت بين الامام علي بن ابي طالب ومعاوية ، أحس عمرو بن العاص في عسكر معاوية فتورا في المحاربة ، فأشار على معاوية أن يبرز لهم قميص عثمان، ليجعلهم يستأنفون المناجزة ففعل ذلك معاوية ، وحين وقعت أعين العسكر على القميص ارتفعت ضجيجهم بالبكاء والنحيب وتحركت فيهم السواكن، وثارت احقادهم ، واندفعوا يقاتلون.

ويذكر الثعالبي في ثمار القلوب أن المتوكل العباسي لما قتل ، لم يولي المنتصر ابنه ، ثم بعده المستعين فالمعتز ، وكانت امرأة المتوكل وأم ابنه المعتز واسمها قبيحة ـ تحكي صورتها الرائعة الجمال ـ لم تزل تحرض ابنها على أن يأخذ بثأر ابيه من قتلته الأتراك من جنده ، وكان المعتز قد ملك ايديهم ، وعلم انه لا يقوى عليهم ، لكثرتهم وكثرتهم ، فكان يدافع أمه ويعدها بالتنفيذ ، فلما طال عليها الأمر أبرزت يوما للمعتز قميص المتوكل الذي قتل فيه ، وهو مضرج بالدم ، وجعلت تبكي وتطيل اللوم والتحريض في ساعاته، فلما طال ذلك منها قال لها المعتز : يا أمه ارفعي القميص وإلا صار قميصين . فعندها امسكت ولم تعد لعادتها

وإذن فقميص عثمان صار يطلق على كل شيء يراد به التحريض والاثارة . والله أعلم .

ع. ف.

تقارب بين الشرق والغرب

● احتفت الصحف أخيرا بمعاهدة الصداقة وعدم الاعتداء بين ألمانيا الغربية وبولندا الاشتراكية ، فما سر هذا الاهتمام ، وهل هو بداية تقارب بين شرق أوربا وغربها

عثمان محمد
دمشق ـ سوريا

ـ يعتبر توقيع معاهدة الصداقة بين ألمانيا الغربية وبولندا من أهم الأحداث السياسية التي شهدها العام المنصرم ، لعدة أسباب ، فالتوصل الى عقد مثل هذه الاتفاقية أو المعاهدة بين هاتين الدولتين ، احداهما غربية والأخرى شرقية ، بعد سلسلة من المحادثات والمفاوضات المضنية التي دامت لأكثر من تسعة أشهر كاملة ، هو في واقع الأمر ، نقطة تحول هامة في تاريخ أوربا ، كما وصفها المراقبون السياسيون، نظرا لما كان من خلاف وخصام ومنازعات خطيرة ظلت قائمة بين البلدين

منذ نشوب الحرب العالمية الثانية حتى اليوم .

ويكفي للدليل على اهتمام العالم بتوقيع هذه المعاهدة ، ان وقائع الاحتفال بتوقيعها في الاسبوع الاول من شهر ديسمبر من العام الماضي ، قد اذيعت على جميع شبكات التلفزيون في اوروبا ، وبلغ عدد الصحفيين والمراسلين الاجانب الذين جاءوا الى « وارسو » العاصمة البولندية لحضور هذا الحدث السياسي الكبير اكثر من اربعمائة صحفي .

وقد وقعت المعاهدة في قصر « رادزيويل » مقر وزارة الخارجية البولندية في وارسو ، وهو نفس القصر الذي كان هتلر يتخذه مقرا لقيادته اثناء الاحتلال النازي لبولندا في الحرب الثانية ، ثم شهد بعد ذلك توقيع ميثاق حلف وارسو ، بعد انتهاء الحرب بسنوات عديدة ، وهو الميثاق الذي نظم دول اوروبا الشرقية مجتمعة ، لردع اي عدوان يقع على احدى الدول الموقعة له من جانب الدول الغربية الاعضاء في حلف الاطلنطي الذي تتزعمه امريكا .

وتأتي هذه المعاهدة الجديدة بين المانيا الغربية وبولندا في اعقاب معاهدة عدم الاعتداء التي وقعت بين المانيا الغربية والاتحاد السوفيتي في اغسطس من العام الماضي ، وبذلك تصبح بمثابة حلقة اخرى في سلسلة من الخطوات السياسية الهامة التي تستهدف تأكيد الامن الاوربي ، والتخفيف من حدة الحرب الباردة بين الغرب والشرق في هذه الفترة ، وازالة اسباب الخلافات التاريخية بين المانيا الغربية وبولندا ، وهي تعتبر استمرارا لسياسة التقارب بين المانيا الغربية ودول الكتلة الشرقية ، تلك السياسة التي سار عليها فيلي برانت مستشار المانيا الغربية منذ جاء الى الحكم .

اما اهم بنود هذه المعاهدة ، فهو اعتراف البلدين بتثبيت حدود بولندا الغربية على نهري « اودر ونيس » ، وبذلك توافق المانيا الغربية على ضم جزء من اراضي المانيا الشرقية تبلغ مساحته ما يزيد على المائة الف كيلو متر مربع ، الى بولندا . وكانت المانيا الشرقية قد اعترفت بهذه الحدود ، ولكن لا بد لبولندا ايضا من الحصول على اعتراف المانيا الغربية باعتبارها احدى الدولتين الوريثتين للرايخ الالماني .

إسرائيل ..

هو ان اسرائيل كانت وراء الانقلاب العسكري الاخير في اوغندا ، فهل لكم ان تذكروا لنا بعض الامثلة عن نشاط اسرائيل في افريقيا !

سليم الياس – لبنان

— لاسرائيل نشاط كبير في افريقيا .. ولقد حاولت كثيرا التسلل داخل الدول الافريقية حديثة الاستقلال لعزل هذه الدول عن النضال العربي وذلك لحساب امريكا بالذات ..

وتبدأ اسرائيل بالتسلل داخل هذه الدول عن طريق المساعدات الفنية والاقتصادية التي تحتاج لها هذه الدول فور حصولها على استقلالها .

ومن امثلة هذا التسلل الاسرائيلي في افريقيا :

اما البنود الاخرى ، فهي تنص على نبذ استخدام القوة ، واعادة العلاقات بين البلدين الى حالتها الطبيعية .

وقد وجه برانت مستشار المانيا الغربية كلمة الى الشعب الالماني سجلها في وارسو ، وقال فيها ان هذه المعاهدة بين البلدين ينبغي ان تقيم جسرا بين المواطنين ، وبين الشعبين من اجل الوصول الى سلام في اوروبا ..

وقال برانت ايضا انه يتوقع ان يتم التوصل الى حل لمشكلة برلين خلال الاشهر القليلة المقبلة.

والمعروف ان برانت كان عمدة للقسم الغربي من مدينة برلين التي تقع بأكملها داخل اراضي المانيا الشرقية ، وهو بذلك اقرب الرجال واكثرهم ادراكا لابعاد مشكلة برلين وتعقيداتها ..

وهكذا استطاع مستشار حكومة المانيا الغربية الجديد ان يقلب صفحة من التاريخ ويفتح صفحة جديدة .

انه حقا تقارب ما بين الشرق والغرب .

(م - ٥)

.. والدول الافريقية

ان اسرائيل قد تولت تدريب وحدات من القوات الاوغندية ومن المظليين ، وكان شعور الجنود الاوغنديين في شوارع تل ابيب صبغها مألوفا في اسرائيل . وقامت بانشاء قوات مظليه للكونغو كينشاسا . وبتدريب رجال الشرطة في الحبشة ، كما زودت قوات ساحل العاج بالاسلحة والمدافع الرشاشة من طراز « اوزي » . وزودت كينيا بخبراء عسكريين وساهمت في انشاء الكلية العسكرية بها وقامت بتدريب الطيارين الكينيين.

وتقوم اسرائيل بارسال افراد من منظمة ناحال الاسرائيلية لتنظيم حركات الشباب في الكاميرون ، وداهومي ، وملاوي وجمهورية افريقيا الوسطى .

وقد قدمت اسرائيل لهذه الدول الافريقية مساعدات فنية لتطوير الزراعة هناك وللمساعدة مزارع على غرار مزارع الكيبوتز الاسرائيلية .

وساعدت اسرائيل المتمردين في جنوب السودان وتمدهم بالاسلحة وقد كشفت حكومة السودان النقاب اخيرا عن هذه المساعدات الاسرائيلية كما استطاعت ان تصادر كميات كبيرة من الاسلحة المصنوعة في اسرائيل في معسكرات للمتمردين تم الاستيلاء عليها اخيرا .

وتحاول اسرائيل اثارة الطائفية بين اهالي البلد الواحد واستغلال الذين كانوا من اسلحة الحرب بين ابناء الشعب الواحد . وفي نفس الوقت تشجع الانقلاب على الحرب التي صنعوا عملاء لها في قلب القارة السوداء .. ولاسرائيل شركات ملاحة مثل شركة النجمة السوداء Black Star تعمل على خطوط ملاحية منظمة بين موانئ افريقيا الشرقية والغربية .

(م.ط)

في البحر الميت

● قرأت في العدد ١٤٢ من « العربي » ان البحر الميت هو المكان الاكثر انخفاضا في العالم ، وكنت قد قرأت في عدد سابق ان بحيرة بايكال في سيبريا هي ذلك المكان .. فما هو الصحيح ..

توفيق طه العدوي - الرشيدية - العراق

— لا تناقض بين ما قرأته في العدد ١٤٢ وما قرأته في عدد سابق من العربي ، فيما يتصل بالبقعة الاشد انخفاضا في العالم . اي ان بحيرة بايكال في سيبريا يمكن اعتبارها المكان المنخفض رقم (١) في العالم كله اذا كان الانخفاض المقصود هو انخفاض قاع البحيرة لا سطحها ، اذ يبلغ انخفاض قاع هذه البحيرة دون سطح البحر ٥٨٧١ قدما في حين لا يتجاوز انخفاض قاع البحر الميت ٢٦٠٠ قدم .

وغني عن البيان ان الانخفاض الذي يقصده الجغرافيون حينما يتحدثون عن البحيرات المنخفضة في العالم انما هو انخفاض سطح تلك البحيرات لا قاعها . وعلى هذا الاساس فان البحر الميت هو اوطأ مكان في العالم على الاطلاق ، وقد بلغ انخفاض سطحه عن مستوى البحر ١٢٨٦ قدما ، اي ما يعادل اضعاف انخفاض سطح بحيرة بايكال ، وهو لا يكاد يبلغ ١٠٠ قدم .

ومما يذكر ان بعض مناطق جزيرة جرينلند ، لا كل مناطقها ، تنخفض عن سطح البحر ايضا . ويبلغ انخفاض هذه المناطق ١٢٠٠ قدم ، وهي مغطاة بالثلوج ، وهذه الثلوج لها قمم تعلو احيانا فوق سطح البحر كثيرا ، نحو ١١٢٠٠ قدم . ومثل ذلك هناك ايضا من عدد من بقاع المنطقة القطبية الجنوبية ، وهي مغطاة بالثلوج ايضا ويبلغ انخفاض اليابسة تحت تلك الثلوج نحو ٨٠٠ قدم .

(ر . ي)



شهادة الدكتوراه اين ومتى نشأت ؟!

● لا اذهب في الازهر ... في الازهر الشهادة التي عرفها ابائي واجدادي للمرشحين هي شهادة عالمية ... ولكني سمعت ان هناك شهادة اسمها الدكتوراه يمنحها خريجو الازهر الآن ... فهل تتكرمون بمعلومات اكثر عن تاريخ هذه الموضوع واين ومتى نشأت !!

علي زهير - الصادقية - القاهرة

- كلمة دكتور « Doctor » هي في الاصل كلمة لاتينية تعني المعلم او المدرس ، وقد اصبحت الآن لقبا لاعلى شهادة علمية لاي جامعة ان تمنحها .

وقد منحت هذه الدرجة العلمية اول ما منحت في جامعة بولونيا Bologna بايطاليا حوالي منتصف القرن الثاني عشر ومنحت اول ما منحت في القانون المدني . وتطورت بعد ذلك لتشمل الطب والكيمياء والعلوم اللغوية وغيرها من ميادين العلم المختلفة .. وتطورت بعد ذلك شهادة الدكتوراه فاصبحت اغلب جامعات العالم تمنح هذه الدرجة بعد الحصول على درجتي البكالوريوس او الليسانس ثم الماجستير . وان كانت هناك بعض الجامعات حتى الآن لا تفرق بين درجة الماجستير Master ودرجة الدكتوراه . وهناك ايضا شهادة الدكتوراه التي يعطيها التخصص وهي تمنح للمتخصصين .. وتنقسم شهادة الدكتوراه الى دكتوراه الفلسفة Ph. D.. ويمكن الحصول على شهادة دكتوراه الفلسفة في اي علم من العلوم كالطب او العلوم .. ولكنها تعتبر اقل درجة من الدكتوراه في الطب M. D. او الدكتوراه في العلوم D. Sc.

اما عن الشهادة التي كان يعطيها الازهر في الماضي ويسمونها الدكتوراه فهي في اصلها قسم تخصص للمادة والملحق الى الآن وكانت الدراسة فيه جامعية وتستمر ٣ سنوات على الاقل ، وكان على من يحصل على شهادة التخصص في المادة هذه بعد شهادة العالمية يمنح بلقبه لقب دكتور . اما الآن فان الازهر قد اصبح جامعة ويمنح شهادة الدكتوراه على نفس نظام الجامعات الحديثة

[illegible]

اكبر الصحف ليست باكثر الصحف انتشارا !

● قرأنا في عدد ديسمبر الماضي من « العربي » ان من بين اوسع المجلات الامريكية انتشارا ، مجلة ... وشقيقاتها ونرجو ان تعطونا فكرة عن توزيع الصحف اليومية لشعوري ان النيويورك تايمز اوسع صحف امريكا انتشارا وان التايمز اللندنية اوسع صحف بريطانيا انتشارا كذلك

خالد خلاوي - حمص

- قد تكون صحيفة النيويورك تايمز اوسع الصحف اليومية في امريكا شهرة ، الا انها ليست اوسعها انتشارا . فهي توزع ٨٦٩,٠٠٠ نسخة يوميا . وقد يبدو لك ان هذا الرقم كبير ، الا انه قليل نسبيا ، ولا يكاد يبلغ نصف توزيع صحيفة نيويورك ديلي نيوز ، اوسع صحف امريكا اليومية انتشارا . وستجد فيما يلي بيانا بأهم هذه الصحف وتوزيعها

توزيع الصحف في الولايات المتحدة الامريكية

النيويورك ديلي نيوز	٢,٠٩٧,٣٨
النيويورك تايمز	٨٦٩,٠٠٠
شيكاغو تريبيون	٨٤٠,٧٤٦
كريستيان ساينس مونيتور	٢٠٠,٠٠٠

اما صحيفة التايمز ، وهي الصحيفة اللندنية الاولى ، فلا توزع اكثر من ٤٢٦,٠٠٠ نسخة يوميا . ولا يخفى ان هذا توزيع ضئيل جدا اذا قيس بتوزيع الصحف الامريكية اليومية التي ذكرناها او بتوزيع سائر الصحف اليومية في بريطانيا . فهو لا يكاد يبلغ ١٠٪ من توزيع صحيفة الديلي ميرور اوسع صحف بريطانيا

أوزان الذبابة والريشة وما إليهما

● طالما سمعنا أو قرأنا عن أوزان الرياضيين ووزن الذبابة .. وغير ذلك ، دون أن نعرف مقدار هذه الأوزان .. فهل في الإمكان تفصيل هذه الأوزان في باب أنت تسأل ونحن نجيب ..

سالم أبو حميد ـ المغرب

الأوزان المقررة للرياضيين أسماء أطلقوا عليها اصطلاحا ، وهي كما يلي

وزن الذبابة	١١٢	رطل ، حد٣ على
وزن البيضة أو الديك	١١٨	رطل ، حد٣ أعلى
وزن الريشة	١٢٦	رطل ، حد٣ أعلى
الوزن الخفيف	١٣٥	رطل ، حد٣ أعلى
الوزن الخفيف المتوسط	١٤٧	رطل ، حد٣ أعلى
الوزن المتوسط	١٦٠	رطل ، حد٣ أعلى
الوزن الخفيف الثقيل	١٧٥	رطل ، حد٣ أعلى
الوزن الثقيل		ما زاد على ذلك .

على أنه يؤذن للرياضي من أي وزن بالدخول في المباراة على أساس الوزن الثقيل

(ك . ر)

الجزائر .. اشتقت اسمها من جزائر صغيرة !

● [illegible]

عبد اللطيف السعداني ـ طنجة

ـ كلامك فيه الكثير من الصحة ، إذ ينطبق على حالة الجزائر اليوم ، أما في الماضي فقد كانت هناك مجموعة جزر صغيرة متناثرة أمام موقع مدينة الجزائر الحالية ، ومن هذه الجزر اشتق اسم المدينة الحالي ..

ولكن هذه الجزر لم يعد لها وجود في وقتنا الحاضر ، إذ تم ردم المياه التي تتخللها بواسطة الجزر وميناءها لسانا من اليابسة ، يمتد من وسط مدينة الجزائر الى عرض البحر ، وعلى هذا اللسان اليوم منار لإرشاد السفن ، مع مبان حديثة .

وكانت الجزائر قديما تحمل اسم « ايكوسيوم » عندما أسسها الفينيقيون ، ثم اختط الملك بلكين ابن زيري الصنهاجي مدينة جديدة اسمها جزائر بني مزغنة ، ومع مرور الزمان اختصر الناس اسم بني مزغنة ، واكتفوا باسم الجزائر الحالية ..

(س . ق)

اليومية انتشارا . واليك فيما يلي بيانا بأهم هذه الصحف البريطانية ومقدار ما يوزع في اليوم الواحد :

ديلي اكسبريس	[illegible]
ديلي ميل	[illegible]
ديلي ميرور	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]



رفائيل وصاحباه

عمالقة للفن ثلاثة جمعهم في الدهر عصر مشهود واحد

بقلم : يوسف زعبلاوي

[illegible]
ولا غرابة في ذلك ، وقد عاصر الواحد من هؤلاء العباقرة الآخر ، وجمعهم بلد
[illegible]

والنهضة الحديثة أوروبية لا إيطالية فحسب ، إنها الانتفاضة الروحية التي هبت عددا من الأقطار الأوروبية إبان القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، والتي اتسمت بأكثر من طابع . فقد غلب عليها الطابع الديني في ألمانيا ، والطابع الأدبي في انكلترا ، وطغى عليها طغيانا الطابع الفني في إيطاليا ، حيث كان مولدها .

كان ذلك في مستهل القرن الرابع عشر ، حينما أتيح للفنان جيوتو Giotto (١٢٧٦ — ١٣٣٧) ، وكان صديق دانتي ، أن يرسم في سنة ١٣٠٠ بادوا ، لوحة تختلف اختلافا جذريا عن كل ما عهدناه من رسوم القرون الوسطى . لقد جاءت تلك اللوحة بثلاثة أبعاد ، ولم تكن رسوم العصور الوسيطة إلا ذات بعدين فقط ، شأنها في ذلك شأن الرسوم الساذجة التي نصادفها في بعض الكتب القديمة ككتاب كليلة ودمنة .

وحسبنا أن نشير هنا إلى أن هذا التحول الذي حققته ريشة جيوتو ، لأسباب ما زالت مجهولة ، كان خطوة كبيرة إلى الأمام ، بل قفزة هائلة بالمفهوم العصري . فالطبيعة نفسها ذات أبعاد ثلاثة وكذلك الإنسان ، من حيث هو جزء من الطبيعة . إن فن الرسم الثلاثي الأبعاد هو نقطة البدء في النهضة الأوروبية الحديثة ، فقد أيقظ الإنسان وساعده على رؤية الطبيعة والجسم الإنساني ، كما هما وعلى حقيقتهما ، وعلى نحو ما رآهما الإغريق والرومان في الماضي البعيد وقبل حلول العصر الوسيط . والأغرب دلالة أن هذا الرسم الثلاثي الأبعاد شاع في إيطاليا وغيرها بسرعة خاطفة وكأنه الشعلة التي أضاءت فجأة فأنارت المكان كثيرا أو قليلا وطردت الظلام . ولم تلبث الشعلة أن أصبحت مصابيح ، بل نجوما نيرة كشافة ، ذكرنا منها ثلاثة ، ونقف الآن عند واحد منها ، رفائيل .

ولد رفائيل سانزيو ([illegible]) في بلدة أوربينو الإيطالية في ربيع سنة ١٤٨٣ . وبدأ تعلم مهنة الرسم منذ طفولته ، في المرسم الذي

كان لابيه جيوفاني (يوحنا) سانتي Giovanni Santi . ولم يطل عهد رفائيل بابيه كتلميذ، وقد كان الاب رساما عاديا ، من ناحيا . وما اسرع ما وقع الفتى الموهوب تحت تاثير احد اساطين الفن واساتذته آنذاك ، « ال بروجينو Il Perugino » . وقد بلغ من تاثر التلميذ باسلوب هذا الرسام ان جاءت بعض لوحاته الاولى يبدو وكانها من لوحات الاستاذ . ولكن هذا العهد هو الآخر لم يطل برسامنا ، ولم يلبث رفائيل ان استقل وتحرر وهو في السابعة عشرة من عمره ، فظهرت شخصيته مميزة ، وبرزت مواهبه الخاصة الاصيلة .

وانتقل رفائيل بعد ذلك الى مدينة فلورانسا سنة ١٥٠٤ ، وبدا بذلك مرحلة ثانية من حياته ، اذ احتضنت تلك المدينة احدى المدرستين اللتين سيطرتا على الفن الرسم في ايطاليا ابان النهضة واحتضنت البندقية بالمقابل المدرسة الاخرى . وقد اختلفت المدرستان في اشياء كثيرة اهمها المحافظة او الرصانة التي تميزت بها مدرسة فلورانسا من جهة ، والتحرر من الاساليب الماضية ، وقد غلب على مدرسة البندقية من جهة اخرى .

لهذا ولسبب آخر اهم اثرا كانت السنوات الخمس التي قضاها رفائيل في فلورنسا اخطر مرحلة في حياته . فقد عاش في تلك المدينة وفي تلك الفترة بالذات ميخائيل انجلو Michel Angelo (١٤٧٥ — ١٥٦٤) وعاش فيها كذلك ليوناردو دافنشي Leonardo da Vinci (١٤٥٢ — ١٥١٩) . وكان الرجلان رسامين شهيرين ، بل عملاقين في الفن ، بحيث يفرسهما للكثيرين من ابناء ذلك الزمان ، وفي كثير من الميادين . فقد نبغ الرجلان في النحت ونبغ ليوناردو بالاضافة في الهندسة المعمارية والشؤون العسكرية وكتب الكثير في اصول الفن ، وترك مذكرات تضمنت رسوما عملية لعدد من المخترعات والمبتكرات . الا انهما برزا ايضا وبخاصة في الرسم ، وقد تركا من اللوحات الفنية ما كان له اثر السحر على معاصريهم وعلى الذين جاءوا من بعدهم .

لا عجب اذن اذا تاثر رفائيل بليوناردو تاثر الطالب الجامعي باستاذه ، وقد اقتبس عنه القوة والعنفوان فيما يرسم ، والاسلوب العملي الذهبي للخلق الفني والابداع . ويكاد يجمع النقاد على ان تاثر رفائيل بليوناردو زاد على تاثره بميخائيل انجلو ، وقد انحصر هذا الاخير على الفنان رسم جسم الانسان .

وجدير بالذكر ان الانتاج الفني الذي جاد به عمالقة فلورنسا الثلاثة انما جادوا به برعاية بعض النبلاء وتشجيعهم . ويصدق ذلك ايضا وبخاصة على فناني البندقية امثال تيتيان Titian (١٤٧٧ — ١٥٧٦) .

وانتقل رفائيل سنة ١٥٠٩ الى الفاتيكان ، حيث بدا المرحلة الثالثة والاخيرة من حياته ، مرحلة النضج والانتاج . ولم ياته التشجيع في هذه المرحلة من تاجر عادي ، وانما من البابا يوليوس الثاني ، الشهير بفهمه العميق للفنون ، وتقديره لقيمتها ورعايته للاعلام المجلين فيها . فقد تعاقد هذا البابا مع رسامنا دون تردد ، واسند اليه مهمة تزيين جدران وسقف قاعة في احدى مباني الفاتيكان ، اختارها لتكون مكتبة له ، وهي تعرف باسم Stanza Della Segnatura .

ومن طريف ما يذكر هنا ان ميخائيل انجلو ، الذي كان يعمل في الوقت نفسه في تزيين مبنى آخر من مباني الفاتيكان ، هو كنيسة السيستين Sistine ، قد التمس من البابا ان يعفيه من اكمال عمله هذا ، وان يسنده الى رفائيل ، وذلك لانه يعتبر نفسه نحاتا اولا ، ورساما بالدرجة الثانية ، في حين كان رفائيل في نظره هو الرسام اولا وآخرا . الا ان البابا لم يستجب لحسن الحظ ، لطلب انجلو ، فمضى هذا في انجاز مهمته في الكنيسة التي ذكرنا ، فيما انطلق رفائيل ، وعلى مدى لا يزيد على ثلاثة اشهر في تنفيذ شروط عقده في مبنى المكتبة .

وكانت النتيجة اربع لوحات كبيرة ، لوحات جدران وسقوف كبيرة من الجص Frescoes ، موضوع احداها الاولى واسمها : الجدل في السر المقدس Dispute of The Sacrament وموضوع الثانية تشريعي ، واسمها . كتب القانون Books of The Law وكان الشعر محور اللوحة الثالثة واسمها : برناسوس Parnassus ، اما الرابعة فكان موضوعها الفلسفة او المعرفة باوسع معانيها ، وقد سماها رفائيل مدرسة اثينا School of Athens .

واللوحة التي نراها على الصفحة الثانية ليست الا جزءا من لوحة مدرسة اثينا التي سنعود اليها في عدد قادم ان شاء الله . ■





■ خالتي سيدة غنية مرفهة الغنى ، على حين أن أمي فقيرة مرفهة الفقر

توفي أبي بعد أن قضى على ثروته الضخمة المبرم ... أضاعها في المضاربة والمقامرة والانسياق مع شهوات البذخ والترف .

وبعد وفاة أبي اضطرت أمي أن تتزوج رجلا كان جزارا ، لم أعرف عن الجزارة ، وأخذ ينفق مما يجمع له من ربح ما يملك من عقار ضئيل .

قيل انه رجل مكتمل الرجولة ، ذو مال ، ولكن لم يمض على زواج أمي طويل وقت حتى انكشفت حقيقته ، فاذا هو سليط ، من صعاليك الحواري ، شرس شغوب ، لا ينفك لسانه عن الشتيمة والسباب ، ولا يهدأ عن الضرب والدفع ، له زوجات قبل أمي وقطيع من بنين وبنات .

عشت مع زوج أمي هذا في رعب متصل .

وألفت أن أزور خالتي في كل عام ، صبيحة يوم عيد الفطر ، فتمنحني قطعة ذهبية ، تسلها من كيس جلدي رخو بأصابعها الدقيقة في عناية بالغة ، ثم تسألني : « ماذا تنوي أن تصنع به ؟ » .

فأقول وأنا مطأطىء الرأس : « سأسلمه الى أمي » .

فتناديني بقولها : « اطلب منها بلساني أن تشتري لك حلة جديدة » .

وتتحسس الحلة القديمة التي ارتديها ، وعلى سيماها تقزز وأنفة ، وتواصل حديثها . « أهذه حلة يخرج بها صبي الى الطريق في يوم عيد ؟ » .

كنت أكذب على خالتي حين أخبرها بأني سأسلم القطعة الى أمي ، كنت أطبق عليها كفي وأعود أدراجي الى الدار ، فلا أكاد أشرف عليها حتى يتبدى لي الجزار ، زوج أمي ، ويمد يده الي ، وقد ازداد جبينه من تعقد ، وسحنته من جهامة ، وهو يقول في غلظة وتحرش : « هات القطعة يا ولد »

فأناوله اياها في صمت ، وأسرع من فوري الى



امي » وادفن وجهي في صدرها وانا اردد « لقد
اخذ الجيبه ... اخذه يا امي »

فاحتضنتني في حنان قائلة « ابها ... سنطو
عن قال عزة ... لا ...

.. الله لا يكـشـفـه !!
ولاحت النوم .

وعلى ارتعد من خوفي ... عشر ... كما
... الحجر ... المحموم .

اسلمه دون معارضة ذلك الجنيه الذهبي ، منحة خالتي لي في كل عيد ، وانا اصغر الثلاثة [illegible].

ولكن غير بعيد من دارنا حانوت « علاف » ... شطره الواقع على الطريق يحوي معروضات بضاعته ، والشطر الداخلي مسكن له واقربائه ، فكان يطيب لي في عودتي من المدرسة ان اعرّج على ذلك العلاف ، الذي وقفنا في حانوته ، لا لسبب الا لان امرأة الرجل المرجحة بالسلال تحوي غير الرائحة كلبة فرعلة ولونها لها مردفة من الجراء ...

ومن كومات السمسم والفول والذرة والترمس ، المبعثرة على الارض ، كانها شكل عظمي ، ومن حولها الجراء المتموجة تراحم مثكئة على صدرها سيقان الدافئة بهما .

ولم تكن زوج العلاف بأسعد حظا من كلبه ، فكنت اراها بوجهها الطويل النحيل النحافة ، وخديها الغائرين ، مسندة بظهرها الى الحائط ، ورضيعان يتناولان ثدييها ، يجاهدان في امتصاص المرق اليسير من عشابة اللبن في ثدييها المتدليين . وعلى حجرها سعيد طفل يحاول بذراعيها العصبية ان يهدهده كي ينام ... ومن كثب منها صبي صغير دائب الصياح طالب بنصيبه من رعايته .

كنت اردد الطرف بين الام ذات الاطفال ، والام ذات الجراء ، فلا ادري ايهما اجدر بالاشفاق والرثاء .

واما الجراء ، فكانت اذا فرغت من الرضاعة انطلقت تداعبني وتواثبه ، ويبدو شي منهما ملاصقا ظهرها بهريره الابيض ، واسلم له بعض [illegible] العصبة .

ومما بيني وبين احد الجراء محبة والفة ، لونه اصفر ذهبي ، وشعره في ملمس الحرير ، ينظر الي في دلال ودعج بعينين صافيتين ، واطيل النظر في صحبته ، ويوماً الا افارق الحانوت من اجله . بيد ان العلاف وهو جالس على مقعده المنخفض بباب الحانوت كان يطالعني بالنظر بين حين وحين ، وقد بدا يضيق بي وبما يعالي حوله من صخب ، فاشعر بالحرج ، وانهض معتزما الانصراف .

واشتد شغفي بالجرو الذهبي ، فتقدمت مرة في حرجة الى العلاف ، وقلت له : « الا ترضى ان تعطيني هذا الجرو ؟ » .

فقال في حزم : « الدفع ما تدفعه ثمنا له ؟ » .

ولما كنت في الثامنة من عمري ، نكست راسي ، وقلت : « ليس لدي نقود الآن ! » .

— ... ترضيني لن افصل ؟ .

وبارحت حانوت العلاف ، واليأس يخيم على املي في الحصول على الجرو العزيز .

وحل عيد الفطر ...

وذهبت الى خالتي اهنئها به ، واسلم عليها بيدي ، فاستلت الجنيه من كيسها الجلدي الرخو ، وقالت : « ماذا سوى ان تصنع به ؟ قل لامك تشتري لك به حلة جديدة ! ... يجب ان تخرج في العيد بهذا الثوب الرث » .

وانطلقت من لدن خالتي ، وكلي لاهفة على الضيعة في خطر ، وبعينت منطاي مائلا ، ووجهي الست ، وانا منتفخ الصدر ، اسائل نفسي : « ما اسعدني بهذا الجنيه العظيم ! انني لا اكاد اتسلمه من خالتي ، حتى اسلمه كالمألوف العادة الى الجيران العسي ، زوج امي ، في خضوع واستسلام » . والقيت الحمل في صدري ، ولاعب اصابعي ، فلم تعد تمسك القطعة ... وذاهب الى الافكار .

ووجدتني من كثب من حانوت العلاف ، وكان تنبعث من جوانبه ضجيج وصياح وصراخ ... وما اسرع ان احتويني الزحمة ، وخرج يحوي الجرو الذهبي يصيحني بلحيه ، ويتواثب في خفة ومرح ، ودون نظر الي بعينيه العسليتين الصافيتين نظرات امل واستبشار ، فانطلقت عليه الاحبة ، بالقطعة النقود الذهبي ...

وطالت سكوتي ...

وكان العلاف بباب الحانوت على مقعده الوطيء يسارقني النظر ، وقد بدا يضجر مما اثيره انا والجرو من صخب .

واخيرا حملت الجرو ، وضممته الى صدري ، فاحسست بخفق قلبه السريع المتواصل ، وتلاقى ذلك الخفق بما لقلبي من نبضات مهتاجة ، وكانهما قلب واحد له حركة مشتركة متآلفة

ودنوت من العلاف ، والجرو على صدري أحميه بيدي .

وسمعته يلوك في فمه كلمات ، وهو يتفحصني بنظرات مريبة : « خير يا افندي ؟ » .

ــ ... الجرو

ــ وهل احضرت النقود ؟

ــ عندي ما يكفي .

وفي حركة آلية ــ دون وعي ــ افرغت في يد العلاف ما كنت قابضا عليه مما معي ... حذائي

وراقبت العلاف في ولهاث سريع ، والجرو في حضني ، احوطه بذراعي . وصاح بي العلاف من خلفي يقول « انتظر يا افندي ... انتظر ... »

ولكني تصامت عنه ، ومضيت للسير ، اعدو عدوا

ورحت اخفي الجرو في قميصي ، حتى لا تناله العيون

وما ان شارفت الدار ، حتى تراءى لي بالباب ... الجزار ، والعصا على الحد ، فاشعل الافكار في ... ، فعقد الحين .

وساقتني خطاي .

وصرخ الرجل : « ... يا ولد ... ... » .

واصبح مني قاب قوسين .

وسمعت صوته المتحشرج يقول ، وهو ... يده الى : « هات ... يا ولد ... » .

فانحرفت بخطوي عن طريقه ، محاولا ان افلت منه

فواجهني باخذ علي الطريق ، وهو ... قائلا : « اين الجبه يا ... ؟ » .

فرددت عليه في جسارة ، وقد انقلب خوفي غيظا : « ليس لدي ما اعطيك اياه ... » .

ــ اسمع الكلام ، احسن لك ! .. هات الجبه والا خسفت بك الارض ! .. فتجلجل صوتي مجيبا : « قلت لك ليس لدي شيء ... » .

واذا هو يهجم علي ، محتقن الوجه ، ويمسك بكتفي يهزهما في عنف ، وانفاسه المخمورة تكاد ... فاكاد بها اختنق ..

وهنا ... : « لقد ... الجبه ... »

... اطلق

واحسست اصابعه تزحف على عنقي ، وفي هذه اللحظة اطل الجرو برأسه من صدري ، ... مع الرجل ... وصاح الجزار :

ــ ما هذا ؟ .

ــ جرو اشتريته ! ... اشتريته بما اعطتني خالتي ! .

فانصب الشرر من عيني الجزار ، وصرخ بصوته :

ــ بدفع جنيها بهذا الكلب ! ... يا كلب ! .

واحسست يده تحاول اخذ الجرو من صدري ، فجن جنوني ، وزعقت باعلى صوتي « لا ... الكلب ... والا ... »

فضحك ضحكة شوهاء ، كانها عواء ذئب جائع ، وقال « والا ماذا يا كلب ؟ » .

وانقض علي ، يريد انتزاع الكلب من حضني ، فجمعت كل قواي ، ورفست الجزار في بطنه رفسة محمومة

وسمعته يئن من الالم ، وقد اصابته بكرشه لم رايته ... الثالثة مرتج ، وما هم ان ... على الارض ...

... تلك في لحظات خاطفة لم ... ابي

... في وقفتي ، وذراعاي على صدري ، تحوطان الجرو ، وعيناي لا تفارقان الجزار ، وهو ... ملوى .

وحاول الرجل ان ينهض مرات ، فخذلته قواه ، وبعد لأي استطاع ان يقوم منحنيا ، ويداه ... بطنه

وخطا متحاملا على نفسه ، مستندا الى الجدار ، وقد ... حوله ... بالوان من التهكم والسخرية ...

... ، والطريق ... على مهل ...

لقد سقط « ... » الجبار ...

... وانكشف للملأ سره ! .

منذ ذلك الحين اصبح العلبه الذهبي ... خالتي ــ حقا كاملا لي لا ينافسني فيه احد ..

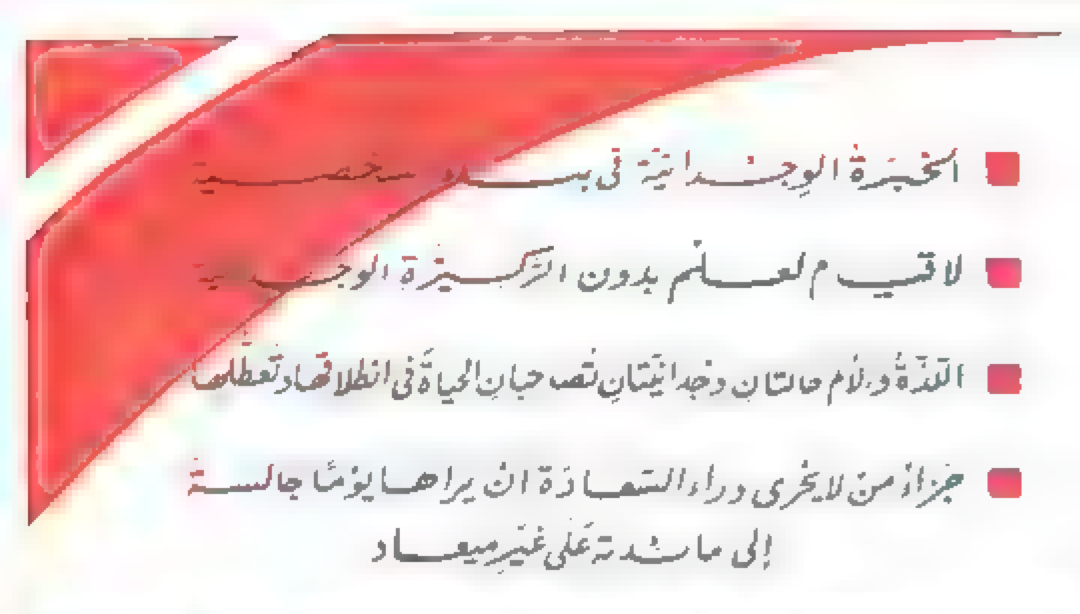
■■

محمود سمور



بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

■ ليس الانسان مجرد موجود مفكر ، وارادة تعمل ، بل هو ايضا قلوب تخفق ، وافئدة تحس . وقد اعتاد اناس كثيرون ان يقيموا تعارضا بين « القلب » و « العقل » ، فنراهم يهونون من شأن النشاط الوجداني للفرد بوصفه مجرد [illegible] بالقياس الى النشاط العقلي . ولكن التجربة قد علمتنا انه ليس في الحياة النفسية « ملكات » منفصلة يحكم بعضها على بعض ، بل هناك تداخل مستمر بين وظائف النفس ، والا لما توافر للشخصية حظ من « التكامل » ، او اي قسط من « الصحة النفسية » . والحق انه اذا كان من الضروري للانسان ان يفكر تفكيرا شخصيا ، حتى يكون له كيانه العقلي الخاص ، فان من الضروري له ايضا ان يحيا حياته الوجدانية المشخصة ، حتى يكون له كيانه الوجداني الخاص . ولسنا نعني بذلك الا يشارك الفرد غيره من الناس افكارهم ، او الا يقاسمهم مشاعرهم ، بل نحن نعني بذلك ان تكون له شخصيته المتمايزة التي تتمتع باصالة في التفكير وعمق في الوجدان . وكثيرا ما يكون عجز الفرد عن الاحساس باية مشاعر عميقة راجعا الى نقص في خبراته الشخصية ، نظرا لانه لم يمر في حياته النفسية بخبرات وجدانية او تجارب انفعالية تحمل طابع « الاصالة » . وليس من شك في ان الشخصية التي تطفو على سطح الحياة ، دون ان تنفذ الى الاغوار العميقة التي تهز كيانها كله ، لا يمكن ان تكون قد عرفت دلالة « الوجدان » في صميم الخبرة البشرية . والظاهر ان هناك « ضحالة وجدانية » تكاد تسير دائما جنبا الى جنب مع « الضحالة الفكرية » خصوصا لدى اولئك الذين لم يلقوا في تجربتهم الشخصية باية احداث هامة يمكن ان تولد لديهم ادنى استثارة عميقة . ولعل هذا هو السبب في ان عددا غير قليل من الناس لا يكاد يعرف من ضروب « الخبرة الانفعالية » سوى ما اعتاد الاحساس به في كنف الجماعة ، او بين غمرة الجماهير ، او في دور السينما



في حياتنا النفسية

دور الخبرة الوجدانية في بناء شخصية الطفل

إن التجربة الوجدانية — مثلها في ذلك كمثل الخبرة العقلية — هي مظهر من مظاهر العمق والأصالة في حياتنا النفسية . ولكننا حين نتحدث عن « التجربة الوجدانية » ، فإننا لا نعني الاستسلام لحياة الأهواء والانفعالات ، بل نحن نعني القدرة على استخلاص ما للمواقف من شحنات وجدانية . وأما حين يجيء الخوف الشديد ، فيسبب لنا ضربا من « الشلل » الوجداني ، أو حين يصبح المرء عاجزا عن مواجهة الحياة كما هي ، أو حين يعمد إلى الاستعاضة عن الخبرة الواقعية بمواقف وهمية ، فهنالك لابد للوجدان الأصيل العميق من أن يصبح أثرا بعد عين ! وليس أمعن في الخطأ من أن نصبح كل « الحقائق » التي يحيا عليها الطفل أو المراهق مجرد « معلومات » تزخر بها رأسه ، دون أن تستحيل يوما إلى « وقائع » معاشة يحفل بها قلبه . وإذا كان أهل التربية قد أثبتوا لنا أن « الحقيقة » ليست مجرد « فكرة » تحتل مكانا في عقل الطفل أو المراهق ، بل هي أيضا « خبرة » لها مكانتها في صميم حياته النفسية ، فلا جرم أن يكون للخبرة الوجدانية دورها في بناء شخصية الطفل أو المراهق. وإذا كانت « الحقيقة » خبرة تعاش ، لا مجرد « فكرة » تعرف ، فليس بدعا أن تكون « الحقائق » التي تؤثر على عقل الحدث أو المراهق هي تلك التي تجيء عامرة بالكثير من الشحنات الوجدانية حافلة بالعديد من مظاهر الاستثارة الانفعالية .

صحيح أن بعض الانفعالات العنيفة قد تتسبب في اضطراب تفكيرنا أو قد تحول بيننا وبين الاستجابة للمواقف المحيطة بنا على النحو الملائم ، ولكن هذا لا يمنعنا من التسليم بأن للانفعال دورا أساسيا في حياتنا العقلية بصفة عامة ، وفي نشاطنا الخيالي بصفة خاصة . ونحن نعرف كيف أن بعض حالات الفرح الشديد أو التهيج الزائد قد تجيء فتعمل على تدفق المعاني في الذهن ، أو انسياق الصور في المخيلة ، حتى لقد ذهب البعض إلى حد القول بأن « الإلهام » نفسه لا يكاد ينفصل عن حالة « الانفعال » البالغ أو « التأثر » الشديد . والواقع أن الحالات الوجدانية العميقة هي أشبه ما تكون بتيارات نفسية جارفة تمتزج فيها الأفكار بالصور وتختلط فيها المعاني بالأخيلة ، فينشأ من هذا الامتزاج أو الاختلاط ما اصطلحنا على تسميته باسم « الإبداع » أو « الابتكار » . وهذا ما حدا بفيلسوف مثل برجسون Bergson

الى القول بأن « الانفعال » هو شرارة « الالهام » لأنه هو الذي يحيل المخيلة الى سورة وهاجة متوقدة ، وهو الذي يجعل من التخيل طاقة خلاقة مبدعة !

هل يكون للوجدان « دوره » حتى في صميم « العلم » ؟

انما نعرف — بطبيعة الحال — ان التفكير العلمي نشاط موضوعي يقوم اصلا على عملية « استبعاد الذات » Self-elimination ؛ فلا غرابة في ان يرتكز المنهج العلمي على النزاهة او الحياد العقلي . ولكن التجربة — مع ذلك — قد اثبتت لنا بما لا يدع مجالا للشك انه ليس ثمة « علم » يمكن ان يخلو تماما من كل اثر من آثار الانفعال او الوجدان . صحيح ان المعرفة العلمية « تفكير عقلي » لا مجرد « اثر وجداني » ولكن هناك « حقائق علمية » هي في حاجة الى ان تكون اصلا « موضوعات » للوجدان ، لا مجرد « معلومات » يستوعبها الفكر . وهذا هو السبب في ان المربي لابد من ان يجد نفسه مضطرا الى تقديم « العلم » للحدث او المراهق بصورة « البحث » الذي يتطلب الحماسة ، ويستثير الاعجاب ... وليس في وسع الطالب الصغير ان يقبل على تعلم « الرياضة » بشغف ولهفة ، اللهم الا اذا وجد فيها « مادة عقلية » لا تخلو من جمال ومتعة . واذا كنا قد درجنا على تصور « الفن » باعتباره هو وحده « عالم الوجدان » ، فلا بد لنا الآن من التسليم بأن من الضروري « للعلم » ايضا ان يشرب شيئا من الانفعال او الوجدان ، حتى تكون له تلك « المتعة الجمالية » التي يتسم بها العمل الفني . ومن هنا فقد لا نجانب الصواب اذا قلنا ان التفكير والوجدان رافدان اساسيان من روافد الشخصية وهما في الحقيقة رافدان متساويان يغذي احدهما الآخر . وقديما قال ارسطو ان « الدهشة » هي الأم التي انجبت لنا « العلم » او « الفلسفة » . واننا اليوم اصبحنا نعرف جميعا انه لا قيام لأي « علم » بدون تلك « الركيزة الوجدانية » التي مثل « روح الاعجاب » ، وتعبر عن الحاجة الى الاتصال بالحقيقة العلمية . والا فلابد للتعلم من « تفكير » و « وجدان » ، كما لابد للتذوق الفني (هو الآخر) من « تأثر وجداني » و « حكم عقلي ».

ولكن ، ماذا نعني بكلمة « خبرات وجدانية » ؟

وهنا قد يتساءل القارىء : « أليست هناك انفعالات بشرية متنوعة ، فما الذي نعنيه حين نتحدث عن خبرات وجدانية ؟ » . وردنا على هذا التساؤل اننا حين نتحدث — بصفة عامة — عن « خبرات وجدانية » ، فاننا نعني بها تلك الحالات النفسية التي نستشعر فيها احاسيس اللذة او الالم ، استجابة منا لبعض المواقف السارة او المكدرة . ولا نرانا في حاجة الى القول بأن تلك الاستجابات ليست سوى عمليات تنشيط للدوافع والحاجات والميول تنشيطا طبيعيا ملائما ، فانه من المعروف ان الخبرات الوجدانية السارة هي الاصل في تعلق الموجود البشري بالحياة ، واقباله على تحقيق ذاته ، واهتمامه بالبحث عن السعادة ، وحين قال ارسطو قديما : « ان اللذة هي كمال الفعل لأنها تضاف اليه كالنضارة الى الشباب » ، فانه كان يعني بذلك ان اللذة ظاهرة مصاحبة للنشاط العضوي ، وانها تقترن بالفعل حين يتم تحققه في حرية وانطلاق ، دون ادنى عقبة او عائق .

ولكن حياتنا الوجدانية لا تتألف من خبرات سارة فحسب ، بل هي حافلة ايضا بالكثير من الخبرات الأليمة . وقد تبدو لنا « اللذة » احيانا حالة وجدانية اقل ثباتا واضعف شدة من « الألم » او قد نلاحظ احيانا ان « اللذة » لا تستأثر بمشاعرنا ، بقدر ما يستأثر بها « الألم » ، ومن هنا فاننا قد نميل الى الظن بأن « اللذة » ذات طابع سلبي ، في حين ان « الألم » ذو طابع ايجابي ، وكأن « اللذة » هي مجرد حالة « امتناع للألم » ! وقد يبدو لنا « الألم » احيانا اخرى مجرد ظاهرة عرضية شاذة ، في حين تبدو لنا « اللذة » بمثابة ظاهرة اصلية سوية ، وعندئذ قد نميل الى الظن بأن « اللذة » ذات طابع ايجابي ، في حين ان

«الألم» ذو طابع سلبي بحت، وكأن «الألم» هو مجرد حالة «امتناع اللذة»! وهكذا نجد أنفسنا مدفوعين إلى التساؤل مع كل من اسبينوزا Spinoza، وكانط Kant، وشوبنهور Schopenhauer (وغيرهم) عما إذا كانت «اللذة» هي «امتناع الألم» أو ما إذا كان «الألم» — كما قال ليبنتز Leibniz — هو «امتناع اللذة».

اللذة والألم حالتان نسبيتان لاقيام للواحدة منهما دون الأخرى

إن في القول بإيجابية الألم وسلبية اللذة اعترافا ضمنيا بأن جوهر إرادة الحياة هو مثل الجهد، مع التسليم في الوقت نفسه بأن الجهد — في صميمه — عذاب أو مشقة! ونحن لا ننكر أن ثمة آلاما قد لاتخلو من صبغة إيجابية، ولكننا لا نرى مانعا من التسليم أيضا بوجود آلام أخرى هي في صميمها مجرد حالات سلبية تعبر عن امتناع اللذة، أو ضعف شهوتها، أو تناقص حدتها .... هذا إلى أننا قد نستطيب العذاب في سبيل القيام ببعض الجهود الشاقة، أو قد نجد ضربا من اللذة في الاضطلاع ببعض المهام العسيرة. ولكننا إذا أخذنا بالرأي القائل الذي يقول بإيجابية اللذة وسلبية الألم، فقد أنكرنا على الآلام كل صفة وضعية أو إيجابية، وكأن نسيج وجودنا الأصلي محاك من خيوط اللذة وحدها، أو كأن الآلام هي مجرد «ظلال» تسقطها الأحداث على ذلك النسيج الأصلي. ومن هنا فإنه قد يكون الأدنى إلى الصواب أن نقول إن كلا من «اللذة» و «الألم» — شأنهما في ذلك كشأن غيرهما من الحالات النفسية — ظاهرة حقيقية لها وجودها الواقعي في صميم مجرى الشعور. ولكننا هنا بإزاء ظاهرتين نسبيتين لاقيام للواحدة منهما بدون الأخرى. هذا إلى أن ثمة «غائية باطنة» تجعل من اللذة والألم حالتين وجدانيتين تصاحبان بالضرورة انطلاق الحياة أو تعثرها، أو يسرها أو عسرها، سواء أكانت هذه الحياة عضوية أم حسية أم أخلاقية ...

تداخل الخبرات السارة والخبرات الأليمة في حياتنا النفسية

والواقع أنه قد يكون من خطل الرأي أن نقيم تعارضا حاسما بين اللذة والألم، أو بين الخبرات السارة والخبرات الكدرة: لأن التجربة العادية تشهد بأن ثمة تداخلا حقيقيا بين هذين النوعين من الخبرات الوجدانية.

وأول مظهر من مظاهر هذا التداخل هو تحول اللذة إلى ألم، أو الألم إلى لذة، كما هو الحال مثلا حين يجيء الإحساس الملائم — إذا قدر له الاستمرار أو الدوام — فيستحيل إلى إحساس غير ملائم، أو حين يجيء الجهد الذي نبذله على سبيل اللهو أو اللعب — إذا طلب إلينا القيام به وكأنما هو واجب نؤديه أو أمر ننفذه — فيستحيل إلى جهد شاق قد نجد فيه شيئا من الكد أو الإرهاق.

وأما المظهر الثاني لهذا التداخل فهو تغلغل الألم إلى صميم اللذة، أو تغلغل اللذة إلى أعماق الألم، بدليل أننا — كما سبق لنا القول — قد نستطيب مثل الجهد ونحتمل الشاق، أو قد نجد لذة في تناول بعض المشروبات المرة أو في تذوق بعض الأطعمة اللاذعة (المليئة بالتوابل).. ونحن نعرف كيف أن هناك لذات قد لا تخلو من مرارة، وكيف أن لمسة موجعة قد تقترن بضرب من الإحساس بالراحة. وليس أدل على نسبية اللذة والألم، وتداخل الحالات الوجدانية السارة والحالات الوجدانية الكدرة، من أن الألم نفسه قد لا يكون في بعض الأحيان سوى مجرد حرمان من إحدى اللذات أو نقص في درجة الإشباع (أي التمتع ببعض اللذات)، فضلا عن أن المرء قد يستشعر ضربا من اللذة حين تقل موجة دائه، أو حين تضعف شدة التنبيهات التي تؤثر على أعصابه.. وهذا هو السبب في أن علماء النفس لم يعودوا ينظرون إلى اللذة والألم على أنهما حالتان نفسيتان متمايزتان، أو واقعتان وجدانيتان منفصلتان، بل هم قد أصبحوا مجمعين على القول بنسبية اللذة والألم، وتداخل الخبرات السارة والخبرات الأليمة.

دور « الخبرات الأليمة » في حياتنا النفسية ..

وهنا قد يقال : « ان الألم – مع ذلك – مغاير في طبيعته للذة . فهو حالة نفسية لا تريد الذات ان تعانيها ، في حين ان اللذة حالة نفسية تقبل الذات عليها . » ونحن لا ننكر ان « الارادة » تواجه « الألم » غالبا متلفظة « لا » ، وتعطي « اللذة » دائما كلمة « نعم » ! ولكننا لا نملك الجزم بان « الألم » شر في جميع الحالات ، وان « اللذة » خير في جميع الحالات . والحق ان للخبرات الأليمة دورا هاما في حياتنا النفسية ، بدليل أننا قد لا نجد مانعا – في بعض الأحيان – من تحمل بعض الآلام ، أو العزوف عن بعض اللذات . واذا كان كثير من فلاسفة الأخلاق قد غالوا في تقرير أهمية « الألم » في حياتنا الروحية ، فذلك لانهم قد فطنوا الى ان « الآلام النفسية » (أو الروحية) التي نعانيها ، هي التي تخلع على وجودنا الشخصي كل ما له من فردية وأصالة . ومعنى هذا ان خبرة الألم هي التي تبرز الجانب الشخصي من وجودنا : انها هي التي تضطر الذات الى الغوص في أعماق وجودها ، من أجل العمل على اكتشاف ما يكمن في أغواره من « قيم » واذا كان كثير من الناس ينسبون الى « الخبرات المؤلمة » دورا خطيرا في صميم حياتهم ، فذلك لأنهم يشعرون في قرارة نفوسهم بأن « الآلام » التي كابدوها هي التي كونت معظم الجانب الشخصي من وجودهم . وحين تجيء الخبرات الأليمة التي يعانيها المرء ، فتندمج في صميم وجوده ، وتصبح جزءا لا يتجزأ من نسيج شخصيته ، فهنالك تتحول هذه الخبرات الى ثروات روحية هائلة تدخرها الذات لمواجهة المستقبل ، وتتسلح بها لصد كل ما قد يستجد عليها من هجمات . وقد يستحيل الألم احيانا الى أداة فعالة تزيد من خصب حياتنا النفسية ، وتعمل على صقل شخصيتنا ، لكن على شرط الا يظل هذا الألم مجرد شيء دخيل نعانيه ونحن تحت تأثيره ، بل يستحيل الى واقعة شخصية نهضمها ونتمثلها ونستوعبها في صميم وجودنا . ومن هنا فان خبرة الألم تمثل تجربة ذاتية هامة تزيد من عمق حياتنا الباطنة ، وتكفل لنفوسنا ما هي في حاجة اليه من تربية خلقية . وهذا هو السر في ان بعض فلاسفة الأخلاق المعاصرين – من امثال هرتمان ... N. Hartmann وماكس شيلر Max Scheler – قد نظروا الى « الألم » على انه « قيمة » من القيم الأخلاقية الأساسية .

ما من شيء عظيم تحقق دون ألم أو عذاب

والحق انه ما من شيء عظيم أو جليل – في هذه الحياة الدنيا – قد امكن ان يتحقق يوما ، دون ما ألم أو عذاب . وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الالماني الكبير هيجل Hegel ، حين قال قولته المأثورة « ان التاريخ البشري لم يكن في يوم من الأيام موطنا تنمو فيه السعادة ، بل لقد كانت عصور السعادة – في سجل التاريخ – هي صفحاته البيض » ! وحسبنا ان نرجع الى التاريخ البشري لكي نتحقق من ان الانسانية قد اضطرت دائما الى ان تجتاز أقسى التجارب وأقسى المحن ، من أجل الوصول الى مراحل أسمى من الرقي والتقدم . وكثيرا ما يقاس مدى رقي الجماعات – كما هو الحال أيضا بالنسبة الى الأفراد – بما عانته من تجارب ، وما مر بها من ازمات .

وفي هذا يتجلى الفارق الكبير بين الرجل البدائي والانسان المتحضر : فان الأول منهما لا يكاد يعرف كل تلك الآلام الحديثة المتعددة التي تجيء بها الحضارة الانسانية كلما أوغلت في سبيل التقدم والازدهار في حين ان الأخير يعاني الكثير من الآلام بسبب رقي حساسيته ، وتفتح وعيه ، ورهافة شعوره .. الخ . ومن هنا فقد لاحظ بعض الباحثين ان الانسان البدائي يكاد يحيا في شبه سرور دائم ، حتى لكأنه يجهل الكثير من الآلام الاولية البسيطة التي يعانيها الرجل المتحضر ، على الرغم من انه أكثر تعرضا من الرجل المتمدين لعوامل الصدفة ، وضغوط القوى الطبيعية ، وشتى ضربات القدر . وبينما يزداد شعور الرجل المتحضر بالخوف من جهة ، والبعد عن الطبيعة من جهة اخرى ، نجد ان الرجل البدائي يبدو أقل منه احساسا بالخوف ، وأدنى منه شعورا بالبعد عن الطبيعة . وهكذا تقل لدى الرجل البدائي درجة الاحساس بالألم ، وتضعف لديه القدرة على تمييز المواقف الأليمة ، بيد

تعمل المدنية – لدى الانسان المتحضر – على زيادة احساسه بالألم ، وتقوية قدرته على ادراك المواقف الأليمة .

وليس غريبا أن يكون من آثار الحضارة البشرية تزايد آلام الفرد والجماعة . فانه لمن الواضح أن تعقد أسباب الحياة لا بد من أن يفضي الى تنوع آلام الانسان . واذا كان من شأن المدنية أن تزيد من عمق الآلام البشرية ، فان من شأنها في الوقت نفسه أن تزيد من تنوع أسباب السرور لدى الانسان المتحضر . وآية ذلك أنها تضع أمام أهل المدنية مجالا واسعا للتمتع بضروب كثيرة من الخبرات السارة ، فتجعلهم يقبلون على أنواع جديدة من اللذات ، ويتفننون في استحداث وسائل مبتكرة للاستمتاع بالحياة . ومهما يكن من شيء ، فان حياة الانسان المعاصر قد أصبحت تزخر – اليوم – بأشكال متنوعة من الخبرات الوجدانية (سارة كانت أم أليمة) وان كان تعقد أسباب الحياة قد عمل على تعميق آلام البشر ، وزيادة حساسيتهم لما في الوجود البشري من شرور .

دور « الخبرات السارة » في حياتنا النفسية

... على أن « الآلام » لا تمثل – وحدها – الجانب الأكبر من خبراتنا الوجدانية ، بل هناك أيضا تلك « المتع » أو « المسرات » التي لا تكاد تخلو منها أية حياة نفسية ، وفي مقدمتها « الصحة » ، و « القوة » ، و « الشباب » ، و « الحيوية » ، و « الامتلاء » ، وشتى ضروب « الاشباع » . ولا شك أن كل هذه اللذات التي تكمن جذورها في صميم « الطبيعة البشرية » انما تمثل « خبرات سارة » تلعب دورا هاما في صميم حياة الفرد والجماعة . ولو لم تكن لتلك اللذات أصول طبيعية تمتد الى أعماق التربة البيولوجية ، لما كانت لها كل تلك الأهمية في حياتنا النفسية .

ولعل هذا هو السبب في أن كل ما هو « طبيعي » لا بد من أن يبدو لنا « بريئا » و « جميلا » في آن واحد .

ولقد كان كثير من الفلاسفة القدماء يرون في « اللذة » مظهرا من مظاهر « الصحة النفسية » ، كما كانوا يعدون النفس العاجزة عن الاستمتاع باللذات – جسدية كانت أم روحية – نفسا مريضة معتلة . وحسبنا أن نعود الى أبيقور ، وأفلاطون ، وأهل الرواقية ، لكي نتحقق من أن « الأخلاق » عند هؤلاء جميعا كانت تستند الى « نظرة طبيعية » توحد بين « ما هو صحي » من جهة ، و « ما هو خير » من جهة أخرى ، فكانت تعد « الخير الأقصى » هو ما من شأنه أن يكفل للانسان « الصحة النفسية » . وهذا الاعتراف الصريح بأهمية « القيم الحيوية » هو الذي عمل على ادخال « اللذة » في دائرة « الحياة الخلقية » وهو الذي أدى في الوقت نفسه الى ارساء دعائم تلك « النزعة الأخلاقية الطبيعية » التي رافقت منذ البداية التوحيد بين « ما هو طبيعي » وما هو سوي (أو خير) . ولم تلبث بعض الديانات السماوية أن عملت على زعزعة أركان هذه الثقة المرتبطة بالطبيعة ، وهذا التمسك البالغ بالقيم الحيوية ، فانتشرت أخلاقيات الزهد والتقشف ، وارتفعت الصيحات معلنة بطلان حياة الجسد والاستمتاع الشهوي . ثم جاء العصر الحديث بسعيه اللاهث وراء « اللذات » ، فلاقت المذاهب القائلة بالزهد والتقشف حملات عنيفة من جانب أولئك الذين لم يفهموا معنى الاستمرار في معاداة « الطبيعة » ، وانكار أهمية « القيم البيولوجية » وهكذا عادت « فلسفة اللذة » الى الظهور ، لكي تتولى الدفاع عن « قيمة المتعة » .

ونحن لا ننكر أن للخبرات السارة دورها في تعميق احساسنا بالحياة ، وتنويع أسباب تعلقنا بالوجود ، ولكننا نميل الى الظن بأن الاقتصار على البحث عن اللذات ، كثيرا ما يحيل الحياة بأسرها الى مجرد سعي تافه ممل ، ولكن « اللذة » قد أصبحت هي « الخير الأقصى » الذي يطلب لذاته . وكثيرا ما تعمد فلسفة اللذة لتحجب عن أعين الناس العديد من القيم الأخرى التي تحفل بها الحياة : كالمعرفة ، والتذوق ، والفن ، والثقافة ، وما الى ذلك ، وهي جميعا قيم انسانية لا تتصل الا بشق الانفس . وربما كان الخطر الأكبر الذي يتهدد المأخوذين بسحر « مذهب اللذة » هو الوقوع تحت أسر « أوهام السعادة » فلا يلبث الواحد منهم أن يعدو – لاهثا – وراء سراب المتعة ، والرفاهية ، واللذات ، وشتى

استكمال الخبرة السارة ، لم يصل به الأمر — في خاتمة المطاف — الى الشعور بالخواء ، والفراغ ، والعبث ، والضياع ؟ والظاهر أن تحرجي الفلاسفة الاخلاق من حياة اللذة ، والنفعية ، واليسر ، والسهولة ، هو الذي حدا بهم الى الشك في قيمة كل « سعي رخيص وراء السعادة » ، خصوصا وانهم فطنوا الى العلاقة الوثيقة التي طالما جمعت بين « خبرة الألم » من جهة ، ووعي الانسان بالقيم من جهة أخرى .

هل من صلة بين « خبرة الألم » و « الاحساس بالسعادة » ؟

بيد ان الملاحظ — فيما يقول هارتمان — ان الدور الذي تقوم به « خبرة الألم » لا يقف عند التماس بالشخصية البشرية ، وزيادة عمق احساسها الخلقي ، وصبغها بصبغته التأمل الاخلاقي ، بل ان من شأن هذه الخبرة أيضا ان تزيد من قدرة الانسان على الاحساس بالسعادة . وآية ذلك ان من شأن الخبرات الأليمة — في كثير من الاحيان — ان تكسب المرء ارهافا وعمقا يجعلان منه كائنا حساسا رقيقا يتمتع بقدرة اعظم على تذوق السعادة . فالشخصية التي صهرتها الآلام لا تعود تجزع لأتفه المخاوف ، أو تقلق لأصغر الاحداث ، بل هي تقف في وجه مصيرها بقلب عامر بالشجاعة والقوة ، دون ان تفقد شجاعتها أي تلهف على اللذة ، أو أية رغبة عارمة في السعادة . وقد عودتنا الحياة ان يكون جزاء من لا يجري وراء السعادة ، أن يراها يوما حافلة الى مخدعه على غير ميعاد ! وهكذا تجيء السعادة — على أطراف أصابع اقدامها — فتتسلل الى منزل ذلك الرجل « المجرب » الذي اكتوت نفسه بنيران الآلام ، وانصهرت شخصيته في بوتقة الاحزان ! ومتى غير المتألم يستطيع ان يستطيب طعم السعادة ، بل متى غير المجرب يعرف كيف يتذوق حلاوة الفرحة بعد مرارة الألم ؟

وأخيرا ، لا بد من اقامة توازن عاطفي بين الخبرات السارة والخبرات الأليمة .

ان التجربة لتشهد بأن الوجود البشري الذي اعتاد ان يقبل على اللذة ويعزف عن الألم ، لا بد من ان يجد نفسه مدفوعا الى المبالغة في تقرير أهمية الخبرات السارة على حساب الخبرات الأليمة . وليس من شك في ان البشر أجمعين يميلون الى تفضيل حياة الطمأنينة والسهولة واللذة ، على حياة المجاهدة والعسر والمشقة . ولكن « خبرة الألم » مظهر من مظاهر صراع الانسان ضد ذاته من جهة ، وضد العالم الخارجي من جهة أخرى ، فهي تعبير عن انتقال الانسان من المستوى الطبيعي الصرف الى المستوى الحضاري البشري . وربما كانت عظمة الانسان انه الموجود الوحيد الذي يتاح له « القيم » بالمعنى الحق ، وكأنما قد كتب عليه الا يشتري الحضارة الا بأفدح الأثمان ! ومع ذلك ، فان أحدا لا يستطيع ان يحيا ، اللهم الا اذا حقق لنفسه — بصورة أو بأخرى — ضربا من التوازن العاطفي بين الخبرات السارة والخبرات الأليمة . ومهما يكن من دور « الألم » في حياتنا النفسية ، فان « الخبرات الأليمة » لا تكفي وحدها لتكوين نسيج وجودنا كله . وبالمثل ، لا يمكن ان تكون ثمة حياة بشرية قد حيكت بأكملها من نسيج اللذات وحدها ؛ فان « اللذة » لو رانت على الوجود البشري بأسره ، لأحالته الى حياة تافهة ليس فيها الا الخواء والسأم ! ومن هنا ، فان النضج النفسي يستلزم بالضرورة اقامة ضرب من الاتزان الوجداني في صميم بناء الشخصية ، حتى يتمكن الفرد من الاقبال على اللذات بقدر ، والانصراف عن الآلام بقدر ، دون ان تكون وجهته مجرد سعي لاهث وراء السعادة ! وليس أيسر على الانسان — بطبيعة الحال — من ان يستسلم لسحر اللذة ، أو ان يستجيب لنداء الهوى ، ولكنه — عندئذ — لن يكون الا مخلوقا ضعيفا تتجاذبه الانفعالات ، وتتنازعه الاهواء . وهل كان الانسان موجودا واعيا الا لأنه الوجود الوحيد الذي يملك القدرة على احالة « الطبيعة » الى « حضارة » ، وتغليب حياة العقل والنظام على حياة العاطفة والفوضى ؟ وماذا عسى ان يكون « التوازن العاطفي » نفسه ان لم يكن مظهرا لقدرة « العقل » على تنظيم الانفعالات وقدرة « الارادة » على تعقل الاهواء ؟ ■■

زكريا ابراهيم

انى .. انتظرتك

[illegible]

الليلُ واهونُ المسروع [illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible] النورُ منك ، وهلْ صحوتْ

[illegible]

إن نسيت وإن ذكرت [illegible]

[illegible] وهل وَجِئتْ ؟ وهل أتيتْ ؟

القاهرة ـــ محمد النهامي



بقلم : حسن الجداوى

■ فى أواخر الحرب الماضية كان يقيم بباريس شارع دوريجار الأسلاد و كرو . وهو محام سابق فى العقد الثامن من عمره . بعد أن كون ثروة لا بأس بها يتمتع بالراحة التى استحقها بعد أن عمل فى المحاماة قرابة نصف قرن . وكانت تقيم معه أخته وهى فى مثل سنه . وخادمة صغيرة اسمها جان بيتو . وقد عرف عنه وعن أخته أنهما يحتفظان بأموالهما فى منزلهما ، وأنهما لا يبخلان على طالبى المساعدة بالمال والعطف وأنهما من الصنف الذى قال عنه الشاعر عربى

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه
لجاد بها فليتق الله سائله

وفى عصر احد الأيام من شهر ابريل بينما المحامى يستريح وبجواره أخته ، دق جرس الباب فذهبت الأخت لتتعرف على الطارق ، لأن الخادمة كانت قد ذهبت تشترى بعض الطلبات من السوق ، فوجدت شابا لا تعرفه ولا سبق لها أن رأته يسأل عن جان بيتون - أى الخادمة . فقالت له أن هذا الشخص لا يقيم بالمنزل ، وان اخته ستعود بعد قليل .. فانصرف .

وبعد نصف ساعة دق جرس الباب من جديد ، فاعتقدت أن الخادمة عادت وذهبت لتفتح لها الباب ، فاذا بالطارق هو نفس الشاب السابق . وما كادت تفتح الباب حتى انهال عليها بمطرقة كان قد أخفاها فى طيات معطفه . فصرخت صراخا مفزعا ، وأسرع أخوها لينقذها ، فانهال عليه الطارق بضربة قوية ألقته مضرجا بدمائه ، ثم التفت الى الأخت ليوقف صراخها فاسكت حنجرة كان معه واخذ يطعنها ولكن الجيران سمعوا صراخها فأنقذوا النجدة فاستدعوا البوليس الذى فتش المنزل فوجد القاتل - الذى لم يستطع الفرار - مختبئا تحت مجموعة من ملابس معدة للغسيل فقبضوا عليه .

ولما سأله البوليس عن اسمه أعطاه وزعم أن اسمه بيسيل كامبى وأنه من مواليد مارسيليا عام ١٩٠٨ . وقد تبين فيما بعد انه ، لا الاسم ولا سنة الميلاد ولا مكانه صحيح ، فقد قلب المحققون الارض والسماء بحثا عن شخص بهذا الاسم فخيب جهودهم هباء . وعرضوا أوصافه وصورته فى جميع أنحاء فرنسا وجميع مراكز البوليس بلا فائدة ، وواجهوه بآلاف الأشخاص ليتعرفوا عليه فلم يتعرف عليه أحد ، وبقيت شخصيته مجهولة ، وكل الذى اظهره البحث انه انسان متعلم مثقف له أسلوب راق فى الكتابة يحسن التعبير عن نفسه بلغة سليمة وألفاظ منتقاة تدل السنه فيه جراءة وسخع

واستقر رأى قاضى التحقيق على أن يقدمه للمحاكمة بالاسم الذى ادعاه لنفسه خاصة بعد أن كتب الى القاضى خطابا يصر فيه على موقفه بعد

« السيد حضرة قاضى التحقيق

« منذ شهر أكتوبر الماضى - أى منذ ما يزيد [illegible]

[illegible]

« لقد طالت اجراءاتكم . وما دمت لا تريد أنيه [illegible]



[illegible]

؟ ارید ورقه وجیلة تحت اي ظرف

« كامي »

بعث كامي الى جورج كليمنسو — عضو مجلس النواب الحركة ، ومنقذ فرنسا فيما بعد والذي عرف باسم « النمر » خطابا غريبا دون ضجة .

« اني قاتل شارع دوربجار ولكنني واحد من المحسنين سيرولك عند قراءتك باهتمام خطابك عن حوادث السوابق .. واذ تعني انك تعرف عن حياة السجون اشياء لا يعرفها الا من جرب مثلي تلك الحياة ، انت الذي لم تدخل السجن .. لذلك ارجو منك ان تتولى الدفاع عني » .

ولم يكن كليمنسو محاميا بل كان طبيب اسنان احترف السياسة . فلذلك احال خطاب كامي الى محام من انصاره — عضو مجلس النواب هو الاستاذ لابي ... وتولى هذا الاخير مهمة الدفاع بينما مثل الاتهام الاستاذ كيسي دي بورسي المحامي العام الذي اصبح فيما بعد نائبا عاما وادبيا يشار اليه بالبنان وعضوا بالاكاديمية الفرنسية .

بدأ رئيس المحكمة استجواب المتهم

— اسمك ؟ كامي

— سنك ؟ ٢٢ سنة

— مهنتك ؟ مجهولة .

— محل اقامتك ؟ لا اعرفه .

— لقد وجدت معك فاس بتكسير الاحجار ، فمن اين جئت بها ؟

ج — لا استطيع الاجابة على هذا السؤال .

س — وكنت تحملها ... معطفك ؟

ج — نعم .

س — وهجمت على الآنسة دوزرو وضربتها بها فصرخت عدة صرخات ؟

ج — (في هدوء) بل صرخة واحدة .

س — ولما استدعت الخادمة البوليس وحضر امسكوا بك لانك لم تتمكن من الهرب ؟

ج — ابدا . لقد صممت ان يقبض علي حتى لا تضل البوليس في البحث عني .

س — لقد قلت للسرقة ؟

ج — ابدا .

س — هل الذي حملك على القتل الانتقام ؟

ج — ...

س — انني لا استطيع ان ابني الباعث لك .

انك وحدك — واصلحتك — تستطيع الآن ان تسير الى الطريق ؟

جـ — (بقوة واصرار) ابدا .

— ولكنك اعترفت بأنك قتلت لتسرق !

جـ — نعم . لكي اضلل التحقيق .

— س — انك قلت انك ارتكبت جريمة عادية سببه السرقة !

جـ — قلت ذلك للمسيو ماسيه (مدير البوليس) لاستريح من مضايقاته . انني اعرفه . هو ليس افضل مني . لقد قضى ثمانية اشهر ليجعلني افضي اليه بسري . دللني . ودعني الى السجائر . والخمر وورق اللعب . بل والسكر بلا جدوى فلم اقل له من انا ولا لماذا قتلت .

س — اذا لم تكن السرقة هي الباعث فتحدث الى قضاتك الذين بيدهم مصيرك . فهذا هو الوقت ؟

وظهر التردد على كامبي . ونظر الى اسفل . واخذ يحرك قبعته بين يديه . وخيل للحاضرين انه سيتكلم ولكنه رفع رأسه وقال بعصبية .

« لقد جرى بيني وبين المسيو دوكرو حديث قبل أن يلقى مصرعه . اما ما قاله لي فسأحتفظ به لنفسي . ولن افضي اليكم بما احتفظت به طوال ثمانية اشهر . لقد عبثت بالمسيو ماسيه وعبثت به الى بريتاني والى مارسيليا وامكنه قدمنا اخرى وسطرت بالعدالة . وكذبت وكذب دائما » .

س — ألك اسرة ؟

جـ — نعم ومن اجلها اخفي شخصيتي .

س — هل انت فرنسي ؟

جـ — ربما

س — هل ابوك او امك او اخوتك احياء ؟

جـ — اجل . انني افكر في شرفهم .

س — كان يجب ان تفكر فيهم عند ارتكابك للجريمة . ان الجريمة هي التي تسبب العار لا العقاب .

جـ — العقاب ؟ المقصلة ! لكن . انكم ستكونون رقبتي فخذوها

س — هل تحس بالندم ؟

جـ — سيدي . لست الرجل الذي يندم على ما فعل . ولكني لن اعود ثانيا . لن اعود

س — لقد قلت انك صمت لأنك متخوف من العفو عليك !

جـ — قلت ذلك لقاضي التحقيق لاصبح حدا لمضايقاته الكثيرة

س — ولكنك قلت ايضا «لقد قتلت موسيو دولوس». فان الحكومات تقتل ضحاياها ؟ يحق لي ان اقتل انا ؟!

جـ — قلت ذلك على سبيل الازدراء

س — ولكنك قذفت بحذائك في وجه قاضي التحقيق ؟

جـ — نعم . في ساعة غضب. لقد كان يستجوبني اثنة عشر ساعات بدون انقطاع .

س — وتحدثت بلى قتل احد الحراس ؟

جـ — كان يحرضني على ان احدث شغبا ليترقى علي ويحصل على وسام الشرف .

وضحك الحاضرون واستمر كامبي

س — وتعجبت على موقف البوليس (تهكمه) وبذل رجال البوليس جهدا كبيرا لاسترداد الفضاء منك !

جـ — لقد استهزى رجال البوليس علي ويهددونني،

س — وتحديت قاضي التحقيق المحترم وكتبت له تقول انك تعرف انه يهتم بارضاء السيدات اكثر من اهتمامه بتحقيق العدالة ؟

وهنا ايضا ضحك من بالجلسة ضحكا متواصلا اضطر رئيس الجلسة الى وضع حد له وهدد باخراج الموجودين من القاعة .

س — لقد قلت عند القبض عليك انك نادم، ولم تكن قد اجتررت على الصحافة كما تفعل الآن . والمجرمون — ساعة القبض عليهم — يقولون عادة الصحافة !

جـ — لقد اجبت على اول سؤال على بذكر اسم غير اسمي . (ضحك) .

س — ولكن المتهمين لا يكذبون في تلك اللحظة . وانا استشهد على ذلك بتجربة السيد المحامي العام !

جـ — (وهو لا يستطيع منع نفسه من الضحك) تجربة المحامي العام ! اوه .. لا .. لا ..

س — لقد قلت في تلك اللحظة . انك تعرف مسيو دوكرو . وانك عملت معه . وانه احسن اليك واعطاك كتبه والسجائر . وانك عرفت عنوانه مما كتبه على احد الكتب التي اهداها لك . وقلت انك كنت في باريس جائعا وبدون مورد وانك تعلم ان في بيته نقودا .. هذه هي القضية !

جـ — ان كل ذلك ما تريد ان تعتقده . فلك ذلك . انكم ستحكمون علي ولكنكم لن تظفروا بالعثور لاسم اسرتي .

وجلس كامبي غير منتظر الى رئيس المحكمة

مظهرا بحركته انه لن يجيب على اى سؤال آخر وسمعت اقوال الشهود .

الآنسة دوكرو – ذات الثمانين عاما – لا تزال مريضة – لا نعي ما تقول حتى انها لا تذكر الجريمة .

ومدير البوليس شاهده يشرح الجهود التي بذلت لمعرفة اسم القاتل الحقيقي بلا نتيجة . وقال ان الظاهر انه سبق له الاشتغال بحارا لانه يستعمل بعض تعبيرات رجال البحر ويتحايل في مشيه ويضع البيرية ، وكان متشردا فقد عثر عليه اذ كان يحمل في جيبه حتى الصابونة والمشط والفرشاة .

ووجه اليه محامي المتهم السؤال الآتي

س – قال المتهم انه يعرف المسيو دوكرو فهل فحصت اوراق القتيل للتحقق من ذلك ؟

ج – نعم . فحصت كلها ورقة ورقة ولم نعثر فيها على ما يؤيد هذا الزعم .

وهنا قال المحامي العام ان القتيل كان رجلا محسنا يقابل كل من يلجأ اليه ولذلك اصبح فريسة سهلة .

وشهد الاطباء الذين كلفوا بدراسة حالة المتهم العقلية انه كامل المسئولية .

وطلب المحامي العام ان يقضى على المتهم باقصى العقوبة . انه مجرم شقى يريد ان يضفي على جريمته ثوبا كاذبا من الغموض . انه ممثل مضحك ملوث اليدين بالدماء يتلاعب بالالفاظ ويهزأ بالعدالة ويتمم لانه لم يستطع الاجهاز على الآنسة دوكرو . وليس في الامر اى غموض . انه متشرد لا مورد له . احد المجرمين الذين ينتشرون في شوارع باريس يسكنون ارصفة نهر السين وينامون تحت جسوره ويبحثون عن جريمة يرتكبونها وقد وقع اختياره على المرحوم دوكرو لانه يعيش واخته في مسكن منفرد . تظهر عليهما آثار النعمة . يساعدان الفقراء ويفتحان بابهما لكل طارق . وقد اعتدى عليهما كاسى ليسرقهما ولكن الفرصة لم تواته . ولا شك في انه ليست له سابقة معرفة بهما ولا بمسكنهما لانه سأل بواب العمارة اسئلة مفصلة عنهما وعن مسكنهما ولانه بعد الجريمة لم يهتد الى طريق الخروج .

اما اسمه الحقيقي فلا اهمية له . انه مجهول وعظيمه القاتل بهما امامكم مجرم يجب ان يتخلص منه المجتمع الانساني

وترافع الاستاذ لاجير محامي المتهم قال

حضرات المحلفين

بعقل مصري ولا يطلق لساني لانى مقيد بسر المهنة ، ولكن ذلك لا يمنعني من ان اؤكد لكم ان المتهم من اسرة كريمة محترمة . واذا كان قد سبق له ان دخل السجن فان ذلك كان نتيجة لنزوة شباب في معركة اشبه ما تكون بمبارزة بريئة لم تنتقص من شرفه فيه انملة . وقبل اليوم الذى اعتدى فيه على المرحوم المسيو دوكرو كان يجوز للسيد المحامي العام ولى ان ندعوه الى موائدنا ونسكنه في بيوتنا .

لقد جاءت الى مكتبي منذ يومين ارملة مسكينة كانت تعتقد ان ابنها متغيب خارج البلاد . فلما علمت انه رهين السجن منذ ثمانية اشهر سجدته انفعل . قالت لي ان لها ابنا آخر ضابط بالجيش . فاذا حكم على كاسى باسمه الصحيح كان معنى ذلك الحكم على ابنها الآخر حتما لانه سيحز

من اجل هذا يرفض كاسى ان يبوح باسمه الحقيقي .

اما سبب الجريمة والباعث عليها فهو الانتقام من اساءة لحقته لم يشأ ان يفصح لي عنها ..

ان جريمة كاسى التي تحدثت عنها الصحف انما هي درع يخفي وراءها تضحيته بحياته لينقذ حياة اخيه وشرف اسرته . فادخلوا ذلك في حسابكم حين تنتقلون الى غرفكم لتصدروا قراركم .

واختلى المحلفون لاقل من نصف ساعة وعادوا بقرارهم الاجماعي بالادانة بدون ظروف مخففة ونطق القاضي بحكم الاعدام

وانقاد كاسى لحراسه بدون اعتراض او تأثر .

وجرت محاولات كثيرة من محاميه ومن الاسقف راعي السجن لتخفيف العقوبة كانت تنجح ولكن رئيس الجمهورية تحت ضغط الرأى العام ترك العدالة تاخذ مجراها .

ونصبت الجيوتين (المقصلة) في ميدان روكيت بباريس ، وبكر الأب مورو بالحضور الى الميدان وقد ظهر عليه التأثر الشديد لعدم نجاح مساعيه وسمعه الصحفيون يتمتم « مسكين كاسى » لو ان الصحافة لم تهتم بقضيته لما اقيمت المقصلة لتقطع رقبته فقد اصدر الرئيس قرارات اعفاء لقتلة غيره

ودفن كاسى ودفن معه سره الذى لم يشأ ان يبوح به حتى لمحاميه .

حسن الجداوى

كتـــاب لشـهـر

كما تعرفْ وطنَك اعرفْ عدوَّك



للدكتور انطوان زحلان

عرض
الدكتور محمود السمره

● هذا كتاب صدر قبل شهور عن «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» ببيروت. وقد صدر اولا باللغة الانجليزية، ثم صدرت ترجمته العربية عن هذه المؤسسة بالاشتراك مع «دار الهلال» ... ولكن لم تتح لي الفرصة للاطلاع على هذه الترجمة. وهذا الكتاب نموذج جيد للكتب المتقنة التأليف: تبويب حسن، واسلوب ناصع، وعبارات تسلم الواحدة منها القارئ الى اختها، ومعلومات مدعومة بالوثائق والاحصاءات الرسمية.

والمؤلف، الدكتور انطوان زحلان، يحمل شهادة الدكتوراه في الفيزياء الطبيعية من جامعة سيراكيوز بالولايات المتحدة الامريكية. ويعمل

Antoine Zahlan: Science and Higher Education in Israel

استاذا في دائرة الفيزياء بالجامعة الامريكية ببيروت . وقد نشر عددا من المؤلفات والبحوث العلمية باللغة الانجليزية .

والكتاب في ستة فصول هي : مقدمة ، القوى البشرية ذات المستوى العالي ، المعاهد ، البحث العلمي والدراسات العليا ، الصلة بين العلماء الاسرائيليين والمؤسسات العالمية ، سياسة اسرائيل العلمية . ثم خلاصة مركزة لما مر .

فلسفة الصهيونية قائمة على الايمان بالعلم

وفي هذه المقدمة يورد المؤلف بعض الآراء الجديرة بالنظر ، من ذلك : ان الدولة التي يبلغ عدد سكانها ٢,٦ مليون نسمة ، تكون امكاناتها في البحث العلمي محدودة ، مهما كانت هذه الدولة حديثة ، ولكنها تكون في الوقت نفسه قادرة على حشد طاقاتها ، ووضع سياسة دقيقة للبحث العلمي . وهي ايضا قادرة على ان تقيم علاقات بينها وبين المؤسسات المختصة الامريكية واوروبا ، فتفيد منها منافع محسوسة العلمية ، وبهذا تعوض عن ضعف امكاناتها . وهذا هو ما تفعله اسرائيل .

ومن المسلم به ، في ايامنا هذه ، ان العلم هو مفتاح التقدم الاقتصادي ، والتطور التكنيكي ، والقوة العسكرية . ومع ان هذه حقيقة واضحة ، الا ان جل البلاد النامية لا تستفيد منها في واقعها العلمي . اما الحركة الصهيونية في فلسطين ، فقد وضعت نصب عينيها منذ البداية ان تعتمد فلسفتها على الايمان بالعلوم البحتة والتطبيقية ، ورافقت تنفيذ هذه الفلسفة بهمة لا تعرف الكلل . وقد كان زعيم الحركة الصهيونية ، طيلة مدة الانتداب البريطاني على فلسطين ، كيمائيا باحثا هو الدكتور وايزمان ، الذي اصبح اول رئيس لدولة اسرائيل . واليه يعود الفضل في ادخال العلم الى كل مناحي الحياة فيها .

ومن الحقائق التي يجب علينا ان نذكرها ان العلم اصبح اليوم عالميا ، اي ان العلماء في اي بلد يجب أن يكونوا في ارفع مستوى وصل اليه البحث العلمي ليستحقوا هذا الاسم ، وهم لا يستطيعون ان يكونوا كذلك الا اذا كانوا على علم بما يجري من بحوث في البلاد الاخرى ، ووضعت تحت تصرفهم كل الامكانات اللازمة لاجراء هذه البحوث . وقد ادركت المنظمة الصهيونية هذه الحقيقة ، وعمل المسؤولون فيها على تحقيقها . وكان من نتيجة تطبيق هذه السياسة العلمية ، ان ارتفع مستوى الزراعة ، ونمت الصناعات ، وتطورت القدرة العسكرية للصهيونية تطورا باهرا . ويقول هارولد جكسون في بحث له بعنوان « اقتصاد اسرائيل نستعرض » :

« لقد قررت الحكومة ان تشجع اكثر المشروعات بحثا ، وتشجع تصدير الصناعات الى الخارج وقد تم تقدم كبير في ميدان الصناعات الالكترونية وصناعة الطائرات . » ونتيجة لهذه السياسة التي اتت اكلها ، ان اشتركت اسرائيل في معرض هانوفر Hanover للطيران سنة ١٩٦٨ ، حيث عرضت طائرة ركاب ونقل . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة ان وزير النقل الاسرائيلي صرح في ١٩ يونيه (حزيران) ١٩٦٩ قائلا : « ان صناعة الطائرات من اعظم الصناعات القائمة في اسرائيل، واسرعها نموا وتطورا . وفي سنة ١٩٦٨ كان يعمل فيها نحو ١٢٫٠٠٠ عامل .. وهذا امر لم يكن مقدرا ، اذ عندما افتتح التخنيون Technion معهدا خاصا لهندسة الطيران قبل خمس عشرة سنة ، لم تكن فيها سوى اثني عشر طالبا . وكان المعتقد انه لا مستقبل لهذه الدائرة ، ولا عمل لخريجيها . اما اليوم ففي الدائرة ٣٠٠ طالب ، وتخرج منها ٦٠ طالبا سنة ١٩٦٨ ، وهي تخطط من اجل التوسع بحيث تكون قادرة على استيعاب عدد اكبر من الطلبة » .

وقد حاولت اسرائيل ، بعد حرب يونيه (حزيران) ، ان تعزز انتصارها الى تقدم التكنيك الاسرائيلية وذلك من اجل الدعاية للصناعات الاسرائيلية في الخارج لتجد لها سوقا رائجة . ولكن الواقع ان انتاج المصانع الاسرائيلية محدود . كما ان جل هذه المصانع تملكه الدولة ، او وزارة الدفاع خاصة ، وصناعاتها تكلف كثيرا ، ولولا اعتمادها على الدولة لما استطاعت ان تحيا طويلا . وهذا القول يصدق ايضا على الكيبوتس والموشاف .

المنتجات الصناعية في اسرائيل تساوي ١٪ من الانتاج القومي

ورغم الكتابات الدعائية الكثيرة التي كتبت حول التصنيع في اسرائيل ، فان المنتجات الصناعية

لا تمثل سوى جزء بسيط من الانتاج القومي العام ، ولكن هذه النسبة تقل عن ١٪ . ومن المعروف انه يقف على رأس الصادرات الاسرائيلية الالماس المصنع ، والحمضيات .

وهذه قائمة توضح ما يمكن ان تكون عليه صادرات اسرائيل في عام ١٩٧١ .

الماس المصنع	١٣٠ مليون دولار
[illegible]	[illegible]
الاطعمة	٧٥ مليون دولار
الاقمشة	٥٩ مليون دولار
المعادن	٤٤ مليون دولار
الآلات	٤٠ مليون دولار
[illegible]	٣١ [illegible]
منتجات النفط	٢٥ مليون دولار
الكاوتشوك والبلاستيك	٢٢ مليون دولار
الاخشاب والمصنوعات الخشبية	١٨ مليون دولار
[illegible]	١٥ مليون دولار
[illegible]	[illegible]
[illegible]	١٠ مليون دولار
[illegible]	١٠ مليون دولار
[illegible]	١٠ مليون دولار
الورق والورق المقوى	٥ مليون دولار
منوعات	١٨ مليون دولار
	٧٢٥

٢٠٪ عجز في كل عام

ويبلغ الانتاج القومي العام في اسرائيل نحو ٨٠٪ من المصروف القومي العام ، وهكذا يبلغ العجز نحو ٢٠٪ في السنة ، أي (٢٠٠) مليون دولار . وهذا العجز يغطى من المساعدات التي تتلقاها اسرائيل من الخارج وخاصة من الولايات المتحدة الامريكية ويهود العالم .

ومن الاخطاء التي يقع فيها ، بعض العرب ، اعتقادنا ان مساعدات اليهود لاسرائيل آنية ، ولا يصح الاعتماد عليها كمورد ثابت . ويرى المؤلف ان هذه المساعدات التي تبلغ ٢٠٪ من ميزانية الدولة ، هي مورد ثابت لا يختلف ابدا عن دخل اسرائيل من الماس او الحمضيات .

البحث العلمي ضروري لتكنية الحرب

والتكنية في اسرائيل ، وخاصة تكنية الحرب [illegible] الحرب ، [illegible] الاستعانة بالبحث العلمي . واسرائيل مثل جيد يوضح كيف ان دولة صغيرة لم تكتف باستيراد ادوات الحرب ، بل اجرت عليها تطويرا جعلها مناسبة تماما لامكانياتها وغاياتها . وقد قام بهذا التطوير العلماء العسكريون ، والمهندسون الباحثون ، الذين يقضون بحوثهم في المراكز المعدة لذلك . ان هؤلاء الباحثين يتعاونون تعاونا وثيقا مع العسكريين من اجل تطوير ادوات القتال ، بحيث يستطيع تحقيق ما يخطط له العسكريون .

وقد استغلت اسرائيل تقدمها العلمي للدعاية لنفسها في الخارج ، فعقدت المؤتمرات العلمية في ميادين العلم المختلفة ، ودعت اليها رجال العلم [illegible] في العالم . ومثال ذلك انها في المدة بين ١٩٦٦ و ١٩٦٨ عقدت ٧٢ مؤتمرا عالميا ، كان منها : ١١ مؤتمرا للتكنية ، و ٥ للعلوم الزراعية ، و ١٢ للعلوم الطبية ، و ٣ للعلوم الاجتماعية ، و ٦ للعلوم البحتة . ولقد رسمت هذه المؤتمرات لاسرائيل صورة مشرقة في نفوس المشتركين فيها ، هي صورة الدولة الحديثة المتقدمة علميا . وبسبب عدم اهتمام الدول العربية بهذه المؤتمرات العالمية اهتماما كافيا ، ظل صورتها في العالم الخارجي هي صورة شعوب متخلفة جاهلة .

استغلت اسرائيل تقدمها العلمي للدعاية لنفسها

وقد استغلت اسرائيل تقدمها العلمي للدعاية لنفسها بين دول افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ، مستفيدة في ذلك من تجربتها في حرب السويس ١٩٥٦ . فقد وقفت دول هذه القارات الثلاث ضدها في تلك الحرب . ولذلك اقامت بعد الحرب علاقات وثيقة مع دول هذه القارات ، وقدمت لها الخبراء والمعونات ، والقروض ، لتساعدها على التطور . ولهذا السبب وقفت كثير من دول هذه القارات مع اسرائيل في حرب يونيه (حزيران) ١٩٦٧ ، رغم انها كانت المعتدية .

القوى البشرية ذات المستوى العالي

ان قوة اية دولة انما تقاس بنوعية القوى البشرية فيها ، وعددها ، وسلامتها . وتعتبر القوى

البشرية في اي بلد ذات مستوى رفيع ، اذا كانت نسبة حملة الشهادات الجامعية ، من الليسانس الى الدكتوراه ، عالية فيها . ولكن يشترط ان ينظم هؤلاء الخريجون بحيث يوضع كل واحد في المكان المناسب له ، والا كان عدد الخريجين لا قيمة له . وفي اسرائيل (٠٠٠ر٥٥) خريج جامعة ، اي نحو ٢٪ من عدد السكان ، وكل واحد منهم يعمل في ميدان تخصصه . ويورد المؤلف ان عدد خريجي الجامعات من الفلسطينيين يبلغ (٠٠٠ر٥٠) من مجموعهم البالغ مليونين ونصف مليون نسمة ، وانه خلال العشرين سنة الماضية تخرج من الجامعة فلسطيني مقابل كل يهودي تخرج من الجامعة . ومع هذا فان هذه القوى البشرية ذات المستوى العالي بين الفلسطينيين مهدرة بسبب تشتتهم في الآفاق .

وتشير المصادر الرسمية الاسرائيلية الى ان نصف الخريجين من المهندسين في كل عام ، قد انهوا دراستهم خارج اسرائيل ، بينما نجد ان ثلث اطباء اسرائيل هم من المهاجرين اليها من الخارج . وقد كانت سياسة المنظمة الصهيونية هي محاولة اغراء الاطباء ، والفنيين ، والمهندسين والعلماء ، بالهجرة الى فلسطين . ولكن نسبة كبيرة من هذه الفئات هاجر ايضا من اسرائيل الى الخارج ، وخاصة الى الولايات المتحدة الامريكية ، بحيث يمكن القول ان عدد المهاجرين الى اسرائيل منها ، من هذه الفئات ، ضئيل . ورغم المحاولات الكبيرة التي بذلتها السلطات الاسرائيلية للحيلولة دون هجرة الاختصاصيين من اسرائيل الى الخارج ، الا ان الملاحظ ان الشباب الاسرائيلي المثقف يؤثر العمل خارجها . ولكن هذا لا يعني ان الصهيونية تخسر مثل هؤلاء الشباب الا في الواقع انهم حيثما وجدوا يكونون عناصر نشطة تعمل من اجل اسرائيل ، وتنفيذ مخطط المنظمة الصهيونية .

الجامعات والمعاهد

لم يعد البحث العلمي الحديث عملا يقوم به باحث لوحده ، لان البحث العلمي ، في ابعاده ، يجب ان يتوفر له امكانيات كثيرة . ونستطيع القول ان اي مبلغ من المال ينفق على المؤسسات العلمية هو انفاق في محله ، لان الفوائد التي تجنيها الامة من هذه المؤسسات تزيد كثيرا عما ينفقه عليها من مال .

وحتى سنة ١٩٤٨ ، كان عدد الاطباء والمهندسين والعلماء ، بين اليهود المهاجرين الى فلسطين ، كبيرا جدا . ولهذا فان المشكلة ، بالنسبة لاسرائيل ، لم تكن تخريج عدد جديد من هؤلاء الاختصاصيين ، بل الاستفادة منهم في ميادين تخصصهم ، وخاصة في مجال البحث العلمي . وهكذا نرى ان اسرائيل انشأت الجامعات والمعاهد لتكون مراكز للبحث العلمي ، اولا وقبل كل شيء . ومن اجل ذلك زودت هذه المراكز العلمية بكل ما يلزمها للبحث العلمي ، واعطت لاعضاء الهيئة التدريسية فيها شروط عمل مغرية ، من اجل الاحتفاظ بالموجودين ، واغراء من هم في الخارج للعمل فيها . اما هذه الزيادة في عدد الطلبة في الجامعات والمعاهد فحديثة ، وهي تعود الى عام ١٩٦٠ فقط . وتدل الاحصاءات على انه كان هناك (٣٠) الف طالب في عام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ .

ويلاحظ ان المنظمة الصهيونية قد بدأت بانشاء هذه المراكز العلمية في وقت مبكر ؛ فالجامعة العبرية بالقدس سنة ١٩٢٥ ، والتخنيون Technion بحيفا سنة ١٩٢٥ ، ومعهد وايزمن برحوبوت سنة ١٩٣٤ . هذا مع العلم ان عدد الصهاينة في فلسطين لم يكن يزيد عن [illegible] حتى سنة ١٩٣١ . وملاحظة ثانية هي ان هذه المراكز العلمية موزعة ، بحيث ان الدراسة العليا متوفرة في كل ناحية من انحاء البلاد . وملاحظة ثالثة هي ان اسرائيل تولي العلوم عنايتها الاولى في الدراسات العليا . ومثال ذلك ان الجامعة العبرية منحت في العام الجامعي ١٩٦٢ — ١٩٦٣ احدى وسبعين شهادة دكتوراه كانت ثلاثون منها في العلوم الطبيعية . وباختصار نستطيع ان نقول ان الذين يدرسون لنيل شهادة الدكتوراه في الانسانيات من الجامعات والمعاهد الاسرائيلية لا يزيدون عن ١٥٪ وهذا الاقبال الشديد على العلوم ليس هو اختيار الطلبة ، بل سياسة الدولة التي وجهتهم الى هذا النوع من الدراسات ، التي تهمها ، قبل كل شيء ، من اجل تطوير قدرات وزارة الدفاع .

وهذه المراكز العلمية الاسرائيلية لا تعتمد اعتمادا كليا على الحكومة في تمويلها ، وتدل الاحصائيات على ان مساهمة الدولة تتراوح بين ١١ و ٥٦٪ . وهي تغطي ميزانيتها من المعونات التي تتلقاها من الداخل ، ومن اليهود خارج

اسرائيل ، ومن المؤسسات الطبية الاجنبية ، وخاصة في الولايات المتحدة الامريكية . وهذا مثل واحد من امثلة عدة يوضح ما نقول . فقد حصلت الجامعة العبرية في عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ على مبلغ ٦١١٠٠٠٠ دولار منحة من اجل اجراء بحوث في الميادين التالية

ميدان البحث	المبلغ المخصص له بآلاف الدولارات	نسبة الموجه من الولايات المتحدة
الطب	٣ر٢	٨
الهندسة	٢ر	٧٥
علم الانسان	١ر	
العلوم	٥ر	٧١
الزراعة	٨٧ر	٦٤
المجموع	٦ر١	

وهناك ظاهرة واضحة في الجامعات والمعاهد الاسرائيلية ، وهي ان نحو نصف السكان ، وهم اليهود الشرقيون ، غير ممثلين فيها . وقد كان هؤلاء اليهود الشرقيون في البلاد العربية التي هاجروا منها من الطبقة البرجوازية ويتمتعون بالعلم العميم ، ويتمتع ابناؤهم بالتعليم العالي . اما في اسرائيل فقد حرموا من كل هذا . ولا ينطبق هذا القول على الطلبة وحدهم ، بل على اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات ايضا ؛ ومثال ذلك ان عدد اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة العبرية كان ٥٢٨ عضوا في سنة ١٩٦٣ ، ولم يكن بينهم من اليهود الشرقيين سوى اثنين من مواليد العراق وواحد من سوريا . ومعنى هذا ان ٥٥٪ من السكان ، ليس لهم بين اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة العبرية الا ٠٫٥٪ . ولا تختلف هذه النسبة كثيرا في الجامعات والمعاهد الاخرى . ففي التخنيون يوجد ثلاثة من اليهود العربيين ، ويهودي تركي واحد . واليهود الفلسطينيون الذين يمثلون ١٠٪ من السكان ، تبلغ نسبتهم بين اعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة العبرية ١١٪ ، ويصلون الى ١٥٪ في التخنيون . وواضح ان هذه النسبة ضئيلة . هذا مع العلم ان اليهود الفلسطينيين ، هم في غالبيتهم ابناء يهود هاجروا من غرب اوروبا وشرقها .

وهذه الاحصائيات السابقة تدل بوضوح ان النظام الذي تقوم عليه الدولة في اسرائيل ، يفتح الابواب على مصاريعها امام الفئة المحظوظة ، التي هي اليهود المهاجرون من اوروبا ، والتي تسيطر على كل ما في اسرائيل . وهذا النظام ، في الوقت نفسه ، يغلق الابواب امام الفئات الاخرى .

ولاشك ان هذا التمييز قد احدث مرارة في نفوس اليهود الشرقيين . ويكفي هنا ان انقل هذه العبارات القليلة من مقال بعنوان « المناخ الروحي في اسرائيل » نشره اسحق دويتشر Isaac Deutscher سنة ١٩٥١ ، يقول دويتشر : « ان اليهودي الاوروبي يدرك ادراكا تاما عمقها في نفس اليهودي الشرقي من مرارة ، وحقد ، وغضب ، حتى انه يحس احيانا بالخوف منه . ونستطيع احيانا ان نسمع من اليهود الاوروبيين شكهم حتى في ولائهم للدولة ، وامكانية انضمامهم الى العرب اذا سنحت الفرصة ، وذلك لانه لا يوجد هناك فرق يذكر بين اليهودي الشرقي والعربي » . ⁽³⁾

البحث العلمي والدراسة العليا

ان الجامعة تلعب دورا هاما في المجتمع ، فخريجوها من حملة الليسانس والبكالوريوس يلبون حاجة المجتمع في ميادين تخصصهم . ولكن هؤلاء الخريجين انما يخدمون مجتمعهم بطريقة روتينية : كالطبيب ، والمهندس ، والمعلم من هذا المستوى . . غير قادرين على الابداع في هذه الميادين . ونسبة هذه الفئة من خريجي الجامعات تتراوح بين ٨٠ و ٩٠٪ من مجموع الخريجين . اما الفئة القادرة على الابداع في ميادين تخصصها ، فهي تلك التي تعكف على الدراسة العليا والبحث العلمي . ولهذا السبب فان الجامعة لا تكون جامعة حقا ما لم توفر الامكانيات للبحث العلمي ، والبحث العلمي يفيد من ناحيتين : فهو يرفع مستوى الطلبة جيدا لان اساتذتهم يكونون مسايرين لاحدث ما يجري من بحوث في ميادين تخصصهم ، ومساهمين فيها . واذا لم يكن اساتذة الجامعة كذلك ، فان تخلفهم العلمي سينعكس على طلبتهم ، وربما لذلك ينعكس ايضا على المجتمع الذي يعيشون فيه . ومن ناحية اخرى فان البحث العلمي في الجامعة هو القادر على المساهمة في حل مشكلات المجتمع الذي تخدمه الجامعة .

وانطلاقا من هذا المفهوم السليم لرسالة الجامعة

فان المنظمة الصهيونية قد قررت حتى قبل الحرب العالمية الاولى ، ان تقيم في فلسطين جامعات ، رسالتها الاولى البحث العلمي . ومركز البحث في الجامعات والمعاهد الاسرائيلية في ميادين : الطب ، والبيولوجي (واذكر هنا ان اسرائيل تفخر بان فيها اعلى نسبة اطباء في العالم ، فهي ١ : ٤٠٠ ، ومجموع الاطباء (٦٠٠٠) طبيب ، وعدد الاطباء الذين يعملون في البحث العلمي هو (٧٠٠)) ، بالاضافة الى (٦٠٠) طبيب يقومون ببحوث في ميدان العلوم البيولوجية ، وهناك (٥٠٠) باحث في مسائل الزراعة وتطويرها وتحسينها ، و (١٠٠٠) باحث في العلوم الرياضية .

* * *

والباحثون على صلة بالهيئات العلمية العالمية عن طريق القيام ببحوث علمية مشتركة والاشتراك في المؤتمرات ، والزيارات الكثيرة التي يقومون بها لزملائهم في الجامعات في الخارج ، والمجيء الى الجامعات الاخرى كأساتذة زائرين . والملاحظ ان الاسرائيليين يهتمون اهتماما خاصا بالبحوث في ميدان العلوم الفيزيائية ، والسبب في هذا هو اهتمام وزارة الدفاع في اسرائيل بهذا النوع من البحوث ، اما اهتمامهم بالبحث في ميدان العلوم الاجتماعية فهي دون هذا بكثير .

وتدل الاحصائيات التي تقوم بها الهيئات العلمية العالمية ان اسرائيل هي الدولة السادسة عشرة في العالم في عدد الباحثين العلميين فيها ، فعدد الباحثين العلميين اكثر عددا في كل امريكا اللاتينية واكثر بكثير منه في كل افريقيا . ففي اسرائيل (١١٩٥) باحثا ، وفي امريكا اللاتينية (١٠٢٩) ، وفي افريقيا (٧٣١) . وفي الصين وحدها من الباحثين العلميين بعدد ما في تايلاندا او جنوب افريقيا . وفي الجمهورية العربية المتحدة (٢٩٢) باحثا ، وهي بهذا متقدمة على يوغسلافيا ، واسبانيا ، وبولندا ، والبرازيل ، وايرلندا الشمالية ، والارجنتين ، والمكسيك ، واليونان ، والباكستان ، وتركيا ، وايران ..(١)

واذا قسنا ما ينشر من بحوث علمية في العالم بالنسبة لسكان العالم ، فان اسرائيل تنشر احد عشر ضعفا من نصيبها من هذه البحوث بالنسبة لعدد سكانها بينما تنشر الولايات المتحدة الامريكية ستة اضعاف نصيبها . ولكن علينا ان نذكر ان عدد البحوث العلمية التي تنشر ليس مقياسا دقيقا للحكم على تفوق بلد ما في البحث العلمي ، اذ قد يكون كثير من هذه البحوث ذا مستوى عادي او وسط ، والقياس الصحيح هو مدى ما تقدمه هذه البحوث من مساهمة جديدة ، وابداع ، في الميدان الذي تبحث فيه .

وفي رأي يوسف بن داود Joseph Ben David

ان من الواضح انه من غير المحتمل ابدا ان تستطيع اسرائيل منافسة اوروبا او امريكا في الاسواق العالمية لتفوق الكمية والعلم في تلك البلاد عنه في اسرائيل . اذا نظرنا في ما تنفقه اسرائيل على العلم والتعليم العالي لوجدنا انه مبلغ ضخم جدا بالنسبة لما تنفقه الدول النامية ، ولكنه اقل بكثير مما تنفقه دولة كبرى في غربي اوروبا ، ولا يزيد ما تنفقه في هذا المجال عن ميزانية جامعة من الدرجة الاولى في الولايات المتحدة ، وتوضيحا لهذا يقول المؤلف : ان ما انفقته اسرائيل على البحث العلمي والتعليم العالي في سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ بلغ مئة مليون دولار ، هذا عدا ميزانية مختبرات وزارة الدفاع ، وهذا المبلغ يقل عما ترصده جامعة من الدرجة الاولى في الولايات المتحدة الامريكية لشؤون التعليم والبحث العلمي فيها .

وهنا يشير المؤلف الى ان من المسائل الرئيسية في البلاد النامية انها لا تخصص للبحث العلمي سوى مبالغ ضئيلة ، ومع هذا تريد ان تحصل على نتائج في وقت قصير . ونحن نعرف ان البحث العلمي يحتاج الى توفير الامكانيات اللازمة من مال واجهزة وباحثين ، اولا ، ثم هو يحتاج الى زمن كاف ، ثانيا ، لانه يعتمد على التجربة والخطأ ، واصلاح الخطأ . ومن الطبيعي ان

(١) [illegible] Scientists 1967

تعمل مثل هذه الدول النامية في تحقيق احلامها في ميدان البحث العلمي . وهذا العمل يعتمد في نفس المؤولين والباحثين ، على المستوى السياسي . ولو انها عملت على توفير الامكانيات اللازمة ، واستمرارية المبالغ الضرورية للبحث العلمي . واستقطبت الباحثين المصريين ، لاستطاعت ان تحصل على نتائج مرضية .

وهذه هي احدى مشكلة الجامعات في البلاد النامية فهي بهذا ضعيفة لانها تعيش في بيئة متخلفة علميا ، وتسير في الانحدار لعدم توفر المال الكافي للتعليم الصحيح ، والبحث العلمي في مستواه العالي .

اقول هذا ، واحب ان اذكر بان اسرائيل التي قالت الاحصائيات عنها انها الدولة السادسة عشرة في العالم في عدد الباحثين العلميين فيها ، لا تكتفي بهذا ، فهي تحاول ان تحسن من مركزها في هذا الميدان ، وكل الدلائل تشير الى انها جادة في هذه السبيل . ■■

محمود السمرة

الملاحة في الخليج العربي

تأليف : [illegible]

الناشر : مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية الكويت

مجموعة مذكرات هي عبارة عن قصص من حياة البحر هي واقع البحر التي كان يعيشها ابناء الكويت قبل انفجار البترول في اراضيها ، كما توضح الخليج العربي وكيف كانت اساليب الملاحة البحرية في ذلك الزمان قبل ان يكون للكويت اسطول من السفن والبواخر والناقلات . ثم يدرس المؤلف موقع الكويت البحري ونشاطها التجاري في الخليج وميناء الكويت والدور التجاري الذي لعبه وسيلعبه في المستقبل في هذه المنطقة .

طوابير سكم

تأليف : عبد المطلب حامد الراوي

الناشر : دار الحرية للطباعة والنشر بغداد ـ العراق

● مجموعة قصائد متنوعة .

مرشد المصاب بالسكر

جمع وتأليف : محمد علي الشكرجي

الناشر : مكتبة سبتي ـ بغداد ـ العراق

● يتضمن هذا الكتاب معلومات مهمة وضرورية عن مرض السكر تعين المرضى وترشدهم الى الوسائل الكفيلة للحفاظ على حياتهم والعناية بصحتهم . يذكر المؤلف في هذا الكتاب الاغذية والادوية المناسبة لمرضى البول السكري مع نماذج من الاطعمة والاشربة التي تناسب هؤلاء المرضى .

حقيقة معركتنا مع اسرائيل

تأليف : عبد المنعم الحرب

الناشر : دار الحرية للطباعة والنشر والتوزيع

● كتاب يتناول حقيقة المعركة التي نخوضها مع اسرائيل والاسباب التي أوجدت اسرائيل واسبابها الرئيسية . يرجع المؤلف هذه الاسباب الى تجرد العالم العربي من عقيدته الدينية هذه العقيدة التي كانت بمثابة العصب الذي كفل لها السيادة ردحا من الزمان ملكت به من العظمة ما لم تملكه امة من الامم . والبحث يؤكد جانب العقيدة الدينية ويبين مدى اهميتها وخطورتها في حياة الامة وموقعها خصوصا بالنسبة الى قضية فلسطين .

ديوان أبي الحب

تأليف : الشيخ محسن أبو الحب
تحقيق : [illegible]
الناشر : مطبعة الآداب — النجف — العراق

● ديوان شعر يحوي مجموعة من القصائد في مدح ورثاء أهل البيت وترجمة لحياة الشاعر حيث كان أحد خطباء المنبر الحسيني وحيث كان يعالج البحوث الإسلامية المهمة والقضايا التاريخية الخالدة ثم مساهمته في الثورات الوطنية التي حدثت بالعراق وقصائده الوطنية والثورية فيها .

العلاقات الإنسانية في الإدارة

تأليف : صالح الشبكشي .
الناشر : مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث مجالات أهم عمليات الإدارة ومقوماتها سواء كانت هذه العلاقات إيجابية أو سلبية . هذه المشكلات تأتي على صورة مشكلات يعاني منها الأفراد والرؤساء بل وأجهزة الإدارة كلها . وقد عرض المؤلف لهذا التكامل بين العمليات الإدارية والنظرة الإنسانية فربطهما الصلة عرضا وافيا إلى الحد الذي يصعب على القارئ التمييز بينهما إذا كان يقرأ كتابا في الإدارة العامة أو العلاقات الإنسانية .

وتقوم العلاقات الإنسانية على بعض الظواهر النفسية وسيكولوجية العمل ومشكلاتها الوثيقة بالسلوك البشري لذا فقد خصص المؤلف فصلا كاملا منهما قبل الدخول في هذه العلاقات الإنسانية نفسها .

لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث

تأليف : الدكتور علي الوردي
الناشر : مطبعة الإرشاد بغداد — العراق .

● يدرس هذا الكتاب الأحداث التاريخية عند بداية الحكم العثماني للعراق ويحللها اجتماعيا والكتاب لا يهتم بالأحداث الماضية لذاتها وعلى منوال ما يفعله المؤرخون بل هو يهتم بما تنطوي عليه الأحداث من دلالة فكرية واجتماعية أي الاستقراء التاريخي فهو يأتي في أهميته بالدرجة الثانية .

تاريخ فن الحرب

تأليف : [illegible] ستروكوف
نقله عن الروسية : العميد الركن صباح الدين الأتاسي
الناشر : إدارة الشؤون العامة والتوجيه
[illegible]
سورية

● يدرس هذا الكتاب أساليب خوض الأعمال الحربية وأساليب التدريب والتربية في القوات المسلحة وعوامل تطورها للوصول إلى فهم الفن الحربي المعاصر .

إن الدراسة التاريخية لفن الحرب تعرفنا كيف تطور هذا الفن منذ الماضي حتى تبلور في شكله الحاضر كما أن مبادئ خوض الصراع المسلح التي استخلصت من الحروب الماضية وحافظت على صحتها حتى في الحروب المعاصرة ، مثل ذلك مبدأ التوزيع الاستراتيجي للقوى والوسائط على طول الجبهة ، ومبدأ حشد القوى والوسائط على الجهة الرئيسية ، ومبدأ المفاجأة والمباغتة ، حيث تسمح لنا هذه الدراسة بإدراك هذه المبادئ وفهم مضمونها بالتعرف على الأمثلة الناجحة في استخدامها خلال المراحل التاريخية المختلفة ، كما أن الدراسة التاريخية للحرب تعتبر وسيلة هامة للتوصل إلى الفهم الكامل للفن الحربي المعاصر وآفاق تطوره .

عبر وعبرات
من دمشق الأندلس

تأليف : [illegible]
الناشر : [illegible]

● ليس هناك من يزعم أنه يملك المفتاح الذي يحمل الأجوبة لكل الأسئلة عن سبب نكبتنا ، ولكن في نكبة العرب في الأندلس كما في نكبتهم في فلسطين وحدت عوامل متشابهة ، والأخرى لا يستطيع من احتمالها البعد والتقيد ما دام الخلف يعي السابقة بأن يرتد إلى معرفة العوامل المتشابهة والاتعاظ بها إلى ما يليهم ، لتستعيد ما أتته عبقريات العرب من أمجاد وليسلم من الانهيار يسوق بالحرائق على الجميع ولكي لا يتكرر ما سطر لمعالمه عنه مآسي مفجعة .



بإمكانك ان توصله بسيارتك
هذه الليلة . خذها في نزهة بالسيارة
ذلك يمكنك أن تخرج المسجل من السيارة
TRQ 290
SCT 1150
هيتاشي
HITACHI

توجد ساعات
جيدة كثيرة

انكابلول
يساعدك
في التعرف اليها





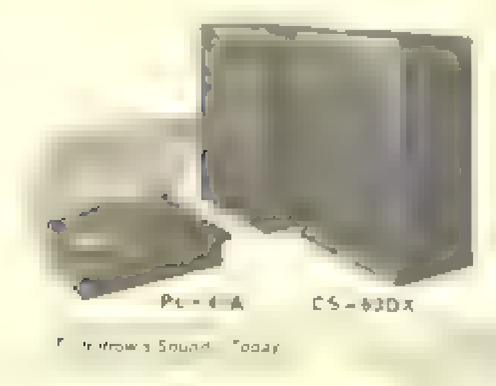
SX - 9000

الصوت الذي "يحيا" في كل مكان...

بايونير ، الاسم الرائد للجودة في ميدان ... في صنع الشروط ،

تحصل على أرقى وأنقى الأصوات والأنغام مع جهاز ... الستريو SX-9000 ... يعكس الأصوات ... الصوت بالنسبة الى أية شروط صوتية أو ...

مع جهاز التقاط ممتاز ، تحتاج الى تجهيزات إضافية ذات جودة من تلك ... السبب الذي نعتمد عليه بايونير لتشجيع أصحاب جهاز SX-9000 ... مع مجموعة الاكسسوارات التي ... PL-41A ... مكبرات ٦ ... CS-63DX ، ... أحسن ما يمكن في صناعة الأجهزة الصوتية .



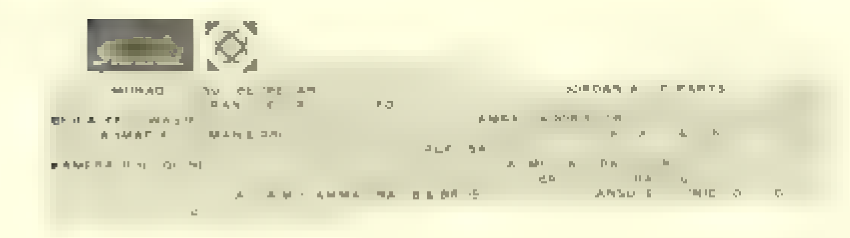


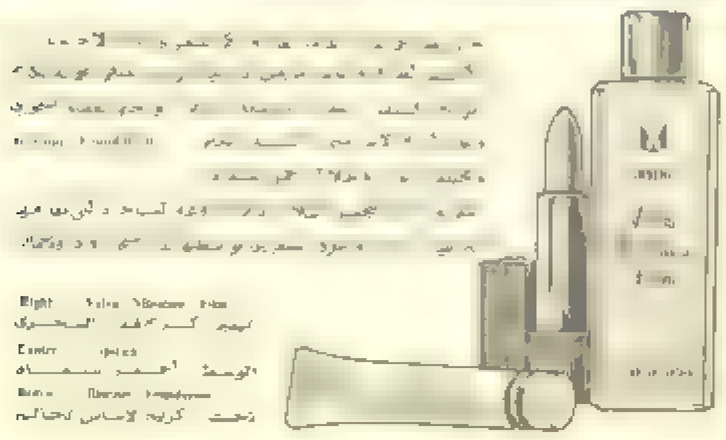





EDOX

الآن، السّماع الستيريوفوني بـ٤ خطوط!








مارلبورو
Marlboro
Marlboro
افخر سجاير كنج سايز فلتر
AMERICA'S FINEST FILTER


أخبار الغد
الرئيسية في
متناول يدك.
SONY.


له .. لها ..
أولما
OLMA
دقيقة الصنع ومتينة
للجميع ...
أولما
أوتوماتيك
الوكيل العام بالكويت
مراد يوسف بهبهاني
معرض ساحة الصفاة . معرض شارع تونس

automatic



AKAI


THE BEST TOBACCO MONEY CAN BUY
KING SIZ
الأولى في العالم


رونسون
RONSON

هل تحتفظ بجودة صوتها بعد خمس سنوات؟



PHILIPS

اضغط على الزر وتخلص في الحال

تخلص من الذباب والبعوض وكافة
الحشرات الزاحفة؛ بيبيد الحشرات
بيف باف في علبة ايروسول سريع
التأثير أكيد المفعول، اقتصادي
جداً لانه يحمي بيتكم في ثوان من

الحشرات ويكسبه رائحة نقية
منعشة.. اشتروا كوبرز بيف
باف القوي المفعول في
العلبة الكبيرة الصفراء والسوداء.




عندما يكون البنك
عالميا مثل تشيس
عليه أن يبقى على اتصال دائم
بآخر ما توصل إليه
علم تجهيز المعلومات
بنك تشيس منهاتن
THE CHASE MANHATTAN BANK
NATIONAL ASSOCIATION
المركز الرئيسي : — 1 Chase Manhattan Plaza, New York, N.Y. 10015, U.S.A.



RADO
رادو
نموذجان
فريدان
انتصاران
عالميان
رادو
الساعة الوحيدة في العالم
الغير قابلة للخدش
أينما كنتم : اطلبوها من الوكيل المعتمد